

رفع

عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ ١٢٣

شرح

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

للمحافظة الحق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قتيبة الجوزية
نفته الله بواضع رغبته ورضوانه وأمنته فيبعه بمنايه

شرح فضيلة الشيخ الصلابة

محمد بن صالح العثيمين

عمر الله له ولوالديه والمسلمين

المجلد الأول

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شَرَحُ

الكافية الشافية
في الانتصار للفرقة الناجية

①

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح

شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية./

محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤هـ

٤مج؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)

ردمك: ٤ - ٦٢ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

١ - ٦٣ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ١)

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - أهل السنة

أ.العنوان ب.السلسلة

١٤٣٤/١٠٢٢٧

ديوي ٢٤٠

حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيراً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٥هـ

يُطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com

شرح

الكافي في الشافعية في الانتصار للفرقة الناجية

للمافظ الحق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية
تقره الله بوسع رحمته ورضوانه وأشكته فيح جهانه

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الأول

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تقديم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ فَصَلَّوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ:

فقد كان من الأعمال الجليلة لصاحب الفضيلة شيخنا الوالد محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله تعالى-، أنه اعتنى عناية بالغة بالمتون العلمية وشرحها والتعليق عليها وتوضيحها وتقريبها لطلاب العلم والدارسين والباحثين، وذلك بأسلوبه المتميز بالوضوح والتأصيل المنهجي وجودة السبك بلا تكلف ولا تعقيد.

وكان من اختياراته في العقيدة من المتون المتقدمة: قراءته للنونية وهي: «الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية»، للحافظ العلامة شمس الدين

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، ابن قَيم الجوزيَّة، المتوفَّى بدمشق عام (٧٥١هـ)^(١)، تغمَّده الله بواسع رحمته ورضوانه، وأسكنه فسيح جنَّاته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وفي شهر ذي الحِجَّة من عام (١٣٩١هـ) شرَّع -رحمه الله- في تدوين قراءة علمية لتلك القصيدة «الرَّائعة» -كما كان يصفها في كلِّ مناسبة-، وكتب بخطه مختاراتٍ من أبياتها، جعلها فُصولاً متنوعة، وقد أُضيفت إلى آخر هذا الكتاب تَميمًا للفائدة، كما جَلَس -رحمه الله- في حلقاتٍ متعدِّدة لشرِّحها ضمَّن دُروسه العلميَّة التي كان يعقدها للطلَّاب في جامعِه بعُنيزة، وكان أوَّل الشُّروحات المسجَّلة صوتيًّا لفضيلته -رحمه الله- تلك الدُّروس التي كانت خلال الفترة من (١٤٠٨-١٤١٢هـ)، وقد شملت متن النُّونية كاملاً.

وفي حَجِّ عام (١٤١٧هـ) بادَر الشَّيخ الدُّكتور علي بن عبدالعزيز الشبل -أثابه الله- باقتراح إلى فضيلة شيخنا العلامة الوالد محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- للشُّروع في العمل اللازم لطباعة ذلك الشَّرح المسجَّل، فوافقَه على ذلك؛ على أن يتمَّ عَرَض المادة المفرَّغة على فضيلته قبل النَّشر، ثم طلب منه تأجيل إعداد ذلك الشَّرح للطباعة؛ لعزمه -بمشيئة الله تعالى- على إعادة شرح النُّونية شرحًا مفصَّلًا، وقد تحقَّق ذلك فعلاً -ولله الحمد والشكر- فكان الشَّرح الأخير، وهو المسجَّل خلال الفترة من (١٤١٩هـ) حتى وفاته -رحمه الله- عام (١٤٢١هـ)،

(١) ترجم له الكثيرون؛ انظر: (ذيل طبقات الحنابلة) لابن رجب -رحمه الله- (١٧٠/٥)، (الدرر الكامنة) لابن حجر العسقلاني -رحمه الله- (٢١/٤)، (البدر الطالع) للشُّوكاني -رحمه الله- (١٤٣/٢)، (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي -رحمه الله- (١٦٨/٦)، (الأعلام) للزركلي -رحمه الله- (٥٦/٦)، وغيرهم.

وقد بدأ فيه - رحمه الله - بـ (فصل: في أقسام التوحيد والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين) إلى آخر المنظومة، ثم عاد بشرحها من أولها حتى بلغ قول الناظم - رحمه الله -:

وَاللَّهُ أَغْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ

وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ^(١)

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلة الشيخ الوالد محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - لإخراج تراثه العلمي قام القسم العلمي بـ (مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية) بتهيئة وإعداد تلك الشروح والمنظومة، وتخريج أحاديثها وتجهيزها للطباعة والنشر، وقد تفضل الشيخ الدكتور: (علي بن عبدالعزيز الشبل) - مشكوراً - بمراجعتها، وضبط متن التونية من خلال ثنتي عشرة نسخة تجمعت لديه بالإضافة إلى تقارير فضيلة الشيخ الشارح - رحمه الله - أثناء الدرس بالتنويه على الفروق بين النسخ.

وفي هذا الشأن كتب الشيخ الدكتور علي بن عبدالعزيز الشبل - حفظه الله - إفادة علمية مجملة هذا نصها:

[تنويه مجمل بالنسخ:]

١ - نسخة برلين وهي المنوّهة عنها بـ (الأصل)، وهي منسوخة سنة (٧٧٠هـ)، أي: بعد وفاة ابن القيم - رحمه الله - بـ ١٩ سنة، وتقع في ١٦٦ لوحة،

(١) البيت رقم (١١٧٧).

بخط نُسْخِيٍّ واضح، وُصورتها بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سُعود الإسلاميَّة، برقم ٧٠٨٧ ف.

٢- نُسخة الإفتاء في الرياض، وأصلها من مكتبة سَمَاحَة الشَّيْخ مُحَمَّد بن إبراهيم آل الشَّيْخ -رحمه الله-، وهي محفوظة بمكتبة الرياض، برقم ٨٦/٣٤٧، ومنسوخة سنة (٧٨٢هـ)، أي: بعد وفاة ابن القيم -رحمه الله- -٣١ سنة، وتقع في ١٢٦ ورقة.

٣- نُسخة السَّفَّارينيَّة، وعليها تَمَلُّكُ عبد القادر بن الشَّيْخ محمد السَّفَّارني الحنْبلِي -رحمه الله-، وهي محفوظة بمكتبة بَرْلِين بألمانيا، ومنسوخة سنة (١٢٠٧هـ)، وتقع في ١٣٧ ورقة، وُصورتها بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سُعود الإسلاميَّة، برقم ٧١٠١ ف.

٤- نُسخة الظَّاهريَّة: وهي ضِمَّنَ المجموع الكبير «الكواكب الدَّرَّاري»، ومنسوخة سنة (٨٢٨هـ)، في ١٣١ ورقة، وُصورتها بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميَّة، برقم ٢٩٥٣ ف.

٥- نُسخة ابن سَحَّان الأولى، وهي نُسخة جيِّدة مُقابلة على نُسختين، وبها حواشٍ تَصْحيحِيَّة ذات قيمة عالية؛ محفوظ أصلها لدى أُسْرَتنا بمكتبة الجَدِّ الشَّيْخ صالح الحمد الشُّبَل -رحمه الله-، ومنسوخة سنة (١٣٠٦هـ) بخط الشَّيْخ سليمان بن سَحَّان -رحمه الله-، في ١٥١ ورقة، وجملة أبياتها (٥٨٥٩) بيتاً، ومضبوطة بالشَّكْل كلها سنة (١٣١٤هـ).

٦- نُسخة ابن سَحَّان الثانية، وتقع في ١٥٣ ورقة، وقد نُسخت في المحرم (١٣٠٨هـ)، وفَلَمَها في جامعة الإمام مُحَمَّد بن سُعود الإسلاميَّة، برقم ٦٥٨٠ ف، وهي مصوَّرة عن أصلها بحائل.

٧- نُسخة التَّيْمُورِيَّة، وهي بدار الكُتُبِ المِصرِيَّة، برقم ١٧٠ عقائد تيمور، ومنسوخة سنة (٧٦٨هـ)، مجرّدة عن التَّصْويبات، وفيها ١٥٦ ورقة.

وهذه النُّسخ هي النُّسخ الأُصْلِيَّة للمقابلة والمراجعة، وأما بقية النُّسخ فمُسانِدة وهي:

٨- نُسخة بُرَيْدَة، وتقع في ١٣٥ ورقة، بمكتبة بُرَيْدَة العامَّة، بخط مُحَمَّد بن عبد العزيز -رحمه الله-، وهي نسخة مضبوطة بالشَّكْل.

٩- نُسخة الإفتاء الثَّانِيَّة، في الرِّياض، وتقع في ١٥٤ ورقة، مَجْهُولَة المِصدِر، وهي برقم ٣٣٣.

١٠- نُسخة مكتبة آل يَعْقُوب، بحائل، في ١٨٤ لوحة، منسوخة سنة ١١٦٩هـ، وآلت إليهم وَقَفًا من مُحَمَّد العبيد الرشيدي -رحمه الله-.

١١- المطبوعة ضِمن شرح الشَّيْخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى -رحمه الله-، المُسمَّى «توضيح المقاصد وتصحیح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم».

١٢- المطبوعة ضِمن شرح الشَّيْخ مُحَمَّد خَلِيل هَرَّاس -رحمه الله- على النُّونِيَّة]. انتهى ما كتبه الشَّيْخ الدُّكتور علي بن عبد العزيز الشبل، فجزاه الله خيرًا على جهده المشكور وعمَّله الجليل.

نَسألُ اللهَ تَعَالَى أنْ يَجْعَلَ هذا العَمَلُ خالِصًا لوجْهِه الكَرِيم؛ نافعًا لِعِبَادِهِ، وأنْ يَجْزِي فَضِيلَةَ شَيْخِنَا عَنِ الإِسْلامِ والمُسلِمِينَ خَيْرَ الجَزَاءِ، وَيُضَاعِفَ لَهُ المَثُوبَةَ والأَجْرَ، وَيُعَلِّي دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، إِنَّه سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبٌ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ،
وَسَيِّدِ الْأَوْلِيَيْنَ وَالْآخِرِينَ، نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

القِسْمُ الْعِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُنَيْنِيِّ الْخَيْرِيِّ

غُرَّةِ شَعْبَانَ ١٤٣٤ هـ

نبذة مختصرة عن

العلامة محمد بن صالح العثيمين

١٣٤٧ - ١٤٢١ هـ

نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسر، الورع الزاهد، محمد بن صالح بن محمد بن سليمان بن عبد الرحمن آل عثيمين من الوهبة من بني تميم.

ولد في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧ هـ في عنيزة - إحدى مدن القصيم - في المملكة العربية السعودية.

نشأته العلمية:

ألحقه والده رحمه الله تعالى - ليتعلم القرآن الكريم عند جدّه من جهة أمه المعلّم عبد الرحمن بن سليمان الداغ - رحمه الله -، ثمّ تعلّم الكتابة، وشيئاً من الحساب، والنصوص الأدبية في مدرسة الأستاذ عبدالعزيز بن صالح الداغ - حفظه الله -، وذلك قبل أن يلتحق بمدرسة المعلّم علي بن عبد الله الشحيتان - رحمه الله تعالى - حيث حفظ القرآن الكريم عنده عن ظهر قلب ولمّا يتجاوز الرابعة عشرة من عمره بعد.

وبتوجيه من والده - رحمه الله - أقبل على طلب العلم الشرعي، وكان فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - يدرّس العلوم

الشرعية والعربية في الجامع الكبير بعنيزة، وقد رتّب اثنين^(١) من طلبته الكبار؛ لتدريس المبتدئين من الطلبة، فانضم الشيخ إلى حلقة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع - رحمه الله - حتى أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو ما أدرك.

ثم جلس في حلقة شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والسيرة النبوية، والتوحيد، والفقه، والأصول، والفرائض، والنحو، وحفظ مختصرات المتون في هذه العلوم.

ويُعدّ فضيلة الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - هو شيخه الأول؛ إذ أخذ عنه العلم؛ معرفةً وطريقةً أكثر مما أخذ عن غيره، وتأثر بمنهجه وتأصيله، وطريقة تدريسه، وأتباعه للدليل.

وعندما كان الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عودان - رحمه الله - قاضيًا في عنيزة قرأ عليه في علم الفرائض، كما قرأ على الشيخ عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - في النحو والبلاغة أثناء وجوده مدرّسًا في تلك المدينة.

ولما فتح المعهد العلمي في الرياض أشار عليه بعض إخوانه^(٢) أن يلتحق به، فاستأذن شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي - رحمه الله - فأذن له، والتحق بالمعهد عامي ١٣٧٢ - ١٣٧٣ هـ.

ولقد انتفع - خلال السنتين اللتين انتظم فيهما في معهد الرياض العلمي - بالعلماء الذين كانوا يدرّسون فيه حينذاك ومنهم: العلامة المفسّر الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ الفقيه عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، والشيخ المحدث عبد الرحمن الإفريقي - رحمه الله تعالى -.

(١) هما الشيخان محمد بن عبد العزيز المطوع، وعلي بن حمد الصالحي رحمهما الله تعالى.

(٢) هو الشيخ علي بن حمد الصالحي رحمه الله تعالى.

وفي أثناء ذلك اتصل بساحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله-، فقرأ عليه في المسجد من صحيح البخاري ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وانتفع به في علم الحديث والنظر في آراء فقهاء المذاهب والمقارنة بينها، ويُعدُّ ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- هو شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به.

ثم عاد إلى عنيزة عام ١٣٧٤هـ وصار يدرِّس على شيخه العلامة عبد الرحمن ابن ناصر السعدي، ويتابع دراسته انتساباً في كلية الشريعة، التي أصبحت جزءاً من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، حتى نال الشهادة العالية.

تدريسه:

توسَّم فيه شيخه النّجابة وسرعة التحصيل العلمي فشجّعه على التدريس وهو ما زال طالباً في حلّقتة، فبدأ التدريس عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة. ولما تخرّج من المعهد العلمي في الرياض عُيِّن مدرِّساً في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ.

وفي سنة ١٣٧٦هـ توفي شيخه العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى- فتولّى بعده إمامة الجامع الكبير في عنيزة، وإمامة العيدين فيها، والتدريس في مكتبة عنيزة الوطنية التابعة للجامع؛ وهي التي أسسها شيخه -رحمه الله- عام ١٣٥٩هـ.

ولما كثر الطلبة، وصارت المكتبة لا تكفيهم؛ بدأ فضيلة الشيخ -رحمه الله- يدرِّس في المسجد الجامع نفسه، واجتمع إليه الطلاب وتوافدوا من المملكة وغيرها حتى كانوا يبلغون المئات في بعض الدروس، وهؤلاء يدرسون دراسة

تحصيل جاد، لا لمجرد الاستماع، وبقي على ذلك، إمامًا وخطيبًا ومدرّسًا، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

بقي الشيخ مدرّسًا في المعهد العلمي من عام ١٣٧٤هـ إلى عام ١٣٩٨هـ عندما انتقل إلى التدريس في كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وظل أستاذًا فيها حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

وكان يدرّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحج ورمضان والإجازات الصيفية منذ عام ١٤٠٢هـ، حتى وفاته - رحمه الله تعالى -.

وللشيخ - رحمه الله - أسلوب تعليمي فريد في جودته ونجاحه، فهو يناقش طلابه ويتقبل أسئلتهم، ويُلقي الدروس والمحاضرات بهمة عالية ونفسٍ مطمئنة واثقة، مبتهجًا بنشره للعلم وتقريبه إلى الناس.

آثاره العلمية:

ظهرت جهوده العظيمة - رحمه الله تعالى - خلال أكثر من خمسين عامًا من العطاء والبذل في نشر العلم والتدريس والوعظ والإرشاد والتوجيه وإلقاء المحاضرات والدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى -.

ولقد اهتم بالتأليف وتحرير الفتاوى والأجوبة التي تميّزت بالتأصيل العلمي الرصين، وصدرت له العشرات من الكتب والرسائل والمحاضرات والفتاوى والخطب واللقاءات والمقالات، كما صدر له آلاف الساعات الصوتية التي سجلت محاضراته وخطبه ولقاءاته وبرامجه الإذاعية ودروسه العلمية في تفسير القرآن الكريم والشروحات المتميزة للحديث الشريف والسيرة النبوية والمتون والمنظومات في العلوم الشرعية والنحوية.

وإنفاذاً للقواعد والضوابط والتوجيهات التي قررها فضيلته -رحمه الله تعالى- لنشر مؤلفاته، ورسائله، ودروسه، ومحاضراته، وخطبه، وفتاواه ولقاءاته، تقوم مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية -بعون الله وتوفيقه- بواجب وشرف المسؤولية لإخراج كافة آثاره العلمية والعناية بها.

وبناءً على توجيهاته -رحمه الله تعالى- أنشئ له موقع خاص على شبكة المعلومات الدولية^(١)، من أجل تعميم الفائدة المرجوة -بعون الله تعالى- وتقديم جميع آثاره العلمية من المؤلفات والتسجيلات الصوتية.

أعماله وجهوده الأخرى:

إلى جانب تلك الجهود المثمرة في مجالات التدريس والتأليف والإمامة والخطابة والإفتاء والدعوة إلى الله -سبحانه وتعالى- كان لفضيلة الشيخ أعمال كثيرة موفقة منها ما يلي:

- عضواً في هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ إلى وفاته.
- عضواً في المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في العامين الدراسيين ١٣٩٨-١٤٠٠هـ.
- عضواً في مجلس كلية الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ورئيساً لقسم العقيدة فيها.
- وفي آخر فترة تدريسه بالمعهد العلمي شارك في عضوية لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألّف عددًا من الكتب المقررة بها.

- عضوًا في لجنة التوعية في موسم الحج من عام ١٣٩٢هـ إلى وفاته - رحمه الله تعالى - حيث كان يلقي دروسًا ومحاضرات في مكة والمشاعر، ويفتي في المسائل والأحكام الشرعية.
- ترأس جمعية تحفيظ القرآن الكريم الخيرية في عنيزة من تأسيسها عام ١٤٠٥هـ إلى وفاته.
- ألقى محاضرات عديدة داخل المملكة العربية السعودية على فئات متنوعة من الناس، كما ألقى محاضرات عبر الهاتف على تجمعات ومراكز إسلامية في جهات مختلفة من العالم.
- من علماء المملكة الكبار الذين يجيبون على أسئلة المستفسرين حول أحكام الدين وأصوله عقيدة وشرعية، وذلك عبر البرامج الإذاعية من المملكة العربية السعودية وأشهرها برنامج (نور على الدرب).
- نذر نفسه للإجابة على أسئلة السائلين مهاتفة ومكاتبه ومشافهة.
- رتب لقاءات علمية مجدولة، أسبوعية وشهرية وسنوية.
- شارك في العديد من المؤتمرات التي عقدت في المملكة العربية السعودية.
- ولأنه يهتم بالسلوك التربوي والجانب الوعظي اعتنى بتوجيه الطلاب وإرشادهم إلى سلوك المنهج الجاد في طلب العلم وتحصيله، وعمل على استقطابهم والصبر على تعليمهم وتحمل أسئلتهم المتعددة، والاهتمام بأمورهم.
- وللشيخ - رحمه الله - أعمال عديدة في ميادين الخير وأبواب البرّ ومجالات الإحسان إلى الناس، والسعي في حوائجهم وكتابة الوثائق والعقود بينهم، وإسداء النصيحة لهم بصدق وإخلاص.

مكانته العلمية :

يُعدُّ فضيلة الشيخ -رحمه الله تعالى- من الراسخين في العلم الذين وهبهم الله -بمنه وكرمه- تأصيلاً ومَلَكة عظيمة في معرفة الدليل واتباعه واستنباط الأحكام والفوائد من الكتاب والسنة، وسبر أغوار اللغة العربية معاني وإعراباً وبلاغة.

ولما تحلَّى به من صفات العلماء الجليلة وأخلاقهم الحميدة والجمع بين العلم والعمل أحبَّه الناس محبة عظيمة، وقدَّره الجميع كل التقدير، ورزقه الله القبول لديهم واطمأنوا لاختياراته الفقهية، وأقبلوا على دروسه وفتاواه وآثاره العلمية، ينهلون من معين علمه ويستفيدون من نصحه ومواعظه.

وقد مُنح جائزة الملك فيصل -رحمه الله تعالى- العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٤هـ، وجاء في الحيثيات التي أبدتها لجنة الاختيار لمنحه الجائزة ما يلي:

- أولاً: تحلّيه بأخلاق العلماء الفاضلة التي من أبرزها الورع، ورحابة الصدر، وقول الحق، والعمل لمصلحة المسلمين، والنصح لخاصتهم وعامتهم.
- ثانياً: انتفاع الكثيرين بعلمه؛ تدريساً وإفتاءً وتأليفاً.
- ثالثاً: إلقاءه المحاضرات العامة النافعة في مختلف مناطق المملكة.
- رابعاً: مشاركته المفيدة في مؤتمرات إسلامية كثيرة.
- خامساً: اتباعه أسلوباً متميزاً في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح؛ فكراً وسلوكاً.

عقبه:

له خمسة من البنين، وثلاث من البنات، وبنوه هم: عبد الله، وعبد الرحمن، وإبراهيم، وعبد العزيز، وعبد الرحيم.

وفاته:

تُوفي -رحمه الله- في مدينة جدّة قبيل مغرب يوم الأربعاء الخامس عشر من شهر شوال عام ١٤٢١هـ، وصُلِّي عليه في المسجد الحرام بعد صلاة عصر يوم الخميس، ثم شيعته تلك الآلاف من المصلّين والحشود العظيمة في مشاهد مؤثرة، ودفن في مكة المكرمة.

وبعد صلاة الجمعة من اليوم التالي صُلِّي عليه صلاة الغائب في جميع مدن المملكة العربية السعودية.

رحم الله شيخنا رحمة الأبرار، وأسكنه فسيح جناته، ومَنَّ عليه بمغفرته ورضوانه، وجزاه عما قدّم للإسلام والمسلمين خيرًا.

القِسْمُ الْعِلْمِيُّ

فِي مُؤَسَّسَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ الْعُثَيْمِينَ الْخَيْرِيَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة الكتاب

قال ابن القيم - رحمه الله -: « الحمد لله الذي شهدته له بالرُّبُوبِيَّةِ جميعُ مخلوقاته، وأقرت له بالعبودية جميعُ مصنوعاته، وأدَّت له الشهادة جميعُ الكائناتِ أنه اللهُ الذي لا إله إلا هو بما أودعها من لطيفِ صنعه وبديعِ آياته، وسبحان الله وبحمده، عدَدَ خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومدادَ كلماته، ولا إله إلا اللهُ الأحدُ الصمدُ الذي لا شريك له في رُبُوبِيَّتِهِ، ولا شبيه له في أفعاله، ولا في صفاته، ولا في ذاته».

الشرح

قال الشارحُ رحمه الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

القصيدة التُونيَّةُ معروفةٌ بـ(الكافية الشافية في اعتقاد الفرقة الناجية)، فهي كتابٌ ذكَّر فيه المؤلفُ - رحمه الله - عقيدة أهل السنَّة والجماعة في نظمٍ رقيقٍ وشيقٍ، والإنسان إذا حفظَ هذه التُونيَّةَ، وصار في الخلوة يترنَّمُ بها، انتفع بها ورَقَّ بها قلبه،

فهي قصيدة مهمة ينبغي حفظها، ومن كان صاحب همّة فإنه يسهل عليه حفظها، ولذا أنا أشير بحفظها، وكان شيخنا عبد الرحمن بن سعدي - رحمه الله - يتمثل بأبياتها أحياناً عند المناسبة، فهي في الحقيقة كنز ثمين، نسأل الله تعالى أن ينفعنا بها، وأن يرزقنا علماً نافعاً، وعملاً صالحاً.

قوله: «الحمد لله الذي شهدت له ربوبيته جميع مخلوقاته» هذه شهادة فعلية، فكل المخلوقات تشهد بأنه الرب عز وجل لأن هذا المخلوق لا بد له من خالق، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾؟ [الطور: ٣٥]، الجواب: لا هذا، ولا هذا.

إذن فلا بد من خالق، فجميع المخلوقات شهدت برُبوبيّة الله عز وجل وأنه تعالى الرب الخالق الحكيم المبدع، قال الله تعالى: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفْوُتٍ﴾ [الملك: ٣].

قوله: «أقرت له بالعبودية جميع مصنوعاته» كل المصنوعات تُقر له بالألوهية (بالعبودية)، فإن أراد المؤلف - رحمه الله - العبودية الكونية، فلا شك أنّها عامّة، لأن جميع المصنوعات مُقرّة لله تعالى بالعبودية الكونية، لا تخرج عن ذلك أبداً، قال الله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم: ٩٣]، ولذلك تجد أكبر الرؤساء في أكبر الدول خاضعاً للمرض إذا أصابه، ومن الذي أصابه به؟ الله عز وجل خاضعاً للموت إذا أخذه، ومن الذي قدر عليه الموت؟ الله عز وجل.

إذن العبودية الكونية لا يُستثنى منها أحد.

أَمَّا الْعُبُودِيَّةُ الشَّرْعِيَّةُ فَيُسْتَنْتَنِي مِنْهَا الْكَافِرُ، فَالْكَافِرُ لَمْ يُقَرَّرْ بِعُبُودِيَّتِهِ، بَلْ قَالَ الْكَافِرُونَ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ [ص:٥].

إِذَنْ إِذَا أَثْبَتْنَا أَنَّ الْخَلْقَ مَصْنُوعٌ، فَهَلْ تُثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ صَانِعٌ؟

الجواب: نعم، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، لَكِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَسْمَائِهِ، بَلْ يُخْبَرُ بِهِ عَنْهُ، وَتَجِدُ الْمُتَكَلِّمِينَ دَائِمًا فِي كَلَامِهِمْ يُعَبَّرُونَ عَنِ الْخَالِقِ بِ(الصَّانِعِ)، وَهَذَا وَإِنْ كَانَ حَقًّا، لَكِنَّهُ لَا يَنْبَغِي، بَلِ التَّعْبِيرُ بِ(الْخَالِقِ) هُوَ الْمَوْافِقُ لِلْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْخَلْقُ الْبَارِئُ﴾ [الحشر: ٢٤].

قَوْلُهُ: «وَأَدَّتْ لَهُ الشَّهَادَةَ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا أَوْدَعَهَا مِنْ لَطِيفِ صُنْعِهِ، وَبَدِيعِ آيَاتِهِ»، وَهَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ:

فَوَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ
أَوْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(١)

لأنه لا منازع له، يفعل في خلقه ما يشاء، وهذا يدل على أنه عز وجل واحد. قَوْلُهُ: «وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ» هَذَا جَمْعٌ بَيْنَ التَّنْزِيهِ عَنِ كُلِّ مَا لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَإِثْبَاتِ الْكَمَالِ لَهُ، فَبِالْحَمْدِ ثَبَّتَ لَهُ الْكَمَالَ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُحْمَدُ عَلَى كَمَالِهِ، وَبِالتَّسْبِيحِ ثَبَّتَ لَهُ عِزَّ وَجَلَّ التَّنْزِيَهُ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ، وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ يُفْرَنَانِ دَائِمًا، لِأَنَّ بَيْنَهُمَا الْكَمَالَ الْمَطْلَقَ.

قَوْلُهُ: «عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضًا نَفْسِهِ وَزِينَةَ عَرْشِهِ وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ» بَيَانٌ لِمَقْدَارِ هَذَا

(١) البیتان لأبي العتاهية، كما في التمثيل والمحاضرة للثعالبي (ص: ١١).

الحمد وكَيْفِيَّتِهِ، ف(عَدَدَ خَلْقِهِ) بِالْكَمِّيَّةِ، وَ(رِضًا نَفْسِهِ، وَزِينَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ) هَذَا بِالْكَيفِيَّةِ، وَإِنْ كَانَ مِدَادُ الْكَلِمَاتِ قَدْ يَكُونُ بِالْكَمِّيَّةِ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: «الْأَحَدُ الصَّمَدُ» (الْأَحَدُ): أَي: الْمُتَفَرِّدُ، وَ(الصَّمَدُ): الْقَوْلُ الَّذِي يَجْمَعُ كُلَّ مَا قِيلَ فِيهَا: أَنَّهُ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ، الَّذِي افْتَقَرَتْ لَهُ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ، فَهُوَ غَنِيٌّ عَنِ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ كُلِّهَا مُفْتَقِرَةٌ لَهُ.

قَوْلُهُ: «لَا شَيْبَةَ لَهُ فِي أَفْعَالِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ» هَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا شَيْبَةَ لِلَّهِ تَعَالَى فِيهَا، وَهِيَ: أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ وَذَاتُهُ.

أَوَّلًا: الْفِعْلُ: فَمَثَلًا: ﴿أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فِعْلٌ، لَكِنْ هَلْ هُوَ يُشْبِهُهُ اسْتَوَاؤُنَا عَلَى السَّرِيرِ، وَعَلَى الْبَعِيرِ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَكَذَلِكَ: «يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١). هَلْ يُشْبِهُهُ نُزُولُنَا مِنَ السَّطْحِ إِلَى الْأَرْضِ؟ الْجَوَابُ: لَا.

ثَانِيًا: الصِّفَاتُ مِثْلُ: الْعِلْمِ وَالسَّمْعِ وَالْقُدْرَةَ وَالْعِزَّةَ، أَيْضًا لَا تُشْبِهُهُ صِفَاتُنَا، فَنَحْنُ عِنْدَنَا عِلْمٌ وَقُدْرَةٌ وَسَمْعٌ وَبَصْرٌ وَعِزَّةٌ وَحِكْمَةٌ، لَكِنْ لَا تُشْبِهُهُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ.

ثَالِثًا: الذَّاتُ، فَذَوَاتُ الْمَخْلُوقِينَ لَا تُشْبِهُ ذَاتَ الْخَالِقِ عِزًّا وَجَلًّا.

وَاعْلَمْ أَنَّ كَلِمَةَ (ذَاتُ) تُطْلَقُ عَلَى عَيْنِ الشَّيْءِ، لَكِنْ هَذَا الْإِطْلَاقُ هَلْ هُوَ لُغَوِيٌّ أَوْ مُحَدَّثٌ؟ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ مُحَدَّثٌ، وَإِنَّمَا فِي اللُّغَةِ لَا تُطْلَقُ عَلَى ذَاتِ الشَّيْءِ، وَإِنَّمَا تُطْلَقُ عَلَى الْجِهَةِ، وَعَلَى الْحَالِ، وَأَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (صَاحِبَةٍ)، فَتَقُولُ مَثَلًا: (هَذِهِ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَالٍ) أَي: صَاحِبَةٌ مَالٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحُوا ذَاتَ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرَهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ، رَقْمٌ (٧٥٨).

يَبْنِيكُمْ ﴿ [الأففال: ١] أي: الحال التي بَيْنَكُمْ أَصْلِحُوهَا، وقال النَّبِيُّ - عليه الصَّلَاةُ
والسَّلَامُ - : «لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ: ثُبْتَيْنِ مِنْهُنَّ فِي
ذَاتِ اللَّهِ»^(١). أي: في جانبه وجهته.

وقال خُبَيْبٌ^(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ»^(٣). أي: في جانبه وجهته.

لكن اسْتُعْمِلَتْ استعمالاً شائعاً عند العلماء، حتّى صارت حقيقةً عُرْفِيَّةً،
فاستُعْمِلَتْ في مقابلِ الصَّفَةِ، فاستعملوها بمعنى نفسِ الشَّيْءِ، وعينِ الشَّيْءِ، فكما
تقول العربُ: (هذا زيدٌ عينه)، و(هذا زيدٌ نفسه)، يكونُ: (وهذا زيدٌ ذاته)، وصار
الآن استعمالاً شائعاً لا يُنْكِرُ، ولهذا قال المؤلِّفُ - رحمه الله - : (في صِفَاتِهِ وَذَاتِهِ).

وقوله: «وَلَا شَبِيهَ لَهُ فِي أفعالِهِ» هذا من بابِ التَّجَوُّزِ، وما قاله شيخه - رحمه
الله - من التَّعْبِيرِ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ أَوْلَى، يعني: الذي ينبغي ألا نُعَبِّرَ بلفظِ (التَّشْبِيهِ)، بل
نُعَبِّرَ بلفظِ (التَّمْثِيلِ)، لأنَّ ذلك هو الذي جاء في القرآنِ الكريمِ، قال الله تعالى:
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾
[النحل: ٧٤]، أمَّا (التَّشْبِيهِ) وإن كان يُرادُ به معنى (التَّمْثِيلِ)، لكنّه لا يساوي نَفْيَ
التَّمْثِيلِ، وعلى هذا فنقول: التَّعْبِيرُ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ أَوْلَى مِنْ وُجُوهٍ:

الأوّل: أنّه الذي جاء به القرآنُ، وكُلُّمَا وَافَقَ كَلامُ الْإِنْسَانِ ما عَبَّرَ به القرآنُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾، رقم
(٣١٧٩)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم الخليل ﷺ، رقم (٢٣٧١).

(٢) هو خبيب بن عدي بن مالك بن عامر الأنصاري الأوسي، شهد بدرًا واستشهد في عهد النبي
ﷺ. انظر ترجمته في: الإصابة (٢/ ٢٢٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن رجع
ركعتين عند القتل، رقم (٢٨٨٠).

والسُّنَّةُ فهو أَوْلَى، لِأَنَّهُ كَلَامٌ مُحْكَمٌ.

الثَّانِي: أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ مُجْمَلٌ فِي الْوَاقِعِ، لِأَنَّ هُنَاكَ أَنَا سَا يَدْعُونَ أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ، فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ يُسَمُّونَ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مُشَبَّهَةً، فَإِذَا قُلْنَا: (مَعَ نَفْيِ التَّشْبِيهِ) وَقَدْ تَقَرَّرَ فِي ذَهَنِ الْإِنْسَانِ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ تَشْبِيهٌُ فَهَمَّ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ نَفْيُ الصِّفَاتِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ لَا يَصِحُّ، لِأَنَّهُ إِنْ أُرِيدَ بِهِ مُطْلَقُ التَّشْبِيهِ فَهُوَ غَيْرُ صَاحِحٍ، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ اشْتِرَاكِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ فِي أَصْلِ الصِّفَةِ، وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ التَّشْبِيهِ، لَكِنَّهَا يَخْتَلِفَانِ فِي كَيْفِيَّتَيْهَا.

فَمَثَلًا (الْعِلْمُ)، لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عِلْمٌ، وَلِلْإِنْسَانِ عِلْمٌ، لَا بُدَّ مِنْ هَذَا، فَهِيَ اشْتَرَاكَ فِي أَصْلِ الْعِلْمِ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الشَّبهِ، فَإِذَا أَرَادَ بِذَلِكَ نَفْيَ مُطْلَقِ التَّشْبِيهِ فَهَذَا غَلَطٌ، لِأَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ اشْتِبَاهٍ، أَعْنِي: اشْتِرَاكًا فِي أَصْلِ الْمَعْنَى، فَهَذَا لَا بُدَّ مِنْهُ، لَكِنْ يَخْتَلِفَانِ فِي الْكَيْفِيَّةِ وَالْعُمُومِ وَالشُّمُولِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَإِنْ أَرَادَ بِهِ التَّشْبِيهُ الْمُطْلَقَ قَالَ: (مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ) أَي: (التَّشْبِيهِ الْمُطْلَقِ)، فَهَذَا لَعْوٌ مِنَ الْقَوْلِ لَا قِيَمَةَ لَهُ، لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ مِمَّنْ يُثْبِتُ الْخَالِقَ وَالْمَخْلُوقَ يَقُولُ: إِنَّ الْخَالِقَ مِثْلَ الْمَخْلُوقِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

إِذَنْ يَكُونُ نَفْيُنَا لِلتَّشْبِيهِ إِذَا أَرَدْنَا التَّشْبِيهُ الْمُطْلَقَ يَكُونُ لَعْوًا مِنَ الْقَوْلِ، لِأَنَّهُ لَا حَاجَةَ إِلَيْهِ كَمَا لَا حَاجَةَ أَنْ نَقُولَ: (السَّمَاءُ فَوْقَنَا، وَالْأَرْضُ تَحْتَنَا)، وَلَا أَنْ نَقُولَ كَمَا قَالَ النَّاطِمُ:

كَأَنَّا وَالْمَاءُ مِنْ حَوْلِنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ حَوْلَهُمْ مَاءٌ^(١)

(١) البيت في الكشكول، لبهاء الدين الحارثي (١/ ٢٦١) بلا نسبة.

إِذَنْ نَفِي التَّمثِيلِ أَوْلَى لِهَذِهِ الْوُجُوهِ الثَّلَاثَةِ، وَهَذَا الَّذِي قَرَّرَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ
-رَحِمَهُ اللَّهُ- حِينَ نَازَرَ مَنْ نَازَرَهُ فِي (العقيدة الواسطيّة) (١).

«وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَدَدًا مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ، وَجَرَى بِهِ قَلَمُهُ، وَنَفَذَ فِيهِ حُكْمَهُ مِنْ جَمِيعِ
بَرِيَّاتِهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، تَفْوِيضَ عَبْدٍ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَلَا
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً، وَلَا نُشُورًا، بَلْ هُوَ بِاللَّهِ، وَإِلَى اللَّهِ فِي مَبَادِي أَمْرِهِ وَنَهَايَاتِهِ».

الشرح

قَوْلُهُ: «تَفْوِيضَ»: منصوبةٌ بفعلٍ محذوفٍ، يعني: أَفْوِضُ ذلكَ تفويضَ عبدٍ.
قَوْلُهُ: «بَلْ هُوَ بِاللَّهِ وَإِلَى اللَّهِ» أي: بِاللَّهِ وَجُودًا، فوجودُ الإنسانِ بِاللَّهِ، (وَإِلَى اللَّهِ)
غَايَةً، فَإِنَّ مَرَجَعَ الْعَبْدِ إِلَى اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- مَهْمَا طَالَتْ بِهِ الْحَيَاةُ مَرَجَعُهُ إِلَى رَبِّهِ
-تَبَارَكَ وَتَعَالَى- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

«وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا
وَالِدَ لَهُ، وَلَا كُفَّاءَ لَهُ، الَّذِي هُوَ كَمَا أَتَنَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ، وَفَوْقَ مَا يُثْنِي عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْ
جَمِيعِ بَرِيَّاتِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَخَيْرُهُ مِنْ بَرِيَّتِهِ،
وَسَفِيرُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَحُجَّتُهُ عَلَىٰ خَلْقِهِ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ بَيْنَ يَدَيِ
السَّاعَةِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا، أَرْسَلَهُ عَلَىٰ حِينِ فِتْرَةٍ مِنْ
الرُّسُلِ، وَطُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ، وَدُرُوسٍ مِنَ الْكُتُبِ، وَالْكَفْرُ قَدْ اضْطَرَمَّتْ نَارُهُ،

(١) المناظرة على العقيدة الواسطيّة، مطبوعة عقب الواسطيّة، المجلد الثالث من مجموع الفتاوى.

وَتَطَايَرَ فِي الْآفَاقِ شَرَارُهُ، وَقَدْ اسْتَوْجِبَ أَهْلُ الْأَرْضِ أَنْ يَحْتَلَّ بِهِمُ الْعِقَابُ، وَقَدْ نَظَرَ الْجَبَّارُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - إِلَيْهِمْ فَمَقَّتَهُمْ عَزَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ، إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ».

الشرح

قَوْلُهُ: «وَسَفِيرُهُ بَيْنَ عِبَادِهِ» السَّفِيرُ يَعْنِي: الرَّسُولَ، وَمِنْ ذَلِكَ سُفَرَاءُ الدُّوَلِ، لِأَنَّهُمْ وَاسِطَةٌ بَيْنَ دَوْلِهِمْ، وَبَيْنَ الدُّوَلِ الْأُخْرَى.

قَوْلُهُ: «أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ» اعْلَمْ أَنَّ الْهُدَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْعِلْمُ النَّافِعُ، وَأَنَّ دِينَ الْحَقِّ هُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، لَكِنَّ الْهُدَى فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ يَنْقَسِمُ إِلَى: هُدَى تَوْفِيقٍ، وَهُوَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ، وَإِلَى هُدَى عِلْمٍ، وَهُوَ الْبَيَانُ وَالْإِرْشَادُ.

قَوْلُهُ: «وَالْكُفْرُ قَدْ اضْطَرَمَّتْ نَارُهُ» الْكُفْرُ بِالضَّمِّ: مَبْتَدَأٌ، فَهَذِهِ جُمْلَةٌ جَدِيدَةٌ.

«وَقَدْ اسْتَنْدَ كُلُّ قَوْمٍ إِلَى ظُلْمِ آرَائِهِمْ، وَحَكَمُوا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِمَقَالَاتِهِمُ الْبَاطِلَةَ وَأَهْوَائِهِمْ، وَلَيْلُ الْكُفْرِ مُدْلِهِمْ ظِلَامُهُ، شَدِيدٌ قَتَامُهُ، وَسَبِيلُ الْحَقِّ عَافِيَةٌ آتَارُهَا، مَطْمُوسَةٌ أَعْلَامُهَا، فَفَلَقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ صُبْحَ الْإِيمَانِ، فَأَضَاءَ حَتَّى مَلَأَ الْآفَاقَ نُورًا، وَأَطْلَعَ بِهِ شَمْسَ الرِّسَالَةِ فِي حَنَادِسِ الظُّلْمِ سِرَاجًا مُنِيرًا، فَهَدَى بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَعَلَّمَ بِهِ مِنَ الْجَهَالَةِ، وَبَصَّرَ بِهِ مِنَ الْعَمَى، وَأَرْشَدَ بِهِ مِنَ الْغَيِّ، وَكَثَّرَ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأَعَزَّ بِهِ بَعْدَ الدَّلَّةِ، وَأَغْنَى بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمَيًّا، وَأَدَانَا صُبْحًا، وَقُلُوبًا غُلْفًا، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ، وَنَصَحَ الْأُمَّةَ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، وَعَبَدَ اللَّهَ حَتَّى أَتَاهُ الْيَقِينُ مِنْ رَبِّهِ، وَشَرَحَ اللَّهُ لَهُ صَدْرَهُ،

وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَجَعَلَ الذَّلَّةَ وَالصَّغَارَ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرَهُ، وَأَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ، فَإِذَا ذُكِرَ ذِكْرًا مَعَهُ، كَمَا فِي الْخُطْبِ وَالتَّشْهَدِ وَالتَّأْذِينِ، فَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ خُطْبَةً، وَلَا تَشْهَدُ، وَلَا أَذَانٌ، وَلَا صَلَاةٌ حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ شَهَادَةَ الْيَقِينِ، فَصَلَّى اللَّهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأَنْبِيَآؤُهُ وَرَسُولُهُ وَجَمِيعُ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، كَمَا عَرَّفْنَا بِاللَّهِ، وَهَدَانَا إِلَيْهِ وَسَلَّمًا تَسْلِيمًا كَثِيرًا».

الشرح

ابن القيم - رحمه الله - قَلَّمَهُ سَيَّالٌ، وَمِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ قَلَمُهُ سَيَّالًا، وَيَكُونَ كَلَامُهُ مَتَّظًا وَمَتَّالِفًا، لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ مِثْلَ هَذِهِ الْخُطْبَةِ رُبَّمَا يَمَكُتُ شَهْرًا فِي كِتَابَتِهَا، هَذَا إِنْ كَتَبَهَا، وَقَدْ لَا يَسْتَطِيعُ، وَبَعْضُ النَّاسِ يَمُنُّ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَكُونُ عِنْدَهُ انْطِلَاقٌ فِي الْقَوْلِ وَالْكِتَابَةِ، وَبَعْضُ النَّاسِ تَجِدُهُ قَوِيًّا فِي كِتَابَتِهِ عَيَّيًّا فِي خُطَابِهِ، وَبَعْضُ النَّاسِ بِالْعَكْسِ.

وقد حدَّثني شيخنا محمد بن عبد العزيز المطوِّع - رحمه الله - فقال: إِنِّي سَمِعْتُ السَّيِّدَ مُحَمَّدَ رَشِيدَ رِضَا - رحمه الله تعالى - صَاحِبَ (المنار) وَهُوَ يَتَكَلَّمُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، لَكِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ كَلَامَهُ رَدِيءٌ - فِي خُطَابِهِ - مَعَ أَنَّ كِتَابَاتِهِ مِنْ أَرْقَى الْكِتَابَاتِ.

ولكن فضل الله يؤتیه مَنْ يَشَاءُ، وَالنَّاسُ يَخْتَلِفُونَ.

قَوْلُهُ: «وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُنًا عُمِيًّا، وَأَذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا» الْغُلْفُ: الْمُغْلَفُ عَلَيْهِ وَمِنْهُ: غِلَافُ الشَّيْءِ يُطَوَّى عَلَيْهِ فَيَخْفَى، فَالْقُلُوبُ قُلُوبٌ مُفْتَحَةٌ قَابِلَةٌ لِلْحَقِّ مَطْمَئِنَّةٌ بِهِ، وَقُلُوبٌ مُغْلَفَةٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - قَدْ رَانَ عَلَيْهَا مَا كَانَ يَكْسِبُ صَاحِبُهَا، وَخُتِمَ عَلَيْهَا، وَطُبِعَ عَلَيْهَا، فَلَا يَنْفَعُهَا شَيْءٌ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ هَذَا.

قَوْلُهُ: «وَكَشَفَ الْغُمَّةَ» ليس المرادُ بِالْغُمَّةِ الْغَمُّ الَّذِي يَصِيبُ الْإِنْسَانَ، بَلِ الْمَرَادُ الْغُمَّةُ الَّتِي كَانَ غَطَّاهَا أَهْلُ الْكِتَابِ عَلَى الدِّينِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَالرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كَشَفَهَا وَبَيَّنَّهَا.

قَوْلُهُ: «وَشَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ، وَرَفَعَ لَهُ ذِكْرَهُ، وَوَضَعَ عَنْهُ وَزْرَهُ» اللَّهُ أَكْبَرُ، رَفَعَ اللَّهُ لَهُ ذِكْرَهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَهُوَ يُذَكِّرُ مَعَ ذِكْرِ اللَّهِ، مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَفِي الْأَذَانِ، فِي كُلِّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ عَلَى الْأَقْلِ يُشْهَدُ لَهُ بِالرِّسَالَةِ عَلَى أَعَالِي الْأَمَكْنَةِ، فَلَهُ ذِكْرٌ فِي الْعِبَادَاتِ، لِأَنَّ مِنْ شَرْطِ الْعِبَادَةِ الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالثَّانِي: الْمَتَابَعَةَ لِلرَّسُولِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فَأنت في عبادتك تستحضر أنك تابعٌ للرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَيَكُونُ ذِكْرُ الرَّسُولِ فِي قَلْبِكَ، وَإِنْ لَمْ تَقْلُهُ بِلِسَانِكَ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ مِنْ رَفْعِ الذِّكْرِ، ثُمَّ الرَّفْعُ الْأَعْظَمُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَلْحَقُ النَّاسَ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ مَا لَا يَطِيقُونَ، فَيَذْهَبُونَ إِلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَطْلُبُونَ أَنْ يَشْفَعُوا لَهُمْ عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا أَحَدَ يَشْفَعُ إِلَّا مُحَمَّدٌ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ^(١)- وَهَذَا مُسْتَفَادٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ نَزَّحْنَاكَ لَكَ صَدْرَكَ ۖ وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ ۖ وَالَّذِينَ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ١-٤].

قَوْلُهُ: «أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فِي الْكِتَابِ الْمُبِينِ» أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَعَنُوكُمْ لِإِيْتِمِهِمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٧].

قَوْلُهُ: «وَقَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ» وَهَذَا لَيْسَ دَائِمًا، بَلِ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ، وَهَذَا كَرِهَ الْعُلَمَاءُ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الذَّبْحِ: (بِسْمِ اللَّهِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ)، لِأَنَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾، رَقْمٌ (٤٤٧٦)، وَمُسْلِمٌ كِتَابُ: الْإِيمَانِ، بَابُ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ فِيهَا، رَقْمٌ (١٩٣).

المقام مقام إخلاصٍ وعبادةٍ، إنَّما في بعضِ الأشياءِ قرَنَ اللهُ تعالى اسمَ رسولهِ باسمِهِ - سبحانه وتعالى - .

قَوْلُهُ: «فَلَا يَصِحُّ لِأَحَدٍ خُطْبَةٌ... حَتَّى يَشْهَدَ أَنَّهُ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ» وهذا القولُ هو الصَّحِيحُ أَنَّ الخُطْبَةَ لَا تَصِحُّ إِلَّا بِالشَّهَادَتَيْنِ، وَإِنْ كَانَ الفَقْهَاءُ - رَحِمَهُمُ اللهُ - لَمْ يَشْتَرُطُوا ذَلِكَ، لَكِنَّ قَوْلَهُمْ ضَعِيفٌ.

إِذْنُ الصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا بُدَّ فِي الخُطْبَةِ مِنَ الشَّهَادَةِ لِهَيْبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالتَّوْحِيدِ وَلِرَسُولِهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - بِالرَّسَالَةِ.

وهذه أضيفها إلى المعلومات في الفقه، بمعنى أنك إذا مررت بشروط الخطبة في باب صلاة الجمعة فأضيف إليها ذلك، وقد اختار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم أنه لا بد أن تشمل الخطبة على الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ اللهَ - جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ - إِذَا أَرَادَ أَنْ يُكْرِِمَ عَبْدَهُ بِمَعْرِفَتِهِ، وَيَجْمَعُ قَلْبَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، شَرَحَ صَدْرَهُ لِقَبُولِ صِفَاتِهِ العُلَى، وَتَلْقَيْهَا مِنْ مَشْكَاتِ الوَحْيِ، فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا قَابَلَهُ بِالقَبُولِ، وَتَلَقَّاهُ بِالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ، وَأَذْعَنَ لَهُ بِالانْقِيَادِ، فَاسْتَنَارَ بِهِ قَلْبُهُ، وَاتَّسَعَ لَهُ صَدْرُهُ، وَامْتَلَأَ بِهِ سُورًا وَمَحَبَّةً، وَعَلِمَ أَنَّهُ تَعْرِيفٌ مِنْ تَعْرِيفَاتِ اللهُ تَعَالَى تَعَرَّفَ بِهِ إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ، فَأَنْزَلَ تِلْكَ الصِّفَةَ مِنْ قَلْبِهِ مَنزِلَةَ الغَدَاءِ أَعْظَمَ مَا كَانَ إِلَيْهِ فَاقَةً، وَمَنزِلَةَ الشِّفَاءِ أَشَدَّ مَا كَانَ إِلَيْهِ حَاجَةً، فَاشْتَدَّ بِهَا فَرْحُهُ، وَعَظُمَ بِهَا غِنَاؤُهُ، وَقَوِيَتْ بِهَا مَعْرِفَتُهُ، وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهَا نَفْسُهُ، وَسَكَنَ إِلَيْهَا قَلْبُهُ، فَجَالَ مِنَ المَعْرِفَةِ فِي مِيَادِينِهَا، وَأَسَامَ عَيْنَ بَصِيرَتِهِ

بين رياضها وبساتينها، لتيقنه بأن شرف العلم تابع لشرف معلومه، ولا معلوم أعظم وأجل ممن هذه صفته، وهو ذو الأسماء الحسنَى، والصفات العُلَى، وأن شرفه أيضًا بحسب الحاجة إليه».

الشرح

قوله: «إِذَا وَرَدَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهَا قَابَلَهُ بِالْقَبُولِ، وَتَلَقَّاهُ بِالرَّضَى وَالتَّسْلِيمِ...» وهذه والله هي التجارة الرَّابِحَةُ أَنَّهُ إِذَا وَرَدَ شَيْءٌ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ فَتَلَقَّاهَا بِالتَّسْلِيمِ، لَا تَقُلْ: لِمَ؟ وَكَيْفَ؟ وَهَلْ يُمْكِنُ؟ بَلْ أَقْرَبُ بِهَا بِدُونِ تَرَدُّدٍ.

فَإِذَا بَلَغَكَ أَنَّ اللَّهَ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَقُلْ: (يَنْزِلُ) سَمْعًا وَقَبُولًا، وَلَا تَعْرِضْ، وَلَا تَقُلْ: كَيْفَ يَنْزِلُ وَهُوَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَعُلُوُّهُ مِنْ لَازِمِ ذَاتِهِ؟ لَا تَقُلْ هَكَذَا، وَلَا تَقُلْ: كَيْفَ يَنْزِلُ فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ، وَثُلُثُ اللَّيْلِ يَخْتَلِفُ وَيَتَنَقَّلُ؟ فَإِنَّ هَذَا يَفْتَحُ عَلَيْكَ بَابَ الشَّرِّ الَّذِي لَا نِهَايَةَ لَهُ، ثُمَّ فِي النِّهَايَةِ تُنْكَرُ وَلَا بُدَّ، لَكِنْ إِذَا قُلْتَ: (سَمِعْنَا وَصَدَّقْنَا وَآمَنَّا، وَرَبُّنَا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ)، انشَرَحَ صَدْرُكَ، وَسَلِمْتَ مِنَ الْمُعَارِضَاتِ، وَسَلِمْتَ مِنَ الشُّكُوكِ الَّتِي يُلْقِيهَا الشَّيْطَانُ فِي قَلْبِكَ، وَمَا ضَرَّ أَوْلَئِكَ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ نَفَّوْا مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ إِلَّا مِثْلَ هَذَا حَيْثُ حَكَّمُوا عُقُولَهُمُ الْفَاسِدَةَ الْحَرَبَةَ، حَتَّى نَفَّوْا كَثِيرًا مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهَذِهِ الشُّبُهَةِ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُكْرِمَ عَبْدًا شَرَحَ صَدْرَهُ لِقَبُولِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فِي كِتَابِهِ، أَوْ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، فَتَلَقَّاهَا بِالتَّسْلِيمِ وَالْفَرَحِ وَالسُّرُورِ، وَازْدَادَ إِيمَانًا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَتَعْظِيمًا لَهُ، لِأَنَّهُ كُلَّمَا أَزْدَادَتْ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ بِاللَّهِ فِي صِفَاتِهِ وَأَيَاتِهِ، فَلَا شَكَّ أَنَّهُ يَزْدَادُ مَحَبَّةً وَتَعْظِيمًا لِرَبِّهِ، عَكْسَ أَهْلِ الْبَاطِلِ

-والعياذُ بالله- الذين إذا جاءتهم مثل هذه الصِّفاتِ ذهبوا يمينًا وشمالًا في التَّعْطِيلِ والتَّحْرِيفِ، حَتَّى يَبْقَوْا وهم على شكٍّ فيما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ، وفرقٌ كبيرٌ بين هذا وهذا.

فعليك يا أخي إن كنت تريدُ السَّلَامَةَ والإيمانَ واليقينَ وانسراحَ الصِّدْرِ أن تقولَ: (هكذا قال رسولُ اللهِ ﷺ)، وهو معصومٌ مِنَ الكذبِ على الله عزَّ وجلَّ وهو معصومٌ من أن يقولَ على الله ما لا يعلمُ، وهو يعلمُ ما يقولُ، وهو أنصحُ الخلقِ للخلقِ.

وكذلك أصحابُه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم يقابلوا هذا بالاعتراضِ، فهم يعلمون أن الله فوق كُلِّ شيءٍ، وأن علُوَّهُ من لوازمِ ذاته، يعلمون هذا أشدَّ ممَّا نعلمُ، ومع ذلك لم يقولوا: (يا رسولَ اللهِ، كيف ينزلُ وهو فوقَ كُلِّ شيءٍ؟).

لم يقولوا ذلك، وهم أحرصُ منَّا على معرفةِ حقائقِ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ وهم أيضًا إذا وجَّهوا السُّؤالَ يُوَجِّهونه إلى أعلمِ النَّاسِ بالله عزَّ وجلَّ ومع ذلك أمسكوا، لأنَّ صُدُورَهُم منسرحَةٌ، فكلُّ ما صحَّحَ عن رسولِ الله أخذوه بالتَّسليمِ، وكلُّ ما قاله اللهُ عن نفسه في الكتابِ أخذوه بالتَّسليمِ، فإياك والإيراداتِ، لا أن توردها أنت على نفسك، ولا أن توردها على غيرك ممَّن يَفُوقُكَ علمًا، اترك هذا إن كنت تريدُ السَّلَامَةَ، أمَّا إن كنت تريدُ الهلاكَ، فإنَّك كالذي يسبحُ في ماءٍ عميقٍ، وهو لم يتعلَّمِ السِّباحَةَ، فهذا مآله لِلعَرَقِ وإن كان سيطفو بِقَدْرِ ما عنده من النَّفْسِ، لكن في النَّهاية يموتُ.

فمثلاً: إذا عَلِمَ الإنسانُ أن الله تعالى سميعٌ تَقَرَّبَ إلى الله بكُلِّ قولٍ، لأنَّ الله يسمعه، سواء أكان جَهْرًا أم سِرًّا، وإذا عَلِمَ أن الله تعالى بصيرٌ تَقَرَّبَ إليه بكُلِّ فِعْلٍ، فتكون حركاته وسكناته كُلُّها مقرونةً بصفاتِ الله عزَّ وجلَّ.

إذا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ تَعَرَّضَ لِمَغْفِرَتِهِ، وَلَمْ يَتَّكِلْ عَلَى الْأَمَانِيِّ الْبَاطِلَةِ، وَلَمْ يُقَلِّ: إِذَا كَانَ غَفُورًا فَاللَّهُ غَفُورٌ يَغْفِرُ لِي زَلَّاتِي، لَا، بَلْ يَتَعَرَّضُ لِلْمَغْفِرَةِ بِطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ، وَفِعْلِ الْمَكْفُرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الَّذِي تَقُومُ بِهِ الْمَخْلُوقَاتُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ، وَإِذَا عَلِمَ أَنَّهُ أَحَدٌ صَمَدٌ، صَمَدٌ إِلَيْهِ، وَسَأَلَهُ حَاجَاتِهِ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

فَالْحَقِيقَةُ أَنَّ فَلَاحَ الْإِنْسَانِ وَسَعَادَتَهُ، وَانْشِرَاحَ صَدْرِهِ هُوَ بِإِيْمَانِهِ، وَإِقْرَارِهِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَتَعَبُّدِهِ لِلَّهِ بِهَا، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ- فِي الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). إِحْصَاؤُهَا لَفْظًا، وَإِحْصَاؤُهَا مَعْنَى، وَإِحْصَاؤُهَا عَمَلًا، وَتَعَبُّدًا لِلَّهِ بِهَا أَي: بِمَقْتَضَاهَا.

وَالْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ذَكَرَ هَذِهِ الْمَقْدَمَةَ كَاسْتِهْلَالٍ لِمَا يَرِيدُ أَنْ يَبْدَأَ بِهِ، وَهَذِهِ تُسَمَّى عِنْدَ أَهْلِ الْبَلَاغَةِ (بِرَاعَةِ الْاسْتِهْلَالِ)، وَهِيَ أَنْ يَأْتِيَ الْإِنْسَانَ بِمَقْدَمَةٍ تُشِيرُ إِلَى مَوْضُوعِ الْبَحْثِ، كَمَا أَنَّ هُنَاكَ بِرَاعَةَ اخْتِتَامٍ، أَنْ يَأْتِيَ بِكَلَامٍ بِمَا يُشْعِرُ أَنَّهُ سَوْفَ يَخْتَمُّهُ، وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ فِي الصِّفَاتِ بَدَأَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- بِهَذِهِ الْمَقْدَمَةِ.

قَوْلُهُ: «...بِأَنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ تَابِعٌ لَشَرَفِ مَعْلُومِهِ» وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُفِيدَةٌ، وَهِيَ: (الْعِلْمُ يَشْرَفُ بِشَرَفِ الْمَعْلُومِ)، فَإِنَّ شَرَفَ الْعِلْمِ بِشَرَفِ مَعْلُومِهِ، وَمَعْلُومٌ أَنْ أَشْرَفَ شَيْءٌ، وَأَعْلَى شَيْءٌ هُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَلِهَذَا كَانَ عِلْمُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الشُّرُوطِ، بَابُ مَا يَجُوزُ مِنَ الْإِشْتِرَاطِ وَالشُّنْيَا فِي الْإِقْرَارِ، وَالشُّرُوطِ الَّتِي يَتَعَارَفُهَا النَّاسُ بَيْنَهُمْ، رَقْمٌ (٢٥٨٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ، بَابُ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِ مَنْ أَحْصَاهَا، رَقْمٌ (٢٦٧٧).

التَّوْحِيدِ هُوَ الْفِقْهَ الْأَكْبَرُ، كَمَا يُسَمِّيهِ الْعُلَمَاءُ، فَالْعِلْمُ بِمَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ هُوَ الْفِقْهَ الْأَكْبَرُ، أَمَّا عِلْمُ أَحْكَامِهِ الْمَتَعَلِّقَةِ بِأَفْعَالِ عِبَادِهِ، فَهُوَ فِقْهٌ أَصْغَرُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفِقْهِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١). قلنا: وَأَيُّ فِقْهِ أَعْظَمُ مِنَ الْفِقْهِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ!؟

قَوْلُهُ: «وَأَنْ شَرَّفَهُ أَيْضًا بِحَسَبِ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ» يَشْرَفُ الْعِلْمُ بِشَرَفِ آخَرَ أَيْضًا، وَهُوَ حَاجَةٌ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَكُلَّمَا احْتِاجَ النَّاسُ إِلَى الْعِلْمِ كَانَ طَلْبُهُ أَشْرَفَ مِنْ طَلَبِ غَيْرِهِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ الَّذِي لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ مَضِيعَةٌ لِلْوَقْتِ، وَلَا شَرَفَ فِي هَذَا الْعِلْمِ.

إِذْنُ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَفَادَنَا بِأَنَّ الْعِلْمَ يَشْرَفُ بِأَمْرَيْنِ: شَرَفِ الْمَعْلُومِ، وَحَاجَةِ النَّاسِ إِلَيْهِ.

«وَلَيْسَتْ حَاجَةٌ الْأَرْوَاحِ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ أَعْظَمَ مِنْهَا إِلَى مَعْرِفَةِ بَارِئِهَا وَفَاطِرِهَا، وَمَحَبَّتِهِ وَذِكْرِهِ، وَالِابْتِهَاجِ بِهِ، وَطَلَبِ الْوَسِيلَةِ إِلَيْهِ وَالزُّلْفَى عِنْدَهُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى هَذَا إِلَّا بِمَعْرِفَةِ أَوْصَافِهِ وَأَسْمَائِهِ، فَكُلَّمَا كَانَ الْعَبْدُ بِهَا أَعْلَمَ، كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ، وَهُوَ أَطْلَبَ، وَإِلَيْهِ أَقْرَبَ، وَكُلَّمَا كَانَ لَهَا أَنْكَرَ، كَانَ بِاللَّهِ أَجْهَلَ، وَإِلَيْهِ أَكْرَهَ، وَمِنْهُ أَبْعَدَ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يُنْزِلُ الْعَبْدَ مِنْ نَفْسِهِ حَيْثُ يُنْزِلُهُ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ كَانَ لِذِكْرِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مُبْغِضًا، وَعَنْهَا مُعْرِضًا نَافِرًا وَمُنْفَرًا، فَاللَّهُ لَهُ أَشَدُّ بُغْضًا، وَعَنْهُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم:

كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧).

أَعْظَمُ إِعْرَاضًا، وَهُوَ أَكْبَرُ مَقْتًا، حَتَّى تَعُودَ الْقُلُوبُ عَلَى قَلْبَيْنِ: قَلْبُ ذِكْرِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ قُوَّتُهُ وَحَيَاتُهُ، وَنَعِيمُهُ وَقُرَّةُ عَيْنِهِ، لَوْ فَارَقَهُ ذِكْرُهَا وَمَحَبَّتُهَا سَاعَةً لَا اسْتَعَاثَ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١). فَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانَكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ^(٢)

ويقول:

وَإِذَا تَقَاضَيْتِ الْفُؤَادَ تَنَاسِيًا أَلْفَيْتِ أَحْشَائِي بِذَلِكَ شِحَاخًا^(٣)

ويقول:

إِذَا مَرِضْنَا تَدَاوَيْنَا بِذِكْرِكُمْ فَتَرَكُ الذِّكْرَ أَحْيَانًا فَتَنْتَكِسُ^(٤)

وَمِنَ الْمَحَالِ أَنْ يَذْكَرَ الْقَلْبُ مَنْ هُوَ مُحَارِبٌ لَصِفَاتِهِ، نَافِرٌ مِنْ سَاعِهَا، مُعْرَضٌ بِكُلِّيَّتِهِ عَنْهَا، زَاعِمٌ أَنَّ السَّلَامَةَ فِي ذَلِكَ، كَلَّا وَاللَّهِ، إِنَّهُ هُوَ إِلَّا الْجَهَالَةُ وَالْخُذْلَانُ، وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ، فَلَيْسَ الْقَلْبُ الصَّحِيحُ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ أَشَوْقَ مِنْهُ إِلَى مَعْرِفَةِ رَبِّهِ تَعَالَى وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَسْمَائِهِ، وَلَا أَفْرَحَ بِشَيْءٍ قَطُّ كَفَرَحِهِ بِذَلِكَ، وَكَفَى بِالْعَبْدِ خُذْلَانًا أَنْ يُضْرَبَ عَلَى قَلْبِهِ سُرَادِقُ الْإِعْرَاضِ عَنْهَا، وَالتَّنْفِرُ وَالتَّنْفِيرُ وَالِاسْتِعْثَالُ بِمَا لَوْ كَانَ حَقًّا لَمْ يَنْفَعِ إِلَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالْإِيمَانِ بِهِ وَبِصِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ».

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤).

(٢) البيت للمتنبي، كما في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني (١/٣٣٩).

(٣) البيت لابن الفارض، كما في الكشكول (٢/١٦٧).

(٤) البيت لزين الدين الصفدي، كما في مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لشهاب الدين العمري (١٢/٤٧٨).

الشرح

هذه مشكلة تقع لبعض الناس، يقول: (لا فائدة من البحث في أسماء الله وصفاته، اتركونا من هذا البحث، هذا شيء فرغ الناس منه)، وفي الحقيقة لا يقول ذلك إلا إنسان - كما قال ابن القيم رحمه الله - على خطرٍ عظيم، لأن معرفة أسماء الله وصفاته هي قوت القلب وروحه، ولا يمكن للإنسان أن يحب الله غاية المحبة، ويُعظم الله غاية التعظيم إلا بمعرفة أسمائه وصفاته، وقد حث النبي - عليه الصلاة والسلام - على ذلك حتى قال: «إنَّ الله تسعةٌ وتسعينَ اسماً، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١). وهذا عوضٌ عظيم، فالجنة ليست بالأمر الهين، فما تكون إلا لشيء هو أعظم الأشياء، ثم إنَّ الرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يُعَيِّن لنا هذه الأسماء، ولو عَيَّنْها لنا لَسَقَطَ عَنَّا كَثِيرٌ مِنَ الْمُتُونَةِ ولم نتعب في تحصيلها، ولكن جعل ذلك للبحث والنظر، واستخلاصها من كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، حتى يُعْرِفَ مَنْ هو حريصٌ عليها ممن ليس بحريصٍ.

ونظيرُ هذا إخفاء ليلة القدر، ولو شاء الله عزَّ وجلَّ لبيَّنْها لِعِبَادِهِ بِعَيْنِهَا، ولكنَّه - سبحانه وتعالى - أراد أن يَعْلَمَ مَنْ هو حريصٌ من عباده ممن ليس بحريصٍ، هذا من وجه، ومن وجهٍ آخرٍ لأجل أن يكثر ثوابهم في الأعمال في جميع ليالي العشر.

كذلك أيضاً ساعة الإجابة في كل ليلة أخفاها، فهذه الساعة «لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه»^(٢). وهذا بقطع النظر عن الذي يكون وقت النزول الإلهي، وكذلك ساعة الجمعة لم يبيَّنْها الله، لكن أرجاها مبينٌ.

(١) سبق تخريجه (ص: ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب الإشارة في الطلاق والأموار، رقم (٤٩٨٨).

هكذا أيضًا بالنسبة لأسماء الله عزَّ وجلَّ يقول بعض الناس: دَعُونَا مِنِ الأَسْمَاءِ، دَعُونَا مِنِ الصِّفَاتِ، هذا شيءٌ انقضى، فلا تُوجَدُ الآنَ جَهْمِيَّةٌ ولا مُعْتَزَلَةٌ، ولا، ولا...، فنقول: هذا غيرُ صحيحٍ، بل يُوجَدُ الآنَ جَهْمِيَّةٌ ومُعْتَزَلَةٌ وأشاعرةٌ، وماتريديَّةٌ، فهذا موجودٌ.

وأيضًا إن لم يكن ذلك موجودًا، فلماذا نترك البحث في أسماء الله وصفاته، حتَّى نكون جاهلين؟! هذا ليس بصحيح.

أيضًا البحث مع الجهميَّة^(١) والمُعْتَزَلَةِ^(٢) مفيدٌ في البحث مع الشيوعيين والمُلْحِدِينَ والزَّنادِقَةِ، لأنَّ هناك مقدِّماتٍ مذكورةٌ في مناظرةٍ هؤلاء تفيدهُ طالبُ العِلْمِ في مناظرةِ الشيوعيين والزَّنادِقَةِ والمُلْحِدِينَ، فعلى كُلِّ حالٍ كما قال ابنُ القيمِ -رحمه الله- في هذه المقدِّمة: (لا ينبغي لنا أن ندعَ البحثَ في أسماءِ الله وصفاته)، فينبغي لنا أن نبحثَ، ولكن لا على سبيلِ أهلِ التَّحْرِيفِ، ولكن على سبيلِ السَّلَفِ، وأُمَّةِ الأُمَّةِ، نتلقاها بالقبولِ والتَّسْلِيمِ، مع اعتقادنا أن كُلَّ ما وَصَفَ اللهُ

(١) هم أصحاب جَهْم بن صفوان، وهو من الجبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمذ، وقتله سلَّم بن أَحْوَز المازني بِمَرُو في آخر مُلْك بَنِي أُمِيَّة، وافق المُعْتَزَلَةَ في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء:

منها قوله: لا يجوز أن يُوصَفَ البارِي تعالى بِصِفَةٍ يُوصَفُ بها خَلْقُهُ، لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفي كونه حيًّا عالمًا، وأثبت كونه: قادرًا، فاعلًا، خالقًا، لأنه لا يوصف شيءٌ من خَلْقِهِ بِالْقُدْرَةِ والفِعْلِ والخَلْقِ. الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦).

(٢) المعتزلة فرقة إسلامية نشأت في أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، وقد اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية لتأثيرها ببعض الفلسفات المستوردة، مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد أُطلق عليها أسماء مختلفة منها: المعتزلة، والقَدْرِيَّة، والعدلية، وأهل العدل والتوحيد، والمقتصدية والوعيدية. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/٦٤).

به نفسه فإنه لا يُشبهُ شيئاً من أوصافِ المخلوقين أبداً، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قَوْلُهُ: «لَا سَتَغَاثَ: يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» يعني: لَا سَتَغَاثَ بهذا الدُّعَاءِ قَائِلاً: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»^(١). فالإنسان إذا رأى من قلبه إعراضاً فليلجأ إلى الله بهذا الدُّعَاءِ حَتَّى لَا يَزِيعَ الْقَلْبُ وَيَزَلَّ، فالإنسان ينبغي له دائماً أن يدعوا بهذا الدُّعَاءِ مفتقراً إلى الله عزَّ وجلَّ عالماً بأنه - سبحانه وتعالى - هو القادرُ على هدايته وزَيِّغِهِ.

«والقلبُ الثَّانِي: قلبٌ مضروبٌ بِسَيَاطِ الْجَهَالَةِ، فهو عن معرفة رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ مَصْدُودٌ، وطريقُ معرفةِ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ كَمَا أُنزِلَتْ عَلَيْهِ مَسْدُودٌ، وَقَدْ قَمَشَ شُبُهَاهَا مِنَ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَارْتَوَى مِنْ مَاءِ آجِنٍ غَيْرِ طَائِلٍ، تَعَجُّجٌ مِنْهُ آيَاتُ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثُهَا إِلَى اللَّهِ عَجِيجًا، وَتَضِجُّ مِنْهُ إِلَى مَنْزِلِهَا ضَجِيجًا مِمَّا يَسُومُهَا تَحْرِيفًا وَتَعْطِيلًا، وَيُوَوِّلُ مَعَانِيَهَا تَغْيِيرًا وَتَبْدِيلًا، قَدْ أَعَدَّ لِدَفْعِهَا أَنْوَاعًا مِنَ الْعُدَدِ، وَهِيَآ لِرَدِّهَا ضُرُوبًا مِنَ الْقَوَانِينِ، وَإِذَا دُعِيَ إِلَى تَحْكِيمِهَا أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَقَالَ: تِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ، لَا تَفِيدُ شَيْئًا مِنَ الْيَقِينِ.

قَدْ اتَّخَذَ التَّأْوِيلَ جُنَّةً يَتَرَسُّ بِهَا مِنْ مَوَاقِعِ سِهَامِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ، وَجَعَلَ إِبْثَاتَ صِفَاتِ ذِي الْجَلَالِ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا، يَصُدُّ بِهِ الْقُلُوبَ عَنْ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، مُزَجِّجِي الْبُضَاعَةِ مِنَ الْعِلْمِ النَّافِعِ الْمُرُوثِ عَنْ خَاتَمِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ، لَكِنَّهُ مَلِيٌّ بِالشُّكُوكِ وَالشُّبُهَةِ وَالْجِدَالِ وَالْمِرَاءِ، خَلَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ الْبَاطِلَ خِلْعَةَ الْجَهْلِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤).

والتَّجْهِيلِ، فهو يَتَعَثَّرُ في أذْيَالِ التَّكْفِيرِ لأهل الحديثِ، والتبديعِ لهم والتَّضْلِيلِ، قد طَافَ على أبوابِ الآراءِ والمذاهبِ يتكفَّفُ أربابها، فانثنى بأخسِّ المواهبِ والمطالِبِ، عدَلَّ عن الأبوابِ العاليةِ الكفيلةِ بنهايةِ المرادِ، وغايةِ الإحسانِ، فابْتَلِيَ بالوقوفِ على الأبوابِ السَّافِلَةِ المَلِيئَةِ بالخَيْبَةِ والحرمانِ، وقد لَيْسَ حُلَّةً منسوجةً من الجهلِ والتقليدِ والشُّبُهَةِ والعنادِ، فإذا بُدِّلَتْ له النَّصِيحَةُ، ودُعِيَ إلى الحقِّ، أَخَذَتْهُ العِزَّةُ بالإثمِ فَحَسَبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ المِهَادِ.

فما أعظمَ المصيبةَ بهذا وأمثاله على الإيمانِ، وما أشدَّ الجنايةَ به على السُّنَّةِ والقرآنِ، وما أحبَّ جهاده بالقلبِ واليدِ واللسانِ إلى الرَّحْمَنِ، وما أثقلَ أجرَ ذلك الجهادِ في الميزانِ، والجهادُ بالحُجَّةِ والبيانِ مُقَدَّمٌ على الجهادِ بالسِّيفِ والسَّنانِ، ولهذا أمرَ به تعالى في السُّورِ المَكِّيَّةِ، حيث لا جهادَ باليدِ إنذارًا وتَعذِيرًا، فقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِيعُ الكُفْرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]، وأمرَ تعالى بجهادِ المنافقينِ، والغِلظةِ عليهم، مع كَوْنِهِم بين أظهرِ المسلمينِ في المَقَامِ والمسيرِ، فقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْطِ عَلَيْهِمْ وَمَا وَهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ المَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، فالجهادُ بالعلمِ والحُجَّةِ جهادُ أنبياءِ الله ورُسلِهِ وخاصَّتِهِ من عبادِهِ المَخْصُوصِينَ بالهدايةِ والتَّوفيقِ والاتِّفاقِ، و«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النِّفَاقِ»^(١). وكَفَى بالعبدِ عَمَى وخُذْلانًا أن يرى عَسَاكِرَ الإيمانِ، وجنودَ السُّنَّةِ والقرآنِ، قد لَبَسُوا للحربِ لِأُمَّتِهِ، وأَعَدُّوا له عُدَّتَهُ، وأَخَذُوا مَصَافِهِمْ، ووقفوا مَوَاقِفَهُمْ، وقد حَمِيَ الوَطِيسُ، ودارت رَحَى الحربِ، واشتدَّ القتالُ، وتنادت الأقرانُ: النَّزَالُ النَّزَالُ، وهو في الملجأ والمغارِاتِ والمُدْخَلِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب ذم من مات، ولم يغز، ولم يحدث نفسه بالغزو، رقم

مع الحَوَالِفِ كَمِينٌ، وإذا سَاعَدَ الْقَدْرُ وَعَزَمَ عَلَى الْخُرُوجِ قَعَدَ فَوْقَ التَّلِّ مَعَ النَّظِيرِينَ، يَنْظُرُ لِمَنِ الدَّائِرَةُ، لِيَكُونَ إِلَيْهِم مِّنَ الْمُتَحَيِّزِينَ، ثُمَّ يَأْتِيهِمْ وَهُوَ يُقْسِمُ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِ: إِنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ، وَكُنْتُ أَمْتَى أَنْ تَكُونُوا أَنْتُمْ الْغَالِبِينَ.

الشرح

قَوْلُهُ: «وَالْقَلْبُ الثَّانِي: قَلْبٌ مَّضْرُوبٌ بِسِيَاطِ الْجَهَالَةِ، فَهُوَ عَنِ مَعْرِفَةِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ مَضْدُودٌ... إلخ» كَلَامُ الْمُؤَلِّفِ هُنَا كَلَّمَهُ يَنْصَبُ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ مِنَ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ، وَكُلُّ مِنْهُمْ يَنَالُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ بِقَدْرِ تَعْطِيلِهِ جِزَاءً وَفَاقًا، فَالْمُعْطَلُ تَعْطِيلًا مَحْضًا يَسْتَحِقُّ جَمِيعَ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَالْمُعْطَلُ تَعْطِيلًا دُونَ ذَلِكَ يَسْتَحِقُّ مَا يَسْتَحِقُّ مِنْ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا جُنَايَةٌ عَلَى النُّصُوصِ، وَعَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يُحَرِّفَ كِتَابَهُ، وَكَلَامُ رَسُولِهِ ﷺ إِلَى مَعَانٍ لَمْ يُرِدْهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ لِمَجْرَدِ اتِّبَاعِ الْهَوَى فِي الْمُجْتَهِدِينَ مِنْهُمْ، وَالتَّقْلِيدِ الْأَعْمَى فِي الْمُقَلِّدِينَ مِنْهُمْ.

وَلَا تَقُولُوا: إِنَّ الْمُؤَلِّفَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قَدْ بَالَغَ وَأَسْرَفَ، لِأَنَّهُ قَدْ عَاصَرَهُمْ وَنَظَرَهُمْ وَأَتَعَبَوْهُ وَأَتَعَبَهُمْ، فَهُوَ لَيْسَ مِثْلَنَا الْآنَ، لَيْسَ عِنْدَنَا مَنْ يَجَادِلُنَا فِي هَذَا، أَوْ يَنَظُرُنَا فِيهِ، لَكِنْ هُوَ وَشَيْخُهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- صَارَتْ لِهَئِهِمَا مَجَالَاتٌ عَظِيمَةٌ مَعَ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةِ الْمُبْتَدِعَةِ، فَكَانُوا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يُوصَفُوا بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ، لِأَنَّهُمْ -فِي الْحَقِيقَةِ- قَدْ أَتَعَبَوْهُ، وَلَكِنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ بِمَا أَعْطَاهُمَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَالْعَقْلِ وَالْفَهْمِ اسْتَطَاعَا أَنْ يُسَيِّطِرَا عَلَى الْمَوْقِفِ، وَأَنْ يَجْعَلَا أَوْلَئِكَ تَحْتَ أَقْدَامِهِمَا كَمَا كَانَ أَهْلُ السُّنَّةِ بِالْأَوَّلِ تَحْتَ أَقْدَامِ أَوْلَئِكَ، كَمَا سَيَشِيرُ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ.

قَوْلُهُ: «وَإِذَا دُعِيَ إِلَى تَحْكِيمِهَا أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَقَالَ: تِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَا تَفِيدُ شَيْئًا مِنَ الْيَقِينِ» هذه قاعدةٌ عندهم والعياذُ بالله، فأهلُ الكلامِ يقولون: هذه أدلةٌ لفظيةٌ لا تفيدهُ اليقينَ لاحتمالاتها، ويأتون للألفاظِ باحتمالاتٍ بعيدةٍ لا تُرادُ بها، فيقولُ مثلًا: (العرشُ) له عدَّةٌ معانٍ، و(الاستواءُ) له عدَّةٌ معانٍ، و(اليَدُ) لها عدَّةٌ معانٍ، وهكذا، فيشكُّون ويشكِّكون -والعياذُ بالله- ويقولون: هذه أدلةٌ لفظيةٌ لا تفيدهُ اليقينَ، سبحان الله!

إِذَنْ هَذَا مَعْنَاهُ أَنَّ الدِّينَ كُلَّهُ لَيْسَ يَقِينًا، فَإِذَا كَانَتْ آيَاتُ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثُهَا لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ فَمَا الَّذِي يُفِيدُ؟! لَكِنِ اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

قَوْلُهُ: «وَجَعَلَ إِبْطَاتِ صِفَاتِ ذِي الْجَلَالِ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا، يَصُدُّ بِهِ الْقُلُوبَ عَنِ طَرِيقِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ» هم يقولون: أنتم أيُّها المُتَّبِعَةُ مُجَسِّمَةٌ، إِذَا قَلْتُمْ: اللَّهُ يَدُ حَقِيقِيَّةٌ، يَأْخُذُ بِهَا، وَيَقْبِضُ وَيَبْسِطُ، فَأَنْتُمْ مُجَسِّمَةٌ، وَعَرَضْتُمْ بِهَذَا التَّنْفِيرِ عَنِ إِبْطَاتِ أَنَّ اللَّهَ يَدًا حَقِيقِيَّةً، أَوْ يَقُولُونَ: إِنَّكُمْ مُشَبَّهَةٌ، وَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَجْلِ التَّنْفِيرِ عَنِ الطَّرِيقِ السَّلِيمِ، كَمَا قَالَ الْكَافِرُونَ: ﴿هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ﴾ [ص: ٤]، هَذَا شَاعِرٌ، هَذَا مَجْنُونٌ، سِوَاءٌ بِسِوَاءٍ، فَالطَّرِيقُ وَاحِدَةٌ، وَإِنْ اخْتَلَفَتِ الْمَوَاضِعُ.

قَوْلُهُ: «وَالْجِهَادُ بِالْحُجَّةِ وَاللِّسَانِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ بِالسَّيْفِ وَالسَّنَانِ» اللَّهُ أَكْبَرُ! كَلَامٌ عَجِيبٌ! الْجِهَادُ بِالْعِلْمِ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ بِالسَّيْفِ، وَهَذَا يَعْنِي أَنَّ الْعِلْمَ مُقَدَّمٌ عَلَى الْجِهَادِ بِالسَّيْفِ، وَهُوَ كَذَلِكَ، وَطَلَبُ الْعِلْمِ مِنْ حَيْثُ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْجِهَادِ.

فَمَثَلًا: خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ شُجْعَانِ الْمُسْلِمِينَ، كَمْ قُتِلَ عَلَى يَدِهِ مِنْ

الكفار، وأبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ دونه بكثير، ومع ذلك أُبَيِّها الذي بَقِيَ ذِكْرُهُ وانتفع النَّاسُ به كثيرًا؟ الجواب: أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ولهذا فَإِنَّ الْعِلْمَ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ، كما قال الإمام أحمد - رحمه الله -: «العلم لا يعدله شيء لمن صَحَّحَتْ نَيْتُهُ»^(١)، وصدق - رحمه الله - الآن مثلاً الإمام الشافعي، والإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهم من الأئمة يُدْرُسُونَ لنا وهم في قبورهم، بل بيننا وبينهم بلادٌ شاسعة، وأما الشجعان الذين قاتلوا، ونَفَعَ اللهُ بِهِمْ، وفتح بهم البلاد لا ينفعوننا مثلهم.

فالحقيقة أن الْعِلْمَ لَا يُدْرِكُ فَضْلَهُ أَحَدٌ إِلَّا إِذَا تَأَمَّلَ، ورأى أن مَنْ عَامَلَ اللهُ بِالصِّدْقِ فِي الْعِلْمِ فَعَمِلَ بِهِ وَعَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، ودعا النَّاسَ إِلَيْهِ فَاللهُ تَعَالَى يَرْفَعُ ذِكْرَهُ، لكن قد تقول لشخصٍ مِنَ النَّاسِ: جهادك بالسيف أفضل، وتقول لآخر: جهادك بالعلم أفضل، لكن لو نظرنا إلى الأمرين جميعًا قلنا: الجهاد العلمي أفضل، لأنَّ جِهَادَ الْعِلْمِ تَسْتَقِيمُ بِهِ الْأُمَّةُ، وتحيا به الملة، وجهاد السيف المقصودُ به صَدُّ الأعداء وإذلالهم، حتَّى يَكُونَ الدِّينُ لَهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: «وَمَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنَ النَّفَاقِ» وهل هذا عامٌّ؟ الجواب: إِذَا جَعَلْنَا الْغَزْوَ عَامًّا لِكُلِّ مَا يُسَمَّى غَزْوًا - حتَّى جِهَادِ النَّفْسِ وَحَتَّى الْعِلْمِ - فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي قَلْبِهِ شُعْبَةٌ مِنَ النَّفَاقِ إِنْ لَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِالْغَزْوِ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ أَنَّ الْمَرَادَ غَزْوُ الْكُفَّارِ، وَالْجِهَادُ قَدْ لَا يَطْرَأُ عَلَى الْبَالِ خُصُوصًا فِي أَيَّامِ الرُّكُودِ، لكن في أَيَّامِ الْحَرَكَاتِ يَطْرَأُ، كما في هذه الأيَّامِ مع اليهودِ والنصارى.

(١) هذا القول حكاة علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الصالح الحنبلي، في كتاب الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٤/١٢٣)، دون قوله: «لمن صحت نيته».

«فَحَقِيقٌ بَمَنْ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ وَقِيَمَةٌ أَلَّا يَبِيعَهَا بِأَخْسِ الْأَثْمَانِ، وَأَلَّا يُعَرِّضَهَا غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِمَوَاقِفِ الْحِزْبِيِّ وَالْهَوَانِ، وَأَنْ يُثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي صَفْوَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَأَلَّا يَتَحَيَّزَ إِلَى مَقَالَةٍ سِوَى مَا جَاءَ فِي السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ.

فَكَأَنَّ قَدْ كُشِفَ الْغِطَاءُ، وَانْجَلَى الْغُبَارُ، وَأَبَانَ عَنْ وُجُوهِ أَهْلِ السُّنَّةِ مُسْفِرَةً ضَاحِكَةً مُسْتَبْشِرَةً، وَعَنْ وُجُوهِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ تَرَهَّقُهَا قَتْرَةٌ، يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهُ وَتَسْوَدُ وُجُوهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «تَبْيَضُ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفِرْقَةِ الضَّالَّةِ»^(١).

قَوَالُهُ لِمُفَارَقَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعِ فِي هَذِهِ الدَّارِ أَسْهَلُ مِنْ مُرَافَقَتِهِمْ إِذَا قِيلَ: ﴿أَحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصفات: ٢٢]، قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبَعْدَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - «أَزْوَاجُهُمْ: أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ»^(٢). وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ﴾ [التكوير: ٧] فَجَعَلَ صَاحِبَ الْحَقِّ مَعَ نَظِيرِهِ فِي دَرَجَتِهِ، وَصَاحِبَ الْبَاطِلِ مَعَ نَظِيرِهِ فِي دَرَجَتِهِ، هُنَالِكَ - وَاللَّهِ - يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ إِذَا حَصَلَتْ لَهُ حَقِيقَةُ مَا كَانَ فِي هَذِهِ الدَّارِ عَلَيْهِ، يَقُولُ: ﴿يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ (٢٧) يَتَوَلَّتْ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]».

الشرح

قَوْلُهُ: «وَأَلَّا يُعَرِّضَهَا غَدًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِمَوَاقِفِ الْحِزْبِيِّ وَالْهَوَانِ»

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ (٣٩٥٠) دُونَ قَوْلِهِ: «وَتَسْوَدُ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفِرْقَةِ». وَحَكَاهُ ابْنُ كَثِيرٍ بِتَمَامِهِ فِي التَّفْسِيرِ (٩٢/٢).

(٢) أَخْرَجَهُ بَنُوحُوهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٤٦٧/٢)، وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يَخْرُجْ، وَوَافِقُهُ الذَّهَبِيُّ.

الوقوف بين يدي الله أمرٌ ظاهرٌ، فنحن سنقفُ بين يدي الله عزَّ وجلَّ كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦]، سوف تُلاقِي ربَّك، وسوف يُحاسبُك حسابًا يسيرًا إن كنت ممن أُوتِيَ كتابه بيمينه، أو بالعكس.

أما (بين يدي رسول الله - عليه الصلاة والسلام-)، فهذا يُحمَلُ على أن المعنى أن الرسول - عليه الصلاة والسلام- سيشهدُ بأنه بلغ أُمَّتَهُ البلاغَ المبينَ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وإذا شهدَ أنه بلغَ البلاغَ المبينَ فقد شهدَ على أُمَّتِهِ، فإنَّ مَنْ خَالَفَ مقتضى هذه الشَّهادةِ فهو في خِزْيٍ وِعَارٍ، نسألُ الله العافية.

قوله: «وتسودُّ وجوهُ أهلِ البدعةِ والفرقةِ الضَّالَّةِ»، وفي نسخة: (تسودُّ وجوهُ أهلِ البدعةِ والفرقةِ والضَّلالةِ)، فمع (الضَّالَّةِ) نقولُ: (الفرقةِ)، ومع (الضَّلالةِ) نقولُ: (الفرقةِ)، وهما متلازمان، لأنَّ أهلَ البدعِ متفرِّقون، وأهلَ السُّنَّةِ مجتمعون.

فصل

«وَكَانَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ أَنْ يَجْمَعَ مَجْلَسَ الْمَذَاكِرَةِ بَيْنَ مُثَبِّتِ لِلصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ وَمَعْطَلٍ لِدَلِكِ، فَاسْتَطَعَمَ الْمُعْطَلُ الْمُثَبِّتَ الْحَدِيثَ اسْتِطْعَامَ غَيْرِ جَائِعٍ إِلَيْهِ، وَلَكِنْ غَرَضُهُ عَرَضُ بَضَاعَتِهِ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا تَقُولُ فِي الْقُرْآنِ وَمَسْأَلَةِ الْاِسْتِوَاءِ؟ فَقَالَ الْمُثَبِّتُ: نَقُولُ فِيهِمَا مَا قَالَ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَمَا قَالَهُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ، نَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ، مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ، وَلَا تَمَثِيلٍ، بَلْ نُثَبِّتُ لَهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مَا أُثَبِّتُهُ لِنَفْسِهِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَنَنْفِي عَنْهُ النِّقَاطِصَ وَمِشَابَهَةَ الْمَخْلُوقَاتِ، إِبْتِئَاتًا بِلا تَمَثِيلٍ، وَتَنْزِيهًا بِلا تَعْطِيلٍ، فَمَنْ شَبَّهَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَليْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ، أَوْ وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ تَشْبِيهًا، فَالْمُشَبَّهُ يَعْبُدُ صِنًا، وَالْمُعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَالْمَوْحِدُ يَعْبُدُ إِيَّاهَا وَاحِدًا صَمَدًا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿[الشورى: ١١].

والكلام في الصِّفَاتِ كَالكَلَامِ فِي الدَّاتِ، فَكَمَا أَنَا نُثَبِّتُ ذَاتًا لَا تُشْبِهُ الدَّوَاتِ، فَكَذَا نَقُولُ فِي صِفَاتِهِ: إِنَّمَا لَا تُشْبِهُ الصِّفَاتِ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ، فَلَا تُشْبِهُ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تُزِيلُ عَنْهُ - سُبْحَانَهُ - صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ لِأَجْلِ تَشْنِيعِ الْمُشْنَعِينَ وَتَلْقِيبِ الْمُفْتَرِينَ، كَمَا أَنَّا لَا نُبْغِضُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَسْمِيَةِ الرَّوَافِضِ لَنَا نَوَاصِبَ، وَلَا نُكَدِّبُ بِقَدْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَنَجْحَدُ كَمَا لَمْ يَشِئْتَهُ وَقُدْرَتَهُ لِتَسْمِيَةِ الْقَدْرِيَّةِ لَنَا مُجْبِرَةً، وَلَا نَجْحَدُ صِفَاتِ رَبِّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِتَسْمِيَةِ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ لَنَا مُجَسِّمَةً مُشَبَّهَةً حَشَوِيَّةً، كَمَا قِيلَ:

فَإِنْ كَانَ تَجَسِّيًّا بُبُوتُ صِفَاتِهِ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ لَهَا مُثَبِّتٌ
إِلَى:

فَإِنْ كَانَ تَجَسِّيًّا بُبُوتُ صِفَاتِهِ لَدَيْكُمْ فَإِنِّي الْيَوْمَ عَبْدٌ مُجَسَّمٌ^(١)
وَرَضِيَ اللَّهُ عَنِ الشَّافِعِيِّ إِذْ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي
وَقَدَّسَ اللَّهُ رُوحَ الْقَائِلِ، وَهُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ إِذْ يَقُولُ:

إِنْ كَانَ نَضْبًا حُبُّ صَاحِبِ مُحَمَّدٍ فَلْيَشْهَدْ الثَّقَلَانِ أَنِّي نَاصِبِي

الشرح

قَوْلُهُ: «وَكَانَ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ وَقَضَائِهِ أَنْ يَجْمَعَ مَجْلِسَ الْمَذَاكِرَةِ بَيْنَ مُثَبِّتِ لِلصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ، وَبَيْنَ مَعْطَلٍ لِذَلِكَ» هَذَا يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ قَطْعِيَّةً، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ عَلَى سَبِيلِ التَّمْثِيلِ، لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُضْرَبَ الْمَثَلُ فِي مِثْلِ هَذَا كَمَا يَضْرِبُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْأَمْثَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ [الزمر: ٢٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِمَّا رَزَقْنَا حَسَنًا فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبُوكُمْ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ٧٥-٧٦].

(١) هذان البيتان أوردهما ابن القيم - رحمه الله - في العديد من كتبه، لكن دون عزو.

قَوْلُهُ: «نَصِفُ اللَّهَ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وَبِهَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ» وهذا حَقٌّ فِي الثُّبُوتِ.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ» يعني: لا نُحَرِّفُ النُّصُوصَ، وَلَا نُعْطِلُ معناها، وَلَا نُعْطِلُ صِفَاتِ اللَّهِ، وهذا فِي النَّفْيِ يَشْمَلُ شَيْئَيْنِ: الأَوَّلُ: تَعْطِيلُ النُّصُوصِ عَنِ مَعَانِيهَا.

الثَّانِي: تَعْطِيلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ صِفَاتِهِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا هَذِهِ النُّصُوصُ. أَمَّا التَّحْرِيفُ فَهُوَ التَّغْيِيرُ، وَمِنْهُ: (حَرَفْتُ الدَّابَّةَ عَنِ جِهَةِ سَيْرِهَا) أَي: أَمَلْتُهَا وَغَيَّرْتُهَا، وَهُوَ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ:

الأَوَّلُ: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ لَا يُغَيِّرُ الْمَعْنَى كَقَوْلِ الْقَارِي: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)، فَهَذَا تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ مُغَيِّرٌ لِلْمَعْنَى، لَكِنَّهُ لَا يَجُوزُ، لِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَمْ يَتَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ.

الثَّانِي: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ يُغَيِّرُ الْمَعْنَى، مِثْلُ: (صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ)، أَوْ يقرأ فيقول: (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)، لِأَنَّ (أَهْدِنَا) يَعْنِي: (أَعْطِنَا هَدِيَّةً)، وَمِثْلُ أَنْ يقرأ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، وَالصَّوَابُ: (كَلَّمَ اللَّهُ)، لَكِنَّهُ حَرَّفَ بِنَاءً عَلَى مَذْهَبِهِ، لِأَجْلِ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مِنْ مُوسَى، وَلِذَا لَمَّا قَالَ النَّافِي بِأَنَّ الْقِرَاءَةَ هِيَ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، قَالَ لَهُ الْمُثَبِّتُ: مَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾؟ [الأعراف: ١٤٣]، فَهُوَ هُنَا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: (الهاء) فِي (كَلَّمَهُ): فَاعِلٌ، لِأَنَّ الْهَاءَ بِإِجْمَاعِ أَهْلِ اللُّغَةِ ضَمِيرٌ نَصَبٍ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ.

فَقَالَ: إِذْنِ مَعْنَى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] أَي: جَرَّحَهُ بِمَخَالِبِ الْحِكْمَةِ، لِأَنَّ الْكَلَّمَ بِمَعْنَى الْجَرِّحِ، وَمِنْهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ...»^(١)، والكَلْمُ هنا بمعنى الجرح.

قلنا: سبحان الله العظيم! هذا مُنْكَرٌ، لَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُطْلَقَ التَّكْلِيمُ بِمَعْنَى الْجَرْحِ إِلَّا بِقَرِينَةٍ، وَلَا قَرِينَةَ هُنَا، ثُمَّ هَلْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَحَاشَاهُ، هَلْ لَهُ أَظْفَارٌ يُجْرَحُ بِهَا؟! أَنْتَ الْآنَ فَرَزْتَ مِنْ شَيْءٍ أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَوَقَعْتَ فِي أَقْبَحَ مِنْهُ.

الثالث: التَّحْرِيفُ الْمَعْنَوِيُّ، وَهَذَا مَا أَكْثَرُهُ عِنْدَ أَهْلِ الْكَلَامِ! قَالُوا: إِنَّ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يَعْنِي: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)، فَهَمَّ أَبَقَوْا اللَّفْظَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ قَالُوا مَعْنَاهُ: (اسْتَوَى)، فَهَذَا عَطَّلُوا النَّصَّ عَنْ مَدْلُولِهِ، وَعَطَّلُوا اللَّهَ عَنْ صِفَةِ الْإِسْتَوَاءِ، فَصَارَ تَعْطِيلُهُمْ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: تَعْطِيلُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ.

الوجه الثاني: تَعْطِيلُ اللَّهِ عَنْ صِفَةِ الْإِسْتَوَاءِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ جَنَوْا عَلَى النَّصُوصِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: نَفَيْهِمُ الْمَعْنَى الظَّاهِرَ مِنْ سِيَاقِهَا، أَي: نَفَيْ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ جَنَائِدٌ، أَنْ تُتْلَى أَعْنَاقُ النَّصُوصِ إِلَى مَعْنَى آخَرَ.

الوجه الثاني: إِثْبَاتُ مَعْنَى لَمْ يُرِدْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَنَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ مَرَادٍ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، فَتَأَمَّلْ حَالَ هَؤُلَاءِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَالْأَلَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا، كَيْفَ وَقَعُوا فِي الْفَخِّ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ تَشْبِيهِ وَلَا تَمَثِيلٍ» لَمَّا قَرَنَهَا بِالتَّمَثِيلِ، فَمُرَادُهُ بِالتَّشْبِيهِ التَّكْيِيفُ، يَعْنِي: أَيْضًا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ لَا يُكَيِّفُونَ صِفَاتِ اللَّهِ أَبَدًا، لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ يَجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، رَقْمٌ (٢٨٠٣).
وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْخُرُوجِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، رَقْمٌ (١٨٧٦).

ذلك، ولهذا قال الإمام مالك - رحمه الله - : «الكَيْفُ مجهولٌ غيرُ معقولٍ»^(١)، فهم لا يُكَيِّفُونَ، لأنهم لو كَيَّفُوا لكان قولهم على الله بلا عِلْمٍ، إذ إنَّ اللهَ أَخْبَرَنَا عن الصِّفَاتِ، ولم يخبرنا عن الكيفيَّةِ.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَمَثِّلِ» أي: ولا يُمَثِّلون صِفاتِ الله بصِفاتِ الخَلْقِ، لا يمكن أن يتصوَّروا أنَّ وَجَهَ اللهِ مِثْلُ وَجَهِ المخلوقِ أبداً، ولا عَيْنُهُ، لكن يُثَبِّتُونَ العَيْنَ ويقولون: الله أعلم بكيفيَّتها، فصار مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ جامعاً بين إثباتِ ونفيِّ.

قَوْلُهُ: «إِبْتِائًا بِلا تَمَثِّلِ» رُدُّ على الممثِّلةِ، لأنَّ المُمَثِّلةَ غَلَّوْا في الإثباتِ.

قَوْلُهُ: «وَتَنْزِيهَا بِلا تَعْطِيلِ» رُدُّ على المعطِّلةِ، لأنَّ المعطِّلةَ غَلَّوْا في النفيِّ، فنَفَّوْا ما دَلَّت عليه التُّصوُّصُ غُلَّوْا في التَّنْزِيهِ، أمَّا أهلُ السُّنَّةِ فهم بين هؤلاء وهؤلاء، والحمدُ لله.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ شَبَّهَ اللهَ بِخَلْقِهِ فقد كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ ما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ فقد كَفَرَ، وليس ما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ، أو وَصَفَهُ به رَسولُهُ تَشْبِيهاً» هذه العبارةُ هي نصُّ عبارةِ نُعَيْمِ بنِ حَمَّادِ الخَزَاعِيِّ - رحمه الله^(٢) - شيخِ البخاريِّ، قال: «مَنْ شَبَّهَ اللهُ بِخَلْقِهِ فقد كَفَرَ، وَمَنْ جَحَدَ ما وَصَفَ اللهُ به نَفْسَهُ فقد كَفَرَ، وليس فيما وَصَفَ اللهُ

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٤١).

(٢) هو نعيم بن حماد بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك، الإمام، العلامة، الحافظ، أبو عبد الله الخزاعي، المروزي، صاحب التصانيف. قال صالح بن مسمار: سمعت نعيم بن حماد يقول: أنا كنت جهميًّا، فلذلك عرفت كلامهم، فلما طلبت الحديث، عرفت أن أمرهم يرجع إلى التعطيل. قال محمد بن سعد: طلب نعيم الحديث كثيرًا بالعراق والحجاز، ثم نزل مصر، فلم يزل بها حتى أشخص منها في خلافة أبي إسحاق - يعني: المعتصم - فسئل عن القرآن، فأبى أن يجيب فيه بشيء مما أرادوه عليه، فحبس بسامراء، فلم يزل محبوسًا بها حتى مات في السجن، سنة ثمان وعشرين ومائتين. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٦).

به نَفْسَه، أو رسوله تشبيهه»^(١).

قَوْلُهُ: «كَمَا أَنَا لَا نُبْغِضُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِتَسْمِيَةِ الرَّوَافِضِ لَنَا نَوَاصِبَ» الرَّوَافِضُ لَهُمْ قَاعِدَةٌ بَاطِلَةٌ تَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَكْرَهُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا»، أَوْ «مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا»، يَقُولُونَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ تُحِبُّونَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَالصَّحَابَةَ نَوَاصِبٌ، وَالنَّوَاصِبُ هُمُ الَّذِينَ يَنْصِبُونَ الْعِدَاوَةَ لِآلِ الْبَيْتِ، فَكُلُّ مَنْ أَبْغَضَ آلَ الْبَيْتِ فَهُوَ نَاصِبِيٌّ، وَعَلَى ذَلِكَ فَالْخَوَارِجُ نَوَاصِبٌ.

لَكِنْ نَحْنُ لَا نُبْغِضُ آلَ الْبَيْتِ وَنَرَى أَنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَفْضَلُ غَيْرَهُ بِقُرْبِهِ مِنَ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وَلَكِنَّا لَا نَكْرَهُ الصَّحَابَةَ، بَلْ نُحِبُّ الصَّحَابَةَ وَنَزِنُ لَهُمْ بِالْقِسْطِ.

أَمَّا الرَّوَافِضُ، فَالْقَاعِدَةُ عِنْدَهُمْ أَنَّ مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا، وَكَأَنَّ الْقُلُوبَ لَا تَتَحَمَّلُ أَنْ تُحِبَّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ.

هُمُ الْآنَ يُسَمُّونَ أَهْلَ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ يُسَمُّونَهُمْ نَوَاصِبَ تَشْنِيعًا، كَمَا أَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ يُسَمُّونَهُمْ مَثَلَةً، مُشَبَّهَةً، مُجَسِّمَةً، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «وَلَا نُكْذِبُ بِقَدْرِ اللَّهِ، وَلَا نَجْحَدُ كَمَا لَمْ يَشِئْتَهُ وَقَدْرَتَهُ لِتَسْمِيَةِ الْقَدْرِيَّةِ لَنَا مُجْبِرَةً» الْقَدْرِيَّةُ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا عِلَاقَةَ لَهُ فِي فِعْلِ الْعَبْدِ، وَمَنْ أَثْبَتَ أَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ بِمَشِئَةِ اللَّهِ فَهُوَ جَبْرِيٌّ.

قَوْلُهُ: «... فَإِنِّي الْيَوْمَ عَبْدٌ مُجَسِّمٌ» وَهَذِهِ هِيَ الْعِزَّةُ فِي الدِّينِ، يَعْنِي: لَا يَهْمُنَا أَنْ تَقُولُوا: مُجَسِّمٌ، أَوْ غَيْرُ مُجَسِّمٍ، فَإِنْ كَانَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَجْسِيمًا، فَأَنَا مُجَسِّمٌ.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٩٤).

فصل

«وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ، تَكَلَّمَ اللَّهُ بِهِ صِدْقًا، وَسَمِعَهُ مِنْهُ جِبْرَائِيلُ حَقًّا، وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَحْيًا، وَأَنَّ ﴿كَهَيَّصَ﴾ [مريم: ١] و﴿حَمْدًا﴾ [١] عَسَقَ ﴿الشُّورَى: ١-٢﴾ و﴿الرَّ﴾ [يونس: ١] و﴿قَ﴾ [ق: ١] و﴿تَ﴾ [القلم: ١] عَيْنُ كَلَامِ اللَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً، وَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالْقُرْآنِ الْعَرَبِيِّ الَّذِي سَمِعَهُ الصَّحَابَةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ جَمِيعَهُ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَيْسَ قَوْلُ الْبَشَرِ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ قَوْلُ الْبَشَرِ، فَقَدْ كَفَرَ، وَاللَّهُ يُضْلِيهِ سَقَرَ، وَمَنْ قَالَ: لَيْسَ لِلَّهِ فِي الْأَرْضِ كَلَامٌ فَقَدْ جَحَدَ رِسَالَةَ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ يُبَلِّغُ عَنْهُ كَلَامَهُ، وَالرَّسُولُ إِنَّمَا يُبَلِّغُ كَلَامَ مُرْسِلِهِ، فَإِذَا انْتَفَى كَلَامُ الْمُرْسِلِ انْتَفَتْ رِسَالَةُ الرَّسُولِ».

الشرح

نحن الآن في مقامِ مُناظرةٍ بين مُعطلٍ ومُثبتٍ، وهذا رأيُ المُثبتِ في كلامِ الله، والظاهرُ أنَّ هذا واقعٌ مع ابنِ القيمِ نفسه، وأنَّه حصلَ بينه وبين المُعطلِ مُناظرةٌ فتكلَّم بهذا الكلامِ، وما بعده بهذا الأسلوبِ البديعِ، وذلك فضلُ الله يؤتية مَنْ يشاءُ، والله ذو الفضلِ العظيمِ.

قوله: «وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَإِنِّي أَقُولُ: إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ» نقولُ في القرآنِ: القرآنُ كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، ولا يكفي قولنا: (مُنَزَّلٌ) فقط، بل نقولُ: (غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، لئلا يقول قائلٌ: هذا المطرُ مُنَزَّلٌ كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا﴾ [ق: ٩]، وبهيمة الأنعامِ مُنَزَّلَةٌ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ

الْأَنْعَمِ تَمَنِيَةَ أَرْوَاحٍ ﴿ [الزمر: ٦]، وهذا الحديدُ مُنَزَّلٌ، كما قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فلا بُدَّ أن نقول: (غَيْرُ مَخْلُوقٍ) حَتَّى لَا يَقُولَ قَائِلٌ: إِنَّ قَوْلَكُمْ: إِنَّهُ مُنَزَّلٌ لَا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ مَخْلُوقًا، ونقول: إِنَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، لَأَنَّهُ كَلَامٌ، والكلامُ صِفَةُ الْمُتَكَلِّمِ، وصفةُ المَخْلُوقِ مَخْلُوقَةٌ، وصفةُ الخَالِقِ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، ولهذا كان السَّلْفُ يقولون: (إِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ).

قَوْلُهُ: «منه بدأ» يعنى أن الله تعالى هو الذي تكلم به ابتداءً، لم يتكلم به جبريل، ولا محمد -عليهما الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «وإليه يعود» أي: يرجع، ولكن ما معنى العود هنا، هل هو عودٌ حَسْبِي، أو عودٌ حُكْمِي، أو هما؟ الجواب: هو عودٌ حَسْبِي، لَأَنَّهُ يُنَزَّعُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ، لا في صدور الرِّجَالِ، ولا في المصاحفِ، وهذا حين يُعْرَضُ النَّاسُ عَنْهُ إِعْرَاضًا كَلِيًّا، فَإِنَّهُ يُنَزَّعُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ، لَأَنَّ الْقُرْآنَ أَعْظَمُ وَأَجَلُّ مِنْ أَنْ يَبْقَى بَيْنَ قَوْمٍ لَا يَقِيمُونَ لَهُ وَزَنًا، أو يدوسونه بأرجلهم -والعياذُ بالله- كما أن الكعبةَ إِذَا أُعْرِضَ النَّاسُ عَنْهَا وَامْتَهَنُوهَا سَلَطَ اللَّهُ عَلَيْهَا (ذُو السُّؤْيَقَتَيْنِ) مِنَ الْحَبَشَةِ، يَهْدِمُهَا حَجْرًا حَجْرًا حَتَّى يُلْقِيَهَا فِي الْبَحْرِ^(١)، وذلك إِذَا عَتَا النَّاسُ فِيهَا، ولم يُقَدِّرُوهَا حَقَّ قَدْرِهَا، وهذا عودٌ حَسْبِي.

وَأَمَّا الْمَعْنَوِيُّ أَي: يعودُ إِلَيْهِ حُكْمًا بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يُنْسَبُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ، فَلَا يُقَالُ: الْقُرْآنُ كَلَامُ جِبْرِيلَ، وَلَا كَلَامُ مُحَمَّدٍ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ يَعودُ إِلَيْهِ

(١) بدلالة حديث النبي ﷺ: «يُحْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّؤْيَقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ». أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾، رقم (١٥١٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (٢٩٠٩).

وَصَفًّا وَحُكْمًا، لَأَنَّ الْكَلَامَ إِنَّمَا يُضَافُ حَقِيقَةً إِلَى مَنْ تَكَلَّمَ بِهِ أَوْ لَا إِلَى مَنْ بَلَغَهُ، فَلَوْ قَلْتُ:

قَفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ (١)

فهل هذه القصيدة لك أم أتمها لامرئ القيس^(٢)؟ الجواب: لامرئ القيس.

وكذلك ولو قلت:

بَانَتْ سَعَادٌ فَقَلْبِي الْيَوْمَ مَتَّبُولٌ (٢)

فهل هي لك أم أتمها لكعب بن زهير^(٤)؟ الجواب: لكعب بن زهير.

إِذْنُ إِذَا قُلْنَا: (هَذَا الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ)، فَهُوَ كَلَامُ اللَّهِ يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَدُلُّكَ لِهَذَا أَنَّ اللَّهَ نَسَبَهُ مَرَّةً إِلَى جَبْرِيلَ، وَمَرَّةً إِلَى مُحَمَّدٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كَلَامٌ وَاحِدٌ مَنْسُوبًا لِاثْنَيْنِ، لَكِنْ يُنْسَبُ إِلَيْهِمَا عَلَى سَبِيلِ التَّبْلِيغِ، فَجَبْرِيلُ بَلَغَهُ مُحَمَّدًا، وَمُحَمَّدٌ بَلَغَهُ أُمَّتَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١]، فالمرادُ بِالرَّسُولِ هُنَا جَبْرِيلُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) انظر: جهمرة أشعار العرب، لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ص: ٥١).

(٢) هو امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث الكِندي، مِنْ بَنِي آكِلِ الْمَرَارِ: أَشْهَرُ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، يَمَانِي الْأَصْلِ، مَوْلَدُهُ بَنَجْدُ، أَوْ بِمِخْلَافِ السَّكَّاسِكِ بِالْيَمَنِ، اشْتَهَرَ بِلَقْبِهِ، وَاخْتَلَفَ الْمُؤَرِّخُونَ فِي اسْمِهِ، فَقِيلَ: حُنْدُجٌ، وَقِيلَ مُلَيْكَةُ وَقِيلَ عَدْيٌ، وَكَانَ أَبُوهُ مَلِكٌ أَسَدٌ وَعَطْفَانٌ. انظر ترجمته في: الأعلام للزركلي (١١/٢).

(٣) انظر: المصدر السابق (ص: ٦٣٢).

(٤) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى - واسمه ربيعة - بن رياح بن قُرْط بن الحارث بن مازن المزني الشاعر المشهور، صحابيٌّ معروف، قال قصيدته (بانت سعاد) بين يدي النبي ﷺ فكساه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - بُرْدَةً لَهُ، فَاشْتَرَاهَا مَعَاوِيَةَ مِنْ وَكْدِهِ، فَهِيَ الَّتِي يَلْبَسُهَا الْخُلَفَاءُ فِي الْأَعْيَادِ. انظر ترجمته في: الإصابة لابن حجر (٥/٤٤٣).

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ﴿٤٢﴾﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢] فالمرادُ به محمدٌ ﷺ، إذن القرآنُ كلامُ الله.

قوله: «تكلّم الله به صدقًا، وسمعه منه جبرائيلُ حقًا» أفادنا المؤلفُ أنّ جبريلَ لم يتلقه من اللوح المحفوظ، وإنّا سمعناه من الله، والقولُ بـ(أنّ الله تكلّم به ثمّ أنزله إلى بيت العزّة في السماء الدنيا) هذا في النفسِ منه شيءٌ، وإن كان يُروى عن ابن عباسٍ ^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فالذي يظهرُ أنّ الله يتكلّم بالقرآن حين إنزاله، وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قَوْلٌ أَنْبِيَاءُ نَحْنُ نَسْمَعُ لِقَوْلِ رَبِّهِ الَّذِي يُنزِّلُ الْقُرْآنَ فَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] كما قال تعالى: ﴿وإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، ومعلومٌ أنّ القرآنَ نفسه ليس في زُبُرِ الْأَوَّلِينَ، إنّما الذي في زُبُرِ الْأَوَّلِينَ هو ذكره، فيحتملُ أنّ الذي في اللوح المحفوظ هو أنّ القرآنَ سيكونُ وينزلُ على محمدٍ ﷺ، وما أشبه ذلك، فيكونُ المرادُ بكونه في اللوح المحفوظِ ذكره، لكن يُضعفُ هذا الشيءَ نحو قولهِ تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، فإنّ ظاهره أنّ القرآنَ نفسه كُتِبَ في نفسِ اللوح المحفوظ، والله على كلّ شيءٍ قديرٌ، فقد يكتبه اللهُ في اللوح المحفوظ، ولكن لا يتكلّم به إلا عند إنزاله.

قوله: «وَبَلَّغَهُ مُحَمَّدًا ﷺ وَحَيًّا، وَأَنَّ ﴿كَهَيَعَصَّ﴾ [مريم: ١] و﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقَ﴾ [الشورى: ١-٢] و﴿الرَّ﴾ [يونس: ١] و﴿قَ﴾ [ق: ١] و﴿تَ﴾ [القلم: ١] عِينُ كلامِ الله حقيقةً...» المؤلفُ -رحمه الله- كرّرَ هذا، لأنّ من الناسِ مَنْ اختلفَ في هذا القرآنِ، فالجهميّةُ قالوا: (القرآنُ كلامُ الله مُنزَّلٌ، لكنّه مخلوقٌ، وأُضيفَ إلى الله على سبيلِ التّشريفِ، فإضافته إضافةٌ تشريفٍ وخلقٍ، وليست إضافةٌ صفةٍ إلى موصوفها).

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٥١٢٩)، وابن جرير (١٨٨/٣).

وقالت الأشاعرة: (إنَّ القرآنَ عبارةٌ عن كلامِ الله، خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيُعَبَّرَ عَمَّا فِي نَفْسِهِ).

وهم في الحقيقة قد تَلَاقُوا مع الْمُعْتَرِلةِ فيما ذهبوا إليه، بل قد يكونُ الْمُعْتَرِلةُ خيراً منهم من بعضِ الوجوه، لأنَّ الْمُعْتَرِلةَ يقولون: (هذا الذي بين أيدينا في المصحفِ هو كلامُ الله حقاً)، وأولئك يقولون: (ليس كلامُ الله، ولكنه عبارةٌ عن كلامِ الله)، والكلُّ قد اتَّفَقَ أنَّ ما بين أيدينا في المصحفِ مخلوقٌ، لكنَّ الْمُعْتَرِلةَ قالوا: (هو كلامُ الله)، وأولئك قالوا: (هو عبارةٌ عن كلامِ الله)، لأنَّ الأشاعرةَ من أصولِ مذهبهم الباطلة أنَّ الكلامَ هو المعنى القائمُ بالنفسِ، وليس هو الحرفَ والصَّوتَ، وقالوا: مُستحيلٌ أن يتكلَّمَ اللهُ بحرفٍ وصوتٍ، فانظر كيف خالَفُوا اللُّغَةَ وَحَكَمُوا على الله تعالى بعقولهم الفاسدة؟!!

«ونقول: إنَّ اللهَ فوقَ سمواتِهِ مُسْتَوٍ على عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، ليس في مخلوقاته شيءٌ من ذاته، ولا في ذاته شيءٌ من مخلوقاته، وإنَّه تعالى إليه يصعدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ، وَتَعْرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ إليه، وإنَّه يُدَبِّرُ الأمرَ من السَّماءِ إلى الأرضِ ثُمَّ يعرجُ إليه، وإنَّ المسيحَ رُفِعَ بذاته إلى الله، وإنَّ رسولَ الله ﷺ عَرَجَ به إلى الله حقيقةً، وإنَّ أرواحَ المؤمنين تصعدُ إلى الله عند الوفاة، فَتَعْرَضُ عليه، وَتَقِفُ بين يديه، وإنَّه تعالى هو القاهرُ فوق عباده، وهو العليُّ الأعلى، وإنَّ المؤمنين والملائكةَ المُقَرَّبِينَ يخافون ربَّهم من فوقهم، وإنَّ أيدي السَّائِلِينَ تُرْفَعُ إليه، وحوائبهم تُعْرَضُ عليه، فإنَّه - سبحانه - هو العليُّ الأعلى بكلِّ اعتبارٍ».

الشرح

هذه القطعة في بيان صفة العلوِّ الذاتيِّ، والاستواءِ على العرشِ، فنقول: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ عَرْشِهِ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ، وَفَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَفَسَّرَ الْبَيْنُونَهُ بِقَوْلِهِ: (لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ)، وليست البيئونةُ عدمَ المماسَّةِ مثلاً، هذا لا نعلمه، فلو قال قائلٌ: (إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ)، هل هو مُمَّسٌّ لِلْعَرْشِ، أَوْ غَيْرُ مُمَّسٍّ؟ نقولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ.

إِذَنْ مَا مَعْنَى الْبَيْنُونَةِ الَّتِي جَاءَتْ فِي كَلَامِ السَّلَفِ؟

معناها نفْيُ الخُلُولِ، فليس شيءٌ حالاً من المخلوقاتِ في ذاته، وليس شيءٌ من ذاته حالاً في المخلوقاتِ، لأنَّه فوقَ كُلِّ شيءٍ، وبهذا نَعْرِفُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا نَزَلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، لَا تَكُونُ السَّمَاوَاتُ الْأُخْرَى فَوْقَهُ، إِذْ لَوْ كَانَتْ فَوْقَهُ لَكَانَ حَالاً فِي الْمَخْلُوقَاتِ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، فَإِنَّهُ لَا يُحِيطُ بِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ أَبَدًا، بَلْ هُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

قَدْ تَعَجَّزُ عَنْ تَصَوُّرِ هَذَا الْأَمْرِ، وَلَكِنْ لَا غَرَابَةَ، فَنَحْنُ عَاجِزُونَ عَنْ تَصَوُّرِ كُلِّ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ لَنَا شَرْعًا أَنْ نَتَصَوَّرَهَا، يَعْنِي: نَحْنُ عَاجِزُونَ قَدْرًا عَنْ تَصَوُّرِهَا، وَلَا يَحِقُّ لَنَا شَرْعًا أَنْ نَتَصَوَّرَهَا، لِأَنَّ تَصَوُّرَهَا مَعْنَاهُ مَحَاوَلَةُ إِثْبَاتِ التَّكْيِيفِ، وَهَذَا أَمْرٌ مَمْتَنَعٌ، فَمَهْمَا قَدَّرْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ شَيْءٍ، فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْظَمُ وَأَجَلُّ، وَهَذَا لَيْسَ لَنَا الْحَقُّ فِي أَنْ نَتَفَكَّرَ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَصِفَاتِهِ، لِأَنَّ الْوَصُولَ إِلَيْهِ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ، فَعَلَى هَذَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَحِلُّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَلَا يَحِلُّ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى الْبَيْنُونَةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا السَّلَفُ فِي قَوْلِهِمْ: (بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ).

وأما العلوُّ فهو ثابتٌ أيضًا لله عزَّ وجلَّ لأنَّه العليُّ العظيمُ الأعلى، قال اللهُ تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقال تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وعُرِجَ بِالرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - إلى اللهِ، وكُلُّ هذا يدلُّ على علوه - سبحانه وتعالى - كُلُّ هذه المعاني لا تكونُ إِلَّا للعلوِّ، هكذا أثبتَ الموحدُ، أثبتَ الموحدُ أنَّ القرآنَ كلامُ اللهُ حقيقةً، وأنَّ اللهُ تعالى فوقَ عرشه بائنٌ من خَلْقِهِ، ننظر ماذا كان موقفُ المَعْطَلِّ؟

«فَلَمَّا سَمِعَ الْمَعْطَلُّ مِنْهُ ذَلِكَ أَمْسَكَ، ثُمَّ أَسْرَهَا فِي نَفْسِهِ، وَخَلَا بِشَيَاطِينِهِ وَبَنِي جِنْسِهِ، وَأَوْحَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، وَأَصْنَافَ الْمَكْرِ وَالِاحْتِيَالِ، وَرَأَمُوا أَمْرًا يُسْتَحْمَدُونَ بِهِ إِلَى نُظُرَائِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ، وَعَقَدُوا مَجْلِسًا بَيْتُوا فِي مَسَاءِ لَيْلَتِهِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللهُ مِنَ الْقَوْلِ، وَاللَّهُ بَا يَعْمَلُونَ مَحِيطًا، وَأَتَوْا فِي مَجْلِسِهِمْ ذَلِكَ بَمَا قَدَرُوا عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْيَانِ وَاللَّغَطِ وَالتَّخْلِيطِ، وَرَأَمُوا اسْتِدْعَاءَ الْمُثَبِّتِ إِلَى مَجْلِسِهِمْ الَّذِي عَقَدُوهُ، لِيَجْعَلُوا نُزُلَهُ عِنْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِمْ مَا لَفَّقُوهُ مِنَ الْكُذْبِ وَنَمَّقُوهُ، فَحَبَسَ اللهُ - سبحانه - عَنْهُ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ، فَلَمْ يَتَجَاسَرُوا عَلَيْهِ، وَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، فَلَمْ يَصِلُوا بِالسُّوءِ إِلَيْهِ، وَخَذَلَهُمُ الْمَطَاعُ فَمَزَّقَ مَا كَتَبُوهُ مِنَ الْمَحَاضِرِ، وَقَلَبَ اللهُ قُلُوبَ أَوْلِيَائِهِ وَجُنْدِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرٍ، وَأَخْرَجَ النَّاسَ لَهُمْ مِنَ الْمُحَبَّاتِ كَمَا تَنَهَّاهَا، وَمِنَ الْجَوَائِفِ وَالْمُنْقَلَاتِ دَفَائِنَهَا.

وقوى اللهُ جَأَشَ الْمُثَبِّتِ، وَثَبَّتَ قَلْبَهُ وَلسَانَهُ، وَشَيَّدَ بِالسُّنَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ بُيَانَهُ، فَسَعَى فِي عَقْدِ مَجْلِسٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خُصُومِهِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، وَحَكَّمَ عَلَى نَفْسِهِ كُتُبَ

شيوخ القوم السالفين، وأئمتهم المتقدمين، وأنه لا يستنصر من أهل مذهبه بكتاب، ولا إنسان، وأنه جعل بينه وبينكم أقوال من قلدتموه، ونصوص من على غيره من الأئمة قلدتموه، وصرح المثبت بذلك بين ظهرانيهم، حتى بلغه دانيهم لقاصيهم، فلم يُذعنوا لذلك، واستعفوا من عقده، فطالبهم المثبت بواحدة من خلال ثلاث: مناظرة في مجلس عام على شريطة العلم والإنصاف، تُحضر فيه النصوص النبوية، والآثار السلفية، وكتب أئمتكم المتقدمين من أهل العلم والدين، ف قيل لهم: لا مراكب لكم تُسابقون بها في هذا الميدان، وما لكم بمقاومة فرسانه يدان، فدعاهم إلى مكاتبتهم بما يدعون إليه، فإن كان حقا قبله، وشكركم عليه، وإن كان غير ذلك سمعتم جواب المثبت، وتبين لكم حقيقة ما لديه، فأبوا ذلك أشد الإباء، واستعفوا غاية الاستعفاء، فدعاهم إلى القيام بين الركن والمقام قياما في مواقف الابتهاج حاسري الرؤوس، نسأل الله أن ينزل بأسه بأهل البدع والضلال.

وظن المثبت - والله - أن القوم يُجيبون إلى هذا، فوظن نفسه عليه غاية التوطين، وبات يُحاسب نفسه، ويعرض ما يُثبته وينفيه على كلام رب العالمين، وعلى سنة خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتجرّد عن كل هوى يُخالف الوحي المبين، ويهنوي بصاحبه في أسفل السافلين، فلم يُجيبوا إلى ذلك أيضا، وأتوا من الاعتذار بما دل على أن القوم ليسوا من أولي الأيدي والأبصار، فحينئذ شمّر المثبت عن ساق عزمه، وعقد لله مجلسا بينه وبين خصمه، يشهده القريب والبعيد، ويقف على مضمونه الذكي والبليد، وجعله عقد مجلس التحكيم بين المعطل الجاحد، والمثبت المرمي بالتجسيم.

الشرح

الظاهرُ لي من كلامه هذا أنه يريد أن يقول: إنه مُثَبَّتٌ، ومُحَاكِمُ أهلِ التَّعْطِيلِ، فدَعَاهُمْ إلى هذه الخصالِ الثَّلَاثِ فَأَبَوْا، دَعَاهُمْ إلى المناظرةِ مُقَابِلَةً وَجْهًا لوجهٍ، فَأَبَوْا وامتنعوا عن الحضورِ إلى عالمِ حَقِّ يَحْكُمُ بينهم، ثُمَّ دَعَاهُمْ إلى الكتابةِ بأن يكتبَ لهم، ويكتبوا له، فامتنعوا أن يكتبَ لهم المُثَبِّتُ دليلَ ما أُثْبِتَ، لأنَّهم يعرفون أنَّهم لا طاقةَ لهم بِنَفْيِهِ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إلى المَبَاهِلَةِ^(١) بين الرُّكْنِ والمَقَامِ، لأنَّه إذا تَبَاهَلَ القَوْمُ حَقَّتْ العقوبةُ على مَنْ كان على خطأ، ولكنَّهم أَبَوْا، فَلَمَّا رأى أنَّ الأمورَ كُلَّهَا تَعَدَّرَتْ، وأنَّهم أَبَوْا كُلَّ الثَّلَاثِ، كَتَبَ هو مُنَاطِرَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ في القصيدةِ الآتيةِ، لِيَحْكُمَ الإنسانُ بما يراه من خلالِ هذه القصيدةِ لِمَنْ يكونُ الصَّوَابُ.

قَوْلُهُ: «نَسَأَلُ اللهَ أَنْ يُنَزِّلَ بِأَسِهِ بِأَهْلِ البِدْعِ وَالضَّلَالِ» هذا ليس دعاءً منه، لأنَّه هنا يحكي القصيدةَ، فيقول: إذا أُبَيِّتُمْ هذا نذهبُ إلى مَكَّةَ، ونَقِفُ بين الرُّكْنِ والمَقَامِ، وَنَبْتَهَلُ إلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وكما شَاهَدْنَا قُوَّةَ أُسْلُوبِ المَوْلَفِ -رحمه الله- وبيانه وفصاحته، وكُلُّ كُتُبِهِ على هذا النِّحْوِ تجدها في غايةِ ما يكونُ مِنَ البَيَانِ والفِصَاحَةِ والسَّلَاسَةِ، حتَّى إنَّ الإنسانَ إذا قرأها، أو صار يُرَاجِعُهَا لا يَمَلُّ، نَسَأَلُ اللهَ تَعَالَى أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَأَنْ يَجْزِيَهُ خَيْرًا.

(١) المَبَاهِلَةُ المُلَاعَنَةُ، وهو أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا لعنة الله على الظالم منا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: بهل.

«وقد خَاصَمَ في هذا المجلسِ باللهِ، وحاكَمَ إليه، وَبَرِيءٌ إلى اللهِ مِنْ كُلِّ هَوَىٰ
 وبدعةٍ وضلالةٍ، وَتَحَيَّرَ إلى فِئَةٍ غيرِ رسولِ الله ﷺ، وما كان أصحابُه عليه، واللهُ
 سبحانه المسئولُ أَلَّا يَكِلَهُ إلى نَفْسِهِ، ولا إلى شيءٍ مِمَّا لَدَيْهِ، وَأَنْ يُوقِّفَهُ في جميعِ حالاتِهِ
 لما يُحِبُّه ويرضاه، فَإِنَّ أَرْزَمَةَ الأُمُورِ بِيَدَيْهِ، وهو يَرْغَبُ إلى مَنْ يَقِفُ على هذه الحُكُومَةِ
 أَنْ يقومَ لله قيامَ مُتَجَرِّدٍ عن هَوَاهُ، قاصداً لِرِضَى مَوْلَاهُ، ثُمَّ يقرأها مُتَفَكِّراً، وَيُعِيدُهَا
 وَيُعيدُهَا مُتَدَبِّراً، ثُمَّ يَحْكُمُ فيها بما يُرْضِي اللهَ ورسولَهُ وعِبَادَهُ المُؤْمِنِينَ، ولا يقابلُهَا
 بالسَّبِّ والشَّتْمِ كَفَعْلِ الجاهِلِينَ والمعانِدِينَ، فَإِنْ رَأَى حَقًّا قَبْلَهُ، وشَكَرَ عليه، وَإِنْ
 رأى باطلاً رَدَّهُ على قائلِهِ، وأهدى الصَّوابَ إليه، فَإِنَّ الحَقَّ لله ورسولِهِ، والقصدُ أَنْ
 تكونَ كلمةُ السُّنَّةِ هي العُلْيَا جهادًا في الله، وفي سبيلِهِ، واللهُ عندَ لسانِ كُلِّ قائلٍ
 وَقَلْبِهِ، وهو المُطَّلِعُ على نِيَّتِهِ وكَسْبِهِ، وما كان أهلُ التَّعْطِيلِ أولياءَهُ، إِنْ أوليائِهِ إِلَّا
 المُتَّقُونَ المُؤْمِنُونَ المُصَدِّقُونَ، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ
 وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].»

الشرح

قَوْلُهُ: «وهو يَرْغَبُ إلى مَنْ يَقِفُ على هذه الحُكُومَةِ أَنْ يقومَ لله قيامَ مُتَجَرِّدٍ
 عن هَوَاهُ، قاصداً لِرِضَى مَوْلَاهُ» هو يَرْغَبُ مَنْ سَمِعَ هذه الحُكُومَةَ - ويريد بهذا
 القصيدةَ التَّوْنِيَّةَ - إلى مَنْ يَقِفُ على هذه الحُكُومَةِ أَنْ يقومَ لله قيامَ مُتَجَرِّدٍ عن
 هَوَاهُ... إلخ، نَسَأَلُ اللهَ أَنْ يجعلنا كذلك.

قَوْلُهُ: «فَإِنَّ الحَقَّ لله ورسولِهِ، والقصدُ أَنْ تكونَ كلمةُ السُّنَّةِ هي العُلْيَا جهادًا
 في الله، وفي سبيلِهِ» وذلك كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾

قَوْلُهُ: «قال الله تعالى: ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرَى اللَّهِ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]»، فالله عزَّ وجلَّ يرى ذلك بكتابه، ويرى ذلك بعينه - سبحانه وتعالى -.

وقوله: ﴿وَرَسُولُهُ﴾ يعني: يراه الرسول بحسب سنته، لأنَّ سُنَّةَ الرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - تَحْكُمُ عَلَى الْقَوْلِ بِأَنَّهُ حَقٌّ، أَوْ صِدْقٌ، فَكَأَنَّهُ رَأَاهُ.

فصل

«وهذه أمثال حسان مَضْرُوبَةٌ لِلْمُعْطَلِّ وَالْمُسَبَّهِ وَالْمُوَحَّدِ، ذَكَرْتُمَا قَبْلَ الشَّرْعِ فِي الْمَقْصُودِ، فَإِنَّ ضَرْبَ الْأَمْثَالِ مِمَّا يَأْتِي بِهِ الْعَقْلُ لِتَقْرِيْبِهَا الْمَعْقُولَ مِنَ الْمَشْهُودِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى وَكَلَامُهُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى أَعْظَمِ الْحُجَجِ، وَقَوَاطِعِ الْبَرَاهِينِ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وَقَدْ اشْتَمَلَ مِنْهَا عَلَى بَضْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَثَلًا، وَكَانَ بَعْضُ السَّلَفِ إِذَا قَرَأَ مَثَلًا لَمْ يَفْهَمْهُ يَشْتَدُّ بِكَأَوْهِ وَيَقُولُ: لَسْتُ مِنَ الْعَالِمِينَ، وَسَنْفَرُدُّهَا -إِنْ شَاءَ اللَّهُ- كِتَابًا مُسْتَقِيمًا مُتَضَمِّنًا لِأَسْرَارِهَا وَمَعَانِيهَا، وَمَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ»

الشرح

قَوْلُهُ: «وهذه أمثال حسان مَضْرُوبَةٌ لِلْمُعْطَلِّ وَالْمُسَبَّهِ وَالْمُوَحَّدِ»، فَهَؤُلَاءِ ثَلَاثَةٌ: مُعْطَلٌّ، وَمُسَبَّبٌ -يعني: مُمَثَّلًا- وَمُوَحَّدٌ.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ اشْتَمَلَ مِنْهَا عَلَى بَضْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ مَثَلًا»، وَهَذِهِ فَائِدَةٌ أَنَّ أَمْثَالَ الْقُرْآنِ بَضْعَةٌ وَأَرْبَعُونَ مَثَلًا، وَالْبَضْعَةُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى التَّسْعَةِ، فَأَمْثَالُ الْقُرْآنِ -سِوَاءِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، أَوِ الْآخِرَةِ، أَوِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، أَوِ الْعَامِلِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ- كُلُّهَا تَبْلُغُ بَضْعَةً وَأَرْبَعِينَ مَثَلًا، مَعَ أَنَّ الْقُرْآنَ أَبَيَّنُّ الْكَلَامِ وَأَوْضَحُهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَدْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنْ ضَرْبِ الْأَمْثَالِ، وَقَالَ: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وَ﴿الْعَالِمُونَ﴾ يَعْنِي: ذَوِي الْعِلْمِ، وَ﴿الْعَالِمُونَ﴾

هنا جمع مذكّر سالم، لكن هل هو جمع من (عامر) أو من (مذنب)؟ الجواب: من (مذنب)، لأن هذا وصف^(١).

قوله: «وَسَنُفَرِّدُهَا كِتَابًا مُسْتَقِلًّا مُتَضَمِّنًا لِأَسْرَارِهَا وَمَعَانِيهَا...» والحمد لله أن الله - سبحانه وتعالى - قد يسّر له فوقَ بها وعدّ، فله كتابٌ مستقلُّ اسمه: (أمثال القرآن).

«المثل الأول: ثيابُ المعطلِّ مُلَطَّخَةٌ بِعَدْرَةِ التَّحْرِيفِ، وَشَرَابُهُ مُتَغَيَّرٌ بِنَجَاسَةِ التَّعْطِيلِ، وَثِيَابُ الْمُشَبَّهِ مُتَضَمِّنَةٌ بِدَمِ التَّشْبِيهِ، وَشَرَابُهُ مُتَغَيَّرٌ بِفَرْثِ التَّمْثِيلِ، وَالْمَوْحَدُّ طَاهِرُ الثُّوبِ وَالْقَلْبِ وَالْبَدَنِ، يَخْرُجُ شَرَابُهُ ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبِنًا خَالِصًا سَائِفًا لِلشَّرِيبِينَ﴾ [النحل: ٦٦].»

الشرح

قوله: «ثيابُ المعطلِّ مُلَطَّخَةٌ بِعَدْرَةِ^(٢) التَّحْرِيفِ» وهذا بالنسبة إلى استعمالهم النصوص، فإنَّ المعطلَّ لم يستعملها استعمال السلف في إجرائها على ظاهرها، بل كان يحرّفها.

قوله: «وشرابه متغيرٌ بنجاسة التعطيل» هذا باعتبار عقيدته.

فالأول باعتبار استعماله للنصوص، والثاني باعتبار عقيدته، فإنه معطلٌّ للنصوص.

(١) انظر في ذلك قول ابن مالك - رحمه الله - في ألفيته:

وَأَرْفَعُ بَوَاوِي، وَيَا أَجْرُزُ وَأَنْصِبُ سَالِمَ جَمْعِ (عَامِرٍ) وَ(مُذْنِبٍ)

(٢) العَدْرَةُ: الغائط. انظر: لسان العرب، مادة: عذر.

قَوْلُهُ: «وِثَابُ الْمُشَبَّهِ مُتَضَمِّنَةٌ»^(١) بِدَمِ التَّشْبِيهِ، وَشَرَاهُ مُتَغَيِّرٌ بِدَمِ التَّمثِيلِ وَالظَّاهِرُ أَيْضًا أَنَّ الْمُشَبَّهَ عِنْدَهُ تَحْرِيفٌ لِلنُّصُوصِ، فَإِنَّهُ مُحَرَّفٌ لَهَا بِلا سَكِّ، لِأَنَّ التَّحْرِيفَ إِخْرَاجَ اللَّفْظِ عَمَّا يُرَادُ بِهِ، وَالْمُشَبَّهُ أَخْرَجَهُ عَمَّا يُرَادُ بِهِ بِلا سَكِّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ بِهَذِهِ النُّصُوصِ أَنْ يُثَبَّتَ مِمَّا لَتَهُ لِلْمَخْلُوقِينَ، بَلْ أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ كَمَا لَ صِفَاتِهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشَبَّهَ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَلَقَدْ بَيَّنَّا فِيهَا سَبَقَ أَنَّ كُلَّ صِفَةٍ أَضَافَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَإِنَّهَا لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَمِثُّهُ فِيهَا شَيْءٌ، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نَسْتَدَلَّ بِالْآيَةِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، بَلْ نَقُولُ: بِمَجْرَدِ إِضَافَتِهَا إِلَى اللَّهِ، فَإِنَّ فِيهَا دَلَالَةً عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ كَصِفَةِ الْمَخْلُوقِينَ، فَمِثْلًا: تُضَافُ (الْيَدُ) إِلَى (الْبَعِيرِ)، وَتُضَافُ إِلَى (الدَّرَّةِ)^(٢)، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْهَمَ أَحَدٌ أَنَّ يَدَ (الدَّرَّةِ) مِمَّاثِلَةٌ لِيَدِ (الْبَعِيرِ)، فَهَلْ يَلْزَمُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ لِّلدَّرَةِ يَدًا، وَلَيْسَتْ كَمِثْلِ يَدِ الْبَعِيرِ؟ لَوْ قُلْتَ ذَلِكَ لاسْتَخَفَّ النَّاسُ بِعَقْلِكَ، لِأَنَّ ذَلِكَ مَعْرُوفٌ، وَإِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾، فَأَضَافَ الْيَدَ إِلَيْهِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّهَا كـ(يَدِ) الْمَخْلُوقِ؟ الْجَوَابُ: لَا، بِلا سَكِّ، فَيَكُونُ ذِكْرُ الْأَدَلَّةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْمِثَالَةِ مِنْ بَابِ التَّوَكِيدِ كَمَا سَبَقَ.

فَأَقُولُ: إِنَّ الْمِثْلَ أَيْضًا ثَوْبُهُ مُتَضَمِّنٌ بِدَمِ التَّحْرِيفِ، لِأَنَّ أَدَلَّةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ لَا تَدُلُّ عَلَى التَّشْبِيهِ قَطْعًا.

(١) أي متلخصة. انظر النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ضمخ.

(٢) واحدة الدرر، وهو النمل الأحمر الصغير. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ذرر.

«المثل الثاني: شجرة المعطل مغروسة ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ [التوبة: ١٠٩]،
 وشجرة المشبه قد ﴿اجْتَثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]، وشجرة
 الموحد ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَصْرِبُ اللَّهُ
 الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [إبراهيم: ٢٥].»

الشرح

وهذا المثل واضح أيضاً، فشجرة المعطل مغروسة متمكنة، لكنّها على شفا^(١)
 جرف^(٢)، أدنى شيء يجرفها ويسقطها، أمّا المشبه الممثل فقد اجتثت من فوق
 الأرض ما لها من قرار، أي: وضعت وضعا على الأرض، فالأولى غائرة عروقتها،
 لكنّها على شفا جرف، وهذه عروقتها خارجة بارزة.

والسبب في ذلك أن المعطل يدعي أنه هو العاقل، وأن هذا هو مقتضى
 الأدلة، وأن هذا مثلاً ينزهه الله عنه، فظاهر مذهبه التنزيه، بخلاف المشبه، فكل
 إنسان يمكنه أن يردّ عليه، لأنه يقول: الله مثلي، أو مثل فلان، أو فلان، بخلاف
 ذلك، فإنه مموّه.

أما الموحد فإن شجرته أصلها ثابت وفرعها في السماء، لا تعصفها الرياح،
 ولا تُغيّرهما القلاقل، بل هي ثابتة، وفرعها في السماء عالٍ، فليست كشجرة المشبه
 اجتثت من فوق الأرض، ولا كشجرة المعطل التي بُنيت على شفا جرف هارٍ.

(١) الشفا: حَرْفٌ كُلُّ شَيْءٍ. انظر: تاج العروس، مادة: شفي.

(٢) الجرف ما أكل السيل من أسفل شق الوادي والنهر. انظر: لسان العرب، مادة: جرف.

«المثلُ الثالثُ: شجرةُ المعطلِّ شجرةُ الرِّقْمِ، فالحلُّوقُ السَّليمةُ لا تَبْلَعُها، وشجرةُ المُشَبِّه شجرةُ الحَنْظَلِ، فالنُّفوسُ المستقيمةُ لا تَتَّبِعُها، وشجرةُ الموحِّدِ طوبى «يسيرُ الرَّاكبُ في ظلِّها مئةَ عامٍ لا يَقْطَعُها»^(١).

الشرحُ

وهذا المثلُ واضحٌ أيضًا.

«المثلُ الرَّابِعُ: المعطلُّ قد اتخذ قلبه لوقايةِ الحرِّ والبردِ كَبَيْتِ العنكبوتِ، والمُشَبِّهٌ قد خَسِفَ بِعَقْلِهِ، فهو يَتَجَلَّجَلُ في أرضِ التَّشْبِيهِ إلى البَهْمُوتِ، وقلبُ الموحِّدِ يطوفُ حَوْلَ العرشِ ناظرًا إلى الحيِّ الذي لا يموتُ»

الشرحُ

الأوَّلُ: (المعطلُّ) قد بنى له بيتًا، لكنَّه كَبَيْتِ العنكبوتِ، وبيتُ العنكبوتِ كما قال ربُّنا عزَّ وجلَّ: ﴿أَوْهَكِ الْأَبْصَارَ﴾ [العنكبوت: ٤١].

الثَّاني: (المُشَبِّهُ) قد خَسِفَ به، فهو يَتَجَلَّجَلُ في أرضِ التَّشْبِيهِ إلى البَهْمُوتِ، والظَّاهِرُ أَنَّ (البَهْمُوتِ) الأرضَ العميقةَ التي يَنْبَهُمَ مَنْ يَقَعُ فيها، ولا يُعْلَمُ له حالٌ، ولا خبرٌ، فهو إذن غيرُ متبوعٍ، وغيرُ مَرَضِيٍّ، ولا يُنظَرُ إلى كلامِهِ إطلاقًا.

الثَّالثُ: (الموحِّدُ) فيقول: إنَّ قلبه يطوفُ حَوْلَ العرشِ، ناظرًا إلى الحيِّ الذي لا يموتُ، فهو مُرْتَفِعٌ بقلبه يَطَّلِعُ إلى الله - سبحانه وتعالى - ببصيرته كُلِّ حينٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١٨٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها، رقم (٢٨٢٧).

«المَثَلُ الخَامِسُ: مِصْبَاحُ المَعْطَلِ قَدْ عَصَفَتْ عَلَيْهِ أَهْوِيَةُ التَّعْطِيلِ فَطَفِيََ وَمَا أَنَارَ، وَمِصْبَاحُ المُشْبِهِ قَدْ غَرِقَتْ فَيْتِلُهُ فِي عَسْكَرِ التَّشْبِيهِ، فَلَا يُقْتَبَسُ مِنْهُ الأَنْوَارُ، وَمِصْبَاحُ المَوْحِدِ ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور: ٣٥].»

الشرح

قوله: «قد غرقت فَيْتِلُهُ فِي عَسْكَرِ التَّشْبِيهِ»، وفي نسخة: (فِي عَكْرِ التَّشْبِيهِ)، وهي الصَّحِيحَةُ، المَعْطَلُ أَوْقَدَ المِصْبَاحَ يَظُنُّ أَنَّهُ يَنْفَعُهُ، وَلَكِنْ جَاءَ الهَوَاءُ فَأَطْفَأَهُ، وَالمُشْبِهَةُ لَمْ يُوقَدْ أَصْلًا، لِأَنَّهُ وَضَعَ الفَيْتِيلَةَ فِي عَكْرِ الزَّيْتِ، وَلَمْ يَسْتَفِدْ شَيْئًا، وَعَكْرُ الزَّيْتِ هُوَ مَا يَكُونُ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ يَطْفُو عَلَى الزَّيْتِ، فَلَا تَصِلُ الفَيْتِيلَةُ إِلَى أَسْفَلِ.

«المَثَلُ السَّادِسُ: قَلْبُ المَعْطَلِ مُتَعَلِّقٌ بِالعَدَمِ، فَهُوَ أَحَقَرُّ الحَقِيرِ، وَقَلْبُ المُشْبِهِ عَابِدُ الصَّنَمِ الَّذِي قَدْ نُحِتَ بِالتَّصْوِيرِ وَالتَّقْدِيرِ، وَالمَوْحِدُ قَلْبُهُ مُتَعَبِّدٌ لِمَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ.»

الشرح

المُمَثَّلُ يَعْبُدُ صَنَمًا، وَالمَعْطَلُ يَعْبُدُ عَدَمًا، وَكُلُّ مِنْهُمَا خَبِيثٌ، وَلِذَا نَقُولُ: كُلُّ مُمَثَّلٍ فِي الوَاقِعِ مُعْطَلٌ، وَكُلُّ مُعْطَلٍ مُمَثَّلٌ أَيْضًا، وَلَا نَقُولُ: (وَلَيْسَ كُلُّ...)، لَكِنْ كَيْفَ يَكُونُ المُمَثَّلُ مُعْطَلًا؟ الجوابُ: نَقُولُ: هُوَ مُعْطَلٌ مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ:

الأوَّلُ: أَنَّهُ عَطَّلَ اللهُ مِنْ كَمَالِهِ الوَاجِبِ، حَيْثُ شَبَّهَهُ بِالمَخْلُوقِ، فَإِنَّ تَشْبِيهَ الكَامِلِ بِالنَّاقِصِ يَجْعَلُهُ نَاقِصًا، فَتَمَثِيلُهُ تَعْطِيلٌ لَللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الثاني: أَنَّهُ عَطَّلَ النَّصَّ الَّذِي أُثْبِتَ بِهِ الصِّفَةُ، فَإِنَّ النَّصَّ الَّذِي أُثْبِتَ بِهِ الصِّفَةُ - أَوْ الْمَائِلَةَ عَلَى زَعْمِهِ - قَدْ عَطَّلَهُ، لِأَنَّ النَّصَّ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى صِفَةٍ تَلِيقُ بِاللَّهِ، فَإِذَا أُثْبِتَ بِهِ التَّمثِيلَ عَطَّلَهُ عَنْ مُرَادِهِ بِلا شَكِّ، وَلَمْ يُرِدِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حِينَما وَصَفَ نَفْسَهُ بِها وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ أَنْ يَفْهَمَ عِبَادُهُ أَنَّهُ مُمَثِّلٌ لِخَلْقِهِ أَبَدًا، إِنَّمَا أَرَادَ الْمَعْنَى وَالصِّفَةَ الَّتِي تَلِيقُ بِهِ.

الثالث: أَنَّ الْمُمَثِّلَ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ التَّمثِيلِ، فَهُوَ عَطَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، لِأَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مِثْلَهُ شَيْءٌ، وَعَطَّلَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وَاسْتَكْبَرَ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ [النحل: ٧٤]، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَصَارَ الْمُمَثِّلُ مُعَطَّلًا مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ.

وَالْمُعَطَّلُ مُشَبَّهٌ أَيْضًا مِنْ وَجْهَيْنِ:

الوجه الأول: أَنَّهُ إِذَا نَفَى صِفَةً عَنِ اللهِ، فَإِنَّهُ شَبَّهَهُ بِمَنْ خِلا مِنْ تِلْكَ الصِّفَةِ، فَمِثْلًا إِذَا قَالَ: (لَيْسَ اللهُ بِسَمِيعٍ) يَعْنِي: لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ، شَبَّهَهُ بِالْأَصَمِّ، وَإِذَا قَالَ: (إِنَّ اللهُ لَا يَنْزِلُ، وَلَا يَسْتَوِي، وَلَا يَفْعَلُ) شَبَّهَهُ بِالْأَشْلُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ فِعْلٌ، وَإِذَا قَالَ: (لَيْسَ لَهُ عَيْنٌ) شَبَّهَهُ بِالْأَعْمَى، وَهَكَذَا، فَهُوَ بِنَفْيِهِ مُشَبَّهٌ.

الوجه الثاني: أَنَّهُ إِنَّمَا عَطَّلَ لِاعْتِقَادِهِ أَنَّ هَذِهِ الْأَدْلَةَ تَدُلُّ عَلَى التَّشْبِيهِ، يَقُولُ مِثْلًا: إِثْبَاتُ الْيَدِ مَعْنَاهَا الْمِثْلُ، وَإِثْبَاتُ الْعَيْنِ مَعْنَاهَا الْمِثْلُ، وَهَكَذَا، فَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْكَرُ هَذِهِ الصِّفَةَ، حَتَّى لَا أَقَعَ فِي التَّمثِيلِ، فَيَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «مَثَلُوا أَوْلًا، وَعَطَّلُوا آخِرًا»^(١). وَبِهَذَا نَعْرِفُ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - أَنَّ كِلَا الطَّرِيقَيْنِ سَيِّئٌ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَخَذَ مِنَ الْبَاطِلِ بِنَصِيبٍ.

(١) انظر: الفتوى الحموية (ص: ٢٦٧).

«المثل السابع: نُقُودُ الْمُعْطَلِّ كُلُّهَا زُيُوفٌ، فَلَا تَرْوِجُ عَلَيْنَا، وَبِضَاعَةُ الْمُشْبَهِ كَاسِدَةٌ، فَلَا تَنْفُقُ لَدَيْنَا، وَتِجَارَةُ الْمُوَحِّدِ يُنَادَى عَلَيْهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَى رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ: ﴿هَذِهِ بَضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.»

الشرح

الزُيُوفُ: هي المغشوشة، والزَيْفُ: العيبُ، والمعنى أَنَّ الْمُعْطَلَّ عنده نقودٌ، ولكنها كُلُّهَا مَعِيبةٌ، والمُمَثَّلُ نُقُودُهُ كَاسِدَةٌ، أي: رَخِيصَةٌ لا تساوي شيئاً، وكانَ المؤلِّفَ -رحمه الله- يرى أَنَّ الْمُعْطَلَّ عنده مِنَ الحِرصِ، وَعَرْضِ التِّجَارَةِ أَكْثَرُ ممَّا عند المُشْبَهِ، وَأَنَّ النَّاسَ أَيضاً يَعْتَرُونَ به أَكْثَرُ مِنَ المُشْبَهِ، ولهذا تجدون التَّعْطِيلَ في الأُمَّةِ كَثِيراً، لكنَّ التَّشْبِيهَ لم تُثَبِّتْ عليه قَدَمٌ، حتى إِنَّ بَعْضَهُم يَقُولُ: إِنَّ مَذْهَبَ التَّشْبِيهِ كانَ في الأَوَّلِ، وَأَنَّهُ بعدَ ذلك زال وأنمَحَى مِنَ الوجودِ.

أَمَّا تِجَارَةُ الْمُوَحِّدِ، فَإِنَّ كُلَّ النَّاسِ يَرِغِبُهَا، وَإِذَا ظَفَرَ بِهَا قالَ: ﴿هَذِهِ بَضَعُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾.

«المثل الثامن: الْمُعْطَلُّ كَنَافِعِ الكِيرِ، إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا حَبِيئَةً، وَالمُشْبَهُ كَبَائِعِ الحَمْرِ، إِمَّا أَنْ يُسْكِرَكَ، وَإِمَّا أَنْ يُنَجِّسَكَ، وَالمُوَحِّدُ كَبَائِعِ المِسْكِ، إِمَّا أَنْ يُحْذِيكَ، وَإِمَّا أَنْ يَبِيعَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رَائِحَةً طَيِّبَةً.»

الشرح

قَوْلُهُ: «المُشْبَهُ كَبَائِعِ الحَمْرِ، إِمَّا أَنْ يُسْكِرَكَ، وَإِمَّا أَنْ يُنَجِّسَكَ» هذا بناءٌ على المشهورِ عند أهلِ العلمِ مِنَ أَنَّ الحَمَرَ نَجِيسَةٌ، أَمَّا على ما أَخْتارُهُ، فَنَجَّاسَتُهَا مَعْنَوِيَّةٌ.

«المثل التاسع: المعطلُّ قد تخلفَ عن سفينة النجاة، ولم يركبها، فأدركه الطوفان، والمُشبهُ قد انكسرت به في اللجة، فهو يُشاهدُ الغرقَ بالعيان، والمُوحدُ قد ركبَ سفينة نوح، وقد صاح به الربان: ﴿أرْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبَهَا وَمُرسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.»

«المثل العاشر: منهلُ المعطلِّ ﴿كسرابٍ بَقِيعةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ فرجع خاسئًا حسيراً، ومشربُ المُشبهِ من ماءٍ قد تغيَّر طعمه ولونه وريحه بالنجاسة تغييراً، ومشربُ المُوحدِ ﴿مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾.»

وقد سمَّيتها بـ(الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)، وهذا حينُ الشروع في المحاكمة، والله المُستعان، وعليه التكلان، ولا حولَ ولا قُوَّةَ إلا بالله.»

الشرح

قوله: «وهذا حينُ الشروع في المحاكمة» (حين) كقوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾، فالظرفُ قد يتسلطُ عليه الفعل، فيصحُّ أن يُسندَ ويُسندَ إليه.

وهذه الأمثالُ عجيبةٌ تدلُّ على قُدرة المؤلف -رحمه الله- على صياغة الأساليب والألفاظ، فكونه يجمعُ هذا الجمعَ يدلُّ على أنه عجيَّبٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١- حُكْمُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ مَا لِلصُّدُودِ بَفْسُخِ ذَاكَ يَدَانِ
- ٢- أَنَّى وَقَاضِي الْحُسْنِ نَفَذَ حُكْمَهَا فَلِذَا أَقْرَبَ بِذَلِكَ الْحَضَمَانِ
- ٣- وَأَنْتَ سُهُودُ الْوَصْلِ تَشْهَدُ أَنَّهُ حَقٌّ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْإِحْسَانِ
- ٤- فَتَأَكَّدَ الْحُكْمُ الْعَزِيزُ فَلَمْ يَجِدْ فَسُخَ الْوُشَاةِ إِلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
- ٥- وَلَا جِلِّ ذَا حُكْمِ الْعُدُولِ تَدَاعَتْ أَلْ أَرْكَانُ مِنْهُ فَخَرَّ لِلأَذْقَانِ
- ٦- وَأَتَى الْوُشَاةُ فَصَادَفُوا الْحُكْمَ الَّذِي حَكَمُوا بِهِ مُتَيَقِّنَ الْبُطْلَانِ
- ٧- مَا صَادَفَ الْحُكْمَ الْمَحَلَّ وَلَا هُوَ اسْمُهُ تَوَفَى الشُّرُوطَ فَصَارَ ذَا بُطْلَانِ
- ٨- فَلِذَاكَ قَاضِي الْحُسْنِ أَثْبَتَ مُحَضَّرًا بِفَسَادِ حُكْمِ الْهَجْرِ وَالسُّلُوانِ
- ٩- وَحَكَى لَكَ الْحُكْمَ الْمَحَالَّ وَنَقَضَهُ فَاسْمَعِ إِذَنْ يَا مَنْ لَهُ أُذُنَانِ
- ١٠- حُكْمُ الْوُشَاةِ بَعِيرٍ مَا بُرْهَانِ إِنَّ الْمَحَبَّةَ وَالصُّدُودَ لَدَانِ
- ١١- وَاللَّهُ مَا هَذَا بِحُكْمٍ مُقْسِطٍ أَيْنَ الْغَرَامُ وَصَدُّ ذِي هِجْرَانِ^(١)!
- ١٢- شَتَّانَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ فَإِنْ تُرِدْ جَمْعًا فَسَا الضُّدَّانِ يَجْتَمِعَانِ

(١) في نسخة الإفتاء «الهجران»، معرف بـ(ال).

- ١٣- يَا وَالَهَا هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ
 إِذْ بَاعَهَا غَبْنًا بِكُلِّ هَوَانٍ
- ١٤- أَتَبِيعُ مَنْ تَهَوَّاهُ نَفْسُكَ طَائِعًا
 بِالصَّدِّ وَالتَّعْذِيبِ وَالهِجْرَانِ؟!!
- ١٥- أَجِهَلْتَ أَوْصَافَ الْمَبِيعِ وَقَدْرَهُ
 أَمْ كُنْتَ ذَا جَهْلِ بِذِي الْأَثْمَانِ؟!!
- ١٦- وَاهَا لِقَلْبٍ لَا يُفَارِقُ طَيْرُهُ أَلَا
 أَغْصَانَ قَائِمَةً عَلَى الْكُثْبَانِ
- ١٧- وَيَظَلُّ يَسْجَعُ فَوْقَهَا وَلِغَيْرِهِ
 مِنْهَا الثَّمَارُ، وَكُلُّ قِطْفٍ دَانٍ
- ١٨- وَيَبِيتُ يَبْكِي وَالْمُوَاصِلُ ضَاحِكٌ
 وَبِظَلِّ يَشْكُو وَهُوَ ذُو سُكْرَانٍ
- ١٩- هَذَا وَلَوْ أَنَّ الْجَمَالَ مُعَلَّقٌ
 بِالنَّجْمِ هَمَّ إِلَيْهِ بِالطَّيْرَانِ

الشرح

ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بَعْدَ الْمُقَدِّمَةِ أَنَّ هَذَا حِينَ الشَّرُوعِ فِي الْمَحَاكِمَةِ، فَبَدَأَ بِهَذَا النَّظْمِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ الَّذِي يُظْهِرُ فِيهِ التَّغَزُّلَ، وَهَذَا مِنْ شَأْنِ الشُّعْرَاءِ إِذَا أَرَادُوا الدَّخُولَ فِي شَيْءٍ مُهِمٍّ أَتَوْا بِمَا يَدُلُّ عَلَى التَّغَزُّلِ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَنْتَهِيَ النَّفْسُ، وَتَسْتَعِدَّ لِفَهْمِ مَا يَقَعُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَقَدْ جَاءَ مِثْلُ ذَلِكَ بَيْنَ يَدَيْ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِ الشَّاعِرِ: بَانَتْ سَعَادُ... إلخ^(١)، لِأَنَّ حُضُورَ النَّفْسِ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَهَذَا التَّعْلُقُ يَهَيِّئُهَا لِتَلْقَى إِلَيْهَا أَمْرٌ مَطْلُوبٌ.

والمسألة هنا ليست بالهَيِّئَةِ، فالمسألة محاکمةٌ بين أهل الإثبات، وأهل التَّعْطِيلِ، فالقصيدة كُلُّهَا محاکمةٌ بين أهل الإثبات، وأهل التَّعْطِيلِ، ولذلك قَدَّمَ لها المؤلف هذه المقدمة العظيمة.

(١) أخرجه الحاكم (٣/٦٧٠)، والبيهقي (٢١١٤٢).

فالمختصة: أن المؤلف ذكّر المحبة وشئونها، ثم ذكر بعد ذلك المحبوب ليتنقل إلى المقصود، فقال - رحمه الله -:

١- حُكْمُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ مَا لِلصُّدُودِ بِفَسْخِ ذَاكَ يَدَانِ

٢- أَنِّي وَقَاضِي الْحُسْنِ نَفَذَ حُكْمَهَا فَلِذَا أَقْرَبَ بِذَلِكَ الْخَصْمَانِ

قَوْلُهُ: «حُكْمُ الْمَحَبَّةِ ثَابِتُ الْأَرْكَانِ» يعني أن له حبيباً يُحِبُّهُ، محبةً ثابتةً لا تتغير.

قَوْلُهُ: «مَا لِلصُّدُودِ بِفَسْخِ ذَاكَ» أي: بِفَسْخِ ذَاكَ الْحُكْمِ.

قَوْلُهُ: «يَدَانِ» أي: قُدْرَةَ.

إِذْهُ هُوَ تَصَوَّرَ الْآنَ أَنَّ لَهُ حَبِيبًا يُحِبُّهُ، وَأَنَّ صُدُودَ هَذَا الْحَبِيبِ قَدْ يَفْسَخُ الْحُكْمَ، وَهُوَ ثُبُوتُ أَرْكَانِ الْمَحَبَّةِ.

لَكِنَّهُ يَقُولُ: لَا يُمْكِنُ، فَهِيَ مَحَبَّةٌ عَظِيمَةٌ، حَتَّى لَوْ صَدَّ الْحَبِيبُ، فَإِنَّهَا ثَابِتَةٌ لَا تَتَغَيَّرُ.

قَوْلُهُ: «أَنِّي» أي: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَخَ الصُّدُودُ هَذِهِ الْأَرْكَانَ؟

قَوْلُهُ: «وَقَاضِي الْحُسْنِ نَفَذَ حُكْمَهَا» قَاضِي الْحُسْنِ أَي: تَصَوَّرَ أَنَّ هُنَاكَ قَاضِيًا حَسَنَ الْقَضَاءِ نَفَذَ الْحُكْمَ، وَهُوَ ثُبُوتُ أَرْكَانِ الْمَحَبَّةِ.

قَوْلُهُ: «الْخَصْمَانِ» الْخَصْمَانِ اللَّذَانِ بَيْنَ أَيْدِينَا الْآنَ هُمَا الْمَحَبَّةُ وَالصُّدُودُ، لَمَّا حَكَّمَ الْقَاضِي بِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَخَ الصُّدُودُ حُكْمَ الْمَحَبَّةِ، أَقْرَبَ الْخَصْمَانِ بِذَلِكَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ.

٣- وَأَتَتْ شُهُودُ الْوَصْلِ تَشْهَدُ أَنَّهُ حَقٌّ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْإِحْسَانِ

بعد أن ذكر المحبة، وأن الصدود لا يمكن أن يفسحها، قال:

«وَأَتَتْ شُهُودُ الْوَصْلِ» أي: بين الحبيب والمحبوب.

«تَشْهَدُ أَنَّهُ حَقٌّ جَرَى فِي مَجْلِسِ الْإِحْسَانِ» وإذا كانت شهود الوصل تشهد بأنه

حق، صار هذا يزيد الحكم ثباتاً ورُسوخاً، ولا سيما وأنه جرى في مجلس الإحسان.

والإحسان - كما هو معلوم - مرتبة فوق العدل كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ

بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠].

٤- فَتَأَكَّدَ الْحُكْمُ الْعَزِيزُ فَلَمْ يَجِدْ فَسَخَ الْوُشَاةَ إِلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَأَكَّدَ الْحُكْمُ الْعَزِيزُ» هذا التأكد من جهة حكم القاضي، ومن جهة

الشهود.

قَوْلُهُ: «الْوُشَاةَ» أي: النمامين الذين يريدون إفساد الناس بتقليل كلام بعضهم

في بعض.

٥- وَلَا أَجَلَ ذَا حُكْمِ الْعُدُولِ تَدَاعَتْ أَلْ أَرْكَانُ مِنْهُ فَخَرَّ لِلْأَذْقَانِ

قَوْلُهُ: «الْعُدُولِ» أي: اللائم، والمعنى: بعدما ثبت الحكم على هذا الوجه

صار اللوم على محبة هذا الحبيب، تداعت له الأركان، ولم يثبت.

٦- وَآتَى الْوُشَاةَ فَصَادَفُوا الْحُكْمَ الَّذِي حَكَمُوا بِهِ مُتَيَقِّنَ الْبُطْلَانَ

قَوْلُهُ: «الْوُشَاةَ» أي: النمامون، حيث أتوا ليفسدوا الحكم الأول، فوجدوا أنه

لا طاقة لهم بذلك، ووجدوا أن ما حكموا به - وهو الوشاية - متيقن البطلان.

٧- مَا صَادَفَ الْحُكْمَ الْمَحَلَّ وَلَا هُوَ اسْمٌ تَوَفَى الشُّرُوطَ فَصَارَ ذَا بُطْلَانٍ

لأنَّ من شَرَطِ صِحَّةِ الْحُكْمِ وَتَفَاقُذِ الْحُكْمِ أَنْ يُصَادَفَ مَحَلَّهُ، بَأَن يَكُونَ الْمَحْكُومَ عَلَيْهِ قَابِلًا، وَأَن تَتِمَّ الشُّرُوطُ، وَهَؤُلاءِ الْوُشَاةُ حُكْمُهُمْ مَا صَادَفَ الْمَحَلَّ، وَلَا اسْتَوَفَى الشُّرُوطَ.

٨- فَلِذَلِكَ قَاضِي الْحُسْنِ أَثَبَّتَ مَحْضَرًا بِفَسَادِ حُكْمِ الْهَجْرِ وَالسُّلْوَانِ

قَوْلُهُ: «قَاضِي الْحُسْنِ» أَي: الْحَاكِمُ الَّذِي سَبَقَ الْكَلَامَ عَلَيْهِ، فَقَاضِي الْحُكْمِ أَثَبَّتَ مَحْضَرًا بِفَسَادِ حُكْمِ الْهَجْرِ وَالسُّلْوَانِ، وَالْمَحْضَرُ هُوَ مَا نُسِّمِيهِ بِالصِّكِّ، كَتَبَ قَاضِي الْحُسْنِ صِكًّا أَنَّهُ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَسْلُوَ عَنْ مَحْبُوبِهِ، وَلَا أَنْ يَهْجُرَهُ.

٩- وَحَكَى لَكَ الْحُكْمَ الْمَحَالَ وَنَقَضَهُ فَاسْمَعِ إِذْنَ يَأْمَنُ لَهُ أُذُنَانِ

مَعْنَاهُ أَنَّ قَاضِي الْحُسْنِ الَّذِي أَثَبَّتَ أَنَّ حُكْمَ الْمَحَبَّةِ ثَابِتٌ حَكَى لَكَ الْحُكْمَ.

قَوْلُهُ: «وَنَقَضَهُ» أَي الَّذِي يَصْدُرُ مِنَ الْوُشَاةِ.

١٠- حُكْمُ الْوُشَاةِ بِنِهَايَةِ مَا بُرِّهَانَ إِنْ الْمَحَبَّةَ وَالصُّدُودَ لَدَانَ

يَعْنِي: أَنَّهُمَا ضِدَّانِ لَا يَمْكُنُ أَنْ يَجْتَمِعَا، فَالْمَحَبَّةُ إِذْنٌ ثَابِتَةٌ، وَلَيْسَ لَهَا مُعَارِضٌ، فَبَطُلَ حُكْمُ الْوُشَاةِ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ التَّفْرِيقَ.

١١- وَاللَّهُ مَا هَذَا بِحُكْمٍ مُقْسِطٍ أَيْنَ الْغَرَامُ وَصَدُّ ذِي هَجْرَانِ؟!

١٢- شَتَّانَ بَيْنَ الْحَالَتَيْنِ فَإِنْ تُرِدَ جَمْعًا فَمَا الضَّدَّانِ يَجْتَمِعَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ مَا هَذَا بِحُكْمٍ مُقْسِطٍ» أَي: حُكْمِ الْوُشَاةِ الَّذِينَ يَحَاوِلُونَ التَّفْرِيقَ

بَيْنَ الْحَبِيبِ وَمَحْبُوبِهِ.

قَوْلُهُ: «أَيْنَ الْغَرَامِ وَصَدُّ ذِي هِجْرَانٍ» يعني: كيف يمكن أن يكون الغرام؟
و(الغَرَامُ) هو المحبة اللازمة، و(صَدُّ ذِي هِجْرَانٍ) لا يمكن، لأنَّ الغرام ينافي الصَّدَّ.

١٣- يَا وَالِهَا هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ إِذْ بَاعَهَا غَبْنًا بِكُلِّ هَوَانٍ

قَوْلُهُ: «الْوَالِهُ» هو شديدُ المَحَبَّةِ، أو شديدُ التَّحَيُّرِ، والأول أظهرُ في هذا السياق.

قَوْلُهُ: «هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ إِذْ بَاعَهَا غَبْنًا بِكُلِّ هَوَانٍ»، لأنَّ الغالب أنَّ الإنسان
المغرَّم يَخْضَعُ لِخَلِيلِهِ، ويوافقُه على الحَسَنِ والسَّيِّئِ، فالذي تَهُونُ عليه نَفْسُهُ يبيعها
بكلِّ هَوَانٍ.

١٤- أَتَبِيعُ مَنْ تَهَوَّاهُ نَفْسُكَ طَائِعًا بِالصَّدِّ وَالتَّعْذِيبِ وَالهِجْرَانِ؟!!

والاستفهامُ هنا للإنكار!

١٥- أَجْهَلْتَ أَوْصَافَ الْمَبِيعِ وَقَدْرَهُ؟ أَمْ كُنْتَ ذَا جَهْلٍ بِذِي الْأَثْمَانِ؟

قَوْلُهُ: «أَوْصَافَ الْمَبِيعِ» هذا باعتبار النوع.

قَوْلُهُ: «وَقَدْرَهُ» باعتبار الكيفية.

قَوْلُهُ: «أَمْ كُنْتَ ذَا جَهْلٍ بِذِي الْأَثْمَانِ» يعني: أم أنت جاهلٌ بالثَّمَنِ الذي
بَدَلْتَ تَطْنَهُ رَفِيعًا وهو رخيصٌ.

١٦- وَاهَا لِقَلْبٍ لَا يُفَارِقُ طَيْرُهُ الْ- أَغْصَانَ قَائِمَةً عَلَى الْكُثْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَاهَا» كلمةٌ توجِّعُ يعني: يتوجَّع لهذا القلبِ الذي طَيْرُهُ لا يفارق
الأغصان.

قَوْلُهُ: «قَائِمَةً» أي: الطَّيْرُ على الكُثْبَانِ.

١٧- وَيَظَلُّ يَسْجَعُ فَوْقَهَا وَلِغَيْرِهِ مِنْهَا الثَّمَارُ وَكُلُّ قِطْفٍ دَانَ

يعني: هذا الطير يسجع على الأغصان، فالقلب موجه، والثمار لغيره، كأنه يقول - رحمه الله -: إن من أشد البلاء أن يتعلق القلب بشيء، وتكون الثمار لغيره.

١٨- وَيَبِيتُ يَبْكِي وَالْمُوَاصِلُ ضَا حِكُّ وَيَظَلُّ يَشْكُو وَهُوَ ذُو سُكْرَانِ

وهذا حق، فإذا كان الإنسان متعلقاً بحبيبه، وحصل منه هجران، وصادق آخر، فإن الأول يبكي، والثاني ضاحك.

قوله: «ويظل يشكو، وهو ذو سُكران»، وفي نسخة: «وهو ذو هجران» والثانية أقرب للصواب، أنه يشكو وهو مهجور، لأن حبيبه قد صد عنه.

١٩- هَذَا وَلَوْ أَنَّ الْجَمَالَ مُعَلَّقٌ بِالنَّجْمِ هَمَّ إِلَيْهِ بِالطَّيْرَانِ

والكلام - كما قلنا - غزل، فيقول: لو أن محبوبه الجميل معلق بالنجم، لهم إليه بالطيران ليصل إليه.

٢٠- اللَّهُ زَائِرَةٌ بَلِيلٍ لَمْ تَخَفْ عَسَسَ الْأَمِيرُ وَمَرَّ صَدَّ السَّجَانِ

٢١- قَطَعَتْ بِلَادَ الشَّامِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

٢٢- وَأَتَتْ عَلَى وَاوِي الْعَقِيقِ فَجَاوَزَتْ مِيقَاتَهُ حَلًّا بِلَانُكْرَانِ

٢٣- وَأَتَتْ عَلَى وَاوِي الْأَرَاكِ وَلَمْ يَكُنْ قَصْدًا لَهَا فَالْبَانَ سَتْرَانِي

٢٤- وَأَتَتْ عَلَى عَرَفَاتٍ ثُمَّ مُحَسَّرٍ وَمَنِي فَكَمْ نَحْرَتُهُ مِنْ قُرْبَانِ؟!

٢٥- وَأَتَتْ عَلَى الْجَمْرَاتِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ ذَاتَ السُّتُورِ وَرَبَّةَ الْأَرْكَانِ

- ٢٦- هَذَا وَمَا طَافَتْ وَلَا اسْتَلَمَتْ وَلَا
رَمَتْ الْجِمَارَ وَلَا سَعَتْ لِقِرَانِ
- ٢٧- وَرَقَّتْ عَلَى أَعْلَى الصَّافَا فَتِيَمَّمَتْ
دَارًا هُنَالِكَ لِلْمُحِبِّ^(١) الْعَانِي
- ٢٨- أَتَرَى الدَّلِيلَ أَعَارَهَا أَثْوَابَهُ
وَالرَّيْحَ أَعْطَتْهَا مِنَ الْخَفَقَانِ!؟
- ٢٩- وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الدَّلِيلَ مَكَانَهَا
مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ فِي إِمْكَانِ
- ٣٠- هَذَا وَلَوْ سَارَتْ مَسِيرَ الرِّيحِ مَا
وَصَلَتْ بِهِ لَيْلًا إِلَى نُعْمَانِ
- ٣١- سَارَتْ وَكَانَ دَلِيلَهَا فِي سَيْرِهَا
سَعْدُ السُّعُودِ، وَلَيْسَ بِالدُّبْرَانِ
- ٣٢- وَرَدَتْ جِفَارَ الدَّمْعِ وَهِيَ غَزِيرَةٌ
فَلِذَلِكَ مَا احْتَاجَتْ وَرُودَ الضَّانِ
- ٣٣- وَعَلَتْ عَلَى مَتْنِ الْهَوَى وَتَزَوَّدَتْ
ذَكَرَ الْحَبِيبِ وَوَضَلَهُ الْمُتَدَانِي
- ٣٤- وَعَدَتْ بِزُورَتِهَا فَأَوْفَتْ بِالَّذِي
وَعَدَتْ وَكَانَ بِمُلْتَقَى الْأَجْفَانِ
- ٣٥- لَمْ يَفْجَأِ الْمُشْتَقَّ إِلَّا وَهِيَ دَا
خَلَةُ السُّتُورِ بغيرِ مَا اسْتِئْذَانِ
- ٣٦- قَالَتْ وَقَدْ كَشَفَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ مَا
بِالصَّيْرِ لِي عَنْ أَنْ أَرَكَ يَدَانِ
- ٣٧- وَتَحَدَّثْتُ عِنْدِي حَدِيثًا خَلْتُهُ
صِدْقًا وَقَدْ كَذَبْتُ بِهِ الْعَيْنَانِ
- ٣٨- فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ مِنْ فَرَحِي بِهِ
طَمَعًا وَلَكِنَّ الْمَنَامَ دَهَانِي
- ٣٩- إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي
فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْكَاذِبِ الْفَتَّانِ
- ٤٠- جَهْمُ بِنِ صَفْوَانَ وَشَيْعَتِهِ الْأَلَى
جَحَدُوا صِفَاتِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

(١) في عدد من النسخ المخطوطة: «للمحبت»، وهما سائغان.

- ٤١- بَلْ عَطَّلُوا مِنْهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
وَالْعَرْشَ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٤٢- وَنَفَّوْا كَلَامَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَقَضَّوْا لَهُ بِالْحَلْقِ وَالْحِدْثَانِ
- ٤٣- قَالُوا وَلَيْسَ لِربَّنَا سَمْعٌ وَلَا
بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!
- ٤٤- وَكَذَلِكَ لَيْسَ لِربَّنَا مِنْ قُدْرَةٍ
وَإِرَادَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ وَخَنَانِ
- ٤٥- كَلَّا وَلَا وَصْفٌ يَقُومُ بِهِ سِوَى
ذَاتِ مُجَرَّدَةٍ بَغَيْرِ مَعَانِ
- ٤٦- وَحَيَاتُهُ هِيَ نَفْسُهُ، وَكَلَامُهُ
هُوَ غَيْرُهُ، فَاعْجَبْ لَذَا الْبُهْتَانِ
- ٤٧- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ
أَحَدٌ يَكُونُ خَلِيلَهُ النَّفْسَانِ
- ٤٨- وَخَلِيلُهُ الْمُحْتَاجُ عِنْدَهُمْ وَفِي
ذَا الْوَصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ
- ٤٩- فَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لِذَاتِهِ
فِي أَسْرِ قَبْضَتِهِ ذَلِيلٌ عَانِ
- ٥٠- وَلَا جُلَّ ذَا ضَحَى بِجَعْدِ خَالِدِ الْـ
قَسْرِي يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
- ٥١- إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ
كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمِ الدَّانِي
- ٥٢- شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ
لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

الشرح

- ٢٠- لله زائرةٌ بليلٍ لم تحف
عسس الأمير ومرصد السجان
- ٢١- قطعت بلاد الشام ثم تيممت
من أرض طيبة مطلع الإيمان
- ٢٢- وأنت على وادي العقيق فجاوزت
ميقاته جلاً بلا نكران

- ٢٣- وَأَتَتْ عَلَى وَايِ الْأَرَاكِ وَلَمْ يَكُنْ
 قَصْدًا لَهَا فَأَلَا بِأَنْ سَتَرَانِي
- ٢٤- وَأَتَتْ عَلَى عَرَفَاتٍ ثُمَّ مُحَسَّرٍ
 وَمِنِّي فَكَمْ نَحَرْتُهُ مِنْ قُرْبَانِ!؟
- ٢٥- وَأَتَتْ عَلَى الْجَمْرَاتِ ثُمَّ تَيَمَّمَتْ
 ذَاتَ السُّتُورِ وَرَبَّةَ الْأَرْكَانِ
- ٢٦- هَذَا وَمَا طَافَتْ وَلَا اسْتَلَمَتْ وَلَا
 رَمَتْ الْجِمَارَ وَلَا سَعَتْ لِقِرَانِ
- ٢٧- وَرَقَّتْ عَلَى أَعْلَى الصَّفَا فَتَيَمَّمَتْ
 دَارًا هُنَالِكَ لِلْمُحِبِّ الْعَانِي
- ٢٨- أَتَرَى الدَّلِيلَ أَعَارَهَا أَثْوَابَهُ
 وَالرَّيْحَ أَعْطَتْهَا مِنَ الْخَفْقَانِ!؟
- ٢٩- وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الدَّلِيلَ مَكَانَهَا
 مَا كَانَ ذَلِكَ مِنْهُ فِي إِمْكَانِ
- ٣٠- هَذَا وَلَوْ سَارَتْ مَسِيرَ الرِّيحِ مَا
 وَصَلَتْ بِهِ لَيْلًا إِلَى نُعْمَانِ
- ٣١- سَارَتْ وَكَانَ دَلِيلُهَا فِي سَيْرِهَا
 سَعْدُ الشُّعُودِ، وَلَيْسَ بِالدُّبْرَانِ
- ٣٢- وَرَدَتْ جِفَارَ الدَّمْعِ وَهِيَ غَزِيرَةٌ
 فَلِذَلِكَ مَا احْتَاجَتْ وَرُودَ الضَّانِ
- ٣٣- وَعَلَّتْ عَلَى مَتْنِ الْهَوَى وَتَزَوَّدَتْ
 ذِكْرَ الْحَبِيبِ وَوَضَلَهُ الْمُتَدَانِي
- ٣٤- وَعَدَّتْ بِزُورَتِهَا فَأَوْفَتْ بِالَّذِي
 وَعَدَتْ وَكَانَ بِمُلْتَقَى الْأَجْفَانِ
- ٣٥- لَمْ يَفْجَأِ الْمُشْتَاقَ إِلَّا وَهِيَ دَا
 خِلَةُ السُّتُورِ بِغَيْرِ مَا اسْتِئْذَانِ
- ٣٦- قَالَتْ وَقَدْ كَشَفَتْ نِقَابَ الْحُسْنِ مَا
 بِالصَّيْرِ لِي عَسَى أَنْ أَرَكَ يَدَانِ

لما ذكر -رحمه الله- المحبوبة، وكيف طَوَّت هذه الفيافي^(١) من الشام إلى المدينة، إلى مواضع النُّسك: عرفاتٍ والمحسَّرِ ومِنِّي، وعمِلتْ كُلَّ الأشياءِ وَسَعَتْ،

(١) هي البراري الواسعة، جُمعَ فيقَاء. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: فيف.

ومع ذلك ما طابت نفسها حتى وَصَلَتْ إلى حبيبها، وهو يراها كأنه في المنام بين النوم واليقظة، ويحدثها، يقول:

٣٧- وَتَحَدَّثْتُ عِنْدِي حَدِيثًا خَلْتُهُ صِدْقًا وَقَدْ كَذَبْتُ بِهِ الْعَيَّانِ

٣٨- فَعَجِبْتُ مِنْهُ وَقُلْتُ مِنْ فَرَحِي بِهِ طَمَعًا وَلَكِنَّ الْمَنَامَ دَهَانِي

كما أن هؤلاء المعطلة يتحدثون للناس حديثًا يظنه الغبيُّ صدقًا، ولكنه كَذِبٌ، ولهذا قال لها:

٣٩- إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةَ الَّذِي حَدَّثْتَنِي فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْكَاذِبِ الْفَتَّانِ

٤٠- جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ^(١) وَشَيْعَتِهِ الْأَلَى جَحَدُوا صِفَاتِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

قوله: «الكَاذِبِ الْفَتَّانِ»: هو جهم بن صفوان، وأبيها أعظم: كَذِبُهَا، أو كَذِبُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ؟ الجواب: طبعًا، كَذِبُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، فالجهم قد جمع بين هاتين الرذيلتين: الكذب والفتنة، فقد كذب على الله عزَّ وجلَّ وكَذَّبَ اللهُ أَيْضًا، لأنه قال: إِنَّ الله تعالى ليس له صفات، وفتن العالم بما عنده من الشبهات.

لكن انظر إلى حُسنِ تَخَلُّصِ الْمُؤَلَّفِ - رحمه الله - وانتقاله من هذه القصة العجيبة التي تجعل الإنسان يسيِّرُ بقلبه من الشام إلى المدينة إلى مكة إلى المشاعر، ثم في النهاية تنتقل هذا الانتقال الذي هو في الحقيقة مطلبٌ عظيم، لكن لا نشعر به، فننتقل من أمورٍ مُصَوَّرَةٍ أنها حِسِّيَّةٌ إلى أمورٍ مَعْنَوِيَّةٍ بهذه السهولة، وهذا فضل الله

(١) جهم بن صفوان هو: أبو مُحْرَزِ السَّمْرَقَنْدِيِّ، رأس الجهميَّة من أكذب الناس على الله تعالى وأعظمهم فتنةً وضلالةً في الدِّين، وكان من أعظم الناس نفيًا لصفات الله تعالى وأسمائه، قال الذهبي في الميزان: ما علمته روى شيئًا، لكنه زرع شرًا عظيمًا، هلك زمن التابعين سنة (١٢٨هـ). [الشارح]. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٠٤).

يؤتيه مَنْ يشاء، والمؤلف - رحمه الله - معروف بأنه قويٌّ جِدًّا في أسلوبه، حتى إنَّ أساليبه - رحمه الله - تدخل في الإنسان كما يدخل النومُ للرَّجل السهران.

والجهم بن صفوان هذا لا بُدَّ أن نعرف أنه من تِرْمِذٍ^(١)، وأنه تلقى مقالة التَّعْطِيلِ عن الجعد بن دِرْهَمٍ^(٢)، والجعد بن دِرْهَمٍ هو أول مَنْ قال بالتعطيل.

فالجعدُ تكلم في مسألتين فقط: إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً، ثم أخذها عنه الجهم بن صفوان، وصار يناظر بهما، ويدعو إلى هذا المذهب، وانتشر المذهب على يده، فلهذا نُسب إليه، وصار يُسمَّى مذهب الجهمية، لا مذهب الجعدية، لأنه هو الذي نشره، وهو مبنيٌّ على تعطيل صفات الله، فأول ما كان أنهم عطَّلوا صفات الله، ثم غلَّوا فَعَطَّلُوا الأسماء والصفات، ثم غلَّوا وعَطَّلُوا كُلَّ ما يدل على ثبوت، ثم غلَّوا وعَطَّلُوا كُلَّ ما يدل على ثبوت، أو انتفاء، وقالوا: لا يصح أن يوصف الله بنفي، ولا إثبات.

فقال: إن الله - سبحانه وتعالى - (لم يتخذ إبراهيم خليلاً)، و(لم يكلم موسى تكليماً)، لأنَّ (الخليل) مأخوذ من الخِلَّة، والخِلَّة عندهم - أي عند المُعْطِلة - مأخوذة من الخِلَّة - بالكسرة - بمعنى الحاجة، فاتخذ إبراهيم خليلاً، أي: محتاجاً إلى رَبِّه.

(١) مدينة مشهورة من أممات المدن، والمشهور من أهل هذه البلدة أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَةَ الترمذي الضرير، صاحب الصحيح، أحد الأئمة الذين يُقتدى بهم في علم الحديث. انظر: معجم البلدان (٢/٢٦).

(٢) الجعد هو: الجعد بن درهم من الموالي، مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة - يعني العراق - وأخذ عنه مروان بن محمد، أو تأدب عليه في صغره، قُتِلَ (سنة ١١٨). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/١٥١)، تاريخ الإسلام (٤/٢٣٨)، ميزان الاعتدال (١/ترجمة ١٤٨٢)، لسان الميزان (٢/ترجمة ٤٢٧)، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي (١/٣٢٢).

قال: (ولم يكلم موسى تكليماً)، لأنَّ الكلام -عندهم- مخلوقٌ، فلم يصدر من الله تعالى كلامٌ، هذا أول ما نشأ التّعطيل.

ومعلوم أنَّ هذين الأصلين: انتفاء المحبة، وانتفاء الكلام يسقطُ بهما كلَّ الدّين، لأنَّ العابدِين لله تعالى إنما يعبدونه محبةً، ويعبدونه بكلامه الذي هو شرُّعه، فإذا بطل هذا وهذا، فلن يبقى شيءٌ، فمن أجل هذه المصيبة العظيمة حصل ما حصل.

قوله: «الألى» بمعنى: الذين.

قوله: «جحدوا صفات الخالق الديان» أي: أنكروها.

واعلم أنَّ جحد الصفات نوعان: تكذيبٌ، وتأويل.

أما التكذيب: فهذا كفر لا إشكال فيه، ولا يجوز أن يتوقف فيه أحد، مثل أن يقول: إنَّ الله لم يستو على العرش، ولم يؤوّل، أو: إنَّ الله تعالى لم يخلق الخلق، ولم يؤوّل، وهذا لا شك أنه كفر.

وأما جحد التأويل: فيُنظر، إذا كان للتأويل مساعٌ في اللغة العربية، فإنه لا يكفر، لكن يكون فاسقاً، وإذا لم يكن له مساعٌ، فهو كالجاحد جحد تكذيب.

فمثلاً هذا رجل قال: والله لا أشتري خبزاً، وذهب واشترى خبزاً، فقلنا: عليك كفارة يمين، قال: لا، أنا ما قصدت خبزاً، بل قصدتُ بعيراً، فهذا لا يُقبل أبداً، لأنَّ هذا لا يمكن في اللغة العربية، أمّا إذا كان يمكن فنعم.

كما قال الحريري في مقاماته^(١):

وَطالما مرَّ بي كلبٌ وفي فيه
ثورٌ ولكنه ثورٌ بلا ذنبٍ

(١) انظر: مقامات الحريري (ص: ٤٧٦).

هل يمكن أن يكون ثورٌ بِقَمِ الكلب؟ الجواب: لا، ولكن له تأويل، لأنَّ الثور يطلق في اللغة العربية على قُرْصٍ مِنَ اللَّبَنِ الجافِّ، وهذا ممكن، أما شيءٌ لا يمكن، فلا نَقْبَلُ التأويل فيه، فيكون كَجَحْدِ التَّكْذِيبِ.

ومثله أيضًا مَنْ قال في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] قال: إنَّ الله لا يجيء، فهذا جَحْدٌ تكذيبٍ، فيكون كُفْرًا، وإذا قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ يعني: جاء أمر ربك، فهذا إنكارٌ تأويلٍ.

فهم جَحَدُوا صِفَاتِ الخَالِقِ الدِّيَانِ، وقالوا: إنَّ الله ليس له صفة.

سبحان الله! فالله سَمِيَ نَفْسَهُ بأنه سَمِيعٌ، بصيرٌ، عليمٌ، قالوا: أبدًا، ما له صِفَةٌ.

فقاعدتهم: (كل وَصَفٍ يَتَّصِفُ به الإنسان، فالله لا يَتَّصِفُ به) لماذا؟

قالوا: لأنه إذا اتَّصَفَ بِوَصْفٍ يَتَّصِفُ به المخلوق فهذا تشبيهٌ، والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فإذا قيل لهم: ما تقولون في الصفات الموجودة؟ قالوا: هذه الصفات تعبير عن الذات، فَصِفَاتُهُ هي ذاته، ليست معنَى آخَرَ سِوَى الذاتِ، فَعَطَّلُوا صفات الله عزَّ وجلَّ بهذه الحجة الباطلة.

يقول - رحمه الله -:

٤١- بَلْ عَطَّلُوا مِنْهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشَ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ

هم ينكرون شيئين: العُلُوَّ والاستِواءَ.

أنكروا عُلُوَّ الله عزَّ وجلَّ وقالوا: لا يمكن أن يَعْلُو، لأننا لو أثبتنا عُلُوَّهُ لَزِمَ

من ذلك أن يكون جِسْمًا، والأجسام عندهم مُتَمَائِلَةٌ.

وأنكروا أيضًا استواءه على العرش، قالوا: ما استوى على العرش، لأنه لو استوى على العرش لكان محدودًا على محدود، لأنَّ العرش محدود له قوائم، فإذا قلت: (استوى عليه) لزم أن يكون محدودًا على محدود، وهذا يقتضي تمثيل الخالق بما له حدُّ، هذه شبهتهم.

لكن يقول في الرَّدِّ عليهم: إِنَّ اللَّهَ أَثَبْتُ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَلُزُومُ الْأَى يَكُونُ مُسْتَوِيًّا عَلَيْهِ إِلَّا الْمَحْدُودُ، هَذَا إِنَّمَا هُوَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ، أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

٤٢- وَنَفَسُوا كَلَامَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَضَّوْا لَهُ بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ
قالوا: الله لا يتكلم، وإنما يخلق كلامه فيسمع، وقالوا: إن الله تعالى كلم موسى، أي: خلق أصواتًا سمعها موسى نُسِبَتْ إلى الله عزَّ وجلَّ.
ونُسبَتْها إلى الله عزَّ وجلَّ من باب التَّشْرِيفِ والتَّكْرِيمِ، كَنَاقَةِ اللَّهِ، وَبَيْتِ اللَّهِ، وما أشبه ذلك.

ولولا أن هذا قيلَ ما صدَّقنا، إذ كيف يكون كلامُ الرَّبِّ عزَّ وجلَّ مخلوقًا وهو صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ؟!

أنت الآن عندما تتكلم، هل هو كمثل ما لو عَجَنْتَ عَجِينَةً؟ الجواب: لا.
فالكلام صفة المتكلم، هم قالوا: إنه مخلوق، لأننا لو أثبتنا أنه يتكلم لزم قيام الحوادث به، لأنَّ الكلام -كما نعلم- حادث، فقولنا: (بسم الله الرحمن الرحيم)، الباءُ قَبْلَ السَّيْنِ، وَالسَّيْنُ قَبْلَ المِيمِ، فَهُوَ حَادِثٌ، وَلَا يَقُومُ الْحَادِثُ إِلَّا بِحَادِثٍ، إذن أمحُ كَوْنُ الْكَلَامِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ.

انظر كيف زين لهم الشيطان ذلك؟!

نردُّ عليهم بأنَّ الله تعالى أثبت أنه يُكَلِّم، فقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] وقد قرأها بعضهم (وَكَلَّمَ اللَّهُ موسى) فجعل المتكلم موسى، ولكنهم بهتوا حين قيل لهم اقرؤوا قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] فلا يستطيعون، لكن مع ذلك أصروا على باطلهم - والعياذ بالله - والله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَمَنْ لَّا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] وقال: ﴿مَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَكَلَّا هَادِيًّا لَهُ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

قوله: «وَقَضُوا لَهُ بِالْخَلْقِ وَالْحَدَثَانِ» يقول ابن القيم - رحمه الله -^(١) في مواضع من كلامه: القول بأنَّ القرآن مخلوق يُبطلُ الشريعةَ كُلَّهَا، لأنه إذا كان مخلوقًا صار عبارةً عن أصواتٍ كأصوات الرعد، ليس فيها أمرٌ، ولا نهيٌ، ولا خبرٌ، ولا استخبارٌ، أو صار حروفًا إن كُتِبَ، وكأنها نقوش على باب، فكلمة (قُل) لا تدلُّ على أمرٍ، وكلمة (لا تفعل) لا تدل على نهي، إنما خلق الله هذه النقوش.

وهذا كما قال ابن القيم إذا قلنا: كلام الله مخلوق، بطل الأمر والنهي، ولا شريعة، ولا خبر، ولا قصص، وقالوا أيضًا:

٤٣- قَالُوا وَلَيْسَ لِرَبِّنَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!

يعني: ليس له سمعٌ، ولا بصرٌ، لكن كيف ذلك والله تعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١] قال: هذا سمع بذاته، لا بمعنى هو السمع، ولا بوصف هو السمع، فهو سميعٌ بذاته، بصيرٌ بذاته، أي أن السمع والبصر هو الذات.

(١) انظر - على سبيل المثال -: مختصر الصواعق المرسله (ص: ٣٥٧).

فهو يقول: لأنك لو أثبتَّ لله صفةً قديمةً لَزِمَ من ذلك تَعَدُّدُ القَدَماءِ، فلو قلت: (الله سَمْعٌ قَدِيم) يعني: لم يكن حَادِثًا، بَصَرٌ قَدِيم، عِلْمٌ قَدِيم، قُدْرَةٌ قَدِيمَة، لزم تَعَدُّدُ القَدَماءِ.

وهذا كلام في الحقيقة لا يُعْقَلُ أصلاً، فضلاً عن أن يكون حقاً.

قَوْلُهُ: «فكيف يدان» يعني: فكيف يكون له يدان؟

وقَوْلُهُ: «فكيف يدان» يعني: كيف الثنتان؟! والشيء إذا ثُنِيَ معناه أنه مُقَدَّر، يعني: المفرد قد يكون المراد به الجِنس، فَيَعْمُ أكثر، لكن (يدان) محدود، كيف يكون لله (يدان)؟!!

فنحن نقول في الرَدِّ عليهم: إنَّ الله أثبتَ لِنَفْسِهِ سَمْعًا وَبَصْرًا وَوَجْهًا وَيَدَيْنِ، وَكُنَّا أَعْلَمَ بالله مِن نَفْسِهِ، بل هو عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُ بِنَفْسِهِ وَبِغَيْرِهِ.

٤٤- وَكَذَلِكَ لَيْسَ لِرَبِّنَا مِنْ قُدْرَةٍ وَإِرَادَةٍ أَوْ رَحْمَةٍ وَحَنَانٍ

أيضاً يقولون: إنَّ الله ليس له قُدْرَةٌ، فإذا قيل لهم: الله على كلِّ شيءٍ قدير؟

قالوا: (قدير بذاته)، ليس له وصف هو القُدْرَةُ، وليس له أيضاً إرادة، أو رحمة وحنان، والحنان أَلَطْفُ مِنَ الرَّحْمَةِ.

٤٥- كَلَّا وَلَا وَصْفٌ يَقُومُ بِهِ سِوَى ذَاتِ مُجَرَّدَةٍ بِغَيْرِ مَعَانٍ

هذا مذهب الجَهْمِيَّةِ الذين يقولون: لا يمكن أن تصِفَ الله بأيِّ صِفَةٍ، لا بُيُوتِيَّة، ولا سَلْبِيَّة، وهؤلاء هم الغُلَاة، ووافقهم على ذلك المُعْتَرِزِلَةُ، إِلَّا أَنَّ المُعْتَرِزِلَةَ أثبتوا الحياة والعِلْمَ والقُدْرَةَ، لأنه لا يمكن أن يقومَ الخَلْقُ إِلَّا بِذَلِكَ.

٤٦- وَحَيَاتُهُ هِيَ نَفْسُهُ، وَكَلَامُهُ هُوَ غَيْرُهُ، فَاعْجَبْ لِدَا الْبُهْتَانِ
حَيَاتُهُ نَفْسُهُ، وَسَمْعُهُ نَفْسُهُ، وَبَصَرُهُ نَفْسُهُ، أَمَا كَلَامُهُ فَيَقُولُ الْمَوْلَفُ: (كَلَامُهُ
هُوَ غَيْرُهُ) لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ عِنْدَهُمْ، وَالْمَخْلُوقُ غَيْرُ الْخَالِقِ.

قَوْلُهُ: «فَاعْجَبْ لِدَا الْبُهْتَانِ» أَمَرَ أَنْ نَعْجَبَ، وَنَحْنُ نَمَثَلُ أَمْرَهُ، أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ
الْكَلَامِ، وَبَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؟ يَقُولُونَ: الْكَلَامُ غَيْرُ اللَّهِ، لِأَنَّهُ مَخْلُوقٌ
مُنْفَصِلٌ، وَأَمَّا الْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ وَالْقُدْرَةُ، فَهِيَ نَفْسُ اللَّهِ دُونَ زِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى.

٤٧- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا لَهُ مِنْ خَلْقِهِ أَحَدٌ يَكُونُ خَلِيلَهُ النَّفْسَانِي

٤٨- وَخَلِيلُهُ الْمُحْتَاجُ عِنْدَهُمْ وَفِي ذَا الْوَصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الْأَوْثَانِ

٤٩- فَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ لِذَاتِهِ فِي أَسْرِ قَبْضَتِهِ ذَلِيلٌ عَانَ

قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا خَلِيلَ لَهُ، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَتَّخِذَ خَلِيلًا، لِأَنَّهُمْ نَفَّوْا
أَصْلَ الْمَحَبَّةِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُحِبُّ، لِمَاذَا؟ قَالُوا: لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ لَا تَكُونُ
إِلَّا بَيْنَ شَيْئَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَمَعْلُومٌ الْفَرْقُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

لَكِنْ هَلْ كَلَامُهُمْ هَذَا مَعْقُولٌ أَوْ مَحْسُوسٌ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَالْمَحَبَّةُ تَكُونُ بَيْنَ
شَيْئَيْنِ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ، وَتَكُونُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ بَيْنَهُمَا أَعْظَمُ الْفُرُوقِ.

الآن نَحْنُ نَشَاهِدُ أَنَّنَا نُحِبُّ بَعْضَ الْأَدْوَاتِ دُونَ بَعْضٍ، إِنْسَانٌ مَثَلًا عِنْدَهُ
قَلَمٌ سَهْلٌ السَّيْرِ، مَا يَنْتَقِطِعُ، وَقَلَمٌ آخَرَ بِالْعَكْسِ، وَالْمَحَبَّةُ تَكُونُ لِلْأَوَّلِ.

وَهَذَا شَخْصٌ عِنْدَهُ نَاقَةٌ -مَثَلًا- ذَلُولٌ حَبِيبَةٌ، وَنَاقَةٌ صَعْبَةٌ، أَيُّهَا أَحَبُّ إِلَيْهِ؟

الْجَوَابُ: الذَّلُولُ.

وآخر عنده سَيَّارَةٌ مِنْ أَفْخَمِ السَّيَّارَاتِ، وَسَيَّارَةٌ مِنْ أَرْدَا السَّيَّارَاتِ، أَهْبَهُمَا أَحَبُّ إِلَيْهِ؟ الجواب: الأولى، وليس هناك تناسب.

فهم أنكروا - سبحان الله - المَحْسُوسَ فَضْلاً عن المعقول، إذا لم يكن له محبة، فلا حُخْلَةٌ، لَأَنَّ الحُخْلَةَ أَعْلَى أنواع المحبة، ولهذا لا نَعْلَمُ أنها ثبتت إلا لاثنتين فقط من المخلوقات، وهما: محمد وإبراهيم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ - ولا يجوز أن نقول في أحدٍ غيرهما: إنه خَلِيلُ اللهِ، لَأَنَّ هذا وَصْفٌ خَاصٌّ.

هم يقولون: إنَّ معنى الحُخْلَةَ: الفقر، فَخَلِيلُ اللهِ، أي: مُفْتَقِرٌ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ. أَخَذُوهَا مِنَ الحُخْلَةِ - بالكسرة - وقالوا: خليل الله يعني: مفتقرا.

إذا كان هكذا، يقول ابن القيم - رحمه الله -: «وَخَلِيلُهُ الْمُحْتَاجُ عِنْدَهُمْ» يعني معنى الخليل: المحتاج.

«وَفِي ذَا الوَصْفِ يَدْخُلُ عَابِدُ الأَوْثَانِ» أي: يكون المشركون أَخِلَاءَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الفَسَاقُ أَخِلَاءُ اللهِ، لَأَنَّ الكُلَّ محتاجٌ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٥٠ - وَلَا أَجَلَ ذَا ضَحَى بِجَعْدِ خَالِدِ الأَلِّ قَسْرِي^(١) يَوْمَ ذَبَائِحِ القُرْبَانِ

٥١ - إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلُهُ كَلًّا وَلَا مُوسَى الكَلِيمَ الدَّانِي

أصلُ التَّعْطِيلِ: إنْكَارُ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ وَهُمَا: الحُخْلَةُ والكلام.

بعد ذلك توسَّع التعطيل، وإِنَّمَا صار الأصلُ نَفْيَ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، لَأَنَّ بهما بَطْلَانُ الشَّرْعِ مِنْ أَصْلِهِ، إِذْ إِنَّ الكَلَامَ هُوَ أساسُ الشرائع، والمحبة أساسُ العِبَادَةِ،

(١) خالد القسري هو: خالد بن عبد الله القسري، من بَجِيلَةَ، أحد خطباء العرب، وأجوادهم، ولأه هشام بن عبد الملك العراقيين: (البصرة والكوفة)، ولد (سنة ٦٦هـ)، وتوفي (سنة ١٢٦هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ١٤٥).

فلا بدَّ مِنَ المحبة، والتَّعْظِيم للمعبود، وإِلَّا فلا عِبَادَة.

ولذلك لما أنكر ذلك الجَعْدُ بنُ دِرْهَمٍ خَرَجَ خَالِدُ بنُ عبدِ الله القَسْرِيّ - رحمه الله - بالجَعْدِ في عيد الأضحى، وكان من عَادَة الخُلَفَاء أَنهم يخرجون بالضحايا يذبحونها في مُصَلَّى العيد، كما فَعَلَ نَبِيْنَا ﷺ^(١).

فخرج به مُوثَّقًا، وخطب الناس، وقال: «أيها الناس ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللهُ ضحاياكم، فإني مُضَحُّ بالجَعْدِ بنِ دِرْهَمٍ». فهذا حُكْمٌ، وَعَلَّله بقوله: إنه قال: «إِنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يُكَلِّم موسى تكليماً» ثم نَزَلَ فذَبَحَهُ، والناسُ يَنْظُرُونَ^(٢).

٥٢- شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ اللهُ دَرَكٌ مِنْ أَخِي قُرْبَانَ
يقول ابن القيم: إِنَّه شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلُّ صَاحِبِ سُنَّةٍ، ونحن نَشْكُرُ هذه الضَّحِيَّةَ، ونرى أَنه مصيَّبٌ، وَأَنه إذا كانت البَعِيرُ كَبِيرَةً الجِسمِ تُجْزَى عن سَبْعَةِ فهذا عن ملايين، لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - هَتَكَ سِتْرَهُ، وَبَيَّنَّ أَمْرَهُ، وَرَجَعَ عن رَأْيِهِ ما لا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وعليه فإننا نشكر كُلَّ حاكمٍ أَعَدَمَ مُبْتَدِعًا كافرًا يُفْسِدُ الدِّينَ، كما فَعَلَ خَالِدُ القَسْرِيّ - رحمه الله - بهذا المبتدع.

(١) كما في خطبة النبي ﷺ يوم العيد: «إِنَّ أَوَّلَ ما نَبَدَأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَتَنْحَرَ فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا». أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، رقم (٩٠٨).

(٢) الحكاية أوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٢/٩).

فصل

- ٥٣- وَالْعَبْدُ عِنْدَهُمْ فَلَيْسَ بِفَاعِلٍ بَلْ فِعْلُهُ كَتَحَرُّكِ الرَّجْفَانَ
 ٥٤- وَهُبُوبٍ رِيحٍ أَوْ تَحَرُّكِ نَائِمٍ وَتَحَرُّكِ الْأَشْجَارِ لِلْمَيْلَانِ
 ٥٥- وَاللَّهُ يُصَلِّيهِ عَلَى مَا لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِهِ حَرَّ الْحَمِيمِ الْآنِ
 ٥٦- لَكِنْ يُعَاقِبُهُ عَلَى أَفْعَالِهِ فِيهِ تَعَالَى اللَّهُ ذُو الْإِحْسَانِ
 ٥٧- وَالظُّلْمُ عِنْدَهُمْ الْمُحَالُ لِذَاتِهِ أَنَّى يُنَزَّهُ عَنْهُ ذُو السُّلْطَانِ؟
 ٥٨- وَيَكُونُ مَدْحًا ذَلِكَ التَّنْزِيَهُ مَا هَذَا بِمَعْقُولٍ^(١) لَدَى الْأَذْهَانِ

الشرح

هذه الأبيات الستة فيها بيان ضلال الجهمية، وهو أن العبد عندهم مجبر على عمله، ليس بفاعل، ولا ينسب الفعل إليه، ولا يمدح على حسنى، ولا يذم على سوء، لأنه ليس له إرادة، وليس له اختيار، بل فعله - كما ذكر - مثل تحرك الرجفان^(٢)، وهبوب الريح، أو تحرك النائم، أو تحرك الأشجار من الهواء، ومع ذلك يصلية الله تعالى النار على ما ليس بفعله، وهذا عندهم ليس بظلم، لأنهم يقولون: إن الظلم محال لذاته، يعني لا يتصور أن الله يظلم، لا لأنه منزه عن

(١) في مطبوعة الهراس، وبعض النسخ: «بمقبول».

(٢) الرجفان: الاضطراب الشديد. انظر: لسان العرب، مادة: رجف.

الظُّلْمَ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، ولكن لأنه لا يمكن أن يَقَعَ منه ظُلم، لأنه يتصرف في خَلْقِهِ، فهو لا يتصرف في شيء غير مخلوق له، لا يتصرف في مُلْكٍ غيره، فهو إذا عاقبَ المحسنَ أَشَدَّ العِقَابِ، وأثابَ المسيءَ أَفضلَ الثوابِ، فليس هذا ظلمًا، لماذا؟

لأنَّ الظُّلمَ مُحَالٌ في حقِّ الله، ووجهُ استحَالَتِهِ عندهم: أنَّ الله - سبحانه وتعالى - يتصرف في مُلْكِهِ، والمتصرف في مُلْكِهِ كما يشاء ليس بِظالمٍ.

فَعَلَى رأيهم هذا، لا يُثَنَّى على الله عزَّ وجلَّ بأنه لا يَظْلِمُ، ولا يُثَنَّى عليه بأنه ليس بظلامًا، لماذا؟

الجوابُ: لأنَّ وَقوعَ الظُّلمِ منه مُحالٌ، فإذا كان مُحالًا فكيف يُقال: إِنَّهُ مُنَزَّهٌ عن الظُّلمِ، لأنَّه لا ظُلمَ أصلاً، ولهذا قال المؤلف - رحمه الله -: (أَنِّي يُنَزَّهَ عَنْهُ ذُو السُّلْطَانِ؟!) يعني: كيف يُنَزَّه عن الظلم؟! والظلم مُحالٌ، إنه لو أراد أن يَظْلِمَ ما ظَلَمَ.

إِذْنُ هُمْ يَقُولُونَ:

أولاً: العبد ليس بِفَاعِلٍ، ولكنه مُجْبِرٌ على الفِعلِ، فتحرُّكُهُ الاختياري كتحرُّكِهِ الاضطراري، فحركته بيده - إشارةً إلى بعيدٍ، أو قريبٍ - كحركة يد المرءِيش الذي لا يملك إيقافها.

ثانياً: لو عَدَبَ رَبُّنَا أَفضلَ النَّاسِ وأطوعَهُم له لم يكن ظالماً، لأنَّ الظُّلمَ في حقِّ الله مُحالٌ، إذ إنَّ الظُّلمَ تَصَرَّفَ المتصرِّفِ في حقِّ غيره، وهذا لا يُتَصَوَّرُ في حقِّ الله، فليس بِظالمٍ، لأنَّ أَيَّ شيءٍ يَقَعُ مِن الله ليس بِظلمٍ.

وعلى رأيهم هل يكون الله عزَّ وجلَّ مُنَزَّهاً عن الظُّلمِ، ومُثَنَّى عليه بذلك؟ الجواب: لا، لأنَّ هذا - أصلاً - شيءٌ مُحالٌ.

ونحن نقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَظْلِمُ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وَالظُّلْمُ مُمَكِّنٌ فِي حَقِّهِ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُثِيبَ الْعَاصِيَ، وَيُعَاقِبَ الْمُطِيعَ، وَهَذَا ظُلْمٌ.

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

لو أنه -وحاشاهُ من ذلك- عَذَّبَ الْمُطِيعَ لكان هذا ظُلْمًا، لأنه وَعَدَ الْمُطِيعَ بِالثواب والحسنى، فإذا أَخْلَفَ صَارَ هَذَا ظُلْمًا!!

الخلاصة: أَنَّ مَذَهَبَ الْجُهْمِيَّةِ فِي أفعالِ العِبَادِ أَنَّهُمْ مُجْبَرُونَ عَلَيْهَا، لَا إِرَادَةَ لَهُمْ، وَأَنَّ حَرَكَاتِهِمْ الْاِخْتِيَارِيَّةَ بِمَنْزِلَةِ تَحْرُكِ الْأَشْجَارِ فِي الْهَوَاءِ.

فإذا قيل لهم: تَعْدِيْبُهُمْ عَلَى ذَلِكَ ظُلْمٌ، قالوا: لا، الظُّلْمُ هُوَ الشَّيْءُ الْمُسْتَحِيلُ، وَهَذَا لَا يَسْتَحِيلُ، لِأَنَّ الظُّلْمَ أَنْ يَتَصَرَّفَ الْإِنْسَانُ فِي حَقِّ غَيْرِهِ، أَوْ مِلْكِ غَيْرِهِ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ مُسْتَحِيلٌ، لِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِلْكُهُ، فإِذْنُ لَا ظُلْمَ، لِأَنَّهُ يَتَصَرَّفُ فِي مِلْكِهِ.

لكن بماذا نردُّ عليهم؟

نقول: هذا التفسير الذي ذكرتموه للظلم لا يُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ، لِأَنَّ الْمَحَالَ لَا يُمَدَّحُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ، لَا إِيجَادًا، وَلَا عَدَمًا مَعَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي»^(١). وهذا يدل على إمكانه، لكنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُ عَلَى نَفْسِهِ، لِكَمَالِ عَدْلِهِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

والله عزَّ وجلَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ الظُّلْمِ مُتَمَدِّحًا بِذَلِكَ، فلو كان مُحَالًا لِذَاتِهِ لَصَارَ نَفْيُ الظُّلْمِ عَنِ اللَّهِ تَنْزِيهًا لَهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَلَصَارَ عَبَثًا لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، وَهَذَا الْأَمْرُ ظَاهِرٌ.

أما الرَّدُّ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: (إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ) فَلَيْسَ هَذَا مَوْضِعَهُ، إِنَّمَا الْكَلَامُ أَنَّ نَفْسَهُمْ مَذْهَبُهُمْ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ أَنَّ فِعْلَهُ بِاخْتِيَارِهِ، لَكِنْ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ بِاخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ، كَالْمَوْتِ وَالْمَرَضِ، لَكِنَّ الْأَفْعَالَ الْاِخْتِيَارِيَّةَ الَّتِي يَفْعَلُهَا بِاخْتِيَارِهِ، كَعَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ عَمَلٍ سَيِّئٍ، كَقَوْلٍ، أَوْ فِعْلٍ، هَذَا بِاخْتِيَارِهِ.

ولهذا لو أمسكنا واحداً من هؤلاء وضربناه ضرباً مُبَرَّحاً شديداً، وقال: لماذا تضربونني؟ أنتم أخطأتم علي؟ نقول له: هذا بغير اختيارٍ مِنَّا، هذا أمرٌ مُقَدَّرٌ، والمُقَدَّرُ ما لنا عنه، أيرضى بهذا، أو ما يرضى؟ الجواب: ما يرضى.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أميرُ المؤمنين، لما جيء إليه بِسَارِقٍ، فَأَمَرَ بِقَطْعِ يَدِهِ - كما ذُكِرَ عَنْهُ - فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: الْقَدْرُ قَالَ: فَضْرَبَهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، وَقَالَ: «قَطَعْتُ يَدَكَ لِسِرْقَتِكَ، وَضَرَبْتُكَ لِفِرْيَتِكَ عَلَى اللَّهِ»^(١).

فالمهمُّ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَقِيمَ عَلَيْهِ أَحَدٌ عَاقِلٌ إِطْلَاقًا، وَلَوْ أَنَّا قُلْنَا بِهِ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَزْنِي وَيَسْرِقُ وَيَقْتُلُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ، ثُمَّ لَا يُيْلَمُ عَلَيْهِ، وَلَا يُقَالُ لَهُ شَيْءٌ، لِأَنَّهُ بغير اختياره، وبغير إرادته.

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص: ٣١٧)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٦٩/٢).

فصل

- ٥٩ - وَكَذَلِكَ قَالُوا: مَا لَهُ مِنْ حِكْمَةٍ هِيَ غَايَةٌ لِلْأَمْرِ وَالْإِتْقَانِ
 ٦٠ - مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ مَثَلًا عَلَى مِثْلِ بِلَا رُجْحَانِ
 ٦١ - هَذَا وَمَا تِلْكَ الْمَشِيئَةُ وَصَفَهُ بَلْ ذَاتُهُ أَوْ فِعْلُهُ قَوْلَانِ
 ٦٢ - وَكَلَامُهُ مُذْ كَانَ غَيْرًا كَانَ نَحْوِ لَوْ قَالَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ

الشرح

هذه الأبيات الأربعة فيها من ضلال هؤلاء الجهمية، حيث قالوا: إن الله سبحانه وتعالى - ليست له حكمة، قالوا: لأن الحكمة غرض باعث على الفعل، والله عز وجل ليس له غرض، فهو مُنَزَّهٌ عن الغرض، ولهذا من ألفاظهم السائدة الباطلة قولهم: «إن الله مُنَزَّهٌ عن الأبعاض والأعراض والأغراض» ومرادهم بالأبعاض: الوجه واليد والعين، وما أشبه ذلك.

وبالأعراض أي: الصفات، فيقولون: هو مُنَزَّهٌ عن الصفات، لأن الصفات أعراض لا تقوم إلا بأجسام.

والأغراض يعني: الحكمة، فالله يفعل الشيء لمجرد المشيئة فقط.

فالجهمية يقولون: إن الله يفعل الأشياء كلها، يخلق نارًا وجنةً، ويُعذب هذا ويكرم هذا، وما أشبه ذلك، بدون حكمة، بل مجرد مشيئة، شاء أن يفعل ففعل، لماذا؟ قالوا: هكذا شاء.

مع أن القرآن والسنة مملوءان من إثبات حكمة الله عز وجل سواء في أفعاله، أم في تشريعاته، هذا بالإضافة إلى اسمه الحكيم، وبالإضافة إلى وصفه بالحكمة، كما قال الله تعالى: ﴿حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُعِنُّمُ الْتُدْرُ﴾ [القمر: ٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [ص: ٢٧] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥] فنفى الله عنه الباطل، وأثبت الحق.

ولما ذكر المواريث قال تعالى: ﴿يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦] فالحكمة هنا (حتى لا نضل)، وكذلك في الأمور القدرية يبين الله عز وجل أنه فعلاً لحكمة عظيمة، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ [القصص: ٧٣] فأحكامه الكونية والقدرية كلها مقترنة بالحكمة، قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ اخْتَدِ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠].

ولا شك أن الله عز وجل موصوفٌ بالحكمة، وأن أحكامه الكونية والشرعية مقرونة بالحكمة أيضاً، ولا نعلم أفعالا تنتفي عنها الحكمة إلا وهي أفعال سفه، فالذي يأكل تمراً، ويأكل جمرًا، يشرب ماءً عذبًا، وماءً مرًا، كل شيء إذا سألته: لماذا فعلت ذلك؟ فيقول: هذا ما أريده، فهذا لا شك أنه سفه.

فانظر لما قرأوا من ثبوت الحكمة لزمهم شرٌّ مما قرأوا منه، وهو القول بالسفاهة، وهذا لازم لهم.

وقالوا أيضًا: إنه يفعل ويرجح شيئًا على شيء بدون سببٍ للترجيح، ولهذا قال: (مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَحَتْ مِثْلًا عَلَىٰ مِثْلٍ بِلَا رُجْحَانٍ)، يعني: رجح شيئًا على شيء.

قَوْلُهُ: «بِلا رُجْحَانٍ» أي: بلا سبب لترجيحه، فالله عزَّ وجلَّ يفعل ما يشاء بِدُونِ حِكْمَةٍ.

وسبحان الله! ما أعمى قلوبهم! فما أكثر ما يذكُر الله عزَّ وجلَّ الحِكْمَةَ من أسائه وأوصافه، ومع ذلك يقولون: إنَّ الله ليست له حِكْمَةٌ، يُرَجِّحُ ما شاء على ما شاء من مشروعاته ومفعولاته بلا رجحان.

كذلك أيضًا قالوا: نفسُ المشيئة ليست وصفه، فلا يُوصف الله بأنَّ له مشيئة، بل المشيئة إمَّا: الفعلُ المُشاء، وإمَّا أنَّ المشيئة لا تُعدُّ ذاتَه، فهي ذاتُ الله، أو فعلُه، على قولين.

وكُلُّ إنسانٍ يعلمُ أنَّ المشيئة ليست الذات، وليست الفعل، بل المشيئة مع القدرة هي التي يكون بها الفعل.

كذلك أيضًا قالوا: هل تقولون: إنَّ كلام الله هو الله أو لا؟ نقول: كلامُ الله غيرُ الله.

يقولون: إذا قلت: بأنَّه غيرُ الله لزمَ أن يكون مخلوقًا، لأنه ما تمَّ إلا خالقٌ، أو مخلوق، فإذا قلت: كلامُ الله ليس هو الله، لزمَ أن يكون مخلوقًا، وكذلك المشيئة ليست وصفًا، ولكنها مخلوقة.

وقولهم هذا بناءً على تفسيرهم الثاني الذي يقول: إنَّ المشيئة هي الفعل، فتكون المشيئة هنا أُطْلِقَتْ على الفعل، كما أُطْلِقَ كلامه المضاف إليه على ما خلَّقه في الشجرة، أو في موسى، أو ما أشبه ذلك.

لكن لماذا يقولون ذلك؟ الجواب: لأنهم لا يرون أن الله يتَّصفُ بشيء من الصفات، فأصل الصفات عندهم ممتنعٌ، فإمَّا ذاتٌ، وإمَّا مفعول.

ومن المعروف أنَّ الْمُعْتَزِلَةَ وَالْجَهْمِيَّةَ أَيضًا يُنْكِرُونَ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى الْأَسْمَاءِ الدَّالَّةِ عَلَى الْمَعَانِي يُنْكِرُونَ مَعَانِيَهَا.

فيقولون: مثلاً: الكلام ليس وصفاً لله، لأنه ليس له وصفٌ، فهل هو الله، أو غير الله؟ الجواب: هو غير الله بلا شك، إذن هو مخلوق.

ونحن نقول: هو غير الله، لكنه وصفٌ لله، إذ إنَّ الكلامَ وَصَفُ المتكلم، وإذا كان وصفاً لله فالصفة لها حكمُ الموصوف أي: تابعة له، ليست مخلوقة، وإن كانت الصفة غير الموصوف - في الواقع - لكنها ليست غيراً منفصلاً، إذ إنها وَصَفُ المَوْصُوفِ.

- ٦٣- قَالُوا: وَإِقْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ
خَلَقَهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الْإِيمَانِ
- ٦٤- وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ
كَالْمِشْطِ عِنْدَ تَمَاتِلِ^(١) الْأَسْنَانِ
- ٦٥- فَاسْأَلْ أَبَا جَهْلٍ وَشِيعَتَهُ وَمَنْ
وَالْأَهْمُ مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ
- ٦٦- وَسَلِ الْيَهُودَ وَكُلَّ أَقْلَفٍ مُشْرِكٍ
عَبَدَ الْمَسِيحَ مُقْبِلَ الصُّلْبَانِ
- ٦٧- وَاسْأَلْ ثَمُودَ وَعَادَ بَلَّ سَلَّ قَبْلَهُمْ
أَعْدَاءَ نُوحٍ أُمَّةَ الطُّوفَانِ
- ٦٨- وَاسْأَلْ أَبَا الْجِنَّ اللَّعِينِ أَتَعْرِفُ الْ-
خَلْقَ أَمْ أَصْبَحْتَ ذَا نُكْرَانٍ؟
- ٦٩- وَاسْأَلْ شِرَارَ الْخَلْقِ أَعْنِي أُمَّةً
لُوطِيَّةً هُمْ نَاكِحُوا الذُّكْرَانَ
- ٧٠- وَاسْأَلْ كَذَاكَ إِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ
فِرْعَوْنَ مَعَ قَارُونَ مَعَ هَامَانَ

(١) في نسخة الظاهرية، وغيرها: «تماتيل»، وما في الأصل أظهر.

- ٧١- هَلْ كَانَ فِيهِمْ مُنْكَرٌ لِلْخَالِقِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ مَكْوَنِ الْأَكْوَانِ
 ٧٢- فَلْيُبَشِّرُوا مَا فِيهِمْ مِنْ كَافِرٍ هُمْ عِنْدَ جَهَنَّمَ كَامِلُو الْإِيمَانِ

الشرح

وهذا أيضًا من صورههم الفاسدة: أن الإيمان هو الإقرار بالرَّبِّ فقط، فإذا أقرَّ الإنسان بقلبه أن للكون ربًّا خالقًا، فهو مؤمنٌ كاملُ الإيمان، وهذا غلوٌّ فاحشٌ في الإرجاء.

فالأقوال عندهم ليست إيمانًا، فقول: (لا إله إلا الله) ليست من الإيمان، والأفعال ليست إيمانًا، فالصلاة ليست من الإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر ليس من الإيمان، وإمطة الأذى عن الطريق ليست من الإيمان، فالإيمان هو إقرارُ الإنسان بربوبية الله عزَّ وجلَّ فقط، بل غايةُ الإيمان الاعتراف بأنَّ الله هو الخالق، ثمَّ مع ذلك يمنعون الزيادة والنقص فيه، ويقولون: الإيمان لا يزيد، ولا ينقص، فيستوي أفسقُ عبادِ الله بِأتقى عبادِ الله في الإيمان، ولهذا يقول -رحمه الله-:

٦٣- قَالُوا: وَإِقْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ هُوَ مُنْتَهَى الْإِيمَانِ

قوله: «مُنْتَهَى الْإِيمَانِ» أي: غايةُ الإيمان، وسبحان الله أن يكون هذا الإقرار هو الغاية، مع أنه لا يُنكره أحدٌ إلا مُكابرًا.

٦٤- وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ كَالْمِشْطِ عِنْدَ تَمَائِلِ الْأَسْنَانِ

قوله: «وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ»، فَأَتَقَى النَّاسِ، وَأَشَقَى النَّاسِ كُلَّهُمْ شيء واحد في الإيمان، ولا يمكن أن نقول: هذا إيمانه أعلى من إيمان هذا، أو أزيد

أَوْ أَكْمَلُ، لَأَنَّ الْإِيمَانَ عِنْدَهُمْ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْإِقْرَارُ.
أَمَّا الْمِشْطُ فَمَعْرُوفٌ.

يقول ابن القيم - رحمه الله - على هذا الرأي الفاسد الباطل:

٦٥- فَاسْأَلْ أَبَا جَهْلٍ وَشَيْعَتَهُ وَمَنْ وَالْأَهْمُ مِنْ عَابِدِي الْأَوْثَانِ
اسألم: هل هم يُقَرِّونَ بِالرَّبِّ، أَوْ لَا يُقَرِّونَ؟

الجواب: يُقَرِّونَ، وَكَمْ مِنْ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ يُقَرِّونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ
مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وَقَالَ: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، قَالَ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴿ [المؤمنون: ٨٦-٨٧] وَهَكَذَا يُقَرِّونَ بِهَذَا، وَيَقُولُونَ عَنْ أَصْنَامِهِمْ:
﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ﴾ [الزمر: ٣].

٦٦- وَسَلِ الْيَهُودَ وَكُلَّ أَقْلَفٍ مُشْرِكٍ عَبْدَ الْمَسِيحِ مُقْبَلِ الصُّلْبَانِ
قَوْلُهُ: «وَسَلِ الْيَهُودَ» الْيَهُودَ أَيْضًا اسألم هل يُقَرِّونَ بِاللَّهِ أَوْ لَا؟
الجواب: يُقَرِّونَ.

وَقَوْلُهُ: «وَكُلَّ أَقْلَفٍ مُشْرِكٍ عَبْدَ الْمَسِيحِ مُقْبَلِ الصُّلْبَانِ» يَعْنِي بِذَلِكَ
النَّصَارَى، فَالنَّصَارَى لَا يَرَوْنَ الْحِثَّانَ، وَيَتَسَاهَلُونَ جِدًّا فِي النِّجَاسَاتِ، وَلَا يُقِيمُونَ
لَهَا وَزْنَ، وَالْيَهُودَ عَلَى الْعَكْسِ، الْيَهُودَ يُغْلَوْنَ جِدًّا فِي النِّجَاسَاتِ، حَتَّى إِنَّهُ عِنْدَهُمْ
إِذَا تَنَجَّسَ الثَّوْبُ فَلَا يَطْهَرُ، فَلَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقْرَضَ الْمَحَلَّ الَّذِي أَصَابَتْهُ النِّجَاسَةُ،
وَالنَّصَارَى بِالْعَكْسِ، يَبُولُ الْإِنْسَانُ عَلَى سِرَاوِيلِهِ وَثَوْبِهِ، وَلَا يَهْمُهُ، وَهَذَا قَالَ:
(وَكُلَّ أَقْلَفٍ مُشْرِكٍ عَبْدَ الْمَسِيحِ مُقْبَلِ الصُّلْبَانِ).

ومن ضلال النصارى أن الصليب الذي يدعون أن عيسى -عليه السلام- قُتِلَ، ثم صُلبَ عليه مُقدَّسٌ عندهم، ومقتضى العقل أن يكون مُهانًا، فلو كان عندهم عُقول لكانوا إذا رأوا الصليب كَسَرُوهُ، لأنَّ نبيَّهُم صُلبَ عليه، لكن لِجَهْلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَسَفَاهَةِ عُقُولِهِمْ يُقَدِّسُونَ الصليب.

٦٧- وَاسْأَلْ ثَمُودَ وَعَادَ بَلَّ سَلِّ قَبْلَهُمْ أَعْدَاءَ نُوحٍ أُمَّةَ الطُّوفَانِ
٦٨- وَاسْأَلْ أَبَا الْجِنَّ اللَّعِينِ أَتَعْرِفُ الْخَلْقَ أَمْ أَصْبَحْتَ ذَا نُكْرَانِ؟

كل هؤلاء لو سألتهم لأقروا بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ، حتى إبليس يسأل رَبَّهُ فيقول: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [ص: ٧٩]، وَيُقَسِّمُ بَعْرَةَ اللهِ: ﴿فِعْرِكَ لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] فهو يُقَرُّ بالله، وَيُقَرُّ بِعِزَّتِهِ، وَيُقَرُّ بِسُلْطَانِهِ، فَسُكُوتُهُ إقرار، لآلِه في مقام آخر كان يَرُدُّ على موسى، قال الله تعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٢) قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ (٣٤) قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ (٣٥) قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿ [الشعراء: ٢٣-٢٦] فهل هو مؤمنٌ عند الجَهْمِ؟ الجواب: نعم، مؤمنٌ كامل الإيمان مثل إيمان جبريل. نسأل الله العافية.

قَوْلُهُ: «وَاسْأَلْ أَبَا الْجِنَّ اللَّعِينِ» الفَعِيلُ بمعنى مَفْعُولٍ، يعني: المَلْعُونُ، لأنَّ اللهُ قال له: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨] أي: حَقَّتْ عَلَيْهِ.

٦٩- وَاسْأَلْ شِرَارَ الْخَلْقِ أَغْنِي أُمَّةً لُوطِيَّةً هُمْ نَاكِحُوا الذُّكْرَانَ

قَوْلُهُ: «شِرَارَ الْخَلْقِ» أي: مِنْ حَيْثُ هَذِهِ الْفَعْلَةُ الشَّنِيعَةُ الْقَبِيحَةُ، فَإِنَّهُ مَا سَبَقَهُمْ بِهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ نِكَاحُ الذُّكْرَانَ، وَتَرَكَ النِّسْوَانَ، وَهَذَا وَبَخَهُمْ نَبِيُّهُمْ -عليه الصلاة والسلام- فقال: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ (٣٥) وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ ﴿ [الشعراء: ١٦٥-١٦٦].

وهم لا يفعلون هذا بمقتضى الشهوة الطبيعية، ولهذا يقول لهم: ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ [الشعراء: ١٦٦]، وفي آية: ﴿مُسْرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

٧٠- وَاسْأَلْ كَذَاكَ إِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ فِرْعَوْنَ مَعَ قَارُونَ مَعَ هَامَانَ

قَوْلُهُ: «فِرْعَوْنَ مَعَ قَارُونَ مَعَ هَامَانَ» هؤلاء: ثلاثة: أما قارون فهو من قوم موسى -عليه السلام- قال الله تعالى: ﴿وَأَيُّنَهُ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ﴾ [القصص: ٧٦] أعطاه الله تعالى أموالاً عظيمة، مَفَاتِحَ هذه الأموال -يعني مفاتيح الخزائن-، تنوء أي: تثقل بالعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ.

وأما هَامَانُ فهو وزيرُ فِرْعَوْنَ، وفِرْعَوْنَ رَأْسُ الْكُفْرَةِ.

اسألهم: هل يؤمنون بالله أو لا يؤمنون؟ الجواب: يؤمنون بالله ويقرُّون، لكن كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤] حتى إن موسى يقول لِفِرْعَوْنَ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ﴾ [الإسراء: ١٠٢]، ولم يقل: (كذبت، ما علمت) بل سَكَتَ مُقِرًّا رَغْمًا عَنِّ أَنْفِهِ.

٧١- هَلْ كَانَ فِيهِمْ مُنْكَرٌ لِلْخَالِقِ الرَّبِّ الْعَظِيمِ مُكْوَنِ الْأَكْوَانِ

الجواب: لا، إذن بنى عليه قوله - رحمه الله -:

٧٢- فَلْيُبَشِّرُوا مَا فِيهِمْ مِنْ كَافِرٍ هُمْ عِنْدَ جَهَنَّمَ كَامِلُوا الْإِيمَانِ

هذا مذهب الجَهْمِيَّةِ في الإيمان، أن الإيمان هو إقرار القلب بأن الله تعالى خَالِقُ الْأَكْوَانِ فقط.

وهل يزيد، أو ينقص؟ الجواب: لا يزيد، ولا ينقص، ولهذا عندهم أتقى الناس، وَأَشَقَى النَّاسِ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ فِي الْإِيمَانِ.

وابن القيم - رحمه الله - لم يأت بالأدلة التي تدلُّ على زيادة الإيمان ونقصانه، بل أتى لهم بدليلٍ واقع، لا يمكنُ إنكاره، وأنهم إن قالوا: (هؤلاء مؤمنون كاملو الإيمان)، كَفَرُوا، وإن قالوا: (إنهم غير مؤمنين) خُصِمُوا.

■ فما هو الإيمان عند أهل السُّنَّة؟

الإيمانُ عند أهل السُّنَّة يشملُ أربعةَ أشياء: الإقرار بالقلب، وقول اللسان، وعَمَل الجوارح، وعَمَل القلب، وَوَرَدَ عن البعض: أن الإيمان هو القول والعمل فقط.

وهذا لا بأس به، ويُفصّل فيقال: إنَّ مرادهم قول القلب واللسان، وعَمَل القلب واللسان والجوارح، وهذا في (العقيدة الواسطية)^(١) كذلك، حيث قال: «والدين قول وعمل» ثم فصّل، ودليلهم - والحمد لله - معروفٌ.

أما دخول إقرار القلب بالإيمان فله أدلة منها:

أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - لَمَّا سأله جبريل عن الإيمان فقال: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٢).

وأما أقوال اللسان، وأفعال الجوارح، وأعمال القلوب، فدَلَّ عليها قولُ النبيِّ ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعونُ شعبةً، أعلاها قول: لا إلهَ إلاَّ اللهُ». وهذا قولُ اللسانِ «وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ». وهذا فعل الجوارح «وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ١١٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب

الإيمان، باب الإيمان ما هو، رقم (٩).

مِنَ الْإِيمَانِ»^(١). وهذه أعمال القلوب.

فقولُ القلبِ يعني: الإقرار، وَعَمَلُهُ يعني: فِعْلُهُ، فَمَثَلًا: (التَّوَكَّلُ) هذا عَمَلٌ، لَأَنَّ الْقَلْبَ يَتَحَرَّكُ، والرجاءُ والخوفُ، وما أشبه ذلك، أما مُجَرَّدُ الإقرار الذي هو التصديق، فهذا عِنْدَهُمْ قولُ القلبِ، فهذا هو الفَرْقُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان، رقم (٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، رقم (٣٥).

فصل

٧٣- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطًى وَالْفِعْلُ مُتَمَتِّعٌ بِلَا إِمْكَانٍ

٧٤- ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ قَامَ بِالذِّيَّانِ

٧٥- بَلْ حَالُهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَاتِهِ قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهُ سَيَّانِ

الشرح

٧٣- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطًى وَالْفِعْلُ مُتَمَتِّعٌ بِلَا إِمْكَانٍ

الفاعل في قوله: «وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطًى» هو جهم وأتباعه.

وهذا أيضًا من ضلال جهم، حيث يقول: إِنَّ تَسْلُسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي مُسْتَحِيلٌ، كَمَا أَنَّ تَسْلُسُلَهَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ مُسْتَحِيلٌ، وَيُعَلَّلُ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: لَوْ قَلْنَا بِجَوَازِ التَّسْلُسُلِ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ قَدِيمَانِ مُسْتَوِيَانِ: الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَالصِّفَةُ الَّتِي هِيَ فِعْلُهُ.

وكذلك قال في الآخرة، لا يمكن أن تَسْلُسُلَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّهُ يَلْزِمُ أَنْ تَكُونَ الْحَوَادِثُ مِثْلَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهَا الْآخِرَةُ.

فكان الفعل -على زعمه- في حق الله تعالى مستحيلًا، ثم صار ممكنًا، وهذا لا شك أنه نقص في الخالق عز وجل أن يكون أولًا لا يستطيع أن يفعل -بل فعله مستحيل- ثم استحال هذا المستحيل وصار ممكنًا، وكذلك يُقال في تسلسل الحوادث في المستقبل.

فنقول: مهما كان، إذا قلنا: بتسلسل الحوادث فلسننا نقول: بقدّم حادثٍ بعينه، ومعنى قولنا: (التسلسل) أي: ما من مخلوقٍ إلّا وقبّله مخلوق إلى ما لا نهاية.

ونقول: إن الله تعالى مخلوقات قبل السموات والأرض، لكنها غير معلومة لنا عقلاً، ولا منقولة إلينا سمعاً، لأننا نؤمن بأن الله لم يزل فعّالاً، ولا يزال فعّالاً، ثم مهّمًا قدّرت، فإنه لا يمكن أن يساوي المفعول الفاعل، فلا بُدّ من ثلاثة أشياء: فاعل، وفعل، ومفعول.

وأيتهم الأقدم؟ الجواب: الفاعل، ثم كان منه الفعل، ثم كان من الفعل المفعول.

فمهما قلنا بتسلسل الحوادث في الماضي، فلا يمكن أن تكون مساويةً للخالق، فالفاعل لا بُدّ أن يكون سابقاً على الفعل الذي هو وصفه، ثم على المفعول.

هو يقول: لا يمكن قدّم الفعل، ولا قدّم المفعول، لأننا لو قلنا بهذا لزم تساوي الخالق مع المخلوق.

فنقول: هذا من جهلك وسفهك، فأی انسانٍ عاقلٍ تسألُه: أيّما أسبقُ الفاعل، أو الفعل، أو المفعول؟ سيقول: الفاعل، ولا شك.

وعلى كلّ تقدير، فالله تعالى هو «الأوّل الذي ليس قبّله شيء»^(١). كما قال النبي ﷺ، وهو يقول: لا يمكن.

وقوله هذا يستلزم أن يكون الله -أولاً- معطّلاً، لا يمكن أن يفعل، ثمّ فعل،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم

فصار قادرًا، بمعنى أنه أتى زمنٌ على الربِّ عزَّ وجلَّ وهو غيرُ قادرٍ على الفعل، ثم بعد ذلك صار قادرًا على الفعلِ بدونِ سببٍ.

فيقال: أنت الآن وصفت الله بالعجز أولًا، ثمَّ وصفتَه بالقُدرة ثانياً.

فما الذي جعله أولًا عاجزًا، ثمَّ جعله ثانيًا قادرًا؟!، بل نقول: هو قادرٌ على كلِّ شيءٍ في كلِّ وقتٍ، وفي كلِّ حينٍ.

الآن الزمان الذي نحن فيه، والذي لا نَعْلَمُ أوَلَه، أليس يتعاقب؟ فكُلُّ لحظةٍ تَعْقُبُ الأخرى، فَتَسْلُسُلُ هذه الآناتِ والأوقاتِ إلى ما لا نهايةَ له في الأزَل، كذلك فيما يُسْتَقْبَل.

وعلى ذلك نسألُ هذا فنقول له: هل الفعلُ في حقِّ الله قَبْلَ الفعلِ كَمَا لَ أَوْ نَقْصٌ؟

فإن قال: إنه كَمَا لَ، قلنا: إذن الفعلُ ناقصٌ، وإن قال: ناقصٌ، قلنا: خُصِمَتْ، فإذن ليس عاجزًا عَن الفعلِ أَبَدًا في أيِّ لَحْظَةٍ مِنَ اللَّحْظَاتِ، لا الأَزَلِيَّةِ، وَلَا الأَبَدِيَّةِ.

وأما القول بأنَّ الله تعالى كان قادرًا فَلَمْ يَفْعَلْ -لمقتضى حِكْمَتِهِ- ثُمَّ فَعَلَ ربما نُجَوِّزُه، كما قاله بعضُ أهلِ العِلْمِ بأنَّ التَّسْلُسُلَ في الماضي مُتَمَتِّعٌ، ولكن الصحيح أن التَّسْلُسُلَ في الماضي والمستقبل جائزٌ، وواجبٌ بإخبار الله، فهو جائزٌ عقلاً، لكنه واجبٌ شَرْعًا بِحَسَبِ ما أخبر الله به.

ثمَّ مع ذلك يقول: القُدرة ليست وَصْفًا زائدًا عن ذاته، فهو قادرٌ بذاته لا بِقُدرةٍ، لأنه يمنع الصفات، وهذا الكلام لولا أنه ذُكِرَ ما كُنَّا نَظُنُّ أَنَّ أَحَدًا يتصوَّره، فَضَلًّا عَن أن يقول به، وَيَعْتَقِده في ربِّه عزَّ وجلَّ.

٧٤- ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ مِنْ غَيْرِ أَمْرِ قَامَ بِالذِّيَّانِ

أي: من غير سبب، فما الذي جعله مثلاً قبل نصف ساعة مستحيلاً، ثم جاء وصار ممكناً؟! بل يقول:

٧٥- بَلْ حَالُهُ سُبْحَانُهُ فِي ذَاتِهِ قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهُ سَيَّانٍ
لأنه لا يرى أن وصفاً يقوم بالله.

٧٦- وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا جَنَّاتِ عَدْنٍ، بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

٧٧- فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمٍ مَعَادِنَا فَهُمَا عَلَى الْأَوْقَاتِ فَاثْنَتَانِ

٧٨- وَتَلَطَّفَ الْعَلَّافُ^(١) مِنْ أَتْبَاعِهِ فَأَتَى بِضِحْكَةٍ جَاهِلٍ جَّانٍ

٧٩- قَالَ: (الْفَنَاءُ يَكُونُ فِي الْحَرَكَاتِ لَا فِي الذَّاتِ)، وَاعْجَبًا لَذَا الْهَدْيَانِ!

الشرح

يقول: إن الجهم كما منع التسلسل في الماضي منعه في المستقبل، وقد تقدم أن عقيدتنا أنه ما من مخلوق إلا وقبله مخلوق، إلى ما لا نهاية له، ولا نحيط بذلك علماً، ونقول: ما من مخلوق إلا وبعده مخلوق، إلى ما لا نهاية له.

فَعَقِيدَتُنَا الْقَوْلُ بِالتَّسْلُسِ مَا ضِيًّا وَمُسْتَقْبَلًا، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهِ

(١) العلاف: هو محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف العبدي، مولى عبد القيس، من أئمة المعتزلة، وُلِدَ (سنة ١٣٥هـ) بالبصرة، واشتهر بعلم الكلام، وتوفي (سنة ٢٣٥هـ)، إِنْ عَمَّرَ مِئَةَ سَنَةٍ. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٢٩).

إشراك مع الله أبداً، وهم يقولون: التَّسْلُسُ ممنوعٌ في الماضي، وفي المستقبل، فأفعالُ الله في الماضي ليست دائمةً، وأفعاله في المستقبل ليست دائمةً.

وَمِنْ زَلَّاتِهِ وَسَقَطَاتِهِ أَيضاً قوله: الجنة والنار غير موجودتين الآن، وهذا لا شك أنه تكذيبٌ للقرآن والسنة، إذ يُلْزَمُ على قوله هذا أن كُلَّ ما أخبر به الرسول ﷺ عن الجنة وما رأى فيها، والنار وما رأى فيها أن كُله كَذِبٌ، أو تَحْيَلَاتٌ خِيَلت للرسول -عليه الصلاة والسلام- وليست بحقيقة.

ويقول أيضاً: إنها تَفْنِيَانِ فيما بعدُ، وليستَا مُؤَبَّدَتَيْنِ.

٧٦- وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا جَنَّاتٍ عَدْنٍ، بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

فهما الآن عدمان، لكن متى تُخْلَقَانِ عنده؟ الجواب: تُخْلَقَانِ يومَ القيامة.

٧٧- فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمِ مَعَادِنَا فَهُمَا عَلَى الْأَوْقَاتِ فَايْتَانِ

يعني حتى إذا خُلِقَا يومَ القيامة فهما يَفْنِيَانِ لا يَبْقِيَانِ، لماذا؟ لأنه يمنع التَّسْلُسُ في الماضي والمستقبل، إذ لا بُدَّ مِنْ نهايةٍ في الأوَّل، وفي الآخر، فليس هناك استمرارٌ لِفاعِلِيَّةِ الرَّبِّ، لا أولاً، ولا آخرًا، فالله عزَّ وجلَّ كان مُعْطَلًا، وسيكون في الآخر مُعْطَلًا.

٧٨- وَتَلَطَّفَ الْعَلَّافُ مِنْ أَتْبَاعِهِ فَآتَى بِضِحْكَهٖ جَاهِلٍ جَبَّانٍ

جاء رجلٌ يقال له (العلاف) وتَلَطَّفَ، فأتى بشيءٍ مُضْحِكٍ.

قَوْلُهُ: «فَاتَى بِضِحْكَهٖ جَاهِلٍ جَبَّانٍ» أي: بِدُونِ عَوْضٍ.

٧٩- قَالَ: (الْفَنَاءُ يَكُونُ فِي الْحَرَكَاتِ لَا فِي الذَّاتِ)، وَاعْجَبًا لِدَا الْهَدْيَانِ!

حيث جاء هذا العَلَّافُ، وهو كَاسِمِهِ (عَلَّافٌ)، وقال: أنا لا أقول بِمَنْعِ التَّسْلُسِ، لكنَّ المَمْنُوعَ تَسْلُسُ الحَرَكَاتِ، أما الأعيانُ فَبَقِيَ، فالجَنَّةُ والنَّارُ تَبْقِيَانِ، وسَاكِنُهُمَا يَبْقُونَ، لكنَّ حَرَكَاتِهِمْ تَفْنَى.

قَوْلُهُ: «وَاعْجَبًا لِدَا الْهَدْيَانِ!» يعني: اعجب لهذا الهَدْيَانِ.

اسمع تفسير ابن القيم - رحمه الله - في قوله:

- ٨٠- أَيْصِيرُ أَهْلُ الْخُلْدِ فِي جَنَاتِهِمْ وَجَحِيمِهِمْ كَحِجَارَةِ الْبُنْيَانِ؟!
 ٨١- مَا حَالُ مَنْ قَدْ كَانَ يَغْشَى أَهْلَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ تَحْرُكِ الْحَيَوَانِ
 ٨٢- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي رَفَعَتْ يَدَا هُ أَكْلَةً مِنْ صَحْفَةٍ وَخِوَانِ
 ٨٣- فَتَنَاهَتْ الْحَرَكَاتُ قَبْلَ وُصُولِهَا لِلْفَمِّ عِنْدَ تَفْتِيحِ الْأَسْنَانِ
 ٨٤- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي امْتَدَّتْ يَدُّ مِنْهُ إِلَى قِنُومٍ مِنَ الْقِنُوَانِ
 ٨٥- فَتَنَاهَتْ الْحَرَكَاتُ قَبْلَ الْأَخْذِ هَلْ يَبْقَى كَذَلِكَ سَائِرَ الْأَزْمَانِ
 ٨٦- تَبَّ لِهَا تَيْكَ الْعُقُولِ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ قَدْ مَسِخَتْ عَلَى الْأَبْدَانِ
 ٨٧- تَبَّ لِمَنْ أَضْحَى يُقَدِّمُهَا عَلَى الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

الشرح

يقول على مذهب العَلَّافِ المُضْحِكِ:

- ٨٠- أَيْصِيرُ أَهْلُ الْخُلْدِ فِي جَنَاتِهِمْ وَجَحِيمِهِمْ كَحِجَارَةِ الْبُنْيَانِ!؟

إذا قلنا: إِنَّ الحَرَكَاتِ تَفْنَى والذَوَاتِ تَبْقَى، يَبْقَى أَهْلُ الجَنَّةِ كالأحجار، وأهل النار كالأحجار، لا يتحركون، ولا يأكلون، ولا يشربون، ولا يتكلمون، لماذا؟ لأنَّ المُحَال هو أَبَدِيَّةُ الحَرَكَاتِ، أما الذواتُ فلا يَمْتنع.

٨١- مَا حَالُ مَنْ قَدْ كَانَ يَغْشَى أَهْلَهُ عِنْدَ انْقِضَاءِ تَحَرُّكِ الْحَيَوَانَ
ما حال مَنْ كان على زوجته، أو على حُورِيَّةٍ مِنَ الحُورِ العِينِ؟ الجواب: فإنه يبقى عليها دائماً وأبداً متطابقين إلى ما لا نهاية له، وذلك على مَذْهَبِهِ.

ويقول:

٨٢- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي رَفَعَتْ يَدَا هُ أَكْلَةً مِنْ صَحْفَةٍ وَخِوَانِ
ما حال مَنْ أَخَذَ الأَكْلَةَ وَرَفَعَهَا؟ تبقى يده هكذا دائماً وأبداً، والأَكْلَةُ بِيَدِهِ دائماً، وذلك لانقطاع الحركات.

٨٣- فَتَنَاهَتْ الحَرَكَاتُ قَبْلَ وُصُولِهَا لِلْفَمِّ عِنْدَ تَفْتِيحِ الأَسْنَانِ
الفَمُّ مَفْتُوحٌ الآنَ، يَرْتَقِبُ وُصُولَ اللُّقْمَةِ، لكن الشكوى لله.

انقطعت الحركات، فَبَقِيَتِ اليَدُ مع مَأْكُولِهَا مَرْفُوعَةً، والفمُّ مَفْتُوحًا إلى أَبَدِ الأَبْدِينِ، سبحان الله!

٨٤- وَكَذَلِكَ مَا حَالُ الَّذِي امْتَدَّتْ يَدٌ مِنْهُ إِلَى قِنُومٍ مِنَ القِنُومَانِ

٨٥- فَتَنَاهَتْ الحَرَكَاتُ قَبْلَ الأَخْذِ هَلْ يَبْقَى كَذَلِكَ سَائِرَ الأَزْمَانِ

الجواب: نعم يبقى، وهو رافعٌ يَدَيْهِ يأخذُ الثَّمَرَةَ، فانتَهت الحَرَكَاتُ، فيبقى على هذا أبد الأبدِينِ.

قَوْلُهُ: «إِلَى قِنُومٍ مِنَ الْقِنُونِ» أَي: إِلَى الثَّمَرِ.

٨٦- تَبَّالِهَاتِيكَ الْعُقُولِ فَإِنَّهَا وَاللَّهِ قَدْ مُسِخَتْ عَلَى الْأَبْدَانِ

وَصَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِذْ كَيْفَ يَجْرُؤُ عَالِمٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنْ يَقُولَ هَذَا فِي حَقِّ اللَّهِ، أَوْ فِي حَقِّ عِبَادِ اللَّهِ؟! حَتَّى أَهْلُ النَّارِ الَّذِينَ يُعَذَّبُونَ بِالنَّارِ عِنْدَمَا يُرْفَعُ السَّوْطُ لِضَرْبِهِمْ، وَتَنْتَهِي الْحَرَكَاتُ فَيَقِفُ.

وَقَوْلُهُ: «مُسِخَتْ عَلَى الْأَبْدَانِ» يَعْنِي: أُزِيلَتْ مِنَ الْأَبْدَانِ، أَبْدَانِ بِلَا عُقُولٍ، وَيَأْتِيهِمْ رَضُوا بِهِذِهِ الْعُقُولِ السَّخِيفَةِ، فَأَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ:

٨٧- تَبَّا لِمَنْ أَضْحَى يُقَدِّمُهَا عَلَى الْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «الْآثَارِ» مَا رُوِيَ عَنِ الصَّحَابَةِ.

قَوْلُهُ: «الْأَخْبَارِ» أَي: عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: «الْقُرْآنِ» كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَدَّمَ الْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنْ أَجْلِ الرَّوِيِّ^(١)، كَمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّمَ هَارُونَ عَلَى مُوسَى فِي سُورَةِ طه مِنْ أَجْلِ تَنَاسُبِ الْآيَاتِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٢] فَالتَّنَاسُبُ أَمْرٌ يُسَوِّغُ شَيْئًا لَا يَنْبَغِي فِي حَالِ عَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ.

وَالْخِلَاصَةُ: أَنَّ الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ يَمْنَعُ التَّسْلُسُ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ، وَيَقُولُ: تَفَنَّى النَّارُ بِمَنْ فِيهَا، وَالْجَنَّةُ بِمَنْ فِيهَا.

(١) الرَّوْيُ هُوَ آخِرُ حَرْفٍ صَحِيحٍ فِي الْبَيْتِ، وَعَلَيْهِ تُبْنَى الْقَصِيدَةُ، وَإِلَيْهِ تَنْسَبُ، فَيَقَالُ: قَصِيدَةٌ مِمْيَّةٌ، أَوْ نُونِيَّةٌ، أَوْ عَيْنِيَّةٌ، إِذَا كَانَ الرَّوْيُ فِيهَا مِمْيَا، أَوْ نُونًا، أَوْ عَيْنًا. انظُرْ: عِلْمُ الْعُرُوضِ وَالْقَافِيَةِ، لِعَبْدِ الْعَزِيزِ عَتِيقٍ (ص: ١٣٦).

وأما العَلَّاف فتَلَطَّف ليكون وَسَطًا - على زعمه - بين أَهْلِ السُّنَّةِ والجُهْمِيَّةِ،
وقال: لا نقول كما تقول الجُهْمِيَّةِ في فَنَاءِ الذَّوَاتِ والحركات، ولا نقول بِبَقَاءِ
الحَرَكَاتِ والذَّوَاتِ، كما قال أَهْلُ السُّنَّةِ، ولكن نكون وَسَطًا بينهما، فنقول: تَفَنَى
الحركاتُ دُونَ الذواتِ.

فصل

- ٨٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ^(١) خَلْقَهُ عَدَمًا وَيَقْلِبُهُ وُجُودًا ثَانِيًا
- ٨٩- الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ وَالْأَرْوَاحُ وَالْأَمْلاكُ وَالْأَفلاكُ وَالْقَمَرَانِ
- ٩٠- وَالْأَرْضُ وَالْبَحْرُ الْمَحِيطُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ مِنْ عَرْضٍ وَمِنْ جُثْمَانِ
- ٩١- كُلُّ سَيْفِيهِ الْفَنَاءُ الْمَحْضُ لَا يَبْقَى لَهُ أَنْتَرٌ كَظِلٍّ فَا نِي
- ٩٢- وَيُعِيدُ ذَا الْمَعْدُومِ أَيْضًا ثَانِيًا مَحْضَ الْوُجُودِ إِعَادَةً بِزَمَانِ

الشرح

وهذا أيضًا من ضلاله، إذ يقول: إن الله تعالى يُعِدُّمُ الخلق كله عَدَمًا مَحْضًا، فإذا كان يومُ القيامةِ أنشأه من جديد، وعلى هذا فالذي يُنعم ويُعذب ليس بني آدم الموجودين، لأن بني آدم الموجودين يُعَدِّمُونَ عَدَمًا مَحْضًا، ولا يُمكنُ أن يُعَادُوا، ولكن الله يُنشِئُ أَقْوَامًا آخَرِينَ.

والسماواتُ والأرضُ تُعَدِّمُ نهائيًا، ولا يَبْقَى لها في الوجود أثر، ثم يُخلِّقُ الله أَرْضًا ثَانِيَةً، وَسَمَاءً ثَانِيَةً، وَشَمْسًا ثَانِيَةً، وَقَمَرًا ثَانِيًا.

فالجنة والنار - من الأصل - غير مَوْجُودَتَيْنِ عنده، ولهذا ما تكلَّم عليهما ابن القيم، وَتَكَلَّمَ على ما هو موجود الآن، فهذا الموجود يُعَدِّمُ عَدَمًا مَحْضًا، ثم يُؤْتَى

(١) في مطبوعة الهراس وبعض النسخ: «يعدم» والأصل أولى.

بِدَلِهِ، وَكُلُّ هَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَصْلِهِ الْحَبِيثُ، وَهُوَ عَدَمُ التَّسْلُسِ، ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

٨٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ خَلْقَهُ عَدَمًا وَيَقْلِبُهُ وُجُودًا ثَانِيًا
قَوْلُهُ: «عَدَمًا» أَي: عَدَمًا مَحْضًا.

وَقَوْلُهُ: «وُجُودًا ثَانِيًا» أَصْلُهُ أَنْ يُقَالَ: (وُجُودًا ثَانِيًا)، لَكِنْ أَجَاءَتْهُ ضَرُورَةٌ
النَّظْمِ. إِلَى ذَلِكَ.

٨٩- الْعَرْشُ وَالْكَرْسِيُّ وَالْأَرْوَاحُ وَالْأَمْلاكُ وَالْأَفلاكُ وَالْقَمَرَانِ

٩٠- وَالْأَرْضُ وَالْبَحْرُ الْمُحِيطُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ مِنْ عَرْضٍ وَمِنْ جُثْمَانِ

قَوْلُهُ: «الْقَمَرَانِ» يَعْنِي: الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عَرْضٍ، وَمِنْ جُثْمَانِ» (الْعَرْضُ): الْأَوْصَافُ، وَ(الْجُثْمَانُ):

الْأَجْسَادُ.

٩١- كُلُّ سَيْفِينِهِ الْفَنَاءُ الْمَحْضُ لَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ كَظِلِّ فَا نِي

قَوْلُهُ: «الْمَحْضُ» يَعْنِي: الْكَامِلُ.

وَقَوْلُهُ: «كَظِلُّ» يَعْنِي: طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَأَفْتَتَهُ.

٩٢- وَيُعِيدُ ذَا الْمَعْدُومِ أَيْضًا ثَانِيًا مَحْضَ الْوُجُودِ إِعَادَةً بِزَمَانِ

قَوْلُهُ: «إِعَادَةً بِزَمَانِ» يَعْنِي: يَأْتِي بِدَلِهِمْ نِهَائِيًا، وَعَلَى هَذَا فَمَنْ اسْتَحَقَّ الثَّوَابَ

فِي الدُّنْيَا لَا يُثَابُ فِي الآخِرَةِ، لِأَنَّ غَيْرَهُ يُثَابُ، وَمَنْ اسْتَحَقَّ الْعِقَابَ لَا يُعَاقَبُ، بَلْ

يُعَاقَبُ غَيْرُهُ! فَهَنِيئًا لِأَهْلِ الْمَعَاصِي أَنَّهُمْ لَا يُعَاقَبُونَ، حَيْثُ يُنْشِئُ اللَّهُ أَقْوَامًا

آخِرِينَ، وَحُجَّتُهُ بَاطِلَةٌ بِلَا شَكٍّ.

يقول: لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، ويقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

فنتقول: هذا مِنْ زَيْغِكَ، وهذه الآية - وإن كانت مُشْتَبِهَةً - فهناك آياتٌ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَفْسَ الْمَخْلُوقِ يُعَادُ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، وهو - سبحانه وتعالى - يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ، لَكِنْ إِبْدَالٌ صِفَةٍ، لَا إِبْدَالٌ عَيْنٍ، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥] أَيُّ جِبَالٍ هِيَ مَوْجُودَةٌ، أَوْ مَعْدُومَةٌ؟ الجواب: موجودة ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٥-١٠٧]، وقال في السموات: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩] فهذا تبديلٌ، لأنها الآن لا تَمُورُ، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ﴾ [المعارج: ٨] وهي الآن ليست كذلك، فالإعادةُ إعادةُ صِفَةٍ، لَا إعادةَ عَيْنٍ.

خلاصة هذا البحث: أَنَّ هَذَا الرَّجُلَ - وهو الجهم - زَعَمَ أَنَّ الْمَعَادَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ لَهُذِهِ الْأَجْسَامُ، وَأَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْمَوْجُودَ الْمَشَاهِدَ الْآنَ يَفْنَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَاءً كَامِلًا، وَلَا يَوْجُدُ مِنْهُ شَيْءٌ أَبَدًا كَالظِّلِّ تَنْسَخُهُ الشَّمْسُ، هَلْ يَبْقَى ظِلًّا؟

الجواب: لَا يَبْقَى شَيْءٌ، ثُمَّ يُعِيدُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَلْقَ مِنْ جَدِيدٍ، فَيُعِيدُ الْحَيَوَانَ، وَالْإِنْسَانَ، وَالْبَهَائِمَ، وَالْوُحُوشَ، وَهَكَذَا.

أَيْضًا السَّمَوَاتُ يُعِيدُهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَالْأَرْضُ يُعِيدُهَا مِنْ جَدِيدٍ، وَالْكَوَاكِبُ يُعِيدُهَا مِنْ جَدِيدٍ، فَكُلُّ شَيْءٍ يُعَادُ مِنْ جَدِيدٍ، لِمَاذَا؟ قَالَ: لِأَنَّ هَذَا هُوَ مَعْنَى التَّبْدِيلِ، فَأَنْتَ إِذَا قُلْتَ: أَبَدِلْ لِي هَذِهِ الْحَقِيَّةَ بِهَذَا الْكِتَابِ، فَالْحَقِيَّةُ تَنْتَقِلُ مِنِّي إِلَيْكَ، وَالْكِتَابُ يَنْتَقِلُ مِنْكَ إِلَيَّ، فَالْبَدِيلُ غَيْرُ الْمُبْدَلِ مِنْهُ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ولا شكَّ أنَّ هذا القول باطلٌ، والتبديل الذي ذكَّره اللهُ عزَّ وجلَّ ليس تبديلاً ذات بذات، لكنه تبديلٌ وصفٍ بوصفٍ، واستشهد المؤلفُ لذلك بقوله تعالى: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦] قال: إِنَّ الْجِلْدَ بَاقٍ، لكنه نَضِجَ مِنَ النَّارِ ﴿كَمَا نَضِجَتِ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، فَهِيَ لَمَّا نَضِجَتْ نَشَأَتْ مِنْ جَدِيدٍ، وَهِيَ هِيَ.

واستدلَّ أيضًا بأنَّ الله تعالى يطوي السموات، ويطوي الأرضين، والطيُّ للمعدوم غيرُ ممكن، واستدلَّ أيضًا بأنه لو كان خلقًا جديدًا لعُذِّبَ مَنْ لا يستحقُّ العذاب، ونَجَا مَنْ يستحقُّ العذاب، لأنَّ هذا الكافر عُدِمَ نهائيًا، وجاء كافرٌ جديد بدلًا منه، وعذبنا هذا الكافر.

وهذا غير معقول، ولا يمكن أن الله عزَّ وجلَّ يخلق أقوامًا يُعذبهم، وأقوامًا يُنعمهم بدون أيِّ عمل.

- ٩٣- هَذَا الْمَعَادُ وَذَلِكَ الْمَبْدَأُ لَدَى جَهَنَّمَ، وَقَدْ نَسَبُوهُ لِلْقُرْآنِ
- ٩٤- هَذَا الَّذِي قَادَ ابْنَ سَيْنَا^(١) وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَاتِهِ إِلَى الْكُفْرَانِ
- ٩٥- لَمْ تَقْبَلِ الْأَذْهَانَ ذَا وَتَوَهَّمُوا أَنَّ الرَّسُولَ عَنَاهُ بِالْإِيمَانِ
- ٩٦- هَذَا كِتَابُ اللَّهِ أَنَّى قَالَ ذَا أَوْ عَبْدُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، فيلسوف، له تصانيف في الطبِّ وغيره، كان من أهل دعوة الحاكم العبيدي، معروفًا بالإلحاد، وُلِدَ في إحدى قُرَى بُخَارَى (سنة ٣٧٠)، وتوفي في سفره إلى همدان (سنة ٤٢٨)، وكان يُلقَّبُ المُعَلِّمُ الثالث للفلاسفة، وسيُذكر المُعَلِّمُ الأول لهم لاحقًا في هذا الكتاب إن شاء الله. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٣١).

٩٧- أَوْ صَاحِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ تَابِعٌ لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

الشرح

٩٣- هَذَا الْمَعَادُ وَذَلِكَ الْمَبْدَأُ لَدَى جَهَنَّمَ، وَقَدْ نَسَبُوهُ لِلْقُرْآنِ

٩٤- هَذَا الَّذِي قَادَ ابْنَ سِينَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ إِلَى الْكُفْرَانِ

يقول - رحمه الله تعالى -: إنَّ هذا المبدأ والمعاد عند جَهَنَّمَ ليس هناك تَسْلُسُلٌ، لا في الماضي، ولا في المستقبل، وذكر أنَّ هذا هو الذي قَادَ ابْنَ سِينَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ إِلَى الْكُفْرَانِ، وهذا صريحٌ في أنَّ ابْنَ سِينَا كَافِرٌ، وهو عند بعض أَقْوَامِنَا مِنْ أَبْرَزِ أَعْلَامِ الْإِسْلَامِ، وَيُقَدِّسُونَهُ، وَرَبِمَا يُسَمُّونَ بَعْضَ الْمَدَارِسِ بِاسْمِهِ، وَهَذَا مِنَ الْجَهْلِ، وَلَا أَظُنُّ أَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ وَصَلَ فِي فَلْسَفَتِهِ وَطَبَّهِ إِلَى الْكُفْرِ، وَلَوْ عَلِمُوا بِذَلِكَ مَا رَضُوا، فَمَا رَضُوا أَنْ يُقَدَّسَ، وَلَا أَنْ تَكُونَ الْمَدْرَاسُ بِاسْمِهِ.

المهم أنَّ ابن القيم - رحمه الله - صرَّحَ بأنه كافر، وكذلك شيخه ابن تيمية - رحمه الله - صرَّحَ بأنَّ ابن سينا المُقَدَّسَ عند الْعَرَبِ كَافِرٌ، نَسَأَلَ اللهُ الْعَافِيَةَ.

فالذي يُنْكِرُ الْمَعَادَ الْجُثَّتَانِي لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ، وَقَوْلُهُ هَذَا كَلَامُ الْمُشْرِكِينَ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَ عَنْهُ مِنْ أَنَّهُ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ، فَإِنَّ ثَبْتَ هَذَا بِسِنْدٍ صَحِيحٍ، نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ تَابَ فَتَابَ اللهُ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَالْأَصْلُ بَقَاءُ مَا كَانَ عَلَى مَا كَانَ.

٩٥- لَمْ تَقْبَلِ الْأَذْهَانَ ذَا وَتَوَهَّمُوا أَنَّ الرَّسُولَ عَنَاهُ بِالْإِيمَانِ

فَأَذْهَابُهُمْ مَا قَبِلَتْ هَذَا، وَلَا رَضِيَتْ بِهِ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي عَنَاهُ الرَّسُولُ ﷺ، يَعْنِي: لَمْ تَقْبَلِ التَّسْلُسُلَ، وَظَنُّوا أَنَّ هَذَا هُوَ الَّذِي عَنَاهُ الرَّسُولُ

- صلى الله عليه وعلى آله وسلم-، بقوله: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ»^(١).

فيقول -رحمه الله-: أرونا إذا كان الرسول ﷺ جاء به.

٩٦- هَذَا كِتَابُ اللَّهِ أَنْبَى قَالَ ذَا أَوْ عَبْدُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ

٩٧- أَوْ صَحْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ أَوْ تَابِعٌ لَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «الْبُرْهَانِ» أَي السُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «أَوْ صَحْبُهُ» أَي: أقوال الصحابة من بعده، أو تابع لهم على الإيمان والإحسان، فكلُّهم لم يقولوا بهذا القول، فكيف يتوهم واهم أن هذا ما جاء به النبي ﷺ؟!

٩٨- بَلْ صَرَّحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ حَقًّا مُغَيَّرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

٩٩- فَيَدُلُّ اللَّهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ أَيْضًا، ذَانَ تَبْدِيلَانِ

١٠٠- وَهُمَا كَتَبَدِيلِ الْجُلُودِ لِسَاكِنِي النَّوَى نِيرَانِ عِنْدَ النَّضْجِ مِنْ نِيرَانِ

١٠١- وَكَذَلِكَ يَقْبِضُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ بِيَدَيْهِ مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ

١٠٢- وَتُحَدِّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ

١٠٣- وَتَظَلُّ تُشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالَّذِي مِنْ فَوْقِهَا قَدْ أَحَدَتْ الثَّقَلَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

١٠٤- أَيْشَهْدُ الْعَدَمَ الَّذِي هُوَ كاسِمِهِ لَا شَيْءَ، هَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

الشرح

٩٨- بَلْ صَرَّحَ الْوَحْيُ الْمُبِينُ بِأَنَّهُ حَقًّا مُغَيَّرٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

بَيَّنَّ - رحمه الله - في هذه المقطوعة أَنَّ الْوَحْيَ الْمُبِينَ يَعْنِي: الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ (بأنه حَقًّا مُغَيَّرٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ)، وَلَيْسَ يَأْتِي بِأَكْوَانٍ أُخْرَى، كَمَا قَالَ الْجَهْمُ، بَلْ إِنَّهُ يُغَيَّرُهَا.

٩٩- فَيَبْدُلُ اللَّهُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ أَيْضًا، ذَانِ تَبْدِيلَانَ

قَوْلُهُ: «ذَانِ تَبْدِيلَانَ» أَحَدُهُمَا: لِلسَّمَاءِ، وَالثَّانِي: لِلْأَرْضِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

لكن هل هذا التبديل بمعنى التغيير، أو بمعنى إيجاد أرضٍ أُخْرَى، وَسَمَاءٍ أُخْرَى؟

الجواب: الأول، لأنه لو كانت أرضًا جديدةً وَسَمَاءً جديدةً ما صحَّ أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا بُدِّلَتْ، لِأَنَّ الْأَرْضَ الْجَدِيدَةَ غَيْرُ الْأُولَى، وَالسَّمَاءَ الْجَدِيدَةَ غَيْرُ الْأُولَى، فَكَيْفَ يَقُولُ: اللَّهُ يَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، ثُمَّ نَقُولُ: هَذِهِ أَرْضٌ جَدِيدَةٌ، وَهَذِهِ سَمَاءٌ جَدِيدَةٌ؟! هَذَا لَا يُمْكِنُ.

إِذَنْ التَّبْدِيلُ يَكُونُ تَبْدِيلَ صِفَةٍ، أَيْ: تَتَغَيَّرُ الصِّفَةُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّ ۝ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨-٩].

والأرض يبدلها الله عز وجل فتكون قاعاً صَفْصَفاً، لا ترى فيها عِوَجًا ولا أَمْتًا^(١).

ولما قيل لبعض الناس: كيف يصحُّ أن ندعو للمرأة ونحن نصلي عليها: «اللَّهُمَّ أَبْدِلْهَا زَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهَا»^(٢). والله يقول في القرآن: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَغَنَّهُمْ دُزْرِيْنَهُمْ بِأَيْمَنِ الْخَفَا بَيْنَهُمْ دُزْرِيْنَهُمْ وَمَا لَنْتَهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٢١]، ويقول عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ، وَسَتَعْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ﴾ [غافر: ٧-٨]؟

والجواب عن هذا: أن المراد إبدال صفاته لا إبدال ذاته، لأن الزوج في الدنيا قد يكون مسيئاً إلى زوجته غاية الإساءة، ومتعباً لها، فنسأل الله أن يبدلها بزواج غير زوجها من حيث الصفات، وهذا جواب واضح.

يقول:

١٠٠- وَهُمَا كَتَبَدِيلِ الْجُلُودِ لِسَاكِنِي النَّارِ نِيرَانٍ عِنْدَ النَّضْجِ مِنْ نِيرَانِ أَهْلِ النَّارِ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - تَنْضُجُ جُلُودُهُمْ، وَلَا يَبْقَى فِيهَا إِحْسَاسٌ مِنَ الْعَذَابِ، لِأَنَّ الشَّيْءَ إِذَا نَضِجَ لَا يُحْسُ بِالنَّارِ، فَإِذَا نَضِجَتْ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - أُعِيدَتْ نَفْسُ الْجُلُودِ، فَتَدْبُّ فِيهَا الْحَيَاةَ مِنْ جَدِيدٍ ﴿كَلِمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦] اللَّهُمَّ أَجِرْنَا مِنَ النَّارِ.

(١) أي: لا انخفاص فيها، ولا ارتفاع. التاج: أمت.

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب الدعاء للميت في الصلاة، رقم (٩٦٣).

وليس المعنى أَنَّ الْجُلُودَ الْأُولَى تَنْفَسِحْ، ثم يُخْلَقُ جِلْدٌ جَدِيدٌ، لا، بَلِ الْمَعْنَى أَنَّ الْجِلْدَ الْأَوَّلَ الَّذِي نَضِجَ مِنَ النَّارِ حَتَّى صَارَ لَا يُحْسُ يُبَدَّلُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ يُعَادُ وَصَفُهُ، لَا ذَاتَهُ، لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ.

وقوله تعالى: ﴿كَلِمًا﴾ يُفِيدُ التَّكْرَارَ، وَأَنَّ هَذَا دَائِبُهُمْ أَبَدًا.

١٠١- وَكَذَلِكَ يَقْبِضُ أَرْضَهُ وَسَمَاءَهُ بِيَدَيْهِ مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ

وهذا صحيح، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَتَّى قَدَرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ [الزمر: ٦٧].

لو كانت عُدِمَتِ الْأَرْضُ الْأُولَى، وَجِيءَ بِأُخْرَى مَا صَارَتْ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي أَشَارَ اللَّهُ إِلَيْهَا قَبْضَةً لَهُ، وَلِهَذَا قَالَ: (مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ).

وَقَوْلُهُ: «مَا الْعَدَمَانِ مَقْبُوضَانِ» وَهَذَا مِنْ حَيْثُ الْإِعْرَابُ فِيهِ إِشْكَالٌ، وَهُوَ أَنَّ (مَا) فِي هَذَا السِّيَاقِ تَعْمَلُ تَعْمَلُ (لَيْسَ)، تَرْفَعُ الْأِسْمَ، وَتَنْصِبُ الْحَبْرَ، فَكَيْفَ نُجِيبُ عَنْ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنْ شَيْخٍ عَالِمٍ بِالْعَرَبِيَّةِ؟

إِنْ قُلْتَ: جَرَى عَلَى لُغَةٍ (تَمِيمٍ)، فَلَا يَصِحُّ، لِأَنَّ اللُّغَاتَ تَغَيَّرَتْ، وَلَا يُقْبَلُ بَعْدَ تَغْيِيرِ اللُّغَاتِ مِنْ أَحَدٍ يَلْحَنُ، فَيَقُولُ: أَنَا عَلَى لُغَةٍ تَمِيمٍ، أَوْ عَلَى لُغَةٍ جُشَمٍ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ عَلَى لُغَةٍ مَن يُلْزِمُ الْمُثْنَى الْأَلْفَ مُطْلَقًا، فَلَنَا أَيْضًا: هَذَا غَيْرٌ مَقْبُولٌ، لِأَنَّهُ بَعْدَ تَغْيِيرِ اللُّغَةِ لَا يُقْبَلُ لِأَحَدٍ يَخَالِفُ لُغَةَ قَرِيشٍ.

وَإِنْ قُلْتَ: الضَّرُورَةُ! فَالْجَوَابُ: نَعَمْ، لِلضَّرُورَةِ.

١٠٢- وَتُحَدِّثُ الْأَرْضُ الَّتِي كُنَّا بِهَا أَخْبَارَهَا فِي الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «كُنَّا بِهَا» الباء بمعنى (في)، أو بمعنى (على)، أي: كُنَّا عَلَيْهَا، أو فِيهَا.

١٠٣- وَتَظَلُّ تَشْهَدُ وَهِيَ عَدْلٌ بِالَّذِي مِنْ فَوْقَهَا قَدْ أَحَدَثَ الثَّقَلَانِ

الله أكبر! جَمَادٌ وَيُوصَفُ بِأَنَّهُ عَدْلٌ، يعني: مقبول الشَّهادة، فالأَرْضُ التي

نحن عليها الآن تَشْهَدُ علينا بما عَمَلْنَا، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۗ﴾ (٤: الزلزلة: ٤-٥) أَوْحَى أَنْ تُحَدِّثَ أَخْبَارَهَا فتقول: عَمِلَ عَلَيَّ فُلَانٌ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا، تقول ذلك وهي جَمَادٌ.

لكن لا تستغرب يا أخي! إذا أَمَرَ اللهُ شَيْئًا امْتَثِلْ لِمَا قَالَ، قال تعالى: ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ ۗ﴾ [فصلت: ١١] فلا تستغرب أَنَّ الله يقول يوم القيامة للأرض: اشهدي، فتشْهَدُ بما عَمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

إن كنت في أقصى حُجْرَةٍ مُظْلِمَةٍ، فَإِنَّ الْأَرْضَ سَوْفَ تَشْهَدُ عَلَيْكَ بِمَا عَمِلْتَ، جِلْدُكَ يَشْهَدُ عَلَيْكَ، يَدَاكَ، رِجْلَاكَ تَشْهَدُ عَلَيْكَ، الملائكة الكرام يشهدون، ربُّ العالمين - وكفى به شهيداً - يشهد كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۗ﴾ [التوبة: ١٠٧] فليس هناك مَفْرُؤٌ.

١٠٤- أَفَيْشْهَدُ الْعَدَمَ الَّذِي هُوَ كَاسْمِهِ لَا شَيْءَ، هَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «أَفَيْشْهَدُ الْعَدَمَ الَّذِي هُوَ كَاسْمِهِ؟» الجواب: لا.

إذا كانت هذه الأرض سوف تُعَدَمُ وَيُؤْتَى بِأَرْضٍ جَدِيدَةٍ كَيْفَ تَشْهَدُ؟!

ولذا قال: «لَا شَيْءَ، هَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ»، فالأدلة - والحمد لله - واضحةٌ على

بُطْلَانِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِعَادَةٌ لِمَا قَدْ وُجِدَ، وَإِنَّمَا يُحَدِّثُ شَيْءٌ آخَرَ مَعْلُومٌ.

ولذا يقول تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُوهُمُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ﴾ [الروم: ٢٧] أي: نفس الخلق، لكن ابن القيم - رحمه الله - يُكثِر من الأدلة حتى يَرَسِّخَ الحُكْمَ في الذهن.

- ١٠٥- لَكِنْ تُسَوَّى ثُمَّ تُبْسَطُ ثُمَّ تَشْهَدُ هَدُّ ثُمَّ تُبَدَّلُ وَهِيَ ذَاتُ كِيَانٍ
 ١٠٦- وَتُعَدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانٍ
 ١٠٧- وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرْضِ مِنْ أَكْبَادِهَا^(١) كَالْأَسْطُورَانِ نَفَائِسِ الْأَنْبِيَانِ
 ١٠٨- كُلُّ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِهِ مَا لِامْرِئٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ
 ١٠٩- وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتَتُّ فَتَأْمُحَكَمَا فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُتْبَانِ
 ١١٠- وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
 ١١١- وَتُبَسُّ بِسَاءٍ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَنْشِي مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاطِرِ الْإِنْسَانِ

الشرح

يقول - رحمه الله -:

- ١٠٥- لَكِنْ تُسَوَّى ثُمَّ تُبْسَطُ ثُمَّ تَشْهَدُ هَدُّ ثُمَّ تُبَدَّلُ وَهِيَ ذَاتُ كِيَانٍ

قوله: «لَكِنْ تُسَوَّى» يعني: الأرض، يُسَوِّيها عَزَّ وَجَلَّ.

قوله: «ثُمَّ تُبْسَطُ، ثُمَّ تَشْهَدُ، ثُمَّ تُبَدَّلُ وَهِيَ ذَاتُ كِيَانٍ»، المؤلف يريد أن

يُكْرِّرَ الدليلَ على أن الأرض هي الأرض، لكنها تُبَدَّلُ بصفاتِها.

(١) في نسخة الحلبي «ذَا أَكْبَادِهَا».

١٠٦- وَتُمَدُّ أَيْضًا مِثْلَ مَدِّ أَدِيمِنَا مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانٍ
قَوْلُهُ: «أَدِيمِنَا» الأديم هو الجلد.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ أَوْدِيَةٍ وَلَا كُتْبَانٍ» الأودية: مجاري للماء، والكتبان: الشيء العالي.

١٠٧- وَتَقِيءُ يَوْمَ الْعَرَضِ مِنْ أَكْبَادِهَا كَالْأُسْطُوَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ
قَوْلُهُ: «تَقِيءُ» يعني: يخرج منها كما يخرج القيء من الفم.

وَقَوْلُهُ: «وَتَقِيءُ مِنْ أَكْبَادِهَا كَالْأُسْطُوَانِ نَفَائِسَ الْأَثْمَانِ» الأثمان النفيسة: الذهب، تَقِيئُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ولكن لا نَعْلَمُ كَيْفَ ذَلِكَ؟ إِنَّمَا نَشْهَدُ بِأَنَّهَا كَالَّذِي يَتَقَيءُ، فَيَخْرُجُ مِنْهَا هَذَا الذَّهَبُ مِثْلَ الْأُسْطُوَانِ، وَلَعَلَّ هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ أَجْلِ أَنَّ بَقِيَّةَ الْأَرْضِ مَعْدِنٌ، وَأَنْفُسُ الْمَعَادِنِ هِيَ الذَّهَبُ.

١٠٨- كُلُّ يَرَاهُ بِعَيْنِهِ وَعَيَانِهِ مَا لِامْرِئٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ
قَوْلُهُ: «عينه» أي: العين الباصرة.

قَوْلُهُ: «عيانه» أي معاينته، يعني أنه يراه بعينٍ تُبْصِرُ وتَرَى، وكم من عَيْنٍ لَا تُعَايِنُ!

قَوْلُهُ: «مَا لِامْرِئٍ بِالْأَخْذِ مِنْهُ يَدَانِ» هذا الذهب الذي يخرج من الأرض كالقيء لا يستطيع أحد أن يأخذه، لأنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ليس فيه تصرف، فالإنسان لا يتصرف فيه كيفما يشاء، فهم مُدَبَّرُونَ تمامًا، لا خيار لهم، فلا أحد يستطيع أن يجلس ليستریح، ولا أحد يَتَّقِي بأحد، ولا أحد يأخذ من هذا الذهب، لأنه لا خيار له في ذلك اليوم.

١٠٩- وَكَذَا الْجِبَالُ تُفْتَتَّى فَتَا مُحْكَمَاً فَتَعُودُ مِثْلَ الرَّمْلِ ذِي الْكُثْبَانِ

الجبال الصَّمُّ الصَّلْبَةُ العظيمة تكون يوم القيامة مثل كُثْبَانِ الرمل كما قال عز وجل: ﴿وَكَاثِرَ الْجِبَالِ كَيْبًا مَهِيلاً﴾ [المزمل: ١٤].

١١٠- وَتَكُونُ كَالْعِهْنِ الَّذِي أَلْوَانُهُ وَصِبَاغُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «الْعِهْنُ»: هو الصُّوف المنفوش، والصُّوف المنفوش كالقطن المنفوش، لا شيء، تُقبض على حجم إنسان بيد واحدة.

١١١- وَتُبَسُّ بِسَاءٍ مِثْلَ ذَلِكَ فَتَشْنِي مِثْلَ الْهَبَاءِ لِنَاطِرِ الْإِنْسَانِ

الله أكبر، تكون هباءً يَتَطَايرُ، وما هو الهباء؟ هو أنك حينما ترى الكوَّة^(١) تدخل منها الشمس، فترى في الأشعة أشياء تَتَطَايرُ، وهذه الجبال -سبحان الله العظيم- تكون كاهباء تتطاير، ولا شك أن هذا سيكون عن حَدَثٍ عظيم، كما وَصَفَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ فقال: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١].

ونحن الآن نسمع بالزلازل، وهي ليست بشيء بالنسبة ليوم القيامة، قريباً وقعت زلازل في تركيا في الأسبوع الماضي، وبقِيَت (٥٤) ثانية، ودمَّرت مئات البيوت والقرى والمدن في أقل من نصف دقيقة.

سبحان الله! تفجَّرت الأرض، المجاري تفجَّرت، الأسلاك تقطعت، كل شيء في لحظة، وما ظنك لو كنت تشاهد هذا الغبار الذي يتصاعد من البيوت، ومن الأرض، ومن الأودية، ثمَّ ما أعقب ذلك من اشتعال النيران، وأمَّا يوم القيامة، فهو أشد من هذا بكثير.

(١) الكوَّة: الحرق في الحائط ونحوه. التاج: كوو.

فالجبال الصُّمُّ الصَّلْبَةُ الشَاخِخَةُ تَنْدُكُ، تكون رملاً، تكون كَثِيبًا وتكون هَبَاءً، ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَسَيَرُ الْجِبَالِ سَيْرًا﴾ [الطور: ١٠] أي: سَيْرًا عَظِيمًا سَرِيعًا هَبَاءً يطير في السماء.

وكان الناس في أول الأمر إذا رأوا النعش ارتاعوا وخافوا، وخشعوا، أمَّا الآن فقد قَسَتِ القُلُوبُ، والسبب في ذلك الغفلة عن دين الله عزَّ وجلَّ ومن أحسن ما يُلَيِّنُ القُلُوبَ كثرةُ قِرَاءَةِ القرآن الكريم بتدبُّرٍ، ولذا يقول ابن عبد القويّ -رحمه الله-:

وَحَافِظٌ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُلَيِّنُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلْمَدٍ^(١)

وصدق -رحمه الله-، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]. نسأل الله أن يُلَيِّنَ قُلُوبَنَا عَلَى الْحَقِّ.

- ١١٢ - وَكَذَا الْبِحَارُ فَإِنَّهَا مَسْجُورَةٌ قَدْ فُجِّرَتْ تَفْجِيرَ ذِي سُلْطَانِ
- ١١٣ - وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ يَأْذُنُ رَبُّنَا لَهُمَا فَيَجْتَمِعَانِ يَلْتَقِيَانِ
- ١١٤ - هَذِي مُكْوَرَةٌ، وَهَذَا خَاسِفٌ وَكِلَاهُمَا فِي النَّارِ مَطْرُوحَانِ
- ١١٥ - وَكَوَاكِبُ الْأَفْلَاقِ^(٢) تُنْثَرُ كُلُّهَا كَلَالِي نُثِرَتْ عَلَى مَيْدَانِ
- ١١٦ - وَكَذَا السَّمَاءُ تُشَقُّ شَقًّا ظَاهِرًا وَتَمُورٌ أَيْضًا أَيَّامَ مَوْرَانِ
- ١١٧ - وَتَصِيرُ بَعْدَ الْإِنْشِقَاقِ كَمِثْلِ هَـ ذَا الْمُهْلِ أَوْ تَكُ وَرْدَةٌ كَدِهَانِ

(١) انظر القصيدة بكاملها في الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح الحنبلي (٣/ ٥٩٠).

(٢) في نسخة برلين السفارينية: «الأملك».

الشرح

يريد - رحمه الله - هنا أن يؤكد أن التبديل ليس إنشاءً خَلَقَ جديد، لكنه اختلاف صفات، فالبحار تُسَجَّر كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا أَلْحَا تُ سَجَّرَتْ﴾ [التكوير: ٦] واختلَف في معنى سَجَّرَتْ: هل المعنى: (مُلَّتْ نارًا)، أو المعنى: (فُجِّرَتْ)، كما في الآية الثانية؟

الجواب: كلا الوجهين مُحْتَمَل، وإن رجَّحنا فإننا نرجِّح أنها تمتلئ نارًا، حتى تكون كُلُّ آيةٍ قد دلَّت على معنى غير ما دلَّت عليه الأخرى.

- ١١٨- وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ لَا يُفْنِيهِمَا أَيضًا، وَإِنَّهَا لَمَخْلُوقَانِ
- ١١٩- وَالْحُورُ لَا تَفْنَى كَذَلِكَ جَنَّةُ الْـ مَأْوَى وَمَا فِيهَا مِنَ الْوِلْدَانِ
- ١٢٠- وَلِأَجْلِ هَذَا قَالَ جَهَنَّمُ: إِنَّهَا عَدَمٌ وَلَمْ تُخْلَقْ إِلَى ذَا الْآنِ
- ١٢١- وَالْأَنْبِيَاءُ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى أَجْسَامُهُمْ حُفِظَتْ مِنَ الدِّيدَانِ
- ١٢٢- مَا لِلْبَلَى بِلُحُومِهِمْ وَجُسُومِهِمْ أَبَدًا، وَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ يَدَانِ
- ١٢٣- وَكَذَلِكَ عَجَبُ الظَّهْرِ لَا يَبْلَى، بَلَى مِنْهُ تُرْكَبُ خِلْقَةُ الْإِنْسَانِ
- ١٢٤- وَكَذَلِكَ الْأَرْوَاحُ لَا تَبْلَى كَمَا تَبْلَى الْجُسُومُ وَلَا بِلَى اللَّحْمَانِ
- ١٢٥- وَلِأَجْلِ ذَلِكَ لَمْ يُقَرَّ الْجَهَنَّمُ بِالْـ أَرْوَاحٍ خَارِجَةً عَنِ الْأَبْدَانِ
- ١٢٦- لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ بِهَا قَامَتْ، وَذَا فِي غَايَةِ الْبُطْلَانِ

الشرح

١١٨- وَالْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ لَا يُفْنِيهِمَا أَيضًا، وَإِنَّهُمَا لَمَخْلُوقَانِ

يقول - رحمه الله تعالى -: إِنَّ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى تَسَلُّسُلِ الْحَوَادِثِ، وَبِقَاءِ بَعْضِ الْمَخْلُوقَاتِ: الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ لَا يُفْنِيهِمَا أَبَدًا، وَإِنَّهُمَا لَمَخْلُوقَانِ، يَعْنِي: إِنَّهُمَا مَخْلُوقَانِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَا يَفْنِيَانِ، فَالْتَسَلُّسُلُ فِيهِمَا بِحَسَبِ الْمُسْتَقْبَلِ، لَكِنَّ أَعْيَانَهُمَا كَانَتْ عَدَمًا، ثُمَّ خَلَقَهُمَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وفي هذا نصٌّ صريحٌ مِنَ الْمُؤَلَّفِ - رحمه الله - عَلَى أَنَّ الْعَرْشَ غَيْرَ الْكُرْسِيِّ، فَمَا هُوَ الْعَرْشُ، وَمَا هُوَ الْكُرْسِيُّ؟

المشهور أَنَّ الْكُرْسِيَّ هُوَ مَوْضِعُ قَدَمِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ صَحَّ ذَلِكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَمَا الْعَرْشُ فَهُوَ أَعْظَمُ وَأَعْظَمُ، وَهُوَ الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّحْمَنُ - جَلَّ وَعَلَا - وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لِلْكُرْسِيِّ كَحَلَقَةِ أُلْقِيَتْ فِي فَلَائِمٍ مِنَ الْأَرْضِ» ^(٢).

وماذا تكون الحلقة بالنسبة للفلاة؟ الجواب: لا شيء.

وإِنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَائِمِ عَلَى هَذِهِ الْحَلَقَةِ، وَلِهَذَا وَصَفَ اللَّهُ الْعَرْشَ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ بـ(ال) فَقَالَ: ﴿رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩] وهما لا يَفْنِيَانِ، خَلَقَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى لِلْبَقَاءِ أَبَدًا.

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢٤٨/١)، والحاكم (٢١٠/٢) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٢٨).
(٢) أخرجه ابن حبان (٧٧/٢)، وسعيد بن منصور في التفسير (٩٥٢/٣).

١١٩- وَالْحُورُ لَا تَفْنَى كَذَلِكَ جَنَّةُ الْـ مَأْوَى وَمَا فِيهَا مِنَ الْوَالِدَانِ
كذلك الحور والوالدان في الجنة لا تفنيان، خلقهما الله تعالى للبقاء أبد
الأبدين.

١٢٠- وَلَا جَلِ هَذَا قَالِ جَهَنَّمَ: إِنَّهَا عَدَمٌ وَلَمْ تُخْلَقْ إِلَى ذَا الْآنِ
يعني أن الجنة عدمٌ، والحور عدمٌ، والوالدان عدمٌ، ولا تُخْلَقُ إِلَّا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،
ثم في النهاية أيضًا تفنى، لأنه لا يرى تسلسل الحوادث.

١٢١- وَالْأَنْبِيَاءَ فَإِنَّهُمْ تَحْتَ الثَّرَى أَجْسَامُهُمْ حَفِظَتْ مِنَ الدَّيْدَانِ
١٢٢- مَا لِلْبَلْبَلِ بِلُحُومِهِمْ وَجُسُومِهِمْ أَبَدًا، وَهُمْ تَحْتَ التُّرَابِ يَدَانِ

الله أكبر! أجسام الأنبياء في الأرض محفوظة من الديدان، لا تأكلها الأرض،
حرّم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء^(١)، وفي هذا دليل على أن الأمر
أمر الله عزّ وجلّ وأنّ كلّ الكون يسيرُ بأمر الله، فالأرض التي من طبيعتها أن
تأكل الأجسام، لا تأكل أجسام الأنبياء، والذي قال لِنَارِ إِبْرَاهِيمَ -عليه الصلاة
والسلام- ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَيَّ إِنِّي بَرِيءٌ﴾ [الأنبياء: ٦٩] -والنار تُحْرِقُ وتُهْلِكُ،
فصارت بردًا وسلامًا- قادرٌ على أن يُحَرِّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء،
ولذلك لو كشف عن أي نبيٍّ من الأنبياء لَوُجِدَ كأنه ماتَ اليومَ، لا تأكله
الأرض.

(١) كما في حديث: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ». أخرجه أبو داود: كتاب
الجمعة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧)، والنسائي: كتاب الجمعة، باب
إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤)، وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة
والسنة فيها، باب فضل الجمعة، رقم (١٠٨٥).

يقول - رحمه الله -:

١٢٣- وَكَذَلِكَ عَجِبُ الظَّهْرِ لَا يَبْلَى، بَلَى مِنْهُ تُرَكَّبُ خِلْقَةُ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «بَلَى» كلمة (بَلَى) هنا تكثر في كلام المؤلف، وجاء مثلها في القرآن، وهي بمعنى: (بل) في مثل هذا التركيب، وهذا أيسر من أن نُقَدِّرَ أنها جواب لما مضى.

ثم استأنف فقال: (بَلَى مِنْهُ تُرَكَّبُ خِلْقَةُ الْإِنْسَانِ).

وعَجِبُ الذَّنْبِ، هو عبارة عن حَبَّةٍ صغيرة في منتهى عُصْعُصِ الظَّهْرِ، وهذه - بإذن الله - لا تأكلها الأرض أبداً، بل تبقى، حتى لو نُبِشَ القَبْرُ وُحِرِثَ، لا بُدَّ أن تبقى، لأنها يومَ القيامة تكون كالْبَدْرَةِ للجسم، منها يُكَوَّنُ الجِسمُ، سبحان الله! والله على كل شيء قدير.

١٢٤- وَكَذَلِكَ الْأَرْوَاحُ لَا تَبْلَى كَمَا تَبْلَى الْجُسُومُ وَلَا بِلَى اللَّحْمَانِ

الأرواح لا تَبْلَى، فقد خَلَقَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ للبقاء، فها هنا الآن العرش، والكرسي، والخور، وأجساد الأنبياء، وعَجِبُ الذَّنْبِ، والسادس: الأرواح، كُلُّ هذه لا تَفْنَى ولا تَبْلَى.

قال:

١٢٥- وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ لَمْ يُقَرَّرِ الْجَهَنَّمُ بِأَلْ أَرْوَاحٍ خَارِجَةً عَنِ الْأَبْدَانِ

١٢٦- لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضٍ بِهَا قَامَتْ، وَذَا فِي غَايَةِ الْبُطْلَانِ

يقول جهنم: لا توجد رُوحٌ تخرج من البدن، وتدخل فيه، فالروح عَرَضٌ من الأعراض، يعني مثل ما يمرض البدن، وَيَتَحَرَّكُ ببطء، وما أشبه ذلك، يَعْتَرِيهِ

عَرَضُ، أي: مرَضٌ شديدٌ فيموت.

فالموت عنده ليس معناه أن هناك رُوحًا تخرج من البدن وتبقى، لكنه يرى أن الموت والحياة وصفان للبدن أي: عَرَضَانِ، كما يَعْرِضُ المرَضُ والصَّحَّةُ، فهي وَصْفٌ مِنَ الأوصافِ كَالطُّولِ وَالْقِصْرِ وَالْحُمْرَةَ وَالسَّوَادَ وَالْبِيَاضَ، ويقول: ليس هناك رُوحٌ تَخْرُجُ وتُنَعَّمُ أو تُعَذَّبُ في القبر، ولا نَعِيمٌ في الجَنَّةِ لها، لأنَّ التَّسْلُسُلَ عنده ممنوع.

ولكنَّ هذا لا شكَّ أنه مخالفٌ لما جاء به الكتابُ والسُّنَّةُ، قال الله تعالى:
 ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وقال: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

والإنسان إذا مات يرى روحه خارجةً من بدنه، كما قال النبي ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ البَصَرُ»^(١). ولذلك يَشْخَصُ البَصَرُ، لأنه يرى رُوحه خارجة من جَسَدِهِ.

أما الجهم فيقول: لا تُوجَدُ رُوحٌ تخرج، أو تدخل، فالموتُ عبارةٌ عن فَقْدِ الحياة، فهذا الجسم الذي يتحرك الآن، ويسيرُ ويمجيء، يفقد هذه الحركة.
 ثم قال -رحمه الله-:

١٢٧- فَالْشَّانُ لِلْأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا أَبْدَانَهَا^(٢) - وَاللَّهُ - أَعْظَمُ شَانِ

١٢٨- إِمَّا عَذَابٌ أَوْ نَعِيمٌ دَائِمٌ قَدْ نَعَمْتُ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حُضِرَ، رقم (٩٢٠).

(٢) في أكثر الأصول: «أبداننا».

- ١٢٩- وَتَصِيرُ طَيْرًا سَارِحًا مَعَ شَكْلِهَا
تَجْنِي السَّمَارَ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ
- ١٣٠- وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِأَنْهَارِ بِهَا
حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الْجُحْتَانِ
- ١٣١- لَكِنَّ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتَشْهَدُوا
فِي جَوْفِ طَيْرٍ أَخْضَرَ رَيَّانِ
- ١٣٢- فَلَهُمْ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ فِي عَيْشِهِمْ
وَنَعِيمِهِمْ لِلرُّوحِ ^(١) وَالْأَبْدَانِ
- ١٣٣- بَدَلُوا الْجُسُومَ لِرَبِّهِمْ فَأَعَاضَهُمْ
أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيْرِ بِالْإِحْسَانِ
- ١٣٤- وَلَهَا قَنَادِيلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي
مَأْوَى لَهَا كَمَسَاكِينِ الْإِنْسَانِ
- ١٣٥- فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةٍ
مِنْهَا بِهِذِي الدَّارِ فِي جُحْتَانِ ^(٢)
- ١٣٦- وَعَذَابٌ أَشَقَّهَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي
قَدْ عَايَنْتَ أَبْصَارُهَا ^(٣) بَعِيَانِ
- ١٣٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهَا عَرَضُ آبُوا
ذَا كَلَّمَهُ، تَبَّالِذِي نُكْرَانِ

الشرح

ذكر - رحمه الله - أحوال الروح فقال:

١٢٧- فَالشَّأْنُ لِلْأَرْوَاحِ بَعْدَ فِرَاقِهَا
أَبْدَانَهَا - وَاللَّهُ - أَعْظَمُ شَأْنِ

ولا أحد يتصوّر كيف يكون نعيم الروح، أو عذابها بعد فراقها البدن؟
فشأن الروح عظيم، أعظم شأن، كما قال - رحمه الله -.

(١) في الشرح: «بالروح».

(٢) في نسخة الإفتاء: «جسمان».

(٣) في نسخة الحلبي: «أبصارنا».

١٢٨- إِمَاعَذَابٌ أَوْ نَعِيمٌ دَائِمٌ قَدْ نَعَّمْتَ بِالرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ

وهذه روح المقربين، قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ [الواقعة: ٨٨-٨٩] اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

١٢٩- وَتَصِيرُ طَيْرًا سَارِحًا مَعَ شَكْلِهَا تَجْنِي الثَّمَارَ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

الأرواح تكون طيورًا تسرح في الجنة مع شكلها، وتجنّي من ثمرات الجنة.

قَوْلُهُ: «بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ» أي: بجنة الحياة العظيمة الدائمة، فالألف والنون للمبالغة، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] أي: الحياة العظيمة.

١٣٠- وَتَظَلُّ وَارِدَةً لِّأَنَّهَا سَارِحَةٌ حَتَّى تَعُودَ لِذَلِكَ الْجُثْمَانِ

فهي تأكل من الثمار، وتشرب من الأنهار، وتكون على صورة طير، حتى يئون عليها التنقل في جنات النعيم، حتى تعود إلى جسمها يوم القيامة عودًا لا خروج بعده، لأن الإنسان إذا بُعث يوم القيامة فلا موت، لكن أرواح الشهداء غير أرواح بقية المؤمنين، ولذا قال:

١٣١- لَكِنَّ أَرْوَاحَ الَّذِينَ اسْتُشْهِدُوا فِي جَوْفِ طَيْرٍ أَخْضَرَ رَيَّانِ

الروح في جوف طير أخضر ريان، يعني: مملوءًا حيويةً وخضرةً من أحسن ما يكون منظرًا وحركة.

١٣٢- فَالَهُمْ بِذَلِكَ مَزِيَّةٌ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ لِلرُّوحِ وَالْأَبْدَانِ

وذلك كما قال عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ

عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

١٣٣- بَدَلُوا الْجُسُومَ لِرَبِّهِمْ فَأَعَاضَهُمْ أَجْسَامَ تِلْكَ الطَّيْرِ بِالْإِحْسَانِ

١٣٤- وَلَهَا قَنَادِيلٌ إِلَيْهَا تَنْتَهِي مَأْوَى لَهَا كَمَسَاكِنِ الْإِنْسَانِ

الشهداء تكون أرواحهم في جوفِ طيورِ خُضِرٍ تَسْرُحُ حَيْثُ شَاءَتْ^(١)، ولكن لها قناديلُ مُعَلَّقةٌ بالعرشِ تَأْوِي إليها، كما تَأْوِي الطيور إلى أوكارها.

ويَبِّنُ المؤلَّفُ - رحمه الله - الحكمةَ مِنْ ذَلِكَ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ بَدَلُوا أَجْسَادَهُمْ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حَتَّى قُتِلُوا، فَأَبَدَلَ اللَّهُ تَعَالَى أَرْوَاحَهُمْ بَدَلِ الْأَجْسَادِ الَّتِي خَرَجَتْ مِنْهَا بِهَذِهِ الْقَنَادِيلِ الْمُعَلَّقَةِ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩].

والفَرْقُ بَيْنَ أَرْوَاحِ الشَّهَدَاءِ، وَأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَرْوَاحَ الشَّهَدَاءِ لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَتِلْكَ لَيْسَ لَهَا، وَكَذَلِكَ هُنَاكَ فَرْقٌ، وَهُوَ أَنَّ ظَاهِرَ السُّنَّةِ أَنَّ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أَرْوَاحِ الشَّهَدَاءِ، فَأَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ هِيَ نَفْسُهَا طَيْرٌ، وَهَذِهِ أَرْوَاحٌ فِي جَوْفِ الطَّيْرِ، فَهِيَ أَعْظَمُ تَكْرِيماً مِنَ الْأُولَى.

١٣٥- فَالرُّوحُ بَعْدَ الْمَوْتِ أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهَا يَهْدِي الدَّارَ فِي جُثْمَانِ

يعني أَنَّ الرُّوحَ إِذَا فَارَقَتِ الْبَدَنَ - وَهِيَ مِنْ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ - فَإِنَّهَا أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهَا فِي اتِّصَالِهَا بِالْبَدَنِ فِي الدُّنْيَا.

وَانظُرْ إِلَى كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي آيَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ حَيْثُ قَالَ: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ (١١) وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿ [العلی: ١٦-١٧] وَهَذَا مُطْلَقٌ.

(١) كما في حديث الشهداء: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلٌ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرُحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ». أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان أن أرواح الشهداء في الجنة، وأنهم أحياء عند ربهم يرزقون، رقم (١٨٨٧).

وقال عز وجل: ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾ [النساء: ٧٧] وهذا مُقَيَّد.

وقال الله لنبيه: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ [الضحى: ٤].

فهذه ثلاث مراتب: المرتبة الأولى بالنسبة للآخرة من حيث إنها خيرٌ من الدنيا من حيث هي، ثم من يتمتع بهذا الخير، وهو من اتقى، ثم من شهد له بأنه سيتمتع بعينه وهو الرسول ﷺ: ﴿وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ وهذا من شهادة الله تعالى لنبيه ﷺ أن الآخرة خيرٌ له من الأولى.

١٣٦- وَعَذَابٌ أَشْقَاهَا أَشَدُّ مِنَ الَّذِي قَدْ عَايَنْتُ أَبْصَارَهَا بِعِيَانِ

إي - والله - أشد، عذابُ الأشقى من الأرواح أشد من عذاب الدنيا كلها، ألم تعلموا أن نار الآخرة «فُضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا؟»^(١) فكلُّ نار الدنيا من أولها إلى آخرها، نار الآخرة أشدُّ بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، نسأل الله العافية.

١٣٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُمْ عَرَضُ آبِوَا ذَا كُلُّهُ، تَبَّ الَّذِي نَكَّرَانَ

القائلون بأنها عرض يقولون: ليس هناك روحٌ تخرج من الجسد تُعَذَّبُ وتُنَعَّمُ، وغاية ما حصل للبدن تغيرٌ من حياة إلى موت، كما يتغير من صحة إلى مرض.

١٣٨- وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِخْرَاجَ الْوَرَى بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْمَعَادِ الثَّانِي

١٣٩- أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا وَاللَّهُ مُقْتَدِرٌ وَذُو سُلْطَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٩٢)، ومسلم:

كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم، رقم (٢٨٤٣).

- ١٤٠- مَطَرًا غَلِيظًا أَبْيَضًا مُتَتَابِعًا
عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ
- ١٤١- فَتَطَّلُ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الْوَرَى
وَلِحُومُهُمْ كَمَنَابِتِ الرَّيْحَانِ
- ١٤٢- حَتَّى إِذَا مَا الْأُمُّ حَانَ وِلَادُهَا
وَتَمَحَّضَتْ فَنِفَاسُهَا مُتَدَانِي
- ١٤٣- أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَاءِ ^(١) فَتَشَقَّقَتْ
فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ ^(٢) الشُّبَّانِ
- ١٤٤- وَتَخَلَّتِ الْأُمُّ الْوَلُودُ وَأَخْرَجَتْ
أَنْقَالَهَا أَنْثَى وَمِنْ ذُكْرَانِ

الشرح

أشار المؤلف -رحمه الله- إلى كيفية بعث الله الورى، وقد ذكر الله - سبحانه وتعالى- أن بعث الناس كإنزال المطر على الأرض، قال الله - تبارك وتعالى-:

﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿١٠﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴿١١﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴿٩﴾﴾ [ق: ٩-١١] وأمثال هذه الآية كثير.

وقال عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩].

- ١٣٨- وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ إِخْرَاجَ الْوَرَى
بَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْمَعَادِ الثَّانِي
- ١٣٩- أَلْقَى عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي هُمْ تَحْتَهَا
وَاللَّهُ مُقْتَدِرٌ وَّذُو سُلْطَانِ
- ١٤٠- مَطَرًا غَلِيظًا أَبْيَضًا مُتَتَابِعًا
عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ

(١) في بعض الأصول: «الورى».

(٢) في نسخة الإفتاء: «كأجل».

فله عزَّ وجلَّ السُّلْطَةُ الكَامِلَةُ عَلَى كَلِّ الخَلْقِ، وَلَهُ القُدْرَةُ التَّامَةُ.
 وَأَشْبَهَ مَا لَهُ فِي هَذَا الوَصْفِ مَنِيَّ الرِّجَالِ غَلِيظًا أَيْضًا.
 وَقَالَ: (أَيْضًا) بِالصَّرْفِ لضرورة الشعر.

قَوْلُهُ: «مُتَّابِعًا عَشْرًا وَعَشْرًا بَعْدَهَا عَشْرَانِ» يَعْنِي: أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَهُوَ يَمْطُر
 الأَرْضَ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَفِي هَذِهِ الأَرْبَعِينَ يَصِلُ المَاءُ إِلَى قَعْرِ القُبُورِ فَتَنْبُتُ الأَجْسَامُ،
 فَكَمَا نَبَتَ بِمَنِيِّ الرِّجَالِ أَوْلًا تَنْبُتُ الآنَ بِهَذَا المَطَرِ.

١٤١- فَتَظَلُّ تَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَامُ الوَرَى وَلُحُومُهُمْ كَمَنَابِتِ الرِّيحَانِ
 كالأَرْضِ مِثْلًا الَّتِي فِيهَا حُبُوبُ الرِّيحَانِ، إِذَا أَتَاهَا المَطَرُ بَدَأَتْ تَنْبُتُ.

١٤٢- حَتَّى إِذَا مَا الأُمُّ حَانَ وَلَادُهَا وَتَمَخَّضَتْ فَنَفَاسُهَا مُتَدَانِي
 قَوْلُهُ: «حَانَ» يَعْنِي: قُرْبٌ، وَالمَرَادُ بِ(الأُمِّ) هُنَا الأَرْضُ.

١٤٣- أَوْحَى لَهَا رَبُّ السَّمَاءِ فَتَشَقَّقَتْ فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ الشُّبَّانِ
 إِذَا كَمَلَ النَّاسُ فِي قُبُورِهِمْ مِنْ هَذَا المَاءِ أَوْحَى اللهُ لِلأَرْضِ أَنْ تَتَشَقَّقَ عَنْ
 أَجْسَامِهَا، فَإِذَا تَشَقَّقَتْ عَنْ أَجْسَامِهَا، يَقُولُ -رَحِمَهُ اللهُ-: (فَبَدَا الْجَنِينُ كَأَكْمَلِ
 الشُّبَّانِ).

١٤٤- وَتَخَلَّتِ الأُمُّ الوَلُودَ وَأَخْرَجَتْ أَنْقَالَهَا أَنْثَى وَمِنْ ذُكْرَانِ

الآن تَخَلَّتْ عَنِ النَّاسِ، وَخَرَجَ النَّاسُ عَلَى ظَهْرِهَا، ثُمَّ يُوحِي اللهُ إِلَى
 إِسْرَائِيلَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ، فَيَنْفُخُ فِي الصُّورِ النَّفْخَةَ الثَّانِيَةَ، وَأَمَّا النَّفْخَةُ الأُولَى
 فَيَمُوتُ النَّاسُ المَوْجُودُونَ، فَتَخْرُجُ الأَرْوَاحُ مِنْ هَذَا الصُّورِ بَعْدَ أَنْ اجْتَمَعَتْ فِيهِ،

وتذهب كُلُّ رُوحٍ إِلَى جَسَدِهَا الَّتِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ فِي الدُّنْيَا، لَا تَخْطئه أَبَدًا، وَهَذَا مَعَ كَثْرَةِ الْعَالَمِ، لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَهَا أَنْ تَذْهَبَ إِلَى أَجْسَادِهَا، وَلَا مَفَرَّ لَهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى أَجْسَادِهَا فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ.

وَكُلُّ ذَلِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النَّازِعَاتُ: ١٣-١٤] وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يَس: ٥٣] الْأَوَّلُ وَالْأَخِيرُ، وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَالذَّكَرُ وَالْأُنْثَى، بِصَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ يُحْضَرُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلْقَضَاءِ بَيْنَهُمْ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْمَقُولُ الْمُؤَيَّدُ بِالْمَنْقُولِ.

أَمَّا جَهَنَّمُ وَأَتْبَاعُهُ، فَإِنَّهُمْ - فِي الْحَقِيقَةِ - عَلَى شَفَا^(١) جُرْفِ^(٢) هَارٍ، انْهَارَ بِهِمْ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

- ١٤٥- وَاللَّهُ يُنْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشَاةٍ أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْفُرْقَانِ
١٤٦- هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ اللَّهِ آدِي بِهِ، فَاحْرِضْ عَلَى الْإِيمَانِ
١٤٧- مَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُعْدمُ خَلْقَهُ طُرًّا كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ

الشرح

تَقَدَّمَ أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَرَّرَ، وَأَبْدَى، وَأَعَادَ فِي الْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْخَلْقَ لَا يُسْتَبَدَلُ بِخَلْقٍ آخَرَ غَيْرِ الْأَوَّلِ، وَلَكِنَّهُ يُعَادُ كَمَا كَانَ، قَالَ:

(١) الشِّفَا: حَرْفٌ كُلُّ شَيْءٍ. انظر: تاج العروس، مادة: شفي.

(٢) الْجُرْفُ مَا أَكَلَ السَّيْلُ مِنْ أَسْفَلِ شِقِّ الْوَادِي وَالنَّهْرِ. انظر: لسان العرب، مادة: جرف.

١٤٥- وَاللَّهُ يُنْشِئُ خَلْقَهُ فِي نَشْأَةٍ أُخْرَى كَمَا قَدْ قَالَ فِي الْفُرْقَانِ

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٧] والنشأة لا تعني إبدال الأولِ بِآخَرَ، بدليل قول الله -تبارك وتعالى- في أطوار الحمل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤] فبقوله تعالى: ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ تَمَّ الْجِسْمَ الْآنَ، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ وذلك بعد نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ، لأنه صار الْآنَ حَيًّا.

فهل قوله: ﴿أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ معناه: أَعَدَمْنَا الْأَوَّلَ، وأنشأنا جديدًا؟ الجواب: لا، ولكن تبدلت أوصافه، كذلك قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ٤٧] يعني: الْبَعْثُ، وَالْبَعْثُ لَيْسَ مَعْنَاهُ إِعْدَامُ الْأَوَّلِ، ثُمَّ إِنْشَاءُ خَلْقٍ آخَرَ.

١٤٦- هَذَا الَّذِي جَاءَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ اللَّهِ سَادِي بِهِ، فَاحْرِضْ عَلَى الْإِيمَانِ

١٤٧- مَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ يُعْدِمُ خَلْقَهُ طَرًّا كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «مَا قَالَ» الضمير يعود على الله عزَّ وجلَّ يعني ما قال الله: (إِنَّ اللَّهَ يُعْدِمُ خَلْقَهُ طَرًّا كَقَوْلِ الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ).

وَقَوْلُهُ: «الْجَاهِلِ الْحَيْرَانِ» المراد به: الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ.

الأصول التي تقدّمت في مذهب جَهْمٍ ينبغي للإنسان أن يُقَيِّدَهَا فيقول: خالف في كذا، وفي كذا في الإيمان، وفي الصفات، وفي إعادة الخلق، فيُقَيِّدَهَا

في دَقْتَرٍ خاصٍّ، حتى لا يذهب عليه العِلْم، وكُلُّ إنسان وقُدْرته، وكُلُّ إنسان وأسلوبه، المهم ألا تكون مجرد قراءة، تقول مثلاً ذكر ابن القيم -رحمه الله تعالى- مثلاً أصول مَذْهَبِ الْجَهْمِيَّةِ التي خالفوا بها أهل السُّنَّةِ والجماعة، ثم تُذْكَر، حتى تكون مرجعاً.

فصل

- ١٤٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
فِعْلًا يَقُومُ بِهِ بِلَا بُرْهَانٍ
- ١٤٩- بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ
كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الْحُسْبَانِ
- ١٥٠- وَالْجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ
عَيْنُ الْعَصَاةِ وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ
- ١٥١- كَانُوا عَلَى وَجَلٍ مِنَ الْعِضْيَانِ إِذْ^(١)
هُوَ فِعْلُهُمْ، وَالذَّنْبُ لِلْإِنْسَانِ
- ١٥٢- وَاللَّوْمُ لَا يَعْدُوهُ إِذْ هُوَ فَاعِلٌ
بِإِرَادَةٍ وَيَقْدِرُ الْحَيَوَانَ
- ١٥٣- فَأَرَاخَهُمْ جَهَنَّمَ وَشِيعَتَهُ مِنَ اللَّهِ
لَوْمِ الْعَنِيفِ وَمَا قَضَوْا بِأَمَانِ
- ١٥٤- لَكِنَّهُمْ حَمَلُوا ذُنُوبَهُمْ عَلَى
رَبِّ الْعِبَادِ بِعِزَّةٍ وَأَمَانِ
- ١٥٥- وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا
أَفْعَالُهُ مَا حِيلَتْهُ الْإِنْسَانِ

الشرح

- ١٤٨- وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
فِعْلًا يَقُومُ بِهِ بِلَا بُرْهَانٍ
- ١٤٩- بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ
كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ...» وهذا أيضًا من أصوله الحبيثة.

(١) في نسخة الشرح: «ذا».

قَوْلُهُ: «بَلَا بُرْهَانَ» أَي: بلا دليل.

يقول جهم: إِنَّ الله ليس بفاعلٍ فعلاً يقوم به، يعني: ليس بِخَالِقٍ خَلْقًا هو وَصْفُهُ، ولا بِسَامِعٍ سَمْعًا هو وَصْفُهُ، بل خَلَقَهُ مَخْلُوقَهُ، فيكون مَخْلُوقٌ بلا خَلْقٍ، مَخْلُوقٌ لله، لكن بلا خَلْقٍ هو فعلُ الله.

وَمِنَ المَعْلُوم أَنه يَوجد خَالِقٌ، وَخَلَقَ وَهُوَ فِعْلُ الخَالِقِ، وَمَخْلُوقٌ، وَهُوَ بَائِنٌ مُنْفَصِلٌ.

فالجهم يقول: إِنَّ الله -سبحانه وتعالى- لَيْسَ بِخَالِقٍ بِخَلْقٍ هو وَصْفُهُ،

لماذا؟

الجواب: لأنه ينفي الصفات، فيقول: لا يُوصَفُ اللهُ بِخَلْقٍ، والخَلْقُ عنده مَصْدَرٌ بمعنى اسم المفعول، أَي: إنه مَخْلُوقٌ، والعَجَبُ أَنه يُقَرَّرُ بِخَالِقٍ، ولا يُقَرَّرُ بِخَلْقٍ، وَيُقَرَّرُ بِمَخْلُوقٍ، فالواسطة بينهما عنده مَنفِيَّةٌ.

قَوْلُهُ: «بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ» ويموز (خارج).

وَقَوْلُهُ: «بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ» يعني: حَالٌ كَوْنُهُ خَارِجَ ذَاتِهِ، لأنَّ المفعول -كما نعلم- ليس في الذات، فأنت إذا صَنَعْتَ طَعَامًا، فالطَّعَامُ ليس وَصْفَكَ، وليس ذَاتَكَ أيضًا، ولكنه شيءٌ خَارِجٌ ليس بالذات، ولا بالصفات.

قَوْلُهُ: «كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الحُسْبَانِ» يعني: كما يقول أيضًا: إِنَّ الوصفَ غيرُ الذات، ولكننا لا نُثَبِّتُ الوصفَ، لأننا لو أثبتنا الوصفَ لَأَثَبْنَا قُدَمَاءَ مُتَعَدِّدِينَ: سمعًا قديمًا، بصرًا قديمًا، قُدْرَةً قديمة، عِلْمًا قديمًا، وهذا يقتضي تَعَدُّدَ الآلهة، لأنَّ أَحْصَى وَصْفٍ لِلآلهِ -عِنْدَهُمْ- هو القِدَمُ.

وَتَصَمَّنَ الْبَيْتَانَ أَنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - ليس بفاعلٍ فعلاً يقوم به، فليس بخالقٍ خلقاً يقوم بذاته، وليس بمُستَوٍ استواءً يقوم بذاته، وليس بآتٍ يومَ القيامةِ إتياناً يقوم بذاته، وليس بنازلٍ إلى السماء الدنيا نُزولاً يقوم بذاته، وليس بِرَازِقٍ رِزْقاً يقوم بذاته، فلا يقوم بذاته فعلٌ أبداً، لماذا؟ قال: لأنَّ هذه الأفعال حوادثٌ، ولو قامت بالربِّ عزَّ وجلَّ لكان حَادِثًا، لأنَّ الحوادث لا تقوم إلا بِحَادِثٍ.

انظر كيف جَعَلَ التَّعْطِيلَ في قالب التَّنْزِيهِ؟! فالذي يَسْمَعُ هذا الكلام يقول: نعم، هذا صحيحٌ وطيبٌ، لكنه - في الحقيقة - ليس تَنْزِيهًا، بل هو تعطيلٌ لكمال الله عزَّ وجلَّ فيقول: إِنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - لا يَفْعَلُ فعلاً يقوم به، ثُمَّ يقول: إِنَّ الْإِنْسَانَ أَيْضًا لا يَفْعَلُ فعلاً يقوم به.

١٥٠- وَالْجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْعَصَاةِ وَشَيْعَةُ الشَّيْطَانِ

الجبر هو مذهب الجهمية، ومعنى الجبر: أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ، كقول

القائل:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلِ بِالسَّمَاءِ^(١)

فالجبر مذهبُ جَهَمٍ، الإنسان العاصي يَزْنِي وَيَسْرِقُ، ويشرب الخمر، ويقتل النفسَ بِغَيْرِ حَقٍّ، يقول الجهم: إنه مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ أَي: بِغَيْرِ اخْتِيَارٍ مِنْهُ.

وهل يؤاخذ عليه وهو مُجْبَرٌ؟ قال: نعم يُؤاخذ، والله تعالى إِذَا آخَذَهُ عَلَى ذَنْبِهِ وهو مُجْبَرٌ فَلَيْسَ بِظَالِمٍ، لأنَّ الظُّلْمَ عنده - كما سبق - مُحَالٌ ممتنع لذاته، لأنه إن فَعَلَ شيئًا فَعَلَهُ فِي مُلْكِهِ.

(١) البيت في نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين التلمسان (٥/ ٢٩٢) بلا نسبة.

فلذلك الآن أهل المعصية، وشيعةُ الشيطان الذين يأخذون بِوَحْيِ الشيطان سوف تَقْرُ أَعْيُنُهُمْ بهذا المذهب، لأنهم يقولون: نحن الآن مُجَبَّرُونَ، ما لنا ولكم، فكما أن الإنسان لا يُغَيَّرُ لَوْنَهُ، ولا يُغَيَّرُ صُورَتَهُ، ولا يُغَيَّرُ طُولَهُ ولا قِصْرَهُ، فكذلك لا يُغَيَّرُ عَمَلَهُ، لأنه مُجَبَّرٌ عليه.

وهل هذا مَذْهَبٌ؟ الجواب: لا، والله ليس بِمَذْهَبٍ، ولا أحد يقول به، أيُّ عاقلٍ يمكن أن يقول: حَرَكَتُ يَدِي هكذا كَصُورَتِي، ليس لي فيها تَصَرُّفٌ، لا أحد يقول بهذا، الصُّورَةُ ليس للإنسان فيها تَصَرُّفٌ، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: 6] فليس للإنسان تَصَرُّفٌ فيها: جَمِيلٌ قَبِيحٌ، طَوِيلٌ قَصِيرٌ، أَسْوَدٌ أبيضٌ، ليس له تَصَرُّفٌ فيها.

هو يقول: نَفْسُ الفِعْلِ ليس فيه تَصَرُّفٌ، فالطائِعُ والعاصي كلاهما يفعل بِغَيْرِ اختياره.

والله لو حَدَّثَتْ عَجُوزًا بهذا الكلام، لقاتل: ما هذا الكلام؟! ومع ذلك هؤلاء يَدَّعُونَ أنهم أهل العَقْلِ، وأنَّ هذا مُقْتَضَى العَقْلِ، لأنَّ الرَّبَّ هو الرَّبُّ يفعل ما يشاء، فنقول: نعم، الرَّبُّ يفعل ما يشاء، لكنه أعطى المخلوق إرادةً وَقُدْرَةً ومشيئةً.

يقول:

١٥١- كَانُوا عَلَى وَجَلٍ مِنَ الْعُضَيَانِ إِذْ هُوَ فَعَلُهُمْ، وَالذَّنْبُ لِلْإِنْسَانِ

١٥٢- وَاللَّوْمُ لَا يَعْدُوهُ إِذْ هُوَ فَاعِلٌ بِإِرَادَةٍ وَبِقُدْرَةِ الْحَيَوَانِ

الضمير في قَوْلِهِ: «كَانُوا» يَعُودُ عَلَى الْعُصَاةِ وَشِيعَةِ الشَّيْطَانِ.

وَقَوْلُهُ: «إِذْ» فِي نَسْخَةِ: «ذَا» أَي: الْعِصْيَانِ الَّذِي هُوَ فِعْلُهُمْ، وَالذَّنْبَ لِمَنْ؟
الجواب: للإنسان.

فالإنسان فاعلٌ بإرادة وفاعلٌ بِقُدْرَةٍ، ولولا الإرادة لم يفعل، ولولا القُدرة لم يفعل أيضًا، فهَلَّ الإنسان -مثلاً- إذا كان لا يريد القيام، ولكنه يُريد أن يجلس، وَيَبْقَى عند صاحبه ليتحدث معه، هل يقوم؟ الجواب: لا، لأنه ما أراد، وكذلك لو أراد القيام، ولكن أصابه شللٌ، فهل يمكن أن يقوم؟ الجواب: لا يقوم.

إِذَنْ فِعْلُ الْإِنْسَانِ بِإِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ، وَمَا دَامَ بِإِرَادَتِهِ وَقُدْرَتِهِ فَاللَّوْمُ عَلَيْهِ وَحَدَهُ إِذَا عَصَى، فَالْعَصَاةُ خَائِفُونَ وَجِلُّونَ، لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ الْمَعْصِيَةَ بِإِرَادَتِهِمْ وَقُدْرَتِهِمْ، وَأَنَّ اللَّوْمَ يَلْحَقُهُمْ.

١٥٣- فَأَرَاخَهُمْ جَهَنَّمَ وَشِيعَتُهُ مِنَ اللَّهِ لَوْمَ الْعَنِيفِ وَمَا قَضَوْا بِأَمَانٍ

أَي قَالَ جَهَنَّمَ لَهُمْ: اسْتَرِيحُوا، وَلَا تَخَافُوا، لَا عَلَيْكُمْ، أَنْتُمْ مُجَبَّرُونَ عَلَى هَذَا، هَلْ أَحَدٌ مِنْكُمْ قَصِيرٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَ قَامَتَهُ؟ أَوْ طَوِيلٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْزِلَ قَامَتَهُ؟
الجواب: لا، وهذا نَفْسُ الشَّيْءِ، اسْتَرِيحُوا، اعْصُوا، ازْنُوا، اسْرِقُوا، اشْرَبُوا الْخَمْرَ، لَا عَلَيْكُمْ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجَبَّرَ.

وهذا الذي يقوله ابن القيم -رحمه الله- ليس تَحْيِيلًا، بل هو واقعٌ، فهُمْ يرون أَنَّ الْإِنْسَانَ مُجَبَّرٌ، ليس له إرادة إطلاقًا، وأظنُّ أنه قَبْلَ أَنْ يَسْمَعَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ الْبَاطِلَ، أَنَّهُ لَا يُظَنُّ أَنْ تَرَسُخَ قَدَمُ إِنْسَانٍ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ، فَكُلُّ يَمْشِي بِإِرَادَتِهِ، يَسَافِرُ بِإِرَادَتِهِ، وَيُقِيمُ بِإِرَادَتِهِ، وَيَقْرَأُ بِإِرَادَتِهِ، وَيَمْتَنِعُ بِإِرَادَتِهِ، فَلَا أَحَدٌ يُنْكَرُ هَذَا.

ومع أن الجَهْمِيَّةَ أَرَاخَهُمْ مِنَ اللَّوْمِ، لَكِنَّهُمْ مَا أَمَّنُوهُمْ مِنَ الْعِقَابِ، لِأَنَّ اللَّهَ سَيُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ لَيْسَ عَلَيْهِمْ لَوْمٌ، لَكِنْ يَعَذِّبُهُمْ، لِأَنَّ الظُّلْمَ فِي حَقِّهِ مُسْتَحِيلٌ، فَهُوَ

رَبَّ الْعُقُوبَةِ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ، وَهَوْلَاءُ أُجْبِرُوا عَلَى فِعْلِهِ، وَلَهُ أَنْ يِعَاقِبَهُمْ عَلَى شَيْءٍ يُجْبَرُونَ عَلَيْهِ، لِهَذَا قَالَ: (وَمَا قَضُوا بِأَمَانٍ)، يَعْنِي: مَا أَمَّنُوهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَعَ أَنَّهُمْ مُجْبَرُونَ.

١٥٤- لَكِنَّهُمْ حَمَلُوا ذُنُوبَهُمْ عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ بِعِزَّةٍ وَأَمَانٍ

١٥٥- وَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا أَفْعَالُهُ مَا حِيلَ الْإِنْسَانِ

يقولون - نسأل الله العافية - : إن أفعالك هي أفعال الله، ما لك فيها حيلة، فأنت مجبرٌ عليها، فانظر إلى هذا التناقض! يرفعون اللوم عنهم، لأنهم مجبرون، ويوجبون العقاب لهم، لأنه لا ظلم، فالله لا يظلم أحداً، فانظر كيف التناقض؟! وكان المفروض أن يكون اللوم على الله عز وجل، ولذلك ألزمهم به ابن القيم -رحمه الله-.

يقال: إن رجلاً سارقاً قدّم إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَحَكَمَ بِقَطْعِ يَدِهِ لِتَمَامِ الشَّرْطِ، وَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: الْقَدْرُ -يريد أن يحتجّ بالقدر- فَضَرَبَهُ أَرْبَعِينَ سَوْطًا، وَقَالَ: «قَطَعْتُ يَدَكَ لِسَرِقَتِكَ، وَضَرَبْتُكَ لِفِرْيَتِكَ عَلَى اللَّهِ»^(١).

وبذلك يكون ألقمه حجراً، مع أن أمير المؤمنين يقطع يده بقدر الله، وشرع الله، وهو يسرق بقدر الله، لا بشرع الله، لكن أمير المؤمنين عدل عن الحجّة الشرعية إلى الحجّة القدرية إلزاماً له بما أقرّ به أنه سرق بقدر الله، فتنقطع يده بقدر الله.

(١) أخرجه الرامهرمزي في المحدث الفاصل (ص: ٣١٧)، والخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (١٦٩/٢).

- ١٥٦- مَا كَلَّفَ الْجَبَّارُ نَفْسًا وَسُوعَهَا
 أَنَّى وَقَدْ جُبِرَتْ عَلَى الْعِصْيَانِ؟!
 ١٥٧- وَكَذَا عَلَى الطَّاعَاتِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ
 مَجْبُورَةً فَلَهَا إِذْنُ جَبْرَانَ
 ١٥٨- وَالْعَبْدُ فِي التَّحْقِيقِ شِبْهُ نِعَامَةٍ
 قَدْ كُفِّتْ بِالْحَمْلِ وَالطَّيْرَانَ
 ١٥٩- إِذْ كَانَ صُورَتُهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا
 هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بِذَاكَ يَدَانَ
 ١٦٠- فَلِذَاكَ قَالَ بِأَنَّ طَاعَاتِ الْوَرَى
 وَكَذَاكَ مَا فَعَلُوهُ مِنْ عِصْيَانِ
 ١٦١- هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ لَا أَفْعَالُهُمْ
 فَيَصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفْيَانِ
 ١٦٢- نَفْيِي لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا أَوْ لَا
 وَصُدُورِهَا مِنْهُمْ بِنَفْيِي ثَانِي

الشرح

هذا مترتبٌ على قوله بالجبر، فيقول الناظم -رحمه الله-:

- ١٥٦- مَا كَلَّفَ الْجَبَّارُ نَفْسًا وَسُوعَهَا
 أَنَّى وَقَدْ جُبِرَتْ عَلَى الْعِصْيَانِ؟!
 ١٥٧- وَكَذَا عَلَى الطَّاعَاتِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ
 مَجْبُورَةً فَلَهَا إِذْنُ جَبْرَانَ

وعلى هذا يُرْفَع التَّكْلِيفُ، إِذَا كَانَ مُجْبَرًا عَلَى الْعِصْيَانِ، وَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَنْفَكَ مِنْهُ، وَلَا طَاقَةَ لَهُ بِهِ، صَارَ يُنْفَى عَنْهُ اللَّوْمُ.

فإن قيل: ما الفرقُ بين كلامِ جَهْمٍ هذا، والكلامِ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ عِنْدِ الصُّوفِيَّةِ؟

الجواب: إِذَا قُلْنَا: إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ هِيَ أَعْمَالُ اللَّهِ، فَهَذَا طَرِيقٌ قَرِيبٌ جَدًّا إِلَى الْقَوْلِ بِوَحْدَةِ الْوُجُودِ، كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَثْرُهُ وَنِظَامُهُ
قَوْلُهُ: «وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ» يعني: الله عز وجل.
ولا شك أن هذا طريق إلى وَحْدَةِ الوجود.

١٥٨- وَالْعَبْدُ فِي التَّحْقِيقِ شَبُه نِعَامَةٍ قَدْ كُفِّتْ بِالْحَمَلِ وَالطَّيْرَانِ

النعامه إذا رأيتها رأيت جسمًا كبيرًا، ورأيت لها جناحين، تُكَلِّفُ بَأَن يُحْمَلَ
عليها كما يُحْمَلُ على البعير وتطير، فهل هذا ممكن؟ الجواب: غير ممكن!
مثلاً: واحدٌ عنده نِعَامَةٌ، ذهبَ يُحْمَلُهَا أَكْيَاسًا مِنَ الْأَمْتَعَةِ، ويقول: طيري،
فلا تَقْدِرُ أَنْ تَحْمَلَ، ولا أَنْ تَطِيرَ، لأنَّ العبد عند الجَهْمِ كالنعامه كُفِّ ما لا يستطيع،
فإذا فَعَلَ فَعَلًا فَالفاعل هو الله عز وجل.

١٥٩- إِذْ كَانَ صُورَتُهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بِذَلِكَ يَدَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ صُورَتُهَا تَدُلُّ عَلَيْهَا» أي: صورتها تدلُّ على الحمل والطيْران،
فتدلُّ على الحمل لأنها كبيرة، وعلى الطيْران، لأنَّ لها أجنحة.
وقَوْلُهُ: «هَذَا وَلَيْسَ لَهَا بِذَلِكَ يَدَانِ» يعني: ليس لها قُوَّة.

١٦٠- فَلِذَلِكَ قَالَ بِأَنَّ طَاعَاتِ الْوَرَى وَكَذَلِكَ مَا فَعَلُوهُ مِنْ عِصْيَانِ

١٦١- هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ لَا أَفْعَالُهُمْ فَيَصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفْيَانِ

١٦٢- نَفْيِي لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا أَوْلَا وَصُدُّورَهَا مِنْهُمْ بِنَفْيِي ثَانِي

يعني ينفي القدرة فيقول: الإنسان ليس بقادرٍ على عَمَلِهِ، وهل هذا صحيح؟
هل هو قادرٌ على عَمَلِهِ، أو غير قادر؟ الجواب: هو قادر له قُدْرَةٌ، أعطاه الله إِيَّاهَا.

وهل هو الفاعل، أو غيره؟ الجواب: هو الفاعل.

هو يقول: لا قُدْرَةَ، ولا فاعِلَ، لا قُدْرَةَ، لأنه مُجْبَرٌ، ولا فاعِلٌ، لأنَّ فِعْلَهُ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

إِذْنُ مَا هُمَا النِّفْيَانُ؟ بَيْنَهُمَا أَنَّهَا نَفْيُ الْقُدْرَةِ، وَنَفْيُ صُدُورِهَا مِنْهُمْ.

- ١٦٣- فَيَقَالُ: مَا صَامُوا وَلَا صَلَّوْا وَلَا زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنَ الْقُرْبَانِ
 ١٦٤- وَكَذَلِكَ مَا شَرِبُوا وَمَا قَتَلُوا وَلَا سَرَقُوا وَلَا فِيهِمْ غَوِيٌّ زَانِي
 ١٦٥- وَكَذَلِكَ لَمْ يَأْتُوا اخْتِيَارًا مِنْهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
 ١٦٦- إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ لِأَنَّهَا قَامَتْ بِهِمْ كَالطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ
 ١٦٧- جُبُرُوا عَلَى مَا شَاءَهُ خَلْقُهُمْ مَائِمٌ ذُو عَوْنٍ وَغَيْرُ مَعَانِ
 ١٦٨- وَالْكُلُّ مَجْبُورٌ وَغَيْرُ مَيْسَّرٍ كَالْمَيْتِ أُدْرِجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

الشرح

١٦٣- فَيَقَالُ: مَا صَامُوا وَلَا صَلَّوْا وَلَا زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنَ الْقُرْبَانِ

على مذهب الجبر، لا يقال: إِنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الْمُصَلِّي، وَهُوَ الصَّائِمُ، وَهُوَ الْمَزْكِيُّ، وَهُوَ الدَّاعِي، وَهُوَ الْمُتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ بِالذَّبْحِ، إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ، لِأَنَّ فاعِلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ حَقِيقَةً هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ. اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.

فليَحْمَدَ المسلم رَبَّهُ إذ لم يجعله هكذا، لأنَّ هؤلاء رجالٌ لهم قلوب، ولهم فُهُمٌ، وأذكياء، ومع ذلك ضَلُّوا هذا الضلال البعيد.

إذا قام الإنسان يصليُّ يقول: هذا غير مُصَلِّ، فَمَنْ المُصَلِّيُّ؟ يقول: الله عزَّ وجلَّ فنقول: لكنَّ الكلَّ يقول: إنَّ هذا الإنسان صَلَّى، قال: هذا مجازٌ، فَنِسْبَةُ الصلاةِ إليه مجازٌ، لأنَّها قامت به، وهي فعل الرَّبِّ.

١٦٤- وَكَذَلِكَ مَا شَرِبُوا وَمَا قَتَلُوا وَلَا سَرَقُوا وَلَا فِيهِمْ غَوِيٌّ زَانِي

١٦٥- وَكَذَلِكَ لَمْ يَأْتُوا اخْتِيَارًا مِنْهُمْ بِالْكَفْرِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

يقول: المؤمن مجبور على الإيمان، والكافر مجبور على الكفر.

١٦٦- إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ لِأَنَّهَا قَامَتْ بِهِمْ كَالطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ

طعمُ التَّمْرِ حُلُوٌّ طَيِّبٌ، وطعمُ الشَّرِيٍّ^(١) شديد المرارة، هذا الطعم الذي قام بالتمر وبالشَّرِيٍّ متقابلان، هل هو باختيار الشَّرِيٍّ والتمر؟ الجواب: لا، هكذا فعل العبد، كما يقوم الطَّعْمُ في المطعوم، يقوم الفِعلُ في الفاعل بالنسبة للعبد.

١٦٧- جُبِرُوا عَلَى مَا شَاءَهُ خَلْقُهُمْ مَائِمٌ ذُو عَوْنٍ وَغَيْرُ مُعَانٍ

قَوْلُهُ: «جُبِرُوا عَلَى مَا شَاءَهُ خَلْقُهُمْ» قال: (جبروا) لم يقل: جُبلوا، ولو قال: (جُبلوا) صَحَّ، فالإنسان يُجْبَلُ على الخُلُقِ الطَّيِّبِ، وعلى الخُلُقِ الرديءِ، وعلى العمل الصالح، وعلى العمل السيئ، فهذه جِبَلَةٌ، ولهذا لما قال النبي ﷺ لأَشَجِّ عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ،

(١) الشَّرِيٍّ - بالتسكين -: الحَنْظَلُ، يقال: هو أَحْلَى مِنَ الأَرِي، وَأَمْرٌ مِنَ الشَّرِيٍّ. انظر: تاج العروس،

أَخْلَقْنِي تَخَلَّقْتُ بِهِمَا أَمْ جَبَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِمَا، قَالَ: «بَلْ جَبَلَكَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا»، قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلْقَتَيْنِ مُحِبَّيْهِمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ^(١). فَأَقْرَّ الْجَبَلَ، لَكِنَّ الْجَبَرَ لَا يُقَرَّرُ. هو يقول: إنهم مجبرون.

قَوْلُهُ: «مَا نَمَّ ذُو عَوْنٍ، وَعَعِيْرُ مُعَانٍ» يعني: لا يوجد مُعِين، ولا مُعَانٌ، فالمُعِين هو الله عزَّ وجلَّ والمُعَانُ: الخلق، فهو يقول: هما شيءٌ واحد، يعني: أفعال الخلق هي أفعال الله، فَعَلِيْهِ قَوْلُهُ: ﴿وَأَيَّاكَ نَسْتَعِيْبُ﴾ من قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيْبُ﴾ [الفاتحة: ٥]، على زَعْمِهِ ليس لها فائدة، لأنَّ الفِعْلَ فِعْلُ اللَّهِ.

١٦٨- وَالْكُلُّ مَجْبُورٌ وَغَيْرُ مُسَيَّرٍ كَالْمَيْتِ أُدْرَجُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ
الميت - أحسنَ اللهُ لي ولكم الخاتمة - يُؤخذ جُثَّةٌ من سَرِيرٍ غُسَلَهُ إِلَى أَكْفَانِهِ وَيُدْرَجُ، فَهَلْ هَذَا بَاخْتِيَارِهِ؟ الْجَوَابُ: لَيْسَ بَاخْتِيَارِهِ، فَهُوَ يَقُولُ: الْإِنْسَانُ فِي أَفْعَالِهِ كَالْمَيْتِ يُدْرَجُ دَاخِلَ أَكْفَانِهِ.

لكن لو قال قائل: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ، والدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧] فما الجواب؟

الجواب أن نقول: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ أَي: مَا أَوْصَلْتَ مَرْمِيكَ إِلَيْهِ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ بِالْفِعْلِ، فَالرَّسُولُ رَمَى عَلَى وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ وَهَذَا فِعْلٌ، لَكِنْ هَلْ أَوْصَلَهُ؟ التُّرَابُ لَيْسَ لَهُ نَفُوذٌ فِي الْهَوَاءِ كَنَفُوذِ الْحَجَرِ، وَلِذَا فَمَا يُوَصَّلُ، أَمَّا الْحَجَرُ رَبِّهَا يُوَصَّلُهُ الْإِنْسَانُ إِلَى ثَلَاثِمِئَةِ ذِرَاعٍ، لَكِنَّ التُّرَابَ مَا يُمْكِنُ.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في قبلة الرجل، رقم (٥٢٢٥)، وأصل الحديث عند مسلم: كتاب الإيثار، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه، رقم (١٧).

إِذْنٍ (رمى) الأولى بمعنى: أوصلت، والثانية: (الفاعل)، الثالثة «وَلَكِنَّ»
اللهَ رَمَى»: الإيصال.

العجب أن الغاز المسيل للدموع أصله هذه المسألة، وهو رمي التراب إلى
عيون المشركين، لأنه لما رمى التراب صار كُلُّ واحدٍ مشغولاً بعينه، أو نقول: إنَّ
الغاز المسيل للدموع مأخوذ من هذا، فالأصول الأصيلة تجد لها أصلاً في الشريعة
من قَبْلُ.

- ١٦٩- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُ الْمُهَيِّمِينَ لَمْ تَقُمْ أَيضًا بِهِ خَوْفًا مِنَ الْحَدَثَانِ
١٧٠- فَإِذَا جَمَعْتَ مَقَالَتَيْهِ أَنْتَجَا كَذِبًا وَزُورًا وَاضِحَ الْبُهْتَانِ
١٧١- إِذْ لَيْسَتْ الْأَفْعَالُ فِعْلَ إِيهِنَا وَالرَّبُّ لَيْسَ بِفَاعِلِ الْعِضْيَانِ
١٧٢- فَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْإِلَهِ وَفِعْلُهُ وَكَلَامُهُ وَفَعَائِلُ الْإِنْسَانِ
١٧٣- فَهَنَّاكَ لَا خَلْقٌ وَلَا أَمْرٌ وَلَا بَوْحِيٌّ وَلَا تَكْلِيفٌ عَبْدٍ فَايِ

الشرح

١٦٩- وَكَذَلِكَ أَفْعَالُ الْمُهَيِّمِينَ لَمْ تَقُمْ أَيضًا بِهِ خَوْفًا مِنَ الْحَدَثَانِ
أفعال المهيمين لا يصح أن تُنسب إليه، يعني: كل الصفات الفعلية لا تُنسب
إلى الله، فخلقه بمعنى مخلوقه، وسمعه بمعنى مسموعه، وهلمَّ جرًا.

قوله: «خَوْفًا مِنَ الْحَدَثَانِ» يعني: خوفًا من أن تقوم به الحوادث، والحوادث
لا تقوم إلا بحدوث، هذه قاعدتهم المهدومة، فنفي أيضًا أن تقوم الأفعال بالله،

وهذا من الغرائب، أفعال العباد بالنسبة لله أفعال الله، وأفعال الله لا تُنسب إلى الله، فهذا شيء عجيب، فانظر إلى هذا الهديان الذي ما فوقه هديان!!

هذه المذاهب لولا أن الذين ينقلونها ثقات: كابن القيم وابن تيمية -رحمهما الله- ما صدقنا، لكن هم -جزاهم الله خيرا- خضوا لنا المخيض^(١) فأظهروا الزبد، فهم قرأوا كتب هؤلاء ومحصوها وعرفوها ونقلوها إلينا صافية، فهم -والله- ثقات، ثقات في نقلهم، وثقات في فهمهم أيضا، لأنه ربما يطالع الإنسان كتاب شخص، ولا يعرف معناه، فينقل عنه ما لا يريد، لكنهم ثقات في النقل، وثقات في الفهم.

فنقول: إن هذا المذهب لا يكاد يتصوره عاقل، فضلا عن أن يعتقده في ربه.

١٧٠- فَإِذَا جَمَعْتَ مَقَالَاتِهِ أَنْتَجَا كَذِبًا وَزُورًا وَاضِحَ الْبُهْتَانِ قَوْلُهُ: «كَذِبًا» أَي: كَذِبًا فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ أفعالَ العبادِ أفعالَ الله.

قَوْلُهُ: «وَزُورًا» كَذَلِكَ، وَهُوَ أَقْبَحُ الكَذِبِ، وَنَفِيهِمْ أفعالَ الله عن نفسه أيضًا كَذِبٌ وَزُورٌ.

١٧١- إِذْ لَيْسَتْ الْأَفْعَالُ فِعْلَ إِلَهِنَا وَالرَّبُّ لَيْسَ بِفَاعِلِ الْعِضْيَانِ

١٧٢- فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْإِلَهِ وَفِعْلُهُ وَكَلَامُهُ وَفَعَائِلُ الْإِنْسَانِ

١٧٣- فَهَئَاكَ لَا خَلْقٌ وَلَا أَمْرٌ وَلَا يَوْحِيٌّ وَلَا تَكْلِيفٌ عَبْدٌ فَايِ

يعني: أن أفعال الله ليست فعله.

(١) مَحْضُ اللَّبَنِ يَمْحُضُهُ وَيَمْحُضُهُ وَيَمْحُضُهُ مَحْضًا، فَهُوَ مَمْحُوضٌ وَمَحْيُضٌ: أَخَذَ زُبْدَهُ، وَقَدْ تَمَحَّضَ، وَالْمَخِيضُ وَالْمَمْحُوضُ: الَّذِي قَدْ مَحَّضَ وَأَخَذَ زُبْدَهُ. انظر: لسان العرب، مادة: محض.

قَوْلُهُ: «وَالرَّبُّ لَيْسَ بِفَاعِلٍ الْعِصْيَانِ» إِذَا نَفَى فِعْلَ الْعَبْدِ وَقِيَامَهُ بِالْعَبْدِ، وَأَنَّهُ قَائِمٌ بِاللَّهِ، ثُمَّ نَفَى فِعْلَ اللَّهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا تَقُومُ بِهِ الْأَفْعَالُ خَوْفًا مِنْ قِيَامِ الْحَوَادِثِ بِهِ، وَالْحَوَادِثُ - عَلَى زَعْمِهِ - لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ.

إِذْنٌ ائْتَفَى فِعْلَ الرَّبِّ عَنِ الرَّبِّ، وَانْتَفَى فِعْلَ الْعَبْدِ عَنِ الْعَبْدِ، يَعْنِي أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَفْعَلُ، وَالرَّبُّ لَا يَفْعَلُ، إِذْنٌ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ، إِذْنٌ لَا شَرْعَ، وَلَا وَحْيَ، وَلَا قِرَانَ، وَهَذَا مِنَ اللُّوْازِمِ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي (الْقَوَاعِدِ الْمُثَلِّي) ^(١): هَلْ لَازِمُ الْمَذْهَبِ مَذْهَبٌ أَوْ لَا؟ وَقَلْنَا: أَمَّا مَا كَانَ لَازِمًا مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَكَلَامِ رَسُولِهِ فَهُوَ حَقٌّ، وَأَمَّا مَا كَانَ لَازِمًا مِنْ أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ وَمَذَاهِبِهِمْ، فَلَيْسَ بِمَذْهَبٍ لَهُمْ لِحَوَازِ أَنْ يَلْتَزِمُوا بِهِ فَيَكُونُ مَذْهَبًا لَهُمْ، أَوْ لَا يَلْتَزِمُوا بِهِ، فَلَا يَكُونُ مَذْهَبًا لَهُمْ، وَسَبَقَ بَيَانُ سَبَبِ عَدَمِ التَّزَامِهِمْ.

إِذْنٌ هُوَ لِأَنَّ - وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ - نَفَوْا فِعْلَ قِيَامِ الْأَفْعَالِ بِاللَّهِ، وَنَفَوْا قِيَامَ الْأَفْعَالِ بِالْإِنْسَانِ، وَبِذَلِكَ أَبْطَلُوا الْقَدْرَ وَالشَّرْعَ، وَأَبْطَلُوا الْحِكْمَةَ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّهُمْ لَا يُثَبِّتُونَ لِلَّهِ حِكْمَةً.

فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ يَفْعَلُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، إِذْنٌ كَيْفَ نَمْدِحُ الْمُطِيعَ، وَكَيْفَ نَذِمُ الْعَاصِي؟! كَيْفَ نَعَاقِبُ الْعَاصِي، وَكَيْفَ نُثِيبُ الْمُطِيعَ؟! وَإِذَا كَانَ اللَّهُ لَمْ يَقُمْ بِهِ فِعْلٌ، فَأَيْنَ كَلَامُهُ؟ وَأَيْنَ فِعْلُهُ؟ وَأَيْنَ خَلْقُهُ؟ وَأَيْنَ تَدْبِيرُهُ؟

إِذْنٌ يَلْزِمُ عَلَى قَوْلِهِمْ نَفْيُ الشَّرَائِعِ كُلِّهَا، وَإِبْطَالُ الْقَدْرِ وَالشَّرْعِ، فَهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ فِعْلَ اللَّهِ هُوَ الْمَفْعُولُ فَقَطْ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ فِعْلٌ قَائِمٌ بِهِ فَلَا، فَهُوَ مَخْلُوقٌ بِلَا خَلْقٍ قَائِمٌ بِاللَّهِ، وَاللَّهُ خَالِقٌ بِلَا وَصْفٍ قَائِمٌ بِهِ، بَلْ خَالِقٌ، أَي: لَهُ مَخْلُوقٌ.

(١) انظر: القواعد المثلي في صفات الله وأسمائه الحسنى، للمصنف (ص: ١٣).

هم ينكرون فعل الله الذي هو مُتَّصِفٌ به، وهذا أكبر تناقض
ولا شك أن القول الذي لا يقبل العقل سواه هو ما دلَّ عليه الكتابُ
والسنةُ، فلا شك أن الله موصوفٌ بالأفعال، وأن الأفعال وصفه - سبحانه
وتعالى - قائمٌ به، ولا يلزم من حدوث الفعل حدوثُ الفاعل بلا شك.

وهل يمكن مفعولٌ بلا فعل؟ الجواب: أبدًا، وهل يمكن أن يوجدَ قصرٌ
مبنيٌّ بدون بناءٍ من بانيه؟ الجواب: أبدًا، فالمفعول يلزم منه سبقُ الفعل، وإلا لَمَا
حَصَلَ المطلوب، ونقول أيضًا: إنَّ الإنسان هو الفاعل، ولو لم يكن هو الفاعل
لكَانَ الرَّجُلُ إِذَا زَنَى لَدَهَبْنَا لِوَاحِدٍ لَمْ يَزِنِ، لأنَّ هذا ما فعل.

فنقول: الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة هو أن للإنسان فعلًا قائمًا به يُحْمَدُ
عليه وَيُذَمُّ، وَيُثَابُ، وَيُعَاقَبُ، وَيَصِلُ بِهِ إِلَى الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، أَوْ إِلَى الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ
مِنَ النَّارِ، هَذَا لَا شَكَّ فِيهِ، وَهُوَ مُقْتَضَى الْعَقْلِ وَالشَّرْعِ.

١٧٤- وَقَضَى عَلَى أَسْمَائِهِ بِحُدُوثِهَا وَبِخَلْقِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
١٧٥- فَانظُرْ إِلَى تَعْطِيلِهِ الْأَوْصَافَ وَالْ
١٧٦- مَاذَا الَّذِي فِي ضِمْنِ ذَا التَّعْطِيلِ مِنْ
نَفْسِي وَمِنْ جَحْدٍ وَمِنْ كُفْرَانِ

الشرح

١٧٤- وَقَضَى عَلَى أَسْمَائِهِ بِحُدُوثِهَا وَبِخَلْقِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
١٧٥- فَانظُرْ إِلَى تَعْطِيلِهِ الْأَوْصَافَ وَالْ

ابن القيم - رحمه الله - يقول: «وَقَضَى» يعني: جهماً.

أسماء الله - تبارك وتعالى - قديمة تسمى بها - جلَّ وعلا -، واستأثر بعلم بعضها عن خلقه، وأظهر ما يحتاج الناس إليه من أسمائه وعرفهم بها، وهي قديمة.

والجهم يقول: أسماء الله حادثة مخلوقة، كما أن كلامه حادث مخلوق.

فعدنا الأسماء والصفات والأفعال، أمّا الأسماء فنقى قدمها، وقال: إن

أسماء الله مخلوقة، وليست قديمة، خلقها كما خلق السموات والأرض.

وهو هنا أخطأ أو أصاب؟ الجواب: أخطأ.

فهو قال: إن أسماء الله عز وجل مخلوقة، وليست قديمة بقدمه، قال: لأن

الاسم غير المسمى.

نقول: وهل صحيح أن الاسم غير المسمى؟

الجواب: إن قلت: (نعم) أخطأت، وإن قلت: (لا) أخطأت، بل فيه تفصيل:

١ - إن أردت بالاسم اللفظ الدال على مسماه فهو المسمى، أنا إذا قلت:

(ادع لي زيدياً)، فإنك تدعو نفس زيد، وهو المسمى بهذا الاسم، فهو هو.

٢ - أما إذا أريد بالاسم الحروف الدالة على مسماه، فهذا غيره بلا شك،

ولهذا إذا كتبت: (زيد قام)، وضربت حروف (زيد) ضرباً مبرحاً، فهل (زيد)

الذي (عندي) هل يقول: أوجعتني؟ الجواب: لا، لأن الاسم غير المسمى، لكن

لو أقول: (ادع زيدياً)، فهذا المسمى لا شك، قال الله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾

[غافر: ١٤] والمراد مسمى هذا الاسم، ولا يحتمل اللفظ غيره.

لكن لو قلت: (اكتب الله)، فالمراد الاسم، يعني: الحروف الدالة على مسماه.

فَعَلَىٰ هَذَا هُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مَخْلُوقَةٌ، لِأَنَّهَا غَيْرُهُ، فَتَسَمَّى اللَّهُ بِهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ اسْمٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَكَانَ مُعْطَلًا عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ، وَعَنِ الْأَفْعَالِ، فَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ.

إِذْ كَانَ عَدَمًا، ثُمَّ صَارَ مَوْجُودًا، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

ثُمَّ أَتَى إِلَى الْأَوْصَافِ فَقَالَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوصَفَ بِصِفَةٍ، لِأَنَّنا لَوْ وَصَفْنَاهُ بِصِفَةٍ قَدِيمَةٍ لَزِمَ تَعَدُّدُ الْقُدَمَاءِ، وَهَذَا شِرْكٌ.

فَانظُرْ كَيْفَ صَاغَهُ بِقَالَِبِ التَّنْزِيهِ؟!

وَأَتَى إِلَى الْأَفْعَالِ فَقَالَ أَيْضًا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفْعَلَ، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا أَنْ يَنْزِلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا أَنْ يَخْلُقَ، حَتَّى الْخَلْقُ حَوَالَهُ إِلَى الْمَخْلُوقِ (الْمَفْعُولِ) فَلَا فِعْلٌ.

فَهُوَ الْآنَ نَفَى الْأَسْمَاءَ وَالصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ، مَاذَا بَقِيَ؟ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ.

لَكِنَ مَاذَا نَقُولُ نَحْنُ فِي هَذَا الْأَمْرِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؟

نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، فَأَسْمَاؤُهُ وَصِفَاتُهُ قَدِيمَةٌ بِقَدَمِهِ، صَحِيحٌ أَنْ أَنْوَاعِ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ، أَوْ أَفْرَادِهَا هِيَ الَّتِي تَكُونُ حَادِثَةً، فَمَثَلًا الْإِسْتِوَاءُ عَلَى الْعَرْشِ كَانَ حَادِثًا، وَالنُّزُولُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حَادِثٌ، وَالْكَلَامُ بِإِعْتِبَارِ آحَادِهِ حَادِثٌ، أَمَّا الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ، فَهِيَ قَدِيمَةٌ بِقَدَمِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ.

لَكِنَ انظُرْ كَيْفَ صَوَّرَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ وَجَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، وَجَمَعْنَا بِهِ فِي

جَنَاتِ النِّعَمِ - كَيْفَ صَوَّرَ هَذَا؟

١٧٦- مَاذَا الَّذِي فِي ضِمْنِ ذَا التَّعْطِيلِ مِنْ نَفِيٍّ وَمِنْ جَحْدٍ وَمِنْ كُفْرَانٍ
قَوْلُهُ: «مَاذَا الَّذِي فِي ضِمْنِ ذَا التَّعْطِيلِ»؟ الجواب: ما الذي فيه؟ فيه كُلُّ
شَيْءٍ: كُفْرٌ وَجَحْدٌ وَتَعْطِيلٌ.

١٧٧- لَكِنَّهُ أَبَدَى الْمَقَالَةَ هَكَذَا فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
١٧٨- وَأَتَى إِلَى الْكُفْرِ الْعَظِيمِ فَصَاغَهُ عَجَلًا لِيَفْتِنَ أُمَّةَ الثَّيْرَانِ
١٧٩- وَكَسَاهُ أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ وَالْحُلَى مِنْ لَوْلُؤٍ صَافٍ وَمِنْ عَقِيَانِ
١٨٠- فَرَأَهُ ثَيْرَانُ الْوَرَى فَأَصَابَهُمْ كَمْصَابِ إِيْحَوْتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانِ
١٨١- عَجَلَانَ قَدْ فَتَنَّا الْعِبَادَ بِصَوْتِهِ إِحْدَاهُمَا وَبِحَرْفِهِ ذَا الثَّانِي

الشرح

١٧٧- لَكِنَّهُ أَبَدَى الْمَقَالَةَ هَكَذَا فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «لَكِنَّهُ أَبَدَى الْمَقَالَةَ هَكَذَا» يعني بالنَّفْيِ.

قَوْلُهُ: «فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ» يعني: جَعَلَ هَذَا مِنْ بَابِ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
فَقَالَ: الْأَسْمَاءُ حَادِثَةٌ، لَيْسَتْ قَدِيمَةً فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَالْأَوْصَافُ مُنَزَّهَةٌ عَنْهَا، لِأَنَّهُ لَوْ
كَانَ هُنَاكَ صِفَةٌ لَتَعَدَّدَ الْقُدَمَاءُ، وَالْأَفْعَالُ لَا يُمْكِنُ، لِأَنَّهُ لَوْ قَامَتْ بِهِ الْأَفْعَالُ لَكَانَ
حَادِثًا.

هَذَا كُلُّهُ لَوْ سَمِعَهُ أَحَدٌ مِنَ الْعَوَامِّ لَظَنَّ أَنَّ هَذَا جَيِّدٌ، وَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ، لِأَنَّهُ
صَاغَهُ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ.

١٧٨- وَأَتَى إِلَى الْكُفْرِ الْعَظِيمِ فَصَاغَهُ عَجَلًا لِيَفْتِنَ أُمَّةَ الثَّيْرَانِ
 ١٧٩- وَكَسَاهُ أَنْوَاعَ الْجَوَاهِرِ وَالْحُلَى مِنْ لَوْلُؤٍ صَافٍ وَمِنْ عَقِيَانِ

صحيح، أتى إلى الكفر الصريح وجعله (عجلاً)، يشير إلى عجل بني إسرائيل حينما جعل السامري من حليهم عجلاً، وجعل داخله مجوفاً، ومن عند فيه ضيقاً، فصاروا يولونه الريح، فتأتي من دبره، وتخرج من فيه لها صوت، ومعروف أن الريح إذا دخلت من واسع، وخرجت من ضيق يكون لها صوت.

على كل حال لعله جعل له تعاريج، أو أشياء من صنعه، حتى إذا خرجت من فيه صارت كخوار الثور، والذي صنع هذا هو السامري -قبحه الله-، صنع هذا الحلي عجلاً بعدما ذهب موسى لميقات ربه، واستخلف عليهم هارون -عليه الصلاة والسلام-.

ونعلم أن موسى -عليه السلام- كان ميعاده ثلاثين ليلة، وأتمها الله بعشر، فصارت أربعين ليلة، فلما تمت الثلاثون ولم يأت، صنع السامري هذا العجل، وقال لهم: هذا هو إلهكم وإله موسى، لكن موسى ضل، فقد ذهب، وتأخر عن الموعد الذي وعدنا فصنع إلهه، وهذا العجل إلهه، فإذا هبت الريح دخلت جوفه، ثم خرجت من ضيق، فصار له خوار، قال الله تعالى: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ [طه: ٨٨].

الجهم جعل مقالته كثور بني إسرائيل، أبدأها مزيئة مزخرفة، أعطاه الله بياناً يتكلم، ويصنع الكلام كما شاء، قد ألين له الكلام، فأظهر هذه المقالة التي هي التعطيل المحض، أظهرها على أنها تنزيه لله عز وجل فقبلها الثيران، وأما الرجال، فلم يقبلوها.

وعلى هذا فنقول: الجَهْمِيَّة كُلُّهُمْ ثِيرَان، وَحُقَّ لَهُمْ، بل الثيران أحسنُ منهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

ونحن -والحمد لله- لا نقول: ادَّعَوْا عَلَيْهِ بِلَا بَيِّنَةٍ، بل هذه مقالاته تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ ثِيرَانُ الْوَرَى.

وَقَوْلُهُ: «الْعَقِيَان» يعني: الذهب.

١٨٠- فَرَأَهُ ثِيرَانُ الْوَرَى فَأَصَابَهُمْ كَمْصَابٍ إِخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «فَرَأَهُ ثِيرَانُ الْوَرَى» أي: الذين لا يفهمون، فالذين تَبِعُوا هذا القول ثيران، لأنهم تَبِعُوا هذا القول، وافتتنوا به، فهو أظهر لهم هذا القول على أنه تنزيه للربِّ، والرَّبُّ حَاشَاهُ أَنْ يَفْعَلَ، وَحَاشَاهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَصْفٌ، حَاشَاهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْمَاءٌ قَدِيمَةٌ، فَأَعْجَبُوا بِهِ، وَأَخَذُوا بِهِ، وَلَوْلَا هَذَا مَا أَخَذَ بِمَقَالَتِهِ وَاحِدٌ مِنَ النَّاسِ، لَكِنِ التَّمَوِيهِ.

قَوْلُهُ: «كَمْصَابٍ إِخْوَتِهِمْ قَدِيمَ زَمَانٍ» أي: بني إسرائيل، فَهُمْ عَبَدُوا الْعِجْلَ، وَاتَّخَذُوهُ إِلهًا، وَمَعَ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَنَّهُ لَا يَصْلِحُ أَنْ يَكُونَ إِلهًا، لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٩] فهو لَا يَتَكَلَّمُ، وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، وَلَا يَضُرُّهُمْ، وَلَا يَنْفَعُهُمْ، كَيْفَ يَكُونَ إِلهًا؟!

ثم قال:

١٨١- عِجْلَانِ قَدْ فَتَنَّا الْعِبَادَ بِصَوْتِهِ إِحْدَاهُمَا وَبِحَرْفِهِ ذَا الثَّانِي

قَوْلُهُ: «عِجْلَانِ قَدْ فَتَنَّا الْعِبَادَ» عِجْلَانِ: الْعِجْلُ الْأَوَّلُ: عِجْلُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الذَّهَبِ، وَالثَّانِي: عِجْلُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ مِنَ الْكَلَامِ الْمُرْخَرَفِ وَالْمُزَيَّفِ،

يقول: (فَتَنَا الْعِبَادَ بِصَوْتِهِ إِحْدَاهُمَا) أيها الذي بِصَوْتِهِ؟ الجواب: عجل بني إسرائيل.

قَوْلُهُ: «وَبِحَرْفِهِ ذَا الثَّانِي» (حرفه) يعني: كلامه، فهذا بالتحريف، أي: بتحريف الكَلِمِ عن مواضعه، وتزويق الكلام الذي يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً.

فقَوْلُهُ: «ذَا الثَّانِي» يعني: جهماً، فجَهَّم صاغ الكلامَ في قالب التنزيه، والعبادُ مَفْطُورُونَ على تنزيه الله، لكنهم جاهلون، فَعَرَّهم هذا.

- ١٨٢- وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ تَبَدُّو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانِي
- ١٨٣- فَهُمُ الْقُشُورُ وَالْقُشُورِ قَوَائِمُهُمْ وَاللُّبُّ حَظُّ خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ
- ١٨٤- وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ وَتَوَارَتْوَهُ إِزْثَ ذِي الشُّهْمَانِ
- ١٨٥- لَمْ يَنْجُ مِنْ أَقْوَالِهِ طُرّاً سِوَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ
- ١٨٦- فَتَبَرُّوا مِنْهَا بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ وَبَرَاءَةَ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ^(١)
- ١٨٧- مِنْ كُلِّ شَيْعِيٍّ حَيْثُ وَضَفُّهُ وَضَفُّ الْيَهُودِ مُحَلِّي الْحَيْتَانِ

الشرح

- ١٨٢- وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ تَبَدُّو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانِي
- قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ» يعني: أكثر الناس ليس عندهم عمق

(١) في أكثر الأصول: «عثمان».

في التفكير، ولا في العلم، فأكثرهم أهل ظواهر يَعْتَرُونَ بظاهر القول، ولا ينظرون إلى ما يترتب على هذا الظاهر، وهل هو حق أو باطل، مُصْلِحٌ أو مُفْسِدٌ؟ فإذا تكلم الفصيح ذو البيان بكلام -ولو باطلاً- التبس عليهم، فَتَجِدُهُمْ أَتْبَاعَ كُلِّ نَاعِقٍ.

قَوْلُهُ: «تَبَدُّو لَهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ مَعَانِي» يعني: أنهم لا يغوصون إلى المعاني، ويعرفون ما المراد بهذا الكلام، وماذا يُفْضِي إليه؟

١٨٣- فَهُمُ الْقَشُورُ وَبِالْقَشُورِ قَوْمُهُمْ وَاللُّبُّ حَظُّ خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ
يعني: هؤلاء ليس عندهم إِلَّا الْقَشُورُ، وَأَمَّا اللَّبُّ، فهو عند خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ، وهم عبادُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ الْكَلَامَ، وَيَعْرِفُونَ مُرَادَهُ، فَلَا يَشْتَبِهُهُ عَلَيْهِمْ.

١٨٤- وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ وَتَوَارَثُوهُ إِرْثَ ذِي السُّهْمَانِ
قَوْلُهُ: «وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ» الطوائف يعني: المبتدعة.

قَوْلُهُ: «قَوْلَهُ» أي: قول جَهْمٍ.

قَوْلُهُ: «وَتَوَارَثُوهُ إِرْثَ ذِي السُّهْمَانِ» هذا له السُّدُسُ، وهذا له الرُّبْعُ، وهذا له الثُّمْنُ، وهذا له الثُّلُثُ... وهكذا.

فواحدٌ منهم أخذ سَهْمًا، وواحدٌ أخذ سهمين، وواحدٌ أخذ أسْهُمًا كثيرة، فمثلًا هو عَطَّلَ اللَّهُ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَعَطَّلَ اللَّهُ مِنْ أَوْصَافِهِ، وَعَطَّلَ اللَّهُ مِنْ أَفْعَالِهِ، وقال: إِنَّ الْإِيمَانَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، ولا يدخل فيه القول والعمل، وقال بالجبر، وأنكر أَنَّ لِلْعَبْدِ اخْتِيَارًا، فهذه خمسة أشياء، والناس تَقَسَّمُوهَا.

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ أَقْرَبَ بِالْأَسْمَاءِ وَأَنْكَرَ الصِّفَاتِ، مِثْلَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْرَبَ بِالْأَسْمَاءِ وَأَثَبَ مِنَ الصِّفَاتِ سَبْعًا، وَهُمْ الْأَشَاعِرَةُ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُجَبَّرٌ عَلَى عَمَلِهِ، وَلَكِنْ لَا يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ: (مُجَبَّرٌ)، بَلْ نَقُولَ: عَمَلُهُ كَسَبٌ لَهُ، وَهُوَ خَلَقَ اللَّهُ، كَمَا قَالَتِ الْأَشَاعِرَةُ، وَلِهَذَا كَانَ الْكَسْبُ عِنْدَ الْأَشْعَرِيِّ لَيْسَ لَهُ قِيَمَةٌ أَبَدًا، فَهُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا مَعْنَى، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُوَصَّفُ بِالْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ.

إِذَنْ أَصْلُ أَهْلِ الْبَدْعِ - عَلَى كَلَامِ ابْنِ الْقَيْمِ هَذَا - هُوَ قَوْلُ جَهْمٍ، لَكِنْ كُلُّ أَحَدٍ بِنَصِيْبِهِ، هَذَا أَخَذَ بِهَذَا، وَهَذَا أَخَذَ بِهَذَا.

١٨٥- لَمْ يَنْجُ مِنْ أَقْوَالِهِ طُرًّا سِوَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَشَيْعَةِ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «طُرًّا» بِمَعْنَى: جَمِيعًا، يَعْنِي لَمْ يَنْجُ أَحَدٌ مِنْ أَقْوَالِهِ إِلَّا أَهْلُ الْحَدِيثِ وَشَيْعَةُ الْقُرْآنِ، يَعْنِي: أَهْلُ الْحَدِيثِ وَالْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: «وَشَيْعَةُ الْقُرْآنِ» يَعْنِي: أَصْحَابَهُ الْمُتَشَيْعِينَ لَهُ.

١٨٦- فَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ وَبَرَاءَةَ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ
قَوْلُهُ: «فَتَبَرَّؤُوا مِنْهَا» أَي: مِنْ أَقْوَالِهِ.

قَوْلُهُ: «بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ» تَبَرَّأَ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأَقْوَالِ بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ، (وَحَيْدَرٌ) لَقَبٌ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْحَيْدَرُ اسْمُ الْأَسَدِ، وَكَانَ يَقُولُ حِينَئِذٍ بَارِزَ مَرْحَبًا يَهُودِيًّا: «أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةً»^(١).

وَقَوْلُهُ: «بَرَاءَةَ حَيْدَرٍ» أَي: مِنْ دَمِ عَثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَإِنْ كَانَ أَهْلُ الْبَاطِلِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ غَزْوَةِ ذِي قُرْدٍ وَغَيْرِهَا، رَقْمٌ (١٨٠٧).

اتَّهَمُوا عَلِيًّا بِأَنَّهُ قَدْ تَمَالَأَ مَعَ الَّذِينَ قَتَلُوا عِثْمَانَ، وَهُوَ بَرِيءٌ مِنْهُ بِلَا شَكٍّ، بَلْ إِنَّهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ اسْتَأْذَنَ أَنْ يُدَافِعَ عَنِ عِثْمَانَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَأْذَنَ لَهُ، فَهُوَ مُتَبَرِّئٌ مِنْ دَمِ عِثْمَانَ، إِذْ بَرَاءَةٌ حَيْدَرٍ مِنْ دَمِ عِثْمَانَ، وَكَذَا بَرَاءَةٌ عَلِيٍّ مِنَ الرَّفْضِ.

قَوْلُهُ: «وَبَرَاءَةٌ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ»، عِنْدِي: يَعْنِي بِالْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ، يَعْنِي مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حِينَ تَبَرَّأَ مِنْ عَبَادِ الْعِجْلِ، أَوْ حِينَ بَرَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى مِمَّا وَصَفَهُ بِهِ الْيَهُودُ مِنْ أَنَّهُ آذَرٌ، وَالْآذَرُ: عَظِيمُ الْخِصْيَةِ، وَهُوَ عَيْبٌ وَمَرَضٌ.

أَرَادَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - أَنْ يُظْهِرَ بَرَاءَتَهُ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ، وَجَعَلَ يَغْتَسِلُ، فَطَارَ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ، فَجَعَلَ يَسْعَى وَرَاءَهُ، وَيَقُولُ: «تُوبِي حَجْرُ، تُوبِي حَجْرُ». حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَلَأِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْا الرَّجُلَ عُرْيَانًا، فَشَاهَدُوا مُوسَى، فَإِذَا هُوَ بَرِيءٌ، لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ^(١)، وَالْبَرَاءَةُ هِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَتَأَيَّمُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب: ٦٩]، وَجَعَلَ يَضْرِبُ الْحَجَرَ، كَيْفَ يَضْرِبُهُ وَهُوَ جَمَادٌ؟

لأنه فعَلٌ فِعْلَ الْمُخْتَارِ الْمُرِيدِ، فَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، وَلِذَلِكَ كُنَّا مَعَ الصَّبِيَّانِ إِذَا عَثَرَ الصَّبِيُّ بِالْحَجَرِ جَعَلْنَا نَضْرِبُ الْحَجَرَ، حَتَّى نَطْيِبَ نَفْسَهُ، لِأَنَّ الصَّبِيَّ يَعْتَقِدُ أَنَّ الْحَجَرَ اعْتَدَى عَلَيْهِ، فَتَجِدُهُ يَصِيحُ، فَإِذَا قُلْتَ: ضَرَبْنَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، سَكَتَ الصَّبِيُّ، لِأَنَّهُ أَخَذَ لَهُ بِالْحَقِّ.

فَقَوْلُهُ: «وَبَرَاءَةٌ الْمَوْلُودِ مِنْ عِمْرَانَ» يَحْتَمِلُ هَذَا وَهَذَا، فَإِنْ نَظَرْنَا إِلَى أَنَّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الخضر مع موسى -عليهما السلام- رقم (٣٢٢٣)، ومسلم: كتاب الحيض، باب جواز الاغتسال عريانا في الخلوة، رقم (٣٣٩).

القرآن قال: ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ [الأحزاب: ٦٩] قلنا: إِنَّ الْأَوْلَى أَنْ يُحْتَمَلَ عَلَى بَرَاءَتِهِ
مما عابوه به، حيث قالوا: إنه أدرُّ، وإن نَظَرْنَا إلى سِيَاقِ الْكَلَامِ الْأَوَّلِ (مسألة
العِجْلِ)، قلنا: إنه تبرَّأ من عِبَادَتِهِمِ الْعِجْلَ كما تبرَّأ أهلُ السُّنَّةِ مِنْ عِجْلِ جَهَنَّمَ.

١٨٧- مِنْ كُلِّ شَيْعِيٍّ حَبِيبٍ وَصَفُهُ وَصَفُ الْيَهُودِ مُحَلَّلِي الْحَيْتَانِ

قَوْلُهُ: «شَيْعِيٌّ» الشَيْعِيُّ هُوَ الَّذِي يَغْلُو فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَهْلِ
الْبَيْتِ، وَيَدَّعُونَ أَنَّهُمْ شِيعَةُ أَهْلِ الْبَيْتِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّهُمْ لَيْسُوا شِيعَةَ أَهْلِ الْبَيْتِ،
وَأَنَّ أَهْلَ الْبَيْتِ بَرِيئُونَ مِمَّا هُمْ عَلَيْهِ.

ولهذا يُذَكَّرُ أَنَّ بَعْضَ أَتْبَاعِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ^(١) لَمَّا خَاطَبَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ،
وَقَالَ لَهُ: أَنْتَ اللَّهُ، أَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالْأَخَادِيدِ فَخُدَّتْ، وَبِالْحَطَبِ فَجُمِعَ، وَبِالنَّارِ
فَأُضْرِمَتْ، ثُمَّ جَعَلَ يُلْقِيهِمْ فِي النَّارِ، لِأَنَّ فَعْلَتَهُمْ فَعْلَةٌ عَظِيمَةٌ شَنِيعَةٌ، فَعَذَّبَهُمْ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّارِ، وَقَالَ: يَذوقون نار الدنيا قبل نار جهنم، ولَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ
عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا انْتَقَدَهُ، وَقَالَ: لَوْ كُنْتُ مَكَانَهُ لَقَتَلْتَهُمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ
بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^(٢). وَلَمَّا أَحْرَقْتَهُمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - نَهَى أَنْ
يُعَذَّبَ بِالنَّارِ^(٣).

فبَلَّغَ ذَلِكَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «وَيْحَ ابْنِ أُمِّ الْفَضْلِ، إِنَّهُ

(١) هو عبد الله بن سبأ، من غلاة الزنادقة، ضالُّ مُضَلٌّ، زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه
عند علي، فنهاه علي بعد ما هم به. انظر ترجمته في: الفتنة ووقعة الجمل، لسيف بن عمر الأسدي
التميمي (ص: ٤٨)، وتاريخ الطبري (٤/ ٣٤٠)، وميزان الاعتدال للذهبي (٢/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يعذب بعذاب الله، رقم (٣٠١٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٤)، رقم (١٦٠٧٨)، وأبو داود: كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو
بالنار، رقم (٢٦٧٣).

لغَوَاصُّ عَلَى الْهَنَاتِ»^(١). يعني: على الزَّلَّةِ.

ولكنَّ عليًّا فعل ذلك بتأويلٍ لِعِظَمِ بَدْعَتِهِمْ، والعياذ بالله.

فعلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بريءٌ مِنَ الشَّيْعَةِ بَرَاءَةً كَامِلَةً، ولو أنه خرج لقاتلهم.

وهؤلاء الشَّيْعَةُ يُشْبِهُونَ الْيَهُودَ فِي الْحَيْلِ وَالْمَكْرِ، وليسوا شَيْعَةً لآل البيت.

أَمَّا شَيْعَةُ آلِ الْبَيْتِ حَقِيقَةً، فَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ يُنَزِّلُونَهُمْ مِنْزِلَتَهُمْ،

ويعرفون حَقَّهِمْ وَفَضْلَهُمْ، ولا يجعلون لهم حِطًّا مِنَ الرَّبُّوبِيَّةِ، أو تَدْبِيرِ الْخَلْقِ، كما يزعم غُلَاتِهِمْ ذَلِكَ.

(١) أخرجه البيهقي (٣٥١ / ٨) رقم (١٦٨٥٨).

فصل

في مُقَدِّمَةِ نَافِعَةٍ قَبْلَ التَّحْكِيمِ

- ١٨٨- يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ
١٨٩- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا
١٩٠- وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
١٩١- وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ كُلَّ مُعْطَلٍ
١٩٢- وَاحْمِلْ بِعِزِّمِ الصَّدَقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ
١٩٣- وَاثْبُتْ بِبَصْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
١٩٤- وَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
١٩٥- مَنْ ذَا يُبَارِزُ فُلَيْقَدَمَ نَفْسَهُ
١٩٦- وَاصْدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ، وَلَا تَخَفْ
١٩٧- فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
١٩٨- لَا تَخَشَّ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِمْ
١٩٩- فَجُنُودُ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ مَلَائِكُ
- اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانٍ
بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَدْيَانِ
جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
ضَرَبَ الْمُجَاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ
مُنْتَجِرِدٌ لِلَّهِ غَيْرِ جَبَانٍ
فَإِذَا أُصِيبَتْ فِي رِضَى الرَّحْمَنِ
ثَبَّتَتْ سِلَاحَكَ ثُمَّ صَحَّ بِجَنَانٍ
أَوْ مَنْ يُسَاقِبُ يَيْدُ فِي الْمَيْدَانِ
مِنْ قَلَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَغْوَانِ
وَاللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ
فَقِتَالُهُمْ بِالْكَذِبِ^(١) وَالْبُهْتَانِ
وَجُنُودُهُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ

(١) في نسخة برلين: «بالزور»، وكذا في نسخة الحلبي.

- ٢٠٠- شَتَانَ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ
 ٢٠١- وَاثْبُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رَايَاتِ الْهُدَى
 ٢٠٢- وَادْكُرْ مَقَاتِلَهُمْ لِفُرْسَانِ الْهُدَى
 ٢٠٣- وَادْرَأْ بِلَفْظِ النَّصِّ فِي نَحْرِ الْعِدَى
 ٢٠٤- لَا تَخْشَ كَثْرَتَهُمْ، فَهُمْ هَمَجُ الْوَرَى
 ٢٠٥- وَاشْغَلْهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ بِبَعْضِهِمْ
 ٢٠٦- وَإِذَا هُمْ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ
 ٢٠٧- وَاثْبُتْ وَلَا تَحْمِلْ بِلَا جُنْدٍ فَمَا
- مُتَحَيِّرًا^(١) فَلْيَنْظُرِ الْفِتْنَانَ
 وَاصْبِرْ، فَنَصُرُ اللَّهَ رَبَّكَ دَانَ
 اللَّهُ دَرُّ مَقَاتِلِ الْفُرْسَانِ
 وَارْجُمُهُمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ
 وَذُبَابُهُ، أَخْخَافُ مِنْ ذِبَّانِ؟!
 بَعْضًا فَذَاكَ الْحَزْمُ لِلْفُرْسَانِ
 فَرِعًا لِحَمَلَتِهِمْ وَلَا بِجَبَانِ
 هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَا ذَكَرَ مِنْ قَوَاعِدِ أَهْلِ الْبِدْعِ، عَقَدَ فَضْلًا لِلتَّحْكِيمِ،
 فَقَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

١٨٨- يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ اسْمَعْ مَقَالََةَ نَاصِحٍ مِعْوَانٍ

فهو يخاطب الرجل، لأنَّ الرجل هو محلُّ الخطاب، لِعَلِّمِهِ بِمَا يُحْتَرَمُ وَمَا يُقْبَلُ.

قَوْلُهُ: «الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ» أَي: مِنَ النَّارِ، وَمِنَ الْبِدْعِ.

قَوْلُهُ: «اسْمَعْ مَقَالََةَ نَاصِحٍ مِعْوَانٍ» أَي: نَاصِحٍ لَكَ، مُعِينٌ لَكَ، فَهُوَ مِنَ أَهْلِ

الْمَعَاوَنَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ.

(١) وفي نسخة: «متحيزًا» بزاي.

فإذا قال قائل: أليس في هذا مَدْحٌ لنفسه وتزكيةٌ لها؟ الجواب: أنه -رحمه الله- لم يُرد بهذا أن يُثنيَ الناسُ عليه، لكن يريد من هذا أن يُقبَلَ الناسُ الحقُّ، ونظير هذا قول عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبَلَّغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»^(١). فهو لم يَقْصِدَ أن يَمْدَحَ نَفْسَهُ، بل قَصْدُهُ أن يُقبَلَ الناسُ عليه، ويأخذوا منه، ولهذا بعضُ العلماء يمدح مؤلَّفَهُ لِيُقْبَلَ الناسُ عليه.

أرأيتم ابن مالك -رحمه الله^(٢)- في الألفية ماذا قال؟ قال:

تُقَرَّبُ الْأَقْصَى بِلَفْظٍ مُوجَزٍ وَتَبْسُطُ الْبَدَلِ بِوَعْدٍ مُنَجَزٍ
وَتَقْتَضِي رِضَى بَعْضِ سُخْطٍ فَائِقَةُ أَلْفِيَةِ ابْنِ مُعْطٍ

فليس قصده بهذا أن يمدحه الناس، بل قصده أن ينتفع الناسُ بها، ففرَّق بين شخص يُزَكِّي نَفْسَهُ لِيُمدَحَ، وشخص يقول عن نَفْسِهِ ما يوجب أن يُقبَلَ الناسُ الحقُّ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه -رضي الله تعالى عنهما-، رقم (٢٤٦٣).

(٢) هو محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك العلامة جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجبالي الشافعي النحوي نزيل دمشق، إمام النحاة وحافظ اللغة، قال الذهبي: ولد سنة ستمئة، أو إحدى وستمئة، وسمع بدمشق من السخاوي والحسن بن الصباح وجماعة، وأخذ العربية عن غير واحد، وجالس بحلب ابن عمرو وغيره، وتصدر بها لإقراء العربية، وصرف همهته إلى إتقان لسان العرب، حتى بلغ فيه الغاية، وحاز قصب السبق، وأرأى على المتقدمين، وكان إماماً في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيها، وأما النحو والتصريف فكان فيها بحرًا لا يجارى، وحرًا لا يبارى، وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو، فكانت الأئمة الأعلام يتحIRON فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها. انظر: بُغِيَةُ الوُعَاةِ فِي طَبَقَاتِ اللُّغَوِيْنَ وَالنُّحَاةِ (١/١٣٠).

فابن القيم - رحمه الله - لا يريد أن يزكي نفسه بقوله: (مقالة ناصح معوان)، إنما أراد حث الناس على أن يقبلوا ما يقوله من الحق.

١٨٩- كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا» أي: العقيدة، والخلق، والعبادة، والمعاملة، كل أمورك حتى لباسك، وأكلك، وشربك، كن متمسكًا بالوحي الشامل للكتاب والسنة، لا بزخارف الهديان.

١٩٠- وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ» أي: بالدفاع عنه، وبيان أحكامه وأسراره ومعانيه، لأن هذا نصر القرآن، وليس النصر أن تتلوه فقط، بل نصره أن تدب عنه، وتبين أحكامه وأسراره، وما فيه من البدائع العظيمة.

كذلك «السُّنَنَ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ» وهذا يعني أنه لا بُدَّ أن نتأكد من أن السنة جاءت عن النبي ﷺ، وليس كل ما يُنسبُ إليه يكون صحيحًا، بل لا بُدَّ أن تبحث أولاً عن سندها، فإذا صحَّ فانظر في المتن، ثم انصر ما جاء عن الرسول - عليه الصلاة والسلام -.

١٩١- وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ كُلَّ مُعْطَلٍ ضَرَبَ الْمُجَاهِدِ فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ

قَوْلُهُ: «وَاضْرِبْ بِسَيْفِ الْوَحْيِ» وإذا ضربت بسيف الوحي، فهل أنت غالبٌ، أو مغلوب؟ الجواب: غالب، والدليل على هذا قول الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

انظر إلى هذه الكلمات العظيمة ﴿نَقْذِفُ﴾ أي: نرمي بشدة ﴿عَلَى الْبَاطِلِ﴾

فَيَدْمَعُهُ ﴿ أَي: يصيبه في أُمَّ دِمَاغِهِ، وهل يَبْقَى حَيًّا، أو يموت في الحال؟ الجواب: يموت في الحال، ولهذا جاءت (الفاء) و(إذا) الفُجَائِيَّة، قال: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ولم يقل: فإذا هو يَزْهَقُ، فقولُه تعالى: ﴿فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ أَي: يموت في الحال، والقائل هو الله عزَّ وجلَّ الذي وَعَدَهُ صِدْقٌ، وقولُه حقٌّ، وهو عزَّ وجلَّ قادر على هذا.

فهو - رحمه الله - هنا يأمرنا أن نَضْرِبَ بِسَيْفِ الوحي كُلَّ مُعْطَلٍّ، وما أَعْظَمَهُ من سَيْفٍ!، وما أَبْتَرَهُ لِلْبَاطِلِ، وأَقْطَعَهُ له!

قَوْلُهُ: «فَوْقَ كُلِّ بَنَانٍ» هذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] يعني: حتى الأصابع قَطَعُوهَا قِطْعًا قِطْعًا.

لكن إذا قال قائل: إننا نجد مَنْ يرمي بالحقِّ على الباطل، ولكن لا يحصل

هذا؟

نقول: العِلَّةُ ليستِ بِالسَّلَاحِ، بل العِلَّةُ بِحَامِلِ السَّلَاحِ، وليس كُلُّ مَنْ حَمَلَ السَّيْفَ يَقْتُلُ به، فالجَبَانُ إذا كان معه السيف، وجاءه العدو، فماذا يكون موقفه؟

الجواب: يرتعش ويرتعش ويسقط السيف منه! أما الشجاع لو كان معه عصا لم يَهَبْ سَيْفَ الأعداء، فالواقِعُ أَنَّ السَّلَاحَ بِحَامِلِهِ، وإِلَّا فالقرآنُ هو القرآن، والسُّنَّةُ هي السُّنَّةُ، والحقُّ هو الحقُّ، والباطل هو الباطل، لكنَّ العِلَّةَ بالفاعل.

يقول - رحمه الله -:

١٩٢- وَاحْمِلْ بِعِزِّمِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ مُتَجَرِّدٍ لِّلَّهِ غَيْرِ جَبَانٍ

يأمرنا - رحمه الله - أن نحمل بِعِزِّمِ الصِّدْقِ حَمْلَةَ مُخْلِصٍ مُتَجَرِّدٍ لِّلَّهِ لا لِلْهَوَى، ولا لأن يكون قولُه هو الأعلى، لكن مُتَجَرِّدٍ لِّلَّهِ عزَّ وجلَّ.

والذي يحمل بِنْيَةَ خالصة، وعَزِيمَةَ صادقة لله عزَّ وجلَّ فإنه لا يَهَاب، لأنَّ آخر ما يمكن أن يُفْعَلَ به أن يُقْتَلَ، وإذا قُتِلَ فهو في سبيل الله، ينتقل من دار الشقاء والكَدْرِ والأذى إلى دار النعيم، فهو لا يبالي، مثل ما كَتَبَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى هُرْمُزَ مَلِكِ فَارِسَ: «جِتُّكَ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحِبُّونَ الْحَيَاةَ»^(١). فهذه كلمة عظيمة، يعني: نحن نُحِبُّ الْمَوْتَ في سبيل الله كما تحبون الحياة، يعني: فلا نبالي.

وابن القيم - رحمه الله - يقول:

١٩٣- وَاثْبُتْ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى فَإِذَا أُصِيبْتَ فَفِي رِضَى الرَّحْمَنِ

ويأمر كذلك بالصبر تحت أَلْوِيَةِ الْهُدَى.

وَقَوْلُهُ: «أَلْوِيَةِ» جمع لواء، وهي الأعلام، فهو يقول: اثبت، فإذا قُدِّرَ أَنْكَ أُصِيبْتَ، فذلك في رضى الرحمن، والإصابةُ في رضى الرحمن هي - في الحقيقة - ليست إصابة، بل هي غاية ما يَتَمَنَّاهُ الْإِنْسَانُ، فإذا أُصِيبَ فِي اللَّهِ، وَفِي رِضَى اللَّهِ، فهو لم يُصَبْ فِي الْوَاقِعِ، بل حصل له الأجر والفضل.

وهذا الشطر الأخير (فَإِذَا أُصِيبْتَ فَفِي رِضَى الرَّحْمَنِ) يجب أن يكون عند قلب كُلِّ إِنْسَانٍ.

واعلم أن الداعي إلى الله لا بُدَّ أَنْ يَنَالَهُ أَدَى، إما بالقول، وإما بالفعل، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١] فكلُّ نبيٍّ له عَدُوٌّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَكُلٌّ مِّنَ الْوَارِثِينَ الْإِنْبِيَاءِ فَلَهُ عَدُوٌّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، فلا بد من أَدِيَّةٍ، لا بُدَّ مِنْ مُضَايِقَةٍ تَسْمَعُهَا بِأُذُنِكَ، أَوْ تُخَبِّرُ عَنْهَا، وَلَكِنْ مَا الْمَوْقِفُ؟ إِنَّ كُلَّ مَا

(١) انظر: تاريخ الطبري (٣/ ٣٤٨).

يصيب الإنسان من ذلك فهو في رضى الله عز وجل ولذا لما دَمِيَتْ أُصْبِعُ النَّبِيَّ ﷺ
 ماذا قال؟ قال: «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبِعُ دَمِيَتْ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَتْ»^(١).

ما دام الإنسان يناله الأذى لقيامه بأمر الله فليُبَشِّرْ بِالْخَيْرِ، فَإِنَّ هَذَا مِنْ مَنَازِلِ
 الْأَنْبِيَاءِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

ولا تكن كالذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠] وارْتَدَّ، لَكِنْ اثْبُتْ!

١٩٤- وَاجْعَلْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي ثَبَّتَتْ سِلَاحَكَ ثُمَّ صِخْ بِجَنَانِ

قَوْلُهُ: «بِجَنَانٍ» فِي نَسْخَةِ بـ «بِجَبَانٍ»، وَعِنْدِي لَوْ كَانَتْ «بِجَبَانٍ» لَكَانَتْ
 أَوْضَحَ، يَعْنِي: صِخْ بِالْجُبْنَاءِ، فَتَقُولُ: مَنْ ذَا يُبَارِزُ، لِأَنَّ (صِخْ بِجَنَانٍ) أَي: صِخْ
 بِالْقَلْبِ، فَتَحْتَاجُ إِلَى تَأْوِيلٍ، أَي: صِخْ بِلِسَانِكَ صِيحَةً خَارِجَةً مِنْ قَلْبِكَ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ، إِذَا كَانَتْ النُّسْخَةُ هَكَذَا حَسَبَ تَأْلِيفِ الْمُؤَلِّفِ لِهَذِهِ الْقَصِيدَةِ،
 فَمَعْنَى (صِخْ بِجَنَانٍ) أَي: صِخْ صِيحَةً نَابِعَةً مِنْ جَنَانِكَ، أَي: مِنْ قَلْبِكَ، وَإِنْ
 كَانَتْ (بِجَبَانٍ) فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا صَاحَ بِالْجُبْنَاءِ تَفَرَّقُوا بِمَجْرَدِ
 صِيحَتِهِ.

وَلِذَا يُذَكَّرُ عَنْ بَعْضِ الشُّجْعَانِ أَنَّهُ كَانَ إِذَا كَرَّ عَلَى الْعَدُوِّ وَصَاحَ، تَمَزَّقَتْ
 الْفُرْسَانُ، تَمَزَّقُوا بِمَجْرَدِ صِيحَتِهِ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَ الْفُرْسَانِ يَقُولُونَ: نَفْسُ الْفَرَسِ
 تَخْرُجُ مِنْ صِيحَةِ هَذَا الرَّجُلِ الشُّجْعَانِ.

وَالْمَعْنَى: اجْعَلِ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَةَ السِّلَاحَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله، رقم (٢٦٤٨)، ومسلم:
 كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين، رقم (١٧٩٦).

قَوْلُهُ: «ثُمَّ صِخَّ» يعني: اصْرُخَ بهما بالجبان، وماذا تكون حال الجبان، هل الصُّمُودُ أو الهَرَبُ؟ الجواب: الهَرَبُ، فلا يُمكن أن يبقى ما دام سلاحك الكتاب والسُّنة، وعندك القُوَّة: قُوَّة العزيمة، وقُوَّة الإرسال، فاعلم أنه لن يبقى أمامك أحد.

فهو إذن يقول: اجعل سلاحك شيئين: كتاب الله والسنن التي ثَبَّتت، وليس كُلُّ سُنَّة تُقَال، بل السُّنَن التي ثَبَّتت، لِجَعْلِهَا هي السلاح، ثم صِخَّ بهؤلاء الجُبَّاء قائلًا: مَنْ يبارز؟ وهل يستطيع أحد أن يبارز مَنْ سِلاحُه كتابُ الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، وهذا المبارز سلاحُه الهُدَيان والكذِب والفِرْيَة والدَّجَل والزخارف، هل يستطيع أو لا؟ الجواب: لا يستطيع أبدًا، فَأَيُّهُ مِنْ كتابِ الله مُحَطَّمٌ كُلُّ ما جاء به مِنْ هذه الزخارف، حتى تُبِيدَها.

١٩٥- مَنْ ذَا يُبَارِزُ فُلَيْقِدَمُ نَفْسَهُ أَوْ مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي الْمَيْدَانِ
قَوْلُهُ: «مَنْ ذَا يُبَارِزُ» يعني: صِخَّ بالجبان، وقل: (مَنْ ذَا يُبَارِزُ فُلَيْقِدَمُ نَفْسَهُ)، (أَوْ مَنْ يُسَابِقُ يَبْدُ فِي الْمَيْدَانِ).

ومعنى المَبَارَزة: الخُرُوج، مِنْ بَرَزَ يَبْرُزُ إِذَا خَرَجَ، وكان مِنْ عاداتهم أنه إِذَا التقى الصَّفَّان طلب الشُّجعان مِنْ عدوهم أن يُبَارِزُوهم، والفائدة مِنَ المَبَارَزة أنه إِذَا غَلِبَ المَبَارِز مِنَ العَدُوِّ انكسرت شوكتُه، وأصابهم الرُّعْبُ والهَلَعُ، وهذا شيء معروف في مسالك المجاهدين.

ذكر الفقهاء أَنَّ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ طلب مبارزته مِنَ العَدُوِّ عمرو بن عبد وُدٍّ مِنَ المشركين، فلما أَقبل عمرو بن عبد وُدٍّ على عليٍّ صاح فيه عليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قائلًا: «مَا خَرَجْتُ لِأُبَارِزَ رَجُلَيْنِ». وهل هو صادق، أو غير صادق؟

الجواب: نعم، صادق، فهو خرج ليُبَارزَ واحداً، انظر إلى الذكاء! فالتفت عمرو ابن عبد وُدٍّ، وظنَّ أنَّ وراءَ واحدًا، فلمَّا التفت أخذ رأسه^(١)، والحزْبُ خَدَعَةٌ، ولكن أين الذي يكون حاضرَ الكلام في مثل هذا الضيق؟!

وَقَوْلُهُ: «مَنْ يُسَابِقُ» (من) استفهامية، ويُشكل على هذا قوله: (يَبْدُ فِي المِيدَانِ)، حيث حَذَفَ حَرْفَ العِلَّةِ، وحَذَفُ حِرْفِ العِلَّةِ إنما يكون عند الجُزْمِ، وإذا جُزِمَتْ (يَبْدُو) وهي جواب (مَنْ) تَرَجَّحَ أنها شَرْطٌ، لكن لا مانع أن نقول: إنه يَجُوزُ حذفُ حَرْفِ العِلَّةِ مِنْ أَجْلِ استقامة الوزن.

١٩٦- وَاصْدَعْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ، وَلَا تَخَفْ مِنْ قِلَّةِ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

أُمرنا أن نَصْدَعْ بما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام- وَأَلَّا نَخَافَ مِنْ قِلَّةِ الْأَعْوَانِ وَالْأَنْصَارِ، حتى لو كنتَ وحدك، نعم اصدع بما قال النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- وَلَا تَخَفْ مِنْ قِلَّةِ الْأَنْصَارِ، بل لَا تَخَفْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يَقُومُ عَلَيْكَ، ويكون ضِدَّكَ، فالصَّادِعُ بما قال الرسول إِمَّا أن يجد ناصراً، أو لا يجد ناصراً، أو يجد مُعَارِضًا.

فالأول: الذي يجد الناصر واضح أنه سيصدع، لأنَّ لديه مَنْ يعينه.

الثاني: الذي لم يجد لا هذا ولا هذا، بل وجد مُعَارِضًا هذا أيضًا قد يكسل إذا رأى أنَّ ما صدع به من قول الرسول لم يلتفت إليه أحد.

الثالث: الذي وَجَدَ المُعَارِضَ الذي يقابله، وينابذه، وَيُضِيقُ عليه، ويأتي ضِدَّهُ بِإِدْعَاءَاتٍ، ولكن كل هذا يجب أن يكون لا شيء أمام الإنسان، وهذا لا يعني

(١) والحديث أخرجه الحاكم (٣/٣٤، رقم ٤٣٢٩)، ومن طريقه البيهقي (٩/٢٢٢، رقم ١٨٣٥٠).

أنه في العقائد فقط، بل في العقائد، والأحكام الفقهية، والآداب، والأخلاق، وكل شيء اصدع بما قال الرسول ﷺ قولاً وفعلاً، ولا تحف من قلة الأنصار والأعوان، فالناس أمامك إما مساعد أو مُعْرِض أو معارض، فلا تُبالِ بهذا، حتى لو لم يكن أمامك إلا المُعْرِض والمُعَارِض، فلا يهمنك.

١٩٧- فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَاللَّهُ كَافٍ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ

وصدق - رحمه الله - فالله ناصر دينه، وناصر كتابه، و(كافٍ عبده بأمان)، لكن متى يكفيه؟ الجواب: إذا توكل عليه، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

١٩٨- لَا تَخْشَ مِنْ كَيْدِ الْعَدُوِّ وَمَكْرِهِمْ فَتَقَاتِلْهُمْ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ

يقول: لا تخش من كيد هؤلاء ومكرهم، لأنهم يُقاتلون بالكذب والبُهتان والزخارف المموهة الباطلة لكن هذا - أي: عدم الخشية من كيدهم ومكرهم - يحتاج إلى همة قوية، وعزيمة صادقة.

١٩٩- فَجُنُودُ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ مَلَائِكٌ وَجُنُودُهُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ

ويقول: وجنود هؤلاء عساكر الشيطان، أما جنود أتباع الرسول فهم ملائكة الرحمن كما قال عز وجل: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ [الأنفال: ١٢] فللملائكة تُثبَّت عباد الله وتؤيِّدُهم، ولهذا كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يقول لحسان بن ثابت وهو ينشد: «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٠٤٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٨٥).

ولهذا يجد الإنسان عند الجهاد بالعلم والبيان، يجد إلهامًا لا يجده في حال السعة، وذلك بتثبيت الملائكة له، وفتح أبواب العلم.

٢٠٠- شَتَانٌ بَيْنَ الْعَسْكَرَيْنِ فَمَنْ يَكُنْ مُتَحَيِّرًا فَلْيَنْظُرِ الْفِتْنَانَ

يعني: يجب أن يعلم الإنسان الفرق بين هذا وهذا، ومن كان متحيرًا فلي نظر ولي تأمل، حتى يعرف من هم أحق بالاتباع، ثم قال - رحمه الله -:

٢٠١- وَاثْبُتْ وَقَاتِلْ تَحْتَ رَايَاتِ الْهُدَى وَاصْبِرْ، فَصَرُّ اللَّهِ رَبِّكَ دَانَ

هذا كالأول، لكنه كرره - رحمه الله - لزيادة تثبيت قلب الإنسان.

٢٠٢- وَادْكُرْ مَقَاتِلَهُمْ لِفُرْسَانِ الْهُدَى اللَّهُ دَرُّ مُقَاتِلِ الْفُرْسَانِ

معناه: بين معايبهم، فينبغي لنا أن نبين فيما بيننا مقاتلتهم - أي: موضع قتلهم - حتى نقتلهم بما يبطل أقوالهم، فنقول: جادلهم بكذا، حاجهم بكذا، ناظرهم بكذا، كما قال الشافعي - رحمه الله - في القدرية: «ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقرؤا به خصموا، وإن أنكروا كفروا»^(١). وهذا أحسن ما يكون أن تبدأ بذكر العيب، لأنك إذا بدأت بذكر العيب، وفهم الناس العيب فقد بانت مقاتلته وهزم، ولم يستطع حراكًا.

٢٠٣- وَادْرَأْ بِلَفْظِ النَّصِّ فِي نَحْرِ الْعِدَى وَارْجُمُهُمْ بِشَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ

قوله: «ادْرَأْ» بمعنى ادفع.

قوله: «في نحر العدى» أي: أمامهم.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٢٤٧).

والمعنى: بَيْنَ النَّصِّ، لا تذهب يميناً وشمالاً، لا تُحَرِّفْ، اذكر لفظ النَّصِّ،
فَهُمْ لا يستطيعون حينئذٍ أن يتحركوا.

٢٠٤- لَا تَخْشَ كَثْرَتَهُمْ، فَهُمْ هَمَجُ الْوَرَى وَذَبَابُهُ، أَتَخَافُ مِنْ ذِبَّانٍ؟!

الجواب: لا أخاف مِنَ الذَّبَّانِ، ولا مِنَ الهَمَجِ والرَّعَاعِ، حتى ولو كانوا
كثيرين، فالحقُّ منصورٌ، ولو قَلَّ أتباعه، والباطلُ مَحْدُولٌ، ولو كثر أتباعه.

فهو يقول هنا: الذَّبَابُ مِنَ أَهْوَنَ ما يكون، وَمِنْ أَخَوْفَ ما يكون، لو تقول
له بيدك هكذا - حتى لو لم تضربه - فإنه يطير، ولا يأتي ناحيتك، فهؤلاء ذِبَّانِ
الْوَرَى.

والمؤلف - رحمه الله - أتى بهذا التشبيه لِبَيَانِ حالهم وتقبيحها، لأنَّ تشبيه
الإنسان بالذَّبَابِ تقبيح بلا شَكٍّ، وهو أيضا مُبَيَّنٌ لحاله، وأنه مِنَ أضعف ما يكون
مِنَ الحَشَرَاتِ.

٢٠٥- وَأَشْغَلُهُمْ عِنْدَ الْجِدَالِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فَذَكَ الْحَزْمُ لِلْفُرْسَانِ

هذا أيضًا مِنَ طُرُقِ المناظرة المفيدة، فأهل البدع متناقضون، فليسوا على
طريقة واحدة، حتى إنَّ الواحد منهم يقول: هذا شيء يوجبُه العقل، والثاني
يقول: هذا شيء يمنعُه العقل، فيقول: يمنعُه، ولم يقل: يُجَبِّزُه.

فيقول - رحمه الله - : أَشْغَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، سواء كانوا أمامك، فتقول: أنت
يا فلان تقول: كذا، وأنت يا فلان تقول: كذا، بيّنوا لي، فإن لم يكونوا أمامك فبيّن
أقوالهم، وتقول: إذا قال فلان: كذا وكذا، فقد قال فلان: كذا وكذا، والصواب
كذا وكذا، وهو ما دَلَّ عليه الكتاب والسنة.

المهم اضرب بعضهم ببعض، فإنه يكفيك بعضهم بعضاً، وهذه سياسة، حتى في الأمور العسكرية الآن، وهذا من ذأب أهل السنة والجماعة مع أهل الكلام، ولهذا تجد شيخ الإسلام - رحمه الله - أحياناً يسوق بيان بطلان قولهم بأنه متناقض، ثم يقول: قال فلان - وهو من زعمائهم - كذا وكذا، وقال الآخر - وهو من زعمائهم أيضاً: كذا وكذا، وهذا يدل على التناقض، وتناقض القول أكبر دليل على بطلانه، ومن القواعد المعروفة (فرّق تسد).

٢٠٦- وَإِذَا هُمْ حَمَلُوا عَلَيْكَ فَلَا تَكُنْ فِرْعَاوِينَ حَمَلْتِهِمْ وَلَا بَجَبَانَ

يعني: إذا حملوا عليك جميعاً فلا تخف، بل اثبت، وإلا فسيكونون عليك جميعاً، انظر الآن اليهود والنصارى، بعضهم لبعض عدو، لقول الله - تبارك وتعالى -: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصْرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]، كل واحد منهم يضل الآخر، ومع ذلك فهم يكونون أولياء ضد المسلمين، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿يَتَّيِبُهُا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] مع أنهم أعداء، لكن ضد العدو المشترك يكونون سواء.

٢٠٧- وَاثْبِتْ وَلَا تَحْمِلْ بِلَا جُنْدٍ فَمَا هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ

قوله: «اثبت» أي: أمامهم.

وقوله: «ولا تحمل بلا جند» يعني: لا تقدم إلا ومعك جنود، لأنه ليس من الحكمة أن تقدم الإنسان بدون جنود، وكذلك لا تقدم إلا بسلاح، فليس من الحكمة أن تقدم بلا سلاح، وأيضاً لا بد أن يكون سلاحك مكافئاً لسلاح العدو، وإلا فإنك مهزوم.

ولذلك يتسرع بعض الناس في الإقدام في مقاتلة الأعداء، وليس عندهم شيء من السلاح، وقد يكون أيضًا ليس عندهم الإيمان الذي كان عند الصحابة، فيحصل البلاء والهزيمة.

المهم أنك لا تحمِل بلا سلاح، ولا تحمِل بلا جُنْد، ولذا قال -رحمه الله-: (فَمَا هَذَا بِمَحْمُودٍ لَدَى الشُّجْعَانِ).

وَقَوْلُهُ: «لَا تَحْمِلُ بِلا جُنْدٍ» يحتمل كلام المؤلف هنا أنه يريد بالجنْد العلماء الذين يساعدونك ويُعينونك، ويحتمل أن يريد به السلاح يعني: لا تحمل إلاَّ بعِلْم، لكنَّ آخَرَ كلام المؤلف يؤيد الاحتمال الأول، ولهذا قال بعد ذلك: (فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الإِسْلَامِ... فَاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ).

- ٢٠٨- فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الإِسْلَامِ قَدْ
وَأَفْتِ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ
- ٢٠٩- فَهَنَّاكَ فَاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ وَلَا تَكُنْ
بِالْعَاجِزِ الْوَاوِيِ وَلَا الْفَزْعَانِ
- ٢١٠- وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا
يَلْقَى الرَّدَى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانِ
- ٢١١- ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ
ثَوْبُ التَّعَصُّبِ بِشَسْتِ الثُّوبَانِ
- ٢١٢- وَتَحَلَّ بِالإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ
زِينَتُ بِهَا الأَعْطَافُ وَالكِتِفَانِ
- ٢١٣- وَاجْعَلْ شِعَارَكَ خَشِيَةَ الرَّحْمَنِ مَعَ
نُصْحِ الرَّسُولِ فَحَبَّبًا الأَمْرَانِ
- ٢١٤- وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ
وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التَّكْلَانِ

الشرح

٢٠٨- فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا رَأَيْتَ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ» يعني: القوم الذين هم عصابة الإسلام يعني: أهل التَّعَصُّبِ لَهُ.

قَوْلُهُ: «قَدْ وَافَتْ عَسَاكِرُهَا مَعَ السُّلْطَانِ» يعني: اجتمعت مع السلطان فالزَمَّهَا، ولهذا قال:

٢٠٩- فَهِنَّكَ فَاخْتَرِقِ الصُّفُوفَ وَلَا تَكُنْ بِالْعَاجِزِ الْوَائِي وَلَا الْفَرْعَانِ

يعني: إذا رأيت القوم قد تلاقوا وتوافقوا، (فاخترق الصفوف)، ولا تكن جبَّانًا، ولا تكن خائفًا، ما دُمت تخترق الصفوف لله عز وجل وبالله، وإيَّاك أن يَلْحَقَكَ الْحَوْرُ، لأنَّ الإنسان إذا لحقه الحورُ وضعفَ ضعفت قواه، وعجزَ عن أن يدافع عن نفسه فضلًا عن أن يهاجم أهل الباطل، ثمَّ قال:

٢١٠- وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا يَلْقَى الرَّدَى بِمَذْمَةٍ وَهَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ» تعرَّ يعني: تجرَّد، فهنا أمر - رحمه الله - أن نتعرَّى من ثوبين، ويين أن مَنْ يلبس هذين الثوبين يلقى الردى بمذمة وهوان، ثمَّ ذكر الثوبَ الأول فقال:

٢١١- ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ ثَوْبٌ التَّعَصُّبِ بِيُسْتِ الثَّوْبَانِ

الجهل المركب هو الذي من اتَّصف به فهو جاهل، ولا يدري أنه جاهل، وذلك أن الناس ثلاثة أقسام:

الأول: عالمٌ علمه مُطابقٌ للواقع.

الثاني: يَظُنُّ أنه عالمٌ، ولكنه جاهلٌ.

الثالث: جاهلٌ ليس له علمٌ إطلاقاً.

أما الأول: فهو محمودٌ أن يتكلم الإنسان بعلمٍ مُطابقٍ للواقع.

وأما الثاني: وهو الجاهل المركَّب الذي يَجْهَلُ، ولا يدري أنه يجهل، فهذا أسوأ

الأقسام.

والثالث: الجاهل جهلاً بسيطاً غير مُركَّب، فهذا أهونٌ من الذي قبَّله، لكنه

دون مرتبة الأول، وهو العالم.

والبلاءُ كلُّ البلاءِ من الجاهلِ جهلاً مُركَّباً، الذي يجادلُك بغيرِ علمٍ، ويتكلمُ

بغيرِ علمٍ، يتكلمُ بين العامة بغيرِ علمٍ، ويتكلمُ مع العلماء بالمجادلة بغيرِ علمٍ، فهو

يرى نفسه أنه عالمٌ، وأنه إمامُ الأئمة، وأميرُ العلماء، وعالمُ الأمراء، لا يُدانيه

أحد، وإذا تباحث معه، فإذا هو لا يعرف كُوعه^(١) من كُرسوعه^(٢)، فهو من أجهلِ

عباد الله، ولذلك نقول: إنَّ الجاهلِ جهلاً مُركَّباً هو شرُّ الجاهلَيْن: الأول: مَنْ

جَهِلُهُ بسيطاً، والثاني: مَنْ جَهِلُهُ مُركَّباً.

قوله: «فَوْقَهُ ثَوْبُ التَّعَصُّبِ» هذا أيضاً مُشكَل، أي: التعصب لما هو عليه

من الباطل، أو من الجهل، والمتعصبُ لا يكاد يَزْعُوي للدليل أبداً، لأنه يعتقد أن

ما هو عليه حقٌّ، ولا يُبالي بأحد.

(١) الكُوع: هو رأسُ اليدِ ممَّا يلي الإبهام. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: كوع.

(٢) الكُرسوع: طَرْفُ رأسِ الرِّئْدِ ممَّا يلي الخِنْصَرَ. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة:

فهو يرى أنه لا يمكن أن يتزحزح عما هو عليه، لأنه يرى أن تزحزحه ذلٌّ، وأنه إذا تزحزح، قال الناس: هذا رجلٌ جاهلٌ.

أوما علم أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- أحياناً يحكم بالشيء ثم يتبين له خلافه فيرجع، وكذلك الخلفاء، وكذلك الأئمة.

وقد كتب عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري كتاباً في القضاء من أعظم الكتب وأجمعها، حتى إن ابن القيم جعل كتابه (إعلام الموقعين) -ذلك الكتاب الذي قل أن يوجد في كتب الإسلام مثله- جعله مبنياً على كتاب عمر لأبي موسى في القضاء، قال له: «لَا يَمْنَعُكَ مِنْ قَضَاءِ قَضَيْتَ بِهِ الْيَوْمَ فَرَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ، وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ، أَنْ تُرَاجِعَ فِيهِ الْحَقَّ، فَإِنَّ الْحَقَّ قَدِيمٌ، وَلَا يُبْطِلُ الْحَقَّ شَيْءٌ، وَإِنْ مُرَّجَعَةَ الْحَقَّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ»^(١). وهذه أيضاً محنة عظيمة، وهي كما تلحق العلماء في باب العقيدة وأصول الدين، تلحقهم أيضاً في باب الفقه، فتجد بعض العلماء، ولا سيما المقلدون المتعصبون يتعصبون لمذهبهم، ويلوون أعناق النصوص لأجل أن تطابق المذهب.

وانظر كتب الخلاف ك(المغني) للموفق ابن قدامة، و(المجموع شرح المذهب) للنووي، وما أشبههما، تجد كيف يتعصب بعض الناس لمذهبه، ويحاول أن يلوي أعناق النصوص للمذهب، وهذه محنة سببها أن الإنسان يعتقد قبل أن يستدل، فيجعل الدليل تبعاً لما يقوله ويعتقده، والواجب أن تستدل أولاً، ثم تعتقد، وتجعل اعتقادك وحكمك تابعاً للدليل، لكن التعصب أمره مشكل.

فإذا قال قائل: كيف تقولون هذا والنصارى يقولون: إن المسلمين متعصبون

(١) أخرجه الدارقطني (٤٤٧١)، وابن شبة في تاريخ المدينة (٢/ ٧٧٥).

لِدِينِهِمْ؟ قلنا: هذا تعصُّبٌ محمود، بل واجب، لأنهم لم يتعصبوا لذلك لمجرد أنه دينهم، بل لأنه دينُ الله عزَّ وجلَّ وهذا كما نقول: إن المجادلة مذمومة إلا إذا كانت لإثبات الحقِّ، وإبطال الباطل.

وهذان الثوبان - أعاذني الله وإياكم منهما - إذا ابتلي بهما الإنسان حُرِّمَ الحقُّ، فأنت جرِّد نفسك من هذين الثوبين: الجهل المركَّب والتعصب.

٢١٢- وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةٍ زِينَتِ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ
ثم أمر بعد التجرُّد من هذين الثوبين بالتحلِّي بالإنصاف.

قَوْلُهُ: «تَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ» أي: البس الإنصاف بعد أن تتعرَّى من هذين الثوبين.

وَقَوْلُهُ: «بِالْإِنْصَافِ» أي: بالعدل، سواء كان لك، أو عليك، كما قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُوا قَوْمِينَ بِأَلْقُسُطِ شُهَدَاءِ اللَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

ومن الشهادة على النفس أن يُنصِفَ الإنسانُ خِصْمَهُ، فإذا بان الحقُّ وجب عليه اتِّباعُ الحقِّ، وإذا قال خِصْمُهُ قولاً يتضمن حقاً وباطلاً، فالواجب أن يقبل الحقَّ ويردَّ الباطل، ولا يجوز أن يرُدَّ كلَّ قوله.

ألم تعلموا أن الله عزَّ وجلَّ أقرَّ قول المشركين مع أنهم مشركون؟
الجواب: بلى أقرَّه، لأنه حقٌّ.

مثاله: قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا

وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨] فاستدلوا للفاحشة بأمرين:

الأول: أنهم وجدوا آباءهم عليها.

الثاني: أن الله أمرهم بها.

فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ إِيَّاكَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فأبطل هذا الدليل، أو التعليل الذي تَعَلَّلُوا به، وَسَكَتَ عن قوله: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨] وإبطال أحد الشئيين والسكوتُ عن الآخر يدلُّ على قَبُولِهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ. ألم تعلموا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا جَاءَهُ الْحَبْرُ وَقَالَ: «إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ... ضَحَكَ تَصْدِيقًا لَهُ»^(١). مع أنه عالمٌ يهوديٌّ؟! لكنَّ الْحَقَّ يَجِبُ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ تَكَلَّمَ بِهِ، فلهذا يقول ابن القيم - رحمه الله -: (وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرَ حُلَّةً).

وَقَوْلُهُ: «أَفْخَرَ» بالنصب على أنها حالٌ مِنَ الْإِنْصَافِ، ولا يجوز أن تكون مجرورة على أنها صِفَةٌ، لأنه يُشْتَرَطُ فِي النَّعْتِ أَنْ يَكُونَ مُوَافِقًا لِلْمَنْعُوتِ فِي الْمَعْرِفَةِ، أو النكرة.

قَوْلُهُ: «زِينَتْ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ» يعني: إِذَا لُبِسَتْ عَلَى الْعِطْفِ - وهو ما بين الكتف والرقبة - والكتف صارت جميلةً، لأنها إنصاف.

٢١٣- وَاجْعَلْ شِعَارَكَ خَشْيَةَ الرَّحْمَنِ مَعَ نُصْحِ الرَّسُولِ فَحَبِّذَا الْأَمْرَانَ

الشعار اجْعَلْهُ خَشْيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا لِلانْتِصَارِ لِنَفْسِكَ، ولهذا كان النَّبِيُّ ﷺ لا ينتصر لنفسه قطُّ، وإنما ينتصر لله - سبحانه وتعالى - إِذَا انْتَهَكَتْ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ يُنْكِرُهَا أَشَدَّ الْإِنْكَارِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، رقم (٤٥٣٣)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦).

قَوْلُهُ: «مَعَ نَصْحِ الرَّسُولِ» يعني: مع النصح للرسول ﷺ وذلك بالمتابعة له.

٢١٤- وَتَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ وَبِوَحْيِهِ وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التُّكْلَانِ

قَوْلُهُ: «تَمَسَّكَ بِحَبْلِهِ» أي: تمسك بحبل الله، كما قال عز وجل:

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قَوْلُهُ: «وَبِوَحْيِهِ» أي: بوحى الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

وَقَوْلُهُ: «وَتَوَكَّلَنَّ حَقِيقَةَ التُّكْلَانِ» يعني: اعتمد على الله، لأن التوكل على الله

هو صدق الاعتماد عليه في جلب المنافع، ودفع المضار مع الثقة بالله، وفعل

الأسباب النافعة.

٢١٥- فَالْحَقُّ وَصَفُ الرَّبِّ وَهُوَ صِرَاطُهُ أَلْهَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ

٢١٦- وَهُوَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضًا، ذَا وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

٢١٧- وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحَنٌ فَلَا تَعَجَبْ، فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

٢١٨- وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ

٢١٩- وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ الْحَرْبُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَالْكَفَّارِ مُذْ قَامَ الْوَرَى سِجْلَانِ

٢٢٠- لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ، إِنْ فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ

الشرح

٢١٥- فَالْحَقُّ وَصَفُ الرَّبِّ وَهُوَ صِرَاطُهُ أَلْهَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «فَالْحَقُّ وَصْفُ الرَّبِّ» فالله عزَّ وجلَّ هو الحقُّ، والحقُّ وَصْفُهُ، لقول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ [الحج:٦] والحقُّ هو الشيء الثابت المطابق للواقع، إن كان خَبْرًا فهو الصِّدْقُ، وإن كان طَلْبًا، أو خَلْقًا فهو النفع.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ صِرَاطُ الْهَادِي إِلَيْهِ لِصَاحِبِ الْإِيمَانِ» فهو صِرَاطُ الْهَادِي إِلَيْهِ، لأنَّ الله تعالى وصف الصراط الهادي إليه بأنه حقُّ، فقال تعالى: ﴿أَفَنَنْهَيْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ [يونس:٣٥] فالحقُّ يُوصَفُ به الصراط، يعني: الدين، لقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور:٢٥].

فهو الحقُّ، وهو الهادي إلى الحقِّ، وصراطه أيضًا هو الحقُّ، فهذه ثلاثة أمور، فالله تعالى هو الحقُّ، والحقُّ وَصْفُهُ، فيهدي عباده، وَيُدْتُهُمْ وَيُرْشِدُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، وَصِرَاطُ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ هُوَ الْحَقُّ، فالرسول حقُّ، والجنة حقُّ، والنار حقُّ، لأنَّ كُلَّ شَيْءٍ ثَابِتٌ مُطَابِقٌ لِلْوَاقِعِ فَهُوَ حَقٌّ.

٢١٦- وَهُوَ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ أَيُّضًا، ذَا وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الصِّرَاطُ» أي: الحقُّ أيضًا هو الصراط.

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِ رَبُّ الْعَرْشِ» ودليل ذلك قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] أي: على طريقٍ مستقيم، ليس فيه اعوجاجٌ، فتجد كُلَّ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ، أَوْ كُلَّ مَا خَلَقَهُ اللَّهُ مُطَابِقًا لِلْحَقِّ تَمَامًا، لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

قَوْلُهُ: «وَذَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ» أين جاء في القرآن أن الله على صراط

مستقيم؟

الجواب: جاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦].

قال:

٢١٧- وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحَنٌ فَلَا تَعَجَبْ، فَهَٰذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: «وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُتَّحَنٌ» اللهم انصرنا بالحق، وانصر الحق بنا، الحق منصور ولا بد، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١] لكن لا بد من محنة، ولهذا قال: (وَمُتَّحَنٌ فَلَا تَعَجَبْ) أي: لا تستنكر هذا أن يكون الله تعالى يمتحن أهل الحق بالمحن ليختبرهم بها.

ألم تروا أن الذهب لا يخرج صافياً إلا إذا عرض على النار، وذاب، وذهب وسخه، فلا بد من امتحان، ودليل هذا الواقع والشرع.

أما الواقع، فانظر ماذا جرى للنبي ﷺ من المحن؟! محن عظيمة في أول الدعوة وآخر الدعوة، ماذا جرى له في مكة؟ وماذا جرى له في الطائف؟ وماذا جرى له في المدينة؟ أليس قد شجَّ وجهه، وكسرت رباعيته^{(١)(٢)}؟ الجواب: بلى، لكن لا بد من امتحان.

أما الشرع، فقد قال عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾

[الفرقان: ٣١].

أنتظن أن عدوك ينام دون أن يحاول القضاء عليك؟ أبداً، ولكن اقرأ ما بعد هذه الجملة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ وكفى برئك هادياً

(١) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠٠٢).

(٢) الرباعية -كثمانية-: السنن التي بين الثنية والتاب، وهي إحدى الأسنان الأربعة التي تلي الثنايا، تكون للإنسان وغيره. التاج: ربع.

وَنَصِيرًا ﴿ [الفرقان: ٣١]، لَأَنَّ الْعَدُوَّ إِمَّا أَنْ يُغَيَّرَ عَلَيْكَ لِهَدْمٍ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَالتَّشْوِيشِ عَلَيْكَ فَيُقَابِلَ بِالْهُدَايَةِ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾، فَمَهْمَا حَاوَلَ الْأَعْدَاءُ أَنْ يُضِلُّوا النَّاسَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، فَاللَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ الْهَادِي، أَوْ يَحَاوِلُ الْعَدُوُّ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيْكَ بِالْقُوَّةِ الْعَسْكَرِيَّةِ فَيُقَابِلَ بِالنَّصْرِ، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾.

إِذْنٌ لَا بَدَّ مِنْ مِحْنَةٍ، وَكُلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَشَدَّ فِي دِينِ اللَّهِ، وَالْجِهَادِ فِي دِينِ اللَّهِ، لِحَقِّهِ مِنَ الْأَلَمِ، وَمِنَ الْأَذَى، وَمِنَ التَّشْوِيشِ، مَا لَمْ يَلْحَقْ غَيْرَهُ.

قَوْلُهُ: «فَلَا تَعْجَبْ، فَهَذِي سُنَّةَ الرَّحْمَنِ» إِذْنٌ اسْتَدَلَّلْنَا عَلَىٰ أَنَّ هَذِهِ سُنَّةَ الرَّحْمَنِ، بِدَلِيلٍ شَرْعِيٍّ وَوَاقِعِيٍّ، فَلَا بَدَّ مِنْ مِحْنَةٍ، وَلِذَلِكَ نَرَىٰ فِي وَاقِعِنَا الْيَوْمِيِّ، أَوْ الْمُدْرَسِيِّ (الْعَامِيِّ) مَتَى يَكُونُ الْإِنْسَانُ نَابِغًا؟ الْجَوَابُ: إِذَا تَفُوقَ فِي الْاِمْتِحَانِ.

فَلَا بَدَّ مِنْ اِمْتِحَانٍ.

٢١٨- وَبِذَلِكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ وَأَجَلِ ذَاكَ النَّاسِ طَائِفَتَانِ

قَوْلُهُ: «بِذَلِكَ» أَي: بِكَوْنِ الْحَقِّ مَنْصُورًا وَمَمْتَحِنًا يَظْهَرُ الْحِزْبُ مِنَ الْحَرْبِ، فَالْمُحَارِبِ ضِدًّا مَا جَاءَ بِهِ الْوَحْيُ، ضِدًّا دِينَ اللَّهِ، وَالْحِزْبُ هُوَ حِزْبُ اللَّهِ يَنْتَصِرُ لِلدِّينِ اللَّهِ، وَيَنْصَرُهُ اللَّهُ بِهِ.

فَهُوَ يَقُولُ: وَلَا عَجَبَ فِي ذَلِكَ، فَإِنَّ هَذِهِ سُنَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ حِزْبُ اللَّهِ مِنَ حَرْبِ اللَّهِ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَمَا تَبَيَّنَ حِزْبُ اللَّهِ مِنَ حَرْبِهِ، وَأَجَلٌ أَنَّ الْحَقَّ مَنْصُورٌ وَمَمْتَحَنٌ صَارَ النَّاسُ طَائِفَتَيْنِ، لَكِنَّ الْعَقْبَىٰ لِأَهْلِ الْحَقِّ كَمَا سَبَقَ فِي قَوْلِهِ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢].

٢١٩- وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ الْحَرْبِ بَيْنَ الرَّسُولِ وَالْكَفَّارِ مُذْ قَامَ الْوَرَى سِجْلَانَ
قَوْلُهُ: «وَلَا أَجَلَ ذَلِكَ الْحَرْبِ... سِجْلَانَ» كما قال أبو سفيان: «الْحَرْبُ بَيْنَنَا
وَبَيْنَهُ سِجَالٌ»^(١). أَي: دَلُّوْكَ وَدَلُّوْكَ لِعَدُوِّكَ، فَالْحَرْبُ سِجَالٌ، أَي: مُسَاجَلَةٌ بَيْنَ
أَعْدَاءِ اللَّهِ، وَأَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٢٠- لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ، إِنَّ فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ
وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا
إِلَيْكَ ۖ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ۖ فَاصْبِرْ﴾ [هُود:٤٩] أَي: اصْبِرْ عَلَى مَا
يَنَالُكَ مِنَ الْأَذَى، وَالْمَعَارِضَةَ وَالْمَعَادَاةَ وَالْمَبَاغِضَةَ، اصْبِرْ ﴿إِنَّ الْعُقْبَةَ لِلْمُنْقِبِينَ﴾
[هُود:٤٩].

وَصَدَقَ اللَّهُ، فَوَاللَّهِ الْعَاقِبَةُ لِمَنْ؟ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَضَى عَلَى
صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، وَعَادَ مِنْهُمْ مَنْ بَقِيَ مِنْ أَنْصَارِ الْإِسْلَامِ، فَهُمْ عَادُوا قُوَادًا فِي
الْإِسْلَامِ، مُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَلَا تَنْسَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ^(٢)، وَلَا عِكْرِمَةَ بْنَ أَبِي
جَهْلٍ^(٣)، وَلَا غَيْرَهُمَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ بَدَأِ الْوَحْيِ، بَابُ كَيْفَ كَانَ بَدَأَ الْوَحْيِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمٌ (٧)،
وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسَّيْرِ، بَابُ كِتَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرْقَلٍ يَدْعُوهُ إِلَى الْإِسْلَامِ، رَقْمٌ
(١٧٧٣).

(٢) هُوَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْزُومِ الْقُرَشِيِّ الْمَخْزُومِيِّ سَيْفِ اللَّهِ،
أَبُو سُلَيْمَانَ، كَانَ أَحَدَ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ إِلَيْهِ أَعِنَّةُ الْخَيْلِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَشَهِدَ مَعَ
كَفَّارِ قُرَيْشٍ الْحُرُوبَ إِلَى عَمْرَةَ الْحَدَيْبِيَّةِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّهُ كَانَ عَلَى خَيْلِ قُرَيْشٍ طَلِيْعَةً،
ثُمَّ أَسْلَمَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ بَعْدَ خَيْبَرَ، وَقِيلَ قَبْلُهَا. انظُرْ: الْإِصَابَةُ لِابْنِ حَجَرٍ (٢/٢١٥).

(٣) هُوَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ عَمْرٍو بْنُ هِشَامِ بْنِ الْمَغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَخْزُومِ الْقُرَشِيِّ
الْمَخْزُومِيِّ، كَانَ كَأَبِيهِ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ أَسْلَمَ عِكْرِمَةُ عَامَ الْفَتْحِ، وَخَرَجَ

واتسعت الرسالة حتى خرَّجت من وراء جزيرة العرب إلى مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها، فصارت العاقبة الآن لمن؟ لأبي جهل وقومه وأصحابه، أو لمحمد رسول الله ﷺ؟ الجواب: للثاني بلا شك.

ومع هذا يقول -رحمه الله-: (إِنْ فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ) يعني: إن فاتك النصر في الدنيا كان في الآخرة عند الله عزَّ وجلَّ ولهذا قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

افرض أن رجلاً داعياً من الدعوة، قام يدعو لدين الله، ويبيِّن بطلان ما عليه أهل الباطل ثم قضي عليه قبل أن يتمَّ ما أراد، فالآن فاته النصر في الدنيا، لكن له العقبى في الآخرة، إن فاتت في الدنيا وجدَّها في الآخرة.

فالعقبى لأهل الحقِّ، إن فاتت في الدنيا وجدوها لدى الدِّيَان عند الله، فالعقبى لهم على كل حال، إما في الدنيا والآخرة، وإما في الآخرة، أمَّا أن يُحْرَمَ النصر، فهذا شيءٌ مُتَمَنِّعٌ، كما سبق في الآية.

على أنني كررتُ مرارًا وأقول: إنَّ النصر ليس نَصْرَ الشخص، ولكن نَصْرَ الطريق الذي ينتهجه، فإذا قُدِّرَ أنَّ الإنسان قَضَى اللهُ عليه في الدنيا قبل أن يُشَاهِدَ النصر -أي: نصر ما كان عليه- فإنَّ منهجه سوف ينتصر بعد ذلك، ويقوم ما دام هو المنهج الذي جعله الله -سبحانه وتعالى- لعباده.

ولهذا نقول: إنَّ انتصارَ المسلمين بعد موت الرسول ﷺ انتصارٌ للرسول ﷺ، وإن كان بعد وفاته، ويدل لهذا أنَّ هِرَقْلَ عظيم الروم لما حدَّته أبو سُفيان بما

= إلى المدينة، ثم إلى قتال أهل الردة، ووجهه أبو بكر الصديق إلى جيش نعان، فظهر عليهم، ثم إلى اليمن ثم رجع، فخرج إلى الجهاد عام وفاته فاستشهد. انظر: الإصابة (٤/٤٤٣).

كان عليه الرسول -عليه الصلاة والسلام- من الدعوة إلى الحق، قال هرقل لأبي سفيان: «إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»^(١).

لكن هل الرسول مَلِكٌ ما تحت قَدَمَيْهِ؟ الجواب: نعم، مَلِكٌ ذلك، لكن لا بِشَخِصِهِ، ولكن بِشَرَعِهِ وَمِنْهَاجِهِ -عليه الصلاة والسلام-.

- ٢٢١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، وَلَا تَنْمَ فَهُمَا عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَانِ
- ٢٢٢- فَالْهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْإِخْلَاصِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
- ٢٢٣- فَالْقَصْدُ وَجْهٌ اللَّهُ^(٢) بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرَانِ
- ٢٢٤- فَبِذَلِكَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ إِشْرَاكِهِ وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحْمَنِ
- ٢٢٥- وَالْهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْحَقِّ الْمُمِينِ وَوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
- ٢٢٦- فَيَدُورُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا بِالرَّوْعَانِ
- ٢٢٧- وَيُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُمِينِ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ
- ٢٢٨- لَا يَحْكُمَانِ بِيَاطِلٍ أَبَدًا، وَكُلُّ لُ الْعَدْلِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحَكَمَانِ
- ٢٢٩- وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ أَعْدَلُ حَاكِمِ فِيهِ الشُّفَا وَهَدَايَةُ الْحَيْرَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣).

(٢) في نسخة برلين: «في الأقوال وبعض الأصول تقدم «الأعمال» على «الأقوال».

- ٢٣٠- وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ مَائِمٌ غَيْرُهُمَا لِذِي إِيمَانٍ^(١)
- ٢٣١- فَإِذَا دَعَوَكَ لِغَيْرِ حُكْمِهِمَا فَلَا سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِضْيَانِ
- ٢٣٢- قُلْ لَا كَرَامَةَ لِي، وَلَا نِعْمَى وَلَا طَوْعًا^(٢) لِمَنْ يَدْعُو إِلَى طُغْيَانِ
- ٢٣٣- وَإِذَا دُعِيتَ إِلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُمْ سَمْعًا وَطَوْعًا، لَسْتُ ذَا عِضْيَانِ

الشرح

هذه الآيات مهمة جدًا، فيها إخلاص القصد، وإخلاص المتابعة.

يقول - رحمه الله -:

٢٢١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، وَلَا تَنَمَّ فَهَمَا عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَانِ

قَوْلُهُ: «وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ» يعني: هاجرْ بِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، ومعنى الهجرة هنا أن تترك ما سواهما، وتهاجر إليهما.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَنَمَّ» أي: لا تَتَوَانَ، ولا تتكاسل، بل كن يقظًا سريعًا ذا هِمَّة.

قَوْلُهُ: «كُلِّ امْرِيٍّ» هل يشمل المسلم والكافر، أو المسلم فقط؟ الجواب: يشمل المسلم والكافر، لأنه ما من أحدٍ يسمع دعوة النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يموت وهو لا يؤمن بما جاء به إِلَّا كان من أصحاب النار^(٣)، فكلُّ امْرِيٍّ يجب عليه أن يهاجر هاتين الهجرةين.

(١) في نسخة الإفتاء: «الإيمان».

(٢) في نسخة ابن سحمان: «سمعًا».

(٣) دليله قوله ﷺ: «لَا يَسْمَعُ بِ أَحَدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَا يَهُودِيٍّ، وَلَا نَصْرَانِيٍّ، وَلَا يُؤْمِنُ بِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ». أخرجه الطيالسي (٥١١)، وابن منده في التوحيد (١٤٩).

٢٢٢- فَالهِجْرَةُ الْأُولَىٰ إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْإِحْلَاصِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

وهذه هي الهجرة الأولى: أن تكون مُخْلِصًا لله في سِرِّك أي: فيما تعمله في قلبك من خشية وتوكلٍ ورغبة ورهبة.. إلخ.

قَوْلُهُ: «وَفِي إِعْلَانٍ» أي: ما تفعله بجوارحك من قولٍ، أو فعلٍ.

ويجوز أن يكون معنى (في سِرِّ) يعني: في غَيْبَةٍ عن الناس، (وفي إِعْلَانٍ) أي: في مُعَايَنَةِ الناس، وكلاهما صحيح.

٢٢٣- فَالْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «فَالْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ» يعني: اجعل القصد وجه الله عزَّ وجلَّ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ [الكهف: ٢٨].

قَوْلُهُ: «وَالطَّاعَاتِ وَالشُّكْرَانِ» هذا من باب عَطْفِ الصفات، لأنَّ الطاعات أقوالها وأعمالها كلها يدخل فيها الشُّكْرَانِ، بل الشُّكْر هو الطاعة، وامتثال الأمر.

٢٢٤- فَبِذَلِكَ يَنْجُو الْعَبْدُ مِنْ إِشْرَاكِهِ وَيَصِيرُ حَقًّا عَابِدَ الرَّحْمَنِ

يعني: إذا أخلص القصد لله عزَّ وجلَّ في كلِّ أقواله وأعماله وطاعاته، وترك المنهيات، فإنه ينجو من الإشراك، ويصير مخلصًا تمامًا.

٢٢٥- وَالهِجْرَةُ الْأُخْرَىٰ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْحَقِّ الْمُبِينِ وَوَأَضِحَ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَى الْمَبْعُوثِ» يعني: النبي صلى الله عليه وسلم.

فالهجرة الثانية هي إلى رسول الله ﷺ باتباعه، وعدم الروغان عن هديه،

لا تقدّمًا ولا تأخرًا، ولا يمتنّه، ولا يسرّه، وبهذه الهجرة تسلم من الابتداع، فيجب على كل مسلم أن يجعل لقلبه هاتين الهجرتين.

٢٢٦- فَيَدُورُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِعْلِهِ نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا بِأَلَا رَوَّعَانَ

يعني: أنه يدور مع قول الرسول، ومع فعله (نفيًا) إن نفي الرسول ﷺ شيئًا، (وإثباتًا) إن أثبت شيئًا.

قَوْلُهُ: «بِأَلَا رَوَّعَانَ» الرَّوَّعَانِ: هو عدم استقامة السير، كما يكون ذلك في الثعلب، فالثعلب ذكيٌّ يروغ إذا رأى عدوّه - من إنسان، أو حيوان - أدركه، وهو يشدُّ سعيًا، راغ يمينًا، أو شمالًا، أو رجوعًا، وإذا صاحبه الذي وراءه قد تعدّاه بخطوات كثيرة، فمتى يرجع؟!

فالإنسان يجب أن يكون دائرًا مع قول الرسول ﷺ وفعله، نفيًا فيما نفي، وإثباتًا فيما أثبت، ففي باب الخبر في الإثبات يُصدّق، ولا يتردد، ولا يقل: كيف وكَيْتَ، ولا لِمَ؟ وفي باب الأمر يُطيع، ولا يتردد، ولا يقل: هل الأمر للوجوب، أو للاستحباب؟

وفي باب النفي في الأخبار أيضًا يجزم بانتفاء ما نفاه الرسول ﷺ، ويجزم بإثبات ما أثبته.

وفي باب النهي يترك ما نهى عنه، ولا يقل: هل هذا النهي للكرهية، أو للتحريم؟ فإذا نهى عنه الرسول ﷺ فليقل: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَيَجْتَنِبُ، وإذا أمر به لِيَقُلْ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، وَلِيَفْعَلْ.

ولذلك لا أذكر أن أحدًا من الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إذا أمر النبي ﷺ بشيء أنهم يقولون: يا رسول الله، هل هذا للوجوب، أو للاستحباب؟ نعم في باب الرأي

يقولون هذا، كما يُذكر عن الحُباب بن المُنذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما نزل في أدنى مياه بدر قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمْزَلُ أَنْزَلَكُهُ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قال: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ»^(١). قال: ليس هذا، بل نتقدم إلى آخر بئرٍ من أجل ألا يدخل الكفار علينا.

كذلك أيضًا امرأة مغيث: وهي جارية -يعني: مملوكة- اشترتها عائشة من أهلها، لأنهم كاتبوها، ثم أعتقتها، فلما أعتقتها خيّرها النبي ﷺ بين أن تبقى مع زوجها، أو تفسخ النكاح، لأنها صارت حرةً وزوجها عبدًا، فخيّرها النبي ﷺ، فاختارت الفراق، وكانت تُبغض زوجها بغضًا شديدًا، وهو يُحبها حبًا شديدًا، حتى كان يتبعها في أسواق المدينة يبكي، يريد أن تبقى، ولكن أبت فتوسّط النبي ﷺ بينهما شافعًا، يريد أن ترجع إلى زوجها، فقال النبي ﷺ: «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا شَفَعٌ». قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ^(٢).

أما إنه يقول: افعلوا كذا، ثم يقولون: يا رسول الله أهو للوجوب، أو للجواز، أو للاستحباب؟ الجواب: ما قالوا هذا رضي الله عنهم.

فهم إذا دُعوا إلى الله رسوله قالوا: سمعنا وأطعنا.

٢٢٧- وَيُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ

قَوْلُهُ: «الْوَحْيَ الْمُبِينَ» يعني: الكتاب والسنة.

قَوْلُهُ: «قَالَ الشُّيُوخُ» يعني: الفقهاء، فقهاء المذهب مثلاً، أو علماء الكلام

الذين يُقْتَدَى بهم.

(١) أخرجه الطبري في التاريخ (٢/ ٤٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الطلاق، باب شفاعة النبي ﷺ في زوج بريرة، رقم (٤٩٧٩).

أكثر المتعصبين للمذاهب إذا قلت: هذا لا يجوز، قال: لا، هذا يجوز، فقلت له: ما الدليل؟ قال: هو في الكتاب الفلاني.

والحقيقة أن أقوال أهل العلم يُحتجُّ لها، ولا يُحتجُّ بها، فليست بحُجَّة، بل الحُجَّة فيما قال الله ورسوله، فهو يقول: (إِنَّهُ يُحَكِّمُ الْوَحْيَ الْمُبِينَ عَلَى الَّذِي قَالَ الشُّيُوخُ).

ثُمَّ قَالَ: «فَعِنْدَهُ حَكَمَانِ» وهما الكتاب والسنة، لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال عز وجل: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٢٢٨- لَا يَحْكُمَانِ بِبَاطِلٍ أَبَدًا، وَكُلُّ لُ الْعَدْلِ قَدْ جَاءَتْ بِهِ الْحَكَمَانِ
وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ بِبَاطِلٍ، وَالْمُرَادُ بِالسُّنَّةِ مَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٢٩- وَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ أَعْدَلُ حَاكِمٍ فِيهِ الشُّفَا وَهَدَايَةُ الْحَيْرَانِ
لَا شَكَّ أَنَّ أَعْدَلَ الْكُتُبِ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَوْ اجْتَمَعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ مَا أَتَوْا بِمِثْلِهَا، لِأَنَّهَا أَعْدَلُ حَكَمٍ.

قَوْلُهُ: «فِيهِ الشُّفَا» الشُّفَا هُوَ الْبُرءُ مِنَ الْمَرَضِ، لَكِنْ أَيُّ شِفَاءٍ فِي الْقُرْآنِ: الشِّفَاءُ الْحِسِّيُّ، أَوِ الشِّفَاءُ الْمَعْنَوِيُّ؟ الْجَوَابُ: كِلَاهُمَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] هَذَا الشِّفَاءُ

المعنوي، وقال النبي ﷺ للذي قرأ على اللديغ بالفاتحة، فقام كأنها نُسِطَ مِنْ عِقَالٍ، قال لهذا القارئ: «وَمَا يُدْرِيكَ أَمَّهَا رُقِيَّةٌ»^(١).

فالشفاء الذي جاء به القرآن، أو الذي في القرآن يشمل الشفاءين: الحسيّ، والمعنويّ.

قَوْلُهُ: «وَهِدَايَةُ الْحَيْرَانِ» إي والله، هداية الحيران أي: المتحير، المتردد، الشاكّ، فهذا يجد الهداية في القرآن، فيجد طيب القلب، وطمأنينة القلب، وانسراح الصدر، وانفتاح النفس في القرآن.

فمهما طَلَبْتَ مِنَ الْأَطْبَاءِ أَنْ يَزُولَ عَنْكَ مَا فِي قَلْبِكَ، فَلَنْ تَجِدَ مِثْلَ الْقُرْآنِ، لَكِنْ لِمَنْ؟ الْجَوَابُ: لِلَّذِينَ آمَنُوا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ [فصلت: ٤٤]، أما غير المؤمن فلا ينتفع به، وقرأ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (١٢٤) وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

فغير المؤمن لا يرى الشفاء بالقرآن أبدًا، ولا ينتفع بالقرآن، بل ﴿إِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيفُ الْآوَلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]، لأنه لا ينتفع بها و﴿أَسْطِيفُ الْآوَلِينَ﴾ مثل قولنا: (سوا ليف الأولين)، لأنه لا ينتفع، فكلَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ أَقْوَى إِيمَانًا بِاللَّهِ كَانَ الْقُرْآنُ أَنْفَعَ لَهُ فِي شِفَاءِ مَرَضِ الْقَلْبِ، وَفِي نُورِ الْقَلْبِ، وَفِي انْسِرَاحِ الصَّدْرِ، وَفِي طَمَآنِينَةِ الْقَلْبِ، وَجَرَّبَ مِحْدُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإجارة، باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب، رقم (٢١٥٦)، ومسلم: كتاب السلام، باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار، رقم (٢٢٠١).

والعجيب أني أحياناً - وهذا عن نفسي - أطلب حُكم مسألةٍ من المسائل، فيما عندي من كتب الفقهاء، وفيما أعرف من السُّنة، ولا أجدها، ثم أتأمل في آية من القرآن تُوجي بِحُكم هذه المسألة، فإذا تأملتُ وجدتُ الحُكم في القرآن.

فيطمئن الإنسان إلى أن القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٩٨]، وهداية لكل حائر.

٢٣٠- وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ مَائِمٌ غَيْرُهُمَا لِذِي إِيمَانٍ قَوْلُهُ: «وَالْحَاكِمُ الثَّانِي كَلَامُ رَسُولِهِ» قَيْدُهُ الْمُؤَلَّفُ، فَقَالَ: «لِذِي إِيمَانٍ».

كلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - هو الحاكم الثاني، وفعله هو الحاكم الثاني، وقد قرأت قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] أي: فيما حصل بينهم من نزاع ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

٢٣١- فَإِذَا دَعَوُكَ لِغَيْرِ حُكْمِهِمَا فَلَا سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِضْيَانِ أَفَادَنَا الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - أَنَّ مَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَحَالُهُ بَيْنَ أَمْرَيْنِ: إِمَّا أَنْ يَكُونَ كَافِرًا، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ عَاصِيًا، وَهَذَا قَالَ: (فَلَا سَمْعًا لِذَاعِي الْكُفْرِ وَالْعِضْيَانِ).

٢٣٢- قُلْ لَا كِرَامَةَ لَنَا، وَلَا نُعْمَى وَلَا طَوْعًا لِمَنْ يَدْعُو إِلَى طُغْيَانٍ
٢٣٣- وَإِذَا دُعِيَ إِلَى الرَّسُولِ فَقُلْ لَهُمْ سَمْعًا وَطَوْعًا، لَسْتُ ذَا عِضْيَانٍ

هكذا الواجب على المسلم أن يقول بقلبه ومقاله: لا سمع، ولا طاعة لمن يدعو إلى طُغيان، لكن كيف يدعو إلى طُغيان؟ نقول: لأنَّ أيَّ إنسان يدعو إلى

حُكْمٌ غَيْرُ حُكْمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ طَاغٍ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

فقول المؤلف: «يَدْعُو إِلَى طُغْيَانٍ» مُوَافِقَةٌ لِلآيَةِ السَّابِقَةِ.

إِذَنْ كُلُّ مَا خَالَفَ حُكْمَ اللَّهِ فَهُوَ طُغْيَانٌ، وَكُلُّ مَنْ دَعَا إِلَى ذَلِكَ فَهُوَ طَاغُوتٌ، فَهَلْ تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، أَوْ مِنْ أَهْلِ الطَّاغُوتِ؟
الجواب: مِنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ.

٢٣٤- وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ وَصَيَّحُوا فَانْتَبْتُ، فَصَيَّحْتَهُمْ كَمِثْلِ دُخَانٍ
٢٣٥- يَرْقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ وَبَعْدَهُ يَهْوِي إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِ
٢٣٦- هَذَا وَإِنَّ قِتَالَ^(١) حِزْبِ اللَّهِ بِأَلْ
٢٣٧- وَاللَّهُ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ^(٢)
٢٣٨- وَكَذَلِكَ مَا فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِهِدْيِهِ أَلْ

(١) في نسخة الإفتاء: «قبل حرب» بموحدة تحتانية.

(٢) في نسخة التيمورية: «بهذه».

الشرح

٢٣٤- وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ وَصَيَّحُوا فَأَثَبْتُ، فَصَيَّحَتْهُمْ كَمِثْلِ دُخَانٍ

٢٣٥- يَرْقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ وَبَعْدَهُ يَهْوِي إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا تَكَاثَرَتِ الْخُصُومُ» يعني: بأن كنت وحيداً في بلدك تدعو إلى السُّنَّةِ واتباع السُّلفِ، وكَثُرَ الأعداء الذين يَدْعُونَ إلى مذهبهم الباطل، فالواجب ألا تَنْهَزمَ، لأنك إذا انهزمت فقد هَزَمْتَ الحَقَّ، بل اثبت، وما أَرَعَبَ أعداءك إذا رَأوك ثابتاً.

قَوْلُهُ: «فَصَيَّحَتْهُمْ كَمِثْلِ دُخَانٍ» فهو شَبَّهُهُمُ بالدُّخانِ، تَعَلُّو أصواتهم وضجيجهم وكلماتهم ودعايتهم، فالدُّخان إذا ثبت له الإنسان تمزَّق وتفرَّق يميناً وشمالاً، ولم يَصُرَّ الإنسان، وإذا تعالَى في الجَوْ فمآله الرجوع والسُّفل، وهذا التمثيل من أعجب التمثيلات وأدقِّها، فهو أشدُّ من قول الشاعر:

بَلَيْتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا

وُقُوفَ شَحِيحِ ضَاعٍ فِي التُّرْبِ خَاتِمُهُ^(١)

فَقَوْلُهُ: «الْأَطْلَالِ» يعني: أطلال محبوبته، يقول: فهو (شَحِيح)، إذا ضاع خاتمته في التراب هل يَنْظُرُ أَوَّلَ مرة ويمشي؟ أبداً، بل يَنْخُلُ التُّرَابَ نَخْلًا، حَبَّةً حَبَّةً، لَعَلَّهُ يَجِدُ خَاتِمَةَ.

أقول: إِنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ العجيب دون ما شَبَّهُ ابن القيم -رحمه الله- أعداء الحَقِّ بالدُّخانِ، وَجْهُ الشُّبْهَةِ: الدخان، إذا ثَبَّتَ له هل يدفعك؟ الجواب: لا يدفعك،

(١) البيت للمتنبي، انظر: شرح معاني شعر المتنبي للإفليلي (١/١٥٨).

ولكن يتمزق يمينًا وشمالًا.

ثانيًا: إذا تعالوا عليك، وهو باطل فمآهم للسُّفول والنزول، لأنَّ الدخان يَرَقَى، وإذا به يَنزِل، لأنَّ الرياح تَرُدُّه إلى الأرض.

وقوله: «دُخَانُ يَرَقَى إِلَى الْأَوْجِ الرَّفِيعِ» شرح المؤلف المشابهة في الارتفاع فقط، لكننا زدنا على هذا بَعْدَمِ صُموَدِ الدخان لمن ثَبَت، فإنه يتمزق ويتفرَّق.

٢٣٦- هَذَا وَإِنَّ قِتَالَ حِزْبِ اللَّهِ بِالْأَعْمَالِ لَا بِكِتَابِ الشُّجْعَانِ
قوله: «حِزْبِ اللَّهِ» وفي نسخة «حَرْبِ اللَّهِ» ويصحُّ حِزْبٌ وَحَرْبٌ، لأنَّ القتال يكون من جانبيين.

قِتَالَ حِزْبِ اللَّهِ يعني: قتالهم لأعدائهم.

قوله: «لا بكتائب الشجعان» يعني: ليس بكتائب الشجعان وحدها، وإلاَّ فمن المعلوم أنَّ قتال حِزْبِ اللَّهِ لأعدائهم يكون بالأعمال، ويكون بالكتائب، ولولا الكتائب، ولولا رايات الجهاد ما حَصَلَتِ الغلبة على أعداء الله، فأعداء الله قَتَلَهُمْ يكون بأمرين: الأول: بالأعمال، والثاني: بكتائب الشجعان.

فابن القيم - رحمه الله - لم يَنْفِ أَنَّ القتال يكون بكتائب الشجعان، ولكنه نَفَى أَنَّ يكون القتال مقتصرًا على كتائب الشجعان.

وصدق - رحمه الله - فالأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة، والمعاملات الطيبة تفتح قلوب الأعداء أكثر مما تفتحها السيوف، ولهذا نجد في علم التاريخ أن كثيرًا من رؤساء الكفر لما شُرح لهم الإسلام أَسَلَمُوا بِدُونِ أَيِّ قتال، ولما قيل: إنَّ المسلمين كذا وكذا.. أسلموا.

وهذا هرقل لما ذكرت له صفات الرسول -عليه الصلاة والسلام- أقرَّ بأنه حَقٌّ^(١)، لكن منعه -والعياذ بالله- الشُّحُّ بِمُلْكِهِ، فلم يُسَلِّم!

٢٣٧- وَاللَّهِ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ أَنْبِيَاءٍ وَأَعْدَائِهِمْ بِلَا حُسْبَانٍ!؟

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ» يشير إلى الصحابة، وسَلَفَ الْأُمَّةِ، فَهُمْ مَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِكَثْرَةِ (أَنْبِيَاءٍ وَأَعْدَائِهِمْ بِلَا حُسْبَانٍ)؟

وهذا صحيحٌ، وفيه الردُّ على مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالسَّلَاحِ وَالْحَرْبِ، وَهَذَا قَوْلُ أَعْدَاءِ الْمُسْلِمِينَ، لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا هَذَا، فَمَعْنَاهُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ طُغَاءٌ مَعْتَدُونَ فَتَحُوا الْبِلَادَ بِقُوَّةِ السَّلَاحِ، وَهَذَا مَا قَالَهُ إِلَّا أَعْدَاؤُنَا مِنَ الْمُسْتَشْرِقِينَ وَأَذْنَابِهِمْ، وَإِنَّمَا فَتَحُوا الْبِلَادَ بِالْعَمَلِ، وَفَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْعِلْمِ.

فَبِالْعَمَلِ: إِذَا رَأَى الْكُفَّارَ فِي عَهْدِ الصَّحَابَةِ مَا عَلَيْهِ طُغَائِهِمْ وَوُلَايَتِهِمْ مِنْ اسْتِعْبَادِهِمْ وَاسْتِذْلَالِهِمْ وَرَأَوْا مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَنَّ أَمِيرَهُمُ السُّلْطَانَ الْأَعْلَى فِيهِمْ ثَوْبُهُ مُرَقَّعٌ، يَنَامُ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيَّ كَثِيبٍ مِنَ الرَّمْلِ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ حَارِسٌ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ الصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ، وَيَخْطُبُ النَّاسَ فَتَرُدُّ عَلَيْهِ الْمَرْأَةُ^(٢)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، هَلِ النَّفُوسُ بِفِطْرَتِهَا الْأَصِيلَةَ تَقْبَلُ هَوْلًا أَوْ تَرْفُضُهُمْ؟

الجواب: تَقْبَلُهُمْ وَاللَّهُ، فَتَنْفَتِحُ قُلُوبُهُمْ قَبْلَ انْفِتَاحِ بُلْدَانِهِمْ، فَبِهَذِهِ الْأَعْمَالِ الْجَلِيلَةِ، وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ فَتَحُوا الْبِلَادَ لَا بِكَثْرَةِ الْعَدَدِ، وَلَا بِقُوَّةِ الْعُدَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣).

(٢) أخرج هذه القصة سعيد بن منصور في كتاب السنن (١/١٩٥)، رقم (٥٩٨)، والبيهقي (٧/٢٣٣)، رقم (١٤١١٤)، وقال البيهقي: هذا منقطع.

لو قارنًا بين كثرة العدد، وقُوَّة العُدَّة فأيهما أكثر: هم أو أعداؤهم؟ الجواب: الأعداء أضعافٌ مُضاعفة بلا حسابان، وكذلك في العُدَّة، لكن فَتَحُوا البلاد بهذه الأعمال.

٢٣٨- وَكَذَلِكَ مَا فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِهَذِهِ الْآرَاءِ بَلْ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
يقول: كذلك فَتَحُوا الْقُلُوبَ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، لا بقواعدِ أهل المنطق اليوناني.

وصدق - رحمه الله - لو أنه عُرِضَتْ عقائدُ المسلمين على أعدائهم بما يَعْرِضُهَا به علماء الكلام، هل يؤمنون؟ لا يؤمنون أبدًا، بل لا يزيدهم ذلك إِلَّا نُفُورًا، لكنَّ عقيدة المسلم سهلةٌ وَيَسِيرَةٌ، يأتي الأعرابي يقول: أشهد أن لا إله إِلَّا اللهُ، وأشهد أن محمدًا رسول الله، ويمضي، ويتعلم العقيدة من هاتين الكلمتين.

لكن لو أننا دَعَوْنَا أعداءَ الله بكلام أهل الكلام، وأعطينا الواحد منهم مجلداتٍ لم ينتفع، فكلامه - رحمه الله - حَقٌّ بلا شك.

٢٣٩- وَشَجَاعَةُ الْفُرْسَانِ نَفْسُ الزُّهْدِ فِي نَفْسٍ، وَذَا مَحْذُورٌ كُلُّ جَبَانٍ
٢٤٠- وَشَجَاعَةُ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدٌ
٢٤١- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقٍ شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
٢٤٢- وَاقْصِدْ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا فَالْعِزُّ تَحْتَ مَقَاتِلِ الْأَقْرَانِ
٢٤٣- وَاسْمَعْ نَصِيحَةَ مَنْ لَهُ حُبٌّ بِمَا عِنْدَ الْوَرَى مِنْ كَثْرَةِ الْجَوْلَانِ

- ٢٤٤- مَا عِنْدَهُمْ - وَاللَّهِ - خَيْرٌ غَيْرَ مَا أَخَذُوهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٢٤٥- وَالْكُلُّ بَعْدُ فَبِدَعَةٍ أَوْ فِرْيَةٍ أَوْ بَحْثُ تَشْكِيكِ وَرَأْيُ فُلَانٍ

الشرح

٢٣٩- وَشَجَاعَةُ الْفُرْسَانِ نَفْسُ الزُّهْدِ فِي نَفْسٍ، وَذَا مَحْذُورٌ كُلُّ جَبَانٍ

هذا التعريف الذي ذكره للشجاعة لا تكاد تجده في كتاب، فزهد الإنسان في نفسه هو الشجاعة، فشجاعة الفرسان نفس الزهد في نفس، فإذا زهد الإنسان في نفسه فلا يهمه الموت، لأن الجبن يدعو إليه الشح بالنفس، يخاف أن يُقَدِّمَ فيقتل، فإذا زهد بنفسه، ولم تهمة النفس إذا فاتت، فهذه هي الشجاعة، ولذلك تجد الشجاع عندما يُقَدِّمُ ينسى نفسه، وينسى كل شيء، فشجاعة الشجعان هي الزهد في النفس، وكرم الكرماء الزهد في المال، ويأتي زهد آخر، ولذا قال - رحمه الله -:

٢٤٠- وَشَجَاعَةُ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدٌ فِي الثَّنَائِمِ مِنْ كُلِّ ذِي بَطْلَانٍ

قوله: «وَشَجَاعَةُ الْحُكَّامِ» كذلك الأمراء شجاعتهم ألا يهتموا بمدح الناس إياهم، أو ذمهم، وأن يقودوا الناس بكتاب الله عز وجل حتى لو قالت الأمم: هؤلاء مخالفون لحقوق الإنسان: يقطعون يد السارق، ويقتلون القاتل.

فالواجب على الأمراء - وهذا يشمل السلطان ومن تحته - ألا يبالوا بأحد، وأن يزهّدوا في ثناء الناس عليهم بالباطل.

وشجاعة العالم أن يزهّد في الثناء من أهل الباطل، بمعنى أنه لا يُجَازِي أهل الباطل، أثنوا عليه، أو ذمّوه لا يهّمه، يقول: أنا عالمٌ أبدي العلم، سواء أثنى عليّ

أهل الباطل، أم قَدَحُوا فِيّ، فيزهد في ثناء أهل الباطل عليه، لأنَّ أهل الباطل إذا رَأَوْا العالمَ قد دَاهَنَهُمْ أَثَنُوا عليه، وقالوا: هذا العالم الذي يعرف الأمور، هذا العالم الذي يَصْلُح لكل واحد، فيثنون عليه، فهو إذا زهد في هذا الثناء صار عالمًا حقًا وشجاعًا، اللهم اجعلنا من هؤلاء.

ومن ثمَّ نقول: العلماء ثلاثة أقسام: عالم أُمَّة، وعالم مِلَّة، وعالم دَوْلَة.

الأول: عالم المِلَّة: وهو الذي يَبُث المِلَّة أي: شريعة الإسلام، ولا يُبالي بمن خالفه، أثنى الناس عليه، أم قَدَحُوا فيه، فهذا عالم المِلَّة الذي يريد إقامة الشريعة، ولا يَهْمُه ما يقوله الناس عليه: (هذا رجلٌ مُعَقَّد)، (هذا رجلٌ رجعيٌّ)، (هذا لا يعرف إلا دِينًا مَضَّت عليه القرون)، فلا يَهْمُه.

الثاني: عالم أُمَّة: بمعنى أنه ينظر ماذا يريد العامة، إن رأى العامة مُقبلين على شيء وهو حرامٌ في الشريعة، ولكنَّ الناس مُقبلون عليه، ذَهَب يقول: (هذا حلالٌ، الناس ما لهم بُدٌّ منه، ولا يمكن أن نَرُدَّ الناس)، فيقتي بما يناسب أهواء الناس، ثمَّ يحاول أن يجعل له وجهًا في الشرع، فيُحَرِّف النصوص من أجل موافقة أهواء الناس.

فهذا إذا رأى أن الثناء عليه يكون في تحليل المصارف (الربا)، فيكون هو هذا الرجل العالم الفاهم لِلُغَة العَصْر، واقتِصَاد العَصْر، فيقول للناس: اعمَلُوا بالربا، فلا يقوم الاقتصَاد إلا به، فهذا لا حَظَّ ثناء الناس عليه، ولم يُبالِ بما يخالف الشرع.

ولما ظهرت الدعوة في البلاد العربية إلى الاشتراكية - وهي في الحقيقة الشَّرِكِيَّة يُضْطَاد بها الأغنياء - لما ظهرت صاروا يأتون بالأدلة الدالة عليها، وأنها

في القرآن، ويثبتونها، حتى يقول القائل منهم: (الاشتراكيون أنت إمامهم)^(١)
يعني: الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

وَمِنْ أَعْجَبَ مَا رَأَيْتُ مِنَ الْاِسْتِدْلَالِ قَوْلَ أَحَدِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي
الْقُرْآنِ: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي
مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨]، قال: فهذه اشتراكية بين السيد والعبد،
وكذا في قوله تعالى: ﴿هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ
فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨].

انظر -والعياذ بالله- إلى هذا التحريف؟!

الآية ما معناها؟ يعني: هل أنتم شركاء مع هؤلاء، فأنتم سواء في المشاركة؟
الجواب: لا، هذا معطوف على النفي، لكنهم جعلوه إثباتاً، وقالوا: إنَّ
الناس شُرَكَاءَ فِي ثَلَاثَةٍ، وَعَلَّلُوا هَذَا بِالْحَاجَةِ، وَالنَّاسُ الْآنَ مُحْتَاجُونَ إِلَى
الاشْتِرَاكِيَّةِ، الشَّعْبُ كُلُّهُ طَبَقَاتٌ: هَذَا غَنِيٌّ جَدًّا، وَهَذَا فَقِيرٌ جَدًّا، فَحُجَّتْ فِي حَاجَةٍ
إِلَى أَنْ نُضَمَّ مَالٌ هَذَا إِلَى هَذَا، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَخَذُوا أَمْوَالَ الْغَنِيَاءِ، وَلَمْ يَنْفَعُوا
الْفُقَرَاءَ.

المقصود أنَّ عالم الأمة هو الذي ينظر إلى أهواء الناس، وما تهواه وَيُسَيِّرُ
الْأُمُورَ عَلَيَّ مَا يَرِيدُونَ.

الثالث: عالم دولة: وهو ينظر ما تريد الدولة، إذا أرادت شيئاً قال: هذا
حلال، هذا له وجهة نظر، ثم يستدل بآيات، أو أحاديث ويحرِّفها.

(١) هذا صدر بيت من هزمية الشاعر أحمد شوقي، وتمامه: (لولا دعاوى القوم والغُلُوءاء). انظر:
شعر شوقي في ميزان النقد، لمحمد مصطفى المجذوب (ص: ٨٣).

والعلماء في الحقيقة - نسأل الله الحماية - عليهم مسئولية عظيمة، يجب عليهم أن يتقوا الله عزَّ وجلَّ قَبْلَ أن يتقوا عباد الله.

فصارت شجاعة المقاتل الزهْدُ في النفس، وشجاعة الغنيِّ الزهد في المال، وشجاعة العالم الزهد في الثناء من أهل الباطل، وشجاعة الأمراء الزهد في ثناء الناس، أو قَدْجهم، لا يهْمُّهم أحد.

هذه في الحقيقة ضوابط، لو أنكم إذا مرَّت بكم تُقَيِّدُونَهَا، تضعون عليها إشارة، ثم تنقلونها في دفترٍ خاصٍّ يكون فيها فائدة عظيمة ومرجع، لأنها في الواقع ضوابط قد لا تجدونها في غير هذا الكتاب.

٢٤١ - فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِقَلْبٍ صَادِقٍ شُدَّتْ رَكَائِبُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «اجْتَمَعَا» يعني: اجتمع الزهد في النفس، والزهد في الثناء، فإنها سوف تُشَدُّ رَكَائِبُهُ إِلَى الله عزَّ وجلَّ ويكون قصده وجه الله تعالى.

٢٤٢ - وَأَقْصِدْ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا فَالْعِزُّ تَحْتَ مَقَاتِلِ الْأَقْرَانِ

يعني: إذا قاتلت لا تذهب للحواشي، بل ابدأ بالأقران، والأقران هم من مثلك في الشجاعة، فأنت شجاع، فلا تذهب إلى أطراف الجيش الذين ليس عندهم شجاعة، لأنَّ قَتْلَهُمْ سَهْلٌ، لكن اقصد إلى الأقران الذين هم مثلك فاقتلهم.

كذلك بالنسبة للعلماء، لا تذهب للعامة، بل اقتل العالم الذي يقودهم بالباطل، اقتله - طبعًا - بالحجة والبرهان، لا بالسيف، وهذه توصية من خير بالأمر، لأنك إذا أردت القضاء على باطل قومٍ فإلى من تقصد؟ أتذهب إلى العامي

تُناظره في هذا القول؟ لا، لكن اذهب إلى العالم، ويقول العوامُّ: (إِذَا صَدَعْتَ رَأْسَ الْحَيَّةِ مَاتَ ذَنْبُهَا) لكن إذا ضَرَبْتَ ذَنْبَهَا فلن تموت.

ولهذا يقول -رحمه الله-: «أَقْصِدْ إِلَى الْأَقْرَانِ لَا أَطْرَافِهَا» فلا تأتِ للحواشي والأطراف، فهؤلاء سَتَعَجِزُ عنهم، لكن انظر إلى أقرانك الذين هم علماء مثلك، وناظرهم حتى يهزموا أمامك، وبالتالي يهزمون أمام عوامهم، أما أن تأتي للعوام، فلا تُفَكِّرْ أبدًا في ذلك، فقد يجتمع عليك عشرون عاميًا، يَصِيحُونَ بك، بل وقد تأخذ أحدهم الغيرة فيضربك، فلا تتكلم مع هؤلاء. وهذه من الحكمة التي أرشد إليها -رحمه الله تعالى-.

٢٤٣- وَأَسْمَعُ نَصِيحَةَ مَنْ لَهُ خُبْرٌ بِمَا عِنْدَ الْوَرَى مِنْ كَثْرَةِ الْجَوْلَانِ قَوْلُهُ: «وَأَسْمَعُ نَصِيحَةَ مَنْ لَهُ خُبْرٌ...» يعني بذلك نفسه.

قَوْلُهُ: «خُبْرٌ» أي: عِلْمٌ، يعني: أنه -رحمه الله- جالٌ في أقوال العلماء، وليس بلازم أن يذهب إلى كل عالمٍ في بيته، لكن جالٌ في أقوال العلماء فيما كتَبُوهُ، وتأملها وعرفها.

٢٤٤- مَا عِنْدَهُمْ -وَاللَّهِ- خَيْرٌ غَيْرَ مَا أَخَذُوهُ عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ وهذا من إنصاف المؤلف يقول: الخيرُ الذي عندهم موجودٌ في القرآن، وأكثرُ ما عندهم هو الباطل والشرُّ، فإذا كان الخير الذي عندهم موجودًا في القرآن، فإلى أين أرجعُ؟

الجواب: أرجعُ إلى القرآن، ولا يهمني إذا وافقوا القرآن في شيء، ثم أُبطل ما خالفوا القرآن مما عندهم، ولا يهمني هذا.

٢٤٥- وَالْكُلُّ بَعْدُ فَبِدْعَةٍ أَوْ فِرْيَةٍ أَوْ بَحْثِ تَشْكِيكِ وَرَأْيِ فُلَانٍ

ذَكَرَ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ:

الأول: بدعةٌ ابتدعوها في دين الله من عبادةٍ قوليةٍ أو فعليةٍ.

الثاني: فرية أي: كَذِبٌ أَخْبَرُوا بِهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

الثالث: بحثٌ تشكيكٌ فيما يُورِدُونَهُ مِنَ الْأَسْئَلَةِ الَّتِي لَا يَجِدُونَ لَهَا جَوَابًا،

ولهذا قال بعضهم: (أكثرُ الناسِ شكًّا عند الموت أهلُ الكلام) (١).

اللهم أعِزَّنَا مِنْ ذَلِكَ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَارزُقْنَا الْيَقِينَ أَحْيَاءً، وَعِنْدَ الْمَوْتِ.

الرابع: رأيٌ فُلَانٍ، وهذا عن التقليد الأعمى، فيقول: قال فلان، وقال

فلان.

فهؤلاء القوم ليس عندهم إلا واحدٌ من هذه الأمور الأربعة: بدعة، فرية،

تشكيك، تقليد.

٢٤٦- فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَخَشَّ الْوَرَى فِي اللَّهِ وَاخْشَاهُ تُفْزِ بِأَمَانِ

٢٤٧- وَاهْجُرْ وَلَوْ كُلَّ الْوَرَى فِي ذَاتِهِ لَا فِي هَوَاكَ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ

٢٤٨- وَاصْبِرْ بِغَيْرِ تَسْحُطٍ وَشِكَايَةٍ وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ

٢٤٩- وَاهْجُرْهُمْ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ بِلَا أَدَى إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدًّا مِنَ الْهَجْرَانِ

٢٥٠- وَانظُرْ إِلَى الْأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا قَدْ شَاءَ مِنْ غَيْرِي وَمِنْ إِيْمَانِ

(١) هذا القول أورده شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨) ونسبه للغزالي.

- ٢٥١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا
بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ
- ٢٥٢- فَانظُرْ بِعَيْنِ الْحُكْمِ وَارْحَمُهُمْ بِهَا
إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ الدِّيَانِ
- ٢٥٣- وَانظُرْ بِعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمِلْهُمْ عَلَى
أَحْكَامِهِ، فَهُمَا إِذْنٌ نَظْرَانِ
- ٢٥٤- وَاجْعَلْ لِرُوحِكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا
مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَانِ
- ٢٥٥- لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَضْمًا مِثْلَهُمْ
فَالْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

الشرح

٢٤٦- فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللَّهِ لَا تَخَشَّ الْوَرَى فِي اللَّهِ وَاخْشَاهُ تَفْرُزٌ بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَاصْدَعْ بِأَمْرِ اللَّهِ» لقول الله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤].

وَقَوْلُهُ: «اصدع» يعني: بَيِّنُهُ بَيَّانًا وَاحِدًا، تَصْدَعُ بِهِ الْحَجَرُ مِنْ قُوَّةِ الْبَيَانِ

وَالِإِظْهَارِ.

قَوْلُهُ: «لَا تَخَشَّ الْوَرَى فِي اللَّهِ وَاخْشَاهُ» هذا مأخوذ من قوله: ﴿فَلَا تَخْشَوْا

الْكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤].

قَوْلُهُ: «وَاخْشَاهُ تَفْرُزٌ بِأَمَانِ» يعني: إِنْ فَعَلْتَ هَذَا، أَي: صَدَعْتَ بِالْحَقِّ،

وَخَشِيَتِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دُونَ غَيْرِهِ، فَسَتَفُوزُ بِأَمَانِ.

فَالْمَوْلُفُ يَقُولُ: الْوَاجِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَصْدَعَ بِالْحَقِّ، وَلَا يَخْشَى إِلَّا اللَّهَ

عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ الْأَمَانَ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَالْحَقُوفَ كُلَّ الْحَقُوفِ فِي خَشْيَةِ النَّاسِ، فَمَنْ

خَشِيَ اللَّهَ خَافَهُ النَّاسُ، وَمَنْ خَافَ النَّاسَ وَطِئَهُ النَّاسُ.

٢٤٧- وَاهْجُرْ وَلَوْ كُلَّ الْوَرَى فِي ذَاتِهِ لَا فِي هَوَاكَ وَنَخْوَةَ الشَّيْطَانِ

يعني: اهجر مَنْ خالف الحق - ولو كانوا كُلَّ الوري - في ذات الله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «لَا فِي هَوَاكَ» يعني: لا تَهْجُرْهُمْ انتصارًا لِهَوَاكَ.

قَوْلُهُ: «وَنَخْوَةَ الشَّيْطَانِ» النَخْوَةُ: العِزَّةُ والفخر، وما أشبه ذلك.

ولكن اهجرهم الله عزَّ وجلَّ في ذات الله، حتى لو كان أباك وأُمَّك، اهجرهم

في ذات الله، ولكن كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥].

٢٤٨- وَاصْبِرْ بِغَيْرِ تَسَخُّطٍ وَشِكَايَةٍ وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ

قَوْلُهُ: «وَاصْبِرْ» أي: لِحُكْمِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ الذي يَحْصُلُ لَكَ مِنْ أذِيَّةٍ أَوْ ضَرَرٍ.

قَوْلُهُ: «بِغَيْرِ تَسَخُّطٍ وَشِكَايَةٍ» فلا تتسخط بِقَلْبِكَ، ولا تَشْكُونَ بِلِسَانِكَ.

قَوْلُهُ: «وَاصْفَحْ بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ» اصفح يعني: أَعْرِضْ عَنِ الشَّيْءِ،

وهو مأخوذٌ مِنْ صَفْحَةِ الْعُنُقِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَعْرِضَ بَدَتْ صَفْحَتُهُ.

المعنى: اصفح عن هؤلاء «بِغَيْرِ عِتَابٍ مَنْ هُوَ جَانِ» ولكن الحق لا بُدَّ أَنْ

تقوله.

وفي هذا إشارة إلى إبطال الطريقة التي يفعلها بعض الناس، حتى من العلماء

مَنْ تجده إذا خالفه أحدٌ في رأيه - ولو كان عن اجتهاد - قام يَسُبُّهُ سَبًّا عَظِيمًا، وممن

يسلك هذه الطريقة ابنُ حَزْمٍ - رحمه الله -^(١)، وَيَا وَيْلَ مَنْ خَالَفَهُ، يَسُبُّهُ سَبًّا عَظِيمًا،

(١) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري، أحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة

(٣٨٤هـ)، كان له ولأبيه رئاسة الوزارة، ولكن زهد فيها، وأقبل على العلم، ولقد انتقد كثيرًا من

العلماء فطارده الملوك، فمات في بادية - يعني خارج المدن - ببلدة من بلاد الأندلس سنة (٤٥٦هـ).

[الشارح].

وهذا غلط، فعليك أن تصبر، وأن تدعُو إلى الله عزَّ وجلَّ بالحقِّ بدون تَسَخُّطٍ وعتاب.

٢٤٩- **وَاهْجُرْهُمْ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ بِلَا أَدَى** **إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِّنَ الْهَجْرَانِ**

قَوْلُهُ: «**وَاهْجُرْهُمْ الْهَجْرَ الْجَمِيلَ**» الهجر الجميل هو الهجر بلا أذية، كما أنَّ الصبر الجميل هو الصبر بلا شكاية.

قوله: «**إِنْ لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِّنَ الْهَجْرَانِ**» يعني: لا تهجرهم إلا إذا كان لا بدَّ من الهجر، فاهجرهم بلا أذى.

وهذا يدلُّ على تسامح ابن القيم -رحمه الله- في مثل هذه الأمور، عكس ما يفعله الآن أهل الغيرة والحماس، تجده يُشَدِّد في مجادلة الآخرين، وفي هجرهم، وفي التنفير منهم، وهذا ليس من طريق السلف.

٢٥٠- **وَانظُرْ إِلَى الْأَقْدَارِ جَارِيَةً بِمَا** **قَدْ شَاءَ مِنْ غَيْرِيٍّ وَمِنْ إِيْمَانِيٍّ**

قَوْلُهُ: «**قَدْ شَاءَ**» أي: الله عزَّ وجلَّ فانظر إلى أقدار الله تعالى كيف هي جارية بما شاء الله من غيٍّ، ومن إيمان.

فهذا رجل مؤمن صالح تقيٍّ، وهذا رجل فاسق شقيٍّ، من الذي قدر هذا؟ إنه الله عزَّ وجلَّ لكن لا إكراه، بل للإنسان اختيار، إلا أنَّ الرَّبَّ عزَّ وجلَّ إذا رأى من عباده زيغاً، أزاع قلوبهم -والعياذ بالله-، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**﴾ [الصف:٥].

فانظر إلى أقدار الله تَجِدُ الرَّجُلَ الذَّكِيَّ الْكَثِيرَ الْمَالِ، الْكَثِيرَ الْبِذْلِ، الْجَيِّدَ الرَّأْيَ تَجِدُهُ كَافِرًا، وَتَجِدُ آخَرَ دُونَهُ فِي ذَلِكَ، لَكِنَّهُ مُؤْمِنٌ، فَانظُرْ إِلَى أَقْدَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَيْفَ جَرَتْ بِمَا شَاءَ؟

ولكن هل هو لمجرد مشيئة، أو مشيئة لحكمة؟ الجواب: نعم، مشيئة لحكمة.

٢٥١- وَاجْعَلْ لِقَلْبِكَ مُقَلَّتَيْنِ كِلَاهُمَا بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ

اجعل لقلبك عينين تنظر إلى الخلق من وجهين.

٢٥٢- فَانظُرْ بِعَيْنِ الْحُكْمِ وَارْحَمُهُمْ بِهَا إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ السَّيِّئَانِ

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ بِعَيْنِ الْحُكْمِ» أي: الحكم الكوني القدري، كيف حكّم الله

على هؤلاء بالضلال؟

قَوْلُهُ: «وَارْحَمُهُمْ بِهَا» أي: بهذه العين، كيف أضلّ الله هؤلاء المساكين، حتى

بُقُوا حَيَارَى، لَا يَبْنُونَ أَمْرَهُمْ عَلَى قَاعِدَةٍ، وَلَيْسَ لَهُمْ عَقِيدَةٌ، فَتَرَحَّمَهُمْ، وَتَقُولُ:

الحمد لله الذي فضّلني عليهم، وهذا هو النظر الأول.

وأما النظر الثاني، فقال -رحمه الله تعالى-:

٢٥٣- وَانظُرْ بِعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمِلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِهِ، فَهَمَّا إِذْنُ نَظَرَانِ

قَوْلُهُ: «وَانظُرْ بِعَيْنِ الْأَمْرِ» أي: الأمر الشرعي.

قَوْلُهُ: «وَاحْمِلُهُمْ عَلَى أَحْكَامِهِ» أي: ألزمهم بها، ولا تأخذك في دين الله لومة

لأئيم.

فحينئذ لنا نظران:

النظر الأول: أن تنظر إليهم بعين القدر، وهذا يقتضي الرحمة، والحنان

عليهم، والتأوّه لهم، وأن نحمد الله عزّ وجلّ أن عافانا مما ابتلاهم به، لأنّ هذا من

أقدار الله عزّ وجلّ، فأنت إذا نظرت إلى هذا المخدول -والعياذ بالله- ترقّ له

وتقول: هو مسكين، كيف صُدّ عن الهدى، واتّبَع الهوى والرّدى؟!!

النظر الثاني: بَعَيْنِ الشَّرْعِ، فهذا النظر يجب عليك أن تحملهم على الشرع، ولو بِالضَّرْبِ، ولو بِالْحَبْسِ، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النور: ٢].

فقال: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ [النور: ٢]، أما بَعَيْنِ الْقَدَرِ فارحمهم وتأوّه لهم.

قال الشافعي -رحمه الله-: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ: أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ هَذَا جَزَاءً مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى الْكَلَامِ»^(١).

هذا النظر بأيِّ النَّظَرَيْنِ؟ الجواب: هو بالنَّظَرِ الشَّرْعِيِّ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتوى الحَمَوِيَّة^(٢): وَيَعْلَمُ الْعَلِيمُ أَنَّهُمْ مِنْ وَجْهِ مُسْتَحَقُونَ مَا قَالَهُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا إذا نظرنا إليهم بَعَيْنِ الشَّرْعِ، لكن إذا نظرت إليهم بعين القدر رحمتهم، ورققت لهم، وقلت: سبحان الله الذي أضلَّ هؤلاء! مع أنهم قد يكونون أذكياءً، وقد يكونون على أخلاقٍ فاضلة، وقد يكونون على عباداتٍ وخُشوعٍ، ولكنهم ضلُّوا في العقيدة، وهذا لا شك أنه من العَدْلِ، وأنت إذا نظرت إليهم من هذا الوجه حَرَصْتَ غَايَةَ الْحِرْصِ عَلَى أَنْ يَلْتَزِمُوا بِالشَّرْعِ، لِأَنَّ مَنْ رَجِمَ أَحَدًا لِفَقْدِ شَيْءٍ لَا بُدَّ أَنْ يَسْعَى لَهُ بِالْحَصُولِ عَلَيْهِ.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٩).

(٢) انظر: الفتوى الحَمَوِيَّة الكُبرى (ص: ٥٥٥).

تقدّم أنّ القلب جَعَلَ له مُقْلَتَيْنِ تنظران إلى الخلق بِعَيْنِ القَدَرِ، وَبِعَيْنِ الشَّرْعِ،
وأما عن الوجه فيقول:

٢٥٤- وَاجْعَلْ لِيُوجِهَكَ مُقْلَتَيْنِ كِلَاهُمَا مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَيَّانِ
قَوْلُهُ: «مُقْلَتَيْنِ» يعني: عينين، اجعل عينين باكيتين من خشية الله عزّ وجلّ.
وكل مقام له مقال، ففي مقام العبادة والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ اجمل العين
على البكاء، لأنّ المقام يقتضيه.

وفي مقام المجادلة والانتصار للحق لا تحمل بهذا، لأنّ خصمك قد يرى
هذا أنه مقام ضعف، فلكلّ مقام مقال، والمجاهد المغوار على فرسه ليس يبكي كما
يبكي الساجد الخاشع لله عزّ وجلّ.

وفي معنى ذلك يقول القحطاني - رحمه الله - في نونته^(١):

يَا حَبْدًا عَيْنَانِ فِي غَسَقِ الدُّجَى مِنْ خَشْيَةِ الرَّحْمَنِ بَاكِتَيَّانِ
نعم، هاتان العينان محلّ الشاء، لأنّ (حَبْدًا) يعني: الشاء عليهما.

فأين منا من يتصف بهذا؟! بل أكثر الناس اليوم ينامون إلى الصباح، وإذا
قاموا في غَسَقِ الليل، فالبكاء قليل، لكن عينان في غَسَقِ الدُّجَى من خشية الله
- سبحانه وتعالى - تبكيان، هذا في زمننا قليل، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من
هؤلاء القليل.

فالإنسان ينبغي له أن يكون له مع الله تعالى صلّة، فيبكي من خشية الله
- سبحانه وتعالى - في سجوده، في قيامه، كلما تذكّر آيات الله - سبحانه وتعالى -

(١) انظر: نونية القحطاني (ص: ٥٠).

أوجب له ذلك خشيةً له، حتى يلين القلب، لأن القلب إذا لم تُليته يبقى قاسياً، لأن زهرة الدنيا وزخارفها والأصحاب، وما أشبه ذلك قد يُوجبُ هذا، أو بعضه فسوة القلب، فلا بد أن تتعاهد قلبك بما يُليته.

وأحسن ما يليته كتابُ الله عزَّ وجلَّ إذا قرأته بإمعانٍ وتدبيرٍ، فإنه يلين القلب، كما قال ابن عبد القوي - رحمه الله -:

وَحَافِظٌ عَلَى دَرَسِ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ يُلِينُ قَلْبًا قَاسِيًا مِثْلَ جَلْمَدٍ^(١)

ومصدق ذلك قوله - تبارك وتعالى -: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَاسٍ لَّعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

٢٥٥- لَوْ شَاءَ رَبُّكَ كُنْتَ أَيُّضًا مِّثْلَهُمْ فَالْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ وَصَدَقَ - رحمه الله -، فلو شاء الله لكنت مثلهم يعني: مثل هؤلاء الضلال الذين ضلُّوا عن الهدى، لأنك بشرٌ وإنسان، تقرأ كما يقرؤون، وتتدبر كما يتدبرون، فلو شاء الله لأضلك.

فاحمد الله على نعمة الهداية، واعلم قدر نعمة الله عليك بذلك، واعلم أن له - سبحانه وتعالى - أكبر المنّة عليك، لأنه لو شاء لأزاع قلبك، - والعياذ بالله - ولا تعجب بنفسك، ولا تقل: هذا مني، فتكون كقارون الذي قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]، وإذا اعتقدت هذه العقيدة صرت تلجأ إلى الله عزَّ وجلَّ أن يُثبتك دائماً، فإنَّ «قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبِ

(١) انظر القصيدة بكاملها في الآداب الشرعية والمنح المرعية، لمحمد بن مفلح الحنبلي (٣/ ٥٩٠).

وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»^(١). فَكُلُّ الْعِبَادِ قُلُوبُهُمْ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ، إِنْ شَاءَ أَزَاعَهَا، وَإِنْ شَاءَ هَدَاها، وَلَكِنَّ الزَّيْغَ لَهُ سَبَبٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاعَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وَمَا حَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ بِهَذَا الْحَدِيثِ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».

أَحْرَصَ عَلَى هَذَا الْقَلْبِ الَّذِي إِذَا صَلَحَ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا، اللَّهُمَّ أَصْلِحْ قُلُوبَنَا يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

قَوْلُهُ: «بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» هَكَذَا ثَبِتَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ الْقَلْبِ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ الْمُهَاسَّةِ وَالْمُبَاشَرَةِ، بَحِيثٌ يُقَالُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يَصِحُّ، لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي صُدُورِ بَنِي آدَمَ، لِأَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ عَطَّلُوا هَذَا الْحَدِيثَ وَأَنْكَرُوهُ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ، كَيْفَ تَكُونُ الْقُلُوبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ؟

فَيُقَالُ: الْبَيِّنَةُ لَا تَقْتَضِي الْمُهَاسَّةَ، وَلَا الْمُبَاشَرَةَ.

وَالدَّلِيلُ: قَوْلُ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] هَلْ يُيَاسُّ الْأَرْضُ؟ الْجَوَابُ: لَا.

وَهَلْ يُيَاسُّ السَّمَاءُ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَمَعَ ذَلِكَ سَمَّى اللَّهُ ذَلِكَ بَيِّنَةً، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ كَوْنِ قُلُوبِنَا بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ أَنْ تَكُونَ الْمُهَاسَّةَ، أَوْ الْمُبَاشَرَةَ.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْقَدْرِ، بَابُ تَصْرِيفِ اللَّهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ، رَقْمٌ (٢٦٥٤).

فإذا قال قائل: كيف إذن؟

فالجواب: أن نجيبه بما أجاب به الإمام مالك - رحمه الله - (البَيِّنَةُ معلومة، والكيفية مجهولة، والسؤال عنها بدعة، والإيمان بها واجب).

هكذا نقول في كل من حاول أن يسأل عن كيفية صفات الله عز وجل أو أن يتخيل ذلك بقلبه، حتى لو حدّثتك نفسك أن تتطلب كيفية صفات الله، فأورد عليها ما قاله مالك - رحمه الله - وغيره من العلماء.

اللهم ثبتّ قلوبنا على طاعتك يا رب العالمين.

- ٢٥٦- وَاحْذَرْ كَمَا إِنَّ نَفْسِكَ اللَّاتِي مَتَى
خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسِرَتْ كَسْرَ مُهَانَ
- ٢٥٧- وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى
طَفِي الدُّخَانِ بِمَوْقِدِ النَّيرَانِ
- ٢٥٨- وَاللهُ أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ
أَنْ لَيْسَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانِ
- ٢٥٩- مَنْ يَعْمَلِ السُّوَايَ سَيُجْزَى مِثْلَهَا
أَوْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يُفْزَ بِحَنَانِ
- ٢٦٠- هَذِي وَصِيَّةٌ نَاصِحٍ وَلِنَفْسِهِ
وَصَى وَبَعْدُ لِسَائِرِ الْإِخْوَانِ

الشرح

- ٢٥٦- وَاحْذَرْ كَمَا إِنَّ نَفْسِكَ اللَّاتِي مَتَى
خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسِرَتْ كَسْرَ مُهَانَ
- قَوْلُهُ: «كَمَا إِنَّ نَفْسِكَ»: أي: مَا كَمَنْ فِيهَا وَخَفِي، والنفس أمارة بالسوء
إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي.

فهو يقول: احذر كَمَائِنِ نَفْسِكَ، فللنفسِ كَمَائِنٌ يعني: أشياء مستترة، لا يعلمها إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كما قال القحطاني^(١):

وَاللهَ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي
لَأَبَى السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي

فالإنسان في نفسه كَمَائِنٌ لا يعلمها إِلَّا اللهُ، فاحذر هذه الكَمَائِنِ.

والكَمَائِنِ كثيرة قد تكون إشاراتًا بالله -نسأل الله العافية- وقد تكون رِيَاءً، فالإنسان يحب الرِيَاءَ، وأن يراه الناس على عملٍ صالحٍ، وقد تكون الحَسَدَ لعباد الله، وهو من خِصَالِ اليهود، وقد تكون كراهةً أن ينتصر دين الله عَزَّ وَجَلَّ أو أن ينتصر أولياء الله عَزَّ وَجَلَّ وقد تكون بإيثار الدنيا على الآخرة، وقد تكون بإيثار الأولاد والأزواج على الآخرة، قال تعالى: ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]، وقد تكون بكراهة الحقِّ وثَنَاقِلِهِ، وقد تكون بالعداوة والبغضاء للمؤمنين، وغير ذلك مما لا يُحصى.

المهم أن هناك كَمَائِنَ في القلب خَفِيَّةً، تحتاج إلى تمحيصٍ، وإلى غَسْلِ القلب من ظاهره وباطنه، كُلُّنا يستطيع أن يصلي صلاة خشوع ظاهرة، يكبر فيرفع يديه، يضع يديه على صدره، يركع تمامًا، يسجد تمامًا، يقرأ تمامًا، لكنَّ الشَّانَ على القلب، هل القلب يتابع الجوارح -أو بعبارةٍ أصحَّ- هل هذه الجوارح تابعة للقلب بإحسان العمل أم هو صورة؟

هذه مسألة حَذَّرَ منها ابن القيم -جزاه الله خيرًا- فاحذر هذه، واجعل دائمًا قصدك الوصول إلى الله عَزَّ وَجَلَّ فهو غايةٌ كُلُّ غايةٍ.

(١) انظر: نونية القحطاني (ص: ١٨).

أنت إذا جعلت هذا هو القصد -والله-، تنسى الدنيا ومن فيها، إذا جعلت قصدك أن تصل إلى الله، أن تنصُرَ دينَ الله، أن تُحِبَّ في الله، وتُبغِضَ في الله، فإنك سوف تصل إلى الغاية التي تنسى الدنيا كُلَّها، بل تجد لذة العيش بهذه الدنيا والحياة الطيبة.

أما إن أتبعْتَ نَفْسَكَ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا، فإنك تتعب، لأنَّ الدنيا لا يمكن أبداً أن تأتيك على ما تريد، لكن إذا قَصَدْتَ اللهَ جاءك ما تريد، وإذا أردت الله جاءك ما تريد.

فاحذر هذه الكمائن، لأنها إن (خَرَجْتَ عَلَيْكَ كُسِرَتْ كَسْرَ مَهَانَ)، وهنا شَبَّهَهَا المؤلف -رحمه الله- بِالكَمِينِ فِي الْحَرْبِ، وَالكَمِينِ فِي الْحَرْبِ بَأَنَّ يَخْتَبِي لِعَدُوِّهِ، ثم يخرج إليه، وإذا خرج إليه انكسر.

وانظر كيف فعَلَتْ هَوَازِنٌ فِي غَزْوَةِ الطَّائِفِ؟ كانوا ثلاثة آلاف وخمسمئة، وكان النَّبِيُّ ﷺ مع جُنُودِهِ اثني عشر ألفاً، فَكَمَنَ لَهُمْ هَوْلَاءُ فِي الْوَادِي، يعني: اختبئوا واختفوا، فلما نزل المسلمون في الوادي هَجَمُوا عَلَيْهِمْ^(١)، فحصل ما حصل لولا لطف الله عزَّ وجلَّ.

فَكَمَّائِنِ النَّفْسِ احذرها، وكُلِّمَّا وَجَدْتَ فِي قَلْبِكَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْكَمَائِنِ فَافْرِعْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَا تُحَاوِلْ أَنْ تَأْتِيَ بِأَدَلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ، وَأَشْيَاءَ مِنْ هَذَا، بل افرع أولاً إلى الله، لأنَّ اللهَ تَعَالَى عَلَّمَنَا هَذَا فَقَالَ: ﴿وَمَا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] فلا ملجأ، ولا منجأ إلا إلى الله عزَّ وجلَّ، ولا تجلس تُفَكِّرُ

(١) يعني غزوة حُنين، وتسمى أوطاس، وتسمى هوازن، والحديث أخرجه أحمد (٣/٣٧٦،

تريد أن تطرُد هذه الوسوس، لأنها ربما تغلبك، لكن عليك باللجوء إلى الله عزَّ وجلَّ واستعِذ بالله.

يقول - رحمه الله -:

٢٥٧- وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى طَفِي الدُّخَانَ بِمَوْقِدِ النَّيرَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا» أي: لنفسك، يعني: صرت معها في كوائنها، فقد أخطأت خطأ عظيمًا، كمن أراد أن يُطفئَ الدخانَ بموقِدِ النيران، فإنه لا يتمكن، لأنَّ كلَّ إيقاد لا بدَّ له من دخان، ولا يمكن كَمَن أراد أن يطفئَ النَّارَ بزيادة الحطب.

٢٥٨- وَاللَّهُ أَخْبَرَ وَهُوَ أَصْدَقُ قَائِلٍ أَنْ لَيْسَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ

ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ بَأَن سَوْفَ يَنْصُرُ عَبْدَهُ بِأَمَانٍ، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ﴾ [غافر: ٥١].

وصدق الله وَعَدَهُ، نصَّرَ اللهُ مُحَمَّدًا ﷺ على أعدائه، فقد خرج من مكة خائفًا على نفسه مختبئًا في الغار، ورجع إليها بعد ثماني سنين فاتحًا منتصرًا، ولهذا أعلن النَّبِيُّ ﷺ في السعي، وهو على الصِّفا والمروة «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعَدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»^(١).

فالله تعالى أخبر بأنه سينصر عبده، وصدق عزَّ وجلَّ ووقع هذا.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

٢٥٩- مَنْ يَعْمَلِ السُّوَايَ سَيُجْزَى مِثْلَهَا أَوْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يَفُزْ بِجَنَانِ
 وَأَخْبِرْ أَيْضًا أَنَّ مَنْ يَعْمَلِ السُّوَايَ يُجْزَى مِثْلَهَا، وَأَنَّ مَنْ يَعْمَلِ الْحُسْنَى يَفُزْ
 بِجَنَانِ، وَهَذَا مَاخُودٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ
 أَسَاءَ فَعَلِيَهَا﴾ [فصلت: ٤٦].

٢٦٠- هَذِي وَصِيَّةٌ نَاصِحٍ وَلِنَفْسِهِ وَصَى وَبَعْدَ لِسَائِرِ الْإِخْوَانِ
 يَعْنِي أَنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَوْصَانَا بِهَذِهِ الْوَصَايَا النَّافِعَةَ، وَقَدْ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، وَهَكَذَا
 النَّاصِحُ يَبْدَأُ أَوْلَى بِنَفْسِهِ، ثُمَّ بِإِخْوَانِهِ.

فصل

وهذا أول عقد مجلس التحكيم

- ٢٦١- فَاجْلِسْ إِذْنٌ فِي مَجْلِسِ الْحَكَمَيْنِ لِلرَّحْمَنِ لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
٢٦٢- الْأَوَّلُ^(١): النَّقْلُ الصَّحِيحُ وَبَعْدَهُ الْـ
٢٦٣- وَاحْكُمْ إِذْنٌ فِي رُقَقَةٍ قَدْ سَافَرُوا
٢٦٤- فَتَرَا فُقُوا فِي سَيْرِهِمْ وَتَفَارَقُوا
٢٦٥- فَآتَى فَرِيقٌ ثَمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ
٢٦٦- مَائِمٌ مَوْجُودٌ سِوَاهُ وَإِنَّمَا
- رَحْمَنٍ لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
عَقْلُ الصَّارِخِ وَفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ
يَبْغُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
عِنْدَ افْتِرَاقِ الطَّرِيقِ بِالْحَيْرَانِ
هَذَا الْوُجُودَ بَعَيْنِهِ وَعِيَانِ
غَلِطَ اللِّسَانُ فَقَالَ: مَوْجُودَانِ

الشرح

لما ذكر المؤلف -رحمه الله تعالى- النصائح السابقة طلب أن نجلس مجلس التحكيم، فبدأ المؤلف في التحكيم بين الطوائف، وهذا من إنصافه -رحمه الله-، وهكذا يجب على كل إنسان ألا يردد قولاً إلا بعد وجود شيئين:

- الشيء الأول: صحّة قوله هو.
- الشيء الثاني: بطلان قول الخصم.

(١) في الأصول: «إحداهما».

لأنك لا يمكن أن تُبطل قول خصمك، وأنت لم تُصَحِّح سواه، إنما لا بدَّ من الأمرين: الأدلة على صحة ما تقول، والأدلة على بطلان ما يقول الخصم، فهذا هو العدل.

قال - رحمه الله -:

٢٦١- فَأَجْلِسْ إِذْنٌ فِي مَجْلِسِ الْحَكَمَيْنِ لِلرَّحْمَنِ لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
اللام في قوله: «لِلرَّحْمَنِ» للإخلاص، يعني: اجلس للرحمن كما قال عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

قوله: «لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ» يعني: لا لأجل أن تنتصر لنفسك بالباطل، فإن هذا من وحي الشيطان.

والإنسان إذا جلس مع مجادل بهذه النية أي: الإخلاص فإنه سوف يرجع إلى الحق، سواء كان معه، أم مع خصمه.

٢٦٢- الْأَوَّلُ: النَّقْلُ الصَّحِيحُ وَبَعْدَهُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ
الواقع أن المؤلف - رحمه الله - جعلها شيئين، وهم ثلاثة:

الأول: «النَّقْلُ الصَّحِيحُ»، ويتمثل هذا في القرآن الكريم، وفيما صحَّ عن النبي ﷺ، أما ما لم يصحَّ، فليس بشيء، ولهذا قيده المؤلف بقوله: (النقل الصحيح).

الثاني: «العقل الصريح» والصريح من كل شيء خالصه، والمراد بالعقل الصريح: الخالص من الشبهات والشهوات، يعني أن الإنسان حينما يتدبر، ويتعقل لا يكون في قلبه شبهة، أو شهوة لا تنتصر نفسه، فكلما سمعت عقلاً صريحاً، فالمعنى أنه سالم من الشبهات والشهوات.

الشبهات: الجهل، والشهوات: الإرادات السيئة، فإذا وَفَّقَ اللهُ - سبحانه وتعالى - الإنسانَ عِلْمًا، وَحُسْنَ قَصْدٍ وإرادة، صار ذا عقل صريح، وَضِدَّ ذلك العقلُ المبنيُّ على الجهل، أو على سوء الإرادة.

والعقل الصريح يطابق تمامًا النقل الصحيح، وإن كان في النقل الصحيح ما يَعْجِزُ العقلَ الصريحَ عن إدراكه، ولذلك نحن لا نُدرِكُ أبدًا تفاصيل ما اتَّصَفَ اللهُ تعالى به، لكن نُدرِكُ الإجمال، ثم نأخذ التفصيل من القرآن والسنة.

فإنه لا بدَّ أن يطابق العقلُ الصريحُ النَقْلَ الصحيحَ، ولا يمكن أن يتعارضوا أبدًا، فإن قُدِّرَ تعارضهما، فإمَّا أن يكون النقلُ غيرَ صحيحٍ، وإما أن يكون العقلُ غيرَ صريحٍ، أمَّا نقلٌ صحيحٌ، وعقلٌ صريحٌ، فلا يمكن أن يتعارضوا.

الثالث: «فِطْرَةُ الرَّحْمَنِ» فالفطرة في الحقيقة غيرُ العقل، الفطرةُ مجبُولٌ عليها الإنسان، يُدرِكُ مدلولها بدون تعقل، وبدون نَظَرٍ كَعُلُوِّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فهذا مُدْرِكٌ بالفطرة، فالإنسان مَفْطُورٌ - قبل أن يدرُس أدلة العُلُوِّ النقلية والعقلية - على عُلُوِّ اللهُ على خَلْقِهِ، وأنه تعالى فوق كلِّ شيء، ويؤمن بذلك.

٢٦٣- وَاحْكُمَ إِذْنٍ فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا يَبْغُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «سَافَرُوا» أي: سافروا سَفَرًا معنويًّا، وهو سَفَرُ القلب، أي: ساروا بقلوبهم يطلبون الله، أين الله؟ ومن هو الله؟

والمؤلف سيذكر أقسام الناس كُلِّهِم، الكافر والمؤمن، فهم (سَافَرُوا يَبْغُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ) أي: يطلبون الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٦٤- فَتَرَفَّقُوا فِي سَيْرِهِمْ وَتَفَارَقُوا عِنْدَ افْتِرَاقِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ

حين خرجوا من البلد ترافقوا رُفْقَةً، ولكنهم تفرَّقوا، (عِنْدَ افْتِرَاقِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ)، لما افترق الطريق تحيَّروا أيذهبون يمينًا، أو شمالًا، أو أمامًا، أو خلفًا؟ فتفرَّقوا، فهم ترافقوا في أول الطريق، ثُمَّ افترقوا عند افتراق الطرق.

٢٦٥- فَآتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ هَذَا الْوُجُودَ بِعَيْنِهِ وَعَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَجَدْتُهُ» أي: وجدتُ فاطرَ هذه الأكوان، فالضمير في (وَجَدْتُهُ) يعود على قوله: (فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ).

قَوْلُهُ: «وَجَدْتُهُ هَذَا الْوُجُودَ بِعَيْنِهِ وَعَيَانِ» يعني: وجدته نفس الوجود، فالرَّبُّ هو الوجود.

بدأ المؤلف -رحمه الله- بأشدهم شَطْحًا وضلَّالًا، وهم أهل وَحْدَةِ الْوُجُودِ الذين على رأسهم الخبيث ابن عَرَبِي^(١)، فابن عربي هو رئيس هذه الطائفة، فقد ذهبوا يطلبون الله، وقالوا: وجدنا الله هو هذا الوجود، وما وجدنا شيئًا آخر غير الله غير هذا الوجود، فهذا الوجود هو عينُ الله، فمَثَلًا اسم الأخ حمَّد، والذي عن يمينه سُليمان، والذي عن يساره ناصر، هؤلاء شيء واحد.

(١) هو محيي الدِّين محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبد الله الطائفي الأندلسي، طاف البلاد وأقام بمكة مدة، وصنف فيها كتابه المسمى بـ(الفتوحات المكية) في نحو عشرين مجلدًا، فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بـ(فصوص الحکم) فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح، كان مولده في سنة ستين وخمسمئة بمرسية من الأندلس، ووفاته في الثامن والعشرين من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين وستمئة. انظر: فوات الوفيات (٣/ ٤٣٥)، والبداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ١٨٢).

٢٦٦- مَا تَمَّ مَوْجُودٌ سِوَاهُ وَإِنَّمَا غَلِطَ اللِّسَانُ فَقَالَ: مَوْجُودَانِ
 سبحان الله! هؤلاء يقولون: الرَّبُّ هو المربوب، والخالق هو المخلوق،
 لا يوجد رَبٌّ، وهؤلاء هم أهل وَحْدَةِ الوجود، فيقولون: كُلُّ الكونِ هو الرَّبُّ،
 والرَّبُّ هو الكون، (مَا تَمَّ موجودان)، وإنما غَلِطَ اللسان، فقال: موجودان.

٢٦٧- فَهُوَ السَّمَاءُ بِعَيْنِهَا وَنُجُومُهَا وَكَذَلِكَ الْأَفلاكُ وَالْقَمَرَانِ
 ٢٦٨- وَهُوَ الغَمَامُ بِعَيْنِهِ وَالثَّلْجُ وَالْأَمْطَارُ مَعَ بَرْدٍ وَمَعَ حُسْبَانِ
 ٢٦٩- وَهُوَ الهَوَاءُ بِعَيْنِهِ وَالمَاءُ وَالتُّرْبُ الثَّقِيلُ وَنَفْسُ ذِي النِّيرَانِ
 ٢٧٠- هَذِي بَسَائِطُهُ وَمِنْهُ تَرَكَبَتْ هَذِي المَظَاهِرُ، مَا هُنَا شَيْئَانِ^(١)
 ٢٧١- وَهُوَ الفَقِيرُ لَهَا لِأَجْلِ ظُهُورِهِ فِيهَا كَفَقْرِ الرُّوحِ لِلأَبْدَانِ
 ٢٧٢- وَهِيَ التِّي افْتَقَرَتْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ ذَاتُهَا وَوُجُودُهَا الْحَقَّانِ
 ٢٧٣- وَتَظَلُّ تَلْبَسُهُ وَتَخْلَعُهُ، وَذَا الِإِيَّادُ وَالِإِعْدَامُ كُلُّ أَوَانِ
 ٢٧٤- وَيَظَلُّ يَلْبَسُهَا وَيَخْلَعُهَا، وَذَا الْحُكْمُ المَظَاهِرِ كَيُرى بَعِيَانِ
 ٢٧٥- وَتَكْثُرُ المَوْجُودِ كالأَعْضَاءِ فِي الِمَعْحُسُوسِ مِنْ بَشَرٍ وَمِنْ حَيَوَانِ
 ٢٧٦- أَوْ كَالقُوَى فِي النَفْسِ ذَلِكَ وَاحِدٌ مُتَكَثِّرٌ قَامَتْ بِهِ الأَمْرَانِ
 ٢٧٧- فَيَكُونُ كُلاً هَذِهِ أَجْزَاؤُهُ هَذِي مَقَالَةٌ مُدَّعِي العِرْفَانِ

(١) في نسخة الإفتاء: «أولاهما».

- ٢٧٨- أَوْ أُمَّهَا كَتَكْتَرِ الْأَنْوَاعِ فِي
 جِنْسٍ كَمَا قَالَ الْفَرِيقُ الثَّانِي
- ٢٧٩- فَيَكُونُ كَلِيًّا، وَجُزْئِيًّا تَهُ
 هَذَا الْوُجُودُ، فَهَذِهِ قَوْلَانِ
- ٢٨٠- إِحْدَاهُمَا^(١) نَصٌّ (الْفُضُوصِ) وَبَعْدَهُ
 قَوْلُ ابْنِ سَبْعِينَ، وَمَا الْقَوْلَانِ
- ٢٨١- عِنْدَ الْعَفِيفِ التَّلْمِسَانِيِّ الَّذِي
 هُوَ غَايَةٌ فِي الْكُفْرِ وَالْبُهْتَانِ
- ٢٨٢- إِلَّا مِنْ الْأَغْلَاطِ فِي حِسِّ وَفِي
 وَهُمْ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
- ٢٨٣- وَالْكَُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ
 مَا لِلتَّعَدُّدِ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِ

الشرح

هؤلاء - كما تقدّم - يقولون: إنّ الخالق والمخلوق شيء واحد، وانظر هذيانهم! يقول:

٢٦٧- فَهُوَ السَّمَاءُ بِعَيْنِهَا وَنُجُومُهَا وَكَذَلِكَ الْأَفْلَاكُ وَالْقَمَرَانِ
 يقول: هذا هو الله - نسأل الله تعالى العافية - وسيأتي وجه كلامه الفاسد الباطل.

٢٦٨- وَهُوَ الْغَمَامُ بِعَيْنِهِ وَالثَّلْجُ وَالْأَمْطَارُ مَعَ بَرْدٍ وَمَعَ حُسْبَانِ
 قَوْلُهُ: (حُسْبَانِ) بالسین، ولا يبعد أن تكون بالصاد، لأنّ (الحُصْبَانِ) حصب البرد، لأنه كالحصباء يرمي بالأرض.

٢٦٩- وَهُوَ الْهَوَاءُ بِعَيْنِهِ وَالْمَاءُ وَالتُّرْبُ الثَّقِيلُ وَنَفْسُ ذِي النَّيْرَانِ

(١) في نسخة التيمورية: «سيتان» بسين مهملة.

٢٧٠- هَذِي بَسَائِطُهُ وَمِنْهُ تَرَكَّبَتْ هَذِي الْمَظَاهِرُ، مَا هُنَا شَيْئَانِ
يقول: هذا هو الله عزَّ وجلَّ وكيف يكون الله مختلفًا اختلافاً عظيماً؟ يقول:
(هذي البسائط)، والبسائط كما نقول: (الأصول)، ومنه تَرَكَّبَتْ هَذِي المظاهر، ما
هنا شيئان.

لو صَوَّرْنَا إِنْسَانًا عَلَيْهِ -مثلاً- شِعَاعٌ أَحْمَرٌ مُلَوَّنٌ، ثِيَابٌ بِيضَاءٌ، فَهَذِهِ مَظَاهِرٌ
فقط، وَإِلَّا فَهِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَالِاخْتِلَافُ فِي النَّظَرِ فَقَطْ، وَإِلَّا فَهِيَ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

٢٧١- وَهُوَ الْفَقِيرُ لَهَا لِأَجْلِ ظُهُورِهِ فِيهَا كَفَقْرِ الرُّوحِ لِلْأَبْدَانِ

٢٧٢- وَهِيَ الَّتِي افْتَقَرَتْ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ هُوَ ذَاتُهَا وَوُجُودُهَا الْحَقَّانِ

يقول: إِنَّ الخالقَ عزَّ وجلَّ هو هذا الشيء، هو هذا الوجود، فهو مفتقر إليها
مِنَ أَجْلِ أَنْ يَظْهَرَ بِهَا، وَلَوْلَا هَذَا الوجود ما ظهر، وهي مفتقرةٌ إليه، لأنه أصلُها
وذاتُها، فها هنا افتقاران: افتقارٌ أَوَّلٌ، وافتقارٌ ثَانٍ.

فَاللهُ عزَّ وجلَّ تفتقر إليه هذه الموجودات، حتى تَظْهَرُ وَتَبْرُزُ، وَهُوَ أَيْضًا
مفتقر إليها مِنْ أَجْلِ أَنْ يَظْهَرَ فِيهَا وَيَتَبَيَّنَ.

فَأَيْنَ الرُّبُوبِيَّةُ؟! أَيْنَ غِنَى الخالق؟! أَيْنَ الخالق والمخلوق؟! يعني: لولا أن
هذه سَطَّرَتْ، وَنَقَلَهَا الثَّقَاتُ، كَابْنِ القِيمِ -رحمه الله- وَشَيْخِهِ وَغَيْرِهِمْ، لَقُلْنَا: هَذَا
لا يمكن أن يقوله عاقل قط.

على كلامهم الآن: (أنا، وأنت) شيءٌ واحد، والبقرة والحمار شيء واحد،
والمسجد وحناتُ الحُمُورِ شيء واحد، لكنها مَظَاهِرٌ تَتَكَلَّوْنَ.

فهل هذا معقول؟! هل هذه عقيدة؟ لكن اللهم لا تُضِلَّنَا يَا رَبَّ العالمين.

٢٧٣- وَتَظَلُّ تَلْبُسُهُ وَتَخْلَعُهُ، وَذَا أَلِ - إِجْبَادُ وَالْإِعْدَامُ كُلُّ أَوَانٍ
قَوْلُهُ: «تَلْبُسُهُ» يعني: إذا وُجِدَتْ لِبْسَتُهُ، وإنْ عُدِمَتْ خَلَعَتْهُ (وَذَا الْإِجْبَادُ
وَالْإِعْدَامُ كُلُّ أَوَانٍ).

٢٧٤- وَيَظَلُّ يَلْبُسُهَا وَيَخْلَعُهَا، وَذَا حُكْمُ الْمَظَاهِرِ كَيْ يُرَى بَعِيَانٍ
قَوْلُهُ: «وَيَظَلُّ يَلْبُسُهَا وَيَخْلَعُهَا» لأنه مُفْتَقِرٌ لها كما سبق، (وَذَا حُكْمُ الْمَظَاهِرِ
كَيْ يُرَى بَعِيَانٍ)، فصار الآن الخالقُ مُفْتَقِرًا للمخلوق، والمخلوق مُفْتَقِرًا للخالق،
وهما ليسا شيئين، ولكنها شيءٌ واحدٌ ومَظَاهِرٌ.

٢٧٥- وَتَكَثُرُ الْمَوْجُودُ كَالْأَعْضَاءِ فِي أَلِ - مَحْسُوسٍ مِنْ بَشَرٍ وَمِنْ حَيَوَانَ
قَوْلُهُ: «وَتَكَثُرُ الْمَوْجُودُ» أَرْضٌ، سماءٌ، جبالٌ، أنهارٌ، بحارٌ، فهو كثيرٌ لا
يُحصى.

يقول: هذا مثل أعضاء الحيوان، الآن كم في الإنسان من عضو؟ الجواب:
ثلاثمائة وستون عضوًا كما في الحديث الصحيح^(١)، والإنسان شيء واحد، يقول:
هذه المظاهر الكونية هي من جنس أعضاء البشر المحسوس، وعجائب، ألوان،
وأنواعٌ متنوعة، ما بين ذرَّةٍ وفيلٍ كلها أعضاء، إذ لا يوجد خالق.

(١) يعني حديث النبي ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةَ مَفْصِلٍ، فَمَنْ
كَبَّرَ اللَّهَ، وَحَمَدَ اللَّهَ، وَهَلَّلَ اللَّهَ، وَسَبَّحَ اللَّهَ، وَاسْتَعْفَرَ اللَّهَ، وَعَزَلَ حَجْرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ
شَوْكَةً، أَوْ عَظْمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، وَأَمَرَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَهَى عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ تِلْكَ السِّتِّينَ وَالثَّلَاثِمِئَةَ
السَّلَامَى، فَإِنَّهُ يَمْشِي يَوْمَئِذٍ وَقَدْ رَزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ». أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب بيان
أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٧).

٢٧٦- أَوْ كَالْقُوَى فِي النَّفْسِ ذَلِكَ وَاحِدٌ مُتَكَثِّرٌ قَامَتْ بِهِ الْأَمْرَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ كَالْقُوَى فِي النَّفْسِ ذَلِكَ وَاحِدٌ» الْقُوَى فِي النَّفْسِ تَحْتَلِفُ، فَهِيَ كَثِيرَةٌ، لَوْ أَنَّكَ أَحْصَيْتَ كَيْفَ تَتَقَلَّبُ نَفْسُكَ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ سَاعَةً، لَوَجَدْتَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ، لِأَنَّهَا سَوْفَ تَتَقَلَّبُ كُلَّمَا رَأَتْ شَيْئًا، كُلَّمَا سَمِعَتْ شَيْئًا، كُلَّمَا فَكَّرَتْ فِي شَيْءٍ، فَنَظَرُهَا -مَثَلًا- لِلْبَابِ غَيْرَ نَظَرِهَا لِلْفِرَاشِ، غَيْرَ نَظَرِهَا لِلسَّقْفِ، فَهِيَ قُوَى مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَوْجُودَاتِ الْمَسْمُوعَةِ، وَالْمَرْتِيَةِ، وَالْفِكْرِيَّاتِ أَيْضًا، فَلَا يُحْصَى تَقَلُّبُ النَّفْسِ.

فأصل القوة في الإنسان هي واحدة، لكنها تتكيف حسب المشاهد، والمسْمُوعِ، والمعْقُولِ، وهلمَّ جرًّا، وهي قوة واحدة.

٢٧٧- فَيَكُونُ كُلًّا هَذِهِ أَجْزَاؤُهُ هَذِي مَقَالَةٌ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ

يقول ابن عربي: إِنَّ هَذَا الْكُونَ هُوَ اللَّهُ، وَمَا نُشَاهِدُهُ أَجْزَاءَ كَأَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ، فَالْحَلْقُ -يعني: الموجودات- شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَهَذَا التَّفَرُّقُ بِمَنْزِلَةِ الْأَجْزَاءِ، فَهُوَ كُلٌّ، وَالْمَخْلُوقَاتُ أَجْزَاؤُهُ.

قَوْلُهُ: «كُلًّا هَذِهِ أَجْزَاؤُهُ» لَاحِظِ الْفَرْقَ بَيْنَ الْكُلِّ وَالْكُلِّيِّ، فَالْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَهُ أَجْزَاءٌ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُخَبَّرَ بِهِ عَنِ أَجْزَائِهِ، فَمَثَلًا لَا يَصِحُّ أَنْ أُخْبِرَ عَنِ يَدِي بِأَنَّهَا جَسْمِي، لِأَنَّ الْجُزْءَ بَعْضُ الْكُلِّ.

فهو على هذا القول يعني أَنَّ الْكُونَ مَعَ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ كُلٌّ، وَهَذِهِ أَجْزَاؤُهُ، فَأَجْزَاؤُهُ يَعْنِي: الْمَوْجُودَاتُ مِثْلُ: السَّمَاءِ، الْأَرْضِ، الْبِحَارِ، الْأَنْهَارِ كُلُّهَا وَاحِدٌ، فَهَذَا شَيْءٌ وَاحِدٌ، كُتْلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهَذِهِ أَجْزَاؤُهُ.

٢٧٨- أَوْ أَمَّهَا كَتَكْثُرِ الْأَنْوَاعِ فِي جِنْسٍ كَمَا قَالَ الْفَرِيقُ الثَّانِي

٢٧٩- فَيَكُونُ كُلِّيًّا، وَجُزْئِيًّا تَهُ هَذَا الْوُجُودُ، فَهَذِهِ قَوْلَانِ

وأما الثاني، فقال ابن سبّين^(١): إنه كُليّ، والمشاهدات المختلفة أنواع، وليست أجزاءً يعني: فالمخلوقات أنواع، والخالق جنس، فهو من باب اختلاف الكُليّ مع الجزئي.

تقول مثلاً: الكلام: اسمٌ وفِعْلٌ وحرفٌ، فتسأل: كلمة الكلام هل هي كُليّ، أو كُليّ؟ الجواب: كُليّ، وأجزاؤه أنواع: الاسم، والفعل، والحرف، لأنك تقول: الاسم كلمة، والفعل كلمة، والحرف كلمة، فيصحُّ أن تُخبرَ بالأكبر عن الأصغر، أما الكل والجزء، فلا يَصِحُّ أن تُخبرَ بالأكبر عن الأصغر، فهل يصح أن أقول: اليدُ إنسان؟ الجواب: لا يصح، فهذا يكون الكل والجزء.

والحب، والبرُّ، والذُّرَّة، والشَّعير، وما أشبه ذلك هذا كُليّ مع جزئياته، ولهذا تقول: الحِنْطَةُ حَبٌّ، الشَّعير حَبٌّ، الذُّرَّة حَبٌّ، فتُخبر عن الجزئي بالكُليّ، لكنَّ الكل والأجزاء لا يَصْلُح، هل يمكن أن تقول: اليدُ إنسان؟ لا يمكن، فهذا هو الفرق.

فما صحَّ أن يُخَبَّرَ به عن أنواعه فهو (كُليّ)، وما لا فهو (كُلّ).

هؤلاء يقولون: إنَّ الكون مع الخالق ليس كُلاً وجزءاً، بل هو كُليّ مع جزئياته، كما قال الفريق الثاني.

(١) ابن سبّين: هو عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبّين الإشبيلي، من زهاد الفلاسفة، ومن القائلين بوحدة الوجود، ولد (سنة ٦١٣هـ)، وتوفي (سنة ٦٦٩هـ)، فصَدَّ بمكة، وترك الدم يمشي حتى مات نزعاً. [الشارح]. وانظر: البداية والنهاية (١٣/٣٠٣).

٢٨٠- إِحْدَاهُمَا نَصُّ (الفُصُوصِ) وَبَعْدَهُ قَوْلُ ابْنِ سَبْعِينَ،
هؤلاء ثلاثة من الزنادقة:

١- الأول يقول: (إِحْدَاهُمَا نَصُّ الفُصُوصِ) والفُصُوص لابن عربي.

فابن عربي يرى أن هذه الوحدة كُلُّ، واختلافَ المشاهد وتكثُرُها أجزاء، ولكنَّ ابن سبعين يخالفه فيقول: إنه كُلِّيٌّ، والمتكثرات أنواع، فهو كُلِّيٌّ وجزئياته، لكن جاءنا الطاغوت الثالث، وهو التلمساني^(١) فقال:

٢٨٠- وَمَا الْقَوْلَانِ

٢٨١- عِنْدَ الْعَفِيفِ التَّلْمَسَانِيِّ الَّذِي هُوَ غَايَةٌ فِي الْكُفْرِ وَالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «الْعَفِيفُ التَّلْمَسَانِيُّ» يُسَمِّيهِ أَهْلُ الْعِلْمِ (الْفَاجِرَ التَّلْمَسَانِيَّ)، لِأَنَّهُ بَعِيدٌ
عَنِ الْعِفَّةِ، أَيْنَ هُوَ مِنَ الْعِفَّةِ وَهُوَ يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ الْبَاطِلِ؟! يَقُولُ:

٢٨٢- إِلاَّ مِنَ الْأَغْلَاطِ فِي حِسِّ وَفِي وَهَمِّ، وَتِلْكَ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ

٢٨٣- وَالْكَُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ مَا لِلتَّعَدُّدِ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِ

يقول التلمساني: إنَّ ابن عربي، وابن سبعين غَلَطَا غَلَطًا عَظِيمًا، هما جعلاه
أنواعًا على رأي ابن سبعين، وأجزاء على رأي ابن عربي، وهذا غلطٌ، فالكُلُّ شيء
واحد، ليس هناك أنواع، ولا أجزاء.

(١) العفيف التلمساني: هو سليمان بن علي بن عبد الله الكومي، شاعر تنقل في بلاد الروم، وسكن دمشق، يتبع طريقه ابن عربي - لكنه يخالفه كما تقدّم - ويميل إلى مذهب النصيرية، ولد (سنة ٦١٠هـ)، وتوفي بدمشق (سنة ٦٩٠هـ). [الشارح]. وانظر ترجمته في: البداية والنهاية (٣٨٥/١٣).

فهو يقول: إنه هو الذي أصاب، والآخران أخطأَ وَوَهَمَا.

لكن أيهم أقربُ إلى الوَهْم؟ الجواب: هذا الخَبِيثُ هو أقربُ إلى الوَهْم، إذ كيف تكون هذه الأنواعُ المتباينةُ المتفرقة شيئًا واحدًا؟!

فعلَى كلامه: الخَبِثُ والحَمِيرُ شيءٌ واحد، السماء والأرض شيءٌ واحد، وليس هناك افتراقٌ، ولا تَنَوُّعٌ إِلَّا بالوَهْمِ الحِصِّيِّ.

فهو يقول: الشيء شيء واحد لا يختلف، لكن كَوْنِي أَظُنُّ أَنَّ هذا (حَمَدٌ)، وهذا (سليمان)، فهذا وَهْمٌ حَسَبَ الحُسْبَانِ فقط، وَإِلَّا فالواقعُ أنهما شيء واحد، إذا شَبِعَ سليمان لم يَشْتَهَ الأكلَ حَمَدٌ، لأنهما شيء واحد، فكونكم تعتقدون: هذا جَمَلٌ، وهذا حِمَارٌ، وهذا كَلْبٌ، فهذا حَسَبَ الوَهْمِ والخيال والحُسْبَانِ الباطل، والصواب أنهم شيء واحد.

نقول: وهل هذا يُتَصَوَّرُ؟ الجواب: أبدًا، فكما أننا لا نتصور ما قاله الأشاعرة: إن كلام الله شيء واحد، وإن الخَبَرَ والاستخبار، والأمر والنهي بمعنى واحد، فكذلك لا نتصور هذا.

وهؤلاء يقولون: التَّلْمِيسَانِي العفيف.

لكننا نقول: هو عفيفٌ إِلَّا عن الباطل، نسأل الله العافية، ولا نَسْبُهُ وهو ميت، لكنه يقول: كُلُّ الدنيا شيء واحد، السماء هي الأرض، والأرض هي السماء، لكن كيف ذلك وأنا أرى السماء زرقاء، والأرض غبراء؟!

قال: هذا حَسَبَ وَهْمِكَ، فأنت حينما تُؤَلِّمُكَ عينُك، تَجِدُ في بعض الأحيان -إذا نظرت- ذُبَابًا يطير أمامَ عَيْنِكَ، وتقول: لا يوجد شيء، هذا الذي تُفَرِّقُ الآن فيه هو وَهْمٌ، وَإِلَّا فالشيء شيء واحد.

نسأل الله العافية، هذا وَهَمٌّ، يقولون: نحن أهل العقول، فأين العقول؟!!

فعدنا الآن ثلاثة أقوال:

القول الأول: قول ابن عربي، وهو أن الموجود شيء واحد، والمُشَاهِد أجزاءه.

القول الثاني: قول ابن سبعين وهو أن الموجود كُلُّهُ، وما نشاهده جزئياته.

القول الثالث: قول التلمساني إذ يقول: الذي يُشَاهِدُ كُلَّهُ شيءٌ واحد،

وتقسيمه إلى شيء، وشيء، وشيء، هذا وَهَمٌّ، وإِلَّا فَإِنَّ الشَّيْءَ شيءٌ واحد.

فهل هذه المذاهب تُنطَبِعُ على الناس؟

الجواب: لا، لكنّ الذي غرّ الناس من هؤلاء أنهم يتظاهرون بالزُّهد

والتصوف والعِفَّة، والعامَّةُ مثل ما قال ابن القيم في أول النونية (النَّاسُ أَكْثَرُهُمْ

فَأَهْلُ ظَوَاهِرٍ) يرون هؤلاء عندهم زُهد وعِفَّة وسلوك، فيقولون: هذا هو الحقُّ،

فلهذا غرّوا الناس، وكُلُّ هؤلاء الذين ذكّرهم المؤلف كلهم من الصوفية.

٢٨٤- فَالضَّيْفُ وَالْمَأْكُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَالْوَهْمُ يَحْسِبُ هَا هُنَا شَيْئَانِ

٢٨٥- وَكَذَلِكَ الْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْوَهْمُ الْبَعِيدُ يَقُولُ: ذَانِ اثْنَانِ

٢٨٦- وَلَرُبَّمَا قَالَا مَقَالَتَهُ كَمَا قَدَّ قَالَ قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانِ

٢٨٧- وَأَبَى سِوَاهُمْ ذَا وَقَالَ: مَظَاهِرٌ تَجَلَّوهُ ذَاتُ تَوْحِيدٍ وَمَثَانِ

٢٨٨- فَالظَّاهِرُ الْمَجْلُوعُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَكِنْ مَظَاهِرُهُ بِلَا حُسْبَانِ

٢٨٩- هَذِي عِبَارَاتٌ لَهُمْ مَضْمُونُهَا مَائِمٌ غَيْرٌ قَطُّ فِي الْأَعْيَانِ

- ٢٩٠- فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنِ إِنْسِيٍّ وَلَا
جِنِّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَّوَانٍ
٢٩١- كَلًّا وَلَا عَلْوٍ وَلَا سُفْلٍ وَلَا
وَادٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا كُتْبَانٍ
٢٩٢- كَلًّا وَلَا طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا
صَوْتٍ وَلَا لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ
٢٩٣- لَكِنَّهُ الْمَطْعُومُ وَالْمَلْبُوسُ^(١) وَالْأَنْ
مَشْمُومٌ وَالْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
٢٩٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْمَنْ
مَذْبُوحٌ، بَلْ عَيْنُ الْعَوِيِّ الزَّانِ

الشرح

في هذه المقطوعة يقول -رحمه الله-:

٢٨٤- فَالضَّيْفُ وَالْمَأْكُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ وَالْوَهْمُ يَحْسِبُ هَاهُنَا شَيْئَانِ

ما دمنا قلنا بالوحدة، يكون الضيف والطعام المقدم للضيف شيئاً واحداً، فالرجل يأكل نفسه، لأن الخبز الذي أمامه هو نفسه.

قَوْلُهُ: «وَالْوَهْمُ» يعني: وهم الإنسان.

قَوْلُهُ: «يَحْسِبُ أَنْ هَاهُنَا شَيْئَانِ» ضيف وطعام، وليس كذلك، هذا وهم

كذلك يقول:

٢٨٥- وَكَذَلِكَ الْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ وَالْمَوْطُوءُ عَيْنُ الْوَاطِ

نسأل الله العافية، الرجل الذي يطأ امرأته هو نفسه الموطوء، ولكن «وَالْوَهْمُ

الْبَعِيدُ يَقُولُ: ذَانِ اثْنَانِ» يعني: أنه توهم فظن أن هناك اثنين: واطئاً وموطوءاً.

(١) في الأصول: «الملمس»، ونسخة الإفتاء: «الممسوس».

٢٨٦- وَلرُبَّمَا قَالَا مَقَالَتَهُ كَمَا قَدَّ قَال قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانٍ

قَوْلُهُ: «قَالَ» الضمير يعود على ابن عَرَبِيٍّ وابن سَبْعِينَ.

قَوْلُهُ: «مَقَالَتَهُ» أي: مقالة التَّلْمِيسَانِيَّ.

قَوْلُهُ: «كَمَا قَدَّ قَال قَوْلَهُمَا بِلَا فُرْقَانٍ» يعني: كما أنه أيضًا قال بقولهما، فصاروا مُدْبِدِينَ: تارة يُضَلُّ أَحَدُهُم الْآخَرَ، وتارة يوافق أَحَدُهُم الْآخَرَ، لأنهم لم يرتكزوا على دليل، بل هي أوهام يتوهمونها، وخيالات يظنونها حقائق.

٢٨٧- وَأَبَى سِوَاهُمْ ذَا وَقَالَ: مَظَاهِرٌ تَجَلُّوهُ ذَاتُ تَوْحِيدٍ وَمَثَانٍ

قَوْلُهُ: «وَأَبَى سِوَاهُمْ» أي: سوى الثلاثة، وهم: ابن عَرَبِيٍّ، وابن سَبْعِينَ، والتَّلْمِيسَانِيَّ، أبي سواهم هذا القول، يعني: سواهم من أهل وَحْدَةِ الْوُجُودِ، وقالوا: هذه (مَظَاهِرٌ تَجَلُّوهُ) أي: تجلو الإله، يعني: تُظْهِرُهُ.

وهذا القول أيضًا يُضَافُ لِلأقوال الثلاثة السابقة، يقول: إِنَّ الْكُونَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَالْخَالِقُ وَالْمَخْلُوقُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وهذه مَظَاهِرٌ، أي: مَظَاهِرٌ تَجَلُّو ذلك الخالق على زَعْمِهِ.

وَقَوْلُهُ: «مَظَاهِرٌ» يعني: لا حقائق، مثلما يظهر لنا الماء إذا نزل وقابلته الشمس، الذي يسميه الناس قَوْسَ قُزْحٍ، فهو مَظَاهِرٌ فقط، وإِلَّا فهو شَيْءٌ وَاحِدٌ.

وهذا يعني أننا نُقَسِّمُ الموجودات المتغيرة إلى موجودات في الشكل فقط، لا في العين، وهو قريب من قول التَّلْمِيسَانِيَّ: إنه أوهام.

فهذه عقيدة هؤلاء القوم في الله عزَّ وجلَّ والعباد بالله، وهي أخبث العقائد، وقد تَقَدَّمَ أن الذي خَدَعَ النَّاسَ بأقوالهم هذه، وإِلَّا فَإِنَّ مجرد تَصَوُّرِهَا كَافٍ فِي

ردّها وإبطالها، فمجرد أن تتصوّر هذا تعرف أنه باطل، لكنّ الذي غرّ الناس وخذعهم هو أنّ هؤلاء كانوا يتنسّكون بالزهد، ويأتون أيضًا بعبارات غير صريحة، بل هي إشارات ورموز، إذا قرأها الإنسان فلا يعرف معناها تمامًا، لكن هم يفسّرونها بما يريدون، فيظن القارئ أول ما يقرؤها بأنها حقّ، ولكنها باطل.

وهذان الأمران: زُخْرُفُ الحال وزخرف المقال غرّا الناس.

فزخرف الحال هو الزهد والتنسك والتعبّد، والعامّة - كما هو معلوم - هوأمّ، وأما زخرف المقال فيعني: رموزه، بحيث لا يدري أحد ماذا يريدون إلّا بعد أن يُلقّنوه ما يريدون بكلامهم، فلذلك اغتر الناس بهم كثيرًا.

وحسب فهمنا أنك لا تكاد تجد فرقًا بين هذا، وما قبله، هم يقولون: هذا الخالق هو عين المخلوق، وهذا الاختلاف اختلاف مظاهر وتنوع، فلا أجد فرقًا بين هذا وهذا، لكن مع ذلك ابن القيم - رحمه الله - يرى أنّ هناك فرقًا.

٢٨٨- فَالظَّاهِرُ الْمَجْلُوعُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَكِنْ مَظَاهِرُهُ بِأَلَا حُسْبَانِ

يعني: أنّ الكون شيء واحد، لكن المظاهر لا حصر لها، وإذا تأملت وجدت أنه لا فرق، كلّ يقول: هذا الكون هو الخالق، الخالق والمخلوق شيء واحد، لكن هؤلاء يقولون: أجزاء وكلّ، وأنواع وكلّي، وابن سبعين ينفي هذا كلّّه.

وهؤلاء يقولون: إنّ المجلوع شيء واحد، والمظاهر متعددة، ما تكاد تجد فرقًا يستريح به الذهن.

٢٨٩- هَذِي عِبَارَاتٌ لَهُمْ مَضْمُونُهَا مَائِمٌ غَيْرٌ قَطُّ فِي الْأَعْيَانِ

وهذا صحيح، فخلاصة ما يقولون أنّه ما ثمّ غير الله، فالخالق والمخلوق شيء واحد.

فابن القيم -رحمه الله- أجمل الجميع في البيت الأخير، وقال: مضمون كلامهم أنه (مَا نَمَّ غَيْرَ قَطُّ فِي الْأَعْيَانِ).

٢٩٠- فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنِ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانَ

قَوْلُهُ: «فَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ» أي: ما صانوا الخالق عزَّ وجلَّ، وحاشاه مما وصفوه، وتعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قَوْلُهُ: «مَا صَانُوهُ عَنِ إِنْسٍ وَلَا جِنٍّ وَلَا شَجَرٍ وَلَا حَيَوَانَ» يعني: هو الإنس والجن والشجر والحيوان.

٢٩١- كَلَّا وَلَا عَلُوٍ وَلَا سُفْلٍ وَلَا وَادٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا كُنْبَانَ

لأنه شيء واحد.

٢٩٢- كَلَّا وَلَا طَعْمٍ وَلَا رِيحٍ وَلَا صَوْتٍ وَلَا لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ

٢٩٣- لَكِنَّهُ الْمَطْعُومُ وَالْمَلْبُوسُ وَالْمَشْمُومُ وَالْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

٢٩٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْمَذْبُوحُ، بَلْ عَيْنُ الْعَوِيِّ الزَّانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ الْمَنْكُوحُ وَالْمَذْبُوحُ» أعوذ بالله، يعني: الرَّبُّ يُنْكَحُ وَيُذْبَحُ.

قَوْلُهُ: «بَلْ عَيْنُ الْعَوِيِّ الزَّانِ» يعني: أنه الزاني أيضاً، والعياذ بالله.

- ٢٩٥- وَالْكَفْرُ عِنْدَهُمْ هُدًى وَلَوْ أَنَّهُ دِينُ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
- ٢٩٦- قَالُوا: وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ وَإِنَّمَا ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الْأَعْيَانِ
- ٢٩٧- وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمُوا وَقَالُوا: كُلُّهَا مَعْبُودَةٌ، مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
- ٢٩٨- فَالْكَفْرُ سِتْرٌ حَقِيقَةٌ الْمَعْبُودِ بِالتَّخْصِصِ عِنْدَ مُحَقِّقِ رَبَّانِي
- ٢٩٩- قَالُوا: وَلَمْ يَكُ كَافِرًا فِي قَوْلِهِ: (أَنَا رَبُّكُمْ) فِرْعَوْنُ ذُو الطُّغْيَانِ
- ٣٠٠- بَلْ كَانَ حَقًّا قَوْلُهُ إِذْ كَانَ عَيْنَ نَ الْحَقِّ مُضْطَلِعًا بِهَذَا الشَّانِ
- ٣٠١- وَلِذَا غَدَا تَغْرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ تَطُّ هِيرًا مِنَ الْأَوْهَامِ وَالْحُسْبَانِ

الشرح

يقول - رحمه الله -:

٢٩٥- وَالْكَفْرُ عِنْدَهُمْ هُدًى وَلَوْ أَنَّهُ دِينُ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ

يقولون: الكفر عندهم هُدًى، ولو أنه دين المجوس والنصارى والمشركين، لأن الكافر الذي لا يعبد ربًّا مُصِيبٌ، إذ ليس ثَمَّ رَبٌّ ولا مربوب، ولا عابد ولا معبود.

٢٩٦- قَالُوا: وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ وَإِنَّمَا ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الْأَعْيَانِ

المجوس الذين يعبدون النار هم قالوا عنهم: ما عبدوا غير الله، لأنَّ النار هي الله، فالذي يعبد عيسى - عليه الصلاة والسلام - والذي يعبد البقر، والشجر، والحجر، ما عبد إلا الله، لأنهم يقولون: كلُّ الوجود هو الله.

لكنهم كفروهم، لأنهم خصّوا العبادة بالنار، ولو عبدوا الكون كُلَّهُ لكانوا موحدّين، وكانوا أكملَ هدايةً، وكانوا -والعياذ بالله- هم الذين على الحقّ، لكن هم كفروا بكونهم خصّوا العبادة بالنار، وكذلك أصحاب الأوثان خصّوا العبادة بالأوثان فكفروا.

فعلى قولهم هذا -والعياذ بالله- نقول للذي يعبد هُبَل واللات والعزّى: أنت أخطأت لأنك تعبد هذه بأعيانها، بلِ اعبدْ كُلَّ شيء حتى تكون محققًا للعبادة، أمّا أن تُخصّص فهذا ضلال!

ولذا قال بعد ذلك:

٢٩٧- وَلَوْ أَنَّهُمْ عَمَّوْا وَقَالُوا: كُلُّهَا مَعْبُودَةٌ، مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانٍ إِذَنْ كُفَرُوهُمْ بتخصيص بعض الرّبِّ على زعمهم، ولو أنهم عبدوا كُلَّ الكون لكانوا موحدّين!

٢٩٨- فَالْكُفْرُ سَتْرٌ حَقِيقَةٌ الْمَعْبُودِ بِالْتِ تَخْصِيصٍ عِنْدَ مُحَقِّقِ رَبَّانِي

الكفر عندهم هو ستر حقيقة المعبود بالتخصيص، وحقيقة المعبود عندهم كل شيء، فأنت إذا عبدت واحدًا فقد كفرت، لأنك سترت حقيقة المعبود، لأنّ المعبود هو كلُّ شيء.

٢٩٩- قَالُوا: وَلَمْ يَكُ كَافِرًا فِي قَوْلِهِ: (أَنَا رَبُّكُمْ) فِرْعَوْنُ ذُو الطُّغْيَانِ

لما قال: (أنا ربكم) فليس بكافر، لماذا؟ قالوا: لأنّ الكون كُلَّهُ رَبٌّ، لكن

بالتخصيص.

٣٠٠- بَلْ كَانَ حَقًّا قَوْلُهُ إِذْ كَانَ عَيْنَ الْحَقِّ مُضْطَلِعًا بِهَذَا الشَّانِ

٣٠١- وَلِذَا غَدَا تَغْرِيقُهُ فِي الْبَحْرِ تَطُّ هِيرًا مِّنَ الْأَوْهَامِ وَالْحُسْبَانِ
يقولون: إن فرعون لما قال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤] لم يكن كافرًا، لأنَّ
هذا هو الحق، فإنَّ المخلوق عينُ الخالق فيكون هو الرَّبُّ، ولكن هو ظنٌّ لما
خصَّص نفسه أن هناك شيئًا متخصصًا متعينًا فأغرق تطهيرًا له من هذا الظنِّ
والوهم، فيكون هذا الإغراق -على زعمهم- ليطهره حيث توهم وظنَّ التعدد،
وقال: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ يعني: وأنتم مُرَبُّون ومعبودون، ولو أنه وحَّد تمامًا لقال: أنا
وأنتم كلُّنا رب.

وهذا مثل قول بعضهم في قول الله تعالى: ﴿مِمَّا خَطِيئَتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾
[نوح: ٢٥] قالوا: أَدْخَلُوا نار المحبَّة، لأنَّ المحبَّة ساخنة، وليست النار ذات اللَّهَب!
ولا أظنُّ أحدًا أضلَّ من هؤلاء القوم.

٣٠٢- قَالُوا: وَلَمْ يَكْ مُنْكَرًا مُوسَى لِمَا عَبَدُوهُ مِنْ عِجَلٍ لِّذِي الْخَوَرَانِ
٣٠٣- إِلَّا عَلَى مَنْ كَانَ لَيْسَ بِعَابِدٍ مَعَهُمْ وَأَصْبَحَ ضَيِّقَ الْأَعْطَانِ
٣٠٤- وَلِذَلِكَ جَرَّ بِلْحِيَةِ الْأَخِ حَيْثُ لَمْ يَكْ وَاسِعًا فِي قَوْمِهِ لِبَطَانِ
٣٠٥- بَلْ فَرَّقَ الْإِنْكَارُ مِنْهُ بَيْنَهُمْ لَمَّا سَرَى فِي وَهْمِهِ^(١) غَيْرَانِ

الشرح

لما رجع موسى -عليه السلام- من ميقات ربِّه وَجَد قومه يعبدون العجل،

(١) في نسخة الحلبي: «فهمه».

فغضب غضبًا عظيمًا، حتى ألقى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه، يعني: لِمَ لَمْ تنكر عليهم؟

هؤلاء يقولون: إن موسى لم يكن منكراً على الذين عبدوا العجل، إنما أنكر على الذين لم يعبدوه، لأنهم كانوا ضيقي الأعدان، حيث ظنوا أنه لا يُعبد إلا الله، والواقع -عندهم- أن كل شيء يُعبد، لأن كل شيء إله، وأن موسى ما أنكر على أخيه هارون إنكاره عليهم عبادة العجل، وإنما أنكر عليه لماذا يُنكر عليهم، وهم الذين فعلوا الواقع، وكان ضيق العطن عليهم، يعني: ما حمّلت نفسه فعل هؤلاء الذين فعلوا الحقيقة!

فانظر -والعياذ بالله- إلى شطحاتهم العظيمة.

فهو قلب الحقيقة -والعياذ بالله- إذ جعل موسى يُنكر على الذين لم يعبدوا العجل، لا على الذين عبدوه، وهذا من المكابرة، نسأل الله العافية.

- ٣٠٦- وَلَقَدْ رَأَىٰ إِبْلِيسَ عَارِفُهُمْ فَأَهْ
سَوَىٰ بِالسُّجُودِ هُوِيَّ ذِي خُضْعَانِ
- ٣٠٧- قَالُوا لَهُ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: هَلْ
غَيْرُ الْإِلَهِ وَأَنْتُمْ عَمِيَانِ
- ٣٠٨- مَا تَمَّ غَيْرٌ، فَاسْجُدُوا إِن شِئْتُمْ
لِلشَّمْسِ وَالْأَصْنَامِ وَالشَّيْطَانِ
- ٣٠٩- فَالْكَوْلُ عَيْنُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقِ
وَالْكَوْلُ مَعْبُودٌ لِذِي الْعِرْفَانِ
- ٣١٠- هَذَا هُوَ الْمَعْبُودُ عِنْدَهُمْ فَقُلْ:
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ
- ٣١١- يَا أُمَّةً مَعْبُودَهَا مَوْطُوءُهَا
أَيَّنَ الْإِلَهِ وَتُغْرَةُ الطَّعَّانِ!؟

٣١٢- يَا أُمَّةَ قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا جُزْءًا يَسِيرًا جُمْلَةُ الْكُفْرَانِ

الشرح

يقول - رحمه الله -:

٣٠٦- وَلَقَدْ رَأَىٰ إِبْلِيسَ عَارِفُهُمْ فَأَهْوَىٰ بِالسُّجُودِ هُوِيًّا ذِي خُضْعَانِ

قَوْلُهُ: «عَارِفُهُمْ» يعني: ابن عَرَبِيٍّ، لأنه - كما سبق - هو قدوة القائلين بِوَحْدَةِ الوجود.

قَوْلُهُ: «رَأَىٰ إِبْلِيسَ»: وَهَمًّا، وقد يكون حقيقة.

قَوْلُهُ: «فَأَهْوَىٰ بِالسُّجُودِ هُوِيًّا ذِي خُضْعَانِ» أي: أهوى بالسجود للشيطان، لأنَّ الشيطان رَبٌّ عنده.

٣٠٧- قَالُوا لَهُ: مَاذَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: هَلْ غَيْرُ الْإِلَهِ وَأَنْتُمْ عَمِيَانِ

يعني: لما قالوا له: كيف تسجد للشيطان؟! قال: ما سجدتُ إِلَّا للرحمن ليس إِلَّا.

قَوْلُهُ: «وَأَنْتُمْ عَمِيَانِ»، كأنه يخاطب إما نَفْسَهُ، وإما رَجُلَيْنِ وَهَمًّا، فيقول لهما: أنتما - اللذان أنكرتما عَلَيَّ - عَمِيَانِ، لا تعرفان، لأنَّ المعرفة عنده سجوده للشيطان، والعياذ بالله.

٣٠٨- مَا تَمَّ غَيْرٌ، فَاسْجُدُوا إِنْ شِئْتُمْ لِلشَّمْسِ وَالْأَصْنَامِ وَالشَّيْطَانِ

٣٠٩- فَالْكَوْثُ عَيْنُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقٍ وَالْكَوْثُ مَعْبُودٌ لِذِي الْعِرْفَانِ

٣١٠- هَذَا هُوَ الْمَعْبُودُ عِنْدَهُمْ فَقُلْ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

وقال لهم أيضًا: اسجدوا - إن شئتم - للشمس، والأصنام، والشيطان، والكلب والحمار، والذئب، والنار، والثلج، والماء، وكل شيء، فاعبدوا ما شئتم من هذه الموجودات، لأن هذا هو التوحيد عندهم.

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ» أي: تنزيهاً لك يا ذا التنزيه.

٣١١- يَا أُمَّةَ مَعْبُودِهَا مَوْطُوءُهَا أَيْنَ الْإِلَهِ وَتُنْفَرَةُ الطَّعَّانِ؟!

فهو يُنكر عليهم إنكاراً عظيماً، أمة يكون معبودها موطوءها، أمة يكون معبودها مأكولها، أمة يكون معبودها مذبوحوها، سبحان الله!

ومن الغريب أن زوجته التي يجامعها هي ربّه، وزوجها هو ربّها، وحماره الذي يركب هو ربّه، وهو ربُّ الحمار، لأن كل شيء هو عابد معبود، ربّ مربوب.

٣١٢- يَا أُمَّةَ قَدْ صَارَ مِنْ كُفْرَانِهَا جُزْءًا يَسِيرًا جُمَّلَةُ الْكُفْرَانِ

يعني: كل الكفران جزءٌ يسيرٌ من كُفْرَانِكُمْ، لأن الكافرين يخصصون المعبودات بأشياء معينة، وهؤلاء كلُّ شيء جعلوه إلهًا، حتى حماره الذي يركبه هو إلهه.

إِذَنْ جَمِيعَ الْكُفْرَانِ بِالنِّسْبَةِ لِكُفْرِ هَؤُلَاءِ جُزْءٌ مِّنْ كُفْرَانِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

والمشكلة أن هؤلاء ينتسبون إلى الإسلام وهم صُوفِيَّة، وبهذا نعرف أن مذهب الصوفية من أخطر المذاهب على الإسلام وأشدّها هدماً، لأن الصوفي يصل إلى حالة يقول: ما ثمَّ إلاَّ الله، يعني: كلُّ الكون هو الله، ويقول: ما في الجبّة إلاَّ الله، ويقول: الجبّة هي الله، ومن في الجبّة هو الله.

وهذه مذاهبُ خبيثةٌ -والعياذ بالله- فكل الكُفر جزءٌ من كُفرهم، فالذين يعبدون المسيح ابن مَرِيَمَ عبدوا واحداً من المخلوقات، لكن هؤلاء يعبدون كُلَّ شيءٍ، لأنهم لا يَرُونَ إِلَّا أَنَّ الكونَ كُلَّهُ خالقه ومخلوقه شيءٌ واحد، فالعابد والمعبود شيءٌ واحد، والرَّبُّ والمربوب شيء واحد، والواطيء والموطوء شيء واحد، وهكذا والعياذ بالله.

وهذا مذهب لولا أنه سَطَّرَ ما كان الإنسان يُصدِّق به إطلاقاً، وهذا أيضاً موجود في كتبهم.

وهذا يعني أنَّ أئمة الحق لا يفترون عليهم في هذا، بل كُتِبَهم بين أيدينا معروفة ومقروءة، وسيأتي -إن شاء الله- للمؤلف بيان أنَّ هذا أمر واقع، ومن أراد أن يقرأ في كُتِبَهم فليقرأ.

فصل

في قدوم ركب آخر

- ٣١٣- وَأَتَى فَرِيْقُ نُمْ قَالَ: وَجَدْتُهُ
بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ
- ٣١٤- هُوَ كَالْهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لَا عَيْنُهُ
مَلَأَ الْخَلَاءَ^(١) وَلَا يُرَى بِعِيَانٍ
- ٣١٥- وَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنْ بَشَرٍ وَلَا
قَبْرِ وَلَا حُشٍّ وَلَا أَعْطَانِ
- ٣١٦- بَلْ مِنْهُمْ مَنْ قَدَ رَأَى تَشْبِيهَهُ
بِالرُّوحِ دَاخِلَ هَذِهِ الْأَبْدَانِ^(٢)
- ٣١٧- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ
أَوْ خَارِجٍ عَنِ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
- ٣١٨- لَكِنَّهُمْ حَامُوا عَلَى هَذَا وَلَمْ
يَتَجَسَّرُوا مِنْ عَسْكَرِ الْإِيمَانِ
- ٣١٩- وَعَلَيْهِمْ رَدُّ الْأَيْمَةِ أَحْمَدٌ
وَصِحَابُهُ مِنْ كُلِّ ذِي عِرْفَانٍ
- ٣٢٠- فَهُمْ الْخُصُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ
وَهُمُ الْخُصُومُ لِمُنْزَلِ الْقُرْآنِ
- ٣٢١- وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا
لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهَّمَ فِي الْأَوْزَانِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله - في قدوم ركب آخر.. وهذا الركب هل هو ضالٌّ، أو مهتدٍ؟ الجواب: ضالٌّ.

(١) في نسخة الحلبي: «الخلو».

(٢) في نسخة ابن سحمان: «الأكوان»، والمتن أصوب.

قال:

٣١٣- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ

٣١٤- هُوَ كَالْهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لَا عَيْنُهُ مَلَأَ الْخَلَاءَ وَلَا يُرَى بِعِيَانٍ

هذا الرَّكْبُ هُمُ الْجَهْمِيَّةُ الْحُلُولِيَّةُ مِنْهُمْ، لِأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ انْقَسَمُوا إِلَى

قسمين:

■ قِسم حُلُولِيَّة، هذا مذهبهم، وهم قدماؤهم.

■ وقسم مُعْطَلَّةٌ تَمَامًا، قالوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ فَوْقَ، وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينًا، وَلَا شِمَالًا، وَلَا مُتَّصِلٌ بِالْحَلْقِ، وَلَا مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، فَعَطَّلُوا، لَكِنَّ قُدَمَاءَهُمْ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا بِالْحُلُولِ.

قوله: «قَالَ: وَجَدْتُهُ» الضميرُ يعود على فاطر الأكوان، وهو الله عزَّ وجلَّ.

قوله: «وَجَدْتُهُ بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانٍ» يعني: إِنَّ اللَّهَ مَوْجُودٌ بِذَاتِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ.

يقولون: بذاته، لا بعلمه، يقولون: إِنَّ اللَّهَ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي الْمَسْجِدِ، فِي السُّوقِ، فِي الْبَيْتِ، فِي السَّيَّارَةِ، فِي الطَّيَّارَةِ، فِي الْكَيْفِ، فِي الْحَمَامِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

ولا ريبَ أَنَّ هَذَا كُفْرٌ مَحْضٌ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَلَا أَحَدٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصِفَ اللَّهَ بِهَذَا الْوَصْفِ وَلَهُ مُسْكَةٌ مِنْ عَقْلِ، أَوْ دِينٍ.

فالنصارى - عليهم لعنة الله إلى يوم القيامة - قالوا: إِنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ حَتَّى صَارَ عَيْسَى إِلَهًا، فَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ يَفْدِي الْمَسَاكِينَ وَالْمَظْلُومِينَ، وَيُنْشِرُ الْمَحَبَّةَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ، هَذِهِ عَقِيدَتُهُمْ فِي عَيْسَى.

هؤلاء ما قالوا: إنه حَالٌّ في واحدٍ من المخلوقات، بل حَالٌّ في كل مكان، وهذا بلا شكَّ يَلْزَمُ عليه إما تعدد الخالق أو تَجْزُؤُ الخالق، يعني: إما أنه أجزاء وأوصال، كل جزء منه في جهة، وإما أنه متعدّد لا واحد، هذا يَقْطَعُ النَّظَرَ عن أن تصوّر هذه القضية نقص عظيم في جانب الله، فإن هذا القول يَسْتَلْزِمُ النقص العظيم في جانب الله.

قَوْلُهُ: «هُوَ كَاهْوَاءٍ بِعَيْنِهِ» يعني: يملأ الأمكنة، لكنه ليس عين الهواء، فالهواء مُنْبَثٌّ في الأرض، فهو يرى أن الله مُنْبَثٌّ في الأرض كالهواء، لكنه ليس عين الهواء، بل هذا كُفْرٌ، وأهل الوَحْدَةِ السابقون يقولون: هو عين الهواء.

قَوْلُهُ: «مَلَأَ الْخَلَاءَ وَلَا يُرَى بِعِيَانٍ» يعني: جعله شيئاً واحداً كالهواء يملأ الوجود، وفي كل مكان، ولكنه ليس الهواءَ بِعَيْنِهِ، ويأتي -إن شاء الله- بقية الكلام على هذه الطائفة، نسأل الله أن يهدينا إلى صراطه المستقيم، وألَّا يُزِيغَ قلوبنا بعد إذ هدانا.

٣١٥- وَالْقَوْمُ مَا صَانُوهُ عَنِ بَشَرٍ وَلَا قَبْرِ وَلَا حُشٍّ وَلَا أَعْطَانِ

وهذا أعظم من الأول، الأولون قالوا: إنَّ الله عزَّ وجلَّ بائنٌ من خَلْقِهِ، لكنه معهم بالذات في كل مكان، في الآبار، في القبور، في الحشوش، في كل مكان.

لم يُنْزِهْهُ -والعياذ بالله- عما يُنْزَهُ عنه بعض الناس، فَهُم جعلوه في كل مكان، فَوَصَفُوهُ على ما قال المؤلف -رحمه الله-.

٣١٦- بَلْ مِنْهُمْ مَنْ قَد رَأَى تَشْبِيهَهُ بِالرُّوحِ دَاخِلَ هَذِهِ الْأَبْدَانِ

وعلى هذا فيكون حالاً حتى في الأبدان، كحُلُولِ الروح في البدن.

٣١٧- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ أَوْ خَارِجٍ عَنِ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ

نعم ما فيهم مَنْ قَالَ هذا، يُشير إلى الأقدمين منهم الذين قالوا: إنه ليس داخل العالم، ولا خارج العالم.

٣١٨- لَكِنَّهُمْ حَامُوا عَلَى هَذَا وَلَمْ يَتَجَسَّرُوا مِنْ عَسْكَرِ الْإِيمَانِ

فهم حاموا حول هذا الشيء، وقالوا: لا داخل العالم، ولا خارجة، يعني: لا يُوصَفُ بهذا، ولا هذا، لكنهم خافوا من عسكر الإيمان، يعني: خافوا من أهل الإيمان أن يَنْبِذُوهم نَبْذًا.

٣١٩- وَعَلَيْهِمْ رَدُّ الْأَيْمَةِ أَحْمَدُ^(١) وَصَحَابُهُ مِنْ كُلِّ ذِي عِرْفَانٍ

قَوْلُهُ: «أَحْمَدُ» يعني بذلك: أحمد بن حنبل - رحمه الله -.

وهؤلاء الجَهْمِيَّة هم الذين رَدَّ عليهم أحمد بن حنبل وأصحابه، وقصة مُحْتَبِه مشهورة في كتب التاريخ.

٣٢٠- فَهُمْ الْخُصُومُ لِكُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ وَهُمْ الْخُصُومُ لِمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَهُمْ» يعني: الجَهْمِيَّة.

٣٢١- وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أُصُولَهَا لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ فِي الْأَوْزَانِ

وقد تقدّمت أُصُولُ جَهْمٍ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَفِي الْقَدَرِ، وَفِي الْإِيمَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) أحمد بن حنبل: هو أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوافلي، أصله من مَرَوَ، وأبوه والي سَرَخَس - اسم بلد - وُلِدَ ببغداد سنة (١٦٤هـ)، ورحل للحجاز وغيره في طَلَبِ الْحَدِيثِ، اِمْتَحَنَ فِي الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ، وَتُوِّفِيَ فِي بَغْدَادِ سَنَةِ (٢٤١هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (١/٤٣٧).

وَقَوْلُهُ: «لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ» يعني بذلك: زعيمهم الجهم بن صفوان، ويقال: إنَّ الجهم بن صفوان ليس زعيم الطائفة الأولى، بل زعيمها الأول الجعد بن درهم، حيث تكلم بأمرين:

الأول: قال: إنَّ الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً.

الثاني: ولم يكلم موسى تكليماً، هذا أول ما نفى -الكلام والمحبة- ثم تطوّرت المقالة وتفرّعت، ونشرها الجهم بن صفوان، وإليه نُسبت، لأنه هو الذي نشرها، ودافع دونها.

أما الأول -وهو الجعد- فإنه قُتل دون أن تنتشر مقالته.

فصل

في قدوم ركب آخر

- ٣٢٢- وَأَتَى فَرِيْقُ نَمَّ قَارَبَ وَضَفُهُ هَذَا وَلَكِنْ جَدِّي فِي الْكُفْرَانِ
- ٣٢٣- فَأَسْرَ قَوْلَ مُعْطَلٍ وَمُكَدِّبٍ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
- ٣٢٤- إِذْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجٌ عَنِ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ
- ٣٢٥- بَلْ قَالَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا فِيهَا، وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بَيَّانِ
- ٣٢٦- كَلًّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ
- ٣٢٧- وَالْعَرْشُ لَيْسَ عَلَيْهِ مَعْبُودٌ سِوَى الْوَالِدِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ
- ٣٢٨- بَلْ حَظَّهُ مِنْ رَبِّهِ حَظُّ الشَّرَى مِنْهُ وَحَظُّ قَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ
- ٣٢٩- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ كَهَذِهِ الْأَجْسَامِ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
- ٣٣٠- وَلَقَدْ وَجَدْتُ لِفَاضِلٍ^(١) مِنْهُمْ مَقَامًا مَّا قَامَهُ فِي النَّاسِ مُنْذُ زَمَانِ
- ٣٣١- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمِ إِنَّ نَبِيَكُمْ قَدْ قَالَ قَوْلًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
- ٣٣٢- لَا تَحْكُمُوا بِالْفَضْلِ لِي أَصْلًا عَلَى ذِي النُّونِ يُونُسَ ذَلِكَ الْغَضْبَانِ
- ٣٣٣- هَذَا يَرُدُّ عَلَى الْمُجَسِّمِ قَوْلَهُ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

(١) قال الحلبي في نسخته في هامش الأصول: «هو الجويني».

- ٣٣٤- وَيَدُلُّ أَنَّ إِلَهَنَا سُبْحَانَهُ
 ٣٣٥- قَالُوا لَهُ: بَيْنَ لَنَا هَذَا فَلَمْ
 ٣٣٦- أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ الْعَتِيقِ، فَقَالَ فِي
 ٣٣٧- قَدْ كَانَ يُونُسُ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ نَحْ
 ٣٣٨- وَمُحَمَّدٌ صَعِدَ السَّمَاءَ وَجَاوَزَ السَّمَاءَ
 ٣٣٩- وَكِلَاهُمَا فِي قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ
 ٣٤٠- فَالْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ اللَّذَانِ كِلَاهُمَا
 ٣٤١- إِنْ يُنْسَبَا لِلَّهِ نُزَّةٌ عَنْهُمَا
 ٣٤٢- فِي قُرْبٍ مَنْ أَضْحَى مُقِيمًا فِيهِمَا
 ٣٤٣- فَلَأَجَلٍ هَذَا خُصَّ يُونُسُ دُونَهُمْ
 ٣٤٤- فَأَتَى النَّشَاءُ^(٢) عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ
 ٣٤٥- فَاحْمَدُ إِلَهَكَ أَيُّهَا السُّنِّيُّ إِذْ
 ٣٤٦- وَاللَّهِ مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ
 ٣٤٧- هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ حَقًّا، بَلْ هُوَ التَّنْ
- وَبِحَمْدِهِ يُلْقَى^(١) بِكُلِّ مَكَانٍ
 يَفْعَلُ، فَأَعْطَوْهُ مِنَ الْأَثْمَانِ
 تَبْيَانِهِ فَاسْمَعْ لَذَا التَّبْيَانِ
 تِ الْمَاءِ فِي قَبْرِ مِنَ الْحِيتَانِ
 سَبْعَ الطَّبَاقِ، وَجَازَ كُلَّ عَنَانِ
 سُبْحَانَهُ إِذْ ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ
 فِي بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّهِ طَرَفَانِ
 بِالْإِخْتِصَاصِ، بَلَى هُمَا سَيَّانِ
 مِنْ رَبِّهِ، فَكِلَاهُمَا مِثْلَانِ
 بِالذِّكْرِ تَحْقِيقًا لِهَذَا الشَّانِ
 مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِلَا حُسْبَانِ
 عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانِ
 مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ
 تَحْرِيفٌ مُحْضًا أَبْرَدُ الْهَدْيَانِ

(١) في نسخة: «يُلْقَى».

(٢) في نسخة الحلبي: «النشأ».

- ٣٤٨- وَاللَّهِ مَا بُيِّئَ الْمُجَسَّمُ قَطُّ ذِي الْاَلِ
بَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذَا (١) الْخِذْلَانِ
٣٤٩- أَمْثَالُ ذَا التَّوِيلِ أَفْسَدَ هَذِهِ الْاَلِ
أَذْيَانًا حِينَ سَرَى إِلَى الْأَذْيَانِ
٣٥٠- وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ حَافِظُ دِينِهِ
لَتَهَدَّمَتْ مِنْهُ قُوَى الْأَرْكَانِ

الشرح

- ٣٢٢- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَارَبَ وَصَفُهُ
هَذَا وَلَكِنْ جَدَّ فِي الْكُفْرَانِ
٣٢٣- فَأَسْرَ قَوْلَ مُعْطَلٍ وَمُكَدَّبٍ
فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «وَأَتَى فَرِيقٌ» أَي: مِنَ الَّذِينَ سَارُوا يَطْلُبُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

هذا الفريق وصف الله -تبارك وتعالى- بالتنزيه، ولكنه تنزيه هو كُفر كما
سببته المؤلف -رحمه الله-.

- ٣٢٤- إِذْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا
هُوَ خَارِجٌ عَن جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ
٣٢٥- بَلْ قَالَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا
فِيهَا، وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بَيَّانِ
هؤلاء مُعْطَلَةٌ مُحْضَةٌ يَقُولُونَ: لَا يَجُوزُ أَنْ نَصِفَ اللَّهُ بِأَنَّهُ دَاخِلُ الْعَالَمِ، وَلَا
خَارِجُ الْعَالَمِ، وَلَا مُتَّصِلُ بِالْعَالَمِ، وَلَا مُنْفَصِلُ عَنِ الْعَالَمِ، وَلَا هُوَ عَيْنُهُ، وَلَا فَوْقَ
الْعَالَمِ، وَلَا تَحْتَ الْعَالَمِ.

وهذا إنكار لوجود الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْوَاقِعِ، وَهُوَ عَكْسُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ
الَّذِي قَبْلَهُ، وَالَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ بِذَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

(١) فِي نَسْخَةِ الْحَلْبِيِّ: «بِذِي الْخِذْلَانِ».

فإذا قيل لهم: إذا وصفتم الله بهذا الوصف فأين الله؟ الجواب: عدم، لأنه إذا انتفى عنه كُلُّ ما ذُكر، فهذا يعني العَدَمَ المَحْضَ.

ولو قال قائل: ما هو العدم؟ لم تجد شيئاً أدق وصفاً من هذا الوصف، ولهذا يُعتبر قولهم هذا تناقضاً مع قولهم بأنَّ الله موجود، كيف تقول: إنَّ الله موجود، وهو موصوف بهذه الصفات، فأين يكون؟ معدوم، ولهذا قولهم يُعتبر متناقضاً، لأنهم إذا قالوا: إنه موجود، ثم وصفوه بهذه السُّلُوب فهذا هو النفي المحض، والعَدَمَ المحض، لكن مع ذلك يقولون هذا، فيعبدون معبوداً لا يدرون أين هو؟ لا يدرون هل هو فوق، أو تحت؟ فهم لا يجهلون فقط، بل يعتقدون أنه لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، ولا متصل، ولا منفصل، هم يعتقدون أنهم يعبدون هذا الرَّبَّ.

وهؤلاء هم طائفة من الجهمية، وهم المتأخرون منهم.

وكذلك المعتزلة يقولون: ليس بداخل العالم... إلى آخره.

فالجهمية انقسموا إلى قسمين: أوائلهم قالوا: إنه بذاته في كل مكان، والثاني المتأخرون: نفوا هذا وعطلوه، وقالوا: ليس بداخل ولا خارج.

٣٢٦- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ

نفي أن يكون الله تعالى فوق السموات، وأن يكون فوق العرش، لكن لماذا تقولون هذا القول؟ قالوا: لو قلنا: إنه فوق السموات أو على العرش لزم أن يكون جسماً، والله مُنَزَّهٌ عن الأجسام.

٣٢٧- وَالْعَرْشُ لَيْسَ عَلَيْهِ مَعْبُودٌ سِوَى اللَّهِ عَدَمَ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ

يعني: أنكروا أن يكون الله استوى على العرش، وحُجَّتْهُمْ في هذا حجة بالية، يقولون: إنه لو كان كذلك لزم أن يكون جِسْمًا، والجسم مُتَمَتِّعٌ على الله عزَّ وجلَّ.

ثم قالوا: ليس عَرَضًا أيضًا، ولهذا يقولون: ليس بجسم، ولا عَرَضٌ، فماذا يكون إذا لم يكن جِسْمًا قائمًا بِنَفْسِهِ، ولا عَرَضًا قائمًا بغيره؟ فماذا يكون؟
الجواب: لا يكون إِلَّا عَدَمًا.

فلا يتعجب المسلم من أن الله أزاع قلوب هؤلاء، حتى وصلوا إلى هذه الحال، اللهم لا تُزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا.

٣٢٨- بَلْ حَظُّهُ مِنْ رَبِّهِ حَظُّ الثَّرَى مِنْهُ وَحَظُّ قَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ

حَظُّ الْعَرْشِ مِنَ اللَّهِ كَحَظِّ الثَّرَى أَسْفَلَ الْأَرْضِ، وَحَظُّ الْقَوَاعِدِ مِنَ الْبُنْيَانِ، يعني: في القرب.

هو لم يستو على العرش، والعرش ليس قريبًا منه، وهو بالنسبة للعرش كالنسبة إلى أسفل الأرض، وإلى قواعد البناء، لأنهم يُنكرون العلو، وهم -في الحقيقة- كما قال ابن القيم -رحمه الله-: مقارِبون لوصف جَهِم.

٣٢٩- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ كَهَذِهِ الْأَجْسَامِ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!» يَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ تَيَمَّةِ قَوْلِ هَذَا الْقَائِلِ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يُنَزِّهُ اللَّهَ تَعَالَى عَمَّا قَالُوهُ فِيهِ، وَالْمَعْنَى عَلَى الْوَجْهِينِ صَحِيحٌ، لِأَنَّ أَوْلَئِكَ الْقَوْمَ الَّذِينَ يَنْفُونَ أَنَّ يَكُونَ اللَّهُ دَاخِلَ الْعَالَمِ، أَوْ خَارِجَهُ، أَوْ مُتَصِلًا، أَوْ مُنْفَصِلًا إِلَى آخِرِهِ، يَرِيدُونَ بِهَذَا التَّنْزِيَةَ.

٣٣٠- وَلَقَدْ وَجَدْتُ لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ مَقَامًا قَامَهُ فِي النَّاسِ مُنْذُ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ» هُوَ أَبُو الْمَعَالِي الْجُوَيْنِيُّ^(١).

وقد ذكر قصته الشيخ أحمد بن عيسى^(٢) في شرح هذه القصيدة نقلًا عن القُرْطُبِيِّ^(٣) في التَّدْكِرَةِ^(٤).

وَقَوْلُهُ: «لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ»: يَحْتَمِلُ أَنَّهُ يَرِيدُ عِنْدَ ابْنِ الْقَيْمِ، وَيَحْتَمِلُ «لِفَاضِلٍ مِنْهُمْ» أَي: عِنْدَهُمْ، وَأَنَّهُ لَمْ يَصِفْهُ بِالْفَضْلِ.

٣٣١- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمِ إِنَّ نَبِيَّكُمْ قَدْ قَالَ قَوْلًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «نَبِيَّكُمْ» يَعْنِي بِذَلِكَ: مُحَمَّدًا ﷺ، وَجَاءَ بِهَذِهِ الصِّيغَةِ إِذَا كَانَ هَذَا

(١) أبو المعالي الجويني: إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، ولد في جوين من أعمال نيسابور سنة (٤١٩هـ)، وأقام مدة بالحجاز (مكة والمدينة) كان من أعلم المتأخرين من الشافعية، تُوفِّي بقرية من أعمال نيسابور سنة (٤٧٨هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨).

(٢) هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى من بني زيد (١٢٥٣-١٣٢٩هـ) من علماء نجد وصاحب رحلة وتصانيف عديدة، أشهرها شرحه وتوضيحه على النونية، ورُودده على خصوم الدعوة السلفية، وبها يُعرف قُدره، وهو من تلاميذ الشيخ عبد الرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبد اللطيف، وأجازه الشيخ حسين بن محسن الأنصاري، وقد أخذ عنه العلم جمع من نجد والحجاز وغيرها، كما كان داعية لتحقيق التوحيد لله عزَّ وجلَّ، رحمه الله ورفع درجته. انظر: حاشية الأثبات في مخطوطات الأئمة: شيخ الإسلام ابن تيمية، والعلامة ابن القيم، والحافظ ابن رجب، لعلي بن عبد العزيز بن علي الشبل (ص: ١٣٢).

(٣) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الإمام، العلامة، أبو عبد الله الأنصاري، الخزرجي، القرطبي، المتوفى (٦٧١هـ) إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه، ووفور فضله، توفي في أوائل هذه السنة بمنية بني خصيب من الصعيد الأدنى. تاريخ الإسلام للذهبي (٢٢٩/١٥).

(٤) انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ص: ٤٦٢).

اللفظ محفوظًا لأجل أن يُشَدَّهم إلى الاستماع، ويُقَوِّي الدليل أنه إذا كان نبيًّا، فلا بد أن نستمع إليه، وأن نقبل ما قال، هذا إذا كان اللفظ الذي ساقه ابن القيم محفوظًا بهذا. قد قال:

٣٣٢- لَا تَحْكُمُوا بِالْفَضْلِ لِي أَضَلًّا عَلَى ذِي النُّونِ يُونُسَ ذَلِكَ الْغَضَبَانِ

فهو يقول: -وما أدري عن صحة النقل، لأنَّ الرجل ما أظنه أنه يبلغ به الأمر إلى هذا الحدِّ- فيقول: أريد أن أُبَيِّنَ لكم أنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ليس بذاته فوق العرش، حيث يوجد حديث يُرَدُّ على أهل التجسيم الذين يقولون: إنَّ الله بذاته فوق العرش، وهذا الحديث هو قول الرسول ﷺ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»^(١).

على كل حالٍ هذا ساقه بالمعنى بلا شك، وإلا فالنبيُّ ﷺ قال: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى». يعني: لا تُفَضِّلُونِي فِي الْقُرْبِ مِنْ رَبِّي -على زعمه- على يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فأنا وهو عند الله تعالى سيَّان، حين كان في بطن الحوت، وأنا فوق السموات السبع.

وذلك أنَّ يُونُسَ بْنَ مَتَّى -عليه الصلاة والسلام- خرج من قومه مُغاضِبًا قبل أن يأذن الله له بالهجرة عنهم، ولهذا لما آمنوا حين جاءهم العذاب نفَعَهُم الإيمان، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُوسُفَ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ [يونس: ٩٨] وذلك أنَّ لهم شيئًا من العذر، حيث إنَّ نبيَّهم -عليه الصلاة

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾ [طه: ٩] ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، رقم (٣٢١٥)، ومسلم: كتاب الفضائل، باب في ذكر يونس -عليه السلام-، رقم (٢٣٧٧).

والسلام- فارقهم قبل أن يُؤذَنَ له، وقبل أن يبيئسَ من إيمانهم، فلما آمنوا كشف الله عزَّ وجلَّ عنهم العذاب، فقد يَظُنُّ الظانُّ أن هذا يُنزلُ من قَدْرِ يونسَ .

ومحمد ﷺ قد عَلِمَ أنه أفضلُ الخلقِ، أفضلُ بني آدم، فقال: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» ولم يقل: على موسى، ولا: على هارون، ولا: على إبراهيم، بل قال: «يُونُسَ بْنِ مَتَّى» .

والسبب أنه فعل فعلاً لم يُؤذَنَ له فيه .

ولا يَرِدُ على هذا أن يُقال: وموسى فَعَلَ فعلاً لم يُؤذَنَ له فيه، إذ الفَرَقَ ظاهر، لأنَّ موسى -عليه الصلاة والسلام- فَعَلَ فعلاً قبل أن يكون نبيًّا حين قتل الذي من عَدُوِّه بعد أن استغاثه الذي من شيعته .

٣٣٣- هَذَا يَرُدُّ عَلَى الْمُجَسِّمِ قَوْلُهُ اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ
قَوْلُهُ: «يَرُدُّ عَلَى الْمُجَسِّمِ قَوْلُهُ»: القائل هو أبو المعالي الجُوَيْنِيِّ .
وَقَوْلُهُ: «الْمُجَسِّمِ» يريد بذلك الذين يُثَبِّتُونَ العُلُوَّ، وهو قوله: (اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ) .

قَوْلُهُ: «اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ» هذا مَقُولُ القول، أي: قول المُجَسِّمِ:
(اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ)، وهذا واضح .

إِذَنْ ما قول المُجَسِّمِ؟ الجواب: قوله: (اللهُ فَوْقَ العَرْشِ وَالْأَكْوَانِ)، لأنه يرى أن مَنْ أثبت أن الله فوق، فهو جِسْم .

بقي أن يُقال: كلمة جِسْم، أو غير جِسْم، هل هي واردة عن النَّبِيِّ ﷺ أو عن الصحابة؟ الجواب: لا .

لكنَّ أهل التعطيل الذين أنكروا صفات الله عزَّ وجلَّ صاروا يُشَوِّهونَ سُمعةَ المُثبِّتين بمثل هذا، ويقولون: أنتم مُجَسِّمَة، أنتم مُشَبَّهَة، مِن أَجْلِ أَنْ يُنْفَرُوا الناسَ عنهم.

ولكني أقول: إنَّ وصفَ الحقِّ بهذه الأوصاف لا يضرُّه، فنقول: كلمة الجسم، أو المجسِّم، أو ما أشبه ذلك كلها حادثة، يُراد بها تنفير الناس عن الإثبات، فما موقفنا؟

موقفنا أن نقول: يجب أن نتأدَّبَ مع الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ، فلا ننكر الجسم، ولا نثبت الجسم، لأنَّ الله لم يُثبِّتْه ولم يَنْفِهِه، وكذلك النَّبي ﷺ، وهذا خَبَرٌ عن الرَّبِّ، فيجب أن نتأدَّبَ بين يدي الله ورسوله، ونقول: لا نُثبِّتُ الجسم، ولا ننفِيه، هذه واحدة.

أما بالنسبة للمعنى فإننا نستفصل ونقول: ماذا تريد؟ هل تريد الجسم الذي أَجْلَبَّتْ به وأجْنَبَّتْ علينا، أتريد جِسْمًا مكوَّنًا مِن عظام، وعصب، ودم، ولحم، وما أشبه ذلك؟ فهذا معنى باطل لا يليق بالله تعالى، ولا نُقَرُّ به، بل نُنكِرُه أعظم الإنكار.

أم تريد بالجسم الذات العظيمة المتصفة بما يليق بها مِن صفات الكمال؟ إن قال: أريد هذا المعنى، نقول: هذا حقٌّ، وَثبَّتَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، ونؤمن بأنَّ الله -تبارك وتعالى- له ذات، وله صفات، وهذا ليس علينا فيه عيب.

ولا يمكن إثباتُ الله عزَّ وجلَّ إلَّا على هذا الوجه، لأنك إن قلت: إنه عَرَضٌ في غيره، فهذا مُنكِرٌ عظيم، وإن قلت: إنه هواء، وليس بشيء، ولا يُرى، ولا يُشاهدُ، فهذا أيضًا مُنكِرٌ عظيم.

فالله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا بدَّ أن يكون له ذات، لكنها لا تُمَثَّلُ ذوات المخلوقين، وهذا هو الحقُّ، أما التَّطْيِيلُ والإجلاب والإجناب علينا، فهذا لا يَصْرُنَا. ما صَرَّ مُحَمَّدًا ﷺ أن قيل له: إنه ساحر كَذَّاب، ولا إنه شاعرٌ مجنون، بل لم يَزِدْهُ ذلك إِلَّا رِفْعَةً وَأَجْرًا وَثَوَابًا.

٣٣٤- وَيَدُلُّ أَنَّ إِلَهَنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ يُلْقَى بِكُلِّ مَكَانٍ

قَوْلُهُ: «يُلْقَى» أي: يُدْرِكُ وَيُحْصَلُ بِكُلِّ مَكَانٍ.

يدل هذا على أن الله تعالى موجودٌ بكل مكان.

٣٣٥- قَالُوا لَهُ: بَيِّنْ لَنَا هَذَا فَلَمْ يَفْعَلْ، فَأَعْطَوْهُ مِنَ الْأَثْمَانِ

٣٣٦- أَلْفًا مِنَ الذَّهَبِ الْعَتِيقِ، فَقَالَ فِي تَبْيَانِهِ فَاسْمَعْ لِدَا التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا لَهُ: بَيِّنْ لَنَا» يعني كيف يدل هذا^(١) على هذين الأمرين: أن الله ليس فوق، وأنه بكل مكان؟ فأجاب^(٢) بأنه (لَمْ يَفْعَلْ)، وقال: لا أُبَيِّنُ، لأنه قال: -كما في الرواية- لن أُبَيِّنَ هذا حتى تُعْطُوا الضيفَ ألفَ دينار، فانتدب لذلك رجلان فقال: لا، بل لا بد أن يكون واحداً. وهذا مُحَدِّثٌ لهم، فانتدب له واحداً.

قَوْلُهُ: «فَاسْمَعْ لِدَا التَّبْيَانِ» اسمع لهذا التبيان، يقول ذلك سُخرية به، وليس من أجل أن نستمع إليه فنأخذ به، لكن هذا من باب الاستهزاء والسخرية.

٣٣٧- قَدْ كَانَ يُونُسُ فِي قَرَارِ الْبَحْرِ تَحْتَ السَّمَاءِ فِي قَبْرِ مِنَ الْحَيَاتَانِ

أولاً: قوله: «فِي قَرَارِ الْبَحْرِ» هذا غيرُ مُسَلَّمٍ به، لأنه من الجائز أن يكون

(١) المراد بقوله: (هذا) أي: حديث: «لَا يَبْنَعِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».

(٢) أي: أبو المعالي الجويني.

الحوثُ التَّقَمَه على سطح الماء، أو التَّقَمَه في قاع البحر، والأول أقرب، لأنه لو نزل إلى قاع البحر ربما يموت قبل أن يصل إلى قاع البحر، ولذا فالأول أقرب، لأنَّ يونس -عليه السلام- لما ركب البحرَ في سفينة سارت السفينة مُحَمَّلَةً، وقالوا: إنَّ بقينا جميعًا على ظهرها غَرِقْنَا جميعًا، وَإِنَّا لَلْقَيْنَا بَعْضُنَا فِي الْبَحْرِ سَلِيمًا، إذن ماذا نفعل؟ قالوا: نعمل قُرْعَةً، فضربوا القُرْعَةَ، فسَاهَمَ يونس فكان مِنَ الْمُدْحَضِينَ، يعني: المغلُوبين، فألْقَوْه في البحر، فهَيَّأَ اللهُ لَهُ حُوتًا عَظِيمًا التَّقَمَه دون أن يكسر له عظمًا، أو يجرح له جلدًا، فابتلع جميعه، وبقي في بطنه، وهذا من آيات الله عزَّ وجلَّ.

وبقي في بطنه ونادى في الظلمات في ذلك المكان الضيق الحرج ﴿أَن لَّآ إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الأنبياء: ٨٧] وهذا خالص التوحيد ﴿سُبْحَانَكَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] أي: أنزهُك أن تفعل ما لا يليق بك، ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] كأنه يقول: إنه ظالمٌ ظَلَمَ نَفْسَه، والرَّبُّ عزَّ وجلَّ لم يفعل به ما ينافي الحكمة، بل نَزَّهَ رَبَّهُ أن يكون فَعَلَ به ما ينافي الحكمة، وَبَيَّنَّ أَنَّ الظُّلْمَ مِنْ نَفْسِه، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَجَجَيْنَاهُ مِنَ الْعَمِيَّةِ وَكَذَلِكَ نُفَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

٣٣٨- وَ مُحَمَّدٌ صَعِدَ السَّمَاءَ وَجَاوَزَ السَّمَاءَ سَبْعَ الطَّبَاقِ، وَجَاوَزَ كُلَّ عَنَانٍ

قَوْلُهُ: «وَجَاوَزَ كُلَّ عَنَانٍ» يعني: ارتفع -عليه الصلاة والسلام- بجسمه وروحه عن كلِّ شيء، حتى السموات والأرض كانت تحته، وما أعظم هذا النَّبِيَّ الكَرِيمَ! وما أقوى جأشَه! كيف شاهد هذه المخلوقات العظيمة العالية، ومع ذلك أدركها بفؤاده تمامًا! قال الله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].

وانظر إلى كمال أدب النَّبِيِّ ﷺ، قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧] يعني: ما جاوز، وقام ينظر ما هذا، وما هذا؟ مع أننا لو دخلنا حُجْرَةَ

مِنَ الْحَجَرِ لَكَانَ الْوَاحِدَ يَدُورُ بِعَيْنَيْهِ فِي الْجُدْرَانِ، وَفِي السُّطْحِ، وَفِي الْفِرَاشِ، وَفِي كُلِّ شَيْءٍ، لَكِنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى كَمَالِ الْأَدَبِ ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى﴾ [النجم: ١٧].
يقول الجويني - عفا الله عنه -:

٣٣٩- وَكِلَاهُمَا فِي قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ إِذْ ذَاكَ مُسْتَوِيَانِ

سبحان الله! هذا الذي وصل إلى مكانٍ سمع فيه صريفَ الأقلامِ كرجلٍ في بطن الحوت في الأرض في القرب من الله!

هذا يقول هكذا، لأنه يقول: إنَّ الله في كلِّ مكان، وإذا كان في كلِّ مكان، لزم أن يكون النبيَّانِ عنده مُسْتَوِيَيْنِ.

٣٤٠- فَالْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ اللَّذَانِ كِلَاهُمَا فِي بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّهِ طَرْفَانِ

العلو والسُّفلُ كل واحد منهما (في بُعْدِهِ مِنْ ضِدِّهِ طَرْفَانِ) فهذا فوق بعيد، وهذا أسفل.

٣٤١- إِنْ يُنْسَبَا لِلَّهِ نُزَّهُ عَنْهُمَا بِالِاخْتِصَاصِ، بَلَى هُمَا سَيَّانِ

٣٤٢- فِي قُرْبِ مَنْ أَضْحَى مُقِيمًا فِيهِمَا مِنْ رَبِّهِ، فَكِلَاهُمَا مِثْلَانِ

يعني: إنَّ نُسْبَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ يُنَزَّهُ عَنْهُمَا بِالِاخْتِصَاصِ، فلا يقال: إنَّ العالِيَّ أَقْرَبُ إِلَى اللَّهِ مِنَ النَّازِلِ، هذا لا يجوز، فهُمَا عِنْدَ اللَّهِ سَيَّانِ، وَلَا يُنْسَبَانِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هُمَا يَنْسَبَانِ إِلَيْنَا، وَالسُّفْلُ ضِدُّ الْعُلُوِّ، فَالْعُلُوُّ فِي طَرْفٍ، وَهَذَا فِي طَرْفٍ، لَا يَلْتَقِيَانِ، لَكِنَّهُمَا بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ هُمَا سَيَّانِ.

قَوْلُهُ: «مِثْلَانِ» أَي: مُتَشَابِهَانِ.

٣٤٣- فَلَأَجَلٍ هَذَا خُصَّ يُونُسُ دُونَهُمْ بِالذِّكْرِ تَحْقِيقًا لِهَذَا الشَّانِ

يريد -نسأل الله العافية- أن يُونس -عليه السلام- ذُكر لأنه في قعر البحر -على كلامه- ومحمد في أعلى شيء، لكن موسى وإبراهيم -عليهما السلام- وغيرهما ليسوا في قعر الأرض، بل على سطح الأرض، فيريد أن يُبين أن أعلى شيء، وأسفل شيء كلاهما سواء، ف«لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى» في قُرْبِي مِنَ اللَّهِ، وَبُعْدِهِ مِنَ اللَّهِ.

أليس هذا تحريفاً؟! هل أراد الرسول ﷺ هذا المعنى؟! يعني: لا تُفَضِّلُونِي عَلَيْهِ فِي الْقُرْبِ حِينَهَا عُرِجَ بِهِ ﷺ؟! والله ما أراد هذا.

فلا شك أن هذا -والعياذ بالله- من التحريف الذي يَحْمِلُ عَلَيْهِ الْهَوَى، وهو تحريفٌ مِنْ أَبْطَلِ الْبَاطِلِ، فَالنَّبِيُّ ﷺ لم يتعرض إطلاقاً للعلو والسُّفْل، لكن لما كان يونس -عليه الصلاة والسلام- خرج من قومه مغاضباً، ظاناً أن الله لا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَحَصَلَ مَا حَصَلَ، ربما يقع في نفس بعض الناس تنزيل رُتْبَةِ يُونُسَ، وَالتَّيْلُ مِنْ قَدْرِهِ، وَعَلَى ذَلِكَ يَكُونُ الْمَعْنَى: لَا تُفَضِّلُونِي فِي الرُّتْبَةِ وَالْمَنْزَلَةِ عَلَى يُونُسَ.

فنهى النبي ﷺ أَنْ يُفَضَّلَ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ الَّذِي قَدْ يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ أَنَّهُ -عليه الصلاة والسلام- قد نزل قَدْرُهُ بسبب ما حصل منه، لأنك عندما تقول: محمدٌ أفضلٌ مِنْ يُونُسَ، وقد ذهب الذهن إلى ما حصل من يونس، ما الذي يقع في نَفْسِكَ؟ الجواب: التقليل من شأنه وتنزيله، ولذا نهى أن يُفَضَّلَ مُحَمَّدٌ عَلَى يُونُسَ -عليهما الصلاة والسلام-.

وليس أيضاً مراد الرسول ﷺ بذلك أن يُنكَرَ فَضْلُ مُحَمَّدٍ عَلَى يُونُسَ -عليهما الصلاة والسلام-، لأنَّ هَذَا أَمْرٌ مَعْلُومٌ، لَكِنْ: لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى سَبِيلِ

المُفَاخِرَةَ، هذه واحدة.

أو: لَا تُفَضِّلُونِي عَلَى سَبِيلِ الْاِحْتِقَارِ لِيُونُسَ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَا يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ أَثْبَتَهُ اللَّهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥] وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فَأَثْبَتِ التَّفْضِيلَ لِلْأَنْبِيَاءِ، وَأَثْبَتِ التَّفْضِيلَ لِلرُّسُلِ.

٣٤٤- فَآتَى الشَّنَاءَ عَلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ بِإِلَّا حُسْبَانٍ
لِمَاذَا أَنْتَوْنَا عَلَيْهِ؟ الْجَوَابُ: لِأَنَّهُ (وَإِفْقٌ شَنْ طَبَقَهُ) ^(١)، وَقَالُوا: أَنْتَ الْعَالَمُ، أَنْتَ
الشَّيْخُ، هَذَا الْحَقُّ، لِأَنَّهُ وَافِقٌ أَهْوَاءِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ ابْنُ الْقِيمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٣٤٥- فَاحْمَدُ إِلَهَكَ أَيُّهَا الشُّنِّيُّ إِذْ عَافَاكَ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانٍ
أَمَرَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنْ يَحْمَدَ الْإِنْسَانَ رَبَّهُ، وَخَصَّ بِذَلِكَ الشُّنِّيَّ، أَيُّ: الْمُتَّبِعَ
لِلسُّنَّةِ، فَنَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَثْبِتَنَا عَلَى ذَلِكَ، وَأَنْ يَمِيتَنَا عَلَيْهِ.

٣٤٦- وَاللَّهُ مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «مَا يَرْضَى بِهَذَا» أَيُّ: مَا يَرْضَى بِهَذِهِ الْمَقَالَةَ مُؤْمِنٌ يَخَافُ اللَّهَ، لِأَنَّهُ إِذَا
فَعَلَ هَذَا فَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ بِأَدْنَى النِّقْصِ، نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَلَا يَرْضَى بِذَلِكَ مُؤْمِنٌ
خَائِفٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٣٤٧- هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ حَقًّا، بَلْ هُوَ التَّحْرِيفُ مُحَضًّا أَبْرَدُ الْهَدْيَانِ
هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ وَالتَّحْرِيفُ، وَالْإِلْحَادُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خَاصَّةٌ يَكُونُ بِالْمَعْنَى،

(١) هَذَا يُضْرَبُ مِثْلًا لِلشُّنِّيِّينَ يَتَّفِقَانِ. انظُرْ: مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ لِلْمِيدَانِيِّ (٢/ ٣٥٩).

والتحريف يكون بتحريف اللفظ عن معناه.

فالمعنى أنّ هذا هو الإلحاد في آيات الله عزّ وجلّ، وهو التحريف لكلام الله عزّ وجلّ.

فصار في الأمة من وافق الأمم السابقة، حرّفوا الكلام عن مواضعه، فصدق رسول الله ﷺ في قوله: «لَتَتَّبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»^(١).

٣٤٨- وَاللَّهُ مَا بِلِيِّ الْمُجَسِّمِ قَطُّ ذِي الْـ جَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذَا الْخِذْلَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُجَسِّمُ» أَي: على زعم هؤلاء، والمراد به المثبت للصفات، هذا هو الظاهر، مع أنه يَحْتَمِلُ أن نقول: أراد أنه لو فُرِضَ أن أحدا جَسَمَ، فإنه لن يُبْلَى بمثل هذه البليّة، لكن المعنى الأول أظهر، وأقرب إلى عقيدة ابن القيم - رحمه الله -.

٣٤٩- أَمْثَالُ ذَا التَّأْوِيلِ أَفْسَدَ هَذِهِ الْـ أَدْيَانَ حِينَ سَرَى إِلَى الْأَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا التَّأْوِيلِ» المشار إليه التأويل الذي هو التحريف، أما التأويل الذي هو تفسير المعنى الحقيقي فهذا لا بأس به.

٣٥٠- وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ حَافِظُ دِينِهِ لَتَهَدَّمَتْ مِنْهُ قُورَى الْأَرْكَانِ

وصدق - رحمه الله - لولا أن الله حافظُ دينه كما يدلُّ على هذا قولُ الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. لولا هذا لتهدم الدين، وكزال الدين كما زالت الأديان السابقة التي حرّف أهلها نصوصها، وألحدوا فيها.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٢٦٩)، ومسلم: كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى، رقم (٢٦٦٩).

فصل

في قدوم ركب آخر

- ٣٥١- وَأَتَى فَرِيقٌ نُمَّ قَارَبَ وَصَفُهُ
 ٣٥٢- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمٍ لَا تُلْهِكُمْ
 ٣٥٣- أَتَعَبْتُ رَاحِلَتِي وَكَلَّتْ مُهْجَتِي ^(١)
 ٣٥٤- فَتَشَّتْ فَوْقَ وَتَحْتُ نُمَّ أَمَامَنَا
 ٣٥٥- مَا دَلَّنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمْ
 ٣٥٦- إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكَتْ
 ٣٥٧- قَالُوا الَّذِي تَبْغِيهِ فَوْقَ عِبَادِهِ
 ٣٥٨- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 ٣٥٩- وَإِلَيْهِ يَضَعُ كُلُّ قَوْلٍ طَيْبٍ
 ٣٦٠- وَالرُّوحُ وَالْأَمَلَاكُ مِنْهُ تَنْزَلَتْ
 ٣٦١- وَإِلَيْهِ أَيْدِي السَّائِلِينَ تَوَجَّهَتْ
 ٣٦٢- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ فَقَدَّرَتْ
- هَذَا وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيزَانِ
 هَذِي الْأَمَانِي هُنَّ شُرَّ أَمَانِي
 وَبَذَلْتُ مَجْهُودِي وَقَدْ أَعْيَانِي
 وَوَرَاءُ نُمَّ يَسَارُ مَعَ أَيَّامِنِ
 كَلًّا وَلَا بَشْرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي
 تُعْزِي مَذَاهِبَهَا ^(٢) إِلَى الْقُرْآنِ
 فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
 لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ
 وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيِي ذِي الشُّكْرَانِ
 وَإِلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
 نَحْوَ الْعُلُوِّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
 مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ قَوْسَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «وكل مطيتي».

(٢) في نسخة الإفتاء: «مذاهبنا».

- ٣٦٣- وَإِلَيْهِ قَدْ رُفِعَ الْمَسِيحُ حَقِيقَةً
 ٣٦٤- وَإِلَيْهِ تَضَعُدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ^(١)
 ٣٦٥- وَإِلَيْهِ آمَالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ
 ٣٦٦- بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ يُفْطَرُوا
 ٣٦٧- وَنَظِيرٌ هَذَا أَنَّهُمْ فُطِرُوا عَلَى
 ٣٦٨- لَكِنْ أُولُو التَّعْطِيلِ مِنْهُمْ أَصْبَحُوا
 ٣٦٩- فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ رُفْقَتِي وَأَحْبَتِي
 ٣٧٠- مَنْ هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُقَالُ لَهُمْ فَقَدْ
 ٣٧١- وَلَهُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةٌ مَا صَالَهَا
 ٣٧٢- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُمْ وَكَلَامَهُمْ
 ٣٧٣- جَاءَ وَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَأَتَيْتُمْ
 ٣٧٤- جَاءَ وَكُمْ بِالْوَحْيِ لَكِنْ جِئْتُمْ
- وَلَسَوْفَ يَنْزِلُ كَمَا يُرَى بَعِيَانٍ
 عِنْدَ الْمَمَاتِ فَتَشْنِي بِأَمَانٍ
 نَحْوَ الْعُلُوبِ بِلَا تَوَاصِي ثَانٍ
 إِلَّا عَلَيْهَا الْخَلْقُ وَالثَّقَلَانِ
 إِفْرَارِهِمْ، لَا شَكَّ بِالذِّيَّانِ
 مَرَضَى بِدَاءِ الْجَهْلِ وَالْخِذْلَانِ
 أَصْحَابَ جَهَمٍ حِزْبَ جِنَكِزْخَانَ
 جَاءُوا بِأَمْرِ مَالِي الْأَذَانَ
 ذُو بَاطِلٍ، بَلْ صَاحِبُ الْبُرْهَانَ
 مِثْلَ الصَّوَاعِقِ لَيْسَ ذَا لِحْبَانَ
 مِنْ تَحْتِهِمْ، مَا أَنْتُمْ سِيَّانِ
 بِنِحَاتَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانَ

الشرح

فهؤلاء فريق من الرفقاء خرجوا في سفر، ثم اختلفوا في مفترق الطُّرُق، فكلُّ إنسانٍ سَلَكَ طريقًا، أو كل طائفة سلكت طريقًا، وسبق الكلام على عدَّة منهم.

(١) في نسخة برلين: «كل روح مُصَدِّق».

يقول - رحمه الله -:

٣٥١- وَأَتَى فَرِيْقُ نُمَّ قَارَبَ وَصَفُهُ هَذَا وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيزَانِ

يعني: أنه قارب الذي قبله، لكنه زاد عليه.

٣٥٢- قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمٍ لَا تُلْهِيْكُمْ هَذِي الْأَمَانِي هُنَّ شَرُّ أَمَانِي

قَوْلُهُ: «الأماني» أي: ما يتمناه الإنسان، لكنه لا يصل إليه، ولذلك يُقال: (مَنْ غَرَّتْهُ الْأَمَانِي لَمْ يَفْزُ بِأَمَانٍ).

فالإنسان تمكبه نفسه الشيء المستحيل، ولكنه يتبع هذه الأمنية فيهلك، والواجب على الإنسان أن يحكم العقل فيما يليق به الشيطان، أو نفسه الأمارة بالسوء على قلبه، حتى يكون مستقيماً في سلوكه إلى الله عز وجل.

٣٥٣- أَنْعَبْتُ رَاحِلَتِي وَكَلَّتْ مُهْجَتِي وَبَدَلْتُ مَجْهُودِي وَقَدْ أَعْيَانِي

يعني: أتعب راحلته في السفر، وطلب الوصول إلى فاطر الأكوان عز وجل.

قَوْلُهُ: «وَبَدَلْتُ مَجْهُودِي وَقَدْ أَعْيَانِي» يعني: بذلت طاقتي.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ أَعْيَانِي» يعني: أتعبني السفر والطلب لفاطر الأكوان.

٣٥٤- فَتَشْتُ فَوْقُ وَتَحْتُ نُمَّ أَمَانَا وَوَرَاءُ نُمَّ يَسَارُ مَعَ أَيَّامَانِ

يعني: فتشت في كل الجهات أطلب هذا الرب، أو أطلب من يدلني على هذا الرب.

٣٥٥- مَا دَلَّنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمْ كَلًّا وَلَا بَشَرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي

٣٥٦- إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكَتْ تُعْزِي مَذَاهِبُهَا إِلَى الْقُرْآنِ

الآن أقرّ هذا الرجل أنه طاف بالأرض، وسار، وتعب، وأعياء، يطلبُ خالقَ الأكوان، ولم يدُلّه عليه إلا طوائفُ بالحديث تَمَسَّكَتْ، وهم أهلُ السُّنَّةِ والجماعة، حيث دَلَّوه على الله عزَّ وجلَّ حقًّا، وهَدَوْهُ إليه، وبَيَّنَّا أنه -سُبْحَانَهُ وتعالى- فوق السموات العُلى.

قَوْلُهُ: «تُعْزَى مَذَاهِبُهَا إِلَى الْقُرْآنِ»، لأنهم هم أهل القرآن وأهل السُّنَّةِ.

٣٥٧- قَالُوا الَّذِي تَبْغِيهِ فَوْقَ عِبَادِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

قَوْلُهُ: «فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ» هنا أَقْرُوا بَعُثُوا اللهُ عزَّ وجلَّ وهو مُحَكٌّ بين أهل التعطيل والتمثيل، وبين أهل السُّنَّةِ والجماعة، ولهذا كثيرًا ما تحصل المناظرة في مسألة العُلُوِّ والاسْتِوَاءِ، كالكلام، فقال: إنهم دَلَّوه بأنَّ الله فوق العباد، وفوق السَّمَاءِ، وفوق كُلِّ مكان.

واستدلَّ المؤلف على عُلُوِّ الله تعالى بِعِدَّةِ أدلة، نأخذها واحدًا واحدًا.

قال -رحمه الله-:

٣٥٨- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» قد دَلَّ على ذلك الكتابُ والسُّنَّةُ، وإجماعُ السلف.

ففي الكتاب: ذَكَرَ اللهُ الاسْتِوَاءَ على العرش في سبعة مواضع، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقد سردها شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في كتابه (العقيدة

الواسطية^(١)، فهو سبحانه استوى على العرش، وأما (استولى) فلا تأتي على العرش، لكنها تأتي على الأكوان، فاستوى على الأكوان يعني: مَلَكَ الأكوانَ كُلَّهَا قبل خَلْق السموات والأرض، ولهذا يُقال: (على العرش استوى، وعلى الملوك استولى).

فإذا قال قائل: ما معنى: استوى على العرش؟

فالجواب: استوى على العرش بمعنى علا على العرش علواً خاصاً، ليس العلو المطلق على جميع المخلوقات، بل هو علوٌ خاص اختصَّ به العرش، ويدلُّ لهذا أنه عُدِّي بـ (على) الدالة على العلو.

ولقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظُّلُكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣] أي: تركبوا عليها، وتعلوا عليها ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٣] أي: إذا استقررتم عليه تذكرون نعمة الله أن يسرَّ لكم من الفلك والأنعام ما تركبون ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣].

إِذْنُ نحن نؤمن بأنَّ معنى (استوى على العرش) يعني: علا عليه، لكن هل هذا العلو يشبه علو الإنسان على السرير، أو على الفلك، أو على الدابة؟

الجواب: لا، لقول الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] واستواؤنا على السرير، وعلى الفلك، وعلى الأنعام استواء افتقار، بدليل أنه لو سُحِبَتْ مِن تَحْتِنَا لَسَقَطْنَا، أما استواء الله على العرش، فهو استواء سلطان وتماثل ملك وعظمة، وليس لافتقاره إلى العرش، بل العرش وكلُّ المخلوقات مفتقرةٌ إلى ربِّها عزَّ وجلَّ، وهو غنيٌّ عنها.

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ٧٠).

أَمَّا أهل التعطيل فقالوا: استوى بمعنى استولى، فأنكروا صفة العظمة والسلطان، وحَوَّلوها إلى معنى دون ذلك بكثير.

وقولهم هذا باطل لِوُجُوهٍ كثيرة، منها:

■ أولاً: لم يأتِ في اللغة أن (استوى) بمعنى (استولى)، فهذه لغة العرب بين أيدينا، فلم يأتِ (استوى على كذا) بمعنى (استولى عليه)، والقرآن نزل باللغة العربية.

■ ثانياً: أنه خلاف إجماع السلف، فلم يُقَلْ أحدٌ من السلف (الصحابة والتابعين والأئمة من بعدهم): إن (استوى) بمعنى (استولى)، فتفسيره بذلك خروج عن الإجماع، وداخلٌ في قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

■ ثالثاً: أنه يلزم عليه لوازم باطلة، منها: أنه إذا كان (استوى) بمعنى (استولى) لزم أن يكون مُلْكُ العرشِ قَبْلَ خَلْقِ السموات والأرض لغير الله، لأنَّ الله قال: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾ [الأعراف: ٤٥] أي: بعد خَلْقِهَا، لأنَّ الاستواء المذكور أتى بـ (ثُمَّ)، فيكون ملكُ العرشِ لغير الله عزَّ وجلَّ، فَمَنْ المالك إذن؟!

وربما يقول قائل أيضاً: قولكم: (استولى على الأكوان) كأنَّ آخَرَ كان مستولياً عليها؟

فالجواب: لا، فهذه لو جاءت بما يقتضي التعقيب كان لا بأس، وابن القيم هنا قال: استولى على الأكوان بدون (ثُمَّ) فليس فيها محذور، أمَّا ابتداءً، فصحيحٌ أنَّ الله استولى على كُلِّ شيءٍ.

لكن لو قال قائل: لِمَ لا نقول: إنه مالك في الأصل؟ نقول: إن ابن القيم اختار (استولى) لأجل أن يردَّ عليهم، لأنه إذا قال: (استوى) بمعنى (استولى) قلنا: يلزم عليه أيضًا أن يصحَّ أن نقول: إن الله استوى على الجبل، واستوى على الأرض، واستوى على البعير، واستوى على الفلك، واستوى على الوادي، لأنه مُستَوٍ على هذا.

ولا يمكن أن يقول بذلك أحد، ولذلك اختار ابن القيم كلمة (استولى) لِبَيِّن هؤولاء الذين قالوا: استوى على العرش بمعنى استولى عليه أنهم أخطئوا، فإن الاستيلاء على كُلِّ شيء، ولذلك قال ابن القيم: «لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ» فأراد -رحمه الله- هنا بهذا الاستدراك أن يردَّ على هؤلاء، كأنه يقول: إنكم ضللتهم، فالاستيلاء على جميع الأكوان، وأما الاستواء، فهو على العرش، أي: خاصُّ بالعرش، فالله استولى على الأكوان حقيقة، فهو وَلِيُّهَا، وهي مِلْكُهُ بلا شك. وبذلك ليس في كلام ابن القيم محذور.

فالخاص أن كلمة (استولى) على الملك، أو (استولى) على الخلق، ليس فيها إشكال، والإشكال في تفسير (استوى) بـ (استولى).

وعلى ذلك فنحن لا نَمْنَعُ أنه استولى على العرش، فمن كمال الله تعالى أن يستوي على كُلِّ شيء.

فَتَبَيَّنَ بِذَلِكَ بَطْلَانَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ (استوى) بمعنى (استولى).

فإذا قال قائل: ألم يقل الشاعر^(١):

قَدِ اسْتَوَى بِشَرِّ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مِهْرَاقِ

(١) البيت للأخطل، كما في تاج العروس: سوو.

«بشر» يعني: بِشَرَ بَنَ مَرْوَانَ، مِنْ أَمْراءِ بَنِي أُمَيَّةَ.

قلنا: قيل هذا، لكن مَنْ القائل؟ هل القائل عربيٌّ فصيحٌ يمكن أن يُحْتَجَّجَ بكلامه؟ الجواب: لا، فقائل هذا مجهول، لا يُعْلَمُ قائله، هذا هو الوجه الأول.

الوجه الثاني: ثُمَّ لو عُلِمَ فهو بعدَ تَغْيِيرِ اللسان، لأنَّ المسلمين لما فتحو البلاد غير العربية تَغَيَّرَت ألسنتهم، كما تَغَيَّرَت ألسنتنا نحن الآن، نحن الآن نخاطِبُ إخواننا مِنَ الباكستانيين والهنود، إذا أردت أن تقول: (لا أدري) تقول: (ما في معلوم)، فهم أخذوا مِنْ لُغتنا، وأخذنا مِنْ لُغتهم، كذلك العرب الفصحاء لما فُتحت البلادُ تأثروا بِلُغَاتِ الأَعاجِم.

الوجه الثالث: نقول: على فرض أن الذي قاله عربيٌّ فصيحٌ قُحٌّ، فاستواؤه على العرش يمكن أن يُفَسَّرَ بمعنى استيلائه، ويمكن أن يُقال: استوى عليه أي: علا عليه علوًّا معنويًّا، لأنه سيطر عليه وفتحه، وحينئذٍ لا دليل فيه إطلاقًا.

الوجه الرابع: ثم على فرض أن فيه دليلًا واضحًا فإنه لا يمكن أن يُقَابَلَ - فضلًا عن أن يعارض - الأدلة الواضحة في القرآن والسنة، وإجماع السلف على أن (استوى على العرش) يعني: (علا عليه).

فالأمر واضح - والله الحمد - ولا إشكال فيه أنه (استوى على العرش) أي: علا عليه علوًّا خاصًّا، ليس كالعلو المطلق على جميع المخلوقات.

قسم ثالث من الناس قال: استوى على العرش كاستواء الإنسان على السرير، وكاستواء الملك على عرش مملكته، وربما مثَّلَ وجلس متربِّعًا، أو ما أشبه ذلك، وهؤلاء المُمَثِّلَة، فَكُلٌّ مِنَ المُمَثِّلَة والمعطَّلة ما قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

ونحن نقول: إنَّ الله تعالى استوى على العرش أي: علا عليه علوًّا خاصًّا

يليق به -جلّ وعلا-، ولا نُكَيِّفه، فلا يجوز لنا أن نسأل عن الكيفية، لأنَّ الكيفيَّةَ مجهولة، ولا يمكن الوصول إلى معرفتها، فكيف نسأل عن شيء لا يمكن الوصول إليه، وما هذا إِلَّا تَنَطُّعٌ في الدِّين، وتَعَمُّقٌ فيه.

وقصة الإمام مالك -رحمه الله- مشهورة أنه سأله رجل وهو في المسجد النبوي قال له: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِي﴾ [طه:٥] كيف استوى؟

فأطرق مالك -رحمه الله- برأسه، وصار يتصبب عرقاً، ثم رفع رأسه وقال: «الاستواء معلومٌ، والكيفُ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ».

والمنقول عنه بلفظ: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ»^(١).

ثم استدَلَّ المؤلف أيضاً على علوّه عزَّ وجلَّ بقوله:

٣٥٩- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ كُلُّ قَوْلٍ طَيِّبٍ وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ

لقول الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠] وهذه الآية من أدلة العلوِّ الذاتيِّ، وجه ذلك: قوله: (إليه) أي: إلى الله يصعد الكلم الطيب.

وهذا يدلُّ على علوّه، ووجه الاستدلال: أنَّ الصعود يعني: الارتفاع، وتقول مثلاً لإنسان: اصعد إلى فلان في الدور الثاني، أي: ارتفع إليه.

قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ يُرْفَعُ سَعْيُ ذِي الشُّكْرَانِ» مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠].

(١) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٥)، عن الإمام مالك بإسناد جودّه الحافظ في الفتح (٤٠٧/١٣).

٣٦٠- وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ مِنْهُ تَنَزَّلَتْ وَإِلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاكُ مِنْهُ تَنَزَّلَتْ» هذا مذكور في سورة القدر في قوله تعالى: ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [القدر: ٤-٥] ونزولها لا يكون إلَّا من أعلى، وهذا نوعٌ ثانٍ للدلالة على العلوِّ، فعروج الأشياء إليه تدلُّ على علوه.

قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ تَعْرُجُ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ»: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، فالنزول يدلُّ على علوه، والعروج إليه يدلُّ على علوه.

٣٦١- وَإِلَيْهِ أَيْدِي السَّائِلِينَ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْعُلُوِّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

أيُّ إنسان يسأل الله تعالى فإنَّ يده تتوجه للأعلى بالفطرة، بدون دراسة، وبدون تعليم، فهذا دليلٌ فطري، فما قال قائلٌ قطُّ: (يا الله) إلَّا ورفع يديه إلى السماء، ولهذا استدلَّ أبو العلاء الهمدانيُّ -رحمه الله-^(١) على أبي المعالي الجويني الفطرة^(٢).

قال: ما تقول في هذا: ما قال عارفٌ قطُّ: (يا الله) إلَّا وجد في قلبه ضرورةً تطلب العلوَّ؟ فبُهِتَ وجعل يضرب على رأسه ويقول: حَيَّرَنِي الهمدانيُّ، حَيَّرَنِي الهمدانيُّ، لأنَّ هذا لا يمكن أن ينكره أحد.

(١) هو أبو العلاء الهمداني الحافظ العلامة المقرئ، شيخ الإسلام الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد ابن محمد بن سهل العطار شيخ همدان، مولده سنة ثمان وثمانين وأربعمئة، برع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى والقصص والسير، مات أبو العلاء في جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمئة. انظر ترجمته في: تذكرة الحفاظ (٤/٨٠).

(٢) انظر: العلو للعلي الغفار (١/١٩٢).

قَوْلُهُ: «نَحَوَ الْعُلُوَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ» أي: بدون تعلّم وبدون تدبّر، فمن حين ما يبتهل الإنسان إلى رَبِّهِ يرفع يديه نحو السماء.

٣٦٢- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ فَقُدِّرَتْ مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ قَوْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ» هذا مثل الأول، فتعرج الأشياء إليه لأنه فوق.

وهذا العروج كان ليلة المعراج، وكان ذلك في مكة قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل: بسنة.

وسبب هذا الاختلاف المتباين أنهم لم يكونوا يستعملون التاريخ من قبل، فالتاريخ لم يُسْتَعْمَلْ ويثبت في الدولة الإسلامية إلا في زمن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فلذا حصل هذا الاختلاف، فيكون مثلاً قد تقدّم المعراج، ولم يطلع عليه أحد، ثم اطلع عليه بعد سنتين، وقال: إنه كان قبل الهجرة بسنة.

وقد عَرَجَ بالنبي ﷺ بجسده وروحه إلى السموات السبع، وأُسْرِيَ به إلى المسجد الأقصى، فهنا إسرائا، وهنا معراج، وكلاهما في ليلة واحدة.

قَوْلُهُ: «فَقُدِّرَتْ مِنْ قُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ قَوْسَانِ» يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ [النجم: ٨-٩] هذا كلامه هنا، وهو أحد القولين في هذه الآية، لكن كلامه في (التبيان في أقسام القرآن)^(١) يخالف ذلك، حيث ذكر في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ [النجم: ٨-٩] أن الذي دنا فتدلى هو جبريل وقرب من النبي ﷺ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى، وليس الله عز وجل وهذا هو الصواب.

(١) انظر: التبيان في أقسام القرآن (ص: ٢٥٦).

ولكن المؤلف -كغيره من المجتهدين- يكون له في المسألة قولان أو أكثر، وهذه من مسائل الأصول التي اختلف فيها السلف -رحمهم الله-.

لكننا لا نشك أن النبي ﷺ عُرِجَ به إلى مكان سَمِعَ فيه صَرِيْفَ الأَقْلَامِ، أي: الأَقْلَامِ التي يُكْتَبُ بها، وصريفها يعني: صوتها عند الكتابة.

٣٦٣- وَإِلَيْهِ قَدْ رُفِعَ الْمَسِيحُ حَقِيقَةً وَلَسَوْفَ يَنْزِلُ كَيْ يُرَى بِعِيَانٍ
هذا أيضًا من النوع الأول، وهو رفع الأشياء إليه.

فالمسيح ابن مريم -عليه السلام- تمالأ عليه قوم من اليهود ليقتلوه، فدخلوا عليه، فرفعه الله عز وجل بجسده، وألقى شبهه على واحد من هؤلاء الذين جاءوا ليقتلوه، فأمسكوا به، فقال لهم: أنا صاحبكم، قالوا: أبدأ، أنت المسيح، فقتلوه وصلبوه، وقالوا: إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ابْتِغَاءَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧] فالآية مؤكدة بنفي، ثم بنفي آخر، ثم توكيد بكلمة (يقينًا).

والعجب أن النصارى من سفههم وضلالهم يقولون: إنه مقتول، ويدعون أنه صلب وفدى نفسه جميع الناس، وهذا من سفههم وضلالهم.

المهم أن المسيح ابن مريم -عليه السلام- رُفِعَ إلى الله حقيقة لا مجازًا، وسوف ينزل في آخر الزمان، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ^(١).

(١) كما في حديث النبي ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُّقْسَطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ، وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ، وَيَنْفِضَ الْمَالَ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢١٠٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكمًا بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم (٢٣٤٤).

فإن قال قائل: هذه المدة الطويلة من أين يأكل، ومن أين يشرب؟
فالجواب: إن طُلبَ منك أن تشتري له خبزًا وأدماً فاشتر، وإن لم يُطلب
فصمَّ فمك، وأعرض عن هذا الكلام، وهذا إيراد سخيف!

فإن قال قائل: يكون عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- أفضل
الصحابة، لأنه نبيُّ، وقد اجتمع به النبيُّ ﷺ في السماء، فيكون أفضل الأمة.

فالجواب أن نقول: إذن قولوا: جميع الأنبياء الذين اجتمع بهم الرسول ﷺ
صحابة، لأنه اجتمع بهم، وشهدوا له بالنبوة والصلاح، ولا يمكنهم أن يدَّعوا
ذلك، وذلك أن أخبار الغيب لا يمكن أن تُعطى أحكام الشهادة.

وقد أجمع المسلمون على أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر الصديق
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أهُمَّ في غفلة عن هذه الحذَلقة، أو هذا التعمُّق؟! ليسوا والله في غفلة، هم
أشدَّ انتباهًا من هؤلاء الذين ادَّعوا هذه الدعوى الباطلة، بل أفضل هذه الأمة هو
الصديق: عبد الله بن عثمان أبو بكر، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان، ثمَّ علي رضي الله عنهم.

قوله: «وَلَسَوْفَ يَنْزِلُ كَيْ يَرَى بَعِيَانٍ» متى ينزل؟

الجواب: ينزل بأمر الله على كُلِّ حال، وذلك فيما إذا عاث الدجال في
الأرض فسادًا، لأنَّ الدجال يبقى في الأرض أربعين يومًا، أول يوم قدره كسنة،
والثاني كشهرا، والثالث كأسبوع، والرابع كسائر الأيام^(١).

ولقد ضلَّ قوم قالوا: إنَّ أول يوم ليس كسنة في الطول، لكن في المشقة
والمعاناة، وإلا فالشمس لا يمكن أن تتغير، فالشمس دورانها واحد.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

وهؤلاء ليس عندهم إيمانٌ بالله عزَّ وجلَّ، لأننا نقول: مَنْ الذي خلق الشمسَ؟ الجواب: الله عزَّ وجلَّ، مَنْ الذي سَيَّرَهَا على هذا الزمن؟ الجواب: الله عزَّ وجلَّ، أليس الخالق الذي سَيَّرَهَا على هذا الزمن بقادر على أن يمنع سيرها؟ الجواب: بلى والله، لكن لما نقص إيمانهم، وعجزت عقولهم عن إدراك ما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ قالوا هذه الدعوى.

ويدلُّ لهذا أنَّ مَنْ هُمْ أفضل منهم، وأصحَّ عُقُولًا، وأقوى فَهْمًا فهموا أن الطولَ طولَ زمن، وليس طولَ مَشَقَّة، فقالوا: يا رسول الله، هذا اليوم الذي كَسَنَتْه هل تكفينا فيه صلاةً يوم واحد؟ قال: «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»^(١). فأقرَّهم النَّبِيُّ ﷺ على فَهْمِهِمْ، وأزال عنهم الإشكالَ بأنَّ هذا اليوم الطويل الذي قَدْرُهُ اثنا عشر شهرًا يُصَلِّي فيه صلاةً اثني عشر شهرًا.

٣٦٤- وَإِلَيْهِ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ عِنْدَ الْمَمَاتِ فَتَشْنِي بِأَمَانٍ قَوْلُهُ: «بِأَمَانٍ» أَي: إِلَى اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ» أَي: كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَتَخْرِقُ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، حَتَّى تَصِلَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَيَأْمُرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِأَنْ تُعَادَ إِلَى الْأَرْضِ إِلَى جَسَدِهَا الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ فِي الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: «فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»^(٢).

تأمل - سبحانه الله - شأن الروح، فهو عجيب جدًا، وشأن الملائكة أيضًا

(١) هو بقية الحديث السابق.

(٢) أخرجه أحمد (٢٨٧/٤، رقم ١٨٥٥٧)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣) واللفظ لأحمد.

عجيب، في هذه اللحظات التي يُغَسَّل فيها الميت، وَيُكْفَنُ وَيُدْفَنُ تصعد الروحُ إلى أعلى شيء، فتخرق السموات، وتمر بالملائكة، وَيَشْمُون رائحتها الطيبة، ثم تعود حتى تكونَ في جسدها في القبر، وهذا مما يدلُّ على أَنَّ الأرواحَ والملائكةَ لها شأنٌ غير شأن هذه الأجسام الثقيلة.

٣٦٥- وَإِلَيْهِ آمَالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ الْعُلُوِّ بِلَا تَوَاصِي ثَانٍ قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ آمَالُ الْعِبَادِ تَوَجَّهَتْ» هذا من النوع الثالث، وهو الفِطْرَة، ولهذا قال بعد ذلك: (بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ).

فكُلُّ الْعِبَادِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ تَجِدُ قُلُوبَهُمْ مَعْلَقَةً بِالْعُلُوِّ، وهذا بدون أيِّ قراءة وأيِّ تلقين.

٣٦٦- بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي لَمْ يُفْطَرُوا إِلَّا عَلَيْهَا الْخَلْقُ وَالْثَقَلَانِ قَوْلُهُ - رحمه الله - : «بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ» أي: بل هي فطرة الله.

والفِطْرَة هي أول الخلق كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١] وقال النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»^(١).

قَوْلُهُ: «الْخَلْقُ» بدل من نائب الفاعل، وهو الواو في (يفطروا)، ويجوز أن تكون من لغة (أكلوني البراغيث)، وبعض الناس يُعَبِّرُ عن ذلك فيقول: (أكلوه البراغيث)، لكن لا حرج أن تقول: (أكلوني البراغيث)، لأنه مثالٌ قاله عَرَبِيٌّ فَتَحَكِّي قَوْلَهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، رقم (١٣٨٥)، مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم (٢٦٥٨).

٣٦٧- وَنَظِيرُ هَذَا أَنَّهُمْ فُطِرُوا عَلَى إِقْرَارِهِمْ، لَا شَكَّ بِالِدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ هَذَا» أَي: نظير إقرارهم بعلو الله إقراراً فطرياً أَنَّهُمْ أَقَرُّوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَقْتَضَى الْفِطْرَةِ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَعْرِفُ أَنَّ لَهُ رَبًّا، وَأَنَّ لَهُ إِلَهًا، لَكِنْ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِيهِ أَوْ يَنْصَرَانِيهِ أَوْ يِمَجَّسَانِيهِ»^(١).

٣٦٨- لَكِنْ أَوْلُو التَّعْطِيلِ مِنْهُمْ أَصْبَحُوا مَرْضَى بِدَاءِ الْجَهْلِ وَالْخِذْلَانِ

يشير إلى أن أهل التعطيل الذين سبق ذكْرهم، هؤلاء -والعياذ بالله- أصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان.

٣٦٩- فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ رُفْقَتِي وَأَحِبَّتِي أَصْحَابَ جَهْمٍ حِزْبَ جِنَكِزْخَانَ^(٢)

هذا الرجل كأنه في أول الأمر من الجهمية ثم دُلَّ على أهل الحديث.

٣٧٠- مَنْ هُوَ لَاءٍ وَمَنْ يُقَالُ لَهُمْ فَقَدْ جَاءُوا بِأَمْرِ مَالِي الْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «مَالِي الْأَذَانِ» يَعْنِي: أَنَّ الْأَذَانَ لَا تَسْمَعُ لغيره، لأنها امتلأت

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٨). ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

(٢) جنكزخان: السلطان الأعظم للتر أبو ملوكهم ولد سنة (٥٥٨هـ)، وكان ابتداء ملكه سنة (٥٩٩هـ)، وحصل من جيوشه من الفساد والدمار لبلاد المسلمين ما يشيب له المولود، ويتحير منه الحليم، وهلك سنة (٦٢٤هـ) عن ٦٦ سنة بعد أن خلف امبراطورية كبيرة حيث تمت له السيطرة على شمال الصين سنة (٦١٠هـ) والاستيلاء على تركستان وإيران وروسيا حتى وصلت سيطرته إلى الخليج العربي، وغزا ابنه أوروبا حتى وصل ألمانيا والمجر سنة (٦٣٩هـ)، وأسس حفيده الامبراطورية المغولية في الصين، واتخذ بكين عاصمة له، وكان المغول وثنيين ثم إن بعضهم دخل في الإسلام وأسسوا الامبراطورية المغولية الإسلامية في الهند، ومنغوليا التي ظهر منه التتر إقليم في شرق آسيا يقع بين سيبيريا والصين. [الشارح].

واقنعت، ولا يمكن أن يدخلها شيء آخر سواه.

٣٧١- وَلَهُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةٌ مَا صَالَهَا ذُو بَاطِلٍ، بَلْ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «لَهُمْ عَلَيْنَا» أي: لأهل الحديث صولة عظيمة، ما صالها أحدٌ إلا صاحب البرهان، فإنه يصول ببرهانه ودليله.

٣٧٢- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَهُمْ وَكَلَامَهُمْ مِثْلَ الصَّوَاعِقِ لَيْسَ ذَا لِحَبَانِ

يعني أن قولهم لا يمكن دفعه، وقولهم قاضي على كل ما يقوله أهل التعطيل.

وهذا الذي ذكره ابن القيم - رحمه الله - على هذه الصفة من باب التمثيل، لأن التمثيل بمثل هذه الأمور الحسنة للأمور المعنوية يُعطي الكلام جمالاً.

٣٧٣- جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَأَنْتُمْ مِنْ تَحْتِهِمْ، مَا أَنْتُمْ سَيِّئَانِ

أيها أبلغ: أن يأتيك الإنسان من فوق، أو من تحت؟ الجواب: من فوق، ولهذا إذا جاء العدو من فوق سيطر عليك بلا شك، وفرق عظيم بين أن يرميك من أعلى الجبل، وأنت ترميه من أسفل.

فيقول: إن هؤلاء أتوكم من فوق، وأنتم أتيتوهم من تحت، فما هذان سيئين

٣٧٤- جَاءُوكُمْ بِالْوَحْيِ لَكِنْ جِئْتُمْ بِنَحَائَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ

وأيها أبلغ؟ الجواب: من جاء بالوحي.

- ٣٧٥- قَالُوا مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ فَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَّوَانٍ
 ٣٧٦- وَالْعَنَّهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا^(١) وَاعْزُهُمْ بِعَسَاكِرِ التَّعْطِيلِ غَيْرِ جَبَانٍ
 ٣٧٧- وَاحْكُمْ بِسَفْكِ دِمَائِهِمْ وَبِحَبْسِهِمْ أَوْ لَا فَشَرِّدْهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ
 ٣٧٨- حَذَّرْ صِحَابَكَ مِنْهُمْ فَهُمْ أَضَلُّ لُ مِنْ الْيَهُودِ وَعَابِدِي الصُّلْبَانِ
 ٣٧٩- وَاحْذَرْ مُجَادِلَهُمْ بِقَالَ اللَّهِ أَوْ قَالَ الرَّسُولِ فَتَنْتَنِي بِهِوَانٍ
 ٣٨٠- أَنَّى وَهُمْ أَوْلَى بِهِ قَدْ أَنْفَذُوا فِيهِ قُوَى الْأَذْهَانِ وَالْأَبْدَانِ
 ٣٨١- فَإِذَا ابْتُلَيْتَ بِهِمْ فَغَالِطُهُمْ عَلَى التَّأْوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٣٨٢- وَكَذَلِكَ غَالِطُهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْآحَادِ، ذَانِ لِصَحْبِنَا أَضْلَانِ

الشرح

- ٣٧٥- قَالُوا مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ فَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَّوَانٍ
 قَوْلُهُ: «قَالُوا: مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ» القائل أهل التعطيل من الجهمية وغيرهم، فهم يقولون عن أهل الحديث: إنهم مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ، مُشَبَّهَةٌ، لأنهم أثبتوا الصفات، وادَّعى هؤلاء المعطلة أن كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَقَدْ مَثَّلَهُ بِخَلْقِهِ إِذَا كَانَ لِلْمَخْلُوقِ مِثْلُهَا، هَكَذَا قَاعَدْتَهُمْ، وَقَالُوا: مُجَسَّمَةٌ، لِأَنَّهُ سَبَقَ لَنَا الْكَلَامُ فِي هَذَا، وَبَيَّنَّا أَنَّ التَّجْسِيمَ لَمْ يَرِدْ إِثْبَاتُهُ، وَلَا نَفْيُهُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَأَنَّهُ حَادِثٌ، وَأَنَّ لَفْظَهُ لَا يَثْبُتُ، أَمَّا مَعْنَاهُ فَيُسْتَفْصَلُ فِيهِ.

(١) في نسخة برلين: «كثيراً».

قَوْلُهُ: «فَلَا تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَوَانٍ» لا تسمع مقالته، فإنه حيوان، يعني كالبهائم.

وهذا خطأ، فهم المستحقون لهذا الوصف.

٣٧٦- وَالْعَنَهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا وَاعْزُهُمْ بِعَسَاكِرِ التَّعْطِيلِ غَيْرِ جَبَانٍ

هذا من شيم أهل التعطيل، وأهل البدعة أنهم يُقَابِلُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالشَّتَائِمِ وَاللَعْنَاتِ، وَأَهْلَ السُّنَّةِ لَا يُقَابِلُونَهُمْ بِهَذَا، أَهْلُ السُّنَّةِ لَا تَسْمَعُ لَهُمْ لَعْنًا لِأَهْلِ الْبِدْعِ، وَإِنَّمَا يُقَابِلُونَهُمْ بِالْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ، أَمَا هَؤُلَاءِ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ إِلَّا الصِّيَاحُ، وَاللَعْنُ، وَالسَّبُّ، وَالشَّتْمُ.

قَوْلُهُ: «وَاعْزُهُمْ بِعَسَاكِرِ التَّعْطِيلِ» الذي يغزو بعساكر التعطيل مخذولٌ على كل حال، وعساكر التعطيل هم أهل التعطيل جميعهم.

قَوْلُهُ: «غَيْرِ جَبَانٍ» يعني: كن غير جبان، هو يدعي الآن أنه بطل، وأنه شجاع، وأنَّ معه أممًا، ولكن ما أسرع أن يُخَذَلَ.

٣٧٧- وَاحْكُمْ بِسَفْكِ دِمَائِهِمْ وَبِحَبْسِهِمْ أَوْ لَا فَشَرِّدْهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ

ثم أمروا بهذا الحكم وهو (سَفْكِ دِمَائِهِمْ وَبِحَبْسِهِمْ أَوْ لَا فَشَرِّدْهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ).

وهذا كما قال الله عزَّ وجلَّ عن قريش: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠] هذا الشيء نفسه، فهم يطالبون بِقَتْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ، يعني: أهل الحديث، فهذا حُكْمٌ، أو حبسهم، يعني: حبسًا مؤبَّدًا، وهذا حُكْمٌ آخر.

والثالث: «أَوْ لَا» يعني: إن لم تحكم بهذا، ولا بهذا فشَرِّدْهُمْ عَنِ الْأَوْطَانِ،

فهذا حُكْمٌ صَادِرٌ مِنْ أَصْحَابِ الْجَهْمِ وَأَصْحَابِ جَنْكِزْخَانَ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ. نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٣٧٨- حَدَّرَ صِحَابَكَ مِنْهُمْ فَهُمْ أَضَلُّ لُ مِنَ الْيَهُودِ وَعَابِدِي الصُّلْبَانَ

نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ! حَدَّرَ أَصْحَابَكَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ، فَهُمْ أَضَلُّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى! وَالنَّصَارَى هُمْ عَابِدُو الصُّلْبَانَ، فَهُمْ يَقُولُونَ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ هَذَا، حَتَّى يُنْفَرُوا النَّاسَ مِنْهُمْ.

٣٧٩- وَأَحَدَرْتُ مُجَادِلَهُمْ بِقَالَ اللَّهِ أَوْ قَالَ الرَّسُولُ فَتَشَنَّبِي بِهِ وَانِ

يعني: لا تستدلّ عليهم بقال الله وقال رسوله، لأنك لن تجد دليلاً، وسوف تكون مهزوماً، لأنّ معهم الكتاب والسُّنَّةَ، لكن نجادلهم بما يدعونه عقلاً بالهذيان الذي لا خير فيه.

أما أن تقول لهم: الدليل قول الله تعالى فسوف (تشنبي به وان)، يعني: تنهزم وتكون مغلوباً.

٣٨٠- أَنَى وَهُمْ أَوْلَى بِهِ قَدْ أَنْفَدُوا فِيهِ قُوى الْأَذْهَانَ وَالْأَبْدَانَ

قَوْلُهُ: «أَنَى» يعني: كيف تجادلهم بقال الله وقال الرسول ﷺ (وَهُمْ أَوْلَى بِهِ) يعني: كيف تجادلهم وهم أولى به منك؟! أولى بقال الله وقال رسوله صلى الله عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «أَنْفَدُوا فِيهِ قُوى الْأَذْهَانَ وَالْأَبْدَانَ» قُوى الأبدان: يسهرون الليل، ويتعبون النهار في حفظ الحديث، والبحث فيه، وكذلك أيضاً قُوى الأذهان في التأمل - جزاهم الله خيراً - كيف تجادلهم بها وهم أولى بها منك؟!

٣٨١- فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِهِمْ فَعَاظَهُمْ عَلَى التَّوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِهِمْ» أي: بأهل الحديث، يعني إذا قَدَّرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَجْلِسَ وَإِيَّاهُمْ فِي مَجْلِسٍ، فهذه على رأيه بَلَوَى، فماذا تصنع؟

يقول: «فَعَاظَهُمْ عَلَى التَّوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ» يعني: قل: المرادُ بكذا كذا، المراد بـ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أي: جاء أمر ربك، والمراد بـ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] أي: يأتي أمر الله، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] وَيُسَبِّهُونَ وَيُلْبَسُونَ، فيقولون هذا الكلام، ويؤولون بحجة أن القرآن يُفَسَّرُ بعضه بعضًا، وأن الآية الأخيرة تُفَسَّرُ ما سبق.

فنقول: لو كان في الآية المذكورة إجمال، أو توجد احتمالات، لقلنا: القرآن يُفَسَّرُ بعضه بعضًا، لكن قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] هذه آية واضحة لا تحتاج إلى أن نحملها على الأخرى.

ويقال: هذا الذي ذكرتم إنما نحتاج إليه إذا كان في الآية إجمال فسرتَه الآية الأخرى.

طبعًا ربما يصيحون في وجه الإنسان حتى ينهزم، ولكنهم مخذولون، والحمد لله على كُلِّ حال.

وَقَوْلُهُ: «فَعَاظَهُمْ عَلَى التَّوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ» هذا واحد.

٣٨٢- وَكَذَلِكَ غَاظَهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلْأَحَادِ، ذَانِ لِصَاحِبِنَا أَضْلَانِ

فصاروا يوصي بعضهم بعضًا بالمغالطة، إما بالتأويل إذا لم يمكنهم تكذيب النص، لأنهم لو جاءوا بآية، فلا تستطيع أن تكذبها، فما العمل، يقول: أوّل، وإذا جاءوا بحديث متواتر، فلا تستطيع أن تكذبهم أيضًا، ولذا فأوّل.

أو بالتكذيب إذا كان الخبرُ خبرَ آحاد، وقل: هذا كَذِب، ولذلك عند هؤلاء المتكلمين المعطّلة لا يُستدلُّ بأخبار الآحاد في العقائد مهما كانت صحّتها، فصار يَرُدُّ على أهل السنّة بالتأويل - إن لم يمكن التكذيب - وبالتكذيب إذا كان الخبرُ خبرَ آحادٍ، ويقول: هذان أصلان لأصحابنا. وبئس الأصلان.

لكن ما المراد بالتأويل هنا؟ الجواب: فيما نرى أن تأويل هؤلاء يعني: التحريف.

- ٣٨٢- أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخَنَا أَشْيَاخُهُمْ فَاحْفَظْهُمَا بِيَدَيْكَ وَالْأَسْنَانَ
 ٣٨٤- وَإِذَا اجْتَمَعْتَ وَهُمْ بِمَشْهَدٍ مَجْلِسٍ فَأَبْدُرْ بِإِيرَادٍ وَشَغْلِ زَمَانٍ
 ٣٨٥- لَا يَمْلِكُوهُ عَلَيْكَ بِالْأَنَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالتَّفْسِيرِ لِلْفُرْقَانِ
 ٣٨٦- فَتَصِيرَ - إِنْ وَافَقَتْ - مِثْلَهُمْ، وَإِنْ عَارَضَتْ زَنْدِيقًا أَخَا كُفْرَانٍ
 ٣٨٧- وَإِذَا سَكَتَ ^(١) يُقَالُ: هَذَا جَاهِلٌ فَأَبْدُرْ وَلَوْ بِالْفَشْرِ وَالْهَدْيَانِ
 ٣٨٨- هَذَا الَّذِي أَوْصَى بِهِ أَشْيَاخَنَا فِي سَالِفِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ ^(٢)

الشرح

- ٣٨٢- أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخَنَا أَشْيَاخُهُمْ فَاحْفَظْهُمَا بِيَدَيْكَ وَالْأَسْنَانَ
 قَوْلُهُ: «أَوْصَى بِهَا أَشْيَاخَنَا أَشْيَاخُهُمْ» أي: بهذين الأصلين، وهما: التأويل الذي هو تحريف، والتكذيب.

(١) في نسخة الإفتاء: «سئلت».

(٢) في نسخة الحلبي: هَذَا الَّذِي - وَاللَّهِ - أَوْصَانَا بِهِ أَشْيَاخُنَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَاخْفِظْهُمَا بِيَدَيْكَ وَالْأَسْنَانَ» يعني: أمسكهما باليدين وبالأسنان، لكي يكون الإمساك قويا ثلاثياً، قال النبي ﷺ في سنته: «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»^(١). فهؤلاء أوصوا بالتمسك بما هم عليه من الباطل والعص عليه بالأسنان.

٣٨٤- وَإِذَا اجْتَمَعَتْ وَهُمْ بِمَشْهَدٍ مَجْلِسٍ فَأَبْدُرْ بِإِيرَادٍ وَشَغَلِ زَمَانَ

يعني: إذا اجتمعت في مجلس معهم بادر بآيرادات، لو قال قائل كذا فالجواب كذا، اشغل المجلس بهذه الإيرادات أو بـ(السواليف) كما يقول العوام، فلا تجعلهم هم الذين يبدوون، لأنهم إن بدؤوا فهي مشكلة، لكن ابدأ أنت بالتكلم، وهذا كما صنعه حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما أرسله النبي ﷺ إلى الأحزاب ليسبر القوم، فوجد أبا سفيان ومن حوله وكأنهم خافوا، فقال أبو سفيان: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَن جَلِيسُهُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: فَأَخَذْتُ بِيَدِ الرَّجُلِ الَّذِي إِلَى جَنْبِي، فَقُلْتُ: مَن أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا فُلَانٌ بَنُ فُلَانٍ^(٢).

فهو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بادر، وهذه من السياسة، وهؤلاء أوصوا أصحابهم أن يبادروا بالكلام، حتى يسيطروا على المجلس.

٣٨٥- لَا يَمْلِكُوهُ عَلَيْكَ بِالْآثَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالْتَفْسِيرِ لِلْفُرْقَانِ

يعني: إن بدؤوا فسوف يبدوون بالآثار من الكتاب والسنة والأخبار والتفسير للفرقان.

(١) أخرجه أحمد (٣٧٣/٢٨)، رقم (١٧١٤٤)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٧)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعو إلى الإسلام، رقم (١٧٧٣).

٣٨٦- فَتَصِيرَ - إِنْ وَافَقْتَ - مِثْلَهُمْ، وَإِنْ عَارَضْتَ زَنْدِيقًا أَخَا كُفْرَانَ

صحيح، إذا بدؤوا بالكتاب والسنة، فإن وافقهم صار مثلهم مجسماً مشبهاً، وإن خالفهم، فهو كافرٌ زنديق عند أهل المجلس الآخرين، لأنه خالف الكتاب والسنة، فهذه سياسةٌ في باب المجادلة، أنك إذا اجتمعت مع شخص باطل فابدأ أنت، حتى يكون مقامه مقام مدافع، لا مقام مهاجم.

٣٨٧- وَإِذَا سَكَتَ يُقَالُ: هَذَا جَاهِلٌ فَابْدُرْ وَلَوْ بِالْفُشْرِ وَالْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا سَكَتَ» هذا هو الاحتمال الثالث.

الاحتمال الأول: أن يوافق، فيكون ممثلاً مجسماً.

الاحتمال الثاني: أن يعارض، فيكون زنديقاً ملحدًا.

الاحتمال الثالث: أن يسكت، وإن سكت قالوا: هذا جاهل.

قَوْلُهُ: «فَابْدُرْ» يعني: بادر أنت.

قَوْلُهُ: «وَلَوْ بِالْفُشْرِ وَالْهَدْيَانِ» الفشر يعني: الكذب.

وهذه وصايا لا شك أنها وصايا نافعة لو كانت في حق، أما إذا كانت في

باطل فهي باطلة.

٣٨٨- هَذَا الَّذِي أَوْصَى بِهِ أَشْيَاخُنَا فِي سَالِفِ الْأَوْقَاتِ وَالْأَزْمَانِ

فانظر إلى هذا الحزب كيف أوصوا أصحابهم بأن يكون الكلام له أولاً، فإن

ملكوه عليه فليحذر، لأنه لا تخلو حاله من الاحتمالات الثلاثة السابقة.

- ٣٨٩- فَرَجَعْتُ مِنْ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي
 وَمَطِيَّتِي قَدْ آذَنْتِ بِحِرَانِ
 ٣٩٠- عَطَّلَ رِكَابَكَ وَاسْتَرَحَّ مِنْ سَيْرِهَا
 مَاءٌ شَيْءٌ غَيْرُ ذِي الْأَكْوَانِ
 ٣٩١- لَوْ كَانَ لِلْأَكْوَانِ رَبُّ خَالِقِ
 كَانَ الْمُجَسَّمُ صَاحِبَ الْبُرْهَانِ
 ٣٩٢- أَوْ كَانَ رَبُّ بَائِنٌ عَنِ ذِي الْوَرَى
 كَانَ الْمُجَسَّمُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ
 ٣٩٣- وَلَكَانَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْلَى الْخَلْقِ بِإِدِّ
 إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 ٣٩٤- وَلَكَانَ هَذَا الْحِزْبُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ
 لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
 ٣٩٥- فَدَعِ التَّكَالِيفَ الَّتِي حُمِّلْتَهَا
 وَاخْلَعْ عِذَارَكَ وَارْمِ بِالْأَرْسَانِ
 ٣٩٦- مَا نَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَمْ
 يَتَكَلَّمِ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْآنِ
 ٣٩٧- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ نَاطِرٌ
 لَزِمَ التَّحِيُّزُ وَافْتِقَارُ مَكَانِ
 ٣٩٨- لَوْ كَانَ ذَا الْقُرْآنُ عَيْنَ كَلَامِهِ
 حَرْفًا وَصَوْتًا كَانَ ذَا جُثْمَانِ
 ٣٩٩- فَإِذَا انْتَفَى هَذَا وَهَذَا مَا الَّذِي
 يَبْقَى عَلَى ذَا النَّفْيِ مِنْ إِيْمَانٍ؟!
 ٤٠٠- فَدَعِ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ لِأَهْلِهِ
 فَهِيَ السَّيَاحُ لَهُمْ عَلَى الْبُسْتَانِ
 ٤٠١- فَاخْرِقْهُ ثُمَّ ادْخُلْ تَرَى فِي ضَمْنِهِ
 قَدْ هَيَّيْتُ لَكَ سَائِرُ الْأَلْوَانِ
 ٤٠٢- وَتَرَى بِهَا مَا لَا يَرَاهُ مُحَجَّبٌ
 مِنْ كُلِّ مَا تَهْوَى بِهِ زَوْجَانِ
 ٤٠٣- وَاقْطَعْ عِلَاقَتِكَ الَّتِي قَدْ قِيدَتْ
 هَذَا الْوَرَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 ٤٠٤- لِتَصِيرَ حُرًّا لَسْتَ تَحْتَ أَوْامِرِ
 كَلًّا وَلَا تَهْيِي وَلَا فُرْقَانِ

الشرح

٣٨٩- فَرَجَعْتُ مِنْ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي وَمَطِيَّتِي قَدْ أَدْنَتْ بِحِرَانِ

قَوْلُهُ: «وَمَطِيَّتِي قَدْ أَدْنَتْ» يعني: أَعْلَمْتُ بِحِرَانِ، والحِرَانُ هو الوقوف من التعب والإعياء، بحيث لا تستطيع الدابة أن تمشي.

يقول:

٣٩٠- عَطَلُ رِكَابِكَ وَاسْتَرَّخَ مِنْ سَيْرِهَا مَا تَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «عَطَلُ رِكَابِكَ» هذا مقول القول في البيت السابق.

وهذا يريد - وهو صاحبُ غاشٍّ أشدَّ الغشِّ - من صاحبه أن يُنكر الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، ويقول: لا يوجد ربُّ أصلاً، فلا توجد إلا هذه الأكوان، أرضٌ تَبْلَعُ، وأرحامٌ تدفع.

٣٩١- لَوْ كَانَ لِلْأَكْوَانِ رَبٌّ خَالِقٌ كَانَ الْمُجَسِّمُ صَاحِبَ الْبُرْهَانِ

يعني لو ثبت أن للخلق خالقاً، صار المُجَسِّمُ - وهو المُثَبِّتُ للصفات - هو صاحب البرهان، أي: صاحب الدليل. فهو يقول: لو كان هذا أمراً ثابتاً لكان الحقُّ مع أهل التجسيم، وأهل التجسيم هم أهل السُّنَّةِ والجماعة.

فنقول: الحمد لله، الإيمان بوجود الله عزَّ وجلَّ أمرٌ فطريٌّ، لا ينكره أحدٌ إلا مكابرةً، وبناءً على ذلك يكون الحقُّ مع المُثَبِّتِ بإقرار هذا الزنديق.

٣٩٢- أَوْ كَانَ رَبُّ بَائِنٌ عَنِ الْوَرَى كَانَ الْمُجَسِّمُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «بَائِنٌ» يعني: أن الخالق شيءٌ والمخلوق شيءٌ آخر.

٣٩٣- وَلَكَانَ عِنْدَ النَّاسِ أَوْلَى الْخَلْقِ بِإِدِّ إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
والواقع أن هذا هو الحق، أن للعالم خالقاً، وأن له رباً بائناً من خلقه
عزَّ وجلَّ، وأنَّ الحقَّ مع المُثَبِّتَةِ الَّذِينَ يُسَمِّيهِمْ هُوَ لَاءِ مُجَسِّمَةً.

٣٩٤- وَلَكَانَ هَذَا الْحِزْبُ فَوْقَ رُءُوسِهِمْ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
ونقول: نعم، هو فوق رؤوسهم معنًى لا شك، وحسباً هو الأصل، فالأصل أن
العاقبة للمتقين، وأنَّ أنصارَ الرحمن هم الأعلون، لكن قد يتخلف هذا، إما لفوات
الشرط أو وجود مانع، أو لعقوبة يجعلها الله عزَّ وجلَّ لأعداء المسلمين تأديباً لهم.

٣٩٥- فَدَعِ التَّكَالِيفَ الَّتِي حُمِّلْتَهَا وَاخْلَعْ عِدَارَكَ وَارْزِمِ بِالْأَرْسَانِ
قال في (القاموس)^(١): العِدَارُ مِنَ اللَّجَامِ: مَا سَالَ عَلَى حَدِّ الْفَرَسِ.

يقول: انسلخ من الإسلام ودع التكاليف (واخلع عذارك وارزم بالأرسان)
يعني: اخلع الرِّسَنَ الذي تقود به الحصان، وارزم به بالأرض، وتمَّ نومةً، لكنها
نومة خزي، وليست نومة راحة.

٣٩٦- مَا تَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَمْ يَتَكَلَّمِ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْآنِ
هؤلاء نفاة الفوقية، ونفاة الكلام، مثل الجهمية ينكرون علو الله عزَّ وجلَّ،
وينكرون أن يكون تكلم بالقرآن، بل خلق القرآن عندهم.

٣٩٧- لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ نَاطِرٌ لَزِمَ التَّحْيِيزُ وَافْتِقَارُ مَكَانِ
قَوْلُهُ: «لَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ نَاطِرٌ لَزِمَ التَّحْيِيزُ» نقول: هذا التحيز الذي

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة: عذر.

ألزمتهم به أهل السُّنَّة ماذا تعنون به؟ أتعنون به أنه مُنْحَازٌ عن المخلوقات، بائنٌ منها؟ فهذا حَقٌّ لا شك فيه، أم تعنون: أنه محصور بمخلوق؟ فهذا باطل، وهذا باعتبار المعنى.

أما باعتبار اللفظ فما مَوْقِفُنَا منه؟ القاعدة: لا تُثْبِتُ ولا تُنْفِي، ونؤمن بأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ مُنْحَازٌ عن المخلوقات، بائنٌ منها، وليس شيءٌ يحوزه من مخلوقاته.

٣٩٨- لَوْ كَانَ ذَا الْقُرْآنُ عَيْنَ كَلَامِهِ حَرْفًا وَصَوْتًا كَانَ ذَا جُثْمَانِ

الضمير في (كَانَ) يعود على الله، يعني: لو كان القرآنُ عينَ كلامِ الله حرفًا وصوتًا، لكان الله (ذا جُثْمَانِ)، وهو قريبٌ من قوله: (جِسْمِ)، وقد تَقَدَّمَ قولنا في الجِسْمِ.

٣٩٩- فَإِذَا انْتَفَى هَذَا وَهَذَا مَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى ذَا النَّفْسِ مِنْ إِيْمَانٍ؟!

إذا انتفى أن يكون فوق العرش، وأن يكون القرآنُ كلامه، فماذا يكون؟ الجواب: انتفتِ الربوبيةُ الحقُّ، وانتفى الوحيُّ والشرعُ، وصار الناس لا يعملون بشرع الله، لأنَّ القرآنَ لو كان مخلوقًا إنَّ نظرنا إلى الأصوات صارت هذه الأصوات كأنها زَجْرَةٌ الرَّعْدِ، خلق الله أصواتًا على هذا النحو.

وإن كان مكتوبًا صار كأنه نُقُوشٌ، لا يحتوي على أمرٍ، ولا نهيٍ، ولا خبرٍ، ولا استفهام، ما دام أنه مخلوق، فيكون كخُلُقِ الثُّرَيَّا مثلاً، نجومٌ مجتمعة على شكلٍ مُعَيَّنٍ، كذلك نقول: هذه حروف مجتمعة على شكلٍ مُعَيَّنٍ، خلقها الله هكذا.

وإن كان مجرد أصوات مخلوقة، صار كأنه الرعد والصواعق، ولا يدلُّ على شيء، ولذلك مَنْ قال: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ، لزم منه إبطالُ الشريعة كلها، فلا يحتوي على أمرٍ ولا نهيٍ، ولا استفهام، ولا خبر.

٤٠٠- فَدَعَ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ لِأَهْلِهِ فَهَمَّا السِّيَاحُ لَهُمْ عَلَى الْبُسْتَانِ

قَوْلُهُ: «دَعَ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ» يعني: لا تَقُلْ: هذا حلال أفعله، وهذا حرام أتركه، ودَعَّهْمَا: أي: دَعِ الْإِلْتِزَامَ بِهِمَا، افْعَلْ مَا تَشَاءُ، وَكُنْ حُرًّا، لِأَنَّ التَّحْلِيلَ وَالتَّحْرِيمَ هُوَ السِّيَاحُ، وَالسِّيَاحُ هُوَ الَّذِي يُجْعَلُ مِنْ شَبَكٍ، أَوْ نَحْوِهِ عَلَى الْبُسْتَانِ لِيَحْمِيَهُ مِنْ دُخُولِ أَحَدٍ عَلَيْهِ.

ومعلوم أن الذي يحمي العقيدة هو العمل بالحلال، واجتناب الحرام، فالحلال والحرام عبارة عن حائط يحوط الإيوان، ويمنعه من أن يناله سوء من الخارج، ولذلك تجد الإنسان إذا ترك الحرام لله عزَّ وجلَّ يَقْوَى إِيْمَانُهُ، وَإِذَا فَعَلَ الْوَاجِبَ تَقَرَّبَ اللَّهُ يَقْوَى إِيْمَانُهُ، فَهَذِهِ الْحُدُودُ - كَمَا سَمَّاهَا اللَّهُ حَدُودًا - تَحْفَظُ الْقَلْبَ، وَكُلَّمَا كَانَ هَذَا السِّيَاحُ أَقْوَى كَانَ الْإِيْمَانُ أَحْفَظَ.

ولهذا نقول: إن الأعمال الصالحة بمنزلة المطر يسقي الشجر، وشجرة الإيوان هي شجرة في القلب، ولكن الأعمال الصالحة تُغْذِيهَا وَتُنَمِّيْهَا، وَلِذَلِكَ كُلَّمَا عَمِلَ الْإِنْسَانُ عَمَلًا صَالِحًا عَلَى الْوَجْهِ الْمَطْلُوبِ مِنْهُ يَجِدُ أَنَّ إِيْمَانَهُ يَقْوَى وَيَزْدَادُ، وَيَزْدَادُ قُرْبًا مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ كَالْمِيَاهِ لِلْأَشْجَارِ.

٤٠١- فَاحْرِقْهُ ثُمَّ ادْخُلْ تَرَى فِي ضِمْنِهِ قَدْ هَيَّئْتُ لَكَ سَائِرَ الْأَلْوَانِ

يعني: احْرِقْ هَذَا السِّيَاحَ تَجِدُ كُلَّ شَيْءٍ أَمَامَكَ مِمَّا تَشْتَهِيهِ نَفْسُكَ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، وَمِمَّا تَهْوَى مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَلَذَاتِهَا الَّتِي لَيْسَ لَهَا حَدُودٌ.

وهذا انسلاخ من العمل، وما سبق انسلاخ من العقيدة.

٤٠٢- وَتَرَىٰ بِهَامَا لَا يَرَاهُ مُحَجَّبٌ مِنْ كُلِّ مَا تَهَوَّىٰ بِهِ زَوْجَانِ قَوْلُهُ: «زَوْجَانِ» أي: صنفان.

محبوب لذاته، ومحبوب لغيره، أزواج من اللعب والشهوات.

٤٠٣- واقطع علائقك التي قد قيّدت هذا الورى من سالف الأزمان

٤٠٤- لتصير حراً لست تحت أوامر كلاً ولا تهبي ولا فرقان

وهذا واضح أنه دعوة للإلحاد والتحلل من كل شيء، وحينئذ يكون الذي انتحل هذا الوصف زنديقاً ملجداً، لا يعترف برب، ولا بحلال ولا بحرام.

فانظر كيف جرّ التعطيل الناس الأذكياء إلى أن يكفروا بالله، لأن هؤلاء الأذكياء فلاسفة كما يفهم من كلام المؤلف، فهم نظروا في مذهب أهل التعطيل، ووجدوه ليس بشيء، ونظروا في مذهب أهل السنة والجماعة ووجدوه -أيضاً على قول أهل التعطيل وتشويهم إيّاه- غير صحيح أيضاً، فماذا قالوا؟

قالوا: لا نكون مع هؤلاء، ولا مع هؤلاء، إذن ازم بالأصلين، واترك كل شيء، ولا تحلل شيئاً، ولا تحرم شيئاً، وكن طليقاً.

وهذا -والعياذ بالله- هو غاية الزندقة والجحود.

وقوله: «لتصير حراً» نقول: نعم هو حرٌّ بالنسبة للشريعة، لكنه رقيق

بالنسبة للشيطان، كما قال ابن القيم -رحمه الله- في هذه النونية:

هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ وَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

فقوله: «هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ» هو عبادة الله.

فوالله ليس بحرٌّ مَنْ تحلَّلَ مِنَ الشريعة، بل هو في غايةِ مِنَ الرِّقِّ، فالحرُّ هو الذي لا يخضع لأحدٍ إِلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ.

- ٤٠٥- لَكِنْ جَعَلْتَ حِجَابَ نَفْسِكَ إِذْ تَرَى فَوْقَ السَّمَاءِ لِلنَّاسِ مِنْ دِيَّانِ
 ٤٠٦- لَوْ قُلْتَ: مَا فَوْقَ السَّمَاءِ مُدَبَّرٌ وَالْعَرْشَ تُخْلِيهِ مِنَ الرَّحْمَنِ
 ٤٠٧- وَاللَّهُ لَيْسَ مُكَلَّمًا لِعِبَادِهِ كَلًّا وَلَا مُتَكَلِّمًا بِقُرَّانِ
 ٤٠٨- مَا قَالَ قَطُّ وَلَا يَقُولُ وَلَا لَهُ قَوْلٌ بَدَا مِنْهُ إِلَى إِنْسَانِ
 ٤٠٩- لَحَلَلْتَ طَلْسَمَهُ^(١) وَفَزَتَ بِكَنْزِهِ وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ فِي هَذِيانِ

الشرح

- ٤٠٥- لَكِنْ جَعَلْتَ حِجَابَ نَفْسِكَ إِذْ تَرَى فَوْقَ السَّمَاءِ لِلنَّاسِ مِنْ دِيَّانِ
 يعني: أنك جعلت الحجاب لنفسك عن الحرية أن ترى فوق السماء إليها يدين الناس له، ويتعبدون له.

فـ(الدِّيَّانِ) هنا (فَعَّالٌ) بمعنى دائن، يعني: هو الذي يجازي عباده، لأنَّ الدِّيَّانِ بمعنى المجازي لعباده بما يستحقون.

- ٤٠٦- لَوْ قُلْتَ: مَا فَوْقَ السَّمَاءِ مُدَبَّرٌ وَالْعَرْشَ تُخْلِيهِ مِنَ الرَّحْمَنِ
 ٤٠٧- وَاللَّهُ لَيْسَ مُكَلَّمًا لِعِبَادِهِ كَلًّا وَلَا مُتَكَلِّمًا بِقُرَّانِ

(١) في نسخة الحبي: «حِلْسَمًا».

٤٠٨- مَا قَالَ قَطُّ وَلَا يَقُولُ وَلَا لَهُ قَوْلٌ بَدَأَ مِنْهُ إِلَىٰ إِنْسَانٍ
٤٠٩- لَحَلَّتْ طَلْسَمَهُ وَفُزَتْ بِكَنْزِهِ وَعَلِمْتَ أَنَّ النَّاسَ فِي هَدْيَانٍ

يعني: لو قلت هذا القول، وأنكرت هذا الإنكار لحُزرت على الصواب، وحللت الطَّلْسَمَ المُعَقَّدَ الذي لا يُدرى ما الحق فيه، فلا ندري هل الحق مع أهل السنة الذين يُسمِّيهم أهل التعطيل مُجَسِّمَةً، أو مع أهل التعطيل؟ فنحن في حيرة.

إِذَنْ أَنْكِرْ، وكما يقول العوام: (لا نعرف شيئاً، فاطوهِ) فنحن ما خُلِقْنَا إِلَّا لنتمتع، وما هي إِلَّا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، نسأل الله العافية.

يعني: لو اعتقدت هذه العقيدة الحق لكنت مُكَبَّلًا، فإذا تخلَّيت منها حينئذ عَرَفْتَ حِكْمَةَ الخَلْقِ، وأسرار الخلق، وأنَّ الناس الذين يتعبدون، ويقيدون أنفسهم بالعقيدة كُلُّهم في هَدْيَانٍ.

وهذا الكلام لا يقوله ابن القيم -رحمه الله-، وسيأتي -إن شاء الله- نقضه، لكن أراد أن يبيِّن حال هذا الصاحب الذي عجز أن يتحمَّل ما عليه السلف، ثم قال لصاحبه: تَحَلَّلْ.

٤١٠- لَكِنْ زَعَمْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ إِذْ قُلْتَ: مَوْجُودَانِ
٤١١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْ
٤١٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ خَلْقَهُ
٤١٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْهُ بَدَأَ وَيَرَاهُمْ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمَانٍ^(١) وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ آخِرَ الْأَزْمَانِ

(١) في نسخة الشرح وابن سحمان: «ست ثمان».

- ٤١٤- وَوَصَفْتُهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِذِي الْجُحْمَانِ
 ٤١٥- وَوَصَفْتُهُ بِإِرَادَةٍ وَبِقُدْرَةٍ وَكَرَاهَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَخَنَانٍ
 ٤١٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ
 ٤١٧- وَالْعِلْمُ وَصَفٌ زَائِدٌ عَنْ ذَاتِهِ عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِ ذِي جُحْمَانٍ

الشرح

هذه الأشياء كلها المذكورة في هذه الآيات من مذهب أهل السنة والجماعة، فنحن نؤمن بها، لكنه يقول: (زعمت)، لأنه غير مُصدِّق بهذا.

٤١٠- لَكِنْ زَعَمْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ إِذْ قُلْتَ: مَوْجُودَانِ
 معنى ذلك أنه إذا أقرَّ الإنسان بأنَّ هنا موجودين: خالقًا ومخلوقًا، لزم أن يكون الخالق بائنًا من الخلق، وليس إياه، فنحن نؤمن بأنَّ الله بائنٌ من خلقه، ويكون ثمَّ موجودان: خالق ومخلوق.

٤١١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ حَقًّا فَوْقَهُ الْقَدَمَانِ
 هذا أيضًا من عقيدة أهل السنة والجماعة، أنَّ الله فوق العرش، وأنَّ الكرسيَّ غيرُ العرش، لكنه موضع قدمي الله عزَّ وجلَّ.

جاء ذلك في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(١)، ومثل هذا لا يُقال بالرأي، فله حُكْمُ الرَّفْعِ.

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/٢٤٨)، والحاكم (٢/٢١٠) وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٩٢٨).

٤١٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ خَلْقَهُ وَيَرَاهُمْ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمَانٍ

ونحن نؤمن بأن الله تعالى يسمع خلقه، ولو كانوا في قاع البحر، ونؤمن بأن الله عز وجل يراهم من فوق سبع سموات، وهو -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- على عرشه، لا يَحْفَى عليه شيءٌ من أفعالهم.

قَوْلُهُ: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ ثَمَانٍ»، نقول: إنَّ سبع الثماني تشمل العرش والسموات السبع، لأنك إذا أضفت السموات السبع إلى العرش صار سبع ثمان.

وأما ما أشار إليه الشارح ابن عيسى -رحمه الله- أنها ست ثمان، وقال: إنها الأرض والسماء، ففيه نظر، بل يقال: إنه من فوق سبع ثمان، أي: سبع لها ثمان، وهو العرش.

٤١٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ آخِرَ الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَزَعَمْتَ أَنَّ كَلَامَهُ» يريد بذلك خصوص القرآن الكريم، لأنَّ كلام الله عز وجل الذي هو كلامه لا مُتَّهَى له، لكن كلامه الذي هو القرآن (منه بدأ) يعني: هو الذي تكلم به أولاً، وإليه يعود، وهذا كلام السلف -رحمهم الله-.

قَوْلُهُ: «مِنْهُ بَدَأَ» يعني: هو الذي ابتداء الكلام به حقيقةً، وإضافته إلى الرسول محمد ﷺ، وإلى الرسول جبريل -عليه الصلاة والسلام- إضافةً تبليغٍ فقط.

فقد أضاف الله القرآن إلى جبريل -عليه السلام- في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، وأضافه إلى محمد ﷺ فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴿١١﴾﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] ولا يمكن أن يكون قول واحد لقائليين، لكن نقول: هذا قول تبليغ، وليس قول ابتداء، فقول القرآن ابتداءً من الله عز وجل، وجبريل -عليه السلام- قاله مُبَلِّغًا محمداً ﷺ، ومحمد ﷺ قاله

مُبَلِّغًا أُمَّتَهُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧].

أما قوله: «وإليه يرجع» أي: يعود، فُفَسِّرَتْ بِمَعْنَيْنِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ: المعنى الأول: أنه يعود إلى الله وَصَفًا، فلا يُوصَفُ به غيرُه، فيُقَال: القرآنُ كلامُ الله.

المعنى الثاني: أنه يعود إليه حِسًّا، بمعنى أنه يُنَزَعُ في آخر الزمان، فيُرْفَعُ مِنَ المصاحفِ وَيُنْسَى مِنَ الصدورِ، ويبقى الناس بلا قرآن -نعوذ بالله من هذه الحال- لا في الصدور، ولا في المسطور، وهذا -والله أعلم- إذا عرض الناس عن القرآن إعراضًا كليًّا: لا تلاوةً، ولا عملاً، ولا تصديقًا، فإنَّ من إكرام القرآن أن يُنَزَعَ، وألا يبقى بين قوم لا يرفعون به رأسًا، ولا يرون بمخالفته بأسًا.

ونظير ذلك الكعبة -زادها الله تشریفًا- في آخر الزمان، يُسَلِّطُ عليها رجلٌ من الحبشة، وصفه النبي ﷺ وصفًا دقيقًا، فيهدمها بجنوده، وينقضها حجرًا حجرًا^(١)، لكن كيف ذلك مع أن الله تعالى حماها من الفيل وأهلها مشركون؟

نقول: حماها الله من الفيل، ومن أبرهة ملك الحبشة حينما قدم لهدم الكعبة لأمر علمه الله عز وجل، وهو أن هذا البيت المعظم سوف يكون فيه من يعظمه، لكن في آخر الزمان يمتن أهل مكة هذا البيت امتهانًا، لا يجعلون له حرمة، وليس هناك مستقبل له، فحينئذٍ يُسَلِّطُ عليه هذا الحبشي، وينقضه حجرًا حجرًا، ولا يناله أي سوء.

(١) بدلالة حديث النبي ﷺ: «يُعْرَبُ الكَعْبَةُ ذُو السُّؤْفَتَيْنِ مِنَ الحَبَشَةِ». أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِلنَّاسِ﴾، رقم (١٥١٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (٢٩٠٩).

والقرآن مثلها، إذا نزع تعظيمه من القلوب، فلم يُتَلَّ، ولم يُتَبَع، فإنَّ من كرامة هذا القرآن أن الله عزَّ وجلَّ يرفعه، والله على كل شيء قدير.

لو قال قائل: كيف يُمَحَى من المصاحف؟

قلنا: الله أكبر، الذي خَلَق المصحفَ، وخالق مادة الكتابة والأوراق هو الله عزَّ وجلَّ، فهو قادر على أن يمحوه، أما ما في الصدور فالأمر ظاهر، هذا الإنسان يحفظ القرآن ويؤتقنه، ثم ينسى منه ما شاء الله.

٤١٤- وَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْبَصْرِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي إِلَّا لِذِي الْجُثْمَانِ
ونؤمن أيضًا بأنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- موصوفٌ بالسمع والبصر، فالسمع والبصر قد وصف الله بهما نفسه فقال: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

هم قالوا: لا سَمْع، ولا بَصْر، لأنه لا يُوصَفُ بالسمع والبصر إلا الجسم، وسبق الكلام في ردِّ هذا.

٤١٥- وَوَصَفْتَهُ بِإِرَادَةٍ وَبِقُدْرَةٍ وَكَرَاهِيَةٍ وَحُبَّةٍ وَخَنَانٍ
وهذا حق، فدلِّل الإرادة قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٤] ودلِّل القُدرة قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ودلِّل الكراهة: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أُنْعَانَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] ودلِّل المحبة: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [التوبة: ٥٤] وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فنؤمن بأنَّ من صفاته الإرادة والقُدرة، والإرادة والقُدرة يؤمن بهما أيضًا الأشاعرة، ويؤمنون بالسمع والبصر، وأما الكراهة والمحبة، فينكرهما الأشاعرة وغيرهم من أهل التعطيل، ويفسرونها إما بالمخلوق، وإما بالإرادة، فيفسرونها

بالإرادة، لأنهم يُثبتون الإرادة، أو بالخلق، لأنهم كلهم يُثبتون المخلوق.
فهم يقولون: إنَّ الله -مثلاً- يكره الكافرين، أي: يُعَذِّبهم، أو يقولون: يريد تعذيبهم، ولا يثبتون الكراهة.

ولكن نقول لهم: ماذا تقولون في قوله: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] هل يمكن أن يُقَسَّرَ (كَرِهَ) بمعنى (عَذَّبَ) انبعاثهم؟ الجواب: لا يستقيم، أو أراد تعذيب انبعاثهم؟ الجواب: هذا أيضاً لا يستقيم.

قالوا: إنَّ العقل لا يدلُّ على أنَّ الله يتصف بالكراهة، فنقول لهم: الجواب على ذلك من وجهين:

الوجه الأول: إذا فرضنا أنَّ العقل لا يدلُّ، فإنَّ السمع -يعني: الكتاب والسنة- دلَّ على ذلك، والدليل لا يتعيَّن في دليل واحد، فقد يكون للشيء عدَّة أدلة، ولهذا فمن القواعد المعروفة -عندهم- أنَّ انتفاء الدليل المُعيَّن لا يَسْتَلْزِمُ انتفاء المدلول، يعني: إذا انتفى هذا الدليل، فلا يمتنع أن يثبت الشيءُ بدليل آخر.

فمثلاً: مكة لها طرق كثيرة، فإذا قَدَّرنا أنَّ أحد الطُّرُق إليها مسدود، هل معناه امتناع الوصول إلى مكة؟ الجواب: لا، لأنه توجد طرق أخرى.

فإذا قَدَّرنا أنَّ العقل -كما زعموا- لا يدلُّ على ثبوت الكراهة، فعندنا (النقل) أي: السمع.

الوجه الثاني: أن نقول: بل العقل يدلُّ على ثبوت الكراهة لله، فإنَّ انتقام الله من العاصين يدلُّ على كراهة المعصية، ولو كان يجبها هل يعذبهم؟ الجواب: أبداً، وكذلك نقول في المحبة.

ولهذا فإنَّ الأشاعرة وغيرهم ممن يُحَكِّمُونَ العقل في صفات الله هم -بلا شك-

مخالفون للعقل، لأنَّ كونَ العقل دليلاً لم يثبت إلا بطريق السمع، فإذا أنكروا دلالة السمع لزم إنكارُ دلالة العقل.

ووجه كون العقل دليلاً بالسمع أنَّ الله عزَّ وجلَّ دائماً يقول: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] ويقول: ﴿لِقَوْمٍ يَنْفَكَرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] وما أشبه ذلك.

قَوْلُهُ: «وحنان» الحنان هو خالص الرحمة، لكن لم يرد بهذا اللفظ، ولذلك في صحة اسم (الحنَّان) نظر، أما (المَنَّان) فقد ثبتت به السُّنَّة^(١).

٤١٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كُلَّ مَا فِي الْكُونِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ

وهذا حق، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، ومتى كان في كتاب مُبين، فهو معلوم عند الله عزَّ وجلَّ.

٤١٧- وَالْعِلْمُ وَصْفٌ زَائِدٌ عَنْ ذَاتِهِ عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِ ذِي جُسْمَانِ

يعني: يرون أنَّ العِلْمَ وصفٌ زائدٌ عن الذات، وإذا كان زائداً عن الذات فَمَنْ أَثَبَّتَهُ فَقَدْ أَثَبَّتَ تَعَدُّدَ الْقَدَمَاءِ.

(١) كما في حديث أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَسْجِدَ وَرَجُلٌ قَدْ صَلَّى وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَتَدْرُونَ بِمَ دَعَا اللَّهَ؟ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ». أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم (٣٥٤٤)، والنسائي: كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر، رقم (١٣٠٠)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٨) قال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه وقد روي من غير هذا الوجه عن أنس.

قَوْلُهُ: «عَرَضَ يَقُومُ بغيرِ ذِي جُثْمَانٍ» يعني: أنكم تقولون: إنَّ الله له عِلْمٌ، وتقولون: إنَّ الله ليس بجسم، وهذا على رأيه تناقُضٌ، فالعِلْمُ لا يكون إلا من ذِي جُثْمَانٍ.

- ٤١٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعَهُ نِدَا الرَّحْمَنِ
 ٤١٩- أَفْتَسْمَعُ الْأَذَانَ غَيْرَ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ الَّذِي خُصِّتْ بِهِ الْأُذُنَانِ^(١)
 ٤٢٠- وَكَذَا النَّدَاءُ فَإِنَّهُ صَوْتٌ يَأْجُ سَمَاعِ النَّحَاةِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ
 ٤٢١- لَكِنَّهُ صَوْتٌ رَفِيعٌ وَهُوَ ضِدُّ دَلِّلِ النَّجَاءِ، كِلَاهُمَا صَوْتَانِ
 ٤٢٢- فَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ نَادَاهُ وَنَا جَاءَهُ، وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْدُورَانِ
 ٤٢٣- قُرْبُ الْمَكَانِ وَبُعْدُهُ وَالصَّوْتُ بَلْ نَوْعَاهُ مَحْدُورَانِ مُتْتَبِعَانِ

الشرح

- ٤١٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعَهُ نِدَا الرَّحْمَنِ
 ونقول: نعم، إنَّ الله كَلَّمَ موسى -عليه الصلاة والسلام- قال الله تعالى:
 ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] (الله) فاعل، و(موسى) مفعول به،
 و(تكليماً) مصدر مؤكَّد، والمصدر المؤكَّد ينفي احتمال المجاز، ولهذا بَطَلَ قول مَنْ
 حَرَّفَ المعنى إلى قوله: (كَلَّمَهُ) أي: جَرَّحَهُ، كيف جَرَّحَهُ؟ قال: نعم، جَرَّحَهُ
 بمخالِبِ الحِكْمَةِ، وهذا جعله كقول الشاعر:

(١) في نسخ التيمورية والظاهرية والشرح: «الأذان».

وَإِذَا الْمَيِّتَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(١)

يقول: جرّحه بمخالب الحكمة، سبحان الله، ما هذا الكلام؟! قال: نعم، ليس الكَلْمُ في اللغة بمعنى الجرح، كما قال النبي ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»^(٢)؟ فيقال: بلى، لكن هل معناه أن نحمل الكَلْمَ في كل موضع على الجرح؟! الجواب: أبداً.

لَمَّا حَرَفَ بَعْضُ الطَّغَاةِ الْمُبْتَدِعَةِ الْآيَةَ قَالَ: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) لِأَجْلِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُ الْجَلَالَةِ مَفْعُولًا بِهِ، وَيَكُونُ الْمُتَكَلِّمُ هُوَ مُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ-، فَقِيلَ لَهُ: مَاذَا تَقُولُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟ فَقَوْلُهُ: «كَلَّمَهُ» لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ أَحَدٌ: إِنَّ (الهاء) فِي (كَلَّمَهُ) فَاعِلٌ، بَلْ هِيَ مَفْعُولٌ بِهِ، وَ(رَبُّهُ) فَاعِلٌ، فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ.

٤١٩- أَفْتَسْمَعُ الْأَذَانَ غَيْرَ الْحَرْفِ وَالضَّمِّ صَوْتِ الَّذِي خُصَّتْ بِهِ الْأُذُنَانِ

٤٢٠- وَكَذَا النَّدَاءُ فَإِنَّهُ صَوْتُ بِإِجْمَاعِ النَّحَاةِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ

٤٢١- لَكِنَّهُ صَوْتُ رَفِيعٌ وَهُوَ ضِدُّ دُ لِلنَّجَاءِ، كِلَاهُمَا صَوْتَانِ

موسى -عليه السلام- كَلَّمَهُ رَبُّهُ بصوتين: مناداة ومناجاة، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] فقال: ﴿وَنَدَيْنَاهُ﴾، والنداء يكون للبعيد، والمناجاة للقريب، ولهذا لو كان إلى جنبك رجل وتكلمت إليه برفع صوت لأنكر عليك، ويقول: هل أنا بعيد؟! هل أنا أصم؟! لكن لو كان

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في الكامل للمبرد (٢/١٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب من يجرح في سبيل الله عز وجل، رقم (٢٨٠٣).
ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم (١٨٧٦).

بعيداً ثم ناديته بصوت خفي، لَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تَتَكَلَّمْ مَعِي.

إِذْنُ الْمَنَادَةِ لِلْبَعِيدِ، وَالْمَنَاجَاةَ لِلْقَرِيبِ.

وانظر إلى قوله: ﴿وَقَرَّبْتَهُ﴾ ولم يقل: (تَقَرَّبْنَا إِلَيْهِ) فموسى هو الذي قُرِّبَ

إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَسَمِعَ صَوْتَهُ.

٤٢٢- فَرَعَمَتْ أَنَّ اللَّهَ نَادَاهُ وَنَا جَاءُ، وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْدُورَانِ

٤٢٣- قُرْبُ الْمَكَانِ وَبُعْدُهُ
.....

قَوْلُهُ: «نَادَاهُ وَنَاجَاهُ» وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ

وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾.

قَوْلُهُ: «وَفِي ذَا الزَّعْمِ مَحْدُورَانِ» يَقُولُ: فِي هَذَا مَحْدُورَانِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَحْدُورَ

الْأَوَّلَ فَقَالَ: «قُرْبُ الْمَكَانِ وَبُعْدُهُ» لِقَوْلِهِ: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ﴾.

إِذْنُ هُوَ كَانَ فِي الْأَوَّلِ بَعِيدًا ثُمَّ قُرِّبَ، فَالْبُعْدُ مَحْدُورٌ، وَالْقُرْبُ مَحْدُورٌ أَيْضًا،

لَأَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّ بَعْضَ الْخَلْقِ قَرِيبٌ إِلَيْهِ، وَالثَّانِي بَعِيدٌ.

وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْعَرْشَ مِثْلَ الْفَرْشِ فِي الْقُرْبِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

وَإِنَّمَا سِوَاءُ، وَعَلَى هَذَا فَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْجَنَّةِ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، وَالنَّارِ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ،

وَسَبَقَ الْكَلَامَ عَلَى هَذَا.

فَيَقُولُ: أَنْتَ إِذَا قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ نَادَاهُ وَنَاجَاهُ لَزِمَ الْمَحْدُورَانِ: الْقُرْبُ وَالْبَعْدُ فِي

الْمَكَانِ، وَهُمَا عِنْدَ هَذَا الْمُعْطَلِ سِوَاءُ، فَلَا يُوجَدُ قُرْبٌ، وَلَا بُعْدٌ.

المحذور الثاني: بالنسبة للصوت، فقال:

٤٢٣- نُوَعَاهُ مَحْدُورَانِ مُتَنَعَانِ وَالصَّوْتُ بَلْ

قَوْلُهُ: «وَالصَّوْتُ بَلْ نَوْعَاهُ مَحْذُورَانِ مُتَمْتِعَانِ» الصوت: منه صوت رفيع، ومنه صوت منخفض، يقول: يمتنع على الله أن يكون له صوت رفيع، وصوتٌ منخفض، لأنَّ هذا عنده لا يكون إلاَّ لجسم، والكلام عنده هو المعنى القائم بالنفس، وليس المسموع من الله عزَّ وجلَّ.

فصار عنده محذوران الآن: قرب المكان وبعد المكان، رفع الصوت وخفض الصوت، وكلاهما -والحمد لله- ليس بمحذور عندنا، والله تعالى أن يفعل ما يشاء.

- ٤٢٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا أُسْرَى بِهِ لَيْلًا إِلَيْهِ، فَهُوَ مِنْهُ دَانٍ
- ٤٢٥- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَوْمَ اللَّقَا يُدْنِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالرَّضْوَانِ
- ٤٢٦- حَتَّى يُرَى ^(١) الْمُخْتَارُ حَقًّا قَاعِدًا مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
- ٤٢٧- وَزَعَمْتَ أَنَّ لِعَرْشِهِ أَطَّابَهُ كَالرَّحْلِ أَطَّ بَرَاجِبٍ عَجَلَانِ
- ٤٢٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَبَدَى بَعْضَهُ لِلطُّورِ حَتَّى عَادَ كَالْكُتُبَانِ
- ٤٢٩- لَمَّا تَجَلَّى يَوْمَ تَكْلِيمِ الرُّضَى مُوسَى الْكَلِيمِ مُكَلِّمِ الرَّحْمَنِ
- ٤٣٠- وَزَعَمْتَ لِلْمَعْبُودِ وَجْهًا بَاقِيًا وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمْتَ يَدَانِ
- ٤٣١- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَدَيْهِ لِلسَّنْعِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ

(١) في نسخة الظاهرية: «نرى».

الشرح

٤٢٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا أُسْرِيَ بِهِ لَيْلًا إِلَيْهِ، فَهُوَ مِنْهُ دَانَ

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] وقد أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْحِجْرِ مِنْ قَلْبِ الْكَعْبَةِ^(١)، لِأَنَّ الْحِجْرَ - كَمَا يَعْلَمُ الْكَثِيرُ مِنْنَا - مِنَ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ نَائِمًا فِي الْحِجْرِ، فَأُسْرِيَ بِهِ مِنْ هُنَاكَ.

وأما رواية أنه أُسْرِيَ بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيَةَ^(٢) فهذه - إِنْ صَحَّتْ - فَالْجَمْعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّهُ كَانَ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ فِي بَيْتِ أُمِّ هَانِيَةَ، ثُمَّ قَامَ وَنَامَ فِي الْحِجْرِ، لِأَنَّ رِوَايَةَ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْحِجْرِ رِوَايَةٌ صَحِيحَةٌ، لَيْسَ عَلَيْهَا غُبَارٌ.

قَوْلُهُ: «فَهُوَ مِنْهُ دَانِي» أَي: مِنْ اللَّهِ، وَلَا شَكَّ فِي هَذَا، لِأَنَّهُ عُرِجَ بِهِ بَعْدَ هَذَا الْإِسْرَاءِ إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ.

وَاعْلَمَنَّ أَنَّ هَذَا الْإِسْرَاءَ ذُكِرَ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ، وَأَنَّ الْمِعْرَاجَ ذُكِرَ فِي سُورَةِ النَّجْمِ، فَهَمَا فِي مَوْضِعَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.

٤٢٥- وَزَعَمْتَ أَنَّ مُحَمَّدًا يَوْمَ اللَّقَا يُدْنِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ بِالرَّضْوَانِ

٤٢٦- حَتَّى يُرَى الْمُخْتَارُ حَقًّا قَاعِدًا مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ الشَّانِ

هذه المسألة اختلف السلف فيها، هل الله عزَّ وجلَّ يُدْنِي النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُجْلِسَهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ أَمْ لَا؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم (٣٦٧٤).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤٣٢ / ٢٤).

فمنهم مَنْ صحَّح الحديثَ ^(١) الواردَ في هذا، وقال: إن الله تعالى يُجِلسه على العرش، ولا غَرَو في ذلك، لأنَّ الله تعالى على كُلِّ شيءٍ قدير، وللنبيِّ ﷺ من الميزات والمناقب ما ليس لغيره.

ومنهم مَنْ قال: لا، الحديث في هذا ضعيف، وإنما يُجِلسه بين يدي الله عزَّ وجلَّ، إما على الكرسيِّ أو على شيءٍ آخر.

ولكن إذا صحَّ الحديثُ أنَّ الله يُجِلس نبيَّه ﷺ معه على العرش، فيجب علينا أن نؤمنَ به، ونقول: آمنا بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤٢٧- وَزَعَمْتَ أَنَّ لِعَرْشِهِ أَطَابَهُ كَالرَّحْلِ أَطَبَّ بِرَاكِبٍ عَجَلَانَ

ورد في هذا أيضًا حديث أن العرش له أطيِّط كأطيِّط الرَّحْلِ ^(٢)، والأطيِّط هو صرير الرَّحْلِ، فالبعير إذا كان عليه الشداد ثمَّ حمَلنا عليه شيئًا ثقيلًا، فإذا مشى تسمع له صريرًا، هذا الصرير هو الأطيِّط، وهذا أيضًا أطيِّط العرش، وفيه حديث، لكنه ضعيف، وأنكره كثيرٌ من أهل العلم، وقالوا: إن هذا يستلزم أن يكون العرش قد حمَل الله كما يُحمَل على الرَّحْلِ، ومعلوم أن العرش لم يحمل الرَّبَّ عزَّ وجلَّ، لأنَّ كُلَّ شيءٍ مفتقرٌ إلى الله، والله تعالى لا يفتقرُ إلى شيءٍ.

فليس استواءُ الله - سبحانه وتعالى - على العرش كاستواء الإنسان على السرير

(١) وهو حديث عبد الله بن مسعود قال: بينا أنا عند رسول الله ﷺ أقرأ عليه حتى بلغت ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ قال: «يُجِلسُنِي عَلَى الْعَرْشِ». أخرجه الذهبي في العلو (٢٢٢)، وقال: هذا حديث منكر.

(٢) يعني حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «سَلُّوا اللَّهَ الْفَرْدُوسَ، فَإِنَّهَا سِرَّةُ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَهْلَ الْفَرْدُوسِ لَيَسْمَعُونَ أَطِيطَ الْعَرْشِ». أخرجه الطبراني (٢٤٦/٨)، رقم (٧٩٦٦) قال الهيثمي (٣٩٨/١٠): فيه جعفر بن الزبير وهو متروك. والحاكم (٤٠٢/٢)، رقم (٣٤٠٢).

الذي إذا سُحِبَ مِنْ تحته سقط، أو على البعير أو على الفُلك، بل هو استواءٌ يليق بجلاله، وهو استواءٌ ليس افتقارًا إلى العرش، بل لإظهار عظمته -تبارك وتعالى- كما سبق.

فحديثُ أَطِيطِ العرشِ بالله عزَّ وجلَّ ضعيفٌ لا شكَّ، ولا نعتقد هذا، بل نقول: إن الله تعالى غنيٌّ عن العرش، وليس محتاجًا إليه حتى يثبَّت عليه فيكون له أَطِيطٌ.

أما حديث: «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَيْطَّ، مَا مِنْ مَوْضِعٍ أَصَابِعِ مِنْهَا إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ لِلَّهِ، أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ»^(١). فهذا لا يُنكَر، لأنَّ السماء تحملُ الملائكة.

٤٢٨- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ أَبَدَى بَعْضَهُ لِلطُّورِ حَتَّى عَادَ كَالْكَثْبَانِ

٤٢٩- لَمَّا تَجَلَّى يَوْمَ تَكْلِيمِ الرِّضَى مُوسَى الْكَلِيمِ مُكَلِّمِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مُكَلِّمٌ» يجوز فيها وجهان: (مُكَلِّمٌ)، و(مُكَلِّمٌ)، والثانية أولى، لأنَّ الله يقول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] فهو مُكَلِّمٌ.

وفي هذا البيت يشير إلى قول الله -تبارك وتعالى- في قصة موسى -عليه السلام- قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] يعني: مكِّنني من رؤيتك، فقال الله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ ولا يمكن أن تراني، ثم ضرب له مثلاً وقال: ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ حتى يعلم موسى -عليه الصلاة والسلام- أنه لن يمكن أن يرى الله في الدنيا، لأنَّ أجسامنا لا تتحمَّل،

(١) أخرجه أحمد (١٧٣/٥)، الترمذي: كتاب الزهد، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمُ»، رقم (٢٣١٢).

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ انذاك الجبل لعظمة الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ [الحشر: ٢١] والقرآن هو كلامه ﴿عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

لكنه لن يندك، ولكن يتصدع من خشية الله عز وجل، أما وقد تجلَّى الله عز وجل للجبل فقد ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ مثل كُثبان الرمل، لما رأى موسى -عليه الصلاة والسلام- ما رأى خَرَّ صَعِقًا، أي: غُشي عليه، لأنه عجز عن أن يتحمل الموقف، مع أن الله لم يتجلَّ له.

٤٣٠- وَزَعَمْتَ لِلْمَعْبُودِ وَجْهًا بَاقِيًا وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمْتَ يَدَانِ
وَكُلُّ هَذَا حَقٌّ.

قوله: «زَعَمْتَ لِلْمَعْبُودِ وَجْهًا» وهذا حق، قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣١﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الرعد: ٢٢] والآيات في هذا متعددة، ولكن هل وجه الله عز وجل مماثل لأوجه المخلوقين؟

الجواب: لا والله، بل مُبَايِنٌ لها غاية المُباينة، لأنه كما أن ذاته كذلك فكذلك صفاته، ولا يجوز أن تتخيل وجه الله عز وجل، لأنك مهما تخيلت فالله أعظم وأجل، ومهما قلت مما تخيلت فأنت كاذب في ذلك، لأنه لا علم عندك، بل نقول: لله عز وجل وجهٌ موصوف بالجلال والإكرام، ولا نعلم كيفيته، علينا أن نؤمن به، وأن نسأله بوجهه أن يُنجينَا مِنَ النَّارِ.

قوله: «وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمْتَ يَدَانِ» نعم، له يمين، وله يَدَانِ (بالثنوية) وكلتا

يديه يمين، كما قال النبي ﷺ: «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»^(١). أي: يُمْنٌ وَبَرَكَةٌ وَقُوَّةٌ، فلا تختلف إحداها عن الأخرى، بخلاف أيدي المخلوقين، حيث تختلف إحداها عن الأخرى.

٤٣١- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَدَيْهِ لِلْسَّبْعِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ يَوْمَ الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ

وهذا صحيح، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠].

وقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] يعني: كما تُطوى سجلات الكتب نطويها.

ولم يكن لدى الناس فيما سبق ظروف يُدخلون فيها الكتب، فإذا كتب الإنسان كتابًا، فإنه يطويه، ثم يضرب عليه الشَّمْعَ ويرسله، وهذا إلى عهد ليس ببعيد، لكن بعد أن تَفَتَّحَ الناسُ صاروا يجعلون ظروفًا للكتب، يدسُّونها فيها.

٤٣٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَمِينَهُ مَلَأَى مِنْ أَلْ- خَيْرَاتِ مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ

٤٣٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْعَدَلَ فِي الْأُخْرَى بِهَا رَفَعٌ وَخَفْضٌ وَهُوَ بِالْمِيزَانِ

٤٣٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْخَلْقَ طُرًّا عِنْدَهُ^(٢) يَهْتَزُّ فَوْقَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم، رقم (١٨٢٧).
(٢) في نسخة الحلبي: «عندما».

- ٤٣٥- وَزَعَمْتَ أَيضًا أَنَّ قَلْبَ الْعَبْدِ مَا
 ٤٣٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا
 ٤٣٧- مِنْ عَبْدِهِ يَأْتِي فَيُؤَدِّي نَحْرَهُ
 ٤٣٨- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَثْبُ الْفَتَى
 ٤٣٩- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ
 ٤٤٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ أُولِي
 ٤٤١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ
 ٤٤٢- لَمَّا ^(١) يُنَادِيهِمْ: أَنَا الدَّيَّانُ لَا
 ٤٤٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِقُ نُورَهُ
 ٤٤٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ سَاقَهُ
 ٤٤٥- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ كَفَّهُ
 ٤٤٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَمِينَهُ تَطْوِي السَّمَاءَ
 ٤٤٧- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى
 ٤٤٨- فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ
 ٤٤٩- وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهُ نُزُولًا ثَانِيًا ^(٢)
- بَيْنَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْأَصَابِعِ عَانَ
 يَتَقَابَلُ الصَّفَانِ يَقْتَتِلَانِ
 لِعَادُوهُ طَلَبًا لِنَيْلِ جَنَانِ
 مِنْ فَرَشِهِ لِسِتْلَاوَةِ الْقُرْآنِ
 إِذْ أَجْدَبُوا وَالْغَيْثُ مِنْهُمْ دَانِ
 حُسْنَى وَيَغْضَبُ مِنْ أُولِي الْعِصْيَانِ
 يَوْمَ الْمَعَادِ بَعِيدُهُمْ وَالِدَانِ
 ظَلَمَ لَدَيَّ، فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ
 فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْفَضْلِ وَالْمِيزَانِ
 فَيَخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلْأَذْقَانِ
 لِمُسَيْئِنَا لِيُتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ
 طَيِّ السَّجْلِ عَلَى كِتَابِ بَيَانِ
 فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي
 فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي
 يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْقَضَاءِ الثَّانِي

(١) في نسخة الإفتاء: «يوم».

(٢) في نسخة الإفتاء: «بائنا».

- ٤٥٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو جَهْرَةً لِعِبَادِهِ حَتَّى يُرَى بِعَيَانِ
- ٤٥١- بَلْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ
- ٤٥٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ لِرَبِّنَا قَدَمًا وَأَنَّ
- ٤٥٣- فَهَنَّاكَ يَدْنُو بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا
- ٤٥٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ مَزِيدِهِمْ
- ٤٥٥- بِالْحَاءِ مَعَ ضَادٍ وَجَامِعٍ صَادِهَا
- ٤٥٦- فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُسْنَدِ وَسَوَاهِمَا
- ٤٥٧- وَوَصَفْتَهُ بِصِفَاتٍ حَيٍّ فَاعِلٍ
- ٤٥٨- أَصْلُ^(١) التَّفْرِيقِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْ-
- ٤٥٩- أَوْ لَا، فَلَا تَلْعَبُ بِدِينِكَ نَاقِضًا
- ٤٦٠- فَالنَّاسُ بَيْنَ مُعْطَلٍ أَوْ مُثَبَّتٍ
- ٤٦١- وَاللَّهُ لَسْتُ بِرَابِعٍ لَهُمْ بَلَى
- لِعِبَادِهِ حَتَّى يُرَى بِعَيَانِ
- فَالْمُقْلَتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ
- نَ اللَّهُ وَأَضْعُهَا عَلَى النَّيْرَانِ
- وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ حَاجَتِي وَكَفَانِي
- كُلُّ يُحَاضِرُ رَبَّهُ وَيُدَانِي
- وَجَهَانِ فِي ذَا اللَّفْظِ مَحْفُوظَانِ
- مِنْ كُتُبِ تَجْسِيمِ بِلَا كِثْمَانِ
- بِالِاخْتِيَارِ وَذَانِكَ الْأَصْلَانِ
- بَارِي، فَكُنْ فِي النَّفْيِ غَيْرَ جَبَانِ
- نَفِيًّا بِإِثْبَاتِ بِلَا فُرْقَانِ
- أَوْ ثَالِثِ مُتَنَاقِضِ صِنْفَانِ^(٢)
- إِمَّا حِمَارًا أَوْ مِنْ الثَّيْرَانِ

الشرح

- ٤٣٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ يَمِينَهُ مَلَأَى مِنْ الْ-
- خَيْرَاتِ مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ
- قَوْلُهُ: «يَمِينُهُ مَلَأَى» يشير إلى قول النَّبِيِّ ﷺ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ

(١) في نسخة الحلبي: «أصلا».

(٢) في بعض النسخ: «صنعان»، وفي نسخة: «صنعان».

وَالنَّهَارَ»^(١). سَحَاء: كثيرة العطاء، «الليل والنهار» ظرف، يعني: في الليل والنهار دائماً وأبداً.

قَوْلُهُ: «مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ» يشير إلى قول النَّبِيِّ ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِهِ»^(٢). أي: لم ينقص، سبحانه وتعالى.

٤٣٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْعَدْلَ فِي الْأُخْرَى بِهَا رَفْعٌ وَخَفْضٌ وَهُوَ بِالْمِيزَانِ

بيده الأخرى القسط، والقسط يعني: العدل، يخفض ويرفع، فيخفض من يستحق الخفض، ويرفع من يستحق الرفع بالميزان، لا يظلم أحداً شيئاً، لا نقصاً من حقه، ولا زيادةً في سيئاته، فهو - سبحانه وتعالى - عدلٌ حكيمٌ.

٤٣٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ الْخَلْقَ طُرّاً عِنْدَهُ يَهْتَزُّ فَوْقَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

يعني: زعمت أن الخلق كلهم يهتزون عند أصابع الرحمن، فإن الله تعالى يقبض السموات والأرضين ثم يهزهن، ويقول: «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْمُلُوكُ؟»^(٣).

٤٣٥- وَزَعَمْتَ أَيْضًا أَنَّ قَلْبَ الْعَبْدِ مَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْأَصَابِعِ عَانَ

يعني: زعمت أن قلب العبد بين أصبعين من أصابع الرحمن، وهذا سبق، وذكرنا أن في الحديث إثبات الأصابع لله عز وجل^(٤)، وذكرنا أنه لا يلزم من كون

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب النعوت، باب الواحد القهار، رقم (٧٦٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، رقم (٧٤١١).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم (٦١٥٤)، ومسلم: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٧).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف شاء، رقم (٢٦٥٤).

القلب بين أصابعه أن تكون الأصابعُ في الصدور، أو مُماسَّةً له، وذكرنا مثلاً بيينه، وهو قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤].

٤٣٦- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَتَقَابَلُ الصَّافَانِ يَقْتَتِلَانِ

٤٣٧- مِنْ عَبْدِهِ يَأْتِي فَيُيَدِي نَحْرَهُ لِعَدُوِّهِ طَلَبًا لِنَيْلِ جَنَانِ

هذا أيضاً مما جاء به الحديث أن الله يضحك إلى الرجل يأتي ويقابل العدو ويقاتله، ويؤدي إليه نحره، من أجل الوصول إلى الجنة^(١)، لأنَّ هذا يدلُّ على كمال التصديق، ولولا كمال تصديقه ما ذهب يُيدي نحره لعدوه.

وفي هذا إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ، ولكن هل هذا الضحك كضحكنا؟ الجواب: لا، ولكنه ضحكٌ يليق بالله عزَّ وجلَّ، وعلينا أن نُثبت، وليس علينا أن نسأل عن كفيته، بل ليس لنا أن نسأل عن كفيته، والواجب الكفُّ.

٤٣٨- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ عِنْدَمَا يَثْبُ الْفَتَى مِنْ فَرَشِهِ لِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

هذا أيضاً حديث آخر أن الله عزَّ وجلَّ يضحك للرجل يقوم من فراشه للتهدُّج^(٢).

(١) كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ لَقِيَ الْعَدُوَّ وَهُوَ عَلَى فَرَسٍ مِنْ أُمَّثَلِ حَيْلٍ أَصْحَابِهِ فَأَنْهَرُوا وَثَبَّتْ، فَإِنَّ قُتِلَ اسْتُشْهِدَ، وَإِنْ بَقِيَ فَذَلِكَ الَّذِي يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ». أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب عمل اليوم والليلة، بعد باب ما يقول إذا انتبه من منامه، رقم (١٠٦٣٧).

(٢) كما في حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَرَجُلٍ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ، فَتَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ حَمِدَ اللَّهَ وَبِحَمْدِهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَفْتَحَ الْقُرْآنَ، فَذَلِكَ الَّذِي يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَيْهِ». وهو جزء من الحديث السابق.

وضحكُ الله عزَّ وجلَّ لهذا وهذا يعني: الفرحُ به والرَّضى، وهذا من لازم الضحك، وليس هو الضحك، فالضحكُ شيء آخر، لكن من لازمه أن يكون اللهُ -تبارك وتعالى- راضياً بهذا فرحاً به.

٤٣٩- وَكَذَلِكَ يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ إِذْ أَجْدَبُوا وَالْغَيْثُ مِنْهُمْ دَانَ قَوْلُهُ: «يَضْحَكُ مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ» إشارة إلى حديث ساقه ابن تيمية -رحمه الله- في العقيدة الواسطية بقوله: «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ»^(١). لكن ابن القيم -رحمه الله- أشار إليه بلفظ (الضحك) فيما أن يكون لفظان في الرواية، أو روايتان.

المهم أننا نُثبت من هذا دليلاً ثالثاً لوصف الله تعالى بالضحك.

وقَوْلُهُ: «وَالْغَيْثُ مِنْهُمْ دَانِي» يعني: كيف يقنطون والله -سُبْحَانَهُ وتعالى- قريب التغيير، «عَلِمَ يَوْمَ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فَظَلَّ يَضْحَكُ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»^(٢). إذ كيف تقنطون من رحمة الله، وفرج الله قريب؟!

فكلمة واحدة تُزيل كُلَّ هذا الجَدْبِ والقَحْطِ، ولا يخفى عليكم ما حدث في خطبة الجمعة حين دخل رجلٌ والنبي ﷺ يخطبُ الناسَ، فقال: يا رسول الله، هَلَكَ الْمَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ، فَادْعُ اللَّهَ يُعِثْنَا. فرفع يديه ودعا، ثم أنشأ اللهُ سَحَابَةً فَتَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ، وَانْتَشَرَتْ، وَرَعَدَتْ، وَبَرَقَتْ، وَأَمْطَرَتْ، فَلَمْ يَنْزِلِ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخُطْبَةِ إِلَّا وَالْمَطَرُ يَتَحَادَرُّ مِنْ لِحِيَّتِهِ، قَالَ أَنَسُ: «فَمَا قَدِمَ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الإيثار وفضائل الصحابة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤/٦٠٥، رقم ٨٦٨٣).

إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ». أي: بكثرة الأمطار^(١).

٤٤٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَرْضَى عَنْ أُولِي حُسْنَى وَيَغْضَبُ مِنْ أُولِي الْعِصْيَانِ

هاتان صفتان: الرضى والغضب، يرضى عن أهل الحسنى، ولا يرضى عن أهل السوء، قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، وقال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنِّي وَعَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وقال عز وجل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩].

وصفة الرضى من صفات الله -تبارك وتعالى- الثابتة في القرآن والسنة، ودليلها في القرآن ما سبق.

أمَّا في السنة فقوله -عليه الصلاة والسلام-: «رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»^(٢).

أما أهل التعطيل ففسروا الرضى بالثواب، وهذا خطأ، لأن الثواب نتيجة الرضى، والرضى وصف في ذات الله عز وجل، والثواب مخلوق بائن عن الله، لكنهم لا يرون قيام الصفات بالله عز وجل، لأنه سبق أن قالوا: إننا لو أثبتنا هذه الصفات لزم قيام الحوادث به، والحوادث لا تقوم إلا بحدوث.

أو يقولون: هذه أعراض، والعرض لا يقوم إلا بجسم، أو ما أشبه ذلك من التعليلات الباطلة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستسقاء، باب الاستسقاء في المسجد الجامع، رقم (١٠١٣)،

ومسلم: كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، رقم (٨٩٧).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع

وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه، رقم (١٧١٥).

المهم أننا نؤمن بأن الله عز وجل يرضى.

وكذلك أيضاً يغضب، قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء: ٩٣].

وكذلك السخط كما قال الله عز وجل: ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠].

لكن هل الرضى، والغضب، والضحك، والعجب، من الصفات الفعلية، أو الذاتية؟

الجواب: من الفعلية، فكلُّ صفةٍ لها سبب فهي فعلية، لأنها تقتضي أن توجد عند هذا السبب، فتكون فعليةً تتعلّق بمشيئة الله عز وجل.

٤٤١- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ بَعِيدُهُمْ وَالذَّانِي

٤٤٢- لَمَّا يُنَادِيهِمْ: أَنَا الدَّيَّانُ لَا ظُلْمَ لَدَيَّ، فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ

وهذا حق، فالله تعالى ينادي الخلائق يوم القيامة، يناديهم بصوت يقول:

«أَنَا الدَّيَّانُ»^(١). وثبت أيضاً أنه ينادي آدم فيقول: «أَخْرِجْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثْنَا إِلَى النَّارِ»^(٢).

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥، رقم ١٦١٣٨)، والبخاري تعليقاً: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنِ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لأدم أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢).

٤٤٣- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يُشْرِقُ نُورَهُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ الْفَصْلِ وَالْمِيزَانِ

لقول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩].

٤٤٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ سَاقَهُ فَيَخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلأَذْقَانِ

وثبت هذا في الصحيح عن النبي ﷺ من حديث أبي سعيد^(١) الطويل، وفيه أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَكْشِفُ سَاقَهُ، فَيَسْجُدُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّ مَنْ سَجَدَ لَهُ فِي الدُّنْيَا مَخْلِصًا فِي سَجُودِهِ، وَيَعْجِزُ عَنِ السُّجُودِ مَنْ لَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ تَعَالَى بِإِخْلَاصٍ، قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَن سَاقِي وَيُدْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَنْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾ [القلم: ٤٢-٤٣].

والساق ثابتة بالسنة، لا إشكال فيها، لكن هل ثبت بالقرآن؟

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَكْشِفُ عَن سَاقِي﴾ [القلم: ٤٢] وهنا الساق غير مضافة، فلم يقل سبحانه: (عن ساقه)، ولا يجوز لنا أن نضيف إلى الله عزَّ وجلَّ ما لم يُضِفْهُ لِنَفْسِهِ.

لكن لما كان سياق الآية الكريمة يُطابِقُ سياق الحديث النبويِّ، وَجَبَ أَنْ نُفَسِّرَ الْآيَةَ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ الْحَدِيثُ، وَهُوَ أَنَّهَا سَاقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَلِيقٌ بِجَلَالِهِ، لَا تُشْبِهُ سَاقَ أَحَدٍ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ.

وهناك قول آخر للسلف في الآية نفسها أَنَّ الْمَرَادَ بِالسَّاقِ: الشِّدَّةُ، فَمَعْنَى

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، رقم (٧٠٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ أي: تَبَيَّنَ الشَّدَّةُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ^(١)، لَكِنْ مَا دَامَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مُطَابِقًا لِسِيَاقِ الْآيَةِ، فَالْوَاجِبُ أَنْ تُحْمَلَ الْآيَةُ عَلَيْهِ.

٤٤٥- وَزَعَمَتْ أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ كَفَّهُ لِمُسَيِّئِنَا لِيَتُوبَ مِنْ عِضْيَانِ

نعم، هذا جاء به الحديث الصحيح: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءٌ اللَّيْلِ، وَبِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءٌ النَّهَارِ»^(٢). ففي الحديث إثباتُ اليد، وإثباتُ بسطِها، وهذا حق.

وقد دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤].

٤٤٦- وَزَعَمَتْ أَنَّ يَمِينَهُ تَطْوِي السَّمَاءَ طَيَّ السَّجَلِ عَلَى كِتَابِ بَيَانِ

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فهو عزَّ وجلَّ يطويها بيمينه^(٣).

٤٤٧- وَزَعَمَتْ أَنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ فِي الدُّجَى فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي

٤٤٨- فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأَجِيبُهُ فَأَنَا الْقَرِيبُ أُجِيبُ مَنْ نَادَانِي

يشير إلى الحديث الصحيح عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ

(١) أخرجه الطبري في تفسيره (١٨٧/٢٣) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «هُوَ يَوْمٌ حَرْبٍ وَشِدَّةٍ». (٢) أخرجه مسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة، رقم (٢٧٥٩).

(٣) كما في قوله النبي ﷺ قَالَ: «يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ مُلُوكُ الْأَرْضِ». أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب يَقْبِضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، رقم (٦١٥٤)، ومسلم: كتاب صفة القيامة، رقم (٢٧٨٧).

الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ - أَوِ الثَّانِي، الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ النُّصْفِ وَالسُّدُسِ -
فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ
لَهُ؟^(١).

فمن الذي ينزل أهو الرَّبُّ -جَلَّ وعلا- أو رحمتُه، أو مَلَكٌ مِنْ ملائكته،
أو أمره؟

الجواب: ننظر: (يُنزِلُ رَبُّنَا)، فالفعل مضاف إلى الله عزَّ وجلَّ، وكُلُّ فعلٍ
مضاف إلى الله، فإنه يعني: ذات الله، وهذه قاعدة لا إشكال فيها من الناحية
اللغوية، فكل ما أضافه الله لنفسه فهو له ذاته، ولا تُؤوَّل، ولا تُحَرَّف.

وعليه نقول: إن الله ينزل، هو نفسه، لكن هل يجب علينا أن نقول: ينزل
بنفسه، أو ينزل بذاته، أو ما أشبه ذلك؟

الجواب: لا يجب علينا إلا إذا كان هناك مَنْ يُحَرِّفُ النزولَ إلى نُزولِ الرحمة،
أو الأمر، أو الملائكة، فهنا نُضيف كلمة (ذاته) مِنْ أَجْلِ رَدِّ هذا القول.

وبهذا نعرف أنه لا اعتراض على قول مَنْ يقول: ينزل (بذاته) كما اعتراض
بعض الناس على تعبير بعض السلف (ينزل بذاته)، قالوا: ليس لنا أن نزيدها،
فنقول: نعم، الأصل أنه ليس لنا أن نزيدها، لأنَّ الفعل إذا أُضيف إلى فاعله، فهو
له حقيقة، أي: ذاته، لكن إذا كنا نسمع مَنْ أشاع قولاً بأنَّ المراد: تنزل رحمتُه، أو
أمره، أو مَلَكٌ مِنْ ملائكته، فيجب علينا أن نضيف (بذاته) حتى نبيِّن للناس.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم:
كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم
(٧٥٨).

والكلمات التي لا تخالف الظاهر - وإن لم تكن موجودة - إذا اضطررنا إليها، فلا حرج علينا فيها كما قلنا في ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: هو نفسه استوى على العرش.

وبعض الناس يقول: لا تَقُلْ: بذاته! بل أقول: (بذاته) ما دام هناك مَنْ يُؤَوَّلُ ويحرّف، فلا بد أن يُبين.

وهذا النزول يَرُدُّ عليه أسئلة:

السؤال الأول: كيف ينزل؟

الجواب: ينزل على كيفية شاءها، ولا تسأل، لأننا نقول لمن سأل: (كيف ينزل؟): أنت مبتدع.

السؤال الثاني: حال النزول هل يلزم منه أن يتخلو العرش من الربّ عزّ وجلّ؟

الجواب: أيضًا نقول: لا تسأل، فالسؤال عن هذا بدعة، فالصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ما سألوا عن هذا، وإذا كانوا لم يسألوا، فإنه يَسَعُنَا ما يَسَعُهُمْ، ومَنْ لا يَسَعُهُ ما وَسِعَ الصحابة فلا وَسَعَ اللهُ عليه.

السؤال الثالث: هل النزول ينافي علوّ الله؟

الجواب: نجزم بأنّ هذا لا ينافيه، لأنّ (العلوّ) من الصفات الذاتية، فهو عالٍ على الخلق كلّهم، ولو نزل إلى السماء الدنيا، كما هو عالٍ على الخلق كلّهم، وهو معهم لكنه في العلوّ.

ولا تقس المعاني التي يحتملها اللفظ مما يتعلق بالآدمي على ما يكون لله منها، وذلك لاختلاف ما بين المخلوق والخالق.

إِذَنْ مَوْقِفَنَا مِنْ هَذَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ حَقًّا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ، أَوِ الثَّانِي الَّذِي يَبْتَدِئُ مِنَ النِّصْفِ فَيَقُولُ: «مَنْ يَدْعُونِي...» إِلَى آخِرِهِ.

أَمَّا الْمُحَرِّفُونَ الَّذِينَ قَالُوا: يَنْزِلُ أَمْرُهُ، فَنَقُولُ: هَذَا تَحْرِيفٌ مُخَالَفٌ لظَاهِرِ اللَّفْظِ، ثُمَّ إِنْ (أَمَرَ اللَّهُ) هَلْ يَخْتَصُّ بِنُزُولِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟ الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

كذلك (الرحمة) إذا نزلت إلى السماء الدنيا، فماذا نستفيد منها؟!

أَيْضًا (الْمَلَكُ) لَا يُمْكِنُ، فَهَلْ يُمْكِنُ لِأَيِّ مَلَكٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَقُولَ لِلْخَلْقِ: مَنْ يَدْعُونِي؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، لَكِنَّ الْمُحَرِّفَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يَكُونُ قَدْ تَلَوَّثَ بِنَجَاسَةِ التَّحْرِيفِ، وَغَشِيَتْ قَلْبَهُ حَتَّى لَا يُبْصِرُ مَا وَرَاءَهَا، فَيُفَسِّرُ النُّزُولَ هَذَا التَّفْسِيرَ.

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ فَأُجِيبُهُ» هُنَا إِشْكَالٌ فِي كَلِمَةِ (فَأُجِيبُهُ) هَلْ هِيَ بِالرَّفْعِ، أَوْ بِالنَّصْبِ، أَوْ بِالْجُزْمِ؟

الْجَوَابُ: بِالنَّصْبِ، لِأَنَّهَا جَوَابُ الاسْتِفْهَامِ، مَسْبُوقَةٌ بِـ(فَاءِ) السَّبْبِيَّةِ، وَلِذَا قَالَ النَّاطِمُ^(١):

مُرٌّ، وَادْعُ، وَانَّهُ، وَسَلِّ، وَاعْرِضْ لِحَضْرَتِهِمْ

تَمَنَّ، وَارْحُ، كَذَلِكَ النَّفْسِيُّ قَدْ كَمَّلَا

(١) انظر: حاشية الأجرومية لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدى (ص: ٤٩).

٤٤٩- وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهُ نُزُولًا ثَانِيًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِلْقَضَاءِ الثَّانِي قَوْلُهُ: «وَزَعَمْتَ أَنَّ لَهُ نُزُولًا ثَانِيًا... إلخ» قد ثبتت به السنة، وأشار إليه الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

٤٥٠- وَزَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ يَبْدُو جَهْرَةً لِعِبَادِهِ حَتَّى يُرَى بَعِيَانٍ هَذِهِ قَضِيَّةٌ رُؤْيَا لِرؤيةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَلِ اللَّهُ يُرَى؟

أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَيُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَخْتَجِبُ عَنْهُمْ، وَيُعْطُونَ نُورًا ثُمَّ يَنْطَفِئُ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ صَارُوا أَشَدَّ حَسْرَةً، وَهُمْ فِي ظَاهِرِ أَمْرِهِمْ مُسْتَنِيرُونَ بِنُورِ اللَّهِ، وَلَكِنْ يُحْرَمُونَ بَعْدَ أَنْ يَرَوْهُ، فَيَكُونُ هَذَا أَشَدَّ أَلَمًا وَحَسْرَةً.

وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ الْمَحْرُومِينَ مِنْ رَجَائِهِمْ لِرؤيةِ اللَّهِ، فَلَا يُرَى. هؤُلاءِ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ رُؤْيَا اللَّهِ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ اللَّهِ - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: رُؤْيَا اللَّهِ مُحَالَةٌ، مَعَ أَنَّ رُؤْيَا اللَّهِ دَلٌّ عَلَيْهَا الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِدَّةُ آيَاتٍ: أَصْرَحُهَا وَأَبْيَنُهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وَهَذِهِ وَاضِحَةٌ جَدًّا.

وَمِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فَسَّرَ النَّبِيُّ ﷺ - وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِتَفْسِيرِ كَلَامِ اللَّهِ - الزِّيَادَةَ بِأَنَّهَا النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - (١).

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَا الرَّبِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، رَقْمٌ (٢٥٥٢)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ فِي الْإِيمَانِ وَفَضَائِلِ الصَّحَابَةِ وَالْعِلْمِ، بَابُ فِيمَا أَنْكَرَتِ الْجَهْمِيَّةُ، رَقْمٌ (١٨٧).

ومنها قول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥] وَجْهُ الدلالة أنه لما حُجِبَ الْفُجَّارُ فِي حَالِ الْغَضَبِ، لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَلَّا يُحْجَبَ الْأَبْرَارُ عَنْ رُؤْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْكُلُّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَرَوْا اللَّهَ، لَمْ يَكُنْ لِنَفْيِ رُؤْيَةِ اللَّهِ عَنِ الْفُجَّارِ فَائِدَةٌ.

وفي السورة نفسها أيضًا قوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْكَانِ يُنظَرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣] يَنْظُرُونَ لِأَيِّ شَيْءٍ؟ الْجَوَابُ: يَنْظُرُونَ لِكُلِّ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لَهُمْ مِنَ النِّعَمِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَى اللَّهِ أَيْضًا بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥].
المهم أن هذا شيء معلوم في القرآن كثير.

وفي السُّنَّةِ: تَوَاتَرَتِ السُّنَّةُ عَنِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ رُؤْيَةً حَقِيقَةً حَسِيَّةً، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ»^(١). وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ عِيَانًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(٢).

فهل يبقى بعد هذا شيء؟! لكن أولئك الذين حُرِّمُوا مِنْ رَجَاءِ رُؤْيَةِ اللَّهِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- أَنْكَرُوا هَذَا، حَتَّى إِنْ بَعْضُهُمْ قَالَ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُرَى فَقَدْ كَفَرَ. نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَنَحْنُ رَبِّهَا نَقُولُ: مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ كَفَرَ، لِأَنَّ الْأَدْلَةَ فِيهَا وَاضِحَةٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَحْتَمِلَ التَّأْوِيلَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، باب (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، رقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجْهٌ يُؤْمَدُ نَاصِرَةٌ ۖ ﴿٢٢﴾ إِلَى رِبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

٤٥١- بَلْ يَسْمَعُونَ كَلَامَهُ وَيَرَوْنَهُ فَأَلْمُؤَلَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ

بقي أن نقول: أليس الله تعالى قال لموسى -عليه السلام- حين قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي ﴿ [الأعراف: ١٤٣].

فالجواب: بلى، لكنّ هذا في الدنيا، لأنّ أجسامنا في الدنيا لا تحتمل رؤية الله عزّ وجلّ، ولهذا بيّن الله عزّ وجلّ أنّ موسى -عليه السلام- لن يتحمّل، لقوله تعالى: ﴿أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾.

فإذا ادّعوا أن (لن) تفيد التأييد كما إذا قلت: (لن يقوم زيد) يعني: لا يمكن أن يقوم أبداً.

فالجواب: أن هذا زعمٌ باطل، ليس بصواب.

وانظر إلى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥] حيث أكّد النفي بقوله: ﴿أَبَدًا﴾، ومع ذلك يقول أهل النار لمالك: ﴿يَمَلِكُ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فتمنوا الموت، فدلّ هذا على أن (لن) وإن اقتضت التأييد في الدنيا، فلن يستمرّ التأييد إلى الآخرة.

ونحن نقول: في الدنيا لا أحد يراه، ولا يمكن، لكن في الآخرة يراه الناس.

وفي هذا يقول ابن مالك -رحمه الله-^(١):

وَمَنْ رَأَى النَّفْيَ بِـ (لَنْ) مُؤَبَّدًا فَقَوْلُهُ ارْدُدْ، وَسِوَاهُ فَاعْضُدَا

هذا ذكره في كتاب المنظومة (الكافية الشافية) التي لخصّ منها الألفية.

(١) انظر: شرح الكافية الشافية (٣/ ١٥١٥).

وأما رؤية الله عزَّ وجلَّ في المنام فقد ورد فيها حديث^(١)، وهذا الحديث مختلف فيه، لكن أكثر أهل العلم صحَّحوه، ولا بن رجب -رحمه الله- شرح^(٢) على هذا الحديث.

٤٥٢- وَزَعَمْتَ أَنَّ لِرَبِّنَا قَدَمًا وَأَنَّ

٤٥٣- فَهَنَّاكَ يَدُنُو بَعْضُهَا مِنْ بَعْضِهَا وَتَقُولُ قَطُّ قَطُّ حَاجَتِي وَكَفَّانِي

إثبات القدم لله أيضًا جاءت به السُّنَّة، وفي لفظ (الرَّجُلِ) لله عزَّ وجلَّ قال النبي ﷺ: «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ». يعني: تطلبُ المزيد، «حَتَّى يَضَعَ فِيهَا رَبُّ الْعِزَّةِ، تَبَارَكَ وَتَعَالَى، قَدَمَهُ فَتَقُولُ: قَطُّ قَطُّ». أي كفى، «وَعَزَّتْكَ وَيُزَوِّي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ»^(٣). أي يَنْضُمُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، فَيَصْدُقُ وَعَدُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِيَّاهَا بِأَنَّ يَمْلَأَهَا.

إِذْنُ نُثِبْتُ الْقَدَمَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَّهُ يَضَعُ قَدَمَهُ عَلَى النَّارِ، فَهَلْ هَذِهِ الْقَدَمِ مِثْلُ أَقْدَامِ الْمَخْلُوقِ؟ الْجَوَابُ: لَا، لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهَا، احْتِجَاجًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

ونقول لمن قال: يلزم من إثبات القدم أن تكون ماثلة لأقدام المخلوقين،

(١) وهو قوله ﷺ: «أَتَانِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: رَبِّ لَا أَدْرِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَفَيْيَ فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيِي فَعَلِمْتُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ». أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤).

(٢) هو كتاب: (اختيار الأكل في شرح حديث اختصاص الملائكة الأعلی).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، رقم (٦٢٨٤)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٤٨).

نقول: سبحان الله! أفدنا هل قدمك موافقة لقدم الحمار أو لا؟ إن قال: نعم، قلنا: أنت حمار، وإن قال: لا، قلنا: إذن إذا أمكن إثبات القدم للمخلوقين مع التباين العظيم، أفلا يمكن أن نثبت القدم لرب العالمين مع التباين العظيم؟!
والجواب: بلى.

قوله: «قط» بمعنى كفى، ومنه قولنا، فقط، تقول: (عندي مئة ريال فقط)
أي: يكفي، لكن أدخلوا الفاء عليها لتحسين اللفظ.
والحاصل أن المقصود بكل ما ذكر في الآيات السابقة إثبات صفات الله عز وجل.

وقول المؤلف: (زعمت)، و(زعمت)، و(زعمت) هذا قول المعطل الذي يُنكر على المثبت، وهذه الأشياء المزعومة كلها جاءت في الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] والرّضى عن المؤمنين، والغضب على الكافرين وما أشبه ذلك، لكن كل هذه الأشياء مُنكرة عند أولي التعطيل لا يثبتونها، وهم فيها على مسلكين:

المسلك الأول: إذا أمكنهم أن يطعنوا في الأحاديث ويكذبوها كذبوها، مثل خبر الآحاد، يقولون: إنه لا تثبت به العقائد.
وهذه قاعدة باطلة مهدومة.

المسلك الثاني: إذا لم يتمكنوا من الردّ ذهبوا إلى التحريف، لأنهم لا يستطيعون أن يقولوا في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: إنها غير ثابتة، لكن يقولون بالتحريف.

فَهُمْ لَمْ يَكُنْ فِي النُّصُوصِ الْمُبْتَدَأَ طَرِيقَتَانِ: طَرِيقَةُ الرَّدِّ إِذَا أَمَكْنَ، وَإِنْ لَمْ يُمْكِنْ فَالْتَحْرِيفُ، أَمَّا الْإِنْكَارُ الْمَطْلَقُ، فَهَذَا لَا يُمْكِنْ فِي مِثْلِ الْقُرْآنِ وَالْمُتَوَاتِرِ، لِأَنَّهُ ثَابِتٌ، لَكِنْ يَقُولُونَ: نُحَرِّفُ، فَالْمُرَادُ بِالْيَدِ مِثْلًا: (الْقُوَّةُ) أَوْ (النَّعْمَةُ)، وَإِلَّا فَلَا تُنْكَرُ أَنَّ اللَّهَ يَدًا، لَكِنْ لَيْسَتْ الْيَدُ الْمَعْرُوفَةُ الْحَقِيقِيَّةُ، بَلْ هِيَ الْقُوَّةُ، أَوْ النَّعْمَةُ.

وهل لله وجه؟ قالوا: نعم، له وجه، لكن ليس الوجه الحقيقي، بل المراد به الثواب، فقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] أي: ثوابه، لأنَّ الْجَنَّةَ مُؤَبَّدَةٌ.

هذه طريقتهما في النصوص، ليس أيضًا في الصفات حتى فيما يخالف قولهم في العقائد الأخرى.

فمِثْلًا: الْجَبْرِيَّةُ يُنْكِرُونَ كُلَّ حَدِيثٍ يُثْبِتُ لِلْعَبْدِ إِرَادَةَ حَقِيقِيَّةً، وَإِذَا أَمَكْنَ أَنْ يَرُدُّوهُ رَدُّوهُ، وَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ حَرَّفُوهُ، فَمِثْلًا: مَحَاجَّةُ آدَمَ لِمُوسَى^(١)، قَالَتْ الْقَدَرِيَّةُ: هَذَا حَدِيثٌ كَذِبٌ، لَا يُمْكِنْ، وَلَا تَقْبَلُ أَنَّ آدَمَ احْتَجَّ بِالْقَدَرِ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ إِرَادَةٌ، فَهَذَا الْحَدِيثُ مُخَالِفٌ لِلْعَقْلِ، وَطَرِيقُهُ آحَادٌ فَلَا نَقْبَلُهُ، وَرَدُّوهُ.

والذي لا يمكن أن يردُّوه يُحَرِّفُونَهُ، فيقولون: المراد به كذا وكذا، بناءً على أصول مذاهبهم.

٤٥٤- وَزَعَمْتَ أَنَّ النَّاسَ يَوْمَ مَزِيدِهِمْ كُلُّ يُحَاضِرُ رَبَّهُ وَيُدَانِي

(١) يعني حديث: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ لَهُ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا حَيِّتْنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ لَهُ آدَمُ: يَا مُوسَى اضْطَفَاكَ اللَّهُ بِكَلَامِهِ، وَحَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرِ قَدَرَهُ اللَّهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟ فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى». أخرجه البخاري: كتاب القدر، باب تهاج آدم وموسى عند الله، رقم (٦٢٤٠)، ومسلم: كتاب القدر، باب، حجاج آدم وموسى - عليها السلام -، رقم (٢٦٥٢).

٤٥٥- بِالْحَاءِ مَعَ ضَادٍ وَجَامِعٍ صَادِيهَا وَجَهَانٍ فِي ذَا اللَّفْظِ مَحْفُوظَانِ
قَوْلُهُ: «بِالْحَاءِ مَعَ ضَادٍ» يَعْنِي: يُحَاضِرُ.

قَوْلُهُ: «وَجَامِعٌ صَادِيهَا» (وجا) يعني: (وجاء) مع صادها، يعني: وجاء:
يُحَاضِرُ.

قَوْلُهُ: «وَجَهَانٍ فِي ذَا اللَّفْظِ مَحْفُوظَانِ» يعني: إِنَّ لَفْظَ الْحَدِيثِ جَاءَ بِهَذَا
وبهذا، يعني: (يُحَاضِرُ أَوْ يُحَاضِرُ)، والمعنى متقارب، يعني أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُكَلِّمُ الْعَبْدَ
مُحَاضِرَةً يَعْنِي: لَيْسَ مَعَهَا أَحَدٌ، أَوْ مُحَاضِرَةً يَعْنِي: مُنَاقَشَةً، أَي: أَخَذًا وَرَدًّا.

٤٥٦- فِي التِّرْمِذِيِّ وَمُسْنَدِ وَسَوَاهِمَا مِنْ كُتُبِ تَجْسِيمِ بِلَا كِتْمَانِ
قَوْلُهُ: «فِي التِّرْمِذِيِّ» يَعْنِي: فِي جَامِعِ التِّرْمِذِيِّ.

قَوْلُهُ: «مِنْ كُتُبِ تَجْسِيمٍ» فَهَم يَرُونَ أَنَّ جَمِيعَ الْكُتُبِ الَّتِي تُثَبِّتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ
كُلَّهَا كُتُبُ تَجْسِيمٍ، لِأَنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ إِثْبَاتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ.

٤٥٧- وَوَصَفْتُهُ بِصِفَاتٍ حَيٍّ فَاعِلٍ بِالِاخْتِيَارِ وَذَانِكَ الْأَصْلَانِ

٤٥٨- أَصْلُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْبَارِي، فَكُنْ فِي النَّفْسِ غَيْرَ جَبَانِ

يعني: وزعمت أنه موصوف بصفات الحيِّ الفاعل الاختيارية، مثل: النزول،
والاستواء، والضَّحِك، والفرح، وما أشبه ذلك، فهذه أفعال اختيارية.

وهذه الأفعال الاختيارية موصوف بها الإنسان، أو غير موصوف بها؟

الجواب: موصوف بها الإنسان، فيقول: زعمت هذا.

قَوْلُهُ: «وَذَانِكَ الْأَصْلَانِ أَصْلُ التَّفَرُّقِ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْبَارِي فَكُنْ فِي

النَّفْيِ غَيْرَ جَبَانٍ» يعني: انفِ هذا الشيء، وَقُلْ: إِنْ اللهُ -تبارك وتعالى- ليس له فعلٌ اختياري.

ولذلك عند هؤلاء المعطلة لا يستطيع الله عزَّ وجلَّ أن ينزل، ولا أن يأتي للفصل، ولا أن يضحك، ولا أن يفرح، لأنهم يدَّعون أن الأفعال الاختيارية تستلزمُ حدوثَ صفةٍ في الله، والحادِثُ لا يكون إلا بحدِث.

وسبق أن هذه قاعدة باطلة، وأنَّ قيامَ الحوادث بما هو أزلي لا يَمْنَعُ منه عقلٌ، ولا شرعٌ.

٤٥٩- أَوْ لَا، فَلَا تَلْعَبُ بِدِينِكَ نَاقِضًا نَفِيًّا بِإِبْتَاتٍ بِلَا فُرْقَانٍ

يعني: إن لم تكن شجاعاً في النفي، فلا تلعب بدِينِكَ، فمَرَّةً تنفي، ومَرَّةً تُثَبِّت، إِنْ حَصَرَكَ المناظر أثبتت، وَإِنْ خَلَا لَكَ الجَوُّ نَفَيْتَ، بل كن غير جبانٍ، يعني: شجاعاً مع مَنْ يُثَبِّت لِنَعْلَبَهُ بالنفي.

٤٦٠- فَالْنَّاسُ بَيْنَ مُعْطَلٍ أَوْ مُثَبِّتٍ أَوْ ثَالِثٍ مُتَنَاقِضٍ صِنْفَانِ^(١)

٤٦١- وَاللَّهُ لَسِتَ بِرَابِعٍ لَهُمْ بَلَىٰ إِمَّاجِمَارًا أَوْ مِنَ الثَّيْرَانِ

يقول -رحمه الله-: إِنْ النَّاسَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

القسم الأول: نافٍ -أي: مُعْطَلٌ - اطرَدَ نَفِيَّهُ فِي كُلِّ الصِّفَاتِ.

القسم الثاني: مثبت لكلِّ ما أثبتته اللهُ لِنَفْسِهِ، اطرَدَ إِثْبَاتُهُ فِي كُلِّ الصِّفَاتِ.

القسم الثالث: متناقض، يُثَبِّتُ بَعْضَ الصِّفَاتِ دُونَ بَعْضٍ، أَوْ يَثْبِتُ تَارَةً

وينفي أخرى.

(١) في بعض النسخ: «صفعان»، وفي نسخة: «صنغان».

وهذا تقسيم حاصل.

إِذَنْ لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ، ولذا قال: (وَاللَّهِ لَسْتَ بِرَابِعٍ هُمْ بَلَى).

قَوْلُهُ: «بَلَى» هنا بمعنى (بلى)، وابن القيم - رحمه الله - يستعملها دائماً بهذا المعنى، ووردت (بلى) في القرآن في موضع بمعنى (بلى).

قَوْلُهُ: «إِنَّمَا حِمَارًا أَوْ مِنَ الثَّيْرَانِ» عُلَّه لا يقول شيئاً أبداً لا إثباتاً، ولا نفيًا، ولا تردداً.

وذكر الحمار لأنَّ الحمارَ أبلدُ البهائم، ولهذا ضربه الله تعالى مثلاً بالذين ﴿حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ [الجمعة: ٥] ولأجل كونه أبلد الحيوان فهو أدلُّ الحيوان للطريق.

وذكر لنا شيخنا عبد الرزاق عفيفي - رحمه الله - أنه لما كان أبلد الحيوان صار أدلُّ الحيوان، إذ ليس عنده تفكير، فهو يمشي على هذه الطريقة، وقال: والذكي ليس يدلُّ كثيراً، لأنَّ حُجَّهُ دائماً منشغلاً بغير الطريق.

أمَّا كون الحمار يدلُّ فهذا شيء معلوم، وقد عرفنا هذا لما كنا فلاحين، وأما كون الذكي ما يدلُّ كثيراً، فهذا يحتاج إلى نظر، فقد لا تُسَلِّم، أنا أرى أن السائقين من أدلُّ الناس، فإذا ذهب معك إلى البيت ولو مرة واحدة فإنه يعرفُ البيت، لكن الركاب معه لا يعرف أبداً، لأن السائق عنده تركيز بخلاف مَنْ معه.

بقي قَوْلُهُ: «أَوْ مِنَ الثَّيْرَانِ» ما وجهه؟

هل نقول: إن ابن القيم - رحمه الله - قالها تكميلاً للبيت، أو هناك ملاحظة؟

الجواب: فيه ملاحظة، فالثور ليس عنده حكمة، فهو يعيث بقرونه، ولا يبالي في مناسبة، أو غير مناسبة.

وذكروا لنا أن رجلاً -رحمه الله- دخل إلى حوشِ البقر، فعَدَا عليه الثور، ولا يستطيع أن يهرب الآن لأنه محاطٌ بالجدران، حتى ألجأه الثورُ إلى الجدار، يريدُ أن يقتله، فاتكأَ الرجلُ على الجدار، وأمسك برأس الثور، ولفه حتى كسر رقبتَه وسقط.

وقصدي بهذا أن الثورَ ليس عنده تصرف، فالجِمار بليد ليس عنده علم، والثورُ -وإن كان عنده علم- لكن ليس عنده حكمة، فالظاهر أن هذا مراده -رحمه الله-، وليس مراده أن يكمل شطر البيت فقط.

- ٤٦٢- فَاسْمَعْ ^(١) بِإِنْكَارِ الْجَمِيعِ وَلَا تَكُنْ مُتَنَاقِضًا، رَجُلًا لَهُ وَجْهَانِ
 ٤٦٣- أَوْ لَا فَفَرِّقْ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ وَنَفَيْتَهُ بِالنَّصِّ وَالْبُرْهَانِ
 ٤٦٤- فَالْبَابُ بَابٌ وَاحِدٌ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي عَقْلِ وَفِي مِيزَانِ
 ٤٦٥- فَمَتَى أَقْرَبَ بَعْضِ ذَلِكَ مُثَبَّتٌ لَزِمَ الْجَمِيعَ أَوْ أَثَبَتِ بِالْفُرْقَانِ
 ٤٦٦- وَمَتَى نَفَى شَيْئًا وَأَثَبَتَ مِثْلَهُ فَمَجَسَّمٌ مُتَنَاقِضٌ دَيْصَانِي
 ٤٦٧- فَذَرُوا الْمِرَاءَ وَصَرِّحُوا بِمَذَاهِبِ الْأَقْدَمَاءِ وَأَنْسَلِحُوا مِنَ الْإِيمَانِ
 ٤٦٨- أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ تَحْتَ لَوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ
 ٤٦٩- أَوْ لَا فَلَا تَتْلَعِبُوا بِعُقُولِكُمْ وَكِتَابِكُمْ وَبِسَائِرِ الْأَدْيَانِ
 ٤٧٠- فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوِّهِ بَيِّنَانِ

(١) في نسخة الشرح: «فاسمع».

٤٧١- وَالنَّاسُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ أَوْ جَاحِدٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهِهٗ أَتَانِ

الشرح

٤٦٢- فَاسْمَحْ بِإِنْكَارِ الْجَمِيعِ وَلَا تَكُنْ مُتَنَاقِضًا، رَجُلًا لَهُ وَجْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَاسْمَحْ بِإِنْكَارِ الْجَمِيعِ» يعني: أَنْكِرِ الْجَمِيعَ، ويريد بذلك الأسماء والصفات كُلِّهَا، وحيثُذ يكون البابُ عنده مَطْرَدًا، لا يثبت، لا الأسماء، ولا الصفات، ولا شَكَّ أن قَاعِدَتَهُم هذه مُطْرَدَةٌ، لكن هل هي صحيحة، أو غير صحيحة؟ المهم أن قَاعِدَتَهُم مُطْرَدَةٌ.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَكُنْ مُتَنَاقِضًا» التناقض هو أن يُثَبَّتَ البعض، وينفي البعض، فمثلًا المعتزلة: أثبتوا الأسماء، وأنكروا الصفات، إذن تناقضوا، أي فرق بين هذا وهذا؟! فَمَنْ أثبت الأسماء لزمه أن يُثَبَّتَ الصفات.

والأشاعرة -مثلًا- أثبتوا الأسماء، ولم يثبتوا من الصفات إلا سبع صفات فقط، هذا المعروف عنهم، وربما يكون هناك فِرَق أخرى أثبتت أكثر من السبع، أو فسرتها بتفاسير أخرى، فالأشاعرة أثبتوا الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والإرادة، كما قال السفاريني -رحمه الله-^(١):

لَهُ الْحَيَاةُ، وَالْكَلامُ، وَالْبَصَرُ، سَمْعٌ، إِرادَةٌ، وَعِلْمٌ وَاقْتِدَارٌ
بِقُدْرَةٍ تَعَلَّقَتْ بِمُمْكِنٍ كَذَا، إِرادَةٌ، فَعٍ وَاسْتِثْنَاءِ

(١) انظر كتابه: (لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدررة المضية في عقد الفرقة المرضية) (١/١٣٠).

فهؤلاء متناقضون، نقول لهم: لماذا أثبتتم السبع الصفات، ولم تثبتوا غيرها؟! إما أن تثبتوا الجميع فتوافقوا أهل السنّة، وإما أن تنفوا الجميع فتوافقوا المعتزلة الذين تزعمون أنكم أنتم الذين تصدّيتم للردّ عليهم، ولهذا نقول: المعتزلة أطرّد في القاعدة من الأشاعرة، وإن كانوا أخطئوا في إثبات الأسماء دون الصفات.

وقد قرأنا لبعض كتّابهم أنه لم يرّد أحد على المعتزلة كما ردّ عليهم الأشاعرة. وهذا كذبٌ وبُهتانٌ.

المهم أن الاضطراد إما بإنكار الجميع، وإما بإثبات الجميع، ولهذا قال:

٤٦٣- «أَوْ لَا فَفَرَّقْ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ وَنَفَيْتَهُ بِالنَّصِّ وَالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يعني: لا تُنكر الجميع، أنكر بعضها.

قَوْلُهُ: «فَفَرَّقْ بَيْنَ مَا أَثْبَتَهُ وَنَفَيْتَهُ بِالنَّصِّ وَالْبُرْهَانِ» هل يقدر أو لا يقدر؟

الجواب: لا يقدر أن يفرّق بين ما أثبته وما نفاه.

فالأشاعرة - كما سبق - لا يُثبتون لله إلا سبع صفاتٍ، والباقي لا يثبتونه، فالرحمة، والرضى، والغضب، والسخط، والكرهية، والبُغض، والمحبة، والوجه، وما أشبه ذلك، كلُّ هذا - عندهم - ليس بثابتٍ لله على وجه الحقيقة، ويحب أن يُؤوّل، لماذا؟

منهم مَنْ قال: لأنّ العقل لا يدل عليه، ونحن لا نُثبت إلا ما دلّ عليه العقل.

ومنهم مَنْ قال: لأنّ إثباته يستلزم التجسيم، لأننا لا نشاهد ما يتصف

بذلك إلا ما هو جسم، فإذا أثبتنا حقيقته لله لزم أن يكون جسماً، ثمّ قالوا: الأجسام متماثلة، وكل ما استلزم باطلاً فهو باطل، لأنّ المماثلة باطلة.

نقول لهم: ما دليلكم على إثبات العقل لهذه الصفات السبع؟ قالوا: الإيجاد يدلُّ على القدرة، فالسماوات والأرض والبشر والحيوان كُلُّها مُوجَدٌ لله، فهذا دليل على القدرة، وهذا صحيح.

والتخصيص يدلُّ على الإرادة، ومعنى التخصيص أن يقول: هذه سماء، وهذه أرض، وهذا إنسان، وهذا جبل، وهذه شمس، وهذا قمر، فهذا يدلُّ على أن هناك إرادةً فَرَّقَتْ بين الموجودَيْنِ، ولولا الإرادة لكان الخَلْقُ كُلُّهم شيئاً واحداً، إذن تخصيصُ كُلِّ واحدٍ مِنَ المخلوقات بما يختصُّ به دليلٌ على الإرادة، وهذا صحيح.

لو نظرنا إلى هذه المخلوقات وجدنا أنها مُحَكَّمَةٌ متقنَةٌ، قال الله تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ [يس: ٤٠] قالوا: إحكامُ هذه الأشياء وإتقانها يدلُّ على العلم، لأنَّ الجاهل لا يُتَقَنُّ، فلو أعطيت شخصاً مسجلاً لفكَّه وتركيبه وهو لا يعرف ذلك، فإنه لا يستطيع ذلك، لأنه لا دراية ولا علم له بذلك، حتَّى لو قام بتركيبه على غير انتظام، فإنَّ المسجل لا يعمل.

قالوا: فهذا النظام البديع، والإحكام الغريب يدلُّ على العلم.

وهذا صحيح، فنوافقهم على ذلك، فاجتمع عندنا الآن ثلاث صفات، وهي: القدرة، والإرادة، والعلم.

قالوا: وهذه الصفات لا تقوم إلاَّ بِحَيٍّ، لأنَّ الميت لا يستطيع، فليس عنده قدرة، ولا إرادة، ولا علم، إذن ثبت صفة الحياة بهذه الطريقة بأنها من لازم كونه عليماً قادراً مُريدًا أن يكون حيًّا. وهذا صحيح.

والحيُّ إمَّا أن يكون أعمى أصمَّ أخرسَ، أو بصيراً سميعاً متكلمًا، والأول

ممتنع على الله، فلا يمكن أن يكون بهذا العيب، فبقي الثاني، ولزم أن يكون سميعًا بصيرًا متكلمًا.

فنتقول: وهذا أيضًا صحيح، وليتهم قالوا: والمريد إما أن يكون سفيهاً، وإما أن يكون حكيمًا، وهذا صحيح، والأول ممتنع، فلزم الثاني، وهو الحكمة، لكن لم يقولوا هذا، وما هُذوا إليه، مع العلم بأن هذا من أظهر ما يكون، فمثال المريد للشيء: الصبي الذي يمسك فنجان الشاي ويضرب به البيت، فهو هنا مريدٌ، لكن فعله هذا سفةٌ، وليس بحكمة.

إذن كلُّ مُريدٍ إما أن يكون حكيمًا، وإما أن يكون سفيهاً، والثاني ممتنعٌ على الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، فلزم أن يكون حكيمًا، ولهذا يقولون: فعلُ الله، وحُكمُ الله، وتشريعُ الله لغيرِ حكمة، لكن لمطلق الإرادة.

فالآن هذا دليل العقل لإثبات هذه الصفات السبع، والباقي - وهو كل ما حوى من قاموس الكتاب والسنة - لم يثبتوه، وهذا من أعظم التناقض، فنحن نردُّ عليهم بأشياء كثيرة، بوجوه عقلية، فنقول:

أولاً: اعتمادكم على العقل فيما يُثبِتُ الله، وفيما يُنْفَى عنه، هذا باطلٌ من أصله، لأنَّ الرسولَ ﷺ والصحابةَ والخلفاءَ والأئمةَ من بعدهم ما جعلوا مدار هذه الأشياء على العقل، فالاعتمادُ على العقل طريقٌ مُحدَثٌ بدعيٌّ وضلال، لقول الرسول - عليه الصلاة والسلام -: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١).

ثانياً: نقول: اعتمادكم على العقل مخالِفٌ للعقل، ولا نقول: العقل لا يثبت، بل نقول: هو مخالِفٌ للعقل، وبين هذه والتي قبلها فرق، كيف يكون مخالفاً

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧).

للعقل؟ لأنَّ من المعلوم لكلِّ أحدٍ أنَّ طريق الإثبات في هذه الأمور هو السمع، فليس لنا طريق أن نثبت لله تعالى من ذلك شيئاً، أو نَنفِيهِ إِلَّا عن طريق السمع، فالعقل إذن يؤيد أننا لا نَعتمد في إثبات هذه الأمور، أو نفيها إِلَّا على السمع، لا على العقل، فصار تحكيم العقل في هذه الأمور مخالفاً للعقل.

ثالثاً: أن نقول: يمكن أن نثبت ما نفيتموه بالعقل، كما أثبتُّم ما أثبتموه بالعقل، مع أن نفي الأمور الخبرية لا مدخل للعقل فيها، إذ إن موقف العقل سيكون التوقف.

ونقول مثلاً: جلبُ النِّعمِ، ودفعُ النِّقمِ دليلٌ على الرحمة، فَلتُثبت، كما استدلتُّم بالتخصيص على الإرادة، بل ودلالة ذلك على الرحمة أقوى من دلالة التخصيص على الإرادة الذي زعمت أيها الأشعريُّ أنه دليل عقلي على إثبات الإرادة.

هم يقولون: الإرادة تُثبت بالعقل، لأننا نشاهد المخلوقات لها خصائص، كل واحد له خصيصة، فتخصيصُ كُلِّ شيءٍ بما يختص به يدلُّ على أن هناك إرادة.

نقول: سبحان الله! هذا الدليل الخفي الذي قد يَعسرُ فَهْمُهُ على طالب العلم هل هو أقوى من دليل الغيث على الرحمة؟ الجواب: لا والله، ليس بأقوى.

ونقول: عقوبةُ المجرمين ومثوبةُ الطائعين دليلٌ على كراهة الأولين ومحبة الآخرين، إذ لا يمكن لشخص أن يمسك إنساناً ويجلده، ويضربه ضرباً مُبرِّحاً، ويقول له: (والله إني أُحِبُّكَ، فأنت أحبُّ إليَّ من كثيرٍ من الناس)، وهو يضربه، فالعقوبة تدلُّ على الكراهة.

لكن واحد يضرب شخصاً ضرباً مُبرِّحاً ويجلده، ويقول له: (والله إني أكرهك) فهذا صادق، وإنسان آخر دعا شخصاً إلى بيته، وأكرمه غاية الإكرام،

وألبسه من خير اللباس، وأركبه من خير المركوب، وقال: تدري لِمَ فعلتُ بك هذا؟ قال: نعم، قال: لأني أكرهك. فلا يمكن هذا.

إِذَنْ مَثُوبَةُ الطَّائِعِينَ وَعَقُوبَةُ المَجْرِمِينَ دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى أَنَّ اللهَ مُحِبُّ الأَوَّلِينَ وَيَكْرَهُ الأَخْرِينَ.

فنقول لهم: يمكن أن نُثَبِّتَ ما نفيتموه بطريق العقل كما أثبتتم أنتم ما أثبتموه بطريق العقل، بل إنَّ إثباتنا قد يكون أوضح.

رابعًا: أن نقول: هَبْ أن العقل لا يدلُّ على ما نَفَيْتُمْ، هَبْ أن العقل لا يدلُّ على إثبات الرحمة لله، أو إثبات الرِّضَى، أو الغضب، أو ما أشبه ذلك، ولكن السمع أثبتته، فإذا انتفى الدليلُ العقليُّ على زعمكم، فقد أثبتته الدليلُ السمعيُّ، والقاعدة التي أطبق عليها جميع العقلاء أنَّ انتفاء الدليلِ المُعَيَّن لا يستلزم انتفاء المدلول، لأنَّ المدلول قد يَثْبُتُ بدليل آخر، فإذا انتفى هذا الدليل، فهناك دليل آخر، فهب أن هذا الدليل قد انتفى، لكن هناك دليلٌ آخر.

وكما أن هذا في المعقولات فهو أيضًا في المحسوسات، رأيت لو كان لِمَكَّةَ ثلاثة طرق، فأردتُ أن أسافر إليها، فجاءني رجل فقال: إنَّ الطريق الشمالي مغلق، فقلت: إذن أذهب من الطريق الوسط، فقال: مغلق، فأقول: أذهب من الطريق الجنوبي، فهل إذا انسَدَّ طريقان يوصلان إلى مكة، ولها ثلاثة طرق، يستلزم انسداد الطريق الثالث؟ الجواب: لا.

فإذا كانت هذه الصفات - كما زعمتم - لا يدلُّ عليها العقل، فالسمع يدلُّ عليها، فوجب إثباتها بالدليل السَّمْعِيِّ القائمِ السالمِ عن المعارضِ المقاومِ.

فتبيِّن بهذا أن المؤلف - رحمه الله - يقول لهؤلاء الجماعة: أنتم متناقضون،

والمعتزلة أكثر اضطرابًا منكم في القاعدة، لأنَّ المعتزلة يُنكرون كُـلَّ الصفات، فيقولون: أريحونا من التناقض، فليس لله صفة، فلا علم، ولا قُدرة، ولا حياة، ولا حكمة، ولا كلام، وأما الجهمية فينكرون الأسماء والصفات.

انظر -والعياذ بالله- فكلُّ أخذ قسَمًا، فالجهمية قالوا: دعونا من التناقض، لا تقولوا: لماذا أثبتم الأسماء ونفيتم الصفات؟ فالكلُّ نَفَرٌ منه جميعًا، فلا اسم، ولا صفة.

فاحمدوا الله على أن عافاكم مما ابتلاهم به.

وأما أهل السنة فقالوا: نُثبت كل ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو على ألسنة رُسله. وهذا هو الحق، لأنَّ هذه أمور غيبية لا تُدرَكُ بالعقل، فوجب تلقيها من السمع (الكتاب والسنة).

فالمهم أن الأشاعرة متناقضون لا شك، فما هو الطريق السليم الصحيح؟
الجواب: الطريق هو إثبات الجميع، فكلُّ ما سَمَى الله به نفسه فثابتٌ، وكُلُّ ما وصف به نفسه فثابتٌ على الوجه الحقيقي، لكن يجب أن نلاحظ قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ولهذا قال المؤلف -رحمه الله-:

٤٦٤- فَالْبَابُ بَابٌ وَاحِدٌ فِي النَّفْيِ وَالْإِثْبَاتِ فِي عَقْلِ وَفِي مِيزَانِ

نحن الآن في سياق الردِّ على الأشاعرة الذين يُثبتون بعضًا، وينفون بعضًا، فهو يقول: كيف تُثبت شيئًا، وتنفي مثله والبابُ بابٌ واحد؟! إما أن تُثبت الجميع، وإما أن تنفي الجميع، وهذا هو العدل.

٤٦٥- فَمَتَى أَقَرَّ بِبَعْضِ ذَلِكَ مُثَبِّتٌ لَزِمَ الْجَمِيعَ أَوْ أَثَبَّتِ بِالْفُرْقَانِ قَوْلُهُ: «فَمَتَى أَقَرَّ بِبَعْضِ ذَلِكَ مُثَبِّتٌ» لو قال المؤلف: «فمتى أقرَّ ببعض ذلك مُثَبِّتًا» لكان أحسن، والمعنى: إذا أقرَّ ببعض ذلك مُثَبِّتًا له لزمه الجميع، أو أن يأتي بالفرقان، فيقول: أثبتُّ كذا لكذا، ونفيتُّ كذا لكذا.

وقد تقدّم أن الأشاعرة لهم شبهة فيما أثبتوه، ولهم شبهة فيما نفّوه، وسبق أن شبهتهم التي احتجوا بها باطلة من عدة أوجه:

أولاً: الاعتماد على العقل غير صحيح.

ثانياً: العقل يقتضي عدم الاعتماد على العقل.

ثالثاً: إذا قدر أن العقل لم يدلّ فقد دلّ عليه السمع، وانتفاء الدليل المعين لا يستلزم انتفاء المدلول.

رابعاً: أن العقل قد دلّ على ما نفّوه بالعقل.

خامساً: ويمكن أيضاً أن نستدلّ على بطلان مذهبهم بالتناقض، فنقول: مذهبكم متناقض أيضاً، إذ لا فرق بين ما نفيتموه وبين ما أثبتموه.

سادساً: نقول: إن نفيكم يلزم منه أنكم فررتم مما أثبتته الله لنفسه، ووقعتم في نظير ما فررتم منه، وضررنا مثلاً فيما سبق بـ(اليد)، قالوا: لا نشبتها، لأنّ للإنسان يداً، وإثبات اليد يستلزم التشبيه، قلنا: قلتم: إنها بمعنى القوة، وللإنسان قوة، فإثبات القوة عندكم يستلزم التشبيه، فوقعتم في مثل ما فررتم منه، ولكن على وجه أقرب، وهو تحريفكم للنصوص عن ظاهرها إلى هذا المعنى الذي أبديتموه.

إذا أقرُّوا بثبوت السبع الصفات يلزمهم إثبات البقية، وإلا فليأتوا بالبرهان، ولا برهان لهم والحمد لله، وقد أبان الله - سبحانه وتعالى - الحقَّ على يد أهل العلم الربانيين.

٤٦٦- وَمَتَى نَفَى شَيْئًا وَأَثَبَتْ مِثْلَهُ فَمَجَسَّمٌ مُتَنَاقِضٌ دَيْصَانِي

قَوْلُهُ: «مَجَسَّمٌ»، لأنه أثبت، وهو يدَّعي أنَّ الإثبات يستلزم التشبيه.

قَوْلُهُ: «مُتَنَاقِضٌ» حيث نفى شيئاً قد أثبت مثله، فهو مُجَسَّمٌ مُتَنَاقِضٌ.

قَوْلُهُ: «دَيْصَانِي» نسبة إلى طائفة الديصانية^(١).

٤٦٧- فَذَرُوا الْمِرَاءَ وَصَرَّحُوا بِمَذَاهِبِ الْأَقْدَمَاءِ وَأَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «ذَرُوا الْمِرَاءَ» يعني: اتركوا الجدال، والجدال بغير الحقِّ، أو لغير الحقِّ

مراء، وأمَّا الجدال بالحقِّ، فليس بمراء، بل هو لإثبات الحقِّ، فلا يُدَمُّ الإنسان عليه.

قَوْلُهُ: «وَصَرَّحُوا بِمَذَاهِبِ الْأَقْدَمَاءِ» يعني بذلك الفلاسفة الذين انسلخوا

من الأديان.

(١) الديصانية: أصحاب ديصان، أثبتوا أصلين نورًا، وظلامًا، فالنور يفعل الخير قصدًا واختيارًا، والظلام يفعل الشر طبعًا واضطرارًا، فما كان من خير، ونفع، وطيب، وحسن، فمن النور. وما كان من شر وضرر، وتتن، وقبح، فمن الظلام، وزعموا أن النور: حي، عالم، قادر، حساس، دراك، ومنه تكون الحركة والحياة، والظلام: ميت، جاهل، عاجز، جماد، موات، لا فعل له ولا تمييز. وزعموا أن الشر يقع منه طبعًا وخرقًا، وزعموا أن النور جنس واحد، وكذلك الظلام جنس واحد، وأن إدراك النور إدراك متفق، فإن سمعه وبصره وسائر حواسه شيء واحد، فسمعه هو بصره، وبصره هو حواسه، وإن ما قيل سميع بصير، لاختلاف التركيب، لا لأنها في نفسها شيان مختلفان. انظر: الملل والنحل (٢/٥٥).

يقول: إذا كان الأمرُ على هذا الوجه، والعقيدة على هذا الوجه المتناقض فاتركوها، دعونا لنكونَ مطَّردين في القاعدة، انسلخوا من الإيمان.

وبهذا نعرف ضلال مَنْ قال مِنَ الناس: إِنَّ الأشاعرة الذين حَكَّموا العقل هم الذين سَدَّوا البابَ على الفلاسفة والمناطقة، وابن القيم على العكس من هذا الرأي، إذ يرى أن هؤلاء هم الذين فتحوا البابَ للفلاسفة والمناطقة والملحدين.

قال: إذا كنتم متناقضين في عقيدتكم - وهذه عقيدة فليست بهينة، فليست بكلامٍ يُقال، بل عقيدة، كيف تُثبتون الإرادة وتنفون الرحمة والباب واحد؟! إذن هذه عقيدة باطلة متناقضة لا نرضاها، فنرضى على زعمهم النفي في كُلِّ شيء، والكفر - فانسلخوا من الإيمان، وهذه العقائد المتناقضة الفاسدة، وقولوا: لا نُؤمن بشيء أبداً.

فَتَبَيَّنَ بهذا أَنَّ تناقض هؤلاء واضطرابهم هو الذي فتح للملاحدة الباب، قالوا: كيف يبني إنسان عقيدته - التي عليها محياه ومماته - على أمورٍ متناقضة؟! هذا لا يمكن.

وهذه نقطة مهمة في كلام ابن القيم - رحمه الله -.

٤٦٨- أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ نَحَتْ لِوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ» يعني: على زعمهم، والمراد بهم أهل السنة حتى عند الأشاعرة، فهم يقولون: أنتم يا أهل السنة مُجَسِّمَةٌ.

فإذا رأيت في كتبهم: (مُجَسِّمَةٌ) فاعلم أنهم يقصدون بذلك أهل السنة والجماعة.

فالفلاسفة يقولون: لكم أحد أمرين: إما أن تنسلخوا من الأديان كُليَّةً، وإلَّا كونوا مع أهل التجسيم والتشبيه، قاتلوا مع هؤلاء الأئمة الذين تعتقدون أنهم مُشَبَّهةٌ مُجَسِّمَةٌ، لأنَّ كلامَ أهل التجسيم والتشبيه - على زعمهم - غيرُ متناقِضٍ، فكلامهم مُطَرِّدٌ، وهو إثبات ما أثبتته لنفسه من غير فرق بين صفة وصفة.

قَوْلُهُ: «تَحْتَ لِيَوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ» أَي: تَحْتَ لِيَوَاءِ صَاحِبِ الْقُرْآنِ.

٤٦٩- أَوْ لَا فَالَاتِّتْلَاعُ بِأَعْقُولِكُمْ وَكِتَابِكُمْ وَبِسَائِرِ الْأَدْيَانِ

٤٧٠- فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوِّهِ بَيِّنَانِ

يعني: إذا لم تكونوا مع أمة التشبيه والتجسيم، فأنتم مُتْلَاعِبُونَ بكتابكم وعقولكم وبسائر الأديان، لأنَّها كُلُّها قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوِّهِ بَيِّنَانِ.

انظر الآن إلى الفلاسفة والملاحدة الذين يرون أن الذين يُنْكِرُونَ بَعْضًا وَيُثَبِّتُونَ بَعْضًا لَمْ يُحَكِّمُوا الْعَقْلَ، وَأَنَّ هَذَا التَّنَاقُضُ تَلَاعِبٌ بِالْعَقُولِ.

٤٧١- وَالنَّاسُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ أَوْ جَاحِدٍ أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهِهٗ أَتَانِ

قَوْلُهُ: «أَتَانِ» الْأَتَانُ: أَنْثَى الْحِمَارِ.

فالناس على أربعة أقسام:

الأول: «مُصَدِّقٌ» كأهل السنة، أَي: مُقَرَّرٌ بِمَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ، وَأَثْبَتَهُ لَهُ رَسُولُهُ.

الثاني: «أَوْ جَاحِدٍ» كأهل التعطيل، يعني: منكرًا.

الثالث: «أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ» كالأشاعرة مُصَدِّقٌ بَعْضٌ وَجَاحِدٌ بَعْضٌ.

الرابع: البليد: الذي ليس عنده عقيدة إطلاقاً، لا هذا ولا هذا، فيقول: إن هذا يُشبه الأتان، أي: الحمارة، والعياذ بالله.

- ٤٧٢- فَاصْنَعْ مِنَ التَّنْزِيهِ تُرْسًا مُحْكَمًا وَأَنْفِ الْجَمِيعَ بِصَنْعَةٍ وَبَيَانِ
 ٤٧٣- وَكَذَلِكَ لَقَّبَ مَذْهَبَ الْإِبْنَاتِ بِالتُّنْجِسِيمِ، ثُمَّ أَحْمَلَ عَلَى الْأَقْرَانِ
 ٤٧٤- فَتَمَتَّى سَمَحَتْ لَهُمْ بِوَصْفِ وَاحِدٍ حَمَلُوا عَلَيْكَ بِحَمَلَةِ^(١) الْفُرْسَانِ
 ٤٧٥- فَصُرِعَتْ صِرْعَةً مَنْ غَدَا مُتَلَبِّطًا وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ
 ٤٧٦- فَلِذَلِكَ أَنْكَرْنَا الْجَمِيعَ مَخَافَةَ التُّنْجِسِيمِ إِنَّ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ
 ٤٧٧- وَلِذَا خَلَعْنَا رِبْقَةَ الْأَدْيَانِ مِنْ أَعْنَاقِنَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

الشرح

- ٤٧٢- فَاصْنَعْ مِنَ التَّنْزِيهِ تُرْسًا مُحْكَمًا وَأَنْفِ الْجَمِيعَ بِصَنْعَةٍ وَبَيَانِ
 قَوْلُهُ: «التَّنْزِيهِ» يعني: أَنْ تُنْزَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مِشَابَهَةِ الْمَخْلُوقِينَ، وَهَمَّ بِإِنْكَارِهِمْ مَا أَنْكَرُوهُ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ كُلِّهَا، أَوْ بَعْضَهَا إِنَّمَا يَرِيدُونَ -عَلَى زَعْمِهِمْ- التَّنْزِيهِ، وَأَنَّهُ لَوْ وُصِفَ اللهُ تَعَالَى بِمَا وُصِفَ بِهِ لَكَانَ مِشَابَهًا لِلْمَخْلُوقِ.
 فيقول: «اصْنَعْ مِنَ التَّنْزِيهِ تُرْسًا مُحْكَمًا» يعني: تَتَرَسَّ بِالْجُحْدِ، وَالتُّرْسُ مَا يَتَرَسُّ بِهِ الْمُقَاتِلُ، حَتَّى لَا تَصِيبَهُ السَّهَامُ، فَخُذْ مِنَ التَّنْزِيهِ الَّذِي هُوَ الْجُحْدُ تُرْسًا مُحْكَمًا، وَقُلْ: نُنْزَهُ اللهُ أَنْ نَثِبَ لَهُ شَيْئًا، لِأَنَّ إِذَا أَثْبَتْنَا لَهُ شَيْئًا شَبَّهْنَاهُ بِالْأَجْسَامِ.

(١) في نسخة الإفتاء وبرلين السفارينية: «بجملة» بجميم تحتانية.

٤٧٣- وَكَذَلِكَ لَقَّبَ مَذْهَبَ الْإِثْبَاتِ بِالْتَّجْسِيمِ، ثُمَّ أَحْمِلْ عَلَى الْأَقْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ لَقَّبَ مَذْهَبَ الْإِثْبَاتِ بِالْتَّجْسِيمِ» إِذْنُ أَثْبِتْ وَأَنْفِ، أَثْبِتْ بِأَنَّكَ مُنْزَهُ، وَأَنْفِ بِأَنَّ الْمَثْبُوتَ مُجَسَّمٌ، فَيَكُونُ لَكَ مَقْتَلَانِ:

الأول: أنك تريد التنزيه بهذا التعطيل.

الثاني: أن المَثْبُوتَ مُجَسَّمٌ.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ أَحْمِلْ عَلَى الْأَقْرَانِ» الْأَقْرَانُ جَمْعُ (قِرْنٍ) وَهُوَ الْمَائِلُ لِلْإِنْسَانِ، وَهَذَا يُقَالُ: فُلَانٌ قِرْنٌ فُلَانٍ، أَوْ قَرِينَهُ، أَي: مَائِلٌ لَهُ.

٤٧٤- فَمَتَى سَمَحْتَ لَهُمْ بِوَصْفِ وَاحِدٍ حَمَلُوا عَلَيْكَ بِحَمَلَةِ الْفُرْسَانِ

يعني: لو أنك أثبتت وصفا واحدا حملوا عليك، لكن كيف يحملون عليك؟

الجواب: بأن يقولوا: أنت أثبتت كذا، فما الفرق بينه وبين ما نفيت؟

إِذْنُ لَا تُثْبِتُ شَيْئًا حَتَّى تَسْلَمَ مِنَ الْإِيرَادِ وَالتَّنَاقُضِ.

وهذه وصية غير مقبولة، لكن هم يُوصي بعضهم بعضا، ويقول: إِيَّاكَ أَنْ

تُقَرَّرَ بِوَصْفِ وَاحِدٍ، إِنْ أَقْرَرْتَ لِلَّهِ بِوَصْفِ وَاحِدٍ قَالُوا لَكَ: مَا الْفَرْقُ؟ أَثْبِتْ الْبَاقِيَّ، أَوْ أَنْفِ الْكُلَّ.

٤٧٥- فَصُرِّعَتْ صِرْعَةً مِّنْ غَدَا مُتَلَبِّطًا وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ

يعني أنك إذا فعلت هذا، وأقررت بوصف، وحملوا عليك صرعوك «صِرْعَةً

مِّنْ غَدَا مُتَلَبِّطًا وَسَطَ الْعَرِينِ»، وَالْعَرِينُ هُوَ مَسْكِنُ الْأَسَدِ، وَالْأَسَدُ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ يَأْكُلُ الْآدَمِيَّ، وَيُمَزَّقُ لَحْمَهُ فِي مَكَانِهِ.

٤٧٦- فَلِذَلِكَ أَنْكَرْنَا الْجَمِيعَ خَافَةَ التَّنْجِيسِ إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَنْكَرْنَا الْجَمِيعَ» يعني: جميع الصفات على رأي المعتزلة، أو الأسماء والصفات على رأي غلاة الجهمية، «خَافَةَ التَّنْجِيسِ إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ».

وسبحان الله! أنا لا أظنهم يُعَبَّرُونَ بهذا التعبير «خَافَةَ التَّنْجِيسِ إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ» إِلَّا إِذَا أَرَادَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بِقَوْلِهِ: «إِنْ صِرْنَا إِلَى الْقُرْآنِ» أَي: إِلَى ظَاهِرِ الْقُرْآنِ، أَمَّا أَنْ يُعْلَنُوا أَنَّهُمْ عَلَى خِلَافِ الْقُرْآنِ فَلَا أَظُنُّهُمْ يَفْعَلُونَ هَذَا، لَكِنْ يَجِبُ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ الْمُؤَلَّفِ عَلَى أَنَّ الْمَعْنَى: إِنْ صِرْنَا إِلَى ظَاهِرِ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ ظَاهِرَ الْقُرْآنِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّنْجِيسَ وَالتَّشْبِيهَ.

٤٧٧- وَلِذَا خَلَعْنَا رِبْقَةَ الْأَدْيَانِ مِنْ أَعْنَاقِنَا فِي سَالِفِ الْأَرْمَانِ

فَهُمْ خَلَعُوا رِبْقَةَ الْأَدْيَانِ مِنْ أَعْنَاقِهِمْ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- وَعَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ تَحَرَّرُوا، وَلَكِنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ لَمْ يَتَحَرَّرُوا، فَهُمْ غَلُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ بِرِقِّ الشَّيْطَانِ، وَالنَّفْسِ الْأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ.

٤٧٨- وَلَنَا مُلُوكٌ قَاوَمُوا الرُّسُلَ الْأُلَى جَاءُوا بِإِبْثَاتِ الصِّفَاتِ كَمَا

٤٧٩- فِي آلِ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَا رُونَ وَنَمْرُودٍ وَجَنْكِرْزَخَانَ

٤٨٠- وَلَنَا الْأَيْمَةُ كَالْفَلَّاسِفَةِ الْأُلَى لَمْ يَعْبُؤُوا أَصْلَابِ بَنِي الْأَدْيَانِ

٤٨١- مِنْهُمْ أَرِسْطُو ثَمَّ شَيْعَتُهُ إِلَى هَذَا الْأَوَانِ وَعِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

٤٨٢- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

- ٤٨٣- كَلَّا وَلَا قَالُوا بِأَنَّ إِلَهَنَا مُتَكَلَّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 ٤٨٤- وَلَا أَجَلٍ هَذَا رَدِّ فِرْعَوْنَ عَلَى مُوسَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْإِيمَانِ
 ٤٨٥- إِذْ قَالَ مُوسَى: رَبُّنَا مُتَكَلَّمٌ فَوْقَ السَّمَاءِ وَإِنَّهُ مَتَدَانِي

الشرح

- ٤٧٨- وَلَنَا مُلُوكٌ قَاوَمُوا الرُّسُلَ الْأُلَى جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ كَمَا
 ٤٧٩- فِي آلِ فِرْعَوْنَ^(١) وَهَامَانَ^(٢) وَقَا رُونِ^(٣) وَنَمْرُودِ^(٤) وَجِنَكِرْخَانَ^(٥)
 كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذُكِرُوا طُغَاةً، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

على كُلِّ حال هو يتكلم عن هؤلاء الذين عطلوا الصفات، مثل: ابن سينا وأتباعه، وأئمة الكفر، وقال: إنهم يستدلون بقول فرعون وهامان، والله عز وجل يقول عن قوم فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [القصص: ٤١].

قال المؤلف - رحمه الله -:

- ٤٨٠- وَلَنَا الْأَيْمَةُ كَالْفَلَّاسِفَةِ الْأُلَى لَمْ يَعْْبُتُوا أَصْلَابَ بَنِي الْأَذْيَانِ

(١) فرعون: ملك مصر الجبار الذي أرسل إليه موسى - عليه السلام -.

(٢) وهامان: وزيره. [الشارح].

(٣) قارون: كان من بني إسرائيل لكنه كان غنياً، ويدين بدين فرعون. [الشارح].

(٤) نمrod: هو ابن كنعان ملك بابل، كان على زمن الخليل إبراهيم - عليه السلام -، ذكروا أنه هو

الذي حاج إبراهيم في ربه، وكان جباً طاغية. [الشارح].

(٥) جنكزخان، سبق ذكره. [الشارح].

الفلاسفة يُقال: إنهم الحكماء، وأصل الفلسفة يعني: الحكمة.

هؤلاء الفلاسفة لا يؤمنون بالرَّبِّ حَسَبَ ما يُظهِرون، ويقولون: إن الكونَ يتفاعل، ويتنقل حسب قوانين ونُظْم يدَّعونها، ولذلك «لَمْ يَعْبُثُوا أَصْلًا بِذِي الأَدْيَانِ» منهم: أرسطو.

ولذا قال:

- ٤٨١- مِنْهُمْ أَرِسْطُو^(١) ثُمَّ شِيعَتُهُ إِلَى هَذَا الأَوَانِ وَعِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
٤٨٢- مَا فِيهِمْ مَنْ قَالَ إِنَّ اللهَ فَوْقَ العَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الأَكْوَانِ
٤٨٣- كَلَّا وَلَا قَالُوا بِأَنَّ إِلَهَنَا مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
٤٨٤- وَلَا أَجَلَ هَذَا رَدِّ فِرْعَوْنَ عَلَى مُوسَى وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الإِيْمَانِ
٤٨٥- إِذْ قَالَ مُوسَى: رَبَّنَا مُتَكَلَّمٌ فَوْقَ السَّمَاءِ وَإِنَّهُ مُتَدَانِي قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ» أَي: مِنْ أئمة الفلاسفة.

وأرسطو كان تلميذًا لأفلاطون، ولكنه خالفه في كثير من المسائل.

قَوْلُهُ: «مُتَدَانِي» وفي نسخة «نَادَانِي»، والظاهر أَنَّ «نَادَانِي» أحسن، وعلى نسخة «متداني» يعني: كأنه قال: إِنَّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فوق السماء، وإنه كَلَّمَنِي عن قُرْبٍ، كقوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

(١) أرسطو: هو الفيلسوف اليوناني المشهور، واضع علم المنطق، ولد قبل الميلاد سنة (٣٨٤ ق.م)، ومات قبل الميلاد سنة (٣٢٢ ق.م)، وكان معلمًا للإسكندر الأكبر، وكان يحاضر وهو ماش فسمي هو وأتباعه بالمشائين، وكان له أثرٌ كبيرٌ في علم الفلسفة، فكان يلقب (المعلم الأول)، وأبو نصر الفارابي (المعلم الثاني)، وأبو علي بن سينا (المعلم الثالث). [الشارح].

- ٤٨٦- وَكَذَا ابْنُ سِينَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَلَا
 ٤٨٧- وَكَذَلِكَ الطُّوسِيُّ لَمَّا أَنْ غَدَا
 ٤٨٨- قَتَلَ الْخَلِيفَةَ، وَالْقُضَاةَ، وَحَامِلِي الْأُ
 ٤٨٩- إِذْ هُمْ مُشَبَّهُةٌ مُجَسِّمَةٌ وَمَا
 ٤٩٠- وَلَنَا الْمَلَا حِدَةُ الْفُحُولِ أَيْمَةٌ التَّم
 ٤٩١- وَلَنَا تَصَانِيفٌ بِهَا غَالِيَتُمْ
 أَتْبَاعُهُ، بَلْ صَانَعُوا بِدِهَانِ
 ذَا قُدْرَةَ لَمْ يَخْشَ مِنْ سُلْطَانِ
 قُرْآنِ، وَالْفُقَهَاءِ، فِي الْبُلْدَانِ
 دَانُوا بِبِدِينِ أَكْبَارِ الْيُونَانِ
 تَعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ^(١) أَلْ سِنَانِ
 مِثْلُ: (الشِّفَا) وَ(رَسَائِلِ الْإِخْوَانِ)

الشرح

٤٨٦- وَكَذَا ابْنُ سِينَا لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ وَلَا
 أَتْبَاعُهُ، بَلْ صَانَعُوا بِدِهَانِ
 يعني أن ابن سينا وأتباعه ليسوا من هؤلاء المثبتة، ولا من أهل السنة، لكنهم صانعوا، وأظهروا الإسلام مُدَاهِنَةً، وإِلَّا فَهُمْ زَنَادِقَةٌ مَنَافِقُونَ كُفَّارٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ أَظْهَرُوا أَنَّهُمْ مُسْلِمُونَ، ولهذا يفخر أهل القومية العربية بأن ابن سينا منهم، وهو طبيب مشهور، فتجدهم يترفعون به، حتى إننا سمعنا أن بعض المدارس والمستشفيات تُسَمَّى باسمه، مع أنه زنديق مُلْحِدٌ.

٤٨٧- وَكَذَلِكَ الطُّوسِيُّ^(٢) لَمَّا أَنْ غَدَا
 ذَا قُدْرَةَ لَمْ يَخْشَ مِنْ سُلْطَانِ
 الطُّوسِيُّ كَانَ وَزِيرًا لِأَخْرَ خُلَفَاءِ بَنِي الْعَبَّاسِ، وَكَانَ خَبِيثًا مَآكِرًا مَخَادِعًا،

(١) في نسخة: «والتسكين».

(٢) الطوسي: هو محمد بن محمد الطوسي الفيلسوف، كان وزيراً لهولاكو ملك التتر، وكان معه في واقعة بغداد التي قتل فيها الخليفة العباسي، يلقب نصير الدين، لكن لقبه ابن القيم في (إغاثة اللهفان) نصير الشرك والكفر، وسماه مُلْحِدًا، وذكر له فظائع، ولد بطوس قرب نيسابور سنة (٥٩٧هـ)، ومات ببغداد سنة (٦٧٢هـ) عن (٧٥) سنة [الشارح]. انظر ترجمته في: البداية والنهاية (١٣/٣١٣).

طلب من التتر أن يُقدِّموا إلى بغداد عاصمة الملك، وسَهَّلَ لهم الطريقَ، ووصف لهم كيف يأتون زمنًا ومكانًا، وحصل ما حصل من المصيبة العظمى، كما يقول المؤلف - رحمه الله -:

٤٨٨- قَتَلَ الْخَلِيفَةَ^(١)، وَالْقُضَاةَ، وَحَامِلِي الْأَقْرَانِ، وَالْفُقَهَاءَ، فِي الْبُلْدَانِ
قتل أممًا عظيمة من العلماء، قتلهم لأنهم مُشَبَّهَةٌ ومجسِّمة، لأنَّ بغداد هي العاصمة التي فيها العلماء والفقهاء ووجهاء الأمة كلها، حصدتهم، والعياذ بالله.
وقصتهم معروفة في كتب التاريخ ك(البداية والنهاية) لابن كثير، و(النهاية) لابن الأثير.

الذي يقرأ كيف كان الأمر يجد فظائع، والعياذ بالله، نسأل الله السلامة.
وهو قد خدع السلطان الخليفة العباسي.

٤٨٩- إِذْ هُمْ مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ وَمَا دَانُوا بِدِينِ أَكْبَارِ الْيُونَانِ
إِذْ هُوَ الْآنَ يُقَاتِلُ لِاحْقَاقِ الْبَاطِلِ، وَرَسُوخِ الْكُفْرِ، وَهُوَ يَدَّعِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ.
٤٩٠- وَلَنَا الْمَلَا حِدَةُ الْفُحُولِ أَتَمَّةُ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ أَلِ سِنَانِ
قَوْلُهُ: «آل سِنَان»: هذه قبيلة أشار إليها الهَرَّاسُ في شرحه^(٢) بقوله: (آل سِنَانِ هي أسرة قوية من أهل فارس، كانت تحكم في خُرَّاسَانَ، وفي كَنْفِهَا تَرَبَّى ابْنُ سِينَانَ، وَعَلَى كُتُبِهِمْ نَخْرَجُ، وَكَانَ لَهُمْ مَكْتَبَاتٌ حَافِلَةٌ بِشَتَّى الْمَوْلَفَاتِ فِي جَمِيعِ فُرُوعِ الْعِلْمِ، وَلَا سِيَّمَا عِلْمِ الْفَرَسِ وَالْيُونَانِ).

(١) المراد بالخليفة المذكور هو: المستعصم بالله، آخر خلفاء بني العباس، وُلِدَ سنة (٦٠٩هـ) وبُويعَ له بالخلافة سنة (٦٤٠هـ)، وُقِتِلَ فِي (١٤) صَفَرِ سَنَةِ (٦٥٦هـ). [الشارح]
(٢) انظر: شرح نونية ابن القيم لمحمد خليل هراس (ص: ٩٥).

قَوْلُهُ: «والتشبيه» في نسخة (التسكين) أي: أنهم يُسَكِّنون الناسَ ويُسَقِطون عنهم الفرائض، وأما (التشبيه) فلها وجه، لأنه لما ذكر أئمة التعطيل قال: (التشبيه)، لكنه الآن يتكلم عن المعطلة.

٤٩١- وَلَنَا تَصَانِيفٌ بِهَا غَالِيَتُمْ مِثْلُ: (الشِّفَا) وَ(رَسَائِلِ الْإِخْوَانِ) قَوْلُهُ: «الشِّفَا»: لابن سينا.

٤٩٢- وَكَذَا (الْإِشَارَاتُ) الَّتِي هِيَ عِنْدَكُمْ قَدْ ضُمَّنْتَ لِقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
٤٩٣- قَدْ صَرَّحْتَ بِالضِّدِّ (١) مِمَّا جَاءَ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
٤٩٤- هِيَ عِنْدَكُمْ مِثْلُ النُّصُوصِ وَفَوْقَهَا فِي حُجَّةِ قَطْعِيَّةٍ وَبَيَانِ
٤٩٥- وَإِذَا تَحَاكَمْنَا فَإِنَّ إِلَيْنِهِمْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ لَا إِلَى الْقُرْآنِ
٤٩٦- إِذْ قَدْ تَسَاعَدْنَا بِأَنَّ نُصُوصَهُ لَفُظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ
٤٩٧- فَلِذَاكَ حَكَمْنَا عَلَيْهِ وَأَنْتُمْ قَوْلٌ (٢) الْمُعَلَّمِ أَوَّلًا وَالثَّانِي

الشرح

٤٩٢- وَكَذَا (الْإِشَارَاتُ) الَّتِي هِيَ عِنْدَكُمْ قَدْ ضُمَّنْتَ لِقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ قَوْلُهُ: «الْإِشَارَاتُ» وهو كتاب لابن سينا.

(١) في نسختي التيمورية والسفارينية: «بالصد» بمهمله.

(٢) في نسخة الحلبي: «فوق».

وهذه كتب الفلاسفة التي هي عندهم أعظم من القرآن والسنة، نسأل الله العافية.

فهؤلاء يقولون: عليكم بهذه الكتب، واتركوا الكتاب والسنة، وسيأتي السبب في ذلك.

٤٩٣- قَدْ صَرَّحَتْ بِالضُّدِّ مِمَّا جَاءَ فِي التَّـ تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
قَوْلُهُ: «الْفُرْقَانِ» يعني: القرآن.

٤٩٤- هِيَ عِنْدَكُمْ مِثْلَ النُّصُوصِ وَفَوْقَهَا فِي حُجَّةٍ قَطْعِيَّةٍ وَبَيَانِ
قَوْلُهُ: «مِثْلَ النُّصُوصِ» أي: نصوص الشريعة في حجة قطعية وبيان.

٤٩٥- وَإِذَا تَحَاكَمْنَا فَإِنَّ إِلَيْهِمْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ لَا إِلَى الْقُرْآنِ
وهذا تصريح واضح بالكفر، والعياذ بالله.

٤٩٦- إِذْ قَدْ تَسَاعَدْنَا بِأَنَّ نُصُوصَهُ لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِقْيَانِ
وهذا غير صحيح، بل إن دلالة القرآن منها ما هو قطعي، ومنها ما هو ظني، وكذلك السنة، ولا تقل: إن دلالة القرآن كلها لفظية معزولة عن اليقين كما زعموا.

٤٩٧- فَلِذَلِكَ حَكَمْنَا عَلَيْهِ وَأَنْتُمْ قَوْلَ الْمُعَلِّمِ أَوَّلًا وَالثَّانِي (١)
والمعلم الأول: أرسطو، والثاني: الفارابي، والثالث: ابن سينا.

(١) المعلم الثاني (الفارابي)، وهو محمد بن طرخان، تركي الأصل، سمي بذلك لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وُلِدَ فِي فَارَابٍ عَلَى نَهْرِ جِيحُونَ سَنَةَ (٢٦٠هـ)، كَانَ فِيلَسُوفًا، وَتَوَفَّى بِدِمَشْقَ سَنَةَ (٣٣٩هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: مرآة الجنان (٢/٢٤٦).

- ٤٩٨- يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ وَالْأُلَى قَالُوا بِقَوْلِهِمَا مِنَ الْخَوْرَانِ
- ٤٩٩- بَقِيَتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقِيَّةٌ نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
- ٥٠٠- يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لَا يَلْوِي عَلَى خَبْرٍ وَلَا قُرْآنٍ
- ٥٠١- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ سِرَّ كُلِّ جَنَّانٍ
- ٥٠٢- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٥٠٣- وَيَقُولُ: إِنَّ الْفِعْلَ مَقْدُورٌ لَهُ وَالْكُونَ يَنْسُبُهُ إِلَى الْجِدْثَانِ
- ٥٠٤- وَيَنْفِيهِ التَّجْسِيمَ يَصْرُخُ فِي الْوَرَى وَاللَّهُ مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ
- ٥٠٥- لَكِنَّا قُلْنَا: مُحَالٌ كُلُّ ذَا حَدَرًا مِنَ التَّشْبِيهِ^(١) وَالْإِمْكَانِ

الشرح

- ٤٩٨- يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ وَالْأُلَى قَالُوا بِقَوْلِهِمَا مِنَ الْخَوْرَانِ
- قَوْلُهُ: «يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ» أَي: جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ تَلْمِيزُ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، وَهِيَ رَأْسُ التَّعْطِيلِ.

قَوْلُهُ: «الْخَوْرَانِ» يَعْنِي: الضعف.

- ٤٩٩- بَقِيَتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقِيَّةٌ نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
- لأنه معروف أن الجهمية يُثبتون الأسماء، وينكرون الصفات، وأولئك

(١) في نسخة الحلبي: «التجسيم».

الملاحدة لا يُقَرُّون بأسماء، ولا صفات، فيقولون: إن الجهمية فيهم شيءٌ من التشبيه حيث أثبتوا الأسماء.

٥٠٠- يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لَا يَلْوِي عَلَى خَبَرٍ وَلَا قُرْآنٍ

وَقَوْلُهُ: «يَنْفِي الصِّفَاتِ» أَي: الجهمي ينفى الصفات، لكنه يثبت الأسماء.

وَقَوْلُهُ: «يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ» تَكَلَّمَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- الْآنَ عَنْ مَذَاهِبِ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةِ، وَذَكَرَ مُسْتَنَدَاتٍ مِنَ الْقَائِلِينَ، وَالْكَتُبَ الَّتِي عَدَّهَا، وَأَثَمْتَهُمْ، وَقَالَ: إِنَّهُمْ نَفَوْا الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ.

فَهِمَ فِي الْحَقِيقَةِ وَقَعُوا فِي التَّجْسِيمِ، وَوَقَعُوا فِي التَّشْبِيهِ، لِأَنَّهُمْ ظَنُّوا أَنَّ مَدْلُولَ النُّصُوصِ هُوَ التَّجْسِيمُ وَالتَّشْبِيهِ، وَلَمَّا ظَنُّوا هَذَا الظَّنَّ صَارُوا يَنْفُونَ ذَلِكَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَوْ ثَبِتَ أَنْ لَهُ كَذَا لَكَانَ هَذَا جِسْمًا، وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ.

فَنَقُولُ: أَنْتُمْ الْآنَ فَهَمْتُمْ النُّصُوصَ عَلَى وَجْهِ التَّجْسِيمِ وَالتَّمْثِيلِ، وَهَذَا خَطَأً، فَالنُّصُوصُ لَمْ تَدَلَّ عَلَى هَذَا، فَالنُّصُوصُ دَلَّتْ عَلَى صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ تَلِيقَ بِهِ، وَلَا تَمَاثِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الصِّفَةَ تَابِعَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، فَأَنْتَ إِذَا أَضَفْتَ أَيَّ صِفَةٍ إِلَى مَوْصُوفِهَا فَإِنَّ ذَلِكَ يَمْنَعُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ الصِّفَةِ الْمُضَافَةِ إِلَى مَوْصُوفٍ آخَرَ، لِأَنَّهَا مُقَيَّدَةٌ.

نَقُولُ مِثْلًا: وَجْهَ اللهِ، وَلَمْ نَقُلْ: (وَجْهَ) وَأَطْلَقْنَا، فـ(وَجْهَ اللهِ) يَكُونُ لَائِقًا بِذَاتِهِ كَمَا لَوْ قُلْتَ: (وَجْهَ الْفَرَسِ)، وَ(وَجْهَ الْقَطِّ)، هَلْ تَفْهَمُ مِنْ قَوْلِكَ: (وَجْهَ الْفَرَسِ) أَنَّهُ مِثْلُ (وَجْهَ الْقَطِّ)؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، لِأَنَّ هَذَا لَيْسَ وَجْهًا مُطْلَقًا، بَلْ هُوَ وَجْهٌ مُضَافٌ.

فإثبات الصفات إذن لا يستلزم التمثيل أبداً، ووجه ذلك أنها صفاتٌ مضافةٌ إلى الله، أو إلى موصوفٍ مُعَيَّن، والصفات تتبع الموصوف، ولا يمكن أن يفهم أحدٌ من الناس أن صفات فلان كصفات الحيوان الآخر، لأنه من غير جنسه.

لكن لو أقول: (يد فلان) و(يد فلان) نفهم التمثيل، لأنَّ الجنس واحد والاختلاف هنا بالعين، أما الخالق والمخلوق، فبينهما أكبر من أيِّ مباينة فيما بين المخلوقات بعضها مع بعض، فإذا كانت المخلوقات بعضها مع بعض متباينة ومتفرقة، فالبيِّنُ والتفرُّق بين الخالق والمخلوق أعظم وأعظم.

٥٠١- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ سِرَّ كُلِّ جَنَانٍ

٥٠٢- وَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ شَاءَ الَّذِي هُوَ كَائِنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

لكنه يقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْمَعُ بِلَا سَمْعٍ، وَيَرَى بِلَا بَصَرٍ، أَمَا الْعِلْمُ فَإِنَّهُ مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ.

ولا أدري عن مذهب الجهم نفسه، بعضهم يُنكره، وبعضهم ينفيه، لكن مقتضى قولهم بالجبر أن الله يعلم، فَيُثْبِتُ الْعِلْمَ.

٥٠٣- وَيَقُولُ: إِنَّ الْفِعْلَ مَقْدُورٌ لَهُ وَالْكَوْنُ يَنْسُبُهُ إِلَى الْحَدِثَانِ

يقول: إِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَفْعَلَ، وَهَذَا الْكُونُ كُلُّهُ حَادِثٌ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا حَقٌّ، لَكِنَّ الْفَلَسَفَةَ الْأُولَى لَا يُقَرُّونَ بِهَذَا، وَيُنْكِرُونَهُ عَلَيْهِمْ.

٥٠٤- وَبِنْفِيهِ التَّجْسِيمَ يَصْرُخُ فِي الْوَرَى وَاللَّهُ مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِنْفِيهِ التَّجْسِيمَ» يعني: هو ينفي التجسيم، ويثبت هذه الصفات، أو الأفعال، أو الإرادة، أو ما أشبه ذلك، ثُمَّ قَالَ: (مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ).

٥٠٥- لَكِنَّا قُلْنَا: مُحَالٌ كُلُّ ذَا حَذَرًا مِنَ التَّشْبِيهِ وَالْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّا قُلْنَا» أي: الفلاسفة، والفلاسفة قالوا: كُلُّ هَذَا مُحَالٌ.

فصل

في قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن

- ٥٠٦- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: أَلَا اسْمَعُوا
 ٥٠٧- مِنْ أَرْضِ طَيِّبَةٍ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدِ
 ٥٠٨- سَافَرْتُ فِي طَلَبِ الْإِلَهِ فَدَلَّنِي الْ-
 ٥٠٩- مَعِ فِطْرَةَ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ
 ٥١٠- فَتَوَافَقَ الْوَحْيُ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الرِّ-
 ٥١١- شَهَدُوا بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ-
 ٥١٢- وَهُوَ الْإِلَهِ الْحَقُّ لَا مَعْبُودَ إِلَّا-
 ٥١٣- بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ
- قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
 بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ وَالتَّيْبَانَ
 سَهَادِي عَلَيْهِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 وَصَرِيحِ عَقْلِي فَاعْتَلَى^(١) بَيِّنِ^(٢)
 رَحْمَنِ وَالْمَعْقُولِ فِي إِيْمَانِي
 مُتَّفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
 لَا وَجْهَهُ الْأَعْلَى الْعَظِيمِ الشَّانِ
 مِنْ عَرْشِهِ حَتَّى الْحَضِيضِ الدَّانِي

الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذا الفصل قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن، وهذا نعم الفريق، يقول -رحمه الله-:

٥٠٦- وَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: أَلَا اسْمَعُوا
 قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

(١) في نسخة مطبوعة: «فاعقلي».

(٢) في نسخة الحلبي: «بَيِّنَانِي».

قَوْلُهُ: «أَلَا اسْمَعُوا» يحتمل المعنى: اسمعوا بالأذان، أو اسمعوا سمعَ إجابة، ولا مانع أن نحمله على الوجهين: اسمعوا بالأذان، واسمعوا بالإجابة، وهذا الأسلوب جاء به القرآن، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُمْ﴾ [الحج: ٧٣] فاستنصتنا الله عزَّ وجلَّ.

والنَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- أحياناً يقول لأصحابه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ فيرسل واحداً ويقول: «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ»^(١). أي: يُنصِتُونَ.

ولا حرج أن يقول المُعَلِّم، أو مَنْ أراد أن يُعَلِّم: أنصِتوا، أو اقتربوا، أو تجمَّعوا، أو ما أشبه ذلك، ولا يُعَدُّ هذا من باب الخِيَلَاء، بل هذا من باب النَّصْح والإرشاد.

قَوْلُهُ: «قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطَّلِعِ الْإِيْمَانِ» أي: مكان طلوعه، ويَبَيِّن ذلك بقوله:

٥٠٧- مِنْ أَرْضِ طَيْبَةٍ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدٍ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ وَالتَّبَيَانِ

المؤلف -رحمه الله- ذكر أن هذا الرَّكْبَ جاء من أرض طَيْبَةٍ، وهي المدينة مهاجر أحمد -عليه الصلاة والسلام-، وتسميتها بيثرب إنما جاء من قِبَلِ المنافقين كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٣]، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ»^(٢).

ونرى بعض كُتَّابِ العَصْرِ الذي يرى نفسه فوق الناس إذا أراد أن يُعَبِّرَ عن المدينة يقول: يثرب، وهذا غلط، فاسم المدينة: المدينة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب الإنصات للعلماء، رقم (١٢١)، ومسلم: كتاب الإيْمَانِ، باب بيان معنى قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعد كفاراً...»، رقم (٦٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، رقم (١٧٧٢)، ومسلم: كتاب الحج، باب المدينة تنفي شرارها، رقم (١٣٨٢).

وهل يقال: المنورة أو بوصفٍ آخر؟

الجواب: اشتهر عند الناس الآن اسم المدينة المنورة، ولا شك أن المدينة منورة بالرسالة، ولكن هذا التنوير لا يخصها، فكل بلد يدخله الإسلام فهو منور بالإسلام. فأحسن وصف أن تقول: المدينة النبوية، فإذا كان ولا بد أن تصفها فقل: المدينة النبوية، أو المدينة مهاجر النبي ﷺ، لكن هذا يطول، فقل: النبوية، ولم أسمع في كتب الأقدمين المدينة المنورة، ولا أدري متى حدث هذا اللقب؟

قوله: «مِنْ أَرْضِ طَيْبَةٍ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدٍ» أي: مكان هجرته.

قوله: «أَحْمَدٌ»: هو النبي ﷺ، وله أسماء في القرآن، أحمد، ومحمد، واختار الله عز وجل أن ينطق عيسى لبني إسرائيل بقوله: ﴿أَسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: 6] لأن (أَحْمَدَ) اسم تفضيل، بخلاف (مُحَمَّدَ)، فأراد الله عز وجل أن ينطق عيسى بهذا الاسم الدال على التفضيل، كأنه يقول: سيأتيكم رسول هو أحمد الناس لله عز وجل، وهو أحمد الناس خصالاً، وهو أيضاً أعظم الناس حمداً، أي: أن يحمده.

قوله: «بِالْحَقِّ» ضد الباطل.

قوله: «وَالْبُرْهَانِ»: الدليل القاطع.

قوله: «وَالْتَّبَيَّانِ» الدليل الواضح، فهذه ثلاثة أوصاف.

٥٠٨- سَافَرْتُ فِي طَلَبِ الْإِلَهِ فَدَلَّنِي الْهَادِي عَلَيْهِ وَمُحَكَّمُ الْقُرْآنِ

قوله: «فَدَلَّنِي الْهَادِي عَلَيْهِ» الهادي إلى الله هو النبي ﷺ، يعني بذلك:

السنة.

قوله: «وَمُحَكَّمُ الْقُرْآنِ» هذا دليل آخر.

٥٠٩- مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ وَصَرِيحِ عَقْلِي فَاعْتَلَى بَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ» هذا دليل ثالث.

قَوْلُهُ: «وَصَرِيحِ عَقْلِي فَاعْتَلَى بَيَّانٍ» هذه أربعة أدلة على الإله الحق عز وجل:

الأول: القرآن، الثاني: السنّة، الثالث: الفطرة، الرابع: العقل.

٥١٠- فَتَوَافَقَ الْوَحْيِيُّ الصَّرِيحُ وَفِطْرَةُ الرَّحْمَنِ وَالْمَعْقُولُ فِي إِيمَانِي

قَوْلُهُ: «الْوَحْيِيُّ الصَّرِيحُ» هنا يشمل: القرآن والسنّة.

فهو طلب منا أن نستمع إليه في شرح مذهبه الذي عليه، ويين أن مذهبه مبنيٌّ على القرآن والسنّة والعقل والفطرة، وأن هذه الأربعة كلّها توافقت عليه.

٥١١- شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ -جَلَّ جَلَالُهُ- مُتَفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ» أي: عظمت عظمته عز وجل.

قَوْلُهُ: «مُتَفَرِّدٌ بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ» أي: لا مالك غيره، ولا سلطان على

الإطلاق لغيره عز وجل.

٥١٢- وَهُوَ الْإِلَهُ الْحَقُّ لَا مَعْبُودَ إِلَّا لَآ وَجْهَهُ الْأَعْلَى الْعَظِيمُ الشَّانِ

هذا معنى لا إله إلا الله، وعبادته -سبحانه- هي الحق، وعبادة ما سواه

عبادة باطلة، ولذا قال:

٥١٣- بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مِنْ عَرْشِهِ حَتَّى الْحَضِيضِ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ فَبَاطِلٌ مِنْ عَرْشِهِ» أي: عرش الله.

قَوْلُهُ: «حَتَّى الْحَضِيضِ الدَّانِي» أي: الأسفل.

وهذا الذي قاله - رحمه الله - هو معنى قول الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَىٰ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

- ٥١٤- وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةٌ حُبُّهُ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ
- ٥١٥- وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّىٰ قَامَتِ الْقُطْبَانِ
- ٥١٦- وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ، أَمْرٍ رَسُولِهِ لَا بِالْهَوَىٰ وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
- ٥١٧- فَقِيَامُ دِينِ اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ، إِنَّهُمَا لَهُ أَصْلَانِ
- ٥١٨- لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ إِلَهِهِ وَنَارِهِ إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَصْلَانِ
- ٥١٩- وَالنَّاسُ بَعْدَ فَمُشْرِكٍ بِاللَّهِ أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ
- ٥٢٠- وَاللَّهُ لَا يَرْضَىٰ بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا لَكِنَ بِأَخْسَنِ مَعَ الْإِيمَانِ
- ٥٢١- فَالْعَارِفُونَ مُرَادُهُمْ إِحْسَانُهُ وَالْجَاهِلُونَ عَمُوا عَنِ الْإِحْسَانِ

الشرح

يَبَيِّنُ الْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَعَانِيَ عَظِيمَةً: أَوَّلًا عِبَادَةَ اللَّهِ، مَنْ هُوَ الْعَبْدُ فِي الْأَصْلِ؟

الجواب: العبد في الأصل الذليل، ومنه قولهم: (طريق مُعَبَّد)، أي: مُذَلَّلٌ، ذللته الأقدام أو ذَلَّ له البناء، المهم أنه مِنَ الذَّلِّ، ولذا قال - رحمه الله -:

٥١٤- وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةٌ حُبُّهُ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

قَوْلُهُ: «غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذَلِّ عَابِدِهِ» يعني: لا بد من أمرين: أن تعبد الله محبةً، وأن تعبدَه تذلُّلاً له عزَّ وجلَّ، تعتقد بقلبك أنك عبدٌ ذليل، لا تملك لنفسك شيئاً، بل أنت عند الله تعالى أدلَّ من كلِّ شيء.

يعني: أن يكون الإنسان محباً لله عزَّ وجلَّ طالباً الوصول إليه، فبالحُبِّ يتقدَّم الإنسانُ في طاعة الله، وبالذلِّ يتهيب معصية الله عزَّ وجلَّ، لأنَّ الإنسانَ إذا وقع في المناهي يخشى أن يأخذه الله تعالى بذنِّه، فإذا اجتمع في قلب الإنسان المحبة التامة لله مع التعظيم استقام تماماً على شرع الله، لأنه بحُبِّه لربه يطلبُ ربه، وبتعظيمه لله يخافُ منه، فيكون فاعلاً للمأمور تاركاً للمحظور.

فلا بدَّ من هذين الأمرين: تمام المحبة، وتمام الذل لله عزَّ وجلَّ، أمَّا أن تعبدَ الله وتقول: أنا أحبه، ولكن في قلبك استكبار واستغناء عن الله، فهذا ناقص جداً.

فالمستكبر عن عبادة الله هل يمكن أن يعبدَ الله؟ الجواب: لا، لأنه لا يعبدُ وهو لا يذلُّ له أبداً، بل مَنْ رأى نفسه استغنى عن الله، فإنه لن يعبدَ الله، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْمَانٌ ۖ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى ۗ﴾ [العلق: ٦-٧].

وأكثرُ الناس الذين أترفوا في الدنيا يرون أنهم استغنوا، وأنَّ هذا هو الغاية التي يقصدونها، ومن ثمَّ جاءت النصوص بالحدز من الترف في الدنيا، والتنعم فيها، لا بما أباح الله منها، فما أباح الله منها، فإن الله يُحبُّ منا أن نفعله، وأن نأتيه، لكن الانغماس في الترف، حتى يكون الإنسان كأنما خُلِقَ لترف نفسه، فهذا لا شكَّ أنه سوف يكون في قلبه من الاستكبار عن عبادة الله بقدر ما في قلبه من عبادة الدنيا.

قَوْلُهُ: «مَعَ ذَلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ» القطب هو ما عليه المدار، وفي السماء قُطْبَانِ:

شمال وجنوب، كُلُّ واحدٍ منهما له أفلاكٌ تدورُ حوله، نجوم و كواكب تدور حوله.
يقول العلماء عن القطب: إنه نجمٌ خفيٌّ جدًّا، لا يراه إلا حديدو البصر في
غير ليالي القمر. هذا هو تعبيرهم، وهو لا يتجاوز مكانه، لأن النجوم تدور عليه،
ولهذا كلما كان النجم أقرب إليه صارت دائرته ضيقةً.

الآن مثلاً الجدي قريب من القطب، ولهذا لا يتزحزح عن مكانه إلا يسيراً،
لأنه قريب، وبنات نعش^(١) الصغرى تدور حول القطب، ولا تغيب بالنسبة لنا
نحن في هذا المكان، لأنها تدور ودورانها ضيق، وبنات نعش الكبرى تدور، لكنها
تختفي في جانب السماء، ثم تظهر بقرب، يعني بسرعة حوالي ستّ، أو سبع
ساعات، ثم تبدو.

فالحاصل أن القطب هو ما عليه مدارُ الشيء، ولذا قال -رحمه الله-:

٥١٥- وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَّا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

وهذا صحيح، فلولا القطب ما دار، لكن يدور على أيّ شيء؟

قال -رحمه الله-:

٥١٦- وَمَدَارُهُ بِالْأَمْرِ، أَمْرٍ رَسُولِهِ لَا بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

المدار هو أمر الله ورسوله، (فافعل ولا تفعل) هذا هو المدار، لا الهوى، فمن
دار أو حام حول الحمى من غير الكتاب والسنة فقد ضلّ.

(١) بنات نعش: سبعة كواكب: أربعة منها نعش لأنها مربعة، وثلاثة بنات نعش، الواحد ابن نعش
لأن الكوكب مذكّر فيذكرونه على تكثيره، وإذا قالوا ثلاث أو أربع ذهبوا إلى البنات، وكذلك
بنات نعش الصغرى. انظر: لسان العرب، مادة: نعش.

٥١٧- فَقِيَامُ دِينِ اللَّهِ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ، إِنَّهُمْ لَأَصْلَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْإِخْلَاصِ» يعني: بالتوحيد، الذي ضده الشرك.

قَوْلُهُ: «وَالْإِحْسَانِ» أي: على السُّنَّةِ، الذي ضده البدعة.

فلا بدَّ من إخلاص، ولا بدَّ من إحسان، وهو الاتِّباع.

فالإخلاص ضده الشرك، والإحسان ضده البدعة، وهذا معنى قوله تعالى:

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا﴾ [الكهف: ١١٠] والعمل الصالح ما كان لله خالصًا ولرسوله تابعًا.

٥١٨- لَمْ يَنْجُ مِنْ غَضَبِ إِلَهِهِ وَنَارِهِ إِلَّا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَصْلَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَصْلَانِ» أي: الإخلاص والإحسان.

٥١٩- وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمُشْرِكٌ بِإِلَهِهِ أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ بَعْدُ» يعني: الذي ليس بمخلص ولا محسن.

قَوْلُهُ: «فَمُشْرِكٌ بِإِلَهِهِ» وهذا فقدَّ الإخلاص.

قَوْلُهُ: «أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ» وهذا فقدَّ الإحسان الذي هو الاتِّباع.

قَوْلُهُ: «أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ» يعني: يكون مشرِّكًا مبتدعًا.

٥٢٠- وَاللَّهُ لَا يَرْضَى بِكَثْرَةِ فِعْلِنَا لَكِنْ بِأَحْسَنِ مَعَ الْإِيمَانِ

٥٢١- فَالْعَارِفُونَ مُرَادُهُمْ إِحْسَانُهُ وَالْجَاهِلُونَ عَمُوا عَنِ الْإِحْسَانِ

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] ولم

يقل: أكثر، لكن لا شك أن الأكثر مع الإحسان أفضل.

وهنا مثلاً، لو قال قائل: من العبادات ما تخفيفه أفضل من إطالته، إما دائماً، وإما لعارض؟ قلنا: نعم، وهو كذلك، فسنة الفجر الأفضل تخفيفها دائماً، وابتداء التهجد بركعتين خفيفتين كذلك، وتحية المسجد والإمام يخطب يوم الجمعة تخفيفها عارض، لأن الأصل في تحية المسجد أنها كغيرها من العبادات، كلما طالت فهو أفضل مع الإحسان.

فأنت ترى الآن أن الإنسان الذي يصلي سنة الفجر بسرعة أفضل من الذي يُصليها بطول قراءة وطول ركوع وسجود، لأن هذا هو السنة، فهو أحسن، والذي يصوم يوماً ويفطر يوماً أفضل من الذي يصوم كل الأيام، لأنه أحسن عملاً.

- ٥٢٢- وَكَذَلِكَ قَدْ شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ ذُو سَمْعٍ وَذُو بَصَرٍ، هُمَا صِفَتَانِ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ فَوْقَ سِتِّ ثَمَانَ^(١) وَيَرَى كَذَلِكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ وَلَدَيْهِ لَا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ نُطْقِ لِسَانٍ قَاصِي وَذُو الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ قَدْ كَانَ وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ فَفَ يَكُونُ مَوْجُودًا لِذِي الْأَعْيَانِ
- ٥٢٣- وَهُوَ الْعَلِيُّ يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ
- ٥٢٤- فَيَرَى دَيْبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدُّجَى
- ٥٢٥- وَضَجِجُ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ بِسَمْعِهِ
- ٥٢٦- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُوسُوسُ عَبْدُهُ
- ٥٢٧- بَلْ يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ الدَّانِي مَعَ الْ
- ٥٢٨- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ عَدَا وَمَا
- ٥٢٩- وَبِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْ-

(١) قال الحلبي في نسخته: «في هامش الأصل: أي: ست وثمان، وهي السموات والأرض».

الشرح

في هذه الآيات ذكر المؤلف - رحمه الله - بعضاً من صفات الله عز وجل وأسمائه، فقال:

٥٢٢- وَكَذَلِكَ قَدْ شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ ذُو سَمْعٍ وَذُو بَصَرٍ، هُمَا صِفَتَانِ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَدْ شَهِدُوا» أي: أهل السنة والجماعة.

قوله: «بِأَنَّ اللَّهَ ذُو سَمْعٍ وَذُو بَصَرٍ هُمَا صِفَتَانِ» دليلها قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] وهذا كثير في القرآن، فهو سميعٌ ذو سمع، وبصيرٌ ذو بصير.

ولقد ذكرنا دليل ذلك في (شرح العقيدة الواسطية)^(١)، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمُجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ، تَشْكُو زَوْجَهَا، وَمَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]»^(٢). كذلك البصير، ثُمَّ فَصَّلَ فَقَالَ:

٥٢٣- وَهُوَ الْعَلِيُّ يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ فَوْقَ سِتِّ ثَمَانٍ

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للشارح (ص: ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري معلقاً: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٨).

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْعَلِيُّ» أي: بذاته وصفاته، أما الْعَلِيُّ بذاته فأدلته كثيرة، فالكتابُ والسنةُ والإجماعُ والعقلُ والفِطْرَةُ، كُلُّهَا تدلُّ على أَنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - عَلِيُّ بذاته.

وأما علو صفاته، فقد دلَّ عليه السَّمْعُ والعقلُ، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] المثل: يعني: الوصف، الأعلى: الذي ليس فوقه شيء، بل ولا مثله شيء، فله الوصف الأعلى الكامل من كُلِّ وجه.

قَوْلُهُ: «يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ» يرى عزَّ وجلَّ برؤية حقيقية، وقد ثبت في القرآن الكريم أَنَّ له - سبحانه وتعالى - عينًا، فجاءت بلفظ الإفراد، ولفظ الجمع، ودلَّت السنةُ على أَنَّ له عينين اثنتين.

فبصيغة الإفراد كقوله تعالى: ﴿وَلِئُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩]، وبصيغة الجمع كقوله تعالى: ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤] وبصيغة التثنية التي دلَّت عليها السنة قول النَّبِيِّ ﷺ فِي الدَّجَالِ: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١).

وأما قول المؤلف - رحمه الله -: «يَسْمَعُ» فالسمع لا نستطيع أن نقول فيه: إِنَّ له أذنين كما نقول في البصر: إِنَّ له عينين، لأنه لم يرد في الكتاب والسنة إثباتُ الأذن لله عزَّ وجلَّ ولا نَفْيُهَا.

والسمع قد يكون من غير ذي أذن، أرايتم الأرض يوم القيامة تُحَدِّثُ أخبارها بما سمعت من قول، أو رأت من فعل، وهي ليس لها أذن، وليس لها عين، لكن يُنطِقُهَا اللهُ عزَّ وجلَّ، فلا يجوز لنا أن نثبت الأذن لله عزَّ وجلَّ من أجل أنه

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب ذكر الدجال، رقم (٦٧١٢)، ومسلم: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٣).

ثَبَّتَ له السمع، لأنه لا تلازم، بل نقول: إنه تعالى يسمعُ بسمعٍ حقيقيٍّ، ولا ندري بأيِّ شيءٍ.

قَوْلُهُ: «مِنْ فَوْقِ عَرْشٍ فَوْقَ سِتِّ ثَمَانٍ» يعني: السموات سبع، والأرضون سبع، فالجميع أربعة عشر، فالذي في أسفل الأرض السابعة يراه عزَّ وجلَّ ويسمعه وهو فوق عرشه الذي هو فوق ست وثمان، يعني: أربعة عشر، وعلى هذا يكون قوله: (ست ثمان) على تقدير حرف العطف أي: ست وثمان.

٥٢٤- فَيَرَى دَبِيبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدَّجَى وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ
قَوْلُهُ: «فَيَرَى دَبِيبَ النَّمْلِ فِي غَسَقِ الدَّجَى» أي: في ظلمته.

قَوْلُهُ: «وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ» أي: أجفان العيون، يرى عزَّ وجلَّ تَقَلُّبَهَا، سواء عند الكلام، أو عند النوم، أو عند أيِّ سبب، فكلُّ أجفانِ الخلق يراها.

٥٢٥- وَضَجِيجِ أَصْوَاتِ الْعِبَادِ بِسَمْعِهِ وَلَدَيْهِ لَا يَتَشَابَهُ الصَّوْتَانِ
سبحان الله! ضجيج أصوات العباد في كلِّ مكان، وعند كلِّ سبب يسمعها عزَّ وجلَّ، ولا تشبهه عليه الأصوات - سبحانه وبحمده - مما يدلُّ على سَعَةِ سَمْعِهِ - تبارك وتعالى - وعلى أنه محيطٌ إحاطةً تامةً بكلِّ مسموع.

٥٢٦- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يُوسُوسُ عَبْدُهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ نُطْقِ لِسَانٍ
يعلم عزَّ وجلَّ بما توسوسُ به نفسك، أي: ما تُحَدِّثُ به نفسك دون أن تنطق، فإياك أن يعلمَ منك ما لا يرضاه منك، يعني: لا تُحَدِّثُ نفسك إلا بما هو مُرْضٍ لله - تبارك وتعالى -.

ولكن هل حديث النفس يُؤاخذ به الإنسان؟

الجواب: إن كان استقرَّ في ذهنه هذا، فإنه يؤاخذ به، لأنه اطمأنَّ إليه واستقرَّ في نفسه، وإن كان يُحدِّث - ولكن لم يستقر في ذهنه - فإنه لن يضره شيئاً، دليلُ هذا قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنِّ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»^(١). وهذه من نعمه الله - سبحانه وتعالى - أن ما يُفكِّر فيه الإنسان إذا لم يَرَكُنْ إليه ويُثَبِّتَه، فإنه لا يؤاخذ به مهما عظم، لكن إذا ألقى الشيطان في قلبك مثل هذه الوسوس الشديدة، فما موقفك؟ نقول: إن موقفك أن تستشفيَ بما أخبر به النَّبِيُّ ﷺ، وذلك بأمرين:

الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم.

الثاني: الانتهاء والإعراض عن هذا الذي وقع في قلبك.

وإذا مارستَ هذا العملَ فإن الشيطانَ يَنْدَحِرُ، ثم لا يعود إليك مرة أخرى، وَجَرَّبَ نَجْدُ، والشيطان لا يأتي بمثل هذه الوسوس العظيمة الفظيعة إلا لقلبٍ ممتلئٍ إيماناً وصریحٍ في إيمانه، ليس فيه شكٌّ، ولا قلقٌ، ولا ارتياب، لأنَّ الشيطان إنما يُسَلِّطُ على قلبٍ عامرٍ ليدمره، أما المدمَّر فلا يأتي إليه، لأنه قد كُفِّي.

ذَكَرَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْيَهُودَ قَالُوا لِلْمُسْلِمِينَ: إِنَّا نُصَلِّيُّ وَلَا نُسَوِّسُ فِي صَلَاتِنَا - يعني: لا نُحَدِّثُ أَنْفُسَنَا. فكأثمَّ يقولون: نحن خيرٌ منكم - فقال: «نعم، صدَّقوا، وما يصنعُ الشيطانُ بقلبٍ خرابٍ!؟»^(٢).

(١) أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، رقم (٢٥٢٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر، رقم (١٢٧).

(٢) انظر: الوابل الصيب (ص: ٤٠).

وهذا جواب عجيب، فالشيطان لا يأتي إلى شيء مُنْهَدِمٍ ليدمره، ولكن يأتي إلى العامر ليدمره، ولكن الحمد لله ما من داء إلا وله دواء، والعليم بدواء هذا الداء هو الرسول ﷺ، علمنا أن نستعيد بالله من الشيطان الرجيم^(١)، وننتهي.

٥٢٧- بَلْ يَسْتَوِي فِي عِلْمِهِ الدَّانِي مَعَ الْـ قَاصِي وَذُو الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ
قَوْلُهُ: «الْإِسْرَارِ» في نسخة الهمزة فوق الألف، والصواب (الإسرار) بدليل أنه مقابل (الإعلان).

٥٢٨- وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَدًا وَمَا قَدْ كَانَ وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ
قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَدًا» هذا المستقبل.
قَوْلُهُ: «وَمَا قَدْ كَانَ» هذا الماضي.
قَوْلُهُ: «وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ» هذا الحاضر.

والأزمان بالنسبة للإنسان ثلاثة: ماضٍ وحاضر ومستقبل.

فالله عزَّ وجلَّ عليمٌ بالماضي وبالمستقبل وبالحاضر، واسمع إلى قول الله -تبارك وتعالى- عن موسى -عليه الصلاة والسلام- لما سأله فرعون: ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ (٥١) قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿ [طه: ٥١-٥٢] أي: لا يجهل المستقبل ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ أي: لا ينسى الماضي، بل هو -جلَّ وعلا- عليمٌ بالحاضر والماضي والمستقبل، وقرأ قول الله -سبحانه وتعالى- في آية الكرسي:

(١) كما في حديث: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّهِ». أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣١٠٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤).

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٥٢٩- وَبِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ مُوجُودًا لِذِي الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ» أَي: عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ، فَكُلُّ شَيْءٍ لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُهُ عَزَّ وَجَلَّ كَيْفَ يَكُونُ إِذَا كَانَ، لِأَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

٥٣٠- وَهُوَ الْقَدِيرُ فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مَقْدُورٌ لَهُ طَوْعًا بِإِلَاءِ عِضْيَانِهِ

٥٣١- وَعُمُومٌ قُدْرَتِهِ تَدُلُّ بِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُ الْأَفْعَالِ لِلْحَيَوَانِ

٥٣٢- هِيَ خَلْقُهُ حَقًّا وَأَفْعَالٌ لَهُمْ حَقًّا، وَلَا يَتَنَاقَضُ الْأَمْرَانِ

٥٣٣- لَكِنَّ أَهْلَ الْجَبْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِإِلَاءِ أَقْدَارِ مَا انْفَتَحَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ

٥٣٤- نَظَرُوا بِعَيْنَيْهِمْ أَغْوَرِ إِذْ فَاتَهُمْ نَظْرُ الْبَصِيرِ وَغَارَتِ الْعَيْنَانِ

٥٣٥- فَحَقِيقَةُ الْقَدْرِ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِي شَأْنِهِ هُوَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ

٥٣٦- وَاسْتَحْسَنَ ابْنُ عَقِيلٍ ذَا مِنْ أَحْمَدٍ لَمَّا حَكَاهُ عَنِ الرَّضَا الرَّبَّانِيِّ

٥٣٧- قَالَ: الْإِمَامُ شَفَا الْقُلُوبَ بِلَفْظَةِ ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانِ

الشرح

٥٣٠- وَهُوَ الْقَدِيرُ فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مَقْدُورٌ لَهُ طَوْعًا بِإِلَاءِ عِضْيَانِهِ

من أسماء الله تعالى: القدير، والقدير هو الفاعل بلا عجز، دليل ذلك

قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُعْجِزَهُ، مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤] فَبِقُدْرَتِهِ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

ومن أسمائه: القوي، الفاعل بلا ضعف، لأنَّ ضد القوة الضعف، وضد القُدرة العجز.

قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

إذَّن هو القدير، والقدير هو الفاعل بلا عجز، ولنضرب مثلاً بين هذا وهذا. رجل قيل له: احمِلْ هذه الصخرة، فحاول فعجز، ولم تتزحزح، نقول عنه: إنه عاجز، يعني: ضد القادر، وآخر قلنا له: احمِلْ هذه الصخرة، فحملها، لكن بمشقة، فنقول: هذا ضعيف، وضده القوي.

رجل ثالث قيل له: احمِلْ هذه الصخرة، فأخذها وكأنها ريشة، فنقول: هذا قوي.

قَوْلُهُ: «فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مَقْدُورٌ لَهُ» يعني: إن كان موجوداً، فهو قادرٌ على إعدامه، وإن كان معدوماً، فهو قادر على إيجاده، ولما قال -سبحانه وتعالى- للسموات والأرض ﴿أَتَيْتَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مُنْقَادٌ لِقُدْرَةِ اللَّهِ -تبارك وتعالى-.

٥٣١- وَعُمُومُ قُدْرَتِهِ تَدُلُّ بِأَنَّهُ هُوَ خَالِقُ الْأَفْعَالِ لِلْحَيَوَانَاتِ
عمومُ قدرة الله عزَّ وجلَّ تدلُّ على أنه خالقٌ لأفعال الحيوان، ويريد بالحيوان: الإنسان وما سواه.

ووجه ذلك: أن هذه الأفعال لن تخرج عن إرادته، وإرادته هي قدرته، ولذلك نستدل بعموم قدرة الله على أنه خالق لأفعال العباد من عاقل، وغير عاقل.

وانظر إلى تحليل المؤلف لهذا حيث قال:

٥٣٢- هِيَ خَلْقُهُ حَقًّا وَأَفْعَالٌ لَهُمْ حَقًّا، وَلَا يَتَنَاقَضُ الْأَمْرَانِ

قَوْلُهُ: «هِيَ خَلْقُهُ حَقًّا» قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾

[الصفات: ٩٦].

وهي «أفعال لهم»، ولهذا يضيف الله تعالى أعمال العباد إليهم فيقول: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [النور: ٤١] فهي أفعال لهم، فمن الصائم؟ الجواب: الإنسان هو الفاعل، من القائم؟ الإنسان، من القارئ؟ الإنسان، من المتوضئ؟ الإنسان... وهكذا.

فهي أفعال لهم، وهي في نفس الوقت مخلوقة لله عز وجل، ووجه هذا: أن فعل العبد ناتج عن شيئين، هما: الإرادة الجازمة، والقدرة التامة.

فمن خلق الإرادة في الإنسان؟ الجواب: الله عز وجل هو الذي جعله مُريداً، الله هو الذي جعله قادراً، فالفعل الناتج عن إرادة الإنسان وقدرته مخلوق لله عز وجل، لأن الإرادة والقدرة مخلوقة لله، والأمر واضح الآن، لكن مع هذا يقول ابن القيم -رحمه الله-:

٥٣٣- لَكِنَّ أَهْلَ الْجَبْرِ وَالتَّكْذِيبِ بِأَلْ أَقْدَارِ مَا انْفَتَحَتْ لَهُمْ عَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «أَهْلُ الْجَبْرِ» أَهْلُ الْجَبْرِ هُمُ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى

أَفْعَالِهِ لِلَّهِ، فَالْإِنْسَانُ مُجْبَرٌ عَلَيْهَا.

قَوْلُهُ: «والتَّكْذِيبِ بِالْأَقْدَارِ» المراد بذلك القَدَرِيَّةَ الذين يقولون: إن أفعال العباد يفعلها الإنسان مستقلاً عن الله عزَّ وجلَّ، فانظر الآن: طرفان متناقضان:

أهل الجبر يقولون: الإنسان ليس له إرادة، وليس له قُدْرَةٌ، أفعاله كاهتزاز الأشجار في الهواء، وأما القَدَرِيَّةَ فقالوا: إنَّ الإنسان مستقلُّ بعمَله، ليس لله فيه إرادة، وليس له تدخُّل فيه، فتأمَّل التناقض بين الطرفين!

الجبرية والقدرية إخوان في شيء، ولكنهم أعداء في شيء، ففي مسألة الصفات إخوان، كلهم يُنكرون الصفات، وفي مسألة القدر أعداء، وفي مسألة الإيمان أعداء، لأنَّ الجبرية مُرَجِّتَةٌ، والمعتزلة وَعِيدِيَّةٌ يرون أن فاعل الكبيرة مخلدٌ في النار، فأهل الباطل دائماً يفترون ويتفقون على غير هُدَى.

٥٣٤- نَظَرُوا بِعَيْنَيْ أَعْوَرَ إِذْ فَاتَهُمْ نَظَرُ الْبَصِيرِ وَغَارَتِ الْعَيْنَانِ
قَوْلُهُ: «أَعْوَرَ» هنا مصروفة لضرورة الشعر.

قَوْلُهُ: «نَظَرُوا بِعَيْنَيْ أَعْوَرَ» واحد نظر من يمين، وواحد نظر من يسار، فالأعور الذي عينه اليسرى عوراء ينظر من اليمين، والذي عينه اليمنى عوراء ينظر من اليسار، ولهذا جاء الحديث أنَّ العوراء البيِّنَ عورُها لا تجزي^(١)، علَّله الفقهاء فقالوا: لأنَّ العوراء لا تُدرِكُ الرَّعْيَ كاملاً، ولا تستطيعُ الدفاعَ عن نفسها،

(١) وهو حديث: «أَرَبَعٌ لَا تَجُوزُ فِي الْأَضْحَاجِيِّ: الْعَوْرَاءُ الْبَيِّنُ عَوْرُهَا، وَالْمَرِيضَةُ الْبَيِّنُ مَرَضُهَا، وَالْعَرَجَاءُ الْبَيِّنُ ظَلْعُهَا، وَالْعَجْفَاءُ -يعني الهزيلة- التي لا تُنْقِي». أخرجه أحمد (٢٨٤/٤)، وأبو داود: كتاب الضحايا، باب ما يكره من الضحايا، رقم (٢٨٠٢)، والترمذي: كتاب الأضاحي، باب ما لا يجوز من الأضاحي، رقم (١٤٩٧)، والنسائي: كتاب الضحايا، باب ما نهي عنه من الأضاحي العوراء، رقم (٤٣٦٩)، وابن ماجه: كتاب الأضاحي، باب ما يكره أن يضحى به، رقم (٣١٤٤).

إذا جاءها الذئب من اليمين وهي عوراء من اليمين أكلها قبل أن تنظر إليه.

فهؤلاء نظروا بعين أعور، كيف؟

فالجبرية نظروا إلى عموم مشيئة الله وخلقها، وغفلوا عن أن للإنسان إرادةً وفعلاً، والآخرون نظروا بالعين الصحيحة إلى أن الإنسان مختارٌ فاعلٌ، لا يرى أحداً يُجبره، وغفلوا عن أن كل ما في الكون خلقٌ لله وملئٌ له.

قوله: «وَعَارَتِ الْعَيْنَانِ» واحد منهما غارت عينه اليمنى، وواحد غارت عينه اليسرى.

٥٣٥- فَحَقِيقَةُ الْقَدْرِ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِي شَأْنِهِ هُوَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ ما دام الله قادراً، فكلُّ شيء واقعٌ بقدره عزَّ وجلَّ، هذا وجه قول المؤلف: حقيقة القدر هو قدرة الرحمن، لأنه إذا كان هذا يقع بإرادة الله وقدرته فهذا هو القدر.

٥٣٦- وَاسْتَحْسَنَ ابْنُ عَقِيلٍ^(١) ذَا مِنْ أَحْمَدٍ لَمَّا حَكَاهُ عَنِ الرَّضَا الرَّبَّانِيِّ

يعني أن ابن عقيل -رحمه الله، وهو من مشاهير أصحاب الإمام أحمد- حكى عن الإمام أنه قال: (القَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ). فاستحسن هذا وأعجبه، لأنه واضح، ودليله واضح.

وابن عقيل هذا له (كتاب الفنون)، وقد قيل: إنه يبلغ ثمانمئة مجلدة.

(١) ابن عقيل: هو علي بن عقيل بن محمد بن عقيل، ولد سنة (٤٣١هـ)، وتوفي سنة (٥١٣هـ)، له مصنفات جمة، أهمها (الفنون)، قال الذهبي: لم يصنف في الدنيا أكبر منه، حدثني -يقوله الذهبي- حدثني من رأى منه المجلد الفلاني بعد الأربعمئة مجلداً -أي: من الفنون- انتهى. [الشارح]. انظر ترجمته في: البداية والنهاية (٢٢٨/١٢).

الله أكبر، كتاب واحد في ثمانمئة مجلدة، لكن على اسمه، الفنون، فكلُّ فنون العلم موجودة فيه.

كان له أبناء، أكبرهم عقيل، طالب علم، وأبوه يَعْقِدُ عليه آمالاً، تُوفي وحزن عليه أبوه، وكانوا في المقبرة، فقام رجل من الناس وقال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ﴾ إِنَّا نَرْنَكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿ [يوسف: ٧٨] يريد هذا القائل أن يَقْدِي عقيلًا بنفسه.

فبكى كُلُّ الذين في المقبرة، فقال ابن عقيل: «إِنَّ الْقُرْآنَ لِتَسْكِينِ الْأَحْزَانِ لَا لِتَهْيِيجِ الْأَحْزَانِ». انظر كيف الجواب العجيب؟!!

نأخذ من هذا أن أولئك الذين يأتون للعزاء، وَيُهَيِّجُونَ أهل الميت، أنهم ليسوا على صواب، لأن المقصودَ بالعزاء تقوية الإنسان على تحمُّل المصاب، لا أن يَهَيِّجَ الحزن، وَيُبْقِيَ الإنسان دائماً في همٍّ وحزن.

المهم أن ابن عقيل -رحمه الله- استحسَن قول الإمام أحمد -رحمه الله-: «الْقَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ».

٥٣٧- قَالَ: الْإِمَامُ شَفَا الْقُلُوبَ بِلَفْظَةٍ ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ قَوْلُهُ: «قَالَ» الْقَائِلُ: ابْنُ عَقِيلٍ.

قَوْلُهُ: «الْإِمَامُ شَفَا الْقُلُوبَ بِلَفْظَةٍ» شَفَاهَا أَي: أَبْرَاهَا مِمَّا فِيهَا مِنَ الشُّكِّ فِي الْقَدْرِ الَّذِي حَارَ فِيهِ الْوَرَى.

قَوْلُهُ: «بِلَفْظِهِ ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ» أَي: مَخْتَصِرَةٌ وَبَيِّنَةٌ، وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

ثم إن النبي ﷺ شفا القلوب وأحياها، لَمَّا أخبر فقال: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ». فَكُلُّ وَاحِدٍ مَكْتُوبٌ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَدْعُ الْعَمَلَ وَنَتَّكِلَ عَلَى مَا كُتِبَ؟ قَالَ: «لَا، اْعْمَلُوا كُلُّ مَيْسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ».

فانظر إلى هذا الجواب البيّن الواضح من الرسول -عليه الصلاة والسلام- الذي لو اجتمع الناس على أن يأتوا بمثله ويشفوا الصدور ما استطاعوا، «فَكُلُّ مَيْسَّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ»، ثُمَّ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَدِلًّا لِذَلِكَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ﴿١٠﴾﴾ (١) [الليل: ٥-١٠].

وقوله تعالى: ﴿لِلْيُسْرَى﴾ يعني: لِكُلِّ فِعْلَةٍ يُسْرَى، ومنها أن يُيسَّرَ له فعل الطاعات.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾، رقم (٤٩٤٥)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٧).

فصل

- ٥٣٨- وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا فَلْأَجَلٍ ذَا مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
- ٥٣٩- وَكَذَلِكَ الْقِيُومُ مِنْ أَوْصَافِهِ مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشْيَانِ
- ٥٤٠- وَكَذَلِكَ أَوْصَافُ الْكَمَالِ جَمِيعُهَا ثَبَّتَتْ لَهُ وَمَدَارُهَا الْوُصْفَانِ
- ٥٤١- فَمُصَحِّحُ الْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ حَقًّا، ذَانِكَ الْوُصْفَانِ^(١)
- ٥٤٢- وَلِأَجَلٍ ذَا جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَذِي عِمْرَانَ
- ٥٤٣- اسْمُ الْإِلَهِ الْأَعْظَمُ اشْتَمَلًا عَلَى اسْمِ السَّمِ وَالْحَيِّ وَالْقِيُومِ مُقْتَرِنَانِ
- ٥٤٤- فَالْكُلُّ مَرْجِعُهَا إِلَى الْإِسْمَيْنِ يَدْرِي ذَاكَ ذُو بَصَرٍ بِهِذَا الشَّانِ

الشرح

- ٥٣٨- وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا فَلْأَجَلٍ ذَا مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ قَوْلُهُ: «وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا» أي: حياة كاملة ليس فيها نقص بوجه من الوجوه.
- قَوْلُهُ: «فَلْأَجَلٍ ذَا مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ» يعني: أنه لا سلطان للموت عليه -جَلَّ وَعَلَا-، كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨] فلا يموت، لكَمَالِ حَيَاتِهِ، فله الحياة الكاملة.

(١) في أكثر الأصول الخطية: «الأصلان».

٥٣٩- وَكَذَلِكَ الْقِيَوْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشْيَانٍ
قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْقِيَوْمُ مِنْ أَوْصَافِهِ» وهو أيضًا من أسمائه.

وابن القيم - رحمه الله - عَبَّرَ عن القِيَوْمِ بأنه من أوصافه، ولكن لا مانع، لأنَّ
كُلَّ اسم متضمنٌ لصفة.

قَوْلُهُ: «مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غَشْيَانٍ»، فَمِنْ أوصافه القِيَوْمِيَّةِ التي تَضَمَّنَهَا قوله
تعالى: ﴿الْقِيَوْمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهذه القِيَوْمِيَّةُ تمنع النوم، فالنوم مستحيل في حقِّ الله
عَزَّ وَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] لماذا؟

لأنه عَزَّ وَجَلَّ القِيَوْمُ، والقِيَوْمُ هو القائم بنفسه، القائم على غيره، قال الله
تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] يعني: كمن لا يملك هذا.

فالله قائمٌ بنفسه مستغنٍ عن غيره، وغيره قائمٌ به - جَلَّ وَعَلَا -، فلاجل
ذلك لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نوم، لكمال حياته، وكمال قِيَوْمِيَّتِهِ.

أرأيتم لو أنَّ أحدًا من الخلق له سُلْطَةٌ على جماعة من الناس، وهو كثير
التُّعَاس، هل يمكن أن يقوم بمصالحهم؟ الجواب: لا، فالإنسان إذا كان ينعس،
فإنه لو تكلم فربما تجده يهذي، فكيف يُصلح غيره؟!!

فلكمال حياته - سبحانه وتعالى - وكمال قِيَوْمِيَّتِهِ لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نوم،
وغيره تأخذه السِنَّةُ والنوم قهراً.

٥٤٠- وَكَذَلِكَ أَوْصَافُ الْكَمَالِ جَمِيعُهَا ثَبَّتَتْ لَهُ وَمَدَارُهَا الْوُصْفَانِ

أوصافُ الكمالِ كُلُّهَا ثَبَّتَتْ لله، والدليل قولُ الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾

وَقَوْلُهُ: «وَمَدَارُهَا الْوَصْفَانِ»، يشير إلى الحياة والقيومية، فكلُّ أوصاف الكمال تدور على هذين الوصفين، فالحيُّ فيه كمال الأوصاف، والقيوم فيه كمال الأفعال.

٥٤١- فَمُصَحِّحُ الْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ حَقًّا، ذَانِكَ الْوَصْفَانِ كُلِّ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ تَدُورُ عَلَى هَذَيْنِ الْأَسْمَاءِ: الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ، فَهَا مِنْ كِمَالِ الْحَيِّ إِلَّا دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِهِ: (الحيِّ)، وَمَا مِنْ كِمَالٍ فِي فِعْلٍ، وَلَا سُلْطَانٍ إِلَّا دَخَلَ تَحْتَ قَوْلِهِ: (القيوم).

٥٤٢- وَلَا جَلَّ ذَا جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُ فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَذِي عِمْرَانَ ٥٤٣- اسْمُ إِلَهِ الْأَعْظَمِ اشْتِمَلًا عَلَى اسْمِ الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ مُقْتَرِنَانِ يعني: جاء في الحديث أن اسمه الأعظم، الذي إذا دُعِيَ اللهُ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى تضمَّن: الحيَّ القيوم^(١).

قوله -رحمه الله-: «فِي آيَةِ الْكُرْسِيِّ وَذِي عِمْرَانَ» يعني: في سورة البقرة وسورة آل عمران، فقال الله عزَّ وجلَّ في سورة البقرة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال في سورة آل عمران: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢].

(١) وذلك في قوله ﷺ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَاللَّهُ كُرْسِيُّ اللَّهِ وَحَدُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. أخرجه أبو داود: كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٩٦)، والترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم (٣٤٧٨)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، رقم (٣٨٥٥).

بقي موضع ثالث في سورة طه، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

٥٤٤- فَالْكُلُّ مَرْجِعُهَا إِلَى الْإِسْمَيْنِ يَدْرِ ذَاكَ ذُو بَصَرٍ بِهِذَا الشَّانِ

لأن هذين الاسمين يتضمَّنان جميع معاني أسماء الله، ووجه ذلك ما سبق، وهو أن الحيَّ يتضمَّنُ كمال الأوصاف، والقيومَ كمال الأفعال.

٥٤٥- وَلَهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ وَالرِّضَى وَلَهُ الْمَحَبَّةُ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

٥٤٦- وَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الْعَارِي عَنِ النَّتْشِيهِ وَالتَّمْثِيلِ بِالْإِنْسَانِ

٥٤٧- وَكَمَالٌ مَنْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ لِنَفْسِهِ^(١) أَوْلَى وَأَقْدَمُ، وَهُوَ أَعْظَمُ شَانَ

٥٤٨- أَيَكُونُ قَدْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ وَمَا لَهُ ذَاكَ الْكَمَالُ، أَدَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!

٥٤٩- أَيَكُونُ إِنْسَانٌ سَمِيعًا مُبْصِرًا مُتَكَلِّمًا بِمِثْلِيَّةٍ وَبَيِّنٍ؟

٥٥٠- وَلَهُ الْحَيَاةُ وَقُدْرَةُ وَإِرَادَةُ وَالْعِلْمُ بِالْكُلِّيِّ وَالْأَعْيَانِ

٥٥١- وَاللَّهُ قَدْ أُعْطَاهُ ذَاكَ وَلَيْسَ هَذَا وَصْفُهُ، فَاعْجَبْ مِنَ الْبُهْتَانِ

٥٥٢- بِخِلَافِ نَوْمِ الْعَبْدِ ثُمَّ جَمَاعِهِ وَالْأَكْلِ مِنْهُ وَحَاجَةِ الْأَبْدَانِ

٥٥٣- إِذْ تِلْكَ مَلْزُومَاتُ كَوْنِ الْعَبْدِ مُحْتَاَجًا، وَتِلْكَ لَوَازِمُ النُّقْصَانِ

٥٥٤- وَكَذَا لَوَازِمُ كَوْنِهِ جَسَدًا نَعَمٌ وَلَوَازِمُ الْإِحْدَاثِ وَالْإِمْكَانِ^(٢)

(١) في نسخة الحلبي: «بنفسه».

(٢) في نسخة برلين هنا حاشية: «لعن الله من نسب الحنابلة إلى التجسيم».

٥٥٥- يَتَّقَدُّسُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْهَا وَعَنْ أَعْضَاءِ ذِي جُثْمَانِ

الشرح

٥٤٥- وَلَهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ وَالرِّضَى وَلَهُ الْمَحَبَّةُ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

هذه من صفاته عز وجل، فله الإرادة، ودليلها موجود في كتاب الله بكثرة، قال تعالى: ﴿يَتَحَكَّمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، وقال: ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقال: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] وقال: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥] والإرادة عند أهل العلم تنقسم إلى قسمين: إرادة كونية، وإرادة شرعية، والفرق بينهما من وجهين:

الوجه الأول: الإرادة الكونية تكون فيما يحبُّ الله، وفيما لا يحبُّ، ولهذا نقول: إن الله تعالى قد أراد إيمانَ المؤمنِ كونًا، وأراد كُفْرَ الكافرِ كونًا، فالأول فيما يحبُّ، والثاني فيما لا يحبُّ.

الوجه الثاني: الإرادة الكونية لا بدَّ فيها من وقوع المراد، والإرادة الشرعية قد يقع المراد وقد لا يقع، فقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] هذه إرادة شرعية، لأنها لو كانت إرادة قَدْرِيَّةً لوجب أن تقع، أي: أن يقع مرادُه، وهو التوبة، ولكنَّ الله تعالى يتوب على مَنْ تاب فقط، والإرادة الكونية لا بدَّ فيها من وقوع المراد، لقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

وله الكراهة، كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦] فالله تعالى يكره ما يَسْتَحِقُّ الكراهة من أفعالٍ وأقوالٍ، ففي قوله: ﴿وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ﴾ المكروه هنا فعل، وهو الانبعاث، وفي قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ

لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ»^(١). المكروه هنا قول.

وله الرّضى، كقوله تعالى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] فهو يرّضى عن الأقوال، ويرضى عن الأفعال، ويرضى عن المؤمنين.

وله المحبة: فهو يُحِبُّ ويُحَبُّ، كقول تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

قوله: «وهو ذو الإحسان» يعني: النعم، وإحسان الله تعالى لا يمكن أن يُعَدَّ ولا يحصى، ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

أشار بهذا إلى أن هذه الأوصاف: الإرادة، والكرهية، والرّضى، والمحبة، ليست هي الإحسان، بل الإحسان من لوازمها، أي: من لوازم المحبة والرّضى.

أما أصحاب التعطيل فيُنكرونها والكرهية والرّضى والمحبة، ويفسرون الكراهة بالعقوبة، والرّضى بالثبوت، والمحبة كذلك بالثبوت، فتجدهم إذا فسروا قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] قالوا: يعني: يُثيب المحسنين، وأنكروا أن يكون له محبة، وقالوا: إن المحبة لا تكون إلا بين متناسبين.

وهم أخطئوا في تحريف المنقول، وأخطئوا أيضًا في الواقع.

فالمحبة تكون بين متناسبين، كما بين الرجل وابنه وأبيه، وما أشبه ذلك، وتكون بين المتباينين، كمحبة الجهاد للإنسان، والإنسان للجهاد.

قال النبي ﷺ في أحد: «إِنَّهُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»^(١). أين التناسب بين الأحجار

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستقراض، باب ما ينهى عن إضاعة المال، رقم (٢٢٧٧)، ومسلم: كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (٥٩٣).

والصخرات والإنسان؟ الجواب: لا تناسب، الإنسان في نفسه يُحِبُّ البعير الفلاني، ولا يُحِبُّ البعيرَ الفلاني، كذلك الناقة تُحِبُّ صاحبها وتُرومه، وتختاره من بين الناس، كذلك أيضًا الجمادات: تجد الرجل -مثلاً- يشتري ساعة وأخرى، ويحِبُّ هذه أكثر من هذه، وكذا قَلَمٌ، كتاب، فقولهم مردودٌ بِالْحِسِّ، ومردودٌ بِالشَّرْعِ.

ثُمَّ نَقُولُ تَنْزُلًا مَعَهُمْ: إِذَا فَسَّرْتُمُ الْمَحَبَّةَ بِالْمَثُوبَةِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُثِيبَ مَنْ لَا يُحِبُّ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، كَيْفَ يُثِيبُ هَذَا وَيُعْطِيهِ وَيَرْضِيهِ وَهُوَ لَا يُحِبُّهُ؟! هَذَا لَا يُمْكِنُ.

فالحمد لله الذي فتح عقول أهل السنة والجماعة لِمَا يُوَافِقُ الْمُنْقُولَ وَالْمَعْقُولَ.

٥٤٦- وَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الْعَارِي عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ بِالْإِنْسَانِ

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: مشابهاً، وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] أي: أنه لا يدله.

قَوْلُهُ: «التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ» هَذَا مِنْ بَابِ عَطْفِ الْمُرَادِفَيْنِ بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ، مَعَ أَنَّ التَّعْبِيرَ بِنَفْيِ التَّمْثِيلِ أَحْسَنُ مِنَ التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ نَفْيِ التَّشْبِيهِ.

ثم ذكر المؤلف دليلاً عقلياً على أن الله له الكمال، فقال:

٥٤٧- وَكَمَالٌ مَنْ أَعْطَى الْكَمَالَ لِنَفْسِهِ أَوْلَى وَأَقْدَمُ، وَهُوَ أَعْظَمُ شَأْنِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب خرص الثمر، رقم (١٤١١)، ومسلم: كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، رقم (١٣٩٢).

يعني: أن المؤلف - رحمه الله - استدلل بثبوت الكمال لله عز وجل بأنه أعطى الكمال، فيكون هو أولى به، فكماله سابق على من أعطاه الكمال، وهذا واضح، لأن من كماله أن أعطى ولا شك، وهذا دليل عقلي، ولهذا قال: (أُولَى وَأَقْدَمُ وَهُوَ أَعْظَمُ شَانٍ).

٥٤٨- أَيْكُونُ قَدْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ وَمَالَهُ ذَاكَ الْكَمَالَ، أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!

قَوْلُهُ: «أَيْكُونُ قَدْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ... إلخ»؟

الجواب: أبدًا، لا يمكن، لأن من كماله أن يُعْطِيَ الْكَمَالَ، أما أن يكون ناقصًا ثم يُعْطِيَ الْكَمَالَ، فهذا مستحيل، إذ كيف يُعْطِيَ الْكَمَالَ مَنْ لَيْسَ بِكَامِلٍ؟! فكمال الله قد دل عليه السمع والعقل، ومن الأدلة العقلية على كمال الله أنه معط الكمال، ومُعْطِي الْكَمَالَ أَوْلَى بِالْكَمَالَ.

٥٤٩- أَيْكُونُ إِنْسَانٌ سَمِيعًا مُبْصِرًا مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَيَبِينُ؟

هذا وصف للإنسان، فالإنسان سميع وبصير، والدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

قَوْلُهُ: «مُتَكَلِّمًا»، والدليل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾

[آل عمران: ١٦٧].

قَوْلُهُ: «بِمَشِيئَةٍ»، لأنَّ الْإِنْسَانَ يَتَكَلَّمُ بِإِرَادَةٍ.

قَوْلُهُ: «يَبِينُ» أي: فصاحة، ولهذا تجدد بعض الناس إذا تكلم سلب العقول،

وتحقق بهذا قول الرسول ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا»^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الخطبة، رقم (٤٨٥١)، ومسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٩).

٥٥٠- وَلَهُ الْحَيَاةُ وَقُدْرَةٌ وَإِرَادَةٌ وَالْعِلْمُ بِالْكُلِّيِّ وَالْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ الْحَيَاةُ» أي: الإنسان له الحياة، لقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾

[الأنعام: ٩٥].

قَوْلُهُ: «وَقُدْرَةٌ» يعني: وله القدرة، والدليل قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَا

يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا﴾ [البقرة: ٢٦٤] ونفي قدرة هؤلاء يدل على ثبوت

القدرة لغيرهم، وقال تعالى: ﴿وَعَدَّوْا عَلَى حَرِّ قَدْرَيْنِ﴾ [القلم: ٢٥].

قَوْلُهُ: «وَإِرَادَةٌ»، فلإنسان إرادة، قال تعالى: ﴿فَأَتَوْا حَرَّتِكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ﴾

[البقرة: ٢٢٣] أي: من حيث أردتم، وقال عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

قَوْلُهُ: «وَالْعِلْمُ» يعني أن الإنسان له علم، والدليل قوله تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا

لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٥]، وقوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٣].

قَوْلُهُ: «وَالْعِلْمُ بِالْكُلِّيِّ وَالْأَعْيَانِ»: (الْكُلِّيُّ) يعني: المعاني، و(الأعيان):

الأجسام، فالإنسان له علم بالمعاني الكُلِّيَّة، وكذلك بالأعيان.

٥٥١- وَاللَّهُ قَدْ أَعْطَاهُ ذَلِكَ وَلَيْسَ هَذَا وَصْفُهُ، فَأَعْجَبَ مِنَ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ هَذَا وَصْفُهُ» أي: وصف الله، يعني: كيف يكون إنسان متصفاً

بهذه الصفات الكاملة، والله هو الذي أعطاه إيَّاهَا، وليس هذا وصفاً لله؟!

هؤلاء يقولون على كلامهم: إنَّ الله تعالى أعطى السمعَ والبصرَ، ولكن ليس

له سمعٌ ولا بصرٌ، فيكون المخلوقُ أكملَ من الخالقِ.

٥٥٢- بِخِلَافِ نَوْمِ الْعَبْدِ ثُمَّ جَمَاعِهِ وَالْأَكْلِ مِنْهُ وَحَاجَةِ الْأَبْدَانِ

٥٥٣- إِذْ تِلْكَ مَلْزُومَاتُ كَوْنِ الْعَبْدِ مُحًّا تَاجًّا، وَتِلْكَ لَوَازِمُ النُّقْصَانِ

لما ذكر الكمال لله عزَّ وجلَّ وأنَّ الإنسان له كمال، فلا يمكن أن يكون الخالق دونه في الكمال، أجب عن شيء قد يتوهَّمه الإنسان، وهو نوم العبد، هل هو كمال أو نقص؟

الجواب: هو كمالٌ من جهة، ونقصٌ من جهةٍ أخرى، فمن جهة أن الإنسان إذا كان صحيحَ البدن، وليس فيه آلامٌ ولا أوجاع، ونام، فهذا كمال، لكن من جهة أنه من لوازم النقص يكون نقصًا، فالإنسان لنقصانه يحتاج إلى نومٍ يستريح به ممَّا مضى، ويستجد نشاطه لما يستقبل.

كذلك الجماعُ كمالٌ في الإنسان، لكنه من لوازم النقص، إذ إن الإنسان محتاجٌ إلى بقاءِ النسل الذي طريقه الجماع.

والأكل كذلك كمالٌ من وجه، ونقصٌ من وجهٍ آخر، فالإنسانُ الصحيحُ يأكل بشهوةٍ ونهمَةٍ، ولذة في الأكل، والمريضُ بالعكس، لكن كونه يأكل من لوازم النقص، لأنه محتاج.

لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ حَاجَةً، فَقَدْ تَنَزَّهَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْحَاجَةِ، فَهُوَ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى أَكْلِ، وَلَا شَرْبٍ، وَلَا جِمَاعٍ، وَلَا غَيْرِ ذَلِكَ، أَمَّا الْعَبْدُ فَهَذَا مِنْ كَمَالِهِ، لِاحْتِيَاجِهِ إِلَيْهِ لِيَقُومَ بِهِ كَمَالِهِ.

٥٥٤- وَكَذَلِكَ لَوَازِمُ كَوْنِهِ جَسَدًا نَعَمٌ وَلَوَازِمُ الْإِحْدَاثِ وَالْإِمْكَانِ

يعني: أيضًا من لوازم كونه جسدًا أن يحتاج إلى هذه الأشياء للبقاء والإمكان.

فالجسد يحتاج إلى شيء يُنمِّيه وَيُبقِيه، وكذلك الإحداث والإمكان، فالإنسان حادثٌ ممكن الوجود، وليس بواجب الوجود، والله عزَّ وجلَّ ليس بحادث، وهو واجب الوجود.

٥٥٥- يَتَقَدَّسُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ عَنْهَا وَعَنْ أَعْضَاءِ ذِي جُثْمَانٍ
قَوْلُهُ: «يَتَقَدَّسُ الرَّحْمَنُ... عَنْهَا» أي: عن هذه اللوازم، ويتقدَّس أيضًا عن أعضاء ذي جُثمان.

وكلامُ المؤلف -رحمه الله- هنا مُوهِّمٌ ما ليس بمرادٍ له قطعًا، لأنَّ قوله: «عَنْ أَعْضَاءِ ذِي جُثْمَانٍ» يشملُ الوجهة، واليدَ، والعينَ، والقدمَ، والساقَ، فإنَّ هذه من أعضاء الجسم، فهل الله مُنَزَّهٌ عنها؟

الجواب: إنَّ نَظْرَنَا إلى ظاهر كلام المؤلف قلنا: إنه يدلُّ على ذلك، لكن لِعِلْمِنَا بحال المؤلف، وأنه يُثَبِّتُ هذه الصفات لله عزَّ وجلَّ، وهي: الوجه، والعين، واليد، والساق، والقدم، لِعِلْمِنَا بذلك كما نعلمُ الشمسَ في رابعةِ النهار، فإننا نقول: إنه لم يُرِدْ نفيَ هذا عن الله، وإنما أراد نفيَ خصائصِ هذه الأعضاء بالنسبة للإنسان، فخصائصُ هذه الأعضاء بالنسبة للإنسان يجوز أن تنفصل من جسمه، وألا تنفصل، لكن اليد بالنسبة لله عزَّ وجلَّ، والساق، والقدم، والعين، لا يجوز أن يكون فيها هذا، ولهذا قال العلماء: لا يجوز أن تُطَلَّقَ على يد الله أنها بعض الله، لأنَّ البعض ما جاز انفصاله عن الكلِّ، وهذا بالنسبة إلى الله أمر مستحيل.

ولهذا نجد دقةَ تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- حيث قال في (التَّدْمِيرِيَّة) (١): وبيان هذا، أن صفاتنا منها ما هي أعيان وأجسام، وهي أبعاض

(١) انظر: الرسالة التدمرية (ص: ٧٧).

لنا، كالوجه واليد، ومنها ما هي معان وأعراض، وهي قائمة بنا، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة، ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير، لم يقل المسلمون: إن ظاهر هذا غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا، فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه، لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد، لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا، بل صفة الموصوف تناسبه، فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين، فصفاته كذاته ليست مثل صفات المخلوقين، ونسبة صفة المخلوق إليه، كنسبة صفة الخالق إليه، وليس المنسوب كالمنسوب، ولا المنسوب إليه كالمنسوب إليه. اهـ

إِذَنْ كَلَامُ ابْنِ الْقِيمِ يَجِبُ أَنْ يُحْمَلُ عَلَى أَعْضَاءِ ذِي الْجَثْمَانِ، أَي: خَصَائِصِ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، وَهِيَ جَوَازُ انْفِصَالِهَا عَنِ الْكُلِّ، فَأَعْضَاءُ الْإِنْسَانِ يَجُوزُ أَنْ تَنْفَصَلَ عَنِ الْكُلِّ، أَمَا بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ، أَوْ هَذِهِ الصِّفَاتِ -بِالنِّسْبَةِ إِلَى اللَّهِ- فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِيهَا ذَلِكَ.

- ٥٥٦- وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا
وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
- ٥٥٧- صِدْقًا وَعَدْلًا أَحْكَمَتْ كَلِمَاتُهُ
طَلَبًا وَإِخْبَارًا بِأَلَا تُقْضَى
- ٥٥٨- وَرَسُولُهُ قَدْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ
لَدَغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانٍ
- ٥٥٩- أَيْعَاذُ^(١) بِالْمَخْلُوقِ؟ حَاشَاهُ مِنَ الْإِ
إِشْرَاكِ، وَهُوَ مُعَلِّمُ الْإِيمَانِ
- ٥٦٠- بَلْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ
-سُبْحَانَهُ- لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ

(١) في بعض الأصول: «أفعاذ».

- ٥٦١- وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ الْـ مَسْمُوعٍ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيَّانٍ
 ٥٦٢- هُوَ قَوْلُ رَبِّي كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، مَا هُمَا خَلْقَانِ
 ٥٦٣- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَوْلُهُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى بِالْأَرْوَغَانِ

الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذه الأبيات ما يتعلق بصفة من صفات الله عزَّ وجلَّ وهي صفة الكلام، فقال:

٥٥٦- وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

إنَّ الله تعالى لم يزل مُتَكَلِّمًا، يعني: ولا يزال متكلِّمًا، اقرأ قولَ الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، ﴿[يس: ٨٢] فَقَوْلُهُ: «لَمْ يَزَلْ» يعني: فيما مضى، ولا يزال كذلك في المستقبل، حتى قال الرَّبُّ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

الله أكبر! لو كلَّ ما في الأرض صار أقلامًا يُكْتَبُ به، والبحرُ يمدُّه من بعده سبعة أبحر ما نَفِدَتْ كلماتُ الله، ولا نَفَادَ لها، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يزل ولا يزال مُرِيدًا خَالِقًا، وكلَّمَا أراد شيئًا قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ فلا نَفَادَ لكلماتِ الله -سبحانه وتعالى-، ولهذا قال: (لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا).

واعلم أنَّ الكلمات تحدُّث في الأزل، والتسلسل فيها باقٍ كما سبق، وكذلك في الماضي، فمن يحصي هذه الكلمات؟ الجواب: لا يحصيها إلاَّ اللهُ عزَّ وجلَّ، وهو -سبحانه وتعالى- لم يزل متكلِّمًا بكلامٍ بحرفٍ وصوت.

فإن قال قائل: الحروف هي الحروف التي تتكون منها كلمات الناس، أفلا يقتضي هذا أن يكون مماثلاً للخلق؟

فالجواب: لا يمكن، لأن الصوت يختلف، فكما أن الخالق والمخلوق يتفقان في الوجود ومع ذلك يختلفان في صفته، فوجود الخالق غير وجود المخلوق، كذلك صوت الخالق عز وجل ليس كصوت المخلوق، أما الحروف فالحروف هي الحروف التي يتكلم بها الناس، وهذا لا يقتضي المشابهة.

قوله: «وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ» فكلامه يُسْمَعُ، وليس يُخْلَقُ أصواتاً تُسْمَعُ تُعْبَرُ عن كلامه، بل كلامه عز وجل مسموعٌ بالأذان.

أرأيتم حين كلم موسى -عليه السلام-، فسمع موسى -عليه السلام- بأذانه، وصار يخاطبُ الله عز وجل، وكذلك النبي ﷺ في المعراج كان يسمع كلام الله عز وجل ويخاطبه، وسمعه من قبلها آدم -عليه الصلاة والسلام- وغير ذلك.

فكلام الله مسموعٌ يُسْمَعُ بالأذان، لكنَّ صوتَه لا يُشبهه أصوات المخلوقين، فلا يقوم له إلا مَنْ ثبته الله عز وجل، ولهذا إذا تكلم بالوحي ارتجفت السموات وصعقت الملائكة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

٥٥٧- صِدْقًا وَعَدْلًا أَحْكَمَتْ كَلِمَاتُهُ طَلَبًا وَإِخْبَارًا بِأَلَّا نَقْصَانِ

قوله: «طَلَبًا وَإِخْبَارًا» فيه لف ونشر غير مُرْتَب.

وقوله: «صِدْقًا وَعَدْلًا» الصدق بالنسبة للإخبار، والعدل بالنسبة للأحكام، كما قال عز وجل: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام: ١١٥]، وفي قراءة:

﴿وَمَتَّ كَلِمَاتُ رَبِّكَ﴾، فهي صدقٌ ليس فيها كذبٌ بوجهٍ من الوجوه، وهي عدلٌ ليس فيها جورٌ بوجهٍ من الوجوه، ولهذا قال: (طلبًا)، وهذا يعود على العدل، (وإخبارًا) على الصدق (بلا نقصان).

٥٥٨- وَرَسُولُهُ قَدْ عَادَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ لَدَغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانٍ قَوْلُهُ: «وَرَسُولُهُ» يعني: محمدًا صلى الله عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «قَدْ عَادَ بِالْكَلِمَاتِ مِنْ لَدَغٍ وَمِنْ عَيْنٍ وَمِنْ شَيْطَانٍ» يعني: قال: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ»^(١). مِنَ اللَّدَغِ وَمِنَ السَّامَةِ، وَالْهَامَةِ، وَالشَّيْطَانِ.

ومن قول النبي ﷺ: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ» استدلل الإمام أحمد - رحمه الله - بهذا على أن كلام الله غير مخلوق، لأنَّ المخلوق لا يُستَعَاذُ به، هكذا قرَّر الإمام أحمد - رحمه الله -.

والحقيقة أن المخلوق يُستَعَاذُ به فيما يقدِّر عليه هذا المخلوق الحيُّ أمامك، كما جاء ذلك في عدة أحاديث، حيث قال النبي ﷺ لَمَّا تَحَدَّثَ عَمَّا تَحَدَّثَ عَنْهُ مِنَ الْفِتَنِ: «وَمَنْ وَجَدَ مَلَجًا، أَوْ مَعَاذًا فَلْيَعُذْ بِهِ»^(٢).

وأخبر أن جيشًا عائدًا بالحرَمِ^(٣).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، رقم (٢٧٠٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤٠٦)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر، رقم (٢٨٨٦).

(٣) يعني قوله ﷺ: «يَعُوذُ عَائِدٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ». أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، رقم (٢٨٨٢).

لكن الشيء الذي هو غير محسوس لا يمكن الاستعاذة إلا بصفة من صفات الله، وأما بال مخلوق استعاذة محسوسة فهو كاستعاثة تمامًا، والاستعاثة فيما يقدر عليه جائزة.

٥٥٩- أَيْعَاذُ بِالْمَخْلُوقِ؟ حَاشَاهُ مِنْ الْإِشْرَاقِ، وَهُوَ مُعَلَّمُ الْإِيمَانِ

المعنى: أن النبي ﷺ لا يمكن أن يستغيث بمخلوق غير حاضر قادر على إعادته، لأنه لو فعل هذا لكان ذلك شركًا، والنبي ﷺ يتحاشى أن يُشرك، وهو عليه الصلاة والسلام - مُعَلَّمُ الْإِحْلَاصِ وَالْإِيمَانِ.

٥٦٠- بَلْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ - سُبْحَانَهُ - لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ عَاذَ بِالْكَلِمَاتِ وَهِيَ صِفَاتُهُ» أي: صفات الله عز وجل.

قَوْلُهُ: «لَيْسَتْ مِنَ الْأَكْوَانِ» خلافًا للجهمية الذين قالوا: إن كلام الله مخلوق من جملة المخلوقات.

٥٦١- وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ الْإِلَهِيِّ مَسْمُوعٌ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيِّنَةٌ

هذا القرآن الذي بين أيدينا - نساء الله أن يجعلنا ممن يتلونه حق تلاوته - هذا كلام الله، تكلم به - جل وعلا - حقيقةً، وسمعه جبريل - عليه السلام - ثم ألقاه على قلب النبي صلى الله عليه وسلم.

٥٦٢- هُوَ قَوْلُ رَبِّي كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ لَفْظًا وَمَعْنَى، مَا هُمَا خَلْقَانِ

هو قول الله عز وجل كله لا بعضه، خلافًا لمن قال: إن الكلام مخلوق، والمعنى القائم بالنفس غير مخلوق، فجعل بعض الكلام مخلوقًا، وجعل بعضه غير مخلوق، مثل الأشاعرة.

أمَّا المعتزلة: فقالوا: كلامُ الله مخلوقٌ من الأصل، وليس له كلامٌ هو قائم بنفسه، بل هو مخلوق.

وكلامُ المعتزلة أقربُ إلى المعقول من كلام الأشاعرة، لأننا إذا جعلنا الكلام هو المعنى القائم بالذات فمعناه: أنه لا كلام لله حقيقة.

وبريءٌ منهما قول السلف: إنَّ كلام الله هو المعنى واللفظ.

فالله عزَّ وجلَّ يتكلَّم بما في نفسه متى شاء كيف شاء.

٥٦٣- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَقَوْلُهُ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى بِلَا رَوْعَانِ

معلوم أن الناس انقسموا في الكلام إلى ثلاثة أقسام:

الأول: مَنْ قالوا: إن كلامَ الله صفةٌ من صفاته، شاملٌ للمعنى واللفظ، وهذا قول السلف، فالقرآنُ كلامُ الله لفظاً ومعنى.

الثاني: مَنْ قال: كلامُ الله مخلوقٌ، بائنٌ منه، لا يُوصَفُ به إلا على سبيل التشريف والتكريم، وهذا قول المعتزلة، وهذا القول أدَّى إلى القول بأنَّ كلَّ كلام في الوجود كلامُ الله عزَّ وجلَّ، كما قال الناظم:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ سِوَاءَ عَلَيْنَا نَشْرُهُ وَنِظَامُهُ

وهذا القول يؤدي إلى القول بوحدَةِ الوجود، وهي سلسلة خبيثة.

الثالث: مَنْ قال: إن كلام الله عزَّ وجلَّ هو المعنى القائم بنفسه، وخلق أصواتا تعبرُ عمَّا في نفسه، وهذا قول الأشاعرة.

سبحانه وتعالى! أيكون ما في النفس كلاماً؟! لو كان كلاماً لم يكن فرقٌ بين

العِلْم والكلام، لأنَّ العِلْم أيضًا معنَى قائمٌ بالنفس، وكُلُّ أحدٍ يعرف الفرق بين العِلْم والكلام.

لهذا أشار المؤلف - رحمه الله - إلى أن كَلَامًا مِنَ اللفظ والمعنى كلامُ الله.

- ٥٦٤- لَكِنَّ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفَعْلَهُمْ كَمِدَادِهِمْ وَالرَّقِّ مَخْلُوقَانِ
- ٥٦٥- فَالصَّوْتُ لِلْقَارِي وَلَكِنَّ الْكَلَامَ كَمِ دَادِهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْإِحْسَانِ
- ٥٦٦- هَذَا إِذَا مَا كَانَ ثُمَّ وَسَاطَةٌ قِرَاءَةِ الْمُخْلُوقِ لِلْقُرْآنِ
- ٥٦٧- فَإِذَا انْتَفَتَتْ تِلْكَ الْوَسَاطَةُ مِثْلَمَا قَدْ كَلَّمَ الْمُؤَلِّودَ مِنْ عِمْرَانَ^(١)
- ٥٦٨- فَهُنَالِكَ الْمَخْلُوقُ نَفْسُ السَّمْعِ لَا شَيْءٌ مِنَ الْمَسْمُوعِ، فَانْفَهَمَ ذَانِ وَخُصُومُهُمْ مِنْ بَعْدُ طَائِفَتَانِ
- ٥٦٩- هَذِي مَقَالَةٌ أَحْمَدٍ وَ مُحَمَّدٍ^(٢)
- ٥٧٠- إِحْدَاهُمَا^(٣) زَعَمَتْ بِأَنَّ كَلَامَهُ خَلْقٌ لَهُ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِي خَلْقٌ، وَشَطْرٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
- ٥٧١- وَالْآخَرُونَ^(٤) أَبَوْا وَقَالُوا: شَطْرُهُ قَلْنَا^(٥) كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ
- ٥٧٢- زَعَمُوا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً

(١) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل: «أي: موسى».

(٢) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل «أي: البخاري».

(٣) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل «أي: الجهمية والمعتزلة».

(٤) قال الحلبي في نسخته: في هامش الأصل «أي: الأشاعرة».

(٥) في نسخة: «قلنا».

- ٥٧٣- هَذَا الَّذِي تَتْلُوهُ مَخْلُوقٌ كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ وَبَعْدَهُ الْفِتَّانِ
 ٥٧٤- وَالْآخِرُ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ فَقَائِمٌ بِالنَّفْسِ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ

الشرح

٥٦٤- لَكِنَّ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفِعْلَهُمْ كَمِدَادِهِمْ وَالرَّقَّ مَخْلُوقَانِ

هذه أربعة أشياء: الصوت، والفعل، والرق، والمداد، فالصوت: النطق، والفعل: حركات الفم واللسان، والمداد: الحبر، والرق: الورق المكتوب عليه، قال تعالى: ﴿ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴾ [الطور: ٣] فهذه الأربعة مخلوقة، ولهذا قال:

٥٦٥- فَالصَّوْتُ لِلْقَارِي وَلَكِنَّ الْكَلَامَ كَلَامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الْإِحْسَانِ

٥٦٦- هَذَا إِذَا مَا كَانَ تَمَّ وَسَاطَةٌ كَقِرَاءَةِ الْمَخْلُوقِ لِلْقُرْآنِ

يعني: فالصوت للقارئ، والكلام كلام الباري عز وجل.

٥٦٧- فَإِذَا انْتَفَتْ تِلْكَ الْوَسَاطَةُ مِثْلَهَا قَدْ كَلَّمَ الْمُؤَلُّودَ مِنْ عِمْرَانَ

٥٦٨- فَهَذَا الْمَخْلُوقُ نَفْسُ السَّمْعِ لَا شَيْءٌ مِنَ الْمَسْمُوعِ، فَافْهَمْ ذَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُؤَلُّودَ مِنْ عِمْرَانَ» يعني: موسى بن عمران -عليه السلام-، حيث كلمه الله تكليةً.

هنا إذا كلم الله عز وجل أحداً بلا وساطة، فكلام الله غير مخلوق، وهو المسموع، والسمع الذي أدرك الكلام مخلوق.

٥٦٩- هَذِي مَقَالَةٌ أَحْمَدِ^(١) وَ مُحَمَّدِ^(٢) وَ خُصُّوهُمْ مِنْ بَعْدُ طَائِفَتَانِ

قَوْلُهُ: «أَحْمَدُ وَ مُحَمَّدٌ» يعني: أحمد بن حنبل - رحمه الله -، ومحمد بن إسماعيل البخاري - رحمه الله -.

فأحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري قالوا: إن هناك فرقاً بين المقروء والقراءة، وبين القارئ والمتكلم بالمقروء، فالمقروء غير مخلوق، والقراءة مخلوقة، والقارئ مخلوق، والمتكلم بالمقروء وهو الله عز وجل طبعاً غير مخلوق، فكلامه غير مخلوق، وبهذا التفصيل يزول الإشكال.

فهنا فرق بين الكلام والمتكلم، وبين القارئ والمقروء، ولهذا قال بعض السلف كما أشرت إليه من قبل: (الصوت صوت القارئ، والكلام كلام الباري).

ففرق بين المفعول وبين الفعل، وهذا التفصيل تزول به إشكالات كثيرة. ولهذا لو قال قائل -سمع شخصاً يقرأ القرآن-: إنه مخلوق، فهذا غلط، لأنه يحتاج إلى تفصيل.

فيقال: صوت القارئ وحركاته مخلوقة لا شك، أما المقروء فليس بمخلوق. بالنسبة للسمع نقول: عندنا سامع وسمع ومسموع، فالسامع مخلوق، والسمع مخلوق، والمسموع فيه تفصيل: إن كان المسموع صوت القارئ فهو مخلوق، وإن قصد به ما يلفظ به القارئ، فهو غير مخلوق.

وهذا هو تحرير مذهب أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

(١) أحمد: هو أحمد ابن حنبل، وقد سبق الكلام عن ترجمته. [الشارح].

(٢) محمد: هو محمد بن إسماعيل البخاري، صاحب الصحيح، وُلِدَ في بخارى سنة (١٩٤هـ)، وتوفي في خرتك من أعمال سمرقند سنة (٢٥٦هـ)، فيكون عمره ثنتين وستين سنة (٦٢). [الشارح].

واعلموا أيضًا أن العلماء من أهل السنة والجماعة ما لجئوا لهذه التفاصيل إلا للضرورة، فلما تكلم أهل البدع في هذا الباب قالوا: لا بد أن نتكلم، وإلا لكننا نقول: (القرآن كلام الله) فقط، وكفى، قال الله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] لكنهم اضطروا إلى هذه التفاصيل لأجل مقاومة أهل البدع ومقارعتهم.

والإمام أحمد -رحمه الله- روي عنه أنه قال: مَنْ قال: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قال: غَيْرُ مَخْلُوقٌ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، لِأَنَّ كَلِمَةَ (لَفْظٌ) مُصَدَّرٌ يَصِحُّ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا عَنْ اسْمِ الْمَفْعُولِ، وَعَنْ الْفِعْلِ، فَإِذَا قال: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) يَرِيدُ اسْمَ الْمَفْعُولِ مَاذَا يَكُونُ؟ الْجَوَابُ: يَكُونُ جَهْمِيًّا.

وإذا قال: (لفظي) يريد حركات الإنسان والصوت المسموع من هذه الحركات، لو قال: (إنه مخلوق) فصحيح، لكن إذا قال: (غير مخلوق) يكون مبتدعاً.

نقول: إذا قال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق) فهو مبتدع، لماذا؟ لأنه لا حاجة إلى قول ذلك، فمعروف أن الملفوظ به غير مخلوق، فلا يحتاج، فإذا قال: (لفظي مخلوق)، وأراد الملفوظ به فهو جهمي، وإن قال: (غير مخلوق) وأراد الملفوظ به أيضًا فيقال: هذا صحيح، ولكنه مبتدع.

لما ذكر المؤلف قول الإمام أحمد وقول الإمام البخاري -رحمهما الله- قال: «وخصوهم من بعد طائفتان»، ثم ذكر الطائفة الأولى، وهي المعتزلة والجهمية، فقال:

٥٧٠- إِحْدَاهُمَا زَعَمَتْ بِأَنَّ كَلَامَهُ خَلَقَ لَهُ أَلْفَاظُهُ وَمَعَانِي

هذه هي الطائفة الأولى، وهم المعتزلة والجهمية، قالوا: إن كلام الله مخلوق ألفاظه ومعانيه، ولم يقم بذاته -سبحانه وتعالى-، فهو خلق أصواتاً، وسميعها

جبريل، فهي كأصوات الرعد والصواعق، سمعها وتلقاها، وحكاها إلى محمد صلى الله عليه وسلم.

فهم يقولون: إِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لم يتكلم بكلام هو وصفه، وليس له كلام هو وصفه، ولكنه خلق كلامًا، ونَسَبَ هذا الكلام إليه، كما خلق ناقةً فنسبها إليه، وكما خلق بيتًا، ونسبه إليه، فنسبة الكلام إلى الله ليست نسبة صفة إلى الموصوف، ولكنها نسبةُ خَلْقٍ إلى خالق.

فهؤلاء جعلوا القرآنَ ألفاظه ومعانيه مخلوقةً، وقالوا: القرآن كغيره من سائر المخلوقات، فهو مخلوقٌ لله عزَّ وجلَّ، وناظروا على ذلك، وحصلت فيه محنٌ كثيرة في زمن الإمام أحمد وبعده وقبله.

٥٧١- وَالْآخَرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا: شَطْرُهُ خَلْقٌ، وَشَطْرُ قَامٍ بِالرَّحْمَنِ

الآخرون أبوا هذا القول، وهؤلاء هم الأشاعرة، وقالوا: لا يمكن، فكلامُ الله صفةٌ من صفاته، ولكن جعلوا الألفاظَ مخلوقةً، والمعنى هو الصفة.

فصار كلامُ الله -على رأي هؤلاء- شطرين: شطرًا مخلوقًا، وشطراً غير مخلوق، فالشطر المخلوق هو الألفاظ، يعني: الحروف والأصوات، والشطر غير المخلوق هو المعنى، وهو الذي قام بالرحمن، ولهذا يقولون: إن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه. فشطروا الكلام، وقالوا: الألفاظ مخلوقة، خلقها الله عزَّ وجلَّ في الهواء، فسمعها جبريل، فنزل بها إلى الرسول ﷺ، أما المعاني فهي قائمةٌ بنفس الله، وليست مخلوقة.

هؤلاء في الحقيقة تناقضوا فجعلوا اللفظَ له جهة، والمعنى له جهة، والمعتزلة خيرٌ منهم في الاضطراد، لأنهم جعلوا الكلامَ مضطردًا، وقالوا: الكلُّ مخلوقٌ،

ولا يُتَصَوَّرُ أن يفصل لفظٌ عن معناه، ولا معنى عن لفظه، كيف نقول: هذا المعنى غير مخلوق، واللفظ مخلوق، والمعنى كلام، واللفظ حدث؟! هذا لا يصحُّ، بل الكلُّ مُحَدَّثٌ، والكلُّ مخلوقٌ، وانتهينا.

فمذهب المعتزلة في القرآن أنه مخلوق، وعلى هذا فتكون كلُّ هذه الأربعة: (القارئ، والقراءة، والصوت، والمقروء) مخلوقةً عندهم، ويرون أن كلام الله من جملة المخلوقات.

فأيها أقعد؟ الجواب: مذهب المعتزلة أقعد، لأنه مُطَّرِد، ولا يُعْقَلُ أن كلامًا من متكلم واحد يكون لفظه له وجه، ومعناه له وجه آخر.

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كتابًا سماه (التسعينية)، ردَّ عليهم من تسعين وجهًا.

وانظر إلى بليَّة ما ذكروا:

٥٧٢- زَعَمُوا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً قَلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ

زعموا القرآن عبارة وحكاية عن كلام الله.

قوله: «فَلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ» يعني: قرآن حكاية، وقرآن قول وصفة، فأما القرآن الذي هو الصفة فالمعنى، والقرآن الذي هو حكاية وعبارة فاللفظ.

إذن عندنا قرآنان: القرآن الذي هو المعنى القائم بنفس الربِّ عزَّ وجلَّ، والقرآن الذي هو المسموع، ولهذا قال: (فَلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ).

٥٧٣- هَذَا الَّذِي نَتَلُوهُ مَخْلُوقٌ كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ^(١) وَبَعْدَهُ الْفِتَّانِ

يقولون: الذي نتلوه مخلوق، والمعنى القائم بنفس الله -وهو الصفة- غير مخلوق.

فهذا هو مذهبهم، ولهذا قال بعض المحققين من الأشاعرة المتكلمين: نحن والمعتزلة على حدّ سواء، كُلُّنا متفقون على أن ما بين دَفَّتَي المصحف مخلوق.

هم متفقون على هذا، لكنّ الأشعرية -وهم أصحاب هذا القول الذي يقول: المعنى هو الصفة واللفظ مخلوق- يقولون: هذا عبارة عن كلام الله، وليس كلام الله، والمعتزلة يقولون: هذا -يعني الذي في المصحف- كلام الله.

سبحان الله! واتفق الجميع على أنه مخلوق، لكن أيها أقوم؟ الجواب: المعتزلة، فهم يقولون: هذا كلام الله مخلوق، والأشاعرة يقولون: هذا مخلوق، وليس كلام الله.

والحقيقة أنه ليس كلُّ أحدٍ يتفطن لهذا المعنى، فالأشاعرة يقولون: هذا ليس كلام الله وهو مخلوق، والمعتزلة يقولون: هذا كلام الله وهو مخلوق.

ونحن نقول: كلام الله غير مخلوق، فالأشاعرة قالوا: هذا عبارة عن كلام الله، وليس كلام الله، أو حكاية، والفرق بين العبارة والحكاية أن العبارة يخلق الله أصواتاً تُعَبَّرُ، والحكاية حكاية القول، مثل ما يكون في الصدى.

أنتم إذا تكلمتم مثلاً بين الجبال يكون صدّي يحكي الصوت، فهم يقولون:

(١) الوليد بن المغيرة: هو أبو خالد بن الوليد، ولد قبل الهجرة بخمس وتسعين سنة، ومات بعدها بثلاثة أشهر، كان من زعماء قريش، ومن حرم الخمر في الجاهلية، ولكنه عادى الإسلام حين ظهر الإسلام. [الشارح].

إن الله تعالى تكلم بكلام لا يُسمع، لكن أصابه الصدى، حكايةً عن الكلام، لكن المعروف عند الأشاعرة أنهم يقولون: إنه عبارة، والكلاية يقولون: إنه حكاية.

قوله: «كَمَا قَالَ الْوَلِيدُ» هو الوليد بن المغيرة أبو خالد بن الوليد، فالوليد بن المغيرة قال: ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ۖ (٢٤) إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدر: ٢٤-٢٥] فقال الله تعالى: ﴿سَأُصَلِّهِ سَقَرًا﴾ [المدر: ٢٦].

فهم يقولون: هذا قول البشر، فهم يقولون: مخلوق مثلما أن كلامي أنا مخلوق وكلام الثاني مخلوق، فهذا مخلوق أيضًا كما قال الوليد.

قوله: «وَبَعْدَهُ الْفِتْنَانِ» الفتنان هما الأشاعرة والمعتزلة، فكلاهما يقول: هذا الكلام الذي بين أيدينا - وهو القرآن - مخلوق.

٥٧٤- وَالْآخِرُ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ فَقَائِمٌ بِالنَّفْسِ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ
هذا المسموع الذي يُسمع ويُتلى مخلوق، وليس كلام الله، بل هو عبارة عن كلام الله، هذا كلام الله عند الأشاعرة، المعنى القديم، ولهذا يقولون: كلام الله قديم.

انتبهوا لهذه الكلمة فهي خطأ، وليست صوابًا، فلا يجوز أن نقول: (كلام الله قديم) بل كلام الله متعلق بمشيئته، متى شاء تكلم.

قوله: «لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ» يعني: ما سمعه لا جبريل، ولا موسى، ولا محمد، لأنه هو المعنى القائم بالنفس.

وكلُّ أحدٍ يعرف أن المعنى القائم بالنفس لا يُسمى كلامًا أبدًا، أنت الآن لو أردت أن تحطّب خطبةً، وفي نفسك تُكوّن عناصرها، وتقول: أقول كذا، وأقول

كذا، وأقول كذا، وأقول كذا، هل يُقال: إنك تكلمت؟ الجواب: لا، فليس هذا بكلام، ولا يُعرَف في اللغة العربية أنَّ هذا كلام.

هم يقولون: إن هذا هو الكلام، ولهذا قالوا: إن كلام الله قديم، لأن الله عزَّ وجلَّ يعلم علمًا قديمًا أنه سيتكلم بهذا الكلام إلى يوم القيامة.

- ٥٧٥- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ، وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وَحْدَانٍ
 ٥٧٦- وَهُوَ الزَّبُورُ وَعَيْنُ تَوْرَةٍ وَإِنْ حِيلَ وَعَيْنُ الذِّكْرِ وَالْفُرْقَانِ
 ٥٧٧- الْكُلُّ شَيْءٌ^(١) وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ التَّبْعِيضَ فِي الْأَذْهَانِ
 ٥٧٨- مَا إِنْ لَهُ كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا حَرْفٌ وَلَا عَرَبِيٌّ وَلَا عِبْرَانِيٌّ

الشرح

- ٥٧٥- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ، وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وَحْدَانٍ
 قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ» يعني: قوله تعالى: ﴿فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [النساء: ٣]، هو عين قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ هو عين قوله: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء: ٣٦].

نقول: هل هذا الكلام معقول؟ هل الأمر هو عين النهي؟!

والله، لا أعتقد أن عاقلًا يقول هذا المعنى، سبحان الله! عين الأمر هو عين

(١) في نسخة الحلبي: «معنى».

النهي؟! يقول: نعم، لأنَّ الكلام معني، لكن إن عَبَّرت عنه بالأمر صار أمرًا، وإن عَبَّرت عنه بالنهي صار نهيًا.

سبحان الله! المتكلِّم نفسه هل يُقَدِّر الأمر أمرًا، أو يقَدِّره نهيًا؟ الجواب: يقَدِّره أمرًا، ولا يقَدِّره نهيًا، أمَّا هو فيقول: لا، المعنى واحد لا يتجزأ ولا يتبعَّض، وليس هناك أمرٌ، ولا نهيٌ، لكن الصورة التي تُخَلِّقُ لَتُعَبِّرَ عن هذا هي التي يُقال عنها: إنها أمرٌ أو نهيٌ.

والله ليس هذا بمعقولٍ إطلاقًا!

قَوْلُهُ: «وَاسْتَفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ إِخْبَارٍ» فالاستفهام مثل: (هل قام زيد؟) فهو بمعنى (قام زيد) فعندهم هذا هو هذا، فالاستفهام هو الخبر، وقوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣]، هو عين قوله: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦] ف (استفهم) و(أخبر) بمعنى واحدٍ، فيجعلون العالمَ كالجاهل، فالعالم الذي يصدر الأخبار كالجاهل الذي يسأل عن الأخبار.

ولهذا قال: «وَاسْتَفْهَامُهُ عَيْنُ إِخْبَارٍ وَذُو وَحْدَانٍ» يعني: الشيء الواحد لا يتجزأ.

وهذا لا أحد يقبِّله لا فِطْرَةً، ولا عقلاً، ولا لغةً، ولا عُرْفًا.

ولو أنك سألت عامة الأشعرية في الوقت الحاضر ما ظنوا أنَّ هذا مذهبهم في كلام الله عزَّ وجلَّ، لأنه مذهبٌ يرفضه الذَّهنُ، ولا يمكن أن يتصوَّره، فكيف يُعقَلُ أنَّ الأمر هو النهي، والخبر هو الاستفهام، والتوراة هي الإنجيل، والإنجيل هو القرآن؟! اللهم اهدنا.

٥٧٦- وَهُوَ الزَّبُورُ وَعَيْنُ تَوْرَةٍ وَإِنْ حِجِلٍ وَعَيْنُ الذِّكْرِ وَالْفُرْقَانِ
٥٧٧- الكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي نَفْسِهِ لَا يَقْبَلُ التَّبَعِيضَ فِي الْأَذْهَانِ

هذه أربعة كتب: الزُّبور، والتوراة، والإنجيل، والقرآن، يقول: هذه شيء واحد، فالتوراة هي القرآن، والقرآن هو الإنجيل، والإنجيل هو الزُّبور، فكلُّها شيءٌ واحد، لكن اختلفت في الصورة، فإن عُبِّرَ عنه بالعربية سَمَّيناه قرآنا، وبالعبرية توراةً، وبالسُّريانية إنجيلًا، بالداوودية زبورًا، وإِلَّا فهي شيءٌ واحد.

نقول: سبحان الله! ففرَّق بين القرآن والتوراة من آلاف الوجوه: في الشمول، وفي الصلاحية لكلِّ زمان ومكان، فالتوراة نزلت لقومٍ مُعَيَّنِينَ لبني إسرائيل، وكل تشريعاتها تليقُ ببني إسرائيل، تُشدِّد عليهم، ووضعت عليهم الآصار والأغلال، وحُرِّمَ عليهم بعض الحلال في شريعتهم، لكن في القرآن بالعكس.

أمَّا الإنجيل ففيه تسامُحٌ كثير جدًّا، لكن في القرآن لا، فالقرآن جمع بين الحزم واليسر.

فالحاصل كيف نقول: إن التوراة والإنجيل والقرآن والزُّبور كلُّ هذه شيء واحد لكن تختلف بالأساليب؟!

ولذلك فإن تصوُّرَ هذا القولِ كافٍ في ردِّه -نسأل الله الهداية- فالذين يذهبون إلى هذا -سبحان الله!- ليسوا بالعلماء الذين ليسوا بشيء، بل علماء معتبرون عندنا، نُجلِّهم ونشهد لهم بالخير، لكن -سبحان الله!- الهداية بيد الله عزَّ وجلَّ، وبهذا يُعرَف أن الإنسان مهما كان فهو ضعيف، وإِلَّا فيوجد أناسٌ أجلاء اعتنقوا هذا القول، نشهد لهم بالخير، وبمحبَّة عزِّ الإسلام وشأنه.

ولذلك إذا قال قائل: ما موقفنا من العلماء الذين لهم قَدَمٌ صِدْقٍ في العِلْمِ، وهُمْ قد خدموا الكتاب والسنة، مع تَلَبُّسِهِمْ بهذه الضلالات في العقيدة؟

نقول: موقفنا منهم أننا نُعَظِّمُهُمْ، ونُكْرِمُهُمْ ونُحِبُّهُمْ على ما قاموا به من نصر السنة، لكن لا نَحْمَدُهُمْ على ما فعلوه من مخالفة السلف، بل نعاملهم بالعدل، والعدل أن تُعْطِيَ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، ومن مذهب أهل السنة والجماعة أن الإنسان يكون فيه خَصْلَةٌ خَيْرٍ، وخَصْلَةٌ شَرٍّ، خَصْلَةٌ طَاعَةٍ، وخَصْلَةٌ مَعْصِيَةٍ، خَصْلَةٌ إِيمَانٍ، وخَصْلَةٌ كُفْرٍ، وقد يكون فيه جانبٌ صوابٍ، وجانبٌ خطأً، لكن الأصل أن يُعْتَبَرَ بِأَكْثَرِ أَحْوَالِهِ، وأكثر أقواله، فإذا كان يُنْسَبُ إلى أهل السنة، ويقول مثلاً: إمامي في ذلك إمامُ أهل السنة الإمام أحمد بن حنبل، وما أشبه ذلك، ويخرج في بعض الأحيان عن مذهب أهل السنة، فهذا يُعْتَبَرُ من أهل السنة، ولكن يُقال: هو في هذه المسألة المَعْيَنَةُ من أهل البدعة.

وأما مَنْ يَنْتَسِبُ إلى أهل البدعة، فهو بِدْعِيٌّ حتى لو قال قولاً لأهل السنة، لأنَّ العِبْرَةَ بِأَصْلِهِ وانْتِهَائِهِ، ويُقال: هو بِدْعِيٌّ، لكن له قولٌ يُوَافِقُ أهل السنة في كذا.

إِذْنًا إذا عَلِمْنَا أن الرَّجُلَ له مَقَامٌ صِدْقٍ في الشَّرِيعَةِ، وأنه حَسَنُ النِّيَّةِ والقصد، وأنَّ بَدْعَتَهُ لَيْسَتْ مُكْفِّرَةً، فهذا يَجِبُ عَلَيْنَا أن نَسْأَلَ اللهَ له العَفْوَ والرحمةَ، ونَتَبَرَّأَ مِنْ مَقَالِهِ، ولا نَتَبَرَّأَ مِنْهُ.

٥٧٨- مَا إِنْ لَهُ كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا حَرْفٌ وَلَا عَرَبِيٌّ وَلَا عِبْرَانِيٌّ

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ لَهُ كُلٌّ وَلَا بَعْضٌ... إلخ» لماذا قالوا ذلك؟

الجواب: لأنهم يرون أن الكلام هو المعنى القائم بالنفس، وأنه ليس له كُلٌّ،

ولا بعض، ولا حرف، ولا صوت، ولا يوجد وصف بأنه عربي، ولا عبراني،
فالكلام هو المعنى القائم بالنفس، وهو شيء واحد، لا يقبل التجزؤ، ولا يقبل أن
هذا أمر، وهذا نهي، فالكلُّ شيءٌ واحد.

- ٥٧٩- وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ بَيْتٌ قَالَهُ فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي
٥٨٠- يَا قَوْمٍ قَدْ غَلَطَ النَّصَارَى قَبْلُ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَا اهْتَدَوْا لِلْبَيَانِ
٥٨١- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوا الْمَسِيحَ إِلَهُهُمْ إِذْ قِيلَ كَلِمَةٌ خَالِقٍ رَحْمَنِ
٥٨٢- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوهُ نَاسُوتًا وَلَا هُوتًا قَدِيمًا بَعْدُ مُتَّحِدَانِ
٥٨٣- وَنَظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ: كَلَامُهُ مَعْنَى قَدِيمٌ غَيْرُ ذِي حَدَثَانِ
٥٨٤- وَالشَّطْرُ مَخْلُوقٌ وَتِلْكَ حُرُوفُهُ نَاسُوتُهُ لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ
٥٨٥- فَانظُرْ إِلَى ذَا الْإِتِّفَاقِ فَإِنَّهُ عَجَبٌ، وَطَالِعْ سُنَّةَ الرَّحْمَنِ

الشرح

٥٧٩- وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَاكَ بَيْتٌ قَالَهُ فِيمَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي ^(١)

وأعجب من هذا قولهم: عندنا دليل على أن الكلام هو المعنى القائم
بالنفس، والدليل هو هذا البيت الذي قاله الأخطل النصراني، والأخطل معروف

(١) الأخطل النصراني: هو غياث بن غوث، من بني تغلب، من شعراء بني أمية، نشأ على المسيحية
في أطراف الحيرة بالعراق، ثم اتصل ببني أمية في دمشق، ولد سنة (١٩هـ) واختلف في سنة
وفاته، وفي تاريخ ابن كثير أنه سنة (٩٢هـ) إذن عمر ثلاثاً وسبعين سنة. [الشارح].

أنه من الشعراء، وهذا البيت يقول (١):

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

هذا هو البيت، فالكلام محله الفؤاد.

لكن هل الأخطل أراد بذلك ما أراد هؤلاء؟ أم أراد أن الكلام المنظم الذي يحمل المعنى هو ما يفكر فيه الإنسان أولاً في قلبه، ثم يُعَبَّرُ عنه باللسان؟ هو أراد هذا لا شك، ولم يكن يعرف هذا المذهب الحادث المبتدع.

والحقيقة أنه استدلالٌ بما لا دليل فيه من وجهين:

الوجه الأول: هل يُستدلُّ بقول إنسان على اللغة العربية بعد اختلافها؟

الجواب: لا.

الوجه الثاني: أن هذا البيت لا يُراد به المعنى الذي يقولونه، بل معنى قوله: (إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ) أن الإنسان الذي يتكلم بعقلٍ يُقَدَّرُ الشيء في فؤاده أولاً، ثم بعد ذلك يُعَبَّرُ عنه.

فكُلُّ إنسانٍ عاقلٍ يريد أن يكونَ لقوله وزنٌ ومعنى لا يمكن أن ينطق بكلمة حتى يُقَدَّرَها في قلبه ويَوزِنَها، وينظر هل يتكلم بها، أو لا يتكلم؟ فإذا نُصِبَتْ عنده حينئذٍ يُعَبَّرُ، هذا هو معنى البيت الذي لا يحتمل غيره.

ونظير استدلالهم بهذا البيت استدلالهم بأن (استوى) بمعنى (استولى) في

قول الرجل المجهول (٢):

(١) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١/١٨٧).

(٢) انظر: الأزمنة والأمكنة لأبي علي الأصفهاني (١/٣٦).

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ وَدَمٍ مُهْرَاقٍ

وليس معنى: (اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ) أنه رَكِبَ فوقه، لكن المعنى قد استولى عليه، إذن حَوَّلَ كُلَّ كلمات (اسْتَوَى) التي في القرآن إلى (استولى) لهذا البيت!

على كُلِّ حالٍ دليل الأشاعرة في أَنَّ الكلام هو المعنى القائم بالذات قول النصراني، وسبحان الله أن جَعَلَ اللهُ إمامهم نصرانياً!
ثُمَّ قال ابن القيم -رحمه الله-:

٥٨٠- يَا قَوْمِ قَدْ غَلِطَ النَّصَارَى قَبْلُ فِي مَعْنَى الْكَلَامِ وَمَا اهْتَدَوْا لِيَّانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمِ» إِمَّا أَنْ يَخاطَبَ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- أَهْلَ السُّنَّةِ، أَوْ يَخاطَبُ هَؤُلاءِ لِيَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّ اسْتِدْلَالَهم بِما يَقوله النصراني خطأ، لِأَنَّ النَّصَارَى غَلِطُوا فِي أَمْرٍ أَكْبَرٍ مِنْ هَذَا.

قَوْلُهُ: «قَدْ غَلِطَ النَّصَارَى» يريد أنهم غلطوا في معنى قول الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١] فقالوا: إن عيسى هو كلمة الله، والكلمة وصف المتكلم، فالمسيح جزءٌ مِنَ المتكلم، أي: جزءٌ مِنَ اللهِ، لِأَنَّهُ كَلِمَتُهُ.

لكننا نقول: إن عيسى ليس كلمة الله، لكنه كان بكلمة الله عزَّ وجلَّ، ودليل هذا قول الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فهم غلطوا في تفسير (كلمة الله) يعني: عيسى -عليه الصلاة والسلام-.

٥٨١- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوا الْمَسِيحَ إِلَهُهُمْ إِذْ قِيلَ كَلِمَةٌ خَالِقٍ رَحْمَنٍ

يعني: جعلوا المسيح إلها لهم لما قيل: إنه كلمة الله، قالوا: لما كان كلمة الله فهو إذن وصفٌ مشتقٌ منه، والوصفُ لازمٌ للموصوف، فهو إذن إلهٌ فليُعبد.

٥٨٢- وَلَا أَجَلَ ذَا جَعَلُوهُ نَاسُوتًا وَلَا هُوتًا قَدِيمًا بَعْدُ مُتَّحِدَانِ

قَوْلُهُ: «نَاسُوتًا» النَّاسُوتُ: عِبَارَةٌ عَنِ النَّاسِ، فَهُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ.

قَوْلُهُ: «لَاهُوتًا» اللَّاهُوتُ: عِبَارَةٌ عَنِ إِلَهٍ.

فَقَالُوا: إِنَّ النَّاسُوتَ - وَهُوَ حَادِثٌ - حَلَّ فِي اللَّاهُوتِ، وَهُوَ قَدِيمٌ، وَقَالُوا:

إِنَّ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اتَّحَدَ مَعَ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - وَصَارَا وَاحِدًا.

فَهُمْ قَالُوا: إِنَّ إِلَهُهُمْ مُرَكَّبٌ مِنْ نَاسُوتٍ وَلاهُوتٍ، وَالنَّاسُوتُ حَلَّ فِي اللَّاهُوتِ

كَالْكَلَامِ، فَالْمَعْنَى قَدِيمٌ، وَاللَّفْظُ حَادِثٌ مَخْلُوقٌ، وَسُمِّيَ الْكَلَامُ كَلَامَ اللَّهِ، مَعَ أَنَّهُ

مُرَكَّبٌ مِنْ شَيْئَيْنِ: مَعْنَى وَلَفْظٌ، وَاللَّفْظُ مَخْلُوقٌ، وَالْمَعْنَى صِفَةٌ، وَلِذَا قَالَ:

٥٨٣- وَنَظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ: كَلَامُهُ مَعْنَى قَدِيمٌ غَيْرُ ذِي حَدَثَانِ

٥٨٤- وَالشَّطْرُ مَخْلُوقٌ وَتِلْكَ حُرُوفُهُ نَاسُوتُهُ لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ

ابن القيم - رحمه الله - قارَنَ بَيْنَ قَوْلِ النَّصَارَى فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ: إِنَّهُ كَلِمَةٌ،

وَالْكَلِمَةُ صِفَةٌ، فَهُوَ إِلَهٌ بِهَذَا الْمَعْنَى، مَخْلُوقٌ جَسَدًا، لَكِنَّهُ صِفَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَيْنَ

قَوْلِ الْأَشَاعِرَةِ فِي الْكَلَامِ حَيْثُ يَقُولُونَ: اللَّفْظُ مَخْلُوقٌ، وَالْحُرُوفُ مَخْلُوقَةٌ، وَالْمَعْنَى

صِفَةٌ، فَابْنُ الْقَيْمِ يَقُولُ: هَذَا نَظِيرُ هَذَا.

وَقَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ هَذَا مَنْ يَقُولُ كَلَامُهُ مَعْنَى قَدِيمٌ... إلخ» مَنْ هُوَ لَئِنْ؟ الْجَوَابُ:

الْأَشَاعِرَةُ، فَيَقُولُونَ: الْمَعْنَى صِفَةٌ، وَالشَّطْرُ مَخْلُوقٌ وَهِيَ الْحُرُوفُ.

والحروف ناسوته، فالحروف عند الأشاعرة في الكلام كالناسوت عند النصارى في الإله (لَكِنْ هُمَا غَيْرَانِ)، لأن اللفظ غير المعنى، وعيسى - عليه الصلاة والسلام - غير الله، لكن اتَّحَدَا.

٥٨٥- فَانظُرْ إِلَىٰ ذَا الْاِتِّفَاقِ فَيَأْتِيهِ عَجَبٌ، وَطَالِعُ سُنَّةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ إِلَىٰ ذَا الْاِتِّفَاقِ» صحيح أن هذا اتفاق عجيب بين النصارى، وبين هؤلاء، وذلك في استدلالهم على الكلام بقول نصراني، ثم إذا طَبَّقْتَ هذا وهذا وجدت أنهما متشابهان، إن لم يكونا مثليين.

فقول النصارى في المسيح بأن جسده مخلوق، ومعناه (حقيقته) غير مخلوق، لأنه كلمة الله، وهؤلاء يقولون: اللفظ مخلوق، والمعنى غير مخلوق.

فقضية الكلام تُشَبِّهُ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ قَضِيَّةَ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ - إِنْ لَمْ تَكُنْ تَمَاطِلُهَا - فِي مَعْتَقَدِ النَّصَارَى، يَقُولُ: جَسَدُ عَيْسَى مَخْلُوقٌ أَحَادِي، وَلَيْسَ هُنَاكَ إِشْكَالٌ، لَكِنْ هُوَ (كَلِمَةُ اللَّهِ) فَالْمَعْنَى لِهَذَا الْجَسَدِ إِلَهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ، فَاتَّحَدَا بَعْدَ أَنْ كَانَا مُفْتَرِقَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ، اتَّحَدَا وَصَارَا شَيْئًا وَاحِدًا، وَلِهَذَا الْإِلَهُ مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ.

وَقَوْلُهُ: «فَيَأْتِيهِ عَجَبٌ وَطَالِعُ سُنَّةِ الرَّحْمَنِ» اللَّهُ أَكْبَرُ! كُلُّ مَنْ ضَلَّ عَنْ الْحَقِّ فِيهِ شَبَّهُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ عَامَةٌ، لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقُوا عَلَىٰ إِحْدَىٰ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَالنَّصَارَىٰ عَلَىٰ ثَلَاثِينَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ سَتَفْتَرِقُ عَلَىٰ ثَلَاثِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً»^(١). إِذْنِ مَا مِنْ شَيْءٍ فِي هَؤُلَاءِ إِلَّا سَيَحْدُثُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، يَرْكَبُونَ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب شرح السنة، رقم (٤٥٩٦)، والترمذي: كتاب الإيمان، باب افتراق الأمة، رقم (٢٦٤٠) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه: كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، رقم (٣٩٩١).

فَكُلُّ مَنْ خَالَفَ مَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ وَأَصْحَابُهُ سَوْفَ يَأْخُذُ بِنَصِيبٍ مِّنْ مَّوَافِقَةِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَالْحَسَدُ وَالْكَذِبُ وَالْحِدَاعُ، كُلُّ هَذَا مَوْجُودٌ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

وَقَوْلُهُ: «وَطَالَعُ سُنَّةَ الرَّحْمَنِ» يَعْنِي: اطَّلَعَ عَلَيْهَا، وَسُنَّةُ الرَّحْمَنِ يَعْنِي: طَرِيقَهُ الَّذِي يَبْتَلِي بِهِ الْعِبَادَ، كَمَا قَالَ -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٣].

فَعَلَى كُلِّ حَالٍ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- شَدَّدَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ، لِأَنَّ كَلَامَهُمْ بِمَا يَطَّلُونَهُ مِنَ الزُّخَارِفِ قَدْ يَغْتَرُّ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ، وَفِي الْحَقِيقَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَعْقِلُ إِطْلَاقًا هَذَا الْقَوْلَ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ هَؤُلَاءِ، مَنْ يَعْقِلُ الْفَرْقَ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى؟! اللَّفْظُ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ دَلَالَةُ الْمَعْنَى، وَكَيْفَ يُمْكِنُ لِأَيِّ عَاقِلٍ أَنْ يَقُولَ: إِنَّ الْأَمْرَ هُوَ النَّهْيُ، بَلْ هُوَ عَيْنُ النَّهْيِ، هَلْ هَذَا مَعْقُولٌ؟!

٥٨٦- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّ ذَا
قَوْلٌ مُحَالٌ وَهُوَ خَمْسُ مَعَانٍ
٥٨٧- تِلْكَ الَّتِي ذُكِرَتْ وَمَعْنَى جَامِعٌ
لِجَمِيعِهَا كَالْأَسِّ لِلْبُنْيَانِ
٥٨٨- فَتَكُونُ أَنْوَاعًا وَعِنْدَ نَظِيرِهِمْ
أَوْصَافُهُ، وَهِيَ فَتَمْتَفِقَانِ
٥٨٩- إِنَّ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولُ بِهِ لَمْخٌ
لُوقٌ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ
٥٩٠- وَالْحُلْفُ بَيْنَهُمْ فَقِيلَ: مُحَمَّدٌ
وَإِنَّمَا
٥٩١- وَالْآخَرُونَ^(١) أَبَوَا، وَقَالُوا: إِنَّمَا
جَرِيْلٌ أَنْشَأَهُ عَنِ الْمَنَّانِ

(١) قل الحلبي في نسخته: «في هامش الأصل: أي: الأشاعرة والكلائية».

- ٥٩٢- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّهُ
 نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ
 ٥٩٣- فَاللَّوْحُ مَبْدُؤُهُ وَرَبُّ اللَّوْحِ قَدْ
 أَنْشَأَهُ خَلْقًا فِيهِ ذَا حَدَثَانِ
 ٥٩٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَهُمْ، فَانظُرْ تَرَى
 فِي كُتُبِهِمْ يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 ٥٩٥- لَكِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ قَالُوا: إِنَّمَا
 جِرْيَلٌ بَلَغَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ
 ٥٩٦- أَلْقَاهُ مَسْمُوعًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ
 لِلصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ بِالْبُرْهَانِ

الشرح

٥٨٦- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّ ذَا قَوْلٌ مُحَالٌ وَهُوَ خَمْسُ مَعَانٍ
 قَوْلُهُ: «وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى» تَكَايَسَتْ يعني: ادَّعَتْ الكَيْسَ، والكَيْسُ هو
 الفِطْنَةُ والجِدُّ والعِزْمُ، كما في قوله ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ
 الْمَوْتِ»^(١). ف(تكايست) يعني: قالت: أنا التي أعرف، أنا التي عندي الجِدْقُ،
 عندي الذكاء.

قَوْلُهُ: «وَقَالَتْ: إِنَّ ذَا قَوْلٌ مُحَالٌ» الإِشَارَةُ إِلَى قَوْلِ الْأَشَاعِرَةِ: إِنَّ الْأَمْرَ
 وَالنَّهْيَ وَالخَبَرَ وَالِاسْتِفْهَامَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، وَإِنَّ الْقُرْآنَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالزَّبُورَ
 شَيْءٌ وَاحِدٌ.

قالوا: هذا الشيء مُحَالٌ، كيف يكون (افعل) هو عين: (لا تفعل)؟! وكيف
 يكون (هل أنت؟) عين (مثل أنت)، هذا لا يمكن، هذا الأمر غير معقول ومُحَالٌ،

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الخوض، رقم
 (٢٤٥٩).

ولكنَّ الكلامَ (خَمْسُ مَعَانِي)، ثم ذَكَرَهَا بقوله:

٥٨٧- تِلْكَ الَّتِي ذُكِرَتْ وَمَعْنَى جَامِعٍ لِجَمِيعِهَا كَالْأَسِّ لِلْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «تِلْكَ الَّتِي ذُكِرَتْ» المراد: الأمر، والنهي، والاستفهام، والخبر، فهذه

أربعة.

قَوْلُهُ: « وَمَعْنَى جَامِعٍ لِجَمِيعِهَا كَالْأَسِّ لِلْبُنْيَانِ » وهذا الخامس وهو المعنى

الجامع لها، مثل الأصل، يعني: كأنَّ الكلامَ شجرةٌ له أصلٌ، وله فُرُوعٌ، الأصل:

المعنى الجامع، والفروع أربعة، وهي: أمرٌ، ونهيٌ، وخبرٌ، واستفهام.

وهذا التقسيم - في الحقيقة - تقسيمٌ ذهنيٌّ، لا يمتُّ إلى الحقيقة بِصِلَةٍ، كلام

يقوله حتى هؤلاء الذين تكايسوا بالحقيقة، فهم ما أتوا بطائل، لأنَّ هذا التقدير

الذي قَدَّرُوهُ وَهَمُّ، فهو تقدير ذهني، لا حقيقة له في الخارج، إذ ما معنى أن يكون

الكلامُ له أصلٌ، ويتفرع عن هذا الأصل أربعة: أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ واستفهام؟! هذا

لا معنى له، ولذلك ما أحسن ما يُقال: إن كلامَ أهل الكلام كلامٌ في كلام، ليس

فيه فائدة.

ولهذا يقول:

٥٨٨- فَتَكُونُ أَنْوَاعًا وَعِنْدَ نَظِيرِهِمْ أَوْصَافُهُ، وَهَمَّا فَمُتَّفِقَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَكُونُ أَنْوَاعًا» يعني: تكون هذه الأربعة أنواعه، وعند نظيرهم

أوصافه.

انظر الخلاف! هؤلاء يقولون: أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ واستخبار، هذا وصف

للكلام، وليس نوعًا، ومعلوم أن الصفات تتعدد على موصوفٍ واحد، لكن أنواع

لا تتنوع على شيء واحد، لأن قولك: هذا نوع وهذا نوعٌ، يعني: التباين.

فصار الأولون الذين جعلوه شيئاً واحداً، قالوا: إنَّ الأمر والنهي والخبر والاستخبار أوصافُ الكلام، أمَّا الذين قالوا: هذا خطأ، فقد جعلوا هذه الأربعة أنواعاً للكلام، فيكون كلُّ واحد منها قسيماً للآخر، وليس هو الآخر.

قوله: «وَهُمَا فَمْتَفِقَانِ» يعني: ومع ذلك فالطائفتان متفقتان، على ماذا؟

قال - رحمه الله -:

٥٨٩- إِنْ الَّذِي جَاءَ الرَّسُولَ بِهِ لَمَخُ لُوقٌ وَلَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ

إِذْ كُلُّ الْخِلافِ الْآنَ شَبِيهُ بِاللَّفْظِي، فأنصَبَ في أن القرآن المكتوب في المصاحف المسموع بالأذان مخلوق، كما قالت المعتزلة، ثم اختلفوا أيضاً إذا كان مخلوقاً، فمن أين مصدره؟ الجواب: على ثلاثة أقوال، ولذا قال:

٥٩٠- وَالْحُلْفُ بَيْنَهُمْ فَقِيلَ: مُحَمَّدٌ أَنْشَأَهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ

قوله: «أَنْشَأَهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ» يعني: محمداً - عليه الصلاة والسلام -.

فهو الذي تكلم بالقرآن تعبيراً عن كلام الله، أما هذا المسموع الذي سمعناه من رسول الله ﷺ فليس كلام الله.

٥٩١- وَالْآخِرُونَ أَبَوْا، وَقَالُوا: إِنَّمَا جَبْرِيلُ أَنْشَأَهُ عَنِ الْمَنَانِ

أَلْهَمَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى - جبريل - عليه السلام - فتكلم بهذا القرآن.

إِذْ أَوَّلُ يَقُولُ: أَلْهَمَ إِيَّاهُ مُحَمَّدٌ، وَعَبَّرَ عَنِ كَلَامِ اللَّهِ الَّذِي فِي نَفْسِ اللَّهِ، وَالثَّانِي يَقُولُ: لا، جبريل، لأنَّ جبريل ينزل بكلام، فالذي أنشأه جبريل.

٥٩٢- وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى وَقَالَتْ: إِنَّهُ نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ قَوْلُهُ: «تكايست» يعني: ادّعت الكيسَ لنفسها.

قَوْلُهُ: «وَقَالَتْ: إِنَّهُ نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ» يعني: من اللوح المحفوظ، قالوا: لأنَّ الله قال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، إذن ليس من محمد، ولا من جبريل، بل من اللوح المحفوظ.

فجبريل أخذه من اللوح المحفوظ، وتكلّم به على محمد، فإنه نُقِلَ من اللوح الرفيع الشان.

٥٩٣- فَاللَّوْحُ مَبْدُؤُهُ وَرَبُّ اللَّوْحِ قَدْ أَنْشَأَهُ خَلْقًا فِيهِ ذَا حَدَثَانِ قالوا: إن الله خلق كلامًا في اللوح المحفوظ، فجاء جبريل فأخذ الكلام من اللوح المحفوظ، ثمَّ نزل به إلى محمد.

فإذن الخلاف بينهم: هل أنشأه محمد؟ هل أنشأه جبريل؟ هل أخذه جبريل من اللوح المحفوظ بدون إنشاء؟ يعني وجده مخلوقًا في اللوح المحفوظ، وأخذه من اللوح المحفوظ، ونزل به؟ ثلاثة أقوال.

٥٩٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَهُمْ، فَانظُرْ تَرَى فِي كُتُبِهِمْ يَأْمَنُ لَهُ عَيْنَانِ يقول: نحن ما كذبنا عليهم، وهذا الكلام موجود في كتبهم، وإذا شئت أن تنظر، فإن كان لك عينان فانظر، وإن كان لك عينٌ واحدة فانظر أيضًا، لكن تأكّد.

٥٩٥- لَكِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ قَالُوا: إِنَّمَا جَبْرِيلُ بَلَّغَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ

٥٩٦- أَلْقَاهُ مَسْمُوعًا لَهُ مِنْ رَبِّهِ لِلصَّادِقِ الْمَصْدُوقِ بِالْبُرْهَانِ
هذا هو الحق أن القرآن صَدَرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تَكَلَّمَ بِهِ رَبُّ الْعِزَّةِ
والجلال، وَسَمِعَهُ جَبْرِيْلُ، وَنَقَلَهُ بِأَمَانَةٍ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهَذَا أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى الرَّسُولِ
البشريِّ، وَإِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ.

فأضافه إلى الرسول الملكي فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ
مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢١] فهذه أوصاف عظيمة، وكُلُّهَا مِنْ أَجْلِ حِمَايَةِ
القرآن.

فَقَوْلُهُ: ﴿رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ يحفظ ولا أحد يقربه.

وَقَوْلُهُ: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ يعني: له مكانة، يُسْمَعُ مِنَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مَبَاشَرَةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَكِينٍ﴾ يعني: له مكانة هناك، وقوله: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، ولهذا يقول
للملائكة: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ»^(١).

ووصفه تعالى بأنه قويٌّ وأمين، وهذان الوصفان هما الركنان اللذان يتمُّ بهما
الشيء، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦].

وأضافه إلى الرسول البشريِّ في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ
قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٢].

وأضافه إلى نفسه كما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع جبريل، ونداء الله للملائكة، رقم (٧٠٤٧)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبداً حبه لعباده، رقم (٢٦٣٧).

ومن المعلوم أنه لا يمكن أن يكون كلام الرسول، وكلام جبريل، وكلام الله، والكلام شيء واحد، لا يمكن أن يكون الكلام الواحد لثلاثة متكلمين، إذن إلى من ينسب حقيقة؟

الجواب: إلى الأول، إلى الله، ويكون منسوبًا إلى جبريل، لأنه بلغه عن الله، وإلى محمد، لأنه بلغه عن جبريل إلى الأمة.

فهم يقولون: ألقاه مسموعًا له، ألقاه إلى من؟ الجواب: للصادق المصدوق بالبرهان، مسموعًا له من الله عز وجل، هذا مذهب أهل السنة والجماعة.

فهو ألقاه على أي شيء؟ الجواب: لم يُلقه على أذن الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وإنما ألقاه على قلبه، يعني: بلغ قلبه.

ثم من هذا الرسول؟ هو الرسول الكريم الأمين.

فلذلك لم يبق أي شك في أن هذا القرآن الذي نقرؤه كلام ربنا عز وجل، سمعه جبريل، وألقاه على قلب النبي ﷺ، والنبي ﷺ ألقاه على أمته، وتلقاه الصحابة -وهم أمناء على وحي الله، سواء كان قرآنًا أم سنة- فألقوه إلى من بعدهم صافيًا نقيًا، ثم تفرقت الأمة.

قوله: «الصادق» أي: في مقاله.

قوله: «المصدوق» أي: فيما أوحى إليه، فهو صادق ومصدق.

فصل

في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

- ٥٩٧- وَإِذَا أَرَدْتَ مَجَامِعَ الطُّرُقِ الَّتِي
٥٩٨- فَمَدَارُهَا أَضْلَانٍ قَامَ عَلَيْهِمَا
٥٩٩- هَلْ قَوْلُهُ بِمَشِيئَةٍ أَمْ لَا؟ وَهَلْ
٦٠٠- أَضْلًا اخْتِلَافٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الِ
٦٠١- ثُمَّ الْأَلَى قَالُوا بِغَيْرِ مَشِيئَةٍ
٦٠٢- إِخْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مَعْنَى قَائِمًا
٦٠٣- وَاللَّهُ أَحَدَثَ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ كَيْ
٦٠٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الِ
٦٠٥- وَلرُبَّمَا سُمِّيَ بِهَا الْقُرْآنُ تَسْمِ
٦٠٦- وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فِقِيلَ: حِكَايَةٌ
٦٠٧- إِذْ كَانَ مَا يُحْكَى كَمَحْكِيٍّ وَهَذَا
٦٠٨- وَلِذَا يُقَالُ: حَكَى الْحَدِيثَ بِعَيْنِهِ
٦٠٩- فَلِذَاكَ قَالُوا: لَا نَقُولُ: حِكَايَةٌ
- فِيهَا انْفِرَاقُ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ
هَذَا الْخِلَافُ، هُمَا لَهُ رُكْنَانِ
فِي ذَاتِهِ أَمْ خَارِجٌ هَذَانِ
قُرْآنٍ فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
وإِرَادَةَ مِنْهُ فَطَائِفَتَانِ
بِالنَّفْسِ، أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانِ
تُبْدِيهِ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ
قُرْآنَ، بَلْ دَلَّتْ عَلَى الْقُرْآنِ
مِيةَ الْمَجَازِ، وَذَلِكَ وَضَعُ ثَانِ
عَنْهُ، وَقِيلَ: عِبَارَةٌ لِبَيَانِ
ذَا اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى فَمُخْتَلِفَانِ
إِذْ كَانَ أَوَّلُهُ نَظِيرَ الثَّانِي
وَنَقُولُ: ذَلِكَ عِبَارَةٌ الْفُرْقَانِ

٦١٠- وَالْآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا الْبَحْثَ لَفْظِيًّا وَمَا فِيهِ كَبِيرٌ مَعَانٍ

الشرح

٥٩٧- وَإِذَا أَرَدْتَ مَجَامِعَ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا افْتِرَاقُ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ

٥٩٨- فَمَدَارُهَا أَصْلَانِ قَامَ عَلَيْهِمَا هَذَا الْخِلَافُ، هُمَا لَهُ رُكْنَانِ

٥٩٩- هَلْ قَوْلُهُ بِمَشِيئَةٍ أَمْ لَا؟ وَهَلْ فِي ذَاتِهِ أَمْ خَارِجٌ هَذَانِ

٦٠٠- أَصْلًا اخْتِلَافٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْأَقْرَابِ فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

ذكر في هذا الفصل مجاميع طرق أهل الأرض، واختلافهم في القرآن الكريم، يعني: على أي شيء يدور؟ وذكر أن أصل اختلاف الناس في القرآن ينبنى على هذين الأصلين: هل هو بمشيئة أو غير مشيئة؟ وهل هو في ذاته أم خارج عن ذاته؟ هذان هما الأصلان اللذان انبنى عليهما الخلاف.

وعقيدة أهل السنة أنه بمشيئة، وأنه ليس خارج ذاته، لأننا إذا قلنا: خارج ذاته لزم أن يكون مخلوقاً، بل هو في ذاته تكلم به نفسه - سبحانه وتعالى -، وسمعه جبريل، وألقاه على قلب النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -.

ثُمَّ فَرَّعَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَقَالَ:

٦٠١- ثُمَّ الْأَلَى قَالُوا بِغَيْرِ مَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ مِنْهُ فَطَائِفَتَانِ

٦٠٢- إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ مَعْنَى قَائِمًا بِالنَّفْسِ، أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانٍ

الفرقة الأخرى قالت: إنه لفظ ومعنى... إلخ، وستأتي في كلام المؤلف.

أما هذا الفصل فذكر فيه مذهب الأشاعرة والكلايين فقط، فقال: إن الذين

قالوا بغير المشيئة طائفتان: إحداهما جعلته المعنى القائم بالنفس، وهؤلاء هم الأشاعرة، لكن اختلف الأشاعرة كما سبق، فقالوا: إنه معنى واحد، وقال آخرون: إنه خمس معانٍ.

والذين جعلوه معنى واحداً يقولون: الأمر والنهي والخبر والاستخبار شيءٌ واحد، والقرآن والتوراة والإنجيل والزبور شيءٌ واحد، وإذا أمر الله بالشيء كوناً فقال: (كن) فهو كالذي في القرآن بمعنى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، وكلُّها شيءٌ واحد.

٦٠٣- وَاللَّهُ أَحَدٌ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ كَيْ تُبْدِيهِ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ
إِذَنْ فَالْأَلْفَاظُ وَالْأَصْوَاتُ الْمَسْمُوعَةُ مَخْلُوقَةٌ.

٦٠٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهَا لَيْسَتْ هِيَ الْـ قُرْآنَ، بَلْ دَلَّتْ عَلَى الْقُرْآنِ
وقالوا: إنها ليست هي القرآن، وإنما هي مخلوقة لتدل على القرآن.

إِذَنْ لِمَاذَا سُمِّيَ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللَّهِ؟ فقالوا: إنه مجاز، ولهذا قال:

٦٠٥- وَلَرَبِّمَا سُمِّيَ بِهَا الْقُرْآنُ تَسْـ مِيةَ الْمَجَازِ، وَذَلِكَ وَضَعُ ثَانِ

٦٠٦- وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فَقِيلَ: حِكَايَةٌ عَنْهُ، وَقِيلَ: عِبَارَةٌ لِيَّانِ

ثُمَّ اخْتَلَفُوا عَلَى قَوْلَيْنِ:

فالأول: مذهب الكلابية، وهم أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب^(١)، يقولون: إنه حكاية، ولا نقول: إنه كلام الله حقاً، ولا إنه عبارة عنه.

(١) هو أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، البصري، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صاحب التصانيف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، أخذ عنه الكلام: داود الظاهري، وكان يلقب كلاباً لأنه كان يجر الخصم إلى نفسه بيانه وبلاغته. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤).

الثاني: مذهب الأشاعرة، قالوا: إنه عبارة عن كلام الله.

والفرق بين الحكاية والعبارة أن الحكاية كما تسمعون إذا كتتم بين الجبال وتكلم الإنسان بصوت مرتفع، فإنه يسمع صدَى.

أما العبارة فتختلف، يعني أن الله خلق أصواتاً تُعبّر عمّا في نفسه، فانظر إلى التكلف والتّهوك:

وإذا قلنا: إن الكلام هو صوت الرّب عزّ وجلّ متعلّقاً بمشيئته، ماذا يكون؟
الجواب: لا يكون شيئاً، هذا هو الحقّ الموافق للطبيعة والفترة.

٦٠٧- إِذْ كَانَ مَا يُحْكِي كَمَحْكِيٍّ وَهَـ ذَا اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى فَمُخْتَلِفَانِ

٦٠٨- وَلِذَا يُقَالُ: حَكَى الْحَدِيثَ بِعَيْنِهِ إِذْ كَانَ أَوَّلُهُ نَظِيرَ الثَّانِي

٦٠٩- فَلِذَاكَ قَالُوا: لَا نَقُولُ: حِكَايَةٌ وَنَقُولُ: ذَاكَ عِبَارَةٌ الْفُرْقَانِ

فالأشاعرة قالوا: هو عبارة عن كلام الله، لأنك إذا قلت: حكاية، فإن الحكاية تقتضي أن يكون المحكي هو المحكى، وهذا لا يمكن، لأن الكلام معنى، والمسموع لفظ غير معنى، فالكلام غير مخلوق، والمسموع مخلوق، فلا يمكن أن نقول: إنه حكاية، لعدم الاتفاق، فأنا مثلاً إذا حكيت كلامك فإني أنقله بلفظه بدون زيادة، ولا نقصان، كما يقال: حكى الحديث بعينه إذ كان أوله -وهو المحكي- نظير الثاني، وهو ما يُحكى، وعلى هذا فلا يصح أن نقول: إنه حكاية.

٦١٠- وَالْآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا الْبَحْثَ لَفْظِيًّا وَمَا فِيهِ كَبِيرٌ مَعَانِي

فجاء قوم آخرون، وهم أهل الإصلاح، وقالوا: كلُّ هذا النزاع نزاع لفظي، إن قلت: حكاية، أو عبارة فالمعنى واحد، لا تجعلوا بأسكم بينكم فتسلطوا عليكم

خصوصكم، اصطلحوا، انحلت المشكلة، الآن يجري الصلح بين الأشاعرة والكلائية، لا تنازعوا، فكلُّ هذا الخلاف لفظيٌّ، وما تحته كبيرٌ معانٍ، وإذا كان لفظياً صار البحث فيه مُتعباً للأفكار، مُضيقاً للأوقات، فلا حاجة.

اتفقتم الآن أن هذا المسموع ليس كلامَ الله، واتفقتم أن كلامَ الله هو المعنى القائم بنفسه، وتصلحوا، ولا تقولوا: هذا عبارة، وهذا حكاية، فقولوا: المعنى واحد، فالحكاية والعبارة معناهما واحد، لأننا جميعاً متفقون على أن ما يُسمَع ليس كلامَ الله، بل هو مخلوقٌ، وعلى أن كلامَ الله هو المعنى القائم بنفسه، وحينئذ يُجرى الصلح بيننا، ولا نختلف.

هؤلاء في الحقيقة أقرب للصواب، يقولون: قل: عبارة، أو حكاية، لأنَّ المعنى عندهم واحد، وهو أن كلامَ الله هو المعنى القائم بنفسه فقط، والغريب أنك إذا تحدّثت هذا الحديث عند قوم لم يسمعوا به من قبل سيقولون: كيف يُتصوّر أن الكلام هو الذي في النفس؟! أين الكلام؟! لكن سبحان الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ولا تظنوا أن هذا الخلاف -أي: اختلاف الناس في كلام الله- شيءٌ هيِّن، فالخلاف في كلام الله مهم جداً، لأنه يترتب عليه الأحكام الكونية، والأحكام الشرعية، فكلُّ الأحكام الكونية والأحكام الشرعية إنما ثبتت بكلام الله، فالأحكام الشرعية بالوحي، والأحكام الكونية بالتقدير ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧] فكلُّها ثبتت بالكلام، فعلى كلام الله مدار الأحكام الكونية ومدار الأحكام الشرعية، فمعرفة ومعرفة اختلاف الناس فيه أمر مهم جداً.

فصل

في مذهب الافترائية

- ٦١١- وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَفَظٌ وَمَعْنَى لَيْسَ يَنْفَصِلَانِ بِالنَّفْسِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْحِدْثَانِ لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ تَرْتِيْبُهُمَا فِي السَّمْعِ بِالْأَذَانِ فَأَعْجَبَ لِدَا التَّخْلِيْطِ وَالْهَدْيَانِ نَ ذَوَاتِهِمَا وَوُجُوْدَهُمَا غَيْرَانِ يَا لِلْعُقُولِ وَزَيْغَةِ الْأَذْهَانِ أَذْهَانِ بَلْ فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ وَوُجُوْدَهُمَا ذَهْنًا فَمُخْتَلِفَانِ تَحَدَا اعْتِبَارًا لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ فِي ذَاتِهِ وَوُجُوْدِهِ الرَّحْمَنِ
- ٦١٢- وَاللَّفْظُ كَالْمَعْنَى قَدِيمٌ قَائِمٌ
- ٦١٣- فَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَا مَسْبُوقَةٌ
- ٦١٤- وَالْقَائِلُونَ بِذَا يَقُولُوا: إِنَّمَا
- ٦١٥- وَلَهَا اقْتِرَانٌ ثَابِتٌ لِذَوَاتِهَا
- ٦١٦- لَكِنْ زَاغُوا بَيْنَهُمْ قَدْ قَالَ: إِنْ
- ٦١٧- فَتَرَبَّبَتْ بِوُجُوْدِهَا لَا ذَاتِهَا
- ٦١٨- لَيْسَ الْوُجُوْدُ سِوَى حَقِيْقَتِهَا لِذِي الْأ
- ٦١٩- لَكِنْ إِذَا أَخَذَ الْحَقِيْقَةُ حَارِجًا
- ٦٢٠- وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ ذَا فَإِذَا هُمَا اثْنَانِ
- ٦٢١- وَبِذَا تَزَوَّلَ جَمِيْعُ إِشْكَالَاتِهِمْ

الشرح

- ٦١١- وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَقَالَتْ: إِنَّهُ لَفَظٌ وَمَعْنَى لَيْسَ يَنْفَصِلَانِ

٦١٢- وَاللَّفْظُ كَالْمَعْنَى قَدِيمٌ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْحِدْثَانِ

٦١٣- فَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَا مَسْبُوقَةٌ لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ

هذه فِرْقَة الافترانية، قالوا أيضًا: إن الكلام لا يتعلّق بمشيئته وإرادته، وإن اللفظ والمعنى قديمان، وإذا جعلوا اللفظ والمعنى قديمين لزم أن تكون الكلمات بعضها لا يسبق بعضها، لأنه لو سبق بعضها صار المتأخّر حادثًا بعد الأول، وبطل قولنا: إنه قديم.

لذلك قالوا: إن الكلمات مقترنة، فالسَّيْنُ من قولك: (بسم الله الرحمن الرحيم) عند الباء، يعني: لم تسبقها، فهي لاصقة بها، لا تكون قبلها، ولا بعدها، لأنك لو قلت: إن السَّيْنُ بعد الباء لزم أن يكون كلام الله حادثًا، فبطل قولنا: إنه قديم.

قَوْلُهُ: «حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ» أي: لا تستطيع حتى في الإمالة، فالذي يقول: ﴿مَجْرِبَهَا﴾ [هود: ٤١] بين الألف والياء صعب، ولا هي يياء ولا ألف.

إِذْ نَقُولُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ الْمَضْحَكُ: كُلُّ الْكَلِمَاتِ مِنْ أَوَّلِ مَا تَكَلَّمَ اللَّهُ إِلَى مَا لَا نِهَايَةَ لَهُ جَاءَتْ وَاحِدَةً، لَا يَتَقَدَّمُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ قَالَ بِحُرُوفِهِ، قَالَ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، لَمْ يَتَقَدَّمْ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ، فَ(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠] وما بينهما كله جاء دفعةً واحدةً، فليس بعض متقدّمًا على بعض، حَدَرًا مِنْ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ حَادِثٌ، بَلْ نَقُولَ: إِنَّهُ قَدِيمٌ.

وهؤلاء في الحقيقة أبعد وأبعد عن المعقول من الذين قبلهم، ولهذا قال المؤلف - رحمه الله -: (فَاعْجَبْ لِدَا التَّحْلِيظِ وَالْهَدْيَانِ)، فهذا والله عَجَبٌ،

وهؤلاء يُسَمَّوْنَ بالاقترانية الذين يَرَوْنَ أن حروف الكلمات والكلمات بعضها مقترنٌ ببعض، لا يتقدّم، ولا يتأخّر.

إِذْ هَؤُلاءِ الاقترانية، الذين قالوا: إنه حكاية، والذين قالوا: إنه عبارة، والذين قالوا: إنه معنَى واحدٌ، أو خمسةٌ معانٍ، كُلُّهُمُ فَرَّوْا مِنْ شَيْءٍ واحدٍ، قالوا: لو قلنا: إن الكلامَ حَدِثٌ لَزِمَ قِيَامُ الحوادثِ بذاتِ الله عزَّ وجلَّ، وما قامت به الحوادثُ فهو حادث.

انظر كيف يقول الشيطان لهم؟! ما قامت به الحوادثُ فهو حادث، وحدث الله ممتنع، فلزم أن تقوم به الحوادث.

وهل هذه القاعدة صحيحة أو باطلة؟

الجواب: هذه باطلة، فلا يلزم إذا قلنا: إن القرآنَ كلامُ الله باللفظ والمعنى، أن يكون حادثاً باعتبار أصله وجنسه، لأن أصلَ الكلامِ وجنسه أزلِيٌّ قديم، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يزل، ولا يزال متكلِّماً، ثُمَّ على فرض أننا قلنا بالحدث، فإنه لا يلزم من قيام الحادث بالموصوف به أن يكون الموصوف به حادثاً، فضرورة أن الموصوف بالكلام، أو بالفعل متقدّم على الوصف، ولهذا الآن أنا أتكلّم، هل كلامي الذي حدث الآن يلزم أن يكون موجوداً معي حين الولادة؟

الجواب: لا يلزم، فإذا كان لا يلزمُ تَبَيَّنَ أن الحوادثَ قد تُقَوِّمُ بشيء سابق لها، هذا السابق أزلِيٌّ، فإذا قامت الحوادثُ بالله -بمعنى أنه حدث منه فعل أو قول- لم يلزم من ذلك أن تكون ذاتُ الله حادثَةً.

٦١٤- وَالْقَائِلُونَ بِذَا يَقُولُوا: إِنَّمَا تَرْتِيبُهَا فِي السَّمْعِ بِالْأَذَانِ
 قَوْلُهُ: «وَالْقَائِلُونَ بِذَا يَقُولُوا» هل في كلام المؤلف - رحمه الله - لَحْنٌ، حيث
 قال: (يَقُولُوا) لأنه ليس فيها ناصب ولا جازم، ونون الأفعال الخمسة لا تُحذفُ
 إِلَّا مع الناصب، أو الجازم، أو مع نون الوقاية، أو ما أشبه ذلك، يعني: لا بد من
 سبب؟

فأجابوا عنه بأن المؤلف - رحمه الله - حَذَفَهَا لسبب، وهو ضرورة الشعر،
 لأن الشعر يُضطر الشاعر إلى أن يُعَيِّرَ، فقد يرفع المنصوب، وقد ينصب المرفوع،
 وقد يصرف ما لا ينصرف، وقد يحذف ما لا يُحذفُ، ولهذا قال الحريري في ملححة
 الإعراب^(١):

وَجَائِزٌ فِي صِنْعَةِ الشُّعْرِ الصَّلِيفُ أَنْ يَصْرِفَ الشَّاعِرُ مَا لَا يَنْصَرِفُ

الشاهد قوله: (وَجَائِزٌ فِي صِنْعَةِ الشُّعْرِ الصَّلِيفُ) فالشعر صَلِيفٌ، يجعلك
 تصريف ما لا ينصرف.

قَوْلُهُ: «إِنَّمَا تَرْتِيبُهَا بِالسَّمْعِ بِالْأَذَانِ» يعني: نحن نسمعها مرتبةً، ولكن
 حقيقتها أنها غير مرتبة، لكن سمعك هو الذي يسمعها مرتبة، كيف هذا؟! هذا
 رأيهم.

٦١٥- وَلَهَا اقْتِرَانٌ ثَابِتٌ لِذَوَاتِهَا فَأَعْجَبَ لِدَا التَّخْلِيطِ وَالْهَذْيَانِ
 قَوْلُهُ: «وَلَهَا اقْتِرَانٌ ثَابِتٌ لِذَوَاتِهَا» هي باعتبار الذات والحقيقة مقترنة، لكن
 الترتيب باعتبار السمع.

(١) انظر: ملححة الإعراب (ص: ٧٢).

٦١٦- لَكِنَّ زَاغُونِيَهُمْ^(١) قَدْ قَالَ: إِنَّ نَ ذَوَاتِهَا وَوُجُودَهَا غَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ زَاغُونِيَهُمْ قَدْ قَالَ» الزاغوني: أحد علماء الكلام، اسمه ابن الزاغوني، لكنه ليس عليًّا ابن الزاغوني الفقيه المعروف بالأصول، الذي من أصحاب الإمام أحمد، ينقلون عنه في الفقه فيقولون: قال ابن الزاغوني كذا، فهذا غيره.

قَوْلُهُ: «قَدْ قَالَ: إِنَّ ذَوَاتِهَا وَوُجُودَهَا غَيْرَانِ» هذا أيضًا غريب، يقول: إِنَّ ذَوَاتِهَا وَوُجُودَهَا متغاير.

٦١٧- فَتَرْتَّبَتْ بِوُجُودِهَا لَا ذَاتِهَا يَا لِلْعُقُولِ وَزَيْغَةِ الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَرْتَّبَتْ بِوُجُودِهَا لَا ذَاتِهَا» الأوَّلون يقولون: ترتبت بالسمع، أما وجودها وذاتها فلم ترتب، لكن هذا جعل لها ذاتًا ووجودًا وسمعا، لم يتكلم عن السمع، بل تكلم عن الذات والوجود.

وَقَوْلُهُ: «فَتَرْتَّبَتْ بِوُجُودِهَا لَا ذَاتِهَا» ويجوز: ذاتها، فيجوز الوجهان.

قَوْلُهُ: «يَا لِلْعُقُولِ وَزَيْغَةِ الْأَذْهَانِ» يرثي لهم -رحمه الله- بأن عقولهم هواء، وأذهانهم زائغة.

٦١٨- لَيْسَ الْوُجُودُ سِوَى حَقِيقَتِهَا لِذِي الْأَذْهَانِ بَلْ فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ

وجود هذه الحروف هو حقيقة في الواقع، فكيف تفرق يابن الزاغوني بين الوجود والحقيقة، والواقع أن حقيقتها وجود؟! ولا يقال: هذه تاء إلا إذا وُجِدَتْ، كيف نقول: لها حقيقة وهي لم توجد؟ فوجودها وحقيقتها سواء.

(١) الزاغوني: لم أعرفه، وأستبعد أن يكون هو علي بن عبيد الله، أحد أعيان الحنابلة، المولود سنة (٤٥٥هـ)، المتوفى سنة (٥٢٧هـ). [الشارح].

ولهذا قال المؤلف: «لَيْسَ الوجودُ سِوَى حَقِيقَتِهَا لِذِي الأَذْهَانِ بَلْ فِي هَذِهِ الأَعْيَانِ» يعني أن وجود الحرف هو حقيقته، سواء قَدَّرْتَهُ في الذهن، أم رأيته في الخارج.

يقول المؤلف - رحمه الله -:

٦١٩- لَكِنْ إِذَا أَخَذَ الْحَقِيقَةَ خَارِجًا وَوُجُودَهَا ذَهْنًا فَمُخْتَلَفَانِ

٦٢٠- وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ ذَا فَإِذَا هُمَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

يقول المؤلف - رحمه الله -: يمكن أن نُفَرِّقَ بين الحقيقة والوجود بأن نقول: إن الحقيقة قد تكون في الذهن والخارج في العين، بمعنى أن الإنسان قد يُقَدَّرُ في ذهنه حرفًا، فإذا بَرَزَ ونَطَّقَ به، أو كتبه، صار الآن موجودًا.

يقول: يمكن أن نُفَرِّقَ بين الحقيقة والوجود باعتبار الذهن والخارج، أمَّا باعتبار الحقيقة، فلا يمكن أن نُفَرِّقَ، بل نقول: وجود الشيء هو عين ذاته، لكن باعتبار الذهن والوجود عَيْنًا.

فالمؤلف - رحمه الله - منصف، لما أنكر على ابن الزاغوني جَعَلَ الوجود غير الحقيقة، قال: ممكن أن نجعل الوجود غير الحقيقة باعتبار الذهن والخارج، لكن ما معنى الذهن والخارج؟

الذهن يعني: الذي عندك، وأما الخارج فهو ما وُجِدَ عَيْنًا، يعني: عين الشيء، لأنَّ الشيء له وجودٌ في الذهن، ووجودٌ في الخارج، ووجودُه في الذهن هو تصوُّر الإنسان له، ووجوده في الخارج أن يكون مقروءًا إن كان قولًا، أو مكتوبًا إن كان كتابةً، أو مخلوقًا إن كان مخلوقًا، المهم أنه يَبْرُزُ.

فهنا يقول: «لَكِنَّ إِذَا أَخَذَ الْحَقِيقَةَ خَارِجًا وَوُجُودَهَا ذَهْنًا فَمُخْتَلِفَانِ» صار الوجود غير الحقيقة إذا جعلت المراد بالوجود وُجُودَهَا فِي الذَّهْنِ، والحقيقة وُجُودَهَا فِي الْخَارِجِ.

قَوْلُهُ: «وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ ذَا» يعني: وجودها خارجًا، وحقيقتها ذهنيًا، أَيْضًا رَبَّمَا نَقُولُ: مُخْتَلِفَانِ.

قَوْلُهُ: «فَإِذَا هُمَا اتَّخَذَا اعْتِبَارًا لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ» وهذا هو الذي أراد ابن الزاغوني، وأنكر عليه ابن القيم باعتبار الحقيقة والوجود، لا الذَّهْنِ وَالْخَارِجِ، هل يمكن أن نقول: هما شيئان؟ الجواب: لا.

٦٢١- وَبِذَا تَزُولُ جَمِيعُ إِشْكَالَاتِهِمْ فِي ذَاتِهِ وَوُجُودِهِ الرَّخْمَنِ
يعني أن الفلاسفة اختلفوا واضطربوا: هل وجودُ الله عينُ حقيقته، أو خلافُ حقيقته (الموجود شيء، والحقيقة شيء آخر)؟ فهم اضطربوا في هذا وألّفوا المجلدات والكتب، والذي يُراجِعُ كتب شيخ الإسلام ينظر كيف الخلاف في هذا؟
نقول: أما إذا أردت الأمر الواقع فالوجود هو الحقيقة، أما إذا أردت الذهن والخارج، فهما شيئان، وكذلك لو نُضِرِبَ مِثْلًا فِي الْإِنْسَانِ: وُجُودُهُ هَلْ هُوَ حَقِيقَتُهُ، أَوْ لَا؟

الجواب: نقول: في هذا تفصيل، إن أردت اعتبار الحقيقة، فهما شيء واحد، لا يختلفان، فوجودك هو أنت، وإن أردت في الذهن بمعنى أن تُقَدَّرَ أن شيئًا يُوجد، ثم وُجِدَ، فهما شيئان.

انتهى الكلام على القائلين بأنَّ الكلام لا يتعلّق بالمشيئة، فصاروا ثلاث طوائف: الأشاعرة والكَلَابِيَّةُ والاقترانية.

والفرق بينهم أن الأشاعرة يقولون: إن الكلام المسموع عبارة عن كلام الله، والكلائية يقولون: حكاية.

إذن ما هو الكلام؟

اتفقوا على أن الكلام هو المعنى الأزلي القديم القائم بنفس الله عز وجل، وما يُسمَعُ فهو إما عبارة، وإما حكاية، ثم اختلفوا أيضًا هل هو شيء واحد، أو أشياء مختلفة؟ وهل هذه أنواع، أو أوصاف كما سبق؟

الاقترانية قالوا: كلام الله هو اللفظ والمعنى، لكن اللفظ والمعنى كلاهما قديم، ولما أسسوا هذه القاعدة اضطروا إلى أن يقولوا بالاقتران، لأنهم لو قالوا بالترتيب للزم الحدوث، إذن يقع الحرف الثاني بعد الأول، والكلمة الثانية بعد الأولى، فقالوا: نَسَلَمُ مِنْ هذا كله، ونقول بقول المجانين، نقول: مقترنان، فالباء والسين شيء واحد، فهما مقترنان، ولا يمكن أن تكون السين بعد الباء.

فتقول لهم: لكن الآن في (بسم الله الرحمن الرحيم) وهي مكتوبة، الباء فيها قبل السين؟! فيقولون: هذا باعتبار الكتابة، فنقول: نسمع القارئ يقرأ، والرسول سمع جبريل، فقالوا: هذا باعتبار السمع.

أما ابن الزاغوني الذي تحذلق فقال: هذا باعتبار الحقيقة والوجود، فالوجود مترتب والحقيقة مقترنة.

وهل هناك فرق بين الحقيقة والوجود؟

الجواب: لا فرق في الحقيقة إلا إذا اعتبرنا الوجود الذهني، والحقيقة خارجًا، أو بالعكس، فهذا يمكن أن يكون فيه اختلاف.

فصل

فِي مَذْهَبِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ

- ٦٢٢- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ
 ٦٢٣- إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ خَارِجَ ذَاتِهِ
 ٦٢٤- قَالُوا: وَصَارَ كَلَامُهُ بِإِضَافَةِ النَّ
 ٦٢٥- مَا قَالَ عِنْدَهُمْ وَلَا هُوَ قَائِلٌ
 ٦٢٦- فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ
 ٦٢٧- هَذِي مَقَالَةٌ كُلُّ جَهْمِيٍّ وَهُمْ
 ٦٢٨- لَكِنَّ أَهْلَ الْإِعْتِرَافِ قَدِيمُهُمْ
 ٦٢٩- وَهُمْ الْأَلَى اعْتَرَلُوا عَنِ الْحَسَنِ الرَّضِيِّ أَلِ
 ٦٣٠- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعٌ عَلَى مِنْهَا جِهْمٌ
 ٦٣١- لَكِنَّمَا تَمَّ أَخْرُوهُمْ بَعْدَ ذَ
 ٦٣٢- فَهُمْ بِذَلِكَ جَهْمِيَّةٌ أَهْلُ اعْتِرَافًا
 ٦٣٣- وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي
- وَإِرَادَةِ أَيْضًا، فَهُمْ صِنْفَانِ
 كَمَشِيئَةٍ لِلخَلْقِ وَالْأَكْوَانِ
 تَشْرِيْفٍ مِثْلَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
 وَالْقَوْلُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ
 بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ^(١)
 فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ
 لَمْ يَذْهَبُوا ذَا الْمَذْهَبِ الشَّيْطَانِي
 بَصْرِيٍّ ذَاكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
 مِنْ قَبْلِ جَهْمٍ صَاحِبِ الْحِدْنَانِ
 لِكَ وَافَقُوا جَهْمًا عَلَى الْكُفْرَانِ
 لِي، ثَوْبُهُمْ أَضْحَى لَهُ عَلَمَانِ
 عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «والألوان».

٦٢٤- وَاللَّكَايِيَّ الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْهُ هُمْ بَلَّ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِي

الشرح

٦٢٢- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ أَيْضًا، فَهُمْ صِنْفَانِ

٦٢٣- إِحْدَاهُمَا جَعَلَتْهُ خَارِجَ ذَاتِهِ كَمَشِيئَةِ لِلْخَلْقِ وَالْأَكْوَانِ

٦٢٤- قَالُوا: وَصَارَ كَلَامُهُ بِإِضَافَةِ التَّ شَرِيفِ مِثْلَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

٦٢٥- مَا قَالَ عِنْدَهُمْ وَلَا هُوَ قَائِلٌ وَالْقَوْلُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَّانِ

هؤلاء القائلون بأن القرآن يتعلق بمشيئة الله صنفان: صنف جعلته مخلوقاً بائناً عن الله عزَّ وجلَّ كسائر المخلوقات، وقالوا: إنَّ مشيئته لكلامه كمشيئته لخلق السموات والأرض والجبال، وغير ذلك، قالوا: والإضافة في الكلام إضافة تشریف، كإضافة البيت إلى الله في قوله: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦] وإضافة الناقة إلى الله في قوله: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣].

فعن هؤلاء يقول المؤلف: (مَا قَالَ عِنْدَهُمْ وَلَا هُوَ قَائِلٌ) إذن لا أمر، ولا نهْي، لأنَّ الأمر والنهي من صفات القول، وليس من صفات الفعل، ولهذا إذا قالوا بهذا بطلت الشريعة كُلُّهَا، لأنه ليس بها أمرٌ، ولا نهْي، إذن الأمر معلوم من أوصاف القول، وكذلك النهي، والقول بمعنى مقول، فهو عندهم مفعول (مخلوق).

وحقيقة الأمر أن هؤلاء نفوا قول الله، لأنهم إذا جعلوه شيئاً بائناً منفصلاً عنه متعلقاً بمشيئته صار لا يُنسب إلى الله على اعتبار أنه صفة، فإذا كان لا يُنسب إليه على اعتبار أنه صفة صار الله تعالى لم يقل، ولا يقول.

إِذَنْ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُعْطَلٌ عَنِ الْكَلَامِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ شَيْءٌ مُنْفَصِلٌ بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ،
وَلَيْسَ مِنْ وَصْفِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ» إِنَّمَا سُمِعَ مِنْ مَخْلُوقَاتٍ، فَسُمِعَ مِنْ
جَبْرِيلَ، إِذْ خَلَقَ اللَّهُ فِيهِ الصَّوْتِ، أَوْ مِنَ الشَّجَرَةِ حِينَ نَادَى مِنْهَا مُوسَى، أَوْ مَا
أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٦٢٦- فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ
قَوْلُهُ: «فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ» الْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ.

وَقَوْلُهُ: «مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ» يَعْنِي: الْقَوْلُ بِمَعْنَى مَقُولِ أَيِّ مَخْلُوقٍ.

قَوْلُهُ: «قَائِمٌ بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ» يَعْنِي: لَيْسَ قَائِمًا بِاللَّهِ، بَلْ هُوَ قَائِمٌ
بِغَيْرِهِ.

لَكِنْ مِنْ أَيْنَ سَمِعَ مُوسَى الصَّوْتِ؟ قَالُوا: سَمِعَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ.

وَمِنْ أَيْنَ سَمِعَ مُحَمَّدٌ الصَّوْتِ؟ الْجَوَابُ: مِنْ جَبْرِيلَ، خَلَقَ اللَّهُ صَوْتًا فِي جَبْرِيلَ.

وَمِنْ أَيْنَ سَمِعَ جَبْرِيلَ الصَّوْتِ؟ الْجَوَابُ: مِنَ الْهَوَاءِ، خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى أَصْوَاتًا
فِي الْهَوَاءِ، فَسَمِعَهَا جَبْرِيلَ، أَمَا قَوْلُ يُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ فَلَا، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٦٢٧- هَذِي مَقَالَةٌ كُلُّ جَهْمِيٍّ وَهُمْ فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُوا الصِّبْيَانِ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ قَوْلُ كُلِّ جَهْمِيٍّ، فَكُلُّ جَهْمِيٍّ فَهُوَ
يَقُولُ بِهَذَا الْقَوْلِ.

وَالْجَهْمِيَّةُ أَتْبَاعُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، تَلْمِيزُ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، وَأَصْلُ مَقَالَةٍ فِي

التعطيل من الجعد بن دَرَهَم، فَإِنَّ الجعد خرج بمقالته البدعية، وقال: (إِنَّ الله لم يُكَلِّم موسى تكليماً، ولا اتخذ إبراهيم خليلاً)، وهذا ليس بصحيح، فالله - سبحانه وتعالى - لا يُحِبُّ ولا يتكَلَّم! إِنَّمَا خَلَقَ كَلَامًا سَمِعَهُ موسى! والحُلَّةُ التي أثبتها الله لإبراهيم هي حُلَّةُ الفَقْرِ، ففي قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ يعني: اتخذهُ فقيراً إليه!

ولما أظهر هذه المقالة، لم يجعل له وُلاة الأمر فُسْحَةَ يَنْشُرُهَا، فحبسوه، ثُمَّ قَتَلُوهُ، فخرج به خالد بن عبد الله القَسْرِيُّ في يوم العيد، وخطب الناس، وأَعْلَمَهُم بالأُضْحِيَّةِ وأحكامها، وقال في آخر خطبته: «ضحوا تَقَبَّلَ اللهُ ضحاياكم، فَإِنِّي مُضَحِّحٌ بِالْجَعْدِ بْنِ دَرَهَمٍ، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يُكَلِّم موسى تكليماً»^(١)، ثم نزل فذبحه.

وهذا شأنُ وُلاة الأمور من الأمراء والسلاطين - فيما سبق - يخرجون بالضحايا في الخارج كما كان الرسول ﷺ يفعل^(٢)، وتُدْبَحُ في مُصَلَّى العيد، وقد مضى قول ابن القيم في هذا:

وَلَأَجْلِ ذَا ضَحَى بِجَعْدِ خَالِدِ الْ
قَسْرِيِّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلُهُ
كَأَنَّكَ وَلَا مُوسَى الْكَلِيمِ الدَّانِي
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ
لِلَّهِ دُرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ

(١) الحكاية أوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٣٨٢/٩).

(٢) كما في خطبة النبي ﷺ يوم العيد: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَبَدَّأُ مِنْ يَوْمِنَا هَذَا أَنْ نُصَلِّيَ، ثُمَّ نَرْجِعَ، فَتَنْحَرُ فَمَنْ فَعَلَ فَقَدْ أَصَابَ سُنَّتَنَا». أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب سنة العيدين لأهل الإسلام،

صحيح، كل صاحب سُنَّةٍ يشكر الله أن جعل الله موت هذا الرجل على يد هذا الشجاع البطل.

والحاصل أن الجَعْدَ بْنَ دِرْهَمٍ نَبَاً^(١) بهذه الكلمة، والعياذ بالله، وأصل التعطيل مبنيٌّ على هاتين الكلمتين: نفيُّ المحبة، ونفيُّ الكلام، ثم أخذها عنه الجهم بن صفوان، وكان فصيحًا بليغًا، ونشر المذهب، فذهبت الجهمية إليه مع أنه ثاني مَنْ قال به.

قَوْلُهُ: «فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ» انظر كيف الانتقاد البليغ على مَنْ تَبَعَ الجهمية في قولهم؟!!

قَوْلُهُ: «صَبِيَّانِ» يعني: ليس عندهم عقول، مثل الذي يقرأ في ألف باء تاء ثاء، لأنهم تبعوا هؤلاء، فصاروا بمنزلة الببغاء يقول ما يُقال له، فهم معلمو الصبيان.

فهو - رحمه الله - لم يُرِدْ أن هؤلاء يُعَلِّمُونَ الصَّبِيَّانِ الصِّغَارَ أَبْنَاءَ سَبْعِ سِنِينَ، وعشر سنين، بل يريد - رحمه الله - أن الذين أخذوا بهذا القول صبيان، ما عندهم عقول، فهم كالصبي يقول ما قاله الأستاذ حسنًا كان أو سيئًا.

وَقَوْلُهُ: «مُعَلِّمُو الصَّبِيَّانِ» يجوز فيها وجهان: (مُعَلِّمُو) و(مُعَلِّمِي)، فإن قلنا: (مُعَلِّمُو) صارت خبرًا ثانيًا، وإن قلنا: (مُعَلِّمِي) صارت حالًا، يعني: وهم الشيوخ حال كونهم مُعَلِّمِي الصَّبِيَّانِ.

٦٢٨- لَكِنَّ أَهْلَ الإِغْتِزَالِ قَدِيمُهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا ذَا الْمَذْهَبِ الشَّيْطَانِي

(١) أي تجافى وتباعد. انظر: لسان العرب، مادة: نبا.

٦٢٩- وَهُمْ الْأَلَى اعْتَرَلُوا عَنِ الْحَسَنِ الرَّضِيِّ الْأَبَصْرِيِّ^(١) ذَاكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَوَأَصِلُ بْنُ عَطَاءٍ مِنْ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ لَمْ يَذْهَبَا هَذَا الْمَذْهَبَ فِي
أَوَّلِ الْأَمْرِ، يَعْنِي: مَا ذَهَبُوا إِلَى هَذَا التَّعْطِيلِ (تَعْطِيلِ الْكَلَامِ وَتَعْطِيلِ الْمَحَبَّةِ)،
وَلَكِنْ فِيهَا بَعْدَ نَحْوِ هَذَا الْمَنْحَى مِثْلَ الرَّافِضَةِ.

فالرافضة كانوا أول أمرهم مُشَبَّهَةٌ، فَهَشَامُ بْنُ الْحَكَمِ الرَّافِضِيُّ هُوَ أَوَّلُ مَنْ
قَالَ بِالتَّشْبِيهِ، لَكِنْ فِيهَا بَعْدَ تَرْكُوا التَّشْبِيهِ، وَهُوَ الْغُلُوُّ فِي الْإِثْبَاتِ، وَذَهَبُوا إِلَى
التَّعْطِيلِ، وَهُوَ الْغُلُوُّ فِي التَّنْزِيهِ، وَصَارُوا عَلَى مَذْهَبِ الْمُعْتَزِلَةِ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ.
قَوْلُهُ: «الْمَذْهَبَ الشَّيْطَانِيَّ» يَعْنِي: مَذْهَبَ جَهَنَّمَ فِي أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

٦٣٠- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعٌ عَلَى مِنْهَا جِهَتِهِمْ مِنْ قَبْلِ جَهَنَّمَ صَاحِبِ الْحَدِيثَانِ
يَعْنِي: أَتْبَاعَ الَّذِينَ قَبْلَ جَهَنَّمَ مِنْ أَهْلِ الْاِعْتِزَالِ لَمْ يَقُولُوا بِقَوْلِ جَهَنَّمَ بِأَنَّ
كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

٦٣١- لَكِنَّمَا تَمَّأَخَّرُوهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ وَافَقُوا جَهَنَّمَ عَلَى الْكُفْرَانِ
قَوْلُهُ: «تَمَّأَخَّرُوهُمْ» أَي: تَمَّأَخَّرُوا الْمُعْتَزِلَةَ.

قَوْلُهُ: «وَافَقُوا جَهَنَّمَ عَلَى الْكُفْرَانِ» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَرَى أَنَّ
مَنْ قَالَ: (كَلَامُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ) فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ صَرَّحَ بِذَلِكَ الْأَيْمَةُ كَالْإِمَامِ أَحْمَدَ
-رَحِمَهُ اللَّهُ- وَغَيْرِهِ، أَطْلَقُوا عَلَى أَنَّ مَنْ قَالَ: (الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ) فَإِنَّهُ كَافِرٌ.

(١) الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن يسار، إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه، ولد بالمدينة
سنة (٢١هـ)، وشب في كنف علي بن أبي طالب، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ). [الشارح]. انظر
ترجمته في: تهذيب الكمال (٦/٣٦٣).

وقولهم هذا يقصدون به الحُكْم دون الشخص، أما الشخص المعين فلا بدَّ أن تقومَ عليه الحُجَّة.

وقد سبق أن من قال: (إنَّ القرآنَ مخلوقٌ) أبطلَّ الأمرَ والنهي، يعني: أنه لا أمرَ، ولا نهيَ، فالمخلوق مصنوعٌ على شكل مُعَيَّن، والأمر (قل) والنهي (لا تقل) هذا من أوصاف الكلام، لا من أوصاف المخلوق.

٦٣٢- فَهُمْ بِذَا جَهْمِيَّةٍ أَهْلٌ اعْتَرَا لِي، ثَوْبُهُمْ أَضْحَى لَهُ عَلَمَانِ
قَوْلُهُ: «فَهُمْ بِذَا جَهْمِيَّةٍ أَهْلٌ اعْتَرَا لِي» يعني: إذن هم معتزلة من وجه، وهم أيضًا جهمية من وجهٍ آخر.

وَقَوْلُهُ: «عَلَمَانِ» أَي: خَطَّانِ: خط أحمر، وخط أسود، ولهذا كان المعتزلة يوافقون الجهمية في نفي الصفات، لكن يخالفونهم في مسألة الوعيد والأحكام، ولذلك يفترق الجهمية والمعتزلة في مسألة القدر افتراقًا عظيمًا، وفي مسألة أسماء الإيمان والدين.

فالجهمية يرون في القدر أن الإنسان مجبرٌ على عمله، والمعتزلة على العكس من ذلك، والجهمية يرون أن الأعمال لا تزيد في الإيمان، ولا تنقص، وليست داخلية في الإيمان، وأن الإيمان هو مجرد الاعتراف.

فالجهمية يقولون: كُلُّ فاسقٍ ماردٍ شيطانٍ فهو مؤمنٌ كاملُ الإيمان، ولن يَمَسَّهُ عذابٌ.

وقولهم هذا يصلحُ لفَسَّاقِ أهلِ العصر.

أمَّا المعتزلة فيقولون: لو فعلَ الإنسانُ كبيرةً واحدةً لَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فبينهما فَرْقٌ عظيم، وهؤلاء يقولون: مؤمن كامل الإيمان، ولن يَمَسَّهُ العذاب، وهو في الجنة، وهؤلاء يقولون: خارجٌ من الإيمان ومستوجبٌ للخلود في النيران، والعياذ بالله.

فصار لهم ثوبان: ثوبٌ جهمٍ في الصفات مُعَطَّلة، وثوبٌ اعتزالٍ في مسألة الأسماء والأحكام.

والمعتزلة على العكس يقولون: الأعمال شرط في صحة الإيمان، ولهذا من فَعَلَ كبيرةً عندهم أخرجوه من الإيمان، إلا أنهم يقولون: في منزلةٍ بين المنزلتين، أما في الآخرة فمُخَلَّدٌ في النار.

٦٣٣- وَلَقَدْ تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

٦٣٤- وَاللَّلَاكَائِيُّ^(١) الْإِمَامُ حَكَاهُ عَنْهُمْ بَلْ حَكَاهُ قَبْلَهُ الطَّبْرَانِيُّ^(٢)

قَوْلُهُ: «تَقَلَّدَ كُفْرَهُمْ» أَي: حَكَمَ بِكُفْرِهِمْ.

«خَمْسُونَ فِي عَشْرٍ» أَي: خَمْسَمِئَةَ عَالِمٍ، فَخَمْسَمِئَةَ عَالِمٍ كَفَرُوا أَهْلَ الْعِتْزَالِ وَالْجَهْمِيَّةِ بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ.

إِذْنُ الْآنَ نَقُولُ مَنْ قَالَ: (إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ) فَهُوَ -عَلَى مَا نَقَلَهُ ابْنُ الْقَيْمِ- كَافِرٌ.

(١) اللالكائي: هو هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري، الرازي، حافظ للحديث، من فقهاء الشافعية، توفي كهلاً في الدَّيْنُورِ سنة (٤١٨هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣٦/١٣).

(٢) الطبراني: هو أبو القاسم سليمان بن أحمد اللخمي، الطبراني، صاحب المعاجم الثلاثة، ولد في عكا في الشام سنة (٢٦٠هـ)، وتوفي بأصبهان سنة (٣٦٠هـ) إذن عمره -رحمه الله- مئة سنة. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٢٠١/١٢).

فصل

في مذهب الكرامية

- ٦٣٥- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ فِي ذَاتِهِ أَيضًا، فَهُمْ نَوْعَانِ
 ٦٣٦- إِحْدَاهُمَا: جَعَلْتَهُ مَبْدُوءًا بِهِ نَوْعًا حِدَارَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ
 ٦٣٧- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ إِبْطَاتَ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ٦٣٨- فَلِذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ ذُو أَوَّلٍ مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 ٦٣٩- وَكَلَامُهُ كِفَعَالِهِ، وَكِلَاهُمَا ذُو مَبْدَأٍ، بَلْ لَيْسَ يَنْتَهِيَانِ
 ٦٤٠- قَالُوا وَلَمْ يُنْصَفْ خُصُومٌ جَعَجَعُوا وَأَتَوْا بِتَشْنِيعٍ بِلَا بُرْهَانِ
 ٦٤١- قُلْنَا كَمَا قَالُوهُ فِي أفعالِهِ بَلْ بَيْنَنَا بَوْنٌ مِنَ الْفُرْقَانِ
 ٦٤٢- بَلْ نَحْنُ أَسْعَدُ مِنْهُمْ بِالْحَقِّ إِذْ قُلْنَا: هُمَا بِاللَّهِ قَائِمَتَانِ
 ٦٤٣- وَهُمْ فَقَالُوا: لَمْ يَقُمْ بِاللَّهِ لَا فِعْلٌ وَلَا قَوْلٌ، فَتَعْطِيلَانِ
 ٦٤٤- لِفِعَالِهِ وَمَقَالِهِ شَرٌّ وَأَبْسُّ طُلٌّ مِنْ حُلُولِ حَوَادِثِ بَيِّنَانِ
 ٦٤٥- تَعْطِيلُهُ عَنِ فِعْلِهِ وَكَلَامِهِ شَرٌّ مِنَ التَّشْنِيعِ بِالْهَدْيَانِ
 ٦٤٦- هَذِي مَقَالَاتُ ابْنِ كَرَامٍ وَمَا رَدُّوا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبُرْهَانِ
 ٦٤٧- أَنِّي وَمَا قَدْ قَالَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْعَقْلِ وَالْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٦٤٨- لَكِنَّهُمْ جَاءُوا لَهُ بِجَعَاكِ وَفَرَاكِ وَقَعَاكِ بِشَانِ

الشرح

٦٢٥- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ فِي ذَاتِهِ أَيْضًا، فَهُمْ نَوْعَانِ

٦٢٦- إِحْدَاهُمَا: جَعَلْتَهُ مَبْدُوءًا بِهِ نَوْعًا حِدَارَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ» يعني: بأن الله يتكلم بمشيئته.

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا»: قال المؤلف - رحمه الله -: (إحداهما)، والصواب في اللغة

العربية (أحدهما) لكن هداه إلى ذلك ضيق النظم.

قَوْلُهُ: «جَعَلْتَهُ مَبْدُوءًا بِهِ نَوْعًا حِدَارَ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ»، وهذا هو النوع

الأول، أنها جعلت كلامه - سبحانه وتعالى - له ابتداء، وأنه كان في الأول لا يتكلم،

لماذا؟ قالوا: لو قلنا بذلك لزم تسلسل الأعيان، وإذا لزم تسلسل الأعيان امتنع

إثبات الخالق عز وجل، لأنه يبقى التسلسل دائمًا لا نهاية له، يبقى النوع أوليًا، كما

أن الله أول ليس قبله شيء.

هذه الطائفة جعلت كلامه حادثًا: حادث النوع، ليس حادث الآحاد، ولهذا

قال: (مبدوءًا به نوعًا) يعني أنه - سبحانه وتعالى - في الأول لم يكن يتكلم، ثم

صار يتكلم، فصار الكلام عندهم حادثًا نوعًا.

وهؤلاء لو قالوا: (إنه حادث عينيًا) لكان الأمر صحيحًا، لكن قالوا: إنه

حادث نوعًا، يعني أن الله لم يكن يتكلم ثم صار يتكلم.

فعطّلوا الله عن كلامه في الأول، وأثبتوه له في ثاني الحال، وجعلوا كلامه

ليس خارج ذاته، بل في ذاته، فهذا هو الفرق بينهم، وبين أهل الاعتزال الجهمية

والجهمية السابقة، لأن أولئك جعلوه خارج ذاته، جعلوه مخلوقاً منفصلاً، مثل: السماء، والأرض، والشمس، والقمر، أما هؤلاء فقالوا: لا، هو من صفاته لكنه حادث النوع والآحاد.

لكن لماذا؟ قال: (حِذَارَ تَسْلُسِلِ الْأَعْيَانِ) إذن قالوا: لو أثبتنا أنه أزيُّ النوع لزم أن تكون آحاده أيضاً أزيّة، وتسلسل، إذ ما من كلامٍ إلّا وقبّله كلام إلى ما لا نهاية له، وظنّوا أن هذا شيءٌ ممتنعٌ، لكن ليس بممتنع كما سيأتي - إن شاء الله - في الفرقة الثانية.

٦٣٧- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ إِثْبَاتَ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
يقولون: إذا قلنا بالتسلسل الأزيُّ للأنواع لم تُثبِتْ خالقاً، إذ من المعلوم أن المخلوق يكون بعد الخالق، وهذا يمنع التسلسل.

فهم يقولون: إذا جعلنا الكلام لم يزل موجوداً نوعاً، وهو متعلّق بالمشيئة، لزم أن يكون الموصوفُ به أيضاً حادثاً، وجوده بمشيئته، وهذا يسُدُّ علينا إثبات الله عزّ وجلّ، يعني إثبات أزيّته - سبحانه وتعالى -.

ولكن هذا ليس بصحيح، لأنّ من المعلوم أن الموصوفَ سابقٌ على الوصف وعلى الصفة، فالتكلّم لا بدّ أن يكون سابقاً لكلامه، وإذا قلنا بأن الكلام أزيُّ النوع لم يلزم أن يكون مقارناً للخالق، لأنه لا بدّ أن يكون المتكلّم سابقاً عن المسبوق.

فلذلك قالوا: إن الله لا يتكلّم متى شاء كيف يشاء، ولا نهاية لأوّله، بل هو مبتدأ، ولذا قال - رحمه الله -:

٦٣٨- فَلِذَاكَ قَالُوا: إِنَّهُ ذُو أَوَّلٍ مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

يعني: فرّقوا بين التسلسل في الابتداء والتسلسل في الانتهاء.

قَوْلُهُ: «ذُو أَوَّلٍ» يعني: ليس أزلّيًّا، بل له مبدأ.

قَوْلُهُ: «مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ» أي: أنه أبديُّ، وهذا على رأي مَنْ يرى أَنَّ التسلسل في الماضي ممنوعٌ، وفي المستقبل جائز، وتقدّم أَنَّ القولَ الراجح أَنَّ التسلسل جائز في الماضي والمستقبل.

فصار الفرق بينه وبين أهل السُنَّةِ بسيطًا، والفرق أن أهل السُنَّةِ يقولون: إنَّ كلامَ الله أزلِّيُّ النوع حادثُ الأحاد، وهم يقولون: إنه حادثُ النوع والآحاد، فهم يتفقون مع أهل السُنَّةِ على أنه أبديُّ، فإنَّ كلامَ الله لن ينقطع أبدًا للأبدين، ولهذا قال (مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ) إذن هو أبديُّ.

٦٣٩- وَكَلَامُهُ كِفَعَالِهِ، وَكِلَاهُمَا ذُو مَبْدَأٍ، بَلْ لَيْسَ يَنْتَهِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَِلَاهُمَا ذُو مَبْدَأٍ» أي: ذو مبدأ لكنها أبديّان، ولهذا قال: (بَلْ لَيْسَ يَنْتَهِيَانِ) و(بل) هنا عطف، لكنها ليست للإضراب، إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّهَا إِضْرَابُ انتقال من كلام إلى كلام، لا من معنى إلى معنى، والمعنى: ذو مبدأ، وليس ينتهيان.

والخلاصة: أنهم قالوا: إن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يتكلّم بمشيئته، ولكنَّ كلامه حادثُ النوع، لثلاثيَلَزَمَ مِنْ ذَلِكَ تَسْلُسُ الْأَعْيَانِ، إذ إنهم يجعلون الكلام كالفعال، فإذا قالوا بتسلسله في الماضي لزم قَدَمُ هَذِهِ الْأَعْيَانِ، وبذلك يَبْطُلُ إِثْبَاتُ الْخَالِقِ.

٦٤٠- قَالُوا وَلَمْ يُنْصَفْ خُصُومٌ جَعَجَعُوا وَأَتَوْا بِتَشْنِيعٍ بِلَا بُرْهَانٍ

الجعجعة: هي الكلام الصاخب الذي لا يُرادُ به إِلَّا التَّنْفِيرُ وَالتَّشْنِيعُ، وَهُمْ يَعْنُونَ بِهِوَلَاءِ الْمُعْتَرِزَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

٦٤١- قُلْنَا كَمَا قَالُوهُ فِي أَفْعَالِهِ بَلْ بَيْنَنَا بَوْنٌ مِنَ الْفُرْقَانِ

هؤلاء يقولون في أفعاله: إنها ليست أزليّة، بل كان فاعلاً بعد أن كان مُعْطَلاً، وهؤلاء قالوا في كلامه كما قال هؤلاء في أفعاله، يعني أن الكلام حادثٌ بعد أن لم يكن، والأفعال حادثة بعد أن لم تكن، لكن يختلفون، فهؤلاء يقولون: إن أفعاله وأقواله خارجٌ ذاته، وهؤلاء يقولون: بل متعلّقة بذاته.

ولكن ابن القيم -رحمه الله- ردّ عليهم فقال:

٦٤٢- بَلْ نَحْنُ أَسْعَدُ مِنْهُمْ بِالْحَقِّ إِذْ قُلْنَا: هُمَا بِاللَّهِ قَائِمَتَانِ

قَوْلُهُ: «هُمَا» هذا الضمير يعود على الأقوال والأفعال.

هؤلاء يقولون: الكلام قائمٌ بالله، والفعل قائمٌ بالله، وأولئك يقولون: قائمٌ بغير الله منفصل عن الله، فأيهما أقرب للصواب؟ الجواب: الكراميّة الذين قالوا: إِنَّ الْأَفْعَالَ وَالْأَقْوَالَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ.

وَقَوْلُهُ: «أَسْعَدُ بِالْحَقِّ» إذ قلنا: إِنَّ الْأَفْعَالَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ وَالْأَقْوَالَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ، وليست مخلوقةً منفصلةً كما قاله مَنْ يقولون: إن الكلام في نفسه، ولا يتعلّق بمشيئته، لكنه يخلّق ما يُعبّر عن الكلام، أو يكون حكاية عنه.

٦٤٣- وَهُمْ فَقَالُوا: لَمْ يَقُمْ بِاللَّهِ لَا فِعْلٌ وَلَا قَوْلٌ، فَتَعْطِيلَانِ

قَوْلُهُ: «تَعْطِيلَانِ» أي: تعطيل القول وتعطيل الفعل، لأنّ السابقين لا يرون أنّ الكلام يتعلّق بمشيئته، بل هو وصف لازم له، لكن بدون حرفٍ ولا صوتٍ وبدون مشيئة.

٦٤٤- لِفِعَالِهِ وَمَقَالِهِ شَرٌّ وَأَبْسٌ — طَلٌّ مِنْ حُلُولِ حَوَادِثٍ بَيَّانٍ

٦٤٥- تَعْطِيلُهُ عَنِ فِعْلِهِ وَكَلَامِهِ شَرٌّ مِنَ التَّشْنِيعِ بِالْهَدْيَانِ

يعني: تعطيل أفعاله وأقواله أشرُّ وأبطلُّ من حلول حوادث بيان، لأنَّ الجهميةَّ والمعتزلةَ إنما نَفَوْا قِيَامَ أفعاله الاختيارية بذاته، خوفاً من حلول الحوادث بذاته، لأنَّ من أصول المعتلَّة أنه لا يقوم الحادثُ إلَّا بحادث، فإذا قامت الحوادثُ بذاته لزم أن يكون حادثاً، ولهذا أنكروا أن تقوم الأفعالُ الاختياريةُ بذاته، وقالوا: (ليس له فعل، وليس له قول)، نسأل الله العافية.

وهذا الكلام في الحقيقة لا يستطيع الإنسان أن يتصوَّره، فضلاً عن الذي يقبله ويهضمه.

إِذَنْ هُوَ لَاءِ الْكِرَامِيَّةِ يَقُولُونَ: إِنْ تَعْطِيلَ أفعاله ومقاله شرٌّ وأبطلُّ من حلول الحوادث به، يعني لو قالوا: إِنْ اللهُ يَفْعَلُ فِعْلاً يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ، وَيَقُولُ قَوْلًا يَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ، لَكَانَ هَذَا أَهْوَنَ مِنْ أَنْ نَقُولَ: إِنْ الْحَوَادِثُ تَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ، لِأَنَّآ إِذَا قَلْنَا: إِنْ الْحَوَادِثُ تَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ لَمْ يَلْزَمْ عَلَيْهَا شَيْءٌ، وَإِذَا قَلْنَا: إِنَّهُ مُعْطَلٌّ مِنَ الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ، فَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ مَا يُوصَفُ بِهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ لَنَا الْقَوْلُ أَنَّ قِيَامَ الْحَوَادِثِ لَا يَسْتَلْزِمُ حَدُوثَ مَنْ قَامَتْ بِهِ.

٦٤٦- هَذِي مَقَالَاتُ ابْنِ كِرَامٍ^(١) وَمَا رَدُّوْا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبُرْهَانِ

يرى - رحمه الله - أن الكرامية أقرب للصواب من الأشعرية، لأنَّ الأشعرية

(١) ابن كرام: هو محمد بن كرام بن عراق السجستاني، شيخ الكرامية، ولد بقرية في سجستان، ودخل خراسان، وكان له أتباع، توفي في القدس سنة (٢٥٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/٥٢٣).

لا يُثْبِتُونَ كَلَامًا مَسْمُوعًا أَصْلًا، فَالْكَلَامُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، لَكِنَّ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ عِنْدَهُمْ هُوَ الْمَخْلُوقُ.

فَالصَّوْتُ يَخْلُقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي مَكَانٍ مَا، أَوْ فِي الْهَوَاءِ، أَوْ فِي الشَّجَرَةِ حِينَ نَادَى مُوسَى مِنْهَا، فَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ عِنْدَهُمْ.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: مَا رَدُّوا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبِرْهَانِ.

فابن القيم يدافع عن ابن كَرَّامٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُدَافِعَةَ عَنْ شَخْصٍ شَرُّهُ أَهْوَنُ مِنْ غَيْرِهِ أَنَّمَا أَمْرٌ طَيِّبٌ، وَسَيِّبِينَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْفَصْلِ الثَّانِي أَنَّ كَلَامَهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

٦٤٧- أَنِّي وَمَا قَدْ قَالَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْعَقْلِ وَالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «أَنِّي» يَعْنِي: يَبْعُدُ جَدًّا أَنْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ.

قَوْلُهُ: «الْآثَارِ» يَعْنِي: آثَارِ السَّنَنِ.

قَوْلُهُ: «أَنِّي وَمَا قَدْ قَالَ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْعَقْلِ وَالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَمَا قَالَ ابْنُ كَرَّامٍ أَقْرَبُ مِمَّا قَالَهُ الْمَعْتَزِلَةُ وَالْجَهْمِيَّةُ لِلْعَقْلِ، وَالْآثَارِ الَّتِي هِيَ السَّنَنُ، وَالْقُرْآنِ كَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، لِأَنَّ ابْنَ كَرَّامٍ لَمْ يَخْتَلَفْ عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَّا فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ (حَدُوثُ الْكَلَامِ نَوْعًا)، وَلَوْ قَالَ: (حَدُوثُهُ آحَادًا) لَوَافَقَ أَهْلَ السُّنَّةِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ - كَمَا هُوَ مَعْلُومٌ - مَتَرْتَّبٌ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ.

فَهُوَ يَخْشَى مِنَ الْقَوْلِ بِأَزْلِيَّتِهِ نَوْعًا تَسْلُسَلُ الْحَوَادِثُ، وَهَذَا عَلَى ظَنِّهِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ أَزْلِيَّةِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ هَذَا لَا يَسْتَلْزِمُ ذَلِكَ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِصَحِيحٍ.

٦٤٨- لَكِنَّهُمْ جَاءُوا لَهُ بِجَعَجٍ وَفَرَاقِعٍ وَقَعَّاقِعٍ بِشِنَانٍ

قَوْلُهُ: «الجعاجع»: الأصوات الصاخبة التي يُراد بها التنفير، وإبعاد الناس عن هذا الشيء.

قَوْلُهُ: «وَفَرَاقِعٍ» الفراقع: إما فرقة الأصابع، وإما الفراقع التي تفرقع من الصبيان ليلة العيد.

قَوْلُهُ: «شِنَانٍ» ويُروى بالميم (بشنان)، وشِنَانٌ جمع شَنَّةٍ، والشَّنَّةُ: القُرْبَةُ اليابسة القديمة، يُضْرَبُ عليها باليد فيصير لها صوت.

يعني يقول: هؤلاء ما رَدُّوا على ابن كَرَّامٍ بشيء، بل هو أقرب إلى الحقِّ منهم.

فصل

فِي ذِكْرِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ

- ٦٤٩- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ
وَمُحَمَّدٍ وَأَيْمَةَ الْإِيمَانِ
٦٥٠- قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ
مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَيَبَيِّنُ
٦٥١- إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْكَمَالُ فَكَيْفَ يَخُ
لُو عَنْهُ فِي أَرْزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ؟!
٦٥٢- وَيَصِيرُ فِيمَا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا
مَاذَا اقْتَضَاهُ لَهُ مِنَ الْإِمْكَانِ؟
٦٥٣- وَتَعَاقُبُ الْكَلِمَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ
لِلذَّاتِ مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ
٦٥٤- وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ قَالَ حَقِيقَةً
﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿طَه﴾ بِغَيْرِ قِرَانٍ
٦٥٥- بَلْ أَحْرَفُ مُتَرْتَبَاتٌ مِثْلَهُمَا
قَدْ رُتِّبَتْ فِي مَسْمَعِ الْإِنْسَانِ
٦٥٦- وَقَتَانِ فِي وَقْتٍ مُحَالٍ هَكَذَا
حَرْفَانِ أَيْضًا يُوجَدَانِ فِي آنٍ
٦٥٧- مِنْ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ بَلْ يُوجَدَانِ
بِالرَّسْمِ أَوْ بِتَكَلُّمِ الرَّجُلَانِ
٦٥٨- هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ، أَمَّا الْاِقْتِرَا
نُ فَلَيْسَ مَعْقُولًا لِذِي الْأَذْهَانِ
٦٥٩- وَكَذَا كَلَامٌ مِنْ سِوَى مُتَكَلِّمٍ
أَيْضًا مُحَالٌ لَيْسَ فِي إِمْكَانِ
٦٦٠- إِلَّا لِمَنْ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَذَا
كَ كَلَامُهُ الْمَعْقُولُ لِلْإِنْسَانِ

الشرح

٦٤٩- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ وَأَيْمَّةِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ» يعني: أصحاب الحديث، جعلنا الله وإياكم منهم، يعني: المعتنين بالحديث حفظاً روايةً، وعِلماً درايةً.

قَوْلُهُ: «كَأَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ» أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وغيرهما من الأئمة.

فذكر - رحمه الله - مذهب أهل الحديث، وأهل الحديث يُراد بهم صنفان: رُواة الحديث، وفقهاء الحديث.

ولا شكَّ أنَّ أحمد بن حنبل من رُواة الحديث، وفقهاء الحديث، وأمَّا البخاري - رحمه الله - فلا شكَّ أنه من رُواة الحديث، ولكنه في فقه الحديث ليس كالإمام أحمد، ولهذا يُعتبر من المُحدِّثين، والإمام أحمد يعتبر من المُحدِّثين الفقهاء.

٦٥٠- قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَبَيَانَ

ولهذا قال: (وَأَيْمَّةِ الْإِيمَانِ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَبَيَانَ) لم يزل عزَّ وجلَّ متكلمًا بمشيئة، إذا شاء تكلم، وإذا شاء لم يتكلم، ثم هو يتكلم ببيان، أي: بحروف، وأصوات مسموعة.

وأفصحُ الكلام، وأحسنُ الكلام، وأصدقُ الكلام كلامُ الله عزَّ وجلَّ، ولهذا قال: (بَيَانَ) أي: بفصاحة، وإعراب، ووضوح.

ويا حبذا لو علمنا أدلة أن الله لم يزل متكلمًا، ولا يزال متكلمًا.

نقول: لم يزل، ولا يزال متكلمًا، ودليل دلالته عقلية، وذلك أن أفعال الله لم تزل، وكلُّ فعلٍ من أفعال الله، فإنه مقرون بقوله: (كن)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

كذلك الكلام بمشيئة، وليس معنى قائمًا بنفسه لا يتعلّق بمشيئته، كما قالت الأشاعرة، بل هو بالمشيئة، وفي ذلك أدلة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ والمراد يكون بمشيئة.

إذن الكلام المقترن بالمراد يكون كذلك بالمشيئة.

وهناك أيضًا أدلة واقعية: قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣] متى كان الكلام؟

الجواب: بعد مجيئه، انظر قوله: ﴿قَالَ رَبِّ ارِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ومتى كان القول الثاني؟ الجواب: بعد قول موسى.

ابن القيم يقول: (وبيان) وهذا يقتضي أن يكون كلام الله بحرفٍ وصوتٍ، لأنه لا يكون بيانًا إلا إذا سُمِعَ الكلام، ولا يُسْمَعُ إلا بصوت، ولا يُفْهَمُ إلا بحروف، فكلام الله أيضًا يكون بحرفٍ وصوت، أما كونه بحرفٍ فلا لأنَّ كُلَّ الكلام الذي تكلم الله به حروف، فالقرآن حروف، ومن قرأه فله بكل حرفٍ منه عشر حسنات.

وأيضًا لما قال الله تعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ اللام، والنون، والتاء، والراء والنون، والياء، هذه حروف بصوت، لأنَّ موسى سمع كلام الله، وكذلك النبي ﷺ سَمِعَ كَلَامَ اللَّهِ فِي لَيْلَةِ الْمِعْرَاجِ.

إِذْنِ كَلَامِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ مُتَعَلِّقٍ بِمَشِيئَتِهِ، وَلَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ مُتَكَلِّمًا.

أما كونه مخلوقاً فهذا باطل، لأنَّ الله تعالى قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والخلق والأمر قسيان، وليسا قسَمَيْنِ، فالأمر غيرُ الخلق، لأنَّ الأصلَ في العطفِ المُغَايِرَةِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢] أي: مِنْ وَحِينَا، فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ لَيْسَ مَخْلُوقًا.

هذا ما أردت أن أُبيِّنه لأجل أن نعرف أن أهل السُنَّة والجماعة بنوا اعتقادهم على دليل.

٦٥١- إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْكَمَالُ فَكَيْفَ يَجُزُّ لَوْ عَنَّهُ فِي أَزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ؟! قَوْلُهُ: «إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْكَمَالُ» صَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْكُ فِي أَنَّ الْمُتَكَلِّمَ كَامِلٌ وَالْأَخْرَسَ نَاقِصٌ.

فالمُتَكَلِّمُ يَتَكَلَّمُ لِيَأْمُرَ وَيَنْهَى وَيُعْظَمُ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كَمَالِهِ كَلَامُهُ، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْأَخْرَسَ لَا يُعَدُّ كَامِلًا، وَلِذَلِكَ طَلَبَ زَكْرِيَّا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - مِنْ اللَّهِ آيَةً، فَقَالَ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿ءَايَتُكَ إِلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا﴾ [آل عمران: ٤١]، وَلَمَا كَانَ هَذَا يُخْشَى مِنْهُ الْعَيْبُ - وَهُوَ عَيْبٌ - قَالَ اللَّهُ لَهُ فِي آيَةٍ أُخْرَى: ﴿أَلَا تَكَلِّمَ ثَلَاثَ النَّاسِ لَيْالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، يَعْنِي: لَيْسَ فِيكَ عَيْبٌ، لِأَنَّهُ لَا شَكَّ أَنَّ عَدَمَ الْكَلَامِ عَيْبٌ، فَالْكَلَامُ كَمَالٌ.

قَوْلُهُ: «فَكَيْفَ يَخْلُو عَنْهُ فِي أَزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ» يَعْنِي: كَيْفَ يَخْلُو اللَّهُ مِنْ هَذَا الْكَمَالِ فِي أَزَلٍ بِلَا إِمْكَانٍ!؟

هؤلاء الذين قالوا: إنه يتكلّم بغير مشيئة، ومنعوا أن يكونَ أزلّيّاً، قالوا: إنه تكلم بعد أن لم يكن قادراً على الكلام، وهذا نقص، ولهذا قال المؤلف -رحمه الله-:

٦٥٢- وَيَصِيرُ فِيمَا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا مَآذَا اقْتَضَاهُ لَهُ مِنَ الْإِمْكَانِ؟

يعني: ما الذي اقتضى أن يكون متكلّمًا بعد أن كان غير متكلّمٍ إلاّ المشيئة، وهو متى شاء تكلم في أزلٍ وأبدٍ، ومتى شاء لم يتكلّم، وهذا القول واضح ومعقول، وهو الذي تدلُّ عليه الأدلة السمعية.

وفي هذا ردُّ على الكرّامية الذين يقولون: في الأول لا يمكن، وفي الثاني صار ممكناً، فما الذي جعله في الأول مستحيلاً، وفي الثاني ممكناً؟!

ثم ذكر المؤلف -أيضاً- أن قوله مترتبٌ، خلافاً لمن قال بالاقتران، الباء، والسين، والميم، في (بسم الله الرحمن الرحيم) وما بعدها من كلمات كلّها واحدة، خرجت بأن واحد، ولا يمكن أن تترتب، لأنّ الكلام عندهم ليس بمشيئته.

٦٥٣- وَتَعَاقَبُ الْكَلِمَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ لِلذَّاتِ مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ

قوله: «وَتَعَاقَبُ الْكَلِمَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ لِلذَّاتِ» أي: لذات الكلمات.

قوله: «مِثْلُ»، يجوز فيه أيضاً (مِثَلًا).

قوله: «مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ» أي: كما أنّ الأزمان متعاقبة الآن، فالصباح، ثمّ الضحى، ثمّ الظهر، ثمّ العصر، ثمّ المغرب متعاقبة، هل يمكن أن تكون ظهيرة في وقت الضحى؟

الجواب: لا، ولا ضحى في وقت الصباح، فتعاقب الكلمات أمرٌ واقع لا بدّ منه، كتعاقب الأزمان، أي: (مِثْلُ تَعَاقُبِ الْأَزْمَانِ)، وفي هذا ردُّ على الاقترانية.

٦٥٤- وَاللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ قَالَ حَقِيقَةً ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿طه﴾ بِغَيْرِ قِرَانٍ

وهذا أيضًا ردُّ على الجهمية والمعتزلة والاقترانية، وقال: (حَقِيقَةً)، أما عند المعتزلة والجهمية فلم يقل: (حَقِيقَةً)، قالوا: إضافة الكلام إليه على سبيل المجاز، لأنه خَلَقَ الكلام.

قَوْلُهُ: «﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿طه﴾ بِغَيْرِ قِرَانٍ» صحيح، فـ(طه) في مكانها، و(حم) في مكانها لم تقترن.

و﴿طه﴾ حرفان هجائيان، وليس من أسماء الرسول ﷺ، خلافاً لمن سَمَّاه (طه) وسَمَّاه (يس)، فَإِنَّ هَذَا كَذِبٌ، وليس بصحيح، فكلُّ أسماء الرسول ﷺ يجب أن تعرفوا أنها مشتمة على المعاني، أمَّا أسماءنا فجوامد، ليس فيها إلاَّ تعيين المُسَمَّى فقط، فقد نُسِمِيَ الرجل (صالحاً) وهو غيرُ صالح، أما أسماء الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فإنها كلها مشتقة من معانيها العظيمة.

فمثلاً (طه) هل هو مشتق أو غير مشتق؟

الجواب: ليس مشتقاً، قالوا: لأنَّ الله قال: ﴿طه﴾ ١ مَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ

لِتَشْفَى ﴿[طه:١-٢].

إِذْ نَقُولُ: سَمَّه (نون)، لأنَّ الله قال: ﴿نَّ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ١ مَّا أَنْتَ بِعَمَةٍ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿[القلم:١-٢]، وَسَمَّه بِكُلِّ حَرْفٍ هِجَائِيٍّ جَاءَ بَعْدَهُ خِطَابٌ لِلرَّسُولِ -عليه الصلاة والسلام- قال الله تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم:١]، سَمَّه إِذْنَ (الر)، ولا أحد يقول بهذا.

فالحاصل أنَّ (يس) ليس من أسماء الرسول، وكذلك (طه).

مسألة: نجدُ بعضَ الناسِ مَنْ يُكْنِي نفسه بـ(أبي الحاشر) مثلاً، فنقول: هذا لا يجوز، لأنَّ هذا اللقب للرسول -عليه الصلاة والسلام-.

٦٥٥- بَلْ أَحْرَفُ مُتَرْتَبَاتٌ مِثْلَمَا قَدْ رُتِّبَتْ فِي مَسْمَعِ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «بَلْ أَحْرَفُ» يعني: بل هي أحرف.
قَوْلُهُ: «مُتَرْتَبَاتٌ» يعني: متعاقبة، وليست مقترنة.

الآن عندما أقول: (طه) فأول ما يرد على مسمعك (الطاء) ثُمَّ (الهاء)، فهي مرتَّبة، فهي -أيضاً- في كلام الله مرتَّبة، بدأ بالطاء قبل الهاء في مسمع الإنسان.
٦٥٦- وَقَتَانٍ فِي وَقْتٍ مُحَالٍ هَكَذَا حَرْفَانِ أَيْضًا يُوجَدَانِ فِي آنٍ
قَوْلُهُ: «وَقَتَانِ فِي وَقْتٍ مُحَالٍ» يعني: لا يمكن أن يكون الصبح وهو في نفس الوقت ضحى، ولا ضحى وهو في نفس الوقت ظهر، فهذا مستحيل.

قَوْلُهُ: «مُحَالٌ هَكَذَا حَرْفَانِ أَيْضًا يُوجَدَانِ فِي آنٍ» يعني: وكذلك يستحيل أن يوجد حرفان في آنٍ واحدٍ، إذن لا بدَّ من ترتيب.

وَقَوْلُهُ: «يُوجَدَانِ» هكذا، حيث سَبَقَ نظيره، وأنَّ ابنَ القيم -رحمه الله- يرى جواز حذف النون التي هي علامةُ الرفع من أجل الشعر.

٦٥٧- مِنْ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ بَلْ يُوجَدَانِ بِالرَّسْمِ أَوْ بِتَكَلُّمِ الرَّجُلَانِ
٦٥٨- هَذَا هُوَ الْمَعْقُولُ، أَمَّا الْإِقْتِرَا نٌ فَلَيْسَ مَعْقُولًا لِذِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ وَاحِدٍ مُتَكَلِّمٍ» يعني: لا يمكن أن يوجد حرفان في آنٍ واحدٍ من واحد متكلم.

قَوْلُهُ: «بَلْ يُوجَدَا بِالرَّسْمِ أَوْ بِتَكْلُمِ الرَّجُلَانِ» نعم بالرسم، ربما تكتب الحاء فوق النون، كذلك لو كان من رجلين مُتَكَلِّمَيْنِ، يمكن أن يتكلم الرجلان (بسم الله الرحمن الرحيم) في آنٍ واحدٍ، أما مِن متكلّمٍ واحدٍ ويوجد حرفان في آنٍ واحدٍ، فهذا مستحيل.

وقول المؤلف - رحمه الله -: (بِتَكْلُمِ الرَّجُلَانِ)، ولم يقل: (الرَّجُلَيْنِ) فهذا إمّا أن يكون للضرورة، وإما أن يكون على لغة من يُلْزَم المثنى الألف، ولو أتى على اللغة المشهورة، كقول الشاعر:

وَاهَا لِرِيَاثُمَّ وَاهَا وَاهَا يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا^(١)

وهذا صحيح، كيف نقول: القرآن كلام الله من غير متكلّم؟! فلا يوجد كلامٌ إلّا من متكلّم، فمتى أقررت بأنّ القرآن كلامُ الله لزمك أن تؤمن بأنّ الله متكلّم، ولهذا يقول فيما بعد: (لَيْسَ فِي إِمْكَانٍ... إلّا لَمَنْ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ) يعني: لا يمكن أن يكون كلامٌ من غير متكلّم، بل لا يكون إلّا من المتكلّم به.

٦٥٩- وَكَذَا كَلَامٌ مِنْ سِوَى مُتَكَلِّمٍ أَيُّضًا مُحَالٌ لَيْسَ فِي إِمْكَانٍ

٦٦٠- إلّا لَمَنْ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَذَا كَلَامُهُ الْمَعْقُولُ لِلْإِنْسَانِ

فهو - رحمه الله - لما ردّد على مذهب الاقترانية ردّد على مذهب المعتزلة فقال:

المعتزلة يقولون: إنّ الله له كلام لكن ليس هو المتكلّم، لأنّ كلامه مخلوقٌ، إمّا في الشجرة، وإمّا في الهواء، وإمّا في جبريل، وإمّا في محمّد، فكيف يصحّ أن نقول: هو متكلّمٌ والكلام ليس وصفًا، بل هو بائن منه؟! ولهذا قال:

(١) البيت من الرجز، وهو لأبي النجم، انظر: لسان العرب، مادة: وبه.

(لَيْسَ فِي إِمْكَانٍ... إِلَّا لِمَنْ قَامَ الْكَلَامَ بِهِ)، فَمَنْ قَامَ الْكَلَامَ بِهِ فَهُوَ الَّذِي يَكُونُ مُتَكَلِّمًا.

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: أَلَسْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ السَّمَوَاتِ، وَالْأَرْضَ، وَالْإِنْسَانَ، وَالشَّجَرَ وَالْحَجَرَ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَيْسَ مِنْ صِفَتِهِ؟!!

قلنا: بلى، نقول بذلك، لكن هذه أعيانٌ قائمةٌ بنفسها، وأما الكلام فصفة، ولا يمكن أن يكون قائمًا بنفسه، فإذا وصف الله نفسه بأنه متكلم، علمنا أن الكلامَ وَصَفَهُ، وإذا وَصَفَ نفسه بأنه الخالق فقد يُلبَسَ هؤلاء، ويقولون: خالق يعني به المخلوق، وليس الخلقُ صفةً له.

لكن نقول في الردِّ عليهم: إِنَّ المخلوقات أعيانٌ قائمةٌ بنفسها، بخلاف الكلام فلا يمكن أن يُوصَفَ اللهُ بأنه متكلمٌ وَيُعْنَى به أن هناك كلامًا مخلوقًا خلقه الله، وإِلَّا للزم أن يكون كلامي وكلامك وكلامُ فلانٍ وفلانٍ كلامًا لله، ولهذا صار قول الجهمية والمعتزلة بأن كلام الله مخلوق سُلِّمًا سهل الصعود للقائلين بوحدَةِ الوجودِ، قالوا: نحن نقول: كُلُّ كلامٍ في الوجودِ كلامٌ لله.

- ٦٦١- أَيْكُونُ حَيًّا^(١) سَامِعًا أَوْ مُبْصِرًا مِنْ غَيْرِ مَا سَمِعَ وَغَيْرِ عِيَانٍ؟!
 ٦٦٢- وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ قَامَ بِغَيْرِهِ هَذَا الْمُحَالُ وَوَاضِحُ الْبُهْتَانِ
 ٦٦٣- وَكَذَا مُرِيدٌ وَالْإِرَادَةُ لَمْ تَكُنْ وَصْفًا لَهُ، هَذَا مِنَ الْهَدْيَانِ
 ٦٦٤- وَكَذَا قَدِيرٌ مَا لَهُ مِنْ قُدْرَةٍ قَامَتْ بِهِ مِنْ أَوْضَحِ الْبُطْلَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «حي».

- ٦٦٥- وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُتَكَلَّمٌ
بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
- ٦٦٦- قَدْ أَجْمَعَتْ رُسُلُ الْإِلَهِ عَلَيْهِ لَمْ
يُنْكِرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ
- ٦٦٧- فَكَلَامُهُ حَقًّا يَقُومُ بِهِ وَإِلَّا
لَا لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِقُرْآنِ

الشرح

ضَرَبَ الْمُؤَلِّفُ أَمْثَلَةً تُبَيِّنُ بَطْلَانَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْمُعْتَزِلَةَ يَشْتَبُونَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءَ، وَلَا يَشْتَبُونَ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ، فَقَالَ:

٦٦١- أَيْ كَوْنُ حَيًّا سَامِعًا أَوْ مُبْصِرًا مِنْ غَيْرِ مَا سَمِعَ وَغَيْرِ عِيَانٍ؟!

أي: من غير معاينة ومن غير بصر، وهل هذا ممكن؟! لا يمكن، كيف يكون سامعًا بلا سمع؟! أو مبصرًا بلا بصر؟! هذا غير ممكن.

ولولا أنه سُودَّتْ بِهِ الصِّحَافُ مَا نُقِلَ وَلَا ذُكِرَ، لَكِنْ مَعَ الْأَسْفِ أَنَّهُ وَجَدَ مِنْ فِرْقِ هَذِهِ الْأُمَّةِ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ الْهَيْدِيَانَ الْبَاطِلَ.

٦٦٢- وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ قَامَ بِغَيْرِهِ هَذَا الْمَحَالُّ وَوَاضِحُ الْبُهْتَانِ

هم يقولون: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ، لَكِنْ لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ، وَإِنَّمَا خَلَقَ سَمْعًا فِي غَيْرِهِ، وَبَصِيرٌ، يَعْنِي: خَلَقَ بَصْرًا فِي غَيْرِهِ.

كيف نقول: هو بصير، والبصير غيره؟! فهذا معناه أَنَّ الْبَصْرَ لِغَيْرِهِ، لَا لَهُ، فَكَيْفَ تَكُونُ صِفَةً مُضَافَةً إِلَى مَوْصُوفٍ، ثُمَّ تَكُونُ هَذِهِ الصِّفَةُ فِي غَيْرِهِ؟! هَذَا وَاضِحُ الْبَطْلَانِ كَمَا يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (وَاضِحُ الْبُهْتَانِ).

٦٦٣- وَكَذَا مُرِيدٌ وَالْإِرَادَةُ لَمْ تَكُنْ وَصَفَاءَهُ، هَذَا مِنَ الْهَدْيَانِ

هم قالوا: إِنَّ اللَّهَ مُرِيدٌ، لكن ليس له إرادة، كيف؟ قالوا: له مراد، أو المعنى: مرِيدٌ خَالِقٌ لِلْإِرَادَةِ فِي غَيْرِهِ.

وأنا أعتقد أن مَنْ لم يسمع هذا سيقول بمقتضى الفطرة: هذا لا يكون، ولولا ثقة النقل من ابن القيم، وابن تيمية، ومن أشباههما لقلنا: هذا لا يقوله عاقل، إذ كيف يقول: هو مرِيدٌ وَالْإِرَادَةُ لغيره؟! سبحان الله! هذا مستحيل، لكن هذا مذهب لأناس يَدْعُونَ الذكاء.

٦٦٤- وَكَذَا قَدِيرٌ مَا لَهُ مِنْ قُدْرَةٍ قَامَتْ بِهِ مِنْ أَوْضَاحِ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «قَدِيرٌ مَا لَهُ مِنْ قُدْرَةٍ» قدير ولكن ليست له قدرة، وهذا هذيان، فالقدير لا يمكن إلا أن تكون له قدرة، وهم يقولون: قدير بلا قدرة، لأنهم يَدْعُونَ أَنْ يُثَبَّتَ الصِّفَاتِ الْقَدِيمَةِ يَعْنِي الْإِشْرَاكَ بِاللَّهِ، فيقولون: ساوِيتُمُ اللَّهَ تَعَالَى بِالْقِدَمِ فِي هَذِهِ الصِّفَاتِ، لِأَنَّ أَحْصَى وَصَفَ الْإِلَهَ عِنْدَهُمْ هُوَ الْقِدَمُ، وَهَذَا مِنَ الْغَرَائِبِ.

ألسنا نصف غير الله بالقديم؟! الجواب: بلى، كيف يقولون: أَحْصَى وَصَفَ اللَّهَ مَا لَا يُوصَفُ بِهِ غَيْرُهُ مِثْلَ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) (الْحَيِّ الْقَيُّومِ) وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؟! وَأَمَا أَنْ نَقُولَ: أَحْصَى وَصَفَ فِي الْإِلَهِ الْقِدَمَ، فَمَنْ أَثَبَّتَ صِفَةً قَدِيمَةً فَقَدْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، لِأَنَّكَ لَوْ أَثَبَّتَ لَهُ قُدْرَةٌ كَانَتْ الْقُدْرَةُ قَدِيمَةً، وَلِزَمَ مِنْ ذَلِكَ تَعَدُّدُ الْقِدَمَاءِ، قُدْرَةُ قَدِيمَةٍ وَقَادِرٌ قَدِيمٌ، سَمِعَ قَدِيمٌ وَسَمِيعٌ قَدِيمٌ، بَصَرَ قَدِيمٌ وَبَصِيرٌ قَدِيمٌ، فَصَارَتْ الْآلِهَةُ بِذَلِكَ سِتَّةً، وَعَلَى هَذَا فَفَس.

قالوا: أَنْتُمْ كَفَرْتُمْ النَّصَارَى لَمَّا قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثٌ ثَلَاثَةً، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ:

ملايين الملايين، فأنتم أكثر من النصارى إذا أثبتتم أن الله صفةٌ قديمةٌ، فهذا هو عين الكفر، والعياذ بالله.

والحقيقة أن كلامهم مخالفٌ للعقل، نقول له: تعال، هل أنت سميع؟ سيقول: نعم، نقول: ألك سمع؟ سيقول: نعم، بصير لك بصر، قدير لك قدرة؟ كم أنت؟ فيقول: واحد، فتعدد الأوصاف لا يستلزم تعدد الموصوف، فهذه دعوى لا حجة لها.

٦٦٥- وَاللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ مُتَكَلِّمٌ بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
فهو متكلمٌ بالنقل، والأدلة في هذا كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وفي السنة: «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ»^(١).
أما العقل، فنقول: أيعقل أن يكون أمرًا ناهيًا بلا كلام؟! لا يعقل، فالأمر هو الذي يقول: (افعل)، والناهي هو الذي يقول: (لا تفعل)، وكلام الله تعالى ثابت بالعقل من وجوه منها:
■ ما سبق أن الكلام كمال.

■ ومنها: أننا إذا قلنا بعدم الكلام بطل الأمر والنهي، إذ لا أمر ولا نهي إلا بكلام، بل يبطل حتى القدر، لأن كل شيء كائن من المخلوقات فهو بقول الله: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

فالله متكلمٌ بالنقل والعقل والبرهان، فالنقل والعقل كلاهما دليل، والبرهان وصف الدليل، ويعنى بالبرهان ما هو برهان على الشيء، وأثبتته بدون احتمال،

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾، برقم (٧٠٠٥).

فكُلِّمًا كَانَ الدَّلِيلُ صَرِيحًا وَاضِحَ الدَّلَالَةِ سُمِّيَ بِرَهَانًا.

٦٦٦- قَدْ أَجْمَعَتْ رُسُلُ الإِلَهِ عَلَيْهِ لَمْ يُنْكِرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ

ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ الرُّسُلَ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْكَرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ، وَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: «لَمْ يُنْكِرْهُ» يَعْنِي: لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ رَجُلَانِ، وَإِنَّمَا قُلْنَا ذَلِكَ لِثَلَاثِ أَسْبَابٍ: وَأَنْكَرَهُ رَجُلٌ، لِأَنَّ نَفْيَ الْإِثْنَيْنِ لَا يَمْنَعُ، وَلَكِنَّ مَرَادَهُ بِقَوْلِهِ: «لَمْ يُنْكِرْهُ مِنْ أَتْبَاعِهِمْ رَجُلَانِ» أَي: لَمْ يَخْتَلَفْ فِيهِ رَجُلَانِ، فَكُلُّ أَتْبَاعِ الرُّسُلِ مُجْمَعُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ.

٦٦٧- فَكَلَامُهُ حَقًّا يَقُومُ بِهِ وَإِلَّا لَأَلَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِقُرْآنِ

أَي: كَلَامَ اللَّهِ حَقٌّ مُتَعَلِّقٌ بِذَاتِهِ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، وَلَوْ لَمْ نَقُلْ: إِنَّ كَلَامَهُ قَائِمٌ بِذَاتِهِ، لَمْ يَكُنْ مُتَكَلِّمًا بِالْقُرْآنِ، وَمَا صَحَّ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، لِأَنَّ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَهُ غَيْرُ قَائِمٍ بِهِ، يَجْعَلُونَ كَلَامَهُ إِمَّا لِجَبْرِيلَ أَوْ مُحَمَّدٍ أَوْ الْهَوَاءِ، فَلَا يَجْعَلُونَ الْكَلَامَ كَلَامَ اللَّهِ، وَعَلَى رَأْيِهِمْ نَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٦٦٨- وَاللَّهُ قَالَ وَقَائِلٌ وَكَذَا يَقُولُ الْحَقُّ لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَائِي

٦٦٩- وَيُكَلِّمُ الثَّقَلَيْنِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ حَقًّا فَيَسْمَعُ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

٦٧٠- وَكَذَا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضْوَانِ

٦٧١- وَكَذَا يُكَلِّمُ رُسُلَهُ يَوْمَ اللِّقَاءِ حَقًّا فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ التَّبَيَّانِ

٦٧٢- وَيُرَاجِعُ التَّكْلِيمَ جَلَّ جَلَالُهُ وَوَقَّتَ الْجِدَالَ لَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ

- ٦٧٣- وَيُكَلِّمُ الْكُفَّارَ فِي الْعَرَصَاتِ تَوْ
 ٦٧٤- وَيُكَلِّمُ الْكُفَّارَ أَيضًا فِي الْجَحِيحِ
 ٦٧٥- وَاللَّهُ قَدْ نَادَى الْكَلِيمَ، وَقَبْلَهُ
 ٦٧٦- وَأَتَى النَّدَا فِي تِسْعِ آيَاتٍ لَهُ
 ٦٧٧- وَكَذَا يُكَلِّمُ جَبْرَيْلَ بِأَمْرِهِ
 ٦٧٨- وَادَّكُرَ حَدِيثًا فِي صَحِيحِ مُحَمَّدٍ
 ٦٧٩- فِيهِ نِدَاءُ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِنَا
 ٦٨٠- هَبْ أَنْ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِثَابِتٍ
 ٦٨١- وَرَوَاهُ عِنْدَكُمْ الْبُخَارِيُّ الْمُجَسَّدُ
 ٦٨٢- أَيَصِحُّ فِي عَقْلِ وَفِي نَقْلِ نِدَا
 ٦٨٣- أَمْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْعُقَلَاءُ مِنْ
 ٦٨٤- أَنَّ النَّدَا الصَّوْتُ الرَّفِيعُ وَضِدُّهُ
 ٦٨٥- وَاللَّهُ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ حَقِيقَةً
- بِيْحًا وَتَقْرِيبًا بِأَلَا غُفْرَانَ
 سِمِ أَنْ ﴿أَخَشَوْا فِيهَا﴾ بِكُلِّ هَوَانٍ
 سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ
 وَضَفًّا فَرَجَعَهَا مِنْ الْقُرْآنِ
 حَتَّى يُنْقِذَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ
 ذَاكَ الْبُخَارِيُّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 بِالصَّوْتِ يَبْلُغُ قَاصِيًا وَالْدَّانِ
 بَلْ ذِكْرُهُ مَعَ حَذْفِهِ سَيَّانِ
 سِمِ بَلْ رَوَاهُ مُجَسَّدٌ فَوْقَانِي
 لَيْسَ مَسْمُوعًا لَنَا بِأَذَانِ
 أَهْلِ اللِّسَانِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ
 فَهُوَ النَّجَاءُ كِلَاهُمَا صَوْتَانِ
 هَذَا الْحَدِيثُ وَ مُحْكَمُ الْقُرْآنِ

الشرح

- ٦٦٨- وَاللَّهُ قَالَ وَقَائِلٌ وَكَذَا يَقُولُ الْحَقُّ لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَانِي قَوْلُهُ: «قَالَ» يشير إلى الزمن الماضي، يعني: أنه يتكلم في الزمن الماضي.

قَوْلُهُ: «قَائِلٌ» يعني: الزمن الحاضر.

قَوْلُهُ: «يَقُولُ» في الزمن المستقبل.

فالمؤلف - رحمه الله - أتى بالفعل والوصف، فالفعل: (قال) و(يقول) والوصف: (قَائِلٌ) فهو - سبحانه - فاعلٌ للقول موصوفٌ به.

قَوْلُهُ: «يَقُولُ الْحَقُّ لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَانِي»، لأنه كما أنه لا أوَّلَ له يكون لا آخِرَ له، فالله عزَّ وجلَّ لم يزل ولا يزال متكلِّمًا، فالله لا يَفْنَى كَلَامُهُ، قال الله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧]، فلو جُمِعَ كُلُّ ما في الأرض من الأشجار وجُعل أقلامًا، وجُعل البحر ومن ورائه سبعةُ أبْحُرٍ مِدَادًا ما نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ، فتتكسر الأقلام، وينفد المداد ولم تنفد كلماتُ الله عزَّ وجلَّ لأنه لم يزل ولا يزال متكلِّمًا خالقًا بما يشاء.

وقد تقدَّم قولُ ابن القيم - رحمه الله - ما الذي جعله متكلِّمًا بعد أن كان لا يتكلَّم؟ وكذلك ما الذي جعله يشاء الكلام ويتكلَّم بعد أن لم يكن كذلك؟!!

٦٦٩- وَيُكَلِّمُ الثَّقَلَيْنِ يَوْمَ مَعَادِهِمْ حَقًّا فَيَسْمَعُ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «الثقلان» يعني: الجنَّ والإنس، يكلمهم الله عزَّ وجلَّ ويسمعه الثقلان، وقد وردَ ذلك في أحاديث.

٦٧٠- وَكَذَا يُكَلِّمُ حِزْبَهُ فِي جَنَّةِ الْـ حَيَّوَانِ بِالتَّسْلِيمِ وَالرِّضْوَانِ

يُكَلِّمُ عزَّ وجلَّ أهل الجنة، ويسألهم كما في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ

الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَنَا مَا لَمْ نُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ!! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ. قَالُوا: يَا رَبَّنَا فَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَحَلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا^(١). وهذا كلام صريح.

٦٧١- وَكَذَا يُكَلِّمُ رُسُلَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَقًّا فَيَسْأَلُهُمْ عَنِ التَّيْبَانِ

قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [الأعراف: ٦]، يسأل الرسل حتى يقيم الحجّة على الأمم، هل بيّنتم؟ هل بلغتم؟ فيجيبون.

٦٧٢- وَيُرَاجِعُ التَّكْلِيمَ جَلَّ جَلَالُهُ وَقَتَّ الْجِدَالَ لَهُ مِنَ الْإِنْسَانِ

فإن الله تعالى يخلو بعبده المؤمن، ويقرره بذنوبه حتى يُقرّها بها.

وابن القيم - رحمه الله - هنا لم يذكر الدليل على أنه - سبحانه وتعالى - يراجع التكليم عند الجدل، لكن لعلنا نذكره فيما بعد إن شاء الله.

٦٧٣- وَيُكَلِّمُ الْكُفَّارَ فِي الْعَرَصَاتِ تَوْبِيحًا وَتَقْرِيعًا بِأَلَا غُفْرَانَ

قوله: «يُكَلِّمُ الْكُفَّارَ» أي: يكلمهم عزّ وجلّ كما قال: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ [القصص: ٦٢]، فيوبخهم، أين الشركاء الذين تزعمونهم مع الله؟ قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [القصص: ٦٥].

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، برقم (٧٠٨٠)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، برقم (٢٨٢٩).

٦٧٤- وَيُكَلِّمُ الْكُفَّارَ أَيضًا فِي الْجَحِيمِ - مِمَّ أَنْ اخْسَأُوا فِيهَا بِكُلِّ هَوَانٍ

وذلك حينما يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧]، فيقول الله عز وجل: ﴿اخْسَأُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُوا﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، اخسأوا: أي ذلوا، حيث يُلقَى عليهم الهوان والذل، والعياذ بالله.

٦٧٥- وَاللَّهُ قَدْ نَادَى الْكَلِيمَ، وَقَبْلَهُ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ نَادَى الْكَلِيمَ» يعني: موسى - عليه السلام - قال الله عز وجل: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْأَبْوَانِ» أي: آدم وحواء، قال الله تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رُبُّمَا آتَمَّ أَنهَمَا عَنِ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقْلَلْ لَكُمَا إِنَّا الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ [الأعراف: ٢٢].

٦٧٦- وَأَتَى النَّدَا فِي تِسْعِ آيَاتٍ لَهُ وَصَفًا فَرَجِعَهَا مِنَ الْقُرْآنِ

تسع مواضع كلها صرح الله فيها بالنداء في القرآن.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: إنها تسع، وهي وإن كانت عند العدِّ أحد عشر موضعًا، لكن لعله - رحمه الله - يكتفي بمناداة موسى، وإن تعددت الآيات يجعلها واحدًا.

٦٧٧- وَكَذَا يُكَلِّمُ جِبْرِيلَ بِأَمْرِهِ حَتَّى يُنْفِذَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ

يعني: أن الله يناجي جبريل بأمره، فينفذه جبريل بكل مكان.

٦٧٨- وَأَذْكَرُ حَدِيثًا فِي صَحِيحِ مُحَمَّدٍ ذَاكَ الْبُخَارِيِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «محمد» يعني: ابن إسماعيل البخاري - رحمه الله - ووصفه المؤلف

بقوله: (ذَلِكَ الْعَظِيمِ الشَّانِ) ويحتمل أن هذا وصف للصحيح، فإن كان للصحيح فهو وصف للكتاب، وإذا كان الكتابُ عظيمَ الشانِ فالمؤلف كذلك، وإن كان الوصف للمؤلف بأنه عظيم الشان، فكذلك الكتاب، فهما متلازمان.

٦٧٩- فِيهِ نِدَاءُ اللَّهِ يَوْمَ مَعَادِنَا بِالصَّوْتِ يَبْلُغُ قَاصِيَا وَالِدَانِي

وذلك أن الله -تبارك وتعالى- يقول: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرَّتَيْكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ. قَالَ: يَا رَبِّ وَمَا بَعَثُ النَّارِ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى، وَمَا هُمْ بِسُكَارَى، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ». والحديث أخرجه البخاري، ولهذا قال ابن القيم في النونية:

يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا بِالْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا اثْنَانِ

قَوْلُهُ: «يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ» يعني: الجنة.

لما حَدَّثَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- بهذا الحديثِ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرُجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ». فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١).

والشاهد أنه ينادي بصوت.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير سورة الحج، برقم (٤٤٦٤).

٦٨٠- هَبْ أَنْ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِثَابِتٍ بَلْ ذِكْرُهُ مَعَ حَذْفِهِ سَيِّانٌ

قَوْلُهُ: «هَذَا اللَّفْظُ» يعني: لفظ (بصوت) الذين أنكروا أن يكون كلام الله بصوت قالوا: (فينادي بصوت) هذا غير ثابت، وأنَّ الثابت (فينادي) فقط، لأنَّ الذين يقولون: إنَّ الكلام هو المعنى القائم بالنفس، لا يقولون: بصوت، والذين يقولون: إنه خلقه، لا يقولون: بصوت، هم يَدَّعُونَ أَنَّ الله ليس له صوت.

فابن القيم يقول: «هَبْ أَنَّهُ لَيْسَ بِثَابِتٍ بَلْ ذِكْرُهُ مَعَ حَذْفِهِ سَيِّانٌ» يعني: حتى وإن لم يثبت فالصوت معلوم من النداء.

وَقَوْلُهُ: «هَبْ أَنْ» يقول: النحويون -وعلى رأسهم الحريري-: إنَّ هذا من لحن الفقهاء -أي: قولهم: هَبْ أَنْ- وأنَّ الصوابَ حَذْفُ (أَنَّ)، يعني: لا تقل: (هَبْ أَنْ زَيْدًا قَائِمًا)، ولكن قل: (هَبْ زَيْدًا قَائِمًا)، لأنَّ (هَبْ) من أخوات (ظَنَّ).

لكن هذا مطرَّدٌ عند الفقهاء، بل عند العلماء، (هَبْ أَنْ هَذَا كَذَا) لا ينكره أحد، وإذا قُدِّرَ أن هذا لا يصحُّ لغةً، فهو حقيقة عرفية في لغة العلماء.

٦٨١- وَرَوَاهُ عِنْدَكُمْ الْبُخَارِيُّ الْمُجَسِّمُ سِمٌ بَلْ رَوَاهُ مُجَسِّمٌ فَوْقَانِي

قَوْلُهُ: «مُجَسِّمٌ فَوْقَانِي» الْمُجَسِّمُ الْفَوْقَانِي هُوَ أَعْلَى طَبَقَاتِ السَّنَدِ، وَهُوَ الصَّحَابِيُّ، فَالصَّحَابِيُّ عِنْدَهُمْ مُجَسِّمٌ، بَلِ النَّبِيُّ ﷺ مُجَسِّمٌ عِنْدَهُمْ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ هُوَ الَّذِي حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ.

فهم يقولون: إذا أثبتنا أن كلامه بصوت صار له جسم، فالبخاري مُجَسِّمٌ.

نقول: لا، البخاري ليس وحده مُجَسِّمًا، بل النَّبِيُّ ﷺ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- مُجَسِّمٌ، لأنه هو الذي قال ذلك.

والبخاري مجسّم، ولهذا يصفون أهل السنة بأنهم مجسّمة حشويّة نوابت والمجسّم هو الذي يقول: إنَّ الله جسّم، والحشويُّ الذي على الحواشي والأطراف، يعني: ليسوا من صُلب الأمة، بل هم حواشي الأمة لا خير فيهم، والنوابت هي ما يَبْتُتُ في الزرع من الشجيرات التي تُرْمَى وليس فيها خير، ويسمونهم الغُثَاء.

لكن هل يُمنع هذا؟ الذين كذَّبوا الرسل قالوا للرسل: (ساحر ومجنون) قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، ولم يضرُوا الرسل شيئاً.

٦٨٢- أَيَصِحُّ فِي عَقْلِ وَفِي نَقْلِ نِدَا ۚ لَيْسَ مَسْمُوعًا لَنَا بِأَذَانِ
الجواب: لا يَصِحُّ، لو فرضنا أننا حذفنا كلمة: (بصوت) وقلنا: (فَيُنَادِي):
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ) فهذا كافٍ في إثبات الصوت، وليس لازماً.

٦٨٣- أَمْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ وَالْعُقَلَاءُ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ وَأَهْلِ كُلِّ لِسَانِ
يعني: لسان العربية، وأهل كل لسان غير العربية.

٦٨٤- أَنَّ النَّدَا الصَّوْتُ الرَّفِيعُ وَضِدُّهُ فَهُوَ النَّجَاءُ كِلَاهُمَا صَوْتَانِ

٦٨٥- وَاللَّهُ مَوْصُوفٌ بِذَلِكَ حَقِيقَةً هَذَا الْحَدِيثُ وَمُحْكَمُ الْقُرْآنِ

فقد وصف الله نفسه بذلك في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَنَدَّيْتَهُ مِنْ جَانِبِ
الْطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، هذا من البُعد ﴿وَقَرَّيْتَهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، هذا من الدُّنْوِ،
وهل يُعقل نداءً بلا صوت؟ أو مُناجاةً بلا صوت؟ الجواب: لا، لكنَّ النداء
صوتٌ رفيعٌ، والمناجاة صوتٌ خفيٌّ، إذن ثبت أن الله يتكلّم بصوت.

- ٦٨٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ مَسْعُودٍ صَرِيحًا أَنَّهُ ذُو أَحْرَفٍ بِبَيَانِ
 ٦٨٧- الْحَرْفُ مِنْهُ فِي الْجَزَاءِ عَشْرٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا فِيهِنَّ مِنْ نُقْصَانِ
 ٦٨٨- وَانظُرْ إِلَى السُّورِ الَّتِي افْتَتَحَتْ بِأَحْرِفِهَا تَرَى سِرًّا عَظِيمَ الشَّانِ
 ٦٨٩- لَمْ يَأْتِ قَطُّ بِسُورَةٍ إِلَّا أَتَى فِي إِثْرِهَا خَبْرٌ عَنِ الْقُرْآنِ
 ٦٩٠- إِذْ كَانَ إِخْبَارًا بِهِ عَنْهَا، وَفِي هَذَا الشِّفَاءِ لَطَالِبِ الْإِيمَانِ
 ٦٩١- وَيَدُلُّ أَنَّ كَلَامَهُ هُوَ نَفْسُهَا لَا غَيْرَها وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ
 ٦٩٢- فَانظُرْ إِلَى مَبْدَأِ الْكِتَابِ وَبَعْدَهَا أَلِفًا
 ٦٩٣- مَعَ تَلْوِهَا أَيْضًا وَمَعَ ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿يَس﴾ وَافْهَمْ مُقْتَضَى الْفَرْقَانِ

الشرح

- ٦٨٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ مَسْعُودٍ صَرِيحًا أَنَّهُ ذُو أَحْرَفٍ بِبَيَانِ
 ٦٨٧- الْحَرْفُ مِنْهُ فِي الْجَزَاءِ عَشْرٌ مِنَ الْحَسَنَاتِ مَا فِيهِنَّ مِنْ نُقْصَانِ
 يقول - رحمه الله - في الاستدلال على أن كلام الله بحرف: اذكر هذا الحديث الذي رواه ابن مسعود^(١) أن القرآن ذو أحرف، للحرف منه في الجزاء عشر من الحسنات ما فيهن من نقصان، ووجه ذلك أن الحسنات بعشر أمثالها، وهو حديث:

(١) ابن مسعود: هو عبد الله بن مسعود الهذلي، الصحابي الجليل، أسلم قديماً، ولازم النبي ﷺ، وكان صاحب نعليه وسواكبه، ومن أشبه الناس به في هديه وسمته وكلامه، توفي في المدينة سنة (٥٣٢هـ)، وذكر في مختصر صفوة الصفوة أن عمره ثلاث وستون سنة. [الشارح]. وانظر: تقريب التهذيب (ص: ٥٣٣).

«مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: ﴿الذَّكَرُ﴾ حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ»^(١)، وهذا صريح في أن القرآن حروف.

٦٨٨- وَأَنْظُرُ إِلَى السُّورِ الَّتِي افْتَتَحَتْ بِأَحَدٍ رُفُهَا تَرَى سِرًّا عَظِيمَ الشَّانِ

يعني: انظر إلى السور التي افتتحت بالأحرف الهجائية ترى سِرًّا عظيم الشان، وهذه الأحرف اختلف العلماء فيها على أقوال:

القول الأول: الله أعلم بها، ولا نقول شيئاً.

ومنهم من قال: إنها رموز وإشارات، إما إلى بقاء الأمة الإسلامية، أو إلى حروب، أو غير ذلك.

ومنهم من قال: إنها أسماء للسور التي ابتدأت بها.

ومنهم من قال: إنه لا معنى لها.

والفرق بين هذا القول والأول: أن الأول مُتَوَقَّفٌ، ويقول: (الله أعلم بما أراد)، وهذا يجزم بأنه ليس لها معنى، وهذا القول أَصَحُّ الأقوال.

وجه رجحانه: أن القرآن الكريم نزل بلغة العرب كما قال الله تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]، وأنَّ العربَ لا يجعلون لهذه الحروف الهجائية معنى، وعلى هذا فنجزم بأنه لا معنى لها في حدِّ ذاتها، لكن لها مغزى.

أما إذا قلنا: (الله أعلم بما أراد) فمعنى ذلك أنه يحتمل أن لها معنى، وهذا الاحتمال غير وارد ما دام القرآن باللغة العربية.

(١) أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، برقم (٢٩١٠).

فإذا قال قائل: أيُّ فائدةٍ لنا بحروفٍ ليس لها معنى، والقرآن الكريم أعظم الكلام، فكيف يكون فيه ما ليس له معنى؟

الجواب: هنا يتبيّن قول الناظم رحمه الله: (تَرَى سِرًّا عَظِيمَ الشَّانِ) يعني: أن وجود هذه الحروف الهجائية له سِرٌّ عظيم، أشار إليه بقوله.

٦٨٩- لَمْ يَأْتِ قَطُّ بِسُورَةٍ إِلَّا أَتَى فِي إِثْرَهَا خَبْرٌ عَنِ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «لَمْ يَأْتِ قَطُّ بِسُورَةٍ» يعني: لم تأتِ هذه الحروف إِلَّا أتى في إثرها خبرٌ عن القرآن أي: ذكرٌ للقرآن.

ففي البقرة: ﴿آلَ ١﴾ ذَلِكَ أَنْكَتَبَ لَا رَبِّبَ فِيهِ ﴿البقرة: ١-٢﴾، وفي آل عمران: ﴿آلَ ١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴿آل عمران: ١-٣﴾، وبعدها الأعراف: ﴿الْمَصَّ ١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴿الأعراف: ١-٢﴾، بعد ذلك يونس، وهود، ويوسف، والرعد، وإبراهيم، والحجر، كلها يُذكر بعدها الكتاب.

ثمَّ في مريم وطه.

ففي مريم قوله تعالى: ﴿كَهَيْعَصَ ١﴾ ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿مريم: ١-٣﴾ هنا قد تقول: أين ذكر القرآن؟ نقول: ذكر القرآن هو بهذا الخبر الذي لا يُعلم إِلَّا بالوحي، فلا يعلم أحد قصص الأنبياء في عهد الرسول ﷺ إِلَّا عن طريق الوحي!؟

وفي طه: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿طه: ١-٢﴾.

بعد ذلك (ذوات طس) ففي الشعراء: ﴿طسَمَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بِنِعْمِ نَفْسِكَ ﴿الشعراء: ١-٣﴾، وفي النمل: ﴿طسَّ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿

[مریم: ١]، وفي القصص: ﴿طَسَّ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ [القصص: ١-٢].

وكذلك في العنكبوت: ﴿آلَمْ ۝١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَأَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢]، فهذا خبر عما مضى لا يُعَلَّمُ إِلَّا عن طريق الوحي.

ومثلها في الروم: ﴿آلَمْ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ [الروم: ١-٣].

وكذلك لو قال قائل: في ﴿آلَمْ ۝١ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَأَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١-٢] وكذلك في أول سورة الروم: ﴿آلَمْ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢﴾ في أَدْنَى الْأَرْضِ ﴿ [الروم: ١-٣] لم يأت فيها ذكر عن القرآن؟

نقول: نعم، فقوله تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَأَمْنًا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢]، صحيح أنه ليس فيه ذكر القرآن، لكن فيه ذكر أهل القرآن أنهم يصبرون على الأذى، ولهذا قال بعد ذلك: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣].

أما قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ ففيه خبرٌ عن أمرٍ غيبي، وهذا لا يكون إِلَّا عن طريق الوحي، والفُرْسُ في ذلك الوقت كانت لهم الدولة والقوة والعزة، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ في بَضْعِ سِنِينَ ﴿ [الروم: ٣-٤]، وهذا لا يُعَلَّمُ إِلَّا عن طريق الوحي.

وفي لقمان: ﴿آلَمْ ۝١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١-٢]، وفي تنزيل السجدة: ﴿آلَمْ ۝١ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [السجدة: ١-٢] وهلمَّ جَرًّا.

إِذْ هذا السر هو أَنَّ هذا الكلام الذي أعجز العرب -وهم أمراء الفصاحة- والبلغاء إنما جاء بهذه الحروف، لم يأت بحروف جديدة، لثلا يقولوا: نحن -والله- لا نعرف الحروف التي جيء بها، بل جاء بهذه الحروف.

قال الناظم - رحمه الله -:

٦٩٠- إِذْ كَانَ إِخْبَارًا بِهِ عَنْهَا، وَفِي هَذَا الشِّفَاءِ لِطَالِبِ الْإِيمَانِ

٦٩١- وَيَدُلُّ أَنَّ كَلَامَهُ هُوَ نَفْسُهَا لَا غَيْرَهَا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ

هذا هو السر العظيم الذي يجهله كثير من الناس.

٦٩٢- فَانظُرْ إِلَى مَبْدَأِ الْكِتَابِ وَبَعْدَهَا أَلْ أَعْرَافُ، ثُمَّ كَذَا إِلَى لُقْمَانَ

٦٩٣- مَعَ تَلْوِهَا أَيْضًا وَمَعَ ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿يَسَّ﴾ وَأَفْهَمُ مُقْتَضَى الْفَرْقَانِ

قَوْلُهُ: «مَبْدَأُ الْكِتَابِ» أَي: (البقرة).

وَقَوْلُهُ: «بَعْدَهَا الْأَعْرَافِ» يَعْنِي: انظر إلى الأعراف، وليس المعنى أَنَّ

(الأعراف) بعد البقرة، لأنَّ بينها (آل عمران).

فالمؤلف ترك بعضًا مثل (آل عمران) إِلَّا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ (آل عمران) مثل

(البقرة) مبدوءة بـ (الم)، لكن الظاهر أنه - رحمه الله - ما أراد الاستقصاء، فهناك

أيضًا في (ق)، و(ص)، و(ن).

إِذْنِ الْمُؤَلِّفِ - رحمه الله - ما أراد الحصر، إنما أتى بشيء للتمثيل فقط، لكن

المعنى: إذا نظرت إلى هذه فانظر إلى هذه.

قَوْلُهُ: «إِلَى لُقْمَانَ مَعَ تَلْوِهَا أَيْضًا» وَهِيَ تَنْزِيلُ السَّجْدَةِ.

قَوْلُهُ: «وَمَعَ ﴿حَمَّ﴾ مَعَ ﴿يَسَّ﴾» وَالْمُرَادُ بِـ (حَم) الْجِنْسُ، فَيَشْمَلُ كُلَّ

ذَوَاتِ (حَم). وَقَوْلُهُ: «مَعَ ﴿يَسَّ﴾» أَي: ففِيهَا أَيْضًا.

الشرح

٦٩٤- وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوصِيَّ أَمِيرٍ نَاهٍ مُنْبِئٌ مُرْسِلٌ لِبَيَانِ

٦٩٥- وَمُخَاطَبٌ وَمُحَاسِبٌ وَمُنْبِئٌ وَمُحَدِّثٌ وَمُخَبِّرٌ بِالشَّانِ

٦٩٦- وَمُكَلِّمٌ مُتَكَلِّمٌ بَلْ قَائِلٌ وَمُحَذِّرٌ وَمُبَشِّرٌ بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُوصِيَّ أَمِيرٍ» ففي القرآن قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُؤْمَرْ بِهِ﴾

[الأنعام: ١٥١].

قَوْلُهُ: «أَمِيرٍ» والأوامر في القرآن كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ

وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

قَوْلُهُ: «نَاهٍ» أيضا النواهي كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾

[النساء: ٣٦].

قَوْلُهُ: «مُنْبِئٌ» أي: مُخْبِرٌ من نَبَأٍ إذا أَخْبَرَهُ، وأخبار القرآن كثيرة، وفي نسخة

(مُثَبِّبٌ) يعني: أَنْ مَنْ أَمَثَلَ أَمْرَهُ أَثَابَهُ، ولكن (مُثَبِّبٌ) لا علاقة لها بالكلام، ففي

الواقع الذي يتعلَّق بالكلام هو الإنباء.

وَقَوْلُهُ: «مُرْسِلٌ» مثل قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ [النبا: ١-٢]

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧].

قَوْلُهُ: «مُرْسِلٌ» الدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١١٩].

قَوْلُهُ: «وَمُخَاطَبٌ» (مُخَاطَبٌ) ليست في القرآن بلفظها، لكن بمعناها، فهو

يَتَكَلَّمُ مع موسى، يقول تعالى: ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوْسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾

قَالَ خُذْهَا﴾ [طه: ١٩-٢١] وهذا خطاب.

قَوْلُهُ: «وَمُحَاسِبٌ» (محاسب) هذه -عندي- محل إشكال، لأنَّ المحاسبة ليست في القرآن، يعني: أنه يحاسب الناس في القرآن، لكن قد يقول قائل: المحاسبة وإن كانت في الآخرة فهي قول، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبَدُّوْا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

قَوْلُهُ: «وَمُنْبِيٌّ» حينئذ يكون كلام المؤلف فيه تكرار على النسخة التي عندي، لأنَّ (مُنْبٍ) هي (مُنْبِيٌّ) ولا فرق.

أما على النسخة التي عندنا (مُنْبٍ) فيكون الفرق بين (مُنْبِيٌّ، وَمُنْبٍ) أنَّ (مُنْبِيٌّ) من أنباء، و(مُنْبٍ) من نبأ، وهما في اللغة العربية معناهما واحد، ولا مانع أن الإنسان يُكْرَر اللفظة إذا اختلف اللفظ، رأيتم قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَهَلِ الْكٰفِرِيْنَ اٰمٰهَلَهُمْ رُوْدًا﴾ [الطارق: ١٧] هما كلمتان معناهما واحد لكن اختلفا في الحروف.

قَوْلُهُ: «مُحَدَّثٌ» قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] فهو مُحَدَّثٌ، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾ [الأنبياء: ٢].

لكن من أين أخذنا أنه مُحَدَّثٌ من الآية؟ الجواب: مُحَدَّثٌ مأخوذ من قوله: ﴿تُحَدِّثُ﴾ أي: جديد، فهذا الذكر إن كان مُحَدَّثًا فقد قاله وحَدَّث به.

قَوْلُهُ: «وَمُحَبَّرٌ بِالشَّانِ» هو أيضا مُحَبَّرٌ ومُحَبَّرٌ، لأنَّ جميع الجمل الخبرية تعتبر خبرًا من الله -تبارك وتعالى- مثل قوله تعالى: ﴿يَكَايْهَا النَّاسُ إِنْ كُتِبَ فِي رَبِّ مِّنَ الْبَعَثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥].

قَوْلُهُ: «وَمُكَلِّمٌ مُّتَكَلِّمٌ» مُكَلِّمٌ قال الله تعالى بالنسبة لموسى -عليه السلام-: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

والغريب أن الذين ينكرون الكلام يقولون: معنى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ أي: جَرَّحَهُ بِمَعْنَى الْجَرْحِ، أي: جَرَّحَهُ بِمُخَالَفِ الْحِكْمَةِ.

سبحان الله! وهذا لا شك أنه قولٌ على الله بلا علم، وليس بلائِقٍ إطلاقاً.
قَوْلُهُ: «مُتَكَلِّمٌ» أيضاً هو متكلمٌ عموماً، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

قَوْلُهُ: «بَلْ قَائِلٌ» قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥]،
﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، والآيات في هذا كثيرة.

قَوْلُهُ: «وَمُحَدِّثٌ» قال الله تعالى: ﴿وَيُحَدِّثُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قَوْلُهُ: «وَمُبَشِّرٌ» قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْنَهُ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ﴾ [الصافات: ١٠١]،
(وعليم) أيضاً.

قَوْلُهُ: «بِأَمَانٍ» أي: مُؤْمِنٌ لِمَنْ بَشَّرَهُ.

فإن قال قائل: وهل يجوز أن نُسَمِّيَ شَخْصًا بـ(عبد المُخَبَّر) أو (عبد المُبَشِّر) إلى آخر ذلك من هذه الأوصاف السابقة التي يُوصف الله بها؟

الجواب: الظاهر أن هذا للأسماء فقط، إلا الوصف الذي لا يُوصف به سوى الله - عزَّ وجلَّ - فيجوز كـ(رَبِّ العالمين)، و(أرحم الراحمين)، وما أشبه ذلك.

٦٩٧- هَادٍ يَقُولُ الْحَقَّ يُرْشِدُ خَلْقَهُ بِكَلَامِهِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «هَادٍ يَقُولُ الْحَقَّ يُرْشِدُ خَلْقَهُ» هَادٍ، لقول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قَوْلُهُ: «يَقُولُ الْحَقُّ» كقوله تعالى: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ [سبأ: ٢٣] أي قالوا: قال الحق.

قَوْلُهُ: «يُرْشِدُ خَلْقَهُ» لقوله تعالى: ﴿يَسِّرُنَا اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، وضد الضلال الرُّشْد.

قَوْلُهُ: «بِكَلَامِهِ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ» يعني: أنه عزَّ وجلَّ يُرْشِدُ الخلق بكلامه، فيقول: افعلوا كذا، لا تفعلوا كذا.

٦٩٨- فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ فَكُلُّ هـَذَا مُتَّفِقٌ مُتَحَقِّقٌ الْبُطْلَانِ

يعني: إذا لم يكن يتكلَّم فليس بمُحَدِّث، ولا مُخْبِرٍ ولا مرشد... إلخ، كل هذا ينتفي عن الله عزَّ وجلَّ.

يقول - رحمه الله تعالى -: إذا انتفت صفة الكلام انتفى الوحي والرسالة، لأنَّ الوحي خبرٌ وإرسال ووصية وغير ذلك، فهذه كُلُّهَا تنتفي إذا انتفت صفة الكلام، ووجه ذلك: كيف يكون مخبرًا؟ كيف يكون أمرًا ناهيًا بلا كلام؟! هذا لا يمكن.

كذلك أيضا إذا انتفت صفة الكلام انتفت صفة الرسالة، لأنَّ الرسول يُبَلِّغُ كَلَامَ مَنْ أَرْسَلَهُ، فيقول: قال ربكم، قال الله، فإذا انتفت صفة الكلام انتفت الرسالة.

٦٩٩- وَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ كَذَلِكَ أَلْ-إِرْسَالُ مَنْفِيٍّ بِإِلْفِرْقَانِ

يعني: ينتفي أيضا إرسال الرسل، لأنَّ إرسال الرسل لا بدَّ أن يكون بوحي، والوحي لا يكون إلا كلامًا.

٧٠٠- فَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ تَبْلِيغٌ كَلَامِ الْمُرْسَلِ الدَّاعِي بِلَا نَقْصَانٍ

هذه هي الرسالة: أن يُبَلِّغَ كَلامَ الذي أرسله بلا نقصان، يعني: وبلا زيادة.

٧٠١- وَحَقِيقَةُ الْإِرْسَالِ نَفْسُ خِطَابِهِ لِلْمُرْسَلِينَ وَأَنَّهُ نَوْعَانِ

نعم، حقيقة الإرسال أنه يخاطبُ المرسلين، ويقول: بَلِّغُوا كَذَا وَكَذَا، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَلُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، لكن يقول: إنه نوعان:

٧٠٢- نَوْعٌ بَغَيْرِ وَسَاطَةِ كَلَامِهِ مُوسَى وَجِبْرِيلَ الْقَرِيبَ الدَّانِي

هذا مثال، والمثال لا يقتضي الحصر، يكون بلا واسطة ككلامه موسى، قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال: ﴿وَنَدَيْتُهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْتُهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢]، وكذلك أيضا كلام الله تعالى لمحمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ليلة المعراج، فإنَّ الله كلمه بلا واسطة، وفرض عليه الصلوات خمسين صلاة بلا واسطة، وحصلت المراجعة بينه وبين الله عَزَّ وَجَلَّ بلا واسطة.

٧٠٣- مِنْهُ إِلَيْهِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِهِ إِذْ لَا تَرَاهُ هَاهُنَا الْعَيْنَانِ

يعني أَنَّ الله -سبحانه وتعالى- يكلمهم من وراء حجاب بلا واسطة، يسمعون كلامه لكن «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ^(١) مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢). أي: أحرقت كلَّ شيء، لأنَّ بصره محيطٌ بكلِّ شيء،

(١) أي: نُورُهُ وَجَلالُهُ وَبَهائُهُ. انظر: صحيح مسلم بشرح النووي (٣١٩/١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا ينام» وفي قوله:

«حجابه النور»، برقم (١٧٩).

فالمعنى أنها أحرقت كل شيء، وليس المعنى أن هناك شيئاً لا ينتهي إليه بصر الله، لأننا نعلم علم اليقين أن بصر الله محيط بكل شيء، فهذا من باب المبالغة.

قوله: «إِذْ لَا تَرَاهُ هَا هُنَا الْعَيْنَانِ» إشارة إلى الدنيا يعني أنه في الدنيا لا يراه الناس، وأما في الآخرة فإنهم يرون الله، كما في الحديث: قَالَ أَنَسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟». قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ»^(١).

٧٠٤- وَالْآخِرُ التَّكْلِيمُ مِنْهُ بِالْوَسَا طَةِ، وَهُوَ أَيُّضًا عِنْدَهُ ضَرْبَانِ

٧٠٥- وَوَحْيٍ وَإِرْسَالٍ إِلَيْهِ وَذَلِكَ فِي الشُّ شُورَى أَتَى فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ

الآخر التكليم بواسطة، وهو نوعان: وحي، وإرسال، قال الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِي حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه﴾ [الشورى: ٥١].

قوله: «وَحْيٍ» أي: يُلهمُّ الوحي بواسطة الرسول.

قوله: «وَإِرْسَالٍ» الإرسال: يأتيه الرسول الذي هو الملك يأتيه مباشرة، فأحياناً يأتيه الملك على صورة إنسان أو على الصورة التي خلق عليها، فجبريل -عليه السلام- أتى النبي ﷺ على الصورة التي خلق عليها مرتين: مرة وهو في غار حراء، ومرة وهو عند سدره المنتهى، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، برقم (٦٢٠٤).

عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿ [النجم: ١٣-١٤]، فصارت أنواع الوحي الآن ثلاثة:

الأول: وحي بلا واسطة.

الثاني: وحي بواسطة لكن بواسطة الرسول من غير أن يرى الرسول.

الثالث: أن يرى الرسول يتمثل له ويخاطبه على صفة البشر.

وعلى كُُلِّ فكلها كلام الله سواء أكان بلا واسطة أم كان بواسطة.

فصل

فِي الْإِزَامِهِمُ التَّشْبِيهَ لِلرَّبِّ بِالْجَمَادِ الْنَاقِصِ إِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ

- ٧٠٦- فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ فَضِدُّهَا خَرَسَ وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ
- ٧٠٧- فَلَمَّا زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانَ
- ٧٠٨- وَالرَّبُّ لَيْسَ بِقَابِلٍ صِفَةَ الْكَلَامِ م فَتَفِيهًا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
- ٧٠٩- فَيَقَالُ: سَلْبُ كَلَامِهِ وَقَبُولُهُ صِفَةَ الْكَلَامِ أَتَمُّ لِلنُّقْصَانِ
- ٧١٠- إِذْ أَخْرَسَ الْإِنْسَانَ أَكْمَلَ حَالَةً مِنْ ذَا الْجَمَادِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ
- ٧١١- فَجَحَدَتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ مَخَافَةَ التَّجَسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْإِنْسَانِ
- ٧١٢- وَوَقَعَتْ فِي تَشْبِيهِهِ بِالْجَمَادِ تِ النَّاقِصَاتِ، وَذَا مِنْ الْخِذْلَانِ
- ٧١٣- اللَّهُ أَكْبَرُ هُتَّكَتْ أَسْتَارُكُمْ حَتَّى غَدَوْتُمْ ضُحْكَةَ الصَّبِيَانِ

الشرح

يقول - رحمه الله -:

- ٧٠٦- فَإِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ فَضِدُّهَا خَرَسَ وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ قَوْلُهُ: «ذَلِكَ» أي: الخرس غاية النقصان.

٧٠٧- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانِ» أي: قابل للكلام من بني الإنسان.

٧٠٨- وَالرَّبُّ لَيْسَ بِقَابِلٍ صِفَةَ الْكَلَامِ فَتَنْقِيهَا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ

يعني: نفي الكلام عن الله ليس فيه نقص، لأنه أصلاً لا يقبل الكلام، فلو قلت: (الجدار لا يتكلم) فلا نقص، لأنه غير قابل للكلام.

٧٠٩- فَيُقَالُ: سَلَبُ كَلَامِهِ وَقَبُولُهُ صِفَةُ الْكَلَامِ أَتَمُّ لِلنُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «لِلنُّقْصَانِ» أي: أشد نقصاناً، يعني: كونه يقول مثلاً: إنه لا يتكلم، لأنه غير قابل للكلام، هذا أشد من أن نقول: إنه لا يتكلم، لأنه أصيب بالخرس، إذ إنَّ من المعلوم أنَّ الإنسان خيرٌ من الجماد.

فمثلاً الرجل الأعمى أكمل من الجدار، لأنه قابل للبصر، والجدار غير قابل للبصر، وما يقبل الكمال أكمل من الذي لا يقبل الكمال، لا شك، فكلُّ واحد يعرف، ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا فَقَالَ:

٧١٠- إِذْ أَخْرَسُ الْإِنْسَانَ أَكْمَلُ حَالَةً مِنْ ذَا الْجَمَادِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ

الإنسان الأخرس أكمل حالاً من الجماد الذي لا يقبل الكلام، لأنَّ الإنسان الأخرس قابلٌ للكلام، وهو صفة كمال، والجماد ليس بقابلٍ أصلاً مهما قُلْتُ، فلا يمكن أن يقبل.

٧١١- فَجَحَدَتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ مَخَافَةَ التَّجَسُّمِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْإِنْسَانِ

٧١٢- وَوَقَعَتْ فِي تَشْبِيهِهِ بِالْجَمَادِ مِنَ النَّاقِصَاتِ، وَذَا مِنْ الْخِذْلَانِ

صدق - رحمه الله تعالى - هم يقولون: نفى صفة الكلام عن الله، لأنه غير قابل للكلام، فلا يكون نفى الكلام عنه نقصاً كما لو نفينا الكلام عن الجدار مثلاً.

فيقال: قولكم: (إنه لا يقبل الكلام) أشدُّ نقصاً من قولكم: (إنه يقبل الكلام ولكنه لا يتكلم) بلا شك.

يقول: أنت الآن نفيت صفة الكلام مخافة أن تُشبهه بالإنسان، ووقعت بتشبيهه بالجماد.

وأيهما أولى أن يُشبه الشيء بالإنسان أو يُشبه الشيء بالجماد؟ الجواب: بالإنسان، لا شك في هذا، ولهذا يقال: (فلان حجر) فهذا نقص، يعني: صلباً لا يلين أبداً، فلا يُشبه بالجماد إلا من هو أنقص ممن يُشبه بالإنسان.

٧١٣- اللَّهُ أَكْبَرُ هَتَّكَتْ أَسْتَارُكُمْ حَتَّى غَدَوْتُمْ ضُحْكَةَ الصَّبِيَّانِ

قوله: «هتكت أستاركم» هتك الشيء يعني تمزيقه، والمعنى أن ما كنتم تستترون به الآن قد انكشف وبان، فقد هتك الله أستارهم حتى صاروا ضحكة للناس، وعلى هذا فنقول: إذا انتفت صفة الكلام عن الله عز وجل انتفت صفة الكمال.

خلاصة هذا الفصل: أنه إذا انتفت صفة الكلام لله عز وجل لزم أن يكون مشابهاً للجماد الناقص، فالخرس نقص، وليس كما لا.

يقولون: نحن ننفي صفة الكلام ولا يكون نقصًا، لأنَّ كون نفي الكلام نقصًا فيما إذا كان يقبل الكلام، والرَّبُّ عندهم لا يقبل الكلام، ولذلك لو قلت للجدار: (إنه أخرس) ما صَرَّه، فيقال: إنكم وقعتم في شرٍّ مما فررتم منه، لأنه إذا كان لا يقبل الكلام صار مشابهًا للجهاد الذي لا يتكلم، فوقعتم في شرٍّ مما فررتم منه.

فصل

فِي إِلْزَامِهِم بِالْقَوْلِ بِأَنَّ كَلَامَ الْخَلْقِ - حَقُّهُ وَبَاطِلُهُ - عَيْنُ كَلَامِ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ -

- ٧١٤- أَوْلَيْسَ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ بِأَنَّ أَفْ
عَالَ الْعِبَادِ خَلِيقَةَ الرَّحْمَنِ
- ٧١٥- مِنْ أَلْفٍ وَجْهِ أَوْ قَرِيبِ الْأَلْفِ يُحْ
صِيهَا الَّذِي يُعْنَى بِهِذَا الشَّانِ
- ٧١٦- فَيَكُونُ كُلُّ كَلَامٍ هَذَا الْخَلْقِ عَيْنِ
نَ كَلَامِهِ، سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!
- ٧١٧- إِذْ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ كَلَامُهُ
خَلَقًا كَبَّيْتِ اللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ
- ٧١٨- هَذَا وَلَا زِمٌ قَوْلِكُمْ قَدْ قَالَهُ
ذُو الْأُمْتَحَادِ مُصَرِّحًا بَيِّنًا
- ٧١٩- حَذَرَ التَّنَاقُضِ إِذْ تَنَاقَضْتُمْ وَلَـ
كِنْ طَرَدُهُ فِي غَايَةِ الْكُفْرَانِ
- ٧٢٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ تَخْصِيصَ الْقُرْآنِ
نِ كَبَيْتِهِ وَكِلَاهُمَا خَلَقَانِ
- ٧٢١- فَيَقَالُ ذَا التَّخْصِيصِ لَا يَنْفِي الْعُمُ
مَ وَلَا الْخُصُوصَ كَرَبِّ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٧٢٢- وَيُقَالُ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضًا هَكَذَا
تَخْصِيصُهُ لِإِضَافَةِ الْقُرْآنِ
- ٧٢٣- لَا يَمْنَعُ التَّعْمِيمَ فِي الْبَاقِي وَذَا
فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيِّنِ

الشرح

يقول: هذا إلزام، لما ألزمنهم فيما سبق بأن نفي الكلام يتضمن نفي الرسالة، وبأن نفي الكلام يتضمن النقص، ألزمنهم بإلزام ثالث بأن نفي الكلام يتضمن أن

يكون كلام الناس كلهم بل كلام الخلق كلهم حتى نباح الكلاب، وتهيق الحمير، كلام الله، وهذا لازم فاسد، لأنهم إذا قالوا: إن كلامه مخلوق، نقول: وكلام المخلوقات مخلوق، وإذا كان الكلام المخلوق يضاف إلى الله لزم أن يكون كلام المخلوقات كلاماً لله، لأنكم أنتم تقولون: يضاف الكلام إلى الله وإن كان مخلوقاً له.

إذن كلام البشر، وكلام الطير، وكلام الحمير، وكلام الكلاب، كله كلام الله على زعمكم، لأنه مخلوق لله.

فهم إذا قالوا: إن كلام الله عز وجل مخلوق وليس صفة له. لزم أن نقول: كل كلام في الوجود فهو كلام الله، لأن كل كلام في الوجود فهو مخلوق لله.

فإذا قلتم: القرآن مخلوق. لزم أن نقول: كل ما خلقه الله فهو كلامه، وكلام الآدمي مخلوق، فيكون -على قاعدتهم- كلاماً لله عز وجل.

يقول المؤلف -رحمه الله-:

٧١٤- أَوْلَيْسَ قَدْ قَامَ الدَّلِيلُ بِأَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ خَلِيقَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «خَلِيقَةُ» بمعنى: مخلوقة، قد قام الدليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله، وهل هو دليل واحد؟ قال المؤلف:

٧١٥- مِنْ أَلْفٍ وَجْهِ أَوْ قَرِيبِ الْأَلْفِ يُحَدِّثُ صِيهَا الَّذِي يُعْنَى بِهِذَا الشَّانِ

الله أكبر، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ألف دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله، لو أردنا أن نقرأها فقط لمللنا من ذلك، لكن مثل ابن القيم -رحمه الله- وشيخه ابن تيمية قد وهبهما الله عز وجل الفهم التام والعلم والإخلاص، فيستطيعون أن يقيموا ألف دليل أو قريباً من الألف على أن أفعال العباد مخلوقة.

لكننا نقول بكل بساطة، قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصفات: ٩٦]، يكفينا دليلاً، فقد قام الدليل على هذا.

قوله: «الَّذِي يُعْنَى بِهَذَا الشَّانِ» أي: يقضي به ويلتمس الأدلة النقلية والعقلية من الكتاب والسنة والعقل والحس، فهذا هو الذي يحصيها.

٧١٦- فَيَكُونُ كُلُّ كَلَامٍ هَذَا الْخَلْقِ عَيْنٌ مِنْ كَلَامِهِ، سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!
إذا قلت: إنَّ كلام الله مخلوق، قلنا: وكلام آدمي مخلوق لله عزَّ وجلَّ فيكون عين كلام الله، فيكون كلامي وكلام فلان، وفلان، وفلان هو كلام الله عزَّ وجلَّ لأنه مخلوق، والقرآن كلام الله، لأنه مخلوق.

٧١٧- إِذْ كَانَ مَنْسُوبًا إِلَيْهِ كَلَامُهُ خَلَقًا كَبَيْتِ اللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ
يعني: أنَّ كلام الله منسوبٌ إلى الله خلقًا لا وصفًا كالبيت ذي الأركان، ويعني بذلك الكعبة، قال الله عزَّ وجلَّ لإبراهيمَ وابنه إسماعيلَ: ﴿أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ﴾ [البقرة: ١٢٥].

إِذْنُ كَلَامِ اللَّهِ - عَلَى رَأْيِهِمْ - لَيْسَ مَنْسُوبًا إِلَى اللَّهِ وَصَفًا، بَلْ هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَى اللَّهِ خَلَقًا، أَمَا كَلَامُ الْآدَمِيِّينَ فَمَنْسُوبٌ إِلَى اللَّهِ خَلَقًا، فَيَكُونُ كَلَامَهُ.

قوله: «سبحان ذي السلطان إذ كان منسوباً إليه كلامه - يعني: كلام الخلق - خلقاً»، ويجوز أن يكون (كلامه) أي: كلام الله.

يعني: إذا كان كلام الله منسوباً إليه لأنه خلقه، فليكن كلام البشر منسوباً إلى الله، لأنه خلقه.

فهم يقولون: نُسِبَ إلى الله لأنه خَلَقَهُ، وإضافته إليه كإضافة ناقة الله، وبيت الله إلى الله.

نقول: إذا كان منسوباً إليه لأنه خلقه، فقولوا: أيضاً بأن كلام الناس كلامُ الله منسوب إليه، لأنه خَلَقَهُ، فهذا يلزمهم.

فما داموا يجعلون القاعدة أن كُلَّ كلامٍ خَلَقَهُ الله فهو يُنْسَبُ إليه، فليكن كلامُ الخلق منسوباً إلى الله.

قَوْلُهُ: «كَبَيْتِ اللهُ ذِي الْأَرْكَانِ» بيت الله أضافه الله إليه خَلْقًا، لكنه أضافه للتشريف.

لما أضاف الله البيتَ إليه خَلْقًا هل منع أن يكون غيرُ بيت الله خَلْقًا له؟ فهو خلق المساجد الأخرى، خلق الجبال، خلق الأنهار، فلما أضاف الله البيت إلى نفسه خَلْقًا لم يكن هذا مانعًا بأن تُنْسَبَ إليه المخلوقات أيضًا، فكُلُّها مخلوقات الله، هذا الجبل خَلَقَ اللهُ، هذه الشمس خَلَقَ اللهُ، هذا البيت خَلَقَ اللهُ. فلما نُسبَ إلى الله خَلْقًا لم يمنع أن يُنْسَبَ إليه الآخر.

٧١٨- هَذَا وَلَازِمٌ قَوْلِكُمْ قَدْ قَالَهُ ذُو الْأَتْحَادِ مُصَرِّحًا بَيِّنَانِ

٧١٩- حَذَرَ التَّنَاقُضِ إِذْ تَنَاقَضْتُمْ وَلَكِنْ طَرَدُهُ فِي غَايَةِ الْكُفْرَانِ

أهل الأتِّحاد الذين قالوا بوحدة الوجود، قالوا: إنَّ كلامَ المخلوق هو كلامُ الخالق، لأنَّ المخلوق هو الخالق، وطرَدوا هذا، لثلا يكون تناقضٌ، لأننا إذا فرَّقنا بين كلام الله الذي هو القرآن وكلام المخلوق صار هناك تناقض، لذلك قال أهل الأتِّحاد: (كُلُّ كلامٍ في الوجود كلامُهُ)، وفيه بيت يقول:

وَكُلُّ كَلَامٍ فِي الْوُجُودِ كَلَامُهُ سَوَاءٌ عَلَيْنَا نَشْرُهُ وَنِظَامُهُ^(١)

أهل الأتِّحاد قالوا: كُلُّ الوجودِ اتِّحد وصار واحداً، الرَّبُّ هو المربوب، فكلام المخلوق كلام الله عزَّ وجلَّ.

الجهمية تناقضوا، وأهل الأتِّحاد طردوا الباب، فقالوا: كلام الله هو كلام المخلوق، وكلام المخلوق هو كلام الله، ولا تتناقض.

فالجهمية لا يقولون: إِنَّ كَلَامَ المخلوقِ كَلَامُ الله، لكن يقولون: (كلام الله مخلوق) ونلزمهم بأنكم إذا جعلتم كلام الله مخلوقاً أن تجعلوا كلام غير الله مخلوقاً، لأنه مخلوق لله عزَّ وجلَّ فأضفه إلى الله خلقاً، لكنهم يابون ذلك إلا أننا نلزمهم بهذا.

لكنَّ ابن القيم - رحمه الله - احترز احترازاً واجباً، فقال: (ولكن طرده في غاية الكفران).

طرده بأن نقول: (كُلُّ كَلَامٍ فهو كَلَامُ الله) هذا في غاية الكفران.

ولا شك في ذلك، فنحن نكفِّره وأنتم تكفِّرونه، فالاتِّحاديُّ الذي يقول: (إِنَّ كَلَامَ الخلق هو عينُ كَلَامِ الخالق) كافر، نحن نكفِّره وهم يكفِّرونه أيضاً، وهذا الاطراد اطراد في باطلٍ، وهو غير مقبول.

٧٢٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ تَخْصِيصَ الْقُرْآنِ كَيْتِيهِ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ

هم يزعمون هذا، فيقولون: إضافة الكلام إلى الله عزَّ وجلَّ إضافة بيت الله، خَصَّصَهُ تشريفاً وتكريماً له، لا لأنه وصفه.

(١) البيت من الطويل، وهو لابن عربي. انظر: منهاج السنة النبوية (٢/ ١٧٥).

٧٢١- فَيَقَالُ ذَا التَّخْصِيصِ لَا يَنْفِي الْعُمُومَ وَلَا الْخُصُوصَ كَرَبِّ ذِي الْأَكْوَانِ
قَوْلُهُ: «فَيَقَالُ ذَا التَّخْصِيصِ لَا يَنْفِي الْعُمُومَ وَلَا الْخُصُوصَ» يعني: لا ينفي
العموم، وهو أن يكون كُلِّ كلامٍ في الوجود كلامَ الله.

قَوْلُهُ: «وَالْخُصُوصَ» بحيث نقول: إنه مختصٌّ بالله عزَّ وجلَّ كَرَبِّ الْبَيْتِ
مثلاً، فإذا كان الله عزَّ وجلَّ رَبَّ الْبَيْتِ هل ينفي أن يكون ربًّا لغيره؟ لا ينفي،
وإذا كان القرآنُ كلامَ الله، لأنه خَلَقَهُ فلا ينفي أن يكونَ كلامُ الْآدَمِيِّينَ كلامَ الله،
لأنه خلقه.

قَوْلُهُ: «كَرَبِّ ذِي الْأَكْوَانِ» فإنه رَبٌّ لِلْجَمِيعِ وَرَبُّ الْبَيْتِ أَيْضًا.

٧٢٢- وَيُقَالُ رَبُّ الْعَرْشِ أَيْضًا هَكَذَا تَخْصِيصُهُ لِإِضَافَةِ الْقُرْآنِ
هل لما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، هل انتفى أن
يكون ربًّا لغيره؟ الجواب: لا، كذلك إذا قلنا: القرآنُ كلامُ الله لا يمنع أن يكون
كلامُ غيره كلامه أيضًا، فيكون كلامُ زيدٍ وكلامُ عمرو كلامَ الله، لأنَّ تخصيص
بعض أفراد العموم لا يقتضي التخصيص.

٧٢٣- لَا يَمْنَعُ التَّعْمِيمَ فِي الْبَاقِي وَذَا فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ
فكذلك إذا أضاف الله الكلامَ -الذي زعمتم أنه مخلوق- إلى نفسه لا يمنع
أن يكون غيره من الكلام منسوبًا إلى الله أيضًا، لأنه خَلَقَهُ، فالتخصيص لا يمنع
التعميم.

إِذَنْ هَؤُلَاءِ فَرُّوا مِنْ شَيْءٍ، وَوَقَعُوا فِي شَيْءٍ شَرٍّ مِنْهُ، وَهَكَذَا كُلُّ مُبْتَدِعٍ، بَلْ
كُلُّ مُحْطَى عَلَى سَبِيلِ الْعُمُومِ فَإِنَّهُ يَفْرُّ مِنْ شَيْءٍ وَيَقَعُ فِي شَيْءٍ شَرٍّ مِنْهُ.

وخلاصة هذا الفصل: أنه يلزم على قولهم: (إنَّ كلامَ الله مخلوقٌ) أن يكون كُلُّ كلامٍ في الوجود كلامًا لله منسوبًا إليه، لأنَّ العلة في نسبة كلام الله إليه أنه مخلوق له.

فنقول: هذه العلة ثابتة في كلام الناس، فإنَّ كلامَ الناس مخلوقٌ لله، فيلزمكم على هذا أن يكونَ كلامُ الناس كلامًا لله، كما قلتم في الكلام المخلوق: إنه منسوب إلى الله.

نقول أيضًا: هذا كلام مخلوق، فينسب إلى الله.

فإذا قالوا: إنَّ نسبه إلى الله كنسبة البيت إلى الله، قلنا لهم: ونسبة البيت إلى الله لا تقتضي التخصيص، فإنَّ الله تعالى أضاف البيتَ إليه على سبيل التشريف، وأمَّا على سبيل الخلق، فإنَّ غيرَ البيت أيضًا داخلٌ في كونه مخلوقًا لله كـ(رَبِّ العرش) هل نقول: إنَّ الله لما أضاف ربوبيته إلى العرش اقتضى ذلك ألا يكون ربًّا لغيره؟ الجواب: لا، ما نقول هذا، فالتخصيص لا يمنع التعميم.

فصل

في التفريق بين الخلق والأمر

- ٧٢٤- وَلَقَدْ آتَى الْفُرْقَانَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
 ٧٢٥- وَكِلَاهُمَا عِنْدَ الْمُنَانِعِ وَاحِدٌ
 ٧٢٦- وَالْعَطْفُ عِنْدَهُمْ كَعَطْفِ الْفَرْدِ مِنْ
 ٧٢٧- فَيَقَالُ: هَذَا ذُو امْتِنَاعٍ ظَاهِرٍ
 ٧٢٨- فَاللَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ أَخْبَرَ أُمَّهَا
 ٧٢٩- وَأَبَانَ عَنِ تَسْخِيرِهَا -سُبْحَانَهُ-
 ٧٣٠- وَالْأَمْرُ إِمَّا مَصْدَرٌ أَوْ كَانَ مَفْعُولًا
 ٧٣١- مَا أَمُورُهُ هُوَ قَابِلٌ لِلْأَمْرِ كَأَنَّ
 ٧٣٢- فَإِذَا انْتَفَى الْأَمْرُ انْتَفَى الْمَأْمُورُ كَأَنَّ
 ٧٣٣- وَأَنْظُرْ إِلَى نَظْمِ السِّيَاقِ تَجِدُ بِهِ
 ٧٣٤- ذَكَرَ الْخُصُوصَ وَبَعْدَهُ مُتَقَدِّمًا
 ٧٣٥- فَآتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ
 ٧٣٦- فَتَدَبَّرَ الْقُرْآنَ إِنْ رُمِتَ الْهُدَى
- أَمْرِ الصَّحِيحِ، وَذَلِكَ فِي الْفُرْقَانِ
 وَالْكُلُّ خَلْقٌ، مَا هُنَا شَيْئَانِ
 نَوْعٍ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ
 فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ ذُو تَبْيَانٍ
 قَدْ سُخِّرَتْ بِالْأَمْرِ لِلْجَرِيَانِ
 بِالْأَمْرِ بَعْدَ الْخَلْقِ بِالتَّبْيَانِ
 عُوَلًا، هُمَا فِي ذَلِكَ مُسْتَوِيَانِ
 مَمْنُوعٍ قَابِلٌ صَنْعَةِ الرَّحْمَنِ
 مَخْلُوقٍ يُنْفَى لَانْتِفَا الْجِدْثَانِ
 سِرًّا عَجِيْبًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
 وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الثَّانِي
 فِعْلًا وَوَصْفًا مُوجِزًا بَيِّنًا
 فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

الشرح

أراد المؤلف في هذا الفصل أن يُبين أن القرآن غير مخلوق، وذلك في التفريق بين الخلق والأمر، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، والأمر هو الشرع والقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ [الشورى: ٥٢]، ففرّق الله بين الخلق والأمر، فالخلق هو الصُّنع، والأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، فبينهما فرقٌ عظيم، والفرق بين الأمر والخلق يظهر به أيضًا الفرق بين المأمور وبين المخلوق.

٧٢٤- وَلَقَدْ آتَى الْفُرْقَانَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ الصَّحِيحِ، وَذَاكَ فِي الْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «الفرقان» في الشطر الأول والثاني بينهما جناس تام، وهما في المعنى متباينان، فـ(الفرقان) الأول بمعنى: التفريق، و(الفرقان) الثاني بمعنى: القرآن.

واللفظان متفقان في النوع والترتيب، وإذا اتفقت الكلمتان في نوع الحروف وترتيبها مع اختلاف المعنى يُسمّى عندهم الجناس التام.

٧٢٥- وَكِلَاهُمَا عِنْدَ الْمُنَازِعِ وَاحِدٌ وَالْكُلُّ خَلْقٌ، مَا هُنَا شَيْئَانِ

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا عِنْدَ الْمُنَازِعِ وَاحِدٌ» المراد بالمنازع هنا: مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، فالأمر والخلق عنده سواء.

قَوْلُهُ: «وَالْكُلُّ خَلْقٌ مَا هُنَا شَيْئَانِ» الكُلُّ خَلْقٌ أَي: مخلوق، يعني: الأمر والخلق.

وأهل السنة والجماعة يقولون: هنا شيئان: خلق وأمر، فالأمر هو الوحي وهو صفته، والخلق هو مخلوقه وهو فعله.

٧٢٦- وَالْعَطْفُ عِنْدَهُمْ كَعَطْفِ الْفَرْدِ مِنْ نَوْعٍ عَلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

يقول: عطف الأمر على الخلق كعطف الفرد على النوع، يريد بذلك الخاص على العام، وهذا موجود في القرآن يعني: أن يُعْطَفَ شَيْءٌ عَلَى آخَرٍ أَعَمَّ مِنْهُ، فيكون فرداً من أفرادهِ، قال الله تعالى: ﴿ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ ﴾ [القدر:٤]، وَالرُّوحَ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وليس مبيئاً لهم، ومنه قوله تعالى: ﴿ حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [البقرة:٢٣٨]، مع أن الصلاة الوسطى من الصلوات، فهذا عطف على النوع.

فهم يقولون: قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ [الأعراف:٥٤]، الخلق عام يشمل القرآن، والأمر: الشرع والقرآن، فهو عطف من باب عطف الخاص على العام، والكُلُّ شَيْءٍ وَاحِدٌ.

فَيُقَالُ فِي الرَّدِّ: الْأَصْلُ فِي الْعَطْفِ الْمَغَايِرَةُ، يَعْنِي أَنَّ الْمَعْطُوفَ غَيْرُ الْمَعْطُوفِ عَلَيْهِ إِلَّا بِدَلِيلٍ، فَإِذَا وُجِدَ دَلِيلٌ أَخَذْنَا بِهِ، فَهَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ ﴾ [القدر:٤]، الرُّوحُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّ جِبْرِيْلَ مَعْرُوفٌ أَنَّهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

أما قوله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ فالأمر غير الخلق، لأنَّ الْأَصْلَ فِي الْعَطْفِ الْمَغَايِرَةُ، وَهَذَا قَالَ: (فَيُقَالُ:...) وهذا جواب عليهم إذا قالوا: هذا من باب عطف الخاص على العام، والأمر مخلوق كالخلق، فقولهم هذا فاسد.

٧٢٧- فَيُقَالُ: هَذَا ذُو امْتِنَاعٍ ظَاهِرٍ فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ ذُو تَبْيَانٍ

قَوْلُهُ: «فِي آيَةِ التَّفْرِيقِ» التَّفْرِيقُ يَعْنِي: بَيْنَ الْأَمْرِ وَالْخَلْقِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾، فَيُقَالُ: هَذَا مَمْتَنَعٌ.

٧٢٨- فَاللَّهُ بَعْدَ الْخَلْقِ أَخْبَرَ أُمَّهَا قَدْ سُخِّرَتْ بِالْأَمْرِ لِلْجَرِيَانِ

يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِن رَّبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، و(النجوم) معطوفة على السموات التي هي مفعول (خَلَقَ)، فأتى بالأمر بعد أن خلق، خُلِقْنَ، ثُمَّ أُمِرْنَ، فالأمر توجيه للمخلوق، وهو غير الخلق.

قَوْلُهُ: «قَدْ سُخِّرَتْ بِالْأَمْرِ لِلْجَرِيَانِ» المراد النجوم تجري بأمر الله عز وجل.

وَقَوْلُهُ: «مُسَخَّرَاتٍ» حال من النجوم.

فإذن الأمر صار بعد الخلق، وليس هو الخلق، فإذا كان عندنا خلقٌ سابق وأمر لاحق، هل يمكن أن نجعل الأمر من الخلق؟ الجواب: لا يمكن، فهي خُلِقَتْ ثم وُجِّهَتْ وسُخِّرَتْ بأمر الله، فدلَّ هذا على أن الأمر غير الخلق.

٧٢٩- وَأَبَانَ عَنِ تَسْخِيرِهَا -سُبْحَانَهُ- بِالْأَمْرِ بَعْدَ الْخَلْقِ بِالتَّبْيَانِ

إِذْنُ نَقُولُ:

أَوَّلًا: جَعَلْنَا الْأَمْرَ مِنَ الْخَلْقِ خَطَأً، لوقوعه بعده، فهي قد خُلِقَتْ وانتهت، ثم أُمِرَتْ أمرًا جديدًا بالتسخير، فسُخِّرَتْ بأمر الله.

ثانيًا: من الرَّدِّ عليهم أن نقول: إنَّ الأصل في العطف المغايرة بالذات والنوع والجنس، ولا يمكن أن نجعل العطف من باب عطف الفرد على النوع، أو الخاص على العام إلا بوجود دليل.

٧٣٠- وَالْأَمْرُ إِمَّا مَصْدَرٌ أَوْ كَانَ مَفْعُولًا، هُمَا فِي ذَلِكَ مُسْتَوِيَانِ

قَوْلُهُ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ الأمر هنا هل هو مصدر أو اسم مفعول؟

يقول ابن القيم: اجعلها مصدرًا أو اجعلها اسم مفعول، فكلاهما يدل على أن الأمر ليس هو الخلق.

وجه ذلك أنك إذا جعلت الأمر مصدرًا - وهو واحد الأوامر - إذا جعلته مصدرًا، وهو الأظهر، فإنه يدل على أن هذا الأمر حصل بالقول، يعني: خَلَقَ، ثُمَّ أَمَرَ، وَإِنْ جَعَلْتَ الْأَمْرَ بِمَعْنَى اسْمِ الْمَفْعُولِ - والمصدر يأتي بمعنى اسم المفعول - وهو رأي المعطلة فإنه ما من مأمورٍ إِلَّا وَقَدْ وُجِّهَ إِلَيْهِ أَمْرٌ، فمن لازم وجود المأمور وجود الأمر.

فإذن عاد التأويل الثاني وهو أن تجعل الأمر اسم مفعول إلى المعنى الأول وهو إثبات الأمر لله عز وجل، والأمر كما تقرّر عندنا الآن هو غير الخلق.

قَوْلُهُ: «هُمَا فِي ذَلِكَ مُسْتَوِيَانِ» أي: في المعنى لا يختلفان.

٧٣١- مَأْمُورُهُ هُوَ قَابِلٌ لِلْأَمْرِ كَالْمَصْنُوعِ قَابِلٌ صَنْعَةِ الرَّحْمَنِ

٧٣٢- فَإِذَا انْتَفَى الْأَمْرُ انْتَفَى الْمَأْمُورُ كَالْمَخْلُوقِ يُنْفَى لَانْتِفَاءِ الْحَدَثَانِ

يريد أن يبيّن أنه لا فرق بين أن نقول: الأمر مصدر، أو نقول: اسم مفعول، مثل: صنّع، يقال: الصنّع بمعنى المصنوع وبمعنى الفعل.

فليس هناك مأمورٌ إِلَّا وَقَدْ صَدَرَ إِلَيْهِ الْأَمْرُ، فَقَبِلَ الْأَمْرَ، فَهُوَ (قَابِلٌ لِلْأَمْرِ كَالْمَصْنُوعِ).

وهل يوجد مصنوع بدون صنعة؟

الجواب: لا، إذن لا يوجد مأمور بدون أمر، فإذا انتفى الأمر انتفى المأمور، وإذا لم يوجد مأمور لم يوجد أمر، فهما متلازمان، يعني لو قلنا: إن الأمر هو الخلق. انتفى المأمور، لأنه حينئذ لا يوجد شيء يُوجّه إليه الأمر، فلا بُدَّ من إيجاد الشيء، ثمَّ أمره بما يريد الله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «كَالْمَخْلُوقِ يُنْفَى لَانْتِفَا الْحِدْثَانِ» يعني: كما أننا لا يمكن أن نقول: (مخلوق) إِلَّا لِمَا حَدَثَ وَكَانَ، فلا يمكن أن يُؤمَر إِلَّا إِذَا كَانَ موجودًا من قَبْلُ، ومخلوقًا من قَبْلُ.

٧٣٣- وَأَنْظُرْ إِلَى نَظْمِ السِّيَاقِ تَجِدُ بِهِ سِرًّا عَجِيبًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «نَظْمِ السِّيَاقِ» يعني الآية التي أشار إليها، وهي قوله تعالى: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ما هو السرُّ العجيب؟ قال:

٧٣٤- ذَكَرَ الْخُصُوصَ وَبَعْدَهُ مُتَقَدِّمًا وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «ذَكَرَ الْخُصُوصَ» وهو قوله: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾، وهذا خاصٌّ، ولم يقل: خلق كلُّ شيء. وَقَوْلُهُ: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ خاصٌّ أيضًا.

يقول: ذكر الخصوص.

قَوْلُهُ: «وبعده» يعني: أيضًا خصوصًا آخر متقدمًا.

قَوْلُهُ: «وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الثَّانِي»، ثُمَّ ذَكَرَ بَعْدَ ذَلِكَ الْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: خَلَقَ كَذَا. بِخِلَافِ الْأَوَّلِ أَتَى بِالْفِعْلِ وَخَصَّ الْمَخْلُوقَ (المفعول)، وَفِي الثَّانِي عَمَّ فَقَالَ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾، وَالْأَمْرُ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ مُقَيَّدٌ أَوْ عَامٌّ؟

الجواب: مُقَيَّدٌ بِالنُّجُومِ ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾.

وَقَوْلُهُ: «وَالْوَصْفَ وَالتَّعْمِيمَ فِي ذَا الثَّانِي» يَعْنِي: الْأَمْرَ.

٧٣٥- فَاتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ فِعْلًا وَوَصْفًا مُوجِزًا بَيِّنًا

قَوْلُهُ: «فَاتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ وَبِأَمْرِهِ» مَا هُمَا النُّوعَانِ؟ قَالَ: (فِعْلًا وَوَصْفًا)

الْفِعْلُ هُوَ الْخَاصُّ، وَالْوَصْفُ هُوَ الْعَامُّ.

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هَذَا فِعْلٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالنُّجُومَ

مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ هَذَا أَمْرٌ مُتَعَلِّقٌ بِفِعْلِ خَاصٍّ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ هَذَا وَصْفٌ عَامٌّ.

فَقَوْلُهُ: «فَاتَى بِنَوْعِي خَلْقِهِ» وَهُمَا الْخَلْقُ وَالتَّسْخِيرُ لَكِنِ بِأَمْرِ اللَّهِ، فَدَلَّ هَذَا

عَلَى أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ دَاخِلًا فِي الْخَلْقِ وَلَا فِي التَّسْخِيرِ.

قَوْلُهُ: «مُوجِزًا»، وَيَجُوزُ (مُوجِزًا)، فَكِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

ثُمَّ قَالَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -:

٧٣٦- فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ إِنْ رُمْتَ الْهُدَى فَالْعِلْمُ تَحْتَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ

هَذَا بَيْتٌ عَظِيمٌ يَنْبَغِي أَنْ يُحْفَظَهُ الْإِنْسَانُ، وَيُؤَمِّرَهُ عَلَى قَلْبِهِ دَائِمًا.

قَوْلُهُ: «فَتَدَبَّرِ الْقُرْآنَ» يعني: تأمَّله وفكَّر فيه.

قَوْلُهُ: «إِنْ رُمْتَ» يعني: قَصَدْتَ.

قَوْلُهُ: «الْهُدَى» يعني: العلم والتوفيق.

يعني: إن كنت تريد الهدى فتدبر القرآن، ولا تتسرع، ولا تتعجل، ولا تغفل، وأكثر الناس اليوم يقرؤون القرآن إمَّا للأجر بتلاوته، وإمَّا للتبرك بها، ولكن أكثرهم لا يقرؤونه تدبُّرًا، ولهذا حُرِّمُوا فائدته، وإلَّا فالقرآن كنز عظيم، لأنه من الله عزَّ وجلَّ، ولا يحيط به أحدٌ إلَّا الله، فهو كنز الكنوز في الواقع.

لو أنك إذا مشيت من بيتك إلى المسجد أخذت آية من القرآن تتدبرها وتأملها لحصلت خيرًا كثيرًا، ومع ذلك أيضًا إذا فتح الله لك غُرًّا^(١) من الآيات لا تعتمد على حفظك لها الآن، لأنك ربما تنساها، وفي الأول كان كلُّ طالب علم معه مفكرة يجعلها في جيبه، ويتأمل القرآن مثلًا، كلِّما فتح الله عليه شيئًا قيَّده بهذه المفكرة، فانتفع، لأنَّ الإنسان في الحقيقة في وقت من الأوقات قد يفتح الله عليه معاني كثيرة من القرآن أو من السنة للتأمل والتدبر، ثمَّ يتكل على نفسه، ويقول: هذا لا أنساه، وإن نسيتها فهي قريبة، أتذكُّر وأراجع ما عندي، لكن سرعان ما ينسى، ولهذا لو استعمل الإنسان هذا الشيء لحصل خيرًا كثيرًا.

وكان بعض أهل العلم في رمضان وهو في وقت تلاوة القرآن يجعل معه دفترًا خاصًا، كلِّما قرأ شيئًا واستوقفته آية من كتاب الله فيها معاني كثيرة أو ما أشبه ذلك قيَّدها بالدفتر، فلا يخرج رمضان إلَّا وقد حصل خيرًا كثيرًا من معاني القرآن الكريم.

(١) جمع غُرَّة، وهي أول شيء وأكرمه. انظر: لسان العرب، مادة: غرر.

ولقد رأيتُ كُتُبًا صغيرةً للشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - يقول: إنه كتبه في رمضان وهو يقرأ القرآن، تمر به آيةٌ فيقف عندها، ويتدبرها، ويكتب عليها فوائدها، لا تجدها في أيِّ تفسير.

فلهذا ابن القيم - رحمه الله - حثَّ على تدبُّر القرآن لمن أراد الهدى.

وشيخه ابن تيمية - رحمه الله - قال: «مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ»^(١).

فاشترط شيخ الإسلام - رحمه الله - شرطين: التدبُّر، وطلب الهدى، لأنه ربما تدبَّر، ولم يقصد طلب الهدى، لكن يريد معرفة معاني القرآن فقط، ما تريد أن تهدي به وتجعله نبراسًا لك تسير عليه، فإذا تدبَّرته، وأنت تريد الهدى منه، وتريد أن تجعل القرآن نبراسًا لك تسير عليه، تبين لك طريق الحق.

أما الذي يتدبَّر القرآن لينصر به قوله فهذا على خطر عظيم - والعياذ بالله - لأنه يكون مُتَّبِعًا للهِوَى، لكن مَنْ تَدَبَّرَهُ مُتَيَقِّنًا أَنَّهُ إِذَا دَلَّ عَلَى شَيْءٍ فَإِنَّهُ سَيَأْخُذُ بِهِ وَلَوْ خَالَفَ رَأْيَهُ، فَهَذَا هُوَ الَّذِي يُوَفَّقُ وَيَتَبَيَّنُ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْفَى عَلَيْهِ أَبَدًا، إِنَّمَا يَخْفَى عَلَيْنَا إِذَا مَنَّا مِنْ قُصُورِ عِلْمِنَا أَوْ تَقْصِيرِنَا، أَوْ أَنَّا لَا نَرِيدُ الْإِهْتِدَاءَ بِهِ، بِمَعْنَى أَنَّا نَعْلَمُ الشَّيْءَ وَلَا نَعْمَلُ بِهِ، وَهَذِهِ قَاصِمَةُ الظُّهْرِ، وَهِيَ إِذَا عَلِمْنَا الشَّيْءَ وَلَمْ نَعْمَلْ بِهِ، وَالْجَاهِلُ حِينَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا، لِأَنَّ إِذَا عَلِمْنَا الشَّيْءَ قَامَتْ عَلَيْنَا الْحُجَّةُ، وَلَكِنْ نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَعِينَنَا.

كل يوم نتكلم عن مثل هذا، ولا ننظر شيئًا، لكن على الإنسان أن يتقي الله ما استطاع.

(١) انظر: العقيدة الواسطية (ص: ٨).

فصل

فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَا يُضَافُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَعْيَانِ

- ٧٣٧- وَاللَّهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ مِنْهُ وَتَجَرُّورٌ بِ- (مِنْ) نَوْعَانِ:
- ٧٣٨- عَيْنٌ وَوَصْفٌ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ قَالَ
- ٧٣٩- وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرُورِ قَامَ لِأَنَّهُ
- ٧٤٠- وَنَظِيرُ ذَا أَيْضًا سِوَاءَ مَا يُضَافُ
- ٧٤١- فِإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ
- ٧٤٢- وَإِضَافَةُ الْأَعْيَانِ ثَابِتَةٌ لَهُ
- ٧٤٣- فَانظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ
- ٧٤٤- وَكَلَامِهِ كَحَيَاتِهِ وَكِعِلْمِهِ
- ٧٤٥- لَكِنَّ نَاقَتَهُ وَبَيْتَ إِلَهِنَا
- ٧٤٦- فَانظُرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ لَمَّا فَاتَهُ الْ-
- ٧٤٧- كَانَ الْجَمِيعُ لَدَيْهِ بَابًا وَاحِدًا
- أَعْيَانٌ خَلَقَ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
- أُولَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
- فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَمِنْ أَعْيَانِ
- قَامَتْ بِهِ كإِرَادَةِ الرَّحْمَنِ
- مَلَكًا وَخَلَقًا مَا هُمَا سَيَّانِ
- لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يُفْتَرَقَانِ؟
- فِي ذِي الْإِضَافَةِ إِذْ هُمَا وَصْفَانِ
- فَكَعْبِدِهِ أَيْضًا هُمَا ذَاتَانِ
- حَقُّ الْمُبِينِ وَوَاضِحُ الْفُرْقَانِ
- وَالصُّبْحُ لَاحٍ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الشرح

قال المؤلف -رحمه الله تعالى- في التفريق بين ما يضاف إلى الله عزَّ وجلَّ من الأوصاف والأعيان: الله -سبحانه وتعالى- أضاف إلى نفسه أوصافاً، وأضاف إلى نفسه أعياناً، فهل هما بمنزلة واحدة؟ أو بينهما فرق؟

في هذا الفصل بيّن -رحمه الله- أنّ ما يُضاف إلى الله إمّا أن يكون عيناً قائمة بنفسها، وإمّا أن يكون وصفاً لا يقوم إلاً بغيره، وهذا نوعان: إمّا أن يضاف إلى الله بالإضافة المعروفة، وإمّا أن يضاف إليه بـ(من)، وهذا المضاف بـ(من) أو بالإضافة المعروفة إمّا أن يكون عيناً قائمة بنفسها، وإمّا أن يكون وصفاً لا يقوم إلاً بغيره.

وكُلُّ واحدةٍ من هذه لها حكم.

قال -رحمه الله-:

٧٣٧- وَاللَّهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ مِنْهُ وَجُرُورٌ بِـ (مِنْ) نَوْعَانِ:

٧٣٨- عَيْنٌ وَوَصْفٌ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ قَالَ أَعْيَانُ خَلْقِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَخْبَرَ... بِأَنَّهُ مِنْهُ» يعني: القرآن من الله، قال الله تعالى: ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ

الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿الجماعية: ١-٢﴾، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ. ﴿فصلت: ٢-٣﴾.

وهنا أضاف القرآن إليه بـ(من)، والقرآن كلام، والكلام وصف المتكلم، إذن فيكون المضاف إلى الله بـ(من) هنا غير مخلوق، لأنه صفة، والصفة قائمة بالموصوف، والموصوف هو الرّبُّ عزَّ وجلَّ وهو الخالق، إذن فيكون القرآن صفةً من صفاته غير مخلوق.

وإذا أضاف الله الشيء إلى نفسه بـ(من) وهي أعيان قائمة بنفسها فهي مخلوقة بلا شك، مثاله: قول الله تعالى: ﴿ وَسَخَّرْ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الحاثية: ١٣]، أي: من عنده ابتداءً، ولا يمكن أن نجعل (من) هنا للتبعيض، وأن ما في السموات وما في الأرض بعض من الله، هذا لا يمكن، ولا يمكن أن نجعل هذه الأعيان صفة من صفات الله، لأنها بائنة من الله، فهي عين قائمة بنفسها، فكيف تكون وصفاً لله؟!

وَقَوْلُهُ: «فَالْأَعْيَانُ» يعني: فالأعيان المضافة إلى الله بـ(من) خلق الخالق الرحمن.

٧٣٩- وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرُورِ قَامَ لِأَنَّهُ أَوْلَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ قَوْلُهُ: «بِالْمَجْرُورِ» متعلق بـ(قَامَ)، وليس متعلقاً بـ(الوصف)، يعني: الوصف إذا جَرَّ بـ(من) فهو بالمجرور قام.

يقول المؤلف -رحمه الله-: إنَّ الوصف قائمٌ بالمجرور، مثاله: (القرآن) فالقرآن هل هو شيء منفصلٌ بائنٌ عن الله؟ أو هو كلام الله؟ فهو ليس عيناً قائماً بنفسه فيكون قائماً بالمجرور، والمجرور هو لفظ (الرحمن) وهو اسم الله عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: ﴿ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ [فصلت: ٢].

قَوْلُهُ: «أَوْلَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ» يعني أن المضاف إلى الشيء الشيء المضاف إليه أولى به من غيره، وهذا وصفٌ أضيف إلى الله، فيكون الله تعالى أولى به من غيره.

إِذْ نِ الْقَاعِدَةُ: أَنَّ الْمَجْرُورَ بـ(من) المضاف إلى الله إن كان عيناً قائمة بنفسها فهو مخلوق، وإن كان وصفاً لا يقوم بنفسه بل بغيره فهو صفة من صفات الله غير

مخلوقة، مثل قولنا: (القرآنُ نازلٌ منه) أي: من الله، إذن قام بالله عزَّ وجلَّ، فإذا كان قائماً بالله وهو صفة، لزم أن يكون غير مخلوق.

٧٤٠- وَنَظِيرُ ذَا أَيُّضًا سِوَاءَ مَا يُضَا فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةٍ وَمِنْ أَعْيَانِ

المشار إليه في قوله: «وَنَظِيرُ ذَا» هو المجرور بـ(مِنْ).

٧٤١- فَإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ كَارِادَةُ الرَّحْمَنِ

أيضاً الأوصاف والأعيان إذا أضيفت فعلى ما سبق، انظر إلى قول الله - تبارك وتعالى -: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]، أي: في مريم، الروح هنا مضاف إلى الله، لكن هذه الروح التي حَلَّتْ في عيسى هل هي جزء من الله؟

الجواب: لا.

هل هي صفة من صفاته؟ الجواب: لا، بل هي مخلوقٌ بائن، لأنها قائمة بعين، بل الصحيح أن الأرواح أعيانٌ مُشَاهِدَةٌ، تقبضها الملائكة عند الموت وتُحْنَطُّهَا^(١) وتُكْفَنُهَا، والميت ينظر إلى روحه وقد خرجت من جسده.

فالروح ليست وصفاً كالحياة والعلم والقدرة، وليست عَرَضاً كالمرض ونحوه، فالروح عين تتخلَّلُ هذا الجسد كما يتخلَّلُ الماءُ المَدَّرَ-يعني: الطين اليابس- أو الفحم تتخلله النار.

إِذَنْ الرُّوحُ المِضَافَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالنِّسْبَةِ إِلَى عِيسَى -عَلَيْهِ السَّلَامُ- مَخْلُوقَةٌ، وَكَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِأَدَمَ: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩]، هي عينٌ قائمة بعين، فهي مخلوقة.

(١) أي تُطَيَّبُهَا بِالْحَنُوطِ، وهو طيب يخلط للميت خاصة. انظر: المصباح المنير حنط.

وَقَوْلُهُ: «فِإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ كِرَادَةُ الرَّحْمَنِ» إذا قلنا: إرادة الله. فالإرادة وصف أضيفت إلى الله، وإذا كانت وصفاً فإنها لا تقوم بنفسها، لأنها ليست عيناً، إذَنْ تكون صفةً لله عزَّ وجلَّ غيرَ مخلوقة، لأنَّ صفات الخالق غير مخلوقة، ولهذا قال: (فِإِضَافَةُ الْأَوْصَافِ ثَابِتَةٌ لِمَنْ قَامَتْ بِهِ)، ثُمَّ أتى بمثال فقال: (كِرَادَةُ الرَّحْمَنِ).

٧٤٢- وَإِضَافَةُ الْأَعْيَانِ ثَابِتَةٌ لَهُ مَلَكًا وَخَلْقًا مَا هُمَا سَيَّانٍ
يعني: إضافة الأعيان إلى الله ثابتة لله مَلَكًا وَخَلْقًا، يعني: هو الذي ملكها وخلقها، ما هما سَيَّانٍ.

قَوْلُهُ: «مَا هُمَا سَيَّانٍ» يعني: الأوصاف والأعيان، فما هما سَيَّانٍ، والفرق أن الأوصاف صفة الله، والأعيان خلق الله، فبينهما فرق عظيم.

إِذَنْ إِضَافَةُ الْأَوْصَافِ إِلَى اللَّهِ تَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ صِفَاتٍ لَهُ، وَإِضَافَةُ الْأَعْيَانِ عَلَى أَنَّهَا خَلْقٌ وَمِلْكٌ لَهُ، لَكِنْ يَمْتَّازُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ -سُبْحَانَهُ- إِضَافَةً عَيْنٍ أَنَّهُ أَزْدَادٌ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا بِإِضَافَتِهِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٧٤٣- فَانظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ؟

فرق عظيم، فبيتُ الله في قول الله تعالى: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، لما أُضيف إلى الله هل أُضيف على أنه صفة له؟ الجواب: لا، لأنه عينٌ قائمة بآئنة من الله، فبيتُ الله مخلوقٌ، بناه إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧]، إذَنْ ما فائدة الإضافة؟ فائدتها التشريف والتعظيم، وأنه من أعظم آياته.

وأما إضافة العلم إلى الله كما قال عز وجل: ﴿أَنْزَلَهُ، يَعْلَمُهُ﴾ [النساء: ١٦٦]، إضافة وصف إلى موصوف، لأن العلم ليس شيئاً قائماً بنفسه، بل هو صفة للعالم، فيكون ما أضافه إلى نفسه من الأوصاف وصفاً لله غير مخلوق.

٧٤٤- وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ وَكَعِلْمِهِ فِي ذِي الْإِضَافَةِ إِذْ هُمَا وَصْفَانِ
كلام الله مضاف إلى الله إضافة صفة إلى موصوفها، حياة الله أيضاً مضافة إلى الله إضافة صفة إلى موصوفها، علم الله مضاف إلى الله إضافة صفة إلى موصوفها.

قَوْلُهُ: «وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ» نقول لهؤلاء المعتزلة والجهمية: (كلام الله كحياته) هل تقولون: إن حياة الله مخلوقة؟ يقولون: لا، نقول: وكلامه كذلك غير مخلوق، لأن الكلام صفة، والحياة صفة، والكلام لا يقوم إلا بمتكلم، والحياة لا تقوم إلا بحيي.

فالكلام كالعلم، والكلام كالحياة، لماذا؟ لأنها وصفان، فالكلام لا يمكن أن يكون إلا من متكلم.

والحاصل أن القاعدة: ما كان وصفاً غير قائم بنفسه فهو صفة لله غير مخلوقة، وما كان عيناً قائماً بنفسه فهو مخلوق، وكذلك لو كان وصفاً في عين قائمة بنفسها فهو مخلوق، لأن الأعيان القائمة بنفسها كلها مخلوقة وأوصافها مخلوقة.

٧٤٥- لَكِنَّ نَاقَتَهُ وَبَيْتَ إِلَهِنَا فَكَعْبِدُهُ أَيضًا هُمَا ذَاتَانِ

ناقة الله مضافة إلى الله، والدليل قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا﴾ [الشمس: ١٣]، هنا (ناقة) عين قائمة بنفسها، فتكون مضافة إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

(بيت الله) كما قال -تبارك وتعالى-: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، بيت الله عين قائمة بنفسها، فيكون إضافتها إلى الله من باب إضافة المخلوق إلى خالقه.

(عبد الله) كذلك مضاف إلى الله إضافة تشريف وتكريم وخلق إلى خالق ومخلوق إلى خالق، وليس العبد من صفات الله عز وجل.

المؤلف -رحمه الله- ذكر ثلاثة أمثلة: (ناقة الله، بيت الله، عبد الله).

هل نقول: إن إضافة بيت الله كإضافة علم الله؟

الجواب: لا، لأن البيت عين، والعلم وصف.

هل نقول: إن الناقة كالحياة؟

الجواب: لا، لأن الحياة وصف، والناقة عين.

وهل نقول: إن العبد كالإرادة؟

الجواب: لا، لأن الإرادة وصف، والعبد عين.

إذن هناك فرق ظاهر، فناقة الله، وبيت الله، وعبد الله يقول المؤلف: (هما ذاتان) أي: ذاتان قائمتان بأنفسهما، فلا تكونان وصفاً لله.

٧٤٦- فَأَنْظِرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ لَمَّا فَاتَهُ الْ- حَقُّ الْمُبِينُ وَوَأَضِحُ الْفُرْقَانِ

٧٤٧- كَانَ الْجَمِيعُ لَدَيْهِ أَبَاً وَاحِدًا وَالصُّبْحُ لَاحٍ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الجهمي يقول: الباب واحد، كلام الله، وعلم الله، وبيت الله، وناقة الله، كلها سواء، فكلها مضافة إلى الله إضافة خلق إلى خالقه.

وهذا من عماه وجهله، وإلَّا فالفرق واضح، الصفة إذا أُضيفت إلى الله لا يمكن أن تكون قائمةً بنفسها مخلوقة، والأعيان إذا أُضيفت إلى الله فهي مخلوقة، لكن أُضيفت إلى الله على وجه التشریف.

قَوْلُهُ: «وَالصُّبْحُ لَاحٍ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ» لكن وَمَنْ لَهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ؟ كذلك، لكنه إذا التفت يسيرًا لم يَتَّبِعْ لَهُ الصُّبْحُ، وَمَنْ لَا عَيْنَ لَهُ لَا يَتَّبِعُ لَهُ، فَالصُّبْحُ لَا يَتَّبِعُ تَمَامًا إِلَّا لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ، وَأَمَّا الْأَعْمَى وَالْأَعْوَرُ فَلَنْ يَتَّبِعَ لَهُ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ.

إِذْ خَلَاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّ مَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ بِطَرِيقِ الْإِضَافَةِ الْمَعْرُوفَةِ أَوْ بِالْجَرَبِ (مِنْ) يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: إِمَّا عَيْنٍ، وَإِمَّا وَصْفٍ، فَإِنْ كَانَ عَيْنًا فَهُوَ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ وَصْفًا فَهُوَ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَالْأَمْثَلَةُ ظَاهِرَةٌ (فَالْحَيَاةُ، وَالْعِلْمُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْقُدْرَةُ، وَالْكَلَامُ) نَقُولُ فِيهَا: أَوْصَافٌ غَيْرُ مَخْلُوقَةٍ، أَمَا (الْبَيْتُ وَالنَّاقَةُ وَالْعَبْدُ وَالْمَسْجِدُ) فَهِيَ أَعْيَانُ مَخْلُوقَةٍ.

فصل

- ٧٤٨- وَأَتَى ابْنُ حَزْمٍ ^(١) بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ مَا
 لِلنَّاسِ قُرْآنٌ وَلَا إِنْثَانِ
 ٧٤٩- بَلْ أَرْبَعٌ كُلُّ يُسَمَّى بِالْقُرْآنِ
 ٧٥٠- هَذَا الَّذِي يُتْلَى، وَآخَرُ ثَابِتٌ
 ٧٥١- وَالثَّالِثُ: الْمَحْفُوظُ بَيْنَ صُدُورِنَا
 ٧٥٢- وَالرَّابِعُ: الْمَعْنَى الْقَدِيمُ كَعِلْمِهِ
 لِلنَّاسِ قُرْآنٌ وَلَا إِنْثَانِ
 وَذَلِكَ قَوْلُ بَيْنِ الْبُطْلَانِ
 فِي الرَّسْمِ يُدْعَى الْمُصْحَفَ الْعُمَامِي
 هَذِي الثَّلَاثُ خَلِيقَةُ الرَّحْمَنِ
 كُلُّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْقُرْآنِ

الشرح

قَوْلُهُ: «ابن حزم» هو ابن حزم الظاهري، وانتقاده - رحمه الله - شديد لاذع جداً، فأحياناً يدعو على العلماء، ويسميه بعض العلماء مَنْجْنِقِ الغَرْبِ، والمنجنيق بمنزلة المدفع ^(٢)، وهو ليس هيناً، فكتابه (المَحَلِّي) فيه من الآثار الكثيرة ما لا تجده في كثير من الكتب، بل لا تجده إلا في القليل النادر، فهو في الحقيقة مرجع بقطع

(١) ابن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري، أحد أئمة الإسلام، ولد بقرطبة سنة (٣٨٤هـ)، كان له ولأبيه رئاسة الوزارة، ولكن زهد فيها، وأقبل على العلم، ولقد انتقد كثيراً من العلماء فطاردته الملوك، فمات في بادية - يعني خارج المدن - ببلدة من بلاد الأندلس سنة (٤٥٦هـ). [الشارح].

(٢) الْمَنْجْنِيقُ يَفْتَحُ الْمَيْمِمْ وَكَسَرَهَا، مَعَ فَتْحِ الْجِيمِ: أَلَّةٌ تُرْمَى بِهَا الْحِجَارَةُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُشَدَّ سَوَارِ مُرْتَفَعَةً جِدًّا مِنَ الْخَشَبِ، يُوَضَّعُ عَلَيْهَا مَا يُرَادُ رَمِيهِ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِسَارِيَةٍ تُوصِلُهُ لِمَكَانٍ بَعِيدٍ جِدًّا، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٣٢/٢٥) مادة: جنق.

النظر عن آرائه، فأراؤه له، وقد يرى أشياء شاذة جدًّا، لكن كتابه (المحلّي) كنز عظيم لولا سلاطة لسانه لكان يثنى عليه بلا استثناء.

ولذلك تجمد الشارح الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى -رحمه الله- أطنب عليه، ومدحه مدحًا عظيمًا، ولا شك أنّ الرجل عنده علمٌ كثير بالآثار، وكتابه (المحلّي) من أجمع ما يكون، لكن عنده شذوذ في الرأي في مسائل كثيرة.

ابن حزم -رحمه الله- أتى بقول عجيب قال: ليس للناس قرآن، ولا قرآنان، بل أربعة قرآنان، فقلنا له: كيف ذلك؟ بيّن ذلك؟ فقال:

الأول: هذا الذي يُتلى فهو قرآن، وهذا محله اللسان.

والثاني: الثابت في الرسم وهو المكتوب، ومحله المصحف.

والثالث: المحفوظ في الصدور يعني: محله القلب.

والرابع: المعنى القديم، وقوله: المعنى القديم. يوافق فيه الأشاعرة.

وكلامه صحيح في الثلاثة الأولى، فكُلُّها قرآن سواء تلوناه بألستنا، أو كتبناه في المصاحف، أو حفظناه في الصدور، كُله قرآن.

وأما قوله عنها: (هَذِي الثَّلَاثُ خَلِيقَةُ الرَّحْمَنِ)، فقد يعجب الإنسان إذا رأى مثل هذا الكلام من ابن حزم -رحمه الله-، لكن قد يقول قائل بالاعتذار عن ابن حزم، بأنه يُريد أن يُبيّن ما هو المخلوق من غير المخلوق؟

فنقول قوله: «آخر ثابت في الرسم، والذي في الصدور، والذي يتلى» قوله: إنّ هذه مخلوقة فيه نظر ظاهر، لأنّ المحفوظ في الصدور، والمرسوم في المصحف، والذي يُتلى أي: المتلوُّ باللسان ليس بمخلوقٍ إلّا على رأي الأشاعرة.

وأما الرابع وهو قوله: «المعنى القديم» فهذا لا يُسَمَّى قرآناً، المعنى القديم إن قلنا به فهو علم الله عزَّ وجلَّ وليس قرآناً حتى يُسَمِّعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ جبريلَ، وجبريل يلقيه على قلب النبيِّ صلى الله عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «الرابع المعنى القديم» فهو -رحمه الله- ذهب مذهب الأشاعرة، لكن خالفهم في بعض الوجوه، فاتفق مع الأشاعرة في أن المعنى القديم قائمٌ بالله غير مخلوق، وأنَّ المحفوظَ والمقروءَ والمرسومَ مخلوقٌ.

وهذا تماماً هو مذهب الأشاعرة، لكن الأشاعرة سبق أنهم يقولون: إنَّ هناك قرآنين فقط، وهما المعنى واللفظ، أما هو فيقول: إنها أربعة: المعنى القديم، واللفظ، والكتابة، والمحفوظ.

ولكن نقول لابن حزم ولغير ابن حزم: المقروء غير مخلوق، والقراءة مخلوقة، والمفوظ به غير مخلوق، واللفظ مخلوق، والمكتوب غير مخلوق، والكتابة مخلوقة، هذا هو الصواب، وهذا هو الواقع.

وقَوْلُهُ: «المعنى القديم كعلمه» أي: كعلم الله، (كُلُّ يُعَبَّرُ عَنْهُ بِالْقُرْآنِ) فجعل كُلَّ واحدة من مراتب الوجود مستقلة، لأنَّ الشيء له وجود في الذهن، ووجود في الخارج، فالتبس عليه الأمر.

انظر إلى تحليل المؤلف لكلام ابن حزم حيث قال:

٧٥٣- وَأَظْنُهُ قَدْ رَامَ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ عَنْهُ عِبَارَةٌ نَاطِقٌ بِبَيَانِ
٧٥٤- إِنَّ الْمُعَيَّنَ ذُو مَرَاتِبٍ أَرْبَعٍ عَقَلْتُ فَلَا تَخْفَى عَلَى إِنْسَانِ

- ٧٥٥- فِي الْعَيْنِ، ثُمَّ الذُّهْنِ، ثُمَّ اللَّفْظِ ثُمَّ
 ٧٥٦- وَعَلَى الْجَمِيعِ الْأَسْمِ يُطْلَقُ لَكِنَّ الْأ
 ٧٥٧- بِخِلَافِ قَوْلِ ابْنِ الْحَطِيبِ فَإِنَّهُ
 ٧٥٨- فَالْشَيْءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَرْبَعُ
 مَ الرِّسْمِ حِينَ نَحَطُّهُ بِنَّانِ
 أَوْلَى بِهِ الْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ
 قَدْ قَالَ: إِنَّ الْوَضْعَ لِلأَذْهَانِ
 فَدهَى ابْنَ حَزْمٍ قَلَّةُ الْعِرْفَانِ

الشرح

يقول - رحمه الله تعالى -: إن ابن حزم لما قسم القرآن إلى أربعة أقسام، وهو شيء واحد في الحقيقة، سواء كتبت، أو نطق به، أو أوجي به، فهو قرآن.

ثم قال:

٧٥٣- وَأَظْنُهُ قَدْ رَامَ شَيْئًا لَمْ يَجِدْ عَنْهُ عِبَارَةً نَاطِقٍ بِبَيَانِ

وهذا يقع كثيرا، يكون في قلب الإنسان شيء، لكن يعجز عن التعبير عنه، وهذا يقع كثيرا، ففي المسائل الذهنية يجد الإنسان في قلبه شيئا، لكن لا يستطيع أن يُعبّر عنه.

تجده مثلا إذا قيل: له ما الفرق بين كذا وكذا وهو في نفسه يجد فرقا، لكن لا يستطيع أن يُعبّر، وهذا يدل على عمق تفكير الإنسان، وأنه وصل إلى فكر لا يستطيع أن يُعبّر عنه اللسان.

فيقول ابن القيم: إن ابن حزم - رحمه الله - رام شيئا، يعني قصد شيئا، ولكن عجز عن التعبير عنه، ثم فصل ابن القيم - رحمه الله - فقال:

٧٥٤- إِنَّ الْمُعَيَّنَ ذُو مَرَاتِبَ أَرْبَعٍ عَقَلْتُ فَلَا تَخْفَى عَلَى إِنْسَانِ

٧٥٥- فِي الْعَيْنِ، ثُمَّ الذَّهْنِ، ثُمَّ اللَّفْظِ ثُمَّ - مَ الرَّسْمِ حِينَ تَخْطُّهُ بِنَّانٍ

قوله: «المُعَيَّن» يعني: المُسَمَّى.

قَوْلُهُ: «فِي الْعَيْنِ» يعني: وجود الشيء بعينه.

الشيء المُعَيَّن له أربع مراتب:

الأول: يقول (في العَيْنِ) يعني: وجوده عيناً، وهذا بالنسبة للكلام هو الذي يصدر من أول ناطقٍ به، فمثلاً أنا إذا قلتُ خطبةً، فقد وُجِدَت هذه الخطبة بالعين، وُجِدَت الآن سُمِعَت وقرئت، وتلوتها، فأنا أوجدتها بالعين، هذا يُسَمَّى الوجود العيني.

الثاني: ثُمَّ بعد ذلك (في الذَّهْنِ)، أنتم إذا سمعتم الخطبة انطبعت في أذهانكم.

الثالث: ثُمَّ بعد ذلك اللفظ، تَلْفِظُون بها.

الرابع: ثُمَّ بعد ذلك الرسم، هذا بالنسبة للسامع.

وكذلك هو بالنسبة لمُوجِد للكلام، لكن مُوجِد الكلام يبدأ الكلام في الذهن أولاً، ثُمَّ اللفظ، ثُمَّ الرسم، وهو إذا وُجِدَ في اللفظ وُجِدَ عيناً لا ذهنًا.

ففي الحقيقة أن الوجود عن الكلام إن كان بالنسبة للمتكلِّم فالترتيب كما يلي: الذهن، ثُمَّ اللفظ، وبه تكون العين، ثُمَّ الرسم.

وبالنسبة لغيره: أولاً: العين أي: وجوده من المتكلِّم، ثُمَّ انطباعه في الذهن، ثُمَّ نقله وإبلاغه باللفظ أو بالرسم، أي قد يلفظ فيُعبَّر عمَّا في ذهنه، وقد يرسم فيكتب ما في ذهنه.

إذا تأملت الكلام وجدته لا يخرج عن هذه المراتب، لكن هل هذه المراتب تستلزم تعدد العين أو أنها عين واحدة؟

الجواب: هي عين واحدة، لكن لها مراتب، وابن حزم -رحمه الله- ظنَّ أنَّ اختلاف هذه المراتب كاختلاف الأعيان، وأنَّ كلَّ مرتبة تجعل الشيءَ عيناً مستقلة عن المرتبة التي قبلها، ولكنَّ الصواب: أنَّ المراتب لا تُخْرِج الواحد المعين عن كونه واحداً، لكن يترتب وجوده.

فالقُرآن الكريم تكلمَّ اللهُ عزَّ وجلَّ به، فهذا وجوده عيناً، ثُمَّ سمعه جبريلُ ونقله إلى محمد -عليه الصلاة والسلام-، وبلغه محمدٌ، هذا وجوده لفظاً، ثُمَّ الناس الذين سمعوه أيضاً حفظوه، فكان هذا وجوداً ذهنيّاً، ثُمَّ تلوه فكان وجوداً لفظياً، أو رسموه في المصاحف فصار موجوداً رسمياً، ولكن هذه الأطوار التي تكون للكلام لا تستلزم أن يكون الكلام متعددًا.

فأنت تتصوَّر إنساناً، ثُمَّ تقرره في ذهنك، ثُمَّ تعبرُّ عنه بلسانك، أو ترسمه بينانك، وهل هو يتغيَّر باختلاف هذه الصور أو هو شيء واحد؟

الجواب: هو شيء واحد، ولهذا قال.

٧٥٦- وَعَلَى الْجَمِيعِ الْأَسْمُ يُطْلَقُ لَكِنِ الْأَوَّلَى بِهِ الْمَوْجُودُ فِي الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَوَّلَى بِهِ الْمَوْجُودُ»، لِأَنَّ كُلَّ مَا بَعْدَ الْوُجُودِ يَبْنِي عَلَيْهِ، وَكُلُّهَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ، فَالْقُرْآنُ هُوَ الْقُرْآنُ حِينَ وَجُودِهِ، وَحِينَ تَصَوُّرِهِ فِي الذَّهْنِ، وَحِينَ اللَّفْظِ بِهِ، وَحِينَ الرَّسْمِ.

٧٥٧- بِخِلَافِ قَوْلِ ابْنِ الْخَطِيبِ^(١) فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ: إِنَّ الْوَضْعَ لِلأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «ابن الخطيب» في شرح الهَرَّاس أنه هو الفخر الرازي.

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْوَضْعَ لِلأَذْهَانِ» يعني: أصل الشيء يكون في الذهن قبل أن

يوجد.

وهذا غير صحيح، نعم يكون في الذهن قبل أن يوجد إذا كان مَمَّنَّ قاله أو فعله، أما إذا كان قولٌ غيره أو فِعْلٌ غيره فإنه يكون في الوجود في الأعيان قبل أن يكون في الذهن.

٧٥٨- فَالْشَّيْءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَرْبَعٌ فَدَهَى ابْنَ حَزْمٍ قَلَّةَ العِرْفَانِ

فابن الخطيب مذهبه مذهب الأشاعرة، يقول: إِنَّ الشَّيْءَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، سواء قُرئ، أو كُتِبَ، أو حُفِظَ، فهو شيء واحد مخلوق، والمعنى القائم بالذهن غير مخلوق.

ومعنى (دهاه) أي: أصابه بدهاية يعني مهلكة، لأنه لم يعرف الفرق بين القراءة والمقروء، والكتابة والمكتوب، والحفظ والمحفوظ، فما عَرَفَ الفرق، فلذلك فَرَّقَ، وقال: الجميع أربعة: ثلاثة مخلوقة، وواحد غير مخلوق.

(١) ابن الخطيب (إن كان هو الرازي، لأنه يقال له: ابن خطيب الرِّي)، فهو محمد بن عمر بن الحسن ابن الحسين التيمي، البكري، فخر الدين، ولد في الرِّي سنة (٥٤٤هـ)، وكان بارعاً في العلوم، مجيداً للغة الفارسية والعربية، وتوفي في هراة سنة (٦٠٦هـ). [الشارح]. وانظر: الأعلام للزركلي (٣١٣/٦).

- ٧٥٩- وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
 ٧٦٠- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كَلَامَهُ
 ٧٦١- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَكْتُوبُ فِي
 ٧٦٢- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَمْتَلُوءُ وَالْ
 ٧٦٣- وَالْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَنَّهُ
 ٧٦٤- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا
 ٧٦٥- لَكِنَّمَا الْمَمْتَلُوءُ وَالْمَكْتُوبُ وَالْ
 ٧٦٦- وَالْعَبْدُ يَقْرُؤُهُ بِصَوْتٍ طَيِّبٍ
 ٧٦٧- وَكَذَلِكَ يَكْتُبُهُ بِحَطٍّ جَيِّدٍ
 ٧٦٨- أَصْوَاتِنَا وَمِدَادُنَا وَأَدَاؤُنَا
 ٧٦٩- وَلَقَدْ آتَى فِي نَظْمِهِ مَنْ قَالَ قَوْلُ
 ٧٧٠- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ
 ٧٧١- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَحُرُوفُهُ
 ٧٧٢- فَشَفَى وَفَرَّقَ بَيْنَ مَمْتَلُوءٍ وَمَصْ
 ٧٧٣- الْكُلِّ مَخْلُوقٍ وَلَيْسَ كَلَامُهُ الـ
 ٧٧٤- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ قَالَ
- مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ
 بِصُدُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
 مَقْرُوءَةٌ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْإِنْسَانِ
 هُوَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثَةٌ وَاثْنَانِ
 وَكَذَا الْكِتَابَةُ فَهِيَ خَطٌّ بَنَانِ
 مَحْفُوظٌ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
 وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهَا صَوْتَانِ
 وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهَا خَطَّانِ
 وَالرَّقُّ، ثُمَّ كِتَابَةُ الْقُرْآنِ
 لَ الْحَقُّ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ جَبَانِ
 بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ
 وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ
 نَوْعٌ وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ
 مَمْتَلُوءٌ مَخْلُوقًا هُمَا شَيْئَانِ
 إِطْلَاقٌ وَالْإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ

٧٧٥- قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ وَخَبَطَا الْاَذْهَانَ وَالْآرَاءَ كُلَّ زَمَانٍ

الشرح

٧٥٩- وَاللَّهُ أَخْبَرَ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ

بيِّنُ المؤلف - رحمه الله - أن الله - سبحانه وتعالى - أخبر أنه متكلم بالوحي والفرقان، فقال عز وجل: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، وقال: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩].

٧٦٠- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كَلَامَهُ بِصُدُورِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

أخبر الله عز وجل أن الكتاب في صدور أهل العلم، قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يُنذِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

٧٦١- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَكْتُوبُ فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

قال الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّمَا نَذِيرٌ ﴿١١﴾ مَن شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ﴿١٣﴾ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ﴾ [عبس: ١١-١٤]، يعني: القرآن، كذلك أيضا:

٧٦٢- وَكَذَلِكَ أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَتْلُوعُ وَالْمَقْرُوءُ عِنْدَ تِلَاوَةِ الْإِنْسَانِ

قوله: «أَخْبَرَ أَنَّهُ الْمَتْلُوعُ» قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ [البقرة: ١٢١]، ولم يقل - رحمه الله تعالى -: إنه مكتوب في اللوح المحفوظ، فإِذَا أَنْ يُقَالَ: إِنَّ ابْنَ الْقِيَمِ - رحمه الله - يَرَى أَنَّ الْمَكْتُوبَ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ هُوَ ذِكْرُ الْقُرْآنِ فَقَطْ، وَأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١-٢٢]، أَي: ذَكَرَهُ فِي اللُّوحِ الْمَحْفُوظِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَنِ

القرآن نفسه: ﴿وَإِنَّهُ لَنَحْيِ زُبَيْرَ الْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٦]، أي: في كتبهم، وليس القرآن هو الذي في كتبهم، ولكن ذكر القرآن والإشادة به.

وأكثر العلماء على أن القرآن الكريم مكتوبٌ في اللوح المحفوظ، وأن الله تعالى كتبه في اللوح المحفوظ كما كتب جميع الكائنات إلى يوم القيامة، ثم لما أراد أن ينزله على محمد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- تكلم به، فسمعه جبريل، فنزل به، وهذا الذي عليه أكثر العلماء.

فإغفال ابن القيم له يحتمل أنه يرى الرأي الأول، ويحتمل أنه أغفله سهواً ونسياناً، فالله أعلم.

قوله: «وَكَذَلِكَ أَخْبَرَهُ الْمَقْرُوءُ» يعني: أخبر أنه يُقرأ، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَابْتِغِ فُرْقَانَهُ. ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨-١٩].

٧٦٣- وَالْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ لَا أَنْهُ هُوَ أَرْبَعٌ وَثَلَاثَةٌ وَائْتَانِ
يعني أن المتلوة والمكتوب كليهما شيء واحد، لا أنه أربع أو ثلاثة أو اثنان كما ذهب إليه ابن حزم -رحمه الله-.

٧٦٤- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أفعالٌ لَنَا وَكَذَا الْكِتَابَةُ فَهِيَ خَطُّ بَنَانٍ

يعني أن التلاوة والكتابة هما أفعالنا، وهما مخلوقتان، فعندما أخذ ورقة، وأكتب فيها آية من كتاب الله فهذا فعلنا، وعندما أتكلم بالقرآن فهذا أيضاً فعلنا، فهناك شيء مكتوب، وهناك شيء مقروء، وهناك كتابة وقراءة، فالكتابة والقراءة مخلوقتان، لأنهما أفعالنا.

٧٦٥- لَكِنَّمَا الْمَمْلُوءُ وَالْمَكْتُوبُ وَالْمَحْفُوظُ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
يعني أن المقروء والمكتوب وهو القرآن غير مخلوق.

٧٦٦- وَالْعَبْدُ يَقْرُوهُ بِصَوْتٍ طَيِّبٍ وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهُ صَوْتَانِ
والدليل على هذا أن القرآن كله كاملٌ من كلِّ وجه، ومع ذلك يقرؤه إنسان
بصوت جيد وتلاوة طيبة، وآخر بالعكس، أي: يقرؤه شخص رديء الصوت
ولا تلتذ بقراءته، فهل نقول: هذان قرآنان؟ الجواب: لا، أبدأ، لا نقول هذا،
فالقرآن شيء واحد تُلي على هذا الوجه أو على هذا الوجه.

٧٦٧- وَكَذَلِكَ يَكْتُبُهُ بِحَظٍّ جَيِّدٍ وَبِضِدِّهِ فَهِيَ لَهُ حَظَّانِ
وهو شيء واحد، مع أنه يكتبه شخص بخط جيّد، أو يكتبه شخص بخط
رديء فلا تكاد تقرؤه، فالذي كان رديئاً هنا هل هو القرآن نفسه أو الصوت؟
الجواب: الصوت، وهل هو القرآن نفسه أو الكتابة؟ الجواب: الكتابة.
ولا نقول: لما اختلفت صورة الخط اختلف القرآن.

إذْهَٰنَا فَرْقٌ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالْمَكْتُوبِ، وَبَيْنَ الْقِرَاءَةِ وَالْمَقْرُوءِ.

٧٦٨- أَصْوَاتُنَا وَمِدَادُنَا وَأَدَاؤُنَا وَالرَّقُّ، ثُمَّ كِتَابَةُ الْقُرْآنِ
هذه كلها مخلوقة، فصوتي مخلوق، والمِداد الذي هو الحبر مخلوق، والأداء
مخلوق، والرَّقُّ مخلوق.

قَوْلُهُ: «أَدَاؤُنَا» فِي نَسْخَةِ (أَدَاتِنَا) بِالتَّاءِ، وَلَعَلَّهَا أَحْسَنُ، لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْقَلَمَ
الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ.

٧٦٩- وَلَقَدْ أَتَى فِي نَظْمِهِ مَنْ قَالَ قَوْلَ لَ الْحَقُّ فِيهِ وَهُوَ غَيْرُ جَبَانَ
 ثُمَّ أَتَى عَلَى مَنْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ الْحَقُّ، وَهُوَ الْقَحْطَانِي ^(١) - رحمه الله - في نونيته
 القحطانية المشهورة.

٧٧٠- إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ
 ٧٧١- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيُهُ وَحُرُوفُهُ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ
 ٧٧٢- فَشَفَى وَفَرَّقَ بَيْنَ مَتَلُوٍّ وَمَضٍ -نُوعٍ وَذَاكَ حَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ
 ٧٧٣- الْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَيْسَ كَلَامُهُ أَلْ -مَتَلُوٍّ مَخْلُوقًا هُمَا شَيْئَانِ

وهذا صحيح، فالكتابة تحتاج إلى خمسة أشياء: يد، وقلم، ومداد، ورق
 -يعني: قرطاسًا- ومكتوب، الأربعة الأولى مخلوقة، والخامس -وهو المكتوب-
 غير مخلوق.

٧٧٤- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ وَالتَّمْيِيزِ قَالَ -إِطْلَاقٌ وَالإِجْمَالُ دُونَ بَيَانِ
 ٧٧٥- قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ وَخَبَطَا أَلْ -أَذْهَانَ وَالْأَرَءَاءِ كُلَّ زَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ» يعني: لو قال قائل: هل لفظي بالقرآن مخلوق؟
 نقول: هذا يحتاج إلى تفصيل: إن قصدت لفظي (الملفوظ) فهو غير مخلوق، وإن
 أردت لفظي -أي: تلفظي- فهو مخلوق، إنما قلنا بالأول، لأن (اللفظي) مصدر،

(١) هو أبو محمد بن عبد الله بن محمد الأندلسي القحطاني السلفي المالكي، كان فقيهاً حافظاً جمع
 تاريخاً لأهل الأندلس، وقال أبو سعيد الإدريسي في تاريخ سمرقند: إنه كان من أفضل الناس
 ومن ثقاتهم. وقال السمعاني: كان فقيهاً حافظاً في طلب العلم إلى المشرق والمغرب له قصيدة
 نونية مطبوعة. المصدر: الموسوعة الشعرية.

والمصدر يجيء بمعناه، ويجيء بمعنى اسم المفعول، فإذا كان لفظي بمعنى ملفوظي فهو غير مخلوق، وإذا كان لفظي بمعنى تلفظي فهو مخلوق.

قوله: «فَالإِطْلَاقُ وَالإِجْمَالُ... قَدْ أَفْسَدَا هَذَا الْوُجُودَ» أحياناً يأتي الإجمال والإبهام فيفسدان، انظر إلى أهل البدع، نفوا تعطيل صفات الله عز وجل، بل قرروا نفي صفات الله بناءً على أن إثباتها يستلزم التجسيم، والجسم في حق الله عندهم ممنوع، وهذا فيه إبهام.

فنقول: ما الجسم الذي يكون ممنوعاً عنكم؟ لا بد أن تفصلوا، إن أردتم بالجسم الجسم المكوّن بعضه إلى بعض الذي قام بعضه ببعض، ولا يبقى بعضه مع فناء البعض الآخر، فهذا ممتنع على الله، وإن أردتم بالجسم ما يتصف بالصفات اللائقة به، فهذا غير مستحيل، فهذا ثابت لله.

فانظر إلى الإجمال كيف أفسد هؤلاء، قالوا: ليس بجسم فقط، كل شيء يستلزم أن يكون جسماً فهو عندهم ممنوع.

وإن كنا لا نقول -ابتداءً-: إنَّ لله جسماً، بل نقول: لله -سبحانه وتعالى- ذاتٌ متصفّةٌ بالصفات اللائقة به.

- ٧٧٦- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِي تَعْرِيفِهَا
بِاللَّامِ قَدْ يُعْنَى بِهَا شَيْئَانِ
٧٧٧- يُعْنَى بِهَا الْمَتْلُوفُ فَهُوَ كَلَامُهُ
هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ
٧٧٨- وَيُرَادُ أفعالُ الْعِبَادِ كَصَوْتِهِمْ
وَأَدَائِهِمْ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ
٧٧٩- هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيْهِ أئِمَّةُ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

- ٧٨٠- وَهُوَ الَّذِي قَصَدَ الْبُخَارِيُّ الرِّضَا
لَكِنْ تَقَاصَرَ قَاصِرُ الْأَذْهَانِ
- ٧٨١- عَنْ فَهْمِهِ كَتَقَاصِرِ الْأَفْهَامِ عَنْ
قَوْلِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ الشَّيْبَانِيِّ
- ٧٨٢- فِي اللَّفْظِ لَمَّا أَنْ نَفَى الضُّدَيْنِ عِنْدَ
هُوَ وَاهْتَدَى لِلنَّفْيِ ذُو عِرْفَانَ
- ٧٨٣- فَالَلَّفَظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فِعْلُنَا
كَتَلَفُّظٍ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ
- ٧٨٤- وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ نَفْسُ مَلْفُوظٍ بِهِ
وَهُوَ الْقُرْآنُ فَذَانِ مُحْتَمِلَانِ
- ٧٨٥- فَلِذَاكَ أَنْكَرَ أَحْمَدُ الْإِطْلَاقَ فِي
نَفْيِ وَإِثْبَاتِ بِإِلَافِ قُرْآنِ

الشرح

- ٧٧٦- وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ فِي تَعْرِيفِهَا
بِاللَّامِ قَدْ يُعْنَى بِهَا شَيْئَانِ
- ٧٧٧- يُعْنَى بِهَا الْمَتْلُوهُ فَهُوَ كَلَامُهُ
هُوَ غَيْرٌ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ
- المؤلف - رحمه الله - هنا يقول: إن تلاوة القرآن في تعريفها باللام - أي: المعرفة بأل (التلاوة) هكذا - يُراد بها المتلوه، ويراد بها الفعل - أي: فعل التالي - إن أردتَ بها فعل التالي فهي مخلوقة، وإن أردتَ بها المتلوه فهي غير مخلوقة.
- أما إذا قيل: تلاوة القرآن، فهي غير ما أَرادَه ابن القيم هنا.

إذا قيل: تلاوة القرآن، فإنها تنقسم إلى قسمين من وجه آخر: يُراد بتلاوته قراءته، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ [آل عمران: ١١٣].

ويراد بتلاوته اتِّباعه، كما تقول: تلا فلانٌ فلانًا، أي: تابعه، وأتى تاليًا له.

فعدنا الآن تلاوة القرآن، وعندنا التلاوة، فالتلاوة لها معنيان:

تلاوة بمعنى المتلو، فهي مصدر بمعنى اسم المفعول، فيكون المراد بها القرآن، وهو غير مخلوق.

و(تلاوة) بمعنى فعل التالي، وحينئذ تكون مخلوقة، لأن الإنسان وأفعاله مخلوقان.

أما تلاوة القرآن بالإضافة، وهي غير محلاة بـ(أل) فيراد بها معنيان: المعنى الأول: قراءته، أي: قراءة القرآن. والمعنى الثاني: اتباع القرآن.

قَوْلُهُ: «هُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ» التمثيل هنا في قوله: «كَذِي الْأَكْوَانِ» هل هو للمنفي أو للنفي؟

الجواب: للمنفي، لأنَّ الْأَكْوَانَ مخلوقةٌ، والقرآن غيرُ مخلوق.

فقَوْلُهُ: «غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَذِي الْأَكْوَانِ» هذا تمثيل للمخلوق، يعني: للمنفي، لا للنفي.

٧٧٨- وَيُرَادُ أَفْعَالُ الْعِبَادِ كَصَوْتِهِمْ وَأَدَائِهِمْ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَيُرَادُ أَفْعَالُ الْعِبَادِ» يعني: يُراد بالتلاوة أفعالُ العباد.

قَوْلُهُ: «كَصَوْتِهِمْ وَأَدَائِهِمْ وَكِلَاهُمَا خَلْقَانِ» الصوت معروف، وهو ما يُسمع، و(الأداء) يعني: حسن القراءة، فهذا كله مخلوق.

٧٧٩- هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيْهِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ
٧٨٠- وَهُوَ الَّذِي قَصَدَ الْبُخَارِيُّ الرِّضَا لَكِنْ تَقَاصَرَ قَاصِرُ الْأَذْهَانِ

البخاري - رحمه الله - حصل بينه وبين محمد بن يحيى الذهلي^(١) مناظرة كبيرة عظيمة في اللفظ في قول الإنسان: (اللفظ بالقرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق؟) والبخاري - رحمه الله - فصّل كالتفصيل الذي سبق آنفاً، وهو أنه إن قُصِدَ باللفظ الملفوظ به فهو غير مخلوق، وإن قُصِدَ باللفظ التلغظ الذي هو فعل الإنسان فهو مخلوق.

قَوْلُهُ: «الْبُخَارِيُّ الرِّضَا» هَذَا الْمَوْلَفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَثْنَى عَلَى الْبُخَارِيِّ، وَوَصَفَهُ بِالرِّضَا، وَالرِّضَا مَصْدَرٌ بَدَلَ عَنِ الرَّاضِي أَوْ الْمُرْضِي عَنْهُ.

٧٨١- عَنْ فَهْمِهِ كَتَقَاصِرِ الْأَفْهَامِ عَنْ قَوْلِ الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ الشَّيْبَانِيِّ
قَوْلُهُ: «الْإِمَامِ الْأَعْظَمِ الشَّيْبَانِيِّ» هُوَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ -.

٧٨٢- فِي اللَّفْظِ لَمَّا أَنْ نَفَى الضُّدَيْنِ عَنْهُ وَاهْتَدَى لِلنَّفْيِ ذُو عِرْفَانٍ
يعني يُقال: لا تقل: مخلوق ولا غير مخلوق، فالإمام أحمد - رحمه الله - قال: لا تقل: (لفظي بالقرآن مخلوق)، ولا تقل: (غير مخلوق)، فنفي عنه الضدين، وقال (من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي)، ومن قال: غير مخلوق فهو مبتدع).

(١) هو محمد بن يحيى بن عبد الله الذهلي مولا هم النيسابوري، أبو عبد الله، من حُفَظَا الْحَدِيثِ ثِقَةً، مِنْ أَهْلِ نَيْسَابُورٍ، رَحَلَ رِحْلَةً وَاسِعَةً فزار بغداد والبصرة وغيرهما في طلب الحديث، واشتهر. وروى عنه البخاري أربعة وثلاثين حديثاً، توفي (٢٥٨هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٧/ ١٣٥).

إِذْنٌ مَّقْتَضِي هَذَا الْكَلَامِ أَلَّا أَقُولَ: (مَخْلُوقٌ) وَلَا غَيْرَ مَخْلُوقٍ، لِأَنَّ ذَلِكَ يُشْكَلُ، فَإِذَا قُلْتُ: (مَخْلُوقٌ) صَرْتُ جَهْمِيًّا، وَإِنْ قُلْتُ: (غَيْرَ مَخْلُوقٍ) صَرْتُ مَبْتَدِعًا، إِذْنٌ أَسْكَتُ، وَلَا أَقُولُ هَذَا وَلَا هَذَا.

٧٨٣- فَالْلَفْظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فِعْلُنَا كَتَلَفُّظٍ بِتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ

٧٨٤- وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ نَفْسٌ مَلْفُوظٍ بِهِ وَهُوَ الْقُرْآنُ فَذَانِ مُحْتَمِلَانِ

٧٨٥- فَلِذَاكَ أَنْكَرَ أَحْمَدُ الْإِطْلَاقَ فِي نَفْسِي وَإِثْبَاتِ بِلَا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «فَالْلَفْظُ يَصْلُحُ مَصْدَرًا هُوَ فِعْلُنَا» يَعْنِي: اللَّفْظُ قَدْ يُرَادُ بِهِ الْمَصْدَرُ الَّذِي هُوَ فِعْلُنَا: يَعْنِي التَّلْفِظَ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ يَصْلُحُ نَفْسٌ مَلْفُوظٍ بِهِ» وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ اللَّفْظُ بِمَعْنَى الْمَلْفُوظِ بِهِ.

وَقَوْلُهُ: «فَذَانِ مُحْتَمِلَانِ» إِذْنٌ أَنْتَ إِذَا قُلْتَ: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) قَدْ يَفْهَمُ السَّمَاعُ أَنَّكَ تَرِيدُ بِاللَّفْظِ اسْمَ الْمَفْعُولِ، وَحِينَئِذٍ يَأْخُذُ بِرَأْيِ الْجَهْمِيَّةِ، لِأَنَّ الْجَهْمِيَّةَ يَقُولُونَ: الْمَلْفُوظُ بِهِ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ مُحْتَمِلٌ لِهَذَا الْمَعْنَى الْفَاسِدِ.

وَمُحْتَمِلٌ لِمَعْنَى صَحِيحٍ وَهُوَ تَلْفُظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ، وَهَذَا صَحِيحٌ، لَكِنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ قَالَ: إِنَّهُ بَدْعَةٌ، لِأَنَّ السَّلْفَ مَا تَكَلَّمُوا بِهِ، فَلَيْسَ فِي كَلَامِ الصَّحَابَةِ وَلَا كَلَامِ التَّابِعِينَ أَنْ يُقَالَ: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ أَوْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ)، فَلِهَذَا قَالَ: إِنَّهُ بَدْعَةٌ، فَلَا تُطْلَقُ، لَكِنْ عِنْدَ التَّفْصِيلِ يَزُولُ الْإِشْكَالُ، فَنَقُولُ لِلْقَائِلِ: مَاذَا تَرِيدُ بِقَوْلِكَ: (لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ)؟ إِنْ قَالَ: أُرِيدُ مَا أَلْفِظُ بِهِ، نَقُولُ: هُوَ جَهْمِيٌّ، لِأَنَّ مَعْنَاهُ أَنَّهُ أَرَادَ الْقُرْآنَ، فَلَا نَصَحَّحُ قَوْلَهُ.

وإن قال: أريد بـ(لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ) صوتي وتلفظي بالشيء، وحركاتي،
نقول: قولك هذا صحيح، ولكن لا تُطَلِّق، لأنك إذا أطلقت أوهمت معنى
فاسدًا، ولهذا منع الإمام أحمد - رحمه الله - من هذا.

* * *

فصل

في مقالات الفلاسفة والقرامطة في كلام الرب - جل جلاله -

- ٧٨٦- وَأَتَى ابْنُ سَيْنَا الْقَرْمُطِيَّ مُصَانِعًا
لِلْمُسْلِمِينَ بِإِفْكَ ذِي بُهْتَانِ
- ٧٨٧- فَرَأَهُ فَيَضًا فَاضَ مِنْ عَقْلِ هُوَ الْـ
فَعَالَ عِلَّةَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٧٨٨- حَتَّى تَلَقَّاهُ زَكِيٌّ فَاضِلٌ
حَسَنُ التَّخْيِيلِ جَيِّدُ التَّبْيَانِ
- ٧٨٩- فَاتَى بِهِ لِلْعَالَمِينَ خَطَابَةً
وَمَوَاعِظًا عَرِيَّتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
- ٧٩٠- مَا صَرَّحَتْ أَخْبَارُهُ بِالْحَقِّ بَلْ
رَمَزَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً لِمَعَانِ
- ٧٩١- وَخِطَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَالْجُمْهُورِ بِالْـ
حَقِّ الصَّرِيحِ فَعَيْرُ ذِي إِمْكَانِ
- ٧٩٢- لَا يَقْبَلُونَ حَقَائِقَ الْمَعْقُولِ إِلْـ
لَا فِي مِثَالِ الْحِسِّ وَالْأَعْيَانِ
- ٧٩٣- وَمَشَارِبَ الْعُقْلَاءِ لَا يَرِدُونَهَا
إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ بِأَوَانِ
- ٧٩٤- مِنْ جِنْسٍ مَا أَلْفَتْ طِبَاعُهُمْ مِنْ الْـ
مُحْسُوسِ فِي ذَا الْعَالَمِ الْجُثْنَانِي
- ٧٩٥- فَاتُوا بِتَشْبِيهِ وَتَمْثِيلِ وَتَجْـ
سِيمِ وَتَخْيِيلِ إِلَى الْأَذْهَانِ
- ٧٩٦- وَلِذَاكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ
لَكِنَّهُ حِلٌّ لِيَذِي الْعِرْفَانِ
- ٧٩٧- فَإِذَا تَأَوَّلْنَاهُ كَانَ جِنَايَةً
مِنَّا وَخَرَقَ سِيَاجَ ذَا الْبُسْتَانِ

- ٧٩٨- لَكِنْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ أَنْ قَدْ أَتَوْا بِالْكَذِبِ عِنْدَ مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ
 ٧٩٩- وَالْفَيْلَسُوفُ وَذَا الرَّسُولِ لَدَيْهِمْ مُتَفَاوِتَانِ، وَمَا هُمَا عِدْلَانِ
 ٨٠٠- أَمَّا الرَّسُولُ فَفَيْلَسُوفُ عَوَامِّهِمْ وَالْفَيْلَسُوفُ نَبِيُّ ذِي الْبُرْهَانِ
 ٨٠١- وَالْحَقُّ عِنْدَهُمْ فَفِيهَا قَالَهُ أَتْبَاعُ صَاحِبِ مَنْطِقِ الْيُونَانِ

الشرح

هذه المقطوعة حكي فيها المؤلف - رحمه الله - قول الفلاسفة والقرامطة في كلام الربّ - جلّ جلاله -.

قوله: «الفلاسفة» جمع فيلسوف، وهي كلمة يونانية مأخوذة من (فيل) و(سوف)، و(فيل) بمعنى: محبّ، و(سوف) بمعنى الحكمة، أي: محبّ الحكمة، هذا الفيلسوف عندهم.

يقول - رحمه الله -:

٧٨٦- وَأَتَى ابْنُ سَيْنَا الْقَرْمُطِيَّ مُصَانِعًا لِلْمُسْلِمِينَ بِإِفْكِ ذِي بُرْهَانِ

أمّا القرامطة فهم أتباع القرمطي المشهور بالإلحاد، هؤلاء يقولون: إنّ كلام الله عزّ وجلّ هو فيضٌ يُفيضه العقل الفعّال، والعقل الفعّال - عندهم - هو علة الموجودات كلها، لأنهم لا يُقرّون بالخالق.

يقولون: هذه الموجودات لها علة فاعلة، علة معقولة لا محسوسة، هذه العلة فاض منها فيض على نفس زكية قابلة لهذا الفيض، فانطبع هذا الفاض من العقل الفعّال في قلب هذا الرجل الزكي.

وإنما قالوا هذا - كما قال ابن القيم - مُصنعةٌ للمسلمين، لأنهم يدعون الإسلام، وليسوا كذلك.

وقد صرح شيخ الإسلام وابن القيم بأن ابن سينا كافرٌ، ليس من المسلمين، وإن كان مُقدَّسًا عند القوميين العرب وأشباههم ممن لا يقيمون للدين وزناً ولا للعقيدة اعتبارًا، فهو عندهم مُقدَّس حتى إنهم قد يسمُّون بعض المدارس باسم هذا الرجل (ابن سينا) مع أنه كافر، والكافر لا يجوز أن يُنَوَّه باسمه إطلاقًا، بل يُدفن ويُقبر، وإذا كان له من دعاية أو نشر كتب مضلة فيذكر على سبيل الذم، لا على سبيل المدح، اسمع ما يقول مصانعة للمسلمين، يقول:

٧٨٧- فَرَأَهُ فَيَضًا فَاضٍ مِنْ عَقْلِ هُوَ الْفَعَّالُ عَلَّةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

العقل الفَعَّال الذي هو علة هذه الأكوان، يعني العلة التي بها حدثت الأكوان، وليس هناك رَبٌّ - والعياذ بالله - بل هذه الأكوان حدثت بعلة.

٧٨٨- حَتَّى تَلْقَاهُ زَكِيٌّ فَاضِلٌ حَسَنُ التَّخْيِيلِ جَيِّدُ التَّبْيَانِ

يعني به: الرسول، فالنَّبِيُّ تلقى هذا الفيض.

وَقَوْلُهُ: «زَكِيٌّ فَاضِلٌ» أي: صافي العقيدة، حسن التخيل.

قَوْلُهُ: «جَيِّدُ التَّبْيَانِ» أي: يستطيع أن يعبرَ ببيان جيد، فيقول: هذا كلام رَبِّ

العالمين.

٧٨٩- فَآتَى بِهِ لِلْعَالَمِينَ خَطَابَةً وَمَوَاعِظًا عَرِيَّتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

يعني: ليس لها برهان ولا أصل إلا هذا الفيض الذي فاض من هذا العقل

كما يدعون.

٧٩٠- مَا صَرَّحَتْ أَخْبَارُهُ بِالْحَقِّ بَلْ رَمَزَتْ إِلَيْهِ إِشَارَةً لِمَعَانٍ

قال أيضًا: هذا الكلام الذي أتى به هذا الزكي، لا يريد بالقرآن ظاهره، بل المراد به إشارات خفية، يعجز عنها عامة الناس، ولا يعرفها إلا الخواص منهم.

٧٩١- وَخِطَابُ هَذَا الْخَلْقِ وَالْجُمْهُورِ بِالْحَقِّ الصَّارِحِ فَغَيْرُ ذِي إِمْكَانٍ

يقول: لو أنهم خوطبوا -وأريد بالخطاب صريح ما يدل عليه- فإن هذا ممتنع، لماذا؟ قال: لأنهم...

٧٩٢- لَا يَقْبَلُونَ حَقَائِقَ الْمَعْقُولِ إِلَّا لَافِي مِثَالِ الْحِسِّ وَالْأَعْيَانِ

يعني: هذا القرآن الذي فاضه العقل على نفس هذا الزكي هذا له معاني ظاهرة ومعاني باطنة مشار إليها إشارة لا يفهما الخلق ولا العوام، لأن الخلق والعوام لا يفهمون إلا الشيء المحسوس، أما الشيء المعقول فإنهم لا يدركونه، ومحال أن يدركوه.

فالعوام لا يفهمون إلا المحسوس، ولهذا قال: (لَا يَقْبَلُونَ حَقَائِقَ الْمَعْقُولِ إِلَّا لَافِي مِثَالِ الْحِسِّ وَالْأَعْيَانِ) يعني: إلا إذا جعل على صورة شيء محسوس ومعاني، فالجنة والنار وما فيها من عذاب ونعيم كل هذا غير مُراد، فكل هذا تخيل وليس بحقيقة، لكن صور للعادة بصورة المحسوس من أجل أن يقبلوه ويفهموه.

٧٩٣- وَمَشَارِبَ الْعُقَلَاءِ لَا يَرِدُونَهَا إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ بِأَوَانٍ

٧٩٤- مِنْ جِنْسٍ مَا أَلْفَتْ طِبَاعُهُمْ مِنَ الْ

وَقَوْلُهُ: «وَمَشَارِبَ الْعُقَلَاءِ لَا يَرِدُونَهَا» من الذين لا يردونها؟ الجواب: عامة الخلق، مشارب العقلاء لا يردونها، لأن مشارب العقلاء للعقلاء، أما العامة

الهمج الرَّعاع فهؤلاء لا يمكن أن يَرِدُوا هذا، فَتَضَرَّبُ لهم الأمثال المحسوسة رمزاً إلى أمورٍ معقولة.

قَوْلُهُ: «إِلَّا إِذَا وُضِعَتْ لَهُمْ بِأَوَانٍ» سبحانه الله! تمثيل عجيب، يعني: لا يستطيع أن يشرب من الحوض والنهر، لكن إذا جئت له بالماء في آنية استطاع، فيقول: إِنَّ المعقولات التي ترمز إليها هذه الكلمات هذه لا يَرِدُها العوام، إنما يرد العوام الأشياء المحسوسة التي يدركونها بحسّهم.

٧٩٥- فَاتَّوَا بِتَشْبِيهِ وَتَمَثِيلٍ وَتَجْج — سِيمٍ وَتَخْيِيلٍ إِلَى الْأَذْهَانِ

يعني: أن هذا الذي جاءت به الرسل من كلام الله ما هو إلا شيء وتخيل للأذهان من أجل تقريبه على العامة، وإلا فحقيقته غير ما يدل عليه اللفظ.

٧٩٦- وَلِذَلِكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ لَكِنَّهُ حِلٌّ لِذِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِذَلِكَ يَحْرُمُ عِنْدَهُمْ تَأْوِيلُهُ» يعني: لا يجوز أن يُفَسَّرَ للعامة بالمعاني المعقولة المرادة، لماذا؟

الجواب: لأنَّ العامة لا يستطيعون أن يفهموا هذا، ولا يقبلون إلا بما شهد به الحسّ.

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهُ حِلٌّ لِذِي الْعِرْفَانِ» (ذو العرفان) هم علماء وهم الفلاسفة، هؤلاء فسّره لهم بالمعنى المراد، أما العامة فلا.

مثال: ف (الحج) هو قصد مكة لأداء المناسك، هم قالوا: لا، الحج أن تقصد المشايخ والأولياء، تطلب منهم المغفرة، ومسحةً يمسحون عليك بها تكون سعيداً إلى يوم القيامة.

(الصيام): التعبد لله بالإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قالوا: لا، ليس هذا الصيام، بل الصيام أن تكتم أسرارنا، ولا تخبر بما وراءنا، لأنَّ الصيام مشتق من الإمساك فأَمْسِكْ أي: (اسكت) يعني: صُم عن هذا الكلام، لا تُخْبِرْ به أحدًا.

و(الصلاة) فهي عبادة ذات ركوع وسجود، مُفْتَحَةٌ بالتكبير مُحْتَمَةٌ بالتسليم، هم قالوا: لا، الصلاة أن تعرف أسرارنا، لأنَّ الصلاة من الصلة يعني أن تكون ذا صلة بنا، فالصلاة بداية، والصيام نهاية، فَصَلَّ يعني: تعلَّم أسرارنا، و(صُم) يعني: اکتّمها، فهذه الصلاة وهذا الصيام عندهم.

ف نقول لهم: الصلاة والصيام معروفان عند المسلمين، فيقولون: لا، هذا الذي تقولون إسلامُ العامَّة، أمَّا نحن فإنَّ الكلمات عندنا رموز لمعانٍ لا يفهمها العامة.

٧٩٧- فَإِذَا تَأَوَّلْنَاهُ كَانَ جِنَايَةً مِّنَّا وَحَرْقٌ سِيَّاحِ ذَا البُسْتَانِ
يعني: لو تأوَّلناه عند العامة كان هذا جنائيةً، لأنَّ من شروط التَّنَسُّك عندهم أن تَكْتُم أسرارهم، ولهذا العبادة عندهم -فيما أظنُّ- علي عشر مراحل ينزلها الإنسان مرحلةً مرحلةً حتى يَصِل إلى الغاية.
ثم قال:

٧٩٨- لَكِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ أَنْ قَدْ أَتَوْا بِالْكَذِبِ عِنْدَ مَصَالِحِ الْإِنْسَانِ
يعني: قيل لهم: إذا كان الأمر كما قلت، فما تقولون فيما جاءت به الرسل، فالرسل جاءوا للناس، وقالوا: هذه الصلاة، وهذا الصيام، وهذا الحج، وقالوا: هناك جنة ونار، وعذاب ونعيم؟

قالوا: هذا كُله كذب، فلا جنة ولا نار، ولا نعيم ولا عذاب، ولا شيء أبدًا، لكن هذا كَذِبٌ، كَذَبَ به الرسل من أجل المصلحة -أعوذ بالله- كذبوا لمصلحة؟! قالوا: نعم، لأنَّ الناس إذا قيل لهم: (افعلوا كذا)، قد لا يستجيبون، وإذا قيل: (لا تفعلوا كذا)، قد لا يتتهون، لكن إذا قيل لهم: إن فعلتم كذا أسكنناكم جنة فيها من النعيم المقيم ما لا يَحْطِرُ على البال، فإنهم يفعلون.

وإذا قيل لهم: إن خالفتم أسكنناكم نارًا فيها من العذاب كذا وكذا، فإنهم يتتهون.

فالرسل كَذَبُوا من أجل المصلحة كما تقول للصبي: (افعل هذا أعطيك حلاوة)، (ولا تفعل هذا فأكويك بالجمرة) فيفعل الصبي، ولا يفعل الثاني، مع أنه لا يعطيه حلاوة، ولن يكويه بالجمرة.

فهذا هو -والعياذ بالله- رأيهم في الرسل أنهم كذبوا عند مصالح الإنسان.

ثُمَّ قَالَ:

٧٩٩- وَالْفَيْلَسُوفُ وَذَا الرَّسُولُ لَدَيْهِمْ مُتَّفَاوَتَانِ، وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

الفيلسوف والرسول متفاوتان أي: بينهما فرق عظيم، وما هما عدلان، والفرق ذكره بقوله:

٨٠٠- أَمَّا الرَّسُولُ فَفَيْلَسُوفُ عَوَامِهِمْ وَالْفَيْلَسُوفُ نَبِيُّ ذِي الْبُرْهَانِ

يقولون: هؤلاء الرسل للعوام، أما الفيلسوف الذي هو فيلسوف عندهم فهو نبيُّ ذي البرهان، فهذا هو النبيُّ الحقيقي، أما ذاك فهو رسول للعوام.

وهذا -والعياذ بالله- أكفر من كفر اليهود والنصارى بلا شك.

فإذا كانوا يقولون: الرسل: محمد - عليه الصلاة والسلام - وإبراهيم، وموسى، وعيسى، هؤلاء رسل عوام كذابون، ما صدقوا، والفلاسفة عندهم هم الأنبياء، هم الذين يتلقون من العقل الفعّال، ويأتون بما فيه الخير.

٨٠١- وَالْحَقُّ عِنْدَهُمْ فَصِيًّا قَالَهُ أَتْبَاعُ صَاحِبِ مَنْطِقِ الْيُونَانِ

يعني: وليس فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

٨٠٢- وَمَضَى عَلَى هَذِي الْمَقَالَةِ أُمَّةٌ خَلَفَ ابْنِ سِينَا فَاعْتَدُوا بِلِبَانِ

٨٠٣- مِنْهُمْ نَصِيرُ الْكُفْرِ فِي أَصْحَابِهِ النَّاصِرِينَ لِمِلَّةِ الشَّيْطَانِ

٨٠٤- فَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِزْبَةٍ تَلَقَاهُمْ أَغْدَاءَ كُلِّ مُوَحِّدٍ رَبَّانِي

٨٠٥- وَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِزْبَةٍ تَلَقَاهُمْ أَغْدَاءَ رُسُلِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ

٨٠٦- صُوفِيَّيْهِمْ عَبْدَ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ الْ مَعْدُومَ عِنْدَ الْعَقْلِ فِي الْأَعْيَانِ

٨٠٧- أَوْ مُلْحِدٌ بِالِاتِّحَادِ يَدِينُ لَا التَّ تَوْحِيدِ مُنْسَلِخٍ مِنَ الْأَدْيَانِ

٨٠٨- مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ فِيهِ يَرَى وَصَفَ الْجَمَالِ وَمَظْهَرَ الْإِحْسَانِ

٨٠٩- اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ عَلَى ذَا الْمَذْهَبِ الْ مَلْعُونٍ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيْخَانِ

٨١٠- يَبْنِعُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً وَيُقْبَلُونَ نَ أَيَادِيًّا مِنْهُمْ رَجَا الْعُفْرَانِ

٨١١- لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ رَجْمُوهُمْ لَا شَكَّ بِالصَّوَّانِ

٨١٢- فَا بُدِّرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشْفَهُمْ وَافْرِشْ لَهُمْ كَفًّا مِنَ الْأَتْبَانِ

- ٨١٣- وَاطْهَرُ بِمَظْهَرٍ قَابِلٍ مِنْهُمْ وَلَا تَظْهَرُ بِمَظْهَرٍ صَاحِبِ النُّكْرَانِ
٨١٤- وَأَنْظُرْ إِلَى أَنْهَارٍ كُفْرٍ فُجِّرَتْ وَتَمِّمْ لَوْ لَا السَّيْفُ بِالْجَرَيَانِ

الشرح

يقول - رحمه الله - في هذه المقطوعة:

- ٨٠٢- وَمَضَى عَلَى هَذِي الْمَقَالَةِ أُمَّةٌ خَلَفَ ابْنِ سَيْنَا فَاغْتَدَوْا بِلِبَانِ

يعني أن ابن سينا - والعياذ بالله - كان قائداً إلى النار، لأنه مضى على مقالته أمةً اغتدوا بلبان، وبئس اللبان فإنه لبان أتت من لبان الحمير، لكن:

- ٨٠٣- مِنْهُمْ نَصِيرُ الْكُفْرِ فِي أَصْحَابِهِ النَّاصِرِينَ لِـمِلَّةِ الشَّيْطَانِ

قوله: «نصير الكفر» هذا هو نصير الدين الطوسي، الذي كان وزيراً هو لاكو ملك التتر، الذي قتل الخليفة العباسي في بغداد، وقتل من العلماء أمماً لا يُحْصِيهِمْ إِلَّا اللهُ، هذا الخبيث يُسَمَّى نصير الدين، ولكن ابن القيم وصفه بما هو أهله فقال: (نصير الكفر).

وصدق - رحمه الله -، نصير الكفر على مذهب ابن سينا وأتباعه الناصرين لمِلَّةِ الشَّيْطَانِ لَا لِـمِلَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

- ٨٠٤- فَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِبرَةٍ تَلْقَاهُمْ أَغْدَاءَ كُلِّ مُوحِّدٍ رَبَّانِي

- ٨٠٥- وَاسْأَلْ بِهِمْ ذَا خِبرَةٍ تَلْقَاهُمْ أَغْدَاءَ رُسُلِ اللهِ وَالْقُرْآنِ

ومن أهل الخبرة في مذهبهم ابن القيم، فإنه درس الملل والنحل والمذاهب وعرفها كما درسها قبله شيخه ابن تيمية - رحمهما الله جميعاً -.

إِذَنْ هُمْ أَعْدَاءُ التَّوْحِيدِ وَأَعْدَاءُ الرِّسَالَةِ.

أعداء التوحيد يؤخذ من قوله: «أَعْدَاءُ كُلِّ مُوَحِّدٍ»، وأعداء الرسل يؤخذ من قوله: «أَعْدَاءُ رُسُلِ اللَّهِ».

٨٠٦- صُوفِيَّتُهُمْ عَبَدَ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ الـ مَعْدُومَ عِنْدَ الْعَقْلِ فِي الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «صوفيتهم» يعني الصوفي منهم مَنْ عبد الوجودَ المطلق، كيف عبد الوجودَ المطلق؟ لأنهم يرون أَنَّ الله عزَّ وجلَّ هو الوجود المطلق بشرط الإطلاق، ومعنى الوجود المطلق بشرط الإطلاق: أنه لا يمكن أن يُوصف بصفة، فلا تقل: موجود ولا معدوم.

لو قيل لهم: مَنْ إلهكم؟ مَنْ رَبُّكُمْ؟ قالوا: ربنا لا موجود، ولا معدوم، ولا حيٌّ ولا ميت، ولا عالم ولا جاهل، ولا سميع ولا أصم، ولا بصير ولا أعمى، لا يمكن أن يُوصف بصفة، هل هذا يمكن أن يكون موجودًا ويمكن أن يكون ربًّا؟

الجواب: أبدًا، ولا يمكن أن يوجد هذا الرَّبُّ إِلَّا فِي الْأَذْهَانِ فَقَطْ، يعني:

الذهن قد يفرض ذاتًا ليس لها صفات، أما الوجود في الخارج فلا، ولهذا قال:

(عَبَدَ الْوُجُودَ الْمُطْلَقَ الْمَعْدُومَ عِنْدَ الْعَقْلِ) فهذا معدوم، فنحن إذا

قلنا: إِنَّ الرَّبَّ الْمَعْبُودَ لَيْسَ مَوْجُودًا وَلَا مَعْدُومًا، وَلَا حَيًّا وَلَا مَيِّتًا، وَلَا سَمِيعًا وَلَا أَصَمًّا، وَلَا بَصِيرًا وَلَا أَعْمَى، وَلَا عَالِمًا وَلَا جَاهِلًا، فَإِنَّهُ يَكُونُ عَدَمًا.

هم يعبدون هذا، يعبدون مَنْ لَا يُوصَفُ بِسَمْعٍ وَلَا بَصِيرٍ، وَلَا حَيَاةٍ وَلَا مَوْتٍ،

وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، بَلْ وَلَا وَجُودَ وَلَا عَدَمَ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ.

يعني: لولا أنها مذاهب كُتِبَتْ، ونقلها الثقات لقلنا: إِنَّ هذا لا يمكن أن يتصوره متصورٌ فضلاً أن يجعله مُعْتَقِداً، ويطمئن إليه إلى أن يلقي الله، لكن نسأل الله العافية.

٨٠٧- أَوْ مُلْحِدٌ بِالْأَتْحَادِ يَدِينُ لَا التَّوْحِيدِ مُنْسَلِخٍ مِنَ الْأَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مُلْحِدٌ بِالْأَتْحَادِ يَدِينُ لَا التَّوْحِيدِ» يعني: يدين بالاتحاد لا التوحيد.

وفرق بين الاتحاد والتوحيد، فالتوحيد: توحيد الخالق، والاتحاد: جعل الخالق والمخلوق شيئاً واحداً، هذا مذهبهم.

فهم يقولون: (الخلق والمخلوق شيءٌ واحدٌ) فالله هو زيد وعمرو وبكر وخالد، هو الجمل والناقة، هو الدجاجة والديك، هو الحمار والبغل -والعياذ بالله- هذا هو الإله عندهم.

يقولون: لأنَّ الخالق اتَّحَدَ في المخلوق، فصارا شيئاً واحداً.

هؤلاء -والله العظيم- أكفر من النصارى، لأنَّ النصارى لم يجعلوه اتِّحاداً عاماً، بل جعلوه اتِّحاداً خاصاً، فجعلوا الاتِّحادَ في رسولٍ هو أشرف جنس بني آدم، وهؤلاء جعلوه في الكتاب والحمير وكلِّ شيء، ولم ينزهوه عن شيء أبداً، بل يقولون: زوجته هي الله، وهو الله، والعياذ بالله.

هؤلاء عبدوا الكونَ كُلَّهُ، ليس عندهم معبود، بل عبَادُ البقر أحسنُ من هؤلاء، فالبقر طيبٌ وحلال، وهؤلاء يعبدون الحمير، والكلاب، والخنزير، ولهذا يقول:

٨٠٨- مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ فِيهِ يَرَى وَصَفَ الْجَمَالِ وَمَظْهَرَ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ» - أعوذ بالله - يعني: زوجته التي هو يطؤها هي معبوده، يطاء امرأة يقول: هي رَبُّه، نسأل الله العافية.

قال ابن القيم:

٨٠٩- اللهُ أَكْبَرُ كَمْ عَلَى ذَا الْمَذْهَبِ الْمَلْعُونِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيْخَانِ

قَوْلُهُ: «اللهُ أَكْبَرُ» هذه الكلمة مثل قولنا: (اللهُ حَسِيكَ) يعني أنني أقابلك بكبرياء الله عزَّ وجلَّ وعظمته، كما تقول: (اللهُ أَكْبَرُ عَلَيْكَ)، ويحتمل أنه لا يريد هذا يعني: لا يريد التحسب عليهم، وإنما يريد تعظيمَ الله، وأنه أعظم مما وصفوه به.

قَوْلُهُ: «كَمْ عَلَى ذَا الْمَذْهَبِ الْمَلْعُونِ بَيْنَ النَّاسِ مِنْ شَيْخَانِ» كم هذه تكثيرية، يعني: هذا المذهب الملعون - وهو أدنى أوصافه أن يكون ملعوناً - كم عليه بين الناس من شيخان.

وقَوْلُهُ: «شَيْخَانِ» جمع (شيخ).

٨١٠- يَبْغُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً وَيُقْبَلُونَ نَ أَيَادِيًّا مِنْهُمْ رَجَا الْعُقْرَانِ

قَوْلُهُ: «يَبْغُونَ مِنْهُمْ دَعْوَةً» الضمير هنا في (يَبْغُونَ) يعود على الناس.

والضمير في (مِنْهُمْ) يعود على (الشَّيْخَانِ).

ومعنى البيت: أَنَّ الشَّيْخَانَ، والفلاسفة، والملاحدة، والاتحادية هؤلاء يُنصَّبون أنفسهم أولياء، وعامة الهمج الرِّعَاع يأتون لهم، وينادونهم بـ (سيدي)، والعارف بالله، ولي الله... إلخ من الألقاب، ويهيلون عليهم هالة من الألقاب.

يقول ابن القيم: يأتونهم ويبغون منهم دعوة، وما أبعد إجابة الدعوة لهؤلاء! يقول: يا سيدي ادعُ الله لي، فليس عندي أولاد، وتجيء المرأة، وتقول:

سيدي لم أُخْطَب، وأنا بلغت ثلاثين سنة، ادعُ الله لي... إلخ، وهو يدعو، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

قَوْلُهُ: «وَيُقْبَلُونَ أَيَادِيًا مِنْهُمْ رَجَا الْغُفْرَانَ» يعني: ربما يمدُّ الشيخُ يده من حين ما يُقْبَلُ العامَّة لأجل أن يقبلوها للتعظيم، وربما ينحنون له ويركعون ويسجدون، ولا يُهْمُّ هذا، قال ابن القيم:

٨١١- لَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ رَجَّوْهُمْ لَا شَكَّ بِالصَّوَّانِ
قَوْلُهُ: «لَوْ أَنَّهُمْ» الضمير يعود على الناس.

قَوْلُهُ: «عَرَفُوا حَقِيقَةَ أَمْرِهِمْ» أي: عرفوا حقيقة أمر السُّيَّخَانِ.

لو عرفوا أنَّ هؤلاء القوم لا يَعْبُدُونَ أحداً، ولا يعتقدون وجود رَبِّ إِلَّا هذا الكون (رَجَّوْهُمْ بِالصَّوَّانِ) والصَّوَّان: الحَجَر القوي، وهو ما يُعرف عندنا بالمَرْو، وهم مستحقون لذلك، بل أكثر من هذا، ولهذا يقول -رحمه الله-:

٨١٢- فَايْذُرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشْفَهُمْ وَافْرِشْ لَهُمْ كَفًّا مِنَ الْأَتْبَانِ

يعني: إذا كنت تريد أن تكشف حال هؤلاء لا تجادلهم، ولا تُعَنِّفَهُمْ، فإنك إن عَنَنْتَ فهم في مقام رفيع -عند أنفسهم- يخاطبونك من منطلق الاستعلاء والقوة، لأنَّ العامَّة كُلَّهُمْ معهم، تجيء البيت أو المكان الذي حوله تجد عامَّةً مثل الجراد، لو تأتيه وتعنف عليه يُغري بك هؤلاء، مَنْ يفكك مِنْ هؤلاء العامَّة؟! والعوام كما يقولون: هوام.

لكن يقول: جادلهم، افرش لهم كفاً من الأتبان، يعني: من الشيء السهل اللين، واستدرج بهم كأنك تريد أن تفهم مذهبهم.

وهذه من الأساليب الجيدة، إذا أردت أن تستخرج ما عند الإنسان فلا تنكر عليه، إذا أنكرت عليه إن كان هو في مقام يرى نفسه أعلى منك زجرك ورحمت بعيداً، وإن كان لا يشعر بأنه أعلى منك نهرك أو كتم ما عنده، لكن استدرج به، وإن كان بعض الإخوة يقول: هذا من باب التجسس.

فنقول: ليس هذا من باب التجسس، بل هذا من باب العثور على الحقيقة، وقد فعله نبيٌّ من الأنبياء، كانت امرأتان معها ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما، فقالت صاحبتها: إنما ذهب بابنك. وقالت الأخرى: إنما ذهب بابنك. فتحاكما إلى داود، ففضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرته فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينهما. فقالت الصغرى: لا تفعل -يرحمك الله- هو ابنها. ففضى به للصغرى^(١). لكن لماذا قضى به للصغيرة؟

الجواب: لأنه عرف أن الكبيرة لم ترحمه بدليل أنها وافقت على شقه، وأنه سيموت بذلك، فعرف أنها ليست أمه، والصغيرة عرف أنها أمه.

إِذَنْ هَلْ نَقُولُ: هَذَا تَجَسُّسٌ؟

الجواب: لا، أبداً، إذا عمل الإنسان عملاً يدرك به الحقيقة مع وجود القرينة فهذا طيب، فمثلاً إذا جئنا لإنسانٍ ملحد أو منافق واستدرجناه كأننا نريد أن ندخل في مذهبه فليس في هذا مانع.

الآن الذين يُروِّجون المخدرات يوجد بعض الناس الذين يستدرجونهم، ويعطونهم الدراهم حتى يبيعوا لهم، فهذا الاستدراج جائز لاستخراج الحق.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِداوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾، برقم (٣٢٤٤).

المهم أن ابن القيم أعطانا هذه الطريقة وهي جيّدة، يقول: (فَاْبْدُرْ لَهُمْ إِنْ كُنْتَ تَبْغِي كَشْفَهُمْ) باللّين، افرش، والناس يقولون: أعطاه فرشه يعني: مهّد له الأمر حتى يستمكن منه.

٨١٣- وَاطْهَرُ بِمَظْهَرٍ قَابِلٍ مِنْهُمْ وَلَا تَظْهَرُ بِمَظْهَرٍ صَاحِبِ النُّكْرَانِ

وهذا صحيح، لأنك لو ظهرت بمظهر صاحب النكران - كما سبق - إن كان يرى أنه في مكان أعلى منك زجرك ونهرك حتى تبعد، وإن كان له أتباع فمن يفكك منهم؟ وإن كان لا يرى ذلك فإنه يكتمك ولا يُجبرك، لكن أنت أعطه اللّين.

٨١٤- وَانظُرْ إِلَى أَنْهَارِ كُفْرٍ فُجِّرَتْ وَتَمِّمْ لَوْلَا السَّيْفُ بِالْجَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَانظُرْ إِلَى أَنْهَارِ كُفْرٍ فُجِّرَتْ» متى تنظر إليها؟

الجواب: إذا تمكّنت، ولا تتمكن إلا بالطريقة التي ذكرها ابن القيم - رحمه الله -.

قَوْلُهُ: «وَتَمِّمْ لَوْلَا السَّيْفُ بِالْجَرَيَانِ» يعني: لولا أن هؤلاء الفلاسفة يخشون سيف الولاة لجرت أنهار الكفر من أفواههم وكتبهم، لكنهم يتسترون، ويتعاملون مع الزمن، إن وجدوا فرصة لإظهار باطلهم أظهروه، وإن لم يجدوا فرصة كتموه.

هذا هو مذهب ابن سينا وأتباعه والأتحاديين، الكفر البواح بالله عزّ وجلّ الذي هو أكفر من كفر اليهود والنصارى، وكما علمتم مذهب الأتّحاديين كيف يؤدي إلى هذا اللّازم الخبيث، وهم مقرون بهذا، ولا ينكرونه، والعياذ بالله.

فصل

فِي مَقَالَاتِ طَوَائِفِ الْإِتِّحَادِيَةِ فِي كَلَامِ الرَّبِّ - جَلَّ جَلَالُهُ -

- ٨١٥- وَأَتَتْ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ بِمِلَّةٍ
 ٨١٦- قَالُوا: كَلَامُ اللَّهِ كُلُّ كَلَامٍ هـ
 ٨١٧- نَظْمًا وَنَثْرًا زُورُهُ وَصَحِيحُهُ
 ٨١٨- فَالَسَّبُ وَالشَّتْمُ الْقَبِيحُ وَقَذْفُهُمْ
 ٨١٩- وَالنَّوْحُ وَالتَّعْزِيمُ وَالسَّحْرُ الْمِيءِ
 ٨٢٠- هُوَ عَيْنُ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ
 ٨٢١- هَذَا الَّذِي آدَى إِلَيْهِ أَضْلُهُمْ
 ٨٢٢- إِذْ أَضْلَهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ حَقِيقَةً
 ٨٢٣- فَكَلَامُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُهُ
 ٨٢٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِالضِّدِّ
 ٨٢٥- وَكَذَلِكَ قَدْ وَصَفُوهُ أَيْضًا بِالْكَمَا
 ٨٢٦- هَذِي مَقَالَاتُ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا
- طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانٍ
 ذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانٍ
 صِدْقًا وَكِذْبًا وَاضِحَ الْبُطْلَانِ
 لِلْمُحْصَنَاتِ وَكُلِّ نَوْعِ أَغَانٍ
 مِنْ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ وَالْهَدْيَانِ
 وَكَلَامُهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ
 وَعَلَيْهِ قَامَ مُكَسَّحُ الْبُنْيَانِ
 عَيْنُ الْوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الْأَكْوَانِ
 وَصِفَاتُهُ مَا هَاهُنَا قَوْلَانِ^(١)
 ضِدِّينِ مِنْ قُبْحٍ وَمِنْ إِحْسَانِ
 لِ وَضِدِّهِ مِنْ سَائِرِ التَّقْصَانِ
 مُجِلَّتْ إِلَيْكَ رَخِيصَةَ الْأَثْمَانِ

(١) في نسخة الحلبي: «غيران».

٨٢٧- وَأَظُنُّ لَوْ فَتَشْتِ كُتِبَ النَّاسِ مَا أَلْفَيْتَهَا أَبَدًا بِذَا التَّبَيَّنِ
٨٢٨- زُفْتُ إِلَيْكَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ نَاطِرٌ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

الشرح

هذه المقطوعة من كلام المؤلف يُبين فيها المذهب الأخير من مذاهب الناس في كلام الله، وهو مذهب أهل الاتحاد القائلين بوحدة الوجود، وأنَّ الرَّبَّ عَيْنُ المربوب، والخالقُ عَيْنُ المخلوق.

قالوا: فإذا كان الرَّبُّ عَيْنَ المربوب، والخالقُ عَيْنَ المخلوق لَزِمَ أن يكون كلامُ المخلوق هو كلام الخالق، فجعلوا كلامَ الله كلامَ المخلوقين، فكلامي وكلامُ زيد وعمرو وغيرهم هو كلام الله، لماذا؟ لأنني وأنت، وزيدا وغيره، كُلُّنا الله - عيادا بالله-، ولا فرق بين الخالق والمخلوق، قالوا: إنَّ المخلوق اتَّحد بالخالق فصارا واحداً، فإذا قيل: كلام الله، فهو كلامُ كُلِّ ذي كلام، واستمع إذ يقول:

٨١٥- وَأَتَتْ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ بِمِلَّةٍ طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانٍ
قَوْلُهُ: «وَأَتَتْ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ» والاتحاد يعني: اتحاد الخالق بالمخلوق، وأنها شيءٌ واحد.

٨١٦- قَالُوا: كَلَامُ اللَّهِ كُلُّ كَلَامٍ هَـ ذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانٍ
هذا كلام الله، فكلام الخلق هو كلام الله، يقول -رحمه الله-:

٨١٧- نَظْمًا وَنَثْرًا زُورُهُ وَصَحِيحُهُ صِدْقًا وَكِذْبًا وَاضِحَ الْبُطْلَانِ
قَوْلُهُ: «نَظْمًا وَنَثْرًا» النظم كلام الله، والبثر كلام الله.
قَوْلُهُ: «زُورُهُ وَصَحِيحُهُ» يعني: الباطل والصحيح كله كلام الله.

قَوْلُهُ: «صِدْقًا وَكِذْبًا وَاضِحَ الْبُطْلَانِ» أي: الصدق والكذب كُله كلام الله.

٨١٨- فَالْسَّبُّ وَالشَّتْمُ الْقَبِيحُ وَقَذْفُهُمْ لِلْمُحَصَّنَاتِ وَكُلُّ نَوْعِ أَغَانٍ

٨١٩- وَالنَّوْحُ وَالتَّعْزِيمُ وَالسَّحْرُ الْمُبِيحُ مِنْ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ وَالْهَدْيَانِ

٨٢٠- هُوَ عَيْنُ قَوْلِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَلَامُهُ حَقًّا بِإِلْتِكْرَانِ

أعوذ بالله، قذف المحصنات هو كلام الله، فالرجل إذا قال لشخصي: يا زاني، فقوله: (يا زاني) هذا كلام الله، السَّبُّ والأغاني والشتم والسحر والعزائم كلها كلام الله.

٨٢١- هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ أَصْلُهُمْ وَعَلَيْهِ قَامَ مُكْسَحُ الْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا الَّذِي» يعني: كأنه قيل: لماذا؟ قال: هذا الذي أَدَّى إِلَيْهِ أَصْلُهُمْ وعليه قام مُكْسَحُ الْبُنْيَانِ، يعني: البنيانُ المُكْسَحُ الذي لا يستطيع أن يقوم، هذا قام على هذا الأصل.

٨٢٢- إِذْ أَصْلُهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ حَقِيقَةً عَيْنُ الْوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الْأَكْوَانِ

هذا أصلهم أَنَّ الْإِلَهَ -سبحانه وتعالى- هو عَيْنُ الْوُجُودِ وَعَيْنُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ، فالشمس هي الله، والقمر، والسماء، والأرض، والإنسان، والجن، كُلُّ شَيْءٍ فِي الْوُجُودِ فَهُوَ اللَّهُ، فكلامه يكون هو كلام الله.

٨٢٣- فَكَلَامُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُهُ وَصِفَاتُهُ مَا هَا هُنَا قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «فَكَلَامُهَا وَصِفَاتُهَا هُوَ قَوْلُهُ وَصِفَاتُهُ» يعني: كلامها هو قوله، وصفاتها هي صفاته.

قَوْلُهُ: «مَا هَا هُنَا قَوْلَانِ» يعني: وما هاهنا صفتان، فهاهنا قولان، لأنه قول واحد، كله قول الله، ولا هاهنا صفتان، لأنها كلها صفة لموصوف واحد.

٨٢٤- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ الْمَوْصُوفُ بِالضُّدِّ ضِدِّينِ مِنْ قُبْحٍ وَمِنْ إِحْسَانِ

الموجودات فيها شيء قبيح، وفيها شيء حسن، كلها الله، إذن يوصف الله بالضدين: الحسن والقبح.

٨٢٥- وَكَذَلِكَ قَدْ وَصَفُوهُ أَيْضًا بِالْكَمَالِ لِضِدِّهِ مِنْ سَائِرِ النُّقْصَانِ

هذا مذهب الاتحاديين القائلين بأن المخلوق والخالق شيء واحد، فكلام المخلوق هو كلام الخالق، وكلام الخالق هو كلام المخلوق.

وهذا المذهب لولا أنه كما قال المؤلف ولولا أنه ذُكر ما صدقنا أن أحدًا يذهب إليه.

٨٢٦- هَذِي مَقَالَاتُ الطَّوَائِفِ كُلِّهَا حَمَلْتُ إِلَيْكَ رَخِيصَةَ الْأَثَمَانِ

٨٢٧- وَأَطْنُ لَوْ فَتَشْتَتِ كُتُبَ النَّاسِ مَا أَلْفَيْتَهَا أَبَدًا بِذَا التَّبْيَانِ

٨٢٨- رُفَّتْ إِلَيْكَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ نَاطِرٌ أَبْصَرْتَ ذَاتَ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ

نقول: جرى الله المؤلف خيرًا، جمعها لنا ورَفَّهَا إلينا، ولو فَتَشْتَتْنَا في غير هذا الكتاب لم نجدها مجموعة هذا الجمع، لكن هذا من نعمة الله على المؤلف، ومن نعمة الله على من انتفع بمؤلفه أن جُمِعَت الأقاويل وحُصِرَت.

ثم شرع المؤلف يردُّ على هذه المذاهب، فقال:

- ٨٢٩- فَأَعْطِفْ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَلَى
خَرَقُوا سِيَّاحَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ
- ٨٣٠- شَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ وَاكْسَرَهُمْ
بَلْ نَادِي فِي نَادِيهِمْ بِأَذَانِ
- ٨٣١- أَفْسَدْتُمْ الْمَنْقُولَ وَالْمَعْقُولَ وَالْأَنْقُولَ
مَسْمُوعٍ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانِ
- ٨٣٢- أَبْصَحُ وَصَفُ الشَّيْءِ بِالْمُسْتَقِّ لِلدَّ
مَسْلُوبٍ مَعْنَاهُ لِذِي الْأَذْهَانِ
- ٨٣٣- أَبْصَحُ صَبَّارٌ وَلَا صَبْرٌ لَهُ؟
وَيَصِحُّ شَكَارٌ بِلَا شُكْرَانِ؟!
- ٨٣٤- وَيَصِحُّ عَلَّامٌ وَلَا عِلْمٌ لَهُ؟
وَيَصِحُّ غَفَّارٌ بِلَا غُفْرَانِ؟!
- ٨٣٥- وَيُقَالُ: هَذَا سَامِعٌ أَوْ مُبْصِرٌ
وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ مَفْقُودَانِ
- ٨٣٦- هَذَا مُحَالٌ فِي الْعُقُولِ وَفِي النُّقُولِ
لِ وَفِي اللُّغَاتِ وَغَيْرِ ذِي إِمْكَانِ
- ٨٣٧- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ
لَكِنْ بِقَوْلٍ قَامَ بِالْإِنْسَانِ
- ٨٣٨- أَوْ غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا بَاطِلٌ
وَعَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ مَخْذُورَانِ
- ٨٣٩- نَفِي اشْتِقَاقِ اللَّفْظِ لِلْمَوْجُودِ مَعَهُ
سِنَاهُ بِهِ وَتُبُوئُهُ لِلثَّانِي
- ٨٤٠- أَعْنِي الَّذِي مَا قَامَ مَعْنَاهُ بِهِ
قَلْبُ الْحَقَائِقِ أَقْبَحُ الْبُهْتَانِ
- ٨٤١- وَنَظِيرُ ذَا أَخْوَانٍ: هَذَا مُبْصِرٌ
وَأَخُوهُ مَعْدُودٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ
- ٨٤٢- سَمَّيْتُمُ الْأَعْمَى بَصِيرًا إِذْ أَخُو
هُ مُبْصِرٌ وَبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي
- ٨٤٣- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ
فِي فِعْلِهِ كَمَا خَلِقَ لِلْأَكْوَانِ

- ٨٤٤- وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِقَائِمٍ بِإِلَهِنَا إِذْ لَا يَكُونُ مَحَلًّا ذِي حَدَثَانِ
 ٨٤٥- وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ فَكَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَحْدَانِ
 ٨٤٦- هُوَ فَاعِلٌ لِكَلَامِهِ وَكِتَابِهِ لَيْسَ الْكَلَامُ لَهُ بِوَصْفٍ مَعَانَ

الشرح

شرح المؤلف - رحمه الله - في هذه المقطوعة يرُدُّ على هؤلاء المنحرفين في عقيدتهم في كلام الله، فبدأ أولاً بالجهمية، وهم أتباع الجهم بن صفوان أول مَنْ قال بالتعطيل حينما قال: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا.

فالجهمية يقولون: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ، أَي: خَالِقٌ لِلْكَلامِ فِي غَيْرِهِ، أَمَا هُوَ نَفْسُهُ فَلَمْ يَتَكَلَّمْ، لَكِنْ يَخْلُقُ الْكَلَامَ، فَيُضِيفُهُ إِلَى نَفْسِهِ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا كَمَا خَلَقَ النَّاقَةَ وَأَضَافَهَا إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٧٣] تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا، وَكَمَا خَلَقَ الْبَيْتَ وَأَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ، فَقَالَ: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ [الحج: ٢٦] تَشْرِيفًا وَتَكْرِيمًا، وَكَمَا أَضَافَ مَحَلَّ عِبَادَتِهِ إِلَى نَفْسِهِ وَهِيَ الْمَسَاجِدُ، فَقَالَ: ﴿وَمَنْ أَظَلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٤].

إِذَنْ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ كَلَامٌ مَخْلُوقٌ خَلَقَهُ فِي غَيْرِهِ، لَكِنْ أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ مِنْ بَابِ التَّشْرِيفِ، أَمَا اللَّهُ نَفْسُهُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ، وَسَيَأْتِي بَيَانُ عِلَّتِهِمْ.

إِذَنْ كَلَامُ اللَّهِ -عِنْدَهُمْ- هُوَ كَلَامٌ مَخْلُوقٌ فِي غَيْرِهِ، أُضِيفَ إِلَى نَفْسِهِ عَلَى وَجْهِ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، أَمَا اللَّهُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ اللَّهُ أَبَدًا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، لَكِنْ خَلَقَ كَلَامًا بِهَذِهِ الْحُرُوفِ، سَمِعَهُ جِبْرِيْلُ، فَنَزَلَ بِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَلَيْسَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي قَالَ لِمُوسَى: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿ طه:١٤ ﴾، لكنه خلقه في شيء، إما في الهواء، وإما في الشجرة، وإما في كذا وكذا، وسمعه موسى، أما الله فلم يتكلم.

يقول ابن القيم - رحمه الله -:

٨٢٩- فَاعْظِفْ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَيُّ خَرَقُوا سِيَاجَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَاعْظِفْ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَيُّ» (الْمُغْلِ): يعني: المغول،

المغول هم التتار الذين خرجوا على المسلمين، فأفسدوا الدنيا والدين، وأصل طامة المغول من الجهمية، لأنَّ كُلَّ تعطيل فأصله من الجهمية، كما أنَّ كُلَّ خروج على الأئمة فأصله من الخوارج، وكما أنَّ كُلَّ غلو في آل البيت فأصله من الرافضة، وهكذا فأصول البدع كلها معروفة والحمد لله.

فالجهمية هم أصل التعطيل، وكان على مذهبهم هؤلاء المغول الذين أفسدوا الدنيا والدين.

قَوْلُهُ: «خَرَقُوا سِيَاجَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ» سياج الشيء: ما أحاط به من سورٍ،

فهم خرقوا سياج العقل والنقل.

نأخذ أنهم خرقوا سياج النقل من قوله: «وَالْقُرْآنِ».

٨٣٠- شَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ وَاكْسَرَهُمْ بَلْ نَادٍ فِي نَادِيهِمْ بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «شَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ وَاكْسَرَهُمْ» يعني: نكل بهم نكالاً يهرب به مَنْ

خلفهم، كما قال الله تعالى: ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال:٥٧]

فمعنى تشريد مَنْ خلفهم أن يُنكَلَّ بهم حتى يُشَرَّدَ مَنْ خلفهم من شدة ما يرى من التنكيل بهم، يخشى أن يصيبه ما أصابهم.

قَوْلُهُ: «بَلْ نَادِي نَادِيهِمْ بِأَذَانٍ» (نَادِيهِمْ) أي: مجتمعهم، وقوله: «بِأَذَانٍ» أي: بإعلام.

٨٣١- أَفْسَدْتُمْ الْمَنْقُولَ وَالْمَعْقُولَ وَالْمَسْمُوعَ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانٍ

يعني: كلامكم هذا أفسد المعقول والمنقول والمسموع من اللغات.

إِذَنْ أَفْسَدَ الْعَقْلَ وَالنَّقْلَ وَاللُّغَةَ، ثُمَّ بَيَّنَّ فِسَادَهُ فَقَالَ:

٨٣٢- أَيْصَحُّ وَصْفُ الشَّيْءِ بِالْمُشْتَقِّ لِدِّ مَسْلُوبٍ مَعْنَاهُ لِذِي الْأَذْهَانِ

يعني: كيف يصحُّ أن تصف الشيء بمشتق وهو لا يتضمن معناه؟! هل يصحُّ أن تقول للقاعد: (أنت قائم)؟ الجواب: لا، لأنك لو قلت للقاعد: قائم، وصفت هذا القاعد بوصف مسلوب منه، يعني منتفياً عنه، فهل يصحُّ أن يوصف الشيء بالمشتق للمسلوب معناه لذي الأذهان؟ الجواب: كلا، لا يصحُّ أبداً.

٨٣٣- أَيْصَحُّ صَبَّارٌ وَلَا صَبْرٌ لَهُ؟! وَيَصِحُّ شَكَارٌ بِلَا شُكْرَانٍ؟!

٨٣٤- وَيَصِحُّ عَلَّامٌ وَلَا عِلْمٌ لَهُ؟! وَيَصِحُّ غَفَّارٌ بِلَا غُفْرَانٍ؟!

يعني: هل يصحُّ أن يوصف الشيء بالمشتق وليس فيه ذلك المشتق فضلاً عن أن يوصف به غيره؟!

الجواب: لا يصحُّ أبداً.

٨٣٥- وَيُقَالُ: هَذَا سَامِعٌ أَوْ مُبْصِرٌ وَالسَّمْعُ وَالْإِبْصَارُ مَفْقُودَانِ

لو رأيت أصمَّ فضربت المدفع عند أذنه ما سمع، فإذا قلت: ما شاء الله، هذا الرجل سمَّعه يخرق الجدران، فلا يصحُّ هذا، فلا يصحُّ أن نقول: إنه سميع.

أيضًا هل يصح أن يقال: هذا مبصر، والبصر مفقود منه؟

فلو عندك رجل أعمى، فقلت: ما شاء الله، هذا الرجل يبصر النملة السوداء في الليلة الظلماء، نقول: هذا غير صحيح، فلو قلت هذا لرمك الناس بالجنون، لأن هذا لا يمكن، ولهذا قال:

٨٣٦- هَذَا مُحَالٌ فِي الْعُقُولِ وَفِي النَّقْوِ لِي وَفِي اللَّغَاتِ وَغَيْرِ ذِي إِمْكَانٍ

مستحيل أن تصف شخصًا بالبصر وهو أعمى، وبالسمع وهو أصم، وبالصبر وهو جزوع، وبالشكر وهو كفور، لا يمكن هذا أبدًا.

٨٣٧- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ لَكِنْ بِقَوْلٍ قَامَ بِالْإِنْسَانِ

٨٣٨- أَوْ غَيْرِهِ، فَيُقَالُ: هَذَا بَاطِلٌ وَعَلَيْكُمْ فِي ذَاكَ مُحْذُورَانِ

إذا قالوا نحن نقول: الله متكلم بكلام قام بالإنسان، أو قام بغير الإنسان مثل: جبريل، الشجرة، الهواء، المهم إذا قلت: نُقِرُّ بِأَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ لَكِنْ بِكَلَامٍ قَامَ بغيره، هل هذا صحيح؟!

يعني: لو قيّد وقال: متكلم هو نفسه بكلام قام بغيره، فيقال: هذا باطل، يعني: هذا الكلام باطل، ولا يمكن أن نقول: إنه متكلم بكلام قام بغيره.

قَوْلُهُ: «وَعَلَيْكُمْ فِي ذَاكَ مُحْذُورَانِ» فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ يَعْنِي: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَامَ بغيره عَلَيْكُمْ بِذَلِكَ مُحْذُورَانِ: الْأَوَّلُ: قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

٨٣٩- نَفْيُ اسْتِثْقاقِ اللَّفْظِ لِلْمَوْجُودِ مَعَهُ -نَاهُ بِهِ وَتُبُوثُهُ لِلثَّانِي

قَوْلُهُ: «نَفْيُ اسْتِثْقاقِ اللَّفْظِ لِلْمَوْجُودِ مَعْنَاهُ بِهِ» هَذَا وَاحِدٌ، لِأَنَّهُمْ نَفَوْا أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ قَائِمًا بِاللَّهِ.

قَوْلُهُ: «وَتُبُوتهُ لِلثَّانِي» أي: جعلوا الكلام ثابتًا للمخلوق، يعني: لغير الله فهو إِمَّا لِلإِنْسَانِ، وإِمَّا لِجَبْرِيلِ أو لغيره، فصار في ذلك محذوران: المحذور الأول: أنكم تَفَيِّتُمُ الكلام عن الله، مع أنه هو الموصوف به. المحذور الثاني: أنكم أثبتتم الكلام لغير الله وهو لم يتكلم به. فأخطأوا في الأمرين.

٨٤٠- أَغْنِي الَّذِي مَا قَامَ مَعْنَاهُ بِهِ قَلْبُ الْحَقَائِقِ أَقْبَحُ الْبُهْتَانِ وهذه قاعدة مفيدة وهي: (قلب الحقائق أقبح البهتان)، وهذا الكلام الذي قاله الجهمية قلبٌ للحقائق، وليس مطابقًا لها.

فقلب الحقائق أقبح البهتان، وما أكثر قلب الحقائق في إذاعات العرب اليوم! يقولون أشياء ليس لها أصل، يقلبون الحقائق، فالحقائق تشاهد، وهم يقلبونها إلى أمور مخالفة للمُشَاهِدِ، لكن هذه القاعدة تفيدهم، ولهذا يحسن أن تستشهد بهذا الشرط على إذاعات كثير من العرب اليوم، فتقول: (قَلْبُ الْحَقَائِقِ أَقْبَحُ الْبُهْتَانِ).

ثُمَّ أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ أَنْ يُمَثِّلَ الْمَعْقُولَ بِالْمَحْسُوسِ فَقَالَ:

٨٤١- وَنَظِيرُ ذَا أَحْوَانَ: هَذَا مُبْصِرٌ وَأَخُوهُ مَعْدُودٌ مِنَ الْعُمَيَّانِ وَأَخُوهُ إِذَا كَانَ مَعْدُودًا مِنَ الْعُمَيَّانِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَعْمَى.

٨٤٢- سَمَّيْتُمُ الْأَعْمَى بَصِيرًا إِذَا أَحْوَهُ مُبْصِرٌ وَبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي قَوْلُهُ: «وَبِعَكْسِهِ فِي الثَّانِي» يعني: سَمَّيْتُمُ الْبَصِيرَ أَعْمَى.

فعدنا أخوان: أحدهما أعمى، والثاني: مبصر، فقلنا للأعمى: هَذَا اللهُ
بالبصر القوي، وقلنا للبصير: جَبَرَ اللهُ مَصِيبتَكَ بالعمى، فوصفنا البصير بأنه
أعمى، فقال: لستُ أعمى، فأنا بصير أرى، قالوا: لا، نقلنا الوصف من أخيك
إليك، ونقلنا وصفك إلى أخيك، فأخوك نسميه مبصرًا، وأنت نسميك أعمى.

فهذا يقيم دعوى علينا، وأما أخوه فإنه يفرح، ويجعله عيدًا.

على كل حال ابن القيم - رحمه الله - يقول: هل هذا معقول أنك تسمي الأعمى
بصيرًا والبصير أعمى؟!

الجواب: غير معقول، أنتم الآن تقولون: إنَّ الله متكلّم والكلام لغيره! فإذا
كان غير الله يتكلّم فالله لا يتكلّم، وإذا كان الله هو الذي يتكلّم فغيره لا يتكلّم،
أمّا أن تقول: الله متكلّم وكلامه هو ما سُمِعَ من جبريل، وما سمع من الشجرة،
وما سمع في الهواء، أما ذات الله فلا.

يقول ابن القيم:

٨٤٣- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ فِي فِعْلِهِ كَالْخَلْقِ لِلْأَكْوَانِ

٨٤٤- وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِقَائِمٍ بِإِلَهِنَا إِذْ لَا يَكُونُ مَحَلًّا لِذِي حِدْتَانِ

هم قالوا: أنتم تقولون: لا يمكن أن يُوصَفَ بالكلام الذي كان قائمًا بغيره،
ولكننا لا نُسَلِّمُ بهذا، وعندنا مثال: الخلق فعل قائم بال مخلوق، انتبه للتنظير
لتعرف هل هذا التنظير صحيح أو غير صحيح؟

هم يقولون: عندنا قاعدة، وهي: أن الحوادث لا تقوم بالله، فكلُّ شيء
حادث لا يمكن أن يقوم بالله، يعني: لا يمكن أن يَتَّصِفَ به الله، فكلُّ شيء

حادث، والكلام عندهم حادث، كما هو عند أهل السنة، يتعلّق بالمشيئة، والخلق حادث يتعلّق بالمشيئة لقوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٧].

يقولون: الخلق لا يقوم بالله، والكلام لا يقوم بالله، والاستواء على العرش لا يقوم بالله، فكلُّ شيء يتضمن الحدوث فإنه لا يقوم بالله، لماذا؟ قالوا: لأنَّ ما قام به الحادث فهو حادث، وهذه قاعدة عندهم.

فنقول: هذا غير صحيح، فهذه القاعدة باطلة من أصلها، لأنكم إذا قلتُم بقيام الحوادث بالله لزم أن يكون الله حادثًا، فالحوادث فعل المُحْدِث، والفاعل لا بدَّ أن يتقدّم على الفعل، والفعل لا بدَّ أن يتقدّم على المفعول أو على الأقل يكون مقارنًا له، أمّا أن نقول: كلُّ ما قام به حادث فهو حادث، فهذا ليس بصحيح.

وعندنا أيضًا دليل - من أنفسنا - مِنَّا مخلوق منذ عشرين سنة، ثمَّ قام الآن الساعة السابعة والرّبع فهل يلزم أن يكون حادثًا الساعة السابعة والرّبع وهو منذ عشرين سنة؟

الجواب: لا يلزم، فصَحَّ أنَّ الفاعل يسبِقُ الفعل، وأنه لا يلزم من حدوث الفعل أن يكون الفاعل حادثًا، فهذا الإنسان بالنسبة لفعله قديم، لأنَّ له عشرين سنة، والفعل لم يحصل إلَّا في هذا الوقت.

إذن لا يلزم من حدوث الشيء أن يكون ما حدث به الشيء حادثًا، فليتقدم هذا بالزمان، فالله عزَّ وجلَّ تقوم به الحوادث بمعنى أنه يفعل ما يشاء فعلاً متجددًا حادثًا بعد أن لم يكن، ومع ذلك هو بنفسه قديم أزليٌّ.

قوله: «وَالْفِعْلُ لَيْسَ بِقَائِمٍ بِالْهِنَا... إلخ» هذا قول الجهمية.

٨٤٥- وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ فَكَذَلِكَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَحْدَانِ

يعني: الفعل (الخلق) متعلق بالمخلوق، وَيَصِحُّ أَنْ يُشْتَقَّ مِنْهُ خَالِقٌ مع أَنَّ الفعل قائمٌ بغيره، إذ إِنَّ المخلوقَ منفصلٌ عن الله، فيقول: وكذلك الكلام، ولذا قال:

٨٤٦- هُوَ فَاعِلٌ لِكَلَامِهِ وَكِتَابِهِ لَيْسَ الْكَلَامُ لَهُ بِوَصْفِ مَعَانِ

فيدعون أنه إذا قيل: متكلّم يعني: خالقًا للكلام، كما إذا قيل: خالق، فالمخلوق منفصل بائن.

ونحن نُجِيبُهُمْ عَلَى هَذَا بِأَنَّ الْخَلْقَ غَيْرُ الْمَخْلُوقِ، فَالْخَلْقُ فَعْلُ الْخَالِقِ، وَالْمَخْلُوقُ مَفْعُولُ الْخَالِقِ، أَنْتَ الْآنَ لَوْ صَنَعْتَ شَيْئًا فَهَذَا مَصْنُوعٌ، وَفَعْلُهُ صُنْعٌ، وَلَوْ بَنَيْتَ بَيْتًا، فَهَذَا مَبْنِيٌّ وَفَعْلُهُ بِنَاءٌ، إِذَنْ فَالْخَلْقُ بِمَعْنَى الْمَخْلُوقِ مَنْفَصِلٌ بِائِنٍ عَنِ الْخَالِقِ، وَالْخَلْقُ وَصْفُهُ الْقَائِمُ بِهِ، لَكِنْ لَمَّا كَانَ الْكَلَامُ لَا يَتَعَدَّى، وَالْخَلْقُ يَتَعَدَّى، فَيُقَالُ: خَلَقَ كَذَا، أَمَّا الْكَلَامُ فَصِفَةٌ لَازِمَةٌ لِلْمُتَكَلِّمِ، لَا يَتَعَدَّى، صَارَ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ مَفْعُولٌ، مَعَ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ قَدْ يَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَفْعُولُ فَيُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ وَالرَّسُولَ ﷺ مُكَلَّمٌ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ آدَمَ: «أَنَّهُ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ»^(١)، وَحِينَئِذٍ تَكُونُ (مُكَلَّمٌ) مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى عَلَى وَزْنِ مَخْلُوقٍ.

فَعِنْدَنَا مُتَكَلَّمٌ وَهُوَ اللَّهُ، وَكَلَامٌ وَهُوَ فَعْلُهُ، وَمُكَلَّمٌ وَهُمْ الْمَخْلُوقُونَ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ الْكَلَامِ.

(١) أخرجه أحمد في المسند، حديث أبي ذر الغفاري، برقم (٢٢١٦٧).

- ٨٤٧- وَخَالَفَ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْ
فِطْرَاتِ وَالْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ
٨٤٨- مَنْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ
وَصَفُّ قَدِيمٌ أَحْرَفٌ وَمَعَانِ
٨٤٩- وَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَيْسَتْ بَعْدَهَا
لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرِنَانِ
٨٥٠- أَوْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ
مَعْنَى قَدِيمٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
٨٥١- مَا إِنْ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا أَلْ
عَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا الْعِبْرَانِي
٨٥٢- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ وَاسْتِنْفَاهُمُ
هُوَ عَيْنُ أَخْبَارِ بِلَا فَرْقَانِ
٨٥٣- وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَلِكَ مَقْ
دورًا لَهُ بَلْ لَازِمُ الرَّحْمَنِ
٨٥٤- هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ الْمَعْقُولَ وَالْ
مَنْقُولَ وَالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ
٨٥٥- أَمَّا الَّذِي قَدْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ
ذُو أَحْرَفٍ قَدْ رُتِبَتْ بِيَّانِ
٨٥٦- وَكَلَامُهُ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ
كَالْفِعْلِ مِنْهُ كِلَاهُمَا سِيَّانِ
٨٥٧- فَهُوَ الَّذِي قَدْ قَالَ قَوْلًا يَعْلَمُ أَلْ
عُقَلَاءُ صِحَّتَهُ بِلَا نُكْرَانِ
٨٥٨- فَلَايَ شَيْءٍ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ
أُولَى وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلْبُرْهَانِ؟!
٨٥٩- وَلَايَ شَيْءٍ دَائِمًا كَفَرْتُمْ
أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ بِالْعُدْوَانِ؟!
٨٦٠- فَدَعُوا الدَّعَاوَى وَابْحَثُوا مَعْنَى بَتْحِ
قَبِيْقٍ وَإِنْصَافٍ بِلَا عُدْوَانِ
٨٦١- وَارْزُقُوا مَذَاهِبِكُمْ وَسُدُّوا خَرْقَهَا
إِنْ كَانَ ذَلِكَ الرَّفُوفِي الْإِمْكَانِ
٨٦٢- فَاحْكُمْ - هَذَاكَ اللهُ - بَيْنَهُمْ فَقَدْ
أَذَلُّوا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَّانِ

- ٨٦٣- لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ هُمْ عَسَكَرُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
 ٨٦٤- وَتَحْيِيَّ زَنِّ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرِهِمْ لَتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ
 ٨٦٥- فَتَقُولُ: هَذَا الْقَدْرُ قَدْ أَعْيَا عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ وَقَادَهُ أَصْلَانِ
 ٨٦٦- إِحْدَاهُمَا: هَلْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ أَوْ غَيْرُهُ فَهُمَا لَهُمْ قَوْلَانِ
 ٨٦٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ فَرُّوا مِنْ الْأَوْصَافِ بِالْحَدِيثَانِ
 ٨٦٨- لَكِنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ وَصَرِيحُهُ تَعْطِيلُ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ٨٦٩- عَنْ فِعْلِهِ إِذْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ لَكِنَّهُ مَا قَامَ بِالرَّحْمَنِ
 ٨٧٠- فَعَلَى الْحَقِيقَةِ مَا لَهُ فِعْلٌ إِذَا أَلِ مَفْعُولٌ مُنْفَصِلٌ عَنِ الدِّيَانِ

الشرح

لما بيّن المؤلف - رحمه الله - أن كلام الجهمية مخالف للمعقول والمنقول والفطرة ذكر أن الجهمية قالوا: ليس كلامنا بمخالف للفطرة، المخالف للفطرة من قال: إن كلامه - سبحانه - هو وصف قديم، قال المؤلف:

٨٤٧- وَتُخَالِفُ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْمَنْقُولِ» الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ.

قَوْلُهُ: «الْفِطْرَاتِ»: الْفِطْرَةُ الَّتِي فُطِرَ الْإِنْسَانُ عَلَيْهَا، وَهِيَ مَا يَهْتَدِي الْإِنْسَانُ

بِهَا إِلَى الْأُمُورِ الْبَدِيعِيَّةِ.

قَوْلُهُ: «الْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ» يَعْنِي: اللُّغَةُ، لِأَنَّ اللُّغَةَ أَلْفَاظٌ تُنْقَلُ وَتُسْمَعُ.

المخالف لهذه الأشياء الأربعة مَنْ هو؟ قال:

٨٤٨- مَنْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَصَفٌ قَدِيمٌ أَحْرَفٌ وَمَعَانٍ

٨٤٩- وَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَيْسَتْ بَعْدَهَا لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ

يشير إلى مذهب الاقترانية الذين قالوا: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَصَفٌ قَدِيمٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ وَلَا بِإِرَادَتِهِ، وَأَنَّهُ أَحْرَفٌ وَمَعَانٍ، لَكِنَّ الْأَحْرَفَ مُقْتَرَنَةً، فَالسَّيْنُ فِي قَوْلِكَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) عِنْدَ الْبَاءِ مُقَارَنَةٌ لَهَا، لَيْسَتْ بَعْدَهَا، لَكِنَّهُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ.

هل هذا متصور؟!

كُلُّ يَعْرِفُ أَنَّ السَّيْنَ بَعْدَ الْبَاءِ فِي (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، هُمْ يَقُولُونَ: لَا، السَّيْنَ وَالْبَاءَ وَاحِدَةً.

هذا غير ممكن لا في العقل، ولا في النقل، ولا في اللغات كلها.

إِذْ هَذَا مَذْهَبُ الْاِقْتِرَانِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ وَصَفٌ قَدِيمٌ لَا يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَتِهِ، كَلَامَ اللَّهِ مَعْنَى وَحَرْفٌ، لَكِنَّ الْحُرُوفَ مُقْتَرَنَةً، كُلُّ كَلَامِ اللَّهِ يُخْرِجُ مُقْتَرَنًا، فَالْبَاءُ، وَالسَّيْنُ، وَالْمِيمُ، وَالْأَلْفُ، وَاللَّامُ، وَالرَّاءُ، وَالْحَاءُ، وَالْمِيمُ، وَالْأَلْفُ، وَالنُّونُ، كُلُّ الْكَلَامِ يُخْرِجُ مُقْتَرَنًا، وَلَا يُوْجَدُ فِيهِ حَرْفٌ قَبْلَ حَرْفٍ.

وهذا مخالف للمعقول والمنقول والفطرة واللغات، كُلُّ إِذَا خَاطَبْتَهُ أَوْ إِذَا قَرَأَ كَلَامَ اللَّهِ عَرَفَ أَنَّ كُلَّ حَرْفٍ يَتَلَوُّ الْحَرْفَ الْآخَرَ.

القول الثاني: الذي خالف المعقول، والمنقول، والفطرات، والكلام للجهمية الذين يريدون أن ينكروا على الاقترانية وعلى الطائفة الثانية وهم الأشاعرة.

٨٥٠- أَوْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ مَعْنَى قَدِيمٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ

هؤلاء الأشاعرة يقولون: كلام الله معنى قديم قام به كقيام الحياة والعلم، الحياة والعلم معنى قديم، لم يزل الله حيًّا عليًّا، هم يقولون: الكلام معنى قديم ليس بحرف، لم يتكلم الله بحروف إطلاقًا، ولا تكلم بكلام يُسمع إطلاقًا، إنما كلامه هو المعنى القديم القائم بنفسه.

وهذا ضلال، ومذهب خاطئ، فهم يقولون: كلام الله هو المعنى القديم القائم بنفسه، أمَّا إنَّه المسموع بالأذان فكلاً، وأمَّا إنه الحروف المتابعة فكلاً، فهو المعنى القائم بنفسه.

حقيقة الأمر أنهم فسروا الكلام بالعلم، هذا هو حقيقة مذهبهم، لأنه إذا كان الكلام هو المعنى القائم بنفسه، يعني المعنى الذي علم الله أنه سيتكلم في يوم كذا، فهذا هو العلم حقيقةً، ولهذا من أبطل ما يكون قول الأشاعرة في كلام الله، لأنَّ هذا ليس بكلام بل هذا علم، وانظر ماذا قال:

٨٥١- مَا إِنْ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ وَلَا أَلْ عَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا الْعِبْرَانِي

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ لَهُ كُلُّ وَلَا بَعْضٌ» يعني: لا تقل: (قرأتُ كُلَّ الفاتحة أو بعضها)، على أنها هي كلام الله، هذا مستحيل، فكلام الله لا يتبعض، وليس له كُلُّ، وليس له بعض، لأنه معنى قائم بالنفس، هذا هو السبب أنه لا يتجزأ، يعني: ما له كُلُّ ولا بعض، لأنه معنى قائم بالنفس، فهو وصف، هو متكلم، لكن بدون كلام يتجزأ أو يتبعض أو يُسمع.

قَوْلُهُ: «وَالْعَرَبِي حَقِيقَتُهُ وَلَا الْعِبْرَانِي» أيضا العربي هو الذي نزل على محمد ﷺ، والعبراني هو التوراة، يقول: لا نقول: كلام الله عربي ولا كلام الله عبراني،

لأنَّ وصف العربي والعبراني إنما هو للمسموع، وكلام الله معني قائم بنفسه ولا يُسَمَع، فلا نقول: كلام الله عربي، ولا نقول عبراني، ولا سُرياني، لأنَّ هذا الوصف إنما ينطبق على المسموع، وكلام الله لا يسمع، لأنه معني قائم بنفسه.

٨٥٢- وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ أَخْبَارٍ بِلا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ»: فقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [الإسراء: ٧٨] وقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء: ٣٢] هما شيء واحد.

الأمر عين النهي، سبحانه الله! إذا قال الله: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [الإسراء: ٧٨]، أو ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ [الإسراء: ٣٢] فهما شيء واحد، إذا قرأت القرآن والتوراة فهما شيء واحد، لأنه لا يوصف بعربي ولا عبراني، إذ هو شيء واحد، ولا بأمر ولا بنهي.

قَوْلُهُ: «وَاسْتِفْهَامُهُ هُوَ عَيْنُ أَخْبَارٍ» ويموز أيضًا: (إِخْبَارٍ).

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ عَيْنُ النَّهْيِ وَاسْتِفْهَامُهُ... هُوَ عَيْنُ أَخْبَارٍ بِلا فُرْقَانِ» هذه أربعة أشياء: الأمر، والنهي، والاستفهام، والرابع: الخبر، كُلُّهَا عندهم شيء واحد، فقوله تعالى: ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ [الإسراء: ٧٨] وقوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] هاتان آيتان أو جملتان، الأولى: أمر، والثانية: خبر، فهما شيء واحد.

وَقَوْلُهُ: ﴿ فَيَأْتِيءُ آلاءَ رَبِّكَ مَا تُكْذِبَانِ ﴾ [الرحمن: ١٣] هذا استفهام، وهو كقوله تعالى: ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ جَبْرِيَانِ ﴾ [الرحمن: ٥٠] خبر، فالخبر والاستفهام شيء واحد، والأمر والنهي شيء واحد، والأربعة كُلُّهَا شيء واحد.

وهذا بالنسبة لكلام الله شيء واحد، لأنهم يقولون: إنَّ الكلام وصف أو معنى قائم بنفسه، والمعنى لا يتجزأ ولا يتنوع، كما أنَّ حياة الله هل هي تتبعض أو تتجزأ؟ الجواب: لا، وهل هي تتنوع؟ الجواب: لا، كلامه كذلك هو معنى فقط، ويقال: متكلّم لكن حقيقة الأمر أن لا كلام، ولهذا كان الجهمية خيراً منهم من وجه، لأنهم يقولون: كلام الله حروف وأصوات متعلّق بمشيئته، والقرآن الذي نقرؤه هو كلام الله، هؤلاء يقولون: لا، كلام الله لا يتعلّق بمشيئته، وليس حروفاً ولا مسموعاً، ولا الذي نقرؤه كلام الله، بل هو عبارة عن كلام الله، أما كلام الله فهو المعنى القائم بنفسه.

٨٥٣- وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُورًا — دَوْرًا لَهُ بَلْ لَا زِمَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مَقْدُورًا»، وفي نسخة (مَقْدُورٌ)، والظاهر أن الصواب (مقدورًا)، لأن ابن القيم قرشيّ اللسان، وليس تميميّ اللسان، وقريش تقول: (ما زيدٌ قائمًا) وميم تقول: (ما زيدٌ قائمٌ) وهم كلُّهم عرب، لأنّ قریشًا تُعْمِلُ (ما) عمل (ليس)، وميمٌ تقول: (ما) نافية، ولا يمكن أن تعمل، فيقولون: (ما زيدٌ قائمٌ)، واسمع إلى قول الشاعر في معشوقته: قال:

وَمُهْفَهْفِ الْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ: ائْتَسِبْ فَأَجَابَ مَا قَتَلَ الْمُحِبِّ حَرَامًا^(١)

فهو تميميٌّ، وليس قرشيًّا، إذ لو كان قرشيًّا لقال: (ما قتلُ المحبِّ حرّامًا).

وهذا من ذكاء العرب أن يستدلوا على نسب الإنسان بلغته، وإلى وقتنا هذا الآن تعرف لهجة القصيمي، من الرياضي، من الشرقي، فكما كان الأولون يعرفون باللهجات فنحن الآن نعرف باللهجات.

(١) البيت من الكامل، وقد ورد ذكره في كتاب نفع الطيب غير منسوب (٥/٢٢٧).

نرجع إلى كلام المؤلف - رحمه الله - (وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُورًا لَهُ) هذا هو الصواب، لأنَّ العلماء مثل ابن القيم بعد تَغْيِيرِ اللسان، وإذا كان بعد تَغْيِيرِ اللسان فلا يمكن للإنسان أن يخرج عن اللغة الفصحى، ولهذا لو قال قائل: (ضربتُ الزيدان) لقلنا: هذا غلط، فإن قال: أنا على لغة من يلزم المثني الألف، قلنا: لا نقبل منك هذا.

نقول له: لو جئنا للغتك فهي لغة عرفية لا تعرف رفعا ولا نصبا، فالمهم بعد تَغْيِيرِ اللسان لا بد أن تكون الكتابة والنطق على لغة قريش خاصة، ولهذا جاء القرآن على لغة قريش، قال الله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يونس: ٣١].
فحياة الله عزَّ وجلَّ لازمة.

وقول المؤلف: (مَا ذَاكَ مَقْدُورًا لَهُ)، لأنَّ الشيء المستحيل لا تتعلَّق به القدرة، فهل يمكن أن يكون اللهُ عزَّ وجلَّ حيًّا ميتًا؟

الجواب: كلا، فالموت مستحيل عليه، بل هو الحي الذي لا يموت، وأمَّا الكلام فيقول: الكلام مثل الحياة، ولا يمكن ألا يكون متكلمًا، لأنه وصفٌ لازمٌ لا يتعلَّق بمشيئته، ليس إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم، إن كنت تقول: إن شاء صار حيًّا وإن شاء صار ميتًا، فقل: إن شاء تكلم وإن شاء لم يتكلم.

فانظر إلى كلام المؤلف يقول: (وَكَلَامُهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُورًا لَهُ) يعني: لا يُقَدَّرُ أن يتكلم إن شاء، وإن شاء لم يتكلم، كما لا يقدر أن يكون حيًّا وأن يكون ميتًا، فهو حيٌّ حياة لازمة له، وهو متكلمٌ كلامًا لازمًا له، لأنه معنى.

فمذهب الأشاعرة أنَّ الكلامَ ليس مسموعًا، ولا هو بحروف، ولا صوت، ولكنه معنى يتصف به، كما هو حيٌّ نقول: هو متكلمٌ، وقالوا: كلامه هو المعنى

القائم بنفسه، وليس بالذي يُسمع، لكن هذا الذي سمعه محمد وسمعه موسى؟ قالوا: هذا عبارة عن كلام الله، خلقه الله ليعبر عمّا في نفس الله، كما لو وضعت كلامًا مكتوبًا ووضعت مرآة فيخرج هذا الكلام المكتوب بالمرآة.

هم يقولون: هذا المعنى القائم بنفس الله ينطبع في الهواء، وينطبع في أيّ مكان كان، ثم يُسمع، أما أنه كلام يُسمع من الله نفسه فلا.

٨٥٤- هَذَا الَّذِي قَدْ خَالَفَ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ وَالْفَطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ

قائل هذا هم الجهمية.

فيقولون: كيف تقولون: كلامنا مخالف للمعقول والمنقول والفطرات واللغات؟! بل كلامكم هو المخالف للمعقول والمنقول والفطرات واللغات.

وَصَدَقُوا فِي هَذَا، نحن مع الجهمية في أن هذا الذي ذهب إليه الأشاعرة لا يُسمّى كلامًا، فالمعنى القائم بالنفس لا يُسمّى كلامًا أبدًا، فنحن نوافق الجهمية، لأنّ الحقّ يجب أن يُقبَلَ مِن قَالِهِ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا مُشْرِكًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، فهم قالوا شيئين: الأول: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾، الشيء الثاني: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، فقال الله: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فكذب قولهم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، لأنه باطل، وأقرهم على قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾.

إِذَنْ الْحَقُّ يُقْبَلُ وَلَوْ مِنْ كَافِرٍ، وَالْبَاطِلُ يُرَدُّ وَلَوْ مِنْ مُؤْمِنٍ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ.

فقول الجهمية للأشاعرة: إن قولهم مخالف للمعقول والمنقول والفطرات للإنسان هو قول حق، فإن هذا الذي ذهبوا إليه غير معقول، فلا يُعقل أن يُسمّى

كلامًا وهو معنًى قائمٌ في النفس، ولا يُعقل أن يكون كلامًا غيرَ مُترتَّبٍ، فالباء والسين والجيم كلها في آن واحد، ولا هو منقول، وليس موافقًا للمنقول من الكتاب والسُّنة، ولا الفطرات تهتدي إليه، ولا واللغات تُقرُّه.

فأَيُّ إنسانٍ تُحدِّثه - ولو كان عاميًا بحثًا - عن الكلام والقول يَعْرِفُ أنه الحروفُ المترتبةُ التي تأتي شيئًا فشيئًا.

٨٥٥- أَمَّا الَّذِي قَدْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ ذُو أَحْرَفٍ قَدْ رُتِّبَتْ بِبَيَانِ

قائل هذا هم الجهمية، يقولون: كلامه ذو أحرف مُرتبة.

وقولهم: (قَدْ رُتِّبَتْ) رَدُّ عَلَى الْاِقْتِرَانِيَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: هُوَ أَحْرَفٌ غَيْرَ مُرْتَبَةٍ.

٨٥٦- وَكَلَامُهُ بِمَشِيئَةٍ وَإِرَادَةٍ كَالْفِعْلِ مِنْهُ كِلَاهُمَا سَيَّانِ

وهذا رَدُّ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: كَلَامُهُ لَيْسَ بِإِرَادَةٍ وَمَشِيئَةٍ مِنْهُ، بَلْ

هُوَ مِثْلُ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ.

فَالْحَيَاةُ وَالْعِلْمُ لَا تَتَعَلَّقُ بِهِمَا الْمَشِيئَةُ.

أَمَّا السَّلْفُ الصَّالِحُ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَهُوَ مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَيَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَحْرَفٌ مُرْتَبَةٌ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ نَعْلَمُ أَنَّ الْبَاءَ قَبْلَ السَّيْنِ، وَأَنَّ السَّيْنَ قَبْلَ الْمِيمِ...

وهكذا، ثُمَّ نَعْلَمُ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ لَا مُكْرَهَ لَهُ، وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ، وَبِمَا شَاءَ، وَكَيْفَ

شَاءَ، لِأَنَّ الْكَلَامَ تَتَعَلَّقُ بِهِ الْمَشِيئَةُ، وَهَذَا -وَاللَّهِ- تَمَامُ الرَّبُوبِيَّةِ وَالسُّلْطَانِ، وَهُوَ أَنْ

يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَأَنْ يَقُولَ مَا يَشَاءُ، عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ فِي الْحَقِيقَةِ هُوَ فِعْلٌ، فَالْقَوْلُ فِعْلٌ،

لأنه كلام مسموع بحروف مرتبة، فهو نوع من الأفعال.

ثُمَّ قَالَ عَلَى لِسَانِ الْجَهْمِيَةِ:

٨٥٧- فَهُوَ الَّذِي قَدْ قَالَ قَوْلًا يَعْلَمُ الْـ عُقْلَاءُ صِحَّتَهُ بِلَا نُكْرَانَ

من الذي قال قولاً يعلم العقلاء صحته؟

الجواب: الجهمية القائلون بأن كلامه ذو أحرف قد رُتبت، لكن كيف نُقِرُّهم على أنهم قد قالوا قولاً يعلم العقلاء صحته؟ نعم، نحن نوافقهم على أن كلام الله متعلق بمشيئته، وأنه مُرتَّب، لكن نخالفهم في قولهم: إنه مخلوق، فهذا باطل، لأنَّ الكلام الذي يخلقه الله ليس كلامَ الله، بل كلام مَنْ تكلَّم به، قالوا:

٨٥٨- فَلَأَيِّ شَيْءٍ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ أَوْلَى وَأَقْرَبَ مِنْهُ لِلْبُرْهَانِ؟!

يقول لهؤلاء الأشاعرة والاقترانية: لأيِّ شيء كان ما قد قلتُم أولى وأقرب منه للبرهان؟! وهذا صحيح، هذا الاستفهام للإنكار، يعني: ما قلتُم ليس أقرب للبرهان.

٨٥٩- وَلَا أَيِّ شَيْءٍ دَائِمًا كَفَرْتُمْ أَصْحَابَ هَذَا الْقَوْلِ بِالْعُدْوَانِ؟!

لأنَّ الأشاعرة يرون الجهمية كفرًا في قولهم في كتاب الله.

يقول:

٨٦٠- فَدَعُوا الدَّعَاوَى وَابْحَثُوا مَعْنَا بَتَحَ قَبِيحٍ وَإِنْصَافٍ بِلَا عُدْوَانٍ

هذا البيت حقٌّ، أنَّ الإنسان يدع الدعوى ويحكم أو يبحث للتحقيق والإنصاف، أما أن يقول: إنَّ الصواب معي، وقولي هو التحقيق، وقولي هو الإجماع، فهذه دعوى بلا دليل لا تُقبل، فابحث بإنصافٍ وعدلٍ.

فالتحقيق هو العلم، والإنصاف هو العدل، فلا بدّ من هذين الأمرين:

الأول: العلم، والثاني: الإنصاف والعدل.

فالجاهل كيف يحكم بأنّ هذا هو الصواب وهذا هو الخطأ؟! والجاهل لا يمكن أن يحكم إلا بما يرى أنه صواب وإن كان باطلا.

فابن القيم يقول: تعالوا نتحاكم وإياكم بالعلم والإنصاف.

٨٦١- وَأَرْفُوا مَذَاهِبَكُمْ وَسُدُّوا حَرْقَهَا إِنَّ كَانَ ذَلِكَ الرَّفْوُ فِي الْإِمْكَانِ
قَوْلُهُ: «أَرْفُوا» يعني: رَقَعُوا وَسُدُّوا الْحَرْقَ.

قَوْلُهُ: «إِنَّ كَانَ ذَلِكَ الرَّفْوُ» يعني: إن كان الترقيع بالإمكان، وأنتم الآن هل تقولون: إن الترقيع بالإمكان؟

الجواب: لا يمكن أبداً، ما داموا يقولون: إنّ الكلام هو المعنى القائم بالنفس، أو إنّ الكلام هو المعنى المتعلّق بالمشيئة، ولكنه مقترن لا يسبق بعضه بعضاً، فإنّ هذا لا يمكن أن يُرفأ أبداً.

ولكن هذا من باب التنزل مع الخصم، وعند المخاصمة لا بأس أن يقول قولاً غير مقبول، تنزيلاً للخصم عن عليائه وكبريائه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩]، وهل هناك مفاضلة بين الله وشركائهم؟ الجواب: لا، لكن نظراً، لأنهم يعتقدون أنهم آلهة، يتكلّم معهم بشيء يُنزلهم إلى الأسفل، هكذا أيضاً نحن مع هؤلاء المبتدعة نتكلّم معهم.

ثمّ طلب المؤلف أن نحكم بينهم، فقال:

٨٦٢- فَاخْكُم - هَذَاكَ اللهُ - بَيْنَهُمْ فَقَدْ أَذَلُّوا إِلَيْكَ بِحُجَّةٍ وَبَيَانٍ

احكم بين هؤلاء المختلفين في كلام الله.

والمذاهب الآن التي أماننا ثلاثة، وقد سبق بيانها، وأنها ثمانية مذاهب، لكن الذي أماننا الآن ثلاثة وهي مذهب الجهمية، ومذهب الاقترانية، ومذهب الأشاعرة، والفرق بينها سبق، فإذا حكمنا بينهم قلنا: أمّا مذهب الاقترانية والأشعرية فهو غير معقول.

وأما مذهب الجهمية فهو معقول من وجهٍ مُنكَرٍ من وجهٍ، أما كونه معقولاً فمن جهة أنه مُرْتَبٌ مسموعٌ بصوتٍ مُتعلِّقٍ بمشيئته، كُلُّ هذا حقٌّ، فكلامُ الله بحرفٍ وصوتٍ مسموعٍ متعلِّقٍ بمشيئته، وأما ما هو مُنكَرٌ من قولهم فقولهم: إنه مخلوق، يعني: مثلاً إذا أراد الله أن يتكلّم خَلَقَ كلاماً في أيِّ محلٍّ كان، في الشجرة، في جبريل، في الهواء، في المكان الذي سُمِعَ منه كلامُ الله، فيقولون: هذا كلام الله.

وهذا لا شك أنه مُنكَرٌ وباطلٌ، لأنه إذا خَرَجَ الكلامُ من هذا فهو وَصْفٌ لِمَنْ خَرَجَ منه، لا لله، وإلّا لقلنا: إنَّ جميعَ كلامِ الناسِ من كلامِ الله، وهذا باطلٌ، وهذا ليس إلا مذهبَ الأتحادية.

إِذْ نَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فنقول: أمّا ما ذهبت إليه الأشاعرة والاقترانية فهو مذهب باطل لا نُقَرُّه، وأمّا ما ذهبت إليه الجهمية فهو مذهب باطل -أيضاً- لا نُقَرُّه بمجموعه، أما بعض فقرات منه فهي حقيقة وحق، ويأتي -إن شاء الله- التفصيل في هذا.

وَقَوْلُهُ: «فَاخْكُم... بَيْنَهُمْ» أي: بالحقِّ، وما هو الحقُّ؟ الحقُّ ما أشار إليه في

قوله:

٨٦٣- لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ هُمْ عَسْكَرُ الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَنْصُرَنَّ» النصرُ: يعني: المساعدة والموالاتة.

قَوْلُهُ: «سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ» يعني: حديث النَّبِيِّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ومن المعلوم أنَّ القرآن أولى، وَنَصْرُ الْحَدِيثِ نَصْرٌ لِلْقُرْآنِ بِلَا شَكٍّ، لِأَنَّ الْحَدِيثَ فِيهِ تَعْظِيمُ الْقُرْآنِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهِ، وَوَجُوبُ التَّمَسُّكِ بِهِ مِنْ عِدَّةِ وُجُوهِ، فَنَصْرُ الْحَدِيثِ نَصْرٌ لِلْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: «هُمْ عَسْكَرُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ» (هم) يعني: أهل الحديث.

(عَسْكَرُ الْإِيمَانِ) الَّذِينَ يَدُودُونَ عَنْهُ وَيُدَافِعُونَ عَنْهُ.

وهذا هو الواجب على كُلِّ مُسْلِمٍ أَلَّا يَنْصُرَ قَوْلَ أَحَدٍ إِلَّا قَوْلَ أَهْلِ الْحَدِيثِ، لِأَنَّهُمْ عَسْكَرُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ.

٨٦٤- وَتَحَيَّزَنَّ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرِهِمْ لِتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَتَحَيَّزَنَّ» فَعَلَ أَمْرٌ مُؤَكَّدٌ بِالنُّونِ، وَهَذَا بُنِيَ عَلَى الْفَتْحِ، وَمَعْنَى تَحَيَّزَ: أَي مَلَ إِلَيْهِمْ، وَكُنْ مِنْ جِزْبِهِمْ (لِتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ) فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، فَإِنَّ أَهْلَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ هُمُ أَهْلُ اللَّهِ وَخَاصَّتُهُ، وَهُمْ أَهْلُ نُصْرَتِهِ.

٨٦٥- فَتَقُولُ: هَذَا الْقَدْرُ قَدْ أَعْيَا عَلَى أَهْلِ الْكَلَامِ وَقَادَهُ أَصْلَانِ

٨٦٦- إِحْدَاهُمَا: هَلْ فَعَلَهُ مَفْعُولُهُ أَوْ غَيْرُهُ فَهِيَ لَهُمْ قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا الْقَدْرُ» يعني -والله أعلم- أنه يريد هذا التقدير.

قَوْلُهُ: «قد أعيأ على أهل الكلام» يعني: أتعبهم وأعجزهم.

قَوْلُهُ: «وقاده أصلان» يعني: هذا الخلاف بين الأشاعرة وبين المعتزلة والجهمية

مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلَيْنِ:

الأول: هل فعل الله هو مفعولُه أو غيره؟

فمنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ الْفِعْلَ هُوَ الْمَفْعُولُ، وَلَيْسَ لِلَّهِ فِعْلٌ هُوَ فِعْلُهُ.

ومنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ الْمَفْعُولَ غَيْرُ الْفِعْلِ.

إِذْنُ الْأَصْلَانِ هُمَا:

١- هل الفِعْلُ عَيْنُ الْمَفْعُولِ؟

٢- هل الفِعْلُ غَيْرُ الْمَفْعُولِ؟

نحن نعلم بفطرتنا أَنَّ الْمَفْعُولَ غَيْرُ الْفِعْلِ، يعني المصنوع غير صنَّع الصانع،

فالإنسان إذا بنى بيتاً فهذا البيت هل هو بناؤه أو أثر بنائه؟

الجواب: أثر بنائه، فلا شكَّ أَنَّ الْفِعْلَ غَيْرُ الْمَفْعُولِ، لكن أهل البدع يُعْمِيهِمُ

الله عزَّ وجلَّ.

إِذْنُ فَالْصَوَابُ: أَنَّ فِعْلَهُ غَيْرُ مَفْعُولِهِ، ولكن المصدر قد يُطْلَقُ عَلَى الْمَفْعُولِ

كقوله تعالى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١] أي: مخلوقه، وإِلَّا فَالْأَصْلُ أَنَّ الْفِعْلَ غَيْرُ

الْمَفْعُولِ.

وأضرب لكم مثلاً: رَجُلٌ نَجَرَ خَشْبًا وَصَنَّعَهُ أَبَا، فعندنا فاعل، وعندنا فعل،

وعندنا مفعول، الفاعل هو النَّجَّار، والفعل النجارة، والمفعول الباب.

إِذَنْ فَلَاشَكُّ أَنَّ الْمَفْعُولَ لَيْسَ هُوَ الْفِعْلُ، بَلْ هُوَ شَيْءٌ آخَرَ، لَكِنْ قَدْ يُطْلَقُ الْفِعْلُ لَفْظًا عَلَى الْمَفْعُولِ - كَمَا مَثَلْتُ لَكُمْ - فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ [لقمان: ١١].

٨٦٧- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ فَرُّوا مِنَ الْأَوْصَافِ بِالْحِدْثَانِ قَوْلُهُ: «وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهُ» أَيُّ بَأَنَّ الْفِعْلَ هُوَ عَيْنُهُ، أَيُّ: عَيْنُ الْمَفْعُولِ، وَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ.

قَوْلُهُ: «فَرُّوا مِنَ الْأَوْصَافِ بِالْحِدْثَانِ» هَذِهِ حُجَّتُهُمْ، فَهَمُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْفِعْلَ عَيْنُ الْمَفْعُولِ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّ هُنَاكَ فِعْلًا وَمَفْعُولًا، وَحُجَّتُهُمْ: قَالُوا: لَوْ قُلْنَا: إِنَّ الْفِعْلَ غَيْرُ الْمَفْعُولِ لَزِمَ أَنْ تَقُومَ الْحَوَادِثُ بِاللَّهِ، يَعْنِي أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ، وَلَا تَقُومُ الْحَوَادِثُ إِلَّا بِحَادِثٍ، وَحَدُوثِ الْبَارِي عَزَّ وَجَلَّ مَمْتَنِعٌ عَقْلًا وَشَرْعًا وَفِطْرَةً وَكُلَّ شَيْءٍ.

إِذَنْ قُلْ: إِنَّ الْفِعْلَ هُوَ الْمَفْعُولُ مِنْ أَجْلِ أَنْ تَسْلَمَ مِنْ حُلُولِ الْحَوَادِثِ بِاللَّهِ. كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْفِعْلَ مَقَارِنٌ لِلْمَفْعُولِ، يَعْنِي: عِنْدَمَا أَصْنَعُ شَيْئًا، فَصُنْعِي إِيَّاهُ وَعَمَلِي إِيَّاهُ مَقَارِنٌ لَهُ، وَالْمَفْعُولَاتُ تَتَجَدَّدُ.

إِذَنْ لَوْ قُلْنَا: إِنَّ مَفْعُولَ اللَّهِ غَيْرُ فِعْلِهِ لَكَانَ الْفِعْلُ حَادِثًا مُتَعَلِّقًا بِذَاتِ اللَّهِ فَتَتَعَلَّقُ بِهِ الْحَوَادِثُ، وَهَذَا مَمْتَنِعٌ، إِذَنْ نَسْتَرِيحُ مِنْ هَذَا، وَنَقُولُ: إِنَّ فِعْلَ اللَّهِ هُوَ مَفْعُولُهُ، وَالْمَفْعُولُ مُنْفَصِلٌ بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ.

فَهَمُ يَقُولُونَ ذَلِكَ، وَقَالُوا: نَحْنُ نَقُولُ ذَلِكَ، لِأَجْلِ أَنَّ نِصْفَ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَوَادِثِ، لِأَنَّنا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ مَتَى شَاءَ، لَزِمَ مِنْ هَذَا قِيَامُ الْحَوَادِثِ بِهِ، وَأَنَّهُ إِذَا شَاءَ تَكَلَّمَ، وَإِذَا شَاءَ لَمْ يَتَكَلَّمْ.

وهذا عندهم محالٌ بناءً على قاعدة فاسدة وهي أن الحادث لا يقوم إلاّ بحادث.

٨٦٨- لَكِنْ حَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ وَصَرِيحُهُ تَعْطِيلُ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

٨٦٩- عَنِ فِعْلِهِ إِذْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ لَكِنَّهُ مَا قَامَ بِالرَّحْمَنِ

يعني: إذا قلنا: إنّ المفعول هو الفعل، لزم من هذا تعطيل الله عن الفعل، لأنه ليس في الله وصفٌ هو الفعل، لأنّ الفعل - لو قدرنا أنّ الفعل غيرُ المفعول - متجدّد على هذا التقدير، والله تعالى يمتنع أن تتعلّق به الحوادث، لأنّ الحوادث لو تعلّقت به لزم أن يكون حادثاً.

إذا قلتُم هكذا لزم ألا يكون لله فعل، لأنكم تقولون: إنّ الفعل هو عين المخلوق.

مثلاً السموات يقول: الله ليس له فعل هو الخلق، بل له مفعول وهو السموات، أمّا أنّ هناك فعلاً خلق به السموات فلا، بل فِعْلُهُ هو عينُ المفعول لئلا تقوم الحوادث بالله، لأنّ قيام الحوادث بالشيء تجعله حادثاً، هذا الأصل مهم، يقولون: إنّ الفعل عينُ المفعول، ففِعْلُ الله يعني مفعوله، وليس لله فعلٌ يقوم به، لأنه لو كانت الأفعال تقوم به لكان محالاً للحوادث، وإذا كان محلاً للحوادث لزم أن يكون حادثاً، وحدوث الله ممتنع.

فهم جعلوه لا يفعل، ولا يتكلّم، ولا يخلق، وجعلوا الكلام مفعولاً، لأنه مخلوق عندهم، والسموات والأرض والجبال والنجوم كلها مخلوقة، لكن لا يوصف الله بالخلق، لأنّ هذه المشاهدات متجددة، فإذا وصفنا الله بالخلق لزم أن يكون خلقه متجدداً فيكون حادثاً قام به، والحادث لا يقوم إلاّ بحادث.

وَكُلُّ هذا الكلام الذي قالوه هو كلامٌ في كلام، يعني لا داعي له، ولا يلزم إثبات الخالق عزَّ وجلَّ عليه، لكن أهل الكلام أطالوا الكلام، ولهذا نقول: إنَّ أهل الكلام ضلُّوا بهذه التقديرات، ولو سلكوا مسلك الصحابة لَسَلِمُوا من هذا كله، أعني لَسَلِمُوا من هذا الذي قد لا يكون مفهومًا، فضلًا عن أن يكون معقولًا، وفضلًا عن أن يكون مُعْتَقَدًا، لكن الحمد لله الذي نَجَّانا من ذلك.

فابن القيم يردُّ عليهم، فيقول: إذا جعلتم الفعلَ عينَ المفعول فلازمه ألا يكون لله فعل، لأنَّ المفعول مخلوق مُنفصل عن الله، وليس من صفاته، فيلزمكم على تقديركم هذا ألا يكون لله فعلٌ.

٨٦٩- عَنْ فِعْلِهِ إِذْ فِعْلُهُ مَفْعُولُهُ لَكِنَّهُ مَا قَامَ بِالرَّحْمَنِ

يعني: ما قام بالرحمن فعل، وإنما هو مفعول، فإذا قيل: خَلَقَ السموات فإنه لم يقم به خَلْقٌ، لكن حَدَثَ له مخلوق.

فيقال بكل سهولة: مَنْ أحدث هذا المخلوق؟ الجواب: الله، إذن هل يمكن أن يُوجَدَ مخلوقًا بدون أن يُخْلَقَ؟! الجواب: مستحيل.

إِذَنْ هل يمكن أن تُرَدَّ على قولهم: (لو قام به فعل لكان محلًا للحوادث، وما قامت به الحوادث فهو حادث)؟

نعم، رَدَدْنَا عليهم فيما سبق، وقلنا: لا يلزم من قيام الحوادث به أن يكون حادثًا، لأنَّ الفاعلَ متقدِّمٌ على فعله، ونحن الآن نفعل اليوم شيئًا، ونحن قد خُلِقْنَا قبل ذلك بسنوات، فالله تعالى يفعلُ الشيء، ويُحْدِثُ الشيء، ويقوم الفعل الحادث به، وهو ليس بحادث، وهذا شيء ظاهر ليس فيه إشكال، فكلامهم هذا غير صحيح.

٨٧٠- فَعَلِيَ الْحَقِيقَةَ مَا لَهُ فِعْلٌ إِذِ الْ - مَفْعُولٌ مُنْفَصِلٌ عَنِ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «مَا لَهُ فِعْلٌ» يعني: ليس له فعل، والمعنى: إذا قلنا: الفعل هو المفعول، فعل الحقيقة ليس لله فعل، لأنَّ المفعول مخلوق مُنْفَصِلٌ عن الله، فالسّموات منفصلة، والأرض منفصلة، والآدمي منفصل، فكل المخلوقات منفصلة عن الله، فليس لله فعل يقوم به.

٨٧١- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ غَيْرُ لَهُ

٨٧٢- إِحْدَاهُمَا قَالَتْ قَدِيمٌ قَائِمٌ

٨٧٣- سَمَّوَهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا قَالَهُ

٨٧٤- وَخُصُّوهُمْ لَمْ يُنْصِفُوا فِي رَدِّهِ

٨٧٥- وَالْآخَرُونَ رَأَوْهُ أَمْرًا حَادِثًا

٨٧٦- إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مُفْتَتِحًا بِهِ

٨٧٧- هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ كَرَامِيَّةٌ

٨٧٨- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدِ

٨٧٩- قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ

٨٨٠- جَعَلَ الْكَلَامَ صِفَاتِ فِعْلٍ قَائِمٍ

٨٨١- وَكَذَلِكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الْفِعْلِ بِالْ

مُتَنَازِعُونَ وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ

بِالذَّاتِ وَهُوَ كَقُدْرَةِ الْمَنَّانِ

أَتْبَاعُ شَيْخِ الْعَالِمِ السُّعْمَانِ

بَلْ كَابَرُوهُمْ مَا أَتَوْا بِيَّانِ

بِالذَّاتِ قَامَ، وَأَنَّهُمْ نَوْعَانِ:

حَدَرَ التَّسْلُسُ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ

فَفِعَالُهُ وَكَلَامُهُ سِيَّانِ

ذَلِكَ ابْنُ حَنْبَلٍ الرُّضَا الشَّيْبَانِي

مُتَّكِلًا إِنْ شَاءَ ذُو إِحْسَانِ

بِالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدِ مِنَ الرَّحْمَنِ

إِحْسَانِ أَيْضًا فِي مَكَانٍ ثَانِ

- ٨٨٢- وَكَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ فَرَّاجِعُ قَوْلَهُ لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ
 ٨٨٣- وَكَذَاكَ جَعْفَرُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ الْمَقْبُولِ عِنْدَ الْخَلْقِ ذُو الْعِرْفَانِ
 ٨٨٤- قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيِّمُنُ مُحْسِنًا بَرًّا جَوَادًا عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
 ٨٨٥- وَكَذَا الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانِ
 ٨٨٦- قَالَ الْحَيَاةَ مَعَ الْفِعَالِ كِلَاهُمَا مُتَلَاذِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 ٨٨٧- صَدَقَ الْإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهُوَ فَعْدَالٌ، وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
 ٨٨٨- إِلَّا إِذَا مَا كَانَ ثُمَّ مَوَانِعُ مِنْ آفَةٍ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَوَانِ
 ٨٨٩- وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَانِعٍ مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدِّيَانِ

الشرح

- ٨٧١- وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ غَيْرُ لَهُ مُتَّازِعُونَ وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ
 ٨٧٢- إِحْدَاهُمَا قَالَتْ قَدِيمٌ قَائِمٌ بِالذَّاتِ وَهُوَ كَقُدْرَةِ الْمَنَّانِ

القائلون بأن الفعل غير المفعول تنازعوا على قولين: هل الفعل مُقَارِنٌ للمفعول؟ أو الفعل قديم كقدّم القدرة، والعلم، والسمع، والبصر؟

قوله: «قديم» خبر لمبتدأ محذوف أي: هو قديم، والضمير يعود على الفعل، لا على المفعول.

قوله: «إحدهما قالت قديم قائم... بالذات وهو كقدرة المنان» القدرة لله قديمة، وليست حادثه، قالوا: أيضا الفعل قديم، لماذا قالوا: قديم؟

الجواب: مدهنةٌ للمعتزلة والجهمية، لأنَّ الجهمية والمعتزلة يقولون: إذا كان الفعلُ حادثًا وقام بالله، لَزِمَ أَنْ يكون اللهُ حادثًا، وهؤلاء قالوا: الفعل قائم بالله لكنه قديم لثلاثا تقوم به الحوادث.

فهؤلاء قالوا: نعم الفعل غير المفعول، والفعل قائمٌ به قديم والذي حَدَثَ هو المفعول، يقولون: الفعل قائم بالله أزيي، والذي تأخَّرَ المفعول.

مثال ذلك: إنسان أوقَدَ نارًا في الساعة الواحدة، وجعل دونكم ودونها حاجبًا، وفي الساعة الخامسة أزال هذا الحاجب فصار الفعل سابقًا، ومشاهدتكم إيَّاهَا حادثة.

فهم قالوا: قدرة الله قديمة، وليست حادثة، لكن تعلَّقها بالمقدور يكون عند وجود المقدور، ولم يزل عزَّ وجلَّ قادرًا على كلِّ شيء، لكن إذا فعل شيئًا تعلَّقت القدرة بهذا المفعول في حينها لا قبلها.

هم قالوا: إنَّ الفعل الذي هو فعله قديم أزيي كالعلم والقدرة، والمتأخَّرَ المفعول، فالخلق قديم كالقدرة تمامًا.

وهذا -أيضًا- غير معقول، لأنه إذا وُجِدَ الفعل، لا بدَّ أن يوجد المفعول، ما الذي يؤخِّره؟! فإنَّ الفعل إذا كان قديمًا لَزِمَ أن يكون المفعول قديمًا، لأنَّ الفعل لا بدَّ أن يُنتِج مفعولًا، فيلَزِمُ على قولكم بأنَّ الفعل قديم أن يكون المفعول -أيضًا- قديمًا، هل يمكن أن يصنع الإنسان بابًا، ثمَّ إذا أتمَّ صنعه لا يمكن أن يكون بابًا إلاَّ بعدَ مدة؟! لا يمكن، لكن نظرًا لأنهم يمنعون قيام الحوادث بالله صاروا إلى الذي ليسَ بمعقولٍ.

وقولهم: إنَّ الخلق قديم كالقدرة تمامًا، فهذا غير معقول، لأنَّ الخلق فعل، والفعل هو الذي يترتب عليه المفعول، والقدرة وصف.

لكن ماذا قالوا؟ يقول المؤلف:

٨٧٣- سَمَّوْهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا قَالَهُ أَتْبَاعُ شَيْخِ الْعَالِمِ النُّعْمَانِ
قَوْلُهُ: «سَمَّوْهُ تَكْوِينًا قَدِيمًا»: (سَمَّوْهُ) يعني: سَمَّوَا الفِعل.

قالوا: لا نسميه فعلاً، بل نسميه التكوين، والتكوين: إن أردتم التقدير - يعني أنه قَدَّرَ أن يفعل كذا وكذا في يوم كذا وكذا مثلاً - فأنتم لم تُقَرُّوا بالفعل، بل جعلتم الفعل التقدير والقضاء، وإن جعلتم التكوين معناه فعل الشيء أو العمل بالشيء حتى يكون، فهذا لا بدَّ أن يكون المفعول مقارناً للفعل، أي: المُكُونُ مقارناً للتكوين، ولذلك فهم متناقضون في الحقيقة.

ومن اشتهر عنه هذا القول الطحاوي^(١) صاحب الطحاوية المشهورة.

يقول:

٨٧٤- وَخُصُّوهُمْ لَمْ يُنْصَفُوا فِي رَدِّهِ بَلْ كَابَرُوهُمْ مَا اتَّوَا بَيَّانِ

قَوْلُهُ: «خصومهم»، أي: الذين قالوا: إِنَّ الفِعلَ عَيْنُ المَفْعولِ، ولا نوافقكم على أَنَّ الفِعلَ غَيْرُ المَفْعولِ، ثُمَّ تقولون: إِنَّ الفِعلَ قَدِيمٌ والمَفْعولُ حَادِثٌ، حتى لو سميتموه تكويناً فإننا لا نوافقكم، لكن لم ينصفوا في رَدِّهِ لِمَاذَا؟ لأنهم في رَدِّهِم على هؤلاء، وقولهم: (إنه لا يمكن تكوين بلا كائن) هذا صحيح، لكن كيف تقولون: إِنَّهُ يَمْكَنُ أَنْ يَوجَدَ مَفْعولٌ بِلَا فِعلٍ؟

(١) أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر: فقيه انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ في (طحا) من صعيد مصر، وتفقه على مذهب الشافعي، ثم تحول حنفياً، ورحل إلى الشام سنة (٢٦٨ هـ)، فاتصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصته، وتوفي بالقاهرة (٣٢١ هـ).

فخصومهم هم القائلون بأنَّ المفعولَ عينُ الفعل، أو الفعل عين المفعول سواء عبّر بهذا أو بهذا، لم ينصفوهم لما ردُّوا عليهم، كيف؟ أولاً: لا بد أن نعرف ما وجه الرَّدِّ؟

وجه الرَّدِّ عليهم: أنهم قالوا: أنتم تقولون: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، ثمَّ تقولون: إنَّ الفعلَ قديم كقدم القدرة، ولا يمكن أن يكون الفعل قديماً والمفعول حادثاً.

وردُّهم هذا صحيح، لكنهم ما أنصفوا، لأنهم إذا قالوا: إنه لا يمكن أن يكون المفعول متأخراً والفعل متقدماً، قالوا أيضاً: لا يمكن أن يكون المفعول هو عين الفعل.

ولكنهم كابروا، أبوا إلا أن يقولوا: إنَّ المفعول هو عين الفعل، فلم ينصفوا في الواقع.

٨٧٥- وَالْآخِرُونَ رَأَوْهُ أَمْرًا حَادِثًا بِالذَّاتِ قَامَ، وَأَتَتْهُمْ نَوْعَانِ: قَوْلُهُ: «وَالْآخِرُونَ» يعني بهم الذين قالوا: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، لأنه قال في الأول: (وَهُمْ فَطَائِفَتَانِ):

فالطائفة الأولى: قالت: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، لكنَّ الفعلَ قديمٌ قائم بالذات والمفعول متأخر، وهذا لا يُتصوَّر.

الطائفة الثانية: رأوه أمراً حادثاً بالذات قام، قالوا: إنَّ الفعلَ قام بالذات، وهو حادث بعد أن لم يكن، فإذا أراد الله تعالى أن يخلق جنيناً، متى يتعلَّق الفعل بهذا الجنين؟

الجواب: عند خلقه، وهذا الفعل حادث.

إِذَنْ فيقولون: الفعلُ غيرُ المفعول، والفعلُ حادثٌ عند إرادة فعل المفعول، أو مقارنٌ لفعل المفعول، وهذا معقول، وأيُّ مانعٍ يمنع أن يكون فعلُ الله حادثاً بعد أن لم يكن، لكن باعتبار هذا الشيء المعين؟! ولهذا قال:

٨٧٦- إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مُفْتَتِحًا بِهِ حَدَرَ التَّسْلُسِلِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مُفْتَتِحًا بِهِ» يعني: جعلت الفعلَ ممكناً بعد أن كان مستحيلًا.

فقالوا: إنَّ الله صار يفعل بعد أن لم يكن يفعل، هذا معنى قوله: (مُفْتَتِحًا بِهِ)، يعني: مبتدئاً به، فجعلت الفعلَ حادثاً في نوعه بعد أن لم يكن، وليس حادثاً في آحاده، ولهذا قال: (مُفْتَتِحًا بِهِ حَدَرَ التَّسْلُسِلِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ).

يعني: لئلا نقول: إذا قلنا: إنَّه لم يزل يفعل، لزم من هذا التسلسل، وهو مستحيل، فالتسلسل فيما مضى مستحيل، وهؤلاء هم الكرامية.

لكننا نقول: هل الله عزَّ وجلَّ لم يَزَلْ فاعلاً؟ الجواب: نعم، لم يزل فاعلاً، لكن يقولون: إنه لم يزل فاعلاً إلاَّ أن فعله لا يتسلسل، لأننا لو قلنا: لم يزل فاعلاً لزم أن يكون المفعولُ مقارناً للفعل، وحينئذٍ تكون مفعولاته قديمة، وهذا -أيضاً- غيرُ معقول.

يعني يقولون: إذا قلنا: (لم يزل فاعلاً) لزم أن تكون المفعولات قديمة كالوصف، فيقال: لا يمكن، لأنه من المعلوم بالترتيب العقلي الواقع أن هناك فاعلاً، ثمَّ فاعلاً، ثمَّ مفعولاً، حتى لو قلنا: إنَّ المفعولات لم تزل فإنه لا يمكن أن تكون مقارنةً للفاعل أبداً، فلا بدَّ أن يكون الفعلُ بعد الفاعل والمفعولُ بعد الفعل.

٨٧٧- هَذَا الَّذِي قَاتَتْهُ كَرَامِيَّةٌ فَعَالٌهُ وَكَلَامُهُ سِيَّانٍ

يعني: كما قالوا في الكلام - كما سبق -: إنه حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه، قالوا: أيضًا: إنَّ الفعل حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه.

فهذه الطائفة قالت: إنَّ فعلَ الله غيرُ المفعول، وهو فعل قائم بنفسه حادثٌ بعد أن لم يكن، لكنهم انقسموا قسمين:

قسم قالوا: إنه حادث بعد أن لم يكن مقدورًا عليه، بل قالوا: إنه حادث بعد أن كان مستحيلًا، وهؤلاء هم الكَرَامِيَّةُ.

قالوا: لأننا لو قلنا: إنَّ الله لم يزل فعَّالًا لزم تسلسل الحوادث، لأنَّ (لم يزل) معناه في الأزل الذي لا نهاية له، فيلزم تسلسل الحوادث، وهذا ممتنع على رأيهم.

والقسم الثاني من هذه الطائفة قالوا: إنَّه حادثٌ قائم به، ولم يزل يفعل، والتسلسل ليس بمتنع، يعني: أنَّ الله تعالى لم يزل ولا يزال فعَّالًا، ولا نقول: إنه كان غير قادرٍ على الفعل، ثُمَّ كان قادرًا عليه.

فخلاصة الكلام الآن قبل أن ندخل في كلام أهل الحديث: أنَّ أهل الكلام اختلفوا في فعل الله، أو لا: هل فعله مفعوله أو غيره؟

فجميع أتباعهم قالوا: فعله هو مفعوله، يعني: أنَّ الفعل عينُ المفعول، لماذا؟ قالوا، لأننا لو قلنا: إنَّ الفعل غيرُ المفعول، ونحن نشاهد تجدد المفعولات لزم أن يكون الفعل حادثًا قائمًا بالله، ولو قامت الحوادث بالله لزم أن يكون الله حادثًا، لأنَّ الحوادث لا تقوم إلا بحادث، وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة وأتباعهم.

القول الثاني في المسألة: أنَّ الفعل غيرُ المفعول، ثُمَّ اختلف هؤلاء، فقالت

طائفة منهم: إنَّ الفعل قديمٌ كقدم القدرة والعلم، والمفعول متأخَّر عن الفعل، فقيل لهم: لا يمكن أن يكون الفعلُ قديمًا ويتأخر المفعول، لأنَّ الفعلَ مقارنٌ للمفعول، فعندما تصنع بابًا صار الحكم مقارنًا لتكوين هذا الباب، قالوا: نسمي هذا تكوينًا سابقًا، لكن هذا لا يخرجون به عن الإشكال.

الطائفة الثانية: من الذين قالوا: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، انقسموا أيضًا إلى

قسمين:

قسم قالوا: إنَّ الفعلَ غيرُ المفعول، لكنه ليس أزليًّا، فالفعل كان ممتنعًا، ثمَّ كان ممكنًا، وهذا رأي الكراميّة.

وقسم قالوا: لا، كان الفعل قائمًا به، وهو غيرُ المفعول، ولكنه يتجدد وهو أزليٌّ، فلم يزل الله ولا يزال فعَّالًا، وهذا هو مذهب أهل الحديث، ولهذا قال:

٨٧٨- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ ذَاكَ ابْنُ حَنْبَلٍ الرَّضَا الشَّيْبَانِي

٨٧٩- قَدْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا إِنْ شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ

٨٨٠- جَعَلَ الْكَلَامَ صِفَاتٍ فِعْلٍ قَائِمٍ بِالذَّاتِ لَمْ يُفْقَدْ مِنَ الرَّحْمَنِ

فالكلام صفة فعل، وإذا كان لم يُفقد من الله معناه أنه لم يأت عليه زمن إلا وهو يتكلَّم كما أنه لم يأت زمن إلا وهو يفعل.

فالكلام صفة من صفاته الفعلية، وأنه متى شاء تكلم، ومتى شاء سكت، وأنه عزَّ وجلَّ يتكلَّم بما شاء، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والمراد بالسكوت ليس عدم النطق، لأننا لا نستطيع أن

نبت هذا، لكن هو ترك الكلام في شيء معين، وأمّا أن نقول: إنَّ الله يُوصف بالسكوت فلا، وأمّا الحديث: «وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ»^(١). فالمعنى أنه لم يشرعها، أو لم يمنعها، ولا يلزم من هذا أن يكون ساكتًا، أو يقال: سكوت مُعَيَّن لا ينافي الكمال.

٨٨١- وَكَذَلِكَ نَصَّ عَلَى دَوَامِ الْفِعْلِ بِالْإِحْسَانِ أَيْضًا فِي مَكَانٍ ثَانٍ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ نَصَّ» كَذَاكَ نَصَّ أَي: الإمام أحمد على دوام الفعل بالإحسان أيضًا.

قَوْلُهُ: «فِي مَكَانٍ ثَانٍ» يعني: في قولٍ آخر له.

٨٨٢- وَكَذَا ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢) فَرَجَعَ قَوْلَهُ لَمَّا أَجَابَ مَسَائِلَ الْقُرْآنِ يعني: أن ابن عباس نصَّ على أن الفعل أزلِّي، وأنَّ الله لم يزل ولا يزال فعلاً، دائم الإحسان.

٨٨٣- وَكَذَلِكَ جَعَفَرُ^(٣) الْإِمَامُ الصَّادِقُ أَلْ مَقْبُولُ عِنْدَ الْخَلْقِ ذُو الْعُرْفَانِ
٨٨٤- قَدْ قَالَ لَمْ يَزَلِ الْمُهَيِّمُنُ مُحْسِنًا بَرًّا جَوَادًا عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

(١) أخرجه الدارقطني، كتاب الرضاع، برقم (٤٤٤٥).

(٢) ابن عباس: هو عبد الله بن عباس الصحابي الجليل، ترجمان القرآن، وحبر الأمة، ولد بمكة قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبي ﷺ، وكان من مكثري الحديث، سكن الطائف في آخر عمره، ومات بها سنة (٦٨هـ). [الشارح].

(٣) جعفر الصادق: هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من أجلاء التابعين، أخذ عنه أبو حنيفة ومالك، لُقِّبَ بالصادق، لأنه لم يعرف عنه أنه كذب، كان جريئاً صِدْقاً بالحق، ولد بالمدينة سنة (٨٠هـ)، ومات بها سنة (١٤٨هـ). [الشارح].

٨٨٥- وَكَذَا الْإِمَامُ الدَّارِمِيُّ^(١) فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانَ

قَوْلُهُ: «قد قال ما فيه هدى الحيران» يعني: أن الدارمي - رحمه الله - أتى بقول يهتدي به الحيران، أي: المتحير.

٨٨٦- قَالَ الْحَيَاةَ مَعَ الْفِعَالِ كِلَاهُمَا مُتَلَاذِمَانِ فَلَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

الدَّارِمِيُّ - رحمه الله - قال: متى قلت: إن الله حيٌّ، لزم أن يكون فعَّالاً، وإذا كانت الحياة أزلية فالفعل أزليٌّ، إذ لا يتصوَّر حيٌّ بدون فعل.

وهذا كلام جيد من الدارمي إذ يقول: إنَّ الفعل ملازمٌ للذات، فكما أن الله لم يزل حياً فإنه لم يزل فعَّالاً.

٨٨٧- صَدَقَ الْإِمَامُ فَكُلُّ حَيٍّ فَهُوَ فَعَّالٌ وَعَالٌ، وَذَافِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

٨٨٨- إِلَّا إِذَا مَا كَانَ تَمَّ مَوَانِعٌ مِنْ آفَةٍ أَوْ قَاسِرِ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «صَدَقَ الْإِمَامُ» يعني: الدَّارِمِيُّ.

يقول: القاعدة أن كلَّ حيٍّ فعَّالٌ، إلا إذا كان هناك مانعٌ من آفة مثل أن يكون في الإنسان شلل، أو (قاسر الحيوان) كمكسور لا يقدر على الحركة، فهنا لا يلزم من الحياة الفعل.

٨٨٩- وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَوانِعٍ مَا شَاءَ كَانَ بِقُدْرَةِ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «وَالرَّبُّ لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ مَوانِعٍ» إذن فلم يَزَلْ فعَّالاً كما أنه لم يَزَلْ حياً، فما شاء كان بقدره الدِّيَانِ.

(١) الدارمي: هو عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، مُحَدِّث هَرَاة، له تصانيف في الرَّدِّ على الجهمية، ولد سنة (٢٠٠ هـ)، وتوفي بهرة سنة (٢٨٠ هـ). [الشارح].

الخلاصة: أننا نؤمن بأن الله متكلمٌ بكلامٍ هو فعله بحرفٍ وصوتٍ، متى شاء بما شاء، هذا هو عقيدتنا، وهو الموافق تمامًا لما قاله السلف -رحمهم الله- وهو الموافق تمامًا لفطرة الإنسان، فكلُّ إنسانٍ يعرف أن كُلاً حَيٌّ فَعَّالٌ، وكلُّ فَعَّالٍ متكلمٌ إلا أن يكون هناك مانعٌ من خرسٍ أو خوفٍ أو ما أشبه ذلك، والله عزَّ وجلَّ ليس له مانع، فلا أحدٌ يمنعه، بل هو يفعل ما يشاء، هذا هو العقيدة السليمة السلفية القوية.

- ٨٩٠- وَمَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ لَازِمَةٌ لَهُ وَكَذَلِكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ
 ٨٩١- هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ
 ٨٩٢- أَوْلَيْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحَّدٍ
 ٨٩٣- وَقَدِيمِ الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ وَدَائِمِ الْ
 ٨٩٤- مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةَ
 ٨٩٥- أَوْلَيْتَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ وَصَفِيهِ
 ٨٩٦- وَكَمَالُهُ سَبَبُ الْفِعَالِ وَخَلْقُهُ
 ٨٩٧- أَوْ مَا فِعَالُ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ
 ٨٩٨- أَرَلَا إِلَى أَنْ صَارَ فِيمَا لَمْ يَرَلْ
 ٨٩٩- تَالله قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ إِذْ
 ٩٠٠- مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا
 وَأَنَّ الْمُهَيِّمَنَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
 يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ
 جُودِ الْعَظِيمِ وَصَاحِبِ الْغُفْرَانِ
 فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصِي ثَانِ
 وَكَمَالِهِ أَفْذَاكَ ذُو حَدِثَانِ؟!
 أَفْعَالَهُمْ سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي
 أَفْذَاكَ مُتَتَبِعٌ عَلَى الْمَمْنَانِ
 مُتَمَكَّنًا وَالْفِعْلُ ذُو إِمْكَانِ
 قَالُوا بِهِذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ
 حَتَّى تَمَكَّنَ فَاَنْطِقُوا بِيَّانِ

- ٩٠١- وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعْطَلًا عَنْ فِعْلِهِ
بَلْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانِ
- ٩٠٢- وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ وَصَفُ كَمَالِهِ
مَا فَقَدُ ذَا وَوُجُودُهُ سَيَّانِ
- ٩٠٣- وَتَخَلَّفُ التَّأْيِيرِ بَعْدَ تَمَامِ مُو
جِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
- ٩٠٤- وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ
وَمَشِيئَةٍ وَيَلِيهِمَا وَضَفَانِ
- ٩٠٥- الْعِلْمُ مَعَ وَصْفِ الْحَيَاةِ وَهَذِهِ
أَوْصَافُ ذَاتِ الْحَالِقِ الْمَنَّانِ
- ٩٠٦- وَبِهَاتِمَامِ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا
فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأَضِحِ الْبُرْهَانِ
- ٩٠٧- فَلَايُّ شَيْءٍ قَدْ تَأَخَّرَ فِعْلُهُ
مَعَ مُوجِبٍ قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ
- ٩٠٨- مَا كَانَ مُتْتَبِعًا عَلَيْهِ الْفِعْلُ؟ بَلْ
مَا زَالَ فِعْلُ اللَّهِ ذَا إِمْكَانِ

الشرح

في هذه المقطوعة أراد المؤلف أن يردَّ على طائفة الكرامية الذين قالوا: إنَّ فِعْلَ اللَّهِ تعالى حادثٌ متعلِّقٌ بمشيئته، لكنه حادثٌ بعد أن لم يكن، فكان بالأول مُتْتَبِعًا، ثُمَّ صار حادثًا.

فنقول: ما الذي جعله في الأول مستحيلًا، وفي الثاني ممكنًا؟ قد يحتجون بهذا علينا أيضًا، ويقولون: إذا كان الله تعالى قبل خلق السموات والأرض لم يخلقها، فهل حدث له كمال فخلقها؟

الجواب: لا، هو كاملٌ من قبل أن يخلقها، لكن حيث اقتضت الحكمة أن يخلقها خَلَقَهَا، فكان إيجادها كمالًا، وحيث لم تقتض الحكمة وجودها لم يخلقها، فكان عدم خلقها كمالًا، وفي هذا ينبجلي عنك الإشكال.

فابن القيم - رحمه الله - ردَّ عليهم هذه الأبيات، وفيها شيء من التكرار لكن من أجل التوضيح، فقال:

٨٩٠- وَمَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ لَزِمَةٌ لَهُ وَكَذَلِكَ قُدْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

يعني: أن الله لم يزل شائئياً، لم يزل مُريداً للأشياء، ولم يزل قادراً عليها، والقدرة باتفاق الجميع ليست حادثة، والمشية كذلك ليست حادثة.

٨٩١- هَذَا وَقَدْ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ أَنَّ الْمُهَيِّمَنَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

ثمَّ استدلَّ - رحمه الله - على أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً بما فطر الله عليه العباد، وهو أن الله دائمُ الإحسان، والدوام يقتضي التسلسل في الأزل والتسلسل في المستقبل، في الأزل يعني: في الماضي، وفي المستقبل ما دام دائماً فإنه يقتضي أن يكون فاعلاً، ولم يزل فعلاً في الماضي كما لا يزال فعلاً في المستقبل.

٨٩٢- أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلَ كُلِّ مُوَحِّدٍ يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ»؟ هذا الاستفهام للتقرير، والجواب: بلى، نسمع، فكلُّ واحد من أهل التوحيد يقول: يا دائم المعروف والسلطان، والدوام يقتضي التسلسل في الماضي والتسلسل في المستقبل وإلا لم يكن دائماً.

٨٩٣- وَقَدِيمِ الْإِحْسَانِ الْكَثِيرِ وَدَائِمِ الْ- جُودِ الْعَظِيمِ وَصَاحِبِ الْغُفْرَانِ

كلُّ هذا نسمعه من المسلمين، وكلُّه يقتضي أن الله لم يزل ولا يزال فعلاً محسناً.

٨٩٤- مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةَ فُطِرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصِي ثَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ إِنْكَارٍ عَلَيْهِمْ» يعني: لا أحد يُنكر عليهم.

قَوْلُهُ: «فِطْرَةٌ فُطِرُوا عَلَيْهَا» ويجوز أن تقول: (فِطْرَةٌ فُطِرُوا عَلَيْهَا) فعلى الأول تكون (فطرة) مصدرًا مفعولًا مطلقًا لـ (فطروا)، وعلى الثاني تكون خبرًا لمبتدأ محذوف، والتقدير (هي فطرة).

قَوْلُهُ: «لا تَوَاصِي ثَانٍ» يعني: لا أحد وَصَّاهم، يعني: ليس بعضهم يوصي بعضًا ويقول: قل: يا دائم المعروف، قل: يا دائم السلطان، بل هي أمرٌ فطري.

٨٩٥- أَوْلَيْسَ فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ وَصْفِهِ وَكَمَالِهِ أَفْذَاكَ ذُو حَدَثَانٍ؟!
الجواب: بلى، فِعْلُ الرَّبِّ تَابِعٌ لِكَمَالِهِ، وَإِذَا كَانَ تَابِعَ كَمَالِهِ، فَهَلْ كَمَالُهُ حَادِثٌ؟

الجواب: لا، الفَعَّالُ أَكْمَلُ مَنْ لَا يَفْعَلُ، وَإِذَا كَانَ كَمَالُ اللَّهِ تَعَالَى لَازِمًا لَهُ أَزَلًا وَأَبَدًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فَعْلُهُ لَازِمًا لَهُ أَزَلًا وَأَبَدًا، فَاللَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَعَالًا.

٨٩٦- وَكَمَالُهُ سَبَبُ الْفِعَالِ وَخَلْقُهُ أَفْعَالُهُمْ سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي
قَوْلُهُ: «وَكَمَالُهُ سَبَبُ الْفِعَالِ» يعني: أنه لما كان كاملاً كان كماله سبباً لفعله، ومن المعلوم أن المُسَبَّبَ لَا يَتَأَخَّرُ عَنِ السَّبَبِ، فَالْكَمَالُ لَازِمٌ أَبَدًا، إِذْنِ الْفِعْلِ لَازِمٌ أَبَدًا.

قَوْلُهُ: «وَخَلَقَهُ أَفْعَالُهُمْ» أي: وَخَلَقَ أَفْعَالِ الْعِبَادِ.

قَوْلُهُ: «سَبَبُ الْكَمَالِ الثَّانِي» يعني مثلاً: الله تعالى لم يزل خالقًا فاعلاً، فإذا خَلَقَ الشَّيْءَ صَارَ هَذَا كَمَالًا ثَانِيًا تَبَيَّنَ بِهِ الْكَمَالُ الْأَوَّلُ، لِأَنَّهُ لَا يَظْهَرُ هُنَا كَمَالُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا بِمَخْلُوقَاتِهِ، فَهَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ إِذَا رَأَيْنَاهَا كَامِلَةٌ وَهِيَ مِنْ أَثَرِ فِعْلِهِ فَهَذَا كَمَالٌ ثَانٍ غَيْرُ الْكَمَالِ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ الدَّائِمُ.

٨٩٧- أَوْ مَا فَعَالَ الرَّبِّ عَيْنُ كَمَالِهِ أَفَذَاكَ مُتَمَتِّعٌ عَلَى الْمَمَانِ

الجواب: لا، ليس بمُمتنعٍ، فإذا كان فعلُ الله هو عينُ كماله فهو لم يزل كاملاً.

٨٩٨- أَزَلًّا إِلَى أَنْ صَارَ فِيهَا لَمْ يَزَلْ مُتَمَكِّنًا وَالْفِعْلُ ذُو إِمْكَانٍ

وهذا رأي الكرامية يقولون: إنَّ الله كان في الأزل لا يتمكن من الفعل، ثمَّ صار متمكناً، لأنهم يخشون إذا قالوا: بأنه لم يزل فاعلاً أن يُلزموا بتسلسل الحوادث في الماضي، وهذا يقتضي أنَّ هذا الكون لا خالق له.

وهذا خطأ، لأننا حتى لو قلنا بقدوم الفعل، فإنَّ المفعول يكون بعد الفاعل أو

معه؟

الجواب: بعده قطعاً، يعني: لو قلنا بأنَّ المخلوقات لم تزل فيما مضى، لكن نحن لا نعلم إلاَّ السموات والأرض فإنه لا يلزم أن تكون قديمة قدم الله، لأنه من المعلوم أنَّ الفعل لا يكون إلاَّ بعد الفاعل، والمفعول لا يكون إلاَّ بعد الفعل، فكيف تقولون: إنَّ هذا ممتنع؟!

٨٩٩- تَالله قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ إِذْ قَالُوا بِهَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «تَالله قَدْ ضَلَّتْ عُقُولُ الْقَوْمِ» أي: الكرامية.

قَوْلُهُ: «إِذْ قَالُوا بِهَذَا الْقَوْلِ» يعني أنَّ الفعل كان بالأول ممتنعاً، ثمَّ صار ممكناً.

٩٠٠- مَاذَا الَّذِي أَضْحَى لَهُ مُتَجَدِّدًا حَتَّى تَمَكَّنَ فَاَنْطَقُوا بَيَّانِ

يعني: ما السبب أنه كان ممتنعاً، ثمَّ صار ممكناً؟

٩٠١- وَالرَّبُّ لَيْسَ مُعْطًى عَنْ فِعْلِهِ بَلْ كُلُّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَانٍ
يعني: لو قلنا إن الله في الأزل لم يكن قادرًا على الفعل، ثُمَّ كَانَ قَادِرًا لَزِمَ أَنْ
يَكُونَ فِي الْأَوَّلِ مُعْطًى عَنْ الْفِعْلِ.

٩٠٢- وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ وَصَفُ كَمَالِهِ مَا فَقَدُ ذَا وَوُجُودُهُ سِيَّانٌ
قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ وَالتَّكْوِينُ» ذَكَرَهُ اللهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾
[الأعراف: ٥٤]، التَّكْوِينُ: الْخَلْقُ، وَالْأَمْرُ هُوَ الْأَمْرُ، فَاللهُ لَهُ الْأَمْرُ، وَلَهُ التَّكْوِينُ،
وَهَذَانِ وَصْفَانِ لِكَمَالِهِ، وَلِهَذَا قَالَ: (وَصَفُ كَمَالِهِ مَا فَقَدُ ذَا وَوُجُودُهُ سِيَّانٍ)، لَكِنْ
أَيُّهُمَا أَكْمَلُ؟ الْجَوَابُ: وَجُودُهُ لَا شَكَّ.

٩٠٣- وَتَخَلَّفُ التَّأثيرِ بَعْدَ تَمَامِ مُوجِبِهِ مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
يَرُدُّ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُ: إِذَا قَلْتُمْ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا مَفْعُولَ لَهُ فِي الْأَزْلِ، ثُمَّ صَارَ لَهُ
مَفْعُولٌ، إِنَّ قَلْتُمْ: إِنَّ اللهَ قَادِرٌ، ثُمَّ تَخَلَّفَ الْمَقْدُورُ، فَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، لِأَنَّ تَخَلُّفَ التَّأثيرِ
بَعْدَ تَمَامِ مُوجِبِهِ مُسْتَحِيلٌ، فَإِذَا وُجِدَ الْمَوْجِبُ لَا بَدَّ أَنْ يَوْجِدَ الْمَوْجِبَ وَلَا يَتَخَلَّفَ،
فَإِذَا كَانَ اللهُ قَادِرًا فَاعِلًا فَلِمَاذَا لَا يَكُونُ الْمَفْعُولُ أَزْلِيًّا كَمَا كَانَ الْفِعْلُ أَزْلِيًّا؟! لَكِنْ
مَعْنَى ذَلِكَ لَوْ قُلْنَا: بِأَنَّهُ أَزْلِيٌّ لَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ مُسَاوِيًّا لِلْفَاعِلِ، لِأَنَّ الْفِعْلَ بَعْدَ
الْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولَ بَعْدَ الْفِعْلِ.

٩٠٤- وَاللهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَمَشِيئَةٍ وَيَلِيهِمَا وَصَفَانِ

٩٠٥- الْعِلْمُ مَعَ وَصْفِ الْحَيَاةِ وَهَذِهِ أَوْصَافُ ذَاتِ الْخَالِقِ الْمَنَّانِ

فهذه أربعة: الحياة، والعلم، والمشية، والقدرة، فهذه أوصاف ذات الخالق

٩٠٦- وَبِهَاتَمَامِ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأْضِحِ الْبُرْهَانِ

وهذا صحيح، فلا يمكن أن يتِمَّ فعلُ الفاعلِ إلا بهذه الأوصاف الأربعة: وهي الحياة، والعلم، والمشية، والقدرة، فالمت لا يفعل، والجاهل لا يفعل، لو جاءنا إنسانٌ وقال: أريد أن أصنعَ لكم مُسَجَّلًا الآن، وهو جاهل ما درس ولا جَرَّب هل يمكن أن يُتَّج؟

الجواب: لا، بسبب جهله.

الإرادة وهي المشية، أيضًا لو كان إنسانٌ حيًّا عالمًا قديرًا لكن لم يشأ أن يصنع هذا المسجل، هل يمكن أن يوجد؟

الجواب: لا.

ومثلاً إنسانٌ حيٌّ عليمٌ شائئٌ لكنه أشلُّ، لا يقدر، يعني: هذا الرجل قد درس وتعلَّم كيف يصنع، وأراد أن يصنع لكنه أشلُّ، لا يقدر، هل يمكن أن يُوجد المصنوع؟

الجواب: لا يُوجد.

فإذا تمت هذه الأوصاف الأربعة: الحياة، والعلم، والمشية، والقدرة فلا بدَّ أن يُوجد المفعول.

وهل الله عزَّ وجلَّ فَقَدَ الحَيَاةَ في يومٍ من الأيام؟

الجواب: لا، هل فقد العلم، أو فقد المشية، أو فقد القدرة؟ أبداً.

فإذا كانت هذه الأوصاف تامةً في حقِّ الله فلماذا لا يوجد المفعول؟! لا بدَّ

أن يوجد، ولهذا قال: (وَبِهَاتَمَامِ الْفِعْلِ لَيْسَ بِدُونِهَا فِعْلٌ يَتِمُّ بِوَأْضِحِ الْبُرْهَانِ).

٩٠٧- فَلَأَيِّ شَيْءٍ قَد تَأَخَّرَ فِعْلُهُ مَعَ مُوجِبٍ قَد تَمَّ بِالْأَرْكَانِ

٩٠٨- مَا كَانَ مُتَمَتِّعًا عَلَيْهِ الْفِعْلُ؟ بَلْ مَا زَالَ فِعْلُ اللَّهِ ذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «فَلَأَيِّ شَيْءٍ» يعني: إذا كانت قد تمت أسباب الفعل.

وخلاصة هذه الآيات أنه أقام الدليل على الكَرَامِيَّةَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ حَيًّا، لَمْ يَزَلْ عَالِمًا، لَمْ يَزَلْ قَادِرًا، لَمْ يَزَلْ شَائِيًا، فإذا تمت هذه الأمور الأربعة فلا بد من وجود المقدور عليه، فلأبي شيء يتخلف؟!

إذ كيف نقول: الموجب تامٌ سابق، ثُمَّ لَا يُوجَدُ الْمَوْجِبُ؟! هذا شيءٌ غير ممكن.

كُلُّ هَذِهِ الْآيَاتِ لِتَقْرِيرِ هَذِهِ الْقَاعِدَةِ: أَنَّهُ مَتَى تَمَّتْ شُرُوطُ الْفِعْلِ وَجَبَ وَجُودُ الْفِعْلِ.

٩٠٩- وَاللَّهُ عَابَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ

٩١٠- وَنَعَى عَلَيْهِمْ كُوتَهَا لَيْسَتْ بِحَا

٩١١- فَأَبَانَ أَنَّ الْفِعْلَ وَالتَّكْلِيمَ مِنْ

٩١٢- فَإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبَهَا

٩١٣- وَاللَّهُ فَهُوَ إِلَهُ حَقٌّ دَائِمًا

٩١٤- أَزَلًا؟! وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ

عَبَدُوا الْحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

لِقَةٍ، وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقٍ بَيَانَ

أَوْثَانِهِمْ لَا شَكَّ مَفْقُودَانِ

بِإِلَهِ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

أَفَعَنَّهُ ذَا الْوَصْفَانِ مَسْلُوبَانِ

هَذَا الْمُحَالِ وَأَعْظَمُ الْبُطْلَانِ

الشرح

٩٠٩- وَاللَّهُ عَابَ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّهُمْ عَبَدُوا الْحِجَارَةَ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

٩١٠- وَنَعَى عَلَيْهِمْ كَوْنَهَا لَيْسَتْ بِحَا لِقَةٍ، وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقٍ بَيَانٍ

يقول المؤلف -رحمه الله-: إنَّ الله عَابَ المشركين، لأنهم عَبَدُوا الحجارَةَ في رضا الشيطان، وَنَعَى عليهم كونها ليست بخالقة، يعني: أنها لا تخلق، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَتْ ذَاتَ نُطْقٍ بَيَانٍ» يعني: أنها لا تتكلم كما قال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿فَسْتَأْذِنُ بَلَدًا مُّغْرَبًا أَتَاهَا قَوْمٌ بِاللَّيْلِ وَنُحُورُهُمْ سَائِمًا لِّقَابِهَا﴾ [الأنبياء: ٦٣].

٩١١- فَأَبَانَ أَنَّ الْفِعْلَ وَالتَّكْلِيمَ مِنْ أَوْثَانِهِمْ لَا شَكَّ مَفْقُودَانَ

٩١٢- فَإِذَا هُمَا فُقِدَا فَمَا مَسْلُوبَهَا بِإِلَهِ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بُطْلَانٍ

قَوْلُهُ: «مَسْلُوبَهَا» يعني: الذي انتفت عنه، إذا فُقِدَا من المعبود فليس بإله حق، إذن هي ليست بخالقة فلا تفعل، وليست بناطقة فلا تتكلم، فإذا فُقِدَا التكلِيمُ والخلق من المعبود فليس بإله حق.

٩١٣- وَاللَّهُ فَهُوَ إِلَهُ حَقٌّ دَائِمًا أَفَعَنَهُ ذَا الوُصْفَانِ مَسْلُوبَانِ

٩١٤- أَرَأَيْتَ! وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ هَذَا الْمُحَالُ وَأَعْظَمُ الْبُطْلَانِ

الجواب: لا، بل لم يزل فعلاً، ولم يزل مُتَكَلِّمًا، ولهذا قال: (أَفَعَنَهُ ذَا الوُصْفَانِ مَسْلُوبَانِ) أي أفيكون هذان الوصفان مَسْلُوبَيْنِ عنه أَرَأَيْتَ! كما قالت الكَرَامِيَّةُ؟! لأنَّ الكَرَامِيَّةَ يقولون: في الأزل ليس بمتكلم، وليس بفاعل، ثُمَّ حَدَّثَ له ذلك، وإذا

قلنا بهذا فإلى متى كان لا يتكلم ولا يفعل؟ ولهذا قال: (وَلَيْسَ لِفَقْدِهَا مِنْ غَايَةٍ) إلى أي زمن لم يكن يتكلم، ولم يكن يفعل، ثم صار يتكلم ويفعل؟

- ٩١٥- إِنْ كَانَ رَبُّ الْعَرْشِ حَقًّا لَمْ يَزَلْ أَبَدًا إِلَهَ الْحَقِّ ذَا سُلْطَانٍ
 ٩١٦- فَكَذَلِكَ أَيْضًا لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا بَلْ فَاعِلًا مَا شَاءَ ذَا إِحْسَانٍ
 ٩١٧- وَاللَّهُ مَا فِي الْعَقْلِ مَا يَقْضِي لِنَا بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ وَالتُّكْرَانِ
 ٩١٨- بَلْ لَيْسَ فِي الْمَعْقُولِ غَيْرُ ثُبُوتِهِ لِلْخَالِقِ الْأَزَلِيِّ ذِي الْإِحْسَانِ
 ٩١٩- هَذَا وَمَا دُونَ الْمُهَيَّمِينَ حَادِثٌ لَيْسَ الْقَدِيمُ سِوَاهُ فِي الْأَكْوَانِ
 ٩٢٠- وَاللَّهُ سَابِقُ كُلِّ شَيْءٍ غَيْرِهِ مَا رَبُّنَا وَالْخَلْقُ مُقْتَرِنَانِ
 ٩٢١- وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ سُبْحَانَهُ جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله -: إن الله عز وجل ما كان حادثاً بل هو القديم، وهذا متابعة للمناطقة، وإلا فليس من أسماء الله القديم، لأن القديم لا يتضمّن ما وصف الله به أسماءه في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فالقديم قد يكون غيره أقدم منه، فلا يصح أن يكون اسماً، ثم القديم قد يكون في شيء مخلوق كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩]، ولذلك لم يكن من أسمائه القديم، ويغني عنه قوله - تبارك وتعالى -: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] فاسمه (الأول) يغني عن القديم، لأن (الأول)

يدلُّ على أنه ليس شيءٌ قبله ولا شيءٌ معه، ويدلُّ على معنى آخر وهو أن مآل الأشياء إليه، فهو مشتقٌّ من الأولية، والآيلية، ولكن لا بأس أن نخاطب هؤلاء المتكلِّمين بما يقولون بدون أن نوافقهم عليه.

- ٩٢٢- لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُلْحِدُ الزُّ
زَنْدِيقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ الْيُونَانِ
- ٩٢٣- بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ وَالْ
أَرْوَاحِ فِي أَزَلٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ
- ٩٢٤- هَذِي مَقَالَاتُ الْمَلَا حِدَةِ الْأَلَى
كَفَرُوا بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ٩٢٥- وَآتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَلِكَ مُصَانِعًا
لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ بِالْإِمْكَانِ
- ٩٢٦- لَكِنَّهُ الْأَزْبِي لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ
مَا كَانَ مَعْدُومًا وَلَا هُوَ فَانَ
- ٩٢٧- وَآتَى بِصُلْحِ بَيْنِ طَائِفَتَيْنِ بَيْنَ
نَهْمَا الْحُرُوبِ وَمَا هُمَا سِلْمَانِ
- ٩٢٨- أَنِّي يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةُ الْ
يُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيمَانِ
- ٩٢٩- وَالسَّيْفُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَيَبْنُهُمْ
وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فَحَرْبُ عَوَانِ
- ٩٣٠- وَكَذَا آتَى الطُّوسِيُّ بِالْحَرْبِ الصَّرِيحِ
حِ بِصَارِمٍ مِنْهُ وَسَلَّ لِلسَّانِ
- ٩٣١- وَآتَى إِلَى الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ أَصْلَهُ
مِنْ أَسْهُ وَقَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ
- ٩٣٢- عَمَرَ الْمَدَارِسَ لِلْفَلَّاسِفَةِ الْأَلَى
كَفَرُوا بِدِينِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
- ٩٣٣- وَآتَى إِلَى أَوْقَافِ أَهْلِ الدِّينِ يَنْدُ
قَلْبَهَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ ذِي أَضْغَانِ
- ٩٣٤- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الْإِشَارَاتِ الَّتِي
هِيَ لِابْنِ سِينَا مَوْضِعَ الْفُرْقَانِ

- ٩٣٥- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الشَّرِيعَةِ بِالنَّوَا
 ٩٣٦- لَكِنَّهُ عَلِمَ اللَّعِينُ بِأَنَّ هـ
 ٩٣٧- إِلَّا إِذَا قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَالْقُضَا
 ٩٣٨- فَسَعَى لِدَاكِ وَسَاعَدَ الْمَقْدُورُ بِأَلِ
 ٩٣٩- فَأَشَارَ أَنْ يَضَعَ التَّارَ سُيُوفَهُمْ
 ٩٤٠- لَكِنَّهُمْ يُتَّقُونَ أَهْلَ صَنَائِعِ الذِّ
 ٩٤١- فَعَدَا عَلَى سَيْفِ التَّارِ الْأَلْفُ فِي
 ٩٤٢- وَكَذَا ثَمَانَ مِئِينَهَا فِي أَلْفِهَا
 ٩٤٣- حَتَّى بَكَى الْإِسْلَامَ أَعْدَاهُ الْيَهُو
 ٩٤٤- فَشَفَى اللَّعِينُ النَّفْسَ مِنْ حِزْبِ الرَّ
 ٩٤٥- وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ فِي أَحَدٍ وَقَدْ
 ٩٤٦- لِأَقْرَأَعَيْنَهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ
- مِيسِ الَّتِي كَانَتْ لَدَى الْيُونَانِ
 ذَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ وَالْإِمْكَانِ
 ةَ وَسَائِرِ الْفُقَهَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
 أَمْرٍ الَّذِي هُوَ حِكْمَةٌ الرَّحْمَنِ
 فِي عَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 دُنْيَا لِأَجْلِ مَصَالِحِ الْأَبْدَانِ
 مِثْلِ لَهَا مَضْرُوبَةٌ بِوِزَانِ
 مَضْرُوبَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 دُ كَذَا الْمَجُوسُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ
 سُورِ وَعَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 شَهْدِ الْوَقِيعَةِ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ
 أَوْ أَنْ يُرَى مُتَمَزِّقَ اللَّحْمَانِ

الشرح

- ٩٢٢- لَسْنَا نَقُولُ كَمَا يَقُولُ الْمُلْحِدُ الزُّ
 زَنْدِيقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ الْيُونَانِ
 قَوْلُهُ: «الْمُلْحِدُ الزُّنْدِيقُ صَاحِبُ مَنْطِقِ الْيُونَانِ» وهو أرسطو، لأنَّ أرسطو
 هو المعلم الأول للفلسفة اليونانية، يقول:

٩٢٣- بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ الْمَشْهُودِ وَالْأَرْوَاحِ فِي أَرْزَلٍ وَلَيْسَ بِفَانٍ

هذا العالم المشهود الذي هو السموات، والأرض، والأفلاك، والأرواح - وهي عالمٌ خفيٌّ - يقول: إنه دائمٌ أزلًا، وليس بفانٍ، إذن فهو دائمٌ أزلًا وأبدًا.

وهذا الوصف لا يصحُّ إلا لله وحده، فهم يقولون - أعنى الفلاسفة -: هذا العالم ليس له أوّلٌ وليس له آخر، يبقى ولا يفتنى أبدًا، وهو أزلٌّ فيما سبق، لم يسبقه عدَمٌ.

٩٢٤- هَذِي مَقَالَاتُ الْمَلَا حِدَةِ الْأُلَى كَفَرُوا بِخَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «هذي» الإشارة إلى القول بدوام العالم المشهود أزلًا وأبدًا.

قَوْلُهُ: «مقالات الملاحدة الألى» الألى يعني: الذين، ف(الألى) جمع (الذي) كما قال ابن مالك في ألفيته: جَمْعُ الَّذِي: (الَّذِينَ) مُطْلَقًا

إذّن الفلاسفة يقولون: هذا الكون المشهود - وهو السموات، والأرض، والشمس، والقمر، والنجوم - أزلٌّ أبديٌّ، وكذلك العالم غير المشهود - وهي الأرواح - أزلٌّ أبديٌّ، لكن من أين يؤخذ أنه (الأزلي)؟ الجواب: من قوله: «بِدَوَامِ هَذَا الْعَالَمِ... فِي أَرْزَلٍ»، وهو أيضًا أبديٌّ لقوله: «وَلَيْسَ بِفَانٍ».

٩٢٥- وَآتَى ابْنَ سِينَا بَعْدَ ذَلِكَ مُصَانِعًا لِلْمُسْلِمِينَ فَقَالَ بِالْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «مُصَانِعًا» أي: للمسلمين، يعني: مُتَقَرَّبًا إِلَيْهِمْ، لأنَّ ابْنَ سِينَا يَدَّعِي أَنَّهُ مُسْلِمٌ، وَإِذَا كَانَ مُسْلِمًا بَدَعُوهُ، فَإِنَّهُ لَنْ يَأْتِيَ بِقَوْلٍ يَنَاقِضُ مَا عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، فَآتَى بِقَوْلٍ يُصَانِعُهُمْ فِيهِ، فَقَالَ بِالْإِمْكَانِ، يَعْنِي: بِإِمْكَانِ حُدُوثِ هَذَا الْعَالَمِ، وَأَنَّ الْعَالَمَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا.

والفلاسفة الذين قبل أرسطو وأتباعه يقولون: إِنَّ الْعَالَمَ أَزَلِيٌّ، لا يمكن أن يكون حادثاً، أما ابن سينا فأتى (فقال بالإمكان).

٩٢٦- لَكِنَّهُ الْأَزَلِيُّ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ مَا كَانَ مَعْدُومًا وَلَا هُوَ فَإِنْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُمْكِنٌ أَنْ يَكُونَ حَادِثًا لَكِنَّهُ أَزَلِيٌّ.

فما الفرق بينه وبين الفلاسفة؟ الجواب: الفلاسفة يقولون: يمتنع أن يكون حادثاً، وهو يقول: يمكن أن يكون حادثاً.

وأما المسلمون فيقولون: يجب أن يكون حادثاً، لأنَّ كُلَّ مَا سِوَى اللَّهِ فَهُوَ حَادِثٌ بَعْدَ أَنْ كَانَ عَدَمًا.

فصار هذا الرجل كالمنافقين لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، فلا هو بالذي يقول بقول الفلاسفة بأنَّ كونه حادثاً ممكنٌ، ولا بقول المسلمين بأنَّ كونه حادثاً واجبٌ، بل قال: يمكن، لكن مع ذلك هو أَزَلِيٌّ لَيْسَ بِمُحَدَّثٍ.

قَوْلُهُ: «مَا كَانَ مَعْدُومًا» هذا التسلسل في الأول.

قَوْلُهُ: «وَلَا هُوَ فَإِنْ» هذا التسلسل في المستقبل.

٩٢٧- وَأَتَى بِصُلْحٍ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ بَيْنَهُمَا الْحُرُوبُ وَمَا هُمَا سِلْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَى بِصُلْحٍ» أي: بين المسلمين الذين قالوا: بوجود حدوث العالم، وبين الفلاسفة الذين قالوا باستحالة حدوث العالم، وأنَّ الْعَالَمَ أَزَلِيٌّ، فقال: نجمع بينكما.

فقال: نقول: يمكن أن يكون حادثاً ولكن ليس بحادث، فقال: (يمكن) لأجل أن يدفع قول الفلاسفة، وقال: (وليس بحادث) ليدفع قول المسلمين.

فيقول: نصلح بينكما، نقول: الأمر أزلِّي لأجل أن نوافق الفلاسفة، ونقول: إنه ممكن، وليس بواجب الأزلية ليوافق المسلمين.

لكن ابن القيم يقول: (وَأَتَى بِصُلْحٍ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ بَيْنَهُمَا الْحُرُوبُ وَمَا هُمَا سَلْمَانٍ) فليس بين المسلمين والفلاسفة سلْمٌ، بل بينهما حرب طاحنة، فكيف يقول: نجمع بينكما؟!

٩٢٨- أَنِّي يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةُ الْيُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيمَانِ

هل يمكن أن يصطلح المسلمون الذين يؤمنون بالله وأنه خالق الأكوان مع اليونان الذين يقولون: إن هذه الأكوان أزلية أبدية ولا موجد لها؟

الجواب: لا يمكن، ولهذا قال:

(أَنِّي يَكُونُ الْمُسْلِمُونَ وَشِيعَةُ الْيُونَانِ صُلْحًا قَطُّ فِي الْإِيمَانِ) لا يمكن أن يصطلحوا في الإيمان، فبينهما فرق عظيم.

ثُمَّ قَالَ:

٩٢٩- وَالسَّيْفُ بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ وَبَيْنَهُمْ وَالْحَرْبُ بَيْنَهُمْ فَحَرْبُ عَوَانٍ

يعني أن الحرب بينهم ثائرة دائمة، ولذا لا يمكن الصلح.

٩٣٠- وَكَذَا أَتَى الطُّوسِيُّ بِالْحَرْبِ الصَّرِيحِ بِصَارِمٍ مِنْهُ وَسَلَّ لِسَانِ

قَوْلُهُ: «الطُّوسِيُّ» هو الخواجة نصير الدين الطوسي الذي استوزره هو لآكو خان ملك التتر، هذا هو المُسَمَّى عندهم بنصير الدين، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم يسمّيانه نصير الكفر، وصدقا، فهو نصير الكفر مع مَنْ

وازره وهو ابن العلقمي^(١)، وكانا من الرافضة.

والمعنى أنه أتى بسلاحين: (الصارم) وهو السيف، و(اللسان) وهو القول لما عنده من الوشاية حتى قضى على المسلمين في بغداد.

٩٣١- وَأَتَى إِلَى الْإِسْلَامِ يَهْدِمُ أَصْلَهُ مِنْ أَسْأِهِ وَقَوَاعِدِ الْبُنْيَانِ

٩٣٢- عَمَرَ الْمَدَارِسَ لِلْفَلَسَفَةِ الْأَلَى كَفَرُوا بِإِدِينِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ

هذا الرجل الخبيث عمّر المدارس لكن للفلاسفة، وصار يُدرّس فيها علمُ الفلسفة الذي هو صَدٌّ عن سبيلِ الله، كما يوجد الآن في بلاد المسلمين من أدخل على منهج المسلمين وثقافتهم فلسفة الغرب، وشطحات الغرب، وفساد الغرب، حتى أضعفت المواد الشرعية من أجل إقحام هذه المعلومات التي تُدمّر الأديان والأخلاق، بل فقدت العلوم الشرعية من بعض البلاد الإسلامية، فلم تكن في مناهجهم، والله أعلم، ربما لو حصل لهؤلاء الذين أقحموا هذه العلوم في المناهج والمدارس أن يقضوا على المواد الدينية في البلاد التي فيها المواد الدينية لقضوا عليها، لكنهم يخشون من سطوة العامة، فأبقوا شيئاً من المواد الدينية وأضعفوها، ثم أحلّوا محلّها هذه المقررات التي في بعضها كفر صريح -دعونا من المقررات التي تدعو إلى التحلل من الأخلاق، وإلى صور بعض النساء العاريات، وبعض الرجال الذين هم شبه عراة- لكن فيها أفكار مدمرة أفسدت العالم، فهذا في الحقيقة امتدادٌ لما سبق.

(١) هو محمد بن محمد بن أحمد بن علي أبو طالب، مؤيد الدين الأسدي البغدادي المعروف بابن العلقمي: وزير المستعصم العباسي، وصاحب الجريمة النكراء، في ممالة (هولاكو) على غزو بغداد، في رواية أكثر المؤرخين، توفي سنة (٦٥٦هـ). انظر: الأعلام للزركلي (٥/٣٢١).

هذا الرجل الذي يُسَمَّى نصير الدين عمَر المدارس للفلاسفة الذين كفروا بدين الله والقرآن.

٩٣٣- وَأَتَى إِلَى أَوْقَافِ أَهْلِ الدِّينِ يَنْدُ قَلْبَهَا إِلَيْهِمْ فَعَمَلَ ذِي أَضْغَانٍ

أوقاف المسلمين التي وُقِفَتْ على المدارس الدينية التي فيها علم الحديث، والفقه، والنحو، أخذ هذه الأوقاف وصرفها إلى المدارس التي يُدْرَس فيها علم الفلسفة.

٩٣٤- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الإِشَارَاتِ الَّتِي هِيَ لِابْنِ سِينَا مَوْضِعَ الْفُرْقَانِ

أراد أن يجعل كتاب (الإشارات) لابن سينا يُدْرَس بدل القرآن وألا يُدْرَس القرآن، ومعلوم أن الطُّغَاة يريدون هذا.

٩٣٥- وَأَرَادَ تَحْوِيلَ الشَّرِيعَةِ بِالنَّوَا مِيسِ الَّتِي كَانَتْ لَدَى الْيُونَانِ

قَوْلُهُ: «النواميس» يعني: النُّظْم، وتُسَمَّى في عرفنا الحاضر بالقوانين، يعني: أراد أن يرفع الشريعة ويُحِلَّ محلَّها القانون.

وهذا واقع من أمثاله في عصرنا، فكثير من البلاد الإسلامية التي يُنادَى فيها بالأذان، وترسم في قانونها أنها دولة إسلامية حَلَّت فيها القوانين الوضعية محلَّ الأحكام الشرعية، فَرَفَعَت الأحكام الشرعية منها، وحَلَّت القوانين.

فنسأل الله أن ينجِّي المسلمين من هؤلاء وأمثالهم.

٩٣٦- لَكِنَّهُ عَلِمَ اللَّعِينُ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ وَالْإِمْكَانِ

٩٣٧- إِلَّا إِذَا قَتَلَ الْخَلِيفَةَ وَالْقُضَاةَ وَسَائِرَ الْفُقَهَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «عَلِمَ اللَّعِينُ» يعني: نصير الدين الطوسي، ووصفه باللعين، لأنه ملعون في الحقيقة، لأنَّ فعله هذا فعل الشياطين.

وقَوْلُهُ: «اللعين» يحتمل أن تكون دعاءً أو خبرًا، فَإِنْ كانت دعاءً فقد استحقَّ اللعنة، لأنه مات على الكفر، وإن كانت خبرًا فهو أهلٌ لذلك.

وقد يريد ابن القيم بـ(اللعين) البعيد عن رحمة الله وعن رضا الناس له، لأنَّ الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟ قَالَ: «يَسُبُّ الرَّجُلُ أَبَا الرَّجُلِ فَيَسُبُّ أَبَاهُ وَيَسُبُّ أُمَّهُ»^(١) فجعل السَّبَّ لعنًا.

٩٣٨- فَسَعَى لِدَاكَ وَسَاعَدَ الْمَقْدُورُ بِأَمْرِ الَّذِي هُوَ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَسَعَى لِدَاكَ» يعني: سعى لقتل الخليفة والقضاة والفقهاء، وقد أشار هو وابن العلقمي بأن يتقدَّم الخليفة ومعه القضاة والأشراف والأعيان، وأنه لما أقبل على الملك هولاكو فصل بين الخليفة وبين هؤلاء القضاة والأشراف، وقضى عليهم، ثُمَّ فاوض الملك، ثُمَّ رجع، ثُمَّ حَصَلَتِ النِّهَايَةُ فِي الْجَوْلَةِ الثَّانِيَةِ.

قَوْلُهُ: «سَاعَدَ الْمَقْدُورُ» أي: مقدور الله عزَّ وجلَّ الذي هو حكمة الرحمن، والله عزَّ وجلَّ لا يفعل شيئًا إِلَّا لحكمة، يعني: قد تقع المكاره والمصائب العظيمة، لكن الذي قَدَّرَهَا هو الله، والله عزَّ وجلَّ لا يُقَدِّرُ شيئًا إِلَّا لحكمة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب لا يسب الرجل والديه برقم (٥٦٢٨).

٩٣٩- فَأَشَارَ أَنْ يَضَعَ التَّارُ سُيُوفَهُمْ فِي عَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

٩٤٠- لَكِنَّهُمْ يُبْقُونَ أَهْلَ صَنَائِعِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ مَصَالِحِ الْأَبْدَانِ

أشار أن يوضع السيف في أهل الإيمان، وأما أهل صنائع الدنيا مثل أصحاب الحرف، ومثلما سبق أنه أبقى اليهود والنصارى والرافضة وبعض التجار، فأهل صنائع الدنيا والحرف أبقاهم، واليهود والنصارى والرافضة أبقاهم، لأن هؤلاء لا ضرر منهم، لأنهم لا يمكن أن يقوموا ضد عدو الإسلام أبداً، فلذلك أبقاهم.

٩٤١- فَعَدَا عَلَى سَيْفِ التَّارِ الْأَلْفُ فِي مِثْلِ لَهَا مَضْرُوبَةٌ بِوِزَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَلْفُ فِي مِثْلِ لَهَا»: ألف في ألف بمليون، يعني قتل ألف ألف، هذا واحد.

٩٤٢- وَكَذَلِكَ ثَمَانِ مِئِنِهَا فِي أَلْفِهَا مَضْرُوبَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «ثَمَانِ مِئِنِهَا فِي أَلْفِهَا» أي: ثمانمئة ألف.

يعني: مليونين إلا مائتي ألف، كلهم قُتلوا في بلد واحد وفي هجوم واحد مع أن البشر في ذلك الوقت أقل من البشر في هذا الوقت، يعني: يمكن أن يكون هذا العدد يُمثل النصف أو أكثر من أهل بغداد كلهم قُتلوا، نسأل الله العافية.

٩٤٣- حَتَّى بَكَى الْإِسْلَامَ أَعْدَاةُ الْيَهُودِ كَذَا الْمَجُوسُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ

قَوْلُهُ: «أَعْدَاةُ» يعني: أعداء الإسلام، والمعنى أن أعداء الإسلام بكوا عليه من شدة ما وقع به.

وأمرٌ يحزن له الأعداء فادحٌ ما بعده فداحة، أعداء الإسلام صاروا يكون الإسلام وأهله، كذا المجوس، وعابدو الصلبان، يعني النصارى.

٩٤٤- فَشَفَى اللَّعِينُ النَّفْسَ مِنْ حِزْبِ الرَّسُولِ وَعَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

قوله: «شَفَى النَّفْسَ» يعني: نفسه، (مِنْ حِزْبِ الرَّسُولِ وَعَسْكَرِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ).

٩٤٥- وَيُودُّهُ لَوْ كَانَ فِي أَحَدٍ وَقَدْ شَهِدَ الْوَقِيعَةَ مَعَ أَبِي سُفْيَانَ^(١)

يعني: هو يودُّ أنه كان في أحد مع أبي سفيان مع المشركين، ويحارب مَنْ؟

الجواب: الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

٩٤٦- لَا قَرَّ أَعْيُنُهُمْ وَأَوْفَى نَذْرَهُ أَوْ أَنْ يُرَى مُتَمَزَّقَ اللَّحْمَانِ

يعني: أنه تمنى أن يكون في أحد حتى يُقَرَّ أعينهم، ويشفي صدره بقتل النبي

-عليه الصلاة والسلام- أو أن يتمزق لحمه دونهم.

نسأل الله العافية.

٩٤٧- وَشَوَاهِدُ الْأَحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَى ذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ بِالْبُرْهَانِ

٩٤٨- وَأَدِلَّةُ التَّوْحِيدِ تَشْهَدُ كُلُّهَا بِحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرَّحْمَنِ

٩٤٩- لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبًّا ثَانِيًا

(١) أبو سفيان: هو صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من سادات قريش في الجاهلية ومن رؤساء المشركين في حرب الإسلام أول ظهوره، ثم أسلم عام الفتح، وشهد الطائف، ففقت عينه، ثم فقت الأخرى في اليرموك، ولد بمكة قبل الهجرة بـ(٧٥) سنة، ومات بالمدينة أو الشام سنة (٣١ هـ). [الشارح].

- ٩٥٠- إِذْ كَانَ عَنْ رَبِّ الْعُلَى مُسْتَعْنِيًا فَيَكُونُ حَيْثُ لَنَا رَبَّانٍ
 ٩٥١- وَالرَّبُّ بِاسْتِقْلَالِهِ مُتَوَحِّدٌ أَفْمُمْكِنٌ أَنْ يَسْتَقِلَّ اثْنَانِ؟
 ٩٥٢- لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقُطًا فَإِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمْتِعَانِ
 ٩٥٣- وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا كُلٌّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ
 ٩٥٤- وَلِذَلِكَ اقْتَرَنَا جَمِيعًا فِي صِفَا تِ اللَّهِ، فَانظُرْ ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ
 ٩٥٥- فَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ حَقًّا لَيْسَ فِي الْ إِمْكَانِ أَنْ تَحْطَى بِهِ ذَاتَانِ

الشرح

يتحدث المؤلف -رحمه الله- في هذه المقطوعة عن أدلة وُحدانية الله عز وجل وأنه سابق على كل موجود، فقال:

٩٤٧- وَشَوَاهِدُ الْأَحْدَاثِ ظَاهِرَةٌ عَلَى ذَا الْعَالَمِ الْمَخْلُوقِ بِالْبُرْهَانِ
 يعني أنها ظاهرة بالدليل القاطع على أن هذا العالم مخلوق.

٩٤٨- وَأَدِلَّةُ التَّوْحِيدِ تَشْهَدُ كُلُّهَا بِحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرَّحْمَنِ
 قَوْلُهُ: «بِحُدُوثِ كُلِّ» أي: كل الموجودات، ويجوز (بِحُدُوثِ كُلِّ مَا سِوَى الرَّحْمَنِ) بالإضافة، لكن كيف ذلك؟ بين فقال:

٩٤٩- لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبَّانِي
 نعم، لو كان مع الله أحد قديم لكان ربًا ثانيًا، لأنه يجتمع عندنا قديمان: الربُّ، وهذا القديم الثاني.

والقديم عند الفلاسفة وفي اصطلاح المتكلمين: هو ما ليس له أول، وليس هو قديم في اللغة العربية، القديم في اللغة العربية: ما سبق غيره ولو كان مسبوقا، والقديم عند الفلاسفة والمتكلمين هو ما ليس له أول، فمثلا الشيء العتيق يُسمى في اللغة قديما كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ [يس:٣٩]، وعند الفلاسفة: ليس كذلك، لأنه حادث، فالقديم عندهم هو الأزلي الذي ليس له أول.

يقول ابن القيم: (لَوْ كَانَ غَيْرُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ مَعَهُ قَدِيمًا كَانَ رَبًّا ثَانِيًا) يعني: يكون ربان إذا كان كلُّ منهما قديما.

٩٥٠- إِذْ كَانَ عَنْ رَبِّ الْعُلَى مُسْتَعْنِيًا فَيَكُونُ حِينئِذٍ لَنَا رَبَّانٍ
لأنه إذا قُدِّرَ شيان قديمان كان كلُّ واحدٍ منهما مستعنيا عن الآخر، لأنَّ هذا قديم لا يحتاج إلى مُحَدِّث، والثاني قديم لا يحتاج إلى مُحَدِّث، فحينئذٍ يكون لنا رَبَّانٍ، كلُّ منهما قديم مُسْتَعْنٍ عن الآخر.

٩٥١- وَالرَّبُّ بِاسْتِقْلَالِهِ مُتَوَحِّدٌ أَفْمُمْكِنٌ أَنْ يَسْتَقِلَّ اثْنَانِ؟
الجواب: لا، فالرَّبُّ لا بُدَّ أن يكون مستقلا واحدا، لا يمكن أن يكون رَبَّانٍ ودليل ذلك ما يُعرَفُ عند العلماء بدليل التمانع، مثاله: قال:

٩٥٢- لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقَطًا فَإِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمَتِّعَانِ
قَوْلُهُ: «لَوْ كَانَ ذَاكَ» يعني: لو كان هناك رَبَّانٍ هناك اثنان.

قَوْلُهُ: «تَنَافِيًا وَتَسَاقَطًا» يعني: لو كان هناك رَبَّانٍ تنافيا، يعني تعاكسا وتساقطا.

قوله: «إِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمَتِّعَانِ» لكن كيف ذلك؟ لو كان هناك رَبَّانٍ اثنان مستقلان، لانفرد كلُّ واحدٍ بمملكته ومخلوقاته، وحينئذٍ لا بدَّ أن يقع النزاع

بينهما، فإمّا أن يَعْجِزَ كُلُّ منهما عن الآخر، وإمّا أن يغلب أحدهما الآخر، فإن عجز كُلُّ واحدٍ منهما عن الآخر تساقطًا، وصار كُلُّ منهما لا يَصْلُحُ أن يكون رَبًّا، لأنَّ الرَّبَّ لا بدَّ أن يكون قاهرًا غالبًا، وإن غلب أحدهما الآخر صار هو الرَّبُّ، والثاني ليس بِرَبِّ.

فالحاصل أنه لو كان للعالم خالقان للزم أحد أمرين: إما انتفاء الربوبية عنهما جميعًا، وإما ثبوتها لأحدهما، أمّا أن تَثُبَّتَ لهما جميعًا فهذا محال، وإلى هذا يشير قوله تعالى: ﴿ مَا أَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ [المؤمنون: ٩١]، وإذا علا بعضهم على بعض، فالعالي منهما هو الرَّبُّ، وهذا هو الذي أشار إليه ابن القيم -رحمه الله- بقوله: (لَوْ كَانَ ذَاكَ تَنَافِيًا وَتَسَاقُطًا فَإِذَا هُمَا عَدَمَانِ مُتَمَتِعَانِ).

بقي احتمال واحد وهو أن يغلب أحدهما الآخر، فإذا غلب أحدهما الآخر فهو الرَّبُّ.

٩٥٣- وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا كُلُّ لِصَاحِبِهِ هُمَا عِدْلَانِ

القهر والوحدانية كُلُّ واحدٍ منهما يَشْهَدُ على انفراد الله تعالى بذلك، فالقَهَّارُ الذي يَقْهَرُ كُلَّ شَيْءٍ يَدُلُّ على أنه لا يساويه شيء، لأنّه لو ساواه شيء لم يكن قَهَّارًا على الإطلاق، لأنَّ مَنْ لا يقهر كُلَّ شيءٍ، بل يُقْهَرُ أحيانًا لا يُوصَفُ بأنّه القَهَّارُ على الإطلاق.

والواحد أيضًا القهرُ يشهد له، فإذا كان الله قاهرًا لكلِّ شيءٍ لزم أن يكون متوحدًا في مُلكه، ونحن نرى الكون الآن أنّه مقهورٌ بِرَبِّ، فأبى واحدٍ في الدنيا من أولها إلى آخرها هل يمكنه أن يخرج عن تقدير الله وقضائه؟

الجواب: لا، إذن هو مقهور على كل حال، فلا يَصْلُحُ شيء من المخلوقات رَبًّا، ولهذا يقول: (وَالْقَهْرُ وَالتَّوْحِيدُ يَشْهَدُ مِنْهُمَا كُلُّ لِحَابِهِ هُمَا عِدْلَانِ) أو (عِدْلَانِ).

وَقَوْلُهُ: «هُمَا عِدْلَانِ» أي: متعادلان، و(هُمَا عِدْلَانِ) أي: في شهادتهما، وهذا مأخوذ من العدالة.

٩٥٤- وَلِذَلِكَ اقْتَرْنَا جَمِيعًا فِي صِفَا تِ اللَّهِ، فَانظُرْ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «اقْتَرْنَا» يعني: الوجدانية والقهر.

٩٥٥- فَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ حَقًّا لَيْسَ فِيهِ إِمْكَانٌ أَنْ تَحْظَى بِهِ ذَاتَانِ قَوْلُهُ: «فَالْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» وَرَدَّ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وفي قوله: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، فالواحد القهار حقًا ليس في الإمكان أن تحظى به ذاتان.

خلاصة هذا الباب كله: أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى لم يزل ولا يزال فعلاً، وهذا يستلزم التسلسل في الماضي كما يستلزم التسلسل في المستقبل.

أما التسلسل في المستقبل فقد دلَّ عليه القرآن والسنة دلالة صريحة، فكلُّ نصٍّ فيه أبدية النار وأبدية الجنة فهو دليل على التسلسل في المستقبل، يعني: أنه لا نهاية له، فلا نهاية للجنة ونعيمها، ولا نهاية للنار وجحيمها، وهذا في القرآن.

وأما التسلسل في الماضي فاشتبه على كثير من علماء السنة، فقالوا: لا يمكن التسلسل في الماضي، لأننا لو قلنا بجواز التسلسل في الماضي، للزم أن تكون

المخلوقات أزليَّة مقارنة للخالق، ومعلوم أنَّ هذا مستحيل، ومن قال: إِنَّ المخلوقات مقارنة للخالق وأزليَّة بأزليته كان كافرًا مشرِّكًا.

لكنَّ شيخ الإسلام - رحمه الله - وجماعة من أهل العلم قالوا: نحن نقول بالإمكان، بل بوجوب أنَّ الله لم يزل ولا يزال فعَّالًا، ولكن من المعقول الذي يدركه كلُّ عاقل أنَّ المفعول نتيجة الفعل، وأنَّ الفعل صفةُ الفاعل، إذن فالفاعل متقدِّم حتى لو قلنا: بأزليَّة الحوادث، فإنَّ ذلك لا يلزم أن تكون مقارنةً لله الواحد القهَّار، لأنَّ الله (فاعل)، ثُمَّ فِعْلٌ، ثُمَّ مفعول، إذن فالحوادث غيرُ مقارنة لله في الوجود.

فهذا المحذور الذي فررتم منه ليس بلازم، لكن لو قلنا: إِنَّ الله تعالى مُعَطَّلٌ عن الفعل أزلاً، ثُمَّ فَعَلَ، فهذا تحكُّم من وجهين:

الوجه الأول: أنَّه في الوقت الذي يكون معطَّلًا عن الفعل يكون ناقصًا، فإن قالوا: لا نقص، لأنَّ الفعل يَتَّبِعُ الحكمة، فإذا اقتضت الحكمةُ ألا يفعل فلم يفعل صار ذلك كما لا نقصًا.

فنقول: نعم، أنتم إذا سلَّتم بهذا، وقلتم بجواز التسلسل لعذرناكم، لكن أنتم تقولون بامتناع التسلسل، فيكون الفعل في الأول ممتنعًا وليس متأخرًا، فنقول: ما الذي جعله ممتنعًا عن الله، ثُمَّ صار ممكنًا؟ وإلى متى كان ممتنعًا؟ ألف سنة، ألفي سنة، آلاف السنين، ثُمَّ صار ممكنًا؟!

إن قلتم: ألف سنة، ثُمَّ صار ممكنًا قلنا: أين الدليل؟ إن قلتم: عشر سنوات، ثُمَّ صار ممكنًا قلنا: أين الدليل؟ إن قلتم سنة، ثُمَّ صار ممكنًا قلنا: أين الدليل؟ إن قلتم: يومًا، ثُمَّ صار ممكنًا، قلنا: أين الدليل؟

إِذَنْ قَوْلُوا: بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ فَعَالًا، وَأَنَّ تَسْلُسُلَ الْحَوَادِثِ فِي الْمَاضِي مُمْكِنٌ بَلْ هُوَ مِنْ مَقْتَضَى كِمَالِهِ، وَحَيْثُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولُوا خَطَأً أَوْ زَلَلًا، لِأَنَّنا نَقُولُ بِذَلِكَ.

وَلَكِنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ نَعْلَمُ أَنَّ الْمَفْعُولَ يَقَعُ بَعْدَ الْفِعْلِ، وَأَنَّ الْفِعْلَ وَصَفَ الْفَاعِلَ فَلَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ الْمَوْصُوفُ مُتَقَدِّمًا.

وَهَذَا فِي الْحَقِيقَةِ لَا إِشْكَالَ فِيهِ مَعَ أَنَّهُ لَمَّا بَرَزَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي تَقْرِيرِهِ ثَارَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، وَقَالُوا: هَذَا مُشْرِكٌ أَشْرَكَ بِاللَّهِ، جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ثَانِيًا، وَقَامَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا، وَقَدْ قِيلَ فِيهِ قِصَائِدُ ذُكِّرَتْ فِي الطَّبَعَةِ الْأُولَى مِنْ مَنْهَاجِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، مِنْهَا قِصِيدَةٌ طَوِيلَةٌ فِيهَا الرَّدُّ عَلَى شَيْخِ الْإِسْلَامِ فِي هَذَا الرَّأْيِ، وَتَوْجِدُ قِصِيدَةٍ أُخْرَى مُعَارِضَةً لَهَا مُنَاقِضَةً لَهَا.

لَكِنِ عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذَا لَمْ نَدْخُلْ فِي هَذِهِ الْمَعْمَعَةِ فَإِنَّ فِطْرَنَا تَقْتَضِي أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَزَلْ، وَلَا يَزَالُ فَعَالًا، هَذَا وَاحِدٌ.

عَقُولُنَا أَيْضًا تَقْتَضِي بِأَنَّنا لَوْ قَلْنَا: بِأَزَلِيَّةِ الْحَوَادِثِ فَلَيْسَتْ مُقَارِنَةً لِلْمُحَدِّثِ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ بَعْدَهُ، وَحَيْثُ نَنْفَصِلُ عَنِ الْقَوْلِ بِأَنَّنا إِذَا قَلْنَا: بِأَزَلِيَّةِ الْحَوَادِثِ أَثْبَتْنَا مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ أَثْبَتْنَا رَئِيْنًا.

وَبَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَالْبَحْثُ فِي هَذَا يُعْتَبَرُ مِنْ فَضُولِ الْعِلْمِ إِلَّا إِذَا خَشِيَ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَعْتَقِدَ فِي اللَّهِ نَقْصًا، فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحَقِّقَ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي لَمْ تَطْرَأْ عَلَى بَالِهِ الْمَسْأَلَةُ لَمْ تَشْكَلْ عَلَيْهِ، لَكِنِ الَّذِي يَقْرَأُ بَحْثَ الْعُلَمَاءِ، ثُمَّ يَخْشَى إِذَا لَمْ يَقُلْ بِالْقَوْلِ حَصَلَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنْ تَنْقُصِ الْخَالِقِ حَيْثُ يَجِبُ أَنْ يَبْحَثَ وَيُحَقِّقَ.

فصل

فِي اعْتِرَاضِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ بِدَوَامِ فَاعِلِيهِ الرَّبِّ تَعَالَى وَكَلَامِهِ ، وَالانْفِصَالِ عَنْهُ

- ٩٥٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَاكَ تَسْلُسُلٌ
 ٩٥٧- كَتَسْلُسُلِ التَّأْثِيرِ فِي مُسْتَقْبَلِ
 ٩٥٨- وَاللَّهِ مَا افْتَرَقَا لِذِي عَقْلِ، وَلَا
 ٩٥٩- فِي سَلْبِ إِمْكَانٍ وَلَا فِي ضِدِّهِ
 ٩٦٠- فَلَيَاتِ بِالْفُرْقَانِ مَنْ هُوَ فَارِقٌ
 ٩٦١- وَكَذَلِكَ سَوَى الْجَهْمُ بَيْنَهُمَا كَذَا أَلِ
 ٩٦٢- وَلَا أَجَلَ ذَا حَكْمًا بِحُكْمِ بَاطِلِ
 ٩٦٣- فَالْجَهْمُ أَفْنَى الذَّاتِ وَالْعَلَّافُ لِدِ
 ٩٦٤- وَأَبُو عَلِيٍّ وَابْنُهُ وَالْأَشْعَرِيُّ
 ٩٦٥- وَجَمِيعُ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ أَلِ
 ٩٦٦- فَرُقُوا وَقَالُوا: ذَاكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ
 ٩٦٧- قَالُوا لِأَجْلِ تَنَاقُضِ الْأَرْزِيِّ وَالِ
 ٩٦٨- لَكِنْ دَوَامِ الْفِعْلِ فِي مُسْتَقْبَلِ
- قُلْنَا: صَدَقْتُمْ، وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
 هَلْ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانِ
 نَقْلِ، وَلَا نَظَرِ، وَلَا بُرْهَانِ
 هَذِي الْعُقُولُ، وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانِ
 فَرُقَّا بَيْنَ لِصَالِحِ الْأَدْهَانِ
 عَلَّافٌ فِي الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ
 قَطْعًا عَلَى الْجَنَّاتِ وَالنَّيْرَانِ
 حَرَكَاتِ أَفْنَى قَالَهُ الثَّوْرَانِ
 يُ وَبَعْدَهُ ابْنُ الطَّيِّبِ الرَّبَّانِي
 مَذْمُومٌ عِنْدَ أَيْمَةِ الْإِيمَانِ
 حَقٌّ وَفِي أَرْزَلِ بِلَا إِمْكَانِ
 إِحْدَاثِ: مَا هَذَا يَجْتَمِعَانِ
 مَا فِيهِ مَحْذُورٌ مِنَ التُّكْرَانِ

- ٩٦٩- فَانظُرْ إِلَى التَّلَيسِ فِي ذَا الْفَرْقِ تَر
 ٩٧٠- مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ ذُو
 ٩٧١- بَلْ كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَسْبُوقٌ بِفَرْدٍ
 ٩٧٢- وَنَظِيرُهُ هَذَا كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلْ
 ٩٧٣- النَّوْعُ وَالْآحَادُ مَسْبُوقٌ وَمَلْ
 ٩٧٤- وَالنَّوْعُ لَا يَفْنَى أَحِيرًا فَهُوَ لَا
 ٩٧٥- وَتَعَاقُبُ الْآنَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ
 ٩٧٦- فَإِذَا أَبَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: أَوَّلُ الْ
 ٩٧٧- مَا كَانَ ذَاكَ الْآنَ مَسْبُوقًا يُرَى
 ٩٧٨- فَيَقَالُ: مَا تَعْنُونَ بِالْآنَاتِ؟ هَلْ
 ٩٧٩- مِنْ حِينِ إِحْدَاثِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 ٩٨٠- وَنَظْنُكُمْ تَعْنُونَ ذَاكَ وَلَمْ يَكُنْ
 ٩٨١- هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَاكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ
 ٩٨٢- هَذَا الْكِتَابِ وَهَذِهِ الْآثَارُ وَالْ
 ٩٨٣- إِنَّا نَحَاكِمُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُمْ
 ٩٨٤- أَوْلَيْسَ خَلْقُ الْكُونِ فِي الْآيَامِ كَا
- وَيَجَا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَانَ
 أَزَلٍ لِيذِي ذَهْنٍ وَلَا أَعْيَانَ
 دِقْبَلَهُ أَبَدًا بِلَا حُسْبَانَ
 حُوقٌ بِفَرْدٍ بَعْدَهُ حُكْمَانَ
 حُوقٌ وَكُلٌّ فَهُوَ مِنْهَا فَانِ
 يَفْنَى كَذَلِكَ أَوْ لَا بَيَانَ
 فِي الذَّهْنِ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَعْيَانَ
 آنَاتٍ مُفْتَتِحٍ بِلَا نُكْرَانَ
 إِلَّا بِسَلْبٍ وَجُودِهِ الْحَقَّانِي
 تَعْنُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الْأَزْمَانَ
 وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاكِ وَالْقَمَرَانَ
 مِنْ قَبْلَهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَكْوَانَ
 نَصٌّ وَمِنْ نَظِيرٍ وَمِنْ بُرْهَانَ؟
 مَعْقُولٌ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانَ
 مِنْهَا فَحُكْمُ الْحَقِّ فِي نَبِيَانَ
 نَ، وَذَاكَ مَا أُخُوذُ مِنَ الْقُرْآنِ

- ٩٨٥- أَوْلَيْسَ ذَلِكُمْ الزَّمَانُ بِمُدَّةٍ
لِحُدُوثِ شَيْءٍ وَهُوَ عَيْنُ زَمَانٍ؟
- ٩٨٦- فَحَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ نِسْبَةٌ حَادِثٍ
لِسِوَاهُ تِلْكَ حَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ
- ٩٨٧- وَادْكُرْ حَدِيثَ السَّبِقِ لِلتَّقْلِيلِ وَالتَّ
تَوَقَّيْتِ قَبْلَ جَمِيعِ ذِي الْأَعْيَانِ
- ٩٨٨- خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ سِنِينَ عَدَّهَا الْ
مُخْتَارُ سَابِقَةً لِدِي الْأَكْوَانِ
- ٩٨٩- هَذَا وَعَرْشُ الرَّبِّ فَوْقَ السَّمَاءِ مِنْ
قَبْلِ السَّنِينَ بِمُدَّةٍ وَرَمَانِ
- ٩٩٠- وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي
كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
- ٩٩١- هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ
قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمْدَانِيِّ
- ٩٩٢- وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلَ لِأَنَّهُ
قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ
- ٩٩٣- وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ
إِجَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانِ
- ٩٩٤- لَمَّا بَرَاهُ اللَّهُ قَالَ: اكْتُبْ كَذَا
فَعَدَا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَانِ
- ٩٩٥- فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى
يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ
- ٩٩٦- أَفَكَانَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
مِنْ قَبْلِ ذَا عَجْزٍ وَذَا نُقْصَانٍ؟!
- ٩٩٧- أَمْ لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَالْفِعْلُ مَقْدُومٌ
دُورٌ لَهُ أَبَدًا وَذُو إِمْكَانٍ؟
- ٩٩٨- فَلَيْنَ سَأَلْتَ وَقُلْتَ: مَا هَذَا الَّذِي
أَدَاهُمْ لِخِلَافِ ذَا التَّبَيُّانِ؟
- ٩٩٩- وَلَايِي شَيْءٌ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ
-سَبْحَانَهُ- هُوَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
- ١٠٠٠- فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسَّسُوا
أَصْلَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ

- ١٠٠١- وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ
 ١٠٠٢- وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ
 ١٠٠٣- نَفَى الْقِيَامَ لِكُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ
 ١٠٠٤- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ
 ١٠٠٥- إِذْ أَثْبَتُوهُ بِكَوْنِ ذِي الْأَجْسَادِ حَا
 ١٠٠٦- فَإِذَا تَسَلَّسَلَتِ الْحَوَادِثُ لَمْ يَكُنْ
 ١٠٠٧- فَلَأَجَلٍ ذَا قَالُوا: التَّسَلُّسُلُ بَاطِلٌ
 ١٠٠٨- فَيَصِحُّ حِينَئِذٍ حَدُوثُ الْجِسْمِ مِنْ
 ١٠٠٩- هَذِي نَهَايَاتُ لِاقْدَامِ الْوَرَى
 ١٠١٠- فَمَنْ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنِ
 ١٠١١- فَاللَّهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ
- بل عَنْ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانَ
 فَسَرًّا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبُطْلَانِ
 بِالرَّبِّ خَوْفَ تَسَلُّسُلِ الْأَعْيَانِ
 إِبْتِغَاءَ صَانِعِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 دَيْتَةً فَلَا تَنْفَكُ عَنْ حَدَثَانِ
 لِحُدُوثِهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ بُرْهَانِ
 وَالْجِسْمِ لَا يَخْلُو عَنْ الْحَدَثَانِ
 هَذَا الدَّلِيلِ بِوَأَضِحِ الْبُرْهَانِ
 فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّيِّقِ الْأَعْطَانِ
 يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ
 مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «اعْتَرَضِهِمْ» يعني: أنهم اعترضوا على القول بدوام فاعلية الله عز وجل وقالوا: لا يمكن أن يكون الله دائم الفعل.

وقَوْلُهُ: «وَالانْفِصَالِ عَنْهُ» أي: الانفصال عن هذا الاعتراض، وهو بمعنى

كلمة الإجابة عنه.

وهذا الفصل فصلٌ عظيم، وقد تكلم فيه المؤلف -رحمه الله- عن التسلسل في الحوادث، وذكر فيه للناس ثلاثة أقوال:

القول الأول: بأن التسلسل ممنوع في الماضي والمستقبل، وهذا قول الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة.

القول الثاني: جوازه في الماضي والمستقبل، وهذا الذي أيده ابن القيم -رحمه الله- وذكر أدلته.

القول الثالث: جواز التسلسل في المستقبل وامتناعه في الماضي، وهذا هو الذي عليه عامة علماء الكلام، وهو الذي لا يكاد يُعرف سواه عند المتأخرين، ولكن الأدلة التي ذكرها ابن القيم -رحمه الله- أدلة واضحة.

وليس قولنا بإمكان التسلسل هو قولنا بوجوب التسلسل، يعني: إذا قلنا بجواز التسلسل فليس معناه أننا نقول بوجوبه، إذ لا شك أن كل ما سوى الله فهو حادثٌ بعد أن لم يكن، فالأعيان ليست متسلسلةً إلى ما لا نهاية له، فكلُّ شيء حادثٌ، والله تعالى قبل كلُّ شيء.

وقد تقدّم في أول الكلام على هذا هذه المسألة أن لدينا فاعلاً وفعلاً ومفعولاً، وأن ترتيبها هكذا: فاعلٌ سابقٌ على الفعل، وفعل سابقٌ على المفعول، وأنا وإن قلنا بجواز تسلسل الحوادث في الماضي، لا يمكن أن نقول: إنها مقارنةٌ لوجود الله أبداً، بل لا بدّ أن تكون مسبوقهً بوجوده، لكنها إلى ما لا نهاية له.

وابن القيم -رحمه الله- تكلم كلاماً كثيراً حول هذا الموضوع، ثم قال: إن هؤلاء القوم الذين قالوا: إنه ممكن في المستقبل، مستحيلٌ في الماضي، بنوا هذا على

قواعد أصلوها من علم الكلام، ليس عليها دليل من معقول ولا منقول ولا فطرة، وهذا هو الحق، فإن أهل الكلام بنوا عقيدتهم في الله على عقول ليست عاقلة، بل هي عقول مضطربة متناقضة ينقض بعضها بعضاً، ويُفسد بعضها بعضاً، وهي كما قيل:

حُجَجٌ تَهَافَتْ كَالزُّجَاجِ تَحَالُهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ

حتى إن زعماءهم ورؤساءهم أقرؤا بالحيرة وبالرجوع إلى الحق، يقول الرازي - وهو من عظمائهم وكبرائهم وأئمتهم - يقول: «لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠] ومن جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»^(١). هذا وهو من رؤسائهم.

وقال أبو المعالي الجويني: «لقد خُضْتُ البحر الخضم، وغصت في الذي نهي أهل الإسلام منها، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن رجعت من الكل إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز»^(٢). رجع إلى عقيدة العجائز، فالعجائز لا تتكلم بهذا الكلام وهذا التنطع، وهذا مصداق قول النبي - عليه الصلاة والسلام -: «هَلِكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(٣)»^(٤). قالها ثلاث مرات،

(١) انظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠١).

(٢) انظر: تاريخ الإسلام للذهبي (٧/ ٣٣٢).

(٣) هم المتعمقون المغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم. انظر: النهاية (نطع).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنتعون، برقم (٢٦٧٠).

ولهذا لا تجد أحسنَ من عِلْمِ السلف، فعِلْمُ السلف بسيطٌ هادئٌ، ليس فيه تعمُّق ولا تكلفٌ أبدًا.

جاء رجلٌ إلى ابنِ عُمَرَ وَسَأَلَهُ عَنِ دَمِ الْبُعُوضِ. فَقَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ. قَالَ: انظُرُوا إِلَيَّ هَذَا، يَسْأَلُنِي عَنِ دَمِ الْبُعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «هُمَا رِيحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»^(١).

هذا ورع عظيم، أن يسأل عن دم البعوض ويقتل من جدُّه رسولُ الله ﷺ!! فالتعمق هذا يفسد على الإنسان، ويوجب له الشك والقلق، بل كن بسيطاً في الأمور كلها حتى المسائل التي لم تُكَلَّفْ بها ولم يأتِ بها نصٌّ إذا أعميتك فاتركها ولا تُتعب نفسك بها حتى لا تتضرر.

فابن القيم -رحمه الله- ذكر أن هؤلاء بنوا عقيدتهم على ما يدعونونه معقولاً، ولكنها في الحقيقة جهالات، وضلالات، وشبهات، لا تُغني من الحق شيئاً أبدًا، بل هي توقع الإنسان في الحيرة، والشك، والقلق.

يقول -رحمه الله-:

٩٥٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَاكَ تَسْلُسُلٌ قُلْنَا: صَدَقْتُمْ، وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «أَنَّ ذَاكَ تَسْلُسُلٌ» المشار إليه هو دوام فاعلية الرَّبِّ في الماضي، وقد سبق أن للناس في التسلسل ثلاثة أقوال:

القول الأول: جوازه في الماضي والمستقبل.

القول الثاني: امتناعه في الماضي والمستقبل.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، برقم (٥٦٤٨).

القول الثالث: امتناعه في الماضي دون المستقبل .

قَوْلُهُ: «فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَاكَ تَسْلُسُلٌ» يعني: أن دوام فاعلية الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ في المستقبل أو في الماضي تسلسل .

قَوْلُهُ: «قُلْنَا: صَدَقْتُمْ» يعني: التزمنا هذا، (وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ) يعني: صدقتم، وهذا ممكن، ما الذي يمنع منه؟!

٩٥٧- كَتَسْلُسُلِ التَّأْثِيرِ فِي مُسْتَقْبَلٍ هَلْ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانٍ

يعني: كما أنكم تقولون: إنه يمكن التسلسل في المستقبل، وأنَّ الله لا يزالُ فعَّالًا، لأنَّ الله قال في الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ٥٧] وكذلك في النار، فأیُّ فرق بين القول بإمكان التسلسل في المستقبل وإمكانه في الماضي؟

الجواب: لا فرق، لأنَّ من المعلوم أنَّ الله هو الأوَّل الذي ليس قبله شيء، وأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، فإذا قلنا بالتسلسل في المستقبل مع أنَّ الله هو الآخر، فلماذا لا نقول بالتسلسل في الماضي مع أنَّ الله هو الأوَّل؟! فأیُّ فرق؟!

وهذا في الحقيقة قياسٌ لا مَحِيدَ عنه، مع أنه سبق أنَّ القول بدوام فاعلية الله عَزَّ وَجَلَّ في الماضي هو من كماله وأنه لم يزل فعَّالًا، والمحذور الذي يجبُ الحذرُ منه أن نقول بدوام عين المخلوق في الماضي، يعني مثلًا أن نقول: الخلق (الكون) لم يزل موجودًا فهذا غلط، فالكون مُحَدَّث لا شك .

إِذْنِ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللهُ - أورد اعتراضًا، وأجاب عنه، فقال: كما أنَّ التسلسل ممكن في المستقبل فما الذي يمنعه في الماضي؟!

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

٩٥٨- وَاللَّهِ مَا افْتَرَقَا لِذِي عَقْلٍ، وَلَا نَقْلٍ، وَلَا نَظَرٍ، وَلَا بُرْهَانٍ

٩٥٩- فِي سَلْبِ إِمْكَانٍ وَلَا فِي ضِدِّهِ هَذِي الْعُقُولُ، وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانٍ

قَوْلُهُ: «سَلْبِ إِمْكَانٍ» يعني: نفي إمكان، يعني: ما افترقا في نفي الإمكان، ولا في ضده، وهو إثبات الإمكان.

وكلام المؤلف يعني أنه لا فرق بين القول بدوام فاعلية الله في الماضي ودوام فاعليته في المستقبل، فالله لم يزل ولا يزال فَعَالًا.

قَوْلُهُ: «هَذِي الْعُقُولُ وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانٍ» يعني: هاتوا الدليل العقلي.

قَوْلُهُ: «وَنَحْنُ ذُو أَدْهَانٍ» يعني: عندنا أذهان نعرف كما تعرفون.

وهذا البحث - أعني في التسلسل - هو بحثٌ حادثٌ لم يكن معروفًا عند السلف، وإنما أحدثه أهل المنطق، وأجلبوا عليه^(١) وأجنبوا^(٢)، وأهل السنة لا بدّ أن يدافعوا، لا بدّ أن يخوضوا غمار الوغى، وإلّا فالسلامة - بلا شك - أسلم من هذا ونقول: إنّ الله عزّ وجلّ فعّال لما يريد في ماضي الأمر وحاضره ومستقبله، لكن إذا بُلينا بقوم يتكلّمون في هذا، فلا بدّ أن نجيب وندخل في غمار المعركة، والحقّ منصورٌ ولا بدّ، وإلّا ما فائدة أن نقول: إنّ الله لم يزل فَعَالًا في الأزل الذي لا ندري ما أوّله، وكذلك في المستقبل الذي لا ندري ما آخره؟

إِذْنُ الْبَحْثِ فِي التَّسْلُسِ فِي الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ مِنْ فَضُولِ الْعِلْمِ، وَمَا لَا دَاعِي

(١) أي: تجمعوا. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: جلب.

(٢) أي: دخلوا في ريع الجنوب. انظر: لسان العرب، مادة: جنب.

له، ولكن إذا حَلَّت الضرورة حَلَّ المُحَرَّم، إذا اضطررنا إلى أن هؤلاء عَطَّلوا الله عزَّ وجلَّ فيما مضى، وقالوا: إنه لم يكن قادرًا على أن يفعل شيئًا، ثُمَّ حَدَثَ له الفعل، سبحان الله ما الذي جعله ممكنًا بعد أن كان ممتنعًا؟!

٩٦٠- فَلَيَاتِ بِالْفُرْقَانِ مَنْ هُوَ فَارِقٌ فَرَقًا يَبِينُ لِصَالِحِ الْأَذْهَانِ

اللام في قوله: «فَلَيَاتِ» هنا للأمر الذي يُقَصِّدُ به التحدي، يعني: إن كان لديك فرقٌ بين التسلسل في الماضي والتسلسل في المستقبل فائتِ به.

قَوْلُهُ: «فَرَقًا يَبِينُ لِصَالِحِ الْأَذْهَانِ» يعني: لا فرقًا دعويًّا، يدَّعي الفرق فقط، لأنه -مثلًا- إذن قال: لو جاز التسلسل في الماضي لَزِمَ قَدَمُ المخلوقات، نقول أيضًا: لو جاز التسلسل في المستقبل يلزم تأخر المخلوقات حتى تكون مثل الله، فإن امتنع هذا فليمتنع هذا، وإن جاز هذا فليجز هذا.

٩٦١- وَكَذَلِكَ سَوَّى الْجَهْمُ بَيْنَهُمَا كَذَا أَلْ عَلَّافٌ فِي الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ

الجهم بن صفوان وكذلك العَلَّاف وأظنه من المعتزلة، سَوَّى بينهما، أي: بين الماضي والمستقبل، فقالوا: لا فَرَقَ بينهما، إن أمكن التسلسل في الماضي لم يمتنع في المستقبل، وإن أمكن في المستقبل لم يمتنع في الماضي.

لكنهما مَنَعَا من التسلسل في الماضي والمستقبل، ويقولان بأنَّ الله تعالى لم يكن فَعَّالًا في الماضي ولا يكون فَعَّالًا في المستقبل، وقالوا بفناء الجنة وفناء النار، وعدم كل شيء إِلَّا اللهُ عزَّ وجلَّ فقالوا بمنع التسلسل في الماضي ومنعه في المستقبل، فقوله مطرَّد، لأنها لم يُفَرِّقَا بينهما، لكن المشكلة فيمن فَرَّقَ.

٩٦٢- وَلَا أَجَلَ ذَا حَكْمًا بِحُكْمٍ بَاطِلٍ قَطْعًا عَلَى الْجَنَّاتِ وَالنَّيْرَانِ

٩٦٣- فَالْجَهَنَّمُ أَفْنَى الذَّاتِ وَالْعَلَّافُ لِدُ حَرَكَاتِ أَفْنَى قَالَهُ الشُّورَانِ

جعلها نُورَيْنِ، لأنها حكما بحكم باطل على الجنات والنيران، فحكما بأنَّ الجنةَ تفنى، والنارَ تفنى، طردًا للقاعدة، وهي امتناع التسلسل في المستقبل كما يمتنع في الماضي.

لكن الجهم أفنى الذات، والعلَّافُ أفنى الحركات، والفرق أنَّ الجهم يقول: هذا العالمُ بجنته وناره، وإنسه وجنّه، وملائكته، وكلُّ شيءٍ سيفنى، ولا يبقى إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وأما العَلَّافُ فقال: لا، ما يفنى، بل تفنى الحركات فقط، وأمَّا الذوات فتبقى حتى إنه قال: إِنَّ الرجلَ إذا كان في الجنة، وقد أخذ شيئاً ليأكله فَقَدَّرَ اللهُ الفناءَ فنيت حركاته، وبقي هذا الشيء بيده بين مكانه وبين فمه، هكذا إلى أبد الآبدين، وأنه لو كان على أهله في الجنة وَقَدَّرَ اللهُ الفناءَ فَنِي، وبقي على أهله أبد الآبدين، كأنهما حَجْرَانِ لاصقان.

وهذا غير معقول، فهذا الكلام يضحك منه السفهاء فضلًا عن العلماء، فأين عقول هؤلاء الرجال!؟

ولكن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللهُ فَكَلَّا هَادِيَ لَهُ وَيَذُرُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦].

٩٦٤- وَأَبُو عَلِيٍّ^(١) وَابْنُهُ وَالْأَشْعَرِيُّ^(٢) ي^(٣) وَبَعْدَهُ ابْنُ الطَّيِّبِ^(٢) الرَّبَّانِي

قَوْلُهُ: «أَبُو عَلِيٍّ» هُوَ الْجُبَّائِي، مَعْتَزَلِي.

قَوْلُهُ: «وَابْنُهُ» هُوَ: أَبُو هَاشِمٍ مَعْتَزَلِيٌّ أَيْضًا.

قَوْلُهُ: «وَالْأَشْعَرِيُّ» هُوَ أَبُو الْحَسَنِ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، هُوَ لَاءِ الثَّلَاثَةِ وَبَعْدَهُمْ (ابْنُ الطَّيِّبِ) وَهُوَ الْبَاقِلَانِي.

٩٦٥- وَجَمِيعُ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ أَلْ - مَذْمُومٌ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيمَانِ

٩٦٦- فَرَّقُوا وَقَالُوا: ذَاكَ فِيمَا لَمْ يَزَلْ - حَقٌّ وَفِي أَرْزَلٍ بِإِلْمَافِ كَانِ

٩٦٧- قَالُوا لِأَجْلِ تَنَاقُضِ الْأَزْيِيِّ وَأَلْ - إِحْدَاثِ: مَا هَذَا يَجْتَمِعَانِ

٩٦٨- لَكِنْ دَوَامُ الْفِعْلِ فِي مُسْتَقْبَلٍ - مَا فِيهِ مَحْذُورٌ مِنَ النُّكْرَانِ

هُوَ لَاءِ فَرَّقُوا، فَكُلُّ أُمَّةِ الْكَلَامِ فَرَّقُوا بَيْنَ التَّسْلُسِ فِي الْمَاضِي وَالتَّسْلُسِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَقَالُوا: التَّسْلُسُ فِي الْمَاضِي مَمْنُوعٌ، لِمَاذَا؟ قَالُوا: لِأَنَّنا لَوْ قَلْنَا بِالتَّسْلُسِ لِامْتِنَاعِ الْحُدُوثِ، فَلَا يَجْتَمِعُ الْقَوْلُ بِالتَّسْلُسِ وَالْقَوْلُ بِالْحُدُوثِ.

(١) أَبُو عَلِيٍّ: هُوَ الْجُبَّائِي: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ مِنْ أُمَّةِ الْمَعْتَزَلَةِ، وَرَأْسُ عِلْمَاءِ الْكَلَامِ فِي عَصْرِهِ، نَسَبَتْهُ إِلَى جَبِيٍّ مِنْ قَرْيَةِ الْبَصْرَةِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٢٣٥هـ)، وَتَوَفِّيَ سَنَةَ (٣٠٣هـ) فِي جَبِيٍّ. [الشارح].

(٢) الْأَشْعَرِيُّ: هُوَ عَلِيُّ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، أَبُو الْحَسَنِ، مِنْ نَسْلِ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ، كَانَ مِنْ أُمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُجْتَهِدِينَ، أَسَّسَ مَذْهَبَ الْأَشَاعِرَةِ، وَوُلِدَ سَنَةَ (٢٦٠هـ) فِي الْبَصْرَةِ، وَتَلَقَّى مَذْهَبَ الْمَعْتَزَلَةِ، وَتَقَدَّمَ فِيهِمْ، ثُمَّ رَجَعَ وَجَاهَرَ بِخِلَافِهِمْ، وَالتَّزَمَ مَذْهَبَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ، وَتَوَفِّيَ بِبَغْدَادِ سَنَةَ (٣٢٤هـ). [الشارح].

(٣) ابْنُ الطَّيِّبِ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ الطَّيِّبِ بْنِ مُحَمَّدٍ، أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي، مِنْ كِبَارِ عِلْمَاءِ الْكَلَامِ، انْتَهَتْ إِلَيْهِ الرَّئِيسَةُ فِي مَذْهَبِ الْأَشَاعِرَةِ، وَوُلِدَ فِي الْبَصْرَةِ سَنَةَ (٣٣٨هـ)، وَتَوَفِّيَ فِي بَغْدَادِ سَنَةَ (٤٠٣هـ). [الشارح].

قَوْلُهُ: «قالوا: لأَجْلِ تَنَاقُضِ الْأَزْيِيِّ وَالْإِحْدَاثِ» كيف نقول: إنه أزيُّ ونقول: إنه مُحَدَّثٌ؟! لأنَّ الْأَزْيِيَّ لا يمكن أن يكون مُحَدَّثًا، فلذلك يمتنع التسلسل في الماضي، أما التسلسل في المستقبل فلا بأس، لأنَّ التسلسل في المستقبل يمنع الحدوث، ولكن سَيَرُدُّ عليهم ابن القيم.

إِذَنْ فالأقوال ثلاثة:

القول الأول: إمكان التسلسل في الماضي والمستقبل، أي: إمكانه أزلًا وأبدًا، وهذا قول أهل الحق.

القول الثاني: امتناع التسلسل فيهما، أي: امتناع التسلسل أزلًا وأبدًا.

القول الثالث: التفصيل، وهو مذهب الأشاعرة وجميع أهل الكلام، وهو أنه يمكن في المستقبل، ولا يمكن في الماضي، يعني: إمكانه أبدًا لا أزلًا.

ولكن - الحمد لله - الحق واضح بأنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يزل ولا يزال فعَّالًا، لكن من متى؟

الجواب: لا نهاية، لكن نعلم أنه لم يَزَلْ ولا يزال فعَّالًا، كذلك أيضًا لا يزال فعَّالًا، لأنَّ أهل الجنة خالدون فيها أبدًا، وكذلك أهل النار.

٩٦٩- فَاَنْظُرْ إِلَى التَّلْبِيسِ فِي ذَا الْفَرْقِ تَرُ وَيَجَا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «فَاَنْظُرْ إِلَى التَّلْبِيسِ» أي: انظر أيها المخاطب إلى التلبيس، والتلبيس معناه: التخليط وعدم التبيين.

قَوْلُهُ: «فِي ذَا الْفَرْقِ» الفرق يعني: بين التسلسل في الماضي والمستقبل.

قَوْلُهُ: «تَرْوِجًا عَلَى الْعُورَانِ وَالْعُمَيَّانِ» مَنْ له عينان فإنه لا يُرَوِّجُ عليه

هذا، إنما يُرَوِّج هذا على رجلٍ أعور لا ينظر إلا بعينٍ واحدة، أو رجلٍ أعمى لا ينظر أبداً.

وأهل الكلام في الحقيقة من باب العُورَان، لأنهم نظروا بعينٍ واحدة، وهي التسلسل في المستقبل، وعمُّوا عن التسلسل في الماضي.

٩٧٠- مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ ذُو أَرْزَلٍ لِيَذِي ذِهْنٍ وَلَا أَعْيَانٍ

يقول ابن القيم في الجواب عن كلامهم: نحن لا نقول بِقَدَمِ الشَّيْءِ الْمَعْيَنِ (مَا قَالَ ذُو عَقْلٍ بِأَنَّ الْفَرْدَ) يعني: الشَّيْءِ الْمَعْيَنِ.

قَوْلُهُ: «ذُو أَرْزَلٍ لِيَذِي ذِهْنٍ وَلَا أَعْيَانٍ» يعني: ما أحد قال لا في ذهنه ولا في عين الشيء لا تصوُّراً ولا تحقيقاً: إنه أَرْزَلِيٌّ، فلم يَدَّعِ أَحَدٌ أَنَّ الْأَعْيَانَ أَرْزَلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، فهذا لا يمكن، فنحن إذا قلنا بالتسلسل فليس معنى ذلك أَنَّ الْأَفْرَادَ أَعْيَانَ متسلسلة، لأنَّ هذا يكذبه الواقع، فابن عشرين سنة قبل عشرين سنة لم يكن شيئاً، وإذا مات لم يكن شيئاً إلا خبراً من الأخبار.

٩٧١- بَلْ كُلُّ فَرْدٍ فَهَوَ مَسْبُوقٌ بِفَرٍّ دِقْبَلَهُ أَبَدًا بِلا حُسْبَانٍ

فخلق السموات مسبوق بخلقٍ آخر ما نعلمه، والخلق الآخر مسبوق بخلقٍ آخر إلى ما لا نهاية له، وكان عرش الله على الماء، فكانت أرض، ثُمَّ السموات.

فنحن لا نقول: إِنَّ الشَّيْءَ الْمَعْيَنَ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ أَرْزَلِيٌّ، بل نقول: إِنَّ فَعَلَ اللهُ الَّذِي هُوَ وَصَفَهُ أَرْزَلِيٌّ كذاتِ اللهِ وحياةِ اللهِ، أما المخلوقات فإنها حادثة، لكن كُلُّ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مَسْبُوقٌ، مسبوق بمخلوقٍ قبله إلى ما لا نهاية له، ولا نَعْرِفُ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَوْتِيْتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً﴾ [الإسراء: ٨٥].

كما أننا نقول:

٩٧٢- وَنَظِيرُ هَذَا كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلٌ - حُقُوقٌ بِفَرْدٍ بَعْدَهُ حُكْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ هَذَا كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلْحُوقٌ بِفَرْدٍ» هذا التسلسل في المستقبل، كُلُّ فَرْدٍ فَهُوَ مَلْحُوقٌ بِفَرْدٍ، يعني: يلحقه فردٌ، ويلحقه فرد، ويلحقه فرد، ويلحقه فرد، إلى ما لا نهاية له، بلا حسابان.

فإذا كنتم تُقَرُّونَ بِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَلْحَقُهُ فَرْدٌ آخَرَ، فَلِمَ إِذَا لَا تُقَرُّونَ بِأَنَّ كُلَّ فَرْدٍ يَسْبِقُهُ فَرْدٌ آخَرَ، وَهَلِ الْبَابَانِ إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ؟!

٩٧٣- النَّوْعُ وَالْأَحَادُ مَسْبُوقٌ وَمَلٌ - حُقُوقٌ وَكُلٌّ فَهُوَ مِنْهَا فَانٍ

قَوْلُهُ: «النَّوْعُ» يعني: نوع المخلوقات، مثلاً: الآدمي نوع باعتبار بقية الحيوان، والحيوان جنس، والآدمي نوعٌ منه، أنا، وأنت، وزيد، وعمرو، هذا فرد.

قَوْلُهُ: «النَّوْعُ وَالْأَحَادُ مَسْبُوقٌ وَمَلْحُوقٌ» وهذا صحيح، فنحن قبلنا ناس، وبعدها ناس (وَكُلٌّ فَهُوَ مِنْهَا فَانٍ).

٩٧٤- وَالنَّوْعُ لَا يَفْنَى أَحْيَرًا فَهُوَ لَا يَفْنَى كَذَلِكَ أَوَّلًا بِبَيَانٍ

النوع لا يفنى أخيراً، كذلك لا يفنى أولاً، فما هو النوع؟ يعني نوع الفعل فعل الله عز وجل لا نهاية له لا أولاً، ولا آخرًا، أما النوع من الأحاد فلا شك أن له أولاً بمعنى أنه مسبوقٌ بعدم.

فنحن - بني آدم - قد سبقنا بعدم وسنفتى، والخور والولدان في الجنة مسبوقة بعدم لكنها ستبقى، والأرواح مسبوقة بعدم لكنها ستبقى.

٩٧٥- وَتَعَاقَبُ الْآنَاتِ أَمْرٌ ثَابِتٌ فِي الدَّهْنِ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ

هذا -أيضا- دليل لا محيص عنه، فالآنات -أي: الأوقات- هل هي متعاقبة

أو غير متعاقبة؟

الجواب: متعاقبة، حتى لو فرضنا أنه لا شمس ولا قمر فهي متعاقبة، وهل

لها بداية؟

الجواب: لم يزل الله عز وجل قد خلقها من الأزل، وهل تنتهي أو لا؟

الجواب: الأوقات لا تنتهي حتى إلى أبد الأبدين، لكن تتغير الأحوال

بلا شك من دنيا، إلى برزخ، إلى آخرة، إلى جنة أو نار.

قَوْلُهُ: «أَمْرٌ ثَابِتٌ فِي الدَّهْنِ وَهُوَ كَذَلِكَ فِي الْأَعْيَانِ»، يعني: يَتَصَوَّرُ الْإِنْسَانُ

ذهنًا ويراه عينًا أَنَّ الْأَوْقَاتِ تَتَعَاقَبُ، وهل هي مخلوقة أو غير مخلوقة؟

الجواب: مخلوقة، وهل لها أول؟

الجواب: أبدًا، لم تزل الأوقات موجودة، ولا تزال كذلك، والذي خلق

الوقت هو الله عز وجل.

٩٧٦- فَإِذَا أَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: أَوَّلُ الْآنَاتِ مُفْتَتِحٌ بِلا نَكَرَانَ

يقول: إن أيتهم وقلتم: أول الآنات مفتتح بلا نكران، يعني: أول الأوقات إن

كان شيئًا لا نتصوره قبل أن توجد الأوقات، كانت الأوقات معدومة، ثم أفتتحت،

وهذا نتصوره ذهنًا في الواقع، وإلا لا بد من وقت، لكن اسمع الجواب:

٩٧٧- مَا كَانَ ذَاكَ الْآنَ مَسْبُوقًا يُرَى إِلَّا بِسَلْبِ وُجُودِهِ الْحَقَّانِي

٩٧٨- فَيُقَالُ: مَا تَعْنُونَ بِالْآنَاتِ؟ هَلْ تَعْنُونَ مُدَّةَ هَذِهِ الْأَزْمَانِ

٩٧٩- مِنْ حِينَ إِحْدَاثِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْأَفْلَاكِ وَالْقَمَرَانِ
 ٩٨٠- وَنَظْنُكُمْ تَعْنُونَ ذَلِكَ وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ مِنْ الْأَكْوَانِ
 إذا قالوا: الآتاتُ مُحَدَّثَةٌ فهي غير متسلسلة.

يقول: ما تعنون بالآتات؟ هل تعنون بالآتات الأوقات منذ خلقت السموات والأرض والشمس والقمر، أو تعنون الأوقات من قبل؟ لكن ابن القيم يقول: (وَنَظْنُكُمْ تَعْنُونَ ذَلِكَ) يعني: ما كان بعد خلق السماوات والأرض ولكن، (وَلَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهَا شَيْءٌ مِنْ الْأَكْوَانِ) فتنفون أن يكون شيءٌ من الأكوان موجوداً قبل خلق السموات والأرض.

فهو يقول: وأظنكم تعنون هذا، فليس الكلام في ذلك، الكلام في الآتات السابقة على خلق السموات والأرض لسنا نبلغ أولها، وهذا واضح.

أما الآتات التي وُجِدَتْ بعد الشمس والقمر والسموات والأرض هذه نحن معكم أنها ليست قديمة، فالليل والنهار بتعاقب الشمس على الأرض وهي حادثة لا شك، لكن هناك أشياء أخرى مخلوقة من قبل.

٩٨١- هَلْ جَاءَكُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ نَصٍّ وَمِنْ نَظَرٍ وَمِنْ بُرْهَانٍ؟
 ٩٨٢- هَذَا الْكِتَابُ وَهَذِهِ الْآثَارُ وَالْمَعْقُولُ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ
 ٩٨٣- إِنَّا نَحَاكِمُكُمْ إِلَى مَا شِئْتُمْ مِنْهَا فَحُكْمُ الْحَقِّ فِي تَبْيَانِ

يقول: هل عندكم دليل على امتناع شيء قبل خلق السموات والأرض؟

الجواب: ليس عندهم دليل، وهذا هو الذي نريده.

٩٨٤- أَوْلَيْسَ خَلْقُ الْكُونِ فِي الْآيَامِ كَمَا نَ، وَذَلِكَ مَا أَخُوذُ مِنَ الْقُرْآنِ

هل خلق الكون في الأيام مأخوذ من القرآن؟

الجواب: نعم، موجود في القرآن، قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي

سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قبل أن توجد الأيام المقدره بالشمس يعني: قبل أن يوجد أحد واثنين وثلاثاء وأربعاء وخميس وجمعة، ومع ذلك قدّر الله خلقها في ستة أيام.

٩٨٥- أَوْلَيْسَ ذَلِكَمُ الزَّمَانُ بِمُدَّةٍ لِحُدُوثِ شَيْءٍ وَهُوَ عَيْنُ زَمَانٍ؟

الجواب: بلى، فالزمان الذي خُلِقَتْ فيه السموات والأرض قبل أن توجد

السموات والأرض، وقبل أن توجد الشمس كان موجودًا زمانًا ومُدَّةً، ولا شك في هذا، إذن ما المانع؟!

٩٨٦- فَحَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ نِسْبَةُ حَادِثٍ لِسِوَاهُ تِلْكَ حَقِيقَةُ الْأَزْمَانِ

نعم، حقيقة الأزمان نسبة حدثٍ لسواه، أي: لغيره، لأنَّ كُلَّ لحظة تأتي من

الزمن فهي خَلْفٌ عن لحظة سابقة إلى ما لا نهاية، ولهذا لا تجدك تتصور أن للزمن نهاية أبدًا مع أن الزمن مخلوق من مخلوقات الله عزَّ وجلَّ ومع ذلك لا تتصوّر له نهاية، حتى قبل خلق السموات والأرض يوجد زمن ومُدَّةً، ثُمَّ خُلِقَتْ السمواتُ والأرضُ في ستة أيام كما قال عزَّ وجلَّ.

٩٨٧- وَادْكُرْ حَدِيثَ السَّبْقِ لِلتَّقْلِيلِ وَالتَّ

٩٨٨- خَمْسِينَ أَلْفًا مِنْ سِنِينَ عَدَّهَا الـ

قَوْلُهُ: «حَدِيثَ السَّبْقِ» هو قول النبي ﷺ: «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ

أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ»^(١). إذن توجد مُدَّةٌ قبل خلق السموات والأرض، والمدة مخلوقة، والقلم أيضًا مخلوق، واللوح المكتوب فيه مخلوق.

٩٨٩- هَذَا وَعَرْشُ الرَّبِّ فَوْقَ الْمَاءِ مِنْ قَبْلِ السِّنِينَ بِمُدَّةٍ وَرَمَانَ

عرش الله عزَّ وجلَّ قبل الكتابة فوق الماء من قبل السنين التي هي خمسون ألفَ سنةٍ، فالأزمان لا تنتهى في الماضي، لكن إذا عنيتم بالأزمان التي تقدَّرت بخلق السموات والأرض فنحن معكم أنها ليست أزليَّة.

٩٩٠- وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ

٩٩١- هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيِّ^(٢)

يعني: أنَّ أهل العلم اختلفوا: هل العرش سابقٌ على خلق القلم أو القلم سابقٌ على خلق العرش؟ قولان لأهل السنة:

القول الأول: أنَّ الله تعالى كتب المقادير قبل العرش.

القول الثاني: أنَّ الله كتب المقادير بعد العرش.

لكن ابن القيم يقول:

٩٩٢- وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ لِأَنَّهُ قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانٍ

قَوْلُهُ: «وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ» أي: قبل القلم، لأنه قبل الكتابة كان ذا

أركان، وإذا كان ذا أركان فهو سابق بلا شك.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم (٢٦٥٣).

(٢) لعله الحسن بن أحمد، المولود سنة (٤٨٨هـ)، المتوفى سنة (٥٦٩هـ). [الشارح].

فهذا هو القول الحقُّ لقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود:٧]، ثُمَّ خَلَقَ الْقَلَمَ، وأمره أن يكتب في تلك الساعة عند خلقه ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب.

وسبحان الله العظيم! أمر الله هذا الجهاد أن يكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة بأمر الله عزَّ وجلَّ، مع أنَّ القلم لا يعلم ولا يفهم إلا ما أمره الله به، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة، فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وذكر -رحمه الله- أنَّ هذا هو الحقُّ.

أما حديث: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ»^(١) فنوجهه على أنَّ المعنى: أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فتكون الأولوية بالنسبة لقول الله له، يعني: من حين خلقه قال: اكتب، وهذا ظاهر كلام ابن القيم هنا.

المعنى الثاني: (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ) أي: بالنسبة للمشاهدات التي نشاهدها نحن.

فإن قيل على هذا القول: إنَّ القلمَ غيرُ مشاهد؟ فنقول: هذا من جنس الاستثناء المنقطع، وقد مثَّلَ النُّحَاةُ له بقولهم: (جَاءَ الْقَوْمُ إِلَّا حَمَارًا) فالحمار ليس من جنس القوم، فليس منهم، فالاستثناء المنقطع هو أن يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه، فقوله: «أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ» أي: من هذه الموجودات مثل الاستثناء المنقطع، وإن كان القلم لا نشاهده في الواقع.

(١) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٧٠٠)، وأخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، سورة ن، برقم (٣٣١٩).

فإن قال قائل: في حديث النبي ﷺ «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ» بالإفراد، وفي حديث النبي ﷺ في الإسراء قال: «عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ»^(١). بالجمع، فما الجواب؟

الجواب: أن هذه هي الأقلام اليومية، يعني: أن اللوح المحفوظ مرجع تُكْتَبُ منه الصحائف اليومية.

٩٩٣- وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ إِجْيَادَهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانٍ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - لما خلق القلم قال له: اكتب، فبمجرد ما خلقه الله أمره أن يكتب فكتب، وفي حديث عمران بن الحصين: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٢). فالكتابة أعقت خلق القلم، وكان عرش الله على الماء، إذن فالعرش هو السابق.

٩٩٤- لَمَّا بَرَاهُ اللَّهُ قَالَ: اكْتُبْ كَذَا فَغَدَا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَانٍ

٩٩٥- فَجَرَى بِهَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ

الله أكبر، لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فِي نَفْسِ السَّاعَةِ «قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقْوَمَ السَّاعَةُ»^(٣)، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِهَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَتَغَيَّرُ وَلَا يَتَبَدَّلُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة، برقم (٣٤٢)، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، برقم (١٦٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾، برقم (٣٠١٩).

(٣) أخرجه أبو داود، كتاب السنة، باب في القدر، برقم (٤٧٠٠)، وأخرجه الترمذي، كتاب تفسير القرآن، سورة ن، برقم (٣٣١٩).

٩٩٦- أَفَكَانَ رَبُّ الْعَرْشِ جَلًّا جَلَالُهُ مِنْ قَبْلُ ذَا عَجْزٍ وَذَا نُقْصَانٍ؟!

وهذا السؤال سؤال تقرير، يسأل: هل كان الله قبل ذلك عاجزاً؟ لأننا إذا قلنا: يستحيل التسلسل في الماضي لزم أن تكون هذه الاستحالة من صفات الله، ويكون الله عاجزاً عن أن يخلق، ثم صار يخلق، وهذا شيء مستحيل ونقص لله.

٩٩٧- أَمْ لَمْ يَزَلْ ذَا قُدْرَةٍ وَالْفِعْلُ مَقْفُورٌ لَهُ أَبَدًا وَذُو إِمْكَانٍ؟

ماذا نقول؟ هل نقول: (بلى) أو نقول: نعم؟

الجواب: نقول: (بلى) لم يزل ذا قدرة، والفعل مقدور له أبداً وذو إمكان.

٩٩٨- فَلَيْتُنَّ سَأَلْتُ وَقُلْتُ: مَا هَذَا الَّذِي أَذَاهُمْ لِخِلَافِ ذَا التَّبْيَانِ؟

قوله: «فَلَيْتُنَّ سَأَلْتُ» يعني: أيها المخاطب: وقلت ما هذا الذي أذاهم

خلاف ذا التبيان؟ الضمير في (أذاهم) يعود على أهل الكلام، ومنهم الأشاعرة.

٩٩٩- وَلَايِي شَيْءٌ لَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ -سبحانه- هُوَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ

١٠٠٠- فَاعْلَمَ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسَّسُوا أَصَلَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ

١٠٠١- وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ بَلْ عَنِ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

قوله: «فَاعْلَمَ بِأَنَّ الْقَوْمَ» هذا الجواب لما أسسوا أصل الكلام عموا عن

القرآن، فهؤلاء لما صاروا يرجعون في عقائدهم إلى علم الكلام ويُحْكَمُونَ

العقول التي ليست بعقول في الحقيقة، ولكنها تعقل الإنسان عن الوصول إلى

الحقيقة، عموا عن القرآن وعن الحديث ومقتضى المعقول بل عن فطرة الرحمن

والبرهان.

١٠٠٢- وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالبُطْلَانِ

هذا هو البلاء أنهم أسسوا عقائدهم على الكلام، فأسسوا علم الكلام، وجعلوه هو الأصل الذي عليه المدار.

فهم حكّموا العقول، وأعرضوا عن الكتاب والسنة، فضلوا -والعياذ بالله- قال الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا يَا نِينَكَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] اللهم اجعلنا منهم يارب.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤]، قوله: ﴿فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ أي: لا يضل علمًا، ولا يشقى عملاً، وقيل: لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، والمعنيان صحيحان. هؤلاء لَمَّا أَعْرَضُوا عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ضَلُّوا وَشَقُّوا -والعياذ بالله- ضَلُّوا عِلْمًا، وَشَقُّوا عَمَلًا، فَمَا اهْتَدَوْا لَا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَلَا فِي قَدَرِ اللَّهِ -سبحانه وتعالى-، هذا هو السبب.

فالسبب إعراضهم عن الكتاب والسنة، واشتغالهم بعلم الكلام، فجدير بهم أن يُفَعَّلَ بهم ما قاله الشافعي -رحمه الله- أن يُطَافَ بهم في العشائر، ويضربوا بالجريد والنعال، ولو كانوا كبار العمائم وطوال الأردان، ويُقال: (هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على علم الكلام).

١٠٠٣- نَفْيُ الْقِيَامِ لِكُلِّ أَمْرٍ حَادِثٍ بِالرَّبِّ خَوْفَ تَسَلُّسِلِ الْأَعْيَانِ

يقول: كُلُّ أَمْرٍ حَادِثٍ فَإِنَّهُ لَا يَقُومُ بِالرَّبِّ، مثل الاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والمجيء إلى الفصل بين العباد، والفرح بتوبة العبد إذا تاب، والضحك إلى رجلين يقتل أحدهما صاحبه كلاهما يدخل الجنة، وهكذا كُلُّ شَيْءٍ

حادث فهو ممنوع أن يقوم بالربِّ، قالوا: لأننا لو قلنا بقيامه بالربِّ، للزم قدم الحوادث أو حدوث الواجب بالقدم.

فهم يقولون: لو قلنا بأن الحوادث تقوم به لزم أحد أمرين: إمَّا أن تكون هذه الحوادث لا أوَّل لها، وإمَّا أن يكون الله محلاً للحوادث، وكُلُّ هذا -عندهم- ممتنع.

١٠٠٤- فَيَسُدُّ ذَاكَ عَلَيْهِمْ فِي زَعْمِهِمْ إِثْبَاتَ صَانِعِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

١٠٠٥- إِذْ أَثْبَتُوهُ بِكَوْنِ ذِي الْأَجْسَادِ حَا دِثَّةً فَلَا تَنْفَكُ عَنِ حَدَثَانِ

١٠٠٦- فَإِذَا تَسَلَّسَلَتِ الْحَوَادِثُ لَمْ يَكُنْ لِحُدُوثِهَا إِذْ ذَاكَ مِنْ بُرْهَانِ

يقولون: إننا لا نُثبتُ قدمَ الربِّ إلَّا إذا أثبتنا حدوث الحوادث، وإلَّا فإننا لا نستطيع أن نثبت قدمَ الربِّ.

فيقال: إنَّ قدمَ الربِّ لا شك ثابتٌ، فالله تعالى ليس قبله شيء، فهو لم يلد ولم يولد، والحوادث كلها كائنةً بعد أن لم تكن وإن تسلسلت في الأزل فإنها حادثة ولا بد.

١٠٠٧- فَلَأَجَلِ ذَا قَالُوا: التَّسَلُّسُلُ بَاطِلٌ وَالْجِسْمُ لَا يَخْلُو عَنِ الْحَدَثَانِ

١٠٠٨- فَيَصِحُّ حِينَئِذٍ حَدُوثُ الْجِسْمِ مِنْ هَذَا الدَّلِيلِ بَوَاضِحِ البُرْهَانِ

هذا الجسم لا يخلو عن الحدثنان، وهذا صحيح، لكن بالنسبة للربِّ العظيم لا يمكن أن نقول هذا، لأنَّ الكلامَ على الجسم نفيًا أو إثباتًا بالنسبة لله ممنوع، فلا نقول: إنَّ الله جسم، ولا نقول: إنه ليس بجسم، لكن نقول: إنَّ الله عزَّ وجلَّ ذاتٌ عَلِيَّةٌ مَلِكٌ، قُدُّوسٌ، سَلامٌ، عَزِيزٌ، حَكِيمٌ إلى آخر ما وصف الله به نفسه.

١٠٠٩- هَذِي نَهَايَاتٌ لِإِفْدَامِ الْوَرَى فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّيِّقِ الْأَعْطَانِ

١٠١٠- فَمَنِ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنٍ يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ
 ١٠١١- فَاللَّهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

انظر إلى وصف ابن القيم - رحمه الله - لهذا البحث بأنه مقامٌ ضيقُ الأعطان، والأعطان جمع عَطَنٌ^(١)، فإذا كان العَطَنُ ضيقًا لَزِمَ من ذلك الضيق، والانحصار والتعب.

وهذه الأبيات الثلاثة تحتل أن ابن القيم - رحمه الله - بعد أن رجَّح ما رجَّح من تسلسل الحوادث في الماضي كأنه لم يطمئن إليها تلك الطمأنينة، فلهذا قال: (فَمَنِ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنٍ يُنْجِي الْوَرَى مِنْ غَمْرَةِ الْحَيْرَانِ)، ويحتمل أنه يريد بذلك أن ما أتى به فهو صريحٌ بَيِّنٌ يُنْجِي الْوَرَى من غمرة الحيران.

فكلامه - رحمه الله - محتمل أن يكون بعد هذا البحث والمناقشة الطويلة صار عنده شيءٌ من التردد كما يوجد الآن تردد في هذه المسألة من بعض طلبة العلم، سواء من طلبة العلم الصغار أم من طلبة العلم الكبار.

ويحتمل أنه يريد أنه أتى - رحمه الله - بفتحِ بَيْنٍ في هذه المسألة واضح كما يدلُّ على ذلك تأييده للقول بجواز أو بإمكان التسلسل للحوادث في الماضي.

قَوْلُهُ: « فَمَنِ الَّذِي يَأْتِي بِفَتْحِ بَيْنٍ... فَاللَّهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ ». هذا من إخلاص ابن القيم - رحمه الله - ونصحه أنه دعا لمن أتى للمسلمين بالفتح البين والدليل الواضح، لأنَّ كُلَّ ناصحٍ لله ولكتابه ولرسوله يجب أن يُبَيِّنَ للخلق ما جاء به النبي ﷺ من الهدى ودين الحق.

(١) هو مبرك الإبل حول الماء، النهاية عطن.

فصل

وَمُشَبَّهٌ وَهَذَا ذُو الْعُقْرَانِ
 بَلْ هَدَّ كُلَّ قَوَاعِدِ الْقُرْآنِ
 سِدَّ أَيْمَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
 أَنْ دَارَ فِي الْأُورَاقِ وَالْأَذْهَانِ
 فَأَتَتْ لَوَازِمُهُ إِلَى الْإِيمَانِ
 فَهَوَى الْبِنَاءَ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ
 إِذْ سَلَطُوا الْأَعْدَاءَ بِالْعُدْوَانِ
 ذَاكَ السَّلَاحُ فَمَا اشْتَفَوْا بِطِعَانِ
 تَلَّهُمْ بِهِ فِي غَيْبَةِ الْفُرْسَانِ
 جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِ ذِي طُغْيَانِ
 وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 وَلَقُطِّعَتْ مَنَا عَرَى الْإِيمَانِ
 خَيْرُ الْقُرُونِ لَهُ!؟ مُحَالٌ ذَانِ!

١٠١٢- فَاسْمَعْ إِذَنْ وَافْهَمْ فَذَاكَ مُعْطَلٌ
 ١٠١٣- هَذَا الدَّلِيلُ هُوَ الَّذِي أَرْدَاهُمْ
 ١٠١٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ الْبَاطِلُ الْمَرْدُودُ عِنْدَ
 ١٠١٥- مَا زَالَ أَمْرُ النَّاسِ مُعْتَدِلًا إِلَى
 ١٠١٦- وَتَمَكَّنْتَ أَجْزَاؤُهُ بِقُلُوبِهِمْ
 ١٠١٧- رَفَعْتَ قَوَاعِدَهُ وَنَحَّتْ أَسَّهُ
 ١٠١٨- وَجَنَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ كُلَّ جِنَايَةٍ
 ١٠١٩- حَمَلُوا بِأَسْلِحَةِ الْمُحَالِ فَخَانَهُمْ
 ١٠٢٠- وَأَتَى الْعُدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَا
 ١٠٢١- يَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ
 ١٠٢٢- وَاللَّهِ لَوْ لَا اللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ
 ١٠٢٣- لَتَحَطَّفَتْ أَعْدَاؤُهُ أَرْوَاحَنَا
 ١٠٢٤- أَيْ كُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلُ وَمَا اهْتَدَى

- ١٠٢٥- وَفَقِّتُمْ لِلْحَقِّ إِذْ حُرِّمُوهُ فِي
أَصْلِ الْيَقِينِ وَمَقْعَدِ الْعِرْفَانِ؟!
١٠٢٦- وَهَدَيْتُمُونَا لِلَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا
أَبْدًا بِهِ؟! وَاشِدَّةَ الْحِرْمَانِ!
١٠٢٧- وَدَخَلْتُمُوا لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا
دَخَلُوهُ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ!
١٠٢٨- وَسَلَكْتُمْ طُرُقَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ دُو
نَ الْقَوْمِ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْبُهْتَانِ!
١٠٢٩- وَعَرَفْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَجْسَامِ وَالْأ
عْرَاضِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ
١٠٣٠- وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَل
آيَاتِ وَهِيَ غَيْرُ ذِي بُرْهَانِ
١٠٣١- اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى
حَقٍّ وَفِي غَيِّ وَفِي خُسْرَانِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - في هذه المقطوعة أن هذا الدليل الذي استدلوا به على نفي قيام الأفعال بالله عز وجل وهو أن الأفعال حادثة، والحادث لا يقوم إلا بحادث، إذن فلا تقوم الأفعال به، ذكر أن هذا دليل باطل.

قال - رحمه الله -:

- ١٠١٢- فَاسْمَعِ إِذْنَ وَافْهَمِ فَذَاكَ مُعْطَلٌ
وَمُشَبَّهٌ وَهَذَاكَ ذُو الْعُفْرَانِ
١٠١٣- هَذَا الدَّلِيلُ هُوَ الَّذِي أَرَادَاهُمْ
بَلْ هَدَّ كُلَّ قَوَاعِدِ الْقُرْآنِ
١٠١٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ الْبَاطِلُ الْمَرْدُودُ عِنْدَ
سِدِّ أَيْمَةِ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

فالقرآن مملوء بإثبات الأفعال لله عز وجل، ولو تدبرتموه لوجدتم فيه مئات الأدلة على إثبات الأفعال لله - سبحانه وتعالى -، وأن الله لم يزل ولا يزال فعَّالاً.

ولكن ابن القيم - رحمه الله - يقول: إن هذا الدليل باطل ومردودٌ عند أئمة التحقيق والعرفان.

١٠١٥- مَا زَالَ أَمْرُ النَّاسِ مُعْتَدِلًا إِلَى أَنْ دَارَ فِي الْأُورَاقِ وَالْأَذْهَانِ

١٠١٦- وَتَمَكَّنَتْ أَجْزَاؤُهُ بِقُلُوبِهِمْ فَأَتَتْ لَوَازِمُهُ إِلَى الْإِيمَانِ

١٠١٧- رَفَعَتْ قَوَاعِدَهُ وَنَحَّتْ أَسَّهُ فَهَوَى الْبِنَاءَ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ

١٠١٨- وَجَنَوْا عَلَى الْإِسْلَامِ كُلَّ جِنَايَةٍ إِذْ سَلَّطُوا الْأَعْدَاءَ بِالْعُدْوَانِ

ويقول: إنَّ الناس كانوا على الحقِّ، وأمَّهم معتدلاً حتى دار هذا الدليل في الأوراق والأذهان، فاضطرب الناس، وإلا فلو تُرك الناس وفطرتهم لكان كلُّ إنسان يعلم بفطرته أن الله لم يزل فعَّالاً، وأنَّ الفعل لم يكن مستحيلاً عليه في آنٍ، ثمَّ صار ممكناً بعد الاستحالة.

فلو تُرك الناس وفطرتهم ما عدلوا عن الحقِّ، لكن جاءت هذه العقول وأفسدت المنقول.

يقول: إنها تمكنت أجزاءه بقلوبهم فأتت لوازمه إلى الإيمان، رفعت قواعده ونحَّت أسَّه - أي: أساسه - حتى خرَّ للأركان.

ثمَّ ذكر أنهم جنوا على الإسلام كلَّ جناية، لأنهم سلَّطوا الأعداء، حيث صار كلُّ إنسان يتكلَّم بما عنده، ويقول لخصمه: هذا الذي قلت إنه محال.

فصار أهل التعطيل والتخييل الذين ينكرون البعث يقولون: هذا محال، منَّ يُحيي العظام وهي رميم؟ وصار كلُّ إنسانٍ مبطلٍ يقول لخصمه الذي يثبت ما ينفيه يقول: هذا محال، ولهذا يقول:

١٠١٩- حَمَلُوا بِأَسْلِحَةِ الْمُحَالِ فَخَانَهُمْ ذَاكَ السَّلَاحُ فَمَا اشْتَفَوْا بِطِعَانِ

يعني: لم ينفعهم، بل غرهم حيث يقولون لما يريدون: إن هذا ممكن، ولما لا يريدون: إن هذا محال، ولو أثبتته الله ورسوله.

١٠٢٠- وَأَتَى الْعَدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَا تَلَّهُمْ بِهِ فِي غَيِّبَةِ الْفُرْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَى الْعَدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ...» كيف ذلك؟

قال أهل التخيل الذين يرون أن اليوم الآخر ليس له حقيقة، فأجابهم أهل التعطيل في الصفات قالوا: كيف لا يكون له حقيقة وقد جاءت به الرسل، وليس هناك ما يمنعه، فوجد الدليل الموجب، وانتفى المانع، وإذا وجد الدليل الموجب وانتفى المانع وجب القول بما يقتضيه الدليل؟

فقال لهم أهل التخيل: توافقون على هذه القاعدة؟ قالوا: نعم، ونحتج بها عليكم. قالوا: إذن نحن نحتج عليكم بها، فإن القرآن والسنة جاء بإثبات الصفات، وهو دليل موجب، وليس هناك مانع مقاوم، فيجب عليكم أن تقولوا بإثبات الصفات.

فأنتم إما أن تقولوا بإثبات الصفات، وتجعلوا الباب واحداً، وإما أن تنفوا المعاد، ونحن لم ننف المعاد ونقول: إنه عبارة عن تحييل أو مجاز أو ما أشبه ذلك إلا حيث وجدناكم نفتيم الصفات، مع أن نصوص الصفات في القرآن والسنة أكثر بكثير من نصوص المعاد.

فكيف سوغتم لأنفسكم إنكار الصفات وتأويل نصوصها، بل على الأصح وتحريف نصوصها، ومنعتمونا من تأويل آيات المعاد؟!

انظر كيف تسلط الأعداء الذين هم كفار بالإجماع، أخذوا سلاح المعتزلة وطعنوهم به.

فهذا معنى قول المؤلف - رحمه الله -: (وَأَتَى الْعَدُوُّ إِلَى سِلَاحِهِمْ فَقَاتَلَهُمْ بِهِ فِي غَيْبَةِ الْفُرْسَانِ)، مَنْ هم الفرسان في هذا الباب؟

الجواب: أهل السنة الذين يثبتون هذا وهذا، ويقولون: نحن لا نتناقض، الكلُّ حقٌّ، فصفاة ربنا حقٌّ، واليوم الآخر حقٌّ.

ثُمَّ قَالَ نَادِبًا مَحْنَةَ الْإِسْلَامِ:

١٠٢١- يَا مَحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ جَهْلِ الصَّدِيقِ وَبَغْيِي ذِي طُغْيَانٍ

وهذا صحيح، فما يُبتلى الناس إلا بهذا، فصديق جاهل يضرك أكثر مما ينفعك، صديق يحبك مثلما يحب نفسه قال لك: لا تذهب من هذا الطريق، لكن اذهب من هذا الطريق، وهو لا يدري أي الطريقين أحسن أو أسوأ؟ وبناءً على ما بينكما من الصداقة أطعته، وإذا في هذا الطريق قطعاً طريق، ومهلكة، ومفازة^(١) ورَمْضاء^(٢)، وعَطَشٌ، وكلُّ شيء، والطريق الأول سليم، هذا الصديق هل نيته سيئة؟

الجواب: لا، ولكنه جاهل، فجهل الصديق بلاء، ولذلك يجب أن يكون الإنسان على ثقةٍ مِمَّنْ أشار إليه بشيء أن يكون عالماً مخلصاً لك.

فإذا كان الصديق جاهلاً والعدوُّ باغياً فعلى الإسلام السَّلام، وإذا كان الصديق عالماً والعدوُّ مبعوثاً حصل المراد، ولهذا جعل ابن القيم - رحمه الله تعالى -

(١) هي البرية القفر. انظر: النهاية في غريب الحديث الأثر، مادة: فوز.

(٢) هي شدة الحر. انظر: لسان العرب، مادة: رمض.

هذا من المحنة أن يسكت المسلمون عن هؤلاء المتكلمين ولا يبينوا عوارهم، جعل هذا من المحنة، وهو حقيقة، لكن نسأل الله تعالى أن ينصر الإسلام في كل مكان.

قَوْلُهُ: «وبغي ذي طغيان» هذا العدو يبغي ولا يبالي وإن كان عالماً.

١٠٢٢- وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

١٠٢٣- لَتَحَطَّطَتْ أَعْدَاؤُهُ أَرْوَاحَنَا وَلَقُطِّعَتْ مِنَّا عُرَى الْإِيمَانِ

وهذا صحيح، فلولا أن الله ناصر دينه كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩] لتقطعت عرى الإيمان، ولكن الله قيض لدينه - والله الحمد - من يدافع عنه وينصره.

ثُمَّ قَالَ مُتَّحِدِيًا:

١٠٢٤- أَيَكُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلِ وَمَا اهْتَدَى خَيْرُ الْقُرُونِ لَهُ؟! مُحَالٌ ذَانِ!

قَوْلُهُ: «أَيَكُونُ حَقًّا ذَا الدَّلِيلِ وَمَا اهْتَدَى خَيْرُ الْقُرُونِ لَهُ»؟!

الجواب: (محالٌ ذان) والمشار إليه اثنان:

الأول: وهو كون هذا الدليل حقاً.

والثاني - وهو مبني عليه -: عدم اهتداء القرون المفضلة إليه، هل القرون

المفضلة سلكوا هذا المسلك واستدلوا بهذا الدليل؟

الجواب: لا، إذن محال أن يكون حقاً ولم يهتدوا إليه، وهذا حق، إذن كيف

يكون دليلاً والسلف كلهم على خلافه؟!

١٠٢٥- وَفَقْتُمْ لِلْحَقِّ إِذْ حُرِّمُوهُ فِي أَصْلِ الْيَقِينِ وَمَقْعَدِ الْعِرْفَانِ؟!

ما الجواب؟ الجواب: لا، فلا يمكن أن تُوفَّقُوا - وأنتم الخلف - للحقِّ ويُحَرِّمُ منه السلف، هذا مستحيل، ولهذا لما أجاب بعض العلماء لشخصٍ مُعَطَّلٍ في أمر من الأمور فقال له: هل قاله النبي ﷺ وأصحابه؟ قال: لا، قال: إذن يسعك ما وسع النبي ﷺ وأصحابه، ومن لم يسعه ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه فلا وسَّع الله عليه.

أما هؤلاء فيقولون: مَنْ لم يدرك علم الكلام فلا يقين له في عقيدته ويقولون: لا يمكن الوصول إلى اليقين إلا بطرق علم الكلام.

فيقال: أين هذه الطرق؟ أين هي من الصحابة والتابعين؟ ولكن كما قال ابن القيم - رحمه الله - سُلِّطُوا على أهل الإسلام وَحَصَّلَ ما حصل من المحن.

١٠٢٦- وَهَدَيْتُمُونَا لِلَّذِي لَمْ يَهْتَدُوا أَبَدًا بِهِ؟! وَاشِدَّةَ الْحِرْمَانِ!

كذلك نقول: لا، هم لا يمكن أن يهدونا لشيءٍ لم يهتد إليه السلف الصالح.

١٠٢٧- وَدَخَلْتُمُوا لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا دَخَلُوهُ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ!

قَوْلُهُ: «وَدَخَلْتُمُوا لِلْحَقِّ مِنْ بَابٍ وَمَا دَخَلُوهُ»؟

الجواب: لا، لا يمكن، فكلُّ بابٍ يدخله الخلف ولم يدخله السلف فهو باب شر، ولهذا قال: (وَاعْجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ!).

١٠٢٨- وَسَلَكْتُمْ طُرُقَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ دُونَ الْقَوْمِ؟! وَاعْجَبًا لَذَا الْبُهْتَانِ!

قَوْلُهُ: «وَسَلَكْتُمْ طُرُقَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ دُونَ الْقَوْمِ؟!» الجواب: لا، ولهذا قال: (وَاعْجَبًا لَذَا الْبُهْتَانِ).

أهل التعطيل يقولون: الحقُّ معنا، وأما السلف فهم جهَّال مفوِّضة، تسألهم ما معنى قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ [طه: ٥]، يقولون لك: لا ندري، لأنَّ عندهم أنَّ مذهب السلف هو التفويض والجهل، حتى الرسول ﷺ يتكلم بالكلام وهو لا يعرفُ معناه، يقول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١). ولو سألته: يا رسول الله ما معنى ينزل؟ يقول: والله ما أدري، ينزل فقط، و«يَضْحَكُ اللهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ»^(٢). ما معناه؟ فيقول: ما أدري، فهذا هو المذهب السلفي عند هؤلاء القوم.

وكذبوا -والله- على السلف، فالسلف يقولون: نحن نعرف المعنى، ولا يمكن أن يخاطبنا الله عزَّ وجلَّ ورسوله ﷺ بما لا نعلمه، لكننا نجهل الكيفية والحقيقة، لأننا أعجز من ذلك، ولم نُخَبَّر عن الكيفية.

١٠٢٩- وَعَرَفْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَجْسَامِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْحَرَكَاتِ وَالْأَلْوَانِ

هم يقولون: إنَّ الله ليس بجسم، ولا عَرَض، ولا متحرِّك، وليس له لون، وليس له ربح، وليس له ملمس، ولا... إلخ.

عندهم أنَّ هذه هي الصفات الكاملة التي يُشْنَى على الله بها، لا يقولون: ﴿اللهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللهُ الصَّكْمُ ۝ (٢) لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١-٤] يقرؤونها، لكن يُحَرِّفونها، أحسن شيء عندهم في الأوصاف هذه السلوب، يكيلون لك كيلاً، لكنه كيل لا حصر له من هذه السلوب.

(١) أخرجه البخاري: أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل، برقم (١٠٩٤)، وأخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر، برقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم، برقم (٢٦٧١)، وأخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، برقم (١٨٩٠).

والسلوب يعني: النفي، ليس بكذا، ليس بكذا، ليس بكذا، وقد بينا لكم فيما سبق أن التفصيل في السلوب منقصة وسخرية.

فلو جئت لملك من الملوك وقلت: والله أنت رجل لست بامرأة، ولست بكساح ولا كناس ولا حجام ولا بيطار، ولا شقاقاً لبطن الغنم إذا تعسرت في الولادة، وما أشبه ذلك من هذه الصفات، ماذا يقول لك؟

يقول: هات السيف، لكن لو تقول: أنت ملك لا يساميك ملك من ملوك الدنيا، فهذه كلمة واحدة، فيملاً جيبك وما معك من الدراهم، ويشني عليك.

فالحاصل أن هؤلاء الجماعة لم يعرفوا الله إلا بهذه السلوب.

يقول - رحمه الله -:

١٠٣٠- وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَلْـَٔاتِ وَهِيَ غَيْرُ ذِي بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «وَهُمْ فَمَا عَرَفُوهُ مِنْهَا بَلْ مِنْ أَلْـَٔاتِ»، عرفوا ربهم بآياته الكونية والشرعية.

قَوْلُهُ: «وَهِيَ غَيْرُ ذِي بُرْهَانَ» عند مَنْ؟

الجواب: عند الخلف، يقولون: دلالة القرآن والسنة غير برهان، وليست قاطعة، فإذا أتيتهم بدليل قالوا: هذا الدليل يحتمل عشرة أوجه، ومع الاحتمال يسقط الاستدلال، هذا إذا كان لا يمكنهم دفع الدليل بالسند.

فإن كان يمكن دفع الدليل بالسند قالوا: هذا سنده ضعيف، هذا خبر آحاد لا نقبله في العقائد، لكن إذا جاء من القرآن يقولون: هذا يحتمل عدة معانٍ، ومع الاحتمال يبطل الاستدلال.

فجعلوا نصوص الكتاب والسنة مهزلة، طعنوا أحياناً في الدلالة، وأحياناً في الدليل، إن أمكنهم أن يطعنوا في الدليل بعدم ثبوته فعلوا، وإذا لم يمكنهم، لأن القرآن لا يمكن أن يقدحوا فيه، طعنوا في الدلالة.

فصار طعنهم إما في الدليل ويتبعه الطعن في الدلالة، وإما في الدلالة إذا عجزوا عن الطعن في الدليل.

١٠٣١- الله أَكْبَرُ أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى حَقٍّ وَفِي غَيٍّ وَفِي خُسْرَانٍ
الجواب: أن السلف (أهل السنة) والله على الحق، وأن الخلق المخالفين لهم على ضلال وفي خسران.

لكن إذا قال قائل: كيف يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-: «أَنْتُمْ أَوْ هُمْ عَلَى حَقٍّ»؟

نقول: نعم، هذا من تعليم الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّا أَوْ يَتَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤]، وهذا هو الإنصاف، الإنصاف أن تقول: أنا أو أنت مخطئ، ثم الخطأ والصواب يتبين، لأننا خصمان مثلاً، لا يمكن أن أحكم بقولي عليك، ولا أنت تحكم بقولك عليّ، فالحق إما معي أو معك، ويكون المرجح دليل من الخارج.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠] في باب المناظرة أو باب المخاصمة فلا مانع، ونحن أعلم أن الله أعلم.

وكقوله: ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل: ٥٩] ومعلوم أن الله خير، ولا خير فيما أشركوا به.

وكقوله تعالى: ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ [غافر: ٢٨]
هذا صحيح، فهو إما كاذب وإما صادق.

هذا هو الإنصاف، وليس الإنصاف أن يقول الواحد: القول قولي أنا، قولي هو الصواب، والقول الثاني خطأ، حتى يكون الحكم.

- ١٠٣٢- دَعَا ذَا أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ أَبَدَى لَنَا
حَقَّ الْأَدِلَّةِ؟ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ
- ١٠٣٣- مُتَنَوَّعَاتٌ صُرِّفَتْ وَتَظَاهَرَتْ
فِي كُلِّ وَجْهِ فَهِيَ ذُو أَفْنَانِ
- ١٠٣٤- مَعْلُومَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَشْهُودَةٌ
لِلْحِسِّ أَوْ فِي فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
- ١٠٣٥- أَسْمِعْتُمْ لِدَلِيلِكُمْ فِي بَعْضِهَا
خَبْرًا أَوْ أَحْسَنْتُمْ لَهُ بَيِّنَانِ؟
- ١٠٣٦- أَيْكُونُ أَصْلُ الدِّينِ مَا تَمَّ الْهُدَى
إِلَّا بِهِ وَبِهِ قُوَى الْإِيمَانِ
- ١٠٣٧- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ مَنْ لَمْ يُحِطْ
عِلْمًا بِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْ كُفْرَانِ
- ١٠٣٨- وَاللَّهُ تَمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا
طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
- ١٠٣٩- فَلَايِي شَيْءٍ أَعْرَضَا عَنْهُ وَلَمْ
نَسْمَعُهُ فِي أَنْرٍ وَلَا قُرْآنِ؟
- ١٠٤٠- لَكِنْ أَنَا بَعْدَ خَيْرِ قُرُونِنَا
بِظُهُورِ أَحْدَاثِ مِنَ الشَّيْطَانِ
- ١٠٤١- وَعَلَى لِسَانِ الْجَهْمِ جَاءُوا حِزْبُهُ
مَنْ كُلُّ صَاحِبٍ بِدَعَاةٍ حَيْرَانِ
- ١٠٤٢- وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ النَّكِيرُ عَلَيْهِمْ
مِنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

- ١٠٤٣- صَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ بَلْ رَمَوْا فِي إِثْرِهِمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ
 ١٠٤٤- عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ وَدَلِيلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ
 ١٠٤٥- وَأَخُو الْجَهَالَةِ فِي خَفَاةِ جَهْلِهِ وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ

الشرح

- ١٠٣٢- دَعَّ ذَا أَلَيْسَ اللَّهُ قَدْ أَبَدَى لَنَا حَقَّ الْأَدْلَةِ؟ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ
 ١٠٣٣- مُتَنَوِّعَاتٌ صُرِّفَتْ وَتَظَاهَرَتْ فِي كُلِّ وَجْهِ فَهِيَ ذُو أَفْنَانِ
 ١٠٣٤- مَعْلُومَةٌ لِلْعَقْلِ أَوْ مَشْهُودَةٌ لِلْحِسِّ أَوْ فِي فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

المؤلف - رحمه الله - يقول: دَعَّ هذا النظر أو هذه المجادلة، وأسألك: هل قد أبدى الله لنا حقَّ الأدلة؟ لأنَّ الاستفهام في قوله: «أَلَيْسَ اللَّهُ؟» للتقرير.

والجواب: بلى، فقد بيَّن الله لنا الأدلة على وجوه متنوعة: أدلة عقلية، وحسية، وفطرية، فلهذا كان القرآن أحياناً يحيل على العقل، وأحياناً يحيل على الحسِّ المشاهد، وأحياناً يحيل على الفطرة.

فمثلاً: (البعث) أحال الله - سبحانه وتعالى - فيه على الشيء الواقع المُشَاهَد، فأخبر - سبحانه وتعالى - في سورة (فُصِّلَتْ) أنه يُنَزَّلُ الْمَاءَ عَلَى الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ الْخَاشِعَةِ فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]، فهذا دليلٌ حسيٌّ نُشَاهِدُهُ.

ومثال الدليل العقلي قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿أَفَعَيَّبْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ

فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ [ق: ١٥]، يعني: هل عجزنا عن الخلق الأول؟ فإذا لم نعجز فإن الخلق الثاني من باب أولى كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

أما الفطرة فإنَّ الإنسانَ مجبولٌ بفطرته على أن يعرف ربَّه - سبحانه وتعالى - كما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ، أَوْ يَنْصَرَانِهِ، أَوْ يَمَجَّسَانِهِ»^(١). ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

١٠٣٥- أَسْمِعْتُمْ لَدَلِيلِكُمْ فِي بَعْضِهَا خَبْرًا أَوْ أَحْسَنْتُمْ لَهُ بَيَانَ؟

ما الجواب؟

الجواب: لا، فأدلتهم التي استدلوا بها لا تستند على وحي، ولا على عقل، ولا على حسٍّ، ولا على فطرة.

١٠٣٦- أَيَكُونُ أَضْلُ الدِّينِ مَا تَمَّ الْهُدَى إِلَّا بِهِ وَبِهِ قُوَى الْإِيمَانِ

١٠٣٧- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِمُوجِبٍ مَنْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بِهِ لَمْ يَنْجُ مِنْ كُفْرَانِ

هذا يردُّ به على المنطقيين الذين قالوا: إنَّ مَنْ لَمْ يُحِطْ عِلْمًا بالمنطق فليس على يقينٍ من أمره، وهذا المنطق يقول عنه شيخُ الإسلام - رحمه الله -: «قد كنتُ أعلمُ دائمًا أنَّ المنطق اليونانيَّ لا يحتاج إليه الذكيُّ، ولا ينتفع به البليد»^(٢). إذن لا خير فيه ما دام البليد لا ينتفع به والذكي لا يحتاج إليه، إذن فلا ينبغي للإنسان أن يُضَيِّعَ عمره فيه.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي هل يصل علىه، برقم (١٢٩٢)، وأخرجه مسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، برقم (٢٦٥٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨٢/٩).

١٠٣٨- وَاللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ

١٠٣٩- فَلَايِي شَيْءٍ أَعْرَضَا عَنْهُ وَلَمْ نَسْمَعُهُ فِي أَثَرٍ وَلَا قُرْآنٍ؟

قَوْلُهُ: «عَنْهُ» يعني: عن الدليل الذي استندوا إليه فيما سبق، وهو الاعتماد على العقل والجدل، لماذا أعرض الله ورسوله عنه فلم يستدلا به؟!

١٠٤٠- لَكِنَّا بَعْدَ خَيْرٍ قُرُونَنَا بِظُهُورِ أَحْدَاثٍ مِنَ الشَّيْطَانِ

١٠٤١- وَعَلَى لِسَانِ الْجَهْمِ جَاءُوا حِزْبُهُ مِنْ كُلِّ صَاحِبٍ بِدَعَاةٍ حَيْرَانٍ

قَوْلُهُ: «أَحْدَاثٍ»، ويجوز أيضًا (إِحْدَاثٍ).

الجهم بن صفوان هو أصل التعطيل في الحقيقة، وهو تلميذ للجعد بن درهم، لكن نسبت المقالة للجهم، لأنه نشرها في العالم وأظهرها، فنسبت إليه.

١٠٤٢- وَلِذَلِكَ اشْتَدَّ النُّكَيْرُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

١٠٤٣- صَاحُوا بِهِمْ مِنْ كُلِّ قَطْرِ بَلِّ رَمَوْا فِي إِثْرِهِمْ بِثَوَاقِبِ الشُّهْبَانِ

١٠٤٤- عَرَفُوا الَّذِي يُفْضِي إِلَيْهِ قَوْلُهُمْ وَدَلَّيْلُهُمْ بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

١٠٤٥- وَأَخُو الْجَهَّالَةِ فِي خَفَارَةِ جَهْلِهِ وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ

المعنى: أن العلماء صاروا ينكرون على الجهم، وعلى كل من سار على نهجه من كل الأقطار، وعرفوا أن قولهم هذا يفضي إلى محاذير عظيمة، فيفضي إلى تعطيل الرب عز وجل وإلى كونه كالجماد لا يفعل، ولا يشاء، ولا يتكلم، ولا يُنزل شرعاً، فهو غاية كل بلاء.

قَوْلُهُ: «وَالْجَهْلُ قَدْ يُنْجِي مِنَ الْكُفْرَانِ» المعنى أَنَّ الإنسانَ قد يصل بعلمه إلى الكفر الذي ينجو منه الجاهل.

وذلك لأنَّ الجاهلَ مُتَمَسِّحٌ على فطرته، وليس عنده تحريف للقرآن، وهؤلاء الذين يدعون أنهم العلماء وأنهم العقلاء بلغ بهم الهوى إلى ما بلع.

ولهذا تجد عوامَّ المسلمين خيرًا من هؤلاء المُعَطَّلَةِ مع ما عندهم من العلم، لكن لم يُوفِّقوا للخير، أدركوا العلم ولكن لم ينالوا به خيرًا، أعطوا علمًا، ولم يُعْطُوا ذكاءً.

بفضل الله تعالى وتوفيقه تمَّ المجلد الأول

ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد الثاني

وأوله: فصلٌ في الردِّ على الجَهْمِيَّةِ المُعَطَّلَةِ، البيت رقم (١٠٤٦)

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الآيات

الصفحة	الآية
٢٠	﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ ﴾
٢٠	﴿ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ ﴾
٢٠	﴿ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ﴾
٢١	﴿ اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾
٢١	﴿ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَنَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾
٢١	﴿ الْخَلِيقِ الْبَارِئِ ﴾
٤٧، ٢٢	﴿ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾
٣٢٥	
٢٢	﴿ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾
٣٧، ٢٣	﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾
٦١٧، ٣٨٨، ٣٧٠، ٣٤٣، ٣٣٠، ٢٧٢، ٨٣، ٦٧، ٦٣، ٤٤	
٢٣	﴿ فَلَا تَضُرُّوهُ بِاللَّهِ الْأَمْثَالِ ﴾
٢٣	﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ ﴾
	﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۖ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾
٢٨	﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾
٢٨	﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾
٣٨	﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾

﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَعَظَمَ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ

وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ ٣٨

﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٤٠

﴿هَذَا سَدْحٌ كَذَّابٌ﴾ ٤٠

﴿أَخْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ ٤٢

﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ ٤٢

﴿يَلْبِسْتَنِي أَنَحَدْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٣٧﴾ يَتَوَلَّى لِيَنِّي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانَا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾

لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ

خَذُولًا﴾ ٤٢

﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَلْيَقْبِهِ﴾ ٤٣

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ

عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ ٤٣

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّمُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ ٤٥

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ ٤٥

﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ٨٥، ٤٦

٤٧٩، ٤٥٤، ٣٠٦

﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ٨٥، ٤٦

٤٧٩، ٤٦٣، ٣١٢، ٣٠٦

﴿كَهَيْعَصَ﴾ ٥٠

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ عَسَقٌ﴾ ٥٠

﴿الرَّ﴾ ٥٠

- ﴿ق﴾ ٥٠
- ﴿ت﴾ ٥٠
- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا﴾ ٥٠
- ﴿وَأَنْزَلْ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ﴾ ٥٠
- ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ ٥١
- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ ٣٠١، ٥٢
- ٤٢١
- ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٍ﴾ ٣٠١، ٥٣
- ٤٢١
- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٦١﴾ فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ﴾ ٥٢١، ٥٣
- ﴿وَإِنَّهُ لَنفَى ذُرِّ الْأَوْلِينَ﴾ ٥٢١، ٥٣
- ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ ٥٣
- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ٥٦
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ ٢٧٦، ٥٦
- ٦١٧
- ﴿تَفْرُجُ الْمَلَكِيَّةَ وَالرُّوحَ إِلَيْهِ﴾ ٥٦
- ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ ٥٦
- ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّوكَ إِلَىٰ عَلِيِّهِ﴾ ٥٩
- ﴿الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِرُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٩
- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ ٥٩
- ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِرِّي اللَّهُ عَمَلِكُمْ وَرَسُولُهُ، وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ٦٠

- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٦١
- ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ ٦١
- ﴿مَنْ بَيْنَ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبْنَا خَالِصًا سَابِعًا لِلشَّرِيبِينَ﴾ ٦٢
- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ٦٣
- ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ ٦٤
- ﴿أَجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ ٦٤
- ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَقَرَعُهَا فِي السَّكَمَاءِ تُؤْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا
وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٦٤
- ﴿أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ ٦٥
- ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ
تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ ٦٦
- ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ٦٧، ٣٨٨
- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ ٦٧
- ﴿هَذِهِ بِيضَعُنَّا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ ٦٨
- ﴿ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ بَحْرِنَهَا وَمُرْسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٦٩، ٤٢٧
- ﴿كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ ٦٩
- ﴿مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ٦٩
- ﴿هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ ٦٩
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ ٧٣
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ٨٣، ٢٨٨
- ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ ٨٥

- ﴿ مَن يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأ هَادِي لَهُ ﴾ ٨٥
- ﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ﴾ ٣٧٠، ٨٥
- ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ٩٢
- ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۗ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۗ ﴾ ٩٢
- ﴿ حِكْمَةٌ بَلِيغَةٌ فَمَا تُعِنُّ الذُّرَّ ﴾ ٩٥
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾ ٩٥
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ٩٥
- ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ٩٥
- ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا ﴾ ٩٥
- ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ۗ ﴾ ٩٥
- ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ ﴾ ٩٥
- ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ ٩٥
- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ٩٩
- ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ٩٩
- ﴿ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ﴾ ٩٩
- ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ ﴾ ٩٩
- ﴿ رَبِّ فَانظُرْني إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ١٠٠
- ﴿ فَيُعَذِّبُكَ لِأَعْوَابِهِمْ أَجْمَعِينَ ﴾ ١٠٠
- ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَن حَوْلَهُ أَلَا تَسْمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ١٠٠

- ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي ﴾ ١٠٠
- ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَتَذُرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَرْوَاحِكُمْ ﴾ ١٠٠
- ﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴾ ١٠١
- ﴿ مُتَسْرِفُونَ ﴾ ١٠١
- ﴿ وَءَايَاتُهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَى ﴾ ١٠١
- ﴿ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ ١٠١
- ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَآئِرٍ ﴾ ١٠١
- ﴿ رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴾ ١١١
- ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ ١١١
- ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ﴾ ١١٥
- ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿١٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ﴾ ١١٥
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ ﴾ ١١٥
- ﴿ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ ﴾ ١١٥، ١١٩
- ﴿ وَتَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ ﴾ ١١٥
- ﴿ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ ١١٥
- ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَورًا ﴾ ١١٥
- ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّلِ ﴾ ١١٥
- ﴿ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ١١٦
- ﴿ كَمَا نَضَعَتْ جُلُودَهُمْ بَدَلْنَهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا ﴾ ١١٦، ١٢٠
- ﴿ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلِّلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴾ ١١٩

- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَابْتَعَنَهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا آَلَنَّهُمْ مِنْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ١٢٠
- ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ ١٢٠
- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ يَمُودُ الْكِبَاشُ ﴾ ١٢١
- ﴿ يَوْمَ يَمُودُ الْكِبَاشُ أَصْحَابُهَا ﴿٤١﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴾ ١٢٢
- ﴿ أَفَتَيَأْتُونَ عَادًا وَالْحِمْيَارَ قَالُوا إِنَّا طَائِعِينَ ﴾ ١٢٢
- ﴿ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ١٢٢
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ ١٢٣
- ﴿ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلًا ﴾ ١٢٥
- ﴿ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ ١٢٥
- ﴿ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴾ ١٢٦
- ﴿ لَوْ أَرْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾ ١٢٦
- ﴿ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴾ ١٢٧
- ﴿ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ١٢٨
- ﴿ كُوْنِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ ١٢٩
- ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ١٣١
- ﴿ حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴾ ١٣١
- ﴿ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتٌ نَعِيمٌ ﴾ ١٣٣
- ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ ١٣٣
- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ١٣٣
- ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ ١٣٤

- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ ١٣٤
- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ أَنْفَى﴾ ١٣٥
- ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ ١٣٥
- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ ١٣٦
- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ﴾ ١٣٦، ٦٤٨
- ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٧﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ١٣٨
- ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ١٣٨
- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾ ١٣٩
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَانٍ مِّنْ طِينٍ﴾ ١٣٩
- ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَأَ الْأُخْرَى﴾ ١٣٩
- ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ١٤٤
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ١٥١
- ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ ١٥١
- ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ١٥٦
- ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ﴾ ١٥٩
- ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ١٦٠
- ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ ١٦٠
- ﴿يَتَأْتِيهَا الدِّينَ ءَامِنُونَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيبًا﴾ ١٦٤
- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ١٧٠
- ﴿وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ ١٧١

- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ١٧٢، ١٨٨
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ ١٧٣
- ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ١٧٦
- ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ١٧٦
- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ١٧٩
- ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ .. ١٨٤
- ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ ١٨٤
- ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ ١٨٥
- ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ ١٨٦
- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ ١٨٧
- ﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهْدِي إِلَّا أَن يَهْدَىٰ﴾ ١٨٧
- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ ١٨٧
- ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ١٨٧
- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ ... ١٨٨، ١٩١
- ٥٧١، ٢٢٢
- ﴿وَكَفَىٰ بَرِّيكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ١٨٨
- ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾
- ﴿فَأَصْبِرْ﴾ ١٩٠
- ﴿إِنَّ الْعَقَبَةَ لِلْمُنْقِيبِ﴾ ١٩٠
- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ ... ١٩٤

- ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ ١٩٧
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ ١٩٧
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ ١٩٧
- ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ ١٩٨
- ﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْنَا سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ ءِيمَانًا﴾ ١٩٨
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ ءِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ ١٩٨
- ﴿إِذْ أَنْتَلَى عَلَيْهِ ءِيبُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ١٩٨
- ﴿تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ ١٩٩
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ ١٩٩
- ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ ١٩٩
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ ٢٠٠
- ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ٢٠٧
- ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ ٢٠٧
- ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُوْمَرُ﴾ ٢١١
- ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَآخِشُونِ﴾ ٢١١

- ﴿وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ ٢١٢
- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ٢١٨، ٢١٣
- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ٢١٥
- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ ٢١٥
- ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ ٢١٧
- ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ ٢١٧
- ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢١٨
- ﴿لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ٢٢٠
- ﴿وَإِنَّمَا يَزْعُمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ٢٢١
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ ٢٢٣
- ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ ٢٢٥
- ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ ٢٤٣
- ﴿وَمِمَّا خَطَبْتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذَلُّوا نَارًا﴾ ٢٤٣
- ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا﴾ ٢٥٩
- ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ﴾ ٢٦٣
- ﴿إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٢٦٣
- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْعَذَابِ وَكَذَلِكَ نُنشِئُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٢٦٣
- ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ٢٦٣

- ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ ٢٦٣
- ﴿ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّنَ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ٢٦٦
- ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ ٢٦٦
- ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾ ﴾ ٢٦٧
- ﴿ إِبْرَاهِيمَ رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ٢٧١
- ﴿ وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ﴾ ٢٧٢
- ﴿ ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةً رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ ﴾ ٢٧٢
- ﴿ وَتَقُولُوا سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ ٢٧٢
- ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ عَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۗ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ ٢٧٣
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى ﴾ ٢٧٣
- ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ٢٧٦، ٦١٧
- ٦٤٤
- ﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ٢٧٦
- ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ ﴾ ٢٧٧
- ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ٢٧٧
- ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ٢٧٨
- ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴾ ٢٧٨
- ﴿ وَمَا قَنَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلٰكِن سُبِّهَ لَهُمْ ۗ وَإِنَّ الَّذِينَ أَخَلَفُوا فِيهِ لَئِن شَكَ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا أَتْبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَنَلُوهُ يَقِينًا ﴾ ٢٧٩

- ﴿ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ٢٨٢
- ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ﴾ ٢٨٦
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾ ٢٨٨
- ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ ﴾ ٢٨٨
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ مَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ .. ٣٠٢
- ﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ٣٠٣
- ﴿ إِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ٣٠٣
- ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ٣٠٣
- ﴿ وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ ﴾ ٣٨٦، ٣٠٣
- ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ٣٠٣
- ﴿ إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ ٣٠٣
- ﴿ لَا يَقُولُونَ ﴾ ٣٠٥
- ﴿ لِقَوْمٍ يَنْفَكَرُونَ ﴾ ٣٠٥
- ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ﴾ ٣٠٥
- ﴿ وَنُدَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْتَهُ بَيْنَهُمَا ﴾ ٣٥٢، ٣٠٧
- ٤٨٢، ٤٦٨
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ ٣١٠
- ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ ٣٢٩، ٣١٢
- ٤٥٤
- ﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ ٣١٣

- ٣١٣ ﴿عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مَّتَّصِدًا مِّنْ خَشِيَةِ اللَّهِ﴾
- ٣١٣ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
- ٣١٣ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾
- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٣١٤ ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِّيَمِينِهِ﴾
- ٣١٤ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
- ٣٢٣، ٣١٤ ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾
- ٣٣١
- ٣١٨ ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٣٢٠ ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾
- ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ
- ٣٢٠ ﴿لَكُمْ﴾
- ٣٨٧، ٣٢٠ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾
- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا
- ٣٢١ ﴿وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾
- ٣٢١ ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾
- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجَاءَ بِالنَّبِيِّنَ وَالشُّهَدَاءِ
- ٣٢٢ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾
- ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَشِيعَةً أَنْصَرُّهُمْ تَرْهَقُهُمْ
- ٣٢٢ ﴿ذَلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَلِيمُونَ﴾
- ٣٢٢ ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾

- ٣٣١، ٣٢٣ ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُوقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾
- ٣٢٦ ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾
- ٣٢٧ ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾
- ٣٢٧ ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾
- ٣٢٧ ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾
- ٣٢٨ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾
- ٣٢٨ ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾
- ٣٢٨ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾
- ٣٢٩ ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
- ٣٢٩ ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَيْنَارِيكَ﴾
- ٣٣٢ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ﴾
- ٣٣٥ ﴿حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾
- ٣٣٩ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾
- ٣٥١ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَالنَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾
- ٣٦٢ ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لِلَّهِ﴾
- ٣٦٢ ﴿وَلِذَٰلِكَ ظَآئِفَةٌ مِنْهُمْ يَتَأَهَّلُ يَتْرَبَ لَا مَقَامَ لَكُمْ﴾
- ٣٦٣ ﴿اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾
- ٣٦٥ ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾
- ٣٦٦ ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْتَقَ﴾
- ٣٦٨ ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾
- ٣٦٨ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾

- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ٣٧١، ٣٨٣
- ﴿وَلِيُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ ٣٧١
- ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ ٣٧١
- ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ (٥١) قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَصُدُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ ٣٧٤
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ٣٧٥
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ٣٧٦
- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ٣٧٦
- ﴿أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ﴾ ٣٧٦
- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٣٧٧
- ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ ٣٧٧، ٤٩١
- ﴿يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرْنَكَ مِنْ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٣٨٠
- ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى﴾ (٦) ﴿فَسَيَّرَهُ لِلْإِسْرَى﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى﴾ (٨) ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى﴾ (٩) ﴿فَسَيَّرَهُ لِلْعُسْرَى﴾ ٣٨١
- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ٣٨٢
- ﴿الْقِيَوْمُ﴾ ٣٨٣
- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ٣٨٣
- ﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ ٣٨٥

- ٣٨٦ ﴿يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٦ ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٦ ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٦ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْاَيْسَرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾
- ٣٩٠، ٣٨٦ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾
- ٣٨٦ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾
- ٣٨٧ ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
- ٣٨٧ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾
- ٣٨٧ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾
- ٣٨٨ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾
- ٣٨٨ ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾
- ٣٨٩ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾
- ٣٨٩ ﴿يَقُولُونَ يَا فَوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾
- ٣٩٠ ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ﴾
- ٣٩٠ ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾
- ٣٩٠ ﴿وَعَدُوا عَلَى حَرْبٍ قَدِيرِينَ﴾
- ٣٩٠ ﴿فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾
- ٣٩٠ ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾
- ٣٩٠ ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾
- ٤٢٧، ٣٩٤ ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ﴾

- ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴾ ٤٦٦، ٣٩٤
- ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ... ٣٩٥
- ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ ٣٩٥
- ﴿ فِي رَقٍّ مَنشُورٍ ﴾ ٤٠٠
- ﴿ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ﴾ ٤٢١، ٤٠٢
- ﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ ٤٠٦
- ﴿ سَأَصْلِيهِ سَفَرًا ﴿٣﴾ ﴾ ٤٠٦
- ﴿ فَأَنكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ ٤٠٧
- ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَىٰ ﴾ ٤٠٧
- ﴿ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْعًا ﴾ ٤٠٧
- ﴿ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ ﴾ ٤٠٨
- ﴿ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ ٤٠٨
- ﴿ وَكَلِمَتُهُ أَلْفَهَا إِلَىٰ مَرَمِيمَ ﴾ ٤١٣
- ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ ﴾ ٤١٣
- ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدِلِ سُنَّةَ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ ٤١٦
- ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿١١﴾ فِي تَوْجٍ مَحْفُوظٍ ﴾ ٤٢٠
- ﴿ إِنَّكَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ ٤٢١
- ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ٤٢٥
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ ٤٢٧

- ﴿ وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ ٤٢٩
- ﴿ وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾ ٤٣٧
- ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَهَا ﴾ ٥٥١، ٤٣٧
- ﴿ وَأَخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ ٤٣٩
- ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ﴾ ٤٩٧، ٤٥٥
- ٥٨٦
- ﴿ وَكَذَلِكَ أَرْحَمْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ ٤٥٥
- ﴿ ءَايَاتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا ﴾ ٤٥٥
- ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ثَلَاثَ النَّاسِ لَيْلٍ سَوِيًّا ﴾ ٤٥٥
- ﴿ طه ﴿١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾ ٤٧٤، ٤٥٧
- ﴿ ت ﴿١﴾ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمَعْبُودٍ ﴾ ٤٥٧
- ﴿ الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ ﴾ ٤٥٧
- ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نُنْفِذَ كَلِمَاتِ رَبِّي ﴾ ٤٦٦
- ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٤٦٧
- ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾ ٤٦٧
- ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ٤٦٧
- ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴾ ٤٦٨
- ﴿ أَحْسَبُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ ٤٦٨
- ﴿ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ ٤٦٨
- ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنٌّ ﴾ ٤٧١

- ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ ٤٧٣
- ﴿ آتَهُ ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ ٤٧٤
- ﴿ آتَهُ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ ٤٧٤
- ﴿ الْمَصَّ ۝ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ ﴾ ٤٧٤
- ﴿ كَهَيْعَتِ ۝ ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ ٤٧٤
- ﴿ طَسَّرَ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ تَلْمِزُكَ ﴾ ٤٧٤
- ﴿ طَسَّرَ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابِ مُبِينٍ ﴾ ٤٧٤
- ﴿ آتَهُ ۝ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ ٤٧٥
- ﴿ آتَهُ ۝ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ ﴾ ٤٧٥
- ﴿ آتَهُ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ ٤٧٥
- ﴿ آتَهُ ۝ نَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٤٧٥
- ﴿ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ وَلَا تَشْرِكُوا بِهِ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝ عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ قُلْ هُوَ نَبِيُّ عَظِيمٌ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ ﴾ ٤٧٨
- ﴿ قَالَ أَلْقَاهَا فِي مَوْجٍ فَحَسْبُ تَسَعَى ۝ قَالَ خُذْهَا ﴾ ٤٧٨
- ﴿ وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ ﴾ ٤٧٩
- ﴿ قَهْلِ الْكَافِرِينَ أَمْهَلَهُمْ رَبُّنَا ﴾ ٤٧٩

- ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ٤٧٩
- ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ ٤٧٩
- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ﴾ ٤٧٩
- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ ٤٧٩
- ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ ٤٨٠
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ٤٨٠
- ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ ٤٨٠
- ﴿فَبَشِّرْنَهُ بَعْلَمٍ حَلِيمٍ﴾ ٤٨٠
- ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٤٨٠
- ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ ٤٨١
- ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ ٤٨١
- ﴿يَتَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ٤٨٢
- ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآيَاتِهِ﴾ ٤٨٣
- ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾ ٤٨٣
- ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ٤٩١
- ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ ٤٩١
- ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ ٤٩٤
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ ٤٩٧
- ﴿نَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ ٤٩٨
- ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ ٤٩٨

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَىٰ الْعَرْشِ يُعْشَىٰ لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ مَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ﴾ ٤٩٩
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٥٠١
- ﴿حَمِّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ٥٠٦
- ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢﴾ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ٥٠٦
- ﴿وَسَخَّرْ لَكُمْ مَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَمَاءَ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ ٥٠٦
- ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ ٥٠٨
- ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ٥٠٨
- ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ ٥٠٩، ٥٥١
- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ ٥٠٩
- ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ ٥١٠
- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ ٥١٠
- ﴿وَإِنَّ أَحَدًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجْرُهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ ٥٢١
- ﴿هَذَا كِتَابُنَا يُنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ ٥٢١
- ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ ٥٢١
- ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ١١﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ١٢﴾ فِي صُحُفٍ مُكْرَمَةٍ ١٣﴾ تَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ ٥٢١
- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ ٥٢١
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَابْتَغِ قُرْآنَهُ ١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتَهُ ٥٢٢
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ ٥٢٦
- ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ﴾ ٥٢٦
- ﴿وَقَدْ مَنَّآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ٥٤٣

- ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ ﴾ ٥٥١
- ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٥٥١
- ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ ٥٥١
- ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ ٥٥١
- ﴿ فَشَرِدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴾ ٥٥٢
- ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ﴾ ٥٥٧
- ﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ ﴾ ٥٦٣
- ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى ﴾ ٥٦٣
- ﴿ رَبِّ الصَّلَاةَ تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ ٥٦٣
- ﴿ فَيَأْتِيءَ الْآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ٥٦٣
- ﴿ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴾ ٥٦٣
- ﴿ مَا هَذَا بَشَرًا ﴾ ٥٦٥
- ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ ٥٦٦
- ﴿ ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَا يُشْرِكُونَ ﴾ ٥٦٩
- ﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ ﴾ ٥٧٢
- ﴿ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ ٥٩٤
- ﴿ فَشَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ٥٩٤
- ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ٥٩٥
- ﴿ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴾ ٦٠٧، ٥٩٥
- ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾ ٥٩٥
- ﴿ مَا آتَخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ ﴾ ٦٠٨

- ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ٦٠٩
- ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ ٦٠٩
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ٦١٧
- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ٦١٩
- ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلا هَادِيَ لَهُ، وَيَذُرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٦٢٢
- ﴿وَمَا أوتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ٦٢٥
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ٦٢٩
- ﴿فَأَمَّا يَا نَبِيَّكُمْ مَنِ هَدَىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشقى﴾ ٦٣٤
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ ٦٣٤
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ ٦٤٢
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ٦٤٣
- ﴿اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٦٤٤
- ﴿وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدَىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ٦٤٦
- ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ ٦٤٦
- ﴿ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمْ يَشْرِكُونَ﴾ ٦٤٦
- ﴿أَنْقَتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فاعْلَيْتِهِ كَذِبُهُ، وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدْكُمْ﴾ ٦٤٧
- ﴿أَفَعِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ ٦٤٨
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ ٦٤٩

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
٢٢	«يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»
٢٣	«لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ»
٢٣	«وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ»
٣٥، ٣٢	«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةَ وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»
٣٣	«مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»
٣٤	«يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»
٣٥	«لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ خَيْرًا إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»
٣٧	«يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»
	«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِغَزْوٍ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ
٣٨	«مِنَ النَّفَاقِ»
٤١	«الْعِلْمُ لَا يَعْدِلُهُ شَيْءٌ لِمَنْ صَحَّحَتْ نَيْتُهُ»
	«تَبَيَّضُ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَتَسْوَدُ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ
٤٢	وَالْفِرْقَةِ الضَّالَّةِ»
٤٢	«أَزْوَاجُهُمْ: أَشْبَاهُهُمْ وَنُظَرَاؤُهُمْ»
٤٦	«لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ...»
٤٨	«الْكَيْفُ مَجْهُولٌ غَيْرُ مَعْقُولٍ»
٤٨	«مَنْ سَبَّ اللَّهَ بِخَلْقِهِ فَقَدْ كَفَرَ»

- «يُحَرِّبُ الْكَعْبَةَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ» ٥١
- لَيْسَ فِي مَخْلُوقَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَاتِهِ، وَلَا فِي ذَاتِهِ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ٥٤
- «مَثَلُوا أَوْلَاءَ، وَعَطَّلُوا آخِرًا» ٦٧
- «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحِّحٌ بِالْجَعْدِ بْنِ
دِرْهَمٍ» ٤٦٩، ٨٩
- «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» ٩٢
- «قَطَعْتُ يَدَكَ لِسِرِّقَتِكَ، وَضَرَبْتُكَ لِفِرْيَتِكَ عَلَى اللَّهِ» ١٤٦، ٩٣
- «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَالْقَدَرِ
خَيْرِهِ وَشَرِّهِ» ١٠٢
- «الْإِيمَانُ بِضَعٍّ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ١٠٢
- «الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ» ١٠٥
- «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ» .. ١١٨
- «اللَّهُمَّ أَبْدِلْهَا زَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهَا» ١٢٠
- «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ، وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ لِلْكَرْسِيِّ كَحَلَقَةِ
أُلْقَيْتُ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ» ١٢٨
- «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ» ١٣١
- «فُضِّلَتْ عَلَى نَارِ الدُّنْيَا بِتِسْعَةِ وَسِتِّينَ جُزْءًا؟» ١٣٥
- «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاءُ» ١٥٠
- «أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَهُ» ١٦٣
- «ثَوْبِي حَجْرٌ، ثَوْبِي حَجْرٌ» ١٦٤

- ١٦٥ «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»
- ١٦٥ النَّبِيِّ ﷺ نَهَى أَنْ يُعَذَّبَ بِالنَّارِ
- ١٦٥ «وَيَحَ ابْنُ أُمِّ الْفَضْلِ، إِنَّهُ لَعَوَّاصٌ عَلَى الْهَنَاتِ»
- «لَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا هُوَ أَعْلَمُ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنِّي، تَبْلُغُهُ الْإِبِلُ، لَرَكِبْتُ
- ١٦٩ إِلَيْهِ»
- ١٧٢ «جِئْتُكَ بِقَوْمٍ يُحِبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا يُحِبُّونَ الْحَيَاةَ»
- ١٧٣ «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِضْبَعٌ دَمِيَّتِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيَّتِ»
- ١٧٤ «مَا خَرَجْتُ لِأُبَارِزَ رَجُلَيْنِ»
- ١٧٦ «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ»
- «نَاطِرُوا الْقَدْرِيَّةَ بِالْعِلْمِ، فَإِنْ أَقْرُوا بِهِ خُصِمُوا، وَإِنْ أَنْكَرُوا
- ١٧٧ كَفَرُوا»
- «لَا يَمْنَعُكَ مِنْ قَضَاءِ قَضَيْتَ بِهِ الْيَوْمَ فَرَاجَعْتَ فِيهِ نَفْسَكَ،
- ١٨٣ وَهَدَيْتَ فِيهِ لِرُشْدِكَ، أَنْ تُرَاجِعَ فِيهِ الْحَقَّ»
- «إِنَّا نَجِدُ أَنَّ اللَّهَ يُجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِضْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى
- ١٨٥ إِضْبَعٍ... ضَحَكَ تَصْدِيقًا لَهُ»
- ١٨٨ قَدْ شُجَّ وَجْهَهُ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ
- ١٩٢ «إِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَا تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ»
- ما مِنْ أَحَدٍ يَسْمَعُ دَعْوَةَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَمُوتُ وَهُوَ لَا يُؤْمِنُ بِمَا
- ١٩٣ جَاءَ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ
- ١٩٦ «بَلْ هُوَ الرَّأْيِيُّ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ»

- «لَوْ رَاجَعْتِهِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَنَا أَشْفَعُ»..... ١٩٦
- «وَمَا يُدْرِيكَ أَتَهَا رُفِيَةٌ»..... ١٩٦
- (أَكْثَرُ النَّاسِ شُكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ أَهْلُ الْكَلَامِ)..... ٢١٥، ٢١٠
- «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ: أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ»..... ٢١٥
- «قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبِ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ»..... ٢١٧
- «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»..... ٢١٨
- «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»..... ٢٢٢
- «إِنَّهُ خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَى سِتِّينَ وَثَلَاثِمِئَةَ مَفْصِلٍ».. ٢٣١
- «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»..... ٢٦٥، ٢٥٩
- «لَتَسْبِعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ»..... ٢٦٧
- «الاستواء معلومٌ، والكيفٌ مجهولٌ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ»..... ٢٧٦
- «لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ»..... ٢٨١
- «فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».. ٢٨١
- «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»..... ٢٨٢، ٦٤٩
- «تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ»..... ٢٩٠
- يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لِيَنْظُرِ امْرُؤٌ مَن جَلِيسُهُ..... ٢٩٠

- يُسَلِّطُ عَلَيْهَا رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَصَفَهُ النَّبِيُّ ﷺ وَصَفًا دَقِيقًا،
 ٣٠٢ فيهدمها بجنوده، وينقضها حجرًا حجرًا
 ٣٠٧ «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...»
 ٣١٠ أُسْرِيَ بِهِ مِنَ الْحِجْرِ مِنْ قَلْبِ الْكَعْبَةِ
 ٣١٠ أُسْرِيَ بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ
 «أَطَّتِ السَّمَاءُ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَتَطَّ، مَا مِنْ مَوْضِعٍ أَصَابِعِ مِنْهَا إِلَّا
 ٣١٢ وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ لِلَّهِ، أَوْ رَاكِعٌ أَوْ سَاجِدٌ»
 ٣١٤ «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»
 ٣١٦ «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالتَّهَارَ»
 «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ
 ٣١٧ مَا فِي يَمِينِهِ»
 ٣٢٣، ٣١٧ «أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْمُلُوكُ؟»
 أن الله يضحك إلى الرجل يأتي ويقابل العدو ويقاتله، ويبيدي
 ٣١٨ إليه نحره، من أجل الوصول إلى الجنة
 أن الله عز وجل يضحك للرجل يقوم من فراشه للتهجد
 ٣١٨ «عَجِبَ رَبُّنَا مِنْ قُنُوطِ عِبَادِهِ وَقُرْبِ غَيْرِهِ»
 ٣١٩ «عَلِمَ يَوْمَ الْغَيْثِ يُشْرِفُ عَلَيْكُمْ آزِلِينَ مُشْفِقِينَ، فَظَلَّ يَضْحَكُ،
 ٣١٩ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ فَرَجَكُمْ قَرِيبٌ»
 ٣١٩ «فَمَا قَدِمَ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةِ إِلَّا حَدَّثَ بِالْجُودِ»
 ٣٢٠ «رَضِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»

- «أَخْرِجْ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ» ٣٢١
- «أَنَا الدِّيَّانُ» ٣٢١
- «إِنَّ اللَّهَ يَنْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، وَبِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ» ٣٢٣
- «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ» ٣٢٣، ٦٤٤
- فسر النبي ﷺ - وهو أعلم الناس بتفسير كلام الله - الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله - تبارك وتعالى - ٣٢٧
- «كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» ٣٢٨
- «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ عِيَانًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» ٣٢٨
- «لَا تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ: هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» ٣٣٠
- «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» ٣٤٠
- «اسْتَنْصِتِ النَّاسَ» ٣٦٢
- «يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ» ٣٦٢
- «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ» ٣٧٠
- «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» ٣٧١
- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» ٣٧٤
- «نعم، صدقوا، وما يصنع الشيطان بقلب خرابٍ؟!» ٣٧٥
- «أَنَّ الْعَوْرَاءَ الْبَيِّنَ عَوْرَهَا لَا تَحْزِي» ٣٧٩

- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ» ٣٨٢
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قَيْلَ وَقَالَ» ٣٨٨
- «إِنَّهُ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ» ٣٨٨
- «إِنَّ مِنَ الْبَيَانَ لَسِحْرًا» ٣٩٠
- «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ» ٣٩٧
- «وَمَنْ وَجَدَ مَلْجَأً، أَوْ مَعَاذًا فَلْيُعِذْ بِهِ» ٣٩٧
- «إِنَّ الْيَهُودَ افْتَرَقُوا عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً» ٤١٧
- «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» ٤١٩
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَجِبْهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ» ٤٢٣
- وُلاة الأمور من الأمراء والسلاطين - فيما سبق - يخرجون بالضحايا في الخارج كما كان الرسول ﷺ يفعل ٤٣٩
- «مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ إِلَّا سَيَكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ» ٤٦٣
- «أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» ٤٦٧
- «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَيْتَكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ» ٤٦٩
- «مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ» ٤٦٩
- «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» ٤٧٣

- «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ
بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» ٤٨٢
- «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» ٤٨٣
- «مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ طَالِبًا لِلْهُدَى مِنْهُ تَبَيَّنَ لَهُ طَرِيقُ الْحَقِّ» ٥٠٤
- «أَنَّهُ نَبِيٌّ مُكَلَّمٌ» ٥٥٨
- «إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ أَنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ» ٦٠٣
- «هَلَاكَ الْمُتَنَطِّعُونَ» ٦١٧
- «هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا» ٦١٨
- «كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ» ٦٢٩
- «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمُ» ٦٣١
- «عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الْأَقْلَامِ» ٦٣٢
- «قَالَ لَهُ: اكْتُبْ، فَقَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ
كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ» ٦٣٢
- «يَضْحَكُ اللَّهُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ» ٦٤٤
- «قَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ دَائِمًا أَنَّ الْمَنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ، وَلَا
يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ» ٦٤٩

فهرس الموضوعات والفوائد

الصفحة	الموضوع
٥	تقديم
١١	نبذة عن فضيلة الشيخ الشارح - رحمه الله -
١٩	مقدمة ابن القيم
٢٠	كُلُّ المصنوعاتِ تُقَرُّ له بالألوهية (بالعبودية)
٢١	إذا أثبتنا أن الخلق مصنوع، فهل نُثبت أن الله صانع؟
٢٢	لا شبيهة لله تعالى في أفعاله وصفاته وذاته
٢٢	أولاً: الفعل:
٢٢	ثانياً: الصفات:
٢٢	ثالثاً: الذات:
٢٣	التعبيرُ بنفي التمثيلِ أولى من وجوه:
٢٦	الهدى هو العلمُ النافع
٢٧	ابن القيم - رحمه الله - وقلمه السيال
٢٨	من مظاهر رفع ذكر النبي ﷺ
٣٠	حديث النزول
	إذا أراد عزَّ وجلَّ أن يُكرمَ عبداً شَرَحَ صدره لقبولِ ما وَصَفَ اللهُ
٣٠	به
٣١	الصحابة أحرصُ الناس على معرفة حقائق صفاتِ الله عزَّ وجلَّ

إذا عَلِمَ الإنسانُ أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَمِيعٌ تَقَرَّبَ إِلَى اللهِ بِكُلِّ قَوْلٍ ٣١

إذا عَلِمَ أَنَّ اللهَ غَفُورٌ تَعَرَّضَ لِمَغْفِرَتِهِ ٣٢

ما يَنْبَغِي لِلإنسانِ إِذَا آمَنَ بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ٣٢

فِلاَحُ الإنسانِ وَسَعادَتُهُ، وَانْشِراحُ صَدْرِهِ هُوَ بِإِيْمَانِهِ ٣٢

مَشْكلَةٌ تَقَعُ لِبَعْضِ النَّاسِ ٣٥

قَوْلُهُمْ: دَعَوْنَا مِنَ البَحْثِ فِي الأَسْماءِ ٣٦

لا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَدَعَ البَحْثَ فِي أَسْماءِ اللهِ وَصِفاتِهِ ٣٦

أَهْلُ التَّعْطِيلِ مِنَ المُعْتزِلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْأشْعَرِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ ٣٩

فَضْلُ خالِدِ بْنِ الوَلِيدِ وَأَبِي هَريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا ٤٠

العِلْمُ لا يُدْرِكُ فَضْلَهُ إِلاَّ مَنْ تَأَمَّلَ ٤١

فَصَلِّ ٤٤

الكلامُ فِي الصِّفاتِ كالكلامِ فِي الذَّاتِ ٤٤

التَّحْرِيفُ هُوَ التَّغْيِيرُ، وَهُوَ ثَلَاثَةٌ أَنْواعٍ: ٤٦

الأوَّلُ: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ لا يُغَيِّرُ المَعْنى ٤٦

الثَّانِي: تَحْرِيفٌ لَفْظِيٌّ يُغَيِّرُ المَعْنى ٤٦

الثَّالِثُ: التَّحْرِيفُ المَعنَوِيُّ ٤٦

أَهْلُ التَّأْوِيلِ جَنَوْا عَلَى النُّصوصِ مِنْ وَجْهَيْنِ: ٤٧

الرَّوافِضُ لَهُمْ قاعِدَةٌ باطِلَةٌ تَقُولُ: «مَنْ لَمْ يَكْرَهُ أبا بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَدْ

أَبْغَضَ عَلِيًّا» ٤٩

نَحْنُ لا نَبْغِضُ آلَ البَيْتِ ٤٩

- فَصْلٌ ٥٠
- القرآنُ كلامُ الله تعالى مُنَزَّلٌ غيرُ مخلوقٍ ٥٠
- رفع القرآن هل هو رفعٌ حَسْبِيٌّ، أو حُكْمِيٌّ ٥١
- قول الأشاعرة في القرآن ٥٤
- تلاقي المعتزلة والأشاعرة ٥٤
- صفةُ العُلُوِّ الذَّاتِيِّ، والاستواءِ على العرشِ ٥٥
- ما معنى البَيِّنونة التي جاءت في كلامِ السَّلَفِ؟ ٥٥
- العُلُوُّ ثابتٌ ٥٦
- فَصْلٌ ٦١
- تمثيل المعطلة من حيث رأيهم بالقرآن ٦١
- المَثَلُ الأوَّلُ: ثِيَابُ الْمُعْطَلِ مُلَطَّخَةٌ بِعَذْرَةِ التَّحْرِيفِ ٦٢
- المَثَلُ الثَّانِي: شَجَرَةُ الْمُعْطَلِ مَغْرُوسَةٌ ﴿عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ ٦٤
- المَثَلُ الثَّالِثُ: شَجَرَةُ الْمُعْطَلِ شَجَرَةُ الزُّقُومِ ٦٥
- المَثَلُ الرَّابِعُ: الْمُعْطَلُ قَدْ اتَّخَذَ قَلْبَهُ لِيُوقَايَةَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ كَبَيْتِ
العنكبوتِ ٦٥
- المَثَلُ الخَامِسُ: مِصْبَاحُ الْمُعْطَلِ قَدْ عَصَفَتْ عَلَيْهِ أَهْوِيَةُ التَّعْطِيلِ
فَطُفِئَ وَمَا أَنَارَ ٦٦
- المَثَلُ السَّادِسُ: قَلْبُ الْمُعْطَلِ مُتَعَلِّقٌ بِالْعَدَمِ ٦٦
- المُمَثَّلُ مُعْطَلٌ مِنْ وُجُوهِ ثَلَاثَةٍ: ٦٦
- المُعْطَلُ مُشَبَّهٌ مِنْ وَجْهَيْنِ ٦٧

- ٦٨ المثل السابع: نُقُودُ الْمُعْطَلِ كُلُّهَا زُيُوفٌ
- ٦٨ المثل الثامن: الْمُعْطَلُ كَنَافِخِ الْكَبِيرِ
- ٦٩ المثل التاسع: الْمُعْطَلُ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ سَفِينَةِ النَّجَاةِ
- ٦٩ المثل العاشر: مَنْهَلُ الْمُعْطَلِ ﴿ كَسْرَابٍ بِقِيَعَةٍ... ﴾
- ٧٠ بداية المنظومة
- ٨٠ المُعْطَلَةُ يَتَحَدَّثُونَ لِلنَّاسِ حَدِيثًا يَظُنُّهُ الْغَيْبِيُّ صِدْقًا
- ٨٠ كَذِبُ الْجَهْمِيَّةِ
- ٨٠ حُسْنُ تَخَلُّصِ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ -
- ٨٠ الْجَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ
- ٨١ الْجَعْدُ بْنُ دِرْهَمٍ
- ٨٢ جَحْدُ الصِّفَاتِ نَوْعَانِ: تَكْذِيبٌ، وَتَأْوِيلٌ
- ٨٣ الصِّفَاتُ الْمَوْجُودَةُ
- ٨٤ كَيْفَ يَكُونُ كَلَامُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ مَخْلُوقًا وَهُوَ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِهِ؟! ٨٤
- ٨٥ الْقَوْلُ بِأَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ يُبْطِلُ الشَّرِيعَةَ كُلَّهَا
- ٨٦ كَيْفَ يَكُونُ لَهُ يَدَانِ؟
- ٨٧ أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْكَلَامِ، وَبَيْنَ الْحَيَاةِ وَالْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؟
- ٨٧ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُحِبُّ
- ٨٨ قَوْلُهُمْ: إِنَّ مَعْنَى الْخُلَّةِ الْفَقْرُ
- ٨٨ أَصْلُ التَّعْطِيلِ: إِنْكَارُ الْخُلَّةِ وَالْكَلامِ
- ٩٠ فَضْلٌ

- ٩٠ ضلالِ الجَهْمِيَّةِ
- ٩١ الظُّلمُ مُحَالٌ فِي حَقِّ اللَّهِ
- ٩١ مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ فِي أفعالِ العِبَادِ
- ٩٢ الرَّدُّ عَلَى الجَهْمِيَّةِ
- ٩٤ فَصْلٌ
- ٩٥ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ موصوفٌ بِالْحِكْمَةِ
- ٩٧ الْمُعْتَرِلةُ وَالجَهْمِيَّةُ يُنكرون صفاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٩٨ قولهم: إنَّ الإِيْمَانَ هو الإِقْرَارُ بِالرَّبِّ فقط
- ٩٩ هل هم يُقَرِّونَ بِالرَّبِّ، أو لا يُقَرِّونَ؟
- ٩٩ مشابهة أهل البدعة لليهود
- ٩٩ اليهود يُغْلُونُ جِدًّا فِي النجاسات
- ١٠٠ النصرارى يقدسون الصليب الذي يدعون أن عيسى صُلب عليه
- ١٠٢ الإِيْمَانَ عند أهل السُّنَّةِ
- ١٠٢ دُخُولُ إقْرَارِ القَلْبِ بالإِيْمَانَ، وأدلة ذلك
- ١٠٤ فَصْلٌ
- ١٠٦ هل الفِعْلُ فِي حَقِّ اللَّهِ قَبْلَ الفِعْلِ كَمَالٌ أو نَقْصٌ؟
- ١٠٦ القُدْرَةُ ليست وَصْفًا زائِدًا عن ذاته
- ١٠٧ عَقِيدَتُنَا القَوْلُ بِالتَّسْلُسِ ماضِيًا ومُسْتَقْبَلًا
- ١٠٨ قولهم: الجنة والنار غير موجودتين الآن
- ١١١ تجرؤات الجَهْمِيَّةِ

- التَّاسِبُ أَمْرٌ يُسَوِّغُ شَيْئًا لَا يَنْبَغِي فِي حَالِ عَدَمِ الْمُنَاسَبَةِ ١١١
- فَصْلٌ ١١٣
- الله سبحانه وتعالى يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ ١١٣
- ابن القيم - رحمه الله - صَرَّحَ بِأَنَّ ابْنَ سِينَا كَافِرٌ ١١٧
- الَّذِي يُنْكِرُ الْمَعَادَ الْجُحْتَمَانِي لَا شَكَّ فِي كُفْرِهِ ١١٧
- مَا هُوَ الْهَبَاءُ؟ ١٢٥
- العرش غير الكرسي ١٢٨
- المشهور أَنَّ الْكُرْسِيَّ هُوَ مَوْضِعُ قَدَمِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ١٢٨
- فَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى هَذِهِ الْحَلِيقَةِ ١٢٨
- أَجْسَامُ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْأَرْضِ مَحْفُوظَةٌ مِنَ الدِّيدَانِ ١٢٩
- الْأَرْوَاحُ لَا تَبْلَى ١٣٠
- الإنسان إذا مات يرى روحه خارجةً مِنْ بَدَنِهِ ١٣١
- الفرق بين أرواح الشهداء، وأرواح المؤمنين ١٣٤
- كيفية بَعَثِ اللَّهِ الْوَرَى ١٣٦
- فَصْلٌ ١٤١
- يقول جهنم: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ فِعْلًا يَقُومُ بِهِ ١٤٢
- الجَبْرُ هُوَ مَذْهَبُ الْجَهْمِيَّةِ ١٤٣
- الإنسان فاعلٌ بإرادةٍ وفاعلٌ بِقُدْرَةٍ ١٤٥
- قصة السارق مع عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ١٤٦
- أصل الغاز الْمَسِيلُ لِلدَّمِوعِ ١٥٢

- ١٥٤ هل لازم المذهب مذهبٌ؟
- ١٥٥ هل يمكن مفعولٌ بلا فعلٍ؟
- ١٥٥ دلالة الكتاب والسنة على أن للإنسان فعلاً قائماً به
- ١٥٦ أسماء الله - تبارك وتعالى - قديمة
- ١٥٦ هل الاسم غيرُ المُسمَى؟
- ١٥٧ قول أهل السنة في الأسماء والصفات
- ١٥٨ جهل الجهمية
- ١٦٣ تبرأ أهل الكتاب والسنة من أقوال الجهمية
- ١٦٥ بعض أتباع عبد الله بن سبأ
- ١٦٧ فصل: في مقدمة نافعة قبل التحكيم
- ١٧١ العلة ليست بالسلاح، بل بحامل السلاح
- ١٧٢ الداعي إلى الله لا بُدَّ أن يناله أذى
- ١٧٣ اجعل سلاحك شيئين: كتاب الله والسنن التي ثبتت
- ١٧٤ قصة مبارزة علي رضي الله عنه لعمر بن ود
- ١٧٦ لا تخش من كيد المبتدعة ومكرهم
- ١٧٧ بين معايبهم
- ١٧٨ اشغل بعضهم ببعض
- ١٧٩ لا تحمِل بلا سلاح
- ١٨١ الجهل المركب
- ١٨٢ البلاء كلُّ البلاء من الجاهل جهلاً مركباً

- ١٨٣ كِتَابَ عمر بن الخطاب لأبي موسى الأشعري.....
- ١٨٣ أهمية كُتُبِ الخِلاف
- ١٨٣ النصارى يقولون: إِنَّ المسلمين متعصبون لِدِينِهِم.....
- ١٨٥ اجْعَلْ شعارك خشيةَ الله عَزَّ وِجَلَّ لا الانتصار لِنَفْسِكَ.....
- ١٨٧ الله عَزَّ وِجَلَّ هو الحَقُّ.....
- ١٨٧ وهو الهادي إلى الحَقِّ.....
- ١٨٨ ماذا جرى للنبي ﷺ مِنَ المحن؟!
- ١٨٨ لا تظنَّ أَنَّ عَدُوَّكَ ينام دون أن يحاول القضاءَ عليك
- ١٨٩ لا بدَّ من مِحْنَةٍ.....
- ١٩٠ العاقبةُ لِمَنْ.....
- ١٩١ إِنَّ انتصارَ المسلمين بعد موت الرسول ﷺ انتصارٌ للرسول ﷺ.....
- ١٩٥ احذر رَوَغانِ المبتدعة.....
- ١٩٥ يجب أن تكون دائراً مع قول الرسول ﷺ وفعله.....
- ١٩٦ قصة مغيث وبريرة.....
- ١٩٧ الشِّفاء في القرآن.....
- ١٩٨ غير المؤمن لا يرى الشفاء بالقرآن أبداً.....
- ٢٠٢ قتال حِزبِ الله لأعدائهم يكون بالأعمال، وبالكتائب.....
- ٢٠٣ الرَّدُّ على مَنْ قال: إِنَّ المسلمين فَتَحُوا البلادَ بالسلاح والحرب.....
- ٢٠٤ ماذا لو عُرِضَتْ عقائدُ المسلمين على أعدائهم بمنطق علماء الكلام ...
- ٢٠٥ تعريف نادر للشجاعة.....

- ٢٠٥ شجاعة الأمراء
- ٢٠٥ شجاعة العلماء
- ٢٠٦ عالم الملة
- ٢٠٦ عالم أمة
- ٢٠٧ عالم دولة
- ٢٠٨ ابدأ بمقارعة الأقران لا الحواشي
- ٢١١ الواجب على الإنسان أن يصدع بالحق
- ٢١٤ كيف حكّم الله على المبتدعة بالضلال؟
- ٢١٤ النظر للمبتدعة بعين القدر
- ٢١٥ النظر للمبتدعة بعين الشرع
- ٢١٦ مقام المجادلة والانتصار للحق
- ٢١٨ قلوبُ العباد بين أصابع الرحمن - عز وجل -
- ٢١٩ احذر كمائن نفسك
- ٢٢١ كيف فعلت هوازنُ في غزوة الطائف؟
- ٢٢٤ فصل: وهذا أول عقد مجلس التحكيم
- ٢٢٤ يجب على كل إنسان ألا يردّ قولاً إلا بعد وجود شيئين
- ٢٢٥ الأول: «النقل الصحيح»
- ٢٢٥ الثاني: «العقل الصريح»
- ٢٢٦ الثالث: «فطرة الرحمن»
- ٢٢٧ أهل وحدة الوجود، ورأسهم الخبيث ابن عربي

- ٢٢٩ قولهم: إِنَّ الخَالِقَ والمخلوقَ شيءٌ واحدٌ.....
- ٢٣٢ القَوَى في النفس تختلف.....
- ٢٣٣ الكلام: اسمٌ وفعلٌ وحرفٌ.....
- ابن عربي يرى أَنَّ هذه الوحدة كُلُّ، واختلافَ المشاهد وتكثُّرها
- ٢٣٤ أجزاء.....
- ٢٣٦ ابن سبعين، والتَّلمِسَانِي من القائلين بوحدة الوجود.....
- ٢٣٨ أخبث العقائد.....
- ٢٤١ مشابهة الاتحادية مع المجوس.....
- ٢٤٢ الكفر عند الاتحادية.....
- ٢٤٤ قولهم: إِنَّ موسى لم ينكر على الذين عبدوا العجل.....
- ٢٤٦ كل الكفران جزءٌ يسيرٌ من كُفْرَانِ الاتحادية.....
- ٢٤٨ فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ آخَرَ.....
- ٢٤٩ الجَهْمِيَّةُ الحُلُولِيَّةُ.....
- ٢٥٣ فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ آخَرَ.....
- ٢٥٥ مُعْطَلَّةٌ مَحْضَةٌ.....
- ٢٥٦ ما هو العدم؟.....
- ٢٥٩ حديث يَرُدُّ على أهل التجسيم.....
- ٢٥٩ يونس بن مَتَّى.....
- ٢٦٠ ما قول المجسِّم؟.....
- ٢٦٥ نهي النبي ﷺ أن يُفْضَلَ على يونس.....

- ٢٦٨ فُضِّلَ: فِي قُدُومِ رَكْبٍ آخَرَ
- ٢٧٠ الإنسانُ مُمَيِّهٌ نَفْسَهُ الشَّيْءَ الْمُسْتَحِيلَ
- ٢٧١ حَكُّ بَيْنَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ وَالتَّمْثِيلِ، وَبَيْنَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ
- ٢٧٢ ما معنى: استوى على العرش؟
- ٢٧٣ ■ أَوْلَا: لَمْ يَأْتِ فِي اللُّغَةِ أَنَّ (استوى) بِمَعْنَى (استولى)
- ٢٧٣ ■ ثَانِيًا: مَخَالَفَةُ الْمَعْطَلَةِ وَالْمُمَثَّلَةِ لِإِجْمَاعِ السَّلَفِ
- ٢٧٣ ■ ثَالِثًا: لَوَازِمُ قَوْلِهِمْ بِاطْلَعِ
- ٢٧٦ قصة الإمام مالك - رحمه الله - مع من سأله عن الاستواء
- ٢٧٧ قصة أبي العلاء الهمداني مع أبي المعالي الجويني
- ٢٨٠ الدَّجَالُ يَبْقَى فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا
- ٢٨٢ الْفِطْرَةُ هِيَ أَوَّلُ الْخَلْقِ
- ٢٩٠ ماذا تفعل إذا اجتمعت بمبتدع؟
- ٢٩٤ اتهام المبتدعة لأهل السنة بالتحيز
- ٢٩٦ الذي يحمي العقيدة هو العمل بالحلال، واجتناب الحرام
- ٣٠٢ عودة القرآن لله عز وجل وتفسيراتها
- ٣٠٢ المعنى الأول: العودة وصفًا
- ٣٠٢ المعنى الثاني: العودة حسًا
- ٣٠٣ كيف يُمَحَى الْقُرْآنُ مِنَ الْمَصَاحِفِ؟
- ٣٠٤ قولهم: إن العقل لا يدلُّ على أن الله يتصف بالكرهية
- ٣٠٦ تحريفهم: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)

- رواية أنه ﷺ أُسْرِي بِهِ مِنْ بَيْتِ أُمِّ هَانِيٍّ ٣١٠
- هل الله عزَّ وجلَّ يُذِنُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُجْلِسَهُ مَعَهُ عَلَى الْعَرْشِ؟ ٣١٠
- حديث أَنَّ الْعَرْشَ لَهُ أَطِيطٌ كَأَطِيطِ الرَّحْلِ ٣١١
- وَلَهُ يَمِينٌ، بَلْ زَعَمَتَ يَدَانِ ٣١٣
- يَمِينُهُ مَلَأَى ٣١٦
- إثبات الضحك لله عزَّ وجلَّ ٣١٨
- الرَّضَى وَالغَضَبُ ٣٢٠
- أهل التَّعْطِيلِ فَسَّرُوا الرَّضَى بِالثَّوَابِ ٣٢٠
- هل الرَّضَى، وَالغَضَبُ، وَالضَّحْكَ، وَالعَجَبُ، مِنَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ، أَوِ الدَّائِيَّةِ؟ ٣٢١
- السَّاقُ ثَابِتَةٌ بِالسُّنَّةِ، فَهَلْ ثَبَتَ بِالْقُرْآنِ؟ ٣٢٢
- حديث النزول ٣٢٣
- هل ينزل بنفسه، أو ينزل بذاته؟ ٣٢٤
- السؤال الأول: كيف ينزل؟ ٣٢٥
- السؤال الثاني: هل يلزم حل النزول أن يخلو العرش من الربِّ ﷻ؟ .. ٣٢٥
- السؤال الثالث: هل النزول ينافي علوَّ الله؟ ٣٢٥
- (الرحمة) إذا نزلت إلى السماء الدنيا، فماذا نستفيد منها؟! ٣٢٦
- تواتر السُّنَّةِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَوْنَ رَبَّهُمْ رُؤْيَا حَقِيقَةً حَسِّيَّةً ٣٢٨
- الفرق بين الرؤية في الدنيا والرؤية في الآخرة ٣٢٩

- ٣٣٠ إثبات القدم لله بالسُّنَّة
- ٣٣١ إنكار المعطلة للصفات ومسالكتهم في ذلك
- ٣٣١ المسلك الأول: الطعن في الأحاديث
- ٣٣١ المسلك الثاني: التحريف
- ٣٣٧ تناقض المعطلة في آرائهم في الصفات
- ٣٣٧ الأشاعرة أثبتوا الأسماء، ولم يثبتوا من الصفات إلا سبعا
- ٣٣٩ التخصيص يدلُّ على الإرادة
- ٣٤٠ كُلُّ مُريدٍ فإما أن يكون حكيماً، وإما أن يكون سفيهاً
- ٣٤٠ الرَّد على المعطلة بمقتضيات العقل
- ٣٤٠ أولاً: بطلان الاعتماد على العقل وترك النقل
- ٣٤٠ ثانياً: مخالفة منهجهم للعقل
- ٣٤١ ثالثاً: اختلاف الناس في النظر العقلي
- ٣٤١ قولهم: الإرادة تُثبَّتُ بالعقل
- ٣٤١ عقوبة المجرمين ومثوبة الطائعين دليلٌ
- ٣٤٣ تناقض الأشاعرة
- ٣٤٣ الرَّد على الأشاعرة
- ٣٤٤ بطلان حججهم من عدة أوجه
- ٣٤٧ قولهم: إما أن ينسلخ المرء من الدين، أو يصير مجسماً أو ممثلاً
- ٣٤٩ وصية غير مقبولة
- ٣٥٤ قبيلة «آل سنان»

- ٣٥٨ الجهمية يُثبتون الأسماء، وينكرون الصفات
- ٣٦١ **فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ الْإِيمَانِ وَعَسْكَرِ الْقُرْآنِ**
- ٣٦٢ أسماء المدينة المنورة
- ٣٦٥ المعنى الأصلي للعبودية
- ٣٦٧ يقول العلماء عن القطب: إنه نجمٌ خفيٌّ جدًا
- ٣٦٧ المدار هو أمر الله ورسوله
- ٣٧١ «وَهُوَ الْعَلِيُّ» أي: بذاته وصفاته
- ٣٧١ علو صفاته
- ٣٧١ السمع قد يكون من غير ذي أذن
- ٣٧٣ هل يؤخذ الإنسان بحديث النفس؟
- ٣٧٥ من أسماء الله تعالى: القدير
- ٣٧٦ ومن أسمائه: القويُّ
- ٣٧٧ مَنْ خَلَقَ الْإِرَادَةَ فِي الْإِنْسَانِ؟
- ٣٧٨ الجبرية والقدرية إخوان في شيء، ولكنهم أعداء في شيء
- ٣٧٩ عبارة (الْقَدْرُ قُدْرَةُ اللَّهِ)
- ٣٨٢ **فَصْلٌ**
- ٣٨٤ كُلُّ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ تَدُورُ عَلَى الْأَسْمِينِ: الْحَيِّ وَالْقَيُّومِ
- ٣٨٦ الإرادة ودليلها
- ٣٨٦ الإرادة: إرادة كونية، وإرادة شرعية
- ٣٨٧ أصحابُ التعطيل يُنكرون الكراهة والرّضى والمحبة

- ٣٩١ نوم العبد، هل هو كمالٌ أو نقص؟
- ٣٩٢ دقة تعبير شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في (التدمرية)
- ٣٩٥ هل كلام الله ككلام الناس بالحروف؟
- ٣٩٨ انقسام الناس في الكلام إلى ثلاثة أقسام
- ٣٩٨ مذهب المعتزلة في القرآن أنه مخلوق
- ٤٠٧ هل الأمر هو عين النهي؟!
- ٤١٣ قوله: «قَدْ غَلِطَ النَّصَارَى»
- ٤١٥ مشابهة كلام المعتزلة في القرآن بكلام النصارى في عيسى
- ٤٢٣ فَصْلٌ: فِي مَجَامِعِ طُرُقِ أَهْلِ الْأَرْضِ وَاخْتِلَافِهِمْ فِي الْقُرْآنِ
- ٤٢٤ مذهبُ الأشاعرة والكَلَابِيَّةِ
- ٤٢٥ لماذا سُمِّي القرآنُ كلامَ الله؟
- ٤٢٥ الأول: مذهب الكَلَابِيَّةِ
- ٤٢٦ الثاني: مذهب الأشاعرة
- ٤٢٨ فَصْلٌ: فِي مَذْهَبِ الْاِقْتِرَانِيَّةِ
- ٤٢٩ الاقترانية
- ٤٣١ نون الأفعال الخمسة
- ٤٣٢ الزاغوني: أحد علماء الكلام
- ٤٣٤ قولهم: هل وجودُ الله عينُ حقيقته، أو خلافُ حقيقته
- ٤٣٥ ما هو الكلام؟
- ٤٣٥ هل هناك فرق بين الحقيقة والوجود؟

- ٤٣٦ **فَصْلٌ: فِي مَذْهَبِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَشِيئَةِ وَالْإِرَادَةِ**
- ٤٣٧ القائلون بأن القرآن يتعلّق بمشيئة الله صنفان
- ٤٣٨ الجهمية أتباع الجهم بن صفوان
- ٤٤١ عمرو بن عبّيد وواصل بن عطاء
- ٤٤١ الرافضة كانوا أول أمرهم مُشَبَّهة
- المعتزلة يوافقون الجهمية في نفي الصفات، لكن يخالفونهم في
- ٤٤٢ مسألة الوعيد والأحكام
- ٤٤٤ **فَصْلٌ: فِي مَذْهَبِ الْكِرَامِيَّةِ**
- ٤٤٨ قولهم: الكلام قائم بالله، والفعل قائم بالله
- ٤٤٩ تعطيل أفعاله وأقواله أشْرُّ وأبطل من القول بالحلول
- ٤٤٩ ابن القيم يدافع عن ابن كرام
- ٤٥٢ **فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَدِيثِ**
- ٤٥٣ مكانة الإمام أحمد بن حنبل
- ٤٥٣ قولهم: إنه يتكلّم بغير مشيئة
- ٤٥٧ (طه) هل هو مشتق أو غير مشتق؟
- ٤٥٧ (يس) ليس من أسماء الرسول
- ٤٦١ قولهم: هو بصير، والبصير غيره
- ٤٦٢ هل يوصف غير الله بالقديم
- ٤٦٣ الله متكلّم بالنقل والعقل والبرهان
- ٤٦٨ قولهم: البخاري مُجَسِّمٌ

- ٤٧٣ السور التي افتتحت بالأحرف الهجائية
- ٤٧٧ فَضْلٌ: فِي إِيْزَامِهِمُ الْقَوْلِ بِنَفْيِ الرِّسَالَةِ إِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ
- ٤٧٩ من أين أخذنا أنه مُحَدَّث من الآية؟
- ٤٨٠ هل يجوز أن نُسَمِّي شخصًا بـ(عبد المُخَبَّر) أو (عبد المُبَشِّر)؟
- ٤٨٤ أنواع الوحي الآن ثلاثة:
- ٤٨٥ فَضْلٌ: فِي إِيْزَامِهِمُ التَّشْبِيهِ لِلرَّبِّ بِالْحَمَادِ النَّاقِصِ إِذَا انْتَفَتْ صِفَةُ الْكَلَامِ ..
- فَضْلٌ: فِي إِيْزَامِهِمُ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ كَلَامَ الْخَلْقِ - حَقُّهُ وَبَاطِلُهُ - عَيْنُ كَلَامِ اللَّهِ
- ٤٨٩ سَبْحَانَهُ
- ٤٨٩ نفي الكلام يتضمن نفي الرسالة
- ٤٩٢ أهل الاتحاد
- ٤٩٥ خلاصة هذا الفصل
- ٤٩٦ فَضْلٌ: فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ
- ٤٩٩ هل يمكن أن نجعل الأمر من الخلق؟
- ٥٠١ هل يوجد مصنوع بدون صنعة؟
- ٥٠٤ من أراد الهدى فليتدبر القرآن
- ٥٠٥ فَضْلٌ: فِي التَّفْرِيقِ بَيْنَ مَا يُضَافُ إِلَى الرَّبِّ تَعَالَى مِنَ الْأَوْصَافِ وَالْأَعْيَانِ
- ٥١٠ الكلام كالعلم، والكلام كالحياة
- ٥١٢ ما أضيف إلى الله بالإضافة أو بالجر بـ(من) ينقسم إلى قسمين
- ٥١٣ فَضْلٌ
- ٥١٣ ابن حزم الظاهري

- ٥١٤ تحليل المؤلف لكلام ابن حزم
- ٥١٨ القرآن الكريم تكلم الله عزَّ وجلَّ به
- ٥٢٢ أكثر العلماء على أنَّ القرآنَ الكريمَ مكتوبٌ في اللوح المحفوظ
- ٥٢٣ القرآنُ كُلُّه كاملٌ من كُلِّ وجه
- ٥٢٥ ما الجسم الذي يكون ممنوعاً عند المعطلة؟
- ٥٣١ **فَصْلٌ: فِي مَقَالَاتِ الْفَلَّاسِفَةِ وَالْقَرَامِطَةِ فِي كَلَامِ الرَّبِّ -جَلَّ جَلَالُهُ-**
- ٥٣٢ القرامطة
- ٥٣٣ تصريح شيخ الإسلام وابن القيم بأنَّ ابن سينا كافرٌ
- ٥٣٤ العوام لا يفهمون إلاَّ المحسوس
- ٥٣٨ قولهم: إن الرسل كذبوا لمصالح الإنسان
- ٥٣٩ نصير الدِّين الطوسي
- ٥٤٢ الشَّيْخَان
- ٥٤٥ مذهب ابن سينا وأتباعه والأثنايين
- ٥٤٦ **فَصْلٌ: فِي مَقَالَاتِ طَوَائِفِ الْأَثْنَائِيَّةِ فِي كَلَامِ الرَّبِّ -جَلَّ جَلَالُهُ-**
- ٥٤٧ مذهب الأثنايين
- ٥٥٠ المؤلف يردُّ على هذه المذاهب
- ٥٥١ الجهمية يقولون: إنَّ الله متكلِّم
- ٥٥٢ المغول
- ٥٥٤ هل يصح أن يقال: هذا مبصر، والبصر مفقود منه؟
- ٥٥٧ قولهم: إنَّ الحوادث لا تقوم بالله

- ٥٦٠ كلام الجهمية مخالفٌ للمعقول والمنقول والفطرة
- ٥٦٢ الأشاعرة يقولون: كلام الله معنى قديم قام به كقيام الحياة والعلم
- ٥٦٥ هل يمكن أن يكون الله عزَّ وجلَّ حيًّا ميتًا؟
- مذهب الأشاعرة أنَّ الكلام ليس مسموعًا، ولا هو بحروف، ولا صوت
- ٥٦٥
- ٥٧٢ الخلاف بين الأشاعرة وبين المعتزلة والجهمية مبنيٌّ على أصلين ...
- ٥٧٣ قولهم: لو قام به فعل لكان محلاً للحوادث
- ٥٧٤ لا يمكن أن يوجد مفعول بلا فعل؟
- ٥٧٧ اختلاف أهل الكلام في فعل الله: هل فعله مفعوله أو غيره؟
- ٥٨٣ الكلام صفةٌ فعل
- ٥٨٥ كلام جيد من الدارمي في الرد على الجهمية
- ٥٨٦ الله متكلمٌ بكلامٍ هو فعله بحرفٍ وصوتٍ
- ٥٨٧ رأي الكرامية
- ٥٨٨ الإرادة هي المشيئة
- ٥٩٢ هل الله عزَّ وجلَّ فقدَ الحياة في يوم من الأيام؟
- ٥٩٥ القديم قد يكون غيره أقدم منه
- ٦٠١ أهل السلطة المفتونون فتحوا المدارس للمبتدعة
- ٦٠٣ مساعي المبتدعة في القضاء على أهل السنة
- ٦٠٧ القديم عند الفلاسفة وفي اصطلاح المتكلمين
- ٦٠٨ القهر والوحدانية

- فَصْلٌ: فِي اغْتِرَاضِهِمْ عَلَى الْقَوْلِ بِدَوَامِ فَاعِلِيَّهِ الرَّبِّ تَعَالَى وَكَلَامِهِ،
 وَالْإِنْفِصَالِ عَنْهُ ٦١٢
- التسلسل في الحوادث ٦١٦
- إقرار زعمائهم ورؤسائهم بالخيبة وبالرجوع إلى الحق ٦١٧
- للناس في التسلسل ثلاثة أقوال: ٦١٨
- البحث في التسلسل في الماضي والمستقبل من فضول العلم ٦٢٠
- هل خلق الكون في الأيام مأخوذ من القرآن؟ ٦٢٩
- هل العرش سابق على خلق القلم أو العكس؟ ٦٣٠
- فَصْلٌ ٦٣٧
- القرآن مملوء بإثبات الأفعال لله عزَّ وجلَّ ٦٣٨
- أهل التخيل الذين يرون أنَّ اليوم الآخر ليس له حقيقة ٦٤٠
- خطورة الجهل، وأهمية العلم ٦٤١
- قولهم: مَنْ لم يدرك علم الكلام فلا يقين له في عقيدته ٦٤٣
- الإنصاف في مسألة الكلام ٦٤٦
- هل قد أبدى الله لنا حقَّ الأدلة؟ ٦٤٨
- الرَّدُّ عَلَى المنطقيين ٦٤٩
- فهرس الآيات ٦٥٣
- فهرس الأحاديث والآثار ٦٧٧
- فهرس الموضوعات والفوائد ٦٨٥

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفْعٌ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رفع

عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

للمحافظة الحق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قتيبة الجوزية
نفته الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

شرح فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

عمر الله له ولوالديه والمسلمين

المجلد الثاني

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شَرَحُ

الكافية الشافية
في الانتصار للفرقة الناجية

٢

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح
شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية. /
محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤ هـ
٤مح؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)
ردمك: ٤ - ٦٢ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٨ - ٦٤ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٢)
١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - أهل السنة
أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢٤٠ ١٤٣٤/١٠٢٢٧

حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيرياً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٥ هـ

يطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com

أسئلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح

الكافي للشافعي في الانتصار للفرقة الناجية

للمحافظ المحقق

شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية
نعمته الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الثاني

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

فصل

فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُعَطَّلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ إِلَهٌ يُصَلَّى لَهُ وَيُسْجَدُ، وَبَيَانَ فُسَادِ قَوْلِهِمْ عَقْلًا وَنَقْلًا، وَلُغَةً وَفِطْرَةً

الشرح

الْجَهْمِيَّةُ هُمُ أَتْبَاعُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ^(١) الَّذِي أَخَذَ الْعِلْمَ عَنِ الْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ^(٢) لَكِنْ نُسِبَ الْمَذْهَبُ إِلَى الْجَهْمِ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَشَرَهُ وَبَثَّهُ فِي الْوَرَى، وَإِلَّا فَإِنَّ أَصْلَ التَّعْطِيلِ مِنَ الْجَعْدِ، حَيْثُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يَكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا.

وَانظُرْ إِلَى أَوَّلِ التَّعْطِيلِ تَمَّحُّدٌ أَنَّ أَوَّلَهُ نَفْيُ الْمَحَبَّةِ وَنَفْيُ الْكَلَامِ، وَمَعْرُوفٌ أَنَّهُ حَصَلَ انْتِشَارٌ عَظِيمٌ لِهَذَا الْمَذْهَبِ الْحَبِيثِ مَنْسُوبًا إِلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، لِأَنَّهُ نَشَرَهُ.

١٠٤٦- وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَبَرَى الْبَرِيَّةَ وَهِيَ ذُو حَدَثَانِ

١٠٤٧- فَسَلِ الْمُعَطَّلَ هَلْ بَرَّاهَا^(٣) خَارِجًا عَنِ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ؟

(١) جهم بن صفوان هو: أبو مُحْرَز السَّمْرَقَنْدِي، رَأْسُ الْجَهْمِيَّةِ مِنْ أَكْذَابِ النَّاسِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَأَعْظَمِهِمْ فَتْنَةً وَضَلَالَةً فِي الدِّينِ، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَفْيًا لِمُحَبَّبَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَسْمَاءِهِ، قَالَ الذَّهَبِيُّ فِي الْمِيزَانِ: مَا عَلِمْتَهُ رَوَى شَيْئًا، لَكِنَّهُ زَرَعَ شَرًّا عَظِيمًا، هَلَكَ زَمَنُ التَّابِعِينَ سَنَةَ (١٢٨ هـ). [الشارح]. وانظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/٢٠٤).

(٢) الجعد بن درهم من الموالي، مبتدع، له أخبار في الزندقة، سكن الجزيرة -يعني العراق- وأخذ عنه مروان بن محمد، أو تآدب عليه في صغره، قُتِلَ (سنة ١١٨). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/١٥١)، وتاريخ الإسلام (٤/٢٣٨)، وميزان الاعتدال (١/ترجمة ١٤٨٢).

(٣) في نسخة برلين «براهها» بياء مثناة.

- ١٠٤٨- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ أُتَاهَا هِيَ عَيْنُهُ مَا تَمَّ مَوْجُودَانِ
- ١٠٤٩- مَا تَمَّ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا شَيْءٌ مُغَايِرٌ هَذِهِ الْأَعْيَانِ
- ١٠٥٠- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَا لَهَا مِنْ رَابِعٍ خَلَّوْا عَنِ الرَّوَغَانِ
- ١٠٥١- وَلِذَاكَ قَالَ مُحَقِّقُ الْقَوْمِ الَّذِي رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ:
- ١٠٥٢- هُوَ عَيْنٌ هَذَا الْكَوْنِ لَيْسَ بغيرِهِ أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟
- ١٠٥٣- كَلَّا وَلَيْسَ مُجَانِبًا أَيضًا لَهَا فَهُوَ الْوُجُودُ بِعَيْنِهِ وَعَيْبَانِ
- ١٠٥٤- إِنْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْخَلَائِقِ رَبُّهَا فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ
- ١٠٥٥- إِذْ لَيْسَ يُعْقَلُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهِيَ كَالْأَبْدَانِ
- ١٠٥٦- وَالرُّوحُ ذَاتُ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَلَّتْ بِهَا كَمَقَالَةِ النَّصْرَانِيِّ

الشرح

هذا الفصل أراد به -رَحْمَهُ اللهُ- الرَّدَّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ:

ليس الله فوق العرش، فأراد -رَحْمَهُ اللهُ- أَنْ يُلْزِمَهُمْ بِأَحَدِ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ، فَقَالَ:

١٠٤٦- وَاللَّهُ كَانَ وَلَيْسَ شَيْءٌ غَيْرُهُ وَبَرَى الرِّيَّةَ وَهِيَ ذُو حَدَثَانِ

الله كان وليس شيءٌ غيره، وهذا صحيح، يعني: كان ولم يكن شيءٌ معه

-سبحانه وتعالى- ولا قبله.

قوله: «وَبَرَى الرِّيَّةَ» يعني: خَلَقَهَا، وَ(الرِّيَّةَ) فَعِيلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ.

١٠٤٧- فَسَلِّ الْمَعْطَلُ هَلْ بَرَاهَا خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ أَمْ فِيهِ حَلَّتْ ذَانِ؟

١٠٤٨- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ أُتَاهَا هِيَ عَيْنُهُ مَائِمٌ مَوْجُودَانِ

قَوْلُهُ: «أَمْ فِيهِ حَلَّتْ» أَي: كُلُّهَا، هَلْ بَرَى الْبَرِيَّةَ خَارِجًا عَنْ ذَاتِهِ، أَوْ بَرَى الْبَرِيَّةَ فِي ذَاتِهِ؟ يَقُولُ: (ذَانِ لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا)، (ذَانِ) مَا هُمَا؟

الْجَوَابُ: الْمَشَارُ إِلَيْهِ أَنَّهَا خَارِجًا عَنْهُ، أَوْ فِي ذَاتِهِ، لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَاهُمَا.

قَوْلُهُ: «أَوْ أُتَاهَا هِيَ عَيْنُهُ» هَذَا الْإِحْتِمَالُ الثَّلَاثُ.

١٠٤٩- مَائِمٌ مَخْلُوقٌ وَخَالِقُهُ وَمَا شَيْءٌ مُغَايِرٌ هَذِهِ الْأَعْيَانِ

١٠٥٠- لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَائِمًا مِنْ رَابِعٍ خَلُّوا عَنِ الرَّوَغَانِ

قَوْلُهُ: «لَا بُدَّ مِنْ إِحْدَى ثَلَاثٍ مَائِمًا مِنْ رَابِعٍ» الثَّلَاثُ هِيَ: أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْمَخْلُوقَاتِ هِيَ عَيْنُ الْخَالِقِ، وَهَذَا مَذْهَبُ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ، أَوْ نَقُولَ: خَلَقَهَا فِي ذَاتِهِ، أَوْ خَلَقَهَا خَارِجَ ذَاتِهِ، قِسْمَةٌ عَقْلِيَّةٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَمُجَّدَ قِسْمًا رَابِعًا، وَهَذَا قَالَ: (خَلُّوا عَنِ الرَّوَغَانِ).

فَلَمَّا رَأَى أَهْلَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ أَنَّ هَذَا التَّقْسِيمَ حَاصِلٌ قَالُوا: (هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ)، وَلِذَا قَالَ:

١٠٥١- وَلِذَاكَ قَالَ مُحَقِّقُ الْقَوْمِ الَّذِي رَفَعَ الْقَوَاعِدَ مُدَّعِي الْعِرْفَانِ:

١٠٥٢- هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ لَيْسَ بغيرِهِ أَنَّى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟

١٠٥٣- كَلَّا وَلَيْسَ مُجَانِبًا أَيضًا لَهَا فَهُوَ الْوُجُودُ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ» يَعْنِي: قَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكُونِ،

فلا خالِقَ ولا مَخْلُوقَ، فالكونُ خالِقٌ مَخْلُوقٌ، فالكونُ هو اللهُ -نسألُ اللهَ العافيةَ- وقد تقدّمَ أنهم قالوا: إنَّ السَّمْعَ هو اللهُ، والأرَضَ هي اللهُ، والإنسانَ هو اللهُ، والبعيرَ هو اللهُ... وهكذا.

قَوْلُهُ: «أَنْتَى وَلَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ» إذا قال: (لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ) يَعْنِي: ليسَ بآئِنًا من الخلقِ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْخَلْقُ.

قال ابن القيم:

١٠٥٤- إِنْ لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْخَلَائِقِ رَبِّهَا فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ

يعني: إِنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، صارَ هَذَا الْقَوْلُ هُوَ الْقَوْلُ، يَعْنِي: هُوَ الْقَوْلُ الرَّاجِحُ فِي الْمِيزَانِ.

قَوْلُهُ: «فَالْقَوْلُ هَذَا الْقَوْلُ» المشارُ إليه: الذي قال: إِنَّ اللَّهَ هُوَ عَيْنُ هَذَا الْكَوْنِ.

فالمعنى: إِنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، لَزِمَ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ عَيْنُ كُلِّ شَيْءٍ، لأننا إذا قلنا: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْخَلْقِ، ولا عن يمينٍ، ولا شمالٍ، ولا تحت، ولا أمام، ولا خلف، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ هُوَ عَيْنَ الْخَلْقِ، فإذا قلنا: إِنَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ سَلِمْنَا من هذا.

فصارَ قولُ الْجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ يَعُودُ تَمَامًا إِلَى قولِ الْأَتْحَادِيَّةِ (أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ)، لِأَنَّهم يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لا فَوْقَ ولا تَحْتَ، ولا يَمِينٍ ولا يَسَارٍ، ولا أَمَامَ ولا خَلْفَ، ولا مُبَايِنَ، ولا مُتَّصِلٌ ولا مُنْفَصِلٌ، إِذَنْ هُوَ عَدَمٌ، إِذَنْ هُوَ هَذَا الْكَوْنُ، هُوَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتُ.

قَوْلُهُ: «فِي الْمِيزَانِ» يعني: الْعَدْلُ، فَالْعَدْلُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ هَكَذَا، يَعْنِي: إِمَّا

أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَّا فَقُلْ بِهَذَا الْقَوْلِ.

١٠٥٥- إِذْ لَيْسَ يُعْقَلُ بَعْدُ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حَلَّ فِيهَا وَهِيَ كَالْأَبْدَانِ

١٠٥٦- وَالرُّوحُ ذَاتُ الْحَقِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَلَّتْ بِهَا كَمَقَالَةِ النَّصْرَانِيِّ

يعني: إذا قلنا: إنه ليس فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا شمال، لزم أن يكون حالاً في الخلق، فيكون الخلق بمنزلة الجسد، والخالق بمنزلة الروح، كمقالة النصراني، ماذا قال النصراني؟ قال: إن الله حل في عيسى -والعياذ بالله- فجعلوا عيسى جسداً، وجعلوا الله روحاً.

١٠٥٧- فَاحْكُمْ عَلَى مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا، وَلَا فِيهَا بِحُكْمِ بَيَانِ

١٠٥٨- بِخِلَافِهِ الْوَحْيَيْنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْـ عَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

١٠٥٩- فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ وَذَا حَدُّ الْمُحَالِ بِغَيْرِ مَا فَرَّقَانِ

١٠٦٠- يَا لِلْعُقُولِ إِذَا نَفَيْتُمْ نَحْبَرََا وَنَقِيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إِمْكَانِ

١٠٦١- إِنْ كَانَ نَفْيُ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ لَا يَصْدُقَانِ مَعَالِذِي الْإِمْكَانِ

١٠٦٢- إِلَّا عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقُ بِيَدَاهِةِ الْإِنْسَانِ

١٠٦٣- أَيْصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ ذَاتَانِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ؟

١٠٦٤- لَيْسَتْ تَبَايُنُ مِنْهُمَا ذَاتٌ لِأَخْرِ رَى أَوْ مُحَايِثُهَا فَيَجْتَمِعَانِ

١٠٦٥- إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ فَهُوَ ذَا فَارْجِعْ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

الشرح

١٠٥٧- فَأَحْكُمُ عَلَى مَنْ قَالَ: لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا، وَلَا فِيهَا بِحُكْمِ بَيَانٍ

١٠٥٨- بِخِلَافِهِ الْوَحْيَيْنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «لَيْسَ بِخَارِجٍ عَنْهَا» أَي: عن المخلوقات، وفاعل (خارج) يعودُ على الله.

قَوْلُهُ: «وَلَا فِيهَا» يَعْنِي: دَاخِلٌ.

قَوْلُهُ: «فَأَحْكُمُ عَلَى... بِحُكْمِ بَيَانٍ» مَا هَذَا الْحُكْمُ؟ قَالَ: (بِخِلَافِهِ الْوَحْيَيْنِ) يَعْنِي: بِأَنَّهُ مُحَالَفٌ لِلْوَحْيَيْنِ، وَهُمَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

قَوْلُهُ: «الْوَحْيَيْنِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ»: حَمْسَةٌ، لِأَنَّ كُلَّ هَذِهِ الْخَمْسَةِ -وهي: الكتابُ والسُّنَّةُ والإجماعُ والعقلُ والفِطْرَةُ- تَطَابَقَتْ عَلَى إِثْبَاتِ عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١- فَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنْ ذِكْرِ عُلُوِّ اللَّهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ أَلْقَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، وَالآيَاتُ كَثِيرَةٌ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى.

٢- وَأَمَّا السُّنَّةُ فَاجْتَمَعَتْ أَنْوَاعُ السُّنَّةِ الثَّلَاثَةِ: الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ وَالْإِقْرَارُ، أَمَّا الْقَوْلُ فَإِنَّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- كَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»^(١)، وَأَمَّا الْفِعْلُ: فَإِنَّهُ حِينَمَا سَأَلَ النَّاسَ وَهُوَ يَحْطُبُهُمْ يَوْمَ عَرَفَةَ فَقَالَ:

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسلمين وقصرها، باب استحباب القراءة في الصلاة، برقم (٧٧٢).

«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ». قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(١)، وَأَمَّا الْإِقْرَارُ: فَسَأَلَ الْجَارِيَةَ: «أَيَّنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(٢).

٣- وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ: فَقَدْ أَجْمَعَ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَالأئمة بعدهم على أن الله تعالى فوق كل شيء، وأنه استوى على العرش.

٤- وَأَمَّا الْعَقْلُ الصَّرِيحُ: وَهُوَ الْعَقْلُ السَّالِمُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، لِأَنَّ صَرِيحَ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الْخَالِصُ مِنْهُ، فَالْعَقْلُ السَّالِمُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ يَشْهَدُ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنَّ الْعُلُوَّ مِنْ صِفَاتِهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّنَا نَسْأَلُ: هَلِ الْعُلُوُّ صِفَةٌ كَمَا لِ أَوْ صِفَةٌ تَقْصُرُ؟

كُلُّ أَحَدٍ يَقُولُ: صِفَةٌ كَمَا لِ، وَإِذَا كَانَ صِفَةً كَمَا لِ، فَإِنَّ الرَّبَّ أَحَقُّ بِالْكَمَالِ مِنْ غَيْرِهِ، فَيَكُونُ الْعَقْلُ دَالًّا عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ.

٥- أَمَّا الْفِطْرَةُ: فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَقُولُ: (يَا اللَّهُ) لَا يَرْتَفِعُ قَلْبُهُ إِلَّا إِلَى السَّمَاءِ، وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهَدٌ، لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَمِيلَ قَلْبُكَ إِذَا قُلْتَ: (يَا اللَّهُ) إِلَى أَسْفَلٍ، وَلَا إِلَى يَمِينٍ، وَلَا شِمَالٍ.

يقول:

١٠٥٩- فَعَلَيْهِ أَوْقَعَ حَدَّ مَعْدُومٍ وَدَا حَدُّ الْمُحَالِ بِغَيْرِ مَا فُرْقَانِ
فالذي يقول: لا داخل العالم ولا خارجه، ولا فوق ولا تحت، ولا يمين

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

ولا شأل، ولا مُتَّصِلٌ ولا مُنْفَصِلٌ، أَوْقَعَ على الله حَدَّ المَعْدُومِ الذي لا وُجُودَ له.
 ١٠٦٠- يَا لِلْعُقُولِ إِذَا نَفَيْتُمْ مَخْبَرًا وَنَقِيضَهُ هَلْ ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
 قَوْلُهُ: «يَا لِلْعُقُولِ» عندنا مُسْتَعَاثٌ به، ومُسْتَعَاثٌ لَهُ، فاللام تدخل على
 المُسْتَعَاثِ به فتُفْتَحُ، وتُكْسَرُ في المُسْتَعَاثِ لَهُ، فتقول: (يا لله لِلْمُسْلِمِينَ) فهل هي
 هنا (يا لِلْعُقُولِ) أو أنها (يا لِلْعُقُولِ)؟ يَعْنِي: هل هو يَسْتَعِيثُ بها أو لها؟ الظاهرُ:
 أنه يَسْتَعِيثُ لها فتكون: (يا لِلْعُقُولِ).

والمعنى: أنه لا عُقُولَ لكم، فَأَنَا أَسْتَعِيثُ اللهُ أَنْ يَهَبَكُمُ عُقُولًا.
 قَوْلُهُ: «إِذَا نَفَيْتُمْ مَخْبَرًا وَنَقِيضَهُ» مثل: لا دَاخِلَ العَالَمِ، ولا خَارِجَهُ.
 فَنفَوْا كَوْنَهُ دَاخِلًا وَنفَوْا كَوْنَهُ خَارِجًا، وهذا لا يَصِحُّ، لَأَنَّ نَفْيَ النَّقِيضَيْنِ
 مُحَالٌ، فهو إِذَا لم يَكُنْ دَاخِلًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ خَارِجًا، وَإِذَا لم يَكُنْ خَارِجًا لَزِمَ أَنْ
 يَكُونَ دَاخِلًا، فَأَيُّ عَقْلٍ يَقُولُ: لا دَاخِلَ ولا خَارِجَ، وَيُصَدِّقُ بهذه القَضِيَّةِ فَلَيْسَ
 بعَقْلٍ إِطْلَاقًا، ولهذا قال: (يَا لِلْعُقُولِ).

١٠٦١- إِنْ كَانَ نَفْيُ دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ لَا يَصْدُقَانِ مَعَالِذِي الإِمْكَانِ
 ١٠٦٢- إِلاَّ عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٌ بِبِدَاهَةِ الإِنْسَانِ
 يعني: أَنَّ نَفْيَ الدُّخُولِ والخُرُوجِ مَعًا لا يَصْدُقَانِ إِلاَّ عَلَى شَيْءٍ عَدَمٍ، فالذي
 ليس بدَاخِلٍ ولا بخَارِجٍ معناه أنه عَدَمٌ.

قَوْلُهُ: «لا يَصْدُقَانِ إِلاَّ عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٌ» إِذَا جَعَلْنَا (نَفْيَهُ
 مُتَحَقِّقٌ) مَبْتَدَأً وَخَبَرًا، صارَ (مُتَحَقِّقٌ) بِالرَّفْعِ.
 وَإِذَا قُلْنَا: (إِلاَّ عَلَى عَدَمِ صَرِيحِ نَفْيِهِ مُتَحَقِّقٌ): فتكون صِفَةً لـ(عدم)،

إِذَنْ يَجُوزُ الْوَجْهَانِ: الْجُرُّ وَالرَّفْعُ.

١٠٦٣- أَيْصِحُّ فِي الْمَعْقُولِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ ذَاتَانِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ؟

الجواب: لا يَصِحُّ، هل يُمَكِّنُ أَنْ نقول: ذاتان، وليست كُلُّ واحدةٍ قائمةً بنفسها؟ إِذَنْ معنى (لَا بِالْغَيْرِ) يَعْنِي: ليست كُلُّ واحدةٍ قائمةً بغير الأخرى.

هل يَصِحُّ أَنْ نقول: عندنا ذاتان: ذاتُ الخالقِ وذاتُ المخلوقِ، وليست كُلُّ واحدةٍ قائمةً بنفسها؟ الجواب: لا، لا يَصِحُّ أبداً.

١٠٦٤- لَيْسَتْ تُبَايِنُ مِنْهُمَا ذَاتٌ لِأَخٍ رَى أَوْ تُحَايِثُهَا فَيَجْتَمِعَانِ

١٠٦٥- إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا مُحَالٌ فَهُوَ ذَا فَارْجِعْ إِلَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

صحيح، فالمعنى: لا بُدَّ إِذَا أَثَبَّتُمْ لله ذَاتَيْنِ أَنْ تكون إحداهما خارجةً عن الأخرى أو داخله فيها، أمَّا أَنْ نقول: (لا داخل ولا خارج)، فهذا لا يمكن، هذا شَيْءٌ مستحيلٌ، إِلَّا إِذَا قُلْتُمْ بقول أهلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ: إِنَّ الرَّبَّ عَيْنُ الْعَبْدِ، فحِينَئِذٍ تَسْلَمُونَ مِنَ الْمُحَالِ، لكن تأتون بمحالٍ أَنْكَرَ مِنْهُ وَأَشَدَّ.

قَوْلُهُ: «مُحَايِثُهَا» الْمُحَايِثَةُ ضِدُّ الْمُبَايِنَةِ، يَعْنِي: تَتَّصِلُ بِهَا.

١٠٦٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ جِسْمٍ أَوْ جُذْمَانِ

١٠٦٧- وَالرَّبُّ لَيْسَ كَذَا فَتَفْيِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ مَا فِيهِ مِنْ بَطْلَانِ

١٠٦٨- فَيَقَالُ: هَذَا أَوْ لَا مِنْ قَوْلِكُمْ دَعْوَى مُجَرَّدَةٌ بِالْبُرْهَانِ

١٠٦٩- ذَلِكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارَقُوا الْوَحْيَ الْمُبِينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ

- ١٠٧٠- وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيُهُ عَنْ قَابِلٍ وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودٍ كُلِّ لِسَانٍ
 ١٠٧١- أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلِكَ: الظُّ ظَلُمُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ؟!
 ١٠٧٢- وَنَسَيْتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ فِي الْإِمْكَانِ
 ١٠٧٣- وَنَسَيْتَ نَفْيَ الطُّعْمِ عَنْهُ وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولِهِ وَالتَّنْفِي فِي الْقُرْآنِ؟!
 ١٠٧٤- وَنَسَيْتَ نَفْيَ وَلَادَةٍ أَوْ زَوْجَةٍ وَهَمَّا عَلَى الرَّحْنِ مُتَمَنِّعَانِ؟!

الشرح

يريد المؤلف - رحمه الله - في هذه القطعة أن يبيِّن أن هؤلاء الذين نفوا علو الله على عرشه، قالوا: إنَّ هذا التقسيم الذي ذكرتم بأنه إمَّا أن يكون العالم خارج الله عزَّ وجلَّ أو داخلًا فيه، أو هو الله، قال: إنَّ هذا إمَّا أن يكون فيها هو قابل، فهو الذي لا يصحُّ أن يُنفَى عنه أحدُ المتناقضين، أمَّا ما ليس بقابلٍ فإنَّه يصحُّ أن يُنفَى عنه النقيضان.

مثلاً (الجدار) هل يصحُّ أن نقول: إنه لا يظلم أو لا يصحُّ؟

الجواب: لا يصحُّ، لأنَّه غيرُ قابلٍ، فإذاً نقول: ليس بظالم ولا غير ظالم، فننفي عنه الأمرين، لأنَّه ليس بقابل.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: قولكم: (هذا الشيء قابل أو غير قابل) هذه دعوى مجردة، ولذا قال:

١٠٦٦- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي هُوَ قَابِلٌ مِنْ جِسْمٍ أَوْ جُثْمَانٍ

قَوْلُهُ: «أَوْ جُثْمَانٍ» فِي نَسْخَةِ (أَوْ جُثْمَانٍ) بِالسِّينِ، وَالصَّوَابُ (أَوْ جُثْمَانٍ) بِالثَّاءِ.

١٠٦٧- وَالرَّبُّ لَيْسَ كَذَا فَنَفِي دُخُولِهِ وَخُرُوجِهِ مَا فِيهِ مِنْ بَطْلَانٍ

يقول: إن زعمتم أنه لا يصح نفي الدخول والخروج فيما هو قابل من الأجسام والجثمان.

١٠٦٨- فَيُقَالُ: هَذَا أَوْلَىٰ مِنْ قَوْلِكُمْ دَعْوَىٰ مُجَرَّدَةٌ بِلَا بُرْهَانٍ

يعني: قولكم: إن الشيء يجوز نفي وجوده وانتفاؤه إذا كان مضافاً إلى غير قابل، نقول: هذه دعوى مجردة.

١٠٦٩- ذَاكَ اصْطِلَاحٌ مِنْ فَرِيقٍ فَارَقُوا الْوَحْيَ الْمُبِينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ

يعني بذلك: أهل المنطق والفلسفة، فهم الذين قالوا: إنه يصح أن يقال: لا داخل ولا خارج، لأنه ليس بقابل للدخول والخروج، فيقال: إن هذا اصطلاح منكم، فإنه يصح أن ينفي الشيء عما ليس بقابل له كما سيأتي.

وَقَوْلُهُ: «فَارَقُوا الْوَحْيَ الْمُبِينَ بِحِكْمَةِ الْيُونَانِ» الْبَاءُ فِي قَوْلِهِ: «بِحِكْمَةٍ» لِلْمُعَاوِضَةِ، يَعْنِي: فَارَقُوا الْوَحْيَ وَأَحْلُوا بَدَلَهُ حِكْمَةَ الْيُونَانِ.

١٠٧٠- وَالشَّيْءُ يَصْدُقُ نَفْيُهُ عَنْ قَابِلٍ وَسِوَاهُ فِي مَعْهُودٍ كُلِّ لِسَانٍ

يعني: يصح أن ينفي الشيء عما يقبله وما لا يقبله في معهود كل لسان.

١٠٧١- أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلَكَ: الظُّلْمُ الْمُحَالُ وَلَيْسَ ذَا إمْكَانٍ!؟

قَوْلُهُ: «أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ» يَعْنِي: عَنْ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «وَقَوْلَكَ: الظُّلْمُ الْمُحَالُ» الْجَهْمِيُّ وَالْمَعْتَزَلِيُّ يَقُولَانِ: إِنَّ الظُّلْمَ مُحَالٌ

على الله، فلا يتصور وجود ظلم، ومع ذلك فالله - سبحانه وتعالى - نفاه عن نفسه.

إِذَنْ نَفَى الشَّيْءَ عَمَّا لَيْسَ بِقَابِلٍ لَهُ، فَذَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ يَصِحُّ نَفْيُهُ عَمَّا لَيْسَ بِقَابِلٍ لَهُ، حَتَّى فِي إِقْرَارِكَ، أَنْتَ تَقُولُ: إِنَّ الظُّلْمَ مُحَالٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَصَفَّ بِهِ اللَّهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ، وَهَذَا يَقُولُ: (أَنْسَيْتَ نَفْيَ الظُّلْمِ عَنْهُ وَقَوْلَكَ) يَعْنِي: وَنَسِيتَ قَوْلَكَ: (الظُّلْمَ الْمُحَالُ) يَعْنِي: أَنَّ الظُّلْمَ مُحَالٌ أَنْ يَقَعَ مِنَ اللَّهِ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ لَيْسَ لِكَمَالِ عَدْلِهِ، وَلَكِنْ لِعَدَمِ إِمْكَانِ الظُّلْمِ، فَهُوَ -أَصْلًا- غَيْرُ قَادِرٍ عَلَى أَنْ يَظْلِمَ، فَالظُّلْمُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌ لِدَاتِهِ، لَا لِتَنْزِهِ اللَّهُ عَنْهُ، وَمَعَ ذَلِكَ تَنْفِي عَنْهُ الظُّلْمَ مَعَ أَنَّ الْمُحَلَّ -عَلَى زَعْمِكَ- لَيْسَ قَابِلًا لِثُبُوتِهِ أَوْ نَفْيِهِ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الظُّلْمَ هُوَ تَصَرُّفُ الْفَاعِلِ فِي غَيْرِ مُلْكِهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى إِذَا تَصَرَّفَ فِي مُلْكِهِ بِأَيِّ شَيْءٍ فَهُوَ لَيْسَ بِظَالِمٍ.

١٠٧٢- وَنَسَيْتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ فِي الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَسَيْتَ نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ» نَفْيَ النَّوْمِ وَالسَّنَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِقَابِلٍ لِذَلِكَ، وَهَذَا قَالَ: (الَّتِي لَيْسَتْ لِرَبِّ الْعَرْشِ بِالْإِمْكَانِ).

١٠٧٣- وَنَسَيْتَ نَفْيَ الطَّعْمِ عَنْهُ وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولَةٍ وَالنَّفْيُ فِي الْقُرْآنِ!؟

قَوْلُهُ: «وَنَسَيْتَ نَفْيَ الطَّعْمِ عَنْهُ» قَالَ سَبْحَانَهُ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ ذَا مَقْبُولَةٍ» يَعْنِي: لَيْسَ ذَا مَقْبُولًا لَهُ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مُحْتَاجًا إِلَى الطَّعَامِ وَلَا طَاعِمًا لِلطَّعَامِ.

١٠٧٤- وَنَسِيتَ نَفِيَّ وَوَلَادَةَ أَوْ زَوْجَةَ وَهُمَا عَلَى الرَّحْمَنِ مُتَمْتِعَانِ؟!
 قَوْلُهُ: «وَنَسِيتَ نَفِيَّ وَوَلَادَةَ أَوْ زَوْجَةَ» قال تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣] وقال أيضًا: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ، وَوَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَحْبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١]، وهما على الرَّحْمَنِ مُتَمْتِعَانِ.

١٠٧٥- وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ أَصَمٌّ وَمَالَهُ عَيْنَانِ
 ١٠٧٦- وَكَذَا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالْخَلْقَ نَفِيًّا وَاضِحَ التَّبْيَانِ
 ١٠٧٧- هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قَبُولٌ لِلَّذِي يُنْفَى وَلَا مِنْ جُمَّلَةِ الْحَيَوَانِ
 ١٠٧٨- وَيُقَالُ أَيْضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَذَا الشَّرْطُ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ
 ١٠٧٩- لَا فِي النَّقِیْضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا لَا يَتَّبَتَّانِ وَلَيْسَ يَرْتَفَعَانِ

الشرح

١٠٧٥- وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ أَصَمٌّ وَمَالَهُ عَيْنَانِ
 قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ قَدْ وَصَفَ الْجَمَادَ بِأَنَّهُ مَيِّتٌ» قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢٠-٢١]، مع أَنَّ اللَّاتَ، والعزرى ومناة جمادات، فوصفها بأنها ميتة مع أنها غير قابلة لذلك.

إِذْنُ فَالشَّيْءُ يَبْتُ فِيهَا لَا يَقْبَلُهُ، وَيُنْفَى عَمَّا لَا يَقْبَلُهُ بِنَصِّ الْقُرْآنِ، فَكَيْفَ تَقُولُونَ: إِنَّا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ اللَّهَ لَا دَاخِلَ وَلَا خَارِجَ، فَإِنَّ هَذَا وَصْفٌ صَحِيحٌ، لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِأَنَّهُ يَكُونُ دَاخِلًا أَوْ خَارِجًا!؟

نقول لهم: حتى وإن كان غير قابلٍ فإنَّ هذا لا يصحُّ.

قوله: «مَيْتٌ» ذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ (المَيْتَ) هو الذي قد مات فعلاً واقعاً، وال (مَيْتٌ) هو الذي سيموت، واستدلَّ بقوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، أي: سيموتُ، وبقوله تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وهذا هو الذي حَصَلَ له الموتُ فعلاً، والظاهرُ أنَّ الصحيحَ أنه لا فَرْقَ.

١٠٧٦- وَكَذَّا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالْحَلْقَ نَفِيًّا وَاضِحَ التَّبْيَانِ

قوله: «وَكَذَّا نَفَى عَنْهُ الشُّعُورَ وَنُطْقَهُ وَالْحَلْقَ» قال تعالى: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢٠-٢١].

١٠٧٧- هَذَا وَلَيْسَ لَهَا قَبُولٌ لِلَّذِي يُنْفَى وَلَا مِنْ جُمْلَةِ الْحَيَوَانِ

يعني: هذه الأشياءُ جمادٍ، ليست من الحيوانِ الذي يُنْفَى عنه الموتُ أو الشعورُ، ومع ذلك نفاه اللهُ عنها.

١٠٧٨- وَيُقَالُ أَيُّضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَذَا الشَّرْطُ لِمَا هُمَا ضِدَانِ

١٠٧٩- لَا فِي النَّقِیْضَيْنِ اللَّذَيْنِ كِلَاهُمَا لَا يَثْبُتَانِ وَلَيْسَ يَرْتَفَعَانِ

هذا هو الوجه الثاني.

الوجه الأول: عَرَفْنَا أَنَّ دَعْوَاكُم أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ قَابِلٌ لِلشَّيْءِ فَيُنْفَى عَنْهُ أَوْ يَثْبُتُ، هذه دعوى مُجَرَّدَةٌ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ.

ثانيًا: لو سَلَّمْنَا ذَلِكَ جَدَلًا مَا صَحَّ أَنْ يَكُونَ فِي النَّقِیْضَيْنِ، وهما الوجود والعدم، هم يقولون: لا تَصِفُوا اللهَ بأنه موجودٌ ولا بأنه معدومٌ.

نقول: باتفاق العقلاء لا بُدَّ من أن يكون إمَّا موجودًا وإمَّا معدومًا، لأنَّ التقابل بين الوجود والعدم تقابل سلب وإيجاب، لا تقابل عَدَمٍ وَمَلَكَه، فتقابلُهُمَا من بابِ تقابلِ النَّقِيضَيْنِ، والنقيضان لا يَجْتَمِعَانِ ولا يَرْتَفِعَانِ، يَعْنِي: لا يمكن أن يجتمعا ولا يُمكن أن يرتفعا، إذن لا بُدَّ من وجودِ أَحَدِهِمَا، فانت إذا قُلْتَ: إِنَّ اللَّهَ لا يُوصَفُ بأنه موجودٌ ولا بأنه معدومٌ، ماذا صَنَعْتَ؟

الجواب: رَفَعْتَ عنه النَّقِيضَيْنِ، وهذا مُحَالٌ، ولهذا قال: (وَيُقَالُ أَيْضًا: ثَانِيًا لَوْ صَحَّ هَذَا الشَّرْطُ كَانَ لِمَا هُمَا ضِدَّانِ)، ما هو الشَّرْطُ؟ الجواب: أن الإثبات والنفي لا يَصِحُّ رَفْعُهُمَا فيما كان قابلاً لهما، لو صحَّ أنه لا يَصِحُّ نَفْيُهُمَا وإثباتُهُمَا إِلَّا لِمَا كان قابلاً، فنقول: هذا يَصِحُّ في الضِّدِّينِ، أمَّا في النَّقِيضَيْنِ فلا.

إذن نَحْتَاجُ إلى معرفة الفرق بين الضِّدِّينِ والنَّقِيضَيْنِ، الفرقُ بينهما أن الضِّدِّينِ لا يَجْتَمِعَانِ ولكن يُمكنُ أن يَرْتَفِعَا جميعًا، وأنَّ النَّقِيضَيْنِ لا يَجْتَمِعَانِ، ولا يمكنُ أن يَرْتَفِعَا جميعًا، بل لا بُدَّ من وُجُودِ أَحَدِهِمَا.

مثال النَّقِيضَيْنِ: (الحركة والسكون) فهذان نقيضان، إذا انتفت الحركة لزم وجود السكون، وإذا انتفى السكون لزم وجود الحركة، ولهذا لا يَصْلُحُ أن تقول: هذا غيرٌ متحركٍ وغيرٌ ساكنٍ، فهذا مستحيلٌ.

(الوجود والعدم) كذلك نقيضان، فلا يمكن أبدًا أن تقول: لا موجود، ولا معدوم.

مثال الضِّدِّينِ: (السواد والبياض) ضدان، لِأَنَّهُمَا لا يَجْتَمِعَانِ، فإذا كان الشيء أسودًا، فليس بأبيض، وإذا كان أبيضًا، فليس بأسودًا، فلا يُمكنُ أن يكون الشيء أسودًا وأبيضًا في آنٍ واحدٍ، لكن هل يُمكنُ أن يَرْتَفِعَا؟

الجواب: نعم. كيف؟ الجواب: يعني: يرتفع السواد والبياض ويحلُّ بدله الأحمَرُّ أو الأصفرُ مثلاً.

فمثلاً: (هذا الثوبُ أبيضُ أو أسودُ أو أحمرُّ) إذا قلتَ: (إنه أسودُ) لم يكن (أبيضَ)، وإذا قلتَ: (أبيضُ) لم يكن أسودَ، هل يُمكنُ أن تقولَ: ليس أسودَ ولا أبيضَ؟

الجواب: نعم، ويكون أحمرَّ مثلاً، فهذانِ ضدَّانِ.

لكن (وُجُودٌ وَعَدَمٌ) فهذانِ تَقْيِضَانِ، والشيءُ إذا قُلْتَ فيه: (غيرُ موجودٍ) لَزِمَ أن يكونَ مَعْدُومًا، وإذا قُلْتَ فيه: (مَعْدُومٌ) لم يكن موجودًا، فإذا كان الشيءُ مَعْدُومًا لم يكن موجودًا، وإذا كان موجودًا لم يَكُنْ مَعْدُومًا، لكن إذا كان أسودَ ليس بلازم أن يكون أبيضَ.

وهناك أيضًا (الِخْلَافَانِ): وَالِخْلَافَانِ يَجْتَمِعَانِ وَيَرْتَفِعَانِ لِكِنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ كـ(الحركة والبياض) يُمكنُ أن يَجْتَمِعَا، فيكون الشيءُ مَتَحَرِّكًا أبيضَ، ويُمكنُ أن يَرْتَفِعَا فيكون ساكنًا أسودَ، لِكِنَّهُمَا مُتَبَايِنَانِ، فهذا غيرُ هذا.

هناك أيضًا المُتَوَافِقَاتُ أو المُتَرَادِفَاتُ، ومعناها أن يَتَّفِقَا في الحقيقة، مثل: (القيام والوقوف) إذا جَعَلْنَا الوُقُوفَ بمعنى القيام، فهما شيءٌ واحدٌ، و(الإنسان والبشر) شيءٌ واحدٌ.

إذْ صارتِ النَّسَبُ أربعةً: نِسْبَةٌ بَيْنَ مُتَنَاقِضَيْنِ، وَنِسْبَةٌ بَيْنَ ضِدَّيْنِ، وَنِسْبَةٌ بَيْنَ خِلَافَيْنِ، وَنِسْبَةٌ بَيْنَ مُتَّفَقَيْنِ.

وقولنا: (داخلُ العالمِ) و(خارجُ العالمِ)، نِسْبَةٌ بَيْنَ مُتَنَاقِضَيْنِ، لِأَنَّهُمَا لَا يَجْتَمِعَانِ وَلَا يَرْتَفِعَانِ، فَكُلُّ موجودٍ لَا بُدَّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ الْعَالَمِ أَوْ خَارِجَ الْعَالَمِ.

لكن لو قال قائل: (لا داخل العالم ولا خارج العالم)، فليس نسبة بين متناقضين، لأنه يُمكن أن يُقال: هو نفسه العالم؟

قلنا: إذا قلت: (هو نفسه العالم)، لم تثبت موجودين، إنما أثبت موجودًا واحدًا، ونحن نتكلم عن موجودين.

فابن القيم - رحمه الله - يقول: لو صحَّ هذا الشرط وهو أنه يجوز نفي الضدين عما ليس قابلاً لهما ما صحَّ في النقيضين اللذين كلاهما لا يثبتان، أي: (لا يجتمعان)، وليس يرتفعان.

- ١٠٨٠ - وَيُقَالُ أَيْضًا: نَفْيُكُمْ لِقَبُولِهِ لَهَا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ
- ١٠٨١ - بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ
- ١٠٨٢ - فَإِذَا الْمُعْطَلُ قَالَ: إِنَّ قِيَامَهُ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالغَيْرِ ذُو بَطْلَانٍ
- ١٠٨٣ - إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ أَلْ أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
- ١٠٨٤ - جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِهِ أَخْوَانٍ
- ١٠٨٥ - فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ
- ١٠٨٦ - فَكِلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفْسِهِ سَيِّانٍ
- ١٠٨٧ - مَاذَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي النَّفْيِ صَرَفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ؟
- ١٠٨٨ - وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيَ فِي الْبَطْلَانِ

- ١٠٨٩- فَوِرَانُ هَذَا النَّفِيِّ مَا قَدْ قُلْتَهُ حَرْفًا بِحَرْفٍ أَنْتُمْ صِنَوَانِ
 ١٠٩٠- وَالْحَصْمُ يَزْعُمُ أَنَّ مَا هُوَ قَابِلٌ لِكُلِّيهَا فَكَقَابِلٍ لِمَكَانِ
 ١٠٩١- فَافْرُقْ لَنَا فَرْقًا يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الْإِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْبُرْهَانِ
 ١٠٩٢- أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَخَلِّ لِالْفُشْرِ- عَنْكَ وَكَثْرَةَ الْهَدْيَانِ

الشرح

١٠٨٠- وَيُقَالُ أَيضًا: نَفِيُّكُمْ لِقَبُولِهِ لِهَمَّا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ

إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِقَابِلٍ لِهَمَّا، وَالضَّمِيرُ هُنَا يَعُودُ عَلَى كَوْنِهِ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَخَارِجَ الْعَالَمِ، يَعْنِي: لَيْسَ بِقَابِلٍ أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ الْعَالَمِ أَوْ خَارِجَ الْعَالَمِ، وَإِذَا كَانَ لَيْسَ بِقَابِلٍ جَارًا أَنْ نَنْفِيهَا عَنْهُ، فَنَقُولُ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ وَلَيْسَ بِخَارِجٍ، كَمَا يَصِحُّ أَنْ نَقُولَ فِي الْجِدَارِ: لَيْسَ ظَالِمًا وَلَا غَيْرَ ظَالِمٍ، لِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ.

فَنَقُولُ لَهُمْ: إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّهُ لَيْسَ بِقَابِلٍ لِهَمَّا، فَإِنَّ هَذَا يُزِيلُ حَقِيقَةَ الْإِمْكَانِ، يَعْنِي: يَجْعَلُ الشَّيْءَ الْمُمْكِنَ مُسْتَحِيلًا، كَيْفَ ذَلِكَ؟ بَيِّنَ لَهُمُ النَّظِيرَ فَقَالَ:

١٠٨١- بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ فِي الْفِطْرَاتِ وَالْأَذْهَانِ

وَذَلِكَ أَنَّنَا نَسْأَلُ هَذَا الرَّجُلَ الْمُعْطَلَّ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِقَابِلٍ أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ الْعَالَمِ أَوْ خَارِجَهُ، نَسْأَلُهُ: هَلْ قَامَ بِنَفْسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ؟

لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: لَمْ يَقَمْ بِنَفْسِهِ وَلَا بِغَيْرِهِ، لِأَنَّهُ إِنْ قَالَ: لَمْ يَقَمْ بِنَفْسِهِ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا إِلَى الْغَيْرِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ وَصَفَ اللَّهَ بِأَقْبَحِ مِمَّا لَوْ قَالَ: إِنَّهُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ، لِذَلِكَ لَيْسَ لَهُ مَفْرُغٌ، وَهُوَ سُؤَالٌ مُحْرَجٌ.

نَقُولُ له: إذا قُلْتَ: ليس بَقَابِلٍ أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ الْعَالَمِ أَوْ خَارِجَهُ يَجِبُ أَنْ تَقُولَ: ليس بَقَابِلٍ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ بغيرِهِ.
وهذا لا أَحَدَ يَقُولُ به، لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ بغيرِهِ.

ونحن نقول: ما هذا التكلُّفُ وهذا التنطعُ؟ هل الصحابةُ سَلَكَوا هذا الْمَسَلَكُ؟

الجوابُ: لا، ما ناقشوا هذا النقاشَ، لكن علماء السلف - ولا سيما في العصور الوسطى - اضطروا إلى هذا البحث الذي قد يقول القائل: إنه لا ينبغي أن نبحثه في الله عزَّ وجلَّ وأن نَتَكَلَّفَ ونتنطعَ هذا التنطعَ، اضطروا إلى ذلك، لِأَنَّهُمْ ابْتَلَوْا بِقَوْمٍ يَتَكَلَّمُونَ بِمِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ مِنْ أَجْلِ نَفْيِ اللَّهِ حَقِيقَةً، لِأَنَّ حَقِيقَةَ قَوْلِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ إِلَهٌ.

إذا قالوا: (ليس الله بداخل العالم ولا خارجِه) فكلُّ إنسانٍ يفهمُ على فطرته أن الشيء الذي ليس داخل العالم ولا خارجَه شيءٌ معدومٌ، وهم يُخاطِبُونَ النَّاسَ بِعُقُولِهِمْ وَفِطْرِهِمْ، فَإِذَا سَمِعُوا مِثْلَ هَذَا الْكَلَامِ قَالُوا: إِذَنْ لَيْسَ هُنَاكَ رَبٌّ، لِذَلِكَ اضْطَرَّ الْعُلَمَاءُ - كَشَيْخِ الْإِسْلَامِ، وَابْنِ الْقَيِّمِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْعُلَمَاءِ - إِلَى الْخَوْضِ فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَقُولُ: مَا لَنَا وَهَذَا الْبَحْثُ، الَّذِي قَدْ يَكُونُ تَصَوُّرُهُ صَعْبًا فَضْلًا عَنْ إِقْرَارِهِ أَوْ نَفْيِهِ؟

نقول: لأننا إذا ابتلينا لا ينبغي أن نجعل الباطل في الميدان يركُض حيث شاء وينصرف حيث شاء، بل لا بُدَّ أَنْ نَدْخُلَ الْمَعْرَكَةَ حَتَّى يَتَبَيَّنَ الْأَمْرُ.

فهنا - رَحِمَهُ اللَّهُ - يقول: (بَلْ ذَا كُنْفِي قِيَامِهِ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ)، وهذا شيءٌ مستحيلٌ، لا يمكن لأحد أن يقول: إنَّ الله ليس بقائم بنفسه ولا بغيره.

١٠٨٢- فَإِذَا الْمُعْطَلُ قَالَ: إِنَّ قِيَامَهُ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بُطْلَانٍ

١٠٨٣- إِذْ لَيْسَ يَقْبَلُ وَاحِدًا مِنْ ذَيْنِكَ أَلْ أَمْرَيْنِ إِلَّا وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

إذا قال: (إِنَّ قِيَامَهُ بِالنَّفْسِ أَوْ بِالْغَيْرِ ذُو بُطْلَانٍ) يَعْنِي: معناه أننا لا يمكن أن نقول: إنه قائمٌ بالغير، لأنَّ هذا أمرٌ معلومُ البطلان، إذ إنَّ اللهَ غَنِيٌّ عن كُلِّ أَحَدٍ، ولو قُلْنَا: إنه قائمٌ بغيره، لَزِمَ أَلَّا يَصِحَّ أَنْ يَكُونَ رَبًّا، لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْهُ - إِذَا كَانَ قَائِمًا بِغَيْرِهِ - أَنْ يَكُونَ مُحْتَاجًا لِذَلِكَ الْغَيْرِ، بَلْ وَأَنْ يَكُونَ مَسْبُوقًا بِذَلِكَ الْغَيْرِ، لِأَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَيْهِ.

١٠٨٤- جِسْمٌ يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَيْضًا كَذَا عَرَضٌ يَقُومُ بِغَيْرِهِ أَحْوَانٍ

١٠٨٥- فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ مَا كَانَ فِيهِ حَقِيقَةُ الْإِمْكَانِ

يقول: إِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي يَقُومُ بِنَفْسِهِ جِسْمٌ، وَالَّذِي يَقُومُ بِغَيْرِهِ عَرَضٌ، فَالطَّوْلُ وَالْقِصْرُ وَالصَّحَّةُ وَالْمَرَضُ هَذِهِ تَقُومُ بِالْغَيْرِ، فَهِيَ عَرَضٌ، وَالذَّاتُ هَذِهِ جِسْمٌ.

فَإِذَا قُلْتَ: إِنَّهُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ شَبَّهَتْهُ بِالْجِسْمِ، وَإِنْ قُلْتَ: إِنَّهُ غَيْرُ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ شَبَّهَتْهُ بِالْعَرَضِ.

هم يقولون: إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَجْسَامِ وَالْأَعْرَاضِ، لَا تَقُلْ: (إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ) وَلَا تَقُلْ: (إِنَّهُ عَرَضٌ)، وَلَا تَصِفْهُ بِالصِّفَاتِ الَّتِي تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا أَوْ عَرَضًا عَلَى زَعْمِهِمْ، فَلهَذَا نَفَى الْجِسْمَ عَنْهُمْ وَنَفَى الْعَرَضَ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ أَمْرٌ مُمْكِنٌ، لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ لِذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «فِي حُكْمِ إِمْكَانٍ» أَي: إِنَّ هَذَا مُمْكِنٌ، وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، أَي مُمْكِنٌ أَنْ يَقُومَ بِغَيْرِهِ أَوْ بِنَفْسِهِ وَلَيْسَ بِوَاجِبٍ، أَي: أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نُنْفِيَ الْأَمْرَيْنِ عَنْهُ.

ولكننا نقول: الواقع أنه يجب أن يكون إمّا قائمًا بنفسه، وإمّا قائمًا بغيره، وليس في ذلك محيدٌ، فكذلك أيضًا نقول: بالنسبة لكونه داخل العالم أو خارجه، لا بُدَّ من أحد الأمرين: إمّا داخلٌ وإمّا خارجٌ، وإمّا الأمر الثالث وهو: أن يكون هو عين الخلق، واسلك مسلك أهل وحدة الوجود.

١٠٨٦- فِكَلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفْسِهِ سَيَّانِ

إذَنْ صار الخِطَابُ مع قومٍ يقولون: (إنَّه لا قائمٌ) على تقدير قول مَنْ يقول: (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره).

نقول لهم: إنَّ هذا يساوي تمامًا قول القائل: (لا داخل العالم ولا خارجه)، فإذا كان يستحيلُ ألا يكون قائمًا بنفسه أو بغيره، فيستحيلُ ألا يكون داخل العالم ولا خارجه، يعني: لا بُدَّ أن يكون قائمًا بنفسه أو بغيره، وإذا كان كذلك فلا بُدَّ أن يكون داخل العالم أو خارجه، فهذه كهذه.

فيكون قَوْلُهُ: «فِكَلَاكُمَا» يشيرُ إلى الذي يقول: (لا داخل العالم ولا خارجه)، والذي يقول: (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره)، مع أنه لا أحد من الجهميَّة والمعتزلة الذين يُنكرون الأوَّل يقولون: (إنَّ الله قائمٌ بنفسه)، ويقولون: مستحيلٌ أن نقول: (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره).

فنقول: إذا جعلتُم هذا مستحيلًا فاجعلوا الثاني -وهو: (لا داخل ولا خارج) - مستحيلًا، وإذا جعلتم (لا داخل العالم ولا خارجه) ممكنًا، فاجعلوا (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره) ممكنًا، ولهذا قال:

١٠٨٦- فِكَلَاكُمَا يَنْفِي الْإِلَهَ حَقِيقَةً وَكِلَاكُمَا فِي نَفْسِهِ سَيَّانِ

١٠٨٧- مَاذَا بَرُدُّ عَلَيْهِ مَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي النَّفْسِ صَرَفًا إِذْ هُمَا عِدْلَانِ؟

صحيح، يعني: يُقال لِمَنْ قال: (لا داخل العالم ولا خارجه)، ماذا تُردُّ على مَنْ قال: (لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره)؟

لا يُمكنُ أن تُردَّ عليه أبداً، لأنك إذا رددت عليه قال لك: إن كان ما أقولُ مستحيلاً، فكذلك ما تقوله أنت مستحيلٌ.

١٠٨٨- وَالْفَرْقُ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ لَكَ بَعْدَمَا ضَاهَيْتَ هَذَا النَّفْيَ فِي الْبُطْلَانِ

١٠٨٩- فَوِزَانُ هَذَا النَّفْيِ مَا قَدْ قُلْتَهُ حَرْفًا بِحَرْفٍ أَنْتُمْ صِنَوَانِ

صار الكلام أن نشبك بين هؤلاء وهؤلاء، يعني: بين مَنْ يقولون: إنه يُمكنُ أن يكونَ لا داخل العالم ولا خارجه، وبين مَنْ يقول: لا يُمكنُ أن نقول: إنه لا قائمٌ بنفسه ولا بغيره.

١٠٩٠- وَالْحُضْمُ يَزْعُمُ أَنَّ مَا هُوَ قَابِلٌ لِكُلِّيهَا فَكَقَابِلٍ لِمَكَانِ

قَوْلُهُ: «الْحُضْمُ» يعني به أهل السنَّة الذين يقولون: إن ما هو قابلٌ لكليهما فكقابلٌ لمكان، ونحن نقول: إنه يقبلُ المكانَ أو لا يقبل؟

الجواب: يقبلُ، فاللهُ تعالى في مكان، وهو فوقَ كُلِّ شيءٍ، لكنَّهُ ليس مكاناً محيطاً به.

١٠٩١- فَافْتَرَقْنَا فَرَقًا يُبَيِّنُ مَوَاقِعَ الْإِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْبُرْهَانِ

يعني: يُبينُ أن هذا ممكنٌ وهذا غيرُ ممكن.

١٠٩٢- أَوْ لَا فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيهَا وَخَلِّ لِنِ الْفُشْرِ- عَنكَ وَكثْرَةَ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يعني: لا تفرِّقْ فأعطِ القوسَ باريها.

قَوْلُهُ: «فَأَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا» وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ للشخص الذي لا يُحْسِنُ الشيءَ، فيقال له: (أَعْطِ الْقَوْسَ بَارِيَهَا)، لأنَّ بَارِي الْقَوْسِ الذي يَبْرَاهَا وَيَصْنَعُهَا أَعْلَمُ بِهَا.

قَوْلُهُ: «وَخَلَّ الْقَشْرَ عَنكَ وَكَثْرَةَ الْهَدْيَانِ»: الفشر: الكلامُ اللغو الذي ليس فيه فائدةٌ، فكلامُك إِذَنْ لغوٌ.

خلاصةُ هذا الفصلِ كُلُّهُ: أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ يريدُ أَنْ يُلْزِمَ نَفَاةَ الْعُلُوِّ بالقولِ بِالْعُلُوِّ، لِأَنَّهُ يَقُولُ لَهُم: أَمَامَكُمْ ثَلَاثَةٌ اِحْتِمَالَاتٍ: إمَّا أَنْ يَكُونَ دَاخِلَ الْعَالَمِ، أَوْ خَارِجَ الْعَالَمِ، أَوْ هُوَ الْعَالَمُ بَعَيْنِهِ، ليس فيه خروجٌ عن هذه الثلاثة.

هم لا يمكنُ أَنْ يقولوا: إنه هو نفسُ العالمِ، لِأَنَّهُمْ يُكْفِرُونَ مَنْ يَقُولُ بِذَلِكَ.

نقولُ: إِذَنْ يُلْزِمُكُمْ أَنْ يَكُونَ إمَّا دَاخِلًا، وَإِمَّا خَارِجًا.

هم يقولون: لا دَاخِلٌ ولا خَارِجٌ، نَقُولُ: لا يمكنُ هذا، فلا يمكنُ أَنْ

تَرْفَعُوا الدخولَ والخروجَ.

فيقولون: إِنَّ ذَلِكَ ممكنٌ، لِأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ قَابِلٍ لَهُذَيْنِ الوصفَيْنِ، وما كان غيرَ

قَابِلٍ صَحَّ نَفْيُهُمَا عنه، كما تقول: (الجِدَارُ لا يَظْلِمُ ولا يَعْدِلُ) تنفي عنه النَّقِيزَيْنِ، لِأَنَّهُ غَيْرُ قَابِلٍ.

بماذا تَرُدُّ عليهم؟ تَرُدُّ عليهم بثلاثةِ أوجهٍ كما قال ابنُ القَيْمِ:

الوجه الأول: قولكم: (إِنَّ النَفْيَ والإِثْبَاتَ إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا كَانَ قَابِلًا)، هذه

دعوى مُجَرَّدَةٌ، لِأَنَّ اللَّهَ -سبحانه وتعالى- نَفَى الحَيَاةَ وَأَثَبَتَ الموتَ للجِهادِ، وذلك

في الأصنامِ التي تُعْبَدُ، والجِهادُ ليس قابلاً للحياةِ التي هي حياةُ الحَيوانِ، ومع ذلك

نَفَى اللَّهُ عنه الحَيَاةَ وَأَثَبَتَ الموتَ، كما قال تعالى: ﴿أَمَوْتُ غَيْرَ أَحْيَاءٍ﴾ [النحل: ٢٠]،

ونفى الشعور مع أن الجماد غير قابل للشعور.

كذلك أيضًا نفى - سبحانه وتعالى - عن نفسه الموت: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وهو في حقه مستحيل، فالله لا يقبل الموت، وكذلك النوم والسنة والظلم، مع أن الظلم عندكم محال لذاته، ومع ذلك نفاه الله عن نفسه، فنفى الله الشيء عما ليس قابلاً له.

الوجه الثاني: أن نقول: إن صحَّ هذا فيما ذكرتم من الموت، والسمع، والبصر، والأشياء التي لا يتصّفُ بها إلا ما له حياة حيوانية، فإنه لا يصحُّ في النقيضين، وما هما النقيضان؟ الجواب: اللذان لا يجتمعان، ولا يرتفعان.

فأنتم نفيتم الدخول والخروج، وهما نقيضان، لأن ما ليس بداخل فهو خارج قطعاً، فهما نقيضان كالوجود والعدم، فما ليس بموجود فهو معدوم، وهذا باتفاق العقلاء.

الوجه الثالث: أن نقول: نفيتم للدخول والخروج كنفيتم من يقول: إنه ليس قائماً بنفسه ولا غيره على حدٍّ سواء، وأنتم تقولون: إنه قائم بنفسه، فإذا نفيتم أنه لا داخل العالم ولا خارجه، فهو كقول من قال بنفي قيامه بنفسه وقيامه غيره، إذن فأنتم سواء.

حينئذٍ نقول: إن الله تعالى قابل لأن يكون فوق العالم أو مع العالم، لكن مع العالم مستحيل، فتعيّن أن يكون فوق العالم، كما تعيّن أن يكون قائماً بنفسه، ولا فرق، فأنتم إن أتيتم لنا بفرقٍ فحسن، وإلا فأعطوا القوسَ باريها، نحن عندنا الفرق، ونقول: إن الله تعالى خارج العالم، وهو - سبحانه وتعالى - فوق كلِّ شيء، وإنه قائم بنفسه.

فالنتيجة الآن: أنه سَيُلزَمُ بالإقرارِ بأنه خارجُ العالمِ، وإذا أثبتَ أنه خارجُ العالمِ يُلزَمُه أن يقولَ بالعلوّ، لأنَّ ما سِوَى العُلُوِّ فهو صفةٌ نقصٍ، وهو يُقرُّ بأنَّ اللهَ مُنزَّهُ عن النقصِ.

وبذلك نردُّ عليهم جميعَ شُبُههم التي يدعونها معقولاتٍ، وهي مجهولاتٌ في الواقعِ.

أنا أكرر وأقول: إنَّ الإنسانَ قد يقول: لا حاجةَ لهذه المباحثِ، وهو حقيقة بالنسبة للعالميِّ، فما نقرؤه عليه من هذا الفصل من النونية ونشرحه لو فعلنا ذلك لرميناه ببحرٍ لا ساحلَ له، ولا يستطيعُ أن يُخرَجَ أبداً، لأنَّهُ لم يتعلَّم، فيغرق، لكن طلبه العلمُ يُمكنُ أن يقرؤوا مثلَ هذه المباحثِ، لِأَنَّهَا شَيْءٌ وَقَعَ.

فصل

في سياق هذا الدليل على وجه آخر

- ١٠٩٣- وَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ مَسَائِلِ خَمْسَةٍ تُرَدِّي قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
- ١٠٩٤- قُلْ لِلْمُعْطَلِّ: هَلْ تَقُولُ: إِلَهَنَا أَلَمْ مَعْبُودٌ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ؟
- ١٠٩٥- فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَلِكَ مُعْطَلٌّ لِلرَّبِّ حَقًّا بَالِغُ الْكُفْرَانِ
- ١٠٩٦- وَإِذَا أَقْرَبَ بِهِ فَسَأَلَهُ ثَانِيًا أَتَرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ؟
- ١٠٩٧- فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهَا مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ
- ١٠٩٨- فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ
- ١٠٩٩- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ وَهُمْ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانِ
- ١١٠٠- هُمْ خَصَّصُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأُمِّهِ وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانِ
- ١١٠١- وَإِذَا أَقْرَبَ بِأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى عِبْدٌ وَمَعْبُودٌ هُمَا شَيْئَانِ
- ١١٠٢- فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ؟ هُنَا أَمْرَانِ
- ١١٠٣- وَإِذَا أَقْرَبَ بِوَأَحِدٍ مِنْ دِينِكَ أَلَمْ أَمْرَيْنِ قَبْلَ خَدِّهِ النَّصْرَانِي
- ١١٠٤- وَيَقُولُ: أَهَلَّا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا حُشْدًا شَنَا وَحَبِيبُنَا الْحَقَّانِي
- ١١٠٥- وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ إِذَنْ هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ؟

- ١١٠٦- فَلِذَٰكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِأَلِ
أَعْيَانٍ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ
١١٠٧- فَإِذَا أَقْرَرَ وَقَالَ: بَلْ هُوَ قَائِمٌ
بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ: ذَاتَانِ
١١٠٨- بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا
مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ
١١٠٩- وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ
لَوْ لَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ
١١١٠- ضِدَّيْنِ أَوْ مِثْلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَمَا
نَا، بَلْ هُمَا لَا شَكَّ مُتَّحِدَانِ
١١١١- فَلِذَٰكَ قُلْنَا: إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ
بِالِاتِّحَادِ يَقُولُ بَلْ بَابَانِ
١١١٢- نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَى
نُقْطِ لَكُمْ كَمُعَلِّمِ الصَّبِيَّانِ

الشرح

في هذا الفصل أراد المؤلف -رحمه الله- أن يستدل على علو الله عز وجل بنفس الدليل العقلي، لكن على وجه آخر، يقول:

١٠٩٣- وَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ مَسَائِلِ خَمْسَةِ تُرْدِي قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
قَوْلُهُ: «تُرْدِيهَا» أَي: تُتْلَفُهَا.

قَوْلُهُ: «مِنَ الْأَرْكَانِ» أَي: مِنَ الْأَصْلِ، وَالشَّيْءُ إِذَا تَرَدَّى مِنْ أَرْكَانِهِ فَإِنَّ فُرُوعَهُ تَبَعٌ لِأَرْكَانِهِ فَتَنْهَدُ.

١٠٩٤- قُلْ لِلْمُعْطَلِّ: هَلْ تَقُولُ: إِلَهِنَا أَلَمْ
مَعْبُودٌ حَقًّا خَارِجَ الْأَذْهَانِ؟

يعني: اسأله هل الله عز وجل خارج الأذهان أو لا؟ إمّا أن يقول: إنه خارج الأذهان، أو داخل الأذهان.

١٠٩٥- فَإِذَا نَفَى هَذَا فَذَلِكَ مُعْطَلٌ لِلرَّبِّ حَقًّا بَالِغُ الْكُفْرَانِ

ماذا نفى؟ الجواب: قال: إنه ليس خارج الأذهان، يقول: (فذالك مُعْطَلٌ لِلرَّبِّ) يَعْنِي: إذا نفى هذا، وقال: لا أقول: إنه خارج الأذهان، فإنه يكون مُعْطَلًا لِلرَّبِّ، لأن هذا هو إنكارُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

١٠٩٦- وَإِذَا أَقْرَبَهُ فَسَلُّهُ ثَانِيًا أَتْرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَقْرَبَهُ» يَعْنِي: قال: إنه خارج الأذهان، يَعْنِي: إنه موجودٌ، (فَسَلُّهُ ثَانِيًا أَتْرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ)؟ يَعْنِي: هل تعتقد أنه غيرُ الأَكْوَانِ أم هو الأَكْوَانِ؟

في الأوَّل: خاطبناه بأنه هل يراه في الذهن أو لا؟ فإذا قال: لا يوجد ولا في الذهن، فهذا مُعْطَلٌ لا شك، وإذا قال: يوجد في الذهن نسأله ثانيًا: (أَتْرَاهُ غَيْرَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ)؟

١٠٩٧- فَإِذَا نَفَى هَذَا وَقَالَ بِأَنَّهُ هُوَ عَيْنُهَا مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا نَفَى» ماذا نفى؟ نفى أن يكون غير الأَكْوَانِ، وإذا نفى أن يكون غير الأَكْوَانِ مع إقراره بوجوده عينًا تَعَيَّنَ أن يكون هو الأَكْوَانِ.

قَوْلُهُ: «مَا هَا هُنَا غَيْرَانِ» يَعْنِي: قال: ما هَا هُنَا رَبٌّ ومربوب.

١٠٩٨- فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَقَدْ ارْتَدَى بِالِاتِّحَادِ مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ» يَعْنِي: إذا قال: إِنَّ الرَّبَّ هُوَ عَيْنُ الْمَرْبُوبِ، فقد ارتدى بالاتحاد مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ جَا حِدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ.

فمضى الآن سؤالان:

السؤال الأول: هل هو في الذهن أو لا؟

السؤال الثاني: أن يكون موجودًا، لكن هل هو نفس المخلوق أو غيره؟ إذا قال: إنه عين المخلوق، يَقُولُ: (فقد ارتدى بالاتِّحَادِ مُصَرِّحًا بِالْكَفْرِ جاحدَ رَبِّهِ الرَّحْمَنِ).

١٠٩٩- حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ وَهُمْ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانَ

قَوْلُهُ: «حَاشَا النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَهُ» يَعْنِي: يُنَزِّهُ النَّصَارَى أَنْ يَكُونُوا مِثْلَ هَذَا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ النَّصَارَى قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي الْمَسِيحِ فَقَطْ، وَهَذَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي كُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ حَتَّى فِي الْحَيَوَانِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

قَوْلُهُ: «وَهُمُ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانَ» وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ حَمِيرٌ، لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ هَذَا، لِأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الصَّلِيبَ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ، وَلَوْ كَانُوا عَقْلَاءَ لَكَانَ يَجِبُ أَنْ يَكْسِرُوا الصَّلِيبَ، لِأَنَّهُ صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ.

كَيْفَ تُعْظَمُونَ الصَّلِيبَ وَقَدْ صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ؟! وَلَكِنْ هَذَا لِبِلَادَتِهِمْ وَضَلَالِهِمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فَهَمْ يَغْلِبُ عَلَيْهِمُ الضَّلَالُ وَالْجَهْلُ، كَالْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا وَلَا يَنْتَفِعُ مِنْهَا.

فَلِضَلَالِهِمْ وَبِلَادَتِهِمْ صَارُوا يَعْبُدُونَ الصَّلِيبَ الَّذِي صُلِبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ، أَدْنَى وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ لَهُ عَقْلٌ إِذَا وَجَدَ الْحِجْرَةَ الَّتِي حُبِسَ فِيهَا صَدِيقُهُ مَاذَا يَفْعَلُ؟ الْجَوَابُ: يَهْدِمُهَا، لَكِنْ هُوَ لَاءَ قَالُوا: لَا، بَلْ نَعْبُدُ الصَّلِيبَ.

إِذْ نَ اسْتَحَقُّوا الْوَصْفَ الَّذِي وَصَفَهُمْ بِهِ ابْنُ الْقَيْمِ وَهُوَ (الحمير)، وَإِنَّمَا كَانُوا كَذَلِكَ لِبِلَادَتِهِمْ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

وأنت تتعجب من هذه العقول، ذكاء بلا زكاء، ليس عندهم عقل، وإلا لو تأملوا قليلاً لقالوا: كيف يكون عيسى - عليه الصلاة والسلام - رباً وإلهاً، ثم يُقتل، ثم يُصلب، ثم يُعبد الصليب الذي صلب عليه؟! ولهذا يقول: (وَهُمُ الْحَمِيرُ وَعَابِدُو الصُّلْبَانَ).

وكان من الوفاء له - لو كانوا صادقين - أن يكسروا الصليب إذا رأوه، لأنه صلب عليه نبيهم - عليه الصلاة والسلام - كما يزعمون، وهذا الصليب الذي يدعون أن المسيح صلب عليه قد كذبه الله تعالى في القرآن، فقال: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ سُبُّهُ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٨]، لكن تنزلاً معهم وما يعتقدون في نبيهم - عليه الصلاة والسلام - نقول: كيف تعبدون الصليب وقد صلب عليه نبيكم؟! كان أجدر بكم أن تكسروا الصليب إذا رأيتموه، لا أن تعبدوه!

أما نحن فعقيدتنا في المسيح عيسى بن مريم: أنه عبد الله ورسوله، وأنه آية من آيات الله عز وجل هو وأمه، لأنها حملت بلا زوج، وخلق بلا أب، وتكلم في المهدي، ورفع إلى السماء وهو حي، وهو باقٍ إلى أن ينزل في آخر الدنيا.

ونؤمن بأنه ما قُتل وما صلب، بل رفعه الله إليه، وسينزل في آخر الزمان يحكم بشريعة النبي ﷺ إلا في الجزية، فإنه لا يقبل الجزية، فلا يقبل إلا الإسلام قال ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا فَيَكْسِرَ الصُّلْبَ وَيَقْتُلَ الْخَنزِيرَ وَيَبْضَعَ الْجَزِيَّةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ

أَحَدٌ»^(١). وليس هذا ابتداءً شريعة، وَلَكِنَّهُ تَقْرِيرٌ لَشَرِيعَةٍ أُخْبِرَ بِهَا الرَّسُولُ ﷺ، فَكَأَنَّ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يَقُولُ: سَتُقْبَلُ الْجِزْيَةُ إِلَّا إِذَا نَزَلَ عَيْسَى.

هذا هو حَاصِلُ الكَلَامِ عَلَى عَيْسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَمَا يَعْتَقِدُهُ الْمُسْلِمُونَ فِيهِ.

١١٠٠ - هُمْ خَصَّصُوهُ بِالْمَسِيحِ وَأُمِّهِ وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانٍ
قَوْلُهُ: «هُمْ خَصَّصُوهُ» أَي: خَصَّصُوا اللَّهَ.

قَوْلُهُ: «وَأَوْلَاءِ مَا صَانُوهُ عَنْ حَيَوَانٍ» يَعْنِي: قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- هُوَ كُلُّ شَيْءٍ: هُوَ الْمَرْأَةُ، وَالرَّجُلُ، وَالْفَرَسُ، وَالْبَعِيرُ، وَالْحِمَارُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- وَغَيْرَ ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ هُوَ عَيْنُ الْوُجُودِ.

١١٠١ - وَإِذَا أَقْرَبَ بَأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى عَبْدٌ وَمَعْبُودٌ هُمَا شَيْئَانِ
قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَقْرَبَ بَأَنَّهُ غَيْرُ الْوَرَى» هَذَا هُوَ السُّؤَالُ الثَّلَاثُ، إِذَا قَالَ: أَنَا لَا أَقُولُ: إِنَّهُ عَيْنُ الْخَلْقِ، بَلْ هُوَ غَيْرُهُ، قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ:

١١٠٢ - فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ؟ هُنَا أَمْرَانِ
قَوْلُهُ: «فَاسْأَلْهُ هَلْ هَذَا الْوَرَى فِي ذَاتِهِ؟» فَيَكُونُ الْخَلْقُ حَالًّا فِي ذَاتِ اللَّهِ؟!
قَوْلُهُ: «أَمْ ذَاتُهُ فِيهِ» يَعْنِي: ذَاتِ اللَّهِ فِي الْخَلْقِ.

يعني: هل الخالق حل في المخلوق؟ أو المخلوق حل في الخالق؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب كسر الصليب وقتل الخنزير، برقم (٢٣٤٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى -عليه السلام-، برقم (١٥٥).

١١٠٣- وَإِذَا أَقْرَبَ بَوَاحِدٍ مِنْ ذَيْنِكَ أَلْ أَمْرَيْنِ قَبَّلَ خَدَّهُ النَّصْرَانِي

قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَقْرَبَ بَوَاحِدٍ مِنْ ذَيْنِكَ الْأَمْرَيْنِ» مَا الْأَمْرَانِ؟ إِذَا قَالَ: إِنَّ الْخَالِقَ حَلَّ فِي الْمَخْلُوقِ، أَوْ قَالَ: الْمَخْلُوقُ حَلَّ فِي الْخَالِقِ.

فهذا يقول: (قَبَّلَ خَدَّهُ النَّصْرَانِي)، وذلك تعظيماً له، لِأَنَّهُ مِثْلُهُ، وَافَقَهُ عَلَى حُلُولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عَيْسَى وَأُمَّه.

١١٠٤- وَيَقُولُ: أَهْلًا بِالَّذِي هُوَ مِثْلُنَا خُشِدَاشُنَا وَحَبِيبُنَا الْحَقَّانِي

قَوْلُهُ: «خُشِدَاشُنَا» الظاهر أنها كلمة أعجمية، لكن معناها -والله أعلم- أنه ناصِرنا وولينا.

قَوْلُهُ: «حَبِيبُنَا الْحَقَّانِي» يَعْنِي: الْحَبِيبَ حَقًّا.

والمعنى أن مَنْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَارَ حَبِيبًا لَهُمْ، غَالِيًا عَلَيْهِمْ، يُرْحَبُونَ بِهِ.

١١٠٥- وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ إِذَنْ هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ؟

١١٠٦- فَلِذَاكَ قَامَ بِنَفْسِهِ أَمْ قَامَ بِالْ أَعْيَانِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ» مَا هُمَا الْأَمْرَانِ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَجَلَّ فِي الْوَرَى، وَلَمْ يَجَلَّ الْوَرَى فِي ذَاتِهِ.

قَوْلُهُ: «فَاسْأَلْهُ» أَي: اسْأَلْهُ هَلْ قَامَ بِنَفْسِهِ أَوْ قَامَ بِغَيْرِهِ؟

نحن وصلنا الآن -بعد المنازلة- إلى مرحلة أنه ذاتٌ مُنفردةٌ خارجُ الأكوانِ، نَسْأَلُهُ الْآنَ هَلْ قَامَ بِنَفْسِهِ أَوْ قَامَ بِغَيْرِهِ؟ وَهَذَا قَالَ: (وَإِذَا نَفَى الْأَمْرَيْنِ فَاسْأَلْهُ هَلْ ذَاتُهُ اسْتَعْنَتْ عَنِ الْأَكْوَانِ؟)، وَهَذَا عِبَارَةٌ عَنْ أَنَّهُ قَامَ بِنَفْسِهِ.

قَوْلُهُ: «أَمْ قَامَ بِالْأَعْيَانِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ» الأعراض تقوم بالأعيان، فالمرص مثلًا هذا عرض يقوم بعين، واللون كالبياض والسواد عرض أيضًا يقوم بعين.

١١٠٧- فَإِذَا أَقْرَرَ وَقَالَ: بَلْ هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ فَاسْأَلْهُ وَقُلْ: ذَاتَانِ

١١٠٨- بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ أَخْبِرْنِي هُمَا مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ

إذا قال: إنه قائم بنفسه، فقل له: هما ذاتان الآن: خالق ومخلوق.

قَوْلُهُ: «بِالنَّفْسِ قَائِمَتَانِ» أي: كُلُّ وَاحِدٍ انْفَصَلَ عَنِ الْآخِرِ وَبَيَّنَ الْآخَرَ، فَاسْأَلْهُ: هَلْ هُمَا مِثْلَانِ أَوْ ضِدَّانِ أَوْ غَيْرَانِ؟

طبعًا: لن يقول: إنها مثلان، لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَطَّلَ الصِّفَاتِ خَوْفًا مِنَ التَّمْثِيلِ.

وهل يقول: إنها ضِدَّانِ؟ الْجَوَابُ: قد يقول، وقد لا يقول، لأنَّ الضدَّ هو الذي يُجَالِفُ ضِدَّهُ، ولكن رُبَّمَا يَرْتَفِعَانِ، وهنا الارتفاع غير ممكن، لأنَّ هنا خالقًا ومخلوقًا، لا يمكنُ أَلَّا يُوجَدَ خَالِقٌ وَلَا مَخْلُوقٌ بخلافِ الضدَّيْنِ.

وهل هما غَيْرَانِ؟ الْجَوَابُ: نعم، كُلُّ مَا سَبَقَ يَدُلُّنَا عَلَى أَنَّ الْخَالِقَ غَيْرُ الْمَخْلُوقِ.

١١٠٩- وَعَلَى التَّقَادِيرِ الثَّلَاثِ فَإِنَّهُ لَوْلَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ

يعني: حتى إن قلت: مثله، أو ضده، أو غيره، فلا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُبَايِنًا لَهُ، لِأَنَّ مِثْلَ الشَّيْءِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ إِيَّاهُ مَا صَحَّ أَنْ نَقُولَ: مِثْلُهُ، وَضِدُّ الشَّيْءِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ أَيْضًا، وَغَيْرُ الشَّيْءِ مُنْفَصِلٌ عَنْهُ أَيْضًا، فَإِذَنْ لَوْلَا التَّبَايُنُ لَمْ يَكُنْ شَيْئَانِ.

١١١٠- ضِدِّينِ أَوْ مِثْلَيْنِ أَوْ غَيْرَيْنِ كَا نَا، بَلْ هُمَا لَا شَكَّ مُتَّحِدَانِ

يعني: أنه لو لم يكن تباين، للزم الاتحاد، وعدنا إلى الأول، وهدمنا كل ما سبق من قولنا: إنه عين قائم بنفسه، منفصل عن المخلوق، مباين له.

١١١١- فَلِذَاكَ قُلْنَا: إِنَّكُمْ بَابٌ لِمَنْ بِالِاتِّحَادِ يَقُولُ بَلْ بَابَانِ

مُحَاطِبُ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ، لَأَنَّ لَازِمَ إِنْكَارِهِمْ أَنْ يَقُولُوا فِي النِّهَايَةِ: إِنَّهُمَا مُتَّحِدَانِ، وَحِينَئِذٍ يَفْتَحُونَ الْبَابَ لِأَهْلِ الْإِتِّحَادِ، بَلْ يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: بَابَانِ.

١١١٢- نَقَطْتُمْ لَهُمْ وَهُمْ خَطُّوا عَلَى نَقَطِ لَكُمْ كَمُعَلِّمِ الصَّبِيَانِ

المُعَلِّمُ إِذَا أَرَادَ مِنَ الطَّالِبِ أَنْ يُحِطَّ خَطًّا مُسْتَقِيمًا، فَإِنَّهُ يَضَعُ نُقْطَةً، وَنَقِطَتَيْنِ، وَثَلَاثًا، وَأَرْبَعًا... إِلَى نِهَايَةِ الْوَرَقَةِ، ثُمَّ يَقُولُ: (خُطَّ)، حِينَئِذٍ يَكُونُ (خُطَّهُ) مُسْتَقِيمًا، لَكِنْ لَوْ قَالَ: (خُطَّ) بَدُونَ أَنْ يُنْقَطَ لَهُ، مَا اسْتَطَاعَ، لِأَنَّهُ يَكُونُ مُعْوَجًّا.

على كل حال يقول ابن القيم -رحمه الله-: أنتم إذا لم تقولوا بمباينة الخالق للمخلوق وعلوه، لا بد أن تقعوا في الاتحاد، وتقولوا: إنه هو والمخلوق شيء واحد، وحينئذ تكونون فتحتم الأبواب لأهل وحدة الوجود.

وصحيح أن المعطلة يفتحون الأبواب لأهل وحدة الوجود، ومن ذلك ما سبق لنا في (الكلام)، حيث قالوا: إن كلام الله مخلوق، فإذا قالوا: مخلوق، لزم أن نقول: كل كلام مخلوق فهو كلام الله.

فصل

في الإشارة إلى الطرق النقلية الدالة على أن الله تعالى فوق سماواته على عرشه

- ١١١٣ - وَلَقَدْ آتَانَا عَشْرُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْ
مَنْقُولِ فِي فَوْقِيَةِ الرَّحْمَنِ
- ١١١٤ - مَعَ مِثْلِهَا أَيْضًا تَزِيدُ بِوَاحِدٍ
هَذَا نَحْنُ نَسْرُدُهَا بِلَا كِتْمَانٍ
- ١١١٥ - مِنْهَا اسْتِوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي
سَبْعِ آتَتْ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
- ١١١٦ - وَلِذَلِكَ أَطْرَدَتْ بِلَا لَامٍ وَلَوْ
كَانَتْ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْأَذْهَانِ
- ١١١٧ - لِأَنَّتِ بِهَا فِي مَوْضِعٍ كَيْ يُحْمَلَ الْ
بَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي
- ١١١٨ - وَنَظِيرٌ ذَا إِضْمَارُهُمْ فِي مَوْضِعٍ
حَمَلًا عَلَى الْمَذْكَورِ فِي التَّبْيَانِ
- ١١١٩ - لَا يُضْمَرُونَ مَعَ أَطْرَادٍ دُونَ ذِكْرِ
رِ الْمُضْمَرِ الْمَحْدُوفِ دُونَ بَيَانِ
- ١١٢٠ - بَلْ فِي مَحَلِّ الْحَذْفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ
فَإِذَا هُمْ أَلْفُوهُ إِفْ لِسَانِ
- ١١٢١ - حَذْفُوهُ تَخْفِيفًا وَإِيجَازًا فَلَا
يَخْفَى الْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ
- ١١٢٢ - هَذَا وَمِنْ عَشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ النَّ
تَفْسِيرُ بِ (اسْتَوْلَى) لِذِي الْعِرْفَانِ
- ١١٢٣ - قَدْ أَفْرَدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامِ هـ
ذَا الشَّأْنِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَّانِيِّ

الشرح

هذا الفصل أشار المؤلف فيه إلى الطرق النقلية الدالة على علو الله عز وجل،

وَالْفَضْلَانِ السَّابِقَانِ فِيهَا الْأَدْلَةُ الْعَقْلِيَّةُ.

الأدلة النقلية: ما كان منشؤه النقل من كتاب، أو سنة، أو قول صحابي، أو إمام من الأئمة، يقول -رحمه الله-:

١١١٣ - وَلَقَدْ أَنَا عَشْرُ أَنْوَاعٍ مِنَ الْمَنْقُولِ فِي فَوْقِيَةِ الرَّحْمَنِ

١١١٤ - مَعَ مِثْلِهَا أَيْضًا تَزِيدُ بِوَاحِدٍ هَا نَحْنُ نَسْرُدُهَا بِلَا كِتْمَانٍ

فيكون الجميع واحدًا وعشرين نوعًا.

قوله: «ها نحن نسردُها بلا كتمان» جزاء الله خيرًا، يسردُها بيانًا للحق، وإظهارًا له.

١١١٥ - مِنْهَا اسْتِوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي سَبْعِ أَنْتِ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

قوله: «منها» أي: من هذه الأنواع.

والاستواء ذكره الله عزَّ وجلَّ في سبعة مواضع من القرآن: في سورة الأعراف، وفي سورة يونس، وفي سورة الرعد، وفي سورة طه، وفي سورة الفرقان، وفي سورة السجدة، وفي سورة الحديد.

سبعة مواضع ذكرها الله كُلُّهَا بلفظ: (استوى على العرش) (١).

١١١٦ - وَلِذَلِكَ أَطْرَدْتُ بِلَا لَامٍ وَلَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْأَذْهَانِ

١١١٧ - لِأَنَّ فِي مَوْضِعِ كَيِّ يُحْمَلُ الْبَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي

قوله: «وَكَذَلِكَ أَطْرَدْتُ بِلَا لَامٍ» يَعْنِي: أَنَّ السَّبْعَةَ كُلُّهَا أَتَتْ بِ(استوى)،

(١) المواضع كلها استوى على العرش، لكن اللفظ الذي في سورة طه: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

ولم تأت باللام، يَعْنِي: لم يَقُلْ في موضعٍ منها: (استولى على العرشِ)، بل قال: (استوى على العرشِ).

قَوْلُهُ: «وَلَوْ كَانَتْ بِمَعْنَى اللَّامِ فِي الْأَذْهَانِ لَأَتَتْ بِهَا فِي مَوْضِعٍ» يَعْنِي: لو كانت (استوى) بمعنى (استولى) لَأَتَتْ بِهَا في موضعٍ، يَعْنِي: في موضعٍ واحدٍ من أَجْلِ أَنْ (يُحْمَلُ الْبَاقِي عَلَيْهَا بِالْبَيَانِ الثَّانِي)، والمرادُ بِالْبَيَانِ الثَّانِي هنا الذي أَتَتْ فِيهِ بِاللَّامِ، فَتُحْمَلُ النُّصُوصُ الْأُخْرَى الْخَالِيَةُ مِنَ (اللام) على النَّصِّ الذي فِيهِ (اللام).

١١١٨- وَنَظِيرٌ ذَا إِضْمَارِهِمْ فِي مَوْضِعٍ حَمَلًا عَلَى الْمَذْكُورِ فِي التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرٌ ذَا» يَعْنِي: أن هذه القاعدة التي قَعَدَهَا -رَحِمَهُ اللهُ- أنها لو كانت بمعنى (استولى) لَأَتَتْ بِهِ ولو في موضعٍ واحدٍ.

المعنى أنهم -أي العرب- يُضْمِرُونَ في مَوْضِعٍ حَمَلًا على المذكورِ في مَوْضِعٍ آخَرَ، فيكونُ الْمُضْمَرُ في هذا المَوْضِعِ هو المذكورِ في المَوْضِعِ الْآخَرَ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْمَلَ هذا الذي فِيهِ الْمُضْمَرُ، ودلالته مُبْهَمَةٌ -كما هو معلوم- فالشيءُ الْمُضْمَرُ مُبْهَمٌ، فيَحْمَلُ هذا الذي فِيهِ الإِضْمَارُ، ودلالته مُبْهَمَةٌ، على الذي فِيهِ الذِّكْرُ لِيَكُونَ مُبَيَّنًا.

١١١٩- لَا يُضْمِرُونَ مَعَ اطِّرَادِ دُونَ ذِكْرِ الْمُضْمَرِ الْمَحْذُوفِ دُونَ بَيَانِ

يعني: لا يمكنُ أَنْ يُضْمَرَ الْعَرَبُ شَيْئًا بدونِ بَيَانٍ أَبَدًا، بل لا بُدَّ من بَيَانٍ. والبيانُ إمَّا أَنْ يَكُونَ في نفسِ اللَّفْظِ، وإمَّا أَنْ يَكُونَ من سياقِ آخَرَ يُبَيِّنُهُ، فمثلاً: (القرية) جاءت في القرآن الكريم أحيانًا تُضَافُ إليها كلمةُ (أهل)، وأحيانًا

تُحَدَفُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٣١]، فَأُضِيفَتْ كَلِمَةُ (أَهْلٍ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ [الأعراف: ٤]، كَلِمَةُ ﴿قَرْيَةٍ﴾ هُنَا مَا الْمُرَادُ بِهَا؟ الْجَوَابُ: أَهْلُهَا، عَلَى إِضْمَارِ (أَهْلٍ).

مَنْ أَيْنَ عَرَفْتَ أَنَّ فِيهَا إِضْمَارَ (أَهْلٍ)؟ الْجَوَابُ: مِنَ السِّيَاقِ، وَمِنْ آيَاتِ أُخْرَى.

فَلَا يُمَكِّنُ لِلْعَرَبِ أَنْ يُضْمِرُوا بِلَا بَيَانٍ، بَلْ لَا بُدَّ مِنْ بَيَانٍ، إِمَّا مِنْ نَفْسِ السِّيَاقِ، وَإِمَّا مِنْ سِيَاقٍ آخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

تَقُولُ: (بَنَى عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ مَدِينَةَ الْفُسْطَاطِ فِي مِصْرَ)، مَنْ الَّذِي بَنَاهَا مَبَاشَرَةً؟ الْجَوَابُ: الْعَمَّالُ، لَكِنَّهُ أَمَرَ بِبِنَائِهَا، كُلُّ يَعْزِفُ أَنَّ مِثْلَ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ الْقَائِدِ الْمَشْهُورِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُبَاشِرَ الْبِنَاءَ، إِنَّمَا الَّذِي بَنَاهُ الْعَمَّالُ بِأَمْرِهِ.

وَتَقُولُ مِثْلًا: (بَنَى الْمَلِكُ قَصْرَهُ)، هَلْ هُوَ الَّذِي وَضَعَ اللَّبْنَةَ عَلَى اللَّبْنَةِ؟ الْجَوَابُ: لَا، بَلْ هُوَ أَمَرَ بِذَلِكَ.

إِذَنْ لَا يُمْكِنُ لِلْعَرَبِ أَبَدًا أَنْ يُضْمِرُوا شَيْئًا لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ فِي سِيَاقِهِ، أَوْ يَدُلُّ عَلَيْهِ لَفْظٌ آخَرَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ.

١١٢٠ - بَلْ فِي مَحَلِّ الْحَدَفِ يَكْثُرُ ذِكْرُهُ فَإِذَا هُمْ أَلْفُوهُ إِفْ لِسَانِ

١١٢١ - حَدَفُوهُ تَخْفِيفًا وَإِيجَازًا فَلَا يَخْفَى الْمُرَادُ بِهِ عَلَى الْإِنْسَانِ

إِذَنْ الْإِضْمَارُ لَا يُمْكِنُ أَبَدًا أَنْ يُدْعَى إِلَّا إِذَا جَاءَ، وَلَوْ فِي مَوْضِعٍ، حَتَّى إِذَا أَلْفَهُ النَّاسُ سَهْلًا عَلَيْهِمْ.

فهم يقولون: (استوى) فيها حذفٌ، والمحذوفُ هو اللامُ، وأصلُها عندهم (استولى).

وهذا باطلٌ، ولا يُمكنُ أن يكونَ هذا هو الأصلُ، لأنَّ هذا الأصلَ لم يُذكرْ ولا بنصٍّ واحدٍ، ولا يمكنُ أن يُحذفَ حرفٌ من كلمةٍ إلاً بدليلٍ، ولا دليلَ على هذا.

يقول: جَرَتْ عادةُ العربِ أن يُحذفوا من الكلمة ما يحذفون، أو من الجملة ما يحذفون إذا ذكروها أوَّلاً، حتَّى يألَفها اللسانُ، وحتَّى تصير معروفةً عندهم، حينئذٍ ربَّما يحذفون ذلك اختصاراً، كمسألة الترخيم في النداء، وغير ذلك ممَّا هو معروفٌ عندهم في الحذف، أمَّا بدون دليلٍ، ولا قرينةٍ، ولا استعمالٍ، فهذا لا يُمكنُ.

١١٢٢- هَذَا وَمِنْ عِشْرِينَ وَجْهًا يَبْطُلُ التَّـ تَفْسِيرُ بـ (اَسْتَوَى) لِيَذِي الْعِرْفَانِ

١١٢٣- قَدْ أُفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ لِإِمَامٍ^(١) هـ لَذَا الشَّانِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَائِي

قَوْلُهُ: «لِإِمَامِ هَذَا الشَّانِ بَحْرِ الْعَالَمِ الْحَرَائِي» المرادُ به أحمدُ ابنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ- شيخُ الإسلامِ، يَعْنِي: أَنَّهُ -رَحِمَهُ اللهُ- بَحْرٌ لِلْعَالَمِ فِي الْعُلُومِ.

وَقَوْلُهُ: «الْحَرَائِي» فِي نَسْخَةِ: (الرَّبَّانِي).

وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ- ذَكَرَ فِي رِسَالَةٍ لَهُ أَنَّ تَفْسِيرَ (اَسْتَوَى) بـ (اَسْتَوَى)

(١) يشير إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، المولود في حرَّان سنة (٦٦١هـ) المتوفي في دمشق سنة (٧٢٨هـ)، وكان آيةً من آيات الله في العلوم النقلية والعقلية، وقد بارك الله في عمره وعمله وتأليفاته.

باطلٌ من عِشْرِينَ وَجْهًا، لكنني لا أدري هل هذه الرسالة موجودة أم لا؟ إنما يمكنُ للإنسانِ إذا تأمَّلَ هذا، وَجَدَ أنَّ هذا التفسيرَ باطلٌ من عِدَّةِ أَوْجُهٍ.

إذَنْ هذا واحدٌ من الأنواع الدالة على عُلُوِّ الله، وهو ذِكْرُ استوائِهِ على عَرْشِهِ، وَوَجْهُ كَوْنِ هذا دالًّا على العُلُوِّ أَنَّ عَرْشَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَى المَخْلُوقَاتِ على الإِطْلَاقِ، فإذا كان اللهُ مُستَوِيًّا عليه، لَزِمَ من ذلك أن يكونَ عَالِيًّا.

فصل

- ١١٢٤- هَذَا وَثَانِيهَا: صَرِيحٌ عَلُوّه
 وَلَهُ بِحُكْمِ صَرِيحِهِ لَفْظَانِ
 ذِكْرَتْ مُعْرِفَةً لِقَصْدِ بَيَانِ^(١)
- ١١٢٥- لَفْظُ (الْعَلَى) وَلَفْظَةُ (الْأَعْلَى) أَتَتْ
 تَعْمِيمَ وَالْإِطْلَاقِ بِالْبُرْهَانِ
- ١١٢٦- إِنَّ الْعُلُوَّ لَهُ بِمُطْلَقِهِ عَلَى التَّ
 ذَاتَا، وَقَهْرًا، مَعَ عَلُوِّ الشَّانِ
- ١١٢٧- وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا
 لَكِنْ نَفَاةٌ عَلُوّه سَلْبُوهُ إِكْرَ
- ١١٢٨- حَاشَاةٌ مِنْ إِفْكِ النُّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ
 فَالَهُ الْكَمَالُ الْمُطْلَقُ الرَّبَّانِي
- ١١٢٩- وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا
 فَطَرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقَ وَالثَّقَلَانَ
- ١١٣٠- لَا يَسْتَطِيعُ مُعْطَلٌ تَبْدِيلَهَا
 أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
- ١١٣١- كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى
 مُتَوَجِّهًا بِضَرُورَةِ الْإِنْسَانِ
- ١١٣٢- نَحْوَ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ
 وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ

الشرح

- ١١٢٤- هَذَا وَثَانِيهَا: صَرِيحٌ عَلُوّه
 وَلَهُ بِحُكْمِ صَرِيحِهِ لَفْظَانِ

(١) هكذا صححه الشيخ الشارح - رحمه الله -، وقال: «لعل البيت هكذا حتى يستقيم الوزن» إذ هو في الأصل: لَفْظُ الْعَلَى وَلَفْظَةُ الْأَعْلَى مُعَرِّفَةٌ ذَكَرَتْ لِقَصْدِ بَيَانِ

١١٢٥- لَفْظُ (الْعَلِيِّ) وَلَفْظَةُ (الْأَعْلَى) أَتَتْ ذَكَرَتْ مُعْرِفَةً لِقَصْدِ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَثَانِيهَا» يَعْنِي: هَذَا هُوَ النُّوعُ الثَّانِي مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عُلُوًّا ذَاتِيًّا، وَهُوَ التَّصْرِيحُ بِالْعُلُوِّ، وَهُوَ صِيغَتَانِ:

الصِّيغَةُ الْأُولَى: (الْعَلِيُّ) كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَهِيَ هُنَا صِيغَةٌ مُشَبَّهَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعُلُوَّ وَصْفُهُ الدَّائِمُ الثَّابِتُ، لِأَنَّ مَدْلُولَ الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ مَعَ الْحَدَثِ الثَّبُوتُ وَالِاسْتِمْرَارُ.

الصِّيغَةُ الثَّانِيَّةُ: فَهِيَ اسْمُ التَّفْضِيلِ (الْأَعْلَى) لِيُفِيدَ أَنَّ عُلُوَّهُ لَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، لِأَنَّ مَطْلَقَ الْعُلُوِّ قَدْ يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، فَتَقُولُ مَثَلًا: (فَلَانٌ عَلِيٌّ وَفَلَانٌ عَلِيٌّ)، لَكِنَّ الْعُلُوَّ الَّذِي اتَّصَفَ اللَّهُ بِهِ لَا يَسَاوِيهِ فِيهِ أَحَدٌ، وَلَا يُشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ، وَهَذَا جَاءَ بِلَفْظِ (الْأَعْلَى)، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

إِذْنُ فَالتَّصْرِيحُ بِالْعُلُوِّ يَشْمَلُ - كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ - الْعُلُوَّ الْمَطْلُوقَ، فَلَفْظُ (الْعَلِيِّ)، وَ(الْأَعْلَى) جِيءَ بِهِ مُعْرِفًا بِ (أَل) لِيَدُلَّ عَلَى الْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ، وَهَذَا قَالَ:

١١٢٦- إِنَّ الْعُلُوَّ لَهُ بِمُطْلَقِهِ عَلَى التَّعْمِيمِ وَالْإِطْلَاقِ بِالْبُرْهَانِ

يَعْنِي: لَهُ الْعُلُوُّ الْمَطْلُوقَ الْعَامُّ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَوْلِفُ أَنَّ الْعُلُوَّ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ، فَقَالَ:

١١٢٧- وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا ذَاتًا، وَقَهْرًا، مَعَ عُلُوِّ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا» وَهِيَ: عُلُوُّ الذَّاتِ، وَالثَّانِي: عُلُوُّ الْقَهْرِ، وَالثَّلَاثُ: عُلُوُّ الشَّانِ، يَعْنِي: عُلُوُّ الْقَدْرِ، هَكَذَا قَسَمَ الْمَوْلِفُ الْعُلُوَّ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ:

فَالْأَوَّلُ: عُلُوُّ الذَّاتِ، أَي: أَنَّهُ - سَبْحَانَهُ - فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

الثاني: عَلُوُّ الْقَهْرِ، والقهر يَعْنِي الغلبة، فهو غَالِبٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، ومن عَلُوِّ الْقَهْرِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [محمد: ٣٥]، لكن ما المراد بـ (الأعلون) هنا، هل هو عَلُوُّ الْمَكَانِ؟ الْجَوَابُ: لا، بل هو عَلُوُّ الْقَهْرِ، لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْكُفَّارِ فِي الْأَرْضِ، فَالمراد إِذْنٌ فِي الْآيَةِ عَلُوُّ الْقَهْرِ، يَعْنِي: أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ، قَاهِرُونَ لَهُمْ.

إِذْنٌ عَلُوُّ الذَّاتِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ نَفْسَهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلُوُّ الْقَهْرِ، أَنَّهُ قَاهِرٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ الْعُلُوَّ يَأْتِي بِمَعْنَى الْقَهْرِ.

الثالث: عَلُوُّ الشَّانِ، أَي: شَأْنُهُ عَالٍ، وَقَدْرُهُ عَزَّ وَجَلَّ رَفِيعٌ، وَلِهَذَا قَالُوا: عَلُوُّ الْقَدْرِ.

وهذا - لا شك - تَقْسِيمٌ جَيِّدٌ، لَكِنْ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِنَّ الْعُلُوَّ نَوْعَانِ: عَلُوُّ ذَاتٍ، وَعَلُوُّ صِفَةٍ، وَالصِّفَةُ إِمَّا صِفَةُ قَهْرٍ، أَوْ صِفَةُ قَدْرِ وَشَرَفٍ، أَمَّا عَلُوُّ الذَّاتِ فَهُوَ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى بِذَاتِهِ، وَأَمَّا عَلُوُّ الصِّفَةِ فَإِنَّ لَهُ الْوَصْفَ الْأَعْلَى مِنْ كُلِّ وَجْهِ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، إِذَا قُلْنَا بِهَذَا صَارَ أَخْصَرَ، وَرَبَّمَا يَكُونُ أَعَمُّ أَيْضًا، لِأَنَّ الْقَهْرَ وَالْقَدْرَ لَمْ يُحِيطَا بِجَمِيعِ الصِّفَاتِ.

فَنَحْنُ نَقُولُ: لَهُ عَلُوُّ الْقَدْرِ، وَعَلُوُّ الْقَهْرِ، وَعَلُوُّ السَّمْعِ، وَعَلُوُّ الْبَصَرِ، فَيَكُونُ قَوْلُنَا: عَلُوُّ اللَّهِ نَوْعَانِ: (عَلُوُّ ذَاتٍ)، وَ(عَلُوُّ صِفَةٍ) أَخْصَرَ وَأَشْمَلٌ.

١١٢٨ - لَكِنْ نَفَاةُ عَلُوِّهِ سَلْبُوهُ إِكْمَالٌ - كَمَالُ الْعُلُوِّ فَصَارَ ذَا نَقْصَانٍ

الَّذِينَ سَلَبُوا إِكْمَالَ الْعُلُوِّ قَالُوا: إِنَّهُ عَالٍ قَهْرًا وَشَأْنًا، وَلَيْسَ عَلِيًّا ذَاتًا، إِذْنٌ نَقَّصُوا مَعْنَى الْعُلُوِّ.

١١٢٩- حَاشَاهُ مِنْ إِنْكَ النَّفَاةِ وَسَلْبِهِمْ فَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الرَّبَّانِي
قَوْلُهُ: «فَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الرَّبَّانِي» يَعْنِي: لَهُ -جَلَّ وَعَلَا- الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

١١٣٠- وَعُلُوُّهُ فَوْقَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا فُطِرَتْ عَلَيْهِ الْخَلْقُ وَالشَّقْلَانِ
هذا الدليل فِطْرِيٌّ، فالدليل الفِطْرِيٌّ على عُلُوِّ الله لا أحدَ يَمَارِي فيه، ولذلك
الذين يُنْكِرُونَ عُلُوَّ الله إِذَا دَعَوْا الله فإِنَّهُمْ يَنْصَرِفُونَ إِلَى الْعُلُوِّ.

تَجَادَلَ رَجُلَانِ فِي مَنَى فِي يَوْمِ الْعِيدِ فِي عُلُوِّ الله الذَّاتِيّ، فَقَالَ النَّافِي: إِنَّهُ لَيْسَ
فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ بِذَاتِهِ. فَقَالَ لَهُ صَاحِبُهُ: أَنْتَ -أَمْسِ- وَاقِفْ بَعْرِفَةَ تَدْعُو الله؟ قَالَ:
نَعَمْ. قَالَ: أَيْنَ رَفَعْتَ يَدَيْكَ؟ هَلْ قُلْتَ: (يَا رَبِّي)، هَكَذَا مَشِيرًا إِلَى الْأَرْضِ، أَوْ
قُلْتَ: (يَا رَبِّي)، هَكَذَا مَشِيرًا إِلَى السَّمَاءِ؟ قَالَ: قُلْتُ: (يَا رَبِّي) مَشِيرًا إِلَى السَّمَاءِ،
فَقَالَ: أَنْتَ الْآنَ حَكَمْتَ عَلَى نَفْسِكَ، كَيْفَ تُوجِّهُ يَدَيْكَ إِلَى فَوْقٍ، وَأَنْتَ تَدْعُو الله
وَتَقُولُ: إِنَّ اللهَ لَيْسَ فَوْقَ؟!!

ولهذا لا يمكنُ أبدًا لهؤلاء النفاة أن يَحِيدُوا عن هذا الدليلِ الفِطْرِيّ.

١١٣١- لَا يَسْتَطِيعُ مُعَطَّلٌ تَبْدِيلَهَا أَبَدًا وَذَلِكَ سُنَّةُ الرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «سُنَّةُ الرَّحْمَنِ» أَي: طَرِيقَتُهُ الَّتِي فَطَرَ الْخَلْقَ عَلَيْهَا، فَجَمِيعُ النَّاسِ
مَفْطُورُونَ عَلَى أَنَّ اللهَ عَالِمٌ بِذَاتِهِ، فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١١٣٢- كُلُّ إِذَا مَا نَابَهُ أَمْرٌ يُرَى مُتَوَجِّهًا بِضَرُورَةِ الْإِنْسَانِ
١١٣٣- نَحْوِ الْعُلُوِّ فَلَيْسَ يَطْلُبُ خَلْفَهُ وَأَمَامَهُ أَوْ جَانِبَ الْإِنْسَانِ

وهل هذا صحيحٌ أو غيرُ صحيحٍ؟ الجوابُ: صحيحٌ، فالكلُّ يدعوُ مُتوجِّهًا إلى جهةِ العلوِّ وَحَدَهَا.

ولذلك قال أبو جعفرِ الهمدانيُّ^(١) لأبي المعالي الجوينيِّ^(٢) وهو يُقرِّرُ نفيَ علوِّ الله في قوله: «كان اللهُ ولا عَرْشٌ، وَهُوَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ». فقال له أبو جعفرِ الهمدانيُّ: «يا شيخُ، دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ العَرْشِ».

لماذا يقول: دَعْنَا مِنْهُ؟ الجوابُ: لأنَّ دَلِيلَهُ سَمْعِيٌّ، وليس فِطْرِيًّا، والسَّمْعِيُّ قابِلٌ للتأويلِ ولو تحريفًا.

«أخبرنا عن هذه الضَّرورةِ التي نَجِدُهَا في قُلُوبِنَا، فإنه ما قال عَارِفٌ قطُّ: يا اللهُ، إلا وَجَدَ من قلبه ضَرورةً بَطَلَبِ العُلُوِّ، ولا يَلْتَفِتُ يَمَنَةً ولا يَسْرَةً، فكيفَ نَدْفَعُ هذه الضَّرورةَ عن قُلُوبِنَا؟».

فصرَّحَ أبو المعالي ولَطَمَ على رأسِهِ، وقال: «حَيَّرَنِي الهمدانيُّ حَيَّرَنِي الهمدانيُّ»^(٣).

تَحْيِيرٌ، لأنَّ هذا دليلٌ فِطْرِيٌّ لا يُمكنُ النَّزاعُ فيه، كما قال ابنُ القيمِ -رَحِمَهُ اللهُ-

قَوْلُهُ: «نَحْوُ العُلُوِّ... إلخ» وهذا صحيحٌ، أين تَطَلَّبُ رَبِّكَ إذا دَعَوْتَهُ؟

(١) أبو جعفر الهمداني الشيخ الإمام الحافظ الرحال الزاهد، بقية السلف والأئمة، أبو جعفر محمد بن أبي علي الحسن بن محمد بن عبد الله، الهمداني توفي سنة (٥٣١هـ). ترجمته في سير أعلام النبلاء (١٠١/٢٠).

(٢) أبو المعالي الجويني: إمام الحرمين، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، ولد في جوين من أعمال نيسابور سنة (٤١٩هـ)، وأقام مدةً بالحجاز (مكة والمدينة) كان من أعلم المتأخرين من الشافعية، تُوفِّيَ بقرية من أعمال نيسابور سنة (٤٧٨هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٦٨/١٨).

(٣) انظر: كتاب الاستقامة (١٦٧/١).

هل تطلبه من فَوْق أو من يسار أو من أمام أو من خلف؟! الجَوَابُ: من فوق.

لكن لو قَالَ قَائِلٌ: إِذَا قُلْتَ لَهُؤُلَاءِ: لِمَاذَا تَرْفَعُونَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى السَّمَاءِ؟ يَقُولُونَ: لِأَنَّ السَّمَاءَ أَفْضَلُ الْجِهَاتِ؟

فَنَقُولُ لَهُمْ: مَاذَا تَقُولُونَ: هَلْ أَنْتُمْ تَقُولُونَ: (يَا سَمَاءُ)! أَنْتُمْ تَقُولُونَ: (يَا اللَّهُ)، إِذَنْ هُوَ فِي الْجِهَةِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ الْجِهَاتِ، لِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ -الآن- إِذَا رَفَعْتُمْ أَيْدِيَكُمْ تُنَادُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَا تَقُولُونَ: (يَا سَمَاءُ)، وَتَقُولُونَ: دَعَوْنَاهَا، لِأَنَّهَا أَفْضَلُ الْجِهَاتِ، إِنَّمَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ الَّذِي هُوَ فِي أَفْضَلِ الْجِهَاتِ.

لكن لو قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَرْقُ بَيْنَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ فِي مَكَانٍ، وَبَيْنَ قَوْلِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ لَا فِي مَكَانٍ؟

نَقُولُ: هَذَا تَنَاقُضٌ، إِلَّا إِذَا قَصَدَ بِقَوْلِهِ: (لَا فِي مَكَانٍ) أَي: لَيْسَ فِي مَكَانٍ يَحْضُرُهُ، كَمَا نَحْنُ الْآنَ فِي الْمَسْجِدِ، وَالْجُدْرَانُ أَمَامَنَا وَيَمِينَنَا وَشِمَالَنَا وَوَرَاءَنَا، أَمَّا إِنْ لَمْ يَكُنْ يَقْصِدُ ذَلِكَ فَهَذَا تَنَاقُضٌ وَاضِحٌ، ثُمَّ نَقُولُ لَهُمْ: أَنْتُمْ أَعْلَمُمْ أَمِ الرَّسُولُ -عليه الصلاة والسلام- الَّذِي قَالَ لِلْجَارِيَةِ «أَيْنَ اللَّهُ؟»^(١)، وَهَذِهِ صِفَةٌ مُبَيَّنَّةٌ عَنِ الْمَكَانِ بِاتِّفَاقِ أَهْلِ اللُّغَةِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

- ١١٣٤- وَنَهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكٌ وَتَحْـمِيشٌ وَتَغْيِيرٌ عَلَى الْإِيمَانِ
 ١١٣٥- لَا يَسْتَطِيعُ تَعَارُضُ الْمَعْلُومِ وَالْمَعْقُولِ عِنْدَ بَدَائِهِ الْإِنْسَانِ
 ١١٣٦- فَمِنَ الْمَحَالِ الْقَدْحُ فِي الْمَعْلُومِ بِالشُّبُهَاتِ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ
 ١١٣٧- وَإِذَا الْبَدَائَةُ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الشُّبُهَاتُ لَمْ تَحْتَجْ إِلَى بُطْلَانِ
 ١١٣٨- شَتَانٍ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا بَعْضُ لِبَعْضٍ أَوَّلٌ لِلثَّانِي
 ١١٣٩- وَمَقَالَةٍ فَطَرَ الْإِلَهَ عِبَادَهُ حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلَانِ

الشرح

١١٣٤- وَنَهَايَةُ الشُّبُهَاتِ تَشْكِيكٌ وَتَحْـمِيشٌ وَتَغْيِيرٌ عَلَى الْإِيمَانِ
 هذه نهاية الشُّبُهَاتِ التَّشْكِيكُ وَالتَّحْمِيشُ وَهُوَ أَشَدُّ مِنَ التَّغْيِيرِ،
 وَالتَّغْيِيرِ، فَالشُّبُهَاتُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- إِذَا أُلبِسَتْ فِي الْقَلْبِ -نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ-
 فَهَذِهِ نَهَائَتُهَا، يَبْقَى الْإِنْسَانُ فِي شَكٍّ وَحَيْرَةٍ، وَلَا يَسْتَطِيعُ التَّخَلُّصَ مِنْهَا إِلَّا مَنْ
 عَصَمَهُ اللَّهُ.

١١٣٥- لَا يَسْتَطِيعُ تَعَارُضُ الْمَعْلُومِ وَالْمَعْقُولِ عِنْدَ بَدَائِهِ الْإِنْسَانِ
 يعني: مَا ثَبَتَ بِنِدَاهَةِ الْعُقُولِ أَوْ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنَ الْمَقُولِ هَلْ يُمْكِنُ لِهَذِهِ
 الشُّبُهَاتِ الَّتِي تَرُدُّ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ تُعَارِضَ ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: لَا.

فَلَا يُمْكِنُ أَبَدًا، لِأَنَّ الْمَعْلُومَ تَزُولُ بِهِ الشُّبُهَةُ، وَالْمَعْقُولَ تَبْطُلُ بِهِ الشُّبُهَةُ

أَيْضًا.

١١٣٦- فَمِنْ الْمَحَالِ الْقَدْحُ فِي الْمَعْلُومِ بِالشُّبُهَاتِ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ

يعني: الشيءُ المَعْلُومُ هل يُمكنُ أن تُبطله الشُّبُهَاتُ؟

الجَوَابُ: أبدأ، أنا إذا قيل لي: هذا فلان، وأنا أعرفُ أنه فلان، وجاء إنسانٌ يُشكِّكني فيه، هل يَردُّ على قلبي شكٌّ؟

الجَوَابُ: أبدأ، مهما كان، فالشيءُ المعلومُ لا يُمكنُ أن تُبطله الشُّبُهَاتُ.

١١٣٧- وَإِذَا الْبِدَائِهِ قَابَلَتْهَا هَذِهِ الشُّبُهَاتُ لَمْ تَحْتَجِ إِلَى بُطْلَانِ

أيضاً الشُّبُهَاتُ هل يمكنُ أن تُبطلَ ما يُعلمُ بالبِدَاهَةِ؟

الجَوَابُ: لا يمكنُ أبدأ، ولذلك حُجَّةٌ مَنْ أَنْكَرَ عُلُوَّ اللَّهِ أَنَّهُمْ قَالُوا: لو كانَ فوقَ بذاتِهِ، لَزِمَ أن يكونَ محدوداً بحدِّ، والله تعالى لا يُحدِّه شيءٌ.

فهذه شُبُهَةٌ لكن لا تُبطلُ أبدأ ما كان معلوماً بالسَّمْعِ أو معقولاً بالبِدَاهَةِ.

١١٣٨- شَتَانٌ بَيْنَ مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا بَعْضُ لِبَعْضٍ أَوَّلٌ لِلثَّانِي

١١٣٩- وَمَقَالَةٍ فَطَرَ إِلَهُ عِبَادَهُ حَقًّا عَلَيْهَا مَا هُمَا عِدْلَانِ

قَوْلُهُ: «مَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا» هِيَ مَقَالَةُ الْمُعْطَلَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا عُلُوَّ اللَّهِ.

صحيحٌ، شَتَانٌ بَيْنَ مَقَالَةٍ فَطَرَ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهَا وَمَقَالَةٍ أَوْصَى بِهَا أَوَّلٌ لِلثَّانِي مَبْنِيَّةٌ عَلَى الشُّبُهَاتِ، فَبَيْنَ الْمَقَالَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَكَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَكِنْ مَا هِيَ الْمَقَالَةُ الَّتِي فَطَرَ اللَّهُ الْعِبَادَ عَلَيْهَا؟

الجَوَابُ: هِيَ قَوْلُنَا: إِنَّ اللَّهَ بَدَأَهُ فَوْقَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ.

وَأَمَّا الْمَقَالَةُ الَّتِي أَوْصَىٰ بِهَا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ قَالُوا: لَا تَقُولُوا: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَالَمِ بَدَاتِهِ، لَا تَقُولُوا هَذَا أَبَدًا.

لكن ماذا نقول؟ لهم في ذلك طَرِيقَانِ: إِمَّا أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ لَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٍ وَلَا شِمَالٍ، وَلَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُتَّصِلَ بِالْعَالَمِ وَلَا مُنْفَصِلَ عَنْهُ، هَذَا قَوْلٌ، أَوْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ بَدَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، هَذَا قَوْلَانِ.

القول الثالث - وهو قول أهل الحق - : إِنَّ اللَّهَ بَدَاتِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وهذا هو الذي ساق المؤلف الأدلة لإثباته.

فصل

- ١١٤٠ - هَذَا وَثَالِثُهَا: صَرِيحُ الْفَوْقِ مَضْمُونًا وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ:
- ١١٤١ - إِحْدَاهُمَا: هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ وَالْأُصْلُ الْحَقِيقَةُ وَحَدَاهَا بَيَانٌ
- ١١٤٢ - فَإِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانٍ
- ١١٤٣ - لَكِنَّمَا الْمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِلِ التَّأْوِيلِ فِي لُغَةٍ وَعُرْفٍ لِلسَّانِ
- ١١٤٤ - وَأَصْحُ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
- ١١٤٥ - إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ يُبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
- ١١٤٦ - أَضْحَى كَنْصَ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَذْهَانِ
- ١١٤٧ - فَسِيَاقَةُ الْأَلْفَاظِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ إِنَّهُمَا لَنَا صِنْوَانِ
- ١١٤٨ - إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا لَكِنَّ ذَاكَ لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ
- ١١٤٩ - فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ بَعْدَ سِيَاقَةٍ تُبْدِي الْمُرَادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ
- ١١٥٠ - وَإِذَا أَتَى الْكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الْكِتْمَانِ

الشرح

في هذه القطعة بين المؤلف - رحمه الله - النوع الثالث من أدلة العلو، وهو التصريح بالفوقية، وذكر أنها نوعان: إحداهما مقرونة بـ(من)، والثانية مطلقة،

ففي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ أَلْفَاهُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، هذه غيرُ مُقَيَّدَةٍ بـ(مِنْ)، فهي مطلقةٌ، وفي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، هذه مقيدةٌ بـ(مِنْ).

ويقول -رَحِمَهُ اللهُ-: إِنَّ التِّي لَمْ تُقَيَّدَ بـ(مِنْ) تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، أَمَّا الْمُقَيَّدَةُ بـ(مِنْ) فَإِنهَا لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ.

الأولى تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، وهي أَنْ تَكُونَ الْفَوْقِيَّةُ فَوْقِيَّةَ الشَّأْنِ وَالصِّفَةِ، كَمَا تَقُولُ مَثَلًا: (الذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ)، يَعْنِي: فِي الشَّرَفِ وَالْقِيَمَةِ.

أَمَّا (مِنْ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، فَإِنهَا لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ، لِأَنَّهَا صَرِيحَةٌ فِي أَنَّ الْمُرَادَ فَوْقِيَّةَ الْمَكَانِ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ جَمِيعِ الْخَلْقِ، فَإِنَّ كَانَتْ هَذِهِ لَا تَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ وَجَبَ أَنْ تُحْمَلَ تِلْكَ عَلَى هَذِهِ حَتَّى يَتَّفَقَ النَّصَّانِ.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ- عَلَى التَّأْوِيلِ الْأَوَّلِ أَنَّ الْمَطْلُوقَ يَحْتَمِلُ التَّأْوِيلَ: لَا نَقْبَلُ التَّأْوِيلَ، لِأَنَّ الْأَصْلَ الْحَقِيقَةَ، ثُمَّ ذَكَرَ قَاعِدَةَ مُهِمَّةً، وَهِيَ أَنَّهُ إِذَا أَتَى اللَّفْظُ بِسِيَاقِهِ مُبَيِّنًا لِلْمُرَادِ، فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ تَأْوِيلُهُ، لِأَنَّهُ يَكُونُ كَالصَّرِيحِ، كَمَا أَنَّ شَوَاهِدَ الْأَحْوَالِ كَالصَّرِيحِ عِنْدَ كِتْمَانِ الشَّيْءِ، إِذَا كَتَمَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا، وَكَانَتْ شَوَاهِدُ الْأَحْوَالِ تَدُلُّ عَلَى كَذِبِهِ صَارَتْ هَذِهِ الشَّوَاهِدُ كَالصَّرِيحِ.

قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٤٠- هَذَا وَثَالِثُهَا: صَرِيحُ الْفَوْقِ مَصْـ حُوبًا بـ(مِنْ) وَبِدُونِهَا نَوْعَانِ:

قَوْلُهُ: «مَصْحُوبًا بـ(مِنْ) وَبِدُونِهَا» كَمَا يَكُونُ؟ الْجَوَابُ: نَوْعَانِ.

١١٤١- إِحْدَاهُمَا: هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ وَحَدَّهَا بَيَانِ
قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا هُوَ قَابِلُ التَّأْوِيلِ» ما هو قَابِلُ التَّأْوِيلِ؟
الجواب: الذي بدون (من).

قَوْلُهُ: «وَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ وَحَدَّهَا بَيَانِ» يَعْنِي: حَتَّى عَلَى قَوْلِنَا بِأَنَّهُ قَابِلُ
التَّأْوِيلِ فَالْأَصْلُ الْحَقِيقَةُ وَعَدَمُ التَّأْوِيلِ.

١١٤٢- فَإِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ
إِذَا ادَّعَى تَأْوِيلَ ذَلِكَ مُدَّعٍ، وَقَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِكَذَا كَذَا. عَلَى خِلَافِ اللَّفْظِ،
فَإِنَّهُ يَقُولُ: لَمْ تُقْبَلِ الدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ، أَي: بِلَا دَلِيلٍ، يَعْنِي: أَنَّهُ يُحْمَلُ الْكَلَامُ عَلَى
حَقِيقَتِهِ وَأَصْلِهِ، وَلَا تُقْبَلُ دَعْوَى التَّأْوِيلِ إِلَّا بِدَلِيلٍ.

١١٤٣- لَكِنَّمَا الْمَجْرُورُ لَيْسَ بِقَابِلِ التَّأْوِيلِ فِي لُغَةِ وَعُرْفِ لِسَانِ
قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْمَجْرُورُ» أَي: بِ(مِنْ)، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ
فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، (لَيْسَ بِقَابِلِ التَّأْوِيلِ)، لِأَنَّ الْفَوْقِيَّةَ الْمَعْنَوِيَّةَ فَوْقِيَّةَ الشَّأْنِ
لَا تَأْتِي بِ(مِنْ)، فَ(مِنْ) تَأْتِي لِابْتِدَاءِ الْمَكَانِ، فَيَكُونُ مَكَانُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ،
وَلَا تُقْبَلُ غَيْرَ هَذَا.

١١٤٤- وَأَصْخِ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
قَوْلُهُ: «وَأَصْخِ» يَعْنِي: اسْتَمِعْ.
قَوْلُهُ: «لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ» بَيَّنَّ هَذِهِ الْفَائِدَةَ
بِقَوْلِهِ:

١١٤٥- إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ يُبْدِي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

١١٤٦- أَضْحَى كَنَصَّ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ النَّـ تَأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَذْهَانَ

يعني: إذا أتى الكلامُ بسياقةٍ مُعَيَّنَةٍ، أي: بصيغةٍ مُعَيَّنَةٍ، فإنه (يُبْدي المراد)،
يَعْنِي: يُظْهِرُهُ.

قَوْلُهُ: «أَضْحَى كَنَصَّ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ» يَعْنِي: إذا كان سِياقُهُ يُبْدي
الْمُرَادَ فَإِنَّ هَذَا يَكُونُ كَالنَّصِّ الْقَاطِعِ الصَّرِيحِ لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ.

وهذا واضحٌ، بل أبلغُ من هذا نفسُ نبراتِ الإنسانِ يختلفُ بها المعنى، فإذا
زَجَرَ الإنسانُ صَبِيًّا قَائِلًا له: يا ولد كيف فعلتَ هذا الشيءَ؟ هل مثل أن يقول له:
لماذا سوَّيتَ هذا؟

الجوابُ: لا، فالأوَّلُ أبلغُ في الزجرِ.

فالسِّيَاقُ، والأحوالُ، وكذلك نبراتُ الأصواتِ، وغيرُ ذلك كُلُّها تدلُّ على
المعنى المرادِ، وهذا شيءٌ قد فطَرَ الناسُ عليه.

١١٤٧- فِسِّيَاقَةُ الْأَلْفَازِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْـ أَحْوَالِ إِنَّهَا لَنَا صِنَوَانِ

يعني: أن سِيَاقَةَ الْأَلْفَازِ مِثْلُ شَوَاهِدِ الْأَحْوَالِ، كُلُّ مِنْهَا يُعَيِّنُ الْمُرَادَ.

شَوَاهِدُ الْأَحْوَالِ - أحيانًا - تَكُونُ كَالصَّرِيحِ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ بِبَعِيدٍ عَنْكُمْ
قِصَّةُ عَمِّ حَيِّ بْنِ أَخْطَبَ حِينَما أَنْكَرَ مَالَ حَيِّ بْنِ أَخْطَبَ^(١)، فَعَنَ ابْنُ عُمَرَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلَ أَهْلَ خَيْبَرَ حَتَّى أَلْجَأَهُمْ إِلَى قَصْرِهِمْ، فَغَلَبَ عَلَى
الْأَرْضِ وَالزَّرْعِ وَالنَّخْلِ، فَصَالَحُوهُ عَلَى أَنْ يُجْلَوْا مِنْهَا وَلَهُمْ مَا حَمَلَتْ رِكَابُهُمْ،

(١) حبي بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن النضير بن
النحام بن ينحوم من بني إسرائيل. وهو والد صفية زوج النبي ﷺ، وسيد بني النضير. جاء
ذكره في ترجمة صفية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٢٠/٨).

وَلرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الصَّفْرَاءُ وَالْبَيْضَاءُ، وَيُخْرَجُونَ مِنْهَا، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَكْتُمُوا وَلَا يُغَيَّبُوا شَيْئًا، فَإِنْ فَعَلُوا فَلَا ذِمَّةَ لَهُمْ وَلَا عَهْدَ، فَغَيَّبُوا مَسْكًَا فِيهِ مَالٌ وَحُلِيٌّ لِحُيَيْبِ بْنِ أَخْطَبَ كَانَ احْتَمَلَهُ مَعَهُ إِلَى خَيْبَرَ حِينَ أُجْلِيَتِ النَّضِيرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِعَمِّ حُيَيْبٍ: «مَا فَعَلَ مَسْكُ حُيَيْبٍ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟». فَقَالَ: أَذْهَبَتْهُ النَّفَقَاتُ وَالْحُرُوبُ. فَقَالَ: «العَهْدُ قَرِيبٌ، وَالسَّالُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ». فَدَفَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الزُّبَيْرِ فَمَسَّهُ بِعَذَابٍ، وَقَدْ كَانَ حُيَيْبٌ قَبْلَ ذَلِكَ دَخَلَ خَرِبَةً، فَقَالَ: قَدْ رَأَيْتُ حُيَيْبًا يَطُوفُ فِي خَرِبَةٍ ههنا. فَذَهَبُوا وَطَافُوا فَوَجَدُوا الْمَسْكَ فِي الْخَرِبَةِ. (١) وَالْمَسْكُ يَعْنِي: جِلْدُ الثَّوْرِ.

الشاهد من هذا أن قرائن الأحوال صارت كالصريح، وكشواهد الألفاظ، يعنى: كأن هذه القرينة قالت لهم: إنَّ عنده مالًا، ولم ينفد ماله.

قَوْلُهُ: «صِنَوَانٍ» الصَّنَوَانِ هُمَا الْفَرْعَانِ مِنْ أَصْلٍ وَاحِدٍ، قَالَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لِعُمَرَ: «أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنَوَانِيهِ» (٢).

١١٤٨ - إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا لَكِنَّ ذَاكَ لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا لِلْعَيْنِ مَشْهُودٌ بِهَا» يَعْنِي: الْقَرَائِنَ.

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ ذَاكَ» يَعْنِي: سِيَاقَ الْأَلْفَافِ (لِمَسْمَعِ الْإِنْسَانِ) يَعْنِي: إِذَا سَمِعَ الْإِنْسَانُ شَيْئًا وَتَفَهَّمَ السِّيَاقَ عَرَفَ دَلَالَتَهُ عَلَى الْمُرَادِ، وَالسِّيَاقُ يَجْعَلُ الْمُرَادَ بِالْقَرَائِنِ كَأَنَّهُ صَرِيحٌ.

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب من رأى قسمة الأراضي، برقم (١٨٨٥١).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب في تقديم الزكاة ومنعها، برقم (٩٨٣).

١١٤٩- فَإِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ بَعْدَ سِيَاقَةٍ تُبْدِي المُرَادَ أَتَى عَلَى اسْتِهْجَانِ
وهذا صَحِيحٌ، إِذَا أَتَى التَّأْوِيلُ وَهُوَ صَرَفُ اللفظِ عن ظاهِرِهِ بعدَ سِيَاقَةٍ
تُبْدِي المُرَادَ، ماذا يكون هذا التَّأْوِيلُ؟

الجوابُ: يَكُونُ مُسْتَهْجَنًا، مَرْدُودًا، لا يُقْبَلُ، لَأَنَّ السِّيَاقَ يُعَيِّنُ المعنى، حَتَّى
وَإِنْ احْتَمَلَ مُجَرَّدُ اللفظِ مَعْنَى آخَرَ فَإِنَّ السِّيَاقَ يَمْنَعُ هذا المَعْنَى الآخَرَ.

١١٥٠- وَإِذَا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الأَحْوَالِ كَانَ كَأَقْبَحِ الكِتْمَانِ
وهذا -أيضًا- صَحِيحٌ، فَإِذَا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الأَحْوَالِ صارَ مِنَ
أَقْبَحِ الكِتْمَانِ، كَقَضِيَةِ الرَّجُلِ الَّذِي ذَكَرْنَا، وَهُوَ حَيِّيُّ بْنُ أَخْطَبَ، فَشَوَاهِدُ
الأَحْوَالِ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَهُ مَا لَا مَوْجُودًا.

والكتمانُ في هذا الموضع هو فَوْفِيَّةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَاتِهِ.

فَإِذَا أَتَى الكِتْمَانُ بَعْدَ شَوَاهِدِ الأَحْوَالِ كَانَ مِنَ أَقْبَحِ الكِتْمَانِ، لَأَنَّ الواجِبَ
إِجْرَاءَ اللفظِ عَلَى ما يَتَقَضِيهِ السِّيَاقُ، وَعَلَى ما تَقْتَضِيهِ الأَحْوَالُ، وَقَدْ مَثَّلْنَا فِيها سَبَقَ
ب أَنَّ الإنسانَ يَخْتَلِفُ مَعْنَى كَلَامِهِ بِنَبْرَاتِ صَوْتِهِ وَمُخَاطَبَةِ النَّاسِ، فَالشَوَاهِدُ لا بُدَّ
منها.

١١٥١- فَتَأَمَّلِ الأَلْفَاطَ وَانظُرْ مَا الَّذِي سَيَقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
١١٥٢- وَالفُوقُ وَصَفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الوُجُوهِ لِفاطِرِ الأَكْوَانِ
١١٥٣- لَكِنْ نَفَاةُ الفُوقِ مَا وَافُوا بِهِ جَحَدُوا كَمَالَ الفُوقِ لِلدِّيَانِ

- ١١٥٤ - بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنَّ قَدَرَ اللهُ أَعْدَ لَى لَا بِفَوْقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ
 ١١٥٥ - قَالُوا: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعُقَيَانِ:
 ١١٥٦ - هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَا بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثَانِ
 ١١٥٧ - وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا اللهُ تَابِتَةٌ بِأَنَّ كُرَانَ
 ١١٥٨ - هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقَ الْقَهْرِ وَالْ فَوْقِيَّةَ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

الشرح

- ١١٥١ - فَتَأَمَّلِ الْأَلْفَاظَ وَانظُرْ مَا الَّذِي سَيِّقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانٍ
 يقول المؤلف -رحمه الله-: (تأمل الألفاظ وانظر ما الذي سيقَتْ له) لأنك
 إذا تأملت الألفاظ ونظرت ما الذي سيقَتْ له عيَّنتَ لك المرادَ، وذلك لأنَّ
 الإنسان لا ينبغي أن ينظرَ إلى الألفاظِ مُجَرَّدَةً عن قرائنِ السِّياقِ، لأنَّ الألفاظَ
 نفسها مُجَرَّدَةٌ ليس لها معنى إلا بالسِّياقِ، فالسِّياقُ هو الذي يُظهِرُ معناها، ولهذا
 رَبَّ كلمة تكونُ في هذا السِّياقِ لمعنى، وفي سياقٍ آخَرَ لمعنى آخَرَ.
 إذن تأملِ السِّياقَ، وانظرْ لِأَيِّ شَيْءٍ جَاءَ هذا السِّياقُ، فإذا جَاءَ لإثباتِ
 الفَوْقِيَّةِ تَعَيَّنَ أن يكونَ المرادُ بالفَوْقِيَّةِ فَوْقِيَّةَ الذَّاتِ، وهذا مِثَالٌ، وإِلَّا فالقاعدةُ أنَّ
 السِّياقَ يُعَيِّنُ المرادَ.

- ١١٥٢ - وَالْفَوْقُ وَصْفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ
 يعني: أنَّ الفوقَ وصفٌ ثابتٌ بالذاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ اللهُ فَاطِرُ الْأَكْوَانِ،
 و(فاطرُ الْأَكْوَانِ) هو الذي خَلَقَهَا ابتداءً على غيرِ مِثَالِ سَبَقٍ، ولهذا قالوا:

(فَاطِرُ السَّمَوَاتِ) أَي: مُنْشِئُهَا عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ سَبَقَ، يَعْنِي: مُنْشِئُهَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ،
فَالَّذِي فَطَرَ الْأَكْوَانَ مِنْ غَيْرِ مِثَالٍ سَابِقٍ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

١١٥٣- لَكِنْ نَفَاةُ الْفَوْقِ مَا وَافَوْا بِهِ جَحَدُوا كَمَالَ الْفَوْقِ لِلدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ نَفَاةُ الْفَوْقِ مَا وَافَوْا بِهِ» يَعْنِي: مَا اتَّوَابَ بِهِ وَافِيًا.

وَنَفَاةُ الْفَوْقِ هُم: الْجَهْمِيَّةُ^(١)، وَالْأَشَاعِرَةُ^(٢)، وَنَحْوُهُمَا مِمَّنْ يُكْرَهُونَ الْعُلُوقَ
الذَّاتِيَّ، فَهَؤُلَاءِ جَحَدُوا كَمَالَ الْفَوْقِ لِلدِّيَانِ.

١١٥٤- بَلْ فَسَّرُوهُ بِأَنَّ قَدَرَ اللَّهِ أَعْمَى إِلَى لَا بِفَوْقِ الذَّاتِ لِلرَّحْمَنِ

إِذَنْ فَسَّرُوا الْفَوْقِيَّةَ بِالْقَدْرِ، أَي: فَوْقِيَّةَ الْمَعْنَى فَقَطُّ.

١١٥٥- قَالُوا: وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ النَّاسِ فِي ذَهَبٍ يُرَى مِنْ خَالِصِ الْعِيقَانِ:

١١٥٦- هُوَ فَوْقَ جِنْسِ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ لَا بِالذَّاتِ بَلْ فِي مُقْتَضَى الْأَثْمَانِ

فَالذَّهَبُ فَوْقَ الْفِضَّةِ، وَالْبِلَاتِينُ فَوْقَ الذَّهَبِ، وَالصُّوفُ فَوْقَ الْقُطْنِ،
وَالْمَسْجِدُ فَوْقَ السُّورِ، هَذِهِ فَوْقِيَّةُ الْقَدْرِ.

(١) هم أصحاب جهم بن صفوان، وهو من الحبرية الخالصة، ظهرت بدعته بترمد، وقتله سلم بن أخوز المازني بمرور في آخر ملك بني أمية، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية، وزاد عليهم بأشياء منها قوله: لا يجوز أن يوصف البارئ تعالى بصفة يوصف بها خلقه، لأن ذلك يقضي تشبيها، فنفي كونه حيا عالما، وأثبت كونه: قادرا، فاعلا، خالقا، لأنه لا يوصف شيء من خلقه بالقدره والفعل والخلق. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦).

(٢) هم أصحاب الأشعري: علي بن إسماعيل، أبو الحسن، من نسل أبي موسى الأشعري، كان من أئمة المتكلمين المجتهدين، أسس مذهب الأشاعرة، ولد سنة (٢٦٠هـ) في البصرة، وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم، ثم رجع وجاهر بخلافهم، والتزم مذهب أحمد بن حنبل، وتوفي ببغداد سنة (٣٢٤هـ).

فقالوا: هذه الفوقية لله هي فوقية القدر، أما الذات فلا.

قوله: «العقيان» اسم للذهب.

ثم بين المؤلف أن الفوق ثلاثة أنواع كالعلو، فقال:

١١٥٧- وَالْفَوْقُ أَنْوَاعٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا اللَّهُ ثَابِتَةٌ بِأَلَا نُكْرَانَ

١١٥٨- هَذَا الَّذِي قَالُوا وَفَوْقَ الْقَهْرِ وَالْ فَوْقِيَّةَ الْعُلْيَا عَلَى الْأَكْوَانِ

قوله: «هذا الذي قالوا» يعني: فوق القدر.

قوله: «والفوقية العليا على الأكوان» أي: فوق الذات.

فجعل المصنف - رحمه الله - فوقية الله كعلو الله، فوقية قدر، وقهر، وذات، وهي كلها ثابتة لله عز وجل.

الآن إذا قلتم: (سبحان ربِّي الأعلى)، ما الذي يتبادر إلى أذهانكم؟ الجواب:

يتبادر علو الذات، أما علو المعنى فيغيب عن كثير من الناس، حتى طلاب العلم

قد لا يستحضرون علو المعنى عند قولهم: (سبحان ربِّي الأعلى)، ولكن نقول: من

يُضِلُّ اللهُ فلا هادي له.

فصل

- ١١٥٩- هَذَا وَرَابِعُهَا: عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمْلاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ
 ١١٦٠- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا اشْتِمَلًا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَزْمَانِ
 ١١٦١- فِي سُورَةٍ فِيهَا الْمَعَارِجُ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْحُسْبَانِ
 ١١٦٢- وَبِسَجْدَةِ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلَأَجَلٍ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ
 ١١٦٣- يَوْمُ الْمَعَادِ بِذِي الْمَعَارِجِ ذِكْرُهُ وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلٍ) فِي ذَا الْآنِ
 ١١٦٤- وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فِيَوْمٌ وَاحِدٌ وَعُرُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدِّيَانِ
 ١١٦٥- فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ وَصُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي
 ١١٦٦- هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قُدِّرَتْ خَمْسِينَ فِي عَشْرِ وَذَا ضِعْفَانِ
 ١١٦٧- لَكِنَّمَا الْخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةَ السُّبْحِ سَبْعِ الطَّبَاقِ وَبُعْدُ ذِي الْأَكْوَانِ
 ١١٦٨- مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ التَّحْتَانِي
 ١١٦٩- وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَلْبَغْوِيُّ ذَاكَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِيُّ
 ١١٧٠- وَجَاهِدٌ قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لَكِنْ كِنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ الْجَلِيلَ الشَّانِ
 ١١٧١- قَالَ: الْمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَالْعَرْشِ ذَا أَلْمَقْدَارُ فِي سَيْرٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

- ١١٧٢- وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُ عِكْرِمَةَ وَقَوْلُ
 لُ قَتَادَةَ وَهُمَا لَنَا عَلَمَانِ
 ١١٧٣- وَاخْتَارَهُ الْحَسَنُ الرُّضَا وَرَوَاهُ عَنْ
 بَحْرِ الْعُلُومِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ
 ١١٧٤- وَيُرْجَحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ
 سَادَاتُنَا فِي فَرْقِهِمْ أَمْرَانِ:
 ١١٧٥- إِحْدَاهُمَا: مَا فِي الصَّحِيحِ لِمَنْعِ
 لِرِكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ
 ١١٧٦- يُكْوَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ
 وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَبْنَانِ
 ١١٧٧- خَمْسُونَ أَلْفًا قَدْرُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فِي
 هَذَا الْحَدِيثِ وَذَلِكَ ذُو تَيْبَانَ
 ١١٧٨- فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمِ
 مَّ وَاحِدًا مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ
 ١١٧٩- قَالُوا: وَإِرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْـ
 مَمْضُومَنَ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ
 ١١٨٠- فَانظُرْ إِلَى الْإِضْمَارِ ضَمْنِ (يَرُونَهُ)
 وَ(نَرَاهُ) مَا تَفْسِيرُهُ بَيَّانِ
 ١١٨١- فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَا
 بٍ وَاقِعٍ لِلْقُرْبِ وَالْحَيْرَانِ
 ١١٨٢- وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّ
 دُنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 ١١٨٣- فَتَزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَالِكَ ثَابِتٌ
 كَتَزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ
 ١١٨٤- وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ الْقَضَا كَعُرُوجِهِمْ
 أَيْضًا هُنَا فَالْهُمُ إِذَنْ شَأْنَانِ
 ١١٨٥- وَيَزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا
 فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ
 ١١٨٦- هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيْ وَعِلْمُهَا أَلِ
 مَوْكُوتٍ بَعْدَ لِمُنْزَلِ الْقُرْآنِ
 ١١٨٧- وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمِ بِلَا
 عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ

١١٨٨- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْمُرَادِ بِقَوْلِهِ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

الشرح

هذا الفصل فيما يتعلق بالنوع الرابع من الأدلة الدالة على علو الله - جلّ وعلا-، يقول -رحمه الله-:

١١٥٩- هَذَا وَرَابِعُهَا: عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمَلَاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَرَابِعُهَا» يَعْنِي: رَابِعَ الْأَنْوَاعِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ بِذَاتِهِ.

قَوْلُهُ: «عُرُوجُ الرُّوحِ وَالْأَمَلَاكِ صَاعِدَةً إِلَى الرَّحْمَنِ» كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذِي

الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَكِيَّةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣-٤] الْمَلَائِكَةُ مَعْرُوفَةٌ.

قَوْلُهُ: «الرُّوحُ» هَلْ هُوَ (جِبْرِيْلُ)، فَيَكُونُ عَطْفُهُ عَلَى (الْمَلَائِكَةِ) مِنْ بَابِ

عَطْفِ الْخَاصِّ عَلَى الْعَامِّ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾

[القدر: ٤]، أَوْ الرُّوحُ جِنْسُ أَرْوَاحِ بَنِي آدَمَ، كَمَا صَحَّ بِذَلِكَ الْحَدِيثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

بِأَنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَتْ صُعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَذَلِكَ عِنْدَ حَدِيثِهِ عَلَى رُوحِ الْمُؤْمِنِ

وَالْكَافِرِ فِي قَوْلِهِ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا

هَذَا الرُّوحُ»^(١).

سواء هذا أو هذا، فإن في كل منهما دلالة على أن الله فوق، فهذا دليلٌ.

١١٦٠- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَتَيْنِ كِلَاهُمَا أَشْهُمًا عَلَى التَّقْدِيرِ بِالْأَزْمَانِ

الضمير في قوله: (آتَى)، يعودُ على العروج.

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٥٥٧).

١١٦١- فِي سُورَةِ فِيهَا الْمَعَارِجُ قُدِّرَتْ حَمْسِينَ أَلْفًا كَامِلَ الْحُسْبَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١-٤].

١١٦٢- وَبِسُجْدَةِ التَّنْزِيلِ أَلْفًا قُدِّرَتْ فَلِأَجْلِ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ

هَذَا أَلْفٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، وَفِي آيَةٍ ثَانِيَةٍ يَقُولُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

لَكِنَّ الْمَوْلَفَ أَتَى بِهِذَيْنِ الْيَوْمَيْنِ فَقَطْ: فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ، وَفِي سُورَةِ التَّوْبَةِ

﴿١﴾ تَنْزِيلٌ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾.

قَوْلُهُ: «فَلِأَجْلِ ذَا قَالُوا: هُمَا يَوْمَانِ» (قَالُوا) أَي: أَهْلُ الْعِلْمِ.

١١٦٣- يَوْمُ الْمَعَارِجِ بِذِي الْمَعَارِجِ ذَكَرَهُ وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلِ) فِي ذَا الْآنِ

قَوْلُهُ: «وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلِ) فِي ذَا الْآنِ» هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ حَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَلْهِلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبْصِرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ٤-١١].

وَالسِّيَاقُ وَاضِحٌ جَدًّا أَنْ الْمُرَادَ بِهَذَا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا ثَبَتَ فِي صَحِيحِ

مُسْلِمٍ «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحٌ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ

وَوَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيُرَى سَبِيلُهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١). فيكون الذي في المعارج هو يوم القيامة.

قَوْلُهُ: «وَالْيَوْمُ فِي (تَنْزِيلُ) فِي ذَا الْآنِ» (في الآن) يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا، فَالْيَوْمُ الَّذِي فِيهِ ﴿آلَمَ ۝١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾، لَيْسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَلْ هُوَ يَوْمٌ فِي الدُّنْيَا.

فَقَالُوا: هُمَا إِذَنْ يَوْمَانِ: أَحَدُهُمَا: يَوْمُ الْمَعَادِ، وَالثَّانِي: يَوْمُ الْمَعَاشِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، وَهَذَا هُوَ الَّذِي عَلَيْهِ جَمُهورُ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ.

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ رَأْيَهُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ فِي النِّهَايَةِ ذَكَرَ أَنَّهَا لَمْ تَتَّضِحْ لَهُ.

لَكِنْ لِنَنْظُرَ إِلَى قَوْلِ الْجَمُهورِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْمَرْوِيَّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَنْ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَغَيْرِهِمَا.

وَذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَالَ فِي ﴿آلَمَ ۝١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هُنَاكَ سَمَاءً، وَهُنَاكَ أَرْضًا، وَهُنَاكَ تَدْبِيرًا مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ [السجدة: ٥]، يَعْنِي: فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَفِي لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥]، مِقْدَارُ هَذَا الَّذِي يَأْتِي مِقْدَارُهُ فِي يَوْمٍ، وَقَدْ يَكُونُ فِي لِحْظَةٍ وَاحِدَةٍ، لِأَنَّ (فِي) لِلظَّرْفِيَّةِ، وَ(الْيَوْمِ) ظَرْفٌ، وَالظَّرْفُ أَوْسَعُ مِنَ الْمَطْرُوفِ، يَعْنِي: هَذَا التَّدْبِيرُ يَكُونُ فِي يَوْمٍ، وَقَدْ يَكُونُ فِي لِحْظَةٍ، فَالْحِظَةُ فِي يَوْمٍ، مَا خَرَجَتْ عَنْ طَوْرِ الْيَوْمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَسَافَةَ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧).

فنزوله من السماء في خمسمائة عام، وصعوده من الأرض إلى السماء في خمسمائة عام، قَالَ اللهُ -سبحانه وتعالى-: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة:٥]، فيكون الجميع ألفاً ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ ⑤ ذَلِكَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ⑥ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، ﴿[السجدة:٥-٧].

وهذا واضحٌ جداً من السِّيَاقِ أنه في الدنيا.

فالسِّيَاقُ -كما عَلَّمَنَا ابنُ الْقَيْمِ -رحمه الله- يُعَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ بهذا اليوم يومٌ في الدنيا، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي فِيهِ التَّدْبِيرُ، ثُمَّ الْعُرُوجُ، وَوَضَحٌ جَدًّا مِنَ الْمَعْنَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْآخِرَةِ، لِأَنَّ الَّذِي فِي الْآخِرَةِ مِقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ.

ولنأتِ إلى اليوم الثاني في الآخرة، يقول اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ① لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ② مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ③ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج:١-٤] تعرجُ إلى مَنْ؟ الْجَوَابُ: إلى ذِي الْمَعَارِجِ، ولم يُبَيِّنْ -سبحانه وتعالى- في هذه الآية مدةَ عُرُوجِهَا إلى اللهِ.

وأما قَوْلُهُ: ﴿فِي يَوْمٍ﴾ فهذا متعلِّقٌ بـ(واقِعٍ)، يَعْنِي: (بعذابٍ واقِعٍ) قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ④ فَأَصْبَرَ صَبْرًا جَمِيلًا ⑤ إِنَّهُمْ بِرُؤْسِهِ لَبَعِيدًا ⑥ وَنَزَلَتْهُ قَرِيبًا ⑦ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْهَيْلِ﴾ [المعارج:٤-٨] وهذا واضحٌ أنه يومُ الْقِيَامَةِ.

وهذا في الطُّولِ، لا في الْمَسَافَةِ، يَعْنِي: طُولُ هذا اليوم خمسون ألفَ سَنَةٍ، وَيُؤَيِّدُ هذا ما رَوَاهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ صَاحِبٍ ذَهَبَ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ

صَفَائِحٍ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَكْوَى بِهَا جَنْبَهُ وَجَبِينَهُ وَظَهْرَهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ^(١)، فالآية والحديث يدلان دلالَةً صريحةً على أَنَّ هذا اليوم هو يوم القيامة.

وَأَمَّا ﴿الْمَ ۝١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾، فواضحٌ من السِّيَاقِ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ هَذَا اليَوْمَ الَّذِي فِي الدُّنْيَا.

إِذَنْ فَالْقَوْلُ الرَّاجِعُ فِي الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ مَا قَالَهُ جُمْهُورُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الَّذِي فِي سُورَةِ: ﴿الْمَ ۝١﴾ تَنْزِيلُ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، وَأَمَّا الَّذِي فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، مَنْقُطَعًا عَمَّا بَعْدَهُ، وَهُوَ كالتفسير لقَوْلِهِ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣]، لَكِنْ لِمَاذَا وَصَفَ نَفْسَهُ بِذِي الْمَعَارِجِ؟ قَالَ: لِأَنَّ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ تَرْجِعُ إِلَيْهِ، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ كالتفسير والبيان لقَوْلِهِ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣].

بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ يُقَالَ: هُنَاكَ يَوْمٌ ثَالِثٌ، لَكِنْ لَيْسَ فِيهِ ذِكْرُ الْعُرُوجِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧].

نَقُولُ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْيَوْمِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ فَاخْتَصَّ بِهِ، وَلَا نَدْرِي مَا هَذَا الْيَوْمُ؟ نَقُولُ: هَذَا يَوْمٌ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَا نَعْلَمُ عَيْنَهُ، لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْ مَا يَدُلُّ عَلَى تَعْيِينِهِ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ وَلَمْ يُخْبِرْنَا بِهِ، فَالوَاجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُحْجِمَ عَنْهُ، وَأَنْ نَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ بِهَذَا الْيَوْمِ، لِأَنَّهُ لَيْسَ هُوَ الْيَوْمَ الَّذِي فِي سُورَةِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة، برقم (٩٨٧).

﴿الْم ١ تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢]، لَأَنَّ الَّذِي فِي ﴿الْم ١ تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢] هو يومٌ في الدنيا، أمَّا هذا فلا ندري، لَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَهَمَّهُ وَلَمْ يُبَيِّنْهُ، وليس كما قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ الْأَيَّامَ عِنْدَ اللَّهِ كَأَلْفِ سَنَةٍ، لَأَنَّ اللَّهَ نَكَرَ الْيَوْمَ فَقَالَ: ﴿يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾، فهو يومٌ واحد، اللهُ أَعْلَمُ بِهِ، ونحن لا يلزِمُنَا أَنْ نَعْلَمَ كُلَّ شَيْءٍ مِمَّا لَا تَصِلُ إِلَيْهِ عَقُولُنَا.

قَالَ الْمَوْلَفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٦٤- وَكِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ وَاحِدٌ وَعُرُوجُهُمْ فِيهِ إِلَى الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَِلَاهُمَا عِنْدِي فَيَوْمٌ وَاحِدٌ» (كلاهما) الضميرُ يعودُ إلى اليومِ الذي

في ﴿الْم ١ تَنْزِيلُ﴾ [السجدة: ١-٢]، واليومِ الذي في ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١].

١١٦٥- فَالْأَلْفُ فِيهِ مَسَافَةٌ لِنُزُولِهِمْ وَصُعُودِهِمْ نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

١١٦٦- هَذِي السَّمَاءُ فَإِنَّهَا قَدْ قَدَّرَتْ خَمْسِينَ فِي عَشْرِ وَذَا ضِعْفَانِ

قَوْلُهُ: «خَمْسِينَ فِي عَشْرِ» يَعْنِي: خَمْسَائِتِي، هذا الصعودُ والنزولُ في خمسمائة،

فهذا ألفٌ، ولذا قال: (وذا ضعفان)، لماذا صاراً ضِعْفَيْنِ؟

الجواب: لِأَنَّتَهُمْ بَيْنَ صُعُودٍ وَنُزُولٍ.

١١٦٧- لَكِنَّمَا الْخَمْسُونَ أَلْفَ مَسَافَةَ السُّبْحِ سَبْعِ الطَّبَاقِ وَبَعْدُ ذِي الْأَكْوَانِ

١١٦٨- مِنْ عَرْشِ رَبِّ الْعَالَمِينَ إِلَى الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ التَّحْتَانِي

المعنى: (خمسون ألف) التي في (سأل)، يُرَادُ بِهَا مَا بَيْنَ قَاعَةِ الْأَرْضِ السُّفْلَى

إِلَى الْعَرْشِ، فَيَكُونُ خَمْسِينَ أَلْفًا، لَكِن كَيْفَ ذَلِكَ؟

الجَوَابُ: إِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْأَرْضِينَ سَبْعٌ، وَكُلُّ أَرْضٍ مَسَافَتُهَا خَمْسَمِائَةَ عَامٍ، فَإِذَا ضَرَبْتَ خَمْسَمِائَةَ فِي سَبْعِ أَرْضِينَ فَيَكُونُ الْجَمِيعُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ.

وَالسَّمَوَاتِ سَبْعٌ، سَمَكُ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسَمِائَةَ عَامٍ، فَالْجَمِيعُ يَكُونُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ، بَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ وَسَمَاءٍ خَمْسَمِائَةَ، فَيَكُونُ سَبْعٌ فِي خَمْسَمِائَةَ، فَيَكُونُ الْجَمِيعُ ثَلَاثَةَ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ، إِذْ نَ الْجَمِيعُ سَبْعَةُ آلَافٍ، وَعِنْدَنَا بِالْأَرْضِ ثَلَاثَةُ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ، فَهَذِهِ عَشْرَةُ آلَافٍ وَخَمْسَمِائَةَ.

وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ يَقُولُ: سَمَكُ كُلِّ أَرْضٍ خَمْسَمِائَةَ، فَيَكُونُ الْجَمِيعُ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفًا، وَيَقُولُونَ: مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ.

لَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَنَا هَذَا؟! يَعْني: مِنْ أَيْنَ لَنَا أَنْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْعَرْشِ سِتَّةٌ وَثَلَاثُونَ؟! وَهَلْ كَانُوا يُرِيدُونَ تَكْمِيلَ الْعَدَدِ فَيَكُونُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ؟!!

لَا نَدْرِي، وَهَذَا كُلُّهُ تَأَمَّلْتَ هَذَا الْقَوْلَ وَجَدْتَهُ ضَعِيفًا جَدًّا، فَخَمْسُونَ أَلْفًا الْمُقَدَّرُ بِهَا فِي ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] لَيْسَتْ لِلْمَسَافَةِ، وَلَكِنْ لِلْمُدَّةِ (لَطُولِ الزَّمَنِ)، يَعْني: مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، هَذَا بِاعْتِبَارِ الطَّوْلِ، لَا بِاعْتِبَارِ الْمَسَافَةِ، وَهَذَا الْأَمْرُ وَاضِحٌ.

وَهَذَا ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي النِّهَايَةِ تَرَدَّدَ، وَقَالَ: إِنَّهُ قَدْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ، وَلِنَنْظُرْ:

١١٦٩- وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ الْبَغْوِيُّ^(١) ذَاكَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِيُّ

(١) الْبَغْوِيُّ هُوَ: الْحُسَيْنُ بْنُ مَسْعُودٍ، مَحْبِي السُّنَّةِ، الْبَغْوِيُّ، نَسَبُهُ إِلَى بَغَا مِنْ قَرْيَةِ خُرَاسَانَ، الْمَوْلُودُ سَنَةَ (٤٣٦هـ) الْمُتَوَفَى بِمَرُورِ الرَّوْذِ سَنَةَ (٥١٦هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/١٩).

١١٧٠- وَجَاهِدٌ^(١) قَدْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ لَـ كَنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ^(٢) الْجَلِيلَ الشَّانِ

١١٧١- قَالَ: الْمَسَافَةُ بَيْنَنَا وَالْعَرْشِ ذَا أَلْـ مِقْدَارٌ فِي سَيْرٍ مِنَ الْإِنْسَانِ

المعنى أن ابن إسحاق قال: «اختلاف الزمن أو اختلاف التقدير ما بين ألف إلى خمسين ألفاً باعتبار السَّيرِ، فلو أن الإنسان سارَ من نُحُومِ الأرض السفلى إلى العرشِ لكان مقداره خمسين ألف سنة، وأمَّا الملائكةُ فألف سنة».

فجعل الفرق بين هذين العددين -وهو فرقٌ كبير- باعتبار السَّيرِ.

وهذا -أيضاً- ضعيف، لأنَّ هذا الجمعُ مُستكرهٌ في الواقع، لا نلجأ إلى مثل هذا الجمعِ إلا عند الضرورة، وليس هناك ضرورةٌ تجعلنا نجعلُ اليومين يوماً واحداً. ننفكُ عن كُلِّ هذه التأويلاتِ المُستكرهَةِ بأن نقول: هما يومان: يومُ القيامةِ، واليومُ في الدنيا.

١١٧٢- وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ قَوْلُ عِكْرَمَةَ^(٣) وَقَوْ لُ قَتَادَةَ^(٤) وَهَمَّا لَنَا عَلَّانِ

(١) مجاهد هو: مجاهد بن جبر، أبو الحجاج المكي، مولى بني مخزوم، أخذ التفسيرَ عن ابن عباس، ولد سنة (٥٢١هـ) واستقرَّ بالكوفة ومات سنة (١٠٤هـ)، وقيل: مات بمكة وهو ساجدٌ سنة (١٠٢هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/٤٤٩).

(٢) ابن إسحاق هو: محمد بن إسحاق بن يسار، المطلبى، مولاهم المدني، سكن بغداد، ومات فيها، قال ابن حبان: «لم يكن بالمدينة أحدٌ يقاربُ ابنَ إسحاق في علمه، أو يوازيه في جمعه». [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/٣٣).

(٣) عكرمة هو: أبو عبد الله البربري، المدني، مولى ابن عباس، ولد سنة (٢٥هـ)، ومات بالمدينة سنة (١٠٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/١٢).

(٤) قتادة هو: قتادة بن دعامة السدوسي، البصري، المولود سنة (٦١هـ)، كان من أحفظ أهل البصرة، مات بواسط في الطاعون سنة (١١٨هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/٢٦٩).

١١٧٣- وَاخْتَارَهُ الْحَسَنُ^(١) الرِّضَا وَرَوَاهُ عَنْ بَحْرِ الْعُلُومِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ^(٢) كُلُّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اخْتَارُوا هَذَا الْقَوْلَ أُمَّةٌ أَجَلٌ مِنَ الَّذِينَ اخْتَارُوا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

١١٧٤- وَيُرْجِّحُ الْقَوْلَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ سَادَاتُنَا فِي فَرْقِهِمْ أَمْرَانِ: قَوْلُهُ: «يُرْجِّحُ» أَي: قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَهَذَا مِنْ عَدْلِ ابْنِ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَإِنصَافِهِ، حَيْثُ ذَكَرَ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ .

١١٧٥- إِحْدَاهُمَا: مَا فِي الصَّحِيحِ لِإِمَاعٍ لِزَكَاتِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَعْيَانِ قَوْلُهُ: «الْأَعْيَانِ» جَمْعُ (عَيْنٍ)، وَهِيَ الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ .

١١٧٦- يُكْوَى بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَهْرُهُ وَجَبِينُهُ وَكَذَلِكَ الْجَبْنَانِ

١١٧٧- حَمْسُونَ أَلْفًا قَدْرُ ذَاكَ الْيَوْمِ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانِ

وَهَذَا يُؤَيِّدُ قَوْلَ الْجُمْهُورِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ فِي سُورَةِ ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَذَا قَالَ:

١١٧٨- فَالظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمٌ وَاحِدٌ مَا إِنَّهُمَا يَوْمَانِ

قَوْلُهُ: «الظَّاهِرُ الْيَوْمَانِ فِي الْوَجْهَيْنِ يَوْمٌ وَاحِدٌ» يَعْنِي بِذَلِكَ: الْيَوْمَ الَّذِي فِي ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١]، وَالْيَوْمَ الَّذِي فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُمَا يَوْمٌ وَاحِدٌ .

(١) لعله الحسن البصري: أبو سعيد الحسن بن يسار، إمام أهل البصرة، وخبير الأمة في زمنه، ولد بالمدينة سنة (٢١هـ)، وشب في كنف علي بن أبي طالب، وتوفي بالبصرة سنة (١١٠هـ). انظر ترجمته في: تهذيب الكمال (٦/٣٦٣).

(٢) لعله عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ بحر العلم وترجمان القرآن.

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ هُمَا يَوْمَانِ»، (ما) نافية، و(إِنْ) زائدة، ونظيرُ هذا قولُ الشاعر

العربي:

بَنِي غَدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبًا وَلَا صَرِيْفًا وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْحَزْفُ^(١)

الشاهد قَوْلُهُ: «مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبًا»، (إِنْ) هنا زائدة، والتقدير: (ما أنتم ذهب).

١١٧٩- قَالُوا: وَإِرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْـ مَضْمُونَ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا» أي: الجمهور.

قَوْلُهُ: «وَإِرَادُ السِّيَاقِ يُبَيِّنُ الْمَضْمُونَ مِنْهُ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ» وسبقت هذه

القاعدة في كلام ابن القيم: أن السِّيَاقَ يُعَيِّنُ المعنى المراد.

١١٨٠- فَانظُرْ إِلَى الْإِضْرَارِ ضَمْنَ (يَرُونَهُ) وَ(نَرَاهُ) مَا تَفْسِيرُهُ بَيَّانِ

١١٨١- فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَا بٍ وَاقِعٍ لِلْقُرْبِ وَالْحِجْرَانِ

نقرأ دائماً قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(١) لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ^(٢)

مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ^(٣) تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ

أَلْفَ سَنَةٍ^(٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا^(٥) إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا^(٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا^(٧) [المعارج: ١-٧]،

الضمير في (يرونه) هل يعود على (العذاب) أو يعود على (اليوم)؟ ابن القيم

يقول: إنه يعود إلى (اليوم).

قَوْلُهُ: «فَالْيَوْمُ بِالتَّفْسِيرِ أَوْلَى مِنْ عَدَابٍ وَاقِعٍ» لماذا؟ الجواب: للقرب، لأنَّ

الضمير يعود إلى أقرب مذكور، ولكننا نقول في الجواب عن هذا: حتى وإن قلنا:

(١) البيت من البسيط، وهو غير منسوب، انظر: مختار الصحاح، مادة: صرف.

إنه عائذٌ إلى (اليوم) ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ۖ وَرَأَوْهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧] نقول: نعم، حتى لو عاد إلى (اليوم) لا إلى (العذاب)، فإنَّ العذابَ أين يقع؟ الجواب: في اليوم، فإذا قَرَّبَ العذابَ قَرَّبَ اليومَ، وإذا بَعَدَ العذابَ بَعَدَ اليومَ.

وعندي أنه لا فرق بين أن نقول: إِنَّ الضميرَ يعودُ على (اليوم)، أو إنه يعودُ على (العذاب)، فهو على كُلِّ تقديرٍ لا يَدُلُّ على ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- بل إنهم يَرَوْنَ هذا اليومَ بَعِيدًا ونَرَاهُ قَرِيبًا، بل إنهم أَنْكَرُوا هذا اليومَ، قَالَ تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٤٨]، أو إنهم يرون العذابَ بعيدًا، ونراه قريبًا، بل هم أنكروه، واستبعدوه، ولا فرق، ولكن الذي يَتَبَيَّنُ به المعنى أن نَقُولَ: قَوْلُهُ: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ﴾ [السجدة: ٥] هل هو متعلقٌ بـ ﴿تَعْرُجُ﴾ [المعارج: ٤] أو متعلقٌ بـ ﴿وَاقِعٌ﴾ [المعارج: ١]؟

الجواب: نَقُولُ: متعلقٌ بـ (واقع) أي: واقع في هذا اليوم ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۚ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ۚ مِّنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۚ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ١-٤]، وقوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ تَبَعُ لِقَوْلِهِ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾، وانقطع الكلامُ بها.

وحتى لو قُلْنَا: إِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾ متعلقٌ بـ (تَعْرُجُ)، فإنه لا يَتَعَيَّنُ به ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ، لأنَّ من الجائز أن قَوْلَهُ تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ في ذلك اليوم، يَعْنِي: يوم القيامة، ولا مانع، فإنَّ الملائكةَ في ذلك اليوم قد تعرَّجُ إلى الله عزَّ وجلَّ بما شاء الله.

وعلى كُلِّ تقديرٍ فإنَّ ما ذَهَبَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- يدلُّ على أنَّ الإنسانَ مهما بلغ في العلم فإنه لا يخلو من الخطأ -فيما نرى- والعِلْمُ عندَ الله.

١١٨٢- وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَكُونُ ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ» أَي: عُرُوجِ الْمَلَائِكَةِ.

قَوْلُهُ: «فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ»، يَعْنِي: أَنَّ عُرُوجَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ.

لَكِنْ نَقُولُ لَهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: أَيْنَ فِي الْآيَةِ أَنَّهَا تَعْرُجُ فِي الدُّنْيَا إِلَى اللَّهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ!؟

إِذَا جَعَلْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفًا﴾ مُتَعَلِّقًا بِ(تَعْرُجُ)، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْعُرُوجُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَكَيْفَ يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (ذِكْرُ عُرُوجِهِمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ)؟! لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَذْكُرْ أَنَّهُمْ يَعْرُجُونَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَالَّذِي فِي سُورَةِ: ﴿الْمَرْ ۝١ تَنْزِيلٌ﴾ [السجدة: ١-٢] مَا الَّذِي يَعْرِجُ؟

الْجَوَابُ: الْأَمْرُ، وَلَيْسَ الْمَلَائِكَةُ، وَلَا ذُكِرَتْ الْمَلَائِكَةُ إِطْلَاقًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يُدِيرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

١١٨٣- فَتَنْزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَالِكَ ثَابِتٌ كَنْزُولِهِمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ

قَوْلُهُ: «هُنَالِكَ» الْإِشَارَةُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَوْلُهُ: «ثَابِتٌ»، لِأَنَّهُ ثَبَتَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزَلُ مِنَ السَّمَاءِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

قَوْلُهُ: «كَنْزُولُهُمْ أَيْضًا هُنَا لِلشَّانِ» أَي: فِي الدُّنْيَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي نَزُولِهِمْ فِي الدُّنْيَا: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ [القدر: ٤].

١١٨٤- وَعُرُوجُهُمْ بَعْدَ الْقَضَا كَعُرُوجِهِمْ أَيْضًا هُنَا فَلَهُمْ إِذَنْ شَأْنَانِ
قَوْلُهُ: «عُرُوجُهُمْ» أي: يوم القيامة.

قَوْلُهُ: «بَعْدَ الْقَضَا» يَعْنِي: بَعْدَ أَنْ يَقْضِيَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَ الْخَلَائِقِ، وَالْمَلَائِكَةِ صُفُوفًا، وَيُنْتَهِي الْأَمْرُ، تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

قَوْلُهُ: «كَعُرُوجِهِمْ أَيْضًا هُنَا» وهل هم يَعْرُجُونَ هنا؟

الجواب: نعم، الملائكة يَعْرُجُونَ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، وَمِنْ ذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ الْمُوَكَّلُونَ بِحِفْظِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ لِلْإِنْسَانَ مَلَائِكَةً مُوَكَّلِينَ بِهِ فِي اللَّيْلِ، وَمَلَائِكَةً فِي النَّهَارِ، إِذَا جَاءَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ عَرَجَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَإِذَا جَاءَتْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ عَرَجَتْ مَلَائِكَةُ النَّهَارِ.

١١٨٥- وَيَزُولُ هَذَا السَّقْفُ يَوْمَ مَعَادِنَا فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ
يقول: إِنَّ السَّقْفَ الَّذِي هُوَ السَّمَاءُ يَزُولُ، وَدَلِيلُ هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ، يَبْقَى عُرُوجُهُمْ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى الْعَرْشِ رَأْسًا، وَلِهَذَا قَالَ: (فَعُرُوجُهُمْ لِلْعَرْشِ وَالرَّحْمَنِ).

١١٨٦- هَذَا وَمَا اتَّضَحَتْ لَدَيَّْ وَعِلْمُهَا أَلَمْ يَكُنْ بَعْدَ لِمُنْزَلِ الْقُرْآنِ
أَكْثَرُ النَّسْخِ (وَمَا اتَّضَحَتْ)، لَكِنْ تَوْجَدُ نَسْخَةً، وَعَلَيْهَا شَرَحَ ابْنُ عِيسَى -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (هَذَا وَمَا نَضِجَتْ لَدَيَّْ) وَالنَّضِجُ بِمَعْنَى الْكَمَالِ، وَمِنْهُ نَضِجَتْ اللَّحْمَةُ، وَنَضِجَ الطَّعَامُ، يَعْنِي: كَمَّلَ وَاسْتَوَى.

كَأَنَّ الْمُؤَلَّفَ -رَحِمَهُ اللهُ- فِي النِّهَايَةِ شَكَّ فِي الْأَمْرِ، وَقَالَ: إِنَّهَا مَا نَضِجَتْ.
والحقيقة أن هذه تُعْتَبَرُ مرتبةً ثانيةً بعد أن بَحَثَ وناقش -رَحِمَهُ اللهُ-، ففي
النِّهَايَةِ تَرَدَّدَ.

فَعِنْدَنَا الْآنَ ثَلَاثَةٌ مَقَامَاتٍ:

جَزْمٌ بِأَنَّ الْيَوْمِينَ وَاحِدٌ، وَجَزْمٌ بِأَنَّ الْيَوْمِينَ مُخْتَلِفَانِ، وَتَرَدُّدٌ كَمَا فِي حَالِ ابْنِ
الْقَيْمِ أَخِيرًا.

وَالصَّوَابُ الْجَزْمُ بِأَنَّهَا يَوْمَانِ، وَالسِّيَاقَانِ لَا يَتَّفِقَانِ أَصْلًا، بَلْ يَخْتَلِفَانِ فِي أُمُورٍ:
أَوَّلًا: يَخْتَلِفَانِ فِي الْعَدَدِ: هَذَا أَلْفٌ، وَهَذَا خَمْسُونَ أَلْفًا.

ثَانِيًا: يَخْتَلِفَانِ فِي الَّذِي يَعْرُجُ: فِي ﴿الْمَرْ ١﴾ تَنْزِيلٌ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾ الَّذِي
يَعْرُجُ الْأَمْرُ، وَفِي ﴿سَأَلَ﴾ [المعارج: ١] الَّذِي يَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ.

ثَالِثًا: يَشْهَدُ لِلَّذِي فِي ﴿سَأَلَ﴾ الْحَدِيثُ الصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
(يَوْمَ الْمَعَادِ).

فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَكَيْفَ يُشْكَلُ الْأَمْرُ؟!

فَالصَّوَابُ الْمَقْطُوعُ بِهِ أَنَّ مَا ذَكَرَ فِي ﴿الْمَرْ ١﴾ تَنْزِيلٌ ﴿[السجدة: ١-٢]﴾، هُوَ يَوْمٌ
فِي الدُّنْيَا، أَي: أَنَّ اللَّهَ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ
كَانَ مَقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ: خَمْسَمِائَةَ لِلنُّزُولِ، وَخَمْسَمِائَةَ لِلْعُرُوجِ، وَيُنْتَهِي الْأَمْرُ.

وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُعَذَّبُ الْكَافِرُونَ، أَوْ يَقَعُ بِهِمُ الْعَذَابُ فِي يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ
خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَى اللَّهِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ
الَّذِي مَقْدَارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَلَا مَانِعَ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ عُرُوجٌ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

لكن مع ذلك نحن نرى أن الذي في سورة ﴿الْم ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ﴾ [السجدة: ١-٢] هو مقدار المسافة ما بين الأرضِ والسَّماءِ، وأن ما في سورة المعارجِ هو مقدارُ الزمنِ، يَعْنِي: أنَّ اليومَ طویلٌ، لا أنَّ المساحةَ كبيرةٌ، بل اليومَ طویلٌ مقدارُهُ خمسون ألفَ سنةٍ، ثُمَّ بعدَ ذلك ينتهي كُلُّ شَيْءٍ، ويعود أهلُ الجنةِ إلى الجنةِ، وأهلُ النارِ إلى النارِ.

قَوْلُهُ: «بَعْدُ» أي: بعد أن ناقش هذه المناقشة. ثُمَّ قال:

١١٨٧- وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلا عِلْمٍ وَهَذَا غَايَةُ الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْ جَزْمٍ بِلا عِلْمٍ»، استعاذَ بالله من أن يَجْزِمَ بأحدِ القولينِ بلا علمٍ، وهذا هو الواجِبُ على كُلِّ مسلمٍ، فكلُّ مؤمنٍ إذا كان عنده تَرَدُّدٌ في الأمرِ لا يجوزُ أن يَجْزِمَ به، وهذا دأبُ السَّلَفِ: الإمامُ أحمد -رَحِمَهُ اللهُ- وهو من أئمةِ السَّلَفِ، إذا سُئِلَ عن شَيْءٍ، قال: أرجو، أو يُعْجِبُنِي، أو لا يُعْجِبُنِي، أو لا أقولُ، أو أجبنُ عن هذا، أو ما أشبه ذلك من الكلمات التي تدلُّ على وَرَعِهِ -رَحِمَهُ اللهُ-.

لكن عندنا في الوقت الحاضر -ما شاء اللهُ- شبابٌ في أوَّلِ درجةٍ من طلب العلم يقول عن مسألة يتردّد فيها الفحوُّلُ من أهل العلم: هذه حرامٌ قطعاً، وهذا واجبٌ قطعاً، ويجبُ المولاةُ والمعاداةُ على هذه المسألةِ.

وهذا خطأ عظيم، والواجِبُ أن الإنسانَ يتأدَّبُ مع اللهُ، لأنَّ الذي يُفْتِي أو يقول يتكلَّمُ عن اللهُ وعن شريعةِ اللهُ، والعلماءُ ورثةُ الأنبياءِ، وخلفاءُ الأنبياءِ، فيجبُ أن يتأتَّى، وألا يَجْزِمَ بالشَيْءِ إِلَّا بعِلْمٍ، ولهذا أعودُ بالله من جزمٍ بلا علمٍ.

الجزمُ لا بُدَّ له من علمٍ، ولا يكفي الظنُّ، بل لا بُدَّ من علمٍ، ولكنَّ الإنسانَ بشرٌ قد لا يستوعبُ الأدلةَ، وقد لا يستوعبُ فَهْمَهَا، ففي مثل هذه الحال يقول:

هذا فيما أعلم، هذا في غالب ظني. وما أشبه ذلك، أمّا أن يجزّم بلا علم وتكون بضاعته من العلم مزجاة^(١)، لم يعرف إلا حديثاً أو حديثين، أو تفسير آية أو آيتين، ثم يقول على لسان حاله: (أنا ابن جلا وطلاع الثنايا)^(٢) هذا ليس بصحيح، والواجب أن الإنسان يتأدّب في شرع الله عز وجل، ونسأل الله أن يجعلنا كذلك.

قوله: «وهذا غاية الإمكان» جزاه الله خيراً، يعني: هذا غاية ما تمكنت منه، عرضت عليك البحث والمناقشة، وأنا مع ذلك لم تنضح عندي، ولم تنضح لي.

وهذا -والله- غاية الورع، وغاية التقوى، رجل بهذا المقدار من العلم، والفهم، وحفظ النصوص يصل إلى حدّ التوقّف، ويستعيد بالله عز وجل أن يجزّم بلا علم، وهؤلاء هم العلماء الأخيار الأطهار، فعلى الإنسان أن يتوقّف عند منتهى علمه، والشيء الذي لا يعلمه لا يكلف به، وحسبه أن يقول: الله أعلم بما أراد في كلامه، ولذا قال -رحمه الله-:

١١٨٨- والله أعلم بالمراد بقوله ورَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

قوله: «الله أعلم بالمراد بقوله» صحيح -والله- فالله أعلم، ولهذا نجد أن المحرّفين لكلام الله عن ظاهره ادّعوا لأنفسهم أنهم أعلم بالله من الله.

فمثلاً قالوا: ليس لله عين مع أن الله قال: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القم: ١٤].

وقالوا: ليس لله يد، مع أن الله قال: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

(١) أي: قليلة. انظر: لسان العرب، مادة: زجا.

(٢) هذا شطر بيت من الوافر، وهو لسحيم بن وثيل، وشطره الثاني: متى أضع العمامة تعرفوني.

انظر: لسان العرب، مادة: جلا.

وقالوا: ليس لله وجه، مع أن الله قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٧] وهَلُمَّ جَرًّا.

فهؤلاء نقول لهم: الله أعلم أم أنتم؟ فإن قالوا: نحن، فيا ويلهم، وإن قالوا: الله أعلم، قلنا: الزموا ما أخبر الله به، ولا تتعدوه.

قوله: «وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ» لماذا لم يقل بالقرآن؟ الجواب: لأنَّ المقامَ مقامَ فرقي وتفريقي، فكان ذِكْرُ الفرقانِ أولى من ذِكْرِ القرآنِ، ولا شكَّ أنَّ القرآنَ فرقانٌ، قالَ اللهُ -تبارك وتعالى-: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، وقالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، فالقرآنُ فرقانٌ، والله لو تمسكنا به ورَجَعْنَا إليه ما بقي عندنا مشكلةٌ، لكن المشكلة في الإعراض الذي هو التقصير، أو من عدم الآلة الذي هو القصور، فالإنسانُ يُؤْتَى إمَّا من تقصيره، أو قصوره، أو سوء نِيَّتِهِ، أمَّا إذا اجتمعَ حسنُ النِّيَّةِ، وقوةُ الفَهْمِ، وكثرةُ العلمِ فإنَّ الغالبَ أن يُوفَّقَ الإنسانُ للصوابِ.

فصل

- ١١٨٩- هَذَا وَخَامِسُهَا: صُعُودُ كَلَامِنَا
 ١١٩٠- وَكَذَا صُعُودُ الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ
 ١١٩١- وَكَذَا صُعُودُ نَصَدَقٍ مِنْ طَيِّبٍ
 ١١٩٢- وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكِكَ قَدْ وُكِّلُوا
 ١١٩٣- فَإِلَيْهِ تَعْرُجُ بُكْرَةٌ وَعَشِيَّةٌ
 ١١٩٤- كَيْ يَشْهَدُونَ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْهِ بِالْ
 ١١٩٥- وَكَذَلِكَ سَعَى اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الرَّ
 ١١٩٦- وَكَذَلِكَ سَعَى الْيَوْمِ يَرْفَعُهُ لَهُ
 ١١٩٧- وَكَذَلِكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ
 ١١٩٨- بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ وَقَدْ دَنَا
 ١١٩٩- بَلْ عَادَ مِنْ مُوسَى إِلَيْهِ صَاعِدًا
 ١٢٠٠- وَكَذَلِكَ رَفَعَ الرُّوحَ عِيسَى الْمُرْتَضَى
 ١٢٠١- وَكَذَلِكَ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ
 بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ
 تِ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ ذِي الْإِيمَانِ
 أَيُّضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
 مِنْ أَعْمَالِهِ وَهُمْ بَدَلَانِ
 وَالصُّبْحُ يَجْمَعُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ
 أَعْمَالِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
 رَحْمَنٍ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي
 مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ حَافِظُ الْإِنْسَانِ
 قُ ثَابِتٌ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
 مِنْهُ إِلَى أَنْ قُدِّرَتْ قَوْسَانِ
 خَمْسًا عِدَادَ الْفَرَضِ فِي الْحُسْبَانِ
 حَقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 لَمَّا تَفُوزُ بِفِرْقَةِ الْأَبْدَانِ

- ١٢٠٢- حَقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفُوزَ بِقُرْبِهِ وَتَعُودَ يَوْمَ الْعَرْضِ لِلْجَنَّةِ
 ١٢٠٣- وَكَذَا دُعَا الْمُضْطَّرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ أَبَدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ
 ١٢٠٤- وَكَذَا دُعَا الْمَظْلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ حَقًّا إِلَيْهِ قَاطِعَ الْأَنْوَانِ

الشرح

في هذا الفصلِ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بَعْضَ أَنْوَاعِ أُدْلَةِ الْعُلُوِّ، وَمِنْهَا صُعُودُ الْأَشْيَاءِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالصُّعُودُ إِلَى الشَّيْءِ يَدُلُّ عَلَى عُلُوِّهِ، لِأَنَّ الصُّعُودَ يَكُونُ مِنْ أَسْفَلَ إِلَى أَعْلَى، فَإِذَا أَضَافَ اللهُ الشَّيْءَ إِلَى نَفْسِهِ صَاعِدًا، عَلِمَ أَنَّ اللهُ تَعَالَى فِي الْعُلُوِّ.

قَالَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١١٨٩- هَذَا وَخَامِسُهَا: صُعُودُ كَلَامِنَا بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَنَحْنُ أَوْلَى صُعُودَ كَلَامِنَا بِالطَّيِّبَاتِ إِلَيْهِ وَالْإِحْسَانِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

الْكَلِمُ الطَّيِّبُ: كُلُّ مَا طَابَ، وَضِدُّهُ الْكَلِمُ الْخَبِيثُ، فَالذُّكْرُ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ، وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْلِيمُ الْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ، كُلُّ هَذَا مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ. وَالسَّبُّ، وَالسَّتْمُ، وَاللَعْنُ، وَالْقَذْفُ، وَمَا أَشْبَهَهُ مِنَ الْكَلِمِ الْخَبِيثِ.

١١٩٠- وَكَذَا صُعُودُ الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ تِلْكَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْمَالِ ذِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْبَاقِيَّاتِ الصَّالِحَاتِ» هِيَ كُلُّ عَمَلٍ صَالِحٍ، قَالَ اللهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا

وَحَيْرٌ أَمَلًا ﴿ [الكهف: ٤٦]، فالباقيات الصالحاتُ كُلُّ الأعمالِ الصالحةِ، ويدخلُ في ذلك الذُّكْرُ، والصومُ، والحجُّ والصلاةُ، وغيرُ ذلك.

يقول المؤلف: إنها تُرْفَعُ إلى الله لقوله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾، مَنْ يَرْفَعُهُ؟ الجوابُ: اللهُ عزَّ وجلَّ، فيصعدُ إليه الكلمُ الطيبُ، والعملُ الصالحُ يَرْفَعُهُ اللهُ إليه ويقبله.

١١٩١- وَكَذَا صُعُودُ تَصَدَّقٍ مِنْ طَيِّبٍ أَيْضًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «تَصَدَّقٍ مِنْ طَيِّبٍ» التَّصَدَّقُ مِنَ الطَّيِّبِ، أَي: مِنَ الكَسْبِ الطَّيِّبِ، وقد جاء في الحديث: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ ثَمَرَةٌ مِنْ كَسْبِ طَيِّبٍ - وَلَا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا الطَّيِّبُ - فَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدَكُمْ فَلَوْهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(١)، هذا إذا تَصَدَّقَ مِنْ طَيِّبٍ، أَمَا إِذَا تَصَدَّقَ مِنْ غَيْرِ طَيِّبٍ، فَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُهُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٢).

١١٩٢- وَكَذَا عُرُوجُ مَلَائِكٍ قَدْ وُكِّلُوا مِنْ بَأَعْمَالٍ وَهُمْ بَدَلَانِ

قَوْلُهُ: «عُرُوجُ مَلَائِكٍ» أشار إليه النبي - عليه الصلاة والسلام - في قَوْلِهِ: «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، رقم (٦٩٩٣)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم (١٠١٤).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب لا يقبل الله صدقة من غلول، ولا يقبل إلا من كسب طيب، برقم (١٣٤٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، برقم (٦٣٢).

١١٩٣- فَإِلَيْهِ تَعْرُجُ بُكْرَةً وَعَشِيَّةً وَالصُّبْحُ يَجْمَعُهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ

١١٩٤- كَيْ يَشْهَدُونَ وَيَعْرُجُونَ إِلَيْهِ بِالْأَعْمَالِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

ولهذا قَالَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، يَجْتَمِعُ فِي صَلَاةِ الصُّبْحِ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ، ثُمَّ تَصْعَدُ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ، وَتَبْقَى مَلَائِكَةُ النَّهَارِ.

وهذا من عظمة الله عز وجل أن هؤلاء الملائكة الموكِّلون بحفظ بني آدم يتعاقبون بانتظام عند صلاة الصبح وعند صلاة العصر، ولهذا ينبغي للإنسان أن يستحضر هذا وهو يصلي الفجر، وهو أن الملائكة الموكِّلين بحفظ بني آدم يجتمعون في هذه الصلاة، وكذلك عند صلاة العصر، لكننا -والله- نَعْقُلُ كثيرًا حتَّى تَمَرَّ بنا هاتان الصلاتان، وكأنهما بقية الصلوات، وهذا أمرٌ سببه الغفلة عن هذه الأمور العظيمة، وإلا فإنك لو استحضرت وأنت تصلي الفجر أن ملائكة الليل وملائكة النهار شاهدون معك في هذه الصلاة، وكذلك في العصر، لو وجدت لهاتين الصلاتين شأنًا كبيرًا، وأمرًا عظيمًا، لا تَجِدُهُ في غيرهما.

١١٩٥- وَكَذَلِكَ سَعَى اللَّيْلِ تَرْفَعُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ قَبْلِ النَّهَارِ الثَّانِي

١١٩٦- وَكَذَلِكَ سَعَى الْيَوْمِ يَرْفَعُهُ لَهُ مِنْ قَبْلِ لَيْلٍ حَافِظُ الْإِنْسَانِ

هذا فيه أن الملائكة السابقين يحفظون الإنسان، وهناك ملائكة أخرى تحفظ عمل كل إنسان بنفسه قَالَ اللهُ تعالى: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ﴾ [ق: ١٧]، كُلُّ هَؤُلَاءِ يَرْفَعُونَ مَا كَتَبُوا إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

١١٩٧- وَكَذَلِكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ قَدْ ثَابَتْ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ
معراج الرسول إلى الله عز وجل، وذلك ليلة الإسراء، وكان في ربيع الأول
على المشهور قبل الهجرة بنحو ثلاث سنوات.

عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ بِبَدَنِهِ وَرُوحِهِ، لَيْسَ بِالرُّوحِ فَقَطْ، لَوْ
كَانَ بِالرُّوحِ فَقَطْ مَا أَنْكَرْتَهُ قَرِيشٌ، لِأَنَّ الْمَنَامَاتِ لَا تُنْكَرُ، لَكِنَّهُ عُرِجَ بِهِ بِجَسَدِهِ
وَرُوحِهِ ﷺ، أَوْلَا أُسْرِي بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَ الْحِجْرِ الَّذِي هُوَ الْحَطِيمُ عَلَى
الْبُرَاقِ بِصُحْبَةِ جِبْرِيلَ -عليهما السلام-.

وهذا البراق دون البغل وفوق الحمار، فهو دابة عجيبة، يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ
مُنْتَهَى طَرَفِهِ، الْخَطْوَةُ مَدُّ بَصَرِهِ، وَبَصَرُهُ قَوِيٌّ بِلا شَكٍّ، وَلِذَلِكَ وَصَلَ إِلَى بَيْتِ
الْمَقْدِسِ، وَصَلَّى بِالْأَنْبِيَاءِ -عليهم الصلاة والسلام-، وَعَرَجَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى
السَّمَوَاتِ -سبحان الله- مَسَافَاتٍ عَظِيمَةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللهُ، وَكَانَ هَذَا فِي لَيْلَةٍ
وَاحِدَةٍ، يَسْتَفْتِحُ جِبْرِيلُ، فَيَقَالُ: «مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟
قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ»^(١)، وَمَرَّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ فِي كُلِّ
سَمَاءٍ حَتَّى وَصَلَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي
حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ»^(٢)، الَّتِي تَكْتُبُ مَا يَكُونُ فِي الْيَوْمِ
وَاللَّيْلَةِ، سَمِعَهُ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- وَصَلَ إِلَى مَكَانٍ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ بَشَرٌ،
عُرِجَ بِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ [مريم: ٢].
برقم (٣٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأنبياء، باب ذكر إدريس -عليه السلام-، برقم (٣١٦٤). وصريف
الأقلام: أي صوت جريانها. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: صرف.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ مِعْرَاجُ الرَّسُولِ إِلَيْهِ حَقٌّ ثَابِتٌ» أي: بدلالة الكتاب والسنة، ففي سورة الإسراء دليل الإسراء، قَالَ تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وفي أول سورة النجم قصة المعراج، قَالَ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتَمْنُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ [النجم: ١-١٨] هذه الآيات كلها في المعراج.

١١٩٨- بَلْ جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ وَقَدْ دَنَا مِنْهُ إِلَىٰ أَنْ قُدِّرَتْ قَوْسَانِ يُقَرَّرُ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَيضًا: أَنَّ الرَّسُولَ عُرِجَ بِهِ إِلَىٰ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، حَتَّىٰ دَنَا مِنَ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾، يَعْنِي: قَدَّرَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ.

وهذا الذي ذَهَبَ إِلَيْهِ الْمُؤَلَّفُ ذَهَبَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمَفْسِّرِينَ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ولكنَّ الْقَوْلَ الصَّحِيحَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ جَبْرِيْلُ، وَلَيْسَ اللَّهُ - سبحانه وتعالى -، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَدْنُ فَيَتَدَلَّىٰ حَتَّىٰ كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ ثَبَتَ لَهُ الْعُلُوُّ الْمَطْلُوقُ، وَالتَّدَلَّىٰ ضِدُّ الْعُلُوِّ، أَمَّا الدَّنُوُّ فَلَيْسَ ضِدًّا الْعُلُوِّ، لَكِنَّ التَّدَلَّىٰ مَأْخُوذٌ مِنَ الدَّلْوِ إِذَا هَبَطَ فِي الْبُئْرِ، فَهَذَا يَنَافِي الْعُلُوَّ، وَلِهَذَا ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ فِي هَذِهِ النُّونِيَّةِ هَذَا

القول الذي مَشَى عليه، وذكرَ في موضعٍ آخَرَ في (التبيان في أقسام القرآن) أنَّ الذي دنا فتدلى هو جبريل، وهذا هو الصحيح بل هو مُتَعَيَّنٌ، لأنَّ الدلالة اللفظية والمعنوية كُلُّها تؤيِّد ذلك.

أمَّا الدلالة اللفظية فسياقُ الكلامِ يرجعُ فيه الضميرُ إلى مرجعٍ واحدٍ، ولنقرأ قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ وهو جبريل، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ جبريل أيضًا ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى﴾ جبريل، ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ من الأفق الأعلى ﴿فَدَدَكَ﴾ (٨) ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾، الذي دنا فتدلى هو جبريل، فجبريلُ دنا من محمد، لِأَنَّهُ قَالَ: ﴿فَدَدَكَ﴾ ولو كان الدنو من الله لقال: (فصعد).

بقي علينا قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾، ليس هناك مانعٌ أن يكون المعنى: أوحى جبريلُ إلى عبد الله، فيكون فاعِلُ (أَوْحَى) جبريلُ، والضمير في ﴿عَبْدِهِ﴾ يعودُ إلى الله عزَّ وجلَّ، واختلافُ الضميرين هنا قد تبَيَّنَ من السياق، لأنَّ محمدًا ﷺ لا يمكنُ أن يكونَ عبدًا لجبريلَ، أمَّا الوحيُ فيمكنُ أن يكونَ من الله، ويُمكنُ أن يكونَ من جبريلَ، ولهذا يُمكنُ أن نقولَ: إنَّ الضميرَ في (أَوْحَى) يَحْتَمِلُ أن يعودَ إلى جبريلَ كبقية الضمائرِ السابقة، ويَحْتَمِلُ أن يعودَ إلى (الله) (فَأَوْحَى الله إلى عبده).

ويجوز ذلك أيضًا من حيث المعنى، فقوله: ﴿فَدَدَكَ﴾، لا يليقُ بالله، لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - لا يتدلى، لأنَّ التدليَّ هو السُّفول من الأعلى، ويؤيِّد ذلك من حيث المعنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ (١٣) ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ (١٤) [النجم: ١٣-١٤]، يَعْنِي: مرَّةً أُخْرَى، رأى النَّبِيُّ ﷺ جبريلَ عندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، ولهذا ثبت في الحديث الصحيح أنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى جِبْرِيْلَ لَمْ يَرَهُ فِي صُوْرَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ:

مَرَّةً عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَمَرَّةً فِي جِيَادٍ، لَهُ سِتْمَائَةٌ جَنَاحٍ، قَدْ سَدَّ الْأُفُقَ^(١).

وبهذا يتبين أن ما ذهب إليه ابن القيم في هذه المسألة قولٌ ضعيفٌ، وإن كان قد قال به كثيرٌ من المفسرين.

لكن لا شك أن الرسول ﷺ عُرِجَ بِهِ إِلَى اللَّهِ حَتَّى جَاوَزَ السَّبْعَ الطَّبَاقَ، كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ.

١١٩٩- بَلْ عَادَ مِنْ مُوسَى إِلَيْهِ صَاعِدًا خَمْسًا عِدَادَ الْفَرَضِ فِي الْحُسْبَانِ

عاد من موسى إلى الله، لأن الرسول ﷺ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَمْسِينَ صَلَاةً، فَقَبِلَ وَرَضِيَ، وَأَسْلَمَ اللَّهُ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَلَمَّا نَزَلَ إِلَى جَبْرِيلَ إِلَى الْأَرْضِ مَرَّ بِمُوسَى، وَكَانَ مُوسَى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَدْ غَبَطَ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- عَلَى مَا أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْفَضَائِلِ، فَقَالَ لَهُ: مَا الَّذِي فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: فَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، قَالَ: لَا، إِنَّ أُمَّتَكَ لَا تُطِيقُ ذَلِكَ، إِنِّي قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمَعَالِجَةِ، فَازْهَبْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لِأُمَّتِكَ.

وهذا من توفيق الله عزَّ وجلَّ، لا في فرضها خمسين، ولا في تنبيه موسى للرسول ﷺ فَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ، صَعِدَ مِنْ مُوسَى إِلَى اللَّهِ، لِأَنَّ مُوسَى فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ عزَّ وجلَّ، وَمَا زَالَ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللَّهِ، حَتَّى صَارَتْ خَمْسًا فِي الْفِعْلِ، وَخَمْسِينَ فِي الْمِيزَانِ^(٢).

(١) أخرجه الترمذي: تفسير القرآن، سورة والنجم، برقم (٣٢٧٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٢)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٣).

والحمد لله، هل هي خمسون في الميزان لأنَّ الحسنةَ بعشرِ أمثالها؟ الجوابُ: لا، لِأَنَّه لو كان كذلك لم يَكُنْ للصلواتِ مَزِيَّةً، لكنَّ خمسين في الميزان على أننا نصلي خمسين بالفعل، وليس المرادُ الثواب، لأنَّ ثوابَ كُلِّ الحسنة هكذا، الحسنةُ بعشرِ أمثالها، فالخمسُ بخمسين، لكن المرادُ أنها خمسٌ في الميزان، أي: أننا نُعْطَى أجرَ خمسين صلاةً، وهذا -والحمد لله- من نعمة الله، وهو أن الله خَفَّفَ عَنَّا، وأعطانا ما فَرَضَه علينا أوَّلًا.

١٢٠٠- وَكَذَلِكَ رَفَعُ الرُّوحِ عِيسَى الْمُرْتَضَى حَقًّا إِلَيْهِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وهذا موجودٌ في قوله تعالى: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨]، وفي قوله: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ارْقُطِي فِي الْوَحْيِ وَارْقُطِي إِلَى يَدَيْكَ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [آل عمران: ٥٥]، وفي هذا دليلٌ على أن الله في العُلُوِّ.

١٢٠١- وَكَذَلِكَ تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ لَمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ

نعم، تَصْعَدُ رُوحُ كُلِّ مُصَدِّقٍ -أي: مؤمن- إلى الله وتُحْرِقُ السموات حتى تَصِلَ إلى الله عزَّ وجلَّ.

قوله: «لَمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةِ الْأَبْدَانِ» أي: روحُ المؤمنِ تفوزُ إذا فارقتَ البدنَ، لكن كيف تفوزُ وكُلُّ يكره الموت؟!

نقول: هذا الإشكالُ أوردته عائشةُ على النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-، حَدَّثَ النبيُّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أن: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ. قَالَ: «لَيْسَ ذَلِكَ»، يَعْنِي: لَيْسَ الْأَمْرُ مَا تَظُنِّينَ «الْمُؤْمِنُ إِذَا حَضَرَ الْمَوْتَ وَبُشِّرَ بِالْجَنَّةِ

أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ»^(١) لِأَنَّهُ يُبَشِّرُ بِنَعِيمٍ أَكْثَرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَلْفِ المَرَاتِ وَلَا يُقَاسُ، فَتُحِبُّ رُوحَهُ لِقَاءَ اللَّهِ، وَتَخْرُجُ وَقَدْ سَهَّلَ عَلَيْهَا الخُرُوجَ، حَتَّىٰ إِنَّمَا تُسَلُّ مِنْ بَدَنِهِ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ، وَالشَّعْرَةُ مِنَ العَجِينِ سَلُّهَا سَهْلٌ.

لكنَّ رُوحَ الكَافِرِ -والعياذُ بالله- إِذَا بُشِّرَتْ بِالغَضَبِ وَالسَّخَطِ تَفَرَّقَتْ فِي البَدَنِ -يَعْنِي: هَرَبَتْ- مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَتْ بِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا مَلَكُ المَوْتِ كَمَا يُنْتَزِعُ السَّفُودُ مِنَ الصَّوْفِ المَبْلُولِ، وَالسَّفُودُ: هُوَ الَّذِي يُغزَلُ بِهِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الخَشْبَتَيْنِ فِيهِمَا مَسَامِيرٌ يَكُونُ فِيهَا الصَّوْفُ، إِذَا نَشِبَ الصَّوْفُ فِي هَذَا السَّفُودِ لَا يُسْتَطَاعُ أَنْ يُنَزَعَ، فَيَنْتَزِعُهَا الشَّخْصُ بِأَشَدِّ مَا يَكُونُ -والعياذُ بالله- فَتَكْرَهُ لِقَاءَ اللَّهِ^(٢)، لِأَنَّهَا بُشِّرَتْ بِالْعَذَابِ وَالغَضَبِ وَمَا يَسُوءُهَا، فَلِهَذَا قَالَ المَوْلَفُ: (لَمَّا تَفُوزُ بِفُرْقَةٍ الأَبْدَانِ).

فهي إِذَا بُشِّرَتْ بِرُوحِ وَرِيحَانِ رَبِّ غَيْرِ غَضْبَانٍ تَفْرَحُ وَتُسْرُّ، بِأَخْذِهَا مَلَكُ المَوْتِ، وَيُعْطِيهَا المَلَائِكَةُ الَّذِينَ حَضَرُوا، وَمَعَهُمْ كَفَنٌ مِنَ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنَ الجَنَّةِ، فَيَجْعَلُونَهَا فِي هَذَا الكَفَنِ وَالْحَنُوطِ، ثُمَّ يَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى اللَّهِ، فَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، بِخِلَافِ المَكْدَبِ، فَإِنَّهُمْ يَصْعَدُونَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ تُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، وَتُطْرَحُ عَلَى الأَرْضِ طَرْحًا -والعياذُ بالله- وَهَذَا أَشَدُّ مِمَّا لَوْ لَمْ يَصْعَدُوا بِهَا، لِأَنَّهَا لَوْ بَقِيَتْ فِي الأَرْضِ كَانَ أَهْوَنَ مِنْ أَنْ يَصْعَدُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ تُرَدُّ مِنْ هُنَاكَ^(٣).

(١) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مِنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، رَقْمٌ (٦١٤٢)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ، بَابُ مِنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، رَقْمٌ (٢٦٨٣).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٤/٢٨٧، رَقْمٌ ١٨٥٥٧).

(٣) أَخْرَجَهُ النِّسَائِيُّ: كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا يَلْقَى بِهِ المُؤْمِنُ مِنَ الكِرَامَةِ عِنْدَ خُرُوجِ نَفْسِهِ، رَقْمٌ (١٨٣٣)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ الزَّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ المَوْتِ وَالتَّعَدُّادِ لَهُ، رَقْمٌ (٤٢٦٢).

إِذَنْ رُوحَ الْمُؤْمِنِينَ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ- تَفَوْزُ إِذَا فَارَقْتَ الْبَدْنَ،
لَأَنَّهَا تَنْتَقِلُ إِلَى خَيْرٍ مِمَّا انْتَقَلَتْ مِنْهُ.

١٢٠٢- حَقًّا إِلَيْهِ كَيْ تَفَوْزَ بِقُرْبِهِ وَتَعُودَ يَوْمَ الْعَرْضِ لِلْجُثْمَانِ

تَفَوْزُ بِقُرْبِهِ، لِأَنَّهَا فِي الْجَنَّةِ تَسْرَحُ فِي أَنْهَارِهَا وَأَشْجَارِهَا هُنَاكَ، فَإِذَا كَانَ
يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ خَرَجَتْ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذَا الصُّورِ، وَعَلَيْهَا
نُورٌ، حَتَّى تَكُونَ فِي الْأَبْدَانِ، فَتَحُلُّ بِالْأَبْدَانِ حُلُولًا أَبَدِيًّا، وَلَا تَخْرُجُ مِنْ هَذَا
بَعْدُ.

١٢٠٣- وَكَذَا دُعَا الْمُضْطَرِّ أَيْضًا صَاعِدٌ أَبَدًا إِلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ أَوَانٍ

وهذا من رحمته عز وجل، أنه يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ كُلُّ أَوَانٍ، حَتَّى لَوْ كَانَ
كَافِرًا، فَإِنَّ اللَّهَ يُجِيبُهُ، لِأَنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ مُجَابٌ
دَعْوَتُهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وَلَمْ
يَقُلْ: (الْمُؤْمِنِ)، بَلْ جَعَلَ سَبَبَ الْإِجَابَةِ الْاضْطِرَارَ.

ومثال واقعي أنهم إذا كانوا في الفلك، وهاجت بهم الأمواج، دَعَا اللَّهَ
مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَيُنَجِّيهِمْ، مَعَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سَيُشْرِكُونَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا
بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، لَكِنْ مِنْ أَجْلِ اضْطِرَارِهِمْ
فَإِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْبِقُ غَضَبَهُ، فَالْمُضْطَرُّ تَصْعَدُ دَعْوَتُهُ إِلَى اللَّهِ حَتَّى يُجِيبَهَا
عَزَّ وَجَلَّ.

١٢٠٤- وَكَذَا دُعَا الْمَظْلُومِ أَيْضًا صَاعِدٌ حَقًّا إِلَيْهِ قَاطِعَ الْأَكْوَانِ

دَعَاءُ الْمَظْلُومِ أَيْضًا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: «أَتَيْتُ دَعْوَةَ

المَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١).

تُرْفَعُ فَوْقَ السَّحَابِ، وَيُجِيبُ اللَّهُ تَعَالَى دَعَاءَهُ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَالْمَظْلُومُ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِيبُ دَعَاءَهُ، لِمَاذَا؟ هَلْ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَلَكِنْ لِأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْعَدْلَ وَالْإِنصَافَ، وَالْإِنصَافُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ عَدْلٌ، وَلَيْسَ جَوْرًا، فَلَمَحَبَّةِ اللَّهِ لِلْعَدْلِ يَقْبَلُ اللَّهُ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ وَلَوْ كَانَ كَافِرًا عَلَى مَنْ ظَلَمَهُ، وَهَذَا يَقُولُ الْعُلَمَاءُ: إِنَّا نُعَامِلُ الْكَافِرَ وَالْمُؤْمِنَ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ فِي بَابِ الْقَضَاءِ وَالْحُكْمِ مَعَ أَنَا بَشَرٌ.

إِذَا جَاءَ مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ يُحْتَصِمَانِ إِلَى الْقَاضِي، فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُحَايِيَ الْمُسْلِمَ أَبَدًا، بَلْ يَدْخُلَانِ جَمِيعًا، وَيَجْلِسَانِ أَمَامَ الْقَاضِي جَمِيعًا، وَيَنْظُرُ إِلَيْهِمَا نَظْرًا وَاحِدًا، فَلَا يَنْظُرُ إِلَى الْكَافِرِ بَوَاجِهِ الْغَضَبِ وَإِلَى الْمُسْلِمِ بَوَاجِهِ الرِّضَا، لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ عَدْلٍ.

وَهَلْ يَجُوزُ أَنْ يَقُومَ لِلْمُؤْمِنِ وَلَا يَقُومَ لِلْكَافِرِ فِي بَابِ الْمَحَاكِمَةِ؟

الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّ هَذَا خِلَافُ الْعَدْلِ، فَإِذَا كُنَّا نَحْنُ الْمُنْفِذِينَ لِأَحْكَامِ اللَّهِ فَيَجِبُ عَلَيْنَا الْعَدْلُ حَتَّى مَعَ الْكُفَّارِ، فَمَا بِالكَ بِالرَّبِّ الَّذِي هُوَ أَعْدَلُ الْعَادِلِينَ، فَإِنَّهُ إِذَا ظَلَمَ أَحَدٌ - وَلَوْ مِنَ الْكُفَّارِ - فَدَعَا اللَّهَ اسْتِجَابَ لَهُ.

وَيُذَكَّرُ أَنَّ بَعْضَ الْقَضَاةِ كَانَ لَهُ صِهْرٌ - وَالصَّهْرُ: هُوَ قَرِيبُ الزَّوْجَةِ - وَكَانَ هَذَا الصَّهْرُ لَهُ خَصْمٌ، فَجَاءَ الصَّهْرُ وَدَخَلَ بَيْتَ الْقَاضِي، لِأَنَّ فِيهِ ابْنَتَهُ، أَوْ أُخْتَهُ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَذَلِكَ لِمَا أَحْسَسَ بِمَجِيءِ الْخَصْمِ لِلْمُخَاصِمَةِ، وَجَاءَ الْقَاضِي وَدَخَلَ الْبَيْتَ، وَلَمْ يَكُنْ يَظُنُّ أَنَّ هُنَاكَ خِصْمَةً، فَقَالَ لِصَهْرِهِ: مَا الَّذِي جَاءَ بِكَ؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ وَتَرَدُّ فِي الْفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، رَقْمُ (١٤٢٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّعَاءِ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَشُرَائِعِ الْإِسْلَامِ، رَقْمُ (١٩).

قال: بيني وبين فلانٍ خصومةٌ، قال: الخصومة مجلسها غداً - يَعْنِي: ليس في هذا اليوم الذي جئت فيه إلى بيتي - حتى أفصلَ بينكما.
وهكذا يجب، لأنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ.

إذَنْ نقول: المظلومُ والمضطَرُّ يجبُ اللهُ دعوتَهما ولو كانا كافرين، أمَّا إجابة المَظْطَرِّ، فلأنَّ رحمةَ الله سبقتُ غضبه، وأمَّا إجابة المظلومِ فلأنَّ اللهَ حَكَمَ عدلًا، لا يدعُ للظالمين فرصةً.

فصل

- ١٢٠٥- هَذَا وَسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا: النَّزْوُ
 لُ، كَذَلِكَ التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ
 ١٢٠٦- وَاللَّهُ أَخْبَرَنَا بِأَنَّ كِتَابَهُ
 تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 ١٢٠٧- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامٌ مِّنْ
 فَوْقَ الْعِبَادِ؟! أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!
 ١٢٠٨- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا مِّنَ الرَّحْمَنِ وَالرُّ
 رَحْمَنُ لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟!
 ١٢٠٩- وَكَذَا نَزُولُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 فِي النَّصْفِ مِنْ لَيْلٍ وَذَاكَ الثَّانِي
 ١٢١٠- فَيَقُولُ: لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَخ-
 مَنِ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ؟
 ١٢١١- مَنِ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ؟
 ١٢١٢- مَنِ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُ؟
 ١٢١٣- مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ؟
 ١٢١٤- ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
 ١٢١٥- يَا قَوْمٍ لَيْسَ نُزُولُهُ وَعُلُوُّهُ
 حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ
 ١٢١٦- وَكَذَا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ
 لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي
 ١٢١٧- كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ
 أَوَّلُ وَزِدْ وَانْقُصْ بِلَا بُرْهَانِ

الشرح

في هذا الفصل ذكر المؤلف نوعين من الأدلة على علو الله -جلّ وعلا- وهما: النزول والتنزيل، ولذا قال -رحمه الله-:

١٢٠٥- هَذَا وَسَادِسُهَا وَسَابِعُهَا: النُّزُوءُ لُ، كَذَلِكَ التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ» قَالَ تَعَالَى: ﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فُصِّلَتْ ءَايَاتُهُ﴾ [فصلت: ١-٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥]، وَالآيَاتُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

١٢٠٦- وَاللَّهُ أَخْبَرَ نَابِئًا بِكِتَابِهِ تَنْزِيلُهُ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
أَخْبَرَ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ بَأَنَّ كِتَابَهُ الْكَرِيمَ تَنْزِيلٌ مِنْ عِنْدِهِ.

١٢٠٧- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ فَوْقَ الْعِبَادِ؟! أَذَاكَ ذُو إِمَّكَانٍ؟!
قَوْلُهُ: «أَيْكُونُ تَنْزِيلًا وَلَيْسَ كَلَامَ مَنْ فَوْقَ الْعِبَادِ»؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ.
قَوْلُهُ: «أَذَاكَ ذُو إِمَّكَانٍ» الْجَوَابُ: لَا.

١٢٠٨- أَيْكُونُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ وَالرَّحْمَنِ لَيْسَ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ؟!
الْجَوَابُ: لَا، فَهَذَا التَّنْزِيلُ، فَإِذَا أَخْبَرَ اللَّهُ بَأَنَّ الْقُرْآنَ تَنْزِيلٌ مِنْهُ، وَهُوَ كَلَامُهُ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُهُ، فَإِذَا كَانَ تَنْزِيلَهُ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ.

وَأَمَّا النُّزُوءُ فَقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٠٩- وَكَذَا نَزُوءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ فِي النِّصْفِ مِنْ لَيْلٍ وَذَاكَ الثَّانِي

يعني: يَنْزِلُ اللهُ تَعَالَى فِي النِّصْفِ الْأَخِيرِ مِنَ اللَّيْلِ، إِمَّا حِينَ يَبْقَى الثُّلُثُ^(١)،
وإِمَّا مِنْ حَيْثُ انْتِصَافُ اللَّيْلِ، عَلَى رَوَايَتَيْنِ فِي هَذَا.

والمشهورُ أنه من الثلث، لكن توجد روايةٌ أنه من النصف، وليس ببعيد أن يكون من النصف، لكن إلى أن يَطْلُعَ الفجرُ^(٢).

ونزولُ الرَّبِّ جاء متواتراً عن الرسولِ -عليه الصلاة والسلام- أنه يَنْزِلُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

لكن من الذي ينزلُ؟ الجوابُ: ينزلُ هو نفسه، وذلك لأن القاعدةَ العامَّةَ أنَّ ما أضافه اللهُ إلى نفسه من الأفعالِ والصفاتِ فهو له نفسه، لا لغيره.

فمثلاً: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٤] مَنْ خَلَقَهَا؟ هو نفسه.

وقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ٩٩]، مَنْ الَّذِي أَنْزَلَ؟ هو نفسه،

﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] مَنْ الَّذِي اسْتَوَى؟ هو نفسه، وهَلُمَّ جَرًّا.

فكُلُّ فِعْلٍ أَضَافَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ لَهُ نَفْسُهُ، لَا يَعُودُ إِلَى غَيْرِهِ.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ

أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، مَنْ الْفَاعِلُ؟ الجوابُ: اللهُ، فهو الخالقُ وهو

المستوي، وكذلك كُلُّ الضمائرِ في أيِّ آيةٍ من القرآنِ.

فإذا كان النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- يقول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»^(٣) مَنْ النَّازِلُ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم:

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣/١٩٩)، رقم (٩٢٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم:

الجَوَابُ: اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا غَيْرُهُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ النَّازِلَ غَيْرُهُ أَبَدًا، لِأَنَّ إِذَا قُلْنَا: إِنَّ النَّازِلَ غَيْرُهُ، فَقَدْ قَدَّمْنَا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١]، فَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُنَزِّلُ، فَإِنَّ جَمِيعَ اللُّغَاتِ تَقْتَضِي أَنْ النَّزُولَ إِنَّمَا يَكُونُ مِنْ أَعْلَى إِلَى مَا دُونَهُ.

لكن يَبْقَى عَلَيْنَا أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ نَزُولَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَلْزِمُ إِلَّا يَكُونُ عَالِيًا فَوْقَ الْخَلْقِ، فَهُوَ نَازِلٌ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَعَالٍ فَوْقَ الْخَلْقِ كَمَا أَنَّهُ قَرِيبٌ مَعَ الْعِبَادِ، وَعَالٍ فَوْقَ عَرْشِهِ، حَتَّى قَالَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١). وَمَكَانُهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَهُوَ مَعْنَى أَيْضًا وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَيُنَزَّلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، فَوْقَ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَفَوْقَ الْعَرْشِ، وَنَقُولُ: إِنَّهُ نَازِلٌ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.

قد تقول: إِنَّ هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ، كَيْفَ يَكُونُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ نَازِلٌ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟!

نَقُولُ: هَذَا غَيْرُ مَعْقُولٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَخْلُوقِ الَّذِي تُحِيْطُ بِهِ الْأَفْلَاكُ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْخَالِقِ الْمُحِيْطِ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَعْقُولٌ وَمَنْقُولٌ، لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَأَنْتَ إِذَا حَاوَلْتَ أَنْ تَقِيْسَ صِفَاتِ اللَّهِ بِصِفَاتِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ سَتَضِلُّ، إِمَّا بِتَحْرِيفِ النَّصِّ وَتَعْطِيلِ الصِّفَةِ، وَإِمَّا بِالتَّمْثِيلِ وَلَا بُدَّ، فَهَذِهِ قَاعِدَةٌ، وَلِهَذَا نَقُولُ: هُوَ يَنْزِلُ حَقًّا كَمَا أَضَافَ ذَلِكَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ إِلَى اللَّهِ، وَهُوَ مُحَمَّدٌ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَكِنْ

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٢) واللفظ له، البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٤).

نُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَعَ نَزْوِلِهِ مَا زَالَ عَالِيًا فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا نَقُولُ: إِنَّ هَذَا مُتَنَاقِضٌ، لِأَنَّ الْخَالِقَ لَا يُبَايِلُهُ شَيْءٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

وهنا ليس مُرَادُ الْمُؤَلِّفِ أَنْ يُثَبِّتَ النِّزُولَ، وَأَنْ يَتَكَلَّمَ عَنِ النِّزُولِ، إِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُثَبِّتَ الْعُلُوَّ، لِأَنَّ النِّزُولَ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عُلُوٍّ.

١٢١٠- فَيَقُولُ: لَسْتُ بِسَائِلٍ غَيْرِي بِأَحَدٍ - وَوَالِ الْعِبَادِ، أَنَا الْعَظِيمُ الشَّانِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ يَسْأَلُ عَنِ عِبَادِي غَيْرِي؟ فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي يَسْأَلُ عَنِ عِبَادِهِ، وَلَيْسَ يَسْأَلُ سَوَالَ اسْتِرْشَادٍ أَوْ جَهْلِ، لِأَنَّهُ عَالِمٌ، لَكِنْ يَسْأَلُ سَوَالَ عِنَايَةٍ، مَا حَوَائِجُهُمْ؟ فَيَقُولُ:

١٢١١- مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَيُعْطِي سُؤْلَهُ؟ مَنْ ذَا يَتُوبُ إِلَيَّ مِنْ عِصْيَانٍ؟

١٢١٢- مَنْ ذَاكَ يَسْأَلُنِي فَأَغْفِرَ ذَنْبَهُ؟ فَأَنَا الْوَدُودُ الْوَاسِعُ الْغُفْرَانِ

١٢١٣- مَنْ ذَا يُرِيدُ شِفَاءَهُ مِنْ سُقْمِهِ؟ فَأَنَا الْقَرِيبُ مُجِيبٌ مَنْ نَادَانِي

كُلُّ هَذِهِ يَقُولُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ نَفْسُهُ يَعْزِضُ لِعِبَادِهِ أَنْ يَتُوبُوا إِلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ، وَأَنْ يَسْأَلُوهُ، كَمَا عَرَضَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُّكُمْ عَلَى تَجَرَّرِ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الصف: ١٠]، يَعْنِي: هَلْ تُحِبُّونَ أَنْ أَدُلَّكُمْ عَلَى تِجَارَةِ تَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، دُلَّنَا يَا رَبَّنَا، وَوَفَّقْنَا إِلَيْهَا، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ يَعْزِضُ، وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَذُكُّكُمْ﴾ تَشْوِيقٌ، وَعَرَضَ لِلْعِبَادِ، ثُمَّ ذَكَرَ التِّجَارَةَ فَقَالَ: ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الصف: ١١]، وَهَذَا أَيْضًا يَقُولُهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ يَقُومُهُ- فَيَقُولُ هَكَذَا: مَنْ يَتُوبُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُ؟ مَنْ يَسْأَلُ؟ مَنْ يُرِيدُ الشِّفَاءَ: شِفَاءَ الْقَلْبِ وَشِفَاءَ الْبَدَنِ؟

١٢١٤- ذَا شَأْنُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ حَتَّى يَكُونَ الْفَجْرُ فَجْرًا ثَانِي

يعني: إلى أن يَطْلُعَ الفجرُ الثاني، لأنَّ الفجرَ فجرانٍ، وقد سَبَقَ ذلك.

١٢١٥- يَا قَوْمَ لَيْسَ نَزْوُلُهُ وَعُلُوُّهُ حَقًّا لَدَيْكُمْ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمَ» يُخَاطَبُ هُنَا الْمُنْكَرِينَ لِلْعُلُوِّ، لَكِنْ كَيْفَ يَقُولُ: (يَا قَوْمَ)، وَهُوَ يُصَلِّئُهُمْ؟! نَقُولُ: نَعَمْ: يَقُولُ ذَلِكَ مِثْلَ الْأَنْبِيَاءِ، فَهَمَّ يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: (يَا قَوْمَ)، وَهَمَّ يُكَذِّبُونَهُمْ، وَيُشْرِكُونَ بِاللَّهِ.

قَوْلُهُ: «بَلْ هُمَا عَدَمَانِ»، لِأَنََّّهُمْ لَا يُقَرِّونَ بَعْلُوَ اللَّهِ وَلَا بِنَزْوُلِهِ.

يَقُولُونَ: عُلُوُّ اللَّهِ هُوَ عُلُوُّ الْقَدْرِ وَالْقَهْرِ، وَيَقُولُونَ فِي النَّزْوُلِ: نَزْوُلُ الْأَمْرِ وَالرَّحْمَةِ، فَإِذَا قُلْتَ فِي «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١): هُوَ نَفْسُهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْزِلُ. ضَرَبَ بِيَدَيْهِ عَلَى رَأْسِهِ وَصَرَخَ بِكَ: اللَّهُ يَنْزِلُ؟! فَتَقُولُ لَهُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ لَكَ: لَا، أَنْتَ مَخْطِئٌ، بَلِ الَّذِي يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلُثِ اللَّيْلِ هُوَ أَمْرُهُ.

لَكِنْ إِذَا سَأَلْتَهُ: هَلِ الْأَمْرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَاسْتَجِيبْ لَهُ؟ يَقُولُ: لَا، وَيَقُولُ إِذَنْ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ، وَهَلِ الرَّحْمَةُ تَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ؟ يَقُولُ: لَا، فَتَقُولُ: ثُمَّ مَا الْفَائِدَةُ لَنَا بِنَزْوُلِ الرَّحْمَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا؟! ثُمَّ الْأَمْرُ لَيْسَ مَمْتَهَاهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، بَلِ مَمْتَهَاهُ إِلَى الْأَرْضِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

فَيَقُولُ ثَالِثٌ: وَجَدْتُ الْمَعْنَى الصَّحِيحَ، يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَتِهِ.

نَقُولُ: سَبِحَانَ اللَّهِ! الْمَلَكُ يَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِشْرَاقِ، وَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ الدَّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، رَقْمٌ (١٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرَهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدَّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، رَقْمٌ (٧٥٨).

فأستجيب له؟! وحينئذٍ تَنْقَطِعُ عنه السُّبُلُ، وَيُصْبِحُ ابنَ سَبِيلٍ مُنْقَطِعًا به، ونُقُولُ: سَلِّمْ واسَلِّمْ، سَلِّمْ الأمرِ إلى الله ورسوله، وقل: ينزلُ رَبُّنا نَزْوًا حَقِيقًا يَلِيقُ به عَزَّ وجلَّ، وحينئذٍ تَسَلِّمْ، لكن هم يقولون: لا نزولَ ولا علوًا.

١٢١٦- وَكَذَّا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي قَوْلُهُ: «وَكَذَّا يَقُولُ لَيْسَ شَيْئًا عِنْدَكُمْ» لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَقُولُ، لَكِنْ يَخْلُقُ قَوْلًا.

قَوْلُهُ: «لَا ذَا، وَلَا قَوْلٌ سِوَاهُ ثَانِي» يَعْنِي: لَا يَقُولُ لَا هَذَا وَلَا غَيْرَهُ، فَاللَّهُ لَا يَقُولُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ: مَنْ يَدْعُونِي؟ وَإِنَّمَا يَخْلُقُ صَوْتًا مِثْلَهُ.

١٢١٧- كُلُّ مَجَازٍ لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ أَوَّلٌ وَزِدٌ وَانْقُصٌ بِلَا بُرْهَانٍ يَتَهَكَّمُ بِهِمْ، يَقُولُ: (أَوَّلٌ) وَالتَّأْوِيلُ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَعْطَلَةِ حَقِيقَتُهُ التَّحْرِيفُ.

قَوْلُهُ: «وَزِدٌ وَانْقُصٌ» يَقُولُ: (يَنْزِلُ رَبُّنَا) يَعْنِي: يَنْزِلُ أَمْرٌ رَبُّنَا، وَهَذَا زَائِدٌ، وَ(انْقُصٌ): يَعْنِي: يُمْكِنُ أَنْ تَأْتِيَ صِفَةٌ فَيَنْقُصُهَا، وَيَقُولُ: هَذَا زَائِدٌ، فَمِثْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]، بَعْضُهُمْ يَقُولُ: وَيَبْقَى رَبُّكَ، لَكِنْ مَاذَا نَفْعَلُ بِكَلِمَةِ (وَجْهٍ)؟ يَقُولُ: هَذِهِ صِلَةٌ، فَتَحَاشَى أَنْ يَقُولَ: زَائِدٌ فِي الْقُرْآنِ، وَهِيَ زِيَادَةٌ لَفْظِيَّةٌ، وَجَسَرَ^(١) أَنْ يَقُولَ: زَائِدٌ زِيَادَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ.

اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ.

(١) جَسَرَ يَجْسُرُ جُسُورًا وَجَسَارَةً: مَضَى وَنَفَذَ. وَجَسَرَ عَلَى كَذَا يَجْسُرُ جَسَارَةً وَتَجَاسَرَ عَلَيْهِ: أَقْدَمَ. وَالْجُسُورُ: الْمَقْدَامُ. وَرَجُلٌ جَسْرٌ وَجَسُورٌ: مَاضٍ شَجَاعٌ. انظر: لسان العرب، مادة: جسر.

فصل

- ١٢١٨ - هَذَا وَثَامِنُهَا بِسُورَةِ غَافِرٍ: هُوَ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٢١٩ - دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ، وَكِلَاهُمَا رَفَعَانِ
- ١٢٢٠ - وَفَعِيلٌ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ وَسَيَأْتِيهَا يَأْبَاهُ ذُو التَّبْيَانِ
- ١٢٢١ - لَكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرَجَاتُهُ لِكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ
- ١٢٢٢ - هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَحِدْ عَنْهُ، وَخُذْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ
- ١٢٢٣ - فَتَظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرَهَا فِي ذِي الْمَعَارِجِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
- ١٢٢٤ - وَالرُّوحُ وَالْأَمْلاكَ تَصْعَدُ فِي مَعَا رَجِهِ إِلَيْهِ جَلُّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٢٢٥ - ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شَبِيهَانِ
- ١٢٢٦ - فَخُذِ الْكِتَابَ بِيَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

الشرح

١٢١٨ - هَذَا وَثَامِنُهَا بِسُورَةِ غَافِرٍ: هُوَ رِفْعَةُ الدَّرَجَاتِ لِلرَّحْمَنِ

هذا هو النوع الثامن من أدلة علو الله عز وجل، وهو ما جاء في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [غافر: ١٥]، ف (رفيع) واضح أنها صفة مشبهة، يعني: أن درجاته عز وجل رفيعة، فالوصف هنا عائد إلى الله عز وجل.

لكنَّ بعضَ الناسِ قال: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: رافعُ الدرجاتِ، فجعلَ (رفيعًا) صيغةً مبالغةً مضافةً إلى المفعولِ، والصوابُ المقطوعُ به أنها صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مضافةٌ إلى الفاعلِ كما تقولُ: (زيدٌ جميلُ الظاهرِ، طيبُ القلبِ) أي: جميلُ ظاهره طيبُ قلبه، فهكذا (رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ) صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ مضافةٌ إلى الفاعلِ.

أما مَنْ فَسَّرَ (رفيع) بمعنى: رافع، وجعلها مضافةً إلى المفعولِ به، فهذا خطأ، ويدلُّ على ذلك ما أشارَ إليه ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- بأنَّ القرآنَ يُفسِّرُ بعضه بعضًا، وقد قالَ اللهُ تعالى في سورة سأل: ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٢-٤]، ف(ذِي الْمَعَارِجِ) يَعْنِي: صَاحِبَ الْمَعَارِجِ، فَهِيَ بِمَعْنَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾ سِوَاءَ سِوَاءٍ، أَوْ شَبَّهًا بِشِبْهِهِ.

وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥] أي: صَاحِبُ الْعَرْشِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَرْشَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ، فَإِذَا كَانَ هُوَ صَاحِبَ الْعَرْشِ الَّذِي لَمْ يَسْتَوْ عَلَى عَرْشِهِ غَيْرُهُ، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ (رَفِيعٌ) بِمَعْنَى الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ. إِذَنْ فَتَفْسِيرُ الْآيَةِ مِنَ الْآيَةِ، وَمِنَ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي فِي سُورَةِ الْمَعَارِجِ.

١٢١٩- دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ، وَكِلَاهُمَا رَفَعَانِ قَوْلُهُ: «دَرَجَاتُهُ مَرْفُوعَةٌ كَمَعَارِجٍ أَيْضًا لَهُ» أَيْنَ الْمَعَارِجُ الَّتِي لَهُ؟ الْجَوَابُ: قَوْلُهُ فِي سَأَلَ: ﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾.

١٢٢٠- وَفَعِيلٌ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ وَسَيَأْقُهَا يَأْبَاهُ ذُو التَّبْيَانِ قَوْلُهُ: «وَفَعِيلٌ فِيهَا لَيْسَ مَعْنَى فَاعِلٍ» هَذَا رَدُّ لِقَوْلِ مَنْ قَالَ: إِنَّهَا بِمَعْنَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾.

قَوْلُهُ: «وَسِيَّاقُهَا يَا أَبَاهُ ذُو التَّبْيَانِ» يَعْنِي: يَا أَبَاهُ صَاحِبُ التَّبْيَانِ، أَي: يَمْنَعُهُ، لِأَنَّ مَنْ قَرَأَ الآيَةَ عَرَفَ تَمَامًا أَنَّ الوَصْفَ يَعُودُ فِيهَا إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِأَنَّهُ هُوَ نَفْسُهُ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ.

١٢٢١- لَكِنَّهَا مَرْفُوعَةٌ دَرَجَاتُهُ لِكَمَالِ رِفْعَتِهِ عَلَى الْأَكْوَانِ

١٢٢٢- هَذَا هُوَ الْقَوْلُ الصَّحِيحُ فَلَا تَحْذُ عَنْهُ، وَخُذْ مَعْنَاهُ فِي الْقُرْآنِ

١٢٢٣- فَتَنْظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا فِي ذِي الْمَعَارِجِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَنْظِيرُهَا الْمُبْدِي لَنَا تَفْسِيرُهَا» يَعْنِي: الَّذِي يُظْهِرُ لَنَا تَفْسِيرَهَا، مَا هُوَ؟ قَالَ: (فِي ذِي الْمَعَارِجِ) أَي: كَائِنٌ فِي ذِي الْمَعَارِجِ.

١٢٢٤- وَالرُّوحُ وَالْأَمْلَاكُ تَصْعَدُ فِي مَعَا رِجِهِ إِلَيْهِ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «الرُّوحُ» أَي: جِبْرِيلُ، أَوْ أَرْوَاحُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

١٢٢٥- ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ حَقًّا مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا رِفْعَةَ الدَّرَجَاتِ» أَي: الْمَذْكُورَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ﴾

[غافر: ١٥].

قَوْلُهُ: «مَا هُمَا إِلَّا سَوَاءٌ أَوْ هُمَا شِبْهَانِ» الضَّمِيرُ فِي (هُمَا) يَعُودُ عَلَى (رَفِيعِ

الدَّرَجَاتِ)، وَ(ذِي الْمَعَارِجِ).

١٢٢٦- فَخُذِ الْكِتَابَ بِيَعْضِهِ بَعْضًا كَذَا تَفْسِيرُ أَهْلِ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ

أَحْسَنُ التَّفْسِيرِ تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ بِلا شَكٍّ، وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ تَكَلَّمَ بِهِ وَاحِدٌ، فَإِذَا فَسَّرَ الْمُتَكَلِّمُ كَلَامَهُ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ صَارَ أَدْرَى بِهِ مِنْ غَيْرِهِ، فَإِذَا لَمْ نَجِدْ

تفسير القرآن بالقرآن، رجعنا إلى تفسير أعلم الخلق بالقرآن، وهو النبي ﷺ، ولا يمكن أن نحيد عنه.

ففي قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فسرها النبي ﷺ بأنها «النظر إلى وجه الله»^(١)، فلا نحيد عن هذا، لأن الرسول فسرها.

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، قال: «ألا إن القوة الرمي»^(٢)، فنقف على هذا التفسير.

ولذلك الرمي هو السلاح الفعّال الآن في الوقت الحديث في أساليب الحرب المتطورة،، مثل: القنابل، والصواريخ من فوق أو من جنب، كل هذا السلاح أشد من الدبابات.

إذا لم نجد في السنة، فمن أعلم الناس بتفسير القرآن فيما يتعلق بالعبادات؟
الجواب: الصحابة بلا شك، فلا شك أنهم أعلم الناس فيما يتعلق بالعبادات من غيرهم.

فهم أعلم الناس بتفسير القرآن، فنرجع إلى أقوال الصحابة، فإن اختلفوا على قولين، طلبنا المرجح.

فإذا اختلف العلماء ولم نعلم، فهل نأخذ بأقوال التابعين أو لا؟

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب -تبارك وتعالى-، رقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: كتاب الإيثار وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٧)

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإمامة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه، رقم (١٩١٧).

فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: لَا نَأْخُذُ بِأَقْوَالِ التَّابِعِينَ، لِأَنَّ التَّابِعِينَ لَمْ يَشْهَدُوا الْوَحْيَ حِينَ نُزِّلَتْ، وَمَا كَانُوا مَعَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حَتَّى نَقُولَ: فَهَمُّوا مِنَ الرَّسُولِ مَعْنَى الْآيَةِ وَعَبَّرُوا عَنْهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ، فَهَمَّ كغَيْرِهِمْ.

وَمِنْهُمْ مَنْ فَصَّلَ وَقَالَ: مَنْ عُرِفَ عَنْهُ أَنَّهُ تَلَقَّى التَّفْسِيرَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَإِنَّا نَرْجِعُ إِلَى تَفْسِيرِهِ، مِثْلَ مُجَاهِدٍ، فَقَدْ تَلَقَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَمَنْ لَا، فَهُوَ كغَيْرِهِ.

لَكِنْ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ قَاعِدَةً مَهْمَةً، وَهِيَ أَنَّهُ كُلَّمَا كَانَ النَّاسُ أَقْرَبَ إِلَى زَمَنِ النُّبُوَّةِ كَانُوا أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ، وَهَذَا شَيْءٌ مَعْرُوفٌ، وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»^(١). وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهَدٌ، لِأَنَّ الْقَرَبِينَ مِنْ عَهْدِ النُّبُوَّةِ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ النُّبُوَّةِ وَسَائِطٌ إِلَّا وَسَائِطٌ قَلِيلَةٌ، فَالتَّابِعُونَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ وَاسِطَةٌ وَاحِدَةٌ، وَالتَّابِعُونَ التَّابِعِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ وَاسِطَتَانِ، وَالتَّابِعُونَ التَّابِعِينَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الرَّسُولِ ثَلَاثَ وَسَائِطٍ... وَهَلُمَّ جَرًّا.

ثُمَّ إِنَّهُ مِنْ بَعْدِ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ كَثُرَتِ الْفِتْنُ وَالْأَهْوَاءُ، وَصَارَتْ بَضَاعَةٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قَلِيلَةً بِالنِّسْبَةِ لِلْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ.

قَوْلُهُ: «أَهْلُ الْعِلْمِ لِلْقُرْآنِ» الْمُرَادُ بِهِ الْمَفْسَّرُونَ الَّذِينَ يُفَسِّرُونَ الْكِتَابَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ، لِأَنَّ الْمُتَكَلِّمَ بِالْقُرْآنِ وَاحِدٌ، فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَ فِي كَلَامِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جُورٍ، رَقْمُ (٢٦٥٢)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ فُضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، رَقْمُ (٢٥٣٣).

فصل

- ١٢٢٧- هَذَا وَتَاسِعُهَا: النَّصُوصُ بِأَنَّهُ
فَوْقَ السَّمَاءِ وَذَا بِلَا حُسْبَانِ
- ١٢٢٨- فَاسْتَحْضِرِ الْوَحْيِينَ وَانظُرْ ذَاكَ تَلَدٌ
فَقَاهُ مُبِينًا وَاضِحَ التَّبْيَانِ
- ١٢٢٩- وَلَسَوْفَ نَذْكَرُ بَعْضَ ذَلِكَ عَنْ قَرِيبٍ
سِبْ كَيْ تَقُومَ شَوَاهِدُ الْإِيمَانِ
- ١٢٣٠- وَإِذَا أَتَيْتَكَ فَلَا تَكُنْ مُسْتَوْحِشًا
مِنْهَا وَلَا تَكُ عِنْدَهَا بِجَبَانِ
- ١٢٣١- لَيْسَتْ تَدُلُّ عَلَى انْحِصَارِ إِلَهِنَا
عَقْلًا وَلَا عُرْفًا وَلَا بِلِسَانِ
- ١٢٣٢- إِذْ أَجْمَعَ السَّلْفُ الْكِرَامُ بِأَنَّ مَعَهَا
نَاهَا كَمَعْنَى الْفَوْقِ بِالْبُرْهَانِ
- ١٢٣٣- أَوْ أَنَّ لَفْظَ سَمَائِهِ يَعْزِي بِهِ
نَفْسَ الْعُلُوِّ الْمَطْلُوقِ الْحَقَّانِي
- ١٢٣٤- وَالرَّبُّ فِيهِ وَلَيْسَ يَخْصُرُهُ مِنَ الْإِلَهِ
مَمْلُوقِ شَيْءٍ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٢٣٥- كُلُّ الْجِهَاتِ بِأَسْرِهَا عَدَمِيَّةٌ
فِي حَقِّهِ هُوَ فَوْقَهَا بَيِّنَانِ
- ١٢٣٦- قَدْ بَانَ عَنْهَا كُلُّهَا فَهُوَ الْمُجِيبُ
طُ وَلَا يُحَاطُ بِخَالِقِ الْأَكْوَانِ
- ١٢٣٧- مَا ذَاكَ يَنْقُمُ بَعْدَ ذُو التَّعْطِيلِ مِنْ
وَصْفِ الْعُلُوِّ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
- ١٢٣٨- أَيْرُدُ ذُو عَقْلِ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا
بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أُولِي الْأَذْهَانِ!؟
- ١٢٣٩- وَاللَّهُ مَا رَدَّ امْرُؤًا هَذَا بَغْيًا
رِ الْجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

الشرح

١٢٣٧- مَا ذَاكَ يَنْقُمُ بَعْدَ ذُو التَّعْطِيلِ مِنْ وَصْفِ الْعُلُوِّ لِرَبِّنا الرَّحْمَنِ

صحيح، ماذا يَنْقُمُ منكرو العُلُوِّ؟ وسبحان الله على هذه العقول التي تُنكِرُ العُلُوَّ، والذي يُقَرُّ كُلُّ أَحَدٍ بأنه صِفَةٌ كمالٍ، وأنه لو لم يَثْبُتْ لله لكان الله -تعالى وحاشاه- مُتَّصِفًا بالنقص!

فَتَعَجَّبَ للعبِ الشياطينِ بعقولِ هؤلاء! هم يُقَرُّونَ -وَكُلُّ أَحَدٍ يُقَرُّ- بِأَنَّ العُلُوَّ صِفَةٌ كمالٍ، ومع ذلك يُنكرونها مع وضوحها عقلاً ونقلاً.

١٢٣٨- أَيَرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا بَعْدَ التَّصَوُّرِ يَا أُولِي الْأَذْهَانِ؟! قَوْلُهُ: «أَيَرُدُّ ذُو عَقْلٍ سَلِيمٍ قَطُّ ذَا بَعْدَ التَّصَوُّرِ؟» الْجَوَابُ: لا.

١٢٣٩- وَاللهِ مَا رَدَّ امْرُؤٌ هَذَا بَغْيٍ -رِ الْجَهْلِ أَوْ بِحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

يعني: الذي يَرُدُّ علو الله فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ لا تَحُلُوْ حَالَهُ من أمرين:
الأول: (الْجَهْلُ)، وهذا قصورٌ، قد يكون ناشئاً عن تقصيرٍ، لكن كيف عن تقصيرٍ؟ يَعْنِي: أنه لم يَطْلُبِ الحقَّ.

الثاني: (حَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ): وهي التَّعَصُّبُ وسوءُ القصدِ والنيَّةِ، وإِلا لا يمكنُ أن يَرَدَّهُ أبداً.

فَرَدُّ الحقِّ أسبابه ثلاثة: قصورٌ، وتقصيرٌ، وسوءُ قصدٍ ونيةٍ، يَعْنِي: هَوَى، فالقصورُ هو الجهلُ، والتقصيرُ هو التفريطُ في طَلَبِ الحقِّ، والثالث: سوءُ القصدِ، يَعْنِي: لا يَقْصِدُ الحقَّ، إنما هو مُتَّعَصِّبٌ صاحبُ هَوَى، أمَّا شخصٌ عنده علمٌ وجِدُّ في طَلَبِ العلمِ، وحُسْنُ نِيَّةٍ وقَصْدٍ، فإنه لا يمكنُ أن يَرُدَّ الحقَّ إطلاقاً.

فصل

- ١٢٤٠- هَذَا وَعَاشِرُهَا: اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ
أَمَلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٢٤١- وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بِعِنْدِ
لِإِلَهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تَبْيَانٍ
- ١٢٤٢- لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى
كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ
- ١٢٤٣- وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسُ وَجِبْ
رِيْلٌ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ
- ١٢٤٤- وَتَمَامُ ذَلِكَ الْقَوْلِ أَنَّ مَحَبَّةَ الرَّ
حْمَنِ عَيْنُ إِرَادَةِ الْأَكْوَانِ
- ١٢٤٥- وَكِلَاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمُرَادُهُ
وَكِلَاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سَيَّانِ
- ١٢٤٦- إِنْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّكْوِينِ فَالذُّ
ذَاتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَخْلُوقَانِ
- ١٢٤٧- أَوْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّقْرِيْبِ تَقْ
رِيْبُ الْحَبِيْبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ
- ١٢٤٨- فَالْحُبُّ عِنْدَكُمْ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا
وَكَِلَاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ
- ١٢٤٩- لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بِأَنَّهَا
عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوْعَانَ
- ١٢٥٠- جَمَعَتْ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ
مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ
- ١٢٥١- وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ
وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذا الفصل نوعًا عاشرًا من أدلة علو الله -سبحانه

وتعالى - وذلك بأن الله تعالى ذكر عن بعض مخلوقاته أنه عند الله، قال:

١٢٤٠ - هَذَا وَعَاشِرُهَا: اخْتِصَاصُ الْبَعْضِ مِنْ أَمْلَاكِهِ بِالْعِنْدِ لِلرَّحْمَنِ

وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأنبياء: ١٩]،

وقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ،

وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ووجه ذلك أنه قال: ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾، فدل ذلك

على أن هناك خلقاً آخر، ليسوا عند الله، أي: بعيدين منه، وإلا لولا هذه الدلالة لكانت المخلوقات سواء في العندية، وكان إبليس وجبريل سواء عند الله، وهذا مستحيل.

إذن فكون بعض المخلوقات عند الله يدل على أنه - سبحانه وتعالى - فوق

كل شيء وهؤلاء عنده وقريبون منه، والآخرون بعيدون عنه، ولهذا قال:

١٢٤١ - وَكَذَا اخْتِصَاصُ كِتَابِ رَحْمَتِهِ بِعِنْدِ اللَّهِ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو تَيَّانٍ

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ

غَضَبِي»^(١).

١٢٤٢ - لَوْ لَمْ يَكُنْ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوَرَى كَانُوا جَمِيعًا عِنْدَ ذِي السُّلْطَانِ

فهذا دليل صحيح، فلولا أنه فوق كل شيء ما صار هؤلاء عنده وهؤلاء

ليسوا عنده، وكان الناس كلهم عند الله.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، رقم (٣٠٢٢)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم (٢٧٥١).

١٢٤٣- وَيَكُونُ عِنْدَ اللَّهِ إِبْلِيسُ وَجِبَّ رِيْلٌ هُمَا فِي الْعِنْدِ مُسْتَوِيَانِ

مع أن الله قال لإبليس: ﴿أَخْرِجْ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، أبعده الله عز وجل.

١٢٤٤- وَتَمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ أَنْ مَحَبَّةَ الرَّحْمَنِ عَيْنُ إِرَادَةِ الْأَكْوَانِ

١٢٤٥- وَكِلَاهُمَا مَحْبُوبُهُ وَمُرَادُهُ وَكِلَاهُمَا هُوَ عِنْدَهُ سَيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَتَمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ»، وَيَجُوزُ (وَتَمَامُ ذَاكَ الْقَوْلِ).

يعني: أن هؤلاء القوم قالوا: المحبة هي الإرادة، وكلُّ الكون مرادُّ له، وعلى ذلك فالنتيجة: كلُّ الكون محبوبٌ له، ولهذا قالوا: إنَّ الله يُحِبُّ الْكُفْرَ، وَالْمَعَاصِي، وَالْفُسُوقَ، وَالغِيَّ، وَالْجَهْلَ، وَالظُّلْمَ، وَالْعُدْوَانَ. لماذا؟

قالوا: لأنَّ الكلَّ مرادُّه، بل إنَّ بعضهم -خاصَّةً بعض الصُّوفية- جعلوا هذا غايةَ المُشَاهِدِ، وهو أن يَشْهَدَ بَأَنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ مُرَادُّ لِه، وكله محبوبٌ لله، فهم قالوا: الْمَحَبَّةُ وَالْإِرَادَةُ سَوَاءٌ، كما قالوا: الْعِنْدُ وَالْبُعْدُ سَوَاءٌ.

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

١٢٤٦- إِنْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّكْوِينِ فَالذَّاتَانِ عِنْدَ اللَّهِ مَخْلُوقَانِ

قالوا: (عِنْدَهُ) أَي: أَنَّهُ خَلَقَ هَذَا وَخَلَقَ هَذَا، فِيرَادُ بِالْعِنْدِيَّةِ عِنْدِيَّةُ التَّكْوِينِ وَالْخَلْقِ.

١٢٤٧- أَوْ قُلْتُمْ: عِنْدِيَّةُ التَّقْرِيْبِ تَقْرِيْبُ الْحَبِيْبِ وَمَا هُمَا عِدْلَانِ

العنديَّةُ يَعْنِي بِذَلِكَ: أَنَّهُ قَرَّبَهُ وَلَوْ كَانَ بَعِيدَ الْمَكَانِ، (فَعِنْدَهُ) يَعْنِي: أَنَّهُمْ

قَرِيبُونَ مِنْهُ بِطَاعَتِهِ وَلَوْ كَانُوا بِعِيدِي الْمَكَانِ.

١٢٤٨- فَالْحُبُّ عِنْدَكُمْ الْمَشِيئَةُ نَفْسُهَا وَكِلَاهُمَا فِي حُكْمِهَا مِثْلَانِ

قَوْلُهُ: «كِلَاهُمَا» أَي: الْمَشِيئَةُ وَالْمَحَبَّةُ فِي الْحُكْمِ مِثْلَانِ، أَي: شَاءَ هَذَا فَأَجَبَهُ.

١٢٤٩- لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ يَقُولُ بِأَنَّهَا عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوَّعَانَ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ مُنَازِعُكُمْ» الْمُنَازِعُ أَي: أَهْلُ السُّنَّةِ يَقُولُونَ بِأَنَّهَا عِنْدِيَّةٌ حَقًّا.

قَوْلُهُ: «عِنْدِيَّةٌ حَقًّا بِلَا رَوَّعَانَ» هَلْ هِيَ عِنْدِيَّةٌ خَلَقِ وَتَكْوِينِ، أَوْ تَقْرِيبِ

وإرادة، أو مكان؟

الجواب: مكان.

١٢٥٠- جَمَعْتَ لَهُ حُبَّ الْإِلَهِ وَقُرْبَهُ مِنْ ذَاتِهِ وَكَرَامَةَ الْإِحْسَانِ

فالذين عند الله جمعوا بين محبة الله لهم، لأنه أدناهم وقربهم، وكذلك قربهم إلى ذاته عز وجل، والثالث: الكرامة التي أكرمهم بها، لأن من كانوا قريبين منه -جل وعلا- فهم عنده أكرم ممن كانوا بعبيدين عنه بلا شك.

١٢٥١- وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ وَالْعِنْدُ قُرْبٌ ظَاهِرُ التَّبَيُّانِ

قَوْلُهُ: «وَالْحُبُّ وَصْفٌ وَهُوَ غَيْرُ مَشِيئَةٍ» أَي: الْحُبُّ غَيْرُ الْمَشِيئَةِ، فَقَدْ يَشَاءُ مَا

لَا يُحِبُّهُ، وَقَدْ يُحِبُّ مَا لَا يَشَاءُوهُ، فَقَدْ يَشَاءُ مَا لَا يُحِبُّهُ، لِأَنَّ الْمَشِيئَةَ كَوْنِيَّةٌ، وَلَيْسَ فِيهَا شَرِيعَةٌ.

فقد شاء الكفر وهو لا يحبُّه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ

يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وقد يحبُّ ما لا يشاءه، وهذا صحيح.

فِيحِبُّ مِنَ الْفَاسِقِ أَنْ يَكُونَ عَدْلًا، وَيُحِبُّ مِنَ الْكَافِرِ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا،
 وَلَكِنَّهُ لَا يَشَاؤُهُ لِحِكْمَةٍ، وَهَذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا
 يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَنَّ
 جَهَنَّمَ ﴿هود: ١١٨-١١٩﴾، فَلَوْ كَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ مُؤْمِنِينَ لَكَانَ خَلْقُ النَّارِ عَبَثًا، لَكِنَّ
 اللَّهَ حَقٌّ، وَعَدَّ النَّارَ أَنْ يَمْلَأَهَا وَالْجَنَّةَ أَنْ يَمْلَأَهَا، وَلَا تُمَلَأُ النَّارُ إِلَّا مِنْ أَهْلِهَا، فَلَا
 بُدَّ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ كُفَّارًا.

قَوْلُهُ: «وَالْعِنْدُ قُرْبٌ» هَلِ الْعِنْدُ قُرْبٌ أَوْ تَكْوِينٌ؟

الْجَوَابُ: الْعِنْدُ قُرْبٌ، وَليْسَ تَكْوِينًا، فَإِذَا قُلْتَ: (العند تكوين) فهذا خلافُ

الظَّاهِرِ.

فصل

- ١٢٥٢- هَذَا وَحَادِي عَشْرَهْنَ: إِشَارَةٌ نَحْوَ الْعُلُوِّ بِإِضْبَعِ وَبَنَانِ
 ١٢٥٣- اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ لَا غَيْرَهُ إِذْ ذَاكَ إِشْرَاكَ مِنْ الْإِنْسَانِ
 ١٢٥٤- وَلَقَدْ أَشَارَ رَسُولُهُ فِي تَجْمَعِ الْ- حَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ الْغُفْرَانِ
 ١٢٥٥- نَحْوِ السَّمَاءِ بِإِضْبَعٍ قَدْ كُرِّمَتْ مُسْتَشْهِدًا لِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
 ١٢٥٦- يَا رَبِّ فَاشْهَدْ أَنِّي بَلَّغْتُهُمْ وَيُشِيرُ نَحْوَهُمْ لِقْصِدِ بَيَانِ
 ١٢٥٧- فَعَدَا الْبَنَانَ مُرْفَعًا وَمُضَوِّبًا صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ ذُو الْغُفْرَانِ
 ١٢٥٨- أَذَيْتَ ثُمَّ نَصَحْتَ إِذْ بَلَّغْتَنَا حَقَّ الْبَلَاغِ الْوَاجِبِ الشُّكْرَانَ

الشرح

هذا الفصل أراد به المؤلف -رحمه الله- أن يبين الدليل الحادي عشر على علو الله - سبحانه وتعالى -، وذلك بالدلالة الفعلية من رسول الله ﷺ، حيث خطب الناس يوم عرفة في حجة الوداع في ذلك المجمع الذي لم يوجد في الإسلام أكثر جمعا منه، وقال: «هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد» يشير إلى السماء، وينكث بإضبعه على الناس^(١)، قال ﷺ ذلك ثلاثا، وهذه دلالة بالفعل وليست بالقول على أن الله سبحانه فوق كل شيء، وعلى أن الله في العلو.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، برقم (١٢١٨).

فصل

- ١٢٥٩- هَذَا وَثَانِي عَشْرَهَا: وَصَفُ الظُّهُورِ
 ١٢٦٠- وَالظَّاهِرُ الْعَالِي الَّذِي مَا فَوْقَهُ
 ١٢٦١- حَقًّا رَسُولُ اللَّهِ ذَا تَفْسِيرِهِ
 ١٢٦٢- فَأَقْبَلُهُ لَا تَقْبَلُ سِوَاهُ مِنَ النَّفَا
 ١٢٦٣- وَالشَّيْءُ حِينَ يَتِمُّ مِنْهُ عُلُوُّهُ
 ١٢٦٤- أَوْ مَا تَرَى هَذِي السَّمَاءَ وَعُلُوَّهَا
 ١٢٦٥- وَالْعَكْسُ أَيْضًا ثَابِتٌ فَسُقُولُهُ
 ١٢٦٦- فَاَنْظُرْ إِلَى عُلُوِّ الْمُحِيطِ وَأَخْذِهِ
 ١٢٦٧- وَأَنْظُرْ خَفَاءَ الْمَرْكَزِ الْأَدْنَى وَوَصْ
 ١٢٦٨- وَظُهُورُهُ سُبْحَانَهُ بِالذَّاتِ مِثْ
 ١٢٦٩- لَا تَجْحَدْنِيهَا جُحُودَ الْجَهْمِ أَوْ
 ١٢٧٠- وَظُهُورُهُ هُوَ مُقْتَضٍ لِعُلُوِّهِ
 ١٢٧١- وَكَذَلِكَ قَدْ دَخَلَتْ هُنَاكَ الْفَاءُ لِلتَّ
 ١٢٧٢- فَتَأَمَّلَنَّ تَفْسِيرَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ
- رِلَهُ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 شَيْءٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانَ
 وَلَقَدْ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِضَمِّ
 سِيرِ الَّتِي قِيلَتْ بِلَا بُرْهَانَ
 فَظُهُورُهُ فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
 وَظُهُورَهَا، وَكَذَلِكَ الْقَمَرَانِ؟
 وَخَفَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ مُصْطَحِبَانِ
 صِفَةَ الظُّهُورِ، وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانِ
 فَ السُّفْلِ فِيهِ وَكَوْنُهُ مَحْتَانِي
 لُ عُلُوُّهُ فَهِيَ لَهُ صِفَتَانِ
 صَافَ الْكَمَالِ تَكُونُ ذَا بُهْتَانِ
 وَعُلُوُّهُ لِيُظْهِرَهُ بَيِّنَانِ
 تَسْبِيبِ مُؤَدِّنَةً بِهَذَا الشَّانِ
 بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

١٢٧٣- إِذْ قَالَ: أَنْتَ كَذَّاءٌ، فَلَيْسَ لِضِدِّهِ أَبَدًا إِلَيْكَ تَطَرُّقُ الْإِنِّيَانِ

الشرح

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله عز وجل وهو المستفاد من اسمه (الظاهر)، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

وتفسير (الظاهر) فسره أهل التعطيل المنكرون للعلو بأنه الظاهر بآياته، يعني: الذي يُعرف بآياته، فجعلوا الظهور ظهورًا معنويًا، ولكن أعلم الخلق بالله فسره على خلاف ذلك فقال: «أنت الظاهر فليس فوقك شيء»^(١). وأتى بالفاء الدالة على التفریع، يعني: أنت فوق كل شيء، فليس فوقك شيء.

وقال: «أنت الباطن فليس دونك شيء»^(٢) هم عندهم أن الباطن هو ما لطف^(٣) حتى لم يكن له جسم - والعياد بالله - فوصفوا الله بأنه لا شيء.

ولكن نقول: إن معنى (ليس دونك شيء)، أي: أنك محيط بكل شيء، فلا يحول دونك شيء.

وعلى هذا فنقول: (الظاهر) بمعنى العالي، وكل ما علا فقد ظهر، انظر إلى النجوم في السماء، فهي ظاهرة لماذا؟ الجواب: لعلوها، فلو كانت في الأرض لم يرها أحد، والقمران - الشمس والقمر - ظاهران لعلوهما، وظهر الحيوان لماذا سمي ظهرًا؟ الجواب: لأنه أعلى ما فيه، فإذن (الظاهر) هو الذي ليس فوقه شيء.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

(٣) أي: صغر. انظر: مختار الصحاح، مادة: لطف.

فصل

- ١٢٧٤- هَذَا وَثَالِثَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ
 ١٢٧٥- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا
 ١٢٧٦- أَمْ خَلَفْنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ
 ١٢٧٧- يَا قَوْمِ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا
 ١٢٧٨- إِذْ رُؤْيَا لَافِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرُّ
 ١٢٧٩- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعَا
 ١٢٨٠- وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَقِّقُ مِنْكُمْ لِأَهْلِ
 ١٢٨١- مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْنَكُمْ لِيذِي التُّ
 ١٢٨٢- شُدُّوا بِأَجْمَعِنَا لِنَحْمِلَ حَمْلَةَ
 ١٢٨٣- إِذْ قَالَ: إِنَّ إِلَهَنَا حَقًّا يُرَى
 ١٢٨٤- وَتَصِيرُ أَبْصَارُ الْعِبَادِ نَوَاطِرًا
 ١٢٨٥- لَا رَيْبَ أَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا بِذَا
 ١٢٨٦- وَيَكُونُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
 أَنَا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانَ
 أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ
 أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بَيَانِ؟
 أَوْ أَنَّ رُؤْيَيْتَهُ بِإِلَاحِمْكَانِ
 رَائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
 سِوَاهُ مُكَابَرَةٍ عَلَى الْأَذْهَانِ
 لِي الْإِعْتِزَالِ مَقَالَةً بِأَمَانِ
 تَحْقِيقِ فِي مَعْنَى فَيَا إِخْوَانِي
 تَذَرُ الْمُجَسِّمَ فِي أَذَلِّ هَوَانِ
 يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
 حَقًّا إِلَيْهِ رُؤْيَا بِعِيَانِ
 لَزِمَ الْعُلُوَّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ
 فَلِذَلِكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ خَضَمَانِ

- ١٢٨٧- لَكِنَّا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ إِذْ تَسَا
عَدْنَا عَلَى نَفِي الْعَلَا الرَّحْمَنِ
١٢٨٨- فَعَلُوهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فَوْ
قَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا دِيَانَ
١٢٨٩- لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الْخِلَافَ فَمَا لَهُ
طَعْمٌ، فَتَحْنُ وَأَنْتُمْ سِلْمَانِ
١٢٩٠- هَذَا الَّذِي - وَاللَّهِ - مُودِعٌ كُتُبِهِمْ
فَانظُرْ تَرَى يَا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الشرح

١٢٧٤- هَذَا وَثَالِثَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ أَنَا نَرَاهُ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانَ
هذا أيضًا من الأدلة على علو الله عز وجل أنه أخبر بأننا نراه في جنة
الحيوان.

قوله: «الحيوان» يعني: الحياة، وليس المراد بالحيوان الحي، كما قال الله تعالى:
﴿وَإِنَّ أَدَارَ الْأَخْرَجَةِ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، و(الحيوان) هنا فيه صيغة
مبالغة، يعني: الحياة الكاملة، فنحن نراه في جنة الحيوان - وأسأل الله أن يجعلني
وإياكم ممن يراه - كما ثبت ذلك في الكتاب والسنة وإجماع السلف، يعني: أن الله
تعالى يرى بالعين، لكن لا يحاط به لقول الله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ
يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، كما نرى الشمس الآن ولا ندرِكُها.

- ١٢٧٥- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ هَلْ يُرَى مِنْ تَحْتِنَا
أَمْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَعَنْ أَيْمَانِ
١٢٧٦- أَمْ خَلْفَنَا وَأَمَامَنَا سُبْحَانَهُ
أَمْ هَلْ يُرَى مِنْ فَوْقِنَا بَيَانِ؟

يقول: اسأل المعطل الذي يُنكرُ علو الله، هل نراه من تحت أو من يمين أو
شمال أو خلف أو أمام؟ يعني: أسأله عن كل الجهات الست، هل نراه من تحتنا؟

الجَوَابُ: مستحيل، لأننا لو رأيناه من تحتنا لكان ناقصًا، وهل نراه عن يمين أو شمال أو أمام أو خلف، أربع جهات؟ الجَوَابُ: محال، لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ ناقصًا كذلك، فَبَقِيَ أَنْ نَرَاهُ مِنْ فَوْقَ، وهذا هو المطلوب، ولهذا قال:

١٢٧٧- يَا قَوْمِ مَا فِي الْأَمْرِ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا أَوْ أَنْ رُؤْيَتَهُ بِإِلَّا إِمْكَانِ

١٢٧٨- إِذْ رُؤْيَةٌ لَا فِي مُقَابَلَةٍ مِنَ الرِّ رَائِي مُحَالٌ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

١٢٧٩- وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا سِوَى ذَا كَانَ دَعَا سِوَاهُ مُكَابَرَةً عَلَى الْأَذْهَانِ

معلومٌ في الرؤية أنه لا بُدَّ من مقابلةٍ بينَ الرائي والمرئي، فأنتم إن قلتم: يقابلنا من أسفل تنقصتم الله، وإن قلتم: من يمين، أو شمال، أو أمام، أو خلف، كذلك تنقصتم الله بإقراركم، فلم يبقَ إلَّا أن يُرى من فوق، وهذا هو المطلوب.

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٨٠- وَلِذَلِكَ قَالَ مُحَقِّقُ مِنْكُمْ لِأَهْلِ لِ الْإِعْتِزَالِ مَقَالَةً بِأَمَانِ

١٢٨١- مَا بَيْنَنَا خُلْفٌ وَبَيْنَكُمْ لِيذِي التَّ تَحْقِيقِ فِي مَعْنَى فَيَا إِخْوَانِي

قال: إِنَّ الْمُحَقِّقَ مِنْكُمْ قَالَ لِلْمُعْتَزِلَةِ -وهو الآن يتكلَّم على الأشاعرة-: إنه لا فرق بيننا وبينكم، دَعُونَا نَكُنْ إِخْوَانًا سَلْمًا فِيمَا بَيْنَنَا، حَرْبًا عَلَى الْمُجَسِّمِ الَّذِي يُثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ يُرَى بَعِيَانًا.

١٢٨٢- شُدُّوا بِأَجْمَعِنَا لِنَحْمَلَ حَمْلَةً تَذُرُ الْمُجَسِّمَ فِي أَدَلِّ هَوَانِ

مَنْ الْمُجَسِّمُ؟ الْجَوَابُ: يَقُولُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٨٣- إِذْ قَالَ: إِنَّ إِلَهَنَا حَقًّا يُرَى يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

وَمَنْ الَّذِي قَالَ ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-، فهو على رَعْمِهِمْ مُجَسَّمٌ، وهم حَرْبٌ عليه، نَعُوذُ بِاللَّهِ.

انظر كيف الهوى؟! لِأَتَيْتُمْ قَالُوا: مُسْتَحِيلٌ أَنْ يُرَى اللَّهُ بِالْعَيْنِ، وقد ذَكَرَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَنَّ جُمْهُورَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَفَرُوا مَنْ يُنَكِّرُ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ.

قال: لِأَنَّ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَإِجْمَاعَ السَّلَفِ كُلَّهَا تَطَابَقَتْ عَلَى إِثْبَاتِهَا. وَهَلْ أَبِينُ مَنْ أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تَضَامُونَ»^(١) أَوْ قَالَ: «كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(٢)؟!!

لَوْ قَالَ لَنَا: (إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ) فَقَطْ، لثَبَّتِ الرَّؤْيَا، فَكَيْفَ إِذَا أَكْثَرَهَا بِقَوْلِهِ: «كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»؟!!

وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ الَّذِينَ أَنْكَرُوا ذَلِكَ، قَالُوا: لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ لِمُوسَى لَمَّا قَالَ لَهُ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَنْ تَرَنِي ﴿ [الأعراف: ١٤٣]، كَيْفَ يَقُولُ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ: ﴿لَنْ تَرَنِي﴾، وَتَأْتِي أَنْتَ وَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى؟

فَنَقُولُ فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ: إِنَّا نَحْنُ لَا نَقُولُ: إِنَّا نَرَاهُ فِي الدُّنْيَا، وَإِنَّمَا نَرَاهُ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا قَوْلُكُمْ هَذَا إِلَّا كَقَوْلِ مُنْكَرِي الْبَعْثِ ﴿فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الدخان: ٣٦]، الَّذِينَ يَنْكُرُونَ الْبَعْثَ قَالُوا: كَيْفَ يُبْعَثُ النَّاسُ؟ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟ فَتَقُولُ لَهُمْ: نَحْنُ مَا قُلْنَا نَأْتِي بِآبَائِكُمُ الْآنَ، مَتَى يُبْعَثُونَ؟ الْجَوَابُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتَحَدِّثِكُمْ هَذَا لَا وَجْهَ لَهُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجِئْتُمْ بِآبَائِنَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رَقْمٌ (٧٤٣٥).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الصَّرَاطِ جَسْرُ جَهَنَّمَ، رَقْمٌ (٦٢٠٤)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرَّؤْيَا، رَقْمٌ (١٨٢).

كذلك الذين استدلوا بقوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ نقول: هذا لا دليل فيه لكم، لأننا لا نقول: إننا نراه في الدنيا، وإنما نراه في الآخرة.

بل قال أهل السنة: إن طلب موسى - عليه الصلاة والسلام - رؤية الله تعالى في قوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يدل على إمكان الرؤية، لأن الرؤية لو كانت رؤية مستحيلة لكانت من النواقص، ولا يمكن لموسى - عليه الصلاة والسلام - أن يعتقد في الله تعالى صفة ناقصة.

الدليل الثاني لهم: قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فنقول: هذا حجة عليكم، وليس دليلاً لكم، لأن الإدراك أخص من الرؤية، فإن الإنسان قد يرى الشيء، ولا يدركه، ولكنه إذا أدركه فقد رآه، أو لمسّه، أو ما أشبه ذلك.

المهم أن الله قال: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ولم يقل: (لا تراه)، فيكون في نفي الإدراك للإبصار دليل على أنها تراه، لأنها لو كانت لا تراه لكان نفي إدراكها له تلبيساً، إذ إننا نقول: ما دام الأعم لا يوجد، فالواجب نفي الأعم، ولقال: (لا تراه الأبصار)، لأننا نعلم أنها إذا كانت لا تراه فلن تدركه.

إذن ففي الآية دليل عليهم، لا دليل لهم.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه: (العقل والنقل) الذي قال عنه ابن القيم: (ما في الوجود له نظير ثاني)، قال: «أنا ملتزم لكل مبتدع أو معطل يأتي بدليل من الكتاب والسنة أن أجعل دليلاً عليه»^(١).

(١) انظر: مقدمة درء تعارض العقل والنقل.

وهذا صحيحٌ واضحٌ، لأنَّ هذا المُبطلَ لم يَسْتَدِلَّ بالنَّصِّ إِلَّا وهو يَجِدُ فيه أو يَشَمُّ منه رائحةً لِمَا يُريدُ، لَكِنَّهَا ليستِ الرائحةُ التي يَتَعَطَّرُ بها، وَلَكِنَّهَا الرائحةُ التي تَزُكُّمُ أنْفَه وتُرُدُّ عليه.

إِذَنْ قَوْلُهُ تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ليس فيها دليلٌ، لماذا؟ لِأَنَّهَا في الدنيا، ونحن نُوَافِقُ على هذا، وقَوْلُهُ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ ليس فيها دليلٌ، بل هو دليلٌ عليهم.

فهم يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه، ويقولون: المرادُ بالرؤية رؤية العِلْمِ واليقينِ، وليست رؤية البَصْرِ، ولكن كيف يقول الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(١)، و«كَمَا تَرَوْنَ القَمَرَ لَيْلَةَ البَدْرِ»^(٢)، ونقول: المرادُ رؤية العِلْمِ؟!!

فروية العِلْمِ -حتى في الدنيا- فإنَّ أهلَ اليقينِ يَعْبُدُونَ اللهَ كأنهم يَرَوْنَهُ، كما قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- في الإحسانِ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٣).

فإذا كان النَّصُّ لا يُمكنُ إنكاره حَرَفوه، مثل القرآنِ وغيره مما تواتر، وإذا كان آحادًا قَعَدُوا قاعدتهم الفاسدة الباطلة بأنَّ الآحادَ ليس فيه حُجَّةٌ في إثباتِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئْهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿[القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩).

العقائد، مع أننا نقول: إن حديث الرؤية متواتر، قال الناظم:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثُ مَنْ كَذَبَ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ
وَرُؤْيَا شَفَاعَةً وَالْحَوْضُ وَمَسْحُ حُفَّيْنِ، وَهَدَى بَعْضُ

ثُمَّ قَالَ الْمَوْلَفُ:

١٢٨٤- وَتَصِيرُ أَبْصَارُ الْعِبَادِ نَوَاطِرًا حَقًّا إِلَيْهِ رُؤْيَا بَعِيَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣] أَيْ: تَنْظُرُ إِلَيْهِ.

١٢٨٥- لَا رَيْبَ أَمَّهُمْ إِذَا قَالُوا بِذَا لَزِمَ الْعُلُوُّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

يَعْنِي: إِذَا قَالُوا بِثَبُوتِ الرَّؤْيَا لَزِمَهُمْ لَزُومًا لَا مَحِيدَ عَنْهُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى عَالِيًّا، كَمَا سَبَقَ فِي الْجِهَاتِ الْخَمْسِ أَنَّهَا مَمْتَنَعَةٌ.

١٢٨٦- وَيَكُونُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلًّا جَلَالُهُ فَلِذَاكَ نَحْنُ وَحِزْبُهُمْ حَضَمَانِ

قَوْلُهُ: «نَحْنُ» يَعْنِي: الْمُعْتَزِلَةَ وَالْأَشَاعِرَةَ.

قَوْلُهُ: «وَحِزْبُهُمْ» أَيْ: الْمُجَسِّمَ - عَلَى زَعْمِهِمْ - وَمِنْهُمْ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَهُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

١٢٨٧- لَكِنَّا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ إِذْ تَسَا عَدْنَا عَلَى نَفِي الْعُلَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّا سِلْمٌ وَأَنْتُمْ» يَعْنِي: نَحْنُ وَإِيَّاكُمْ بَيْنَا سِلْمٌ، لَا حَرْبَ، لِأَنَّ نَا سَاعَدْنَا عَلَى نَفِي الْعُلُوِّ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالْمَسَاعِدُ لِلْمُبْطِلِ عَلَى بَاطِلِهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِلْمٌ، لَكِنَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ بَيْنَهُ

وبينه حربٌ، كما قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ [الأعراف: ٣٨].

١٢٨٨- فَعُلُوهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا دِيَانَ
أعوذ بالله، يقولون: (عُلُوهُ عَيْنُ الْمُحَالِ)، ونحن نقول: عُلُوهُ عَيْنُ الْكَمَالِ،
فَعُلُوُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا شَكَّ أَنَّهُ عَيْنُ الْكَمَالِ، وَأَنَّهُ مِنْ كَمَالِهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ
شَيْءٍ، لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ.

١٢٨٩- لَا تَنْصِبُوا مَعَنَا الْخِلَافَ فَمَا لَهُ طَعْمٌ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سِلْمَانِ
١٢٩٠- هَذَا الَّذِي -وَاللَّهِ- مُودَعٌ كُنْتِهِمْ فَاَنْظُرْ تَرَى يَأْمَنُ لَهُ عَيْنَانِ
يعني: لا تُخالفونا، ولا تُنازعونا، لأنَّ الخِلافَ لَيْسَ لَهُ طَعْمٌ، إذ إنه لَيْسَ
بِخِلَافٍ.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ... سِلْمَانِ» أَي: مُسَالِمٌ بَعْضُنَا بَعْضًا.

وهنا مسألة: هل هؤلاء يكفرون إن كانوا متأولين أو لا؟

الجواب: هم مثل غيرهم، فكلُّ قولٍ مُكفِّرٍ لَا بُدَّ أَنْ تَقُومَ الْحُجَّةُ عَلَى مَنْ قَالَ
بِهِ مِثْلَ غَيْرِهِمْ، يَعْنِي: لَوْ قَرَضْنَا أَنَّ عِنْدَهُمْ شُبُهَاتٍ يُعْذَرُونَ بِهَا مَا كَفَرْنَا بِهِمْ، لِأَنَّ
هَنَّاكَ فَرْقًا بَيْنَ التَّكْفِيرِ بِالْعَيْنِ وَالتَّكْفِيرِ بِالْوَصْفِ، وَكَذَلِكَ كُلُّ شَيْءٍ يُفَرِّقُ فِيهِ بَيْنَ
الْعَيْنِ وَالْوَصْفِ، فَلَوْ قُلْتِ: (مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)، فَهَذَا صَحِيحٌ، لَكِنْ
لَا تَقُلْ عَنِ الَّذِي قُتِلَ فِي الْمَعْرَكَةِ: إِنَّهُ شَهِيدٌ، بَلْ تَقُولِ: يُرْجَى أَنْ يَكُونَ مِنَ
الشُّهَدَاءِ، أَمَّا أَنْ تَشْهَدَ لَهُ بِعَيْنِهِ بِأَنَّهُ شَهِيدٌ، فَلَا تَدْرِي.

فهذا الرجل الذي قَالَ الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ»^(١)، مع أنه كان لا يَدْعُ فَاذَّةً وَلَا شَاذَّةً لِلْعَدُوِّ إِلَّا أَتَى بِهَا، ومع ذلك قال: «إِنَّهُ فِي النَّارِ».

وخطبَ عمرُ بنُ الحَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وقال: «إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ قَدْ أَوْقَرَ رَاِحِلَتَهُ -يَعْنِي: مِنَ الْغُلُولِ- أَلَا لَا تَقُولُوا ذَلِكَ، وَلَكِنْ قُولُوا كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢)، فقال: (من مات) على سبيلِ العموم.

ولهذا نَقُولُ: كُلُّ مُؤْمِنٍ فِي الْجَنَّةِ، وَنَشْهَدُ بِذَلِكَ، لَكِنْ لَوْ رَأَيْنَا رَجُلًا مُؤْمِنًا فِي ظَاهِرِهِ هَلْ نَشْهَدُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَقَدْ بَيَّنَّ الرَّسُولُ -عليه الصلاة والسلام- «أَنَّ الرَّجُلَيْنِ يَهَاجِرَانِ أَحَدُهُمَا: هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَالثَّانِي: هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا»^(٣) وما يُدْرِينَا لَعَلَّ هَذَا الَّذِي يُقَاتِلُ يُقَاتِلُ لِأَجْلِ الدُّنْيَا.

ولهذا قَالَ شيخُ الإسلامِ فِي عَكْسِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْجُنُودِ تَوَقَّفُوا عَنْ قِتَالِ التَّتَارِ، قَالُوا: لِأَنَّ التَّتَارَ مَعَهُمْ قَوْمٌ مُسْلِمُونَ وَمُكْرَهُونَ، فَقَالَ: يَجِبُ قِتَالُهُمْ، حَتَّى الْمُسْلِمُونَ يُقْتَلُونَ، وَقَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أُكْرَهُوا عَلَى الْخُرُوجِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب لا يقول فلان شهيد، رقم (٢٧٤٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، رقم (١١٢).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في قتال اللصوص، رقم (٤٧٧٢). والترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن قُتِلَ دون ماله فهو شهيد، رقم (١٤٢١)، وقال: حسن صحيح. والنسائي: كتاب تحريم الدم، باب من قاتل دون دينه، رقم (٤٠٩٥). وأحمد: (١/١٩٠)، رقم (١٦٥٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية». رقم (١٩٠٧).

يَجُوزُ أَنْ نَقْتَلَهُمْ لِصَالِحِ الْإِسْلَامِ، لَأَنَا لَوْ تَرَكْنَا هُمْ فَإِنَّا لَا نَعْلَمُ الْمُكْرَهَ مِنْ غَيْرِ الْمُكْرَهَ، فَيَكُونُ حَسَابُهُمْ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ عَلَى اللَّهِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا، فَإِنَّا نُقَاتِلُ مَنْ وَجَدْنَاهُ فِي صَفِّ عَدُوِّنَا، قَاتَلْنَاهُ وَلَوْ كَانَ مُسْلِمًا، حَتَّى وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ مُكْرَهٌ.

يَقُولُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «وَيَكُونُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاءُوا مُكْرَهِينَ، وَقَاتَلُوا فِي صَفِّ الْكُفَّارِ - وَهُوَ يَتَكَلَّمُ عَنِ التَّارِ - عِنْدَ اللَّهِ شُهَدَاءَ، بِنَاءً عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لَنَا فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا الظَّاهِرُ، وَذَكَرَ أَثَرًا عَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ لَمَّا أُسِرَ فِي بَدْرٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي قَدْ كُنْتُ مُسْلِمًا، فَقَالَ: «أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَاللَّهُ يَجْزِيكَ بِذَلِكَ، فَأَمَّا ظَاهِرًا مِنْكَ فَكَانَ عَلَيْنَا»^(١).

فَكُونُ كُلِّ وَاحِدٍ يَقُولُ: أَنَا - وَاللَّهُ - مُكْرَهٌ، فَمِثْلُ هَذِهِ الْمَسَائِلِ لَا يُمَكِّنُ الْإِحَاطَةَ بِهَا، لِأَنَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى مَا فِي الْقُلُوبِ، وَلَا يَعْلَمُ مَا فِي الْقُلُوبِ إِلَّا عَلَّامُ الْغُيُوبِ، وَلِهَذَا قَالَ: «بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْكُفَّارَ إِذَا تَرَسَّوْا بِالْأَسْرَى الْمُسْلِمِينَ وَخِيفَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْكُفَّارِ أَنْ يَنْدَفِعُوا بِوِاسِطَةِ الْأَسْرَى - لِأَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَقْتُلُونَ أَسْرَاهُمْ الَّذِينَ عِنْدَ الْكُفَّارِ - فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الْمُسْلِمُ الَّذِي تَرَسَّ بِهِ الْكَافِرُ»^(٢)، فَإِنَّا إِذَا قَاتَلْنَاهُ فَإِنَّا مَعْدُورُونَ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا إِثْمٌ، وَهُوَ بِنَفْسِهِ أَيْضًا يَكُونُ شَهِيدًا، لِأَنَّهُ قُتِلَ لِنُصْرَةِ الْحَقِّ.

فَهَذِهِ الْمَسَائِلُ - فِي الْحَقِيقَةِ - مَسَائِلُ دَقِيقَةٌ، يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَلَّا تَأْخُذَهُ الْعَاطِفَةُ فِي الْحُكْمِ عَلَى هَذِهِ الْأُمُورِ، بَلْ يَرْجِعُ إِلَى كَلَامِ الْعُلَمَاءِ، وَمَا قَالَهُ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ حَتَّى لَا يَحْكُمَ بِالضَّلَالِ، وَهَذِهِ مَسَائِلُ خَطِيرَةٌ جَدًّا، خُصُوصًا فِي أَحْدَاثِنَا

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/١٤٢).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٥٥٢).

هذه، فإن كثيراً من الناس صار ينسى بعض المصائب التي أصابت المسلمين ويتأوه لقوم تترس بهم العدو، نقول: هؤلاء شهداء إذا قتلوا - إن شاء الله - وهم على الإسلام، لكن أن ندع هذا العدو يتترس بما يتترس به من المسلمين، فهذا لا يمكن، وإلا ضاعت الأمور.

المهم أن نقول: إن هؤلاء الذين ينكرون رؤية الله لا تكفر كل واحد بعينه، ولكن نقول: من أنكر رؤية الله بعد بلوغ الحجّة، فإنه يكون كافراً، لأنه مكذب لله ورسوله، ولما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم.

فصل

- ١٢٩١- هَذَا وَرَابِعَ عَشْرَهَا: إِقْرَارُ سَا
 ١٢٩٢- وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رَزِينٍ بَعْدَمَا
 ١٢٩٣- وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ وَمُقَرَّرًا
 ١٢٩٤- هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ (مَنْ)
 ١٢٩٥- كَلَّا وَلَيْسَ لِي (مَنْ) دُخُولٌ قَطُّ فِي
 ١٢٩٦- دَعَا ذَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ:
 ١٢٩٧- وَاللَّهِ مَا قَصَدَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَ مَعِي
 ١٢٩٨- وَاللَّهِ مَا فَهِمَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ
 ١٢٩٩- يَا قَوْمُ لَفْظُ الِ (أَيْنَ) مُتَمَتِّعٌ عَلَى الرُّ
 ١٣٠٠- وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكْفِّرُنَا بِهِ
 ١٣٠١- لَفْظٌ صَرِيحٌ جَاءَ عَنِ خَيْرِ الْوَرَى
 ١٣٠٢- وَاللَّهِ مَا كَانَ الرَّسُولُ بِعَاجِزٍ
 ١٣٠٣- وَالِ (أَيْنَ) أَحْرَفُهَا ثَلَاثٌ وَهِيَ دُو
 ١٣٠٤- وَاللَّهِ مَا الْمَلِكَانِ أَفْصَحُ مِنْهُ إِذْ
- ئِلَيْهِ بِلَفْظِ الِ (أَيْنَ) لِلرَّحْمَنِ
 سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظِهِ بِوِزَانِ
 لَمَّا أَقْرَبَهُ بِأَلَا نُكْرَانِ
 لَكِنْ جَوَابُ اللَّفْظِ بِالْمِيزَانِ
 هَذَا السِّيَاقِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
 أَيُّنَ الْإِلَهِ؟ لِعَالِمِ بِلِسَانِ
 نَاهَا الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْحَقَائِنِ
 وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَضْدِ بَيَانِ
 رَحْمَنِ عِنْدَكُمْ وَدُو بَطْلَانِ
 بَلْ قَدْ وَهَذَا غَايَةُ الْعُدْوَانِ
 قَوْلًا وَإِقْرَارًا هُمَا نَوْعَانِ
 عَنِ لَفْظِ (مَنْ) مَعَ أَتْمَا حَرْفَانِ
 لَبْسٍ وَ (مَنْ) هِيَ غَايَةُ التَّبْيَانِ
 فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبُّ السَّمَاءِ يَسْلَانِ

- ١٣٠٥- وَيَقُولُ: أَيِنَّ اللَّهَ؟ يَعْنِي: (مَنْ) فَلَا وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ
 ١٣٠٦- كَلَّا وَلَا مَعْنَاهُمَا أَيضًا لِذِي لُغَةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَانِ

الشرح

- ١٢٩١- هَذَا وَرَابِعَ عَشْرَهَا: إِقْرَارُ سَا ثَلَاثَةٌ بِلَفْظِ الْ(أَيْنَ) لِلرَّحْمَنِ
 ١٢٩٢- وَلَقَدْ رَوَاهُ أَبُو رَزِينٍ بَعْدَمَا سَأَلَ الرَّسُولَ بِلَفْظِهِ بِوِرَازِ
 ١٢٩٣- وَرَوَاهُ تَبْلِيغًا لَهُ وَمُقَرَّرًا لَمَّا أَقْرَبَهُ بِإِلَّا نَكْرَانِ

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله - سبحانه وتعالى - وهو إقرار سائله بلفظ الـ(أين) يعني: إقرار النبي ﷺ من سألته: أَيِنَّ رَبَّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ»^(١) يَعْنِي: فِي شَيْءٍ مِنْ جِنْسِ الْغَمَامِ وَنَحْوِهِ.

فهذا السائل قال: أَيِنَّ رَبَّنَا؟ والـ(أين) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان، فأقره النبي ﷺ على هذا السؤال، وأجابه بأنه في عماء، يعني: أنه - سبحانه وتعالى - فوق كل شيء، وحواله هذا الذي يكون في عماء من جنس السحاب الخفيف. وكذلك أيضًا هو نفسه سأل الجارية فقال لها: «أَيِنَّ اللَّهَ؟» فقالت: فِي السَّمَاءِ. فَأَقْرَبَهَا^(٢).

فالنبي ﷺ - عليه الصلاة والسلام - أجاب السائل بـ(أين)، وهو نفسه أيضًا وجّه سؤالاً بـ(أين)، (وَأَيْنَ) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة هود، رقم (٣١٠٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

قَوْلُهُ: «مُقَرَّرًا لِمَا أَقَرَّبَهُ» وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَقُولَ: (مُقَرَّرًا لِمَا أَقَرَّبَهُ) يَعْنِي: أَنَّ
الرَّسُولَ قَرَّرَ مَا أَقَرَّبَهُ.

١٢٩٤- هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ (مَنْ) لَكِنْ جَوَابُ اللَّفْظِ بِالْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَمَا كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ (مَنْ)» لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ الْجَوَابُ جَوَابَ
(مَنْ) كَانَ الِاسْتِفْهَامُ هُنَا لَيْسَ عَنِ الْمَكَانِ، بَلْ عَنِ الذَّاتِ (مَنْ اللَّهِ)؟ مَثَلًا، فَيَقُولُ:
رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَكِنْ (أَيْنَ اللَّهِ)؟ اسْتِفْهَامٌ عَنِ الْمَكَانِ.

١٢٩٥- كَلَّا وَلَيْسَ لـ (مَنْ) دُخُولُ قَطُّ فِي هَذَا السِّيَاقِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

لِمَا قَالَ: أَيْنَ اللَّهُ؟ فَقَالَ: فِي السَّمَاءِ، مَا يَصِحُّ أَبَدًا أَنْ تَكُونَ (أَيْنَ) هُنَا بِمَعْنَى
(مَنْ)، فَالِاسْتِفْهَامُ لَيْسَ بِلَفْظِ (مَنْ)، وَ(أَيْنَ) لَا تَصِحُّ أَنْ تَكُونَ بِمَعْنَى (مَنْ).

ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٢٩٦- دَعُ ذَا فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ بِنَفْسِهِ: أَيْنَ الْإِلَهِ؟ لِعَالِمٍ بِلِسَانِ

قَوْلُهُ: «أَيْنَ الْإِلَهِ» يُخَاطَبُ مَنْ يَعْرِفُ اللُّغَةَ، أَي: مَنْ هُوَ عَالِمٌ بِاللِّسَانِ،
يُخَاطَبُ امْرَأَةٌ عَرَبِيَّةٌ وَيَقُولُ لَهَا: «أَيْنَ اللَّهِ؟»^(١).

١٢٩٧- وَاللَّهُ مَا قَصَدَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَ مَعَهَا الَّذِي وُضِعَتْ لَهُ الْحَقَانِي

١٢٩٨- وَاللَّهُ مَا فَهِمَ الْمُخَاطَبُ غَيْرَهُ وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُخَاطَبُ» هُوَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

قَوْلُهُ: «وَالْمُخَاطَبُ» يَعْنِي: الْمَرْأَةَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

قَوْلُهُ: «وَاللَّفْظُ مَوْضُوعٌ لِقَصْدِ بَيَانٍ» وهو بَيِّنٌ، فهناك فرقٌ بين (أَيْنَ) وبين (مَنْ).

١٢٩٩- يَا قَوْمُ لَفْظُ الْ(أَيْنَ) مُتَّبِعٌ عَلَى الرِّحْمَنِ عِنْدَكُمْ وَذُو بَطْلَانٍ

يعني: أن الذين يُنكرون علو الله يقولون: لا يجوزُ أن تقول: أين الله؟ وإذا قلت: أين الله؟ فهذا حرامٌ عليك، بل يقول:

١٣٠٠- وَيَكَادُ قَائِلُكُمْ يُكْفِرُنَا بِهِ بَلْ قَدْ وَهَذَا غَايَةُ الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «يَكَادُ» يَعْنِي: يَقْرُبُ أَنْ يُكْفِرَنَا بِهِ.

قَوْلُهُ: «بَلْ قَدْ» يَعْنِي: بل قد كفّرنا، وقال: مَنْ قال: (أين الله؟) فهو كافرٌ، وعلى رأيهم يكونُ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- كافرًا، ويكونُ مقرّرًا للكُفْرِ.

١٣٠١- لَفْظُ صَرِيحٌ جَاءَ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى قَوْلًا وَإِقْرَارًا هُمَا نَوْعَانِ

قَوْلُهُ: «قَوْلًا» فِي قَوْلِهِ: «أَيْنَ اللَّهُ؟».

قَوْلُهُ: و«إِقْرَارًا» أَي: فِي جَوَابِهِ لِلسَّائِلِ.

١٣٠٢- وَاللَّهُ مَا كَانَ الرَّسُولُ بِعَاجِزٍ عَنِ لَفْظِ (مَنْ) مَعَ أَتْمَاهَا حَرْفَانِ

١٣٠٣- وَال(أَيْنَ) أَحْرَفُهَا ثَلَاثٌ وَهِيَ ذُو لَبْسٍ وَ(مَنْ) هِيَ غَايَةُ التَّبْيَانِ

ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ثَلَاثَةَ أُمُورٍ:

الأول: كيف تقولون: إِنَّ (أَيْنَ) بمعنى (مَنْ)؟ هل الرسولُ الذي يَسْتَطِيعُ أن يقول: (أَيْنَ) يَعْجِزُ عن (مَنْ)؟ الجوابُ: لا، وإذا كان كذلك، فأيهما أكثرُ حروفًا (أَيْنَ) أو (مَنْ)؟

الجَوَابُ: (أَيْنَ)، كيف يَعِدُّ عن (مَنْ)، وهي أقلُّ حروفًا، إلى (أَيْنَ) وهي أكثرُ حروفًا، وهذا هو الثاني.

الثالث: (مَنْ) واضحةٌ في المعنى، (وَأَيْنَ) إذا قُصِدَ بها (مَنْ) صارت ذا لَبْسٍ، لأنَّ حَمَلَ (أَيْنَ) على (مَنْ) بعيدٌ، فلو قَصِدَ المُخاطَبُ بها (مَنْ) لكان مُلَبَّسًا غيرَ مُبَيَّنٍّ.

فذكر - رَحِمَهُ اللهُ - ثلاثةَ مواضعٍ، كُلُّهَا تَمَعُّ أَنْ تَكُونَ (أَيْنَ) بمعنى (مَنْ).

١٣٠٤ - وَاللَّهُ مَا الْمَلَكَانَ أَفْصَحُ مِنْهُ إِذْ فِي الْقَبْرِ مَنْ رَبِّ السَّمَاءِ يَسْأَلَانِ

لما أَرَادَ النَّبِيُّ - عليه الصلاة والسلام - (مَنْ) بَيْنَهَا، وقال: إِنَّ الْمَلَكَيْنِ يَسْأَلَانِ الْعَبْدَ فِي قَبْرِهِ، يَقُولَانِ لَهُ: «مَنْ رَبُّكَ»^(١)؟ ولا يقولان: أَيْنَ رَبُّكَ؟

فَلَمَّا أَرِيدَ مَعْنَى (مَنْ) عُبِّرَ بـ(مَنْ)، وإذا أُريدَ مَعْنَى (أَيْنَ) عُبِّرَ بـ(أَيْنَ).

فهل تَقُولُونَ أَنْتُمْ: إِنَّ الْمَلَكَيْنِ أَفْصَحُ مِنَ الرَّسُولِ - عليه الصلاة والسلام -؟! لأنَّ هَؤُلَاءِ - والعياذُ بالله - يقولون: إِنَّ مَعْنَى (أَيْنَ اللهُ)؟ يَعْنِي: مَنْ اللهُ؟ ولا شكَّ أَنَّ هَذَا مُتَمَنِّعٌ، لكن هذا مَعْنَى كَلَامِهِمْ، فَيَقَالُ: كَيْفَ يُعَبَّرُ الرَّسُولُ بـ(أَيْنَ) بدلًا عن (مَنْ)؟!

إِذَنْ - على رَعْمِكُمْ - الْمَلَكَانِ أَفْصَحُ مِنَ الرَّسُولِ وَأَبْيَنُ، مع الْعِلْمِ بَأَنَّ الْمَلَكَيْنِ يُخَاطَبَانِ الْمَيِّتَ، وهو غيرُ مُكَلَّفٍ، والرَّسُولُ يُبَيِّنُ لِلْأَحْيَاءِ الْمُكَلَّفِينَ، فكيف يُعَبَّرُ بـ(أَيْنَ) عن (مَنْ)؟!

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

١٣٠٥- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللَّهِ؟ يَعْنِي: (مَنْ) فَلَا وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: أَيْنَ اللَّهِ؟ يَعْنِي: مَنْ؟» يَعْنِي: هُم يَدْعُونَ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِ الرَّسُولِ: «أَيْنَ اللَّهِ؟» يَعْنِي: مَنْ اللَّهِ؟ كَيْفَ يَرِيدُ (مَنْ اللَّهِ)، وَهُوَ يَقُولُ: أَيْنَ؟!

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ مَا اللَّفْظَانِ مُتَّحِدَانِ» صَدَقَ، فَبَيَّنَّهَا فَرَقٌ.

١٣٠٦- كَلَّا وَلَا مَعْنَاهُمَا أَيضًا لِذِي لُغَةٍ وَلَا شَرْعٍ وَلَا إِنْسَانٍ

فَهِيَ مُتَّبَايِنَانِ لِفِظًا وَمَعْنَى.

وَخِلَاصَةٌ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ: أَنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- سَأَلَ: «أَيْنَ اللَّهِ؟»^(١) فَقِيلَ: فِي السَّمَاءِ، وَسُئِلَ: «أَيْنَ اللَّهِ؟»، فَقَالَ: فِي السَّمَاءِ، إِذْنُ اللَّفْظُ وَاضِحٌ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِذَاتِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

فصل

- ١٣٠٧- هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا: الْإِجْمَاعُ مِنْ
 ١٣٠٨- فَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتُبِهِمْ
 ١٣٠٩- وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعُهُمْ شَيْخُ الْوَرَى
 ١٣١٠- وَأَبُو الْوَلِيدِ الْمَالِكِيُّ أَيْضًا حَكَى
 ١٣١١- وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى
 ١٣١٢- وَلَهُ أَطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ
 ١٣١٣- هَذَا وَنَقَطُ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّهُ
 ١٣١٤- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٥- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٦- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٧- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْ
 ١٣١٨- وَكَذَاكَ نَقَطُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ
 ١٣١٩- فَالْمُرْسَلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصْو
 ١٣٢٠- كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَاجٌ وَذَا
- رُسُلِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
 قَدْ صَرَّحُوا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
 وَالَّذِينَ عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي
 إِجْمَاعُهُمْ أَعْنِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي
 إِجْمَاعُهُمْ عَلَّمَ الْهُدَى الْحَرَّانِي
 لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمِ بِلِسَانِ
 إِجْمَاعُهُمْ قَطْعًا عَلَى الْبُرْهَانِ
 بَبَاتِ الصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَكْوَانِ
 بَبَاتِ الْكَلَامِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
 بَبَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
 حَيْدِ الْإِلَهِ وَمَالَهُ مِنْ ثَانِ
 بَبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَالَهُمْ قَوْلَانِ
 لِالَّذِينَ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
 فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمِ ذَانَ

- ١٣٢١- فَالَّذِينَ فِي التَّوْحِيدِ دِينَ وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
- ١٣٢٢- دِينَ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَلِنَفْسِهِ هُوَ قَيِّمُ الْأَدْيَانِ
- ١٣٢٣- فَمِنَ الْمُحَالِ بِأَنْ يَكُونَ لِرُسُلِهِ فِي وَصْفِهِ خَبْرَانِ مُخْتَلَفَانِ
- ١٣٢٤- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْلِ اللَّهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
- ١٣٢٥- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ أَيْضًا دَعَاوًا لِلْخَمْسِ وَهِيَ قَوَاعِدُ الْإِيمَانِ
- ١٣٢٦- إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- ١٣٢٧- وَبِجُنْدِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأَلَى هُمْ رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ
- ١٣٢٨- هَذِي أَصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أُصُولُ لُ الْخَمْسِ لِلْقَاضِي هُوَ الْهَمْدَانِي
- ١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلْإِعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ
- ١٣٣٠- وَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَنَفْيُهُمْ لِعُلُوِّهِ وَالْقَوُوقِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٣٣١- وَكَذَلِكَ نَفْيُهُمْ لِرُؤُوسِنَا لَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
- ١٣٣٢- وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ الَّذِي سَبَقَ الْكِتَابُ بِهِ هُمَا حَتْمَانِ
- ١٣٣٣- مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ وَخَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي لَطَى النَّيْرَانِ
- ١٣٣٤- وَلَا أَجْلِيهَا نَفَوْا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ وَرَمَوْا رُؤَاةَ حَدِيثِهَا بِطِعْمَانِ
- ١٣٣٥- وَلَا أَجْلِيهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِضْيَانِ
- ١٣٣٦- وَلَا أَجْلِيهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِيْمَانِ ذِي الْكُفْرَانِ

- ١٣٣٧- وَلَا أَجْلَهَا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشَّـ
شَرَعَ الْمُحَالِ شَرِيعَةَ الْبُهْتَانِ
١٣٣٨- وَلَا أَجْلَهَا هُمْ يُوجِبُونَ رِعَايَةً
لِلْأَصْلَحِ الْمَوْجُودِ فِي الْإِمْكَانِ
١٣٣٩- حَقًّا عَلَى رَبِّ الْوَرَى بِعُقُولِهِمْ
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ!

الشرح

- ١٣٠٧- هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا: الْإِجْمَاعُ مِنْ
رُسْلِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
١٣٠٨- فَالْمُرْسَلُونَ جَمِيعُهُمْ مَعَ كُتُبِهِمْ
قَدْ صَرَّحُوا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
١٣٠٩- وَحَكَى لَنَا إِجْمَاعَهُمْ شَيْخُ الْوَرَى
وَالدِّينِ عَبْدُ الْقَادِرِ الْحِيلَانِي
هذا هو الدليل الخامس عشر في إثبات علو الله، وهو إجماع الرسل على
إثباته.

قَوْلُهُ: «وَخَامِسَ عَشْرَهَا» يَجُوزُ فِي مِثْلِ هَذَا التَّرْكِيبِ ثَلَاثَةٌ أَوْجُه:

الْوَجْهَ الْأَوَّلُ: إِعْرَابُ الطَّرْفَيْنِ، فَتَقُولُ: (هَذَا وَخَامِسُ عَشْرَهَا)، وَهَذَا هُوَ
مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ.

الْوَجْهَ الثَّانِي: إِعْرَابُ الثَّانِي، وَبِنَاءِ الْأَوَّلِ، فَتَقُولُ: (هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا)
(وَخَامِسَ) مُضَافٌ، وَ(عَشْرًا) مُضَافٌ إِلَيْهِ.

الْوَجْهَ الثَّلَاثُ: الْبِنَاءُ عَلَى الْفَتْحِ فِي الْجُرْءَيْنِ، فَتَقُولُ: (هَذَا وَخَامِسَ عَشْرَهَا).

إِذْنُ يَجُوزُ أَنْ تَقُولَ: (خَامِسُ عَشْرَهَا) أَوْ (خَامِسَ عَشْرَهَا) أَوْ (وَخَامِسَ
عَشْرَهَا).

قَوْلُهُ: «عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِي»^(١) عَبْدُ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيُّ إِمَامٌ مَشْهُورٌ مَعْرُوفٌ، زَاهِدٌ نَاسِكٌ، مِنْ أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- فَقَدْ حَكَى أَنَّ اسْتِوَاءَ اللهِ عَلَى الْعَرْشِ مَذْكُورٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللهُ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ.

وَلَا شَكَّ أَنَّ عَلَوَّ اللهِ مَوْجُودٌ فِي الشَّرَائِعِ السَّابِقَةِ، فَهَذَا فِرْعَوْنُ يَقُولُ لِهَامَانَ: ﴿ابْنَ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغَ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى﴾ [غافر: ٣٦-٣٧] وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُوسَى قَالَ لَهُ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

١٣١٠- وَأَبُو الْوَلِيدِ الْمَالِكِي^(٢) أَيْضًا حَكَى إِجْمَاعَهُمْ أَعْنِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي ابْنَ رُشْدِ الثَّانِي -رَحِمَهُ اللهُ- مَالِكِي الْمَذْهَبِ، وَهُوَ رَجُلٌ مَذْهَبُهُ مَذْهَبُ سَلْفِيٍّ، أَمَّا ابْنُ رُشْدِ الْأَوَّلِ فَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ مَذَاهِبِ الْفَلَسَفَةِ.

١٣١١- وَكَذَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَيْضًا قَدْ حَكَى إِجْمَاعَهُمْ عَلَّمَ الْهُدَى الْحَرَّانِي قَوْلُهُ: «أَبُو الْعَبَّاسِ» هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللهُ- يُكْنَى أَبُو الْعَبَّاسِ، وَهَلْ يُكْنَى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ أَوْلَادِهِ؟

الْجَوَابُ: لَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَتَزَوَّجْ، لَكِنَّ الْمَزُورِينَ زَوَّجُوهُ، فَإِذَا ذَهَبَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأُمُوِيِّ، قَالُوا: أَتَرَعْبُ أَنْ تَزُورَ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةٍ وَابْنَهُ؟ فَإِذَا قُلْتَ: أَرَعْبُ أَنْ أَسْلَمَ عَلَيْهِ، وَأَدْعُو لَهُ، قَالُوا: هَذَا قَبْرُهُ، وَهَذَا قَبْرُ ابْنِهِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الرَّجُلَ لَمْ

(١) انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤٣٩/٢٠).

(٢) أبو الوليد المالكي هو: محمد بن أحمد، من أهل قرطبة، ولد سنة (٥٢٠هـ)، كان المنصور المؤمني يُجلبه، فرماه خصومه عنده بالزندقة، فنفاه إلى مراكش، ثم رضي عنه، وأذن له بالعودة إلى وطنه، فعاجلته الوفاة بمراكش سنة (٥٩٥هـ) ونُقلت جثته إلى قرطبة. [الشارح]. انظر: ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٣٠٧/٢١).

يَتَزَوَّجُ إِطْلَاقًا، وَلَكِنْ هَذَا لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَى الْمَزُورِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْحُسَيْنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْعِرَاقِ، وَجَعَلُوهُ فِي الشَّامِ، وَجَعَلُوهُ فِي مِصْرَ.

١٣١٢- وَلَهُ إِطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِلِسَانِ قَوْلُهُ: «لَهُ» أَي: لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَهُوَ إِطْلَاعٌ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِهِ لِسِوَاهُ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِلِسَانِ.

وَصَدَقَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَإِنَّ مَنْ رَاجَعَ كُتُبَ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ يَأْخُذُهُ الْعَجْبُ الْعُجَابُ فِي كَثْرَةِ مَا يَنْقَلُ عَنْهُ مِنَ الْكُتُبِ، وَهَذَا مِنْ هِبَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَهُ، أَنْ وَهَبَهُ حِفْظًا رَاسِخًا، وَكَأَنَّهُ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- لَا يَنْسَى، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ أَرَادَ أَنْ يَعِدَّ هَذِهِ الْكُتُبَ الَّتِي يَنْقَلُ مِنْهَا لَنْسِيَهَا فَضْلًا عَنْ أَنَّهُ هُوَ يَنْقَلُ عِبَارَاتِهَا، لَكِنَّ فَضْلَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، نَسَأَلُ اللَّهَ الَّذِي أَعْطَاهُ مِنْ فَضْلِهِ إِلَّا يَجْرِمَنَا.

١٣١٣- هَذَا وَنَقَطَعُ نَحْنُ أَيْضًا أَنَّهُ إِجْمَاعُهُمْ قَطْعًا عَلَى الْبُرْهَانِ أَيْضًا هُوَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقَطَعُ بِإِجْمَاعِ الرُّسُلِ السَّابِقِينَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

١٣١٤- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِخَالِقِ الْأَكْوَانِ أَي: أَنَّهُمْ مُجْمِعُونَ عَلَى إِثْبَاتِ صِفَاتِ الْكَمَالِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

١٣١٥- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْكَلَامِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ مُجْمِعُونَ أَيْضًا عَلَى أَنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ، يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ مَسْمُوعٍ يَسْمَعُونَهُ، فَاللَّهُ تَعَالَى يُنَادِيهِمْ، وَيَسْمَعُونَ نِدَاءَهُ.

١٣١٦- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْمٍ بَاتِ الْمَعَادِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
ولهذا لا يُنْكِرُ الْمَعَادَ أَحَدٌ يَنْتَسِبُ إِلَى دِينِ سَمَائِيٍّ أَبَدًا، حَتَّى الْيَهُودُ
وَالنَّصَارَى يُقَرُّونَ بِالْمَعَادِ، وَأَنَّ هُنَاكَ جَنَّةٌ وَنَارًا، وَأَنَّ الْجَنَّةَ لَمَنْ أَطَاعَ، وَالنَّارَ لَمَنْ
عَصَى.

١٣١٧- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِتَوْحِيدِ الْإِلَهِ وَمَالِهِ مِنْ ثَانٍ
لَا شَكَّ فِي هَذَا أَيْضًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا
نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

١٣١٨- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْمِ بَاتِ الْقَضَاءِ وَمَالِهِمْ قَوْلَانِ
قَوْلُهُ: «إِثْبَاتِ الْقَضَاءِ» أَي: إِثْبَاتِ قَضَاءِ اللَّهِ، وَأَنَّ مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ
لَمْ يَكُنْ، وَهَذَا تَمَجُّدُهُمْ يَذْكُرُونَ هَذَا فِي مُحَاجَّةِ قَوْمِهِمْ، وَأَنَّ هَذَا مِنْ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى- وَهُوَ الَّذِي قَدَّرَهُ.

١٣١٩- فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصُولِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
أَصُولِ الدِّينِ الَّتِي لَا تَتِمُّ الْعِبَادَةُ إِلَّا بِهَا مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا، وَأَمَّا الشَّرَائِعُ
وَالْمَنْهَاجُ الَّذِي يَسِيرُ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي عِبَادَاتِهِمْ مِنْ كَيْفِيَّةٍ، أَوْ عَدَدٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ، فَإِنَّ
الرُّسُلَ مُخْتَلِفِينَ فِيهَا، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ، وَهِيَ مِنْ آخِرِ مَا نَزَلَ،
قَالَ: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾ [المائدة: ٤٨].

١٣٢٠- كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَا جَا وَذَا فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ فَافْهَمْ ذَانَ
وهذه فائدة عظيمة، فاختلفوا في المأمور، لا في الخبر، أمّا في التوحيد فلم
يختلفوا، بمعنى أن بعضهم يؤمر بشيء، ويؤمر الآخر بخلافه، يحل له شيء،

وَيُخَرِّمُهُ الْآخِرُ، قَالَ عَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ [آل عمران: ٥٠].

قَوْلُهُ: «فَافْهَمِ ذَانَ» (ذَانَ) الْمَشَارُ إِلَى الْأَصُولِ وَالْفُرُوعِ، أَوْ إِنَّ شِئْتَ فَقُلْ: الْأَخْبَارُ وَالْأَوَامِرُ، فَالْأَخْبَارُ مُتَّفِقُونَ عَلَيْهَا، وَهِيَ أَصُولُ الْإِيمَانِ السَّتَّةُ، لَكِنَّ الْأَوَامِرَ تَخْتَلِفُ.

١٣٢١- فَالذِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينَ وَاحِدٌ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ

١٣٢٢- دِينَ الْإِلَهِ اخْتَارَهُ لِعِبَادِهِ وَلِنَفْسِهِ هُوَ قِيمُ الْأَذْيَانِ

يعني: أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَخْتَارُ الدِّينَ لِلْعِبَادِ حَسَبَ مَا يُصْلِحُهُمْ، وَذَلِكَ فِي الشَّرَائِعِ وَالْمِنَهِاجِ، وَأَمَّا فِي الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ فَإِنَّهُ وَاحِدٌ.

١٣٢٣- فَمِنَ الْمُحَالِ بِأَنْ يَكُونَ لِرُسُلِهِ فِي وَصْفِهِ خَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ

وهذا صحيحٌ، فَمِنَ الْمُحَالِ أَنْ يُوجَدَ فِي كُتُبِ اللَّهِ، أَوْ فِيهَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ خَبْرَانِ مُخْتَلِفَانِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ، فَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَبَدًا، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ.

فمَثَلًا لَوْ قَالَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَ اللَّهُ يُنَزِّلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثَلَاثَ اللَّيْلِ الْآخِرِ، فَهَذَا يُنَافِي الْعُلُوفَ؟

قُلْنَا: لَا يَنَافِيهِ، لِأَنَّ كَوْنَهُ فِي الْعُلُوفِ ثَابِتٌ بِخَيْرٍ، وَنَزْوُلُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ثَابِتٌ بِخَيْرٍ، وَالْخَبْرَانِ لَا يَتَنَاقِضَانِ، لِأَنَّا لَوْ جَوَّزْنَا تَنَاقُضَ الْخَبْرَيْنِ لَجَوَّزْنَا أَنْ أَحَدَهُمَا كَاذِبٌ، وَهَذَا مُحَالٌ، وَلَكِنْ يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ نَزْوُلِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَكُونَ غَيْرَ عَالٍ عَلَى خَلْقِهِ.

١٣٢٤- وَكَذَلِكَ نَقَطَعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِعَدْلِ اللَّهِ بَيْنَ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
هذا أيضًا نقطعُ به، فالعدلُ بين الخلقِ في الشرع، وفي القضاءِ الدنيويِّ
والأخرويِّ.

فهذه ثلاثة أمورٍ: عدلٌ في الشرع، وعدلٌ في القضاءِ الدنيويِّ، وفي القضاءِ
الأخرويِّ.

فالغنيُّ إذا سَرَقَ يُقَطَعُ كما يُقَطَعُ الفقيرُ، والشريفُ إذا سَرَقَ يُقَطَعُ كما يُقَطَعُ
الوضيعُ، وكلُّ إنسانٍ تَجِبُ عليه الصلواتُ الخمسُ مثلًا، وكلُّ غنيٍّ تَجِبُ عليه
الزكاةُ، وكلُّ فقيرٍ مُستحقٌّ للزكاةِ يُعطَى من الزكاةِ.

وفي الآخرةِ كذلك، الجزاءُ بحسبِ الأعمالِ، لا بحسبِ الشرفِ والجاهِ،
وهذا عدلٌ.

ولهذا لا يُوجدُ شيءٌ -أبدًا- من الشريعةِ يَحْتَصُّ بشخصٍ لَعَيْنِهِ حتَّى قول
الرسول -عليه الصلاة والسلام- لأبي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ^(١) لَمَّا قَالَ: إِنَّ عِنْدَهُ عَنَاقًا^(٢)
أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ شَاتَيْنِ، وَكَانَ قَدْ ذَبَحَ أَضْحِيَّتَهُ قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ -عليه
الصلاة والسلام- أَنَّ مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ الصَّلَاةِ فَلَا نُسُكَ لَهُ، وَكَانَ جَاهِلًا، فَذَبَحَ قَبْلَ
أَنْ يُصَلِّيَ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَأْكُلَ هُوَ وَأَهْلُهُ وَجِيرَانُهُ، فَقَالَ: «لَيْسَ لَكَ نُسُكٌ، شَاتُكَ شَاءَ
لَحْمٍ»، وهذا فيه فائدةٌ عظيمةٌ أَنَّ مَنْ فَعَلَ الْعِبَادَةَ الْمُؤَقَّتَةَ قَبْلَ وَقْتِهَا -ولو كان
جاهلًا- فَإِنَّ ذِمَّتَهُ لَا تَبْرَأُ بِذَلِكَ، وَلَا يَنَافِي هَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ
نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لِأَنَّ هَذَا انْتَفَى عَنْهُ الْإِثْمُ، وَهُوَ الْمُؤَاخِذَةُ، لَكِنْ هُوَ
لَا زَالَ الْآنَ مُطَالِبًا بِفِعْلِ الْعِبَادَةِ، فَيَفْعَلُهَا وَلَا بُدَّ.

(١) انظر ترجمته في: الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٣١).

(٢) هي الأنثى من أولاد المعز ما لم يتم له سنة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: عنق.

المهمُّ أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لما قال له: «شأتك شاة لحم»، فقال: يا رسول الله، فإنَّ عندنا عناقًا -يعني: عنزًا لها أربعة أشهر أو نحو ذلك- هي أحبُّ إليَّ من شاتين، أفتجزئ عني، قال: «نعم، ولن تجزئ عن أحدٍ بعدك»^(١).

لو أن أحدًا ضحى بعناقٍ فإنَّ أضحيتَه لا تجزئ، لأنَّها لم تبلغ السنَّ، فلم تكن ثنيةً^(٢)، لكن هذا قال له الرسول ﷺ: «لن تجزئ عن أحدٍ بعدك»، فقال بعض العلماء: إنَّ هذا حكمٌ خاصٌّ بالرجل لا يتعداهُ إلى غيره، لأنَّ قول الرسول ﷺ: «لن تجزئ عن أحدٍ بعدك» صريحٌ في ذلك.

ولكنَّ بحر العلوم ابن تيمية -رحمه الله- أبقى ذلك، وقال: أي سببٍ يختصُّ بهذا الرجل بعينه؟! هذا شرعٌ، وليس جزاءً، حتى الجزاء يتساوى فيه الناس، فكيف؟ قال: إنَّ المراد بقوله: «لن تجزئ عن أحدٍ بعدك» أي: بعد حالك، يعني: لن تجزئ عن أحدٍ إلا مَنْ كانت حاله مثل حالك، فإذا وُجد شخصٌ انطبقت حاله على حالِ أبي بردة أجزأت عنه العناق.

وكلامه -رحمه الله- أصحُّ، لأنَّه هو الموافق للقاعدة الشرعية العامة.

١٣٢٥- وكذلك نقطعُ عنهم أيضًا دعواً للخمسة وهي قواعِدُ الإيمانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب العيدين، باب كلام الإمام والناس في خطبة العيد، وإذا سئل الإمام عن شيء وهو يخطب، رقم (٩٤٠)، ومسلم: كتاب الأضاحي، باب وقتها، رقم (١٩٦١).
(٢) الثنية من الغنم ما دخل في السنة الثالثة، ومن البقر كذلك، ومن الإبل في السادسة، والذكر ثني، وعلى مذهب أحمد بن حنبل: ما دخل من المعز في الثانية، ومن البقر في الثالثة. انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، مادة: ثنا.

ثُمَّ ذَكَرَهَا بِقَوْلِهِ:

١٣٢٦- إِيْمَانُنَا بِاللَّهِ ثُمَّ بِرُسُلِهِ وَبِكُتُبِهِ وَبِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

١٣٢٧- وَبِجُنْدِهِ وَهُمْ الْمَلَائِكَةُ الْأُولَى هُمْ رُسُلُهُ لِمَصَالِحِ الْأَكْوَانِ

فهذه خمسُ قواعدٍ للإيمان، لكن قد يقول قائل: إن ابن القيم مُقَصِّرٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكُرِ الْقَاعِدَةَ السَّادِسَةَ، وَهِيَ الْإِيْمَانُ بِالْقَدَرِ، فَمَاذَا نُجِيبُ؟

الْجَوَابُ: نَقُولُ: ذَكَرَهَا -رَحِمَهُ اللهُ- مِنْ قَبْلُ فِي قَوْلِهِ:

وَكَذَلِكَ نَقَطْعُ أَنَّهُمْ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْقَضَاءِ وَمَا لَهُمْ قَوْلَانِ

لَكِنَّهُ افْتَصَرَ عَلَى هَذِهِ الْخَمْسِ لِيُرَدَّ بِهَا عَلَى قَوَاعِدِ خَمْسٍ لِلْمُعْتَزِلَةِ، فَخَمْسٌ بِخَمْسٍ، وَهَذَا قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٣٢٨- هَذِي أُصُولُ الدِّينِ حَقًّا لَا أُصُولُ الدِّينِ لِلْقَاضِيِ هُوَ الْهَمْدَانِي^(١)

١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلْإِعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

أُصُولُ الْمُعْتَزِلَةِ عِنْدَهُمْ خَمْسَةٌ، وَهِيَ:

الأول: التوحيد، فقالوا: هذه قاعدةٌ من قواعدِ الدين، وهذا صحيحٌ، فالتوحيدُ

هو أصلُ الأصولِ.

الثاني: العدلُ، وهذا صحيحٌ، فالعدلُ من قواعدِ الإسلامِ.

الثالث: المنزلةُ بين منرتين، يَعْنِي: أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَكُونُ مُؤْمِنًا، وَلَا يَكُونُ

(١) القاضي الهمداني هو: عبد الجبار بن أحمد الهمداني، شيخ المعتزلة في عصره، يلقبونه قاضي القضاة، ولي القضاء بالري، ومات فيها سنة (٤١٥هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/٢٤٤).

كافراً، لأنَّ فيه خصالَ كفرٍ، فلا نقولُ له: أنت مؤمنٌ، ولا نقولُ له: أنت كافرٌ، بل أنت بينهما.

الرابع: إنفاذُ الوعيد، قالوا: لأنَّ خبرَ الله صِدْقٌ، وخبرَ رسوله صِدْقٌ، فإذا كانَ مُدْمِنُ الخَمْرِ لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ^(١) فِصِدْقٌ، هكذا قَالَ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-

الخامس: الأمرُ بالمَعْرُوفِ والنهي عن المُنْكَرِ، وهذا صحيحٌ، فهذا من القواعدِ أيضاً.

قُلْنَا: والله هذه قواعدٌ جيِّدةٌ، إذا قرأها الإنسانُ قال: ما أحسنَ هذه القَوَاعِدَ! لكنَّهُم يَعْنُونَ بالتوحيدِ ألا تُثَبَّتَ لله صِفَةٌ، فأَيُّ إنسانٍ يُثَبَّتَ لله صِفَةٌ فهو مُشْرِكٌ، فليسَ لله سَمْعٌ، ولا بَصَرٌ، ولا قَدْرَةٌ، ولا كَلَامٌ، ولا شَيْءٌ، لأنك إذا أثبتَ صِفَةً أثبتَ معَ الله إلهاً، إذ إنَّك إذا قُلْتَ: هذه الصِّفَةُ قَدِيمَةٌ -يَعْنِي: لم تزل- فقد جعلتها معَ الله إلهاً، وأنت الآن كم صفاتِ الله عندك؟ يقول: صفاتِ الله لا تُحْصَى، فيقول: أنت أكفرُ من النصارى، لأنَّ النصارى جعلوا الله ثلاثةً، وأنت جعلته ثلاثين ألفاً أو أكثر، فأنت أكفرُ منهم، إذن أنكرَ الصِّفَةَ.

فإن قُلْتَ: إنَّ لله صفاتٍ غيرَ قَدِيمَةٍ، لَزِمَكَ أن تقولَ بوقوعِ الحوادثِ في الله أو بحُلُولِ الحوادثِ بالله، وحينئذٍ نقولُ: الحوادثُ لا تقومُ إلاَّ بحادثٍ، فتكونُ قد أنكرتَ أزلِيَّةَ الله.

فصار توحيدهم تعطيلًا وجحدًا للخالق عزَّ وجلَّ، لأنَّ وجودَ ذاتِ مُجَرَّدَةٍ عن الصفاتِ أمرٌ مُستحيلٌ، إذن وجودُ الله على قاعدتهم مُستحيلٌ.

(١) أخرجه النسائي: كتاب الأشربة، باب الرواية في المدمنين في الخمر، رقم (٥٦٧٢)، وابن ماجه: كتاب الأشربة، باب مدمن الخمر، رقم (٣٣٧٦).

انظر ماذا يعنون؟ مع أنك أول ما تسمع (التوحيد) تقول: ما شاء الله، من أحسن شيء.

الثاني: العدل، يعني: أن الله عز وجل عدل، فنقول: صحيح، لكن أتدرون ماذا يقولون؟ يقولون: إن الله عدل، إذن ليس له علاقة بفعل العبد، لأنه ليس من العدل أن يدبر للعبد ثم يعاقبه، وبناء على العدل أنكروا القدر، وقالوا: إن الله - سبحانه وتعالى - لم يقدر أعمال العباد، ولا يقدر على أن يجعل الكافر مؤمناً، ولا المؤمن كافراً، ولا العاصي عدلاً، ولا العدل عاصياً، فلا يقدر على هذا، لأنك لو قلت: إن الله قادر على ذلك، وأن الله هو المدبر، فقد وصفت الله بالجور، وأنشدوا على ذلك:

أَلْقَاهُ فِي السِّمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالسَّمَاءِ^(١)

(والسيم) يعني: البحر، والدليل قوله تعالى: ﴿فَأَعْرَفْنَاهُمْ فِي السِّمِّ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

وهذا محال، فلا بد أن يبتل، إلا إذا كان عليه كيس من البلاستيك، فهذا يمكن ألا يبتل، لكن هذا غير موجود.

هم يقولون: كيف يأمرنا الله بشيء، ويكون فعلنا لهذا الشيء أو تركنا لهذا الشيء بتقديره ثم يعاقبنا؟ يقولون: هذا ظلم، وهو محال على الله، إذن فيلزم أن تكون أفعالنا مستقلة، ليس لله فيها تدخل، هذا يسمونه العدل.

إذن الذي ينبغي على العدل عندهم إنكار القدر بالنسبة لفعل العبد، وغريب هذا العدل، لأن هذا العدل يتضمن تكذيب الله عز وجل، وهل من العدل أن يكذب الله ورسله؟! الجواب: أبداً.

(١) البيت في نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لشهاب الدين التلمسان (٥/٢٩٢) بلا نسبة.

الثالث: المنزلة بين مَنزَلَتَيْنِ - وأظنُّ بعضَهم يجعلُ بدلَها وُجوبَ فِعْلِ الأصلحِ، أو الصَّلاحِ على الله - يَعْنِي: أَنَّ العاصِيَ الذي لا تَصِلُ مَعْصِيَتُهُ إلى الكُفْرِ لا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إنه مؤمنٌ، ولا أَنْ نَقُولَ: إنه كافرٌ، بل هو في منزلةٍ بين مَنزَلَتَيْنِ، كَرَجُلٍ سَافَرَ مِنَ المَدِينَةِ إلى مَكَّةَ، فهو في أَثناءِ الطَرِيقِ لا نَقُولُ: إِنَّه من أَهلِ مَكَّةَ، ولا من أَهلِ المَدِينَةِ، بل هو في منزلةٍ بين مَنزَلَتَيْنِ.

هذا الإنسانُ لَمَّا فَعَلَ الكَبِيرَةَ خَرَجَ مِنَ الإِيانِ، لَكِن لَمَّا كَانَ مَعَهُ بَعْضُ الإِيانِ لَمْ يَصِلْ إلى الكُفْرِ، فَكَانَ فِي مَنزَلَةٍ بَيْنَ مَنزَلَتَيْنِ.

وَبِنَا عَلَى هَذَا أَنَّهُ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الشِّفَاعَةُ، لِأَنَّهُمْ يُنْفِذُونَ الوَعِيدَ، كَمَا سَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللهُ - فِي إِنْفَاذِ الوَعِيدِ.

أَمَّا فِي مَسْأَلَةِ وُجوبِ الصَّلاحِ والأَصْلَحِ عَلَى اللهُ، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَصُولِهِمْ، يَقُولُونَ: يَجِبُ عَلَى اللهُ أَنْ يَفْعَلَ الأَصْلَحَ، قَالُوا: لِأَنَّهُ حَكِيمٌ، وَالْحَكِيمُ لَا يَفْعَلُ إِلَّا الأَصْلَحَ، لِأَنَّ العُدُولَ عَنِ الأَصْلَحِ إِلَى مَا دُونَهُ يُنَافِي الحِكْمَةَ، إِذَنْ يَجِبُ عَلَى اللهُ أَنْ يَفْعَلَ الأَصْلَحَ، وَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الصَّلاحَ.

وهذا القولُ - وَإِنْ كَانَ ظَاهِرُهُ حَقًّا - لَكِنَّهُمْ لَا يُرِيدُونَ الحَقَّ، لِأَنَّا نَقُولُ: مَا مِيزَانُ الأَصْلَحِ أَوْ الصَّلاحِ؟ إِنْ كَانَ عَقولُكُمْ، فَإِنَّ قَوْلَكُمْ هَذَا باطِلٌ، لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَا هُوَ الأَصْلَحُ مِنْ غَيْرِهِ؟ وَإِنْ كَانَ الأَصْلَحُ هُوَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَةُ اللهُ، فَهَذَا لَيْسَ إِلَيْكُمْ، وَلَسْتُمْ الَّذِينَ أَوْجَبْتُمُوهُ عَلَى اللهُ، بَلْ إِنْ اللهُ هُوَ الَّذِي أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ، فَإِنَّ اللهُ لَا يُجِبُ المُفْسِدِينَ، وَيُجِبُ المُصْلِحِينَ، وَيُجَازِيهِمْ.

ولهذا نَقُولُ لَهُمْ: رَجُلٌ لَهُ ثَلَاثَةُ أَوْلَادٍ: مَاتَ الوَلَدُ الأوَّلُ، وَهُوَ لَمْ يَبْلُغْ، وَمَاتَ الثَّانِي بَعْدَ البُلُوغِ، وَمَاتَ الثَّلَاثُ بَعْدَ أَنْ عُمِّرَ طَوِيلًا، مَوْتُ الأوَّلِ بِالنِّسْبَةِ

لِلوَالِدَيْنِ الْآخَرَيْنِ لَيْسَ فِيهِ صِلَاحٌ وَلَا أَصْلَاحٌ، فَهُوَ وَلَدٌ مِسْكِينٌ، مَا جَاءَهُ صِلَاحٌ وَلَا أَصْلَاحٌ، غَايَةُ مَا هُنَاكَ أَنَّهُ سَلِمَ مِنَ الْإِثْمِ، وَهَذَا هُوَ الْأَوَّلُ.

الثاني: الذي مات بعد البلوغ لكن ما بقي إلا سنة أو سنتين، فهذا حصل له الصِّلَاحُ.

الثالث: الذي طال عمره في طاعة الله، هذا حصل له الصِّلَاحُ وَأَصْلَاحُ.

إِذْنُ الْمَعْنَى - عَلَى زَعْمِكُمْ - لَمْ يَقُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ عِنْدَكُمْ إِلَّا فِي الْإِبْنِ الثَّالِثِ فَقَطُّ.

وهذا قولٌ مُنْكَرٌ، لِأَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ الشَّيْءَ إِلَّا لِلْحِكْمَةِ، لَكِنَّ الْحِكْمَةَ لَسْنَا نَحْنُ مَنْ يَقْرُضُهَا عَلَى اللَّهِ، بَلِ الْحِكْمَةُ يَكُونُ عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَأْتِي - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بَقِيَّةُ الْكَلَامِ عَلَى أَصُولِهِمُ الْخَمْسَةِ، وَهَذَا هُوَ السَّرُّ فِي أَنَّ ابْنَ الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - جَعَلَ الْقَوَاعِدَ الْخَمْسَ هِيَ خَمْسَةٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ.

١٣٢٩- تِلْكَ الْأُصُولُ لِلْإِعْتِزَالِ وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَكَمْ لَهَا فَرَعٌ فَمِنْهُ الْخَلْقُ لِلْقُرْآنِ» يَعْنِي: يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ كغَيْرِهِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ، بَائِنٌ عَنِ اللَّهِ كغَيْرِهِ مِنَ الْبَائِنَاتِ، وَلَيْسَ وَصْفًا لَهُ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَيْهِ إِضَافَةُ الْمَخْلُوقِ إِلَى خَالِقِهِ، فَ(بَيْتُ اللَّهِ)، وَ(كَلَامُ اللَّهِ) عِنْدَهُمْ سَوَاءٌ، لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَبَيْتَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ أَيْضًا، وَبَنَوْا عَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ.

١٣٣٠- وَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ وَنَفْيُهُمْ لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ» هَذَا أَيْضًا مِمَّا بَنَوْهُ عَلَى أَصُولِهِمْ، أَوْ عَلَى

قَوَاعِدِهِمُ الْخَمْسِ، فَجُحُودٌ أَوْصَافِ الْإِلَهِ مَبْنِيٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ.

قَوْلُهُ: «وَنَفِيهِمْ لِعُلُوِّهِ وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ» هَذَا أَيْضًا مَبْنِيٌّ عَلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ إِثْبَاتَ هَذَا الْعُلُوِّ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ وَالتَّمثِيلَ.

١٣٣١- وَكَذَلِكَ نَفِيهِمْ لِرُؤْيَيْنَا لَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ نَفِيهِمْ لِرُؤْيَيْنَا لَهُ يَوْمَ اللَّقَاءِ» أَيْضًا بَنُوهُ عَلَى ذَلِكَ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَوْ رُئِيَ لَكَانَ جَسَمًا، وَهَذَا شَرِكٌ.

١٣٣٢- وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ الَّذِي سَبَقَ الْكِتَابُ بِهِ هُمَا حَتْمَانِ

١٣٣٣- مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ وَحَلَّلُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي لَطَى النَّيرَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَفَوْا قَضَاءَ الرَّبِّ وَالْقَدَرَ» وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى الْعَدْلِ.

وَقَوْلُهُ: «هُمَا حَتْمَانِ مِنْ أَجْلِ هَاتِيكَ الْأُصُولِ» يَعْنِي: أَنَّ هَذَا حَتْمٌ لِبِنَائِهِ عَلَى هَذِهِ الْأُصُولِ.

قَوْلُهُ: «وَحَلَّلُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي لَطَى النَّيرَانِ» وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى إِنْغَاذِ الْوَعِيدِ.

١٣٣٤- وَلَا أَجْلِيهَا نَفَوْا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ وَرَمَوْا رُؤَاةَ حَدِيثِهَا بِطَعَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَا أَجْلِيهَا نَفَوْا الشَّفَاعَةَ فِيهِمْ» هَذَا أَيْضًا مِنْ أَجْلِ إِنْغَاذِ الْوَعِيدِ، لِأَنَّ الْوَعِيدَ إِذَا كَانَ نَافِذًا فَلَا فَائِدَةَ مِنَ الشَّفَاعَةِ فِيهِ.

قَوْلُهُ: «وَرَمَوْا رُؤَاةَ حَدِيثِهَا بِطَعَانِ» الَّذِينَ رَوَوْا أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ طَعَنُوا فِيهِمْ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذِهِ أَخْبَارُ أَحَادِيثِ تَنَافِي الْمَقْطُوعِ بِهِ عَقْلًا، فَلَا تَكُونُ مَقْبُولَةً.

وَهَذَا - كَمَا عَلِمْتُمْ - أُسَاسٌ بَنَى عَلَيْهِ جَمِيعُ أَهْلِ الْبِدْعِ مَا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ مِنْ

الْبِدْعِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يُخَالِفُ بِدْعَهُمْ يَقُولُونَ: هَذَا خَيْرٌ أَحَادٍ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنْ أُمُورِ الْقَطْعِيَّاتِ، فَلَا نَقْبَلُ، مَعَ أَنَّ أَحَادِيثَ الشَّفَاعَةِ مُتَوَاتِرَةٌ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلشَّفَاعَةِ فِي أَهْلِ الْكِبَائِرِ.

أَمَّا الشَّفَاعَةُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ أَنْ يُقْضَى بَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُمْ لَا يُنْكِرُونَهَا، لِأَنَّهَا شَفَاعَةٌ عَامَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَالْكَفَّارِ، وَالْفُسَّاقِ، وَالْمُنَافِقِينَ.

١٣٣٥- وَلَا أَجْلَهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِصْلَاحِ ذِي الْعِصْيَانِ

لِمَاذَا؟ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِاللَّهِ، فَالْعَبْدُ إِذَا كَانَ يُرِيدُ الْمَعْصِيَةَ فَلَيْسَ لِلَّهِ تَعَالَى تَعَلُّقٌ فِيهِ، فَلَا يَقْدِرُ اللَّهُ - عَلَى زَعْمِهِمْ - أَنْ يَضْرِبَهُ إِلَى الطَّاعَةِ، وَإِذَا كَانَ يُرِيدُ الطَّاعَةَ لَمْ يَقْدِرِ اللَّهُ عَلَى أَنْ يَجْعَلَهُ عَاصِيًا، إِذَنْ هَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى الْعَدْلِ.

١٣٣٦- وَلَا أَجْلَهَا قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى إِيمَانِ ذِي الْكُفْرَانِ

لَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى إِيمَانِ الْكَافِرِ إِطْلَاقًا، فَلَا يَقْدِرُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ الْكَافِرَ مُؤْمِنًا، وَلَا الْفَاسِقَ مُطِيعًا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ لَا تَعَلُّقٌ لَهُ بِاللَّهِ، فَالْعَبْدُ مُسْتَقِلٌّ بِعَمَلِهِ، لَيْسَ لَهُ دَخْلٌ فِي الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ.

١٣٣٧- وَلَا أَجْلَهَا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشَّرِّ

١٣٣٨- وَلَا أَجْلَهَا هُمْ يُوجِبُونَ رِعَايَةَ

كذلك أيضًا حَكَمُوا عَلَى الرَّحْمَنِ بِالشَّرِّ الْمَحَالِ، وَهُوَ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى اللَّهِ أَنْ يَفْعَلَ الْأَصْلَحَ أَوْ يَفْعَلَ الصَّلَاحَ، قَالُوا: فَإِذَا خَالَفَ فَهُوَ ظَالِمٌ، لِأَنَّهُ تَرَكَ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ.

فَحَكَمُوا عَلَى اللَّهِ بِالشَّرِيعَةِ، وَالَّذِي يَحْكُمُ بِالشَّرِيعَةِ هُوَ اللَّهُ، فَهُوَ الَّذِي يَحْكُمُ بِهَا عَلَى الْعِبَادِ، لَا الْعِبَادُ بِهَا عَلَى اللَّهِ.

ونحن نقول: أمّا وجوب الأصلح، فنحن نؤمنُ به، لكن لا نُوجِبُه، بل نؤمنُ به لِأَنَّهُ مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ، ولا شكَّ أَنَّهُ إِذَا كَانَ أَمَامَ الْإِنْسَانِ صَالِحٌ وَأَصْلَحٌ، فَالْحِكْمَةُ أَنْ يَتَّبِعَ الْأَصْلَحَ، وَإِذَا كَانَ أَمَامَهُ صَالِحٌ وَفَاسِدٌ فَلْيَتَّبِعِ الصَّالِحَ، لكن لا نوجبه على الله.

نقول: هذا كان واجباً بمقتضى حكمته، وبناءً على ذلك يختلف الفرق بين قولنا هذا وقول المعتزلة، فالمعتزلة يرون أن الأصلح والصالح موكول إلى عقولهم، فإذا وقع فعل الله خلاف ما يرونه أصلح، قالوا: هذا ظلم، أمّا نحن فنقول: إن ميزان الصلاحية والأصلحية ليست عقولنا، بل ميزانها حكمة الله عز وجل.

فمثلاً لو أن الناس أصيبوا بقحطٍ وجذبٍ - القحط: امتناع المطر، والجذب: عدم النّبات - وهلكت المواشي، فنحن إذا نظرنا إلى مقتضى العقول القاصرة نقول: هذا ليس بأصلح، بل هذا فساد، ولكن حكمة الله تأبى أن يكون هو الأصلح، لما يترتب عليه من المصالح العظيمة التي قد تظهر الآن لنا، وقد لا تظهر، وقد تظهر بعد زمن، وقد لا تظهر، ونحن قاصرون، فهذا هو الفرق بين قولنا وقول المعتزلة.

١٣٣٩- حَقًّا عَلَى رَبِّ الْوَرَى بِعُقُولِهِمْ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ!

لو قالوا: يجبُ على الله فعلُ الأصلحِ بمقتضى الحكمة لا بمقتضى ما تفرّضه عقولنا، لقُلْنَا: هذا صحيح، أمّا بمقتضى العقلِ فنقول: هذا هو الأصلح، فيجبُ على الله أن يفعلَه، فهذا لا شكَّ أَنَّهُ قَوْلٌ بَاطِلٌ.



فصل



- ١٣٤٠- هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا: إِجْمَاعُ أَهْلِ
 ١٣٤١- مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ
 ١٣٤٢- لَا عِبْرَةَ بِمُخَالِفِ لَهُمْ وَلَوْ
 ١٣٤٣- أَنَّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 ١٣٤٤- هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
 ١٣٤٥- فَاسْمَعِ إِذَنْ أَقْوَالَهُمْ وَاشْهَدْ عَلَيْهِ
 ١٣٤٦- وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَيْمَةِ ذَاكِرِي الْ
 ١٣٤٧- وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِتَفْ
 ١٣٤٨- وَانظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ
 ١٣٤٩- وَانظُرْ إِلَى الْكَلْبِيِّ أَيْضًا وَالَّذِي
 ١٣٥٠- وَكَذَا رُفِعَ التَّابِعِيُّ أَجْلُهُمْ
 ١٣٥١- كَمَ صَاحِبِ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ
 ١٣٥٢- فَلْيَهْنِ مَنْ قَدْ سَبَّهُ إِذْ لَمْ يُوَا
 ١٣٥٣- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعُ
- لِ الْعِلْمِ أَعْنِي: حُجَّةَ الْأَزْمَانِ
 أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَاكَرُ الْقُرْآنِ
 كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ
 وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
 حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنِ
 هُمْ بَعْدَهَا بِالْكَفْرِ وَالْإِيمَانِ
 إِسْنَادِ فَهِيَ هِدَايَةُ الْحَيْرَانِ
 سِيرِ (اسْتَوَى) إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
 كَمْجَاهِدٍ وَمُقَاتِلِ حَبْرَانِ
 قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانِ
 ذَاكَ الرَّيَاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 فَلِذَلِكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
 فِئْتِ قَوْلُهُ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ
 قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ

- ١٣٥٤- وَهِيَ: (اسْتَقَرَّ) وَقَدْ (عَلَا) وَكَذَلِكَ (از) تَفَعَّ) الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
 ١٣٥٥- وَكَذَلِكَ قَدْ (صَعِدَ) الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُيَيْدَةَ صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
 ١٣٥٦- يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ

الشرح

- ١٣٤٠- هَذَا وَسَادِسَ عَشْرَهَا: إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَعْنِي: حُجَّةَ الْأَزْمَانِ
 ١٣٤١- مِنْ كُلِّ صَاحِبِ سُنَّةٍ شَهِدَتْ لَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَرُ الْقُرْآنِ

في هذه المقطوعة بَيَّنَّ المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَالٍ بِذَاتِهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ -أَعْنِي: حُجَّةَ الْأَزْمَانِ- لِأَنَّ إِجْمَاعَ أَهْلِ الْعِلْمِ حُجَّةٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ، فَإِذَا أَجْمَعُوا مِنْ غَيْرِ خِلَافٍ سَبَقَ، فَإِجْمَاعُهُمْ حُجَّةٌ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، أَمَا إِذَا أَجْمَعُوا بَعْدَ اخْتِلَافِهِمْ، فَهَذَا الْإِجْمَاعُ لَيْسَ بِحُجَّةٍ.

فَإِذَا اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ عَلَى قَوْلَيْنِ ثُمَّ أَجْمَعَ التَّابِعُونَ عَلَى أَحَدِهِمَا، فَلَيْسَ هَذَا الْإِجْمَاعُ بِحُجَّةٍ، لِأَنَّهُ مَسْبُوقٌ بِخِلَافٍ، أَمَا لَوْ أَجْمَعُوا عَلَى شَيْءٍ، ثُمَّ نَشَأَ الْخِلَافُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَذَا الْخِلَافُ مَرْفُوضٌ، لِأَنَّ الْحُجَّةَ ثَبَّتَ بِالْإِجْمَاعِ السَّابِقِ.

قَوْلُهُ: «أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَرُ الْقُرْآنِ» وَيَجُوزُ النَّصْبُ، أَي: أَعْنِي: أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَرَ الْقُرْآنِ.

- ١٣٤٢- لَا عِبْرَةَ بِمُخَالَفِ لَهُمْ وَلَوْ كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ

يعني: الذي يُخَالَفُ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَأَهْلَ الْقُرْآنِ فَلَا عِبْرَةَ بِقَوْلِهِ، وَلَوْ كَانُوا عَدِيدَ الشَّاءِ وَالْبُعْرَانِ، وَ(الشَّاءُ) جَمْعُ: (شَاةٍ)، وَ(البُعْرَانُ) جَمْعُ (بَعِيرٍ) وَهِيَ الْإِبْلُ،

وفي هذا من تحمير هؤلاء ما هو ظاهر، حيث شبههم بالنجاج -أي: بالضأن-
وشبههم أيضاً بالبُعران.

١٣٤٣- أَنَّ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٣٤٤- هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ

قَوْلُهُ: «أَنَّ الَّذِي...» مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: (إجماع).

قَوْلُهُ: «الرَّحْمَنُ» هنا فيها إشكالٌ من جهة الإعراب، فإِذَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ
المؤلفَ -رَحِمَهُ اللهُ- كَسَرَهَا مِنْ أَجْلِ الرَّوِيِّ، يَعْنِي: مِنْ أَجْلِ الْقَافِيَةِ، وَقَدْ أَجَازَ
بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ تَغْيِيرَ الإِعْرَابِ مِنْ أَجْلِ الرَّوِيِّ.

وإِذَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ كَلِمَةَ (الرَّحْمَنِ) هُنَا لَيْسَتْ فَاعِلٌ (اسْتَوَى)، بَلْ هِيَ بَدَلٌ،
أَوْ عَطْفٌ بَيَانٍ مِنَ الضَّمِيرِ فِي (سُبْحَانَهُ)، أَيْ: هُوَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ الرَّحْمَنِ، أَوْ مِنَ
الضَّمِيرِ فِي (بِحَمْدِهِ).

١٣٤٥- فَاسْمَعْ إِذَنْ أَقْوَالَهُمْ وَاشْهَدْ عَلَيْنَا هُمْ بَعْدَهَا بِالْكَفْرِ وَالْإِيْمَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْكَفْرِ وَالْإِيْمَانِ» يَعْنِي: إِذَا سَمِعْتَ أَقْوَالَهُمْ فَحِينَئِذٍ قُلْ: إِنَّهُمْ إِمَّا
كَافِرُونَ، وَإِذَا مُؤْمِنُونَ.

١٣٤٦- وَاقْرَأْ تَفَاسِيرَ الْأَيْمَةِ ذَاكِرِي الْإِسْنَادِ فَهِيَ هِدَايَةُ الْحَيْرَانِ

التفاسيرُ تَنْقَسِمُ إِلَى قِسْمَيْنِ: قِسْمٌ يُذَكَّرُ فِيهِ السَّنَدُ، مِثْلُ تَفْسِيرِ ابْنِ جَرِيرٍ^(١)
-رَحِمَهُ اللهُ- لَكِنْ يُؤْخَذُ عَلَيْهِ أَنَّهُ لَمْ يُمَحَّصِ الْإِسْنَادَ، يَعْنِي: أَتَى بِكُلِّ مَا حَصَلَ،

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري، الإمام العلم المجتهد، عالم العصر، أبو جعفر
الطبري، صاحب التصانيف البديعة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/٢٧٨).

فهو كحاطبٍ ليلٍ، وعُدْرُهُ -رَحْمَةُ اللَّهِ- في ذلك أنه حَرَصَ على جَمْعِ الآثَارِ، وجَعَلَ تَمَحُّيْصَهَا مَوْكُولًا إِلَى مَنْ بَعْدَهُ، إِلَى مَنْ يَقْرَأُ هَذَا التَّفْسِيرَ، لِأَنَّهُ لَوْ اشْتَغَلَ بِالتَّمَحْيِصِ لِفَاتِهِ الوَقْتُ وَلَمْ يَتِمَّكَّنْ مِنْ اسْتِكْمَالِ هَذَا.

فهو -رَحْمَةُ اللَّهِ- خَافَ أَنْ يُبَادِرَهُ الأَجْلُ، فَجَمَعَ التَّفاسِيرَ بِأَسَانِيدِهَا، وَوَكَّلَ الأَمْرَ إِلَى القَارِئِ بَعْدَهُ.

فمثلاً التفسيرُ التي تَذَكَّرُ الإسنادَ هي غايَةُ ما يَكُونُ مِنَ التَّفْسِيرِ، وَبَعْدَهَا التي تَذَكَّرُ القَوْلَ بِدُونِ إسنادٍ، فيقولُ مثلاً: قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: كَذَا، قَالَ مجَاهِدٌ: كَذَا، قَالَ مقاتِلٌ: كَذَا، قَالَ قتادةٌ: كَذَا، وما أَشَبَّهَهَا.

وهذا مُشْكِلٌ في الحَقِيقَةِ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ اصْطَلَحَ عَلَيْهِ المُفَسِّرُونَ اليَوْمَ، وَصَارُوا يَذَكِّرُونَ هَذَا بِدُونِ إسنادٍ، مِثْلُ ابنِ كَثِيرٍ -رَحْمَةُ اللَّهِ- وَغَيْرِهِ.

١٣٤٧- وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ ابنِ عَبَّاسٍ بِتَفْـ سِيرِ (اسْتَوَى) إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانٍ

فإنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، يَعْنِي: علا على العَرْشِ، وَارْتَفَعَ، وَابْنُ عَبَّاسٍ -كَمَا نَعْلَمُ- هُوَ حَبْرُ الأُمَّةِ، وَتُرْجَمَانُ القُرْآنِ.

١٣٤٨- وَأَنْظُرْ إِلَى أَصْحَابِهِ مِنْ بَعْدِهِ كَمُجَاهِدٍ وَمُقاتِلٍ^(١) حَبْرَانِ

مُجَاهِدٌ هُوَ أَحْصَى أَصْحَابَهُ بِهِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ، حَتَّى إِذْ قَرَأَ عَلَيْهِ القُرْآنَ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، يُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ، وَيَسْأَلُهُ عَنْ مَعْنَاهَا.

قَوْلُهُ: «كَمُجَاهِدٍ وَمُقاتِلٍ حَبْرَانِ» يَعْنِي: هُمَا حَبْرَانِ^(٢).

(١) هو مقاتل بن سليمان البلخي أبو الحسن، كبير المفسرين، أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١).

(٢) منى حبر، والحبر أي: العالم. انظر: القاموس المحيط، مادة: حبر.

١٣٤٩- وَأَنْظُرُ إِلَى الْكَلْبِيِّ^(١) أَيْضًا وَالَّذِي قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا نُكْرَانِ
 ١٣٥٠- وَكَذَا رُفَيْعُ^(٢) التَّابِعِيُّ أَجْلُهُمْ ذَاكَ الرَّيَّاحِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ١٣٥١- كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
 قَوْلُهُ: «كَمْ صَاحِبٍ أَلْقَى إِلَيْهِ عِلْمَهُ» أَي: إِلَى رُفَيْعٍ، وَيَجُوزُ: أَلْقَى رُفَيْعٌ إِلَيْهِ
 عِلْمَهُ.

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ مَا اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ اثْنَانِ» يَعْنِي: اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-
 كَبِيرُ الشَّانِ، وَاسِعُ الْعِلْمِ، كَثِيرُ الْإِطْلَاعِ.
 ١٣٥٢- فَلَيْهِنَّ مَنْ قَدْ سَبَّهَ إِذْ لَمْ يُوَا فَوْقَ قَوْلِهِ تَحْرِيفَ ذِي الْبُهْتَانِ
 لِأَنَّ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ، وَيَقُولُونَ: (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوَى)، يُنْكِرُونَ
 عَلَى رُفَيْعٍ وَغَيْرِهِ مِنَ السَّلَفِ الَّذِينَ يَفْسِّرُونَ ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]،
 بِأَنَّهُ عَلا عَلَيْهِ.

١٣٥٣- فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ قَدْ حُصِّلَتْ لِلْفَارِسِ الطَّعَّانِ
 ١٣٥٤- وَهِيَ: (اسْتَقَرَّ) وَقَدْ (عَلَا) وَكَذَلِكَ (از) تَفَعَّ (الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

(١) الكلبِي: يحتل أنه محمد بن أحمد بن جزي الكلبِي، من أهل غرناطة، ولد سنة (٦٣٩هـ)، وتوفي سنة (٧٤١هـ) مفقوداً وهو يجرى الناس يوم معركة طريف، ويحتل أنه محمد بن السائب بن بشر الكلبِي كان نَسَابَةً، رَاوِيَةً، عَالِمًا بِالتَّفْسِيرِ، وَوُلِدَ بِالكُوفَةِ وَمَاتَ بِهَا سَنَةَ (١٤٦هـ) وهذا أقرب. [الشارح].

(٢) رُفَيْعٌ -بضم الفاء، مُصَغَّرًا- هو ابن مهران الرِّيَّاحِيُّ، أبو العالية من أئمة التابعين، اختلف في سنة وفاته، فقيل: سنة (٩٠هـ)، وقيل: سنة (١١١هـ)، وقيل غير ذلك، وقولُ الشارح -يقصد الهَرَّاسَ- إنه الحسن البصري فخطأ. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٠٧).

- ١٣٥٥- وَكَذَلِكَ قَدْ (صَعِدَ) الَّذِي هُوَ رَابِعٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ^(١) صَاحِبُ الشَّيْبَانِي
- ١٣٥٦- يَخْتَارُ هَذَا الْقَوْلَ فِي تَفْسِيرِهِ أَدْرَى مِنَ الْجَهْمِيِّ بِالْقُرْآنِ
- قَوْلُهُ: «فَلَهُمْ عِبَارَاتٌ عَلَيْهَا أَرْبَعٌ» وهي: (استقرَّ)، (وقد علا) اثنان، وكذلك (ارتفعَ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانٍ) هذه ثلاثة، وكذلك (قَدْ صَعِدَ) الَّذِي هُوَ رَابِعٌ.

فصار الواردُ عن السَّلَفِ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ -سبحانه وتعالى-: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أربعة معانٍ: علا، وارتفع، واستقرَّ، وصعدَ.

فَأَمَّا (عَلَا، وَارْتَفَعَ، وَصَعِدَ)، فمعناها متقارِبٌ، وَ أَمَّا (الاستقرار) فشيءٌ زَائِدٌ عَلَى الْعُلُوِّ، فَهُوَ أَحْصَى مِنْ مُجَرِّدِ الْعُلُوِّ، وَهَذَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَخْتَصِرَ لَقُلْنَا: معناها: (علا) و(استقرَّ)، وبهذا ننتظم المعاني الأربعة.

- ١٣٥٧- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: تَفْسِيرُ (أَسْتَوَى) بِحَقِيقَةِ (أَسْتَوَى) مِنَ الْبُهْتَانِ
- ١٣٥٨- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَتَّ
- ١٣٥٩- فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ (مُوجَزٍ)
- ١٣٦٠- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَأَ
- ١٣٦١- وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ
- بِحَقِيقَةِ (أَسْتَوَى) مِنَ الْبُهْتَانِ
- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ وَقَوْلُ أَتَّ
- فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ (مُوجَزٍ)
- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَأَ
- وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ

(١) أبو عبيدة هو: معمر بن المثنى التيمي، مولاهم، من أئمة العلم باللغة والأدب، ولد بالبصرة سنة (١١٠هـ)، ومات بها سنة (٢٠٩هـ) على أحد الأقوال. [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤٤٥).

- ١٣٦٢- فِي الْإِسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَـ
- ١٣٦٣- وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ الصَّدُوقُ سَمَاعَهُ
- ١٣٦٤- اللَّهُ حَقًّا فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ
- ١٣٦٥- فَانظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْـ
- ١٣٦٦- فَالذَّاتُ حُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الـ
- ١٣٦٧- ذَا ثَابِتٌ عَنِ مَالِكٍ مِنْ رَدِّهِ
- ١٣٦٨- وَكَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ بِـ (جَامِعِ)
- ١٣٦٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ عِلْمُهُ
- ١٣٧٠- وَكَذَلِكَ أَوْزَاعِيهِمْ أَيْضًا حَكَى
- ١٣٧١- مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ
- ١٣٧٢- إِيمَانُهُمْ بِعُلُوهِ سُبْحَانَهُ
- ١٣٧٣- وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَنـ
- ١٣٧٤- حَقًّا قَضَى اللَّهُ الْخِلَافَةَ رَبَّنَا
- ١٣٧٥- حُبُّ الرَّسُولِ وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ
- ١٣٧٦- فَانظُرْ إِلَى الْمُقْضِيِّ فِي ذِي الْأَرْضِ لـ
- ١٣٧٧- وَقَضَاؤُهُ وَصَفٌ لَهُ لَمْ يَنْفِصِلْ
- كِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ
- مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ
- سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانِ
- مَعْلُومٍ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الرَّبَّانِي
- مَعْلُومٍ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الْأَكْوَانِ
- فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهِوَانِ
- عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ:
- مَعَ خَلْقِهِ تَفْسِيرَ ذِي إِيمَانِ
- عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
- مُتَوَافِرِينَ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- فَوْقَ الْعِبَادِ وَفَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ
- هُ الْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِي
- فَوْقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ الْعُبْدَانِ
- بِالْحَقِّ لَا فِشْلٌ وَلَا مُتَمَوَانِ
- كِنْ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلْطَانِ
- عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحٌ الْبُرْهَانِ

الشرح

١٣٥٧- وَالْأَشْعَرِيُّ يَقُولُ: تَفْسِيرُ (اسْتَوَى) بِحَقِيقَةِ (اسْتَوَى) مِنْ الْبُهْتَانِ

١٣٥٨- هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ وَقَوْلُ أَتَمَّ بَاعِ لِحْجَمِهِمْ وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي هَذِهِ الْمَقْطُوعَةِ أَنَّ الْأَشْعَرِيَّ يَقُولُ: إِنَّ تَفْسِيرَ (اسْتَوَى) بِ(اسْتَوَى) مِنَ الْبُهْتَانِ، يَعْنِي: مِنَ الْكَذْبِ.

إِذَنْ تَفْسِيرُ (اسْتَوَى) بِ(اسْتَوَى) هُوَ قَوْلُ الْمُعْتَزَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ.

١٣٥٩- فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا مِنْ (مُوجَزٍ) وَ(إِبَانَةٍ) وَ(مَقَالَةٍ) بِيَّانِ

قَوْلُهُ: «فِي كُتُبِهِ قَدْ قَالَ ذَا» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْأَشْعَرِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

قَوْلُهُ: «مِنْ مُوجَزٍ» اسْمُ كِتَابٍ، (وَإِبَانَةٍ) اسْمُ كِتَابٍ أَيْضًا وَهُوَ (الْإِبَانَةُ عَنْ أَصُولِ الدِّيَانَةِ)، (وَمَقَالَةٍ) اسْمُ كِتَابٍ -أَيْضًا- وَهُوَ كِتَابُ (مَقَالَاتِ الْإِسْلَامِيِّينَ).

١٣٦٠- وَكَذَلِكَ الْبَغَوِيُّ أَيْضًا قَدْ حَكَاهُ عَنْهُمْ بِ(مَعَالِمِ) الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بِمَعَالِمِ الْقُرْآنِ» يَعْنِي: (مَعَالِمِ التَّنْزِيلِ)، فَكِتَابُ تَفْسِيرِ الْبَغَوِيِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- اسْمُهُ: (مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ)، لَكِنِ الْمُؤَلِّفُ قَالَ: بِ(مَعَالِمِ الْقُرْآنِ) مِنْ أَجْلِ الْقَافِيَةِ.

١٣٦١- وَانظُرْ كَلَامَ إِمَامِنَا هُوَ مَالِكٌ^(١) قَدْ صَحَّ عَنْهُ قَوْلُ ذِي إِتْقَانِ

(١) مالك هو: مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، الحميري، أحد الأئمة الأربعة، ولد بالمدينة سنة (٩٣هـ) وتوفي بها سنة (١٧٩هـ). [الشارح]. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/٤٨).

١٣٦٢- فِي الْإِسْتِوَاءِ بِأَنَّهُ الْمَعْلُومُ لَكَ كِنْ كَيْفُهُ خَافٍ عَلَى الْأَذْهَانِ

الإمام مالك - رَحِمَهُ اللهُ - إمام أهل المدينة، وابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - ينتسب في المذهب إلى الإمام أحمد بن حنبل، لكن مع ذلك نحن نرى، وابن القيم يرى أن الإمام مالكا إمام له، والإمام الشافعي إمام له، والإمام أبا حنيفة إمام له، والإمام أحمد إمام له، فهم أئمتنا لا شك، ولهذا قال: (كلام إمامنا هو مالك).

وأظنُّ العبارة عنه معروفة، فلما سُئِلَ عن الاستواء، وقال: له رجل: يا أبا عبد الله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ فأطرق برأسه^(١) هكذا، حتى جعل يتصبَّب عرقاً من شدة ما وَقَعَ على نفسه من هذا السؤال العظيم، ثمَّ رَفَعَ رأسه، وقال: «يا هذا، الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، وما أراك إلا مُبتدعاً»^(٢)، ثمَّ قال: «أخرجوه»، فأخرجوه من المسجد، لأنَّ أهل البدع لا ينبغي أن يُجلسهم في مجلس حديثك، لأنَّهم أهل شرٍّ، يُلقون الشُّبه من أجل أن يلبسوا الحقَّ بالباطل، ولهذا أمر - رَحِمَهُ اللهُ - أن يُخْرَجَ، فأُخْرِجَ.

١٣٦٣- وَرَوَى ابْنُ نَافِعٍ^(٣) الصَّدُوقُ سَاعَهُ مِنْهُ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْإِتْقَانِ

١٣٦٤- اللهُ حَقٌّ فِي السَّمَاءِ وَعِلْمُهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ

(١) أي أماله. انظر: لسان العرب، مادة: طرق.

(٢) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٥)، عن الإمام مالك بإسناد جوده الحافظ في الفتح (٤٠٧/١٣).

(٣) ابن نافع: يحتمل أن يكون أبا بكر بن نافع، أو عمر بن نافع، وكلاهما ثقة، وأما نافع فهو أبو عبد الله مولى ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُما وهو ديلمِّي الأصل، كان أحد الأعلام، مات سنة (١١٧هـ) أو سنة (١٢٠هـ). [الشارح].

هذا، كأنه يُشيرُ إلى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فإنَّ هذه الآية لَبَسَ بها الحُلُولِيَّةُ الذين قالوا: إِنَّ اللهَ تعالى في الأرضِ كما أنه في السَّماءِ، وقالوا: إنه مَعَكُمْ أينما كُنْتُمْ.

فردَّ عليهم الأئمةُ، وقالوا: إِنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- في السَّماءِ، ولا يمكنُ أن يكونَ في الأرضِ، وأمَّا قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، يَعْنِي: أنه يَعْلَمُكُمْ وأنتم في الأرضِ، فالمرادُ بِالْمَعِيَّةِ علمُه بكم، وليسَ المعنى أنه هو ذاته معنا، لأنَّ هذا شَيْءٌ مُستحيلٌ على الله، قَالَ تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فكيف تُحيطُ به الأرضُ؟! ولهذا يقولُ:

١٣٦٥- فَاَنْظُرْ إِلَى التَّفْرِيقِ بَيْنَ الذَّاتِ وَالْمَعْلُومِ مِنْ ذَا الْعَالَمِ الرَّبَّانِي

١٣٦٦- فَالذَّاتُ خُصَّتْ بِالسَّمَاءِ وَإِنَّمَا الْمَعْلُومُ عَمَّ جَمِيعَ ذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «الْمَعْلُومِ» هم الخَلْقُ. لكن أين هم؟ الجَوَابُ: في الأرضِ، فمعلومُه في الأرضِ، وأمَّا ذاته ففي السَّماءِ.

١٣٦٧- ذَا ثَابِتٌ عَنِ مَالِكٍ مِنْ رَدِّهِ فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانٍ

قَوْلُهُ: «ذَا» يَعْنِي: هذا الذي قُلْتُ من أن اللهَ في السَّماءِ، وعلمُه في كُلِّ مكانٍ ثابتٌ عن مالكٍ، وَمَنْ رَدَّهُ فَلَسَوْفَ يَلْقَى مَالِكًا بِهَوَانٍ.

قَوْلُهُ: «مَالِكًا» يَعْنِي: مالكًا خازِنَ النارِ، يَعْنِي: مَنْ رَدَّ ما قِيلَ عن مالكٍ الإمامِ، فإنه سيكونُ في النارِ، وسيَلْقَى مالكًا خازِنَ النارِ بهوانٍ.

إِذَنْ (مالكٌ) الثانيةُ غيرُ (مالكٍ) الأولى، فـ(مالكٌ) الأولى يَعْنِي بها الإمامَ مالكًا، والثانيةُ يعني بها خازنَ النارِ.

وهل نقول: إن هذه مبالغة من المؤلف، أو نقول: إن من ادعى أن الله في الأرض فهو كافر؟ الظاهر الثاني، وأن من قال: إن الله في الأرض فهو كافر، لأنه يُنكرُ علوَّ الله - سبحانه وتعالى - ويلزم من قوله أن يكون الله في كل مكانٍ قدير، وفي كل مكانٍ مكروه، وأن الله تعالى مُتَجَزِّئٌ، وأن الله - سبحانه وتعالى - مُتَعَدِّدٌ، وهذا كله يُفْضِي إلى الكُفْرِ.

١٣٦٨- وَكَذَلِكَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ^(١) بِ(جَامِعٍ) عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ:

١٣٦٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنْ عِلْمُهُ مَعَ خَلْقِهِ تَفْسِيرَ ذِي إِيمَانٍ

قَوْلُهُ: «بِجَامِعٍ» يَعْنِي: بِجَامِعِ الْإِمَامِ التِّرْمِذِيِّ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، وَرُبَّمَا سُمِّيَ (سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ).

قَالَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ مَعَ خَلْقِهِ، فَيَجْعَلُونَ الْمَعِيَّةَ مَعِيَّةَ الْعِلْمِ، وَأَمَّا الذَّاتُ فَهِيَ فِي السَّمَاءِ.

والقول الثاني في المسألة - كما سبق في التوحيد -: أَنَّ الْمَعِيَّةَ مَعِيَّةَ الْمُصَاحِبَةِ، وَلَكِنْ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ، بَلْ هُوَ مَعَنَا حَقِيقَةً، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ.

وَدَكَّرْنَا أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي (الْعَقِيدَةِ الْوَسْطِيَّةِ) ضَرَبَ مَثَلًا بِالْقَمَرِ، وَقَالَ: (إِنَّهُ مَعَنَا وَهُوَ فِي السَّمَاءِ).

المهمُّ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ تَحْتَ السَّمَاءِ أَبَدًا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ.

(١) هو محمد بن عيسى بن يزيد بن سورة بن السكن: الحافظ العلم الإمام البارع، ابن عيسى السلمي، الترمذي الضرير، مصنف (الجامع)، وكتاب (العلل)، وغير ذلك. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠).

١٣٧٠- وَكَذَلِكَ أَوْزَاعِيهِمْ^(١) أَيْضًا حَكَى عَنْ سَائِرِ الْعُلَمَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
 ١٣٧١- مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ مُتَوَافِرِينَ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
 ١٣٧٢- إِيْمَانَهُمْ بِعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْعِبَادِ وَفَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

الذي نَقَلَ عنه شيخُ الإسلامِ -رَحِمَهُ اللهُ- أنه قال: (كُنَّا نَقُولُ وَالتَّابِعُونَ متوافرون)، ولكنْ كَلَامُ ابْنِ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- له وَجْهٌ.

قَوْلُهُ: «مِنْ قَرْنِهِ وَالتَّابِعِينَ جَمِيعِهِمْ مُتَوَافِرِينَ» يَعْنِي: حَالُ كَوْنِهِمْ مُتَوَافِرِينَ، وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ، نَقَلَ أَوْ حَكَى (إِيْمَانَهُمْ بِعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ).

١٣٧٣- وَكَذَلِكَ قَالَ الشَّافِعِيُّ حَكَاهُ عَنْهُ الْبَيْهَقِيُّ وَشَيْخُهُ الرَّبَّانِيُّ
 ١٣٧٤- حَقًّا قَضَى اللهُ الْخِلَافَةَ رَبَّنَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِأَصْدَقِ الْعِبْدَانِ

يشيرُ إلى: قولِ الشافعيِّ: «خِلافةُ أَبِي بَكْرٍ حَقٌّ قَضَاهَا اللهُ فِي سَمَائِهِ، وَجَمَعَ عَلَيْهَا قُلُوبَ أَصْحَابِ نَبِيِّهِ ﷺ»^(٢) وَهَذَا إِثْبَاتٌ لِعُلُوِّ اللهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

١٣٧٥- حِبُّ الرَّسُولِ وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِالْحَقِّ لَا فِشْلٌ وَلَا مُتَوَانٍ
 قَوْلُهُ: «حِبُّ الرَّسُولِ» الْحِبُّ بِمَعْنَى: الْمَحْبُوبِ.

قَوْلُهُ: «وَقَائِمٌ مِنْ بَعْدِهِ بِالْحَقِّ» وَيَعْنِي بِذَلِكَ: أبا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-؟

(١) نسبة إلى الأوزاعي، وهو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد، شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام، أبو عمرو الأوزاعي. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٧/١٠٧).

(٢) انظر: الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص: ٩٥).

١٣٧٦- فَأَنْظُرُ إِلَى الْمَقْضِيِّ فِي ذِي الْأَرْضِ لُ كِنَ فِي السَّمَاءِ قَضَاءُ ذِي السُّلْطَانِ
 ١٣٧٧- وَقَضَاؤُهُ وَصَفٌ لَهُ لَمْ يَنْفِصِلْ عَنْهُ وَهَذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
 القضاء في السماء، لأنه من الله، والمقضي في الأرض.

١٣٧٨- وَكَذَلِكَ النُّعْمَانُ^(١) قَالَ وَبَعْدَهُ يَعْقُوبُ^(٢) وَالْأَلْفَاظُ لِلنُّعْمَانِ
 ١٣٧٩- مَنْ لَمْ يُقَرَّرْ بِعَرْشِهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
 ١٣٨٠- وَيُقَرَّرَنَّ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ هَوَاجِسُ الْأَذْهَانِ
 ١٣٨١- فَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانٍ
 ١٣٨٢- هَذَا الَّذِي فِي (الْفِقْهِ الْأَكْبَرِ) عِنْدَهُمْ وَلَهُ شُرُوحٌ عِدَّةٌ لِبَيَانِ

الشرح

الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - صرح بأن من لم يُقرَّر بعلو الله عز وجل وعموم علمه فإنه كافر، لا شك في تكفيره، وهذا يدل على أنه كافر عنده يقيناً، وقد أثنى عليه ابن القيم بقوله: (لله درك من إمام زمان) وهذا يدل على ارتضاء ابن القيم لهذا القول، وهو حق، فإن الذي يُنكر علو الله مُكذَّب للقرآن والسنة وإجماع السلف، ومُخالف للمعقول، والمفطور عليه الناس.

(١) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التيمي، الكوفي، مولى بني تيم الله بن ثعلبة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠).

(٢) هو القاضي أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، العلامة المحدث، قاضي القضاة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٨/ ٥٣٥).

- ١٣٨٢- وَأَنْظُرْ مَقَالََةَ أَحْمَدٍ وَنُصُوصَهُ فِي ذَاكَ تَلَقَّاهَا بِإِلَّا حُسْبَانَ
- ١٣٨٤- فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِعُلُوِّهِ وَبِالْإِسْتِيَا وَالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ
- ١٣٨٥- وَلَهُ نُصُوصٌ وَارِدَاتٌ لَمْ تَقْعْ لِسِوَاهُ مِنْ فُرْسَانِ هَذَا الشَّانِ
- ١٣٨٦- إِذْ كَانَ مُمْتَحَنًا بِأَعْدَاءِ الْحَدِيدِ ثِ وَشِيعَةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
- ١٣٨٧- وَإِذَا أَرَدْتَ نُصُوصَهُ فَانظُرْ إِلَى مَا قَدْ حَكَى الْخَلَّالُ ذُو الْإِنْتِقَانِ
- ١٣٨٨- وَكَذَلِكَ إِسْحَاقُ الْإِمَامُ فَإِنَّهُ قَدْ قَالَ مَا فِيهِ هُدَى الْخَيْرَانِ
- ١٣٨٩- وَابْنُ الْمُبَارَكِ قَالَ قَوْلًا شَافِيًا إِنَّكَارُهُ عَلَمٌ عَلَى الْبُهْتَانِ
- ١٣٩٠- قَالُوا لَهُ: مَا ذَاكَ نَعْرِفُ رَبَّنَا حَقًّا بِهِ لِنَكُونَ ذَا إِيمَانِ
- ١٣٩١- فَأَجَابَ نَعْرِفُهُ بِوَصْفِ عُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنِ الْأَكْوَانِ؟
- ١٣٩٢- وَبِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الرَّفِيعِ فَجَلَّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٣٩٣- وَهُوَ الَّذِي قَدْ شَجَّعَ ابْنَ خُزَيْمَةَ إِذْ سَلَّ سَيْفَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ
- ١٣٩٤- وَقَضَى بِقَتْلِ الْمُنْكَرِينَ عُلُوُّهُ بَعْدَ اسْتِثْبَاتِهِمْ مِنَ الْكُفْرَانِ
- ١٣٩٥- وَبِأَنَّهُمْ يُلْقَوْنَ بَعْدَ الْقَتْلِ فَوْقَ مَزَابِلِ الْمَيْتَاتِ وَالْأَنْتَانِ
- ١٣٩٦- فَشَفَى الْإِمَامُ الْعَالِمُ الْحَبْرُ الَّذِي يُدْعَى إِمَامَ أُمَّةِ الْأَرْمَانِ
- ١٣٩٧- وَلَقَدْ حَكَاهُ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ الرِّضَا فِي كُتُبِهِ عَنْهُ بِإِلَّا نُكْرَانِ
- ١٣٩٨- وَحَكَى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (تَمْهِيدِهِ) وَكِتَابِ (الِاسْتِدْكَارِ) غَيْرَ جَبَانَ

- ١٣٩٩- إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْإِيضَاحِ وَالْبُرْهَانِ
- ١٤٠٠- وَآتَى هُنَاكَ بِمَا شَفَى أَهْلَ الْهُدَى
- ١٤٠١- وَكَذَا عَلَيَّ الْأَشْعَرِيُّ فَإِنَّهُ
- ١٤٠٢- مِنْ (مُوجِزٍ) وَ(إِبَانَةٍ) وَ(مَقَالَةٍ)
- ١٤٠٣- وَآتَى بِتَقْرِيرِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْإِيضَاحِ وَالْبُرْهَانِ
- ١٤٠٤- وَآتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ بِأَحْسَنِ التَّعْقِيرِ فَاَنْظُرْ كُتُبَهُ بِعِيَانِ
- ١٤٠٥- وَاللَّهُ مَا قَالَ الْمُجَسِّمُ مِثْلَ مَا هَذَا الْمُجَسِّمُ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
- ١٤٠٦- فَارْمُوهُ وَيُحْكَمُ بِمَا تَرْمُوا بِهِ
- ١٤٠٧- أَوْ لَا فَقُولُوا: إِنَّ نَمَّ حَزَازَةً
- ١٤٠٨- فَسَلُوا الْإِلَهَ شِفَاءَ ذَا الدَّاءِ الْعُضَا
- ١٤٠٩- وَانظُرْ إِلَى حَرْبٍ وَإِجْمَاعٍ حَكَى
- ١٤١٠- وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ ابْنِ وَهْبٍ أَوْحِدِ الْوَحْدَانَ
- ١٤١١- وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فِي
- ١٤١٢- مِنْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ
- ١٤١٣- وَانظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الْكَرْخِيُّ فِي
- ١٤١٤- وَانظُرْ إِلَى الْأَصْلِ الَّذِي هُوَ شَرْحُهُ
- قَدْ قَالَهُ ذَا الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
- وَتَنْفَسِ الصُّعْدَاءِ مِنْ حَرَّانِ
- لِ مَجَانِبِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
- لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ فَتَى كِرْمَانِيِّ
- عُلَمَاءِ مِثْلِ الشَّمْسِ فِي الْمِيزَانِ
- تِلْكَ الرَّسَالَةُ مُفْصِحًا بَيِّنَاتٍ
- بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ
- شَرَحَ لِتَضْنِيفِ امْرِئِ رَبَّانِيِّ
- فَهُمَا الْهُدَى لِْمُلَدِّدِ حَيْرَانِ

- ١٤١٥- وَأَنْظُرُ إِلَى تَفْسِيرِ عَبْدِ مَا الَّذِي فِيهِ مِنَ الْأَثَارِ فِي ذَا الشَّانِ
- ١٤١٦- وَأَنْظُرُ إِلَى تَفْسِيرِ ذَاكَ الْفَاضِلِ الثَّ
- ١٤١٧- ذَاكَ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ وَشَيْخُهُ
- ١٤١٨- وَأَنْظُرُ إِلَى النَّسَائِيِّ فِي (تَفْسِيرِهِ)
- ١٤١٩- وَأَقْرَأُ كِتَابَ (الْعَرْشِ) لِلْعَبْسِيِّ وَهُوَ
- ١٤٢٠- وَأَقْرَأُ لـ (مُسْنَدِ) عَمِّهِ وَ (مُصَنَّفِ)
- ١٤٢١- وَأَقْرَأُ كِتَابَ (الِاسْتِقَامَةِ) لِلرِّضَا
- ١٤٢٢- وَأَقْرَأُ كِتَابَ الْحَافِظِ الثَّقَةِ الرَّضَا
- ١٤٢٣- ذَاكَ ابْنُ أَحْمَدَ أَوْحَدُ الْحُفَّازِ قَدْ
- ١٤٢٤- وَأَقْرَأُ كِتَابَ الْأَثَرِ الْعَدْلِ الرَّضَا
- ١٤٢٥- وَكَذَا الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ الْمُرتَضَى
- ١٤٢٦- تَصْنِيفُهُ نَظْمًا وَنَثْرًا وَاضِحٌ
- ١٤٢٧- وَأَقْرَأُ كِتَابَ (السُّنَّةِ) الْأُولَى الَّذِي
- ١٤٢٨- ذَاكَ النَّبِيلُ ابْنُ النَّبِيلِ كِتَابُهُ
- ١٤٢٩- وَأَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ أَسْبَاطِ الرَّضَا
- ١٤٣٠- وَأَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ ذَاكَ حَمْدُ
- ثَبَّتِ الرَّضَا الْمُتَضَلِّعَ الرَّبَّانِي
- وَأَبُوهُ سُنَيْنَانِ رَازِيَّانِ
- هُوَ عِنْدَنَا سَفَرٌ جَلِيلٌ مَعَانِ
- وَ مُحَمَّدُ الْمَوْلُودُ مِنْ عُثْمَانَ
- أَتْرَاهُمَا نَجْمَيْنِ بَلْ شَمْسَانِ
- ذَاكَ ابْنُ أَصْرَمٍ حَافِظُ رَبَّانِي
- فِي السُّنَّةِ الْعُلْيَا فَتَى الشَّيْبَانِي
- شَهِدَتْ لَهُ الْحُفَّازُ بِالْإِتْقَانِ
- فِي السُّنَّةِ الْأُولَى إِمَامِ زَمَانِ
- حَقًّا أَبِي دَاوُدَ ذِي الْعِرْفَانِ
- فِي السُّنَّةِ الْمُثَلَّى هُمَا نَجْمَانِ
- أَبْدَاهُ مُضْطَلِعٌ مِنَ الْإِيمَانِ
- أَيْضًا نَبِيلٌ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
- وَأَنْظُرُ إِلَى قَوْلِ الرَّضَا سُفْيَانَ
- سَمَاءٌ وَحَمَادِ الْإِمَامِ الثَّانِي

- ١٤٣١- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَّمُ الْهُدَى
عُثْمَانُ ذَاكَ الدَّارِمِي الرَّبَّانِي
- ١٤٣٢- فِي (نَقْضِهِ) وَ(الرَّدِّ) يَا لَهَا كِتَا
بَا سُنَّةٍ وَهُمَا لَنَا عَلَّامَانِ
- ١٤٣٣- هَدَمَتْ قَوَاعِدَ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ
خَرَّتْ سُقُوفُهُمْ عَلَى الْحَيْطَانِ
- ١٤٣٤- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا فِي (صَحِيحِ) مُحَمَّدٍ
ذَاكَ الْبُخَارِيُّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
- ١٤٣٥- مِنْ رَدِّهِ مَا قَالَهُ الْجَهْمِيُّ بِالْبَدَنِ
نَقْلِ الصَّحِيحِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
- ١٤٣٦- وَأَنْظُرْ إِلَى تِلْكَ التَّرَاجِمِ مَا الَّذِي
فِي ضِمْنِهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
- ١٤٣٧- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ فِي (الشُّرْحِ)
الَّذِي هُوَ عِنْدَكُمْ سِفْرَانِ
- ١٤٣٨- أَغْنِي: الْفَقِيهَ الشَّافِعِيَّ اللَّالِكَا
ئِي الْمُسَدَّدَ نَاصِرَ الْإِيمَانِ
- ١٤٣٩- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَّمُ الْهُدَى التَّوْبِ
تَيْمِي فِي إِضْرَاحِهِ وَبَيَانِ
- ١٤٤٠- ذَاكَ الَّذِي هُوَ صَاحِبُ (التَّرْغِيبِ وَالنَّهْيِ)
تَرْهِيْبِ) مَمْدُوحٌ بِكُلِّ لِسَانِ
- ١٤٤١- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي (السُّنَّةِ الْكُبْرَى)
كُبْرَى) سُلَيْمَانُ هُوَ الطَّبْرَانِي
- ١٤٤٢- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ شَيْخُ الْهُدَى
يُدْعَى بِطَلْمَنْكِيَّتِهِمْ ذُو شَانِ
- ١٤٤٣- وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الطَّحَاوِيِّ الرَّضَا
وَأَجْرُهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي بُهْتَانِ
- ١٤٤٤- وَكَذَلِكَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ هُوَ ابْنُ
سُنِّ الْبَاقِلَانِي قَائِدُ الْفُرْسَانِ
- ١٤٤٥- قَدْ قَالَ فِي (تَمْهِيدِهِ) وَ(رَسَائِلِ)
وَ(الشَّرْحِ) مَا فِيهِ جَلِيٌّ بَيَانِ
- ١٤٤٦- فِي بَعْضِهَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ

- ١٤٤٧- وَأَتَى بِتَقْرِيرِ الْعُلُوِّ وَأَبْطَلَ الْ
لَامَ الَّتِي زِيدَتْ عَلَى الْقُرْآنِ
- ١٤٤٨- مِنْ أَوْجِهٍ شَتَّى وَذَا فِي كُتْبِهِ
بَادٍ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
- ١٤٤٩- وَأَنْظَرَ إِلَى قَوْلِ ابْنِ كُلابٍ وَمَا
يَقْضِي بِهِ لِمُعْطَلِ الرَّحْمَنِ
- ١٤٥٠- أَخْرَجَ مِنَ النَّقْلِ الصَّحِيحِ وَعَقْلِهِ
مَنْ قَالَ قَوْلَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
- ١٤٥١- لَيْسَ الْإِلَهِ بِدَاخِلٍ فِي خَلْقِهِ
أَوْ خَارِجٍ عَنِ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ

الشرح

على كُلِّ حالٍ هذه الكتبُ التي ذكرها ابنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- تدلُّ على سَعَةِ
اطِّلاعِهِ، ولم نُحِبَّ أَنْ نَقْفَ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ، لَأَنَّ الْفَائِدَةَ قَلِيلَةٌ، لَكِنْ كُلُّهَا تَقَرَّرُ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ، وَأَنَّ الْقَوْلَ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِدَاخِلٍ وَلَا خَارِجٍ قَوْلٌ مُنْكَرٌ،
لَا يُقَرَّرُهُ الْعَقْلُ وَلَا يُقَرَّرُهُ النَّقْلُ.

إِذَا قُلْنَا: لَيْسَ بِدَاخِلِ الْعَالَمِ وَلَا بِخَارِجِ الْعَالَمِ فَأَيْنَ يَكُونُ؟! لَا شَيْءَ،
لَأَنَّ النِّسْبَةَ بَيْنَ لَا دَاخِلٍ وَلَا خَارِجٍ نِسْبَةٌ بَيْنَ نَقِيضَيْنِ، وَالنَّقِيضَانِ لَا بَدَّ مِنْ وُجُودِ
أَحَدِهِمَا، فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَرْتَفِعَا أَبَدًا، فَإِذَا قُلْنَا: لَا دَاخِلٍ وَلَا خَارِجٍ فَهَذَا هُوَ النِّفْيُ
الْمَحْضُ، وَلِذَلِكَ لَا شَكَّ أَنَّ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ الْعَظِيمَةِ مِنْ هَوْلَاءِ
الْأُمَّةِ يَدُلُّ دَلَالَةً وَاضِحَةً عَلَى أَنَّ السَّلْفَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ-
لَا يَشْكُونَ فِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ الْعُقُولُ وَالْفِطْرَةُ
السَّلِيمَةُ.

وقولُ المؤلفِ -رَحِمَهُ اللهُ-: (لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ) هَذَا صَحِيحٌ، فَهُوَ
مَسْتَوٍ عَلَى الْجَمِيعِ، عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَعْنِي أَنَا إِذَا قُلْنَا: إِنَّ (اسْتَوَى) تَدُلُّ عَلَى أَنَّ

ما استولى عليه كان مملوكًا لغيره من قَبْلُ، بل تكون الولاية، فإذا قُلْتَ: (استولى فلانٌ على هذا اليتيم)، لا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ من قَبْلُ قد سَبَقَ بولاية، كما أَنَّ اللهَ تعالى قال: ﴿فَكْفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَأَسْتَعَى اللَّهُ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦] لا يُلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مسبوقًا بفقير.

- ١٤٥٢- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الطَّبْرِيُّ فِي (التد-
تَفْسِيرِ) وَ(التَّهْدِيْبِ) قَوْلَ مَعَانِي
١٤٥٣- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ فِي سُورَةِ الْ-
أَعْرَافِ مَعَ (طَه) وَمَعَ (سُبْحَانَ)
١٤٥٤- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ الْبَغَوِيُّ فِي
(تَفْسِيرِهِ) وَ(الشَّرْحِ) بِالْإِحْسَانِ
١٤٥٥- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ عِنْدَ الْإِسْتِوَا
فِيهَا وَفِي الْأَوَّلَى مِنَ الْقُرْآنِ
١٤٥٦- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ ذُو سُنَّةٍ
وَقِرَاءَةِ ذَاكَ الْإِمَامِ الدَّانِي
١٤٥٧- وَكَذَاكَ (سُنَّة) الْأَصْبَهَائِيِّ أَبِي الشَّ-
شَيْخِ الرِّضَا الْمُسْتَلِّ مِنْ حَيَّانِ
١٤٥٨- وَأَنْظُرْ مَا قَالَهُ ابْنُ سُرَيْجِ الْ-
بَحْرُ الْخِضْمِ الشَّافِعِيِّ الثَّانِي
١٤٥٩- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا قَالَهُ عَلَمُ الْهُدَى
أَعْنِي: أَبَا الْخَيْرِ الرِّضَا النُّعْمَانِ
١٤٦٠- وَكِتَابُهُ فِي الْفِقْهِ وَهُوَ بَيَانُهُ
يُبْدِي مَكَانَتَهُ مِنَ الْإِيمَانِ
١٤٦١- وَأَنْظُرْ إِلَى السُّنَنِ الَّتِي قَدْ صَنَّفَ الْ-
عُلَمَاءُ بِالْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
١٤٦٢- زَادَتْ عَلَى الْمِثْبَتَيْنِ مِنْهَا مُفْرَدًا
أَوْفَى مِنَ الْخَمْسِينَ فِي الْحُسْبَانِ
١٤٦٣- مِنْهَا لِأَحْمَدَ عِدَّةٌ مُوجُودَةٌ
فِيْنَا رَسَائِلُهُ إِلَى الْإِخْوَانِ

- ١٤٦٤- وَاللَّاءِ فِي ضَمَنِ التَّصَانِيفِ الَّتِي شُهِرَتْ فَلَمْ تَحْتَجْ إِلَى حُسْبَانِ
- ١٤٦٥- فَكَثِيرَةٌ جِدًّا فَمَنْ يَكُ رَاغِبًا فِيهَا يَجِدُ فِيهَا هُدَى الْحَيْرَانِ
- ١٤٦٦- أَصْحَابُهَا هُمْ حَافِظُو الْإِسْلَامِ لَا أَصْحَابُ جَهْمِ حَافِظُو الْكُفْرَانِ
- ١٤٦٧- وَهُمْ النُّجُومُ لِكُلِّ عَبْدٍ سَائِرٍ يَبْغِي الْإِلَهِ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ
- ١٤٦٨- وَسِوَاهُمْ وَاللَّهُ قُطَّاعُ الطَّرِيقِ سِوَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ أَنْفًا
- ١٤٧٠- بَلْ كُلُّهُمْ وَاللَّهُ شِيعَةٌ أَحْمَدٍ مِنْ حَنْبَلِيٍّ وَاحِدٍ بَضْمَانِ
- ١٤٧١- وَبِذَاكَ فِي كُتُبِ لَهُمْ قَدْ صَرَّحُوا وَأَخُو الْعِمَايَةِ مَالَهُ عَيْنَانِ

الشرح

إِنَّمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: (مَا فِي الَّذِينَ حَكَيْتُ عَنْهُمْ أَنْفًا مِنْ حَنْبَلِيٍّ)، لِأَنَّ أَهْلَ الشَّرِّ وَالْبَاطِلِ كَانُوا يَرْمُونَ الْحَنَابِلَةَ بِالْمَجْسَمَةِ، وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُمْ شَيْئًا، كَمَا رَمَى الْمُتَأَخَّرُونَ أَهْلَ هَذِهِ الْبِلَادِ بِالْوَهَابِيَّةِ، لِأَنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْوَهَّابِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مُتَشَدِّدُونَ، وَإِنَّهُمْ يَكْفُرُونَ النَّاسَ، وَمَا أَشْبَهَ هَذَا، وَكُلُّ هَذَا كَذِبٌ.

كَذَلِكَ فِي أَصْحَابِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ أَصْحَابَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ حَنَابِلَةٌ مُجَسَّمَةٌ، فَابْنُ الْقَيْمِ يَقُولُ: إِنَّ مَنْ حَكَى عَنْهُمْ لَيْسَ فِيهِمْ حَنْبَلِيٌّ وَاحِدٌ، حَتَّى يُقَالَ: إِنَّهُمْ مُجَسَّمَةٌ، بَلْ هُمْ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ، وَالشَّافِعِيَّةِ، وَالْمَالِكِيَّةِ، وَغَيْرِهِمْ، وَمِنَ التَّابِعِينَ وَالصَّحَابَةِ، فَالْمَسْأَلَةُ وَاضِحَةٌ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، كُلُّهُمْ يُثْبِتُونَ أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَلَى عَرْشِهِ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ.

- ١٤٧٢- أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً
مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ؟
- ١٤٧٣- حَاشَاهُمْ مِنْ ذَلِكَ بَلْ وَاللَّهِ هُمْ
أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ
- ١٤٧٤- فَانظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ
بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
- ١٤٧٥- عَقْلَانِ: عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ
وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِيِّ
- ١٤٧٦- وَاللَّهِ مَا اسْتَوِيَا وَلَنْ يَتَلَقِيَا
حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ
- ١٤٧٧- أَفَتَقْدِفُونَ أَوْلَاءَ بَلْ أَضْعَافُهُمْ
مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ
- ١٤٧٨- بِالْجَهْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّـ
تَبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُّهْتَانِ؟! لَا تُفْسِدُوهُ بِنُخْوَةِ الشَّيْطَانِ
- ١٤٧٩- يَا قَوْمَنَا اللَّهُ فِي إِسْلَامِكُمْ
لَا تُفْسِدُوهُ بِنُخْوَةِ الشَّيْطَانِ
- ١٤٨٠- يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَضْرَعٍ مَنْ خَلَا
مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ
- ١٤٨١- لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَذِبُهُمْ وَمِحَالُّهُمْ
وَقِتَالُهُمْ بِالزُّورِ وَالبُّهْتَانِ
- ١٤٨٢- كَلَّا وَلَا التَّدْلِيْسُ وَالتَّلْبِيْسُ عِنْدَ
مَدِّ النَّاسِ وَالحُكَّامِ وَالسُّلْطَانِ
- ١٤٨٣- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ غِطَائِهِمْ
مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ
- ١٤٨٤- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكِشَافِ حَقَائِقِ الْإِ
إِيمَانِ أَنَّهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ
- ١٤٨٥- مَا عِنْدَهُمْ - وَاللَّهِ - غَيْرُ شِكَايَةٍ
فَأَتُوا بِعِلْمٍ وَأَنْطَقُوا بِبَيَانِ
- ١٤٨٦- مَا يَشْتَكِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ
فَأشْكُوا لِنَعْدِرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ
- ١٤٨٧- ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ
وَعَلَيْكُمْ؟ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- في هذه المقطوعة:

١٤٧٢- أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً مِثْلَ الْحَمِيرِ تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ؟

قوله: «أَتَظُنُّهُمْ لَفْظِيَّةً جَهْلِيَّةً» لأنَّ من الناس مَنْ ادَّعى أنَّ مذهب السلف الإيمان باللفظ فقط فيما يتعلَّق بأسماء الله وصفاته، دون فهم لعناه، فيقولون: إنَّ السلف يقرءون اللفظ، ويجهلون المعنى كالحمار يُقَادُ بالرَّسَنِ^(١)، ولا يدري أين يُذهَبُ به؟

وهذا القول الذي يظنُّ كثيرٌ من المتأخِّرين أنَّه مذهبُ السلف إن هو إلا كذبٌ على السلف، بل هذا القول يقولُ عنه شيخ الإسلام ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ- في كتابه (العقل والنقل)^(٢): «إنه شرُّ أقوال أهل البدع والإلحاد». وإنه هو الذي فتح الباب على مصراعيه لأهل الفلسفة والمنطق، فقالوا: إذا كان مذهبكم أيها السلفيون أنكم لا تفهمون إلا اللفظ، فأنتم جهالٌ أميون، لأنَّ الله قال في القرآن: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ [البقرة: ٧٨] يعني: إلا قراءة، ونحن أهل العقول ندري المعاني ونعرفها، ولو بالتحريف الذي يُسمونه تأويلاً.

فالحقيقة أنَّهم فتحوا على المسلمين باباً لا يمكنُ سدُّه لأهل البدع والكلام، يعني: لو أنَّ مذهب السلف -كما يقول هؤلاء- أن تقرأ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] ولا تدري ما معنى (استوى) لكنتَ أجهلٌ من حمارك، كيف تقرأ (استوى) ولا تدري ما معناها؟!

(١) الحبل، والجمع (أرسان)، و(أرسن)، وربما قيل: (رُسنٌ) بضمين، انظر: المصباح المنير (ص: ١١٩).

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

هم يقولون: نحن ندرى معنى (استوى)، فمعنى (استوى): (استولى)،
وكوننا نُثبِتُ للنصوص معنى، ولو بالتأويل، خيرٌ من كوننا لا نُثبِتُ لها معنى،
لأنَّهَا إذا لم يَكُنْ لها معنى بَقِيَتْ أَلْفَاظًا لا فائِدَةَ مِنْهَا؛ كالأحجار.

فالمهم أن ابن القَيِّم -رَحِمَهُ اللهُ- يُنكِرُ هذا الظنَّ الخاطيءَ بالنسبة للسلف،
وهو أنهم لفظيةٌ جهليَّةٌ، ولذا قال:

١٤٧٣- حَاشَاهُمْ مِنْ ذَاكَ بَلْ وَاللَّهِ هُمْ أَهْلُ الْعُقُولِ وَصِحَّةِ الْأَذْهَانِ

١٤٧٤- فَانظُرْ إِلَى تَقْرِيرِهِمْ لِعُلُوِّهِ بِالنَّقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

١٤٧٥- عَقْلَانِ: عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِيِّ

قَوْلُهُ: «عَقْلَانِ» العَقْلُ الأوَّلُ: عَقْلُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالثَّانِي: عَقْلُ أَهْلِ الْبِدْعِ.

يقول:

١٤٧٦- وَاللَّهِ مَا اسْتَوِيَا وَلَنْ يَتَلَقِيَا حَتَّى تَشِيْبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ

قَوْلُهُ: «حَتَّى تَشِيْبَ مَفَارِقُ الْغُرَبَانِ» وَمَتَى تَشِيْبُ؟

الجَوَابُ: لا يَمكُنُ أَنْ تَشِيْبَ أَبَدًا، وَلِهَذَا يَقُولُ الشَّاعِرُ الَّذِي لا يَحِبُّ أَهْلَهُ^(١):

إِذَا شَابَ الْغُرَابُ أَتَيْتُ أَهْلِي وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ

وهذه المدَّة هل هي قَريبَةٌ أو بَعِيدَةٌ؟

الجَوَابُ: بَعِيدَةٌ، لِأَنَّ الْغُرَابَ لا يَشِيْبُ.

(١) البيت في النكت والعيون للهاوردي (٢/٢٢٣)، الدر المصون (٥/٣٢٠)، المغني لابن قدامة (١٠/٤٧٥) غير منسوب.

قَوْلُهُ: «وَصَارَ الْقَارُ كَاللَّبَنِ الْحَلِيبِ» ومتى يصير؟

الجَوَابُ: لا يصيرُ، فلو غليناها بالنَّارِ، لا يمكنُ أن يكونَ كَاللَّبَنِ الحليبِ.

فالمؤلف يقول: (لَنْ يَتَلَقَّيَا حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الْعَرَبَانِ)، وهذا أمرٌ مستحيلٌ.

١٤٧٧- أَفْتَقِدُونَ أَوْلَاءَ بَلْ أضعافُهُمْ مِنْ سَادَةِ الْعُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ

١٤٧٨- بِالْجَهْلِ وَالتَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ وَالتَّبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ؟! تَبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ؟!!

قَوْلُهُ: «بِالْجَهْلِ» بِالْجَهْلِ أَي: يقول: هؤلاءُ جُهَّالٌ، لا يعرفون المعنى.

قَوْلُهُ: «وَالتَّشْبِيهِ» هَذَا لِمَنْ يُثَبِّتُونَ الصِّفَاتِ، يَقُولُ: أَنْتُمْ مُشَبَّهَةٌ.

قَوْلُهُ: «التَّجْسِيمِ» أَيضًا يقول: أَنْتُمْ مَجَسَّمَةٌ، تَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ جِسْمٌ.

قَوْلُهُ: «وَالتَّبْدِيعِ» يقولون: أَنْتُمْ مبتدعةٌ.

قَوْلُهُ: «وَالتَّضْلِيلِ» يقولون: أَنْتُمْ ضُلَّالٌ.

قَوْلُهُ: «وَالْبُهْتَانِ» أَي: الكَذِبِ.

يصفونهم بكل ما يستطيعون من تنفير، ويقولون: حَشَوِيَّةٌ، نَوَابِتٌ، بُسْطَاءٌ،

وما أشبه ذلك من الكلمات التي يُنْفَرُونَ بها الناس.

١٤٧٩- يَا قَوْمَنَا اللَّهُ فِي إِسْلَامِكُمْ لَا تُفْسِدُوهُ بِنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ

نَدَبُهُمْ إِلَى أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي إِسْلَامِهِمْ.

١٤٨٠- يَا قَوْمَنَا اعْتَبِرُوا بِمَضْرَعٍ مَنْ خَلَا مِنْ قَبْلِكُمْ فِي هَذِهِ الْأَزْمَانِ

١٤٨١- لَمْ يُغْنِ عَنْهُمْ كَذِبُهُمْ وَمِحَالُّهُمْ وَقَتَالُهُمْ بِالزُّورِ وَالبُهْتَانِ

١٤٨٢- كَلَّا وَلَا التَّدْلِيْسُ وَالتَّلْبِيْسُ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحُكَّامِ وَالسُّلْطَانِ

لأنه يوجد من أهل البدع من صار له اتصال بالحكام والسلاطين، وصاروا يسبون أهل السنة.

والغالب منذ انقراض القرون الثلاثة أن الحكام قليلو البضاعة من العلم، فيأتيهم هؤلاء الذين يدعون العلم، ويلتصقون بهم، ويسبون عندهم أهل السنة، ويقولون: هم مجسمة، مشبهة، وما أشبه ذلك، والحاكم لقلّة علمه يظن أن ما قاله هؤلاء حق، وأهل السنة قد يكونون بعيدين عن السلاطين، ولا يحبون أن يلتصقوا بهم، أو يقربوا منهم، إلا إذا دعت الضرورة لبيان حق أو دفع باطل.

١٤٨٣- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكَشَافِ غَطَائِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ لِلْقَوْمِ فِي حُسْبَانِ

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧].

١٤٨٤- وَبَدَا لَهُمْ عِنْدَ انْكَشَافِ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ أَمْهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ

١٤٨٥- مَا عِنْدَهُمْ - وَاللَّهِ - غَيْرُ شِكَايَةٍ فَاتُّوا بِعِلْمٍ وَأَنْطَقُوا بِبَيَانِ

الذي ليس عنده إلا الشكاية يقول: والله إما أن ترجع عن قولك، وإلا أخبرت عنك الأمير، ولا يقول له: ماذا عندك؟ ما الدليل؟ فما عنده إلا الشكاية.

كثير من الناس ليس عنده شكاية، ولا يقدر أن يصل إلى الأمير، لكن عنده كلمة «ولو»، تقول له: (يا ابن الحلال هذا لا يجوز) قال: (ولو)، وكلمة (ولو) هذه تشبه الشكاية عند السلطان والحكام، ولهذا وشوا بالإمام أحمد بن حنبل - رَحِمَهُ اللهُ -، وشوا بشيخ الإسلام ابن تيمية، وبغيرهما من العلماء، وعذبوا، وهذا كله من أجل الوشاية من هؤلاء.

- ١٤٨٦- مَا يَشْتَكِي إِلَّا الَّذِي هُوَ عَاجِزٌ فَاشْكُوا لِنَعْدِرْكُمْ إِلَى الْقُرْآنِ
 ١٤٨٧- ثُمَّ اسْمَعُوا مَاذَا الَّذِي يَقْضِي لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ؟ فَالْحَقُّ فِي الْفُرْقَانِ
 يعني: أنتم إذا شكيتم الأمر (إلى القرآن)، عرفتم ماذا يقضي لكم القرآن أو يقضي عليكم؟ (فالحق في الفرقان).

- ١٤٨٨- لَبَسْتُمْ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلَنَا
 ١٤٨٩- مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا
 ١٤٩٠- يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ
 ١٤٩١- مَا ذَنْبُهُمْ وَنَبِيَّهُمْ قَدْ قَالَ مَا
 ١٤٩٢- مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ
 ١٤٩٣- مَا ذَنْبٌ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ
 ١٤٩٤- هَذَا كَمَا قَالَ الْحَيِّثُ لِصَاحِبِهِ
 ١٤٩٥- لَمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفْضِ عِنْدَ
 ١٤٩٦- يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلَائِكُمْ وَمُصَابِكُمْ
 ١٤٩٧- كَمْ قَدَّمَ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ بَلْ غَدَا
 ١٤٩٨- وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاءِ: يَوْمُكُمْ
 ١٤٩٩- وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ
 فَعَدَا لَكُمْ لِلْحَقِّ تَلْبِيسَانِ
 يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إِنْسَانٍ!
 بِأَيِّمَةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِ
 قَالُوا، كَذَاكَ مُنْزَلُ الْفُرْقَانِ!
 إِذْ جَسَمَتْ بَلْ شَبَّهَتْ صِنْفَانِ
 مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُذْوَانِ؟
 كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَخْبَثُ الْحَيَوَانِ
 سَدَ الْقَبْرِ لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانِ
 مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي تَرِيَانِ
 يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءً ذِي سُكْرَانِ
 عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلَا رَوْعَانِ
 حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغُضْبَانِ

- ١٥٠٠ - وَيَقُولُ: لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلَ الدَّانِي
- ١٥٠١ - لَكِنَّهُ الْأَخُ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي وَلَهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ
- ١٥٠٢ - وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ الْغَارِ: لَا تَحْزَنْ فَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ لَا اِثْنَانِ
- ١٥٠٣ - اللَّهُ ثَالِثُنَا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ مَا حَازَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ
- ١٥٠٤ - يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْدَ ذَا؟ لَمْ يَذْهَبْكُمْ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ
- ١٥٠٥ - فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الرَّوَافِضُ كُلُّهُمْ قَدْ أَطْبَقَتْ أَسْنَانُهُ الشَّفَتَانِ
- ١٥٠٦ - وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِيعُهُمْ فَهُمَا رَضِيعًا كُفْرِهِمْ بِلَبَّانِ
- ١٥٠٧ - ثُوبَانَ قَدْ نَسَجَا عَلَى الْمِنْوَالِ يَا عُرْيَانَ لَا تَلْبَسْ فَمَا ثُوبَانَ
- ١٥٠٨ - وَاللَّهُ شَرٌّ مِنْهُمَا فَهُمَا عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَا عَلَمَانَ

الشرح

- ١٤٨٨ - لَبَسْتُمْ مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلُنَا فَعَدَا لَكُمْ لِلْحَقِّ تَلْبِيسَانَ
- لما ذكر - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّ هَؤُلَاءِ لَيْسَ عِنْدَهُمْ إِلَّا الْوَشَايَةُ لِلْحَكَامِ وَالسَّلَاطِينِ، وَأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ دَأْبَ الْعَاجِزِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الشُّكَايَةِ إِلَى الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَيَحْكُمُ لَهُمْ أَوْ عَلَيْهِمْ، ذَكَرَ أَنَّهُمْ لَبَسُوا مَعْنَى النُّصُوصِ وَقَوْلُنَا، يَعْنِي: أَنَّهُمْ حَرَّفُوا النُّصُوصَ وَحَرَّفُوا أَقْوَالَنا أَيْضًا، وَقَالُوا عَلَيْنَا مَا لَمْ نَقُلْ، فَعَدَا لَهُمْ بِالْحَقِّ تَلْبِيسَانَ:

التلبيس الأول: للنصوص.

والتلبيس الثاني: لأقوال أهل السنة.

ثُمَّ قَالَ:

١٤٨٩- مَنْ حَرَّفَ النَّصَّ الصَّرِيحَ فَكَيْفَ لَا يَأْتِي بِتَحْرِيفٍ عَلَى إِنْسَانٍ؟!

يعني: أن الذي يتجاسر على تحريف كلام الله وكلام رسوله لا يهّمه أن يتجاسر على تحريف كلام غيرهما من الناس.

١٤٩٠- يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ أَسَأْتُمْ بِأَيِّمَةِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «الشَّان» أي: المُبْغِضِ، يَعْنِي: أَنْكُمْ ظَنَنْتُمْ بِأَهْلِ السُّنَّةِ، بَلْ بِأَهْلِ الْإِسْلَامِ ظَنَّ الْمُبْغِضِ.

١٤٩١- مَا ذَنْبُهُمْ وَتَبِيَّهُمْ قَدْ قَالَ مَا قَالُوا، كَذَاكَ مُنَزَّلَ الْفُرْقَانِ؟!

يعني: هل لهؤلاء الذين يقولون ما قال الله ورسوله هل لهم أي ذنب؟! الْجَوَابُ: أبدأ، هم على الحق.

١٤٩٢- مَا الذَّنْبُ إِلَّا لِلنُّصُوصِ لَدَيْكُمْ إِذْ جَسَمَتْ بَلْ شَبَّهَتْ صِنْفَانِ

هم يقولون: إن ظاهر النصوص التجسيم، فيجب صرفها عن ظاهرها، ظاهر النصوص التشبيه فيجب صرفها عن ظاهرها.

يعني: مثلاً، قالوا: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ظاهر النصّ عندهم أن هاتين اليدين مُشْبِهَتَانِ لأيدي المخلوقين، وأنه لا يمكن إثبات هذه الحقيقة إلا بالتشبيه، والتشبيه باطل، فإذا كان لا يمكن إثبات هذه الحقيقة إلا بالتشبيه والتشبيه باطل كانت الحقيقة باطلة، فيجب أن نصرف معنى (اليد) إلى النعمة أو القوة.

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، قالوا: لا يستوي شيءٌ

على شَيْءٍ إِلَّا وَهُوَ جِسْمٌ، والجِسْمُ على الله -عندهم- مستحيلٌ، وإذا كان مستحيلاً وَجَبَ أَنْ نُضْرِفَ معنى (الاستواء) إلى (الاستيلاء)، وهو المُلْكُ والغَلْبَةُ والقهر، وهكذا يقولون.

فلذلك قالوا: إِنَّ النُّصُوصَ ظَاهِرُهَا التَّشْبِيهُ، أو ظَاهِرُهَا التَّجْسِيمُ، فيجب علينا أَنْ نُضْرِفَهَا عن هذا الظاهر، فأساءوا وإساءتين:

الإساءة الأولى: ظَنُّهُمْ أَنَّهَا تَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ وَالتَّجْسِيمَ.

الإساءة الثانية: صَرَفُهُمْ إِيَّاهَا عن معانيها التي أَرَادَهَا اللهُ بها ورسوله.

١٤٩٣- مَا ذَنْبُ مَنْ قَدْ قَالَ مَا نَطَقَتْ بِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانٍ؟
الجواب: لا ذنب له.

١٤٩٤- هَذَا كَمَا قَالَ الْخَبِيثُ لِصَاحِبِهِ كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَحْبَبْتُ الْحَيَوَانَ
هذا رجلٌ رافضيٌّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَهُمْ واقفون عند قبر النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ لَهُمْ مَا سَيَذْكُرُهُ ابْنُ الْقَيْمِ.

قَوْلُهُ: «كَلْبُ الرَّوَافِضِ أَحْبَبْتُ» بِالْجُرِّ صِفَةٌ لِلرَّوَافِضِ؛ فابنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- وَصَفَ الرَّوَافِضَ بِأَنَّهُمْ أَحْبَبُوا الْحَيَوَانَ، وَالْمُرَادُ بِذَلِكَ الرَّوَافِضُ الَّذِينَ تَصَلُّوْا بَدَعْتُهُمْ إِلَى الْكُفْرِ، لِأَنَّ مَنْ كَانَ كَافِرًا فَإِنَّهُ شَرُّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [الأنفال: ٥٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

ماذا قَالَ هذا الخبيث لصاحبه؟ وهذا الخبيث لم أجده لا في شرح (الهراس)، ولا في شرح (إبراهيم بن عيسى)، فلعلَّه منقولٌ لابن القَيِّمِ، أو كان في عصره

والله أعلم، وعلى كُلِّ حالٍ لا يهْمُنَا شخصُ الرَّجُلِ، بل الذي يهْمُنَا هو الفعل والقول.

١٤٩٥- لَمَّا أَفَاضُوا فِي حَدِيثِ الرَّفْضِ عِنْدَ سَدِّ الْقَبْرِ لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانٍ

يعني: لما صاروا يتكلمون عن أصول الروافض، ومن أصولهم أن أبا بكرٍ وعمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ظالمان، معتديان، وأنَّ عليَّ بنَ أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَحَقُّ بالخِلافةِ منها، حتَّى إني رأيتُ عجبًا عجبًا قال: إنَّ أبا بكرٍ، وعمرَ، وعليًّا، كُلُّ منهم كافرٌ. فأما أبو بكرٍ وعمرَ فلاغتصباهما الخِلافةَ، وأما عليٌّ، فَلِأَنَّهُ لم يُدافع عن حَقِّ الخِلافةِ، فكفرَ بتفريطه، وعدمِ مدافعتِهِ عن الحَقِّ الذي يَرُونَهُ أَنَّهُ من أَوْجَبِ الواجبات.

لما أفاضوا بهذا الحديث، قال: (لَا تَخْشَوْنَ مِنْ إِنْسَانٍ) يَعْنِي: لا تَخْشَوْنَ من أيِّ إِنْسَانٍ، لِأَنَّ البلاءَ لَيْسَ من إِنْسَانٍ، بل البلاءُ من هذا الذي أشار إليه في قَوْلِهِ:

١٤٩٦- يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلَائِكُمْ وَمُصَابِكُمْ مِنْ صَاحِبِ الْقَبْرِ الَّذِي تَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «صَاحِبِ الْقَبْرِ» أَي: الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

يقول: أصلُ بَلَائِكُمْ ومصِيبَتِكُمْ من صاحبِ هذا القبرِ، ثم كيف ذلك؟ فقال:

١٤٩٧- كَمْ قَدَّمَ ابْنَ أَبِي قُحَافَةَ بَلْ غَدَا يُثْنِي عَلَيْهِ ثَنَاءَ ذِي سُكْرَانَ

فَلَمَّا قَدَّمَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ صَارَ هُوَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ، فَالذَّنْبُ إِذَنْ ذَنْبُ الرَّسُولِ -صلوات الله وسلامه عليه-، وحاشاه من الذَّنْبِ الذي يدَعُونَهُ.

١٤٩٨- وَيَقُولُ فِي مَرَضِ الْوَفَاءِ: يَوْمُكُمْ عَنِّي أَبُو بَكْرٍ بِلَا رَوْعَانَ

قَوْلُهُ: «ويقول» أَي: الرسول ﷺ، إِذَنْ هُوَ الَّذِي رَفَعَ مِنْ شَأْنِ أَبِي بَكْرٍ، فَهُوَ

بليتكم ومصابكم.

١٤٩٩- وَيَظَلُّ يَمْنَعُ مِنْ إِمَامَةٍ غَيْرِهِ حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ

لَمَّا خَاطَبَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِنَّ يَقُمُ مَقَامَكَ يَبْكِي»، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا أَرَادَتْ؛ لَكِنْ هَكَذَا اعْتَذَرْتُ أَمَامَ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، فَقَالَ: «إِنَّكَ صَوَاحِبٌ يُوسُفَ» -يَعْنِي: إِنَّ هَذَا كَيْدٌ مِنْ كَيْدِكُنَّ- «مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيَصَلِّ بِالنَّاسِ»^(١)، وَغَضِبَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَهَذَا قَالَ: (حَتَّى يُرَى فِي صُورَةِ الْغَضْبَانِ).

١٥٠٠- وَيَقُولُ: لَوْ كُنْتُ الْخَلِيلَ لِوَاحِدٍ فِي النَّاسِ كَانَ هُوَ الْخَلِيلَ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «ويقول» أي: الرسول ﷺ حيث قال: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ»^(٢).

١٥٠١- لَكِنَّهُ الْأَخُ وَالرَّفِيقُ وَصَاحِبِي وَلَهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ عَلَيْنَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ»، لِأَنَّهُ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ: «إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ»^(٣)؛ فَأَبُو بَكْرٍ أَمَنُ النَّاسِ عَلَيْهِ، لَا عَمَّهُ، وَلَا ابْنَ عَمَّهُ، وَلَا أَيُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ.

١٥٠٢- وَيَقُولُ لِلصَّدِيقِ يَوْمَ الْعَارِ: لَا تَحْزَنْ فَنَحْنُ ثَلَاثَةٌ لَا ائْتَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، رقم (٦٦٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر من مرض، رقم (٤١٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلاً»، رقم (٣٦٥٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٣).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٣٨٢).

١٥٠٣- اللَّهُ تَالِثًا وَتِلْكَ فَضِيلَةٌ مَا حَاذَهَا إِلَّا فَتَى عُثْمَانَ

لَمَّا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهُمَا فِي الْغَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ
أَبْصَرَ نَارًا مَحْتًا قَدَمَيْهِ قَالَ لَهُ: «مَا ظَنُّكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَالِثُهُمَا»^(١)، وَقَالَ لَهُ: «لَا تُحْزَنُ إِنَّ
اللَّهَ مَعَنَا»^(٢)، وَلَا شَكَّ أَنَّ حَفْظَ اللَّهِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُحْرَقَ سِيَاحُهُ أَبَدًا، وَهَذَا يَقُولُ:
(الله ثالثنا).

قَوْلُهُ: «فَتَى عُثْمَانَ» هُوَ أَبُو بَكْرٍ، لِأَنَّ اسْمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عُثْمَانَ، فَأَبُوهُ اسْمُهُ
عُثْمَانُ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَةُ مَا حَاذَهَا إِلَّا أَبُو بَكْرٍ، فَاَنْظُرْ إِلَى الْفَضَائِلِ الْعَظِيمَةِ!
فَيَقُولُ هَذَا الرَّافِضِيُّ الْخَبِيثُ: هَذِهِ بَلِيَّتُكُمْ الَّتِي جَعَلَتْ أَبَا بَكْرٍ مُقَدَّمًا عَلَى
غَيْرِهِ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَليست البليّة أن يقول واحد من الناس: إنَّ أبا بكرٍ أفضل من
عليٍّ، بل البليّة من صاحب هذا القبر.

١٥٠٤- يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْدَ ذَا؟ لَمْ يَدْهَكُمُ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمُ مَا ذَنْبُ النَّوَاصِبِ بَعْدَ ذَا؟» النَّوَاصِبُ أَي: الَّذِينَ يُفَضِّلُونَ أَبَا
بَكْرٍ، وَلَكِنَّهُمْ يُبْغِضُونَ عَلِيًّا، يَقُولُ: مَا ذَنْبُهُمْ إِذَا قَدَّمُوا أَبَا بَكْرٍ؟

قَوْلُهُ: «لَمْ يَدْهَكُمُ إِلَّا كَبِيرُ الشَّانِ»، وَالرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هُوَ
كَبِيرُ الشَّانِ، يَعْنِي: هَذَا هُوَ الَّذِي دَهَاكُمْ، هُوَ الَّذِي ضَرَبَكُمْ بِدَاهِيَةٍ، حَيْثُ فَضَّلَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿تَالِثًا أَتَيْنَ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ
لِكُلِّجِيءٍ لَا تَحْزَنْ﴾ [التوبة: ٤٠]، رَقْمُ (٤٦٦٣)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ
فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمُ (٢٣٨١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ، رَقْمُ (٣٦١٥)، وَمُسْلِمٌ:
كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ فِي حَدِيثِ الْهَجْرَةِ وَيُقَالُ لَهُ حَدِيثُ الرَّحْلِ، رَقْمُ (٢٠٠٩).

أبا بكر، وأنتم تُفَضَّلون عليًّا.

١٥٠٥- فَتَفَرَّقَتْ تِلْكَ الرَّوَافِضُ كُلُّهُمْ قَدْ أَطْبَقَتْ أَسْنَانَهُ الشَّفَتَانِ

يعني: أنهم ممتلئون غيظًا، فليس على وجوههم ابتسامة إطلاقًا، لِأَنَّهم دُهِوا بهذه الداھية التي ذكرها خبيثهم.

١٥٠٦- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ ذَاكَ رَضِيعُهُمْ فَهُمَا رَضِيعَا كُفْرِهِمْ بِلِيَانِ

فكذلك الجهميُّ أيضًا يقول: الذنبُ ذنبُ النصوصِ في إثبات التجسيم، لأنَّ الجهميَّ يقول: كُلُّ صِفَةٍ فَإِنهَا تَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، فَلَا سِتْوَاءَ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، وَ(اليدُ) تَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، وَ(الوجهُ) يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، وَهَذَا عَلَى رَأْيِ الْجَهْمِيِّ بَلِيَّةٌ وَمَصِيبَةٌ أَنْ تَكُونَ النُّصُوصُ الَّتِي هِيَ كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ تَقْتَضِي - عَلَى زَعْمِهِ - التَّجْسِيمَ.

فهو والرَّافِضِيُّ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، لَكِنَّهُ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الرَّافِضِيِّ، لِأَنَّ الْجَهْمِيَّ جَعَلَ هَذَا فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالرَّافِضِيُّ جَعَلَهُ فِي مَسْأَلَةِ الْإِمَامَةِ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا خَبِيثًا، لَكِنَّ الْجَهْمِيَّ أَشَدُّ.

١٥٠٧- ثَوْبَانٍ قَدْ نَسَجَا عَلَى الْمِنْوَالِ يَا عُرْيَانَ لَا تَلْبَسْ فَمَا ثَوْبَانِ

١٥٠٨- وَاللَّهُ شَرُّ مِنْهُمَا فَهُمَا عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ وَالشَّقَاءِ عَلَمَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَلْبَسْ» أَي: لَا تَلْبَسْ ثَوْبَ الْجَهْمِيِّ، وَلَا ثَوْبَ الرَّافِضِيِّ.

أَقْسَمَ ابْنُ الْقَيْمِ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ ثَوْبَانَ شَرًّا مِنْ هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ: ثَوْبِ الرَّفِضِ، وَثَوْبِ التَّجْهِمِ، (فَهُمَا عَلَى أَهْلِ الضَّلَالَةِ) وَالشَّقَاءِ (عَلَمَانِ).

فصل

- ١٥٠٩ - هَذَا وَسَابِعَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ
سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
- ١٥١٠ - عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ وَحَرْبِهِ
فِرْعَوْنَ ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ
- ١٥١١ - تَكْذِيبَهُ مُوسَى الْكَلِيمِ بِقَوْلِهِ:
اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ نَبَأَنِي
- ١٥١٢ - وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اعْتِقَا
دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ
- ١٥١٣ - فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَأَشْيَاعٌ لَهُ
أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ
- ١٥١٤ - فَاسْمَعِ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْ
عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ؟
- ١٥١٥ - وَانظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقِصَصِ النَّبِيِّ
تَمْحِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بَيَّانِ
- ١٥١٦ - وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الضَّلَالََةَ قُدُورَةً
بِأُمَّةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ
- ١٥١٧ - فَإِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ فِي نَفْسِهِ
فِرْعَوْنٌ مَعَ نَمْرُودَ مَعَ هَامَانَ
- ١٥١٨ - طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَذِّبًا
مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبُنْيَانِ
- ١٥١٩ - بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ
فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
- ١٥٢٠ - فَأَبْنُوا لِي الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لَعَلَّنِي
أَرْقَى إِلَيْهِ بِحِيلَةِ الْإِنْسَانِ
- ١٥٢١ - وَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ:
اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو السُّلْطَانِ

- ١٥٢٢- وَكَذَلِكَ كَذَّبَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ نَادَاهُ بِالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَانِ
 ١٥٢٣- هُوَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمَ وَالْفُوقِيَّةَ الـ عُلْيَا كَقَوْلِ الْجَهْمِ ذِي صَفْوَانَ
 ١٥٢٤- فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ إِذَنْ مِمَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ؟

الشرح

هذه المقطوعة فيها الدليل السابع عشر على علو الله، وذلك فيما أخبر الله به عن موسى وفرعون، يقول المؤلف:

١٥٠٩- هَذَا وَسَابِعَ عَشْرَهَا: إِخْبَارُهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٥١٠- عَنْ عَبْدِهِ مُوسَى الْكَلِيمِ وَحَرْبِهِ فِرْعَوْنَ ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَحَرْبِهِ فِرْعَوْنَ» يَعْنِي: وَعَنْ حَرْبِهِ فِرْعَوْنَ، «ذِي التَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ»، فَإِنَّ فِرْعَوْنَ جَمَعَ بَيْنَ التَّكْذِيبِ، وَالطُّغْيَانِ، وَالِاسْتِكْبَارِ، وَقَصَّتْهُ فِي الْقُرْآنِ مَعْرُوفَةً.

١٥١١- تَكْذِيبُهُ مُوسَى الْكَلِيمِ بِقَوْلِهِ: اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ نَبَأِ نَبِي

قَوْلُهُ: «بِقَوْلِهِ» أَي: بِقَوْلِ مُوسَى.

قَوْلُهُ: «اللَّهُ رَبِّي فِي السَّمَاءِ نَبَأِ نَبِي» يَعْنِي: أُرْسَلَنِي، وَفِرْعَوْنُ كَذَّبَ مُوسَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَنُنْ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] يَعْنِي: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا فِي دَعْوَاهُ أَنَّ اللَّهَ أُرْسَلَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

وَوَاضِحٌ أَنَّ الْمُرَادَ بِهَا أَنَّ فِرْعَوْنَ يُنْكِرُ عُلُوَّ اللَّهِ، بَلْ يُنْكِرُ اللَّهَ رَأْسًا، يَقُولُ: وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا.

والعجيبُ أنَّ أهلَ التعطيلِ قالوا: إنكم أنتم -أيها المُشْبِتُونَ للعلوِّ- أنتم الذين جعلتم فرعونَ إمامًا لكم، لأنَّ فرعونَ مُقَرَّرٌ بالعلوِّ، والدليلُ على إقراره أنه قَالَ لوزيره هامان: ﴿أَبْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ (٣٦) ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلِعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]، وهذا يدلُّ على تصديقه، فأنتم إذا قُلْتُمْ: (إنَّ اللهَ في السَّاءِ) فقد جعلتم فرعونَ إمامًا لكم.

وهذا لا شكَّ أنه من الطغيان على أهلِ السُنَّةِ، لأنَّ قولهم هذا كقول القائل^(١):

مَا قَالَ رَبُّكَ وَيْلٌ لِّلْأُلَىٰ سَكِرُوا بَلْ قَالَ رَبُّكَ: وَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَا

واحدٌ ينهى شخصًا عن شرب الخمر -ينهاه مثلًا وقت صلاةٍ- يقول: اترك الخمرَ، واذهب للصلاة، فيقول له الشاربُ هذا البيتُ والعياذُ بالله.

فهذا ترك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥]، وهؤلاء تركوا قولَ فرعون: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] ووقفوا على قوله: ﴿أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ [القصص: ٣٨] ولم يقولوا: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨] فجعلوا فرعونَ يُقَرَّرُ بعلوِّ الله، رجل يُنكِرُ الله، ويقول: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] كيف نقول: إنه يُقَرَّرُ بعلوه؟! فالذي يُنكِرُ نفسَ العالي هل يُمكنُ أن يُقَرَّرَ بعلوه؟ الجوابُ: لا يمكنُ، ولهذا قال:

١٥١٢- وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُهُمْ: إِنَّ اعْتَقَا دَ الْفَوْقِ مِنْ فِرْعَوْنَ ذِي الْكُفْرَانِ
١٥١٣- فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَاشْيَاعٍ لَهُ أَنْتُمْ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ

(١) البيت غير منسوب في أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ١٢٤).

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «فَإِذَا اعْتَقَدْتُمْ ذَا فَاشْيَاعٍ لَهُ» ثُمَّ قَالَ: «وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ»
(ذَا) يَعْنِي: قَوْلُهُمْ: إِنَّا نَحْنُ أَشْيَاعٌ لِفِرْعَوْنَ بِإِثْبَاتِ الْعُلُوِّ.

١٥١٤- فَاسْمَعِ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟
قَوْلُهُ: «مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ؟» مِنَ الْأَوْلَى؟ وَالْجَوَابُ: الْمُعْطَلَةُ أَوْلَى،
لِأَنَّهُ هُوَ مُعْطَلٌ، بَلْ هُوَ إِمَامُ الْمُعْطَلَةِ.

١٥١٥- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا جَاءَ فِي الْقِصَصِ الَّتِي تَحْكِي مَقَالَ إِمَامِهِمْ بَيَّانِ
١٥١٦- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الضَّلَالََةَ قُدُوءَةً بِأَثْمَةٍ تَدْعُو إِلَى النَّيْرَانِ

لقول الله تعالى عن آل فرعون: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى الْكُفْرِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [القصص: ٤١-٤٢]، فهم أئمة الكفر، يدعون إلى النيران.

١٥١٧- فَإِمَامٌ كُلُّ مُعْطَلٍ فِي نَفْسِهِ فِرْعَوْنٌ مَعَ تَمْرُودٍ مَعَ هَامَانَ
١٥١٨- طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ مُكَذِّبًا مُوسَى وَرَامَ الصَّرْحَ بِالْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «مُكَذِّبًا مُوسَى» يَعْنِي: غَيْرَ مُصَدِّقٍ لَهُ، لَكِنْ يَرِيدُ أَنْ يُوْهِمَ قَوْمَهُ بِنِجَارِ الصَّرْحِ الْعَالِي، وَيَقُولُ لِمُصْحَبِهِ وَأَتْبَاعِهِ: أَنَا - وَاللَّهُ - رَقِيتُ أَبْحَثُ عَنْ إِلَهِ مُوسَى، وَلَكِنْ مَا لَقِيتُهُ، هَذَا هُوَ مُرَادُهُ بِمَا طَلَبَ.

١٥١٩- بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
قَوْلُهُ: «بَلْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ» الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ هُوَ فِرْعَوْنٌ، «فَوْقَ السَّمَاءِ الرَّبُّ» يَعْنِي: قَالَ: إِنَّ مُوسَى كَاذِبٌ فِي زَعْمِهِ أَنَّ الرَّبَّ فَوْقَ السَّمَاءِ.

١٥٢٠- فَأَبْنُوا لِي الصَّرْحَ الرَّفِيعَ لَعَلَّنِي أَرْقَى إِلَيْهِ بِحِيلَةِ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «أَرْقَى إِلَيْهِ» أي: إلى إله موسى لا إلى الله، فهو لا يُقَرَّبُ به، فيَقُولُ: (إلى إله موسى).

١٥٢١- وَأَظُنُّ مُوسَى كَاذِبًا فِي قَوْلِهِ: اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو السُّلْطَانِ

١٥٢٢- وَكَذَلِكَ كَذَّبَهُ بِأَنَّ إِلَهَهُ نَادَاهُ بِالتَّكْلِيمِ دُونَ عِيَانِ

١٥٢٣- هُوَ أَنْكَرَ التَّكْلِيمَ وَالْفَوْقِيَّةَ الـ عَلِيًّا كَقَوْلِ الْجَهْمِ ذِي صَفْوَانَ

الْجَهْمُ بن صفوان يُنْكِرُ التَّكْلِيمَ، وفرعون يُنْكِرُ التَّكْلِيمَ، يقول لموسى: ما كَلَّمَكَ اللهُ وما أرسلك، الْجَهْمُ يُنْكِرُ العُلُوَّ، وفرعون يُنْكِرُ العُلُوَّ.

١٥٢٤- فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ إِذَنْ مِّنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ؟

قَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ مِّنَّا وَمِنْكُمْ؟» والمنصف سيقول: هؤلاء الجهمية وأمثالهم أولى.

١٥٢٥- يَا قَوْمَنَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلَنَا أَلْفًا تَدُلُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ

١٥٢٦- عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الـ أَوْلَى وَذَوْقِ حَالَاوَةِ الْقُرْآنِ

١٥٢٧- كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٥٢٨- أَتَرَوْنَ أَنَّنَا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ لِبِجَعَا جِيعِ التَّعْطِيلِ وَالْهَدْيَانِ؟!

١٥٢٩- يَا قَوْمُ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِذْعَانِ

- ١٥٢٠- وَتُحَكِّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ
 ١٥٢١- قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ
 ١٥٢٢- أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكِّمًا
 ١٥٢٣- بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرَ مَنْ قَدْ حَكَّمَ أَل
 ١٥٢٤- هَذَا وَمَا ذَاكَ الْمُحَكِّمُ مُؤْمِنًا
 ١٥٢٥- هَذَا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلِّدَ
- تَحَكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ
 قَسَمًا يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
 غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ
 وَخَيْبِنِ حَسْبُ، فَذَاكَ ذُو إِيْمَانِ
 إِنْ كَانَ ذَا حَرْجٍ وَضِيقٍ بِطَانِ
 لِمَ لِلَّذِي يَقْضِي بِهِ الْوَحْيَانِ

الشرح

- ١٥٢٥- يَا قَوْمَنَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلَنَا
 ١٥٢٦- عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ أَل
 ١٥٢٧- كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
 أَلْفَاتِدُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ
 أَوْلَى وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ^(١)
 فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنِ الْأَكْوَانِ

هذه الأبيات المقطوعة أيضًا يقول المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- فيها: إِنَّ لِقَوْلَنَا فِي
 عَلُوِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ أَلْفَ دَلِيلٍ، بَلْ أَلْفَانِ مِنَ الْأَدِلَّةِ، كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى
 عَلُوِّ اللهِ: مِنَ الْعَقْلِ، وَالنَّقْلِ، وَالْفِطْرَةِ، وَالذَّوْقِ، كُلُّهَا تَدُلُّ عَلَى عَلُوِّ اللهِ -سُبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى- فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

- ١٥٢٨- أَتَرُونَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ
 لَجَعَا جِ التَّعْطِيلِ وَالْهَدْيَانِ؟!
 قَوْلُهُ: «أَتَرُونَ» أَي: أَنْظَنُونَ؟

(١) في نسخة: «حلاوة الإيمان». [الشارح].

قَوْلُهُ: «جَعَّاجِع» هي في الأصل: صوت الرَّحَى، هدير قد يكون فيه طحنٌ وقد لا يكون، فلا يمكنُ أن ندعَ هذه الأدلَّةَ من أجلِ جعاجعِكُم أيَّها المعطلَّة، وهذيَانِكُم.

١٥٢٩- يَا قَوْمُ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَى أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِدْعَانِ
وهذا حقٌّ، فكلُّ مَنْ خالفَ الوحيَّ فليس على شَيْءٍ.

١٥٣٠- وَتَحَكُّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ تَحَكِّيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ
قَوْلُهُ: «تَحَكُّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدِقِّهِ» الجليلُ: الأمورُ العظيمة، والدَّقُّ: الأمورُ التي ليست من عظامِ الأصول.

وكذلك حتَّى تحكِّمُوهُ في العبادات، وفي المعاملات، في الأمور الاجتماعية، والأمر الاقتصاديَّة، فَمَنْ حَكَّمِ الوحيَ في شَيْءٍ دونَ شَيْءٍ فقد كفرَ بالوحي كُلِّهِ، وليس بمؤمنٍ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: (أرضي بهذا، وأحكمُ به، ولا أرضى بهذا، ولا أحكمُ به) لم يكنُ مُتَّبِعاً لشرعِ الله، وإنما هو مُتَّبِعٌ لهواه، إِذْ إِنَّ الْمُتَّبِعَ لِلشَّرْعِ يَقُولُ: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا فِي أمورِ العبادات، والمعاملات، والاقتصاديَّات، والاجتماعيَّات، وفي جميع شؤون الحياة.

١٥٣١- قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ قَسَمًا يُبَيِّنُ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
١٥٣٢- أَنْ لَيْسَ يُؤْمِنُ مَنْ يَكُونُ مُحَكَّمًا غَيْرَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ أَقْسَمَ اللَّهُ الْعَظِيمُ بِنَفْسِهِ» وذلك في قولِهِ تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

انظر إلى المؤكّدات في هذه الآية ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الآية مُؤكّدة بالقسم، وبـ«لا»، وبإضافة الربوبية إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، لآته صاحب الشريعة.

فقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ «لا» هنا زائدة للتنبيه والتأكيد، القسم ﴿وَرَبِّكَ﴾ أُضيفت الربوبية إلى الرسول ﷺ، لآته صاحب الشريعة، وهذا نوع من التأكيد، لأن ربوبية الله - سبحانه وتعالى - لرسوله ليست كربوبية العامة.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّى يُحَكِّمُوكَ﴾ أي: أنت وحدك، ﴿فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ أي: فيما حصل بينهم من نزاع، وهذا هو الأوّل.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ﴾ أي: ضيقًا، بمعنى: أن تتقبّل نفوسهم هذا الحكم بانسراح وفرح وسرور، لا بضيق وحرّج، وهذا هو الثاني.

الثالث: ﴿وَيُسَلِّمُوا﴾ أي: ينقادوا، ويذعنوا، ويستسلموا تمامًا.

الرابع: ﴿تَسْلِيمًا﴾ وهذا تأكيد بالمصدر، يعنى: تسليمًا تامًا.

كُلُّ هذه المؤكّدات وهذه الشروط تدلُّ على أنه لا يمكن الإيمان إلا بهذه الأمور، فلو حكّم غير الرسول فليس بمؤمن، ولو حكّم الرسول لكن ضاق صدره بحكمه وكرهه لكنه يُنقّده فليس بمؤمن، ولو قبله ورَضِيَ به لكن لم يُسَلِّم التسليم التام، فصار يُباطل فليس بمؤمن، إذن لا بُدَّ من هذه الأمور كُلِّها.

١٥٣٣- بَلْ لَيْسَ يُؤْمِنُ غَيْرَ مَنْ قَدْ حَكَّمَ أَلْـ وَوَحْيَيْنِ حَسْبُ، فَذَلِكَ ذُو إِيمَانٍ

قَوْلُهُ: «حَسْبُ» يَعْنِي: فَقَطْ.

ودليل تحكيم الوحيين قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] يعني: فإن لم تردوه إلى الله والرسول فليستُم بمؤمنين.

١٥٣٤- هَذَا وَمَا ذَاكَ الْمُحَكَّمُ مُؤْمِنًا إِنْ كَانَ ذَا حَرَجٍ وَضَيْقٍ بِطَانٍ

يعني: لو حكّم الوحيين وقيل حكمهما، لكن لم يرتح له، وصار عنده ضيق فإنه ليس بمؤمن -نسأل الله العافية-، فلا بد أن يقبل، وينشرح صدره بذلك.

١٥٣٥- هَذَا وَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ حَتَّى يُسَلَّمَ لِمَ لِلَّذِي يَقْضِي بِهِ الْوَحْيَانَ

أيضاً لا يكفي أن ينشرح صدره، بل لا بد أن يسلم، ولنضرب لهذا أمثلة:

المثال الأول: رجلٌ لم يتحاكم إلى الشرع، بل تحاكم إلى القانون، ولم يرض بالشرع أصلاً، فهذا ليس بمؤمن.

المثال الثاني: رجلٌ تحاكم إلى الشرع، وحكم الشرع عليه، فليس له بُدٌّ من تنفيذه، لكن مع الشدة، والخرج والضيق والكرهية، هذا أيضاً ليس بمؤمن، لكنه أهونٌ من الأول.

المثال الثالث: رجلٌ تحاكم إلى الشرع، وانشرح صدره له، لكن صار يباطل، ولم يسلم التسليم التام، هذا أيضاً ليس بمؤمن، لكنه دون الثاني.

فلا بُدَّ من أمورٍ ثلاثة: التحكيم، والرضى والانسراح، والتسليم التام.

أيضاً رجلٌ آخرٌ احتلم في ليلة باردة، وليس عنده ما يسخن به الماء، لكن يستطيع أن يستعمل الماء البارد مع شيءٍ من المشقة، فقال: ليس هناك داعٍ اليوم للاغتسال، لأنّ الجوُّ بردٌ، فهذا لا يكون حكّم الشرع، إذن ليس بمؤمن.

الثاني: احتلم في الليلة الباردة، واغتسل لكن على كراهة، تجده يتكره للدين، أو لهذا العمل الواجب في الدين، هذا أيضًا ليس بمؤمن، وإن كان نَفَذَ واغتسل.

الثالث: رضي، وانقاد للاغتسال، لكن صار يباطل، ويململ حتى خرج الوقت، هذا أيضًا ليس بمؤمن، لِأَنَّهُ لم يُسَلِّمَ التَّسْلِيمَ التَّامَّ.

ففتش في نفسك الآن هل أنت في جميع العبادات والمعاملات، تُحَكِّمُ الشريعة وينشرح صدرك لها، وتُسَلِّمُ تسليماً تاماً؟ إن كان الأمر كذلك فأنت سعيد مؤمن، وإن كان هناك عراقيل فأصلح أحوالك، فليست بمؤمن.
فلا بد أن يكون انقياداً تاماً، ورضى، وتسليماً.

وهناك مَنْ يصوم رمضان ولا يتأخر، لكن مع ثقل عظيم وكراهة، وربما -نسأل الله العافية- يعترض، فهذا ليس بمؤمن، بل لا بُدَّ أن يُسَلِّمَ، ويصوم بانسراح، وصيام تام، حسب ما يُؤمَّرُ به، فيكون بذلك تام الإيمان.

- ١٥٣٦- يَا قَوْمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُكُمْ
وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
- ١٥٣٧- هَلْ حَدَّثْتُمْ قَطُّ أَنْفُسَكُمْ بِذَا؟
فَسَلُّوا نَفْسَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ
- ١٥٣٨- لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ
وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ
- ١٥٣٩- هُمْ يَشْهَدُونَ بِأَنَّكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ
ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ
- ١٥٤٠- وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمْ
أَعْنِي: ابْنُ حَنْبَلٍ الرَّضَا الشَّيْبَانِي؟
- ١٥٤١- وَلَايِي شَيْءٌ كَانَ بَعْدُ خُصُومَكُمْ
أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ؟

- ١٥٤٢- وَلَايِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضًا خَصَمَكُم
- ١٥٤٣- أُعْنِي: أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْ
- ١٥٤٤- وَاللَّهِ لَمْ يَكُ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى
- ١٥٤٥- إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شِرْكِ، كَذَا
- ١٥٤٦- فَتَجَرَّدَ الْمَقْصُودُ عَنِ قَصْدِ لَهُ
- ١٥٤٧- مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ دَعَا لِمَقَالَةٍ
- ١٥٤٨- فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْهُدَى
- ١٥٤٩- شَتَّانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْبُكُمْ
- ١٥٥٠- قَالُوا لَنَا لِمَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى
- ١٥٥١- ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْ
- ١٥٥٢- وَتَرَكْتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا وَمَا
- ١٥٥٣- لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ
- ١٥٥٤- يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمْ
- ١٥٥٥- وَنَسَبْتُمُ الْعُلَمَاءَ لِلْأَمْرِ الَّذِي
- ١٥٥٦- وَاللَّهِ مَا أَوْصَوْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا
- ١٥٥٧- كَلًّا وَلَا فِي كُتُبِهِمْ هَذَا، بَلَى
- شَيْخُ الْوُجُودِ الْعَالِمُ الْحَرَّانِيُّ؟
- مُخْتَارِ قَامِعِ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ
- تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
- تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ
- فَلِذَلِكَ لَمْ يُنْصِتْ إِلَى إِنْسَانِ
- غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْفُرْقَانِ
- وَدَعَوْتُمْ أَنْتُمْ لِرَأْيِ فُلَانِ
- يَا قَوْمُ مَا بِكُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ
- هَذَا مَقَالَةٌ ذِي هَوَى مَلَانِ
- عُلَمَاءٍ بَلْ عَبَّرْتَهُمُ الْعَيْنَانِ
- أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أُذُنَانِ
- نَعْدُ الَّذِي قَالُوهُ قَدَرَبَنَانِ
- وَأَتَيْتُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ
- هُمُ مِنْهُ أَهْلُ بَرَاءَةٍ وَأَمَانِ
- قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ
- بِالْعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِلَا كِتْمَانِ

- ١٥٥٨- إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ
 ١٥٥٩- كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
 ١٥٦٠- فَلِذَاكَ أَوْصَوْكُمْ بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا أَقْوَالَ هُمْ كَالنَّصِّ فِي الْمِيزَانِ
 ١٥٦١- لَكِنْ زُنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تَوَا فَفَهَا فَتِلْكَ صَاحِبَةُ الْأَوْزَانِ
 ١٥٦٢- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ أَقْوَالَ هُمْ أَبَدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 ١٥٦٣- وَاللَّهُ لَا لِيُوصِيَةَ الْعُلَمَاءِ نَفْـ فَدْتُمْ وَلَا لِيُوصِيَةَ الرَّحْمَنِ
 ١٥٦٤- وَرَكِبْتُمْ الْجَهْلَيْنِ ثُمَّ تَرَكَتُمُ النَّصَّ نَصِّينَ مَعَ ظُلْمٍ وَمَعَ عُذْوَانِ

الشرح

يقول -رَحِمَهُ اللهُ-:

١٥٣٦- يَا قَوْمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ نَشَدْتُمْكُمْ وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «نَشَدْتُمْكُمْ» المناشدة: الطَّلْبُ بِالْحَاحِ؛ أَي: أَنَا أَنَا شَدُّكُمْ بِاللَّهِ، وَبِحُرْمَةِ الْإِيمَانِ، وَالْقُرْآنِ.

١٥٣٧- هَلْ حَدَّثْتُمْ قَطُّ أَنْفُسَكُمْ بِذَا؟ فَسَلُّوا نُفُوسَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ قَوْلُهُ: «هَلْ حَدَّثْتُمْ قَطُّ أَنْفُسَكُمْ بِذَا» يَعْنِي: بِأَنْ تَرْجِعُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَتَحْكُمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ.

الذي يبدو من أفعالهم أنهم لم يُحَدِّثْهُمْ أَنْفُسَهُمْ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلِهَذَا إِذَا رَجَعْتَ إِلَى كَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْعُقَايِدِ لَا تَجِدُ فِيهَا

(قَالَ اللهُ)، ولا (قَالَ رَسُولُ اللهِ)، كُلُّهَا تَعْلِيلَاتٌ، وَنَظَرِيَّاتٌ، وَعَقْلِيَّاتٌ تَخَالَفُ
الْبَدْهِيَّاتِ، فَضْلًا عَنِ الْعُقُولِ.

ولهذا يقول:

١٥٣٨- لَكِنَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ وَجُنْدَهُ وَرَسُولَهُ الْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

١٥٣٩- هُمْ يَشْهَدُونَ بِأَنَّكُمْ أَعْدَاءُ مَنْ ذَا شَأْنُهُ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

أَمَّا كَوْنُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ يَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَعْدَاءُ لِكُلِّ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ فَظَاهِرٌ، وَكَذَلِكَ جُنْدُ اللهِ تَشْهَدُ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَعْدَاءُ لِكُلِّ مَنْ يُحْكِمُ الْكِتَابَ
وَالسُّنَّةَ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ أَعْدَاءُ لِلسَّلَفِ، وَالسَّلَفُ يُحْكِمُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

لكن رسول الله كيف يشهد وهو ميت؟

نقول: يشهد بما جاءت به سُنَّتُهُ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ لَا يُحْكِمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَإِنَّ
النَّبِيَّ ﷺ يَعْلَمُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِمَنْ يُحْكِمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

١٥٤٠- وَلَايِي شَيْءٍ كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمُ أَغْنِي: ابْنُ حَنْبَلٍ الرِّضَا الشَّيْبَانِي؟

قَوْلُهُ: «كَانَ أَحْمَدُ خَصْمَكُمُ» هَلْ كَانَ خَصْمَهُمْ؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، كَانَ خَصْمَهُمْ،
وَشَوَّاهُ إِلَى الْمَأْمُونِ، وَأَذَاهُ الْمَأْمُونِ وَحَبْسَهُ، وَنَظَرُوا أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللهُ-، وَكُتِبَ فِي
الرَّدِّ عَلَيْهِمْ رِسَائِلٌ، فَكَانَ خَصْمًا لَهُمْ.

١٥٤١- وَلَايِي شَيْءٍ كَانَ بَعْدُ خُصُومَكُمُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ؟

كُلُّ مَنْ قَالَ: (قَالَ اللهُ وَرَسُولُهُ) فَهُوَ عَدُوٌّ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ
العقائدَ بالعقول التي يدعون أنها عقولٌ، وليست عقولًا.

١٥٤٢- وَلَايِّ شَيْءٍ كَانَ أَيْضًا خَصَمَكُمُ شَيْخُ الْوُجُودِ الْعَالِمُ الْحَرَّانِي؟
 ١٥٤٣- أَعْنِي: أَبَا الْعَبَّاسِ نَاصِرَ سُنَّةِ الْـ مُخْتَارِ قَامِعِ سُنَّةِ الشَّيْطَانِ
 قَوْلُهُ: «أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ» أَي: ابْنَ تَيْمِيَةَ -رَحِمَهُ اللهُ-.

١٥٤٤- وَاللَّهِ لَمْ يَكْ ذَنْبُهُ شَيْئًا سِوَى تَجْرِيدِهِ لِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ
 وهل هذا ذنب؟! قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ
 الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، فَشَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ- لَا ذَنْبَ لَهُ، وَهُمْ يَعَادُونَهُ، حَتَّى
 إِنَّهُمْ قَالُوا: (مَنْ قَالَ: إِنَّ ابْنَ تَيْمِيَةَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ فَهُوَ كَافِرٌ مَبَاحُ الْمَالِ وَالْدَّمِ)،
 وَأَعُوذُ بِاللَّهِ، إِلَى هَذَا الْحَدِّ، يَعْنِي: الَّذِي يَصِفُ ابْنَ تَيْمِيَةَ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ كَافِرٌ مَرْتَدٌّ،
 وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ يَصِيرُ أَكْفَرًا، فَإِذَا كَانَ مَنْ يَصِفُهُ بِشَيْخِ الْإِسْلَامِ كَافِرًا عِنْدَهُمْ، فَابْنُ
 تَيْمِيَةَ عِنْدَهُمْ أَكْفَرُ.

١٥٤٥- إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شِرْكِ، كَذَا تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ
 قَوْلُهُ: «إِذْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ عَنِ شِرْكِ» فَكَتَبَهُ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَكُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ بِذَلِكَ فِي
 تَقْرِيرِ تَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَالرَّبُّوِيَّةِ، وَالْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ،

وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُهُ لِلْوَحْيِ عَنِ بُهْتَانِ، وَ(البُهْتَانِ) فِي الْوَحْيِ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْفِظِ
 فَهَذَا لَا يُمْكِنُ، إِذْ لَا يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يُغَيِّرَ شَيْئًا مِنَ الْقُرْآنِ (لِفِظًا)، وَأَمَّا مَعْنَى فَمَا
 أَكْثَرَ الَّذِينَ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ بِالْمَعْنَى! وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللهُ- جَرَّدَ الْوَحْيَ عَنِ
 الْبُهْتَانِ، وَالْمُرَادُ بِالْبُهْتَانِ هُنَا بُهْتَانُ الْمَعْنَى، لِأَنَّهُ لَا يَجْرُؤُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُغَيِّرَ لَفْظَةً مِنْ
 كِتَابِ اللهِ أَبَدًا.

١٥٤٦- فَتَجَرَّدَ الْمَقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ فَلِذَلِكَ لَمْ يُنْصِتْ إِلَى إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «فَتَجَرَّدَ الْمَقْصُودُ عَنْ قَصْدٍ لَهُ» (المقصود) هو توحيد الله وكذلك توحيد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، أمّا توحيد الله فهو بالإخلاص له، وأمّا توحيد الرسول ﷺ فهو متابعتُه، وعدمُ اتِّباعِ هديِّ غيره.

قَوْلُهُ: «لَمْ يُنْصِتْ»، وفي نسخة: (لَمْ يُنْصِفْ)، وفي ثالثة: (لَمْ يُنْضَفْ).

فأما على نسخة: «فَلِذَلِكَ لَمْ يُنْصِتْ إِلَى إِنْسَانٍ» هذه النسخة هي أصحُّ النسخ، وأقربها للصواب وللمعنى، يعنى: أن شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ- ما أنصت إلى أحدٍ، ولم يمنعه أحدٌ من نشر ما هو عليه من الحقِّ، ولم يتبع أحدًا فيقلده تقليد الأعمى أبدًا.

وعلى نسخة (لَمْ يُنْصِفْ إِلَى إِنْسَانٍ) والإنصاف يأتي بمعنى الخشوع، يعنى: لم يخشع ولم يخضع لإنسانٍ، وهذا أيضًا معنى صحيح.

وعلى نسخة (لَمْ يُنْضَفْ) ولا أدري هل هذه النقطة زائدة أو غير زائدة؟ لكن إن كانت صحيحة فهو من الإضافة، (لم ينصف إلى إنسان) يعنى: لم يتبع إنسانًا، كما تقول: (انضاف هذا الشيء إلى هذا الشيء).

١٥٤٧- مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ دَعَا لِمَقَالَةٍ غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى- الْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ» يعنى: ابن حنبل، وأهل الحديث، وابن تيمية، رحمهم الله جميعًا.

١٥٤٨- فَالْقَوْمُ لَمْ يَدْعُوا إِلَى غَيْرِ الْهُدَى وَدَعَاؤُهُمْ أَنْتُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ

١٥٤٩- شَتَانَ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَحَسْبُكُمْ يَا قَوْمُ مَا بِكُمْ مِنَ الْخِذْلَانِ

قَوْلُهُ: «شَتَان» بمعنى بُعد، وصحيحٌ أن ما بين الدعوتين متباعدٌ، ولهذا قال:

(فَحَسْبُكُمْ يَا قَوْمَ مَا بِكُمْ مِنَ الْخُذْلَانِ).

١٥٥٠- قَالُوا لَنَا لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى هَذَا مَقَالَةَ ذِي هَوَى مَلَانٍ

لَمَّا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ قَالُوا لَنَا مَقَالَةَ صَاحِبِ (هُوَ مَلَانٍ) أَي:

ملان من الهوى.

١٥٥١- ذَهَبَتْ مَقَادِيرُ الشُّيُوخِ وَحُرْمَةُ الْ—عُلَمَاءِ بَلْ عَبَرْتَهُمُ الْعَيْنَانِ

يعني: قالوا لنا: أنتم تدعون إلى الكتاب والسنة، وهذا استهانة بالعلماء، ما

للعلماء عندهم قدرٌ ولا حرمة، كيف تقولون: اذهبوا إلى الكتاب والسنة، والشيخُ

الفلايُّ يقول: كذا وكذا، ما له حرمة عندهم؟!

فنقول: حرمة الكتاب والسنة عندنا أعظم من حرمة هذا وأمثاله وكُلِّ

إنسان، هذا جوابنا.

١٥٥٢- وَتَرَكْتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا وَمَا أَصْغَتْ إِلَيْهَا مِنْكُمْ أُذْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَتَرَكْتُمْ أَقْوَالَهُمْ هَدْرًا...» قائل هذا هم هؤلاء المتكلمون الذين

يرجعون إلى أقوال الشيوخ.

يقولون لنا: تركتم أقوالهم هدرًا، وما أصغت إليها منكم أذنان، نقول: أبدًا،

ما تركناها هدرًا، بل نظرنا إليها، فإن وافقت الكتاب والسنة فهي حق وقيلناها،

وإن خالفت فهي باطل، ولا نقبلها.

١٥٥٣- لَكِنْ حَفِظْنَا نَحْنُ حُرْمَتَهُمْ وَلَمْ نَعُدْ الَّذِي قَالُوهُ قَدْرَ بَنَانِ

يعني: نحن الذين عرفنا حق الشيوخ، وحرمتهم، ما نتعدى أقوالهم ولو

خالفت الكتاب والسنة.

قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَدًّا عَلَيْهِمْ:

١٥٥٤- يَا قَوْمُ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ كَذَبْتُمْ وَأَتَيْتُمْ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

١٥٥٥- وَنَسَبْتُمْ الْعُلَمَاءَ لِلْأَمْرِ الَّذِي هُمْ مِنْهُ أَهْلٌ بِرَاءةٍ وَأَمَانِ

ابن القيم يكذب هؤلاء، يقول: أنتم ما احترتم العلماء، ولا رجعتم إلى أقوالهم.

١٥٥٦- وَاللَّهِ مَا أَوْصَوْكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا قَوْلَ الرَّسُولِ لِقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ

وهذا صحيح، ولن تجد من الأئمة من قال: (اتبعوني، ولا تتبعوا الكتاب والسنة؟) أبداً، فما أحد منهم يقول بهذا.

١٥٥٧- كَلَّا وَلَا فِي كُتُبِهِمْ هَذَا، بَلَى بِالْعَكْسِ أَوْصَوْكُمْ بِلَا كِتْمَانِ

ما الذي أوصى به الأئمة؟ أوصوا جميعاً أنه إذا كانت أقوالهم تخالف أقوال الله ورسوله فاضربوا بها عرض الحائط، فكلُّهم متفقون على هذا المعنى، جزاهم الله خيراً.

١٥٥٨- إِذْ قَدْ أَحَاطَ الْعِلْمُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِمَعْصُومِينَ بِالْبُرْهَانِ

فإذا كانوا غير معصومين رجعنا إلى المعصوم: كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

١٥٥٩- كَلَّا وَمَا مِنْهُمْ أَحَاطَ بِكُلِّ مَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

وهذا صحيح، فليس كل واحد من العلماء أحاط بكل حديث قاله الرسول أو فعله أو أقره.

١٥٦٠- فَلِذَٰكَ أَوْصَوْكُم بِأَنْ لَا تَجْعَلُوا أَقْوَالَ هُمْ كَالنَّصْرِ فِي الْمِيزَانِ
 ١٥٦١- لَكِنْ زِنُوهَا بِالنُّصُوصِ فَإِنْ تَوَا فَهِيَ فَتْلِكَ صَحِيحَةُ الْأَوْزَانِ
 ١٥٦٢- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ أَقْوَالَ هُمْ أَبَدًا عَلَى النَّصِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 ١٥٦٣- وَاللَّهُ لَا لِيُوصِيَةَ الْعُلَمَاءِ نَفْسًا فَدَنْتُمْ وَلَا لِيُوصِيَةَ الرَّحْمَنِ
 قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ لَا لِيُوصِيَةَ الْعُلَمَاءِ نَفَدْتُمْ» ووصيتهم هي الرجوعُ إلى الكتابِ
 والسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «وَلَا لِيُوصِيَةَ الرَّحْمَنِ» وصيةُ الرحمنِ هي قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَنْزَعْنَهُمْ فِي
 شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

١٥٦٤- وَرَكِبْتُمْ الْجَهْلَيْنِ ثُمَّ تَرَكْتُمُ النَّصَّ نَصَّيْنِ مَعَ ظُلْمٍ وَمَعَ عُذْوَانٍ
 قَوْلُهُ: «وَرَكِبْتُمُ الْجَهْلَيْنِ» الْجَهْلَيْنِ يَعْنِي: الْجَهْلَ الْبَسِيطَ، وَالْجَهْلَ
 الْمُرَكَّبَ.

قَوْلُهُ: «تَرَكْتُمُ النَّصَّيْنِ» النَّصَّانِ هُمَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

قَوْلُهُ: «مَعَ ظُلْمٍ وَمَعَ عُذْوَانٍ» يَعْنِي: لَيْتَكُمْ تَرَكْتُمْ هَذَا وَسَكَّتُمْ، لَكِنْ تَعْتَدُونَ
 عَلَى مَنْ خَالَفَكُمْ، وَتَقُولُونَ: أَنْتَ امْتَهَنْتَ الْعُلَمَاءَ، أَنْتَ احْتَقَرْتَ الْعُلَمَاءَ، أَنْتَ
 ضَلَلْتَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

١٥٦٥- قُلْنَا لَكُمْ: فَتَعَلَّمُوا، قُلْتُمْ: أَمَا نَحْنُ الْأَيْمَّةُ فَاصْلُوا الْأَزْمَانَ
 ١٥٦٦- مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ فَاسْتَحُوا أَيْنَ النُّجُومِ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!

- ١٥٦٧- لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمْ
 ١٥٦٨- وَاللَّهِ لَا عِلْمَ وَلَا دِينَ وَلَا
 ١٥٦٩- عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوْكُمْ
 ١٥٧٠- إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الدُّبَابُ إِذَا رَأَى
 ١٥٧١- وَإِذَا رَأَى فَزَعَا تَطَايَرَ قَلْبُهُ
 ١٥٧٢- وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى الْبُرْهَانِ كَا
 ١٥٧٣- نَحْنُ الْمُقَلَّدَةُ الْأَلَى أَلْفُوا كَذَا
 ١٥٧٤- قُلْنَا: فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَمَا لَكُمْ
 ١٥٧٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنْ مُقَلَّدًا
 ١٥٧٦- وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهَدَى بِدَلِيلِهِ
 ١٥٧٧- حِرْنَا بِكُمْ وَاللَّهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْ
 ١٥٧٨- كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ فَمَنْ تُرَى
 ١٥٧٩- لِكِنَّهَا وَاللَّهِ أَنْفَعُ مِنْكُمْ
 ١٥٨٠- نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَالَتْ مِنْكُمْ الْ
 ١٥٨١- فَمَنْ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى
- أَشْبَهْتُمُ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ
 عَقْلٌ وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ
 لِلْحَقِّ بَلْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
 طُعْمًا فَيَا لِمَسَاقِطِ الدُّبَابِ
 مِثْلَ الْبُغَاثِ يُسَاقُ بِالْعِقْبَانِ
 نَ جَوَابِكُمْ جَهْلًا بِلَا بُرْهَانَ
 أَبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الْأَرْمَانِ
 عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانٍ؟!
 لِلنَّاسِ كَالْأَعْمَى هُمَا أَخْوَانِ
 مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ
 عُلَمَاءٍ تَنْقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ
 تُدْعُونَ؟ نَحْسَبُكُمْ مِنَ الثَّيْرَانِ
 لِلْأَرْضِ فِي حَرْثٍ وَفِي دَوْرَانِ
 مَعَهُودَ مَنْ بَغْيٍ وَمِنْ عُدْوَانِ
 أَنْتُمْ أَمْ الثَّيْرَانُ بِالْبُرْهَانِ؟

الشرح

يقول - رَحِمَهُ اللهُ -:

١٥٦٥- قُلْنَا لَكُمْ: فَتَعَلَّمُوا، قُلْتُمْ: أَمَا نَحْنُ الْأَيُّمَةُ فَاصِلُوا الْأَزْمَانَ

يعني: دعوناهم للعلم، ولكنهم استكبروا، وقالوا: إنا نحن الأئمة فضلا عن العلماء.

١٥٦٦- مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ فَاسْتَحُوا أَيْنَ النُّجُومِ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!

قال ابن القيم: «مِنْ أَيْنَ وَالْعُلَمَاءُ أَنْتُمْ؟» يعني: أين أنتم من العلماء؟! فكيف تدعون أنكم أئمة؟

قوله: «أَيْنَ النُّجُومِ مِنَ الثَّرَى التَّحْتَانِي؟!» والنجوم من الثرى التحتاني بعيد بعضها من بعض.

١٥٦٧- لَمْ يُشْبِهِ الْعُلَمَاءَ إِلَّا أَنْتُمْ أَشْبَهْتُمُ الْعُلَمَاءَ فِي الْأَذْقَانِ

يعني: أنتم تُشبهون العلماء في اللحي فقط، لحيه وهيكلي عالم، ولكن لستم علماء، ولا شك أن هذا من باب التهكم بهم.

١٥٦٨- وَاللَّهُ لَا عِلْمَ وَلَا دِينَ وَلَا عَقْلَ وَلَا بِمُرُوءَةِ الْإِنْسَانِ

انتفت عنهم كل هذه الأربعة: العلم، والدين، والعقل، والمروءة.

١٥٦٩- عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوَكُمْ لِلْحَقِّ بَلِّ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

قوله: «عَامَلْتُمُ الْعُلَمَاءَ حِينَ دَعَوَكُمْ لِلْحَقِّ» هل عاملتموهم بالحسنى؟ الجواب: لا، ولهذا قال: «بَلِّ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ».

١٥٧٠- إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الدُّبَابُ إِذَا رَأَى طُعْمًا فَيَا مِسَاقِطِ الدُّبَابِ
يعني: أنتم مثل الدُّبَابِ، إذا رأى طعامًا: حلاوةً، أو لحمًا وجدته يتساقطُ،
ولكن إذا نفخت عليه نفخةً واحدةً يطيرُ، أو حَرَّكَتْ أدنى شَيْءٍ من الخُوصِ
هَرَبَ، ولهذا قال:

١٥٧١- وَإِذَا رَأَى فَرَعًا تَطَايَرَ قَلْبُهُ مِثْلَ البُعَاثِ يُسَاقُ بِالعُقْبَانِ
قَوْلُهُ: «البُعَاثِ» طَائِرٌ معروفٌ لكنّه جبانٌ.

قَوْلُهُ: «العُقْبَانِ» بالكسر، وهي جمع (عُقَاب) والعُقَابُ طَائِرٌ معروفٌ.
فالبُعَاثُ إذا رأى العُقَابَ طار قلبه، وهرب، ثُمَّ يَأْتِي العُقَابُ وراءه، يضربه
ضربةً بمنقاره وإذا هو بالأرض، فيشبههم أيضًا بأنهم مثل البُعَاثِ يسوقه
العُقَابُ.

١٥٧٢- وَإِذَا دَعَوْنَاكُمْ إِلَى البُرْهَانِ كَمَا نَ جَوَابِكُمْ جَهْلًا بِلَا بُرْهَانِ
١٥٧٣- نَحْنُ الْمُقَلِّدَةُ الأَلَى أَلْفُوا كَذَا أَبَاءَهُمْ فِي سَالِفِ الأَزْمَانِ

يعني: نحن مقلِّدَةٌ، نُقَلِّدُ فُلَانًا وَفُلَانًا كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَى
أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى ءَاثَرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

١٥٧٤- قُلْنَا: فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَمَا لَكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانٍ!؟

يعني: ما دُئِمْتُمْ مُقَلِّدَةٌ، فليس عندكم علمٌ، كيف تكفروننا وأنتم لا تعرفون
التكفيرَ ولا الإيَّانَ!؟ هذا عدوانٌ وليس حقًا، ولهذا قال: (فَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَمَا
لَكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرٍ وَلَا إِيمَانٍ!؟).

١٥٧٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ الْمُقْلَدَ لِلنَّاسِ كَالْأَعْمَى هُمَا أَخَوَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ» هَذَا تَعْلِيلٌ لِقَوْلِهِ: «وَمَا لَكُمْ عِلْمٌ بِتَكْفِيرِ وَلَا إِيمَانٍ».

يقول: إِنَّ الْعُلَمَاءَ أَجْمَعُوا بِأَنَّ الْمُقْلَدَ كَالْأَعْمَى، لَا يَهْتَدِي لِلطَّرِيقِ، وَإِنَّمَا يُقَادُّ، فَهِيَ أَخَوَانٍ.

يقول بعض الشعراء^(١):

لَا فَرْقَ بَيْنَ مُقْلَدٍ وَبَهِيمَةٍ تَنْقَادُ بَيْنَ جَنَادِلٍ وَدَعَايِرٍ

لا فرق بين المقلد والبهيمة، فالبهيمة إذا وضعت الرسن فيها، وجررتها مع الدعاير^(٢) والجنادل، تقطع رجليها وهي لا تدري، فالمقلد كذلك.

وقد أجمع العلماء على أَنَّ الْمُقْلَدَ لَا يُعَدُّ مِنَ الْعُلَمَاءِ، ذَكَرَ هَذَا ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَغَيْرُهُ^(٣)، قَالَ: «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُقْلَدَ لَيْسَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يُجُوزُ أَنْ يُسْتَفْتَى، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ»، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَتَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ [النحل: ٤٣] لَكِنْ عِنْدَ الضَّرُورَةِ إِذَا لَمْ يَوْجَدْ عَالِمٌ مُجْتَهِدٌ يَأْخُذُ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فَتَسَأَلُ الْمُقْلَدَ.

ثُمَّ بَيَّنَّ الْعِلْمَ الْحَقِيقِيَّ فَقَالَ:

١٥٧٦- وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةٌ أَلْهَدَى بِدَلِيلِهِ مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ

(١) البيت لأبي عمر بن عبد البر، في جامع بيان العلم وفضله (٢/١١٥).

(٢) الدعاير، والدعاير: جمع (الدعور)، بالضّم، وهو حَوْضٌ لَمْ يُتَنَوَّقَ فِي صَنْعَتِهِ، وَلَمْ يُوسَّعْ، أَوْ هُوَ الْمُتَهَدَّمُ الْمُتَسَلِّمُ، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١١/٢٩٧).

(٣) انظر: جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣٣).

قَوْلُهُ: «وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهَدَى بِدَلِيلِهِ» هذا العلم، أن تعرف الهدى -يعني: الحق- بالدليل، وإلا فلست بعالمٍ.

١٥٧٧- حِرْنَا بِكُمْ وَاللَّهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْ—عُلَمَاءِ تَنْقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «حِرْنَا بِكُمْ» يعني: أنتم حيرتمونا، ما ندرى ما أنتم؟!!

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَا أَنْتُمْ مَعَ الْعُلَمَاءِ تَنْقَادُونَ لِلْبُرْهَانِ»، لأن العالم حقيقة هو الذي ينقاد إلى الحق أين وجدّه.

١٥٧٨- كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ فَمَنْ تُرَى تُدْعُونَ؟ نَحْسَبُكُمْ مِنَ الثَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا مُتَعَلِّمُونَ» أي: لا علماء ولا متعلمون.

قَوْلُهُ: «فَمَا تُرَى تُدْعُونَ» يعني: ماذا نسئلكم؟

قَالَ: «نَحْسَبُكُمْ مِنَ الثَّيْرَانِ» وهذا أحسن وصف لكم، أن نقول: أنتم ثيرانٌ.

ثُمَّ قَالَ:

١٥٧٩- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ أَنْفَعُ مِنْكُمْ لِأَرْضٍ فِي حَرْثٍ وَفِي دَوْرَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهَا» يعني: الثيران.

قَوْلُهُ: «دَوْرَانِ» الدوران: كانوا يدرسون الحبّ بالبقرة، يضعون خشبة قائمةً في وسط السَّنْبُلِ، ثُمَّ يربطون بها البقرة، ثُمَّ يسوقون البقرة فتدور على هذه الخشبة، فتدورُ السَّنْبُلَ حَتَّى يَكُونَ حَبًّا، فيقول: هي أحسن منكم في الحرث وفي الدوران.

١٥٨٠- نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا وَنَالَتْ مِنْكُمْ أَلْ مَعَهُودَ مِنْ بَغْيٍ وَمِنْ عُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «نَالَتْ بِهِمْ خَيْرًا» يَعْنِي: الْأَرْضَ.

١٥٨١- فَمَنْ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى أَنْتُمْ أَمْ الشَّيْرَانُ بِالْبُرْهَانِ؟

قَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي خَيْرٌ وَأَنْفَعُ لِلْوَرَى؟» الْجَوَابُ: الشَّيْرَانُ.

فصل

- ١٥٨٢- هَذَا وَثَامِنَ عَشْرَهَا: تَنْزِيهُهُ
 سُبْحَانَهُ عَنِ مُوجِبِ التَّقْصَانِ
- ١٥٨٣- وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمْثِيلِ وَالذُّ
 تَشْبِيهِهِ، جَلَّ اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ!
- ١٥٨٤- وَلِذَاكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ
 عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانِي
- ١٥٨٥- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى
 سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ!
- ١٥٨٦- أَوْ أَنْ يُوَالِيَ خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ
 مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذَلَّةٍ وَهَوَانِ
- ١٥٨٧- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ
 إِلَّا بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
- ١٥٨٨- وَكَذَاكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ وَالِدٍ
 وَكَذَاكَ عَنِ وَلَدٍ هُمَا نَسَبَانِ
- ١٥٨٩- وَكَذَاكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَةٍ
 وَكَذَاكَ عَنِ كُفٍّ يَكُونُ مَدَانِي
- ١٥٩٠- وَلَقَدْ أَتَى التَّنْزِيهَ عَمَّا لَمْ يَقُمْ
 كَيْ لَا يَدُورَ بِخَاطِرِ الْإِنْسَانِ
- ١٥٩١- فَانظُرْ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طُعْمٍ وَلَمْ
 يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ
- ١٥٩٢- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ مَوْتٍ وَعَنِ
 نَوْمٍ وَعَنِ سِنَةٍ وَعَنِ غَشْيَانِ
- ١٥٩٣- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ نَسْيَانِهِ
 وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نَسْيَانِ
- ١٥٩٤- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ ظُلْمٍ وَفِي الْ-
 أَعْمَالِ عَنِ عَبَثٍ وَعَنِ بَطْلَانِ
- ١٥٩٥- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهَ عَنِ تَعَبٍ وَعَنِ
 عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ

- ١٥٩٦- وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلًا قَالَهُ
 ١٥٩٧- إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْدُ
 ١٥٩٨- وَكَذَلِكَ أَضْحَى رَبَّنَا مُسْتَقْرِضًا
 ١٥٩٩- وَحَكَى مَقَالََةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ
 ١٦٠٠- هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالََةُ
 ١٦٠١- لَكِنْ مَقَالََةُ كَوْنِهِ فَوْقَ الْوَرَى
 ١٦٠٢- قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَعَرْبَهَا
 ١٦٠٣- فَيَلَايَ شَيْءٌ لَمْ يُنَزَّهُ نَفْسَهُ
 ١٦٠٤- عَنْ ذِي الْمَقَالََةِ مَعَ تَفَاقُمِ أَمْرِهَا
 ١٦٠٥- بَلْ دَائِمًا يُبْدِي لَنَا إِبْتَاتَهَا
 ١٦٠٦- لَا سِيَّامًا تِلْكَ الْمَقَالََةُ عِنْدَكُمْ
 ١٦٠٧- أَوْ أَنْتَهَا كَمَقَالََةِ لِمُثَلِّثٍ
 ١٦٠٨- إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا
 ١٦٠٩- فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
 ١٦١٠- لَكِنَّهُمْ عُبَادُ أَوْثَانٍ لَدَى
 ١٦١١- وَلِذَلِكَ قَدْ جَعَلَ الْمُعْطَلُ كُفْرَهُمْ
 فَنَحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكَفْرَانِ
 حَابُ الْغِنَى ذُو الْوَجْدِ وَالْإِمْكَانِ
 أَمْوَالَنَا، سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ!
 أَنَّ الْعُزَيْرَ ابْنَ مَنْ الرَّحْمَنِ
 مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانِ
 وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
 وَعَدَتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الْأَذْهَانِ
 سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ!
 وَيُعِيدُهُ بِأَدِلَّةِ التَّبَيَّانِ
 مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ
 عَبْدَ الصَّلِيبِ الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِيِّ
 لَيْسَ الْإِلَهَ مُنَزَّلُ الْفُرْقَانِ
 بِالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدِّيَانِ
 هَذَا الْمُعْطَلُ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ
 هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

- ١٦١٢- هَذَا رَأَيْنَاهُ بِكُتُبِكُمْ وَلَمْ
نَحْدُبْ عَلَيْكُمْ فَعَلَ ذِي الْبُهْتَانِ
١٦١٣- وَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُحْدَرْ خَلْقُهُ
عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بَيِّنَانِ
١٦١٤- هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّنٍ
حَتَّى يُجَالَ لَنَا عَلَى الْأَذْهَانِ
١٦١٥- وَلِذَلِكَ قَدْ شَهِدَتْ أَفَاضِلُكُمْ لَهَا
بِظُهُورِهَا لِلْوَهْمِ فِي الْإِنْسَانِ
١٦١٦- وَخَفَاءٍ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيٍ عَلَى الْ-
أَذْهَانِ بَلْ تَحْتَاجُ لِلذُّبْرِ هَانِ

الشرح

في هذا الفصل الدليل الثامن عشر في الدلالة على علو الله عز وجل، ووجه ذلك باختصار: أن الله - سبحانه وتعالى - نزه نفسه عن كل نقص وعيب، وذكر المؤلف على هذا أمثلة.

والعلو عند هؤلاء القوم نقص وعيب، فلماذا لم ينزه نفسه عنه في آية واحدة من القرآن؟ مع أن الأشياء التي نزه الله نفسه عنها انقسمت إلى ثلاثة أقسام: قسم لم يقل به أحد، وقسم قال به أفراد، وقسم قال به طوائف.

وكُلُّها نفاها الله عن نفسه، لكن علو الله الذي قال كل الخلق، ولم ينزه نفسه عنه مرة واحدة، فدل هذا على أن العلو صفة كمال لا صفة نقص، وإلا لو كان صفة نقص - كما يزعم هؤلاء - لبيته الله عز وجل ونفاه عن نفسه.

وهذا استدلال خفي يخفى على كثير من الناس.

كيف نقول: إن نفي النقائص عن الله يدل على ثبوت علوه؟

والجواب: وجهه لو كان العلو نقصاً كما ذكرتم لنزه الله نفسه عنه.

يقول - رَحِمَهُ اللهُ -:

١٥٨٢- هَذَا وَثَامِنَ عَشْرَهَا: تَنْزِيهُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ مُوجِبِ النُّقْصَانِ

فهو مُنَزَّهٌ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يُوجِبُ النُّقْصَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [ق:٣٨] وهذه تحتاج إلى قدرة وقوة ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق:٣٨]، وهذا نفي للنقص.

١٥٨٣- وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ التَّمَثِيلِ وَالذِّ تَشْبِيهِهِ، جَلَّ اللهُ ذُو السُّلْطَانِ!

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْعُيُوبِ» قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- في الدَّجَالِ: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(١)، وَالْعَوْرُ عَيْبٌ.

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْعُيُوبِ وَمُوجِبِ وَالتَّشْبِيهِ» قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، والمراد بالتشبيه هنا التمثيل لا مطلق التشبيه؛ كما مرَّ بنا كثيراً.

١٥٨٤- وَلِذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنِ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ ثَانِي

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلِداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١].

١٥٨٥- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي هُبْتَانِ!

قَوْلُهُ: «أَوْ أَنْ يَكُونَ لَهُ ظَهِيرٌ فِي الْوَرَى» قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنَّ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ:٢٢]، أَي: مِنْ مُعِينٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كيف يعرض الإسلام على الصبي، رقم (٣٠٥٧)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٢٩٣٣).

١٥٨٦- أَوْ أَنْ يُوَالِيَ خَلْقَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ حَاجَةٍ أَوْ ذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

يعني: أنه ليس له وليٌّ من الدُّلِّ، كما قَالَ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الدُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]، أما وليٌّ من العزِّ والإكرامِ فله أولياء، قَالَ تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢].

١٥٨٧- أَوْ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَصْلًا شَافِعٌ إِلَّا بِإِذْنِ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وذلك لكمال سلطانه -جلَّ وعلا-، فلا أحدٌ يتكلمُ، ولا بالشفاعة التي فيها نفعٌ للغير، إِلَّا بِإِذْنِهِ.

١٥٨٨- وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ وَالِدٍ وَكَذَلِكَ عَنِ وَلَدٍ هُمَا نَسَبَانِ

قَالَ اللهُ تعالى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِدْ﴾ [الإخلاص: ٣].

١٥٨٩- وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَةٍ وَكَذَلِكَ عَنِ كُفٍّ يَكُونُ مُدَانِي

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنِ زَوْجَةٍ» كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [الأنعام: ١٠١].

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ عَنِ كُفٍّ» كما قَالَ اللهُ تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

[الإخلاص: ٤].

١٥٩٠- وَلَقَدْ أَتَى التَّنْزِيَهُ عَمَّا لَمْ يَقُمْ كَي لَا يَدُورَ بِخَاطِرِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ يَقُلْ» في نسخة (لَمْ يَقُمْ)، والصواب: (لَمْ يَقُلْ) باللام.

يعني: أتى التَّنْزِيَهُ عن شَيْءٍ لَمْ يَقُلْ، يَعْنِي: لَمْ يَقُلْ بِهِ أَحَدٌ.

مثل ماذا؟ قال:

١٥٩١- فَأَنْظُرُ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طُعْمٍ وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ
قَوْلُهُ: «فَأَنْظُرُ إِلَى التَّنْزِيهِ عَنِ طُعْمٍ» قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾
[الأنعام: ١٤].

قَوْلُهُ: «وَلَمْ يَنْسُبْ إِلَيْهِ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ» يَعْنِي: لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ
يَأْكُلُ، وَمَعَ هَذَا قَالَ: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].
وهذا هو القسم الأول الذي ذكرنا قبل قليل.

١٥٩٢- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ مَوْتٍ وَعَنْ نَوْمٍ وَعَنْ سِنَةٍ وَعَنْ غَشْيَانٍ
كُلُّ هَذَا مُنَزَّهٌ عَنْهُ عَزَّ وَجَلَّ.

١٥٩٣- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ نِسْيَانِهِ وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانٍ
قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ نِسْيَانِهِ» قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾
[طه: ٥٢].

قَوْلُهُ: «وَالرَّبُّ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى نِسْيَانٍ» يَعْنِي: لَا أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ قَالَ: إِنَّهُ
يَنسَى، وَمَعَ ذَلِكَ نَزَّهَ نَفْسَهُ عَنْهُ.

١٥٩٤- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ ظُلْمٍ وَفِي الْ- أَفْعَالِ عَنِ عَبَثٍ وَعَنْ بُطْلَانٍ
قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ التَّنْزِيَهُ عَنِ ظُلْمٍ» قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَطْلُبُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾
[الكهف: ٤٩].

قَوْلُهُ: «وَفِي الْأَفْعَالِ عَنِ عَبَثٍ، وَعَنْ بُطْلَانٍ» قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ﴿ [ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾ [الدخان: ٣٨].

١٥٩٥- وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهِ عَنْ تَعَبٍ وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: « وَكَذَلِكَ التَّنْزِيهِ عَنْ تَعَبٍ » قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨].
قَوْلُهُ: « وَعَنْ عَجْزٍ يُنَافِي قُدْرَةَ الرَّحْمَنِ » قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [فاطر: ٤٤].

إِذَنْ نَفَى اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنْ نَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ مَا قِيلَ وَمَا لَمْ يُقَلَّ.
إِذَنْ هَذَا قِسْمَانِ:

قِسْمٌ قِيلَ، فَنَفَاهُ اللَّهُ، مِثْلُ: الْوَلَدِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٠]، فَنَفَاهُ اللَّهُ.

قِسْمٌ لَمْ يُقَلَّ، مِثْلُ: الطَّعْمِ، وَالْمَوْتِ، وَالظُّلْمِ، وَالنِّسْيَانِ وَمَا أَشْبَهَهَا، وَهَذَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ.

وَقِسْمٌ قِيلَ، لَكِنْ قَالَه أَفْرَادٌ، قَالَ:

١٥٩٦- وَلَقَدْ حَكَى الرَّحْمَنُ قَوْلًا قَالَهُ فِنْحَاصُ ذُو الْبُهْتَانِ وَالْكَفْرَانِ قَوْلُهُ: « فِنْحَاصٌ » فِنْحَاصُ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ:

١٥٩٧- إِنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْفَقِيرُ وَنَحْنُ أَصْحَابُ الْغِنَى ذُو الْوَجْدِ وَالْإِمْكَانِ قَوْلُهُ: « ذُو الْوَجْدِ » أَوْ (ذُو الْجِدِّ)، (الْجِدُّ) يَعْنِي: الْحِظُّ، وَ(الْوَجْدُ) يَعْنِي: الْكَثْرَةَ وَالْغِنَى.

وهذا في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١].

١٥٩٨- وَكَذَلِكَ أَضْحَى رَبَّنَا مُسْتَقْرَضًا أَمْوَالَنَا، سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ!

قالوا: إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ، لِأَنَّهُ طَلَبَ مِنَّا الْقَرْضَ، فقال: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] فهو فقيرٌ، ونحن الأغنياء، فهذا قيل، لكن الذي قاله أفرادٌ.

ثُمَّ قَالَ الْمَوْلَفُ:

١٥٩٩- وَحَكَى مَقَالََةَ قَائِلٍ مِنْ قَوْمِهِ أَنَّ الْعُزَيْرَ ابْنَ مَنِ الرَّحْمَنِ وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْيَهُودُ.

١٦٠٠- هَذَا وَمَا الْقَوْلَانِ قَطُّ مَقَالََةُ مَنْصُورَةٌ فِي مَوْضِعٍ وَزَمَانٍ يعني: أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَمْ يَتَّبِعْهُ أَحَدٌ، مَا قَالَهُ إِلَّا أَفْرَادٌ مِنَ النَّاسِ، وَالْعُلُوُّ قَالَهُ كُلُّ النَّاسِ، فَكُلُّ الْفِطْرِ تَشْهَدُ بِهِ، فَهُوَ قَوْلٌ مَنْصُورٌ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَهَذَا قَالَ:

١٦٠١- لَكِنَّ مَقَالََةَ كَوْنِهِ فَوْقَ الْوَرَى وَالْعَرْشِ وَهُوَ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ

١٦٠٢- قَدْ طَبَّقَتْ شَرْقَ الْبِلَادِ وَغَرْبَهَا وَغَدَتْ مُقَرَّرَةً لِذِي الْأَذْهَانِ

١٦٠٣- فَيَلَايِي شَيْءٍ لَمْ يُنَزَّهُ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ فِي مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

١٦٠٤- عَن ذِي الْمَقَالََةِ مَعَ تَفَاقُمِ أَمْرِهَا وَظُهُورِهَا فِي سَائِرِ الْأَدْيَانِ؟!

فصَارَ تَقْرِيرُ هَذَا الدَّلِيلِ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ الْعُلُوَّ الذَّاتِيَّ عِنْدَكُمْ صِفَةٌ نَقْصِيَّةٌ، وَإِذَا كَانَ صِفَةٌ نَقْصِيَّةٌ مَعَ ظُهُورِهِ وَاتِّشَارِهِ، وَأَنَّهُ طَبَّقَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَغَرْبًا، فَلِمَاذَا لَمْ يُنَزَّهُ اللَّهُ نَفْسَهُ عَنْهُ مَعَ أَنَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُنَزَّهُ نَفْسَهُ عَنِ الْعَيْبِ الَّذِي قِيلَ،

والعيب الذي قالته طوائف، والعيب الذي لم يقله إلا أفراد، فكلها نزه الله نفسه عنها، فلماذا لم يُنزه نفسه عن العلو؟!

١٦٠٥- بَلْ دَائِمًا يُبَدِي لَنَا إِثْبَاتَهَا وَيُعِيدُهُ بِأَدِلَّةِ التَّبَيُّانِ

يُبدِي لَنَا إِثْبَاتَ الْعُلُوِّ، وَيُعِيدُهُ عَلَى وَجْهِ مَتْنَوْعَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَقَالَ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧].

وَالْأَدِلَّةُ مَتْنَوْعَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، كَيْفَ يُبَدِي وَيُعِيدُ فِي إِثْبَاتِ هَذِهِ الصِّفَةِ وَهِيَ -عَلَى زَعْمِكُمْ- نَقْصٌ، مَعَ أَنَّ صِفَاتِ النِّقْصِ يَنْفِيهَا عَنِ نَفْسِهِ حَتَّى التِّي لَمْ تُقَلِّ، خَوْفًا مِمَّنْ أَنْ تَدُورَ فِي الذَّهْنِ؟

١٦٠٦- لَا سِيَّيَا تِلْكَ الْمَقَالَةَ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

يَقُولُونَ: إِنَّ الَّذِي يُقَرُّ بَعْلُوَ اللَّهِ يَعْبُدُ الْوَثْنَ، لِأَنَّ الْإِقْرَارَ بِالْعُلُوِّ التَّزَامٌ بِأَنَّ اللَّهَ جِسْمٌ، فَأَنْتَ تَعْبُدُ جِسْمًا كَالَّذِي يَعْبُدُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى، فَالَّذِي يُقَرُّ بِالْعُلُوِّ مُشْرِكٌ -نَعُودُ بِاللَّهِ-، لِأَنَّهُ عَبَدَ جِسْمًا، وَهَذَا قَالَ: «لَا سِيَّيَا تِلْكَ الْمَقَالَةَ عِنْدَكُمْ مَقْرُونَةٌ...» يَعْنِي: لَا سِيَّيَا وَأَنَّ تِلْكَ الْمَقَالَةَ مَقْرُونَةٌ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ.

١٦٠٧- أَوْ أَنَّهَُا كَمَقَالَةٍ لِمُثَلَّثٍ عَبْدَ الصَّلِيبِ الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِي

قَوْلُهُ: «أَوْ أَنَّهَُا كَمَقَالَةٍ لِمُثَلَّثٍ عَبْدَ الصَّلِيبِ»، وَيَجُوزُ (عَبْدَ الصَّلِيبِ). مِنْ هُوَ؟ قَالَ: (الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِي).

المُشْرِكُ النَّصْرَانِيُّ - وَعَلَى النَّصَارَى لَعْنَةُ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ
ثَلَاثٌ ثَلَاثِيَّةٌ، وَيَقُولُ: إِنَّهُ مُوَحَّدٌ، لِأَنَّ الثَّلَاثَةَ صَارُوا وَاحِدًا.

سُبْحَانَ اللَّهِ! مَنْ قَالَ: إِنَّ الثَّلَاثَةَ يَكُونُونَ وَاحِدًا؟! لَا يُمْكِنُ هَذَا، لَكِنْ
لِجَهْلِهِمْ، لِأَنَّهُمْ ضَالُّونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

١٦٠٨ - إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا لَيْسَ الْإِلَهِ مُنَزَّلُ الْفُرْقَانِ

١٦٠٩ - فَالْعَابِدُونَ لِمَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِالذَّاتِ لَيْسُوا عَابِدِي الدِّيَانِ

١٦١٠ - لِكِنَّهُمْ عَبَادُ أَوْثَانٍ لَدَى هَذَا الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ جِسْمًا كُلُّ مَوْصُوفٍ بِهَا» أَي: بِالْعُلُوِّ.

يعني: أَنَّ كُلَّ مَوْصُوفٍ بِالْعُلُوِّ فَهُوَ جِسْمٌ عَلَى زَعْمِهِمْ، فَإِذَا كَانَ جِسْمًا
فَالَّذِي يَعْبُدُ هَذَا الْجِسْمَ كَالَّذِي يَعْبُدُ الْوَثْنَ.

١٦١١ - وَلِذَلِكَ قَدْ جَعَلَ الْمُعْطَلُ كُفْرَهُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ، يَعْنِي: الْمُعْطَلُ الَّذِي يُنْكِرُ عُلُوَّ اللَّهِ يَقُولُ: إِنَّ كُفْرَ الْمُفْرِّينَ بَعْلُوهُ
«هُوَ مُقْتَضَى الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ»، يَعْنِي: دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ وَالْبُرْهَانُ.

١٦١٢ - هَذَا رَأْيُنَاهُ بِكُتُبِكُمْ وَلَمْ نَكْذِبْ عَلَيْكُمْ فِعْلَ ذِي الْبُهْتَانِ

١٦١٣ - وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يُحْدَرْ خَلْقُهُ عَنْهَا وَهَذَا شَأْنُهَا بَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يُحْدَرْ خَلْقُهُ عَنْهَا» أَي: عَنْ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَهِيَ مَقَالَةُ الْعُلُوِّ.

قَوْلُهُ: «ذَا شَأْنُهَا بَيَانِ» يَعْنِي: أَنَّ شَأْنَهَا - عَلَى زَعْمِكُمْ - خَطِيرٌ جَدًّا، لِأَنَّهَا

هِيَ الْكُفْرُ.

١٦١٤- هَذَا وَلَيْسَ فَسَادُهَا بِمُبَيَّنٍ حَتَّى يُجَالَ لَنَا عَلَى الْأَذْهَانِ

يعني: أن الله تعالى لم يبين فسادها - على زعمهم -، بل أحالها على الأذهان، وجعلها هي التي تحكم على أنها صفةٌ نقصٍ أو صفةٌ مدح.

١٦١٥- وَلِذَاكَ قَدْ شَهِدْتَ أَفْضَلُكُمْ لَهَا بِظُهُورِهَا لِلْوَهْمِ فِي الْإِنْسَانِ

١٦١٦- وَخَفَاءِ مَا قَالُوهُ مِنْ نَفْيِ عَلَى الْ- أَذْهَانِ بَلْ تَحْتَاجُ لِلْبُرْهَانِ

يعني: أن أفاضل هؤلاء قالوا: إن دلالة الأدلة على العلو أظهر، وأبين من الأدلة على عدم العلو، بل نحن نقول: لا أدلة، بل ولا دليل واحد على نفي صفة العلو.

فصل

- ١٦١٧- هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرِهَا: إِلْزَامُ ذِي التَّعْطِيلِ أَفْسَادُ لَازِمٍ بَيَّانٍ لِفَسَادِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ
- ١٦١٨- وَفَسَادُ لَازِمٍ قَوْلِهِ هُوَ مُفْتَضٍ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ
- ١٦١٩- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ
- ١٦٢٠- مَاذَا تَقُولُ: أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ أَمْ لَا؟ وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا
- ١٦٢١- أَمْ لَا؟ وَهَلْ حَارَزَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا؟ كَلَّ النَّصِيحَةَ لَيْسَ بِالْحَوَانِ فَالْلَفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ؟
- ١٦٢٢- فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَمَا فَلَإَيِّ شَيْءٍ عَاشَ فِينَا كَاتِمًا مِلَّةً مُبْرَأَةً مِنَ النُّقْصَانِ
- ١٦٢٣- بَلْ مُفْصِحًا بِالضِّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةَ الْإِنْفِصَاحِ مُوضِحَةً بِكُلِّ بَيَّانٍ؟
- ١٦٢٤- وَلِأَيِّ شَيْءٍ لَمْ يُصْرِّحْ بِالَّذِي صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ؟ فِي النَّصْحِ أَمْ لِحَفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟
- ١٦٢٥- أَلِعَجَزَهُ عَنْ ذَلِكَ أَمْ تَقْصِيرَهُ تَعْطِيلِ لَا الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ حَاشَاءُ، بَلْ ذَا وَضْفُكُمْ يَا أُمَّةَ التَّوْحِيدِ فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانٍ؟
- ١٦٢٦- تَوَلَّى وَيُنْزِلُ أَمْرَهُ وَفُلَانٍ؟ أَتْرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنْ قَوْلِهِ اسْمُ

- ١٦٣١- وَيَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ يَعْنِي: «مَنْ» بِلَفْظِ
ظِ الِ «أَيْنَ» هَلْ هَذَا مِنَ التَّبَيُّانِ؟
- ١٦٣٢- وَاللَّهُ مَا قَالَ الْأَيْمَّةُ كُلَّ مَا
قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانٍ
- ١٦٣٣- لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ
صَاقَتْ بِحَمَلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ
- ١٦٣٤- وَغَدَتْ بِصَائِرِهِمْ كَخَفَاشٍ أَتَى
ضَوْءُ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيْرَانِ
- ١٦٣٥- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظِلَامُهُ
أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ
- ١٦٣٦- وَكَذَا عُقُولُكُمْ لَوْ اسْتَشَعَرْتُمْ
يَا قَوْمِ كَالْحَشَرَاتِ وَالْفَيْرَانِ
- ١٦٣٧- أَنْسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا
بِمَطَالِعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ
- ١٦٣٨- لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعْطَلٌ
لِعُلُوِّهِ وَصِيفَاتِهِ الرَّحْمَنِ
- ١٦٣٩- لَزِمْتَكُمْ شُنْعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَوُوا
أَوْ خَلَّةٌ مِنْهُنَّ أَوْ ثِنْتَانِ
- ١٦٤٠- تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نَصْحِهِمْ
أَوْ فِي الْبَيِّنِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ؟!
- ١٦٤١- إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ
ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
- ١٦٤٢- إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا
ضِدَّانِ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ
- ١٦٤٣- بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا
وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانِ
- ١٦٤٤- إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعْدٍ أَوْ عَلَى النَّدِ
نَظَامِ أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ
- ١٦٤٥- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعٌ لَهُمْ فَفَعُ الْفَلَا
صُمٌّْ وَبُكْمٌ تَابِعُو الْعُمَيَّانِ
- ١٦٤٦- وَكَذَلِكَ أَفْرَاحُ الْقَرَامِطَةِ الْأُلَى
قَدْ جَاهَرُوا بِعِدَاوَةِ الرَّحْمَنِ

- ١٦٤٧- كَالْحَاكِمِيَّةِ وَالْأَلَى وَالْوَهُمُ
 ١٦٤٨- وَكَذَا ابْنُ سِينَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرٌ أَهْدُ
 ١٦٤٩- وَكَذَلِكَ أَفْرَاحُ الْمَجُوسِ وَشِبْهُهُمْ
 ١٦٥٠- إِخْوَانُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَجُنْدُهُ
 ١٦٥١- أَفَمَنْ حَوَّالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالْ-
 ١٦٥٢- كُمُحَيَّرٍ أَضَحَتْ حَوَّالَتُهُ عَلَى
 ١٦٥٣- أَمْ كَيْفَ يَشْمُرُ تَائِهَةً بِمُصَاصِيهِ؟
 ١٦٥٤- قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ
 ١٦٥٥- وَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التُّ-
 ١٦٥٦- فَاسْأَلْهُ فَتَنَحِ الْقُفْلَ مُجْتَهِدًا عَلَى الْ-
- كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلَ سَنَانِ
 لِي الشَّرِّكَ وَالتَّكْذِيبِ وَالكُفْرَانَ
 وَالصَّابِئِينَ وَكُلِّ ذِي بُهْتَانِ
 لَا مَرَجَبًا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
 وَوَحْيِ الْمُبِينِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 أَمْثَالِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟
 وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ
 قُفْلُ التَّعَصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ؟
 تَضْرِيفُ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
 أَسْنَانِ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ

الشرح

- ١٦١٧- هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرَهَا: إِلْزَامُ ذِي التَّ-
 قَوْلُهُ: «هَذَا وَتَاسِعَ عَشْرَهَا»، وَيَجُوزُ «وَتَاسِعَ عَشْرَهَا»، وَيَجُوزُ «وَتَاسِعُ
 عَشْرَهَا».

قَوْلُهُ: «إِلْزَامُ ذِي التَّعْطِيلِ أَفْسَدُ لَازِمٌ بَيَّانٌ» يَعْنِي أَنْ: يُجَاجَّ صَاحِبُ التَّعْطِيلِ
 الَّذِي أَنْكَرَ عُلُوَّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِالْإِلْزَامِ.

١٦١٨- وَفَسَادٌ لَّازِمٌ قَوْلِهِ هُوَ مُقْتَضِي لِفَسَادِ ذَلِكَ الْقَوْلِ بِالْبُرْهَانِ

فسادُ اللازم يدلُّ على فسادِ الملزوم، وهذه قاعدةٌ مفيدةٌ؛ لأنَّ القاعدةَ المقرَّرةَ عند جميع العقلاء أنَّ فسادَ اللازمِ مقتضى لفسادِ الملزوم؛ ولهذا نقولُ لكلِّ إنسانٍ: يلزمُ من قولك كذا، وهذا لازمٌ فاسدٌ، فيدلُّ على فسادِ قوله، وجه ذلك يقول:

١٦١٩- فَسَلِ الْمُعْطَلَّ عَنْ ثَلَاثِ مَسَائِلٍ تَقْضِي عَلَى التَّعْطِيلِ بِالْبُطْلَانِ

١٦٢٠- مَاذَا تَقُولُ: أَكَانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ هَذَا الرَّسُولُ حَقِيقَةَ الْعِرْفَانِ

١٦٢١- أَمْ لَا؟

اسأل هذا المعطلَّ، وقل: إنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- لَمَّا وصف ربَّه بالعلوِّ، هل كان يعرفُ ربَّه؟ الجواب: إمَّا أن يقول: نعم، أو يقول: لا.

إن قال: (لا)، يعني: إذا قال: الرسولُ لا يعرفُ ربَّه، فقد آذن على نفسه بالكفر، وإن قال: يعرفه، يقول:

١٦٢١- وَهَلْ كَانَتْ نَصِيحَتُهُ لَنَا كُلَّ النَّصِيحَةِ لَيْسَ بِالْخَوَّانِ

١٦٢٢- أَمْ لَا؟

اسأله مرة ثانية، وقل له: إذا كان يعرفُ ربَّه -سبحانه وتعالى- فهل كان ناصحًا لأُمَّته أو خائنًا؟ إن قال: خائنًا فقد كفر، وإن قال: ناصحًا، نقول:

١٦٢٢- وَهَلْ حَازَ الْبَلَاغَةَ كُلَّهَا؟ فَالْلَفْظُ وَالْمَعْنَى لَهُ طَوْعَانِ؟

يعني: أم لا؟ اسأله إذا قال: إنَّ الرسولَ -عليه الصلاة والسلام- ناصحٌ، قل له: هل كان فصيحًا أم عيبًا يعني: أنه يريد معنى لا يطاوعه فيه اللفظُ؟ اسأله؛

لأنَّ العَيْبِيَّ هُوَ الَّذِي يَرِيدُ الْمَعْنَى، لَكِنْ لَا يَطَاوِعُهُ اللَّفْظُ، دَائِمًا الْإِنْسَانُ يَكُونُ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ، لَكِنْ يَعْجُزُ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهُ، فَسَلُّهُ: هَلِ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فَصِيحٌ أَمْ لَا؟ مَا أَظْنُهُ يَقُولُ: إِنَّهُ عَيْبِيٌّ، سَيَقُولُ: إِنَّهُ فَصِيحٌ.

إِذْنُ اجْتَمَعَ فِي كَلَامِهِ: الْعِلْمُ، وَالنُّصْحُ، وَالْبَلَاغَةُ، وَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ إِذَا اجْتَمَعَتْ وَجِبَ الْعَمَلُ بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ.

١٦٢٣- فَإِذَا انْتَهَتْ هَذِي الثَّلَاثَةُ فِيهِ كَا مِلَّةً مُبْرَأَةً مِنَ النَّقْصَانِ

١٦٢٤- فَلِأَيِّ شَيْءٍ عَاشَ فِيْنَا كَاتِمًا لِلنَّفْسِي وَالتَّعْطِيلِ فِي الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا انْتَهَتْ» يَعْنِي: كَمَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ.

إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الثَّلَاثَةُ كُلُّهَا تَامَةً فِي حَقِّهِ أَعْنِي: الْعِلْمَ، وَالنُّصْحَ، وَالْبَيَانَ، فَلِمَاذَا يَكْتُمُ مَا كَانَ يَعْرِفُهُ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَلْ عَلَى الضَّدِّ مِنْ ذَلِكَ، كَانَ يُفْصِحُ بِخِلَافِهِ؛ وَهَذَا قَالَ:

١٦٢٥- بَلْ مُفْصِحًا بِالضَّدِّ مِنْهُ حَقِيقَةً أَلْ- إِفْصَاحٍ مُوَضَّحَةً بِكُلِّ بَيَانٍ؟

هَلِ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ لِلنَّاسِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ: إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ فَوْقَكُمْ؟ بَلْ كَانَ بِالْعَكْسِ؛ وَلِذَا قَالَ: (بِالضَّدِّ) يَعْنِي: يُفْصِحُ، وَبَيِّنُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ بِأَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ.

١٦٢٦- وَلَايِّ شَيْءٍ لَمْ يُصْرِّحْ بِالَّذِي صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ؟

قَوْلُهُ: «صَرَّحْتُمْ فِي رَبَّنَا الرَّحْمَنِ» مَا الَّذِي صَرَّحُوا بِهِ؟ الْجَوَابُ: نَفْيَ الْعُلُوِّ، وَمَا صَرَّحَ بِهِ يَوْمًا مِنَ الدَّهْرِ.

١٦٢٧- أَلْعَجَزِهِ عَنِ ذَاكَ أَمْ تَقْصِيرِهِ فِي النُّصْحِ أَمْ خِيفَاءِ هَذَا الشَّانِ؟

كُلُّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ مُتَتَفِيَةٌ، فَهُوَ لَيْسَ بِعَاجِزٍ عَنِ الْإِفْصَاحِ بِهِ؛ لِأَنَّهُ أَفْصَحُ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ مُقْصِّرًا فِي النُّصْحِ؛ لِأَنَّهُ أَنْصَحُ الْخَلْقِ، وَلَيْسَ خَافِيًا عَلَيْهِ هَذَا؛ لِأَنَّهُ أَعْلَمُ الْخَلْقِ.

١٦٢٨- حَاشَاهُ، بَلْ ذَا وَصْفِكُمْ يَا أُمَّةَ النَّبِيِّ تَعْطِيلٍ لَا الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «ذَا» الْمَشَارُ إِلَيْهِ يَعُودُ عَلَى هَذِهِ الْعُيُوبِ الثَّلَاثَةِ: الْعَجْزُ، أَوْ التَّقْصِيرُ، أَوْ الْخِيفَاءُ، لَكِنَّ الْغَالِبَ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ هُوَ التَّقْصِيرُ، وَعَدَمُ الْبَحْثِ وَالنَّظَرِ بِالْعَدْلِ.

قَوْلُهُ: «لَا الْمَبْعُوثِ» يَعْنِي: لَا وَصْفِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ.

١٦٢٩- وَلَايَ شَيْءٍ كَانَ يَذْكَرُ ضِدَّ ذَا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ زَمَانٍ؟

قَوْلُهُ: «ضِدَّ ذَا» أَي: ضِدَّ تَعْطِيلِ عُلُوِّهِ، فَكَانَ دَائِمًا يُفْصَحُ بِضِدِّهِ.

١٦٣٠- أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنِ قَوْلِهِ اسْتَوْلَى وَتَوَلَّى وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ وَفُلَانٍ؟

قَوْلُهُ: «أَتَرَاهُ أَصْبَحَ عَاجِزًا عَنِ قَوْلِهِ اسْتَوْلَى» أَي: بَدَل: (اسْتَوْلَى)، فَالَّذِي يَقُولُ: (اسْتَوْلَى) يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: (اسْتَوْلَى)، فَلَيْسَ عَاجِزًا عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «وَيَنْزِلُ أَمْرُهُ وَفُلَانٍ» وَهَذَا فِي تَحْرِيفِهِمْ لِحَدِيثِ النُّزُولِ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)، قَالُوا: إِنَّ الَّذِي يَنْزِلُ: أَمْرُ اللَّهِ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: الَّذِي يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: (فُلَانٍ).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، رَقْمٌ (١٠٩٤)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، رَقْمٌ (٧٥٨).

هل الرسول ﷺ لَمَّا قَالَ: يَنْزِلُ رَبُّنَا، هل هُوَ عاجزٌ عن أن يقول: (ينزل أمره)؟ أبدًا، ليس بعاجزٍ، هل هُوَ عاجزٌ أن يقول: (يَنْزِلُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَيَقُولُ؟) الجواب: لا، فلماذا لم يَقُلْ هذا؟ لماذا لم يقل: (أمره)؟ لماذا يأتي بكلمة مُوهِمَةٌ للكفر عَلَى زعمهم؟! هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ.

١٦٢١- وَيَقُولُ: أَيَّنَ اللَّهُ؟ يَعْنِي: «مَنْ» بِلَفْظِ «الْأَيْنِ» هَلْ هَذَا مِنَ التَّبْيَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: أَيَّنَ اللَّهُ؟» حَيْثُ قَالَ لِلجَارِيَةِ: «أَيَّنَ اللَّهُ؟»^(١)، «يَعْنِي: (مَنْ) بِلَفْظِ «الْأَيْنِ»» يَعْنِي: هُوَ يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ لِلجَارِيَةِ: مَنْ اللَّهُ؟ فَتَقُولُ: اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلًا، لَكِنْ قَوْلُهُ: أَيَّنَ اللَّهُ؟ يَرِيدُ مَنْ اللَّهُ؟

وسبحان الله! أيهما أسهل (مَنْ) أو (أَيْن)؟

الجَوَابُ: (مَنْ)؛ لأنها حرفان، (وأَيْن) ثلاثة حروف، (ومَنْ) أدلُّ عَلَى المقصودِ مِنَ (أَيْن) إِذَا كَانَ يَرِيدُ أَنْ يَسْأَلَ: مَنْ اللَّهُ.

١٦٢٢- وَاللَّهُ مَا قَالَ الْأَئِمَّةُ كُلُّ مَا قَدَّ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ مَا كِتْمَانِ

وصدق - رحمه الله -، يعني: الأئمة ما قالوا كُلُّ مَا قَالَ الرَّسُولُ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَخْفَاهُ كُلُّ مَا قَالَ الرَّسُولُ، وَيَا حَبْدًا (أمره) إِذَا كَانَ يَعْرِفُ أَكْثَرَ مَا قَالَ الرَّسُولُ، أَمَّا أَنْ يَعْرِفَ كُلُّ مَا قَالَ الرَّسُولُ، فَهَذَا شَيْءٌ بَعِيدٌ.

١٦٢٣- لَكِنْ لِأَنَّ عُقُولَ أَهْلِ زَمَانِهِمْ ضَاقَتْ بِحَمْلِ دَقَائِقِ الْإِيمَانِ

وهذا صحيحٌ، فالأئمة جُوبِهُوا بِمَبْتَدَعَةٍ مُعْطَلَةٍ مِثْلَةٍ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ، فَكَانُوا يُحَدِّثُونَ النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَهُ وَيُؤَافِقُ عَقُولَهُمْ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

١٦٣٤- وَغَدَتْ بَصَائِرُهُمْ كَخُفَّاشٍ أَتَى ضَوْءَ النَّهَارِ فَكَفَّ عَنْ طَيْرَانِ
 ١٦٣٥- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ أَبْصَرْتَهُ يَسْعَى بِكُلِّ مَكَانِ
 قَوْلُهُ: «وَعَدَّتْ بَصَائِرُهُمْ كَخُفَّاشٍ» الخُفَّاشُ طائرٌ لا يطيرُ إِلَّا بالليل، فإذا
 جاءَ النهارُ توقَّفَ.

١٦٣٦- وَكَذَا عُقُولُكُمْ لَوْ اسْتَشَعَرْتُمْ يَا قَوْمِ كَالْحَشَرَاتِ وَالْفَيْرَانِ
 ١٦٣٧- أَنْسَتْ بِإِيحَاشِ الظَّلَامِ وَمَا لَهَا بِمَطَالِعِ الْأَنْوَارِ قَطُّ يَدَانِ
 الحشرات لا تخرجُ إِلَّا بالليل في الغالب؛ لأنَّ النهارَ يوحشها، وتخافُ منه،
 فتندسُّ في جحورها، فإذا جاءَ الليلُ انتشرت.

والفئرانُ لا تخرجُ وهي تسمعُ صوتًا في المكانِ أبدًا، وإن اضطرت للخروج
 خرجت بسرعة، لكن إذا غاب الناسُ عن المطبخ وجدتها تقرض الخبز، والكيك،
 وكلَّ شيء؛ لأنه ليس حولها أحدٌ، فهي لا تعيشُ إِلَّا في الانفراد.

١٦٣٨- لَوْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ مُعْطَلٌ لِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الرَّحْمَنِ
 ١٦٣٩- لَزِمْتَكُمْ شُنْعٌ ثَلَاثٌ فَارْتَوُوا أَوْ خَلَّةٌ مِنْهُمْ أَوْ ثَتَانِ
 ١٦٤٠- تَقْدِيمُهُمْ فِي الْعِلْمِ أَوْ فِي نُضْحِهِمْ أَوْ فِي الْبَيَانِ أَذَاكَ ذُو إِمْكَانٍ!؟

يعني: لو كان الحقُّ فيما قال هؤلاء المعطلُّ لَلزِمَ أن يكونوا أعلمَ بالله من
 رسوله؛ لأنَّ الرسولَ أثبت، وهم نفوا، والحقُّ معهم، يعني: على فرض أنه معهم،
 لزم أن يكونوا أعلمَ بالله من رسول الله، ولزم أن يكونوا أنصحَ لعباد الله من
 رسول الله.

ولزم أن يكونوا أفصحَ في التعبير من رسولِ الله، وحينئذٍ نقول: الحقُّ إمَّا فيما قُلْتُم أيها المعطّلة، أو فيما قاله الرسولُ -عليه الصلاة والسلام-، فإن كان فيما قاله الرسولُ، فأنتم على باطلٍ يجبُ أن تتركوه، وإن كان فيما قُلْتُم لزمكم هذه اللوازمُ الثلاثة، وهي:

الأول: أن يكونوا أعلمَ بالله من رسول الله.

الثانية: أن يكونوا أنصحَ لعباد الله من رسول الله.

الثالثة: أن يكونوا أفصحَ وأبينَ في التعبير من رسول الله ﷺ.

وكُلُّ هَذَا لا أحدَ يقولُ به.

١٦٤١- إِنْ كَانَ مَا قَدْ قُلْتُمْ حَقًّا فَقَدْ ضَلَّ الْوَرَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

وهذا صحيحٌ، فلو كان ما يقولون حقًا لكان الوحيُ -يعني: القرآنُ والسنةُ- ضلالًا.

فمثلاً: في السنةِ حديثٌ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)، وظاهر الحديث أنه نزولٌ ذاتٍ، وهم يقولون: إنَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ نَزْوَلَ ذَاتٍ فَقَدْ كَفَرَ، إِذْ نَ يَكُونُ مَدْلُولُ السُّنَّةِ كُفْرًا.

وفي القرآنِ قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يعني: استوى اللهُ عزَّ وجلَّ على العرشِ بذاته استواءً يليقُ به -تبارك وتعالى-، هم يقولون: لو فسّرنا (استوى) بمعناها الظاهر من لفظها لكان هذا كُفْرًا، فعلى زعمهم يكونُ مدلولُ القرآنِ كُفْرًا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

فانظر إلى هذا القول الخبيث الذي يقتضي أن يكون مدلول كلام الله ورسوله كُفْرًا؛ ولهذا قال:

١٦٤٢- إِذْ فِيهِمَا ضِدُّ الَّذِي قُلْتُمْ وَمَا ضِدَّانٍ فِي الْمَعْقُولِ يَجْتَمِعَانِ

وهذا صحيح.

١٦٤٣- بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانٍ

قَوْلُهُ: «بَلْ كَانَ أَوْلَى أَنْ يُعْطَلَ مِنْهُمَا» أي: من الكتاب والسنة.

قَوْلُهُ: «وَيُحَالَ فِي عِلْمٍ وَفِي عِرْفَانٍ» يعني: عَلَى هَذَا نَقُولُ: الْأَوْلَى بِالنَّاسِ أَلَا يَأْخُذُوا عَقِيدَتَهُمْ فِي رَبِّهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ، لَكِنْ مِنْ أَيْنَ يَأْخُذُونَهَا؟ قَالَ فِي الْجَوَابِ عَنْ ذَلِكَ:

١٦٤٤- إِمَّا عَلَى جَهْمٍ وَجَعِدٍ أَوْ عَلَى النَّظَامِ أَوْ ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ

الْجَوَابُ: إِمَّا عَلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، وَالْجَعِدِ بْنِ دَرَهْمٍ، أَوْ عَلَى النَّظَامِ، وَذِي

الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ.

قَوْلُهُ: «ذِي الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ» وَهُوَ أَرِسْطُو أَوْ ابْنُ سِينَا، وَغَيْرُهُمَا فَكُلُّهُمَ عَلَى

الْمَذْهَبِ الْيُونَانِيِّ.

١٦٤٥- وَكَذَلِكَ أَتْبَاعُ لَهُمْ فَقَعُ الْفَلَا صُمَّمْ وَبُكْمٌ تَابِعُوا الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «الْفَلَا»: جَمْعُ فَلَآةٍ، وَ«الْفَقْعُ»: مَعْرُوفٌ، كَمَا أَنَّ لَيْنَةَ رَقِيقَةٌ تُدَاسُ

بِالْأَرْجْلِ فَتَفْسَدُ، يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ لَا يَصْبِرُ وَلَا يَقَاوِمُ، يُقَالُ لَهُ: (أَنْتَ فَقْعُ فَلَآةٍ) يَعْنِي: كَمَا أَنَّ رَقِيقَةً لَا تَتَحَمَّلُ، فَهِيَ لَاءُ فَقْعِ الْفَلَآةِ.

قَوْلُهُ: «صُمَّ وَبِكُمْ» مَنْ يَقودُهُمْ؟ قَالَ: «تَابِعُوا الْعُمَيَّانِ»، أَصَمُّ وَأَبْكَمُ يَقودُهُمَا أَعْمَى! والدلالة واضحة، فَكُلُّ ضَائِعٍ، والعياذ بالله.

١٦٤٦- وَكَذَلِكَ أَفْرَاخُ الْقَرَامِطَةِ الْأُلَى قَدْ جَاهَرُوا بِعَدَاوَةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَفْرَاخٌ» جَمْعُ فَرَاخٍ، وَهُوَ وَلَدُ الطَّيْرِ الصَّغِيرِ.

ومعلومٌ أَنَّ الفَرَاخَ يُضْرَبُ به المثلُ في الضعف والمهانة، هؤُلاءِ أَفْرَاخُ القرامطة.

والقرامطة أصحابُ رجلٍ يُقَالُ له: (قَرِمِطٌ)^(١)، رجلٌ مذهبه مذهبُ باطنِيٍّ خبيثٍ، حصلَ مِنْهُ عدوانٌ كثيرٌ -والعياذ بالله- عَلَى المسلمين حتى إنه دخل مكة في أيام الحجِّ، وَقَتَلَ النَّاسَ وهم يطوفون بالكعبة، وَجَرَّهْمَ، ووضعهم في بئر زمزم، فأفسد ماءها، وأخذ الحجرَ الأسودَ، ونصبه عَلَى بيتِ له في الأحساء من أجل أن يَحْجَّ النَّاسُ إليه، ويدعوا الكعبةَ، وبقي عنده هناك نحوَ ثنتين وعشرين سنةً، وَهُوَ مُسْتَوِلٍ عليه، حتى أنقذه اللهُ منه، فهؤُلاءِ القرامطةُ من أشدِّ الناسِ عداوةً للمؤمنين.

١٦٤٧- كَالْحَاكِمِيَّةِ وَالْأُلَى وَالْوَهُمُ كَأَبِي سَعِيدٍ ثُمَّ آلِ سَنَانِ

قَوْلُهُ: «كَالْحَاكِمِيَّةِ» الحَاكِمِيَّةُ: أتباعُ الحَاكِمِ العُبَيْدِيِّ، الَّذِي حكم مصرَ، وادَّعى أنه من ذرِّيَةِ الرسولِ -عليه الصلاة والسلام- وقصتهُ معروفةٌ، مذكورةٌ في

(١) بكسر القاف وسكون الراء وكسر الميم وفي آخرها الطاء، هذه النسبة إلى المذهب المذموم، والرأي الخبيث، وهم جماعة من أهل هجر والبحرين والأحساء، قيل لهم القرامطة، قتلوا حَاجَّ بيت الله في الحرم، وفي رمل زهير، نُسبوا إلى رجل من سواد الكوفة يقال له قَرِمِطٌ، وقيل: حمدان بن قَرِمِطٌ، وكان ممن قبل دعوتهم ثم صار رأساً في الدعوة، وقد دمر الله تعالى عليه وألحقه بإخوته عاد وشمود. انظر: الأنساب للسمعاني (١٠/٣٨٧).

كتب التاريخ^(١).

١٦٤٨- وَكَذَا ابْنُ سِينَا وَالنَّصِيرُ نَصِيرٌ أَهْلُ الشَّرِّ وَالتَّكْذِيبِ وَالْكَفْرَانِ

١٦٤٩- وَكَذَلِكَ أَفْرَاحُ الْمَجُوسِ وَشِبْهُهُمْ وَالصَّابِئِينَ وَكُلُّ ذِي بُهْتَانِ

١٦٥٠- إِخْوَانُ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ وَجُنْدُهُ لَا مَرْحَبًا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

ابن القيم - رحمه الله - شدد على هؤلاء الجماعة؛ لأنهم أسأؤوا إلى الإسلام أعظم إساءة، ليس في الأعمال البدنية، ولكن في الأمور العقديّة، أفسدوا عقيدة الناس حتى إن الذي يعتقد ما قالوه، يُصيحُ الرّبُّ عزَّ وجلَّ عنده عدماً، ليس بشيء.

١٦٥١- أَفَمَنْ حَوَّالَتْهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالْوَحْيِ الْمُبِينِ وَمُحَكِّمِ الْقُرْآنِ

١٦٥٢- كَمُحَيَّرٍ أَضَحَّتْ حَوَّالَتْهُ عَلَى أَمْثَالِهِ؟ أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

مُحَيَّرٌ حَوْلَ عَلَى حَائِرٍ، كَيْفَ الْهَدَايَةِ؟ لَيْسَ هُنَاكَ هَدَايَةٌ.

قَوْلُهُ: «أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ» لا شك أنه لا يستوي من إحالته على الكتاب والسنة من إحالته على متحيرٍ مثله.

وتحيرُ أهلِ الكلام معلومٌ من إقرار رؤسائهم، كما قال الشهرستاني^(٢) وَهُوَ

(١) هو الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بن المعز صاحب مصر العبيدي الرافضي، بل الإسماعيلي الزنديق المدعي الربوبية. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٥/١٧٣).

(٢) هو محمد بن عبد الكريم بن أحمد الشهرستاني، أبو الفتح، شيخ أهل الكلام والحكمة، وصاحب التصانيف، قال ابن أرسلان في (تاريخ خوارزم): عالم كئس متفنن، ولولا ميله إلى أهل الإلحاد وتحبطه في الاعتقاد، لكان هو الإمام، وكثيراً ما كنا نتعجب من وفور فضله كيف مال إلى شيء لا أصل له؟! نعوذ بالله من الخذلان، وليس ذلك إلا لإعراضه عن علم الشرع، واشتغاله بظلمات الفلسفة. انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/٢٨٦).

من رؤسائهم:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ
فَلَمْ أَرَ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ^(١)

يقول: إنه طاف على جميع المعالم في علم الكلام، ووجدهم على قسمين: (وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ)، أو (قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ).

وقال الرازي وهو من رؤسائهم أيضًا^(٢):

نِهَائِيَّةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالُ وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالُ
وَأَرْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا وَغَايَةُ دُنْيَانَا أَدَى وَوَبَالُ
وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طُولَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ: قِيلَ وَقَالُوا

فبحثهم طول عمرهم جمعوا فيه: قيل: كذا، وقالوا: كذا، وقال الآخرون: كذا، وقال الثالث: كذا، وقال الرابع: كذا، وهكذا.

على كُلِّ حَالٍ هُمْ حَيَارَى، كما قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ هُنَا.

١٦٥٣- أَمْ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائِبُهُ بِمُصَابِهِ؟ وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ

نسأل الله العافية، التائبه لا يعرف مصابه وهو التيه، وقد جعل على قلبه قفلان.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٨).

(٢) الأبيات قالها أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، وانظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/٩٦)، وعيون الأنباء (٢/٢٨).

١٦٥٤- قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرْكَبِ فَوْقَهُ قُفْلٌ التَّعَصُّبِ كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ؟

أعوذ بالله، جهلٌ مُرْكَبٌ وَتَعَصُّبٌ، مَنْ يَقْوَى هَذَا؟ لَوْ أُتِيَ إِلَى عَامِّي تُحَدِّثُهُ بِحَدِيثِ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ شَيْخٌ مُتَّبِعٌ يُجِلُّهُ، وَيُقَدِّرُهُ، يَقُولُ لَكَ: أَبَدًا، أَنْتَ جَاهِلٌ، الشَّيْخُ الْفَلَائِيُّ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَهَذَا جَهْلٌ مُرْكَبٌ وَمَعَهُ تَعَصُّبٌ، فَإِذَا اجْتَمَعَ الْجَهْلُ الْمُرْكَبُ وَالتَّعَصُّبُ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ جَدًّا أَنْ يَهْتَدِيَ مَنْ اتَّصَفَ بِهَا.

١٦٥٥- وَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التَّصْرِيفُ، سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

نعم، وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ بِيَدِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فَلَا تَتَّجِهْ لِسِوَاهُ، وَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تَقُلْ: أَنَا عَلَى بَصِيرَةٍ، فَلَنْ يُضِلَّنِي أَحَدٌ، فَالرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَمَرَ مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ أَنْ يَنْأَى عَنْهُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ، فِيرَى أَنَّهُ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ يَزِيغُ بِمَا مَعَهُ مِنَ الشَّبَهَاتِ^(١).

فَلَا تَعْتَمِدْ عَلَى قَلْبِكَ، وَاسْأَلِ اللَّهَ دَائِمًا الثَّبَاتَ، اسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيكَ؛ وَهَذَا قَالَ:

١٦٥٦- فَاسْأَلْهُ فَتَحَ الْقُفْلِ مُجْتَهِدًا عَلَى الْأَسْنَانِ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ

يعني: اسْأَلِ اللَّهَ دَائِمًا أَنْ يَفْتَحَ قَلْبَكَ، وَأَنْ يَعِينَكَ عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي هِيَ أَسْنَانُ هَذَا الْقُفْلِ.

وَلَمَّا قِيلَ لِبَعْضِهِمْ^(٢): إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»^(٣)، قَالَ: نَعَمْ، صَدَقَ الرَّسُولُ، لَكِنَّ الْمِفْتَاحَ يَحْتَاجُ إِلَى أَسْنَانٍ، إِنْ كَانَ فِيهِ أَسْنَانٌ فَتَحَ، وَإِلَّا فَلَا يَفْتَحُ، وَهَذَا صَحِيحٌ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا فِيمَنْ هَدَيْتَ.

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٣١)، أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

(٢) هو وهب بن منبه، كما في تخريج الحديث بعده.

(٣) أخرجه البخاري تعليقًا: كتاب الجنائز، باب ما جاء في الجنائز، ومن كان آخر كلامه: لا إله إلا الله.

فصل

هَهَا وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْأَذْهَانِ
 طُرُقَ الْأَدْلَةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
 وَسِيَاقَةِ الْأَلْفَاظِ بِالْمِيزَانِ
 مِنْهَا وَأَيْنَ الْبَحْرِ مِنْ خُلْجَانِ؟
 فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ
 ثِ قَدْ غَدَتْ مَعْلُومَةَ التَّبْيَانِ
 مَعْلُومَةَ بَرَأَتْ مِنَ النُّقْصَانِ

١٦٥٧- هَذَا وَخَاتَمُ هَذِهِ الْعِشْرِينَ وَجْهٌ
 ١٦٥٨- سَرْدُ النُّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ
 ١٦٥٩- وَالنَّظْمُ يَمْنَعُنِي مِنَ اسْتِيفَائِهَا
 ١٦٦٠- فَأَشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِمَوَاضِعِ
 ١٦٦١- فَادْكُرْ نُصُوصَ الْإِسْتِوَاءِ فَإِنَّهَا
 ١٦٦٢- وَادْكُرْ نُصُوصَ الْفَوْقِ أَيْضًا فِي ثَلَاثِ
 ١٦٦٣- وَادْكُرْ نُصُوصَ عُلُوِّهِ فِي خَمْسَةِ

الشرح

هَهَا وَهُوَ أَقْرَبُهَا إِلَى الْأَذْهَانِ
 طُرُقَ الْأَدْلَةِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
 وَسِيَاقَةِ الْأَلْفَاظِ بِالْمِيزَانِ
 مِنْهَا وَأَيْنَ الْبَحْرِ مِنْ خُلْجَانِ؟

١٦٥٧- هَذَا وَخَاتَمُ هَذِهِ الْعِشْرِينَ وَجْهٌ
 ١٦٥٨- سَرْدُ النُّصُوصِ فَإِنَّهَا قَدْ نَوَّعَتْ
 ١٦٥٩- وَالنَّظْمُ يَمْنَعُنِي مِنَ اسْتِيفَائِهَا
 ١٦٦٠- فَأَشِيرُ بَعْضَ إِشَارَةِ لِمَوَاضِعِ

فِي هَذَا الْفَصْلِ يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: خَاتَمُ الْعِشْرِينَ أَنْ تُذَكَّرَ
 النُّصُوصُ الدَّالَّةُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ، وَهِيَ أَنْوَاعٌ مَتْنُوعَةٌ، وَليست نَوْعًا وَاحِدًا، لَكِنَّ

المؤلف اعتذر عن سياقها بلفظها؛ لأنَّ النَّظْمَ يمنعه، ولا يمكنه أن يأتي بالآيات الكريمة على حسب ميزان النَّظْمِ؛ لأنَّ النَّظْمَ كما قَالَ الحريريُّ - رحمه الله -^(١):
 وَجَائِزٌ فِي صَنَعَةِ الشُّعْرِ الصَّلِفُ أَنْ يَصْرِفَ الشَّاعِرُ مَا لَا يَنْصَرِفُ
 فالشُّعْرُ صَلِفٌ، لا يستطيعُ الإنسانُ أن يتحكَّم فيه، ولذا فإنه يشيرُ بعضُ إشارةٍ لمواضع منها.

قَوْلُهُ: «وَأَيْنَ الْبَحْرُ مِنْ خُلُجَانٍ» أيها أعظم؟
 الجوابُ: البحرُ أعظمُ من الخليج لا شكَّ.

١٦٦١- فَاذْكُرْ نُصُوصَ الْإِسْتِوَاءِ فَإِنَّهَا فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ
 هذا نوعٌ من أنواع أدلة العلوِّ، وهو الاستِواءُ، فإنَّ اللهَ قد صرَّحَ أنه - سبحانه -
 اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ فِي سَبْعِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وهي معلومةٌ، وقد سبق ذكرُها.

١٦٦٢- وَادْكُرْ نُصُوصَ الْفُوقِ أَيْضًا فِي ثَلَاثِ قَدْ عَدَّتْ مَعْلُومَةَ التَّبْيَانِ
 هذا نوعٌ آخر، وهو التَّصْرِيحُ بذكرِ الفوقيَّةِ في ثلاثِ آياتٍ: في سورة الأنعام
 آيتان قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨] وقال تعالى:
 ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، وفي النحل قال تعالى:
 ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

١٦٦٣- وَادْكُرْ نُصُوصَ عُلوِّهِ فِي خَمْسَةِ مَعْلُومَةِ بَرَأْتِ مِنَ النُّقْصَانِ
 قَوْلُهُ: «وَادْكُرْ نُصُوصَ عُلوِّهِ فِي خَمْسَةِ» وهي قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَهُوَ

(١) انظر: ملحة الإعراب (ص: ٧٢).

أَلَعَلِّيَ الْعَظِيمُ ﴿ [البقرة: ٢٥٥] من آية الكرسي ومن سورة الشورى أيضًا [الشورى: ٤].

وقوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ

الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾

[الرعد: ٩]، وقوله تعالى: ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ

اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]، فهذه خمسة.

١٦٦٤- وَاذْكُرْ نُصُوصًا فِي الْكِتَابِ تَضَمَّنَتْ تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبَّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٦٥- فَتَضَمَّنَتْ أَصْلَيْنِ قَامَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ

١٦٦٦- كَوْنِ الْكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

١٦٦٧- وَعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْحُسْبَانِ

١٦٦٨- وَاذْكُرْ نُصُوصًا ضَمَّنَتْ رَفْعًا وَمَعْدَ رَاجَا وَإِضْعَادًا إِلَى الدِّيَانِ

١٦٦٩- هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ فَاطْلُبْهَا مِنَ الْقُرْآنِ

١٦٧٠- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ الْمُلْكِ الَّتِي تُنْجِي لِقَارِيئَهَا مِنَ النَّيْرِانِ

١٦٧١- نَصَّانٍ: أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانِ

الشرح

١٦٦٤- وَاذْكُرْ نُصُوصًا فِي الْكِتَابِ تَضَمَّنَتْ تَنْزِيلَهُ مِنْ رَبَّنَا الرَّحْمَنِ

١٦٦٥- فَتَضَمَّنَتْ أَصْلَيْنِ قَامَ عَلَيْهِمَا الْإِسْلَامُ وَالْإِيمَانُ كَالْبُنْيَانِ

١٦٦٦- كَوْنُ الْكِتَابِ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

١٦٦٧- وَعِدَادُهَا سَبْعُونَ حِينَ تُعَدُّ أَوْ زَادَتْ عَلَى السَّبْعِينَ فِي الْحُسْبَانِ

هذه أيضًا ثلاثة أنواع، وقد سبق الإستواء، وال فوقية، والعلو.

الرابع: كون القرآن تنزيلاً من عند الله، وهذا في آيات كثيرة بلغت سبعين آية أو تزيد، أن القرآن تنزِيلٌ من عند الله، وهذا كما قال المؤلف تضمّنت أصليْن قام عليهما الإسلام والإيمان كالبنيان، وهما:

الأصل الأول: كون الكتاب كلامه سبحانه، فإن القرآن نزل من عند الله، والقرآن كلام، والكلام صفة المتكلم، فإذا كان الكلام نزل من عنده وهو صفة نزل من عند الله، وقد نزل من فوق لزم أن يكون الموصوف فوقاً.

الأصل الثاني: أن القرآن كلامه غير مخلوق؛ لأن القرآن صفة، إذ هو كلام، والكلام لا يقوم إلا بمتكلم، فالقرآن غير مخلوق؛ لأنه صفة الله.

فتضمّن ذكر تنزِيلِ الْقُرْآنِ من عند الله أمرين:

الأمر الأول: علو الله عز وجل لأن النزول يكون من أعلى.

الأمر الثاني: أن القرآن كلام الله، لا كلام غيره؛ لأنه نزل منه، وهو صفة، فلزم أن يكون كلام الله.

ثم ذكر النوع الخامس فقال:

١٦٦٨- وَادْكُرْ نُصُوصًا ضُمَّنْتَ رَفَعًا وَمِعْ رَاجًا وَإِضْعَادًا إِلَى الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «ضُمَّتْ رَفْعًا» قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال عن عيسى -عليه الصلاة والسلام-: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء: ١٥٨].

قَوْلُهُ: «وَمِعْرَاجًا» كما في قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤].

قَوْلُهُ: «وَإِضْعَادًا» الإِضْعَادُ كما في قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ .
 ١٦٦٩- هِيَ خَمْسَةٌ مَعْلُومَةٌ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ فَاطْلُبْهَا مِنَ الْقُرْآنِ إِذِنَّ الصُّعُودَ يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ الْمَصْعُودُ إِلَيْهِ عَالِيًّا، وَالْعُرُوجُ كَذَلِكَ، وَالرَّفْعُ كَذَلِكَ، وَهَذَا هُوَ النَّوْعُ الْخَامِسُ مِنَ الْأَدَلَّةِ.

النَّوْعُ السَّادِسُ: أَنَّ اللهُ فِي السَّمَاءِ، وَهَذَا جَاءَ فِي سُورَةِ الْمَلِكِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخِفَّ بِكُمْ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ [الملك: ١٧]؛ وَهَذَا قَالَ:

١٦٧٠- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ الْمُلِكِ الَّتِي تُنْجِي لِقَارِئِهَا مِنَ النَّيرانِ
 ١٦٧١- نَصَّانٍ: أَنَّ اللهُ فَوقَ سَمَائِهِ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ

قَوْلُهُ: «نَصَّانٍ» النَّصُّ يَعْنِي: الدَّلِيلَ الواضِحُ؛ وَهَذَا قِيلَ: «فِيهِ نَصٌّ» مَاخُودٌ مِنْ مَنَصَّةِ الْعُرُوسِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا لَيْلَةُ الزَّفَافِ، وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ رَفِيعَةٌ، فَالنَّصُّ مَعْنَاهُ: الْمَعْنَى الظَّاهِرُ لِلْفِظِ، لَكِنْ عِنْدَ الْمُحَرِّفِ مَا هُمَا نَصَّانٍ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: مُلْكُهُ، وَليْسَ هُوَ، وَقَوْلُهُ: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ أَي: سُلْطَانُهُ، وَليْسَ هُوَ.

ولا شكَّ أنَّ هذا تحريفٌ؛ لأنَّ قوله: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ ضميرُ الصلوة يعودُ إلى الله لا إلى غيره، فإذا قلنا: (مَن فِي السَّمَاءِ مُلْكُهُ) فمعناه أنَّ الصلوة عادت إلى غير موصولها، فالصلوة تعودُ إلى الموصول، والموصول هو الله ﴿مَن فِي السَّمَاءِ﴾.

فـ(مَن) اسمٌ موصولٌ يعود على الله عزَّ وجلَّ، فالذي في السَّماء ليس مُلْكُهُ، بل هو الله نفسه، أما مُلْكُهُ فله مُلكُ السَّموات والأرض، فملكُهُ في السَّموات وفي الأرض، وسلطانه في السَّموات وفي الأرض.

لكنَّ المحرِّفَ -والعياذ بالله- لَمَّا طبع اللهُ على قلبه صار لا يرى الحقَّ حقًّا، بل يرى الباطلَ حقًّا، وإلَّا فإنَّ الأمرَ واضحٌ والله الحمد، فتكونُ هذه الآية نوعًا سادسًا في الدلالة على علوِّ الله.

- | | |
|--|---|
| قُلْنَا سَبَّحْ بِلِ آتَى بِسْمَانِ | ١٦٧٢- وَلَقَدْ آتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي |
| أَعْرَافِ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي | ١٦٧٣- مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْ- |
| لِسِوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَانِ | ١٦٧٤- فَتَدَبَّرِ التَّعْيِينَ وَأَنْظُرْ مَا الَّذِي |
| بَادِي الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ | ١٦٧٥- وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ |
| نَفْسِ الْمُرَادِ وَقَيَّدَتْ بِيَانِ | ١٦٧٦- وَلَدَيْهِ فِي مُزْمَلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ |
| مِنْ رَاحَةِ فِيهَا وَلَا تَيَّيَانِ | ١٦٧٧- لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمُعْطَلٍ |
| سِرِّ عَظِيمٍ شَأْنُهُ ذُو شَانِ | ١٦٧٨- وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزْمَلٍ |
| عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي | ١٦٧٩- فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ |

- ١٦٨٠- لَمْ يَسْمَحِ الْمُتَأَخَّرُونَ بِنَقْلِهِ جُبْنَا وَضَعْنَا عَنْهُ فِي الْإِيمَانِ
 ١٦٨١- بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْإِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ
 ١٦٨٢- وَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرٍ الطَّيْرِيُّ فِي «تَفْسِيرِهِ» حَكَيْتُ بِهِ الْقَوْلَانَ

الشرح

هذا أيضًا من الأدلة على علو الله عز وجل وهو أنه جاء آيات متعددة في إثبات (العنديّة)، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، ومثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩] ومثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا﴾ [المزمل: ١٢]، وأمثال ذلك.

فـ(العنديّة) تدلُّ على العلو؛ لأنه لو لم يكن عاليًا لكان كلُّ الخلق عنده، وحينئذ لا يتميِّز القريبُ من البعيد، فالنصوصُ التي فيها إثباتُ (العنديّة) تدلُّ على أن الله - سبحانه وتعالى - عالٍ فوق عرشه.

يقول المؤلف:

- ١٦٧٢- وَلَقَدْ أَتَى التَّخْصِيصُ بِالْعِنْدِ الَّذِي قُلْنَا بِسَبْعِ بَلْ أَتَى بِثَمَانٍ
 أي: في ثمان آياتٍ أو ثمانية مواضع.
 ١٦٧٣- مِنْهَا صَرِيحٌ مَوْضِعَانِ بِسُورَةِ الْاَعْرَافِ ثُمَّ الْاَنْبِيَاءِ الثَّانِي

قوله: «بِسُورَةِ الْاَعْرَافِ» في سورة الأعراف قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

قَوْلُهُ: «ثُمَّ الْأَنْبِيَاءِ الثَّانِي» وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩].

١٦٧٤- فَتَدَبَّرِ التَّعِينِ وَأَنْظُرْ مَا الَّذِي لِسِوَاهُ لَيْسَتْ تَقْتَضِي النَّصَانَ
التعِينُ لِمَنْ عِنْدَهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ سِوَى هَؤُلَاءِ لَيْسُوا عِنْدَهُ، إِذَنْ فَهُوَ -سَبْحَانَهُ
وَتَعَالَى- عَالٍ، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَكَانَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عِنْدَهُ.

١٦٧٥- وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ أَيْضًا ثَالِثٌ بِأَدْيِ الظُّهُورِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
قَوْلُهُ: «وَبِسُورَةِ التَّحْرِيمِ» كَمَا قَالَتْ امْرَأَةٌ فِرْعَوْنَ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا
فِي الْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١].

١٦٧٦- وَلَدَيْهِ فِي مُزْمَلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ
نَفْسَ الْمُرَادِ وَقَيَّدَتْ بَيَانَ
قَوْلُهُ: «وَلَدَيْهِ فِي مُزْمَلٍ قَدْ بَيَّنَّتْ نَفْسَ الْمُرَادِ» وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمَامًا﴾ [المزمل: ١٢].

١٦٧٧- لَا تَنْقُضُ الْبَاقِي فَمَا لِمُعْطَلٍ
مِنْ رَاحَةٍ فِيهَا وَلَا تَبَيَانِ
يعني: أَنَّ (لدى)، (وعند) لَا يَتَنَاقِضَانِ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ: (فَلَانٌ لَدَيْيَ، وَفَلَانٌ
عِنْدِي)، وَهُمَا سِوَاءٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَلَا يَتَنَاقِضَانِ.

١٦٧٨- وَبِسُورَةِ الشُّورَى وَفِي مُزْمَلٍ
سِرٌّ عَظِيمٌ شَأْنُهُ ذُو شَانِ

١٦٧٩- فِي ذِكْرِ تَفْطِيرِ السَّمَاءِ فَمَنْ يُرِدْ
عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «وَبِسُورَةِ الشُّورَى» يَعْنِي: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ
فَوْقِهِنَّ﴾ [الشورى: ٥].

قَوْلُهُ: «وَفِي مُزْمَلٍ» يعني: قوله تعالى في سورة المزمل: ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾

[المزمل: ١٨].

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يُرِدْ عِلْمًا بِهِ فَهُوَ الْقَرِيبُ الدَّانِي» يعني: مَنْ يُرِدْ عِلْمًا بِهَذَا الشَّانِ الْعَظِيمِ فِي سُورَةِ الشُّورَى، وَفِي سُورَةِ الْمَزْمَلِ فَهُوَ قَرِيبٌ، فَقَوْلُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ فَقَوْلُهُ: ﴿مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ، فَمِنْ عَظَمَتِهِ تَكَادُ السَّمَوَاتُ تَتَفَطَّرُ مِنْ فَوْقَ، وَلَمْ يَقُلْ: (مَنْ تَحْتَهُنَّ) مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الَّذِي تُعَظَّمُهُ هَذِهِ السَّمَوَاتُ وَتَكَادُ تَتَفَطَّرُ مِنْهُ فَوْقَهَا.

١٦٨٠- لَمْ يَسْمَحِ الْمُتَأَخَّرُونَ بِنَقْلِهِ جُبْنًا وَضَعْفًا عَنَّهُ فِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُتَأَخَّرُونَ» يعني بهم: أهل الكلام؛ لأنَّ أهل الكلام يكرهون كُلَّ نَصٍّ يَخَالِفُ بَدْعَتَهُمْ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: (أَتَمْنَى أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ حَكِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] فِي قَوْلِهِ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فَهَذِهِ صِفَةٌ نَفْيِيَّةٌ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] صِفَةٌ إِثْبَاتِيَّةٌ، فَيَقُولُ: أَنَا أَتَمْنَى أَنْ أَتَمَكَّنَ مِنْ حَكِّ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] لِمَاذَا؟ لِأَنَّهَا جَاءَتْ عَلَى خِلَافِ مَرَادِهِ.

١٦٨١- بَلْ قَالَهُ الْمُتَقَدِّمُونَ فَوَارِسُ الْإِسْلَامِ هُمْ أَمْرَاءُ هَذَا الشَّانِ

١٦٨٢- وَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّيْرِيِّ فِي «تَفْسِيرِهِ» حَكَيْتُ بِهِ الْقَوْلَانَ

يعني: قالوا ما دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾.

فصل

- ١٦٨٣- هَذَا وَحَادِيهَا وَعِشْرِينَ الَّذِي
 ١٦٨٤- إِيْتَانُ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
 ١٦٨٥- فَانظُرْ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الْ
 ١٦٨٦- إِنَّ الْمَجِيءَ لِذَاتِهِ لَا أَمْرِهِ
 ١٦٨٧- إِذْ ذَانِكَ الْأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيْنَ
 ١٦٨٨- وَاللَّهِ مَا اخْتَمَلَ الْمَجِيءُ سِوَى مَجِي
 ١٦٨٩- مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أُوْلِي الْمَعْقُولِ إِنَّ
 ١٦٩٠- مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ عَن شَمَا
 ١٦٩١- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ
 ١٦٩٢- كَلَّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ
 ١٦٩٣- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مِنَ الْ
- قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 وَجِيئُهُ لِلْفَضْلِ بِالْمِيزَانِ
 قُرْآنٍ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ
 كَلَّا وَلَا مَلَكٌ عَظِيمُ الشَّانِ
 نَهْمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْعُفْرَانِ
 الْعَذَابِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْبُرْهَانِ
 كُنْتُمْ ذَوِي عَقْلٍ مَعَ الْعِرْفَانِ
 بِلِنَا وَمِنْ خَلْفٍ وَعَنْ أَيْمَانِ؟
 أَبَدًا، تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
 وَعَنْ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنِ الْأَيْمَانِ
 عَلُوِّ الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ مَكَانِ

الشرح

المؤلف - رحمه الله - ذكر هنا الدليل الحادي والعشرين من الأدلة الدالة على علو الله عز وجل وهو ما ثبت في القرآن والسنة من أن الله - سبحانه وتعالى -

يجيء للفصل بين عبادته يوم القيامة، فإذا ثبت هذا فمن أين يجيء؟ هل يجيء من تحت؟ لا يمكن، وهل يجيء من يمين، أو شمال، أو خلف، أو أمام؟ لا يمكن أيضاً؛ لأنه يقتضي أن يكون مساوياً للمخلوق، إذن لا يمكن إلا من فوق.

قال المؤلف:

١٦٨٣- هَذَا وَحَادِيهَا وَعِشْرِينَ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

١٦٨٤- إِتْيَانُ رَبِّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ وَوَجِيئُهُ لِلْفَضْلِ بِالْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «وَجِيئُهُ لِلْفَضْلِ بِالْمِيزَانِ» وهذا يكون يوم القيامة.

١٦٨٥- فَانظُرْ إِلَى التَّقْسِيمِ وَالتَّنْوِيعِ فِي الْـ قُرْآنِ تُلْفِيهِ صَرِيحَ بَيَانِ

١٦٨٦- إِنَّ الْمَجِيءَ لِذَاتِهِ لَا أَمْرِهِ كَلًّا وَلَا مَلَكٌ عَظِيمُ الشَّانِ

١٦٨٧- إِذْ ذَانِكَ الْأَمْرَانِ قَدْ ذُكِرَا وَبَيَّنَّ نُهُمَا مَجِيءُ الرَّبِّ ذِي الْغُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَجِيءَ» ويجوز: «أَنَّ الْمَجِيءَ».

وهذا في قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ

صَفًّا صَفًّا ﴿الفجر: ٢١-٢٢﴾ فهنا لا يستقيم أن يُقَالَ: (جاء أمرُ ربِّك)، ولا (جاء ملكٌ من الملائكة)؛ لأنَّ الملائكة قد ذُكِرَتْ.

والآية الثانية قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ

يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ ﴿[الأنعام: ١٥٨] وهذا تقسيمٌ وتنويعٌ واضحٌ أن المراد إتيانُ الله - سبحانه وتعالى - بنفسه، فإذا كان يأتي فيقول:

١٦٨٨- وَاللَّهُ مَا احْتَمَلَ الْمَجِيءُ سِوَى مَجِيءِ الذَّاتِ بَعْدَ تَبَيُّنِ الْبُرْهَانِ

ثُمَّ قَالَ - رحمه الله -:

- ١٦٨٩- مِنْ أَيْنَ يَأْتِي يَا أُوْلِي الْمَعْقُولِ إِنَّ كُنْتُمْ ذَوِي عَقْلٍ مَعَ الْعِرْفَانِ
١٦٩٠- مِنْ فَوْقِنَا أَوْ تَحْتِنَا أَوْ عَنْ شَمَائِلِنَا وَمِنْ خَلْفٍ وَعَنْ أَيِّمَانٍ؟
١٦٩١- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ مِنْ تَحْتِهِمْ أَبَدًا، تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
١٦٩٢- كَلَّا وَلَا مِنْ خَلْفِهِمْ وَأَمَامِهِمْ وَعَنْ الشَّمَائِلِ أَوْ عَنْ الْأَيِّمَانِ
١٦٩٣- وَاللَّهِ لَا يَأْتِيهِمْ إِلَّا مِنَ الْفَوْقِ هُوَ الَّذِي هُوَ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
وهذا واضح.

فصل

في الإشارة إلى ذلك من السنة

- ١٦٩٤- وَأذْكَرُ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ
كَلِمَاتُهُ تَكْذِيبَ ذِي الْبُهْتَانِ
- ١٦٩٥- لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلِيقَةَ رَبَّنَا
كَتَبَتْ يَدَاهُ كِتَابَ ذِي الْإِحْسَانِ
- ١٦٩٦- وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الْ
عَرْشِ الْمَجِيدِ الثَّابِتِ الْأَرْكَانِ
- ١٦٩٧- إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبِقُ رَحْمَتِي
غَضَبِي وَذَاكَ لِرَأْفَتِي وَحَنَانِي
- ١٦٩٨- وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيِّنَا فِي خُطْبَةٍ
نَحْوَ السَّمَاءِ بِأَصْبُعٍ وَبَنَانِ
- ١٦٩٩- مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ
- ١٧٠٠- أَتْرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَاءِ مُسْتَشْهِدًا
أَمْ لِلَّذِي هُوَ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ؟
- ١٧٠١- وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقِيَةِ الْمَرْضَى عَنِ الْ
هَادِي الْمُبِينِ أَتَمَّ مَا تَبَيَّنَ
- ١٧٠٢- نَصُّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ
فَاسْمَعُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْأَذْنَانِ
- ١٧٠٣- وَلَقَدْ أَتَى خَبْرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الْ
عَبَّاسُ صِنُو أَبِيهِ ذُو الْإِحْسَانِ
- ١٧٠٤- أَنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِنْ فَوْقِهَا الْ
كُرْسِيِّ عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ
- ١٧٠٥- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ
فَإَنْظَرُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ
- ١٧٠٦- وَأذْكَرُ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الثَّ
ثِقَةِ الرِّضِيِّ أَعْنِي: أَبَا عِمْرَانَ

- ١٧٠٧- إِذْ قَالَ: رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغْبَتِي
 ١٧٠٨- فَأَقْرَهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يَقُلْ:
 ١٧٠٩- حَيْرَتَ بَلْ جَهَيْتَ بَلْ شَبَّهْتَ بَلْ
 ١٧١٠- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ: مَا
 ١٧١١- فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ
 ١٧١٢- وَادْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبُّ
 ١٧١٣- وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمُعْطَلِ لِلَّذِي
 ١٧١٤- وَاحْكُمْ بِأَيِّمَا تَشَاءُ وَإِنِّي
 ١٧١٥- إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهْمِ صَاحِبِ

الشرح

هذه المقطوعة أشار المؤلف - رحمه الله - فيها إلى أحاديث متعددة فقال:

- ١٦٩٤- وَادْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ تَضَمَّنَتْ
 ١٦٩٥- لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلِيقَةَ رَبُّنَا
 ١٦٩٦- وَكِتَابُهُ هُوَ عِنْدَهُ وَضَعُ عَلَى الْ
 ١٦٩٧- إِنِّي أَنَا الرَّحْمَنُ تَسْبُقُ رَحْمَتِي

قَوْلُهُ: «وَادْكُرْ حَدِيثًا...» هَذَا حَدِيثٌ أَخْبَرَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ لَمَّا قَضَى الْخَلْقَ كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ

غَضَبِي»^(١)، فقلوه: «عِنْدَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ» يدلُّ عَلَى الْعُلُوِّ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَإِلَّا لَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ وَغَيْرُهُ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ.

١٦٩٨- وَلَقَدْ أَشَارَ نَبِيُّنَا فِي خُطْبَةٍ نَحْوَ السَّمَاءِ بِأَصْبُعٍ وَبَنَانٍ

١٦٩٩- مُسْتَشْهِدًا رَبَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى لِيَرَى وَيَسْمَعَ قَوْلَهُ الثَّقَلَانِ

١٧٠٠- أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَاءِ مُسْتَشْهِدًا أَمْ لِلذِّي هُوَ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ؟

يشير المؤلف - رحمه الله - بهذه الآيات إلى ما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر أن النبي ﷺ خَطَبَ النَّاسَ يَوْمَ عَرَفَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: «هَلْ بَلَّغْتُ» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» يَرْفَعُ أَصْبِعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُتُهَا لِلنَّاسِ^(٢)، فهل النبي عليه الصلاة والسلام - يستشهد السماء، أو يستشهد من فوق السماء؟

الجواب: الثاني بلا شك؛ ولهذا قال: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ولم يقل: «يَا سَمَاءُ اشْهَدِي» وهذا شيء معلوم، علمه كلُّ الصحابة الذين سمعوا خطبة النبي عليه الصلاة والسلام.

١٧٠١- وَلَقَدْ أَتَى فِي رُقِيَةِ الْمَرَضِيِّ عَنِ الْهَادِي الْمُبِينِ أَتَمَّ مَا تَبَيَّنَ

١٧٠٢- نَصٌّ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ فَاسْمَعُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْأُذُنَانِ

وهذا في رقية المريض، حيث كان يقول ﷺ وَهُوَ يَرْقِي الْمَرَضِيَّ: «رَبَّنَا اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧]، رقم (٣٠٢٢)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، رقم (٢٧٥١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب ليلغ العلم الشاهد الغائب، رقم (١٠٥)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، رقم (١٦٧٩) واللفظ له.

الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ كَمَا رَحِمْتِكَ فِي السَّمَاءِ، فَاجْعَلْ رَحِمَتَكَ فِي الْأَرْضِ، اغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا، وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ رَحِمَتِكَ، وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هَذَا الْوَجَعِ فَيَبْرَأُ»^(١).

الشاهد قوله: «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»، فإنه صريح بأن الله - سبحانه وتعالى - في السماء.

١٧٠٣- وَلَقَدْ أَتَى حَبْرٌ رَوَاهُ عَمُّهُ الْ- عَبَّاسُ صِنُو أَبِيهِ ذُو الْإِحْسَانِ
١٧٠٤- أَنْ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِنْ فَوْقَهَا الْ- كُرْسِيِّ عَلَيْهِ الْعَرْشُ لِلرَّحْمَنِ
١٧٠٥- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ خَلْقَهُ فَانظُرُهُ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ
قَوْلُهُ: «حَبْرٌ» أَي: حَدِيثٌ.

قَوْلُهُ: «فَانظُرُهُ» يَعْنِي: انظُرِ الْحَدِيثَ إِنْ سَمَحْتَ لَكَ الْعَيْنَانِ.

وهذا حديثٌ رواه العباسُ عن النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ بَيْنَهَا مَسِيرَةٌ كَذَا وَكَذَا» وَذَكَرَهَا، «وَأَنَّ الْكُرْسِيَّ فَوْقَ ذَلِكَ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْكُرْسِيِّ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ الْعَرْشِ يَنْظُرُ إِلَى عِبَادِهِ»^(٢)، فهذا حديثٌ دَلَّ عَلَى الْعُلُوِّ.

١٧٠٦- وَادْكُرْ حَدِيثَ حُصَيْنِ بْنِ الْمُنْذِرِ الْ- ثِقَةَ الرِّضِيِّ أَعْنِي: أَبَا عَمْرَانَ
١٧٠٧- إِذْ قَالَ: رَبِّي فِي السَّمَاءِ لِرَغَبَتِي وَلِرَهْبَتِي أَدْعُوهُ كُلَّ أَوَانٍ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقى، رقم (٢١٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة الحاقة، رقم (٣٣٢٠)، وقال: هذا حديث

١٧٠٨- فَأَقْرَهُ الْهَادِي الْبَشِيرُ وَلَمْ يَقُلْ: أَنْتَ الْمُجَسَّمُ قَائِلٌ بِمَكَانِ

عمران بن حصين معروف مشهور، وأبوه «حُصَيْن» سأله النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ» قَالَ: أَعْبُدُ سَبْعَةَ آلِهَةٍ: وَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، وَسِتَّةً فِي الْأَرْضِ، قَالَ: «مَنْ تَعْبُدُ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ»^(١) فَأَقْرَهُ عَلَى قَوْلِهِ: «فِي السَّمَاءِ».

وَأَمَّا أَهْلُ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ فَيَقُولُونَ: مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ مُجَسَّمٌ.

١٧٠٩- حَيَّرَتْ بَلَّ جَهَيْتَ بَلَّ شَبَّهْتَ بَلَّ جَسَّمْتَ لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ

يعني: هم يقولون فيمن قال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي السَّمَاءِ: (حَيَّرَتْ) أَي: جَعَلَتْ اللَّهَ تَعَالَى فِي حَيَّرَ، وَهَذَا نَقْصٌ فِي حَقِّ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؛ فَيَقُولُونَ: هُوَ لَاءَ مَحْيِزَةٌ، أَي: الْقَائِلُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي حَيَّرَ تَحْوِزُهُ الْمَخْلُوقَاتِ.

نحن نقول لهم: كلمة (حَيَّرَ) لم تَرِدْ لَا فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ، لَا نَفِيًّا وَلَا إِثْبَاتًا، فَأَنْتُمْ لَا تَلْزَمُونَا لَا بِنَفِيهَا وَلَا بِإِثْبَاتِهَا، وَمَعَ ذَلِكَ نَحْنُ نَنْزِلُ مَعَكُمْ، وَنَقُولُ: مَاذَا تَرِيدُونَ بِالْحَيَّرَ الَّذِي شَوَّهْتُمْ بِهِ سَمِعْتَنَا؟ هَلْ تَرِيدُونَ بِالْحَيَّرَ أَنَّ اللَّهَ مَنَحَازٌ عَنِ الْمَخْلُوقَاتِ بَائِنٌ مِنْهَا؟ فَنَحْنُ نَقُولُ بِهِ، هَلْ تَرِيدُونَ بِالْحَيَّرَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَنَحَازٌ فِي الْمَخْلُوقَاتِ، يَعْنِي: أَنَّهَا تَحْوِزُهُ وَتُحْيِطُ بِهِ؟ فَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ.

وَحَيْثُذِ نَقُولُ: لَنَا نَظْرَانِ فِي الْحَيَّرَ.

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/٢٧٧)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٧٢١، رقم ١١٨٤).

أولاً: من جهة لفظه، فالواجب علينا أن لا نثبتَه ولا ننفيه؛ لأنه لم يرد إثباته ولا نفيه.

ثانياً: من جهة معناه: فإن أردت أن الله في حيزٍ يحوزه، فهذا قولٌ منكر، ولا نقول به، وإن أردت أن الله منحازٌ عن المخلوقات بائنٌ منها ليس حالاً فيها، فهذا حقٌّ.

قوله: «بَلْ جَهَّيْتِ» يعني: قلت: إن الله في جهة -ويا ويل من قال: إن الله في جهة- مع أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «أَيْنَ اللهُ؟» و(أَيْنَ) يُسْتَفْهَمُ بها عن المكان، لكن هم يقولون: أيُّ إنسانٍ يُثبِتُ العلوَّ لله فهو مُثبِتٌ للجهة.

نقول في الجهة كما قلنا في الحيز تماماً، فبالنسبة للفظ لا نفيه ولا نثبتَه، فلا نقول: الله في جهةٍ ولا في غير جهة، هذا لا تلزمونا به؛ لأن الله لم يثبتَه لنفسه، ولا نفاه عن نفسه، ونحن في غنى عن الكلام فيه.

لكن تنزلاً معك نقول: إن أردت جهةً تُحيطُ بالله فهذا مُنكِرٌ ولا نقول به، وإن أردت أن الله في العلوِّ، فالعلوُّ عدمٌ، يعني: لا يوجد شيءٌ يُحيطُ بالله، فليس فوق العالم إلا الله عزَّ وجلَّ، فإذا أردت أن الله في جهة، أي: في جهة العلوِّ الذي لا يُحيط به شيءٌ من مخلوقاته فهذا حقيقةٌ نوافقك عليها، وهذا باعتبار المعنى.

أمَّا في اللفظ فليس علينا، بل وليس لنا أن نثبتَه أو ننفيه؛ لأنه لم يرد إثباته ولا نفيه.

قوله: «بَلْ سَبَّهْتَ» سَبَّهْتَ يعني: إذا قلت: إن الله في العلوِّ فأنت مُسَبِّهٌ؛ لأنَّ العلوَّ الذاتي لا يقوم إلا بجسم، والأجسام متماثلةٌ.

هنا نقول: لا نوافقكم على هذا، نحن لا ننفي التشبيه المطلق ولا نثبتَه؛ لأنَّ التشبيه المطلق لم يقل به أحدٌ من الناس أبداً حتى الكفار ما يقولون به، فالتشبيه

المطلق معناه: التساوي من كُلِّ وجه، وهذا لا أحدَ يقولُ به، يعني: لا أحدَ من الناس قال: إِنَّ الخالقَ مشابهٌ للمخلوق من كُلِّ وجه، حتَّى المجوس الثنويَّة الذين يقولون: (إِنَّ للعالمَ خالقَيْن) لا يقولون بتساويهما، أي: بتساوي هَذَيْنِ الخالقَيْن، ماذا يقول المجوس؟

يقولون: إِنَّ الخيرَ يخلقه النور، والشَّرُّ تخلقه الظلمة؛ لأنَّ الشَّرَّ عدمٌ، والظلمة عدمٌ نورٍ، والنور وجود، والخير وجود، لكن مع ذلك لا يقولون: إِنَّ الظلمة والنور سواء، يقول بعضهم: النور قديمٌ، والظلمة حادثَةٌ، إِذَنْ لا تساوي، النور لا شكَّ أنه أمرٌ مرغوب والظلمة مكروهة، إِذَنْ لا تساوي، النور يُنتجُ الخيرَ، والظلمة تُنتجُ الشَّرَّ، فلا يتساويان في آثارهما وتأثيرهما.

إِذَنْ لم يَقُلْ أحدٌ من الخلق: إِنَّ الخالقَ والمخلوقَ متشابهان من كُلِّ وجهٍ تشابهًا مطلقًا.

وإن أردتم بالتشبيه الاشتراك في أصل المعنى فهذا حَقٌّ، فالخالق والمخلوق بينهما اشتراكٌ في أصل المعنى في الصِّفَات، فـ(الحَيَاة) في الأصل معنى مشترك، (السَّمْع) في الأصل معنى مشترك، لكن فرقٌ بين حياة الخالق وحياة المخلوق، وفرقٌ بين سَمْع الخالق وسَمْع المخلوق، حينئذٍ رميكم إِيَّانا بالمشَبَّهة غيرُ مقبولٍ، فهذه دعوى منكم.

قَوْلُهُ: «بَلْ جَسَّمَتَ» يعني: قلت: إِنَّ اللهَ جَسَّمٌ، الَّذِي يثبتُ لله صفةٌ يقول: هُوَ جَسَّمٌ، فإذا قلت: (إِنَّ للهَ يدين) قالوا: هَذَا تجسيمٌ، (الله وجهٌ) قالوا: هَذَا مُجَسِّم هَذَا تجسيمٌ.

فنقول لهم: أوَّلاً ليس لكم أن تلزموننا بالقول بالجسم أو بنفيه؛ لأنه لم يرد

نفيًا ولا إثباتًا، وليس علينا، بل ولا لنا أن نثبت أو ننفي، لكن في المعنى نقول: ماذا تريدون بالجسم الذي شوَّهتمونا به؟ هل تريدون أن نقول: إنَّ اللهَ جسمٌ مشابهٌ للأجسام، أي: مُرَكَّبٌ من عظم، وعصب، ولحم، ودم؟ فهذا مُنْكَرٌ، ولا نقول به، أو تريدون بأنَّ اللهَ جسمٌ، تريدون به أنَّ اللهَ تعالى موصوفٌ بالصفات وقابلٌ للصفات فهذا حَقٌّ لا شكَّ، فهو - سبحانه وتعالى - موصوفٌ بالصفات: يستوي على العرش، وينزل، ويأخذ بيده عزَّ وجلَّ، ويضحك، وله وجهٌ، وله يدٌ، وله عينان، فهذا حَقٌّ، ونقول به، وما الَّذِي يضرنا من هذا؟!!

فإذن هم - والعياذ بالله - يشوَّهون مذهبَ أهلِ السُّنَّةِ بمثل هذهِ الكلمات؛ لأنَّ اللهَ تعالى لمَّا أرسل الرسلَ جعل أعداءهم ينادونهم بهذهِ الزخارف من القول، ففي سورة الأنعام يقول اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢] وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، ولا حظوا أنَّ عدوَّ الرسولِ عدوٌّ لأتباعِ الرسولِ، فالمشركون في عهد الرسولِ أعداءٌ له، وكذلك مَنْ خالفوا هديَه إلى يومنا هذا هم أعداءٌ لنا، يقولون مثل ما قال الأولون.

قَوْلُهُ: «لَسْتَ بِعَارِفِ الرَّحْمَنِ» إِذَنْ مِنَ الْعَارِفِ عَلَى زَعْمِهِمْ؟

الجواب: هم العارفون، هم الذين يعرفون اللهَ، وأنه لا يُوصَفُ بصفةٍ كمالٍ، هذا معرفتهم لرَّبِّهم، يعني: لا يسمعُ، ولا يبصرُ، ولا يتكلَّمُ، ولا يُحِبُّ، ولا يكرهُ، ولا يرضى، هل الَّذِي يصفُ اللهَ بهذا النَّفيِ عارفٌ لله؟! أبدًا والله، بل هو أجهلُ الخلقِ بالله.

١٧١٠- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لِمَنْ قَدْ قَالَ: مَا قَدْ قَالَهُ حَقًّا أَبُو عِمْرَانَ

قَوْلُهُ: «أَبُو عِمْرَانَ» أَي: حُصَيْنِ بْنِ الْمَنْدَرِ.

١٧١١- فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ فَالْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ وَمِنْ أَتْبَاعِهِمْ» هَذَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَبْرًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ دَعَاءً مِنَ الْمُؤَلَّفِ، يَعْنِي: يَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَأْخُذَ حَقَّهُ مِنْ هَؤُلَاءِ، أَوْ أَنَّهُ يُجَبِّرُ بِأَنَّ اللَّهَ سَوْفَ يَأْخُذُ حَقَّهُ مِنْهُمْ، وَالْمَعْنِيَانِ مُتَلَازِمَانِ.

١٧١٢- وَادْكُرْ شَهَادَتَهُ لِمَنْ قَدْ قَالَ رَبِّ بِي فِي السَّمَاءِ بِحَقِيقَةِ الْإِيمَانِ

ويعني بذلك: الجارية التي سأها النبي ﷺ: «أَيْنَ اللَّهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، فَقَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(١).

١٧١٣- وَشَهَادَةَ الْعَدْلِ الْمُعْطَلِ لِلَّذِي قَدْ قَالَ ذَا بِحَقِيقَةِ الْكُفْرَانِ

اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ، النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»، وَعِنْدَ الْمُعْطَلِ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، يَقُولُ: لَا تَعْتَقُهُ، فَإِنَّهُ كَافِرٌ.

فهؤلاء يشهدون بالكفر لمن أقرَّ بأنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، وَالنَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- شَهِدَ بِالْإِيمَانِ لِمَنْ أقرَّ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

١٧١٤- وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ وَإِنِّي لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَاحْكُمْ بِأَيِّهِمَا تَشَاءُ» يَعْنِي: هَلْ تَحْكُمُ عَلَيَّ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ بِالْإِيمَانِ أَوْ بِالْكَفْرِ؟

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

الجواب: بالإيمان كما حكم الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

قوله: «وإِنِّي لَأَرَاكَ تَقْبَلُ شَاهِدَ الْبُطْلَانِ» متى تقبله؟ قال:

١٧١٥- إِنْ كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ جَهَنَّمَ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
إِذَنْ سَوْفَ تَقْبَلُ مَنْ حَكَمَ عَلَيَّ مَنْ قَالَ بِأَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ بِالْكَفْرِ إِذَا كُنْتَ مِنْ
أَتْبَاعِ جَهَنَّمَ، وَبِالْإِيمَانِ إِذَا كُنْتَ مِنْ أَتْبَاعِ مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

- ١٧١٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ إِسْحَاقَ الرَّضِيِّ ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ
١٧١٧- فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُو
١٧١٨- فَاسْتَعْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ وَقَالَ: شَأْنُ
١٧١٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ
١٧٢٠- وَلِعَرْشِهِ مِنْهُ أَطِيبٌ مِثْلَ مَا
١٧٢١- اللَّهُ مَا لَقِيَ ابْنَ إِسْحَاقٍ مِنْ آلِ
١٧٢٢- وَيَظَلُّ يَمْدُحُهُ إِذَا كَانَ الَّذِي
١٧٢٣- كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَمْثَالَ ذَا
١٧٢٤- هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لَا التَّطْفِيفُ فِي
- ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ
نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ الْمَنَّانِ
نُ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ أَعْظَمُ شَأْنِ
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ!
قَدْ أَطَّ رَحْلُ الرَّاكِبِ الْعَجْلَانَ
جَهَنَّمِيٍّ إِذْ يَرْمِيهِ بِالْعُدْوَانِ
يَرْوِي يُوَافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ
فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الشَّانِ
ذَرَعَ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

الشرح

١٧١٦- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لَابْنِ إِسْحَاقَ الرَّضِيِّ ذَاكَ الصَّدُوقُ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ

- ١٧١٧- فِي قِصَّةِ اسْتِسْقَائِهِمْ يَسْتَشْفِعُونَ
نَ إِلَى الرَّسُولِ بِرَبِّهِ الْمَنَّانِ
- ١٧١٨- فَاسْتَعْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ وَقَالَ: شَأْنُ
نُ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ أَعْظَمُ شَأْنِ
- ١٧١٩- اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ فَوْقَ سَمَائِهِ
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ!
- ١٧٢٠- وَلِعَرْشِهِ مِنْهُ أَطِيبٌ مِثْلَ مَا
قَدْ أَطَّ رَحْلُ الرَّايِبِ الْعَجْلَانِ
- أشار المؤلفُ أيضًا إلى حديثِ رُوي من طريقِ ابنِ إسحاق، ووصفِ ابنِ القيمِ ابنِ إسحاق بأنه صدوقٌ حافظٌ ربّاني.

والمعروفُ أنَّ ابنَ إسحاق -رحمه الله- من المدلسين، وأنه إذا لم يُصرِّحْ بالتحديث فحديثه مُدلسٌ ضعيفٌ، وإن صرَّحَ بالتحديث فاختلف العلماء فيه: فمنهم مَنْ صَعَّفَ الرجلَ، وقال: إنه لا يُحتجُّ به على أنهم يحتجُّون به في التاريخ والأخبار، ومنهم مَنْ قال: إنَّ حديثه حسنٌ مُحْتَجٌّ به، ومنهم مَنْ قال: بل هو ثقةٌ إذا صرَّحَ بالتحديث.

ف للعلماء فيه ثلاثة أقوالٍ فيما إذا صرَّحَ بالتحديث: ثقةٌ مقبولٌ، حديثه حسنٌ، الثالث: ضعيفٌ.

أمَّا إذا لم يُصرِّحْ بالتحديث فإنه -رحمه الله- ممَّن عُرِفَ بالتدليس، والمدلسُ إذا عنعن يكون حديثه غير متصلٍ، يعني: ضعيفًا.

على كُلِّ حالٍ أشار المؤلفُ إلى حديثِ أن رجلاً جاءَ يَسْتَسْقِي بالنبيِّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يقولُ: «إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنَّة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٦).

فذكر الأعرابي جملتين: «نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ»، «وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ»،
الجملة الأولى صحيحة، والجملة الثانية خطأ عظيم؛ ولهذا سَبَّحَ النَّبِيُّ ﷺ أي:
جعل يُسَبِّحُ سبحان الله! سبحان الله! سبحان الله! حَتَّى عَرَفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ
أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَيَحْكُ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ
مِنْ ذَلِكَ وَيَحْكُ أَتَدْرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا»، وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ
الْقُبَّةِ عَلَيْهِ «وَإِنَّهُ -أي: العرش- لَيَبْطُ بِهِ أَطِيطُ الرَّحْلَ بِالرَّأِكِ»^(١).

الأطيط: الصَّرِير، والرَّحْل: ما يُشَدُّ عَلَى البعير، فتجدُ البعيرَ إذا كان مُحْمَلًا
يكون للرَّحْل صريرٌ يصرصرُ.

وهذا الحديثُ ضَعْفُهُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ، لَكِنْ لَعَلَّ ابْنَ الْقَيْمِ -رحمه الله-
صَحَّحَهُ لَشَوَاهِدِهِ.

على كُلِّ حَالٍ نَقُولُ: إِنَّهُ لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقُولَ: «إِنِّي أَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ»
لِمَاذَا؟ لِأَنَّ الشَّافِعَ مَنْزِلَتُهُ دُونَ الْمَشْفُوعِ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ أَعْلَى لَكَانَ يَأْمُرُ،
وَلَا يَشْفَعُ، فِإِذَا قُلْتَ: «أَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ» فَقَدْ جَعَلْتَ مَرْتَبَةَ اللَّهِ -جَلَّ وَعَلَا-
دُونَ مَرْتَبَةِ الْمَشْفُوعِ عِنْدَهُ، وَهَذَا شَيْءٌ عَظِيمٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ: «إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ
بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» لَكِنْ إِذَا قُلْتَ: «أَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ»، وَكَانَ حَيًّا يَقْدِرُ أَنْ
يَدْعُوَ لَكَ، فَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «مَا مِنْ رَجُلٍ
مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ
فِيهِ»^(٢) يَعْنِي: جَعَلَهُمْ شَفَعَاءَ.

(١) أخرجه الطبراني (٢٤٦/٨، رقم ٧٩٦٦) قال الهيثمي (٣٩٨/١٠): فيه جعفر بن الزبير وهو متروك. والحاكم (٤٠٢/٢، رقم ٣٤٠٢).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الجنائز، باب من صلى عليه أربعون شفَعوا فيه، رقم (٩٤٨).

وهذا مما يدلُّ أيضًا على العلوِّ.

قَوْلُهُ: «فَاسْتَعْظَمَ الْمُخْتَارُ ذَاكَ» أَي: استعظم كونهم يستشفعون بالله إلى

الرسول.

ثُمَّ قَالَ:

١٧٢١- لَهِ مَا لَقِيَ ابْنَ إِسْحَاقَ مِنَ الْـ جَهْمِيِّ إِذْ يَرْمِيهِ بِالْعُدْوَانِ

١٧٢٢- وَيَظَلُّ يَمْدَحُهُ إِذَا كَانَ الَّذِي يَرُوي يُوَافِقُ مَذْهَبَ الطَّعَّانِ

يقول: إِنَّ ابْنَ إِسْحَاقَ إِذَا رَوَى مَا يَخَالِفُ مَذْهَبَ الْمُعْطَلِ رَمَاهُ بِالْقَدْحِ وَالسَّبِّ وَالسَّتْمِ، وَإِذَا رَوَى مَا يُوَافِقُهُ قَالَ: هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الثَّقَةُ الْعَدْلُ الثَّبْتُ؛ لِأَنَّهُ يُوَافِقُ هَوَاهُ، فَيَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ:

١٧٢٣- كَمْ قَدْ رَأَيْنَا مِنْهُمْ أَمْثَالَ ذَا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الشَّانِ

١٧٢٤- هَذَا هُوَ التَّطْفِيفُ لَا التَّطْفِيفُ فِي ذَرْعٍ وَلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

قال الله تعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ وَإِذَا

كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿المطففين: ١-٣﴾.

فالذي لا يقبل الحقَّ إِلَّا إِذَا وَافَقَ هَوَاهُ وَيَرُدُّهُ إِذَا خَالَفَ هَوَاهُ، هَذَا مُطَفِّفٌ،

هَذَا أَعْظَمُ مِنْ تَطْفِيفِ الْكَيْلِ، وَالْوِزْنِ، وَالذَّرْعِ.

١٧٢٥- وَادْكُرْ حَدِيثَ نَزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى فِي ثَلَاثِ لَيْلٍ آخِرِ أَوْ ثَانِي

١٧٢٦- فَنَزُولِ رَبِّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ فِي الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ

- ١٧٢٧- وَادْكُرْ حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةَ فِي شَأْنِ جَارِيَةِ لَدَى الْغَشْيَانِ
 ١٧٢٨- فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ اللَّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ١٧٢٩- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ سُبْحَانَهُ عَنِ نَفْيِ ذِي الْبُهْتَانِ
 ١٧٣٠- ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «اسْتِيعَابِهِ» هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلَا نُكْرَانَ

الشرح

هذان أيضًا حديثان ذكرهما المؤلف، الأول: حديث النزول إلى السماء الدنيا في نصف الليل^(١)، والنزول عقلاً لا يكون إلا من أعلى؛ لأنه لا يمكن أن يُقال: «نزل» إلا إذا كان عاليًا.

يقول:

- ١٧٢٥- وَادْكُرْ حَدِيثَ نُزُولِهِ نِصْفَ الدُّجَى فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي
 ١٧٢٦- فَزُرُورٌ رَبِّ لَيْسَ فَوْقَ سَمَائِهِ فِي الْعَقْلِ مُمْتَنِعٌ وَفِي الْقُرْآنِ

قوله: «نِصْفَ الدُّجَى» يعني: نصف الليل، لا يمكن أن ينزل إلا من أعلى، ولكن يجب أن نعلم أن نزول الله من السماء الدنيا لا يعني: أنه يزول وصفه بالعلو، فهو عز وجل نازل عال؛ لأن الله ليس كمثله شيء في جميع صفاته.

ولكن هل يخلو منه العرش؛ لأن الاستواء ليس صفة ذاتية أو لا يخلو منه

العرش؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

في هذا ثلاثة أقوالٍ لأهل العلم:
 القول الأول: يخلو منه العرشُ.
 القول الثاني: لا يخلو منه العرشُ.
 القول الثالث: التوقف.
 فلدينا مسألتان:

المسألة الأولى: هل إذا نزل ينتفي عنه العلوُّ؟ الجواب: لا، لا يمكن؛ لأنَّ العلوَّ صفةٌ ذاتٍ، والصفةُ الذاتيةُ لازمةٌ، لا ينفكُ الله عنها.

المسألة الثانية: هل يخلو منه العرشُ؛ لأنَّ الإِسْتِوَاءَ عَلَى العرشِ صفةٌ فعلٍ يفعلها متى شاء؟ نقول: في المسألة ثلاثة أقوالٍ للعلماء: فمنهم مَنْ قال: نعم يخلو منه العرشُ، ومنهم مَنْ قال: لا، وهذا الثاني اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- أنه لا يخلو منه العرشُ، والله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ، يكون نازلاً إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَهُوَ عَلَى عَرْشِهِ؛ لأنَّ اللهَ لَا يُشْبِهُهُ شَيْءٌ، ومنهم مَنْ قال: بل نتوقفُ أو نسكت.

والصوابُ عندي: أننا نسكتُ، ولا نتكلَّم بهذا إطلاقاً؛ لأنَّ هَذَا لو كان التفصيلُ فيه خيراً لكان الصحابةُ أَوْلَ مَنْ يَسْأَلُ الرَّسُولَ ﷺ، فالصوابُ أن نسكتَ عن هذا، ونُعْرِضَ عنه.

١٧٢٧- وَاذْكُرْ حَدِيثَ الصَّادِقِ ابْنِ رَوَاحَةَ فِي شَأْنِ جَارِيَةِ لَدَى الْغَشَيَانِ
 ١٧٢٨- فِيهِ الشَّهَادَةُ أَنَّ عَرْشَ اللَّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ١٧٢٩- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ
 سُبْحَانَهُ عَنِ نَفْسِي ذِي الْبُهْتَانِ

حديثُ ابنِ رِواحةَ^(١) هُوَ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رِواحةَ عِنْدَهُ جاريةٌ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امرأتهُ، فَأَخَذَتْ السَّكِّينَ؛ لِأَنَّهَا غَارَتْ، كَيْفَ تَجَامَعُ الجاريةُ؟! فَغَارَتْ مِنْهَا فَقَالَ: عَلَى مَهْلِكَ، أَتُحِبُّينَ أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ؟ وَالْمَعْرُوفُ أَنَّ الْجَنْبَ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَالَتْ: نَعَمْ، أَقْرَأْ، فَقَالَ:

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ

الشاهدُ قولُه: «وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ» لما قرأ عليها البيتين قالت: إِذْنًا، لَا جَمَاعَ؛ لِأَنَّ الْجَنْبَ لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، فَظَنَّتْ أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ قِرْآنًا، فَهَدَأَ غَضَبُهَا، فَأَخْبَرَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رِواحةَ النَّبِيَّ ﷺ بِذَلِكَ فَأَقْرَهَ عَلَى قَوْلِهِ:

وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٢)

١٧٣٠- ذَكَرَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «اسْتِيعَابِهِ» هَذَا وَصَحَّحَهُ بِلَا نُكْرَانَ

قَوْلُهُ: «ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي (اسْتِيعَابِهِ)» أَي: كِتَابِ (الاسْتِيعَابِ فِي مَعْرِفَةِ الْأَصْحَابِ) لِابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَهُوَ يُشْبِهُ كِتَابَ (الإِصَابَةِ فِي مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ) لِابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ، وَإِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا لَهُ مِيزَةٌ، لَكِنَّ ابْنَ حَجَرٍ مَتَأَخَّرَ عَنِ ابْنِ عَبْدِ الْبَرِّ؛ وَلِذَلِكَ صَارَ أَجْمَعَ وَأَكْثَرَ بِالنِّسْبَةِ لِتَرَاجُمِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

(١) أخرجه الدارقطني (١/٢١٦، رقم ٤٣٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الإشراف في منازل الأشراف، رقم (٢٣٩).

- ١٧٣١- وَحَدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابِتٌ
وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ
- ١٧٣٢- وَإِلَى إِلَهِ الْعَرْشِ كَانَ عُرُوجُهُ
لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَاحِبِهِ رَجُلَانِ
- ١٧٣٣- وَادْكُرْ بِقِصَّةِ خَنْدَقِ حُكْمًا جَرَى
لِقَرِيظَةَ مِنْ سَعْدِ الرَّبَّانِيِّ
- ١٧٣٤- شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّ حُكْمَ إِلَهِنَا
مِنْ فَوْقِ سَبْعِ وَفُقَّهُ بِوِزَانِ
- ١٧٣٥- وَادْكُرْ حَدِيثًا لِلْبَرَاءِ رَوَاهُ أَصْبَحُ
حَابُ الْمَسَانِدِ مِنْهُمْ الشَّيْبَانِيُّ
- ١٧٣٦- وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكِمُنَا الرَّضِيُّ
وَأَبُو نَعِيمِ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ
- ١٧٣٧- قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ
مَا لَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْلُو الْعُدْوَانِ
- ١٧٣٨- فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا
وَفِرَاقِهَا لِمَسَاكِينِ الْأَبْدَانِ
- ١٧٣٩- فَتَظَلُّ تَضَعْدُ فِي سَمَاءِ فَوْقَهَا
أُخْرَى إِلَى خَلَاقِهَا الرَّحْمَنِ
- ١٧٤٠- حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبِّهَا
فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانِ
- ١٧٤١- وَادْكُرْ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيهِ تَحَدُّ
ذِيرٌ لِدَاتِ الْبَعْلِ مِنْ هَجْرَانِ
- ١٧٤٢- مِنْ سُخْطِ رَبِّ فِي السَّمَاءِ عَلَى النَّبِيِّ
هَجَرَتْ بِلَا ذَنْبٍ وَلَا عُدْوَانِ

الشرح

حديثُ معراجِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى اللَّهِ مِنْ الْأَحَادِيثِ الدَّالَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
فَهُوَ مِنَ الْأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى الْعُلُوِّ.
يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٧٣١- وَحَدِيثُ مِعْرَاجِ الرَّسُولِ فَثَابِتٌ
وَهُوَ الصَّرِيحُ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ

١٧٣٢- وَإِلَىٰ إِلَهِ الْعَرْشِ كَانَ عُرُوجُهُ لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْ صَحْبِهِ رَجُلَانِ

حديثُ المعراج ثابتٌ بالصَّحاح، والمسانيد، وغيرها، وهو ثابتٌ بالقرآن أيضاً، فالله - سبحانه وتعالى - عرج بنبيه ﷺ والعروجُ يكونُ من أسفلِ إلى أعلى.

وقد ثبت الإسراءُ والمعراجُ في القرآن فالإسراءُ ثبت بقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والمعراجُ ثبت بقوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿ [النجم: ١-٢] إلى آخر الآيات.

ومن الأدلة قوله:

١٧٣٣- وَأَذْكَرُ بِقِصَّةِ حُنْدَقٍ حُكْمًا جَرَى لِقَرِيظَةٍ مِّنْ سَعْدِ الرَّبَّانِي

١٧٣٤- شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّ حُكْمَ إِلَهِنَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ وَفَقَهُ بِوِرَانِ

هذا الحديثُ يُشيرُ إلى حكمِ سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في بني قريظة؛ لأنَّ بني قريظة كانوا حلفاءً للأوس، ولَمَّا حاصرهم النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام- نحو خمسٍ وعشرين ليلةً نزلوا على حكمِ سعد بن معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان سعدٌ قد أُصيبَ في أَكْحَلِهِ في غَزْوَةِ الْحُنْدَقِ، فَضْرَبَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ خِيَمَةً في مَسْجِدِ النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-؛ لِيَعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ كَانَ يُحِبُّهُ وَيُحِبُّهُ؛ لِأَنَّهُ سَيِّدُ الْأَوْسِ، وَقَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «لَمَنَادِيلُ سَعْدٍ في الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ»^(١)، فَشَهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَهُ مَنَادِيلٌ في الْجَنَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب، رقم (٢٤٧٣)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٦٩).

لَمَّا أُصِيبَ فِي أَكْحَلِهِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تُمْتِنِي حَتَّى تُقِرَّ عَيْنِي مِنْ قُرَيْظَةَ حُلَقَائِهِ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ.

نَزَلَتْ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِهِ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِلَيْهِ فَأْتِيَ بِهِ مِنْ مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ عَلَى حِمَارٍ فَلَمَّا أَقْبَلَ، قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ» فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَأَنْزَلُوهُ مِنَ الْحِمَارِ، وَجَلَسَ.

فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِأَنَّ بَنِي قُرَيْظَةَ حَكَّمُوهُ فِيهِمْ، فَقَالَ: أَحْكُمِي نَافِذٌ فِيهِمْ؟ قَالَ بَنُو قُرَيْظَةَ: نَعَمْ، قَالَ: وَعَلَى هَؤُلَاءِ، وَيَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَلَكِنَّهُ قَدْ غَضَّ طَرْفَهُ اخْتِرَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «وَعَلَى هَؤُلَاءِ» قَالَ: أَحْكُمُ بَيْنَهُمْ بِأَنْ تُقْتَلَ مُقَاتِلَتُهُمْ، وَتُسَبَى نِسَاؤُهُمْ وَذُرِّيَّتُهُمْ، وَتُقَسَمَ أَمْوَالُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

ثُمَّ فَعَلَ بِهِمْ مَا حَكَمَ بِهِ سَعْدٌ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ-، وَقَتَلَ مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ سَبْعِمِائَةَ رَجُلٍ، ثُمَّ عَادَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ إِلَى خَيْمَتِهِ فِي الْمَسْجِدِ، فَأَنْبَعَثَ الدَّمُ مِنْ جُرْحِهِ، فَمَاتَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) لَمَّا انْقَضَتِ الْمَهْمَةُ الَّتِي أُقِرَّتْ بِهَا عَيْنُهُ انْتَقَلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ.

المهم أن هذا يدل على أن الله فوق؛ لقوله: «مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ».

١٧٣٥- وَاذْكُرْ حَدِيثًا لِلْبِرَاءِ رَوَاهُ أَصْبَحَابُ الْمَسَانِدِ مِنْهُمْ الشَّيْبَانِيُّ

١٧٣٦- وَأَبُو عَوَانَةَ ثُمَّ حَاكِمُنَا الرَّضِيُّ وَأَبُو نَعِيمِ الْحَافِظُ الرَّبَّانِيُّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب مناقب سعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٥٩٣)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل الحصن على حكم حاكم عدل أهل للحكم، رقم (١٧٦٨).

- ١٧٣٧- قَدْ صَحَّحُوهُ وَفِيهِ نَصٌّ ظَاهِرٌ مَا لَمْ يُحَرِّفْهُ أَوْلُو الْعُدْوَانِ
 ١٧٣٨- فِي شَأْنِ رُوحِ الْعَبْدِ عِنْدَ وَدَاعِهَا وَفِرَاقِهَا لِمَسَاكِينِ الْأَبْدَانِ
 ١٧٣٩- فَتَظَلُّ تَصْعَدُ فِي سَمَاءٍ فَوْقَهَا أُخْرَى إِلَى خَلْقِهَا الرَّحْمَنِ
 ١٧٤٠- حَتَّى تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبِّهَا فِيهَا وَهَذَا نَصُّهُ بِأَمَانِ
 قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ الشَّيْبَانِي» يعني: الإمام أحمد - رحمه الله -.

قَوْلُهُ: «تَصِيرَ إِلَى سَمَاءِ رَبِّهَا فِيهَا» أي: تصيرُ إلى سماءٍ فيها ربُّها، وهذا نصُّ الحديث.

يعني: أن المؤمنَ إذا قبِضتْ رُوحُه صُعِدَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الْأُولَى، ثُمَّ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ الثَّلَاثَةِ، ثُمَّ الرَّابِعَةِ، إِلَى أَنْ تَصِلَ إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.
 أمَّا الكَافِرُ فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لِرُوحِهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، بَلْ تُطْرَحُ فِي الْأَرْضِ طَرْحًا
 -والعياذُ بالله- ثُمَّ قَرَأَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُفْنَخُ لَهُمْ
 أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] ^(١).

١٧٤١- وَادَّكَّرَ حَدِيثًا فِي الصَّحِيحِ وَفِيهِ تَحْذِيرٌ لِدَاتِ الْبُعْلِ مِنْ هِجْرَانِ
 قَوْلُهُ: «وَفِيهِ تَحْذِيرٌ لِدَاتِ الْبُعْلِ مِنْ هِجْرَانِ» يعني: للمرأة ذات الزوج،
 حذرها الرسول -عليه الصلاة والسلام- مَنْ هَجَرَ زَوْجَهَا، لَكِنْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ
 حَذَرَهَا؟ قَالَ:

(١) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقي به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم (١٨٣٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).

١٧٤٢- مِنْ سُخْطِ رَبِّ فِي السَّمَاءِ عَلَى التِّي هَجَرَتْ بِلا ذَنْبٍ وَلَا عُذْوَانِ

فإن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْتِي عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا»^(١).

فَقَالَ: «الَّذِي فِي السَّمَاءِ» وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

١٧٤٣- وَاذْكَرُ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الْإِيمَانِ

١٧٤٤- فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَمَا يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلٍ وَمِنْ إِحْسَانِ

١٧٤٥- بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ وَإِذَا بَنُورِ سَاطِعِ الْعَشْيَانِ

١٧٤٦- لَكِنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الْغُفْرَانِ

١٧٤٧- فَيَسَلُّمُ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

١٧٤٨- وَاذْكَرُ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي طَرِيقِهِ فِيهِ أَبُو الْيَقْظَانِ

١٧٤٩- فِي فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْيَوْمِ الَّذِي بِالْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ

١٧٥٠- يَوْمِ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

١٧٥١- وَاذْكَرُ مَقَالَتهُ: أَلَسْتُ أَمِينَ مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

١٧٥٢- وَاذْكَرُ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سَقَفَ هُوَ بِطُولِهِ كَمَ فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، رقم (١٤٣٦).

- ١٧٥٣- وَاللَّهُ مَا لِمُعْطَلٍ بِسَمَاعِهِ
 أَبَدًا قُوَى إِلَّا عَلَى النُّكْرَانِ
 ١٧٥٤- فَأُصُولُ دِينِ نَبِينَا فِيهِ أَتَتْ
 فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيَانِ
 ١٧٥٥- وَبَطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابْنُ إِمَامِنَا
 فِي «سُنَّةٍ» وَالْحَافِظُ الطَّبْرَانِي
 ١٧٥٦- وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ «تَارِيخٍ» لَهُ
 وَأَبُوهُ ذَاكَ زُهَيْرُ الرَّبَّازِي

الشرح

هذه أيضًا أحاديث أشار إليها المؤلف - رحمه الله -، الأول: قال:

- ١٧٤٣- وَادْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ
 فِيهِ الشِّفَاءُ لِطَالِبِ الْإِيمَانِ
 ١٧٤٤- فِي شَأْنِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْعُلْيَا وَمَا
 يَلْقَوْنَ مِنْ فَضْلِ وَمِنْ إِحْسَانِ
 ١٧٤٥- بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَنَعِيمِهِمْ
 وَإِذَا بَنُورِ سَاطِعِ الْغَشَّيَانِ
 ١٧٤٦- لَكِنَّهُمْ رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ
 فَإِذَا هُوَ الرَّحْمَنُ ذُو الْغُفْرَانِ
 ١٧٤٧- فَيَسَلُّمُ الْجَبَّارُ جَلَّ جَلَالُهُ
 حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ

قوله: «وَادْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ جَابِرٌ...» هَذَا حَدِيثٌ رَوَاهُ جَابِرٌ وَهُوَ «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ...»^(١) فهذا دليل على علوه - سبحانه وتعالى -؛ ولهذا قال: «لكنهم رفعوا إليه رؤوسهم» والرفع لا يكون إلا إلى أعلى.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب الإيمان، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٤).

١٧٤٨- وَاذْكُرْ حَدِيثًا قَدْ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ فِي طَرِيقِهِ فِيهِ أَبُو الْيَقْظَانَ

١٧٤٩- فِي فَضْلِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ الْيَوْمِ الَّذِي بِالْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ النَّصَّانِ

ومن ذلك أيضًا حديثٌ رواه الشافعيُّ في فضل يوم الجمعة الَّذِي هُوَ يَوْمُ المَزِيدِ، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَزُورُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، هَذَا الْيَوْمُ (يَوْمِ الْجُمُعَةِ) فِيهِ اسْتَوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ ^(١) كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

١٧٥٠- يَوْمِ اسْتَوَاءِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

وَوَجْهُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وَهَذِهِ الْأَيَّامُ أَوْلَاهَا الْأَحَدُ وَالِاثْنَيْنِ، وَالثَلَاثَاءِ، وَالْأَرْبَعَاءِ، وَالْخَمِيسِ، وَالْجُمُعَةِ، تَمَّتْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَبِئْسَ يَوْمٌ الْجُمُعَةُ اسْتَوَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَرْشِهِ.

١٧٥١- وَاذْكُرْ مَقَالَتَهُ: أَلَسْتُ أَمِينًا مَنْ فَوْقَ السَّمَاءِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ؟

هَذَا قَالَهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حِينَمَا قَسَمَ ذُهَيْبَةً بَيْنَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: كُنَّا أَحَقَّ بِهَذَا مِنْ هَؤُلَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» ^(٢). وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ هُوَ اللَّهُ.

١٧٥٢- وَاذْكُرْ حَدِيثَ أَبِي رَزِينٍ ثُمَّ سَقَى

١٧٥٣- وَاللَّهُ مَا لِمُعْطَلٍ بِسَمَاعِهِ أَبَدًا قُوَى إِلَّا عَلَى النُّكْرَانِ

(١) انظر: مسند الشافعي (ص: ٧٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب بعث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وخالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْيَمَنِ، رقم (٤٣٥١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

١٧٥٤- فَأُصُولُ دِينِ نَبِيِّنَا فِيهِ أَتَتْ فِي غَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيَانِ
 ١٧٥٥- وَبَطُولِهِ قَدْ سَاقَهُ ابْنُ إِمَامِنَا فِي «سُنَّةٍ» وَالْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ
 قَوْلُهُ: «فِي سُنَّةٍ» وَالتَّسَنُّةُ: لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - .

١٧٥٦- وَكَذَا أَبُو بَكْرٍ بِ«تَارِيخٍ» لَهُ وَأَبُوهُ ذَلِكَ زُهَيْرُ الرَّبَّانِيِّ
 فَهؤلاء كُلُّهُمْ سَاقُوا الْحَدِيثَ بِتَمَامِهِ (١).

١٧٥٧- وَادْكُرْ كَلَامَ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: أَقِمِ الصَّلَاةَ وَتِلْكَ فِي سُبْحَانِ
 ١٧٥٨- فِي ذِكْرِ تَفْسِيرِ الْمَقَامِ لِأَحْمَدَ مَا قِيلَ ذَا بِالرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
 ١٧٥٩- إِنْ كَانَ تَجْسِيمًا فَإِنَّ مُجَاهِدًا هُوَ شَيْخُهُمْ بَلْ شَيْخُهُ الْفَوْقَانِيُّ
 ١٧٦٠- وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ الْجُلُوسِ بِهِ وَفِي أَثَرِ رَوَاهُ جَعْفَرُ الرَّبَّانِيِّ
 ١٧٦١- أَعْنِي ابْنَ عَمِّ نَبِيِّنَا وَبِغَيْرِهِ أَيْضًا أَتَى وَالْحَقُّ ذُو التَّبْيَانِ
 ١٧٦٢- وَالذَّارِقُطْنِيُّ الْإِمَامُ يُبَيِّنُ الْآثَارَ فِي ذَا الْبَابِ غَيْرِ جَبَانَ
 ١٧٦٣- وَلَهُ قَصِيدٌ ضَمَّنَتْ هَذَا وَفِيهَا لَسْتُ لِلْمَرْوِيِّ ذَا نُكْرَانِ

(١) وَهُوَ حَدِيثُ أَبِي رَزِينِ الْعَقِيلِيِّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ، مَا فَوْقَ هَوَاءٍ وَمَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ هُودٍ، رَقْمُ (٣١٠٩)، وَابْنُ مَاجَهَ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فِيْمَا أَنْكَرْتَ الْجَهْمِيَّةَ، رَقْمُ (١٨٢)، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ فِي السُّنَّةِ (١/٢٤٥)، رَقْمُ (٤٥٠)، وَالتَّبْرَانِيُّ (٢٠٧/١٩)، رَقْمُ (٤٦٨).

- ١٧٦٤- وَجَرَتْ لِدَٰلِكَ فِتْنَةً فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ
 ١٧٦٥- وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 ١٧٦٦- لَكِنْ بِمِخْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ
 ١٧٦٧- وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ
 ١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتَّحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ
 ١٧٦٤- وَجَرَتْ لِدَٰلِكَ فِتْنَةً فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ
 ١٧٦٥- وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 ١٧٦٦- لَكِنْ بِمِخْنَةِ حِزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ
 ١٧٦٧- وَقَدْ اقْتَصَرْتُ عَلَى يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ
 ١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتَّحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ١٧٥٧- وَادْكُرْ كَلَامَ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ: أَقِمِ الصَّلَاةَ وَتَلِكِ فِي سُبْحَانَ
 ١٧٥٨- فِي ذِكْرِ تَفْسِيرِ الْمَقَامِ لِأَحْمَدِ مَا قِيلَ ذَا بِالرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
 ١٧٥٩- إِنْ كَانَ مُجَسِّمًا فَإِنَّ مُجَاهِدًا هُوَ شَيْخُهُمْ بَلْ شَيْخُهُ الْفَوْقَانِي
 ١٧٦٠- وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ الْجُلُوسِ بِهِ وَفِي أَثَرِ رَوَاهُ جَعْفَرُ الرَّبَّانِي
 ١٧٦١- أَعْنِي ابْنَ عَمِّ نَبِينَا وَبِغَيْرِهِ أَيْضًا أَتَى وَالْحَقُّ ذُو التَّبَيُّانِ
 ١٧٦٢- وَالذَّارِقُطْنِيُّ الْإِمَامُ يُبَيِّنُ الْإِمَامَ وَالذَّارِقُطْنِيُّ الْإِمَامُ يُبَيِّنُ الْإِمَامَ
 ١٧٦٣- وَلَهُ قَصِيدٌ ضَمَّنَتْ هَذَا وَفِيهَا لَسْتُ لِلْمَرْوِيِّ ذَا نُكْرَانِ

هذا أيضًا من الأدلة، وهو ما ذكره مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِكِ﴾

إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٧٩﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩] ذَكَرَ أَنَّ

من المقام المحمود أن الله - سبحانه وتعالى - يُجَلِّسُ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى عَرْشِهِ (١)، وذكر في هَذَا أَثْرًا، والله أعلم بصحة هَذِهِ الآثَارِ، لكن بعض العلماء حَسَّنَهَا لكثرة طرقها.

وذكر أن الدارقطني أثبت هَذِهِ الآثَارَ، وأنَّ له قصيدةً صُمِّمَتْ هَذَا، وفيها: (لست للمروي ذا نكران) والذي يقول هذا الدارقطني.

١٧٦٤- وَجَرَّتْ لِدَلِكْ فِتْنَةٌ فِي وَقْتِهِ مِنْ فِرْقَةِ التَّعْطِيلِ وَالْعُدْوَانِ

وهذه الفتنة، يقول شارحون للقصيدة: إنهم لم يعلموا عنها شيئًا.

ثُمَّ قَالَ الْمَوْلَفُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ الْمَفِيدَةَ الْمَهْمَةَ، قَالَ:

١٧٦٥- وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

لقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ

الْأَشْهَادُ﴾ [غانر: ٥١]، ولكن قال:

١٧٦٦- لَكِنْ بِمِخْنَةِ حَزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ دَا حُكْمُهُ مُدَّ كَانَتْ الْفِتْنَانِ

قَوْلُهُ: «بِمِخْنَةِ حَزْبِهِ مِنْ حَرْبِهِ» يعني: لا بُدَّ أَنْ حَرْبُهُ يَمْتَحِنُونَ حَزْبَهُ بِالْعِدَاوَاتِ،

والبغضاء، والقتال، وغير ذلك.

(١) كما في حديث الأنصاري الذي سأل النبي ﷺ فقال: وَمَا ذَاكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ؟ قَالَ: «ذَاكَ إِذَا جِيءَ بِكُمْ عُرَاةٌ حَفَاةٌ غُرْلًا، فَيَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُكْسَى إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ: اكْسُوا خَلِيلِي، فَيُوتَى بِرِبْطَتَيْنِ بِيضَاوَيْنِ، فَلْيَلْبَسْهُمَا، ثُمَّ يَقْعُدْ فَيَسْتَقْبِلُ الْعَرْشَ، ثُمَّ أُوتَى بِكِسْوَتِي، فَأَلْبَسْهَا، فَأَقُومُ عَنْ يَمِينِهِ مَقَامًا لَا يَقُومُهُ أَحَدٌ غَيْرِي، يَغِيظُنِي بِهِ الْأَوَّلُونَ وَالْآخِرُونَ». أخرجه أحمد (١/٣٩٨)، رقم

قَوْلُهُ: «ذَا حُكِمَهُ مُذْ كَانَتِ الْفِتْنَانِ» يعني أن: هَذَا النِّزَاعَ وَهَذِهِ الْمَحَنَ حِكْمَةٌ
 مِنْ اللَّهِ مَذْ كَانَتِ الْفِتْنَانِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ
 الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًّا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٣١] ثُمَّ قَالَ:

١٧٦٧- وَقَدْ افْتَصَرْتُ عَلَىٰ يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ رِ فَائِتٍ لِلْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

١٧٦٨- مَا كُلُّ هَذَا قَابِلُ التَّأْوِيلِ بِالتَّ تَحْرِيفِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

ابن القيم يقول: إني اقتصرْتُ عَلَىٰ يَسِيرٍ مِنْ كَثِيرٍ مِنَ الْأَدْلَةِ عَلَىٰ عُلُوِّ اللَّهِ

-سبحانه وتعالى-.

فصل

في جنابة التأويل على ما جاء به الرسول، والفرق بين المردود منه والمقبول

- ١٧٦٩- هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ
تَأْوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ
- ١٧٧٠- وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ
زَادَتْ ثَلَاثًا قَوْلَ ذِي الْبُرْهَانِ
- ١٧٧١- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ جَامِعَ الْ
قُرْآنِ ذَا النُّورَيْنِ وَالْإِحْسَانَ
- ١٧٧٢- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ
أَعْنِي عَلِيًّا قَاتِلَ الْأَقْرَانَ
- ١٧٧٣- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهُ
فَعَدُوا عَلَيْهِ مُمَرِّقِي اللَّحْمَانِ
- ١٧٧٤- وَهُوَ الَّذِي فِي يَوْمِ حَرْبِهِمْ أَبَا
حِمْيَ الْمَدِينَةَ مَعْقِلِ الْإِيمَانِ
- ١٧٧٥- حَتَّى جَرَتْ نِلْكَ الدَّمَاءُ كَأَمَّهَا
فِي يَوْمِ عِيدِ سُنَّةِ الْقُرْبَانِ
- ١٧٧٦- وَغَدَا لَهُ الْحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقْفُ
تُلُّ صَاحِبِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
- ١٧٧٧- وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ
مِنْ عَسْكَرِ الْحَجَّاجِ ذِي الْعُدْوَانِ
- ١٧٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْحَوَارِجَ مِثْلَ إِنْدِ
شَاءِ الرَّوَافِضِ أَحْبَبِ الْحَيَوَانَ
- ١٧٧٩- وَلَا أَجْلِهِ شَتَمُوا خِيَارَ الْخَلْقِ بَعْدَ
رَسُلِ الْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
- ١٧٨٠- وَلَا أَجْلِهِ سَلَّ الْبُعَاةُ سُيُوفَهُمْ
ظَنًّا بِأَتَمِّهِمْ ذُؤُورَ إِحْسَانِ
- ١٧٨١- وَلَا أَجْلِهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِرَازِ
لِ مَقَالَةٍ هَدَّتْ قُؤَى الْإِيمَانِ

- ١٧٨٢- وَلَا أَجْلِيهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ
سُبْحَانَهُ خَلَقَ مِنْ الْأَكْوَانِ
- ١٧٨٣- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ
شِبْهَ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّيْرَانِ
- ١٧٨٤- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا
ئِرِي فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
- ١٧٨٥- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْ
مُخْتَارِ فِيهِمْ غَايَةَ النُّكْرَانِ
- ١٧٨٦- وَلَا أَجْلِيهِ ضُرِبَ الْإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ
صِدِّيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي
- ١٧٨٧- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ جَهْمٌ: لَيْسَ رَبُّ
بُ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
- ١٧٨٨- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ
- ١٧٨٩- مَا فَوْقَهَا رَبُّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا
تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانِ
- ١٧٩٠- وَلَا أَجْلِيهِ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ
وَالْعَرْشُ أَخْلَوهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ١٧٩١- وَلَا أَجْلِيهِ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةِ الْ
مَأْوَى مَقَالَةَ كَاذِبٍ فَتَّانِ
- ١٧٩٢- وَلَا أَجْلِيهِ قَالُوا: الْإِلَهَ مُعْطَلٌّ
أَزْلًا بِغَيْرِ نَهَايَةٍ وَزَمَانِ
- ١٧٩٣- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ: لَيْسَ لِفِعْلِهِ
مِنْ غَايَةٍ هِيَ حِكْمَةُ الدِّيَانِ
- ١٧٩٤- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ
نَحْوَ السَّمَاءِ بِنُصْفِ لَيْلٍ ثَانِي
- ١٧٩٥- وَلَا أَجْلِيهِ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً
وَحِكَايَةً عَنِ ذَلِكَ الْقُرْآنِ
- ١٧٩٦- مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَخْلُوقِ وَالْ
قُرْآنِ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ١٧٩٧- مَاذَا كَلَامَ اللَّهِ قَطُّ حَقِيقَةً
لَكِنْ مَجَازٌ وَيُحَ ذَا الْبُهْتَانِ

- ١٧٩٨- وَلَا أَجْلِهِ قَتَلَ ابْنَ نَضْرٍ أَحْمَدُ ذَاكَ الْخُرَاعِي الْعَظِيمُ الشَّانِ
- ١٧٩٩- إِذْ قَالَ: ذَا الْقُرْآنُ نَفْسُ كَلَامِهِ مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ
- ١٨٠٠- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا وَالْأَلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ
- ١٨٠١- فَتَأَوَّلُوا خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَحُدُوثَهَا بِحَقِيقَةِ الْإِمْكَانِ
- ١٨٠٢- وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الْإِلَهِ وَقَوْلَهُ وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالْبُطْلَانِ
- ١٨٠٣- وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الْإِلَهِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
- ١٨٠٤- بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ حَتَّى تَعُودَ بِسَيْطَةِ الْأَرْكَانِ
- ١٨٠٥- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأَلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ
- ١٨٠٦- فَتَأَوَّلُوا الْعَمَلِيَّ مِثْلَ تَأْوِيلِ الْـ عِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِلَا فُرْقَانِ
- ١٨٠٧- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الْكُفْرَانِ
- ١٨٠٨- فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ وَخَارَهَا فِينَا إِلَى ذَا الْآنِ

الشرح

- ١٧٦٩- هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ تَأْوِيلِ ذِي التَّخْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ
- أصل بليّة الإسلام وما حصل فيه من مخالفات، ومعاصي، وبدع، وقتل، وسلب، ونهب، كُله من التأويل، هذا فيمن ينتسب للإسلام.
- أمّا مَنْ لم ينتسب فأصل بليّة الإسلام منه أنه عدو للإسلام، لكن المنتسب للإسلام ما جاءت البليّة للإسلام إلا بسبب تأويله.

قَوْلُهُ: «ذِي التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ» أَمَا تَأْوِيل مَنْ لَيْسَ بِمَحْرَفٍ - كَمَا سَيَأْتِي
إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فَلَيْسَ فِي الْإِسْلَامِ مِنْهُ بَلِيَّةٌ.

١٧٧٠- وَهُوَ الَّذِي قَدْ فَرَّقَ السَّبْعِينَ بَلْ زَادَتْ ثَلَاثًا قَوْلَ ذِي الْبُرْهَانَ

يعني: فَرَّقَ الْأُمَّةَ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً مَعَ أَنَّ الْوَاجِبَ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ
الْإِسْلَامِيَّةَ تَكُونُ فِرْقَةً وَاحِدَةً، لَكِنِ التَّأْوِيلُ الَّذِي هُوَ تَأْوِيلُ أَهْلِ التَّحْرِيفِ فَرَّقَ
الْأُمَّةَ إِلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً.

١٧٧١- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ جَامِعَ الْ - قُرْآنِ ذَا النُّورَيْنِ وَالْإِحْسَانَ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ» يَعْنِي بِذَلِكَ: عِثَانَ بْنَ عَفَّانَ الَّذِي قَتَلَهُ
التَّأْوِيلُ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ ثَارُوا عَلَيْهِ وَأَلْبُوا عَلَيْهِ شَعْبَهُ وَأُمَّتَهُ كَانُوا مُتَأْوِلِينَ يَدْعُونَ أَنَّهُ
فَسَقٌ - بَزَعْمَهُمْ - أَنَّهُ وَلَّى مَنْ لَا يَصْلُحُ لِلْوِلَايَةِ مِثْلَ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ وَغَيْرِهِ،
فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ فَسَقٌ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ: إِنَّهُ كَفَرَ، فَجَمَعُوا عَلَيْهِ النَّاسَ
وَاقْتَحَمُوا بَيْتَهُ، وَقَتَلُوهُ وَهُوَ يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ.

قَوْلُهُ: «جَامِعَ الْقُرْآنِ» نَعَمْ، هُوَ الَّذِي جَمَعَ الْقُرْآنَ الْجَمْعَ الثَّانِي؛ لِأَنَّ الْجَمْعَ
الْأَوَّلَ كَانَ فِي عَهْدِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَكِنَّهُ جَمَعَهُ، وَكَانَ النَّاسُ يَقْرَؤُونَهُ عَلَى سَبْعَةِ
أَحْرَفٍ، وَيَخْتَلِفُونَ فِي قِرَاءَتِهِ، فَلَمَّا خَافَ عِثَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْفِتْنَةِ بِذَلِكَ جَمَعَهُمْ عَلَى
حَرْفٍ وَاحِدٍ وَهُوَ حَرْفُ قَرِيشٍ أَيْ: لُغَةُ قَرِيشٍ، وَأَحْرَقَ مَا سِوَاهُ مِنَ الْمَصَاحِفِ،
وَأَوْجَبَ عَلَى الْأُمَّةِ أَنْ يَقْتَصِرُوا عَلَى لُغَةِ قَرِيشٍ فَقَطْ، فَكَانَ فِي هَذَا جَمْعٌ لِلْأُمَّةِ،
وَائْتِلَافٌ بَيْنَهَا يُشْكِرُ عَلَيْهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَجَزَاهُ عَنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ خَيْرًا.

قَوْلُهُ: «ذَا النُّورَيْنِ» يَعْنِي: صَاحِبَ النُّورَيْنِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - زَوْجَهُ ابْنَتِيهِ رُقِيَّةَ وَأُمَّ كَلْثُومَ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ السُّنَّةِ:

إذا افتخر الرافضة بأن علي بن أبي طالب زوجة النبي ﷺ ابنته فإن عثمان يفتخر بأنه زوجة ابنتيه الثنتين.

قوله: «وَالإِحْسَانِ» نعم؛ لأنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ^(١): مِئَةَ بَعِيرٍ بِأَخْلَاسِهَا^(٢) وَأَقْتَابَهَا^(٣)، وَلَمَّا قَالَ النَّبِيُّ -عليه الصلاة والسلام-: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلْ دَلْوَهُ فِيهَا مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ»، فَاشْتَرَاهَا عُمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٤) بِحَرِّ مَالِهِ، فَقَدْ أَحْسَنَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ بِتَجْهِيزِ الْجِيُوشِ، وَاسْتِعْذَابِ الْمَاءِ لَهُمْ.

١٧٧٢- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ بَعْدَهُ أَعْنِي عَلِيًّا قَاتِلَ الْأَقْرَانِ

علي بن أبي طالب قتله الخوارج الذين خرجوا عليه، بعد أن كانوا معه في صفه، لكنهم تنكروا -والعياذ بالله- له، وخرجوا عليه، وقتلوه في الكوفة وهو خارج إلى صلاة الصبح يدعو رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إِلَى الصَّلَاةِ، فقتلوه، فقتل شهيداً ودفن في قصر الإمارة في الكوفة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الوصايا، باب إذا وقف أرضاً أو بئراً، واشترط لنفسه مثل دلاء المسلمين، رقم (٢٦٢٦).

(٢) جمع جلس، بالكسر، وهو كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والسرج والقتب. انظر: تاج العروس، مادة: جلس.

(٣) جمع القتب والقتب، وهو إكاف البعير؛ وقيل: هو الإكاف الصغير الذي على قدر سنام البعير. انظر: لسان العرب، مادة: قتب.

(٤) أخرجه البخاري تعليقا: كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته جائزة، مقسوما كان أو غير مقسوم، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وله كنيتان، يقال: أبو عمرو، وأبو عبد الله، رقم (٣٧٠٣)، والنسائي: كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازياً، رقم (٣١٨٢).

ومن نعمة الله أن قبره لم يكن معروفًا؛ لأنه دُفِنَ في قصر الإمارة؛ خوفًا عليه من أن يُخرجه الخوارج من قبره في المقبرة ويمثلوا به.

وقوله: «وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْخَلِيفَةَ» قتله بأي شيء؟ الجواب: بالتأويل؛ لأنهم قالوا: إنك لما قبلت التحكيم مع معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كَفَرْتَ، وَحَلَّ دَمُكَ، فقتلوه بهذا التأويل.

١٧٧٣- وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ الْحُسَيْنَ وَأَهْلَهُ فَغَدَّوْا عَلَيْهِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ

الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَصَّتْهُ مَعْرُوفَةٌ مَعَ أَهْلِ الْعِرَاقِ، غَدَّرُوا بِهِ، وَقَتَلُوهُ حَتَّى مَزَّقُوهُ تَمْزِيقًا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَمَثَلُوا بِهِ.

ولكنه ليس كما يزعم بعض الناس أن رأسه دُفِنَ في دمشق، وبعضهم قال: دُفِنَ في العراق، وبعضهم قال: دُفِنَ في مصر، فكان لهذا الرجل ثلاثة رؤوس: رأس في الشام، ورأس في العراق، ورأس في مصر، فتبارك الله أحسن الخالقين، هَذَا الرَّجُلُ لَيْسَ لَهُ إِلَّا رَأْسٌ وَاحِدَةٌ، وَلَمْ يُنْقَلْ رَأْسُهُ أَبَدًا إِلَى غَيْرِ مَكَانِهِ.

وكما هو معلوم أن المواصلات صعبة في الزمن السابق، ثم إنه في ذلك الوقت بالذات فتن عظيمة، من الذي يستطيع أن ينقل رأسه إلى الشام أو إلى مصر؟!

١٧٧٤- وَهُوَ الَّذِي فِي يَوْمِ حَرْبِهِمْ أَبَا حَمِي الْمَدِينَةَ مَعْقِلِ الْإِيمَانِ

١٧٧٥- حَتَّى جَرَّتْ تِلْكَ الدَّمَاءُ كَأَنَّهَا فِي يَوْمِ عِيدِ سُنَّةِ الْقُرْبَانِ

الله أكبر، هذا يوم الحرّة، اسْتَبِيحَتْ الْمَدِينَةُ وَاسْتَحِلَّتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَقُتِلَ فِيهَا عَالَمٌ كَثِيرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ آوَا النَّبِيَّ ﷺ وَنَصَرُوهُ، وَاسْتَبِيحَتْ مَدِينَةُ

الرسول ﷺ، وانتهكت الأعراض، كُلُّ ذلك بالتأويل، وأنه يجوزُ الخروجُ على يزيد، فحصل بذلك الشرُّ العظيمُ، والفتنةُ العظيمةُ، وكذلك يقولُ:

١٧٧٦- وَغَدَا لَهُ الْحَجَّاجُ يَسْفِكُهَا وَيَقُ - تُلُّ صَاحِبَ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

١٧٧٧- وَجَرَى بِمَكَّةَ مَا جَرَى مِنْ أَجْلِهِ مِنْ عَسْكَرِ الْحَجَّاجِ ذِي الْعُدْوَانِ

أيضاً من التأويل ما جرى في مكة على يد الحجَّاج بن يوسف الثقفي، فإنه قاتل أهل مكة وحاصرهم، ونصب المنجنيق، ورمى به الكعبة، وانهدم بعضُ جدرانها، ودخل مكة، وقتل مَنْ قتلَ فيها حتى قتل عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ومثَّل به، وعلَّقَه، كُلُّ هَذَا بسبب التأويل، ما هو التأويل؟ هو أنهم فئةٌ خارجةٌ عن الإمام، والفئة الخارجة عن الإمام تُقتلُ.

١٧٧٨- وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ الْخَوَارِجَ مِثْلَ إِنْ - شَاءَ الرَّوَافِضِ أَخْبَثَ الْحَيَوَانَ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ» الضميرُ يعودُ على التأويل الذي أنشأ الخوارج، والخوارجُ فرقةٌ ضالَّةٌ كَفَرَتْ كثيراً من الصحابة، واستباحَت دماءَ المسلمين بغير حُجَّةٍ لكن بما معها -والعياذ بالله- من التَّسْرُعِ، والاستكبار، والاعتداد بالنفس، حتى رَأَوْا أَنَّ مَنْ سِوَاهُمْ فهو كافرٌ، وكَفَرُوا بالفسق والكبائر، وقالوا: مَنْ شَرِبَ قَطْرَةً مِنْ خَمْرٍ فهو كافرٌ مُخَلَّدٌ في النار، يجبُ قتالُه، ويَحِلُّ دَمُه، والعياذ بالله.

هذه الفرقة الضالَّة من أشدِّ الناس خطراً على الأمة الإسلامية.

كذلك «الرَّوَافِضِ» ووصفهم ابنُ القيم بأنهم أخبثُ الحيوان، فالروافضُ أيضاً فرقةٌ ضالَّةٌ، فرقةٌ مشرَّكةٌ، والمرادُ بذلك الغلاةُ منهم، فرقةٌ يدَّعونَ أَنَّ لَهُمْ أُمَّةً يُدَبِّرُونَ الكونَ، وأنه ما من ذرةٍ تكون في الكونِ إِلَّا ويُدبِّرُهَا الإمامُ المعصومُ

عندهم، وأن مَنْ سوى أئمتهم فهم أئمة ضلالٍ، وكتبهم معروفةٌ، وهم أكثرُ فرق أهل البدع في الأمة الإسلامية، حتَّى قَسَمَ الناسُ الأمةَ الإسلاميةَ إلى قسمين: سُنَّة، وشيعة، والشيعة هم الروافض.

١٧٧٩- وَلَا أَجْلِهِ شَتَّمُوا خِيَارَ الْخَلْقِ بَعْدَ الرَّسْلِ بِالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «لِأَجْلِهِ» أَي: لِأَجْلِ التَّأْوِيلِ.

قَوْلُهُ: «شَتَّمُوا» أَي: الرَّوَافِضُ.

قَوْلُهُ: «خِيَارَ الْخَلْقِ بَعْدَ الرَّسْلِ» أَي: الصَّحَابَةُ.

فالروافض يُكْفَرُونَ الصَّحَابَةَ إِلَّا نَفَرًا قَلِيلًا وَآلَ الْبَيْتِ، وَالبَقِيَّةُ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ، حتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ يُصَرِّحُ بِأَنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ كَافِرَانِ وَمَنَا عَلَى النِّفَاقِ.

ولا شكَّ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَازِمُهُ مِنْ أَبْطَلِ اللُّوَاظِمِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ حُجِّجَ فِي اللَّهِ، وَقَدْ حُجِّجَ فِي الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَقَدْ حُجِّجَ فِي الشَّرِيعَةِ، وَقَدْ حُجِّجَ فِي خِيَارِ الْخَلْقِ.

هَذَا الْمَذْهَبُ يَلْزَمُ مِنْهُ هَذِهِ اللُّوَاظِمُ الْبَاطِلَةُ، قَدْ حُجِّجَ فِي اللَّهِ: حَيْثُ جَعَلَ أَصْحَابَ رَسُولِهِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْفَسِقَةَ الْفَجْرَةَ الْخَوْنَةَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- هَكَذَا اعْتَقَادَهُمْ.

قَدْ حُجِّجَ فِي الرَّسُولِ: حَيْثُ كَانَ أَخْدَانُهُ وَأَحْبَابًاؤُهُ هَؤُلَاءِ الْفَسِقَةَ، وَكَمَا هُوَ مَعْلُومٌ أَنَّ الْمَرْءَ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ يُعْرَفُ بِصَاحِبِهِ، يُقَالُ: مَاذَا تَقُولُ فِي فُلَانٍ؟ قَالَ: وَاللَّهِ فُلَانٌ يَصْحَبُ أَنَا سَافِلٌ، فَهَذَا قَدْ حُجِّجَ فِيهِ، إِذْ ذُنُ الْقَدْ حُجِّجَ فِي الصَّحَابَةِ يَسْتَلْزَمُ الْقَدْ حُجِّجَ فِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وهو قد حُجِّجَ فِي الشَّرِيعَةِ؛ لِأَنَّ الْوَسِيلَةَ الَّتِي نَقَلْتَ إِلَيْنَا الشَّرِيعَةَ هُمُ الصَّحَابَةُ، فَإِذَا كَانُوا فَجْرَةَ فَسِقَةَ، أَوْ كُفَّارًا، فَكَيْفَ نَثِقُ بِالشَّرِيعَةِ؟! إِذْ ذُنُ لَا ثِقَةَ لَنَا بِهَا.

هو قدحٌ أيضًا في الصحابة الذين هم خير القرون بشهادة النبي ﷺ لهم^(١).
وسبحان الله العظيم! أعمى الله بصائرهم، كيف تمرُّ بهم الآياتُ القرآنيةُ
الواضحةُ في أنَّ الصحابةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ خَيْرُ الأُمَّةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ
وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَبَّيْتُمْ رُكَمَاءَ سَجَدًا يَسْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ
وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح: ٢٩] وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنَ الْمُهَجَّرِينَ وَالْأَنْصَارُ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال تعالى:
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨]، وقال تعالى:
﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ
بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللهُ الْحَسَنَى﴾ [الحديد: ١٠]، والآياتُ في هذا كثيرةٌ.

والأحاديثُ كثيرةٌ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لـ «أَحَدٍ» لما اهتزَّ به ومعه أبو بكرٍ وعمر
وعثمان: «أَثْبُتْ أَحَدٌ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ»^(٢). لكن -نسأل اللهَ
العافية- الهوى يُعمي ويُصمُّ.

١٧٨٠- وَلَا أَجْلِيهِ سَلَّ الْبُغَاةُ سُيُوفَهُمْ ظَنًّا بِأَنَّهُمْ ذُوو إِحْسَانٍ
قَوْلُهُ: «الْبُغَاةُ» أي: الخارجون على الأئمة سلُّوا سيوفهم ظنًّا أنهم محسنون،
فيأتي لإنسان، ويقول: هَذَا الخليفةُ يشربُ الخمرَ، فيقول الثاني: الله أكبرُ إنه لكافرٌ،
فيقول الثالث: جَهَّزَ السيفَ، ويقول الرابع: انفروا خفافًا وثقالًا، فيخرجون على
الإمام بمثل هذا التأويل.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم (٢٦٥٢)، مسلم:

كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٦٧٥).

والإمام الذي يشرب الخمر، والذي يزني، والذي يُعاقِرُ النساء، هل يكون كافرًا؟ الجواب: أبدًا، لا يكون كافرًا، لكنّه فاسقٌ لا شك، ولكنّه لا يجوز أن يُخْرَجَ عليه؛ لأنّ النَّبِيَّ -عليه الصلاة والسلام- قال: «لَا إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ»^(١).

فالشروط ثلاثة: «تَرُونَ»، «كُفْرًا بَوَاحًا»، «عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ».

فالظنُّ لا يكفي حتّى ترى بعينك كفرًا بواحا صريحًا، والذي فيه احتمالُ أنه كفرٌ أو فسقٌ لا يُبيحُ الخروجَ عليه.

وَقَوْلُهُ: «بَوَاحًا» هل ذلك بمقتضى ظنِّك أو بمقتضى الدليل الشرعيّ؟ الجواب: بمقتضى الدليل الشرعيّ.

وَقَوْلُهُ: «عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ» قَالَ الْعُلَمَاءُ: الْبُرْهَانُ هُوَ الدَّلِيلُ الْقَاطِعُ.

فالمسألة عظيمةٌ جدًّا، ثمَّ الخروجُ أيضًا مع تمام الشروط المجيزة له، لا بدَّ فيه من شرطٍ رابع: وهو أنه يزولُ هذا الشيءُ بالخروج، وإذا كان لا يزولُ بل يزيدُ حَرَمَ الخروجِ لا لعدم وجود المبيح له، ولكن لعدم الجدوى منه، فلو خرج عشرةٌ من الناس على دولة بعد أن رأوا كفرًا بواحا عندهم فيه من الله بُرْهَانٌ، واحد معه سكينٌ، والثاني: سيفٌ، والثالث: مخلبٌ، والرابع: عصا، والخامس: حجر، وهكذًا، وقالوا: نخرج على دولةٍ عندها دباباتٌ وقنابلٌ وصواريخٌ ماذا يكون خروجُهم؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها»، رقم (٦٦٤٧)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية رقم (١٧٠٩).

الجواب: يكون خروجهم جنوناً، ولا يحلُّ لهم لا بشرع ولا بعقل، فلا بُدَّ من تهيئة يكون بها زوال هذا المنكر الذي رأينا أنه كفرٌ بواحدٍ عندنا فيه من الله بُرْهَانٌ، أمّا أن تخرج طائفةٌ ثمَّ تُطْحَنُ ويُطْحَنُ مَنْ وراءها مِمَّنْ هُوَ خَيْرٌ فلا شكَّ أنَّ هَذَا سَفَهٌ وضررٌ؛ ولهذا أنكر الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - مثل هذا، فقيل: إنهم يخرجون للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: نعم، ولكن ما يفعلونه أكبرُ ممَّا يخرجون من أجله.

فالحاصل أن التأويل هو كُلُّ بَلِيَّةٍ، فهو الَّذِي جعل البُعَاةَ يخرجونَ عَلَى الأئمةِ حَتَّى حصلت الشرورُ والفتنُ.

قَوْلُهُ: «ظَنَّ بِأَنَّهُمْ ذَوُو إِحْسَانٍ» ولكنهم والله ذوو إساءةٍ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَعَلَى غَيْرِهِمْ.

١٧٨١- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِرَا لِمَقَالَةٍ هَدَّتْ قُوَى الْإِيمَانِ

١٧٨٢- وَلَا أَجْلِيهِ قَالُوا بِأَنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ خَلَقَ مِنَ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِعْتِرَا لِمَقَالَةٍ هَدَّتْ قُوَى الْإِيمَانِ» مَا الَّذِي قَالُوا؟ قالوا: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا يَتَكَلَّمُ، وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ، وَلَا يَرْضَى، فَأَنكَرُوا الْمَحَبَّةَ، وَأَنكَرُوا الْكَلَامَ، وَأَنكَرُوا كُلَّ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّهُمْ يَدَّعُونَ أَنَّ إِثْبَاتَهَا يَسْتَلْزِمُ التَّمثِيلَ، أَوِ التَّجَسُّيمَ، أَوِ الْإِشْرَاكَ، عَلَى خِلَافٍ بَيْنَهُمْ.

١٧٨٣- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ شِبْهَ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّيِّرَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبَتْ بِقَضَائِهِ» وَهِيَ الْقَدْرِيَّةُ كَذَّبُوا بِقَضَاءِ اللَّهِ، وَالْقَدْرِيَّةُ طَائِفَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ يَنْتَسِبُونَ لِلْأُمَّةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِفِعْلِ الْعَبْدِ، وَلَا يَدْرِي عَنِ الْعَبْدِ إِلَّا إِذَا فَعَلَ الْعَبْدُ.

يقولون: إِنَّ اللَّهَ لَا يَدْرِي عَنِ الْعَبْدِ إِطْلَاقًا، وليس له تصرفٌ فيه، ولا يعلمُ عن فعله إِلَّا إِذَا فَعَلَهُ، فَأَنكَرُوا الْعِلْمَ، وَأَنكَرُوا الْكِتَابَةَ، وَأَنكَرُوا الْمَشِيئَةَ، وَأَنكَرُوا الْخَلْقَ، وَهَذَا رَأْيُ غَلَاتِهِمْ، فَالْغَلَاةُ قَالُوا: لَا يَعْلَمُ، وَلَا يَشَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ، فَلَيْسَ لَهُ دَخْلٌ بِالْعَبْدِ.

أَمَّا الْمُقْتَصِدُونَ مِنْهُمْ فَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ لَكِن لَا يَشَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ، فَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ الْعَبْدَ يَفْعَلُ كَذَا، لَكِن لَا يَقْدِرُ أَنْ يُغَيِّرَ؛ لِأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ بِمَشِيئَةِ الْعَبْدِ، وَلَيْسَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ فِيهِ عِلَاقَةٌ.

إِذْنُ أَيُّهَا خَيْرٌ: هُوَ أَمْ الْغَلَاةُ؟ الْجَوَابُ: كِلَاهُمَا شَرٌّ فِي الْحَقِيقَةِ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ هُوَ أَمْ الْقَدْرِيَّةُ يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ: إِنَّهُمْ سَبُّهُ الْمَجُوسُ، كَيْفَ كَانُوا سَبُّهُ الْمَجُوسُ؟ مَا وَجْهُ الْمَشَابَهَةِ؟

الْمَجُوسُ يَقُولُونَ: إِنَّ الْكُونَ لَهُ خَالِقَانِ اثْنَانِ، فَكُلُّ مَا يَحْدُثُ فِيهِ فَهُوَ إِمَّا مِنْ خَلْقِ النُّورِ وَإِمَّا مِنْ خَلْقِ الظُّلْمَةِ، فَكُلُّ مَا يَحْدُثُ فِي الْكُونَ فَهُوَ إِمَّا مِنْ الظُّلْمَةِ وَإِمَّا مِنْ النُّورِ؟ إِنْ كَانَ خَيْرًا فَهُوَ مِنَ النُّورِ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا فَهُوَ مِنَ الظُّلْمَةِ، فَجَعَلُوا لِلْخَلْقِ خَالِقَيْنِ.

وهؤلاء القدرية جعلوا للحوادث خالقين: حوادث من فعل الله كإنزال المطر، وإنبات الأرض، والإحياء والإماتة، وحوادث من فعل العبد، فالأولى تختص بالله، والثانية تختص بالعبد، إذن للحوادث خالقان؛ ولهذا قال: «سَبُّهُ الْمَجُوسِ الْعَابِدِي النَّبِرَانِ».

١٧٨٤- وَلَا أَجْلِهِ قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا بَرِّ فِي الْجَحِيمِ كَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
قَوْلُهُ: «قَدْ خَلَدُوا أَهْلَ الْكِبَا بَرِّ فِي الْجَحِيمِ» خَلَدُوا أَي: الْمَعْتَزَلَةُ وَالْخَوَارِجُ

كلاهما يُخَلَّدُ أهل الكبائر في الجحيم كما يُخَلَّدُ عابدو الأوثان، رجل زنى ولكن لم يتب من الزنى، وفي نفسه أنه لو حَصَلَ امرأة ثانية زنى بها، ومات قبل أن يتوب، ورجلٌ مشركٌ بالله منذ مَيَّزَ حتَّى مات، عند الخوارج والمعتزلة كلاهما مَخَلَّدٌ في النار كعابدي الأوثان.

١٧٨٥- وَلَا جَلِيلِهِ قَدْ أَنْكَرُوا لِشَفَاعَةِ الْـ مُخْتَارٍ فِيهِمْ غَايَةَ النُّكْرَانِ

هم يقولون: ليس لأهل الكبائر شفاعَةٌ كما أن أهل الإِشْرَاقِ ليس فيهم شفاعَةٌ، بناءً عَلَى أَنَّ أَهْلَ الكِبَائِرِ مَخَلَّدُونَ فِي النَّارِ، وَالْمَخَلَّدُ فِي النَّارِ لَا تَنْفَعُ فِيهِ الشَّفَاعَةُ، وَهَذَا وَاضِحٌ.

١٧٨٦- وَلَا جَلِيلِهِ ضَرَبَ الْإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ صَدِيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ الشَّيْبَانِي

قَوْلُهُ: «ضَرَبَ الْإِمَامُ بِسَوْطِهِمْ» أَي: الْإِمَامُ أَحْمَدُ ضَرَبَ بِالسَّوْطِ؛ لِأَنَّهُ أَصَرَ عَلَى قَوْلِ الْحَقِّ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَهَمَّ يَضْرِبُونَهُ بِالسَّيَاطِ حَتَّى يُغْشَى عَلَيْهِ، يُجْرُ بِالْبَغْلَةِ فِي السُّوقِ وَيُضْرَبُ حَتَّى يُغْمَى عَلَيْهِ لِيَقُولَ: إِنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَلَكِنَّهُ أَصَرَ فَقَالَ: الْقُرْآنُ مُنَزَّلٌ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، أَفْعَلُوا مَا شِئْتُمْ، وَهَذَا كَمَا قَالَ السَّحْرَةُ لِفِرْعَوْنَ: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢].

وَهَكَذَا مَقَامُ أَهْلِ الْحَقِّ، لِأَسِيًّا فِي هَذَا الْمَقَامِ الضَّنْكَ؛ لِأَنَّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ لَوْ قَالَ: (الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ) وَلَوْ بِالتَّأْوِيلِ، انْقَلَبَتِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا مَعْتَزِلَةً جَهْمِيَّةً، فَمَقَامُهُ هُنَا لَيْسَ مِنْ بَابِ مَقَامِ الْإِكْرَاهِ.

يعني: لو قَالَ قَائِلٌ: لِمَاذَا لَمْ يَتَأَوَّلْ، وَالْمُكْرَهُ لَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ؟ نَقُولُ: لَا، هَذَا مَقَامُ جِهَادٍ، فَفَرَقُ بَيْنَ شَخْصٍ يُكْرَهُ عَلَى أَنْ يَسْجَدَ لِصَنْمٍ وَلَكِنْ لَا يَقْتَدِي بِهِ النَّاسُ هَذَا لَهُ أَنْ يَفْعَلَ مَا أُكْرَهُ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ قَلْبُهُ مَطْمَئِنًّا بِالْإِيْمَانِ، وَبَيْنَ شَخْصٍ

يكون إمامًا، هَذَا لا يجوزُ أن يفعلَ ما أُكْرِهَ عليه؛ لأنَّ هَذَا الإمامَ إذا فعلَ ما أُكْرِهَ عليه من الكفر سبَّعَهُ النَّاسُ ويكفرون، فمقامُهُ مقامُ جهادٍ، لكن شخصَ عادي قيلَ له: اسجدَ للصنم، فسجد، ولا يهتمُّ به أحدٌ، بل النَّاسُ ينكرون عليه أنه سجد، هَذَا نقول: إذا سجدَ دفعًا للإكراه فإنه لا حرجَ عليه، ويكونُ معذورًا ما دام قلبُهُ مطمئنًا بالإيمان.

١٧٨٧- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ جَهْمٌ: لَيْسَ رَبُّ بُ الْعَرْشِ خَارِجَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

١٧٨٨- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ

١٧٨٩- مَا فَوْقَهَا رَبُّ يُطَاعُ جِبَاهُنَا تَهْوِي لَهُ بِسُجُودِ ذِي خُضْعَانَ

جهمُ بنُ صفوانٍ إمامُ الجهميَّة يقولُ: إنَّ اللهَ ليسَ فَوْقَ العرشِ، وليسَ فوقَ السَّمواتِ، وليسَ فوقَ السَّمواتِ من رَبِّ فأينَ اللهُ؟

انقسمت الجهميَّة إلى قسمين:

قسم قالوا: إنَّ اللهَ بذاته في كُلِّ مكان، في المسجد، في السُّوق، في البرِّ، في كُلِّ مكان، لا تقل: فَوْقَ السَّمواتِ.

قسمٌ آخر: قالوا: إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - ليسَ فوقَ ولا تحتَ، ولا يمينُ ولا شمالُ، ولا داخلًا ولا خارجًا، ولا متصلًا ولا منفصلًا، أينَ هُوَ إِذَنْ؟ الجواب: غير موجود.

فأولئك - والعياذ بالله - جعلوه في كُلِّ مكانٍ، وهؤلاءِ أَخْلَوْا مِنْهُ كُلِّ مكانٍ. لكن ما هُوَ تَأْوِيلُ الجهميَّةِ في ذلك؟ يقولون: لو قلنا: إنَّ اللهَ فوقَ لزم أن يكونَ في جهة، فيكونَ محدودًا، ويكونُ جسمًا، ويكونَ في حيزٍ، وما أشبه ذلك.

ونقول لهم - كما سبق - في الردّ عليهم بأنّ كلّ هذا ليس بلازمٍ بالنسبة لعلو الله إلا ما كان لائقاً به عزّ وجلّ.

١٧٩٠- وَلَا جِلْهٍ جُحِدَتْ صِفَاتُ كَمَالِهِ وَالْعَرْشُ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
صفات الكمال أنكرت بالتأويل، لماذا؟ قالوا: لأننا لو أثبتنا صفةً لزم أن يكون جسمًا، والأجسام متماثلة.

وقال بعضهم: لو أثبتنا صفةً قديمةً لزم تعدُّد القدماء، وهذا أعظم من شرك النصارى، فالنصارى جعلوا الآلهة ثلاثة، وأنت إذا أثبتت لله صفةً قديمةً جعلته آفًا، مثلًا إذا أثبت لله سمعًا قديمًا، وبصرًا قديمًا، وقدرةً قديمةً، وحياةً قديمةً، وقوةً قديمةً، وعزةً قديمةً، صار ستة، وهكذا كلما زدت صفةً زدت ربًّا، فيقولون: هذا شرك، إذن يجب أن ننكر كلّ صفةٍ، فلأجل هذا التأويل أنكروا صفات الكمال.

١٧٩١- وَلَا جِلْهٍ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةَ الْمَأْمُورِ مَقَالَةَ كَاذِبٍ فَتَّانٍ

١٧٩٢- وَلَا جِلْهٍ قَالُوا: الْإِلَهُ مُعْطَلٌ أَزْلًا بِغَيْرِ نَهَايَةٍ وَزَمَانٍ

قوله: «وَلَا جِلْهٍ أَفْنَى الْجَحِيمِ وَجَنَّةَ الْمَأْمُورِ» أي: لأجل التأويل أفنى الجحيم وأفنى جنّة المأوى.

فهؤلاء الجهميّة يقولون: إنّ أفعال الله ليس لها استمرارٌ أزليّ، ولا أبديّ فهم يقولون: إنّ الله - سبحانه وتعالى - ليس له فعلٌ مستمرٌّ لا أزلاً ولا أبدًا، وعلى هذا، فالنارُ تفتنى، والجنّةُ تفتنى، وقد سبق أنهم يقولون بفناء الجنّة وفناء النار، وبعضهم قال: تفتنى الحركات دون الذوات، حتّى إنّ الإنسان إذا كان يريد أن

يأكل ثمرةً من الجنة وأخذ الثمرة ليوصلها إلى فمه، وجاء وقت الفناء بقي هَكَذَا، بقيت الثمرة في يده إلى أبد الأبدین، نسأل الله العافية، عقولٌ غريبةٌ.
على كُلِّ حالٍ هم يقولون بفناء الجنة والنار تأويلاً باطلاً.

١٧٩٣- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ قَالَ: لَيْسَ لِفِعْلِهِ مِنْ غَايَةِ هِيَ حِكْمَةُ الدِّيَانِ
من مذهب جهم إنكارُ الحكمة أيضاً، يقول: إِنَّ أفعالَ الله غيرُ معلّلة، ليس لها حكمةٌ، يفعلُ هَكَذَا، ليس لها غايةٌ حميدةٌ؛ لأنك لو جعلت لأفعاله حكمةً صَيَّرته يفعلُ لغرضٍ، والذي يفعلُ لغرضٍ ناقصٌ؛ لأنه لا يكْمُلُ إلاّ بهذا الغرض؛ ولهذا من قواعدهم الفاسدة أن الله مُنَزَّهٌ عن الأَعْرَاضِ والأَبْعَاضِ والأَعْرَاضِ.

وهي كلمةٌ مسجوعةٌ حلوةٌ في لفظها لكنّها مُرَّةٌ في معناها، ف (مُنَزَّهٌ عن الأَعْرَاضِ) يعني: عن الصِّفَاتِ.

«والأبعاض» يعني: عن اليدين، والوجه، والعين.

«والأغراض» يعني: عن الحكمة، فليس لفعله حكمةٌ.

فأهدروا جميع ما يدلُّ عليه اسمُ الحكيم، فهو حكيمٌ بلا حكمةٍ.

وأنكروا كُلَّ ما جعله الله سبباً؛ لأنَّ الأسبابَ من العِللِ، والقُرْآنُ مملوءٌ بإثبات الحكمة لله، لكن هم يقولون: يفعلُ بغير حكمة، يفعلُ لمجرد المشيئة، نسأل الله العافية.

١٧٩٤- وَلَا أَجْلِيهِ قَدْ كَذَّبُوا بِنُزُولِهِ نَحْوَ السَّمَاءِ بِنُصْفِ لَيْلٍ ثَانِي

قَوْلُهُ: «وَلَا أَجْلِيهِ» أَي: لِأَجْلِ التَّوْوِيلِ كَذَّبُوا بِنُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا

في النصف الثاني من الليل، فقالوا: إِنَّ معنى قوله -عليه الصلاة والسلام-: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»^(١) أي: يَنْزِلُ أمرُ رَبِّنَا، أو رَحْمَةُ رَبِّنَا، أو مَلِكُ رَبِّنَا، وقد سبق الجواب عَلَى هَذَا التحريف.

١٧٩٥- وَلَا أَجْلِهِ زَعَمُوا الْكِتَابَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً عَنِ ذَلِكَ الْقُرْآنِ
١٧٩٦- مَا عِنْدَنَا شَيْءٌ سِوَى الْمَخْلُوقِ وَالْقُرْآنُ لَمْ يُسْمَعْ مِنَ الرَّحْمَنِ

لأجله زعموا أَنَّ الْقُرْآنَ عبارةٌ وحكايةٌ عن كلام الله، وهؤلاء هم الكَلَابِيَّةُ والأشعريَّةُ، قالوا: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ لَا يُسْمَعُ، وليس بحروفٍ، لكنَّهُ هُوَ المعنى القائم بنفسه، وَأَنَّ اللَّهَ -سبحانه وتعالى- خَلَقَ أصْوَاتًا تُسْمَعُ عبارة عن هَذَا الكلام، أو حكاية عن هَذَا الكلام؛ ولهذا قَالَ المؤلف:

١٧٩٧- مَاذَا كَلَامَ اللَّهِ قَطُّ حَقِيقَةً لَكِنْ مَجَازٌ وَيُحَ دَا الْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «وَيُحَ» كلمةٌ توجِّعُ ووعيدٌ لهذا البهتان الَّذِي ذهب إليه هؤلاء، هم إذا جعلوا الكلامَ عبارةً عن المعنى القائم بالذات فهل يُسَمَّى المعنى القائم بالذات هل يُسَمَّى كلامًا؟ الجواب: أبدًا، وأما قولُ القائلِ^(٢):

إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا جُعِلَ اللِّسَانُ عَلَى الْفُؤَادِ دَلِيلًا

يقولون: إِنَّ الْقَائِلَ لِهَذَا الْبَيْتِ هُوَ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِيُّ الْمَشْهُورُ، وَبَعْضُهُمْ أَنْكَرُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَوْجَدْ فِي دِيْوَانِهِ، وَأَيًّا كَانَ فَإِنَّهُ لَا حُجَّةَ فِيهِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).
(٢) انظر: البيان والتبيين للجاحظ (١/١٨٧).

قوله: «إِنَّ الْكَلَامَ لَفِي الْفُؤَادِ» يعني: أن الكلام الرّصين الذي يُعتبر ما كان خارجاً من القلب، وأمّا الكلام الهذيان فهو الذي يكون على اللسان، فالكلام الرّصين الحقيقي المفيد هو الذي يخرج من القلب، فالإنسان يُقدّر أولاً بقلبه، ثمّ ينطق بلسانه، لكن لا يمكن أن يُقال: إنه متكلّم حتى ينطق باللسان.

١٧٩٨- وَلَا أَجْلِهِ قَتَلَ ابْنَ نَصْرِ أَحْمَدُ ذَاكَ الْخُزَاعِيَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

١٧٩٩- إِذْ قَالَ: ذَا الْقُرْآنُ نَفْسُ كَلَامِهِ مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

قوله: «ابن نصر أحمد» هو أحمد بن نصر -رحمه الله^(١)- وهو الرجل الثاني الذي وقف أمام المحنة في عهد الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-، فإن هذين الرجلين أصراً على أن يقولوا: إن القرآن كلام الله غير مخلوق، فقتل أحمد بن نصر -رحمه الله-، وأمّا الإمام أحمد فنجى.

١٨٠٠- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سِينَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ

١٨٠١- فَتَأَوَّلُوا خَلَقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَحُدُوثَهَا بِحَقِيقَةِ الْإِمْكَانِ

ابن سينا وشيعته من الفلاسفة قالوا: ليس هناك خالق ومخلوق، وأمّا خلق السموات فمعناه إمكان حدوثها، وأنها وُجدت، ووجودها دليل على الإمكان، أمّا أن يكون هناك خالق فلا، وتأوّلوا الخلق بمعنى إمكان الحدوث.

١٨٠٢- وَتَأَوَّلُوا عِلْمَ الْإِلَهِ وَقَوْلَهُ وَصِفَاتِهِ بِالسَّلْبِ وَالْبُطْلَانِ

قالوا: إن الله -سبحانه وتعالى- ليس له صفة هي وجودية، بل كل صفاته

(١) هو الإمام الكبير، الشهيد، أبو عبد الله أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم الخزاعي، المروزي، ثم البغدادي، كان أماراً بالمعروف، قوَّلاً بالحق. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١١/١٦٦).

سليبيَّة، حتَّى قالوا: لا يصحُّ أن تقولَ بأنَّ اللهَ موجود، فهذا غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّه لا يجوزُ أن يُثبتَ لله صفةٌ وجوديَّةٌ، بل كُلُّ صفاته سلبيةَّة، ومع هذا أيضًا يقولون: إنه تخييلٌ لا حقيقةَ له، لكنَّ الرسلَ جاؤوا بهذا التخييل من أجل أن يستقيمَ النَّاسُ على ما أُريدَ منهم، وإلَّا فلا رَبَّ، ولا صفاتِ رَبِّ، ولا جنةَ ولا نارَ، ولا يومَ آخرَ، وإنما الرسلَ صَوَّرتَ هذا تصويرًا قصصيًا من أجل أن يستقيمَ النَّاسُ على ما طَلَبتَ منهم الرسلُ.

١٨٠٣- وَتَأَوَّلُوا الْبَعْثَ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ رُسُلُ الْإِلَهِ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ

١٨٠٤- بِفِرَاقِهَا لِعَنَاصِرٍ قَدْ رُكِّبَتْ حَتَّى تَعُودَ بِسَيِّطَةِ الْأَرْكَانِ

البعثُ الَّذِي هُوَ إخراجُ النَّاسِ من قبورهم لربِّ العالمين أحياءَ بعد الموت، قالوا: ليس هذا المرادُ بالبعث، المرادُ بالبعثُ بعثُ الروح من عالمِ المادةِ إلى عالمِ الرُّوح، أي: أنها تخرجُ من عناصرِ المادةِ من البدنِ إلى عالمِ الأرواح.

والحقيقةُ أنَّ هذا تحريفٌ ليس بعده تحريفٌ؛ لأننا إذا قلنا: إنَّ هذا هُوَ البعثُ فحقيقتهُ أنَّ هذا هُوَ الموتُ، فالموتُ أن تفرَّقَ الرُّوحُ البدنَ، تفرَّقَ العنصرَ الماديَّ إلى عنصرِ الأرواحِ الغيبيِّ، وهذا ليس ببعث، هذا حقيقتهُ أنه الموت، لكن لتحريفهم زعموا أنَّ هذا هُوَ البعثُ، وأنكروا أن يكونَ هناكُ بعثٌ للأبدان، قالوا: الأبدانُ تفتني وتذهبُ، ولا يمكنُ أن تُبعثَ مرةً أخرى.

١٨٠٥- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأَلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيْمَانِ

القرامطةُ أصلهم شيعةٌ روافضُ، لكن تطورت بدعتهم -والعياذُ بالله- حتَّى قالوا: إنَّ للإسلامِ ظاهرًا وباطنًا، الظاهرُ ما نعرفه من الصلاة والزكاة

والصيام والحج، وهذا لا يُؤمَّرُ به إِلَّا العامة، ولا يقومُ به إِلَّا العامة، فالأنبياء عوام، وتابعوهم عَلَى هَذَا الدين الظاهر عوام، والدينُ الحقيقيُّ هُوَ الدين الباطنيُّ، ولهذا يُسمَّون الباطنيَّة، وهذا الدين الباطنيُّ لا يُؤمَّرُ به إِلَّا خواصُّ الناس وهم أوليائهم ولهذا تأوَّلوا، حتَّى الشريعة العملية تأوَّلوها كما تأوَّل هؤلاء الشريعة العلمية في صفات الله وغيره، تأوَّلوها أي: حرَّفوها.

هؤلاء حرَّفوا حتَّى الأمور العملية، قالوا: الصلاة ليست هي ذات الركوع والسجود، بل الصلاة معرفة أسرار القوم.

والصيام: هل هُوَ الإمساك عن الطعام والشراب والمفطرات؟ لا، فهذا صوم العوام، أمَّا صومُ الخواصِّ فهو كتمان أسرارهم؛ ولهذا لا يُّوحون بأسرار مذهبهم إِلَّا بعد أن يتربَّى الإنسان عَشْرَ مراتبٍ معروفة عندهم، يعني: يُرحِّلونَه مرحلةً مرحلةً حتَّى يصل إلى الغاية.

وأما الحجُّ فقالوا: إنه زيارة أوليائهم، أمَّا أن تزور الكعبة، فهذا حجُّ العوام، حجُّ الخواصِّ أن تذهب إلى الوليِّ الفلانيِّ حيًّا كان أو ميتًا وتقصده، هذا هُوَ الحجُّ.

الزكاة ليست بذلَّ المال للفقراء، والمساكين، والعاملين عليها... إلخ، ولكنها بذلُّ المال في تنمية مذاهبهم، والبناء على قبور أوليائهم، وما أشبه ذلك.

١٨٠٦- فتأوَّلوا العمليَّ مثل تأوَّل الـ — علميَّ عندكم بلا قرآن

قوله: «العلميَّ» هُوَ ما يتعلَّق بالعقائد.

قوله: «العمليَّ» هُوَ ما يتعلَّق بأعمال الجوارح.

الباطنية القرامطة تأولوا الأمرين جميعًا، هم في مذهبهم العلمي كمنذهب الفلاسفة تمامًا، يقولون: كُلُّ اليوم الآخر، وأسماء الله، وصفات الله، بل والله عزَّ وجلَّ كُلُّه تخييلٌ.

هم زادوا على ذلك، وقالوا: العمليُّ أيضًا تخييلٌ للعوام فقط دون الخواصِّ.

١٨٠٧- وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الْكُفْرَانِ قَوْلُهُ: «النَّصِير» هُوَ نَصِيرُ الدِّينِ الطُّوسِيِّ -عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ مَا يَسْتَحِقُّ- هَذَا الرَّجُلُ رَافِضِيٌّ، اسْتَبَطَنَهُ الْخَلِيفَةُ، وَجَعَلَهُ مِنْ بَطَانَتِهِ، فَخَانَهُ أَعْظَمَ خِيَانَةً، وَقَادَ التَّتَارَ إِلَى دُخُولِ بَغْدَادَ، فَدَخَلَ التَّتَارُ بَغْدَادَ، وَقَتَلُوا الْخَلِيفَةَ، وَقَتَلُوا أُمَّمًا لَا يَحْصِيهِمْ إِلَّا اللَّهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَالْعَبَّادِ، وَالزُّهَّادِ، وَغَيْرِهِمْ.

حَتَّى إِنَّ ابْنَ الْأَثِيرِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى مَحْتَمِهِمْ قَالَ: «لَقَدْ بَقِيَتْ عِدَّةٌ سَنِينَ مُعْرَضًا عَنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْحَادِثَةِ اسْتِعْظَامًا لَهَا، كَارَهَا لِذِكْرِهَا، فَأَنَا أَقْدَمُ إِلَيْهِ رَجُلًا وَأَوْخَرُ أُخْرَى، فَمَنْ الَّذِي يَسْهَلُ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ نَعِيَّ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ؟ وَمَنْ الَّذِي يَهْوَنُ عَلَيْهِ ذِكْرُ ذَلِكَ؟ فَيَا لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي، وَيَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ حَدُوثِهَا وَكُنْتُ نَسِيًا مَنْسِيًا، إِلَّا أَنَّنِي حَثْنِي جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَصْدِقَاءِ عَلَى تَسْطِيرِهَا وَأَنَا مُتَوَقِّفٌ، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنْ تَرَكَ ذَلِكَ لَا يَجِدِي نَفْعًا»^(١).

وكان يقول: من محتتهم أن العشرة منهم، أو الخمسة، أو الرجلين أو الثلاثة يدخلون السوق، ويدقون البيوت، ويخرجون الرجال، ويأتون بحجر بل بحجرين، ويقولون للرجل: ضع رأسك على هذا الحجر، ويقولون لأخيه: اضرب رأس أخيك بالحجر الثاني، ويفعل ذلك، لا يدافعون عن أنفسهم، يعني:

(١) انظر: الكامل في التاريخ (١٠/٣٣٣).

أنزل الله في قلوبهم الرعب، ويخرجون المرأة وهي حامل فيقرون بطنها، ويخرجون ولدها يتحرك أمامها، ثم يقتلونه - نسأل الله العافية - فإذا رأيت ما جرى تقول: سبحان الحليم الذي لا يؤاخذ عباده بما صنعوا!

يقول ابن القيم:

١٨٠٨- فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةً وَخَمَارُهَا فِينَا إِلَى ذَا الْآنِ

يعني: جرى على الإسلام محنة عظيمة سقطت به الدولة العباسية.

قوله: «وخمَارُها فِينَا» يعني: ما زالت هذه الفتنة إلى وقت ابن القيم في القرن

الثامن، وهي كانت في سنة ستمئة وخمسين، يعني: قبل مائة سنة، وما زالت آثارها.

إذ نعرفنا الآن أن أساس البلاء في الإسلام هو التأويل سواء في الأمور العلمية، أو في الأمور العملية حتى في مسائل الفقه الذين يخالفون الأقوال الصحيحة التي دلت عليها النصوص إنما خالفوها من أجل التأويل، يؤولون النصوص، فيخالفون مراد الشارع.

١٨٠٩- وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدْعٍ وَأَحَدٍ

١٨١٠- فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبُطْلَانِ لَا

١٨١١- إِذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ الْمُرَادِ وَكَشْفُهُ

١٨١٢- قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ

لَدَاتٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ

تَأْوِيلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

وَيَبَيِّنُ مَعْنَاهُ إِلَى الْأَذْهَانِ

صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ كُلَّ أَوَانٍ

- ١٨١٣- يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ
- ١٨١٤- هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ
- ١٨١٥- فَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ
- ١٨١٦- أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الْ
- ١٨١٧- وَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ: عَدُو
- ١٨١٨- مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ
- ١٨١٩- قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لَا
- ١٨٢٠- وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرَّجُوعُ
- ١٨٢١- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةُ الْ
- ١٨٢٢- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرَتْ
- ١٨٢٣- نَفْسُ الْحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُهَا لَدَى
- ١٨٢٤- لَا خُلْفَ بَيْنَ أُمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي
- ١٨٢٥- هَذَا كَلَامِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ
- ١٨٢٦- تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ
- ١٨٢٧- مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ:
- ١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا
- ١٨١٣- وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ
- ١٨١٤- مَنَ حِكَايَةً عَنْهُ لَهَا بِلِسَانِ
- ١٨١٥- خَيْرِ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ؟
- ١٨١٦- مَعْنَى الْقَوِيِّ لِعَبْرِ ذِي الرَّجْحَانِ
- ١٨١٧- لَمَّا لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ
- ١٨١٨- وَظُهُورِ مَعْنَاهُ لَهُ بِبَيَانِ
- ١٨١٩- تَأْوِيلِ جَهْمِيِّ أَخِي بُهْتَانِ
- ١٨٢٠- عِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ
- ١٨٢١- مَرِيٍّ لَا التَّحْرِيفُ بِالْبُهْتَانِ
- ١٨٢٢- رُسُلُ إِلَهِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ
- ١٨٢٣- يَوْمِ الْمَعَادِ بِرُؤْيَا وَعِيَانِ
- ١٨٢٤- هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
- ١٨٢٥- وَأُمَّةِ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ
- ١٨٢٦- بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلأَذْهَانِ
- ١٨٢٧- تَأْوِيلُهُ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ
- ١٨٢٨- عَزَلُ النُّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ فَذَانِ

- ١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ
 ١٨٣٠- وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ
 ١٨٣١- فَجَعَلْتُمْ لِلْفِظِ مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَى
 ١٨٣٢- وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى
 ١٨٣٣- كَذَبَ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعَ كَذِبٍ عَلَى
 ١٨٣٤- وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا
 ١٨٣٥- إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ
 سَدَّ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ
 وَاللَّهُ يُقْضِي فِيهِ بِالْبَطْلَانِ
 سَنَاهُ لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانِي
 تَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مَخْذُورَانِ:
 مَنْ قَالَهَا، كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ
 جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ
 غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ ذُو بَطْلَانِ

الشرح

- ١٨٠٩- وَجَمِيعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدْعٍ وَأَحَدٍ
 ١٨١٠- فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبَطْلَانِ لَا
 ذكر المؤلف - رحمه الله - أن أساس البلاء في الإسلام هو التأويل الذي
 أبطله، وهو الذي حصلت به كل البدع والأحداث.

ثم ذكر أن هناك تأويلاً صحيحاً، وهو التأويل الذي قاله أهل العلم والإيمان.

- ١٨١١- إِذْ ذَاكَ تَفْسِيرُ الْمُرَادِ وَكَشَفُهُ
 وَبَيَانُ مَعْنَاهُ إِلَى الْأَذْهَانِ

هذا التأويل - وهو تأويل أهل العلم والإيمان - بمعنى التفسير؛ لأن التأويل
 الذي ذكرنا أنه أصل البلاء هو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى
 المرجوح، وهذا هو التأويل الذي أبطله ابن القيم، وحققة أمره أنه تحريف.

هناك تأويلٌ بمعنى التفسير، وهو كشفُ المعنى، وإيضاحُه، وبيانه، وهذا التأويلٌ صحيحٌ.

وهذا يستعمله العلماءُ أهلُ العلم والإيمان، فمثلاً يقول ابنُ جرير -وهو إمامُ المفسرين بالأثر- يقولُ عندما يتكلمُ على تفسير الآية: القولُ في تأويلِ قوله تعالى: كَذَا وكَذَا، «القولُ في تأويل» يعني: في تفسير.

وسُمِّيَ التفسيرُ تأويلاً؛ لأنه بيانٌ لما يؤوّلُ إليه اللفظُ، فإنَّ تفسيرَ اللفظِ بمعناه بيانٌ لما يؤوّلُ إليه، وأصلُ التأويلِ مأخوذٌ من الأولِ وهو الرجوع.

١٨١٢- قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ كُلاًَّ أَوَانَ

١٨١٣- يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ عِنْدَ رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «قَدْ كَانَ أَعْلَمَ خَلْقِهِ بِكَلَامِهِ» فمحمّدٌ رسولُ الله ﷺ هو أعلمُ الخلقِ بكلامِ الله، لا شكٌ في هذا.

قَوْلُهُ: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» فإنه -عليه الصلاة والسلام- لما نزل قولُ الله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١-٣] عرف -عليه الصلاة والسلام- أن هذا دنوُّ أجله، وأنَّ الله أمره أن يختمَ عمره بهذا الدعاء: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فكانَ يُكثِرُ أن يقولَ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(١).

وَقَوْلُهُ: «تَأْوِيلَ ذِي بُرْهَانَ» أي: ذي علمٍ ودليلٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب التسييح والدعاء في السجود، رقم (٧٨٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).

١٨١٤- هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ — نَحْوَ حِكَايَةِ عَنْهُ لَهَا بِلِسَانِ

١٨١٥- فَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ مَا تَعْنِي بِهِ خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَذَا الَّذِي قَالَتْهُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ» ماذا قالت؟ لِمَا قالت: كان يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ» قالت: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ»^(١) ماذا تعني بالتأويل هنا؟ هل تعني: أنه يصرفُ الْقُرْآنَ عن ظاهره إِلَى معنى يخالف الظاهر؟ الجواب: لا، بل قولها: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» أي: يعملُ به؛ لِأَنَّ حَقِيقَةَ الْمَأْمُورِ وَمَا لَهُ الْعَمَلُ بِهِ.

فمثلاً إذا أمر الله بشيء فلنا فيه تأويلان: التأويل الأول: تفسير، والتأويل الثاني: فعله والعملُ به.

فقول عائشة: «يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» ليس معناه يُفَسِّرُهُ، لا يُفَسِّرُ معنى ﴿فَسِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَأَسْتَغْفِرْهُ﴾ لكنَّ المعنى: يَعْمَلُ بِهِ، وَالْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ بِهِ يُعْتَبَرُ تَأْوِيلًا؛ لِأَنَّهُ إِظْهَارٌ لِلْمَأْمُورِ بِهِ حَتَّى يَكُونَ مُشَاهِدًا كَمَا أَنَّ تَأْوِيلَ الْخَبَرِ إِذَا وَقَعَ يُسَمَّى تَأْوِيلًا؛ لِأَنَّهُ ظَهُورٌ لِلْمُخْبِرِ بِهِ أَوْ لِلْمُخْبِرِ عَنْهُ حَتَّى يُشَاهَدَ وَيُرَى.

فالحاصلُ أَنَّ التَّأْوِيلَ يُرَادُ بِهِ التَّفْسِيرُ، وَيُرَادُ بِهِ عَيْنُ الْمُؤَوَّلِ، فَإِنْ كَانَ مَأْمُورًا بِهِ فَتَأْوِيلُهُ فِعْلُ الْمَأْمُورِ بِهِ، وَإِذَا كَانَ مُخْبِرًا عَنْهُ فَتَأْوِيلُهُ وَقُوعُ الْمُخْبِرِ عَنْهُ حَتَّى يُشَاهَدَ وَيُرَى.

قَوْلُهُ: «خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ» أما كونُ عائشةَ أفقَهُ النِّسْوَانِ فهذا أمرٌ يَعْرِفُهُ مَنْ عَرَفَ حَالَهَا، وَأَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تُعْتَبَرُ فُقَيْهَةً لِلنِّسَاءِ.

(١) هو جزء من الحديث السابق.

وأما كونها خير النساء فهذا من الأمور المختلف فيها عند أهل السنة، فمنهم من قال: إِنَّ خَيْرَ النِّسَاءِ عَائِشَةُ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَسِيَّةُ امْرَأَةٍ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١).

قالوا: فذكر أنه كمل من النساء فلانة، وفلانة، وفلانة، وفلانة «وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ» وهذا عام «كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».

وكان ابن القيم في هذا الكلام يذهب هذا المذهب، ولكن تقدم في العقيدة أن الصحيح أن عائشة لها مزية، وخديجة لها مزية، وفاطمة لها مزية، ومريم لها مزية، كل واحدة من الأخرى خير من الأخرى من وجه آخر.

١٨١٦- أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الْمَعْنَى الْقَوِيَّ لِغَيْرِ ذِي الرَّجْحَانِ الْجَوَابُ: لا، لا تريد بالتأويل صرف اللفظ عن المعنى القوي، يعني: الظاهر، للمعنى الذي ليس براجع؛ ولهذا قال: «لِغَيْرِ ذِي الرَّجْحَانِ».

١٨١٧- وَأَنْظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ: عَدَّ لِمَهْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ

١٨١٨- مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ وَظُهُورِ مَعْنَاهُ لَهُ بَيَانِ

من القائل؟ الجواب: الرسول ﷺ حيث قال لعبد الله بن عباس: «اللَّهُمَّ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: «وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ» [التحریم: ١١]، رقم (٣٢٣٠)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، رقم (٣٤١١).

فَقَّهُهُ فِي الدِّينِ، وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(١)، يعني: التفسير.

١٨١٩- قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لَا تَأْوِيلَ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ» يعني: هُوَ التَّأْوِيلُ حَقِيقَةٌ، أَي: التفسير.

قَوْلُهُ: «لَا تَأْوِيلَ جَهْمِيٍّ أَخِي بُهْتَانِ» الجهميُّ يعني بالتأويل التَّحْرِيفَ،

فمعناه عنده صرفُ اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل يرى أنه صارفٌ، فيرى الجهميُّ وغيره من أهل التَّحْرِيفِ أَنَّ هَذَا الدَّلِيلَ صَارِفٌ، وَالدَّلِيلُ الصَّارِفُ عندهم هُوَ العقل كما سبق.

١٨٢٠- وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرَّجُوعُ عِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ

أَمَّا الْجَهْمِيُّ وَغَيْرُهُ فَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ عَنْهُمْ هُوَ الرَّجُوعُ إِلَى الْمَعْنَى الْبَاطِلِ الَّذِي

يُخَالِفُ ظَاهِرَ الْلفظِ.

١٨٢١- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةُ الْـ مَرِّيِّ لَا التَّحْرِيفُ بِالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةُ الْمَرِّيِّ» لَمَّا رَفَعَ يَوْسُفُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أَبْوِيَهُ

عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا، مَاذَا قَالَ؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ

مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] معنى (هذا تأويلها) أي: هَذَا وَقَوْعُهَا، وَقَوْعُ هَذِهِ الرُّؤْيَا؛

لَأَنَّ الرُّؤْيَا الَّتِي كَانَتْ كَمَا قَالَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ

وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] هَذِهِ الرُّؤْيَا تَصْوِيرٌ فَقَطْ، لَمَّا وَقَعَ الْأَمْرُ،

وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا قَالَ: هَذَا تَأْوِيلُ، أَي: وَقَوْعُ مَا رَأَاهُ فِي

مَنَامِهِ مُشَاهَدًا.

١٨٢٢- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرْتَ رُسُلَ إِلَهِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ

١٨٢٣- نَفْسُ الْحَقِيقَةِ إِذْ تُشَاهِدُهَا لَدَى يَوْمِ الْمَعَادِ بِرُؤْيَا وَعِيَانِ

الرُّسُلِ - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَخْبَرْتَ بِمَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَتَى تَأْوِيلُهُ الَّذِي هُوَ وَقُوعُ هَذَا الْمُخْبِرِ بِهِ؟ الْجَوَابُ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَمَا قَالَ اللَّهُ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣].

فَقَوْلُهُ: ﴿نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ يَعْنِي: تَرَكَوهُ، وَلَيْسَ النِّسْيَانُ الَّذِي هُوَ الذَّهْوُ عَنِ الشَّيْءِ الْمَعْلُومِ، بَلِ الْمُرَادُ تَرَكَوهُ.

١٨٢٤- لَا خُلْفَ بَيْنَ أُمَّةِ التَّفْسِيرِ فِي هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

١٨٢٥- هَذَا كَلَامُ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَأُمَّةِ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ

١٨٢٦- تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلأَذْهَانِ

١٨٢٧- مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ: تَأْوِيلُهُ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ

١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ فَذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ

مَنْ الَّذِي قَالَ: إِنَّ التَّأْوِيلَ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ؟ الْجَوَابُ: الْجَهْمِيَّةُ وَأَهْلُ الْبِدْعِ، أَمَّا كَلَامُ اللَّهِ وَكَلَامُ رَسُولِهِ وَكَلَامُ أُمَّةِ التَّفْسِيرِ وَكَلَامُ أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَالتَّأْوِيلُ عِنْدَهُمْ لَهُ مَعْنِيَانِ لَا ثَالِثَ لِهَما، وَهُمَا: التَّفْسِيرُ، وَالْحَقِيقَةُ الَّتِي يُوَوَّلُ إِلَيْهَا

الكلام، إن كان خبرًا فبوقوع المُخْبِرِ به، مثاله: قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿هَذَا يُنظَرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ سُوءُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣].

وإن كان طلبًا فبامثاله والعمل به، مثاله: قول عائشة: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ...» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ^(١).

١٨٢٨- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا عَزْلُ النَّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ فَذَانِ

١٨٢٩- تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا نَفْيُ الْحَقِيقَةِ» يعني: لم يقل شخص منهم قط: إن التأويل نفي الحقيقة.

قَوْلُهُ: «وَلَا عَزْلُ النَّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ» أهل الباطل عزلوا النصوص عن اليقين، وقالوا: إن دلالتها على المعنى لا تنفيذ اليقين، وإذا لم تُفد اليقين فلنا الحق في تأويلها وصرفها عن ظاهرها.

وهذه مكابرة؛ لأن في النصوص ما يُفِيدُ اليقين قطعاً، فاستواء الله على العرش أي: علوه عليه تدلُّ عليه النصوص يقيناً؛ لأنه ذَكَرَ في الْقُرْآنِ في سبعة مواضع، وليس هناك موضعٌ واحدٌ أبداً قَالَ اللهُ فيه: «إِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» بل في كُلِّ المواضع بلفظ «اسْتَوَى» قال تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب التسييح والدعاء في السجود، رقم (٧٨٤)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٤).

١٨٣٠- وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ وَاللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بِالْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بِالْبُطْلَانِ» الظاهر أن ابن القيم - رحمه الله - سأل الله أن يقضي ببطلان هذا التأويل حتى لا يغتر الناس به، فالظاهر أنها جملة دعائية.

١٨٣١- فَجَعَلْتُمْ لِلْفَظِّ مَعْنَى غَيْرَ مَعْنَى لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانِي

قَوْلُهُ: «لَدَيْهِمْ» أي: لدى أئمة العرفان.

١٨٣٢- وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى تَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ:

١٨٣٣- كَذَبَ عَلَى الْأَلْفَافِ مَعَ كَذِبٍ عَلَى مَنْ قَالَهَا، كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ

قَوْلُهُ: «جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ» المحذور الأول: «كذب على الألفاظ» حيث قالوا: إنها تدل على كذا.

المحذور الثاني: «كذب على من قالها» حيث قالوا: إن مراده كذا، فعندنا الآن في تأويل أهل التحريف محذوران:

الأول: الكذب على الألفاظ، مثلاً قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ظاهر اللفظ جاء هو بنفسه، لكن هم كذبوا على اللفظ، وقالوا: المراد به: «جاء أمر ربك».

الثاني: وكذبوا على من تكلم بهذا اللفظ وهو الله، فقالوا: إن الله أراد بقوله: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: «جاء أمر ربك»، فكذبوا على الله.

إذن هنا كذبان: الكذب الأول: على النصوص (اللفظ)، والثاني: على من قالها، فهذان كذبان مقبوحان.

١٨٣٤- وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ

صحيح، ترتب على هذا أنهم جحدوا الحق، وأشادوا بالباطل، فقالوا مثلاً: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ليس معناها (علا)، فجحدوا الحق، وأشادوا بالمعنى الباطل وهو (استولى).

ونحن الآن نبيِّن هذه المحاذير الأربعة:

الأول: في قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ ما ظاهر اللفظ؟ ظاهره أنه استوى استواءً حقيقياً على العرش، هم قالوا: المراد بـ(استوى) أي: (استولى)، فكذبوا على اللفظ.

الثاني: ثم إن الله أراد بقوله: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الاستواء الحقيقي (العلو عليه)، وهم قالوا: إن الله لم يرد ذلك، ولكن أراد الاستيلاء، فكذبوا على الله.

الثالث والرابع: الذي تلا هذين الأمرين: كذبوا بالحق الذي هو الاستواء على العرش، وجحدوه، ثم أثبتوا معنى باطلاً وهو الاستيلاء، فكذبوا بالحق وأشادوا بالباطل، ولهذا قال: «وتلاههما أمران أقبح منهما جحد الهدى وشهادة البهتان» أي: شهدوا بأنه (استولى) ولم (يستوى).

١٨٣٥- إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ ذُو بُطْلَانٍ

يعني: يرون أن الحقيقة باطلة، وأن المراد سواها، نسأل الله السلامة والهداية.

فصل

(فِيمَا يَلْزِمُ مُدْعِيَ التَّأْوِيلِ لِتَصِحِّحِ دَعْوَاهُ)

- ١٨٣٦- وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعُ
- ١٨٣٧- مِنْهَا دَلِيلٌ صَارَفٌ لِلْفَظِّ عَنِ
- ١٨٣٨- إِذْ مُدْعِي نَفْسِ الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ
- ١٨٣٩- فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا
- ١٨٤٠- وَهُوَ اِحْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي
- ١٨٤١- فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَلِكَ طَوْلِبْتُمْ بِأَمْرٍ
- ١٨٤٢- إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا
- ١٨٤٣- هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَـ
- ١٨٤٤- غَيْرَ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ
- ١٨٤٥- كَتَعْبُدِ وَتِلَاوَةِ وَيَكُونُ ذَا
- ١٨٤٦- مِنْ قَصْدٍ تَحْرِيفٍ لَهَا يُسَمَّى بِتَأْ
- ١٨٤٧- وَاللَّهُ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا
- ١٨٤٨- بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ التَّـ
- وَاللَّهُ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ يَدَانِ
- مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ
- لِلْأَصْلِ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بُرْهَانِ
- هَيْهَاتَ طَوْلِبْتُمْ بِأَمْرٍ ثَانِي
- قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ
- رِ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي
- ذَا دَلَّكُمْ أَنْتَحَرَّصُ الْكُفَّانِ؟!
- كِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِي
- نُ اللَّفْظِ مَقْصُودًا بِدُونِ مَعَانِي
- كَ الْقَصْدُ أَنْفَعُ وَهُوَ ذُو إِمْكَانِ
- وَيْلٌ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ
- فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَنَّانِ
- تَحْرِيفَ حَاشَى حِكْمَةِ الرَّحْمَنِ

- ١٨٤٩- وَكَذَلِكَ تُبْطَلُ قَصْدُهُ إِذَا نَزَلَتْهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبْيَانِ
 ١٨٥٠- وَهُمَا طَرِيقَا فِرْقَتَيْنِ كِلَاهُمَا عَنِ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرَفَانِ

الشرح

هذا الفصل فصلٌ عظيمٌ جدًّا، وذلك أنَّ كُلَّ مَنْ ادَّعى التَّأْوِيلَ الَّذِي هُوَ
 صَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى مَعْنَى مَرْجُوحٍ فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِأُمُورٍ أَرْبَعَةٍ:

الأمر الأول قال:

- ١٨٣٦- وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٌ وَاللَّهُ لَيْسَ لَكُمْ بِهِنَّ يَدَانِ
 ١٨٣٧- مِنْهَا دَلِيلٌ صَارَفٌ لِلْفَظِّ عَنْ قَوْلِهِ: «يَدَانِ» بِمَعْنَى قَدْرَةٍ.

قَوْلُهُ: «مِنْهَا» يَعْنِي: وَهُوَ الْأَوَّلُ.

يعني: لا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ مَنْ ادَّعى التَّأْوِيلَ بِدَلِيلٍ صَارَفٍ عَنِ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّةِ،
 فَلَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِدَلِيلٍ، هَذَا الدَّلِيلُ إمَّا مِنَ الْقُرْآنِ، أَوِ السُّنَّةِ، أَوِ الْإِجْمَاعِ، أَوِ الْعَقْلِ
 الصَّرِيحِ.

فَإِنْ قَالَ هَذَا الَّذِي طَالِبُنَا بِهِ الدَّلِيلَ الَّذِي صَرَفَ اللَّفْظَ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَقَلْنَا لَهُ:
 هَاتِ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّهُ مَصْرُوفٌ عَنْ ظَاهِرِهِ، لَوْ أَنَّهُ قَلِبَ عَلَيْنَا ذَلِكَ، وَقَالَ: أَنْتُمْ
 الَّذِينَ تَأْتُونَ بِالدَّلِيلِ، فِيمَاذَا نُجِيبُهُ؟ قَالَ الْمُؤَلِّفُ فِي الْجَوَابِ عَنْهُ:

- ١٨٣٨- إِذْ مُدَّعِي نَفْسِ الْحَقِيقَةِ مُدَّعٍ لِلْأَصْلِ لَمْ يَحْتَجَّ إِلَى بُرْهَانِ

نقول: نحن ما صرفناه عن ظاهره حتى تطالبنا بالدليل.

١٨٣٩- فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا هَيْهَاتَ طَوْلَيْتُمْ بِأَمْرٍ ثَانِي

قَوْلُهُ: «فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا هَيْهَاتَ» يعني: ما أبعدته؟! ما أبعد أن تأتوا بدليلٍ بَيِّنٍ يدلُّ عَلَى صرف اللفظ عن ظاهره، لكن عَلَى فرض أن يستقيم لكم طولبتم بأمرٍ ثاني.

١٨٤٠- وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ

لا بُدَّ أن يأتوا بدليل عَلَى أن المعنى يحتمل ما ذكره، فإن كان لا يحتمل لم يُقْبَل منهم.

فمثلاً: هل يمكن أن يحتمل قول الله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] أن يحتمل معنى (استولى)؟ الجواب: لا؛ لأنه يلزم عليه لوازم باطلة تمنع أن يكون اللفظ محتماً لهذا المعنى.

فإذن إذا قالوا: عندنا دليلٌ يصرفُ اللفظَ عن ظاهره، قلنا: نريدُ دليلاً آخرَ، وَهُوَ احْتِمَالُ اللَّفْظِ لِهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ؛ لأنكم قد تدعون معنى لا يحتمله اللفظُ، فلا يُقْبَل منكم.

١٨٤١- فَإِذَا آتَيْتُمْ ذَاكَ طَوْلَيْتُمْ بِأَمْرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي

قَوْلُهُ: «فَإِذَا آتَيْتُمْ ذَاكَ» يعني: آتيتم به، طولبتم بأمرٍ ثالثٍ من بعد هذا الثاني.

١٨٤٢- إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَا ذَا دَلُّكُمْ أَنْتُمْ كُفَّانِ؟!

إذا أتوا بدليلٍ عَلَى أن اللفظَ يحتمل ما ذكره، نقول: نريدُ منكم دليلاً آخرَ،

وَهُوَ هَلْ يَتَعَيَّنُ مَا ذَكَرْتُمُوهُ مَعْنَى لِهَذَا اللَّفْظِ؟ قَدْ لَا يَتَعَيَّنُ، فَقَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ مُحْتَمَلًا
 لِمَعْنَى آخَرَ غَيْرِ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ، مَا دُمْتُمْ صَرَفْتُمُوهُ عَنْ ظَاهِرِهِ وَقُلْتُمْ: الْمُرَادُ كَذَا،
 نَقُولُ: هَذَا الَّذِي عَيَّنْتُمْ يَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ غَيْرَهُ؛ وَلِهَذَا قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: «إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ
 الْمُرَادَ كَذَا فَمَاذَا دَلَّكُمْ؟» يَعْنِي: مَا الَّذِي دَلَّكُمْ أَنَّ الْمُرَادَ مَا قُلْتُمْ؟ «أَتُخْرِصُ
 الْكُهَانَ»؟! وَهَذَا الْاسْتِفْهَامُ لِلْإِنْكَارِ.

١٨٤٣- هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَ كِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِي
 ١٨٤٤- غَيْرِ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ اللَّفْظُ مَقْصُودًا بِدُونِ مَعَانِي
 قَوْلُهُ: «الْمَوْضُوعُ» يَعْنِي: الْحَقِيقَةُ.

إِذْنُ رَدَّ الْمُؤَلِّفُ عَلَيْهِمْ إِذَا عَيَّنُوا الْمَعْنَى بِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَعْنَى آخَرَ،
 وَيَحْتَمِلُ أَنْ لَا يُرَادَ مَعْنَى لِهَذَا اللَّفْظِ، لَا الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ، وَلَا الْمَعْنَى الْآخَرَ، إِذْنُ
 مَا الْمُرَادُ بِاللَّفْظِ؟ يَقُولُ:

١٨٤٥- كَتَبْتُ بِدَوْلَاوَةٍ وَيَكُونُ ذَا كَ الْقَصْدُ أَنْفَعٌ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
 فَصَارَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ: إِذَا عَيَّنَّا مَعْنَى طَالِبِنَاهُمْ بِالذَّلِيلِ عَلَى تَعْيِينِ هَذَا
 الْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرُوهُ؛ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ مَعْنَى آخَرَ، وَلاَحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ هَذَا
 اللَّفْظُ لَا يُرَادُ بِهِ مَعْنَى، وَإِنَّمَا نَزَلَ لِمَجْرَدِ اللَّفْظِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: مَا الْفَائِدَةُ مِنَ اللَّفْظِ؟ يَقُولُ: «كَتَبْتُ بِدَوْلَاوَةٍ»: وَهَذَا فِي
 الْقُرْآنِ.

قَوْلُهُ: «وَيَكُونُ ذَاكَ الْقَصْدُ أَنْفَعٌ» أَي: أَنْفَعٌ مِمَّا عَيَّنَّوهُ مِنَ الْمَعْنَى الْمُخَالَفِ
 لِلظَّاهِرِ.

١٨٤٦- مِنْ قَصْدٍ تَحْرِيفٍ لَهَا يُسَمَّى بِتَأْ وَيَسِلُّ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ
 إِذَنْ كَوْنُنَا نَقْرَأُ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ وَلَا نَتَعَرَّضُ لِمَعْنَاهَا خَيْرٌ مِنْ كَوْنِنَا نُحَرِّفُهَا عَنْ
 ظَاهِرِهَا مَعَ إِتْعَابِ أَذْهَانِنَا وَالْإِتْيَانِ بِالْأَدْلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى التَّجَوُّزِ إِلَى هَذَا الْمَعْنَى، وَمَا
 أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ كَوْنَهَا مَجْرَدَةٌ عَنِ الْمَعْنَى لِمَجْرَدِ التَّعَبُّدِ بِالتَّلَاوَةِ أَوْلَى مِنْ كَوْنِهَا مُحَرَّفَةٌ.
 ثُمَّ قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

١٨٤٧- وَاللَّهُ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَنَّانِ
 قَوْلُهُ: «مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا» مَا الْمَرَادُ بِالْقَصْدَيْنِ؟ الْمَرَادُ: التَّحْرِيفُ الَّذِي
 هُوَ خِلَافُ الظَّاهِرِ، أَوْ كَوْنِهَا لَيْسَ لَهَا مَعْنَى.

لكن أيهما أولى: أن يُنزلَ اللهُ علينا كتابًا نتعبُّدُ بتلاوته دون أن نتعرَّضَ لمعناه
 أو كتابًا يريدُ منا أن نُحرِّفَهُ عن ظاهِرِهِ وأن نُتعبَ أذهانَنَا في تحريفِهِ والمَعْنَى الَّذِي
 نُعَيِّنُهُ؟

الجوابُ: الأوَّلُ لا شكَّ؛ لِأَنَّ الأوَّلَ لَيْسَ عِنْدَ نَافِيهِ تَعَبٌ، وَإِنَّمَا نُسَلِّمُ الْأَمْرَ
 إِلَى اللَّهِ.

١٨٤٨- بَلِ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطِلُ قَصْدَهُ التَّحْرِيفَ حَاشَى حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ
 قَوْلُهُ: «حَاشَى حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ» يَعْنِي: تَنْزِيهًا لَهَا، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ
 الِاسْتِثْنَاءِ حَتَّى نَقُولَ: إِنَّهَا تُجَرُّ، بَلِ (حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ) هُنَا فَاعِلٌ.

١٨٤٩- وَكَذَلِكَ تُبْطِلُ قَصْدَهُ إِنْزَالُهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبْيَانِ
 يَعْنِي: أَنَّ حِكْمَةَ اللَّهِ تَأْبَى أَنْ يُرِيدَ بِكَلَامِهِ خِلَافَ الظَّاهِرِ كَمَا زَعَمْتُمْ، وَتَأْبَى
 أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى كَمَا قَدَّرْنَا.

إِذْنُ ابْنِ الْقَيْمِ - رحمه الله - رَدَّ الْقَوْلَيْنِ جَمِيعًا، وَهَمَا: أَنْ يُقْصَدَ بِاللَّفْظِ مَجْرَدُ اللَّفْظِ مِنْ أَجْلِ التَّعَبُّدِ بِالتَّلَاوَةِ فَقَطْ، أَوْ أَنْ يُقْصَدَ بِهِ مَعْنَى يَخَالِفُ الظَّاهِرَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُنَزِّلْ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ لِمَجْرَدِ أَنْ نَقْرَأَهُ فَقَطْ، بَلْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ لِفَهْمِ مَعْنَاهُ وَتَدَبُّرِهِ وَاعْتِقَادِ مَوْجِبِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: (بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تَبْطُلُ قَصْدَهُ التَّحْرِيفَ) مَا هُوَ التَّحْرِيفُ الَّذِي عَنَى؟ الْجَوَابُ: تَأْوِيلُ هَؤُلَاءِ لِلْكَلامِ عَنْ ظَاهِرِهِ.

١٨٥٠- وَهُمَا طَرِيقًا فَرَقَتَيْنِ كِلَاهُمَا عَنْ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرَفَانِ قَوْلُهُ: «وَهُمَا» يَعْنِي: التَّحْرِيفَ، وَتَفْوِيضَ الْمَعْنَى، أَي: الْقَوْلُ بِأَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ مِنْ غَيْرِ مَعْنَى، هُمَا طَرِيقًا فَرَقَتَيْنِ كِلَاهُمَا مُنْحَرَفٌ عَنْ طَرِيقِ الْقُرْآنِ. إِذْنُ قَوْلُهُ: (هُمَا) أَي: الْمَفْوضَةُ وَالْمُؤَوَّلَةُ.

وَقَدْ ادَّعَى كَثِيرٌ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ مَذْهَبَ السَّلَفِ حَقِيقَةً ادَّعَى أَنَّ مَذْهَبَ السَّلَفِ هُوَ التَّفْوِيضُ، أَي: أَنَّا نَقْرَأُ وَلَا نَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَعْنَى، وَقَالَ: هَذَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ، وَقَالَ: إِنَّ مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: تَفْوِيضٌ، وَتَأْوِيلٌ.

نَقُولُ: وَلَكِنَّهُ أَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، فَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ لَا هَذَا وَلَا هَذَا، فَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ الْمَعْنَى، وَيَقُولُونَ: حَاشَى لِلَّهِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا قُرْآنًا لِمَجْرَدِ التَّلَاوَةِ لَيْسَ لَهُ مَعْنَى؛ لِأَنَّ هَذَا شِبْهُ عَيْبٍ، وَلَكِنَّهُ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ ﴿لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩] فَلَا بُدَّ مِنْ فَهْمِ مَعْنَاهُ، وَإِنْ خَفِيَ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ فَإِنَّ الرَّاَسْخِينَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَهُ.

فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَسَمُوا مَذْهَبَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى قَسْمَيْنِ نَقُولُ: أَخْطَأْتُمْ. أَوْلَا: فِي جَعَلِكُمُ الْمُؤَوَّلَةَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، فَإِنَّ الْمُؤَوَّلَةَ خَالَفُوا السُّنَّةَ فِي تَأْوِيلِهِمْ.

ثانيًا: جعلكم التفويض من مذهب أهل السنة، فإنَّ أهل السنة بريئون من ذلك حتَّى إنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - قال: «إنَّ قول أهل التفويض من شرِّ أقوال أهل البدع والإلحاد»^(١).

وقال: إنه هُوَ الَّذِي فتح الباب للفلاسفة والمناطقة الذين أنكروا المعاد وأنكروا اليوم الآخر؛ لأنَّ هؤلاء الفلاسفة قالوا: إذا كنتم أنتم يا أهل السنة لا تعرفون معاني القرآن وإنما تقرؤونه تعبدًا بتلاوته، فأنتم بمنزلة العجائز والأميين، ونحن أصحاب الميدان الذين نعرف معاني ما أنزل الله ولو بالتأويل؛ فلهذا فتح هؤلاء المفوضة الباب لأهل التأويل حتَّى للفلاسفة وشبههم.

ومن ثمَّ نجد في كلام بعض العلماء المحققين كالنووي - رحمه الله - «أنَّ طريقة السلف أسلم، وطريقة الخلف أعلم وأحكم»، وهذه العبارة وصف شيخ الإسلام مَنْ قالها بالغباوة، فقال - رحمه الله -: «ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما يقوله بعض الأغبياء ممن لم يُقدِّر قدر السلف، بل ولا عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم»^(٢)، ولا شكَّ أن هذه عبارة كذب، وفيها تناقض.

أمَّا كونها متناقضة: فلأنه إذا كانت طريقة السلف أسلم لزم أن تكون أعلم وأحكم؛ لأننا لا نعلم سلامة إلا بعلمٍ وحكمة، بعلمٍ بمعرفة أسباب السلامة، وحكمة في سلوك هذه الأسباب.

وثانيًا: كيف تكون طريقة الخلف أعلم وأحكم وهم الذين حرّفوا الكلم عن مواضعه؟! وكيف تكون طريقة الخلف أعلم من طريق النبي ﷺ والصحابة

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

(٢) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ١٨٥).

وخلفائه الراشدين؟! وكيف تكون أعلمَ وهذه أقوال السلف كُلُّها طافحة متضافرة ظاهرة في إثبات المعنى؟!!

من العبارات المشهورة عنهم أنهم قالوا في آيات الصِّفَات وأحاديثها: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ بِلا كَيْفٍ» فَإِنَّ هَذِهِ العبارة تدلُّ دلالة ظاهرة عَلَى أنهم يُثبتون المعنى؛ لأنَّ قولهم: «أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ» يقتضي إبقاء دلالتها عَلَى ما هي عليه، ومعلومٌ أنها ألفاظٌ جاءت لمعنى، وليست ألفاظًا جوفاء لا معنى لها، وحاشى لله أن يصفَ نفسه، ويسمِّي نفسه بأسماء وصفات في كتابه وهي عندهم ألفاظٌ جوفاءٌ ليس لها معنى، هي جاءت لإثبات المعنى، فإمرأها كما جاءت أن تُثبتَ معانيها التي دلت عليها.

وأيضًا قولهم: (بلا كَيْفٍ) يدلُّ عَلَى إثبات أصل المعنى؛ لأنَّ نفي التكييف يدلُّ عَلَى ثبوت أصل المعنى؛ لأنه لو لم يكن الأصل ثابتًا لكان ذكْرُ نفي التكييف لغوا لا فائدة منه.

إِذْ فطريقة السلفِ أسلمٌ وأعلمٌ وأحكمٌ.

والمؤلف هنا ذكر ثلاثة أوجه مع أنه في أوّل الكلام يقول: «وظائف أربع» فأين الرابع؟ لم يذكر إلا ثلاثة.

رابعًا: أن يُثبتوا أنَّ اللفظَ يحتملُ المعنى الَّذِي عَيَّنوه في السِّياق المعَيَّن؛ لأنَّ احتمالَ اللفظ للمعنى عَلَى سبيل الإطلاق لا يعني: أنه يحتمله في كُلِّ سياق، فلا بُدَّ أن يُثبتوا دليلًا عَلَى أنَّ المعنى الَّذِي عَيَّنوه صالحٌ في هَذَا السِّياق المعَيَّن؛ لأنَّ احتمالَ اللفظ للمعنى عَلَى سبيل الإطلاق لا يستلزمُ أن يحتمله في كُلِّ سياق، فقد يكون في السِّياق ما يمنع المعنى الَّذِي يحتمله اللفظ في غير هَذَا السِّياق، وهذا كثيرٌ.

ففي القرآن والسنة ألفاظ لها معانٍ لكنها لا تصلح للمعاني المطلقة في هذا السياق المعين، فمثلاً: إذا قالوا: إنَّ (استوى) يمكنُ أن تأتي بمعنى (استولى)، نقول: لكن نحتاج إلى دليل يدلُّ على أنها تحتمله في هذا السياق المعين، دعنا من كونها تحتمله على سبيل الإطلاق، هذا قد نُقرُّ به، لكن لا بُدُّ أن تقيموا دليلاً على احتمالها لهذا المعنى في هذا السياق المعين.

وأضربُ لكم مثلاً: (القرية) تُطلَقُ على المساكن، وعلى السَّاكن، لكنها في موضع لا تصلح للمساكن، وفي موضع لا تصلح للمساكن، ففي قوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥] هل تصلح (القرية) هنا للمساكن؟

الجواب: لا؛ لأنها لا تظلم ولا تُهلك، فالذي يُهلك أهلها كما قال تعالى في قوم هود: ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يَرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف: ٢٥].

أمَّا في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] هل (القرية) هنا تصلح للمساكن؟ الجواب: لا، بل تتعين للمساكن.

فقوله: ﴿أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت: ٣١] (أهل) مضاف لـ(القرية)، فلو قلنا: (القرية) هنا للمساكن صار المعنى: إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ أَهْلٍ، ف(أهل القرية) الآن (أهل) هم السَّاكن، (والقرية): المساكن، فهنا القرية لا تصلح للمساكن.

إذْ نَقُولُ لَهُؤْلَاءِ الْمُؤَوَّلِينَ: الوظيفَةُ الرَّابِعَةُ عَلَيْكُمْ: أَنْ تُثَبَّتُوا أَنَّ اللَّفْظَ صَالِحٌ لِّلْمَعْنَى الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمَعْيَّنِ، فَصَارَتِ الْوِظَائِفُ الَّتِي يُطَالِبُونَ بِهَا أَرْبَعًا.

فصل

فِي طَرِيقَةِ ابْنِ سِينَا وَذَوِيهِ مِنَ الْمَلَا حِدَةِ فِي التَّأْوِيلِ

- ١٨٥١- وَآتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَا بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى وَلَمْ يَأْتَفَ مِنَ الْكُفْرَانِ سِيلاً وَتَقْرِيباً إِلَى الْأَذْهَانِ لَا فِي مِثَالِ الْحِسِّ كَالصَّبِيَانِ مَحْسُوسٍ مَقْبُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ ذَا الْقَصْدِ وَهُوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِي لِحَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَذْهَانِ مُشْتَقَّةٌ مِنْ هَذِهِ الْخُلُجَانِ قَةً مُتَّفِفٍ مَضْمُونُهَا بَيَانِ مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتَّبْيَانِ فِي الذَّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الْإِحْسَانِ وَطَرِيقَةُ الْبُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانِي جُنِيَتْ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الْهَدْيَانِ
- ١٨٥٢- قَالَ: الْمُرَادُ حَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ تَخْرُجُ عَنِ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلَى كَيْ يُنْزَعُ الْمَعْقُولُ فِي صُورٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَتَسَلُّطُ التَّأْوِيلِ إِبْطَالٌ لَهَا هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفِيهِ وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ عُدَّتْ وَكِلَاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ لَكِنْ قَدْ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ لَكِنْ عِنْدَهُمْ أُرِيدَتْ ثُبُوتُهَا إِذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ الْمُخَاطَبِ عِنْدَهُمْ فَكِلَاهُمَا ارْتَكَبَا أَشَدَّ جِنَايَةٍ جَعَلُوا التَّنْصُوصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ

- ١٨٦٤- وَتَسَلَّطَ الْأَوْغَادُ وَالْأَوْقَاحُ وَالْأَزْدَالُ بِالتَّحْرِيفِ وَالْبُهْتَانِ
 ١٨٦٥- كُلُّ إِذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا
 ١٨٦٦- وَيَقُولُ: تَأْوِيلِي كَتَأْوِيلِ الذِّيبِ
 ١٨٦٧- بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الْوَحْيِ بِالنَّ
 ١٨٦٨- أَيَسُوعُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ لَكُمْ وَلَا
 ١٨٦٩- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ مَعَ انْتَهَا
 ١٨٧٠- وَاللَّهُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ
 ١٨٧١- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ
 ١٨٧٢- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحُدُوثِ هَـ
 ١٨٧٣- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضِ الشَّرَا
 ١٨٧٤- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِكَلَامِهِ
 ١٨٧٥- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفْضِ أَخْ
 ١٨٧٦- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُؤَوَّلٍ
 ١٨٧٧- إِذْ صَرَخَ الْوَحْيَانِ مَعَ كُتُبِ الْإِلَـ
 ١٨٧٨- فَلَايِي شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ بِذَا التَّـ
 ١٨٧٩- إِنَّا تَأْوَلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوَّ
- أَزْدَالُ بِالتَّحْرِيفِ وَالْبُهْتَانِ
 بَلْهُ بِتَأْوِيلِ بِلَا بُرْهَانِ
 مَنْ تَأَوَّلُوا فَوَقِيَّةَ الرَّحْمَنِ
 نَصَّيْنِ مِثْلَ الشَّمْسِ فِي التَّبْيَانِ
 تَتَأَوَّلُوا الْبَاقِي بِلَا فَرْقَانِ؟!
 مِلْءُ الْحَدِيثِ وَمِلْءُ ذَا الْقُرْآنِ
 تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 وَلِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الْأَكْوَانِ
 ذَا الْعَالَمِ الْمُحْسُوسِ بِالْإِمْكَانِ
 نِعِ عِنْدَ ذِي الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ
 بِالْفَيْضِ مِنْ فَعَالِ ذِي الْأَكْوَانِ
 بَارَ الْفَضَائِلِ حَارَزَهَا الشَّيْخَانِ
 نَصًّا أَبَانَ مُرَادَهُ الْوَحْيَانِ
 بِجَمِيعِهَا بِالْفُوقِ لِلرَّحْمَنِ
 تَأْوِيلِ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ؟!
 وَلْتُمْ فَهَاتُوا وَاضِحَ الْفُرْقَانِ

- ١٨٨٠- أَلَكُم عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وَزُرَانِ؟!
 ١٨٨١- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْهَا نَقَلْنَاَهَا بِإِلَاعُذْوَانِ
 ١٨٨٢- رُدُّوا عَلَيْنِهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَتَحُوا حُوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الْإِيمَانِ
 ١٨٨٣- لَا تَحْطَمَنَّكُمْ جُنُودُهُمْ كَحَطِّ سِمِ السَّيْلِ مَا لَأَقَى مِنَ الدَّيْدَانِ

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله -: «فَصُلِّ فِي طَرِيقَةِ ابْنِ سِينَا وَذَوِيهِ مِنَ الْمَلَا حِدَةِ فِي التَّأْوِيلِ» سبق لنا التَّأْوِيلُ الَّذِي أَوْلَهُ أَهْلُ الْبِدْعِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَالْمَعْتَزَلَةِ وَغَيْرِهِمَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ، وَكَذَلِكَ أَيْضًا الَّذِينَ أَوْلَوْا نِصُوصَ الْمَعَادِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْمَعَادَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَأَوْلُوا الْأَعْمَالَ أَيْضًا، وَقَالُوا: إِنَّ الْعِبَادَاتِ لَا حَقِيقَةَ لَهَا، وَأَنَّ الْحَقِيقَةَ هِيَ مَا هُوَ مَوْجُودٌ عِنْدَهُمْ، وَأَنَّ لِلْإِسْلَامِ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

أَمَّا عَنْ ابْنِ سِينَا فَقَالَ:

١٨٥١- وَأَتَى ابْنُ سِينَا بَعْدَ ذَلِكَ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى وَلَمْ يَأْنَفْ مِنَ الْكُفْرَانِ

ابن سينا من المتفلسفة الإسلاميين الذي ينتمي إلى الإسلام، ويقول: إنه مسلم، ولكنه - نسأل الله العافية - على خلاف ذلك، وقد صرح ابن القيم وشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمهما الله - بأنه كافر.

صحيح أنه طبيب، وله معرفة في الطب، ولكنه من جهة العقيدة فاسد العقيدة، ولهذا قال: «أتى بطريقة أخرى ولم يأنف من الكفران» يعني: أنه لم يترفع عن الكفر، بل وقع فيه.

١٨٥٢- قَالَ: الْمُرَادُ حَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ تَحْتَهُ سَبِيلًا وَتَقْرِيْبًا إِلَى الْأَذْهَانِ

يقول: إنَّ المراد بالألفاظ حقيقتها، لكن من باب التخييل والتقريب للأذهان، وإلَّا فإنَّ الأمر شيءٌ وراء ذلك، فالصلاةً مثلًا يُراد بها حقيقتها، والزكاة، والصوم، وكذلك آيات الصفات وأحاديثها، لكنَّه على سبيل التقريب إلى الأذهان فقط؛ لتدرك الأذهان أنَّ الله سمعًا وبصرًا وقدرةً، لتدرك أنها تُصَلِّي وتصوم وتُزكي وتحج، لكن تقريبًا للأذهان فقط، وإلَّا فالأمر شيءٌ وراء ذلك.

١٨٥٣- عَجَزَتْ عَنِ الْإِدْرَاكِ لِلْمَعْقُولِ إِلَّا لَافِي مِثَالِ الْحِسِّ كَالصَّبِيَّانِ

يعني: أنَّ النفوس أو الأفكار عجزت عن إدراك المعقول إلا إذا صور بصورة المحسوس، يعني: مثلًا: «اللهُ سميعٌ» يعني: أنه لا سمع، لكن ذكِرَ هذا من باب التقريب.

وقوله تعالى: ﴿كُنِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] ليس هناك شيءٌ مكتوبٌ يُسمَّى صيامًا، لكن من باب التقريب أوجب الله الصيام على الناس، وإلَّا فإنَّ الحقائق شيءٌ وراء ذلك، هذا معنى كلام ابن سينا.

١٨٥٤- كَيْ يُبْرَزَ الْمَعْقُولَ فِي صُورٍ مِنَ الْمَحْسُوسِ مَقْبُولًا لِذِي الْأَذْهَانِ

١٨٥٥- فَتَسَلَّطُ التَّأْوِيلُ لِإِبْطَالِ لَهَا لَذَا الْقَصْدِ وَهُوَ جِنَايَةٌ مِنْ جَانِبِي

يعني: الذي يقول: إنَّ هذه النصوص لا يُراد بها حقائقها، وإنما المراد بها خلاف الظاهر، فيجب تأويلها، يقول: هذا تسلطٌ من المؤول، وجنايةٌ على النصوص، بل المراد حقائقها، لكنَّها رموزٌ لأشياء لا تُدرك من أجل تقريب الأمور للأذهان فقط، وحينئذٍ تبقى العبادات ليس منها فائدةٌ إلا مثل ما ترسم

للصبي رسماً، وتقول مثلاً: (هذه مثلاً سيارة)، وهي ليست (سيارة)، تقول: (هذا إنسان)، (وهو ليس بإنسان)، لكن طبعاً رسم الإنسان ليس بجائز إلا إذا كان على وجه لا تبقى معه الحياة.

١٨٥٦- هَذَا الَّذِي قَدْ قَالَهُ مَعَ نَفِيهِ لِحَقَائِقِ الْأَلْفَاظِ فِي الْأَذْهَانِ

إذا كان قال هذا القول، ونفى أن يكون للألفاظ حقيقة يتصورها الذهن، فهذا في الواقع إبطال النصوص تماماً، فما دمت تقول: إنها حقيقة، ثم تقول: إن الأمر شيء وراء ذلك، إذن لا فائدة من النصوص، سواء قلنا: حقيقة أو إنها مؤولة ومجاز.

١٨٥٧- وَطَرِيقَةُ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَدْ غَدَتْ مُشْتَقَّةً مِنْ هَذِهِ الْحُلُجَانِ

١٨٥٨- وَكِلَاهُمَا اتَّفَقَا عَلَى أَنَّ الْحَقِيقَةَ مُتَنَفِّ مَضْمُونُهَا بَيَانِ

طريقة التأويل السابق الذي سلكه المبتدعة، وسلكه الفلاسفة مأخوذة من كلام ابن سينا وأمثاله أن الألفاظ لا حقائق لها، وإنما هي مجازات عن أمور يرمز لها بها.

١٨٥٩- لَكِنْ قَدْ اخْتَلَفَا فَعِنْدَ فَرِيقِكُمْ مَا إِنْ أُرِيدَتْ قَطُّ بِالتَّبْيَانِ

١٨٦٠- لَكِنَّ عِنْدَهُمْ أُرِيدَتْ ثُبُوتُهَا فِي الذَّهْنِ إِذْ عُدِمَتْ مِنَ الْإِحْسَانِ

١٨٦١- إِذْ ذَاكَ مَصْلَحَةُ الْمُخَاطَبِ عِنْدَهُمْ وَطَرِيقَةُ الْبُرْهَانِ أَمْرٌ ثَانِي

قوله: «مَا إِنْ أُرِيدَتْ» «إِنْ» زائدة، يعني: ما أُريدت.

إذن الفرق بين طريقة ابن سينا وبين طريقة هؤلاء: أن هؤلاء يقولون: إنه لا يراد من النصوص حقيقتها، إنما المراد معنى آخر.

نضربُ لكم مثلاً بـ(اليد) يقولون: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُرِدْ إِثْبَاتَ الْيَدِ، وَإِنَّمَا أَرَادَ الْقُدْرَةَ وَالْقُوَّةَ، هَذَا التَّأْوِيلُ.

ابن سينا يقول: أراد حقيقة (اليد) لكن ليس له يدٌ إطلاقاً، ولا قدرة، لكنّه ذَكَرَ (اليدَ) من باب التقريب للأذهان أن الله - سبحانه وتعالى - له يدٌ، له سمعٌ، له بصرٌ، لكن ليس له شيءٌ من ذلك إطلاقاً، لكن ذكره من أجل التقريب.

١٨٦٢- فَكِلَاهُمَا ارْتَكَبَا أَشَدَّ جِنَايَةٍ جُنَيْتُ عَلَى الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

١٨٦٣- جَعَلُوا النُّصُوصَ لِأَجْلِهَا غَرَضًا لَهُمْ قَدْ خَرَّقُوهُ بِأَسْهُمِ الْهَدْيَانِ

هؤلاء جعلوا النصوصَ غرضاً لهم؛ كما يرمي الرّماة الغرضَ فيتخرقُ لأنهم لو أنكروا النصوصَ رأساً لأعلنوا كفرهم وقامت عليهم الأمة، لكنهم تحيلوا هذه الحيل بالتأويل سواء على طريقة ابن سينا، أو على طريقة الآخرين، لئلا ينفَرَ الناسُ منهم، ولا يخرجوهم من الإسلام.

١٨٦٤- وَتَسَلَّطَ الْأَوْغَادُ وَالْأَوْقَاحُ وَالْأَزْدَالُ بِالتَّحْرِيفِ وَالبُهْتَانِ

يعني: أن هؤلاء تسلطوا بالتحريف والبهتان من أجل القواعد التي أصّلوها، فابنُ سينا وأمثاله يُنكرون حقيقة الذات حقيقة الله عزَّ وجلَّ، ويقولون: إِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ وَهَذِهِ الصِّفَاتُ وَهَذِهِ الْأَحْكَامُ كُلُّهَا مِنْ بَابِ التَّقْرِيبِ لِلْأَذْهَانِ، وَأَوْلَئِكَ لَا يُنْكَرُونَ وَجُودَ الْخَالِقِ، لَكِنْ يُنْكَرُونَ حَقَائِقَ صِفَاتِهِ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الْمُرَادَ بِهَذَا النَّصْرِ كَذَا وَكَذَا مِمَّا يَخَالِفُ الظَّاهِرَ.

١٨٦٥- كُلُّ إِذَا قَابَلْتَهُ بِالنَّصِّ قَا بَلَهُ بِتَأْوِيلٍ بِلَا بُرْهَانِ

ولو قابله بتأويلٍ على بُرْهَانٍ لَقُبِلَ مِنْهُ.

١٨٦٦- وَيَقُولُ: تَأْوِيلِي كَتَأْوِيلِ الذِّبِّ — نَ تَأَوَّلُوا فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ

الذين أنكروا العلوَّ أوَّلوا كُلَّ نَصِّ يَدُلُّ عَلَى الْعَلْوِّ، فقالوا في مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] المرادُ فَوْقِيَّةُ النُّوعِ، كما تقول: مثلاً (الذهبُ فوق النُّحاس) أو (فوق الفضة) فهي فَوْقِيَّةٌ مَعْنَوِيَّةٌ، وليست فَوْقِيَّةً حَسِّيَّةً، أمَّا الْعَلْوُ فيقولون: إنه علوُّ المعاني، وليس علوُّ الذات، فتأولوا.

فابنُ القَيِّمِ - رحمه الله - يقول:

١٨٦٧- بَلْ دُونَهُ فَظُهُورُهَا فِي الْوَحْيِ بِالْبِنِّ نَصَّيْنِ مِثْلُ الشَّمْسِ فِي التَّبْيَانِ

١٨٦٨- أَيْسُوغُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ لَكُمْ وَلَا تَتَأَوَّلُوا الْبَاقِي بِلَا فُرْقَانِ؟!

١٨٦٩- وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الصِّفَاتِ مَعَ امْتِنَانِ مِلْءُ الْحَدِيثِ وَمِلْءُ ذَا الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «ذَا» وفي بعض النسخ (ذي) وهذا لا يصح؛ لأنَّ «ذَا» هنا اسمُ إشارة.

يعني: يقول هؤلاء الملاحدة من ابن سينا وأمثاله: نحن أولنا، ولكننا أولنا نصوصاً ليست كالعلوِّ في كثرتها وتنوعها وظهورها، وأنتم تأولتم العلوَّ، فكيف تُنكرون علينا ولا تُنكرون على أنفسكم؟!

١٨٧٠- وَاللَّهُ تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

القائلُ هم الفلاسفة الذين يقولون: إنَّ القيامةَ لا حقيقة لها، وإنما هي تخيُّلٌ، فهم يقولون: تأويلُ العلوِّ أشدُّ من تأويلنا لقيامَةِ الأبدان.

١٨٧١- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحَيَاتِهِ وَلِعِلْمِهِ وَمَشِيئَةِ الْأَكْوَانِ

هذا يقوله الفلاسفة وغيرهم ممن يُنكرون حياة الله وعلمه.

١٨٧٢- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِحُدُوثِ هَـذَا الْعَالَمِ الْمَحْسُوسِ بِالِإِمْكَانِ
وهم الفلاسفة الذين يقولون بِقَدَمِ الْعَالَمِ، وَأَنَّ الْعَالَمَ لَا أَوَّلَ لَهُ، فَهُوَ
أَزْلِيُّ أَبَدِيٍّ.

١٨٧٣- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضَ الشَّرَائِعِ نَحْنُ عِنْدَ ذِي الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ
يُوجَدُ أَيْضًا مَنْ أَوَّلَ الشَّرَائِعِ، قَالُوا: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْحَجِّ زِيَارَةَ شَيْوَحِهِمْ وَالْمُرَادُ
بِالصَّوْمِ كِتْمَانَ أَسْرَارِهِمْ، وَالْمُرَادُ بِالصَّلَاةِ مَعْرِفَةَ أَسْرَارِهِمْ، وَهَكَذَا.
هَمَّ يَجَادِلُونَ، وَيَقُولُونَ: تَأْوِيلُ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا بَعْضَ الشَّرَائِعِ عِنْدَ ذِي
الْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ.

١٨٧٤- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِنَا لِكَلَامِهِ بِالْفَيْضِ مِنْ فَعَالِ ذِي الْأَكْوَانِ
هَذَا أَيْضًا قَوْلُ الْفَلَّاسِفَةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ الْكَلَامَ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، لَكِنَّهُ فَيْضٌ مِنْ
الْعَقْلِ الْفَعَّالِ، فَالْعَقْلُ الْفَعَّالُ هُوَ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ، جَعَلَ الطَّبِيعَةَ تَتَحَرَّكُ
وَيَتَوَلَّدُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، وَيَكُونُ بَعْضُهَا سَبَبًا لِبَعْضٍ، وَهَكَذَا.

١٨٧٥- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفْضِ أَحَدِ بَارِ الْفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانَ
قَوْلُهُ: «الشَّيْخَانَ» يَعْنِي: أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرًا، فَلَهُمَا مِنَ الْأَحَادِيثِ الْكَثِيرَةُ الدَّالَّةُ
عَلَى الْفَضَائِلِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ، لَكِنَّ أَهْلَ الرَّفْضِ أَوَّلُوا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ وَحَرَّفُوهَا،
وَلَهُمْ فِيهَا تَحْرِيفَاتٌ غَرِيبَةٌ؛ لِهَذَا يَقُولُ: إِنَّ تَأْوِيلَ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ أَهْلِ الرَّفْضِ
أَخْبَارِ الْفَضَائِلِ حَازَهَا الشَّيْخَانَ.

١٨٧٦- وَأَشَدُّ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُؤَوَّلٍ نَصًّا أَبَانَ مُرَادَهُ الْوَحْيَانَ

١٨٧٧- إِذْ صَرَحَ الْوَحْيَانِ مَعَ كُتُبِ الْإِلَهِ جَمِيعَهَا بِالْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

إِذَنْ هُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ تَأْوِيلَ الْعُلُوِّ أَشَدُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَلِنَنْظُرِ.

١٨٧٨- فَلَايِي شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ بِذَا التَّـ تَأْوِيلِ بَلْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِيمَانِ؟!

قَوْلُهُ: «بَلْ» هُنَا بِمَعْنَى الْوَاوِ، يَعْنِي: لِأَيِّ شَيْءٍ نَكُونُ نَحْنُ كُفَّارًا وَأَنْتُمْ

مُؤْمِنُونَ؟!

١٨٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا وَأَنْتُمْ قَدْ تَأَوَّلْتُمْ فَهَاتُوا وَاصِحَ الْفُرْقَانِ

يَعْنِي: أَنْتُمْ مُؤَوَّلُونَ وَنَحْنُ مُؤَوَّلُونَ، فَهَاتُوا وَاصِحَ الْفُرْقَانِ أَنْ يَكُونَ تَأْوِيلَكُمْ جَائِزًا، وَتَأْوِيلُنَا غَيْرَ جَائِزٍ.

١٨٨٠- أَلَكُمُ عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ حَيْثُ لَنَا عَلَى تَأْوِيلِنَا وَزُرَانِ؟!

الْجَوَابُ: لَا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُؤَوَّلَةَ يَقُولُونَ: نَحْنُ اجْتَهَدْنَا فَأَصَبْنَا الْحَقَّ، وَأَنْتُمْ

أَخْطَأْتُمْ، فَلَنَا أَجْرَانِ؛ لِأَنَّ تَأْوِيلَنَا وَأَصَبْنَا الْحَقَّ، وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ وَزُرَانِ؛ لِأَنَّهُ عَرِضٌ عَلَيْكُمْ الْحَقُّ وَلَكِنْ أَنْكَرْتُمُوهُ.

١٨٨١- هَذِي مَقَالَتُهُمْ لَكُمْ فِي كُتُبِهِمْ مِنْهَا نَقَلْنَا هَـ بِأَلَا عُذْوَانِ

ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- يُحِيلُ فِي هَذَا الْبَيْتِ عَلَى كُتُبِ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا

عَلَى الْمَعْطَلَةِ وَخُصُوصًا مَنْ أَنْكَرُوا عُلُوَّ اللهِ، يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ أَجْمَعُونَ بِلِجَامِ لَا تَسْتَطِيعُونَ مَعَهُ فَكَّ الْحَنْكِ.

١٨٨٢- رُدُّوا عَلَيْهِمْ إِنْ قَدَرْتُمْ أَوْ فَتَنَحْ حُوا عَنْ طَرِيقِ عَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

وَهَذَا تَحَدُّ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: رُدُّوا عَلَيْهِمْ، وَيَخَاطِبُ الَّذِينَ أَوَّلُوا الْعُلُوَّ،

يقول: رُدُّوا عليهم ما قالوا لكم «أو فَنَحُوا عن طريق عساكر الإيمان» إذا نَحِينَا عن طريق عساكر الإيمان ماذا يقولون؟ يقولون: نحن لا نَوُوِّلُ لا في هَذَا ولا في هَذَا ونقول: الكُلُّ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهِ، فعلوا اللهُ ثابتٌ، وأمرُ المعاد ثابتٌ، وما جاءت به النصوصُ من كُلِّ خبر فهو ثابتٌ.

١٨٨٣- لَا تَحْطَمَنَّكُمْ جُنُودُهُمْ كَحَطِّ السَّيْلِ مَا لَأَقَى مِنَ الدَّيْدَانِ

وهذا تشبيهٌ في غاية ما يكونُ من الدقة، عساكرُ الإيمانِ فيهم الحياةُ، والسَّيْلُ فيه الحياةُ، والديدانُ فيها الضعفُ والعفونةُ والفسادُ، فكأنه بهذا شَبَّهَ عساكرَ الإيمانِ بالسَّيْلِ، وهؤلاء بالديدانِ، ومعروفٌ أنَّ السَّيْلَ إذا مرَّ بالديدانِ حَطَّمَهَا.

١٨٨٤- وَكَذَا نَطَّالِيكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ

١٨٨٥- وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمَعَارِضِ إِذْ بِهِ الذِّدْعَوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

١٨٨٦- لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَلَوْ يَسَا عِدُّكُمْ عَلَيْهِ رَبُّ كُلِّ لِسَانٍ

١٨٨٧- فَأَدِلَّةُ الْإِنْبَاتِ حَقًّا لَا يَقْوَمُ لَهَا الْجِبَالُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ

١٨٨٨- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

١٨٨٩- أَنَّى يُعَارِضُهَا كُنَّاسَةٌ هَذِهِ أَلْأَذْهَانِ بِالشُّبُهَاتِ وَالْمَهْدِيَانِ؟

١٨٩٠- وَجَعَّاجٍ وَفَرَّاقِعٍ مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدِ ظَمْآنِ

١٨٩١- فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي الْعُلُومُ اللَّاءِ قَدْ دُخِرَتْ لَكُمْ عَنِ تَابِعِي الْإِحْسَانِ

١٨٩٢- بَلْ عَنِ مَشَائِجِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وَفَقْتُمْ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانِ

- ١٨٩٣- وَاللَّهِ مَا ذَخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ
 ١٨٩٤- لَكِنْ عَقُولُ الْقَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا
 ١٨٩٥- وَهُمْ أَجَلٌ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشْ
 ١٨٩٦- فَلِذَاكَ صَانَهُمُ الْإِلَٰهَ عَنِ الَّذِي
 ١٨٩٧- سَمَّيْتُمْ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التَّ
 ١٨٩٨- وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا
 ١٨٩٩- فَجَعَلْتُمْ الْإِبْطَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْ
 ١٩٠٠- فَقَلَبْتُمْ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مِثْلَمَا
 ١٩٠١- وَجَعَلْتُمْ الْمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذَا
 ١٩٠٢- وَأَرَدْتُمْ أَنْ تُحَمَّدُوا بِالْإِتْبَا
 ١٩٠٣- وَبَعَيْتُمْ أَنْ تَنْسَبُوا لِلْإِتْبَادَا
 ١٩٠٤- وَجَعَلْتُمْ الْوَحْيَيْنِ غَيْرَ مُفِيدَةٍ
 ١٩٠٥- لَكِنْ عَقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الْهُدَى
 ١٩٠٦- وَجَعَلْتُمْ الْإِيمَانَ كُفْرًا وَالْهُدَى
 ١٩٠٧- ثُمَّ اسْتَحَفَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أَرَا
 ١٩٠٨- حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ التَّ
- لَكُمْ عَلَيْهِمْ يَا أُولِي النُّقْصَانِ
 قَدْرًا وَشَأْنُهُمْ فَأَعْظَمُ شَأْنِ
 رَفُّ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرَفِ الْهَدْيَانِ
 فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانِ
 تَعْطِيلَ تَنْزِيهَا هُمَا لِقَبَانِ
 شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا مُهْتَانِ
 سِبِيهَا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ
 قَلَبْتَ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ
 بِالْعَكْسِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ اللَّبْسَانِ
 عِ نَعَمَ لِمَنْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ؟
 عِ عَسَاكِرِ الْأَنْارِ وَالْقُرْآنِ
 لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْبُرْهَانِ
 لَهَا تَفِيدُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
 عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنْ الطُّغْيَانِ
 دَالِهُ أَنْ تَرْكُوعًا عَلَى الْقُرْآنِ
 تَعْطِيلَ قَدْ هَرَبُوا مِنْ الْإِيمَانِ

١٩٠٩- يَا وَيْجُهُمْ لَوْ شِعُرُونَ بِمَنْ دَعَا وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ

الشرح

في هذه الأبيات ذكر المؤلف -رحمه الله- أنه يلزم المتأولين أمرٌ رابع، وهوَ الجوابُ عن المُعَارِضِ؛ لأنَّ الدعوى لا تتمُّ إلاَّ بأمرين: إثباتُ الحُجَّةِ، والجوابُ عن حُجَّةِ المُعَارِضِ، فلا يكفي إذا أردتَ أن تُرَجِّحَ قولاً على قولٍ أن تذكرَ حُجَّةً قولك، بل لا بُدَّ من أن تذكرَ حُجَّةً قولك، والجواب عن حُجَّةِ المُعَارِضِ وإلاَّ بقيت حُجَّةُ المُعَارِضِ قائمةً.

فمثلاً: إذا قالوا المراد ب(اليد): (القوة) نقول: لزم عليكم أمورٌ خمسةٌ:

الأول: وجودُ الصارف عن المعنى الحقيقيِّ.

الثاني: احتمالُ اللفظ لمعنى القوة.

الثالث: تعيُّن المعنى الَّذِي ذكرتموه، إذ يحتملُ ألا يكونَ به لا (اليد) الحقيقية ولا القوة، فيكون هناك معنى آخر غير الَّذِي عيَّنتم.

الرابع: احتمالُ اللفظ للمعنى في هَذَا السِّيَاقِ المعين، وهذا لم يذكره المؤلف هنا، لكن ذكره في (مختصر الصواعق).

الخامس: الجواب عن المُعَارِضِ.

المُعَارِضُ يقول: المرادُ (اليدُ) الحقيقية، هم يقولون: المرادُ ب(اليد) القوة، لكن ما جوابكم عن دليل المُعَارِضِ؟ قالوا: لأنَّ دليلَ المُعَارِضِ لو أخذنا به للزم من ذلك التَّجْسِيمُ أي: أن يكونَ اللهُ جسماً، أو التبعيضُ أي: أن يكونَ اللهُ له بعضُ وأعضاء.

نقول لهم: مَنْ قال: إِنَّ هَذَا لازِمٌ؟ إن كان لازماً فهو حقٌّ، وإن لم يكن لازماً فهو باطلٌ، ولا يلزمنا أن نلتزم به، ونقول لهم: إِنَّ البعضَ والجزءَ إنما يكون هَذَا بالنسبة للمخلوق، أمّا الخالق فلا نقول هَكَذَا؛ لأنَّ المعروفَ أنَّ البعضَ أو الجزءَ هُوَ ما يبقى الكُلُّ بعد فقده، وأمّا الخالقُ فكلُّ صفاته الذاتية لا يمكنُ أن تنفكَ عنه؛ لأنَّ الصِّفَاتِ الذاتيةَ لازمةٌ لا ينفكُ عنها، لا أزلاً ولا أبداً، فأين اللازمُ الباطلُ الَّذي ذكرتم أنه يلزمُ لو أثبتنا النصوصَ على حقيقتها؟!
كُلُّ هَذِهِ الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - مُتَّفِقَةٌ فِيهَا ادَّعَاؤُهُ مِنَ التَّأْوِيلِ الَّذِي خَالَفُوا بِهِ طَرِيقَ السَّلَفِ.

١٨٨٤- وَكَذَا نَطَائِبُكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا نَطَائِبُكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ» أَي: نَطَالِبُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ بِأَمْرِ رَابِعٍ، وَذَكَرْنَا فِي الشَّرْحِ أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ نَجْعَلَهُ أَمْرًا خَامِسًا؛ لِأَنَّ الْأُمُورَ السَّابِقَةَ أَرْبَعَةً: الدَّلِيلُ الصَّارِفُ، اِحْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي ذَكَرُوهُ، اِحْتِمَالُهُ فِي هَذَا السِّيَاقِ الْمَعِينِ، تَعْيُنُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمَرَادُ لِاحْتِمَالِ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ غَيْرَهُ، وَالْخَامِسُ هُوَ هَذَا.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانٍ» كَانَ الْمَفْرُوضُ أَنْ يُقَالَ: (إِمْكَانٌ) يَعْنِي: لَيْسَ لَكُمْ بِهَذَا (إِمْكَانٌ) بِالرَّفْعِ، لَكِنَّهُ جَعَلَهَا بِالْكَسْرِ لِضَرُورَةِ الشَّعْرِ، أَمَّا إِذَا قُلْنَا: (بِذِي إِمْكَانٍ)، فَالْأَمْرُ وَاضِحٌ.

ذَكَرَ هَذَا الْأَمْرَ الرَّابِعَ فَقَالَ:

١٨٨٥- وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمَعَارِضِ إِذْ بِهِ الدُّعْوَى تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «الْجَوَابُ عَنِ الْمَعَارِضِ» مَنْ الْمَعَارِضُ لِلتَّأْوِيلِ؟ الْجَوَابُ: هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ الَّذِينَ جَعَلُوا النُّصُوصَ عَلَى ظَاهِرِهَا، وَلَمْ يُؤَوِّلُوهَا.

فمثلاً إذا قالوا: المراد بـ«اليد» حقيقة اليد، نقول لهم: أجبوا هؤلاء الذين عارضوكم بالتأويل حيث قُلْتُمْ أنتم: إِنَّ المراد بـ(اليد) القوة، نقول: أجبوا عن معارضتهم إياكم وقولهم: إِنَّ المراد بها حقيقة اليد؛ لأننا نقول: ما المانع من أن يُرادَ بذلك حقيقة اليد؟ فإن أتوا بمانع فحينئذ يُقْبَلُ منهم، ولكنهم لا يمكن أن يأتوا بمانع يمنع من إرادة الحقيقة؛ ولهذا قال:

١٨٨٦- لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَلَوْ يُسَا عِدُّكُمْ عَلَيْهِ رَبُّ كُلِّ لِسَانٍ

قوله: «لَكِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ» ما هو المحال؟ الجواب: أن يجيبوا عن دليل المعارض.

١٨٨٧- فَأَدِلَّةُ الْإِبْتَاتِ حَقًّا لَا يَقُو مُ لَهَا الْجِبَالُ وَسَائِرُ الْأَكْوَانِ

لأنها أدلة من كتاب الله، وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام-، ومن العقل، والفطرة، وإجماع السلف، خمسة أنواع من الأدلة لا يمكن أن تقوم لها الجبال الراسيات.

١٨٨٨- تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَوَحْيُهُ مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ

قوله: «تَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي: القرآن.

قوله: «وَوَحْيُهُ» أي: السنة، وهذا مبني على أن السنة وحي.

وقد تأملت السنة، ووجدت أن منها ما هو وحي، ومنها ما هو إقرار من الله لاجتهاد النبي -صلى الله عليه وسلم-.

قوله: «مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ» أي: الفطرة.

قَوْلُهُ: «وَالْبُرْهَانُ» يحتمل أن يُراد به دليل العقل، فيكون ابن القيم - رحمه الله - ذكر هنا أربعة أنواع من الأدلة: القرآن، والسُّنَّة، والفطرة، والعقل، وبقي أمرٌ خامسٌ، وهو إجماع السلف على هذا.

١٨٨٩- أَنَّى يُعَارِضُهَا كُنَاسَةٌ هَذِهِ أَلْ - أَذْهَانٍ بِالشُّبُهَاتِ وَالْهَدْيَانِ؟
هذا الاستفهام للنفي، يعني: لا يمكن أن يُعارضَ هذه الأدلة كُنَاسَةٌ الأذهان بالشُّبُهَاتِ.

١٨٩٠- وَجَعَّاجٍ وَفَرَّاقِعٍ مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدِ ظَمَّانٍ
الجعجعة والفرقة عبارة عن أصوات لا معنى لها، أي: كلام هذيان ليس فيه فائدة؛ ولهذا قال: «مَا تَحْتَهَا إِلَّا السَّرَابُ لِوَارِدِ ظَمَّانٍ» والسَّرَابُ للوارد الظمَّان لا يزيده إِلَّا عطشًا وهلاكًا؛ لأنه إذا رأى السَّرَابَ وكأنَّه الماء أقبل إليه مسرعًا، فإذا رآه السَّرَابُ صار ذلك أشدَّ وقعًا عليه ممَّا لو لم يفرح ويؤمِّل النجاة من العطش.

١٨٩١- فَلْتَهْنِكُمْ هَذِي الْعُلُومُ اللَّاءِ قَدْ دُخِرَتْ لَكُمْ عَنْ تَابِعِي الْإِحْسَانِ
هذا من باب التَّهْكُم، واللام في قوله: (فلتهنكم) للدعاء، لكنَّه دعاء تهكُّم، يعني: هنيئًا لكم هَذِهِ الْعُلُومُ التي دُخِرَتْ لَكُمْ عن تابعي الإحسان، يعني: عن الصحابة والتابعين لهم بإحسان، كَيْفَ دُخِرَتْ لَكُمْ هَذِهِ الْعُلُومُ وَهُمْ لَمْ يَعْلَمُوهَا؟!!

١٨٩٢- بَلْ عَنْ مَشَائِخِهِمْ جَمِيعًا ثُمَّ وَفَ - فَتَقْتُمْ لَهَا مِنْ بَعْدِ طُولِ زَمَانٍ
لأنَّ هَذِهِ الْبِدْعَ لم تنتشر إِلَّا بعد مُضِيِّ القرونِ الثلاثةِ الْمُفْضَلَةِ.

١٨٩٣- وَاللَّهِ مَا ذُخِرَتْ لَكُمْ لِفَضِيلَةٍ لَكُمْ عَلَيْهِمْ يَا أُولِي النُّقْصَانِ
فأنتم أصحاب النقص، ولا يمكن أن تُدخَرَ لكم الفضيلة وتُحجَبَ عن
الصحابة والتابعين.

١٨٩٤- لَكِنَّ عُقُولَ الْقَوْمِ كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا وَشَأْنُهُمْ فَأَعْظَمُ شَأْنِ
قَوْلُهُ: «عُقُولَ الْقَوْمِ» يُشِيرُ إِلَى عُقُولِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ.
قَوْلُهُ: «كَانَتْ فَوْقَ ذَا قَدْرًا» أَي: فَوْقَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُقُولِ الَّتِي هِيَ فِي
الْحَقِيقَةِ سَفَاهَاتٌ.

قَوْلُهُ: «وَشَأْنُهُمْ» أَي: قَدْرُهُمْ وَفَضْلُهُمْ وَمَرْتَبَتُهُمْ فَأَعْظَمُ شَأْنِ.
١٨٩٥- وَهُمْ أَجَلٌ وَعِلْمُهُمْ أَعْلَى وَأَشْرَفُ أَنْ يُشَابَ بِزُخْرَفِ الْهَدْيَانِ
وصدق - رحمه الله -، فعِلْمُ الْأَوَّلِينَ أَعْمَقُ، وَكَلَامُهُمْ أَقْلٌ، لَيْسَ فِيهِ تَعْقِيدٌ
وَلَا هَدْيَانٌ وَلَا اِحْتِمَالَاتٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامٌ مَبْنِيٌّ عَلَى السَّلْبِقَةِ وَالطَّبِيعَةِ، تَجِدُهُ سَهْلًا
يَخْرُجُ بَدُونَ تَكْلُفٍ، وَيُفْهَمُ بَدُونَ تَكْلُفٍ مَعَ الْعَمَقِ.

١٨٩٦- فَلِذَاكَ صَانَهُمُ الْإِلَهِ عَنِ الَّذِي فِيهِ وَقَعْتُمْ صَوْنَ ذِي إِحْسَانِ
الَّذِي وَقَعُوا فِيهِ هَذِهِ الشُّبُهَاتِ الَّتِي يَدْعُونَهَا مَعْقُولَاتٍ.

١٨٩٧- سَمَّيْتُمْ التَّحْرِيفَ تَأْوِيلًا كَذَا التَّعْطِيلَ تَنْزِيهًا هُمَا لِقَبَانِ
التَّأْوِيلُ بِالنِّسْبَةِ لِلنُّصُوصِ، وَالتَّعْطِيلُ بِالنِّسْبَةِ لِصِفَاتِ اللَّهِ الْمُتَّصِفِ بِهَا،
فَمَثَلًا يَقُولُونَ: الْمَرَادُ بِ(الِاسْتِوَاءِ) الْاِسْتِيْلَاءُ، فَهَذَا تَحْرِيفٌ، وَهُمْ يَسْمُونَهُ تَأْوِيلًا،
وَيَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى الْعَرْشِ حَقِيقَةً، يُنَزَّهُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْعَرْشِ
حَقِيقَةً، فَعَطَّلُوا الصِّفَةَ وَهِيَ صِفَةُ الْاِسْتِوَاءِ، وَسَمَّوْهَا تَنْزِيهًا.

١٨٩٨- وَأَضَفْتُمْ أَمْرًا إِلَى ذَا ثَالِثًا شَرًّا وَأَقْبَحَ مِنْهُ ذَا بُهْتَانٍ
إِذْنٌ عِنْدَنَا جُنَايَتُهُمْ عَلَى النُّصُوصِ، وَعَلَى الْبَارِئِ -جَلَّ وَعَلَا-، أَمَّا عَلَى
النُّصُوصِ فَحَرَّفُوهَا، وَأَمَّا عَلَى اللَّهِ فَعَطَّلُوهُ مِنْ صِفَاتِهِ.

وهناك أمرٌ ثالثٌ جنوه؛ ولذا قال:

١٨٩٩- فَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَجْسِيمًا وَتَشْبِيهًا وَذَا مِنْ أَقْبَحِ الْعُدْوَانِ
قالوا: إِنَّ الَّذِي يُثْبِتُ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ يَكُونُ مُجَسِّمًا مُشَبِّهًا، اللَّهُ بِالْحَلْقِ،
فَاعْتَدُوا عُدْوَانًا ثَالِثًا عَلَى مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ، وَسَمَّوهُ مُجَسِّمًا وَمُشَبِّهًا.

فهذه ثلاثٌ جنایاتٍ: عَلَى النُّصُوصِ وَهِيَ الْخَبْرُ، وَعَلَى الْمُخْبِرِ عَنْهُ وَهُوَ اللَّهُ،
وَعَلَى قَابِلِ الْخَبْرِ وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذُوا بِالنُّصُوصِ عَلَى ظَاهِرِهَا، الْأَوَّلُ: بِالْتَّحْرِيفِ،
وَالثَّانِي: بِالتَّعْطِيلِ، وَالثَّلَاثُ: بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، اعْتَدُوا عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أَنْتُمْ
مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ.

١٩٠٠- فَكَلَبْتُمْ تِلْكَ الْحَقَائِقَ مِثْلًا قَلَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ
نعوذ بالله، يعني: قلبتم الحقيقة فسميتم التعطيل تنزيهاً وهو تعطيل،
والتحريف تأويلاً وهو تحريف، وإثبات الصفات تجسيمياً وهو إثبات للحقيقة،
لكنكم قلبتم الحقائق مثلما قلبت قلوبكم عن الإيمان.

قَوْلُهُ: «مِثْلًا قَلَبْتَ قُلُوبَكُمْ عَنِ الْإِيمَانِ» الْقُلُوبُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- تُقَلَّبُ كَمَا
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَقَلِبْ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرَهُمْ فِي
طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].

١٩٠١- وَجَعَلْتُمْ الْمَمْدُوحَ مَذْمُومًا كَذًا بِالْعَكْسِ حَتَّى اسْتَكْمَلَ اللَّبَّاسُ

المدوح جعلوه مذمومًا، ما هو المدوح في هذا الباب؟ الجواب: هو إثبات الصفات والأخذ بظاهر النصوص، فهذا جعلوه مذمومًا، وجعلوا المذموم وهو التحريف جعلوه ممدوحًا.

١٩٠٢- وَأَرَدْتُمْ أَنْ تُحَمَّدُوا بِالِإِتِّبَا عِ نَعَمْ لِمَنْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ؟

أردتم أن تحمدكم الناس بالاتباع، نعم تحمدون لكن لمن؟ الجواب: للشياطين، فأنتم تتبعون الشيطان وخطوات الشيطان.

قوله: «لِمَنْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ؟» وجواب (لمن)؟ للشيطان، يعني: أردتم من الناس أن يحمدوكم على أنكم المتبعون، ولكن للشيطان.

١٩٠٣- وَبَغَيْتُمْ أَنْ تَنْسِبُوا لِلِإِبْتِدَا عِ عَسَاكِرِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

وهذا لا شك أنه قلب للحقائق، قالوا لعساكر الآثار والقرآن قالوا: هؤلاء مبتدعة، والحقيقة أن الابتداع فيهم، وليس في هؤلاء.

١٩٠٤- وَجَعَلْتُمْ الْوَحْيَيْنِ غَيْرَ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبُرْهَانِ

قوله: «وَجَعَلْتُمْ الْوَحْيَيْنِ» يعني: الكتاب والسنة.

قوله: «غَيْرَ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالبُرْهَانِ»؟ يقولون: إِنَّ السُّنَّةَ لَا تُفِيدُ

العلم؛ لأنها خبر آحاد، والقرآن لا يفيد العلم لا من حيث ثبوته، لكن من حيث دلالة، وجعلوا للألفاظ معاني متعددة، وقالوا: هذا اللفظ يحتمل كذا، ويحتمل كذا، ويحتمل كذا، إذن فدلالته غير قطعية، ولا تفيد العلم.

١٩٠٥- لَكِنْ عُقُولُ النَّاكِبِينَ عَنِ الْهُدَى لَهَا تُفِيدُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
قَوْلُهُ: «لَهَا» يعني: للعلم والتَّحْقِيقِ.
قَوْلُهُ: «وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ» أي: هُوَ الَّذِي يَفِيدُ.

يقول: عقول هؤلاء الناكبين ومنطق اليونان هما اللذان يفيدان العلم
والتَّحْقِيقَ.

١٩٠٦- وَجَعَلْتُمُ الْإِيمَانَ كُفْرًا وَالْهُدَى عَيْنَ الضَّلَالِ وَذَا مِنْ الطُّغْيَانِ
الإيمان جعلوه كُفْرًا، يعني: قالوا: المثبت كافر؛ لأنه مُجَسِّم جعل الله جسمًا،
فيكون إيمانه هَذَا كُفْرًا.

قَوْلُهُ: «وَالْهُدَى عَيْنَ الضَّلَالِ» يعني: أن العلم جعلوه هُوَ الضلال والجهل،
«وَذَا مِنْ الطُّغْيَانِ» ولا شك.

١٩٠٧- ثُمَّ اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا مَا أَرَا دَاللهُ أَنْ تَزْكُو عَلَى الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «اسْتَخَفَّيْتُمْ عُقُولًا» يعني: أنكم تهكمتم بها واستخفتموها فهي
كقوله تعالى عن فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف: ٥٤].

قَوْلُهُ: «مَا أَرَادَ اللهُ أَنْ تَزْكُو عَلَى الْقُرْآنِ»؛ لأنَّ الله لو أراد أن تزكو هذه
العقول عَلَى الْقُرْآنِ ما أجابتكم ولا أطاعتكم، ولكن قال:

١٩٠٨- حَتَّى اسْتَجَابُوا مُهْطِعِينَ لِدَعْوَةِ التَّعْطِيلِ قَدْ هَرَبُوا مِنَ الْإِيمَانِ
أي: مسرعين لدعوة التعطيل، وهذا واضح أن المراد استخفاف عقول الناس،
وما أكثر الذين أتبعوا أهل التحريف! وقالوا: إنَّ قولهم هُوَ الحقُّ وَهُوَ التنزيه.

١٩٠٩- يَا وَيْحَهُمْ لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا وَلِمَا دَعَا قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ

قَوْلُهُ: «يَا وَيْحَهُمْ» يعني: يا ويح هؤلاء الذين استخفوا وتابعوا.

قَوْلُهُ: «لَوْ يَشْعُرُونَ بِمَنْ دَعَا» أي: بهؤلاء الذين دَعَوْهُمْ وَأَتَّهَمَ مُحَرَّفَةً ومضلَّةً.

قَوْلُهُ: «وَلِمَا دَعَا» لأيِّ شيءٍ دعا هؤلاء؟ الجواب: لتحريف النصوص

وتعطيل الله - سبحانه وتعالى - عن صفاته التي أثبتتها لنفسه، لو شعروا بهذا يقول: (قَعَدُوا قُعُودَ جَبَانَ)، وأظنكم تعلمون أن (قعود الجبان) لا قيام بعده؛ لأنَّ الجبان لا تُقَلُّه رجلاه، فإذا قعد لا يقوم.

فهؤلاء لو شعروا بما يدعوا هؤلاء إليه، وشعروا بحالهم ما أجابوهم،

ولا تبعوهم مُهْطِعِينَ، بل قعدوا قعودَ جبان، وتبرؤوا منهم.

فصل

فِي شِبْهِ الْمُحَرِّفِينَ لِلنُّصُوصِ بِالْيَهُودِ، وَإِرْثِهِمُ التَّحْرِيفَ مِنْهُمْ،
وَبِرَاءَةِ أَهْلِ الْإِنْبَاتِ مِمَّا رَمَوْهُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الشُّبْهِ

- ١٩١٠ - هَذَا وَتَمَّ بَلِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ فِيهِمْ سَأْبُدِيهَا لَكُمْ بِيَّانٍ
- ١٩١١ - وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنْ يَهُودٍ وَهُمْ أُولُو التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالكِثْمَانِ
- ١٩١٢ - فَأَرَادَ مِيرَاثَ الثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ فَعَصَتْ عَلَيْهِ غَايَةُ الْعِضْيَانِ
- ١٩١٣ - إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مُحْفُوظًا فَمَا التَّبْدِيلُ وَالكِثْمَانُ فِي الْإِمْكَانِ؟
- ١٩١٤ - فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعَانِي إِذْ هِيَ الِمْقُصُودُ مِنْ تَعْبِيرِ كُلِّ لِسَانٍ
- ١٩١٥ - فَأَتَى إِلَيْهَا وَهِيَ بَارِزَةٌ مِنْ الِمْفَاطِ ظَاهِرَةٌ بِلَا كِثْمَانِ
- ١٩١٦ - فَنَفَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي
- ١٩١٧ - فَجَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةً جَاحِدٍ وَجَنَى عَلَى الِمْفَاطِ بِالْعُدْوَانِ
- ١٩١٨ - وَآتَى إِلَى حِزْبِ الْهُدَى أَعْطَاهُمْ شَبْهَ الْيَهُودِ وَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ
- ١٩١٩ - إِذْ قَالَ: إِيْتَهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَأَنْتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي
- ١٩٢٠ - فِي هُنَاكَ أَسْتَارِ الْيَهُودِ وَشَبْهِهِمْ مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ؟
- ١٩٢١ - يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمْ اسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوهُ وَعِي ذِي عِرْفَانِ

- ١٩٢٢- ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدِ مَنْ هَذَا الَّذِي
أُولَى بِهَذَا الشَّبهِ بِالْبُرْهَانِ؟
- ١٩٢٣- أَمَرَ الْيَهُودَ بِأَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ
فَأَبَوْا وَقَالُوا: حِنْطَةٌ لِهَوَانِ
- ١٩٢٤- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ: اسْتَوَى
فَأَبَى وَزَادَ الْحَرْفَ لِلنَّقْصَانِ
- ١٩٢٥- قَالَ: اسْتَوَى اسْتَوَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ
لُغَةً وَعَقْلًا مَا هُمَا سَيَّانِ
- ١٩٢٦- عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِاسْمِ
سَوَى فَلَا تَخْرُجُ عَنِ الْقُرْآنِ
- ١٩٢٧- قَدْ أُفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا
تَصْنِيفُ حَبْرٍ عَالِمٍ رَبَّانِي
- ١٩٢٨- وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً
قَدْ أَبْطَلَتْ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانِ
- ١٩٢٩- هِيَ فِي «الصَّوَاعِقِ» إِنْ تُرِدُ تَحْقِيقَهَا
لَا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ١٩٣٠- نُونُ الْيَهُودِ وَلَا مُمْجِيٌّ هُمَا
فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
- ١٩٣١- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصَفَهُ
وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنَّقْصَانِ
- ١٩٣٢- فَهَمَّا إِذْنٌ فِي نَفْسِهِمْ لِصِفَاتِهِ الْـ
عُلْيَا كَمَا بَيَّنَّتْهُ أَحْوَانِ

الشرح

هذا الفصل بين المؤلف - رحمه الله - أن المحرِّفين يُشابهون اليهود والنصارى ويرثونهم التحريف، وأن أهل الإثبات بريئون مما وصمهم به هؤلاء المحرِّفون؛ لأن هؤلاء المحرِّفين قالوا: إن أهل الإثبات هم الذين يُشبهون اليهود؛ لأن اليهود مُشبهَةٌ، وأهل الإثبات - على زعمهم - مُشبهَةٌ.

قال المؤلف - رحمه الله -:

١٩١٠- هَذَا وَثَمَّ بَلِيَّةٌ مَسْتُورَةٌ فِيهِمْ سَأْبُدِيهَا لَكُمْ بَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «هذا» يعني: هَذَا الْمَذْكُورُ السَّابِقُ.

قَوْلُهُ: «وَتَمَّ» أي: هناك.

قَوْلُهُ: «فِيهِمْ» الضميرُ يعودُ عَلَى أَهْلِ التَّأْوِيلِ الْمُحَرِّفَةِ.

١٩١١- وَرِثَ الْمُحَرِّفُ مِنْ يَهُودٍ وَهُمْ أَوْلُو التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالكِتْمَانِ

يعني: أَنَّ الْمُحَرِّفَ وَرِثَ مِنَ الْيَهُودِ، وَالْيَهُودُ هُمْ أَوْلُو التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالكِتْمَانِ، لَا شَكَّ أَنَّ الْيَهُودَ مِنْ أَعْظَمِ الْأُمَمِ تَحْرِيفًا لِنُصُوصِ الْكِتَابِ، حَرَّفُوا التَّوْرَةَ، وَخَرَّقُوهَا، وَمَزَّقُوا الْعَمَلَ بِهَا، وَكَفَرُوا بِهَا، فَمَنْ كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ مُحَرِّفًا فَقَدْ وَرِثَهُمْ.

١٩١٢- فَأَرَادَ مِيرَاثَ الثَّلَاثَةِ مِنْهُمْ فَعَصَتْ عَلَيْهِ غَايَةَ الْعِصْيَانِ

١٩١٣- إِذْ كَانَ لَفْظُ النَّصِّ مُحْفُوظًا فَمَا التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ فِي الْإِنْكَارِ؟

١٩١٤- فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعَانِي إِذْ هِيَ الْمَقْصُودُ مِنْ تَعْبِيرِ كُلِّ لِسَانٍ

عندنا تحريفٌ وتبديلٌ وكتمانٌ، أراد أهل التأويل أن يرثوا الثلاثة وهي التحريفُ، والتبديلُ، والكتمانُ.

أَمَّا الْكِتْمَانُ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُهُمْ؛ لِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مُحْفُوظٌ.

وَأَمَّا التَّبْدِيلُ فَكَذَلِكَ لَا يُمْكِنُهُمْ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ مُحْفُوظًا، وَلَوْ بَدَّلُوا كَلِمَةً مِنْهُ

لثارت عليهم الأمة، فلو أنهم قرؤوا قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]،

وبدّلوا بـ (استوى) (استولى) لثارت عليهم الأمة، ولو أنّهم كتموا ومحوّوا من المصحف ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] وجميع آيات الاستواء ما أمكنهم ذلك أيضًا، إذنّ عمدوا إلى تحريف المعنى؛ لأنه يمكن أن يُلبّسوا على الناس، ويقولوا: (استوى) بمعنى (استولى).

قوله: «فَمَا التَّبْدِيلُ وَالكِتْمَانُ فِي الإِمْكَانِ؟» إذنّ بقي التحريف؛ ولذا قال: «فَأَرَادَ تَبْدِيلَ الْمَعَانِي» وهي التحريف.

إذنّ بقي التحريف وهو: إبقاء اللفظ وتحريف المعنى؛ لأنهم لا يستطيعون كتْمَانِ اللفظ ولا تبديله، فسلكوا الطريق الثالث وهو التحريف، فأتوا إلى الألفاظ، وقالوا: تبقى الألفاظ لكن ليس معناها ما دلّت عليه، بل معناها شيء آخر، ومشوا على هذا.

فيقول مثلاً في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر:٢٢] يقول: (وجاء أمر ربك)، فكأنه محى قول الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ وأبدله (وجاء أمر ربك)، لكن لفظاً لا يستطيع، فعمد إلى المعنى، وقال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: جاء أمر ربك؛ ولذلك يقول:

١٩١٥ - فَأَتَى إِلَيْهَا وَهِيَ بَارِزَةٌ مِنْ أَلْفَازٍ ظَاهِرَةٌ بِلَا كِتْمَانٍ
قوله: «فَأَتَى إِلَيْهَا» أي: إلى المعاني.

يعني: أتى إليها وهي واضحة بيّنة يدلّ عليها اللفظ بلا كتْمَانِ.

١٩١٦ - فَتَنَى حَقَائِقَهَا وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي

قوله: «فَتَنَى حَقَائِقَهَا» ففي المثال الأخير الذي ذكرناه، وهو قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ قال: ليس المرادُ جاء هو نفسه، بل المرادُ: جاء أمره.

إِذْنِ نَفِي الْحَقِيقَةِ، وَأَعْطَى لَفْظَهَا مَعْنَى سِوَى مَوْضُوعِهِ، مَا مَوْضُوعٌ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾؟ أَنَّهُ جَاءَ هُوَ نَفْسُهُ حَقِيقَةً، هُوَ قَالَ: لَا، (جَاءَ أَمْرُهُ)، فَأَعْطَى الْحَقِيقَةَ مَعْنَى آخَرَ سِوَى مَوْضُوعِهِ الْحَقَّانِي.

١٩١٧- فَجَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةً جَاحِدٍ وَجَنَى عَلَى الْأَلْفَاطِ بِالْعُدْوَانِ قَوْلُهُ: «جَنَى عَلَى الْمَعْنَى جِنَايَةً جَاحِدٍ»؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ مَعْنَى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾: «جَاءَ أَمْرُهُ»، فَقَدْ جَحَدَ الْمَعْنَى الْأَصْلِيَّ وَهُوَ جِيءَ اللهُ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - نَفْسَهُ.

قَوْلُهُ: «وَجَنَى عَلَى الْأَلْفَاطِ بِالْعُدْوَانِ» حَيْثُ حَرَّفَهَا، وَقَالَ: إِنَّ مَعْنَاهَا كَذَا، فَهَذِهِ جِنَايَةٌ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّهُ حَمَلَهَا مَعْنَى لَمْ تَحْتَمِلْهُ.

١٩١٨- وَآتَى إِلَى حِزْبِ الْهَدَى أَعْطَاهُمْ شَبَهَ الْيَهُودِ وَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ

١٩١٩- إِذْ قَالَ: إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَأَنْتُمْ مِثْلُهُمْ فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي

١٩٢٠- فِي هُنَاكَ أَسْتَارِ الْيَهُودِ وَشَبَّهِهُمْ مِنْ فِرْقَةِ التَّحْرِيفِ لِلْقُرْآنِ؟

أَتَى إِلَى حِزْبِ الْهَدَى وَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ تُشَبِّهُونَ الْيَهُودَ؛ لِأَنَّ الْيَهُودَ مُجَسَّمَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١] وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ بَخِيلٌ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ بَكِيٌّ وَحَزَنٌ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَعَبٌ، فَجَسَّمُوا، وَأَنْتُمْ كَذَلِكَ جَسَّمْتُمْ، فَأَنْتُمْ الَّذِينَ أَشَبَّهْتُمْ الْيَهُودَ، انْظُرْ كَيْفَ الطَّغْيَانَ وَالْعِيَاذَ بِاللَّهِ!؟

وَقَوْلُهُ: «إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ» إِنْهُمْ أَي: الْيَهُودَ.

وَقَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي يَلْحَانِي» أَي: فَمَنْ يَلُومُنِي إِذَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ مُشَبَّهَةٌ

١٩٢١- يَا مُسْلِمُونَ بِحَقِّ رَبِّكُمْ اسْمَعُوا قَوْلِي وَعُوهُ وَعَيِّي ذِي عِرْفَانَ

ابن القيم - رحمه الله - لما قال: (من الذي يلحاني في هتك أستار اليهود وشبههم من فرقة التحريف للقرآن؟) نادى المسلمين، فقال: (يا مسلمون)، فالنادي هو ابن القيم.

قوله: «اسمعوا قولي وعوه»؛ لأن السمع بدون وعي لا فائدة منه، لا بد أن يسمع الإنسان ويعي قول مخاطبه، فإن سمع بلا وعي فلا فائدة من سمعه، والسمع في الأذن، والوعي في القلب.

١٩٢٢- ثُمَّ احْكُمُوا مِنْ بَعْدُ مَنْ هَذَا الَّذِي أَوْلَى بِهَِذَا الشُّبْهِ بِالْبُرْهَانِ؟

ذكر المثال فقال:

١٩٢٣- أَمَرَ الْيَهُودَ بِأَنْ يَقُولُوا: حِطَّةٌ فَأَبَوْا وَقَالُوا: حِطَّةٌ لِهَوَانَ

قوله: «أمر اليهود» وذلك حين قيل لهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [النساء: ١٥٤] وقولوا: «حطة» يعني: باب القرية التي أمروا بقتال أهلها، وقولوا: (حطة) ماذا فعلوا؟ «دخلوا الباب يزحفون على أستاههم»، أي كل واحد يزحف على استيه، يعني: على دبره «فبدلوا وقالوا حطة حبة في شعرة»^(١) بدل حطة، يعني: نريد حطة، أمّا حطة الذنوب فلا نريدها، نريد حطة؛ لأنهم يريدون المال، وملاءم البطون، ولا يهمهم أن يحط الله ذنوبهم أو لا يحطها، نسأل الله العافية.

قوله: «حطة» يعني: احطط عنا ذنوبنا، ولكنهم قالوا: (حطة) يريدون الأكل.

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ [البقرة: ٥٨]، رقم (١٠٩٢٢).

فإن قال قائل: وهل اليهود يتكلمون باللغة العربية؟

الجواب: لا، وأما كيف يقولون: حنطة؟ فالجواب: لقد حكى الله عز وجل عن آدم إلى محمد أي: عن الأنبياء كلهم حكى بالعربية، وكُلُّ الأنبياء لغتهم غير عربية، فيحكي الله عنهم، يقول: «قال فرعون»، «قال موسى» باللغة العربية، فهو يحكى كلامهم بالمعنى، فهم قالوا معنى لفظ حنطة.

١٩٢٤- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قِيلَ لَهُ: اسْتَوَى فَأَبَى وَزَادَ الْحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ

الجهمي قيل له: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] قال: لا، بل معناه (استولى على العرش)، فزاد حرفاً كما زادت اليهود حرفاً، مَنْ المُشَابِه؟ الجواب: الجهميَّة، فهم المشابهون لليهود، فهؤلاء زادوا حرفاً وهو النون، وهؤلاء زادوا حرفاً وهو اللام.

وقوله: «زَادَ الْحَرْفَ لِلنُّقْصَانِ» أي: زاد حرفاً فنقص المعنى، فصار العرش وغيره سواء، فإذا كان ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ بمعنى: (استولى عليه)، فهو أيضاً مُستولٍ عَلَى الأرض، وحينئذ لا فضل للعرش عَلَى الأرض، فزاد حرفاً ولكنه نقص في المعنى، فنقص قدر العرش.

١٩٢٥- قَالَ: اسْتَوَى اسْتَوَى وَذَا مِنْ جَهْلِهِ لُعَةً وَعَقْلًا مَا هُمَا سَيَانِ

قوله: «وَذَا مِنْ جَهْلِهِ» صدق - رحمه الله - ففرق بين ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ وبين (استولى على العرش).

١٩٢٦- عِشْرُونَ وَجْهًا تُبْطِلُ التَّأْوِيلَ بِاسْمِ تَوَلَّى فَلَا تَخْرُجُ عَنِ الْقُرْآنِ

اللَّهُمَّ ارزُقْنَا عدم الخروج عنه.

لو كان الله يريد (استولى) ما الَّذِي يمنعه أن يقول: (استولى)؟ لا أحد يمنعه أبداً، بل أراد (استَوَى) غير (استولى)؛ ولهذا قال: (لا تخرج عن القرآن).
يقول: (عِشْرُونَ وَجْهًا...).

١٩٢٧- قَدْ أَفْرِدَتْ بِمُصَنَّفٍ هُوَ عِنْدَنَا تَصْنِيفُ حَبْرِ عَالِمِ رَبَّانِي
قَوْلُهُ: «تَصْنِيفُ حَبْرِ عَالِمِ رَبَّانِي» هُوَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-
وله كتابٌ أبطل فيه أَنَّ (استَوَى) بمعنى (استولى) من عشرين وجهًا، فرحمه الله
وجزاه عن أمة محمدٍ خيرًا.

فهو عالمٌ حَبْرٌ، و(الحبرُ) مُثَلَّثُ الحاءِ أي: (حَبْرٌ، حَبْرٌ، حُبْرٌ) ومعناه:
العالمُ الواسعُ العِلْمِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَحْرِ، لَكِنَّهُ اشْتِقَاقٌ أَكْبَرُ؛ لِأَنَّ الْاِشْتِقَاقَ
الْأَصْغَرَ مَا تَسَاوَتْ فِيهِ الْحُرُوفُ، وَهَذَا مُخْتَلَفٌ.

١٩٢٨- وَلَقَدْ ذَكَرْنَا أَرْبَعِينَ طَرِيقَةً قَدْ أَبْطَلْتَ هَذَا بِحُسْنِ بَيَانِ
١٩٢٩- هِيَ فِي «الصَّوَاعِقِ» إِنْ تُرِدُ تَحْقِيقَهَا لَا تَخْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ

ذكر ابنُ القَيِّمِ أيضًا أربعين طريقةً (الصَّوَاعِقُ الْمُرْسَلَةُ عَلَى عَزْوِ الْجَهْمِيَّةِ
وَالْمُعْطَلَةِ) فهذا -ما شاء الله- عنوانٌ قويٌّ، فإذا كان صواعقُ مرسلَةٌ ما بقي لهم
أثرٌ، والكتابُ -والحمد لله- الآن مطبوعٌ، وكان لا يوجد إلا مختصره، وهو كتابٌ
إذا قرأه الإنسان استفاد منه فائدةً كبيرةً.

١٩٣٠- نُونُ الْيَهُودِ وَلَا مَجْهَمِيٌّ هُمَا فِي وَحْيِ رَبِّ الْعَرْشِ زَائِدَتَانِ
قَوْلُهُ: «نُونُ الْيَهُودِ» أَي: فِي حِنْطَةٍ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾
[البقرة: ٥٨] لكنهم قالوا: (حِنْطَةٌ).

كذلك «لَا مُجْهَمِيٌّ» في (استوى)، الله عز وجل قال: ﴿أَسْتَوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٩] وَهُوَ قَالَ: (استولى)، فهما في وحي رب العرش زائدتان.
ثُمَّ ذَكَرَ شَبَهًا آخَرَ فَقَالَ:

١٩٣١- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ عَطَّلَ وَصَفَهُ وَيَهُودٌ قَدْ وَصَفُوهُ بِالنَّقْصَانِ
١٩٣٢- فَهُمَا إِذْنٌ فِي نَفْسِهِمْ لِصِفَاتِهِ الْـ عُلْيَا كَمَا بَيَّنَّتُهُ أَخَوَانِ

اليهود وصفوا الله بالنقصان، قالوا: يد الله مغلولة، وقالوا: إن الله فقير، وقالوا: إن الله تعب يوم السبت، فاستراح -نعوذ بالله- ووصفوا الله بكل عيب.

والجهمي سلب منه وصفه بالكمال، وإذا سلب وصفه بالكمال لزم أن يكون متصفاً بالنقص، ووجه التلازم: أنك إذا نفيت صفة الكمال عن الله لزم أن يكون متصفاً بالنقص؛ لأنه ما من موجود إلا وله صفة، فإذا انتفت عنه صفة الكمال لزم ثبوت صفة النقص، فاليهود وصفوه بالنقص، والجهمي وصفه بالنقص، فمن أحق أن يكون مشابهاً لليهود؟ الجواب: الجهمي المعطل، وليس المثبت.

فصل

فِي بَيَانِ بُهْتَانِهِمْ فِي تَشْبِيهِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ بِفِرْعَوْنَ، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ مَقَالَ الْعُلُوَّةَ أَخَذَوْهَا، وَأَنَّهُمْ أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ، وَهُمْ أَشْبَاهُهُ

- ١٩٣٣- وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ: فِرْعَوْنُ مَذُ
 ١٩٣٤- وَلِذَلِكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودُ إِلَيْهِ بِالصُّ
 ١٩٣٥- هَذَا رَأْيُنَا بِكُتُبِهِمْ وَمِنْ
 ١٩٣٦- فَاسْمَعْ إِذْنُ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَ
 ١٩٣٧- وَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ
 ١٩٣٨- فَمِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنَ بَيْنَكُمْ
 ١٩٣٩- وَيَقُولُ: ذَلِكَ مُبَدَّلٌ لِلدِّينِ سَا
 ١٩٤٠- إِنَّ الْمُورِثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنُ حَي
 ١٩٤١- فَهُوَ الْإِمَامُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ وَمَتَّ
 ١٩٤٢- هُوَ أَنْكَرُ الْوَصْفَيْنِ وَصَفَ الْفَوْقَ وَالتَّ
 ١٩٤٣- إِذْ قَصَدَهُ انْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالتَّ
 ١٩٤٤- وَسِوَاهُ جَاءَ بِسُلْمٍ وَبِآلَةٍ
- هُبُّهُ الْعُلُوُّ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ
 صَرَحَ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانَ
 أَفْوَاحِهِمْ سَمِعًا إِلَى الْأَذَانِ
 عَوْنَ الْمُعْطَلِ جَا حِدِ الرَّحْمَنِ
 حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ
 أَضْحَى يُكْفِّرُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ
 عِ بِالْفَسَادِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ
 نَ رَمَى بِهِ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ
 بُوْعٌ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّيْرَانِ
 تَكْلِيمِ انْكَارًا عَلَى الْبُهْتَانِ
 تَعْطِيلُ مِرْقَاةٍ لِدَا النُّكْرَانِ
 وَأَتَى بِقَانُونٍ عَلَى بُنْيَانِ

- ١٩٤٥- وَأَتَىٰ بِذَٰكَ مُفَكَّرًا وَمُقَدَّرًا وَرِثَ الْوَلِيدَ الْعَابِدَ الْأَوْثَانَ
- ١٩٤٦- وَأَتَىٰ إِلَى التَّعْطِيلِ مِنْ أَبَوَيْهِ لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ وَالْجُدْرَانِ
- ١٩٤٧- وَأَتَىٰ بِهِ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالتَّ- تَعْظِيمِ تَلْبِيْسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ١٩٤٨- وَأَتَىٰ إِلَى وَصْفِ الْعُلُوِّ فَقَالَ: ذَا التَّ- تَجَسُّمِ لَيْسَ يَلِيْقُ بِالرَّحْمَنِ
- ١٩٤٩- فَالْلَفْظُ قَدْ أَنْشَأَهُ مِنْ تِلْقَائِهِ وَكَسَاهُ وَصَفَ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
- ١٩٥٠- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صَبِيُّ الْعَقْلِ لَمْ يَبْلُغْ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشَّيْخَانِ
- ١٩٥١- إِلَّا أَنْاسًا سَلَّمُوا لِلْوَحْيِ هُمْ أَهْلُ الْبُلُوغِ وَأَعْقَلُ الْإِنْسَانِ
- ١٩٥٢- فَآتَىٰ إِلَى الصَّبِيَّانِ فَانْقَادُوا لَهُ كَالشَّاءِ إِذْ تَنْقَادُ لِلْجُوبَانَ
- ١٩٥٣- فَانظُرْ إِلَى عَقْلِ صَغِيرٍ فِي يَدَيَّ شَيْطَانٍ مَا يَلْقَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ؟

الشرح

هذا أيضًا من المصائب، أنهم قالوا: إنَّ أهل السنَّة فرعونية.

فمرة قالوا: يُشبهون اليهود، ومرة قالوا: يُشبهون فرعون.

لماذا يُشبهون فرعون؟ قالوا: لأنَّ أهل السنَّة أثبتوا أنَّ الله فوق كلِّ شيء،

وفرعون أثبت العلوَّ لله، فشابها فرعون من هذا الوجه، وعمَّوا عن أنَّ موسى هو

الَّذِي قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ؛ ولهذا قَالَ فرعون: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنِي لِي صَرَحًا

لَعَلِّي أَجْلُعُ الْأَسْبَبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَاطَّلَعَ إِلَهَ إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لِأَطْنُهُ؛

كذِبًا﴾ [عافر: ٣٦-٣٧] فهل فرعونُ أثبت العلوَّ أو أنكره؟

الجواب: أنكره، ولكنه أمر وزيره (هامان) أن يبني هذا الصرح إيماناً لقومه؛ لأنه سوف يصعد على هذا الصرح، ويقول: بحثت فلم أجد، فيكون قد موّه على قومه، فالجهم موافق تماماً لفرعون، هذا هو الحق.

قال المؤلف رحمه الله تعالى:

١٩٣٣- وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ: فِرْعَوْنُ مَدُّ هَبُّهُ الْعُلُوُّ وَذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

قالوا: إن فرعون مذهبه إثبات العلو لله، وذلك في القرآن، وهذه دعوى بدليل لكنها باطلة، والاستدلال بها باطل.

١٩٣٤- وَلِذَلِكَ قَدْ طَلَبَ الصُّعُودَ إِلَيْهِ بِالصُّ صَرَحَ الَّذِي قَدْ رَامَ مِنْ هَامَانَ

من الذي طلب الصعود إليه؟ فرعون طلب الصعود إلى الله، وهذا يدل - على زعمهم - أنه يُقرُّ بأن الله في السماء.

١٩٣٥- هَذَا رَأَيْنَاهُ بِكُتُبِهِمْ وَمِنْ أَفْوَاهِهِمْ سَمِعْنَا إِلَى الْأَذَانِ

١٩٣٦- فَاسْمَعْ إِذَنْ مَنْ ذَا الَّذِي أَوْلَى بِفِرْعَوْنَ الْمُعْطَلِ جَاحِدِ الرَّحْمَنِ

أيها أولى بفرعون هل هم أهل السنة المثبتون للعلو أم هم هؤلاء المنكرون لعلو الله؟!

١٩٣٧- وَأَنْظُرْ إِلَى مَنْ قَالَ: مُوسَى كَاذِبٌ حِينَ ادَّعَى فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ

قوله: «من قال موسى كاذب» من الذي قاله؟ الجواب: فرعون.

فرعون قال لموسى: إنه كاذب أن الله في السماء؛ لأن فرعون يُنكر وجود الله نهائياً، ويقول لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] لا فوق ولا في غير فوق.

فإذن هل أهل السُّنَّةِ أولى بفرعونَ أم هؤلاء المعطَّلة؟ الجواب: هؤلاء المعطَّلة، لكنَّهم يقلِّبون الحقائق تلييسًا وترويحًا، نسأل الله العافية.

١٩٣٨- فَمِنَ الْمَصَائِبِ أَنَّ فِرْعَوْنَ يُكْفِّرُ صَاحِبَ الْإِيمَانِ
يقول: مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ فَهُوَ كَافِرٌ، هَذَا كَلَامُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ.

١٩٣٩- وَيَقُولُ: ذَلِكَ مُبَدَّلٌ لِلَّذِينَ سَاءَ عِبَالِ الْفَسَادِ وَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ
فرعونِيهم يقول: إِنَّ الَّذِي يَقُولُ: (إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ) مُبَدَّلٌ لِلَّذِينَ كَمَا قَالَ
فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ [غافر: ٢٦].

قَوْلُهُ: «سَاعَ بِالْفَسَادِ» كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾
[غافر: ٢٦] وفي قراءة (أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ) ^(١).

١٩٤٠- إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنُ حَيْثُ نَزَمَ بِهِ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ
١٩٤١- فَهُوَ الْإِمَامُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ وَمَنْ بُوَعَّ يَقُودُهُمْ إِلَى النَّيْرَانِ
قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا» يعني: إنكار العلو.

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَوْرَثَ ذَا لَهُمْ فِرْعَوْنُ» يعني: الَّذِي وَرَثَهُمْ إِنْكَارَ الْعُلُوِّ هُوَ
فرعون.

١٩٤٢- هُوَ أَنْكَرُ الْوَصْفَيْنِ وَصَفَ الْفَوْقَ وَالْتَمَسَ تَكْلِيمَ إِنْكَارًا عَلَى الْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «هُوَ أَنْكَرُ... وَصَفَ الْفَوْقَ» فَأَنْكَرَ وَصَفَ اللَّهَ بِالْعُلُوِّ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ

(١) يقرأ بأو، وبالواو، وبضم الياء وفتحها، وينصب (الفساد) ورفعها. انظر: الحجة في القراءات السبع (ص: ٣١٣).

لهامان: ﴿أَيْنَ لِي صَرَخًا﴾ [غافر: ٣٦] من باب التهكم بموسى من وجه، ومن باب التضييل لقومه من وجه آخر؛ لأنه سيقول: صعدت ولم أجد، فأنكر الفوقية.

قَوْلُهُ: «والتكليم» أي: وأنكر التكليم، كيف أنكر التكليم؟ لأنه أنكر رسالة موسى، ورسالة موسى ثبتت بالوحي، وهو تكليم الله.

ففرعون أنكر الفوقية والتكليم، وهؤلاء المعطلة أنكروا الفوقية والتكليم جميعاً.

١٩٤٣- إِذْ قَضَيْتَهُ إِنْكَارُ ذَاتِ الرَّبِّ فَالْتَمَعْتَ طَيْلَ مِرْقَاةٍ لِذَا النُّكْرَانِ

قصد فرعون إنكار ذات الرب، والتعطيل من هؤلاء المعطلة مرقاة لذا النكران؛ لأن هؤلاء المعطلة إذا حققت مذهبهم صارت نتيجه أن لا رب موجود، نسأل الله العافية.

١٩٤٤- وَسِوَاهُ جَاءَ بِسُلْمٍ وَبِآلَةٍ وَأَتَى بِقَانُونٍ عَلَى بُنْيَانِ

١٩٤٥- وَأَتَى بِذَاكَ مُفَكِّرًا وَمُقَدِّرًا وَرِثَ الْوَلِيدَ الْعَابِدَ الْأَوْثَانَ

قَوْلُهُ: «سواه» يريد بذلك: أهل التعطيل، أتوا بسلم، وآلة، وقانون، والمراد به: قانون الكلام، إذا كان كذا لزم منه كذا، إذا كان الله فوق لزم أن يكون جسمًا، إذا كان جسمًا لزم أن يكون مماثلًا للمخلوق، وهكذا.

فأتوا بقانون، وفرعون ما أتى بهذا القانون، ماذا صنع؟ أنكر رأسًا، قال: ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٢٨] فهو أحسن سيرة منهم؛ لأنه أصرح منهم، أمّا هؤلاء فأتوا بهذه القوانين يلعبون بها على الناس.

قَوْلُهُ: «وَرِثَ الْوَلِيدَ الْعَابِدَ الْأَوْثَانَ» مَنْ هُوَ الْوَلِيدُ؟ الْوَلِيدُ بْنُ الْمَغِيرَةِ الَّذِي

قَالَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿إِنَّهُ فَكَرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ وَالتَّيْجَةُ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٥﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٦﴾ [المدثر: ١٨-٢٥].

هؤلاء المتكلمون المعطلون صاروا يُفكِّرون، ويُقدِّرون، ويأتون بقوانين، ويأتون بحجج واهية يدعونها عقليات وهي وهميات وليست بحقيقة، فهم ورتوا فرعون صاحب موسى، وورثوا الوليد أحد زعماء الكفر في هذه الأمة.

١٩٤٦- وَأَتَى إِلَى التَّعْطِيلِ مِنْ أَبْوَابِهِ لَا مِنْ ظُهُورِ الدَّارِ وَالْجُدْرَانِ
أتى إلى التعطيل من أبوابه من أجل أن يلج التعطيل ولو جأ محكماً؛ لأن الذي يأتي الشيء من بابه يدخله دخولاً محكماً، أما الذي يأتي من ظهور البيوت يتسلقها تسلقاً فقد يسقط ويموت ولا يصل إلى مراده، لكن هؤلاء أتوا إلى التعطيل من أبوابه بما كسوه من هذه الحجج الواهية التي قال واصفها:

حُجَجٌ تَهَافَّتْ كَالرُّجَاجِ نَحَالَهَا
حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ^(١)

١٩٤٧- وَأَتَى بِهِ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالتَّعْطِيلِ تَلْبِيسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

قال مثلاً: حاشا وكلاً أن يكون الله تعالى فوق، لماذا؟ قال: لو أثبتنا أنه فوق أثبتنا أنه جسم، وإذا أثبتنا أنه جسم أثبتنا أنه مماثل للمخلوق، فحاشا ربنا من مماثلة المخلوق؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، إذا سمعها العامي و أشباه العوام صدق، وقال: هذا هو الحق؛ إن الله منزّه؛

(١) انظر: غاية الأمان في الرد على النبهاني (٢/ ٢٢٨).

ولهذا قال:

١٩٤٨- وَأَتَى إِلَى وَصَفِ الْعُلُوِّ فَقَالَ: ذَا التَّجَسِيمِ لَيْسَ يَلِيقُ بِالرَّحْمَنِ

١٩٤٩- فَالَلْفُظُ قَدْ أَنْشَأَهُ مِنْ تَلْقَائِهِ وَكَسَاهُ وَصَفَ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

اللفظ الذي هو التزييه قد أنشاه من تلقائه، ويجوز أن يكون المراد باللفظ: (التجسيم) وأنه كساه وصف الواحد المنان من أجل أن يُرْتَبَّ عَلَى ذلك إنكار العلو.

١٩٥٠- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ صَبِيُّ الْعَقْلِ لَمْ يَبْلُغْ وَلَوْ كَانُوا مِنَ الشُّيْخَانِ

هذا الوصف للناس مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وإن تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] فالناس كلُّهم صبيُّ العقل وإن كان من الشيوخ جمع (شيوخ)، حتى لو كانوا شيوخاً فعقولهم عقول الصبيان.

١٩٥١- إِلَّا أَنْاسًا سَلَّمُوا لِلْوَحِيِّ هُمْ أَهْلُ الْبُلُوغِ وَأَعْقَلُ الْإِنْسَانِ

فالذين سلّموا للوحي هم العقلاء، وهم أهل البلوغ.

١٩٥٢- فَاتَى إِلَى الصَّبِيَّانِ فَانْقَادُوا لَهُ كَالشَّاءِ إِذْ تَنَقَّادُ لِلْجُوبَانَ

قوله: «أَتَى إِلَى الصَّبِيَّانِ» أي: صبيان العقول فانقادوا له كالشاة إذ تنقاد للجوبان أي: للراعي، فالغنم تنقاد للراعي وهو يقودها إِلَى المنحربل إِلَى المذبح، ولا تدري، وهؤلاء مثلهم.

١٩٥٣- فَانظُرْ إِلَى عَقْلِ صَغِيرٍ فِي يَدَيَّ شَيْطَانٍ مَا يَلْقَى مِنَ الشَّيْطَانِ؟

عقل صغير بين يدي شيطان ماذا يلقي؟ الجواب: يلقي كل شر ولا شك.

فصل

في بيان تدليسهم، وتلبسهم الحق بالباطل

- ١٩٥٤- قَالُوا: إِذَا قَالَ الْمُجَسِّمُ: رَبَّنَا
حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ
- ١٩٥٥- فَسَلُوهُ كَمْ لِلْعَرْشِ مَعْنَى وَاسْتَوَى
أَيْضًا لَهُ فِي الْوَضْعِ خَمْسُ مَعَانِي؟
- ١٩٥٦- وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنَى لَهَا أَيْضًا لَدَى
عَمْرٍو؟ فَذَلِكَ إِمَامٌ هَذَا الشَّانِ
- ١٩٥٧- بَيْنَ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِي وَالَّذِي
مِنْهَا أُرِيدُ بِوَأَصِحَّ التَّبْيَانِ
- ١٩٥٨- فَاسْمَعْ فَذَلِكَ مُعْطَلٌ هَذِي الْجَعَا
جَعَ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ؟
- ١٩٥٩- قُلْ لِلْمُجْتَمِعِ: وَيَحْكُ اعْقِلْ ذَا الَّذِي
قَدْ قُلْتَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ
- ١٩٦٠- الْعَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَاللَّامُ لِلْمَعْهُودِ فِي الْأَذْهَانِ
- ١٩٦١- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ
نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ
- ١٩٦٢- وَمُحَمَّدٌ وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ
شَهِدُوا بِهِ لِلْحَالِقِ الرَّحْمَنِ
- ١٩٦٣- مِنْهُمْ عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ
رَبِّ عَلَيْهِ قَدْ اسْتَوَى دِيَانَ
- ١٩٦٤- لَمْ تَفْهَمِ الْأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرِ بَلْدِ
قَيْسٍ وَلَا بَيْتَا عَلَى الْأَرْكَانِ
- ١٩٦٥- كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرِ وَلَا
عَرْشًا لِجَبْرِيلَ بِلَا بُتْيَانِ
- ١٩٦٦- كَلَّا وَلَا الْعَرْشَ الَّذِي إِنْ نُثِلَّ مِنْ
عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي

- ١٩٦٧- كَلَّا وَلَا عَرْشَ الْكُرُومِ وَهَذِهِ أَلْ
أَغْنَابِ فِي حَرْثٍ وَفِي بُسْتَانِ
- ١٩٦٨- لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ
شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
- ١٩٦٩- وَعَلَيْهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ اسْتَوَى
حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
- ١٩٧٠- وَكَذَا اسْتَوَى الْمَوْصُولُ بِالْحَرْفِ الَّذِي
ظَهَرَ الْمُرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانِ
- ١٩٧١- لَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ
لِلْإِشْتِرَاكِ وَلَا جَزَازٍ ثَانِي
- ١٩٧٢- تَرْكِيئُهُ مَعَ حَرْفِ الْإِسْتِعْلَاءِ نَصٌ
صَّ فِي الْعُلُوِّ بِوَضْعِ كُلِّ لِسَانِ
- ١٩٧٣- فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ «إِلَى» فَالْقَضْدُ مَعَ
مَعْنَى الْعُلُوِّ لِيُوضِعَهُ بَيَانِ
- ١٩٧٤- وَإِلَى السَّمَاءِ قَدْ اسْتَوَى فَمُقَيَّدٌ
بِتَمَامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الْإِثْقَانِ
- ١٩٧٥- لَكِنَّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى هُوَ مُطْلَقٌ
مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ
- ١٩٧٦- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُقْضَرُ فَهَمُّهُ
عَنْ ذَا فَيْلِكَ مَوَاهِبُ الْمَنَانِ
- ١٩٧٧- فَإِذَا افْتَضَى وَأَوَّ الْمَعِيَّةِ كَانَ مَعًا
سَنَاهُ اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ وَالثَّانِي
- ١٩٧٨- فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعًا
سَنَاهُ الْكَمَالِ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانِ
- ١٩٧٩- لَا تَلْبَسُوا بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ الَّذِي
قَدْ بَيَّنَّ الرَّحْمَنُ فِي الْفُرْقَانِ
- ١٩٨٠- وَ«عَلَى» لِلْإِسْتِعْلَاءِ فَهِيَ حَقِيقَةٌ
فِيهِ لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ
- ١٩٨١- وَكَذَلِكَ «الرَّحْمَنُ» جَلَّ جَلَالُهُ
لَمْ يَحْتَمِلْ مَعْنَى سِوَى الرَّحْمَنِ
- ١٩٨٢- يَا وَيْحَهُ بَعَاهُ لَوْ وَجَدَ اسْمَهُ الرُّ
رَحْمَنَ مُحْتَمِلًا لِخَمْسِ مَعَانِي

- ١٩٨٣- لَفَضَى بِأَنَّ اللَّفْظَ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا التَّلَاوَةُ عِنْدَنَا بِلِسَانِ
 ١٩٨٤- فَلِذَلِكَ قَالَ أَيْمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَ كُمْ بَيَانِ
 ١٩٨٥- وَلَقَدْ أَحَلْنَاكُمْ عَلَى كُتُبِ لَهُمْ هِيَ عِنْدَنَا - وَاللَّهِ - بِالْكَيْبَانِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - في هذا الفصل تليبس أهل التعطيل في مسألة (الإستواء).

١٩٥٤- قَالُوا: إِذَا قَالَ الْمُجَسِّمُ: رَبَّنَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى بِلِسَانِ
 من هو المجسم؟ الجواب: هو الذي يثبت العلو حقيقةً، بل هو الذي يثبت
 الإستواء على العرش حقيقةً؛ ولهذا يُسَمُّونَ أهلَ السُّنَّةِ الْمُجَسِّمَةَ.

١٩٥٥- فَسَلُّوهُ كَمْ لِلْعَرْشِ مَعْنَى وَاسْتَوَى أَيْضًا لَهُ فِي الْوَضْعِ حَسُّ مَعَانِي؟

١٩٥٦- وَ«عَلَى» فَكَمْ مَعْنَى لَهَا أَيْضًا لَدَى عَمِّرُو؟ فَذَلِكَ إِمَامُ هَذَا الشَّانِ

إذا قال: رَبَّنَا حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى فسلوه عن هذه الأشياء، اسألوه عن
 قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] اسألوه كم لـ (لعرش) من معنى؟
 اسألوه كم لـ (الإستواء) من معنى؟ اسألوه كم لـ (على) من معنى؟

والغرض من هذا السؤال أنه إذا ثبتت المعاني صار اللفظ محتملاً، واللفظ
 المحتمل يسقط الاستدلال به، والقاعدة المشهورة: (إذا وجد الاحتمال بطل
 الاستدلال).

قَوْلُهُ: «لَدَى عَمِّرُو» وَهُوَ سَبْوِيهِ.

ف (على) لها معانٍ، و (استَوَى) لها معانٍ، و (العرش) له معانٍ، فاسألوه: أيُّ المعاني يُرادُ؟

١٩٥٧- بَيَّنْ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِيَ وَالَّذِي مِنْهَا أُرِيدَ بِوَأَضِحِ التَّبْيَانِ
قَوْلُهُ: «بَيَّنْ لَنَا تِلْكَ الْمَعَانِيَ...» يقول هَذَا تَحَدِّيًّا، وليس استفهَامًا واستخبارًا،
لكن يريدون أن يتحدّوا هذا، يقول ابنُ القِيَمِ:

١٩٥٨- فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعْطَلٌ هَذِي الْجَعَا جَعَ مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ؟
قَوْلُهُ: «الْجَعَا جَع» الأصواتُ غيرُ المعلومة.

قَوْلُهُ: «مَا الَّذِي فِيهَا مِنَ الْهَدْيَانِ؟» الهديان: كلامُ الرجلِ الْمُخْرَفِ الَّذِي
ليس له ضابطٌ ولا معنى.

١٩٥٩- قُلْ لِلْمُجْجَعِ: وَيْحَكَ اعْقِلْ ذَا الَّذِي قَدْ قُلْتَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانَ
وهذا تهكُّمٌ به، يعني: إِنْ كُنْتَ صَادِقًا وتعرف فاعقل ما تقول.

١٩٦٠- الْعَرْشُ عَرْشُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَاللَّامُ لِلْمَعْهُودِ فِي الْأَذْهَانِ
قوله تعالى: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] كلُّ يعرف أن المرادَ بالعرشِ
عرشُ الله، وَهُوَ الْعَرْشُ الْمَجِيدُ، هل فيه إجمالٌ؟

الجواب: أبدًا، ليس فيه إجمالٌ، ولا إيهامٌ، ولا اشتراكٌ، ولا مجازٌ، ولا شيءٌ
أبدًا، فاللام يقول: (للمعهود في الأذهان).

١٩٦١- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوَهَّمٌ نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ
قَوْلُهُ: «مَا فِيهِ إِجْمَالٌ» يعني: أنه واضحُ المعنى.

قَوْلُهُ: «وَلَا هُوَ مُوَهُمٌ نَقَلَ الْمَجَازِ» يعني: ليس فيه مجاز؛ لأنه حقيقة.

قَوْلُهُ: «وَلَا لَهُ وَضْعَانِ» أي: مُشْتَرَكٌ، يعني: أنه بإضافته إلى الله ليس مشتركًا يصلح لهذا وهذا.

١٩٦٢- وَحَمَّذُ وَالْأَنْبِيَاءُ جَمِيعُهُمْ شَهِدُوا بِهِ لِلْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

فَكُلُّ الْأَنْبِيَاءِ جَاءُوا بِأَنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ الْجِيلَانِيَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ^(١)- قَالَ: إِنَّهُ مَذْكُورٌ فِي كُلِّ كِتَابٍ أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ نَبِيٍّ.

١٩٦٣- مِنْهُمْ عَرَفْنَاهُ وَهُمْ عَرَفُوهُ مِنْ رَبِّ عَلَيْهِ قَدْ اسْتَوَى دِيَانِ

نحن عرفناه من الأنبياء، والأنبياء عرفوه من الله، وفي هذا إشارة إلى أن دلالة الاستواء دلالة سمعية محضة بخلاف العلو فإن دلالاته سمعية عقلية فطرية، أما الاستواء فدلالته سمعية، ما عرفناه إلا عن الأنبياء، والأنبياء عرفوه عن الله عز وجل.

١٩٦٤- لَمْ تَفْهَمِ الْأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرَ بَلْدِ قَيْسٍ وَلَا بَيْتًا عَلَى الْأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ تَفْهَمِ الْأَذْهَانَ مِنْهُ سَرِيرَ بَلْقَيْسٍ» المعطل يقول: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] يعني: على عرش بلقيس التي قَالَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿وَلَمَّا عَرَّشَ عَظِيمٌ﴾ [النمل:٢٣] هل أحد يفهم هذا؟ الجواب: أبدًا.

قَوْلُهُ: «وَلَا بَيْتًا عَلَى الْأَرْكَانِ» العرش يُطْلَقُ عَلَى السَّقْفِ، عَلَى الْأَعْمَدَةِ، هَلْ يَفْهَمُ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى سَقْفِ، عَلَى أَعْمَدَةٍ؟ الجواب: أبدًا، لا يفهمون ذلك.

(١) تقدمت ترجمته في التعليق على البيت رقم (١٣٠٩).

١٩٦٥- كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرٍ وَلَا عَرْشًا لِجِبْرِيلَ بِلَا بُنْيَانٍ
قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا عَرْشًا عَلَى بَحْرٍ» العرشُ عَلَى البحرِ هَذَا عَرْشُ الشَّيْطَانِ،
فالشَّيْطَانُ يَنْصُبُ عَرْشَهُ عَلَى البحرِ، وَيُرْسِلُ جُنُودَهُ لِإِضْلالِ النَّاسِ، فَهَلْ أَحَدٌ
يَفْهَمُ أَنَّ المَرادَ بِالعرشِ الَّذِي اسْتَوَى عَلَيْهِ الرَّحْمَنُ هُوَ عَرْشُ الشَّيْطَانِ الَّذِي عَلَى
البحرِ؟ الجواب: كَلَّا.

قَوْلُهُ: «وَلَا عَرْشًا لِجِبْرِيلَ بِلَا بُنْيَانٍ» أَيضًا لَا يَفْهَمُونَ مِنْهُ عَرْشُ جِبْرِيلَ،
وذلك أَنَّ جِبْرِيلَ -عليه الصلاة والسلام- لَمَّا تَأَخَّرَ الوحيُّ عَنِ النَّبِيِّ -عليه
الصلاة والسلام- أولَ ما نَزَلَ عَلَيْهِ، سَمِعَ صَوْتًا فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا هُوَ جِبْرِيلُ عَلَى
كُرْسِيِّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، هَذَا عَرْشُ جِبْرِيلَ.

١٩٦٦- كَلَّا وَلَا الْعَرْشَ الَّذِي إِنْ ثُلَّ مِنْ عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي
قَوْلُهُ: «ثُلَّ» يَعْنِي: هُدِمَ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عَبْدٍ هَوَى تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي» مَنْ هُوَ عَرْشُهُ هَذَا؟ الجواب:
عَرْشُ السُّلْطَانِ، فَالمَلِكُ لَهُ عَرْشٌ، لَكِنْ لَوْ جَاءَ واحِدٌ مِنْ تَحْتِهِ يَجْرُهُ سَقَطَ.

هل يفهم الناس أن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] أنه
استوى على عرش السلطان؟

١٩٦٧- كَلَّا وَلَا عَرْشَ الْكُرُومِ وَهَذِهِ الْأَعْنَابُ فِي حَرِّ وَفِي بُسْتَانٍ
ما فهموا أنه استوى على عرش الكروم (الأعناب) أبدًا.

إِذْ هَذِهِ الْأَسْمَاءُ لِلْعَرْشِ كُلُّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُفْهَمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى
الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] إِذْ تَرْدِيدُهُمْ لِهَذَا الْكَلَامِ، وَقَوْلُهُمْ: (العرش) يَحْتَمِلُ مَعَانِي

كثيرةً باطلٌ؛ لأنَّ كُلَّ هَذِهِ المعاني التي يذكرونها لا تُفْهَمُ من قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥].

١٩٦٨- لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَزَّ شَ الرَّبِّ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

١٩٦٩- وَعَلَيْهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ قَدْ اسْتَوَى حَقًّا كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهَا فَهَمَّتْ بِحَمْدِ اللَّهِ» هَذَا معطوف على قوله: «لَمْ تَفْهَمْ الْأَذْهَانَ».

انتهينا الآن من العرش وتشكيكهم في معناه، وتبيّن لنا أن ما ذكروا من المعاني لا يردُّ على قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] وأشباهها؛ لأنَّ العرش هنا المراد به العرش المعهود، وهو عرشُ الله عزَّ وجلَّ.

بقي لنا: (استوى)، فـ(استوى) لها عدة معانٍ، فإذا تبقي مُجْمَلَةً، لا يُعْرَفُ المقصودُ منها، فيقول -رحمه الله-:

١٩٧٠- وَكَذَا اسْتَوَى الْمَوْصُولُ بِالْحَرْفِ الَّذِي ظَهَرَ الْمُرَادُ بِهِ ظُهُورَ بَيَانِ

قوله تعالى: ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤] (استوى) مقيّدٌ بحرف يُعْرَفُ معناه به، فمعنى (استوى على الشيء) يعني: علا عليه، وهذا واضحٌ، لا يَحْتَمِلُ سواه؛ ولهذا قال:

١٩٧١- لَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُفْهِمٌ لِلِاشْتِرَاكِ وَلَا جَزَازٍ ثَانِي

هذه الثلاثة نفاها بالأوّل بالنسبة لـ(العرش)، ونفاها بالثاني بالنسبة لـ(استوى) ليس فيه إجمالٌ حتّى يكون موهماً، ولا فيه اشتراكٌ يعني: أنه موضوع لمعنيين على السواء، ولا فيه مجازٌ، بل هو حقيقةٌ في سياقه.

١٩٧٢- تَرْكِيْبُهُ مَعَ حَرْفِ الْاِسْتِعْلَاءِ نَصٌّ صَّ فِي الْعُلُوِّ بَوَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ

قَوْلُهُ: «تَرْكِيْبُهُ» يَعْنِي: (اِسْتَوَى).

قَوْلُهُ: «مَعَ حَرْفِ الْاِسْتِعْلَاءِ» وَهُوَ (عَلَى).

قَوْلُهُ: «نَصٌّ فِي الْعُلُوِّ بَوَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ» فَإِذَا قِيلَ: (اِسْتَوَى عَلَى كَذَا) يَعْنِي: عَلا عَلَيْهِ، فَلَا أَحَدَ يُشْكِلُ عَلَيْهِ هَذَا الشَّيْءُ.

بَقِيَ عَلَيْنَا أَنَّهُ قَدْ يَتَرَكَّبُ مَعَ غَيْرِ (عَلَى)، قَالَ -رَحِمَهُ اللهُ-

١٩٧٣- فَإِذَا تَرَكَّبَ مَعَ «إِلَى» فَالْقَصْدُ مَعَ مَعْنَى الْعُلُوِّ لِيَوْضَعَهُ بَيَّانٍ

إِذَا قِيلَ: «اِسْتَوَى إِلَى كَذَا» صَارَ مَعْنَاهُ: قَصَدَ إِلَى كَذَا، مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] مَعْنَاهُ: قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ، لَكِنْ قَصَدَ بِإِرَادَةِ كَامِلَةٍ مَعَ عُلُوٍّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: (اِسْتَوَى) هُنَا بِمَعْنَى ارْتِفَاعٍ؛ لِأَنَّ (إِلَى) لِلْغَايَةِ، فَإِذَا قُلْنَا: (ارْتِفَاعَ إِلَى السَّمَاءِ) لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِي الْأَوَّلِ سَافِلًا تَحْتَ السَّمَاءِ، وَهَذَا غَيْرُ مَرَادٍ قِطْعًا؛ وَهَذَا فَسَّرَهَا ابْنُ كَثِيرٍ بِأَنَّ الْمَرَادَ بِهَا (قَصَدَ إِلَى السَّمَاءِ)، وَلَيْسَ الْمَعْنَى (عَلا إِلَى السَّمَاءِ)؛ لِأَنَّ هُنَاكَ فَرْقًا بَيْنَ (اِسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ) وَبَيْنَ (اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ).

١٩٧٤- وَإِلَى السَّمَاءِ قَدْ اِسْتَوَى فَمُقَيَّدٌ بِتَمَامِ صَنْعَتِهَا مَعَ الْإِتْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِلَى السَّمَاءِ قَدْ اِسْتَوَى» قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٩] وَهَذَا وَاضِحٌ بِأَنَّ الْمَرَادَ قَصْدَ إِلَيْهَا لِيَسْوِيَهَا وَيُحَسِّنَهَا، قَالَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ثُمَّ اِسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١] مِنْ أَجْلِ إِتْمَامِهَا، لَكِنْ مَا قَالَ: (اِسْتَوَى إِلَى الْعَرْشِ) لِيَتِمَّهُ، فَالْعَرْشُ تَامٌ

من قبل، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ بعد تمامه، بخلاف استوائه إِلَى السَّمَاءِ، فإنه من أجل إتمامها كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ [البقرة: ٢٩]؛ ولهذا قال:

١٩٧٥- لَكِنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى هُوَ مُطْلَقٌ مِنْ بَعْدِهَا قَدْ تَمَّ بِالْأَرْكَانِ
ففرق بين (استوى إلى السماء)، و(استوى على العرش).

١٩٧٦- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يَقْصُرُ فَهْمُهُ عَنْ ذَا فِتْلِكَ مَوَاهِبُ الْمَنَّانِ
الجهمي يقصر فهمه عن التفريق بين (على) وبين (إلى)، ومواهب المَنَّانِ عَزَّ وجلَّ تختلف من شخصٍ لآخر، فمن الناس مَنْ يهبه الله عَزَّ وجلَّ فهماً وعلماً، ومن الناس من لا يهبه فهماً ولا علماً، ومن الناس من يهبه علماً بلا فهم، ومن الناس من يهبه فهماً بلا علم.

١٩٧٧- فَإِذَا اقْتَضَى وَآوِ الْمَعِيَّةِ كَانَ مَعَهُ سِنَاهُ اسْتَوَى مُتَقَدِّمٌ وَالثَّانِي قَوْلُهُ: «فَإِذَا اقْتَضَى وَآوِ الْمَعِيَّةِ» يعني: إذا اقترن بها، كان معناه (استوى متقدماً والثاني) كقولهم: (استوى الماء والخشبة) يعني: أن الماء حاذى الخشبة، فمعنى (الاستواء) هنا: التساوي؛ ولهذا قال: (كان معناه استوى متقدماً والثاني).

ففي قولنا: (استوى الماء والخشبة) أين المتقدّم؟ المتقدّم: الماء، معناه: أنه تساوى ما قبل (الواو) وما بعدها.

إِذَنْ إِذَا أَتَتْ (اسْتَوَى) مَقْرُونَةٌ بِ(عَلَى) فَمَعْنَاهَا الْعُلُوُّ، وَإِذَا أَتَتْ مَقْرُونَةٌ بِ(إِلَى) فَمَعْنَاهَا الْقَصْدُ، وَإِذَا أَتَتْ مَقْرُونَةٌ بِ(وَآوِ الْمَعِيَّةِ) فَالْمَعْنَى الْمَحَاذَاةَ وَالْمَسَاوَاةَ.

الرابعُ: قَالَ - رحمه الله -:

١٩٧٨- فَإِذَا أَتَى مِنْ غَيْرِ حَرْفٍ كَانَ مَعَهُ سِنَاهُ الْكَمَالِ فَلَيْسَ ذَا نُقْصَانٍ

مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى﴾ [القصص: ١٤] هَذَا لَمْ يُقَيِّدْ بِشَيْءٍ، فَمَعْنَاهُ (كَمُلٌ).

فصارت (استوى) تُسْتَعْمَلُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ عَلَى أَرْبَعَةِ وَجُوهِ:

مقرونة بـ(على)، و(إلى)، مقرونة بواو المعية، مجردة لم تقترن بشيء، وكُلُّ واحدةٍ يُعْرَفُ مَعْنَاهَا بِمَا اقْتَرَنَ بِهَا.

١٩٧٩- لَا تَلْبِسُوا بِالْبَاطِلِ الْحَقَّ الَّذِي قَدَبَيْنَ الرَّحْمَنُ فِي الْفُرْقَانِ

انتهى الآن من الكلام على (العرش) وعلى (استوى).

بقي عندنا (على) فقال - رحمه الله -:

١٩٨٠- وَ«عَلَى» لِلِاسْتِعْلَاءِ فَهِيَ حَقِيقَةٌ فِيهِ لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ

«على» الأصل فيها أنها للاستعلاء، كما قَالَ ابْنُ مَالِكٍ فِي الْأَلْفِيَّةِ: (عَلَى

لِلِاسْتِعْلَاءِ) فَهِيَ دَائِمًا لِلِاسْتِعْلَاءِ.

فإذا قيل: (استوى على كذا) يعني: علا عليه، و(اطَّلَعَ على كذا) يعني: علا

عليه باطلاعه، و(ركب على كذا) يعني: علا عليه، فهي تدلُّ على العلو، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ فِيهَا.

قَوْلُهُ: «لَدَى أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ» وَالْأَوَّلُ: الْجَهْمِيُّ يَقُولُ: (عند عمرو) أَي:

عند سيبويه، كَأَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ يَقُولُ: أَنْتَ إِذَا نَقَلْتَ عَنْ عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ النَّحْوِ، فَأَنَا

أُنقِلُ عن جميع علماء النحو؛ ولهذا قال: (لدى أرباب هذا الشأن) يعني: بالإجماع.

١٩٨١- وَكَذَلِكَ «الرَّحْمَنُ» جَلَّ جَلَالُهُ لَمْ يَحْتَمِلْ مَعْنَى سِوَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ» وَهُوَ الرَّابِعُ: (الرحمن) هل يحتمل معنى سوى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ؟ ولهذا قال: (لم يحتمل معنى سوى الرحمن) فأين الإجمال، وأين الاشتراك، وأين الإيهام في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾؟ [طه:٥] الجواب: لا يوجد شيء لا في (استوى) ولا في (على) ولا في (العرش) ولا في (الرحمن).

١٩٨٢- يَا وَيْحَهُ بَعْمَاهُ لَوْ وَجَدَ اسْمَهُ الرُّحْمَنَ مُحْتَمِلًا لِخَمْسٍ مَعَانِي

١٩٨٣- لَقَضَى بِأَنَّ اللَّفْظَ لَا مَعْنَى لَهُ إِلَّا التَّلَاوَةَ عِنْدَنَا بِلِسَانِ

لو قال: (الرحمن) -والله- يحتمل خمسة معانٍ ماذا يصير؟ يقول: (يا ويحه) يعني: يصيرُ مشركًا، فالرحمنُ لا يحتملُ إلا معنى واحدًا، وهو ربُّ العزة -جلَّ وعلا-، ولذلك لا يُسمَّى به غيره أبدًا، ولا يُوصَفُ به غيره، فلا يجوزُ أن تقولَ عن أيِّ شخصٍ: «إنه رحمنٌ» حتى النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- لا يصحُّ أن تقولَ: إنه بالمؤمنين رحمنٌ، بل قل: رحيمٌ؛ ولهذا نقولُ: (الله) و(الرحمن) اسمانِ خاصَّانِ بالله لا يُسمَّى بهما غيره أبدًا.

١٩٨٤- فَلِذَاكَ قَالَ أَيْمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ مَا قَدْ سَاءَ كُمْ بَيَانِ

١٩٨٥- وَلَقَدْ أَحَلَّنَاكُمْ عَلَى كُتُبِهِ لَهُمْ هِيَ عِنْدَنَا -وَاللَّهِ- بِالْكِيْيَانِ

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ قَالَ أَيْمَّةُ الْإِسْلَامِ فِي مَعْنَاهُ» أَي: فِي مَعْنَى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ

اسْتَوَى﴾ [طه:٥] قالوا ما قد ساءكم.

قَوْلُهُ: «الْكَيْبَانُ» جمع (أكوام)، والأكوامُ جمعُ كومةٍ وهي الشيءُ المجتمعُ؛ ولهذا إذا أراد الناسُ أن يقولوا عن الشيء: إنه كثيرٌ، قالوا: عندنا كومةٌ من الإبل، كومةٌ من الغنم، كومةٌ من الطعام، فالكيبان هنا (فِعْلَان) جمعُ (أكوام)، وأكوامُ جمعُ كومة.

فصل

فِي بَيَانِ سَبَبِ غَلْطِهِمْ فِي الْأَلْفَاظِ، وَالْحُكْمِ عَلَيْهَا بِاحْتِمَالِ عِدَّةِ مَعَانٍ؛
حَتَّى اسْقَطُوا الْأَسْتِدْلَالَ بِهَا

- ١٩٨٦- وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ فِي الإِعْتِبَارِ فَمَا هُمَا سَيَّانِ
١٩٨٧- وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ
١٩٨٨- أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبَ سَبَبُهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ
١٩٨٩- فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْدَ سِوَاهُمْ هُوَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ
١٩٩٠- وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ الْمُرَادُ بِهِ اتَّضَاحَ بَيَانِ
١٩٩١- فَالْأَوْلُونَ لِإِلْفِهِمْ ذَاكَ الْخِطَا بَ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طُولَ زَمَانِ
١٩٩٢- طَالَ الْمِرَاسُ لَهُمْ لِمَعْنَاهُ كَمَا اشْتَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَلِكَ الشَّانِ
١٩٩٣- وَالْعِلْمُ مِنْهُمْ بِالْمُخَاطَبِ إِذْ هُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
١٩٩٤- وَلَهُمْ أَتَمُّ عِنَايَةٍ بِكَلَامِهِ وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّةِ الْعِرْفَانِ
١٩٩٥- فَخِطَابُهُ نَصٌّ لَدَيْهِمْ قَاطِعٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّبْيَانِ
١٩٩٦- لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونُهُمْ فِي ذَلِكَ لَمْ يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمْ عَلَى الْبُرْهَانِ
١٩٩٧- وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلا يَسْ بِقَاطِعِ فِي ذَهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ

- ١٩٩٨- وَلِإِلْفِهِ بِكَلَامٍ مَّنْ هُوَ مُقْتَدٍ بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الْأَزْمَانِ
١٩٩٩- هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ وَكَلَامُهُ نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحٌ التَّبْيَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله- في بيان سبب غلط هؤلاء الذين يدعون أن للفظ الواحد احتمالات كثيرة من أجل أن يُطَّلوا دلالتة على المراد؛ لأن من القواعد المقررة أنه عند الاحتمال يسقط الاستدلال، فإذا قالوا: هذا يحتمل كذا، وهذا يحتمل كذا وكذا وكذا، فأئى الوجوه تريدون؟ إذا قلت: تُريد كذا، قَالَ لك: من أين الدليل أن المراد كذا دون الاحتمالات الأخرى؟ وحينئذ يسقط الاستدلال.

فالمؤلف -رحمه الله- يريد أن يُبيِّن السبب، وأنه ليس كل لفظ يحتمل معنى في سياق يكون محتملاً له في سياق آخر، فاللفظ قد يحتمل معنى في سياق من السياقات لكن لا يحتمل هذا المعنى في سياق آخر، بل يكون من القرائن الحالية أو اللفظية ما يمنع إرادة هذا المعنى بحسب القرينة الحالية وسياق الكلام وتركيبه؛ ولهذا قال:

١٩٨٦- وَاللَّفْظُ مِنْهُ مُفْرَدٌ وَمُرَكَّبٌ فِي الْإِعْتِبَارِ فَهَا هُمَا سَيَانِ

يعني: قد يكون للفظ معنى عند انفراده ومعنى آخر عند اقترانه في سياق آخر، ومن أبرز الأمثلة على ذلك: (القرية)، فأحياناً يكون المراد بها أهل القرية، وأحياناً يكون المراد بها نفس القرية.

فإذا سمعت قول الله عز وجل: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [الحج: ٤٥] فالمراد: أهل القرية، وإذا سمعت الله يقول: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ

هَذِهِ الْقَرْيَةَ ﴿ العنكبوت: ٣١ ﴾ فالمرادُ: القريةُ نفسُها، وليس المرادُ هنا أهلُ القرية؛ لأنَّ (أهلَ) موجودةٌ مذكورةٌ، فالمرادُ نفسُ القرية، يعني: إنا مهلكو ساكني هذه القرية.

فتجد أنَّ الكلمةَ الواحدةَ صار لها معنى قاطعٌ في سياقٍ، ومعنى قاطعٌ في سياقٍ آخر.

١٩٨٧- وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «اللفظُ في التَّركيبِ نصٌّ» والنَّصُّ عندهم ما لا يحتملُ إلا معنى واحدًا فهو بمعنى الصَّريح، ومنه قولهم: (مِنَصَّةُ العروس) وَهُوَ الكَرِيسِيُّ الَّذِي تَأْتِي وَتَجْلِسُ عَلَيْهِ، فلو سألتَ الجمعَ مَنْ هذه؟ لقالوا: هي العروس (المرأة) ما يحتملُ غيرها، كذلك أيضًا النَّصُّ في الكلامِ هُوَ الَّذِي لا يحتملُ سوى معناه، فهو صريحٌ فيه.

قَوْلُهُ: «نَصٌّ فِي الَّذِي قَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ» فالتركيبُ يجعلُه نصًّا، ومن هنا قالَ شيخُ الإسلامِ ابنُ تيمية: (إنه لا مجازَ في القرآن، ولا في اللغة العربية؛ لأنَّ السِّيَاقَ يجعلُ اللفظَ صريحًا في المعنى ونصًّا في المعنى، ولا يحتملُ المجازَ، فقوله تعالى: ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ [الإسراء: ٢٤] غيرُ قولِ القائل: (اكَسِرْ جَنَاحَ الطَّيْرِ)؛ لأنَّ الكُلَّ يعرفُ أنَّ (اكَسِرْ جَنَاحَ الطَّيْرِ) المرادُ به الجناحُ الَّذِي يطيرُ به الطَّيْرُ، وأما ﴿ جَنَاحَ الذُّلِّ ﴾ معناه: مرتفع الذل، يعني: أنك لا ترتفعُ عليهما، بل اخفض لهما، ذلَّ لهما، كالجناح إذا خُفِضَ فَإِنَّ الطائرَ لا يطيرُ.

إِذْ نَ الْكَلَامُ نَصٌّ فِي سِيَاقِهِ، وَحِينَئِذٍ نَقُولُ: لا مجازَ في اللغة العربية؛ لأنَّ السِّيَاقَ يُعَيِّنُ المعنى ويمنعُ المجازَ.

وهذه المسألة - أعني: مسألة المجاز - اختلف الناس فيها، فمنهم من أقره في اللغة والقُرآن، ومنهم من قال: هُوَ مُنْكَرٌ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِ مُنْكَرٍ فِي اللُّغَةِ، وهذا رأي الشيخ الشنقيطي^(١) - رحمه الله - وعلل ذلك بقوله: إِنَّ أَكْبَرَ عِلْمَاتِ الْمَجَازِ صِحَّةُ نَفِيهِ، وليس في الْقُرْآنِ مَا يَصِحُّ نَفِيهِ، فإذا قلت: (أَقْبَلَ أَسَدٌ يَحْمِلُ الْحَقِيْبَةَ) فللمخاطب أن يقول: ليس بأسدٍ، وإذا قال: ليس بأسدٍ، فصحيحٌ هُوَ ليس بأسدٍ.

لكن أردُّ عليه بسهولة، وأقول: لِمَا قلنا: (يَحْمِلُ حَقِيْبَتَهُ) علمنا أن معنى (أسدٍ) شجاعٌ، فصرنا لا نقصدُ لفظَه الدالَّ على جسده، لكن نقصدُ اللفظَ الدالَّ على المعنى، وهُوَ الشجاعة، وهذا ليس فيه إشكالٌ، ولا يمكنُ لأحدٍ أن يتبادرَ إلى ذهنه إذا قلت: (أَقْبَلَ رَجُلٌ يَحْمِلُ الْحَقِيْبَةَ) أنه الأسدُ الضرغام.

لكن هل هَذَا الاختلافُ اختلافٌ لفظيٌّ فقط؟

الجوابُ: ليس بصحيح؛ لأنه يترتبُ على هَذَا مسألةٌ تحريف آيات الصِّفَاتِ وأحاديثها، وكذلك أيضًا تحريف النصوص الدالة على الأحكام الفقهية، فقد يُحَرِّفُهَا ويقولُ: المرادُ من هَذَا المجازُ، كذلك أيضًا في الحِنثِ في اليمين مثلاً: إذا قال: والله لا أتكلَّمُ بكلامٍ مجازٍ، ثُمَّ تَكَلَّمَ بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَلِّ الْقَرِيْبَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢] على رأي مَنْ يقولُ: فيه مجازٌ، فإنه يحنثُ؛ لأنه تكلَّمُ بالمجاز، فيحنثُ، وتلزمه الكفارة، وعلى رأي مَنْ لا يرى ذلك لا يحنثُ؛ لأنَّ هَذَا الكلامَ حقيقةً في سياقه.

ولا يطمئنُ القلبُ إلَّا إلى هَذَا أي: إلى القول بنفي المجاز في اللغة العربية، لكن الحقيقة قد تُلبَسُ ثوبًا جذابًا يجذبُ من أجل صيغة اللفظ، فمثلاً:

(١) انظر كلام الشيخ الشارح - رحمه الله - في شرح العقيدة السفارينية (ص: ٢٥٧).

قول القائل:

وَإِذَا الْمِئْيَةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(١)

وهذا يُعْطِي المعنى قوةً وهيبَةً، حيثُ شَبَّه المِئْيَةَ بِأَسَدٍ يُنْشِبُ أَظْفَارَهُ، لا يمكنُ أن يفكَّه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء: ٢٤]، معلوم أن الذُّلَّ ليس له جَنَاحٌ، لكن لَمَّا كان الذُّلُّ يُقَابِلُ التَّعَالِيَّ والْعُلُوَّ والتَّرْفُعَ عَلَى والِدِيهِ، قال: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ بمعنى تَطَامَنَ لهما مع التَّذَلُّلِ.

وهذه المسألة لها غورٌ، ولا شكَّ أن ما قاله شيخ الإسلام - رحمه الله - هو الحقُّ؛ أنه لا مجازَ في اللغة العربية؛ لأنَّ الكلمات في حدِّ ذاتها لا يُعَيَّنُ معناها تمامًا إِلَّا السِّيَاقُ، فإذا تَعَيَّنَ معنى الكلمة في سياقها، حينئذٍ يكونُ احتمالُ إرادة الحقيقة الأصلية في الوضع غيرَ واردٍ، فيبقى الكلامُ حقيقةً في سياقه، نصًّا في معناه.

وَقَوْلُهُ: «وَاللَّفْظُ فِي التَّرْكِيبِ نَصٌّ فِي الَّذِي فَصَدَ الْمُخَاطَبُ مِنْهُ فِي التَّبْيَانِ» وهذا واحد.

١٩٨٨- أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبٌ بَتُّهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ» الظاهرُ: هُوَ الَّذِي يَحْتَمِلُ معنيين هُوَ في أحدهما أَظْهَرُ، فمرتبته دون النَّصِّ، يكونُ ظاهراً ولكنه ليس نصًّا، فهو أَقْلُ دلالةً من النَّصِّ.

وهناك مُجْمَلٌ يكونُ فيه اللفظُ محتملاً لمعنيين عَلَى السَّوَاءِ.

(١) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في الكامل للمبرد (١٢٧/٢).

إِذْنُ الْكَلَامِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ:

- ما لا يَحْتَمِلُ إِلَّا مَعْنَى وَاحِدًا، فَهَذَا نَصٌّ.
- ما يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ هُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَظْهَرُ، فَهَذَا ظَاهِرٌ، الْأَظْهَرُ هُوَ الظَّاهِرُ.
- ما يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ عَلَى السَّوَاءِ، فَهَذَا مُجْمَلٌ يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ.

فَالْمَوْلُفُ بَيَّنَّ هَذَا كُلَّهُ، فَقَالَ: (أَوْ ظَاهِرٌ فِيهِ وَذَا مِنْ حَيْثُ نَسَبْتَهُ إِلَى الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ) يَعْنِي: أَنَّ الظُّهُورَ وَالنَّصِيَّةَ بِحَسَبِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ، ثُمَّ بَيَّنَّ ذَلِكَ، فَقَالَ:

١٩٨٩- فَيَكُونُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ وَعِنْدَ سَوَاهِمُ هُوَ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ

يعني: يَكُونُ اللَّفْظُ الْوَاحِدُ نَصًّا عِنْدَ طَائِفَةٍ لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَ مَعْنَى وَاحِدٍ، وَيَكُونُ ظَاهِرًا عِنْدَ طَائِفَةٍ أُخْرَى، يَعْنِي: يَحْتَمِلُ مَعْنَيْنِ هُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَظْهَرُ، وَهَنَّاكَ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ يَكُونُ عِنْدَهَا مُجْمَلًا، وَسَيَذْكُرُهُ؛ وَلِهَذَا تَجِدُ الْآنَ الْمَفْتِينَ: يُفْتِيكَ رَجُلٌ، فَيَقُولُ: الظَّاهِرُ وَاللَّهُ أَنَّ هَذَا جَائِزٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: كَذَا وَكَذَا، فَيَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ فَاهِمًا لِلدَّلِيلِ فَهَمَ نَصٌّ أَوْ فَهَمَ ظَاهِرٌ؟

الجواب: فَهَمٌ ظَاهِرٌ.

وَيَأْتِيكَ مُفْتٍ آخَرَ، فَيَقُولُ: هَذَا حَرَامٌ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: كَذَا وَكَذَا، فَيَكُونُ هَذَا الرَّجُلُ فَاهِمًا لِلدَّلِيلِ فَهَمَ نَصٌّ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ، فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ تَكُونُ الْأَدْلَةُ عِنْدَهُ وَاضِحَةً كَأَنَّهَا نِصُوصٌ صَرِيحَةٌ، وَعِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ تَكُونُ ظَاهِرَةً، وَبَعْضُ النَّاسِ تَكُونُ عِنْدَهُ مُشْتَبِهَةً، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْطِيكَ حَكْمًا مِنْ أَيِّ دَلِيلٍ؛ لِأَنَّ الْأَدْلَةَ عِنْدَهُ مُشْتَبِهَةً.

١٩٩٠- وَلَدَى سِوَاهُمْ مُجْمَلٌ لَمْ يَتَّضِحْ لَهُمُ الْمُرَادُ بِهِ اتَّضَاحَ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَدَى سِوَاهُمْ» يعني: لدى سوى الطائفتين الأوليين.

فَقَسَّم - رحمه الله - الناس باعتبار الدليل إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: يكون له الدليل نصًا ظاهرًا لا يحتمل معنى آخر.

القسم الثاني: يكون عندهم الدليل ظاهرًا مع احتمال معنى مرجوح.

القسم الثالث: يكون مجملًا لا يتضح به المراد.

ثُمَّ بَيَّنَّ السَّبَبَ، لِمَاذَا كَانَ هَذَا الدَّلِيلُ الْوَاحِدُ نَصًّا عِنْدَ قَوْمٍ، وَظَاهِرًا عِنْدَ قَوْمٍ

وَمُجْمَلًا عِنْدَ آخَرِينَ؟ فَقَالَ:

١٩٩١- فَالْأَوْلُونَ لِإِلْفِهِمْ ذَاكَ الْخِطَا بَ وَإِلْفِهِمْ مَعْنَاهُ طَوَّلَ زَمَانِ

هؤلاء أَلْفُوا خِطَابَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَلْفُوا مَعْنَاهُ، وَصَارَ الْمَعْنَى الظَّاهِرُ

لغيرهم نَصًّا عِنْدَهُمْ، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ يُمَيِّزُ صِحَّةَ الْحَدِيثِ مِنْ ضَعْفِهِ بِمَجْرَدِ أَنْ

يَسْمَعَهُ وَإِنْ لَمْ يَرِ سَنَدَهُ، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ أَلْفُوا كَلَامَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

وَاخْتَلَطَ بِدِمَائِهِمْ، حَتَّى كَانُوا يَعْرِفُونَ أَنَّ هَذَا كَلَامَ الرَّسُولِ مِنْ كَلَامِ غَيْرِهِ، كَمَا أَنَّا

نَحْنُ الْآنَ إِذَا طَالَعْنَا كِتَابَ عَالِمٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ ثُمَّ مَرَّتْ بِنَا عِبَارَةٌ مِنْ عِبَارَاتِهِ وَإِنْ لَمْ

تُنْسَبُ إِلَيْهِ عَرَفْنَا أَنَّهَا مِنْ كَلَامِهِ.

وَكثِيرًا يَمُرُّ بِنَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ نَعْرِفُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ

مَنْسُوبًا إِلَيْهِ؛ لِأَنَّنا طَالَعْنَا كَلَامَهُ كَثِيرًا وَأَلْفَنَاهُ، وَكَذَلِكَ ابْنُ الْقَيْمِ وَغَيْرُهُ.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَلْفُوا كَلَامَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

وَفَهَمُوهُ يَكُونُ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ نَصًّا، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

- ١٩٩٢- طَالَ الْمِرَاسُ لَهُمْ لِمَعْنَاهُ كَمَا اشْتَدَّتْ عِنَايَتُهُمْ بِذَلِكَ الشَّانِ
- ١٩٩٣- وَالْعِلْمُ مِنْهُمْ بِالْمُخَاطَبِ إِذْ هُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْ سَائِرِ الْإِنْسَانِ
- ١٩٩٤- وَلَهُمْ أَنْتُمْ عِنَايَةٌ بِكَلَامِهِ وَقُصُودِهِ مَعَ صِحَّةِ الْعِرْفَانِ
- ١٩٩٥- فَخِطَابُهُ نَصْرٌ لَدَيْهِمْ قَاطِعٌ فِيمَا أُرِيدَ بِهِ مِنَ التَّبْيَانِ
- ذكر - رحمه الله - أمورًا متعددة:

أولاً: أنهم ألفوا خطابَ الرسول - عليه الصلاة والسلام - وألفوا معناه من كثرة ممارستهم له.

ثانياً: أن لهم عنايةً تامةً في معرفة كلام النبي ﷺ وتدبر معناه حتى يكون عندهم نصّاً قاطعاً.

ثالثاً: أنهم يعلمون بحالِ الرسول - عليه الصلاة والسلام - ومراده ومقصده؛ لأنهم يعرفون الغاياتِ الحميدةَ من الشريعة الإسلامية، فتجدهم يعرفون مراد النبي ﷺ بخطابه نصّاً قاطعاً؛ لأنهم يعرفون مقاصدَ الشريعة.

فلأجل هذه الأمور الثلاثة كانوا يعلمون مرادَ النبي ﷺ بكلامه علماً قاطعاً نصّاً.

- ١٩٩٦- لَكِنَّ مَنْ هُوَ دُونَهُمْ فِي ذَلِكَ لَمْ يَقْطَعْ بِقَطْعِهِمْ عَلَى الْبُرْهَانِ
- الذين دون هؤلاء إمّا في إلفهم لكلام الرسول وكونهم لا يبارسونه دائماً، وكون أكثر ما يقرؤون كتب العلماء دون الأدلة، أو لأشياء أخرى تكون في نفوسهم تمنعهم من أن يكون الكلامُ نصّاً لديهم.

١٩٩٧- وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ
قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: يَظْهَرُ ذَا وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ فِي ذِهْنِهِ»؛ لَأَنَّهُ لَوْ كَانَ قَاطِعًا لَكَانَ
نَصًّا، لَكِنَّهُ يَقُولُ: يَظْهَرُ كَذَا.

قَوْلُهُ: «فِي ذِهْنِهِ لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ» لَأَنَّ هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ نَصٌّ، بَلْ وَهُنَاكَ
مَنْ هُوَ دُونَهُ يَقُولُ: إِنَّهُ مُجْمَلٌ؛ وَهَذَا قَالَ: «لَا سَائِرِ الْأَذْهَانِ».

١٩٩٨- وَلِإِلْفِهِ بِكَلَامٍ مَنْ هُوَ مُقْتَدٍ بِكَلَامِهِ مِنْ عَالِمِ الْأَزْمَانِ
١٩٩٩- هُوَ قَاطِعٌ بِمُرَادِهِ وَكَلَامُهُ نَصٌّ لَدَيْهِ وَاضِحٌ التَّبَيُّانِ

يقول: هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ لَا يَفْهَمُ الْأَدْلَةَ؛ لَأَنَّهُ مُشْتَغَلٌ بِكَلَامٍ مَتَّبِعِهِ
وَمُقَلِّدِهِ، فَتَجَدَّه يَفْهَمُ مِنْ خَطَابٍ مُقَلِّدِهِ نَصَّ الْمُقَلِّدِ فَهَمَّا قَاطِعًا (نَصًّا) لَكِنْ كَلَامُ
الرَّسُولِ ﷺ لَا يَفْهَمُهُ هَذَا الْفَهْمَ.

وما قاله ابن القيم -رحمه الله- واقعٌ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ وَلَا سَيِّمًا الْمَكْبُوتِ
عَلَى الْكُتُبِ الْمُهِتَمُونَ بِالتَّقْلِيدِ تَجَدَّهَ إِذَا جَاءَتْهُمْ النُّصُوصُ يَقْفُونَ حِيَارَى، لَكِنْ فِي
كُتُبِ مُقَلِّدِيهِمْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ كَامِلٌ يَفْهَمُونَ النُّصُوصَ مَنْطُوقًا وَمَفْهُومًا وَإِيهَاءً
وَإِشَارَةً بِخِلَافِ النُّصُوصِ الشَّرْعِيَّةِ.

والذي ينبغي لطالب العلم أن يُرَكِّزَ عَلَى فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ
قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَنْ يَسْتَعِينَ عَلَى فَهْمِهَا بِكُتُبِ أَهْلِ الْعِلْمِ، يَعْنِي: لَا يَطْرُحُ كُتُبَ
أَهْلِ الْعِلْمِ جَانِبًا، وَلَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا وَيَدَعُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، بَلْ يَأْخُذُ مِنْ هَذَا وَهَذَا
وَيَجْعَلُ الْعَمْدَةَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

- ٢٠٠٠ - وَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمُتَسَلِّقِ الْـ
- ٢٠٠١ - لَمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَا
- ٢٠٠٢ - لَكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ
- ٢٠٠٣ - فَهُوَ الزَّيْنِمُ دَعِيٌّ قَوْمٌ لَمْ يَكُنْ
- ٢٠٠٤ - وَكَلَامُهُمْ أَبَدًا لَدَيْهِ مُجْمَلٌ
- ٢٠٠٥ - نَشَدَ التَّجَارَةَ بِالزُّيُوفِ يَحَالُهَا
- ٢٠٠٦ - حَتَّى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ نَالَهُ
- ٢٠٠٧ - فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ
- ٢٠٠٨ - وَرَأَى اسْتِحَالَهَ ذَا بِدُونِ الطَّعْنِ فِي
- ٢٠٠٩ - وَاسْتَعَوَّضَ الثَّمَنَ الصَّحِيحَ بِجَهْلِهِ
- ٢٠١٠ - عَوَجًا لِيَسْلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الْوَرَى
- ٢٠١١ - وَالنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدٍ لِلَّذِي
- ٢٠١٢ - وَالزَّيْفُ بَيْنَهُمْ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي
- ٢٠١٣ - إِذْ هُمْ قَدِ اضْطَلَّحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا
- ٢٠١٤ - فَإِذَا أَنَّهُمْ غَيْرُهُ وَلَوْ أَنَّهُ
- ٢٠١٥ - رَدُّوهُ وَاعْتَذَرُوا بِأَنَّ نَقْدَهُمْ
- مُحْدُوْعِ ذِي الدَّعْوَى أَخِي الْهَدْيَانِ
- مُ وَلَا لَهُ إِلْفٌ بِهَذَا الشَّانِ
- سُكَّانِهِ كَلًّا وَلَا الْحِيرَانَ
- مِنْهُمْ وَلَمْ يَصْحَبْهُمْ بِمَكَانِ
- وَبِمَعْزِلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ
- نَقْدًا صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ
- مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءٌ هَوَانِ
- نَقْدُ الزُّيُوفِ يَرُوجُ فِي الْأَثْمَانِ
- بَاقِي النَّقُودِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ
- وَبِظُلْمِهِ يَبْغِيهِ بِالْبُهْتَانِ
- وَيَرُوجُ فِيهِمْ كَامِلُ الْأَوْزَانِ
- قَدْ قِيلَ إِلَّا الْفَرْدِي فِي الْأَزْمَانِ
- قَدْ رَاجَ فِي الْأَسْفَارِ وَالْبُلْدَانِ
- بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
- ذَهَبٌ مُصَفَّى خَالِصُ الْعُقْيَانِ
- مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَّاسِمِ السُّلْطَانِ

- ٢٠١٦- فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِتَقْدِ غَيْرِهِ
 ٢٠١٧- وَاللَّهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ
 ٢٠١٨- يَا مَنْ يُرِيدُ تَجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ
 ٢٠١٩- وَتُقَيِّدُهُ الْأَرْبَاحَ بِالْجَنَّاتِ وَالْ
 ٢٠٢٠- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا
 ٢٠٢١- هَيَّئْ لَهَا ثَمَنًا يُبَاعُ بِمِثْلِهَا
 ٢٠٢٢- نَقَدًا عَلَيْهِ سِكََّةٌ نَبَوِيَّةٌ
 ٢٠٢٣- أَظَنَنْتَ يَا مَغْرُورٌ بَائِعَهَا الَّذِي
 ٢٠٢٤- مَتَّكَ - وَاللَّهِ - الْمُحَالَ النَّفْسُ إِنْ
 قَطَعْتَ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيوانِ
 نَكْذِبُ عَلَيْهِمْ وَيَحِ ذِي الْبُهْتَانِ
 غَضَبِ الْإِلَهِ وَمَوْقِدِ النَّيرانِ
 حُورِ الْحِسانِ وَرُؤْيَا الرَّحْمَنِ
 مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 لَا تُشْتَرَى بِالزَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ
 ضَرْبِ الْمَدِينَةِ أَشْرَفِ الْبُلْدَانِ
 يَرْضَى بِتَقْدِ ضَرْبِ جِنْكَزْ خَانِ؟
 طَمَعَتْ بِدَا وَخُدِعَتْ بِالشَّيْطَانِ

الشرح

- ٢٠٠٠- وَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمُتَسَلِّقِ الْ
 وَهَذَا هُوَ الْقِسْمُ الثَّلَاثُ الَّذِي تَكُونُ الْأَدْلَةُ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الْمُجْمَلِ؛ لِأَنَّهُ
 لَا يَعْرِفُ، فَالْفِتْنَةُ الْعُظْمَى مِنَ الْمُتَسَلِّقِ الْمَخْدُوعِ ذِي الدَّعْوَى أَخِي الْهَدْيَانِ.
 ٢٠٠١- لَمْ يَعْرِفِ الْعِلْمَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَا
 مُمٌ وَلَا لَهُ إِنْ فَهَذَا الشَّانِ
 وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ، فَالْبَلَاءُ كُلُّ الْبَلَاءِ مَنْ لَا يَعْرِفُ الدَّلِيلَ وَلَا يَهْتَمُّ بِهِ،
 وَهُوَ عِنْدَهُ غَيْرُ قَاطِعِ الدَّلَالَةِ وَلَا ظَاهِرِ الدَّلَالَةِ أَيْضًا.

٢٠٠٢- لَكِنَّهُ مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِهِ كَلًّا وَلَا الْجِيرَانَ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّهُ مِنْهُ» أي: من الكلام الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَهُوَ الدَّلِيلُ.

قَوْلُهُ: «مِنْهُ غَرِيبٌ لَيْسَ مِنْ سُكَّانِهِ كَلًّا وَلَا الْجِيرَانَ»، فهو غريبٌ، ليس من سكان هَذَا الْمَحَلِّ، ولا من جيرانه حتَّى يفهم.

٢٠٠٣- فَهُوَ الزَّيْمُ دَعِيٌّ قَوْمٍ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ وَلَمْ يَضْحَبْهُمْ بِمَكَانِ

قَوْلُهُ: «فَهُوَ الزَّيْمُ» وَالزَّيْمُ هُوَ الَّذِي يَنْتَسِبُ إِلَى قَوْمٍ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، كَمَا قَالَ

-سبحانه وتعالى-: ﴿عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَيْمٌ﴾ [القم: ١٣] فهو يدعي العلم، ولكنه ليس من العلماء.

٢٠٠٤- وَكَلَامُهُمْ أَبَدًا لَدَيْهِ مُجْمَلٌ وَبِمَعْزِلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَامُهُمْ» الضمير يعود على كلام القوم الَّذِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ

لدى هَذَا الرَّجُلِ، (مُجْمَلٌ) لا يبين المراد به؛ ولهذا يقول: (بِمَعْزِلٍ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ)؛ ولهذا يقولون: النصوص دلالته ظنيَّة، والعقل دلالته قطعيَّة، ولا معارضة بين الظنِّيِّ وَالْقَطْعِيِّ؛ لأننا نُقَدِّمُ الْقَطْعِيَّ عَلَى الظَّنِّيِّ؛ ولهذا قَدَّمُوا الْعُقُولَ وَأَنْكَرُوا الْمُنْقُولَ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

فبعضهم مثلاً يقول في الْقُرْآنِ: الْقُرْآنُ دلالته على المعنى ظنيَّة؛ لأنه لا يستطيع

أن يطعن في سنده، والأحاديث إن كانت من قسم المتواتر الَّذِي لا يمكن رده، يقول: دلالته ظنيَّة كالْقُرْآنِ، وإن كان مما يمكن رده -وهو عندهم خبر الأحاد ولو صحَّ- يقول: هُوَ ظنِّيُّ الثبوت فلا يُعَارِضُ الْقَطْعِيَّ؛ ولهذا ضلُّوا -والعياذ بالله- ضلالاً بعيداً.

فالقاعدة عندهم أنَّ الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين؛ لأنها إما ظنية الثبوت، وإما ظنية الدلالة، ما الذي يفيد اليقين عندهم؟ الجواب: العقل، هَذَا الْعَقْلُ الَّذِي اضطربوا فيه أعظم اضطراب، لم يختلفوا في شيء كما اختلفوا في مدلولات العقول، حتى إنَّ بعضهم - كما قال شيخ الإسلام - يقول: «هذا واجبٌ عقلاً»، ويأتي آخر يقول: «هذا مستحيلٌ عقلاً» وهذان طرفا نقيض، بل إنَّ بعضهم في مؤلفاته القديمة والحديثة يرى امتناع ما رأى وجوبه من قبل.

فأين اليقين في دلالة العقل بين قوم يرى بعضهم أن هَذَا واجبٌ عقلاً، والثاني يرى أنه مستحيلٌ عقلاً؟! أو أنَّ الرَّجُلَ الْوَاحِدَ نَفْسَهُ يَقُولُ فِي مَوْضِعٍ: هَذَا مستحيلٌ، ويقولُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: هَذَا واجبٌ، فأين الدلالة القطعية في الأمور العقلية، ولكن كلام الله وكلام رسوله حسب ما أَلْفَ الْإِنْسَانَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وكلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - يعرفُ أَنَّ هَذَا نَصٌّ قاطعٌ في دلالاته، والآخِرُ الَّذِي دُونَهُ يَرَى أَنَّهُ ظَاهِرٌ، أَمَا الْمُسَلِّقُ الَّذِي يَدَّعِي الْمَعْرِفَةَ وَلَيْسَ بِعَارِفٍ فهذا يرى أنه مُجْمَلٌ وليس فيه شيءٌ يقينيٌّ.

٢٠٠٥ - نَشَدَ التَّجَارَةَ بِالزُّيُوفِ يَخَالُهَا نَقْدًا صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانٍ

إنسان صلَّحوا له قطعاً من الحديد مموَّهة بفضة، مصوَّرة صورة الدرهم، وقالوا: هَذِهِ دَرَاهِمٌ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُ، مَاذَا يَكُونُ قَبُولُهُ لَهَا؟ يَقْبَلُهَا عَلَيَّ أَنَّهُ نَقْدٌ صحيح.

٢٠٠٦ - حَتَّى إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهِ نَالَهُ مِنْ رَدِّهَا خِزْيٌ وَسُوءٌ هَوَانٍ

إذا رُدَّتْ إِلَيْهِ هَذِهِ الزُّيُوفُ قِيلَ: أَنْتَ أُعْطِيتَنَا دَرَاهِمَ مُرَبِّفَةً، حِينَئِذٍ يَبُوءُ بِالخِزْيِ وَالْهَوَانِ.

٢٠٠٧- فَأَرَادَ تَصْحِيحًا لَهَا إِذْ لَمْ يَكُنْ نَقْدُ الزُّيُوفِ يَرْوُجُ فِي الْأَثْمَانِ

٢٠٠٨- وَرَأَى اسْتِحَالَةَ ذَا بَدُونِ الطَّعْنِ فِي بَاقِي النَّقُودِ فَجَاءَ بِالْعُدْوَانِ

لَمَّا أَرَادَ أَنْ يُصَحِّحَ نَقُودَهُ الزَّائِفَةَ مَاذَا قَالَ؟ قَالَ: لِمَاذَا تَقُولُ: زَائِفَةٌ؟ قَالَ: لِأَنَّ التِّي بَيْنَ يَدَيِ النَّاسِ تَخَالَفُ نَقُودَكَ، قَالَ: كُلُّ النَّقُودِ الَّتِي فِي أَيْدِي النَّاسِ كُلُّهَا زَائِفَةٌ، وَليست بصحيحة، والصحيح عندي.

طَبَّقَ هَذَا عَلَى مَذْهَبِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ مَعَ أَهْلِ السُّنَّةِ، يَقُولُ لِأَهْلِ السُّنَّةِ: كُلُّ مَا قُلْتُمْ خَطَأً، وَالصَّوَابُ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ، فَهَذِهِ تَنْطَبِقُ عَلَى هَذَا الْمَثَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ.

٢٠٠٩- وَاسْتَعْوَضَ الثَّمَنَ الصَّحِيحَ بِجَهْلِهِ وَبِظُلْمِهِ يَبْغِيهِ بِالْبُهْتَانِ

يعني: أنه يريد النقود الصحيحة السليمة، لماذا؟ قال:

٢٠١٠- عِوَجًا لِيَسْلَمَ نَقْدُهُ بَيْنَ الْوَرَى وَيَرْوُجُ فِيهِمْ كَامِلُ الْأَوْزَانِ

وهذا يروج على الناس أو لا؟ الجواب: نعم، يروج؛ ولهذا قال:

٢٠١١- وَالنَّاسُ لَيْسُوا أَهْلَ نَقْدٍ لِلَّذِي قَدْ قِيلَ إِلَّا الْفَرْدُ فِي الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَّا الْفَرْدُ» يَجُوزُ الْوَجْهَانِ (الْفَرْدُ)، وَ(الْفَرْدُ).

وَصَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ -، يَعْنِي: أَنَّ النَّاسَ يَقْلُ فِيهِمْ مَنْ يَعْرِفُ الصَّحِيحَ مِنَ الزَّيْفِ، فَلَا يَوْجَدُ إِلَّا الْفَرْدُ فِي الْأَزْمَانِ.

٢٠١٢- وَالزَّيْفُ بَيْنَهُمْ هُوَ النَّقْدُ الَّذِي قَدْ رَاجَ فِي الْأَسْفَارِ وَالْبُلْدَانِ

يعني: أكثر الناس وعامة الناس ليسوا أهلاً للنقد، فلا يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الزَّيْفِ وَهُوَ

المعيَّبُ وبين الخالصِ النقيِّ إلاَّ الفرد، يعني: الواحد في المائة، أو الواحد في الألف.

فأكثرُ ما يروج عند الناس هو الشيء المزيَّف.

٢٠١٣- إِذْهُمْ قَدِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ

قَوْلُهُ: «إِذْهُمْ» أي: الناس الذين اغتروا بالزيَّف، وأخذوا به.

قَوْلُهُ: «قَدِ اصْطَلَحُوا عَلَيْهِ وَارْتَضَوْا بِجَوَازِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ» وكتبهم مملوءةٌ بهذا، تجدهم يقرِّرون التعطيلَ ونفيَ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ بهذه التعليلات التي يرونها معقولاتٍ وهي مجهولاتٌ في الحقيقة.

٢٠١٤- فَإِذَا آتَاهُمْ غَيْرُهُ وَلَوْ أَنَّهُ ذَهَبٌ مُصَفًّى خَالِصٌ الْعِقْيَانِ

٢٠١٥- رَدُّوهُ وَاعْتَدَرُوا بِأَنَّ نَقُودَهُمْ مِنْ غَيْرِهِ بِمَرَّاسِمِ السُّلْطَانِ

يردُّون النقدَ الصحيحَ الخالصَ بحُجَّةٍ أنَّ نقودَهُم من غير هذا النقد ولو كان النقد الَّذي ردَّوه من الذهب الخالص؛ لأنَّ مراسمَ السُّلْطَانِ قرَّرت هذا النقدَ المزيَّف.

والمؤلفُ -رحمه الله- إنما ضربَ مثلًا بالنقد، وإلاَّ فهو يريدُ كلامَ أهل الكلام الذين يتبعون علماءهم وأئمتهم، ويقولون: لا نخرجُ عمَّا قاله أئمتنا مهما كان، فهو المقبولُ عندهم، وسواه مردودٌ.

٢٠١٦- فَإِذَا تَعَامَلْنَا بِنَقْدٍ غَيْرِهِ قُطِعَتْ جَوَامِكُنَا مِنَ الدِّيَّانِ

يعني: لو أننا تعاملنا بنقدٍ غير الَّذي ضربه السُّلْطَانُ قُطِعَتْ الجوامكُ، و«الجوامكُ» هي عبارة عمَّا يُسمَّى عندنا بالعوائد التي يُهدِيها السُّلْطَانُ للناس،

وَيُسَمِّيهَا بَعْضُ النَّاسِ بِـ (الشَّرَهَاتِ)، وَتَخْتَلِفُ الْأَسْمَاءُ لَكِنِ الْمَعْنَى وَاحِدٌ، يَعْنِي:
مَا يُجْعَلُ فِي بَيْتِ الْمَالِ لِلنَّاسِ إِمَّا سَنَوِيًّا، أَوْ شَهْرِيًّا، أَوْ كُلَّ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، فَالْجَوَامِكُ هِيَ عِبَارَةٌ عَمَّا يَأْخُذُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَيْتِ الْمَالِ.

يقولون: نحن لو قبلنا هَذَا النَقْدَ الصَّحِيحَ السَّلِيمَ وتركنا نَقْدَ السُّلْطَانِ ماذا
يصنع؟ الجواب: تُقَطَّعُ الْجَوَامِكُ، وَلَا يَأْتِينَا رِزْقٌ مِنَ السُّلْطَانِ.

٢٠١٧- وَاللَّهِ مِنْهُمْ قَدْ سَمِعْنَا ذَا وَلَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ وَيَحَ ذِي الْبُهْتَانِ

المؤلف - رحمه الله - يُقَسِّمُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُسْتَقْسَمَ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامٌ تَجِبُ الْعِنَايَةُ
بِهِ، وَالْقَسَمُ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ جَائِزٌ وَإِنْ لَمْ يُطْلَبْ مِنَ الْإِنْسَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بَلَى
وَرَبِّي لَأُبْعَثَنَّ﴾ [التغابن: ٧] وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ فَلَا حَرَجَ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُقَسِّمَ بِاللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ وَإِنْ لَمْ يُسْتَقْسَمْ إِذَا كَانَ الْمَقَامُ ذَا أَمِّية.

٢٠١٨- يَا مَنْ يُرِيدُ تِجَارَةً تُنْجِيهِ مِنْ غَضَبِ الْإِلَهِ وَمَوْقِدِ النَّيْرَانِ

٢٠١٩- وَتُقْبِدُهُ الْأَرْبَاحَ بِالْجَنَّاتِ وَالْحُورَ الْحِسَانَ وَرُؤْيَا الرَّحْمَنِ

٢٠٢٠- فِي جَنَّةٍ طَابَتْ وَدَامَ نَعِيمُهَا مَا لِلْفَنَاءِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٢٠٢١- هَيْئُ لَهَا ثَمَنًا يُبَاعُ بِمِثْلِهَا لَا تُشْتَرَى بِالزَّيْفِ مِنْ أَثْمَانِ

٢٠٢٢- نَقْدًا عَلَيْهِ سِكَّةٌ نَبَوِيَّةٌ ضَرَبَ الْمَدِينَةَ أَشْرَفَ الْبُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ سُلْطَانٍ» يَعْنِي: مِنْ قُدْرَةٍ.

هَذَا أَيْضًا كَمَا سَبَقَ مِنْ ضَرْبِ الْمِثْلِ، يَعْنِي: الَّذِي يُرِيدُ النَّجَاةَ مِنَ النَّيْرَانِ
وَدُخُولِ الْجَنَّاتِ فَلْيَشْتَرِ هَذِهِ الْجَنَّةَ بِالثَّمَنِ الْمُهَيَّأِ لَهَا، وَالنَّقْدُ الَّذِي يَكُونُ ثَمَنًا لَهَا هُوَ

النقدُ الَّذِي عَلَيْهِ السَّكَّةُ النّبويَّةُ (ضرب المدينة)، وماذا يريدُ بهذا النقدِ الَّذِي عَلَيْهِ السَّكَّةُ؟ الجواب: الكتاب والسُّنَّةُ، فالذي يريدُ النجاةَ عَلَيْهِ بالكتاب والسُّنَّةُ وليدعُ علمَ الكلامِ وهذيانِ أهله.

٢٠٢٣- أَظْنَنْتَ يَا مَغْرُورٌ بِأَيْعَهَا الَّذِي يَرْضَى بِنَقْدِ ضَرْبِ جِنْكَزْ خَانَ؟

هذا أحد ملوك التتار له سِكَّةٌ مضروبٌ عليها اسمُه، هَذَا رضي بالنقد، وترك النقدَ السَّليمَ الصحيحَ، والمرادُ بذلك أيضًا كما سبق ما عند أهل الكلام من الكلام الفارغ الَّذِي رضيهِ هَذَا لنفسه وترك الكلامَ الصحيحَ السَّليمَ.

٢٠٢٤- مَتَّكَ - وَاللَّهِ - الْمُحَالَ النَّفْسُ إِنْ طَمِعَتْ بِدَا وَخُدِعَتْ بِالشَّيْطَانِ

صدق - رحمه الله -، فالعاجزُ مَنْ أَتَبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِيَّ، فالإنسانُ الَّذِي يَغْتَرُّ بِظَاهِرِ الْحَالِ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَيَزْعُمُ أَنَّهُ هُوَ الْمُوحَّدُ قَدْ غَرَّتْهُ نَفْسُهُ وَغَرَّهُ الشَّيْطَانُ.

٢٠٢٥- فَاسْمَعُ إِذْنُ سَبَبِ الضَّلَالِ وَمَنْشَأُ التَّخْلِيطِ إِذْ يَتَنَاظَرُ الْحَضَمَانِ

٢٠٢٦- يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ الْمُرَكَّبِ عَارِفٌ مَضْمُونُهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَانِ

٢٠٢٧- وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالْتَّرْكِيبِ مَحْفُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتَّبْيَانِ

٢٠٢٨- جُنْدٌ يُنَادِي بِالْبَيَانِ عَلَيْهِ مَثَلٌ لِنَدَائِنَا بِإِقَامَةِ وَأَذَانِ

٢٠٢٩- كَيْ يَحْضَلَ الْإِعْلَامُ بِالْمَقْصُودِ مِنْ إِيْرَادِهِ وَيَصِيرُ فِي الْأَذْهَانِ

٢٠٣٠- فَيُنْفِكُ تَرْكِيبَ الْكَلَامِ مُعَانِدٌ حَتَّى يُقْلِقَلَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ

- ٢٠٣١ - وَيَرُومَ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِّلَتْ
مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي
- ٢٠٣٢ - فَيَكُونُ دُبُوسَ الشُّقَاقِ وَعُدَّةً
لِلدَّفْعِ فِعْلَ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ
- ٢٠٣٣ - فَيَقُولُ: هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحْ
تَمِلٌ، وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ
- ٢٠٣٤ - وَبِذَاكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الْوَرَى
وَالْفَهْمُ مِنْ حَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٢٠٣٥ - إِذْ أَكْثَرَ الْأَلْفَاطِ تَقْبَلُ ذَاكَ فِي الْ
إِفْرَادِ قَبْلَ الْعَقْدِ وَالتَّيْبَانِ
- ٢٠٣٦ - لَكِنْ إِذَا مَا رُكِّبَتْ زَالَ الَّذِي
قَدْ كَانَ مُحْتَمَلًا لَدَى الْوَحْدَانِي
- ٢٠٣٧ - فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمَلًا لِيغِي
رِ مُرَادِهِ أَوْ فِي كَلَامٍ ثَانِي
- ٢٠٣٨ - لَكِنْ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ
يُفْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ
- ٢٠٣٩ - وَالْمُفْرَدَاتُ بِغَيْرِ تَرْكِيْبٍ كَمَثُ
لِ الصَّوْتِ تَعَقُّهُ بِتِلْكَ الضَّانِ
- ٢٠٤٠ - وَهُنَالِكَ الْإِجْمَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَالتَّ
تَجْهِيلُ وَالتَّحْرِيفُ بِالْبُطْلَانِ
- ٢٠٤١ - فَإِذَا هُمْ فَعَلُوهُ رَأَمُوا نَقْلَهُ
لِمُرَكَّبٍ قَدْ حُفَّ بِالتَّيْبَانِ
- ٢٠٤٢ - وَقَضُوا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي
حَكَمُوا بِهِ لِلْمُفْرَدِ الْوَحْدَانِي
- ٢٠٤٣ - جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيْسًا وَتَلْ
بِيْسًا وَتَرْوِيْجًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

الشرح

هذه الأبيات مفيدة ومهمة، خلاصتها أن اللفظ وإن كان محتملاً من حيث هو لفظ لمعانٍ متعددة، فإنه عند التركيب لا يحتمل إلا المعنى الذي دلَّ عليه السياق.

فـ(العرش) - كما سبق - يحتمل معاني كثيرة، لكن عند التركيب لا يحتمل إلا معنى واحداً، و(الإستواء) يحتمل معاني متعددة، لكن عند التركيب لا يحتمل إلا معنى واحداً، وهكذا.

يقول:

٢٠٢٥- فَاسْمَعِ إِذْنَ سَبَبِ الضَّلَالِ وَمُنْشَأَ التَّخْلِيصِ إِذْ يَتَنَاطَرُ الخَصْمَانِ
ثُمَّ ذَكَرَ السَّبَبَ، فَقَالَ:

٢٠٢٦- يَحْتَجُّ بِاللَّفْظِ المُرَكَّبِ عَارِفٌ مَضْمُونَهُ بِسِيَاقِهِ لِبَيَانِ
الإنسان الذي يعرف مضمون الكلام إنما يحتج به حين يكون مركباً، فأما إذا
وُزِعَ ومُزِقَ وأُتِيَ بكُلِّ كلمة على وحدة فإنه لا يكون كلاماً في الواقع، فلو قلنا:
(جاء زيدٌ ركباً) وفصلنا هذه الكلمات الثلاث، قلنا: (جاء) وحدها، وجعلنا
(زيد) وحدها، (وركباً) وحدها هل يفيد؟ الجواب: لا يفيد، فالكلمات في حدِّ
ذاتها لا تفيد إلا بالتركيب، والتركيب يُعَيِّنُ المعنى، بحيث لا يجوز معنى آخر
سوى هذا الذي دلَّ عليه التركيب.

٢٠٢٧- وَاللَّفْظُ حِينَ يُسَاقُ بِالترَكيبِ مَحْـمُوفٌ بِهِ لِلْفَهْمِ وَالتَّبَيَانِ

٢٠٢٨- جُنْدٌ يُنَادِي بِالْبَيَانِ عَلَيْهِ مِثْلُ نِدَائِنَا بِإِقَامَةِ وَأَذَانِ

قوله: «جندٌ يُنَادِي بِالْبَيَانِ» يعني: اللفظ إذا سيق بالتركيب مركباً، فإنه
يحتف به جندٌ ينادي بالبيان عليه مثل ندائنا بإقامة وأذان.

وهذا الجند هو الكلمات التي حوله: واحتفت به تُنادي على هذا اللفظ
بالبيان بأن المراد به كذا، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ

خَيْرًا ﴿ [الْفُرْقَان: ٥٩] كلمة (العرش) تصلح لكل عرشٍ لكن ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ هَذَا التَّرْكِيبُ أَوْ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي احْتَفَّتْ بِالْعَرْشِ تُعَيِّنُ أَنْ يَكُونَ معناه عرش الرب لا غير.

فالقرائنُ يعني: الكلمات التي تحتفُّ باللفظ، جُنْدٌ ينادي عليه، يقول: هنا ما تريد، هنا ما تريد، لا يتعداه إلى غيره.

٢٠٢٩- كَيْ يَحْضَلُ الْإِعْلَامُ بِالْمَقْصُودِ مِنْ إِيْرَادِهِ وَيَصِيرُ فِي الْأَذْهَانِ وهذا صحيح، تنادي هذه الكلمات المحتفة بالكلمة، تنادي بالبيان بأن المراد كذا وكذا، حتى يصير معلوماً لا يتعداه إلى معنى آخر.

٢٠٣٠- فَيُنْفِكُ تَرْكِيبَ الْكَلَامِ مُعَانِدٌ حَتَّى يُقَلِّقَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ قَوْلُهُ: «فَيُنْفِكُ تَرْكِيبَ الْكَلَامِ مُعَانِدٌ» مثل أهل التعطيل يفككونه، يقولون: (استوى) له عدّة معانٍ، و(العرش) له عدّة معانٍ، فأَيُّ المعاني تريدون؟ فيشككون.

نقول: هَذَا الْكَلَامُ إِنَّمَا يَكُونُ لَوْ أُفْرِدَتْ كُلُّ كَلِمَةٍ، أَمَّا مَعَ ضَمِّ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ فَإِنَّ الْمَعْنَى يَتَّعَيَّنُ، لَكِنْ أَنْتُمْ تَفَكِّكُونَ الْكَلَامَ، وَتُجْزِّئُونَهُ، وَتَمَزِّقُونَهُ؛ تَضْلِيلًا لِلخَلْقِ.

٢٠٣١- وَيَرُومُ مِنْهُ لَفْظَةً قَدْ حُمِلَتْ مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي قَوْلُهُ: «يَرُومُ» يعني: يقصد.

قَوْلُهُ: «لَفْظَةً قَدْ حُمِلَتْ مَعْنَى سِوَاهَا فِي كَلَامٍ ثَانِي» يعني: هَذِهِ اللَّفْظَةُ الَّتِي يُشَكِّكُنَا فِيهَا الْآنَ تَحْتَمِلُ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَالَ لَكِنْ فِي كَلَامٍ آخَرَ، أَمَّا فِي هَذَا الْكَلَامِ فَلَا تَحْتَمِلُ الْمَعْنَى الَّذِي رَامَهُ.

٢٠٣٢- فَيَكُونُ دَبُّوسَ الشُّقَاقِ وَعُدَّةٌ لِلدَّفْعِ فِعْلَ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ

قَوْلُهُ: «الدَّبُّوس» معروفٌ وَهُوَ مَا يُنْقَرُّ بِهِ مِثْلَ الْمَسَارِ أَوْ شَبِهُهُ.

قَوْلُهُ: «فَيَكُونُ دَبُّوسَ الشُّقَاقِ» يَعْنِي: هُوَ الَّذِي يَضْرِبُ الْمُجْتَمِعَ حَتَّى يُشَقِّقَهُ.

وَفِي نَسْخَةٍ ثَانِيَةٍ: «دَبُّوسَ السَّلَاقِ» يَعْنِي: الْعِظَامُ؛ لِأَنَّهَا إِذَا دُقَّتْ بِالدَّبُّوسِ تَفَرَّقَتْ؛ فَيَكُونُ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي أَرَادَ أَنْ يُمَزَّقَ الْأَدَلَّةُ بِهِ مِثْلَ دَبُّوسِ السَّلَاقِ أَوْ الشُّقَاقِ.

٢٠٣٣- فَيَقُولُ: هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحْتَمَلٌ، وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ: هَذَا مُجْمَلٌ وَاللَّفْظُ مُحْتَمَلٌ» قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «وَذَا مِنْ أَعْظَمِ

الْبُهْتَانِ»؛ لِأَنَّهُ بِسِيَاقِهِ لَيْسَ مُجْمَلًا وَلَا مُحْتَمَلًا.

٢٠٣٤- وَبِذَلِكَ يَفْسُدُ كُلُّ عِلْمٍ فِي الْوَرَى وَالْفَهْمُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ

يَعْنِي: بِهَذَا الطَّرِيقِ الَّذِي سَلَكَهَا هَذَا الْمُبْتَدِعُ يَفْسُدُ كُلُّ لَفْظٍ فِي الْوَرَى؛ لِأَنَّ

كُلَّ لَفْظٍ إِذَا أُرْدِنَا أَنْ نُمَزِّقَهُ وَنَمَزِّقَ كَلِمَاتِهِ كَلِمَةً كَلِمَةً، وَنَقُولُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَحْتَمَلُ

كَذَا وَكَذَا، تَبْقَى كُلُّ الْأَلْفَازِ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِهَا لِشَيْءٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَسْتَطِيعُ

أَنْ يُجَزِّيَ الْكَلَامَ، وَيَقُولُ: هَذِهِ الْكَلِمَةُ تَحْتَمَلُ كَذَا.

فَنَقُولُ: نَعَمْ، هِيَ تَحْتَمَلُهُ فِي غَيْرِ هَذَا السِّيَاقِ، أَمَّا فِي هَذَا السِّيَاقِ فَإِنَّهُ جَمَلَةٌ

وَاحِدَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُفَكَّكَ، وَلَوْ أَنَّنَا سَلَكَنَا مَا تَذَهَبُ إِلَيْهِ لَكَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ يَتَكَلَّمُ

يَفْسُدُ كَلَامُهُ، حَتَّى لَوْ قَالَ الرَّجُلُ لِرُجُلَتِهِ: (أَنْتِ طَالِقٌ)، لَقَلْنَا: فَكَّ تَرْكِيْبِ

الْكَلَامِ: (أَنْتِ) مَبْتَدَأٌ، وَالْخَبْرُ لَيْسَ (طَالِقٌ)؛ بَلْ مِثْلًا: (أَنْتِ جَمِيلَةٌ)، وَأَمَّا (طَالِقٌ)

فَيَحْتَمَلُ: طَالِقًا مِنْ قَيْدٍ، طَالِقًا مِنْ نِكَاحٍ، طَالِقًا مِنَ الْغَمِّ، هَلْ يَكُونُ لِهَذِهِ الْجَمَلَةُ

(أنتِ طالِقٌ) فائدة الآن؟ الجواب: لا يكون، فلو أردنا أن نُجزئ كلام الناس جزءاً جزءاً لفسد الكلام كُلُّه، وفسد الفهم، ولم يبق للناس فهمٌ صادقٌ.

٢٠٣٥- إِذْ أَكْثَرَ الْأَلْفَاظِ تَقَبُّلَ ذَلِكَ فِي الْإِفْرَادِ قَبْلَ الْعَقْدِ وَالتَّبَيُّانِ

أكثر الأفراد تقبل ذلك، أي: تقبل التعدد والاحتمال.

قَوْلُهُ: «قَبْلَ الْعَقْدِ» يعني: قبل أن يُعقدَ بينها وَبَيِّنَ، كُلُّ الْكَلِمَاتِ غَالِبُهَا يَحْتَمِلُ مَعْنِيَيْنِ لَكِنِ السِّيَاقُ يُعَيِّنُ.

٢٠٣٦- لَكِنْ إِذَا مَا رُكِّبَتْ زَالَ الَّذِي قَدْ كَانَ مُحْتَمَلًا لَدَى الْوَحْدَانِي

إذا رُكِّبَتِ الْكَلِمَاتُ بَعْضُهَا مَعَ بَعْضٍ، فَإِنَّ الْإِحْتِمَالَ الَّذِي يَكُونُ فِيهَا لَوْ أُفْرِدَتْ يَزُولُ وَلَا يَبْقَى.

٢٠٣٧- فَإِذَا تَجَرَّدَ كَانَ مُحْتَمَلًا لِغَيْرِهِ - مِرْمَرِهِ أَوْ فِي كَلَامِ ثَانِي

قَوْلُهُ: «إِذَا تَجَرَّدَ» يعني: فُصِّلَ بَعْضُهُ عَنِ بَعْضٍ، كَانَ مُحْتَمَلًا لِغَيْرِ الْمَرَادِ، أَوْ مُحْتَمَلًا لِكَلَامِ ثَانٍ مُعَيَّنٍ.

٢٠٣٨- لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ فَإِنْ يُفْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ ذَا التَّجْرِيدِ مُمْتَنِعٌ» «التجريد» يعني: أَنْ تَجْرِيدَ الْكَلِمَاتِ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ مُمْتَنِعٌ، كُلُّ كَلَامِ الْعَرَبِ تَجِدُهُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَرْكَبًا حَقِيقَةً أَوْ حُكْمًا، يَعْنِي: لَا تَجِدُ أَبَدًا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَلِمَةً (زَيْد) فَقَطْ، لَا تَجِدُ فِيهِ أَبَدًا (قَام) فَقَطْ، لَا بُدَّ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَرْكَبًا، وَلِهَذَا فَإِنَّ عُلَمَاءَ النَّحْوِ يَقُولُونَ: الْكَلَامُ هُوَ اللَّفْظُ الْمَرْكَبُ، وَلَيْسَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ شَيْءٌ غَيْرُ مَرْكَبٍ، بَلْ إِذَا وُجِدَ غَيْرُ مَرْكَبٍ قِيلَ: هَذَا لَيْسَ بِكَلَامٍ وَلَا عِبْرَةٌ بِهِ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ يُفْرَضُ يَكُنْ لَا شَكَّ فِي الْأَذْهَانِ» يعني: إِنْ فُرِضَ كَلَامٌ مُفْرَدٌ فَهُوَ فِرَضٌ ذَهْنِيٌّ.

قَوْلُهُ: «فَإِنْ يُفْرَضُ» يعني: يُفْرَضُ التَّجْرِيدُ يَكُنْ - لَا شَكَّ - فِي الْأَذْهَانِ. وَقَوْلُهُ: «لَا شَكَّ» جملة معترضة.

يعني: إِنْ فُرِضَ تَجْرِيدُ الْكَلَامِ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ فَهَذَا فِي الْأَذْهَانِ، يَعْنِي: أَنَّ الذَّهْنَ يُقَدَّرُ أَنَّ الْكَلَامَ مَتَمَزِّقٌ مُتَفَرِّقٌ، لَكِنْ فِي الْوَاقِعِ لَا يُمْكِنُ.

٢٠٣٩- وَالْمُفْرَدَاتُ بِغَيْرِ تَرْكِيبٍ كَمَثَلِ الصَّوْتِ تَنْعِقُهُ بِتِلْكَ الضَّانِ
وهذا صحيح، فالمفردات بغير تركيب مثل الصوت للذي ينعق بالضأن، فالضأن تفهم صوته وتأتي، أو حسب تعليمه لها، هل هذه كلمات مفيدة؟ الجواب: أبداً، فهي تفيد الضأن، لكن لا تفيد الإنسان.

فإذا قدرنا كلمة موجودة بلا تركيب فهي كصوت الناعق بالبهيمة، لا فائدة منها، وليست واردة.

٢٠٤٠- وَهَذَاكَ الْإِجْمَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَالتَّجْهِيلُ وَالتَّخْرِيفُ بِالْبُطْلَانِ
يعني: أننا لو فرضنا أفراد الكلمات بعضها من بعض وتمزيق الكلام حينئذ يأتي التشكيك.

٢٠٤١- فَإِذَا هُمْ فَعَلُوهُ رَأَمُوا نَقْلَهُ لِمُرَكَّبٍ قَدْ حُفَّ بِالتَّبْيَانِ
قَوْلُهُ: «فَإِذَا هُمْ» الضمير يعود على أهل التعطيل، يعني: إذا فعلوا ذلك وجردوا الكلمات من معناها عند تمزيقها وتفريدها نقلوا ذلك إلى المركب؛ ولهذا

قال: (نقلوه لمركبٍ قد حُف بالتيان)، فجعلوا المعنى الذي يُحتملُ عند الأفراد هو المعنى الذي يُحتملُ عند التركيب، فضلّوا الناسَ بهذه الطريقة.

٢٠٤٢- وَقَضُوا عَلَى التَّرْكِيبِ بِالْحُكْمِ الَّذِي حَكَّمُوا بِهِ لِلْمُفْرَدِ الْوَحْدَانِي

٢٠٤٣- جَهْلًا وَتَجْهِيلًا وَتَدْلِيْسًا وَتَلْ-بِيْسًا وَتَرْوِيْجًا عَلَى الْعُمِيَانِ

قَوْلُهُ: «جَهْلًا» أَي: مِنْهُمْ.

قَوْلُهُ: «وَتَجْهِيلًا» أَي: لغيرهم، وتدليسا وتليسا وترويجا على العميان؛ لأنهم إذا جاؤوا بهذه الطريق لبسوا على الأعمى، يقولُ مثلا: أليس العرشُ اسمًا لعرش الملك؟ سنقولُ: بلى، اسمًا لعرش الكروم والعنب؟ سنقولُ: بلى، اسمًا لعرش بلقيس؟ سنقولُ: بلى، اسمًا للسقف على الأعمدة؟ سنقولُ: بلى، إذن ما المراد بـ(العرش) الذي استوى عليه الله؟ ماذا نقولُ له؟

نقول: الاحتمالات التي ذكرناها إنما هو في (العرش) عند الأفراد، أمّا إذا جاء في سياق مركبٍ فإنّ هذا السياقُ يُعيّنُ المراد، فقوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] (العرش) هنا لا يحتملُ هذه المعاني التي ذُكرت، إنّما يدلُّ على عرشٍ خاصٍ بالله عزَّ وجلَّ فقط، لا عرش بلقيس، ولا عرش الكروم، ولا سقف البيت، بل هو عرشُ الله عزَّ وجلَّ والذي عيّنه هو السياقُ، لكن هم يأتون للعامة وأشباههم فيقولون: (العرش) له عدّة معانٍ فأَيُّ معنى تريدُ؟ نقولُ: هذا الاحتمالُ إنما هو عند الأفراد، أمّا عند الضمِّ، فإنّ الكلماتِ إذا ضُمَّ بعضها مع بعضٍ تعيّن المرادُ بالسياق.

فصل

في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغطا الفلاسفة في تجريد المعاني

- ٢٠٤٤ - هَذَا هَذَاكَ اللَّهُ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ
- ٢٠٤٥ - كَمُجَرَّدَاتٍ فِي الْخَيَالِ وَقَدْ بَنَى قَوْمٌ عَلَيْهَا أَوْهَنَ الْبُنْيَانِ
- ٢٠٤٦ - ظَنُّوا بِأَنَّ لَهَا وَجُودًا خَارِجًا وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ فِي الْأَذْهَانِ
- ٢٠٤٧ - أَنَّى وَتِلْكَ مُشَخَّصَاتٌ حُصِّلَتْ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ بَعِيَانٍ!؟
- ٢٠٤٨ - لَكِنَّهَا كَلِّيَّةٌ إِنْ طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا كَاللَّفْظِ فِي الْمِيزَانِ
- ٢٠٤٩ - يَدْعُونَهُ الْكُلِّيَّ وَهُوَ مُعَيَّنٌ فَرْدٌ كَذَا الْمَعْنَى هُمَا سَيَّانِ
- ٢٠٥٠ - مُتَجَرَّدَاتٍ فِي الذَّهْنِ أَوْ فِي خَارِجٍ عَنِ كُلِّ قَيْدٍ لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٢٠٥١ - لَا الذَّهْنُ يَعْقِلُهُ وَلَا هُوَ خَارِجٌ هُوَ كَالْخَيَالِ لَطِيفِهِ سُكْرَانِ
- ٢٠٥٢ - لَكِنْ تَجَرُّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثَابِتٌ وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ بِلَا إِمْكَانِ
- ٢٠٥٣ - فَتَجَرُّدُ الْأَعْيَانِ عَنِ وَصْفٍ وَعَنْ وَضْعٍ وَعَنْ وَقْتٍ لَهَا وَمَكَانِ
- ٢٠٥٤ - فَرَضَ مِنَ الْأَذْهَانِ يَفْرِضُهُ كَفَرَضِ ضِ الْمُسْتَحِيلِ هُمَا لَهَا فَرَضَانِ
- ٢٠٥٥ - اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ دَهَى مِنْ فَاضِلٍ هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَدِيمِ زَمَانِ!
- ٢٠٥٦ - تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَاظِ عَنِ تَرْكِيبِهَا وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي

- ٢٠٥٧- وَالْحَقُّ أَنْ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ مَفْرُوضٌ فَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ فِي الْأَذْهَانِ
 ٢٠٥٨- فَيَقُودُكَ الْحَصْمُ الْمُعَانِدُ بِالَّذِي سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَعْيَانِ
 ٢٠٥٩- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتَّبْيَانِ

الشرح

يقول المؤلف في هذا الفصل: إن هؤلاء الذين جرّدوا الألفاظ عن معانيها، ولم يُعيّنوا المعنى بالسّياق يُشبهون مَنْ جرّدوا الأعيان عن أوصافها وهم الفلاسفة؛ لأنّ الفلاسفة - كما هو معلوم - قالوا: إنّ الله تعالى لا يُوصفُ بصفاتٍ ثبوتيةٍ ولا صفاتٍ سلبيةٍ، يعني: لا تصفه بوجودٍ ولا عدم، وعلة ذلك عندهم أنك لو وصفته بالإثبات شبّهته بالموجودات، ولو وصفته بالنفي شبّهته بالمعدومات، إذن فلا تصفه بنفي ولا إثبات.

فقليل لهم: لا يمكن أن تُوجدَ عينٌ لا تُوصفُ بإثبات ولا نفي إلا ما يتخيّلُه الذهنُ فرضاً أمّا في الخارج، يعني: بأن تُوجدَ عينٌ مستقلةٌ مجسّدةٌ، فإنه لا يمكن أن تُوجدَ عينٌ إلا موصوفةٌ إمّا بنفي وإمّا بإثبات.

والفروضُ الذهنيّةُ لا تدلُّ على حقيقة المفروض، فالإنسان قد يفرض الجمعَ بين الضدّين، ولكن هل الجمعُ بين الضدّين ممكنٌ؟ الجواب: لا.

يقول المؤلف - رحمه الله -: إنّ غلطَ هؤلاء في تجريد الكلمات عن المعنى كغلط هؤلاء في تجريد الأعيان عن الأوصاف.

يقول - رحمه الله -:

٢٠٤٤- هَذَا هَذَاكَ اللَّهُ مِنْ إِضْلَالِهِمْ وَضَلَالِهِمْ فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ» أَي: فِي النُّطْقِ؛ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّمَا يَعْنِي مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ بِحَسَبِ السِّيَاقِ، وَلَا يَعْنِي غَيْرَهُ، وَيَكُونُ السِّيَاقُ مَعِينًا لِلْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنَ الْمُتَكَلَّمِ.

وَقَوْلُهُ: «فِي مَنْطِقِ الْإِنْسَانِ»، وَفِي نَسْخَةِ «فِي الْمَنْطِقِ الْيُونَانِي» فَيُشِيرُ إِلَى مَذْهَبِ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ قَالُوا بِتَجْرِيدِ الْأَعْيَانِ عَنْ أَوْصَافِهَا، هَؤُلَاءِ جَرَّدُوا الْكَلِمَاتِ عَنْ مَعَانِيهَا، وَأَوْلَتْكَ جَرَّدُوا الْأَعْيَانَ عَنْ أَوْصَافِهَا.

٢٠٤٥- كَمْ جَرَّدَاتٍ فِي الْخَيَالِ وَقَدْ بَنَى قَوْمٌ عَلَيْهَا أَوْ هَنَ الْبُنْيَانِ يُشِيرُ إِلَى الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ أَنْكَرُوا أَنَّ الْإِلَهَ مُوصُوفًا بِالْإِثْبَاتِ أَوْ مُوصُوفًا بِالنَّفْيِ.

٢٠٤٦- ظَنُّوا بِأَنَّ لَهَا وُجُودًا خَارِجًا وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ فِي الْأَذْهَانِ قَوْلُهُ: «ظَنُّوا» أَي: هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ. قَوْلُهُ: «بِأَنَّ لَهَا وُجُودًا خَارِجًا» يَعْنِي: ظَنُّوا أَنَّهُ تُوجَدُ ذَاتٌ لَا تُوصَفُ بِإِثْبَاتٍ وَلَا نَفْيٍ.

فَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «وَوُجُودَهَا لَوْ صَحَّ» فِي أَيِّ شَيْءٍ؟

الجواب: فِي الْأَذْهَانِ، يَعْنِي: أَنَّ الذَّهْنَ هُوَ الَّذِي يَفْرَضُ ذَاتًا لَيْسَ لَهَا صِفَاتٌ، أَمَّا فِي الْخَارِجِ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ ذَاتٌ بِلا صِفَاتٍ، لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ صِفَاتِهَا إِلَّا الْوُجُودَ لَكَانَ كَافِيًا، مِثْلًا أَمَامَنَا عَصَا قَائِمَةٌ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: هَذِهِ الْعَصَا لَيْسَتْ مَوْجُودَةً وَلَا مَعْدُومَةٌ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، لَكِنَّ الذَّهْنَ قَدْ يَفْرَضُ أَشْيَاءَ مُسْتَحِيلَةً.

٢٠٤٧- أَنَّى وَتِلْكَ مُشَخَّصَاتٌ حُصِّلَتْ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ بَعِيَانٍ؟!

يعني: كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَنْفِيَ وَجُودَ صِفَةٍ فِي الْأَعْيَانِ أَوْ وَجُودَ مَعْنَى فِي الْكَلِمَاتِ وَهِيَ قَدْ سُخِّصَتْ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ، وَالْمُشَخَّصُ فِي صُورَةٍ جُزْئِيَّةٍ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ لَهُ صِفَةٌ، الْمُسَخَّصُ فِي سِيَاقٍ مُعَيَّنٍ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مَعْنَى لَا يَحْتَمِلُ غَيْرَهُ، فَهَذَا مِثْلُ هَذَا.

٢٠٤٨- لَكِنَّهَا كُلِّيَّةٌ إِنْ طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا كَاللَّفْظِ فِي الْمِيزَانِ

المعاني كُلِّيَّةٌ إِذَا طَابَقَتْ أَفْرَادَهَا، لَكِنِ الْفَرْدُ مِنْهَا الْمَعْيَّنُ هَذَا جُزْئِيٌّ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مَوْصُوفًا بِصِفَةٍ، مِثَالُ ذَلِكَ: كَلِمَةُ (الْإِنْسَانِ) نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ جَمِيعَ الْبَشَرِ يَشْتَرِكُونَ فِي مَعْنَى كُلِّيٍّ وَهُوَ الْإِنْسَانِيَّةُ، هَلِ الْإِنْسَانِيَّةُ شَيْءٌ مُشَخَّصٌ يُرَى وَيُشَاهَدُ؟ الْجَوَابُ: لَا، لَكِنَّهُ مَعْنَى كُلِّيٌّ عَامٌ تَسَاوَى فِيهِ الْأَفْرَادُ.

(الحيوان) مِثَالًا: اسْمُ لِكُلِّ ذِي رُوحٍ مِنَ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِ الْإِنْسَانِ، فَهَلِ الْحَيَوَانِيَّةُ هَذَا الْمَعْنَى الْكُلِّيُّ، هَلِ هُوَ شَيْءٌ مُشَخَّصٌ يُرَى بِالْعَيْنِ؟

الجواب: لا، لَكِنِ أَفْرَادُهُ مُشَخَّصَةٌ تُرَى بِالْعَيْنِ، كَذَلِكَ الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةُ، الَّذِي قَالُوا مِثَالًا: (العرش) لَهُ مَعْنَى كَذَا وَكَذَا وَكَذَا، نَقُولُ: هَذَا مَعْنَى كُلِّيٍّ، وَلَا يَتَعَيَّنُ الْمَعْنَى إِلَّا بِالسِّيَاقِ.

٢٠٤٩- يَدْعُونَهُ الْكُلِّيَّ وَهُوَ مُعَيَّنٌ فَرُدُّ كَذَا الْمَعْنَى هُمَا سَيَّانِ

يعني: أَنَّ الْمَعْنَى الْكُلِّيَّةَ كُلِّيَّةٌ فِي الْأَذْهَانِ لَا فِي الْخَارِجِ، فَعِنْدَمَا تَكُونُ فِي الْخَارِجِ تَكُونُ مَعْيَنَةً مُشَخَّصَةً فَرْدِيَّةً، كَذَلِكَ يَكُونُ اللَّفْظُ لَهُ مَعْنَى كُلِّيٌّ عَامٌ لَكِنِ عِنْدَمَا تَضَعُهُ فِي مَكَانِهِ يَكُونُ لَهُ مَعْنَى خَاصٌ يَعْيِنُهُ السِّيَاقُ.

٢٠٥٠ - مُتَجَرِّدًا فِي الذَّهْنِ أَوْ فِي خَارِجٍ عَنْ كُلِّ قَيْدٍ لَيْسَ فِي الإِمْكَانِ

يعني: أنه مستحيل، فمستحيل أن تُجَرِّدَ اللفظَ عن المعنى في حال السِّيَاق، مستحيل أن تجرِّد الأعيانَ عن المعنى الكُلِّيِّ إذا كانت في الخارج.

فخلاصةُ كلام المؤلف: أن هؤلاء غلطوا في اللفظ كما غلط الفلاسفة في الأعيان، فجعلوا اللفظَ لا معنى له، وجعلوه محتماً لكل معنى وإن قُيدَ بالسِّيَاق كما أن هؤلاء جعلوا المعنى الكُلِّيَّ ثابتاً في كل جزء وفي كل فرد، فقالوا: يمكن أن يكون الخالق غير موصوفٍ لا بإثبات ولا بنفي، فنقول: هذا شيءٌ غير ممكن.

٢٠٥١ - لَا الذَّهْنَ يُعْقَلُهُ وَلَا هُوَ خَارِجٌ هُوَ كَالْخَيَالِ لِطَيْفِهِ سُكْرَانٍ

قوله: «لِطَيْفِهِ» بالهاء، وهي ليست بواضحة تماماً، ومما لا شك أن الطَيْفَ هُوَ ما يمرُّ بخيال الإنسان وهو لا حقيقة له، قد تمرُّ بتفكير الإنسان أشياء ليست بحقيقة، فهؤلاء الذين فرضوا كلماتٍ ليس لها معنى، أو لها معانٍ متعددة لا تتعین كالذين فرضوا أعياناً ليس لها صفاتٌ، وهذا إنما يقدره الذهن، ولا حقيقة له في الخارج.

٢٠٥٢ - لَكِنْ تَجَرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثَابِتٌ وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ بِإِلَّا إِمْكَانِ

قوله: «تَجَرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ» بماذا؟ الجواب: بالمعنى بالنسبة للكلام، وبالصفة بالنسبة للأعيان، فتجرَّدُهَا الْمُقَيَّدُ ثابتٌ.

قوله: «وَسِوَاهُ مُمْتَنِعٌ» يعني: سوى التجرُّد المقيد ممتنع، لا يوجد أبداً إلا في الذهن كما مرَّ.

٢٠٥٣ - فَتَجَرَّدُ الأَعْيَانِ عَنِ وَصْفٍ وَعَنِ وَضْعٍ وَعَنِ وَقْتٍ لَهَا وَمَكَانٍ

٢٠٥٤- فَرَضَ مِنَ الْأَذْهَانِ يَفْرِضُهُ كَفَرَضِ الْمُسْتَحِيلِ هُمَا لَهَا فَرَضَانِ

وهذا صحيح، يعني: أن توجَدَ عينٌ مجردةٌ عن الوصف، مجردةٌ عن الوضع، لا يشغلها مكانٌ ولا زمانٌ، هَذَا شَيْءٌ مَفْرُوضٌ فَرَضًا، إذ ما من عينٍ إِلَّا ولها وصفٌ، ما من عينٍ إِلَّا وهي مشغولةٌ بزمانٍ أو مكانٍ، وأمَّا ما يفرضه الذهنُ أنه توجَدُ عينٌ لا وصفٌ لها ولا مكانٌ ولا زمانٌ فهذا لا حقيقةً له.

٢٠٥٥- اللَّهُ أَكْبَرُ كَمْ دَهَى مِنْ فَاضِلٍ هَذَا التَّجَرُّدُ مِنْ قَدِيمِ زَمَانٍ!

صحيحٌ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَحْكُمُونَ بِالْمَفْرُوضَاتِ الذَّهْنِيَّةِ عَلَى الْمَوْجُودَاتِ الْعَيْنِيَّةِ، ويقولون: إِنَّ الْإِنْسَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ ذَاتًا لَيْسَ لَهَا صِفَاتٌ، وَأَنْ يَتَصَوَّرَ كَلِمَةً لَيْسَ لَهَا مَعْنَى مُحَدَّدَةٌ، وَكُلُّ هَذِهِ مِنَ الْفَرُوضِ الَّتِي -كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ- أَصَابَتْ الْفَضْلَاءَ بِالذَّوَاهِي.

٢٠٥٦- تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَاظِ عَنْ تَرْكِيبِهَا وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي

قَوْلُهُ: «تَجْرِيدُ ذِي الْأَلْفَاظِ عَنْ تَرْكِيبِهَا» يَعْنِي: أَنَّ تَجْرِيدَ الْكَلِمَاتِ عَنْ تَرْكِيبِهَا، مُسْتَحِيلٌ، فَلَا تُوجَدُ كَلِمَةٌ مُجَرَّدَةٌ عَنْ تَرْكِيبٍ إِلَّا فِيمَنْ يَنْعِقُ لِلْحَيَوَانِ وَالشَّاءِ وَالْبَعْرَانِ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ الْمَعَانِي الثَّانِي» كَذَلِكَ لَا تُوجَدُ عَيْنٌ مُجَرَّدَةٌ مِنَ الْمَعَانِي.

إِذْ لَا بُدَّ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ مَعْنَى وَوَصْفٍ، وَوُجُودِ عَيْنٍ بِلا مَعْنَى وَلَا وَصْفٍ مُسْتَحِيلٌ.

٢٠٥٧- وَالْحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ مَفْرُوضٌ فَلَا تَحْكُمُ عَلَيْهِ فِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «الْحَقُّ أَنَّ كِلَيْهِمَا فِي الذَّهْنِ» الْإِشَارَةُ إِلَى الْأَلْفَاظِ الْمَجْرَدَةِ عَنْ

التركيب، وإلى الأعيان المجردة عن الأوصاف، كلاهما في الذهن مفروض فلا تحكم عليه في الأذهان.

قوله: «في الأذهان» يجب أن تكون متعلقة بقوله: (مفروض)، لا بقوله: (تحكم) يعني: الحق أن كليهما في الذهن مفروض في الأذهان.

وفي نسخة: «فلا تحكم عليه وهو في الأذهان» وهي في المعنى أوضح، لا شك، لكن ينكسر البيت، وفي الثاني يكون فيها تكرار؛ لأننا نقول: (الحق أن كليهما في الذهن مفروض في الأذهان) فيه تكرار، إلا أن يقال: إنه يريد بذلك التوكيد.

على كل حال المعنى: أن تجريد الكلمات من التركيب مستحيل، وتجريد الأعيان من الصفات مستحيل، وأن دعوى تجريد الكلمات كدعوى تجريد الأعيان من الأوصاف.

٢٠٥٨- فَيَقُودَكَ الْخَصْمُ الْمُعَانِدُ بِالَّذِي سَلَّمْتَهُ لِلْحُكْمِ فِي الْأَعْيَانِ

قوله: «فلا تحكم عليه وهو في الأذهان فيقودك الخصم المعاند...» يعني: أن المخاصم كالفلاسفة مثلاً يقول لهؤلاء: كما أنتم تصوّرتهم وجود كلمات مجردة عن التركيب فلتصوّروا أعياناً مجردة عن الأوصاف؛ ولهذا يقول:

٢٠٥٩- فَعَلَيْكَ بِالتَّفْصِيلِ إِنْ هُمْ أَطْلَقُوا أَوْ أَجْمَلُوا فَعَلَيْكَ بِالتَّبَيُّانِ

ولهذا ما أكثر الغلط في الإطلاقات، وما أكثر الغلط في الإجماليات، ودائماً يكون التفصيل هو الذي يبين الحق، ويأتي بالتحصيل؛ ولهذا يقال: (بالتفصيل التحصيل).

فصل

فِي بَيَانِ تَنَاقُضِهِمْ وَعَجْزِهِمْ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ مَا يَجِبُ تَأْوِيلُهُ وَمَا لَا يَجِبُ

- ٢٠٦٠- وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْمُنْقُولِ عَن
 ٢٠٦١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّ
 ٢٠٦٢- قَوْلِ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ
 ٢٠٦٣- فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ كَانَ إِبْ
 ٢٠٦٤- فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمُرُّ نُصُوصُهُمْ
 ٢٠٦٥- يَا لَيْتَهُمْ أَجْرُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ ذَا
 ٢٠٦٦- بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ
 ٢٠٦٧- لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْحَقِّ الَّذِي
 ٢٠٦٨- وَسَطَوْا عَلَى الْوَحْيَيْنِ بِالتَّحْرِيفِ إِذْ
 ٢٠٦٩- فَانظُرْ إِلَى الْأَعْرَافِ ثُمَّ لِيُوسِفِ
 ٢٠٧٠- فَإِذَا مَرَرْتَ بِآلِ عِمْرَانَ فَهَمْ
 ٢٠٧١- وَعَلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبْ
 ٢٠٧٢- وَرَأَيْتَ تَأْوِيلَ النُّفَاةِ مُحَالَفًا
- أَشْيَاخِهِمْ كَتَمَّسِكَ الْعُمَيَّانِ
 نَصَّيْنِ، وَاعْجَبَا مِنَ الْخُذْلَانِ!
 إِذْ قَضَدُهُمْ لِلشَّرْحِ وَالتَّبْيَانِ
 طَالًا لِمَا رَامُوا بِإِلَابِرْهَانَ
 وَعَلَى الْحَقِيقَةِ حَمَلَهَا لِيَبَانَ
 الْمَجْرَى مِنَ الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
 لَفْظِيَّةٌ عَزَلْتُ عَنِ الْإِيقَانِ
 يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانَ
 سَمَّوَهُ تَأْوِيلًا بِوَضْعِ ثَانِي
 وَالْكَهْفِ وَافْتَهَمُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
 تَ الْقَصْدَ فَهَمْ مُوَفِّقِ رَبَّانِي
 سِيْنُ الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي
 لِجَمِيعِ هَذَا لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

- ٢٠٧٣- اللَّفْظُ هُمْ أَنْشَوَالَهُ مَعْنَى بَدَا
 ٢٠٧٤- وَأَتُوا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالْت
 ٢٠٧٥- فَكَسَوَهُ هَذَا اللَّفْظُ تَلْبِيسًا وَتَد
 ٢٠٧٦- فَاسْتَنَّ كُلُّ مَنَافِقٍ وَمُكَدِّبٍ
 ٢٠٧٧- فِي ذَا بَسُنَّتِهِمْ وَسَمَّى جَحْدَهُ
 ٢٠٧٨- وَأَتَى بِتَأْوِيلٍ كَتَأْوِيلَاتِهِمْ
 ٢٠٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَاكُمْ كَمَا أَوْلَيْتُمْ
 ٢٠٨٠- فِي الْكِفْتَيْنِ نَحُطُّ تَأْوِيلَاتِنَا
 ٢٠٨١- هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَا بِأَيْ
 ٢٠٨٢- وَعَدْوْتُمْ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا
 ٢٠٨٣- مِنَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ سُيُوحُكُمْ
 ٢٠٨٤- فَسَلُّوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَفْهِيمٍ
 ٢٠٨٥- مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ؟ وَأَيْنَ أَصُولُهَا؟
 ٢٠٨٦- فَلَايِي شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْ
 ٢٠٨٧- أَنَّ النَّصُوصَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ
 ٢٠٨٨- فَلِذَاكَ حَكَمْنَا الْعُقُولَ وَأَنْتُمْ
- كَ الْإِضْطِلَاحِ وَذَاكَ أَمْرٌ دَانِي
 تَحْرِيفٍ لِلْأَلْفَاظِ بِالْبُهْتَانِ
 لَيْسَا عَلَى الْعُمَيَّانِ وَالْعُورَانِ
 مِنْ بَاطِنِي قِرْمِطِيٍّ جَانِي
 لِلْحَقِّ تَأْوِيلًا بِأَلْفُرْقَانِ
 شِبْرًا بِشِبْرٍ صَارِحًا بِأَذَانِ
 فَاتُّوا نَحَاكِمَكُمْ إِلَى الْوِزَانِ
 وَكَذَاكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوِزَانِ
 سِدِينَا صَرِيحُ الْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ
 أَوْلَيْتُمْ ذَلِكَ مَنْطِقَ الْيُونَانِ؟
 لَا تَجْحَدُونَا مِنَّةَ الْإِحْسَانِ
 وَسَلُّوا الْقَوَاعِدَ رَبَّةَ الْأَرْكَانِ
 وَعَلَى يَدِي مَنْ يَا أَوْلِي النُّكْرَانِ
 تُمْ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ
 لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِبْقَانِ!؟
 أَيْضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

- ٢٠٨٩- فَلَايَ شَيْءٍ قَدَرَمَيْتُمْ بَيْنَنَا
 ٢٠٩٠- الْأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَع
 ٢٠٩١- لَا بِالنُّصُوصِ نَقُولُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
 ٢٠٩٢- فَذَرُوا عَدَاوَتَنَا فِإِنَّ وِرَاءَنَا
 ٢٠٩٣- فَهُمْ عَدُوُّكُمْ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا
 ٢٠٩٤- تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الْأَلَى قَالُوا بِأَنَّ
 ٢٠٩٥- وَإِلَيْهِ يَضَعُدُ قَوْلُنَا وَفِعَالُنَا
 ٢٠٩٦- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 ٢٠٩٧- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَوْ
 ٢٠٩٨- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ كُلِّ آخِرٍ لَيْلَةً
 ٢٠٩٩- لِلْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَذَانِ لِلْ
 ٢١٠٠- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ
 ٢١٠١- أَيْكُونُ ذَلِكَ بِغَيْرِ حَرْفٍ أَمْ بِلَا
 ٢١٠٢- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا حَكَيْنَا عَنْهُمْ
 ٢١٠٣- فَذَرُوا الْحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُلَّنَا
 ٢١٠٤- حَتَّى نَسُوقَهُمْ بِأَجْمَعِنَا إِلَى
- حَرْبِ الْحُرُوبِ وَنَحْنُ كَالْأَخْوَانِ
 زُورٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانِ
 أَيْضًا كَذَلِكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ
 ذَاكَ الْعَدُوَّ الثَّقَلَ ذَا الْأَضْغَانِ
 فَجَمِيعُنَا فِي حَزْبِهِمْ سَيَّانِ
 نَ اللَّهُ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 وَإِلَيْهِ تَرْقَى رُوحُ ذِي الْإِيمَانِ
 وَكَذَا ابْنُ مَرْيَمَ مُضْعَدَ الْأَبْدَانِ
 قَ الْعَرْشِ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانِ
 نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَا هُنَا جِهَتَانِ:
 أَجْسَامِ أَيْنَ اللَّهُ مِنْ هَذَا؟!
 قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَيَا إِخْوَانِي
 صَوْتِ؟! فَهَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
 مِنْ قَبْلِ قَوْلِ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ
 جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمَلَةَ الْفُرْسَانِ
 وَسَطِ الْعَرِينِ مُمَرِّقِي اللَّحْمَانِ

الشرح

يريد المؤلف - رحمه الله - في هذا الفصل بيان تناقض هؤلاء الذين يُنكرون صفات الله، ويثبتون بعضاً منها وينكرون بعضاً، وكذلك تناقض من يثبتون الأسماء دون الصفات، فهم أيضاً متناقضون بلا شك، فيقول المؤلف - رحمه الله -:

٢٠٦٠- وَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ الْمَنْقُولِ عَنْ أَشْيَاخِهِمْ كَتَمَّسِكَ الْعُمَيَّانِ

المنقول عن أشياخهم يتمسكون به تمسكاً قوياً جداً كتمسك الأعمى الذي لا يبصر، والأعمى الذي لا يبصر يتمسك بالشيء وإن كان لا يراه ولا يعرفه، أمّا ظواهر النصوص فلم يتمسكوا بها؛ ولهذا قال:

٢٠٦١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَمَسَّكُوا بِظَوَاهِرِ النَّصِّينِ، وَاعْجَبَا مِنَ الْخُذْلَانِ!

والله هذا الخذلان، أن أقوال شيوخهم يتمسكون بظواهرها، ولا يخرجونها عن ظاهرها، ويرون أنها دالة دلالة يقينية على المراد بها، وأمّا القرآن والسنة وهما النصان فإنهم لا يتمسكون بالظواهر، ويحرفونها.

٢٠٦٢- قَوْلُ الشُّيُوخِ مُحَرَّمٌ تَأْوِيلُهُ إِذْ قَضَدْتُمْ لِلشَّرْحِ وَالتَّبْيَانِ

سبحان الله! يقول: إن قول الشيوخ عندهم محرم تأويله؛ لأنهم يأتون بالكلام يريدون به البيان، وإذا أتى الإنسان بالكلام وهو يريد خلاف ظاهره كان ذلك خلاف البيان، فشيوخنا يريدون البيان، فإذا كانوا يريدون البيان فالواجب أن نحمل كلامهم على ظاهره؛ لأن من أراد البيان لا يمكن أن يريد خلاف الظاهر.

والقرآن والسنة عندهم يُراد بهما خلاف الظاهر، إذن فهي ليست بيانا، البيان قول شيوخهم، والكتاب والسنة ليسا بيان.

٢٠٦٣- فَإِذَا تَأَوَّلْنَا عَلَيْهِمْ كَانَ إِبْطَالًا لِمَا رَأَوْا بِبُرْهَانٍ

يقولون: لو تأولنا كلامَ الشيوخ كان إبطالاً لما قصدوا بلا بُرْهَانٍ، أمَّا الكتابُ والسُّنَّةُ فواجبٌ أن نؤوِّلهما بلا بُرْهَانٍ أيضًا.

٢٠٦٤- فَعَلَى ظَوَاهِرِهَا تَمُرُّ نُصُوصُهُمْ وَعَلَى الْحَقِيقَةِ حَمَلُهَا لِبَيَانٍ

يقولون: إنَّ الواجبَ في كلامِ شيوخنا إمرارها على ظاهريها، ولا نتعرَّض لها بتأويل، وعلى الحقيقة نحملها.

٢٠٦٥- يَا لَيْتَهُمْ أَجْرُوا نُصُوصَ الْوَحْيِ ذَا الْمَجْرَى مِنَ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

يقول: ليتهم أجروا نصوصَ القرآنِ والسُّنَّةِ هَذَا الْمَجْرَى وَأَجْرُوهَا عَلَى ظَاهِرِهَا.

السَّلف كانوا يُجرون نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ على ظاهريها، ومن عباراتهم الشهيرة العميمة قولهم: (أمرُّوها كما جاءتِ بلا كَيْفٍ).

٢٠٦٦- بَلْ عِنْدَهُمْ تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «تِلْكَ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ نُصُوصُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «تِلْكَ النُّصُوصُ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيقَانِ» يعني: لا تدلُّ على اليقين بوجهٍ من الوجوه، بل دلالتها لفظيَّةٌ قابلةٌ للتأويل.

٢٠٦٧- لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْحَقِّ الَّذِي يَبْغِي الدَّلِيلَ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

وهذا كلامُهم، ولا يبعدُ أن الله - سبحانه وتعالى - طبع على قلوبهم؛ لأنهم لم يريدوا الحقَّ، وقد قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

فالإنسان الَّذِي لا يريدُ الحقَّ لا يمكنُ أن يهتديَ بنصوص الكتاب والسُّنَّة، وكيف يصطلي بالنار مَنْ يرى أنها ليست بنار؟! لا يمكنُ، فلا يمكنُ أن ينتفع إنسانُ بالكتاب والسُّنَّةِ إِلَّا مَنْ عَلِمَ أنها حقٌّ، وأنها يدلان على ما يقتضيه ظاهرهما.

٢٠٦٨- وَسَطُوا عَلَى الْوَحِيِّنِ بِالْتَّحْرِيفِ إِذْ سَمَّوْهُ تَأْوِيلًا بِوَضْعِ ثَانِي

سبحان الله! سَطُوا عَلَى الْوَحِيِّنِ بِالْتَّحْرِيفِ، والتحريفُ يعني: صرفُ اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالفُ الظاهر، ولكنهم سَمَّوهُ تَأْوِيلًا، لكن بأيِّ وضع؟ هل هو بالوضع اللغويِّ أو بالوضع الشرعيِّ؟ قال: «بوضع ثاني» أي: من عندهم.

فالتحريفُ الَّذِي سَمَّوهُ تَأْوِيلًا هُوَ في الحقيقة تحريفٌ، لكنهم لَبَسُوا عَلَى العامة وعلى صغار العلم، وقالوا: إنه تأويلٌ، وَهُوَ في الحقيقة تحريفٌ؛ لأنَّ التأويلَ في القرآن والسُّنَّة لا يتعدى معنيين: إمَّا التفسيرُ، وإمَّا الحقيقةُ التي يؤول إليها الأمر؛ ولهذا قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

٢٠٦٩- فَانظُرْ إِلَى الْأَعْرَافِ ثُمَّ لِيُوسِفِ وَالْكَهْفِ وَافْهَمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ إِلَى الْأَعْرَافِ» قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] ما المراد بالتأويل هنا؟

الجواب: الحقيقةُ التي أُخْبِرُوا عنها، وليس المراد بالتأويل هنا التفسير، وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ بمعنى ما ينتظرون، ف(هل) استفهام بمعنى النفي، (وينظرون) بمعنى ينتظرون، أي: ما ينتظرُ هؤلاء إِلَّا وقوعَ ما أُخْبِرُوا به من البعث والجزاء، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ يعني: عاقبته ومآله، وقوله

تعالى: ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [الأعراف: ٥٣] أي: تركوا العمل له ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] هَذَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ لِيُوسُفَ» يعني: ثُمَّ انظر لسورة يوسف، ففيها ذِكْرُ التَّأْوِيلِ، وَهُوَ قَوْلُ يَوْسُفَ لِأَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ ﴿يَتَأَبَّتْ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] ف(تأويل) هنا معناه: وقوعُ الرؤية؛ لأنه قالها بعد أن سجدوا له، هُوَ رَأَى فِي الْمَنَامِ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ سَاجِدِينَ لَهُ، وَلَمَّا قَدِمَ مِصْرَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ رَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ جَمِيعًا سُجَّدًا فَقَالَ: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] يعني: وقوع ما رأيت في المنام.

قَوْلُهُ: «وَالْكَهْفِ» أَيضًا، فِيهَا ذِكْرُ التَّأْوِيلِ، قَالَ الْخَضِرُ لِمُوسَى: ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٨] سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِهِ يَعْنِي: بِوُقُوعِهِ إِذَا وَقَعَ؛ وَلِهَذَا قَالَ فِي آخِرِ الْقِصَّةِ ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٨٢] أَي: وَقُوعِهِ، حِينَ رَأَيْتَهُ بَعِينِكَ.

إِذْنُ التَّأْوِيلِ فِي الْمَوَاضِعِ الثَّلَاثَةِ بِمَعْنَى وَقُوعِ الشَّيْءِ وَمَالِ الشَّيْءِ، وَهَذَا الْمَعْنَى كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] أَي: عَاقِبَةٌ.

٢٠٧٠- فَإِذَا مَرَرْتَ بِآلِ عِمْرَانَ فَهَمْ - تَ الْقَصْدَ فَهَمْ مُوَفِّقِ رَبَّانِي

يعني: بعد هَذَا نَنظُرُ إِلَى آلِ عِمْرَانَ، وَ(آلِ عِمْرَانَ) هِيَ مُعْتَرِكُ الْأَقْوَالِ وَالْخِلَافِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُكَ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ [آل عمران: ٧] أُمُّ الْكِتَابِ يَعْنِي: أَصْلَهُ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَيْهِ الْكِتَابُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُخْرُ مُتَشَبِهَةٌ﴾ [آل عمران: ٧] أَي: تُشَبَّهُهُ عَلَى النَّاسِ، وَليست مُحْكَمَةً، فَالْمُحْكَمَةُ أَي: الْوَاضِحَةُ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْكُلُّ.

فقوله تعالى: ﴿وَأَخْرُ مُتَشَبِهَاتٌ﴾ ينقسمُ الناسُ في هذهِ المتشابهاتِ إلى قسمين: زائغ القلب، وراسخ العلم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْجٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا فَشَبَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي: لا يأخذون بالمُحكّمِ ويحملون المتشابهةَ عليه، بل يأتون بالمتشابهة من القرآن من أجل أن يفتنوا الناسَ، فيأتون بالآيات التي ظاهرها التعارض، ويقولون: انظر هذا القرآنُ متناقضٌ، فيقولون ذلك ﴿أَبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، أي: تحريفه عمّا أراد اللهُ به، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] أي: تأويل المتشابهة.

ما المراد (بتأويله)؟ الجواب: فيه قولان مبيّان على الوقف في الآية، فمن وقف على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهذا وقفٌ أكثرُ السلفِ، قال: المراد بالتأويل: العاقبة والمآل، يعني: لا يعلمُ مآلَ هذا المتشابهة وعاقبته إِلَّا اللهُ.

وأما الراسخون في العلم فلا يعلمون، لكنهم يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِ﴾ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فنؤمنُ بالمستقبلِ كما نؤمنُ بالحاضر، فكُلُّهُ من عند الله، وكُلُّهُ يجبُ الإيمانُ به.

القراءةُ الثانيةُ للسلف: الوصل ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ٧] وعلى هذا الوجه في القراءة يكونُ المرادُ بالتأويل: التفسير، يعني: لا يعلمُ تفسيرَ هذا المتشابهة إِلَّا اللهُ والراسخون في العلم يعلمونه، وهذا أحدُ القولين في المسألة.

قال ابنُ عباس عن نفسه: «أنا من الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويله»^(١)، يعني: تفسيره.

(١) انظر قوله في: تفسير الطبري (٣/١٨٣).

فصار التأويلُ في آية (آل عمران) محتملاً للمأل والعاقبة التي لا يعلمها إلا الله، وللتفسير الذي يعلمه الله والراسخون في العلم.

نتقل الآن إلى إعراب الآية، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمْنًا﴾ [آل عمران: ٧] ما هو محلُّ قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ إذا لم نقف؟ الجواب: الواو حرف عطف، ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ معطوف على لفظ الجلالة وجملة: ﴿يَقُولُونَ﴾ تكون حاليَّة، يعني: وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون، يعني: حال كونهم قائلين: آمنا به.

وعلى قراءة الوقف تكون (الواو) استثنائية، (والراسخون) مبتدأ، وجملة (يقولون) خبراً.

ذكر ابن القيم -رحمه الله- أن التأويل في المواضع الثلاثة: في (الأعراف)، و(يوسف)، و(الكهف)، بمعنى العاقبة والمأل.

وأما التأويل في (آل عمران) يقول: امرر عليه ويتبين لك الأمر، إن وقفنا على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ فالتأويل فيها كالتأويل في (الأعراف)، و(يوسف)، و(الكهف)، وإن وصلنا فالتأويل بمعنى التفسير.

٢٠٧١- وَعَلِمْتَ أَنَّ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ تَبْ سِيْنُ الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي

قوله: «المجاز الثاني» أهل التحريف يقولون: إن التأويل صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، وبه نعرف أن أقسام التأويل ثلاثة:

الأول: تأويل بمعنى التفسير.

الثاني: تأويل بمعنى الحقيقة والمأل.

الثالث: تأويل بمعنى صرف اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، هَذَا المعنى هُوَ المجاز الثاني الَّذِي ذكره المؤلف، لكنَّهُ اصطلاحُ المتأخرين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -^(١): هذا التقسيم هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة لم يتكلم به أحد من الصحابة، ولا التابعين لهم بإحسان، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك والثوري والأوزاعي وأبي حنيفة والشافعي، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل وسيبويه وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم، وأول من عرف أنه تكلم بلفظ (المجاز) أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتابه، ولكن لم يَعْنِ بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة، وإنما عني بمجاز الآية ما يعبر به عن الآية.

وما قاله - رحمه الله - صحيحٌ فإنَّ معنى التأويل المشهور عند كثيرٍ من المتأخرين معنى حادثٌ لم يكن معروفًا من قبل.

٢٠٧٢- وَرَأَيْتَ تَأْوِيلَ النَّفَاةِ مُخَالَفًا لِجَمِيعِ هَذَا لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
لأنَّ تأويلَ النَّفَاةِ معناه تحريفُ الحقيقة، فهو صرفُ اللفظ عن ظاهره إلى معنى يخالفُ الظاهرَ لدليلٍ، والدليلُ عندهم هُوَ العقلُ.

٢٠٧٣- اللَّفْظُ هُمْ أَنَشَأُوا لَهُ مَعْنَى بَدَا كَ الإِصْطِلَاحِ وَذَلِكَ أَمْرٌ دَانِي

قَوْلُهُ: «اللَّفْظُ» يعني: التأويل، هم الذين أنشأوا معناه بهذا الاصطلاح، وَهُوَ صرفُ اللفظ عن ظاهره إلى المعنى المخالف للظاهر، ولكنَّهُ كما قال: «أمرٌ داني» أي: أمرٌ متأخِّرٌ، لا يُعْرَفُ في عهد الصحابة والتابعين.

٢٠٧٤- وَأَتُوا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ وَالتَّحْرِيفِ لِلْأَلْفَاظِ بِالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «وَأَتُوا إِلَى الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ» كَيْفَ أَلْحَدُوا فِيهَا؟ قَالُوا: إِنَّهَا لَا تَدُلُّ
عَلَى الْمَعْنَى، فَ(الرَّحْمَنُ) لَا يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَةِ، بَلْ يَدُلُّ عَلَى الْإِحْسَانِ أَوْ إِرَادَةِ
الْإِحْسَانِ، أَمَا عَلَى رَحْمَةٍ يَكُونُ بِهَا الْإِحْسَانُ وَإِرَادَةُ الْإِحْسَانِ فَلَا، وَهَكَذَا بَقِيَّةُ
الْأَسْمَاءِ الَّتِي لَا يُثْبِتُونَ مِنْهَا الصِّفَاتِ، أَتُوا إِلَيْهَا بِالْإِلْحَادِ.

قَوْلُهُ: «التَّحْرِيفِ لِلْأَلْفَاظِ» يَعْنِي: حَرَّفُوا مَعْنَاهَا إِلَى مَعْنَى يَخَالِفُ ظَاهِرَهَا.

٢٠٧٥- فَكَسَوُهُ هَذَا اللَّفْظَ تَلْبِيسًا وَتَدْ لَيْسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ وَالْعُورَانَ
فَقَوْلُهُ: «هَذَا اللَّفْظُ» يَعْنِي: التَّأْوِيلَ، سَمَّوْا هَذَا التَّحْرِيفَ وَالْإِلْحَادَ سَمَّوَهُ
تَأْوِيلًا وَتَلْبِيسًا وَتَدْلِيسًا عَلَى الْعُمَيَّانِ وَالْعُورَانَ.

الخلاصة أن المؤلف - رحمه الله - يردُّ على الأشاعرة الذين أنكروا ظواهر
النصوص، وحرَّفوها إلى معنى يخالف الظاهر، وأحدثوا للتأويل معنى جديدًا لم
يكن معروفًا من قبل، وهو في الحقيقة عندنا - معشر أهل السنة - تحريفٌ وليس
تأويلًا؛ لأنَّ التأويل بهذا المعنى لم يردِّ في الكتاب ولا في السنة ولا في كلام
السلف.

٢٠٧٦- فَاسْتَنَّ كُلُّ مَنْافِقٍ وَمُكَذِّبٍ مِنْ بَاطِنِي قِرْمِطِيٍّ جَانِي

٢٠٧٧- فِي ذَا بَسْتَنَّتِهِمْ وَسَمَّى جَحْدَهُ لِلْحَقِّ تَأْوِيلًا بِلَا فُرْقَانِ

٢٠٧٨- وَأَتَى بِتَأْوِيلِ كِتَابِ أَوْلِيَاتِهِمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ صَارِخًا بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «اسْتَنَّ» بِمَعْنَى اتَّبَعَ، أَي: اتَّبَعَ هَذَا الطَّرِيقَ - وَهُوَ التَّحْرِيفُ - كُلُّ
مَنْافِقٍ وَمُكَذِّبٍ مِنْ بَاطِنِي قِرْمِطِيٍّ جَانِي.

الباطنية تَقَدَّم لَنَا مَذْهَبُهُمْ، وَهُوَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: كُلُّ مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ فَهُوَ عَلَى الظَّاهِرِ، أَمَّا بَاطِنُ الْأَمْرِ فَلَيْسَ كَذَلِكَ، فَبَاطِنُ الْأَمْرِ لَيْسَ كَمَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ؛ وَهَذَا دِينُهُمْ بَاطِنِيٌّ، لَا يَعْرِفُهُ أَحَدٌ، يَقُولُونَ: لَا تَوْجِدُ جَنَّةً - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَاقِبَةَ - وَلَا نَارَ، وَلَا رَبًّا وَلَا يَوْمًا آخَرَ، لَا يَوْجِدُ شَيْءًا، حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ: وَلَا عِبَادَاتٍ: لَا صَلَاةَ، وَلَا صِيَامَ، وَلَا حَجَّ،...إِلْخ.

نَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ الرَّسَلَ جَاءُوا بِهَذَا، قَالُوا: الرَّسُلُ جَاءُوا يَخَاطِبُونَ الْعَامَّةَ، وَيَذْكُرُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أَجْلِ أَنَّ الْعَامَّةَ تَسْتَقِيمُ عَلَى مَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسُلُ، وَالرَّسُلُ أَيْضًا لَيْسَ لَهُمْ مُرْسَلٌ، لَكِنَّهُمْ قَوْمٌ عَبَاقِرَةٌ أَذْكَيَاءَ، رَأَوْا أَنَّ النَّاسَ لَا يَصْلِحُهُمْ إِلَّا هَذَا الطَّرِيقُ فَسَنُّوا هَذِهِ الطَّرِيقَ، وَأَهَالُوهَا بِهَالَةٍ مِنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَسْتَقِيمَ النَّاسُ.

فَالصَّبِيُّ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَذْهَبَ مَعَكَ إِلَى السُّوقِ، فَقُلْتَ لَهُ: هُنَاكَ ذَنْبٌ، فَإِنَّهُ يَعْدِلُ عَنِ الطَّرِيقِ.

وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَنْكُصَ عَلَى عَقْبِيهِ مِنْ طَرِيقٍ، وَأَنْتَ تُحِبُّ أَنْ يَذْهَبَ مَعَكَ، فَقُلْتَ لَهُ: هُنَاكَ إِنْسَانٌ يُوزَعُ تَفَاحًا، فَإِنَّهُ يَذْهَبُ مَعَكَ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: لَا تَوْجِدُ جَنَّةً وَلَا نَارًا، لَكِنَّ الرَّسَلَ عَبَاقِرَةٌ أَذْكَيَاءَ، قَالُوا لِلنَّاسِ: تَوْجِدُ جَنَّةً، وَتَوْجِدُ نَارًا، الَّذِي يَطِيعُنَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَالَّذِي يَعْصِينَا يَدْخُلُ النَّارَ، هَذَا مَذْهَبُ الْقَرَامِطَةِ وَالبَاطِنِيَّةِ، حَتَّى الصَّلَاةُ لَا يُقَرُّونَ بِهَا، يَقُولُونَ: هَذِهِ الصَّلَاةُ عِبَارَةٌ عَنِ رِيَاضَاتِ بَدَنِيَّةٍ يُؤَمَّرُ بِهَا الْعَامَّةُ دُونَ الْخَاصَّةِ، فَالْحُجُّ إِلَى مَكَّةَ يُؤَمَّرُ بِهِ الْعَوَامُّ دُونَ الْخَوَاصِّ، وَالصُّوْمُ: الْإِمْسَاكُ عَنِ الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ وَالشَّهَوَاتِ يُؤَمَّرُ بِهِ الْعَوَامُّ دُونَ الْخَوَاصِّ.

لكن ما هو حجّ الخواصّ وصيامهم وصلاتهم؟ قالوا: حجّ الخواصّ السفرُ إلى زيارة الأولياء، أي: أوليائهم أولياء الطاغوت، والصلاة: معرفة الأسرار؛ لأنّ الصلاة من الصلة يتّصل الإنسان بالأولياء، ويعرف أسرارهم.

الصيام: كتمان الأسرار؛ لأنّ الصومَ بمعنى الإمساك يعني: يمسك الإنسان، فلا يُخبر عن مذهبه، ولهذا هم باطنيّةٌ، ولا يسمحون لأحدٍ أن يدخل في المذهب إلا بعد أن يمرّ نوه.

وقد ذكر السّفارينيّ في شرح (العقيدة السّفارينيّة) أنّ لهم عشرَ مراتب يصعدّها الإنسان، بل الحقيقة نقول: ما يصعدّها، بل ينزلُ بها مرتبةً مرتبةً حتّى يصل إلى الحضيض، وهو عندهم يصل إلى القمة، وحينئذٍ يدخل.

هؤلاء القرامطة الباطنيّة الملاحدون بأيّ طريق توصلوا إلى هذا؟ الجواب: بالتأويل، قالوا: كلُّ ما جاءت به الرُّسل فهو مجازٌ، والحقيقة كذا وكذا.

هؤلاء الأشاعرة وغيرهم من الذين أنكروا الصّفات قالوا: ما جاءت به الرُّسل من الصّفات فهو مجازٌ، والحقيقة كذا وكذا، خلاف ما جاءت به الرُّسل.

٢٠٧٩- إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوْلَيْتُمْ فَآتُوا نَحَاكِمَكُمْ إِلَى الْوَزَانِ

قوله: «إِنَّا تَأَوَّلْنَا كَمَا أَوْلَيْتُمْ» القائل هنا الباطنيّة حيث يخاطبون الأشاعرة ومن على شاكلتهم، يقولون: إنا تأوّلنا كما أوّلتم فأتوا نحاكمكم إلى الوزان.

٢٠٨٠- فِي الْكِفْتَيْنِ نَحْطُ تَأْوِيلَاتِنَا وَكَذَلِكَ تَأْوِيلَاتِكُمْ بِوِزَانِ

وطلب المحاكمة على هذا الوجه حقٌّ؛ لأنّ هؤلاء أوّلوا في الصّفات، وهؤلاء أوّلوا فيما جاءت به الرُّسل كلّهم.

ويقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : إن تأويل هؤلاء في الصفات أعظم بكثير من تأويل أولئك في المعاد، في الجنة والنار، يقول: لأن إقرار النفوس بما لله تعالى من صفات الكمال أقوى بإقرارها من المعاد، وأيضا نصوص الكتاب والسنة في إثبات الصفات وتقريرها أكثر من نصوص الكتاب والسنة في تقرير المعاد؛ فلهذا كان هؤلاء أشد من أولئك المؤولين، وإن كان أولئك أعظم من وجه.

٢٠٨١- هَذَا وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ أَنَا بِأَيِّ - دِينَا صَرِيحُ الْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ

٢٠٨٢- وَغَدَوْتُمْ فِيهِ تَلَامِيذًا لَنَا أَوْلَيْسَ ذَلِكَ مَنْطِقَ الْيُونَانِ؟

مَنْ الَّذِي أَقْرَرَ بِذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: الْأَشَاعِرَةُ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ بَنَوْا عَقِيدَتَهُمْ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ، وَأَصْلُ عِلْمِ الْكَلَامِ عِلْمُ الْمَنْطِقِ، وَعِلْمُ الْمَنْطِقِ مَتَلَقَى مِنَ الْفَلَسَفَةِ الَّذِينَ مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الْبَاطِنِيَّةُ، فَلِذَلِكَ يُعْتَبَرُ الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِمْ يَعْتَبِرُونَ تَلَامِيذًا لِلْفَلَسَفَةِ.

٢٠٨٣- مِمَّا تَعَلَّمْتُمْ وَنَحْنُ سُيُوكُمْ لَا تَجْحَدُونَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «مِمَّا تَعَلَّمْتُمْ» الَّذِي يَقُولُ ذَلِكَ هُمُ الْقَرَامِطَةُ وَالْبَاطِنِيَّةُ الَّذِينَ بُنِيَ مَذْهَبُهُمْ عَلَى الْفَلَسَفَةِ.

وَقَوْلُهُ: «لَا تَجْحَدُونَا مِنْهُ الْإِحْسَانِ» يَعْنِي: لَا تَجْحَدُونَ مَا مَنَّا بِهِ عَلَيْكُمْ وَأَحْسَنًا بِهِ إِلَيْكُمْ، وَتَعَادُونَا.

وإنما قال ابن القيم هذا؛ لأن الظاهر الآن أنك لو أتيت إلى الأشاعرة أو المعتزلة لوجدتهم يكفرون هؤلاء الباطنية وينكرون عليهم إنكاراً عظيماً، لكن في الحقيقة أصولهم متشابهة أو متقاربة كما سيبيئه المؤلف.

٢٠٨٤- فَسَلُّوا مَبَاحِثَكُمْ سُؤَالَ تَفَهُّمٍ وَسَلُّوا الْقَوَاعِدَ رَبَّةَ الْأَرْكَانِ

٢٠٨٥- مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ؟ وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟ وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أَوْلِي النُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ أَيْنَ جَاءَتْكُمْ» الجواب: من عند الفلاسفة؛ لأنَّ علمَ الكلامِ مَبْنِيٌّ عَلَى علمِ المنطق، فهي جاءت منهم.

قَوْلُهُ: «وَأَيْنَ أُصُولُهَا؟ وَعَلَى يَدَيْ مَنْ يَا أَوْلِي النُّكْرَانِ؟» تأخذون مِنَّا الْأُصُولَ والقواعدَ وتبنون عليها عقيدتكم في الله، ثُمَّ بعد ذلك تُكْفِّرُونَنَا، وتقولون: أَنْتُمْ كُفَّارٌ.

٢٠٨٦- فَلِأَيِّ شَيْءٍ نَحْنُ كُفَّارٌ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ وَنَحْنُ مُتَّفِقَانِ

٢٠٨٧- أَنْ النَّصُوصَ أَدِلَّةً لَفِظِيَّةً لَمْ تُفْضِ قَطُّ بِنَا إِلَى إِيقَانٍ؟!

هذا تناقض، ولا شكَّ أَنَّ هَذِهِ حُجَّةٌ لِلْفَلَّاسِفَةِ وَمَنْ عَلَى شاكلتهم عَلَى الْأَشَاعِرَةِ. لكن الحقيقة أَنَّ الْأَشَاعِرَةَ أَجَابُوهُمْ بِجَوَابٍ حَقٌّ قَالُوا: نحن نعلمُ أَنَّ الرُّسُلَ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْإِلَهِ وَإِثْبَاتِ الْمَعَادِ وَإِثْبَاتِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وقد علمنا أَنَّ الشُّبُهَةَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ بَاطِلَةٌ، فثبت بالدَّلِيلِ السَّالِمِ عَنِ الْمَعَارِضِ، وَإِذَا ثبت بالدَّلِيلِ السَّالِمِ عَنِ الْمَعَارِضِ فوجب القولُ به.

هذه حُجَّةٌ يَدْفَعُ بِهَا الْأَشَاعِرَةُ وَالْمَعْتَزِلَةُ وَشِبْهَهُمْ مَذْهَبَ الْقَرَامِطَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَأَشْبَاهِهِمْ.

يقولون: أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمُ الْبَعْثَ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ وَالرَّبَّ وَالرُّسُلَ، وَقُلْتُمْ: هُوَ لَا عِبَاقِرَةَ، جَاءُوا لِإِصْلَاحِ النَّاسِ عَلَى زَعْمِهِمْ، وَلَكِنَّ هَذَا لَيْسَ بِصَحِيحٍ؛ لِأَنَّنا علمنا أَنَّ هَذَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ وَثبت به الْحُجَّةُ، وقد علمنا الشُّبُهَةَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ، إِذْ

لا توجد شبهة تمنع، فالذي خلق الخلق هو الله، والذي يعيده هو الله، فإذا ثبت بالدليل وانتفى المعارض وجب القول به.

أهل السنة والجماعة قالوا: هذا دليل جيد، ونحن نوافقكم على هذا الدليل ونردُّ به قول الفلاسفة، لكننا نحتجُّ به عليكم؛ لأنَّ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ قد ثبتت بالدليل السالم عن المعارض الصحيح؛ لأنه لا معارض لأدلة الصفات إلا ما زعمتم أنه أدلة عقلية وهي وهمية، فوجب القول بثبوتها.

فاحتجَّ أهل السنة على الأشاعرة والمعتزلة بما احتجَّ به الأشاعرة والمعتزلة على الفلاسفة والقرامطة، وهذا هو الحق.

٢٠٨٨- فَلِذَاكَ حَكَمْنَا الْعُقُولَ وَأَنْتُمْ أَيضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

سبحان الله! القرامطة والباطنية يقولون: نحن نُحكِّمُ العقل، والمعتزلة والأشاعرة يقولون: نحن أَيضًا نُحكِّمُ العقل، فيقول: ما دمنا نحن وأنتم نرجعُ إلى العقل، ونقول: إِنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ أدلةٌ لفظيةٌ غيرُ قابلةٍ للإيقان، فلماذا تعادوننا؟ نحن إخوان، ومصطلحان.

٢٠٨٩- فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا حَرْبَ الْحُرُوبِ وَنَحْنُ كَالْأَخْوَانِ

قوله: «فَلِأَيِّ شَيْءٍ قَدْ رَمَيْتُمْ بَيْنَنَا حَرْبَ الْحُرُوبِ» أو البسوس، وهي حربٌ معروفةٌ في الجاهلية، ونحن كالأخوان.

٢٠٩٠- الْأَصْلُ مَعْقُولٌ وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَعٌ - زُولٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنُونَانِ

٢٠٩١- لَا بِالنُّصُوصِ نَقُولُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ أَيضًا كَذَاكَ فَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ

قوله: «الْأَصْلُ مَعْقُولٌ» الأصل المشترك بيننا وبينكم هو العقل، يعني: هو المعقول.

قَوْلُهُ: «وَلَفْظُ الْوَحْيِ مَعزُولٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانٍ» سبحان الله! لفظُ الوحي معزولٌ عن اليقين؛ لأنَّ النصوصَ في القرآنِ والسُّنَّةِ عندهم ظواهرٌ لفظيةٌ لا تفيدُ اليقينَ، والعقلُ هو الَّذي يفيدُ اليقينَ.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ صِنَوَانٍ» الصنوان: هما الغصنان في أصلٍ واحد.

٢٠٩٢- فَذَرُوا عَدَاوَتَنَا فَإِنَّ وِرَاءَنَا ذَاكَ الْعَدُوَّ الثَّقَلَ ذَا الْأَضْغَانَ
يعني: لنا عدوٌّ ثالثٌ، فدعونا -جميعاً- يُقَوِّي بعضنا بعضاً عليه من أجل أن نقضي عليه.

٢٠٩٣- فَهُمْ عَدُوُّكُمْ وَهُمْ أَعْدَاؤُنَا فَجَمِيعُنَا فِي حَرْبِهِمْ سِيَّانٍ
مَنْ هَذَا الْعَدُوُّ؟ الجوابُ: هم أهلُ السُّنَّةِ؛ ولذا قال: (تلك المجسمة...).

لَمَّا ذَكَرَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ- الْمِصَارِعَةَ وَالْمِجَادَلَةَ بَيْنَ الْمُتَأَوِّلِينَ فِي صِفَاتِ اللهِ وَالْمُتَأَوِّلِينَ فِي نِصُوصِ الْمَعَادِ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ دَعَتِ الْأُخْرَى إِلَى الْمِصَالِحَةِ وَالْأَسْيَا الَّذِينَ تَأَوَّلُوا فِي الْمَعَادِ؛ لِأَنَّ الَّذِينَ تَأَوَّلُوا فِي الصِّفَاتِ شَنُّوا عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ، وَقَالُوا: إِنَّكُمْ كُفَّارٌ.

فَدَعَاهُمْ هُوَ لَاءٌ إِلَى الْمَسَالِمَةِ، وَقَالُوا: إِنَّنَا أُخْوَانٌ، وَإِنَّا مُصْطَلِحَانُ، فَلَنَكُنْ عَلَى عَدُوَّتِنَا الْمَشْرُوكِ وَهُمْ الْمُجَسِّمَةُ، فَقَالَ:

٢٠٩٤- تِلْكَ الْمُجَسِّمَةُ الْأُلَى قَالُوا بِأَنَّ نَ اللهُ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

الَّذِينَ يُعْطَلُونَ اللهُ مِنْ صِفَاتِهِ يُسَمُّونَ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ صِفَةً يَسْمُونَهُ مُجَسِّمًا؛ وَهَذَا مِنْ أَجْلِ أَنْ يَشُوهُوا طَرِيقَهُمْ عِنْدَ الْعَامَةِ حَتَّى لَا يَسْلُكُوا طَرِيقَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا قَالُوا: (مُجَسِّمَةُ)، قَالُوا: إِذَنْ هُمْ يَعْبُدُونَ جِسْمًا، وَالَّذِي يَعْبُدُ جِسْمًا يَعْبُدُ صِنْمًا،

لا فرق بين معبوده وبين اللات والعزى.

فيشوهون سمعتهم بهذه الألقاب السيئة، وسموهم حشوية من حاشية المتاع، يعني: ليسوا بشيء، وسموهم نوابت، والنوابت هي التي تكون في الزرع، لا تنفع، وتفسد الزرع.

وهذه الألقاب السيئة قد ورثوها من أئمتهم أعداء الرسل الذين قالوا للرسل: إنهم سحرة مجانين، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذريات: ٥٢]. هؤلاء يُسمون أهل السنة الذين يُثبتون الصفات بالمجسمة.

قوله: «فالألى قالوا» «الألى» يعني: الذين قالوا، كما قال ابن مالك - رحمه الله -^(١):

جَمْعُ الَّذِي (الألى)

ف(الألى) بمعنى الذين، ومنه قول الشاعر^(٢):

وَتُبْلِي الألى يَسْتَلْتُمُونَ عَلَى الألى تَرَاهُنَّ يَوْمَ الرَّوْعِ كَالْحِدَاءِ الْقُبْلِ

فقوله: «فالألى يستلتمون» يعني: الذين يستلتمون، ومعنى «يستلتمون» أي

يلبسون لامة الحرب.

وقوله: (على الألى تراهن) (الألى) الثانية بمعنى اللائي، يعني: على الخيل

اللائي تراهن يوم الحرب كالحدا القبل، والحدا جمع حداة، (القبل) يعني: التي تنظر من جانب واحد فتقصر على الفريسة.

(١) انظر: شرح ابن عقيل (١/١٤١).

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي، كما في خزنة الأدب (١١/٢٤٩).

٢٠٩٥- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ قَوْلُنَا وَفِعَالُنَا وَإِلَيْهِ تَرْقَى رُوحُ ذِي الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَيْهِ يَصْعَدُ» و«ترقى» ولا يكون مثل هَذَا التعبير إِلَّا فِيهَا هُوَ فَوْقَ.

٢٠٩٦- وَإِلَيْهِ قَدْ عَرَجَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً وَكَذَا ابْنُ مَرْيَمَ مُصْعَدَ الْأَبْدَانِ

عرج الرسول حقيقةً إِلَى الله ببدنه؛ ولهذا قال: (مصعد الأبدان).

وعرج ابن مريم إِلَى الله حقيقةً ببدنه، وليس بروحه كما ادَّعاه بعض المتأخرين، وقالوا: إِنَّ عيسى لم يُرْفَع ببدنه، وإنه لا ينزل إِلَى الدنيا في آخر الزمان، ولكن هَذَا قولٌ باطلٌ مخالفٌ للقرآن والسنة وإجماع السلف، بل إِنَّ ابن مريم رفعه الله إِلَيْهِ ببدنه لا بروحه؛ لأنَّ الأرواح لا يختصُّ بها ابن مريم، فكلُّ مؤمنٍ فَإِنَّ رُوحَهُ تُرْفَعُ إِلَى الله.

والنبيّ -عليه الصلاة والسلام- كذلك عرج إِلَى الله ببدنه، عرج فوق سبع سموات حتّى وصل إِلَى مكانٍ سَمِعَ فِيهِ صرِيفَ الأَقْلَامِ: أقلام القضاء، فوصل إِلَى سدرة المنتهى، وصعد هَذِهِ السَّمَوَاتِ العَظِيمَةَ الواسِعَةَ البعيدةَ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ، صعدَهَا وَرَجَعَ إِلَيْهَا، وَحَصَلَ مِنْهُ صَلَاةٌ بِالأَنْبِيَاءِ وَسَلَامٌ عَلَى الأنبياء، وكذلك أيضًا حصل مراجعةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي فِرَاسِ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، كُلُّ هَذَا فِي لَيْلَةٍ.

وجاء إِلَى مَكَّةَ مِنْ بَيْتِ المَقْدِسِ فِي لَيْلَتِهِ، وَاسْتَقْبَلَ مِنْ يَوْمِهِ، وَصَارَ يُحَدِّثُ النَّاسَ بِمَا رَأَى، فَكَذَّبَهُ المَكْذُوبُونَ، وَأَنْكَرُوا، وَقَالُوا: نَحْنُ نَذْهَبُ إِلَى الشَّامِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَنَرْجِعُ مِنَ الشَّامِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَمُحَمَّدٌ يَدَّعِي أَنَّهُ وَصَلَ الشَّامَ وَوَصَلَ إِلَى العَرْشِ فِي لَيْلَةٍ، هَذَا كَذِبٌ، فَاجْتَمَعُوا عِنْدَهُ وَكَذَّبُوهُ، وَذَهَبُوا إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَقَالُوا: إِنَّ صَاحِبَكَ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَانظُرْ مَاذَا أَفْكَ؟ فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنْ كَانَ قَدْ قَالَ

ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ» فمن ذلك اليوم سُمِّي الصِّدِّيقُ (١).

فالحاصل أن الرسول ﷺ عُرِجَ بیدنه، وأما قول مَنْ قال: إنه عُرِجَ بروحه فهو قولٌ باطلٌ؛ لأنَّ الله يقول: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] فقال: ﴿بِعَبْدِهِ﴾ ولم يقل: (بروح عبده)، وقال في المعراج في سورة النجم: ﴿مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [النجم: ١٧-١٨] رأى بنفسه، ولو كان قد عُرِجَ بروحه لم تكن قريشٌ لتكذِّبه؛ لأنَّ قريشًا لا تُكذِّبُ بالرُّؤْيَا، فكلُّ إنسانٍ يرى ما لا يمكنُ في ليلةٍ ولا في شهرٍ، ويراه في منامه في ساعة، فلو كان منامًا ما كذَّبه قريشٌ.

المهم أن هؤلاء المعطلة الذين عطَّلوا الله عن صفاته، والذين عطَّلوا نصوصَ المعاد عن معانيها، سوَّوا هجومًا على ما يقول أهل السنة (المجسِّمة).

٢٠٩٧- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَالُوا»: الضميرُ يعودُ على أهل السنة الذين سبَّاهم هؤلاء مجسِّمة.

قَوْلُهُ: «إِنَّهُ بِالذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ» هو - سبحانه وتعالى - فوق العرشِ بذاته، وإنما قالوا: (فوق العرشِ بذاته) ردًّا لمن قالوا: إنه لم يكن فوق العرشِ بذاته، ولكنَّه فوق العرشِ بنوعه، كما يُقال: (الذهبُ فوقَ الفضةِ)، لكن قالوا: (بذاته) ردًّا عليهم، وإلَّا فلا حاجة أن يُقال: (بذاته)؛ لأنَّ كُلَّ فعلٍ أضافه الله إلى نفسه فهو إليه ذاته، فقوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] لا حاجة إلى أن

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣/ ٦٥، رقم ٤٤٠٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

نقول: (بذاته)، فهو خلقها نفسه، وهَكَذَا جميع ما أُضِيفَ إِلَى الله فهو يُضَافُ إليه نفسه.

قَوْلُهُ: «قُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكَانٍ» هم قالوا: (اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) أي: مَلَكَ الْعَرْشَ وَقَهَرَهُ، فقال ابنُ الْقَيْمِ: قُدْرَتُهُ لا تَخْتَصُّ بِالْعَرْشِ، بل قُدْرَتُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وليست عَلَى الْعَرْشِ فقط.

٢٠٩٨- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ كُلُّ آخِرِ لَيْلَةٍ نَحْوَ السَّمَاءِ فَهَذَا هُنَا جِهَتَانِ:

٢٠٩٩- لِلْإِبْتِدَاءِ وَالْإِنْتِهَاءِ وَذَانِ لِلْأَجْسَامِ أَيْنَ اللهُ مِنْ هَذَا؟!

يعني: قالوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُجَسِّمَةَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللهَ يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ، يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَى ثَلَاثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ.

قَوْلُهُ: «فَهَذَا هُنَا جِهَتَانِ»: جهة للابتداء من نصف الليل، وجهة للانتهاء إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ.

قَوْلُهُ: «وَذَانِ لِلْأَجْسَامِ» يعني: لا يمكن أن يكون نزولٌ وطلوعٌ مؤقتٌ بوقتٍ إِلَّا لِلْأَجْسَامِ.

قَوْلُهُ: «أَيْنَ اللهُ مِنْ هَذَا؟!» قائل ذلك هم المعطلة، يقولون: أين الله أن يكون جسمًا؟ أن يكون له ابتداءٌ بنزوله وابتداءٌ في انتهاء النزول؟

٢١٠٠- وَكَذَلِكَ قَالُوا: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ قَامَ الْكَلَامُ بِهِ فَيَا إِخْوَانِي

٢١٠١- أَيْكُونُ ذَاكَ بِغَيْرِ حَرْفٍ أَمْ بِلَا صَوْتٍ؟! فَهَذَا لَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

هذا أيضًا مما شنعوا به على أهل السنة قالوا: إِنَّ اللهَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ قَامَ بِذَاتِهِ، فهل يمكنُ كَلَامٌ بِلا حَرْفٍ ولا صوتٍ؟!!

الجواب: لا، إذن تقوم به الحروف والأصوات، فيكون حادثاً؛ لأن الحوادث لا تقوم إلا بحادث، نسأل الله العافية.

٢١٠٢- وَكَذَلِكَ قَالُوا مَا حَكَيْنَا عَنْهُمْ مِنْ قَبْلِ قَوْلِ مُشَبِّهِ الرَّحْمَنِ
يعني: قالوا أيضاً سوى هذا من كل ما يدل على التشبيه، وهذا لا شك أنه رمي بالبهتان لأهل السنة والجماعة.

٢١٠٣- فَذَرُوا الْحِرَابَ لَنَا وَشُدُّوا كُنُفَنَا جَمْعًا عَلَيْهِمْ حَمَلَةَ الْفُرْسَانَ

٢١٠٤- حَتَّى نَسُوقَهُمْ بِأَجْمَعِنَا إِلَى وَسَطِ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ
قوله: «نَسُوقُهُمْ» أي: نسوق أهل السنة.

«إِلَى وَسَطِ الْعَرِينِ» أي: مقر الأسد.

قوله: «مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ» يعني: أن الأسود تأكلهم وتمزقهم، ولكن هل يحصل لهم هذا؟ الجواب: لا، ما يحصل؛ ولهذا هم أقرؤا، فقالوا: (ولقد كَوُونَا بالنصوص... إلخ).

يعني: أعاننا الله عليهم، يقول: اجعلونا جميعاً، ونشئ عليهم الغارة جميعاً من أجل أن نقضي عليهم.

ولكننا نقول: والله لن يقضوا على الحق بباطلهم؛ لأن الله يقول: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الانبياء: ١٨].

- ٢١٠٥ - فَلَقَدْ كَوَوْنَا بِالْتُّصُوصِ وَمَا لَنَا
بِلِقَائِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ
- ٢١٠٦ - كَمْ ذَا بَقَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
مَنْ فَوْقَ أَعْنَاقِ لَنَا وَبَنَانِ!
- ٢١٠٧ - إِنْ نَحْنُ قُلْنَا: قَالَ آرِسْطُو الْمُعَدِّ
سَلِمٌ أَوْ لَا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي
- ٢١٠٨ - وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا
أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التَّبِيَانِ
- ٢١٠٩ - قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ: وَقَالَ فِي الْأُ
قُرْآنٍ: كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ؟
- ٢١١٠ - وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيْضًا بِهِ—
ذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرِيَانِ
- ٢١١١ - إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالْعُقُولِ أَتَوْكُمْ
بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٢١١٢ - فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا
حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سَلْمَانِ
- ٢١١٣ - فَإِذَا فَرَعْنَا مِنْهُمْ فَخِلَافُنَا
سَهْلٌ فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَحْوَانِ
- ٢١١٤ - فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ
مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلَا كِتْمَانِ
- ٢١١٥ - مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي
لَا شَيْءٌ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَذْهَانِ
- ٢١١٦ - مَا اللَّهُ مُوجُودًا هُنَاكَ وَإِنَّمَا الْ—
عَدَمُ الْمُحَقَّقُ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٢١١٧ - وَاللَّهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً
بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيَصَانِ
- ٢١١٨ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا
وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ الْعِرْفَانِ
- ٢١١٩ - وَكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التَّ—
تَوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
- ٢١٢٠ - لَيْسَتْ كَلَامَ اللَّهِ بَلْ فَيُضُّ مِنَ الْ—
فَعَالِ أَوْ خَلَقَ مِنَ الْأَكْوَانِ

- ٢١٢١- فَلَا أَرْضَ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ وَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِلْخَلْقِ مِنْ دِيَانِ
 ٢١٢٢- بَشْرٌ أَتَى بِالْوَحْيِ وَهُوَ كَلَامُهُ فِي ذَاكَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ مِثْلَانِ

الشرح

٢١٠٥- فَلَقَدْ كَوَوْنَا بِالنُّصُوصِ وَمَا لَنَا بِلِقَائِهَا أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

قَوْلُهُ: «كَوَوْنَا» يعني: أذاقونا حرَّ النصوص، فلم نستطع أن نتخلص.

قَوْلُهُ: «وَمَا لَنَا... يَدَانِ» يعني: مالنا فيها قوة؛ لَأَنَّ الْكُلَّ يَقْبَلُ النُّصُوصَ، حَتَّى الْعَامَّةُ يَقْبَلُونَهَا، فَإِذَا قِيلَ لَهُمْ: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ تَوَقَّفُوا، وَأَخَذُوا بِهَا.

٢١٠٦- كَمْ ذَا بَقَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِ لَنَا وَبَنَانِ!

يعني: ما أكثر ما يُقَالُ: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ رَسُولُهُ مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِنَا وَبَنَانِنَا، وَإِنَّمَا قَالَ: «مِنْ فَوْقِ أَعْنَاقِ لَنَا وَبَنَانِ» تَشْبِيهًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] يعني: أَنْ هَذَا الْقَوْلُ مَنَّا بِمَنْزِلَةِ مَا فَعَلَتْ الْمَلَائِكَةُ بِالْكَفَّارِ يَوْمَ بَدْرٍ.

٢١٠٧- إِنْ نَحْنُ قُلْنَا: قَالَ أَرِسْطُو الْمُعَدِّ لِمَ أَوْلَا أَوْ قَالَ ذَاكَ الثَّانِي

يعني: إِنَّمَا نَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ هَذَا قَوْلُ (أَرِسْطُو)، وَيَسْمُونَهُ الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ، لَكِنَّهُ مُعَلِّمُ الشَّرِّ وَالْفُسَادِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ فَعَلِيهِ وَزُرْهَا وَوَزُرْ مَنْ عَمِلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

أَمَّا الْمُعَلِّمُ الثَّانِي فَهُوَ (الْفَارَابِيُّ)، فَ(الْفَارَابِيُّ) أَيْضًا مِنْ أَسَاطِينِ الْفَلَسْفَةِ، فَقَوْلُهُ: (الثَّانِي) أَي: (الْفَارَابِيُّ).

٢١٠٨ - وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا: ابْنُ سِينَا قَالَ ذَا» «ابْنُ سِينَا» يُسَمَّى الرَّئِيسَ عِنْدَهُمْ، وَقَدْ صَرَّحَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَابْنُ الْقَيْمِ بِأَنَّ الرَّجُلَ كَافِرٌ، وَهُوَ عِنْدَ الْمُتَأَخِّرِينَ الْقَوْمِيَّينَ مُؤْمِنٌ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَابْنِ الْقَيْمِ مُؤْمِنٌ بِالطَّاعُوتِ كَافِرٌ بِاللَّهِ؛ وَهَذَا لَا يَجُوزُ أَنْ يُجَجَلَ أَوْ يَعْظَمَ أَوْ تُنْسَبَ الْمَدَارِسُ إِلَيْهِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يَفْعَلُ هَذَا إِلَّا رَجُلٌ جَاهِلٌ.

قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَهُ الرَّازِيُّ ذُو التَّبْيَانِ» أَيْضًا «الرَّازِيُّ»^(١) مِنْ أَسَاطِينِهِمْ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ، رَجُلٌ طَيِّبٌ، وَلَا أَظُنُّهُ (الرَّازِيَّ) الَّذِي لَهُ التَّفْسِيرُ الْمَشْهُورُ الَّذِي يُلَقَّبُ (فَخِرَ الدِّينِ)، لَا أَظُنُّهُ هَذَا.

٢١٠٩ - قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ: وَقَالَ فِي الْا قُرْآنٍ: كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ؟

قَالَ: إِذَا قُلْنَا: قَالَ أَرَسَطُو، الْفَارَابِيُّ، ابْنُ سِينَا، قَالُوا لَنَا: قَالَ الرَّسُولُ، وَقَالَ فِي الْقُرْآنِ، اللَّهُ أَكْبَرُ، مَا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ؟ عَظِيمٌ؛ وَهَذَا قَالَ: (كَيْفَ الدَّفْعُ لِلْقُرْآنِ)؟ إِذَا قَالُوا: قَالَ اللَّهُ وَقَالَ الرَّسُولُ، كَيْفَ نَدْفَعُ هَذَا؟

٢١١٠ - وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ مِنْهُمْ أَيْضًا بِهِ - لَذَا الْمَنْزِلِ الضَّنْكِ الَّذِي تَرَبَّانِ

قَوْلُهُ: «أَنْتُمْ» يَخَاطَبُونَ الْأَشَاعِرَةَ وَأَشْبَاهَهُمْ مِمَّنْ نَفَوْا الصِّفَاتِ، يَقُولُونَ: إِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ: دَلَّ الْعَقْلُ عَلَى كَذَا، قَالُوا: دَلَّ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ عَلَى كَذَا، فَهَذَا مَعْتَرِكُ ضَنْكُ.

(١) هو أبو بكر محمد بن زكريا الرازي الطبيب، صاحب التصانيف، من أذكى أهل زمانه، وكان كثير الأسفار، وافر الحرمة، صاحب مروءة وإيثار ورأفة بالمرضى، وكان واسع المعرفة، مُكِبًّا على الاشتغال، مليح التأليف، توفي ببغداد، سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٤/٣٥٤).

٢١١١- **إِنْ جِئْتُمُوهُمْ بِالْعُقُولِ أَتَوَكُّمُ بِالنَّصِّ مِنْ أَثَرِ وَمِنْ قُرْآنٍ**
 ونحن أيضًا إذا جئناهم بكلام أرسطو، والفارابي، وابن سينا، أتونا بالقرآن.
إِذَنْ أَنْتُمْ تَسْتَدِلُّونَ بِالْعَقْلِ فَيَدْمَغُونَكُمْ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، نَحْنُ نَسْتَدِلُّ
 بأرسطو وأشباهه، ويأتوننا بالكتاب والسنة، فصاروا عدوًا لنا جميعًا.
 انظر صاروا عدوًا لهؤلاء وهؤلاء.

٢١١٢- **فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا حَرْبٌ وَنَحْنُ وَأَنْتُمْ سَلْمَانٍ**
قَوْلُهُ: «فَتَحَالَفُوا إِنَّا عَلَيْهِمْ كُنَّا حَرْبٌ» أَي: لِنَجْرِ حِلْفًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنَّنَا
 حربٌ عليهم، وأننا فيما بيننا سلمان.

٢١١٣- **فَإِذَا فَرَّغْنَا مِنْهُمْ فَخِلَافُنَا سَهْلٌ فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ أَخْوَانٍ**
 يعني: دعونا نقضي عليهم جميعًا، وإذا انتهينا فالخلاف بيننا وبينكم سهل.

٢١١٤- **فَالْعَرْشُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ مَا فَوْقَهُ أَحَدٌ بِلَا كِتْمَانٍ**
 لأن المعتزلة والأشاعرة وأشباههم يُنكرون استواء الله على العرش، ويقولون:
 أبدًا، ليس الله فوق العرش، ما فوق العرش أحد، والفلاسفة كذلك؛ لأن
 الفلاسفة يُنكرون الله رأسًا.

٢١١٥- **مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ سِوَى الْعَدَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ وَالْأَذْهَانِ**

٢١١٦- **مَا اللَّهُ مُوجُودًا هُنَاكَ وَإِنَّمَا الـ**
عَدَمُ الْمُحَقَّقُ فَوْقَ ذِي الْأَكْوَانِ

٢١١٧- **وَاللَّهُ مَعْدُومٌ هُنَاكَ حَقِيقَةً**
بِالذَّاتِ عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيَصَانِ

قَوْلُهُ: «عَكْسَ مَقَالَةِ الدِّيَصَانِ» الدِّيَصَانُ: أُمَّةٌ ضَالَّةٌ شَبَّهُوا بِهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ.

أهل السُّنَّة يقولون: نحن نقول: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ موجودٌ فوق العرش، وهم يقولون: ليس موجودًا فوق العرش، ما فوقه أحد؛ لأنَّ الأشاعرةَ والمعتزلةَ ينكرون استواءَ الله على العرش، والفلاسفة ينكرون وجودَ الله أصلًا.

إذْ نَ ليس فوق العرشِ أحدٌ على رأي هؤلاء وعلى رأي هؤلاء.

٢١١٨- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَحَقِيقَةُ العِرْفَانِ
فإذن نحن وأنتم سواء.

٢١١٩- وَكَذَا جَمَاعَتُنَا عَلَى التَّحْقِيقِ فِي التَّ- تَوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ

٢١٢٠- لَيْسَتْ كَلَامَ اللَّهِ بَلْ فَيُضُّ مِنَ ال- فَعَّالٍ أَوْ خَلْقٍ مِنَ الْأَكْوَانِ

يعني: ونحن أيضًا متفقون معكم على أن التوراة التي أنزلها الله على موسى، والإنجيل على عيسى، والفرقان على محمد -عليهم الصلاة والسلام- ليست كلام الله.

المعتزلة يقولون: القرآن ليس كلام الله بالمعنى الذي يريدُه أهل السُّنَّة.

الأشاعرة يقولون: هَذَا الْقُرْآنُ لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ.

الفلاسفة أيضًا يقولون: ليس كلام الله؛ لأنه لا إله، لكن يوجد عقل فعَّالٌ يُدَبِّرُ الكونَ وليس هُوَ الله، وهذا الكلامُ كلامُهم؛ ولهذا يقول: (ليست كلام الله بل فيضٌ من الفعَّالِ)، (هذا مذهب الفلاسفة)، (أو خلقٌ من الأكوان) وهذا مذهب المعتزلة والأشاعرة.

الفلاسفة يقولون: هَذَا الكَلَامُ فَيُضُّ مِنَ العَقْلِ الفَعَّالِ يُفِيضُهُ هَذَا العَقْلُ عَلَى بَشَرٍ قَابِلٍ لَهُ فَيَتَكَيَّفُ بِكَيْفِيَّةِ هَذَا النُّورِ الَّذِي أَلْقَاهُ عَلَيْهِ العَقْلُ الفَعَّالُ ثُمَّ يَنْطِقُ بِالكَلَامِ.

الأشاعرةُ والمعتزلةُ يقولون: هَذَا الكَلَامُ المَسْمُوعُ المَكْتُوبُ لَيْسَ كَلَامَ اللهِ،
لِمَاذَا؟ المعتزلة يقولون: هُوَ خَلَقَ خَلَقَهُ اللهُ مِثْلَمَا يَخْلُقُ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ، لَكِنْ أَضَافَهُ
إِلَى نَفْسِهِ مِنْ بَابِ التَّشْرِيفِ.

وَالأشاعرةُ يقولون: كَلَامُ اللهِ هُوَ المَعْنَى القَائِمُ بِنَفْسِهِ، وَخَلَقَ أَصْوَاتًا تَدُلُّ
عَلَيْهِ وَتُعَبِّرُ عَنْهُ.

فَإِذَنْ هَذَا القُرْآنُ - عَلَى كِلَا القَوْلَيْنِ - مَخْلُوقٌ؛ وَهَذَا يَقُولُ: (أَوْ خَلَقَ مِنْ
الأَكْوَانِ).

٢١٢١ - فَالأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ وَلَا فَوْقَ السَّمَاءِ لِلخَلْقِ مِنْ دِيَانِ
٢١٢٢ - بَشَرٌ أَتَى بِالْوَحْيِ وَهُوَ كَلَامُهُ فِي ذَاكَ نَحْنُ وَأَنْتُمْ مِثْلَانِ
قَوْلُهُ: «الأَرْضُ مَا فِيهَا لَهُ قَوْلٌ» لِأَنَّهُ مَا فِيهَا إِلَّا شَيْءٌ مَخْلُوقٌ.

٢١٢٣ - وَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ رُؤْيَيْنَا لَهُ عَيْنُ المُحَالِ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
٢١٢٤ - وَزَعَمْتُمْ أَنَّا نَرَاهُ رُؤْيَا أَلِ مَعْدُومٍ لَا المَوْجُودِ فِي الأَعْيَانِ
٢١٢٥ - إِذْ كُلُّ مَرْتَبِي يَقُومُ بِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ، لَا بُدَّ فِي البُرْهَانِ
٢١٢٦ - مِنْ أَنْ يُقَابَلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرِطٍ وَتَدَانِي
٢١٢٧ - وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَى إِبْطَالِ ذَا أَنْتُمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ
٢١٢٨ - أَمَّا البَلِيَّةُ فَهِيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ قَالَ: القُرْآنُ بَدَأَ مِنَ الرَّحْمَنِ
٢١٢٩ - هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَأَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

- ٢١٣٠- سَمِعَ الْأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى
دَاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانِ
- ٢١٣١- فَلَهُ الْأَدَاءُ كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ
وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ
- ٢١٣٢- هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأَنْتُمْ: إِنَّهُ
عَيْنُ الْمُحَالِ وَذَلِكَ ذُو بَطْلَانِ
- ٢١٣٣- فَإِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعًا أَنَّهُ
مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ
- ٢١٣٤- إِلَّا كَبَيْتِ اللَّهُ تِلْكَ إِضَافَةُ الْ
مُخْلُوقِ لَا الْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ
- ٢١٣٥- فَعَلَامَ هَذَا الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا
مَعَ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ؟
- ٢١٣٦- فَإِذَا أَبَيْتُمْ سَلَمْنَا فَتَحَيَّزُوا
لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِإِذْعَانِ
- ٢١٣٧- عُودُوا مُجَسِّمَةً وَقُولُوا: دِينَنَا الْ
إِثْبَاتُ دِينِ مُشَبِّهِ الدِّيَانِ
- ٢١٣٨- أَوْ لَا فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ وَذَا
شَأْنُ الْمُتَنَاقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ
- ٢١٣٩- هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومُهُ
تَرْمِيهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
- ٢١٤٠- هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَاوِدٌ
هُوَ مُثَبَّتٌ تَلْقَاهُ ذَا أَلْوَانِ
- ٢١٤١- يَوْمًا بِتَأْوِيلِ يَقُولُ وَتَارَةً
يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالنُّكْرَانِ

الشرح

قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في بيان الخصومة الواقعة بين أهل التعطيل وبين الفلاسفة، وأتاهم يتفقون في أصول متعددة، منها، قال:

٢١٣٣- وَلِذَلِكَ قُلْنَا: إِنَّ رُؤْيَيْنَا لَهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

قال الفلاسفة وقال أهل التعطيل أيضًا من الأشاعرة وغيرهم: إِنَّ رُؤْيَتَنَا لِلَّهِ عَيْنُ الْمَحَالِّ، يَعْنِي: أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ نَرَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.
وقد سبق لنا أَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ قَدْ دَلَّ عَلَيْهَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَإِجْمَاعُ السَّلَفِ، وَأَنَّهَا رُؤْيَةٌ حَقِيقَةٌ بِالْعَيْنِ.

٢١٢٤- وَزَعَمْتُمْ أَنَّ رَأْيَهُ رُؤْيَةٌ أَلَمْ مَعْدُومٍ لَا الْمَوْجُودِ فِي الْأَعْيَانِ

يعني: أَنَّ الرُّؤْيَةَ الَّتِي جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ يُرَادُ بِهَا رُؤْيَةُ الْمَعْدُومِ، وَرُؤْيَةُ الْمَعْدُومِ الَّذِي لَا يُرَى بِالْعَيْنِ يَعْنِي: الْعِلْمُ بِهِ؛ وَهَذَا يُفَسِّرُونَ الرُّؤْيَةَ بِأَنَّهَا تَمَامُ الْيَقِينِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ يَرَوْنَ اللَّهَ أَي: يَتَيَقَّنُونَهُ حَقًّا كَمَا يَتَيَقَّنُ الرَّائِيُّ مَنْ رَأَاهُ حَقًّا، لَكِنْ لِمَاذَا لَا يَرَوْنَهُ رُؤْيَةَ الْمَوْجُودِ؟

قال:

٢١٢٥- إِذْ كُتِلَ مَرَّتَيْنِ يَتَقَوْمٌ بِنَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ،

يعني: كُتِلَ مَرَّتَيْنِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ أَوْ قَائِمًا بِغَيْرِهِ، فَالْجِسْمُ مِثْلًا إِذَا رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا قَائِمًا بِنَفْسِهِ، وَاللَّوْنُ فِي الْجِسْمِ إِذَا رَأَيْنَاهُ رَأَيْنَا قَائِمًا بِغَيْرِهِ، فَلَا بُدَّ فِي الْبُرْهَانِ.

٢١٢٥- ، لَا بُدَّ فِي الْبُرْهَانِ

٢١٢٦- مِنْ أَنْ يُقَابَلَ مَنْ يَرَاهُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ بُعْدٍ مُفْرَطٍ وَتَدَانِي

يعني: لَا بُدَّ أَيْضًا مِنْ نَسْبَةِ بَيْنِ الرَّائِيِّ وَالْمَرْتَبِيِّ وَهِيَ الْمَقَابَلَةُ، لَا بُدَّ مِنْ ذَلِكَ، أَمَّا بِغَيْرِ الْمَقَابَلَةِ فَلَا تَمَكَّنُ الرُّؤْيَةَ.

٢١٢٧- وَلَقَدْ تَسَاعَدْنَا عَلَىٰ إِبْطَالِ ذَا أَنْتُمْ وَنَحْنُ فَمَا هُنَا قَوْلَانِ

إِذْ الْأَشَاعِرَةُ يُنْكِرُونَ أَنَّ اللَّهَ يُرَى - نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ - مَعَ أَنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الْبِدْعَةُ بِدْعَةٌ مُكْفَّرَةٌ، حَتَّىٰ إِنَّهُ نَقَلَ فِي بَعْضِ مَوَاضِعَ مِنْ كَلَامِهِ اتِّفَاقَ السَّلَفِ عَلَىٰ تَكْفِيرِ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ، قَالَ: لِأَنَّهَا جَاءَتْ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَأَجْمَعَ عَلَيْهَا السَّلَفُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةً الْبَدْرِ»^(١)، وَهَلْ أُبْلَغُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ فِي أَنَّ الرُّؤْيَا رُؤْيَا عَيْنٍ؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، فَلَا أُبْلَغُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، وَلَا أَوْضَحُ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، فَمَنْ أَنْكَرَهُ فَقَدْ أَنْكَرَ مَا مَدْلُولُهُ أَمْرٌ قَطْعِيٌّ لَا شَكَّ فِيهِ.

٢١٢٨- أَمَّا الْبَلِيَّةُ فَهِيَ قَوْلُ مُجَسِّمٍ قَالَ: الْقُرْآنُ بَدَأَ مِنَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مُجَسِّمٌ» الْمُجَسِّمُ أَيُّ: الْمُثَبِّتُ لصفاتِ اللَّهِ، فَكُلُّ مَنْ أَثَبَّتْ صِفَاتِ اللَّهِ فَهُوَ عِنْدَهُمْ مُجَسِّمٌ.

٢١٢٩- هُوَ قَوْلُهُ وَكَلَامُهُ مِنْهُ بَدَأَ لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

وَهَذَا قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةَ يَرَوْنَ أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ، وَأَنَّهُ مِنْهُ بَدَأَ وَإِلَيْهِ يَعُودُ.

٢١٣٠- سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى دَاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ» «الْأَمِينُ» هُوَ جَبْرِيْلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - اتَّيَمَنَهُ اللَّهُ عَلَىٰ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُ سَفِيرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَسَلِهِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الصَّرَاطِ جَسْرُ جَهَنَّمَ، رَقْمٌ (٦٢٠٤)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَا، رَقْمٌ (١٨٢).

قَوْلُهُ: «وَأَدَّاهُ إِلَى الْمُخْتَارِ مِنْ إِنْسَانٍ» وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

٢١٣١- فَالَهُ الْأَدَاءُ كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «لَهُ» أَي: لَجَبْرِئِلَ الْأَمِينِ.

قَوْلُهُ: «الْأَدَاءُ» أَي: يُوَدِّيهِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَوْلُهُ: «كَمَا الْأَدَا لِرَسُولِهِ» يُوَدِّيهِ إِلَى الْأُمَّةِ.

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ قَوْلُ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ»، فَهَذَا ثَلَاثَةٌ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَالْقُرْآنُ

قَوْلُهُ، مِنْهُ ابْتِدَاءٌ، وَجَبْرِئِلُ مُبَلِّغٌ إِلَى الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ مُبَلِّغٌ إِلَى الْأُمَّةِ؛

وَلِهَذَا أَضَافَ اللَّهُ الْقُرْآنَ إِلَى جَبْرِئِلَ، وَإِلَى مُحَمَّدٍ، فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا

هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] المراد بالرسول هنا (محمد)، لَأَنَّهُ قَالَ: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ

شَاعِرٍ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-

٢٠] هَذَا جَبْرِئِلُ، وَمَحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْقَوْلُ مِنْ قَائِلَيْنِ.

إِذَنْ فَنَسَبَةُ الْقَوْلِ إِلَيْهِمَا نَسَبَةُ أَدَاءٍ وَتَبْلِيغٍ، أَمَّا الْأَصْلُ الَّذِي قَالَهُ أَصْلًا

وَابْتِدَاءً فَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ

فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

٢١٣٢- هَذَا الَّذِي قُلْنَا وَأَنْتُمْ: إِنَّهُ عَيْنُ الْمُحَالِ وَذَلِكَ ذُو بُطْلَانٍ

هَمَّ يَقُولُونَ: مُسْتَحِيلٌ أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُسْمَعُ، يَسْمَعُهُ

جَبْرِئِلُ فَيُوَدِّيهِ إِلَى مُحَمَّدٍ، هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ، كَيْفَ ذَلِكَ؟ لِأَنَّ الْفَلَّاسِفَةَ يَقُولُونَ:

إِنَّ الْقُرْآنَ فَيُضُّ مِنَ الْعَقْلِ الْفَعَّالِ، وَلَيْسَ كَلَامَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، وَالْأَشَاعِرَةَ

يقولون: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِ اللَّهِ، وَأَمَّا هَذِهِ الْحُرُوفُ وَالْأَصْوَاتُ الَّتِي سَمِعَهَا جَبْرِيلُ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ؛ وَهَذَا اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللَّهِ.

٢١٣٣- فَإِذَا تَسَاعَدْنَا جَمِيعًا أَنَّهُ مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ

٢١٣٤- إِلَّا كَبَيْتِ اللَّهِ تِلْكَ إِضَافَةٌ أَلْ مَخْلُوقِ لَا الْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «إِلَّا كَبَيْتِ اللَّهِ تِلْكَ إِضَافَةٌ» يَعْنِي: بَيْتُ اللَّهِ مَخْلُوقٌ، وَلَيْسَ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ، أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ التَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ.

٢١٣٥- فَعَلَامَ هَذَا الْحَرْبِ فِيمَا بَيْنَنَا مَعَ ذَا الْوِفَاقِ وَنَحْنُ مُصْطَلِحَانِ؟

٢١٣٦- فَإِذَا أَبَيْتُمْ سَلَمَنَا فَتَحَيَّرُوا لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِاذْعَانِ

يَعْنِي: إِنْ أَبَيْتُمْ سَلَمَنَا، وَقُلْتُمْ: أَنْتُمْ حَرْبٌ عَلَيْنَا، وَلَا نَكُونُ مَعَكُمْ وَلَا فِي صَفِّكُمْ، فَتَحَيَّرُوا لِمَقَالَةِ التَّجْسِيمِ بِالِاذْعَانِ، وَهِيَ مَقَالَةُ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

٢١٣٧- عُودُوا مَجْسَمَةً وَقُولُوا: دِينَنَا أَلْ إِثْبَاتِ دِينِ مُشَبِّهِ الدِّيَانِ

عُودُوا مَجْسَمَةً، وَقُولُوا: دِينَنَا الْإِثْبَاتِ، فَمَنْ كَانَ مُثَبِّتًا فَهُوَ عِنْدَهُمْ مَجْسَمٌ مُشَبِّهُ؛ وَهَذَا قَالَ: «دِينِ مُشَبِّهِ الدِّيَانِ».

٢١٣٨- أَوْ لَا فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ وَذَا شَأْنِ الْمُنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ لَا» يَعْنِي: أَوْ لَا تَحَيَّرُوا إِلَى أَهْلِ التَّجْسِيمِ أَوْ مَقَالَةِ التَّجْسِيمِ.

قَوْلُهُ: «فَلَا مِنَّا وَلَا مِنْهُمْ» أَي: مَذْبذِبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ، لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ.

قَوْلُهُ: «وَذَا شَأْنُ الْمُنَافِقِ إِذْ لَهُ وَجْهَانِ» المنافقُ له وجهان: يلقي المؤمنين بوجهٍ ويقول: نحن معكم آمنًا بالله، ويلقي الكافرين بوجهٍ فيقول: إننا معكم إنما نحن مستهزئون، فله وجهان -والعياذ بالله- نسأل الله أن يحمينا وإياكم من ذلك.

٢١٣٩- هَذَا يَقُولُ مُجَسِّمٌ وَخُصُومُهُ تَرْمِيهِ بِالتَّعْطِيلِ وَالْكَفَرَانِ فهو تارةً يقول هكذا، وتارةً يقول هكذا.

٢١٤٠- هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ هُوَ جَا حِدٌ هُوَ مُثَبِّتٌ تَلْقَاهُ ذَا أَلْوَانِ قَوْلُهُ: «هُوَ قَائِمٌ هُوَ قَاعِدٌ» قائمٌ مع القائمين، وقاعدٌ مع القاعدين.

قَوْلُهُ: «هُوَ جَا حِدٌ هُوَ مُثَبِّتٌ» جاحدٌ مع الجاحدين، مُثَبِّتٌ مع المثبتين، ليس له قاعدةٌ يستقيم عليها.

٢١٤١- يَوْمًا بِتَأْوِيلٍ يَقُولُ وَتَارَةً يَسْطُو عَلَى التَّأْوِيلِ بِالتُّكْرَانِ

أحيانًا يُؤوِّلُ وَيُحَرِّفُ، وأحيانًا لا يُؤوِّلُ ولا يحرِّفُ بل ينكرُ التأويلَ، وهكذَا هؤلاء مذبذبون؛ ولذلك لا تكادُ تجدُ أحدًا من أهل الكلام يثبتُ على قدمِ راسخة، بل إنه ينقدُ نفسه بنفسه، فتجده في موضعٍ من كلامه يقول: هَذَا واجبٌ لله، وفي موضعٍ آخر يقول: هَذَا ممتنعٌ على الله، وفي موضعٍ ثالثٍ يقول: هَذَا جائزٌ، هَذَا وَهُوَ واحدٌ منهم بقطع النظر عن مجموعهم، لو نظرنا إلى مجموعهم لوجدنا بعضهم يُكذِّبُ بعضًا.

فصل

فِي الْمَطَالِبَةِ بِالْفَرْقِ بَيْنَ مَا يُتَأَوَّلُ وَمَا لَا يُتَأَوَّلُ

- ٢١٤٢- فَتَقُولُ: فَرْقٌ بَيْنَ مَا أَوْلَتْهُ وَمَنْعَتَهُ تَفْرِيقٌ ذِي بُرْهَانٍ
 ٢١٤٣- فَيَقُولُ: مَا يُفْضَى إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ
 ٢١٤٤- كَالِاسْتِوَاءِ مَعَ التَّكَلُّمِ هَكَذَا
 ٢١٤٥- إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحَدَّثٍ
 ٢١٤٦- فَتَقُولُ: أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضًا بِمَا
 ٢١٤٧- فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ مَعَ
 ٢١٤٨- وَوَصَفْتَهُ بِمَشِيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ
 ٢١٤٩- أَوْ وَاحِدٍ وَالْجِسْمِ حَامِلٌ هَذِهِ أَلْ
 ٢١٥٠- بَيْنَ الَّذِي يُفْضَى إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ
 ٢١٥١- وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوكُكُمْ كُلُّهُمْ

الشرح

هَذَا الْفَصْلُ يَتَحَدَّى فِيهِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُحَرِّفُونَ أَوْ يُؤَوِّلُونَ بَعْضَ النُّصُوصِ وَيَتْرَكُونَ بَعْضًا، فَيَقُولُ لَهُمْ: فَارْقُوا لَنَا بَيْنَ مَا يُؤَوَّلُ وَبَيْنَ مَا لَا يُؤَوَّلُ، أَمَّا أَنْ تَتَحَكَّمُوا فَتَقُولُوا: هَذَا يُؤَوَّلُ وَهَذَا لَا يُؤَوَّلُ، فَهَذَا غَيْرُ مُسَلَّمٍ لَكُمْ.

٢١٤٢- فَنَقُولُ: فَزُقْ بَيْنَ مَا أَوْلَتْهُ وَمَنْعَتْهُ تَفْرِيقَ ذِي بُرْهَانَ
 ٢١٤٣- فَيَقُولُ: مَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ
 وَلِنَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ
 قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ» أي: في الجواب.

«ما يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْلِنَاهُ» يعني: وما لا يُفْضِي لا نُؤَوِّلُهُ.

قَوْلُهُ: «مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ» أي: من خيرٍ عن الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-.

«وَمِنْ قُرْآنٍ» أي: من كلام الله -سبحانه وتعالى-.

٢١٤٤- كَالِإِسْتِوَاءِ مَعَ التَّكْلِمِ هَكَذَا لَفْظُ النُّزُولِ كَذَلِكَ لَفْظُ يَدَانِ
 قَوْلُهُ: «كَالِإِسْتِوَاءِ» هَذَا مِثَالٌ لِمَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ، «كَالِإِسْتِوَاءِ»، مع
 «التكلم» هَكَذَا لَفْظُ «النزول»، كذلك لفظ «يدان» هَذِهِ أَرْبَعَةٌ أَمْثَلَةٌ.

يقول: إذا أثبتنا (الإستواء) بمعناه الحقيقي كان ذلك مُفْضِيًا إِلَى التَّجْسِيمِ؛
 لأنك إذا قلت: «أَسْتَوَى كَذَا عَلَى كَذَا» لزم أن يكونَ الأَوَّلُ جِسْمًا كَمَا أَنَّ الثَّانِي
 جِسْمٌ، وهذا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ.

كذلك (الكلام)، لو أثبتنا الكلامَ بحرفٍ وصوت لزم من ذلك التَّجْسِيمُ؛
 لأنَّ الكلامَ بحرفٍ وصوت يحتاجُ إِلَى آلَةٍ: لسان، وشفَتين، ومخارج حروف، وما
 أشبه ذلك، وهذا يقتضي أن يكونَ اللهُ جِسْمًا.

كذلك أيضًا (النزول)، يقولون: لا يكونُ النزولُ من شيءٍ إِلَى شيءٍ إِلَّا إِذَا
 كَانَ هَذَا النَّازِلُ جِسْمًا، فَإِذَا أَثْبَتَ نَزُولَ اللهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا مِثْلًا لَزِمَ أَنْ تَكُونَ
 جِسْمًا.

وكذلك (اليدان)، أثبت الله لنفسه يَدَيْنِ، فقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وقال يخاطبُ إبليسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص: ٧٥] فيقولون: محالٌّ أن يُثَبَّتَ لله يدان حقيقيتان؛ لأنَّ ذلك يقتضي التَّجَسُّيمَ.

وَكُلُّ هَذِهِ مَوْوَلَةٌ عِنْدَهُمْ، فَ(الِاسْتِوَاءُ) يَعْنِي: الْاسْتِيْلَاءُ، وَ(الْكَلَامُ) يَعْنِي: الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ أَوْ كَلَامَ مَخْلُوقٍ عَلَى رَأْيِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَ(النُّزُولُ) أَي: نَزْوُلُ الْأَمْرِ، فَ«يُنزَلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»، يَعْنِي: يَنْزَلُ أَمْرُهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، أَوْ تَنْزِلُ رَحْمَتُهُ، أَوْ يَنْزَلُ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَتِهِ.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ! كَيْفَ يَتَجَرَّؤُونَ أَنْ يَقُولُوا هَذَا الْكَلَامَ مَعَ أَنَّ الَّذِي نَطَقَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، حَيْثُ قَالَ: «يُنزَلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟»^(١) هَلْ يُمْكِنُ لِلْأَمْرِ أَنْ يَقُولَ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ فَالَّذِي يَتَصَوَّرُ أَنَّ الْأَمْرَ يَقُولُ هَذَا الْكَلَامَ وَهُوَ أَمْرٌ، لَا شَكَّ أَنْ عَقْلَهُ لَيْسَ مَعَهُ.

هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ الْمَلَكُ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟ لَوْ أَنَّ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ قَالَ هَذَا لِأَدْعَى لِنَفْسِهِ أَنَّهُ إِلَهٌ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَقُولَ الْمَلَائِكَةُ وَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ الْمَكْرَمُونَ مَا يَقْتَضِي أَنْ يَكُونُوا آلِهَةً، لَكِنْ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- إِذَا صَارَ لِلْإِنْسَانِ الْهَوَى ضَلَّ عَنِ الْهُدَى.

كَذَلِكَ (الْيَدَانِ): يَقُولُ: الْمَرَادُ بِالْيَدِ: (الْقُوَّةُ)، تَقُولُ الْعَرَبُ: (مَا لِي بِذَلِكَ يَدَانِ) أَي: مَا لِي بِهِ مِنْ قُوَّةٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

ولكن كَيْفَ نقولُ هَذَا واللهُ يقولُ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] بِيَدَيَّ؟ لو كانت (اليَدُ) هي القوة لم يكن هناك فرقٌ بين آدمَ وإبليسَ، فإنَّ إبليسَ خُلِقَ بقوة الله، ثُمَّ القوة لا يمكنُ أن تُشَنَّى، قوةُ الله وصفٌ عظيمٌ يُقدَّرُ بالكَيْفِ لا بالكَمِّ و(اليدان) مُقدَّرةٌ بالكَمِّ، هل اللهُ عزَّ وجلَّ له قوتان؟! له قوةٌ مُقدَّرةٌ بالكيفية لا يقهرُها شيءٌ، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

وإبطالُ كلامهم مرَّ علينا كثيراً، وواضحٌ جداً، لكن هم يقولون: هَذِهِ يمكنُ تأويلها فنؤوِّلها.

٢١٤٥- إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحَدَّثٍ لَا يَنْبَغِي لِلوَاحِدِ الْمَنَّانِ قَوْلُهُ: «إِذْ هَذِهِ أَوْصَافُ جِسْمٍ مُحَدَّثٍ» يشيرُ إِلَى (الإِسْتِوَاءِ)، وَإِلَى (الكلامِ)، وَإِلَى (النزولِ)، وَإِلَى (اليَدِ).

قَوْلُهُ: «لَا يَنْبَغِي» أَي: الجِسْمُ، لِلوَاحِدِ الْمَنَّانِ «لَا يَنْبَغِي» هنا بمعنى: لا يمكنُ، يعني: يستحيلُ، فنقولُ له مناقضين لكلامه: أنت وصفته أيضاً بما يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْحِدْثَانِ؛ ولذا قال:

٢١٤٦- فَنَقُولُ: أَنْتَ وَصَفْتَهُ أَيْضًا بِمَا يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ وَالْحِدْثَانِ

٢١٤٧- فَوَصَفْتَهُ بِالسَّمْعِ وَالْإِبْصَارِ مَعَ نَفْسِ الْحَيَاةِ وَعِلْمِ ذِي الْأَكْوَانِ

٢١٤٨- وَوَصَفْتَهُ بِمَشِيئَةٍ مَعَ قُدْرَةٍ وَكَلَامِهِ النَّفْسِيِّ وَهُوَ مَعَانِي

يعني: أنت وصفته بالسَّمْعِ، وَالْإِبْصَارِ، وَالْحَيَاةِ، وَالْعِلْمِ، وَالْمَشِيئَةِ، وَالْقُدْرَةِ، وَكَلَامِهِ النَّفْسِيِّ، فهذه سبعُ صفات.

وهذه هي الصِّفَاتُ التي يثبتها الأشاعرةُ مُدَّعينَ أَنَّ العقلَ دَلٌّ عليها، لكن كَيْفَ دَلٌّ عليها؟ يقولون: إِنَّ التَّخْصِيصَ دَلٌّ عَلَى الإرادة، لكن كَيْفَ التَّخْصِيصَ دَلٌّ عَلَى الإرادة؟

يقولون: تَخْصِيصُ المخلوقاتِ بحقائقها وذواتها وأعيانها وأوصافها دَلٌّ عَلَى الإرادة، السَّمَاءُ لماذا كانت سماءً، الأَرْضُ لماذا كانت أرضاً؟ الَّذِي اقتضت ذلك هي الإرادة، أراد الله أَنْ تَكُونَ السَّمَاءُ سماءً فكانت، وأراد أَنْ تَكُونَ الأَرْضُ أرضاً فكانت، وهلمَّ جَرًّا.

«الإحكام» يعني: كَوْنُ هَذِهِ المخلوقاتِ مُحْكَمَةً متقنةً يَدُلُّ عَلَى العلم؛ لِأَنَّ الجاهلَ لا يَأْتِي بالشيءِ مُحْكَمًا، لو أراد إنسانٌ أَنْ يَصْلَحَ (مذياًعاً) مثلاً، وَهُوَ لا يَعْرِفُ الصَّنْعَةَ، فهل يُمْكِنُ أَنْ يَصْنَعَ لَنَا (مذياًعاً) مُحْكَمًا لا يُمْكِنُ، إِذْ إِنَّ الإحكامَ دَلٌّ عَلَى العلم.

الإيجاد: إِيْجَادُ المخلوقاتِ دَلِيلٌ عَلَى القُدْرَةِ؛ لِأَنَّ العَاجِزَ لا يَوجِدُ.

هذه الصِّفَاتُ الثَلاثُ يقولون: مُحَالٌ أَنْ تَقُومَ إِلاَّ بِحَيٍّ، فحياةُ الله عَزَّ وَجَلَّ اسْتَدَلُّوا عَلَيْهَا بِالْمَلْازِمَةِ، أَنَّهُ مِنْ لَازِمِ اتِّصَافِهِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الثَلاثِ أَنْ يَكُونَ حَيًّا. أَثْبَتْنَا الآنَ أَرْبَعَ صِفَاتٍ.

والحَيُّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا مُتَكَلِّمًا أَوْ أَصَمًّا أَعْمَى أَحْرَسَ، وَالْأَوْصَافُ الثَلاثَةُ الأَخِيرَةُ نَقْصٌ، وَاللهُ مُنَزَّهٌ عَنِ النَقْصِ، فوَجِبَ لَهُ ثَبُوتُ السَّمْعِ وَالبَصْرِ وَالكَلَامِ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ القَيِّمِ -رَحِمَهُ اللهُ-: (كَلَامُهُ النَفْسِيُّ وَهُوَ مَعَانِي أَوْ وَاحِدٌ) يَعْنِي: الأَشَاعِرَةُ أَيْضًا لِيَتَّهَمَ يُثْبِتُونَ الكَلَامَ عَلَى مَا يُثْبِتُهُ أَهْلُ السُّنَّةِ، يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللهِ هُوَ المَعْنَى القَائِمُ بِالنَفْسِ وَهُوَ أَرْزَلِيٌّ، وَهُوَ وَاحِدٌ أَوْ مُتَعَدِّدٌ؟

فبعضهم يقول: إنه واحدٌ، فيجعلون قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ [المائدة: ٧٢] هي ﴿وَأَنْ تَشْكُرُوا بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٣].

يقولون: قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢] هي ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى﴾ [الإسراء: ٣] شيءٌ واحدٌ، الإنجيل والتوراة والقرآن شيءٌ واحدٌ.

وبعضهم يقول: لا، ليس شيئاً واحداً، بل هو متعددٌ: خبرٌ، واستخبارٌ، وأمرٌ، ونهيٌ، أربعةٌ أشياء.

وهؤلاء أهونٌ من الأولين، وأقربٌ إلى المعقول، وكُلُّهم مخالفون للمعقول، فكلامُ الله ليس هو المعنى النفسي، بل هو ما سمعه جبريل -عليه السلام- وأداه إلى محمد ﷺ وما يتكلم الله به في الأمور الكونية التي لا تنتهي لها.

٢١٤٩ - أَوْ وَاحِدٌ وَالْجِسْمُ حَامِلٌ هَذِهِ أَلْ أَوْصَافٍ حَقَّافَاتٍ بِالْفُرْقَانِ

٢١٥٠ - بَيْنَ الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لَا يَقْتَضِيهِ بَوَاضِحِ الْبُرْهَانِ

يقولون: السَّمْعُ لا نعقله إلا في الأجسام، والبصرُ لا نعقله إلا في الأجسام، الإرادةُ والقدرةُ كُلُّها في الأجسام، فأنت الآن أثبتت أوصافاً لا تقوم إلا بأجسام، وقلت: إن هذه الأوصاف حقيقة، وأما (الإستواء) و(النزول) و(الكلام) و(اليَد) فهي غيرُ حقيقة؛ لأنَّ هذه الأربعة لا تقوم إلا بجسم، وأثبتت سبعة أوصافٍ لا تقوم إلا بجسم، فهذا لا شك أنه تناقضٌ؛ ولهذا قال: (فأت بالفُرْقَانِ بين الَّذِي يُفْضِي إِلَى التَّجْسِيمِ أَوْ لَا يَقْتَضِيهِ).

ثُمَّ أَقْسَمَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فَقَالَ:

٢١٥١ - وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوكَ كُلُّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا أَبَدًا عَلَى الْفُرْقَانِ

وحيثُ يُدَّعى يكونون متناقضين متحكِّمين، هَذِهِ صِفَةٌ لَا تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَنَبِّتُهَا،
وَهَذِهِ صِفَةٌ تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَلَا نَبِّتُهَا.

ثُمَّ يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ كَلِمَةَ (الجسم) لَهَا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ مَعَانٍ مُتَعَدِّدَةٌ، وَلَمْ يَرِدْ
وَصْفُ اللَّهِ بِهَا لَا نَفِيًّا وَلَا إِثْبَاتًا، فَلَيْسَ فِي الْقُرْآنِ وَلَا فِي السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ قَالَ عَنِ
نَفْسِهِ: إِنَّهُ جَسْمٌ، وَلَا نَفَى عَنِ نَفْسِهِ أَنَّهُ جَسْمٌ، فَمَا الَّذِي يَلْزِمُنَا؟

الْجَوَابُ: يَلْزِمُنَا أَنْ نَتَوَقَّفَ بِالنِّسْبَةِ لِلْفِعْلِ، فَلَا نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ، وَلَا إِنَّ اللَّهَ
لَيْسَ بِجَسْمٍ، نَحْنُ فِي عَافِيَةٍ مِنْ هَذَا، لَكِنْ مِنْ حَيْثُ الْمَعْنَى نَحْنُ نُوْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ
-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لَهُ ذَاتٌ مُتَصِفَةٌ بِالصِّفَاتِ، هَذِهِ الصِّفَةُ مُوصُوفَةٌ بِالْوَجْهِ،
بِالْعَيْنِ، بِالْيَدِ، بِالْقَدَمِ، بِالسَّاقِ، بِالنُّزُولِ، بِالِاسْتِوَاءِ، بِالْمَجِيءِ، بِالِاتِّتْيَانِ، نُوْمِنُ
بِهَذَا، لَكِنْ لَا نَطْلُقُ جَسْمًا مِنْ بَابِ التَّأْدُّبِ مَعَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي
الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ جَسْمٌ، فَمِنْ بَابِ التَّأْدُّبِ مَعَ اللَّهِ أَلَا نَقُولُ: جَسْمٌ، لَكِنَّا
نُثَبِّتُ صِفَاتٍ ثَابِتَةً لِلَّهِ حَقِيقَةً قَائِمَةً بِهِ، وَنُثَبِّتُ أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- شَيْءٌ مُتَّحِدٌ
بِنَفْسِهِ، مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ، بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ كَمَا قَالَ السَّلْفُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فصل

في ذكر فرق لهم آخر، وبيان بطلانه

- ٢١٥٢ - فِلِذَاكَ قَالَ رَعِيْمُهُمْ فِي نَفْسِهِ فَرَقًا سِوَى هَذَا الَّذِي تَرِيَانِ:
- ٢١٥٣ - هَذِي الصِّفَاتُ عَقُولُنَا دَلَّتْ عَلَيَّ اِثْبَاتِهِمَا مَعَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
- ٢١٥٤ - فِلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ فَاغْ- جَبْ يَا أَخَا التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
- ٢١٥٥ - كَيْفَ اعْتَرَفَ الْقَوْمُ أَنَّ عَقُولَهُمْ دَلَّتْ عَلَيَّ التَّجْسِيمِ بِالْبُرْهَانِ؟
- ٢١٥٦ - فَيُقَالُ: هَلْ فِي الْعَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمْ أَلِ- مَعْقُولٌ يَنْفِيهِ كَذَا النُّقْصَانِ؟
- ٢١٥٧ - إِنْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فَاَنْفُوا هَذِهِ أَلِ- أَوْصَافَ وَأَنْسَلِحُوا مِنْ الْقُرْآنِ
- ٢١٥٨ - أَوْ قُلْتُمْ: نَقْضِي بِإِثْبَاتِ لَهُ فِرَارُكُمْ مِنْهَا لِأَيِّ مَعَانِي؟
- ٢١٥٩ - أَوْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ وَلَا نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ بِالْبُرْهَانِ
- ٢١٦٠ - فَيُقَالُ: مَا الْفُرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا أَلِ- بُرْهَانُ؟ فَاتُّوا الْآنَ بِالْفُرْقَانِ

الشرح

هذا الفصل عقده المؤلف - رحمه الله - لبيان شبهة أخرى للمعطلة، لكن ما هذه الشبهة؟ يقول:

٢١٥٢ - فِلِذَاكَ قَالَ رَعِيْمُهُمْ فِي نَفْسِهِ فَرَقًا سِوَى هَذَا الَّذِي تَرِيَانِ:

في الفصل السابق زعموا أنَّ بعض الصفات يستلزم التجسيم فنفوه، وبعضها لا يستلزم التجسيم فأثبتوه.

هذا الفصل جاؤوا بدليل آخر، فقالوا: ما أثبتناه دَلَّ عليه العقل، وما نفينا لم يدلَّ عليه العقل، فجعلوا عمدتهم في إثبات الصفات أو نفيها عن الله العقل.

قوله: «تريان» يتخيَّل المؤلف في مثل هذه العبارة أنه يخاطب خليلين له كما تجدون في القصائد الجاهلية، يقول الشاعر: (خَلِيلِي) ^(١) ويخاطب خَلِيلِيَه.

٢١٥٣ - هَذِي الصِّفَاتُ عُقُولُنَا دَلَّتْ عَلَيَّ إِثْبَاتِهَا مَعَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
يعني: فاجتمع في الدلالة عليها العقل والسَّمْعُ.

٢١٥٤ - فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ

قوله: «فَلِذَاكَ صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ» يعني: لَمَّا كانت العقول تدلُّ عليها وظاهر القرآن يدلُّ عليها، صُنَّاهَا عَنِ التَّأْوِيلِ، مع أنها على طريقتهم الأولى تقتضي التجسيم، وهذا على المعنى الأول في الفصل السابق، ولهذا قال المؤلف:

٢١٥٤ - فَاعْبُدْ يَا أَخَا التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

٢١٥٥ - كَيْفَ اعْتِرَافُ الْقَوْمِ أَنَّ عُقُولَهُمْ دَلَّتْ عَلَى التَّجْسِيمِ بِالْبُرْهَانِ؟

وهذا صحيح، محلُّ عجب، أنتم تقولون: إننا نمنع الصفات؛ لأنها تقتضي التجسيم، ثم الآن تقولون: نُثَبِّتُ الصِّفَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَيْهَا الْعُقُولُ وَإِنْ اقْتَضَتْ التَّجْسِيمَ.

(١) يعني قول امرئ القيس:

خَلِيلِي مَا فِي الْيَوْمِ مَصْحَى لَشَارِبٍ
وَلَا فِي غَدٍ إِذْ كَانَ مَا كَانَ مَشْرَبٍ

٢١٥٦- فَيُقَالُ: هَلْ فِي الْعَقْلِ تَجْسِيمٌ أَمْ أَلْ - مَعْقُولٌ يَنْفِيهِ كَذَا النُّقْصَانِ؟

٢١٥٧- إِنْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فَاَنْفُوا هَذِهِ أَلْ - أَوْصَافَ وَأَنْسَلِحُوا مِنَ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «إِنْ قُلْتُمْ نَنْفِيهِ» يعني: إِنْ قُلْتُمْ: ننفي النقصان وننفي التجسيم.

«فَاَنْفُوا هَذِهِ الْأَوْصَافَ» يعني: الْأَوْصَافَ الَّتِي أَثْبَتَهَا، وَزَعَمُوا أَنَّ الْعَقْلَ

دَلَّ عَلَيْهَا مَعَ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ.

وَقَوْلُهُ: «فَاَنْفُوا هَذِهِ الْأَوْصَافَ وَأَنْسَلِحُوا مِنَ الْقُرْآنِ» هَذَا هُوَ الْاِحْتِمَالُ

الْأَوَّلُ.

٢١٥٨- أَوْ قُلْتُمْ: نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ - فِرَارُكُمْ مِنْهَا لِأَيِّ مَعَانِي؟

قَوْلُهُ: «أَوْ قُلْتُمْ: نَقْضِي بِإِثْبَاتٍ لَهُ» هَذَا الْاِحْتِمَالُ الثَّانِي.

يعني: قُلْتُمْ: نقضي بإثبات التجسيم ففراركم من هذه الصفات التي

نفيتها لأي معنى نفيتها ما دمتم قضيتم بالتجسيم؟

٢١٥٩- أَوْ قُلْتُمْ: نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ وَلَا - نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ بِلَا بُرْهَانٍ

وهذا هُوَ الثَّالِثُ، وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَقُولُونَ، يَقُولُونَ: ننفي التجسيم في

وصفٍ، وَلَا نَنْفِيهِ فِي وَصْفٍ، فِي الصِّفَاتِ الَّتِي نُثْبِتُهَا وَإِنْ كَانَتْ تَقْضِي التَّجْسِيمَ

فإِنَّا نَثْبِتُهَا، وَفِي الصِّفَاتِ الَّتِي نَنْفِيهَا فَإِنَّا نَنْفِي التَّجْسِيمَ.

فصارت الآن الاحتمالاتُ ثلاثةً:

▪ إمَّا أَنْ يَثْبِتُوا التَّجْسِيمَ فِي الصِّفَاتِ كُلِّهَا، وَيَلْتَزِمُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ.

▪ وَإِمَّا أَنْ يَنْفُوا التَّجْسِيمَ، وَيَلْتَزِمُوا بِنْفِي الصِّفَاتِ كُلِّهَا.

■ وإما أن يقولوا: ننفي التَّجْسِيمَ في صفاتٍ ولا ننفيه في صفات، ففي الصِّفَاتِ التي أثبتناها لا ننفي التَّجْسِيمَ، وفي الصِّفَاتِ التي نفيناها ننفي التَّجْسِيمَ.

فيقول المؤلف - رحمه الله -:

٢١٦٠- فَيَقَالُ: مَا الْفُرْقَانُ بَيْنَهُمَا وَمَا الْفُرْقَانُ؟ فَاتُّوا الْآنَ بِالْفُرْقَانِ

وَالجَوَابُ: أَنَّهُمْ لَنْ يَأْتُوا بِالْفُرْقَانِ بَيْنَ مَا أَثْبَتُوهُ وَمَا نَفَوْهُ، فَمَا الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا؟ لَا فَرْقَ، فَإِمَّا أَنْ يُثْبِتُوا التَّجْسِيمَ بِنَاءً عَلَى ثُبُوتِ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثْبَتُوهَا وَيَطْرُدُوا ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، وَإِمَّا أَنْ يَنْفُوا التَّجْسِيمَ وَيَطْرُدُوهُ أَيْضًا فِي جَمِيعِ الصِّفَاتِ، فَيَنْفُوا مَا أَثْبَتُوهُ.

ولكن مع الأسف أنهم يتناقضون، فيقولون: هَذِهِ الصِّفَةُ تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَيَجِبُ نَفْيُهَا، وَهَذِهِ الصِّفَةُ لَا تَقْتَضِي التَّجْسِيمَ فَيَجِبُ إِثْبَاتُهَا.

٢١٦١- وَيَقَالُ: قَدْ شَهِدَ الْعِيَانُ بِأَنَّهُ دُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ

٢١٦٢- مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَتَابِعِي الْقُرْآنِ

٢١٦٣- وَلِذَلِكَ حُصُّوا بِالْكَرَامَةِ دُونَ أَعْدَاءِ الْإِلَهِ وَشِيعَةِ الْكُفْرَانِ

٢١٦٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وَبُغْضٍ مِنْهُ مَعَ مَقْتٍ لِذِي الْعِصْيَانِ

٢١٦٥- وَالنَّصُّ جَاءَ بِهِذِهِ الْأَوْصَافِ مَعَ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي الْقُرْآنِ

٢١٦٦- وَيَقَالُ: سَلَّمْنَا بِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهِيَ فِي الْفُرْقَانِ

- ٢١٦٧- أَفْتَنِّي أَحَادِ الدَّلِيلِ يَكُونُ لِلدُّ
مَدْلُولٍ نَفِيًّا يَا أُولِي العِرْفَانِ؟!
٢١٦٨- أَوْ نَفِيٍّ مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَا الْ
مَدْلُولِ فِي عَقْلِ وَفِي قُرْآنِ
٢١٦٩- أَفْبَعْدَ ذَا الإِنْصَافِ وَيُحْكُمُ سِوَى
مُخَضِّ العِنَادِ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ؟
٢١٧٠- وَتَحْيِيزِ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى الْ
قُرْآنِ وَالأَثَارِ وَالإِيمَانِ

الشرح

- ٢١٦١- وَيُقَالُ: قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بِأَنَّهُ
ذُو حِكْمَةٍ وَعِنَايَةٍ وَحَنَانِ
٢١٦٢- مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ
أَهْلِ الوَفَاءِ وَتَابِعِي القُرْآنِ
٢١٦٣- وَلِذَلِكَ خُصُّوا بِالكِرَامَةِ دُونَ أَعْم
سَاءِ الإِلَهِ وَشِيعَةِ الكُفْرَانِ
قَوْلُهُ: «يُقَالُ: قَدْ شَهِدَ العِيَانُ بِأَنَّهُ ذُو حِكْمَةٍ» بأنه أي: بأنَّ الله ذو حكمة،
فأراد أن يُثبِتَ حكمةَ الله بالدليل العقليِّ.

نحن نشهد ما في المخلوقات من الحكمة العظيمة والغايات الحميدة، ونشهد
كذلك ما في المشروعات التي شرعها الله من الحكمة العظيمة والغايات الحميدة،
وهذا يدلُّنا على ثبوت الحكمة لله مع أنهم يُنكرون الحكمة.

كذلك أيضًا شهد العيان بأنه ذو عناية وحنان، أي: ذو عناية بخلقه، وحنانٍ
عليهم، وذلك بما يجلب لهم من الخير والمنفعة، ويدفع عنهم من الشرِّ والمضرة،
وهذا يدلُّ على عناية - سبحانه وتعالى - وحنانه.

قَوْلُهُ: «مَعَ رَأْفَةٍ وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ» الشَّاهِدُ يَدُلُّنَا عَلَى رَأْفَةِ اللهِ، وَذَلِكَ بِمَا نَشَاهِدُهُ
من اللطافة في مواضع الشدة، فَإِنَّ هَذَا يَدُلُّ عَلَى رَأْفَتِهِ - سبحانه وتعالى -.

قَوْلُهُ: «وَمَحَبَّةٍ لِعِبَادِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ» من أين نعرف أنه يحبُّ العبادَ أهلَ الوفاء؟
الجواب: بإثابتهم، وتيسير أمورهم، ونصرهم على أعدائهم، وغير ذلك.

٢١٦٤- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَنَا عَلَى غَضَبٍ وَبُغْدٍ ضِيٍّ مِنْهُ مَعَ مَقْتٍ لِذِي العِصْيَانِ

يعني: أيضًا نستدلُّ على غضبِ الإله، وبغضه، ومقته بعقوبة أهل العصيان، فإنَّ العقوبة دليلٌ على الغضب وعلى بُغْضِ العملِ الَّذِي أوجبَ العقوبةَ والانتقامَ.

٢١٦٥- وَالنَّصُّ جَاءَ بِهِذِهِ الأَوْصَافِ مَعَ مِثْلِ الصِّفَاتِ السَّبْعِ فِي القُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّصُّ جَاءَ بِهِذِهِ الأَوْصَافِ» يشيرُ إلى ما ذكره من الحكمة، والعناية، والرأفة، والمحبة، والغضب، والبغض، والمقت وهو أشدُّ البغض.

قَوْلُهُ: «الصِّفَاتِ السَّبْعِ» أي: الصِّفَاتِ السَّبْعِ التي أثبتتها الأشاعرة، وهي: الحَيَاة، والعلم، والقدرة والسَّمْع، والبصر، والإرادة، والكلام، وهذه لا شكَّ أنها ثابتةٌ لله، فقد جاءَ بها السَّمْعُ، وكذلك الحكمة، والمحبة، والرأفة، والغضبُ كُلُّهَا جاءَ بها السَّمْعُ أيضًا.

٢١٦٦- وَيُقَالُ: سَلَّمْنَا بِأَنَّ العَقْلَ لَا يُفْضِي إِلَيْهَا فَهِيَ فِي الفُرْقَانِ

يعني: لو سَلَّمْنَا أَنَّ العَقْلَ لا يدلُّ على هَذِهِ الصِّفَاتِ فهي في الفُرْقَانِ، يعني: في القُرْآنِ، يعني: فقد دَلَّ عليها القُرْآنُ.

٢١٦٧- أَفَنَفِي أَحَادِ الدَّلِيلِ يَكُونُ لِلْمَدْلُولِ نَفِيًّا يَا أُولِي العِرْفَانِ!؟

يستفهمُ استفهامَ إنكارٍ، يقولُ: هل إذا انتفى الدَّلِيلُ أو الواحد من الأدلة هل يقتضي أن ينتفي المدلولُ؟ الجواب: لا، إذا انتفى دليلٌ واحدٌ، فإنه يجوزُ أن يثبتَ المدلولُ بدليلٍ آخرَ، فانتفاءُ الدَّلِيلِ المعينِ لا يقتضي انتفاءَ المدلولِ.

قَوْلُهُ: «يَا أُولِي الْعِرْفَانِ» هَذَا مِنْ بَابِ التَّهَكُّمِ بِهِمْ، يَعْنِي: أَيْنَ مَعْرِفَتِكُمْ؟
فَإِنَّ انْتِفَاءَ الدَّلِيلِ الْوَاحِدِ لَا يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَدْلُولِ.

٢١٦٨- أَوْ نَفِي مُطْلَقِهِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَدْلُولِ فِي عَقْلِ وَفِي قُرْآنِ

يعني أيضًا انتفاء مطلق الدليل لا يدل على أن المدلول لا يثبت، فقد يثبت
بغير دليل معلوم لنا؛ فلهذا متى وجد الشيء وثبت فإننا لا نحتاج إلى طلب دليله
ما دام واقعًا.

٢١٦٩- أَفْبَعْدَ ذَا الْإِنْصَافِ وَيَحْكُمُ سِوَى مَحْضِ الْعِنَادِ وَنَخْوَةِ الشَّيْطَانِ؟

يعني: ليس بعد هذا الإنصاف معكم إلا العناد، أي: أنهم يعاندون،
ويبتخون بنخوة الشيطان، ويعتزون به.

٢١٧٠- وَتَحْيِزُ مِنْكُمْ إِلَيْهِمْ لَا إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيمَانِ

يعني: يتحيزون إلى شيوخهم، ويدعون القرآن والآثار والإيمان.

فصل

فِي بَيَانِ مُخَالَفَةِ طَرِيقِهِمْ لَطَرِيقِ أَهْلِ الْإِسْتِقَامَةِ عَقْلًا وَنَقْلًا

- ٢١٧١- وَأَعْلَمَ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الطَّرِيقِ
 ٢١٧٢- جَعَلُوا كَلَامَ شَيْوَجِهِمْ نَصًّا لَهُ أَلِ
 ٢١٧٣- وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ
 ٢١٧٤- فَتَوَلَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الْأَصْلَيْنِ أَوْ
 ٢١٧٥- إِذْ مِنْ سِفَاحِ لَا نِكَاحِ كَوْنُهَا
 ٢١٧٦- عَرَضُوا النَّصُوصَ عَلَى كَلَامِ شَيْوَجِهِمْ
 ٢١٧٧- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرَجِعُهُ إِلَى الشُّـ
 ٢١٧٨- وَكَذَلِكَ أَقْوَالُ الشُّيُوخِ فَإِنَّهَا أَلِ
 ٢١٧٩- إِنْ وَافَقَا قَوْلَ الشُّيُوخِ فَمَرَحَبًا
 ٢١٨٠- إِمَّا بِتَأْوِيلٍ فَإِنْ أَعْيَا فَتَفْـ
 ٢١٨١- إِذْ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدَيْنَا مُحْكَمٌ
 ٢١٨٢- وَالنَّصُّ فَهُوَ بِهِ عَلِيمٌ دُونَنَا
 ٢١٨٣- إِلَّا تَمَسَّكْتَهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ
 قِي الْمُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 إِحْكَامُ مَوْزُونًا بِهِ النَّصَّانِ
 مُتَشَابِهًا مُتَحَمَّلًا لِمَعَانِ
 لِأَذَاتٍ لِلغَيِّ وَالْبُهْتَانِ
 بِئْسَ الْوَلِيدُ وَبِئْسَتِ الْأَبْوَانِ
 فَكَأَنَّهَا جَيْشٌ لِدِي سُلْطَانِ
 لَطَّانِ دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ
 مِيزَانُ دُونَ النَّصِّ وَالْقُرْآنِ
 أَوْ خَالَفَتْ فَالِدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ
 وَبِضٌ وَنَتْرُكُهَا لِقَوْلِ فُلَانِ
 فَظَوَاهِرُ الْمَنْقُولِ ذَاتُ مَعَانِ
 وَبِحَالِهِ مَا حِيلَةُ الْعُمَيَّانِ
 حَتَّى يَقُودَهُمْ كَذِي الْأَرْسَانِ

- ٢١٨٤- فَاعْجَبْ لِعُمَيَانَ الْبَصَائِرِ أَبْصُرُوا
 كَوْنَ الْمُقَلَّدِ صَاحِبِ الْبُرْهَانِ
- ٢١٨٥- وَرَأَوْهُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سِوَا
 هُ بَغَيْرِ مَا بَصَرَ وَلَا بُرْهَانِ
- ٢١٨٦- وَعَمُوا عَنِ الْوَحْيَيْنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا
 مَعْنَاهُمَا عَجَبًا لِذِي الْحِرْمَانِ!
- ٢١٨٧- قَوْلُ الشُّيُوخِ أْتَمُّ تَبَيَّنًا مِنَ الْ
 وَحْيَيْنِ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
- ٢١٨٨- النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ
 ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التَّبَيَّنِ
- ٢١٨٩- وَسِوَاهُ إِمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّ لَمْ
 يَكُ قَوْلٌ مَعْصُومٍ وَذِي تَبَيَّنِ
- ٢١٩٠- أَفَيْسَتَوِي النَّقْلَانِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ!
 وَاللَّهِ لَا يَتَمَثَّلُ النَّقْلَانِ
- ٢١٩١- هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا
 فِي اللَّهِ، نَحْنُ لِأَجْلِهِ خَصْمَانِ
- ٢١٩٢- نَصَرُوا الضَّلَالََةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ
 لَكِنْ نَصَرْنَا مُوجِبَ الْقُرْآنِ
- ٢١٩٣- وَلَنَا سُؤْلُكَ ضِدَّ مَسْلِكِهِمْ فَمَا
 رَجُلَانِ مِنْ قَطُّ يَلْتَقِيَانِ
- ٢١٩٤- إِنَّا أَبَيْنَا أَنْ نَلِدِينَ بِمَا بِهِ
 دَانُوا مِنْ الْأَرَاءِ وَالْبُهْتَانِ
- ٢١٩٥- إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا
 يَكْفِي الرَّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ
- ٢١٩٦- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلَا كَفَا
 هُ اللَّهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَرْمَانِ
- ٢١٩٧- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلَا شَفَا
 هُ اللَّهُ فِي قَلْبٍ وَلَا أَبْدَانِ
- ٢١٩٨- مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَانِ رَمَاهُ رَبُّ
 بُ الْعَرْشِ بِالْإِعْدَامِ وَالْحِرْمَانِ
- ٢١٩٩- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَانِ فَلَا هَدَا
 هُ اللَّهُ سُبُلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

- ٢٢٠٠ - إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْكِبَارِ وَلَيْسَ مَعَ
 ٢٢٠١ - أَوْسَاخِ هَذَا الْخَلْقِ بَلْ أَتَانِهِ،
 ٢٢٠٢ - الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِأَلِ
 ٢٢٠٣ - الشَّامِي أَهْلِ الْحَدِيثِ عَدَاوَةً
 ٢٢٠٤ - جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ،
 ٢٢٠٥ - كِبْرًا وَإِعْجَابًا وَتِيهًا زَائِدًا
 ٢٢٠٦ - لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةِ
 ٢٢٠٧ - لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخْلُفٍ
 ٢٢٠٨ - مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَرُوا
 ٢٢٠٩ - وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّرُوا فِي فَهْمِهَا،
 ٢٢١٠ - وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَرُوا بِالَّذِي
- تِلْكَ الْأَرَادِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ
 جِيْفِ الْوُجُودِ، وَأَخْبَثِ الْأَتْنَانِ
 كُفْرَانَ وَالْعُدَوَانَ وَالْبُهْتَانَ
 لِلْسُنَّةِ الْعُلْيَا مَعَ الْقُرْآنِ
 فَاللَّهُ يُقَطِّعُهَا مِنْ الْأَذْقَانِ
 وَتَجَاوَزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ
 كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانَ
 عَنْ رُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِإِلَّا إِحْسَانِ
 فَأَتُوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ
 هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

الشرح

- ٢١٧١ - وَأَعْلَمَ بِأَنَّ طَرِيقَهُمْ عَكْسُ الطَّرِيقِ
 ٢١٧٢ - جَعَلُوا كَلَامَ شُيُوخِهِمْ نَصًّا لَهُ أَلِ
 ٢١٧٣ - وَكَلَامَ بَارِيهِمْ وَقَوْلَ رَسُولِهِمْ
 ٢١٧٤ - فَتَوَلَّدَتْ مِنْ ذَيْنِكَ الْأُضْلَيْنِ أَوْ
- قِ الْمُسْتَقِيمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 إِحْكَامَ مَوْزُونًا بِهِ النَّصَّانِ
 مُتَشَابِهًا مُتَحَمَّلًا لِمَعَانِ
 لِأَدَّ أَتَتْ لِلْغَيِّ وَالْبُهْتَانِ

٢١٧٥- إِذْ مِنْ سَفَاحٍ لَا نِكَاحَ كَوْنَهَا بِئْسَ الْوَلِيدُ وَبِئْسَتِ الْأَبْوَانِ
 ٢١٧٦- عَرَضُوا النَّصُوصَ عَلَى كَلَامِ شَيْوْخِهِمْ فَكَانَتْهَا جَيْشٌ لِيذِي سُلْطَانِ
 ٢١٧٧- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ لَطَّانٍ دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ
 قَوْلُهُ: «وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى السُّلْطَانِ»؛ المراد بالسلطان هنا هو كلام
 الشيوخ.

قَوْلُهُ: «دُونَ رَعِيَّةِ السُّلْطَانِ» وهي نصوص الكتاب والسنة.

٢١٧٨- وَكَذَلِكَ أَقْوَالُ الشُّيُوخِ فَإِنَّهَا أَلْ — مِيزَانُ دُونَ النَّصِّ وَالْقُرْآنِ
 هذا وجه الشبه.

٢١٧٩- إِنْ وَافَقَا قَوْلَ الشُّيُوخِ فَمَرْحَبًا أَوْ خَالَفَتْ فَالِدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ
 إن وافقت نصوص الكتاب والسنة قول الشيوخ فمرحبًا بها، فمثلًا الكتاب
 والسنة دلاً على وصف الله بالسمع، فماذا قال هؤلاء؟ قالوا: مرحبًا، الله سمع؛ لأنه
 وافق كلام الشيوخ.

لكن لما دل الكتاب والسنة على أن الله تعالى رحمة، قالوا: لا مرحبًا؛ لأن كلام
 الشيوخ يقول: ليس الله رحمة، والرحمة هي الإحسان أو إرادة الإحسان، وأمّا رحمة
 سوى ذلك فلا.

قَوْلُهُ: «أَوْ خَالَفَتْ فَالِدَّفْعُ بِالْإِحْسَانِ» الدفع ينقسم عندهم إلى قسمين: «إِمَّا
 بِتَأْوِيلٍ»، فَإِنْ أَعْيَا «فَتَقْوِيضٌ»؛ ولذا قال -رحمه الله-:

٢١٨٠- إِمَّا بِتَأْوِيلٍ فَإِنْ أَعْيَا فَتَقْفُ — وَيُضُّ وَنَتْرُكُهَا لِقَوْلِ فُلَانٍ

إِذَنْ دَفَعُهُمُ لِلنُّصُوصِ إِمَّا بِتَأْوِيلٍ، فَإِنْ عَجَزُوا فَتَفْوِيضٌ، وَلَكِنَّ ابْنَ الْقَيْمِ - رحمه الله - اقتصر على بعض الطُّرُق.

فالطرق عندهم:

أَوَّلًا: رَدُّ النُّصُوصِ؛ وهذا قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لأنهم إِذَا رَدُّوْهَا مَا بَقِيَ كَلَامٌ فِي معناها؛ ولهذا قالوا: إنه لَا يُحْتَجُّ بِالْأَحَادِ فِي مَسَائِلِ الْعَقِيدَةِ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ رَدُّهَا بِأَنْ تَكُونَ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنَ السُّنَّةِ الْمَتَوَاتِرَةِ لَجُؤُوا إِلَى التَّأْوِيلِ، فَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ رَجْعُوا إِلَى التَّفْوِيضِ، وَقَالُوا: اللهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهَا.

٢١٨١- إِذْ قَوْلُهُ نَصٌّ لَدَيْنَا مُحْكَمٌ فَظَوَاهِرُ الْمَنْقُولِ ذَاتُ مَعَانٍ

هذا هو السَّبَبُ فِي أَنَّهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى قَوْلِ شَيْوَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُ نَصٌّ لَدَيْهِمْ، أَمَّا الْمَنْقُولُ - وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ - فَظَوَاهِرُ تَحْتَمِلُ مَعَانِي مُتَعَدِّدَةً.

٢١٨٢- وَالنَّصُّ فَهُوَ بِهِ عَلِيمٌ دُونََّا وَبِحَالِهِ مَا حِيلَةَ الْعُمَيَّانِ

٢١٨٣- إِلَّا تَمَسُّكُهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُمْ كَذِي الْأَرْسَانِ

يقولون: إِنَّ الشَّيْخَ أَعْلَمُ بِالنَّصِّ مِنَّا وَأَعْلَمُ بِحَالِهِ، وَمَا حِيلَتُنَا وَنَحْنُ بِالنِّسْبَةِ لِلشَّيْخِ عُمَيَّانُ؟

قَوْلُهُ: «مَا حِيلَةَ الْعُمَيَّانِ إِلَّا تَمَسُّكُهُمْ بِأَيْدِي مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُمْ» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَالْأَعْمَى لَيْسَ لَهُ حِيلَةٌ إِلَّا أَنْ يُمْسِكَ يَدَ مُبْصِرٍ حَتَّى يَقُودَهُ كَذِي الْأَرْسَانِ.

قَوْلُهُ: «كَذِي الْأَرْسَانِ» ذُو الْأَرْسَانِ هُوَ: الْبَعِيرُ، وَالْخَيْلُ، وَالْحَمِيرُ، وَالْبِغَالُ، فَكُلُّهَا تُقَادُ بِالْأَرْسَانِ، فَيَقُولُونَ: نَحْنُ مُقَلِّدَةٌ، مَا لَنَا حِيلَةٌ إِلَّا التَّمَسُّكُ بِأَقْوَالِ شَيْوَيْهِنَا.

شَبَّهَهُم ابْنُ الْقَيْمِ بِذَوَاتِ الْأَرْسَانِ، وَالْأَرْسَانَ جَمْعَ (رَسَنٍ)، وَهُوَ مَقْوَدُ الْبَهِيمَةِ^(١).

٢١٨٤- فَاعْجَبْ لِعُمَيَّانِ الْبَصَائِرِ أَبْصَرُوا كَوْنَ الْمُقَلِّدِ صَاحِبِ الْبُرْهَانِ

٢١٨٥- وَرَأَوْهُ بِالتَّقْلِيدِ أَوْلَى مِنْ سَوَا هُ بَغَيْرِ مَا بَصَرَ وَلَا بُرْهَانَ

صحيح، اعجب! كيف عرفوا أن مقلدهم هو صاحب البرهان، ولم يعرفوا أن محمداً ﷺ هو صاحب البرهان؟!

فإذا جاءهم حديثٌ عن رسول الله ﷺ فليس برهاناً؛ لأنه يَحْتَمِلُ، وإذا جاءت أقوالُ شيوخهم فهي البرهان!!

٢١٨٦- وَعَمُوا عَنِ الْوَحِيِّنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا عَجَبًا لِذِي الْحِرْمَانِ!

قَوْلُهُ: «وَعَمُوا عَنِ الْوَحِيِّنِ إِذْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَاهُمَا» وهذا من عقوبة الله - سبحانه وتعالى - لمن تعصّب لهواه، وترك الكتاب والسنة؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْعَادَتَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]؛ ولهذا يجب عليك الحذر إذا مرّ بك الدليل ألا تحاول معارضته، بل قل: سمعنا وأطعنا؛ لأنك لو حاولت معارضته فإنه ربّما تُحرم الهداية في المستقبل.

٢١٨٧- قَوْلُ الشُّيُوخِ أْتَمُّ تَبْيَانًا مِنَ الْوَحِيِّنِ لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُ الشُّيُوخِ أْتَمُّ تَبْيَانًا مِنَ الْوَحِيِّنِ» وذلك عند هؤلاء، قال ابن القيم: «لَا وَالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ» يعني: ليست أقوالُ الشيوخ أتمّ بياناً من الوحيين.

(١) الرَّسَنُ: الحبل والرّسنُ ما كان من الأزمنة على الأنف والجمع أرسانٌ وأرسنٌ. انظر: لسان العرب (١٨٠/١٣)

٢١٨٨- النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التَّبَيَّانِ

قَوْلُهُ: «النَّقْلُ نَقْلٌ صَادِقٌ» يعني: عن رسولِ الله -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ فِي غَايَةِ التَّبَيَّانِ» يعني: مِنَ الرَّسُولِ ﷺ

المعصوم، بخلافِ شيوخهم.

٢١٨٩- وَسِوَاهُ إِمَّا كَاذِبٌ أَوْ صَحَّ لَمْ يَكُ قَوْلَ مَعْصُومٍ وَذِي تَبَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «سِوَاهُ» أي: سوى قولِ الرسول -عليه الصلاة والسلام- إِمَّا كَاذِبٌ،

يعني: أَنَّهُ مَنْقُولٌ عَنِ الْقَائِلِ كَذِبًا، وَإِمَّا صَحِيحٌ لَكِنَّهُ لَيْسَ قَوْلَ مَعْصُومٍ، فَلَيْسَ

معصومًا من الخطأ.

٢١٩٠- أَفَيْسَتْوِي النَّقْلَانِ يَا أَهْلَ النَّهْيِ؟! وَاللَّهُ لَا يَتِمَّائِلُ النَّقْلَانِ

٢١٩١- هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا فِي اللَّهِ، نَحْنُ لِأَجْلِهِ خَصَمَانِ

وفي هذا دليلٌ على أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ -رحمه الله- يَدِينُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِعَدَاوَةِ أَهْلِ

البدع، وهو حقٌّ، فيجِبُ على الإنسان أن يُبْغِضَ أَهْلَ الْبِدْعِ وَيُعَادِيَهُمْ بِحَسَبِ مَا

معهم من البدعة، خلافاً لمن قال: إِنَّ الْأُمَّةَ الْإِسْلَامِيَّةَ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ، فيجِبُ أن يكونَ

بينها مودةٌ ومحبَّةٌ؛ حَتَّى مَعَ الْبِدْعِ الْمَكْفُورَةِ تَجِبُ الْمَحَبَّةُ.

ولكن هذا خطأ، بل يَجِبُ علينا أن نُبْغِضَ الْمُبْتَدِعَ على بدعته، ولكن إذا كان

فيه خيرٌ -يعني: بدعةٌ وسُنَّةٌ، وهُدًى وضلالةٌ- فَالْعَدْلُ أن نَحْبَهُ على ما معه من

الهُدَى وَالسُّنَّةَ، وَنُبْغِضَهُ على ما معه من البدعة والضلالة.

٢١٩٢- نَصَرُوا الضَّلَالََةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ لَكِنْ نَصَرْنَا مُوجِبَ الْقُرْآنِ

٢١٩٣- وَلَنَا سُؤْلُكَ ضِدَّ مَسْلِكِهِمْ فَمَا رَجُلَانِ مِّنَّا قَطُّ يَلْتَقِيَانِ
وَكُلُّ هَذَا وَاضِحٌ.

٢١٩٤- إِنَّا أَبِينَا أَنْ نَدِينَ بِمَا بِهِ دَانُوا مِنَ الْأَرَاءِ وَالْبُهْتَانِ
يعني: أبيننا أن ندينَ لله ونعملَ له ونعبدهَ بما دانوا به من الآراء والبهتان.

٢١٩٥- إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا يَكْفِي الرِّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ
قَوْلُهُ: «إِنَّا عَزَلْنَاهَا وَلَمْ نَعْبَأْ بِهَا» يعني: عزلنا الآراء التي دانوا بها، ولم نعبأ
بها، بل «يَكْفِي الرِّسُولُ وَمُحْكَمُ الْفُرْقَانِ».

٢١٩٦- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ فَلَا كَفَا هُ اللهُ شَرَّ حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ
بدأ - رحمه الله - يدعو عليه، قال: «مَنْ لَمْ يَكُنْ يَكْفِيهِ ذَانِ، فَلَا كَفَاَهُ اللهُ شَرَّ
حَوَادِثِ الْأَزْمَانِ» يعني: بل أصابه بها.

٢١٩٧- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَشْفِيهِ ذَانِ فَلَا شَفَا هُ اللهُ فِي قَلْبٍ وَلَا أَبْدَانِ
الذي لا يشفيه القرآنُ والسُّنَّةُ فاللهُ لا يشفي قلبه ولا بدنه.

ولكننا قد لا نوافق ابن القيم - رحمه الله تعالى - على هذا، قد نقول: مَنْ لَمْ
يَشْفِهِ هَذَا إِذَا عَانَدَ، وَإِلَّا فَإِنَّا نَسْأَلُ اللهُ أَنْ يَشْفِيَهُ مِنْ عِلَّتِهِ، لَا سِيَّامَا شَفَاءَ الْقَلْبِ
فَهُ الْمِهْمُ، أَمَّا شَفَاءُ الْمَرَضِ فَأَمْرُهُ سَهْلٌ، يَعْنِي: هَلْ لَنَا إِذَا رَأَيْنَا شَخْصًا مَبْتَدِعًا
عَرَضْنَا عَلَيْهِ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَلَكِنَّهُ أَبِي إِلَّا أَنْ يَبْقَى عَلَى بَدْعَتِهِ، هَلْ نَقُولُ لَهُ:
لَا شِفَاكَ اللهُ مِنْ مَرَضِ قَلْبِكَ؟ ابْنُ الْقَيْمِ - رحمه الله - يقول: لَا شِفَاهُ اللهُ، وَلَكِنِّي
أَرَى أَنْ نَقُولَ: نَسْأَلُ اللهُ لَكَ الْهُدَايَةَ.

ولكنَّ ابنَ القِيَمِ نظراً لما حصل منهم من أذيةٍ على أهلِ السُّنَّةِ رأى أنهم ظالمون، وأنه يجوزُ للمظلوم أن يدعو على ظالمه.

٢١٩٨- مَنْ لَمْ يَكُنْ يُغْنِيهِ ذَانِ رَمَاهُ رَبُّ بَعْثِ الْعَرْشِ بِالْإِعْدَامِ وَالْحِرْمَانِ
إذا كان لا يُغنيه الكتابُ والسُّنَّةُ، فإنَّ اللهَ يرميه بالإعدامِ والحرمَانِ.

٢١٩٩- مَنْ لَمْ يَكُنْ يَهْدِيهِ ذَانِ فَلَا هَدَا هُ اللهُ سُبُلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
فكُلُّ شَيْءٍ أَتَى - رَحِمَهُ اللهُ - بَضْدَهُ.

٢٢٠٠- إِنَّ الْكَلَامَ مَعَ الْكِبَارِ وَلَيْسَ مَعَ تِلْكَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ
الكلامُ مع الكبارِ العقلاءِ الذين يطلبون الحقَّ بصدقٍ، أمَّا هؤلاء فهم أراذلٌ، وسِفْلَةُ الحيوانِ.

٢٢٠١- أَوْسَاخِ هَذَا الْخَلْقِ بَلْ أَنْتَانِيهِ، جَيْفِ الْوُجُودِ، وَأَخْبَثِ الْأَنْتَانِ
وهنا شَدَّدَ - رَحِمَهُ اللهُ - عليهم جدًّا؛ لأنهم أيضًا أشدَّاءُ على أهلِ السُّنَّةِ.

٢٢٠٢- الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْكَفْرَانِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «الطَّالِبِينَ دِمَاءَ أَهْلِ الْعِلْمِ» أي: بالقتل، والحبس، والضرب، وغير ذلك؛ فلهذا كان ابنُ القِيَمِ شديدًا عليهم؛ لأنهم أيضًا أشدَّاءُ على أهلِ السُّنَّةِ.

٢٢٠٣- الشَّاتِمِي أَهْلِ الْحَدِيثِ عَدَاوَةً لِلْسُّنَّةِ الْعُلْيَا مَعَ الْقُرْآنِ
يشتمون أهلَ الحديثِ لمعاداتهم للسُّنَّةِ، لا لشخصياتهم؛ ولهذا لو كان هذا الشخصُ منهم لكان من أوليائهم، لا من أعدائهم، لكن يُعادونَه؛ لأنه متمسكٌ بالسُّنَّةِ.

٢٢٠٤- جَعَلُوا مَسَبَّتَهُمْ طَعَامَ حُلُوقِهِمْ، فَاللَّهُ يَقْطَعُهَا مِنْ الْأَذْقَانِ

يعني: جعلوا مسبة أهل السنة طعام حُلُوقِهِمْ، يعني: يتمتعون بالكلام عن أهل السنة، ويتلذذون به.

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ يَقْطَعُهَا مِنَ الْأَذْقَانِ»، وَإِذَا قَطَعَهَا مِنَ الْأَذْقَانِ لَا يَبْقَى شَيْءٌ.

٢٢٠٥- كِبْرًا وَإِعْجَابًا وَتِيهًا زَائِدًا وَتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ

يعني: أن لديهم كبرًا وإعجابًا وتيهًا بأنفسهم، كأنهم هم الملائكة والناس هم الحيوان.

قَوْلُهُ: «وَتَجَاوُزًا لِمَرَاتِبِ الْإِنْسَانِ» أَي: إِلَى مَرَاتِبِ الرَّبُوبِيَّةِ أَوْ الْمَلَائِكَةِ، فَهَم يَرُونَ أَنَّهُمْ فَوْقَ الْبَشَرِ.

٢٢٠٦- لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وَرَاءِ كِفَايَةِ كُنَّا حَمَلْنَا رَايَةَ الشُّكْرَانِ

٢٢٠٧- لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ كُلِّ تَخَلُّفٍ عَنِ رُتْبَةِ الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

يعني: لو أن هذا كان «من وراء كفاية» لَكُنَّا «حملنا راية الشكران»، و«لكنه من خلف كل تخلف»، يعني أن هذا القول ليس عن كفاية وجدارة، ولو كان عن كفاية وجدارة لَكُنَّا نشكرهم، لكنه ليس كذلك، بل عن عنادٍ وإعجابٍ وكبرٍ؛ ولهذا قال:

٢٢٠٨- مَنْ لِي بِشِبْهِ خَوَارِجٍ قَدْ كَفَرُوا بِالذَّنْبِ تَأْوِيلًا بِإِلَّا إِحْسَانِ

يعني أن هؤلاء أشد من الخوارج؛ لأن الخوارج كفروا المسلمين (بالذنب) بالكبيرة (تأويلًا بلا إحسان)؛ لأنهم لو أولوا بالإحسان لعلموا أن فاعل الكبيرة

لا يُكفِّر، لكنْ هم تأوَّلوا نُصوصَ التكفيرِ، وغفلوا عن النصوص الأخرى المقابلة، فكفَّروا المسلمين بالذُّنب.

٢٢٠٩- وَلَهُمْ نُصُوصٌ قَصَّروا فِي فَهْمِهَا، فَاتُّوا مِنَ التَّقْصِيرِ فِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُمْ نُصُوصٌ» أي: للخوارجِ نصوصٌ قَصَّروا فِي فَهْمِهَا، «فَاتُّوا من التقصيرِ فِي الْعِرْفَانِ».

٢٢١٠- وَخُصُومُنَا قَدْ كَفَّرُونَا بِالَّذِي هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَخُصُومُنَا» أي: هؤلاءِ المعطَّلَّة، قد كَفَّرُونَا بِالَّذِي هُوَ غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ، فَهُمْ الْآنَ أَشَدُّ من الخوارجِ؛ لأنَّ الخوارجَ كَفَّرُوا الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ وَمَعَاصٍ، وَهَؤُلَاءِ كَفَّرُوهُمْ بِالتَّزَامِهِم بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَفَرَّقُوا عَظِيمًا، فَصَارَ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةُ الَّذِينَ كَفَّرُوا أَهْلَ السُّنَّةِ، وَوَسَّوْا إِلَى السُّلْطَانِ بِهِمْ أَشَدَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْخَوَارِجِ.

فصل

فِي بَيَانِ كَذِبِهِمْ وَرَمِيهِمْ أَهْلَ الْحَقِّ بِأَنَّهُمْ أَشْبَاهُ الْخَوَارِجِ،
وَبَيَانِ شَبَهُهُمُ الْمُحَقِّقِينَ بِالْخَوَارِجِ

- ٢٢١١ - وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ قَدْ دَانَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ:
- ٢٢١٢ - أَنْتُمْ بِذَا مِثْلِ الْخَوَارِجِ، إِنَّهُمْ أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لِمَعَانِ
- ٢٢١٣ - فَانظُرْ إِلَى ذَا الْبُهْتِ، هَذَا وَصَفَهُمْ نَسَبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الْإِيمَانِ
- ٢٢١٤ - سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبِهِ سَيْفَيْنِ: سَيْفَ يَدٍ، وَسَيْفَ لِسَانِ
- ٢٢١٥ - خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلَمَا خَرَجَ الْأُلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
- ٢٢١٦ - وَاللَّهِ مَا كَانَ الْخَوَارِجُ هَكَذَا وَهُمْ الْبُغَاةُ أُمَّةُ الطُّغْيَانِ
- ٢٢١٧ - كَفَرْتُمْ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ فُسَّاقٌ مَلَّتِهِ، فَمَنْ يَلْحَازِي
- ٢٢١٨ - إِنْ قُلْتُ: هُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْكُمْ وَاللَّهِ مَا الْفِتْنَانِ مُسْتَوِيَانِ
- ٢٢١٩ - شَتَانِ بَيْنَ مُكْفَرٍ بِالسُّنَّةِ الْعُلَيَّا، وَبَيْنَ مُكْفَرٍ الْعِضْيَانِ
- ٢٢٢٠ - قُلْتُمْ: تَأَوَّلْنَا، كَذَلِكَ تَأَوَّلُوا وَكَالَكُمَا فِتْنَانِ بَاغِيَتَانِ
- ٢٢٢١ - وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالبُهْتَانِ
- ٢٢٢٢ - وَلَهُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ الْإِثْبَاتِ وَالتَّصْصِيقِ مَعَ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

- ٢٢٢٣- أَلَكُم عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ إِذْ
لَهُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ وَزُرَانِ؟!
٢٢٢٤- حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذَا الْحُكْمِ، بَلْ
أَنْتُمْ وَهُمْ فِي حُكْمِهِ سَيَّانِ
٢٢٢٥- وَكِلَاكُمَا لِلنَّصِّ فَهُوَ مُحَالِفٌ
هَذَا وَبَيْنَكُمَا مِنَ الْفُرْقَانِ
٢٢٢٦- هُمْ خَالَفُوا نَصًّا لِنَصِّ مِثْلِهِ
لَمْ يَفْهَمُوا التَّوْفِيقَ بِالْإِحْسَانِ
٢٢٢٧- لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ الْمَنْصُوصَ لِلشَّ
شُبْهِ الَّتِي هِيَ فِكْرَةُ الْأَذْهَانِ
٢٢٢٨- فَلِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَقْفُ
رَبُّ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ؟!
٢٢٢٩- هُمْ قَدَّمُوا الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْظِ الْكِتَابِ
بِ عَلَى الْحَدِيثِ الْمَوْجِبِ التَّبْيَانِ
٢٢٣٠- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ رَأْيَ الرَّجَا
لِ عَلَيْهِمَا، أَفَأَنْتُمَا عِدْلَانِ؟
٢٢٣١- أَمْ هُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَقْرَبُ مِنْكُمْ
لَا حَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
٢٢٣٢- وَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْجَزَا
بِالْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالْمِيزَانِ
٢٢٣٣- هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمْ بَلْ مِنْكُمْ
بُرَاءٌ إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانِ
٢٢٣٤- فَاسْمَعِ إِذْ قَوْلَ الْخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْلِ
لِ خُصُومِنَا، وَاحْكُمْ بِلَا مَيْلَانِ
٢٢٣٥- مَنْ ذَا الَّذِي مِمَّا إِذْ أَشْبَاهُهُمْ
إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ؟
٢٢٣٦- قَالَ الْخَوَارِجُ لِلرَّسُولِ: اعْدِلْ فَلَمْ
تَعْدِلْ، وَمَا ذِي قِسْمَةِ الدِّيَانِ
٢٢٣٧- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قَالَ نَظِيرَ ذَا
لَكِنَّهُ قَدْ رَادَ فِي الطُّغْيَانِ
٢٢٣٨- قَالَ: الصَّوَابُ بِأَنَّهُ «اسْتَوْلَى»، فَلِمَ
وَعَدَلْتَ عَنْ تَبْيَانِ

- ٢٢٣٩- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ لِمَ قُلْتَ: يَنْزِلُ صَاحِبُ الْغُفْرَانِ؟
- ٢٢٤٠- مَاذَا بَعْدُ فِي الْعِبَارَةِ وَهِيَ مُوْهُمَةُ التَّحْرُكِ وَانْتِقَالِ مَكَانٍ أَوْ هَمَّتْ حَيَّرَ خَالِقِ الْأَكْمَوَانِ
- ٢٢٤١- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ فِي السَّمَاءِ فَوْقَ السَّمَاءِ سُلْطَانُ ذِي السُّلْطَانِ
- ٢٢٤٢- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنَّ يُقَالَ بِأَنَّهُ بِي إِلَى كَرَامَةِ رَبِّنَا الْمَنَانِ
- ٢٢٤٣- وَكَذَلِكَ قُلْتَ: إِلَيْهِ يَعْرُجُ وَالصَّوَابُ قُرْآنُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٢٢٤٤- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ مِنْهُ يَنْزِلُ الْوَحْيُ مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ مَحَلِّ نَانَ
- ٢٢٤٥- وَتَقُولُ: أَيْنَ اللَّهُ؟ ذَاكَ الْ«أَيْنُ» مُدْتَبِعٌ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٢٢٤٦- لَوْ قُلْتَ: مَنْ؟ كَانَ الصَّوَابُ كَمَا تَرَى فِي الْقَبْرِ يَسْأَلُ ذَلِكَ الْمَلَكَانَ
- ٢٢٤٧- وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ الْوَحِيدُ أَعْلَى تُشِيرُ بِأَصْبَعِ وَبَنَانِ
- ٢٢٤٨- نَحْوَ السَّمَاءِ وَمَا إِشَارَتُنَا لَهُ حَسِيَّةً، بَلْ تِلْكَ فِي الْأَذْهَانِ
- ٢٢٤٩- وَاللَّهُ مَا نَدْرِي الَّذِي يُبْدِيهِ فِي هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ لِلْإِخْوَانِ
- ٢٢٥٠- قُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ هِيَ قِبْلَةُ الدِّعْوَى دَاعِي كَبَيْتِ اللَّهِ ذِي الْأَرْكَانِ
- ٢٢٥١- قَالُوا لَنَا: هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ
- ٢٢٥٢- فَالْنَّاسُ طُرًّا إِنَّهَا يَدْعُونَهُ مِنْ فَوْقِ، هَذِي فِطْرَةُ الرَّحْمَنِ
- ٢٢٥٣- لَا يَسْأَلُونَ الْقِبْلَةَ الْعُلْيَا وَلَكِنْ يَسْأَلُونَ الرَّبَّ ذَا الْإِحْسَانِ

- ٢٢٥٥- قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى غَيْرِ الشَّهِيدِ مُنَزَّلِ الْفُرْقَانِ
 ٢٢٥٦- أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلْسَّامِ مُسْتَشْهِدًا؟! حَاشَاهُ مِنْ تَحْرِيفِ ذِي الْبُهْتَانِ

الشرح

٢٢١١- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ قَالُوا لِمَنْ قَدْ دَانَ بِالْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ:

٢٢١٢- أَنْتُمْ بَذَا مِثْلُ الْخَوَارِجِ، إِنَّهُمْ أَخَذُوا الظَّوَاهِرَ مَا اهْتَدَوْا لِمَعَانِ

هذا الفصل عقده المؤلف لأنهم قالوا: أنتم يا أهل السنة أشبهتم الخوارج في التمسك بالظاهر؛ لأن أهل السنة فيما يتعلق بالأسماء والصفات يتمسكون بالظاهر، فقالوا: أنتم أشبهتم الخوارج؛ لأن الخوارج أخذوا بظواهر النصوص التي تُفيد الكفر في بعض الكبائر، فابن القيم -رحمه الله- يقول: أنتم الذين أشبهتموهم.

٢٢١٣- فَانظُرْ إِلَى ذَا الْبُهْتِ، هَذَا وَصَفَهُمْ نَسَبُوا إِلَيْهِ شِيعَةَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «الْبُهْت»: الكذب.

٢٢١٤- سَلُّوا عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَحِزْبِهِ سَيْفَيْنِ: سَيْفَ يَدٍ، وَسَيْفَ لِسَانِ

قَوْلُهُ: «سَيْفَ يَدٍ» وذلك بالضرب، وربما بالقتل.

قَوْلُهُ: «وَسَيْفَ لِسَانِ» بالكلام، بالسبِّ، بالقدح، فيقولون لهم: أنتم حشوية،

أنتم نوابت، أنتم غناء، أنتم ممثلة، وما أشبه ذلك.

٢٢١٥- خَرَجُوا عَلَيْهِمْ مِثْلًا خَرَجَ الْأَلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «خَرَجُوا» الضمير يعود على أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِمْ» أي: على حزب الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «مِثْلَمَا خَرَجَ الْأَلَى مِنْ قَبْلِهِمْ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ» وهم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وغيره من الصحابة وقاتلوهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٢١٦- وَاللَّهِ مَا كَانَ الْخَوَارِجُ هَكَذَا وَهُمْ الْبُعَاةُ أَيْمَةُ الطُّغْيَانِ
هنا أقسم ابن القيم -رحمه الله- أن الخوارج أهون من هؤلاء، وما كانوا هكذا.

قَوْلُهُ: «وَهُمْ» الضمير يعود على الخوارج.

لكن ما وجه أنهم أقل من هؤلاء؟ قال:

٢٢١٧- كَفَرْتُمْ أَصْحَابَ سُنَّتِهِ وَهُمْ فُسَاقٌ مِلَّتِهِ،

يعني: أنتم كفرتم أصحاب السنة، كيف ذلك؟ قالوا: إنهم مجسمة، وإن التجسيم كفر، فكفروهم بإثبات السنة، وأما الخوارج فكفروا فساق الملة، وعلى ذلك فالخوارج أهون؛ لأن الخوارج إنما كفروا أصحاب الكبائر، وهؤلاء كفروا أصحاب السنة.

٢٢١٧- فَمَنْ يَلْحَانِي

٢٢١٨- إِنْ قُلْتُ: هُمْ خَيْرٌ وَأَهْدَى مِنْكُمْ وَاللَّهُ مَا الْفِتْنَانِ مُسْتَوِيَانِ

٢٢١٩- شَتَانٌ بَيْنَ مُكْفَرٍ بِالسُّنَّةِ الْـ عَلِيًّا، وَبَيْنَ مُكْفَرِ الْعِصْيَانِ

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يَلْحَانِي» أي: من يلومني.

قَوْلُهُ: «شَتَانٌ» بمعنى بُعد، يعني: فرق بعيد بين من كفر بالسنة ومن كفر

بالعصيان، فالأعظم؟ هو من كفر بالسنة، يعني: الذي يكفر الناس لاتباعهم السنة أشد من الذي يكفرهم بقيامهم بالمعصية.

٢٢٢٠- قُلْتُمْ: تَأْوَلْنَا، كَذَلِكَ تَأْوَلُوا وَكِلَاكُمَا فِتْنَانِ بَاغِيَتَانِ

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ: تَأْوَلْنَا كَذَلِكَ تَأْوَلُوا» يعني: قلتُم مدافعين عن أنفسكم: إننا ذهبنا هذا المذهب متأولين، فنقول لهم: «كَذَلِكَ تَأْوَلُوا»؛ هم أيضًا -هؤلاء الخوارج- تأولوا، وأخذوا بالنصوص التي ظاهرها الوعيد.

ثم قال ابن القيم: «وَكَِلَاكُمَا فِتْنَانِ بَاغِيَتَانِ»، ولكن تأولكم أنتم أشد.

٢٢٢١- وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ وَالبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَكُمْ عَلَيْهِمْ مِيزَةُ التَّعْطِيلِ» لكم عليهم ميزة، وهي التعطيل، أي: تعطيل صفات الله عز وجل، والتحريف للنصوص، والتبديل، والبُهتان.

٢٢٢٢- وَلَهُمْ عَلَيْكُمْ مِيزَةُ الإِثْبَاتِ وَالتَّصْديقِ مَعَ خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

وهذا فرق، فالخوارج لهم شدة تمسك بالظواهر، ويثبتون الصفات ويصدقون بها، وعندهم من خوف الله ما ليس عند هؤلاء؛ ولهذا تجد الخوارج سُرج الليالي، يبيتون لربهم سُجَّدًا وقيامًا، يصومون، يتلون الكتاب، لا يوجد أحدٌ مثلهم في الظاهر، لكن إيمانهم -والعياذ بالله- لا يتجاوز حناجرهم كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١). نسأل الله العافية.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم: كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

٢٢٢٣- أَلَكُم عَلَى تَأْوِيلِكُمْ أَجْرَانِ إِذْ لَهُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ وَزُرَانِ؟!

هذا الاستفهامُ للإنكار، يعني: أنتم تؤولون، وتقولون: إننا مؤولون مُصيبون فلنا أجران، أما هم فهم غيرُ مؤولين، بل معاندون، فلهمِ وزران.

٢٢٢٤- حَاشَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ ذَا الْحُكْمِ، بَلْ أَنْتُمْ وَهُمْ فِي حُكْمِهِ سَيَّانِ

٢٢٢٥- وَكِلَاكُمَا لِلنَّصِّ فَهُوَ مُخَالِفٌ هَذَا وَبَيْنَكُمَا مِنَ الْفُرْقَانِ

٢٢٢٦- هُمْ خَالَفُوا نَصًّا لِنَصِّ مِثْلِهِ لَمْ يَفْهَمُوا التَّوْفِيقَ بِالْإِحْسَانِ

٢٢٢٧- لَكِنَّكُمْ خَالَفْتُمُ الْمَنْصُوصَ لِلشُّ شُبِّهِ الَّتِي هِيَ فِكْرَةُ الْأَذْهَانِ

أيُّهما أعظمُ مخالفةً؟ الخوارجُ خالفوا النصوصَ الدالَّةَ على أنَّ المؤمنَ لا يكفرُ بالمعاصي والكبائر، لكنَّهم خالفوها لنصوصٍ أخرى اشتبهتُ عليهم، ذلكتُ على كفر بعض فاعلي الكبائر.

فإذن هم خالفوا النصوصَ لنصوصٍ أخرى، ولكنَّهم لم يوفَّقوا للتوفيقِ بينها، أمَّا أنتم فخالفتم النصوصَ للآراء والأفكار، وما زعمتموه عقولاً؛ ولهذا قال:

٢٢٢٨- فَلِأَيِّ شَيْءٍ أَنْتُمْ خَيْرٌ وَأَقْبَرُ مِنْهُمْ لِلْحَقِّ وَالْإِيمَانِ؟!

هذا الاستفهامُ للإنكار، يعني: لا يمكنُ أن تكونوا أقربَ منهم للحقِّ والإيمان.

٢٢٢٩- هُمْ قَدَّمُوا الْمَفْهُومَ مِنْ لَفْظِ الْكِتَابِ بِ عَلَى الْحَدِيثِ الْمَوْجِبِ التَّبْيَانِ

الخوارجُ يعتنون بالقرآن، ولكنَّهم لا يأخذون بالحديث، كما قال ابنُ القيم

هنا، ولعل هذا قول لطائفة منهم، وأن بعضهم يأخذ بالحديث إذا صحَّ سنده، لكنهم يتشدّدون في الأحاديث.

٢٢٢٠- لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ رَأْيَ الرَّجَا لِ عَلَيْهِمَا، أَفَأَنْتُمَا عِدْلَانِ؟

قَوْلُهُ: «لَكِنَّكُمْ قَدَّمْتُمْ رَأْيَ الرَّجَالِ عَلَيْهِمَا» يعني: على الكتاب وعلى الحديث.

قَوْلُهُ: «أَفَأَنْتُمَا عِدْلَانِ؟» الجواب: لا، لستما عدلين؛ لأنه على تقدير أنهم أخذوا بالقرآن دون الحديث فأنتم لا أخذتم لا بهذا ولا بهذا.

٢٢٢١- أَمْ هُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ أَقْرَبُ مِنْكُمْ لَاحَ الصَّبَاحِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «أَمْ هُمْ» بمعنى: بل هم، ف(أم) هنا للإضراب.

قَوْلُهُ: «لَاحَ الصَّبَاحِ» (لاح) بمعنى: اتّضح وبان.

٢٢٢٢- وَاللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْجَزَا بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ وَالْمِيزَانِ

يحكم الله عزَّ وجلَّ يومَ القيامة بين الخلائق بالعدل والميزان؛ لأنَّ الخلائق يومَ القيامة يختصمون، أي: يختصم أهل الحقُّ وأهل الباطل، فمثلاً الآن في عصرنا يوجد أهل باطل، نقول لهم: هذا باطل، فيقولون: لا، يومَ القيامة هم خصومنا، نخاصمهم، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخَصِّمُونَ﴾ [الزمر: ٣١] فالْمُؤْمِنُ يخاصم الكافر يومَ القيامة؛ لأجل أن يُقيم الحجة عليه في يوم لا يستطيع أن يتهرب؛ ولهذا تجدون في آيات كثيرة: ﴿فِيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ [المائدة: ٤٨] فلا بُدَّ من المخاصمة.

وهذه تُفرِّح الإنسان، فالْمُؤْمِنُ الذي لا يُؤخذُ قوله في الدنيا يفرحُ بأنَّ هناك

موقفاً آخر، سوف يكون قوله هو المتَّبِع وهو العالِي، وربِّها يعلو في الدنيا، فربما يُعَجِّلُ اللهُ النَصْرَ لِلإِنْسَانِ فِي الدُّنْيَا كَمَا يَنْصُرُهُ فِي الآخِرَةِ، أَمَّا فِي الآخِرَةِ فَالنَّصْرُ مَضْمُونٌ لِلْمُؤْمِنِينَ، سَيَكُونُ تَخَاصُمٌ، وَيَحْكُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ.

٢٢٣٣- هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمْ بَلْ مِنْكُمْ بُرَاءٌ إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ
جزاه الله خيراً، يقول: نحن بُرَاءٌ مِنْكَ، وَبُرَاءٌ مِنْهُمْ، أَي: مِنَ الْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّهُمْ كَلَّمَهُمْ لَيْسُوا عَلَى حَقٍّ.

قَوْلُهُ: «إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ» وَهَذَا أَيْضًا مِنْ إِنْصَافِ ابْنِ الْقَيْمِ، يَعْنِي: نَتَبَرَّأُ مِنْكُمْ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْكُمْ مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ فَإِنَّا نَقْبَلُهُ؛ وَهَذَا لَا يَجُوزُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَحْمِلَهُ بُغْضُ الشَّخْصِ عَلَى رَدِّ قَوْلِهِ مُطْلَقًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

فَالوَاجِبُ أَنْ يَقْبَلَ الْإِنْسَانُ الْحَقَّ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ جَاءَ بِهِ، وَيُرَدُّ الْبَاطِلُ مِنْ أَيِّ إِنْسَانٍ جَاءَ بِهِ، أَمَّا أَنْ يَزِنَ الْحَقَّ بِالرِّجَالِ، وَيَقُولُ: كُلُّ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الشَّخْصُ فَهُوَ حَقٌّ، فَهَذَا غَلْطٌ؛ وَهَذَا قَالَ: (هَذَا وَنَحْنُ فَمِنْهُمْ بَلْ مِنْكُمْ) يَعْنِي: وَمِنْكُمْ أَيْضًا، (بُرَاءٌ إِلَّا مِنْ هُدَى وَبَيَانٍ).

٢٢٣٤- فَاسْمَعِ إِذْنُ قَوْلَ الْخَوَارِجِ ثُمَّ قَوْلَ لْ خُصُومِنَا، وَاحْكُمْ بِلَا مَيْلَانِ

٢٢٣٥- مَنْ ذَا الَّذِي مِنَّا إِذْنُ أَشْبَاهُهُمْ إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانٍ؟

٢٢٣٦- قَالَ الْخَوَارِجُ لِلرَّسُولِ: اْعْدِلْ فَلَمْ تَعْدِلْ، وَمَا ذِي قِسْمَةِ الدِّيَانِ

بدأ المؤلف بالمقارنة بين الخوارج، وبين أهل التعطيل، فهل هم أولى أن يكونوا مشابهيين بالخوارج أو نحن؟

يقول: أنتم الذي أشبهتموهم، ثُمَّ رَكَزَ عَلَى نَقْطَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ قَوْلُ الْخَارِجِيِّ لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ»^(١)، يعني: كان الصواب أن تقسمها على غير هذه القسمة، فقوله: «اعْدِلْ» يعني: إِذْنُ قَسْمِكَ خَطَأً، وَالصَّوَابُ أَنْ تَقْسِمَهَا عَلَى غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ، وَهَذِهِ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِ الْخَوَارِجِ.

قال: أنتم -الآن- قلتُم في النصوص الدالة على الصفات: إنه لا يُرَادُ بِهَا كَذَا، وَإِنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لَمْ يَعْذِلْ حِينَ عَبَّرَ بِهَا بِمَعْنَى الصِّفَاتِ، وَالصَّوَابُ أَنْ يُعَبَّرَ بِكَذَا وَكَذَا.

ثُمَّ ذَكَرَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَمْثَلَةً، فَقَالَ:

٢٢٣٧- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ قَالَ نَظِيرَ ذَا لَكِنَّهُ قَدْ زَادَ فِي الطُّغْيَانِ

٢٢٣٨- قَالَ: الصَّوَابُ بِأَنَّهُ «اسْتَوَى»، فَلِمَ قُلْتَ: «اسْتَوَى» وَعَدَلْتَ عَنْ تَبْيَانِ

يعني: كأنه يخاطب الرسول فيقول: إِنَّ الصَّوَابَ فِي قَوْلِهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الصَّوَابُ: (استوى) لماذا قلت يا محمد: (استوى) والصَّوَابُ: (استوى)؟

إِذْنُ الْخَوَارِجِ قَالُوا: هَذِهِ الْقِسْمَةُ خَطَأً، وَالصَّوَابُ الْقِسْمَةُ الَّتِي يُرِيدُونَ، وَهَذَا قَالَ: (استوى) خَطَأً، وَالصَّوَابُ (استوى).

(١) أخرجه أحمد (٢٣/١٢٣)، رقم (١٤٨٢٠).

٢٢٣٩- وَكَذَلِكَ يَنْزِلُ أَمْرُهُ سُبْحَانَهُ لِمَ قُلْتَ: يَنْزِلُ صَاحِبُ الْغُفْرَانِ؟

يُخَاطَبُ النَّبِيُّ، يَقُولُ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١) الصواب: ينزل أمره، لكنك أنت يا محمد عدلت عن الصواب وقلت: (يَنْزِلُ صَاحِبُ الْغُفْرَانِ)، فأنت يا محمد لم تعدل في اللفظ، بل أتيت بلفظ آخر مخالف للعدل.

٢٢٤٠- مَاذَا بَعْدُ فِي الْعِبَارَةِ وَهِيَ مُو هِمَّةُ التَّحْرُكِ وَانْتِقَالِ مَكَانٍ

يقول: إنك لم تعدل في العبارة، بل أتيت بعبارة توهم الانتقال والتحريك، فقلت: إن الله ينزل، وهذا يوهم أنه انتقل من العرش إلى السماء، وأنه تحرك، وهذا ليس بعدل.

ما الذي ينزل على رأي الجهمي؟ الجواب: ينزل أمره، لماذا لم تقل يا محمد: (يَنْزِلُ أَمْرُهُ) حَتَّى تَعْدِلَ فِي الْعِبَارَةِ، وَتَصِيبَ الصَّوَابَ؟

٢٢٤١- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ رَبَّكَ فِي السَّمَاءِ أَوْ هَمَّتْ حَيْرَ خَالِقِ الْأَكْوَانِ

الآن يخاطب الرسول، لَمَّا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، يقول: هذا غلط، لكن ما الصواب؟ قال:

٢٢٤٢- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنَّ يُقَالَ بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ سُلْطَانُ ذِي السُّلْطَانِ

يقول: الذي في السماء هو سلطانه، أما هو فلا، فلا تقل: إن الله في السماء، بل قل: سلطانه في السماء؛ لأنك إذا قلت: إن الله في السماء فقد جرت في التعبير، وما أتيت بالعدل، وهذه مشابهة تمامًا للخوارج.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

٢٢٤٣- وَكَذَلِكَ قُلْتَ: إِلَيْهِ يُعْرَجُ وَالصَّوَابُ بُ إِلَى كَرَامَةِ رَبِّنَا الْمَنَّانِ

يعني: قلت: رُوحُ المؤمن يُعْرَجُ بها إلى الله عزَّ وجلَّ إذا قُبِضَتْ، والصوابُ أنها لا تُعْرَجُ إليه، وإنما تُعْرَجُ إلى كرامته، لكنك لم تعدل، وأتيت بلفظٍ مُوهِمٍ.

٢٢٤٤- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّ مِنْهُ يُنَزَّلُ الْـ قُرْآنُ تَنْزِيلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

٢٢٤٥- كَانَ الصَّوَابُ بِأَنَّ يُقَالَ: نُزُولُهُ مِنْ لَوْحِهِ أَوْ مِنْ مَحَلِّ ثَانٍ

نسأل الله العافية، يقول: أنت يا محمد قلت: إن القرآن ينزل من الله، وهذا جورٌ في العبارة، والصوابُ أنه ينزل من اللوح المحفوظ، ولا ينزل من الله، فهو ينزل من لوحه، أو من محلِّ ثانٍ، يُقَدَّرُهُ الجهميُّ.

٢٢٤٦- وَتَقُولُ: أَيْنَ اللهُ؟ ذَاكَ الـ «أَيْنُ» مُـ تَتَعَنَّ عَلَيْهِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٢٢٤٧- لَوْ قُلْتَ: مَنْ؟ كَانَ الصَّوَابُ كَمَا تَرَى فِي الْقَبْرِ يَسْأَلُ ذَلِكَ الْمَلَكَانَ

يقول: الرسولُ محمدٌ ﷺ لَمَّا قَالَ للجارية: «أَيْنَ اللهُ؟»^(١) أخطأ ولم يعدل، بل كان الواجبُ عليه أن يقول: (من الله؟) كما يقول الملكان في القبر للميت: «مَنْ رَبُّكَ؟»^(٢) ولا يقولان: (أين ربُّك؟)، فمحمدٌ جارٍ، وعدلٌ عن الصواب.

٢٢٤٨- وَتَقُولُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ الشَّاهِدُ الـ أَعْلَى تُشِيرُ بِأَصْبَعٍ وَبَنَانِ

٢٢٤٩- نَحْوَ السَّمَاءِ وَمَا إِشَارَتُنَا لَهُ حِسِّيَّةً، بَلْ تِلْكَ فِي الْأَذْهَانِ

متى قال هذا؟ قاله في حجة الوداع، لَمَّا قَرَّرَ -صلواتُ الله وسلامه عليه-

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

ما قرّر من الأصول العظيمة، قال: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟». قالوا: نَعَمْ. قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ يَرْفَعُ أُصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ، وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ^(١). ثلاث مرات وهو يُشْهَدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الصَّحَابَةِ أَنَّهُمْ أَقْرَأُوا بِالْبَلَاغِ.

أين يرفعُ أُصْبَعَهُ؟ الجواب: لِلسَّمَاءِ، قال: هذا لا يجوزُ، هذا خطأ، فإنَّ الله تعالى لا يُشَارُ إليه إشارةً حِسِّيَّةً، وإنما يُشَارُ إليه إشارةً معنويَّةً بالقلب؛ ولهذا قال بعضهم: لو أنَّ أحدًا من الناس أشار إليه بأصبعه لقطعُ أُصْبَعَهُ -أعوذ بالله- لأنَّ هذا عندهم كفرٌ، نسأل الله العافية.

قال ابن القيم:

٢٢٥٠- وَاللهَ مَا نَذَرِي الَّذِي نُبْدِيهِ فِي هَذَا مِنَ التَّأْوِيلِ لِلِإِخْوَانِ
يعني أنَّ الرسولَ لَمَّا أشارَ إلى السَّمَاءِ يُشْهَدُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كانَ هذا نَصًّا قاطعًا في أنَّ اللهَ تعالى في السماء، كذلك الدَّاعِي إذا دعا يرفعُ يديه إلى السماء، وهذا نصُّ قاطعٌ؛ لأنه فطرَةٌ.

٢٢٥١- قُلْنَا لَهُمْ: إِنَّ السَّمَاءَ هِيَ قِبْلَةُ الدُّعَايِ كَبَيْتِ اللهِ ذِي الْأَرْكَانِ
يقول: إِنَّ الدَّاعِي إذا رفع يديه إلى السَّمَاءِ إنما يرفعُ يديه إلى قبلة الدعاء، لا إلى الله، كما أنَّ الْمُصَلِّي إذا صَلَّى يَتَّجِهُ إلى الكعبة التي هي قبلة المصلِّي، فإذا قلنا: (يا الله) ليس معناه أنَّنا نرفعُ أيدينا إلى الله، إنما نرفعُ أيدينا إلى قبلة الدَّاعِي كما يَتَّجِهُ المصلِّي إلى الكعبة التي هي قبلة المصلِّي.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

- ٢٢٥٢- قَالُوا لَنَا: هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ بِأَوْصَحِ الْبُرْهَانِ
 ٢٢٥٣- فَالْتَّاسُ طُرًّا إِنَّمَا يَدْعُونَهُ مِنْ فَوْقَ، هَذِي فِطْرَةُ الرَّحْمَنِ
 ٢٢٥٤- لَا يَسْأَلُونَ الْقِبْلَةَ الْعُلْيَا وَلَا كِنْ يَسْأَلُونَ الرَّبَّ ذَا الْإِحْسَانِ

صحيح، لو أنك سألت عجزًا ما قرأت العقيدة، ولا قرأت أي كتاب وهي ترفع يديها تسأل الله: إلى أي شيء رفعت يديك؟ فلن تقول: إلى السماء قبله الداعي، ولا تعرف هذا، بل تقول: رفعتها إلى الله.

كيف تقولون أنتم: إن رفع اليدين إلى السماء لأنها قبله الداعي؟ من قال لكم هذا؟! إنما يرفع الدعاء أيديهم إلى السماء لأنهم يعلمون أن ربهم في السماء.

- ٢٢٥٥- قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى غَيْرِ الشَّهِيدِ مُنْزَلِ الْفُرْقَانِ قَوْلُهُ: «قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ» الذين يقولون هذا أهل السنة والجماعة ردًا على القائلين بأنهم إنما يرفعون أيديهم إلى السماء التي هي قبله الداعي على زعمهم.
 قَوْلُهُ: «قَالُوا: وَمَا كَانَتْ إِشَارَتُهُ إِلَى غَيْرِ الشَّهِيدِ» وهو الله - سبحانه وتعالى - مُنْزَلِ الْفُرْقَانِ.

- ٢٢٥٦- أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا؟! حَاشَاهُ مِنْ مَّخْرِيفِ ذِي الْبُهْتَانِ
 قَوْلُهُ: «أَتَرَاهُ أَمْسَى لِلسَّمَا مُسْتَشْهِدًا?!» يعني: أتظن الرسول ﷺ.

- ٢٢٥٧- وَكَذَلِكَ قُلْتَ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
 ٢٢٥٨- نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ وَكَذَلِكَ قَدْ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ

- ٢٢٥٩- وَكَذَا يُنَادِي الْخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ
 ٢٢٦٠- إِنِّي أَنَا الدِّيَانُ أَخْذُ حَقَّ مَظْ
 ٢٢٦١- وَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ وَقَائِلٌ
 ٢٢٦٢- قَوْلٌ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ يُرَى
 ٢٢٦٣- أَوْفَعَتْ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ
 ٢٢٦٤- لَوْ لَمْ تَقُلْ: فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشْرُ-
 ٢٢٦٥- وَسَكَتَ عَنْ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي
 ٢٢٦٦- وَذَكَرْتَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ
 ٢٢٦٧- كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَلْ
 ٢٢٦٨- لَكِنْ مَنَحْتَهُمْ سِلَاحًا كُلَّمَا
 ٢٢٦٩- وَعَدُوا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أُعْطَيْتَهُمْ
 ٢٢٧٠- لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ فِي الْعِبَارَةِ بَيْنَنَا
 ٢٢٧١- هَذَا لِسَانَ الْحَالِ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي
 ٢٢٧٢- يَبْدُو عَلَى فَلَتَاتِ أَلْسِنِهِمْ وَفِي
 ٢٢٧٣- سِيمَا إِذَا قُرِئَ الْحَدِيثُ عَلَيْهِمْ
 ٢٢٧٤- فَهَنَّاكَ بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُورَتِ
- بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ:
 لَوْمٍ مِنَ الْعَبْدِ الظَّلْمِ الْجَانِي
 وَكَذَا يَقُولُ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
 مِنْ غَيْرِ مَا شَفَّةٍ وَغَيْرِ لِسَانِ
 لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ
 بِإِشَارَةِ حِسِّيَّةٍ بَيْنَانِ
 قَدْ صَرَّحْتَ بِالْفَوْقِ لِلدِّيَانِ
 فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجَ الْأَكْوَانِ
 كَانُوا لَنَا أَسْرَى عَبِيدَ هَوَانِ
 شَاءُوا لَنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ طِعَانِ
 يَرْمُونَنَا عَرَضًا بِكُلِّ مَكَانِ
 مَا كَانَ يُوجَدُ بَيْنَنَا رَجْفَانِ
 ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكَيْتَانِ
 صَفَحَاتِ أَوْجُهُمْ يُرَى بَعِيَانِ
 وَتَلَوْتَ شَاهِدَهُ مِنَ الْقُرْآنِ
 تِلْكَ الْوُجُوهُ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ

- ٢٢٧٥- وَيَكَادُ قَائِلُهُمْ يُصْرِحُ لَوْ يَرَى
 ٢٢٧٦- يَا قَوْمُ شَاهِدْنَا رُءُوسَكُمْ عَلَى
 ٢٢٧٧- إِلَّا وَحَشُو فُؤَادِهِ غِلٌّ عَلَى
 ٢٢٧٨- وَهُوَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ لَكِنْ بَلُطُ
 ٢٢٧٩- وَأَخُو الْجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلْفِظِّ وَالْ
 ٢٢٨٠- يَا مَنْ يَظُنُّ بِأَنَّا حِفْنَا عَلَيْهِ
 ٢٢٨١- فَانظُرْ تَرَى لَكِنْ تَرَى لَكَ تَرْكَهَا
 ٢٢٨٢- فَشِبَاكُهَا وَاللَّهُ لَمْ يَعْلُقْ بِهَا
 ٢٢٨٣- إِلَّا رَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي قَفْصِ الرَّدَى
 ٢٢٨٤- وَيَظَلُّ يَخْبُطُ طَالِبًا لِخَلَاصِهِ
 ٢٢٨٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ خَلَى أَطْيَبَ الثُّ
 ٢٢٨٦- وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الْمَزَابِلِ يَبْتَغِي الْ
- مِنْ قَابِلٍ فَتَرَاهُ ذَا كِتْمَانٍ
 هَذَا وَلَمْ نَشْهَدُهُ مِنْ إِنْسَانٍ
 سُنَنَ الرَّسُولِ وَشِيعَةَ الْقُرْآنِ
 فِي عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانٍ
 مَعْنَى فَنَسَبُ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ
 هُمْ كُتُبُهُمْ تُنْبِئُكَ عَنْ ذَا الشَّانِ
 حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ
 مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيْرَانِ
 يَبْكِي لَهُ نُوحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ
 فَيَضِيقُ عَنْهُ فُرْجَةَ الْعِيدَانِ
 ثَمَرَاتٍ فِي عَالٍ مِنَ الْأَفْنَانِ
 فَضَلَاتٍ كَالْحَشَرَاتِ وَالذِّيدَانِ

الشرح

سبق أن المؤلف - رحمه الله - ذكر أن الجهمية، بل المعطلة عموماً، هم الذين يُشبهون الخوارج، حيث قالوا: إن الرسول ﷺ لم يعدل فيما وصف الله به نفسه، حتى قالوا: إن قوله: «أين الله؟» ليس بعدل، والصواب أن يقول: من الله؟ أمّا «أين الله؟» فلا.

هذا القول على لسان الجهمي المعطل، ويخاطب النبي ﷺ فيقول:

٢٢٥٧- وَكَذَلِكَ قُلْتُ بِأَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

٢٢٥٨- نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ وَكَذَلِكَ قَدْ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ

قَوْلُهُ: «نَادَى الْكَلِيمَ بِنَفْسِهِ» «نَادَى» أَي: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الْكَلِيمَ» موسى - عليه الصلاة والسلام -.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَدْ سَمِعَ النَّدَا فِي الْجَنَّةِ الْأَبْوَانِ» «الْأَبْوَانِ» أَي: آدَمُ وَحَوَاءُ،

قال الله تعالى: ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ قَالَ رَبُّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا ﴿[الأعراف: ٢٢-٢٣].

٢٢٥٩- وَكَذَا يُنَادِي الْخَلْقَ يَوْمَ مَعَادِهِمْ بِالصَّوْتِ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ:

٢٢٦٠- إِنِّي أَنَا الدِّيَانُ أَخَذَ حَقَّ مَظْ لُومٍ مِنَ الْعَبْدِ الظَّلُومِ الْجَانِي

وذلك كما جاء في الحديث الصحيح أنه يُنَادِي بِصَوْتٍ، قال رسول الله ﷺ:

«يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ»^(١).

٢٢٦١- وَتَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ قَالَ وَقَائِلٌ وَكَذَا يَقُولُ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

٢٢٦٢- قَوْلٌ بِلَا حَرْفٍ وَلَا صَوْتٍ يُرَى مِنْ غَيْرِ مَا شَفَفَ وَغَيْرِ لِسَانٍ

كُلُّ هَذَا كَلَامُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ يُخَاطَبُونَ الرَّسُولَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم لآدم أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢).

وَيَرُونَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ لَيْسَ بِعَدْلِ، وَأَنَّ الْعَدْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا يَدْعُونَ أَنَّهُ التَّنْزِيهِ، وَهُوَ نَفْيُ الصِّفَاتِ.

٢٢٦٣- أَوْقَعْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: «أَوْقَعْتَ» أَي: الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

قَوْلُهُ: «فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ مَنْ لَمْ يَنْفِ» (مَنْ) مَفْعُولٌ (أَوْقَعْتَ).
قَوْلُهُ: «لَمْ يَنْفِ مَا قَدْ قُلْتَ فِي الرَّحْمَنِ» وَيَعْنُونَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ الَّذِينَ أَثْبَتُوا الصِّفَاتِ.

فَهَذَا الرَّجُلُ الْمَعْطَلُ يَقُولُ لِلرَّسُولِ ﷺ: إِنَّكَ أَوْقَعْتَ مَنْ لَمْ يَنْفِ مَا قُلْتَ فِي التَّشْبِيهِ وَالتَّجْسِيمِ.

٢٢٦٤- لَوْ لَمْ تَقُلْ: فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ- بِإِشَارَةِ حِسِّيَّةِ بِنَانٍ
٢٢٦٥- وَسَكَتَ عَنِ تِلْكَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي قَدْ صَرَّحْتَ بِالْفَوْقِ لِلدِّيَانِ
٢٢٦٦- وَذَكَرْتَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ
٢٢٦٧- كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ بَلْ كَانُوا لَنَا أَسْرَى عَبِيدَ هَوَانٍ
قَوْلُهُ: «لَوْ لَمْ تَقُلْ» كُلُّ الْكَلَامِ الْآنَ يَحْكِيهِ ابْنُ الْقَيْمِ عَلَى لِسَانِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ يَخَاطَبُونَ الرَّسُولَ ﷺ.

قَوْلُهُ: «فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَمْ تُشِرْ بِإِشَارَةِ حِسِّيَّةِ بِنَانٍ» كَمَا أَشَارَ فِي حَالِ خُطْبَةِ حُجَّةِ الْوُدَاعِ.

فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ فَعَلْتَ هَذَا (كُنَّا انْتَصَفْنَا مِنْ أُولِي التَّجْسِيمِ).

يعني: يقول: لو أنك ما قلتَ هذا الكلامَ، ولا وصفتَ اللهَ بيا وصفتَ لكنَّا انتصفنا من أولي التجسيم، يعني: أننا أخذنا بالنَّصْفِ منهم فغلبناهم وكانت الحُجَّةُ لنا، لكنك قلتَ ذلك فصار الانتصافُ لأهل التجسيم على زعمهم، ويعني بهم: الذين يثبتون الصفات.

٢٢٦٨- لَكِنْ مَنَحْتَهُمْ سِلَاحًا كُلَّمَا شَاءُوا لَنَا مِنْهُمْ أَشَدَّ طِعَانِ
٢٢٦٩- وَغَدَوْا بِأَسْهُمِكَ الَّتِي أُعْطِيَتْهُمْ يَرْمُونَنَا غَرَضًا بِكُلِّ مَكَانٍ
قَوْلُهُ: «لَكِنْ مَنَحْتَهُمْ» الخطاب للنبيِّ -عليه الصلاة والسلام-.

والمعنى أنه كُلَّمَا أرادوا أن يطعنونا بهذا السُّلَاحِ وجدنا منهم أشدَّ شيء.

٢٢٧٠- لَوْ كُنْتَ تَعْدِلُ فِي الْعِبَارَةِ بَيْنَنَا مَا كَانَ يُوجَدُ بَيْنَنَا رَجْفَانٌ
أعوذ بالله، يقولون للرسول: لو كنتَ عادلاً ما كان بيننا هذا الرَّجْفَانُ وهذا الخوف من أن يسطوَ علينا أهل الإثبات.

٢٢٧١- هَذَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُمْ» ابنُ القيم -رحمه الله- احترز لَمَّا ذكر أنهم يقولون كذا، ويقولون كذا، قال: (هَذَا لِسَانُ الْحَالِ) يعني أنهم لم يقولوا ذلك بألسنتهم، لكن هذا لسان حالهم.

والفرق بين لسان الحال ولسان المقال: أن لسان المقال هو النطق باللسان، ولسان الحال هو شواهد القرائن؛ ولهذا قال: (هَذَا لِسَانُ الْحَالِ مِنْهُمْ وَهُوَ فِي ذَاتِ الصُّدُورِ يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ) ذات الصدور هي القلوب.

قَوْلُهُ: «يُغَلُّ بِالْكِتْمَانِ» يعني: يُجَبَّسُ وَيُمْنَعُ بِالْكِتْمَانِ، فلا يُصَرِّحُونَ بِهِ.

٢٢٧٢- يَبْدُو عَلَى فَلَاتِ السُّنَنِمْ وَفِي صَفَحَاتِ أَوْجُهُمْ يُرَى بَعِيَانِ

يعني: هذا القول الذي قلناه عنهم بناءً على لسان الحال يبدو على فلات السُنهم، أي أنهم أحياناً يطلقونه فلتةً.

قَوْلُهُ: «وَفِي صَفَحَاتِ أَوْجُهُمْ يُرَى بَعِيَانِ» وهذا صحيح، فالإنسان قد تشعرُ بأنه رَدَّ قولك من صفحات وجهه، أنت إذا قلتَ قولاً يُناسِبُه تجد وجهه يستنيرُ وينتشرُ وينبسطُ، وإذا قلتَ قولاً يكرهه تجده بالعكس، وهذا لا يشعرُ به إِلَّا مَنْ أعطاه اللهُ فِرَاسَةً وَفِطْنَةً.

٢٢٧٣- سِيَمَا إِذَا قُرِئَ الْحَدِيثُ عَلَيْهِمْ وَتَلَوْتَ شَاهِدَهُ مِنَ الْقُرْآنِ

يعني: إذا قرأتَ الحديثَ، وأيدته بشاهدٍ من القرآن، فانظر ماذا يكونُ على وجوههم من الانقباض والكراهة.

٢٢٧٤- فَهَنَّاكَ بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُورَتِ تِلْكَ الْوُجُوهُ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «بَيْنَ النَّازِعَاتِ وَكُورَتِ» (النازعات) و(كورت) بينهما سورة (عَبَسَ).

قَوْلُهُ: «تِلْكَ الْوُجُوهُ كَثِيرَةُ الْأَلْوَانِ» أي: تجد العبوسَ، وتجد قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ [عبس: ٤١] يعني: إذا تلوت عليهم الحديثَ، وأتيتَ بشاهدٍ له من القرآن، فإنك تجد عبوسًا وغبرةً وقترَةً. نسأل الله العافية.

٢٢٧٥- وَيَكَادُ قَائِلُهُمْ يُصْرِّحُ لَوْ يَرَى مِنْ قَابِلٍ فَتَرَاهُ ذَا كِسْمَانِ

يُصْرِّحُ بكراهته لِمَا سَمِعَ لو رأى قَابِلًا، ولكنّه لا يرى أحدًا يَقْبَلُ قوله وحيثئذٍ يكتُم.

٢٢٧٦- يَا قَوْمُ شَاهِدْنَا رُءُوسَكُمْ عَلَى هَذَا وَلَمْ نَشْهَدْهُ مِنْ إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «يا قوم» يجوز (يا قوم) ويجوز (يا قوم)، فعلى لفظ (قوم) يكون على اعتبار أن الياء حُذِفَتْ وبقيت الكسرة دليلاً عليها، وعلى لفظ (يا قوم) على اعتبار أنه مقطوعٌ عن الإضافة ويكون نكرةً مقصودة، والنكرة المقصودة يُبْنَى فيها المنادى على الضم.

قَوْلُهُ: «شَاهِدْنَا رُءُوسَكُمْ» ليس المرادُ رأسَ الجسد، المرادُ رؤوسكم في العلم، يعني: رؤساءكم شاهدناهم على هذا، إذا تَلِي عليهم الحديثُ وأُيد بشاهدٍ من القرآن تجد وجوهاً عابسةً عليها غبرةٌ، ترهقها قترَةٌ، والعياذ بالله.

٢٢٧٧- إِلَّا وَحَشَوْ فُؤَادِهِ غِلٌّ عَلَى سُنَنِ الرَّسُولِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ

يعني: لم يُشَاهِدْ هذا الشيءُ من إنسانٍ إِلَّا وَحَشَوْ فُؤَادِهِ غِلٌّ على سنن الرسول. قَوْلُهُ: «حَشَوْ» أي: ملء، يعني أن قلبه مملوءٌ من الغِلِّ على سنن الرسول وشيعة القرآن.

٢٢٧٨- وَهُوَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ لَكِنْ بِلُطْفٍ فِي عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانٍ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ» أي: في كتب الرؤوس.

قَوْلُهُ: «لَكِنْ بِلُطْفٍ عِبَارَةٍ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانٍ» يعني: أنهم لا يُصَرِّحُونَ، ولكنهم يأتون بعباراتٍ لا يفهمها إِلَّا الْحَدَّاقُ؛ ولهذا قال بعض العلماء في تفسير الزَّخَشَرِيِّ الذي إذا قرأته قلت: هذا التفسيرُ في القمَّة، يقول: إِنَّكَ تَسْتَخْرِجُ مِنْهُ الْاِعْتِرَالَ بِالْمُنَاقِشِ. يعني أنه خَفِيٌّ، ما تستخرجه بالأصبع، فالشُّوكَةُ إذا كانت ضعيفةً تستخرجها بالمناقش لا بالإصبع، أمَّا لو كان مسارًا بَيِّنًا فستخرجه بالإصبع.

الحاصل أن هذه الكتب يأتون بها بعبارات موهمة مُزخرفة، يَحْسِبُهَا الجَاهِلُ حقًا وهي باطلٌ؛ ولهذا قال - رحمه الله تعالى -: (لَكِنَّ بَلُطْفِ عِبَارَةِ مِنْهُمْ وَحُسْنِ بَيَانِ).

٢٢٧٩- وَأَخُو الْجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلْفِظِ وَالْمَعْنَى فَنَسَبُ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ قَوْلُهُ: «وَأَخُو الْجَهَالَةِ نِسْبَةٌ لِلْفِظِ» يعني أن الجاهل يَغْتَرُّ بِالْأَلْفَاظِ، وَيَنْخَدِعُ بِهَا.

قَوْلُهُ: «وَالْمَعْنَى فَنَسَبُ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ» يعني: أن العالم هو الذي ينظرُ للمعنى ولا يَغْتَرُّ بِالْفِظِ، وَالْجَاهِلُ يَغْتَرُّ بِالْفِظِ وَالظَّاهِرِ، فَهُوَ صَاحِبُ الْفِظِ، أَمَّا الْعَالِمُ فَهُوَ صَاحِبُ الْمَعَانِي.

٢٢٨٠- يَا مَنْ يَظُنُّ بِأَنَّا حِفْنَا عَلَيْكَ هُمْ كُتُبُهُمْ تُنْبِئُكَ عَن ذَا الشَّانِ وهذا إنصافٌ من المؤلف، يقول: الذي يظنُّ أَنَّا حِفْنَا عَلَيْهِمْ فَلْيَنْظُرْ إِلَى كُتُبِهِمْ تُنْبِئُكَ عَن ذَا الشَّانِ.

٢٢٨١- فَانظُرْ تَرَى لَكِنَّ تَرَى لَكَ تَرَكَهَا حَذَرًا عَلَيْكَ مَصَايِدَ الشَّيْطَانِ يعني: انظر كتبهم ترى أن ما قلناه حقٌّ، ولكنَّه - رحمه الله - لنصحه قال: ترى ألا تقرؤها، لماذا؟ خوفًا عليك من مصائد الشيطان؛ لأنَّ الإنسان إذا قرأ في كتب أهل الزَّيْغِ، سِوَاءٍ فِي الْعَقِيدَةِ، أَوْ فِي الْأَخْلَاقِ، أَوْ فِي السُّلُوكِ، أَوْ فِي أَيِّ شَيْءٍ، إِذَا قرأ فِيهَا، وَلَيْسَ عِنْدَهُ حَصِيلَةٌ مِنَ الْعِلْمِ الصَّحِيحِ، فَإِنَّهُ يَغْتَرُّ؛ وَهَذَا يَجِبُ أَنْ يَحْذَرَ الشَّبَابِ، وَأَنْ نَحْذَرَهُمْ أَيْضًا مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي فِيهَا الضَّلَالُ، حَتَّى لَوْ قَالُوا: إِنَّا نَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَنْ نَنْخَدِعَ، فَإِنَّهُمْ عَلَى خَطَرٍ؛ وَهَذَا حَذَرُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ سَمْعِ

الدَّجَالُ بَأَنَّ يَنَأَى عَنْهُ، يَعْنِي: يَبْعُدُ عَنْهُ، فَقَالَ: «مَنْ سَمِعَ بِالدَّجَالِ فَلْيَنَأَ مِنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشُّبْهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ»^(١)، والعيادُ بالله؛ فلهذا يجبُ على الإنسان أن يبتعدَ عن الشرِّ، ولكنه إذا ابتلي فليصبر، قال النبي ﷺ: «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمْوَهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ»^(٢).

٢٢٨٢- فَشَبَّكَهَا وَاللَّهُ لَمْ يَعْلُقْ بِهَا مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيْرَانِ
شَبَّكَ هَذِهِ الْكُتُبِ لَمْ يَعْلُقْ بِهَا مِنْ ذِي جَنَاحٍ قَاصِرِ الطَّيْرَانِ، مَنْ هُوَ صَاحِبُ الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ؟ الْجَوَابُ: هُوَ الْمُبْتَدِئُ الَّذِي لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ حَصِيلَةٌ مِنَ الْعِلْمِ يَدْفَعُ بِهَا مَا يَجِدُ فِي هَذِهِ الْكُتُبِ.

٢٢٨٣- إِلَّا رَأَيْتَ الطَّيْرَ فِي قَفْصِ الرَّدَى يَبْكِي لَهُ نَوْحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ
قَوْلُهُ: «قَفْصِ الرَّدَى» الْقَفْصُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ الَّذِي يُجْعَلُ فِيهِ الطَّيْرُ، فَهَلْ يَكُونُ الطَّيْرُ فِي الْقَفْصِ طَلِيقًا؟! لَكِنَّهُ يَنْوَحُ عَلَى الْأَغْصَانِ؛ يَبْكِي عَلَى الْأَغْصَانِ الَّتِي فِي الْأَشْجَارِ، فَهُوَ فِي الْبَدَايَةِ كَانَ عَلَى الْأَغْصَانِ طَلِيقًا، ثُمَّ دَخَلَ فِي هَذَا الْقَفْصِ فَبَدَأَ يَنْوَحُ عَلَى الْأَغْصَانِ؛ وَهَذَا قَالَ: (لَهُ نَوْحٌ عَلَى الْأَغْصَانِ).

٢٢٨٤- وَيَبْظُلُّ يَخْبِطُ طَالِبًا لِحَلَاصِهِ فَيَضِيقُ عَنْهُ فُزْجَةً الْعِيدَانِ
قَوْلُهُ: «وَيَبْظُلُّ» يَعْنِي: يَسْتَمِرُّ يَخْبِطُ بِجَنَاحِهِ يَرِيدُ أَنْ يَطِيرَ، لَكِنْ كَلَّمَا أَرَادَ

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، أبو داود: كتاب الملاحم، باب خروج الدجال، رقم (٤٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس، رقم (٢٨٠٤)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد، رقم (١٩٠٢).

أن يخرج ضاقت عليه فُرْجَةُ العِيدَانِ، أي: عيدان القفص، فالفتحاتُ ضيِّقَةٌ لا يستطيعُ أن يخرجَ منها.

٢٢٨٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ خَلَى أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الْأَفْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَالذَّنْبُ ذَنْبُ الطَّيْرِ» يعني: نقولُ لهذا الطير الذي وقع في القفص: الذَّنْبُ ذَنْبُكَ.

قَوْلُهُ: «خَلَى أَطْيَبَ الثَّمَرَاتِ فِي عَالٍ مِنَ الْأَفْنَانِ» أي: الأغصان، الذَّنْبُ ذَنْبُكَ أيها الطيرُ، لماذا تترك الثمراتِ في أعلى الأغصان وتأتي إلى هذا القفص؟!

٢٢٨٦- وَأَتَى إِلَى تِلْكَ الْمَرْابِلِ يَبْتَغِي الْفَضْلَاتِ كَالْحَشْرَاتِ وَالذِّدَانِ

يعني: وَخَلَى الثمراتِ على الأغصانِ العالية.

٢٢٨٧- يَا قَوْمِ وَاللهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانٍ

٢٢٨٨- جَرَّبْتُ هَذَا كَلَّهُ وَوَقَعْتُ فِي تِلْكَ الشَّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانٍ

٢٢٨٩- حَتَّى أَتَاخَ لِي الْإِلَهَ بِفَضْلِهِ مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي

٢٢٩٠- حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانٍ

٢٢٩١- فَاللهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرِّضْوَانِ

٢٢٩٢- أَخَذَتْ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَرْمَ حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

- ٢٢٩٣- وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا
نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ
- ٢٢٩٤- وَرَأَيْتُ آثَارًا عَظِيمًا شَأْنُهَا
مُحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
- ٢٢٩٥- وَوَرَدَتْ رَأْسَ الْمَاءِ أَبْيَضَ صَافِيًا
حَضْبَاؤُهُ كَلَالِي التَّيْجَانِ
- ٢٢٩٦- وَرَأَيْتُ أَكْوَازًا هُنَاكَ كَثِيرَةً
مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدِ ظَمَّانِ
- ٢٢٩٧- وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكَوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي
لَا زَالَ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ:
- ٢٢٩٨- مِيزَابُ سُنَّتِهِ، وَقَوْلُ إِلَهِهِ
وَهُمَا مَدَى الْأَيَّامِ لَا يَنْبَانِ
- ٢٢٩٩- وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنَ الْـ
آلَافِ أَفْرَادٌ ذُووْ إِيْمَانِ
- ٢٣٠٠- وَوَرَدْتُمْ أَنْتُمْ عَذَابَ هَوَانِ
وَرَدُّوا عَذَابَ مَنْهَلٍ أَكْرَمِ بِهَا
- ٢٣٠١- فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ وَالـ
فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ وَالـ
- ٢٣٠٢- مَنْ ذَا عَلَى دِينِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ ذَا
فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ وَالـ
- ٢٣٠٣- وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ لَدَى الْحَشْوِيِّ أَهْلُ
أَنْتُمْ أَمْ الْحَشْوِيُّ؟ مَا تَرِيَانِ
- ٢٣٠٤- فَضْلًا عَنِ الْفَارُوقِ وَالصِّدِّيقِ فَضْـ
لَا أَنْ يُقَدِّمَكُمْ عَلَى عُثْمَانَ
- ٢٣٠٥- وَاللَّهُ لَوْ أَبْصَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ الْـ
لَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
- ٢٣٠٦- وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ
حَشْوِيٍّ حَامِلِ رَايَةِ الْإِيْمَانِ
- ٢٣٠٧- مِنْ أَنْ يُحَرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ
فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانِ
- ٢٣٠٨- وَيَرَى الْوِلَايَةَ لِابْنِ سَيْنَا أَوْ أَبِي
يُقْضَى- لَهُ بِالْعَزْلِ عَنْ إِيْقَانِ
- نَضْرٍ أَوْ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانِ

- ٢٣٠٩- أَوْ مَنْ يَتَابِعُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ أَوْ مَنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ
 ٢٣١٠- يَا قَوْمَنَا بِاللَّهِ قَوْمُوا وَانظُرُوا وَتَفَكَّرُوا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ
 ٢٣١١- نَظَرًا وَإِنْ شِئْتُمْ مُنَاطِرَةً فَمَنْ مَشَى عَلَى هَذَا وَمَنْ وَحْدَانِ
 ٢٣١٢- أَيُّ الطَّوَائِفِ بَعْدَ ذَا أَدْنَى إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ؟
 ٢٣١٣- فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَا فِيمَا تَتَّبَعُوا أَوْ تُعْذِرُوا أَوْ تُؤْذِنُوا بِطِعَانِ

الشرح

- ٢٢٨٧- يَا قَوْمِ وَاللَّهِ الْعَظِيمِ نَصِيحَةٌ مِنْ مُشْفِقٍ وَأَخٍ لَكُمْ مِعْوَانِ
 جزاه الله خيراً، أقسم بأنه سيهدي إلينا نصيحةً من مشفقٍ خائفٍ (وأخٍ معوان) أي: معين على الحق.

- ٢٢٨٨- جَرَّبْتُ هَذَا كَلِّهُ وَوَقَعْتُ فِي تِلْكَ الشُّبَاكِ وَكُنْتُ ذَا طَيْرَانِ
 ابنُ القِيَمِ - رحمه الله - كان في أول أمره صُوفِيًّا مبتدعاً، وقع في شباكِ المبتدعة، لكن من أَرَادَ اللهُ هِدَايَتَهُ يَسِّرْ لَهُ الْهَدَايَةَ، حتى كان يَعْمَدُ إِلَى الْخَلَوَاتِ بعيداً عن الناس، ويتعبَّدُ بعباداتٍ طبعاً ليست من عباداتِ أهلِ التصوف، فكانت هذه حاله - رحمه الله -، ولكنه يقول:

- ٢٢٨٩- حَتَّى أَتَّاحَ لِي الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ مَنْ لَيْسَ تَجْزِيهِ يَدِي وَلِسَانِي
 هَيَّا اللهُ لَهُ مَنْ لَا تَجْزِيهِ يَدُهُ وَلَا لِسَانُهُ، يعني: لو أعطيتُهُ مِنْ يَدِي مَا أُعْطِيْتُهُ، وَأَثْنَيْتُ عَلَيْهِ بِلِسَانِي مَا أَثْنَيْتُ عَلَيْهِ، فلن أكافئه على معروفه عليه، فمن هو؟

قال - رحمه الله -:

٢٢٩٠- حَبْرٌ أَتَى مِنْ أَرْضِ حَرَّانٍ فَيَا أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ مِنْ حَرَّانِ

قَوْلُهُ: «حَبْرٌ أَتَى» وهو شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني - رحمه الله -، يسره الله لابن القيم فاهتدى على يديه.

قَوْلُهُ: «أَهْلًا بِمَنْ قَدْ جَاءَ» (مَنْ) هذه من صيغ العموم، لكنه عامٌ أُريد به الخاص، أُريد به شيخ الإسلام، وليس كل مَنْ جاء من حرَّان، فحرَّان فيها الصابئةُ وفيها الفسَّاقُ، لكن يريدُ بذلك شيخ الإسلام فقط.

٢٢٩١- فَاللَّهُ يُجْزِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى مَعَ الرَّضْوَانِ

وهذا من بعض حقوق الشيوخ على تلاميذهم، أن يدعوا الله لهم، فهو دعا لشيخه، ونعم الشيخ، ونحن نسأل الله تعالى أن يجزي الجميع ما هو أهله من جنة المأوى مع الرضوان.

٢٢٩٢- أَخَذْتُ يَدَاهُ يَدِي وَسَارَ فَلَمْ يَزِمْ حَتَّى أَرَانِي مَطْلَعَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «أَخَذْتُ يَدَاهُ يَدِي» يعني: أمسك بيدي.

٢٢٩٣- وَرَأَيْتُ أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ حَوْلَهَا نَزَلَ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَعْلَامَ الْمَدِينَةِ» يعني المدينة النبوية، مدينة الرسول - عليه الصلاة والسلام -، حولها نُزِّلُ الْهُدَى وَعَسَاكِرُ الْقُرْآنِ.

٢٢٩٤- وَرَأَيْتُ أَنْارًا عَظِيمًا شَأْنَهَا مَحْجُوبَةً عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ

كان - رحمه الله - في أول أمره يتبعُ كلامَ الشيوخ، لكن لَمَّا وَفَّقَهُ اللهُ لشيخ

الإسلام صار مُنهمكًا بالآثار.

٢٢٩٥- وَوَرَدَتْ رَأْسَ الْمَاءِ أبيضَ صَافِيَا حَصْبَاؤُهُ كَلَالِي التَّيْجَانِ

٢٢٩٦- وَرَأَيْتُ أَكْوَارًا هُنَاكَ كَثِيرَةً مِثْلَ النُّجُومِ لِوَارِدِ ظَمَّانِ

٢٢٩٧- وَرَأَيْتُ حَوْضَ الْكُوْثَرِ الصَّافِي الَّذِي لَا زَالَ يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ:

قَوْلُهُ: «يَشْحَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ» ذكرهما بقوله:

٢٢٩٨- مِيزَابُ سُنَّتِهِ، وَقَوْلُ إِلَهِهِ وَهَمَّ مَدَى الْأَيَّامِ لَا يَنْبِئَانِ

يعني أنه - رحمه الله - أخذ بيده حتى أوردَه هذا الماء الصافي الذي يصبُّ فيه ميزابان: الأوَّل: كتابُ الله، والثاني: سنةُ رسولِ الله ﷺ.

٢٢٩٩- وَالنَّاسُ لَا يَرِدُونَهُ إِلَّا مِنْ أَلْفِ أَفْرَادٍ ذُووِ إِيْمَانِ

يعني: لا يَرِدُ هذا الحوض الذي يصبُّ فيه هذان الميزابان إلا أفرادُ ذُووِ إِيْمَانِ.

٢٣٠٠- وَرَدُّوا عَذَابَ مَنْهَلٍ أَكْرَمَ بِهَا وَوَرَدْتُمْ أَنْتُمْ عَذَابَ هَوَانِ

قَوْلُهُ: «عَذَابَ»، و«عَذَابَ» بينهما جناسٌ تامٌّ، أو غيرُ تامٍّ؟

نقول: إذا اتَّفَقَ اللفظان في الحركات والحروف فهو تامٌّ، وإن اختلفا فهو ناقصٌ، وهنا اختلفا: (عَذَابَ وَعَذَابَ).

٢٣٠١- فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ وَالتَّخْصِصِ بِالْعِرْفَانِ

٢٣٠٢- مَنْ ذَا عَلَى دِينِ الْخَوَارِجِ بَعْدَ ذَا أَنْتُمْ أَمْ الْحَشَوِيِّ؟ مَا تَرِيَانِ

قَوْلُهُ: «فَبِحَقِّ مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعَدْلِ» يعني: أنه ناشدهم بحقِّ الله عزَّ وجلَّ.

وَقَوْلُهُ: «مَنْ أَعْطَاكُمْ ذَا الْعُدْلِ وَالْإِنصَافِ وَالتَّخْصِصِ بِالْعِرْفَانِ» هذا نوعٌ من التهكُّم، لكن مع ذلك أنتم تدعون أنكم أهل العدل وأهل التخصيص والتحقيق.

فَمَنْ الذي على دين الخوارج أنتم أم الحشويُّ؟ والحشويَّة هم أهل الإثبات، فكلُّ أهلِ الإثبات يُسمَّونَ حَشَوِيَّةً عندهم.

٢٣٠٣- وَالله مَا أَنْتُمْ لَدَى الْحَشَوِيِّ أَهْلٌ - لَأَنْ يُقَدِّمَكُم عَلَى عُثْمَانَ
يخاطب هؤلاء الذين يتبعون شيوخهم ورؤساءهم، يقول: ما أنتم أهلاً بأن نقدمكم على عثمان.

٢٣٠٤- فَضْلاً عَنِ الْفَارُوقِ وَالصِّدِّيقِ فَضْلاً - لَأَعَنْ رَسُولِ اللهِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «فَضْلاً عَنِ الْفَارُوقِ» أي: عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «عُثْمَانُ» و«الْفَارُوقُ» و«الصِّدِّيقُ» هؤلاء ثلاثةٌ من الخلفاء: عثمان وعمر وأبو بكر، ولا يمكنُ أن نُقدِّمكم عليهم، فضلاً عن كلامِ الله وكلامِ رسول -صلى الله عليه وسلم-.

٢٣٠٥- وَالله لَوْ أَبْصَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَلْ - حَشَوِيَّ حَامِلَ رَايَةِ الْإِيمَانِ

٢٣٠٦- وَكَلَامُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدِهِ - فِي قَلْبِهِ أَعْلَى وَأَكْبَرُ شَانِ

٢٣٠٧- مِنْ أَنْ يُحَرِّفَ عَنِ مَوَاضِعِهِ وَأَنْ - يُقْضَى - لَهُ بِالْعَزْلِ عَنِ إِيقَانِ

وطريقُ أهلِ النفيِّ والتعطيلِ أنَّ القرآنَ والسُّنةَ مُحَرَّفَانِ عن مواضعهما، فيقولون: (استوى) يعني (استولى)، و(يد) يعني (قوة)، وهكذا.

وأيضاً يقولون: هي معزولة عن الإيقان؛ أي: لا تفيدُ إلا الظنَّ فقط.

٢٣٠٨- وَيَرَى الْوَلَايَةَ لِابْنِ سَيْنَا أَوْ أَبِي نَصْرِ أَوْ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانَ

٢٣٠٩- أَوْ مَنْ يُتَابِعُهُمْ عَلَى كُفْرَانِهِمْ أَوْ مَنْ يُقَلِّدُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَيَرَى الْوَلَايَةَ لِابْنِ سَيْنَا» يعني: يتولَّى ابنَ سينا^(١) وأتباعه، ويتركُ وِلايَةَ الله ورسوله.

قَوْلُهُ: «أَوْ أَبِي نَصْرِ» أي: أبي نصرِ الفَارَابِيِّ^(٢).

قَوْلُهُ: «أَوْ الْمَوْلُودِ مِنْ صَفْوَانَ» أي: الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ.

٢٣١٠- يَا قَوْمَنَا بِاللَّهِ قُومُوا وَانظُرُوا وَتَفَكَّرُوا فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٢٣١١- نَظَرًا وَإِنْ شِئْتُمْ مُنَاطِرَةً فَمِنْ مَثَى عَلَى هَذَا وَمِنْ وُحْدَانَ

يقول - رحمه الله -: قوموا وانظروا، فكروا أينما أولى بالخوارج، هل هو الحُشويُّ - على زعمهم - أو هؤلاء الرؤساء؟

إن شئتم أن تنظروا بأنفسكم فانظروا، وإن شئتم مناظرةً ومنازلةً، فنحن مستعدون لمناظرتكم ومنازلتكم.

٢٣١٢- أَيُّ الطَّوَائِفِ بَعْدَ ذَا أَدْنَى إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَحُكْمِ الْقُرْآنِ؟

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبد الله بن سينا، فيلسوف، له تصانيف في الطبِّ وغيره، كان من أهل دعوة الحاكم العبيدي، معروفاً بالإلحاد، وُلِدَ في إحدى قُرَى بُخَارَى (سنة ٣٧٠هـ)، وتوفي في سَفَرِهِ إلى هَمْدَانَ (سنة ٤٢٨هـ). انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (١٧/٥٣١).

(٢) الفارابي: هو محمد بن طرخان، تركي الأصل، سمي بذلك لشرحه مؤلفات أرسطو (المعلم الأول) وُلِدَ في فاراب على نهر جيحون سنة (٢٦٠هـ)، كان فيلسوفاً، وتوفي بدمشق سنة (٣٣٩هـ). انظر ترجمته في: مرآة الجنان (٢/٢٤٦).

٢٣١٣- فَإِذَا تَبَيَّنَ ذَا فِيمَا تَتَّبِعُوا أَوْ تُعْذِرُوا أَوْ تُؤْذِنُوا بِطِعَانِ

يعني: إذا تبين فإمّا أن تتبعوا وهذا هو الخير، (أو تُعْذِرُوا) وهذا وَقْفٌ سَلْمِيٌّ، تعذروننا ولا تتكلمون فينا، (أَوْ تُؤْذِنُوا بِطِعَانِ) يعني: ونتكلم وتتكلمون.

والواقع أنهم لا اتبعوا ولا عذروا، بل كانوا يسبون أهل الإثبات، ويقولون: هم حشويّة، هم نوابت، هم غشاء، هم عامة وليس عندهم علم، وهكذا، وحينئذ يكونون قد آذنوا بطِعَانِ، وإذا آذنوا بطِعَانِ، فلا تلوموننا، إذا قلنا فيهم ما يستحقونه من أوصافٍ ذميمة.

فصل

فِي تَلْقِيهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْحَشَوِيَّةِ، وَبَيَانِ مَنْ أَوْلَى بِالْوَصْفِ الْمَذْمُومِ مِنْ هَذَا اللَّقْبِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ، وَذَكَرِ أَوَّلَ مَنْ لَقِبَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ

- ٢٣١٤ - وَمِنَ الْعَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتَدَى
 ٢٣١٥ - حَشَوِيَّةٌ، يَعْنُونَ حَشَوًا فِي الْوُجُو
 ٢٣١٦ - وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَتَمِّ حَشَوًا
 ٢٣١٧ - إِذْ قَوْلُهُمْ: فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَاءِ
 ٢٣١٨ - ظَنَّ الْحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ، وَالرُّ
 ٢٣١٩ - وَاللَّهُ لَمْ يُسْمَعْ بِذَا مِنْ فِرْقَةٍ
 ٢٣٢٠ - لَا تَبْهَتُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِهِ فَمَا
 ٢٣٢١ - بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
 ٢٣٢٢ - حَقًّا كَحَرْدَلَةٍ تَرَى فِي كَفِّ مُمَّ
 ٢٣٢٣ - أَتَرُونَهُ الْمَحْضُورَ بَعْدَ أَمِّ السَّمَاءِ؟
 ٢٣٢٤ - كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ وَكَمْ حَشَوِيَّةٌ
 ٢٣٢٥ - يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْ
- بِالْوَحْيِ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ:
 دِ وَفَضْلَةً فِي أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
 رَبِّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ
 ِ الرَّبِّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
 رَحْمَنُ مَحْيٍ بِظَرْفٍ مَكَانٍ
 قَالَتْهُ فِي زَمَنِ مِنَ الْأَزْمَانِ
 ذَا قَوْلُهُمْ تَبَّ الَّذِي الْبُهْتَانِ
 فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 سِكِّهَا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
 يَا قَوْمَنَا ارْتَدِعُوا عَنِ الْعُدَاوَنِ
 فَالْبُهْتُ لَا يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ
 مُخْتَارِ حَشَوًا فَاشْهَدُوا بِبَيَانِ

- ٢٣٢٦- أَنَا بِحَمْدِ إِلَهِنَا حَشَوِيَّةٌ صَرَفٌ بِلَا جَحْدٍ وَلَا كِثْمَانٍ
- ٢٣٢٧- تَذْرُونَ مَنْ سَمَّتْ شَيْوْحَكُمْ بِهِ- ذَا الإِسْمِ فِي المَاضِي مِنَ الأَزْمَانِ
- ٢٣٢٨- سَمَى بِهِ ابْنُ عُبَيْدٍ عَبْدَ اللَّهِ ذَا كَ ابْنِ الحَلِيفَةِ طَارِدُ الشَّيْطَانِ
- ٢٣٢٩- فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا كَمَا وَرِثُوا لِعَبِّ- بِدِ اللَّهِ أَنَّى يَسْتَوِي الإِرْتِنَانِ؟
- ٢٣٣٠- تَذْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ وَهُوَ- وَوَمُنَاسِبٌ أَحْوَالُهُ بِوِرَانِ؟
- ٢٣٣١- مَنْ قَدْ حَشَا الأُورَاقَ والأَذْهَانَ مِنْ بِدَعِ نُحَالِفٍ مُوجِبِ القُرْآنِ
- ٢٣٣٢- هَذَا هُوَ الحَشَوِيُّ لَا أَهْلُ الحَدِيدِ- ثِ أَيْمَّةَ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ
- ٢٣٣٣- وَرَدُّوا عِدَابَ مَنَاهِلِ السَّنَنِ الَّتِي لَيْسَتْ زُبَالَةَ هَذِهِ الأَذْهَانِ
- ٢٣٣٤- وَوَرَدْتُمْ القُلُوطَ بِجَرَى كُلِّ ذِي الدِّ- أَوْسَاحِ وَالأَقْدَارِ وَالأَنْتَانِ
- ٢٣٣٥- وَكَسَلْتُمْ أَنْ تَضَعُدُوا لِلوَرْدِ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ حَيَّةَ الكَسْلَانِ

الشرح

ذكر المؤلف -رحمه الله- في هذا الفصل أن أهل البدع لقبوا أهل الحديث -وهم السلف- بلقب سيئ، حيث سموهم حشويةً، والحشو: معناه الشيء الزائد الذي لا خير فيه، فهم يقولون: هؤلاء حشويةً، يعني أنهم من أطراف الناس، وليسوا من رؤسائهم، ولا من أهل العلم منهم، وإنما هم فضلةٌ، فيقول -رحمه الله-: لننظر من هو أولى باللقب منا أو منكم؟ فيقول -رحمه الله-:

٢٣١٤- وَمِنَ العَجَائِبِ قَوْلُهُمْ لِمَنِ اقْتَدَى بِالوَحْيِ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ:

٢٣١٥- حَشْوِيَّةٌ، يَعْنُونَ حَشْوًا فِي الْوُجُو دِ وَفَضْلَةً فِي أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «حَشْوِيَّةٌ» يَعْنِي: هُم حَشْوِيَّةٌ.

إِذْنُ أَهْلِ الْحَدِيثِ عِنْدَهُمْ جُهَّالٌ، مِنْ أَطْرَافِ النَّاسِ، لَا يُؤْبَهُ لَهُمْ، وَلَا يُرَدُّ
لِقَوْلِهِمْ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ:

٢٣١٦- وَيَظُنُّ جَاهِلُهُمْ بِأَنَّهُمْ حَشَوُا رَبَّ الْعِبَادِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ
يَظُنُّ بَعْضُ مَنْ يَسْمَعُ تَلْقِيْبَ هَؤُلَاءِ لِأَهْلِ السُّنَّةِ بِأَنَّهُمْ حَشْوِيَّةٌ بِأَنَّهُمْ يُرِيدُونَ
أَنَّهُمْ حَشَوُا الْإِلَهَ فِي السَّمَاءِ بِدَاخِلِ الْأَكْوَانِ، يَعْنِي: جَعَلُوا السَّمَاءَ حَشْوًا لَهُ، أَي:
مَحِيْطَةً بِهِ.

٢٣١٧- إِذْ قَوْلُهُمْ: فَوْقَ الْعِبَادِ وَفِي السَّمَاءِ ۚ الرَّبُّ ذُو الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
أَهْلُ الْحَدِيثِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ، فَظَنَّ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالُ أَنَّ الْمُتَكَلِّمِينَ
الَّذِي سَمَّوْا أَهْلَ السُّنَّةِ حَشْوِيَّةً أَنَّهُمْ سَمَّوْهُمُ حَشْوِيَّةً لِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَشَوَّ فِي
السَّمَاءِ، يَعْنِي أَنَّ السَّمَاءَ تُحِيْطُ بِهِ.

٢٣١٨- ظَنَّ الْحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ، وَالرَّحْمَنُ مَحْوِيٌّ بِظَرْفِ مَكَانٍ
قَوْلُهُ: «ظَنَّ الْحَمِيرُ بِأَنَّ «فِي» لِلظَّرْفِ» وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ حَمِيرٌ، وَلَا غَرَابَةَ أَنْ
يُوصَفَ مَنْ لَمْ يَفْهَمْ النَّصَّ بِأَنَّهُ حَمَارٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ
ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ [الجمعة: ٥] وَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-:
«مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يُخْطَبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»^(١).

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (١/٤٥٨، رَقْم ٥٣٠٥)، وَأَحْمَدُ (١/٢٣٠، رَقْم ٢٠٣٣)، وَالطَّبْرَانِيُّ (١٢/٩٠، رَقْم ١٢٥٦٣)، وَشَطْرُهُ الْأَخِيرُ لَفْظُهُ: «وَالَّذِي يَقُولُ لَهُ أَنْصَتَ لَا جُمُعَةَ لَهُ».

فلا غرابة أن يُسمِّي ابنُ القِيَمِّ -رحمه الله- هؤلاء حميرًا؛ لأنهم لم يفهموا قولَ الله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] لم يفهموه على حقيقته، بل حرّفوه، ثمّ أنكروا أن يكونَ اللهُ في السَّمَاءِ.

فصار هؤلاء الذين لَقَّبوا أهلَ الحديثِ بالحشويّة لهم طريقان:

الطريق الأول: أنّهم فضلةٌ من حشوِ الناس، وليسوا من اللبِّ، وليسوا من

الأصل.

الطريق الثاني: أنّهم حشويّة؛ لأنهم حشوا اللهُ في السَّمَاءِ، يعني: جعلوا السَّمَاءِ

محيطةً بالله عزّ وجلّ.

٢٣١٩- وَاللّٰهُ لَمْ يُسْمَعْ بِذَٰلِكَ مِنْ فِرْقَةٍ قَالَتْهُ فِي زَمَنٍ مِّنَ الْأَزْمَانِ

يعني: ما سمعنا أبدًا أنّ فرقةً من أهل الحديث قالوا بأنّ السَّمَاءَ تحيطُ بالله.

٢٣٢٠- لَا تَبْهَتُوا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِهِ فَمَا ذَا قَوْلُهُمْ تَبَّالِذِي الْبُهْتَانِ

هل أهل الحديث يقولون: إنّ الله في السَّمَاءِ أي: في جوف السَّمَاءِ؟ الجواب:

أبدًا، بل يقولون: إنّ الله في السَّمَاءِ يعني: في العلوِّ، أو إنّ الله في السَّمَاءِ يعني: على

السَّمَاءِ، ولم يقل أحدٌ منهم: إنّ الله في السَّمَاءِ أي: مُحيط به كما تُحيط الحجرَةُ بمن فيها.

أنت لو قلت: إنّ فلانًا في الحجرَة عرفنا أنه حشوها، وأنه داخلها، وأنها

محيطةٌ به، لكن ليس هذا كما إذا قلت: (إنّ الله في السَّمَاءِ) فبينهما فرقٌ عظيمٌ.

و(في) يختلف معناها باختلاف متعلّقها، فأنت تقول مثلاً: (الماء في الكأسِ)،

(الرجل في الحجرَة)، هذا واضح، أنّ الماء كان حشواً في الكأسِ، والرجل كان

حشواً في الحجرَة.

أَمَا لَوْ قَلَّتْ: (الوجه في المرأة) فيختلف هذا عن هذا، (الكتابة في الورق) تختلف، (الروح في الجسد) تختلف، فتختلف معاني مدخول (في) باختلاف المتعلق، أي: ما تعلقت به.

٢٣٢١- بَلْ قَوْلُهُمْ: إِنَّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى فِي كَفِّ خَالِقِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
٢٣٢٢- حَقًّا كَحَرْدَلَةٍ تُرَى فِي كَفِّ مُمٍّ سِيكِيهَا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
قَوْلُهُ: «بَلْ قَوْلُهُمْ» أي: قول أهل الحديث.

السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضُونَ كُلُّهَا فِي كَفِّ اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - مِثْلَ الْحَرْدَلَةِ فِي كَفِّ أَحَدِنَا، وَهَذَا أَيْضًا عَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ، وَإِلَّا فَالْأَمْرُ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا.

الحردلة حبة صغيرة جدًا يُضْرَبُ بِهَا الْمَثَلُ فِي الصَّغَرِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَنْتَنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَسِيبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] ومع ذلك هي في كَفِّ الرَّحْمَنِ كَحَرْدَلَةٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ﴾ أي: كُلُّهَا ﴿مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] مثلما يطوي صاحبُ السَّجَلِ الْكِتَابِ إِذَا أَنْهَاهُ، وَكَانَ فِي الزَّمَنِ الْمَاضِي لَيْسَ عِنْدَهُمْ ظُرُوفٌ، إِذَا انْتَهَوْا مِنَ الْكِتَابِ طَوَّوهُ بِقَدْرِ مَا يُمْكِنُ مِنَ الطِّيِّ ثُمَّ أَغْلَقُوهُ.

فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يَقُولُونَ: إِنَّ السَّمَاءَ تُحِيطُ بِاللَّهِ، وَإِنَّ اللَّهَ حَسُوهَا؟
الجواب: أبدًا، ولا قاله أحدٌ، لكن هؤلاء يبهتون أهلَ السُّنَّةِ.

٢٣٢٣- أَرَوْنَهُ الْمَحْضُورَ بَعْدُ أَمِ السَّمَا؟ يَا قَوْمَنَا ارْتَدِعُوا عَنِ الْعُدَاوَنِ

أيها المحضور؟ الجواب: السَّمَا، فالسَّمَا يُحِيطُ اللهُ بِهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَالْأَرْضُ كَذَلِكَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ [النساء: ١٢٦].

٢٣٢٤- كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ وَكَمْ حَشْوِيَّةٌ فَالْبُهْتُ لَا يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ

يعني: كم من مرة تقولون عن أهل الحديث: إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ، وتقولون: إِنَّهُمْ حَشْوِيَّةٌ، مُجَسِّمَةٌ، نَوَابِتٌ، غُثَاءٌ، وَهَلَمَّ جَرًّا مِنْ أَلْقَابِ السُّوءِ، وَكُلُّهَا لَا تَخْفَى عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٣٢٥- يَا قَوْمِ إِنْ كَانَ الْكِتَابُ وَسُنَّةُ الْـ مُخْتَارِ حَشْوًا فَاشْهَدُوا بِبَيَانِ

٢٣٢٦- أَنَا بِحَمْدِ إِلَهِنَا حَشْوِيَّةٌ صِرْفٌ بِلا جَحْدٍ وَلَا كِتْمَانِ

يقول: إِنْ كَانَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ حَشْوًا فَحَنِّ - بِحَمْدِ اللهِ - حَشْوِيَّةٌ، اشْهَدُوا عَلَى ذَلِكَ أَنَّنَا حَشْوِيَّةٌ. قَالَ الشَّافِعِيُّ - رَحِمَهُ اللهُ -^(١):

إِنْ كَانَ رَفْضًا حُبُّ آلِ مُحَمَّدٍ فَلَيْشْهَدَ الثَّقَلَانِ أَبِي رَافِضِي

المهم أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللهُ - يَقُولُ: إِنْ كَانَ حَشْوًا الْقَوْلُ بِهَا دَلَّ عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَإِنَّا بِحَمْدِ اللهِ حَشْوِيَّةٌ.

٢٣٢٧- تَدْرُونَ مَنْ سَمَّتْ سُيُوحُكُمُ بِهِ - ذَا الْإِسْمِ فِي الْمَاضِي مِنَ الْأَزْمَانِ

٢٣٢٨- سَمَّى بِهِ ابْنُ عُبَيْدٍ عَبْدَ اللهِ ذَا كَ ابْنِ الْخَلِيفَةِ طَارِدُ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «ابْنُ عُبَيْدٍ» هُوَ عَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ إِمَامٌ أَهْلِ الْإِعْتِرَالِ.

(١) انظر: تبين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر (ص: ٣٦٣).

قَوْلُهُ: «سَمَّى بِهِ» أَي: سَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الْخَلِيفَةِ، أَيُّ خَلِيفَةٍ؟ قَالَ: (طَارِدُ الشَّيْطَانِ) وَهُوَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَعْنِي أَنَّ عَمْرًا وَبْنَ عُبَيْدٍ سَمَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ حَشْوًا. فَإِذَا هَذَا اللَّقْبُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُتَكَلِّمِينَ الْمُعْطَلَةَ كَانَ قَدِيمًا مِنْ عَهْدِ الصَّحَابَةِ.

٢٣٢٩- فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا كَمَا وَرِثُوا الْعَبَّ - بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّى يَسْتَوِي الْإِرْثَانِ؟
قَوْلُهُ: «فَوَرِثْتُمْ عَمْرًا» فَقُلْتُمْ: إِنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ حَشْوِيَّةٌ (كَمَا وَرِثُوا لِعَبْدِ اللَّهِ) وَرِثُوا لِعَبْدِ اللَّهِ فَالْتَزَمُوا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «أَنَّى يَسْتَوِي الْإِرْثَانِ؟» الْاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلنَّفْيِ وَالْإِنْكَارِ، لَا يَسْتَوِي الْإِرْثَانُ، فَلَا يَسْتَوِي مَنْ وَرِثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَمَنْ وَرِثَ عَمْرًا وَبْنَ عُبَيْدٍ الْمُعْتَزَلِيِّ.

٢٣٣٠- تَدْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الْإِسْمِ وَهوَ - وَوَأَسْبَبُ أَحْوَالِهِ بِوِزَانٍ؟
قَوْلُهُ: «تَدْرُونَ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الْإِسْمِ» يَقُولُ: الْأَوْلَى بِهِ هُوَ (مَنْ قَدْ حَشَا الْأُورَاقَ وَالْأَذْهَانَ مِنْ بَدْعٍ....)؛ وَلِذَا قَالَ:

٢٣٣١- مَنْ قَدْ حَشَا الْأُورَاقَ وَالْأَذْهَانَ مِنْ بَدْعٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ
صَحِيحٌ، وَاللَّهُ هَذَا هُوَ الْحَشْوِيُّ، حَشْوِيُّ الْأُورَاقِ وَالْأَذْهَانَ مِنْ الْبَدْعِ وَالْكَلامِ الْفَارِغِ، تَقْرَأُ كَلَامًا طَوِيلًا وَلَا تَحْصُلُ عَلَى فَائِدَةٍ، هَؤُلَاءِ هُمُ الْحَشْوِيَّةُ حَقًّا؛ وَلِذَا قَالَ:

٢٣٣٢- هَذَا هُوَ الْحَشْوِيُّ لَا أَهْلَ الْحَدِيدِ - ثِ أُمَّةُ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
٢٣٣٣- وَرَدُّوا عَذَابَ مَنْاهِلِ السُّنَنِ الَّتِي لَيْسَتْ زُبَالَةَ هَذِهِ الْأَذْهَانَ

قَوْلُهُ: «وَرَدُّوا عِذَابَ مَنَاهِلِ السُّنَنِ» ونعم المورد، مناهل السنن، وليست زبالة هذه الأذهان، أمّا المعطّلة وأهل الكلام فقال عنهم:

٢٣٣٤- وَوَرَدْتُمْ الْقَلُوطَ مَجْرَى كُلِّ ذِي الْاُوسَاخِ وَالْاَقْدَارِ وَالْاَنْتَانِ

القلوط سبق الكلام عليه، وهو المجاري، مجاري في الشام معروفة تُسمّى القلوط، كُلُّ الأوساخ من الأبوال والعذرات كُلُّها تدبُّ فيه وتمشى.

فإذن أهل السنة وردوا المناهل العذبة: كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أمّا هؤلاء فوردوا القلوط مجرى كُلِّ ذي الأوساخ والأقذار والأنتان.

٢٣٣٥- وَكَسَلْتُمْ أَنْ تَصْعَدُوا لِلْوَرْدِ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ

قَوْلُهُ: «خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ» يعني: يا خيبة الكسلان.

وصدق -رحمه الله-، هذا هو الواقع، فإذا من أحق بالوصف؟ هم أحقُّ بلا شك، حشوا الأوراق والأذهان من الكلام الفارغ، أمّا نحن -والحمد لله- فلم نقل إلا بما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فصل

فِي بَيَانِ عُدْوَانِهِمْ فِي تَلْقِيبِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ بِالْجَسْمَةِ ،
وَبَيَانِ أَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِكُلِّ لَقَبٍ خَبِيثٍ

- ٢٣٣٦- كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ نَوَا
بِتَّةٌ مَسَبَّةٌ جَاهِلٍ فَتَّانٍ
- ٢٣٣٧- أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الْحَدِيثِ
ثِ وَنَاصِرِي الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ
- ٢٣٣٨- سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ وَشِيُوخُكُمْ
بُهْتًا بِهَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ
- ٢٣٣٩- وَجَعَلْتُمُوهَا سُبَّةً لِنُفُورُوا
عَنْهُمْ كَفَعَلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ
- ٢٣٤٠- مَا ذَنَّبْتُمْ وَاللَّهِ إِلَّا أَنَّهُمْ
أَخَذُوا بِوَحْيِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ
- ٢٣٤١- وَأَبَوْا بِأَنْ يَتَحَيَّرُوا لِمَقَالَةٍ
غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ
- ٢٣٤٢- وَأَبَوْا يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ
مِنْ هَذِهِ الْأَرَاءِ وَالْهَذْيَانِ
- ٢٣٤٣- وَصَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فِي النَّصِّينِ مِنْ
خَبَرٍ صَاحِحٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنِ
- ٢٣٤٤- إِنْ كَانَ ذَا التَّجْسِيمِ عِنْدَكُمْ فَيَا
أَهْلًا بِهِ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ
- ٢٣٤٥- إِنَّا مُجَسَّمَةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ لَمْ
نَجْحَدْ صِفَاتِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
- ٢٣٤٦- وَاللَّهُ مَا قَالَ امْرُؤًا مِنَّا بِأَنْ
نَ اللَّهُ جِسْمٌ يَا أَوْلِي الْبُهْتَانِ
- ٢٣٤٧- وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ فِي وَصْفِهِ
لَمْ نَعُدْ مَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ

- ٢٣٤٨- أَوْ قَالَهُ أَيضًا رَسُولُ اللَّهِ فَهـُـوَ
- ٢٣٤٩- أَوْ قَالَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ
- ٢٣٥٠- سَمَّوْهُ تَجْسِيًّا وَتَشْبِيْهَا فَلَسـَـ
- ٢٣٥١- بَلْ بَيَّنَّا فَرْقَ لَطِيفٍ بَلْ هُوَ الْـ
- ٢٣٥٢- إِنَّ الْحَقِيْقَةَ عِنْدَنَا مَقْصُوْدَةٌ
- ٢٣٥٣- لَكِنْ لَدَيْكُمْ فَهِيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ
- ٢٣٥٤- فَكَلَامُهُ فِيْمَا لَدَيْكُمْ لَا حَقِيْقـِـ
- ٢٣٥٥- فِي ذِكْرِ آيَاتِ الْعُلُوِّ وَسَائِرِ الْـ
- ٢٣٥٦- بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيْقَةً
- ٢٣٥٧- وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ
- ٢٣٥٨- وَحَقَائِقُ الْأَلْفَاظِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ
- ٢٣٥٩- نَفْيُ الْحَقِيْقَةِ، وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إِنْ
- ٢٣٦٠- وَنَصِيْبِنَا إِنْ بَاتُ ذَاكَ جَمِيْعِهِ
- ٢٣٦١- فَمَنْ الْمَعْطَلُ فِي الْحَقِيْقَةِ غَيْرُكُمْ؟!
- ٢٣٦٢- وَإِذَا سَبَبْتُمْ بِالْمُحَالِ فَسَبَبْنَا
- ٢٣٦٣- تُبْدِي فُضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِرَّكُمْ
- وَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ بِالْبُرْهَانِ
- فَهُمُ النَّجُومُ مَطَالِعُ الْإِيْمَانِ
- نَا جَا حِدِيْبِهِ لِذَلِكَ الْهَدْيَانِ
- فَرَقُ الْعَظِيْمِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
- بِالنَّصِّ وَهِيَ مُرَادَةُ التَّبْيَانِ
- أَنِّي يُرَادُ مُحَقَّقُ الْبُطْلَانِ!؟
- سَقَّةٌ تَحْتَهُ تُبْدُو إِلَى الْأَذْهَانِ
- أَوْ صَافٍ وَهِيَ الْقَلْبُ لِلْقُرْآنِ
- فِيْمَا لَدَيْكُمْ يَا أَوْلِي الْعِرْفَانِ
- يُنْفَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْكَانِ
- فِيْمَا زَعَمْتُمْ فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ:
- دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحَظُّكُمْ نَفْيَانِ
- لَفْظًا وَمَعْنَى ذَاكَ إِنْ بَاتَانِ
- لَقَبٌ بِلاَ كَذِبٍ وَلَا عُدْوَانِ
- بِأَدِلَّةٍ وَحِجَاجِ ذِي بُرْهَانِ
- وَتُبَيِّنُ جَهْلَكُمْ مَعَ الْعُدْوَانِ

- ٢٣٦٤- يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ السَّبَابِ بِذَاكُمْ
وَسِبَابِكُمْ بِالْكَذِبِ وَالطُّغْيَانِ
٢٣٦٥- مَنْ سَبَّ بِالْبُرْهَانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ
وَالظُّلْمُ سَبُّ الْعَبْدِ بِالْبُهْتَانِ
٢٣٦٦- فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ إِنَّ يَكُ عِنْدَكُمْ
وَصَفُ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
٢٣٦٧- بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا
آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلَانِ
٢٣٦٨- فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَاشْهَدُوا
فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
٢٣٦٩- أَنَا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَلِـ
يَشْهَدُ بِذَلِكَ مَعَكُمْ الثَّقَلَانِ
٢٣٧٠- اللَّهُ أَكْبَرُ كَشَّرْتُ عَنْ نَابِهَا أَلِـ
حَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ
٢٣٧١- وَتَقَابَلَ الصَّفَانِ وَانْقَسَمَ الْوَرَى
قِسْمَيْنِ وَأَنْصَحْتُ لَنَا الْقِسْمَانِ

الشرح

- ٢٣٦٦- كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوَا
بِتَّةٌ مَسَبَّةٌ جَاهِلٍ فَتَّانِ
قَوْلُهُ: «كَمْ ذَا مُشَبَّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ» يعني: كم ذا يقولون لأهل السنة والجماعة:
إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ وَمُجَسِّمَةٌ.
قَوْلُهُ: «وَنَوَابِتُ» النَّوَابِتُ: قال العلماء: إنها هي الزرع الذي يَنْبُتُ فِي وَسْطِ
الزَّرْعِ الْمَقْصُودِ، وَهُوَ الزَّرْعُ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ، وَالَّذِي يَضُرُّ الزَّرْعَ الْمَقْصُودَ، وَليْسَ
فِيهِ فَائِدَةٌ.

قَوْلُهُ: «مَسَبَّةٌ جَاهِلٍ فَتَّانِ» الْمَسَبَّةُ يَعْنِي: الْقَدْحُ وَالْعَيْبُ.

٢٣٣٧- أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمْ بِهَا أَهْلَ الْحَدِيدِ - وَنَاصِرِي الْقُرْآنِ وَالْإِيمَانِ

حيث ذكر أنهم سمّوهم مُشَبَّهَةً، مُجَسَّمَةً، نوابت.

٢٣٣٨- سَمَّيْتُمُوهُمْ أَنْتُمْ وَشَيْوُخُكُمْ بِهَتَايَا مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطَانِ

يعني: أنكم سمّيتم أهل السنة بهذه الألقاب كذبًا وبهتانًا عليهم.

٢٣٣٩- وَجَعَلْتُمُوهَا سُبَّةً لْتَنْفَرُوا عَنْهُمْ كَفَعْلِ السَّاحِرِ الشَّيْطَانِ

أي: وصفتموهم بهذه الأوصاف المنفرة من أجل أن ينفر الناس عنهم.

قوله: «كفعل الساحر» أي: الذي يسحر الناس فيصرفهم؛ لأنّ السحر

أنواع، منه الصّرف، ومنه العطف، الصّرف: أن يصرف الشخص عمّن يحبه كما

قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]

والمحبة من أشدّ العلاقات بين الزوجين كما قال تعالى: ﴿لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا

لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]، فهم يأتون بهذه الكلمات

لتنفّر الناس عن أهل السنة والجماعة ويُبغضوهم.

٢٣٤٠- مَا ذَنَبْتُمْ لَهُمْ وَاللَّهُ إِلَّا أَنْتُمْ أَخَذُوا بِوَحْيِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ

ما ذنبهم إلا أنتم أخذوا بوحى الله والقرآن، وهذا ذمٌّ أو مدحٌ؟ الجواب: هذا

مدحٌ، ومثل هذه الصيغة تُسمّى عند أهل البلاغة: تأكيد المدح بما يُشبهه الذمُّ؛ كقوله

تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨] وكقول الشاعر^(١):

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُوِّفَهُمْ
بَيْنَ فُلُولٍ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ

(١) البيت للنابغة، كما في الكامل للمبرد (٤٦/١).

وهذا مدحٌ للشجاعة والإقدام.

وقول ابن القيم هذا كفعل من سبقهم، قال تعالى: ﴿وَمَا نَفَعُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

٢٣٤١- وَأَبَوَا بِأَنْ يَتَحَيَّزُوا لِمَقَالَةٍ غَيْرِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أبوا» أي: أهل السنة، فأبوا أن يتحيزوا لكل مقالة إلا ما جاء به الحديث ومقتضى القرآن.

٢٣٤٢- وَأَبَوَا يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَرَءِ وَالْهَذْيَانِ

قَوْلُهُ: «أبوا يدينوا» يدينوا: منصوبة بـ(أن) محذوفة من أجل الروي، والأصل: وَأَبُوا أَنْ يَدِينُوا بِالَّذِي دِنْتُمْ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأَرَءِ وَالْهَذْيَانِ.

٢٣٤٣- وَصَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فِي النَّصِّينِ مِنْ خَيْرِ صَاحِحٍ ثُمَّ مِنْ قُرْآنِ

يعني أن أهل الحديث وصفوا الله عز وجل بالأوصاف الواردة في النصين من الأخبار الصحيحة والقرآن الكريم.

٢٣٤٤- إِنْ كَانَ ذَا التَّجْسِيمِ عِنْدَكُمْ فَيَا أَهْلًا بِهِ مَا فِيهِ مِنْ نُكْرَانِ

قَوْلُهُ: «إن كان ذا» الإشارة تعود إلى وصف الله تعالى بما جاء في القرآن والسنة. إن كان هذا هو التجسيم فيا أهلاً به ما فيه من نكران، بل إن الواجب قبوله وعدم إنكاره.

٢٣٤٥- إِنَّا مُجَسِّمَةٌ بِحَمْدِ اللَّهِ لَمْ نَجْحَدْ صِفَاتِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

يقول: إِنَّا مُجَسِّمَةٌ عَلَى حَدِّ قَوْلِ هَؤُلَاءِ، فَإِذَا كَانُوا يَقُولُونَ: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ

صفة فهو مجسّم، فنقول: نحن مجسّمَةٌ.

٢٣٤٦- وَاللّٰهُ مَا قَالَ امْرُؤٌ مِّنَّا بِأَنَّ نَ اللّٰهَ جِسْمٌ يَا اَوْلِي الْبُهْتَانِ

كيف يقول: إِنَّا مُجَسِّمَةٌ، ثُمَّ يَقُولُ: وَاللّٰهُ مَا قَالَ امْرُؤٌ مِّنَّا بِأَنَّ اللّٰهَ جِسْمٌ؟ يقول: قال بَأَنَّا مُجَسِّمَةٌ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِهِمْ، حَيْثُ قَالُوا: كُلُّ مَنْ أَثْبَتَ لِلّٰهِ صِفَةً فَهُوَ مُجَسِّمٌ، فَنَحْنُ نُبَيِّنُ لِلّٰهِ كُلَّ صِفَةٍ وَصَفَ اللّٰهُ بِهَا نَفْسَهُ، وَنَحْنُ -عَلَى قَاعِدَتِهِمْ- مُجَسِّمَةٌ، أَمَا أَتَانَا قَلْنَا بِأَنَّ اللّٰهَ جِسْمٌ فَمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ قَالَ: إِنَّ اللّٰهَ جِسْمٌ أَبَدًا، وَلَا قَالَ: إِنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِجِسْمٍ أَيْضًا، بَلْ هُمْ يَتَوَقَّفُونَ فِي هَذَا اللَّفْظِ.

فلو قال لهم قائل: أتقولون: إن الله جسم؟ قالوا: لا نقول، أتقولون: إن الله ليس بجسم؟ قالوا: لا نقول؛ لأنَّ الله ما قال عن نفسه: إنه جسم، ولا قال عن نفسه: إنه ليس بجسم، لكننا نقول إنَّ الله -سبحانه وتعالى- بائنٌ من خلقه، موصوفٌ بصفاته.

٢٣٤٧- وَاللّٰهُ يَعْلَمُ أَنَّنَا فِي وَضْفِهِ لَمْ نَعُدْ مَا قَدْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ

٢٣٤٨- أَوْ قَالَهُ أَيْضًا رَسُولُ اللّٰهِ فَهَـ وَ الصّٰدِقُ المّصْدوقُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: لم نتجاوز ما قاله الله في القرآن، أو قاله الرسول -عليه الصلاة والسلام-، (فهو الصادق) فيما أخبر به، (المصدق) فيما أخبر به، أمَّا الكُفَّانُ فكاذبون مكذوبون، كاذبون فيما أخبروا به، مكذوبون فيما أخبروا به، إن أخبرتهم الشياطينُ بالكذب، فالرسول -عليه الصلاة والسلام- صادقٌ مصدوقٌ.

٢٣٤٩- أَوْ قَالَهُ أَصْحَابُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَهَـمُ النَّجُومُ مَطَالِعُ الْإِيْمَانِ

إِذْ نَ عُمَدُنَا فِيْمَا نُثْبِتُهُ لِلّٰهِ: كَلَامُ اللّٰهِ، وَكَلَامُ رَسُوْلِهِ، وَكَلَامُ الصّٰحِبَةِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ.

٢٣٥٠ - سَمَّوْهُ تَجْسِيماً وَتَشْبِيهاً فَلَسْنَا جَاحِدِيهِ لِذَلِكَ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «سَمَّوْهُ»: يخاطبُ هؤلاء المعتدين.

الحمدُ لله، هذا من تثبيت الله لنا، أن هؤلاء الذين يرموننا بهذه الألقاب السيئة يريدون منا أن نتحول عن رأينا، ولكننا لن نتحول، ولن نخضع لهذا الهديان.

٢٣٥١ - بَلْ بَيْنَنَا فَرْقٌ لَطِيفٌ بَلْ هُوَ الْفَرْقُ الْعَظِيمُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

يعني: بيننا وبينكم (فرقٌ لطيف) لكنه عظيمٌ، ما هو؟ قال:

٢٣٥٢ - إِنَّ الْحَقِيقَةَ عِنْدَنَا مَقْصُودَةٌ بِالنَّصِّ وَهِيَ مُرَادَةُ التَّبَيُّانِ

نحن نقول: إِنَّ الْحَقِيقَةَ مَقْصُودَةٌ بِالنَّصِّ، ومرادةٌ بالنَّصِّ أيضًا، أمَّا أنتم

فقال:

٢٣٥٣ - لَكِنْ لَدَيْكُمْ فَهِيَ غَيْرُ مُرَادَةٍ أَنَّى يُرَادُ مُحَقِّقُ الْبُطْلَانِ؟!

هذا الفرقُ لطيفٌ، لكنه عظيمٌ جدًّا، فمثلًا قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾

[الفجر: ٢٢] عندنا مرادٌ بها حقيقتها، وهي مجيئه حقًّا، وعندكم هذا غيرُ مرادٍ، ولا يمكنُ أن يُرادَ؛ لأنه عندكم محققُ البطلان، وما كان محققَ البطلان فإنه لا يمكنُ أن يُرادَ بكلام الله وكلام الرسول، فهذا هو الفرقُ بيننا وبينكم أننا نُجري النصوصَ على حقيقتها وأنتم لا تُجرونها.

٢٣٥٤ - فَكَلَامُهُ فِيمَا لَدَيْكُمْ لَا حَقِيْقَةَ تَحْتَهُ تَبْدُو إِلَى الْأَذْهَانِ

كلامُ الله عندكم ليس فيه حقيقةٌ تبدو لأحدٍ.

٢٣٥٥- فِي ذِكْرِ آيَاتِ الْعُلُوِّ وَسَائِرِ الْ-
أَوْصَافِ وَهِيَ الْقَلْبُ لِلْقُرْآنِ

نسأل الله العافية، يعني: هؤلاء عمدوا إلى قلب القرآن النابض كما يقولون، وهو ما تحدّث الله به عن نفسه من العلوّ وغيره من الصفات، وقالوا: إنّ هذه لا يُرادُ بها حقيقتها، وليست حقيقةً، فكُلُّها مجازٌ؛ ولهذا سَمَّى ابنُ القيم -رحمه الله- المجازَ بالطاغوت؛ لأنَّهم طَغَوْا به، وتجاوزوا به الحدَّ، وسلَّطوه على آيات الصفات وأحاديثها، وقالوا: إنّهُ لا يُرادُ بها حقيقتها لا في العلوّ ولا في غيره.

٢٣٥٦- بَلْ قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ لَيْسَ حَقِيقَةً
فِيمَا لَدَيْكُمْ يَا أُولِي الْعُرْفَانِ
قَوْلُهُ: «قَوْلُ رَبِّ النَّاسِ» يعني القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ حَقِيقَةً»؛ لأنَّ الجهميّة يقولون: إنّ القرآن مخلوقٌ بائنٌ من الله، والأشاعرة يقولون: إنّ القرآن مخلوقٌ، وكلامُ الله هو المعنى القائم بنفسه.

فالجميعُ اتَّفَقوا على أنّ ما بين دفتي القرآن مخلوقٌ، لكنَّ الجهميّة قالوا: هو كلامُ الله، والأشاعرة قالوا: هو عبارةٌ عن كلامِ الله.

٢٣٥٧- وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ
يُنْفَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْكَانِ
إذا جعلتم هذا مجازًا فإنَّ من علاماتِ المجازِ صحّةُ نفيه، فالمجازُ له علاماتٌ كثيرةٌ، ومن أبرزها شيئان:

الأوّل: تبادلُ غيره لولا القرينة، وهذه هي الحُجَّةُ التي يحتجُّ بها شيخُ الإسلام ويقولُ: لا مجازَ في اللغة؛ لأنه بالاتفاق أنّ المجازَ لا بدُّ له من قرينة، هذه القرينةُ تجعلُ الكلمةَ في هذا الموضع حقيقةً في مدلولها.

الثاني: صحّةُ نفيه.

فإذا قلتَ: (رأيتُ أسدًا) ما الذي يتبادرُ إلى ذهنك؟ الجواب: الأسدُ الحقيقيُّ المفترسُ، فإذا قلتَ: (رأيتُ أسدًا يحملُ كتابه)، أو (يقرأُ كتابه) فالمرادُ بالأسد هنا الرجلُ الشجاعُ، وهذا بالقرينة.

هل يصحُّ أن أقولَ: (هذا ليس بأسد؟) نعم، يصحُّ أن نفيه، فالمجاز يصحُّ نفيه؛ ولهذا -عندهم وعلى القاعدة المتفق عليها- يصحُّ أن يقولَ القائلُ: (ما جاء ربُّك)؛ لأنَّ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] عندهم مجازٌ عن مجيء أمره، وبناءً عليه يصحُّ أن أقولَ: (ما جاء ربُّك).

و﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] عندهم مجازٌ عن الاستيلاء، فيصحُّ -على زعمهم- أن يُنْفَى، فيقال: (إنَّ اللهَ لم يَسْتَوِ على العرش).

وهذا هو الذي جعل بعض العلماء يقولُ: إنَّ المجازَ موجودٌ في اللغة، ممنوعٌ في القرآن، قال: لأنَّ القرآنَ لا يمكنُ أن يصحَّ نفيُّ شيءٍ منه أبدًا بخلاف اللغة، فكلامُ امرئ القيس وغيره من أئمة اللغة يصحُّ أن نفيه، لكن كلامُ الله لا يصحُّ.

على كُلِّ حالٍ يقولُ ابنُ القيم -رحمه الله-: «وَإِذَا جَعَلْتُمْ ذَا مَجَازًا صَحَّ أَنْ يُنْفَى عَلَى الْإِطْلَاقِ وَالْإِمْكَانِ» يعني: صحَّ أن نقولَ: (لم يستوِ على العرش)، ليس له يدٌ، لا يجيءُ، لا يأتي، لا يعجبُ، وما أشبه ذلك.

٢٣٥٨- وَحَقَائِقُ الْأَلْفَافِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ فِيمَا زَعَمْتُمْ فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ:

قَوْلُهُ: «وَحَقَائِقُ الْأَلْفَافِ بِالْعَقْلِ انْتَفَتْ»؛ لأنهم يدعون أنَّ العقلَ ينفي حقائق اللفظ، كيف ذلك؟ هم يعتمدون في إثبات الصفات ونفيها على العقل، فيقولون: انتفت حقيقة (المجيء) بدلالة العقل، انتفت حقيقة (الاستواء) بدلالة العقل، انتفت حقيقة (اليد) بدلالة العقل.

قَوْلُهُ: «بِالْعَقْلِ انْتَفَتَ»، (بالعقل): جازّ ومجروور متعلّق بـ(انتفت)، يعني: انتفت بالعقل عندكم فيما زعمتم.

قَوْلُهُ: «فَاسْتَوَى النَّفْيَانِ» ما النفيان؟ الجواب: نفي الحقيقة باعتبار الصفة، ونفي أن يكون القرآن كلام الله عزّ وجلّ.

٢٣٥٩- نَفْيُ الْحَقِيقَةِ، وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ إِنْ دَلَّتْ عَلَيْهِ فَحَظُّكُمْ نَفْيَانِ

قَوْلُهُ: «نَفْيُ الْحَقِيقَةِ» يعني أنّهم يقولون: كلّ ما ورد من آيات الصفات مجاز لا حقيقة له.

قَوْلُهُ: «وَانْتِفَاءُ اللَّفْظِ» حيث قالوا: إنّ القرآن ليس كلام الله.

فصار عندهم نفيان: النفي الأول: أنّ القرآن ليس كلام الله، والنفي الثاني: أنّ ما فيه من الصفات ليس حقيقة.

٢٣٦٠- وَنَصِيبِنَا إِثْبَاتُ ذَلِكَ جَمِيعِهِ لَفْظًا وَمَعْنَى ذَلِكَ إِثْبَاتَانِ

نصيبنا نحن -والحمد لله- نُثِبْتُ اللَّفْظَ وَالْمَعْنَى، ونقول: كلّهُ كلامُ الله.

٢٣٦١- فَمَنْ الْمَعْطَلُ فِي الْحَقِيقَةِ غَيْرُكُمْ؟! لَقَبُ بِلاَ كَذِبٍ وَلَا عُذْوَانِ

وصدق -رحمه الله- فهم المعطلّة، لا نقول ذلك كذبًا ولا اعتداءً عليهم، وإنّا نقول ذلك بدلالة حالهم التي تشهد لهم بذلك.

٢٣٦٢- وَإِذَا سَبَيْتُمْ بِالْمَحَالِ فَسَبْنَا بِأَدِلَّةٍ وَحِجَاكِ ذِي بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «إِذَا سَبَيْتُمْ بِالْمَحَالِ فَسَبْنَا بِأَدِلَّةٍ» يعني: إذا سببتمونا بأنّ هذا محالٌ وأنّ إثباته تجسيمٌ فنحن نسبكم بأدلة؛ لأنكم لم تثبتوا ما أثبت الله لنفسه، وفرق بين الإثباتين.

٢٣٦٣- تُبْدِي فَضَائِحَكُمْ وَتَهْتِكُ سِرِّكُمْ وَتُبِينُ جَهْلَكُمْ مَعَ الْعُدْوَانِ

٢٣٦٤- يَا بَعْدَ مَا بَيْنَ السَّبَابِ بِذَاكُمْ وَسَبَابِكُمْ بِالْكَذِبِ وَالطُّغْيَانِ

٢٣٦٥- مَنْ سَبَّ بِالْبُرْهَانِ لَيْسَ بِظَالِمٍ وَالظُّلْمُ سَبُّ الْعَبْدِ بِالْبُهْتَانِ

هذا البيت الأخير ينبغي أن يكون قاعدةً، وهو مَنْ سَبَّ بِالْبُرْهَانِ فَلَيْسَ بِظَالِمٍ؛ لِأَنَّ لَدَيْهِ بُرْهَانًا، وَلَكِنَّ الظُّلْمَ سَبُّ الْعَبْدِ بِالْبُهْتَانِ.

وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، فَمَنْ سَبَّ غَيْرَهُ بِدَلِيلٍ فَلَيْسَ بِظَالِمٍ، وَمَنْ سَبَّ غَيْرَهُ بِبَلَا دَلِيلٍ فَهُوَ ظَالِمٌ.

٢٣٦٦- فَحَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ إِنْ يَكُ عِنْدَكُمْ وَصَفُ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

٢٣٦٧- بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلَانِ

قَوْلُهُ: «حَقِيقَةُ التَّجْسِيمِ» إِنْ كَانَ هُنَاكَ حَقِيقَةٌ فِيهِ وَصَفُ الْإِلَهِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ، لَكِنْ بِمَاذَا؟ قَالَ: (بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي شَهِدَتْ بِهَا آيَاتُهُ وَرَسُولُهُ الْعَدْلَانِ).

فَالتَّجْسِيمُ إِذَنْ عِنْدَ هَؤُلَاءِ هُوَ وَصَفُ الْإِلَهِ بِمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لَكِنَّهُمْ يُلَبِّسُونَ وَيُقُولُونَ: مُجَسِّمَةٌ، وَجَسَّمُوا اللَّهَ، وَجَعَلُوهُ جَسْمًا مِنْ أَجْلِ التَّنْفِيرِ.

٢٣٦٨- فَتَحَمَّلُوا عَنَّا الشَّهَادَةَ وَأَشْهَدُوا فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ وَكُلِّ مَكَانٍ

٢٣٦٩- أَنَّا مُجَسِّمَةٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَلَوْ يَشْهَدُ بِذَلِكَ مَعَكُمْ الثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «أَنَا مُجَسِّمَةٌ» وَذَلِكَ بِنَاءٌ عَلَى كَلَامِهِمْ، أَمَّا نَحْنُ فَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ أَبَدًا، لَكِنْ عَلَى زَعْمِهِمْ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ تَجْسِيمٌ، فَنَحْنُ نُبَيِّنُ الصِّفَاتِ وَلَيْكُنْ ذَلِكَ تَجْسِيمًا.

٢٣٧٠- اللهُ أَكْبَرُ كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا أَلِ حَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ

قَوْلُهُ: «كَشَّرَتْ عَنْ نَابِهَا» يعني: أبانته، وفسرت عنه حتى بان.

قَوْلُهُ: «الْحَرْبُ الْعَوَانُ» أي: الشديدة المستمرة بيننا وبينكم.

٢٣٧١- وَتَقَابَلَ الصَّفَانِ وَأَنْقَسَمَ الْوَرَى قِسْمَيْنِ وَأَتَّصَحَتْ لَنَا الْقِسْمَانِ

إِذْنُ فَالانقسامُ واضحٌ، إثباتٌ ونفيٌ، ولا شيء أَوْضَحُ من الفرق بين الإثبات

والنفي، وأيضاً فرقٌ بَيِّنٌ بين رميٍ بِسَبِّ بَرهَان، ورميٍ بِسَبِّ بَعْدوان، فهم رمونا

بِالسَّبِّ بِالْعَدوان، ونحن رميناهم بِالسَّبِّ بِالْبَرهَان، وفرق بين هذا وهذا.

فصل

فِي بَيَانِ مَوْرِدِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَأَنَّهْمُ تَعَوَّضُوا بِالْقُلُوطِ عَنْ مَوْرِدِ السَّسْبِيلِ

- ٢٣٧٢- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيَحْكُ لَوْ تَرَى
مَاذَا عَلَى شَفْتَيْكَ وَالْأَسْنَانِ؟
- ٢٣٧٣- أَوْ مَا تَرَى آثَارَهَا فِي الْقَلْبِ وَالنَّ
سِيَّاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَرْكَانِ؟
- ٢٣٧٤- لَوْ طَابَ مِنْكَ الْوِرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا
أَنَّى تَطِيبُ مَوَارِدُ الْإِتْنَانِ؟
- ٢٣٧٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ طَهَّرْ فَاكَ مِنْ
خَبَثٍ بِهِ وَاغْسِلْهُ مِنْ أُنْتَانِ
- ٢٣٧٦- ثُمَّ اشْتُمِ الْحَشَوِيَّ حَشَوَ الدِّينِ وَالْأ
قْرَانَ وَالْأَثَارِ وَالْإِيْمَانَ
- ٢٣٧٧- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْهُدَى وَسِوَاهُمْ
حَشَوُ الضَّلَالِ فَمَا هُمَا سِيَّانِ
- ٢٣٧٨- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْيَقِينِ وَغَيْرُهُمْ
حَشَوُ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنَوَانِ
- ٢٣٧٩- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْمَسَاجِدِ وَالسُّوَى
حَشَوُ الْكَيْفِ فَمَا هُمَا عِدْلَانِ
- ٢٣٨٠- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْجَنَانِ وَغَيْرُهُمْ
حَشَوُ الْجَحِيمِ أَيَسْتَوِي الْحَشَوَانِ؟!
- ٢٣٨١- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيَحْكُ لَوْ تَرَى الْ
حَشَوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلِ الْفُرْقَانِ
- ٢٣٨٢- وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا
مَنْ كَفَّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٢٣٨٣- وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ
وَخَتَامَهَا مِسْكٌ عَلَى رِيْحَانِ
- ٢٣٨٤- لَعَدَزْتَهُ إِنْ بَالَ فِي الْقُلُوطِ لَمْ
يَشْرَبْ بِهِ مَعَ جُمَّلَةِ الْعُمِيَّانِ

- ٢٣٨٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ لَا تَكْسَلْ فَرَأُ
سُ الْمَاءِ فَأَقْصِدْهُ قَرِيبٌ دَانٍ
- ٢٣٨٦- هُوَ مَنْهَلٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ وَاسِعٌ
كَافٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الثَّقْلَانِ
- ٢٣٨٧- وَاللَّهِ لَيْسَ بِأَصْعَبِ الْوَرْدَيْنِ بَلْ
هُوَ أَسْهَلُ الْوَرْدَيْنِ لِلظَّمْآنِ

الشرح

في هذا الفصل بين - رحمه الله - مورد أهل التعطيل، وأنهم تعوضوا بالقلوط عن السلسيل، والقلوط سبق أنه مجاري المياه والأنتان، والأبوال والعذرة، وهو يجري في دمشق كالنهر.

٢٣٧٢- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيْحَكَ لَوْ تَرَى
مَاذَا عَلَى شَفْتَيْكَ وَالْأَسْنَانِ؟

قوله: «مَاذَا عَلَى شَفْتَيْكَ وَالْأَسْنَانِ؟» لو رآه لرأى أنتاناً وأوساخاً؛ لأنه من العادة أن الأنتان والأوساخ تطفو على سطح الماء، فإذا شرب منه لصقت بشفاهه.

٢٣٧٣- أَوْ مَا تَرَى آثَارَهَا فِي الْقَلْبِ وَالنِّ
نِيَّاتِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَرْكَانِ؟

وهذا صحيح، فأثار البدع تظهر على القلب، وعلى النيات، يعني: الإرادات، وعلى الأعمال، والأركان يعني: الجوارح، فالبدعة لها آثار سيئة عظيمة على القلب، واللسان، والجوارح، والأعمال، وآثار سيئة على المجتمع كله؛ لأنه ينقل من أتباع الرسول ﷺ إلى الابتداع في دين الله.

٢٣٧٤- لَوْ طَابَ مِنْكَ الْوَرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا
أَنْى تَطِيبُ مَوَارِدُ الْأَنْتَانِ؟

٢٣٧٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ طَهَّرْ فَآكَ مِنْ
حَبَثٍ بِهِ وَاعْسِلْهُ مِنْ أَنْتَانِ

قوله: «لَوْ طَابَ مِنْكَ الْوَرْدُ طَابَتْ كُلُّهَا» يعني: الآثار التي هي على القلب

والنيات والأعمال والأركان لو طاب منك الوردُ طابت كُلُّها.

قَوْلُهُ: «أَنِّي تَطِيبُ مَوَارِدُ الْأَنْتَانِ؟» الاستفهام هنا للنفي، يعني: لا يمكن أن تطيبَ مواردُ الأنتان.

٢٣٧٦- ثُمَّ اشْتُمِ الْحَشَوِيَّ حَشْوَ الدِّينِ وَالْأَنْتَانَ وَالْإِيمَانَ
قَوْلُهُ: «ثُمَّ اشْتُمِ الْحَشَوِيَّ... إلخ»؛ لأنَّ هذا هو دأبه - والعياذ بالله - أن يشتمَ أهلَ العلمِ والإيمان.

٢٣٧٧- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الْهُدَى وَسِوَاهُمْ حَشْوُ الضَّلَالِ فَمَا هُمَا سَيِّئَانِ
قَوْلُهُ: «أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الْهُدَى» ويجوز (حشو) بالضم، فعلى قراءة الضم يكون (حشو) خبرًا لمبتدأ محذوف، أي: هم حشؤ، وعلى الفتح يكون حالًا من الضمير في قوله: «أَهْلًا بِهِمْ» يعني: حال كونهم حشوا الهدى.

٢٣٧٨- أَهْلًا بِهِمْ حَشْوَ الْيَقِينِ وَغَيْرِهِمْ حَشْوُ الشُّكُوكِ فَمَا هُمَا صِنَوَانِ
فرق بين مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ باليقين في قلبه والثبات وَمَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بالشكِّ والحيرة؛ ولهذا قال العلماء: أكثرُ الناس شكًّا وحيرةً عند الموت أهلُ الكلام، والعياذ بالله! ذكر ذلك شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في (الفتوى الحموية).

وهذا صحيح؛ ولهذا مَنْ وُفِّقَ مِنْهُمْ أَقَرَّ عند موته بأنه على دين العجائز اللائي لا يعرفن شيئاً؛ لأنَّ دينَ العجائز دينُ فِطْرَةٍ، لم يعرفن ما قاله هؤلاء المتكلمون من الأخذ والجدل، لكن هؤلاء المتكلمون أخذوا يقولون، ولكنهم لم يستفيدوا من القول إلا أن جمعوا قيل وقالوا، وآل أمرهم إلى الحيرة والشكِّ، والعياذ بالله.

٢٣٧٩- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْمَسَاجِدِ وَالسَّوَى حَشَوُ الْكَنِيفِ فَمَا هُمَا عِدْلَانِ

الذين يملئون المساجد والذين يملئون الكنف، واضح أن بينهما فرقا.

٢٣٨٠- أَهْلًا بِهِمْ حَشَوَ الْحِنَانَ وَغَيْرُهُمْ حَشَوُ الْجَحِيمِ أَيَسْتَوِي الْحَشْوَانِ؟!

قوله: «أَيَسْتَوِي الْحَشْوَانِ؟!» لا والله، لا يستويان، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَبُ النَّارِ وَأَصْحَبُ الْجَنَّةِ أَصْحَبُ الْجَنَّةِ هُمْ أَفْضَلُونَ﴾ [الحشر: ٢٠].

٢٣٨١- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ وَيُحْكُ لَوْ تَرَى الْ- حَشْوِيَّ وَارِدَ مَنْهَلِ الْفُرْقَانِ

٢٣٨٢- وَتَرَاهُ مِنْ رَأْسِ الشَّرِيعَةِ شَارِبًا مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

قوله: «شَارِبًا مِنْ كَفِّ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ» يعني: من كف النبي -صلى الله عليه وسلم-.

٢٣٨٣- وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رِيحَانِ

قوله: «وَتَرَاهُ يَسْقِي النَّاسَ فَضْلَةَ كَأْسِهِ» يعني: يفيض علمه على الناس.

قوله: «وَخِتَامُهَا مِسْكٌ عَلَى رِيحَانِ» ونعم الختام.

٢٣٨٤- لَعَدْرَتُهُ إِنْ بَالَ فِي الْقُلُوطِ لَمْ يَشْرَبْ بِهِ مَعَ جُمْلَةِ الْعُمَيَّانِ

قوله: «لَعَدْرَتُهُ» هذا جواب (لو) في قوله: (لو ترى الحشويَّ واردَ منهل القرآن)، الجواب: (لعدرته إن بال في القلوط).

ففرق بين الحشوي الذي يشرب من هذا المورد العذب من يد النبي ﷺ، ويأتي إلى القلوط فيبول فيه، وبين الإنسان الذي يشرب من القلوط، فبينهما فرق عظيم.

٢٣٨٥- يَا وَارِدَ الْقُلُوطِ لَا تَكْسَلْ فَرَأُ سُسُ الْمَاءِ فَأَقْصِدْهُ قَرِيبُ دَانَ
يعني أن رأس الماء قريب دان، وهو الكتاب والسنة، فهو أقرب من كتب
هؤلاء المتبوعين.

٢٣٨٦- هُوَ مَنَهْلٌ سَهْلٌ قَرِيبٌ وَاسِعٌ كَافٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ الثَّقَلَانِ

٢٣٨٧- وَاللَّهِ لَيْسَ بِأَصْعَبِ الْوَرْدَيْنِ بَلْ هُوَ أَسْهَلُ الْوَرْدَيْنِ لِلظُّمَّانِ

وهذا واضح، فإذا جئت للقرآن وقرآته وجدته سهلاً قريباً المأخذ، وإذا
رجعت إلى كتب هؤلاء المتكلمين وجدتها من أصعب ما يكون.

وكذلك أيضاً إذا قرأت القرآن انتفعت به، وازددت يقيناً، وإذا قرأت كلام
المتكلمين ازددت شكاً وحيرة، نسأل الله العافية.

فصل

فِي بَيَانِ هَدْمِهِمْ لِقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِعَزْلِهِمْ نُصُوصَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ

- ٢٣٨٨- يَا قَوْمُ بِاللَّهِ انظُرُوا وَتَفَكَّرُوا
 ٢٣٨٩- مِثْلَ التَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ لِلَّذِي
 ٢٣٩٠- فَأَقْلُ شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ
 ٢٣٩١- وَاللَّهُ مَا اسْتَوَى لَدَى زُعَمَائِكُمْ
 ٢٣٩٢- عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بِالْعَزْلِ عَنِ
 ٢٣٩٣- قَالُوا: وَتِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفِظِيَّةٌ
 ٢٣٩٤- مَا أَنْزَلْتَ لِيُنَالَ مِنْهَا الْعِلْمُ بِالْ
 ٢٣٩٥- بَلْ بِالْعُقُولِ يُنَالَ ذَاكَ وَهَذِهِ
 ٢٣٩٦- فَبِجُهْدِنَا تَأْوِيلُهَا وَالِدَفْعِ فِي
 ٢٣٩٧- كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي
 ٢٣٩٨- فَيَقُولُ: قَدْرُكَ فَوْقَ ذَا وَشَهَادَةٌ
 ٢٣٩٩- وَبِوُدِّهِ لَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا
 ٢٤٠٠- فَلَقَدْ أَتَانَا عَنْ كَبِيرٍ فِيهِمْ
- فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 قَدْ قَالَهُ ذُو الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
 حَدًّا سِوَاءَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
 فِي الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
 نَيْلِ الْيَقِينِ وَرُتْبَةِ الْبُرْهَانِ
 لَسْنَا نَحْكُمُهَا عَلَى الْإِيقَانِ
 إِبْتِاتٍ لِلْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ
 عَنْهُ بِمَعَزِلِ غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ
 أَكْتَفَاهَا دَفْعًا لِذِي الصَّوْلَانِ
 حُكْمٍ يُرِيدُ دِفَاعَهُ بِلَيَانِ
 لِسِوَاكَ تَصْلُحُ فَاذْهَبْنَ بِأَمَانِ
 لَكِنْ مَخَافَةَ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
 وَهُوَ الْحَقِيرُ مَقَالَةَ الْكُفْرَانِ

- ٢٤٠١ - لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي وَلَيْسَ بِمُمَكِّنٍ لَحَكَّكَتُ مِنْ ذَا الْمُصْحَفِ الْعُمَّانِي
 ٢٤٠٢ - ذِكْرُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ لَ
 ٢٤٠٣ - وَاللَّهِ لَوْ لَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ وَالْ-
 ٢٤٠٤ - لَأَتَوْا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَكَّدُوا الْ-
 إِسْلَامَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الْأَرْكَانِ

الشرح

في هذه الأبيات يقول المؤلف - رحمه الله - مُناديًا لهؤلاء القوم الذين قَدَّموا نصوصَ أئمتهم وشيوخهم على الكتابِ والسُّنة، يقول:

- ٢٣٨٨ - يَا قَوْمِ بِاللَّهِ انظُرُوا وَتَفَكَّرُوا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٣٨٩ - مِثْلَ التَّدَبُّرِ وَالتَّفَكُّرِ لِلَّذِي قَدَّ قَالَهُ ذُو الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ

يعني: أقل ما نطلبُ منكم العدلُ بأن تنظروا في نصوص الكتاب والسُّنة كما تنظرون في مقالات شيوخكم.

والمؤلف - رحمه الله - في عدة مواضع يذكرُ السُّنة قبل القرآن من أجل مناسبة الرويِّ (القافية)، كما أنَّ الله - سبحانه وتعالى - قدَّم ذكرَ هارون على موسى من أجل تناسب رءوس الآيات في سورة طه، حيث قال السَّحَرَةُ: ﴿إِنَّمَا رَبِّي هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠] فقدَّم هارونَ من أجل أن تتناسب رءوس الآيات.

- ٢٣٩٠ - فَأَقْلُ شَيْءٍ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكُمْ حَدًّا سِوَاءَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «فَأَقْلُ شَيْءٍ» يعني: أقل شيءٍ نطالبكم به أن يكون عندكم حدًّا سواء يا أولي العدوان، وما هو أعلى شيء؟

الجواب: تقديم الكتابِ والسُّنَّةِ أعلى شيء، أقل شيء أن يكونَ الكتابُ والسُّنَّةُ عندكم مثل كلامِ شيوخكم.

٢٣٩١- وَاللَّهِ مَا اسْتَوَىٰ لَدَىٰ زُعَمَائِكُمْ فِي الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ قَوْلُهُ: «مَا اسْتَوَىٰ» يعني: نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ وكلامُ الشيوخ.

قَوْلُهُ: «مَا اسْتَوَىٰ لَدَىٰ زُعَمَائِكُمْ فِي الْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ» لَأَنَّ نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ عندهم لا تفيدهُ العلمَ ولا العرفانَ والتَّحْقِيقَ؛ لأنهم يقولون: إن كان النَّصُّ من كتابِ الله فالدلالةُ لفظيَّةٌ، ودلالةُ اللفظِ ظنيَّةٌ وليست قطعِيَّةً، وإن كانت من السُّنَّةِ فإن كانت أخباراً آحاداً فأخبارُ الآحاد لا تفيدهُ اليقينَ والقطع، بل تفيدهُ الظنَّ، وإن كانت متواترةً فهي لفظيَّةٌ، والدلالةُ اللفظيَّةُ لا تفيدهُ اليقينَ.

وأما الذي يفيدُ اليقينَ فكلامُ شيوخهم؛ ولهذا قال:

٢٣٩٢- عَزَلُوهُمَا بَلْ صَرَّحُوا بِالْعَزْلِ عَنِ نَيْلِ الْيَقِينِ وَرُتَبَةِ الْبُرْهَانِ قَوْلُهُ: «عَزَلُوهُمَا» الضميرُ يعودُ على الكتابِ والسُّنَّةِ.

٢٣٩٣- قَالُوا: وَتِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَسْنَا نُحْكِمُهَا عَلَى الْإِيقَانِ قَوْلُهُ: «تِلْكَ» المُشارُ إليه نصوصُ الكتابِ والسُّنَّةِ، فهي أدلةٌ لفظيَّةٌ لا تفيدهُ اليقينَ، ولا يصلُ الحكمُ بها إلى اليقينِ.

٢٣٩٤- مَا أَنْزَلْتَ لِنَيْالٍ مِنْهَا الْعِلْمُ بِالْإِبْتِاتِ لِلْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ

يعني: ما أنزلها اللهُ لِنَيْالٍ بها عِلْمٌ أو صافٍ ربُّنا عزَّ وجلَّ، إِذْ نَ لِمَاذَا نَزَلَتْ؟

قالت فرقةٌ منهم: للتعبُّد بلفظها، وتسليم معناها لله.

وقالت فرقة أخرى: نزلت للتعبد بلفظها، ونيل الأجر بحمل معانيها على مجازها؛ لأنَّ حمل اللفظ على مجازه يحتاج إلى شواهد وأدلة وتعب بخلاف الظاهر، قالوا: فتحمّل على المجازات، وعلى المعاني الغريبة، وكون الإنسان يتعب في تخريجها على هذه المجازات ينال بذلك أجراً؛ لقول النبي ﷺ لعائشة في عمرتها بعد حجّها: «أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ»^(١).

فصار الذي يُراد بالكتاب والسنة عندهم: إمّا التعبد باللفظ وتسليم المعنى لله، وهؤلاء هم المفوضون، أو التعبد باللفظ ونيل الأجر بالتعب في تخريج الكلام على مجازاته وشواذ اللغة العربية، أمّا أن يُراد بذلك العلم فلا، فلا يُراد بهذا العلم بإثبات أوصاف الله عزّ وجلّ.

٢٣٩٥- بَلِ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ وَهَذِهِ عَنْهُ بِمَعَزِلٍ غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ
قَوْلُهُ: «بَلِ بِالْعُقُولِ يُنَالُ ذَاكَ» يُنَالُ: نَائِبُ الْفَاعِلِ يَعُودُ عَلَى (العلم)،
يُنَالُ الْعِلْمُ بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ.

قَوْلُهُ: «وهذه» يعني نصوص الكتاب والسنة.

قَوْلُهُ: «غَيْرِ ذِي السُّلْطَانِ» يعني: ليس لها سلطاناً وقدرةً وقوةً تُوصِلُ إِلَى الْعِلْمِ.

يعني أن نصوص الكتاب والسنة بمعزِلٍ عن الاستدلال وعن الدلالة، وليس لها سلطانٌ حتّى نستدلّ بها على إثبات الشيء أو على نفيه؛ لأنَّ السلطان للعقل.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب أجرة العمرة على قدر النصب، رقم (١٧٨٧)، ومسلم: كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام، رقم (١٢١١).

٢٣٩٦- فَبَجْهَدِنَا تَأْوِيلَهَا وَالدَّفْعُ فِي أَكْتَانِهَا دَفْعًا لِذِي الصَّوْلَانِ

يعني أننا نبذل الجهد في تأويلها ونتعب؛ لأجل أن ننال الأجر.

لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: إِذَا كَانَ لَيْسَ الْمَرَادُ الظَّاهِرَ لِمَاذَا لَمْ يَأْتِ اللهُ بِالْمَرَادِ وَأَتَى بِظَاهِرٍ خِلَافَ الْمَرَادِ؟ قَالُوا: لِأَجْلِ أَنْ نَتَعَبَ فِي حَمْلِ هَذَا الظَّاهِرِ عَلَى مَجَازِهِ وَتَتَّبِعَ شَوَاطِئَ اللُّغَةِ حَتَّى نَنَالَ بِذَلِكَ أَجْرًا.

ثُمَّ ذَكَرَ مِثَالًا فَقَالَ:

٢٣٩٧- كَكَبِيرِ قَوْمٍ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ ذِي حُكْمٍ يُرِيدُ دِفَاعَهُ بِلَيَانِ

٢٣٩٨- فَيَقُولُ: قَدْرُكَ فَوْقَ ذَا وَشَهَادَةُ لِسَوَاكَ تَصْلُحُ فَادْهَبْ بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَيَقُولُ» أَي: الْحَاكِمِ.

هَذَا رَجُلٌ كَبِيرٌ شَيْخٌ جَاءَ يَشْهَدُ عِنْدَ الْقَاضِي، وَالْقَاضِي أَرَادَ عَدَمَ قَبُولِ شَهَادَتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا سَيِّدِي، قَدْرُكَ عِنْدِي أَكْبَرُ مِنْ أَنْ تَأْتِيَ تَشْهَدُ، فَالشَّهَادَةُ لَغَيْرِكَ، فَأَنْتَ شَيْخٌ كَبِيرٌ مُوقَّرٌ مُحْتَرَمٌ لَا تَأْتِيَ تَشْهَدُ عِنْدِي، فَالشَّهَادَةُ لَغَيْرِكَ، فَادْهَبْ، هُوَ لَمْ يَنْزِلُوا نِصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةَ كَذَلِكَ، فَقَالُوا: الْقُرْآنُ عِنْدَنَا مُحْتَرَمٌ وَعَظِيمٌ، وَالسُّنَّةُ كَذَلِكَ، لَكِنِ الشَّهَادَةُ لَغَيْرِهَا، فَهِيَ لِلْعُقُولِ.

وَهَذَا مِثْلٌ غَرِيبٌ قَلَّ أَنْ يَتَفَطَّنَ الْإِنْسَانُ لِثُلِّ هَذَا الْمِثْلِ.

أَحْيَانًا يَأْتِي الْإِنْسَانُ بِمِثَالٍ يَكُونُ أَعْدَمَ مَا يَكُونُ عَنِ الذَّهْنِ فِي تَصَوُّرِهِ، وَمِنْ

ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

بَلِيَّتُ بَلَى الْأَطْلَالِ إِنْ لَمْ أَقِفْ بِهَا وَوُقُوفَ شَحِيحِ ضَاعَ فِي التُّرْبِ حَاتِمُهُ

قَوْلُهُ: (الأطلال) يعني المساكن المهدّمة لمعشوقته.

قَوْلُهُ: (شحيح) أي: بخيل. ضاع خاتمه في التراب.

فهذا الشَّحِيحُ لا يذهبُ أبدًا عن مكانه، فلو وصل إلى الأرض السابعة لا يذهبُ، فهو يبحثُ عن الخاتم.

على كُلِّ حالٍ أقولُ: بعضُ الناسِ يكونُ عنده خيالٌ واسعٌ، فمَن يتخيَّلُ أنَّ هؤلاء جعلوا نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ بمنزلة هذا الشيخِ الكبيرِ المعظَّمِ عند الحاكم الذي جاء يشهدُ، فقال له: والله يا سيدي أنت رجلٌ كبيرٌ عندنا، وعظيمٌ، ومحترمٌ، وأنت أكبرُ من أن تشهدَ عندنا، ولكن اذهب بأمان، والشهادةُ عند غيرك.

٢٣٩٩- وَبُودُّهُ لَوْ كَانَ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا لَكِنَّ مَخَافَةَ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
يعني: بودُّه أن الأمر كان فوق ذلك.

ويَحْتَمِلُ أن يكون قوله: (بُودُّه) يعني الحاكم الذي طرد هذا الشيخ، أو بودُّ هذا المحرِّف الذي حرَّف نصوصَ الكتابِ والسُّنَّةِ، فبودُّه لو كان شيءٌ غيرُ ذا.

٢٤٠٠- فَلَقَدْ أَتَانَا عَنْ كَبِيرٍ فِيهِمْ وَهُوَ الْحَقِيرُ مَقَالَةُ الْكُفْرَانِ

٢٤٠١- لَوْ كَانَ يُمَكِّنُنِي وَلَيْسَ بِمُمَكِّنٍ لَحَكَّكَتُ مِنْ ذَا الْمُصْحَفِ الْعُثْمَانِي

٢٤٠٢- ذِكْرُ اسْتِوَاءِ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ لَكِنَّ ذَاكَ مُتَمَنِّعٌ عَلَى الْإِنْسَانِ

هذا رجلٌ مِنَ المعطَّلة الذين ينكرون الصفات، يقولُ: لو كان يمكنني أن أحكَّ قولَ الله تعالى في القرآن: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] لفعلتُ؛ لأنه لا يريدُ أن يسمعَ أحدًا يقولُ: (إنَّ اللهَ استوى على العرشِ)، ولكن هل يمكنُ هذا

والمسلمون يقرؤونه في كُلِّ يومٍ وليلة؟ الجواب: لا؛ ولهذا قال: (لَكِنَّ ذَاكَ مُتَمَتِّعٌ عَلَى الْإِنْسَانِ).

٢٤٠٣ - وَاللَّهُ لَوَلَا هَيْبَةَ الْإِسْلَامِ وَالْ— قُرْآنِ وَالْأُمَرَاءِ وَالسُّلْطَانِ

٢٤٠٤ - لَا تَوَاتُوا بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَلَدَكُنْ كُوا الْإِسْلَامَ فَوْقَ قَوَاعِدِ الْأَرْكَانِ

المؤلف - رحمه الله - يعرف هذا منهم؛ لأنه ابتلي في زمنه وفي عهد شيخه ابن تيمية - رحمه الله -، ابتلي بهم، وابتلي الناس من قبل، ماذا فعل هؤلاء المعطلة بالأئمة؟ وشوا بهم إلى الحكام حتى حبسوهم وضربوهم وقتلوهم، هؤلاء لو تمكّنوا من أن يهدموا الإسلام كُله لفعلوا، لك تهم يخافون هيبة الأمراء، والسُلطان، والإسلام عند العامة، وإلا لفعلوا.

٢٤٠٥ - فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لِأَيِّمَةِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَحْنٍ عَلَى الْأَزْمَانِ

٢٤٠٦ - لَا سِيَالًا اسْتَمَالُوا جَاهِلًا ذَا قُدْرَةٍ فِي النَّاسِ مَعَ سُلْطَانِ

٢٤٠٧ - وَسَعَوْا إِلَيْهِ بِكُلِّ إِفْكٍ بَيْنِ بَلِّ قَاسَمُوهُ بِأَغْلَظِ الْأَيْمَانِ

٢٤٠٨ - أَنَّ النَّصِيحَةَ فَضْدُهُمْ كَنَصِيحَةِ الشَّيْطَانِ حِينَ خَلَابِهِ الْأَبْوَانِ

٢٤٠٩ - فَيَرَى عَمَائِمَ ذَاتَ أذْنَابٍ عَلَى تِلْكَ الْقُشُورِ طَوِيلَةَ الْأَرْذَانِ

٢٤١٠ - وَيَرَى هَيُولَى لَا تَهْوُلُ لِمُبْصِرٍ وَتَهْوُلُ أَعْمَى فِي ثِيَابِ جَبَانِ

٢٤١١ - فَإِذَا أَصَاحَ بِسَمْعِهِ مَلْئُوهُ مِنْ كَذِبٍ وَتَلْبِيسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

٢٤١٢ - فَيَرَى وَيَسْمَعُ فَشَرَّهُمْ وَفَشَارَهُمْ يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ

- ٢٤١٣ - فَتَحُوا جِرَابَ الْجَهْلِ مَعَ كَذِبٍ فَخُذْ
وَاحْمِلْ بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانٍ
- ٢٤١٤ - وَأَتُوا إِلَى قَلْبِ الْمُطَاعِ فَفَتَّشُوا
عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بِأَمَانٍ
- ٢٤١٥ - فَإِذَا بَدَأَ غَرَضٌ لَهُمْ دَخَلُوا بِهِ
مِنْهُ إِلَيْهِ كَحَيْلَةِ الشَّيْطَانِ
- ٢٤١٦ - فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ
ظَفِرُوا وَقَالُوا: وَيْحَ آلِ فُلَانٍ
- ٢٤١٧ - هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلَانَا عَنِ الْا
مَقْصُودِ وَهُوَ عَدُوٌّ هَذَا الشَّانِ
- ٢٤١٨ - فَإِذَا هُمْ غَرَسُوا الْعَدَاوَةَ وَاطَّابُوا
سَقِيَّ الْغِرَاسِ كَفَعَلِ ذِي الْبُسْتَانِ
- ٢٤١٩ - حَتَّى إِذَا مَا أَنْمَرْتَ وَدَنَا لَهُمْ
وَقْتُ الْجُدَاذِ وَصَارَ ذَا إِمْكَانٍ
- ٢٤٢٠ - رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحَمِيَّةٍ
وَاسْتَنْجَدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
- ٢٤٢١ - فَهَنَالِكَ ابْتَلَيْتَ جُنُودَ اللَّهِ مِنْ
جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ
- ٢٤٢٢ - ضَرْبًا وَحَبْسًا ثُمَّ تَكْفِيرًا وَتَبًّا
سَدِيدًا وَسَتْمًا ظَاهِرَ الْبُهْتَانِ
- ٢٤٢٣ - فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ
أَمْرًا يَهْدِي لَهُ قُوى الْإِيمَانِ
- ٢٤٢٤ - مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَدِينَهُمْ
أَخَذَ الْحَدِيثَ وَتَرَكَ قَوْلَ فُلَانٍ

الشرح

في هذه الأبيات يقول المؤلف - رحمه الله - مبيِّنًا ما جرى لأئمة الإسلام من
مِحْنٍ مِنْ هَوْلَاءِ الْمُعْطَلَةِ، يَقُولُ:

٢٤٠٥ - فَلَقَدْ رَأَيْتُمْ مَا جَرَى لِأَيْمَةِ الْا
إِسْلَامِ مِنْ مِحْنٍ عَلَى الْأَرْمَانِ

ولا سيما إمام أهل السنة الإمام أحمد بن حنبلٍ - رحمه الله -.

٢٤٠٦- لا سيما لما استمالوا جاهلاً ذَا قُدْرَةٍ فِي النَّاسِ مَعَ سُلْطَانِ

يعني بذلك الخلفاء الجهَّال الذين لهم قدرةٌ وسلطانٌ على الناس، استمالهم هؤلاء المعتزلة أو المعطلَّة.

٢٤٠٧- وَسَعَوْا إِلَيْهِ بِكُلِّ إِفْكٍ بَيْنِ بَلْ قَاسَمُوهُ بِأَغْلَظِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «قَاسَمُوهُ» يعني: حلفوا له، كما قال الله تعالى عن الشَّيْطَانِ: ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١] على أي شيء قاسموه؟

قال:

٢٤٠٨- أَنَّ النَّصِيحَةَ قَضَدُهُمْ كَنَصِيحَةِ الشُّ شَيْطَانِ حِينَ خَلَا بِهِ الْأَبْوَانَ

قَوْلُهُ: «أَنَّ النَّصِيحَةَ قَضَدُهُمْ» يعني: يأتون للخليفة يقولون: الأمرُ كذا وكذا وكذا، والله ما قصدنا إلا النصيحة.

قَوْلُهُ: «كَنَصِيحَةِ الشَّيْطَانِ حِينَ خَلَا بِهِ الْأَبْوَانَ» ماذا قال لها؟ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

والخليفة الجاهل الذي له السلطان يغترُّ.

٢٤٠٩- فَيْرَى عَمَائِمَ ذَاتَ أَذْنَابٍ عَلَى تِلْكَ الْقُشُورِ طَوِيلَةِ الْأَرْدَانَ

صَوَّرَ هَؤُلَاءِ الشُّيُوخَ بِأَتَمِّمْ جَاءُوا وَعَلَيْهِمْ عَمَائِمٌ طَوِيلَةُ الْأَرْدَانَ، يعني: لها رُذُنٌ طَوِيلٌ يَصِلُ إِلَى الْفَخْذَيْنِ، هي طويلة الأردن لكنها على قشورٍ من الناس، لكنَّ الخليفة الجاهل يظنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ شُيُوخٌ كَبَارٌ فَيَأْخُذُ بِقَوْلِهِمْ.

٢٤١٠ - وَيَرَى هَيُولَى لَا تَهْوُلُ لِمُبْصِرٍ وَتَهْوُلُ أَعْمَى فِي ثِيَابِ جَبَانِ

الهيولى يعني: الهيئة، يرى هيئةً عظيمةً، شيوْخًا كبارًا، جاءوا بهذه الأُبهة لكنها لا تهوُلُ لمُبْصِرٍ؛ لأنه يعرفُ أنه ليس تحت الثياب إلا الخراب، وإنما تهوُلُ الأعمى الجبان.

٢٤١١ - فَإِذَا أَصَاخَ بِسَمْعِهِ مَلْثُوهُ مِنْ كَذِبٍ وَتَلْبِيسٍ وَمِنْ بُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «أَصَاخَ بِسَمْعِهِ» يعني: اسْتَمَعَ إِلَيْهِمْ وَأَنْصَتَ.

٢٤١٢ - فَيَرَى وَيَسْمَعُ فُشْرَهُمْ وَفُشَارَهُمْ يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ

الفشْرُ والفُشَارُ^(١) هو الحديثُ الطويلُ المُنَمَّقُ، ولكنه ليس تحته فائدة، إذا سَمِعَهُ الإنسانُ ظَنَّهُ حسنًا صوابًا، ولكنه بالعكس.

٢٤١٣ - فَتَحُوا جِرَابَ الْجَهْلِ مَعَ كَذِبٍ فَحُذِّ وَأَحْمَلِ بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

قَوْلُهُ: «فَحُذِّ وَأَحْمَلِ» أي: واحمل جهلاً وكذبًا.

وَقَوْلُهُ: «بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ» يعني: من كثرة الكذب والبهتان والجهل.

٢٤١٤ - وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ الْمُطَاعِ فَفَتَّشُوا عَمَّا هُنَاكَ لِيَدْخُلُوا بِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَوْا إِلَى قَلْبِ الْمُطَاعِ» مَنِ الْمُطَاعُ؟ الْجَوَابُ: الْخَلِيفَةُ.

أتوا إلى قلبه ففتشوا عمَّا هناك ليدخلوا بأمان.

(١) الفُشَارُ، كُغْرَابٍ: الذي تستعمله العامة بمعنى الهديان، وكذا التَّفْشِيرُ ليس من كلام العرب، وإنما هو من استعمال العامة. انظر: تاج العروس، مادة: فشر.

٢٤١٥- فَإِذَا بَدَأَ غَرَضٌ لَهُمْ دَخَلُوا بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ كَحِيلَةِ الشَّيْطَانِ

يعني: أنهم ينتهزون الفرصة كُلِّمَا بَدَأَ غَرَضٌ، والغرض فيما يظهر لي أنه الذي يُرْمَى إليه، وليس الغرض الحاجة، بل الغرض الذي يُرمى إليه بالسَّهام، كُلِّمَا بَدَأَ غَرَضٌ دَخَلُوا بِهِ مِنْهُ إِلَيْهِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْغَرَضِ هُنَا الْحَاجَةُ، يَعْنِي: كُلِّمَا بَدَتْ لَهُمْ حَاجَةٌ دَخَلُوا مِنْهَا إِلَى هَذَا الْخَلِيفَةِ.

٢٤١٦- فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ ظَفَرُوا وَقَالُوا: وَيَحَ آلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا رَأَوْهُ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ» يعني: إِذَا رَأَوْهُ قَدْ هَشَّ نَحْوَ حَدِيثِهِمْ وَأَصَاحَ إِلَيْهِ «ظَفَرُوا وَقَالُوا: وَيَحَ آلِ فُلَانٍ» يعني: ظَفَرُوا بِمَطْلُوبِهِمْ، وَقَالُوا فِيهَا بَيْنَهُمْ: وَيَحَ آلِ فُلَانٍ، وَيَعْنُونَ بِآلِ فُلَانٍ: أَهْلَ الْحَدِيثِ، يَعْنِي: وَيَحَهُمْ؛ لِأَنَّ الْخَلِيفَةَ هَشَّ لِقَوْلِهِمْ.

٢٤١٧- هُوَ فِي الطَّرِيقِ يَعُوقُ مَوْلَانَا عَنِ الْـ مَقْصُودٍ وَهُوَ عَدُوُّ هَذَا الشَّانِ

يقول أيضًا هؤلاء الجماعة: هذا يعوق أمرك، ويؤلِّبُ النَّاسَ عَلَيْكَ، وَيَفْعَلُ وَيَفْعَلُ.

٢٤١٨- فَإِذَا هُمْ غَرَسُوا الْعَدَاوَةَ وَاطْبَأُوا سَقْيَ الْغِرَاسِ كَفِعْلِ ذِي الْبُسْتَانِ

إِذَا غَرَسُوا الْعَدَاوَةَ مِنَ السُّلْطَانِ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ لَمْ يَتْرَكُوهُ بَلْ يَتَابِعُونَهُ كَمَا يَتَابِعُ الرَّجُلُ شَجَرَتَهُ إِذَا غَرَسَهَا.

٢٤١٩- حَتَّى إِذَا مَا أَثْمَرَتْ وَدَنَا لَهُمْ وَقْتُ الْجُدَاذِ وَصَارَ ذَا إِمْكَانٍ

٢٤٢٠- رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحِمِيَّةٌ وَأَسْتَنْجِدُوا بِعَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
قَوْلُهُ: «رَكِبُوا عَلَى جُرْدٍ لَهُمْ وَحِمِيَّةٌ» يعني الخيلَ الجردَ، ويجوز (عَلَى حَرْدٍ)
يعني: على حَنَقٍ.

٢٤٢١- فَهَنَالِكَ ابْتُلِيَتْ جُنُودُ اللَّهِ مِنْ جُنْدِ اللَّعِينِ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ
لماذا؟ لَأَنَّ السُّلْطَانَ صَارَ مَعَهُمْ، وَأَذَى أَهْلَ الْحَدِيثِ.

٢٤٢٢- ضَرْبًا وَحَبْسًا تَمَّ تَكْفِيرًا وَتَبَّ - دَيْعًا وَشَتْمًا ظَاهِرَ الْبُهْتَانِ
يعني: يأتون بِكُلِّ مَسَبَّةٍ لِأَهْلِ الْحَدِيثِ إِلَى أَنْ يَقُولُوا: هُمُ كُفَّارٌ، وَالْعِيَاذُ
بِاللَّهِ.

٢٤٢٣- فَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ مِنْهُمْ أَمْرًا يُهْدِلُهُ قُوى الْإِيمَانِ
٢٤٢٤- مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَدِينَهُمْ أَخَذَ الْحَدِيثِ وَتَرَكَ قَوْلَ فُلَانٍ
قَوْلُهُ: «وَدِينَهُمْ» أَي: دِينَ أَهْلِ الْحَدِيثِ.

والمعنى أَنَّهُمْ يَسُبُّونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ؛ لِأَنَّ دِينَهُمْ أَخَذُوا الْحَدِيثَ وَتَرَكَ رَأْيَ فُلَانٍ
وَفُلَانٍ، وَمَعَ ذَلِكَ يَسُبُّونَهُمْ.

فابنُ القَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا سَبَقَ كَثِيرًا يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِهِ أَنَّ فِي قَلْبِهِ عَلَيْهِمْ مِنَ
الْحَنَقِ وَالْعِدَاوَةِ مَا هُمُ السَّبَبُ فِيهِ؛ لِأَنَّهُمْ آذَوْا أَهْلَ الْحَدِيثِ، آذَوْا أَهْلَ السُّنَّةِ،
صَاحُوا بِهِمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا وَفِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهَذَا الَّذِي جَعَلَ بَعْضَ التَّعْطِيلِ مُمْتَشِرًا
فِي الْعَالَمِ الْإِسْلَامِيِّ أَنَّهُمْ كَانُوا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يُضَيِّقُونَ الْحِنَاقَ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ
وَأَهْلِ السُّنَّةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ.

فهؤلاء آذوا أهل السنّة، ولا بُدَّ من صراع بين الحقِّ والباطل، وأهل الحقِّ قد يُؤذون من هؤلاء لكن لحكمة يريدُها اللهُ عزَّ وجلَّ من أجل أن ينالوا درجة الصابرين؛ لأنَّ الصبرَ درجةٌ عاليةٌ، ولا تُنالُ درجتهُ إلا بشيءٍ يُصبرُ عليه كما قال الشاعر:

وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مَذَاقُهُ لَكِنْ عَوَاقِبُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

- ٢٤٢٥ - يَا أُمَّةَ غَضِبَ إِلَهُ عَلَيْهِمْ الْأَجَلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهِوَانِ؟!
 ٢٤٢٦ - تَبَّا لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْإِسْلَامِ حِزْبَ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٤٢٧ - وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُنْفَاهُمْ فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ
 ٢٤٢٨ - هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الْأَوْثَانِ
 ٢٤٢٩ - حَذَرَ الْمُقَابَلَةَ الْقَيْحَةَ مِنْهُمْ بِمَسَبَّةِ الْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
 ٢٤٣٠ - وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ضَرَبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ
 ٢٤٣١ - سَبُّوكُمْ جُهَالَهُمْ فَسَبَبْتُمْ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الْإِيمَانِ
 ٢٤٣٢ - وَصَدَدْتُمْ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ
 ٢٤٣٣ - وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتْهُ أَشْ يَأْخُ لَكُمْ بِالْحَرْصِ وَالْحُسْبَانِ
 ٢٤٣٤ - فَأَبُوا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّرُوا إِلَّا إِلَى الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٤٣٥ - وَإِلَى أُولِي الْعِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيدِ بِتِ خُلَاصَةِ الْإِنْسَانِ وَالْأَكْوَانِ

- ٢٤٣٦- قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَٰهَ لِحِفْظِ هَـ
 ٢٤٣٧- وَأَقَامَهُمُ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّـ
 ٢٤٣٨- يَزُكُّ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلْ حِصْنٌ لَهُ
 ٢٤٣٩- فَهُمْ الْمِحْكُ فَمَنْ يَرَى مُتَنَقِّصًا
 ٢٤٤٠- إِنْ تَتَّهَمُهُ فَقَبْلَكَ السَّلْفُ الْأَلَى
 ٢٤٤١- أَيْضًا قَدْ اتَّهَمُوا الْخَبِيثَ عَلَى الْهُدَى
 ٢٤٤٢- وَهُوَ الْحَقِيقُ بِذَلِكَ إِذْ عَادَى رُؤَا
 ٢٤٤٣- فَإِذَا ذَكَرْتَ النَّاصِحِينَ لِرَبِّهِمْ
 ٢٤٤٤- فَاغْسِلْهُ وَيَلِّكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيلِ وَالتَّـ
 هَذَا الدِّينِ مِنْ ذِي بَدْعَةٍ شَيْطَانِ
 تَحْرِيفِ وَالتَّوْمِيمِ وَالتَّقْصَانِ
 يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْفُرْقَانِ
 لَهُمْ فِرْزَانِيَّةٌ حَيْثُ جَنَانِ
 كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
 وَالْعِلْمِ وَالْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 هَذِهِ الدِّينِ وَهِيَ عَدَاوَةُ الدِّيَانِ
 وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بِلِسَانِ
 تَكْذِيبِ وَالْكَفْرَانِ وَالْبُهْتَانِ

الشرح

- ٢٤٢٥- يَا أُمَّةَ غَضِبَ الْإِلَٰهَ عَلَيْهِمْ
 قَوْلُهُ: «يَا أُمَّةَ» يخاطبُ أهلَ التعطيل الذين عطَّلوا صفاتِ الله عزَّ وجلَّ
 ومنعوا كمالَ الله - سبحانه وتعالى - .
 قَوْلُهُ: «غَضِبَ الْإِلَٰهَ عَلَيْهِمْ» بسببِ مجانبتهم لِهُدْيِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ
 وَأَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ بَعْدِهِمْ .
 قَوْلُهُ: «الْأَجَلِ هَذَا تَشْتُمُوا بِهِوَانٍ؟!» يعني: الْأَجَلِ أَنْ خَالَفْتُمْ أَهْلَ السُّنَّةِ
 تَشْتُمُونَهُمْ؟!

٢٤٢٦- تَبَّ لَكُمْ إِذْ تَشْتُمُونَ زَوَامِلَ الْإِسْلَامِ حِزْبَ اللَّهِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «زَوَامِلُ» جمع (زامله)، وهي الناقة التي تحمّل المتاع أو الجمل الذي
يحمّل المتاع، والمراد أن هؤلاء أهل الحديث هم الذين يحملون السنة كما تحمّل
الإبل الزوامل أمتعة المسافرين.

٢٤٢٧- وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفَاهُمْ فَرَأَوْا مَسَبَّتْكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ
قَوْلُهُ: «وَسَبَبْتُمُوهُمْ ثُمَّ لَسْتُمْ كُفَاهُمْ» يعني: لستم مكافئين لهم، بل أنتم
أحقر منهم، وأدنى، وأذل، ومع ذلك تسبونهم، ولكن العقلاء منهم أعرضوا عن
سببكم؛ ولهذا قال: «فَرَأَوْا مَسَبَّتْكُمْ مِنَ النُّقْصَانِ» يعني أنهم لم ينتزلوا وينزلوا
بأنفسهم حتى يسبوكم، بل جانبوكم وتركوكم.

٢٤٢٨- هَذَا وَهُمْ قَبِلُوا وَصِيَّةَ رَبِّهِمْ فِي تَرْكِهِمْ لِمَسَبَّةِ الْأَوْثَانِ

٢٤٢٩- حَذَرَ الْمُقَابَلَةَ الْقَبِيحَةَ مِنْهُمْ بِمَسَبَّةِ الْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ

يعني: تركوا سببكم؛ لأنهم لو سبوكم لسببتم القرآن والحديث، كما أن الله
- سبحانه وتعالى - نهى عن سب الآلهة التي تُعبد من دونه؛ خوفاً من أن يسبب الله
عز وجل، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ
عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] أمّا أنتم إذا سببتم الذين يدعون من دون الله فإنكم تسبونهم
بحقّ وبعلم، لكن هم إذا سبوا الله فإنها يسبون الله عدواً بغير علم.

٢٤٣٠- وَكَذَلِكَ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ فَإِنَّهُمْ ضَرَبَتْ لَهُمْ وَلَكُمْ بِذَا مَثَلَانِ

قَوْلُهُ: «بِذَا» أي: بالنهي عن سب آلهة المشركين؛ لثلاث سبوا الله، فكذلك
أهل السنة (أهل الحديث) تركوا مسبتهم لثلاث سبوا منهاهم وتسبوا أدلتهم من

كتاب الله وسنة رسوله.

٢٤٣١- سَبُّوَكُمْ جُهَّالَهُمْ فَسَبِّتُمْ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الْإِيمَانَ

يعني أن الجهال من أهل السنة صاروا يسبون أئمة أهل البدعة سباً قبيحاً، فإلى أي شيء أدى ذلك؟ قال: (فَسَبِّتُمْ سُنَنَ الرَّسُولِ وَعَسْكَرَ الْإِيمَانَ) أي: سببتم السنن وأصحاب السنن.

٢٤٣٢- وَصَدَدْتُمْ سُفَهَاءَكُمْ عَنْهُمْ وَعَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ وَذَا مِنَ الطُّغْيَانِ

يعني: صددتم سفهاءكم عنهم، أي: عن أهل الحديث وعن قول الرسول، وذا من الطغيان وتجاوز الحد بلا شك.

٢٤٣٣- وَدَعَوْتُمُوهُمْ لِلَّذِي قَالَتُهُ أَشْءَ سِيَّئًا لَكُمْ بِالْحَرْصِ وَالْحُسْبَانِ

٢٤٣٤- فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ وَلَمْ يَتَحَيَّرُوا إِلَّا إِلَى الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٤٣٥- وَإِلَى أَوْلِي الْعِرْفَانِ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ

قوله: «دَعَوْتُمُوهُمْ» يعني: دعوتهم سفهاءكم، وصددتموهم عن الحق، ودعوتموهم للباطل، وهو قول الشيوخ (فأبوا إجابتكم).

وَيَحْتَمِلُ أَنْ قَوْلَ الْمُؤَلِّفِ: (وَدَعَوْتُمُوهُمْ) أي: دعوتهم جهال أهل السنة إلى ما أنتم عليه، وهذا الاحتمال الذي ذكرته هو الظاهر؛ لأن قوله: (فَأَبَوْا إِجَابَتَكُمْ) لا يعني به سفاههم؛ إذ إن سفاههم قد أجابوهم.

٢٤٣٦- قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَهُ لِحِفْظِهِ هَذَا الدِّينِ مِنْ ذِي بَدْعَةٍ شَيْطَانِ

قوله: «قَوْمٌ» يعني أهل الحديث.

قَوْلُهُ: «أَقَامَهُمُ الْإِلَهَ» أي: مَنْ عَلَيْهِمْ حَتَّى قَامُوا بِحِفْظِ هَذَا الدِّينِ، مِنْ كُلِّ ذِي بَدْعَةٍ شَيْطَانٍ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

٢٤٣٧- وَأَقَامَهُمْ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّتَمِيمِ وَالتَّقْصَانِ

قوله: «حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ» التحريفُ تغيُّرُ المعنى، والتبديلُ: تغيُّرُ اللفظ، وإذا أُفْرِدَ التحريفُ صارَ شاملاً لتحريف اللفظ وتحريف المعنى.

كذلك أيضاً «والتَّتَمِيمِ وَالتَّقْصَانِ» التتميمُ يعني الزيادة، والنقصانُ يعني النقصَ (الحذف).

ومن المعلوم أن القرآن لا يحتاج إلى تميم، لكن على قاعدة هؤلاء أن فيه مجازاً فإنه يحتاج إلى تميم، مثلاً قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رُبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] يحتاج عندهم إلى أن يُقَالَ: (جاء أمرُ رَبِّكَ) فالكلام لم يتم.

وقولُ الرسول: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ»^(١) هذا عندهم يحتاج إلى تميم، فيُقَالَ: (ينزل أمرُ رَبُّنَا).

لكن أهل الحديث وقاهم اللهُ الشرَّ، أهل الحديث هم الذين أقامهم اللهُ لحفظِ هذا الدين، ودفعِ شُبُه الضالِّين، سواءً كان ذلك عن طريق التتميم أو النقصان.

٢٤٣٨- يَزُكُّ عَلَى الْإِسْلَامِ بَلْ حِصْنٌ لَهُ يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْفُرْقَانِ

ظَنَّ الهَرَّاسُ -رحمه اللهُ- أنَّ اليَزُكَّ يعني النَّيَازِكُ التي يُرْمَى بها، ولكن ليس هذا هو الظاهر؛ لأنَّ النَّيَازِكُ اسمٌ حادثٌ، لكن الظاهر أنَّ اليَزُكَّ أي: السَّهام، أو

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

الْيَزَكُ: هو المشي الضعيف، يعني أَنَّهُم بالنسبة للإسلام لا يَعْدُونَ عليه عَدْوًا، أَمَا على المعنى الأول (أَنَّهُم يَزَكُ عَلَيْهِ) فبمعنى أَنَّهُم يَزَكُ لَهُ، أَي: سَهَامٌ للإسلام.

٢٤٣٩- فَهُمُ الْمِحَكُّ فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا لَهُمْ فَرِزْنَدِيقُ خَيْثُ جَنَانِ

قَوْلُهُ: «فَهُمُ الْمِحَكُّ» أَي: أَهْلُ الْحَدِيثِ هُمُ الْمِحَكُّ.

معنى (المحك): الذين يُحْتَبَرُ بِهِمُ الْإِنْسَانُ، مَنْ أَحَبَّهُمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَوْ تَنَقَّصَهُمْ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ؛ وَهَذَا يُقَالُ مَثَلًا: إِذَا رَأَيْتَ الْإِنْسَانَ يُحِبُّ الْإِمَامَ أَحْمَدَ فَهُوَ سُنِّيٌّ، وَإِذَا رَأَيْتَهُ يُبْغِضُهُ فَهُوَ بَدْعِيٌّ.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يُرَى مُتَنَقِّصًا لَهُمْ فَرِزْنَدِيقُ خَيْثُ جَنَانِ» وَهَذَا حَقِيقَةٌ، فَلَا يُبْغِضُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ إِلَّا أَعْدَاءُ اللَّهِ، لَا شَكَّ فِي هَذَا، فَأَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَعْدَاءُ اللَّهِ الْحَرْبُ بَيْنَهُمَا عَوَانٌ دَائِمًا وَأَبَدًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَهُ بِالْحَرْبِ»^(١).

فَأَهْلُ الْحَدِيثِ هُمُ الْمَحَكُّ، مَنْ تَنَقَّصَهُمْ فَهُوَ زَنْدِيقٌ.

قَوْلُهُ: «خَيْثُ جَنَانِ» أَي: خَيْثُ قَلْبٍ.

٢٤٤٠- إِنْ تَتَّهَمُهُ فِقَبْلَكَ السَّلْفُ الْأَكْبَرُ كَانُوا عَلَى الْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ

٢٤٤١- أَيْضًا قَدْ اتَّهَمُوا الْخَبِيثَ عَلَى الْهُدَى وَالْعِلْمِ وَالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «إِنْ تَتَّهَمُهُ» يَعْنِي: تَتَّهَمُ الْبَدْعِيَّ فِي زَمَانِكَ، فَإِنَّ قَبْلَكَ مَنْ اتَّهَمَ جَنْسَهُ؛ وَهَذَا قَالَ: فَإِنَّ قَبْلَكَ السَّلْفُ الْأَكْبَرُ أَيْضًا قَدْ اتَّهَمُوا الْخَبِيثَ عَلَى الْهُدَى. مِثْلُ اتِّهَامِ ابْنِ عُمَرَ لِلْقَدْرِيَّةِ، وَاتِّهَامِ التَّابِعِينَ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْجَهْمَ بْنَ صَفْوَانَ لَجْهَمٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، رقم (٦١٣٧).

فالمهم أن الرجل إذا اتهم الرجل بكراهة أهل السنة لأنه بدعي، فإن هذا حق؛ لأن السلف الصالح اتهموا من كان على شاكلته بذلك.

٢٤٤٢- وَهُوَ الْحَقِيقُ بِذَلِكَ إِذْ عَادَى رَوْا ةَ الدِّينِ وَهِيَ عَادَاةُ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «الْحَقِيقُ بِذَلِكَ» أي: بالخبث، فهو حقيق بأن يكون خبيثاً؛ لأنه عادى رواة الدين، ومعاداة رواة دين الله معاداة الله عز وجل.

٢٤٤٣- فَإِذَا ذَكَرْتَ النَّاصِحِينَ لِرَبِّهِمْ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بِلِسَانِ

٢٤٤٤- فَاغْسِلْهُ وَيَلِّكَ مِنْ دَمِ التَّعْطِيلِ وَالْتِ تَكْذِيبِ وَالْكَفْرَانِ وَالْبُهْتَانِ

يعني: إذا ذكرت الناصحين لله وكتابه ورسوله بلسانك فاغسل لسانك من دم التعطيل والتكذيب، أي: سر على منواهم؛ لتغسل لسانك من هذه الأوصاف القبيحة، وهي التعطيل، والتكذيب، والكفران، والبهتان.

وهنا إيراءُ وارذُ؛ إذ كيف يقول -رحمه الله- بأنهم جهال، وسبوا أهل السنة، وهو نفسه يسبهم، ووصفهم فيما سبق بأنهم حير، وأنهم يلجئون القلوط ويشربون منه، وتظهر على شفاههم وأسنانهم الأخباط والأنتان؟

الجواب عن هذا أن يقال: السبُّ المواجه هو الذي تحصل به الفتنة، أما السبُّ غير المواجه من أجل التحذير منهم فلا بأس به؛ ولهذا لما استأذن رجل على النبي ﷺ وقالوا: فلان، قال: «بئس أخو العشييرة»^(١) فسببه، ولما دخل أعطاه ساحة في الوجه، ففرق بين المقابلة وبين المدابرة، بمعنى أنك تسب الرجل تحذيراً من طريقته، لكن أمامه إذا سبته ربها تثير حفيظته فيسب ما أنت عليه من الدين.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب «لم يكن النبي ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً»، رقم (٥٦٨٥)، ومسلم: كتاب البر والآداب والصلة، باب مداراة من يتقى فحشه، رقم (٢٥٩١).

- ٢٤٤٥- أَتَسُبُّهُمْ عَدُوًّا وَلَسْتَ بِكُفِّهِمْ!؟ فَاللَّهُ يَفْئِدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي
- ٢٤٤٦- قَوْمٌ هُمْ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولُهُ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيمَانِ
- ٢٤٤٧- شَتَّانَ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لِأَجْلِ زُبَالَةِ الْأَذْهَانِ
- ٢٤٤٨- وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ آرَأُوهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ
- ٢٤٤٩- لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ ثَقُلَتْ رءُوسُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ
- ٢٤٥٠- فَلِذَاكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوا يَتَلَاعَبُونَ تَلَاعِبَ الصَّبِيَانِ
- ٢٤٥١- وَالرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا الْعُلَى وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضٍ طَيِّبَةٍ مَطَّلَعِ الْإِيمَانِ
- ٢٤٥٢- وَأَتَوْا إِلَى رَوْضَاتِهَا وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضٍ مَكَّةَ مَطَّلَعِ الْقُرْآنِ
- ٢٤٥٣- قَوْمٌ إِذَا مَا نَاجِدُ النَّصِّ بَدَا طَارُوا لَهُ بِالْجَمْعِ وَالْوُحْدَانِ
- ٢٤٥٤- وَإِذَا بَدَا عِلْمُ الْهُدَى اسْتَبَقُوا لَهُ كَتَسَابِقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ
- ٢٤٥٥- وَإِذَا هُمْ سَمِعُوا بِمُبْتَدِعِ هَدَى صَاحُوا بِهِ طُرًّا بِكُلِّ مَكَانِ
- ٢٤٥٦- وَرِثُوا رَسُولَ اللَّهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدْ رَاحَ بِالنَّقْصَانِ وَالْحِرْمَانِ
- ٢٤٥٧- وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمْ بِالنَّصِّ لَمْ يَرْفَعِ بِهِ رَأْسًا مِنَ الْخُسْرَانِ
- ٢٤٥٨- عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوْاجِدِ رَغْبَةً فِيهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ بِمُهَانِ
- ٢٤٥٩- لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً وَتَلَاوَةً قَصْدًا بِتَرْكِ فَلَانِ
- ٢٤٦٠- عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةَ السُّلْطَانِ

- ٢٤٦١- ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسَكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَثْمَانِ
 ٢٤٦٢- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمُطَاعُ لِغَيْرِهِ وَلِمُهْتَدٍ ضُرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ
 ٢٤٦٣- يَا لِلْعُقُولِ أَيْسَتَوِي مَنْ قَالَ بِالْ— قُرْآنِ وَالْآثَارِ وَالْبُرْهَانِ
 ٢٤٦٤- وَخَالَفَ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ؟ اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

الشرح

هذه الأبيات يقول فيها المؤلف - رحمه الله -:

- ٢٤٤٥- أَتَسُبُّهُمْ عَدُوًّا وَلَسْتَ بِكُفِّهِمْ؟! فَاللَّهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي
 تَسَّبُ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَدُوًّا، يعني اعتداءً وطغياناً عليهم، (وَلَسْتَ بِكُفِّهِمْ)؛
 لأنهم خيرٌ منك.

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ يَفْدِي حِزْبَهُ بِالْجَانِي» يعني: سأل الله أن يجعل الجاني فداءً
 لحزب الله، وهذا لا بأس به.

وفداء الجاني لحزب الله إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِدَاءً حَسِيًّا بِأَنْ يُهْلِكَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِهِ، أَوْ
 فِدَاءً مَعْنَوِيًّا بِأَنْ يُظْهِرَ أَهْلَ الْحَدِيثِ عَلَى هَوْلَاءِ الْجُنَاةِ.

- ٢٤٤٦- قَوْمٌ هُمْ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيمَانِ
 قَوْلُهُ: «قَوْمٌ» يعني أهل الحديث.

قَوْلُهُ: «هُمْ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ أَوْلَى وَأَقْرَبُ مِنْكَ لِلْإِيمَانِ» يعني: هم أَوْلَى بِاللَّهِ
 ورسوله منك، وأقرب للإيمان منك.

٢٤٤٧- شَتَّانَ بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لِأَجْلِ زُبَالَةِ الْأَذْهَانِ

٢٤٤٨- وَالتَّارِكِينَ لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ آرَأُوهُمْ صَرَبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «شَتَّانَ» أَي: بَعْدَ مَا بَيْنَ هَوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ.

شَتَّانَ بَيْنَ هَوْلَاءَ وَبَيْنَ هَوْلَاءَ، أَي: بَيْنَ التَّارِكِينَ نُصُوصَهُ وَبَيْنَ الْآخِذِينَ بِنُصُوصِهِ، وَهَمَّ أَهْلُ الْحَدِيثِ، بَيْنَ الَّذِينَ تَرَكُوا لِأَجْلِهَا آرَاءَ مَنْ آرَأُوهُمْ صَرَبٌ مِنَ الْهَدْيَانِ وَبَيْنَ مَنْ أَخَذُوا بِهَذِهِ الْآرَاءِ.

٢٤٤٩- لَمَّا فَسَا الشَّيْطَانُ فِي آذَانِهِمْ ثَقَلَتْ رَأَوْسُهُمْ عَنِ الْقُرْآنِ

٢٤٥٠- فَلِذَاكَ نَامُوا عَنْهُ حَتَّى أَصْبَحُوا يَتَلَاَعَبُونَ تَلَاَعِبَ الصَّبِيَانِ

هَذَانِ الْبَيْتَانِ مَأْخُوذَانِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانًا نَامَ عَنِ صَلَاةِ الصُّبْحِ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ»^(١) فَانْسَدَّتْ بِبَوْلِ الشَّيْطَانِ عَنِ سَمَاعِ الْأَذَانِ.

هَوْلَاءَ أَيْضًا تَلَطَّفَ بِهِمُ ابْنُ الْقَيْمِ، فَجَعَلَ بَدَلَ الْبَوْلِ فَسْوًا.

٢٤٥١- وَالرَّكْبُ قَدْ وَصَلُوا الْعُلَى وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ طَيِّبَةٍ مَطَّلَعِ الْإِيمَانِ

٢٤٥٢- وَأَتَوْا إِلَى رَوْضَاتِهَا وَتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَطَّلَعِ الْقُرْآنِ

وَفَرَّقَ بَيْنَ هَوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ، هَوْلَاءَ قَصَدُوا الْمَدِينَةَ لِأَجْلِ الْإِيمَانِ، وَمَكَّةَ لِأَجْلِ

الْقُرْآنِ.

وَاخْتَلَفَ التَّعْبِيرَانِ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ؛ لِأَنَّ مَكَّةَ بِهَا ابْتِدَاءُ نَزُولِ الْقُرْآنِ، وَأَكْثَرُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ التَّهْجِدِ، بَابُ إِذَا نَامَ وَلَمْ يَصِلْ بِالِ الشَّيْطَانِ فِي أُذُنِهِ، رَقْمٌ (١٠٩٣)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرَهَا، بَابُ مَا رَوَى فِي مَنْ نَامَ اللَّيْلَ أَجْمَعَ حَتَّى أَصْبَحَ، رَقْمٌ (٧٧٤).

ما نزل من السور في مكة .

وأما المدينة فهي مقرّ الإيَّان؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩] يعني الأنصار الذين في المدينة، فجعل المؤلف المدينة مَطَّلَعَ الإيَّان، ومكة مَطَّلَعَ القرآن .

٢٤٥٣- قَوْمٌ إِذَا مَا نَاجِدُ النَّصِّ بَدَا طَارُوا لَهُ بِالْجَمْعِ وَالْوَحْدَانِ
إذا بدا ناجد النَّصِّ طاروا له جُموعًا ومنفردين .

٢٤٥٤- وَإِذَا بَدَا عِلْمُ الْهُدَى اسْتَبَقُوا لَهُ كَتَسَابِقِ الْفَرَسَانِ يَوْمَ رِهَانٍ
وهؤلاء هم الذين لهم الفخرُ في الحقيقة .

٢٤٥٥- وَإِذَا هُمْ سَمِعُوا بِمُبْتَدِعِ هَذَى صَاحُوا بِهِ طُرًّا بِكُلِّ مَكَانٍ
صاحوا به يُبَيِّنُونَ بدعته ويُحَدِّثُونَ منها .

٢٤٥٦- وَرِثُوا رَسُولَ اللَّهِ لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدَرًا بِالنَّقْصَانِ وَالْحِرْمَانِ
قَوْلُهُ: «ورثوا رسول الله» يعني أهل الحديث .

قَوْلُهُ: «لَكِنْ غَيْرُهُمْ قَدَرًا بِالنَّقْصَانِ وَالْحِرْمَانِ» يعني بذلك أهل التعطيل .

٢٤٥٧- وَإِذَا اسْتَهَانَ سِوَاهُمْ بِالنَّصِّ لَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا مِنَ الْخُسْرَانِ
يَرْفَعُ بِهِ رَأْسًا مِنَ الْخُسْرَانِ

٢٤٥٨- عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّوْاجِدِ رَغْبَةً فِيهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِمْ بِمُهَانَ

أهل الحديث إذا استهان سواهم بالنَّصِّ، ولم يرفع به رأسًا، تلقَّوه هم بالقبول وعَضُّوا عليه بالنواجذ، وقالوا: نحن -بحمد الله- أهلُه، وهذا يدلُّ على أنهم ليسوا إمعةً يتبعون الناس على كُلِّ شيء، ولكن يأخذون بالحق أينما كان .

٢٤٥٩- لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً وَتِلَاوَةً قَصْدًا بِتَرْكِ فَلَانٍ

يعني: ليس أهل الحديث كَمَنْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً وَتِلَاوَةً.

قَوْلُهُ: «حَقِيقَةً» يعني: لم يأخذوا بمعانيه، وما دَلَّ عليه.

قَوْلُهُ: «وَتِلَاوَةً» يعني: اشتغلوا بغيره حتى عن تلاوة القرآن، فاشتغلوا بكتب هؤلاء المتبوعين والأشياخ، وتركوا القرآن حَقِيقَةً وَتِلَاوَةً.

٢٤٦٠- عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى وَوَلَّوْا غَيْرَهُ كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةَ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «عَزَلُوهُ فِي الْمَعْنَى» فنصبوه إمامًا في اللفظ، وَوَلَّوْا غَيْرَهُ الْقِيَادَةَ.

هؤلاء مثلاً قالوا: القرآن أشرفُ الأشياءِ، وكلامُ الله - إن كانوا يقولون بأنه كلامُ الله - لكنهم لا يتبعونه، فهذا عَزَلُ له في المعنى.

قَوْلُهُ: «كَأَبِي الرَّبِيعِ خَلِيفَةَ السُّلْطَانِ» أبو الربيع يبدو أنه خليفة لسلطانٍ سابقٍ تَوَلَّى الْخِلَافَةَ، لكنه تَوَلَّى الْخِلَافَةَ اسْمًا، والتدبيرُ لغيره، فهذا لو سُمِّي خليفةً وسلطانًا، هل له سلطانٌ؟ الجواب: لا، لكن له شيءٌ خاصٌّ به؛ ولذا قال:

٢٤٦١- ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ وَبِسِكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَثْمَانِ

قَوْلُهُ: «ذَكَرُوهُ فَوْقَ مَنَابِرٍ» قالوا مثلاً: اللَّهُمَّ أَيَّدْ سُلْطَانَنَا فَلَانَ بْنَ فَلَانٍ، اللَّهُمَّ أَيَّدْ خَلِيفَتَنَا فَلَانَ بْنَ فَلَانٍ، وهو في الحقيقة ليس بسلطانٍ ولا خليفة لهم، فالأمرُ لغيره.

قَوْلُهُ: «وَبِسِكَّةٍ رَقَمُوا اسْمَهُ فِي ظَاهِرِ الْأَثْمَانِ» كان الخلفاءُ فيما سبق وإلى الآن يكتبون أسماءهم على الدنانير والدراهم تعظيمًا لهم، فأبو الربيع هذا كَتَبَ اسْمَهُ عَلَى الدنانير والدراهم، ويُدعى له فوق المنابر، ولكن لا سلطة له، بل السلطة لغيره.

المهم أن ابن القيم -رحمه الله- ضرب مثلاً للقرآن عند هؤلاء بخليفة ليس له أمر ولا نهي، إنما يُذكرُ اسمه فوق المنابر، ويُدعى له، ويُكتبُ اسمه على السِّكك، يعني: على النقود: الذهب والفضة.

٢٤٦٢- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَطَاعُ لِغَيْرِهِ وَلِمْهْتَدٍ ضَرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ
قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الْمَطَاعُ لِغَيْرِهِ» أي: لغير هذا الحاكم.

قَوْلُهُ: «وَلِمْهْتَدٍ ضَرِبَتْ بِذَا مَثَلَانِ» أي: مثلنا ومثلكم بالنسبة للقرآن كمثل خليفة ليس له أمر ولا نهي عند أهل التعطيل، لكن عند أهل الحديث الأمر والنهي كُله للقرآن والسُّنة.

٢٤٦٣- يَا لِلْعُقُولِ أَيْسَتَوِي مَنْ قَالَ بِالْ— قُرْآنِ وَالْأَنْبَارِ وَالْبُرْهَانِ

٢٤٦٤- وَمُحَالِفٌ هَذَا وَفِطْرَةَ رَبِّهِ؟ اللهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟

قَوْلُهُ: «أَيْسَتَوِي مَنْ قَالَ بِالْقُرْآنِ... وَمُحَالِفٌ هَذَا؟» الجواب: لا يستويان.

قَوْلُهُ: «كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟» يعني: لا يستويان، وصدق -رحمه الله-.

٢٤٦٥- بَلْ فِطْرَةَ اللهِ الَّتِي فَطَرُوا عَلَى مَضْمُونِهَا وَالْعَقْلُ مَقْبُولَانِ

٢٤٦٦- وَالْوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقًا لِهَٰمَا فَلَا تُلْقِ الْعَدَاوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ

٢٤٦٧- سَلْمَانٍ عِنْدَ مُوَفَّقٍ وَمُصَدِّقٍ وَاللهُ يَشْهَدُ أَنْ هُمَا سَلْمَانِ

٢٤٦٨- فَإِذَا تَعَارَضَ نَصُّ لَفْظٍ وَارِدِ وَالْعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يَلْتَقِيَانِ

٢٤٦٩- فَالْعَقْلُ إِمَّا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرُّرَائِي صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بَطْلَانِ

- ٢٤٧٠- أَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ
 ٢٤٧١- وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضَهَا بَعْضًا فَسَلَّ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانٍ
 ٢٤٧٢- وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا مِنْ آفَةِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ
 ٢٤٧٣- أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله -:

إِنَّ الْفِطْرَةَ الَّتِي فُطِّرَ النَّاسَ عَلَيْهَا وَالْعَقْلَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَعَارَضَا؛ وَلِذَا قَالَ:

- ٢٤٦٥- بَلْ فِطْرَةُ اللَّهِ الَّتِي فُطِّرُوا عَلَى مَضْمُونِهَا وَالْعَقْلُ مَقْبُولَانِ
 ٢٤٦٦- وَالْوَحْيُ جَاءَ مُصَدِّقًا لِهَمَّا فَلَا تُلْقِ الْعِدَاوَةَ مَا هُمَا حَرْبَانِ

عندنا ثلاثة أشياء: الفطرة، والعقل الصريح، والنقل الصحيح، هذه الأشياء الثلاثة لا يمكن أن تتعارض إلا لآفة.

فالفطرة ربِّها تُعَارِضُ الْعَقْلَ الصَّرِيحَ، لِأَنَّهَا فَسَدَتْ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١).

فَأَمَّا فِطْرَةٌ سَلِيمَةٌ فَإِنَّهَا لَا يُمْكِنُ أَنْ تُعَارِضَ الْعَقْلَ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصل علىه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٨)، ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

العقل هل يعارض النقل؟

الجواب: لا، لا يمكنُ أبدًا، فالعقلُ الصريحُ -يعني السَّالِم من الشُّبهات والشهوات- لا يمكنُ أبدًا أن يُعارضَ النقلَ الصحيحَ.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كتابٌ سمّاه: (دَرءُ تَعَارُضِ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ) واشتهر بين العلماء باسم (العقل والنقل)، وقد سبق ثناءُ ابن القيمِ عليه، حتَّى قال فيه:

وَلَهُ كِتَابُ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ الَّذِي مَافِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانٍ

إِذْ نَ لَا يَمَكْنُ أَنْ يَتَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ، وَلَكِنْ كَيْفَ نَعْمَلُ إِذَا تَعَارَضَا؟
يقول المؤلف -رحمه الله-:

٢٤٦٧- سِلْمَانٍ عِنْدَ مُوَفَّقٍ وَمُصَدِّقٍ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنْ هُمَا سِلْمَانٍ

قَوْلُهُ: «سِلْمَانٍ» لَكِنْ هُمَا سِلْمَانٍ عِنْدَ مَنْ؟ الْجَوَابُ: عِنْدَ الْمُوَفَّقِ الْمُصَدِّقِ، أَمَّا الْمُنْكَرُ فَهُوَ يَدَّعِي أَنَّ الْعَقْلَ يُعَارِضُ النَّقْلَ، وَالَّذِي لَمْ يُوَفَّقْ لِلْجَمْعِ بَيْنَهُمَا يَظُنُّ أَيْضًا تَعَارُضَ الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ.

٢٤٦٨- فَإِذَا تَعَارَضَ نَصٌّ لَفْظٍ وَارِدٍ وَالْعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يَلْتَقِيَانِ

٢٤٦٩- فَالْعَقْلُ إِذَا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرُّرَّ رَائِي صَحِيحًا وَهُوَ ذُو بُطْلَانِ

٢٤٧٠- أَوْ أَنَّ ذَلِكَ النَّصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا تَعَارَضَ نَصٌّ لَفْظٍ وَارِدٍ وَالْعَقْلُ» يَعْنِي: تَعَارُضَ النَّصِّ وَالْعَقْلِ.

يقول: إذا تعارض عقلٌ ونقلٌ في نظر الرائي فلا يخلو من حالين:
الحال الأولى: إمَّا أنَّ العقلَ فاسدٌ أفسدته الشبهةُ أو الشهوةُ، ولستُ أريدُ
بالشهوة هنا شهوةَ الجنس (الجماع)، بل الشهوة هنا تعني سوءَ القصد.

الحال الثانية: أو أنَّ النصَّ ليس بثابتٍ عن المعصوم.
فأمَّا أن يكونَ النصُّ ثابتًا والعقلُ صحيحًا فإنَّ التعارضَ لا يمكنُ أبدًا.
إذن إذا وجدتَ من نفسك أنَّ النصَّ معارضٌ للعقل فاتهمَّ عقلك أو النصَّ.
واتهامُ النصَّ ليس معناه اتهامه أنه صدقٌ أو كذبٌ، إنما تتهم هل هو ثابتٌ أو
غيرُ ثابتٍ؟ فإذا ثبت عن المعصوم فإنه لن يعارضَ العقلَ أبدًا.

ثمَّ انتقل المؤلفُ - رحمه الله تعالى - إلى تعارض النصوص بعضها مع بعضٍ،
فقال:

٢٤٧١- وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ تُعَارِضُ بَعْضُهَا بَعْضًا فَسَلَّ عَنْهَا عَلِيمٌ زَمَانَ

أيضًا النصوصُ لا يمكنُ أن تتعارضَ أبدًا، ولاحظوا أنَّ المرادَ بالتعارض
هنا ليس التعارضُ بين النصوص في العموم والخصوص فإنَّ هذا واردٌ، لكن
التعارض أن تتقابلَ من كُلِّ وجه بحيث لا يمكنُ أن يجتمعَ بعضها مع بعضٍ.

فالتعارضُ الذي هو التقابلُ من كُلِّ لا يمكنُ أن يوجدَ في النصوصَ أبدًا.

فإن قال قائل: أليس قد ثبتَ النسخُ فعارضَ الناسخُ المنسوخَ؟ فالجواب:
بلى، لكن إذا ثبتَ النسخُ فلا تعارضُ؛ لأنَّ المنسوخَ غيرُ قائمٍ، فالمنسوخُ نُسِخَ
وذهب، لكن كلامنا على النصوص التي ليست بمنسوخةٍ لا يمكنُ أن تتعارضَ
أبدًا.

٢٤٧٢- وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا مِنْ آفَةِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

٢٤٧٣- أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ مَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

إذا رأيتَ تعارضًا بين نصّين، سواء كان ذلك من نصوص القرآن أو من السنّة فاعلم أن ذلك من قُصور فهمك وذهنك، وإلا فلا يمكن أن تتعارض، أو أن النصّ ليس بثابت، وهذا لا يكون إلا في تعارض السنّة بعضها مع بعض التي تُنسبُ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

٢٤٧٤- لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ وَالْجَهْمِ فِي قَلْبِ الْمُوحِدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٢٤٧٥- إِلَّا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَمُقْتَلَانِ

٢٤٧٦- وَالنَّاسُ بَعْدُ عَلَى ثَلَاثٍ: حِزْبُهُ أَوْ حَرْبُهُ أَوْ فَارِعٌ مَتَوَانِ

٢٤٧٧- فَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ أَيَّنَ تَجْعَلُهَا؟ فَلَا وَاللَّهِ لَسْتُ بِرَابِعِ الْأَعْيَانِ

٢٤٧٨- مَنْ قَالَ بِالتَّعْطِيلِ فَهُوَ مُكْذَّبٌ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ

٢٤٧٩- إِنَّ الْمُعْطَلَّ لَا إِلَهَ لَهُ سِوَى الْـ مَنُحُوتِ بِالْأَفْكَارِ فِي الْأَذْهَانِ

٢٤٨٠- وَكَذَا إِلَهُ الْمُشْرِكِينَ نَحِيَّتُهُ الْـ أَيَّدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سَيَّانِ

٢٤٨١- لَكِنَّ إِلَهَ الْمُرْسَلِينَ هُوَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ مُكُونُ الْأَكْوَانِ

٢٤٨٢- تَاللَّهِ قَدْ نَسَبَ الْمُعْطَلُّ كُلَّ مَنْ بِالْبَيِّنَاتِ أَتَى إِلَى الْكِتْمَانِ

٢٤٨٣- وَاللَّهُ مَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُعْطَلُّ نَافِي صِفَاتِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

- ٢٤٨٤- كَلَّا وَلَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُشَبَّهٌ حَاشَاهُمْ مِنْ إِنْكَ ذِي بُهْتَانٍ
 ٢٤٨٥- فَخَذِ الْهُدَى مِنْ عَبْدِهِ وَكِتَابِهِ فَهُمَا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبِيَانٍ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ الْعَقْلَ وَالْفِطْرَةَ، وَالشَّرْعَ لَا يَتَنَاقِضَانِ أَبَدًا وَلَا يَتَعَارِضَانِ؛ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِي يَتَعَارِضُ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ عَقْلُ جَهْمٍ وَأَتْبَاعِهِ؛ وَهَذَا قَالَ:

- ٢٤٧٤- لَكِنَّ قَوْلَ مُحَمَّدٍ وَالْجَهْمِ فِي قَلْبِ الْمُوَحِّدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
 ٢٤٧٥- إِلَّا وَيَطْرُدُ كُلُّ قَوْلٍ ضِدَّهُ فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا فَمُقْتَبِلَانِ
 قَوْلُهُ: «قَوْلَ مُحَمَّدٍ» يَعْنِي رَسُولَ اللهِ ﷺ.

- ٢٤٧٦- وَالنَّاسُ بَعْدَ عَلَى ثَلَاثٍ: حِزْبُهُ أَوْ حَرْبُهُ أَوْ فَارِغٌ مُتَوَانٍ
 قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ بَعْدُ» يَعْنِي: النَّاسُ بَعْدَ هَذَا التَّقْسِيمِ عَلَى ثَلَاثِ طَوَائِفٍ: حِزْبٍ، وَحَرْبٍ، وَفَارِغٍ مُتَوَانٍ.

فَحِزْبُ اللهِ هُمُ اتَّبَاعُ رَسَلِهِ، وَحَرْبُ اللهِ هُمُ أَعْدَاءُ رَسَلِهِ، وَالثَّلَاثُ: فَارِغٌ لَا مَعَ هَوْلَاءٍ وَلَا مَعَ هَوْلَاءٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ بِجِدٍّ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْحَيَاةِ وَكَأَنَّهُ بَهِيمَةٌ.

- ٢٤٧٧- فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا؟ فَلَا وَاللَّهِ لَسْتَ بِرَابِعِ الْأَعْيَانِ
 قَوْلُهُ: «فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيْنَ تَجْعَلُهَا؟» مِنَ الْحِزْبِ، أَوْ مِنَ الْحَرْبِ، أَوْ مِنَ الْفَارِغِ الْمُتَوَانِي.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَسْتُ بِرَبِّهِ الْأَعْيَانِ» فليس هناك قسمٌ رابعٌ، فالناسُ ثلاثٌ طوائفٌ.

٢٤٧٨- مَنْ قَالَ بِالتَّعْطِيلِ فَهُوَ مُكْذَّبٌ بِجَمِيعِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْفُرْقَانِ الذي يقول بالتعطيل مُكْذَّبٌ لجمیع الرُّسل؛ لأنَّ جمیع الرُّسلِ يُثْبِتُونَ لله تعالى ما أثبتته لنفسه من صفات الكمال، وكذلك أتباعهم، فلا تجدُ في كلامِ الرُّسلِ نفيًا لأيِّ صفةٍ كمالٍ من صفات الله.

٢٤٧٩- إِنَّ الْمُعْطَلَّ لَا إِلَهَ لَهُ سِوَى الْ— مَنْحُوتِ بِالْأَفْكَارِ فِي الْأَذْهَانِ أراد -رحمه الله- أن يجعل المعطلة كالمشركين، فالمشركون نحتوا أصنامًا يعبدونها من دون الله، والمعطلُّ نحت شيئًا يعبدُه من دون الله؛ لأنَّ حقيقة قول المعطلُّ أنه لا إله، لا سيما الذين يعطلُّون الأسماء والصفات.

يوجد أناسٌ يقولون: لا تقل: (إِنَّ اللَّهَ موجودٌ)، ولا تقل: (إِنَّ اللَّهَ غيرُ موجودٍ)؛ لأنك إن قلت: (إِنَّ اللَّهَ موجودٌ) شَبَّهْتَهُ بالموجودات، وإن قلت: (إِنَّ اللَّهَ غيرُ موجودٍ) شَبَّهْتَهُ بالمعدومات.

نقول لهم: سبحان الله! أنتم إذا قلتم: لا موجودٌ ولا معدومٌ شَبَّهْتُمُوهُ بالممتنعات المستحيلات؛ لأنه لا يمكنُ أبدًا أن يكونَ شيءٌ لا موجودًا ولا معدومًا.

فهم نحتوا إلهاً وقالوا: هذا الإلهُ، نحتوه بالأفكار والأذهانِ الفاسدةِ الباطلة.

والمشركون نحتوا أيضًا؛ ولذا قال:

٢٤٨٠- وَكَذَّا إِلَهُ الْمُشْرِكِينَ نَحِيَّتَهُ الْ— أَيَدِي هُمَا فِي نَحْتِهِمْ سَيَّانِ

هؤلاء إلههم نحيته الأفكار، وهؤلاء إلههم نحيته الأيدي، فهما في نحتهم
سيان.

٢٤٨١- لِكِنَّ إِلَهَ الْمُرْسَلِينَ هُوَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَاءِ مَكُونُ الْأَكْوَانِ
إله المرسلين - سبحانه وتعالى - هو الذي فوق السماء مكوّن الأكوان، نسأل الله
أن يجعلنا من أتباعهم.

٢٤٨٢- تَاللَّهِ قَدْ نَسَبَ الْمُعْطَلُ كُلَّ مَنْ بِالْبَيِّنَاتِ أَتَى إِلَى الْكِتْمَانِ
المعطل يقول: الحقّ عندي، نقول له: إذا كان الحقّ عندك فهل أتت به الرُّسلُ
الذين جاءوا بالبينات؟ ماذا يقول؟ يقول: لا، إذنّ كتموا الحقّ وأتوا بالباطل.
فكُلُّ إنسانٍ يُعْطَلُ صفاتِ الله فقد أتهم الرُّسلَ كُلَّهُم بالكتمان.

٢٤٨٣- وَاللَّهِ مَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُعْطَلٌ نَافِي صِفَاتِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
٢٤٨٤- كَلَّا وَلَا فِي الْمُرْسَلِينَ مُشَبَّهٌ حَاشَاهُمْ مِنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ

وكذلك - والله الحمد - أتباع المرسلين ليس فيهم معطلٌ وليس فيهم مُشَبَّهٌ،
بل يقولون: آمناً بالله كما أراد الله عزّ وجلّ؛ ولهذا قال الرّازي - وهو من زعماء
المعطلة -: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تُشْفِي
عَلِيًّا، وَلَا تُرْوِي عَلِيًّا، وَرَأَيْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الْإِبْتِاتِ:
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ
في النفي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]،
وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»^(١).

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٨).

وهذا الكلامُ حقٌّ، فكُلُّ كلامِ أهلِ الكلامِ والفلسفةِ هُراءٌ، لم يستفيدوا من بحثهم طُولَ أعمارِهِم إلا قِيلَ وقال.

٢٤٨٥- فَخُذِ الْهُدَى مِنْ عَبْدِهِ وَكِتَابِهِ فَهَمَّا إِلَى سُبُلِ الْهُدَى سَبَبَانِ

قَوْلُهُ: «خُذِ الْهُدَى» يعني: العلمَ والحقَّ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عَبْدِهِ» وهو محمدٌ صلوات الله وسلامه عليه.

قَوْلُهُ: «وَكِتَابِهِ» أي: القرآن العظيم.

فصل

فِي بَطْلَانِ قَوْلِ الْمَلْحِدِينَ: إِنَّ الْأَسْتِدْلَالَ بِكَلَامِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
لَا يُفِيدُ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ

- ٢٤٨٦- وَأَحْذَرُ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا
شِيْعًا وَكَانُوا شِيْعَةَ الشَّيْطَانِ
- ٢٤٨٧- وَأَسْأَلُ خَيْرًا عَنْهُمْ يُنْبِئُكَ عَنْ
أَسْرَارِهِمْ بِنَصِيحَةٍ وَبَيَانِ
- ٢٤٨٨- قَالُوا: الْهُدَى لَا يُسْتَفَادُ بِسُنَّةِ
كَأَلَّا وَلَا أَثَرٍ وَلَا قُرْآنِ
- ٢٤٨٩- إِذْ كُلُّ ذَلِكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ
لَمْ تُبَدِّ عَنْ عِلْمٍ وَلَا إِيقَانِ
- ٢٤٩٠- فِيهَا اشْتِرَاكٌ ثُمَّ إِجْمَالٌ يُرَى
وَتَجَوُّزٌ بِالزَّيْدِ وَالنَّقْصَانِ
- ٢٤٩١- وَكَذَلِكَ الْإِضْمَارُ وَالتَّحْقِيقُ وَالْأَلْ
حَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبَدِّ عَنْ تَبْيَانِ
- ٢٤٩٢- وَالنَّقْلُ أَحَادٌ فَمَوْقُوفٌ عَلَى
صِدْقِ الرُّوَاةِ وَلَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
- ٢٤٩٣- إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا
وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهُوَ ذُو إِمْكَانِ
- ٢٤٩٤- وَتَوَاتُرٌ وَهُوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ
جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟
- ٢٤٩٥- هَذَا وَيَخْتَاجُ السَّلَامَةَ بَعْدَ مَنْ
ذَلِكَ الْمَعَارِضِ صَاحِبِ السُّلْطَانِ
- ٢٤٩٦- وَهُوَ الَّذِي بِالْعَقْلِ يُعْرِفُ صِدْقَهُ
وَالنَّفْيِ مَظْنُونٌ لَدَى الْإِنْسَانِ
- ٢٤٩٧- فَلِأَجْلِ هَذَا قَدْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَّ
لَيْنَا الْعُقُولَ وَمَنْطِقَ الْيُونَانِ

الشرح

هذه الآيات يُبَيَّنُ فيها المؤلفُ -رحمه الله- طريقة هؤلاء المعطلَّة، وخلاصةُ كلامهم: أن نصوص الكتاب والسنة لا تفيدُ اليقين، وأنَّ العقل هو الذي يفيدُ اليقين، والقاعدةُ المتفقُ عليها بين جميع الفرق أنه إذا تعارضَ اليقينُ والظنُّ قُدِّمَ اليقينُ، فإذا تعارضت دلالةُ الكتاب والسنة، ودلالةُ العقل، وَجَبَ أن نُقدِّمَ دلالةَ العقل. لكن ما هو السَّببُ؟ يقول:

٢٤٨٦- وَاحْذَرْ مَقَالَاتِ الَّذِينَ تَفَرَّقُوا شِيعًا وَكَانُوا شِيعَةَ الشَّيْطَانِ

احذر هذه المقالات؛ لأنَّ الذين تفرَّقوا شِيعًا ليسوا على حقٍّ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] وإذا كان النَّبِيُّ ﷺ ليس منهم في شيء، فهم ليسوا على حقٍّ.

٢٤٨٧- وَأَسْأَلُ خَيْرًا عَنْهُمْ يُنَبِّئُكَ عَنْ أَسْرَارِهِمْ بِنَصِيحَةٍ وَبَيَانٍ قَوْلُهُ: «اسأل خَيْرًا» يريدُ بذلك نفسه؛ لأنه -رحمه الله- يعرفُ من أقوالهم الشيءَ الكثيرَ.

٢٤٨٨- قَالُوا: الْهُدَى لَا يُسْتَفَادُ بِسُنَّةٍ كَلَّا وَلَا أَثَرٍ وَلَا قُرْآنٍ

الهدى لا يُستفادُ لا بالسنة، ولا بالأثر عن الصحابة، ولا بالقرآن، لماذا؟ قال:

٢٤٨٩- إِذْ كُلُّ ذَلِكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُبَدِ عَنْ عِلْمٍ وَلَا إِيقَانٍ

قَوْلُهُ: «أدلة لفظية» أي: لا تفيدُ العلمَ واليقينَ، لماذا؟ قال -رحمه الله-:

٢٤٩٠- فِيهَا اشْتَرَاكَ ثُمَّ إِجْمَالَ يُرَى وَتَجَوُّزٌ بِالزَّيْدِ وَالتَّقْصَانِ

٢٤٩١- وَكَذَلِكَ الْإِضْمَارُ وَالتَّحْقِيقُ وَالْ- حَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبَدَّ عَنْ تَبْيَانِ

قَوْلُهُ: «فِيهَا اشْتِرَاكٌ» أَي: أَلْفَاظٌ مَشْرُوكَةٌ بَيْنَ مَعْنِيَيْنِ فَأَكْثَرُ، وَاللَّفْظُ الْمَشْرُوكُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ هُوَ اللَّفْظُ الصَّالِحُ لِمَعْنِيَيْنِ فَأَكْثَرُ، مِثْلُ كَلِمَةِ: (عَيْن) فَهِيَ لَفْظٌ مَشْرُوكٌ بَيْنَ الشَّمْسِ، وَالذَّهَبِ، وَعَيْنِ الْمَاءِ الْجَارِيَةِ.

فَإِذَنْ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ أَلْفَاظٌ مَشْرُوكَةٌ، وَاللَّفْظُ الْمَشْرُوكُ مُحْتَمِلٌ لِكُلِّ مَعَانِيَةٍ، إِذَنْ فَلَا يَفِيدُ الْيَقِينَ.

قَوْلُهُ: «إِجْمَالٌ» أَي: فِيهَا أَيْضًا إِجْمَالٌ، وَالْإِجْمَالُ يَقْتَضِي الْإِبْهَامَ؛ لِأَنَّ الْمُجْمَلَ ضِدُّ الْمَيَّنِّ.

قَوْلُهُ: «وَتَجَوُّزٌ» أَي: فِيهَا أَيْضًا تَجَوُّزٌ، يَعْنِي: مَجَازًا.

قَوْلُهُ: «بِالزَّيْدِ وَالتَّنْقِصَانِ» يَعْنِي: تَارَةً يَكُونُ هُنَاكَ مَجَازٌ بِالْحَذْفِ، وَهُوَ التَّنْقِصُ، وَتَارَةً يَكُونُ مَجَازٌ بِالزِّيَادَةِ.

فَمِثْلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] قَالُوا: الْكَافُ زَائِدَةٌ، هَذَا مَجَازٌ بِالزِّيَادَةِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] قَالُوا: التَّقْدِيرُ: (جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ) فَهَذَا مَجَازٌ بِالتَّنْقِصِ.

قَوْلُهُ: «كَذَلِكَ الْإِضْمَارُ» أَي: فِيهَا إِضْمَارٌ يَقْتَضِي الْإِبْهَامَ، أحيانًا يَحْتَمِلُ عَوْدَ الضَّمِيرِ إِلَى كَذَا، وَأحيانًا يَحْتَمِلُ عَوْدَهُ إِلَى كَذَا.

قَوْلُهُ: «التَّحْقِيقُ» فِي نَسْخَةِ (التَّخْصِيسِ)، وَلَعَلَّ النُّسخَةَ الثَّانِيَةَ: (التَّخْصِيسُ) أَصْحَحُ.

يَعْنِي: فِيهَا التَّخْصِيسُ، بِمَعْنَى أَنَّ اللَّفْظَ الْعَامَّ يَدْخُلُهُ التَّخْصِيسُ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ اللَّفْظَ الْعَامَّ إِذَا دَخَلَهُ التَّخْصِيسُ انْتَفَتْ دَلَالَتُهُ عَلَى الْعُمُومِ، وَهَذَا نَقْصٌ فِيهَا.

قَوْلُهُ: «الْحَذْفُ الَّذِي لَمْ يُبَدَّ عَنْ تَبْيَانِ» أَي: فِيهَا حَذْفٌ، وَلَا يُعْرَفُ مَا هُوَ الْمَحْذُوفُ وَلَمْ يَتَبَيَّنْ.

كُلُّ هَذِهِ يَرَوْنَ أَنَّهَا عِيُوبٌ تَمْنَعُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْإِيقَانِ.

كَذَلِكَ أَيْضًا عِيُوبٌ أُخْرَى مِنْ نَوْعِ ثَانٍ، قَالَ:

٢٤٩٢- وَالنَّقْلُ أَحَادٌ فَمَوْقُوفٌ عَلَى صِدْقِ الرَّوَاةِ وَلَيْسَ ذَا بُرْهَانِ

النقل إما آحادٌ وإما متواتر، نقل الآحاد موقوفٌ على صدق الرواة، وليس ذا برهان، وصدق الرواة ليس متيقنًا؛ إذ كُلهُ أحدٍ يمكنُ أن يكذبَ، كُلهُ أحدٍ يمكنُ أن ينسى، كُلهُ أحدٍ يمكنُ أن يتوهمَ؛ ولهذا قال:

٢٤٩٣- إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «إِذْ بَعْضُهُمْ فِي الْبَعْضِ يَقْدَحُ دَائِمًا» إِذَا طَالَعْنَا كُتُبَ الرِّجَالِ وَجَدْنَا أَنَّ الرَّوَاةَ يُقَالُ فِيهِمْ: هَذَا ضَعِيفٌ الْحَفْظِ، هَذَا سَيِّئُ الْحَفْظِ، هَذَا فِيهِ بَدْعَةٌ، هَذَا فِيهِ كَذَا، فَيَقْدَحُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا.

قَوْلُهُ: «وَالْقَدْحُ فِيهِمْ فَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ» يَعْنِي أَنَّ الْقَدْحَ فِي الرَّوَاةِ لَيْسَ مَمْتَنَعًا عَقْلًا، بَلْ هُوَ مُمْكِنٌ.

٢٤٩٤- وَتَوَاتُرٌ وَهُوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَتَوَاتُرٌ وَهُوَ الْقَلِيلُ» يَعْنِي: النَّقْلُ أَحَادٌ، وَ(تَوَاتُرٌ) مَعْطُوفَةٌ عَلَى (أَحَادٍ) يَعْنِي: وَالنَّقْلُ أَيْضًا تَوَاتُرٌ.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَلِيلُ وَنَادِرٌ جِدًّا فَأَيْنَ الْقَطْعُ بِالْبُرْهَانِ؟» فَهَذَا عَابُوا النَّصُوصَ أَيْضًا مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَهُوَ السَّنْدُ، قَالُوا: إِنَّهَا تَأْتِي عَنْ طَرِيقِ الْآحَادِ، وَطَرِيقِ الْآحَادِ

غير مقطوع بصدقه؛ لأن الرواة يحصل فيهم الوهم والسيان والكذب، وما أشبه ذلك.

أيضاً العلة الثالثة من نوع ثالث، قال:

٢٤٩٥- هَذَا وَيَخْتِاجُ السَّلَامَةَ بَعْدَ مَنْ ذَاكَ الْمَعَارِضِ صَاحِبِ السُّلْطَانِ

٢٤٩٦- وَهُوَ الَّذِي بِالْعَقْلِ يُعْرِفُ صِدْقَهُ وَالنَّفْسُ مَظْنُونٌ لَدَى الْإِنْسَانِ

٢٤٩٧- فَلِأَجْلِ هَذَا قَدْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَّيْنَا الْعُقُولَ وَمَنْطِقَ الْيُونَانِ

قَوْلُهُ: «يُعْرِفُ» فِي نَسْخَةِ (يُفَرِّضُ) وَفِي نَسْخَةِ ثَالِثَةٍ (يَعْرِضُ) وَأَقْرَبُهَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ -: (يُعْرِفُ).

يوجد أيضاً النوع الثالث، فيقول: هذه النقول تحتاج إلى أن تكون سالمة من المعارض الذي له السُّلْطَةُ، وهو العقل؛ لأنهم يرون أن العقل مُقَدَّمٌ على النقل، فإذا عارضها العقل وجب الرجوع إليه.

ولكن سيأتي ردُّ المؤلف - رحمه الله - على هذه الشبهة على وجه التفصيل.

٢٤٩٨- فَانظُرْ إِلَى الْإِسْلَامِ كَيْفَ بَقَاؤُهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ؟

٢٤٩٩- وَانظُرْ إِلَى الْقُرْآنِ مَعْرُوزًا لَدَيْهِمْ عَنْ نَفُودِ وَآيَةِ الْإِيقَانِ

٢٥٠٠- وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعَهُ زُورًا لَدَيْهِمْ لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

٢٥٠١- وَاللَّهُ مَا عَزَلُوهُ تَعْظِيمًا لَهُ أَيْظُنُّ ذَلِكَ قَطُّ دُوَّ عِرْفَانَ؟!

٢٥٠٢- يَا لَيْتَهُمْ إِذْ يَحْكُمُونَ بِعَزْلِهِ لَمْ يَرْفَعُوا رَايَاتِ جَنْكِرْخَانَ

- ٢٥٠٣ - يَا وَيْلَهُمْ وَلَوْ نَتَّيَجْ فِكْرِهِمْ
وَقَضَوْا بِهَا قَطْعًا عَلَى الْقُرْآنِ
- ٢٥٠٤ - وَرُذَالُهُمْ وَلَوْ إِشَارَاتِ ابْنِ سِيَدِنَا حِينَ
وَلَوْ مَنْطِقَ الْيُونَانِ
- ٢٥٠٥ - وَأَنْظُرْ إِلَى نَصِّ الْكِتَابِ مُجَدَّلًا
وَسَطَ الْعَرَبِينَ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ
- ٢٥٠٦ - بِالطَّعْنِ بِالْإِجْمَالِ وَالْإِضْمَارِ وَالتَّحْصِيسِ
وَالتَّأْوِيلِ بِالْبُهْتَانِ
- ٢٥٠٧ - وَبِالِاشْتِرَاكِ وَبِالْمَجَازِ وَحَذْفِ مَا
شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِلَا بُرْهَانِ
- ٢٥٠٨ - وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ
بَيْنَ الْخُصُومِ وَمَا لَهُ مِنْ شَانِ
- ٢٥٠٩ - وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ
فِي الْعِلْمِ بِالْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ
- ٢٥١٠ - لَكِنَّمَا الْمَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا
أَحْكَامُهُ لَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ
- ٢٥١١ - يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَجُنُودُهُ
بِدِمَائِهِمْ وَمَدَامِعِ الْأَجْفَانِ
- ٢٥١٢ - عَهْدُوهُ قَدَمًا لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ
وَسِوَاهُ مَعْرُوضٌ عَنِ السُّلْطَانِ
- ٢٥١٣ - إِنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ
لِ هَمَّا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانِ
- ٢٥١٤ - فَآتَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ
فِي حُكْمِ جَنْكِزْ خَانَ ذِي الطُّغْيَانِ
- ٢٥١٥ - بِجُنُودِ تَعْطِيلٍ وَكُفْرَانٍ مِنْ أَلْمَنْغُولِ ثُمَّ الْبَلَّاصِ وَالْعَلَّانِ
- ٢٥١٦ - فَعَلُّوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا
فَعَلُّوا بِأُمَّتِهِ مِنَ الْعُدْوَانِ
- ٢٥١٧ - وَاللَّهُ مَا انْقَادُوا لِجَنْكِزْ خَانَ حَتَّى
تَى أَعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
- ٢٥١٨ - وَاللَّهُ مَا وَلَّوْهُ إِلَّا بَعْدَ عَزْ
لِ الْوَحْيِ عَنْ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

- ٢٥١٩- عَزَلُوهُ عَن سُلْطَانِهِ وَهُوَ الْيَقِينُ - نُنِ الْمُسْتَفَادُ لَنَا مِنَ السُّلْطَانِ
- ٢٥٢٠- هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتَّى - نَى تَمَمُوا الْكُفْرَانَ بِالْبُهْتَانِ
- ٢٥٢١- جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضَّهُوهُ أَكْدًا - سَوَاعًا مُعَدَّةً مِنَ النُّقْصَانِ
- ٢٥٢٢- مِنْهَا انْتِفَاءً خُرُوجِهِ مِنْ رَبَّنَا - لَمْ يَبْدُ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ
- ٢٥٢٣- لَكِنَّهُ خَلَقَ مِنَ اللَّوْحِ ابْتَدَاءً - أَوْ جِبْرِيلَ أَوْ الرَّسُولِ الثَّانِي
- ٢٥٢٤- مَا قَالَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى - لَيْسَ الْكَلَامُ بِوَصْفِ ذِي الْغُفْرَانِ
- ٢٥٢٥- تَبَّ لَهُمْ سَلْبُوهُ أَكْمَلَ وَصَفِهِ - عَضَّهُوهُ عَضَهُ الرَّيْبِ وَالْكُفْرَانِ
- ٢٥٢٦- هَلْ يَسْتَوِي - بِاللَّهِ - نَسْبَتُهُ إِلَى - بَشَرٍ وَنَسْبَتُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ؟
- ٢٥٢٧- مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنٌ صِفَاتِهِ؟ - اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
- ٢٥٢٨- بَيْنَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا - بَيْنَ الْإِلَهِ وَهَذِهِ الْأَكْوَانِ

الشرح

تقدّم أن أهل التعطيل والإلحاد عزلوا القرآن عن إفادة العلم واليقين، وجعلوا الذي يفيد العلم واليقين هو العقل، وتعلّلوا بتعاليل كلّها عليلّة، وكلّها إن صدقوا في دعواها، فإنها لبّست عليهم؛ لأنّ قلوبهم مغمورة بمعاصيهم وسوء قصودهم، كما قال تعالى: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا سَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ [القم: ١٥] وكما قال: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

فالذي لا يعرف للقرآن حرّمته ولا للسنة حرّمته فالبلاء في قلبه.

يقول - رحمه الله -:

٢٤٩٨- فَاَنْظُرْ إِلَى الْإِسْلَامِ كَيْفَ بَقَاؤُهُ مِنْ بَعْدِ هَذَا الْقَوْلِ ذِي الْبُطْلَانِ؟

وصدق، كيف يبقى الإسلام ونحن نقول: إنَّ الأصلين العظيمين اللذين تركز عليهما أحكامه لا يُفِيدَانِ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ، بل لا يفيدان شيئاً على زعمهم؟! إذا قالوا: إنها تحتملُ كذا وتحتملُ كذا، وهي مُجْمَلَةٌ وتحتاجُ إلى بيانٍ وما أشبه ذلك، معناه أنَّ الدلالة رُفِعَتْ فِيهَا إِطْلَاقًا، فأين يبقى الإسلام؟ الجواب: لا يبقى شيءٌ، نسأل الله العافية.

٢٤٩٩- وَأَنْظُرْ إِلَى الْقُرْآنِ مَعْرُوزًا لَدَيْهِمْ عَنْ نُفُوزِ وَلايَةِ الْإِيْقَانِ

فهو - عندهم - معزولٌ عن اليقين، لا يمكنُ أن يدلَّ على اليقين أبدًا.

٢٥٠٠- وَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ كَذَاكَ مَعْرُوزًا لَدَيْهِمْ لَيْسَ ذَا سُلْطَانِ

٢٥٠١- وَاللَّهِ مَا عَزَلُوهُ تَعْظِيمًا لَهُ أَيُّظُنُّ ذَلِكَ قَطُّ ذُو عِرْفَانٍ؟!

ما عزلوا القرآنَ والسُّنَّةَ تَعْظِيمًا لهما عن دلالة اليقين، ولكن استهانةً بهما؛ لأنهم لو عَظَّمُوا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ حَقَّ التَّعْظِيمِ؛ لأخذوا بها دَلَالًا عَلَيْهِ، وَعَلِمُوا أَنَّ فِيهَا مِنَ الْيَقِينِ وَالْعُلُومِ مَا لَيْسَ فِي عَقُولِهِمْ.

٢٥٠٢- يَا لَيْتَهُمْ إِذْ يَحْكُمُونَ بِعَزْلِهِ لَمْ يَرْفَعُوا رَايَاتِ جَنْكِزْخَانَ

يعني أنهم جمعوا - والعياذ بالله - بين التفریط والتنقيص للكتاب والسُّنَّةِ وبين رفعِ راية الكفر والطغيان، فصاروا ينادون بما قاله جنكيز خان وغيره من أئمة الملاحدة، وَيَدْعُونَ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

٢٥٠٣- يَا وَيْلَهُمْ وَلَوْ نَتَّيَجُ فِكْرِهِمْ وَقَضَوْا بِهَا قَطْعًا عَلَى الْقُرْآنِ

يعني: أنهم رجعوا إلى الأفكار وتركوا القرآن وجعلوها هي الحاكمة عليه.

٢٥٠٤- وَرُذَالُهُمْ وَلَوْ إِشَارَاتِ ابْنِ سِينَا حِينَ وَلَوْ مَنْطِقَ الْيُونَانِ

الأراذل منهم صاروا مقلدين لابن سينا في إشاراتِهِ وتابعين للمنطق اليوناني، وإنما نسبه إلى اليونان؛ لأنَّ هذا البلاء الذي أصاب الأمة الإسلامية إنما جاء حين عرَّبت الكتب اليونانية والرومانية كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-

٢٥٠٥- وَأَنْظُرْ إِلَى نَصِّ الْكِتَابِ مُجَدَّلًا وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقَ اللَّحْمَانِ

قوله: «مجدلاً» في نسخة: «مجدلاً» بالنون، وكلاهما لغة، فيصح.

يعني أن القرآن مجدل كما تجدل الميتات عند عربن الأسد ممزقة اللحمان، أي أنهم لم يرفعوا به رأساً، ولم يبالوا به، ولم يرجعوا إليه.

٢٥٠٦- بِالطَّعْنِ بِالْإِجْمَالِ وَالْإِضْمَارِ وَالنَّ تَخْصِيصِ وَالتَّأْوِيلِ بِالْبُهْتَانِ

٢٥٠٧- وَبِالِاشْتِرَاكِ وَبِالْمَجَازِ وَحَذْفِ مَا شَاءُوا بِدَعْوَاهُمْ بِلَا بُرْهَانِ

كُلُّ هذه عيوبٌ في الكلام يرمون بها القرآن والسنة، مرة يقول: مجمل، ومرة يقول: يحتاج إلى إضمار، ومرة يقول: هذا خاص أو عام مخصوص، مرة يقول بالتأويل، وليس بتأويل حق، بل هو تأويل بهتان وكذب، ومرة يقول: هذا مشترك يحتمل معنيين، ومرة يقول: هذا مجاز لا يراد به الحقيقة، وهكذا.

٢٥٠٨- وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ بَيْنَ الْخُصُومِ وَمَا لَهُ مِنْ شَانٍ

قَوْلُهُ: «وَانظُرْ إِلَيْهِ» يعني: إلى القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ يَنْفُذُ حُكْمُهُ بَيْنَ الْخُصُومِ»؛ لَأَنَّ الْحُكْمَ عِنْدَهُمْ لِلْعَقْلِ، فَالْقُرْآنُ لَيْسَ بِحَاكِمٍ، بَلْ مَعزُورٌ عَنِ الْحُكْمِ.

٢٥٠٩- وَأَنْظُرْ إِلَيْهِ لَيْسَ يُقْبَلُ قَوْلُهُ فِي الْعِلْمِ بِالْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ

يعني: لا يُقْبَلُ ما جاء به القرآن من أوصاف الله عزَّ وجلَّ.

٢٥١٠- لَكِنَّمَا الْمَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا أَحْكَامُهُ لَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْمَقْبُولُ حُكْمُ الْعَقْلِ لَا أَحْكَامُهُ» يعني: لا أحكام القرآن.

قَوْلُهُ: «لَا يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ» وفي نسخة: «الْحُكْمَانِ» وكلاهما صحيح؛ لَأَنَّ الْحُكْمَ حَاكِمٌ، وَإِذَا كَانَ حُكْمَانِ صَارَ الْحُكْمُ حُكْمَيْنِ.

٢٥١١- يَبْكِي عَلَيْهِ أَهْلُهُ وَجُنُودُهُ بِدِمَائِهِمْ وَمَدَامِعِ الْأَجْفَانِ

قَوْلُهُ: «يَبْكِي عَلَيْهِ» يعني: على القرآن أو الإسلام الذي مصدره القرآن.

٢٥١٢- عَهْدُوهُ قَدَمًا لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ وَسِوَاهُ مَعزُورٌ عَنِ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «عَهْدُوهُ» الضمير يعود على القرآن.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ يَحْكُمُ غَيْرُهُ» وكان هذا في زمن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين؛ لَأَنَّ الْكُتُبَ الرُّومِيَّةَ وَالْيُونَانِيَّةَ إِنَّمَا عُرِّبَتْ بَعْدَ انْقِضَاءِ تَابِعِي التَّابِعِينَ، وَكَانَ النَّاسُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ عَلَى النَّهْجِ الْمُسْتَقِيمِ لَا يَرْجِعُونَ إِلَّا إِلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

٢٥١٣- إِنْ غَابَ نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ لِي هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانَ
قَوْلُهُ: «إِنْ غَابَ» يعني القرآن.

قَوْلُهُ: «نَابَتْ عَنْهُ أَقْوَالُ الرَّسُولِ هُمَا لَهُمْ دُونَ الْوَرَى حَكَمَانَ» يعني: إذا
لم يجدوا في كتاب الله رجعوا إلى سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ -عليه الصلاة والسلام-.

٢٥١٤- فَآتَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ فِي حُكْمِ جَنْكِزْ خَانَ ذِي الطُّغْيَانِ
أَتَاهُمْ مَا لَمْ يَكُنْ فِي ظَنِّهِمْ وَحُسْبَانِهِمْ مَعَ جُنُودِ جَنْكِزْ خَانَ وَأَحْكَامِهِ.

٢٥١٥- بِجُنُودٍ تَعْطِيلٍ وَكُفْرَانٍ مِنَ الْ
مَنْغُولِ ثُمَّ اللَّاصِ وَالْعَلَانِ
المنغول هم المغول الذين خرجوا على الأمة الإسلامية، وهم التتر، وحصل
منهم شرٌّ عظيمٌ، تحدَّث عنه ابن الأثير -رحمه الله- في كتابه: (الكامل في علم
التاريخ) ويُسمَّى (النهاية) وذكر أشياءً مَوْجَعَةً جَدًّا.

٢٥١٦- فَعَلُوا بِمِلَّتِهِ وَسُنَّتِهِ كَمَا فَعَلُوا بِأُمَّتِهِ مِنَ الْعُدْوَانِ
يعني أن هؤلاء الطوائف الثلاث: المنغول، واللاص، والعلان، فعلوا بملة
الرسول ﷺ وسنته كما فعلوا بأُمَّته من العُدوان.

٢٥١٧- وَاللَّهُ مَا انْقَادُوا لِجَنْكِزْ خَانَ حَتَّى أَعْرَضُوا عَنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ
وصدق -رحمه الله تعالى-، فما انقاد هؤلاء لمتابعة جنكيز خان إلا بعد أن
أعرضوا عن القرآن؛ وذلك لأن قلوبهم لو كانت مشغولةً بالقرآن ما انشغلت
بغيره، لكن إذا كان القلب فارغًا -والعياذ بالله- صارت الأهواء تتقاذفه حتى
يضل.

٢٥١٨- وَاللَّهُ مَا وَلَّوْهُ إِلَّا بَعْدَ عَزْرِ لِ الْوَحْيِ عَنِ عِلْمٍ وَعَنِ إِيقَانِ
يعني: ما جعلوا الولاية له والاتباع له إلا بعد عزل الوحي عن علم وعن
إيقان.

٢٥١٩- عَزَلُوهُ عَنِ سُلْطَانِهِ وَهُوَ الْيَقِينُ نُنُ الْمُسْتَفَادُ لَنَا مِنَ السُّلْطَانِ
قَوْلُهُ: «عَزَلُوهُ عَنِ سُلْطَانِهِ» أي: عزلوا الوحي.

٢٥٢٠- هَذَا وَلَمْ يَكْفِ الَّذِي فَعَلُوهُ حَتَّى تَمَّمُوا الْكُفْرَانَ بِالْبُهْتَانِ
يعني: أنهم نفوا أن يكون القرآن حكماً في باب الصفات، وجعلوا الحكم هو
العقل، وعللوا ذلك بأن النصوص لا يُستفاد منها اليقين - كما سبق - لثلاثة
احتمالات؛ لأن الدلالة تختلف، ولأن الإسناد قد يكون ضعيفاً، ولأنه قد يعارض
بالعقل.

هنا يقول: إنهم تمموا الكفران بالبهتان.

٢٥٢١- جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضُّهُ أَنْ سَوَاعًا مُعَدَّةً مِنَ النَّفْصَانِ
قَوْلُهُ: «جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ إِذْ عَضُّهُ» يعني: جعلوه أعضاء.

٢٥٢٢- مِنْهَا انْتِفَاءٌ خُرُوجِهِ مِنْ رَبِّنَا لَمْ يَيْدِ مِنْ رَبِّ وَلَا رَحْمَنِ

٢٥٢٣- لَكِنَّهُ خَلَقَ مِنَ اللَّوْحِ ابْتَدَاءً أَوْ جِبْرِئِيلَ أَوْ الرَّسُولِ الثَّانِي
قَوْلُهُ: «مِنْهَا»: أي: من هذه الأنواع.

إذا قالوا: إن القرآن ليس كلام الله، إنما هو مأخوذ من اللوح المحفوظ، أو
إن جبريل تكلم به، أو إن محمداً تكلم به فهذا بلا شك تنقُص للقرآن، وجهه:

ذكره المؤلف بقوله:

٢٥٢٤- مَا قَالَهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ الْعُلَى لَيْسَ الْكَلَامُ بِوَصْفِ ذِي الْغُفْرَانِ

٢٥٢٥- تَبَّالَهُمْ سَلْبُوهُ أَكْمَلَ وَصْفِهِ عَضُّهُوَ عَضُّهُ الرَّيْبِ وَالْكَفْرَانِ

٢٥٢٦- هَلْ يَسْتَوِي - بِاللَّهِ - نِسْبَتُهُ إِلَى بَشَرٍ وَنِسْبَتُهُ إِلَى الرَّحْمَنِ؟

الجواب: لا، إذا قالوا: القرآن كلام جبريل، القرآن كلام الرسول الثاني وهو محمد - عليه الصلاة والسلام -، القرآن أخذ من اللوح المحفوظ وليس كلام الله، لا شك أن هذا تنقُّص له، فلا يستوي كلام الرب عز وجل وكلام الخلق مهما كانوا.

لَمَّا بَيَّنَّ الْمَوْلَفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ الَّذِينَ يَنْسُبُونَ الْقُرْآنَ إِلَى كَلَامِ الْبَشَرِ أَوْ الْمَلِكِ أَنَّ هَذَا تَنْقُصٌ لِلْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَسْتَوِي أَنْ يُنْسَبَ الْقُرْآنُ لِلَّهِ، وَأَنْ يُنْسَبَ لِلْبَشَرِ، فَإِنَّهُ إِذَا تُسِبَّ لِلْبَشَرِ - وَهُوَ مِنَ اللَّهِ - فَهَذَا تَنْقُصٌ لِلَّهِ، لَمَّا بَيَّنَّ ذَلِكَ قَالَ:

٢٥٢٧- مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنٌ صِفَاتِهِ؟ اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ أَيْنَ لِلْمَخْلُوقِ عَيْنٌ صِفَاتِهِ؟» يعني: كيف ينال المخلوق عين صفة الخالق، وهو هنا كلامه.

وَقَوْلُهُ: «عَيْنٌ صِفَاتِهِ» وفي نسخة: «عِزٌّ صِفَاتِهِ» أي: عز صفات الله وعظمة صفات الله لا يمكن أن تكون لكلام المخلوق.

قَوْلُهُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ»؛ ولهذا قال الله - سبحانه وتعالى - لِلَّذِي قَالَ: إنه قول البشر: ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرًا ۖ وَمَا أَذْرَبَكُمْ مَا سَقَرُوا ۖ لَا يُبْقِي وَلَا نَذَرُ﴾ [المدثر: ٢٨] نعوذ بالله.

٢٥٢٨- بَيْنَ الصِّفَاتِ وَبَيْنَ مَخْلُوقٍ كَمَا بَيْنَ الْإِلَهِ وَهَذِهِ الْأَكْوَانِ

يعني: بين صفات البشر وصفات الخالق كما بين الخالق والمخلوق؛ ولهذا كان من القواعد المقررة عند أهل السنة أن الصفات يُحْدَى بها حدو الذات، يعني أن صفات الخالق تليقُ به وتختصُّ به، وصفات المخلوق تليقُ به وتختصُّ به.

خلاصةُ هذا البحثِ كُلُّهُ: أَنَّ ابْنَ الْقِيَمِ -رحمه الله تعالى- يَبَيِّنُ أَنَّ هَؤُلَاءِ عَزَلُوا دَلَالَةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ عَنِ الْيَقِينِ، وَقَالُوا: الْيَقِينُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْعَقْلُ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

أَيْضًا نَفَوْا أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنَ كَلَامَ اللَّهِ، وَقَالُوا: إِنَّمَا أَخَذَهُ جَبْرِيْلُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، أَوْ إِنَّ جَبْرِيْلَ تَكَلَّمَ بِهِ تَعْبِيرًا عَنِ كَلَامِ اللَّهِ، أَوْ إِنَّ مُحَمَّدًا تَكَلَّمَ بِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] وهو جبريل، ويقول: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١] فالرسول الكريم هنا محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-.

٢٥٢٩- هَذَا وَقَدْ عَضَّهُوهُ أَنَّ نُصُوصَهُ مَعْرُوْلَةٌ عَنِ إِمْرَةِ الْإِبْقَانِ

٢٥٣٠- لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بَيِّنًا

٢٥٣١- لَكِنَّ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنُّهَا مَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَنَا بِوَرَانِ

٢٥٣٢- إِلَّا إِذَا مَا أَوْلَتْ فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ

٢٥٣٣- أَوْ بِالْكَنْيَاةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْبِيهِهِ وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ الثَّانِي

- ٢٥٢٤- فَالْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ وَالظَّنُّ مِنْهُ فِي كَذَلِكَ فَانْتَفَى الْأَمْرَانِ
 ٢٥٢٥- فَلِمَ الْمَلَامَةُ إِذْ عَزَلْنَاهَا وَوَلَدَ لَيْنَا الْعُقُولَ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانَ؟!
 ٢٥٢٦- فَاللَّهُ يُعْظِمُ فِي النُّصُوصِ أُجُورَكُمْ يَا أُمَّةَ الْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٥٢٧- مَاتَتْ لَدَى الْأَقْوَامِ لَا يُحْيُونَهَا أَبَدًا وَلَا تُحْيِيهِمْ لِهَوَانِ

الشرح

- ٢٥٢٩- هَذَا وَقَدْ عَضَّهُوهُ أَنْ نُصُوصَهُ مَعْرُوزَةٌ عَنِ إِمْرَةِ الْإِيقَانِ
 كُلُّ هَذَا فِي الْحَقِيقَةِ كَرَّرَهُ الْمُؤَلِّفُ لِأَهْمِيَّتِهِ، أَي: أَنَّهَا لَا تَدُلُّ عَلَى الْيَقِينِ.
 ٢٥٣٠- لَكِنَّ غَايَتَهَا الظُّنُونُ وَلَيْتَهُ ظَنًّا يَكُونُ مُطَابِقًا بَيِّنًا
 يعني: هي دلالتها ظنيَّة، ومع ذلك ليتها تكون مطابقةً.
 ٢٥٣١- لَكِنَّ ظَوَاهِرُ مَا يُطَابِقُ ظَنُّهَا مَا فِي الْحَقِيقَةِ عِنْدَنَا بِوِزَانِ
 فمثلاً يقولون: قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] ظاهره أن الله هو الذي
 يجيء، وهذا ليس بمراد، بل المراد (جاء أمر ربك) هذا هو الحقيقة.
 ٢٥٣٢- إِلَّا إِذَا مَا أَوْلَتْ فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ
 ٢٥٣٣- أَوْ بِالْكِنَايَةِ وَاسْتِعَارَاتٍ وَتَشْبِهُهِ وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ الثَّانِي

هنا ذكر المؤلف - رحمه الله - أنواع المجاز.

قوله: «فَمَجَازُهَا بِزِيَادَةٍ فِيهَا أَوْ النُّقْصَانِ» أي: أن المجاز يكون بالزيادة أحياناً، ويكون بالنقص أحياناً.

فقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] - على زعمهم - فيه مجازٌ بالنقص، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فيه مجازٌ بالزيادة، وهي الكاف، قالوا: والتقدير: (ليس مثله).

قَوْلُهُ: «أَوْ بِالْكِنَايَةِ» يعني: كنايةً عن كذا، فـ(اليُدُّ) عندهم كنايةٌ عن القدرة أو النعمة.

قَوْلُهُ: «أَوْ اسْتِعَارَاتٍ» وهذا أيضًا نوعٌ من أنواع المجاز، والاستعارةُ أن يُجْعَلَ المُشَبَّهُ عَيْنَ المُشَبَّهِ بِهِ، فتقولُ مثلًا: (رأيتُ بحرًا لا تنقضي نقودُهُ) يعني كريماً، هذا يسمونه استعارة.

قَوْلُهُ: «أَوْ التَّشْبِيهِ» يعني: وليس على سبيل الحقيقة.

قَوْلُهُ: «وَأَنْوَاعِ الْمَجَازِ الثَّانِي» هل هناك مجازٌ أوَّلٌ وثانٍ؟

الجواب: لا، لكن المجاز هو الثاني بالنسبة للحقيقة، فـ (الثاني) في قوله: (المجاز الثاني) صفةٌ كاشفةٌ؛ لأنَّ المجازَ في المرتبة الثانية في الدلالة.

٢٥٣٤ - فَالْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ وَالظَّنُّ مَنْ - فِي كَذَلِكَ فَانْتَقَى الْأَمْرَانَ

إِذْ نَ الْقَطْعُ لَيْسَ يُفِيدُهُ، وَالظَّنُّ لَيْسَ يُفِيدُهُ أَيضًا، إِذَا كَانَتْ الدَّلَالَةُ الْآنَ لَيْسَتْ قَطْعِيَّةً وَلَا ظَنِّيَّةً لَمْ تُثَبِّتْ إِطْلَاقًا، وَلَيْسَ فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ.

٢٥٣٥ - فَلِمَ الْمَلَامَةُ إِذْ عَزَلْنَا هَا وَوَلَدَ لَيْنَا الْعُقُولَ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانَ؟!

يعني: إذا كانت لا تدلُّ على شيءٍ فلماذا تلوموننا إذا قلنا: إذا كانت النصوصُ لا تدلُّ على شيءٍ، فالواجبُ الرجوعُ إلى العقل؟!

٢٥٣٦- فَاللَّهُ يُعْظِمُ فِي النُّصُوصِ أُجُورَكُمْ يَا أُمَّةَ الْأَنْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 ٢٥٣٧- مَاتَتْ لَدَى الْأَقْوَامِ لَا يُحْيُونَهَا أَبَدًا وَلَا تُحْيِيهِمْ لِهَوَانِ
 يُعْزِي أُمَّةَ الْقُرْآنِ وَالْأَنْبَارِ، وَيَقُولُ لَهَا: اللَّهُ يُعْظِمُ أُجْرَكُمْ؛ لِأَنَّ النُّصُوصَ
 مَاتَتْ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ لَا يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى شَيْءٍ وَهِيَ لَا تَدُلُّ عَلَى شَيْءٍ فِي نَفْسِ الْوَاقِعِ
 فَهَذَا مَوْتُهَا.

قَوْلُهُ: «لَا يُحْيُونَهَا أَبَدًا وَلَا تُحْيِيهِمْ لِهَوَانِ» هُمْ لَا يُحْيُونَهَا وَلَا يَرْفَعُونَهَا، وَهِيَ
 أَيْضًا لَا تُحْيِيهِمْ، بَلْ تُهَيِّنُهُمْ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ رَأْسًا بِالْقُرْآنِ لَمْ يَرْفَعْهُ اللَّهُ.

٢٥٣٨- هَذَا وَقَوْلُهُمْ خِلَافُ الْحِسِّ وَالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْبُرْهَانِ
 ٢٥٣٩- مَعَ كَوْنِهِ أَيْضًا خِلَافَ الْفِطْرَةِ الَّتِي
 ٢٥٤٠- فَاللَّهُ قَدْ فَطَرَ الْعِبَادَ عَلَى التَّفَاوُتِ
 ٢٥٤١- كُلُّ يَدُلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ
 ٢٥٤٢- فَتَرَى الْمُخَاطَبَ قَاطِعًا بِمُرَادِهِ
 ٢٥٤٣- إِذْ كُلُّ لَفْظٍ غَيْرِ لَفْظِ نَبِيِّنَا
 ٢٥٤٤- حَاشَا كَلَامَ اللَّهِ فَهُوَ الْغَايَةُ الَّتِي
 ٢٥٤٥- لَمْ يَفْهَمِ الثَّقَلَانِ مِنْ لَفْظٍ كَمَا
 ٢٥٤٦- فَهُوَ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى التَّبْيَانِ كَاسًا

- ٢٥٤٧- مَا بَعْدَ تَبْيَانِ الرَّسُولِ لِنَاطِرِ
إِلَّا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَانَ
- ٢٥٤٨- فَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلِ
مَنْ صَحِبَهُ عَنِ رُؤْيَا الرَّحْمَنِ:
- ٢٥٤٩- حَقًّا تَرَوْنَ إِلَيْهِمْ يَوْمَ اللَّقَا
رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
- ٢٥٥٠- كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ وَالشَّمْسِ فِي
نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ
- ٢٥٥١- بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَيْنَا لَهُ
فَأَتَى بِأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعِيَانِ
- ٢٥٥٢- وَنَفَى السَّحَابَ وَذَلِكَ أَمْرٌ مَانِعٌ
مِنْ رُؤْيَا الْقَمَرَيْنِ فِي ذَا الْآنِ
- ٢٥٥٣- فَأَتَى إِذْنُ بِالْمُقْتَضِي وَنَفَى الْمَوَا
نِعَ خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ
- ٢٥٥٤- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ، مَا هَذَا الَّذِي
يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا بَيَانِ؟
- ٢٥٥٥- مَاذَا يَقُولُ الْقَاصِدُ التَّبْيَانِ يَا
أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ؟
- ٢٥٥٦- فَبِأَيِّ لَفْظٍ جَاءَكُمْ قُلْتُمْ لَهُ:
ذَا اللَّفْظُ مَعْرُوضٌ عَنِ الْإِيقَانِ
- ٢٥٥٧- وَضَرَبْتُمْ فِي وَجْهِهِ بِعَسَاكِرِ الثِّ
تَأْوِيلِ دَفْعًا مِنْكُمْ بِلَيَانِ
- ٢٥٥٨- لَوْ أَنَّكُمْ وَاللَّهِ عَامَلْتُمْ بِذَا
أَهْلَ الْعُلُومِ وَكُتِبَتْ لَهُمْ بِوِزَانِ
- ٢٥٥٩- فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَا
وَعَدَتْ عُلُومُ النَّاسِ ذَاتَ هَوَانِ
- ٢٥٦٠- هَذَا وَلَيْسُوا فِي بَيَانِ عُلُومِهِمْ
مِثْلَ الرَّسُولِ وَمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

الشرح

- ٢٥٣٨- هَذَا وَقَوْلُهُمْ خِلَافُ الْحِسِّ وَالْ
مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

٢٥٣٩- مَعَ كَوْنِهِ أَيْضًا خِلَافَ الْفِطْرَةِ أَلْ أُولَى وَسُنَّةِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قَوْلُهُمْ» يعني أن أدلة الكتاب والسنة ظنية، وهي أيضًا ظواهر لا تنفيذ اليقين، يقول: إن قولهم هذا خلاف العقل، والنقل، والفترة.

٢٥٤٠- فَاللَّهُ قَدْ فَطَرَ الْعِبَادَ عَلَى التَّفَا هُمْ بِالْخِطَابِ لِمَقْصِدِ التَّبَيَّنِ

الناس مفتورون على التفاهم ليعبروا عما في نفوسهم بطريق التفاهم، أي: بالخطاب.

٢٥٤١- كُلُّ يَدُلُّ عَلَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ بِكَلَامِهِ مِنْ أَهْلِ كُلِّ لِسَانٍ

فأنت لا تعلم ما في نفسي إلا بما أعبر به، وأنا لا أعلم ما في نفسك إلا بما تعبر به، فالمعبر يريد أن يدل الناس على ما في قلبه.

٢٥٤٢- فَتَرَى الْمُخَاطَبَ قَاطِعًا بِمُرَادِهِ هَذَا مَعَ التَّقْصِيرِ فِي الْإِنْسَانِ

المخاطب (المتكلم) حينما يتكلم فهو قاطع بمراده، يعني: يعلم ما أراد ويقطع به، وليس عنده شك في ذلك.

ويجوز أن يكون المراد: ترى المخاطب قاطعًا بمراد المتكلم، هذا مع التقصير في الإنسان.

والمعنيان كلاهما صحيح: فالتكلم يقطع بمراده، ويريد المعنى الذي يقوله إذا كان عاقلًا، والمخاطب كذلك يقطع - أحيانًا - بمراد المتكلم، مع أن الإنسان قاصر في الفهم، هذا إذا قلنا: (المخاطب)، وإذا قلنا: (المخاطب) فالتكلم قاصر في التعبير، قد لا يستطيع أن يعبر عما في نفسه، والمخاطب قاصر في الفهم، قد لا يستطيع فهم كلام المتكلم، ومع ذلك يقطع المخاطب والمخاطب بمراد المتكلم.

٢٥٤٣- إِذْ كُلُّ لَفْظٍ غَيْرِ لَفْظِ نَبِيِّنَا هُوَ دُونَهُ فِي ذَا بِلَانِ كَرَانِ

وصدق - رحمه الله -، فجميعُ كلامِ الوَرَى دونِ كلامِ رسولِ الله ﷺ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْصَحُ الْخَلْقِ بِلَا مَنَازِعٍ، ثُمَّ اسْتَشْنَى فَقَالَ:

٢٥٤٤- حَاشَا كَلَامَ اللَّهِ فَهُوَ الْغَايَةُ الـ قُضْوَى لَهُ أَعْلَى ذُرَى التَّبْيَانِ

صدق، يعني: إلاً كلامَ الله، فإنه أَيْبُنُ من كلامِ الرسول ﷺ؛ لأنَّ كَلَامَ اللَّهِ أَيْبُنُ الْكَلَامِ، وَأَفْصَحُ الْكَلَامِ، وَأَوْضَحُ الْكَلَامِ، لَكِنَّ أَفْهَامَنَا قَاصِرَةٌ ضَعِيفَةٌ، لَا نَفْهَمُ هَذَا الْكَلَامَ الْعَظِيمَ حَقَّ الْفَهْمِ؛ وَلِذَلِكَ قَدْ يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ أَيْبَنَ الْكَلَامِ.

وهذا لاشكَّ أنه قد يكونُ صادقًا، وذلك من قصوره أو تقصيره، أمَّا حقيقةُ الأمرِ فوالله إنَّ كَلَامَ اللَّهِ أَيْبُنُ الْكَلَامِ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ مُحْضِرًا مُلْتَزِمًا: ﴿وَلَقَدْ يَسْرَنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَذَا مِنْ مَدَكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] أي: فَادْكروا؛ فَإِنَّ الْقُرْآنَ مُيسِّرٌ، لَكِن مَعَ الْأَسْفِ فَإِنَّا - وَلَا سِيْمَا فِي هَذَا الْعَصْرِ - إِنَّمَا يَتْلُو الْقُرْآنَ أَكْثَرُنَا لِلتَّبَرُّكِ بِهِ، وَنِيلِ الثَّوَابِ بِقِرَاءَتِهِ، لَا لِلتَّدْبِيرِ، وَتَفْهَمُ الْمَعْنَى؛ وَلِذَلِكَ حُجِبَ عَنَّا مَعْنَاهُ الْعَظِيمُ، وَصَارَ صَعْبًا عَلَيْنَا.

٢٥٤٥- لَمْ يَفْهَمِ الثَّقَلَانِ مِنْ لَفْظِ كَمَا فَهَمُوا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

وهذا صحيحٌ، يعني: لم يفهم الثقلان: (الجنُّ والإنس) كما فهموا من القرآن والأخبار، وذلك فيمنَ فهمه صحيحٌ، ولغته صحيحةٌ، أمَّا العامِّيُّ فإنه يأتيه عامِّيٌّ متعجرفٌ ويفهم من كلامه أكثرَ ممَّا يفهم من كلامِ الله ورسوله؛ لأنه عامِّيٌّ لا يعرف، لكن مراده بالناس: الذين أعطاهم الله تعالى صحَّةَ الفهم ومعرفةَ اللغة.

٢٥٤٦- فَهَوَ الَّذِي اسْتَوَى عَلَى التَّبْيَانِ كَأْسٌ - تَيْلَانِهِ حَقًّا عَلَى الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «اسْتَوَى عَلَى التَّبْيَانِ» أي: التوضيح.

قَوْلُهُ: «كَاسْتَيْلَانِهِ حَقًّا عَلَى الْإِحْسَانِ» أي: الفصاحة والكمال، فالقرآن كاملٌ في تبيانه، وفي فصاحته وبلاغته.

٢٥٤٧- مَا بَعْدَ تَبْيَانِ الرَّسُولِ لِنَاطِرٍ إِلَّا الْعَمَى وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَانَ

وهذا صحيحٌ، فهل بعد بيان الرسول بيان؟ الجواب: أبدًا، لكن الأعمى لا يُحسُّ به.

قَوْلُهُ: «وَالْعَيْبُ فِي الْعُمَيَانَ» يعني: عميان البصائر، لا عميان البصر.

٢٥٤٨- فَانظُرْ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ لِسَائِلٍ مِنْ صَاحِبِهِ عَنِ رُؤْيَا الرَّحْمَنِ:

٢٥٤٩- حَقًّا تَرَوْنَ إِلَهُكُمْ يَوْمَ اللَّقَا رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ

قَوْلُهُ: «انظُرْ» يعني: انظر أيها الإنسان نظرًا تأملًا.

انظر إلى قول الرسول لمن؟ قال: (لسائلٍ من صحبه) يعني: من الصحابة.

قَوْلُهُ: «عَنِ رُؤْيَا» متعلقٌ بسائل.

رَجُلٌ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(١)، وهل هناك شيءٌ أبين من هذا؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

٢٥٥٠- كَالْبَدْرِ لَيْلَ تَمَامِهِ وَالشَّمْسِ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ
قَوْلُهُ: «وَالشَّمْسِ» يعني: وكالشمس.

قَوْلُهُ: «فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ مَا هُمَا مِثْلَانِ»؟ قوله: «ما هما»، أي: المرثيان، يعني: إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَالْقَمَرِ وَالشَّمْسِ، لا على أَنَّ اللهَ مِثْلُ الشَّمْسِ أو مِثْلُ الْقَمَرِ؛ ولذا قال:

٢٥٥١- بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَيْنَا لَهُ فَآتَى بِأَظْهَرِ مَا يُرَى بِعَيَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَصْدُهُ تَحْقِيقُ رُؤْيَيْنَا لَهُ» أي: قصدُ النَّبِيِّ ﷺ حين قال: «تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ»، تحقيقُ الرؤية؛ ولهذا دخلت الكاف على المصدر المؤول من الفعل: «تَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ» أي: كرؤيتكم، ولم تدخل على المُشَبَّه به، يعني: لم يقل: إنكم ترون ربكم كالقمر، بل قال: «كَمَا تَرُونَ»، فالتشبيهُ إِذْنٌ للرؤية بالرؤية، لا للمرئي بالمرئي.

٢٥٥٢- وَنَفَى السَّحَابَ وَذَاكَ أَمْرٌ مَانِعٌ مِنْ رُؤْيَةِ الْقَمَرَيْنِ فِي ذَا الْآنِ

قَوْلُهُ: «نَفَى السَّحَابَ» أي: في قوله: «صَحُوا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ». قَوْلُهُ: «فِي ذَا الْآنِ» أي في حال وجود السحاب، فَإِنَّ السَّحَابَ يَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَمِنْ رُؤْيَةِ الْقَمَرِ.

٢٥٥٣- فَآتَى إِذْنَ بِالْمُقْتَضِي وَنَفَى الْمَوَا نِعَ خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «آتَى إِذْنَ بِالْمُقْتَضِي» أي: أتى بالمقتضي للرؤية، وهو الصَّحْوُ.

قَوْلُهُ: «وَنَفَى الْمَوَانِعَ» وهو قوله: «لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ».

ومعلومٌ أنه إذا وُجِدَ المقتضي وانتفى المانعُ ثَبَّتَ الحُكْمُ.

قَوْلُهُ: «خَشْيَةَ التَّقْصِيرِ فِي التَّبْيَانِ» يعني: لتلا يكون هناك تقصيرٌ في البيان.

٢٥٥٤- صَلَّى عَلَيْهِ اللهُ، مَا هَذَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا بَيَانٍ؟

قَوْلُهُ: «مِنْ بَعْدِ ذَا بَيَانٍ» وفي نسخة: (مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ).

يعني: هل يمكن لأحد أن يأتي ببيان أحسن من هذا البيان؟ الجواب: لا.

٢٥٥٥- مَاذَا يَقُولُ الْقَاصِدُ التَّبْيَانِ يَا أَهْلَ الْعَمَى مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ؟

ماذا يقول؟ الجواب: لا يقول شيئاً، فليس هناك أبين من هذا.

٢٥٥٦- فَبِأَيِّ لَفْظٍ جَاءَ كُمْ قُلْتُمْ لَهُ: ذَا اللَّفْظُ مَعْرُوضٌ عَنِ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «جَاءَ كُمْ» يعني محمداً -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ لَهُ: ذَا اللَّفْظُ مَعْرُوضٌ عَنِ الْإِيقَانِ» حتى لو قاله النَّبِيُّ ﷺ مباشرةً

وجهاً لوجه، قالوا: هذا الكلام معزول عن اليقين، هذا يفيد الظن ولا يفيد اليقين.

٢٥٥٧- وَضَرَبْتُمْ فِي وَجْهِهِ بَعْسَاكِرِ التُّنْجِ تَأْوِيلٌ دَفْعًا مِنْكُمْ بِلَيَانٍ

قَوْلُهُ: «دَفْعًا مِنْكُمْ بِلَيَانٍ» يعني: تسهياً للأمر؛ لأنهم لا يستطيعون أن

يقولوا: لا، بل هم يقولون: نعم، لكن المراد كذا.

فمثلاً في قول النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا

لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»^(١)، أو «كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(٢)، لا يستطيعون أن

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾

[القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

يقولوا: لا نرى رَبَّنَا، بل يقولون: نعم نرى رَبَّنَا، لكن رؤية بصيرة لا رؤية بصر، وإنما ضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ هذا المَثَل من أجل تحقيق رؤية البصيرة، لا رؤية البصر.

ولا شك أن هذا قلبٌ للحقائق؛ ولهذا يدفعونها بالتأويل تلييناً للردِّ؛ لأنهم لو كَذَّبوا ما قُبِلَتْ أقوالهم، ولكفرهم الناس، لكن يأتون بالتأويلات المستكرهة من أجل لين الردِّ؛ ولهذا قال: (دَفَعًا مِنْكُمْ بِلِيَانِ).

٢٥٥٨- لَوْ أَنَّكُمْ وَاللَّهِ عَامَلْتُمْ بِذَا أَهْلَ الْعُلُومِ وَكُتِبَتْ لَهُمْ بِوِزَانٍ

٢٥٥٩- فَسَدَتْ تَصَانِيفُ الْوُجُودِ بِأَسْرِهَا وَغَدَتْ عُلُومُ النَّاسِ ذَاتَ هَوَانٍ

يعني: لو أنكم قلمتم في جميع كلام الناس: هذا لا يفيد اليقين، هذا ليس على ظاهره، هذا مؤوَّل، لو قلمتم ذلك فسدت الكتب، وصار كلُّ كتابٍ لا يمكن أن تأخذ منه الكلام واليقين.

٢٥٦٠- هَذَا وَلَيْسُوا فِي بَيَانِ عُلُومِهِمْ مِثْلَ الرَّسُولِ وَمُنْزِلِ الْقُرْآنِ

ليسوا مثل كلام الرسول ولا كلام الله، ومع ذلك يحترمون كلام شيوخهم، ويأخذون بظاهره، ولا يأخذون بظاهر القرآن والسنة.

٢٥٦١- وَاللَّهُ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

٢٥٦٢- فَالْعَقْلُ لَا يَهْدِي إِلَى تَفْصِيلِهَا لَكِنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

٢٥٦٣- فَإِذَا غَدَا التَّفْصِيلُ لَفْظِيًّا وَمَعْدَ زُؤَالًا عَنِ الْإِيقَانِ وَالرُّجْحَانِ

٢٥٦٤- فَهَنَّاكَ لَا عِلْمًا أَفَادَتْ لَا وَلَا ظَنًّا وَهَذَا غَايَةُ الْحِرْمَانِ

- ٢٥٦٥- لَوْ صَحَّ ذَاكَ الْقَوْلُ لَمْ يَحْضُلْ لَنَا
 ٢٥٦٦- وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِدًا وَفَسَادُهُ
 ٢٥٦٧- مَا كَانَ يَحْضُلُ عَلِمْنَا بِشَهَادَةٍ
 ٢٥٦٨- وَكَذَلِكَ الْإِقْرَارُ يُضْبِحُ فَاسِدًا
 ٢٥٦٩- وَكَذَا عُقُودُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهَا
 ٢٥٧٠- أَيْسُوغُ لِلشُّهَدَا شَهَادَتُهُمْ بِهَا
 ٢٥٧١- إِذْ تَلَكُّمُ الْأَلْفَاظِ غَيْرُ مُفِيدَةٍ
 ٢٥٧٢- بَلْ لَا يَسُوغُ لِشَاهِدٍ أَبَدًا شَهَا
 ٢٥٧٣- بَلْ لَا يُرَاقُ دَمٌ بِلَفْظِ الْكُفْرِ مِنْ
 ٢٥٧٤- بَلْ لَا يُبَاحُ الْفَرْجُ بِالِإِذْنِ الَّذِي
 ٢٥٧٥- أَيْسُوغُ لِلشُّهَدَاءِ جَزْمُهُمْ بِأَنْ
 ٢٥٧٦- هَذَا وَجُمْلَةٌ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ
- قَطَعَ بِقَوْلٍ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ
 أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الْإِنْسَانِ
 وَوَصِيَّةٌ كَلًّا وَلَا أَيْمَانَ
 إِذْ كَانَ مُحْتَمَلًا لِسَبْعِ مَعَانٍ
 بِاللَّفْظِ إِذْ يَتَخَاطَبُ الرَّجُلَانِ
 مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بِبَيَانٍ!
 لِلْعِلْمِ بَلْ لِلظَّنِّ ذِي الرَّجْحَانِ
 دُتُّهُ عَلَى مَدْلُولِ نُطْقِ لِسَانِ
 مُتَكَلِّمٍ بِالظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ
 هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النَّسْوَانِ
 رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لِمَعَانٍ؟
 فِي ذَا فَسَادِ الْعَقْلِ وَالْأَدْيَانِ

الشرح

- ٢٥٦١- وَاللَّهُ لَوْ صَحَّ الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 ما الذي قالوا؟ قالوا: إن ألفاظ الكتاب والسنة ظنية لا تفيد اليقين، لو صح هذا يقول - رحمه الله -: «قُطِعَتْ سَبِيلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ».

٢٥٦٢- فَالْعَقْلُ لَا يَهْدِي إِلَى تَفْصِيلِهَا لَكِنَّ مَا جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

العقل لا يهدي إلى تفصيل صفات الله عز وجل وأسمائه، وإنما الذي يهدي إلى ذلك ما جاءت به الوحيان.

فإذا قلنا: إن العقل لا يهدي إلى تفصيلها وإن ما جاء به الوحيان ظني، إذن أين العقيدة؟! كيف نبني عقيدتنا على ظنٍّ ووهمٍ؛ ولهذا قال: يفسد كل شيء.

٢٥٦٣- فَإِذَا غَدَا التَّفْصِيلُ لَفْظِيًّا وَمَعْفٍ زُورًا عَنِ الْإِيقَانِ وَالرُّجْحَانِ

٢٥٦٤- فَهَنَّاكَ لَا عِلْمًا أَفَادَتْ لَا وَلَا ظَنًّا وَهَذَا غَايَةُ الْحِرْمَانِ

قوله: «فإذا غدا التفصيل لفظياً» (التفصيل): يعني: في أسماء الله وصفاته؛ لأن العقل لا يهدي إلى التفصيل، إنما يعرف الإجمال، والتفصيل جاء في الكتاب والسنة، فإذا غدا لفظياً معزولاً عن الإيقان، فهناك لا نستفيد لا علماً ولا ظناً.

إذن إذا قلنا بما قال هؤلاء: العقل لا يهدي إلى التفصيل، والقرآن والسنة لا يدلان على اليقين، إذن ليس عندنا علم، بل ولا ظن؛ لأن ما كان على خلاف الظاهر مرجوح، والمرجوح لا يُظنُّ، فضلاً عن أن يُعتَقَدَ ويقال: إنه هو اليقين.

٢٥٦٥- لَوْ صَحَّ ذَاكَ الْقَوْلُ لَمْ يَحْضُلْ لَنَا قَطْعُ بَقَوْلٍ قَطُّ مِنْ إِنْسَانٍ

٢٥٦٦- وَغَدَا التَّخَاطُبُ فَاسِدًا وَفَسَادُهُ أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الْإِنْسَانِ

قوله: «لو صحَّ ذاك القول» ما المراد بهذا القول؟ الجواب أن دلالة الألفاظ ظنية لا تفيد اليقين.

قوله: «وغدا التخاطب فاسداً» أي: التخاطب بين الناس؛ لأنهم يقولون: دلالة الألفاظ ظنية، فيبقى التخاطب بين الناس ظنياً، فيكون فاسداً.

قَوْلُهُ: «وَفَسَادُهُ» أَي: فسادُ التخاطب.

قَوْلُهُ: «وَفَسَادُهُ أَصْلُ الْفَسَادِ لِنَوْعِ ذَا الْإِنْسَانِ» إِذَا كَانَ التَّخاطِبُ بَيْنَ النَّاسِ فَاسِدًا، وَلَا يَفِيدُ الْيَقِينَ وَلَا الْعِلْمَ، فَكَيْفَ يَثِقُ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ؟ كَيْفَ يَتَعَامَلُونَ؟ وَكَيْفَ تُعَقَّدُ الْبُيُوعُ، وَالْإِقْرَارَاتُ، وَالشَّهَادَاتُ، وَالْأَنْكِحَةُ، وَالْوُقُوفُ وَغَيْرَهَا؟ وَالْمَسْأَلَةُ كُلُّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الظَّنِّ؛ وَهَذَا قَالَ:

٢٥٦٧- مَا كَانَ يَحْضُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ وَوَصِيَّةٍ كَلًّا وَلَا أَيَّامَانَ

قَوْلُهُ: «مَا كَانَ يَحْضُلُ عِلْمُنَا بِشَهَادَةٍ» إِذَا شَهِدَ الشَّاهِدَانِ نَقُولَ: وَاللَّهِ شَهَادَتُهُمَا ظَنِّيَّةٌ، مَا نَعْلَمُ، فِيهَا احْتِمَالٌ، بَلْ فِيهَا أَلْفُ احْتِمَالٍ.

قَوْلُهُ: «وَوَصِيَّةٍ» كَذَلِكَ الْوَصِيَّةُ، فَهَذَا إِنْسَانٌ أَوْصَى، نَقُولُ: كَلَامُهُ ظَنِّيٌّ، لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ، فِيهِ احْتِمَالٌ، يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُوصِيَ بِالْثَلَاثِ، أَوْ ثَلَاثِ الثَّلَاثِ... وَهَكَذَا، مَا يَبْقَى هُنَاكَ ثِقَةٌ بِأَيِّ كَلَامٍ.

قَوْلُهُ: «كَلًّا وَلَا أَيَّامَانَ» حَتَّى الْإِيْمَانَ (الْحَلْفُ بِاللَّهِ) فِيهِ احْتِمَالَاتٌ، إِذَا قَالَ: (وَاللَّهِ لَا أَتَغَدَّى إِلَّا عَلَى وَتَد) سَبَّحَانَ اللَّهِ! هَلْ هُوَ عَصْفُورٌ يَقِفُ عَلَى الْوَتَدِ وَيَأْكُلُ؟! يَقُولُ: إِنَّ الْجِبَالَ جَعَلَهَا اللَّهُ أَوْ تَادًا.

عَلَى كُلِّ حَالٍ لَوْ أَنَّا جَعَلْنَا دَلَالَاتِ الْلِغْظِ ظَنِّيَّةً، وَقَلْنَا: هَذَا يَحْتَمِلُ، مَا بَقِيَ أَنْ يَثِقَ بِشَيْءٍ إِطْلَاقًا.

٢٥٦٨- وَكَذَلِكَ الْإِقْرَارُ يُصْبِحُ فَاسِدًا إِذْ كَانَ مُحْتَمَلًا لِسَبْعِ مَعَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْإِقْرَارُ» (أَقَرَّ) لَهُ عِدَّةٌ مَعَانٍ، يَعْنِي: نَطَقَ بِالْإِقْرَارِ، أَقَرَّ الشَّيْءَ: أَبْقَاهُ مُسْتَقَرًّا، وَهَكَذَا سَبْعَةٌ مَعَانٍ لِلْإِقْرَارِ.

إِذَنْ لَا نَحْكُمُ بِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا قَالَ: (أَقْرَرْتُ بِكَذَا وَكَذَا) فَإِنَّهُ مُقَرَّرٌ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ مُحْتَمَلٌ.

٢٥٦٩- وَكَذَا عُقُودُ الْعَالَمِينَ بِأَسْرِهَا بِاللَّفْظِ إِذْ يَتَخَاطَبُ الرَّجُلَانِ كُلُّ الْعُقُودِ مَبْنِيَّةٌ عَلَى أَنَّ الدَّلَالَهَ ظَنِّيَّةٌ عَلَى كَلَامِهِمْ، إِذَنْ لَا تَثِقُ بِأَيِّ عَقْلِ كَانَ؛ لِأَنَّ دَلَالَتهَ ظَنِّيَّةٌ.

٢٥٧٠- أَيَسُوعُ لِلشَّهَادَا شَهَادَتُهُمْ بِهَا مِنْ غَيْرِ عِلْمٍ مِنْهُمْ بَيَانٍ؟!!

الجواب: لا، ومع ذلك إذا شهد الشاهدان على الرجلين بأثمتها تبايعا نحكم بالشهادة، مع أن الشهادة لا تكون إلا عن علم، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] وَيُذَكَّرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِرَجُلٍ: «تَرَى الشَّمْسَ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْ دَعْ»^(١).

إِذَنْ الشَّهَادَةُ مَبْنِيَّةٌ عَلَى عِلْمٍ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ الْأَلْفَاظَ دَلَالَتُهَا ظَنِّيَّةٌ، كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ نَشْهَدَ عَلَى ظَنٍّ إِذَا تَعَاقَدَ الرَّجُلَانِ عَقْدَ بَيْعٍ، أَوْ عَقْدَ إِجَارَةٍ، أَوْ عَقْدَ رَهْنٍ.

٢٥٧١- إِذْ تِلْكَمُ الْأَلْفَاظُ غَيْرُ مُفِيدَةٍ لِلْعِلْمِ بَلْ لِلظَّنِّ ذِي الرَّجْحَانِ

٢٥٧٢- بَلْ لَا يَسُوعُ لِشَاهِدٍ أَبَدًا شَهَا دَتُهُ عَلَى مَدْلُولٍ نُطِقَ لِلسَّانِ

لماذا؟ لأن الشهادة لا بُدَّ أن تكون عن علم و يقين، فإذا جعلنا الألفاظ ظنيَّةً صار كُلُّ ما يَثْبُتُ بالنطق ظنيًّا لا تجوزُ الشهادةُ عليه.

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ١١٠، رقم ٧٠٤٥)، والبيهقي في الشعب (٧/ ٤٥٥، رقم ١٠٩٧٤).

٢٥٧٣- بَلْ لَا يُرَاقُ دَمٌ بِلَفْظِ الْكُفْرِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِالظَّنِّ وَالْحُسْبَانِ

يعني: على زعمكم أن دلالة الألفاظ ظنيّة، لو أن رجلاً نطق بكلمة الكفر فإنه لا يجوز أن تُريقَ دمه؛ لأنّ دم المسلم حرامٌ، لا تجوزُ استباحته إلا بعلم، ونحن الآن نقول: إنّ دلالة الألفاظ ظنيّة، فكيف نستبيحُ دمه بلفظٍ دلالتُه ظنيّة؟

على هذا نقول: هنيئاً للمرتدين؛ لأنّ كلامهم ظنيّ؛ إذ لا يجوز أن تُريقَ دماءهم به بناءً على كلام هؤلاء أنّ الألفاظ دلالتها ظنيّة.

٢٥٧٤- بَلْ لَا يُبَاحُ الْفَرْجُ بِالِإِذْنِ الَّذِي هُوَ شَرْطُ صِحَّتِهِ مِنَ النِّسْوَانِ

وهذه مشكلة، رجل تمّ له العقدُ على امرأة بشهادة الشهود على إذنِ المرأة وعلى العقد، هل يجوز أن نستبيحَ الفرجَ بأمرٍ ظنيّ؟ الجواب: لا يجوز.

هم يقولون: دلالة الألفاظ ظنيّة، إذن إذن المرأة لوليّها بالعقد دلالتُه ظنيّة، وقولُ الوليّ للزوج: (زوّجتك بنتي) فيقول: (قبلتُ) ظنيّ أيضاً، كيف نستبيحُ به الفرجَ الذي تحريمه قطعيّ بأمرٍ دلالتُه ظنيّة؛ لأنّ من المعروف أنّ القطعيّ لا يُزيلُهُ إلا ما كان قطعياً.

فانظر إلى هذا القول -والعياذ بالله- الذي يترتبُ عليه فسادُ الدين والدنيا.

٢٥٧٥- أَيْسُوغُ لِلشَّهَدَاءِ جَزْمُهُمْ بِأَنْ رَضِيَتْ بِلَفْظٍ قَابِلٍ لِمَعَانٍ؟

٢٥٧٦- هَذَا وَجُمْلَةٌ مَا يُقَالُ بِأَنَّهُ فِي ذَا فَسَادِ الْعَقْلِ وَالْأَدْيَانِ

قوله: «أيسوغُ للشهداءِ جزمُهُم... إلخ؟» الجواب: لا؛ لأنه يحتمل أنه لما قيل: أترضين أن نزوّجك فلاناً؟ فقالت: نعم أرضى، يعني: أرضى بسواه، على تقدير شيءٍ محذوفٍ، فهناك احتمال.

إذا جعلنا الاحتمالات العقلية داخلة في الدلالات اللفظية ما بقي كلام يُوثق به إطلاقاً.

- ٢٥٧٧- هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ أَنَّ اللَّغَا
بِتِ أَتَتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ
٢٥٧٨- فَانظُرْ إِلَى الْأَلْفَاظِ فِي جَرَيَانِهَا
فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
٢٥٧٩- أَتَظُنُّهَا تَحْتَاجُ نَقْلًا مُسْتَنَدًا
مُتَوَاتِرًا أَوْ نَقْلَ ذِي وُحْدَانٍ؟
٢٥٨٠- أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لَا
تَحْتَاجُ نَقْلًا وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ
٢٥٨١- إِلَّا الْأَقْلَ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنَّ
نَقْلِ الصَّحِيحِ وَذَلِكَ ذُو تَبْيَانٍ؟
٢٥٨٢- وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بِأَنَّ
نَ «اللَّهُ» أَظْهَرَ لَفْظَةً بِلِسَانِ
٢٥٨٣- وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ
عَرَبِيٌّ وَضَعِ ذَاكَ أَمْ سُرْيَانِيٌّ؟
٢٥٨٤- وَكَذَا اخْتِلَافُهُمْ أَمُشْتَقًّا يُرَى
أَمْ جَامِدًا؟ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ
٢٥٨٥- وَالْأَصْلُ مَاذَا؟ فِيهِ خُلْفٌ ثَابِتٌ
عِنْدَ النَّحَاةِ وَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ
٢٥٨٦- هَذَا وَلَفْظُ «اللَّهُ» أَظْهَرَ لَفْظَةً
نَطَقَ اللِّسَانُ بِهَا مَدَى الْأَزْمَانِ
٢٥٨٧- فَانظُرْ بِحَقِّ اللَّهِ مَاذَا فِي الَّذِي
قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ؟
٢٥٨٨- هَلْ خَالَفَ الْعُقَلَاءُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ
بُ الْعَالَمِينَ مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ؟
٢٥٨٩- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوهِمٌ
نَقْلَ الْمَجَازِ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ
٢٥٩٠- وَالْخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذَلِكَ اللَّفْظِ لَا
فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ

- ٢٥٩١- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «مَكَّةِ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَعْرُوفَانِ
- ٢٥٩٢- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ حَرَمُ الْإِلَهِ وَقِبْلَةُ الْبُلْدَانِ؟
- ٢٥٩٣- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «أَحْمَدِ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَذْكُورَانِ
- ٢٥٩٤- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْبُرْهَانِ؟
- ٢٥٩٥- وَنَظِيرُ هَذَا لَيْسَ يُحْصَرُ كَثْرَةً يَا قَوْمُ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٢٥٩٦- أَبِمِثْلِ ذَا الْهَدْيَانِ قَدْ عَزَلْتُ نُصُو صُ الْوَحْيِ عَنِ عِلْمٍ وَعَنِ إِيقَانِ
- ٢٥٩٧- فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعَافِي عَبْدَهُ مِمَّا بَلَائِكُمْ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ
- ٢٥٩٨- فَلِأَجْلِ ذَا نَبَدُوا الْكِتَابَ وَرَاءَهُمْ وَمَضُّوا عَلَى آثَارِ كُلِّ مَهَانِ
- ٢٥٩٩- وَلِأَجْلِ ذَاكَ عَدَدُوا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ وَأَهْلِيهَا ذَوِي أَضْغَانِ
- ٢٦٠٠- يَرْمُونَهُمْ كَذِبًا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ حَاشَاهُمْ مِنْ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ

الشرح

٢٥٧٧- هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ أَنَّ اللَّغَا تِ اتَّتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَمِنْ بُهْتَانِهِمْ» أَي: مِنْ كَذِبِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ دَلَالََةَ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ دَلَالَةٌ لَفْظِيَّةٌ فِي سَنَدِهَا؛ لِأَنَّهَا آحَادٌ، وَفِي مَدْلُوهَا؛ لِأَنَّهَا ظَوَاهِرٌ.

قَوْلُهُ: «أَنَّ اللَّغَا تِ اتَّتْ بِنَقْلِ الْفَرْدِ وَالْوُحْدَانِ» يَعْنِي أَنَّ اللَّغَاتِ نُقِلَتْ إِلَيْنَا عَنْ طَرِيقِ الْأَفْرَادِ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْبُهْتَانِ بِلَا شَكٍّ، هَلِ اللَّغَاتُ نُقِلَتْ إِلَيْنَا بِالْأَفْرَادِ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَاللَّغَاتُ نُقِلَتْ بِالتَّوَاتُرِ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ تَوَاتُرٌ.

اللغة الآن بين الأمة العربية منذ نشأت إلى اليوم، والناس ينقلونها أمةً أمةً، وليس فردًا ينقلها إلى فرد، بل أمة تنقلها إلى أمة، لكن هذا من بهتانهم أن اللغات تُنقل عن طريق الآحاد، فهذا من البهتان العظيم.

٢٥٧٨- فَاَنْظُرْ إِلَى الْأَلْفَاظِ فِي جَرَيَانِهَا فِي هَذِهِ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

٢٥٧٩- أَتَظُنُّهَا تَحْتَاجُ نَقْلًا مُسْنَدًا مُتَوَاتِرًا أَوْ نَقْلَ ذِي وَحْدَانٍ؟

الجواب: لا، الألفاظ في جريانها بين الأمم، سواء أكان في خبر أم في القرآن المنقول بالمتواتر كلها لا تحتاج نقلًا مسندًا.

لو قال مثلاً: معنى (أكل): تناول الطعام فأدخله في فمه، هل نحتاج أن نقول: من الذي نقل (أكل) إلى معناها هذا في اللغة؟ الجواب: لا نحتاج ذلك؛ لأنها معروفة، فهي من الضروريات؛ ولهذا قال في البيت الثالث:

٢٥٨٠- أَمْ قَدْ جَرَتْ مَجْرَى الضَّرُورِيَّاتِ لَا تَحْتَاجُ نَقْلًا وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ

لا نحتاج أن نقول: إن اللغات المنقولة بخبر الآحاد تحتاج إلى إسناد، ثم يُنظر في السند هل هم ثقات أو غير ثقات؟ لا، هذا شيء يجري في الألفاظ جريان الهواء والريح، ولا يحتاج إلى نقل، فهي جارية مجرى الضروريات.

ثم قال:

٢٥٨١- إِلَّا الْأَقْلَ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ لِلنَّ نَقْلِ الصَّحِيحِ وَذَلِكَ ذُو تَبَيَانٍ؟

يعني: صحيح أنه توجد كلمات غريبة في اللغة العربية، غريبة لا تستعمل إلا نادرًا، هذه الكلمات الغريبة تحتاج إلى نقل بحيث ينقلها إمام من أئمة العربية ك(سيبويه) أو غيره، ويقول: هذه نطق بها العرب، أمّا عامة اللغة العربية فإنها

لا تحتاج إلى سند؛ لأنها جرت بين الناس مجرى الأمور الضرورية، تنقلها الأمة بكاملها، أمة عن أمة، قرناً عن قرن.

٢٥٨٢- وَمِنَ الْمَصَائِبِ قَوْلُ قَائِلِهِمْ بِأَنَّ نَ «الله» أَظْهَرَ لَفْظَةً بِلِسَانِ

٢٥٨٣- وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ عَرَبِيٌّ وَضَعِ ذَاكَ أُمَّ سُرْيَانِي؟

قوله: «الله» يعني لفظ (الله)، أي: كلمة (الله).

يقول: أظهر لفظاً في القرآن تدلُّ على مدلولها هي كلمة (الله)، فكلُّ يعرفُ أنَّ المراد بها رَبُّ العالمين، هم يحتجُّون علينا فيقولون: أظهر لفظاً هي (الله)، ومع ذلك فيها خلافٌ، فإذا كان أظهر لفظاً في القرآن وهي (الله) فيها خلافٌ، فما بالك بالكلمات الأخرى التي لا توازنها في الظهور؟!

وقصدُهم بذلك أنَّ جميع القرآن مشكوكٌ في دلالاته، نسأل الله العافية.

قَوْلُهُ: «وَخِلَافُهُمْ فِيهِ كَثِيرٌ ظَاهِرٌ» يعني أنَّ الناسَ مختلفون في كلمة (الله)، كيف الاختلاف؟ قال: (عربي وضع ذلك أم سُرياني؟)، يعني: هل هذا اللفظ (الله) عربيٌّ أم سُريانيٌّ، أي: باللغة السُريانية لغة الإنجيل؟

٢٥٨٤- وَكَذَا اخْتِلَافُهُمْ أَمُشْتَقًّا يُرَى أُمَّ جَامِدًا؟ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ

إِذْ عِنْدَنَا اخْتِلَافَانِ:

الأول: هل هو عربيٌّ أم سُريانيٌّ؟

الثاني: إذا قلنا: إنه عربيٌّ، هل هو مشتقٌّ أم جامدٌ؟

مع أنَّ كلمة (الله) أظهر لفظاً في القرآن، ومع ذلك الخلاف فيها موجودٌ، فما بالك بما دونها في الظهور؟! يكونُ الخلافُ فيه من باب أولى.

النتيجة بعد هذا أن مدلولات ألفاظ القرآن غير معلومة ولا متيقنة؛ لأنَّ الخلاف فيها كثيرٌ.

وكلامهم هذا يُشكِّك الواحد.

إذا جاءنا إنسانٌ عَفِرِيَّتٌ في المناظرة، وقام يتكلَّم بمثل هذا الكلام، نقول: والله صحيحٌ، كلمةُ (الله) التي هي أوضحُ شيءٍ في القرآن يختلفُ فيها الناسُ، هل هي عَرَبِيَّةٌ أو سُريَانِيَّةٌ؟ ثُمَّ إذا كانت عَرَبِيَّةً هل هي مشتقةٌ أو جامدةٌ؟ إِذْنُ ما سواها من الكلمات من بابِ أُولَى، فيبقى القرآنُ كُلُّهُ غيرَ معتمَدٍ على دلالته، نسألُ اللهَ العافيةَ.

وهذا إجرامٌ، والعياذُ بالله، فإذا كان القرآنُ غيرَ معتمَدٍ على دلالته فالأحاديثُ من بابِ أُولَى؛ لأنَّ الأحاديثَ فيها آفةٌ أخرى، فلعلَّ الرواةَ نقلوها بالمعنى فأخطئوا، بخلاف القرآن فإنه متواترٌ، ولا يمكنُ وجودُ خطأٍ في النقل فيه.

فالحاصلُ أن هؤُلاءِ -والعياذُ بالله- شياطينُ الإنسِ يأتون بمثل هذا الكلام ليُلَبِّسوا على الناسِ دينهم، ولولا أن اللهَ حفظَ دينه بما قيَّضَ من العلماءِ الربَّانِيِّينَ لَضاعَ الدينُ وضاعَ كُلُّ شيءٍ.

٢٥٨٥- وَالْأَصْلُ مَاذَا؟ فِيهِ خُلْفٌ ثَابِتٌ عِنْدَ النَّحَاةِ وَذَلِكَ ذُو الْأَوَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَصْلُ مَاذَا؟» يَعْنِي: مَا أَصْلُ اللَّهِ، هَلْ هُوَ الْإِلَهُ، أَوْ كَلِمَةٌ مَرْتَجَلَةٌ، أَوْ مَاذَا؟ هَذَا أَيْضًا فِيهِ خِلَافٌ: بَعْضُهُمْ يَقُولُ: (اللَّهُ) أَصْلُهَا (الْإِلَهُ) فَحُذِفَتِ الْهَمْزَةُ لِكَثْرَةِ الْاسْتِعْمَالِ، كَمَا حُذِفَتِ الْهَمْزَةُ مِنْ (النَّاسِ)، وَأَصْلُهَا (أَنَاسٌ)، وَحُذِفَتِ مِنْ (شَرٍّ) وَ(خَيْرٍ)؛ تَقْوِيلٌ: (هَذَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا)، وَ(هَذَا شَرٌّ مِنْ هَذَا)، وَالْأَصْلُ: أَخِيرٌ وَأَشَرٌّ، فَهَذَا فِيهِ أَيْضًا خِلَافٌ.

٢٥٨٦- هَذَا وَلَفْظُ «الله» أَظْهَرَ لَفْظَةً نَطَقَ اللِّسَانُ بِهَا مَدَى الْأَزْمَانِ

وصدق -رحمه الله-، فأظهر لفظه في الوجود لفظه (الله)، فما من إنسانٍ تقولُ أمامه: (الله) إلا وينصرفُ ذهنه إلى ربِّ العالمين عزَّ وجلَّ، لا ينصرفُ يميناً ولا شمالاً، لا إلى صنمٍ، ولا إلى ملكٍ، ولا إلى رسولٍ، ولا إلى وليٍّ، إنما ينصرفُ إلى الله؛ ولهذا كان اسم (الله) من الأشياء الخاصة بالله عزَّ وجلَّ.

٢٥٨٧- فَاَنْظُرْ بِحَقِّ اللهِ مَاذَا فِي الَّذِي قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ؟

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ» انظُرْ نَظَرَ تَعَجُّبٍ وَإِنْكَارٍ!

قَوْلُهُ: «مَاذَا فِي الَّذِي قَالُوهُ مِنْ لَبْسٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ؟» لكن ما هو اللبس الذي

قالوه؟

قالوا: كلمة (الله) الآن مختلفٌ في مدلولها، لا ندري هل هي عربيَّةٌ أو سُريانيَّةٌ؟ وهل هي مشتقةٌ أو جامدةٌ؟ وهل هي مرتجلةٌ أو منقولةٌ؟ ما ندري.

ومعنى (مرتجل) أي: الذي وُضِعَ ابتداءً، والمنقول هو الذي نُقِلَ عن غيره.

٢٥٨٨- هَلْ خَالَفَ الْعُقَلَاءُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ مُدَبِّرُ الْأَكْوَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَلْ خَالَفَ الْعُقَلَاءُ أَنَّ اللَّهَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟» يعني أن لفظه (الله) يُرادُ

بها رَبُّ الْعَالَمِينَ، يعني: مع اختلافهم في الكلمة هل اختلفوا في المراد؟

هؤلاء جعلوا اختلافَ الكلمة سبباً لاختلاف المراد، لكن يقول -رحمه الله-:

هل خالف العقلاء أن (الله) رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ المراد بـ(الله) هنا هل هو مدلولُ الكلمة

أو اللفظ؟ الجواب: اللفظ، يعني أن لفظ (الله) هو رَبُّ الْعَالَمِينَ.

٢٥٨٩- مَا فِيهِ إِجْمَالٌ وَلَا هُوَ مُوَهِّمٌ نَقَلَ الْمَجَازَ وَلَا لَهُ وَضْعَانِ

وهذا مُتَّفَقٌ عليه، فأنتم حين تلبسون على العامة وتقولون: (الله) مختلفٌ فيه: عربيٌّ أو سُريانيٌّ؟ هل هو مشتقٌّ أو جامدٌ؟ هل هو منقولٌ أو مرتجلٌ؟ إنها تريدون بهذا التسمية، أما المرادُ منه فإنَّ العقلاء مُتَّفِقُونَ على أن المراد رَبُّ العالمين.

٢٥٩٠- وَالْخُلْفُ فِي أَحْوَالِ ذَاكَ اللَّفْظِ لَا فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ

الْخُلْفُ الَّذِي قَالُوا يَعُودُ إِلَى أَحْوَالِ اللَّفْظِ هَلْ هُوَ سُريَانِيٌّ عَرَبِيٌّ؟ أَمَا لِمَنْ وُضِعَ فَلَيْسَ فِيهِ اخْتِلَافٌ؛ وَهَذَا قَالَ: «لَا فِي وَضْعِهِ لَمْ يَخْتَلِفْ رَجُلَانِ».

٢٥٩١- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «مَكَّةَ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَعْرُوفَانِ

٢٥٩٢- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ حَرَمَ الْإِلَهِ وَقِبْلَةَ الْبُلْدَانِ؟

يعني: النَّاسُ اخْتَلَفُوا أَيْضًا فِي لَفْظِ (مَكَّةَ)، لِمَاذَا سُمِّيَتْ (مَكَّةَ)؟ وَأَحْيَانًا تُسَمَّى (بَكَّةَ)، وَقَدْ سَمَّاهَا اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ بِالْأَسْمَيْنِ: (بَكَّةَ) وَ(مَكَّةَ)، وَلَكِنْ هَذَا الْخِلَافُ الَّذِي وَقَعَ هَلْ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي الْمُرَادِ بِهِ؟ الْجَوَابُ: لَا.

٢٥٩٣- وَإِذَا هُمْ اخْتَلَفُوا بِلَفْظَةِ «أَحْمَدَ» فِيهِ لَهُمْ قَوْلَانِ مَذْكُورَانِ

٢٥٩٤- أَفَبَيْنَهُمْ خُلْفٌ بِأَنَّ مُرَادَهُمْ مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ذُو الْبُرْهَانِ؟

فَهُمْ اخْتَلَفُوا فِي لَفْظِ (أَحْمَدَ) لِمَاذَا سُمِّيَ (أَحْمَدَ)؟ هَلْ لِأَنَّهُ أَحْمَدُ النَّاسِ لِلَّهِ؟ أَوْ لِأَنَّهُ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُحْمَدَ؟ فَهُمْ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا، لَكِنْ هَلِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي هَذَا هَلْ هُوَ أَحْمَدُ النَّاسِ لِلَّهِ؟ أَوْ هُوَ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُحْمَدَ؟ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا هَلْ اخْتَلَفُوا فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ؟ الْجَوَابُ: لَا، إِذْ كَانَ الْاِخْتِلَافُ فِي اللَّفْظِ لَا فِي مَوْضِعِهِ لَهُ.

فهذه ثلاثة أمثلة جيدة يختلفُ الناسُ فيها في اللفظ ولا يختلفون في المراد: (الله)، (مكة)، (أحمد) يعني الرسول -عليه الصلاة والسلام-، يختلفون في اللفظ ولا يختلفون في المراد.

٢٥٩٥- وَنَظِيرٌ هَذَا لَيْسَ يُحْصَرُ كَثْرَةً يَأْتُونَ فَاَسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

يعني: نظير هذا يختلفون في اللفظ واشتقاقه، لكن لا يختلفون في المراد منه، وهذا كثير، لكن أحياناً أيضاً يتفقون على اللفظ ويختلفون في المراد، مثل: (قُرْء) جمع (قُرْء)، هل المرادُ بها الحيضُ أو الطُّهُرُ؟ خلاف، مع أنهم متفقون على اللفظ.

٢٥٩٦- أَبِمِثْلِ ذَا الْهَدْيَانِ قَدْ عَزَلْتُ نَصُو صُ الْوَحْيِ عَنِ عِلْمٍ وَعَنْ إِيقَانِ

الجَوَابُ: لا والله لا تُعزَلُ، وهذا هَدْيَانِ، وكوْنُهُم يُلبَّسون على الناس ويقولون: (الله) هل هو عربيٌّ أو سُريانيٌّ؟ هل هو مشتقٌّ أو جامدٌ؟ هل هو مُرتَجَلٌ أو منقولٌ؟ هذا لا يؤثر؛ لأنَّ المدلولَ متفقٌ عليه.

٢٥٩٧- فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الْمُعَافِي عَبْدَهُ مِمَّا بَلَائِكُمْ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

إي والله، الحمدُ لله الذي عافنا ممَّا ابتلاهم به. وفي قوله: «يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ» تهكُّمٌ واضحٌ؛ لأنهم أبعدُ الناسِ عن المعرفة وعن العرفان.

٢٥٩٨- فَلْأَجَلِ ذَا نَبْدُوا الْكِتَابَ وَرَاءَهُمْ وَمَصَّوْا عَلَى آثَارِ كُلِّ مُهَانِ

نعم، نبذوا كتابَ الله وراءَ ظهورهم، ولكنهم ساروا على آثارِ كُلِّ مُهَانِ، يعني: من شيوخهم الذين يُعظِّمونهم ويُقدِّمون أقوالهم على قولِ الله ورسوله -عليه الصلاة والسلام-.

٢٥٩٩- وَلَا أَجَلَ ذَاكَ غَدَوَا عَلَى السُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ وَأَهْلِهَا ذَوِي أَضْغَانٍ
قَوْلُهُ: «غَدُوا... ذَوِي أَضْغَانٍ» (غدوا) تعملُ عملَ (كان)، والواو اسمُها،
و(ذوي أضغان) خبرُها.

يعني: صاروا ذوي أضغان على السنن وعلى أهل السنن.

٢٦٠٠- يَرْمُونَهُمْ كِذْبًا بِكُلِّ عَظِيمَةٍ حَاشَاهُمْ مِنْ إِيكَ ذِي بُهْتَانٍ
هؤلاء يرمون أهل الحديث كذبًا بكلِّ عظيمَةٍ، وقالوا عنهم: مُجَسِّمَةٌ،
مُشَبِّهَةٌ، حَسَوِيَّةٌ، نوابتٌ، عُثَاءٌ، عامَةٌ... وهكذا.

إِذَنْ هَذَا الْفَصْلُ كُلُّهُ لِلرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: إِنَّ دَلَالََةَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ظَنِّيَّةٌ
غَيْرُ يَقِينِيَّةٍ؛ لِأَنَّ كُلَّ لَفْظٍ - عَلَى كَلَامِهِمْ - يَحْتَمِلُ مَعَانِي، فَيُلَبَّسُونَ، وَيَأْتُونَ بِالْأَلْفَاظِ
الَّتِي اخْتَلَفَ فِيهَا فِي أَصْلِهَا لِأَجْلِ أَنْ يَلْبَسُوا عَلَى النَّاسِ، وَلَفْظُ (اللَّهُ) أَظْهَرُ لَفْظٌ.

فصل

فِي تَنْزِيهِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالشَّرِيعَةِ عَنِ الْأَلْقَابِ الْقَبِيحَةِ الشَّيْعَةِ

- ٢٦٠١- فَرَمَوْهُمْ بَغِيًّا بِمَا الرَّمِي بِهِ
أَوْلَى لِيَدْفَعْ عَنْهُ فِعْلَ الْجَانِي
- ٢٦٠٢- يَرْمِي الرِّبِّيَّ بِمَا جَنَاهُ مُبَاهِتًا
وَلِذَلِكَ عِنْدَ الْغَرِّ يَشْتَبِهَانِ
- ٢٦٠٣- سَمَّوْهُمْ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتًا
وَمُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانِ
- ٢٦٠٤- وَكَذَلِكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ
وَهُمُ الرَّاوِفُضُ أَخْبَثُ الْحَيَوَانِ
- ٢٦٠٥- نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِلصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمَّوْا
مَوًا بِالنَّوَاصِبِ شَيْعَةَ الرَّحْمَنِ
- ٢٦٠٦- وَكَذَا الْمُعْطَلُ شَبَّهَ الرَّحْمَنَ بِأَلٍ
مَعْدُومٍ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْوُصْفَانِ
- ٢٦٠٧- وَكَذَلِكَ شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلَامِنَا
حَتَّى نَفَاهُ وَذَانِ تَشْبِيهَانِ
- ٢٦٠٨- وَكَذَلِكَ شَبَّهَ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا
حَتَّى نَفَاهَا عَنْهُ بِالْبُهْتَانِ
- ٢٦٠٩- وَأَتَى إِلَى وَصْفِ الرَّسُولِ لِرَبِّهِ
سَمَاءُ تَشْبِيهًا، فَيَا إِخْوَانِي
- ٢٦١٠- بِاللهِ مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الْإِسْمِ مِنْ
هَذَا الْحَبِيثِ الْمُخْبِثِ الشَّيْطَانِي؟
- ٢٦١١- إِنْ كَانَ تَشْبِيهًا ثُبُوتُ صِفَاتِهِ
سُبْحَانَهُ فَيَا كَمَلٍ (١) ذِي شَانِ
- ٢٦١٢- لَكِنَّ نَفْيَ صِفَاتِهِ تَشْبِيهُهُ
بِالْجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانِ

(١) في نسخة برلين والتميمورية والظاهرية والإفتاء والسفارينية ونسخة ابن سحمان: «فبكمال»، وأشار شيخنا -رحمه الله- في شرحه إلى نسخة ثالثة: «أكمل به ذي شان».

- ٢٦١٣- بَلْ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهُوَ مَعَهُ دُومٌ وَإِنْ يُفْرَضُ فَفِي الْأَذْهَانِ
 ٢٦١٤- فَمَنْ الْمُسَبَّهِ بِالْحَقِيقَةِ أَنْتُمْ أَمْ مُثِبَتُ الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ؟

الشرح

٢٦٠١- فَرَمَوْهُمْ بَعِيًّا بِمَا الرَّامِي بِهِ أَوْلَى لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الْجَانِي

قَوْلُهُ: «رَمَوْهُمْ» يعني أن هؤلاء المعطلة رَمَوْا أهل الحديث بما هم أولى به من الألفاظ القبيحة الشنيعة، كما رمى المنافقون رسول الله ﷺ وأصحابه بما هم أولى به، قال المنافقون: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَّائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنًا، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ»^(١). ويعنون بذلك الرسول ﷺ وأصحابه.

وفي الحقيقة أن هذه الأوصاف تنطبق عليهم، فما رأينا أكذب ألسنا من المنافقين؛ ولهذا من علامات المنافق: الكذب.

ولا رأينا أجبن منهم حتى في غير اللقاء، قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤] لو صاح أحدٌ من الناس لأولاده، أو طفل في السوق ظنوا أنه يصيح عليهم.

قوله: «ولا أرغب بطونًا» (أرغب) يعني: أوسع؛ لكثرة الأكل وأنه ليس لهم همٌّ إلا ملء هذه البطون، ونحن نعلم أن الذين ليس لهم همٌّ إلا ملء البطون هم المنافقون، ما نافقوا إلا ليقبوا حتى لا يقتلهم المؤمنون.
 إذن هؤلاء المعطلة رَمَوْا أهل السنة بما هم أولى به.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٩/٦)، رقم (١٠٠٤٤)، والطبري (٣٣٣/١٤).

قَوْلُهُ: «لِيَدْفَعَ عَنْهُ فِعْلَ الْجَانِي» يعني: ليدفع عن نفسه السوء برمي غيره، ومن أمثال العوام: «ضربني وبكى وسببني واشتكى».

٢٦٠٢- يَرْمِي الرِّيَّ بِمَا جَنَاهُ مُبَاهِتًا وَلِذَاكَ عِنْدَ الْغَرِّ يَشْتَبِهَانِ

يعني: أنه يرمى البراء بما جناه هو بنفسه، فالغُرُّ الذي لا يدري يشته عليه الأمر، ويقول: لعل الصواب مع أهل التعطيل.

٢٦٠٣- سَمَّوْهُمْ حَشْوِيَّةً وَنَوَابِتًا وَمُجَسِّمِينَ وَعَابِدِي أَوْثَانَ

أعوذ بالله، يعني: سمّوا أهل الحديث بهذه الألقاب:

■ «حَشْوِيَّةً»، وقد تقدّم معنى الحَشْوِيَّةِ.

■ «نَوَابِتًا» أي: نوابت الزروع، وهي نوابت تبت في الزرع ليس لها فائدة.

■ «مُجَسِّمِينَ» يعني: يقولون: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ، وقد سبق في هذه القصيدة أنه لم يقل أحدٌ من أهل الحديث: إِنَّ اللَّهَ جَسْمٌ.

■ كذلك أيضًا «عَابِدِي أَوْثَانَ» قالوا: أنتم تقولون: إِنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بهذه الصفات، وهذا يقتضي أن يكونَ جَسْمًا، وحينئذٍ تكونون عابدي أوثان، جعلتم الله وثناً.

٢٦٠٤- وَكَذَاكَ أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ وَهُمْ الرَّوَافِضُ أَحَبُّ الْحَيَوَانَ

قَوْلُهُ: «أَعْدَاءُ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ» هم الروافض.

قَوْلُهُ: «أَحَبُّ الْحَيَوَانَ» هذا كقول القحطاني - رحمه الله - في نُؤْيَتِهِ:

إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانٍ

والذي يطأ الحصى كُلُّ شيء من بني آدم، والحيوانات، وغيرها، فهم شرٌّ من وطئ الحصى، وهنا يقول: (هم الروافضُ أخبثُ الحيوانِ).

٢٦٠٥- نَصَبُوا الْعَدَاوَةَ لِلصَّحَابَةِ ثُمَّ سَمَّ مَوَا بِالنَّوَابِغِ شِيعَةَ الرَّحْمَنِ

الله المستعان، نصبوا العداوة للصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لأنهم يُكْفَرُونَ الصحابةِ إِلَّا آلَ الْبَيْتِ وَنَفَرًا قَلِيلًا مِنْ غَيْرِهِمْ، يُكْفَرُونَ أَبَا بَكْرٍ، وَعَمْرَ، وَعِثْمَانَ، وَبَقِيَةَ الصَّحَابَةِ، إِلَّا آلَ الْبَيْتِ وَنَفَرًا قَلِيلًا مِنْ غَيْرِهِمْ، كَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَمَا أَشْبَهَهُ.

وَيُسَمُّونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ الَّذِينَ هُمْ شِيعَةُ الرَّحْمَنِ نَوَابِغَ، لِمَاذَا؟ قَالُوا: لِأَنَّكُمْ تَحْبُونَ هَؤُلَاءِ الصَّحَابَةَ، وَمِنَ الْقَوَاعِدِ الْمَقْرَّرَةِ عِنْدَهُمْ: (كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ فَقَدْ أَبْغَضَ عَلِيًّا).

وَكَذَبُوا وَرَبَّ الْعَرْشِ، بَلْ إِنَّا نَحْبُ عَلِيًّا وَأَبَا بَكْرٍ وَعَمْرَ وَعِثْمَانَ، وَلَا يَنَافِي هَذَا هَذَا، لَكِنْ هُمْ يَقُولُونَ: مَنْ أَحَبَّ الصَّحَابَةَ فَقَدْ نَصَبَ الْعَدَاوَةَ لِآلِ الْبَيْتِ.

٢٦٠٦- وَكَذَا الْمُعْطَلُ شَبَّهَ الرَّحْمَنَ بِأَلْ مَعْدُومٍ فَاجْتَمَعَتْ لَهُ الْوَصْفَانِ

قَوْلُهُ: «الوصفان»: شَبَّهَ الْخَالِقَ بِالْمَعْدُومِ؛ وَهَذَا عَطَّلَهُ عَنْ صِفَاتِهِ، فَاجْتَمَعَ لَهُ الْوَصْفَانِ؛ أَي: وَصَفُ الْعَدْوَانِ، وَوَصْفُ التَّشْبِيهِ، فَقَدْ اعْتَدَى عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ وَوَصَفَهُمْ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الشَّنِيعَةِ، وَشَبَّهَهُ.

٢٦٠٧- وَكَذَاكَ شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلَامِنَا حَتَّى نَفَاهُ وَذَانَ تَشْبِيهِانِ

قَوْلُهُ: «شَبَّهَ قَوْلَهُ بِكَلَامِنَا» يَعْنِي: قَالَ: لَوْ أَثْبَتْنَا لِلَّهِ كَلَامًا لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُشَابِهًا لِلْمَخْلُوقِ، فَنفَى الْكَلَامَ، فَصَارَ عِنْدَهُ تَشْبِيهِانِ: تَشْبِيهُ كَلَامِ اللَّهِ بِكَلَامِنَا، ثُمَّ تَشْبِيهُ اللَّهِ بِالْأَخْرَسِ الَّذِي لَا يَتَكَلَّمُ.

٢٦٠٨- وَكَذَلِكَ شَبَّهَ وَصَفَهُ بِصِفَاتِنَا حَتَّى نَفَاهَا عَنْهُ بِالْبُهْتَانِ

أتدرون لماذا أنكر هؤلاء المعطلة لصفات الله؟ الجواب: لأنهم تصوّروا أن إثباتها يَسْتَلْزِمُ التشبيه، فلما تصوّروا هذا قالوا: إذَنْ يجب أن ننفىها لئلا نقع في التشبيه، فشبّهوا أوّلاً وعطلّوا ثانيًا؛ ولهذا قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في الفتوى الحمويّة^(١): «كل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامع بين التعطيل والتمثيل».

وصدق -رحمه الله-، فالمعطلُّ ممثّلٌ؛ لأنه إنّما عَطَّلَ لاعتقاده أن إثبات الصفات يَسْتَلْزِمُ التمثيل، فَمَثَّلَ أوّلاً في تصوّره، ثم عَطَّلَ ثانيًا، ثم نقول: هو أيضًا في تعطيله مُمَثَّلٌ؛ لأنه إذا أنكر الصفات شبّه الله بالمعدومات، فَمَثَّلَ بالمعدوم.

وَكُلُّ مُمَثَّلٍ مَعَطَّلٌ؛ لأنَّ الممثَّلَ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ المماثلة، فالممثَّلُ عَطَّلَ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، والمُمَثَّلُ عَطَّلَ الله من كماله الواجب؛ لأنَّ تمثيل الخالق بال مخلوق يجعله ناقصًا، فيكون في هذه الحال معطلًا لكمال صفات الله عزَّ وجلَّ.

فالْحاصلُ أنَّ المؤلِّفَ -رحمه الله- يقول: إنّ هؤلاء الذين شبّهوا وصفه بصفاتنا حتّى نفّوها، نفوا ذلك بالبهتان، وهم في الحقيقة لم يَسْلَمُوا من التمثيل.

٢٦٠٩- وَأَتَى إِلَى وَصَفِ الرَّسُولِ لِرَبِّهِ سَمَاءَهُ تَشْبِيهًا، فَيَا إِخْوَانِي

سبحان الله! أتى إلى وصف الرسول لربه فقال: إنّ الرسول ﷺ مُشَبَّهٌ لله بخلقه، وهذا قد يقوله بعضهم وقد لا يقوله، لكن يكون هذا من لازم قولهم.

(١) انظر: الفتوى الحموية (٢٧٦).

٢٦١٠- بِالله مَنْ أَوْلَى بِهَذَا الإِسْمِ مِنْ هَذَا الخَبِيثِ المُخْبِثِ الشَّيْطَانِي؟
الجواب: هم أولى بذلك من أهل الحديث.

٢٦١١- إِنْ كَانَ تَشْبِيهًا تُبَوِّتُ صِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ فَبِأَكْمَلِ ذِي شَانٍ قَوْلُهُ: «فَبِأَكْمَلِ ذِي شَانٍ» فِي نَسْخَةِ «أَكْمَلُ بِهِ ذِي شَانٍ» وَالْمَعْنَى: إِذَا كَانَ ثُبُوتُ صِفَاتِ اللهِ تَشْبِيهًا فَإِنَّ ذَلِكَ تَشْبِيهٌُ بِالْأَكْمَلِ، يَعْنِي إِنَّمَا تُثَبِّتُ عَلَى أَنَّ اللهُ المَثَلُ الأَعْلَى.

معنى آخر تبين لي: إن كان إثبات الصفات تشبيهاً فقد مثّلناه بالأكمل؛ لأنّ المتصف بصفات الكمال أولى بمن لم يتصف بها.

فهو يقول: إن كان هذا تشبيهاً فإنما شبّهناه بمن يتصف بالصفات، وأنتم شبّهتموه بمن لا يتصف، مثلاً إذا قلنا: الله سمع، أثبتنا له السمع، شبّهناه -على زعمهم- بالكامل، لكن هم يقولون: لا سمع له، فشبهوه بالناقص.

فعلى كلام هؤلاء المعطلّة أنّ الله تعالى لا يسمع بسمع، ولا يعلم بعلم، ولا يُبصر ببصر.

فنقول: هذا كلام غير معقول، وإنما هو في الحقيقة مُصانعة ومُداهنة، وإلّا فحقيقة قولكم أنه لا يسمع، لكن تخشون من ثورة العامة، وتقولون: يسمع بلا سمع، ويُبصر بلا بصير، ويتكلّم بلا كلام، وهكذا.

٢٦١٢- لَكِنَّ نَفْسِي صِفَاتِهِ تَشْبِيهُهُ بِالْجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانٍ

يعني: إذا نفينا صفاته فقد شبّهناه بالأنقص، وليس بالأكمل؛ ولهذا يقول: «بِالْجَامِدَاتِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانٍ».

٢٦١٣- بَلِ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ وَهُوَ مَعَهُ دُومٌ وَإِنْ يُفْرَضُ فَفِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «بَلِ بِالَّذِي هُوَ غَيْرُ شَيْءٍ»؛ لأنك إذا نفيت الصفات عن الله مطلقاً فهذا هو العدم، وإذا كان هو العدم فقد وصفت الله بالعدم بأنه لا موجود.

قَوْلُهُ: «وَإِنْ يُفْرَضُ فَفِي الْأَذْهَانِ» يعني: إِنْ فُرِضَ وجودُ ذاتٍ لا تتصفُ بصفاتٍ فإنَّ هذا يُقَدَّرُ في الذَّهن، أمَّا في الواقع فلا، فلا تُوجَدُ ذاتٌ خاليةٌ من الصفات.

٢٦١٤- فَمَنْ الْمُسَبَّهُ بِالْحَقِيقَةِ أَنْتُمْ أَمْ مُثِبُّ الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ؟

الجواب: هم! فإذا قُدِّرَ أَنَّ المَثْبِتِينَ شَبَّهوه فقد شَبَّهوه بالأكمل؛ لأنَّ مَنْ يتصفُ بصفات الكمالِ أكملُ، وأمَّا هؤلاء فقد شَبَّهوه بالأنقص، بما لا صفة له، بل إنَّهم في الحقيقة شَبَّهوه بالعدم.

فصل

فِي نَكْتَةِ بَدِيعَةٍ تَبِينُ مِيرَاثَ الْمُلَقَّبِينَ وَالْمُلَقَّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَالْمُوحِدِينَ

- ٢٦١٥- هَذَا وَثَمَّ لَطِيفَةٌ عَجَبٌ سَأَبُ
٢٦١٦- فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعْطَلٌ وَمُشَبَّهٌ
٢٦١٧- لَا بُدَّ أَنْ يَرِثَ الرَّسُولَ، وَضِدَّهُ
٢٦١٨- فَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى مِنْهَاجِهِ
٢٦١٩- إِحْدَاهُمَا حَرْبٌ لَهُ وَلِحِزْبِهِ
٢٦٢٠- فَرَمَوْهُ مِنْ أَلْقَابِهِمْ بَعْظَائِمٍ
٢٦٢١- فَآتَى الْأَلْسَى وَرِثُوهُمْ فَرَمَوْا بِهَا
٢٦٢٢- هَذَا يُحَقِّقُ إِزْثَ كُلِّ مِنْهُمَا
٢٦٢٣- وَالْآخَرُونَ أَوْلُو النَّفَاقِ فَأَضْمَرُوا
٢٦٢٤- وَكَذَا الْمُعْطَلُ مُضْمَرٌ تَعْطِيلُهُ
٢٦٢٥- هَذِي مَوَارِيثُ الْعِبَادِ تَقَسَّمَتْ
٢٦٢٦- هَذَا وَثَمَّ لَطِيفَةٌ أُخْرَى بِهَا
- سَدِيدًا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
وَاعْقِلْ فَذَاكَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ^(١)
فِي النَّاسِ طَائِفَتَانِ مُخْتَلِفَانِ
وَالْوَارِثُونَ لِضِدِّهِ فِتْنَانِ:
مَا عِنْدَهُمْ فِي ذَاكَ مِنْ كِتْمَانِ
هُمُ أَهْلُهَا لَا خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
وَرَأَيْتُهُ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ
فَاسْمَعْ وَعِهِ يَا مَنْ لَهُ أُذُنَانِ
شَيْئًا وَقَالُوا غَيْرُهُ بِلِسَانِ
قَدْ أَظْهَرَ التَّنْزِيهَ لِلرَّحْمَنِ
بَيْنَ الطَّوَائِفِ قِسْمَةَ الْمَنَانِ
سُلُوانٌ مَنْ قَدْ سُبَّ بِالْبُهْتَانِ

- ٢٦٢٧- تَجِدُ الْمُعْطَلَّ لِاعِنَّا لِمُجَسِّمٍ
وَمُشَبِّهٍ لِلَّهِ بِالْإِنْسَانِ
- ٢٦٢٨- وَاللَّهُ يَصْرِفُ ذَاكَ عَنْ أَهْلِ الْهُدَى
كَمَحَمَّدٍ وَمُذَمَّمِ إِسْمَانَ
- ٢٦٢٩- هُمْ يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَمُحَمَّدًا
عَنْ شَتْمِهِمْ فِي مَعَزِلٍ وَصِيَانِ
- ٢٦٣٠- صَانَ الْإِلَهَ^(١) مُحَمَّدًا عَنْ شَتْمِهِمْ
فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى هُمَا صِنَوَانِ^(٢)
- ٢٦٣١- كَصِيَانَةِ الْأَتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ الْمُعْطَلِّ
طَلَّ لِلْمُشَبِّهِ هَكَذَا الْإِزْتِنَانِ^(٣)
- ٢٦٣٢- وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ
أَهْلٌ لِكُلِّ مَذْمُومَةٍ وَهَوَانِ
- ٢٦٣٣- وَكَذَا الْمُعْطَلُّ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهِ
وَاسْمَ الْمُوَحَّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ
- ٢٦٣٤- هَذِي حِسَانُ عَرَائِسٍ زُفَّتْ لَكُمْ
وَلَدَى الْمُعْطَلِّ هُنَّ غَيْرُ حِسَانِ
- ٢٦٣٥- وَالْعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ^(٤) مُوَفَّقٍ
مَنْ غَيْرِ بَوَابٍ وَلَا اسْتِئْذَانِ
- ٢٦٣٦- وَيَرُدُّهُ الْمَحْرُومُ مِنْ خُذْلَانِهِ
لَا تُشَقِّنَا اللَّهُمَّ بِالْحِرْمَانِ
- ٢٦٣٧- يَا فِرْقَةً نَفَتِ الْإِلَهَ وَقَوْلَهُ
وَعُلُوَّهُ بِالْبَحْدِ وَالْكَفْرَانِ
- ٢٦٣٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَرَبِّي عَالِمٌ
بِسَرَائِرِ مِنْكُمْ وَحُبِّثِ جَنَانِ

(١) في نسخة السفارينية: «الإيمان».

(٢) في نسخة برلين والظاهرية وابن سحمان والإفتاء: «صونان».

(٣) في نسخة ابن سحمان: «الأوثان».

(٤) في نسخ السفارينية والتمورية والظاهرية والإفتاء ونسختي ابن سحمان وبقية النسخ: «قلب

كل»، والمثبت في نسخة برلين، وكلاهما صحيح، كما في آية غافر: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ

قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

- ٢٦٣٩- فَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ بِالْعِلْمِ وَالشُّلْطَانِ
 ٢٦٤٠- وَالْحَقُّ رُكْنٌ لَا يَقُومُ لِهَدِّهِ أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ
 ٢٦٤١- تَوْبُوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ فَالرَّبُّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ النَّدْمَانِ
 ٢٦٤٢- مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالْجَنَانُ مَصِيرُهُ^(١) أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فِى النَّيْرَانِ

الشرح

هذه نكتة بديعة ذكرها المؤلف - رحمه الله -، وهي بديعة في الواقع، يقول:

- ٢٦١٥- هَذَا وَتَمَّ لَطِيفَةٌ عَجَبٌ سَأَبُ دِيهَا لَكُمْ يَا مَعْشَرَ الْإِخْوَانِ
 جزاء الله خيراً، فألفاظه - رحمه الله - مُشَوِّقَةٌ، فالإنسانُ إذا سَمِعَ هذا البيتَ يقول: هاتِ ما عندك.

- ٢٦١٦- فَاسْمَعْ فَذَاكَ مُعْطَلٌ وَمُشَبَّهٌ وَاعْقِلْ فَذَاكَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ
 قَوْلُهُ: «اعْقِلْ فَذَاكَ حَقِيقَةُ الْإِنْسَانِ» يعني: العقلُ حقيقةُ الإنسان؛ ولهذا لا يتميِّزُ الإنسانُ عن الحيوانِ إِلَّا بالعقلِ، فإذا فَقَدَ العقلَ - والمراد عقلُ الرشد - صارَ أَحَبَّتْ من الحيوانِ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

- ٢٦١٧- لَا بُدَّ أَنْ يَرِثَ الرَّسُولَ، وَضِدَّهُ فِي النَّاسِ طَائِفَتَانِ مُخْتَلِفَانِ
 وهذا صحيحٌ، فالرسولُ ﷺ له أعداء، ووَرَاثُ الرسولِ كذلك لا بُدَّ أَنْ

(١) في نسخة الإفتاء وبعض النسخ: «نصيبه».

يكون لهم أعداء؛ لأن النبي ﷺ لم يُعَادَ لشخصه، وإنما عُوِدِيَ لشرعه، فمن تمسك بشرعه فسيجد له أعداء كما وجد النبي ﷺ له أعداء.

٢٦١٨- فالوارثون له على منهاجه والوارثون لضده فتتان:

الوارثون للرسول ﷺ وأسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم على منهاجه، لا يحيدون عنه.

٢٦١٩- إحداهما حرب له ولحزبه ما عندهم في ذلك من كتمان

قوله: «إحداهما حرب له ولحزبه» وهم الكفار الخالص الذين يعلنون الكفر، هؤلاء حرب للرسول وحزبه، يعلنونها إعلاناً صريحاً، ما عندهم في ذلك من كتمان.

٢٦٢٠- فرموه من ألقابهم بعظائم هم أهلها لا خيرة الرحمن

يعني: رموا النبي ﷺ من ألقابهم بالعظائم، فقالوا: ساحر، ومجنون، وشاعر، وكاهن، وكذاب.

٢٦٢١- فأتى الألى ورثوهم فرموا بها وراثه بالبغى والعُدوان

الذين ورثوا الكفار رموا بهذه العظائم وراث النبي ﷺ، وهم أتباعه.

٢٦٢٢- هذا محقق إرث كل منهما فاسمع وعه يامن له أذنان

الفريق الثالث، وهو الثاني ممن ضاد الرسول -عليه الصلاة والسلام-، قال

عنهم:

٢٦٢٣- والآخرُونَ أُولُو النِّفَاقِ فَأَضْمَرُوا شَيْئًا وَقَالُوا غَيْرَهُ بِلِسَانِ

قَوْلُهُ: «فَأَضْمَرُوا شَيْئًا» ماذا أضمروا؟ الجواب: الكفر.

قَوْلُهُ: «وَقَالُوا غَيْرَهُ بِلِسَانٍ» أي: الإسلام، فأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.

٢٦٢٤- وَكَذَا الْمُعْطَلُ مُضْمَرٌ تَعْطِيلُهُ قَدْ أَظْهَرَ التَّنْزِيهَ لِلرَّحْمَنِ

المعطل يُنكِرُ الصفاتِ ويكفرُ بها؛ مدَّعِيًا أَنَّ ذَلِكَ تَنْزِيهُ لِهَلْ عَزَّ وَجَلَّ وَتَوْحِيدٌ لَهُ، وَيَقُولُ: إِنَّ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مُشْرِكُونَ كَمَا سَبَقَ، عَابِدُوا أَوْثَانَ، مُجَسِّمَةٌ.

٢٦٢٥- هَذِي مَوَارِيثُ الْعِبَادِ تَقَسَّمَتْ بَيْنَ الطَّوَائِفِ قِسْمَةَ الْمَنَانِ

واللهُ - سبحانه وتعالى - يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ حُرِمَ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ أُعْطِيَ وَمُنِحَ، وَهَذِهِ لَطِيفَةٌ.

٢٦٢٦- هَذَا وَثَمَّ لَطِيفَةٌ أُخْرَى بِهَا سُؤْلَانٌ مَنْ قَدْ سُبَّ بِالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «سُؤْلَانٌ» يعني التَّسْلِي، ما هذه اللطيفة؟ قال - رحمه الله -:

٢٦٢٧- تَجِدُ الْمُعْطَلَّ لِاعْنَالِ مُجَسِّمٍ وَمُشَبَّهٍ لِلَّهِ بِالْإِنْسَانِ

المعطلُّ يلعنُ المُجَسِّمَ والمُشَبَّهَ لله بالإنسان.

والحقيقة أَنَّ لَعْنَهُ يَعُودُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْمُعْطَلَّ مُشَبَّهٌ - كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا آنفًا - فَإِذَا لَعَنَ الْمُمَثَّلُ قَالَ: (اللَّهُمَّ الْعَنِ الْمُثَلَّ وَالْمُشَبَّهَ) فَقَدْ لَعَنَ نَفْسَهُ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ يَنْكُرُونَ هَذَا، فَلَا يُشَبِّهُونَ اللَّهَ بِخَلْقِهِ، وَيَقُولُونَ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَلَا يُجَسِّمُونَ، فَلَمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ جَسْمٌ.

٢٦٢٨- وَاللَّهُ يَصْرِفُ ذَلِكَ عَنْ أَهْلِ الْهُدَى كَمَحَمَّدٍ وَمُذَمَّمِ إِسْمَانَ

قَوْلُهُ: «يَصْرِفُ ذَلِكَ» أي: اللَّعْنَ.

قَوْلُهُ: «عَنْ أَهْلِ الْهُدَى» أَي: لِفِظًا وَمَعْنَى؛ لِأَنَّهْم لَيْسُوا -وَاللَّهُ الْحَمْدُ-
مُجَسَّمَةً، وَلَيْسُوا مُشَبَّهَةً.

مثاله: «كَمْ مُحَمَّدٍ وَمُدَّمِمِ إِسْمَانٍ» يَجُوزُ قَطْعُ الْهَمْزَةِ لِلضَّرُورَةِ. يَشِيرُ إِلَى أَنَّ
الْمُشْرِكِينَ سَمَّوْا النَّبِيَّ ﷺ مُدَّمَمًا^(١)، وَقَالُوا: هُوَ مُدَّمَمٌ، لَا مُحَمَّدٌ؛ لِأَنَّ (مُحَمَّدًا) مِنَ
الْحَمْدِ، وَ(مُدَّمَمًا) مِنَ الذَّمِّ، فَيَشْتُمُونَ مُدَّمَمًا فَيَقُولُونَ: مُدَّمَمٌ لَا حَيَّاهُ اللَّهُ وَلَا بَيَّاهُ.

٢٦٢٩- هُمْ يَشْتُمُونَ مُدَّمَمًا، وَحُمَّدٌ عَنْ شَتْمِهِمْ فِي مَعَزِلٍ وَصِيَانٍ

انظر، هم يشتمون مُدَّمَمًا، وَحُمَّدٌ الَّذِي هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَتْمِهِمْ فِي
مَعَزِلٍ وَصِيَانٍ، إِذَنْ يَنْصَبُ الشَّتْمُ إِلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهْم هُمْ أَهْلُ الذَّمِّ.

٢٦٣٠- صَانَ إِلَاهَهُ مُحَمَّدًا عَنْ شَتْمِهِمْ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى هُمَا صِنْوَانٍ

فِرْسَوُّ اللَّهِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي اللَّفْظِ اسْمُهُ (مُحَمَّدٌ)، وَفِي الْمَعْنَى
كَذَلِكَ (مُحَمَّدٌ)، وَلَيْسَ مُدَّمَمًا، لَا بِاللَّفْظِ وَلَا بِالْمَعْنَى.

٢٦٣١- كَصِيَانَةِ الْإِتْبَاعِ عَنْ شَتْمِ الْمُعْطِ طِلُّ لِلْمُشَبَّهِ هَكَذَا الْإِرْثَانِ

٢٦٣٢- وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ عَلَيْهِمْ إِذْ هُمْ أَهْلٌ لِكُلِّ مَذْمَةٍ وَهَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَالسَّبُّ مَرْجِعُهُ عَلَيْهِمْ» فِي نَسْخَةِ: (إِلَيْهِمْ) وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

اللَّهُ أَكْبَرُ، هَذَا الْإِرْثُ مُتَّفِقٌ تَمَامًا.

الْمُشْرِكُونَ يَسُبُّونَ الرَّسُولَ ﷺ وَيَلْعَنُونَ مُدَّمَمًا، فَتَعُودُ اللَّعْنَةُ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَيْهِمْ.

(١) وَفِي هَذَا يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَضْرِبُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَتَهُمْ، يَشْتُمُونَ
مُدَّمَمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدَّمَمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَسْمَاءِ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمُ (٣٣٤٠).

وهؤلاء أهل التعطيل يسبون أهل الإثبات ويلعنونهم، وفي الحقيقة أن الأمر يعود إليهم.

٢٦٣٣- وَكَذَا الْمُعْطَلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهِهِ وَأَسْمُ الْمُوَحِّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ قَوْلُهُ: «وَكَذَا الْمُعْطَلُ يَلْعَنُ اسْمَ مُشَبِّهِهِ» يقول: لعن الله المُشَبِّهَ، فيقال: بل هو المُشَبِّه.

قَوْلُهُ: «وَأَسْمُ الْمُوَحِّدِ فِي حِمَى الرَّحْمَنِ» يعني: أهل الحديث الذين يثبتون هل هم مُشَبِّهون؟ الجواب: أبداً، فهم أهل التوحيد الذين قالوا: إن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

٢٦٣٤- هَذِي حِسَانٌ عَرَائِسٍ زُفَّتْ لَكُمْ وَلَدَى الْمُعْطَلِ هُنَّ غَيْرُ حِسَانٍ لا يوجد شك، فالحسان عند أهل الإثبات غير حسان عند أهل التعطيل.

٢٦٣٥- وَالْعِلْمُ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفِّقٍ مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ وَلَا اسْتِئْذَانٍ قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ» في نسخة: (من غير أبواب)، والأولى أحسن، وأيضاً نسخة (الأبواب) تصح؛ لأن الغالب أن الأبواب لا تُجْعَلُ إِلَّا لِمَنْعِ الدَّخُولِ.

وصدق -رحمه الله-، فالموَفِّقُ يدخل العلم قلبه من غير بوابٍ ولا استئذان؛ لأن القلب هو الذي يطلب العلم، فبمجرد ما يرد إليه العلم يقبله، ولا يحتاج إلى بوابٍ ولا إلى استئذان، وقرأ قول الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَنِيئًا وَإِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦].

يحضرون مجلس الرسول ﷺ يُعَلِّمُهُمْ، ولكنهم لا يعون، ولا يفهمون، فإذا خرجوا قالوا: ماذا قال آنفاً؟ يحتمل أنهم يقولون ذلك على سبيل التحقير؛ يعني:

إننا لم نُبالِ به ماذا قال؟ ويحتمل أن يكونَ على سبيل الاستخبار، لكن لم يصل العلمُ إلى قلوبهم؛ لأنهم ليسوا أهلاً للعلم، قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦] نعوذُ بالله.

أيضاً ابنُ القيم -رحمه الله- يقول: إِنَّ الْعِلْمَ يَدْخُلُ قَلْبَ كُلِّ مُوَفَّقٍ مِنْ غَيْرِ بَوَّابٍ وَلَا اسْتِئْذَانٍ.

قد يكون عندنا في الحقيقة مشكلة دخول العلم، هذه واحدة.

وهناك مشكلة أخرى: إذا دخل العلم من بابٍ مفتوح عندنا يخرج من ذلك الباب المفتوح، ولا ينغلق عليه الباب حتى يحفظه؛ ولهذا تجدنا نقرأ كثيراً، ونحفظُ ولكن يطير العلم، فالعلم يخرج من الباب، والنافذة، والسقف أيضاً، بل لا يوجد سقف، فهو يخرج من كلِّ جانبٍ حتى لو دخل.

فالعلم في الحقيقة يحتاج إلى أمرين: إلى بابٍ مفتوح لقبوله، وإلى بابٍ مغلق، لمنعه من الخروج، نسأل الله أن يوفقنا إلى هذا.

٢٦٣٦- وَيَرُدُّهُ الْمَحْرُومُ مِنْ خُذْلَانِهِ لَا تُشَقِنَا اللَّهُمَّ بِالْحِرْمَانِ

المحروم -نسأل الله العافية- يرُدُّ العلم؛ لأنه مخدول.

٢٦٣٧- يَا فِرْقَةً نَفَتِ الْإِلَهَ وَقَوْلُهُ وَعُلُوَّهُ بِالْجَحْدِ وَالْكُفْرَانِ

قوله: «يا فرقة»؛ لأنه ينادي نكرة غير مقصودة.

٢٦٣٨- مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَرَبِّي عَالِمٌ بِسَرَائِرِ مِنْكُمْ وَخُبَثِ جَنَانِ

قوله: «موتوا بغيبكم» يعني: اغتاظوا غيظاً يقتلكم ويهلككم، وقد أمر الله

نبيه بذلك فقال: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

٢٦٣٩- فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولُهُ بِالْعِلْمِ وَالسُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ... بِالْعِلْمِ وَالسُّلْطَانِ»؛ لِأَنَّ الدِّينَ يَقُومُ بِالْعِلْمِ، وَبِثِّ الدِّينِ، وَبِالسُّلْطَانِ أَي: بِالقُوَّةِ: بِالْجِهَادِ بِالسِّنَانِ وَالسَّلَاحِ.

٢٦٤٠- وَالْحَقُّ رُكْنٌ لَا يَقُومُ لِهُدَاهِ أَحَدٌ وَلَوْ جُمِعَتْ لَهُ الثَّقَلَانِ

وَصَدَقَ -رَحِمَهُ اللهُ-، فَالْحَقُّ رُكْنٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُهْدَى أَحَدٌ مَهْمَا كَانَ؛ وَهَذَا تَجَدُّ عَلَى كَثْرَةِ الْمُبْتَدِعَةِ وَكَثْرَةِ الْأَعْدَاءِ هَلْ غَابَتْ شَمْسُ الْهُدَى؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، لَمْ تَغِبْ -وَاللَّهُ الْحَمْدُ- شَمْسُ الْهُدَى، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»^(١)، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُهْدَى الْحَقُّ أَبَدًا.

٢٦٤١- تَوَبُّوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ فَالرَّبُّ يَقْبَلُ تَوْبَةَ النَّدَمَانِ

قَوْلُهُ: «تَوَبُّوا إِلَى الرَّحْمَنِ مِنْ تَعْطِيلِكُمْ» ابْنُ الْقَيِّمِ -جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا- لَمَّا ذَكَرَ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْعُدْوَانِ وَالْبَغْيِ، لَمْ يُؤَيِّسْهُمْ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، دَعَاهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ، وَمَنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ.

وَانظُرْ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وَضِدُّ هَذَا الشَّرْكَ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨] هَذَا اعْتِدَاءٌ عَلَى الْإِنْفَسِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] اعْتِدَاءٌ عَلَى الْأَعْرَاضِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ»، رَقْمُ (٧٣١١)، مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ نَزُولِ عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشَرِيعَةِ نَبِينَا، رَقْمُ (١٥٦).

فأكبرُ اعتداء على الأعراس الزنا، وأكبرُ اعتداء على الأنفس القتل، وأكبرُ عدوان على حقِّ الله الشُّركُ.

هؤلاء: ﴿لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْكُذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخَلَّدُ فِيهِ مُهَكَاتًا ۖ ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠]
فالله عزَّ وجلَّ يقبلُ التوبة؛ ولهذا قال ابن القيم: توبوا إلى الرحمن من تعطيلكم، فالرب يقبل توبة الندمان.

فالتوبة المبنية على الندم هي التوبة الحقيقية، أما التوبة المبنية على غير ذلك فهي توبة ناقصة، بل إنَّ العلماء جعلوا من شروط قبول التوبة الندم.

٢٦٤٢- مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالْجَنَانُ مَصِيرُهُ أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فَفِي النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «مَنْ تَابَ مِنْكُمْ فَالْجَنَانُ مَصِيرُهُ» أي: وإن كان في البداية كافرًا؛ ولهذا نحن نعلمُ حسب التاريخ ما حصل من عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في أوَّل الدعوة الإسلامية من المنابذة والمضادة، لو مات على هذا الحال لكان من أهل النار، لكنَّ مَنْ اللهُ عَلَيْهِ بالتوبة، فصار من أهل الجنة، فصار هو الثالث من القبور التي في بيت الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «أَوْ مَاتَ جَهْمِيًّا فَفِي النَّيْرَانِ» يعني: مَنْ مات على مذهب الجَهْمِ بنِ صَفْوَانَ فَإِنَّهُ فِي النَّارِ؛ لِأَنَّ أَكْثَرَ السَّلَفِ كَفَرُوا الْجَهْمِيَّةَ، وَالْكَافِرُ مَصِيرُهُ إِلَى النَّارِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.

فصل

فِي بَيَانِ اقْتِضَاءِ التَّجْهِمِ وَالْجَبْرِ وَالْإِرْجَاءِ لِلخُرُوجِ عَنْ جَمِيعِ دِيَانَاتِ الْأَنْبِيَاءِ

- ٢٦٤٣- وَاسْمَعُ وَعِهِ سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكَ
 ٢٦٤٤- فَأَدْعُهُ بَعْدَ اللَّيَا وَالَّتِي
 ٢٦٤٥- جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعَهُمَا
 ٢٦٤٦- فِيهَا لَدَى الْأَقْوَامِ طَلَسُمٌ مَتَى
 ٢٦٤٧- فَإِذَا رَأَيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنُ^(١) الْ
 ٢٦٤٨- دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النُّحُوسَ جَمِيعَهَا
 ٢٦٤٩- جَبْرٌ وَإِرْجَاءٌ وَجِيمٌ تَجْهِمٌ
 ٢٦٥٠- فَأَحْكُمُ بِطَالِعِهَا لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ
 ٢٦٥١- فَأَحْمِلْ عَلَى الْأَقْدَارِ ذَنْبَكَ كُلَّهُ
 ٢٦٥٢- وَافْتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُنْدِكَ إِذْ تَرَى الْ
 ٢٦٥٣- فَالْجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا
 ٢٦٥٤- لَا فَاعِلٌ أَبَدًا وَلَا هُوَ قَادِرٌ
- تُومًا مِنَ الْأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانٍ
 نُصْحًا وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الْكِتْمَانِ
 مَقْرُونَةٌ مَعَ أَحْرَفِ بِيُورَانَ
 تَحْلُلُهُ تَحْلُلُ ذُرْوَةَ الْعِرْفَانِ
 حِيَمَاتُ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ
 سَهْمُ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالْحُدْلَانِ
 فَتَأَمَّلِ الْمَجْمُوعَ فِي الْمِيزَانِ
 بِخَلَاصِهِ مِنْ رِبْقَةِ الْإِيمَانِ
 حَمَلِ الْجُدُوعِ عَلَى قُوَى الْجُدْرَانِ
 أَفْعَالٌ فِعْلُ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
 مِثْلُ اذْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجْفَانِ
 كَالْمَيْتِ أُدْرِجُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

(١) في نسخة برلين والإفتاء والتيمورية: «مقارن».

- ٢٦٥٥- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ اللَّذَانِ تَوَجَّهَا
 ٢٦٥٦- وَكَأَمْرِهِ الْأَعْمَى ^(١) بِنَقْطِ مَصَاحِفِ
 ٢٦٥٧- وَإِذَا ارْتَفَعَتْ دُرَيْجَةٌ أُخْرَى رَأَى
 ٢٦٥٨- إِنْ قِيلَ: قَدْ خَالَفْتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ
 ٢٦٥٩- وَمُطِيعُ أَمْرِ اللَّهِ مِثْلُ مُطِيعِ مَا
 ٢٦٦٠- عَبْدُ الْأَوْامِرِ مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ
 ٢٦٦١- فَانظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الْجِيمُ الَّذِي ^(٢)
 ٢٦٦٢- وَكَذَلِكَ الْإِزْجَاءُ حِينَ تُقْرَأُ بِالْ
 ٢٦٦٣- فَارْمِ الْمَصَاحِفَ فِي الْحُشُوشِ وَخَرِّبِ الْأَ
 ٢٦٦٤- وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعْتَ ^(٣) كُلَّ مُوَحِّدٍ
 ٢٦٦٥- وَاشْتُمْ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَوْا
 ٢٦٦٦- وَإِذَا رَأَيْتَ حِجَارَةً فَاسْجُدْ لَهَا
 ٢٦٦٧- وَأَقْرَأْ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
 ٢٦٦٨- وَأَقْرَأْ أَنَّ رَسُولَهُ حَقًّا أَتَى
- فَهُمَا كَأَمْرِ الْعَبْدِ بِالطَّيْرَانِ
 أَوْ شَكْلِهَا حَذْرًا مِنَ الْأَلْحَانِ
 تِ الْكُلِّ طَاعَاتٍ بِلَا عِضْيَانِ
 لَكِنْ أَطَعْتُ إِرَادَةَ الرَّحْمَنِ
 يَقْضِي بِهِ وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ
 عِنْدَ الْمُحَقِّقِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانِ
 مَعْبُودٍ نُصَبِحُ كَامِلَ الْإِيمَانِ
 بَيْتَ الْعَتِيقِ وَجَدَّ فِي الْعِضْيَانِ
 وَمَتَّسَحَنُ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ
 مِنْ عِنْدِهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
 بَلْ خَرَّ لِلْأَضْنَامِ وَالْأَوْثَانِ ^(٤)
 هُوَ وَخَدَهُ الْبَارِي لِذِي الْأَكْوَانِ
 مِنْ عِنْدِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

(١) في نسخة برلين: «أعمى».

(٢) في نسخة برلين والتميمورية والسفارينية والإفتاء والظاهرية: «التي».

(٣) في نسخة السفارينية والإفتاء ونسختي ابن سحمان: «اسطعت» بدون تاء في أوله.

(٤) في نسخة ابن سحمان: «والصلبان».

- ٢٦٦٩- فَتَكُونُ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا
 ٢٦٧٠- هَذَا هُوَ الْإِرْجَاءُ عِنْدَ غَلَاظِهِمْ
 ٢٦٧١- فَأَضْفُ إِلَى الْجِيمَيْنِ جِيمٌ تَجْهُمٌ
 ٢٦٧٢- قُلْ: لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ
 ٢٦٧٣- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو سَمْعٍ وَلَا
 ٢٦٧٤- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعْبُودٌ سِوَى الْا
 ٢٦٧٥- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ
 ٢٦٧٦- كَلًّا وَلَا كَلِمٌ إِلَيْهِ صَاعِدٌ
 ٢٦٧٧- أَنِّي وَحَظُّ الْعَرْشِ مِنْهُ كَحَظِّ مَا
 ٢٦٧٨- بَلْ نِسْبَةُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
 ٢٦٧٩- فَعَلَيْهِمَا اسْتَوْلَى جَمِيعًا قُدْرَةً
 ٢٦٨٠- هَذَا الَّذِي أَعْطَنَهُ جِيمٌ تَجْهُمٌ
 ٢٦٨١- تَاللهِ مَا اسْتَجْمَعْنَ عِنْدَ مُعْطَلٍ
 ٢٦٨٢- وَالْجَهْمُ أَصْلُهَا جَمِيعًا فَاغْتَدَتْ
 ٢٦٨٣- وَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ
 ٢٦٨٤- لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلُهُ
- وَزُرُّ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْكَفْرَانِ
 مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ
 وَأَنْفِ الصِّفَاتِ وَأَلْقِ بِالْأَرْسَانِ
 بِسَرَائِرٍ مِنَّا وَلَا إِعْلَانِ
 بَصَرٍ وَلَا عَدْلٍ وَلَا إِحْسَانِ
 عَدَمِ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ
 بِأَوَامِرٍ وَرَوَاجِرٍ وَقُرَّانِ
 أَبَدًا وَلَا عَمَلٍ لِذِي سُكْرَانِ
 تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الدَّانِي
 لِلْعَرْشِ نَسْبَتُهُ إِلَى الْبُنْيَانِ
 وَكِلَاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ خِلْوَانِ
 حَشَوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانِ
 جِيَاهُمَا وَلَدَيْهِ مِنْ إِيْمَانِ
 مَقْسُومَةٌ فِي النَّاسِ بِالْمِيزَانِ
 أَصْحَابُهَا لَا شَيْعَةَ الْإِيْمَانِ
 ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ

- ٢٦٨٥- لَكِنْ نَجَا أَهْلُ الْحَدِيثِ الْمُحْضَرِ أَتَى - سَبَّحَ الرَّسُولَ وَتَابِعُوا الْقُرْآنَ
- ٢٦٨٦- عَرَفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَعَ عِلْمٍ بِمَا - قَالَ الرَّسُولُ فَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- ٢٦٨٧- وَسِوَاهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالِدَعْوَى مَعَ أَلْ - كَبُرَ الْعَظِيمِ وَكَثْرَةَ الْهَدْيَانِ
- ٢٦٨٨- مَدُّوا يَدًا نَحْوَ الْعُلَى بِتَكْلُفٍ - وَتَخْلُفٍ وَتَكْفُرٍ وَتَوَانٍ
- ٢٦٨٩- أَتَرَى يَنَالُوهَا وَهَذَا شَأْنُهُمْ؟ - حَاشَا الْعُلَى مِنْ ذَا الزَّبُونِ الْفَانِي

الشرح

هذا الفصل عجيبٌ غريبٌ، ذكر المؤلف - رحمه الله - فيه أن الجهمَ والجبرَ والإرجاءَ يقتضي الخروجَ من جميع ديانات الأنبياء.

فالتجهمُ، والجبرُ، والإرجاءُ، ثلاثُ جيماتٍ تقتضي الخروجَ عن جميع ديانات الأنبياء.

قال المؤلف - رحمه الله -:

٢٦٤٣- وَاسْمَعْ وَعِهِ سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكًّا - تُوَمًّا مِنَ الْأَقْوَامِ مُنْذُ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «سِرًّا عَجِيبًا كَانَ مَكْتُومًا» يعني: ما أبداه أحدٌ ولا أظهره، وإن كان عند التأمل معلومًا، لكنه لم يُظْهَرْ، هذا السُّرُّ يقول:

٢٦٤٤- فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي - نُصْحًا وَخَوْفَ مَعَرَّةِ الْكِتَابَانِ

قَوْلُهُ: «فَأَذَعْتُهُ بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي» هذا التركيبُ تأتي به العربُ للدلالة على معاناة الشيء، وأنه لم يحصل بسهولة.

يقول: إنه أذاعه - رحمه الله - بعد اللَّتْيَا وَاللَّتْيَا، أذاعه لماذا؟ قال: (نُصْحًا وَخَوْفَ
مَعْرَةَ الْكُتْمَانِ).

٢٦٤٥- جِيمٌ وَجِيمٌ ثُمَّ جِيمٌ مَعَهُمَا مَقْرُونَةٌ مَعَ أَحْرَفِ بِيوزَانٍ
ثلاثة جيماتٍ مقرونةً مع حروفٍ تُكْمَلُهَا، جيم الجبر يُكْمَلُهَا الباء والراء،
التجهم يُكْمَلُهَا الهاء والميم، الإرجاء يُكْمَلُهَا الهمزتان والراء.
هذه ثلاثة جيمات، يقول:

٢٦٤٦- فِيهَا لَدَى الْأَقْوَامِ طَلَّسُمٌ مَتَى تَحْلُلُهُ تَحْلُلُ ذُرْوَةَ الْعِرْقَانِ
قَوْلُهُ: «طلسم» الطَّلَّسُمُ هو عبارة عن قراءاتٍ مُعَيَّنَةٍ تُقْرَأُ عَلَى الْمَرْضَى تَكُونُ
سَبَبًا لِلشِّفَاءِ، وَتُجْمَعُ عَلَى (طَلَّاسِمِ).

٢٦٤٧- فَإِذَا رَأَيْتَ الثَّوْرَ فِيهِ تَقَارَنَ الْـ جِيَمَاتُ بِالتَّثْلِيثِ شَرَّ قِرَانِ
قَوْلُهُ: «الثور» أحدُ البروج الاثني عشر، الذين يقولون بعلم النجوم
يتكهنون في مثل هذه الأمور باقتران النَّجْمِ الْفِلَانِيِّ بِالنَّجْمِ الْفِلَانِيِّ وَمَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ، وَهُوَ عِلْمٌ بَاطِلٌ لِأَشْكَ، لَكِنِ الْمَوْلَفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا
فَقَط.

٢٦٤٨- دَلَّتْ عَلَى أَنَّ النُّحُوسَ جَمِيعَهَا سَهُمُ الَّذِي قَدْ فَازَ بِالْحُدْلَانِ
٢٦٤٩- جَبْرٌ وَإِرْجَاءٌ وَجِيمٌ تَجْهَمُ فَتَأْمَلِ الْمَجْمُوعَ فِي الْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «جَبْرٌ» فِيهَا جِيمٌ، «إِرْجَاءٌ» فِيهَا جِيمٌ، «تَجْهَمُ» فِيهَا جِيمٌ، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ
مَجْمُوعَةٌ إِذَا اجْتَمَعَتْ خَرَجَ الْإِنْسَانُ مِنَ الْإِسْلَامِ.

٢٦٥٠- فَأَحْكُمُ بِطَالِعِهَا لِمَنْ حَصَلَتْ لَهُ بِخَلَاصِهِ مِنْ رَبَقَةِ الْإِيمَانِ

يعني: تَخَلَّصَ مِنْ رَبَقَةِ الْإِيمَانِ وَفَصَلَّهَا، ودخل في الكفر والعياذ بالله.

٢٦٥١- فَأَحْمِلْ عَلَى الْأَقْدَارِ ذَنْبَكَ كُلَّهُ حَمَلُ الْجُدُوعِ عَلَى قُوَى الْجُدْرَانِ

بدأ المؤلفُ بالجبر، وأهل الجبر يقولون: إِنَّ الْإِنْسَانَ مُجْبَرٌ عَلَى عَمَلِهِ، ليس له حَوْلٌ وَلَا قُوَّةَ، فأحمل جميع الذنوب على الأقدار، إذا أَحَدٌ عَاتَبَكَ عَلَى ذَنْبٍ فَقُلْ: هَذَا قَدَرُ اللَّهِ، كُلُّ ذُنُوبِكَ أَحْمِلُهَا عَلَى الْقَدَرِ.

قَوْلُهُ: «حَمَلُ الْجُدُوعِ عَلَى قُوَى الْجُدْرَانِ» الْجِدْعُ إِذَا أَسْنَدْتَهُ إِلَى الْجِدَارِ اتَّكَأَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقُومُ بِنَفْسِهِ.

٢٦٥٢- وَافْتَحْ لِنَفْسِكَ بَابَ عُدْرِكَ إِذْ تَرَى الْأَفْعَالَ فِعْلَ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

هؤلاء الغلاة من الجبرية يقولون: إِنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ فِعْلُ اللَّهِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا الْبَابَ يَفْتَحُ عَلَيْنَا بَابَ وَحْدَةِ الْوُجُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْخَلْقَ عَيْنُ الْخَالِقِ، فَإِذَا فِعْلُ الْخَلْقِ هُوَ فِعْلُ الْخَالِقِ.

٢٦٥٣- فَالْجَبْرُ يُشْهِدُكَ الذُّنُوبَ جَمِيعَهَا مِثْلَ ارْتِعَاشِ الشَّيْخِ ذِي الرَّجَفَانِ

رَجُلٌ ذَهَبَ إِلَى مُجَمَّعِ بَغَايَا، وَفَعَلَ الْفَاحِشَةَ وَرَجَعَ، حَرَكَاتُهُ وَخَطَوَاتُهُ وَأَفْعَالُهُ كُلُّهَا بَغَيْرِ اخْتِيَارِهِ، كَشَيْخٍ فَإِنَّ كَبِيرٍ قَدْ ذَهَبَتْ قُوَاهُ، فَهُوَ يَرْتِعِشُ هَكَذَا، هَذَا الْفِعْلُ وَهُوَ (الارتعاش) اخْتِيَارِيٌّ أَوْ اضْطِرَارِيٌّ؟ الْجَوَابُ: اضْطِرَارِيٌّ.

هو يقول: هذا الرجل الذي ذهب إلى سوق البغايا وقضى حاجته ورجع، كُلُّ فِعْلِهِ هَذَا اضْطِرَارِيٌّ، ليس له فيه حول لا قوة كارتعاش الشيخ الفاني.

٢٦٥٤- لا فاعِلٌ أبداً ولا هوَ قَادِرٌ كَالْمَيْتِ أُذْرَجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ

قَوْلُهُ: «لا فاعِلٌ أبداً ولا هوَ قَادِرٌ» الإنسان ليس بفاعلٍ، وليس بقادرٍ على الفعل، علَّل ذلك بأنه مُجْبَرٌ.

قَوْلُهُ: «كَالْمَيْتِ أُذْرَجَ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ» فالميتُ يُحْمَلُ من سَرِيرِ الغسلِ ويُوَضَعُ على الكفنِ، وهذا ليس باختياره.

لو اختار ما اختار أن يُغَسَّلَ ولا أن يُدْخَلَ في الأكفان، بل لا اختار الحياة.

٢٦٥٥- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ اللَّذَانِ تَوَجَّهَا فَهَمَّا كَأَمْرِ الْعَبْدِ بِالطَّيْرَانِ

لَمَّا قِيلَ لَهُمْ: كَيْفَ تَقُولُونَ هَذَا وَاللَّهُ تَعَالَى يُوجِّهُ الْأَمْرَ إِلَى الْعِبَادِ، يَقُولُ: افْعَلُوا، أَقِيمُوا الصَّلَاةَ، آتُوا الزَّكَاةَ، كَيْفَ تَقُولُونَ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا أَمْرٌ كَمَا يُؤْمَرُ الْعَبْدُ -أَي: الْإِنْسَانُ- الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ جَنَاحٌ يُؤْمَرُ بِالطَّيْرَانِ.

تَوْجِيهُ الْأَمْرِ بِالطَّيْرَانِ إِلَى مَنْ لَا جَنَاحَ لَهُ، هَذَا غَيْرٌ مُمْكِنٍ، يَعْنِي: لَوْ أَنَّ أَحَدًا وَجَّهَ الْأَمْرَ بِالطَّيْرَانِ إِلَى شَخْصٍ لَا جَنَاحَ لَهُ، قِيلَ: هَذَا جُنُونٌ وَسَفَهٌ.

٢٦٥٦- وَكَأَمْرِهِ الْأَعْمَى بِنَقْطِ مَصَاحِفٍ أَوْ شَكْلِهَا حَذْرًا مِنَ الْأَلْحَانِ

أَعْطَيْنَا أَعْمَى مَصْحَفًا مَكْتُوبًا بِالْحُرُوفِ، وَقَلْنَا لَهُ: نَقِّطْهُ، وَإِذَا انْتَهَى مِنَ التَّنْفِيطِ قَلْنَا: شَكَّلْهُ، وَهُوَ أَعْمَى، فَهَذَا لَا يُمْكِنُ إِلَّا عَلَى طَرِيقَةِ (بِرَايِل)، لَكِنْ هَذَا لَيْسَ التَّشْكِيلُ الْمَعْهُودُ الْمَعْرُوفُ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ هُمْ يَقُولُونَ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ-: إِنَّ أَوْامِرَ اللَّهِ وَأَوْامِرَ رَسُولِهِ الْمَوْجَّهَةَ إِلَى النَّاسِ كَأَوْامِرِ الْعَبْدِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ جَنَاحٌ بِالطَّيْرَانِ، أَوْ أَمْرِ الْأَعْمَى بِأَنْ يُنْقَطَ الْمَصْحَفَ وَيُشَكَّلَهُ.

٢٦٥٧- وَإِذَا ارْتَفَعَتْ دُرَيْجَةٌ أُخْرَى رَأَيْتَ الْكُلَّ طَاعَاتٍ بِلا عِضْيَانِ

ارتفع نسيباً أيضاً في قول أهل الجبر، إذا ارتفعت رأيت الكل طاعات، فالمعاصي طاعات، فالزنا طاعة، شرب الخمر طاعة، السرقة طاعة!

٢٦٥٨- إِنْ قِيلَ: قَدْ خَالَفتَ أَمْرَ الشَّرْعِ قُلْ لَكِنْ أَطَعْتُ إِرَادَةَ الرَّحْمَنِ

أعوذ بالله، إن قيل: أنت شربت الخمر، وخالفت أمر الشرع، قال: لكن وافقت الإرادة، أليس الله قد أراد أن أشرب الخمر؟ الجواب: بلى، قال: إذن أنا مطيع؛ لأنني وافقت إرادة الله.

٢٦٥٩- وَمُطِيعُ أَمْرِ اللَّهِ مِثْلُ مُطِيعِ مَا يَقْضِي بِهِ وَكِلَاهُمَا عَبْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَمُطِيعُ أَمْرِ اللَّهِ» يعني أمر الله الكوني.

الذي يطيع أمر الله الكوني كالمطيع أمره فيما يقضي به من الشرع.

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا» أي: مطيع الأمر ومطيع الشرع، كلاهما عبدان.

وهذا صحيح، فهما عبدان، لكن الكافر عبد بالعبودية القدرية، والمؤمن عبد بالعبودية القدرية الشرعية.

٢٦٦٠- عَبْدُ الْأَمْرِ مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ عِنْدَ الْمُحَقِّقِ لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ

قَوْلُهُ: «عَبْدُ الْأَمْرِ» عبد الأمر هو المؤمن الذي يطيع أمر الله.

قَوْلُهُ: «مِثْلُ عَبْدِ مَشِيئَةٍ» المشيئة لا تنقسم إلى شرعية وكونية، بل كلها كونية.

يقول: أمر الشرع طاعته واضحة؛ لأنها طاعة لله، أيضاً مشيئة الله طاعتها طاعة، ليس يفترقان.

٢٦٦١- فَانظُرْ إِلَى مَا قَادَتِ الْجِيمُ الَّذِي لِلْجَبْرِ مِنْ كُفْرٍ وَمِنْ بُهْتَانٍ

وهذا صحيح، فقد أدت إلى ثلاث فظائع عظيمة كبيرة:

الأولى: أدت إلى أن الإنسان مجبرٌ على العمل.

الثانية: أدت إلى أن أمر الله الخلق بالعبادة والطاعة عبث، وهو أمرٌ بها لا يُطاق،

كأمر العبد بالطيران، والأعمى بنقط المصاحف.

الثالثة: أدت إلى أن موافقة الأمر الكونيِّ كموافقة الأمر الشرعيِّ.

فجعلوا المعاصي طاعات، أي دين لشخص يقول: إن الزنا، والخمر والسرقه،

وقتل النفس؛ كل هذا طاعة، بل الشرك يكون طاعة؛ لأنه إن خالف الأمر

الشرعيّ فقد وافق الأمر الكونيّ؟!!

٢٦٦٢- وَكَذَلِكَ الْإِزْجَاءُ حِينَ تُقْرَأُ بِالْمَعْبُودِ تُصْبِحُ كَامِلَ الْإِيمَانِ

هؤلاء المرجئة يقولون: الإيمان: الإقرار بالمعبود، أقر بالله فأنت مؤمنٌ كاملٌ

الإيمان، إيمانك مثل رسول الله ومثل جبريل، لكن أقر بالمعبود، فأنت مؤمنٌ كاملٌ

الإيمان.

٢٦٦٣- فَارْمِ الْمَصَاحِفَ فِي الْحُشُوشِ وَخَرَّبِ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ وَجَدَّ فِي الْعِصْيَانِ

قَوْلُهُ: «فَارْمِ الْمَصَاحِفَ فِي الْحُشُوشِ» أعوذ بالله، فطالما تُقْرَأُ أَنَّ اللَّهَ موجودٌ

فخذ المصحف وارمه في الحش؛ أخبث مكان.

قَوْلُهُ: «وخرَّب البيت العتيق»: اذهب إلى الكعبة واهدمها.

قَوْلُهُ: «وَجَدَّ فِي الْعِصْيَانِ» أي معصية تُذَكِّرُ لك اجتهد في الحصول عليها.

٢٦٦٤- وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعْتَ كُلَّ مَوْحِدٍ وَتَمَسَّحَنْ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَاقْتُلْ إِذَا مَا اسْطَعْتَ كُلَّ مَوْحِدٍ» يعني: لا تقتل أي نفس، لكن انظر للموحدين واقتلهم.

قَوْلُهُ: «وَتَمَسَّحَنْ بِالْقَسِّ وَالصُّلْبَانِ» القس هو القسيس عالم النصارى.

قَوْلُهُ: «الصُّلْبَانِ»: الصليب الذي يعبدُه النصارى، يقول: تَمَسَّحَنْ بهما.

٢٦٦٥- وَاشْتُمَّ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ وَمَنْ أَتَوْا مِنْ عِنْدِهِ جَهْرًا بِلَا كِثْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَاشْتُمَّ جَمِيعَ الْمُرْسَلِينَ» أعوذ بالله، كلُّ رسولٍ اشتُمه.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ أَتَوْا مِنْ عِنْدِهِ» أي: الله عزَّ وجلَّ، نسأل الله العافية.

٢٦٦٦- وَإِذَا رَأَيْتَ حِجَارَةً فَاسْجُدْ لَهَا بَلْ خِرٌّ لِلْأَصْنَامِ وَالْأَوْثَانِ

إذا رأيت حجرًا ملقًى في السوق فاسجد له، بل إذا رأيت معبودًا من دون الله من الأوثان وغيرها فاسجد له.

٢٦٦٧- وَأَقِرَّ أَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ هُوَ وَخَدَهُ الْبَارِي لِذِي الْأَكْوَانِ

٢٦٦٨- وَأَقِرَّ أَنَّ رَسُولَهُ حَقًّا أَتَى مِنْ عِنْدِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٢٦٦٩- فَتَكُونَ حَقًّا مُؤْمِنًا وَجَمِيعُ ذَا وَزُرُّ عَلَيْكَ وَلَيْسَ بِالْكَفْرَانِ

٢٦٧٠- هَذَا هُوَ الْإِزْجَاءُ عِنْدَ غُلَامِهِمْ مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «الباري» في نسخة (البادي)، والصواب: (الباري) يعني الخالق.

أعوذ بالله، فهو قادننا إلى أن تؤمن بوجود الله فقط، وافعل ما شئت.

فإذا قال: أنا مؤمن بالله بأنه الربُّ خالقُ المخلوقات، وأنه الباري، ثمَّ فعل ما قال المؤلف؛ أخذ المصاحفَ ورمى بها في الحشوش، أو ذهب إلى الكعبة ودمرها، أو ذهب إلى كُلِّ موحدٍ وقتله، أو تمسَّح بالقسِّ والصلبان.... إلى آخر ما قال المؤلف فهو عندهم مؤمنٌ كاملُ الإيِّان، هذا هو إرجاءُ الجهميَّة، فالإيِّانُ عندهم أن تُقرَّ بوجود الله فقط، والباقي افعَل ما شئتَ.

فلو سببتَ اللهَ ليس هناك مانعٌ عندهم، سُبَّ اللهَ لكن تؤمن بأنه موجودٌ.

الرُّسلُ سُبِّهم، وقلَّ فيهم ما شئتَ، ولكن آمن بأنهم رسلٌ من عند الله فقط؛ ولهذا قال: «فتكون حقاً مؤمناً وجميع ذَا وَرَزْرَ عليك» كُلُّ هذه الأفعال وزرٌّ ولكن ليست بكفر؛ لأنك مؤمنٌ كاملُ الإيِّان.

٢٦٧١- فَأَضِيفُ إِلَى الْجِيْمِيْنَ جِيْمَ تَجْهْمٍ وَأَنْفِ الصِّفَاتِ وَأَلْقِ بِالْأَرْسَانِ

قَوْلُهُ: «فَأَضِيفُ إِلَى الْجِيْمِيْنَ» اللذين سبقا؛ جيمُ الجبر وجيمُ الإرجاء، وبقيت جيمُ التجهم.

قَوْلُهُ: «جيمُ التجهم» هي عبارة عن تعطيل الباري عزَّ وجلَّ من أوصافه، فجيمُ التجهم هي نفي الصفات.

٢٦٧٢- قُلْ: لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ رَبٌّ عَالِمٌ بِسَرَائِرِ مَنْنَا وَلَا إِعْلَانِ

أعوذ بالله، إذا كان لا يعلمُ سرائرنا ولا إعلاننا إذنٌ هو جاهلٌ، فلا يُوجدُ مانعٌ عندهم؛ لأنه يقول: اشتمَّ اللهَ ولا يُهْمُك ما دمت مؤمناً بوجوده.

٢٦٧٣- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ ذُو سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ وَلَا عَدْلٍ وَلَا إِحْسَانِ

يقولون ذلك لأنهم ينفون الصفات كُلَّها.

٢٦٧٤- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مَعْبُودٌ سِوَى اللَّهِ عَدَمَ الَّذِي لَا شَيْءَ فِي الْأَعْيَانِ
لأنهم إذا قالوا: إِنَّ اللَّهَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا فَوْقَ، وَلَا تَحْتَ،
وَلَا يَمِينٍ، وَلَا شِمَالٍ، وَلَا مُتَّصِلٍ، وَلَا مُفْصَلٍ، صَارَ عَدَمًا.

٢٦٧٥- بَلْ لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ مُتَكَلِّمٍ بِأَوْامِرٍ وَزَوَاجِرٍ وَقُرَّانٍ
لأنهم يقولون: الكلامُ مخلوقٌ، واللهُ لا يتكلمُ.

٢٦٧٦- كَلَّا وَلَا كَلِمٌ إِلَيْهِ صَاعِدٌ أَبَدًا وَلَا عَمَلٌ لِذِي شُكْرَانٍ
لأنهم لو أثبتوا أَنَّ الْعَمَلَ يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ لِأَثْبَتُوا أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ، وَهَمَّ لَا يُقَرُّونَ
بهذا.

٢٦٧٧- أَنَّى وَحَظَّ الْعَرْشِ مِنْهُ كَحَظِّ مَا تَحْتَ الثَّرَى عِنْدَ الْحَضِيضِ الدَّانِي
قَوْلُهُ: «أَنَّى» يعني: كيف يكون ذلك؟! يقولون: الذي عند العرش والذي
في أسفل السَّافِلِينَ هُمَا عِنْدَ اللَّهِ فِي الْقَرَبِ سِوَاءً.

سبحان الله! هل يمكنُ هذا؟ قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا
يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأنبياء: ١٩] وقال تعالى: ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٌ﴾ [التكوير: ٢٠]
لو كانوا سواءً لكان الذي في الأرض السُّفْلَى عِنْدَ الْعَرْشِ، وَكَانَ الَّذِي فِي الْأَرْضِ
السُّفْلَى عِنْدَ اللَّهِ، فَلَا يُفَرِّقُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ الْعُلُوَّ.

٢٦٧٨- بَلْ نِسْبَةُ الرَّحْمَنِ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ لِلْعَرْشِ نِسْبَتُهُ إِلَى الْبُنْيَانِ

٢٦٧٩- فَعَلَيْهِمَا اسْتَوَىٰ جَمِيعًا قُدْرَةً وَكِلَاهُمَا مِنْ ذَاتِهِ خُلُوعًا

يقولون: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ، يعني: استولى عليه، وكذلك البُنْيَانِ

الذي في الأرض استولى عليه.

إِذَنْ نَسَبَةُ الْبِنْيَانِ إِلَى اللَّهِ كَنَسَبَةِ الْعَرْشِ إِلَى اللَّهِ، كِلَاهُمَا قَدْ اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٢٦٨٠- هَذَا الَّذِي أَعْطَتْهُ جِيْمٌ تَجْهَمٌ حَشَوًا بِلَا كَيْلٍ وَلَا مِيزَانَ

إِذَنْ مَا الَّذِي أَعْطَتْهُ جِيْمٌ التَّجْهَمُ؟ الْجَوَابُ: لَا شَيْءَ، أَي: تَعْطِيلُ اللَّهِ حَقِيقَةً.

لَكِنْ أَتَيْتَنَّ أَشَدُّ: جِيْمُ الْجَبْرِ، أَوْ جِيْمُ الْإِرْجَاءِ، أَوْ جِيْمُ التَّجْهَمِ؟ الْجَوَابُ:

كُلُّهُنَّ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ يَكُونُ الْكُفْرُ عِنْدَهَا، نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْحَمَايَةَ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانَا مِمَّا ابْتَلَاهُمْ بِهِ.

٢٦٨١- تَاللَّهِ مَا اسْتَجْمَعْنَ عِنْدَ مُعْطَلٍ جِيَاتِهَا وَلَدَيْهِ مِنْ إِيْمَانٍ

وَنَحْنُ نُقْسِمُ كَمَا أَقْسَمَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّهُ مَا مِنْ إِنْسَانٍ يَعْتَقِدُ هَذَا الْاِعْتِقَادَ إِلَّا

وَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ بِلَا شَكٍّ، وَلَا نَشْكُ فِي هَذَا.

٢٦٨٢- وَالْجَهْمُ أَصْلُهَا جَمِيعًا فَاعْتَدَتْ مَقْسُومَةً فِي النَّاسِ بِالْمِيزَانِ

هُوَ أَصْلُ هَذِهِ الْأُصُولِ الثَّلَاثَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ تَقَسَّمَتْ بَيْنَ النَّاسِ، فَمَثَلًا:

التَّعْطِيلُ هَلْ اخْتَصَّ بِهِ الْجَهْمِيَّةُ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَالْإِرْجَاءُ وَالْجَبْرُ كَذَلِكَ، فَيُوجَدُ

أَنَاسٌ أَخَذُوا مِنَ الْجَبْرِ شَيْئًا، وَأَنَاسٌ أَخَذُوا مِنَ الْإِرْجَاءِ شَيْئًا، وَأَنَاسٌ أَخَذُوا مِنَ

التَّعْطِيلِ شَيْئًا، فَتَقَسَّمَهَا النَّاسُ، لَكِنْ أَصْلُ الثَّلَاثَةِ مِنْ عِنْدِ الْجَهْمِ -نَسَأَلُ اللَّهَ

الْعَافِيَةَ- فَعَلِيهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمَلَ بِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢٦٨٣- وَالْوَارِثُونَ لَهُ عَلَى التَّحْقِيقِ هُمْ أَصْحَابُهَا لَا شِيعَةَ الْإِيْمَانِ

وَهَذَا صَحِيحٌ، أَمَّا شِيعَةُ الْإِيْمَانِ فَسَالِمُونَ مِنْهَا، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

٢٦٨٤- لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ» أي: طوائفُ أهل البدع تقسّموا قوله.

قَوْلُهُ: «ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسُّهْمَانِ» يعني أَنَّ النَّاسَ أَخَذُوا مِنْ هَذَا التَّعْطِيلِ، مِنْهُمْ مَنْ عَطَّلَ سَهْمًا، سَهْمَيْنِ، ثَلَاثَةً، أَكْثَرَ، لَكِنْ أَصْلُ الْبَلَاءِ مِنَ الْجَهْمِ.

٢٦٨٥- لَكِنْ نَجَا أَهْلُ الْحَدِيثِ الْمُحْضِرِ أَتَّ بَاعُ الرَّسُولِ وَتَابِعُوا الْقُرْآنِ

٢٦٨٦- عَرَفُوا الَّذِي قَدْ قَالَ مَعَ عِلْمٍ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ فَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

٢٦٨٧- وَسِوَاهُمْ فِي الْجَهْلِ وَالِدَّعْوَى مَعَ الْكِبْرِ الْعَظِيمِ وَكَثْرَةِ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَسِوَاهُمْ» يعني: سوى أهل الحديث.

قَوْلُهُ: «فِي الْجَهْلِ وَالِدَّعْوَى» هَاتَانِ خَصْلَتَانِ ذَمِيمَتَانِ: جَهْلٌ، وَدَعْوَى كِمَالٍ.

فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ بَلْ أَهْلُ الْبَدْعِ كُلُّهُمْ عِنْدَهُمُ الْجَهْلُ الْعَظِيمُ، وَعِنْدَهُمْ دَعْوَى الْكِمَالِ، تَجَدُّ الصُّوفِيِّ مِثْلًا - وَلَا أَجْهَلُ مِنَ الصُّوفِيِّ - يَدَّعِي أَنَّهُ هُوَ الْعَالِمُ، وَهُوَ صَاحِبُ الْكِمَالِ، وَهُوَ الْعَابِدُ لِلَّهِ، وَأَنَّ مَنْ سِوَاهُ لَيْسَ عِنْدَهُ رِقَّةٌ قَلْبٍ وَلَا لِينُ قَلْبٍ وَلَا تَوَجُّهُ إِلَى اللَّهِ، وَهَكَذَا أَهْلُ الْبَدْعِ كُلُّهُمْ عِنْدَهُمْ جَهْلٌ وَدَعْوَى.

قَوْلُهُ: «مَعَ الْكِبْرِ الْعَظِيمِ» هَذِهِ هِيَ الْخَصْلَةُ الثَّلَاثَةُ، وَبِئْسَ خَصْلَةٌ.

قَوْلُهُ: «وَكَثْرَةِ الْهَدْيَانِ» هَذِهِ هِيَ الْخَصْلَةُ الرَّابِعَةُ، تَجَدُّ كَلَامًا طَوِيلًا عَرِيضًا مُزْخَرَفًا، وَلَيْسَ فِيهِ فَائِدَةٌ.

فَهَذِهِ أَرْبَعَةٌ أَوْصَافٍ: الْجَهْلُ، الدَّعَاوَى الْبَاطِلَةَ، الْكِبْرُ، الْهَدْيَانِ، هَذِهِ سِمَاتُ أَهْلِ الْبَدْعِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَسَلِّمَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

٢٦٨٨- مَدُّوا يَدًا نَحْوَ الْعُلَى بِتَكْلُفٍ وَتَخْلُفٍ وَتَكْثِيرٍ وَتَوَانٍ

يعني: هم يدعون أنهم هم أصحاب العلى، ويمدُّون أيديهم إليها، لكن مع هذه الأوصاف لا يمكن أن ينالوها؛ ولهذا قال:

٢٦٨٩- أَتَرَى يَنَالُوهَا وَهَذَا شَأْنُهُمْ؟ حَاشَا الْعُلَى مِنْ ذَا الزَّبُونِ الْفَانِي

العلی لا يناله مثل هؤلاء الزبائن، فلا ينال العلی إلا أصحاب العلی، أمّا هؤلاء فلن ينالوها.

والحقیقة أن هذا الكتاب - سبحانه الله - بین لنا أحوالاً كثيرة من أحوال البدع، ما كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهَا تَصُلُّ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، خُصُوصًا فِي هَذَا الْفَصْلِ؛ وَهَذَا نَقُولُ: جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، هُوَ أَذَاعَهَا بَعْدَ اللَّتْيَا وَالَّتِي، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَنَّهُ أَذَاعَهَا، وَصَارَ فِيهَا عِبْرَةٌ، وَتَعَجَّبَ كَيْفَ تَصُلُّ الْحَالُ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَى مَا وَصَفَ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ-!؟

فصل

فِي جَوَابِ الرَّبِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سَأَلَ الْمُعْطَلَّ وَانْتَبِتَ
 عَنْ قَوْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا

- ٢٦٩٠- وَسَلِ الْمُعْطَلَّ مَا تَقُولُ إِذَا أَتَى
 فِتْنَانِ عِنْدَ اللَّهِ يَخْتَصِمَانِ؟
- ٢٦٩١- إِحْدَاهُمَا حَكَمَتْ عَلَى مَعْبُودِهَا
 بِعُقُوبِهَا وَبِفِكْرَةِ الْأَذْهَانِ
- ٢٦٩٢- سَمَّتُهُ مَعْقُولًا وَقَالَتْ: إِنَّهُ
 أَوْلَى مِنَ الْمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ
- ٢٦٩٣- وَالنَّصُّ قَطْعًا لَا يُفِيدُ فَنَحْنُ أَوْ
 وَلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلَانِ
- ٢٦٩٤- قَالَتْ: وَقُلْنَا فِيكَ: لَسْتَ بِدَاخِلٍ
 فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الْأَكْوَانِ
- ٢٦٩٥- وَالْعَرْشُ أَخْلَيْنَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَوْ
 قَ الْعَرْشِ، لَسْتَ بِقَابِلٍ لِمَكَانِ
- ٢٦٩٦- وَكَذَلِكَ لَسْتَ بِقَائِلِ الْقُرْآنِ بَلْ
 قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
- ٢٦٩٧- وَنَسَبْتُهُ حَقًّا إِلَيْكَ بِنِسْبَةِ التُّه
 تَشْرِيفِ تَعْظِيمًا لِذِي ^(١) الْقُرْآنِ
- ٢٦٩٨- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ تَنْزِلُ فِي الدُّجَى
 إِنَّ النُّزُولَ صِفَاتُ ذِي الْجُتْمَانِ
- ٢٦٩٩- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ ذَا وَجْهِ وَلَا
 سَمْعٍ وَلَا بَصَرٍ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!
- ٢٧٠٠- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّ
 دُنْيَا وَلَا يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

(١) كذا في الأصول، وفي نسخة الإفتاء: «لذا».

- ٢٧٠١ - وَكَذَلِكَ قُلْنَا: مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ
مِنْ أَجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزَمَانٍ
- ٢٧٠٢ - مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَحْتَ
مِثْلًا عَلَى مِثْلِ بِلَا رُجْحَانٍ
- ٢٧٠٣ - لَكِنَّ مَنَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةٍ
لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
- ٢٧٠٤ - هَذَا وَقُلْنَا مَا اقْتَضَتْهُ عَقُولُنَا
وَعُقُولِ أَشْيَاخِ ذَوِي عِرْفَانٍ
- ٢٧٠٥ - قَالُوا لَنَا: لَا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الْأَلْوَانِ
وَوَحْيِنِ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ
- ٢٧٠٦ - بَلْ فَكِّرُوا بِعُقُولِكُمْ إِنْ شِئْتُمْ
أَوْ فَاقْبَلُوا آرَاءَ عَقْلِ فُلَانٍ
- ٢٧٠٧ - فَلْأَجَلِ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظَ آ
نَارٍ وَلَا خَيْرٍ وَلَا قُرْآنٍ
- ٢٧٠٨ - إِذْ كُلُّ تِلْكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ
مَعْرُوزَةٌ عَنِ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

الشرح

يقول ابن القيم - رحمه الله - في هذا الفصل:

٢٦٩٠ - وَسَلِ الْمُعْطَلَّ مَا تَقُولُ إِذَا أَتَى فِتْنَانَ عِنْدَ اللَّهِ يَخْتَصِمَانِ؟

إنه سيجتمع عند الله يوم القيامة فتنان تختصمان في الله: فئة معطلة، وفئة مثبتة، أما المعطلة فحكّموا العقل، وتركوا النقل؛ ولذا قال:

٢٦٩١ - إِحْدَاهُمَا حَكَمَتْ عَلَى مَعْبُودِهَا بِعُقُولِهَا وَبِفِكْرَةِ الْأَذْهَانِ

٢٦٩٢ - سَمَّيْتَهُ مَعْقُولًا وَقَالَتْ: إِنَّهُ أَوْلَى مِنَ الْمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ

قوله: «سَمَّيْتَهُ مَعْقُولًا» أي: موصوفًا بمقتضى العقل.

قَوْلُهُ: «وَقَالَتْ: إِنَّهُ» أي: ما دلت عليه العقول (أَوْلَى مِنَ الْمَنْصُوصِ بِالْبُرْهَانِ) يعني أن المعقول عندهم أَوْلَى مِنَ الْمَنْقُولِ.

٢٦٩٣- وَالنَّصُّ قَطْعًا لَا يُفِيدُ فَنَحْنُ أَوْ لَنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّصُّ قَطْعًا لَا يُفِيدُ» ماذا يفيد؟ الجواب: يفيد الظن، يعني: والنص لا يفيد قطعاً، هذا معنى البيت.

قَوْلُهُ: «فَنَحْنُ أَوْلْنَا وَفَوَّضْنَا لَنَا قَوْلَانِ» يعني: سَلَكْنَا فِي هَذِهِ الْمَنْصُوصِ أَحَدَ مَسْلُوكَيْنِ: إِمَّا التَّأْوِيلَ، وَإِمَّا التَّفْوِيزَ، مَعَ أَنَّ مَا يُسْمَوْنَ تَأْوِيلًا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ تَحْرِيفٌ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ لَا يَدُلُّ عَلَيْهِ.

٢٦٩٤- قَالَتْ: وَقُلْنَا فِيكَ: لَسْتَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجِ الْأَكْوَانِ

٢٦٩٥- وَالْعَرْشُ أَخْلَيْتَاهُ مِنْكَ فَلَسْتَ فَوْقَ الْعَرْشِ، لَسْتَ بِقَابِلٍ لِمَكَانِ

٢٦٩٦- وَكَذَلِكَ لَسْتَ بِقَابِلِ الْقُرْآنِ بَلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ قَدْ قَالَهُ بَشَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ» أي: مُحَمَّدٌ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ -.

وهذا كقول إمامهم: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٢٥].

٢٦٩٧- وَنَسَبْتُهُ حَقًّا إِلَيْكَ بِنِسْبَةِ التَّوْحِيدِ تَشْرِيفٍ تَعْظِيمًا لِذِي الْقُرْآنِ

يعني: نَسَبْتُ الْقُرْآنَ إِلَيْكَ نِسْبَةً تَشْرِيفٍ فَقَطْ، لَا عَلَى أَنَّهُ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِكَ، فَقَوْلُنَا: (القرآنُ كَلَامُ اللَّهِ) كقولنا: (ناقةٌ صالحٌ ناقةُ اللَّهِ).

٢٦٩٨- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ تَنْزِلُ فِي الدُّجَى إِنَّ النُّزُولَ صِفَاتُ ذِي الْجُحْمَانِ

٢٦٩٩- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَسْتَ ذَا وَجْهِ وَلَا سَمْعٍ وَلَا بَصِيرٍ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!
وَكُلُّ هَذَا سَبَقُ.

٢٧٠٠- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَلَا يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي
هَاهُنَا مَسْأَلَتَانِ:

المسألة الأولى: قوله: «لَا تُرَى فِي هَذِهِ الدُّنْيَا»، وهذه المسألة اختلف فيها علماء السلف، هل يرى الله في الدنيا أو لا؟
واختلافهم ليس لكلٍ أحدٍ، بل للنبي ﷺ هل رأى ربه أو لا؟

والراجح أنه لم ير الله - سبحانه وتعالى -، وقد سُئِلَ هو نفسه - صلوات الله وسلامه عليه -: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قال: «رَأَيْتُ نُورًا»^(١)، وفي لفظ قال: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٢)؛ لأنَّ بيننا وبين الله حُجْبًا عَظِيمَةً مِنَ النُّورِ، لَا يُرَى مِنْ ورائِهَا الرَّبُّ - جَلَّ وَعَلَا -؛ ولهذا لَمَّا قَالَ مُوسَى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣] اندكَّ الجبلُ لعظمة الله ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: عُشِي عَلَيْهِ ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ففي الدنيا لا أحد يقوم برؤية الله أبدًا، ولا يستطيعُ.

وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَدَدَّنَا﴾^(٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴿ [النجم: ٨-٩] فالمرادُ به جبريلُ على القولِ الراجحِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).
(٢) هو رواية من الحديث السابق.

وما ورد من أن بعض السلف يرى الله في المنام، فالله أعلم، فأنا متوقِّفٌ في هذا، وإلا فقد نُسِبَ هذا القول للإمام أحمد، أما النبي ﷺ فقد رأى ربه في المنام^(١).

المسألة الثانية: قوله: «وَلَا يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي» يعني: في الآخرة لا يُرى، وهذا لم يقل به أحدٌ من أهل السُّنَّةِ، بل اتَّفَقَ أهلُ السُّنَّةِ على أن الله تعالى يُرى يوم القيامة عيانًا بالبصر كما تُرى الشمسُ.

٢٧٠١- وَكَذَلِكَ قُلْنَا: مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ أَجْلِهَا خَصَّصْتَهُ بِزَمَانٍ

يعني: ليس لفعل الله حكمةً، من أجلِ هذه الحكمة خصَّ الفعل بهذا الزمان المعين.

فأفعال الله عزَّ وجلَّ تتجدَّد، يفعلُ هذا في يومٍ، ولا يفعله في يومٍ آخر.

لماذا فعله في هذا اليوم؟ الجواب: لحكمةٍ اقتضت تخصيصه في هذا اليوم.

لماذا رَضِيَ عن هذا الرجلٍ دون ذلك الرجل؟ الجواب: لحكمةٍ اقتضت

الرَّضَى؛ ولهذا قال: (مَا لِفِعْلِكَ حِكْمَةٌ مِنْ أَجْلِهَا)، أي: من أجلِ هذه الحكمة

(خصَّصته) أي: الفعل خصَّصته بزمان، يعني: نحن نؤمنُ بأنَّ الله خصَّ هذا

الزمنَ بهذا الفعل لحكمة.

فمثلاً: النزول إلى السماء الدنيا متى يكون؟ الجواب: في ثلث الليل الآخر،

لماذا خصَّه الله بهذا؟ الجواب: لحكمةٍ؛ لأنَّ هذا الجزء من الليل أطيبُ ما يكونُ

الإنسانُ فيه نومًا ولذة نوم، فإذا هجر الإنسانُ فراشه وقام يناجي الله في صلاته

كان هذا دليلًا على كمالِ إيمانه.

(١) كما في حديث: «إِنِّي نَعَسْتُ فَاسْتَشَقَلْتُ نَوْمًا فَرَأَيْتُ رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ؟ فَقَالَ: فِيْمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ

الأعلى؟». أخرجه الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة (ص)، رقم (٣٢٣٤).

٢٧٠٢- مَا تَمَّ غَيْرُ مَشِيئَةٍ قَدْ رَجَّحَتْ مِثْلًا عَلَى مِثْلِ بِلَا رُجْحَانٍ
يقولون: إن الله عز وجل يفعل الشيء بمشيئته لمجرد المشيئة، شاء أن يكون
هذا فكان، و شاء ألا يكون الثاني فلم يكن، لكن ليس هناك حكمة.

٢٧٠٣- لَكِنَّ مَنَّا مَنْ يَقُولُ بِحِكْمَةٍ لَيْسَتْ بِوَصْفٍ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
هذا قول آخر لهم، يقولون: إن الله يفعل لحكمة، لكن ليست الحكمة
وصفاً له؛ لأنه لا تقوم به الصفات، فهي شيء منفصل بآئن يتعلق بالمفعول
لا بالفعل.

فمثلاً: الأنعام خلقها الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفءٌ
وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل:٥] فيقولون: الحكمة ليست صفة الله، ولكن في
نفس المفعول، لا في فعل الفاعل.

٢٧٠٤- هَذَا وَقُلْنَا مَا افْتَضْتَهُ عَقُولُنَا وَعُقُولِ أَشْيَاحِ ذَوِي عِرْفَانٍ

٢٧٠٥- قَالُوا لَنَا: لَا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الْوَحِيِّينَ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا لَنَا» مِنَ الَّذِينَ قَالُوا لَهُمْ؟ الْجَوَابُ: الْأَشْيَاحُ.

قَوْلُهُ: «لَا تَأْخُذُوا بِظَوَاهِرِ الْوَحِيِّينَ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ» أَعُوذُ بِاللَّهِ، يَقُولُ
هؤلاء الأشياخ: إن أخذتم بظواهر الوحيين، وقلتم: لله يد، والله وجه، والله عين،
والله نزول، انسلختم من الإيمان؛ لأنهم يدعون أن هذا القول يستلزم تمثيل الله
بالخلق، ومن مثل الله بخلقه فهو كافر.

٢٧٠٦- بَلْ فَكَّرُوا بِعُقُولِكُمْ إِنْ شِئْتُمْ أَوْ فَاقْبَلُوا آرَاءَ عَقْلِ فُلَانٍ

٢٧٠٧- فَلْأَجَلٍ هَذَا لَمْ نُحَكِّمْ لَفْظًا آ نَارٍ وَلَا خَيْرٍ وَلَا قُرْآنٍ

٢٧٠٨- إِذْ كُلُّ تِلْكَ أَدْلَةٌ لَفْظِيَّةٌ مَعْرُوْلَةٌ عَنِ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

يعني: لا ترجعوا للقرآن والسنة في إثبات الصفات لله، أو نفيها عنه، بل فكّر بعقلك، كأنك لا تقدر، إذن قلّد عقل فلان.

وكلّ هذا الفصل للخصم، والخصم هنا هم المعطلّة.

فصل

- ٢٧٠٩- وَالْآخِرُونَ أَتَوْا بِمَا قَدْ قَالَهُ
 ٢٧١٠- قَالُوا: تَلَقَيْنَا عَقِيدَتَنَا عَنِ الْـ
 ٢٧١١- فَالْحُكْمُ مَا حَكَمَ بِهِ لَا رَأْيُ أَهْـ
 ٢٧١٢- آرَأَوْهُمْ أَحَدًا هَذَا الدِّينِ نَا
 ٢٧١٣- آرَأَوْهُمْ رِيحَ الْمَقَاعِدِ أَيَّنَ تَلْـ
 ٢٧١٤- قَالُوا: وَأَنْتَ رَقِيبِنَا وَشَهِيدُنَا^(٢)
 ٢٧١٥- إِنَّا أَبِينَا أَنْ نَدِينَ بِيَدَعَةٍ
 ٢٧١٦- لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ أَوْ قَالَهُ
 ٢٧١٧- وَكَذَلِكَ فَارَقْنَاهُمْ حِينَ احْتِيَا
 ٢٧١٨- كَيْلًا نَصِيرَ مَصِيرَهُمْ فِي يَوْمِنَا
 ٢٧١٩- فَمَنْ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ؟
 ٢٧٢٠- لَا بُدَّ أَنْ نَلْقَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ
 مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا كِثْمَانٍ
 — وَوَحْيَيْنِ بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 لِـ الْاِخْتِلَافِ وَظَنَّ ذِي الْحُسْبَانِ
 قِصَّةً لِأَصْلِ طَهَارَةِ^(١) الْإِيمَانِ
 كِ الرِّيحُ مِنْ رَوْحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ؟
 مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
 وَضَلَالَةٍ أَوْ إِفْكَ ذِي بُهْتَانِ
 مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالْفُرْقَانِ
 جِ النَّاسِ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
 هَذَا وَنَطْمَعُ مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ
 فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
 فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

(١) في نسختي ابن سحمان: «ظاهر».

(٢) في نسختي ابن سحمان: «قالوا: وأين رقيبنا وشهيد».

- ٢٧٢١- وَهَنَّاكَ يَسْأَلُنَا جَمِيعًا رَبَّنَا
 وَلَدَيْهِ قَطْعًا نَحْنُ مُحْتَصِمَانِ
 ٢٧٢٢- فَتَقُولُ: قُلْتَ كَذَا وَقَالَ نَبِينَا
 أَيْضًا كَذَا فِيمَا مَنَّا الْوَحِيَانِ
 ٢٧٢٣- فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلٌ بَعْدَ ذَا
 نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
 ٢٧٢٤- أَفْتَقَدِرُونَ عَلَيَّ جَوَابٍ مِثْلِ ذَا
 أَمْ تَعْدِلُونَ إِلَيَّ جَوَابٍ ثَانِ
 ٢٧٢٥- مَا فِيهِ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 بَلْ فِيهِ قُلْنَا مِثْلَ قَوْلِ فُلَانِ
 ٢٧٢٦- وَهُوَ الَّذِي أَدَّتْ إِلَيْهِ عُقُولُنَا
 لَمَّا وَرَزْنَا الْوَحْيَ بِالْمِيزَانِ
 ٢٧٢٧- إِنْ كَانَ ذَلِكُمْ الْجَوَابُ مُحَلِّصًا
 فَاْمُضُوا عَلَيْهِ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ
 ٢٧٢٨- تَاللَّهِ مَا بَعَدَ الْبَيَانَ^(١) لِمُنْصِفٍ
 إِلَّا الْعِنَادُ وَمَرْكَبُ الْخِذْلَانِ

الشرح

هذا الفريق الثاني، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم.

٢٧٠٩- وَالْآخَرُونَ أَتَوْا بِمَا قَدْ قَالَهُ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا كِتْمَانِ

قَوْلُهُ: «قَالَ» الضمير في (قال) يعود على الله عز وجل.

٢٧١٠- قَالُوا: تَلَقَيْنَا عَقِيدَتَنَا عَنِ الْوَحْيَيْنِ بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

هذا مصدر تلقى العقيدة من الكتاب والسنة، وليس هناك مصدر تلقى سواهما.

٢٧١١- فَالْحُكْمُ مَا حَكَمَّا بِهِ لَا رَأْيَ أَهْلٍ لِي الْأَخْتِلَافِ وَظَنُّ ذِي الْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «الْحُكْمُ مَا حَكَمَّا بِهِ» أي: الكتاب والسنة.

(١) في نسخة برلين: «الزمان».

٢٧١٢- آرَأَوْهُمْ أَحَدَاتُ هَذَا الدِّينِ نَا قِصَّةٌ لِأَصْلِ طَهَارَةِ الإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «آرَأَوْهُمْ أَحَدَاتُ» (أَحَدَاتُ): جمع (حَدَثٌ)، والحَدَثُ يَنْقُضُ الوُضُوءَ،
وآرَاءُ هَؤُلَاءِ تَنْقُضُ أَصْلَ طَهَارَةِ الإِيمَانِ.

والْحَدَثُ هُوَ البَوْلُ والغَائِطُ، فَالبَوْلُ والغَائِطُ يَنْقُضَانِ الوُضُوءَ، وَهَذِهِ
الأَحْدَاتُ الَّتِي أَتَوْا بِهَا تَنْقُضُ أَصْلَ طَهَارَةِ الإِيمَانِ.

٢٧١٣- آرَأَوْهُمْ رِيحُ المَقَاعِدِ أَيَنْ تِلْكَ كَ الرِّيحِ مِنْ رُوحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ؟
قَوْلُهُ: «آرَأَوْهُمْ رِيحُ المَقَاعِدِ» رِيحُ المَقَاعِدِ طَيِّبَةٌ أَوْ خَبِيثَةٌ؟ الجَوَابُ: خَبِيثَةٌ.

قَوْلُهُ: «أَيْنَ تِلْكَ الرِّيحُ مِنْ رُوحٍ وَمِنْ رِيحَانٍ؟!» اللهُ أَكْبَرُ، بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ
السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

٢٧١٤- قَالُوا: وَأَنْتَ رَقِيبُنَا وَشَهِيدُنَا مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
قَوْلُهُ: «قَالُوا» أَي: الآخِرُونَ.

قَوْلُهُ: «وَأَنْتَ» يَخَاطَبُونَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

وَفِي قَوْلِهِمْ: «مِنْ فَوْقِ عَرْشِكَ» إِثْبَاتُ الاسْتِوَاءِ عَلَى العَرْشِ، وَأَوْلَئِكَ القَوْمُ
السَّابِقُونَ فِي الفِصْلِ الأَوَّلِ لا يُقَرُّونَ بِهَذَا.

٢٧١٥- إِنَّا أَبِينَا أَنْ نَدِينَنَّ بِبِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ أَوْ إِنْكَ ذِي بُهْتَانٍ

٢٧١٦- لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ أَوْ قَالَهُ مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ» يَعْنِي: نَدِينُ بِمَا قَدْ قُلْتَهُ.

قَوْلُهُ: «أَوْ قَالَهُ مَنْ قَدْ أَتَانَا عَنْكَ بِالْفُرْقَانِ» يَعْنِي الرِّسُولَ ﷺ.

يعني: لا ندينُ إلا بقولِ الله أو قولِ رسوله.

٢٧١٧- وَكَذَلِكَ فَارَقْنَاهُمْ حِينَ اخْتِيَا جِ النَّاسِ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

قَوْلُهُ: «فَارَقْنَاهُمْ» أي: فارقنا الفريقَ الأوَّلَ، وهم أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «حِينَ اخْتِيَا جِ النَّاسِ لِلْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ» يعني: مع حاجتنا إليهم

فارقناهم؛ لأننا فارقناهم لله، فنحن مستغنون بالله عنهم.

٢٧١٨- كَيْلًا نَصِيرَ مَصِيرَهُمْ فِي يَوْمِنَا هَذَا وَنَطْمَعُ مِنْكَ بِالْغُفْرَانِ

يعني: فارقناهم مع الحاجة إليهم؛ لئلا يصيرَ مصيرنا كمصيرهم في هذا

اليوم، فنحن نطمعُ منك بالغفران.

ثُمَّ قَالَ يَخَاطِبُ الْفَرِيقَ السَّابِقَ ذَكَرَهُ:

٢٧١٩- فَمَنْ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ؟ فَاخْتَرْ لِنَفْسِكَ يَا أَحَا الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «فَمَنْ الَّذِي مِنَّا أَحَقُّ بِأَمْنِهِ؟» أي: مَنْ: أولئك القوم أو هؤلاء؟

الجواب: هؤلاء القوم - بلا شك - أحقُّ بذلك، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ

يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

٢٧٢٠- لَا بُدَّ أَنْ نَلْقَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

نعم، والله لا بُدَّ أَنْ نَلْقَى خصومتنا يومَ العرضِ على الله في ذلك اليوم العظيم

الشأن، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَقِيهِ﴾

[الانشقاق: ٦].

٢٧٢١- وَهَنَّاكَ يَسْأَلُنَا جَمِيعًا رَبُّنَا وَلَدَيْهِ قَطَعْنَا نَحْنُ مُحْتَصِمَانِ

٢٧٢٢- فَنَقُولُ: قُلْتَ كَذَا وَقَالَ نَبِينَا أَيضًا كَذَا فِيمَا مَنَا الْوَحْيَانِ

٢٧٢٣- فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلٌ بَعْدَ ذَا نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ

يعني: نحن حَكَمْنَا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَافْعَلْ بِنَا مَا أَنْتَ أَهْلُهُ بَعْدَ هَذَا، وَمَا هُوَ الَّذِي أَهْلُهُ؟ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى، وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ، وَأَهْلُ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ.

٢٧٢٤- أَفْتَقِدِرُونَ عَلَى جَوَابٍ مِثْلِ ذَا أَمْ تَعْدِلُونَ إِلَى جَوَابٍ ثَانٍ

٢٧٢٥- مَا فِيهِ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ بَلْ فِيهِ قُلْنَا مِثْلَ قَوْلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «أَفْتَقِدِرُونَ» يَخَاطَبُ الْفِتْيَةَ السَّابِقَ ذِكْرُهَا.

٢٧٢٦- وَهُوَ الَّذِي أَدَّتْ إِلَيْهِ عُقُولُنَا لَمَّا وَزَّنَّا الْوَحْيَ بِالْمِيزَانِ

يعني: وَزَّنَّا بَيْنَ الْوَحْيِ وَبَيْنَ الْعَقْلِ فَرَجَّحْنَا الْعَقْلَ.

٢٧٢٧- إِنْ كَانَ ذَلِكَ الْجَوَابُ مُخْلِصًا فَاْمُضُوا عَلَيْهِ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

والجواب ليس بِمُخْلِصٍ، لَكِنَّ ابْنَ الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَتَهَكَّمُ بِهِمْ، فَيَقُولُ: (يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ) وَمَا أَبْعَدَهُمْ عَنِ الْعِرْفَانِ!

٢٧٢٨- تَاللَّهِ مَا بَعْدَ الْبَيَانِ لِمُنْصِفٍ إِلَّا الْعِنَادُ وَمَرْكَبُ الْخِذْلَانِ

إِذَنْ هَذَانِ الْخِصْمَانِ حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ الْأَدْلَةُ الشَّرْعِيَّةُ الرَّابِعُ مِنْهُمَا هُوَ الْخِصْمُ الثَّانِي ذِكْرًا، السَّابِقُ مَرْتَبَةً، وَالْخَاسِرُ هُوَ الْأَوَّلُ ذِكْرًا الْآخِرُ مَرْتَبَةً.

فَأَنْتَ الْآنَ اخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ هَؤُلَاءِ أَوْ مِثْلَ هَؤُلَاءِ، وَكُلُّ عَاقِلٍ سَوْفَ يَخْتَارُ أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ حَكَمُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ.

فصل

فِي تَحْمِيلِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ لِلْمُعْطَلِينَ شَهَادَةَ تُوَدَّى عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

- ٢٧٢٩- يَا أَيُّهَا الْبَاغِي عَلَى أَتْبَاعِهِ
بِالظُّلْمِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ
٢٧٣٠- قَدْ حَمَلُوكَ شَهَادَةً فَأَشْهَدُ بِهَا
إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا لَدَى الرَّحْمَنِ
٢٧٣١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ إِنْ سُئِلْتَ بِأَتْمِهِمْ
قَالُوا: إِلَهُ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ
٢٧٣٢- فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَقًّا عَلَى الْ
عَرْشِ اسْتَوَى سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!
٢٧٣٣- وَالْأَمْرُ يَنْزِلُ مِنْهُ ثُمَّ يَسِيرُ فِي الْ
أَقْطَارِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!
٢٧٣٤- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِهِ
مِنْ طَيِّبَاتِ الْقَوْلِ وَالشُّكْرَانِ
٢٧٣٥- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ وَقَبْلَهُ
عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ
٢٧٣٦- وَكَذَلِكَ الْأَمْلاكُ تَصْعَدُ دَائِمًا
مِنْ هَاهُنَا حَقًّا إِلَى الدِّيَانِ
٢٧٣٧- وَكَذَلِكَ رُوحُ الْعَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا
تَرْقَى إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيْمَانٍ
٢٧٣٨- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
٢٧٣٩- سَمِعَ الْأَمِينَ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَذَى
دَاهُ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
٢٧٤٠- هُوَ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةٌ
لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
٢٧٤١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ

- ٢٧٤٢ - سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولَ كَلَامَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ مَسْمَعَ الْأَذَانِ
 ٢٧٤٣ - وَاشْهَدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ نَادَاهُ^(١) بِلَا كِتْمَانٍ
 ٢٧٤٤ - وَاشْهَدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ نَادَى قَبْلَهُ الْأَبْوَانَ
 ٢٧٤٥ - وَاشْهَدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقَلَانِ
 ٢٧٤٦ - وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ٢٧٤٧ - وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ
 ٢٧٤٨ - وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ: ﴿حَم﴾ مَعَ ﴿طه﴾ وَمَعَ ﴿يس﴾ قَوْلَ^(٢) بَيَانَ

الشرح

في هذه الآيات يقول المؤلف - رحمه الله -: إنَّ أهل السُّنَّة حَمَلُوا أَهْلَ الْبِدْعَةِ
 إن كانت تُقْبَلُ شهادتهم هذا الحِمل، حَمَلُوهم الشَّهادة، يقول:

٢٧٢٩ - يَا أَيُّهَا الْبَاغِي عَلَى أَتْبَاعِهِ بِالظُّلْمِ وَالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

الباغي على أتباع الرسول - عليه الصلاة والسلام - بالظلم والبُهتان
 والعدوان، وهذا وصفُ أهلِ الْبِدْعِ بالنسبة لأهلِ السُّنَّة.

٢٧٣٠ - قَدْ حَمَلُوكَ شَهَادَةً فَاشْهَدْ بِهَا إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا لَدَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «إِنْ كُنْتَ مَقْبُولًا» وهو غيرُ مقبول.

(١) في نسخ برلين والظاهرية والإفتاء وابن سحمان والتميمورية زيادة «ناداه وناجاه».

(٢) في نسختي ابن سحمان «بقول».

٢٧٣١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ إِنْ سُئِلْتَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا: إِلَهُ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

٢٧٣٢- فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى حَقًّا عَلَى الْ عَرْشِ اسْتَوَى سُبْحَانَ ذِي السُّلْطَانِ!

قَوْلُهُ: «وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ» لَعَلَّهَا بِالْفَاءِ أَحْسَنَ لِلتَّفْرِيعِ أَي: فَاشْهَدُ.

قَوْلُهُ: «قَالُوا: إِلَهُ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى» هَذَا الْعَلْوُ، يَعْنِي:

أَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا اللَّهَ بِالْعَلْوِّ.

قَوْلُهُ: «حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» هَذَا فِيهِ إِثْبَاتُ الْعَلْوِّ وَإِثْبَاتُ الْإِسْتِوَاءِ،

فَهُوَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦]، وَهُوَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥].

٢٧٣٣- وَالْأَمْرُ يُنْزَلُ مِنْهُ ثُمَّ يَسِيرُ فِي الْ أَفْطَارِ سُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

قَوْلُهُ: «الْأَمْرُ يُنْزَلُ مِنْهُ» وَلَا نَزْوَلَ إِلَّا مِنْ أَعْلَى، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥].

٢٧٣٤- وَإِلَيْهِ يَصْعَدُ مَا يَشَاءُ بِأَمْرِهِ مِنْ طَيِّبَاتِ الْقَوْلِ وَالشُّكْرَانِ

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

٢٧٣٥- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعِدَ الرَّسُولُ وَقَبْلَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ

الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ ﷺ صَعِدَ إِلَى اللَّهِ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ إِلَى السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، إِلَى مَوْضِعٍ سَمِعَ فِيهِ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ، لَمْ يَصِلْهُ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ فِيمَا نَعْلَمُ.

قَوْلُهُ: «وَقَبْلَهُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ كَاسِرُ الصُّلْبَانِ» كَاسِرُ الصُّلْبَانِ، وَذَلِكَ إِذَا نَزَلَ

-عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِي آخِرِ الزَّمَانِ، فَإِنَّهُ «يَكْسِرُ الصُّلْبِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ

الجزیة»^(١)، فلا یقبل إلا الإسلام.

٢٧٣٦- وَكَذَلِكَ الْأَمْلاكُ تَصْعَدُ دَائِمًا مِنْ هَاهُنَا حَقًّا إِلَى الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «من هاهنا» أي: من الأرض.

الملائكة تصعد إلى الله عز وجل في كل آن وحین، فهي تصعد إلى الله - سبحانه وتعالى - بالأعمال، بالأرواح، وبغير ذلك من أوامره، قال الله تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤] أي: تعرج دائما وأبداً.

٢٧٣٧- وَكَذَلِكَ رُوحُ الْعَبْدِ بَعْدَ مَمَاتِهَا تَرْقَى إِلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانٍ

إذا قبض ملك الموت الروح أخذتها الملائكة، فصعدوا بها إلى السماء، فإن كان من المؤمنين - أسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم - فتحت لها أبواب السماء حتى تصعد إلى الرب عز وجل، وإن كان من الكافرين فلا تفتح له أبواب السماء، وتطرح روحه طرحاً، وترمى على الأرض رمياً، وقرأ النبي - عليه الصلاة والسلام - قوله تعالى: ﴿فَكأنما خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾^(٢) [الحج: ٣١].

٢٧٣٨- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

نعم، هذا القرآن الذي بين أيدينا كلام ربنا عز وجل تكلم به حقيقة لفظاً ومعنى.

(١) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب قتل الخنزير، رقم (٢١٠٩)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب نزول عيسى بن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد ﷺ، رقم (١٥٥).

(٢) أخرجه النسائي: كتاب الجنائز، باب ما يلقي به المؤمن من الكرامة عند خروج نفسه، رقم (١٨٣٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، رقم (٤٢٦٢).

٢٧٣٩- سَمِعَ الْأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ وَأَدَّ دَاهُ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ الْأَمِينُ» أَي: جَبْرِيلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -.

وَقَوْلُهُ: «سَمِعَ الْأَمِينُ كَلَامَهُ مِنْهُ... إلخ» هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَزُولَ الْقُرْآنِ مِنَ اللَّهِ إِلَى جَبْرِيلَ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَليْسَ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ، بَلْ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَتَكَلَّمُ بِالْقُرْآنِ حِينَ أَنْزَلَهُ فَيَسْمَعُهُ جَبْرِيلُ، ثُمَّ يَنْزِلُ بِهِ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ.

٢٧٤٠- هُوَ قَوْلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةً لَفْظًا وَمَعْنَى لَيْسَ يَنْفَرِقَانِ

وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا هَذَا كَثِيرًا، وَبَيْنَا اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي كَلَامِ اللَّهِ.

٢٧٤١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ

قَوْلُهُ: «قَدْ كَلَّمَ الْمَوْلُودَ مِنْ عِمْرَانَ» وَهُوَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

٢٧٤٢- سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلَامَهُ مِنْهُ إِلَيْهِ مَسْمَعِ الْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «سَمِعَ ابْنُ عِمْرَانَ الرَّسُولُ كَلَامَهُ» يَعْنِي: سَمِعَهُ بِأُذُنَيْهِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ بِصَوْتٍ.

٢٧٤٣- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ نَ اللَّهُ نَادَاهُ بِلَا كِسْتَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَنْبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَفَرَّقْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].

٢٧٤٤- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ نَ اللَّهُ نَادَى قَبْلَهُ الْأَبْوَانَ

قَوْلُهُ: «الْأَبْوَانَ» يَعْنِي آدَمَ وَحَوَاءَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رُبُّهُمَا إِلَهُ أَنْهَكُمَا

عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةَ ﴿ [الأعراف: ٢٢].

والتزم المؤلف - رحمه الله - في هذا البيت لغة مَنْ يُلْزِمُ المثنى الألف مطلقاً؛ لأنه قال: (نادى قبله الأبوان) ولو جرى على اللغة المشهورة لقال: (الأبوين).

٢٧٤٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ الثَّقْلَانِ
يوم القيام يتكلم عز وجل بكلام، «فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ - الثَّقْلَانِ - مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَّبَ، فَيَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدِّيَانُ»^(١).

٢٧٤٦- وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: إِنِّي أَنَا اللَّهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ» وهو موسى عليه السلام، قال الله تعالى له: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [طه: ١٤] يزعم القائلون بأن موسى سَمِعَ الصَّوْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ، فهل يمكن أن تقول الشجرة: إني أنا الله؟ الجواب: لا يمكن.

٢٧٤٧- وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ لِرَسُولِهِ: أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ ذِي الطُّغْيَانِ» قال تعالى: ﴿أَذْهَبُ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ [طه: ٢٤].

٢٧٤٨- وَاللَّهُ قَالَ بِنَفْسِهِ: ﴿حَمٌّ مَعَ طَهٍّ وَمَعَ يَسٍّ﴾ قَوْلَ بَيَانِ

هذا القرآن، قال: حتى الحروف الهجائية قالها الله عز وجل، مع أن الحروف الهجائية ليس لها معنى، ومع ذلك قالها الرب عز وجل.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤٩٥، رقم ١٦١٣٨)، والبخاري تعليقا: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ، حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبا: ٢٣].

- ٢٧٤٩- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا الْإِلَّاهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 ٢٧٥٠- وَبِكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 ٢٧٥١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ
 ٢٧٥٢- نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ الْيَقِينِ
 ٢٧٥٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا النَّبِيَّ
 ٢٧٥٤- إِنَّ الْمُعْطَلَ وَالْمُمَثَّلَ مَا هُمَا
 ٢٧٥٥- ذَا عَابِدٍ الْمَعْدُومِ لَا سُبْحَانَهُ
 ٢٧٥٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا أَنَّ
 ٢٧٥٧- وَكَذَلِكَ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الصِّفَاتِ
 ٢٧٥٨- قَالُوا: عَلِيمٌ وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَيَعْلَمُ
 ٢٧٥٩- وَكَذَا بَصِيرٌ وَهُوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْصِرُ
 ٢٧٦٠- وَكَذَا سَمِيعٌ وَهُوَ ذُو سَمْعٍ وَيَسْمَعُ
 ٢٧٦١- مُتَكَلِّمٌ وَلَهُ كَلَامٌ وَصَفُهُ
 ٢٧٦٢- وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةِ هِيَ وَصَفُهُ
 ٢٧٦٣- وَهُوَ الْمُرِيدُ لَهُ^(١) الْإِرَادَةُ هَكَذَا
- ٢٧٤٩- هَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 ٢٧٥٠- مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُذْوَانٍ
 ٢٧٥١- وَكَلَامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذَا التَّبَيُّانِ
 ٢٧٥٢- مِنْ إِفَادَةِ الْمَعْلُومِ بِالْبُرْهَانِ
 ٢٧٥٣- تَعْطِيلَ وَالتَّمْثِيلَ بِالتَّنْكِرَانِ
 ٢٧٥٤- مُتَيَقِّنِينَ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ
 ٢٧٥٥- أَبَدًا وَهَذَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ
 ٢٧٥٦- أَسْمَاءَ وَالْأَوْصَافَ لِلدِّيَانِ
 ٢٧٥٧- وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ لِلْإِيمَانِ
 ٢٧٥٨- لَمْ غَايَةَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ
 ٢٧٥٩- صِرُّ كُلِّ مَرِيٍّ وَذِي الْأَكْوَانِ
 ٢٧٦٠- مَعَ كُلِّ مَسْمُوعٍ مِنَ الْأَكْوَانِ
 ٢٧٦١- وَيُكَلِّمُ الْمَخْصُوصَ بِالرِّضْوَانِ
 ٢٧٦٢- وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَحَا السُّلْطَانَ
 ٢٧٦٣- أَبَدًا يُرِيدُ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ

(١) في نسخة برلين «وله».

٢٧٦٤- وَالْوَصْفُ مَعْنَى قَائِمٍ بِالذَّاتِ، وَالْأَسْمَاءُ أَعْلَامٌ لَهُ بِوِزَانِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - من جملة ما حمل أهل الإثبات أهل التعطيل ليشهدوا به عند الله عز وجل، قال:

٢٧٤٩- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ وَصَفُوا الْإِلَهَ بِكُلِّ مَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وهذه - والله الحمد - هي عقيدتنا، أننا نصف الله بكل وصف جاء في القرآن، ولا نجبن عن وصف الله به إذا كان الله قد وصف نفسه بذلك.

٢٧٥٠- وَبِكُلِّ مَا قَالَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا عُدْوَانِ

أيضا كل ما قاله النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - في وصف الله فإننا نصف الله به، ولا نتوقف، ولا نجبن، بل نقوله صريحا علنا ونحن مطمئنون والله الحمد.

٢٧٥١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ قَوْلَ نَبِيِّهِمْ وَكَلَامَ رَبِّ الْعَرْشِ ذَا التَّبْيَانِ

٢٧٥٢- نَصٌّ يُفِيدُ لَدَيْهِمْ عِلْمَ الْيَقِينِ مِنْ إِفَادَةِ الْمَعْلُومِ بِالْبُرْهَانِ

قول الله ورسوله نص يفيد لديهم علم اليقين إفادة المعلوم بالبرهان، وعند أولئك المعطلة أنه لا يفيد القطع ولا اليقين، فلا يفيد إلا الظن، وعرفتكم شبهاتهم السابقة، ورد المؤلف - رحمه الله - عليهم، قالوا: إن (الرسول) يحتمل معاني كثيرة، وقالوا: إن (العرش) يحتمل معاني كثيرة، و(الاستواء) يحتمل معاني كثيرة، ورد عليهم - رحمه الله - برّد مقنع سبق.

٢٧٥٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ قَابَلُوا التَّعْطِيلَ وَالتَّمْثِيلَ بِالنُّكْرَانِ
التعطيل والتمثيل طرفان، فالتعطيل نفي الصفات، والتمثيل إثباتها مع
التمثيل، فهما ضدان، أمّا أهل الإثبات فأنكروا التعطيل والتمثيل.

٢٧٥٤- إِنَّ الْمُعْطَلَّ وَالْمُمَثَّلَ مَا هُمَا مُتَيَقِّنَيْنِ عِبَادَةَ الرَّحْمَنِ
وصدق - رحمه الله-، فالمعطل لم يعبد إلهًا يقينًا، والممثل لم يعبد الله يقينًا،
فكلاهما لم يعبد الله يقينًا، لماذا؟ قال:

٢٧٥٥- ذَا عَابِدِ الْمَعْدُومِ لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَهَذَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ
قَوْلُهُ: «ذَا عَابِدِ الْمَعْدُومِ» (ذا) المِشَارُ إليه المعطلُّ، قال عنه: (عَابِدِ الْمَعْدُومِ).
قَوْلُهُ: «لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا» يعني: لا عابدَ مَنْ يُنَزَّهُ عن النقائص.
قَوْلُهُ: «وَهَذَا عَابِدُ الْأَوْثَانِ» هذا هو الثاني وهو الممثل.

٢٧٥٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَتَبَتُوا الْأَسْمَاءَ وَالْأَوْصَافَ لِلدِّيَانِ
يعني: أن أهل الإثبات (أهل الحديث) أتبتوا الأسماء والأوصاف، فيثبتون
الاسم وما دل عليه من صفة.

٢٧٥٧- وَكَذَلِكَ الْأَحْكَامُ أَحْكَامُ الصِّفَاتِ وَهَذِهِ الْأَرْكَانُ لِلْإِيمَانِ
فأثبتوا الأسماء وما تضمنته من الأوصاف، وما تضمنته هذه الأوصاف من
الأحكام، هذه أركان الإيمان باسم الله.

فالإيمان باسم الله لا بد فيه من ثلاثة أركان:

١- أن تؤمن به اسمًا لله.

٢- أن تؤمنَ بها تضمَّنه من الصفة.

٣- أن تؤمنَ بالحُكْمِ الذي يترتَّبُ على هذه الصفة.

وضرب - رحمه الله - لنا أمثلةً، فقال:

٢٧٥٨- قَالُوا: عَلِيمٌ وَهُوَ ذُو عِلْمٍ وَيَعْلَمُ غَايَةَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ

قَوْلُهُ: «قَالُوا: عَلِيمٌ» (عليم) اسم.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ ذُو عِلْمٍ» هذه صفة.

قَوْلُهُ: «وَيَعْلَمُ غَايَةَ الْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ» هذا الحكم؛ لأنَّ العلمَ يقتضي أن يكونَ هناك معلومٌ.

٢٧٥٩- وَكَذَا بَصِيرٌ وَهُوَ ذُو بَصَرٍ وَيُبْصِرُ كُلَّ مَرِيٍّ وَذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا بَصِيرٌ» أي: قالوا: (بصير) وهذا اسم.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ ذُو بَصَرٍ» هذه صفة.

قَوْلُهُ: «وَيُبْصِرُ كُلَّ مَرِيٍّ وَذِي الْأَكْوَانِ» هذا الحُكْمُ، والحكمُ والأثرُ معناهما واحدٌ، لكن الحكمُ أحسنُ.

٢٧٦٠- وَكَذَا سَمِيعٌ وَهُوَ ذُو سَمْعٍ وَيَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا سَمِيعٌ»: (سميع) اسمٌ.

قَوْلُهُ: «وَهُوَ ذُو سَمْعٍ» هذه صفةٌ.

قَوْلُهُ: «وَيَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ مِنَ الْأَكْوَانِ» هذا الحُكْمُ.

٢٧٦١- مُتَكَلَّمٌ وَلَهُ كَلَامٌ وَصَفُهُ وَيُكَلِّمُ الْمَخْصُوصَ بِالرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَكَلَّمٌ» هذا اسمٌ، لكنّه في الحقيقة ليس اسماً، بل هذا خبرٌ، يعني: تُخْبِرُ بَأَنَّهُ مُتَكَلَّمٌ؛ ولهذا ليس من أسماء الله (المتكلم)؛ لأنَّ الكلامَ يَنْقَسِمُ إلى محمود ومذموم، وأساءة الله كُلُّهَا حُسْنَى، وليس فيها ما يقتضي الذمَّ إطلاقاً، لكن يُجْبَرُ عن الله بَأَنَّهُ مُتَكَلَّمٌ، ولا يُسَمَّى مُتَكَلِّمًا.

قَوْلُهُ: «وَلَهُ كَلَامٌ وَصَفُهُ»: الكلامُ هو الوصفُ والحكمُ.

قَوْلُهُ: «وَيُكَلِّمُ الْمَخْصُوصَ بِالرِّضْوَانِ» وهذا واضحٌ، والذي لم يَرْضَ عنه هل يُكَلِّمُهُ؟ الجواب: نعم، يكَلِّمُهُ كلامَ توبيخٍ، فإنَّ الله أَخْبَرَ عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فيقول اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَالَ أَنْخَسُوا فِيهَا وَلَا تَكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

٢٧٦٢- وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصَفُهُ وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَوِيُّ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصَفُهُ» (القوي): اسمٌ، الوصف: القوة، لكن القوة ليس لها حكمٌ إلَّا إذا كانت قوةً قدرةً؛ ولهذا قال: «وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ» المؤلفُ -رحمه الله- ما أتى بحكمٍ للقوة؛ لأنَّ (القوة) من الأوصاف التي لا تتعدَّى.

(الحياة) كذلك من الأوصاف التي لا تتعدَّى، وأمَّا (العِزَّة) فهي من الأوصاف التي تتعدَّى.

على كُلِّ حالٍ تُوجَدُ أوصافٌ لا تتعدَّى الموصوف، و(القوة) من الأوصاف التي لا تتعدَّى الموصوف، وإنَّ تَعَدَّته صارت بمعنى القدرة، فتقول: (يقوى عليك)؛ فلهذا قال المؤلف: (وَعَلَيْكَ يَقْدِرُ يَا أَخَا السُّلْطَانِ).

لماذا قال: (يا أَخَا السُّلْطَانِ) لأنه - سبحانه - إذا قدر على صاحبِ السُّلْطَانِ فمن ليس له سلطانٌ من بابِ أَوْلَى، فهو يَقْدِرُ على المَلِكِ، يَقْدِرُ على الرَّئِيسِ، يَقْدِرُ على الوَازِرِ، فهو ذو سلطانٍ، وَمَنْ دونه من بابِ أَوْلَى.

٢٧٦٣- وَهُوَ الْمُرِيدُ لَهُ الْإِرَادَةُ هَكَذَا أَبَدًا يُرِيدُ صَنَائِعَ الْإِحْسَانِ قَوْلُهُ: «الْمُرِيدُ» ليس من أسائه، لكنّه مما يُخْبِرُ به عن الله، فيقال: إِنَّ الله مرِيدٌ، لكن لا يُسَمَّى به.

واعلم أن الأسماء ثلاثة أقسام:

- ١- قِسْمٌ لا يَحْمِلُ إِلَّا مَعْنَى حَسَنًا، فهذا يكون من أسائه.
 - ٢- قِسْمٌ لا يَحْمِلُ إِلَّا مَعْنَى قَبِيحًا، فهذا لا يكون من أسائه، ولا يُخْبِرُ به عنه.
 - ٣- قِسْمٌ يكون منقسمًا: يَحْمِلُ هذا وهذا، أو لا يَحْمِلُ لا هذا ولا هذا، فهذا يُخْبِرُ به عنه، ولا يُسَمَّى به، فـ(مرِيدٌ)، (متكَلِّمٌ)، (صانعٌ)، وما أشبهها، هذه يُخْبِرُ بها عن الله، ولا يُسَمَّى بها.
- (شيء) يُخْبِرُ به عن الله، ولا يُسَمَّى به، كذلك (ذات) يُخْبِرُ به عن الله، ولا يُسَمَّى به.

وقوله: «وهو المرِيد» الإرادة وصفٌ.

وقوله: «ويُرِيد» هذا حُكْمٌ.

٢٧٦٤- وَالْوَصْفُ مَعْنَى قَائِمٌ بِالذَّاتِ، وَالْأَسْمَاءُ أَعْلَامٌ لَهُ بِوِزَانِ

يقول - رحمه الله -: إِنَّ أَسْمَاءَ الله مِنْ جِهَةِ أَعْلَامٍ، وَمِنْ جِهَةِ أَوْصَافٍ، فَمِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى ذَاتِ الله أَعْلَامٌ، وَمِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الوَصْفِ القَائِمِ بِهِ أَوْصَافٌ.

فمثلاً: اسم (القدير) من حيث دلالتُه على الله عَلمٌ، ومن حيث دلالتُه على القدرة وصفٌ؛ ولهذا نقول: أسماءُ الله أعلامٌ وأوصافٌ.

ينبغي على ذلك هل هي مترادفةٌ أو متباينةٌ؟ الجواب: من حيث دلالتُها على الذات مترادفةٌ، ومن حيث دلالتُها على المعنى متباينةٌ.

فمثلاً: الحَيُّ، العليمُ، القديرُ، السَّميعُ، البصيرُ تدلُّ على ذاتٍ واحدة، لكن من حيث الأوصافُ كُلُّ واحدٍ يدلُّ على وصفٍ غير ما يدلُّ عليه الآخرُ.

إِذْ نَ أَسْمَاءُ اللَّهِ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، أَسْمَاءُ اللَّهِ مَتَبَايِنَةٌ وَمَتْرَادِفَةٌ، وَهِيَ أَعْلَامٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الذَّاتِ، وَأَوْصَافٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الْوَصْفِ الَّذِي قَامَ بِهِ.

مَتْرَادِفَةٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الذَّاتِ، وَمَتَبَايِنَةٌ مِنْ حَيْثُ دَلَّتْهَا عَلَى الْوَصْفِ وَالْمَعْنَى.

وَأَمَّا أَسْمَاءُ غَيْرِ اللَّهِ - يَعْنِي: أَسْمَاءُ النَّاسِ - فَقَدْ تَكُونُ أَعْلَامًا مُحَضَّةً، فَيُسَمَّى هَذَا الرَّجُلُ مَثَلًا (عَبْدَ اللَّهِ) وَتَجِدُهُ يَعْبُدُ الشَّيْطَانَ، وَلَا يَعْبُدُ اللَّهَ.

إِذْ نَ هَلْ دَلَّ الْأِسْمُ عَلَى مَا اشْتَقَّ مِنْهُ؟ الْجَوَابُ: لَا، فَيُسَمَّى الشَّخْصُ مُحَمَّدًا، وَتَجِدُهُ مَذْمَمًا لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَيْسَ فِيهِ خَصْلَةٌ مُحَمَّدٌ، وَيُسَمَّى الرَّجُلُ خَالِدًا وَهُوَ سِيمُوتٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ خَالِدًا، وَهَكَذَا، لَكِنْ أَسْمَاءُ اللَّهِ كُلُّهَا أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ.

- ٢٧٦٥- أَسْأَوُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ مُشْتَقَّةٌ مِنْهَا اشْتِقَاقَ مَعَانِ
 ٢٧٦٦- وَصِفَاتُهُ دَلَّتْ عَلَى أَسْمَائِهِ وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الْأَمْرَانِ
 ٢٧٦٧- وَالْحُكْمُ نَسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلِّقَا تِ تَقْتَضِي آثَارَهَا بَيَّانِ
 ٢٧٦٨- وَلَرُبَّمَا يُعْنَى بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْ آثَارِهَا يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ
 ٢٧٦٩- وَالْفِعْلُ إِعْطَاءُ الْإِرَادَةِ حُكْمَهَا مَعَ قُدْرَةِ الْفَعَالِ وَالْإِمْكَانِ
 ٢٧٧٠- فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ سُبْحَانَهُ فَجَمِيعُ هَذَا بَيْنَ الْبُطْلَانِ
 ٢٧٧١- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِهِ ذَا كُلِّهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانِ
 ٢٧٧٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُحَرَّفِ شَيْطَانِ
 ٢٧٧٣- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ نَ حَقِيقَةَ التَّأْوِيلِ فِي الْقُرْآنِ
 ٢٧٧٤- هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ لَا قَائِلُ الْهَدْيَانِ
 ٢٧٧٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ تَأْوِيلَاتِهِمْ صَرَفٌ عَنِ الْمَرْجُوحِ لِلرُّجْحَانِ
 ٢٧٧٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النَّصُوصَ صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي
 ٢٧٧٧- إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّ لَهُمْ لِمَجَازِهَا أَلْ مُضْطَرٌّ مِنْ حِسِّ وَمِنْ بُرْهَانِ
 ٢٧٧٨- فَهَذَا عِضْمَتُهَا أَبَاحَتُهُ^(١) بِغَيْرِ رِجَائِنِ لِلْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 ٢٧٧٩- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُكْفِرُونَ نَكْمَ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ

(١) في نسخة برلين: «أباحتها له».

- ٢٧٨٠- إِذْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ
 ٢٧٨١- لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْكُفْرَانِ بَلْ
 ٢٧٨٢- إِلَّا إِذَا عَانَدْتُمْ وَرَدَدْتُمْ
 ٢٧٨٣- فَهَنَّاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ
 ٢٧٨٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَثْبَتُوا الْ
 ٢٧٨٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنْ حُجَّةَ رَبِّهِمْ
 ٢٧٨٦- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ هُمْ فَاعِلُو
 ٢٧٨٧- وَالْجَبْرُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌ هَكَذَا
 ٢٧٨٨- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ إِيمَانَ الْوَرَى
 ٢٧٨٩- وَيَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا هَكَذَا
 ٢٧٩٠- وَاللَّهُ مَا إِيمَانُ عَاصِينَا كَيْبِ
 ٢٧٩١- كَلَّا وَلَا إِيمَانُ مُؤْمِنِنَا كَيْبِ
 ٢٧٩٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُخْلِدُوا
 ٢٧٩٣- بَلْ يُخْرَجُونَ بِإِذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ
 ٢٧٩٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ رَبَّهُمْ يُرَى
- لَسْتُمْ أَوْلَى كُفْرٍ وَلَا إِيمَانٍ
 لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
 قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ
 إِنْ سِ وَجِنِّ سَاكِنِي النَّيرَانِ
 أَقْدَارَ وَارِدَةً^(١) مِنَ الرَّحْمَنِ
 قَامَتْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو غُفْرَانٍ
 نَ حَقِيقَةَ الطَّاعَاتِ وَالْعِصْيَانِ
 نَفْيِ الْقَضَاءِ فَبَسَّتِ الرَّأْيَانِ
 قَوْلٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ عَقْدُ جَنَانٍ
 بِالضِّدِّ يُمَسِّي وَهُوَ ذُو نُقْصَانٍ
 إِمَانِ الْأَمِينِ مُنْزَلِ الْقُرْآنِ
 إِمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الْإِيمَانِ
 أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي حَمِيمِ^(٢) أَنْ
 وَيُدُونَهَا لِمَسَاكِينِ بِحَنَانِ
 يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

(١) في نسخة السفاريني: «وإرادة».

(٢) في نسخة برلين: «جحيم».

- ٢٧٩٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُو
لِ خِيَارُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانِ
٢٧٩٦- حَاشَا النَّبِيِّينَ الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ
خَيْرُ الرِّيَّةِ خَيْرُهُ الرَّحْمَنِ
٢٧٩٧- وَخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ
وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ
٢٧٩٨- وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ أَحَقُّ بِالنِّ
تَقْدِيمِ مِمَّنْ بَعَدَهُمْ بَيَانِ
٢٧٩٩- كُلُّ بِحَسَبِ السَّبْقِ أَفْضَلُ رُتْبَةً
مِنْ لَاحِقِ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

الشرح

- ٢٧٦٥- أَسْمَاؤُهُ دَلَّتْ عَلَى أَوْصَافِهِ
مُشْتَقَّةٌ مِنْهَا اشْتِقَاقَ مَعَانِ
٢٧٦٦- وَصِفَاتُهُ دَلَّتْ عَلَى أَسْمَائِهِ
وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الْأَمْرَانِ
تقدّم أنّ المؤلف -رحمه الله- يقول: إنّ أسماء الله تعالى متضمّنة للأوصاف وأحكامها، وضرب أمثلة لذلك، ثمّ ذكر أنّ صفاته دلّت على أسمائه، وأمّا الفعل فقال: (وَالْفِعْلُ مُرْتَبِطٌ بِهِ الْأَمْرَانِ) أي: الأسماء والصفات، فمثلاً: (السَّمِيعُ) اسمٌ دلّ على السمع وهو صفة، والفعل يسمع، ويُسمّى الحكم، ويُسمّى الأثر.

كذلك (الخالق) دلّ على الصفة، وهي الخلق، وعلى الفعل، وهو أنه يخلق.

- ٢٧٦٧- وَالْحُكْمُ نَسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلِّقًا
بِ تَقْتَضِي آثَارَهَا بَيَانِ
قَوْلُهُ: «وَالْحُكْمُ» ما معنى الحكم؟ يقول: (نَسْبَتُهَا إِلَى مُتَعَلِّقَاتٍ تَقْتَضِي آثَارَهَا
بَيَانِ) هذا الحكم، أن تُنسب إلى متعلقاتها التي تقتضي الآثار، وعلى هذا فلنا أن
نُعبر بالأحكام، ولنا أن نُعبر بالآثار.

٢٧٦٨- وَلَرَّبَّمَا يُعْنَى بِهِ الْإِخْبَارُ عَنْ أَثَارِهَا يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ
قَوْلُهُ: «وَلَرَّبَّمَا يُعْنَى بِهِ» أَي: بِالْحُكْمِ.

قَوْلُهُ: «يُعْنَى بِهِ أَمْرَانِ» إِذَنْ الْحُكْمُ أَحْيَانًا يُعْنَى بِهِ مَا يَدُلُّ عَلَى مَتَعَلِّقَاتٍ
تَقْتَضِي أَثَارَهَا، وَأَحْيَانًا يُعْنَى بِهِ الْأَثَارُ نَفْسَهَا.

فَالْمَوْلُفُ يَقُولُ: لَا بُدَّ لِكُلِّ اسْمٍ مِنْ صِفَةٍ، ثُمَّ هَذِهِ الصِّفَةُ قَدْ تَقْتَضِي الْأَثَارَ، أَي:
تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ لَهَا أَثَرٌ، وَحَيْثُ يَكُونُ لَهَا حُكْمٌ، وَقَدْ لَا تَقْتَضِي ذَلِكَ، وَحَيْثُ لَا يَكُونُ
لَهَا حُكْمٌ، فَمَا كَانَ لَازِمًا فَإِنَّهُ لَا حُكْمَ لَهُ، وَمَا كَانَ مُتَعَدِّيًا فَلَهُ حُكْمٌ، هَذَا الضَّابِطُ.

فَمَثَلًا: (الْحَيُّ) لَازِمٌ، لَا يَتَعَدَّى إِلَى الْغَيْرِ، فَلَيْسَ لَهُ حُكْمٌ؛ وَهَذَا نَقَوْلُ: اسْمُهُ
(الْحَيُّ) وَوَصْفُهُ الْحَيَاةَ، وَلَا نَقَوْلُ: الْحُكْمُ يُحْيِي؛ لِأَنَّ (يُحْيِي) فَعْلٌ لِلْمَحْيِيِّ، وَلَيْسَ
فَعْلًا لِلْحَيِّ، فَالْحَيُّ وَصْفٌ لَازِمٌ.

وَأَمَّا (الْبَصِيرُ) فَهُوَ مُتَعَدٌّ، فَالْبَصِيرُ مُتَضَمِّنٌ لَصِفَةٍ تَتَعَدَّى وَهُوَ أَنَّهُ يُبْصِرُ.

وَأَمَّا (الْعَظِيمُ) فَهُوَ لَازِمٌ، فَإِذَنْ يَدُلُّ عَلَى الْاسْمِ وَعَلَى الصِّفَةِ وَلَيْسَ لَهُ
حُكْمٌ، وَهَلُمَّ جَرًّا.

٢٧٦٩- وَالْفِعْلُ إِعْطَاءُ الْإِرَادَةِ حُكْمَهَا مَعَ قُدْرَةِ الْفَعَالِ وَالْإِمْكَانِ

الْفِعْلُ نَاتِجٌ عَنْ إِرَادَةٍ وَقُدْرَةٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَوْجَدَ فَعْلٌ بِلَا إِرَادَةٍ، وَلَا فَعْلٌ
بِلَا قُدْرَةٍ؛ وَهَذَا لَوْ أُرِدَتْ أَنْ تَسَافَرَ إِلَى بَلَدٍ وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَكَ رَاحِلَةٌ مَا اسْتَطَعْتَ
السَّفَرَ، لِمَاذَا؟ لِعَدَمِ الْقُدْرَةِ، وَلَوْ كَانَ عِنْدَكَ رَاحِلَةٌ لَكِنْ الطَّرِيقَ مَخُوفٌ، فَلَمْ تُرِدْ
السَّفَرَ، فَإِنَّ السَّفَرَ لَا يَكُونُ، لِمَاذَا؟ لِعَدَمِ الْإِرَادَةِ، وَلَوْ وَجَدْتَ الْإِرَادَةَ وَالْقُدْرَةَ
حَيْثُ يَتَحَقَّقُ الْفِعْلُ.

٢٧٧٠- فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ سُبْحَانَهُ فَجَمِيعُ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ

إذا لم يكن لله أوصافٌ فأين أحكامُ هذه الأوصاف؟ إِذَنْ لَا يَكُونُ لَهُ خَلْقٌ وَلَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ، حَتَّى الْمَخْلُوقَاتِ لَيْسَتْ خَلْقًا لِلَّهِ؛ لِأَنَّا نَعْلَمُ أَنَّ الْخَلْقَ مُتَضَمِّنٌ لَوْصِفٍ هُوَ الْخَلْقُ، وَمُتَضَمِّنٌ لِحُكْمٍ وَهُوَ يُخْلَقُ، وَأَنَّ (يُخْلَقُ) لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا بِإِرَادَةٍ وَقَدْرَةٍ، فَإِذَا انْتَفَتْ الْإِرَادَةُ وَالْقَدْرَةُ وَالْخَلْقُ وَالْحُكْمُ مَاذَا يَبْقَى؟ الْجَوَابُ: انْتَفَى كُلُّ شَيْءٍ عَنِ اللَّهِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٢٧٧١- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا بِهِمْ - ذَا كُلِّهِ جَهْرًا بِلَا كِتْمَانٍ

قَوْلُهُ: «بهذا» المشارُ إليه إثباتُ الأسماءِ والأوصافِ والأحكامِ.

٢٧٧٢- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ بُرَاءٌ مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُحَرِّفٍ شَيْطَانٍ

قَوْلُهُ: «مِنْ تَأْوِيلِ كُلِّ مُحَرِّفٍ» وَلَمْ يَقُلْ: (كُلِّ مُؤَوَّلٍ)؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ قَدْ يَكُونُ حَقًّا، أَمَّا التَّحْرِيفُ فَهُوَ بَاطِلٌ.

٢٧٧٣- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ يَتَأَوَّلُونَ نَحْوَ حَقِيقَةِ التَّأْوِيلِ فِي الْقُرْآنِ

وَالْمَرَادُ بِالتَّأْوِيلِ هُنَا غَيْرُ تَأْوِيلِ التَّحْرِيفِ، بَلِ الْمَرَادُ بِهِ التَّفْسِيرُ الْمَطَابِقُ لِمَرَادِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

٢٧٧٤- هُمْ فِي الْحَقِيقَةِ أَهْلُ تَأْوِيلِ الَّذِي يُعْنَى بِهِ لَا قَائِلُ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «قَائِلُ الْهَدْيَانِ» هُوَ الَّذِي يَتَأَوَّلُ تَأْوِيلَ التَّحْرِيفِ، أَمَّا هُمْ فَيَتَأَوَّلُونَ التَّأْوِيلَ الَّذِي يُعْنَى بِهِ الْكَلَامُ، أَيِ: التَّفْسِيرِ.

٢٧٧٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنْ تَأْوِيلَاتِهِمْ صَرَفٌ عَنِ الْمَرْجُوحِ لِلرَّجْحَانِ

وتأويلُ المحرّفِ بالعكس، صَرَفٌ عن الراجح للمرجوح.

٢٧٧٦- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النُّصُو صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي

خلافًا لأهل التحريف الذين حملوها على المجاز، أمّا أهل الحديث فحملوها على الحقيقة لا على المجاز.

٢٧٧٧- إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّهْمُ لِمَجَازِهَا أَلْ مُضْطَرٌّ مِنْ حِسٍّ وَمِنْ بُرْهَانِ

٢٧٧٨- فَهَنَّاكَ عِصْمَتُهَا أَبَاحَتْهُ بَغِيًّا رِ تَجَانُفٍ لِلِإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ

يقول: إذا وُجِدَتْ ضرورةٌ تُوجِبُ أن يُؤوّلوا أوّلوا؛ لأنّ النصوصَ معصومةً من مخالفةِ المحسوس والمعقول، فإذا كانت معصومةً من مخالفةِ المحسوس والمعقول وجاء فيها ما ظاهره مخالفةُ المحسوس والمعقول حيثنذ يتأوّلونها؛ ولذا قال: «فَهَنَّاكَ عِصْمَتُهَا أَبَاحَتْهُ» أي: أباحتُ تلك التأويل.

مثلاً قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [النحل: ٩٨] يتأوّلون: (إذا

قرأت) أي: إذا أردت أن تقرأ، وليس المعنى: إذا أتممت القراءة، لماذا يصرفون اللفظ عن ظاهره؟ الجواب: لأنّ هدي النبي ﷺ الاستعاذة قبل القراءة.

وقوله تعالى: ﴿ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ [الأحقاف: ٢٥] أي: ربح عاد،

يقولون: نؤوّل هذا عن ظاهره، فالمراد: تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ يُمكنُ تدميره بالريح؛ ولهذا

قال: ﴿ فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَكِنَهُمْ ﴾ [الأحقاف: ٢٥] فالمساكنُ لم تُدَمِّرْ، والأرضُ لم

تُدَمِّرْ، والسَّمَاءُ لم تُدَمِّرْ، والنجومُ لم تُدَمِّرْ، إذن فالعمومُ هنا يُرادُ به الخاص، هم

يتأوّلون هذا لكن بحق بلا شك.

٢٧٧٩- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُكْفِرُوا نَكُم بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ
يعني: لا يقولون: أنتم كُفَّارٌ، وإن كان قولكم كفرًا لكن لا يُكفِّرُونَكُمْ،
لماذا؟ يقول:

٢٧٨٠- إِذْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ لَسْتُمْ أَوْلِي كُفْرٍ وَلَا إِيمَانٍ
يعني: أنتم جُهَّالٌ لا تعرفون الكفرَ والإيمانَ؛ لذلك لا يقولون: أنتم كُفَّارٌ،
وإن كان ما قلتم كفرًا.

٢٧٨١- لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْكُفْرَانِ بَلْ لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
يعني: أنتم جُهَّالٌ بهذا وهذا.

٢٧٨٢- إِلَّا إِذَا عَانَدْتُمْ وَرَدَدْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

٢٧٨٣- فَهَنَّاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ إِنْسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

وهذه مسألة العذر بالجهل، هل يُعذَّرُ الإنسانُ بالجهل في أصول الدين أو لا يُعذَّرُ؟ الصواب أنه يُعذَّرُ بالجهل في أصول الدين وفروعه؛ لأنَّ الله - سبحانه وتعالى - قال: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] فقولُه: ﴿حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] لماذا؟ الجواب: لِيُعَلِّمَ النَّاسَ، فإذا كان الإنسانُ جاهلاً ولا يعرف شيئاً فإننا لا نكفِّره بذنبه إلا إذا كان ينتسبُ إلى الكفر فهو كافرٌ وحسابُه في الآخرة على الله، يعني: مثلاً: إنسان لم تبلغه الدعوة الإسلامية لكنه يعيش على النصرانية مثلاً، ولا يعرف عن الإسلام شيئاً، فهذا وإن كان جاهلاً نعامله في الدنيا معاملة الكافر النصراني، وفي الآخرة حسابُه على الله، كأهل الفترة، أمَّا إذا كان ينتسبُ إلى الإسلام، ويقول: إنه مسلمٌ، لكن يفعل ما هو كافرٌ جاهلاً أنه كافرٌ،

ولم يخبره أحدٌ بأنه كفرٌ فهذا لا نُكفِّرُه؛ للجهل، لكن إذا عاندَ وَرَدَّ قَوْلَ الرسولِ لقولِ فلانٍ، حينئذٍ قامت عليه الحُجَّةُ، فلو أخبرناه وقلنا: هذا كفرٌ لأنه سجودٌ لغيرِ الله، والسجودُ لغيرِ الله كفرٌ، فقال: لا أقبلُ هذا لأنَّ الشيخَ الفلانيَّ يشاهدني أفعُلُ هذا ولا يقولُ لي شيئاً، فأنا أتبعُ شيخي.

قلنا له: إنَّ سبَّ أبي بكرٍ وعمرَ كفرٌ، فقال: لا أقبلُ ذلك؛ لأنَّ شيخي الفلانيَّ يقولُ: سبُّ أبي بكرٍ وعمرَ قربةٌ. فهذا يُكفِّرُ؛ لأنَّ الحقَّ بلغه.

٢٧٨٤- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ قَدْ أَتَبْتُوا الْـ أَقْدَارَ وَارِدَةً مِنَ الرَّحْمَنِ خِلَافًا لِلْقَدَرِيَّةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُقَدِّرُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ.

٢٧٨٥- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ حُجَّةَ رَبِّهِمْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ وَهُوَ ذُو عُفْرَانٍ قَوْلُهُ: «حُجَّةَ رَبِّهِمْ قَامَتْ عَلَيْهِمْ» بماذا قامت؟ الجواب: بإرسال الرُّسل، فالجبرُ غيرُ واردٍ، فلا يمكنُ أن يحتجَّ الإنسانُ بالجبر؛ لأنَّ الحُجَّةَ قامت عليه.

٢٧٨٦- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ هُمْ فَاعِلُو نَ حَقِيقَةِ الطَّاعَاتِ وَالْعِضْيَانِ ٢٧٨٧- وَالْجَبْرُ عِنْدَهُمْ مُحَالٌ هَكَذَا نَفْيُ الْقَضَاءِ فَبِئْسَتِ الرَّأْيَانِ

إذِنِ الْمُؤَلَّفُ يَقُولُ: اشْهَدُ بَأَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ بَرَاءٌ مِنْ أَهْلِ الْقَدْرِ (الْقَدَرِيَّةِ) وَمِنْ أَهْلِ الْجَبْرِ (الْجَبْرِيَّةِ)، وَيَذُمُّ هَذَيْنِ الرَّأْيَيْنِ؛ وَلِذَا قَالَ: (فَبِئْسَتِ الرَّأْيَانِ).

٢٧٨٨- وَأَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَنَّ إِيْمَانَ الْوَرَى قَوْلٌ وَفِعْلٌ ثُمَّ عَقْدُ جَنَانٍ خِلَافًا لِلْمَرْجئةِ وَلِلْخَوَارِجِ، فَالْخَوَارِجُ يَرَوْنَ أَنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ وَفِعْلٌ وَاعْتِقَادٌ، لَكِنْ يَفَارِقُونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ بِأَنَّهُمْ يُكْفَرُونَ أَهْلَ الْمَعَاصِي.

٢٧٨٩- وَيَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا هَكَذَا بِالضِّدِّ يُمْسِي وَهُوَ ذُو نُقْصَانٍ
قَوْلُهُ: «يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ قَطْعًا» وفي النقص لم يقل: (قطعًا)؛ لأنَّ الزيادة
جاءت في القرآنِ صريحةً، قال تعالى: ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١] وقال
تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] أمَّا النقص فلم يردْ صريحًا
في القرآن، إنما جاء في السنَّة: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبَّ
الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»^(١)، فقال: «مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ».

ولكن نقول: إذا ثبتت الزيادة فلا زيادة إلا بنقص، فالزيادة يقابلها النقص
قطعًا، فإذا قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [التوبة: ١٢٤] نقول:
هم قبل ذلك أنقص من الآن، فما دامت الزيادة ثبتت في القرآن فالنقص قد ثبت؛
ولهذا نقول: إِنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَبَيْنَ النِّقْصِ فَقَوْلُهُ مَرْجُوحٌ، إِذِنَّ الصَّوَابُ أَنَّ
الإيمانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

٢٧٩٠- وَاللَّهُ مَا إِيمَانُ عَاصِينَا كَيْبِ — إِمَانِ الْأَمِينِ مَنْزِلِ الْقُرْآنِ

٢٧٩١- كَلَّا وَلَا إِيمَانُ مُؤْمِنِنَا كَيْبِ — إِمَانِ الرَّسُولِ مُعَلِّمِ الْإِيمَانِ

والأوَّلُ خِلَافًا لِلْمَرْجُئَةِ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ الْمَعْرِفَةُ، وَهَمَّ الْجَهْمِيَّةُ
كَمَا مَرَّ، وَإِنَّ إِيمَانَ أَفْسَقَ عِبَادِ اللَّهِ وَأَتَقَى عِبَادَ اللَّهِ عَلَى حَدِّ سِوَاءِ، وَإِنَّ إِيمَانَنَا كَيْبَانَ
جَبْرِيْلَ، وَالْمُؤْمِنُ مِنْنَا كَيْبَانَ مُحَمَّدٍ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب ترك الحائض الصوم، رقم (٣٠٤)، ومسلم: كتاب
الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بنقص الطاعات، وبيان إطلاق لفظ الكفر على غير الكفر بالله،
رقم (٨٠).

٢٧٩٢- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُجْلِدُوا أَهْلَ الْكِبَائِرِ فِي حَمِيمٍ ^(١) آنِ
خِلَافًا لِلخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي
النَّارِ.

٢٧٩٣- بَلْ يُخْرِجُونَ بِإِذْنِهِ بِشَفَاعَةٍ وَيَدُونَهَا لِـمَسَاكِينِ بَجَنَانَ
خِلَافًا لِلخَوَارِجِ وَالْمُعْتَزَلَةِ.

٢٧٩٤- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ رَبَّهُمْ يُرَى يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
خِلَافًا لِلجَهْمِيَّةِ، وَالْمُعْتَزَلَةِ، وَكَذَلِكَ الْأَشَاعِرَةُ.

٢٧٩٥- وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّ أَصْحَابَ الرَّسُولِ لِي خِيَارٌ خَلَقَ اللهُ مِنْ إِنْسَانِ

٢٧٩٦- حَاشَا النَّبِيِّينَ الْكِرَامَ فَإِنَّهُمْ خَيْرُ الرِّيَّةِ خَيْرَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَصْحَابَ الرَّسُولِ خِيَارٌ خَلَقَ اللهُ» خِلَافًا لِلرَّوَافِضِ.

٢٧٩٧- وَخِيَارُهُمْ خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ وَخِيَارُهُمْ حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ

قَوْلُهُ: «وَخِيَارُهُمْ» أَي: خِيَارُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ (خُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ).

قَوْلُهُ: «وَخِيَارُهُمْ» أَي: خِيَارُ الْخُلَفَاءِ (حَقًّا هُمَا الْعُمَرَانِ).

إِذْ أَنْ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عَثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ، هَذَا الَّذِي أَجْمَعَ عَلَيْهِ
أَهْلُ السُّنَّةِ وَإِنْ كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي التَّفَاضُلِ بَيْنَ عَثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَلَكِنْ اسْتَقَرَّ
أَمْرُهُمْ عَلَى أَنْ تَرْتِيبُهُمْ فِي الْفَضِيلَةِ كترتيبهم في الخلافة.

(١) في نسخة برلين: «جحيم».

٢٧٩٨- وَالسَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ أَحَقُّ بِالتَّـ تَقْدِيمِ مِمَّنْ بَعْدَهُمْ بَيَانِ

لقوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى﴾ [الحديد: ١٠].

٢٧٩٩- كُلُّ بِحَسَبِ السَّبِقِ أَفْضَلُ رُتْبَةً مِنْ لَاحِقِ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ
اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ.

فصل

في عهدِ المُبْتَلِينَ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ

- ٢٨٠٠- يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ وَالسَّنَنِ الَّتِي
جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
- ٢٨٠١- يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَقَوْلُهُ
وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بَيِّنَانِ
- ٢٨٠٢- اشرحْ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ
شَرَحًا يُنَالُ بِهِ ذُرَى الْإِيمَانِ
- ٢٨٠٣- وَاجْعَلْهُ مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا
قَدْ قَالَهُ ذُو الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ
- ٢٨٠٤- وَانصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَى وَانجِبْ بِهِ
حِزْبَ الضَّلَالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ
- ٢٨٠٥- وَانْعَشْ بِهِ مَنْ قَصَدُهُ إِحْيَاؤُهُ
وَاعصِمَهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانٍ
- ٢٨٠٦- وَاضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنُقَ ^(١) أَهْلِ الزَّيْغِ وَالذِّمَّةِ
تَبْدِيلِ وَالتَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ
- ٢٨٠٧- فَوَحِّقْ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي
وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ
- ٢٨٠٨- وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الْهُدَى
فَقَرَأْتُ فِيهِ أَسْطَرَ الْإِيمَانِ
- ٢٨٠٩- وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الْهَوَى
بِحَبَائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الْفُرْقَانِ
- ٢٨١٠- وَجَعَلْتَ شَرِبِي الْمَنْهَلَ الْعَذْبَ الَّذِي
هُوَ رَأْسُ مَاءِ الْوَارِدِ الظَّمَّانِ
- ٢٨١١- وَعَصَمْتَنِي مِنْ شُرْبِ سِفْلِ الْمَاءِ تَحْتِ
سِتِّ نَجَاسَةِ الْآرَاءِ وَالْأَذْهَانِ

(١) في نسخ برلين والظاهرية والسفارينية والتمورية: «واصرف بحقك عنه».

- ٢٨١٢- وَحَفِظْتَنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأَلَى
- ٢٨١٣- نَبَذُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ
- ٢٨١٤- وَأَرَيْتَنِي الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ كَيْفَ يُدْ
- ٢٨١٥- شَيْطَانُهُ فَيُظَلُّ يَنْقُشُهَا لَهُ
- ٢٨١٦- فَيُظَنُّهَا الْمَغْرُورُ حَقًّا وَهِيَ فِي التُّ
- ٢٨١٧- لِأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي
- ٢٨١٨- وَلَا أَفْضَحْنَهُمْ عَلَى رُوسِ الْمَلَا
- ٢٨١٩- وَلَا أَكْشِفَنَّ سَرَائِرًا خَفِيَتْ عَلَى
- ٢٨٢٠- وَلَا أَتَبَعَنَّهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا
- ٢٨٢١- وَلَا أَرْجُمَنَّهُمْ بِأَعْلَامِ الْهُدَى
- ٢٨٢٢- وَلَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ مَرَاصِدَ كَيْدِهِمْ
- ٢٨٢٣- وَلَا أَجْعَلَنَّ لِحُومِهِمْ وَدِمَاءَهُمْ
- ٢٨٢٤- وَلَا أَجْحِلَنَّ عَلَيْهِمْ بَعْسَاكِرِ
- ٢٨٢٥- بَعْسَاكِرِ الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْ
- ٢٨٢٦- حَتَّى يَبِينَ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ مِنَ الْ
- ٢٨٢٧- وَلَا أَنْصَحَنَّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولَهُ
- حَكَمُوا عَلَيْكَ بِشِرْعَةِ الْبُهْتَانِ
- وَتَمَسَّكُوا بِزُخَارِفِ الْهَذْيَانِ
- قِيهَا مُزْخَرَفَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ
- نَقَشَ الْمُشَبَّهِ صُورَةَ بَدَهَانِ
- تَحْقِيقِ مِثْلِ اللَّالِ فِي الْقِيَعَانِ
- وَلَأَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدَانِي
- وَلَأَفْرِيَنَّ أَدِيمَهُمْ بِلِسَانِي
- ضُعَفَاءِ خَلْقِكَ مِنْهُمْ بَيَّانِ
- حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَادَانِ؟
- رَجَمَ الْمَرِيدَ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ
- وَلَأَخْصُرَّ رِئِمَهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
- فِي يَوْمِ نَضْرِكَ أَعْظَمَ الْقُرْبَانِ
- لَيْسَتْ تَفْرُّ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ
- مَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ بِالْإِحْسَانِ
- أَوْلَى بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ؟
- وَكِتَابَهُ وَشَرَائِعَ الْإِيمَانِ

٢٨٢٨- إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ إِنْ^(١) لَمْ يَشَأْ فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-: «فَصَلِّ فِي عُهُودِ الْمُثْبِتِينَ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ» يعني: ما عاهدوا به الله، وعاهدوه عليه من بيان الحق ومحاربة الباطل وأهله.

توسّل المؤلف -رحمه الله تعالى- في هذا الفصل أولاً بما يكون وسيلة من صفات الله عزّ وجلّ على هذا الهدف العظيم النبيل، فقال:

٢٨٠٠- يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
قَوْلُهُ: «يَا نَاصِرَ الْإِسْلَامِ...» النداء موجّهٌ لله عزّ وجلّ.

قَوْلُهُ: «الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ» وهو محمد -عليه الصلاة والسلام-.

قَوْلُهُ: «بِالْفُرْقَانِ» في نسخة: (بالقرآن) والفرقان هو القرآن.

٢٨٠١- يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ وَقَوْلُهُ وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بَيَانِ
قَوْلُهُ: «يَا مَنْ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» وهو الله، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

قَوْلُهُ: «وَقَوْلُهُ وَلِقَاؤُهُ وَرَسُولُهُ بَيَانِ» أي: ولقاؤه حق، ورسوله حق، أقول ذلك بياناً وعن يقين.

(١) في نسخ برلين والسفارينية والظاهرية والتميمورية وابن سحان: «أو».

٢٨٠٢- اشْرَحْ لِدِينِكَ صَدْرَ كُلِّ مُوَحِّدٍ شَرْحًا يُنَالُ بِهِ ذُرَى الْإِيمَانِ

جزاه الله خيرًا، وتقبَّل منه، يعني: سأل الله بنُصرتَه الإسلام، وبأنه الحقُّ المبين أن يشرح لدينه صدرَ كلِّ مُوحِّدٍ إلى يوم القيامة.

٢٨٠٣- وَاجْعَلْهُ مُؤْتَمًّا بِوَحْيِكَ لَا بِمَا قَدْ قَالَهُ ذُو الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «مؤتمًّا» يعني: جاعلاً وحيك إمامًا له، لا ما قاله ذو الإفك والبهتان من أهل البدع والتعطيل.

٢٨٠٤- وَأَنْصُرْ بِهِ حِزْبَ الْهُدَى وَاكْبِتْ بِهِ حِزْبَ الضَّلَالِ وَشِيعَةَ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «وأنصر به» أي: بالموحد.

٢٨٠٥- وَأَنْعَشْ بِهِ مَنْ قَضَدَهُ إِحْيَاؤُهُ وَأَغْصِمُهُ مِنْ كَيْدِ امْرِئٍ فَتَّانٍ

قَوْلُهُ: «أنعش به» يعني: أحياه وقوه.

قَوْلُهُ: «من قاضده إحياءه» أي: إحياء الهدى.

قَوْلُهُ: «كيد» الكيد والمكر معناهما متقاربان، وهو أن يتوصل إلى الإيقاع بعدوه من غير أن يشعر به.

٢٨٠٦- وَأَضْرِبْ بِحَقِّكَ عُنُقَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالذُّبِّ وَتَبْدِيلِ وَالتَّكْذِيبِ وَالطُّغْيَانِ

أيضًا توسل بالحق الذي جاء من عند الله أن يضرب به عنق أهل الزَّيْغِ والتبديل؛ لأنَّ أهلَ الزَّيْغِ والتبديل على باطلٍ، وقد قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

٢٨٠٧- فَوَحَّقْ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَوَحَّقْ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي» الواو هنا قَسَمٌ، وَحَقُّ النعمة شكرُها، والشُّكْرُ من حقوق الله عزَّ وجلَّ، لكنَّه فعلُ العبد، فهل يجوزُ أن يُقسِمَ الإنسانُ بفعل العبد، فيقول: (وَحَقُّ نِعْمَتِكَ)؟

رَبِّنا نَقولُ: إنه يجوزُ على أساس أن حَقَّ النعمةِ وهو الشُّكْرُ أمرٌ واجبٌ، يعني: فبتأكُّد هذا الأمر الواجب لأفعلنَ كذا وكذا.

ويحتملُ أن يكونَ المرادُ: (فَبِنِعْمَتِكَ الحَقِّ) فيكون من بابِ إضافة الصفة إلى موصوفها، وإذا كان: (فَبِنِعْمَتِكَ الحَقِّ) فنعمةُ الله التي هي إنعامه من فعله، والقَسَمُ به لا بأس به.

إِذْنُ الأوَّلِ فيه شيءٌ من الإشكال، وهو أنه كيف يحلفُ بشكرِ نعمة الله وهي من فعل العبد، ولا يجوزُ أن تحلفَ بفعلك حتَّى لو كان عبادةً، فلو قلتَ: (فبعبادتي لك) أو (بصلاتي لك) لا يجوزُ.

فأنا أقول توجيهًا لكلام المؤلفِ: أن نجعلَ (حَقَّ) صفةً، فنجعلها من باب إضافة الصفة إلى موصوفها، ويكون المعنى: (فبنعمتك الحق) الثابتة التي أوليتني، ونعمةُ الله التي هي إنعامه من فعل الله عزَّ وجلَّ، وفعلُ الله يجوزُ الإقسامُ به.

ومثُلُ هذا أيضًا قولُ بعضهم: (بِحَقِّ هذا الأذان) يعني الأذانَ الحَقَّ، وإلَّا فالأذانُ نفسه ليس له حَقٌّ.

وَقَوْلُهُ: «فَوَحَّقْ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَنِي وَجَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ» كونه يُشِينِي على الله - سبحانه وتعالى - بأنَّ الله أولاه النعمةَ واضحٌ، لكن قوله: (جَعَلْتَ قَلْبِي وَاعِي الْقُرْآنِ) لا يريدُ المؤلفُ بها أن يفتخرَ بالنعمة افتخارَ علوٍّ وتكبيرٍ،

وإنما يُريد بهذا أن يتحدّث بنعمة الله.

٢٨٠٨- وَكَتَبْتَ فِي قَلْبِي مُتَابَعَةَ الْهُدَى فَقَرَأْتُ فِيهِ أَسْطُرَ الْإِيمَانِ

هذا أيضًا من باب التحدّث بنعمة الله عزّ وجلّ.

٢٨٠٩- وَنَشَلْتَنِي مِنْ حُبِّ أَصْحَابِ الْهَوَى بِحَبَائِلٍ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

وقد سبق أن ابن القيم -رحمه الله- كان في أوّل الأمر بدعيًّا حتّى منّ الله عليه بشيخ الإسلام ابن تيميّة -رحمه الله-.

٢٨١٠- وَجَعَلْتَ شَرِي الْمَنْهَلِ الْعَذْبَ الَّذِي هُوَ رَأْسُ مَاءِ الْوَارِدِ الظَّمَانِ

قَوْلُهُ: «الْمَنْهَلِ الْعَذْبَ» أَي: الْكُتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٢٨١١- وَعَصَمْتَنِي مِنْ شُرْبِ سِفْلِ الْمَاءِ تَحْتِ نَجَاسَةِ الْأَرَاءِ وَالْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «سِفْلِ الْمَاءِ» هُوَ مَا اعْتَنَقَهُ هَؤُلَاءِ النُّفَاةُ مِنْ تَحْكِيمِ الْعَقْلِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصِفَاتِهِ وَدَعْوَاهُمْ أَنَّ هَذِهِ الصِّفَةُ حَقٌّ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَهَذِهِ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ نَفَاهَا.

٢٨١٢- وَحَفِظْتَنِي مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأَلَى حَكَمُوا عَلَيْكَ بِشِرْعَةِ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «مِمَّا ابْتَلَيْتَ بِهِ الْأَلَى» أَي: النُّفَاةِ.

قَوْلُهُ: «بِشِرْعَةِ الْبُهْتَانِ» أَي: بِالْعَقْلِ، فَإِنَّ الْعَقْلَ الْفَاسِدَ لَا شَكَّ أَنَّهُ بَهْتَانٌ، وَأَمَّا الْعَقْلُ الصَّحِيحُ فَلَا يَخَالِفُ النُّقْلَ.

وَقَوْلُهُ: «الْأَلَى» يَعْنِي: الَّذِينَ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-:

جَمْعُ الَّذِي: «الْأَلَى» «الَّذِينَ» مُطْلَقًا وَبَعْضُهُمْ بِالْوَاوِ رَفَعًا نَطَقًا

٢٨١٣- نَبَدُوا كِتَابَكَ مِنْ وَرَاءِ ظُهُورِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِرِخَارِفِ الْهَدْيَانِ

هذه حالهم والعياذُ بالله، أتمهم لا يرجعون إلى الكتابِ والسُّنةِ في إثبات الصفات أو نفيها، وإنما يرجعون إلى زخارف الهديان الذي أصْلوه.

٢٨١٤- وَأَرَيْتَنِي الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ كَيْفَ يُدْ - قِيهَا مُزْخَرْفَةٌ إِلَى الْإِنْسَانِ

٢٨١٥- شَيْطَانُهُ فَيَظَلُّ يَنْقُشُهَا لَهُ نَقْشَ الْمُشَبِّهِ صُورَةً بِدِهَانِ

وهذا من نعمة الله عزَّ وجلَّ أن يجعلَ اللهُ - سبحانه وتعالى - للإنسان نورًا يهتدي به، فيرى الحقَّ حقًّا ويرى الباطلَ باطلاً، ومن سوء الطالع أن الإنسان تَعَمَّى عليه الحقائق، فلا يرى الباطلَ باطلاً ولا الحقَّ حقًّا، نسألُ الله السَّلَامَةَ.

قَوْلُهُ: «فَيَظَلُّ يَنْقُشُهَا لَهُ نَقْشَ الْمُشَبِّهِ صُورَةً بِدِهَانِ» نفرض أنه يرسمُ صورةَ شجرة، تجده يحرصُ أن تخرجَ هذه الصورةُ تامةً، إذا نظرتها كأنها تنظرُ إلى الشجرة الأصلية، هؤلاء شياطينهم ترسمُ لهم هذا الباطلَ هذا الرَّسَمَ الدقيقَ.

٢٨١٦- فَيَظُنُّهَا الْمَغْرُورُ حَقًّا وَهِيَ فِي التَّ - تَحْقِيقِ مِثْلُ اللَّالِ فِي الْقِيَعَانِ

قَوْلُهُ: «اللَّالِ» أي: السَّرَابُ، والسَّرَابُ إذا رآه الإنسانُ يظنُّه ماءً، لنفرض أنك في البرِّيَّةِ عطشانٌ، وأمامك أرضٌ سَبِيحَةٌ يكون فيها السَّرَابُ كأنه ماءٌ، فتجدك تشعرُ بنفسك أنك حَيِّتٌ؛ لأنَّ الماءَ الكثيرَ أمامك، ولكنك إذا جئتَه وجدته سرابًا كما قال اللهُ تعالى: ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَائِبًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ﴾ [النور: ٣٩].

٢٨١٧- لِأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَلَا أَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدَانِي

قَوْلُهُ: «لَأَجَاهِدَنَّ» هذه الجملة جوابُ القَسَمِ في قوله: (فَوَحَقَّ نِعْمَتِكَ) يعني: بما أنعمت عليّ أفعلُ كذا وكذا.

قَوْلُهُ: «لَأَجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي وَلَا أَجْعَلَنَّ قِتَالَهُمْ دَيْدَانِي» جزاءُ الله خيراً، وهذه علامةُ الإيِّان، أن يجاهدَ الإنسانُ أعداءَ الله، وألَّا يُكِنَّ لهم حُبًّا أبداً؛ لأنك إذا أحببتَ أعداءَ الله لَزِمَ من ذلك معاداةُ أولياءِ الله، كما قال ابن القيم -رحمه الله-^(١):

أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي حُبَّالَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانٍ

فلا بُدَّ أن نُضْمِرَ العِدَاءَ لِكُلِّ عَدُوِّ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فإن لم نفعلْ فَإِنَّ وِلَاءَنَا اللهُ غَيْرُ صَادِقٍ.

٢٨١٨- وَلَا فَضَحْنَهُمْ عَلَى رُوسِ الْمَلَا وَلَا فَرِينَّ أَدِيمَهُمْ بِلِسَانِي

قَوْلُهُ: «وَلَا فَرِينَّ أَدِيمَهُمْ» أديمهم يعني: جلودهم.

قَوْلُهُ: «بِلِسَانِي» يعني: بما أُبَيِّنُهُ من الحقِّ الذي يَدْخُضُ باطلَهُم.

٢٨١٩- وَلَا كُشِفَنَّ سَرَائِرًا خَفِيَّتْ عَلَى ضَعْفَاءِ خَلْقِكَ مِنْهُمْ بَيَّانٍ

وقد فعل -رحمه الله-، أبدى من معايبهم ما لم يُبَيِّدْهُ إِلَّا شَيْخُهُ ابنُ تَيْمِيَّةَ.

٢٨٢٠- وَلَا تَبَعَنَّهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَّادَانِ؟

قَوْلُهُ: «وَلَا تَبَعَنَّهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا» هل سيقف أم يتبعهم؟ الجواب: يتبعهم

إلى حيث انتهوا.

(١) البيت لابن القيم في هذه النونية، برقم (٣٥٠٣).

قَوْلُهُ: «حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَادَانَ؟» عَبَادَانَ: بَلَدٌ مَعْرُوفٌ فِي إِيرَانَ، وَالْمُؤَلَّفُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، يَقُولُ: أَتَبِعُهُمْ حَتَّى يُقَالَ: أَبْعَدَ عَبَادَانَ تَتَّبِعُهُمْ؟ يَعْنِي: مَنْ وِرَاءَ عَبَادَانَ، فَهُوَ يَقُولُ: أَتَبِعُهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَوْا وَلَوْ يَصِلُونَ إِلَى الصَّيْنِ.

٢٨٢١- وَلَازِمَتْهُمْ بِأَعْلَامِ الْهُدَى رَجَمَ الْمَرِيدِ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ
أَزْجَمَتْهُمْ بِثَاقِبِ الشُّهْبَانِ رَجَمَ الْمَرِيدِ، وَالْمَرِيدُ: يَعْنِي الشَّيَاطِينَ، فَالشُّهْبُ تَرْمِي مَرَدَةَ الشَّيَاطِينَ.

٢٨٢٢- وَلَاأَقْعُدَنَّ لَهُمْ مَرَايِدَ كَيْدِهِمْ وَلَاخْصُرَتْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
قَوْلُهُ: «مَرَايِدَ» الْمَرَايِدُ جَمْعُ: مَرِصِدٍ، يَعْنِي: الْمَكَانَ الَّذِي يُتَحَرَّى وَجُودُهُمْ فِيهِ أَقْعُدَنَّ لَهُمْ.

٢٨٢٣- وَلَاأَجْعَلَنَّ لِحُومِهِمْ وَدِمَائِهِمْ فِي يَوْمِ نَصْرِكَ أَعْظَمَ الْقُرْبَانَ
أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ بِذَبْحِهِمْ كَمَا يَتَقَرَّبُ النَّاسُ بِذَبْحِ الْهَدَايَا وَالْقُرْبَانَ.

وقد ذكر -رحمه الله- في النونية أن خالد بن عبد الله القسري لما خرج بالجعدي بن درهم مؤسس مقالة التعطيل، أسرَهُ ثُمَّ خَرَجَ بِهِ فِي عِيدِ الْأَضْحَى فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَحُّ بِالْجَعْدِ ابْنِ دَرَاهِمٍ، فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا»^(١). ثُمَّ نَزَلَ مِنْ عَلَى الْمَنْبَرِ فَذَبَحَهُ، وَهَذِهِ الْأُضْحِيَّةُ يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ عَنْهَا فِي النونية:

وَلِأَجْلِ ذَا ضَحَّى بِجَعْدِ خَالِدِ الْ- قَسْرِيِّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانَ

(١) الحكاية أوردها الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (٩/ ٣٨٢).

إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ كَلَّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمُ الدَّانِي
شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ اللَّهُ دَرُّكَ مِنْ أَخِي قُرْبَانَ

ونحن نشكره على تضحيته بهذا الرجل، ونرى أنها أقرب قربانٍ يتقرب به الإنسان إلى الله.

٢٨٢٤- وَلَا أَجْمَلَنَّ عَلَيْهِمْ بِعَسَاكِرٍ لَيْسَتْ تَفَرُّ إِذَا التَّقَى الرَّحْفَانِ
قَوْلُهُ: «بِعَسَاكِرٍ لَيْسَتْ تَفَرُّ» لماذا؟ لأنها قويةٌ مُريدةٌ للقتال تمامًا.

٢٨٢٥- بِعَسَاكِرِ الْوَحِيِّنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ بِالْإِحْسَانِ
٢٨٢٦- حَتَّى يَبِينَ لِمَنْ لَهُ عَقْلٌ مِنَ الْأُولَى بِحُكْمِ الْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ؟

جزاه الله خيرًا، يعني: بعدما يبين بطلانهم يبين للناس من الأولى بالعقل، هل هم أم أهل الحديث؟ ولا شك أن أهل الحديث هم أولى.

٢٨٢٧- وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ وَكِتَابُهُ وَشَرَائِعَ الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ» يعني: أنصحنَّ الله، ولو كان البيت هكذا:

وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ وَكِتَابِهِ وَشَرَائِعَ الْإِيمَانِ

لاستقام.

وقوله: «وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ» ليوافق لفظ الحديث: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِللَّهِ...»^(١)، أمّا على النسخ الموجودة في أيدينا (وَلَا نَصَحَنَّ اللَّهُ) فالمعنى: لَا نَصَحَنَّ لَهُ، فيكون منصوبًا بنزع الخافض.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، رقم (٥٥).

٢٨٢٨- إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ إِنْ لَمْ يَشَأْ فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ
وَقَوْلُهُ: «إِنْ لَمْ يَشَأْ» في نسخة: (أَوْ لَمْ يَشَأْ)، على كُلِّ حَالٍ المعنيانِ
صحيحان.

قَوْلُهُ: «إِنْ شَاءَ رَبِّي» الحمدُ لله أنَّ المؤلفَ -رحمه الله- قال: (إِنْ شَاءَ رَبِّي)؛
لأنَّ كُلَّ أَقْسَامِهِ الأولى لو لم يَقْرِنَهَا بالمشيئة لذهبت جفاءً؛ لأنَّ الرسولَ -عليه
الصلاة والسلام- قال في سليمان: «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللهُ لَمْ يَخْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا
لِحَاجَتِهِ»^(١).

والإنسانُ إذا أقسمَ على شيءٍ فينبغي له أن يَقْرِنَ قَسَمَهُ بالمشيئة ليسهل ذلك؛
ولهذا قال: (إِنْ شَاءَ رَبِّي ذَا يَكُونُ بِحَوْلِهِ).

قَوْلُهُ: «إِنْ لَمْ يَشَأْ» -وفي النسخة الثانية: أَوْ لَمْ يَشَأْ- فَالْأَمْرُ لِلرَّحْمَنِ» لأنه
إذا شاء اللهُ -سبحانه وتعالى- أن يهدي عبده فذلك بفضله وحوله، أو لم يشاء من
الأمر إليه؟ الجواب: الأمرُ له عزَّ وجلَّ، فنسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه
المستقيم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب كفارات الأيمان، باب الاستثناء في الأيمان، رقم (٦٣٤١)، ومسلم:
كتاب الأيمان، باب الاستثناء، رقم (١٦٥٤).

فصل

فِي شَهَادَةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ،
وَلَا لِلَّهِ بَيْنَنَا كَلَامٌ، وَلَا فِي الْقَبْرِ رَسُولٌ

- ٢٨٢٩- إِنَّا تَحْمَلْنَا الشَّهَادَةَ بِالَّذِي
قُلْتُمْ نُؤَدِّيهِا لَدَى^(١) الرَّحْمَنِ
مُ اللَّهُ حَقًّا يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
٢٨٣٠- مَا عِنْدَكُمْ فِي الْأَرْضِ قُرْآنٌ كَلَّا
رَبُّ يُطَاعُ بِوَاجِبِ الشُّكْرَانِ
٢٨٣١- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى
مِنْ مُرْسَلٍ وَاللَّهُ عِنْدَ لِسَانِ
٢٨٣٢- كَلَّا وَلَا فِي الْقَبْرِ أَيضًا عِنْدَكُمْ
مِنْكُمْ فَغَطُّوْهَا بِلَا رَوْعَانِ
٢٨٣٣- هَاتِيكَ عَوْرَاتٌ ثَلَاثٌ قَدْ بَدَتْ
ثَمَّةٌ بِجِسْمِ الْحَيِّ كَالْأَلْوَانِ
٢٨٣٤- فَالرُّوحُ عِنْدَكُمْ مِنَ الْأَعْرَاضِ قَا
مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاةِ ذِي الْجُتْمَانِ
٢٨٣٥- وَكَذَا صِفَاتُ الْحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ
فَإِذَا انْتَمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَيَنْتَهِي
٢٨٣٦- فَإِذَا انْتَمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْد
مَشْرُوطَةٌ بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ
٢٨٣٧- وَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ مَشْرُوطَةٌ بِهَا
رُوطٌ بِهَا عَدَمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ
٢٨٣٨- فَإِذَا انْتَمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْد

(١) في نسخة برلين وابن سحمان: «إلى».

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله-: إِنَّ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ يَشْهَدُونَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الثَّلَاثَةِ:

أَوَّلًا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ.

ثَانِيًا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ كَلَامٌ لِلَّهِ.

ثَالِثًا: أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَبْرِ رَسُولٌ.

يقول -رحمه الله-:

٢٨٢٩- إِنْ تَحَمَّلْنَا الشَّهَادَةَ بِالَّذِي قُلْتُمْ نُؤَدِّيهِا لَدَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ نُؤَدِّيهِا لَدَى الرَّحْمَنِ» لكن متى؟ الجواب: تؤديها في الدنيا وفي الآخرة؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تكلم بشيءٍ في الدنيا فقد شهد به عند الله؛ ولهذا جاء في الحديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ...»^(٢) وأما في الآخرة فظاهرٌ.

٢٨٣٠- مَا عِنْدَكُمْ فِي الْأَرْضِ قُرْآنٌ كَلَا مُمُ اللَّهُ حَقًّا يَا أُولِي الْعُدُونِ

لماذا؟ لأنهم يقولون: إنَّ القرآنَ عبارةٌ عن كلام الله، أو يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ من مخلوقات الله.

٢٨٣١- كَلَّا وَلَا فَوْقَ السَّمَوَاتِ الْعُلَى رَبُّ يُطَاعُ بِوَأَجِبِ الشُّكْرَانَ

وذلك لأنهم ينكرون علوَّ الله عزَّ وجلَّ، ويقولون إمَّا بالتعطيل المحض وإمَّا

(١) في نسخة برلين وابن سحمان: «إلى».

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم (٥٠٦٩).

بالحلول، يقولون: إنَّ اللهَ ليسَ فَوْقَ العَالَمِ، ولا تَحْتَ العَالَمِ، ولا يَمِينُ ولا شَمَالُ، ولا مَتَصِلًا ولا مَنفَصَلًا، ولا مَبَايِنًا ولا مَحَايِدًا، وهذا تَعَطِيلٌ مَحْضٌ، ومُضْمُونُهُ: أَنَّ اللهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ. أو يقولون: إنَّ اللهَ بَدَأَتْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وهذا أَيْضًا مُضْمُونُهُ: أَنَّ اللهَ لَيْسَ فِي السَّمَاءِ، فإِذْ نَ لَيْسَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ العُلَى رَبُّ يُطَاعُ بِوَأَجِبِ الشُّكْرَانِ.

٢٨٣٢- كَلَّا وَلَا فِي القَبْرِ أَيْضًا عِنْدَكُمْ مِنْ مُرْسَلٍ وَاللهُ عِنْدَ لِسَانِ قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا فِي القَبْرِ أَيْضًا عِنْدَكُمْ مِنْ مُرْسَلٍ» يعني: لا يوجد أيضًا رسولٌ في القبر.

قَوْلُهُ: «وَاللهُ عِنْدَ لِسَانٍ» يعني: أَنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- عند قولِ كُلِّ قَائِلٍ، فَكُلُّ مَنْ شَهِدَ اللهُ فَاللهُ تَعَالَى عِنْدَ شَهِادَتِهِ يَحَاسِبُهُ عَلَيْهَا.

٢٨٣٣- هَاتِيكَ عَوْرَاتٌ ثَلَاثٌ قَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوَّعَانِ قَوْلُهُ: «هَاتِيكَ» اسمُ إشارَةٍ، والمِشَارُ إِلَيْهِ مَا سَبَقَ مِنْ أَنَّهُ لَيْسَ فِي الأَرْضِ كَلَامُ اللهِ، وَلَيْسَ فَوْقَ السَّمَوَاتِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلَيْسَ فِي القَبْرِ رَسولٌ. قَوْلُهُ: «قَدْ بَدَتْ مِنْكُمْ فَغَطُّوهَا بِلَا رَوَّعَانِ» يعني: إنَّ اسْتَطَعْتُمْ فَغَطُّوا هَذِهِ العَوْرَاتِ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ.

أما العورتان الأوليان: أنه ليس في الأرضِ كلامٌ اللهُ، وأنه ليس فوق السمواتِ إلهٌ يُعْبَدُ، فقد سبق وجهها.

أمَّا الثالثةُ فوجهها ما ذكره -رحمه الله- في قوله:

٢٨٣٤- فَالرُّوحُ عِنْدَكُمْ مِنَ الأَعْرَاضِ قَا ئِمَةً بِجِسْمِ الحَيِّ كَالألْوَانِ

الرُّوحُ عند هَوْلَاءِ عَرَضَ من الأعراض: كالحرارة، والبرودة، والحركة، هذه الأشياءُ عَرَضٌ، إذا مات الإنسانُ زالت؛ ولهذا عندهم الرُّوحُ عَرَضٌ من أعراض الجسم، كاللون، وحرارة الجسم، وبرودته، ورطوبته، ويُبُوسته، وما أشبه ذلك، فإذا مات أين تذهبُ الرُّوحُ؟ الجواب: تزولُ كزوالِ بقيَّةِ الصفات.

٢٨٣٥- وَكَذَا صِفَاتُ الْحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاةِ ذِي الْجُثْمَانِ

صفاتُ الحيِّ قائمةٌ به، لكنَّها مشروطةٌ بأيِّ شيءٍ؟ الجوابُ: بحياته، لا يمكنُ أن يتحرَّك، ولا يأكل، ولا يشرب، ولا يغضب، ولا يرضى، إلَّا إذا كان حيًّا.

إِذَنْ لَا رُوحَ فِيهِ إِلَّا إِذَا كَانَ حَيًّا، وَإِذَا كَانَ مَيِّتًا فَقَدَتِ الرُّوحُ تَمَامًا كَمَا تُفْقَدُ بَقِيَّةُ الصِّفَاتِ، وَهَذَا أَحَدُ أَقْوَالِ الْقَائِلِينَ فِي الرُّوحِ: إِنَّهَا عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِ الْجِسْمِ، تَذْهَبُ بِذَهَابِ الْجِسْمِ.

فـ «صِفَاتُ الْحَيِّ قَائِمَةٌ بِهِ» الرِّسَالَةُ مَشْرُوطَةٌ بِالْحَيَاةِ، كُلُّ الصِّفَاتِ مَشْرُوطَةٌ بِالْحَيَاةِ، فَالرِّسَالَةُ وَصِفٌ مَشْرُوطٌ بِحَيَاةِ الرَّسُولِ، فَإِذَا مَاتَ زَالَتِ الرِّسَالَةُ، كَمَا أَنَّ صِفَاتِ الْجِسْمِ إِذَا مَاتَ مَاتَتْ.

إِذَنْ هَذِهِ الْجُثَّةُ الَّتِي فِي الْقَبْرِ هَلْ هِيَ رَسُولٌ أَوْ لَا؟ الْجَوَابُ: عَلَى قَوْلِهِمْ لَيْسَتْ بِرَسُولٍ؛ لِأَنَّ صِفَاتِ الْحَيِّ مَشْرُوطَةٌ بِحَيَاتِهِ، وَالْحَيَاةُ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ قَدْ قُفِدَتْ وَزَالَتْ، إِذَنْ فَالصِّفَاتُ الَّتِي لَا بُدَّ فِيهَا مِنَ الْحَيَاةِ زَالَتْ؛ وَهَذَا قَالَ:

٢٨٣٦- فَإِذَا انْتَمَتْ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَيَنْتَفِي مَشْرُوطُهَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ

إذا انتفت هذه الحياةُ انتفى مشروطُها وهو الصفاتُ؛ لأنَّ الصفاتِ من شرطها الحياةُ، فإذا قُفِدَتْ قُفِدَتِ الصفاتُ.

٢٨٣٧- وَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا كَصِفَاتِهِ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «وَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ مَشْرُوطٌ بِهَا» أي: من شرط كونه رسولاً أن يكون
حيّاً على زعمهم، فإذا مات قال:

٢٨٣٨- فَإِذَا انْتَفَتِ تِلْكَ الْحَيَاةُ فَكُلُّ مَشْرُوطٍ بِهَا عَدَمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ
قَوْلُهُ: «كُلُّ مَشْرُوطٍ بِهَا عَدَمٌ» (كُلُّ): مبتدأ مضافة إلى (مشروط)، و(عدم):
خبر المبتدأ.

إِذَنْ - على قولهم - (ليس في السماء إله يُعبد)؛ لماذا؟ لأنهم ينكرون علو الله.
■ (ليس في الأرض كلامٌ لله)؛ لأنهم يقولون: كلامٌ الله مخلوقٌ، فهو كوجود
البعير والإنسان، ولا فرق.

■ (ليس في القبر رسول)؛ لأنَّ الرسالة وصفٌ مشروطٌ بالحياة، والحياة
مفقودة؛ لأنَّ الرُّوحَ عندهم عَرَضٌ من الأعراض تفوتُ بموت الجسم، فإذا
فُقِدَتِ الرُّوحُ التي هي شرطٌ للرسالة فُقِدَتِ الرسالة، وعلى هذا فالنبي ﷺ في
قبره ليس برسولٍ، يعني: انتفى عنه وصفُ الرسالة، هذا معنى قولهم: (ليس في
القبر رسول).

هؤلاء لو قالوا: (ليس في القبر حيٌّ) نقول: هذا صحيحٌ إن أرادوا الحياة
الدنيا، أمّا إن أرادوا الحياة البرزخية فغيرٌ صحيح؛ ولهذا جاء المؤلفُ في الفصل
الذي يليه بالكلام عن حياة الأنبياء في قبورهم.

فصل

فِي الْكَلَامِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ

- ٢٨٣٩- وَلَا أَجَلَ هَذَا رَامَ نَاصِرُ قَوْلِكُمْ تَرْقِيعَهُ يَا كَثْرَةَ الْخُلُقَانِ
- ٢٨٤٠- قَالَ: الرَّسُولُ بِقَبْرِهِ حَيٌّ كَمَا قَدْ كَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَالرُّجْمَانِ
- ٢٨٤١- مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّرْبِ وَاللَّـ لِبَنَاتُ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
- ٢٨٤٢- لَوْ كَانَ حَيًّا فِي الضَّرِيحِ حَيَاتُهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ بَغَيْرِ مَا فُرْقَانِ
- ٢٨٤٣- مَا كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا وَاللَّهِ هَدَى سُنَّةَ الرَّحْمَنِ
- ٢٨٤٤- أَنْتَرَاهُ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا يُفْتِيهِمْ بِشَرَائِعِ الْإِسْمَانِ؟
- ٢٨٤٥- وَيُرِيحُ أُمَّتَهُ مِنَ الْآرَاءِ وَالْخُلْفِ^(١) الْعَظِيمِ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ
- ٢٨٤٦- أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ وَعَنِ الْجَوَابِ لِسَائِلِ لَهْفَانِ؟
- ٢٨٤٧- وَمَا كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ وَأَنْتَرَاهُ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا يُفْتِيهِمْ بِشَرَائِعِ الْإِسْمَانِ؟
- ٢٨٤٨- هَذَا وَلِمَ لَا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ أَوْضَحُوا بَيَانَ
- ٢٨٤٩- إِذْ كَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ حَيٌّ يُشَاهِدُهُمْ شُهُودَ عَيَانَ
- ٢٨٥٠- هَلْ جَاءَكُمْ أَنْتَرِبَانٌ صِحَابُهُ سَأَلُوهُ فُتْيَا وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ

(١) في نسخة السفاريني: «السخف».

- ٢٨٥١- فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابٍ حَيٍّ نَاطِقٍ
 ٢٨٥٢- هَلَّا أَجَابَهُمْ جَوَابًا شَافِيًا
 ٢٨٥٣- هَذَا وَمَا شُدَّتْ رِكَائِبُهُ عَنِ الْ
 ٢٨٥٤- مَعَ شِدَّةِ الْحِرْصِ الْعَظِيمِ لَهُ عَلَى
 ٢٨٥٥- أَتْرَاهُ يُشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلَافَهُمْ
 ٢٨٥٦- إِنْ قُلْتُمْ: سَبَقَ الْبَيَانُ صَدَقْتُمْ
 ٢٨٥٧- هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ اشْكَلَ بَعْدَهُ
 ٢٨٥٨- أَوْ مَا تَرَى الْفَارُوقَ وَدَّ بَأْنَهُ
 ٢٨٥٩- بِالْجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكِلَالَةِ
 ٢٨٦٠- قَدْ قَصَرَ الْفَارُوقُ عِنْدَ فَرِيقِكُمْ
 ٢٨٦١- أَتْرَاهُمْ يَأْتُونَ حَوْلَ ضَرْيِحِهِ
 ٢٨٦٢- وَنَبِيِّهِمْ حَيٍّ يُشَاهِدُهُمْ وَيَسْمَعُ
 ٢٨٦٣- أَفَكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ
 ٢٨٦٤- يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْ
 ٢٨٦٥- وَاللَّهِ لَا قَدْرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمْ
 فَاتُّوا إِذْنَ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا بِلِسَانٍ؟
 حُجْرَاتٍ لِلْقَاصِي مِنَ الْبُلْدَانِ
 إِزْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التَّبْيَانِ
 وَيَكُونُ لِلتَّبْيَانِ ذَا كَثْمَانٍ؟!
 قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانِ
 أَعْنِي: عَلَى عُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ
 قَدْ كَانَ مِنْهُ الْعَهْدُ ذَا تَبْيَانِ
 وَيَبْعَضُ أَبْوَابِ الرَّبِّ الْفَتَّانِ
 إِذْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ
 لِسُؤَالِ أُمَّهُمْ أَعَزَّ حَصَانِ
 مَعَهُمْ وَلَا يَأْتِي لَهُمْ بَيَانٍ؟!
 إِنْ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ الْبُنْيَانِ؟!
 مَبْعُوثٍ بِالْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
 كَلَّا وَلَا لِلنَّفْسِ وَالْإِنْسَانِ^(١)

(١) في نسختي ابن سحمان: «الإيمان».

- ٢٨٦٦- مَنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ
 ٢٨٦٧- وَلَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ
 ٢٨٦٨- أَفَجَاءَ أَنَّ اللَّهَ بَاعِثُهُ لَنَا
 ٢٨٦٩- أَثَلَاثَ مَوَاتٍ تَكُونُ لِرُسُلِهِ
 ٢٨٧٠- إِذْ عِنْدَ نَفْحِ الصُّورِ لَا يَبْقَى امْرُؤٌ
 ٢٨٧١- أَفْهَلُ يَمُوتُ الرُّسُلُ أَمْ يَبْقُوا إِذَا
 ٢٨٧٢- فَتَكَلَّمُوا بِالْعِلْمِ لَا الدَّعْوَى وَجِيـ
 ٢٨٧٣- أَوْلَمْ يَقُلْ مَنْ قَبْلَكُمْ لِلرَّافِعِيِّ الْـ
 ٢٨٧٤- لَا تَرْفَعُوا الْأَصْوَاتَ حُرْمَةَ عَبْدِهِ
 ٢٨٧٥- قَدْ كَانَ يُمَكِّنُهُمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ
 ٢٨٧٦- لَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْكُمْ
 ٢٨٧٧- وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًا إِلَى الْعَبَّاسِ يَسـ
 ٢٨٧٨- هَذَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ
 ٢٨٧٩- فَبَيْنَهُمْ حَيٌّ وَيَسْتَسْقُونَ غِيـ
- فَلَيْسَتْ تَزِي بِالصَّمْتِ وَالْكِتْمَانِ
 مَيِّتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 فِي الْقَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ؟
 وَلِغَيْرِهِمْ مَنْ خَلَقَهُ مَوْتَانِ؟!
 فِي الْأَرْضِ حَيًّا قَطُّ بِالْبُرْهَانِ
 مَاتَ الْوَرَى أَمْ هَلْ لَكُمْ قَوْلَانِ؟
 سَأُوا بِالذَّلِيلِ فَنَحْنُ ذُو أَدْهَانِ
 أَصْوَاتِ حَوْلِ الْقَبْرِ بِالنُّكْرَانِ:
 مَيِّتًا كَحُرْمَتِهِ لَدَى الْحَيَّوَانِ^(١)
 حَيٌّ فَغَضُّوا الصَّوْتِ بِالْإِحْسَانِ
 وَرَسُولِهِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
 تَسْقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدِبِ زَمَانِ
 عَرَضُ الْجِدَارِ وَحُجْرَةُ النَّسْوَانِ
 رَ نَبِيِّهِمْ حَاشَا أَوْلِيَ الْإِيمَانِ

(١) في نسختي ابن سحان «الحولان».

الشرح

المؤلف - رحمه الله - تكلم في حياة الأنبياء في قبورهم بعد أن ذكر شهادة أهل الإثبات على أهل التعطيل أنه ليس في السماء إله يُعبد، ولا بيننا كلامٌ لله، ولا في القبر رسولٌ لله، وبيّن وجه قولنا: إنه يلزم على قولهم بأن لا يكون في القبر رسولٌ لله هو أنهم يقولون: إنَّ الموتَ عَرَضٌ من الأعراض، فالموتُ كفقدِ اللون، وفقدِ الصحة، وما أشبه ذلك، فهو عَرَضٌ من الأعراض، إذا مات الإنسانُ ذهبت رُوحه، وإذا ذهبت رُوحه زال عنه وصفُ الرسالة؛ لأنَّ الرسالةَ مشروطةٌ بوجود الروح، وهذا تقدّم. بعد أن ذكر ذلك بيّن - رحمه الله - حياة الأنبياء في قبورهم، وقال: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ ليس حيًّا في قبره كحياتنا هذه؛ ولذا قال: «فَصَلِّ فِي الْكَلَامِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ» يعني: هل هم أحياء؟ وما نوع الحياة؟ قال المؤلف:

٢٨٣٩- وَلَا أَجَلَ هَذَا رَامَ نَاصِرُ قَوْلِكُمْ تَرْقِيعَهُ يَا كَثْرَةَ الْخُلُقَانِ

يعني: أن من نصر قولكم رام أن يرقعه، ولكن الترقيع لا ينفع؛ لأن الثوب الخلق خلق سواء رقع أم لم يرقع.

٢٨٤٠- قَالَ: الرَّسُولُ بِقَبْرِهِ حَيٌّ كَمَا قَدْ كَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ وَالرُّجْمَانِ

سبق قبل قليل أنهم يرون أن الروح والحياة عرض، وأنه لما مات الرسول ﷺ زالت الرسالة، فكان في القبر غير رسول.

رام من نصر قولهم أن يقول: إن الرسول ﷺ لم يمت، بل هو حي في قبره، من أجل ترقيع هذا القول، لكن لا تنفع الرقع.

قوله: «والرجمان» يعني: الحصى التي يرمم بها.

٢٨٤١- مِنْ فَوْقِهِ أَطْبَاقُ ذَاكَ التُّرْبِ وَاللِّدِّ لِبَنَاتٍ قَدْ عُرِضَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
يعني: فيكون حيًّا ولو كان تحت التراب من أجل ألا يُسَلَبَ عنه وصفُ
الرسالة.

قال المؤلف ردًّا عليهم:

٢٨٤٢- لَوْ كَانَ حَيًّا فِي الضَّرْبِ حَيَاتُهُ قَبْلَ الْمَمَاتِ بَعِيرٍ مَا فُرْقَانَ
٢٨٤٣- مَا كَانَ تَحْتَ الْأَرْضِ بَلْ مِنْ فَوْقِهَا وَاللَّهُ هَذَا هَذِي سُنَّةَ الرَّحْمَنِ

وصدق -رحمه الله-، فلو كانت حياته في قبره كحياته في الدنيا ما كان تحت الأرض، بل كان فوقها، بل ولا ما دفنه أصحابه؛ لأنه لو كان حيًّا كحياته بالدنيا ودفنه أصحابه لكانوا أكبر الجناة عليه، وهذا أمرٌ معلوم؛ فلو أمسكت شخصًا حيًّا يُرْزَقُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ ثُمَّ رَمَسْتَهُ بِالتُّرْبِ لكان هذا أعظم الجناية عليه، فلو كان حيًّا في قبره كحياته بالدنيا ما كان تحت الأرض، بل كان فوقها.

٢٨٤٤- أَتَرَاهُ تَحْتَ الْأَرْضِ حَيًّا ثُمَّ لَا يُفْتِيهِمْ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ؟
الجواب: لا، لو كان حيًّا تحت التراب كحياته بالدنيا لكان يُفْتِيهِمْ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِمُ الْأَمْرُ مع أنه لم يُفْتِيهِمْ.

قد يقولون: هو مدفونٌ ولا يسمع، قد يقولون هكذا، فنقول: حتى وإن كان الأمر كذلك فلا بُدَّ أن يسمع إذا اسْتَفْتَوْهُ لدعاء الحاجة.

٢٨٤٥- وَيُرِيحُ أُمَّتَهُ مِنَ الْأَرَاءِ وَالْخُلْفِ الْعَظِيمِ وَسَائِرِ الْبُهْتَانِ
لأنه لو كان حيًّا لأراح الأمة من هذا الخلاف العظيم الثابت بينها في العقائد والأحكام.

٢٨٤٦- أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ وَعَنِ الْجَوَابِ لِسَائِلِ لَهْفَانٍ؟

٢٨٤٧- وَعَنِ الْحَرَكَ، فَمَا الْحَيَاةُ اللَّاتِ قَدْ أَثْبَتُّوهَا؟ أَوْضِحُوا بَيَانَ

قَوْلُهُ: «أَمْ كَانَ حَيًّا عَاجِزًا عَنِ نُطْقِهِ؟» الجواب: لا؛ لأنه لو كان حياً لكان لصار ناطقاً، فمن أهم الأوصاف الحياتية النطق.

قَوْلُهُ: «وَعَنِ الْحَرَكَ» يعني: لو كان حياً لكان قادراً على الحركة.

يعني: إن قلت: إنه حيٌّ لكن لا يستطيع أن يتكلم، ولا يستطيع أن يتحرك، نقول لكم: أي نوع من الحياة كانت؟! إِنْ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ الْحَيَاةُ -وإن كان في قبره حياً- حياةً مُفَارِقَةً لِلْحَيَاةِ الدُّنْيَا.

٢٨٤٨- هَذَا وَلَمْ لَا جَاءَهُ أَصْحَابُهُ يَشْكُونَ بِأَسْرِ الْفَاجِرِ الْفَتَّانِ؟

يعني: لماذا لم يجئه أصحابه إذا أصابهم بأس (حرب) أو غير حرب يشكون إليه؟ ومن أعظم ما أصابهم ما حصل في أيام الحرّة من القتل العظيم، والنهب، والسلب، وانتهاك الحرّمات، ومع ذلك لم يأتوا إلى النَّبِيِّ ﷺ يشكون إليه، ولو كان حياً لآتوا إليه يشكون إليه هذا البأس.

٢٨٤٩- إِذْ كَانَ ذَلِكَ دَأْبَهُمْ وَنَبِيَّهُمْ حَيًّا يُشَاهِدُهُمْ شُهُودَ عِيَانِ

قَوْلُهُ: «دَأْبَهُمْ» (الدأب) أي: العادة.

يعني: كانت عادتهم والنبي ﷺ حيٌّ أن يلجئوا إلى النبي ﷺ في الأحكام والفتيا بينهم، وحين يحين البأس يرجعون إلى النبي ﷺ -عليه الصلاة والسلام-.

٢٨٥٠- هَلْ جَاءَكُمْ أَنْتَرِبَانٌ صِحَابُهُ سَأَلُوهُ فُتْيَا وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ

٢٨٥١- فَأَجَابَهُمْ بِجَوَابٍ حَيٍّ نَاطِقٍ فَأَتُوا إِذْنَ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانَ

٢٨٥٢- هَلَّا أَجَابَهُمْ جَوَابًا شَافِيًا إِنْ كَانَ حَيًّا نَاطِقًا بِلِسَانٍ؟

يعني: هل جاء هذا؟ هل جاء أثرٌ بأن الصحابة يستفتونه وهو مُدرِّجٌ في أكفانه فأفتاهم؟ الجواب: أبداً.

اختلف الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أَيْنَ يُدْفَنُ؟ وهل يُعَسَّلُ كما يُعَسَّلُ الموتى؟ وهل يُكْفَنُ كما يُكْفَنُ الموتى؟ اختلفوا في ذلك، ومع ذلك ما رجعوا إليه يسألونه، وهو بينهم لم يُدْفَنُ، فكيف يكون حياً؟!!

٢٨٥٣- هَذَا وَمَا شَدَّتْ رَكَابُهُ عَنِ الْحُجْرَاتِ لِلْقَاصِي مِنَ الْبُلْدَانِ

صحيح، لو كان حياً لشدت ركايبه من حُجراته إلى أقاصي البلدان ولشارك النَّاسَ في الغزوات والحروب.

٢٨٥٤- مَعَ شِدَّةِ الْحَرْصِ الْعَظِيمِ لَهُ عَلَى إِرْشَادِهِمْ بِطَرَائِقِ التَّبْيَانِ

ولا شك أن الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- شديد الحرص على إرشاد الأمة، وأنه لا يألو جهداً في إرشادهم في كلِّ طريق.

٢٨٥٥- أَتَرَاهُ يَشْهَدُ رَأْيَهُمْ وَخِلَافَهُمْ وَيَكُونُ لِلتَّبْيَانِ ذَا كِتْمَانٍ؟!

ما الجواب؟ الجواب: لا، لا يمكن، وكلُّ هذا يدلُّ على أنه ليس حياً في قبره كحياته في الدنيا؛ لأنه لو كان حياً كحياته بالدنيا لرجعوا إليه في هذه الأمور.

٢٨٥٦- إِنْ قُلْتُمْ: سَبَقَ الْبَيَانُ صَدَقْتُمْ قَدْ كَانَ بِالتَّكْرَارِ ذَا إِحْسَانٍ

لو قالوا: إنما لم يفعل النبي ﷺ ذلك؛ لأنه سبق أن بيّن البيان المبين وترك

أُمَّتَهُ عَلَى حِجَّةٍ بِيضَاءٍ، نَقُولُ: صَدَقْتُمْ، إِنَّهُ قَدْ بَيَّنَّ وَتَرَكَ أُمَّتَهُ عَلَى الْمِحْجَةِ الْبِيضَاءِ، لَكِنْ مَا الَّذِي يُضِيرُهُ مِنْ تَكَرُّرِ الْبَيَانِ؟ تَكَرُّرُ الْبَيَانِ يَكُونُ زِيَادَةً إِحْسَانٍ لِلأُمَّةِ؛ وَهَذَا قَالَ: «إِنْ قُلْتُمْ: سَبَقَ الْبَيَانُ» يَعْنِي: فَلَا حَاجَةَ إِلَيْهِ (صَدَقْتُمْ) وَهَذِهِ جَوَابُ (إِنْ).

قَوْلُهُ: «قَدْ كَانَ بِالتَّكَرُّارِ ذَا إِحْسَانٍ» يَعْنِي: لَوْ كَرَّرَ لَكَانَ زِيَادَةً خَيْرٍ وَإِحْسَانٍ لِلأُمَّةِ.

٢٨٥٧- هَذَا وَكَمْ مِنْ أَمْرٍ أَشْكَلَ بَعْدَهُ أَغْنِي: عَلَى عُلَمَاءِ كُلِّ زَمَانٍ

وَهَذَا صَحِيحٌ، فَمَا أَكْثَرَ الْأُمُورَ الَّتِي أَشْكَلَتْ عَلَى الْأُمَّةِ بَعْدَ الرَّسُولِ ﷺ!

فَمِنْ أَوَّلِ مَا أَشْكَلَ: اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ بَعْدَ أَنْ اخْتَلَفُوا فِي غَسَلِهِ وَتَكْفِينِهِ وَأَيْنَ يُدْفَنُ؛ اخْتَلَفُوا فِي إِنْفَازِ جَيْشِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ مَهْمَةٌ، فَجَيْشُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ كَوَّنَهُ الرَّسُولُ -صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ- فِي حَيَاتِهِ، وَعَقَدَ اللَّوَاءَ لِأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَخَرَجَ الْجَيْشُ إِلَى ظَاهِرِ الْمَدِينَةِ، وَلَمَّا مَرَضَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ يَسِرْ هَذَا الْجَيْشُ حَتَّى تُوفِّيَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

لَمَّا تُوفِّيَ اخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ؛ لِأَنَّهُ لَمَّا تُوفِّيَ ارْتَدَّ بَعْضُ الْعَرَبِ، فَاخْتَلَفَ الصَّحَابَةُ هَلْ يُنْفَذُونَ هَذَا الْجَيْشَ أَوْ يَبْقُونَهُ يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى قِتَالِ الْمُرْتَدِّينَ، فَمَنَعَ عَمْرُ وَجَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَقَالُوا: يَبْقَى الْجَيْشُ نَسْتَعِينُ بِهِ، وَلَكِنْ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: وَاللَّهِ لَا أَعْمِدُ سَيْفًا سَلَّهُ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وَلَا أَحُلُّ لَوَاءً عَقَدَهُ النَّبِيُّ ﷺ. أَقْسَمَ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ عَمْرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ^(١).

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ وَجُوبِ الزَّكَاةِ، رَقْمُ (١٣٣٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، رَقْمُ (٢٠).

هذا الخلاف الذي حصل، هل رجعوا فيه إلى الرسول ﷺ في قبره؟
الجواب: أبدًا.

٢٨٥٨- أَوْ مَا تَرَى الْفَارُوقَ وَدَّ بَأْنَهُ قَدْ كَانَ مِنْهُ الْعَهْدُ ذَا تَبْيَانِ

٢٨٥٩- بِالْجَدِّ فِي مِيرَاثِهِ وَكَلَالَةٍ وَبِبَعْضِ أَبْوَابِ الرَّبَا الْفَتَّانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا تَرَى الْفَارُوقَ» يعني عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وَدَّ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنَ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-
فِي أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ: الْجَدُّ، وَالْكَالَالَةُ، وَشَيْءٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبَا^(١).

الأوّل: (الجدُّ) يُريد ميراثه مع الإخوة، وكما هو معلومٌ من اختلاف الصحابة ومن بعدهم في ميراث الجدِّ مع الإخوة على أقوالٍ كثيرة، والصحيح أنَّه بمنزلة الأب وأنه يُسقط الإخوة الأشقاء أو لأبٍ أو لأُمٍّ.

الثاني: (الكَالَالَةُ) ما الكَالَالَةُ؟ أشكلت على عمر، لكنَّها في الحقيقة واضحةٌ عند التأمل، الكَالَالَةُ مَنْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا أُلْسُنٌ مِّمَّنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢] الإخوة من الأم لا يرثون مع وجود الأصول الذكور أو الفروع مطلقًا. وكذلك في آخر سورة النساء قال تعالى: ﴿سَتَقْتُونَا قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ امْرَأَةٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهَا وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ﴾ [النساء: ١٧٦].

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأشربة، باب ما جاء في أن الخمر ما خامر العقل من الشراب، رقم (٥٢٦٦)، ومسلم: كتاب التفسير، باب في نزول الخمر، رقم (٣٠٣٢).

قَوْلُهُ: ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ هذا شرطٌ من شروط الكلالَةِ، فالشرطُ أن لا يكون له ولدٌ، ولا يكون له والدٌ، وهذا الشرطُ مأخوذٌ من القسمة، قال الله تعالى: ﴿وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، وهذا لا يُتصوَرُ مع وجود الوالد.

فإذن الكلالَةُ واضحةٌ في القرآن لمن تأمل، لكن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُريدُ بذلك بيانًا واضحًا لا جدالَ فيه إطلاقًا.

الثالث مما تمناه عمرٌ: شيءٌ من أبواب الرِّبَا، أبواب الرِّبَا كثيرةٌ، وقد وردَ في الحديث أنه «بِضْعٌ وَسَبْعُونَ بَابًا»^(١) أشكلت على عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هذه الأبوابَ فتمنَّى أن النَّبِيَّ بَيَّنَ ذلك، ولم يرجعوا إليه في قبره.

٢٨٦٠- قَدْ قَصَرَ الْفَارُوقُ عِنْدَ فَرِيقِكُمْ إِذْ لَمْ يَسْأَلْهُ وَهُوَ فِي الْأَكْفَانِ
معناه: أن ابنَ القِيَمِ -رحمه الله- يقول: أنتم تقولون: إنَّ عمرَ مُقَصَّرٌ؛ لأنه ما سأله بعد موته، لو سأله لوجده حيًّا فأجابه.

٢٨٦١- أَتَرَاهُمْ يَأْتُونَ حَوْلَ ضَرْيِحِهِ لِسُؤَالِ أُمَّهِمْ أَعَزَّ حَصَانِ

٢٨٦٢- وَنَبِيِّهِمْ حَيًّا يُشَاهِدُهُمْ وَيَسْأَلُهُمْ وَلَا يَأْتِي لَهُمْ بَيَانٌ؟!

الجوابُ: لا، يعني أن الصحابةَ يأتون إلى حجرة النَّبِيِّ ﷺ وفيها عائشةُ أمُّ المؤمنين، يسألون عائشةَ، فهل تظُنُّ أن يوجَّهوا السؤالَ إلى عائشةَ والنَّبِيِّ ﷺ يشاهدُهُم ويسمعُهُم؟ الجوابُ: لا، لا يمكنُ أن يسألوا عائشةَ في الحجرة، والنَّبِيَّ ﷺ في الحجرة حَيًّا وَيَدْعُوا سؤَالَ النَّبِيِّ ﷺ إلى سؤالِ عائشةَ، هذا محالٌ.

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، رقم (٢٢٧٥).

٢٨٦٣- أَفَكَانَ يَعْجِزُ أَنْ يُجِيبَ بِقَوْلِهِ إِنَّ كَانَ حَيًّا دَاخِلَ الْبُنْيَانِ؟!
الجواب: لا يعجز؛ لأنه في الحجرة، فلو كان حياً داخل البنيان لأجابهم،
ولم تجبهم عائشة.

٢٨٦٤- يَا قَوْمَنَا اسْتَحْيُوا مِنَ الْعُقَلَاءِ وَالْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ وَالرَّحْمَنِ
استحيوا من العقلاء، ثم من الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ثم من الله،
استحيوا من الله، ما هذا الكلام الذي صدر منكم؟!

٢٨٦٥- وَاللَّهِ لَا قَدَرَ الرَّسُولِ عَرَفْتُمْ كَلًّا وَلَا لِلنَّفْسِ وَالْإِنْسَانِ
نعم، ما عرفوا قدر الرسول ﷺ حيث زعموا أنه حي في قبره كحياته في
الدنيا، ولا عرفوا أيضاً قدرًا للنفس والإنسان؛ لأنه يجب على الإنسان أن يترفع
بنفسه عن هذه السِّفاسفِ وهذه المقولات التي يضحك منها السُّفهاء، بل والله ما
عرفوا قدرًا للصحابة؛ لأنه لو كان حياً على زعمهم لكان الصحابة قد دفنوا نبيهم
وهو حي، وإذا كانت الموءودة تُسأل يوم القيامة عمَّن وأدَّها، فكيف بالرسول أن
يدفنه الصحابة وهو حي؟! هذا أكبرُ قدح في الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٢٨٦٦- مَنْ كَانَ هَذَا الْقَدْرُ مَبْلَغَ عِلْمِهِ فَلَيْسَتْ تَرَى بِالصَّمْتِ وَالْكِتْمَانِ
يعني: من كان هذا مبلغ علمه بأن الرسول حي في قبره فعليه أن يستحيي من
نفسه، وأن يستتر عن بيان عيبه بالصمت والكتمان؛ حتى لا يفتضح أمام الناس.

٢٨٦٧- وَلَقَدْ أَبَانَ اللَّهُ أَنَّ رَسُولَهُ مَيِّتٌ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

وهذا في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

٢٨٦٨- أَفَجَاءَ أَنَّ اللَّهَ بَاعِثُهُ لَنَا فِي الْقَبْرِ قَبْلَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ؟
الجواب: لا. إذن ثبت أنه ميّت، ولم يثبت أنه مبعوث الآن، والأصل بقاء ما كان على ما كان عليه.

٢٨٦٩- أَثَلَاثُ مَوْتَاتٍ تَكُونُ لِرُسُلِهِ وَلِغَيْرِهِمْ مِنْ خَلْقِهِ مَوْتَانِ؟!
الجواب: لا يمكن، لكن على زعمهم تكون الموتات ثلاثاً: مات النبي قبل وجوده، قال تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، ومات بعد وجوده في الدنيا، ثُمَّ بُعِثَ فِي الْقَبْرِ فَأُحْيِيَ، ثم يموت يوم القيامة الموتة الأولى، الثانية: الموتة التي يصعق فيها الناس يوم القيامة، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ مَرَّةً ثَانِيَةً ﴿فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

٢٨٧٠- إِذْ عِنْدَ نَفْخِ الصُّورِ لَا يَبْقَى امْرُؤٌ فِي الْأَرْضِ حَيًّا قَطُّ بِالْبُرْهَانِ
الدليل قول الله تعالى: ﴿فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

٢٨٧١- أَفَهَلْ يَمُوتُ الرُّسُلُ أَمْ يَبْقُوا إِذَا مَاتَ الْوَرَى أَمْ هَلْ لَكُمْ قَوْلَانِ؟
٢٨٧٢- فَتَكَلَّمُوا بِالْعِلْمِ لَا الدَّعْوَى وَجِيءَ سُبُوحًا بِالدَّلِيلِ فَنَحْنُ ذُو أَدْهَانِ

لله ذرّه، أخرجهم تمامًا، يقول: هل يموت الرسل أم يبقون إذا مات الوري؟ إن قلت: يموت الرسل فقد ماتوا ثلاث مرات، وإن قلت: يبقون، نقول: أين الدليل؟ أو لكم في هذا قولان، قول يقول: إنهم يبقون، وقول يقول: إنهم يموتون؟ وهكذا الإنسان إذا أخرج يقول: في المسألة قولان، فيستريح.

٢٨٧٣- أَوْلَمْ يَقُلْ مَنْ قَبْلَكُمْ لِلرَّافِعِيِّ الْ- أَصْوَاتِ حَوْلَ الْقَبْرِ بِالتُّكْرَانِ:

٢٨٧٤- لَا تَرْفَعُوا الْأَصْوَاتَ حُرْمَةَ عَبْدِهِ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ لَدَى الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «لَدَى الْحَيَوَانِ» أَي: لَدَى الْحَيَاةِ.

جاء هذا في أثرٍ عن عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنه جاء قومٌ من أهل الطائف إلى مسجد النبيِّ -عليه الصلاة والسلام- فجعلوا يتكلمون ويرفعون أصواتهم، فدعاهم، وقال: «لَوْلَا أَنْتُمْ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمْ ضَرْبًا»^(١). هذا ما قال أو معناه، أترفعون أصواتكم عند قبرِ النبيِّ -عليه الصلاة والسلام-؟ ولكن هذا على سبيل الاحترام والأدب.

٢٨٧٥- قَدْ كَانَ يُمَكِّنُهُمْ يَقُولُوا: إِنَّهُ حَيٌّ فَعُضُّوا الصَّوْتِ بِالْإِحْسَانِ

قد كان يمكنهم أن يقولوا: إنه حيٌّ، فعُضُّوا الصوت، ولا يقولوا: لماذا ترفعون أصواتكم عند قبرِ الرسول، فإنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتًا كَحُرْمَتِهِ حَيًّا؟

٢٨٧٦- لَكِنَّهُمْ بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْكُمْ وَرَسُولِهِ وَحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

الصحابةُ أَعْلَمُ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَبِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ مِنْكُمْ.

٢٨٧٧- وَلَقَدْ أَتَوْا يَوْمًا إِلَى الْعَبَّاسِ يَسْ- تَسْقُونَ مِنْ قَحْطٍ وَجَدِبٍ زَمَانِ

٢٨٧٨- هَذَا وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ عَرَضُ الْجِدَارِ وَحُجْرَةُ النِّسْوَانِ

أتوا إلى العباس يستسقون، وذلك أنه لما أُصِيبَ النَّاسُ بِالْقَحْطِ فِي عَهْدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَجَمَعَ النَّاسَ لِلْإِسْتِسْقَاءِ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، رقم (٤٥٨).

بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا»^(١)، فَمُ يَا عَبَّاسُ فَادْعُ اللَّهَ. فَقَامَ
الْعَبَّاسُ فَدَعَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَلَوْ كَانَ الرَّسُولُ حَيًّا لَاسْتَسْقَوْا بِهِ، مَا ذَهَبُوا إِلَى
الْعَبَّاسِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَبِيِّهِمْ إِلَّا عَرُضُ الْجِدَارِ وَحِجْرَةُ النِّسْوَانِ.

٢٨٧٩- فَنَبِيِّهِمْ حَيًّا وَيَسْتَسْقُونَ غَيْبًا رَرَبِيِّهِمْ حَاشَا أَوْلِيَ الْإِيمَانِ

يعني: هل يمكن أن يستسقوا بأحدٍ دون النبي ﷺ وهو حيٌّ؟ الجواب: لا.

والحديث فيه أنه لا بأس بالتوسُّلِ بدعاء الصالحين في حياتهم، يعني: مثلًا:
يوجد رجلٌ صالحٌ تتوسَّمُ فيه الخير، فتقول له: ادعُ اللهَ لنا.

وكَرِهَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ طَلِبَ الدَّعَاءِ مِنَ الْغَيْرِ فِي الْأُمُورِ الْخَاصَّةِ، أَمَّا الْأُمُورُ
الْعَامَّةُ كَالِاسْتِسْقَاءِ الْعَامِ لِلنَّاسِ، فَلَا أَظُنُّ أَحَدًا يَكْرَهُهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، رقم (١٠١٠).

فصل

فِيمَا احْتَجُّوا بِهِ عَلَى حَيَاةِ الرَّسُلِ فِي الْقُبُورِ

- ٢٨٨٠- فَإِنْ احْتَجَجْتُمْ بِالشَّهِيدِ بِأَنَّهُ حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
- ٢٨٨١- وَالرُّسُلُ أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهُ بِلا شَكٍّ وَهَذَا ظَاهِرُ التَّبَيُّانِ
- ٢٨٨٢- فَلِذَاكَ كَانُوا بِالْحَيَاةِ أَحَقَّ مِنْ شُهَدَائِنَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ
- ٢٨٨٣- وَبِأَنَّ عَقْدَ نِكَاحِهِ ^(١) لَمْ يَنْفَسَخْ فَنَسَاؤُهُ فِي عِضْمَةٍ وَصِيَانِ
- ٢٨٨٤- وَلَا أَجَلَ هَذَا لَمْ يَحِلَّ لِغَيْرِهِ مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٢٨٨٥- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ؟
- ٢٨٨٦- أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟
- ٢٨٨٧- أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلَاةَ؟ وَإِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَوَاضِحِ الْبُطْلَانِ
- ٢٨٨٨- أَوَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَرُدُّ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ؟
- ٢٨٨٩- أَيْرُدُّ مَيِّتٌ السَّلَامَ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِهِ؟ هَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ
- ٢٨٩٠- هَذَا وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ فِي الْأَجْدَاثِ ذَا تَبَيُّانِ
- ٢٨٩١- وَبِأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ عَلَيْهِ تُعْرَضُ رَضُ دَائِمًا فِي جُمُعَةٍ يَوْمَانِ

(١) في نسختي الإفتاء وابن سحمان: «نساءه».

٢٨٩٢- يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الَّذِي قَدْ خُصَّ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

الشرح

٢٨٨٠- فَإِنِ احْتَجَجْتُمْ بِالشَّهِيدِ بِأَنَّهُ حَيٌّ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ

٢٨٨١- وَالرُّسُلُ أَكْمَلُ حَالَةٍ مِنْهُ بِلا شَكٍّ وَهَذَا ظَاهِرُ التَّبَيَّنِ

استدل هؤلاء الذين يقولون بأن الأنبياء أحياء في قبورهم بأدلة، منها: أنه لا شك أن الشهداء أحياء في قبورهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، ومقام الأنبياء أعلى من مقام الشهداء بلا شك، فإذا كانوا أعلى مقاماً من الشهداء صارت حياتهم في قبورهم أولى من حياة الشهداء، وهذا هو الدليل الأول.

٢٨٨٢- فَلِذَلِكَ كَانُوا بِالْحَيَاةِ أَحَقَّ مِنْ شُهَدَائِنَا بِالْعَقْلِ وَالْبُرْهَانِ

وهذا دليل بقياس الأولى، وهو أنهم أحق بالحياة من الشهداء.

الدليل الثاني ذكره بقوله:

٢٨٨٣- وَيَأْنُ عَقَدَ نِكَاحِهِ لَمْ يَنْفَسِخْ فِنَسَاؤُهُ فِي عِصْمَةٍ وَصِيَانِ

٢٨٨٤- وَلَا أَجَلَ هَذَا لَمْ يَحِلَّ لِغَيْرِهِ مِنْهُنَّ وَاحِدَةٌ مَدَى الْأَرْمَانِ

قوله: «وَلَا أَجَلَ هَذَا» يعني: مما يدل على أن عقد نكاح الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - باقٍ بالنسبة لزوجاته قول الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣] قالوا: وهذا دليل على أن نكاحه باقٍ،

وإِلَّا مَا حَرُمْتَ نَسَاؤَهُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُ، وَإِذَا كَانَ نِكَاحُهُ بَاقِيًا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ كحَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا.

٢٨٨٥- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا دَلِيلٌ أَنَّهُ حَيٌّ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ؟
هم يستدلون بهذا، لكن هم يقولون: هو دليل، ونحن نقول: إنه لا دليل،
وسنجيب عنه إن شاء الله.

٢٨٨٦- أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟
قَوْلُهُ: «أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ» وَهُوَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

قَوْلُهُ: «أَوَلَمْ يَرِ الْمُخْتَارُ مُوسَى قَائِمًا فِي قَبْرِهِ لِصَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ؟»
الجواب: بلى، فالنبيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رَأَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ،
هكذا جاء الحديث (١) وَصَحَّ.

٢٨٨٧- أَفَمَيِّتٌ يَأْتِي الصَّلَاةَ؟ وَإِنَّ ذَا عَيْنِ الْمُحَالِ وَوَاضِحُ الْبُطْلَانِ
يقولون: إذا كان النبيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - رَأَى مُوسَى حَيًّا يُصَلِّي فِي
قَبْرِهِ، فَهَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُصَلِّيَ وَهُوَ غَيْرُ حَيٍّ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَهَذَا الْجَوَابُ تَمْشِيًّا مَعَهُمْ،
لكن سنردُّ عليهم إن شاء الله.

٢٨٨٨- أَوَلَمْ يَقُلْ: إِنِّي أَرَدُّ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ؟
نعم، الرسولُ أَخْبَرَ بَأَنَّ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - (٢).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

(٢) كما في حديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ». أخرجه أبو داود:
كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١)..

٢٨٨٩- أَيْرُدُّ مَيِّتُ السَّلَامِ عَلَى الَّذِي يَأْتِي بِهِ؟ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

هم يقولون لك: الرسول -عليه الصلاة والسلام- يسمعُ السَّلَامَ عليه، ويردُّ، هل الميت يرُدُّ؟ ستقول: لا، يقولون: إِذَنْ هُوَ حَيٌّ.

لكننا نقولُ في الجوابِ عن ذلك: لا يلزمُ من السَّماعِ أن يكون حيًّا، فهذا الإنسان إذا دُفِنَ وتولَّى عنه أصحابه يَسْمَعُ قَرَعَ نَعَالِهِمْ^(١).

وهل يسمعُ النَّبِيُّ مطلقًا؟ هذا فيه خلاف، فمن العلماء مَنْ قال: يسمعُ، والصحيح أن الأصل أنه لا يسمعُ إلا ما جاء به النصُّ؛ مثل السَّلَامِ عليه، فإنه يسمعُ ويردُّ.

٢٨٩٠- هَذَا وَقَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ بِأَنَّهُمْ أَحْيَاءُ فِي الْأَجْدَاثِ ذَاتِ بَيِّنَاتٍ قَوْلُهُ: «فِي الْأَجْدَاثِ» أَي: فِي الْقُبُورِ.

يعني: ورد حديثٌ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءُ فِي قُبُورِهِمْ»^(٢).

٢٨٩١- وَبِأَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ عَلَيْهِ تُعْرَضُ دَائِمًا فِي جُمُعَةٍ يَوْمَانِ

٢٨٩٢- يَوْمَ الْخَمِيسِ وَيَوْمَ الْاِثْنَيْنِ الَّذِي قَدْ حُصَّ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «جُمُعَةٌ» أَي: أُسْبُوعٌ، يُعْبَرُ بِالْجُمُعَةِ عَنِ الْأُسْبُوعِ، كَمَا يُعْبَرُ عَنِ السَّنَةِ بِالْخَرِيفِ، وَالْخَرِيفُ فَصْلٌ مِنْ فصولِ السَّنَةِ، لَكِنْ يُعْبَرُ بِهِ عَنِ السَّنَةِ كُلِّهَا، فَيُعْبَرُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب الميت يسمع خفق النعال، رقم (١٣٣٨). ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه، رقم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه أبو يعلى (١٤٧/٦، رقم ٣٤٢٥)، والديلمي (١١٩/١، رقم ٤٠٣)، وقال الحافظ في الفتح (٤٨٧/٦): أخرجه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم وصححه.

بالجمعة عن الأسبوع؛ كما جاء في حديث الدَّجَالِ: «يَوْمٌ كَجُمُعَةٍ»^(١).

فهم يستدلُّون بحديث: «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ»^(٢).

لكن في النفس شيءٌ من مسألة عرض الأعمال على الرسول ﷺ في يوم الاثنين والخميس، فَإِنْ وَرَدَ فِيهِ حَدِيثٌ فَلَعَلَّهُ انْقَلَبَ عَلَى الرَّاوي، وأراد أن ينقل ما يعرض على الله يوم الاثنين والخميس إلى ما يعرض على الرسول ﷺ؛ لأنه قد صَحَّ أَنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ^(٣).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ذكر الدجال وصفته، رقم (٢٩٣٧).

(٢) عزاه السيوطي في جامع الأحاديث (٢٩٢/١١)، رقم (١٠٨٠٨) للحكيم، وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير (٢٤٤٦): موضوع.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن الشحناء والتهاجر، رقم (٢٥٦٥).

فصل

في الجواب عما احتجوا به في هذه المسألة

- ٢٨٩٣- فَيَقَالُ: أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَلِكَ حُجْجٌ جِتْنَا عَلَيْكُمْ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ
- ٢٨٩٤- إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ لَا بِالْقِيَاسِ الْقَائِمِ الْأَرْكَانِ
- ٢٨٩٥- هَذَا مَعَ النَّهْيِ الْمُؤَكَّدِ أَنَّنَا نَدْعُوهُ مَيْتًا ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ
- ٢٨٩٦- وَنَسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ وَالْمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى الشُّهُمَانِ
- ٢٨٩٧- هَذَا وَأَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ وَسَبَاعُهَا مَعَ أُمَّةِ الدَّبْدَانِ
- ٢٨٩٨- لَكِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ حَيٌّ فَارْحُ مُسْتَبْشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ
- ٢٨٩٩- فَالرُّسُلُ أَوْلَى بِالْحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعَ (١) مَوْتِ الْجُسُومِ وَهَذِهِ الْأَبْدَانِ
- ٢٩٠٠- وَهِيَ الطَّرِيقَةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا فَهِيَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
- ٢٩٠١- وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ
- ٢٩٠٢- فَانظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمْ حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التَّبْيَانِ

الشرح

المؤلف - رحمه الله - كغيره من أهل العلم إذا ذكر دليل الخصم فلا بُدَّ أن

(١) في نسختي ابن سحمان: «من».

يُجِيبَ عن هذا الدليل؛ لأنَّ الخصمَ لا بُدَّ له في مقابلة خصمه من أمرين: مدافعة لأدلة خصمه، وإثبات لأدلته، يقول:

٢٨٩٣- فَيَقَالُ: أَصْلُ دَلِيلِكُمْ فِي ذَاكَ حُجْبٌ جِتْنَا عَلَيْكُمْ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ

يعني أن ما احتججتم به علينا هو حجة لنا عليكم، فنقلب الدليل عليكم بعد أن جعلتموه لكم.

٢٨٩٤- إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ لَا بِالْقِيَاسِ الْقَائِمِ الْأَرْكَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الشَّهِيدَ حَيَاتُهُ مَنْصُوصَةٌ» والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقوله: ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤] فنفي الله عز وجل هذا الظن، ونهى أن نقول: إنهم أموات بالنص.

أما حياة الأنبياء عندكم فهي بالقياس، وأمور الغيب ليس فيها قياس.

٢٨٩٥- هَذَا مَعَ النَّهْيِ الْمُؤَكَّدِ أَنَّنَا نَدْعُوهُ مَيِّتًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «هذا» أي: ثبوت كونه حيًا بالنص مع أنه إضافة إلى ذلك ورد النهي المؤكَّد عن تسميته مَيِّتًا، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلَا نَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤] هذا نهي، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وهذا نهي أيضًا أبلغ من الأول؛ لأنَّ الأول نهي عن اللفظ، والثاني نهي عن التقدير والظن.

٢٨٩٦- وَنِسَاؤُهُ حِلٌّ لَنَا مِنْ بَعْدِهِ وَالْمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى الشُّهْمَانِ

قَوْلُهُ: «وَنِسَاؤُهُ» أي: نساء الشهيد المقتول في سبيل الله حل لنا من بعده،

ولو كان حيًّا حياةً دنيا لم تكن نساؤه حِلًّا لنا.

قَوْلُهُ: «وَالْمَالُ مَقْسُومٌ عَلَى الشُّهُانِ» أي: بعد موته، ولو كان حيًّا حياةً دنيا لم يُقَسَمْ ماله، ولم يَحِلَّ الاعتداءُ عليه.

٢٨٩٧- هَذَا وَأَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ وَسَبَاعُهَا مَعَ أُمَّةِ الدَّيْدَانِ
قَوْلُهُ: «وَأَنَّ الْأَرْضَ تَأْكُلُ لَحْمَهُ» والحَيُّ لا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ، وعلى ظهر الأرض ليس في بطنها مأكولًا.

٢٨٩٨- لَكِنَّهُ مَعَ ذَاكَ حَيٌّ فَارِحٌ مُسْتَبَشِرٌ بِكَرَامَةِ الرَّحْمَنِ
قال الله تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبَشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [آل عمران: ١٧٠]، فهم أمواتٌ أجسام، أحياءٌ أرواح.

٢٨٩٩- فَالرُّسُلُ أَوْلَى بِالْحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعَ مَوْتِ الْجُسُومِ وَهَذِهِ الْأَبْدَانِ
قَوْلُهُ: «فَالرُّسُلُ أَوْلَى بِالْحَيَاةِ لَدَيْهِ مَعَ مَوْتِ الْجُسُومِ» الرُّسُلُ -صلى الله عليهم وسلم- أَوْلَى بِالْحَيَاةِ عِنْدَ اللَّهِ مَعَ مَوْتِ الْجُسُومِ، فهم أَوْلَى بِالْحَيَاةِ مِنَ الشُّهُدَاءِ.

٢٩٠٠- وَهِيَ الطَّرِيقَةُ فِي التُّرَابِ وَأَكْلُهَا فَهُوَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «وَهِيَ الطَّرِيقَةُ» أي: أجسامهم وأبدانهم، أعني الأنبياء.

قَوْلُهُ: «وَأَكْلُهَا فَهُوَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ» أي: على التراب.

قَوْلُهُ: «وَأَكْلُهَا فَهُوَ الْحَرَامُ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ»؛ لأنَّ الرِّسُولَ ﷺ أَمَرَ بِالْإِكْتِثَارِ

عليه من الصلاة^(١)، وأخبر -عليه الصلاة والسلام- أن الصلاة تُعْرَضُ عليه، قالوا: كيف تُعْرَضُ عَلَيْكَ صَلَاتُنَا وَقَدْ أَرِمْتَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»^(٢).

فقال النبي ﷺ: «حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ» مع أَنَّهَا ليست مُكَلَّفَةً حَتَّى تُخَاطَبَ بالتحريم، فيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ التَّحْرِيمَ هُنَا تَحْرِيمٌ لُغَوِيٌّ بِمَعْنَى الْمَنْعِ، لَا بِمَعْنَى التَّحْرِيمِ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ التَّكْلِيفُ؛ لِأَنَّ التَّحْرِيمَ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ التَّكْلِيفُ مُتَنَفٍ بِالنِّسْبَةِ لِلْأَرْضِ، مُتَنَفٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال بعضهم: إِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُوجَّهَ إِلَيْهَا التَّحْرِيمُ وَالْإِيجَابُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُكَلَّفَةً تَكْلِيفًا تُعَاقَبُ بِالمُخَالَفَةِ فِيهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فَأَثْبَتَ لَهَا طَوَاعِيَّةً وَكِرَاهِيَّةً، وَوَجَّهَ إِلَيْهِمَا الْخُطَابَ.

وعلى كُلِّ حَالٍ الْمَسْأَلَةُ فِي هَذَا لَا تَكَادُ تَكُونُ ذَاتَ أَهْمِيَّةٍ جَدًّا؛ لِأَنَّ الْجَمِيعَ مُتَّفِقُونَ عَلَى أَنَّ تَكْلِيفَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ لَيْسَ تَكْلِيفًا يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ؛ لِأَنَّهَا لَنْ يَخَالَفَا أَمْرَ اللَّهِ.

(١) أخرجه أحمد (٨٤/٢٦)، رقم (١٦١٦٢). وأبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧). والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم (١٠٤٧). والنسائي: كتاب الجمعة، باب إكثار الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة، رقم (١٣٧٤). وابن ماجه: كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في فضل الجمعة، رقم (١٠٨٥). وأحمد (٨/٤)، رقم (١٦٢٠٧).

٢٩٠١- وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا أَيْضًا وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ
قَوْلُهُ: «وَلِبَعْضِ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ يَكُونُ ذَا» يعني: أَنَّ الْأَرْضَ لَا تَأْكُلُ
أَجْسَادَهُمْ.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ وَجَدُوهُ رَأْيَ عِيَانِ» يعني: رَأَوْا بِالْعِيَانِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا تَأْكُلُهُمُ
الْأَرْضُ، وَهَم لَيْسُوا مِنَ الشُّهَدَاءِ، وَلَيْسُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، لَكِنْ قَدْ يُكْرِمُ اللَّهُ الْإِنْسَانَ
فَلَا تَأْكُلُهُ الْأَرْضُ.

وقد حدثني بعض الناس أنهم كانوا في هذا البلد في عُنَيْزَةَ يَحْفَرُونَ لِسُورِ
الْبَلَدِ، وَأَتَمُّ مَرُّوا عَلَى قَبْرِ، فَلَمَّا انْفَتَحَ الْقَبْرُ خَرَجَ مِنْهُ رَائِحَةٌ مَسْكٍ لَا يُوجَدُ لَهَا
نَظِيرٌ، وَوَجَدُوا شَيْخًا لَمْ تَأْكُلْهُ الْأَرْضُ قَدْ خَضَّبَ لِحْيَتَهُ بِالْحِنَاءِ، وَكَانَ يَابِسًا
كَاللَّحْمِ الْيَابِسِ، أَمَّا كَفَنُهُ فَقَدْ صَارَ رَمَادًا، فَانْبَهَرُوا مِنْهُ، وَتَوَقَّفُوا، وَجَاءُوا إِلَى
الشَّيْخِ، وَأَظْنَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبِي بَطِينٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-؛ لِأَنَّهُ كَانَ قَاضِيًا فِي
هَذَا الْبَلَدِ، جَاءُوا إِلَيْهِ يَخْبِرُونَهُ، فَقَالَ لَهُمْ: رُدُّوا الْقَبْرَ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ، وَانْحَرِفُوا
بِالشَّقِّ لِلْسُورِ يَمِينًا أَوْ شِمَالًا. ففعلوا.

فهذا شيءٌ مثل ما قال ابنُ القَيِّمِ: وَجِدَ بِالْعِيَانِ أَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا تَأْكُلُهُ
الْأَرْضُ، وَهَذَا مِنْ كَرَامَةِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِلْإِنْسَانِ.

٢٩٠٢- فَانظُرْ إِلَى قَلْبِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِمْ حَرْفًا بِحَرْفٍ ظَاهِرِ التَّيَّانِ
نعم، انقلبَ الدليلُ عليهم، صارت حياةُ الشُّهَدَاءِ لَيْسَتْ كحياةِ الدُّنْيَا،
وَالدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ أَعْمَالَهُمْ قُسِمَتْ، وَنِسَاءَهُمْ نُكِحَتْ وَأُحِلَّتْ، وَالدُّنْيَانُ تَأْكُلُ
أَجْسَادَهُمْ، فَكَيْفَ تَكُونُ حَيَاتُهُمْ كحياةِ الدُّنْيَا!؟

إِذَنْ فَالذِي اسْتَدَلَلْتُمْ بِهِ وَجَعَلْتُمُوهُ أَصْلًا وَهُوَ حَيَاةُ الشُّهَدَاءِ صَارَ عَلَيْكُمْ،
لَمْ يَكُونُوا أَحْيَاءَ حَيَاةً دُنْيَوِيَّةً، كَذَلِكَ حَيَاةُ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي هِيَ الْفَرْعُ عِنْدَكُمْ لَنْ تَكُونَ
حَيَاةً دُنْيَوِيَّةً، فَبِذَلِكَ انْقَلَبَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِمْ.

يعني: هم قالوا: حياة الأنبياء فرع عن حياة الشهداء؛ لأنه من باب قياس
الأولى، ومعلوم أن المقيس فرع عن المقيس عليه.

نقول لهم: حياة الشهداء هي موت، والدليل: نكاح نساءه من بعده، اعتداد
النساء، قسم الأموال، أكل الأرض للأجساد، كل هذه مُتَّفِقَةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا،
فَإِذَنْ يَكُونُ مَوْتُ الْأَنْبِيَاءِ حَقِيقَةً، كَمَا أَنَّ مَوْتَ الشُّهَدَاءِ حَقِيقَةٌ، وَتَكُونُ حَيَاةُ
الْأَنْبِيَاءِ حَيَاةً بَرَزَخِيَّةً، لَا كَحَيَاةِ الدُّنْيَا، كَمَا أَنَّ حَيَاةَ الشُّهَدَاءِ حَيَاةً بَرَزَخِيَّةً وَليست
حياةً دُنْيَا، فَانْقَلَبَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِمُ الْآنَ.

بقي عندنا أنهم احتجوا بأن نساء الرسول -عليه الصلاة والسلام- حرام
من بعده، وهذا يدل على أنه حي، وإلا لكان نساؤه حلالاً، وسيأتي الرد على هذا
إن شاء الله تعالى.

- ٢٩٠٣- لَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ بِخَصِيصَةٍ عَنِ سَائِرِ النِّسْوَانِ
٢٩٠٤- خَيْرٌ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاخِرٌ
٢٩٠٥- شَكَرَ الْإِلَهَ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبَّنَا
٢٩٠٦- قَضَى الرَّسُولُ عَلَى أَوْلِيكَ رَحْمَةً
٢٩٠٧- وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَضَى عَلَى مَعْدٍ
سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانٍ
مِنْهُ يَهِنُّ وَشُكْرُ ذِي الْإِحْسَانِ
لَوْمْ بِلَا شَكِّ وَلَا حُسْبَانِ

- ٢٩٠٨ - زَوْجَاتُهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يَقِينًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
 ٢٩٠٩ - فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ إِذْ ذَاكَ صَوْنٌ عَنْ فِرَاشِ ثَانٍ
 ٢٩١٠ - لَكِنْ أَتَيْنَ بَعْدَهُ شَرَعِيَّةٌ فِيهَا الْحِدَادُ وَمَلَزَمَ الْأَوْطَانَ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله - في الإجابة عن استدلالهم بأن النبي ﷺ حي في قبره بأن نساءه حرام على من بعده، يقول - رحمه الله - في الجواب عنه:

- ٢٩٠٣ - لَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ خُصَّ نِسَاؤُهُ بِخَصِيصَةٍ عَنْ سَائِرِ النِّسْوَانِ
 ٢٩٠٤ - خَيْرٌ بَيْنَ رَسُولِهِ وَسِوَاهُ فَاحْتَرَنَ الرَّسُولَ لِصِحَّةِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَسِوَاهُ» سِوَى الرَّسُولِ يَعْنِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا.

وهذا بأمر الله، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَجِكُ إِن كُنْتَن تَشْرَدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

الآن لو اخترت الدنيا فإن الرسول لن يغضب عليهن، وانظر إلى لطف الله بالمرأة، إذا اختارت الدنيا تمتع وتسرّح سراحا جميلا، ولا توبخ، ولا يقال: كيف اخترت الدنيا على الرسول؟ لماذا؛ لأن المرأة ناقصة عقل ودين، ربما تنخدع وتختار الدنيا على الرسول، فلا نقابلها بمقتضى عقلها، بل نقابلها بالحسن، قال تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨].

الظاهر الآن لو قيل لشخص: خير زوجك، قل لها: هل تريدني أو تريدني غيري؟ لقال: إن كنت تريدني فالله يحييك، وإن كنت تريدني غيري فاذهبي

بعيداً عني. هذا الذي يقع من كثير من الناس؛ لأنها إذا قالت: لا أريدك، بل أختار غيرك هل يقابلها بالإكرام والتمتع والسراح الجميل؟ الجواب: أبداً، بالعكس، لكن لكمال خلق الرسول -عليه الصلاة والسلام- أمره الله أن يقول هذا ﴿فَنَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرِحَنَّ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨] ثم ذكر المقابل فقال: ﴿وَلِنْ كُنْتَن تَرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمَحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٩]. يعني: فأتنتن محسنات، وقد أعد الله للمحسنات منكن أجراً عظيماً.

فبدأ -صلوات الله وسلامه عليه- بعائشة، وهي أحب النساء إليه؛ لأنه يريد امتثال أمر الله، فقدّم ما يرضي الله على ما تهواه نفسه، وعائشة أحب النساء إليه، وكان مقتضى الطبيعة البشرية أن يبدأ بالنساء الأخريات، لكنه بدأ بعائشة لتكون مقياساً، وقال لها لماً خيرها: «لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ» يعني: لك الحق أن تشاوري أبويك في هذا، فقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفِي هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوِيَّ؟! وَاللَّهِ لَا أُرِيدُ إِلَّا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالذَّارَ الْآخِرَةَ. فَمَشَى أَرْوَاجَهُ عَلَى هَذَا^(١).

فلما حصل منهن هذا الأمر شكر الله لهن، وقال له: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، فمنعه الله من نكاح نساءٍ عليهن، ومنعه أن يطلقهن وأن يتزوج غيرهن، قال تعالى: ﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ [الأحزاب: ٥٢]، فشكر الله لهن هذه الحال.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لَأُزْوَاجِكُ إِنْ كُنْتَن تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّنَّتَهَا فَفَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأَسْرِحَنَّ سَرَلًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٨]، رقم (٤٥٠٧)، ومسلم: كتاب الطلاق، باب بيان أن تخير امرأته لا يكون طلاقاً إلا بالنية، رقم (١٤٧٥).

٢٩٠٥- شَكَرَ الْإِلَهَ لَهُنَّ ذَاكَ وَرَبَّنَا سُبْحَانَهُ لِلْعَبْدِ ذُو شُكْرَانَ

والله عز وجل أعظم شكراً منا، إذا تقرب الإنسان إليه شبراً تقرب إليه ذراعاً، وإن تقرب إليه ذراعاً تقرب إليه باعاً، وإن أتاه يمشي أتاه هرولة، فالله - سبحانه وتعالى - يشكر العبد أكثر مما يشكر العبد ربّه؛ ولهذا قال - رحمه الله -: «وربنا سبحانه للعبد ذو شكران»، وقد ذكر الله تعالى أن من أسماه (الشكور) في عدة آيات من القرآن.

٢٩٠٦- قَصَرَ الرَّسُولِ عَلَى أَوْلَيْكَ رَحْمَةً مِنْهُ بِهِنَّ وَشُكْرُ ذِي الْإِحْسَانِ

قوله: «قصر الرسول على أولئك» ويجوز (قصر الرسول) بالفتح، لكن قوله في البيت الذي بعده: (وكذلك أيضاً قصرهنّ عليه) هذا يؤيد بأن الأول مصدر أيضاً (قصر).

قوله: «قصر الرسول على أولئك» يعني أنه لا يتزوج سواهنّ، ولا يستبدل بهنّ.

قوله: «رحمة منه» أي: من الله.

قوله: «بهنّ» أي: بالزوجات.

قوله: «وشكر ذي الإحسان» يعني: من شكر الله عز وجل، فهذا رحمة وشكر.

٢٩٠٧- وَكَذَلِكَ أَيْضًا قَصْرُهُنَّ عَلَيْهِ مَعْلُومٌ بِلَا شَكٍّ وَلَا حُسْبَانَ

قوله: «وكذلك أيضاً قصرهنّ عليه معلومٌ بلا شكٍّ ولا حُسبان» وهو معلومٌ من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِحُوا زُوجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فصار الرسول مقصوراً عليهنّ وهنّ مقصوراتٍ عليه.

٢٩٠٨- زَوَّجَتْهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَى يَقِينًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

هنّ زوجاته في الدنيا وزوجاته في الآخرة، فهنيئاً لهنّ؛ ولهذا لما خافت سودة بنت زمعة أن يطلقها الرسول ﷺ وتُحْرَمَ من هذه الخصيصة وهبت يومها لعائشة^(١)، فصار الرسول يقسم لثمانٍ بعد أن كان يقسم لتسع.

٢٩٠٩- فَلِذَا حَرُمْنَ عَلَى سِوَاهُ بَعْدَهُ إِذْ ذَاكَ صَوْنٌ عَنِ فِرَاشِ ثَانٍ

حُرِّمَ أَنْ يَتَزَوَّجَنَّ مِنْ بَعْدِهِ لِثَلَاثٍ يَكُنَّ فِرَاشًا لِغَيْرِهِ ﷺ، هذه الخصيصة لا لأنه حيٌّ، ولكن لأن الله شكر لهنّ، فخصهنّ بهذه الخصيصة؛ ولذلك كانت زوجات الشهداء حلالاً مع أئمتهم أحياء، والدليل على أئمتهم -أي: زوجات الرسول ﷺ- انفصلن عنه وحُكِمَ بموته -صلوات الله وسلامه عليه- ما ذكره بقوله:

٢٩١٠- لَكِنْ أَتَيْنَ بَعْدَهُ شَرَعِيَّةٍ فِيهَا الْحِدَادُ وَمَلَزَمُ الْأَوْطَانِ

قوله: «لَكِنْ أَتَيْنَ بَعْدَهُ شَرَعِيَّةٍ» بعد موته اعتدذن لموته أربعة أشهر وعشرة أيام.
قوله: «فِيهَا الْحِدَادُ وَمَلَزَمُ الْأَوْطَانِ» يعني: لزوم البيت؛ لأن المرأة المُحَدِّدَ يجبُ عليها أمورٌ:

أولاً: ألا تخرج من بيتها إلا للضرورة، كما لو تصدّع وخيف أن يسقط عليها، أو استعرت فيه النار، أو جاءت أمطارٌ ويخشى من سقوطها عليها، أو ما أشبه ذلك، المهم للضرورة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب هبة المرأة لغير زوجها، رقم (٢٥٩٤)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، رقم (٢٧٧٣).

ثانياً: ألا تلبس الجميل من الثياب، فلا تلبس ثياباً جميلةً يقال: إنها مُتَزَيِّنةٌ، ولا يلزمها أن تلزم لونها واحداً كما يقول العوامّ بأنه لا بُدَّ أن تلبس ثوباً أخضر أو ثوباً أسود، لا، بل المُحَرَّمُ ألا تلبس ثوباً يُعَدُّ تَجَمُّلاً.

ثالثاً: ألا تلبس الحليّ بجميع أنواعه، لا في اليد، ولا في الرّجل، ولا في الأذن، ولا في الرأس، ولا في النحر.

رابعاً: ألا تتطيّب بجميع أنواع الطيب، لا بخوراً ولا دهنًا، إلا أن الشّارع رخص لها في قسطنطين من أظفار، مثل العود المعروف إذا طهرت من الحيض؛ إزالة اللتّن الذي يكون بسبب الحيض؛ لأنّ هذا حاجة.

خامساً: ألا تتزيّن بوجهها أو يديها أو أيّ شيءٍ من أجزائها، فلا تكتحل ولا تُحمّر الشفّتين ولا تتحنّى، ولا تختضب، فهذه خمسة أشياء.

وأما ما يزعمه العوامّ ويقولون: لا تُقابل القمرَ وقت الإبدار، فهذا ليس بصحيح، وحجّتهم في ذلك يقولون: إنّ القمرَ رجلٌ، ولا يجوزُ أن تُكشَفَ عند الرجال، أمّا الشّمسُ فإنّها أنثى؛ ولهذا يجوزُ أن تظهرَ في النهار للشّمس.

يقول العامةُ أيضًا: إنه لا يجوزُ أن تصعدَ إلى السّطح، أو تخرجَ إلى فناء البيت. وكلُّ هذا ليس له أصلٌ، ويقولون أيضًا: لا يجوزُ أن تُكلّمَ أحدًا، وهذا أيضًا ليس له أصلٌ.

الغريب أيضًا عند العامة أنّهم يقولون: لا بُدَّ أن تكونَ صلاتها موافقةً لصلاة الإمام، يعني: لا تصليّ قبله ولا بعده، وأنه يجبُ أن تغتسلَ كلّ جمعة، وأشياء من هذا غريبة.

وأما الصابون فهل يجوز أن تستعمله المحدث؟ فنقول: إن كان طيباً فإنه لا يجوز، وإن كان زكاءً فهذا لا بأس به، والزكاء كالتفاح مثلاً له رائحة طيبة، النعناع له رائحة طيبة، الأترج له رائحة طيبة، هذا لا يضر؛ لأنه ليس بطيب.
وأيضاً مشط الشعر لا بأس به، وتغسيله بالصابون غير المطيب لا بأس به.
وأما كلامها في الهاتف فلا حرج فيه، وأما خروجها للقاضي فيجوز أيضاً؛ لأنه قد يكون للحاجة، وليس ضرورياً؛ لأنها تستطيع أن توكل ولكنه يجوز في النهار.

المهم الإحداذُ معروفٌ بالأشياء الخمسة التي ذكرناها.

- ٢٩١١- هَذَا وَرُوِيَتْهُ الْكَلِيمُ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ أَثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
٢٩١٢- فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْنَةٌ هَلْ قَالَه؟ فَالْحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ
٢٩١٣- وَلِذَلِكَ أَعْرَضَ فِي «الصَّحِيحِ» مُحَمَّدٌ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلَا نِسْيَانِ
٢٩١٤- وَالِدَارَ قُطْنِي الْإِمَامُ أَعْلَهُ بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّانِ
٢٩١٥- أَتَسُّ يَقُولُ: رَأَى الْكَلِيمَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ فَأَعْجَبَ لِذَا الْفُرْقَانِ! (١)
٢٩١٦- فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالْمَرْفُوعِ وَاشْوَاقًا إِلَى الْعِرْفَانِ
٢٩١٧- بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ لَا تَطْرَحُنَهُ (٢) فَمَا هُمَا سَيَّانِ

(١) في نسخة برلين والتميمورية «العرفان».

(٢) في النسخ المخطوطة كلها «لا تطرحه» بدون نون.

- ٢٩١٨ - لَكِنْ تُقَلَّدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِنْ مَنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بَيَانِ
- ٢٩١٩ - فَرَوَاتُهُ الْأَثْبَاتُ أَعْلَامُ الْهُدَى حُفَّاطُ هَذَا الدِّينِ فِي الْأَزْمَانِ
- ٢٩٢٠ - لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصًّا بِهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانِ
- ٢٩٢١ - فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ خَبْرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَأْنِ
- ٢٩٢٢ - فِيهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي قَدِمَاتَ وَهُوَ مُحَقِّقُ الْإِيمَانِ
- ٢٩٢٣ - فَتَمَثَّلُ الشَّمْسُ الَّتِي قَدِ كَانَ يَرُ عَاهَا لِأَجْلِ صَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ
- ٢٩٢٤ - عِنْدَ الْغُرُوبِ يَخَافُ فَوْتَ صَلَاتِهِ فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكِينَ: هَلْ تَدَعَانِي
- ٢٩٢٥ - حَتَّى أُصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا؟ قَالَا: سَتَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْآنِ
- ٢٩٢٦ - هَذَا مَعَ الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ لَا الَّذِي حُكِيَتْ لَنَا بِشُبُوتِهِ الْقَوْلَانِ

الشرح

سبق أن الذين قالوا بحياة النبي ﷺ، بل بحياة الأنبياء في قبورهم استدلوا بأن النبي ﷺ رأى موسى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ^(١) فتكلم المؤلف - رحمه الله - على هذا الحديث فقال:

- ٢٩١١ - هَذَا وَرُؤْيَا الْكَلِيمِ مُصَلِّيًّا فِي قَبْرِهِ أَثَرٌ عَظِيمُ الشَّانِ
- ٢٩١٢ - فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةٌ هَلْ قَالَه؟ فَالْحَقُّ مَا قَدِ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

قَوْلُهُ: «فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةٌ» تصغير حَسَكَةٍ، وَالْحَسَكُ فِي الْأَصْلِ نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ لَهُ شَوْكٌ، وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ (حُسَيْكَةً) لِلْعِدَاوَةِ، إِذَنْ يَجُوزُ فِيهَا وَجْهَانُ:

الوجه الأول: (حُسَيْكَةً) أَي: بَعْضُ الْقَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِكَلَامِ ابْنِ الْقِيَمِّ لَمَّا قَالَ: (فِي الْقَلْبِ مِنْهُ حُسَيْكَةً) الْعِدَاوَةُ، بَلِ الْمُرَادُ فِيهِ قَلْقٌ وَشَكٌّ. الْوَجْهَ الثَّانِي: (حُسَيْكَةً).

فَالْمَعْنَى أَنَّ قَلْبَ الْمُؤَلِّفِ لَمْ يَرْتَحْ لِهَذَا الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ، وَوَجْهُ هَذَا الشَّيْءِ الَّذِي فِي قَلْبِ الْمُؤَلِّفِ يَقُولُ: (هَلْ قَالَه؟)، يَعْنِي: هَلْ قَالَه النَّبِيُّ ﷺ.

قَوْلُهُ: «فَالْحَقُّ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ» يَعْنِي: فَإِنْ كَانَ قَدْ قَالَه فَهُوَ حَقٌّ، وَلَا عِبْرَةٌ بِمَا فِي قَلْبِي؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ يَجِبُ أَنْ يَنْقَادَ انْقِيَادًا تَامًّا لِمَا جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلِمَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَالْأَلَا يَتَرَدَّدُ فِي تَنْفِيذِهِ إِنْ كَانَ حُكْمًا، وَلَا فِي قَبُولِهِ إِنْ كَانَ خَبْرًا، ثُمَّ اسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لِمَا فِي قَلْبِهِ عَنْ هَذَا الْأَثَرِ فَقَالَ:

٢٩١٣ - وَلِذَلِكَ أَعْرَضَ فِي «الصَّحِيحِ» مُحَمَّدٌ عَنْهُ عَلَى عَمْدٍ بِلَا نَسِيَانٍ

قَوْلُهُ: «مُحَمَّدٌ» هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ.

يَقُولُ: إِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ مُسْلِمٌ، وَالْبُخَارِيُّ أَعْرَضَ عَنْهُ، مَعَ أَنَّ إِعْرَاضَهُ عَنْهُ لَيْسَ نَسِيَانًا، وَلَكِنْ كَأَنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لَمْ يَكُنْ عَلَى شَرْطِهِ؛ فَلِذَلِكَ أَعْرَضَ عَنْهُ، فَجَعَلَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- هَذَا عِلَّةً.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِعِلَّةٍ؛ لِأَنَّ كَوْنَ الْبُخَارِيِّ لَمْ يَرَوْهُ الْحَدِيثَ وَيُرْوِيهِ مُسْلِمٌ لَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْحَدِيثَ ضَعِيفٌ، فَكَمْ مِنْ أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ أَعْرَضَ عَنْهَا الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ-، وَلَكِنْ غَيْرَهُ صَحَّحَهَا!

٢٩١٤- وَالِدَارَقُطْنِي الْإِمَامُ أَعْلَهُ بِرِوَايَةٍ مَعْلُومَةٍ التَّبَيَّانِ

٢٩١٥- أَنَسٌ يَقُولُ: رَأَى الْكَلِيمَ مُصَلِّيًا فِي قَبْرِهِ فَاعْجَبَ لِذَا الْفُرْقَانِ!

قَوْلُهُ: «وَالِدَارَقُطْنِي الْإِمَامُ أَعْلَهُ» أَي: أَعْلَ الْحَدِيثِ. أَعْلَهُ بِمَاذَا؟ الْجَوَابُ: بِالْوَقْفِ، أَي أَنَّ الَّذِي قَالَ: إِنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامَ- رَأَى مُوسَى يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ هُوَ أَنَسٌ، فَيَكُونُ مَتْنَهُ الْحَدِيثَ الصَّحَابِيِّ، وَمَا كَانَ مُنْتَهِيًا إِلَى الصَّحَابِيِّ فَإِنَّهُ يَكُونُ مَوْقُوفًا.

وَعِنْدِي أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِعِلَّةٍ، حَتَّى لَوْ ثَبَتَ أَنَّهُ لَمْ يَصِلْ إِلَّا إِلَى أَنَسٍ فَلَيْسَ بِعِلَّةٍ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَالَ بِالرَّأْيِ، وَأَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْسَ مِنَ الَّذِينَ عُرِفُوا بِالْأَخْذِ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ حَتَّى نَشْكَّ فِيهَا أَخْبَرَ بِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ، وَقَدْ نَصَّ الْمُحَقِّقُونَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ أَنَّهُ إِذَا قَالَ الصَّحَابِيُّ قَوْلًا لَيْسَ لِلرَّأْيِ فِيهِ مَجَالٌ فَلَهُ حُكْمُ الرَّفْعِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ هَذَا الْقَائِلُ مِمَّنْ عُرِفَ بِالْأَخْذِ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَحِينَئِذٍ لَا يُحْكَمُ لِقَوْلِهِ بِالرَّفْعِ؛ لِاحْتِمَالِ أَنَّهُ أَخَذَهُ عَنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

قَوْلُهُ: «فَاعْجَبَ لِذَا الْفُرْقَانِ» أَي: هَذَا الْفُرْقَانِ، فَذَا) هُنَا لَيْسَتْ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْخَمْسَةِ، بَلْ هِيَ اسْمُ إِشَارَةٍ، فَالْمَعْنَى: هَذَا الْفُرْقَانِ.

٢٩١٦- فَرَوَاهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ بِالْمَرْفُوعِ وَأَشْوَاقًا إِلَى الْعِرْفَانِ

جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا، كُلُّنَا نَشْتَأِقُ إِلَى الْعِرْفَانِ، لَكِنْ وَاعْجَبًا أَنْ تَفُوتَ ابْنَ الْقِيَمِ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ؛ لِأَنَّ نَقُولَ: وَإِنْ كَانَ مَوْقُوفًا عَلَى أَنَسٍ فَإِنَّهُ فِي حُكْمِ الرَّفْعِ.

عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَيْضًا عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَضَ الْوَقْفُ وَالرَّفْعُ، وَكُلُّهُ مِنَ الْوَاقِفِ وَالرَّافِعِ ثِقَّةً، فَالْمَقْدَمُ الرَّافِعُ؛ لِأَنَّ مَعَهُ زِيَادَةَ عِلْمٍ. وَلِأَنَّ

الإنسانَ قد يرفع الحديثَ إلى الرسول ﷺ في مجلسٍ من المجالس، ثم يحدثُ به من غير رفعٍ في مجلسٍ آخر، فيسمعه في المجلس الأول أناسٌ، ويروونه عنه مرفوعاً، ويسمعه في المجلس الثاني أناسٌ ويروونه عنه موقوفاً.

أرأيتم الآن لو أن أحداً أسندَ حديثَ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»^(١) إلى عمر بن الخطاب إلى النبي ﷺ صار مرفوعاً، ولو أن أحداً في مجلسٍ من المجالس قال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى» فرواه عنه أحدٌ، فالذي سمعه في المجلس الأول سيرويه مرفوعاً، والثاني سيرويه موقوفاً؛ لأنه لم يُسِنِدْهُ، وهذا يقع دائماً، فمن ثمَّ نقولُ: إنَّه إذا تعارضَ الرَّفْعُ وَالْوَقْفُ وكلا الرَّاويَيْنِ ثِقَّةٌ يُقَدَّمُ الرَّافِعُ لسببين:

السبب الأول: أن معه زيادة علم.

السبب الثاني: أن الرَّاويَ للحديث المرفوعِ قد يحدثُ به غيرَ معزوٍّ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- في بعض المجالس، فيرويه عنه أحدٌ دون عزوِّ إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، وهذا لا ينفي أن يكون مرفوعاً.

قَوْلُهُ: «وَأَشْوَاقًا إِلَى الْعِرْفَانِ» إذا كان ابنُ القِيَمِ -رحمه الله- يقول: «وَأَشْوَاقًا إِلَى الْعِرْفَانِ» فما بالننا نحن؟! اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا وَلِهِ.

٢٩١٧- بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ لَا تَطْرَحُنُهُ فَهْمًا سِيَّانٍ

قَوْلُهُ: «بَيْنَ السِّيَاقِ إِلَى السِّيَاقِ تَفَاوُتٌ» يعني: بين هذا السِّيَاقِ وبين السِّيَاقِ الآخرِ تَفَاوُتٌ، فـ(إلى) هنا بمعنى (بَيْنَ).

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟ رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ». رقم (١٩٠٧).

قَوْلُهُ: «لَا تَطْرَحْنَهُ» وفي نسخة: (لَا تَطْرَحْهُ) بدون نون، إِذَنْ هُمَا نَسَخْتَانِ: (لَا تَطْرَحْهُ فَمَا هُمَا سَيَّانٍ)، أَوْ (لَا تَطْرَحْنَهُ فَمَا هُمَا سَيَّانٍ).

٢٩١٨- لَكِنْ تَقْلَدُ مُسْلِمًا وَسِوَاهُ مِنْ مَنْ صَحَّ هَذَا عِنْدَهُ بَيَّانٍ

المعنى: أَنْ مَنْ قَلَّدَ مُسْلِمًا فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَصَحَّحَهُ، وَأَخَذَ بِهِ، فَلَيْسَ بِمَلُومٍ، لِمَاذَا؟ قَالَ:

٢٩١٩- فُرُوتُهُ الْأَثْبَاتُ أَعْلَامُ الْهُدَى حُفَاطُ هَذَا الدِّينِ فِي الْأَزْمَانِ

فَكَانَ الْمُؤَلَّفَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بَعْدَ أَنْ أَلْقَى الشُّكَّ عَلَى هَذَا الْحَدِيثِ رَجَعَ وَبَيَّنَّ أَنْ مَنْ قَلَّدَ مُسْلِمًا فِي تَصْحِيحِهِ فَقَدْ سَلَكَ مَسَلَكًا صَحِيحًا؛ لِأَنَّ رِوَاةَ أَثْبَاتٍ ثِقَاتٌ أَعْلَامٌ، فَلَا حَرَجَ عَلَيْنَا أَنْ نُقَلِّدَ.

وَالْعِلَّةُ الَّتِي أَشَارَ إِلَيْهَا الدَّارِقُطْنِيُّ تُبَيِّنُ لَكُمْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِعِلَّةٍ، لَكِنْ يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ:

٢٩٢٠- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُحْتَضًا بِهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانٍ

يعني: كَوْنُ الْإِنْسَانِ يَصَلِّي فِي الْقَبْرِ لَيْسَ مُحْتَضًا بِمُوسَى -عَلَيْهِ السَّلَامَةُ-، بَلْ قَدْ يَكُونُ لغيره.

٢٩٢١- فَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ الصَّدُوقُ وَغَيْرُهُ خَبْرًا صَحِيحًا عِنْدَهُ ذَا شَانِ

٢٩٢٢- فِيهِ صَلَاةُ الْعَصْرِ فِي قَبْرِ الَّذِي قَدِمَاتَ وَهُوَ مُحَقَّقُ الْإِيمَانِ

٢٩٢٣- فَتَمَثَّلَ الشَّمْسُ الَّتِي قَدِ كَانَ يَرَى عَاهَا لِأَجْلِ صَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ

٢٩٢٤- عِنْدَ الْغُرُوبِ يَخَافُ فَوَتْ صَلَاتِهِ فَيَقُولُ لِلْمَلَائِكِينَ: هَلْ تَدَعَانِي

٢٩٢٥- حَتَّى أَصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِمَها؟ قَالَا: سَتَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْآنِ

قَوْلُهُ: «فَتُمَثِّلُ الشَّمْسُ» يعني: تُمَثِّلُ له الشَّمْسُ، وكأَنَّها عند الغروب.

الله أكبر! ورد في هذا حديث: أَنَّ الْمَيِّتَ إِذَا دُفِنَ وَأَتَاهُ الْمَلَكَانِ فَإِنَّ الشَّمْسَ تُمَثِّلُ لَهُ وَكَأَنَّهَا عِنْدَ الْغُرُوبِ^(١)، وهذا المَيِّتُ مُحَقَّقُ الْإِيْمَانِ، فهو مؤمنٌ إيمانًا حقيقيًّا، يرفعى الشمس من أجل الأوقات التي يُصَلِّي فيها، وصلاة العصر - كما نعلم - هي أفضل الصلوات، فتمثَّل له الشمس عند الغروب كأنها تريد أن تغرب، فإذا أتاه الملكان يقول لهما: دَعَانِي حَتَّى أَصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ.

فهذا رجلٌ ليس برسول، ويصلي في قبره، فيقول له الملكان: «إِنَّكَ سَتَفْعَلُ» يعني: ستصلي بعد السؤال.

والشاهد قوله: «كَانَ يَزْعَمُهَا لِأَجْلِ صَلَاةِ ذِي الْقُرْبَانِ» كان الأولون قد يجدون مشقة في مراعاة الشمس، وذلك عند الزوال، وإذا صار ظلُّ كلِّ شيءٍ مثله، وعند مغيب الشفق، وعند طلوع الفجر، لكن نحن الآن - والحمد لله - بما أنعم الله علينا من الساعات صارت مراعاة الأوقات سهلةً علينا.

وقوله: «فَيَقُولُ لِلْمَلَكَيْنِ: هَلْ تَدَعَانِي؟» أي: الملكان اللذان يأتيانه في قبره

(١) يعني حديث: «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ حَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلَّوْنَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا، كَانَتْ الصَّلَاةُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَكَانَ الصِّيَامُ عَنْ يَمِينِهِ، وَكَانَتْ الزَّكَاةُ عَنْ يَسَارِهِ، وَكَانَ فِعْلُ الْحَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالْمَعْرُوفُ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَيُوتَى مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَتَقُولُ الصَّلَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَمِينِهِ، فَيَقُولُ الصِّيَامُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُوتَى عَنْ يَسَارِهِ، فَتَقُولُ الزَّكَاةُ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ، ثُمَّ يُوتَى مِنْ قِبَلِ رِجْلَيْهِ فَيَقُولُ فِعْلُ الْحَيْرَاتِ مِنَ الصَّدَقَةِ، وَالصَّلَاةُ، وَالْمَعْرُوفُ، وَالْإِحْسَانُ إِلَى النَّاسِ: مَا قِبَلِي مَدْخَلٌ. فَيُقَالُ لَهُ: اجْلِسْ. فَيَجْلِسُ، فَذُمَّتْ لَهُ الشَّمْسُ فَذُمَّتْ لِلْغُرُوبِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَخْبَرْنَا عَمَّا نَسَأَلُكَ عَنْهُ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: دَعُونِي أَصَلِّي. قَالُوا: إِنَّكَ سَتَفْعَلُ». أخرجه الخلال في السنة (٤/٦٤، رقم ١١٧٦).

يسألانه عن ربه ودينه ونبئه.

وقوله: «حَتَّى أَصَلِّيَ الْعَصْرَ قَبْلَ فَوَاتِهَا؟ قَالَا: سَتَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْآنِ»

فصارت الصلاة الآن في القبر حتى لغير الأنبياء.

٢٩٢٦- هَذَا مَعَ الْمَوْتِ الْمُحَقَّقِ لَا الَّذِي حُكِيَتْ لَنَا بِشُبُوتِهِ الْقَوْلَانِ

يعني: مع أن هذا الرجل قد مات موتًا مُحَقَّقًا، ليس شهيدًا، حتى نقول: إنه حيٌّ، وليس نبيًا حتى نقول: إنه حيٌّ، ومع ذلك فإنه يُصَلِّيَ العصر، حتى لو مات في غير وقت العصر، حتى لو مات الضُّحَى، فإنه يصَلِّيَ العصر فقط.

وهل يُؤَجَّرُ على صلاته هذه؟ الجواب: لا يُؤَجَّرُ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا مات انقطع عمله، فصلاته في القبر ليست صلاةً ثواب، لكن تلذذ فقط، يعني: يرى أنها نعيمٌ، إذن هو لا يُؤَجَّرُ، لكن هذا دليلٌ على شِدَّةِ تعلقه بها.

إِذْنُ فَصَلَاةِ الْعَصْرِ الَّتِي جَاءَتْ مِنْ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - لَا تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ حَيٌّ كَمَا زَعَمَ هَؤُلَاءِ.

٢٩٢٧- هَذَا وَثَابِتُ الْبَنَانِيِّ قَدْ دَعَا الرَّحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الْإِيقَانِ

٢٩٢٨- أَنْ لَا يَزَالَ مُصَلِّيًّا فِي قَبْرِهِ

٢٩٢٩- لَكِنَّ رُؤْيَيْتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةَ الْ-مِعْرَاجِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

٢٩٣٠- يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصَّحَابِ جَمِيعُهُمْ

٢٩٣١- وَلِذَلِكَ ظَنَّ مُعَارِضًا لِصَلَاتِهِ فِي قَبْرِهِ إِذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٢٩٢٢- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ لِيَرَاهُ ثُمَّ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ
٢٩٢٣- فَرَأَاهُ ثُمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا
بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمَكَّنَ الْوَقْتَانِ

الشرح

٢٩٢٧- هَذَا وَثَابِتُ الْبُنَانِيِّ قَدْ دَعَا الرُّحْمَنَ دَعْوَةَ صَادِقِ الْإِيقَانِ

٢٩٢٨- أَنْ لَا يَزَالَ مُصَلِّيًّا فِي قَبْرِهِ إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ إِنْسَانٍ

ذكر المؤلف - رحمه الله - أن ثابتاً البُنَانِيَّ - رحمه الله ^(١) - قد دعا الرحمن دعوة أن لا يزال مصلياً؛ لأنه - رحمه الله - كثير الصلاة، وكانت قد ملكت قلبه، وجعلها الله قرة عينه، فسأل الله إذا أماته أن يجعله مُصَلِّيًّا في قبره.

والله أعلم هل أجاب الله دعوته أم لا؟ لكنَّ الرجلَ لم يسأل شيئاً محالاً؛ لأنَّ هذا لو كان شيئاً محالاً لكان سؤاله الله عدواناً؛ لأنَّ الإنسانَ لا يجوزُ أن يسأل الله الشيءَ المحالَ؛ ولهذا قال: «إِنْ كَانَ أُعْطِيَ ذَلِكَ مِنْ إِنْسَانٍ» يعني: سأل الله قائلاً: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أُعْطَيْتَ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِي الصَّلَاةَ فِي قَبْرِي ^(٢). والله أعلم، ومع ذلك فالأولى ألا يدعوا الإنسانُ بهذا؛ لأنَّ هذا لم يدعُ به الرسولُ ولا الصحابةُ، وهم أفضلُ من ثابتٍ، والرسولُ - عليه الصلاة والسلام - نفسه يقول: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» ^(٣).

(١) هو ثابت بن أسلم أبو محمد البتاني، الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو محمد البتاني مولاهم البصري. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢٤٠، رقم ٣٥٦٧٧).

(٣) أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨، رقم ١٢٣١٥)، والنسائي: كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، رقم

ثمَّ أورد المؤلفُ إشكالاً على الحديث الذي رواه مسلمٌ في صحيحه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ»^(١) إشكالاً في الحقيقة قد يُقال: إنه أولى بتعليل الحديث ممَّا ذكره المؤلفُ سابقاً، فالمؤلفُ سابقاً أعلَّ الحديثَ بأنه رُوي موقوفاً، لكن هذا الذي أورده الآن قد يكونُ أولى بتعليل الحديث ممَّا سبق، وهو أَنَّ بَعْضَهُمْ أعلَّ الحديثَ فقال: كيف يراه يُصَلِّي في قبره، ثمَّ يراه في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ هذا شيءٌ مستحيلٌ، أجاب عنه ابنُ القيمِ فقال:

٢٩٢٩- لَكِنَّ رُؤْيَيْتَهُ لِمُوسَى لَيْلَةً أَلْ - مِعْرَاجٍ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

٢٩٣٠- يَرْوِيهِ أَصْحَابُ الصَّحَاحِ جَمِيعُهُمْ وَالْقَطْعُ مُوجِبُهُ بِلَا نَكْرَانَ

قَوْلُهُ: «وَالْقَطْعُ مُوجِبُهُ بِلَا نَكْرَانَ» يعني أن هذا يُوجبُ القطعَ بلا نكران.

٢٩٣١- وَلِذَلِكَ ظَنَّ مُعَارِضًا لِصَلَاتِهِ فِي قَبْرِهِ إِذْ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

كيف يراه مُصلِّياً في قبره ويراه بعد ذلك في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ؟! لكن أجاب عنه ابنُ القيمِ فقال:

٢٩٣٢- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ لِإِرَائِهِ ثُمَّ مُشَاهَدًا بِعِيَانِ

يعني أَنَّ اللَّهَ أُسْرِيَ بِمُحَمَّدٍ لِيَرَى مُوسَى، وهما متلازمان، لكن رآه في الأرض في قبره يُصَلِّي، ورآه في السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، ولا تعارض؛ ولهذا قال:

٢٩٣٣- فَرَأَهُ ثُمَّ وَفِي الضَّرِيحِ وَلَيْسَ ذَا بِنْتِنَاقُضٍ إِذْ أَمَكَّنَ الْوَقْتَانَ

قَوْلُهُ: «الضَّرِيحِ» يعني القبر.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى ﷺ، رقم (٢٣٧٥).

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ ذَا بِتَنَاقُضٍ إِذْ أَمَكَنَّ الْوَقْتَانِ»؛ لِأَنَّ اللَّيْلَ طَوِيلٌ، وَهُوَ لَمْ يَرِ
مُوسَى فِي آنٍ هُوَ الَّذِي رَأَاهُ فِيهِ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، وَمَا دَامَ الْوَقْتَانِ مُخْتَلِفَيْنِ فَإِنَّهُ
يُمْكِنُ أَنْ يَرَاهُ أَوَّلًا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَرَاهُ ثَانِيًا فِي السَّمَاءِ لِاخْتِلَافِ الْوَقْتَيْنِ.

- ٢٩٣٤- هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنا التَّسْلِيمِ^(١) مَنْ
يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ
٢٩٣٥- مَا ذَاكَ مُحْتَصًّا بِهِ أَيْضًا كَمَا
قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
٢٩٣٦- مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَاتَى بِتَسْ-
لِيمٍ عَلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانٍ
٢٩٣٧- رَدَّ الْإِلَهَ عَلَيْهِ حَقًّا رُوحَهُ
حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ رَدًّا بَيِّنًا
٢٩٣٨- وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ
لَمَّا يَصِحُّ وَظَاهِرُ النُّكْرَانِ
٢٩٣٩- فَانظُرْ إِلَى الْإِسْنَادِ تَعْرِفْ حَالَهُ
إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
٢٩٤٠- هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ: هُمْ أَحْيَاءٌ لَمْ
كُنْ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الْأَبْدَانِ
٢٩٤١- وَالتُّرْبُ مَحْتَهُمْ وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ
وَعَنِ السَّمَائِلِ ثُمَّ عَنْ أَيْمَانِ
بِاللَّهِ مِنْ إِنْكَ وَمِنْ بُهْتَانِ
مِثْلَ الَّذِي قَدْ قُلْتُمُوهُ مَعَاذَنَا
بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمْ تَعَالَى مِثْلَ مَا
٢٩٤٤- لَكِنْ حَيَاتُهُمْ أَجَلٌ وَحَالُهُمْ
أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الْإِحْسَانِ
٢٩٤٥- هَذَا وَأَمَّا عَرَضُ أَعْمَالِ الْعِبَا
دِ عَلَيْهِ فَهُوَ الْحَقُّ ذُو إِمْكَانِ

(١) في النسخ المخطوطة كلها: «لسلام».

- ٢٩٤٦- وَأَتَى بِهِ أَثْرُ فَإِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ
 ٢٩٤٧- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُحْتَصًّا بِهِ
 ٢٩٤٨- فَعَلَى أَبِي الْإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعِيئُهُ
 ٢٩٤٩- إِنْ كَانَ سَعِيًّا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ
 ٢٩٥٠- أَوْ كَانَ سَعِيًّا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَا
 ٢٩٥١- وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى
 ٢٩٥٢- يَا رَبِّ إِنِّي عَائِدٌ مِنْ خِزْيَةٍ
 ٢٩٥٣- ذَلِكَ الشَّهِيدُ الْمُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ أَلِ
 ٢٩٥٤- لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي
 ٢٩٥٥- هَدَى نَهَايَاتُ لِإِقْدَامِ الْوَرَى
 ٢٩٥٦- وَالْحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُوبُ
 ٢٩٥٧- وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعَ أَحْكَامِهَا
 ٢٩٥٨- فَارَضَ الَّذِي رَضِيَ الْإِلَهَ لَهُمْ بِهِ
- سُتُّ بِهِ فَحَقُّ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
 أَيُّضًا بِأَثَارِ رُويْنَ حِسَانِ
 وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الْإِخْوَانِ
 وَاسْتَبَشَرُوا يَا لِدَّةِ الْفَرَحَانِ
 لُؤَا: رَبِّ رَاجِعُهُ إِلَى الْإِحْسَانِ
 هَذَا الْحَدِيثُ عَقِيبُهُ بِلِسَانِ
 أَخْزَى بِهَا عِنْدَ الْقَرِيبِ الدَّانِي
 مَحْبُوبٌ بِالْغُفْرَانِ وَالرَّضْوَانِ
 لِلْمُضْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلَانِ
 فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّنْكَ صَعِبِ الشَّانِ
 لُ بَنِي الزَّمَانِ لِنِغْلَظَةِ الْأَذْهَانِ
 وَصِفَاتِهَا لِلْإِلْفِ بِالْأَبْدَانِ
 أَتْرِيدُ تَنْقُضَ حِكْمَةَ الدِّيَانِ؟!

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله -:

- ٢٩٣٤- هَذَا وَرَدُّ نَبِيِّنَا التَّسْلِيمِ مَنْ
 يَأْتِي بِتَسْلِيمٍ مَعَ الْإِحْسَانِ

٢٩٣٥- مَا ذَاكَ مُحْتَصًّا بِهِ أَيضًا كَمَا قَدْ قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

يعني: كون الرسول -عليه الصلاة والسلام- إذا سلّم أحدٌ عليه ردَّ اللهُ عليه روحه فردَّ -عليه السّلام-^(١) -وهذا الحديثُ أخرجه أبو داود- يقول ابنُ القيم: هذا ليس مختصًّا به، بل قد قاله المبعوثُ بالقرآن، لكن ماذا قال المبعوثُ بالقرآن؟
قال:

٢٩٣٦- مَنْ زَارَ قَبْرَ أَخٍ لَهُ فَاتَى بِتَسْبِئٍ لِيَمِّ عَلَيْهِ وَهُوَ ذُو إِيمَانٍ

٢٩٣٧- رَدَّ إِلَيْهِ عَلَيْهِ حَقًّا رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ رَدًّا بَيِّنًا

فقد روى ابنُ عبد البر^(٢) من حديثِ ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ». قال ابنُ عبد البر: إسنادهُ صحيحٌ. لكن هذا الرَّدُّ هل يقتضي أن يكون حيًّا كحياته على ظهر الأرض؟ الجواب: لا، بل هو حيٌّ حياةً برزخيَّةً لا نعلمُ كيفيتها.

أنت الآن في منامك حيٌّ لكنّها حياةٌ نوم، وهي وفاة، وفي القبر تكون حيًّا حياةً برزخيَّةً وأنت ميّت، أي: وفاة، فالرُّوحُ لها شأنٌ عظيمٌ في تعلُّقها بالبدن، لا أحدٌ يدركه، فهذا الحديثُ صحيحٌ، وإن كان بعضُ العلماء المتأخّرين حمل عليه وقال: إنه ضعيفٌ ولا يصحّ.

(١) كما في حديث: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ». أخرجه أبو داود:

كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤١)..

(٢) انظر: الاستذكار (١/١٨٥).

ولا شكَّ أنَّهم أرادوا بهذا دفعَ كُلِّ شُبْهَةٍ يتعلَّقُ بها البطَّالون الذين يتعلَّقون بأصحاب القبور، ويقولون: إنَّهم يسمعون، وإننا نأتي إليهم نسألهم أن يشفعوا لنا عند الله، وما أشبه ذلك.

لكنَّ هذا لا يستلزم أن نُضَعِّفَ الأحاديثَ الصحيحةَ التي لا ترمي إلى هذا بصلَّةٍ، فكونُ الميت تُرَدُّ عليه رُوحُه ليرُدَّ السَّلامَ لا يستلزمُ أن تبقى رُوحُه حتَّى يخاطبه هذا المُسلَّمُ بكُلِّ ما يريد، والحديثُ إنما ورد بأنَّه يرُدُّ السَّلامَ فقط، فنقتصرُ على هذا، ونقول: بعد هذا لا يمكنُ أن يسمعَ شيئاً؛ لأنَّ الأصلَ فيما يُدعى من سماعِ أهل القبور الرجوعُ إلى السَّمْعِ؛ لأنه من الأمور الغيبية؛ فإذا كان الميتُ يسمعُ قرعَ نعالمهم إذا انصرفوا منه عند الدفن لم يلزمُ أن يكونَ يسمعُ ذلك إذا جاءوا إليه مرةً أخرى؛ لأنَّ الميتَ ميِّتٌ، ولا نُثبِتُ من أحواله إلَّا ما جاء به النَّصُّ.

فلو جاء أحدٌ إلى القبور وجعل يمشي بنعاله، فهل يمكنُ أن نقولَ: إنَّ أهل القبور يسمعون قرعَ النعال كما يسمعه مَنْ دُفِنَ؟ الجواب: لا، وهكذا كُلُّ الأمور الغيبية يجبُ أن يُقتصرَ فيها على النَّصِّ.

فنقول في درءِ مفسدةٍ تعلَّقَ أصحابُ القبور بحديثِ ردِّ الروح على المُسلَّمِ عليه ليرُدَّ على مَنْ سلَّم عليه؛ درءُ ذلك بأن نقولَ: إنَّ النَّصَّ إنما جاء في ردِّ السَّلام فقط، ولا تعلَّقَ لكم بما سوى ذلك؛ ولهذا جزم به ابنُ القيم -رحمه الله- هنا، ونقلَ عن ابن عبد البرِّ تصحيحَه في كتاب (الروح)^(١) ولم يتعقَّبَه.

٢٩٣٨- وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ لَمَّا يَصِحُّ وَظَاهِرُ النُّكْرَانِ

(١) انظر: كتاب الروح (ص: ١٢).

٢٩٣٩- فَانظُرْ إِلَى الْإِنْسَانِ تَعْرِفَ حَالَهُ إِنَّ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ بِهَذَا الشَّانِ
قَوْلُهُ: «وَحَدِيثُ ذِكْرِ حَيَاتِهِمْ بِقُبُورِهِمْ» وهو حديث: «الأنبياءُ أحياءٌ في
قُبُورِهِمْ»^(١)، لكن ابن القيم يقول: إنه ليس بصحيح، وإنه لا يلزم من ردِّ الروح
عند السَّلام أن تكون مستقرَّةً في البدن دائماً.

٢٩٤٠- هَذَا وَنَحْنُ نَقُولُ: هُمْ أَحْيَاءٌ لَكِ كِنِ عِنْدَنَا كَحَيَاةِ ذِي الْأَبْدَانِ

٢٩٤١- وَالرُّبُّ تَحْتَهُمْ وَفَوْقَ رُءُوسِهِمْ وَعَنِ السَّمَائِلِ ثُمَّ عَنِ أَيَّامِنِ

٢٩٤٢- مِثْلَ الَّذِي قَدْ قَلْتُمُوهُ مَعَاذَنَا بِاللَّهِ مِنْ إِفْكِ وَمِنْ بُهْتَانِ

يعني أننا نقول: هم أحياء، لكن هل نقول: إنهم أحياء كحياتنا والترُّب تحتهم، وفوق رؤوسهم، وعن السَّمَائِلِ، ثُمَّ عَنِ أَيَّامِنِ، مثل الذي قد قلتموه؟! لأنَّ هؤلاء يقولون: إنهم أحياء كحياة الدنيا، فنحن نقول: هم أحياء لكن ليس كحياة الدنيا، (مَعَاذَنَا بِاللَّهِ مِنْ إِفْكِ وَمِنْ بُهْتَانِ).

٢٩٤٣- بَلْ عِنْدَ رَبِّهِمْ تَعَالَى مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي الشُّهَدَاءِ فِي الْقُرْآنِ

كُلُّ هذا يريد أن يرُدَّ عليهم، حيث قال في أوَّل الكلام: إنَّه يلزم على قولهم
أَنَّ الرُّسُلَ فِي قُبُورِهِمْ لَيْسُوا بِرُسُلٍ، لماذا؟ قالوا: لأنَّ الحياةَ عَرَضٌ من أعراض
الجسم، ومعلومٌ أنه لا رسالةَ إِلَّا بِحَيَاةٍ، فإذا كانت الحياةَ عَرَضًا وفُقدت بالموت
لزم من ذلك فَقْدُ الرِّسَالَةِ.

هم دفعوا هذا، وقالوا: إِنَّ الأنبياءَ أحياءٌ، فقلنا لهم: هم أحياء لكن ليست

(١) أخرجه أبو يعلى (١٤٧/٦)، رقم (٣٤٢٥)، والديلمي (١١٩/١)، رقم (٤٠٣)، وقال الحافظ في
الفتح (٤٨٧/٦): أخرجه البيهقي في كتاب حياة الأنبياء في قبورهم وصححه.

حياتهم كحياة الدنيا، بل هي حياة برزخيَّة، وعلى هذا فإنه لا يُمكنكم دَفْعُ ما قلناه من إلزامكم ببطلان الرِّسالة بموت الرسول؛ لأنَّ الحياة في البرزخ غيرُ الحياة في الدنيا، لكنَّه يقول:

٢٩٤٤- لَكِنْ حَيَاتُهُمْ أَجَلٌ وَحَالُهُمْ أَعْلَى وَأَكْمَلُ عِنْدَ ذِي الْإِحْسَانِ

الحياة البرزخيَّة أعلى وأكمل من الحياة الدنيا، وكذلك مقامُ الأنبياء في الآخرة أعلى وأكمل عند الله عزَّ وجلَّ، فالإنسان إذا فارقت رُوحه بدنه في الدنيا مات، وانتقل من الدنيا بما فيها من الكدِّ والصَّفْو، والنعيم والبؤس، إلى دار النعيم؛ لأنَّ المؤمنَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ^(١)، ويأتيه من رُوحها ونيعمها وَيُسْرٌ؛ ولهذا تقول رُوحه عند حملة: «قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي»^(٢)؛ لأنها قد بُشِّرَتْ بنعيم أعلى من نعيم الدنيا بكثير، نسأل الله أن يجعلني وإياكم منهم؛ فلهذا اختلف الحال، فحياة البرزخ وحياة الدنيا بينهما فرقٌ عظيمٌ.

٢٩٤٥- هَذَا وَأَمَّا عَرَضُ أَعْمَالِ الْعِبَا دِعَالِيهِ فَهَوَ الْحَقُّ ذُو إِمْكَانٍ

٢٩٤٦- وَآتَى بِهِ أَثْرًا فَإِنْ صَحَّ الْحَدِيثُ سُبُّهُ فَحَقُّ لَيْسَ ذَا نِكْرَانٍ

عرضُ أعمالِ العباد على الرسول^(٣) - عليه الصلاة والسلام - يقول المؤلف: «حقُّ ذو إمكانٍ» لكن إن صحَّ الحديثُ فعرضُ الأعمالِ على الرسول ممكنٌ عقلاً، لكن يبقى النظرُ هل صحَّ سمعاً أم لم يصحَّ؟ ولهذا فقوله: «فَهُوَ الْحَقُّ ذُو إِمْكَانٍ»

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنَّة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب كلام الميت على الجنائز، رقم (١٣١٤).

(٣) عزاه السيوطي في جامع الأحاديث (١١/٢٩٢، رقم ١٠٨٠٨) للحكيم، وقال الألباني في

ضعيف الجامع الصغير (٢٤٤٦): موضوع.

يعني: ليس مستحيلاً عقلاً؛ فإنَّ صَحَّ الأثرُ فإنه حقٌّ.

وقول المؤلف: «إِنْ صَحَّ» هذا طعنٌ في الحديث وتوقُّفٌ في صحته، وعليه فإنَّ كلامَ الشَّارحِ الهَرَّاسِ^(١) - رحمه الله - على ابن القَيِّمِ في هذا المقام فيه نظرٌ؛ لأنَّ ابنَ القَيِّمِ لم يصحح الحديث، بل قال: «إِنْ صَحَّ الحديثُ بِهِ فحقٌّ» والذي يقول: «إِنْ صَحَّ» هل هو كالذي يقول: قد صَحَّ؟ الجواب: أبداً، بل إنَّ هذا طعنٌ وعِلَّةٌ في الحديث.

٢٩٤٧- لَكِنَّ هَذَا لَيْسَ مُخْتَصَّاً بِهِ أَيْضاً بِأَثَارِ رُوَيْدِ بْنِ حَسَّانٍ
يعني: إذا صَحَّ فهو ممكنٌ، وأيضاً ليس بمختصٍّ به، بل تُعْرَضُ الأعمالُ على غير الرسولِ - عليه الصلاة والسلام -؛ ولذا قال:

٢٩٤٨- فَعَلَى أَبِي الْإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ وَعَلَى أَقَارِبِهِ مَعَ الْإِخْوَانِ

٢٩٤٩- إِنْ كَانَ سَعْيًا صَالِحًا فَرِحُوا بِهِ وَاسْتَبَشَرُوا يَا لَذَّةِ الْفَرْحَانِ

٢٩٥٠- أَوْ كَانَ سَعْيًا سَيِّئًا حَزِنُوا وَقَالُوا: رَبِّ رَاجِعْهُ إِلَى الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «فَعَلَى أَبِي الْإِنْسَانِ يُعْرَضُ سَعْيُهُ» يعني: أنَّ أبا الإنسان يُعْرَضُ سَعْيُ ابنه عليه في قبره بعد مماته، يعني: يُعْرَضُ عمله.

أشار المؤلفُ إلى أنَّ هناك آثاراً تدلُّ على أنَّ أعمالَ الإنسان تُعْرَضُ على أبيه وعلى أقاربه، فإنَّ كان حسناً فَرِحُوا واستبشروا، وإنَّ كان سيئاً حَزِنُوا لذلك، وسألوا الله أن يردَّه إلى الأعمالِ الصالحة^(٢).

(١) انظر: شرح القصيدة النونية (٢/٢٤)، للشَّيخِ محمد خليل هَرَّاس - رحمه الله -.

(٢) أخرجه أحمد (٣/١٦٤، رقم ١٢٧٠٦).

لكنَّ الظاهرَ أنَّ هذه الأحاديثَ وإن كانت حساناً عنده لكنَّها لا تصحُّ؛ وذلك لأنَّ أعمالَ العباد التي لا ليس لها صلةٌ بالميت لا فائدةٌ من عرضها على الميت؛ لأنها إذا كانت سيئةً فسوف يحزنُ ويتألمُ، وإنما قلنا: (التي لا صلةٌ لها بالميت) احترازاً من البكاء على الميت، فإنَّ البكاءَ على الميت يُعذَّبُ به الميتُ، ويتألمُ منه كما يتعذَّبُ المسافرُ بالسفر؛ كما صحَّ في الحديث: «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»^(١)، «وَبِأَنْبِيحِ عَلَيْهِ»^(٢) أما كونُ الأعمالِ تُعرَضُ على الأموات في القبور فهذا فيه نظرٌ.

والذي يظهرُ أنَّ الأحاديثَ كُلَّها لا تصلُّ إلى درجة الحسن كما قال ابنُ القيم -رحمه الله-، يعني أنَّ ابنَ القيم يرى أنَّ هذه الآثارَ تصلُّ إلى درجة الحسن، والظاهرُ خلاف ذلك.

٢٩٥١- وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَقِيْبَهُ بِلِسَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِذَا» أَي: وَلِأَجْلِ كَوْنِ أَعْمَالِ الْقَرَابَةِ تُعْرَضُ عَلَى أَقَارِبِهِمْ اسْتِعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَقِيْبَهُ، يَعْنِي أَنَّ الصَّحَابِيَّ الَّذِي رَوَى حَدِيثَ عَرْضِ أَعْمَالِ الْإِنْسَانِ عَلَى أَقَارِبِهِ اسْتِعَاذَ لَمَّا ذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ:

٢٩٥٢- يَارَبِّ إِنِّي عَائِذٌ مِنْ خِزْيَةِ أَخْزَى بِهَا عِنْدَ الْقَرِيبِ الدَّانِي

اسْتِعَاذَ بِاللَّهِ أَنْ يُخْزَى عِنْدَ قَرِيبِهِ، وَقَرِيبُهُ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب قول النبي ﷺ: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه». إذا كان النوح من سنته، رقم (١٢٨٦)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٩٢٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ما يكره من النياحة على الميت، رقم (١٢٣٠)، ومسلم: كتاب الكسوف، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه، رقم (٩٢٧).

٢٩٥٣- ذَاكَ الشَّهِيدُ الْمُرْتَضَى ابْنُ رَوَاحَةَ أَلِ - مَحْبُوبٌ بِالْغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «ذَاكَ الشَّهِيدُ» الإِشَارَةُ إِلَى الْقَرِيبِ الدَّانِي.

وَالْقَائِلُ هُوَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، وَكَلَامُ الْهَرَّاسِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي هَذَا الْمَوْضِعِ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّ الَّذِي اسْتَعَاذَ هُوَ ابْنُ رَوَاحَةَ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ؛ إِنَّمَا الَّذِي اسْتَعَاذَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، اسْتَعَاذَ مِنْ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا سَيِّئًا يُحْزَى بِهِ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)؛ لِأَنَّهُ كَانَ مِنْ أَقْرَابِهِ؛ وَهَذَا يَقُولُ: (وَلِذَا اسْتَعَاذَ مِنَ الصَّحَابَةِ مَنْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَقِيْبُهُ) مُتَعَلِّقٌ بِ(اسْتَعَاذَ) فَالَّذِي اسْتَعَاذَ هُوَ أَبُو الدَّرْدَاءِ.

٢٩٥٤- لَكِنَّ هَذَا ذُو اخْتِصَاصٍ وَالَّذِي لِلْمُصْطَفَى مَا يَعْمَلُ الثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ هَذَا» الْمَشَارُ إِلَى عَرْضِ الْأَعْمَالِ عَلَى الْأَمْوَاتِ سِوَى النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّ هَذَا مَخْتَصٌّ بِالْأَقْرَابِ، فَعَرْضُ الْأَعْمَالِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ مَخْتَصٌّ بِالْأَقْرَابِ، إِنْ صَحَّتِ الْآثَارُ، أَمَّا النَّبِيُّ ﷺ فَالْعَرْضُ عَلَيْهِ يَكُونُ عَامًّا مِنْ جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ.

وَالْخِلَاصَةُ أَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ اسْتَدَلُّوا عَلَى حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَبْرِهِ بِأَنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَيْهِ، فَابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ: هَذَا الْحَدِيثُ إِنْ صَحَّ فَهُوَ مُمْكِنٌ، وَمَعَ هَذَا فَلَا يَلْزَمُ أَنْ تَكُونَ حَيَاتُهُ كَحَيَاةِ الدُّنْيَا، ثُمَّ قَالَ: وَلَيْسَ هَذَا خَاصًّا بِالرَّسُولِ؛ فَإِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى أَقْرَابِهِمْ، ثُمَّ فَرَّقَ بَيْنَ عَرْضِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ عَلَى الْأَقْرَابِ وَبَيْنَ عَرْضِ أَعْمَالِ الْأُمَّةِ عَلَى الرَّسُولِ بِأَنَّ عَرْضَ أَعْمَالِ الْأُمَّةِ عَلَى الرَّسُولِ عَامٌّ، وَعَرْضَ أَعْمَالِ الْأَقْرَابِ خَاصٌّ بِالْأَقْرَابِ.

(١) يَعْنِي حَدِيثَ أَبِي الدَّرْدَاءِ: «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ مَوْتَاكُمْ، فَيَسْرُونَ وَيَسَاءُونَ». وَكَانَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَعْمَلَ عَمَلًا يُحْزَى بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ». أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي الزَّهْدِ (٢/٤٢).

٢٩٥٥- هَذِي نِهَائَاتٌ لِإِقْدَامِ الْوَرَى فِي ذَا الْمَقَامِ الضَّنْكِ صَعْبِ الشَّانِ
المؤلف - رحمه الله - بعد أن ذكر هذا قال: إنَّ هذا ما انتهت إليه أقدامُ الناس
في هذا الزمان الضنك الصعب الدقيق.

٢٩٥٦- وَالْحَقُّ فِيهِ لَيْسَ تَحْمِلُهُ عُقُو لُ بَنِي الزَّمَانِ لِغِلْظَةِ الْأَذْهَانِ
يعني: لأنَّ أذهانهم غليظة لا تتحمَّلُ الأشياءَ الدقيقةَ والفُرُوقَ الدقيقةَ،
فنحن الآن فرَّقنا بين حياة الدنيا وحياة البرزخ، ونفرَّقُ أيضًا بين حياة البرزخ
وحياة القيامة؛ فإنَّ بينهما فرقًا عظيمًا كبيرًا؛ لأنَّه في حياة القيامة تعودُ الرُّوحُ إلى
الجسد عودًا كاملًا، ويبقى الجسد متحرِّكًا، لكن في الحياة البرزخية عودُ الرُّوحِ إلى
البدن ليس كاملًا، ولذلك لا يتحرَّكُ البدنُ ولا يتغيَّرُ عن حاله، أمَّا في الآخرة فإنَّ
عودَ الرُّوحِ إلى البدن عودٌ كاملٌ حقيقيٌّ، يتحرَّكُ البدنُ، ويمشي الناس، ويكونُ
الناسُ أجسامًا بأرواح.

٢٩٥٧- وَلِجَهْلِهِمْ بِالرُّوحِ مَعَ أَحْكَامِهَا وَصِفَاتِهَا لِلْإِلْفِ بِالْأَبْدَانِ
يعني: ولأنَّ عقولَ بني الزمان يجهلون بالروح وأحكامها؛ ولهذا اختلفوا في
الروح، ما هي الروح؟ على خلاف كثير، وأحكامُ الروح وتعلُّقاتها بالبدن أيضًا
اختلفوا فيها اختلافًا كثيرًا؛ لأنهم إنما ألفوا الأبدانَ وأحكامها، أمَّا الأرواح فهم
عنها بمَعزِلٍ؛ ولهذا قال:

٢٩٥٨- فَارْضَ الَّذِي رَضِيَ الْإِلَهَ لَهُمْ بِهِ أَتْرِيدُ تَنْقُضَ حِكْمَةَ الدِّيَانِ؟!
معناه: ارضَ بحالهم، وتكلَّم معهم على مقتضى حالهم.

قَوْلُهُ: «أَتْرِيدُ تَنْقُضَ حِكْمَةَ الدِّيَانِ؟!» الجواب: لا، فلا أحدَ يريدُ ذلك،

والله عزَّ وجلَّ حكيمٌ يَهَبُ فضلَهُ مَنْ يَشَاءُ، فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْطِيهِ مِنَ الْحِكْمَةِ مَا تَتَبَيَّنُ لَهُ بِهَا الْأَشْيَاءُ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَكُونُ غَلِيظَ الطَّعْمِ مَتِينِ الذَّهْنِ، لَا يَفْهَمُ الْفُرُوقَ وَلَا يَعْرِفُهَا.

- ٢٩٥٩- هَلْ فِي عُقُولِهِمْ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي
أَعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِحِنَانِ
٢٩٦٠- وَتَرُدُّ أَوْقَاتَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْ
أَتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ؟
٢٩٦١- وَكَذَلِكَ إِنْ زُرْتَ الْقُبُورَ مُسَلِّمًا
رُدَّتْ لَهُمْ أَرْوَاحُهُمْ لِأَنَّ
٢٩٦٢- فَهُمْ يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ لَكِنْ
كَانَتْ تَسْمَعُهُ بِذِي الْأُذُنَانِ
٢٩٦٣- هَذَا وَأَجْوَابُ الطُّيُورِ الْخَضِرِ مَنْ
كُنْهَا لَدَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
٢٩٦٤- مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلَهُ هَذَا فَلَا
تَظْلِمُهُ وَاعْذُرُهُ عَلَى التُّكْرَانِ
٢٩٦٥- لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَيْرُ ذِي الْأَجْسَامِ لَا
تُهْمِلُهُ شَأْنُ الرُّوحِ أَعْجَبُ شَأْنِ
٢٩٦٦- وَهُوَ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِيهِ فَلَمْ
يَعْرِفْهُ غَيْرُ الْفَرْدِ فِي الْأَزْمَانِ
٢٩٦٧- هَذَا وَأَمْرٌ فَوْقَ ذَلِكَ لَوْ قُلْتُهُ
بَادَرْتَ بِالْإِنْكَارِ وَالْعُدْوَانِ
٢٩٦٨- فَلِذَلِكَ أَمْسَكْتُ الْعِنَانَ وَلَوْ أَرَى
ذَلِكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي الْمَيْدَانِ
٢٩٦٩- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهُا مَخْلُوقَةٌ
وَحُدُوثُهَا الْمَعْلُومُ بِالْبُرْهَانِ
٢٩٧٠- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهُا لَيْسَتْ كَمَا
قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ
٢٩٧١- لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هِيَ خَارِجٌ
عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدِّيَانِ

- ٢٩٧٢- وَاللَّهُ لَا الرَّحْمَنَ أَنْبَأْتُمْ وَلَا
أَزْوَاحَكُمْ يَا مُدَّعِي الْعِرْقَانِ
- ٢٩٧٣- عَطَلْتُمْ الْأَبْدَانَ مِنْ أَزْوَاحِهَا
وَالْعَرْشَ عَطَلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

الشرح

يَبِّنَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - أَنَّ شَأْنَ الرُّوحِ لَا مَدْخَلَ لِلْعَقْلِ فِيهِ؛ لِأَنَّ شَأْنَهَا
أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تَدْرِكَهُ الْعُقُولُ؛ وَهَذَا قَالَ:

- ٢٩٥٩- هَلْ فِي عُقُولِهِمْ بِأَنَّ الرُّوحَ فِي
أَعْلَى الرَّفِيقِ مُقِيمَةٌ بِجَنَانِ
- ٢٩٦٠- وَتَرُدُّ أَوْقَاتَ السَّلَامِ عَلَيْهِ مِنْ
أَتْبَاعِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ؟

يعني بذلك أَنَّ رُوحَ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ، كَمَا كَانَ يَقُولُ عِنْدَ مَوْتِهِ
صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(١)، وَمَعَ ذَلِكَ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ
أَحَدٌ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ هَذِهِ الرُّوحَ مِنْ أَعْلَى عِلِّيِّينَ إِلَى مَكَانِهِ فِي الْقَبْرِ وَبِلَحْظَةٍ؛ لِأَنَّ شَأْنَ
الرُّوحِ عَظِيمٌ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يُقَاسَ بِشَأْنِ الْجِسْمِ الْكَثِيرِ، فَشَأْنُهَا عَظِيمٌ لَا يَدْرِكُهُ
الْعَقْلُ إِطْلَاقًا.

- ٢٩٦١- وَكَذَلِكَ إِنْ زُرْتَ الْقُبُورَ مُسَلِّمًا
رُدَّتْ لَهُمْ أَزْوَاحُهُمْ لِأَنَّ

يعني: عِنْدَ سَلَامِكَ إِذَا مَرَرْتَ فَقَلَّتْ: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ) رَدَّ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ أَرْوَاحَهُمْ فَرَدُّوا عَلَيْكَ السَّلَامَ؛ وَهَذَا قَالَ:

- ٢٩٦٢- فَهُمْ يَرُدُّونَ السَّلَامَ عَلَيْكَ لَـ
كِنْ لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الْأَذْنَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤١٧٢)، ومسلم: كتاب
السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١).

قَوْلُهُ: «لَسْتَ تَسْمَعُهُ بِذِي الْأُذُنَانِ» يعني: لا تسمعه، وهذا معلومٌ، لكن هم يسمعون؛ ولهذا تقول: (السَّلَامُ عَلَيْكُمْ) بحرف الخطاب (دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ).

وزعم بعض العلماء أَنَّ الْخِطَابَ هُنَا يُرَادُ بِهِ خِطَابُ الْحَاضِرِ، لَا الْفَاهِمِ، وَأَنَّهُ كَقَوْلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِلْحَجَرِ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ»^(١)، فَقَالَ: «أَنَّكَ» بكاف الخطاب، ومعلومٌ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ خِطَابُهُ؛ لِأَنَّهُ حَجَرٌ، قَالَ: فَخِطَابُ هَؤُلَاءِ الْمَوْتَى بِقَوْلِكَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ» كَخِطَابِ عُمَرَ لِلْحَجَرِ بِقَوْلِهِ: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ»، وَلَكِنْ فِيهِ نَظَرٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِحُّ أَنْ يُقَاسَ الْمَوْتَى بِالْحَجَرِ، فَالْمَوْتَى أَبْدَانٌ لَهَا أَرْوَاحٌ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ يُرِدُّ رُوحَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُ فَمَا الْمَانِعُ مِنْ أَنْ يُرَدَّ أَرْوَاحَ هَؤُلَاءِ إِذَا سَلَّمَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُ لِيُرَدُّوا عَلَيْهِ؟! وَلَكِنْ لِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا الرَّدَّ لَيْسَ رَدًّا تَكْلِيفِيًّا، يَعْنِي: أَنَّهُ لَيْسَ يَثَابُ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ «إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ»^(٢)، لَكِنَّ الْفَائِدَةَ مِنْهُ لِلْحَيِّ الْمُسْلِمِ، حَيْثُ يَقُولُونَ: (عَلَيْكَ السَّلَام).

وليس معنى أنهم يرُدُّون السَّلَامَ أَنْ نَذِيبَ إِلَيْهِمْ وَنَوَاسِنَهُمْ، وَتُحَدِّثُهُمْ، نَقُولُ مَثَلًا: الْيَوْمَ حَصَلَ فِي الْبَلَدِ الْفُلَانِي كَذَا، حَصَلَ فِيضَانَاتٌ، حَصَلَ اضْطِرَابَاتٌ، فَهَذَا يَحْتَاجُ إِلَى تَوْقِيفٍ، وَلَا أَظُنُّ هَذَا يَثْبُتُ، فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْأَمْوَاتَ لَا يُؤَدِّنُ لَهُمْ إِلَّا بَرْدَ السَّلَامِ فَقَطْ.

فَأَرَى أَنَّ هَذَا يُقَيَّدُ بِمَا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ، وَكَثْرَةُ التَّرْدَادِ عَلَى الْأَمْوَاتِ رَبْمَا تُخْلَلُ بِالْإِنْسَانِ عَقْلِيًّا؛ لِأَنَّهُ مَعَ كَثْرَةِ التَّرْدَادِ رَبْمَا تَنْفَعُلُ نَفْسُهُ حَتَّى يَكُونَ كَأَنَّهُ فِي عَالَمِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧). ومسلم: كتاب الحج، باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف، رقم (١٢٧٠).
(٢) أخرجه مسلم: كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

الأموات فيتأثر بهذا، ثُمَّ هل كان الرسول -عليه الصلاة والسلام- يزور المقبرة كلَّ يوم؟ إذا كان يزورها فعلى العين والرأس.

٢٩٦٣- هَذَا وَأَجْوَابُ الطُّيُورِ الْخُضْرِ مَسَدٌ كُنْهًا لَدَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ

أرواح المؤمنين في أجواف طيور خضر، وهم الشهداء عند الله -سبحانه وتعالى-، فهي في هذه الأجواف كرامة لها.

٢٩٦٤- مَنْ لَيْسَ يَحْمِلُ عَقْلُهُ هَذَا فَلَا تَظْلِمُهُ وَاعْذُرْهُ عَلَى النُّكْرَانِ

وهذا صحيح، فالإنسان عدو ما لا يعرف، فإذا كانت عقول هؤلاء لا تتحمل هذه المعاني ولا يمكنها أن تجمع بين هذا وهذا فلا تظلمه واعذره على النكران.

ومراد المؤلف -رحمه الله- بهذا: تهوين شأن هؤلاء والخط من قدرهم، يعني أنهم ليسوا أهلاً لأن يُدركوا الجمع بين هذه النصوص، وإنما هم بئله فاعذرهم على بلاهتهم، وليس المراد أن لهم عذراً في عدم التصديق بالنصوص، بل هم غير معذورين، لكن إذا كانوا بئله لا يستطيعون الجمع بين ما ورد فهوؤلاء معذورون كما يُعذَرُ الطفل.

٢٩٦٥- لِلرُّوحِ شَأْنٌ غَيْرُ ذِي الْأَجْسَامِ لَا تُهْمِلُهُ شَأْنُ الرُّوحِ أَعْجَبُ شَأْنِ

٢٩٦٦- وَهُوَ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِيهِ فَلَمْ يَعْرِفْهُ غَيْرُ الْفَرْدِ فِي الْأَزْمَانِ

من الذي يعرفه؟ الفرد في الأزمان هو الذي أقر بما جاء به الرسول ﷺ في شأن الأرواح؛ لأنه عرفه من طريقه الصحيح، وهو طريق الوحي؛ إذ إنه لا مدخل للعقول فيه.

٢٩٦٧- هَذَا وَأَمْرٌ فَوْقَ ذَا لَوْ قُلْتُهُ بَادَرْتَ بِالْإِنْكَارِ وَالْعُدْوَانِ

٢٩٦٨- فَلِدَاكَ أَمْسَكْتُ الْعِنَانَ وَلَوْ أَرَى ذَاكَ الرَّفِيقَ جَرَيْتُ فِي الْمَيْدَانِ

يقول: هناك شيء فوق الذي ذكرت، ولو قلته لبادرت بالإنكار؛ لأنه فوق مستواك، ويقول: فلذلك أمسكت العنان، ونقول: ليته أعلمنا به - رحمه الله -.

قوله: «ولو أرى ذاك الرفيق» يعني: لو أرى أحداً يكون رفيقاً لي في فهم ما أقول جريت في الميدان، ولكنه لا يرى أحداً يجاربه على ما فهم من النصوص؛ فلهذا أمسك عن الخوض والقول؛ لأنه يرى أن عقول هؤلاء لا تبلغه، وقد قال ابن مسعود رضي الله عنه: «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»^(١)؛ لأنه إذا لم يتحمّله عقله، فإنه يبادر إلى الإنكار فيكون في هذا فتنة.

٢٩٦٩- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ وَحُدُوثُهَا الْمَعْلُومُ بِالْبُرْهَانِ

قوله: «هذا وقولي أنها مخلوقة» (أنها) يتعين الفتح؛ لأن (أنها) خبر (قول) وليست مقول القول، و(إن) إنما تُكسّر إذا كانت مقول القول، وهنا هي خبر، يعني: (هذا وأقول: إنها مخلوقة) هذا معنى الكلام.

قوله: «وقولي أنها مخلوقة» أي: كونها مخلوقة هو قولي الذي أقول به وأدين الله به.

قوله: «وحديثها المعلوم بالبرهان» يعني أن الأرواح مخلوقة حادثه، لكن متى تُخلق؟ الظاهر - والله أعلم - أنها تُخلق حين يريد الله - سبحانه وتعالى - نفخها في الجسد؛ لأننا لا نعلم لها حالاً قبل ذلك كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه أنه «إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَنْفُخُ فِيهِ

(١) أخرجه مسلم: المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

الرُّوح»^(١)، فالظاهر أن الأرواح تُخلَق عند نفخ الروح في الجسد؛ لأنه قبل ذلك ليس لها ذِكْرٌ، قال تعالى: ﴿هَذَا أَنَّى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، إذنٌ فهي حادثةٌ مخلوقةٌ، خلافًا لِمَن قال بِقَدَمِهَا.

٢٩٧٠- هَذَا وَقَوْلِي أَنَّهُ لَيْسَتْ كَمَا قَدْ قَالَ أَهْلُ الْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ

٢٩٧١- لَا دَاخِلٌ فِيْنَا وَلَا هِيَ خَارِجٌ عَنَّا كَمَا قَالُوهُ فِي الدِّيَانِ

يعني: وكذلك أقول: ليست الروحُ كما قال أهل الإفك والبُهتان: «لا داخلٌ فينا ولا هي خارجٌ عنَّا كما قالوه في الدِّيَانِ» سبحانه الله!

يقول: الروحُ ليست داخلَ العالم، ولا خارجَ العالم، كما أن الله ليس داخلَ العالم ولا خارجَ العالم، إذنٌ أين تذهبُ الروحُ؟ إذا كانت الروحُ لا داخلَ العالم ولا خارجَه فأين تذهبُ؟! إذنٌ هي عدمٌ، وأيضًا قولهم: الرحمنُ ليس بداخل العالم ولا خارجَه إذنٌ هو أيضًا عدمٌ؛ ولهذا قال:

٢٩٧٢- وَاللَّهُ لَا الرَّحْمَنَ أَتَبْتُمْ وَلَا أَرْوَاحَكُمْ يَا مُدَّعِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ لَا الرَّحْمَنَ أَتَبْتُمْ» لماذا لم يُثبتوا الرحمن؟ لأنهم يقولون: إن الله لا داخلَ العالم ولا خارجَه.

قَوْلُهُ: «وَلَا أَرْوَاحَكُمْ» ولا أرواحهم؛ لأنهم يقولون: لا داخلَ العالم ولا خارجَ العالم، سبحانه الله!

قَوْلُهُ: «يَا مُدَّعِي الْعِرْفَانِ» ما أبلغَ هذا التهكُّمَ بهم! تهكُّمٌ شديدٌ، وهذا كما

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢)، ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣).

قال بعض العلماء في قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] إن هذا من باب التهكم الذي يُرادُ به الإهانة التامة.

إن أحدهم يقول: والله إنَّ رُوحِي لا داخلَ العالم ولا خارجَه، فنقول: أليست بجسمك الآن؟ هل أنت لا داخلَ العالم ولا خارجَه؟ فأنت الآن لا عرفتَ اللهَ ولا عرفتَ نفسك، ومع ذلك تدَّعي أنت أنك صاحبُ الفلسفة، وصاحبُ الحكمة، وصاحبُ العقل، وصاحبُ النظر، ولهذا يُسمُّون أنفسهم النُّظَّارَ، جمع (ناظر) يعني أنهم هم أهلُ النظر والمعرفة، وهذا مُنتهى عقولهم.

٢٩٧٣- عَطَلْتُمُ الْأَبْدَانَ مِنْ أَرْوَاحِهَا وَالْعَرْشَ عَطَلْتُمْ مِنَ الرَّحْمَنِ

الأبدان عطَّلوها من الأرواح؛ لأنه إذا كانت رُوحُ الإنسان لا داخلَ ولا خارجَ العالم فمعناه أن جسده ليست به رُوحٌ، وإذا كان الرحمنُ لا داخلَ العالم ولا خارجَه فمعناه: أنه ليس هناك رحمنٌ على العرش.

لكن هل الأولى التوقُّف في مسألة الروح أو الأولى إذا بدا له شيءٌ واستنباطُ من الكتاب والسُّنة أن يقولَ به؟

نقول: الواجبُ على مَنْ بدا له شيءٌ من الكتاب والسُّنة أن يعتقده، أمَّا نشرُه بين الناس فهذا يُنظرُ فيه للمصلحة، فقد يكونُ من المصلحة أن تُبقي الناسَ على ما هم عليه من فطرهم، وتدعَ هذا الخوضَ والتفاصيلَ في هذا الشيء، وقد يكونُ من المصلحة أن تُبيِّنَ، فإذا كُنَّا وسط قومٍ قد صار عندهم بحثٌ في حقيقة الروح وكيفيتها، وما أشبه ذلك، فالواجب أن تُبيِّنَ هذه الأشياء، ولا سيما إذا كنت ترى مثلاً أن هؤلاء يتكلمون فيها بباطل، أمَّا إذا كنت عند قومٍ لم يعرفوا إلا ما فُطروا عليه على وجه الإجمال فقد يكونُ في التفصيل فتنةٌ.

فصل

فِي كَسْرِ الْمَنْجَنِيقِ الَّذِي نَصَبَهُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ عَلَى مَعَاقِلِ الْإِيمَانِ وَحُصُونِهِ (١)

جِيلًا بَعْدَ جِيلٍ

- ٢٩٧٤ - لَا يُفْرِزَنَّكَ قَعَاقِعُ وَفَرَاقِعُ وَجَعَاجِعُ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
- ٢٩٧٥ - مَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يَهْوُلُكَ غَيْرُ ذَا
- ٢٩٧٦ - وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوهُ التَّرْكِيبُ مَنْ
- ٢٩٧٧ - أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْجَنِيقَ فَإِنَّهُمْ
- ٢٩٧٨ - بَلَّغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ فَهَدَّتِ (٢) الْأُ
- ٢٩٧٩ - اللَّهُ كَمْ حِصْنٍ عَلَيْهِ اسْتَوْلَتْ الْأُ
- ٢٩٨٠ - وَاللَّهُ مَا نَصَبُوهُ حَتَّى عَبَّرُوا (٣)
- ٢٩٨١ - وَمِنَ الْبَلْبَلِيَّةِ أَنَّ قَوْمًا بَيْنَ أَهْلِ
- ٢٩٨٢ - وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابُ أَهْلِ
- ٢٩٨٣ - فَتَرَكَّبَتْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَوَفَاقَ مَنْ
- وَجَعَاجِعُ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
- كَ الْمَنْجَنِيقِ مُقَطَّعِ الْأَرْكَانِ
- صُوبًا عَلَى الْإِبْطَاتِ مُنْذُ زَمَانِ
- نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاقِلِ الْإِيمَانِ؟
- شُرْفَاتٍ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
- كُفَّارٌ مِنْ ذَا الْمَنْجَنِيقِ الْجَانِي!
- قَصْدًا عَلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
- لِ الْحِصْنِ وَاطْوَاهُمْ عَلَى الْعُدْوَانِ
- لِ الْحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الْكُفْرَانِ
- فِي الْحِصْنِ أَنْوَاعٌ مِنَ الطُّغْيَانِ

(١) في نسخة التيمورية: «وخصومه» بالخاء المعجمة.

(٢) في نسختي ابن سحمان: «فهزت» بالزاي المعجمة.

(٣) في نسخة برلين والإفتاء والتيمورية وابن سحمان: «غبروا» بغير بعدها ياء معجمتين.

- ٢٩٨٤- وَجَرَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ
مَنْ ذَبْنَ تَقْدِيرًا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٢٩٨٥- وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ دِينَهُ الرُّ
رَحْمَنُ كَانَ كَسَائِرِ الْأَدْيَانِ
- ٢٩٨٦- لَكِنْ أَقَامَ لَهُ الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ
يَزَكَّا مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
- ٢٩٨٧- فَرَمَوْا عَلَى ذَا الْمَنْجِنِيقِ صَوَاعِقًا
وَحَجَارَةً هَدَّتْهُ لِلْأَرْكَانِ
- ٢٩٨٨- فَاسْأَلْهُمْ مَا ذَا الَّذِي يَعْنُونَ بِالتَّ
تَرْكِيْبِ فَالتَّرْكِيبُ سِتُّ مَعَانٍ؟
- ٢٩٨٩- إِحْدَى ^(١) مَعَانِيهِ هُوَ التَّرْكِيبُ مِنْ
مُتَبَايِنٍ كَتَرْكِيبِ الْحَيَوَانِ
- ٢٩٩٠- مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، كَذَا أَعْضَاؤُهُ
قَدْرُكِبْتُ مِنْ أَرْبَعِ الْأَرْكَانِ
- ٢٩٩١- أَفَلَا زِمْنَا لِلصِّفَاتِ لِرَبِّنَا
وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ؟
- ٢٩٩٢- وَلَعَلَّ جَاهِلِكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا:
ذَا لَا زِمْنَا الْإِثْبَاتِ بِالْبُرْهَانِ
- ٢٩٩٣- فَالْبُهْتُ عِنْدَكُمْ رَخِيصٌ سِعْرُهُ
حَنُوبًا لَا كَيْلَ وَلَا مِيزَانَ

الشرح

يقول المؤلف: «فصل في كسر المنجنيق الذي نصبه أهل التعطيل على معاقل الإيمان وحصونه جيلًا بعد جيل» المنجنيق والمنجنيق هو آلة حربية تستعمل في القتال تُشبه ما يسمّى الآن بالمدافع، والمراد بالمنجنيق هنا هو التركيب الذي جعله أهل التعطيل مُستندهم، وقالوا: إنَّ إثبات الصفات يستلزم التركيب، والتركيب ممتنع؛ لأنه يستلزم الحدوث من وجه، وافتقار المركب إلى ما معه من المركب، وإذا

(١) في نسخة التيمورية: «أهدى».

كان اللازم باطلاً كان المزوم باطلاً؛ فلذلك لا تُثبِت الصفاتِ خوفاً من التركيب.
قال المؤلف - رحمه الله -:

٢٩٧٤- لَا يُفْرِزَنَّكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِعٌ وَجَعَاجِعٌ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «لَا يُفْرِزَنَّكَ قَعَاقِعٌ وَفَرَاقِعٌ» الْقَعَقَعَةُ: هِيَ صَوْتُ الْجِلْدِ الْيَابِسِ وَمَا
أَشْبَهَهُ يَقَعَعُ.

والفراقع: هي صوتٌ أضعفُ من هذا، ومنه قولهم: (فرقة الأصابع).
والجعاجع: بالقول، أو هو الصوت، ومنه قولهم: «تَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا تَرَى
طِحْنًا».

يقول: هذه الأصوات من الفراقع والقعاقع والجعاجع كلها عارية عن
البرهان.

٢٩٧٥- مَا عِنْدَهُمْ شَيْءٌ يَهْوُلُكَ غَيْرُ ذَاكَ الْمَنْجَنِيقِ مُقَطَّعِ الْأَرْكَانِ
يعني أنه منجنيق، لكنه ليس له أركانٌ فلا يُثبِتُ.

٢٩٧٦- وَهُوَ الَّذِي يَدْعُونَهُ التَّرْكِيبَ مَنْدٌ صُوبًا عَلَى الْإِثْبَاتِ مُنْذُ زَمَانٍ
قَوْلُهُ: «يَدْعُونَهُ التَّرْكِيبَ» يعني: يُسَمُّونَهُ التَّرْكِيبَ، هذا هو الذي عندهم،
فيقول ابن القيم:

٢٩٧٧- أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْجَنِيقَ فَإِنَّهُمْ نَصَبُوهُ تَحْتَ مَعَاقِلِ الْإِيمَانِ؟
قَوْلُهُ: «مَعَاقِلِ الْمَعَاقِلِ: جَمْعُ (مَعْقِلٍ)، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يَنْعَقِلُ بِهِ الْإِنْسَانُ
وَيَتَحَصَّنُ بِهِ.

يقول: أَخْبِرْنِي عن هذا المنجنيق فَأَتَمُّهم نصبوه على أي شيء؟ الجواب: نصبوه تحت معاقل الإيَّان.

٢٩٧٨- بَلَّغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ فَهَدَّتِ الْشُرَفَاتِ وَاسْتَوْلَتْ عَلَى الْجُدْرَانِ
قَوْلُهُ: «بَلَّغَتْ حِجَارَتُهُ الْحُصُونَ» يعني: أنه يبلغ، وليس منجنيقًا سهلاً، لكن سَيِّبِئِ الْمَوْلَفُ - رحمه الله - أن أثره ضعيفٌ.

٢٩٧٩- اللَّهُ كَمَ حِصْنٍ عَلَيْهِ اسْتَوْلَتْ الْكُفَّارُ مِنْ ذَا الْمَنْجَنِيقِ الْجَانِي!
هذا الحصن الذي نصبوه على معاقل الإيَّان صار سُلَّمًا للكفار يُنكرون به ما ثبت بالتواتر، فمثلاً أهل التخيل أنكروا حقائق الإيَّان باليوم الآخر، مستنديين بذلك إلى العِلَّة التي أنكروا أهل التعطيل صفات الله؛ لأنهم يقولون: إنَّ الإيَّان باليوم الآخر لا يقبله العقل، فهم يقولون: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ [يس:٧٨] والذين أنكروا صفات الله قالوا: إنَّ العقل لا يقبلها أيضًا، وإذا كان لا يقبلها فإننا لا نثبتها.

فصار هذا المنجنيق^(١) الذي نصبوه على معاقل الإيَّان سُلَّمًا للكفار يَسْتَنِدُونَ إليه في كفرهم.

٢٩٨٠- وَاللَّهُ مَا نَصَبُوهُ حَتَّى عَبَّرُوا قَصْدًا عَلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
يعني أنهم لم ينصبوا هذا المنجنيق إِلَّا لِيَعْبُرُوا إِلَى الْحِصْنِ الْعَظِيمِ الشَّانِ، وهو ما جاءت به الرُّسُلُ، مِنْ أَجْلِ أَنْ يَهْدِمُوهُ وَيَقْضُوا عَلَيْهِ.

(١) الْمَنْجَنِيقُ بفتح الميم وكسرهما، مع فَتْحِ الْجِيمِ: آله تُرْمَى بِهَا الْحِجَارَةُ عَلَى الْعَدُوِّ، وَذَلِكَ بِأَنْ تُشَدَّ سَوَارِ مُرْتَفَعَةً جَدًّا مِنَ الْخَشَبِ، يُوَضَّعُ عَلَيْهَا مَا يُرَادُ رَمِيَهُ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِسَارِيَةٍ تُوصِلُهُ لِمَكَانٍ بَعِيدٍ جَدًّا، انظر: تاج العروس من جواهر القاموس (١٣٢/٢٥) مادة: جنق.

٢٩٨١- وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنَّ قَوْمًا بَيْنَ أَهْلِ الْحِصْنِ وَاطْوَاهُمْ عَلَى الْعُدْوَانِ

من البليّة أنّ أهل الحصن الذين يرميهم هؤلاء بالمنجنيق واطئوا أهل المنجنيق على العدوان، وكأته يشير إلى أهل التعطيل الذين قاموا ضد أهل الإثبات؛ لأنّ الكفار ينصبون المنجنيق على أهل الإثبات والإيمان، فجاء قوم ممن يدعون أنّهم مسلمون فنصبوا على أهل الإثبات نفس المنجنيق.

٢٩٨٢- وَرَمَوْا بِهِ مَعَهُمْ وَكَانَ مُصَابٌ أَهْلَ الْحِصْنِ مِنْهُمْ فَوْقَ ذِي الْكُفْرَانِ

يعني: الذي أصاب أهل الحصن من هؤلاء الذين واطئوا الكفار صار أشدّ ممّا أصابهم من الكفار؛ لأنّ الكافر إذا رمى أهل السنّة بشيء فكلُّ يردُّ قوله وكلُّ ينفّر منه، لكن إذا جاءنا إنسانٌ من أهل الملة ينصبُّ المنجنيق على أهل السنّة صار ذلك أشدّ؛ لأنّ الذي من أهل الملة يُقبَلُ أكثر من الإنسان الكافر.

٢٩٨٣- فَتَرَكَبَتْ مِنْ كُفْرِهِمْ وَوَفَاقَ مَنْ فِي الْحِصْنِ أَنْوَاعَ مِنَ الطُّغْيَانِ

لأنّ العدو الآن صار من الداخل ومن الخارج.

٢٩٨٤- وَجَرَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنْ ذَيْنِ تَقْدِيرًا مِنَ الرَّحْمَنِ

قوله: «من ذين» المشار إليه: من كان خارج الحصن، ومن كان داخل الحصن.

٢٩٨٥- وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَ دِينَهُ الرَّحْمَنُ كَانَ كَسَائِرِ الْأَدْيَانِ

فالحمد لله، يعني: لولا أنّ الله تدارك دينه بمنّ منّ بهم من أهل السنّة الذين يناضلون ويدافعون لكان كسائر الأديان التي حُرِّفَتْ، وكُتِمَتْ، وتلاعب بها الناس.

٢٩٨٦- لَكِنْ أَقَامَ لَهُ الْإِلَهُ بِفَضْلِهِ يَزْكَامِنَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانَ

أقام الله - سبحانه وتعالى - لهذا الدين يزكًا، واليزك: الظاهر - والله أعلم - أن معناه الجند القوي من الأنصار والأعوان حتى ردوا كيد الحاقدين من داخل الحصن وخارجة.

٢٩٨٧- فَرَمَوْا عَلَى ذَا الْمَنْجِنِيقِ صَوَاعِقًا وَحِجَارَةً هَدَّئْتَهُ لِلْأَرْكَانِ

الحمد لله، رموا على هذا المنجنيق صواعق من فوق، وحجارة من تحت، حتى هدموه وأزالوه، وذلك بما يأتي:

٢٩٨٨- فَاسْأَلْهُمْ مَاذَا الَّذِي يَعْنُونَ بِالْت- تَرْكِبٍ فَالتَّرْكِيبُ سِتُّ مَعَانٍ؟

يعني: اسألهم ما هو التركيب الممتنع الذي جعلوه وسيلة إلى إنكار صفات الله؛ لأنه - على حد زعمهم - باطل، وما استلزم الباطل فهو باطل.

يقول: التركيب له ستة معانٍ، ذكرها قائلًا:

٢٩٨٩- إِحْدَى مَعَانِيهِ هُوَ التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَبَايِنٍ كَتَّرْكِيبِ الْحَيَوَانَ

يعني: المعنى الأول للتركيب ما تركب من أشياء متباينة، مثل: الحيوان، فهو مركب من أعضاء متباينة في حقيقتها، وفي شكلها، وفي منافعها، فاللحم غير العظم، والعظم غير الجلد، والكبد غير الكرش، والكرش غير الأمعاء... وهكذا.

جسم واحد لكنه مركب من أشياء عديدة لا يعلمها إلا الله عز وجل، يعني: ففي الجسم مركبات عظيمة وغريبة وعجيبة، هذا تركيب، هل تقولون: إن الجسم بهذا التركيب صار أجسامًا؟ الجواب: لا، هو جسم واحد، وهو مركب من أشياء متباينة.

٢٩٩٠- مِنْ هَذِهِ الْأَعْضَاءِ، كَذَا أَعْضَاؤُهُ قَدْ رُكِّبَتْ مِنْ أَرْبَعِ الْأَرْكَانِ
الأعضاء أيضًا مركبة من أربعة أركان: يدٌ يُمْنَى، ويدٌ يسرى، ورجلٌ يُمْنَى،
ورجلٌ يسرى.

٢٩٩١- أَفَلَا زِمَ ذَا لِلصِّفَاتِ لِرَبَّنَا وَعُلُوَّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ؟
يعني: هل يلزم أن يكون الإنسان بهذا التركيب متعددًا؟ الجواب: لا.

فإذا كان هذا لا يلزم في المخلوق فكيف يلزم في الخالق؟! فالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ
له صفاتٌ متعددةٌ: سَمْعٌ، وَبَصَرٌ، وَعِلْمٌ، وَقُدْرَةٌ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الصِّفَاتِ، وَهَذَا
لا يلزم التعدد.

٢٩٩٢- وَلَعَلَّ جَاهِلِكُمْ يَقُولُ مُبَاهِتًا: ذَا لَازِمٌ الْإِثْبَاتِ بِالْبُرْهَانِ
يعني: ربما يقول الجاهل منكم: إنَّ هذا لازمٌ، يعني أنَّ هذا التركيبَ يَلْزَمُ
منه التعددُ، ولكن يقول: هذا من باب المباهتة والمكابرة والمرادغة، وإلَّا فحقيقةُ
الأمر أنه ليس كذلك.

٢٩٩٣- فَالْبُهْتُ عِنْدَكُمْ رَخِيصٌ سِعْرُهُ حَنُوءًا بِلا كَيْلٍ وَلا مِيزَانَ
البهت: يعني: الكذب، سِعْرُهُ رَخِيصٌ أو بلا شيءٍ، ومع ذلك: (حَنُوءًا بِلا
كَيْلٍ وَلا مِيزَانَ) مَنْ جَاءَ قَالَ: «الْكَيْسُ بِقِرْشٍ وَهَاتِ» وهذا لا شكَّ أنه بئسَ
المطِيَّةُ، بئسَ مطيَّةُ الرجلِ زعموا.

فهؤلاء -والعياذ بالله- لا يُهْمُهُمْ أَنْ يَبْهَتُوا أَوْ يَكْذِبُوا أَوْ يَقُولُوا شَيْئًا لَا يَدْخُلُ
في العقل بحُجَّةٍ أَنَّهُ هُوَ الْعَقْلُ.

- ٢٩٩٤ - هَذَا وَثَانِيهَا: فَتَرْكِيْبُ الْجَوَا
 ٢٩٩٥ - كَالْحِسْرِ وَالْبَابِ الَّذِي تَرْكِيْبُهُ
 ٢٩٩٦ - وَالْأَوَّلُ الْمَدْعُوُّ تَرْكِيْبَ امْتِزَا
 ٢٩٩٧ - أَفَلَا زِمَ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ؟
 ٢٩٩٨ - وَالثَّالِثُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاتِلٍ
 ٢٩٩٩ - وَالرَّابِعُ: الْجِسْمُ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَيْو
 ٣٠٠٠ - وَالْجِسْمُ فَهَوَ مُرَكَّبٌ مِنْ ذَيْنِ عِنْدَ
 ٣٠٠١ - وَمِنْ الْجَوَاهِرِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْكَلَا
 ٣٠٠٢ - فَالْمُثْبِتُونَ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ الَّذِي
 ٣٠٠٣ - قَالُوا بِأَنَّ الْجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ
 ٣٠٠٤ - هَلْ يُمَكِّنُ التَّرْكِيبُ مِنْ جُزْأَيْنِ أَوْ
 ٣٠٠٥ - أَوْ سِتِّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ
 ٣٠٠٦ - أَفَلَا زِمَ ذَا مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ
 ٣٠٠٧ - وَالْحَقُّ أَنَّ الْجِسْمَ لَيْسَ مُرَكَّبًا
 ٣٠٠٨ - وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي قَدْ أُثْبِتُوا
 رِ وَذَاكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَفْتَرِقَانِ^(١)
 بِجَوَارِهِ لِمَحَلِّهِ مِنْ بَانِي^(٢)
 حٍ وَاخْتِلَاطٍ وَهُوَ ذُو تَبْيَانٍ
 أَيضًا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ!
 يُدْعَى الْجَوَاهِرَ فَرْدَةَ الْأَكْوَانِ
 لِأَهْ وَصُورَتِهِ لَدَى الْيُونَانِ
 سَدَ الْفَيْلَسُوفِ، وَذَاكَ ذُو بَطْلَانِ
 مِ وَذَاكَ أَيضًا وَاضِحُ الْبَطْلَانِ
 زَعَمُوهُ أَصْلَ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ
 وَلَهُمْ خِلَافٌ وَهُوَ ذُو أَلْوَانِ
 مِنْ أَرْبَعٍ أَوْ سِتَّةٍ وَتَكْمَانِ
 يُ لِدِي مَقَالَاتٍ عَلَى التَّبْيَانِ
 وَعُلُوِّهِ؟ سُبْحَانَ ذِي السُّبْحَانِ!
 مِنْ ذَا وَلَا هَذَا هُمَا عَدَمَانِ
 هُ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ

(١) في نسختي برلين والسفاريينية: «يقترنان» بقاف مشناة.

(٢) في نسخة الإفتاء: «ثاني».

- ٣٠٠٩ - لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَزِمَ الْمُحَا
 ٣٠١٠ - مِنْ أَوْجِهٍ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا
 ٣٠١١ - أَتَكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطُّودَ فِي الْ
 ٣٠١٢ - إِذْ كَانَ كُلُّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤُهُ
 ٣٠١٣ - وَإِذَا وَضَعْتَ الْجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثًا
 ٣٠١٤ - فَلِأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلَا يَتَلَاقِيَا^(٢)
 ٣٠١٥ - مَا مَسَّهُ إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الْ
 ٣٠١٦ - هَذَا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُوا غَيْرُهُ
- لِ لِيُوضِحَ^(١) الْبُطْلَانَ وَالْبُهْتَانَ
 جِدًّا لِأَجْلِ صُعُوبَةِ الْأُوزَانِ
 أَجْزَاءٍ فِي شَيْءٍ مِنْ الْأَذْهَانِ!
 لَا تَنْتَهِي بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 فِي الْوَسْطِ وَهُوَ الْحَاجِزُ الْوَسْطَانِي
 حَتَّى يَزُولَ إِذْنٌ فَيَلْتَقِيَانِ
 مَمْسُوسٌ^(٣) لِلثَّانِي بِأَلَا فُرْقَانِ
 فَهُوَ انْقِسَامٌ وَاضِحٌ التَّبْيَانِ

الشرح

- ٢٩٩٤ - هَذَا وَثَانِيهَا: فَتَرْكِيْبُ الْجَوَا
 رِ وَذَلِكَ بَيْنَ اثْنَيْنِ يَفْتَرِقَانِ
 يعني: تركيب بين شيئين متباينين لكنهما متجاوران، مثل: تركيب الباب،
 فالباب مع الجدار هذا تركيب، والباب مع المحمل الدائر عليه (البرواز) هذا
 تركيب، لكن كل واحد منهما منفصل عن الثاني؛ ولهذا قال:
 ٢٩٩٥ - كَالْحِجْرِ وَالْبَابِ الَّذِي تَرْكِيْبُهُ
 بِجَوَارِهِ لِمَحَلِّهِ مِنْ بَانِي

(١) في نسخة الإفتاء وابن سحمان: «الواضح».

(٢) في نسخة التيمورية: «يتواليا».

(٣) في نسختي ابن سحمان: «المحسوس».

يعني: الجسر والباب، الجسر الذي نسميه نحن السقف الذي على الباب، ثم يركب الباب، وهذا نوع من التركيب، ويسمى تركيب الجوار، وتركيب الجوار بالاتفاق لا يعني أنهما شيء واحد، فكل يعرف أن المتجاورين متباينان.

٢٩٩٦- وَالْأَوَّلُ الْمَدْعُوُّ تَرْكِيْبَ امْتِزَا جٍ وَاخْتِلَاطٍ وَهُوَ ذُو تَبْيَانٍ
قَوْلُهُ: «والأول» ما هو الأول؟ الجواب: هو تركيب الواحد من متباينين.

٢٩٩٧- أَفَلَا زِمْنَا مَنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ؟ أَيضًا تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ!
هل يلزم من ثبوت صفات الله أن يكون مركبًا بالمعنى الأول أو بالثاني يعني: تركيب جوار أو تركيب تباين؟ الجواب: لا.

٢٩٩٨- وَالثَّلَاثُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مُتَمَاثِلٍ يُدْعَى الْجَوَاهِرَ فَرْدَةَ الْأَكْوَانِ
الثالث: تركيب الفرد أو الجوهر، وهو أن يتركب شيء مع آخر مماثل له، وهذا وإن كان ابن القيم -رحمه الله- وشيخ الإسلام قد تكلموا به منذ قرون فقد أثبت العلم الحديث.

وقضية علم الذرة أو القنابل الذرية من هذا الباب؛ لأن كل شيء وإن كان متماثلًا فإنه يدور حول شيء، فكل شيء في الإنسان وفي غير الإنسان ذرات يدور بعضها حول بعض، وتتكون هذه الأجسام، منها اللين وهو الذي لا يلتصق بغيره كثيرًا، ومنها القاسي: وهو الذي يكون منضماً بقوة وكثرة مع الآخر؛ ولهذا نجد فرقاً بين لين القطن وقسوة الحديد أو الحجارة؛ وذلك لأن كل واحدة في الحديد والحجارة قد شددت إلى الأخرى بقوة بخلافها في الشيء اللين، هذا يسمونه فيما سبق عند الفلاسفة الجوهر الفرد، وهو الآن ثابت، وأساس القنابل الذرية على

هذا؛ لأنَّ النظرية فيها أنَّ هذه المكونات للأجسام للقنبلة تتمزَّق وتتفرَّق فيحصل التصدُّع للجبال والجدران حتَّى في الإنسان نفسه.

٢٩٩٩- وَالرَّابِعُ: الْجِسْمُ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَيْوٍ لَاهُ وَصُورَتِهِ لَدَى الْيُونَانِ

الرابع: تركيبُ الهَيُولى والصورة، وهذا التركيبُ العام لكلِّ مركَّب، مثلاً: الإنسان: زيد، عمرو، خالد... إلخ، هو في جسمه مركَّب، يسمُّونه المركَّب من الهَيُولى والصورة، الهَيُولى يعني كما نقول: الجسم، والصورة: الشَّكل، فيكون كلُّ شيءٍ مركَّباً من هَيُولاه وصورته.

٣٠٠٠- وَالْجِسْمُ فَهوَ مُرَكَّبٌ مِنْ ذَيْنِ عِنْدَ الْفَيْلَسُوفِ، وَذَلِكَ ذُو بَطْلَانِ

الفلاسفة يقولون: الجسمُ مركَّبٌ من الهَيُولى والصورة، لكنَّ ابنَ القِيَمِ يقولُ: إنَّه ذُو بَطْلَانِ، وليس كذلك، فالجسمُ لا بُدَّ له من صورة، فلا نقولُ: إنَّ الصورةَ مركَّبةٌ معه، فكلُّ جسمٍ لا بُدَّ له من صورة، ولا يصحُّ أن نقولُ: إنَّه مركَّبٌ من شيئين، هو نفسه شيءٌ واحد، ولا بُدَّ لكلِّ شيءٍ موجودٍ بالفعل أن يكونَ له صورةٌ على حسب ما يليقُ به، فأنتم تقولون: إنَّ الجسمَ مركَّبٌ من الهَيُولى والصورة مِن أَجْلِ إنكارِ صفاتِ الله وغيرها؛ لأنكم إذا جعلتم الجسمَ مركَّباً من شيئين صارت الصفاتُ غيرَ الموصوفِ، وهذا هو الذي جعلهم يُنكرون صفاتِ الله؛ لأنَّهم يقولون: لو أثبتنا لله صفةً لزم تعدُّ القدماء، وأن تكونَ هذه الصفاتُ قديمةً، ونفسُ الله عزَّ وجلَّ قديمٌ، فيلزم من ذلك تعدُّ القدماء.

شيخُ الإسلامِ وابنُ القِيَمِ أنكرا هذا، وقالوا: لا يمكنُ أن نقولُ: إنَّ الجسمَ مركَّبٌ من شيئين، بل هو شيءٌ واحدٌ، ولكن لا بُدَّ لكلِّ شيءٍ موجودٍ من صورة.

قالوا: الجسمُ أيضًا مركَّبٌ من الجواهر؛ ولذا قال:

٣٠٠١- وَمِنَ الْجَوَاهِرِ عِنْدَ أَرْبَابِ الْكَلَامِ وَذَٰكَ أَيْضًا وَاضِحُ الْبُطْلَانِ

الجسم عند الفلاسفة من القسم الرابع من التركيب، وعند أهل الكلام من القسم الثالث.

وابن القيم ذكر بطلان الأول، ثم ذكر بطلان الثاني فقال: «وذاك أيضًا واضح البطلان».

٣٠٠٢- فَالْمُتَّبِعُونَ الْجَوْهَرَ الْفَرْدَ الَّذِي زَعَمُوهُ أَصْلَ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ

٣٠٠٣- قَالُوا بِأَنَّ الْجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ وَلَهُمْ خِلَافٌ وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ

هؤلاء الذين يدعون أن الجسم مركَّبٌ من الجواهر الفردة، العلم الحديث يؤيد قولهم في الواقع، لكن ابن تيمية وابن القيم صارا ينكران هذا؛ لأنه لم يكن العلم المادي قد انتهى إلى ما انتهى إليه اليوم، فقالا: إن الجوهر الفرد - وهو الذي لا ينقسم - شيءٌ ممتنعٌ، ما من شيءٍ إلا وهو قابلٌ للانقسام، حتى رأس الإبرة قابلٌ للانقسام، فلا يوجد شيءٌ إلا وهو قابلٌ للانقسام، فإذا قلت: المركَّبُ كُلُّ قَابِلٍ للانقسام لزم أن تصفوا الله بأنه لا شيء، ولزم أن تصفوا الإنسان أيضًا بأنه لا شيء، أو يلزمكم بُبُوتُ الإنسانِ وادِّعاءُ أنه مركَّبٌ من الجواهر الفردة؛ ولهذا (قالوا بِأَنَّ الْجِسْمَ مِنْهُ مُرَكَّبٌ وَلَهُمْ خِلَافٌ وَهُوَ ذُو أَلْوَانٍ) أي: أنواعٌ من الخلاف.

٣٠٠٤- هَلْ يُمَكِّنُ التَّرَكِيبُ مِنْ جُزْأَيْنِ أَوْ مِنْ أَرْبَعٍ أَوْ سِتَّةٍ وَثَمَانٍ

٣٠٠٥ - أَوْ سِتَّ عَشْرَةَ قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ يُّ لِيذِي مَقَالَاتٍ عَلَى التَّبَيَّانِ
فَالْأَقْوَالُ إِذْنُ خَمْسَةٌ: جَزَانٌ، أَرْبَعَةٌ أَجْزَاءٍ، سِتَّةٌ أَجْزَاءٍ، ثَمَانِيَةٌ أَجْزَاءٍ، سِتَّةُ
عَشْرَ جِزَاءً.

قَوْلُهُ: «قَدْ حَكَاهُ الْأَشْعَرِيُّ لِيذِي مَقَالَاتٍ عَلَى التَّبَيَّانِ» (المقالات) أي: كتابُ
اسْمُهُ: (مقالات الإسلاميين) للأشعريِّ - رحمه الله -، ذكر هذه الأنواعَ من التراكيب،
وفندَّ الباطلَ منها.

٣٠٠٦ - أَفَلَا زِمْنَا مَنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ؟ سُبْحَانَ ذِي السُّبْحَانِ!

يعني: هذا التركيبُ الذي هو تركيبُ الجواهرِ الفردة هل يُلْزَمُ من إثبات
صِفَاتِهِ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ مَرْكَبٌ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفُرْدَةِ؟ الجواب: أبدأ؛ لأنَّ جنسَ الخالقِ
يخالفُ جنسَ المخلوقِ، ولا يمكنُ أَنْ يُوَافِقَ المخلوقَ في أيِّ شيءٍ من الأشياءِ.

فإذا كان بنو آدمَ مخلوقين من تراب، والملائكةُ من نور، والشياطينُ والجنُّ
من نار، ومع ذلك فكلُّها أجسامٌ تُرى، واختلفت في أصلها ومادتها، فكيف
تُلْزَمونَ بَأَنَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً لَزِمَهُ أَنْ يَجْعَلَ اللَّهَ مَرْكَبًا مِنَ الْجَوَاهِرِ الْفُرْدَةِ، أَوْ
الهِيُولَى وَالصُّورَةَ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؟!

٣٠٠٧ - وَالْحَقُّ أَنَّ الْجِسْمَ لَيْسَ مَرْكَبًا مِنْ ذَا وَلَا هَذَا هُمَا عَدَمَانِ

ابنُ القيمِ - رحمه الله - ينكرُ أَنْ يَكُونَ الْجِسْمُ مَرْكَبًا مِنَ الْهِيُولَى وَالصُّورَةَ،
ويقول: إِنَّ كُلَّ جِسْمٍ فَهُوَ مَقَارِنٌ لصورته، وليسَ مَرْكَبًا مِنْهَا، وكذلك الجوهر
الفرد.

٣٠٠٨ - وَالْجَوْهَرُ الْفَرْدُ الَّذِي قَدْ أَثْبَتُوهُ فِي الْحَقِيقَةِ لَيْسَ ذَا إِمْكَانِ

٣٠٠٩- لَوْ كَانَ ذَلِكَ ثَابِتًا لَزِمَ الْمُحَا لُ لِوَأَضِحِ الْبُطْلَانِ وَالْبُهْتَانِ

٣٠١٠- مِنْ أَوْجِهِ شَتَّى وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا جِدًّا لِأَجْلِ صُعُوبَةِ الْأَوْزَانِ

يعني: أن إثبات الجوهر الفرد هذا مستحيل، وليس في الحقيقة ممكنا من أوجه متعددة، لكن اعتذر المؤلف عن سردها من أجل صعوبة الأوزان، يعني النظم، ولكنها مذكورة في كتب شيخ الإسلام - رحمه الله - كثيرا، وكذلك في بعض كتب ابن القيم، لكن من جملة بطلانه ما ذكره في قوله:

٣٠١١- أَتَكُونُ خَرْدَلَةٌ تُسَاوِي الطَّوْدَ فِي الْا أَجْزَاءٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَذْهَانِ؟!

٣٠١٢- إِذْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُمَا أَجْزَاؤُهُ لَا تَنْتَهِي بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ

وهذا ليس بممكن، لكن عندهم ممكن؛ لأنهم يقولون: إن الخردلة - وهي حبة صغيرة جدا - تنقسم إلى أجزاء، ولا بد أن تنقسم، وإذا كانت تنقسم إلى أجزاء لا نهاية لها لزم أن تكون مساوية للجبل الطود العظيم.

وهذا شيء لا يمكن لا في شرع ولا في حس ولا في عقل، أن تكون الخردلة مثل الطود، بناء على أنه ما من شيء إلا وهو قابل للانقسام، فيكون هذا مساويا لهذا؛ لأنك حتى لو قلت: قسم الجبل إلى ألف، وقسم الخردلة إلى ألف، والواحد من ألف في الجبل أكثر من الخردلة قسمه أيضا إلى ألف، ثم قسم كل واحد منه إلى ألف، والنهاية أنها لا تنقسم كما أن الخردلة كذلك.

٣٠١٣- وَإِذَا وَضَعْتَ الْجَوْهَرَيْنِ وَثَالِثًا فِي الْوَسْطِ وَهُوَ الْحَاجِزُ الْوَسْطَانِي

٣٠١٤- فَلِأَجْلِهِ افْتَرَقَا فَلَا يَتَلَاقِيَا حَتَّى يَزُولَ إِذْنٌ فَيَلْتَقِيَانِ

٣٠١٥- مَا مَسَّهُ إِحْدَاهُمَا مِنْهُ هُوَ الْـ مَمْسُوسٌ لِلثَّانِي بِلَا فُرْقَانِ

٣٠١٦- هَذَا مُحَالٌ أَوْ تَقُولُوا غَيْرَهُ فَهُوَ انْقِسَامٌ وَاضِحُ التَّبْيَانِ

هذا في الردِّ على المتكلمين الذين أثبتوا الجوهرَ الفردَ، والفلاسفة أثبتوا التركيبَ من الهيولى والصورة، والعجب أن كلَّ واحدٍ من هؤلاء ردَّ على الآخر، وقال: إنَّ الجوهرَ الفردَ غيرُ ممكن، وإنما هو شيءٌ في الخيال، ولو أننا قلنا به للزم أن تتساوى الذرةُ الصغيرةُ التي لا تنتهى لأجزائها بالجبل الكبير؛ لأنَّ كلاً منهما ينتهى إلى لا شيء.

وهذا شيءٌ محالٌ ومكابرةٌ للحسِّ، فلذلك كفى الله المؤمنين القتالَ بردِّ بعض هؤلاء على بعض.

وأولئك المتكلمون أيضاً ردُّوا على هؤلاء بأنَّ الهيولى هي الصورة، وأنَّ لا يمكنُ وجودَ هيولى بلا صورة، والهيولى ماهيةُ الشيء، لا بُدَّ أن يكونَ الهيولى على صورة معيَّنة لا تنفكُ إحداها عن الأخرى.

٣٠١٧- وَالخَامِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الْـ أَوْصَافٍ هَذَا بِاصْطِلَاحِ ثَانِ

٣٠١٨- سَمَّوْهُ تَرْكِيبًا وَذَلِكَ وَضَعُهُمْ مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا فُرْقَانِ

٣٠١٩- لَسْنَا نَقْرُ^(١) بِالْفِظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِالْإِصْطِلَاحِ لِشِيعَةِ الْيُونَانِ

٣٠٢٠- أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ مِنْ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ لَيْسَتْ بِذِي عُرْفَانِ

(١) في نسختي برلين وابن سحمان: «نفر» بالفاء الموحدة.

- ٣٠٢١ - مِنْ ^(١) وَصْفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الـ
عُلْيَا وَنَتْرُكٍ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
- ٣٠٢٢ - وَالْعَقْلِ وَالْفَطْرَاتِ أَيْضًا كُلِّهَا
قَبْلَ الْفَسَادِ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
- ٣٠٢٣ - سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الـ
أَسْمَاءِ بِالْأَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ
- ٣٠٢٤ - هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا التـ
تَرْكِيْبٍ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ فُرْقَانٍ؟
- ٣٠٢٥ - وَاللَّهِ لَوْ نُشِرَتْ شُيُوحُكُمْ لَمَا
قَدَرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ آتَى الثَّقَلَانِ
- ٣٠٢٦ - وَالسَّادِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مَا هِيَ
وَوُجُودَهَا مَا هَاهُنَا شَيْئَانِ
- ٣٠٢٧ - إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا
فِي الدَّهْنِ وَالثَّانِي فِي الأَعْيَانِ
- ٣٠٢٨ - فَهَنَّاكَ يُعْقَلُ كَوْنُ ذَا غَيْرِ الذَّا
فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ
- ٣٠٢٩ - أَمَّا إِذَا اتَّحَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفـ
سٌ وَجُودَهَا هُوَ ذَاتَهَا لَا ثَانِي
- ٣٠٣٠ - مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيْرَ ذَا كَانَ الَّذِي
قَدْ قَالَهُ ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ ^(٢)

الشرح

- ٣٠١٧ - وَالخَامِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ ذَاتٍ مَعَ الـ
أَوْصَافِ هَذَا بِاصْطِلَاحِ ثَانِ
- الخامس: التركيب من الذات والأوصاف؛ فالإنسان مثلاً إنسانٌ بشرٌ ذاتٌ،
أوصافه: الحياة، والعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، وما أشبه ذلك، قالوا: فهذا
تركيبٌ، كيف كان تركيباً؟ قالوا: هذا تركيبٌ من الذات ومن الصفات، فسموا

(١) في نسخة الإفتاء: «في».

(٢) في نسخة الإفتاء: «الغفلان» بغير معجمة ثم فاء موحدة.

هذا تركيباً، ومن ثم أنكروا صفات الله، قالوا: لأننا لو أثبتنا لله صفةً لزم التركيب، ولكن ابن القيم ردّ عليهم فقال:

٣٠١٨- سَمَّوْهُ تَرْكِيْبًا وَذَلِكَ وَضَعُهُمْ مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنٍ

قَوْلُهُ: «سَمَّوْهُ تَرْكِيْبًا وَذَلِكَ وَضَعُهُمْ» يعني: اصطلاحاً، وليس من وضع اللغة.

قَوْلُهُ: «مَا ذَاكَ فِي عُرْفٍ وَلَا قُرْآنٍ» يعني: ليس هذا في عُرف أهل اللغة ولا في القرآن الكريم العربيّ أن يكون الموصوفُ وصفته مُركَّبَيْنِ أبداً، بل الموصوفُ لا يمكنُ أن يوجدَ بلا صفةٍ، كُلُّ موجودٍ فلا بُدَّ له من صفةٍ.

٣٠١٩- لَسْنَا نَقْرُ بِلَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِالِاصْطِلَاحِ لِشَيْعَةِ الْيُونَانِ

يعني أن ابن القيم أنكّر هذا النوع من التركيب، وقال: هذا ليس بتركيب؛ لأنَّ كُلَّ ذاتٍ فهي ملازمةٌ للصفات، فكلُّ ذاتٍ لا بُدَّ أن يكونَ لها صفةٌ، وهل يمكنُ أن يكونَ الموصوفُ بصفاته مركَّبًا من ذاته وصفاته؟ الجواب: لا؛ إذ إنّ الصفاتِ ملازمةٌ للذات، فلا وجودَ لذاتٍ بلا صفةٍ أبداً.

قَوْلُهُ: «لَسْنَا نَقْرُ» في النسخ التي عندنا: (لَسْنَا نَقْرُ)، لكن يقول الشارحُ ابن عيسى - رحمه الله تعالى -: الصوابُ: (لَسْنَا نَقْرُ) بدليل قوله: «مِنْ وَصْفِهِ سَبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الْعَالِيَا»^(١) يعني: لَسْنَا نَقْرُ مِنْ وَصْفِهِ مِنْ أَجْلِ لَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِاصْطِلَاحٍ لَيْسَ مَعْرُوفًا فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَلَا فِي لُغَةِ الْقُرْآنِ.

(١) انظر: توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم (٢/١٨٦)، ط. المكتب الإسلامي.

وعلى هذا فلعلها (نَفَرٌ) بدليل قوله: «من وصفه سبحانه» فيكون البيتُ
«لَسْنَا نَفَرٌ بِلَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ» أي: بسبب لفظة موضوعية بالاصطلاح من وصفه
سبحانه.

قَوْلُهُ: «بِلَفْظَةِ مَوْضُوعَةٍ بِالِاصْطِلَاحِ» ما هي اللفظة الموضوعية؟ هي التركيب
من الذات والصفات، وأنَّ وجودَ الصفاتِ مضافةٌ إلى الذات يُعْتَبَرُ تركيبًا.
قَوْلُهُ: «لِشَيْعَةِ الْيُونَانِ» شيعة اليونان هم المتفلسفة.

٣٠٢٠- أَوْ مَنْ تَلَقَّى عَنْهُمْ مِنْ فِرْقَةٍ جَهْمِيَّةٍ لَيْسَتْ بِذِي عِرْفَانٍ
هنا -رحمه الله- وصف الجهميَّة بأهم مثل البيغاوات تُتَابِعُ بدون معرفة،
فهم أخذوا عن الفلاسفة هذا المعنى، وقالوا: إنَّ هذا تركيبٌ؛ ولهذا يُنكرون
صفاتِ الله عزَّ وجلَّ.

٣٠٢١- مِنْ وَصَفِهِ سُبْحَانَهُ بِصِفَاتِهِ الـ عُلْيَا وَنَتْرَكَ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
٣٠٢٢- وَالْعَقْلَ وَالْفِطْرَاتِ أَيْضًا كُلَّهَا قَبْلَ الْفَسَادِ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

يقول ابن القيم: إنَّ هذا التركيب -تركيب الذات مع الأوصاف- اصطلاحُ
حادثٌ، وهذا لا يُلْزِمُنَا بأن نَفَرَّ من وصف الله -سبحانه وتعالى- بصفاته ونتركُ
مقتضى القرآن، ومقتضى العقل، ومقتضى الفطرة قبل تغييرها وفسادها، ومقتضى
البرهان.

فلا يمكنُ أن نتركَ هذا من أجلِ اصطلاحِ حادثٍ مأخوذٍ عن اليونان، أو
عَمَّن أخذ منهم من فرقة الجهميَّة الجاهلة، بل نقولُ: إنَّ الله -سبحانه وتعالى- ذو
ذاتٍ وصفاتٍ حتَّى وإن سَمَّيْتُمُوهُ تركيبًا فإنَّ ذلك لا يُهْمُنَا.

٣٠٢٣- سَمُوهُ مَا سِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّانُ فِي الْاَسْمَاءِ بِالْاَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ
قَوْلُهُ: «سَمُوهُ مَا سِئْتُمْ» يعني: سَمُوا إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ مَا سِئْتُمْ تَرْكِيبًا أَوْ غَيْرِ
تَرْكِيْب.

قَوْلُهُ: «فَلَيْسَ الشَّانُ فِي الْاَسْمَاءِ بِالْاَلْقَابِ ذَاتِ الشَّانِ» يعني: ليس الشان بأن
تسموه شيئاً مكروهاً فيكون مكروهاً، لا، بل الشان بالمعاني، لو سميتم هذا تركيباً
ونفرتم الناس منه، وقلتم: إن هذا يستلزم أن يكون الباربي عز وجل مركباً من
ذاتٍ وصفاتٍ فإن هذا لا يقبل الحق باطلاً.

٣٠٢٤- هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِيْ اِبْطَالَ ذَا التَّوْحِيدِ مِنْ عَقْلِ وَمِنْ فُرْقَانِ؟

قَوْلُهُ: «هَلْ مِنْ دَلِيلٍ يَقْتَضِيْ اِبْطَالَ ذَا التَّوْحِيدِ؟» الجواب: لا، ليس هناك
دليل يمنع هذا التركيب، ونحن إنما نقول: إنه تركيب بناءً على تسميتكم إياه، وإلا
فنعلم أن الإنسان بصفاته لا يكون مركباً من شيئين، بل هو بصفاته واحد وليس
متعدداً، إذن فلا تركيب، لكن أنتم إذا سميتموه تركيباً فنقول: سَمُوهُ مَا سِئْتُمْ،
نحن سنشبهه لله عز وجل.

قَوْلُهُ: «من عقلي» أي: دليل عقلي.

قَوْلُهُ: «من فرقان» أي: من قرآن: أي: دليل سمعي.

٣٠٢٥- وَاللّٰهُ لَوْ نُشِرَتْ شَيْوُحُكُمْ لَمَّا قَدَرُوا عَلَيْهِ وَلَوْ آتَى الثَّقَلَانِ

يعني: لَا يَقْدِرُ شَيْوُحُكُمْ لَوْ نُشِرُوا أَي: بُعْثُوا بَعْدَ مَوْتِهِمْ، مَا قَدَرُوا عَلَى أَنْ
يَأْتُوا بِدَلِيلٍ.

خلاصة هذا التركيب، وهو تركيب الذات مع الأوصاف:

أولاً: نحن نمنع أن يكون تركيبياً؛ لأنَّ الموصوفَ لا يرى تعدداً بتعدد الصفات، وكُلُّ إنسانٍ عاقلٍ لا يرى أنَّ الموصوفَ إذا وُصِفَ تعددًا بتعدد الصفات، فمثلاً (زيد) إذا قلنا: (إنَّ زيداً سميعٌ) فهل (زيدٌ) يكونُ واحداً؟ فإذا قلنا: (سميعٌ) صار اثنين، فإذا قلنا: (قدير) صار ثلاثة؟ الجواب: أبداً، لا أحدٌ يقولُ بهذا.

ثانياً: لو سلّمنا جدلاً أنَّ هذا تركيبٌ فهل من مانعٍ منه؟ الجواب: أبداً، لا مانع، بل إنَّ الكتابَ والسُّنَّةَ والنظرَ دَلَّ على وجوده، أي: على وجود ذاتٍ موصوفة بالصفات، ولا يُعدُّ هذا تركيباً، ولو سمّيتموه تركيباً فإنه لا يكونُ تركيباً.

٣٠٢٦- وَالسَّادِسُ: التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودِهَا مَا هَاهُنَا شَيْئَانِ

السادس: التركيبُ من الماهية والوجود، هذا أيضاً يُسمَّى تركيباً عند الفلاسفة، ولكنه عند التأملِ ليس بتركيبٍ، فماهية الشيء هي ما يُسألُ عنه بـ(ما) فتقول: ما هو؟ الجواب: إنسانٌ، هذا الماهية.

يقولون: وجودُ الماهية شيءٌ، والماهية نفسها شيءٌ آخر، فإذا قلت: «ماهية ووجود ماهية» صار مركباً من الماهية ووجودها، ولكن هل هذا صحيح؟ لا يمكنُ أن يكونَ ماهيةً إلا بوجود، ووجودُ ماهية بلا وجود إنما هو في الذهن لا في الخارج.

يعني: قد يتصورُ الإنسانُ إنسانيةً بلا إنسان، كالتي يُسمونها الكليات، لكن حقيقة الأمر هل يمكنُ أن يوجدَ إنسانٌ بلا وجود؟ الجواب: أبداً، لا يمكن، ولذلك يقول المؤلف: «وَالسَّادِسُ التَّرْكِيبُ مِنْ مَاهِيَّةٍ وَوُجُودِهَا» أي: من: ماهية

ووجود ماهية، ثم قال: «ما هاهنا شيئان» وهذا ردُّ لهذا التركيب، يقول: إنَّ هذا التركيب لا يمكن أن يُسمَّى تركيباً؛ لأنه ليس هناك فرقٌ بين الماهية ووجود الماهية إلا في الذهن، فقد يتصورُ مثلاً ماهيةً بلا وجود، وهذا لا يُعتدُّ به؛ لأنَّ الذهن قد يفرض الشيء المستحيل على أنه ممكنٌ فقد يتصورُ اجتماعَ النقيضين وارتفاعهما معاً أن ذلك في الخارج لا يمكن.

٣٠٢٧- إِلَّا إِذَا اخْتَلَفَ اعْتِبَارُهُمَا فَذَا فِي الذَّهْنِ وَالثَّانِي فِي الْأَعْيَانِ

٣٠٢٨- فَهَنَّاكَ يُعْقَلُ كَوْنُ ذَا غَيْرٍ لِذَا فَعَلَى اعْتِبَارِهِمَا هُمَا غَيْرَانِ

يعني: يقول -رحمه الله-: إنَّ الماهية هي وجود الشيء إلا إذا اختلف الاعتبار بحيث يُقال: إنَّ الذهن قد يفرض وجودَ ماهيةً بلا وجود، كأن يفرض الذهن إنساناً لكن بلا وجود إنسان، هذا ممكنٌ، فممكن أن نقول: إنَّ الماهية الذهنية غيرُ الماهية الخارجية، أمَّا الماهية الخارجية فإنَّ وجودها هو وجودها في الحقيقة، فليس هناك تركيبٌ.

٣٠٢٩- أَمَّا إِذَا اتَّخَدَا اعْتِبَارًا كَانَ نَفْسٌ وَجُودِهَا هُوَ ذَاتَهَا لَا ثَانِي

صحيحٌ، هذا أمرٌ واضح؛ لأنَّ الأوَّل تركيبُ ذاتٍ وصفاتٍ، والصفات غيرُ الوجود، لكن هنا تركيب الذات والوجود، ماهية الشيء ووجود الشيء، نقول: لا يمكن أن توجدَ ماهيةً بلا وجودٍ أبداً، صحيحٌ توجد مثلاً (ذات) بلا سمع وبلا بصر، لكن (ذات) بلا وجود، هذا شيءٌ لا يوجد، إلا إذا قدرتها اعتباراً بالذهن، وقلت: يمكن أن يتصورَ الإنسانُ ماهيةً بلا وجود، أمَّا في الخارج فلا توجدُ ماهيةً إلا بوجود، ولهذا قال: «أما إذا اتخذنا اعتباراً» اعتباراً يعني: باعتبار الخارج فهنا (كان نفسٌ وجودها هو ذاتها لا ثاني).

٣٠٣٠- مَنْ قَالَ شَيْئًا غَيْرَ ذَا كَانَ الَّذِي قَدْ قَالَهُ ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ

قَوْلُهُ: «ضَرْبًا مِنَ الْفُعْلَانِ» أي: من الوصف الذي على وزن «فُعْلَان» مثل: البُهتان، وهذا يفتح لنا بابًا إذا أردنا أن نُكْنِي، مثلًا: تريد أن تسأل عن شخص لا تحب أن يُعْرَفَ اسمُه عند الحاضرين واسمُه مثلًا: (أحمد) تقول: (ما رأيت أفعل؟) فهذا يصلح تكنيةً.

وتقول: (ما رأيت مُفَعَّلًا) يعني: محمدًا، تريد أن لا يعرف الحاضرون اسمَه، وهذا جيّدٌ، أن يُكْنَى عن الاسم بوزنه اللُّغَوِيّ، فيُعْرَفُ المخاطَبُ المقصودَ، والسَّامِعُ لا يعرف المقصودَ.

٣٠٣١- هَذَا وَكَمْ خَبَطِ هُنَا قَدْ رَالَ بِالتَّ

٣٠٣٢- وَابْنُ الْخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَهْتَدُوا لِمَوَاقِعِ الْفُرْقَانِ^(١)

٣٠٣٣- بَلْ خَبَطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا أَوْجَبَا شَكًّا لِكُلِّ مَلَدِدٍ حَيْرَانِ

٣٠٣٤- هَلْ ذَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجُودُهُ أَمْ غَيْرُهُ فَهِيَ إِذَنْ شَيْئَانِ؟

٣٠٣٥- فَيَكُونُ تَرْكِيبًا مُحَالًا ذَاكَ إِنْ قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانِ

٣٠٣٦- وَإِذَا نَفَيْنَا ذَاكَ صَارَ وَجُودُهُ كَالْمُطَلَقِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَذْهَانِ

٣٠٣٧- وَحَكُوا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ الْقَوْلَيْنِ إِطْلَاقًا بِلَا فُرْقَانِ

٣٠٣٨- وَالثَّلَاثُ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْوَاجِبِ الْأَعْلَى وَبَيْنَ وَجُودِ ذِي الْإِمْكَانِ

(١) في نسخ التيمورية والإفتاء وابن سحمان: «العرفان».

- ٣٠٣٩ - وَسَطُوا عَلَيْهَا كُلَّهَا بِالنَّقْضِ وَالْإِبْطَالِ وَالتَّشْكِيكِ لِلْإِنْسَانِ^(١)
- ٣٠٤٠ - حَتَّى أَتَى مِنْ أَرْضِ أَمَدٍ آخِرًا ثَوْرٌ كَبِيرٌ بَلَّ حَقِيرُ الشَّانِ
- ٣٠٤١ - قَالَ: الصَّوَابُ الْوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التَّبَيُّانِ
- ٣٠٤٢ - هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

الشرح

هذا تكميلٌ لما سبق في النوع السادس من التركيب وهو التركيب من الوجود والماهية، وهو رأي الفلاسفة، يقولون: إنَّ الشيء مركَّبٌ من وجوده وماهيته، ونحن نقول: إنَّ الوجود هو الماهية، ولا يتصوَّر انفكاك أحدهما عن الآخر إلا في الذهن، أمَّا في الواقع والحقيقة والخارج فإنَّه لا يمكن أن يفترقا.

٣٠٣١ - هَذَا وَكَمْ خَبَطَ هُنَا قَدْ زَالَ بِالتَّحْبُطِ وَهُوَ الْأَصْلُ فِي الْعِرْفَانِ

(التَّحْبُطُ) معناه التَّحَدُّثُ بالشيء على غير رَوِيَّةٍ، بل يُحْبَطُ خَبَطَ عَشْوَاءَ.

قَوْلُهُ: «كَمْ خَبَطَ هُنَا قَدْ زَالَ بِالتَّفْصِيلِ وَهُوَ الْأَصْلُ» ولهذا نجدُ أنَّ التَّفْصِيلَ دائماً في الأقوال المضطربة يكون حلاً للنزاع، مثال ذلك: اختلافهم في الجسم، هل يوصف الله بأنه ذو جسمٍ أو لا؟ فمنهم مَنْ أنكر ذلك، ومنهم مَنْ أثبتته، ومنهم مَنْ فَصَّلَ.

وكذلك (الحيز) و(الحُدُّ)، وما أشبه ذلك من الكلمات المُحَدَّثَةُ التي اختلف الناس في إثباتها أو نفيها، فيأتي التَّفْصِيلُ فيقضي عليها، ويبيِّنُ الحقَّ، فالأصل في هذه المُجْمَلَاتِ المُشْتَبِهَةِ الأصل أنها تُحُلُّ بِالتَّفْصِيلِ.

(١) في نسخ برلين والتمورية والإفتاء والسفارينية: «للأذهان»، وهو أولى.

٣٠٣٢- وَابْنُ الْخَطِيبِ وَحِزْبُهُ مِنْ بَعْدِهِ لَمْ يَهْتَدُوا لِمَوَاقِعِ الْفُرْقَانِ

٣٠٣٣- بَلْ خَبَطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا أَوْجَبًا شَكًّا لِكُلِّ مُلَدِّدِ حَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «ابْنُ الْخَطِيبِ» هو الرازي المفسر المشهور، والمتكلم الصوفي الفلسفي، وهو معروف، ويُعتبر من أذكى العلماء، وله شَطَحَاتٌ كثيرةٌ في التفسير وغيره، ولكن يُقَالُ: إِنَّهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ تَابَ إِلَى اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، لَكِنْ مَوْلَفَاتُهُ مَعْرُوفَةٌ شَهِيرَةٌ.

قَوْلُهُ: «خَبَطُوا نَقْلًا» أي: فيما نقلوه عن غيرهم.

قَوْلُهُ: «وَبَحْثًا» أي: فيما ناقشوه من آراء غيرهم؛ ولهذا يقولون: إِنَّ الرَّازِيَّ مِنْ خِصَائِصِ بَحْثِهِ أَنَّهُ يُورِدُ الْمَشْكَلاتِ عَلَى وَجْهِ يُوقِعُ فِي الْحَيْرَةِ وَلَا يَأْتِي بِحَلِّهَا، فَهُوَ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمَغَارِبَةِ فِيهِ: «إِنَّهُ يَعْزِضُ الْمَشْكَلاتِ نَقْدًا وَلَكِنْ يَكُونُ حَلُّهَا نَسِيئَةً» يعني: يعطيك المشكلاتِ حَالَةً وَأَمَّا الْحُلُّ فَلَا يَعطيك إِيَّاهُ، بَلْ يَأْتِي بِهِ نَسِيئَةً.

وهذا لا شكَّ أَنَّ فِيهِ مصلحةً من وجه، وهو أنه يسدُّ على الخصم كُلَّ أبوابِ الإيرادات، لكنَّهُ إِذَا لم يَنْتَصِرْ لِقَوْلِهِ صار فيه نقصٌ من هذه الناحية؛ لأنه يُقَالُ لِلإنسانِ: إِمَّا أَنْ تَأْتِيَ بِحُجَجٍ الغيرِ كاملةٍ وتَرَدُّ عَلَيْهَا وَإِمَّا أَنْ تَسْكُتَ، أَمَّا أَنْ تَفْتَحَ عَلَى قَوْلِكَ بابَ الثغراتِ ثُمَّ تَعْجِزَ عَنْ سَدِّ هَذِهِ الْأَبْوَابِ فَهَذَا يُعْتَبَرُ نَقْصًا.

يقول المؤلف -رحمه الله-: إنهم خَبَطُوا نَقْلًا وَبَحْثًا، نَقْلًا فيما نقلوه عن غيرهم، وَبَحْثًا فيما ناقشوه.

قَوْلُهُ: «أَوْجَبًا» الضميرُ يعودُ على المنقول والمبحوث.

قَوْلُهُ: «شَكَّا لِكُلِّ مُلَدِّدٍ حَيْرَانَ» المُلَدِّدُ معناه الذي لم يُيسِّرْ له الأمور، بل يُلَدِّدُ الله أمره، ولا يُيسِّرْ له أمره، والحيران أي: المتحير.

٣٠٣٤- هَلْ ذَاتُ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَجُودُهُ أَمْ غَيْرُهُ فَهِيَ إِذْنٌ شَيْئَانِ؟

وهذا مَبْنِيٌّ على ما سبق وهو (التركيب السادس)، هل ذاتُ الله هي عينُ وجوده أم هناك ذاتٌ ثُمَّ وجود، أي: الوجود شيءٌ آخر؟ إن قلنا بالثاني صار هناك تركيبٌ بين الذات والوجود.

٣٠٣٥- فَيَكُونُ تَرْكِيبًا مُحَالًا ذَلِكَ إِنْ قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانٍ

معلومٌ إذا قلنا: إن وجوده غيرُ ذاته لَزِمَ من هذا التركيبِ التعدُّدُ بأن يكون هناك وجودٌ وهناك ذاتٌ، وقد سبق لنا أن هذا التركيبَ باطلٌ، وأنَّ وجودَ كُلِّ شيءٍ هو ذاته، هذا باعتبار الأمرِ الخارجِ، لا باعتبار ما يفرضه الذهنُ، فالذهنُ قد يفرضُ أشياءً مستحيلةً.

قَوْلُهُ: «إِنْ قُلْنَا بِهِ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانٍ» يعني: إن قلنا به صار ذا إمكانٍ مع أنَّه شيءٌ مُحَالٌ.

٣٠٣٦- وَإِذَا نَفَيْنَا ذَلِكَ صَارَ وَجُودُهُ كَالْمُطْلَقِ الْمَوْجُودِ فِي الْأَذْهَانِ

يعني: أو نقول بنفي ذلك، يعني: أن ذاتَ الله ليست هي عينُ وجوده، فيكون وجوده كالمطلق الموجود في الأذهان، ومعنى (المطلق) إذا قالوا: (الشيء المطلق في الذهن): الذي لا يتقيَّدُ بصفةٍ، بل هو موجودٌ بشرط الإطلاق، ليس له صفةٌ، لا وجود، ولا حياة، ولا غيرها من الصفات.

فهم الآن ذكروا قولين: هل ذاته هي عين وجوده أو هما شيئان؟ وإذا نفينا

السَّيِّئِينَ صَارَتِ الذَّاتُ مَوْجُودَةً وَجُودًا مَطْلَقًا بِشَرَطِ الْإِطْلَاقِ، وَمَعْنَى مَطْلَقًا يَعْنِي: غَيْرَ مُتَصِفَةٍ بِصِفَةٍ، وَهَذَا لَا يُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ فِي الْخَارِجِ أَبَدًا، فَلَا يُوْجَدُ شَيْءٌ مَوْجُودٌ إِلَّا وَهُوَ مُتَصِفٌ بِصِفَةٍ.

٣٠٣٧- وَحَكَّوْا أَقَاوِيلًا ثَلَاثًا ذَيْنِكَ الْـ قَوْلَيْنِ إِطْلَاقًا بِلَا فُرْقَانٍ

قَوْلُهُ: «وَحَكَّوْا أَقَاوِيلًا»: (أَقَاوِيلًا): صَرَفَهَا الْمُؤَلِّفُ مِنْ أَجْلِ اسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ، وَإِلَّا فَإِنَّهَا مَمْنُوعَةٌ مِنَ الصَّرْفِ لِصِغَةِ مُنْتَهَى الْجُمُوعِ.

قَوْلُهُ: «بِلَا فُرْقَانٍ» الْفُرْقَانُ هُوَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ أَوَّلًا بِأَنَّهُ يُقَالُ: إِنْ كَانَ الْمُرَادُ الْفِرْدَ الذَّهْنِيَّ فَيُمْكِنُ أَنْ تَنْفَكَّ الذَّاتُ عَنِ الْوُجُودِ، وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْحَقِيقَةَ الْوَاقِعَةَ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَنْفَرَدَ الذَّاتُ عَنِ الْوُجُودِ؛ إِذْ إِنَّ الذَّاتَ هِيَ عَيْنُ وَجُودِهَا.

٣٠٣٨- وَالثَّالِثُ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْوَاجِبِ الْـ أَعْلَى وَبَيْنَ وَجُودِ ذِي الْإِمْكَانِ

يعني: يُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْوَاجِبِ الْوُجُودِ وَهُوَ اللَّهُ، وَبَيْنَ الْمُمْكِنِ الْوُجُودِ وَهُوَ الْمَخْلُوقُ، فَيُقَالُ: الرَّبُّ ذَاتُهُ عَيْنُ وَجُودِهِ بِخِلَافِ الْمَخْلُوقِ.

فَتَكُونُ الْأَقَاوِيلُ الْآنَ ثَلَاثَةً: إِمَّا نَفِي أَنْ يَكُونَ الْوُجُودُ هُوَ عَيْنَ الذَّاتِ، أَوْ يَكُونُ هُوَ عَيْنَ الذَّاتِ، وَيَكُونُ مَرَكَّبًا، أَوْ يُفَرَّقُ بَيْنَ وَجُودِ الْمُمْكِنِ وَوُجُودِ الْوَاجِبِ.

٣٠٣٩- وَسَطَّوْا عَلَيْهَا كُلَّهَا بِالنَّقْضِ وَالْـ إِبْطَالِ وَالتَّشْكِيكِ لِلْإِنْسَانِ

يعني: لَمَّا ذَكَرُوا الْأَقَاوِيلَ الثَّلَاثَةَ نَقَضُوا كُلَّهَا، وَهَلْ أَتَوْا بِبِدْلِهَا؟ الْجَوَابُ: لَا، فَبَقِيَ الْإِنْسَانُ مُتَحِيرًا، تُذَكَّرُ الْأَقَاوِيلُ عِنْدَهُ ثُمَّ تُنْقَضُ وَلَا يُذَكَّرُ عَنْهَا بِدِيلٌ، فَيَكُونُ هَذَا هُوَ غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّشْكِيكِ لِلْإِنْسَانِ.

٣٠٤٠ - حَتَّى آتَى مِنْ أَرْضِ أَمَدٍ آخِرًا ثَوْرٌ كَبِيرٌ بَلْ حَقِيرُ الشَّانِ

وهو الأمدِيُّ الأَصُولِيُّ المشهورُ، أتى من أرض أَمَدٍ، وقال:

٣٠٤١ - قَالَ: الصَّوَابُ الوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ

قال: «الصَّوَابُ الوَقْفُ فِي ذَا كُلِّهِ» أي: نتوقَّف، فلا نقول: ذاته عينٌ وجوده،

ولا غيره، ولا نُفَرِّقُ بين الواجب والممكن، بل نتوقَّف.

قَوْلُهُ: «وَالشَّكُّ فِيهِ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ» الشَّكُّ فِي هَذَا الْقَوْلِ ظَاهِرُ التَّبَيَّانِ؛ لِأَنَّ

الْمُتَوَقَّفَ شَاكٌّ، لَمْ يَجِزْ بِرَجْحَانِ شَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ.

٣٠٤٢ - هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا قُصَارَى بَحْثِهِ وَعُلُومِهِ أَنْ شَكَّ» قَوْلُهُ: «أَنْ شَكَّ» بَدَلٌ مِنْ

«قُصَارَى» يَعْنِي: قُصَارَى بَحْثِهِ أَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ، فَصَارَ غَايَةً أَمْرَ

الْأَمْدِيِّ الشَّكِّ فِي اللَّهِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَهَذَا غَايَةٌ مَا يَكُونُ مِنَ الضَّلَالِ.

فصل

فِي أَحْكَامِ هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ السِّتَّةِ

- ٣٠٤٣ - فَالْأَوْلَانِ حَقِيقَةُ التَّرْكِيبِ لَا تَعُدُّوهُمَا فِي اللَّفْظِ وَالْأَذْهَانِ
- ٣٠٤٤ - وَكَذَلِكَ الْأَعْيَانُ أَيْضًا إِنَّمَا التَّ
- ٣٠٤٥ - وَالْأَوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا أَلْ
- ٣٠٤٦ - وَلَهُمْ أَقَاوِيلُ ثَلَاثٌ قَدْ حَكَيْنَا
- ٣٠٤٧ - وَالْآخِرَانِ هُمَا اللَّذَانِ عَلَيْنِهِمَا
- ٣٠٤٨ - أَنْتُمْ جَعَلْتُمْ وَصْفَهُ سُبْحَانَهُ
- ٣٠٤٩ - وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي ثَبَّتَ لَهُ
- ٣٠٥٠ - مِنْ جُمْلَةِ التَّرْكِيبِ ثُمَّ نَفَيْتُمْ
- ٣٠٥١ - فَجَعَلْتُمْ الْمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيلِ هَـ
- ٣٠٥٢ - لَكِنْ إِذَا قِيلَ: اضْطِلَاحٌ حَدِثٌ
- ٣٠٥٣ - فَنَقُولُ: نَفْيُكُمْ بِهَذَا الْاضْطِلَاحِ
- ٣٠٥٤ - وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِعُلُوِّهِ
- ٣٠٥٥ - وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِكَلَامِهِ
- تَعُدُّوهُمَا فِي اللَّفْظِ وَالْأَذْهَانِ
- تَّرْكِيبٌ فِيهَا ذَانِكَ النَّوْعَانِ
- عُقْلَاءٌ فِي تَّرْكِيبِ ذِي الْجُحْتَانِ
- سَنَاهَا وَبَيَّنَّا أَنْتُمْ بَيَّانِ
- دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الَّتِي تَرِيَانِ
- بِعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ
- بِالْعَقْلِ وَالْمَنْقُولِ ذِي الْبُرْهَانِ
- مَضْمُونَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانِ
- ذَا الْاضْطِلَاحِ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ
- لَا حَجَرَ فِي هَذَا عَلَى إِنْسَانِ
- حِ صِفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ الْبُطْلَانِ
- فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
- بِالْوَحْيِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ

- ٣٠٥٦ - وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ لِرُؤُوتِنَا لَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
 ٣٠٥٧ - وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ لِسَائِرِ مَا أَتَى فِي النُّقْلِ مِنْ وَصْفٍ بِغَيْرِ مَعَانٍ
 ٣٠٥٨ - كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَصَابِعِ وَالَّذِي أَبَدًا يَسُوءُكُمْ بِبِلَا كِتْمَانٍ
 ٣٠٥٩ - وَبِوُدِّكُمْ لَوْ لَمْ يَقُلْهُ رَبُّنَا وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ
 ٣٠٦٠ - وَبِوُدِّكُمْ وَاللَّهِ لَمَّا قَالَهُ أَنْ لَيْسَ يَدْخُلُ مَسْمَعَ الْإِنْسَانِ

الشرح

بَيَّنَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَحْكَامَ هَذِهِ التَّرَاكِيْبِ السِّتَّةِ، فَقَالَ:

- ٣٠٤٣ - فَالْأَوْلَىٰ لِحَقِيقَةِ التَّرْكِيبِ لَا تَعْدُوهُمَا فِي اللَّفْظِ وَالْأَذْهَانِ
 ٣٠٤٤ - وَكَذَلِكَ الْأَعْيَانُ أَيْضًا إِنَّمَا التَّ تَرْكِيبٌ فِيهَا ذَانِكَ التَّوَعَّانِ
 قَوْلُهُ: «فَالْأَوْلَىٰ لِحَقِيقَةِ التَّرْكِيبِ لَا تَعْدُوهُمَا» وهما: التركيب بين مُتَبَايِنَيْنِ
 والتركيب بين مُتَجَاوِرَيْنِ، فهنا التركيبُ فيهما واضحٌ، فالجسمُ مثلاً مركَّبٌ من
 عظم، ولحم، وعصب، وجلد، وما أشبه ذلك، والبابُ في إيطاره مركَّبٌ من
 الباب، والإطار، والسَّارية، وما أشبه ذلك.

- ٣٠٤٥ - وَالْأَوْسَطَانِ هُمَا اللَّذَانِ تَنَازَعَا الْ عُقْلَاءُ فِي تَرْكِيبِ ذِي الْجُتْمَانِ
 قَوْلُهُ: «وَالْأَوْسَطَانِ» ما هما؟ الثالث: المركَّبُ من متماثلٍ يُدْعَى الجواهر،
 والرابع: المركَّبُ من الهَيُوتَى والصورة، يعني: مذهب الفلاسفة: الهَيُوتَى
 والصورة، ومذهب المتكلمين الجواهر الفردة.

٣٠٤٦ - وَلَهُمْ أَقَاوِيلُ ثَلَاثٌ قَدْ حَكَيْتُ - سَنَاهَا وَبَيَّنَّا أَنَّ مَّ بَيَّانِ

وهذه الأقاويل هي التي أشار إليها عن ابن الخطيب.

٣٠٤٧ - وَالْآخِرَانِ هُمَا اللَّذَانِ عَلَيَّهِمَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الَّتِي تَرَيَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْآخِرَانِ...» وهما: التركيب من الذات والصفات، ومن الماهية والوجود؛ لأن الماهية والوجود في الحقيقة لا يعدو أن يكون من باب التركيب من الذات والصفات؛ إذ إن الوجود صفة الموجود.

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلَّفُ:

٣٠٤٨ - أَنْتُمْ جَعَلْتُمْ وَصْفَهُ سُبْحَانَهُ بِعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ

٣٠٤٩ - وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا الَّتِي ثَبَّتَ لَهُ بِالْعَقْلِ وَالْمَنْقُولِ ذِي الْبُرْهَانِ

٣٠٥٠ - مِنْ جُمْلَةِ التَّرْكِيبِ ثُمَّ نَفَيْتُمْ مَضْمُونَهَا مِنْ غَيْرِ مَا بُرِّهَانَ

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمْ وَصْفَهُ بِعُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ الْعُلْيَا» يعني: جعلتم ذلك من جملة التركيب.

فجعلوا اتَّصَفَ اللهُ بالصفات من باب التركيب، وقالوا: التركيب في حقِّ الباري ممتنع، وقد ذكرنا أولاً ما قاله ابن القيم من أننا نُثِبْتُ هذا التركيب وإن سمَّيتموه تركيباً فإننا لن نفرَّ منه بمجرد ما سمَّيتموه، سمَّوه ما شئتم، فنحن نُثِبْتُ اللهُ ذاتاً وثُبتَ له صفاتٍ، أنتم سمَّيتموه تركيباً أم لم تُسمَّوه لا يُهمُّنا.

٣٠٥١ - فَجَعَلْتُمْ الْمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيلِ هَذَا الْإِضْطِلَاحَ وَذَا مِنَ الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمْ الْمِرْقَاةَ لِلتَّعْطِيلِ» أي: لتعطيل الرَّبِّ عزَّ وجلَّ من صفاته.

٣٠٥٢- لَكِنْ إِذَا قِيلَ: اصْطِلَاحٌ حَادِثٌ لَا حَجَرَ فِي هَذَا عَلَى إِنْسَانٍ

يعني: في مسألة ما إذا قيل: إن من التركيب تركيب الذات والصفات، فإذا قال إنسان: لا تُنكروا علينا هذا التركيب لأن هذا اصطلاح، ولا مُشَاحَّة في الاصطلاح، ولا حَجَرَ على الإنسان فيما اصطُح عليه؛ فإن المؤلف يقول:

٣٠٥٣- فَتَقُولُ: نَفْيُكُمْ بِهَذَا الْاِصْطِلَاحِ حِ صِفَاتِهِ هُوَ أَبْطَلُ الْبُطْلَانِ

يعني: سلّمنا أن هذا اصطلاح حكم، ولا ننكر عليكم الاصطلاح، لكن الذي نُنكره هو نفيكم للصفات من أجل هذا الاصطلاح، حيث تقولون: إن إثبات الصفات يستلزم التركيب، والتركيب في حق الخالق مُحالٌ، وحينئذ يكون إثبات الصفات مُحالاً.

٣٠٥٤- وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِعُلُوِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

يعني: فإن من أبطل البطلان أن تنكروا علو الله من أجل دعوكم أن هذا يستلزم التركيب، فهذا باطل.

٣٠٥٥- وَكَذَلِكَ نَفْيُكُمْ بِهِ لِكَلَامِهِ بِالْوَحْيِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ

أي: ننكره عليكم، ونقول: إنه باطل وإن وافقناكم على تسمية هذا تركيباً. قَوْلُهُ: «كَالتَّوْرَةِ» المشهور عند السلف أنها من كلام الله، بل ولا أعلم أحداً منهم إلا ويقول: إنها كلام الله، وقد كان الناس زمن المأمون يُمتحنون في القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، فالتأولون منهم تأولاً صادقاً يشيرون إلى أيديهم ويقولون: هذه مخلوقة، والمؤلف أيضاً كلامه هنا يدل عليه؛ ولذا قال: (لكلامه بِالْوَحْيِ كَالْتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ).

لكن الذي ورد في القرآن أَنَّ اللهَ كتبها وأنزلها، وليس هناك شيءٌ صريحٌ أنَّها كلامُ الله، وأمَّا قوله تعالى: ﴿أَفَنظَمُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥] فهذا يحتمل أنهم يسمعون التوراة، أو أنهم سمعوا كلامَ الله حين كلمَ موسى، وقالوا: ﴿لَن نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥]، أو يسمعون كلامَ الله، يعني: يسمعون القرآن ويحرفونه.

٣٠٥٦- وَكَذَلِكَ نَفِيكُمْ لِرُؤْيَيْنَا لَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
٣٠٥٧- وَكَذَلِكَ نَفِيكُمْ لِسَائِرِ مَا أَتَى فِي النَّقْلِ مِنْ وَصْفِ بَغَيْرِ مَعَانَ
كُلُّ هذا واضحٌ، يعني أَنَّ الذي تُنكرُ عليكم ليس تسميتكم هذا تركيبيًا، بل إنكاركم للصفات من أجله.

٣٠٥٨- كَالْوَجْهِ وَالْيَدِ وَالْأَصَابِعِ وَالَّذِي أَبَدًا يَسُوءُكُمْ بِأَلَا كِتْمَانِ
(الوجه) ثابتٌ لله عزَّ وجلَّ بالقرآن والسُّنَّةِ وإجماعِ السَّلفِ، وكذلك (اليَدِ)، و(الأصابع) أيضًا ثبتت بالسُّنَّةِ، وكذلك الذي يسوءكم أبدًا كنزوله إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وما أشبه ذلك.

٣٠٥٩- وَبِوُدِّكُمْ لَوْلَمْ يَقْلَهُ رَبُّنَا وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْبُرْهَانِ
يعني أنَّكم تَوَدُّونَ أَنَّ اللهَ لم يصف نفسه بهذه الصفات، وهذا من أغرب ما يكون، أن يكونوا أشدَّ غَيْرَةً من الله على الله، فيكروهون أن يصفَ اللهُ نفسه بهذه الصفات؛ خوفًا من التركيب على زعمهم.

٣٠٦٠- وَيُودِّكُمْ وَاللَّهِ لَمَّا قَالَهُ أَنْ لَيْسَ يَدْخُلُ مَسْمَعَ الْإِنْسَانِ
يعني أنكم تودون أولاً أن الله لم يقله ولا رسوله، ثم تودون ثانياً ألا تدخل
مسمع الإنسان، ولا يسمعها الناس ولا تبلغهم.

- ٣٠٦١- قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكُونَِ أَجْرٌ مَعَهُ إِلَى خَلْقِهِ الرَّحْمَنِ
وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ
٣٠٦٢- مَا قَامَ قَطُّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ
هُوَ وَاحِدٌ^(١) فِي وَصْفِهِ وَعُلُوُّهُ
٣٠٦٣- مَا لِلْوَرَى رَبُّ سِوَاهُ ثَانٍ
وَصِفَاتِهِ بِالْفُشْرِ وَالْهَدْيَانِ؟
٣٠٦٤- فَلَآيٍ مَعْنَى مُجَحِّدُونَ عُلُوَّهُ
لَ: مَعَ الْإِلَهِ لَنَا إِلَهُ ثَانٍ
٣٠٦٥- هَذَا وَمَا الْمَحْدُورُ إِلَّا أَنْ يُعَا
هَذَانِ مَحْدُورَانِ مَحْظُورَانِ
٣٠٦٦- أَوْ أَنْ يُعْطَلَ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ
أَوْصَافُهُ أَرَبَتْ عَلَى الْحُسْبَانِ
٣٠٦٧- أَمَّا إِذَا مَا قِيلَ: رَبُّ وَاحِدٌ
مُتَوَحِّدًا بَلْ دَائِمٌ الْإِحْسَانِ
٣٠٦٨- وَهُوَ الْقَدِيمُ فَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ
تُمْ: لَيْسَ هَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟
٣٠٦٩- فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْ
بُهِتٌ فَمَا فِي ذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ
٣٠٧٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ نُقْصٌ فَذَا
أَوْ شِرْكَةٍ بِالْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
٣٠٧١- النَّقْصُ فِي أَمْرَيْنِ: سَلْبِ كَمَالِهِ
فِي أَيِّ عَقْلِ ذَلِكَ أَمْ قُرْآنِ؟!
٣٠٧٢- أَتَكُونُ أَوْصَافُ الْكَمَالِ نَقِيصَةً

(١) في نسخة ابن سحمان: «شيء» وما في المتن أولى.

- ٣٠٧٣- إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الْأَوْصَافِ لَا
فِي سَائِبِهَا ذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ
- ٣٠٧٤- مَا النَّقْصُ غَيْرُ السَّلْبِ حَسْبُ وَكُلُّ نَقْصٍ
صِ أَوْلَهُ ذَا وَاضِحُ التَّبَيَّنِ
- ٣٠٧٥- فَالْجَهْلُ سَلْبُ الْعِلْمِ وَهُوَ نَقِيسَةٌ
وَالظُّلْمُ سَلْبُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانُ
- ٣٠٧٦- مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبٌ وَصْفِهِ
حَقًّا تَعَالَى اللَّهُ عَنِ نُقْصَانِ
- ٣٠٧٧- وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ
وَالْحَمْدُ وَالتَّمَجِيدُ كُلُّ أَوَانِ
- ٣٠٧٨- وَلِذَاكَ أَعْلَمُ خَلْقِهِ أَذْرَاهُمُ
بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٣٠٧٩- وَلَهُ صِفَاتٌ لَيْسَ يُحْصِيهَا سِوَا
هُ مِنْ مَلَائِكَةٍ وَلَا إِنْسَانِ
- ٣٠٨٠- وَلِذَاكَ يُثْنِي فِي الْقِيَامَةِ سَاجِدًا
لَمَّا يَرَاهُ الْمُصْطَفَى بَعِيَانِ
- ٣٠٨١- بِثَنَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا
لِيُحْصِيَهُ مَدَى الْأَرْزَامِ
- ٣٠٨٢- وَثَنَاؤُهُ بِصِفَاتِهِ لَا بِالسُّلُوكِ
بِ^(١) كَمَا يَقُولُ الْعَادِمُ الْعِرْفَانِ
- ٣٠٨٣- وَالْعَقْلُ دَلٌّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكَوْنِ أَجْزَاءً
مَعَهُ إِلَى رَبِّ عَظِيمِ الشَّانِ
- ٣٠٨٤- وَثُبُوتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِذَاتِهِ
لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا الْبُرْهَانِ
- ٣٠٨٥- وَالْكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَالَى
لِي ذُو الْكَمَالِ وَدَائِمُ السُّلْطَانِ
- ٣٠٨٦- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ
فَوْقَ الْوُجُودِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
- ٣٠٨٧- وَكَذَاكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلَّا
مَعْبُودٌ لَا شَيْءٌ مِنْ الْأَكْوَانِ

(١) في نسخ التيمورية وابن سحمان: «بالسكوت» بالتاء المثناة.

- ٣٠٨٨ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو حِكْمَةٍ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ
- ٣٠٨٩ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو قُدْرَةٍ حَيٍّ عَلِيمٍ دَائِمٍ الْإِحْسَانِ
- ٣٠٩٠ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْفَعَّالُ حَقٌّ قَائِلٌ يَوْمَ رَبِّنَا فِي شَأْنِ أَفْعَالِهِ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ
- ٣٠٩٢ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانٍ
- ٣٠٩٣ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْقَيُّومُ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَمُقِيمٌ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٣٠٩٤ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَنَانٍ
- ٣٠٩٥ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
- ٣٠٩٦ - وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ خَلَّاقٌ بَاعِثٌ هَذِهِ الْأَبْدَانَ
- ٣٠٩٧ - لَا تَجْعَلُوهُ شَاهِدًا بِالزُّورِ وَالتَّعْطِيلِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْبُطْلَانِ

الشرح

٣٠٦١ - قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى اسْتِنَادِ الْكُونَِ أَجْبَدُ مَعَهُ إِلَى خَلْقِهِ الرَّحْمَنِ

يعني أن الكون كله مفتقر إلى الله عز وجل؛ لأنه هو الخلاق الذي خلقه، وأتى بـ(الرحمن) لأن الكون مفتقر لرحمة الله عز وجل، فلولا رحمة الله ما قام هذا الكون بأجمعه.

٣٠٦٢ - مَا قَامَ قَطُّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ

قوله: «مَا قَامَ قَطُّ» يعني الدليل.

قَوْلُهُ: «قَطَّ عَلَى انْتِفَاءِ صِفَاتِهِ وَعُلُوِّهِ» يعني: ليس في القرآن ولا في السُّنَّةِ نفيُ صفاتِ الله، بل الذي فيها نفيُ المماثلة؛ كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وكقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤] وكقوله تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥] وهذا لا يدلُّ على انتفاء الصفات وإنما يدلُّ على كماله، وأنه لكمالِه لا يوجدُ له مثيلٌ.

٣٠٦٣- هُوَ وَاحِدٌ فِي وَصْفِهِ وَعُلُوِّهِ مَا لِلْوَرَى رَبِّ سِوَاهُ ثَانٍ
٣٠٦٤- فَلَايِي مَعْنَى تَجَحُّدُونَ عُلُوِّهِ وَصِفَاتِهِ بِالْفَشْرِ وَالْهَدْيَانِ؟
قَوْلُهُ: «الْفَشْرِ» الكلامُ اللَّغْوُ.

قَوْلُهُ: «الْهَدْيَانِ» الكلامُ الذي لا يقصده صاحبه، بل يأتي من كِبَرٍ أو نحوِه.
٣٠٦٥- هَذَا وَمَا الْمَحْذُورُ إِلَّا أَنْ يُقَا لَ: مَعَ الْإِلَهِ لَنَا إِلَهٌ ثَانٍ
وهذا هو الشُّرْكُ، هذا هو المحذور، أمَّا أن يُقَالَ: إِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ مُتَّصِفٌ
بالصفات اللاتقة به فهذا ليس بمحذور، المحذورُ أن تجعلَ مع الله إلهًا آخَرَ.

٣٠٦٦- أَوْ أَنْ يُعْطَلَ عَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ هَذَانِ مَحْذُورَانِ مَحْظُورَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَانِ مَحْذُورَانِ مَحْظُورَانِ» هما: الشُّرْكُ، والثاني: التعطيلُ.
وقَوْلُهُ: «مَحْظُورَانِ» أي: يجبُ الحذرُ منها.

وقَوْلُهُ: «مَحْظُورَانِ» أي: ممنوعان شرعًا، بل وعقلًا أيضًا؛ فإنَّ العقلَ قد دَلَّ على أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - متصفٌ بصفات الكمال، وأنه لا شريكَ له في ذلك.

٣٠٦٧- أَمَّا إِذَا مَا قِيلَ: رَبُّ وَاحِدٌ أَوْ صَافُهُ أَرَبْتُ عَلَى الْحُسْبَانِ
قَوْلُهُ: «أَرَبْتُ» يعني: زادت.
قَوْلُهُ: «على الحسبان» يعني الحساب.

إذا قيل: هو رَبُّ واحدٌ لكن صفاته لا تُحصى فإن هذا ليس بمُنكرٍ.

٣٠٦٨- وَهُوَ الْقَدِيمُ فَلَمْ يَزَلْ بِصِفَاتِهِ مُتَوَحِّدًا بَلْ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَدِيمُ» أي: وهو القديم وصفًا وليس اسمًا، فإنَّ (القديم) ليس
من أسماء الله؛ لأنَّ ذلك لم يردْ لا في القرآن ولا في السُّنَّة، ولكن يُوصَفُ بأنَّه قديمٌ،
والقِدَمُ عندهم ليس هو القِدَمُ في اللغة العربية، القِدَمُ في اللغة العربية: سَبَقَ الغير
ولو كان حادثًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾
[يس: ٣٩] أمَّا القديمُ عند الفلاسفة والمتكلمين فهو الذي لم يُسبَقْ بعدم، ومع ذلك
لا نُسَمِّي الله به، وإن كان معناه صحيحًا، لكننا لا نُسَمِّي الله به؛ لأنَّ الأسماء
توقيفية.

وقد ذكر أهل العلم أنَّه يُغني عنه (الأوَّل) الذي جاءت به النصوصُ، وفيه
دلالةٌ صريحةٌ على أنَّه لم يسبقه أحدٌ، ولم يقارنه أحدٌ في وجوده عزَّ وجلَّ، وأنَّ
الأمورَ تؤوَّلُ إليه؛ لأنَّ (الأوَّل) قد يكون مشتقًّا من (الأوَّل) أيضًا.

إنما قول المؤلف: «وَهُوَ الْقَدِيمُ» هذا من باب الوصف لا الاسم.

٣٠٦٩- فَبِأَيِّ بُرْهَانٍ نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْ سُمْ: لَيْسَ هَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟
الاستفهامُ هنا للنفي والتحدِّي، يعني: أيُّ برهان ينفي ذلك وأنَّه لا يمكنُ
أنَّ يتصف بالصفات؟ إن كان فأتوا به.

٣٠٧٠- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُ نَقْصٌ فَذَا هُبَّتْ فَمَا فِي ذَاكَ مِنْ نُقْصَانٍ

يعني: لو قلتم: نفي ثبوت الصفات له؛ لأنه يقتضي أن يكون مركباً من ذاتٍ وصفاتٍ وهذا نقصٌ، ماذا نقول؟ نقول: هذا كذبٌ وبهتٌ، فأبى نقصٍ يكون في اتّصاف الله عزّ وجلّ بالصفات الكاملة، النقص في الحقيقة بسلب الصفات عنه؛ ولهذا قال:

٣٠٧١- النَّقْصُ فِي أَمْرَيْنِ: سَلْبِ كَمَالِهِ أَوْ شِرْكَةِ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «سَلْبِ كَمَالِهِ» بدل.

النقص في أمرين: إمّا سلبُ كماله كما زعم أهل التعطيل، وإمّا الإشرافُ به كما زعم أهل التمثيل، فإنّ أهل التمثيل يثبتون لله المثل، وهذا شركٌ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] إذنّ فالتقص فيمن غلا في الإثبات فمثل، أو غلا في النفي فعطل.

٣٠٧٢- أَتَكُونُ أَوْصَافُ الْكَمَالِ نَقِيصَةً فِي أَيِّ عَقْلِ ذَاكَ أَمْ قُرْآنٍ؟!

الجواب: لا تكون، لا بدلالة العقل، ولا بدلالة السمع الذي أشار إليه المؤلف بقوله: (أم قرآن).

٣٠٧٣- إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الْأَوْصَافِ لَا فِي سَلْبِهَا ذَا وَاضِحُ الْبُرْهَانِ

وقوله: «إِنَّ الْكَمَالَ بِكَثْرَةِ الْأَوْصَافِ فِي سَلْبِهَا» (سلبها) أي: نفيها.

وهذا صحيحٌ، فالكمال بكثرة الأوصاف، يعني الكاملة، وكلّمًا كثرت أوصافُ الكمالِ كثر الكمالُ، وكلّمًا قلّت قلّ الكمالُ؛ ولذلك نجد الرجل يكون أكمل إذا كان عنده علمٌ في التفسير، والحديث، والعقيدة، والفقه، والحساب،

وغير ذلك، فيكون أكمل مما ليس عنده إلا علمٌ فنَّ واحد، فكُلَّمَا كَثُرَتِ الْأَوْصَافُ صار ذلك أكمل في الموصوف.

٣٠٧٤- مَا النَّقْصُ غَيْرَ السَّلْبِ حَسْبُ وَكُلُّ نَقْصٍ أَصْلُهُ ذَا وَاضِحِ التَّبْيَانِ

يقول: النقص - حقيقةً - هو السلب، وكلُّ نقصٍ فأصله السلب، يعني النفي؛ لأنَّ النفيَ عدمٌ، فإذا نَفَيْتَ سَلَبْتَ المنفيَّ عنه صفةَ الكمال، وهذا نقصٌ؛ ولهذا قال - رحمه الله - مَثَلًا:

٣٠٧٥- فَالْجَهْلُ سَلْبُ الْعِلْمِ وَهُوَ نَقِيصَةٌ وَالظُّلْمُ سَلْبُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

إذا قلنا: إنَّ الله لا يُوصَفُ بالعلم لزم أن يُوصَفَ بالجهل، وإذا قلنا: إنَّه لا يُوصَفُ بأنَّه عدلٌ لزم أن يكونَ ظالمًا ولا بُدَّ.

٣٠٧٦- مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبٌ وَصِفِهِ حَقًّا تَعَالَى اللَّهُ عَنِ نُقْصَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَنَقِّصُ الرَّحْمَنِ سَالِبٌ وَصِفِهِ» (مُتَنَقِّصٌ) خبرٌ مُقَدَّمٌ، و(سَالِبٌ وَصِفِهِ) مبتدأٌ مؤخَّرٌ، يعني: سالبٌ وصفِ الرحمن هو المتنقِّصُ له، وليس المَثْبُتُ لوصفِ الرحمن.

٣٠٧٧- وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ ذِكْرُ صِفَاتِهِ وَالْحَمْدُ وَالتَّمْجِيدُ كُلُّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الثَّنَاءُ عَلَيْهِ» أي: الثناء على الله.

إذا قال: أَثْنَى عَلَى اللَّهِ يعني: كَرَّرَ أَوْصَافَهُ الْحَمِيدَةَ كما يدلُّ لذلك الحديث: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي»^(١).

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٤).

٣٠٧٨- وَلِذَلِكَ أَعْلَمُ خَلْقَهُ أَدْرَاهُمْ بِصِفَاتِهِ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
أَعْلَمُ خَلْقَهُ أَدْرَاهُمْ بِصِفَاتِهِ، وهو الذي جاء بالقرآن، يعني بذلك محمداً
-عليه الصلاة والسلام-.

٣٠٧٩- وَلَهُ صِفَاتٌ لَيْسَ يُحْصِيهَا سِوَا هُمِنْ مَلَائِكَةٍ وَلَا إِنْسَانٍ
إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَفْتَحُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ صِفَاتٍ لَا يُحْصِيهَا أَحَدٌ سِوَى الرَّسُولِ
-عليه الصلاة والسلام-، وذلك في يوم القيامة؛ ولهذا قال:

٣٠٨٠- وَلِذَلِكَ يُثْنِي فِي الْقِيَامَةِ سَاجِدًا لَمَّا يَرَاهُ الْمُصْطَفَى بَعِيَانٍ
يعني: إذا رأى الله عزَّ وجلَّ يوم القيامة عند طلب الشفاعة للعباد سجد،
فأثني عليه^(١)، لكن بماذا؟ قال -رحمه الله-:

٣٠٨١- بِنِشَاءِ حَمْدٍ لَمْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِيُحْصِيَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
٣٠٨٢- وَثَنَّاؤُهُ بِصِفَاتِهِ لَا بِالسُّلُوبِ كَمَا يَقُولُ الْعَادِمُ الْعِرْفَانِ
محمداً عظيمةً يفتحها الله عليه في ذلك الوقت لا يساويها شيء من المحامد،
ولم يكن يعرفها في الدنيا.

٣٠٨٣- وَالْعَقْلُ دَلٌّ عَلَى انْتِهَاءِ الْكَوْنِ أَجْرًا مَعَهُ إِلَى رَبِّ عَظِيمِ الشَّانِ
وهذا كالبيت الذي سبق أن كل الكون يعود إلى الله ابتداءً وانتهاءً كما
قال الله تعالى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠].

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]، رقم (٤٤٣٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤).

٣٠٨٤- وَثُبُوتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِذَاتِهِ لَا يَقْتَضِي إِبْطَالَ ذَا الْبُرْهَانِ
يعني أن أوصاف الكمال لا تقتضي إبطال هذا البرهان، وهو أنه موصوف
بالمحامد، وكل الأشياء ترجع إليه.

٣٠٨٥- وَالْكَوْنُ يَشْهَدُ أَنَّ خَالِقَهُ تَعَالَى لِي ذُو الْكَمَالِ وَدَائِمُ السُّلْطَانِ
الكون يشهد شهادة قولية فيمن ينطق، وفعلية فيمن لا ينطق، يشهد بأن الله
- سبحانه وتعالى - خالقه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ
وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨].

٣٠٨٦- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ الْوُجُودِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
الكون يشهد أنه فوق الوجود، أمّا بالنسبة للعقلاء فنعم يشهدون بذلك،
أمّا الجمادات فلا نعلم في هذا شيئاً يدل على أمّتها تشهد بأن الله فوق الكون، ولعل
المؤلف اطلع على أشياء أو على أحاديث أو آثار تدل على هذا.

٣٠٨٧- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الـ مَعْبُودٌ لَا شَيْءٌ مِّنَ الْأَكْوَانِ
٣٠٨٨- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ ذُو حِكْمَةٍ فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ

يشهد الكون أيضاً بلسان الحال أو بلسان المقال، فإذا تدبّر الإنسان هذه
المخلوقات وما فيها من الإبداع والانتظام عليم أن الذي خلقها ذو حكمة في غاية
الإتقان.

٣٠٨٩- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو قُدْرَةٍ حَيٍّ عَلِيمٍ دَائِمٍ الْإِحْسَانِ

٣٠٩٠- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْفَعَّالُ حَقًّا فَكُلُّ يَوْمٍ رَبِّنَا فِي شَانِ

يشهد أنه هو الفعَّال؛ وذلك لأنَّ الكونَ كما نشاهدُه يتجدَّدُ شيئًا فشيئًا، هذا يُولَدُ، وهذا يموتُ، وهذا يُمرَضُ، وهذا يشفى، وهكذا، ولا يقومُ هذا إلا بالله.

٣٠٩١- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْمُخْتَارُ فِي أَفْعَالِهِ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ

فإنَّ اللهَ لا مُكْرَهَ له، بل يفعلُ الشيءَ باختياره.

٣٠٩٢- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْحَيُّ الَّذِي مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ

٣٠٩٣- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ الْقَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَمُقِيمٌ ذِي الْأَكْوَانِ

أتى المؤلف -رحمه الله- في تفسير (القيوم) على المعنيين: أنه القائم بنفسه، وأنه القائم به غيره؛ ولهذا قال: (القيوم قام بنفسه ومقيم ذي الأكوان) يعني: هو الذي أقام الأكوان وبه تقوم، وهو الذي قام بنفسه، والنتيجة أنه لا يحتاج إلى أحد، وأنَّ كلَّ أحدٍ محتاجٌ إليه.

٣٠٩٤- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَمَحَبَّةٍ وَحَنَانِ

٣٠٩٥- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

٣٠٩٦- وَكَذَلِكَ يَشْهَدُ أَنَّهُ سُبْحَانَهُ الْخَلْقُ بِاعْتِثُ هَذِهِ الْأَبْدَانِ

والمعنى في هذا واضح.

٣٠٩٧- لَا تَجْعَلُوهُ شَاهِدًا بِالزُّورِ وَالتَّعْطِيلِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْبُطْلَانِ

قوله: «لَا تَجْعَلُوهُ» أي: لا تجعلوا الكونَ (شاهدًا بالزور والتعطيل)، والخطابُ

في قوله: (لَا تَجْعَلُوهُ) لهؤلاء المعطلة الذين أنكروا ما شهد الكونُ بثبوتَه لله.

- ٣٠٩٨- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوَجُودَ رَأَيْتَهُ
 ٣٠٩٩- بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا
 ٣١٠٠- وَكَذَلِكَ رُسُلُ اللَّهِ شَاهِدَةٌ بِهِ
 ٣١٠١- وَكَذَلِكَ كُتِبُ اللَّهُ شَاهِدَةٌ بِهِ
 ٣١٠٢- وَكَذَلِكَ الْفِطْرُ الَّتِي مَا غُيِّرَتْ
 ٣١٠٣- وَكَذَا الْعُقُولُ الْمُسْتَنِيرَاتُ الَّتِي
 ٣١٠٤- أَتَرُونَ أَنَا تَارِكُونَ ذَا كُلِّهِ
 ٣١٠٥- هَذِي الشُّهُودُ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا
 ٣١٠٦- إِذْ يَنْجَلِي هَذَا الْغُبَارُ فَيُظْهِرُ الْـ
 ٣١٠٧- فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ
 ٣١٠٨- إِنْ قُلْتُ: لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ لَكُمْ
 ٣١٠٩- هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ الْـ
 ٣١١٠- فَالشيءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي لَدَى
 ٣١١١- قُلْتُمْ: نَفَيْنَا وَصَفَهُ وَعُلُوَّهُ
 ٣١١٢- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا
 ٣١١٣- أَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا
- إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 اللَّهُ لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ
 أَيضًا فَسَلْ عَنْهُمْ عَلِيمَ زَمَانِ
 أَيضًا فَهَذَا مُحْكَمُ الْقُرْآنِ
 عَنْ أَصْلِ خَلْقَتِهَا بِأَمْرِ ثَانِ
 فِيهَا مَصَابِيحُ الْهُدَى الرَّبَّانِي
 لِشَهَادَةِ الْجَهْمِيِّ وَالْيُونَانِي؟!
 مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانِ
 حَقُّ الْمُبِينِ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ
 مَلْزُومٌ تَرْكِيْبٌ فَمَنْ يُلْحَانِي
 وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانِ
 مَمْنُفِي؟ هَذَا بَيِّنُ الْبُطْلَانِ
 عَقْلِ سَلِيمٍ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ
 مِنْ خَشْيَةِ التَّرْكِيبِ وَالْإِمْكَانِ
 فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ
 فَالْفَوْقُ^(١) وَالتَّرْكِيبُ مُتَّفَقَانِ

(١) في نسخ الظاهرية والتميمورية والسفارينية: «فالعرش».

- ٣١١٤ - فَفَنَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ مَعَ تَغْيِيرِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِشَانِ
- ٣١١٥ - بَلْ صُورَةُ الْبُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا شَكْلًا عَقِيًّا لَيْسَ ذَا بُرْهَانِ
- ٣١١٦ - لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ كَذَاكَ مَوْصُوفًا وَهَذَا حَاصِلُ الْبُرْهَانِ
- ٣١١٧ - فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بِأَلْفِ مَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ
- ٣١١٨ - جِئْنَا إِلَى الْمَعْنَى فَخَلَصْنَا مِنْهَا وَاطَّرَحْنَاهَا اطَّرَاحَ مُهَانَ
- ٣١١٩ - هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدَعِيَّةٍ مَذْمُومَةٌ مِّنَّا بِكُلِّ لِسَانِ
- ٣١٢٠ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ نَجَعَلُهُ مَكَانَ اللَّفْظِ بِالتَّرْكِيبِ فِي التَّبْيَانِ
- ٣١٢١ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ أَوْلَى بِالصِّفَا تِ وَبِالْعُلُوِّ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
- ٣١٢٢ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الرَّسْلِ لَا أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الْكُفْرَانِ

الشرح

- ٣٠٩٨ - وَإِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ إِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ - إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رُؤْمَرَةِ الْعُمَيَّانِ
- ٣٠٩٩ - بِشَهَادَةِ الْإِثْبَاتِ حَقًّا قَائِمًا اللَّهُ لَا بِشَهَادَةِ النُّكْرَانِ
- إِذَا تَأَمَّلْتَ الْوُجُودَ رَأَيْتَهُ - إِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْ رُؤْمَرَةِ الْعُمَيَّانِ، يَعْنِي أَعْمَى -
بشهادة الإثبات حقا قائما، يعني: قائما بشهادة إثبات الصفات لله، فمثلا: وجود
النعم التي لا تُحصى على الخلق يدل على الرحمة، ودفْعُ النِّقْمِ كذلك يدلُّ على
الرحمة، وإِتْقَانُ المَخْلُوقَاتِ وَالشَّرَائِعِ يدلُّ على الحكمة، وَتَجَدُّدُ الْأَشْيَاءِ يدلُّ على
الخلق، وهلمَّ جراً.

فإذا تأملت الوجود رأيتَه قائماً بشهادة الإثبات، إلا أن تكون من العميان،
فالأعمى لا يبصر الشمس.

٣١٠٠ - وَكَذَلِكَ رُسُلُ اللَّهِ شَاهِدَةٌ بِهِ أَيْضًا فَسَلْ عَنْهُمْ عَلِيمَ زَمَانٍ

٣١٠١ - وَكَذَلِكَ كُتِبَ اللَّهُ شَاهِدَةٌ بِهِ أَيْضًا فَهَذَا مُحْكَمُ الْقُرْآنِ

٣١٠٢ - وَكَذَلِكَ الْفِطْرُ الَّتِي مَا غَيَّرَتْ عَنْ أَصْلِ خَلْقَتِهَا بِأَمْرِ ثَانٍ

٣١٠٣ - وَكَذَا الْعُقُولُ الْمُسْتَيِّرَاتُ الَّتِي فِيهَا مَصَابِيحُ الْهُدَى الرَّبَّانِي

قَوْلُهُ: «شَاهِدَةٌ بِهِ» أَي: بِالْإِثْبَاتِ.

فَالأدلة الآن خمسة:

الأول: الحس، وهذا سبق في قوله: (وإذا تأملت الوجود رأيتَه بشهادة
الإثبات حقاً قائماً)، الثاني: الرُّسُلُ، الثالث: الكتب، الرابع: الفِطْرُ، الخامس:
العقول، فكلُّها تشهدُ بإثبات الصفاتِ لله تعالى حقاً.

٣١٠٤ - أَتَرَوْنَ أَنَا تَارِكُوا ذَا كُلِّهِ لِشَهَادَةِ الْجَهْمِيِّ وَالْيُونَانِيِّ؟!

الجواب: لا، فلا يمكن أن تُترك هذه الأدلة والبراهين القاطعة من أجل هذه
الشبهة التي أوردها اليونانيُّ أو الجهميُّ.

٣١٠٥ - هَذِي الشُّهُودُ فَإِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانٍ

٣١٠٦ - إِذْ يَنْجَلِي هَذَا الْغُبَارُ فَيُظْهِرُ الْحَقَّ الْمَيِّينُ مُشَاهِدًا بَعِيَانٍ

قَوْلُهُ: «هَذِي الشُّهُودُ» أَي: فِي الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ: «إِنْ طَلَبْتُمْ شَاهِدًا مِنْ غَيْرِهَا سَيَقُومُ بَعْدَ زَمَانٍ» متى يقوم؟ الجواب: يوم القيامة، حين تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، وحين لا يتمكنون من التملص مما شهدت به عليهم.

٣١٠٧- فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا وَقُلْتُمْ: إِنَّهُ مَلْزُومٌ تَرْكِيبٍ فَمَنْ يُلْحَانِي

٣١٠٨- إِنْ قُلْتُ: لَا عَقْلَ وَلَا سَمْعَ لَكُمْ وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ

٣١٠٩- هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ أَلَمْ

٣١١٠- فَالشيءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي لَدَى عَقْلِ سَلِيمٍ يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا نَفَيْتُمْ ذَا» المشار إليه يعني: هذا الإثبات، وهو إثبات الصفات، وقلتم: إنه ملزوم التركيب.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يُلْحَانِي» يعني: من يلومني إن قلت: إنه ليس عندكم عقل ولا سمع.

قَوْلُهُ: «وَصَرَخْتُ فِيمَا بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ» يعني: بإعلام بأنكم ليس عندكم سمع ولا عقل.

قَوْلُهُ: «هَلْ يُجْعَلُ الْمَلْزُومُ عَيْنَ اللَّازِمِ؟» الجواب: لا، وهم جعلوا الملزوم عين اللزوم، فقالوا: إثبات الصفات تركيب، وهو يستلزم التركيب.

سبحان الله! كيف تقولون: تركيب يستلزم التركيب، وكلُّ العقلاء يقولون: إن اللزوم غير الملزوم؟! أمّا أن تجعلوا اللزوم هو عين الملزوم، وتقولوا: إثبات الصفات تركيب وهو مستلزم للتركيب، فهذا باطل.

قَوْلُهُ: «فَالشيءُ لَيْسَ لِنَفْسِهِ يَنْفِي» يعني: ليس ينفي نفسه.

قَوْلُهُ: «يَا ذَوِي الْعِرْفَانِ» فِيهِ تَهَكُّمٌ بِهِؤْلَاءِ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْمَعْرِفَةِ، فَيَقُولُ: أَيْنَ مَعْرِفَتِكُمْ؟ كَيْفَ تَجْعَلُونَ اللَّازِمَ عَيْنَ الْمَلْزُومِ، وَهَذَا مُخَالَفٌ لِمَا عَلَيْهِ الْعُقْلَاءُ كُلُّهُمْ؟!

فَحَقِيقَةُ قَوْلِهِمْ: أَنَّ اللَّازِمَ هُوَ عَيْنُ الْمَلْزُومِ، أَلَيْسَ الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ بَدَاةً فِي كُلِّ مَكَانٍ، قَلْنَا لَهُمْ: يَلْزِمُكُمْ أَنْ يَكُونَ فِي الْحَشُوشِ وَالْقَاذُورَاتِ، وَبَطُونِ الْكِلَابِ، وَبَطُونِ الْحَمِيرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؟ هُمْ لَا يَقُولُونَ بِهَذَا، لَوْ قَالُوا بِهَذَا كَفَّرَهُمُ الْعَالَمُ، وَرَمَوْهُمُ بِالْحِجَارَةِ، لَكِنَّهُ لَازِمٌ قَوْلِهِمْ، فَلَا يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ لَازِمُ الْقَوْلِ قَوْلًا لِقَائِلِهِ.

وَنَحْنُ ذَكَرْنَا فِيهَا سَبَقَ فِي كِتَابِ: (الْقَوَاعِدُ الْمُثَلِّيَّةُ) ^(١) هَلْ لَازِمُ الْقَوْلِ قَوْلٌ أَوْ لَا؟ وَقَلْنَا: إِنَّهُ إِذَا كَانَ الْقَوْلُ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلَازِمُهُ حَقٌّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَعْلَمُ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى قَوْلِهِ مِنَ اللُّوْازِمِ، أَمَّا الْبَشَرُ فَلَا زِمٌ قَوْلِهِ إِمَّا أَنْ يَنْفِيهِ وَيَصْرِّحَ بِنَفْيِهِ فَهَذَا لَا يُنْسَبُ إِلَيْهِ، وَإِمَّا أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ وَلَوْ ذُكِّرَ بِهِ لِرَجْعِ عَنْ قَوْلِهِ، وَإِمَّا أَنْ يَسْكُتَ عَنْهُ وَلَوْ ذُكِّرَ بِهِ لِأَجَابٍ؛ فَالْإِنْسَانُ قَدْ يَقُولُ الْقَوْلَ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِلِوْازِمِهِ، فَإِذَا ذُكِّرَتْ لَهُ لِوْازِمُهُ إِمَّا أَنْ يَجِيبَ عَنْهَا، أَوْ يَلْتَزِمَهَا وَهِيَ بَاطِلَةٌ، أَوْ يَقُولُ: هَذِهِ لَيْسَتْ بِلِوْازِمَةٍ فَيَنْكُرُهَا.

فَنَحْنُ نَقُولُ وَكُلُّ النَّاسِ يَقُولُونَ: إِنَّ الصِّفَاتِ لَيْسَتْ مَعَ الذَّاتِ تَرْكِيبًا أَبَدًا.

٣١١١- قُلْتُمْ: نَفْيًا وَصَفَهُ وَعُلُوَّهُ مِنْ خَشْيَةِ التَّرْكِيبِ وَالْإِمْكَانِ

٣١١٢- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ

٣١١٣- أَوْ كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ كَانَ مُرَكَّبًا فَالْفَوْقُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّفَقَانِ

(١) انظر: القواعد المثلى للشارح (ص: ١٣).

٣١١٤ - فَفَعَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ مَعَ تَغْيِيرِ إِحْدَى اللَّفْظَتَيْنِ بِثَانِ قَوْلُهُ: «فَفَعَيْتُمُ التَّرْكِيبَ بِالتَّرْكِيبِ» يعني: نفيتم التركيب؛ لأنه يستلزم التركيب، فصار الدليل هو عين المدلول.

٣١١٥ - بَلْ صُورَةُ الْبُرْهَانِ أَصْبَحَ شَكْلُهَا شَكْلًا عَقِيًّا لَيْسَ ذَا بُرْهَانٍ لِأَنَّ الْمَعْرُوفَ فِي الْأَدَلَةِ الْعَقْلِيَّةِ الْمُرْتَبَةِ أَنْ يَكُونَ الْإِلْزَامُ غَيْرَ الْمَلْزُومِ، أَمَّا أَنْ يَكُونَ الْإِلْزَامُ هُوَ الْمَلْزُومِ، فَتَقُولُ: إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ تَرْكِيبٌ يَلْزَمُ مِنْهُ التَّرْكِيبُ، فَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ غَيْرٌ صَحِيحٌ، وَشَكْلُ الْقَضِيَّةِ أَوْ الْاسْتِدْلَالِ عَلَى هَذَا لَيْسَ بِشَيْءٍ.

٣١١٦ - لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ كَذَلِكَ مَوْصُوفًا وَهَذَا حَاصِلُ الْبُرْهَانِ هَذَا حَاصِلُ دَلِيلِكَ، لَوْ كَانَ مَتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ لَكَانَ مَتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ، لَوْ كَانَ مَرْكَبًا لَكَانَ مَرْكَبًا.

٣١١٧ - فَإِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ

٣١١٨ - جِئْنَا إِلَى الْمَعْنَى فَخَلَّصْنَا مِنْهَا وَاطْرَحْنَاهَا اطْرَاحَ مَهَانَ

قَوْلُهُ: «إِذَا جَعَلْتُمْ لَفْظَةَ التَّرْكِيبِ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحِ أَمَارَةَ الْبُطْلَانِ جِئْنَا إِلَى الْمَعْنَى فَخَلَّصْنَا مِنْهَا» فنقول: التركيب بين الموصوف والصفة غير ممتنع، وليس هناك تركيب بين شيئين مُتَبَايِنَيْنِ؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَازِمَةٌ لِلْمَوْصُوفِ، وَمَا مِنْ مَوْصُوفٍ إِلَّا وَهُوَ صِفَةٌ، وَحِينَئِذٍ نُخَلِّصُ هَذِهِ الشُّبُهَةَ وَنَقُولُ: إِنَّ الصِّفَةَ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَوْصُوفِ لَا تُعْتَبَرُ تَرْكِيْبًا، وَلَا يُعْتَبَرُ هَذَا تَعَدُّدًا؛ لِأَنَّهَا مِنْ مَاهِيَّةِ الْمَوْصُوفِ، مِثْلَمَا قُلْنَا: إِنَّ وُجُودَ الشَّيْءِ هُوَ عَيْنُ مَاهِيَّتِهِ.

٣١١٩ - هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدَعِيَّةٍ مَذْمُومَةٌ مَنَّا بِكُلِّ لِسَانٍ

قَوْلُهُ: «هِيَ لَفْظَةٌ مَقْبُوحَةٌ بِدَعِيَّةٍ» الضميرُ (هي) يعودُ على لفظة التركيب.

٣١٢٠ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ نَجَعُهُ مَكَانَ اللَّفْظِ بِالتَّرْكِيبِ فِي التَّبْيَانِ

٣١٢١ - وَاللَّفْظُ بِالتَّوْحِيدِ أَوْلَى بِالصِّفَا تِ وَبِالْعُلُوِّ لَمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

٣١٢٢ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الرُّسُلِ لَا أَصْحَابِ جَهْمٍ شِيعَةِ الكُفْرَانِ

يعني: بدل أن نقول: (التركيب) نقول: (التوحيد)، فنقول: إثبات الصفات لله تعالى ليس بتركيبٍ ولكنه توحيدٌ، ولا يمكن قيام ذاتٍ بدون صفةٍ إطلاقاً، فإذا قلنا: إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - مُتَّصِفٌ بالصفات اللاتئة به من غير تمثيلٍ، فهذا توحيدٌ وليس بتركيبٍ.

والحاصل أنَّ المؤلفَ - رحمه الله - أبطل دليلهم الذي اعتمدوا عليه، وهو أنَّ إثبات الصفات يستلزم التركيب، والتركيب ممتنعٌ، ويبيِّن أنَّ التركيب ستة أنواعٍ، ومنه: تركيب الصفة مع موصوفها عندهم.

ونحن نقول: عن ذلك جوابان:

الجوابُ الأوَّلُ: أن نمنع كونه تركيباً.

الجوابُ الثاني: أن نقول: هو تركيبٌ باصطلاحكم، لكن أين الدليل على بطلانه؟

بفضل الله تعالى وتوفيقه تمَّ المجلد الثاني

ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد الثالث

وأوله: فصلٌ في أقسام التَّوْحِيدِ، البيت رقم (٣١٢٣)

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الآيات

الصفحة	الآية
٥٥، ١٠	﴿وَهُوَ الْفَاحِشُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾
٣١٩، ٢١٦	
٢٣٧، ١٠	﴿أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ﴾
٦٢٤، ٤٨٥	
١٠	﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾
١٦	﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾
١٦	﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾
١٧	﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ﴾
١٧	﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾
	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ
١٧	﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾
٤٥٨، ١٨	﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾
٦٧٢	
١٨	﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾
	﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ
٢٧، ١٨	﴿أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾
٢٨	﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾
٣٣	﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾

- ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾ ٢٣٧، ٣٤
- ﴿ إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ ٤٢
- ﴿ وَكَمْ مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا ﴾ ٤٢
- ﴿ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾ ٤٦
- ﴿ سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴾ ٤٦
- ﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ ٤٧
- ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ﴾ ٤٧
- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِّنْ فَوْقِهِمْ ﴾ ٥٥
- ﴿ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٢﴾ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾ ٦٥، ١٠
- ٦٢٥، ٢٣٧، ١٠٣، ٧٤
- ﴿ نَزَّلَ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ ٦٥
- ﴿ يُدِيرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٧٦، ٦٦
- ٦٢٤، ١٠٠
- ﴿ وَإِنَّكَ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ٦٩، ٦٦
- ﴿ الْمَ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ ﴾ ٦٩، ٦٦
- ٧٦
- ﴿ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ ﴾ ٦٧
- ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٧٥
- ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ٧٦

- ﴿ نَزَّلَ الْمَلَكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا ﴾ ٧٦
- ﴿ وَتَرَى الْمَلَكَةَ حَافِيَةً مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٧٧
- ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ ﴾ ٧٧
- ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ ٨٠
- ﴿ لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾ ٨٠
- ﴿ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ٨١، ١٠١
- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ ٨١
- ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ ٨١
- ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ ٨٣، ٥٣٨
- ٦٢٤
- ﴿ أَمْوَالٌ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ ٨٣
- ﴿ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ٨٥
- ﴿ عَنِ اليمينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ﴾ ٨٥
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ ٨٧
- ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ ٨٧، ٢٦٢
- ٦١٣
- ﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ﴾ ٩٠

- ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ خُذْ هَذَا الصَّلَافَ فِي يَمِينِكَ وَارْتَمِعْ بِهِ إِلَى الْأَرْضِ وَمُطَهَّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ ٩٠
- ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ ٩٢
- ﴿ فَلَمَّا بَجَحْتُهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾ ٩٢
- ﴿ حَمْدٌ ۝١ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ﴾ ٩٦
- ﴿ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾ ٩٦
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ ﴾ ٩٧
- ﴿ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ﴾ ٩٧
- ﴿ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ١٥٤، ٩٧
- ٤٩٨، ٣٥٢، ٣٤١، ٣٣٩، ٣٠٣، ٢٢٧، ١٧٨
- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ ٣٤١، ٩٧
- ٤٦٠
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ٩٨
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى بَحْرٍ مَجِيدٍ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴾ ٩٩
- ﴿ تَوَمَّنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ٩٩
- ﴿ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ ١٠٢
- ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ١٠٥
- ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾ ١٠٥

- ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ ١١٠
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾ .. ١١٠
- ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ﴾ ١١١
- ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ ١١٢
- ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ ١١٣
- ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ١١٦
- ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ﴾ ١١٨
- ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ ١٢١، ١١٨
- ﴿ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ۗ قَالَ لَنْ تَرَنِي ۗ ﴾ ٦١٣، ١٢٠
- ﴿ فَأَتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ١٢٠
- ﴿ وَجِئْتُمْ بِمُؤْمِنِينَ فَاصْرُخْ لَهُمْ ۗ ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ ١٢٣
- ﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ ١٢٤
- ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ۗ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ آخِنَهَا ﴾ ١٢٤
- ﴿ آتَى لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعُ إِلَىٰ
- إِلَهِ مُوسَىٰ ﴾ ١٨٦، ١٣٧
- ٣٤٦، ٣٤٣
- ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ١٣٩
- ﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ ١٣٩

- ﴿وَلَا حِجْلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ ١٤٠
- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ ١٤١
- ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ ١٤٥
- ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ ١٧٢، ١٥٩
- ٦٢٤، ٥٣٨، ٣٨٤، ٣٥١، ٣٤١، ٣٣٥، ٣٠٣
- ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ ١٦٠
- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ١٦٠
- ﴿تَكْفُرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَعَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَفِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ١٦٩
- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾ ١٧٢
- ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ ١٧٥
- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ١٧٨
- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ١٧٩
- ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ ١٧٩
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ ٣٤٤، ١٨٥
- ٣٤٦
- ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ١٨٦
- ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٨٦
- ﴿أَطَّلِعُ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ١٨٦
- ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ ١٨٧
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ١٩٠

- ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ﴾ ٢٠١، ١٩٢
- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ١٩٧
- ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ ٢٠٤
- ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ ٢٠٥
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ ٢١٤، ٢١١
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ٢٤١، ٢١١
- ٧٥٤، ٥٨٩، ٥٥٥، ٥٣٨، ٣٤٧
- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَخْذَ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
 وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرَهُ تَكْبِيرًا﴾ ٢١١
- ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ٢١١
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ ٢١٢
- ﴿إِلَّا ابْنُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ٢١٢
- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ ٢١٢
- ﴿لَمْ يَكِلْهُ وَلَمْ يُولَدْ﴾ ٢١٢
- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ ٢١٢
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٢١٢
- ﴿وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ ٢١٣
- ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ٢١٣
- ﴿وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٢١٣

- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ ٢١٣
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ٢١٤
- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ٢١٤
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصْرَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ٢١٤
- ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ ٢١٥
- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ ٢١٥
- ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ ٢٣٥، ٢١٦
- ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ٢١٦
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ٢٣٧، ٢١٦
- ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ ٢١٦
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْغَنِيُّ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ ۗ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ٢٣٤
- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ ٢٣٥
- ﴿عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ ٢٣٥
- ﴿فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ ٢٣٥
- ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ٢٣٥
- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ٢٣٧

- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ ٢٣٩
- ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ ٢٣٩
- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا﴾ ٢٣٩
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ ٢٣٩
- ﴿رَبِّ آدَمَ وَنُوحَ وَإِسْرَائِيلَ وَالْإِسْلَامِ﴾ ٢٤٠
- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَحِمِيمًا﴾ ٢٤٠
- ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ ٢٤٠
- ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ﴾ ٢٤١
- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿١١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ ٢٤٣
- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ٢٤٣
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ٢٥٢
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٥٢
- ﴿وَبِئْسَ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ ٢٥٧
- ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ ٢٦٢
- ﴿لَا تُفْنَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ٢٦٤

- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ٢٦٧
- ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ ٢٦٩
- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنَوْمِ يَوْمِ الْأَشْهَادِ﴾ ٢٧٠
- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ٢٧١
- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا
سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ ٢٨٠
- ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهِجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ ٢٨٠
- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ ٢٨٠
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَدْ نَلَّ أُولَئِكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِنَ
الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ ٢٨٠
- ﴿فَأَقِصْ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ٢٨٤
- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي
دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۗ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ ٢٩٦
- ﴿وَقَالَ يَتَابَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءُوسِي مِنْ قَبْلُ﴾ ٢٩٩
- ﴿رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ٢٩٩
- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ ٣٩٧، ٣٠٠
- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ ٣٣٦، ٣٠٢
- ٥٥٥، ٥٢٣، ٤٩٦
- ﴿لِيَذَّبَ رُءُوسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَالَّذِينَ اتَّبَعَتْهُمْ إِذَا مَلَكَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ ٣٠٩
- ﴿فَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ ٣١٢

- ٣١٢ ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾
- ٣١٢ ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾
- ٣١٦ ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾
- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَىٰ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طَعْنِهَا يَمْمَهُونَ﴾
- ٣٢٩ ﴿فَأَسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَاطَاعُوهُ﴾
- ٣٣١ ﴿إِنَّ اللَّهَ فَعِيرٌ﴾
- ٣٣٧ ﴿أَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾
- ٣٣٨ ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾
- ٣٤٠ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾
- ٣٤٥ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾
- ٣٤٧ ﴿وَإِنْ تُطِيعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾
- ٣٤٨ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾
- ٣٥٣ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾
- ٦٨٤، ٣٥٦ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ﴾
- ٣٥٧ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾
- ٣٥٨ ﴿فَكَاتِبِينَ مِنَ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾
- ٣٦٢ ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾
- ٣٦٢ ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾

- ﴿ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ ﴾ ٣٦٣
- ﴿ وَسَلِّ الْقَرِيَةَ ﴾ ٣٦٤
- ﴿ عُمَّلٍ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ﴾ ٣٧٢
- ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثَنَّ ﴾ ٣٧٦
- ﴿ ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلَّ بِهِ خَيْرًا ﴾ ٣٧٩
- ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ٥٤٦، ٣٩٦
- ﴿ وَتَأْتِي هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ ٣٩٨
- ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ٣٩٨
- ﴿ ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ٣٩٨
- ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ ٣٩٨
- ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ ٣٩٨
- ﴿ كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْجُوتٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ ٤٠٩
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ ٤١١
- ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى ﴾ ٤١١
- ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ ٤١١
- ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾ ٤١٣
- ﴿ فَأَضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ ٤١٥
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ﴾ ٥٥٣، ٤٢٣
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ٥٥٣، ٤٢٣

- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ ٤٢٣
- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ٤٢٨
- ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ ٤٢٨
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ٤٢٩
- ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ٤٣١
- ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ﴾ ٤٣١
- ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ٤٣١
- ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَى﴾ ٤٣١
- ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ٤٤٥
- ﴿فَيَنْبِتْكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِقُونَ﴾ ٤٥٨
- ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ ٤٥٩
- ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا﴾ ٤٦٧
- ﴿وَوُجُوهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَفَرَةٌ﴾ ٤٧٠
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ﴾ ٤٨٤
- ﴿وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَسِيبِينَ﴾ .. ٤٨٦
- ﴿وَمَا فَدَرُوا اللَّهَ حَتَّىٰ قَدَرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ٤٨٦

- ﴿نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ
وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ٤٨٦
- ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا﴾ ٤٨٧
- ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ ٤٩٣
- ﴿لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً
وَرَحْمَةً﴾ ٤٩٣
- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ٤٩٣
- ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ الْفَائِزُونَ﴾ ٥٠٥
- ﴿إِنَّمَا يَرْبِ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ ٥٠٨
- ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لِنَاصِحٍ﴾ ٥١٥
- ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ ... ٥٢١
- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ٥٢٩
- ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ٥٣٨
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ ٥٤١
- ﴿إِذَا تَنَلَى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالَ أَسْطِيرُ الْأُولَى﴾ ٥٤٦
- ﴿سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ﴿١٧﴾ لَا بُقْيَ وَلَا نَذْرٌ﴾ ٥٥٢
- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ٥٥٩
- ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٥٦٧
- ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ ٥٧٩
- ﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ ٥٨٧

- ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ﴾ ٥٩١
- ﴿ قُلْ مَوْتُوْا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ ٥٩٢
- ﴿ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضْعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ٥٩٣
- ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ ﴾ ٦٠٦
- ﴿ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾ ٦٠٦
- ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ ٦١٢
- ﴿ لَكُمْ فِيهَا رِزْقٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾ ٦١٥
- ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُثَبَّتُونَ ﴾ ٦٢٠
- ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدًّا فَمَلِّقِيهِ ﴾ ٦٢٠
- ﴿ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيحٍ ﴾ ٦٢٥
- ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ ٦٢٦
- ﴿ وَنَادَيْتَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴾ ٦٢٦
- ﴿ وَنَادَيْنَاهُمَا رَجُمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمَا مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ٦٢٦
- ﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴾ ٦٢٧
- ﴿ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ٦٢٧

- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ ٦٣٢
- ﴿قَالَ أَخْسُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ ٦٣٢
- ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ ٦٤٠
- ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنَتُهُمْ﴾ ٦٤٠
- ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ ٦٤١
- ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِيمَانًا﴾ ٦٤٣
- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمُ إِيمَانًا﴾ ٦٤٣
- ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أُوتَيْكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مَنِ
الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ ٦٤٥
- ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ٦٤٨
- ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ ٦٤٩
- ﴿يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَاقًا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ
فَوْقَهُ حِسَابًا﴾ ٦٥٢
- ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلِئَلَةً أَوْ امْرَأَةً﴾ ٦٧٠
- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلِئَلَةِ﴾ ٦٧٠
- ﴿وَكَنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ ٦٧٣
- ﴿فَإِذَا هُمْ فِيهَا يُنظَرُونَ﴾ ٦٧٣
- ﴿فَصَبِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ ٦٧٣
- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ ٦٨٢، ٦٧٧
- ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾ ٦٨٩، ٦٧٧

- ٦٨٢ ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أحيَاءُ﴾
- ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ ٦٨٤
- ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ قُلُوبٌ لَأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا
فَنَعَالَيْنَ أُمَتَّعْنَكُمْ وَأَسْرَحْنَكُمْ سَرَاعًا جَمِيلًا﴾ ٦٨٧
- ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْإِسَاءُ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مَنْ أَزْوَجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
حُسْنُهُنَّ﴾ ٦٨٨
- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ ٧١٧
- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ٧١٨
- ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٧٢٢
- ﴿أَفَنظَمُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ
ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ، مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ ٧٥٠
- ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ ٧٥٠
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ، كُفُؤًا أَحَدٌ﴾ ٧٥٤
- ﴿هَلْ نَعَلَهُ لَهُ، سَمِيًّا﴾ ٧٥٤
- ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْتَهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ ٧٥٥
- ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٧٥٦
- ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٧٥٨
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ ٧٥٩

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
١٠	كان ﷺ يقول في سُجُودِهِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»
١١	«وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ،...اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»
١١	«أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»
١١	«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا»
٦٢٤، ٣٤	«حَيْرَنِي الِهِمْدَانِيُّ»
٤٩	«أَيْنَ اللَّهُ؟»
١٣٠، ٥٠	
٤٦٢، ٢٥٣، ٢٢٥	
٥٨	«مَا فَعَلَ مَنْسُكَ حُبَيْبٍ الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ النَّضِيرِ؟»
٥٨	«أَمَا شَعَرْتَ أَنَّ عَمَّ الرَّجُلِ صِنُؤُ أَبِيهِ»
٦٥	«فَيَصْعَدُونَ بِهَا فَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا مَا هَذَا الرَّوْحُ»
٦٦	«مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا»
٨٤	«مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ»
٨٤	«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»

- ٨٤ «يَتَعَاقِبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلَائِكَةٌ بِالنَّهَارِ»
- ٨٦ «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَى أَسْمَعُ صَرِيْفَ الْأَقْلَامِ.....»
- ٨٨ «رَأَى جِبْرِيلَ لَمْ يَرَهُ فِي صُورَتِهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ:»
- ما زال يترددُ بين موسى وبين الله، حتى صارت خمسًا في
الفضل، وخمسين في الميزان ٨٩
- ٩٠ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»
- ٩٢ «اتَّقِ دَعْوَةَ الْمُظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»
- ١٠٠، ٩٧ «يُنزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»
- ٥٢٣، ٤٦١، ٤٢٨، ٢٨٨، ٢٥٨، ٢٢٧، ٢٢٤
- ٩٨ «إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»
- ١٠٥ «الزِّيَادَةُ هِيَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ»
- ١٠٥ «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمِيَّةَ»
- ١٠٦ «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»
- «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ
غَضَبِي» ١١٠
- ١١٤ «هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»
- ١١٦ «أَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»
- ١١٦ «أَنْتَ البَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَا تُضَامُونَ» ... ١٢٠، ٥٦٠

- «كَمَا تَرَوْنَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ» ١٢٠، ٥٦٠
- «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ١٢٢
- «إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ» ١٢٥
- «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ» ١٢٥
- «أَنَّ الرَّجُلَيْنِ يُهَاجِرَانِ أَحَدُهُمَا: هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ،
وَالثَّانِي: هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا» ١٢٥
- «أَعْلَمُ بِإِسْلَامِكَ فَإِنْ يَكُنْ كَمَا تَقُولُ فَاللَّهُ يُجْزِيكَ بِذَلِكَ، فَأَمَّا
ظَاهِرًا مِنْكَ فَكَانَ عَلَيْنَا» ١٢٦
- «كَانَ فِي عَمَاءٍ» ١٢٩
- «أَيْنَ اللَّهُ؟ فَقَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. فَأَقْرَبَهَا» ١٢٩
- «مَنْ رَبُّكَ» ١٣٢، ٤٦٢
- «لَيْسَ لَكَ نُسْكَ، شَأْتِكَ شَأَةٌ لَحْمٍ» ١٤١
- «مُدْمِنُ الْحَمْرِ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» ١٤٤
- «الْإِسْتِوَاءُ غَيْرُ مَجْهُولٍ، وَالْكَيفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ، وَالْإِيمَانُ بِهِ
وَاجِبٌ، وَالسُّؤَالُ عَنْهُ بِدَعَةٍ، وَمَا أَرَاكَ إِلَّا مُبْتَدِعًا» ١٥٩
- «خِلاَفَةُ أَبِي بَكْرٍ حَقٌّ قَضَاهَا اللَّهُ فِي سَهَائِهِ» ١٦٢
- «إِنْ كُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ» ١٨١
- «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا مِنْ أُمَّتِي خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ» ١٨١
- «إِنَّ أَمَّنَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي مَالِهِ وَصُحْبَتِهِ أَبُو بَكْرٍ» ١٨١

- ١٨٢ «مَا ظَنَنْكَ بِأَثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا»
- ١٨٢ «لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»
- «أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْمُقَلَّدَ لَيْسَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُسْتَفْتَى، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ» ٢٠٥
- «إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ» ٢١١
- «مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ٢٣٢
- «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي» ٢٤٦
- «هَلْ بَلَغْتُ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ» ٤٦٣، ٢٤٧
- «رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُكَ» ٢٤٧
- «أَنَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعَ بَيْنَهَا مَسِيرَةٌ كَذَا وَكَذَا» ٢٤٨
- «مَنْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ فَاعْبُدِ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» ٢٤٩
- «إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفِعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ» ٢٥٦
- «وَيُحْكَمُ إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ» ٢٥٦
- «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَى جَنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا شَفَعَهُمُ اللَّهُ فِيهِ» ٢٥٦
- أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ عِنْدَهُ جَارِيَةٌ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ امْرَأَتُهُ،
فَأَخَذَتْ السُّكَّيْنِ؛ لِأَنَّهَا غَارَتْ، كَيْفَ تَجَامَعُ الْجَارِيَةُ؟! ٢٦٠
- «لِمَنَادِيلِ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ» ٢٦٢
- «قَوْمُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ فَأَنْزِلُوهُ» ٢٦٣

- «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهَا فَتَأْبَى عَلَيْهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ سَاحِطًا عَلَيْهَا حَتَّى يَرْضَى عَنْهَا». ٢٦٥
- «بَيْنَا أَهْلُ الْجَنَّةِ فِي نَعِيمِهِمْ إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ فَرَفَعُوا رُؤُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ...» ٢٦٦
- «أَلَا تَأْمَنُونِي وَأَنَا أَمِينٌ مَنْ فِي السَّمَاءِ» ٢٦٧
- إنَّ من المقام المحمود أن الله - سبحانه وتعالى - يُجْلِسُ نَبِيَّهَ مُحَمَّدًا ﷺ عَلَى عَرْشِهِ ٢٧٠
- تجهيز جيش العُسرة ٢٧٦
- «مَنْ يَشْتَرِي بِنْتِ رُومَةَ فَيَجْعَلُ دَلْوَهُ فِيهَا مَعَ دَلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ» ٢٧٦
- «أُنْبِتْ أَحَدًا، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ» ٢٨٠
- «لَا إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ بُرْهَانٌ» ٢٨١
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي» ٢٩٦
- «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ» ٢٩٧
- «كَمَلَمَلٍ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٍ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا...» ٢٩٨
- «اللَّهُمَّ فَفِّهْ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ» ٢٩٨
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ...» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ ٣٠١

- «إِنَّ قَوْلَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْإِلْحَادِ» ... ٣١٠
- «فَبَدَّلُوا وَقَالُوا حِنْطَةٌ حَبَّةٌ فِي شَعْرَةٍ» ٣٣٨
- «أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ» ٣٩٩
- «إِنْ كَانَ قَدْ قَالَ ذَلِكَ فَقَدْ صَدَقَ» ٤١٠
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عِيَانًا كَمَا تَرُونَ الشَّمْسَ صَحْوًا لَيْسَ دُورَهَا سَحَابٌ، وَكَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ٤٢٢
- «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ» ٤٥٦
- «اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ» ٤٦٠
- «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ! فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ» ٤٦٧
- «مَنْ سَمِعَ بِالذَّجَالِ فَلِينًا مِنْهُ؛ فَإِنَّ الرَّجُلَ يَأْتِيهِ وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مُؤْمِنٌ فَلَا يَزَالُ بِهِ لِمَا مَعَهُ مِنَ الشَّبهِ حَتَّى يَتَّبِعَهُ» ٤٧٣
- «لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ» ٤٧٣
- «مَنْ تَكَلَّمَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالْإِمَامُ يَخْطُبُ فَهُوَ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمَلُ أَسْفَارًا» ٤٨٤
- «أَجْرُكَ عَلَى قَدْرِ نَصَبِكَ» ٥١٠
- «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَتْهُ بِالْحَرْبِ» ٥٢٤
- «بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ» ٥٢٥
- «ذَلِكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيْطَانُ فِي أُذُنِهِ» ٥٢٨

- ٥٣٢ «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ»
- ٥٣٨ «مَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»
- ٥٦٧ «تَرَى الشَّمْسَ؟». قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «عَلَى مِثْلِهَا فَاشْهَدْ أَوْ دَعْ»
- ٥٧٩ «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هُوَ لَاءِ أَرْغَبَ بَطُونًا»
- «كل واحد من فريقى التعطيل والتمثيل فهو جامع بين
التعطيل والتمثيل»
- ٥٨٢ «أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللَّهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَتَهُمْ،
يَشْتَمُونَ مُدَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُدَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ»
- ٥٩٠ «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ
خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»
- ٥٩٣ «رَأَيْتُ نُورًا»
- ٦١٣ «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»
- ٦١٤ رأى ﷺ ربه في المنام
- «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلِ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلْبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ
مِنْ إِحْدَاكُنَّ»
- ٦٤٣ «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُوا تَقَبَّلَ اللَّهُ ضَحَايَاكُمْ، فَإِنِّي مُضَعٌّ بِالْجَعْدِ ابْنِ
دَرَاهِمٍ»
- ٦٥٤ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ...»
- ٦٥٥ «لَوْ قَالَ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمْ يَخْنَثْ وَكَانَ دَرَكًا لِحَاجَتِهِ»
- ٦٥٦

- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ.....» ٦٥٨
 فوالله ما هو إلا أن رأيتُ اللهَ قد شَرَحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتال،
 فعرفتُ أنه الحقُّ ٦٦٩
 وَدَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ قَدْ كَانَ عِنْدَهُ عَهْدٌ مِنَ الرَّسُولِ ﷺ فِي أُمُورٍ
 ثَلَاثَةٍ: الْجَدُّ، وَالْكَلَالَةُ، وَشَيْءٌ مِنْ أَبْوَابِ الرَّبَا ٦٧٠
 «بِضْعٍ وَسَبْعُونَ بَابًا» الربا ٦٧١
 «لَوْلَا أَنْتُمْ مِنْ غَيْرِ هَذَا الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمْ ضَرْبًا» ٦٧٤
 «اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا» ٦٧٤
 رَأَى ﷺ مُوسَى قَائِمًا يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ ٦٧٨، ٦٩٣
 ٧٠١
 «إِنَّ الرَّسُولَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٦٧٨
 إِذَا دُفِنَ الْإِنْسَانُ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ يَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ٦٧٩
 «الْأَنْبِيَاءُ أَحْيَاءٌ فِي قُبُورِهِمْ» ٦٧٩، ٧٠٦
 «يَوْمٌ كَجُمُعَةٍ» أيام المسيح الدجال ٦٨٠
 «تُعْرَضُ الْأَعْمَالُ عَلَى الرَّسُولِ ﷺ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ» ٦٨٠
 «إِنَّ الْأَعْمَالَ تُعْرَضُ عَلَى اللَّهِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ» ٦٨٠
 أَمَرَ بِالْإِكْثَارِ عَلَيْهِ مِنَ الصَّلَاةِ ٦٨٣
 «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ» ٦٨٤
 «لَا عَلَيْكَ إِلَّا تَعْجَلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ» ٦٨٨

- ٦٩٠ إن سَوْدَةَ بِنْتُ زَمْعَةَ وَهَبَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ
- ٦٩٦ «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»
- ٦٩٨ «إِنَّ الْمَيِّتَ لَيَسْمَعُ خَفَقَ نَعَالِهِمْ حِينَ يُوَلُّونَ عَنْهُ مُدْبِرِينَ»
- اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ أَعْطَيْتَ أَحَدًا الصَّلَاةَ فِي قَبْرِهِ فَأَعْطِنِي الصَّلَاةَ
- ٧٠٠ فِي قَبْرِي
- ٧٠٠ «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»
- إن الرسول ﷺ إذا سَلَّمَ أَحَدًا عَلَيْهِ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ فَرَدَّ عَلَيْهِ
- ٧٠٤ السَّلَامَ
- «مَا مِنْ أَحَدٍ مَرَّ بِقَبْرِ أَخِيهِ الْمُؤْمِنِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ
- ٧٠٤ إِلَّا عَرَفَهُ وَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»
- ٧٠٧ إِنْ الْمُؤْمِنَ يُفْتَحُ لَهُ بَابٌ إِلَى الْجَنَّةِ (وهو في قبره)
- ٧٠٧ «قَدِّمُونِي قَدِّمُونِي»
- ٧٠٧ عَرَضُ أَعْمَالِ الْعِبَادِ عَلَى الرَّسُولِ
- ٧٠٩ «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ»
- ٧٠٩ «إِنَّ الْمَيِّتَ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نَبِحَ عَلَيْهِ»
- ٧١٠ «إِنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَى مَوْتَاكُمْ، فَيَسْرُونَ وَيُسَاءُونَ»
- ٧١٣ «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»
- ٧١٤ «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ»
- ٧١٤ «إِذَا مَاتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ»

- «مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلَّا كَانَ
لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ» ٧١٦
- «إِذَا بَلَغَ أَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ وَأَرْبَعِينَ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا فَيَنْفُخُ فِيهِ
الرُّوحَ» ٧١٦
- «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي
عَبْدِي» ٧٥٧
- ٧٥٨ حديث الشفاعة

فهرس الموضوعات والفوائد

الصفحة	الموضوع
٥	فصل: في الردِّ على الجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ.....
٥	تعريف الجَهْمِيَّةِ.....
٦	قولهم: ليس الله فوق العرشِ.....
٧	هل بَرَى البرِيَّةَ خارجًا عن ذاتِهِ، أو بَرَى البرِيَّةَ في ذاتِهِ؟.....
٧	هل البرية هي عين الله؟.....
٨	ماذا إن لم نُقل: إنَّ الله فوق كُلِّ شيءٍ.....
٨	قولُ الجَهْمِيَّةِ الْمُعْطَلَةِ يَعُودُ إلى قولِ الاتِّحَادِيَّةِ.....
١٠	هذا القولُ مُخَالِفٌ لِلوَحْيَيْنِ.....
١٠	تطابق الأدلة على علو الله عزَّ وجلَّ.....
١٢	لازم قولهم هو وصف الله عزَّ وجلَّ بالعدم.....
١٢	نفي دخولِ الله وخروجه معًا لا يَصُدُّقان إلا على عدم.....
١٣	هل يَصِحُّ أن نقول: عندنا ذاتان: ذاتُ الخالقِ وذاتُ المخلوقِ؟...١٣
١٤	هل يَصِحُّ أن نقول على جدار: إنه لا يظلمُ؟.....
١٥	مناقشة قولهم: إن الله ليس بداخل العالم ولا خارجه.....
١٥	نفي الظلم عن الله.....
١٦	مناقشة كلام الجهمية والمعتزلة في هذا.....

- ١٦ نفي النوم والسنة عن الله
- ١٧ الشيء يثبت فيما لا يقبله، وينفى عما لا يقبله بنص القرآن
- ١٩ باتفاق العقلاء لا بد من أن يكون إما موجوداً وإما معدوماً
- ١٩ الفرق بين الصديق والنقيضين
- ١٩ مثال النقيضين:
- ١٩ مثال الصديقين:
- ٢٠ الخلافان
- ٢٠ المترادفات
- ٢٢ لازم قولهم هو أن يكون مستحيلاً
- ٢٣ تكلف أهل الكلام وتنطعهم
- ٢٤ الشيء الذي يقوم بنفسه جسم، والذي يقوم بغيره عرض
- ٢٤ قولهم: إن الله منزّه عن الأجسام والأعراض
- ٢٥ يجب أن يكون إما قائماً بنفسه، وإما قائماً بغيره
- ٢٦ الله تعالى في مكان، وهو فوق كل شيء
- مناقشة إما أن الله يكون داخل العالم، أو خارج العالم، أو هو
- ٢٧ العالم بعينه
- ٣٠ فصل: في سياق هذا الدليل على وجه آخر
- ٣١ هل الله عز وجل خارج الأذهان؟
- ٣٣ هل هو نفس المخلوق أو غيره؟

- ٣٣ كيف يُعظَّم النصرارى الصليبَ وقد صُلبَ عليه نبيُّهم؟!
- ٣٤ عقيدتنا في المسيح عيسى ابن مريم
- ٣٥ قولهم: إن الله هو كُلُّ شَيْءٍ
- ٣٦ نسألهم: هل قامَ بِنَفْسِهِ أو قامَ بِغَيْرِهِ؟
- ٣٧ نسألهم: هل هما مثلانِ أو ضدانِ أو غيرانِ؟
- ٣٨ المُعطلةُ يفتحون الأبوابَ لأهلِ وَحْدَةِ الوُجُودِ
- فصلٌ: في الإِشارةِ إلى الطُرُقِ النَّقْلِيَّةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَ سَمَاوَاتِهِ
- ٣٩ عَلَى عَرْشِهِ
- ٤٠ تعريف الأَدلَّةِ النَّقْلِيَّةِ
- ٤٠ الاستواءُ ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ في سبعةِ مواضِعَ من القرآن
- ٤١ البيانُ إمَّا أَنْ يَكُونَ في نفسِ اللَّفْظِ، أو من سياقِ آخَرٍ يبيِّنُهُ
- ٤٣ عادةُ العربِ في الحذفِ
- ٤٥ فصلٌ
- ٤٦ التصريحُ بالعلوِّ، وله صيغتان:
- ٤٦ أقسامُ العلوِّ
- ٤٨ تَجَادَلُ رَجُلَانِ في مَنَى في يومِ العِيدِ في علوِّ اللهِ الذَّاتِي
- ٤٩ قصةُ أبي جَعْفَرِ الهَمْدَانِيِّ مع أبي المَعَالِي الجَوِينِيِّ
- ما الفرقُ بين قولِ مَنْ يقولُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَوْقَ في مكانٍ، وبين قولِ مَنْ يقولُ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ لا في مكانٍ؟
- ٥٠

- ٥١ نهاية الشُّبُهَاتِ التَّشْكِيكِ وَالتَّخْمِيْشِ
- ٥٢ الشَّيْءُ الْمَعْلُومُ هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تُبْطِلَهُ الشُّبُهَاتُ؟
- ٥٢ الشُّبُهَاتُ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ تُبْطِلَ مَا يُعْلَمُ بِالْبَدَاهَةِ؟
- ٥٢ مَا الْمَقَالَةُ الَّتِي فَطَرَ اللهُ الْعِبَادَ عَلَيْهَا؟
- ٥٤ فَضْلٌ
- ٥٥ التَّأْوِيلُ
- ٥٦ قَابِلُ التَّأْوِيلِ
- ٥٧ السِّيَاقُ، وَالْأَحْوَالُ، وَتَبْرَاتُ الْأَصْوَاتِ تَدُلُّ عَلَى الْمَعْنَى الْمُرَادِ
- ٥٧ شَوَاهِدُ الْأَحْوَالِ - أحيانًا - تَكُونُ كَالصَّرِيحِ
- ٥٩ ضَرُورَةُ النَّظَرِ إِلَى السِّيَاقِ
- ٦٠ الْفَوْقُ وَصِفٌ ثَابِتٌ بِالذَّاتِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ
- ٦٢ الْفَوْقُ ثَلَاثَةُ أَنْوَاعٍ
- ٦٣ فَضْلٌ
- ٦٥ النَّوْعُ الرَّابِعُ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى عُلُوِّ اللهِ
- ٦٥ عُرُوجُ الْعَمَلِ وَالْمَلَائِكَةِ
- ٦٦ الْمُدَّةُ الَّتِي يَسْتَعْرِقُهَا الْعَمَلُ فِي الْعُرُوجِ
- ٦٧ مَرْوِيَّاتُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي سَمَكِ السَّمَوَاتِ وَمَا بَيْنَهُنَّ
- الْاِخْتِلَافُ فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾
- ٦٨

- ٧٦ ثَبَّتَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
- ٧٨ الجمع بين النصوص المقدرة ليوم القيامة تقديرات مختلفة
- ٧٩ ورع علماء أهل السنة
- ٨٢ فَصْلٌ
- ٨٣ من أدلة العلو صعود الأشياء إلى الله عز وجل
- ٨٣ صعود الكلم الطيب والعمل الصالح
- ٨٦ معراج الرسول إلى الله عز وجل
- ٨٧ هل رأى النبي ﷺ ربه عز وجل ليلة الإسراء؟
- ٨٩ فرض الصلاة ليلة الإسراء
- ٩٠ رفع عيسى عليه السلام
- ٩٠ حديث: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ»،
- ٩١ صعود الأرواح
- ٩٢ دعاء المظلوم يصعد إلى الله
- ٩٣ من أحكام المخاصمة والقضاء
- ٩٥ فَصْلٌ
- ٩٦ من أدلة علو الله - جل وعلا - النزول والتنزيل
- ٩٦ «التَّنْزِيلُ لِلْقُرْآنِ»
- ٩٦ النزول
- ٩٧ أحاديث النزول، والاختلاف في وقته

- ٩٨ نزول الله عز وجل لا يستلزم ألا يكون عاليًا فوق الخلق
- ٩٨ كيف يكون فوق كل شيء وهو نازل إلى السماء الدنيا؟! قولهم: علو الله هو علو القدر والقهر، والنزول هو نزول الأمر والرحمة
- ١٠٠ فضل
- ١٠٢ من أدلة علو الله عز وجل، بعض أسائه وصفاته
- ١٠٢ ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ [غافر: ١٥]
- ١٠٤ أحسن التفسير تفسير القرآن بالقرآن
- ١٠٥ من تفسير القرآن بالسنة
- ١٠٥ تفسير القرآن بقول الصحابي
- ١٠٥ هل يجوز التفسير بقول التابعي؟ قاعدة مهمة: كلما كان الناس أقرب إلى زمن النبوة كانوا أقرب إلى الصواب فيما يتعلق بالعقائد والعبادات
- ١٠٦ فضل
- ١٠٨ ماذا ينقم منكرو العلو؟
- ١٠٨ حال الذي يرد علو الله فوق كل شيء
- ١٠٨ رد الحق أسبابه ثلاثة: قصور، وتقصير، وسوء قصد ونية
- ١٠٩ فضل
- من أدلة علو الله - سبحانه وتعالى - أن الله تعالى ذكر عن بعض مخلوقاته أنه عند الله
- ١١٠

- ١١٠ قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأنبياء: ١٩].....
- ١١٠ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]..
- ١١١ قولهم: المحبة هي الإرادة
- ١١١ ما المراد بالعندية
- ١١٢ الحب غير المشيئة
- ١١٣ هل العند قرب أو تكوين؟
- ١١٤ فصل
- من أدلة علو الله - سبحانه وتعالى - الدلالة الفعلية من رسول الله
- ١١٤ ﷺ
- ١١٥ فصل
- ١١٦ من أدلة علو الله عز وجل ما يستفاد من اسمه (الظاهر)
- ١١٧ فصل
- ١١٨ من أدلة علو الله عز وجل أنه أخبر بأننا نراه في جنة الحيوان
- ١١٨ وجه هذا الاستدلال
- ١٢٠ إثبات رؤية الله في الجنة في الكتاب والسنة
- ١٢٠ مناقشة أقوال منكري الرؤية
- ١٢٢ قولهم: المراد بالرؤية رؤية العلم واليقين
- ١٢٤ خاصمة أخلاء الشريوم القيامة
- ١٢٤ هل هؤلاء يكفرون إن كانوا متأولين أو لا؟

- ١٢٥ نؤمن أن كلُّ مؤمنٍ في الجنَّة، لكن لا نشهد لمعيَّن
- ١٢٦ يَنْبَغِي لِلإِنْسَانِ أَلَّا تَأْخُذَهُ الْعَاطِفَةُ فِي الْحُكْمِ
- ١٢٨ فَضْلٌ
- ١٢٩ ... من أدلَّةِ علوِّ الله - سبحانه وتعالى - إقرارُ سائلِهِ بلفظِ الـ (أين) ...
- ١٣١ قولهم: حرامٌ أن تقولَ: أين الله؟
- ١٣٤ فَضْلٌ
- ١٣٦ من أدلةِ علوِّ الله إجماعُ الرُّسُلِ على إثباتِهِ
- ١٣٦ فائدة: إعراب العدد المضاف
- ١٣٧ كلام عبد القادر الجيلانيّ
- ١٣٧ كلام ابن رشد
- ١٣٧ اتهام المبدعة لابن تيمية بعدم الفحولة
- ١٣٩ إثباتُ قضاءِ الله
- ١٤٠ قولهم: لو ثبت النزول بالذات انتفى العلو؟
- ١٤١ لا يُوجَدُ شَيْءٌ مِنَ الشَّرِيعَةِ يَحْتَصُّ بِشَخْصٍ لِعَيْنِهِ
- ١٤٢ حكم التضحية بالعناق
- ١٤٣ من قال: إنَّ ابنَ القِيَمِ مُقَصَّرٌ، لِأَنَّهُ لَمْ يَذْكَرِ الإِيْمَانُ بِالْقَدَرِ؟
- ١٤٣ أصولُ المُعْتزَلَةِ خَمْسَةٌ
- ١٤٣ التوحيد عند المعتزلة
- ١٤٥ العدلُ عند المعتزلة

- ١٤٦ ما معنى: المنزلةُ بينَ مَنْزِلَتَيْنِ؟
- ١٤٦ الرد على نفي المعتزلة للشفاعة.
- ١٤٧ المعتزلة حَكَمُوا على الله بالشريعة، والذي يَحْكُمُ بالشريعة هو الله.....
- ١٥١ فَضْلٌ
- ١٥٢ مِنْ أَدِلَّةِ علو الله تعالى الإجماعُ
- ١٥٢ إذا اختلفَ الصحابةُ على قولينِ ثُمَّ أجمعَ التابعون على أحدهما....
- ١٥٣ التفاسيرُ التي تُذَكِّرُ السَّنَدَ
- ١٥٤ تفسيرهم الاستواء بالاستيلاء
- ١٥٨ تفسيرُ (استوى) بـ(استولى) هو قولُ المُعتزلةِ والجَهْمِيَّةِ
- ١٥٩ الأئمة الأربعة
- ١٥٩ قصة الإمام مالك مع من سأله عن كيفية الاستواء
- ١٦١ حكم مَنْ ادَّعى أَنَّ اللهَ في الأرضِ
- الإمام أبو حنيفة - رَحِمَهُ اللهُ - صرَّحَ بأنَّ مَنْ لم يُقرَّ بعُلُوِّ الله عزَّ وجلَّ وعمومِ علمه فإنه كافرٌ
- ١٦٣ سَعَةُ اطلَّاعِ ابنِ القيمِ
- ١٦٨ أهلُ الشَّرِّ والباطلِ كانوا يرمون الحنابلةَ بالمجسِّمة
- ١٧٠ مَنْ ادَّعى أَنَّ مذهبَ السَّلَفِ الإيَّانُ باللفظِ
- ١٧٢ فائدة: قولهم: «حتى يشيب الغراب» وما شابهه
- ١٧٣ الغالبُ بعد القرونِ الثلاثةِ أَنَّ الحكَّامَ قَلِيلُو البضاعةِ من العلمِ ... ١٧٥

- وسائل أهل البدع في التليس على السلاطين والوشاية عندهم ... ١٧٧
- قولهم: إن ظاهر النصوص يقتضي التجسيم ١٧٨
- أخذ أهل البدع عن معتقدات الروافض ١٧٩
- إساءتهم لأبي بكر وعمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ١٨٠
- فضائل أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ١٨١
- فَصْلٌ ١٨٤
- من أدلة علو الله، قوله تعالى: ﴿فَأَوْقَدَ لِي يَنْهَمَنُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ ١٨٥
- الجهم بن صفوان وفرعون كلاهما يُنكِرُ التَّكْلِيمَ ١٨٨
- وجوب تحكيم الوحيين ١٩٠
- لا بُدَّ من أمورٍ ثلاثة: التَّحْكِيمُ، والرضى والانشراح، والتَّسْلِيمُ
- التَّامُّ ١٩٢
- كيف يشهد رسول الله وهو ميِّتٌ؟ ١٩٦
- استهانة أهل البدع بالعلماء ١٩٩
- حرمة الكتاب والسُّنَّةِ ١٩٩
- ما الذي أَوْصَى به الأئمة؟ ٢٠٠
- الجهل البسيط، والجهل المركب ٢٠١
- استكبار أهل البدع على تلقي العلم من مصادره ٢٠٣
- أهل البدع يقلدون العلماء في الظاهر فقط ٢٠٤

- ٢٠٥ لا فرق بين المقلد والبهيمة
- ٢٠٥ أجمع العلماء على أن المقلد لا يُعدُّ من العلماء
- ٢٠٨ فَصْلٌ
- ٢١٠ من أدلة علو الله عز وجل أنه نزه نفسه عن كل نقصٍ وعيب
- ٢١٠ إن نفي النقائص عن الله يدلُّ على ثبوت علوه
- ٢١٤ نفي النقائص، منه نفي نقائص قيلت، ونفي نقائص لم تُقل
- ٢١٧ من أوجه كفر النصارى
- ٢١٩ فَصْلٌ
- ٢٢٢ من أدلة علو الله فصاحة النبي ﷺ
- ٢٢٩ القرامطة
- ٢٢٩ الحاكمة
- ٢٣٠ الفطرة السليمة تتفق مع نصوص الشريعة
- ٢٣٣ فَصْلٌ
- ٢٣٣ الدليل العشرون هو مجموع الأدلة كلها
- ٢٣٦ الأصلان اللذان قام عليهما الإسلام والإيمان
- ٢٤١ أهل الكلام يكرهون كل نصٍّ يخالفُ بدعتهم
- ٢٤٢ فَصْلٌ
- ٢٤٢ من أدلة علو الله عز وجل مجيئه للفصل بين عباده يوم القيامة
- ٢٤٥ فَصْلٌ: فِي الْإِشَارَةِ إِلَى ذَلِكَ مِنَ السُّنَّةِ

- أحاديثٌ متعددة تدل على علوه - سبحانه وتعالى - ٢٤٦
- كلمة (حَيْرٌ) لم تَرِدْ لا في الْقُرْآن ولا في السُّنَّة ٢٤٩
- قول المجوس: إِنَّ الْخَيْرَ يَخْلُقُهُ النُّورُ، وَالشَّرُّ تَخْلُقُهُ الظُّلْمَةُ ٢٥١
- العارف في زعم المعطلة ٢٥٢
- كلام ابن القيم عن ابن إسحاق ٢٥٤
- حديث الأبيط ٢٥٦
- حديث النزول والاختلاف فيه ٢٥٧
- هل إذا نزل يتنفي عنه العلوُّ؟ ٢٥٩
- حديث معراج النَّبِيِّ ﷺ ٢٦١
- حديث حكم سعد في بني قريظة ٢٦٣
- حديث ذبح الموت يوم القيامة ٢٦٥
- حديث في فضل يوم الجمعة ٢٦٥
- من أدلة العلو ذكر المقام المحمود ٢٦٨
- فَصْلٌ: فِي جِنَايَةِ التَّأْوِيلِ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ، وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْمَرْدُودِ مِنْهُ
وَالْمَقْبُولِ ٢٧٢
- تفريق الأمة ٢٧٥
- مقتل عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٢٧٥
- قتل علي وابنه الحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ٢٧٦
- ظهور الخوارج ٢٧٦

- ٢٧٨ ظهور الروافض
- ٢٨٠ حرمة الإمام وعدم تكفيره
- ٢٨٢ غلو القدرية والمعتزلة
- ٢٨٤ محنة الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن
- ٢٨٥ انقسمت الجهمية إلى قسمين:
- ٢٨٦ إنكارهم صفات الكمال بالتأويل
- ٢٨٦ قول الجهمية: إِنَّ أفعالَ الله ليس لها استمرارٌ أَزليٌّ
- ٢٨٨ اعتماد أهل الكلام على أقوال الفلاسفة والملاحدة
- ٢٩٠ إنكارهم البعث
- ٢٩٠ القرامطة أصلهم شيعة روافض
- ٢٩١ تحريفهم للعقائد والعبادات
- ٢٩٥ وجه تسمية التفسير تأويلاً
- ٢٩٧ فَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النَّسَاءِ
- ٢٩٨ فضل ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا
- ٣٠٠ قولهم: إِنَّ التَّأويلَ صرفٌ عن الرَّجْحانِ؟
- ٣٠٤ فَضْلٌ: فِيمَا يَلْزَمُ مُدْعِي التَّأويلِ لِتَصِحِّحِ دَعْوَاهُ
- ٣٠٥ محاذير صرف اللفظ عن ظاهره
- ٣٠٨ قراءة الألفاظ دون التعرُّض لمعناها خيرٌ من تحريفها
- ٣٠٩ التحريف هو تأويل الكلام عن ظاهره

- زعمهم أن طريقة الخلف أسلم وأحكم من طريقة السلف ٣١٠
- في القرآن والسنة ألفاظ لها معانٍ لكنها لا تصلح للمعاني المطلقة ٣١٢
- فصل: في طريقة ابن سينا وذويه من الملاحدة في التأويل ٣١٣
- ابن سينا والرد على آرائه ٣١٥
- قوله: إن المراد بالألفاظ حقيقتها، لكن من باب التخيل والتقريب للأذهان ٣١٦
- قوله: إن هذه النصوص لا يُرادُ بها حقائقها ٣١٦
- الفرق بين طريقة ابن سينا وبين طريقة غيره ٣١٧
- تسلطهم بالتحريف والبهتان من أجل القواعد التي أصلوها ٣١٨
- تأويلهم كل نص يدل على العلو ٣١٩
- قولهم: إن القيامة لا حقيقة لها ٣١٩
- يلزم المتأولين الجواب عن المعارض ٣٢٥
- قولهم في اليد ٣٢٦
- التأويل يكون بالنسبة للنصوص، والتعطيل بالنسبة للصفات ٣٢٨
- قولهم: إن السنة لا تُفيد العلم ٣٣٠
- فصل: في شبه المحرفين للنصوص باليهود، وإزتهم التحريف منهم، وبراعة أهل الإنبات مما رموهم به من هذه الشبه ٣٣٣
- المحرف ورث من اليهود ٣٣٤
- هل اليهود يتكلمون باللغة العربية؟ ٣٣٩

- ٣٤١ مشابهة أهل التأويل لليهود في تحريف الكلم
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ جُهْتَانِهِمْ فِي تَشْبِيهِ أَهْلِ الْإِنْبَاتِ بِفِرْعَوْنَ، وَقَوْلِهِمْ: إِنَّ مَقَالَ
 ٣٤٢ الْعُلُوَّ عَنْهُ أَخَذَوْهَا، وَأَنَّهُمْ أَوْلَىٰ بِفِرْعَوْنَ، وَهُمْ أَشْبَاهُهُ
- ٣٤٣ وجه مشابهتهم لفرعون ومخالفتهم له
- ٣٤٤ هل أهل السنة أولى بفرعون أم هؤلاء المعطلة؟
- ٣٤٩ فَصْلٌ: فِي بَيَانِ تَدْلِيْسِهِمْ، وَتَلْبِيْسِهِمُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ
- ٣٥١ عودة لتعريف التجسيم والمجسم
- ٣٥٣ كُلُّ الْأَنْبِيَاءِ جَاؤُوا بِأَنَّ اللَّهَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ
- ٣٥٥ تشكيك المعطلة في العرش، وفي الاستواء
- ٣٥٦ التفريق بين (على) و(إلى)
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ سَبَبِ غَلْطِهِمْ فِي الْأَلْفَازِ، وَالْحُكْمِ عَلَيْهَا بِإِحْتِمَالِ عِدَّةٍ
 ٣٦١ مَعَانٍ؛ حَتَّىٰ اسْقَطُوا الْاسْتِدْلَالَ بِهَا
- ٣٦٢ قولهم: اللفظ قد يحتمل معنى في سياق وغيره في سياق آخر
- ٣٦٣ قولهم: الكلام نص في سياقه
- ٣٦٤ هل هذا الاختلاف اختلاف لفظي فقط؟
- ٣٦٦ الكلام ثلاثة أقسام:
- ٣٦٧ الناس باعتبار الدليل ثلاثة أقسام
- ٣٦٧ قدرة أهل الحديث على التفريق بين المقبول والمردود
- ٣٦٩ ينبغي لطالب العلم أن يركز على فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

- ٣٧٢ قولهم: إن دلالة القرآن ظنيّة
- ٣٧٣ القاعدة عندهم: أن الأدلة الشرعية لا تفيد اليقين
- ٣٧٦ جواز القسم ممن لم يستقسم
- ٣٧٨ إن اللفظ وإن احتمل معاني فإنه عند التركيب لا يَحتملُ واحداً ...
- ٣٨٠ القرائن
- ٣٨٤ تدليس أهل التعطيل وتلبسهم
- فصل: في بيان شبه غلطهم في تجريد الألفاظ بغلط الفلاسفة في تجريد المعاني
- ٣٨٥ المعاني
- ٣٨٦ تجريد اللفظ عن سياقه كتجريد العين عن صفته
- ٣٨٧ منطوق الإنسان، أو المنطق اليوناني
- ٣٨٨ المعاني كُليّة إذا طابقت أفرادها
- ٣٨٨ المعاني الكُليّة كُليّة في الأذهان لا في الخارج
- ٣٩٠ حكمهم بالمفروضات الذهنية على الموجودات العينية
- ٣٩٠ تجريد الكلمات من التركيب مستحيل
- فصل: في بيان تناقضهم وعجزهم عن الفرق بين ما يجب تأويله وما لا يجب
- ٣٩٢ يجب
- ٣٩٥ التحريف سَمَّوه تأويلاً
- ٣٩٧ من العلم ما لا يعلم تأويله إلا الله
- ٤٠٣ تفريقهم بين الظاهر والباطن

- ٤٠٣ دعواهم أن الرسل أتوا بعلمين ظاهر وباطن
- ٤٠٣ قولهم: لا توجد جنة ولا نارٌ
- ٤٠٥ احتجاج أهل السنة على أهل البدعة من كلامهم
- ٤١٠ عروج الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -
- ٤١٠ الرسول ﷺ عُرِجَ بيده
- ٤١١ معاداة المعطلة لأهل السنة
- ٤١٥ كلام أرسطو والفارابي وابن سينا
- ٤١٧ الدِّيصَان
- ٤٢٠ قولهم: إِنَّ رُؤْيَتَنَا لَلَّهِ عَيْنُ الْمَحَالِ
- ٤٢٢ قولهم: مستحيلٌ أن الله - سبحانه وتعالى - يتكلم بكلامٍ يُسْمَعُ ...
- ٤٢٦ فَصْلٌ: فِي الْمَطَالِبَةِ بِالْفَرْقِ بَيْنَ مَا يُتَأَوَّلُ وَمَا لَا يُتَأَوَّلُ
- ٤٢٧ لوازم الاستواء
- ٤٢٧ لوازم الكلام
- ٤٢٨ لم يفرق الكتاب ولا السنة بين كلام يؤول وكلام لا يؤول
- ٤٣٠ الأشاعرة أثبتوا صفات لأن العقل دل عليها
- ٤٣١ قولهم: السَّمْعُ والبَصْرُ والإِرَادَةُ والْقُدْرَةُ كُلُّهَا فِي الْأَجْسَامِ
- ٤٣٢ ليس في القرآن ولا في السُّنَّةِ إثبات أو نفي أن الله جسمٌ
- ٤٣٣ فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ فَرْقٍ لَهُمْ آخَرَ، وَبَيَانِ بُطْلَانِهِ
- ٤٣٤ عمدتهم في إثبات الصِّفَاتِ أو نفيها عن الله العقل

- ٤٣٥ ينبغي نفي النقص عن الله عزَّ وجلَّ
- ٤٣٦ التناقض في كلام المعطلة
- ٤٣٨ «الصفات السبع» التي أثبتها الأشاعرة
- ٤٣ هل إذا انتفاء الدليل انتفاء للمدلول؟
- ٤٤٠ **فصل: في بيان مخالفة طريقهم لطريق أهل الاستقامة عقلاً ونقلاً**
- ٤٤٣ ردُّ النصوص، والاحتجاج بقول شيوخهم
- ٤٤٦ ابن القيم - رحمه الله - يدينُ الله عزَّ وجلَّ بعداوة أهل البدع
- ٤٤٨ نحن لا ندعو على أحد ولا نلعن أحداً
- ٤٤٩ من أبطلوا النصوص أشد من الخوارج
- ٤٥١ **فصل: في بيان كذبهم ورَمِيهِمْ أهل الحقِّ بأنَّهم أشباهُ الخوارج، وبيان شبهِهم المُحقِّقِ بالخوارج**
- ٤٥٤ دعوى المعطلة أن أهل السنة شابهوا الخوارج في أمور
- ٤٥٥ تكفيرهم لأصحاب السنة
- ٤٥٦ الخوارجُ تمسَّكوا بظواهر النصوص
- ٤٥٨ الحكم بين الخلائق يوم القيامة بالعدل والميزان
- ٤٥٩ الواجبُ أن يقبلَ الإنسانُ الحقَّ من أيِّ إنسانٍ
- ٤٦١ تأويل الجهمية لأحاديث النزول
- ٤٦٣ الفطرة السليمة تثبت العلو
- ٤٦٤ الرد عليهم في صفات الاستواء والعلو والكلام

- ٤٦٩ الفرقُ بين لسان الحال ولسان المقال
- ٤٧٠ كراهة أهل البدع للحديث وأهله
- ٤٧١ تدليس أهل البدع واستخدامهم معسول الكلام
- ٤٧١ التنبيه على اعتزال تفسير الزمخشري
- ٤٧٦ كان ابن القيم صوفياً في بداياته
- ٤٧٧ فضل ابن تيمية على ابن القيم
- فَصْلٌ: فِي تَلْقِيهِمْ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالْحَشْوِيَّةِ، وَبَيَانِ مَنْ أَوْلَى بِالْوَصْفِ الْمَذْمُومِ
مِنْ هَذَا اللَّقْبِ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ، وَذِكْرِ أَوْلَى مَنْ لَقَّبَ بِهِ أَهْلَ السُّنَّةِ مِنْ
أَهْلِ الْبِدْعِ ٤٨٢
- ٤٨٣ تعريف الحشوية
- ٤٨٧ ابن عبيد المعتزل
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ عُدْوَانِهِمْ فِي تَلْقِيْبِ أَهْلِ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ بِالْمَجْسَمَةِ، وَبَيَانِ
أَنََّّهُمْ أَوْلَى بِكُلِّ لَقْبٍ خَبِيثٍ ٤٩٠
- ٤٩٣ أهل السنة مأخوذون بالوحين
- ٤٩٤ نفي التجسيم عن أهل السنة
- ٤٩٧ المجاز والحقيقة
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ مَوْرِدِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، وَأَنََّّهُمْ تَعَوَّضُوا بِالْقَلُوطِ عَنْ مَوْرِدِ
السَّلْسِيلِ ٥٠٢
- ٥٠٤ الفرق بين مَنْ مَنَّ اللهُ عَلَيْهِ باليقين وَمَنْ هُوَ فِي الشَّكِّ والحيرة

- فَصَلِّ: فِي بَيَانِ هَدْمِهِمْ لِقَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيْمَانِ بِعَزْهِمْ نُصُوصِ السَّنَةِ
وَالْقُرْآنِ ٥٠٧
- ذَكَرَ الْمُؤَلِّفَ لِلسَّنَةِ قَبْلَ الْقُرْآنِ فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ ٥٠٨
- فَائِدَةٌ ضَرَبَ الْمَثَالَ وَلَوْ كَانَ غَرِيْبًا ٥١١
- الْهَيُولَى ٥١٦
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ يَسْبُونَ أَهْلَ الْحَدِيثِ ٥١٨
- ذَمُّ الْمُبْتَدِعِ لِأَهْلِ السَّنَةِ لَا قِيْمَةَ لَهُ ٥٢٢
- اتِّفَاقُ الْفِطْرَةِ وَالْعَقْلِ وَالنَّقْلِ ٥٣٢
- هَلِ الْعَقْلُ يِعَارِضُ النَّقْلَ؟ ٥٣٣
- مَاذَا نَعْمَلُ إِذَا تَعَارَضَا؟ ٥٣٣
- إِذَا تَعَارَضَ عَقْلٌ وَنَقْلٌ فِي نَظَرِ الرَّائِي فَلَا يَخْلُو مِنْ حَالِيْن ٥٣٤
- الْمَعْطَلُ مُكْذَّبٌ لْجَمِيْعِ الرُّسُلِ ٥٣٧
- فَصَلِّ: فِي بُطْلَانِ قَوْلِ الْمُؤَلِّحِيْنِ: إِنَّ الْاِسْتِدْلَالَ بِكَلَامِ اللهِ وَرَسُوْلِهِ لَا يُفِيْدُ
الْعِلْمَ وَالْيَقِيْنَ ٥٤٠
- النَّقْلُ إِمَّا آحَادٌ وَإِمَّا مُتَوَاتِرٌ ٥٤٣
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالْإِلْحَادِ عَزَلُوا الْقُرْآنَ عَنِ إِفَادَةِ الْعِلْمِ وَالْيَقِيْنِ ٥٤٦
- الْأَرَاذِلُ مِنْهُمْ صَارُوا مَقْلِدِيْن لَابْنِ سِيْنَا ٥٤٨
- مَنْ هُمُ الْمَغْوُولُ ٥٥٠
- نَفَوْا أَنْ يَكُونَ الْقُرْآنُ كَلَامَ اللهِ ٥٥١

- استخدامهم المباحث البلاغية لإثبات عقائدهم الفاسدة ٥٥٤
- قولهم: إنَّ أَلْفَاظَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ظَنِيَّةٌ لَا تَفِيدُ الْيَقِينَ ٥٥٨
- اللغة العربية وقدرتها على البيان ٥٦٠
- فَصْلٌ: فِي تَنْزِيهِ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالشَّرِيعَةِ عَنِ الْأَلْقَابِ الْقَبِيحَةِ الشَّنِيعَةِ ٥٧٨
- المعطلَّة رَمَوْا أَهْلَ السُّنَّةِ بِمَا هُمْ أَوْلَىٰ بِهِ ٥٧٩
- المعطلُّ ممثَّلٌ ٥٨٢
- فَصْلٌ: فِي نُكْتَةٍ بَدِيعَةٍ تُبَيِّنُ مِيرَاثَ الْمَلَقِّينَ وَالْمَلَقَّبِينَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ
وَالْمُوحِّدِينَ ٥٨٥
- المعطلُّ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ وَيَكْفُرُ بِهَا ٥٨٩
- تسمية المشركين النَّبِيِّ ﷺ مُذَمَّمًا ٥٨٩
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ اقْتِضَاءِ التَّجَهُمِ وَالْجَبْرِ وَالْإِرْجَاءِ لِلْخُرُوجِ عَنْ جَمِيعِ
دِيَانَاتِ الْأَنْبِيَاءِ ٥٩٥
- الجهمُّ والجبرُّ والإرجاءُ يقتضي الخروجَ من جميع ديانات الأنبياء .. ٥٩٨
- قول غلاة الجبريَّة: إِنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ فِعْلُ اللَّهِ ٦٠٠
- جعلوا المعاصي طاعاتٍ ٦٠٢
- أهل البدع كُلُّهُمْ عِنْدَهُمُ الْجَهْلُ الْعَظِيمُ ٦٠٨
- فَصْلٌ: فِي جَوَابِ الرَّبِّ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سَأَلَ الْمُعْطَّلَ
وَالْمُنْبِتَ عَنْ قَوْلِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا ٦١٠
- مسألة في قوله: «لَا تُرَىٰ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا» ٦١٣

- أحاديث نفي الرؤية ليلة الإسراء..... ٦١٣
- وأما قوله تعالى في سورة النجم: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النجم: ٨-٩] فالمرادُ به جبريلُ على القولِ الراجح ... ٦١٣
- رؤية الله في المنام..... ٦١٤
- مسألة في قوله: «وَلَا يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي» ٦١٤
- النزول إلى السماء الدنيا متى يكون؟ ٦١٤
- فَصَلِّ ٦١٧
- قَوْلُهُ: «آرَأَوْهُمْ أَحْدَاثٌ» ٦١٩
- فَصَلِّ: فِي تَحْمِيلِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ لِلْمُعْطَلِينَ شَهَادَةً تُؤَدِّي عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٢٢
- مسائل في حديث الإسراء والمعراج ٦٢٤
- قولُ الله ورسوله نصٌّ يفيدُ علمَ اليقين ٦٢٩
- التعطيلُ والتمثيلُ طرفان ٦٣٠
- الإيمانُ باسمِ الله لا بُدَّ فيه من ثلاثة أركان ٦٣٠
- إنَّ الأسماءَ ثلاثةٌ أقسامٍ ٦٣٣
- هل دَلَّ الاسمُ على ما اشتقَّ منه؟ ٦٣٤
- مسألةُ العذرِ بالجهل ٦٤١
- فَصَلِّ: فِي عُهُودِ الْمُثْبِتِينَ مَعَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٦٤٦
- لا بُدَّ أن نُضْمِرَ الْعِدَاءَ لِكُلِّ عَدُوٍّ لَلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ٦٥٣
- قصة خالد القسري وتضحيته بالجعد ٦٥٤

- فَصْلٌ: فِي شَهَادَةِ أَهْلِ الْإِثْبَاتِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ أَنَّهُ لَيْسَ فِي السَّاءِ إِلَهٌ يُعْبَدُ، وَلَا لِلَّهِ بَيْنَنَا كَلَامٌ، وَلَا فِي الْقَبْرِ رَسُولٌ ٦٥٧
- الرُّوحُ عِنْدَهُمْ عَرَضٌ ٦٦٠
- فَصْلٌ: فِي الْكَلَامِ فِي حَيَاةِ الْأَنْبِيَاءِ فِي قُبُورِهِمْ ٦٦٢
- لو كانت حياته في قبره كحياته في الدنيا ما كان تحت الأرض ٦٦٦
- خلاف الصحابة بعد وفاة النبي دليل أنه لا يلجأ إليه ميتا ٦٦٨
- الصحابة أعلم بالله وبرسوله وبحقائق الإيمان منكم ٦٧٠
- حديث الاستسقاء بالعباس ٦٧٤
- فَصْلٌ: فِيمَا اخْتَجُّوا بِهِ عَلَى حَيَاةِ الرَّسُولِ فِي الْقُبُورِ ٦٧٦
- وهل يسمع النبي في قبره مطلقاً؟ ٦٧٩
- مسألة عرض الأعمال على الرسول ﷺ ٦٨٠
- فَصْلٌ: فِي الْجَوَابِ عَمَّا اخْتَجُّوا بِهِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ٦٨١
- هل الأرض منهيمة عن أكلهم ٦٨٣
- بعض الموتى لا تأكلهم الأرض، وقصة جرت في عنيزة ٦٨٥
- قولهم: حياة الأنبياء فرع عن حياة الشهداء ٦٨٦
- مسألة تسريح زوجات النبي ﷺ ٦٨٧
- هن زوجاته في الدنيا وزوجاته في الآخرة ٦٩٠
- أحكام المرأة المحددة ٦٩٠
- إذا تعارض الرفع والوقف وكلا الراويين ثقة ٦٩٥

دعاء ثابت البناني ٧٠٠

صلاة موسى في قبره ٧٠١

رد روح النبي ﷺ عَلَيْهِ ليرد على من سلم عليه ٧٠٢

الحياة البرزخية ٧٠٧

عرض أعمال العباد على الرسول - عليه الصلاة والسلام - ٧٠٧

استدلال المعطلة بما ورد من أن الأعمال تُعرض على النبي ٧١٠

رُوحُ النَّبِيِّ ﷺ في أعلى عِلِّيِّين ٧١٣

أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر ٧١٥

متى تُخلق الأرواح؟ ٧١٦

فَصْلٌ: فِي كَسْرِ الْمَنْجَنِيْقِ الَّذِي نَصَبَهُ أَهْلُ التَّعْطِيلِ عَلَى مَعَايِلِ الْإِيمَانِ

وَحُضُونِهِ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ ٧١٩

لولا أن الله تدارك دينه بأهل السنة لحرف الدين ٧٢٣

هل يلزم أن يكون الإنسان بهذا التركيب متعددًا؟ ٧٢٥

الفلاسفة يقولون: الجسم مركَّبٌ من الهَيُولَى والصورة ٧٢٩

الرَّدُّ على المتكلمين والفلاسفة في مسألة الخلق ٧٢٩

تركيبُ الذات مع الأوصاف ٧٣٤

الماهية هي وجودُ الشيء ٧٣٨

هل ذاته هي عين وجوده أو هما شيئان؟ ٧٤٣

فَصْلٌ: فِي أَحْكَامِ هَذِهِ التَّرَاكِيِبِ السَّنَةِ ٧٤٦

- ٧٤٧ جعلوا أتصافَ الله بالصفات من باب التركيب
- ٧٥٣ الكونُ كُلُّهُ مفتقرٌ إلى الله عزَّ وجلَّ
- ٧٥٦ النقصُ يكون في أمرين
- ٧٥٨ أعلمُ خلقه أدراهم بصفاته
- ٧٥٩ الوجودُ قائمٌ يشهد على وجود الله وصفاته
- ٧٦٣ في الأدلة العقلية المرتبة يكونُ اللازمُ غيرَ الملزوم
- ٧٦٩ فهرس الآيات
- ٧٨٧ فهرس الأحاديث والآثار
- ٧٩٧ فهرس الموضوعات والفوائد

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

للمحافظة الحق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قتيبة الجوزية
نفته الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

شرح فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

عمر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الثالث

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شَرَحُ

الكافية الشافية
في الانتصار للفرقة الناجية

٣

٢٤٠
١٤٣٤/١٠٢٢٧

١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - أهل السنة
أ. العنوان ب. السلسلة

٥ - ٦٥ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٤مخ؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)

محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤ هـ

شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية./

العثيمين، محمد بن صالح

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤ هـ

٢٤٠

١٤٣٤/١٠٢٢٧

١٤٣٤ هـ

١٤٣٥ هـ

١٤٣٥ هـ

١٤٣٥ هـ

١٤٣٥ هـ

١٤٣٥ هـ

١٤٣٥ هـ

حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيرياً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٥ هـ

يُطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٠٥٥٣٦٤٢١٠٧

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com

شرح

الكافي للشافعي في الانتصار للفرقة الناجية

للمحافظ الحق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية
نعمته الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الثالث

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

فصل

في أقسام التوحيد^(١) والفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد النفاة المعطلين

- ٣١٢٣- فَاسْمَعِ إِذْنَ أَنْوَاعِهِ هِيَ خَمْسَةٌ قَدْ حُصِّلَتْ أَقْسَامُهَا بَيَّانٍ
- ٣١٢٤- تَوْحِيدُ أَتْبَاعِ ابْنِ سِينَا وَهُوَ مَنْدٌ سُوْبٌ لِأَرْسَطُوْمٍ مِنَ الْيُونَانِ
- ٣١٢٥- مَا لِلإِلَهِ لَدَيْهِمْ مَا هِيَّةٌ غَيْرُ الْوُجُوْدِ الْمُطْلَقِ الْوَحْدَانِي
- ٣١٢٦- مَسْلُوبٌ أَوْصَافِ الْكَمَالِ جَمِيعِهَا لَكِنْ وَجُوْدٌ حَسْبُ لَيْسَ بِفَانِ
- ٣١٢٧- مَا إِنْ لَهُ ذَاتٌ سِوَى نَفْسِ الْوُجُوْدِ دِ الْمُطْلَقِ الْمَسْلُوبِ كُلِّ مَعَانِ
- ٣١٢٨- فَلِذَلِكَ لَا سَمْعٌ، وَلَا بَصَرٌ، وَلَا عِلْمٌ، وَلَا قَوْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٣١٢٩- وَلِذَلِكَ^(٢) قَالُوا لَيْسَ ثَمَّ مَشِيئَةٌ وَإِرَادَةٌ لَوْجُوْدِ ذِي الْأَكْوَانِ
- ٣١٣٠- بَلْ تِلْكَ لَازِمَةٌ لَهُ بِالذَّاتِ، لَمْ تَنْفَكْ عَنْهُ قَطُّ فِي الْأَزْمَانِ
- ٣١٣١- مَا اخْتَارَ شَيْئًا قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَلَا هَذَا لَهُ أَبَدًا بِذِي إِمْكَانِ
- ٣١٣٢- وَبَنَوْا عَلَى هَذَا اسْتِحَالَةَ خَرْقِ ذِي الْأَفْلَاقِ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- ٣١٣٣- وَلِذَلِكَ قَالُوا: لَيْسَ يَعْلَمُ قَطُّ شَيْءًا مَا مِنَ الْمَوْجُوْدِ فِي الْأَعْيَانِ

(١) هذا التفسير بسطه الناظم - رحمه الله - في الصواعق المرسله على الجهمية والمعتلة (٣/٩٢٩)، وانظر: مختصر الصواعق (١/١٠٦).

(٢) في نسخة الإفتاء والسفارينية: «وكذاك».

- ٣١٣٤- لَا يَعْلَمُ الْأَفْلَاكَ كَمَ أَعْدَادُهَا وَكَذَا النُّجُومُ، وَذَانِكَ الْقَمَرَانِ
 ٣١٣٥- بَلْ لَيْسَ يَسْمَعُ صَوْتُ كُلِّ مُصَوِّتٍ^(١) كَلَّا وَلَيْسَ يَرَاهُ رَأْيَ عِيَانِ
 ٣١٣٦- بَلْ لَيْسَ يَعْلَمُ حَالَةَ الْإِنْسَانِ تَفْ صِيلاً مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْعِصْيَانِ
 ٣١٣٧- كَلَّا وَلَا عِلْمٌ لَهُ بِتَسَاقُطِ الْأُورَاقِ، أَوْ بِمَنَابِتِ الْأَغْصَانِ
 ٣١٣٨- عِلْمًا عَلَى التَّفْصِيلِ هَذَا عِنْدَهُمْ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَا زِمُ الْإِمْكَانِ
 ٣١٣٩- بَلْ نَفْسُ آدَمَ عِنْدَهُمْ عَيْنُ الْمُحَا لٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 ٣١٤٠- مَا زَالَ نَوْعُ النَّاسِ مُوجُودًا وَلَا يَفْنَى كَذَلِكَ الدَّهْرُ وَالْمَلَوَانِ

الشرح

سَبَقَ أَنْ بَيَّنَّا فِي الْفَصْلِ السَّابِقِ أَنَّ خُلَاصَةَ بُرْهَانِهِمْ يَدُورُ عَلَى مَعْنَى لَا يَرْضَى بِهِ عَاقِلٌ، وَهُوَ أَتَمُّ يَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا تَرْكِيْبٌ يَسْتَلْزِمُ التَّرْكِيبَ، وَهَذَا لَا مَعْنَى لَهُ عِنْدَ الْعُقَلَاءِ، وَذَكَرْنَا أَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللهُ- قَالَ: إِنَّ أَبِيئُمُ إِلَّا هَذِهِ اللَّفْظَةُ فَإِنَّا نُخَلِّصُهَا، وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى بِذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَسْتَبْدِلُ كَلِمَةَ (تَرْكِيْب) بِكَلِمَةِ (تَوْحِيدٍ)، فَنَقُولُ: هُوَ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ، وَنَطْرُحُ هَذِهِ اللَّفْظَةَ الْبِدْعِيَّةَ الْمَرْفُوضَةَ طَرَحَ مُهَانَ، وَنَقُولُ: لَا نُسَلِّمُ بِهَا وَلَا نُقَرِّئُ بِهَا. ثُمَّ اسْتَطَرَدَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- إِلَى ذِكْرِ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، وَالْمَرَادُ بِذَلِكَ أَنْوَاعُ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْبَشَرِ جَمِيعًا، لَا عِنْدَ أَهْلِ الْإِسْلَامِ، قَالَ رَحِمَهُ اللهُ:

٣١٢٣- فَاسْمَعِ إِذْنَ أَنْوَاعِهِ هِيَ خَمْسَةٌ قَدْ حُصِّلَتْ أَقْسَامُهَا بَيَّانِ

(١) فِي نَسْخَةِ الْإِفْتَاءِ: «وَكَذَا ابْنُ آدَمَ لَيْسَ يَسْمَعُ صَوْتَهُ».

قَوْلُهُ: «فَاسْمَعُ إِذْنَ»؛ أي: في هذه الحالِ.

قَوْلُهُ: «أَنْوَاعُهُ»؛ يعني: أنواعَ التَّوْحِيدِ، والأنواعِ والأقسامِ بمعنى واحد عند أهل العلم؛ فأحياناً يُقَالُ: خمسةُ أنواعٍ، وأحياناً يُقَالُ: خمسةُ أقسامٍ.

أما في الاصطلاحاتِ الكلاميةِ فإنَّهم يُفَرِّقون بين الأنواعِ وبين الأقسامِ، فالنَّوعُ فردٌ بالنسبةِ للجنسِ، والواحدُ فردٌ بالنسبةِ للنَّوعِ، فإذا قالوا مثلاً: (حَبٌّ، وَبُرٌّ، وَحِنْطَةٌ)، فالأوَّلُ: جنسٌ، والثَّاني: جنسٌ باعتبارِ ما تحته، ونوعٌ باعتبارِ ما فوقه.

٣١٢٤- تَوْحِيدُ أَتْبَاعِ ابْنِ سِينَا وَهُوَ مَنْدٌ سُبُوبٌ لِأَرِسْطُو مِنْ الْيُونَانِ

٣١٢٥- مَا لِلْإِلَهِ لَدَيْهِمْ مَا هِيَ عَزِيزُ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ الْوَحْدَانِي

يقولون: إنَّ اللهَ تعالى هو الوجودُ وجودًا مطلقًا، ومعنى (وجودًا مطلقًا) أنَّه لا يُثَبَّتُ له صفاتٌ، ولا يُنْفَى عنه صفاتٌ، فلا يُوصَفُ بنفي ولا إثباتٍ، بل هو الوجودُ المطلقُ بشرطِ الإطلاقِ، فلا يَصِحُّ أن تقولَ: إنَّه سميعٌ ولا إنَّه أصمٌّ، ولا موجودٌ ولا غيرٌ موجودٍ، هذا هو الإلهُ عندهم، وسيأتي أنَّهم فرَّوا من الإثباتِ أو النفي خوفًا من التَّركيبِ والتَّجسيمِ كما سيأتي - إن شاء الله - في كلامِ المؤلِّفِ.

وهذا قولٌ لا يستطيعُ الإنسانُ أن يتصوَّره، فضلًا عن أن يعتقده بربه، كيف يكونُ ربُّ ليس له ماهيةٌ؟! وليس له وجودٌ إلَّا الوجودُ بشرطِ الإطلاقِ، ومعنى شرطِ الإطلاقِ ألا يتَّصِفُ بصفةٍ لا سلبيةٍ ولا ثبوتيةٍ؛ ولهذا قال:

٣١٢٦- مَسْلُوبٌ أَوْصَافِ الْكَمَالِ جَمِيعِهَا لَكِنْ وَجُودٌ حَسَبُ لَيْسَ بِفَانٍ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ وَجُودٌ حَسَبُ»؛ أي: فقط، وجودٌ بلا أيِّ صفةٍ، كُلُّ أوصافِ

الكمالِ مسلوبٍ إيَّاهَا، بل وأوصافُ النَّقْصِ، لكن لا نقولُ: أوصافُ النَّقْصِ؛
لأنَّهم لا يُثَبِّتُونَ اللهُ نَقْصًا.

وَقَوْلُهُ: «لَكِنْ وُجُودٌ حَسْبُ» يعني: قُلْ: هو موجودٌ وجودًا مُطْلَقًا.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ بِفَانٍ»؛ يعني: وَأَزَلِيٌّ.

٣١٢٧- مَا إِنْ لَهُ ذَاتٌ سِوَى نَفْسِ الْوُجُودِ الْمُطْلَقِ الْمَسْلُوبِ كُلِّ مَعَانٍ

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ لَهُ ذَاتٌ» (إِنْ) هنا زائدةٌ، والتَّعْدِيرُ: (مَا لَهُ ذَاتٌ).

قَوْلُهُ: «سِوَى نَفْسِ الْوُجُودِ»، وهل الوجودُ ذاتٌ أو معنى؟

الجوابُ: هو معنى، ومع ذلك يقولُ: الرَّبُّ هو الوجودُ المطلقُ.

٣١٢٨- فَلِذَاكَ لَا سَمْعٌ، وَلَا بَصَرٌ، وَلَا عِلْمٌ، وَلَا قَوْلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

كُلُّ هَذِهِ مُتَنَفِيَةٌ عَنِ اللهِ، فليس له سَمْعٌ، ولا بَصَرٌ، ولا عِلْمٌ، ولا قَوْلٌ.

٣١٢٩- وَلِذَاكَ قَالُوا لَيْسَ ثَمَّ مَشِيئَةٌ وَإِرَادَةٌ لَوْجُودِ ذِي الْأَكْوَانِ

هذه الأكوَانُ الموجودةُ هل وُجِدَتْ بِمَشِيئَةِ اللهِ وإِرَادَتِهِ؟ الجوابُ: لا، لم تُوجَدْ بِمَشِيئَةِ اللهِ وإِرَادَتِهِ؛ لِأَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: إِنَّهَا وُجِدَتْ بِمَشِيئَتِهِ وإِرَادَتِهِ لَأَثَبْتَ لَهُ صِفَةً، وهي الوجودُ بشرطِ الإِطْلَاقِ، لا صِفَةً لَهُ.

٣١٣٠- بَلْ تِلْكَ لَازِمَةٌ لَهُ بِالذَّاتِ، لَمْ تَنْفَكْ عَنْهُ قَطُّ فِي الْأَزْمَانِ

يعني: هذه الأكوَانُ لازِمَةٌ لَهُ لِزُومِ الذَّاتِ، ليست منفصلةً بائنةً مرادةً، بل هي كما لو قلنا بالحياة، والعلم، والقدرة، وما أشبهها، وهم لا يَرَوْنَ هذا كُلَّهُ؛ يعني: لا يصفون الله بعلم، ولا قدرة، ولا سمع.

٣١٣١ - مَا اخْتَارَ شَيْئًا قَطُّ يَفْعَلُهُ، وَلَا هَذَا أَبَدًا بِذِي إِمْكَانٍ
سبحان الله! كلُّ ما يحدثُ في الكونِ فهو بغيرِ إرادةِ الله وبغيرِ مشيئته؛ لأنَّه
لا يختارُ شيئًا يفعلُهُ، فليس له إرادةٌ ولا اختيارٌ.

٣١٣٢ - وَبَنَوْا عَلَيَّ هَذَا اسْتِحَالَةً خَرَقَ ذِي الْأَفْلَاقِ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
يقولون: إنَّ الأفلاكَ لا يمكنُ أن تتغيَّرَ؛ لأنَّها عظيمةٌ، ومَن يستطيعُ أن يُغيِّرَها؟ الجوابُ: لا أحد؛ لأنَّها لا تتغيَّرُ إلَّا بإرادةٍ ومشيئةٍ، واللهُ عندهم ليس له
إرادةٌ ولا مشيئةٌ؛ ولهذا أنكروا أنَّ الله يطوي السَّمَاوَاتِ بيمينه ويقبضُ الأرضَ،
وأنكروا أن تتغيَّرَ الأفلاكُ، ومِنَ ثَمَّ أنكروا بعضَ الكُتَّابِ المسلمين أن يكونَ القمرُ
قد انشقَّ آيةً للنَّبِيِّ ﷺ، وقالوا: إنَّ الأفلاكَ لا يمكنُ أن تتغيَّرَ، وهم - أعني: الذين
يقولون بعدمِ انشقاقِ القمرِ - لا شكَّ ضالُّونَ مكذِّبونَ لظاهرِ القرآنِ؛ لأنَّ انشقاقَ
القمرِ من المتواترِ عن النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ.

٣١٣٣ - وَلِذَاكَ قَالُوا: لَيْسَ يَعْلَمُ قَطُّ شَيْءٌ مَّا مِنَ الْمَوْجُودِ فِي الْأَعْيَانِ
لماذا قالوا ذلك؟ للقاعدة: أنَّه هو الوجودُ المطلقُ، فلا يَعْلَمُ شيئًا من الموجودِ
في الأعيانِ.

٣١٣٤ - لَا يَعْلَمُ الْأَفْلَاقُ كَمَ أَعْدَادِهَا وَكَذَا النُّجُومُ، وَذَانِكَ الْقَمَرَانِ
٣١٣٥ - بَلْ لَيْسَ يَسْمَعُ صَوْتَ كُلِّ مُصَوِّتٍ كَلًّا وَلَيْسَ يَرَاهُ رَأْيَ عِيَانٍ
٣١٣٦ - بَلْ لَيْسَ يَعْلَمُ حَالَةَ الْإِنْسَانِ نَفْسًا صِيْلًا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْعِضْيَانِ
٣١٣٧ - كَلًّا وَلَا عِلْمٌ لَهُ بِتَسَاقُطِ الْأَوْرَاقِ، أَوْ بِمَنَابِتِ الْأَغْصَانِ

٣١٣٨- عَلِمَا عَلَى التَّفْصِيلِ هَذَا عِنْدَهُمْ عَيْنُ الْمُحَالِ وَلَا زِمُ الْإِمْكَانِ
يعني: أن الله لا يعلم كل هذا، مع أن الله يقول: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، أمّا هم فيقولون: لا، فلا يعلم بتساقط الأوراق، ولا بمنابت الأغصان.

٣١٣٩- بَلْ نَفْسُ آدَمَ عِنْدَهُمْ عَيْنُ الْمُحَا لٍ وَلَمْ يَكُنْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
يقول: إن آدم لم يُخلَق من ترابٍ ثم صار بشراً، بل النوع الإنساني لم يزل موجوداً.

٣١٤٠- مَا زَالَ نَوْعُ النَّاسِ مَوْجُودًا وَلَا يَفْنَى كَذَلِكَ الدَّهْرُ وَالْمَلَوَانِ
قوله: «المَلَوَانِ» تُطَلَّقُ فِي الْغَالِبِ عَلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.
يعني: أن نوع الإنسان ما زال هكذا منذ الأزلي، ولا يزال هكذا أيضاً إلى الأبد.

٣١٤١- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِثْلُ ابْنِ سَيْنَا وَالنَّصِيرِ الثَّانِي
٣١٤٢- قَالُوا وَالْجَنَانَا إِلَى ذَا خَشْيَةِ التَّ تَرْكِيْبِ وَالتَّجْسِيمِ ذِي الْبُطْلَانِ
٣١٤٣- وَلِذَلِكَ قُلْنَا: مَا لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا عِلْمٌ فَكَيْفَ يَدَانِ؟!
٣١٤٤- وَكَذَلِكَ قُلْنَا لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ إِلٌ لَا الْمُسْتَحِيلُ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانِ
٣١٤٥- جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ كِلَا الْجِسْمَيْنِ مَحْدُودٌ يَكُونُ، كِلَاهُمَا صِنْوَانِ

- ٣١٤٦- فَبِذَلِكَ حَقًّا صَرَخُوا فِي كُتُبِهِمْ وَهُمْ الْفُحُولُ أُمَّةُ الْكُفْرَانِ
 ٣١٤٧- لَيْسُوا مَحَانِثَ الْوُجُودِ فَلَا إِلَى الْكُفْرَانِ يَنْحَازُوا وَلَا إِلَى الْإِيمَانِ
 ٣١٤٨- وَالشُّرْكَ عِنْدَهُمْ ثُبُوتُ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ إِذْ بَقِيَ هُنَاكَ اثْنَانِ
 ٣١٤٩- غَيْرِ الْوُجُودِ فَصَارَ ثَمَّ ثَلَاثَةٌ فَلِذَا نَفَيْنَا اثْنَيْنِ بِالْبُرْهَانِ
 ٣١٥٠- بَقِيَ الْوُجُودُ فَلَا يُضَافُ إِلَيْهِ شَيْءٌ غَيْرُهُ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانٍ

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله - مبيِّناً توحيد الفلاسفة، وأنَّ حقيقة توحيدهم أنَّه ليس هناك ما يُسمَّى إلهًا؛ لأنَّهم يقولون: هو الوجود المطلق، وهو في الحقيقة ليس بموجود؛ لأنَّ الوجود المطلق على وجه الإطلاق لا حقيقة له، بل هو شيءٌ يتخيَّله الذهن بدون أن يكون له حقيقة.
 يقول المؤلف - رحمه الله -:

- ٣١٤١- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِثْلَ ابْنِ سِينَا وَالنَّصِيرِ الثَّانِي
 قَوْلُهُ: «ابْنِ سِينَا» ابْنُ سِينَا هُوَ رَجُلٌ مَعْرُوفٌ فِي الطَّبِّ؛ وَهَذَا يُمَجِّدُهُ الْقَوْمِيُّونَ الْعَرَبُ، وَيَرَوْنَ أَنَّ هُوَ الْعَالِمُ، وَيُحْيُونَ ذِكْرَهُ بِسَبَبِ بَعْضِ الْمُنْشَأَاتِ إِلَيْهِ، وَهُوَ كَمَا تَرَوْنَ مِنْ أَكْفَرِ عِبَادِ اللَّهِ وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ.
 قَوْلُهُ: «النَّصِيرِ الثَّانِي» الَّذِي يُسَمَّى نَصِيرَ الدِّينِ الطُّوسِيِّ، وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مُنْذِلُ الدِّينِ، وَلَيْسَ نَصِيرًا لِلدِّينِ.

٣١٤٢- قَالُوا وَأَلْجَأْنَا إِلَىٰ ذَا خَشْيَةِ اللَّهِ تَرْكِيبِ وَالتَّجْسِيمِ ذِي الْبُطْلَانِ

هذه شبهتهم، أنهم لجئوا إلى قول هذا الإله المفروض ذهنًا، المعدوم واقعًا؛ لأنهم يخشون من التركيب والتجسيم.

٣١٤٣- وَلِذَلِكَ قُلْنَا: مَا لَهُ سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا عِلْمٌ فَكَيْفَ يَدَانَ؟!!

فنقوا الصفات المعنوية، وقالوا: «فكيف يدان؟!»، يعني: الصفات الخبرية، فنقوا جميع الصفات لله عز وجل، بل حقيقة الأمر أنهم نقوا وجوده؛ لأن ما يذكرون أنه الله إنما هو موجود في الذهن فقط.

٣١٤٤- وَكَذَلِكَ قُلْنَا لَيْسَ فَوْقَ الْعَرْشِ إِلَهٌ لَا الْمُسْتَحِيلُ وَلَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ

أيضًا ليس فوق العرش إله؛ لأنه هو الموجود المطلق بشرط الإطلاق كما سبق.

٣١٤٥- جِسْمٌ عَلَىٰ جِسْمٍ كِلَا الْجِسْمَيْنِ مَحْدُودٌ يُكُونُ، كِلَاهُمَا صِنْوَانٌ

يعني: لو قلنا: (إن على العرش إلهًا) لكان جسمًا على جسم، وكلاهما محدودًا، فيكونان صنوين؛ يعني: يكونان شبيهين.

وكلمة (الحد) بالنسبة للرب عز وجل كلمة لم ترد لا نفيًا ولا إثباتًا، لا في القرآن ولا في السنة؛ ولهذا كان القول فيها أن يقال: لو قال لنا قائل: هل الله محدود؟ فنقول: ماذا تعني بالحد؟ إن أردت أنه متحد بآئن من خلقه فهو بهذا المعنى محدود، وإن أردت بكلمة (محدود) أن له حدًا ينتهي إليه ويحيط به شيء من مخلوقاته فهذا ممتنع؛ ولهذا ورد في كلام السلف نفي الحد وإثبات الحد، وهذا الاختلاف يبني على التفصيل الذي ذكرنا.

فَمَنْ نَفَى الْحَدَّ أَرَادَ الْحَدَّ الَّذِي يَحْضُرُ الْخَالِقَ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَنْ أَثْبَتَهُ أَرَادَ الْحَدَّ الَّذِي يُبَيِّنُهُ عَنِ خَلْقِهِ وَيَجْعَلُهُ بَائِتًا مِنْهُمْ.

٣١٤٦- فَبِذَلِكَ حَقًّا صَرَّ حُجُوبًا فِي كُتُبِهِمْ وَهُمْ الْفُحُولُ أَيْمَّةُ الْكُفْرَانِ

وبئس الفحولية! هم الفحول ولكن فحول شر؛ لأنهم أئمة كفر.

٣١٤٧- لَيْسُوا مَخَانِيثَ الْوُجُودِ فَلَا إِلَى الْكُفْرَانِ يَنْحَازُوا وَلَا الْإِيمَانَ

قَوْلُهُ: «لَيْسُوا مَخَانِيثَ» الْمَخَانِيثُ يُرِيدُ بِهِمْ مَنْ لَيْسُوا ذَكَورًا وَلَا إِنَاثًا، وَهُوَ مَا يُعْرَفُ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ بِالْحُنْثَى.

وَقَوْلُهُ: «لَيْسُوا مَخَانِيثَ الْوُجُودِ» كَأَنَّهُ يَشِيرُ إِلَى مَا سَيَأْتِينَا مِنْ تَوْحِيدِ الْجَهْمِيَّةِ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ هَذَا وَهَذَا، وَصَارُوا مَذْبذِبِينَ، لَا إِلَى الْكُفْرَانِ يَنْحَازُوا، وَلَا إِلَى الْإِيمَانِ، وَهَذَا حَذْفُ التَّنُونِ فِي (يَنْحَازُوا)، وَأَصْلُهَا: (يَنْحَازُونَ) مِنْ أَجْلِ ضَرُورَةِ الشُّعْرِ.

٣١٤٨- وَالشُّرْكُ عِنْدَهُمْ ثُبُوتُ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ إِذْ يَبْقَى هُنَاكَ اثْنَانِ

يعني: إذا أثبتنا ذاتًا وصفاتٍ صارا اثنين، فيكون ذلك شركًا؛ لأنَّ عندهم أنَّ الله هو الوجودُ المطلقُ بشرطِ الإطلاقِ، وإذا قلت: (ذاتٌ ووجودٌ)، فهذا شركٌ لأنه اثنان.

٣١٤٩- غَيْرُ الْوُجُودِ فَصَارَ ثَمَّ ثَلَاثَةٌ فَلِذَا نَفَيْنَا اثْنَيْنِ بِالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَلِذَا» لَعَلَّهَا: «فَإِذَا»^(١).

(١) في نسخ السفارينية والظاهرية والتميمورية: «فكذا»، وفي بقية النسخ الخطية كما في الأصل: «فلذا».

قَوْلُهُ: «غَيْرُ الْوُجُودِ» الَّذِي يَرُونَ أَنَّهُ هُوَ اللَّهُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الْجَمِيعُ ثَلَاثَةً؛
وَلِذَا قَالَ: «فَصَارَ ثَمَّ ثَلَاثَةٌ فَلِذَا نَفَيْنَا اثْنَيْنِ بِالْبُرْهَانِ».

قَوْلُهُ: «اثْنَيْنِ» هُمَا الذَّاتُ وَالْأَوْصَافُ.

٣١٥٠ - بَقِيَ الْوُجُودُ فَلَا يُضَافُ إِلَيْهِ شَيْءٌ غَيْرُهُ فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانٍ
قَوْلُهُ: «فَيَصِيرُ ذَا إِمْكَانٍ»؛ أَي: يَصِيرُ مُمْكِنًا.

فَعِنْدَهُمُ الْآنَ: الذَّاتُ مَنْفِيَّةٌ، وَالصِّفَاتُ مَنْفِيَّةٌ، وَالْوُجُودُ ثَابِتٌ، وَهُوَ اللَّهُ
عِنْدَهُمْ، وَهُوَ الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ.

حَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّنَا إِذَا تَأَمَّلْنَا كَلَامَهُمْ وَجَدْنَا أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ رَبٌّ، فَلَا يَشْتَبُونَ لِلَّهِ
ذَاتًا وَلَا صِفَاتٍ، بَلْ هُوَ الْوُجُودُ بِشَرْطِ الْإِطْلَاقِ، فَإِذَا نَفَيْتَ الذَّاتَ، وَنَفَيْتَ
الصِّفَاتِ، يَبْقَى مِنَ الثَّلَاثَةِ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْوُجُودُ.

وَالْخِلَاصَةُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ إِثْبَاتُ الْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ، هَذَا هُوَ اللَّهُ،
وَجُودٌ مَطْلُوقٌ، مَا تَمَّ ذَاتٌ وَلَا صِفَاتٌ، وَلَا سَمْعٌ، وَلَا بَصَرٌ، وَلَا كَوْنٌ بِاخْتِيَارِهِ،
الْكُونُ صَارَ هَكَذَا مَعْلُوقًا لِعَلَّةٍ فَاعِلَةٍ، وَالْعِلَّةُ إِذَا ثَبَّتَتْ ثَبَّتَ الْمَعْلُوقُ؛ وَهَذَا مَنَعُوا
حُدُوثَ الْبَشَرِ، وَقَالُوا: إِنَّ الْإِنْسَانَ قَدِيمَ النَّوْعِ وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُقَالُ لَهُ: آدَمُ خُلِقَ
مِنْ تَرَابٍ، وَكَذَلِكَ اللَّهُ لَا يَعْلَمُ سَقُوطَ الْأَوْرَاقِ مِنَ الْأَشْجَارِ وَمَنَابِتِ الْأَغْصَانِ،
كُلُّ هَذَا لَا يَعْلَمُهُ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْوُجُودُ الْمَطْلُوقُ، فَإِذَا أُثْبِتَتْ شَيْئًا مِنَ الصِّفَاتِ لِلَّهِ، أَوْ
أُثْبِتَتْ لَهُ ذَاتًا صِرَتْ مُشْرِكًا.

وَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ: أَنَّ مَذْهَبَهُمْ لَا يُمْكِنُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَصَوَّرَهُ، فَيَعْجِزُ عَنِ تَصَوُّرِهِ؛
لِأَنَّهُ بَاطِلٌ مِنْ أَبْطَلِ الْبَطْلَانِ.

فصل

في النوع الثاني من أنواع التوحيد لأهل الإلحاد^(١)

- ٣١٥١ - هَذَا وَثَانِيهَا فَتَوْحِيدُ ابْنِ سَبَبٍ
عَيْنٍ وَشِيعَتِهِ أُولِي الْبُهْتَانِ
- ٣١٥٢ - كُلُّ اتِّحَادِيٍّ حَيْثُ عِنْدَهُ
مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ الْحَقَّانِي
- ٣١٥٣ - تَوْحِيدُهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْوُجُودُ
دُ الْمُطْلَقُ الْمَبْتُوثُ فِي الْأَعْيَانِ
- ٣١٥٤ - هُوَ عَيْنُهَا لَا غَيْرُهَا مَا هَاهُنَا
رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ؟!
- ٣١٥٥ - لَكِنَّ وَهُمْ الْعَبْدِ ثُمَّ خِيَالُهُ
فِي ذِي الْمَظَاهِرِ دَائِمًا يَلْجَأْنَ
- ٣١٥٦ - فَلِذَاكَ حُكْمُهَا عَلَيْهِ نَافِذٌ
فَابْنُ الطَّبِيعَةِ ظَاهِرُ التَّقْصَانِ
- ٣١٥٧ - فَإِذَا تَجَرَّدَ عِلْمُهُ عَنِ حِسِّهِ
وَخِيَالِهِ بَلْ ثُمَّ تَجْرِيدَانِ
- ٣١٥٨ - تَجْرِيدُهُ عَنِ عَقْلِهِ أَيْضًا فَإِنْ
نَ الْعَقْلَ لَا يُدْنِيهِ مِنْ ذَا الشَّانِ
- ٣١٥٩ - بَلْ يَخْرِقُ الْحُجْبَ الْكَثِيفَةَ كُلَّهَا
وَهُمَا وَحِسًّا ثُمَّ عَقْلٌ وَإِنِّي
- ٣١٦٠ - فَالْوَهْمُ مِنْهُ وَحِسُّهُ وَخِيَالُهُ
وَالْعِلْمُ وَالْمَعْقُولُ فِي الْأَذْهَانِ
- ٣١٦١ - حُجْبٌ عَلَى ذَا الشَّانِ فَاخْرِقْهَا وَإِلَّا
لَا كُنْتَ مَحْجُوبًا عَنِ الْعِرْقَانِ
- ٣١٦٢ - هَذَا وَأَكْثَفُهَا حِجَابُ الْحِسِّ وَالْ
مَعْقُولِ ذَانِكَ صَاحِبُ الْفُرْقَانِ

(١) في نسخ السفارينية: «الاتحاد».

- ٣١٦٣- فَهَنَّاكَ صِرْتَ مَوْحِدًا حَقًّا تَرَى هَذَا الْوُجُودَ حَقِيقَةَ الدِّيَانِ
- ٣١٦٤- وَالشَّرْكَ عِنْدَهُمْ فَتَنْوِيعُ^(١) الْوُجُودِ دِ وَقَوْلُنَا: إِنَّ الْوُجُودَ اثْنَانِ
- ٣١٦٥- وَاحْتَجَّ يَوْمًا بِالْكِتَابِ عَلَيْهِمْ شَخْصٌ فَقَالُوا الشَّرْكَ فِي الْقُرْآنِ
- ٣١٦٦- لَكِنَّمَا التَّوْحِيدُ عِنْدَ الْقَائِلِ نَ بِالِاتِّحَادِ فَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- ٣١٦٧- رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ ذَلِكَ وَإِنَّمَا الـ مَوْجُودٌ فَرُدُّ مَالَهُ مِنْ ثَانِ

الشرح

هذا أيضًا توحيدٌ من نوع آخر، وهو توحيدُ أهلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْوُجُودَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَالْعَبْدُ هُوَ الرَّبُّ، وَالرَّبُّ هُوَ الْعَبْدُ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ يَعْنِي: لَا يُوجَدُ رَبٌّ وَلَا عَبْدٌ بَائِنٌ أَحَدُهُمَا عَنِ الْآخَرِ، بَلِ الْكُلُّ رَبٌّ، وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ الْكُلُّ عَبْدٌ، مَا هُنَاكَ شَيْئَانِ.

٣١٥١- هَذَا وَثَانِيهَا فَتَوْحِيدُ ابْنِ سَبِّ عَيْنٍ وَشَيْعَتِهِ أُولِي الْبُهْتَانِ

٣١٥٢- كُلُّ اتِّحَادِيٍّ خَبِيثٌ عِنْدَهُ مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ الْحَقَّانِي

قَوْلُهُ: «اتِّحَادِيٌّ»؛ يَعْنِي: مَنْ يَقُولُ بِاتِّحَادِ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ، وَأَنَّهَا شَيْءٌ وَاحِدٌ.

وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ! هُمْ يَجِدُونَ أَنَّ زَيْدًا غَيْرَ عَمْرٍو، وَأَنَّ الْأَبَّ غَيْرَ الْابْنِ، هَذَا الْحِسُّ وَالْوَاقِعُ، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا، لَا تَسْتَعْمِلِ الْحَسَّ فِي الْمَوْجُودَاتِ، إِنَّ اسْتَعْمَلْتَ الْحَسَّ أَوْ الْوَهْمَ أَوْ الْخَيَالَ أَوْ الْعَقْلَ فَإِنَّكَ لَنْ تَصَلَ إِلَى الْحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّ

(١) في نسخ السفارينية والظاهرية والتميمورية: «فتقسم».

هذه الأربعة كُلُّهَا حُجْبٌ تَحْجُبُكَ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِيقَةِ، مَجْرَدٌ مِنَ الْعَقْلِ، وَالْوَهْمِ، وَالْحَسِّ، وَالْخِيَالِ، فَضْلًا عَنِ الشَّرْعِ، وَحِينَئِذٍ يَبِينُ لَكَ التَّوْحِيدُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ؛ يَعْنِي: صِرَ مَجْنُونًا حَتَّى تَكُونَ مَوْحِدًا.

قَوْلُهُ: «عِنْدَهُ مَعْبُودُهُ مَوْطُوءُهُ الْحَقَّانِي»؛ يَعْنِي: هُوَ يَطَأُ زَوْجَتَهُ وَيَرَى أُمَّهَا رَبَّهُ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَيَذْبَحُ شَاتَهُ وَيَرَى أُمَّهَا رَبَّهُ، وَيَرْكَبُ حِمَارَهُ وَيَرَى أَنَّهُ رَبُّهُ، وَيَزْجُرُ كَلْبَهُ وَيَرَى أَنَّهُ رَبُّهُ، وَهَكَذَا فَالشَّيْءُ شَيْءٌ وَاحِدٌ؛ وَهَذَا يَقُولُ:

٣١٥٣- تَوْحِيدُهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ هُوَ الْوُجُودُ دُ الْمُطْلَقُ الْمَبْتُوثُ فِي الْأَعْيَانِ

هَذَا هُوَ الْفَصْلُ بَيْنَ تَوْحِيدِهِمْ وَتَوْحِيدِ الْفَلَسَفَةِ السَّابِقِ؛ لِأَنَّ الْفَلَسَفَةَ لَا يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّبَّ هُوَ الْمَرْبُوبُ، بَلْ يَقُولُونَ: هُوَ الرَّبُّ وَحْدَهُ، لَكِنَّهُ هُوَ الْوُجُودُ الَّذِي لَا ذَاتَ لَهُ وَلَا صِفَاتَ.

وهؤلاء يقولون: الرَّبُّ هُوَ الْمَرْبُوبُ، فَهَمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ مَوْجُودٌ، فَاخْتِلَافُ النَّاسِ، وَاخْتِلَافُ الْأَنْوَاعِ مِنَ الْحَيَوَانِ، وَمِنَ الْأَشْجَارِ، وَمِنَ الْجِبَالِ، وَمِنَ الْأَنْهَارِ، اخْتِلَافٌ مَظَاهِيرٍ، كَمَا يَبْدُو الْإِنْسَانُ وَهُوَ غَضْبَانٌ عَلَى وَجْهِهِ، وَهُوَ مَسْرُورٌ عَلَى وَجْهِ آخَرَ، وَإِلَّا فَيَنَّ الْكُلُّ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

٣١٥٤- هُوَ عَيْنُهَا لَا غَيْرُهَا مَا هَاهُنَا رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ؟!!

قَوْلُهُ: «هُوَ عَيْنُهَا لَا غَيْرُهَا» «هُوَ»؛ أَي: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَ«عَيْنُهَا»؛ أَي: عَيْنُ الْمَوْجُودَاتِ لَا غَيْرُهَا.

قَوْلُهُ: «مَا هَاهُنَا رَبٌّ وَعَبْدٌ كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ؟!» عَرَفْتُمْ الْآنَ هَذَا الْمَذْهَبَ، فَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّبَّ هُوَ عَيْنُ الْعَبْدِ، وَالْعَبْدُ عَيْنُ الرَّبِّ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هَذَا وَهَذَا شَيْئَيْنِ أَبَدًا.

٣١٥٥ - لَكِنَّ وَهْمَ الْعَبْدِ ثُمَّ خَيَالَهُ فِي ذِي الْمَظَاهِرِ دَائِمًا يَلْبَجَانِ

قَوْلُهُ: «يَلْبَجَانِ»؛ أَي: يتداخلان.

الوهمُ ثُمَّ الخيالُ يتداخلان.

٣١٥٦ - فَلِذَاكَ حُكْمُهُمَا عَلَيْهِ نَافِذٌ فَابْنُ الطَّبِيعَةِ ظَاهِرُ النُّقْصَانِ

٣١٥٧ - فَإِذَا تَجَرَّدَ عِلْمُهُ عَنِ حِسِّهِ وَخَيَالِهِ بَلْ ثُمَّ تَجْرِيدَانِ

٣١٥٨ - تَجْرِيدُهُ عَنِ عَقْلِهِ أَيْضًا فَإِنَّ نَ الْعَقْلَ لَا يُدْنِيهِ مِنْ ذَا الشَّانِ

يقول: إِنَّ الإنسانَ يتوهمُ التَّعَدُّدَ، فأنا مثلاً - على زعمهم - بعقلي أتوهمُ أَنَّ زَيْدًا غَيْرٌ، ثُمَّ بعد ذلك يتخيلُ، ثُمَّ يُدْرِكُ بِالْحِسِّ أَنَّ الابْنَ غَيْرُ الأبِ، وَأَنَّ الخَشَبَ غَيْرُ الحديدِ، ثُمَّ العَقْلُ أَيْضًا يُدْرِكُ أَنَّ المُحَدَّثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ وَأَنَّ المُحَدَّثَ شَيْءٌ وَالمُحَدِّثُ شَيْءٌ آخَرُ.

فكُلُّ هذه الأربعة، وهي: الوهمُ، ثُمَّ الخيالُ، ثُمَّ الحِسُّ، ثُمَّ العَقْلُ، كُلُّهَا تُوجِبُ التَّعَدُّدَ، لكن هم يقولون: هذا التَّعَدُّدُ إشْرَاقٌ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصَلَ إِلَى التَّوْحِيدِ فَاكْسِرْ كُلَّ هذه الحواجزِ حَتَّى تَصَلَ إِلَى الحَقِيقَةِ.

قَوْلُهُ: «فَإِنَّ العَقْلَ لَا يُدْنِيهِ مِنْ ذَا الشَّانِ»؛ أَي: من هذا التَّوْحِيدِ - فالْمَقْصُودُ بِالشَّانِ: التَّوْحِيدُ - لماذا؟ الجوابُ: لِأَنَّ العَقْلَ يَقْضِي حَتْمًا بِأَنَّ المُحَدَّثَ غَيْرُ المُحَدِّثِ، وَأَنَّ الأَعْيَانَ أَنفَسَهَا مُتَبَايِنَةٌ، وليست شيئًا واحدًا، ف(مُحَمَّدٌ) ليس (زَيْدًا)، و(زَيْدٌ) ليس (عَمْرًا)، لكن هم يقولون: هذا كُلُّهُ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

فالعقل لا يُدْنِيهِ مِنْ ذَا الشَّانِ؛ لِأَنَّهُ معلومٌ أَنَّهُ يحْكُمُ بِأَنَّ الأَعْيَانَ مُتَبَايِنَةٌ مُتَغَايِرَةٌ، وَأَنَّ المُحَدَّثَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُحَدِّثٍ، وَهَكَذَا.

٣١٥٩- بَلْ يَخْرِقُ الْحُجْبَ الْكَثِيفَةَ كُلَّهَا وَهَمَّا وَحِسَّائِمَ عَقْلٍ وَإِنِّي

معناه: أنه يجب أن يخرق هذه الحجب التي هي: الوهم، والخيال، والحس، والعقل، حتى تتبين له الحقيقة.

٣١٦٠- فَالْوَهْمُ مِنْهُ وَحِسُّهُ وَخَيَالُهُ وَالْعِلْمُ وَالْمَعْقُولُ فِي الْأَذْهَانِ

٣١٦١- حُجْبٌ عَلَى ذَا الشَّانِ فَأَخْرِقْهَا وَإِلَّا لَا كُنْتَ مَحْجُوبًا عَنِ الْعِرْفَانِ

قوله: «أخْرِقْهَا»؛ يعني: مزقها، وكأَنَّها لا شيء.

يعني: لا ترجع إلى حس، ولا وهم، ولا خيال، ولا عقل، حتى تدرك الحقيقة.

٣١٦٢- هَذَا وَأَكْتَفُفُهَا حِجَابُ الْحِسِّ وَالْمَعْقُولِ ذَانِكَ صَاحِبُ الْفُرْقَانِ

وذلك لأن الحس لا يمكن أن ينكر، والعقل كذلك لا يمكن أن ينكر، لكن المدرك بالحس مُشَاهِدٌ يُدْرِكُ بِالْأَعْيَانِ؛ أي: بعين البصر، والمدرك بالعقل يُدْرِكُ بعين البصيرة.

فالحس والعقل هما أكتفها؛ لأنَّهما الأقوى دلالة، أمَّا الخيال والوهم فهذا سهل؛ لأنَّ الإنسان ربمَّا يتوهم أشياء غير معقولة، وأشياء لا يمكن أن توجد في الحس.

لكن الحس هو المشكلة، كيف يكون الحس؟ الحس يدرك أن الشاة غير البعير، وأن الولد غير الوالد، وأن الحجر غير الحديد، فهذا يُشَاهِدُ بِالْحِسِّ.

العقل كذلك يدرك أن المصنوع غير الصانع، وأنَّ المُحَدَّثَ غيرَ المُحَدِّثِ، وهكذا؛ لهذا كانت دلالة الحس والعقل على امتناع ما ذهب إليه هؤلاء أمراً واضحاً جداً فصارت هي أكتفها عندهم.

٣١٦٣- فَهَنَّاكَ صِرْتَ مُوَحِّدًا حَقًّا تَرَى هَذَا الْوُجُودَ حَقِيقَةَ الدِّيَانِ

يعني: إذا كسرت هذه الحُجُبَ فهناك صِرْتَ مُوَحِّدًا حَقًّا، ترى هذا الوجود حقيقة الدِّيَانِ، نسأل الله العافية؛ يعني: حينئذٍ تكونُ مُوَحِّدًا حَقِيقَةً، ترى أنَّ هذا الوجود هو حقيقة الدِّيَانِ (الله) عَزَّ وَجَلَّ.

٣١٦٤- وَالشِّرْكَ عِنْدَهُمْ فَتَنَوِيْعُ الْوُجُوْدِ دِقْوَلُنَا: اِنْ الْوُجُوْدَ اِثْنَانِ

هذا الشِّرْكَ، اِذْنَ التَّوْحِيْدُ عِنْدَهُمْ جَعَلَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوْقِ وَاَحَدًا، وَالشِّرْكَ جَعَلَهَا اِثْنَيْنِ.

٣١٦٥- وَاحْتَجَّ يَوْمًا بِالْكِتَابِ عَلَيْهِمْ شَخْصٌ فَقَالُوا الشِّرْكَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بِالْكِتَابِ»؛ أَي: بِالْقُرْآنِ.

قال: القرآنُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوْقِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١]، فَهَنَّاكَ عَابِدٌ وَمَعْبُودٌ، وَهَنَّاكَ خَالِقٌ وَمَخْلُوْقٌ، فَكَانَ جَوَابُهُمْ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكَ، كُلُّ الْقُرْآنِ شِرْكَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ.

فَالْقُرْآنُ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيْدِ، وَيَأْمُرُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِيْنَ؛ قَالَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَقَنِلُوا الْمُشْرِكِيْنَ كَافَّةً كَمَا يَقْنِلُوْنَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، هُمْ يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ كُلُّهُ شِرْكَ.

وَأَنَا لَا أَظُنُّ شَيْئًا أَكْفَرُ مِنْ هَذَا، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، أَيُّ كَفْرٍ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا الْكُفْرِ؟!

٣١٦٦- لَكِنَّا التَّوْحِيْدُ عِنْدَ الْقَائِلِيْنَ -نَ بِالِاتِّحَادِ فَهَمُّ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

٣١٦٧- رَبُّ وَعَبْدٌ كَيْفَ ذَاكَ وَإِنَّمَا الْـمَوْجُودُ فَرْدٌ مَالَهُ مِنْ ثَانٍ

هذا خلاصة التوحيد عند أهل الاتحاد، والفرق بينهم وبين سلفهم الفلاسفة: أَنَّ الفلاسفة يَرُونَ أَنَّ الرَّبَّ شَيْءٌ وَالمربوبَ شَيْءٌ آخَرُ، لَكِنَّ الرَّبَّ حَقِيقَةً عِنْدَهُمْ لَا وَجُودَ لَهُ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هُوَ الوجودُ المطلقُ، وهؤلاء يقولون: الرَّبُّ وَالعبدُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَمَنْ أَثَبَتَ اثْنَيْنِ فَقَدْ أَشْرَكَ.

فصل

في النوع الثالث من التوحيد لأهل الإنحاد

- ٣١٦٨- هَذَا وَثَالِهَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الْجَهْمِ تَعْطِيلٌ بِلَا إِيمَانٍ
 ٣١٦٩- نَفِي الصِّفَاتِ مَعَ الْعُلُوِّ كَذَاكَ نَفَى
 ٣١٧٠- فَالْعَرْشُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ بَتَّةً
 ٣١٧١- مَا فَوْقَهُ رَبٌّ يُطَاعُ وَلَا عَلَيْهِ
 ٣١٧٢- بَلْ حَظُّ عَرْشِ الرَّبِّ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
 ٣١٧٣- فَهُوَ الْمُعْطَلُ عَنِ نُعُوتِ كَمَالِهِ
 ٣١٧٤- وَانظُرْ إِلَى مَا قَدْ حَكَيْنَا عَنْهُ فِي
 ٣١٧٥- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ
 ٣١٧٦- وَالشُّرْكَ عِنْدَهُمْ فَاثْبَاتُ الصِّفَا
 ٣١٧٧- إِنْ كَانَ شِرْكًَا ذَا فَكُلُّ الرُّسُلِ قَدْ
- سَدَ الْجَهْمِ تَعْطِيلٌ بِلَا إِيمَانٍ
 فِي كَلَامِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 لَكِنَّهُ خَلُوٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
 لَهُ لِلْوَرَى مِنْ خَالِقِ رَحْمَنِ^(١)
 مِنْهُ كَحَظِّ الْأَسْفَلِ التَّحْتَانِي
 وَعَنِ الْكَلَامِ وَعَنْ جَمِيعِ مَعَانِ
 مَبْدَا الْقَصِيدِ حِكَايَةَ التَّبْيَانِ
 تَلَوُ الْفُحُولِ مُقَدَّمِي الْبُهْتَانِ^(٢)
 تِ لِرَبَّنَا وَنِهَابَةَ الْكُفْرَانِ
 جَاؤُوا بِهِ يَا خَيْبَةَ الْإِنْسَانِ

الشرح

هذا النوع الثالث من أنواع التوحيد، وهو توحيد الجهمية، وتوحيد الجهمية

(١) في نسخة السفارينية: «ديان»، وفي التيمورية: «ربان».

(٢) في نسخ السفارينية والتيمورية: «سبحانك اللهم ذا سبحان».

إفراذ الذات عن الصفات، قالوا: لأنَّ إثبات الصفات إن كانت صفاتٍ قديمةً لزم تعدُّد القدماء، وهذا شركٌ، وإن أثبتت صفاتٍ حادثةً لزم قيام الحوادث به، والحادثة لا يقوم إلا بحادثٍ، لذلك نفى عنه الصفات الذاتية والفعليَّة؛ لأنَّ الذاتية إذا أثبتت فهي قديمةٌ، فيلزم تعدُّد القدماء، فالله قديمٌ، علمه قديمٌ، عزته قديمةٌ، حكمته قديمةٌ، وهكذا، فيلزم أن يكون هناك قداماء متعدّدون، وهذا عندهم أعظم من شرك النصارى؛ لأنَّ النصارى قالوا: إنَّ الله ثالثُ ثلاثةٍ، وأنت إذا أثبتت له الصفات القديمة جعلته واحداً من آلاف، فلذلك يُمنع تعدُّد الصفات القديمة، أمَّا الصفات الحادثة التي هي الصفات الفعليَّة، فقالوا: إذا أثبتت لزم قيام الحوادث به، والحوادث لا تقوم إلا بحادثٍ، إذن فالتوحيد عند الجهميَّة هو إفراذ الذات عن الصفات.

٣١٦٨- هَذَا وَثَالِثُهَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الْجَهْمِ تَعْطِيلُ بِلَا إِيمَانٍ

٣١٦٩- نَفَى الصِّفَاتِ مَعَ الْعُلُوِّ كَذَلِكَ نَفَى كَلَامِهِ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

لأنَّهم يُنكِرُونَ علو الله، ويُنكِرُونَ صفاته، ويُنكِرُونَ كلامه، ويقولون: إنَّ هذا الكلام المسموع صوتٌ مخلوقٌ، خلقه الله عزَّ وجلَّ في الهواء، فسَمِعَهُ جبريلُ، فأخذه وألقاه إلى محمَّدٍ صلى الله عليه وسلم.

٣١٧٠- فَالْعَرْشُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ بَتَّةً لَكِنَّهُ خَلُوٌّ مِنَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَالْعَرْشُ لَيْسَ عَلَيْهِ شَيْءٌ بَتَّةً»؛ يعني: قطعاً، لكنَّه خَلُوٌّ مِنَ الرَّحْمَنِ.

٣١٧١- مَا فَوْقَهُ رَبُّ يُطَاعُ وَلَا عَلَيْهِ هِ لِلْوَرَى مِنْ خَالِقِ رَحْمَنِ

لأنَّهم يُنكِرُونَ العلو، ومن باب أولى يُنكِرُونَ الاستواء.

٣١٧٢- بَلْ حَظُّ عَرْشِ الرَّبِّ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِنْهُ كَحَظِّ الْأَسْفَلِ التَّحْتَانِي

يقول: أسفل الأرض والعرش عند الله على حد سواء، وعلى هذا تبطل النصوص الدالة على الفوقية والدالة على العندية ﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، يقول: كل الناس عند الله، لا فرق بين الأعلى والأسفل؛ لأنهم لا يرون أن الله فوق كل شيء.

٣١٧٣- فَهُوَ الْمُعْطَلُ عَنِ نُعُوتِ كَلِمِهِ وَعَنِ الْكَلَامِ وَعَنْ جَمِيعِ مَعَانِي

٣١٧٤- وَانظُرْ إِلَى مَا قَدْ حَكَيْنَا عَنْهُ فِي مَبْدَأِ الْقَصِيدِ حِكَايَةَ التَّبْيَانِ

وقد سبق هذا مبسوطاً في كلام المؤلف رحمه الله.

٣١٧٥- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ تَلَوُ الْفُحُولِ مُقَدِّمِي الْبُهْتَانِ

قوله: «تَلَوُ الْفُحُولِ مُقَدِّمِي الْبُهْتَانِ»؛ يعني: أنهم فحول، لكنهم فحول بهتان وكذب.

٣١٧٦- وَالشُّرْكَ عِنْدَهُمْ فَاثْبَاتُ الصِّفَا تِ لِرَبِّنَا وَنِهَايَةُ الْكُفْرَانِ

الشرك إثبات الصفات، فكل من أثبت لله صفة فهو عندهم مشرك.

يقول المؤلف:

٣١٧٧- إِنْ كَانَ شِرْكَاً ذَا فَكُلُّ الرُّسُلِ قَدْ جَاؤُوا بِهِ يَا خَيْبَةَ الْإِنْسَانِ

المعنى: أن كل الرسل قد جاؤوا بإثبات الصفات لله، فإن كان هذا شركاً فيا خيبة الإنسان.

فصل

في النوع الرابع من أنواعه

- ٣١٧٨ - هَذَا وَرَابِعُهَا فَتَوْحِيدٌ لَدَى جَبْرِيَّيْنِ هُوَ عَايَةُ الْعِرْفَانِ
- ٣١٧٩ - الْعَبْدُ مَيِّتٌ مَا لَهُ فِعْلٌ وَلَا كَيْنٌ مَا تَرَى هُوَ فِعْلٌ ذِي السُّلْطَانِ
- ٣١٨٠ - وَاللَّهُ فَاعِلٌ فِعْلِنَا مِنْ طَاعَةٍ وَمِنْ الْفُسُوقِ وَسَائِرِ الْعِضْيَانِ
- ٣١٨١ - هِيَ فِعْلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةٌ لَيْسَتْ بِفِعْلٍ قَطُّ لِلْإِنْسَانِ
- ٣١٨٢ - فَالْعَبْدُ مَيِّتٌ وَهُوَ مَجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ كَالْمَيِّتِ^(١) فِي الْأَكْفَانِ
- ٣١٨٣ - وَهُوَ الْمَلُومُ عَلَى فِعَالِ إِلَهِهِ فِيهِ وَدَاخِلُ جَا حِمِ النَّيرَانِ
- ٣١٨٤ - يَا وَيْحَهُ الْمَسْكِينُ مَظْلُومٌ يُرَى فِي صُورَةِ الْعَبْدِ الظَّلْمِ الْجَانِي
- ٣١٨٥ - لَكِنْ نَقُولُ بِأَنَّهُ هُوَ ظَالِمٌ فِي نَفْسِهِ أَدَبًا مَعَ الرَّحْمَنِ
- ٣١٨٦ - هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِنْ كُلِّ جَبْرِيٍّ حَيْثُ جَنَانِ^(٢)
- ٣١٨٧ - وَالْكُلُّ عِنْدَ غُلَامِهِمْ طَاعَاتِنَا مَائِمٌ فِي التَّحْقِيقِ مِنْ عِضْيَانِ
- ٣١٨٨ - وَالشُّرْكُ عِنْدَهُمْ اغْتِقَادُكَ فَاعِلًا غَيْرَ الْإِلَهِ الْمَالِكِ الدِّيَانِ

(١) في نسخة الإفتاء: «حركاته كالجسم».

(٢) في نسخة برلين والإفتاء والتمورية: «جاني».

- ٣١٨٩- فَانظُرْ إِلَى التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْقَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الْإِشْرَاكِ وَالْكَفْرَانِ
 ٣١٩٠- مَا عِنْدَهُمْ وَاللَّهِ شَيْءٌ غَيْرُهُ هَاتِيكَ كَتُبْتَهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ
 ٣١٩١- أَتَرَى أَبَا جَهْلٍ وَشِيعَتَهُ رَأَوْا مِنْ خَالِقِ ثَانٍ لِذِي الْأَكْوَانِ
 ٣١٩٢- أَمْ كُلُّهُمْ جَمْعًا أَقْرُوا أَنَّهُ هُوَ وَخَدَهُ الْخَلَّاقُ لِلْإِنْسَانِ؟
 ٣١٩٣- فَإِذَا ادَّعَيْتُمْ أَنَّ هَذَا غَايَةُ التَّوْحِيدِ صَارَ الشُّرْكَ ذَا بَطْلَانٍ
 ٣١٩٤- فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ أَقْرُوا أَنَّهُ هُوَ وَخَدَهُ الْخَلَّاقُ لَيْسَ اثْنَانِ
 ٣١٩٥- إِلَّا الْمَجُوسَ فَإِنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ نَ الشَّرَّ خَالِقَهُ إِلَهَ ثَانٍ

الشرح

- ٣١٧٨- هَذَا وَرَابِعُهَا فَتَوْحِيدٌ لَدَى جَبْرِيَّهِمْ هُوَ غَايَةُ الْعِرْفَانِ
 ٣١٧٩- الْعَبْدُ مَيِّتٌ مَا لَهُ فِعْلٌ وَلَكِنْ مَا تَرَى هُوَ فِعْلٌ ذِي السُّلْطَانِ
 قَوْلُهُ: «الْعَبْدُ مَيِّتٌ»؛ أَي: لَا تُنْسَبُ حَرَكَاتُهُ إِلَيْهِ، فَكَمَا أَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَتَحَرَّكُ فَالْحَيُّ لَا يَتَحَرَّكُ، حَرَكَاتُهُ مَنْسُوبَةٌ إِلَيْهِ، فَإِذَا رَفَعْتَ يَدَكَ إِلَى فَمِكَ فَهِيَ كَمَا لَوْ رَفَعَ الْغَاسِلُ يَدَ الْمَيِّتِ إِلَى فَمِهِ، وَلَا فَرْقَ.

قَوْلُهُ: «وَلَكِنْ مَا تَرَى هُوَ فِعْلٌ ذِي السُّلْطَانِ»؛ ذُو السُّلْطَانِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. هَذَا هُوَ النَّوْعُ الرَّابِعُ مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ، وَهُوَ: إِفْرَادُ اللَّهِ تَعَالَى بِالْأَفْعَالِ؛ فَأَيُّ فِعْلٍ كَانَ فَاللَّهُ تَعَالَى مُنْفَرِدٌ بِهِ، فَمَنْ أَضَافَ فِعْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ فَهُوَ مُشْرِكٌ، هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ الْجَبْرِيَّةِ.

يقولون: إِنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ هُوَ نَفْسُ فِعْلِ الرَّبِّ، فحركاتنا حركاتُ الله، والمعصية الواقعة من الإنسانِ معصيةٌ واقعةٌ من الله، الطَّاعَةُ من الإنسانِ طاعةٌ من الله.

يُقَالُ لهم: أليس يُقَالُ: إِنَّ الرَّجَلَ ظَلَمَ نَفْسَهُ؟ قالوا: بلى يُقَالُ، لكن هذا تَأْدُبٌ مع الله، وَإِلَّا فَإِنَّ الظَّالِمَ حَقِيقَةٌ هُوَ اللهُ.

فانظر -والعياذُ بالله- إلى هذا القولِ الخبيثِ، ثُمَّ جاءت الغلاةُ منهم وقالوا: إِنَّا نخرجُ من هذا ونتخلَّصُ، فنقول: جميعُ الأفعالِ طاعةٌ، فالزُّنا طاعةٌ، والسَّرقةُ طاعةٌ، وشربُ الخمرِ طاعةٌ، وقتلُ النَّفسِ طاعةٌ؛ وذلك لأنَّ هذه الأفعالَ إن خرجت عن الإرادةِ الشرعيَّةِ فهي واقعةٌ بالإرادةِ الكونيَّةِ؛ ولهذا يقولون: كُلُّ مرادٍ لله فهو محبوبٌ له، والكونُ كُلُّهُ مرادٌ، فيكونُ الكونُ كُلُّهُ بما فيه من طاعاتٍ ومعاصٍ محبوبًا لله؛ ولهذا ليس عندهم معصيةٌ، فَمَنْ استكبر عن الأمرِ الشرعيِّ فهو خاضعٌ للأمرِ الكونيِّ، وحينئذٍ لا يكونُ عاصيًا.

٣١٨٠- وَاللَّهُ فَاعِلٌ فِعْلِنَا مِنْ طَاعَةٍ وَمِنْ الْفُسُوقِ وَسَائِرِ الْعِضْيَانِ

٣١٨١- هِيَ فِعْلٌ رَبِّ الْعَالَمِينَ حَقِيقَةٌ لَيْسَتْ بِفِعْلِ قَطُّ لِلْإِنْسَانِ

٣١٨٢- فَالْعَبْدُ مَيِّتٌ وَهُوَ مَجْبُورٌ عَلَى أَفْعَالِهِ كَالْمَيِّتِ فِي الْأَكْفَانِ

سُبْحَانَ اللَّهِ! أَنَا أَتَعَجَّبُ كَيْفَ يَسْتَقِيمُ قَدَمُ الْإِنْسَانِ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ أَنْ يَجْعَلَ أَفْعَالَنَا بِمَنْزِلَةِ حَرَكَاتِ الْمَيِّتِ؟! وَهَذَا شَيْءٌ يَنْكُرُهُ الْمُعْقُولُ وَالْمَحْسُوسُ، لَكِنْ ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

٣١٨٣- وَهُوَ الْمَلُومُ عَلَى فِعَالِ إِلَهِهِ فِيهِ وَدَاخِلُ جَا حِمِ النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْمَلُومُ عَلَى فِعَالِ إِلَهِهِ» اللَّهُ يَفْعَلُ وَالْمَلُومُ الْعَبْدُ؛ لِأَنَّ فِعْلَ

الإنسان عندهم هو فعلُ الله حقيقةً، وهذا لا شكَّ أنك إذا تأمَّلتَه وجدته فرعاً من قولِ أهلِ وَحدةِ الوجودِ؛ لأنَّ القائلين بوحدة الوجودِ يقولون: إنَّ الإنسانَ هو اللهُ وفعله فعلُ الله، هؤلاء لا يقولون بذلك، ولكن يقولون: فعلُ العبدِ هو فعلُ الله.

قوله: «وَدَاخِلُ جَا حِمِ النَّيْرَانِ»، وهذا غريبٌ، الفعلُ فعلٌ غيره والمُعَدَّبُ

هو!!

٣١٨٤- يَا وَيْحَهُ الْمَسْكِينُ مَظْلُومٌ يُرَى فِي صُورَةِ الْعَبْدِ الظَّلُومِ الْجَانِي

٣١٨٥- لَكِنْ نَقُولُ بِأَنَّهُ هُوَ ظَالِمٌ فِي نَفْسِهِ أَدْبَامَعَ الرَّحْمَنِ

فهم يقولون: إنَّ الذَّنْبَ أُضِيفَ إِلَيْهِمْ تَأْدُبًا مَعَ اللهِ، وَإِلَّا فَالذَّنْبُ ذَنْبُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ! يَقُولُ قَائِلُهُمْ:

أَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ مَكْتُوفًا وَقَالَ لَهُ: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ^(١)

فلو أنَّ إنسانًا ألقى شخصًا مَكْتُوفًا في الماء، وقال: أنا أَلْقَيْتُكَ بِالْبَحْرِ، لَكِنْ لَا تَبْتَلَّ بِالْمَاءِ، فَهَلْ هَذَا يُمْكِنُ؟

الجواب: لا يُمْكِنُ، إِذَنْ يَقُولُونَ: لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ اللهُ ظَالِمًا.

فالحقيقةُ أَنَّ الظالمَ -على زعمهم- هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، يَفْعَلُ الْفِعْلَ وَيُنْسَبُ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ يُعَدَّبُ غَيْرُهُ فَيَدْخُلُ جَا حِمِ النَّيْرَانِ.

٣١٨٦- هَذَا هُوَ التَّوْحِيدُ عِنْدَ فَرِيقِهِمْ مِنْ كُلِّ جَبْرِيٍّ حَيْثُ جَنَّانِ

إِي وَاللَّهِ، إِنَّهُمْ خَبَثَاءُ الْجَنَانِ، وَالْجَنَّانُ هُوَ الْقَلْبُ، وَسُمِّيَ بِهِ لِأَنَّهُ مُسْتَرْتَرٌ،

(١) البيت في نفع الطيب (٥/٢٩٢) بلا نسبة.

وأصل هذه المادة (الجيم والنون) من الاستتار؛ ولذلك تجدد جميع مواردِها تحوُّمَ حول الاستتار.

٣١٨٧- وَالْكُلُّ عِنْدَ غُلَامَتِهِمْ طَاعَاتِنَا مَا تَمَّ فِي التَّحْقِيقِ مِنْ عِضْيَانِ

وهذا أخبث؛ فكلُّ ما نفعله طاعةً، فالزنا طاعةً، والنكاح بالعقد الصحيح طاعةً، وقتل النفس بغير حق طاعةً، وقتل الجاني قصاصاً طاعةً، فكلُّها طاعات؛ وذلك لأن القاعدة عندهم أن كلَّ مراد الربِّ محبوبٌ له، والكونُ كُلُّهُ مُرادُهُ، فيكون الكونُ كُلُّهُ محبوباً لله طاعةً، ويكون أيضاً إذا استكبر عن الأمر الشرعي فقد خضع للأمر الكوني، فهو مطيعٌ.

٣١٨٨- وَالشُّرْكُ عِنْدَهُمْ اغْتِقَادُكَ فَاعِلاً غَيْرَ إِلَهِ الْمَلِكِ الدِّيَانِ

الشرك أن تعتقد أن هناك فاعلاً سوى الله، فإذا اعتقدت أن الإنسان فاعل فهذا شرك؛ ولذلك قلنا: إن التوحيد عند هؤلاء إفراد الله بالأفعال أيًا كانت.

٣١٨٩- فَانظُرْ إِلَى التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْقَوْمِ مَا فِيهِ مِنَ الْإِشْرَاكِ وَالْكَفْرَانِ

يعني: انظر إلى ما فيه من الإشراك والكفران.

٣١٩٠- مَا عِنْدَهُمْ وَاللَّهِ شَيْءٌ غَيْرُهُ هَاتِيكَ كُتِبَتْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ

يعني: ولم تكذب عليهم، فكتبهم موجودةً ويصرون بذلك.

٣١٩١- أَتَرَى أَبَا جَهْلٍ وَشِيعَتَهُ رَأَوْا مِنْ خَالِقِ ثَانٍ لِذِي الْأَكْوَانِ

٣١٩٢- أَمْ كُلُّهُمْ جَمْعًا أَقْرُوا أَنَّهُ هُوَ وَخَدَهُ الْخَلْقُ لِلْإِنْسَانِ؟

والجواب: كلُّهم أقرُّوا بأنَّ الله هو الخالق، حتَّى أبو جهل الملعون الذي قُتل

في بدر، هو يُقَرُّ بأنَّ اللهَ وحده هو الخلاقُ، لكن يُقَرُّ بأنَّ فعله غيرُ فعلِ الله عزَّ وجلَّ.

٣١٩٣- فَإِذَا ادَّعَيْتُمْ أَنَّ هَذَا غَايَةُ التَّوْحِيدِ صَارَ الشَّرْكُ ذَا بَطْلَانٍ

إذا ادَّعَيْتُمْ أَنَّ هَذَا غَايَةُ التَّوْحِيدِ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ بِالْأَفْعَالِ صَارَ الشَّرْكُ ذَا بَطْلَانٍ، فَلَمْ يُوجَدْ شَرِكٌ؛ لِأَنَّ الْكُلَّ فَعَلَ اللَّهُ.

٣١٩٤- فَالنَّاسُ كُلُّهُمْ أَقْرَبُوا أَنَّهُ هُوَ وَحْدَهُ الْخَلَّاقُ لَيْسَ اثْنَانِ

٣١٩٥- إِلَّا الْمَجُوسَ فَإِنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ الشَّرَّ خَالِقُهُ إِلَهٌ ثَانِ

المجوسُ يقولون: إِنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ: نُورٌ وَظُلْمَةٌ؛ فَمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنَ النُّورِ، وَمَا فِيهِ مِنْ شَرٍّ فَهُوَ مَخْلُوقٌ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَمَعَ هَذَا فَإِنَّهُمْ لَا يُقَرُّونَ بِأَنَّ هَذَيْنِ الْإِلَهَيْنِ سِوَاءَ، بَلْ يَقُولُونَ: إِنَّ النُّورَ خَيْرٌ مِنَ الظُّلْمَةِ، وَيَقُولُونَ أَيْضًا: إِنَّ النُّورَ قَدِيمٌ؛ يَعْنِي: لَيْسَ بِحَادِثٍ، وَالظُّلْمَةُ حَادِثَةٌ، وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ: إِنَّهَا قَدِيمَةٌ، فَلِذَلِكَ لَمْ يُوجَدْ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ يَقُولُ: إِنَّ الْعَالَمَ لَهُ صَانِعَانِ مُتَكَافِئَانِ أَبَدًا.

فصل

فِي بَيَانِ تَوْحِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمُخَالَفَتِهِ لِتَوْحِيدِ الْمَلَاحِدَةِ وَالْمُعْطَلِينَ

- ٣١٩٦- فَاسْمَعْ إِذَنْ تَوْحِيدَ رُسُلِ اللَّهِ ثُمَّ
 ٣١٩٧- مَعَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَاَنْظُرْ أَيُّهَا
 ٣١٩٨- تَوْحِيدَهُمْ نَوْعَانِ قَوْلِي وَفَع
 ٣١٩٩- فَالْأَوَّلُ الْقَوْلِيُّ ذُو نَوْعَيْنِ أَي-
 ٣٢٠٠- إِحْدَاهُمَا سَلْبٌ وَذَا نَوْعَانِ أَي-
 ٣٢٠١- سَلْبُ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ جَمِيعَهَا
 ٣٢٠٢- سَلْبٌ لِمُتَّصِلٍ وَمُنْفَصِلٍ هُمَا
 ٣٢٠٣- سَلْبُ الشَّرِيكِ مَعَ الظَّهِيرِ مَعَ الشَّفِيِّ
 ٣٢٠٤- وَكَذَلِكَ سَلْبُ الزَّوْجِ وَالْوَالِدِ الَّذِي
 ٣٢٠٥- وَكَذَلِكَ نَفْيُ الْكُفِّ أَيْضًا وَالْوَلِيِّ
 ٣٢٠٦- وَالْأَوَّلُ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ عَنِ
 مَ اجْعَلُهُ دَاخِلَ كِفَّةِ الْمِيزَانِ
 أَوْلَى^(١) لَدَى الْمِيزَانِ بِالرُّجْحَانِ
 لِيَّ كِلَا نَوْعَيْنِهِ ذُو بُرْهَانِ
 ضَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مُوجُودَانِ
 ضَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مَذْكَورَانِ
 عَنْهُ هُمَا نَوْعَانِ^(٢) مَعْقُولَانِ
 نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ أَمَّا الثَّانِي
 عِ بَدُونِ إِذْنِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
 نَسَبُوا إِلَيْهِ عَابِدُو الصُّلْبَانِ
 ي لَنَا سِوَى الرَّحْمَنِ ذِي الْغُفْرَانِ
 وَصَفِ الْعُيُوبِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانِ

(١) في نسخ برلين والسفاريينية والظاهرية والإفتاء والتيمورية: «أوفى».

(٢) في نسخة السفاريينية: «سلبان».

- ٣٢٠٧- كَالْمَوْتِ وَالْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ الَّذِي
 ٣٢٠٨- وَالنَّوْمِ وَالسَّنَةِ الَّتِي هِيَ أَضْلُهُ
 ٣٢٠٩- وَكَذَلِكَ الْعَبَثُ الَّذِي تَنْفِيهِ حِكْمُ
 ٣٢١٠- وَكَذَلِكَ تَرَكَ الْخَلْقَ إِهْمَالًا سُدى
 ٣٢١١- كَلًّا وَلَا أَمْرًا وَلَا نَهْيًا عَلَيَّ
 ٣٢١٢- وَكَذَلِكَ ظَلُمُ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ
 ٣٢١٣- وَكَذَلِكَ غَفَلَتُهُ تَعَالَى وَهُوَ عَلَدٌ
 ٣٢١٤- وَكَذَلِكَ النُّسْيَانُ جَلَّ إِلَهُنَا
 ٣٢١٥- وَكَذَلِكَ حَاجَتُهُ إِلَى طَعْمٍ وَرِزْقٍ
 ٣٢١٦- هَذَا وَثَانِي نَوْعِي السَّلْبِ الَّذِي
 ٣٢١٧- تَنْزِيهِهُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ عَنِ التَّوَسُّلِ
 ٣٢١٨- لَسْنَا نُشَبِّهُهُ وَضْفُهُ بِصِفَاتِنَا
 ٣٢١٩- كَلًّا وَلَا نُخْلِيهِ مِنْ أَوْصَافِهِ
 ٣٢٢٠- مَنْ مَثَلَ اللَّهُ الْعَظِيمَ بِخَلْقِهِ
 ٣٢٢١- أَوْ عَطَّلَ الرَّحْمَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ
- يَنْفِي اقْتِدَارَ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
 وَعُزُوبِ شَيْءٍ عَنْهُ فِي الْأَكْوَانِ
 مَمْتُهُ وَحَمْدُ اللَّهِ ذِي الْإِنْتِقَانِ
 لَا يُبْعَثُونَ إِلَى مَعَادِ ثَانِ
 هُمْ مِنْ إِلَهٍ قَادِرٍ دِيَانِ
 يُفَالَهُ وَالظُّلْمَ لِلْإِنْسَانِ
 لَأَمْ الْغُيُوبِ فَظَاهِرِ الْبُطْلَانِ
 لَا يَعْتَرِيهِ قَطُّ مِنْ نِسْيَانِ
 قِ وَهُوَ رَزَاقٌ بِلَا حُسْبَانِ
 هُوَ أَوَّلُ الْأَنْوَاعِ فِي الْأَوْزَانِ
 تَشْبِيهِهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتُّكْرَانِ
 إِنَّ الْمُشَبَّهَ عَابِدُ الْأَوْثَانِ
 إِنَّ الْمُعَطَّلَ عَابِدُ الْبُهْتَانِ
 فَهُوَ النَّسِيبُ لِمُشْرِكٍ نَضْرَانِي^(١)
 فَهُوَ الْكُفُورُ وَلَيْسَ ذَا إِيْمَانِ

(١) في التيمورية والسفارينية (لعابد الصلبان).

الشرح

ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللهُ - أَرْبَعَةَ أَنْوَاعٍ لِلتَّوْحِيدِ بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِ التَّعْطِيلِ وَالْمَلَا حِدَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَأَمَّا الْخَامِسُ فَهُوَ تَوْحِيدُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْمَخَالِفُ لِتَوْحِيدِ الْمَلَا حِدَةِ وَالْمَعْطَلِّينَ، وَذَكَرَهُ - رَحِمَهُ اللهُ - هُنَا.

وَاعْلَمْ أَنَّ التَّوْحِيدَ مُصْدَرٌ (وَحَدَّ يُوَحِّدُ)؛ بِمَعْنَى: جَعَلَ الشَّيْءَ وَاحِدًا عَقِيدَةً أَوْ عَمَلًا.

وَقَسَمَهُ الْعُلَمَاءُ - رَحِمَهُمُ اللهُ - إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. فَتَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [مريم: ٦٥].

وَتَوْحِيدَ الْأَلُوْهِيَّةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥]، وَهَذَا يُسَمَّى تَوْحِيدَ الْأَلُوْهِيَّةِ بِالنِّسْبَةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُسَمَّى تَوْحِيدَ الْعِبَادَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْعَبْدِ أَنَّهُ لَا يَعْْبُدُ غَيْرَ اللهِ.

وَتَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ لِأَنَّ الْاسْتِفْهَامَ فِي قَوْلِهِ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ الْاسْتِفْهَامَ بِمَعْنَى النَّفْيِ؛ يَعْنِي: لَا تَجِدُ لَهُ مُضَاهِيًّا وَمُثَالًّا فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ، وَهَذَا هُوَ تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ.

وَهُنَاكَ تَوْحِيدٌ ضَمَّهُ بَعْضُ النَّاسِ وَقَالَ: (تَوْحِيدُ الْحَاكِمِيَّةِ)، وَهَذَا قِسْمٌ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّهُ مُبْتَدَعٌ، فَلَمْ يَكُنْ مِمَّا ذَكَرَهُ السَّلْفُ الصَّالِحُ، وَلَوْ كَانَ صَحِيحًا لَقَلْنَا: لَا مُشَا حَةَ فِي الْإِصْطِلَاحِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ تَوْحِيدَ الْحَاكِمِيَّةِ يَدْخُلُ ضَمْنَ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِاعْتِبَارِهِ حُكْمًا لِلَّهِ، وَفِي تَوْحِيدِ الْأَلُوْهِيَّةِ بِاعْتِبَارِهِ أَنَّ الْعَبْدَ مُتَعَبِّدٌ بِهِ

ومفروض عليه، إذن لا حاجة إلى أن نجعله قسمًا برأسه؛ لأنه يترتب على كونه قسمًا برأسه أشياء مخالفة للشرع، ومنها: التسرع بتكفير الحكام، فيقولون: إذا خالف في مسألة واحدة - قد تحمل التأويل - يقولون: هذا كافر؛ لأنه أخل بالتوحيد؛ لذلك وضعوا هذا القسم الرابع.

وقال بعضهم: نزيد أيضًا قسمًا خامسًا، وهو: توحيد المتابعة للرسول ﷺ، وهذا غلط أيضًا؛ لأن العباد لا تتم إلا بالمتابعة، فما دمنا نقول: توحيد الألوهية هو العبادة فنستغني به عن توحيد المتابعة، ثم توحيد المتابعة ليس كتوحيد الرب عز وجل؛ لأن توحيد الرب بالقصد، وتوحيد المتابعة بالتأسي به.

فعليك يا أخي بالعتيق، عليك بالعتيق، واحذر المحدثات؛ فإنها قد تكون سماً في دسم.

إذن التوحيد ثلاثة أنواع: أولها: توحيد الربوبية، والثاني: توحيد الألوهية، والثالث: توحيد الأسماء والصفات، ولم يشرك أحد في توحيد الربوبية من بني آدم - فيما نعلم - إلا على وجه المكابرة أو الضلال البعيد، كما فعل المجوس الثنوية الذين يقولون: إن للحواشي خالقين: ظلمة ونورًا، فما كان من شر فهو من ربوبية الظلمة، وما كان من خير فهو من ربوبية النور، لكنهم لم يوافقوا على هذا.

أما توحيد الألوهية فهو الذي حصلت فيه المعارك الكلامية والقتالية بين الرسل وأعدائهم، فمثلاً المشركون الذين بعث فيهم الرسول - عليه الصلاة والسلام - واستحل دماءهم وأموالهم ونساءهم وذرياتهم لا ينكرون الربوبية، يُقرون بأن الله واحد في ربوبيته، قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وإذا سئلوا: مَنْ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ؟ يقولون: الله عز وجل،

أَمَّا فِي الْأُلُوْهِيَّةِ فَلَا، فَيَقُولُونَ فِي حَقِّ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَجِدًا﴾ [ص:٥]، وَهَذَا إِنْكَارٌ، ثُمَّ رَشَّحُوا هَذَا الْإِنْكَارَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾، وَعُجَابٌ بِمَعْنَى: عَجِيبٌ، لَكِنْ فِيهِ نَوْعٌ مِنَ الْمَبَالِغَةِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْعُجَابَ قَوْلُهُمْ بِتَعَدُّدِ الْآلِهَةِ.

وَأَمَّا تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَقَدْ خَالَفَ فِيهِ مَن يَدِينُونَ بِالْإِسْلَامِ مَنْ خَالَفَ بَيْنَ الْغَالِي فِي الْإِثْبَاتِ وَالْجَافِي، الْغَالِي فِي الْإِثْبَاتِ: الْمُسَبِّهَةُ الْمُمَثَّلَةُ، غَلَّوْا فِي إِثْبَاتِ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى أَشْرَكُوا بِهَذَا الْغَلْوِ، كَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالُوا: إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ مِثْلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ: الْوَجْهَ، وَالْيَدَ، وَالْعَيْنَ، كُلُّهَا مِثْلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِ، فَجَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ مِمَّاثِلًا لَهُ.

وَالْقِسْمُ الثَّانِي: جَفَّوْا، وَأَنْكَرُوا الصِّفَاتِ، وَهَؤُلَاءِ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَيْثُ شَبَّهُوا اللَّهَ تَعَالَى بِالْمَعْدُومِ وَبِالنَّاقِصِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنَ الشِّرْكِ.

فَالْحَاصِلُ: أَنَّ تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يَنْكَرْهُ الْمُشْرِكُونَ الَّذِينَ قَاتَلَهُمُ الرَّسُولُ ﷺ، وَأَنَّ تَوْحِيدَ الْأُلُوْهِيَّةِ أَنْكَرُوهُ، لَكِنْ لَمْ يَنْكَرْهُ مَنْ يَنْتَسِبُ لِلْإِسْلَامِ إِلَّا مَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمُ الشِّرْكَ فِي الْقُبُورِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، يَدْعُونَ أَنَّهُمْ شَفَعَاءُ.

وَأَمَّا تَوْحِيدَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ فَهُوَ الَّذِي حَصَلَ فِيهِ الْخِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْقِبْلَةِ، فَبَعْدَ أَنْ ظَهَرَتْ الْكُتُبُ الْيُونَانِيَّةُ وَالرُّومَانِيَّةُ، وَعُرِّبَتْ، وَانْتَشَرَتْ فِي زَمَنِ الْمَأْمُونِ، صَارَتْ مِحْنَةً عَظِيمَةً عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، لَكِنَّهُمْ صَبَرُوا وَصَابَرُوا، فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَاللَّهُ الْحَمْدُ.

وَلَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ مَا جَرَى لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي مِحْنَتِهِ كَيْفَ كَانَ أَمْرُهُ وَصَبْرُهُ حَتَّى جَعَلَ اللَّهُ الْعَاقِبَةَ لَهُ وَاللَّهُ الْحَمْدُ، وَهَكَذَا فِي كُلِّ عَصْرٍِ وَفِي كُلِّ مِصْرٍ

يظهرُ أعداءُ للدينِ من وجوهٍ مختلفةٍ؛ فعلينا نحن -معشر المسلمين- طلبه العلمِ المتمسكين بالسُّنةِ واتباعِ السُّلفِ؛ علينا أن نعرفَ كَوامنَ هؤلاءِ وندرسُها تمامًا حتَّى يكونَ لردِّنا أثرٌ؛ ولذلك نجدُ أنَّ علماءنا -رحمهم الله- الذين تصدَّوا لردِّ أهلِ التَّعطيلِ، وأهلِ المنطِقِ والكلامِ قرؤوا هذه الكتبَ، وقرؤوا هذه الآراءَ وعرفوها، لكن متى يكونُ؟ الجوابُ: إذا كان عند الإنسانِ حصيلةٌ جيِّدةٌ يتحصَّنُ بها من سمِّ كتب هؤلاء، أمَّا طالبُ العلمِ المبتدئِ فهذا قد يغترُّ بكلامهم.

يقولُ ابنُ القيمِ -رحمه الله-:

٣١٩٦- فَاسْمَعِ إِذَنْ تَوْحِيدَ رُسُلِ اللَّهِ ثُمَّ مَجْعَلُهُ دَاخِلَ كِفَّةِ الْمِيزَانِ
٣١٩٧- مَعَ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ وَانظُرْ أَيُّهَا أَوْلَى لَدَى الْمِيزَانِ بِالرُّجْحَانِ

يعني: زين الأشياء بما يُقابلها، وهذا ممَّا جاءت به الشريعةُ، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: ٩٠]، وقال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]، فلا بُدَّ من الموازنة، فإذا جعلنا توحيدَ الرُّسلِ -عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ- وتوحيدَ مَنْ سَبَقَ ذِكْرُهُمْ في كِفَّةِ الميزانِ، قال ابنُ القيمِ -رحمه الله-: انظر أَيُّها أَوْلَى لدى الميزانِ بالرُّجْحَانِ؟ وهذا لا شكَّ أنَّه من العدلِ والإنصافِ؛ كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦٤]، فمن العدلِ أن تُوازنَ بين الأقوالِ وبين الأحوالِ أيضًا، وتنظرُ أَيُّها أَرْجَحُ، لكن ما هو الأَرْجَحُ؟ الجوابُ: لا شكَّ أنَّه توحيدُ الرُّسلِ؛ لأنَّه مُطابِقٌ تمامًا لصريحِ المعقولِ وصحيحِ المنقولِ، فالعقلُ السَّليمُ لا يمكنُ أن يُنكرَ توحيدَ الرُّسلِ أبدًا، بل يشهدُ بصحَّته ويقرُّه ويطمئنُ إليه.

ثُمَّ قَسَمَ الْمُؤَلِّفُ هَذَا التَّوْحِيدَ إِلَى أَقْسَامٍ كَثِيرَةٍ، لَكِن مَعَ التَّائِي سَوْفَ تَبَيَّنُ،
قال رحمه الله:

٣١٩٨- تَوْحِيدُهُمْ نَوْعَانِ قَوْلِيٌّ وَفِعْلِيٌّ - لِي كَلَا نَوْعِيهِ ذُو بُرْهَانَ

ذكر - رحمه الله - أَنَّ التَّوْحِيدَ نَوْعَانِ: قَوْلِيٌّ وَفِعْلِيٌّ، كُلُّ مِنْهُمَا لَهُ بَرْهَانٌ؛ أَي: دَلِيلٌ وَاضِحٌ قَاطِعٌ.

فالتَّوْحِيدُ نَوْعَانِ: قَوْلِيٌّ وَفِعْلِيٌّ، فَالقَوْلِيٌّ يَكُونُ بِاللِّسَانِ وَبِالْقَلْبِ، وَالفِعْلِيٌّ يَكُونُ بِالجَوَارِحِ وَبِالْقَلْبِ، فَالتَّوْحِيدُ بِالقَلْبِ أَنْ يَقُولَ القَائِلُ مِثْلًا: (لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ)، هَذَا تَوْحِيدٌ بِالقَوْلِ، وَبِالقَلْبِ أَنْ يُقَرَّرَ بِأَنَّ اللهُ وَحْدَهُ هُوَ الإِلَهُ.

والتَّوْحِيدُ بِالفِعْلِ: أَلَّا يُشْرِكَ أَحَدًا فِي فِعْلٍ، فَلَا يَسْجُدُ لِصَنَمٍ، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ المَخْلُوقِينَ.

والتَّوْحِيدُ الفِعْلِيُّ بِالقَلْبِ هُوَ التَّوَكُّلُ عَلَى اللهُ، وَالعْتِمَادُ عَلَيْهِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَكُلُّهَا سَوْفَ تَبَيَّنُ فِي كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ إِنْ شَاءَ اللهُ.

٣١٩٩- فَالْأَوَّلُ القَوْلِيٌّ ذُو نَوْعَيْنِ أَي - ضَا فِي كِتَابِ اللهُ مَوْجُودَانِ

٣٢٠٠- إِحْدَاهُمَا سَلْبٌ وَذَا نَوْعَانِ أَي - ضَا فِي كِتَابِ اللهُ مَذْكَورَانِ

٣٢٠١- سَلْبُ النِّقَائِصِ وَالعُيُوبِ جَمِيعِهَا عَنْهُ هُمَا نَوْعَانِ مَعْقُولَانِ

٣٢٠٢- سَلْبٌ لِمُتَّصِلٍ وَمُنْفَصِلٍ هُمَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ

القَوْلِيٌّ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: سَلْبٌ، وَالسَّلْبُ، يَعْنِي: النِّفْيَ، إِذْنِ الثَّانِي: ثُبُوتٌ؛ لِأَنَّ ضِدَّ السَّلْبِ هُوَ الإِثْبَاتُ.

إِذَنْ التَّوْحِيدُ الْقَوْلِيُّ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: الْقَسْمَ الْأَوَّلَ: سَلْبِيٌّ، الْقَسْمَ الثَّانِيَّ: ثُبُوتِيٌّ.

وَكَثَّرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- التَّنْوِيعَ، فَذَكَرَ أَنَّ السَّلْبَ نَوْعَانِ أَيْضًا، وَهَذَا التَّقْسِيمُ يُرَادُ بِهِ تَقْرِيبُ الْأَشْيَاءِ لِلْمَخَاطَبِ، وَهِيَ وَاضِحَةٌ، فَكُلُّهَا تَصُبُّ فِي كَوْنِ اللَّهِ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- وَاحِدًا فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ مُتَّفِعًا عَنْهُ جَمِيعُ النِّقَائِصِ وَالْعِيُوبِ.

وَالسَّلْبُ الَّذِي هُوَ النَّفْيُ نَوْعَانِ أَيْضًا، وَهُمَا: مُتَّصِلٌ وَمَنْفَعِلٌ.

أَمَّا الثَّانِي وَهُوَ الْمَنْفَعِلُ فَهُوَ سَلْبُ الشَّرِيكِ، فَالشَّرِيكَ مَنْفَعِلٌ عَنِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ، لَكِنْ سَلْبُ اللُّغُوبِ -وَهُوَ: التَّعَبُ- مُتَّصِلٌ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

أَمَّا عَنِ السَّلْبِ الْمَنْفَعِلِ فَقَالَ:

٣٢٠٢- أَمَّا الثَّانِي

٣٢٠٣- سَلْبُ الشَّرِيكِ مَعَ الظَّهِيرِ مَعَ الشَّفِيِّ عِ بَدُونِ إِذْنِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ

٣٢٠٤- وَكَذَلِكَ سَلْبُ الزَّوْجِ وَالْوَالِدِ الَّذِي نَسَبُوا إِلَيْهِ عَابِدُوا الصُّلْبَانَ

قَوْلُهُ: «سَلْبُ الشَّرِيكِ»؛ وَذَلِكَ كَمَا فِي مِثْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، فَاللَّهُ تَعَالَى لَا شَرِيكَ لَهُ فِي رُبُوبِيَّتِهِ، وَلَا أَلُوْهِيَّتِهِ، وَلَا أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَعَلَى هَذَا يَنْتَفِي التَّمثِيلُ فِي الصِّفَاتِ، وَيَنْتَفِي الْمُشَارِكُ فِي الْخَلْقِ، وَالْمُشَارِكُ فِي الْعِبَادَةِ.

قَوْلُهُ: «مَعَ الظَّهِيرِ»؛ يَعْنِي: الْمُعِينُ، وَذَلِكَ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

قَوْلُهُ: «مَعَ الشَّفِيعِ بِدُونِ إِذْنِ الْمَالِكِ الدِّيَانِ» أَيضًا نَفِي الشَّفِيعِ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَكُلُّهَا مَذْكُورَةٌ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَزَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مَنِ ظَهِيرٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣]، أَرْبَعَةٌ أَشْيَاءٌ ذَكَرَهَا اللَّهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَهَذَا كُلُّهُ سَلْبٌ لِمَنْفَعِلٍ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ سَلْبُ الزَّوْجِ»، نَفَى اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَكُونَ لَهُ زَوْجَةٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]، وَنَفَى الْوَلَدَ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، وَنَفَى الزَّوْجَةَ وَنَفَى الْوَلِدَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣].

قَوْلُهُ: «الَّذِي نَسَبُوا إِلَيْهِ عَابِدُو الصُّلْبَانِ» نَسَبُوا إِلَيْهِ عَابِدُو» فِيهَا شَدُوذٌ لَغَوِيٌّ، وَهُوَ: الْجَمْعُ بَيْنَ ضَمِيرِ الْفَاعِلِ وَالْإِسْمِ الظَّاهِرِ، وَتُسَمَّى عِنْدَ النَّحْوِيِّينَ لُغَةً (أَكْلُونِي الْبَرَاغِيثُ)، فَهَذَا لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نُطَبِّقَ الْبَيْتَ عَلَى اللُّغَةِ الْمَشْهُورَةِ لَقَلْنَا: (نَسَبَ إِلَيْهِ عَابِدُو الصُّلْبَانِ)، لَكِنِ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَرْتَكِبُ بَعْضَ اللُّغَاتِ الضَّعِيفَةِ أَوْ الْمَجَازَاتِ لِلضَّرُورَةِ.

وَقَوْلُهُ: «عَابِدُو الصُّلْبَانِ» هُمُ النَّصَارَى الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّ عَيْسَى ابْنَ اللَّهِ.

٣٢٠٥ - وَكَذَلِكَ نَفَى الْكُفْءِ أَيضًا وَالْوَلِيِّ ي لَنَا سِوَى الرَّحْمَنِ ذِي الْغُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ نَفَى الْكُفْءِ أَيضًا وَالْوَلِيِّ»؛ نَفَى الْكُفْءِ، وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وَأَمَّا نَفَى الْوَلِيِّ فَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦]،

وهذا أيضًا سلبٌ منفصلٌ، قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]؛
يعني: لا أحدَ أبدًا ينصرُ اللهَ عزَّ وجلَّ لوصفه بالذُّلِّ، فالوليُّ النَّاصرُ من الذُّلِّ؛
يعني: أن اللهَ ذليلٌ يحتاجُ إلى ناصرٍ، وهذا لا يمكنُ، بل هو وليُّ عباده كُلِّهم.

٣٢٠٦- وَالأَوَّلُ التَّنْزِيهُ لِلرَّحْمَنِ عَنِ وَصْفِ العُيُوبِ وَكُلِّ ذِي نُقْصَانٍ

قَوْلُهُ: «الأَوَّلُ»؛ يعني: سلب النَّقصِ المتَّصلِ، وهو التَّنْزِيهُ لِلرَّحْمَنِ عَنِ وَصْفِ
العُيُوبِ؛ يعني: لا يُوصَفُ بعيبٍ (وكُلِّ ذِي نُقْصَانٍ)؛ يعني: أنَّ صفةَ الكمالِ لا
يلحقها نقصٌ.

فهذان نوعان:

أَوَّلًا: أن يُنْفَى عنه كُلُّ عيبٍ.

ثانيًا: أن يُنْفَى عنه كُلُّ نقصٍ في صفةِ كماله.

مثلاً: (السَّمْعُ) صفةُ كمالٍ، هل يفوتُ اللهَ شيءٌ من المسموعِ؟ الجوابُ: لا.

هل يمكنُ أن يعترِبَه الصَّمَمُ؟ الجوابُ: لا.

(الكلامُ) صفةُ كمالٍ، هل يمكنُ أن يلحقَ اللهَ تعالى شيءٌ من العيِّ؟

الجوابُ: لا، وهل يمكنُ أن يكونَ أخرسَ لا يتكلَّمُ؟ الجوابُ: لا.

إِذْنُ: كُلُّ صفةِ كمالٍ فيها نقصٌ فهذه ممنوعةٌ.

٣٢٠٧- كَالْمَوْتِ وَالْإِعْيَاءِ وَالتَّعَبِ الَّذِي يَنْفِي اقْتِدَارَ الخَالِقِ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «الَّذِي يَنْفِي اقْتِدَارَ الخَالِقِ الدِّيَانِ»، وفي نسخة: (الْمَنَانِ).

فالموتُ ممتنعٌ عن الله، قال الله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾

[الفرقان: ٥٨]، والإعْيَاءُ أيضًا، قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعَىٰ بِخَلْقِهِنَّ ﴿ [الأحقاق: ٣٣]، وَالتَّعَبُ كَذَلِكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ [ق: ٣٨]؛ أي: من تعبٍ.

٣٢٠٨- وَالنَّوْمُ وَالسَّنَةُ الَّتِي هِيَ أَصْلُهُ وَعُزُوبٌ شَيْءٌ عَنْهُ فِي الْأَكْوَانِ قَوْلُهُ: «النَّوْمُ وَالسَّنَةُ»؛ يعني: نفي النَّوْمِ عن الله والسَّنَةِ التي هي أصل النَّوْمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

فالسَّنَةُ أصلُ النَّوْمِ؛ لِأَنَّهَا النَّعَاسُ، وَالنُّعَاسُ هُوَ الدَّرَجَةُ الْأُولَى مِنَ النَّوْمِ، وَتَأْمَلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ يعني: لَنْ تَغْلِبَهُ السَّنَةُ الَّتِي تَغْلِبُ غَيْرَهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا سَهَرَ طَوِيلًا غَلِبَهُ النَّوْمُ حَتَّىٰ إِنَّهُ يُكَلِّمُ النَّاسَ وَهُوَ نَائِمٌ، وَيَصْعَدُ الدَّرَجَ وَهُوَ نَائِمٌ، وَيَنْزِلُ وَهُوَ نَائِمٌ، وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهِدٌ، أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ ﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قَوْلُهُ: «وَعُزُوبٌ شَيْءٌ عَنْهُ فِي الْأَكْوَانِ» كَمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سبأ: ٣]، وَالْعُزُوبُ بِمَعْنَى الْغَيْبَةِ؛ يَعْنِي: لَا يَغِيبُ عَنْهُ.

٣٢٠٩- وَكَذَلِكَ الْعَبَثُ الَّذِي تَنْفِيهِ حِكْمٌ — مَتَّهُ وَحَمْدُ اللَّهِ ذِي الْإِنْتِقَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْعَبَثُ الَّذِي تَنْفِيهِ حِكْمَتُهُ»؛ يَعْنِي: تَأْبَاهُ الْحِكْمَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴾ [الأنبياء: ١٦]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ﴾ [ص: ٢٧]، فَالْحِكْمَةُ تَنْفِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَاطِلًا، أَوْ أَنْ يَكُونَ عَبَثًا، أَوْ أَنْ يَخْلُقَ اللَّهُ الْعَبْدَ سُدَى؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا

خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَتَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿ [المؤمنون: ١١٥] لماذا؟ لكمالِ الحكمة؛ لأنَّ العَبَثَ سَفِيهٌ، لا حكمةَ عنده، فإذا نَفَى اللهُ عن نفسه العَبَثَ فذلك لحكمته الكاملة.

قَوْلُهُ: «وَحَمْدُ اللهِ ذِي الْإِتْقَانِ» حمدُ الله هو وصفُه بالكمالِ، وهذا ينافي العَبَثَ أيضًا.

٣٢١٠ - وَكَذَلِكَ تَرَكَ الْخَلْقَ إِهْمَالًا سُذًى لَا يُبْعَثُونَ إِلَى مَعَادٍ ثَانٍ
٣٢١١ - كَلَّا وَلَا أَمْرٌ وَلَا نَهْيٌ عَلَيْنَا هُمْ مِنْ إِلَهٍ قَادِرٍ دَيَّانٍ

كذلك أيضًا لا يُمكنُ أن يترك الخلق سُذًى؛ يعني: هَمَلًا، ليس لهم مرجعٌ وليس عليهم حسابٌ، فلو كان هذا الخلق يُوجدُ ثُمَّ يَفْنَى ولا يعودُ لَكَانَ هذا من عَبَثِ العَبَثِ بلا شكٍّ؛ ولهذا قال اللهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُذًى﴾ [القيامة: ٣٦]، وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ﴾؛ يعني: لا يحسبُ؛ يعني: لا يُؤمَّرُ ولا يُنهي ولا يُبعثُ ولا يُحاسبُ، وهذا تفسيرٌ لقوله: ﴿سُذًى﴾؛ يعني: هل يمكنُ أن يخلقهـم ويتركهـم ولا يأمرهـم ولا ينهاهـم ولا يبعثهـم ولا يجازيهـم؟ الجوابُ: لا يمكنُ؛ لأنَّه لو كان كذلك لكان عبثًا، وهذا تأباه حكمةُ الله وحده، وكُلُّ هذا من السَّلْبِ المتَّصل.

٣٢١٢ - وَكَذَلِكَ ظَلَمَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَنِيُّ يٰ فَا لَهٗ وَالظُّلْمِ لِلْإِنْسَانِ
وكذلك يُسَلَبُ عنه عزٌّ وجلُّ الظُّلمِ؛ لأنَّه غنيٌّ، فما له وللظُّلمِ! قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، الظُّلمُ لا يرتكبه إلا مَنْ كان محتاجًا، فيظلم ليأخذ، أو يظلم لِيُنكِرَ ما عليه، والرَّبُّ عزٌّ وجلٌّ غنيٌّ، وهذا من الأدلَّةِ على

امتناع الظلم عن الله، وهو أنه غني، كيف يظلم؟ فهو لا يحتاج إلى شيء حتى يظلم العباد؛ ولهذا قال: «فَمَا لَهُ وَالظُّلْمُ لِلْإِنْسَانِ؟!»، وهذا نفي لمتصل.

٣٢١٣- وَكَذَلِكَ غَفَلْتُهُ تَعَالَى وَهُوَ عَلَمٌ لَأَمْ الْغُيُوبِ فَظَاهِرُ الْبُطْلَانِ

الغفلة نفاها الله عن نفسه، فقال تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

٣٢١٤- وَكَذَلِكَ النِّسْيَانُ جَلٌّ إِلَيْنَا لَا يَعْتَرِيهِ قَطُّ مِنْ نَسْيَانِ

النسيان أيضاً، قال الله عز وجل: ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢].

ولكن قد يقول قائل: كيف نجمع بين هذه وبين قوله تعالى: ﴿سُئِلُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ﴾ [التوبة: ٦٧]؟ الجمع أن نقول: ﴿سُئِلُوا اللَّهَ فَنَسِيهِمْ﴾ من باب نسيان الترك؛ يعني: تركوا الله وتركوا أوامره فتركهم الله عز وجل، كما قال عز وجل: ﴿فَذُوقُوا يَمَا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ [السجدة: ١٤].

٣٢١٥- وَكَذَلِكَ حَاجَتُهُ إِلَى طَعْمٍ وَرِزْقٍ قِي وَهُوَ رَزَاقٌ بِإِلَّا حُسْبَانِ

أيضاً من السلب المتصل حاجته إلى طعام وريزق؛ لقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ﴿[الذريات: ٥٦-٥٨]، فلا يحتاج إلى رزق ولا إلى طعام، ولقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُمْ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]؛ لأنه غني بذاته عن جميع مخلوقاته، ولأنه سبحانه وتعالى - أحد صمد لا يحتاج إلى طعام ولا إلى شراب، إذن لا يحتاج

لطعامٍ ولا شرابٍ لكمالِ غناه، فهو غنيٌّ بذاته عن جميع مخلوقاته، هذا النوع الثاني من أنواع السلبِ.

إِذْنُ الْمَسْلُوبِ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَتَّصِلٌ وَمَنْفَصَلٌ، فَاَلْمَنْفَصَلُ مِثْلُ: الْوَالِدِ وَالشَّرِيكِ وَالْمَعِينِ وَالشَّفِيعِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَالْمَتَّصِلُ مِثْلُ: التَّعَبِ، وَالنَّسْيَانِ، وَالظُّلْمِ، وَالْغَفْلَةِ، وَأَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ.

وعندنا قاعدةٌ في صفاتِ النَّفْيِ، وهي: أَنَّ مَا نَفَاهُ اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ يُرَادُ بِهِ شَيْئَانِ: الْأَوَّلُ: نَفْيُ هَذَا، وَالثَّانِي: إِثْبَاتُ ضِدِّهِ عَلَى الْكَمَالِ، فَإِذَا قِيلَ: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] فَمِنْ الْمُرَادِ انْتِفَاءُ الظُّلْمِ فَقَطْ، أَوْ إِثْبَاتُ الْعَدْلِ الَّذِي لَا ظُلْمَ فِيهِ؟ الْجَوَابُ: الثَّانِي، هَذَا هُوَ الْمُرَادُ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ: لَا يَظْلِمُ لِأَنَّهُ يَعِجْزُ عَنِ أَنْ يَظْلِمَ، لَا؛ لِأَنَّهُ لَوْ شَاءَ لَظَلَّمَ، لَكِنَّهُ حَرَّمَ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِهِ، كَذَلِكَ لَا تَقُولُ: لَا يَظْلِمُ لِأَنَّهُ يَنْتَفِي عَنْهُ الظُّلْمُ فَقَطْ، دُونَ ثُبُوتِ الْعَدْلِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ الْمَحْضَ عَدَمٌ مُحْضٌ، وَالْعَدَمُ الْمَحْضُ لَيْسَ كَمَا لَا، بَلْ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَضْلًا عَنِ أَنْ يَكُونَ كَمَا لَا.

إِذْنُ كُلِّ صِفَةٍ نَفَاهَا اللَّهُ عَنِ نَفْسِهِ فَلَيْسَ الْمُرَادُ مَجْرَدَ النَّفْيِ، بَلِ الْمُرَادُ ثُبُوتُ ضِدِّهَا عَلَى الْكَمَالِ، فَلِكَمَالِ عَدْلِهِ لَا يَظْلِمُ.

فَإِذَا قِيلَ: عِلٌّ؟ فَقُلْ: لِأَنَّ نَفْيَ الظُّلْمِ الْمَجْرَدِ عَدَمٌ؛ يَعْنِي: لَا ظُلْمَ، فَهَذَا عَدَمٌ، وَالْعَدَمُ لَيْسَ بِشَيْءٍ، الْمَعْدُومُ غَيْرُ مَوْجُودٍ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ، وَمَا لَيْسَ بِشَيْءٍ فَلَيْسَ مَدْحًا وَلَا كَمَا لَا؛ لِأَنَّهُ لَا شَيْءَ؛ وَلِأَنَّنا لَوْ لَمْ نَقُلْ بِذَلِكَ؛ أَي لَوْ لَمْ نَقُلْ بِأَنَّ نَفْيَ صِفَةِ الظُّلْمِ بِإِثْبَاتِ الْعَدْلِ عَلَى الْكَمَالِ، لَوْ لَمْ نَقُلْ بِهَذَا لَكَانَ مُحْتَمَلًا أَنْ يَكُونَ نَفْيُ الظُّلْمِ لِعِجْزِهِ عَنِ الظُّلْمِ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ.

فإن قال قائلٌ: أثبتوا لنا شاهداً يدلُّ على أنَّ نفيَ الظُّلمِ للعجزِ عن الظُّلمِ، قلنا: هو في قولِ الشَّاعرِ:

قُبَيْلَةٌ لَا يَغْدِرُونَ بِذِمَّةِ وَلَا يَظْلِمُونَ النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ^(١)

لماذا؟ لأنهم عاجزون، فهم قُبَيْلَةٌ وليسوا بشيء، فلا يغدرون بذيمة إذا عاهدوا، ولا يظلمون النَّاسَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ؛ لأنهم عاجزون. وكذلك قول الحماسيِّ:

لَكِنَّ قَوْمِي وَإِنْ كَانُوا ذَوِي عَدَدٍ لَيْسُوا مِنَ الشَّرِّ فِي شَيْءٍ وَإِنْ هَانَا

يَجْزُونَ مِنْ ظُلْمِ أَهْلِ الظُّلْمِ مَغْفِرَةً وَمِنْ إِسَاءَةِ أَهْلِ السُّوءِ إِحْسَانًا^(٢)

يعني: بدل الظلم يجزون مغفرةً، وبدل الإساءة يجزون إحساناً، لماذا؟ الجواب: لعجزهم، ولهذا قال:

فَلَيْتَ لِي بِهِمْ قَوْمًا إِذَا رَكِبُوا سَنُوا الْإِعَارَةَ رُكْبَانًا وَفُرْسَانًا^(٣)

لذلك نقول: نفي الظلم لا بُدَّ أن يتضمَّن كماً، أيضاً إذا قلنا: إن نفي الظلم يُرادُ به إثبات العدلِ على وجه الكمالِ، لو لم نقل بهذا لكان احتمال أن يكون نفي الظلم لعدم قابليته للظلم؛ لأنك يمكن أن تقول: (الجدارُ لا يظلم)، فهل تكون إذا قلت: (الجدارُ لا يظلم) مادحاً للجدار؟ الجواب: لا، لعدم قابليته، إذنْ خُذْ

(١) البيت قاله النجاشي في رهط تميم بن مقبل، انظر: العقد الفريد (٢/ ٣٣٢).

(٢) الأبيات لشاعر من بني العنبر، كما في العقد الفريد (٢/ ٣٣٢).

(٣) ذُكر ضمن أبيات غير منسوبة في شرح الحماسة للتبريزي (١٠/ ١)، وخزانة الأدب (٣/ ٣٣٢). وذُكر منسوباً لقريط بن أنيف العنبري في الحماسة لأبي تمام (١/ ٥٨)، والجنى

اللداني (١٠٥).

هذه القاعدة المفيدة: كُلَّمَا رَأَيْتَ صِفَةً نَفَّاهَا اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ فالمرادُ بها إثباتُ ضدها على وجهِ الكمالِ.

وكذلك نفى اللهُ عزَّ وجلَّ عن نَفْسِهِ التَّعَبَ والإِعْيَاءَ، فيكونُ المقصودُ بذلك إثباتَ القُدرةِ على وجهِ الكمالِ.

الآن إذا قلت: (فلانُ صادقٌ) فهنا وَصَفْتُهُ بِالصِّدْقِ، لكن أَلَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَكْذِبَ؟ يحتملُ، لكن إذا قلت: (فلانُ صادقٌ لا يكذبُ) جاء هذا النَّفْيُ مُقَرَّرًا صِدْقَهُ على وجهِ الكمالِ، وأَنَّهُ لا يمكنُ أَنْ يَكْذِبَ.

٣٢١٦- هَذَا وَثَانِي نَوْعِي السَّلْبِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ الْأَنْوَاعِ فِي الْأَوْزَانِ قَوْلُهُ: «فِي الْأَوْزَانِ»؛ يعني: فِي النَّظْمِ؛ لِأَنَّ النَّظْمَ كَلَامٌ مُوزُونٌ مُقَفًى، وَالْمَوْئَلَفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- جَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرْتَّبٍ، يَقُولُ:

٣٢١٧- تَنْزِيهِهُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ عَنِ التَّشْبِيهِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّنْكِرَانِ

٣٢١٨- لَسْنَا نُشَبِّهُهُ وَصَفَهُ بِصِفَاتِنَا

٣٢١٩- كَلَّا وَلَا نُخْلِيهِ مِنْ أَوْصَافِهِ

٣٢٢٠- مَنْ مَثَلَ اللَّهُ الْعَظِيمَ بِخَلْقِهِ

٣٢٢١- أَوْ عَطَّلَ الرَّحْمَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ

قَوْلُهُ: «النَّسِيبُ»؛ يعني: المائِلُ له؛ لِأَنَّ النَّسَبَ يُقَرِّبُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ لِبَعْضٍ، فَهُوَ يُطَلَّقُ عَلَى الْقَرِيبِ، لَكِنِ الْمَرَادُ بِهِ هُنَا الْمُشَبِّهَ.

أَوْصَافُ كَمَالِهِ عَزَّ وَجَلَّ كَعَلْمِهِ، وَقُدْرَتِهِ، وَسَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَوَجْهِهِ، وَغَيْرِ

ذلك، السلبُ فيها تنزيهه عن شيئين: التَّمثِيلِ ومثله التَّشْبِيهِ، والنُّكْرَانِ؛ يعني: الجحدَ والتَّعْطِيلَ.

فأوصافُ كماله مُنَزَّهَةٌ عن هذين الشَّيْئَيْنِ، وهما: التَّمثِيلُ والتَّعْطِيلُ؛ أي: (النُّكْرَانِ).

واعلم أنَّ أكثرَ ما تجده في كتبِ الكلامِ وغيرها نفيُ التَّشْبِيهِ، فيقالُ: (بِلا تشبِيهِ) أو لا نُشَبِّهُ اللهَ، وما أشبه ذلك، ولكنَّ التَّعْبِيرَ بالتَّمثِيلِ أَوْلَى؛ لأنَّ هذا هو الذي عبَّرَ اللهُ به عن نفسه فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ولم يقل: (لَيْسَ كَشَبِيهِهِ) فهو أَوْلَى؛ لأنَّه التَّعْبِيرُ القَرَأِيُّ، ولأنَّ التَّشْبِيهَ صار عند بعضِ النَّاسِ بمعنى إثباتِ الصِّفَاتِ، ويقولون: مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ فهو مُشَبَّهٌ، ويرمون أهلَ السُّنَّةِ الذين يثبتون الصِّفَاتِ بأنَّهم مُشَبَّهَةٌ، فإذا قلت: (بِلا تشبِيهِ) تخاطبُ مَنْ قرَأَ أنَّ التَّشْبِيهَ إثباتُ الصِّفَاتِ، صار المعنى عنده: (التَّعْطِيلِ)، لكن (بِلا تمثِيلِ) هو الحقُّ.

أيضًا: (بِلا تشبِيهِ) إنَّ أَرَادَ نفيَ التَّشْبِيهِ المُطْلَقِ؛ يعني: المشابهةَ من كُلِّ وجهٍ، فهذا لا حاجةَ إليه؛ لأنَّه لم يقل أحدٌ من الخلقِ: إنَّ اللهَ مشابهٌ للمخلوقاتِ من كُلِّ وجهٍ، وإذا لم يقل به أحدٌ فنفِيهِ عَبَثٌ لا فائدةَ منه، فهو كقولِ القائلِ:

كَأَنَّا وَالْمَاءُ مِنْ حَوْلِنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ حَوْلَهُمْ مَاءٌ^(١)

ما هذه الفائدةُ العظيمةُ؟! حتَّى إنَّ بعضَ النُّحَوِيِّينَ قال: مثلُ هذا التَّرْكِيْبِ لا يُعَدُّ كلامًا في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ؛ لأنَّه لم يُفِذْ فائدةً، وكقولِ القائلِ: (السَّمَاءُ فَوْقَنَا وَالْأَرْضُ تَحْتَنَا).

(١) البيت في الكشكول (١/ ٢٦١) بلا نسبة.

فإذا قال: أنا أريد بنفي التشبيه التشبيه المطلق، قلنا: هذا غلطٌ، ولا حاجة إلى أن تنفيه؛ لأنه لم يقل به أحدٌ.

وإن أراد نفي مُطلق التشبيه فهذا غلطٌ أيضًا؛ لأنه لا بُدَّ من مُطلق المشابهة، فمثلاً: سَمِعُ الله - سبحانه وتعالى - يشترك مع سَمِعِ المخلوق في إدراك الأصوات، لكن يختلفُ اختلافًا عظيمًا.

وحياةُ الله عزَّ وجلَّ تشترك مع حياة المخلوق في أصل الحياة، لكن تختلفُ في كيفية الحياة، وهلمَّ جراً.

فصار نفي التشبيه فيه مؤاخذاً، لكن إذا قلت: (بلا تمثيل)، لا يقول لك أحدٌ شيئاً.

ففي التمثيل أولى لهذه الوجوه:

أولاً: أنه التعبيرُ القرآنيُّ.

ثانياً: أن التشبيه صار عند كثيرٍ من الناسِ هو إثبات الصفات.

وثالثاً: أنه إن أراد بذلك نفي التشبيه المطلق فهو كلامٌ لغوي لا فائدة منه، وإن أراد نفي مُطلق التشبيه فهذا خطأ؛ لأنه ما من شيئين اشتركا في صفةٍ إلا وبينهما مشابهةٌ في أصلها.

بقي عندنا (التكران)؛ يعني: التَّعطيلُ، فتنزَّه صفاتُ الله عن شيئين: عن التَّمثيلِ وعن التَّعطيلِ.

وهل وقع أحدٌ ممن يدَّعي الإسلامَ في التَّمثيلِ؟ الجوابُ: نعم، يوجدُ أناسٌ مُثَلَّةٌ، وهل وقع أحدٌ ممن ينتسبُ إلى الإسلامِ في التَّعطيلِ؟ نعم، وهو كثيرٌ.

واعلم أن كلَّ ممثِّلٍ معطلٌّ، وأنَّ كلَّ مُعطلٍِّ ممثِّلٍ، وهذا ضابطُ كُلِّيّ، فكلُّ ممثِّلٍ معطلٌّ؛ لأنَّه عَطَّلَ اللهُ تعالى من كماله الواجب؛ وجهُ ذلك أنَّه شَبَّهه بالناقصِ، وتمثِّلُ الكاملِ بالناقصِ يجعلُه ناقصًا؛ ولهذا قال الشاعرُ:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ السَّيْفَ يَنْقُصُ قَدْرَهُ إِذَا قِيلَ: إِنَّ السَّيْفَ أَمْضَى مِنَ الْعَصَا^(١)

ثانيًا: أنَّ المُمثِّلَ عَطَّلَ جميعَ النُّصوصِ التي تنفي المماثلةَ، فَعَطَّلَ قوله - سبحانه وتعالى -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وَعَطَّلَ قوله تعالى: ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٧]، وَعَطَّلَ قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

وكلُّ معطلٍِّ ممثِّلٍ؛ فمثلاً: الذي ينكرُ استواءَ الله على عرشه، أو يُنكرُ نزوله للسماءِ الدنيا، أو ينكرُ أن يكونَ له يدٌ، نقولُ: أنت ممثِّلٌ من وجهين:

الوجه الأول: لأنَّه إنَّما عَطَّلَ بناءً على أنَّ إثباتَ الصِّفاتِ يستلزمُ التَّمثِيلَ، فَمَثَّلَ أَوْلًا وَعَطَّلَ ثانيًا؛ فصارَ كُلُّ مُعَطَّلٍ مِمثِّلًا.

الوجه الثاني: أنَّه إذا عَطَّلَ اللهُ عزَّ وجلَّ عن صفاته مثله بالمعدوم أو بالناقصِ، فإذا قال: لا يفعلُ الشَّيءَ باختياره، ولا يَشَاءُ أفعالَ العبادِ، ولا ينزُلُ إلى السماءِ الدنيا، فلا شكَّ أنَّه ممثِّلٌ؛ لأنَّه إذا انتفت صفاتُ الكمالِ لزم ثبوتُ ضدِّها فيكونُ ممثِّلًا لله تعالى بما هو ناقصٌ، وهنا نقولُ: الأفضلُ أن يُقالَ:

لَسْنَا نُمثِّلُ وَصْفَهُ بِصِفَاتِنَا إِنَّ المُمثِّلَ عَابِدُ الأَوْثَانِ

إذا مثَّلَ اللهُ بخلقه صارَ وثنًا، مثل: اللَّاتِ والعُزَّى ومناة وهبل وما أشبهها،

(١) البيت في السحر الحلال (ص: ٧٣) بلا نسبة.

فيكون الممثلُ عابداً للأصنام، أمّا المعطلُّ فلم يُثبِت وجودَ إلهٍ؛ لأنَّه إذا انتفت عنه الصِّفاتُ بقيَ معدوماً، فيكون عابداً البهتانِ؛ يعني: عابداً الكذبِ، يعني: لا يُوجدُ ربُّ يُعبَدُ، فلم يعبدُ ربًّا؛ لأنَّه إذا سلَّبه أوصافه صارَ عدماً، وهذا من أحسن ما يكونُ ممَّا شبَّههُ المؤلِّفُ رحمه الله.

فالممثلُ يعبدُ الصَّنَمَ، والمعطلُّ يعبدُ عدماً، فهو كاذبٌ، وأمّا الموحِّدُ فيعبُدُ إلهَ الأرضِ والسَّماءِ سبحانه وتعالى.

إذْنُ ابنِ القيمِ -رحمه الله- يرى أنَّ الممثلَ مُشْرِكٌ، وأنَّ المعطلَّ كافرٌ، لكن هذا على سبيلِ الإجمالِ، أمّا عند التَّفصيلِ فيُحَكِّمُ على كُلِّ واحدٍ منهما بما يقتضيه تمثُّلهُ أو تعطُّلهُ.

فصل

في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت^(١)

- ٣٢٢٢- هَذَا وَمِنْ تَوْحِيدِهِمْ إِبْتَاتُ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
- ٣٢٢٣- كَعُلُوِّهِ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَاءِ وَاتِّعَالِي بَلِّ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
- ٣٢٢٤- فَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ إِذِ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بَيِّنَانٍ
- ٣٢٢٥- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى قَدْ قَامَ بِالتَّذْيِيرِ لِلْأَكْوَانِ
- ٣٢٢٦- حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَخَنَانٍ
- ٣٢٢٧- هُوَ أَوْلُّهُ هُوَ آخِرُهُ وَظَاهِرٌ هُوَ بَاطِنٌ هِيَ أَرْبَعُ بِيُوزَانِ
- ٣٢٢٨- مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ كَذَا وَمَا بَعْدَهُ شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
- ٣٢٢٩- مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا دُونَهُ شَيْءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ
- ٣٢٣٠- فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدْبِيرٍ وَتَبْصِيرٍ وَتَعَقُّلٍ لِمَعَانٍ
- ٣٢٣١- وَانظُرْ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعٍ مَعْرِفَةٍ لِحَالِقِنَا الْعَظِيمِ الشَّانِ

الشرح

سبق الكلام على التوحيد السلبى، وأن التوحيد السلبى متصل ومنفصل،

(١) في الأصول الخطية: «الثبوت».

فالتَّصَلُّ: ما لا يعدو ذاتَ الله عزَّ وجلَّ، مثل: سلبِ الموتِ، والنَّومِ، والسَّنَةِ،
والظُّلمِ، والغفلةِ، وما أشبهَ ذلك، والمنفصلُ: ما كان خارجًا عنه، مثل: الزَّوجَةِ،
والوليدِ، والكُفِّءِ، والنَّظيرِ، وما أشبهَ ذلك، وسبق لنا أيضًا أن التَّصَلَّ نوعان:

الأوَّل: نفي العيوبِ كُلِّها، والثَّاني: نفي التَّمثيلِ، وكذلك التَّعطيلِ، والنُّكرانِ؛
فإنَّ هذا من التَّوْحِيدِ السَّلْبِيِّ.

والحقيقةُ أنَّ نفي التَّمثيلِ يَرِجِعُ إلى نفي النِّقصِ؛ لأنَّ التَّمثيلَ نقصٌ؛ فإنَّ
إلحاقَ الكاملِ بالنَّاقصِ يجعلُه ناقصًا، أمَّا الثَّاني فهو الثُّبوتِيُّ، والثُّبوتِيُّ هو إفرادُ الله
- سبحانه وتعالى - وتوحيدهُ بما يجبُ له من الأسماءِ والصفاتِ، قال:

٣٢٢٢- هَذَا وَمِنْ تَوْحِيدِهِمْ إِثْبَاتٌ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

فكُلُّ أوصافِ الكمالِ ثابتَةٌ له، ودليلُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الرُّوم: ٢٧]، فقوله: ﴿الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾؛ يعني: الوصفَ الأكملَ من
كُلِّ وجهٍ، وفي الأسماءِ قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ ولهذا
لا تجدُ اسمًا من أسماءِ الله يتضمَّنُ نقصًا بوجهٍ من الوجوهِ، ولا صفةً من صفاتِ
الله تتضمَّنُ نقصًا بوجهٍ من الوجوهِ، ولذلك تجدُ أنَّ بعضَ الصفاتِ مثل: الكيدِ،
والخداعِ، لا تُقَالُ له على وجهِ الإطلاقِ.

فالثُّبوتِيُّ إِذْنُ إِثْبَاتُ أوصافِ الكمالِ لله عزَّ وجلَّ، ولكن لا بُدَّ أن يُضَافَ
إليها شيءٌ آخَرٌ، وهو مع نفي المماثلةِ؛ لأنَّ الإثباتَ بدونِ نفي المثلِ ليس بتوحيدٍ؛
فإنَّ التَّوْحِيدَ يقومُ على النَّفيِ والإثباتِ، مثلاً على ذلك يتَّضَحُّ به المقالُ: إذا قلت:
(فلانٌ جيِّدٌ)، فهذا وصفٌ له بالجودِ، والجودُ كمالٌ، لكن هل هذا يستلزمُ التَّوْحِيدَ؟
الجوابُ: لا؛ لأنَّه قد يكونُ هو جيِّدًا وآخر جيِّدًا أيضًا، فإذا قلت: (لا جيِّدٌ

إِلَّا فَلَانٌ)، أو (إِنَّمَا الْجَيِّدُ فَلَانٌ) فحينئذٍ وَحَدَّثَهُ بِالْجُودِ.

فَقَوْلُ الْمُؤَلِّفِ: «إِثْبَاتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لِرَبِّنَا» يَحْتَاجُ إِلَى إِضَافَةٍ، وَهِيَ: (مَعَ نَفْيِ الْمُتَمَثِّلَةِ)؛ حَتَّى يَتِمَّ التَّوْحِيدُ.

إِذَنْ مِنْ تَوْحِيدِ الرُّسُلِ: إِثْبَاتُ أَوْصَافِ الْكَمَالِ الَّتِي تَتَضَمَّنُهَا أَسْمَاؤُهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ مُتَضَمِّنٌ لَصِفَةٍ كَمَالٍ، وَقَدْ يَكُونُ الْاسْمُ مُتَضَمِّنًا لَصِفَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ، فَ(الْخَلَّاقُ) مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَا خَلْقٌ إِلَّا بِعِلْمٍ وَقُدْرَةٍ، وَعَلَى هَذَا فَيَكُونُ (الْخَلَّاقُ) دَلَالًا عَلَى الْخَلْقِ، وَدَلَالًا عَلَى الْعِلْمِ، وَدَلَالًا عَلَى الْقُدْرَةِ.

وَلِهَذَا نَقُولُ فِي هَذَا الْبَابِ: الْقَاعِدَةُ فِي الْأَسْمَاءِ أَنَّهُ إِذَا كَانَ الْاسْمُ لَازِمًا لَمْ يَتِمَّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِإِثْبَاتِهِ اسْمًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِإِثْبَاتِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ، هَذَا إِذَا كَانَ لَازِمًا، فَالْوَجِبُ إِثْبَاتُ الشَّيْئِينَ: الْاسْمِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ.

وَإِنْ كَانَ مُتَعَدِّيًا لَمْ يَتِمَّ الْإِيمَانُ بِهِ إِلَّا بِإِثْبَاتِ الْاسْمِ، وَمَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ، وَمَا يَتَرْتَّبُ عَلَى تِلْكَ الصِّفَةِ مِمَّا يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِهِ، فَمَثَلًا: (الْحَيُّ) اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، لَكِنَّهُ لَا زِمٌ غَيْرُ مُتَعَدٍّ، وَهَذَا الْحَيُّ فَعْلُهُ (حَيَّيَ)، وَلَيْسَ فَعْلُهُ (أَحْيَا)، وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ حَتَّى تُثْبِتَ أَنَّ الْحَيَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَالثَّانِي: تُثْبِتَ مَا دَلَّ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَةِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ.

(السَّمِيعُ) مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَا يَتِمُّ الْإِيمَانُ بِهِ حَتَّى تُثْبِتَهُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَتُثْبِتَ السَّمْعَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ، وَتُثْبِتَ الْمَسْمُوعَ الَّذِي يَسْمَعُهُ اللَّهُ؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ كُلَّ صَوْتٍ، لَوْ قُلْتُ: أَنَا أُثْبِتُ (السَّمِيعَ) اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَأُثْبِتُ السَّمْعَ صِفَةً لَهُ، لَكِنْ لَا أُثْبِتُ أَنَّهُ يَسْمَعُ، فَهَلْ تَكُونُ آمَنَتَ بِالْاسْمِ؟ لَا، لَا بُدَّ أَنْ تُثْبِتَ إِذَا كَانَ مُتَعَدِّيًا مَا يَتَعَدَّى إِلَيْهِ الْاسْمُ، وَهَذِهِ قَاعِدَةٌ مُهِمَّةٌ.

فكُلُّ اسمٍ من أسماءِ الله لا يتمُّ الإيَّانُ به إلا بإثباتِ الاسمِ، والصِّفَةِ، وما دَلَّ عليه هذا الاسمُ إذا كان مُتعدِّيًا، وإن كان لازماً فتثبت الاسمُ والصِّفَةُ.
من ذلك يقولُ:

٣٢٢٣- كَعْلُوهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ السَّمَا وَاتِ الْعُلَى بَلْ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

٣٢٢٤- فَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلَافُ ذَا بَيَّانٍ

من توحيد الرُّسُلِ -عليهم الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- إثباتُ علوِّ الله؛ ووجهُ ذلك أنَّ العلوَّ صفةٌ كمالٍ، فَوَجَبَ ثبوتهُ الله، ووجهُ آخرُ: أنَّ ضِدَّ العلوِّ السُّفْلُ، والسُّفْلُ نقصٌ، واللهُ تعالى منزَّهٌ عن النقصِ.

وقد جاء اسمُ (العليِّ) و(الأعلى)، (العليِّ): صفةٌ مشبَّهةٌ لازمةٌ، و(الأعلى): اسمٌ تفضيليٌّ، وذِكْرُ (الأعلى) غيرُ مقيَّدٍ؛ يعني: لم يقل: (أعلى من كذا)، بل جُعِلَ وصفاً لازماً.

فتبيَّن بهذا إثباتُ العلوِّ وأنَّه أعلى من كُلِّ شيءٍ، هذا العلوُّ يقولُ رحمه الله: «فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى بَلْ فَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ»، والذي فوق السَّمَاوَاتِ: العرشُ والكرسيُّ، واللهُ تعالى فوق العرشِ وفوق الكرسيِّ.

وَقَوْلُهُ: «بِذَاتِهِ» إِنَّمَا نَصَّ عَلَى هَذَا؛ لِأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ الَّذِينَ يَنْتَسِبُونَ لِلْإِسْلَامِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّهُ عَلِيٌّ بِصِفَاتِهِ لَا بِذَاتِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ! الْمَوْلُفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ: (بِذَاتِهِ).

قد يقولُ قائلٌ: لماذا جاء (بِذَاتِهِ) واللهُ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾

[البقرة: ٢٥٥]، ولم يقل: (بِذَاتِهِ)؟ وكذلك السُّنَّةُ ليس فيها لفظُ (بِذَاتِهِ)؟

نقول: أتى بها لسببَيْن:

أَوَّلًا: أَنَّ كُلَّ مَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ مِنَ الصِّفَاتِ فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِذَاتِهِ، فَإِذَا قِيلَ: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ [الأنعام: ١]؛ يعني: هو نفسه، و﴿أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٦٤]؛ يعني: هو نفسه، و﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يعني: هو نفسه؛ لِأَنَّهُ فَعَلٌ مُضَافٌ إِلَى فَاعِلِهِ.

ثَانِيًا: لِلرَّدِّ عَلَى الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَلِيًّا بِذَاتِهِ، وَيَجْعَلُونَ الْعُلُوَّ عَلَوًّا صِفَةً فَقَطْ.

إِذْنُ السَّلْفِ اضْطَرُّوا إِلَى أَنْ يُلْحَقُوا كَلِمَةَ (بِذَاتِهِ) مِنْ أَجْلِ الرَّدِّ عَلَى أَوْلَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ عَلِيًّا بِذَاتِهِ، لَكِنْ عَلُوُّهُ عَلَوٌّ صِفَةٌ. ثُمَّ انْقَسَمَ هَؤُلَاءِ الْمَبْطُلُونَ - وَأَعْنِي بِالْمَبْطُلِينَ: الَّذِينَ أَنْكَرُوا عَلُوَّ الذَّاتِ - إِلَى قَسْمَيْنِ:

■ قَسْمٌ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى - فِي كُلِّ مَكَانٍ.

■ قَسْمٌ آخَرَ قَالَ: لَا يَجُوزُ أَنْ تُنْبِتَ أَنَّ اللَّهَ فِي مَكَانٍ، لَا فَوْقَ، وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينًا، وَلَا يَسَارًا.

وَكَلا الْقَوْلَيْنِ بَاطِلٌ؛ بَاطِلٌ بِالسَّمْعِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ، وَسَنَذَكُرُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - الْأَدْلَةَ عَلَى هَذَا.

الَّذِينَ قَالُوا: إِنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا شَكَّ أَنَّهُمْ لَمْ يُنَزِّهُوهُ عَنِ الْأَقْدَارِ وَالْأَنْتَانِ، فَهُوَ فِي الْمَرَاحِيضِ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - فِي الْمَسَاجِدِ، فِي الْأَسْوَاقِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَهَؤُلَاءِ يَلْزِمُهُمْ هَذَا اللَّازِمُ وَلَا بُدَّ، أَوْ أَنْ يَتَرَجَعُوا عَنْ قَوْلِهِمْ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ، أَنَّهُمْ لَمْ يُنَزِّهُوهُ عَنِ الْأَقْدَارِ وَالْأَنْتَانِ وَالرَّوَائِحِ الْكَرِيمَةِ.

ثانيًا أن نقول لهم: إذا كان عزَّ وجلَّ بذاته في كُلِّ مكانٍ فالذين في المسجد فهو عندهم، وكذلك عند الذين في السُّوقِ، والذين في البحرِ، والذين في الجوّ، كم يكونُ من إليه؟ الجوابُ: لا يُحْصَى، أو يلزمهم أن يقولوا: بتجزُّئه سبحانه وتعالى، جزءٌ منه هنا، وجزءٌ هنا، وجزءٌ هناك، يلزمهم هذا ولا بُدَّ.

والذين قالوا: إنَّه ليس له مكانٌ، ولا يمكنُ أن نقولَ: فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار، هؤلاء وصفوه بالعدم؛ ولهذا ألزَمَ الأميرُ المظفرُ محمود بن سبكتكين الكلاميَّ المنطقيَّ محمد بن فوركَ، وقال له: صِفْ لنا ربَّكَ. فقال: ليس فوق ولا تحت... إلى آخره، قال له: إنَّكَ وَصَفْتَ ربَّكَ بالعدم. ألزمه بهذا.

فصار كلا القولين باطلاً، لكن ما هو الصَّحيحُ؟

الصَّحيحُ أن يكونَ عاليًا، بل يستحيلُ ألا يكونَ عاليًا؛ لأنَّ ضدَّ العلوِّ السُّفْلُ، وهذا نقصٌ، وإذا قلنا: هو السُّفْلُ، فإمَّا أن يكونَ حائلًا في المخلوقاتِ، وإمَّا أن يكونَ عينَ المخلوقاتِ، وكلاهما باطلٌ، فهذا حلولٌ واتِّحادٌ، نسألُ الله العافية.

إذنْ يستحيلُ ألا يكونَ عاليًا بذاته؛ لأنَّنا إذا لم نقل: (عاليًا بذاته) لَزِمَ أن يكونَ في كُلِّ مكانٍ، وإمَّا ألا يكونَ له مكانٌ، وكلاهما مستحيلٌ، ولهذا قال: (إِذْ يَسْتَحِيلُ خِلاَفُ ذَا)؛ أي: خلافُ علوِّه بذاته، ويبقى علوُّه بذاته ثابتًا بمقتضى العقل.

ثُمَّ إِنَّ عُلُوَّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِذَاتِهِ دَلَّتْ عَلَيْهِ أَنْوَاعُ الْأَدَلَّةِ الْخَمْسَةِ: الْقُرْآنَ، وَالسُّنَّةَ، وَالْإِجْمَاعَ، وَالْعَقْلَ، وَالْفِطْرَةَ.

أَمَّا الْقُرْآنُ فَمَمْلُوءٌ مِنْ ذِكْرِ عُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِعِبَارَاتٍ مُتَنَوِّعَةٍ؛ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ

وَأَعْمَلُ الصَّالِحِ يَرْفَعُهُ» [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]، والأمثلة على هذا كثيرة لا تُحصى.

وأما السنة فجاءت بأنواعها الثلاثة: القول، والفعل، والإقرار؛ أمّا القول فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ - لا شك - أنه أخبر بأنَّ الله تعالى في السماء فقال: «رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُهُ»^(١)، وكان يقول في صلاته: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»^(٢).

وأما الفعل فأثبتهُ ﷺ في أكبر تَجْمُعٍ للمسلمين في عهده؛ ففي خطبته في حَجَّةِ الْوُدَاعِ وهو بعرفة قال لأصحابه: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، يرفعُ أَصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ ويردُّها إلى النَّاسِ، ثلاثَ مَرَّاتٍ، وهو يقول: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»^(٣)، هذا إثباتٌ لِعُلُوِّهِ بِالْفِعْلِ، وهو الإشارةُ.

وأما الإقرارُ ففي حديثِ معاوية بن الحَكَمِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين أتى بجاريته التي صكَّها وأراد أن يُعْتِقَها، فدعا بها النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - فجاءت، فَقَالَ لها: «أَيْنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ. قَالَ: «أَعْتَقُهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤَمَّنَةٌ»^(٤).

فثبت في السنة بأنواعها الثلاثة: القولية، والفعلية، والإقرارية، ولا أعظم من أدلة تجتمع على معنى واحد.

أما الإجماعُ فإجماعُ السَّلفِ، لم يقل أحدٌ من الصَّحابة: إنَّ الله ليس في السماء،

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السلام، باب الطب والمرض والرقي، رقم (٢١٨٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة في منى، رقم (١٧٤١)، مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

ولا التابعين ولا الأئمة من بعدهم، ما قالوا أبدًا: إنَّ الله ليس في السَّماءِ، وسكوُّهم وهم يتلون كتابَ الله ويسمعون سنَّةَ الرَّسولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- عن إثباتِ معنَى يخالفُ ظاهرَها يدلُّ على إجماعِهِم على ظاهرِها.

أمَّا دلالةُ العقلِ على علوِّ الله بذاته فإن نساءل: هل العلوُّ من صفاتِ الكمالِ أو صفاتِ النَّقصِ؟ الجوابُ: من صفاتِ الكمالِ عقلاً، ولا أحدَ ينكرُ هذا، وإذا كان من صفاتِ الكمالِ لَزِمَ أن يكونَ اللهُ مُتَّصِفًا به؛ إذ إننا لو وصفناه بالسُّفْلِ -وحاشاه من ذلك- لَزِمَ أن يكونَ إمَّا مع الخلقِ وإمَّا تحت الخلقِ، نسألُ اللهُ العافية، وكُلُّ هذا مستحيلٌ.

وأمَّا الفِطْرَةُ: فكلُّ إنسانٍ مفطورٌ على أن الله في السَّماءِ؛ يعني: الذي لم يدرس كلامَ المتكلِّمين والمناطقَةِ لا يطرأ على باله أبدًا أن الله تعالى ليس فوق السَّمَاوَاتِ.

لو تأتي إلى العجوزِ التي لم تقرأ أبدًا، وتقول: أين اللهُ؟ لقلت: في السَّماءِ، ثُمَّ إنَّ كُلَّ إنسانٍ يدعو اللهُ عزَّ وجلَّ فإنَّه يجد من نفسه ضرورةً بطلبِ العلوِّ، فأنت عندما تريد أن تدعوَ اللهُ ترفعُ يديك، هل توجَّهُها يمينًا أو يسارًا أو أسفل؟ الجوابُ: لا، لكنك تُوجَّهُها إلى فوق، فطرة تغلبك على أن تتَّجَّهَ إلى السَّماءِ؛ ولهذا لما كان أبو المعالي الجويني -رحمه اللهُ وعفا عنه- يتكلَّمُ عن الاستواءِ، يريدُ أن يقولَ: إنَّ اللهَ لم يستوِ على العرشِ، قال له أبو العلاء الهمدانيُّ رحمه اللهُ: يا أستاذ، دَعْنَا من ذكرِ العرشِ والاستواءِ على العرشِ، لكن أخبرتنا عن هذه الضرورةِ التي نجدُها في نفوسنا، ما قال عارفٌ قطُّ: (يا اللهُ) إلَّا وَجَدَ من قلبه ضرورةً بطلبِ العلوِّ، فجعل يضربُ على رأسه قائلاً: حيرني، حيرني، حيرني. لأنَّه لا يستطيعُ أن ينفيَ الفِطْرَةَ أبدًا.

فالحاصل: أن من عقيدتنا التي ندينُ اللهَ بها - ونسألُ اللهَ أن يتوفَّانا عليها - أن اللهَ تعالى نفسه في السماءِ فوق كُلِّ شيءٍ، وما السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبْعُ في كَفِّهِ إِلَّا كخردلَةٍ في كَفِّ أَحَدِنَا، وكما هو معلومٌ أن الخردلةَ بالنسبة لليد لا تُساوي شيئاً، فكلُّ المخلوقاتِ ليست بشيءٍ عند الرَّبِّ عزَّ وجلَّ، فله العلوُّ المطلقُ.

وهنا المؤلَّفُ - رحمه الله - ذكر أنَّه العليُّ بذاته، ولم يذكر العلوَّ الآخرَ المتفقَ عليه بين الأُمَّةِ وهو العلوُّ بصفاتِهِ؛ لأنَّه إنَّما يريدُ الرَّدَّ على أهلِ التَّعْطِيلِ؛ ولهذا نقولُ: إنَّ علوَّ الله عزَّ وجلَّ نوعان: علوُّ ذاتيُّ، وعلوُّ وصفيُّ، وهو علوُّ الصِّفَةِ، وهذا متفقٌ عليه بين أهلِ المِلَّةِ الإسلاميَّةِ، ولم يجوز أحدٌ منهم أن يُوصَفَ اللهُ تعالى بالنَّقْصِ، ولكن ما ميزانُ النَّقْصِ والكمالِ؟ هذا هو المحطُّ الرَّحْبُ.

أهلُ البدعِ يروُنَ أن الميزانَ هو العقلُ؛ فما اقتضى العقلُ أنَّه كمالٌ أثبتوه، وما اقتضى أنَّه نقصٌ نفوه، وما لا يقتضي هذا ولا هذا فمنهم مَنْ تَوَقَّفَ فيه، ومنهم مَنْ نَفَاهُ، ولكن نقولُ: إنَّ مرجعَ الوصفِ - أي: ما يُوصَفُ اللهُ به من الكمالِ - هو الكتابُ والسُّنَّةُ، والعقلُ يهتدي إلى أنَّ اللهَ تعالى موصوفٌ بالكمالِ على سبيلِ العمومِ، أمَّا على سبيلِ التَّفْصِيلِ فلا.

وحينئذٍ نقولُ: العلوُّ ينقسم إلى قسمين: علوُّ صفةٍ؛ وهو متفقٌ عليه بين فرق الأُمَّةِ، لكن يبقى الخلافُ ما هو العلوُّ في الصِّفَاتِ؟
والثَّاني: علوُّ الذاتِ، وهذا تنكرُّه جميعُ الطوائفِ إِلَّا السَّلَفَ الصَّالِحَ وَمَنْ كان على منهجِهِم.

لَمَّا ذَكَرَ المؤلَّفُ - رحمه الله - العلوَّ، والعلوُّ كما سبق دليلُه سمعيٌّ وعقليٌّ

وفطريُّ ذَكَرَ الاستواءَ فقال:

٣٢٢٥- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى قَدْ قَامَ بِالتَّذْيِيرِ لِلْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» «حَقًّا»: صفةٌ لمحدوفٍ، والتَّذْيِيرُ: (استواءٌ حَقًّا).

قَوْلُهُ: «عَلَى الْعَرْشِ» العرشُ مخلوقٌ عظيمٌ خَلَقَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَبَيَّنَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ عَظَمَتَهُ، وَأَخْبَرَ الرَّسُولُ ﷺ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ بِالنِّسْبَةِ لِلْكَرْسِيِّ كَحَلْقَةِ أُلْقِيَّتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ^(١)، فَحَلْقَةُ الْمَغْفَرِ بِالنِّسْبَةِ لِلْفَلَاةِ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ فَضْلَ الْعَرْشِ عَلَى الْكَرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى هَذِهِ الْحَلْقَةِ، إِذَنْ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَتَصَوَّرَ عَظْمَةَ الْكَرْسِيِّ وَلَا عَظْمَةَ الْعَرْشِ.

ثم هل لنا أن نسأل عن مادة العرش؛ هل هي من خشبٍ، من حديدٍ، من ذهبٍ، من فضةٍ، من زمردٍ... إلخ؟

الجوابُ: ليس لنا أن نسأل عن هذا، بل لو سألنا لدخلنا في قولِ الرَّسُولِ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(٢)؛ لِأَنَّ قَادَتَنَا حَقِيقَةٌ وَهِيَ الصَّحَابَةُ مَا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، وَلَا بَيْنَهُ الرَّسُولُ ﷺ بِدُونِ سَوَالٍ، فَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَسْأَلَ، لَكِنْ نَقُولُ: هُوَ مَخْلُوقٌ عَظِيمٌ لَا يُقَدَّرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْكَرْسِيَّ مَوْضِعُ قَدَمَيْ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ^(٣)، وَأَنَّ الْعَرْشَ لَا يُقَدَّرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-.

(١) أخرجه ابن حبان (٧٧/٢)، رقم (٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

(٣) يعني قوله: «الكرسيُّ موضعُ القدمين، والعرشُ لا يُقدَّرُ قدرُهُ». أخرجه ابن خزيمة في التوحيد

قَوْلُهُ: «أَسْتَوَى»؛ بمعنى: علا وارتفع، وبعضهم أضاف: (أَسْتَقَرَّ) إلى هذا المعنى؛ يعني: قال: إِنَّ اللُّغَةَ تَقْتَضِي بِقَوْلِكَ: (أَسْتَوَى عَلَى كَذَا) العلوَّ والاستقرار، وَذَكَرُوا لهذا أمثلة، منها قولُ الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتِ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ﴾ [المؤمنون: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٣﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ١٢-١٣]؛ يعني: علوتم واستقررتم عليه، وهذا العلوُّ الذي اختصَّ به العرشُ علوُّ خاصٌّ، ليس هو العلوُّ على جميع المخلوقات، بل علوُّ يختصُّ بالعرشِ، ولا يُقَالُ إِلَّا للعرشِ، فلا يجوزُ أن تقولَ: (أَسْتَوَى اللهُ عَلَى الأَرْضِ)، ولا (أَسْتَوَى اللهُ عَلَى السَّمَاءِ).

فإن قال قائلٌ: هو عالٍ على كُلِّ شيءٍ؟ قلنا: نعم، هو عالٍ على كُلِّ شيءٍ، لكن الاستواءُ على العرشِ علوُّ خاصٌّ بالعرشِ؛ رأيتُ لو أن شخصًا فوق السَّطْحِ على الكرسيِّ، فهو عالٍ على السَّطْحِ وعلى مَنْ تحته، لكنّه مستوٍ على الكرسيِّ خاصَّةً، فالاستواءُ خاصٌّ بالعرشِ كاستواءِ الإنسانِ على الكرسيِّ فوق السَّطْحِ، فهو عالٍ على الكرسيِّ وعلى مَنْ تحته، لكنَّ الاستواءَ خاصٌّ بالكرسيِّ؛ إذنَّ علوُّه على العرشِ أو استواؤه على العرشِ علوُّ خاصٌّ، وليس هو العلوُّ الشَّامِلُ لكُلِّ المخلوقاتِ.

وهذا دليله سمعيٌّ، لا مجال للعقلِ فيه، ولا للفترة؛ لأنَّ العقلَ لا يدري هل خَلَقَ اللهُ عرشًا أم لا؟ ولا يدري هل استوى عليه لَمَّا خَلَقَهُ أم لا؟ وكذلك الفترة.

بَقِيَ عندنا الدَّلِيلُ السَّمْعِيُّ، وقد ذكره اللهُ عزَّ وجلَّ في القرآنِ الكريمِ في سبعةِ مواضعٍ: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، أو ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]... ويكفي في إثباته والإيمانِ به والجزمِ به موضعٌ واحدٌ، فكيف وهو في سبعةِ مواضعٍ من كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ؟! وما جاء في القرآنِ فَالسُّنَّةُ مثبتةٌ له، كيف ذلك؟

لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ يقرأ القرآن ويؤمنُ بما فيه ويقرُّه بلا شك، وما جاء في القرآن فالصَّحابةُ مُجمعون عليه؛ لأنَّه لم يردُّ أبدًا عن الصَّحابةِ ولا حرفٌ واحدٌ أنَّهم قالوا: إنَّ اللهَ لم يستوِ على العرشِ، وحينئذٍ يمكنُ أن نقولَ: استواءُ الله على العرشِ بالقرآنِ والسُّنَّةِ وإجماعِ الصَّحابةِ.

ووجهُ كونه ثابتًا في السُّنَّةِ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يقرؤه مؤمنًا به مقرِّرًا له، ولم يأتِ عنه حرفٌ واحدٌ بنفيه ولا بتحريفه، إذنَّ مذهبُ السَّلفِ وأهلِ السُّنَّةِ الإيَّانُ بأنَّ اللهَ قد استوى على عرشه، ولكن لا يعلمون كيف استوى؟ إذنَّ يعلمون أنَّه استوى عليه؛ أي: علًا عليه، لكن لا يعلمون كيف استوى، ولا يحاولون أن يعلموا كيف استوى، وليس السُّؤالُ عن كَيْفِيَّةِ الاستواءِ من واجبِ دينهم، ولا من كمالِ دينهم، وما أحسنَ ما قال الإمامُ مالكٌ -رحمه الله- حين سألَهُ رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله، ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] كيف استوى؟ فأطرق مالكٌ -رحمه الله- برأيه حتَّى علاه الرُّحْضَاءُ؛ يعني: العرق، وجعل يتصبَّبُ عرقًا من شدَّةِ وقع السُّؤالِ على قلبه. ومع الأسفِ يمرُّ بنا هذا السُّؤالُ وكأنَّه ماءٌ باردٌ على جسدٍ محموم، لا نحسُّ به، لكن الذين يَقْدُرُونَ اللهُ حَقَّ قدره يعرفون مدى خطورةِ هذا السُّؤالِ، ثُمَّ رَفَعَ رأسه وقال: يا هذا: «الاستواءُ غيرٌ مجهولٍ، والكيفُ غيرٌ معقولٍ، والإيَّانُ به واجبٌ، والسُّؤالُ عنه بدعةٌ، وما أَرَاكَ إِلَّا مبتدعًا»، ثُمَّ أمرَ به فأخرجَ من مسجدِ النَّبِيِّ ﷺ^(١)؛ لأنَّ هذا ساعٍ في الأرضِ فسادًا، وأقلُّ ما يُعَامَلُ السَّاعي في الأرضِ فسادًا أن يُنْفَى من الأرضِ، فنفاه مالكٌ -رحمه الله- من مسجدِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- لئلا يفسدَ الخلقَ.

(١) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات (٥١٥)، عن الإمام مالك بإسناد جوده الحافظ في الفتح (٤٠٧/١٣).

إِذَنْ نَقُولُ: (الاستواء معلومٌ) وهو العلوُّ والاستقرارُ، (والكيفُ مجهولٌ)؛ أي: عقولنا تجهله، ولم يرد في القرآن والسنة ذكره، فيجب علينا أن نعرض عنه، (والإيمان بالاستواء واجبٌ)؛ أي: بالاستواء على الوصف السابق، وهو علمٌ معناه وجهلٌ كيفيته، فالإيمان به واجبٌ، (والسؤال عنه - أي: عن كيفيته - بدعةٌ)، لا تسأل عنه، وإنما كان بدعةً لوجهين:

الوجه الأول: أن الصحابة - وهم أحرص منّا على العلم - لم يسألوا عنه، والنبي ﷺ لم يبيّنه.

الوجه الثاني: أنه من ديدن أهل البدع؛ أي: من دأبهم وشأنهم، فأهل البدع دائماً يسألون عن كيفية الصفات لتعجيز أهل الحق، من أجل أن يقولوا: أنتم لا تعرفون شيئاً.

وقوله: (وما أراك إلا مبتدعاً)، هذه فحاسة من الإمام مالك رحمه الله، حيث استدلل بهذا السؤال على أنه رجلٌ مبتدعٌ، فحكّم على الرجل بظاهر حاله من سؤاله.

إذن هذا مذهبهم، نؤمن بالله عز وجل أنه مستوٍ على عرشه استواءً لا تعلمُ كيفيته.

وهنا مسألة: هل يجوز أن تأخذ العلم عن رجلٍ مبتدعٍ؟

الجواب: هذا فيه تفصيلٌ: إن كان عند الإنسان علمٌ يدفع به ما يدسه هذا المبتدع في تعليمه، هذا شرطٌ، ولم يكن بحضوره إلى حلقات هذا المبتدع فتنةً يفتنُ بذلك الناس، ويقولون: هذا رجلٌ يحضره فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ، فهو على حق، هذا الشرط الثاني.

الثالث: ولم يتعرَّض لتثبيت بدعته في حَلَقَاتِهِ، فهذا لا بأس به، فهذه شروطُ ثلاثة لا بُدَّ منها، وإلا فاجتنبه؛ لأنَّ بعضَ المبتدعةِ ذكيٌّ كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إنَّ هؤلاء المتكلِّمين أوتوا ذكاءً ولم يؤتوا زكاءً»، فهو ذكيٌّ يستطيعُ أن يُدخَلَ عليك البدعةَ من حيث لا تشعرُ، حتَّى إنَّ البُلْقَيْنِيَّ - رحمه الله - قال: إني استخرجتُ شيئاً من تفسيرِ الكشَّافِ للزُّمخشريِّ من اعتزاليَّاته بالمناقشِ، والزُّمخشريِّ إمامُ المفسِّرين في الحقيقةِ فيما يتعلَّقُ باللُّغةِ العربيَّةِ والفصاحةِ، لكنَّه معتزليٌّ، ولذلك لمَّا جاء إلى قولِ الله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ أَلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فقال: أيُّ فوزٍ أعظمُ من النَّجاةِ من النَّارِ ودخولِ الجنَّةِ^(١)؟! فقال: أيُّ فوزٍ أعظمُ؟! الذي يقرأ هذا يقولُ: هذا صحيحٌ، لكنَّه أراد أن ينفِيَ ما هو أعظمُ من هذا وهو رؤيةُ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ رؤيةَ الله أعظمُ عند أهلِ الجنَّةِ من حلولِ سكنى الجنَّةِ، ورُبَّما هذا المبتدعُ الذي تدرِّسُ عنده في اللُّغةِ العربيَّةِ يُمثِّلُ لك بأنَّ المضافَ إليه يقومُ مقامَ المضافِ عند حذفه، ويقولُ: مثالُ ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢].

لو قال قائلٌ: أنا أقولُ: إنَّ اللهَ استوى على عرشه استواءً يليقُ بجلاله هل يكفي هذا؟

الجوابُ: لا يكفي؛ لأنَّنا نقولُ: ما معنى الاستواء عندك؟ أمَّا أن تقول: استوى استواءً يليقُ بجلاله، دون معرفةِ المعنى، فهذا لا يكفي، فحتى الاستيلاء على العرشِ يليقُ بجلاله، الآن لم نفهم هل أنت على طريقةِ السلفِ أو على طريقةِ الخلفِ؟ لا بُدَّ أن تقولَ: (استوى) بمعنى علا علواً يليقُ بجلاله.

(١) الكشاف للزُّمخشريِّ عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأَدْخِلَ أَلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥] (١/٤٤٩).

وقد خَالَفَ في ذلك أهلُ التَّحْرِيفِ والتَّعْطِيلِ الَّذِينَ يَسْمُونُ أَنْفُسَهُمْ أَهْلَ التَّأْوِيلِ تَرْلُفًا وَتَقَرُّبًا إِلَى الْعَامَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ وَصَفُوا أَنْفُسَهُمْ بِحَقِيقَةِ أَمْرِهِمْ - وَهِيَ التَّحْرِيفُ - لَنَفَرَ النَّاسُ عَنْهُمْ، وَلَمْ يَقْبَلُوهُ، لَكِنْ يَقُولُونَ: أَهْلُ التَّأْوِيلِ، وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ أَهْوَنُ بِلَا شَكِّ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ»^(١)، وَنَحْنُ أَهْلُ التَّأْوِيلِ.

المشكلة أَنَّ أَهْلَ التَّأْوِيلِ يُسْمُونُ أَهْلَ السُّنَّةِ أَهْلَ التَّفْوِيزِ، فَهَمَّ يَقُولُونَ: أَهْلُ السُّنَّةِ لَا يَعْرِفُونَ الْمَعَانِي، لَوْ تَسَأَلَهُ مَعْنَى (اسْتَوَى) قَالَ: لَا أُدْرِي، مَعْنَى: (يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا)؟ قَالَ: لَا أُدْرِي، مَعْنَى (الْوَجْه)؟ قَالَ: لَا أُدْرِي، فَيَشْبَهُونَ عَلَى الْعَامَّةِ، يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ جُهَّالٌ لَا يَعْرِفُونَ، وَالْعِلْمُ عِنْدَنَا، الْمَرَادُ بِكَذَا: كَذَا وَكَذَا.

أَهْلُ التَّحْرِيفِ قَالُوا: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يَعْنِي: اسْتَوَى عَلَيْهِ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا بَاطِلٌ مِنْ وَجْهِ: أَوَّلًا: أَنَّهُ مُخَالَفٌ لظَاهِرِ النَّصِّ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ نَزَلَ بِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، وَاللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُفَسَّرَ (اسْتَوَى) بِمَعْنَى (اسْتَوَى) أَبَدًا، فَهُوَ مُخَالَفٌ لظَاهِرِ النَّصِّ.

ثَانِيًا: مُخَالَفٌ لِإِجْمَاعِ السَّلَفِ؛ إِذْ إِنَّ السَّلَفَ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى عَرْشِهِ هُوَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّةُ، لَمْ يَرِدْ عَنْهُ تَحْرِيفٌ فِي ذَلِكَ.

ثَالِثًا: أَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ لَوَازِمٌ بَاطِلَةٌ، مِنْهَا أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ قَبْلَ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِ لِغَيْرِ اللَّهِ، فَحَصَلَتْ مِصَارَعَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْآخِرِ، ثُمَّ اسْتَوَى عَلَيْهِ اللَّهُ

(١) أخرجه أحمد (١/٢٦٩، رقم ٢٤٢٢).

عزَّ وجلَّ، وهذا لازمٌ باطلٌ بلا شكٍّ، مَنْ مَلَكَ العَرْشَ قَبْلَ اللهِ حَتَّى يَسْتَوِيَ اللهُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِ؟! لَا أَحَدًا، ثُمَّ لَوْ قَالَ قَائِلٌ: لَا نَلْتَزِمُ بِذَلِكَ، نَقُولُ: إِذَنْ لِمَنْ مَلَكَ العَرْشَ قَبْلَ اسْتِيلاءِ اللهُ عَلَيْهِ؟ يَعْنِي: لَوْ قَالَ: لَوْ أَلْزَمْتُمُونَا لَا نَلْتَزِمُ، نَقُولُ: إِذَنْ لِمَنْ كَانَ مَلِكُهُ؟ إِذَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ: ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ، فَقَبْلَ ذَلِكَ لِمَنْ؟ وَمِنَ اللّٰوَاظِمِ الباطِلَةِ أَنَّهُ يَلْزِمُ عَلَى كَلَامِهِمْ أَنْ يَصَحَّ قَوْلُ القَائِلِ: إِنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى الأَرْضِ؛ لِأَنَّ المعْنَى (اسْتَوَى) يَشْمَلُ الأَرْضَ وَجَمِيعَ مَلِكِ اللهُ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ معْنَى باطلٍ.

فصار الصواب - وهو الواجبُ اعتقاده - أن استواء الله على العرش؛ يعني: علوه عليه، فإن قال قائلٌ: أليس قد جاء في النظم قولُ القائلِ:

قَدْ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى العِرَاقِ مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ أَوْ دَمٍ مُهْرَاقٍ^(١)

و(اسْتَوَى عَلَى العِرَاقِ) ليس معناه: علا على العراق، بل معناه: استولى عليه؟ فيقال: سبحان الله! كيف يُسْتَدَلُّ بهذه اللُّكْنَةِ عَلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ الفَصْحَى؟! مِنْ قَالَ هَذَا البَيْتَ؟

الجوابُ: غيرُ معروفٍ، وإذا كان غيرَ معروفٍ فكيف يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ أُمَّ اللُّغَاتِ وَلِغَةِ القُرْآنِ؟! ثُمَّ نَقُولُ: يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ (اسْتَوَى عَلَى العِرَاقِ) بِمعْنَى: علا عليه علواً حَسِيًّا؛ يَمْنَعُ هَذَا أَنَّهُ لَا يَمْكُنُ فِي العَقْلِ.

ثالثاً: نَقُولُ: (اسْتَوَى عَلَى العِرَاقِ) اسْتِواءٌ معْنَوِيًّا؛ يَعْنِي: علواً معْنَوِيًّا وَهُوَ الاسْتِواءُ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ (اسْتَوَى عَلَى العِرَاقِ) بِمعْنَاهَا الحَقِيقِيَّةِ، لَكِنَّهُ اسْتِواءٌ معْنَوِيٌّ.

(١) الأزمئة والأمكنة لأبي علي الأصفهاني (١/٣٦).

إِذَنْ اللهُ تَعَالَى مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ - حَقِيقَةً - اسْتَوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ،
والاستواء بمعنى العلوّ والاستقرار كما تفيده اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا الْقُرْآنُ،
قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]؛ يَعْنِي: صَيَّرَنَاهُ
بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ٧٣]، أَي: تَفْهَمُونَ مَعْنَاهُ، وَيَبِينُ أَنَّ الَّذِينَ
فَسَّرُوهُ بِ(اسْتَوَى) ضَالُّونَ، وَأَتَمَّ ارْتَكَبُوا جَنَائِطَيْنِ، فَكُلُّ مَنْ فَسَّرَ النُّصُوصَ بِغَيْرِ
ظَاهِرِهَا فَقَدْ ارْتَكَبَ خَطِيئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ:

الأولى: أَنَّهُ صَرَفَ النُّصُوصَ عَنْ مُرَادِ اللهِ بِهَا، وَهَذَا عُدْوَانٌ سَلْبِيٌّ، وَهَذِهِ
جَنَايَةٌ لِأَشْكَّ.

الثانية: أَنَّهُ أَثْبَتَ لَهَا مَعْنَى غَيْرَ مُرَادٍ، فَقَدْ ضَلَّ وَأَخْطَأَ فِي السَّلْبِ وَالْإِيجَابِ؛
فِي السَّلْبِ حَيْثُ نَفَى ظَاهِرَهَا الْمُرَادَ، وَفِي الْإِيجَابِ حَيْثُ أَثْبَتَ لَهَا مَعْنَى غَيْرَ مُرَادٍ،
وَهَذَا عُدْوَانٌ إِيجَابِيٌّ.

إِذَنْ عَقِيدَتُنَا الَّتِي نَدِينُ اللهُ بِهَا وَنَسْأَلُ اللهُ أَنْ نَمُوتَ عَلَيْهَا أَنَّ اللهُ - جَلَّ
وَعَلَا - اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً اسْتَوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَأَنَّ الاسْتَوَاءَ هُوَ الْعُلُوُّ
وَالاسْتِقْرَارُ، وَالْمَجْهُولُ لَنَا مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْكَيْفِيَّةُ.

وَلَكِنِّي أَقُولُ: إِنَّ الْهُوَى يُعْمِي وَيُصِمُّ، الْإِنْسَانُ إِذَا اعْتَقَدَ الشَّيْءَ وَذَهَبَ
يَسْتَدِلُّ حَاوِلٌ أَنْ يَلْوِيَ أَعْنَاقَ النُّصُوصِ إِلَى مَا يَعْتَقُدُ، وَهَذِهِ وَصْمَةٌ عَارٍ فِي
الْوَاقِعِ، لَيْسَتْ عَلَى الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْعَقَائِدِ فَقَطْ، بَلْ وَحَتَّى الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْفِقْهِ، تَجَدُّ
الْوَاحِدَ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ عَلَى مَذْهَبٍ حَاوِلٌ أَنْ يَلْوِيَ أَعْنَاقَ النُّصُوصِ إِلَى مَذْهَبِهِ،
وَهَذَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - مُحَرَّمٌ؛ لِأَنَّ الْوَاجِبَ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ تَابِعًا لِلنُّصُوصِ وَلَيْسَ
مَتَّبِعًا لَهَا، وَهَذَا قِيلَ: اسْتَدَلَّ ثُمَّ أَحْكَمَ، وَلَا تَحْكَمُ ثُمَّ تَسْتَدَلُّ؛ لِأَنَّكَ إِنْ حَكَمْتَ
أَوَّلًا ثُمَّ اسْتَدَلَلْتَ فَإِنَّكَ رُبَّمَا تَخْطِئُ.

إِذْ نَقُولُ: ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ أي: علا عليه، واستقرَّ عليه علوًّا واستقرارًا يليقُ بجلالِ الله عزَّ وجلَّ.

وأما قوله تعالى في سورة فُصِّلَتْ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١]، وقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، فهاتان الآيتان من علماء السُّنَّةِ مَنْ قَالَ: (إلى) بمعنى (على)، لكن هذا لا يستقيم، ومنهم مَنْ قَالَ: إِنَّهَا عَلَى بَابِهَا وَإِنَّهَا تَفِيدُ الْغَايَةَ، وَهَذَا أَيْضًا لَا يَسْتَقِيمُ؛ لِأَنَّا إِذَا قُلْنَا: (استوى إلى السماء) بمعنى: ارتفع إليها، صار في الأوَّل نازلاً، وهذا لا يستقيم؛ ولهذا كان القولُ الرَّاجِحُ أَنَّ (استوى) بمعنى (قَصَدَ)، وليس هذا من بابِ التَّحْرِيفِ؛ لِأَنَّ تَعَلُّقَ الْمَجْرُورِ الَّذِي بَعْدَهُ يَفِيدُ هَذَا؛ ف(إلى) لِلْغَايَةِ، وَلَيْسَتْ لِلْاِسْتِعْلَاءِ، فَالْعُلَمَاءُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- اِخْتَلَفُوا فِي هَذَا، وَالصَّوَابُ أَنَّهُ بِمَعْنَى (قَصَدَ)؛ يَعْنِي: أَرَادَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- إِرَادَةً تَامَّةً كَامِلَةً لِخَلْقِ السَّمَاءِ وَأَنَّ الْقَصْدَ التَّامَّ اسْتِوَاءٌ فِي الْوَاقِعِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ [الفصص: ١٤]؛ أَي: كَمَّلَ.

فإن قال قائل: هل يلزم من استواء الله على العرشِ أَنَّهُ لو زال العرشُ يُعَدَمُ علوُّ الله عزَّ وجلَّ؟ الجواب: لا؛ لِأَنَّ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ لَا لِحَاجَتِهِ لِلْعَرْشِ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ وَغَيْرَهُ مَحْتَاجٌ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِخِلَافِ اسْتِوَاءِ الْإِنْسَانِ عَلَى السَّرِيرِ أَوْ عَلَى الْبَعِيرِ؛ فَإِنَّهُ إِذَا زَالَ السَّرِيرُ سَقَطَ، وَإِذَا عَثَرَ الْبَعِيرُ سَقَطَ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَحْتَاجٌ لِذَلِكَ، لَكِنْ اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ لَيْسَ اسْتِوَاءً حَاجَةً، وَلَكِنَّهُ اسْتِوَاءٌ كَمَالٍ، فَلِكَمَالِ السُّلْطَانِ وَالْعِظْمَةِ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ الرَّبُّ -جَلَّ وَعَلَا- غَيْرَ مَحْتَاجٍ إِلَى الْعَرْشِ.

وهنا إذا قلنا: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ هل يلزم منه أن يكون العرش محيطاً به، وهذا مستحيلٌ وفسادٌ، ولازمٌ الفسادِ فاسدٌ؟

الجوابُ أن نقول: هذا في حقِّ المخلوقِ، مع أنه في حقِّ المخلوقِ أيضاً قد يكون، فقد تستوي على عتبةٍ صغيرةٍ أقلَّ منك، فإذا صارت ثابتةً يمكنُ أن تجلسَ عليها مُستَقَرًّا، ولو كنت أكبرَ منها، المهمُّ أنَّ هذا لا يلزمُ في حقِّ المخلوقِ، وإذا قُدِّرَ أنه لازمٌ في حقِّ المخلوقِ فليس لازماً في حقِّ الخالقِ؛ لأنَّ اللهَ لا يُقَاسُ بخلقه.

قوله: «قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوَانِ» أشار - رحمه الله - بقوله: (قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوَانِ) بعد ذكرِ استوائه على العرشِ إلى أن هذا من كمالِ عظمتِهِ وسُلْطَانِهِ، أنه استوى على عرشِ المَلِكِ، فيكون هذا من كمالِ العظمةِ والسُّلْطَانِ، وفيه إشارةٌ إلى ردِّ قولِ مَنْ قال: إِنَّ (استوى) بمعنى (استولى وملك وقهر)، فيشيرُ المؤلِّفُ - رحمه الله - إلى أن ملكه وقهره واستيلاءه على جميعِ الأكوانِ، أمَّا الاستواءُ فهو خاصٌّ بالعرشِ.

٣٢٢٦ - حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَحَنَانٍ

قوله: «حَيٌّ»؛ أي: من الحياة؛ يعني: من أسمائه عزَّ وجلَّ (الحَيُّ)، فيجبُ علينا أن نُثبِتَ (الحَيِّ) اسماً من أسمائه، وأن نُثبِتَ صفةَ الحياة له؛ إذ لا يمكنُ حَيٌّ بلا حياةٍ، وحياةٌ لا يُوصَفُ من اتَّصَفَ بها بالحَيِّ لا تمكنُ أيضاً، فهو حَيٌّ ذو حياةٍ كاملةٍ أزلاً وأبداً، وحياته لم يسبقها عدمٌ ولا يلحقها زوالٌ، بخلاف حياتنا، فحياتنا مسبوقةٌ بالعدمِ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً﴾ [الإنسان: ١]، فالإنسانُ قبل أن يكونَ في بطنِ أمِّه ليس بشيءٍ، والنهيةُ العدمُ

كما قال - سبحانه وتعالى -: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٣٦﴾ وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ ﴿﴾ [الرَّحْمَن: ٢٦-٢٧]، لكنَّه ليس عدماً محضاً؛ لأنَّ الرُّوحَ تَبَقِيَ، فالرُّوحُ من الأشياءِ التي خلقها اللهُ للبقاء، فالرُّوحُ تَبَقِيَ، وأمَّا الجسدُ فإمَّا أن يَبْقَى وإمَّا ألا يَبْقَى، فمثلاً أجسادُ الأنبياءِ باقيةٌ لا شكَّ؛ لأنَّ اللهُ حَرَّمَ على الأرضِ أن تَأْكُلَ أجسادَ الأنبياءِ، فهي باقيةٌ، وتُعَادُ يومَ القيامةِ، أمَّا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ لم يزل ولا يزال موجوداً؛ ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ﴿﴾ [الفرقان: ٥٨]، فهو لا يموتُ لكمالِ حياته، وهي أيضاً حياةٌ كاملةٌ الأوصافِ، ليس فيها نقصٌ بوجهٍ من الوجوه؛ فهي كاملةٌ من النَّاحيتين: من ناحية الكمالِ الدَّائِي، ومن ناحية الكمالِ الزَّمَنِيِّ، فحياةُ المخلوقين ناقصةٌ من ناحية الكمالِ الزَّمَنِيِّ ومن ناحية الكمالِ الدَّائِي.

فحياةُ المخلوقين مَسْبُوقَةٌ بَعْدَمٍ وملحوقَةٌ بزوالِ، وهذا نقصٌ زَمَانِيٌّ، أيضاً حياةُ المخلوقِ ليست كاملةً، بل يَلْحَقُهَا النِّقْصُ؛ فيمرض الإنسانُ، ويَجُوعُ، ويعطشُ، ويدخله البردُ، ويؤلمه الحرُّ، بخلاف حياةِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، فهي كاملةٌ.

وقد ذكر اللهُ تعالى (الْحَيِّ الْقَيُّومَ) في ثلاثة مواضع:

١- في آية الكرسي من سورة البقرة، حيث قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿﴾ [البقرة: ٢٥٥].

٢- وفي سورة آل عمران، حيث قال تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿﴾ [آل عمران: ١-٢].

٣- وفي سورة (طه)، حيث قال تعالى: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴿﴾ [طه: ١١١].

وهذان الاسمان جمعاً كُلِّ صفاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الدَّائِيَّةِ والفعليَّةِ؛ لأنَّ (الْحَيِّ) هو مَنْ اتَّصَفَ بالحياةِ، و(الْقَيُّومِ) مَنْ اتَّصَفَ بالْقَيُّوميَّةِ، فهو قائمٌ بنفسه قائمٌ على

غيره، وهذه تضمّنت جميع الصّفات؛ ولهذا كان هذان الاسمان هما الاسم الأعظم الذي إذا دُعِيَ اللهُ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أعطى.

قوله: «مُرِيدٌ»؛ يعني: له الإرادة.

فهو مُرِيدٌ لكلِّ ما في الكون من أفعاله وأفعال عبادِه، فكلُّ ما في الكون فهو مرادُ الله عزَّ وجلَّ بالإرادة الكونيَّة، أفعاله - لا شكَّ - أنَّها صادرةٌ عن إرادة؛ إذ لا أحد يُكْرِهُهُ، ولا أحد يُجْبِرُهُ عزَّ وجلَّ، وأفعال العبادِ أيضًا عن إرادته؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠].

ثمَّ اعلم أنَّ الإرادة نوعان: إرادة كونيَّة، وإرادة شرعيَّة، الإرادة الكونيَّة هي التي بمعنى المشيئة، والإرادة الشرعيَّة هي التي بمعنى المحبَّة، والفرق بينهما من وجهين:

الوجه الأوَّل: أنَّ المراد كونًا لا بُدَّ أن يقع بخلاف المراد شرعًا.

الوجه الثاني: أنَّ المراد كونًا يكون ممَّا يحبه اللهُ وممَّا لا يحبه اللهُ، والمراد شرعًا لا يكون إلا فيما يحبه اللهُ.

وهذا بابٌ مهمٌّ جدًّا، فنطلبُ أوَّلًا الدليلَ على تقسيم الإرادة، الدليلُ في القرآن، قال اللهُ - تبارك وتعالى -: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٧] هذه الإرادة شرعيَّة؛ لأنَّها لو كانت كونيَّةً لتاب اللهُ على جميع النَّاسِ، وقال اللهُ تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٦] وهذه إرادة شرعيَّة، ومنها أيضًا قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وهذه إرادة شرعيَّة.

وأما الإرادة في قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣] فهي إرادة كونية؛ لأن الله لا يريد شرعاً الاقتتال، ولا يريد الكفر، وفي قول الله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦] كونية أيضاً.

بعد أن عرفنا ذلك نقول: الإرادة الشرعية قد يقع المراد فيها وقد لا يقع؛ لأن ما يحبه الله عز وجل قد يقع وقد لا يقع، أليس الله يريد منا أن نكون صالحين؟ الجواب: بلى، ومع ذلك يصلح بعض منا وبعض لا يصلح، إذن هذه الإرادة شرعية، ولا يمكن أن نقول: إن الله يريد الكفر بمعنى الإرادة الشرعية، لا يمكن ذلك؛ لأن الكفر مكروه إلى الله عز وجل.

الإرادة الكونية لا بُدَّ فيها من وقوع المراد؛ لأن الله يقول: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]، ويقول: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١]، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، إذا أراد شيئاً بالإرادة الكونية.

ثانياً: تتعلق أيضاً بما يحب وما لا يحب، فلو قال قائل: هل أراد الله عز وجل الشر أو لا؟ الجواب: بالإرادة الشرعية: لا، وبالإرادة الكونية: نعم؛ لأن كل ما وقع فإنه بإرادته؛ ولهذا نقول: كيف يكون الشر مراداً لله كوناً؟ نقول: نعم؛ لأنه لكمال سلطانه قد يريد الشيء وهو لا يحبه لكن لحكمة بالغة أراد ذلك، مثلاً: هل يريد الله -عز وجل- أن يُعَذَّبَ عباده بالكوراث السماوية والأرضية أو لا يريد؟ الجواب: كوناً يريد، لكنه لا يحب ذلك، إنما هو أراد لمصلحة عظيمة بينها الله تعالى بقوله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الرؤم: ٤١] هذا السبب، والغاية: ﴿يُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرؤم: ٤١]، وهذه غاية حميدة.

وأضربُ لكم مثلاً: رجلٌ عنده ابنٌ يُحِبُّه حُبَّةً شديدةً، فمرضَ الابنُ، وطلب له الطَّيِّبُ، فقرَّرَ الطَّيِّبُ أن يَكْوِيَ هذا الابنَ، وقال: لا بُدَّ أن يَكْوِيَ وإلَّا فما يَشْفَى، فهل الوالدُ يجبُ أن يحترقَ شيءٌ من جسمِ طفلهِ هذا أو لا؟ الجوابُ: لا، لكن إذا ترتَّب عليه الشُّفَاءُ أَحَبَّهُ لغيره، فهو مرادٌ محبوبٌ لغيره، هكذا أيضًا ما يفعله اللهُ عزَّ وجلَّ ممَّا لا يتلاءمُ وطبيعةِ البشرِ، إنَّما يفعله -تبارك وتعالى- لحكمةٍ بالغةٍ، وكم من إنسانٍ اهتدى لمصيبةٍ حصلت له، أو لمرضٍ حصل له! نُحَدِّثُ عن هذا كثيرًا، أن من الأبناء مَنْ هو زائغٌ بمعنى الكلمة، يقولُ لي أحدُ النَّاسِ: لَمَّا مات أبوه وخرج مع النَّاسِ في جنازته ورجع -سبحان الله!- تاب اللهُ عليه، واهتدى بهذه المصيبةِ، فالمصائبُ قد تكونُ عواقبها حميدةً إلى أبعدِ الحدودِ.

بَقِيَ علينا هل (المريدُ) من أسماءِ الله؟ أو (المريدُ) ممَّا يُحْبَرُ به عن الله؟ الجوابُ: الثاني؛ وذلك لأنَّ الإرادةَ تنقسمُ، فأما الأسماءُ فكلُّها حُسْنَى ليس فيها انقسامٌ، وأما الإرادةُ فتنقسمُ إلى إرادةٍ خيرٍ وإرادةٍ شرٍّ، ولأنَّ أسماءَ الله وَصَفَهَا اللهُ تعالى بأتمِّها حُسْنَى في ثلاثة مواضعٍ من القرآن: في سورة الأعراف، وفي سورة (طه)، وفي سورة الحشر، فقال جلَّ وعلا في سورة الأعراف: ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال في سورة (طه): ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [طه: ٨]، وقال في سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [الحشر: ٢٢]، إلى أن قال: ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الحشر: ٢٤]، ولا يمكنُ أن يكونَ في أسمائه احتمالُ النَّقصِ بأيِّ وجهٍ؛ ولذلك لم يكن (المريدُ) من أسمائه، لكن من صفاته، والصفةُ أوسعُ من الاسمِ، الصِّفَةُ يُحْبَرُ اللهُ بها عن الله ولكن لا يُسَمَّى بمدلولها مريدًا.

قَوْلُهُ: «قَادِرٌ» هذا اسمٌ من أسماءِ الله، والقدرةُ هي فعلُ الفعلِ، أو هي وصفٌ يقومُ بالفاعلِ بلا عجزٍ، وقد وَصَفَ اللهُ نفسه بأنه قادرٌ، وبأنه قديرٌ، وبأنه مقتدرٌ،

وكُلُّ هذا يعودُ إلى معنَى واحدٍ، وهو فعلُ الفعلِ بلا عجزٍ، قال اللهُ -تبارك وتعالى-: ﴿وَمَا كَانَتْ أَلِلَّةٌ لِيُعْجِزَهُ، مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، والعجزُ قد يكونُ للجهلِ، لو قلتُ لواحدٍ لا يعرفُ الهندسةَ: أصلح لي المسجَلُ، وهو قادرٌ لكنَّه لا يعلمُ، هل يمكنُ أن يفعلَ؟ الجوابُ: لا يمكنُ، ولو قلتُ لمهندسٍ لكنَّه أشلُّ: أصلح لي المسجَلُ؟ هل يمكنُ أن يفعلَ؟ الجوابُ: لا؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فلعلمه وقدرته لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، سبحانه وتعالى!

وهل في القرآنِ ما يدلُّ على أنَّ اللهَ قادرٌ على كُلِّ شَيْءٍ؟ الجوابُ: نعم، في آياتٍ كثيرةٍ، قال اللهُ تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، فكلُّ شَيْءٍ فاللهُ قادرٌ عليه، إعداداً للموجودِ وإيجاداً للمعدومِ، ولا تُسْتَسْتَنُّ.

لو قال قائلٌ: إنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- قال للرجلِ الذي يكونُ آخرَ أهلِ الجنةِ دخولاً: «وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»^(١)، وقال اللهُ تعالى في القرآنِ: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]، أفلا يدلُّ هذا على أنَّ القدرةَ مقرونةٌ بالمشيئةِ؟ يعني: أنَّه قادرٌ على ما يشاءُ، وما لا يشاءُ ليس قادراً عليه؟

الجوابُ: لا، لكن نقولُ: المشيئةُ عائدةٌ إلى الفعلِ لا إلى القدرةِ؛ ولذا قال: ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٩]؛ أي: إذا يشاءُ جمعهم ﴿قَدِيرٌ﴾ لا يمتنعُ عليه، فالقيدُ هنا للجمعِ، إذا شاء اللهُ جمعهم وإذا شاء لم يجمعهم، وليس عائداً على القدرةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٢٠٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجاً، رقم (١٨٧).

وكذلك في قصة الرجل الذي قال الله له: «وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»، يعني: إنِّي قد شئتُ وأنا قادرٌ عليه، وإلا فالقدرةُ عامَّةٌ في كُلِّ شيءٍ، وبهذا نعرفُ خطأ مَنْ يَختُمون كلامهم أحياناً فيقولون: (إنَّه على ما يشاءُ قديرٌ)؛ لأنَّ مفهومه خطرٌ من جهة العقيدة؛ ففي قولهم: (عَلَى مَا يَشَاءُ) قدَّم المَعْمُولَ فاقترض الحصرَ، وأنَّه ليس قادراً إلا على ما يشاءُ، وهذا غلطٌ، بل نقولُ: هو على كُلِّ شيءٍ قديرٌ كما قال الله عزَّ وجلَّ، ونقولُ لمن قال: (إنَّه على ما يشاءُ قديرٌ): لا تستعملُ هذه العبارةَ.

فإذا قال قائلٌ: يجبُ علينا أن نُؤمنَ بالقدرة، وبإيماننا بها نحترزُ من الذُّنوبِ؛ لأنَّنا نعلمُ أنَّ اللهَ قادرٌ على عقوبتنا، لو قال قائلٌ: يونسُ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- قال اللهُ تعالى فيه: ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْتَضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، هل يمكنُ أن يظنَّ أحدُ الأنبياءِ والرُّسُلِ الكرامِ أنَّ اللهَ لا يقدرُ عليه؟ الجوابُ: لا يمكنُ، لكن نقولُ: القدرةُ هنا بمعنى التَّضْيِيقِ؛ كقوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى: ١٢]، وكقوله: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧]؛ يعني: ضَيِّقُ ﴿فَلْيَبْغُ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧]؛ يعني: ظنُّ أنَّ اللهَ يعفو عنه ولا يُضَيِّقُ عليه، ولم يظنَّ أنَّ اللهَ لا يستطيعُ أن يُدرِّكه.

فإذا قال قائلٌ: أليس الرِّسُولُ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- قالَ: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبُنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا، فَلَمَّا مَاتَ فَعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكَ مِنْهُ. فَفَعَلْتَ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَارَبِّ حَشِيَّتِكَ. فَعَفَّرَ لَهُ»^(١) نقولُ: هذا

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٧٩)، ومسلم: كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى، رقم (٢٧٥٦).

الرَّجُلُ متَأَوِّلٌ، وإلَّا فلا شكَّ أَنَّهُ يعلمُ أَنَّ اللهَ قادرٌ على أن يعاقبه، لكنَّه تأوَّل فأخطأ، فغَفَرَ اللهُ له.

قَوْلُهُ: «مُتَكَلِّمٌ» هذا وصفٌ، وليس باسمٍ؛ لأنَّ الكلامَ ينقسمُ إلى لغويٍّ، وإثمٍ، وخيرٍ، واللهُ عزَّ وجلَّ لا يتكلَّمُ إلَّا بالخيرِ، ولذلك نقولُ: هو وصفٌ، وليس باسمٍ.

وَقَوْلُهُ: «مُتَكَلِّمٌ» هذا أيضًا من الصِّفَات التي خاض فيها النَّاسُ خَوْضًا عظيمًا، فأين الدَّلِيلُ على أَنَّ اللهَ متكلِّمٌ؟ الدَّلِيلُ في القرآنِ الكريمِ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، فأكَّدَ الفعلَ بالمصدرِ؛ ولهذا يُسمَّى النُّحَاةُ ﴿تَكْلِيمًا﴾ مصدرًا مؤكِّدًا، وقال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هذا الكلامُ الذي وقع من الله عزَّ وجلَّ هل وقع بصوتٍ يُسمَعُ وحرفٍ مرتَّبٍ أو لا؟ الجوابُ: نعم، وقع هكذا بصوتٍ يُسمَعُ، وحروفٍ مرتَّبةٍ، قال اللهُ -تبارك وتعالى-: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾؛ أي: البعيدِ، ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] جعل اللهُ عزَّ وجلَّ يُناجيه، وقربَه. فوصفَ كلامَه -تبارك وتعالى- بأمرين: نداءً، ومناجاةً، وهذا وصفٌ للصَّوتِ، أمَّا الحرفُ فكلُّ ما كلَّمَه اللهُ به فهو حروفٌ مرتَّبةٌ بعد بعضٍ.

هذا كلامُ اللهِ عزَّ وجلَّ ونحنُ نؤمنُ به، ونؤمنُ بأنَّ ربَّنَا عزَّ وجلَّ يتكلَّمُ متى شاءَ زمانًا، وبما شاءَ؛ أي: في أيِّ موضوعٍ يُريدهُ، وكيفَ شاءَ؛ أي: على أيِّ كَيْفِيَّةٍ؛ إنَّ شاءَ مناداةً وإنَّ شاءَ مناجاةً، نؤمنُ بهذا، وهو عقيدتنا التي نرجو اللهُ أنْ نموتَ عليها وألَّا يزيغنا عنها، وهل وَصَفُ اللهُ بهذا الوصفِ يُعْتَبَرُ نقصًا في حقِّه؟ الجوابُ: لا، واللهُ هو كمالٌ؛ لأنَّ ضدَّ الكلامِ هو الخرسُ، والخرسُ نقصٌ، فالكلامُ كمالٌ.

والنَّاسُ اختلفوا في كلامِ الله على سبعةِ أقوالٍ أو ثمانيةِ ذكرها في (مختصر الصَّواعقِ المرسلَةِ)، لكنَّ المشتهرُ منها ثلاثةٌ:

الأوَّلُ: مذهبُ السَّلفِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ أنَّ اللهَ تعالى يتكلَّمُ كلامًا حقيقيًّا مسموعًا بالأذانِ، وبأبيِّ صوتٍ شاء، وبأبيِّ لغةٍ شاء، ومتى شاء.

الثَّاني: مذهبُ الجهميَّةِ، يقولون: إنَّ كلامَ الله حقٌّ، لكنَّهُ ليس من أوصافِهِ، بل هو من أفعاليهِ، فهو مخلوقٌ من المخلوقاتِ، فكما خَلَقَ الشَّمْسَ والقمرَ والنُّجُومَ والأرضَ والسَّماءَ خَلَقَ الكلامَ، واللهُ تعالى على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، فالجوُّ يخلُقُ اللهُ فيه كلامًا يسمعه مَنْ يكلمُهُ اللهُ، ولا تستغرب، الآن يقولون: إنَّ الجوّ مملوءٌ من أصواتِ النَّاسِ، حتَّى حدَّثنا شيخنا عبدُ الرحمن بنِ سعدي -رحمه اللهُ، المتوفى عام (١٣٧٦هـ)- أنَّهم الآن يُحاولون أن يَرِجِعوا كلامَ النَّاسِ المخزونِ في الجوّ حتَّى يُسْمَعَ؛ ويعني هذا: أنَّه يمكنُ أن نسمعَ كلامَ الرِّسُولِ ﷺ بين أصحابِهِ، ولا تَسْتَغْرِبُ، فالآن الاتِّصالاتُ بَيَّنَّتْ لنا أشياءَ عظيمةً في هذا الكونِ، وفي أنَّ بين السَّمَاوَاتِ والأرضِ أشياءَ عجيبةً عجيبةً اقتضت أن يجعلَ اللهُ ما بين السَّمَاوَاتِ والأرضِ قسيًّا للسَّمَاوَاتِ والأرضِ ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ [الفرقان: ٥٩].

فالمهمُّ أنَّ هؤلاء الجهميَّةِ يقولون: كلامُ الله مخلوقٌ كسائرِ المخلوقاتِ، خَلَقَ اللهُ في هذا الجوّ أصواتًا، ونسبها إليه تشريفًا وتكريمًا، أمَّا هو نفسه فلا يتكلَّمُ.

الثَّالثُ: مذهبُ الأشاعرةِ الذي عليه كثيرٌ من النَّاسِ، ولا سيَّما المتكلِّمون في أصولِ الفقه حتَّى مَن هو على مذهبِ أهلِ السُّنَّةِ يخطئون في هذا خطأً عظيمًا، يقولون: إنَّ اللهَ تعالى يتكلَّمُ، وكلامُهُ من صفاتِهِ، لكنَّهُ لا يتكلَّمُ بصوتٍ ولا يتكلَّمُ

بحرف، كلامه هو المعنى القائم بنفسه، فهو شيء في نفسه، ثم يخلق عز وجل أصواتاً مسموعةً وحروفاً مرتبةً تدلُّ على ما في نفسه.

وحقيقة الأمر أنهم نفوا الكلام كما قال بعض المحققين المنصفين منهم، قال: «إنه ليس بيننا وبين الجهمية فرق، فكنا متفقون على أن ما في المصحف ليس كلام الله، لكن نحن نقول: إنه مخلوق، وأنتم تقولون: إنه عبارة عن كلام الله، وليس كلام الله».

هذان مذهبان، ولا شك في بطلانها؛ لأن الله يقول: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، ولما حَرَفَ بعضهم هذه الآية وقال: إن صوابها (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا)، قال ذلك حتى ينقلب المعنى، فيكون المتكلم موسى، فقال له بعض علماء السلف: وماذا تقول في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؟ فَبَهَتَ الرَّجُلُ، وما استطاع أن يجيب؛ لأنه لا أحد يدعي أن الهاء في (كَلَّمَهُ) فاعلٌ، لا يمكن أن يقول ذلك أحدٌ.

فالحاصل أن هؤلاء حَرَفُوا، وإذا سَأَلْتَهُمْ: ما معنى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ [النساء: ١٦٤]؟ قالوا: الكَلْمُ في اللُّغَةِ: الجرح.

واقراً قول النبي ﷺ: «لَا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ - إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَعَبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيْحُ رِيْحُ مَسْكٍ»^(١)، ومعنى «يُكَلِّمُ»: يُجْرِحُ، قال: وأما قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ فاستعارة، فـ(كَلَّمَهُ)؛ أي: جَرَّحَهُ بمخالب الحكمة، سبحان الله! ما معنى جَرَّحَهُ؟ معقولٌ هذا؟ لكن نسأل الله لنا ولكم الهداية، ومن أزاغ الله قلبه رأى الباطل حقاً.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الذبائح والصيد، باب المسك، رقم (٥٥٣٣).

فنقول: إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ موسى، وكَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ، وكَلَّمَ آدمَ، ويُكَلِّمُ مَنْ شاءَ، هذه عقيدتنا في كلامِ الله عزَّ وجلَّ؛ ولذلك قال المؤلفُ: (مُتَكَلِّمٌ).

وهل الكلامُ يتعلَّقُ بمشيئته؟ نقولُ: أمَّا على مذهبِ الجهميَّةِ والمعتزلةِ وأهلِ السُّنَّةِ فإنه يتعلَّقُ بمشيئته، وأمَّا على مذهبِ الأشعريَّةِ فلا يتعلَّقُ بمشيئته؛ لأنَّه معنى قائمٌ بنفسه كقيامِ العلمِ بها، لا يتعلَّقُ بمشيئته.

قَوْلُهُ: «ذُو رَحْمَةٍ»؛ يعني: صاحبِ رحمةٍ، وواضحٌ أنَّ هذا وصفٌ، ورحمةُ الله عزَّ وجلَّ نوعان: عامَّةٌ، وخاصَّةٌ، فبالعامَّةِ رَحِمَ جميعَ الخلقِ حتَّى الكُفَّارَ والفُسَّاقَ والفُجَّارَ، رَحِمَهُمُ اللهُ برحمتهِ العامَّةِ، والخاصَّةِ رَحِمَ بها المؤمنينَ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

قَوْلُهُ: «وإِرَادَةٌ» سبقت الإِرادَةُ في قوله: (مُرِيدٌ).

قَوْلُهُ: «وَحَنَانٌ» الحنانُ هو العطفُ والرَّأفَةُ والإِشْفَاقُ، فهو -جلَّ وعلا- ذو حنانٍ، ولكن هل يُوصَفُ بأنَّه (حَنَّانٌ)؟ هذا لم يثبت عن النَّبِيِّ ﷺ، وأمَّا ما نسمعُه في دعاءِ بعضِ النَّاسِ: (يا حَنَّانُ، يا مَنَّانُ) فلا أصلٌ له، أمَّا (مَنَّانٌ) فثَبَّتَ^(١) لا شكَّ فيها.

٣٢٢٧- هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرٌ هُوَ بَاطِنٌ هِيَ أَرْبَعُ بِوزَانٍ

وهذه مذكورةٌ في قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، وهذا من أسماءِ الله عزَّ وجلَّ المزدوجة، الاسمان الأوَّلانِ

(١) كما في حديث أنس بن مالك، قال: مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِأبي عِيَّاشِ بْنِ زَيْدِ بْنِ صَامِتِ الزُّرَقِيِّ وَهُوَ يُصَلِّي، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، يَا مَنَّانُ، يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ». أخرجه أحمد (٣/ ٢٦٥)، رقم (١٣٨٣٤).

أحاطا بالزَّمانِ، والاسهانِ الآخِرانِ أحاطا بالمكانِ، فهو -سبحانه وتعالى- محيطٌ بكلِّ شيءٍ زمنًا وبكلِّ شيءٍ مكانًا، و(الأوَّل) ضدُّه (الآخِرُ)، و(الظَّاهِرُ) ضدُّه (الباطِنُ)، وقرأ لتفسيرها، قال:

٣٢٢٨- مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ كَذَا وَمَا بَعْدَهُ شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ»، هذا تفسيرٌ لـ(الأوَّل)، فالأوَّل ليس قبله شيءٌ.

قَوْلُهُ: «كَذَا مَا بَعْدَهُ شَيْءٌ»، وهذا تفسيرٌ لـ(الآخِر).

قَوْلُهُ: «تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ» (تَعَالَى اللَّهُ)؛ أي: تَرَفَّعَ عن كُلِّ نقصٍ، و(تَعَالَى) قد تكونُ أبلغَ من (عَلَا)؛ لأنَّ التَّعَالَى تَرَفُّعٌ، فهو -سبحانه وتعالى- متعالٍ عن كُلِّ نقصٍ.

٣٢٢٩- مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا دُونَهُ شَيْءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ» هذا تفسيرٌ لـ(الظَّاهِر).

قَوْلُهُ: «كَذَا مَا دُونَهُ شَيْءٌ» ما معنى ما دونه شيء؟ أي: إِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لا يحولُ بينه وبين سلطانه وعلمه وقدرته وبصره وسمعه شيءٌ، فكلُّ شيءٍ عنده معلومٌ مرئيٌّ مبصَّرٌ مُحاطٌ به من كُلِّ ناحيةٍ.

يقول النَّاسُ: (أنا ما أقطع دونك شيئاً)، (دونك)؛ أي: دون علمك وأمرِك وما أشبه ذلك، وليس معنى (ما دونه) في الصَّغَرِ كما يقول بعضُ أهلِ التَّحْرِيفِ، (ما دونه)؛ أي أَنَّهُ لا يَرى؛ لأنَّهُ لطيفٌ حَفِيٌّ، أَعُوذُ بِاللَّهِ، فهذا لم يُرِدْهُ الرَّسُولُ، ولا يمكنُ أن يُرادَ، إذا كانت السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ في كَفِّ الرَّحْمَنِ كخردليةٍ، فكيف يُقالُ: إِنَّهُ لا يَرى؟! نسألُ الله العافية.

إِذْنُ هُوَ الْبَاطِنُ (لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ)؛ أَي: إِنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وَلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَيْسَ مَعْنَى الْبَاطِنِ الْخَفِيِّ؛ لِأَنَّ الْخَفَاءَ يُضَادُّهُ الظُّهُورُ، فَهُوَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَيْنُ الْأَشْيَاءِ، وَأَوْضَحُ الْأَشْيَاءِ، كَيْفَ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ، لَكِنْ مَعْنَى الْبَاطِنِ أَنَّهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، فَلَيْسَ دُونَهُ؛ أَي: لَيْسَ دُونَ عِلْمِهِ، وَلَا قُدْرَتِهِ، وَلَا سُلْطَانِهِ، وَلَا سَمْعِهِ، وَلَا بَصَرِهِ، وَلَا جَمِيعَ صِفَاتِهِ، لَيْسَ دُونَهُ شَيْءٌ.

قَوْلُهُ: «وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ»؛ يَعْنِي: الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

٣٢٣٠- فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدَبُّرٍ وَتَبَصُّرٍ وَتَعَقُّلٍ لِمَعَانٍ

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ»؛ أَي: تَفْسِيرِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ فَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِنَفْسِهِ، وَهُوَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِكَلَامِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١)، هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الَّذِي لَا يُمْكِنُ سِوَاهُ؛ لِأَنَّهُ (تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ) كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَوْلُهُ: «بِتَدَبُّرٍ»، وَهَذَا مَحَلُّهُ الْقَلْبُ.

قَوْلُهُ: «وَتَبَصُّرٍ وَتَعَقُّلٍ لِمَعَانٍ»، هَذَا مَحَلُّهُ الْعَقْلُ.

يَعْنِي: انظُرْ بِعَيْنِ الْبَصِيرَةِ مُتَدَبِّرًا مُتَعَقِّلًا لِلْمَعَانِي حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ عِظَمُ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْأَرْبَعَةِ، فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ تَجِدُ أَنَّهُ أَعْظَمُ التَّفَاسِيرِ وَأَبْيَنُهَا وَأَوْضَحُهَا؛ وَهَذَا يَقُولُ:

٣٢٣١- وَأَنْظُرْ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعٍ مَعْرِفَةٍ لِحَالِقِنَا الْعَظِيمِ الشَّانِ

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ، بَابُ مَا يَقُولُ عِنْدَ النَّوْمِ وَأَخَذَ الْمُضْجَعُ، رَقْمُ (٢٧١٣).

فإن هذه الأسماء الأربعة تتضمن الإحاطة العامة زماناً ومكاناً، زماناً في (الأول) و(الآخر)، ومكاناً في (الظاهر) و(الباطن).

- ٣٢٣٢ - وَهُوَ الْعَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ وَإِلَيْهِ فَثَابِتَةٌ بِإِلَانُكَرَانِ
 ٣٢٣٣ - وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
 ٣٢٣٤ - وَهُوَ الْجَلِيلُ فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَالِ لِي لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِإِلَابُطْلَانِ
 ٣٢٣٥ - وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجَمَالٍ سَائِرٍ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 ٣٢٣٦ - مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ فَرُبُّهَا أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي (١) الْعِرْفَانِ
 ٣٢٣٧ - فَجَمَّالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْبُرْهَانِ
 ٣٢٣٨ - لَا شَيْءٌ يُشْبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
 ٣٢٣٩ - وَهُوَ الْمَجِيدُ صِفَاتُهُ أَوْصَافُ تَعْظِيمِهِ فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنِ

الشرح

- ٣٢٣٢ - وَهُوَ الْعَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ وَإِلَيْهِ فَثَابِتَةٌ بِإِلَانُكَرَانِ
 قَوْلُهُ: «الْعَلِيُّ» سبق لنا أنه عزَّ وجلَّ عليٌّ، وذكرنا الأدلة على هذا مثل قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وذكرنا أدلة العلو الخمسة.

قَوْلُهُ: «فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ لَهُ فَثَابِتَةٌ بِإِلَّا نُكْرَانٍ» كُلُّ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ ثَابِتَةٌ لَهُ بِإِلَّا نُكْرَانٍ، وَذَكَرْنَا فِيهَا سَبَقَ عُلُوَّ الذَّاتِ وَعُلُوَّ الصِّفَةِ، وَهَذَا التَّقْسِيمُ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْعُلُوِّ، لَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: إِنَّ لَهُ عُلُوَّ الذَّاتِ، وَعُلُوَّ الْقَدْرِ، وَعُلُوَّ الْقَهْرِ، فَعُلُوُّ الذَّاتِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ بَدَايَةٌ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ قَاهِرٌ لِكُلِّ شَيْءٍ غَالِبٌ لَهُ، وَعُلُوُّ الْقَدْرِ؛ يَعْنِي: أَنَّ قَدْرَهُ فَوْقَ كُلِّ قَدْرٍ، لَا يَنَالُهُ أَحَدٌ فِي قَدْرِهِ، لَكِنْ مَا ذَكَرْنَاهُ أَوْلَى؛ لِأَنَّهُ أَشْمَلٌ وَأَعَمُّ أَنَّ لَهُ عُلُوَّ الذَّاتِ وَعُلُوَّ الصِّفَاتِ، وَهَذَا أَخْصَرُ، فَيَشْمَلُ جَمِيعَ الصِّفَاتِ، فَهُوَ عَالٍ فِي سَمْعِهِ، عَالٍ فِي بَصَرِهِ، عَالٍ فِي جَمِيعِ صِفَاتِهِ.

٣٢٣٣- وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّعْظِيمَ لَا يُخْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى»، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ عَظِيمٌ فِي ذَاتِهِ، عَظِيمٌ فِي صِفَاتِهِ، عَظِيمٌ فِي أَعْمَالِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿[الحجر: ٤٩-٥٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨].

ف«العظيم» من أسماء الله، وقد تكرر في القرآن الكريم كثيراً، ويجمع الله بينه وبين «العلي»؛ لما في العلو من الكمال الذاتي والوصفي، ولما في «العظيم» من العظمة، فكل أوصاف التعظيم فهي ثابتة لله عز وجل، والعظمة تكون لله وتكون لغيره، لكن العظمة لله لا يشبهها شيء، قال الله تعالى عن الهدهد: ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ [النمل: ٢٢]، وقال عن عرش بلقيس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]، وقال عن العرش: ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [المؤمنون: ٨٦]، فهذا العظم يكون لله ولغيره، لكن العظمة الخاصة بالله عظمة لا تساويها عظمة.

فهو عظيمٌ بكُلِّ معنى يُوجِبُ التَّعْظِيمَ، هذا العِظَمُ يوجبُ للإنسانِ شَيْئَيْنِ: الاجتهادَ في الطَّلَبِ، والاجتهادَ في الهربِ، كيف ذلك؟ الاجتهادُ في الطَّلَبِ أَنَّ الإنسانَ لِعِظَمِ رَبِّهِ يلجأُ إليه ويحبُّه عزَّ وجلَّ، ويعلمُ أَنَّهُ لا أحدَ أعظمُ منه، وفي الهربِ يخافُ منه؛ لأنَّه عظيمٌ فيتجنَّبُ مخالفتَه سبحانه وتعالى، ويتعدى عن مخالفتِه؛ لأنَّه أعظمُ من كُلِّ شيءٍ؛ ولهذا قال: «بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّعْظِيمَ»، فكلُّ معنى يوجبُ التَّعْظِيمَ فاللهُ - سبحانه وتعالى - مُتَّصِفٌ به.

قَوْلُهُ: «لَا يُخْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ»؛ يعني: لا أحدٌ يُخْصِي تعظيمَ الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّه شاملٌ عامٌّ.

٣٢٣٤- وَهُوَ الْجَلِيلُ فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَالِ لِي لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلا بَطْلَانِ

قَوْلُهُ: «الْجَلِيلُ»؛ يعني: المُعْظَمُ؛ ولهذا يقولُ النَّاسُ: فلانٌ أجَلُّه؛ يعني: أعظمُه، فالجلالُ بمعنى التَّعْظِيمِ، ولكن هل من أسماءِ الله «الجليل»؟

بحثت فلم أجد شيئاً^(١)، ولكن فوق كُلِّ ذي علمٍ عليمٌ، إنما الذي جاء في القرآنِ والسُّنَّةِ هو ذو الجلالِ، قال اللهُ تعالى: ﴿رَبِّعَى وَجَهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿بِزَكَرَاتِكُمْ رَبُّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٨]، وهنا نسألُ: لماذا قال في الأولى: ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾، وفي الثانية: ﴿ذِي الْجَلَالِ﴾؟ الجوابُ: أنَّ ﴿ذُو﴾ الأولى صفةٌ للوجهِ، و﴿ذِي﴾ الثانية صفةٌ للرَّبِّ وليس للاسمِ.

وهل يجوزُ أن نقولَ: «جَلَّ فلانٌ» أو «تَقَدَّسَ فلانٌ»؟ الجوابُ: أمَّا «جَلَّ فلانٌ» فيصحُّ؛ لأنَّ «جَلَّ»؛ أي: صارَ ذا جلالَةٍ، فهذا ممكنٌ، فتقولُ: «فلانٌ جليلٌ»، فهذا يُوصَفُ به غيرُ الخالقِ.

(١) انظر: القاعدة السادسة من قواعد الأسماء من كتاب القواعد المثلى للشَّارح رحمه الله.

أَمَّا «تَقَدَّسَ فلانٌ» فلا يصحُّ؛ لأنَّ «تَقَدَّسَ» ما يُوصَفُ بها إِلَّا اللهُ؛ ولأنَّ التَّقَدُّسَ معناه التَّطَهُّرُ من كُلِّ عيبٍ، وهذا لا يليقُ إِلَّا باللهِ.

إِذْنٌ هو - سبحانه وتعالى - ذو الجلال؛ أي: المستحقُّ للتَّعْظِيمِ غاية التَّعْظِيمِ، والجلالُ هو كمالُ السُّلْطَانِ، فالجلالُ كُلُّهُ ثابتٌ لله عزَّ وجلَّ، وإذا آمنتَ بذلك لَزِمَكَ أن تخشى اللهَ وتخافه؛ لأنَّه جليلٌ.

و﴿وَالْإِكْرَامُ﴾ له معنيان: إكرامُ الطَّائِعِينَ من عبادِهِ، وإكرامُ عبادِهِ له، فهو ذو كرمٍ على عبادِهِ، وعبادُهُ مكرمون له عزَّ وجلَّ، قال اللهُ تعالى: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦] يكرمُهُم اللهُ، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينًا﴾ [الانفطار: ١٠-١١]، وهو - سبحانه وتعالى - مكرمٌ لمن يستحقُّ الإكرامَ من عبادِهِ، فكلُّ أوصافِ الجلالِ له محقَّةٌ بلا بطلانٍ.

٣٢٣٥- وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجَمَالَ سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

٣٢٣٦- مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ قَرُبُهَا أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِرْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْجَمِيلُ» الجميلُ من أسماءِ اللهُ، وصفتهُ الجمالُ، لَمَّا تَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ عن الكِبَرِ «قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً» وهذا صحيحٌ، فالصَّحَابَةُ يُحِبُّونَ أَنْ تَكُونَ ثِيَابُهُمْ حَسَنَةً وَنَعَالُهُمْ حَسَنَةً، وَبَعْضُ الزُّهَادِ وَالْمُتَّصِفَةِ يَقُولُ: البس الخياشَ والصُّوفَ، لا تكن ثيابك حَسَنَةً ولا نعلك حَسَنَةً، وأيهما أهدى؟ الجوابُ: الصَّحَابَةُ بلا شكٍّ، قال النَّبِيُّ ﷺ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - جَوَابًا لِسُؤَالِهِمْ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»^(١)؛ يعني: يحبُّ أن يتجَمَّلَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (٩١).

الإنسان، فتجمّلوا بثيابكم ونعالكم وسياراتكم، وكلُّ ما يتّصل بكم، فإنَّ الله جميلٌ يحبُّ الجمال، لكن لا تصلوا إلى حدِّ الإسراف.

إذن «الجميل» من أسماء الله، والجمال وصفٌ محمودٌ مطلوبٌ، كلُّ بيتغي الجمال حتّى في المصنوعات، فكُلُّ يحبُّ أن يكون معه ساعةً جميلةً، قلمٌ جميلٌ، كتابٌ جميلٌ، فالجمال مرادٌ حتّى في المركوبات: الإبل، والبقر، والغنم، فالنّاس يميلون إلى الجميل، حتّى الأشجار بعضها جميلٌ وبعضها غيرٌ جميلٍ.

قوله: «كَيْفَ لَا وَجَمَالَ سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ؟» أي: كيف لا يكون جميلاً، وجمال سائر هذه الأكوان من بعض آثار الجميل؟! كلُّ جمال في الكون فهو من آثار جمال الله عزَّ وجلَّ، لكنّه ليس هو جمال الله، بل هو جمال في مخلوق، لكنّه من آثار الجميل عزَّ وجلَّ.

فهو عزَّ وجلَّ جميلٌ، ولكنَّ جماله ليس كجمال المخلوقين، بل هو أعظمُ، شيءٌ لا يدور بالخيال، ولا يمكن أن يدركه الفكر؛ ولهذا تجد أنعم ما يكون لأهل الجنة أن ينظروا إلى وجه الله عزَّ وجلَّ، هذا يفوق النعيم الذي كانوا فيه، وهم في نعيم، قال الله تعالى عنه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال في الحديث القدسي: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١).

قوله: «فَرُبُّهَا أَوْلَىٰ وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعَرْفَانِ»؛ يعني: معطي الجميل أولى بالجمال، هذا معنى كلام المؤلّف رحمه الله؛ ولذلك لا ترى أهل الجنة - جعلني الله

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

وإياكم منهم- لا ترى عندهم ألدَّ من رؤية الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّهم يَرَوْنَ أَحَبَّ الأشياءِ إليهم وأجمل الأشياءِ وأعظم الأشياءِ، وهل يمكنُ أن يتصوَّرَ الإنسانُ جمالَ الله عزَّ وجلَّ؟ لا يمكنُ أبدًا، ولا يمكنُ أن يحيطَ به؛ لأنَّ الله تعالى يقولُ:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ، عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

يقول شيخنا عبد الرحمن السَّعديُّ رحمه الله: إنَّ المؤلِّفَ -رحمه الله تعالى- جمَعَ بين «الجميل» و«الجليل»؛ لأنَّ «الجميل» يستلزمُ الطَّلَبَ والوصولَ إليه عزَّ وجلَّ، و«الجليل»؛ يعني: المعظَّم، وهذا يستلزمُ الخوفَ منه والهربَ من معاصيه، وأصلُ هذا أنَّ الشَّرَائِعَ كُلَّهَا مَبْنِيَّةٌ عَلَى الخوفِ والرَّجاءِ، العملُ الصَّالِحُ يفعلُهُ الإنسانُ؛ ليصلَ إلى الله عزَّ وجلَّ والمعاصي «المنهيات» يتركُها؛ خوفًا من الله عزَّ وجلَّ.

٢٢٣٧- فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ»؛ يعني: أنَّ الله عزَّ وجلَّ جميلٌ بذاته؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَضَافَ الجَمَالَ إِلَى الله، والأصلُ أنَّ الوصفَ المضافَ إلى الموصوفِ يكونُ متعلِّقًا بذاته، فجَمَالُهُ بِالذَّاتِ.

قَوْلُهُ: «الْأَوْصَافِ» كُلُّ أَوْصَافِهِ حُسْنِي، وَحُسْنُ الْأَوْصَافِ جَمَالُهَا، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ جَمِيلٌ بِصِفَاتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [الروم: ٢٧]، فَجَمَالُ الصِّفَاتِ أَنَّمَا صِفَاتٌ كَامِلَةٌ لَا نَقْصَ فِيهَا بَوَاجِهِ مِنَ الْوَجْهِ.

قَوْلُهُ: «الْأَفْعَالِ»، وَكَذَلِكَ أَفْعَالُهُ، فَكُلُّ أَفْعَالِهِ جَمِيلَةٌ، لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مَكْرُوهٌ، لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مُبْغَضٌ؛ لِأَنَّ أَفْعَالَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ دَائِرَةٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا: الْعَدْلُ، وَالْإِحْسَانُ، الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ هَلْ فِيهِمَا قَبِيحٌ؟ الْجَوَابُ: لَا، إِمَّا عَدْلٌ

بلا ظلم، وإمّا إحسانٌ وإفضالٌ، وهذا ليس فيه شيءٌ من القبح، هذا هو جمالُ الفعل، وأفعاله كُلُّها حميدةٌ، كُلُّها لحكمةٍ وغايةٍ.

قَوْلُهُ: «الْأَسْمَاءُ» أَيضًا أَسَاءُوه كُلُّهَا جَمِيلَةٌ، ولهذا وَصَفَهَا اللهُ تَعَالَى بِالْحُسْنَى فِي أَرْبَعَةِ مَوَاضِعَ، وَ«الْحُسْنَى» مَوْثُتٌ: «أَحْسَنُ»، وَ«أَحْسَنُ»: صِيغَةُ اسْمٍ تَفْضِيلٍ؛ إِذَنْ كُلُّ مَا تَتَصَوَّرُ مِنْ حَسَنِ فِي أَسْمَاءِ فَأَسْمَاءِ اللهُ فَوْقَهُ، لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فَهُوَ جَمِيلٌ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ الْأَرْبَعَةِ: الذَّاتِ، وَالْأَوْصَافِ، وَالْأَفْعَالِ، وَالْأَسْمَاءِ.

٣٢٣٨- لَا شَيْءَ يُشْبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي الْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «لَا شَيْءَ يُشْبِهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ» «لَا»: نَافِيَةٌ لِلْجِنْسِ، وَاسْمُهَا أَعْمُ الْأَسْمَاءِ وَهُوَ كَلِمَةُ «شَيْءٍ».

يقول رحمه الله: لا شيء من المخلوقات كُلِّها يُشْبِهُ ذَاتَهُ بِالنِّسْبَةِ لِلذَّوَاتِ وَصِفَاتِهِ بِالنِّسْبَةِ لِلصِّفَاتِ، فَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ ذَوَاتٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشْبِهُ الْخَالِقَ، وَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ صِفَاتٍ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُشْبِهُ صِفَاتِ الْخَالِقِ.

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي الْبُهْتَانِ»؛ أَي: تَنْزِيهَاً لَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي الْبُهْتَانِ، وَهُمْ الْمُشَبَّهَةُ وَالْمَعْطَلَّةُ أَيضًا، حَتَّى الْمَعْطَلَّةُ يُشَبَّهُونَ اللهُ، لِمَاذَا عَطَّلَ الْمَعْطَلَّةُ صِفَاتِ اللهِ؟ الْجَوَابُ: إِذَنْ شَبَّهُوا أَوَّلًا حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ الْإِبْثَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَعَطَّلُوا ثَانِيًا، إِذَنْ اللهُ مَنْزَعٌ عَنِ تَعْطِيلِ الْمَعْطَلِّينَ، وَعَنْ تَمَثِيلِ الْمَمَثَلِينَ.

٣٢٣٩- وَهُوَ الْمَجِيدُ صِفَاتُهُ أَوْصَافُ تَعَمُّ ظِيمٍ فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنِ

مِنْ أَسْمَائِهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمَجِيدُ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥]،

و﴿الْمَجِيدُ﴾ بالرفع صفة لـ«ذو»؛ يعني: أن الله من أسماؤه «المجيد»، والمجد هو العظمة والسلطان؛ ولهذا تجدون في سورة «البروج» أنه ذَكَرَ «المجيد» من أسماء الله، وَذَكَرَ وَصَفَ القرآن بأنه مجيد؛ لأنَّ المقام يقتضي ذِكْرَ ما فيه العظمة والسلطان حتى لا يتقدّم أحدٌ بمثل ما تقدّم به مَنْ نكّلوا بأصحاب الأعداء، فالسورة كلّها تدلُّ على عظمة وعلوِّ وارتفاع، قال الله تعالى: ﴿وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [البروج: ١]، أي: العالية، وامش مع السورة تجد أنّها كلّها تُوجِبُ قوّةَ عظمة الله تعالى وسلطانه.

و«المجيد» هو كامل القوّة والسلطان، وقرأ الحديث الصحيح في سورة الفاتحة: «... فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: مُحَمَّدٌ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: الرَّحْمَنُ الرَّحِيمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَّنِي عَلِيٌّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، قَالَ: مُحَمَّدٌ عَبْدِي...»^(١)؛ لأنَّ العظمة والسلطان لربِّ العالمين، وتكون في يوم القيامة أظهر وأولى وأبين وأجلى، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُونٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، المَلِكُ وأدنى واحدٍ من الفَرَّاشِينَ أو من الكَنَاسِينَ كُلِّهِمْ في صعيدٍ واحدٍ لا يخفى على الله منهم شيءٌ، ويقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ لا يبيئه أحدٌ، ليس هناك ملكٌ، فيجيب نفسه: ﴿اللَّهُ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

فتأمل قوله: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» قال: «مُحَمَّدِي عَبْدِي»، فهو قوّة العظمة والسلطان، فهو عزَّ وجلَّ مجيدٌ، له قوّة العظمة والسلطان؛ ولهذا قال المؤلف: «صِفَاتُهُ أَوْصَافٌ تَعْظِيمٌ فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنٍ»؛ ولهذا نقول: أسماءُ الله كلّها دالّةٌ على أوصافه، ليس فيها اسمٌ جامدٌ، بل هي مشتملةٌ على أوصافٍ عظيمةٍ يتبيّن بها كمالُ الرَّبِّ -جلَّ وعلا- بخلافِ أسمائنا، فأسماؤنا أسماءٌ جامدةٌ، أو مشتقةٌ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، رقم (٣٩٤).

لا تدلُّ على معناها، مَنْ مِّنْ يُسَمَّى «خَالِدًا»، وهل يُجَلِّدُ؟ لا، وَمَنْ مِّنْ يُسَمَّى «مُحَمَّدًا»، وقد يكونُ مذمومًا، وَمَنْ مِّنْ يُسَمَّى «عبد الله»، وقد يكونُ أكفَرَ عبَادِ الله، فالهمُّ أنَّ أسماءَ الله تعالى متضمِّنةٌ لأوصافِهِ الجليَّةِ العظيمةِ، ليس فيها اسمٌ جامدٌ أبدًا، ولا اسمٌ لم يتحقَّق معناه الذي دَلَّ عليه بخلافِ أسماءٍ غيره.

ولهذا قال المؤلِّف: «فَشَأْنُ الوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنٍ»؛ يعني: إِيَّاكَ أَنْ تُثَبِّتَ أسماءَ بلا أوصافٍ، لولا ما تحمَّله هذه الأسماءُ من المعاني والأوصاف لكانت أسماءً جامدةً لا تدلُّ إلَّا على الذاتِ فقط.

اجعل قوله: «فَشَأْنُ الوَصْفِ أَعْظَمُ» اجعله قاعدةً، أنَّ من أَبْلَغَ ما يكونُ في أسماءِ الله اشتهاها على الأوصافِ العظيمةِ.

- ٣٢٤٠ - وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ^(١)
- ٣٢٤١ - وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ فَالسَّرُّ وَالْإِعْلَانُ^(٢) مُسْتَوِيَانِ
- ٣٢٤٢ - وَالسَّمْعُ مِنْهُ وَاسِعٌ الْأَصْوَاتِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا وَالذَّانِي سَوْدَاءٍ تَحْتَ الصَّخْرَةِ الصَّوَّانِ
- ٣٢٤٣ - وَهُوَ البَصِيرُ يَرَى ذَبِيبَ النَّمْلَةِ السُّدِّ وَيَرَى نِيَّاطَ عُرُوقِهَا^(٣) بَعِيَانِ
- ٣٢٤٤ - وَيَرَى خِيَانَاتِ العَيُونِ بِلَحْظِهَا وَيَرَى كَذَاكَ تَقْلُبَ الْأَجْفَانِ

(١) في نسخة الإفتاء «في الكون عالي مع التحتاني»

(٢) في نسخة السفارينية والتميمورية «فالجره والإسرار».

(٣) في نسخة السفارينية والتميمورية والإفتاء «عروق نياطها».

الشرح

في هذه الآيات ذَكَرَ - رحمه الله - اسمين من أسماء الله، وهما: «السَّمِيعُ»، و«البصير»، وما أكثر ما يقترن هذان الاسمان في كتاب الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ بـ«السَّمِيعِ» إدراك المسموعات، وبـ«البصير» إدراك المرئيات.

٣٢٤٠- وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ قَوْلُهُ: «وَهُوَ السَّمِيعُ»، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: «وَهُوَ الْبَصِيرُ»، وَإِنَّا قَدَّمْنَا الْمُؤَلَّفُ: «يَرَى» وهي متعلِّقةٌ بالبصير؛ إمَّا لضيقِ النَّظْمِ، أو لغير ذلك، المهمُّ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَمِيعٌ يَسْمَعُ بِسَمْعٍ، و«يسمع» هذا هو الحكم، والأثر الناتج عن اتِّصافِهِ بِالسَّمْعِ. وَسَمِعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ثَابِتٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ الْأُمَّةِ، وَمَا أَكْثَرَ مَا نَقَرْنَا فِي الْقُرْآنِ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧]، وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]، وَالنَّبِيُّ ﷺ يُكْرِّرُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ قَوْلًا: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»^(١).

واعلم أنَّ سَمَعَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَنْقَسِمُ إِلَى قَسْمَيْنِ: أَحَدُهُمَا: مَا ذَكَرَهُ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - وهو إدراك المسموعات، والثاني: إجابة الدعوات، فهو سَمِيعٌ بِمَعْنَى مَجِيبِ الدَّعَوَاتِ، أَمَّا السَّمْعُ الَّذِي هُوَ إِدْرَاكُ الْمَسْمُوعَاتِ فَإِنَّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ يُرَادُ بِهِ النَّصْرُ وَالتَّأْيِيدُ، وَقِسْمٌ يُرَادُ بِهِ التَّهْدِيدُ وَالوَعِيدُ، وَقِسْمٌ يُرَادُ بِهِ بَيَانُ إِحَاطَةِ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بِكُلِّ مَسْمُوعٍ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

القسم الأول: يُرادُ به النَّصْرُ والتَّأيِيدُ، ومنه قولُ الله -تبارك وتعالى- لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه:٤٦]، قال ﴿أَسْمَعُ﴾ السَّمْعُ هنا يُرادُ به النَّصْرُ والتَّأيِيدُ، فليس اللهُ تعالى يخبرُهما أنَّه يسمعُ بمجردِ أن يعلمَ بذلك لكن ليطمئنَّا ويعلمَّا أنَّ الله سوف ينصرُهما ويؤيِّدُهما.

الثاني: بالعكس، وهو ما يُرادُ به الوعيدُ والتَّهديدُ مثل قولِ الله -تبارك وتعالى-: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف:٨٠]، ومثل قولِ الله -تبارك وتعالى-: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران:١٨١]، فقال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ [آل عمران:١٨١] تهديداً لهم.

وهذان القسمان متقابلان.

القسم الثالث: ما يُرادُ به بيانُ إحاطةِ سَمْعِ اللهُ تعالى بكلِّ شيءٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة:١]، هذه المرأةُ جاءت تشتكي إلى الرسول ﷺ زوجها؛ لأنَّه قد ظاهرَ منها بعد أن كبرت سنُّها، والظُّهارةُ في الجاهلية طلاقٌ بائنٌ، فجاءت تشتكي إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام- وتُحاوِرُه، تراجعه في الكلام، أين أذهب؟ كبرت سنُّها وكثُرَ عيلُها، فماذا تصنع؟ ذكر المفسِّرون أنَّ الرسول ﷺ قال لها: «مَا أَرَى زَوْجَكَ إِلَّا قَدْ طَلَّقَكَ» بناءً على المعروفِ عند النَّاسِ؛ لأنَّ الألفاظَ تُحمَلُ على العرفِ، والنَّبِيُّ ﷺ لم ينزل عليه في ذلك قرآنٌ، فأنزل اللهُ هذه الآية^(١): ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ﴾ [المجادلة:١] مصدرةً بالتحقيقِ في قوله: ﴿قَدْ﴾،

(١) أخرجه البيهقي (٧/٦٢٩، رقم ١٥٢٤٥).

ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ يَسْمَعُ، قَالَ: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ [المجادلة: ١]، تقولُ عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ، لَقَدْ جَاءَتِ الْمَجَادِلَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ تُكَلِّمُهُ وَأَنَا فِي نَاحِيَةِ الْبَيْتِ مَا أَسْمَعُ مَا تَقُولُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١]»^(١)، وهي جنبها، والرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ من فوق سبع سمواتٍ لا يخفى عليه حديثها، هذا المرادُ به بيانُ إحاطةِ سَمْعِ اللهِ تعالى بِكُلِّ مَسْمُوعٍ.

وإِنَّا إِذَا آمَنَّا بِهَذَا - ونحن إن شاء اللهُ تعالى مؤمنون به - إِذَا آمَنَّا بِهَذَا، فَإِنَّ إِيْمَانَنَا بِهِ يَسْتَلْزِمُ أَنْ نَتَأَدَّبَ مَعَ اللهِ، فَلَا نُسْمِعُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا يَكْرَهُهُ، بَلْ لَا نُسْمِعُهُ إِلَّا مَا يَرْضَى بِهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، وَهَذَا هُوَ ثَمَرَةُ الْإِيْمَانِ بِهَذَا الْاسْمِ وَهَذِهِ الصِّفَةُ.

إِذْنُ سَمْعِ الْإِدْرَاكِ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ، أَحْذَرُ أَنْ يَكُونَ سَمَاعُ اللهِ لَكَ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي، أَحْذَرُ هَذَا.

أَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي مِنَ السَّمْعِ فَهُوَ سَمْعُ الْإِجَابَةِ، فَيَكُونُ مَعْنَى «سَمِعَ»؛ أَي: اسْتَجَابَ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، مَعْنَى «سَمِيعٌ»: مَجِيبٌ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرَدَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَنَّ اللهُ يَسْمَعُ دَعَاءَهُ فَقَطْ، بَلْ تَوَسَّلَ إِلَى اللهِ بِإِجَابَتِهِ لِلدُّعَاءِ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٩]، هَذَا سَمْعٌ بِمَعْنَى الْإِجَابَةِ، وَمِنْهُ أَيْضًا قَوْلُ الْمُصَلِّي: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»؛ يَعْنِي: اسْتَجَابَ لِمَنْ حَمَدَهُ.

قَوْلُهُ: «يَرَى» فَهِيَ «يَرَى» تَأْتِي بِمَعْنَى «الرُّؤْيَا» الَّتِي هِيَ رُؤْيَا الْعَيْنِ، وَتَأْتِي

(١) أخرجه البخاري معلقا: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، وابن ماجه: كتاب المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٨).

بمعنى «العلم»، فمثل قوله تعالى: ﴿بِرَّوَنَهُ، بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَتَرَنَهُ قَرِيبًا﴾ [المارج: ٦-٧] هذه بمعنى العلم؛ لأنَّ يومَ الحسابِ لم يأتِ بعدُ، ولكنَّه معلومٌ عند الله عزَّ وجلَّ، ومن ذلك في شعرِ العربِ قولُ الشَّاعرِ:

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ مُحَاوَلَةً وَأَكْثَرَهُمْ جُنُودًا^(١)

فَقَوْلُهُ: «رَأَيْتُ اللَّهَ»؛ يعني: عَلِمْتُهُ؛ لَأَنَّهُ لم يَرِ رَبَّهُ، فهذا في اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ.

ومثل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، هذه رؤيةٌ للعلمِ ورؤيةٌ للبصرِ أيضًا، فهو يرى ويُشاهدُ هؤلاء الذين يُؤذون النبيَّ ﷺ.

والرؤية التي بمعنى إدراك المرئيِّ منها عامٌّ ومنها خاصٌّ؛ يعني: يقتضي النَّصْرَ والتَّأييدَ مثل قوله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]، المرادُ بذلك الرؤيةُ التي تقتضي النَّصْرَ والتَّأييدَ.

قَوْلُهُ: «يَسْمَعُ كُلَّ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ» قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ [الزخرف: ٨٠]، إن تكلَّمتَ بصوتٍ مسموعٍ سَمِعَهُ اللهُ، بصوتٍ لا يسمعه إلا جارِكُ سَمِعَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ، بصوتٍ مُحدِّثٌ به نفسك يسمعه اللهُ عزَّ وجلَّ، وما مُحدِّثٌ به نفسك من غير نطقٍ يعلمه اللهُ عزَّ وجلَّ.

٣٢٤١- وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ فَالْسِّرُّ وَالْإِعْلَانُ مُسْتَوِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ» كُلُّ صَوْتٍ فَلِلَّهِ مِنْهُ سَمْعٌ، وهذه الكلمةُ من ابن القِيِّم -رحمه الله- يحتملُ أنَّ معناها لِكُلِّ صَوْتٍ سَمْعٌ؛ يعني:

(١) البيت لخداش بن زهير في المقاصد النحوية (٢/ ٣٧١)، وبلا نسبة في شرح ابن عقيل (٢/ ٢٩).

لا يخفى عليه أي صوت، كُلُّ صوتٍ فسمعُ الله حاضرٌ له، ويحتملُ أنَّ المعنى أنَّ سَمَعَ الله - سبحانه وتعالى - إذا تَجَدَّدَ المسموعُ فهذا السَّمعُ الذي سَمِعَهُ اللهُ متجدِّدٌ لكنَّ أصلَ السَّمعِ أزلِّيُّ، فمثلاً صوتُ المتكلِّمِ متى سَمِعَهُ اللهُ؟ الجوابُ: حينَ تكلمَ به، لم يسمعه من قبلُ بخلافِ العلمِ، فالعلمُ يتعلَّقُ بالمستقبلِ، لكنَّ السَّمعَ لا يكونُ إلَّا بعدَ حدوثِ المسموعِ، فكلامُهُ - رحمه اللهُ - يحتملُ هذا وهذا، يحتملُ أنَّه أرادَ الشُّمولَ أنَّ كُلَّ صوتٍ فسمعُ الله حاضرٌ له، ويحتملُ أنَّ المعنى: أنَّ لكلِّ صوتٍ سمعًا خاصًّا يكونُ عندَ حدوثِ ذلكِ الصَّوتِ، والحدوثُ هنا للصفةِ أو للمسموعِ؟ الجوابُ: للمسموعِ، أمَّا السَّمعُ فلا يزالُ اللهُ تعالى سميعًا.

قَوْلُهُ: «فَالسَّرُّ وَالْإِعْلَانُ مُسْتَوِيَانِ» هذا يُؤَيِّدُ أنَّ المعنى: أنَّ كُلَّ صوتٍ سواءَ أكانَ سرًّا أم إعلانًا فاللهُ يسمعه.

٣٢٤٢ - وَالسَّمْعُ مِنْهُ وَاسِعٌ الْأَصْوَاتِ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا وَالِدَانِي

قَوْلُهُ: «وَالسَّمْعُ مِنْهُ وَاسِعٌ الْأَصْوَاتِ» «وَاسِعٌ» بمعنى شاملٌ؛ يعني: أنَّ السَّمْعَ يشملُ كُلَّ الأصواتِ.

قَوْلُهُ: «لَا يَخْفَى عَلَيْهَا بَعِيدُهَا وَالِدَانِي» المؤلِّفُ ذكرَ في البيتِ الأوَّلِ نبرةَ الصَّوتِ، فإنَّها تكونُ سرًّا و إعلانًا، والثَّاني قَرَبَ الصَّوتِ، فإنَّه يكونُ قريبًا ويكونُ بعيدًا، فصوتُ النَّبِيِّ ﷺ حينَ أُسْرِيَ بِهِ وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ عَزَّ وَجَلَّ فوقَ السَّمَاوَاتِ العُلَى قَرِيبٌ، وصوتُ ذِي النُّونِ فِي بطنِ الحوتِ بعيدٌ، إذنَ المؤلِّفِ - رحمه اللهُ - ذكرَ أمرين:

الأوَّلُ: نبرةُ الصَّوتِ هل هي سرٌّ أو إعلانٌ، فاللهُ يعلمُها.

الثَّاني: قَرَبُ الصَّوتِ وبعده، كلاهما عندَ اللهُ سواءٌ.

ثُمَّ انتقل المؤلّف إلى الاسم الآخر وهو «البصير»، وذكر المؤلّف -رحمه الله- معنَى واحدًا للبصير كما أنّه لم يذكر للسّمع إلّا معنَى واحدًا وهو سمع الإدراك، وفي البصر -أيضًا- ذكر بصر الإدراك فقال:

٣٢٤٣- وَهُوَ الْبَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السُّودَاءِ تَحْتَ الصَّخْرَةِ الصَّوَّانِ

الله أكبر، نملة صغيرة سوداء في ظلمة الليل تحت الصخرة يراها عز وجل، لا تخفى عليه، فهذا من أخفى ما يكون، ومع ذلك فلا يعزب عنه سبحانه وتعالى، وهذا دليل على عموم بصر الله -تبارك وتعالى-.

٣٢٤٤- وَيَرَى مَجَارِي الْقَوْتِ فِي أَعْضَائِهَا وَيَرَى نِيَاطَ عُرُوقِهَا^(١) بِعِيَانِ

قوله: «ويرى مجاري القوت في أعضائها»، والأصل أن يقول: «مجاري» لكن لأجل النظم سکن الياء.

قوله: «ويرى مجاري القوت في أعضائها» الله أكبر! أعضاء النملة دقيقة جدًا، وهذه الأعضاء لها نصيب من قوت النملة، إذا أكلت شيئًا لا بد أن ينال أعضاءها شيء من هذا القوت، هذا القوت يجري في أعضائها، والله عز وجل يراه، وفي هذا أيضًا قال الأوّل:

يَا مَنْ يَرَى مَدَّ الْبَعُوضِ جَنَاحَهَا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ الْبَهِيمِ الْأَلِيلِ

وَيَرَى نِيَاطَ عُرُوقِهَا فِي نَحْرِهَا وَالْمَخَّ فِي تِلْكَ الْعِظَامِ النَّحْلِ

أَمْنُنْ عَلَيَّ بِتَوْبَةٍ تَمْحُو بِهَا مَا كَانَ مِنِّي فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ^(٢)

(١) في نسخة السفارينية والتميمورية والإفتاء «عروق نياطها».

(٢) الأبيات في الحماسة البصرية (٢/ ٤٣٢) بلا نسبة.

وهذا توسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «وَيَرَى نِيَاطَ عُرُوقِهَا بِعِيَانٍ» نياط عروقها: تحرُّكها بِعِيَانٍ؛ لَأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَسِعَ الْبَصِرَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

٣٢٤٥- وَيَرَى خِيَانَاتِ الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَرَى خِيَانَاتِ الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا» الْإِنْسَانُ قَدْ يَخُونُ فِي النَّظْرِ، فَيَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ وَالنَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ، فَهَذِهِ خِيَانَةٌ؛ لَأَنَّهُ لَمْ يُشْخِصْ بَصْرَهُ وَيَسْلُطَهُ عَلَى الْمَرْأَةِ وَالنَّاسِ يَنْظُرُونَ، بَلْ يَخَالِسُ النَّظَرَ، فَهُوَ يَرَى خِيَانَاتِ الْعُيُونِ فِيهَا لَوْ أَشَارَ أَحَدٌ بِعَيْنِهِ إِلَى عِدْوَانٍ عَلَى شَخْصٍ؛ وَهَذَا مُنِعَ الْأَنْبِيَاءَ -عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مِنَ اللَّحْظِ بِالْعَيْنِ وَالْإِشَارَةِ بِالْعَيْنِ؛ لِأَنَّ هَذَا خِيَانَةٌ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ، وَوَاضِحَ الْأَعْيُنِ مِنْ بَابِ أَوْلَى، فَإِيَّاكَ أَيَّاكَ أَنْ تَخُونَ بَعِينِكَ وَتَنْظُرَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَكَ النَّظْرُ إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ وَإِنْ خَفِيَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ» فَالْأَجْفَانُ تَتَقَلَّبُ، تَنْفَتِحُ أحيانًا، وَتُغْمِضُهَا أحيانًا، فَاللَّهُ تَعَالَى يَرَى ذَلِكَ كُلَّهُ.

فالمؤلَّفُ -رحمه الله- اقتصر على معنى واحدٍ من معنى «البصير»، وهو البصرُ في المحسوساتِ والمبصراتِ.

إِذَا آمَنْتَ بِذَلِكَ مَا الَّذِي يُوجِبُ لَكَ هَذَا الْإِيمَانَ؟ أَلَا تَفْعَلُ فَعَلًا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ إِيْمَانَكَ بِأَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصْرًا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَأْثِيرٌ عَلَى سُلُوكِكَ وَمِنْهَجِكَ فَلَا فَائِدَةَ مِنْ هَذَا الْإِيمَانِ.

إِذْنُ إِذَا آمَنْتَ بِذَلِكَ لَزِمَ مِنْ هَذَا أَنْ تَرَاقِبَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ، وَلَا يَفْقُدُكَ حَيْثُ أَمَرَكَ.

وهناك معنى آخر للبصر، وهو معنى معنوي وهو العلم، فالبصير له معنيان: بصرُ البصرِ «النَّظَر» في المحسوسات، وبصرُ العلم، والله تعالى له هذا وهذا، فهو بصيرٌ بما نعمل، لا يخفى عليه - سبحانه وتعالى - شيءٌ من أعمالنا؛ حركاتنا معلومة، أقوالنا معلومة، هواجسنا معلومة لله عزَّ وجلَّ، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوْهُ بِهِ نَفْسَهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، لكن من لطفِ الله أن الهواجس في القلوب، لا تُعاقبُ عليها مهما عظمت إذا لم يطمئنَّ الإنسان إليها، قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»^(١)، وإلا فتردُّ على القلب من الشبهات والشهوات ما لو لا لطفُ الله لهلك الإنسان، ولكن إذا أحسست بمثل هذه الأمور فعليك بشيئين أرشد إليهما النبي ﷺ وهما: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم^(٢)، والانتهاؤ والإعراض والغفلة عن هذا الشيء فيزول؛ لأنَّ الانتهاؤ عن الشيء يُبطل أثره؛ يعني: التَّغافل عنه، لو أصابك جرحٌ في رجلِك وهو يسيل، إذا غفَلت عنه لا تحسُّ بألمه ولا كأنه شيءٌ، لكن لو تذكَّرتُه أحسست بألمه، هكذا هواجس القلب اغفل عنها، لا تلتفت إليها، امشِ على ما أنت مأمورٌ به، ودع عنك هذه الخيالات فيذهبها الله عزَّ وجلَّ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العتق، باب الخطأ والنسيان في العتاقة والطلاق ونحوه، رقم (٢٥٢٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب، إذا لم تستقر، رقم (١٢٧).

(٢) ودليله قوله ﷺ: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّه». أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣١٠٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤).

إِذَنْ «البصير» له معنيان هما: الإحاطة بالمُبَصَّرَات وهذا يتعلَّق بالمحسوس،
والثاني: الإحاطة بالمعلومات وهذا ليس إدراكًا، بل هو بصرٌ معنويٌّ.

- ٣٢٤٦- وَهُوَ الْعَلِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
٣٢٤٧- وَيَكُلُّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ الْمُحِيطُ وَلَيْسَ ذَا نِسْيَانِ
٣٢٤٨- وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ غَدًا وَمَا قَدْ كَانَ وَالْمَوْجُودِ فِي ذَا الْآنِ
٣٢٤٩- وَكَذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ فَكَانَ الْأَمْرُ ذَا إِمْتِكَانِ

الشرح

٣٢٤٦- وَهُوَ الْعَلِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
من أسماء الله عزَّ وجلَّ «العليم»، و«عَلَامُ الْغُيُوبِ»، و«العالم» كما قال:
﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١]، والعلمُ قال النَّاسُ في تعريفه: إدراكُ
الشَّيْءِ على ما هو عليه على وجهٍ ليس فيه شكٌّ ولا ظنٌّ؛ أي: إدراكُ الشَّيْءِ إدراكًا
جازمًا مطابقًا، فَمَنْ لم يُدْرِكْ فهو جاهلٌ، ومن لم يجزم فليس بعالم، هو شكٌّ أو
ظانٌّ، ومَنْ أدركه على وجهٍ غير مطابق فهو جاهلٌ جهلاً مُرَكَّبًا، والجاهلُ المُرَكَّبُ
أسوأ من الجاهلِ البسيط؛ لأنَّ الجاهلَ جهلاً مُرَكَّبًا جاهلٌ بالأمرِ وجاهلٌ أَنَّهُ يجهلُ؛
ولهذا قال الشَّاعرُ وهو رجلٌ يُسَمَّى «توما» وَيُلَقَّبُ بالحكيم، وَيُفْتِي النَّاسَ بالعلمِ
وبالجهلِ، يقولُ الشَّاعرُ:

قَالَ جِمَارُ الْحَكِيمِ تَوْمًا لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ كُنْتُ أَرْكَبُ

يعني: الحمار يركبُ على صاحبه.

لَأَنِّي جَاهِلٌ بَسِيطٌ وَصَاحِبِي جَاهِلٌ مُرَكَّبٌ^(١)

على كُلِّ حالٍ قوله: «لَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ» هذا ممَّا يقوله الشعراءُ، ولا يُوافقون عليه، لكن الشَّاهدُ أنَّ هذا الحمارَ صارَ عالماً، يقولُ: إِنَّه جاهلٌ بسيطٌ وصاحبه جاهلٌ مُرَكَّبٌ، وأيهما أشدُّ؟ الجوابُ: الثاني، فالجاهلُ المركَّبُ هو البلاءُ، يَضِلُّ ويُضِلُّ.

على كُلِّ حالٍ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلِيمٌ مُدْرِكٌ للأُمُورِ على ما هي عليه إدراكًا تامًّا جملةً وتفصيلاً، وعلمُه عَزَّ وَجَلَّ من أوسع ما يكونُ من الصِّفَاتِ؛ لأنَّه يتعلَّقُ بالواجبِ والممكنِ والمستحيلِ والدَّقِيقِ والجليلِ، فالعلمُ من أوسع الأسماءِ والصِّفَاتِ مُتعلِّقًا، فلننظر، ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ، وَأَنَّهُ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، والملائكةُ قالوا: ﴿رَبِّنَا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وهل هذا عامٌّ أو مفصَّلٌ؟ هذا عامٌّ، فهو بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ؛ ولهذا قال أهلُ أصولِ الفقه: ليس في القرآنِ عامٌّ إِلَّا أَمَكُنْ تَخْصِيصُهُ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فهذا لا يمكنُ تَخْصِيصُهُ؛ لأنَّه متعلِّقٌ بِكُلِّ شَيْءٍ.

وأخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ عَلِيمٌ بالأشياءِ على وجهِ التَّفْصِيلِ في قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ [الأنعام: ٥٩]، فما تسقطُ من ورقةٍ من الأشجارِ إِلَّا يَعْلَمُهَا، فإذا كانَ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْلَمُ سقوطَ الورقةِ، فوجودُ الورقةِ من بابِ أولى؛ لأنَّ وجودَها خَلْقٌ، إِذْ نَ وجودُ الورقةِ خَلْقٌ، وسقوطُها خَلْقٌ، فهو عَزَّ وَجَلَّ يَعْلَمُ

(١) البيتان في نهاية الأرب (١٠٠/١٠) بلا نسبة.

الورقة متى تسقط؟ وأين تسقط؟ وكيف تسقط؟ ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا
يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فأبي حبة كبيرة أو صغيرة في
ظلمات الأرض إلا يعلمها عز وجل، وهل في الأرض ظلمة واحدة وظلمات؟
نعم، فيه ظلمات الأرض، لنفرض أن حبة صغيرة في قاع البحر في ليلة مظلمة في
سحاب متراكم، في وابل هطال، كم الظلمات الآن؟ ست ظلمات، أولاً: ظلمة
البحر؛ يعني: ظلمة الطين الذي على الحبة، ثانيًا: ظلمة الماء، ثالثًا: ظلمة الجو،
رابعًا: ظلمة السحاب، خامسًا: ظلمة المطر، سادسًا: ظلمة الليل، هذا الذي
ندرکه، وقد توجد ظلمات أخرى، لكن هذا الذي أدركناه، ست ظلمات أحاطت
بحبة صغيرة يعلمها الله عز وجل.

ثم جاء آخر الآية: ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، كل
الأشياء إما رطب وإما يابس، سبحان الله! ولم يكتب إلا بعد علم الله عز وجل،
هذا من التفصيل.

ومفتاح الغيب مذكورة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ
الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ
تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] هذه مفاتيح الغيب؛ لأن الساعة مفتاح الآخرة، ونزول الغيث
مفتاح حياة الأرض، وما في الأرحام مفتاح حياة الحيوان، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا
تَكْسِبُ غَدًا﴾ مفتاح العمل في المستقبل، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ مفتاح
البرزخ، هذه مفاتيح لا يعلمها إلا الله عز وجل.

إذن علم الله محيط بكل شيء جملة وتفصيلاً، وذكرنا أن متعلقه إما واجب
أو ممكن أو مستحيل، فعلم الله تعالى بما له من الصفات والأسماء والأفعال علم
بواجب، فكل ما أخبر الله به عن كماله فهو علم بواجب؛ لأن الله تعالى يجب له

الكمال المطلق، علمه بأنه لو كان في السماوات والأرض آلهة إلا الله لفسدتا بالمستحيل، ومع ذلك أخبر عز وجل أنه لو كان لفسدت السماوات والأرض.

وأما علمه بالمخلوقات فهو بالممكن؛ لأن كل المخلوقات من قسم الممكن؛ لأنها كانت معدومة فوجدت، فهي من قسم الممكن.

٣٢٤٧- وَبِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ فَهُوَ الْمَحِيطُ وَلَيْسَ ذَا نِسْيَانٍ قَوْلُهُ: «فَهُوَ الْمَحِيطُ» «فَهُوَ»؛ أَي: الْعِلْمُ.

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ ذَا نِسْيَانٍ»؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ لَا يَنْسَى، فَعِلْمُهُ تَامٌّ لَا يَلْحَقُهُ نِسْيَانٌ، وَعِلْمُهُ تَامٌّ لَمْ يَسْبِقْهُ جَهْلٌ، قَالَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿قَالَ عِلْمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢] فَقَوْلُهُ: ﴿لَا يَضِلُّ﴾؛ أَي: لَا يَجْهَلُ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَنْسَى﴾؛ أَي: لَا يَغِيبُ عَنْهُ مَا ذَكَرَهُ.

٣٢٤٨- وَكَذَلِكَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ غَدًا وَمَا قَدْ كَانَ وَالْمَوْجُودَ فِي ذَا الْآنِ قَوْلُهُ: «وَمَا قَدْ كَانَ»؛ يَعْنِي: فِي الْمَاضِي.

ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ أَقْسَامَ الزَّمَانِ الثَّلَاثَةَ؛ لِأَنَّ الزَّمَانَ إِمَّا مُسْتَقْبَلٌ وَإِمَّا مَاضٍ وَإِمَّا حَاضِرٌ، فَعَلِمَ اللَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالزَّمَانِ الْمَاضِي وَالْمُسْتَقْبَلِ وَالْحَاضِرِ، فَهُوَ «يَعْلَمُ مَا يَكُونُ» هَذَا فِي الْمُسْتَقْبَلِ، «وَمَا قَدْ كَانَ» هَذَا فِي الْمَاضِي، «وَالْمَوْجُودَ فِي ذَا الْآنِ» هَذَا فِي الْحَاضِرِ، وَأَيْضًا عِلْمٌ آخَرَ؛ وَلِذَا قَالَ:

٣٢٤٩- وَكَذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ الْأَمْرُ ذَا امْتِكَانٍ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ»؛ يَعْنِي: الشَّيْءَ الْمُسْتَقْبَلِ يَعْلَمُ مَتَى يَكُونُ؟ وَكَيْفَ يَكُونُ؟ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى سَعَةِ عِلْمِ اللَّهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-،

وأنت إذا آمنت بهذا أوجب لك خشية الله عز وجل وخوفه، والحذر أن تُخفي في قلبك ما يكرهه ربك عز وجل؛ لأن ذلك معلوم عند الله.

إذن ينبغي لنا أن نعرف أن علمنا بهذه المعاني من أسماء الله يجب أن يؤثر علينا، فمثلاً إذا علمنا إحاطة الله بكل شيء علمًا يستلزم منا ألا نخالف أمر الله؛ لأننا لو خالفنا أمر الله لكان يعلم بنا، وألا نقع فيما همى الله عنه؛ لأنه يعلم، وأن نعلم أننا مهما كنا في أخفى مكان من الأرض فالله عالم بنا، وأن نعلم أيضًا أننا لو نظرنا نظرًا محرماً لا يعلم به الخلق لكان الله تعالى يعلم به، فإذا ينبغي أن يكون لنا فائدة مسلكية من معرفة معاني أسماء الله وصفاته، لا أن يكون علمنا بها مجرد نظر، إذا لم نتأثر بمدلولاتها لم ننتفع بها كثيرًا.

فصل

- ٣٢٥٠- وَهُوَ الْحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَقِعَ
أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى ^(١) الْأَزْمَانِ
- ٣٢٥١- مَلَأَ الْوُجُودَ جَمِيعُهُ وَنَظِيرُهُ
مِنْ غَيْرِ مَا عَدَّ وَلَا حُسْبَانٍ ^(٢)
- ٣٢٥٢- هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
كُلُّ الْمَحَامِدِ وَصَفُ ذِي الْإِحْسَانِ

الشرح

من أسماء الله تعالى «الحميد»، وكثيراً ما يَقْرِنُ اللهُ تعالى «الحميد» بـ«الغني» أو بـ«الولي»، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [الشورى: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، فما معنى «الحميد»؟ «الحميد» زنته الصَّرْفِيَّةُ «فَعِيلٌ»، وهل هو بمعنى «فاعل» أو بمعنى «مفعول»؟ الجواب: هو بمعناها جميعاً، فهو حميدٌ بمعنى محمود على كمال صفاته، وعلى إحسانه وإنعامه، وعلى جميع أفعاله، فله الحمد كله، وهو محمودٌ على كُلِّ حالٍ؛ لأنَّ كُلَّ الكونِ يُثْنِي على الله، قال الله تعالى: ﴿تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتِ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، لا يَشِدُّ عن ذلك إِلَّا الكفرةُ من بني آدمَ ومن الجنِّ، فَإِنَّ هؤلاء لا يحمدون الله، وَإِلَّا فَكُلُّ شَيْءٍ يحمَدُ اللهَ بلسانِ الحالِ والمقالِ، أمَّا الكفرةُ من بني آدمَ ومن الجنِّ فَإِنَّهم لا يحمدون اللهَ بلسانِ المقالِ، لكن يحمدونَه بلسانِ

(١) في نسخة برلين «بذي».

(٢) في نسخة برلين «إحسان» والأصح ما في أعلاه.

الحال، فإنَّ حالهم تشهدُ لله تعالى بالكمالِ؛ يعني: حالهم تُثني على الله عزَّ وجلَّ، فما أودَعَ اللهُ فيهم من كمالِ الخِلْقَةِ والصَّنْعَةِ والدِّكَاةِ، وغيرِ ذلك، كُلُّهُ من الله، وكُلُّ هذا يشهدُ لله بالكمالِ.

كذلك هو «حامد»، حامدٌ مَنْ يستحقُّ الحمدَ من عباده، يُثني عليهم ويصفُّهم بالأخيارِ، ويحبُّهم، فهو يُثني على مَنْ يستحقُّ الثناءَ من الخلقِ كما أثنى على رسله، وأنبيائه، وعلى عباده الصَّالحين، إِذَنْ «حميدٌ» بمعنى «حامد»، وبمعنى «محمود».

والمؤلَّف - رحمه الله - لم يُشيرَ إلى المعنى الأوَّل الذي هو «حامد»، بل أشار إلى المعنى الذي هو «محمود»، فقال: «فكُلُّ حَمْدٍ واقِعٌ... إلخ»، فاللهُ تعالى هو أهله.

فإذا قال قائلٌ: ما هو الحمدُ؟

فالجوابُ: «الحمدُ» وصفُ المحمودِ بالكمالِ مع المحبَّةِ والتَّعْظِيمِ، واللهُ تعالى موصوفٌ بالكمالِ، محبوبٌ على هذا الوصفِ، مُعْظَمٌ عليه، فمتى وَصَفْتَ شيئاً بالكمالِ فقد حَمَدْتَهُ، إذا قلت: «فلانٌ غنيٌّ» فقد حَمَدْتَهُ، وإذا قلت: «فلانٌ شجاعٌ» فقد حَمَدْتَهُ، فكلُّ وصفٍ بالكمالِ فهو حمدٌ، فإذا ثَنَيْتَهُ وكرَّرْتَهُ صار ثناءً، وقد يكون الحمدُ في مقابلِ نعمةٍ فيكون بمعنى الشُّكرِ، وقد يكونُ في مقابلِ كمالِ المحمودِ فيختلفُ عن الشُّكرِ، قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا»^(١)، هذا حمدٌ على نعمةٍ، فهو بمعنى الشُّكرِ، وقال اللهُ تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب حمد الله تعالى بعد الأكل والشرب، رقم (٢٧٣٤).

وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ﴿ [الأنعام: ١]، هذا حمدٌ على صفةٍ، وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِيرَهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١]، هذا حمدٌ على كمالِ صفاته عزَّ وجلَّ.

والمصلي يقول: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ [حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ] مِلءَ السَّمَاءِ وَمِلءَ الْأَرْضِ»^(١)، مِلءَ السَّمَاءِ وَمِلءَ الْأَرْضِ كيف ذا؟ قال بعض العلماء: هذه استعارةٌ تخيليةٌ؛ يعني: أَنَّهُ جُعِلَ أَجْسَامًا تَمَلَأُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ، لكن هذا القول ضعيفٌ، والصَّوابُ أَنَّ اللهَ تعالى مستحقٌّ للحمدِ الذي يَمَلَأُ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ؛ لِأَنَّ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ مِنْ آثَارِ كِمَالِهِ فَيَكُونُ مَحْمُودًا عَلَى ذَلِكَ، هَذَا هُوَ الْمَعْنَى الصَّحِيحُ لِهَذِهِ الْجُمْلَةِ الْعَظِيمَةِ.

ولقد كان النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسْرُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَكْرَهُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»^(٢)، فَإِذَا ضَاعَ لَكَ شَيْءٌ وَبَحَثْتَ عَنْهُ فَوَجَدْتَهُ، تَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ»، وَإِذَا لَمْ تَجِدْهُ قُلْتَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»، هَذَا هُوَ الْمَشْرُوعُ.

وَسَمِعْنَا أَحْيَرًا مِنْ أَفْوَاهِ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُحْمَدُ عَلَى مَكْرُوهِ سِوَاهُ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ؛ لِأَنَّ الْمَعْلَمَ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ يَقُولُ هَذَا، بَلْ يَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»؛ وَلِأَنَّ قَوْلَكَ: «عَلَى مَكْرُوهِ سِوَاهُ» يُشْعِرُ بِنَوْعٍ مِنَ الْجَزَعِ وَالسَّخَطِ؛ وَلِأَنَّ قَوْلَكَ: «عَلَى مَكْرُوهِ» يُنَافِي الْحَمْدَ؛ لِأَنَّ الطَّبِيعَةَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب اعتدال أركان الصلاة وتخفيفها في تمام، رقم (٤٧١).

(٢) أخرجه ابن ماجه: كتاب الأدب، باب فضل الحامدين، رقم (٣٨٠٣).

تنفر من أن يكون الشيء المكروه محموداً عليه؛ فلهذه الأوجه الثلاثة نقول: اعدل عن هذا، وقُل: «الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»؛ لأنَّ الأشياءَ المكروهةَ - وإن كان كلُّ شيءٍ من الله - على وجه التَّفصيلِ من سوءِ الأدبِ أن تضيفَها إلى الله عزَّ وجلَّ؛ ولذلك نحن نقول: «اللهُ خالقُ كُلِّ شيءٍ»، لكن لو أضفتَ خَلْقَهُ إلى شيءٍ مكروهٍ مُستَقْبَحٍ لكان ذلك غيرَ لائقٍ، ففرقٌ بين التَّعميمِ وبين التَّخصيصِ، على كُلِّ حالٍ اللهُ عزَّ وجلَّ محمودٌ على كُلِّ حالٍ، على إنعامِهِ الذي لا يُحصَى، وعلى كمالِهِ الذي لا يُستَقصى.

فصل

- ٣٢٥٣- وَهُوَ الْمُكَلَّمُ عَبْدَهُ مُوسَى بِنْتِكَ
 لِيَمِ الْخِطَابِ وَقَبْلَهُ الْأَبْوَانِ
- ٣٢٥٤- كَلِمَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالْتَد
 تَعْدَادِ بَلْ عَنْ حَضْرٍ ذِي الْحُسْبَانِ
- ٣٢٥٥- لَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْبِلَادِ جَمِيعَهَا ال
 أَقْلَامُ تَكْتُبُهَا بِكُلِّ بَنَانِ
- ٣٢٥٦- وَالْبَحْرُ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
 لِكِتَابَةِ الْكَلِمَاتِ كُلِّ زَمَانِ
- ٣٢٥٧- نَهَدَتْ وَلَمْ تَنْفَدْ بِهَا كَلِمَاتُهُ
 لَيْسَ الْكَلَامُ مِنَ الْإِلَهِ بِفَانِي
- ٣٢٥٨- وَهُوَ الْقَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا
 مَارَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانِ
- ٣٢٥٩- وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَا
 لِي اللَّهِ^(١) ذُو الْأَكْوَانِ وَالسُّلْطَانِ
- ٣٢٦٠- وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ فَعِنَاهُ ذَا
 تَبِيٍّ لَهُ كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
- ٣٢٦١- وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ
 أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
- ٣٢٦٢- وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ لَمْ
 يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
- ٣٢٦٣- وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةِ هِيَ وَصْفُهُ
 فَالْعَزُ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانِي
- ٣٢٦٤- وَهِيَ الَّتِي كَمَلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ عَادِمِ النُّقْصَانِ

(١) في أكثر النسخ «رب ذي».

الشرح

٣٢٥٣- وَهُوَ الْمُكَلَّمُ عَبْدُهُ مُوسَى بِتَكْ لِيمِ الْخِطَابِ وَقَبْلَهُ الْأَبْوَانِ

هذه الأبيات في «الكلام»، و«الكلام» من صفات الله عز وجل لا شك، فهو -جل وعلا- متكلم ويتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء، وكلامه عز وجل بحرف وصوت مسموع من قريب ومن بعيد، وبحروف مرتبة، فقولُه -تبارك وتعالى-: ﴿نَسِمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] سَمِعَهَا جَبْرِيلُ مِنْ اللَّهِ بِصَوْتٍ، وَهَذِهِ الْبِسْمَلَةُ بِحُرُوفٍ مُرْتَبَةٍ، إِذَنْ كَلَامُ اللَّهِ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، فَهُوَ بِحُرُوفٍ مُرْتَبَةٍ، وَالصَّوْتُ يَكُونُ مِنْ قَرِيبٍ وَمِنْ بَعِيدٍ؛ وَهَذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ مُوسَى: ﴿وَنَدَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ [مريم: ٥٢]، هَذَا مِنْ بَعِيدٍ، وَقَالَ: ﴿وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] هَذَا مِنْ قَرِيبٍ، وَفِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرَجَ مِنْ دَرَّتِكَ بَعَثْنَا إِلَى النَّارِ»^(١)، فَقَوْلُهُ: «بِصَوْتٍ» هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَكِيدِ، وَإِلَّا فَإِنَّ قَوْلَهُ: «يُنَادِي» تُفِيدُ الصَّوْتَ لَا شَكَّ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ مَتَى شَاءَ كَيْفَ شَاءَ، وَقَدْ سَبَقَ أَنْ ذَكَرْنَا أَنَّ النَّاسَ اخْتَلَفُوا فِي كَلَامِ اللَّهِ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَقْوَالٍ أَوْ سَبْعَةٍ، وَذَكَرْنَا ثَلَاثَةً مِنْهَا الْأَصُولَ، فَهُوَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- مُكَلَّمٌ عَبْدُهُ مُوسَى.

قَوْلُهُ: «بِتَكْلِيمِ الْخِطَابِ»؛ يَعْنِي: بِتَكْلِيمٍ يَخَاطَبُهُ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

قَوْلُهُ: «وَقَبْلَهُ الْأَبْوَانِ»؛ أَي: آدَمُ وَحَوَّاءُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَادَيْنَاهُمَا رُبُّهُمَا اتَّقَا

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب قوله يقول الله لآدم أخرج بعث النار، رقم (٢٢٢).

أَتَهَكَّمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقْلَمَ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿ [الأعراف: ٢٢]، فهذا نداءً للأبوين.

وكذلك كَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ حين عرج به.

٣٢٥٤ - كَلِمَاتُهُ جَلَّتْ عَنِ الإِحْصَاءِ وَالتَّعَدَادِ بَلْ عَنْ حَضَرِ ذِي الْحُسْبَانِ قَوْلُهُ: «جَلَّتْ»؛ يعني: عَظُمَتْ أَنْ تُحْصَى.

فكلماته - سبحانه وتعالى - لا مُنتهى لها، ولا حصر لها، ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ فَقَالَ:

٣٢٥٥ - لَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْبِلَادِ جَمِيعَهَا أَلْقَامٌ تَكْتَبُهَا بِكُلِّ بَنَانٍ أَي: تكتبُ كلماته.

٣٢٥٦ - وَالْبَحْرُ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ لِكِتَابَةِ الْكَلِمَاتِ كُلِّ زَمَانٍ لَيْسَ الْكَلَامُ مِنَ الْإِلَهِ بِفَانِي نَفَدَتْ وَلَمْ تَنْفَدِ بِهَا كَلِمَاتُهُ

قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴾ [لقمان: ٢٧]؛ يعني: لو كان أقلاماً ﴿ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ ﴾ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ﴿ [لقمان: ٢٧]، فقوله تعالى: «أَنَّ»: حرفٌ توكيدٌ ينصبُ المبتدأ ويرفعُ الخبر، و«مَا»: اسمُها؛ يعني: ولو أَنَّ الَّذِي فِي الْأَرْضِ مِنَ الشَّجَرِ، «أَقْلَامٌ»: خبر «أَنَّ»؛ يعني: لو أَنَّ جَمِيعَ أَشْجَارِ الْأَرْضِ جُعِلَتْ أَقْلَامًا وَجُعِلَ الْبَحْرُ مِدَادًا وَمِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ لَا مُنْتَهَى لِفِعْلِهِ، فَلَا مُنْتَهَى لِقَوْلِهِ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَرِيدُهُ يَقُولُ لَهُ: «كُنْ»، وهل مرادُ الله تعالى له مُنْتَهَى؟ الجواب: لا.

إِذْ كَلِمَاتُ اللَّهِ غَيْرُ مَحْصُورَةٍ، وَهِيَ أَرْلِيَّةٌ أَبَدِيَّةٌ أَوْ هِيَ حَادِثَةٌ بَعْدَ أَنْ

لم تكن؟ الجواب: الأوّل، هي أزليّةٌ أبديةٌ، فلم يزل ولا يزال -جلّ وعلا- متكلّمًا؛ لأنّه -سبحانه وتعالى- لم يأت زمنٌ وهو -سبحانه وتعالى- قبل الأزمان سبحانه وتعالى لم يأت زمنٌ وهو أخرسٌ، حاشاه من ذلك، بل لم يزل ولا يزال متكلّمًا، من يُحْصِي هذا؟ الجواب: لا أحدٌ يُحْصِيه.

إذا قال قائلٌ: هل الكلامُ يتعلّقُ بمشيئته إن شاء تكلمَ وإن شاء لم يتكلّم؟ فالجواب: نعم، لا شكّ، هو لا يتكلّم قهرًا، بل يتكلّم بإرادةٍ ومشيئةٍ، قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»^(١)، فقلوه: «سَكَتَ»؛ يعني: لم يتكلّم بها، وإلّا فإنه يتكلّم بأشياءٍ أخرى، لكن سَكَتَ عن أشياء، فسكوته ليس سُكُوتًا مطلقًا.

فإذا قال قائلٌ: إذا قلت: إنّ الكلامَ يتعلّقُ بمشيئته فإن كان كمالًا فقد كمل بعد أن كان ناقصًا، وإن كان نقصًا فالنقصُ ممتنعٌ عن الله؛ إذَنْ يجبُ عليك ألا تؤمنَ بأنَّ الله يتكلّم، كيف تقول: «يتكلّم» يتعلّقُ بمشيئته؟

هذا جوابه سهلٌ بأن نقول: الكلامُ في موضعه كمالٌ، وفي غيرِ موضعه ليس كمالًا، فإذا اقتضت حكمةُ الله تعالى أن يتكلّم في شيءٍ من الأشياءِ وتكلّم به فهو في هذه الحالِ كمالٌ، وقبله ليس كمالًا، وهل كلامُ الله تعالى لآدمَ وحوّاءَ كان بعد خلقهما أو قبله؟ الجواب: بعد خلقهما وبعد أكلهما من الشجرة، فهو في وقته وموضعه كمالٌ، لا شكّ، فتبيّن بهذا أن كَوْنَ الكلامِ يتعلّقُ بمشيئةِ الله ليس نقصًا في حقِّ الله.

٣٢٥٨- وَهُوَ الْقَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانٍ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْقَدِيرُ» «الْقَدِيرُ» مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ؛ أَي: ذُو الْقَدْرَةِ التَّامَّةِ، وَالْقَدْرَةُ وَصْفٌ يَتَعَلَّقُ بِالْفَاعِلِ بِحَيْثُ يَفْعَلُ الْفِعْلَ بِلا عَجْزٍ، وَضِدُّهَا «الْعَجْزُ»، وَقَدْ جَاءَتْ «الْقَدْرَةُ» فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]؛ وَهَذَا يَقُولُ: «وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا مَا رَامَ شَيْئًا»، «إِذَا مَا رَامَ»؛ أَي: أَرَادَ شَيْئًا.

قَوْلُهُ: «إِذَا مَا رَامَ شَيْئًا» «مَا» هُنَا زَائِدَةٌ، قَالَ الرَّاجِزُ:

يَا طَالِبًا خُذْ فَائِدَهُ بَعْدَ «إِذَا» «مَا» زَائِدَةً^(١)

قَوْلُهُ: «قَطُّ ذُو سُلْطَانٍ»؛ أَي: لَا أَحَدَ يَعْجِزُهُ مَهْمَا كَانَ سُلْطَانُهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

٣٢٥٩- وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَا لِي اللَّهُ ذُو الْأَكْوَانِ وَالسُّلْطَانِ

هُوَ عَزَّ وَجَلَّ الْقَوِيُّ، فَالْقُوَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الدَّارِيَات: ٥٨]، وَهِيَ فِعْلُ الْفِعْلِ بِلا ضَعْفٍ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَوِيٌّ بِذَاتِهِ، قَوِيٌّ فِي سُلْطَانِهِ، قَوِيٌّ فِي جَمِيعِ صِفَاتِ الْعِظَمَةِ؛ وَهَذَا قَالَ: «لَهُ الْقُوَى جَمْعًا»؛ أَي: قُوَّةُ الدَّاتِ، وَقُوَّةُ السُّلْطَانِ، وَقُوَّةُ الْعِظَمَةِ، كُلُّ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ فَهُوَ قَوِيٌّ فِيهَا، وَالْقُوَّةُ يَقَابِلُهَا الضَّعْفُ، وَقَدْ افْتَخَرَتْ عَادٌ بِقُوَّتِهَا، وَقَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، وَمَعَ

(١) البيت في فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية (ص: ١٧٢) بلا نسبة.

ذلك أهلكهم الله بشيءٍ لطيفٍ لا يرى وهو الرِّيحُ.

وهذا غايةُ القوَّةِ، فاللهُ عزَّ وجلَّ قويٌّ، خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، ولم يعيَ بخلقهنَّ، خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّهُ مِنْ لُغُوبٍ؛ أَي: ضَعْفٍ يَلْحَقُ مَنْ يَقُولُ لِلشَّيْءِ: «كُنْ فَيَكُونُ».

وجمیعُ القوَى في المخلوقاتِ من آثارِ قُوَّةِ الله عزَّ وجلَّ؛ بمعنى: أن الذي أعطاهَا القوَى هو أولى بالقوَّةِ منها، فإيمانك بأنَّه عزَّ وجلَّ قويٌّ، وبأنَّه قديرٌ يفتحُ لك آفاقًا بعيدةً في أن الله تعالى سينصرُ دينه، وأن قوَى الخلقِ وقدرَةَ الخلقِ مهما بلغت تضمحلُّ أمام قدرةِ الله وقوَّته.

إنَّ الأحزابَ تحزَّبوا على رسولِ الله ﷺ واجتمع نحوُ عشرةِ آلافٍ من قبائلِ شتى من العربِ، وأحاطوا بالمدينةِ، وبلغت القلوبُ الحناجرَ، وسلَّطَ اللهُ عليهم ریحًا وجنودًا لم يروها، أرسل اللهُ عليهم ریحًا وجنودًا لم يرها النبيُّ ﷺ ولا أصحابه، فزلزلوا وقد ندبَ النبيُّ ﷺ رجلاً في ليلةٍ من ليالي الأحزابِ - وكانت ليلةً شديدةَ البردِ - ليسبرَ خبرهم، ولم يقم أحدٌ، فكلُّهم خائفٌ، فهي ليلةٌ باردةٌ شديدةُ الرِّيحِ، يقولُ حذيفةُ: فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: «يَا حَذِيفَةُ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانظُرْ مَاذَا يَفْعَلُونَ؟...» فقام إلى القومِ، وجعل اللهُ هذه الرِّيحَ الباردةَ بالنسبةِ لحذيفةَ دافئةً وبدونِ إزعاجٍ حتَّى وَصَلَ إِلَى قَرِيبٍ مِنْ أَبِي سَفِيَانَ، وَكَانَ زَعِيمَ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَبْلَ أَنْ يُسَلِّمَ، وَكَانَ يَصْطَلِي عَلَى النَّارِ مِنْ شِدَّةِ الْبَرْدِ، يَقُولُ حَذِيفَةُ: وَلَوْ لَا عَهْدُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «لَا تُحَدِّثُ شَيْئًا حَتَّى تَأْتِيَنِي»، وَلَوْ شِئْتُ لَقَتَلْتُهُ بِسَهْمٍ^(١)، لَكِنَّهُ امْتَنَعَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم (١٧٨٨).

انظر إلى الحكمة والامتثال لأمر الله ورسوله، لو كان من هؤلاء العاطفيين الذين لا يُقدِّرون الأمور لقال: هذا رئيس القوم أجعل السهم في نحره وأستريح منه، لكنه عَلِمَ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أَحْكَمُ مِنْهُ، ويقول: إِنَّهُ لَمَّا رَجَعَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وانتهت المهمة أَحْسَسَ بالبرد، سبحان الله! وهذا من آيات الله عز وجل، هذا من آثار قوة الله وقدرته، أنت إذا آمنت بالقدره وبالقوة ماذا يُحدث لك هذا الإيَّان؟ يُحدث لك -كما سبق- أَنَّهُ يَفْتَحُ لَكَ آفَاقًا بَعِيدَةً، بَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّهُ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِأَخِيهِ﴾ [محمد: ٤]، كذلك أيضًا يُوجِبُ لَكَ الخوفَ من الله، وَأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ بِكَ عِقَابَهُ، وقوي في ذلك، فإن قال قائل: ما الفرق بين القوة والقدره؟ فالفرق بينهما يُعرَفُ من تعريفهما، القدرة: صفةٌ يتمكَّنُ بها الفاعلُ من الفعلِ بلا عجزٍ، والقوة: صفةٌ يتمكَّنُ بها الفاعلُ من الفعلِ بلا ضعفٍ، هذا فرقٌ في التعريفِ.

ثانيًا: القدرة لا يُوصَفُ بها إِلَّا مَنْ لَهُ إِرَادَةٌ، والقوة يُوصَفُ بها مَنْ لَهُ إِرَادَةٌ وَمَنْ لَا إِرَادَةَ لَهُ، فمَثَلًا تَقُولُ: «الحديدُ قويٌّ»، ولا تَقُولُ: «قادرٌ»، والإنسانُ يُقَالُ لَهُ: قادرٌ؛ لِأَنَّهُ مُخْتَارٌ، فلو أَنَّ رَجُلًا قَلْنَا لَهُ: احْمِلْ هَذِهِ الصَّخْرَةَ، فجعَل يَزْحَرْهَا ثُمَّ حَمَلَهَا لَكِنْ بِكُلِّ تَعَبٍ، احْمَرَّ وَجْهُهُ وَصَارَ نَفْسُهُ يَتَكَرَّرُ بِسُرْعَةٍ، لَكِنَّهُ حَمَلَهَا، نَقُولُ عَنْهُ: قَادِرٌ لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ، أَمَّا إِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ حَمَلَهَا فَيُقَالُ عَنْهُ: عَاجِزٌ، وَإِنْ قَلْنَا لِأَخْرَى: احْمِلْ هَذِهِ الصَّخْرَةَ، فَحَمَلَهَا فَوْقَ رَأْسِهِ، نَقُولُ: قَوِيٌّ.

٣٢٦٠- وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ فَعِنَاهُ ذَا تِي لَهُ كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْغَنِيُّ»؛ أَي: وَاسِعُ الْإِنْفَاقِ، لَا يَنْفَدُ مَا عِنْدَهُ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا

أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَعْضُ مَا فِي يَدِهِ»^(١)، فهو غنيٌّ.

قَوْلُهُ: «بِدَاتِهِ»؛ يعني: ليس أحدٌ منَّ عليه بغنيٍّ، ولكنه غنيٌّ بذاته؛ لآتِه عزَّ وجلَّ مُوجِدُ كُلِّ شَيْءٍ، فهو - سبحانه وتعالى - غنيٌّ بذاته عن جميع مخلوقاته، لا يحتاجُ لشيءٍ، وغيرُه غنيٌّ بغيره، فالإنسانُ ليس غنيًّا بذاته بل يحتاجُ إلى أكلٍ وشربٍ ولباسٍ وسكْنٍ وغير ذلك، أمَّا اللهُ فهو غنيٌّ بذاته؛ ولهذا قال: «غِنَاهُ ذَاتِي»، إِذْنُ الغنى من صفاته الذَّاتِيَّةِ التي لم يزل ولا يزال متَّصِفًا بها.

قَوْلُهُ: «كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ» وهذا هو التَّفَضُّلُ على الغير، إِذْنُ هو غَنِيٌّ وجوادٌ ومحسنٌ، ولا يلزمُ من الغنى الجودُ ولا الإحسانُ، لكن بالنسبة للربِّ عزَّ وجلَّ يلزمُ من غناه جودُه وإحسانُه، فهو غنيٌّ بذاته، وهو - سبحانه وتعالى - جائدٌ على مخلوقاته.

٣٢٦١- وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
٣٢٦٢- وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْعَلَابُ لَمْ يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
٣٢٦٣- وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةِ هِيَ وَصْفُهُ فَالْعَزُ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانِي
٣٢٦٤- وَهِيَ الَّتِي كُمَلَتْ لَهُ سُبْحَانُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ عَادِمِ النُّقْصَانِ

«العزیزُ» من أسماءِ الله عزَّ وجلَّ، وهو كثيرٌ في القرآن، وله ثلاثة معانٍ:

الأوَّل: أَنَّهُ لا يستطيعُ أحدٌ أن يناله بسوءٍ لقوله: «فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ»؛ يعني: لن يُدْرَكَ ولم يوصل إليه عزَّ وجلَّ، ولا يستطيعُ أحدٌ أن يناله بسوءٍ، مأخوذٌ من

(١) أخرجه البخاري: كتاب التفسير، باب سورة هود باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، رقم (٤٦٨٤)، مسلم: كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة، رقم (٩٩٣).

قولهم «أَرْضُ عَزَازُ»، والأَرْضُ العَزَازُ هي الأَرْضُ الصَّلْبَةُ القويَّة التي لا تنالها الفؤوسُ لصلابيتها بخلافِ الرَّمْلِ فإنه سهلٌ، تَرَكِزُ العِصَا به ويغيص، أمَّا الأَرْضُ الصَّلْبَةُ فتحتاج إلى معاوَلٍ، هذا أصلُ المادَّةِ، لكن بالنسبة لله عزَّ وجلَّ لا تُفَسَّرُ عزَّتهُ بذلك، بل نقول: هو العزيزُ الذي لن يصلَ إليه سوءٌ من أيِّ أحدٍ، وهذه عزَّةُ القَدْرِ.

هو أيضًا العزيزُ القاهرُ الغلابُ من عزَّ يَعَزُّ إذا قَوِيَ وغَلَبَ، ومنه قولُ الله -تبارك وتعالى- عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مَتَّهَا الْأَذَلُّ﴾ [المنافقون: ٨]، يريدون بـ﴿الْأَعَزُّ﴾ أنفسهم، وبـ﴿الْأَذَلُّ﴾ رسولَ الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلَّم- وأصحابه، فماذا أُجيبوا؟ أُجيبوا بقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ولم يُقَلِّ: واللهُ أعزُّ، بل قال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ٨]، فهذا يعني: أنَّ المنافقين عليهم الذُّلُّ والمهانةُ والخزيُّ، وليس لهم من العزَّةِ شيءٌ.

فهو العزيزُ الغالبُ لكلِّ شيءٍ، قال الشاعرُ الجاهليُّ:

أَيْنَ الْمَفْرُ وَالْإِلَهِ الطَّالِبُ وَالْأَشْرَمُ الْمَغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِبُ^(١)

قوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ»، فله عزَّةُ القوَّةِ، ولا أحدَ أقوى منه، فهو -جلَّ وعلا- له العزَّةُ بمعانيها الثلاثة: عزَّةُ القوَّةِ، عزَّةُ القهرِ، عزَّةُ الامتناعِ، فهذه ثلاثةٌ معانٍ لاسمِ «العزيز».

(١) البيت في معجم الهوامع (٤٢٤/١) بلا نسبة، ونسبه في الحيوان للجاحظ (١١٩/٧) لأبرهة الأشرم.

- ٣٢٦٥- وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ
 ٣٢٦٦- حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلُّ مِنْهُمَا
 ٣٢٦٧- وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ وَلَا
 ٣٢٦٨- بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْرَدًا
 ٣٢٦٩- لَنْ يَخْلُوَ الْمَرْبُوبُ مِنْ إِحْدَاهُمَا
 ٣٢٧٠- لَكِنَّمَا الشَّرْعِيُّ مَحْبُوبٌ لَهُ
 ٣٢٧١- هُوَ أَمْرُهُ الدِّينِيُّ جَاءَتْ رُسُلُهُ
 ٣٢٧٢- لَكِنَّمَا الْكَوْنِيُّ فَهُوَ قَضَاؤُهُ
 ٣٢٧٣- هُوَ كُلُّهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ ذُو رِضَا
 ٣٢٧٤- فَلِذَاكَ نَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَنَسْخَطُ الـ
 ٣٢٧٥- فَاللَّهُ يَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَيَسْخَطُ الـ
 ٣٢٧٦- فَقَضَاؤُهُ صِفَةٌ بِهِ قَامَتْ وَمَا الـ
 ٣٢٧٧- وَالْكَوْنُ مَحْبُوبٌ وَمَبْغُوضٌ لَهُ
 ٣٢٧٨- هَذَا الْبَيَانُ يُزِيلُ لُبْسًا طَالَمَا
 نُوَعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
 نُوَعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبُرْهَانِ
 يَتَلَازِمَانِ وَمَا هُمَا سَيَّانِ
 وَالْعَكْسُ أَيْضًا ثَمَّ يَجْتَمِعَانِ
 أَوْ مِنْهُمَا بَلْ لَيْسَ يَتَفَيَّانِ
 أَبَدًا وَلَنْ^(١) يَخْلُوَ مِنَ الْأَكْوَانِ
 بِقِيَامِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 فِي خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 وَالشَّأْنُ فِي الْمَقْضِيِّ كُلِّ الشَّانِ
 مَقْضِيٌّ حِينَ يَكُونُ بِالْعِضْيَانِ
 مَقْضِيٌّ مَا الْأَمْرَانِ مُتَّحِدَانِ
 مَقْضِيٌّ إِلَّا صَنْعَةُ الْإِنْسَانِ^(٢)
 وَكِلَاهُمَا بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ
 هَلَكْتَ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلُّ^(٣) زَمَانِ

(١) في نسخ برلين والإفتاء والتيمورية ونسخة ابن سحمان «ولو».

(٢) في نسخة ابن سحمان «الرحمن» وتأتي مفاضلة شيخنا بين النسختين مع التوجيه.

(٣) في نسخ السفارينية والتيمورية «منذ».

- ٣٢٧٩- وَيَجِلُّ مَا قَدْ عَقَّدُوا بِأُصُولِهِمْ وَبُحُوثِهِمْ فَافْهَمَهُ فَهَمَ بَيَانِ
 ٣٢٨٠- مَنْ وَافَقَ الْكُونِيَّ وَافَقَ سُخْطَهُ
 ٣٢٨١- فَلِذَاكَ لَا يَعْدُوهُ دَمٌّ أَوْ فَوْا
 ٣٢٨٢- وَمُوَافِقُ الدِّينِيِّ لَا يَعْدُوهُ أَجْرٌ
 تُ الْحَمْدِ مَعَ أَجْرٍ وَمَعَ رِضْوَانِ
 رُبْلٌ لَهُ عِنْدَ الصَّوَابِ اثْنَانِ

الشرح

«الحكيم» من أسماء الله سبحانه وتعالى، وقد جاء كثيراً في القرآن الكريم مُعَرَّفًا وَمُنْكَرًا، ومرفوعًا ومنصوبًا ومجرورًا، على أوجه متعددة، و«الحكيم» من أوسع الأسماء تعلقًا؛ لأنه مشتق من الحُكْمِ والإحكام، الإحكام الذي هو الحكمة وال إتقان، فيقول المؤلف رحمه الله:

- ٣٢٦٥- وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
 ٣٢٦٦- حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَاكَ مِنْ أَوْصَافِهِ»؛ يعني: أن «الحكيم» اسم يدل على وصفين، وليس المعنى أن «الحكيم» من أوصافه؛ لأن «الحكيم» من أسمائه بالاتفاق؛ يعني: أن الوصف الذي اشتمل عليه اسم «الحكيم» نوعان: حُكْمٌ، وإحكامٌ.

قَوْلُهُ: «مَا هُمَا عَدَمَانِ»؛ أي: بل موجودان ثابتان دَلَّ عليهما هذا الاسم.

إِذْهُنَّ هُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ شَيْئَيْنِ: مِنَ الْحُكْمِ، وَالْإِحْكَامِ، وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَكِيمِينَ﴾ [التين: ٨]، فهذا شاملٌ للأمرين معًا؛ أي: للحُكْمِ

والإحكام، من «الحُكْم» على أنه مشتقُّ من «حَكَمَ»، ومن «الإحكام» على أنه مشتقُّ من «أَحَكَمَ»، إذن «حكيمٌ» مأخوذةٌ من «حَكَمَ» الثلاثيِّ، ومن «أَحَكَمَ» الرباعيِّ؛ إذ إنَّ مصدرَ «أَحَكَمَ» إحكامًا، وكونها مأخوذةٌ من الثلاثيِّ أمرٌ لا إشكالَ فيه؛ لأنَّ «فعليل» بمعنى فاعل تأتي كثيرًا من «فَعَلَ»، تقول: «سمِعَ» من «سَمِعَ» بمعنى: سامع، و«علِيمٌ» بمعنى: عالم، و«حكيمٌ» بمعنى: حاكم، لكن «فعليل» من «أَفَعَلَ» قليلةٌ، فيكون «حكيم» بمعنى «مُحَكِّم» كـ«سميع» بمعنى «مُسَمِّع»، وهذا واردٌ في اللغة العربية في قولِ الشاعِرِ:

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ؟^(١)
فَقَوْلُهُ: «السَّمِيعُ»؛ أي: المُسَمِّعُ.

وعلى هذا فـ«الحكيم» مشتقُّ من الحُكْمِ والإحكامِ، فعلى تقدير اشتقاقه من الحُكْمِ يكون بمعنى «حاكم»، وعلى تقدير اشتقاقه من «الإحكام» يكون بمعنى «مُحَكِّم»، وقد عرفتُم أن «فعليل» يأتي بمعنى «فاعل»، ويأتي بمعنى «مُفَعِّل»، فهو حُكْمٌ وإحكامٌ، وكُلٌّ منهما نوعان أيضًا ثابتا البرهان.

والحُكْمُ نوعان، والإحكامُ نوعان، فالحُكْمُ نوعان، ويبيِّن ذلك فقال:

٣٢٦٧- وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكُونِيٌّ وَلَا يَتَلَازَمَانِ وَمَا هُمَا سَيَّانِ

الحُكْمُ كُونِيٌّ وَشَرْعِيٌّ، فكونُ الله تعالى يقول: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، هذا حُكْمٌ شَرْعِيٌّ، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ﴾ [الإسراء: ٣٢] شَرْعِيٌّ، أَمْرٌ وَنَهْيٌ، الكُونِيٌّ يقولُ لِلشَّيْءِ: كُنْ إِيجَادًا فيكون، هذا حُكْمٌ كُونِيٌّ، يقولُ لِلشَّيْءِ الموجودِ «كن»؛

(١) البيت لعنرو بن معد يكرب، كما في الأصمعيات (ص: ١٧٢).

يعني: عَدَمًا، فيكون عَدَمًا، ويقول: للشيء المعدوم: «كن»؛ يعني: وجودًا، فيكون موجودًا، هذا حكم كونيٌّ.

قضاء الله - تبارك وتعالى - بالمعاصي والفُسوقِ والفجورِ والكفرِ وما أشبهها من الحكمِ الكونيِّ، وقضاؤه بالأمراضِ والفقرِ والجذبِ والجنونِ وما أشبه ذلك هو كونيٌّ، أمَّا الحكمُ الشرعيُّ فهو الأوامرُ والنَّوَاهِي الشَّرْعِيَّةُ، وكذلك المباحاتِ.

فالحُكْمُ شرعيٌّ وكونيٌّ ولا يتلازمان، فقد يُوجَدُ الحكمُ الشرعيُّ دون الكونيِّ، وقد يوجدُ الكونيُّ دون الشرعيِّ، فالمرضُ والفقرُ والموتُ وما أشبهها كونيٌّ وليس شرعيًّا، إيجابُ الصَّلَاةِ وتحريمُ الزَّنا شرعيٌّ وليس كونيًّا؛ لأنَّه زُبَّاهُ يقومُ به المرءُ وقد لا يقومُ بخلافِ ما قضاه اللهُ عزَّ وجلَّ كونًا فلا بُدَّ أن يكونَ؛ إذنُ لا يتلازمُ الحكمُ الكونيُّ والحكمُ الشرعيُّ، فقد يُوجَدُ حكمٌ شرعيٌّ ولكنَّه لا يكونُ حُكْمًا كونيًّا وذلك إذا لم يقع، وقد يُوجَدُ حكمٌ كونيٌّ وليس شرعيًّا؛ وذلك إذا وقع وهو ممَّا لا يرضاه اللهُ.

٣٢٦٨ - بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْرَدًا وَالْعَكْسُ أَيضًا نَمَّ يَجْتَمِعَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ ذَاكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْرَدًا»؛ يعني: قد يُوجَدُ الكونيُّ دون الشرعيِّ كالمعصية، والفسوقُ والعصيانُ يقعُ من الإنسانِ بالحُكْمِ الكونيِّ لا بالْحُكْمِ الشرعيِّ؛ لأنَّ الحكمَ الشرعيَّ ينفي ذلك.

قَوْلُهُ: «وَالْعَكْسُ أَيضًا»؛ أي: قد يُوجَدُ الشرعيُّ دون الكونيِّ كالحُكْمِ بوجوبِ الصَّلَاةِ ولكنَّه لم يُصَلِّ، فهذا ثَبَتَ في حَقِّه الحكمُ الشرعيُّ وهو وجوبُ الصَّلَاةِ دون الحُكْمِ الكونيِّ، والطَّاعَةُ والعدالةُ ثابتةٌ بالحُكْمِ الشرعيِّ، لكن بالحُكْمِ الكونيِّ قد تثبَّتْ وقد لا تثبَّتْ، فقد يُطِيعُ الإنسانُ وقد يَعِصِي، وقد يعدلُ وقد يجورُ.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ» هذا القسمُ الثالثُ؛ يعني: وقد يجتمعان، فإذا قال اللهُ تعالى: ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأنعام: ٧٢]، ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ وَصَلَّى فَأَيُّ الْحَكَمِينَ فِيهِ؟ الجوابُ: كلاهما، اجتمع في هذا الرَّجُلِ الْحَكْمُ الْكُونِيُّ؛ لِأَنَّهُ صَلَّى، وَالْحَكْمُ الشَّرْعِيُّ؛ لِأَنَّهُ امْتَثَلَ أَمْرَ اللَّهِ، وَقَدْ يَجْتَمِعَانِ أَيْضًا كَرَجُلٍ تَزَوَّجَ فِعْلًا، فَهَذَا فِيهِ الْحَكْمُ الْكُونِيُّ وَالشَّرْعِيُّ، وَكَامْرَأَةٍ حَائِضٍ لَمْ تُصَلِّ، هُنَا انْتَفَتْ صَلَاتُهَا بِالْحَكَمِينَ الْكُونِيِّ وَالشَّرْعِيِّ؛ إِذَنْ اجْتَمَعَا فِي حَقِّهَا.

٣٢٦٩- لَنْ يَخْلُوَ الْمَرْبُوبُ مِنْ إِحْدَاهُمَا أَوْ مِنْهُمَا بَلْ لَيْسَ يَنْتَفِيَانِ

المربوبُ لن يخلو من الحكمِ الكونِيِّ قطعًا؛ لِأَنَّ كُلَّ مَخْلُوقٍ وُجِدَ بِحَكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَفْعَلُ بِحَكْمِ اللَّهِ، يَتْرُكُ بِحَكْمِ اللَّهِ، كُلُّ مَخْلُوقٍ -وهو المربوب- لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ مَضَى فِيهِ حَكْمُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْكُونِيُّ.

وَرُبَّمَا يُوجَدُ الشَّرْعِيُّ مَعَ الْكُونِيِّ، وَقَدْ يُوجَدُ الْحَكْمُ الشَّرْعِيُّ عَلَى الشَّخْصِ وَلَا يُوجَدُ الْكُونِيُّ؛ فَمَثَلًا يُوجِبُ اللَّهُ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَلَا يُقِيمُ الصَّلَاةَ، هَذَا حَكْمٌ شَرْعِيٌّ وَلَمْ يُوجَدِ الْكُونِيُّ.

وَهَلِ الْكُفَّارُ فِيهِمْ أَحْكَامُ اللَّهِ الْكُونِيَّةُ أَوِ الشَّرْعِيَّةُ؟ الْجَوَابُ: الْكُونِيَّةُ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَمْتَثِلُوا حُكْمَ الشَّرْعِ.

لَكِنْ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَنْتَفِيَ الْحَكَمَانِ الْكُونِيُّ وَالشَّرْعِيُّ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، فَالْإِنْسَانُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُحْكَمًا بِحَكْمِ كُونِيٍّ أَوْ شَرْعِيٍّ؛ وَلِذَا قَالَ: «بَلْ لَيْسَ يَنْتَفِيَانِ».

ثُمَّ شَرَعَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي الْفَرْقِ بَيْنَهُمَا مِنْ حَيْثُ الْمَحَبَّةُ وَالْكَرَاهَةُ فَقَالَ:

٣٢٧٠- لَكِنَّمَا الشَّرْعِيُّ مَحْبُوبٌ لَهُ أَبَدًا وَلَنْ يَخْلُوَ مِنَ الْأَكْوَانِ

سواءً كان إيجاباً أو عدماً؛ فمثلاً: الصلاة حكم شرعي إيجابي لكنها محبوبة لله، اجتناب الزنا حكم شرعي عدمي سلبى محبوب لله عز وجل، فكل الأحكام الشرعية الإيجابية والسلبية كلها محبوبة إلى الله عز وجل، لكن هل تقع أو لا تقع؟ الجواب: قد تقع وقد لا تقع.

قوله: «وَلَنْ يَخْلُو مِنَ الْأَكْوَانِ»؛ يعني: لا بُدَّ أن يكون حكمه الشرعي موجوداً، لكن قد يُمتثل وقد لا يُمتثل؛ إذن لا يخلو الحكم الشرعي من الأكوان أبداً، ولا يمكن أن يخلو عصر من الأعصار عن آثار الرسالة أبداً؛ لأنه لو خلا عصر من الأعصار عن آثار الرسالة لكان للخليق على الله حجة، والله عز وجل قد أعذر الخلق وأرسل إليهم الرسل؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

وقد يُشكّل على هذا ما جاء من الأحاديث في آخر الزمان من رفع العلم ورفع القرآن، وحينئذ لا تبقى حجة؟ فنقول: هذا العموم السابق نفسه مخصّص بهذا، أو يُقال: هذا فيما سبق، أمّا فيما يأتي فربّما؛ لأنه لا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام، ثم إن هؤلاء الذين في آخر الزمان لن يبقوا كثيراً؛ أي: لن يعيشوا كثيراً؛ لأنه يكون عندهم إيمان ثم ارتدوا، وبقوا مثل الحمير وماتوا، ولا تأتي ذرية جديدة.

٣٢٧١- هُوَ أَمْرُهُ الدِّينِيُّ جَاءَتْ رُسُلُهُ بِقِيَامِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

قوله: «هُوَ أَمْرُهُ الدِّينِيُّ» هذا تفسير للحكم الشرعي، أمره الديني أو حكمه الديني كله بمعنى واحد، فصار الحكم الشرعي هو حكمه الديني، الأوامر والنواهي والإباحات، وهذا ما جاءت به الرسل، ولن يخلو منه زمان كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، والحكم الشرعي يجب

الرِّضَا بِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَيَجِبُ تَنْفِيذُهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَلَا يَجُوزُ كِرَاهَتُهُ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، وَالْكُونِيُّ سَيِّئًا.

٣٢٧٢- لَكِنَّمَا الْكُونِيُّ فَهُوَ قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْكُونِيُّ» وَهَذَا الْقِسْمُ الثَّانِي، «فَهُوَ قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ» وَكَيْفَ قَضَاؤُهُ فِي خَلْقِهِ؟ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ قَضَاءَ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ يَدُورُ عَلَى شَيْئَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَمَا: عَدْلٌ وَإِحْسَانٌ، بِخِلَافِ الظُّلْمِ فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَا ظُلْمَ فِي قَضَائِهِ أَبَدًا، إِمَّا عَدْلٌ وَإِمَّا إِحْسَانٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] هَذَا إِحْسَانٌ، ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا أَمِثْلَهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، هَذَا عَدْلٌ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: «بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ»، فَمَجَازَاةُ السَّيِّئِ عَلَى سَيِّئِهِ عَدْلٌ، وَالْمَحْسِنِ عَلَى إِحْسَانِهِ إِحْسَانٌ، أَمَّا الظُّلْمُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقَعَ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢].

٣٢٧٣- هُوَ كُلُّهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ ذُو رِضَا وَالشَّانُ فِي الْمَقْضِيِّ كُلُّ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ كُلُّهُ حَقٌّ وَعَدْلٌ ذُو رِضَا» كُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ حَقٌّ، كُلُّ قَضَاءِ اللَّهِ عَدْلٌ، إِذَا أُصِيبَ النَّاسُ بِحُرُوبٍ، أُصِيبُوا بِجَدَبٍ، أُصِيبُوا بِأَمْرَاضٍ، هَلْ هَذَا عَدْلٌ أَوْ إِحْسَانٌ أَوْ ظُلْمٌ؟ الْجَوَابُ: هُوَ عَدْلٌ لَا شَكَّ، لَكِنَّهُ إِحْسَانٌ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى، بَيَّنَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الرُّوم: ٤١]، إِذْنُ هَذَا عَدْلٌ ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الرُّوم: ٤١]، إِذْنُ النَّتِيجَةُ إِحْسَانٌ، حَتَّى جَزَاءُ السَّيِّئَاتِ فِي الدُّنْيَا هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ إِحْسَانٌ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا -حَتَّى يُوَافِيَ رَبَّهُ وَمَا

عليه ذنبٌ - وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمَسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١)،
وعذابُ الآخرةِ أشدُّ وأبقى.

إِذَنْ قَضَاءُ اللَّهِ - سبحانه وتعالى - دائرٌ بين العدلِ والإحسانِ، كُلُّهُ حَقٌّ، كُلُّهُ
عَدْلٌ، كُلُّهُ مَرْضِيٌّ، وهذا بالنسبة للقضاءِ.

قَوْلُهُ: «وَالشَّانُ فِي المَقْضِيِّ كُلِّ الشَّانِ» المقضيُّ هو الذي فيه التَّفْصِيلُ؛ ولذا قال:

٣٢٧٤ - فَلِذَاكَ تَرْضَى بِالقَضَاءِ وَنَسْخَطُ الـ مَقْضِيَّ حِينَ يَكُونُ بِالْعِصْيَانِ

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ تَرْضَى بِالقَضَاءِ»؛ أي: تَرْضَى بقضاءِ الله، حتَّى قضاءِ الله
بالمعاصي تَرْضَى به، قضاءِ الله بالجدبِ، والفقيرِ، والمرضى، والموتِ، والزَّلْزَلَةِ، وكُلِّ
شيءٍ، نرضى به، ولا يمكنُ أن نسخطه؛ لأنَّكَ لو لم ترضَ بالقضاءِ لم تكن رَضِيتَ
بالله ربًّا.

إِذَنْ يَبْقَى عَلَيْنَا المَقْضِيُّ، وهو الذي فيه التَّفْصِيلُ؛ ولهذا قال: «وَنَسْخَطُ
المَقْضِيَّ حِينَ يَكُونُ بِالْعِصْيَانِ»، فالمقضيُّ هو الذي يكونُ محلاً للرِّضَا والسخطِ
والصَّبْرِ والجزعِ.

هل يجبُ علينا أن نرضى بكُلِّ مَقْضِيٍّ؟ الجوابُ: فيه تفصيلٌ أمَّا المقضيُّ
الشرعيُّ فيجب علينا أن نرضى به؛ فيجبُ علينا أن نُؤمِنَ بوجوبِ الصَّلَاةِ،
وتحريمِ الزَّنا، وما أشبه ذلك، لكن في الكونيِّ لا يلزمُ علينا الرِّضَا بكُلِّ مقضيٍّ؛
وذلك أنَّ المقضيَّ إمَّا أن يكونَ ممَّا يكرهه الله أو ممَّا يحبُّه، فإن كان ممَّا يكرهه الله
وَجَبَّ علينا أن نكرهه؛ فمثلاً كفرُ الكافرينِ لا شكَّ بالنسبة لقضاءِ الله له حقٌّ
وعدْلٌ وحكمةٌ، لكن المقضيُّ وهو الكفرُ لا يلزمنا أن نرضى به، بل لا يجوزُ أن

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم (٢٣٩٦).

نرضى بهذا بالمقضي، لكننا لا نعرض على الله ونقول: لماذا يُقدَّر الكفر؟ لماذا لم يجعل النَّاسَ كُلَّهُم على الإيمان؟ هذا حرامٌ، إنَّما المقضيُّ فيه أقسامٌ: ما كرهه الله يجب علينا أن نكرهه، وما أحبه الله يجب علينا أن نحبه، هذا في الأمور الشرعية.

أمَّا في الأمور الكونية كالمصائب مثلاً، فإذا أُصيب الإنسان بمصيبة يكون له أربع مراتب: الجزع، الصبر، الرضا، الشكر، فإذا أُصيب الإنسان بمصيبة كونية كالمرض مثلاً، أو موت الأحباب، أو فقد الأموال، وما أشبه ذلك، فله أربع مراتب:

الأولى: الجزع، أن يجزع من قضاء الله إمَّا بلسانه وإمَّا بفعاله وإمَّا بقلبه، إمَّا بلسانه مثل أن يدعو بالويل والثبور كما يدعو أهل الجاهلية: يا ويلاه، يا ثبوره، وانقطاع ظهراه، وما أشبه ذلك، وبالفعل كشق الجيب أو نتف الشعر أو خمش الحدود، وإمَّا بقلبه بأن يجزع من الله؛ يعني: يقول في قلبه: كيف ابتلاني الله عزَّ وجلَّ وقد عافى فلاناً وفلاناً فيتسخط على الله عزَّ وجلَّ ما حُكِّمَ هذا؟ هذا محرَّمٌ حتَّى إنَّ النَّبِيَّ ﷺ تبرأ من فاعله فقال: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْخُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ»^(١)، ولما مرَّ بامرأة عند قبر تبكي على ولدها قال لها: «اتَّقِي اللَّهَ وَاصْبِرِي»، ولكنها لم تفعل، وقالت: إِلَيْكَ عَنِّي، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَبِّ بِمُصِيبَتِي، فانصرف الرَّسُولُ ﷺ فقليل لها: إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، فَجَاءَتْ تَعْتَذِرُ، فَقَالَ لَهَا: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(٢)، وصدق الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب، رقم (١٢٩٤)، ومسلم: كتاب

الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية، رقم (١٠٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، رقم (١٢٢٣)، ومسلم: كتاب الجنائز، باب

في الصبر على المصيبة عند أول الصدمة، رقم (٩٢٦).

الثانية: الصَّبْرُ، وهو حبسُ النَّفْسِ عن الجزع، بمعنى: أَنَّ الإنسانَ يتَأَلَّمُ جَدًّا جَدًّا من المصيبةِ، ويتمنَّى أنَّها لم تكن حَدَثَتْ، لكنَّه صابِرٌ لم يَتَسَخَّطْ لا بقوله ولا بفعله ولا بقلبه، فهو صابِرٌ يقولُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجعون»، ويصبرُ، فهذا واجبٌ؛ لأنَّه صبرٌ عن المحرَّم، والصَّبْرُ عن المحرَّم واجبٌ.

الثالثة: الرِّضَا، أنْ تكونَ المصيبةُ عندَ الإنسانِ ليس بين وجودِها وعدمِها فرقٌ؛ يعني: هو ما تَأَلَّمُ ذاك التَّأَلُّمَ؛ لأنَّه يقولُ في نفسه: أنا عبدُ اللهِ عزَّ وجلَّ يفعلُ بي ما شاء، إنْ أعطاني شَكَرْتُ، وإنْ ابتلاني صَبَرْتُ، فالكُلُّ عنده سواءٌ، هذه لا شكَّ أنَّها أعلى مرتبةً من الصَّبْرِ؛ ولهذا اختلف العلماءُ -رحمهم اللهُ تعالى- هل الرِّضَا بالمصائبِ واجبٌ أو مستحبٌّ؟ والجمهورُ على أنَّه مستحبٌّ وليس بواجبٍ، وهذا اختيارُ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ وجماعةٍ من المحقِّقين، وهو الصَّحيحُ، وهذا بالنسبة للمَقْضِيِّ.

أمَّا القضاءُ فيجبُ الرِّضَا به على كُلِّ حالٍ، والرِّضَا بالقضاءِ من مقتضى قولِ القائلِ: «رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا».

لكن هذا الذي رَضِيَ هل نقولُ إذا بَكَى: دَلَّ ذلك على عدمِ رضاه؟ الجوابُ: لا، فقد يبكي رحمةً، أو يبكي يتذكَّرُ مثلاً اجتماعه بهذا الشَّخصِ وما أشبه ذلك، فيتجدَّد له الحزنُ، فهذا لا يُنافي الرِّضَا.

الرَّابِعة: الشُّكْرُ، وهو فوق هذا كُلِّه؛ إذ كُلُّ شاكرٍ صابِرٌ راضٍ، وكُلُّ راضٍ صابِرٌ، وليس كُلُّ صابِرٍ راضياً ولا شاكرًا، والشُّكْرُ أنْ تشكرَ اللهُ على هذا البلاءِ، وهذا أمرٌ قد يبدو للإنسانِ مستحيلًا؛ إذ كيف يشكرُ اللهُ على مرضٍ، أو على فقرٍ، أو على موتِ أولادٍ، أو على قلقٍ وخوفٍ؟

قال العلماء: يُتَصَوَّرُ هذا بأن يذكرَ أنَّ هذه المصيبةَ تُكْفِّرُ السَّيِّئَاتِ، ومع الاحتسابِ تُرْفَعُ الدَّرَجَاتُ، وأيضًا هذه المصيبةُ عقوبةٌ عَجَّلَتْ له في الدُّنْيَا، والعقوبةُ إذا عَجَّلَتْ في الدُّنْيَا فهي أهونُ من تأخيرها في الآخِرَةِ، فيشكرُ من هذه النَّاحِيَةِ.

فهذه أحوالُ النَّاسِ عند وجودِ ما يُكْرَهُ من المقضيِّ، أمَّا بالنسبةِ لصدوره من الله - سبحانه وتعالى - فالرِّضَا به واجبٌ؛ لأنَّك إن لم ترَضَ بذلك فإنَّك لم ترَضَ بالله ربًّا، وهذا بالنسبةِ للمصائبِ التي من الله.

أمَّا بالنسبةِ للأفعالِ فهل نرضى بأفعالِ النَّاسِ؟ نقولُ: فيها عدَّةُ أمورٍ: إذا كانت معصيةً لا نرضى بها، ولا يجوزُ الرِّضَا بها، وإذا كانت طاعةً وَجَبَ الرِّضَا بها؛ لأنَّك لو لم ترَضَ بفعلِ العبدِ إذا كان طاعةً فقد كَرِهْتَ حُكْمَ الله، وكراهةُ حُكْمِ الله لا شكَّ أمَّا حرامٌ وقد تكونُ كفرًا، فيجبُ علينا أن نرضى بالطَّاعاتِ، وبذلك نعرفُ الخطورةَ العظيمةَ على أولئك الذين يكرهون من النَّاسِ أن يتطوَّعوا بالعباداتِ، يُوجَدُ من النَّاسِ مَنْ يَمْنَعُونَ أبناءَهُم وبناتِهِم من فعلِ الطَّاعةِ، يقولُ مثلاً: لا تَقُمْ بالليلِ حتَّى لا تسهر فتتعبَ نفسَكَ، لا تصم الإثنين والخميسَ، لا تصم الأيامَ البيضَ؛ لأنَّ هذا تعبٌ، وهذا يشكو منه بعضُ النَّاسِ، فبعضُ النَّاسِ يتصلون علينا ويقولون: إنَّ أُمَّنَا مَنَعَتْنَا من الصَّيَامِ، مَنَعَتْنَا من قيامِ اللَّيْلِ، أبونا يقولُ: لا تصوموا، يقولُ: لا تطلبوا العلمَ، لا تذهبوا مع الرِّجالِ الخيِّرينَ الطَّيِّبينَ، وهذا خطيرٌ جدًّا؛ لأنَّ هذا مضمونُه كراهةُ الطَّاعةِ، وهو خطيرٌ على الإنسانِ.

ولا شكَّ أنَّ الذين يفعلون مثلَ هذا الفعلِ أُنَّهم سُفَهَاءُ عقولٍ ضِعَافُ دينٍ؛ لأنَّ الذي ينبغي للإنسانِ إذا مَنَّ اللهُ على أبنائه وبناته بالاستقامة أن يشكرَ الله

ويشجعهم على ذلك؛ لأنَّ هذا خيرٌ له، وقد قال النبي ﷺ «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^(١).

فصار عندنا الآن بالنسبة للحكم الكوني هل نرضى به أو لا؟ الجواب: باعتبار صدوره من الله نرضى به وجوباً؛ لأنَّه قضاء الله، وهو ربُّنا يفعل ما يشاء، وبالنسبة للمقضي فيه تفصيل: فإن كان مصائبَ فالنَّاسُ فيها مراتبُ أربع، وإن كان فعلاً من العبد فإن كان معصيةً حُرِّمَ الرِّضا به، وإن كان طاعةً وَجَبَ الرِّضا به.

فإذا قال قائل: قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] الصَّحَابَةُ كَرِهُوا الْقِتَالَ، والقتالُ جهادٌ في سبيلِ الله، كيف يكون كُرْهاً؟ نقول: إِنَّ كُرْهَهُمْ لَيْسَ لِكِتَابَتِهِ عَلَيْهِمْ، فهم بالنسبة للكتابة راضون وسينفذون، لكن هذا كرهٌ طبيعيٌّ، كُلُّ إِنْسَانٍ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ، لكن من النَّاحِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ وفرضِ الله إِيَّاهُ ما كَرِهُوا هَذَا أَبَدًا، بل يتسابقون إليه، ومن هذا النَّوعِ كَوْنُ النَّبِيِّ ﷺ «يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا»^(٢)، فإنَّ بعضَ أَهْلِ الْعِلْمِ يَقُولُ: هَذِهِ الْكِرَاهَةُ لَيْسَتْ كِرَاهَةً شَرْعِيَّةً وَهِيَ كِرَاهَتُهُ أَكْلَ الْبَصْلِ وَالثُّومِ، لكن هذا فيه نظرٌ وفيه تردُّدٌ.

الخلاصة: أَنَّ الْحُكْمَ نَوْعَانِ: شَرْعِيٌّ وَكُونِيٌّ؛ فَالشَّرْعِيُّ هُوَ أَمْرُهُ الدِّينِيُّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، وَالْكُونِيُّ مَا يَقْضِيهِ اللَّهُ تَعَالَى فِي خَلْقِهِ وَهُوَ دَائِرٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ لَا ثَالِثَ لِهَما: الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الهبات، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته، رقم (١٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العصر، رقم (٥٢٢)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها، رقم (٦٤٧).

الحكم بالنسبة للشرعي يجب علينا أن نرضى به سواء كان مأمورًا به أم منهيًا عنه، أمّا الكوني فنقول: أمّا أصل القضاء فيجب علينا أن نرضى به؛ لأنّ هذا من مقتضى رضا الإنسان بالله ربًّا، والمقتضى فيه التفصيل؛ فلإنسان أربعة مقامات كما سبق، أمّا المقتضى الشرعي يجب الرضا به على كلّ حال، لكن إذا وقع من شخص زنا، فوقع الزنا منه حكم كوني لا شرعي، فيجب علينا أن نرضى بأن الله حرّمه، ولكن لا نرضى بفعل هذا الرجل له؛ لأنّ المقتضى كما قال ابن القيم رحمه الله: «والشأن في المقتضى كلّ الشأن».

٣٢٧٥- فَاللَّهُ يَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَيَسْحَطُ الـ مَقْضِي مَا الْأَمْرَانِ مُتَّحِدَانِ

قَوْلُهُ: «فَاللَّهُ يَرْضَى بِالْقَضَاءِ وَيَسْحَطُ الْمَقْضِيَّ»، فهو عزّ وجلّ يرضى أنّه قضى على عباده بالكفر والإيمان، ويسخط الكفر، يرضى -جلّ وعلا- بكونه حرّم الزنا، ويكره أن يقع الزنا، كيف يكره أن يقع الزنا؟ نعم، يكرهه شرعًا، لو قال قائل: إذا كان عزّ وجلّ يكره الزنا فلماذا قضى به كونه؟ نقول: قضى به كونه لحكمة عظيمة كما أنّه جعل الخلق منهم كافرًا ومنهم مؤمنٌ لحكمة عظيمة، وهو لا يرضى الكفر.

قَوْلُهُ: «مَا الْأَمْرَانِ مُتَّحِدَانِ» هل هذا الإعراب مخالفٌ للمشهور من لغة العرب أو موافقٌ؟ الجواب: نقول: إذا قال لك: إنّهُ تميمي انتهى الإشكال، وإذا قال لك: إنّهُ قرشيٌّ لكنّه يرى أنّ المثنى يلزم الألف مطلقًا، إذن لها مخرج، إمّا أن يُقال: إنّ المؤلف -رحمه الله- مشى على لغة بني تميم، وإمّا أن يُقال: إنّهُ مشى على لغة من يلزمون المثنى الألف مطلقًا، لكنني أقول: بالنسبة للمؤلفين الذين ألفوا بعد تغير هذا اللسان يجب أن يمشوا على لغة قريش التي هي لغة القرآن، لكن إذا أتاك رجلٌ يريد أن يجادلّ فله مخرجٌ.

٣٢٧٦- فَقَضَاؤُهُ صِفَةٌ بِهِ قَامَتْ وَمَا الـ — مَقْضِيٌّ إِلَّا صَنْعَةُ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «فَقَضَاؤُهُ صِفَةٌ بِهِ قَامَتْ» قضاؤه الذي هو فعله عز وجل أو تشريعهُ للشيء صفةٌ قامت به، وهذا يجب الرضا به على كلِّ حالٍ، وليُعْلَمَ أن قضاء الله وإن كان المقضيُّ شرًّا فهو خيرٌ؛ لأنَّ الله وإن قَضَى الشَّرَّ فَإِنَّمَا يَقْضِيهِ لِحُكْمَةٍ بِالْغَةِ وَغَايَةٍ مَحْمُودَةٍ، فهو خيرٌ.

قَوْلُهُ: «وَمَا الْمَقْضِيُّ إِلَّا صَنْعَةُ الْإِنْسَانِ»، وفي نسخة: «صَنْعَةُ الرَّحْمَنِ»؛ يعني: إِلَّا مَصْنُوعٌ، فـ«صناعة» هنا بمعنى مصنوع، أمَّا على نسخة: «وَمَا الْمَقْضِيُّ إِلَّا صَنْعَةُ الْإِنْسَانِ» فالمعنى: ما المقضيُّ إِلَّا فَعَلَ الْإِنْسَانِ، وهذا صحيحٌ، فيكون المقضيُّ فَعَلَ الْإِنْسَانِ مِنْ طَاعَاتٍ وَمَعَاصٍ.

وعلى نسخة: «وَمَا الْمَقْضِيُّ إِلَّا صَنْعَةُ الرَّحْمَنِ» فصحيحٌ أيضًا كما سبق في المصائبِ، فالمصائبُ من فعلِ الله، وكذلك الطَّاعَاتُ وَالْمَعَاصِي مِنْ فَعْلِ الْعَبْدِ، وَلَكِنَّهَا بِإِرَادَةِ اللَّهِ.

٣٢٧٧- وَالْكَوْنُ مَحْبُوبٌ وَمَبْغُوضٌ لَهُ وَكِلَاهُمَا بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَالْكَوْنُ مَحْبُوبٌ وَمَبْغُوضٌ لَهُ»؛ يعني: الواقع كونًا منه ما هو محبوبٌ لله مثل: الطَّاعَاتِ، ومنه ما هو مبغوضٌ له كالمعاصي، قال الله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وقال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَاقًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]، وكم الغنى، رقم (١٤٧٧). ومسلم: كتاب الأفضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، رقم (١٧١٥).

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ»؛ أي: المحبوب والمبغوض كلاهما بمشيئته، اجتمع رجلان: أحدهما مبتدع^(١)، فلما جلس أو جاء قال: «سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْفَحْشَاءِ!»، فهذا الكلام ظاهره أنه صحيح، ففطن له الآخر وهو من أهل السنة، فقال: «سُبْحَانَ مَنْ لَا يَكُونُ فِي مَلِكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ!»^(٢)، معنى كلام الأول: أن المعاصي غير مرادة لله، وهذا أحد القولين من مذهب القدرية؛ لأن القدرية منهم من يقول: جميع أفعال العبد لا تدخل في مشيئة الله، ومنهم من يقول: المعاصي لا تدخل في مشيئة الله؛ لأن الله لا يرضاها، والطاعات تدخل في مشيئة الله.

فقوله: «سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْفَحْشَاءِ!»؛ يعني: أن المعاصي غير مخلوقة لله، وغير مرادة لله، فقال الآخر: «سُبْحَانَ مَنْ لَا يَكُونُ فِي مَلِكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ!»، فقال له الأول: أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهَدَى - يعني: لم يهديني - وقضى عليّ بالردي أحسن إليّ أم أساء؟ السؤال مخرج، فأجابه قائلاً: «إِنْ مَنَعَكَ مَا هُوَ لَكَ فَقَدْ أَسَاءَ، وَإِنْ مَنَعَكَ مَا هُوَ فَضْلُهُ فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»، فانقطع الرجل؛ يعني: قال له: هل لك على الله حق حتى تقول: منعي حقي؟ الجواب: لا، هو فضله، والله - سبحانه وتعالى - يؤتي فضله من يشاء، فيهدي هذا ويهدي هذا، ويضل هذا، ولكن اعلم أن الله لا يضل إلا من علم سبحانه أنه أهل للإضلال، فيكون قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩] مقيداً بما إذا كان الذي أضله الله غير أهل للهداية، أعاذنا الله وإياكم من هذا، والدليل قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

(١) هو القاضي عبد الجبار الهمداني المعتزلي، والآخر هو أبو إسحاق الإسفراييني من أئمة أهل السنة.

(٢) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاري (١/ ٣٣٩).

فإذا قال قائلٌ: المحبوبُ وقوعه بمشيئةِ الله لا إشكالَ فيه؛ لأنَّ اللهَ يحبُّه فأوقعه، ولكن المكروهُ كيف يكون بمشيئةِ الله؟ نقولُ: من هنا ضلَّ مَنْ ضلَّ من النَّاسِ، وقالوا: إنَّ المكروهَ لله لا يقعُ بمشيئتهِ وإنَّ المعاصيَ ليست بمشيئةِ الله، وكيف يشاءُ اللهُ شيئاً لا يرضاهُ؟

ولكننا نقولُ: بل إنَّ اللهَ لا يكونُ في مُلكِهِ ما لا يريدُ، كُلُّ شيءٍ في ملكِهِ فهو بإرادةِ الله عزَّ وجلَّ، ولا يخرجُ عن ملكِهِ شيءٌ، ولكنَّ المرادَ نوعان: مرادٌ لذاته، ومرادٌ لغيره، فالمحبوبُ مرادٌ لذاته، والمكروهُ «المبغوضُ» لله مرادٌ لغيره؛ لأنَّ في وقوعِ هذا الشيءِ الذي يبغضُه اللهُ ويكرهُه من المصالحِ العظيمةِ ما اقتضتِ الحكمةُ أن يقعَ من أجلِّها، لولا وقوعُ ما يكرهه اللهُ عزَّ وجلَّ لم يُعرَفِ المؤمنُ من الكافرِ ولا المتَّقِي من الفاسقِ، فلولا الكفرُ ما عُرفَ قدرُ الإيمانِ، ولولا الكفرُ ما قامتِ الدُّنيا والآخرةُ؛ لأنَّ اللهَ خَلَقَ النَّارَ وخلقَ لها أقوامًا، ولم يَقمِ عَلمُ الجهادِ ولا الأمرُ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ، ولم يعرفِ الإنسانُ قدرَ نعمةِ الله عليه بالإيمانِ، إلى غير ذلك من المصالحِ العديدةِ في وقوعِ الأشياءِ المكروهةِ لله، لكنَّها مرادةٌ لغيرها؛ أي: لما يترتَّبُ عليها من المصالحِ، وإلَّا فإنَّ اللهَ يريدُ منَّا أن نقضيَ على هذه المعاصي؛ ولهذا أمرَ بحدِّ الزَّاني، وقطعِ يدِ السَّارقِ، ورجمِ الزَّاني المُحصَن، وهكذا، كُلُّ هذا قطعًا لدابرِ هذا الشيءِ، لكن الحكمةُ تقتضي وجوده لما فيه من المصالحِ العظيمةِ.

ونضربُ لهذا مثلاً برجلٍ له طفلٌ يحبُّه حبًّا شديدًا، ويكرهُ أن يخرجَ به إلى الشَّمسِ؛ خوفًا من حرِّها، فمرضَ الطِّفْلُ، فجاء الطَّبیبُ، وقال: لا بُدَّ أن نكويَه في بطنِهِ أو في رأسِهِ، كيف ذلك مع أنَّ النَّارَ حارَّةٌ، فالرَّجُلُ يتَّقِي الشَّمسَ خوفًا من أن تحتمِيَ على ولده؟! فهل يكرهُ أبو الطِّفْلِ أن يُكوى أو لا يكرهُ؟ الجوابُ: يكرهُ

بدون سبب، لكن للغاية يُحِبُّ أن يُكْوَى، فيقول: اكوه، فالله عَزَّ وَجَلَّ قد يريد الكفرَ والمعاصيَ لغاية حميدة.

٣٢٧٨- هَذَا الْبَيَانُ يُزِيلُ لَبْسًا طَالَمَا هَلَكْتَ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلَّ زَمَانٍ

يبقى محيرًا للناس؛ كيف يريد الله ما يكره؟ وكيف يريد ما لا يحبُّه؟ لكن المؤلف - رحمه الله - شرح هذا الباب شرحًا وافيًا، ويبيِّن أنَّ هناك فرقًا بين القضاء والمقتضى، وأنَّ القضاء كُلُّهُ محبوبٌ لله تعالى، وأمَّا المقتضىُ فمنه ما هو مكروهٌ ومنه ما هو محبوبٌ، والمبغوضُ مرادٌ لغيره، والمحجوبُ مرادٌ لذاته.

٣٢٧٩- وَيَحِلُّ مَا قَدْ عَقَّدُوا بِأُصُولِهِمْ وَبُحُوثِهِمْ فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بَيَانٍ

يعني: هذا البيانُ يحلُّ ما قد عقَّدوا بأصولهم؛ أي: ما جعلوه مُعَقَّدًا لم يعرفوا أن يتخلَّصوا منه.

٣٢٨٠- مَنْ وَاَفَقَ الْكُونِيَّ وَافَقَ سُخْطَهُ إِنْ لَمْ يُوَافِقْ طَاعَةَ الدِّيَانِ

مَنْ وَاَفَقَ الْقَضَاءَ الْكُونِيَّ، وليست هذه الموافقةُ موافقةً لطاعةِ الله، فهذا وقع في سخطِ الله لكنه بقضاءِ الله الكونيِّ، وبهذا نقولُ: العاصي موافقٌ لمرادِ الله الكونيِّ، لكنه ليس موافقًا لمرادِ الله الشرعيِّ، ومرادهُ رحمه الله بقوله: «إِنْ لَمْ يُوَافِقْ طَاعَةَ الدِّيَانِ»؛ يعني: إن كان مخالفًا للطَّاعة، وذلك لأنَّ الأشياءَ إمَّا واجبٌ، أو حرامٌ، أو مباحٌ، فمرادُ ابنِ القيم - رحمه الله - الحرام.

٣٢٨١- فَلِذَاكَ لَا يَعْدُوهُ ذَمٌّ أَوْ قَوَا تِ الْحَمْدِ مَعَ أَجْرٍ وَمَعَ رِضْوَانِ

قَوْلُهُ: «لَا يَعْدُوهُ»؛ أي: لا يعدو مَنْ وَاَفَقَ الْكُونِيَّ ذَمٌّ؛ يعني: لا بُدَّ أن يكون مذمومًا؛ لأنَّه خَالَفَ الطَّاعَةَ.

قَوْلُهُ: «أَوْ فَوَاتُ الْحَمْدِ مَعَ أَجْرٍ وَمَعَ رِضْوَانٍ»؛ يعني: أو يفوته الحمدُ والأجرُ والرِّضوانُ؛ يعني: فهو إمَّا أن يُذَمَّ إن كان الشَّيْءُ الذي فعله مكروهًا، أو يفوته الحمدُ والرِّضوانُ والأجرُ إذا ترك شيئًا محبوبًا.

مثلاً مَنْ زَنَى - نَسَأَلَ اللهُ العَافِيَةَ - هذا يلحقه الذَّمُّ، وَمَنْ لم يَقمِ بالوَاجِبِ فَإِنَّهُ يَفُوتُهُ الحَمْدُ والأجرُ والرِّضوانُ، وإن كان قد يُذَمُّ من وجهٍ آخَرَ.

٣٢٨٢- وَمُؤَافِقُ الدِّينِيِّ لَا يَعدُوهُ أَجْرٌ - رَبُّبَلْ لَهُ عِنْدَ الصَّوَابِ اثْنَانِ
قَوْلُهُ: «وَمُؤَافِقُ الدِّينِيِّ لَا يَعدُوهُ أَجْرٌ» «الدِّينِيِّ»؛ أي: الشَّرْعِيِّ، وَصِفَةٌ لمُحذوفٍ تَقديرُهُ: «الأمر» أو «الحُكْم» الدِّينِيِّ، لا يَعدوه أَجْرٌ.

يعني: لا بُدَّ أن يَنَالَ أَجْرًا بِخِلافِ مَنْ وَافَقَ الأَمْرَ الكونِيَّ، فَقَدْ يُذَمُّ، وَقَدْ يَفُوتُهُ الحَمْدُ والرِّضوانُ، أَمَّا مُؤَافِقُ الأَمْرِ الدِّينِيِّ فَإِنَّهُ لا يَعدوه أَجْرٌ، «بَلْ لَهُ عِنْدَ الصَّوَابِ اثْنَانِ»؛ وَذَلِكَ إِذَا أَصَابَ، قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ»^(١).

(١) أخرجُه البخاري: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (٦٩١٩)، ومسلم: كتاب الأفضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، رقم (١٧١٦).

فصل

- ٣٢٨٣- وَالْحِكْمَةُ الْعُلْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ أَيْ - ضَا حُصًّا بِقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
 ٣٢٨٤- إِحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ أَيْضًا لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 ٣٢٨٥- أَحْكَامُ هَذَا الْخَلْقِ إِذْ إِجْبَادُهُ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ
 ٣٢٨٦- وَصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدٌ كُلُّ لِسَانٍ
 ٣٢٨٧- وَالْحِكْمَةُ الْأُخْرَى فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ أَيْضًا وَفِيهَا ذَانِكَ الْوُضْفَانِ
 ٣٢٨٨- غَايَاتُهَا السَّلَاتِي مُحْمَدَنَ وَكَوْنُهَا فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ

الشرح

- ٣٢٨٣- وَالْحِكْمَةُ الْعُلْيَا عَلَى نَوْعَيْنِ أَيْ - ضَا حُصًّا بِقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
 ٣٢٨٤- إِحْدَاهُمَا فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ نَوْعَانِ أَيْضًا لَيْسَ يَفْتَرِقَانِ
 لما انتهى الكلام على الحكمِ شَرَعَ في الكلام على الحكمة التي هي الأحكام، وهي على نوعين: حكمة في الخلق، وحكمة في الشرع، والحكمة في الخلق أيضًا نوعان: إحكام هذا الخلق، والثاني: الغاية من هذا الخلق، فهي حكمة ذاتيةٌ صوريةٌ، وحكمةٌ غائيةٌ.

إذْنُ الْحِكْمَةِ إِمَّا فِي ذَاتِ الشَّيْءِ الْمَخْلُوقِ أَوْ الْمَشْرُوعِ، وَإِمَّا فِي غَايَتِهِ، فَتَكُونُ الْأَقْسَامُ أَرْبَعَةً وَهِيَ: حِكْمَةٌ فِي الْمَخْلُوقِ ذَاتِهِ، وَحِكْمَةٌ فِي غَايَتِهِ، وَحِكْمَةٌ فِي الْمَشْرُوعِ،

وحكمة في غايته.

٣٢٨٥- أَحْكَامُ هَذَا الْخَلْقِ إِذْ إِجَادُهُ فِي غَايَةِ الْإِحْكَامِ وَالْإِتْقَانِ

تأمل السماء، الأرض، الشمس، القمر، النجوم، تجدها كلها بهذا الترتيب والنظام مطابقة للحكمة؛ كما قال الله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥]، هذا التقدير المرتب الذي لا يفوت ولا يتغير منذ خلق إلى اليوم وإلى أن يشاء الله، وكذلك الشمس فقد قدر الله جريانها على فصول أربعة، النجوم، والإنسان وتركيبه على هذا الشكل وبهذه القامة، وبإيداع ما أودعه الله تعالى في قواه الظاهرة والباطنة، كونه على هذا الوجه موافق للحكمة، فمثلاً: «اليد» لماذا كانت أصابعها طويلة وأصابع الرجل قصيرة؟ الجواب: لحكمة؛ لأن اليد بها يقبض، وبها يأكل، وبها يشد وبها يحمل، لكن لو كانت أصابع الرجل طويلة لأشكل على الإنسان كيف يمشي؟ لكن جعلها الله قصيرة من أجل أن تثبت على الأرض، ولماذا جعل أظفاراً في أطراف الأصابع؟ الجواب: لحكمة، لولا هذه الأظفار لتدرنت أطراف الأصابع، وأشياء كثيرة، ومن أراد الزيادة في هذا الأمر فعليه بقراءة كتاب: «مفتاح دار السعادة» للنظام رحمه الله، ففيه عجائب.

والغاية من هذا الخلق أيضاً حكمة؛ ولهذا قال:

٣٢٨٦- وَصُدُورُهُ مِنْ أَجْلِ غَايَاتٍ لَهُ وَلَهُ عَلَيْهَا حَمْدٌ كُلِّ لِسَانٍ

فصارت الحكمة في الخلق من وجهين:

الأول: إيجاد الخلق على هذه الصورة.

الثَّانِي: الغاياتُ من هذا الخلقِ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَوَةَ
يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢٠].

الشَّرْعُ له حكمتانِ أَيضًا:

الحكمة الأولى: كونه على هذا الوجه.

الحكمة الثانية: الغاية منه.

فكونه على هذا الوجه كصلاة، وزكاة، وصيام، وحج، هذه حكمة عظيمة،
فالصلاة على هذا الوصف وفي هذا الوقت في غاية الإتيان والإحكام، وكون
الغاية منها تَيْلُّ الأجرِ والثواب وما أشبه ذلك، هي أيضًا حكمة، فهي عملٌ بدنيٌّ
محض، وليس فيها عملٌ ماليٌّ إلا ما يتمُّ به هذا العملُ البدنيُّ كالماءِ تشتريه بالدرهم
مثلًا، والسُّترَةُ كالثيابِ وشبهها، تأتي إلى الزَّكَاةِ نجدُها عبادةً ماليَّةً؛ لأنَّ من النَّاسِ
مَنْ يهونُ عليه أن يصليَّ ألفَ ركعةٍ ويشقُّ عليه أن يتصدَّقَ بدرهمٍ.

ويُقالُ: إنَّ رجلًا عثرَ، وعليه نعلٌ فانقطع أصبعُه، فقال: الحمدُ لله الذي
جعلَه في الأصبعِ لا في النِّعلِ، فالأصبعُ أشدُّ، لكن لا يهْمُه الأصبعُ، بل عنده أن
النِّعلَ شديدُ الأهميَّةِ.

وقد نَوَّع اللهُ العباداتِ؛ هذه عبادةٌ بدنيَّةٌ، وتلك عبادةٌ ماليَّةٌ، الصَّيَامُ يمكنُ
للإنسانِ أن يبذلَ شيئًا كثيرًا، ولا يُقالُ له: لا تأكل، ولا تشرب، لاسيَّما في أيَّامِ
الصَّيْفِ الطَّويلَةِ الحارَّةِ، لكنَّه امتحانٌ، إذنُ إذا نظرنا إلى الأحكامِ الشرعيَّةِ وجدنا
أنَّها هي نفسها في غاية الإتيانِ، وغاياتها محمودَةٌ.

ويُذكرُ أنَّ بعضَ العلماءِ استحسِنَ أمرًا لكنَّه ليس بحسِنٍ، فقد وَجَبَتْ على
أحدِ الخلفاءِ كفَّارةٌ فيها عتقُ ثَمِّ صيَّامٍ، وهذا الخليفةُ عنده من العبيدِ ما لا يُحصَى،

فقال هذا العالم: لو أَفْتَيْتَهُ بِاعْتِاقِ رَقَبَةٍ لَكَانَ الْأَمْرُ سَهْلًا، لَكِنْ سَأْفْتِيهِ بِصِيَامِ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ، فَعَلَّطَهُ الْعُلَمَاءُ، هُوَ ظَنَّ أَنَّ الْكُفْرَانَ تَأْدِيبٌ لِمَنْعِ الْإِنْسَانِ، وَقَالَ: إِنَّ صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعِينَ عَلَى هَذَا الْخَلِيفَةِ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَعْتَقَ رَقَبَةً أَوْ مِئَةَ رَقَبَةٍ، لَكِنَّهُ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّ هَذَا قِيَاسٌ فِي مَقَابِلَةِ النَّصِّ، وَلِأَنَّهُ لَمْ يَتَفَنَّ لِحَرِيرِ الرَّقَبَةِ وَتَخْلِصِهَا مِنَ الرَّقِّ، وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ.

عَلَى كُلِّ حَالٍ إِذَا تَأَمَّلْتَ الشَّرِيعَةَ وَجَدْتَهَا حَكْمَةً فِي كَوْنِهَا عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ وَهَذَا الْوَجْهِ.

حِكْمَةٌ غَائِيَّةٌ؛ أَي: الْغَايَةُ مِنْهَا أَيْضًا حَكْمَةٌ عَظِيمَةٌ وَليْسَ عِبْثًا، لَمْ يَفْرَضِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجِهَادَ عَلَى الْإِنْسَانِ مَعَ كَوْنِهِ كُرْهًا لَهُ لِمَجْرَدِ أَنْ يَعْذِبَهُ بَلْ لِمَغَايَاتٍ مَحْمُودَةٍ، وَمَا الْغَايَةُ؟ قَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١١٦﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٧﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩-١٧١]، هَذِهِ غَايَةٌ عَظِيمَةٌ؛ وَهَذَا لِمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَرَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ شَهِيدًا وَكَلَّمَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ كِفَاحًا، قَالَ لَهُ: «يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِيَنِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ»^(١)، انظُرْ كَيْفَ تَمَنَّى هَذَا وَهُوَ فِي الدُّنْيَا! يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] لَكِنْ تَمَنَّى هَذَا؛ لِأَنَّهُ وَجَدَ الْغَايَةَ الْحَمِيدَةَ الْعَظِيمَةَ.

(١) أخرج الترمذي: كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران، رقم (٣٠١٠)، وابن ماجه: كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٩٠).

٣٢٨٧- وَالْحِكْمَةُ الْأُخْرَى فَحِكْمَةُ شَرْعِهِ أَيْضًا وَفِيهَا ذَانِكَ الْوَصْفَانِ

٣٢٨٨- غَايَتُهَا اللَّاتِي مُحْمَدُنْ وَكَوْنُهَا فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «غَايَتُهَا اللَّاتِي مُحْمَدُنْ»، هذه واحدة.

قَوْلُهُ: «وَكُوْنُهَا فِي غَايَةِ الْإِتْقَانِ وَالْإِحْسَانِ» نَفْسُ الشَّرَائِعِ كُلُّهَا حِكْمَةٌ عَظِيمَةٌ مُتَّقَنَةٌ عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِ، فِيهَا إِحْسَانٌ وَلَيْسَ فِيهَا ظَلَمٌ، بَلْ كُلُّهَا إِحْسَانٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٠]، فَهِيَ إِحْسَانٌ لِلْعِبَادِ حَتَّى إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَعْطَى عِبَادَهُ قَاعِدَةً عَامَّةً فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التَّغَابُنُ: ١٦]، وَقَالَ: ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البَقَرَةُ: ٢٨٦]، ﴿ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأَحْزَابُ: ٥]، وَغَايَةُ الْقِيَامِ بِهَذِهِ الْعِبَادَاتِ هِيَ السَّعَادَةُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ أَسْعَدَ حَيَاةً مِمَّنْ يَقُومُ بِهَذِهِ الْأَعْمَالِ بِالْدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ، وَاتْلُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ [النَّحْلُ: ٩٧] هَذِهِ الدُّنْيَا، ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [النَّحْلُ: ٩٧] هَذِهِ الْآخِرَةُ، النَّاسُ كُلُّهُمْ يَنْشُدُونَ أَنْ يَحْيُوا حَيَاةً طَيِّبَةً، حَتَّى الْكُفَّارُ يَرِيدُونَ ذَلِكَ لَكِنْ لَا يُمْكِنُ ذَلِكَ إِلَّا بِهَذَيْنِ الشَّرْطَيْنِ: الْعَمَلِ الصَّالِحِ الْمَبْنِيِّ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنُثِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ﴾ [النَّحْلُ: ٩٧]؛ وَلِذَلِكَ لَا تَجِدُ أَسْعَدَ حَيَاةً وَلَا أَنْعَمَ بِالًّا وَلَا أَشَدَّ طَمَآنِينَةً فِي قَلْبٍ مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

المؤلف - رحمه الله - بدأ في الحكمة في الخلق، بدأ بالحكمة الأولى، وفي الشريعة بدأ بالحكمة الثانية وهي الغاية، والظاهر لي - والله أعلم - أنه ما قصد بهذا شيئاً، وإنما ضيق النظم أو جَب له أن يبدأ بهذا وبهذا.

وقد أنكر قومٌ من المبتدعةِ الحكمةَ في غايته، وقالوا: إنَّ الحكمةَ غرضٌ، واللهُ - سبحانه وتعالى - منزّهٌ عن الأغراضِ، إذا قلت: إِنَّه فَعَلَ كذا لكذا فمعناه أَنَّهُ فَعَلَ لِغَرَضٍ، واللهُ مُنْزَهُ عن الأغراضِ، والواجبُ أن تعتقدَ أَنَّ اللهَ فَعَلَ هذا الشَّيْءَ أو شَرَعَ هذا الشَّيْءَ لمجردِ مشيئةٍ فقط رجّحت مثلاً على مثلٍ بلا سببٍ، أَوْجَبَتْ هذا بلا سببٍ، حرّمت هذا بلا سببٍ، ولا يجوزُ أن تقولَ: إنَّ اللهَ حرّمَ كذا لكذا، لماذا؟ قالوا: لأنَّ هذا نقصٌ، فكونُ الله يفعلُ الشَّيْءَ للشَّيْءِ، هذا نقصٌ، بل قل: إنَّ اللهَ يفعلُ ما يشاءُ لمجردِ المشيئةِ.

ولكنَّ الحقيقةَ أنَّ هذا القولَ باطلٌ؛ لأنَّه يبطلُ آياتٌ كثيرةٌ ونصوصٌ كثيرةٌ، فكلُّ شيءٍ فيه لامٌ التعليلِ فهو دالٌّ على الحكمةِ، وكلُّ شيءٍ فيه «من أجل» فهو دالٌّ على الحكمةِ كقوله تعالى: ﴿مَنْ أَجَلٍ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ٣٢]، وكقول النبيِّ: «لَا يَتَنَجَّى اثْنَانِ دُونَ الْآخِرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجَلٍ أَنْ ذَلِكَ يُجْزِئُهُ»^(١)، إلى غير ذلك، ثمَّ نقولُ: أيُّها أكملُ مَنْ يفعلُ لغيرِ مصلحةٍ أو مَنْ يفعلُ لمصلحةٍ؟ الجوابُ: الثاني، والأوّلُ سفيهٌ، فدعواهم أن هذا نقصٌ دعوى باطلة، بل نقولُ: هذا هو الكمالُ، وكونُهُ عزَّ وجلَّ يفعلُ شرعاً أو خلقاً لحكمةٍ هذا هو غايةُ الكمالِ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ [الأنبياء: ١٦]، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ [المؤمنون: ١١٥]، والآياتُ في هذا كثيرةٌ، حتّى العقلُ يدُلُّ على ثبوتِ الحكمةِ لله عزَّ وجلَّ، كونها

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب لا يتنجى اثنان دون الثالث، رقم (٥٩٣٠)، ومسلم: كتاب السلام باب تحريم مناجاة الاثنین دون الثالث بغير رضاه، رقم (٢١٨٣).

على هذا الوضع هذا حكمة لا شك، القمرُ قدَّرَه اللهُ منازلَ لنعلمَ عددَ السنين والحساب، الشمسُ قدَّرَ اللهُ جريانها على فصولٍ أربعة، كونُ الإنسانِ نفسه معتدلُ القامة وله يدان، وهلمَّ جرًّا، هذا حكمة.

ولذلك نقولُ: الصدفةُ في فعلِ الله ليس لها حقيقة، ولا يجوزُ أن يكونَ شيءٌ في فعلِ الله صدفةً؛ لأنَّ كُلَّ شيءٍ من فعلِ الله معلومٌ عنده وواقعٌ بإرادته، وفعلُ الله مُطلقٌ، أمَّا بالنسبة لنا فتقعُ الأشياءُ صدفةً، أحيانًا لا يعرفُ الإنسانُ شيئًا ومع ذلك ينجحُ في عمله، أحيانًا لا يكونُ في خاطرك أن توافقَ رجلًا من الناسِ ثمَّ تصادفُه، أحيانًا تحفرَ بئرًا ويصادفُك حجرٌ صلبٌ، المهمُّ المصادفةُ في حقِّ الإنسانِ واردةٌ لقصورِ علمه، أمَّا في حقِّ الله فليست واردة؛ لأنَّه عزَّ وجلَّ لا تصدرُ الأشياءُ منه إلا عن علم؛ ولهذا لا يُنكرُ على مَنْ قال: «وَجَدْتُ فَلانًا صدفةً»؛ لأنَّه يريدُ باعتباره لنفسه، لا باعتبار أنَّ الله قدَّرَ أن يُلاقيه، فهو باعتبارِ فعلِ الله ليس صدفةً، وباعتبارِ المخلوقِ صدفةً.

فصل

- ٣٢٨٩- وَهُوَ الْحَيِّيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ
عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِضْيَانِ
- ٣٢٩٠- لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ
فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ
- ٣٢٩١- وَهُوَ الْحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ
بِعُقُوبَةٍ لِيَتُوبَ مِنْ عِضْيَانِ
- ٣٢٩٢- وَهُوَ الْعَفُوفُ فَعَفُوهُ وَسِعَ الْوَرَى
لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضِ بِالسُّكَّانِ
- ٣٢٩٣- وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ
شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
- ٣٢٩٤- قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا
شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ
- ٣٢٩٥- هَذَا وَذَلِكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ
لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
- ٣٢٩٦- لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ
يُؤْذُونَهُ بِالشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ

الشرح

- ٣٢٨٩- وَهُوَ الْحَيِّيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ
عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِضْيَانِ
- ٣٢٩٠- لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ
فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ

من أسماء الله عز وجل «الحييُّ»، وهو من الحياء وليس من الحياة، وهنا «حييٌ وحييٌ ومحيي» تشبهُه على بعض الناس؛ فيظنون أن «المحيي» هو «الحيي» وأن «الحيي» هو «الحييُّ»، وهذا خطأ، ف«المحيي» الذي يخلق الحياة في غيره، و«الحييُّ»

هو المتَّصِفُ بالحياة؛ ولهذا الفعلُ من الأوَّلِ «أحيا»، ومن الثَّانِي: «حَيَّ»، وأمَّا «الحَيِّيُّ» فمن الحياءِ وليس من الإحياءِ ولا من الحياةِ.

قَوْلُهُ: «الحَيِّيُّ»: اسمٌ من أسماءِ الله، لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِّيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(١)؛ يعني: يستحيي الله عزَّ وجلَّ إذا رَفَعْتَ يديكَ إليه تسأله أن يردَّهما صفرًا، لا بُدَّ أن يجزيكَ على هذا الدُّعاءِ إمَّا أجزًا، وإمَّا حصولَ مطلوبٍ، وإمَّا أن يدفعَ عنكَ من الشَّرِّ ما هو أعظم، فلا يفوتُ الدُّعاءُ بلا فائدةٍ، فهو حَيِّيٌّ، وفي القرآنِ الكريمِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]، وفيه أيضًا: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فالحياءُ ثابتٌ لله عزَّ وجلَّ.

فإذا قال قائلٌ: الحياءُ انكسارٌ وتطامنٌ وتهاونٌ، فكيف يليقُ بالله؟ الجوابُ: هذا حياءُ المخلوقِ، أمَّا حياءُ الخالقِ فليس كمثله شيءٌ.

انتبه حتَّى لا يقولَ لك المعطلُّ: إنَّك إذا وصفتَ الله بالحياءِ فقد وصفتَهُ بالنقصِ؛ لأنَّ الحياءَ انكسارٌ يعترى الإنسانَ عند فعلٍ ما يُستَحْيَا منه، فيقالُ: هذا حياءُ المخلوقِ، أمَّا حياءُ الله فإنَّه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فإن قال قائلٌ: «الحَيِّيُّ» عادةٌ ينجلُ من الأفعالِ التي تتعلَّقُ به، فيقالُ: و«الحَيِّيُّ» أيضًا ينجلُ من أفعالٍ غيره؛ ولهذا تجدُ الإنسانَ «الحَيِّيَّ» ينجلُ أن يحكي

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الصلاة، باب الدعاء، رقم (١٤٨٨). والترمذي: أبواب الدعوات، باب، رقم (٣٥٥٦). وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب رفع اليدين في الدعاء، رقم (٣٨٦٥).

ذُنُوبَ الْآخِرِينَ، فكيف إذا كان له حَقُّ العقوبة؟! فتجده يستحي أن يُعاقِبَ غيرَه، فلهذا كان «الْحَيِيُّ» صفة كمالٍ؛ لأنَّه يدلُّ على كمالِ سِتْرِ الله عَزَّ وَجَلَّ ورحمته بعبده، ولولا ذلك لافتضح النَّاسُ.

لو كان كُلُّ ما يعلمُه اللهُ مَنْنا ينشرُه ما مشينا على الأرضِ، ولكنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ حَيُّ كَرِيمٌ يستحي أن يفضح عبده بالعقوبة.

ثُمَّ ذَكَرَ مَثَلًا عَلَى هَذَا فَقَالَ: «لَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ عِنْدَ التَّجَاهُرِ بِالْعِضْيَانِ». والله ما أكثرَ ذُنُوبَنَا الخَفِيَّةَ حَتَّى قَالَ القحطانيُّ رحمه اللهُ:

وَالله لَوْ عَلِمُوا حَيْبِيَّ سَرِيرَتِي
لَأَبَى السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي^(١)

يعني: لو يعلمون ما عندي ما سلّموا عليّ، وما أكثرَ الذُّنُوبَ الخَفِيَّةَ القَلْبِيَّةَ والجوارِحِيَّةَ! ولكنَّ اللهُ - والله الحمدُ - يُضْفِي سِتْرَهُ على العبدِ، يستحي - سبحانه وتعالى - أن يفضح عبده؛ لعلَّه يتوبُ إلى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، لكنَّه يُلْقِي عليه سِتْرَهُ فهو السَّتِيرُ وصاحبُ الغفرانِ.

«وَالسَّتِيرُ» من أسماءِ اللهُ، «وَالسَّاتِرُ» من أوصافه، وأمَّا «السَّتَارُ» فلم أعلم أَنَّهُ وَرَدَ بهذا اللفظِ، لكنَّه من الأوصافِ التي لا تنطبقُ إِلَّا على اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ويظهرُ أثرُ هذا السَّتْرِ يومَ القيامةِ فَإِنَّ اللهُ يخلو بعبده المؤمنِ ويحاسبُه، ويقولُ: «فَعَلْتَ كَذَا فِي يَوْمٍ كَذَا حَتَّى يُقَرَّ»، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»^(٢).

(١) نونية القحطاني البيت (١٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المظالم، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، رقم (٢٣٠٩)، ومسلم: كتاب التوبة قبول توبة القاتل وإن كثر قتله رقم، رقم (٢٧٦٨).

٣٢٩١- وَهُوَ الْحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ بِعُقُوبَةٍ لِيُتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ
 مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ «الْحَلِيمُ»، وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَيَقْرُنُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ
 «الْغَفُورِ».

و«الْحَلِيمُ» مِنَ الْحِلْمِ، وَهُوَ سَعَةُ النَّفْسِ، وَعَدَمُ التَّعَجُّلِ وَالْأَخْذِ بِالْعُقُوبَةِ؛
 وَلِهَذَا يَقُولُ النَّاسُ لِلْأَمِيرِ إِذَا كَانَ لَا يُعَاجِلُ بِالْعُقُوبَةِ: «فَلَانٌ حَلِيمٌ وَاسِعُ الْحِلْمِ»،
 وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى التَّأَنِّي؛ يَعْنِي: أَنَّهُ إِذَا فَعَلَ الْإِنْسَانُ الذَّنْبَ لَا يُعَاقِبُهُ كَمَا قَالَ
 عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمَا مِنَ
 دَابَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]، وَلَكِنَّهُ يُمَهِّلُ فَلَا يُعَاجِلُ لِيُتُوبَ الْعَبْدُ وَيَكُونَ عِنْدَهُ فَسْحَةٌ
 يَتِمَكَّنُ مِنَ التَّوْبَةِ قَبْلَ أَنْ تَأْخُذَهُ الْعُقُوبَةُ، فَإِذَا تَابَ إِلَيْهِ مُحِيتِ السَّيِّئَةُ، بَلْ إِنَّ
 الْإِنْسَانَ إِذَا عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا مِنَ الْمَكْفَرَاتِ كَالصَّلَاةِ مُحِيتِ السَّيِّئَةُ، وَهَذَا مِنْ
 حِلْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَكِنْ مَعَ ذَلِكَ هُوَ عَزَّ وَجَلَّ يُمْلِي لِلظَّالِمِ فَيَسْتَمِرُّ فِي مَعْصِيَتِهِ
 حَتَّى يَأْخُذَهُ أَخْذٌ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ
 خَيْرٌ لَأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وَقَالَ
 عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القم: ٤٤]، وَقَالَ: ﴿وَأَمَلِي لَهُمْ إِيَّاكَ
 كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]؛ وَلِذَلِكَ يُجِبُّ عَلَى الْعَبْدِ أَنْ يُلَاحِظَ نَفْسَهُ إِذَا رَأَى
 النَّعْمَ تَتْرَى عَلَيْهِ وَهُوَ مُقَصَّرٌ، فليعلم أَنَّ هَذَا اسْتِدْرَاجٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فليقلع
 عَنِ الْمَعْصِيَةِ وَلِيَتَّبِعْ إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يُؤَاخِذَهُ بِالْعُقُوبَةِ.

٣٢٩٢- وَهُوَ الْعَفُوفُ فَعَفُوهٌ وَسِعَ الْوَرَى لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضِ بِالسُّكَّانِ

«الْعَفُوفُ» مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى أَيْضًا، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ، فَمَا مَعْنَى «الْعَفُوفُ»؟
 فَسَّرَهُ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بِقَوْلِهِ: «فَعَفُوهٌ وَسِعَ الْوَرَى»، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ «الْحَلِيمِ»؛

يعني: يتجاوزُ عن عبده إذا ترك الواجب؛ ولهذا يُقال: «عَفُوٌّ غَفُورٌ»، «العَفُوُّ» في جانبِ الأوامرِ، إذا فَرَطَ فيها الإنسانُ ولم يفعلها عَفَا اللهُ عنه، و«الغفور» في جانبِ المعاصي، إذا فَعَلَهَا العبدُ سترها اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ومحا عنه أثرها.

من أسماؤه تعالى العَفُوُّ، وهو عَزَّ وَجَلَّ يحبُّ العَفْوَ، وقد عَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أمَّ المؤمنين عائشةَ أن تقولَ، حينَ سَأَلَتْهُ مَاذَا تَقُولُ إِنْ وَاَفَقَّتْ لَيْلَةَ الْقَدْرِ؟ أن تقولَ: «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي»^(١)، «تُحِبُّ الْعَفْوَ»؛ يعني: أن تعفوَ عن العبادِ، أو أن يعفوَ عن العبادِ وأن يعفوَ العبادُ بعضهم عن بعضٍ؟ الجوابُ: كِلَا الأمرينِ جميعاً، فهو يُحِبُّ أن يعفوَ عن عبده، ويحبُّ من العبدِ أن يعفوَ عن إخوانه، قال اللهُ تعالى: ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤].

إِذْنُ الْعَفْوِ هو المتجاوزُ عن سيئاتِ عباده مع القدرة على الانتقام منهم؛ ولهذا جمع اللهُ بينهما في قوله: ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُحْفَوْهُ أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سَوْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٤٩]، والعفوُ مع القدرة هو الذي يُمدحُ، أمَّا العفوُ مع العجزِ فهو نقصٌ.

إِذْنُ الْعَفْوِ هو التَّجَاوُزُ عن سيئاتِ العبادِ كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

٣٢٩٣- وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «الصَّبُورُ» بوزن «فَعُولٍ» من الصَّبْرِ، فهو صِفَةٌ مُشَبَّهَةٌ، أو صِيغَةٌ مبالغية،
والصَّبْرُ قَرِيبٌ مِنَ الْحِلْمِ.

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٧١)، والترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب ما جاء في عقد التسييح باليد، رقم (٣٥١٣)، وابن ماجه: كتاب الدعاء، باب الدعاء بالعفو والعافية، رقم (٣٨٥٠).

هو الصَّبُورُ على أذى أعدائه، فلا يُعاجِلُهُم بالعقوبة، و«الصَّبُورُ» لم يَرُدْ بهذا اللَّفْظِ، لكنَّه وَرَدَ بلفظٍ آخَرَ أَخَذَهُ الْمُؤَلِّفُ -رحمه الله- من قولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أذى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ»^(١)، ف«أَصْبَرُ» اسمٌ تَفْضِيلٌ، ف«الصَّبُورُ»: من أوصافِهِ، فهو -سبحانه وتعالى- يصبرُ على أذى أعدائه مع أَنَّهُم شتموه وسبَّوه وكذَّبوه.

٣٢٩٤- قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ قَوْلُهُ: «قَالُوا: لَهُ وَلَدٌ»، وهو ليس له ولدٌ.

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ يُعِيدُنَا»؛ أي: في البعثِ، وهو يُعِيدُهُم.

فابنُ آدمَ شَتَمَ اللهُ وليس له ذلك، وكذَّبَ اللهُ وليس له ذلك، فالتَّشْتُمُ في قولِهِم: إِنَّ لَهُ وَلَدًا؛ لأنَّ دَعْوَى أَنَّهُ لَهُ وَلَدًا؛ يعني: وصفه بالنَّقْصِ؛ إذ لا يَحْتَاجُ لِلوَلَدِ إِلَّا مَنْ كَانَ نَاقِصًا لِبَقَاءِ ذِكْرِهِ بِذَرِّيَّتِهِ، أو لاستعانتِهِ بولده، أو ما أشبه ذلك؛ ولهذا إذا لم يكن للإنسانِ ولدٌ انقطع ذكْرُهُ بموته ولم يُذْكَرْ.

فهم إذا قالوا: إِنَّ اللهُ لَهُ وَلَدٌ فهو شَتْمٌ وَعَيْبٌ وَسَبٌّ، أمَّا التَّكْذِيبُ فهو قولُهُم: إِنَّهُ لَنْ يُعِيدُنَا إِذَا مِتْنَا، قال اللهُ تعالى: ﴿أَيُّ ذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَمْ نَأْتِي لَمَبْعُوثُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٢]، فهم يُنكرون هذا، وهذا تكذيبٌ؛ لأنَّ اللهُ أَخْبَرَ بَأَنَّهُ سَيُعِيدُ الْخَلَائِقَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لكنَّهُم كذَّبوا، ومع ذلك فهو عَزٌّ وَجَلٌّ صَابِرٌ عَلَيْهِم؛ ولهذا قال النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أذى سَمِعَهُ مِنَ اللهِ»، سبحان الله! مع أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى الْأَخْذِ، قَادِرٌ عَلَى الْإِنْتِقَامِ، لو أَنَّ أَحَدًا آذَانًا وَشْتَمْنَا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى، رقم (٥٧٤٨)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لا أحد أصبر على أذى من الله عز وجل، رقم (٢٨٠٤).

وكذبنا ما صبرنا، بل أخذنا منه باليمين، لكنَّ الله عزَّ وجلَّ مع تمام قدرته -تبارك وتعالى- يصبرُ على أذى أعدائه، «قَالُوا: لَهُ وَلَدٌ» وهل له ولدٌ؟ الجواب: لا، هو نفسه عزَّ وجلَّ نفى أن يكون له ولدٌ لكن كذبوه.

«قَالُوا: لَيْسَ يُعِيدُنَا»؛ يعني: يومَ القيامة، حتَّى أنكروا، وأقاموا الشُّبهة، وقالوا: ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس:٧٨]، وقوله: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، هذه حُجَّةٌ لهم، لكنَّها في الواقع شبهةٌ وليست بحُجَّةٍ؛ ولهذا أُجيبوا بقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، هذه واحدة، وهذا أكبر دليل.

مَنْ الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ؟

الجواب: الله، إعادتها أسهل وأهونُ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [الرُّوم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٧٦) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَيَّ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدَأُ الْمَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿ [يس:٧٩-٨٣].

وقد ذكَّرَ اللهُ سبعة أدلَّةٍ عقليةٍ حسيَّةٍ تدلُّ على إمكانِ ذلك:

الدَّلِيلُ الأوَّلُ: قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، فهذا لكن كيف نُركَّبُ الدَّلِيلُ؟ الجواب: القادرُ على الابتداءِ قادرٌ على الإعادة.

الدَّلِيلُ الثَّانِي: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩]، وهذا دليلٌ أيضًا؛ لأنَّ الذي لا يقدرُ قد يكونُ جاهلاً، فقال اللهُ: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٩]، فهو عالمٌ كيف يخلُقُ هذا العظْمَ الذي صارَ رَمِيمًا حتَّى يكونَ سليماً.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس: ٨٠]، الشجر الأخضر يكون نارًا ينقدح، وكانوا فيما سبق يقدحون النار من هذا الشجر الأخضر، يكون فيه زند - وقد أدركت الزند وهو حديدة عريضة إلى حد ما، يضرب بها الشجرة المعروفة التي تُستخرج منها النار، إذا ضرب هذا اشتعلت النار من الشجر الأخضر، والشجر الأخضر فيه ضدان للنار: الرطوبة والبرودة، والنار حارة ويابسة، فالقادر على أن يُخرج هذه النار الحارة اليابسة من هذا الشجر الرطب البارد قادر على أن يُعيد الإنسان، وأكد الله عز وجل ذلك بقوله: ﴿فَإِذَا أَنشَمْتَهُ تُوَقَّدُونَ﴾ [يس: ٨٠]، يعني: ليس أمرًا مفروضًا، بل هو أمر واقع.

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١] هذا دليل، وأعظم دليل، قال الله تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وإذا كان قادرًا على أن يخلق السماوات والأرض ونحن الآن خلقنا من الأرض فهو قادر على أن يُعيدنا.

الدليل الخامس: قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١]، وهذا أيضًا تأكيد لقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]؛ يعني: هو أيضًا من أسائه أنه خلاق تام القدرة على الخلق عليم.

الدليل السادس: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، والذي أمره هكذا لا يستحيل أن يُعيد، بل بكلمة واحدة يخرج الناس كلهم، قال الله عز وجل: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣]، في أي مكان من الأرض، صيحة واحدة:

احضروا، فيحضرون، وقال عز وجل: ﴿فَلِنَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [النّازعات: ١٣-١٤]؛ أي: على وجه الأرض، كلمة واحدة بإذن الله تُحيي هذه الخلائق من أولهم إلى آخرهم في هذه اللّحظة، ومن هذه قدرته هل يستحيل أن يعيد الإنسان؟ الجواب: لا.

الدليل السّابع: قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يس: ٨٣]؛ أي: تنزيهاً له، وبيده ملكوت كل شيء أن يعجز عن إعادة الإنسان بعد أن كان رمياً، فهذه سبعة أدلّة.

وقوله: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣] هذا دليل عقلي في الواقع؛ لأننا لو فرضنا أن إعادة العظام بعد كونها رمياً محالٌ لكان خلق الناس عبثاً لا فائدة منه، لكن لا بُدّ من رجوع إلى الله، لا بُدّ أن نُخلق مرّة أخرى، فنرجع إلى الله عز وجل، فانظر كيف كان تقرير هذا الأمر العظيم؟! وهم يقولون: إن الله ليس بقادر، ومع ذلك يقول المؤلف رحمه الله:

٣٢٩٥- هَذَا وَذَلِكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانٍ قَوْلُهُ: «هَذَا وَذَلِكَ بِسَمْعِهِ وَعِلْمِهِ»؛ يعني: «قولهم: إِنَّ لَهُ وَلِذَا»، وقولهم: «لن يُعيدنا».

قَوْلُهُ: «لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانٍ»؛ أي: بكل عقوبة، وبكل عذاب تُهينهم.

٣٢٩٦- لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ يُؤْذُونَهُ بِالشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ

سبحانه وتعالى ما أصبر الله!

وقول المؤلف: «يُؤذُونُهُ» يجب أن نعلم أن الأذى غير الضرر، فلا أحد يضُرُّ الله كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٧٦]، وفي الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَن تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُونِي»^(١)، بخلاف الأذى فإنه ثابت، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧]، وقال تعالى في الحديث القدسي: «يُؤْذِينِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ»^(٢)، والأذية لا تستلزم الضرر، والدليل على ذلك الواقع، يتأذى الإنسان برائحة البصل والكراث، ولكن لا يتضرر بذلك، يتأذى إذا كان بجواره مُصَلِّ التصدق به التصاقاً وقد أكل ثوماً أو بصلاً حتى لا يكاد يتحرك، فلا شك أنه يتأذى بهذا، ولكن لا يتضرر به، فلا يلزم من الأذية الضرر؛ ولذلك ثبتت الأذية في حق الله عز وجل، ونفي الضرر.

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب: ﴿وَمَا يُلْكَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجنّة: ٢٤]، رقم (٤٥٤٩)، ومسلم: كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، رقم (٢٢٤٦).

فصل

- ٣٢٩٧- وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاللَّوَا
حِظِ كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ
٣٢٩٨- وَهُوَ الْحَفِيزُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الْكَفِيفُ
لِ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَانِي
٣٢٩٩- وَهُوَ اللَّطِيفُ بَعْبُدِهِ وَلِعَبْدِهِ
وَاللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
٣٣٠٠- إِذْرَاكَ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ
وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ
٣٣٠١- فَيْرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبِيدِي لُطْفَهُ
وَالْعَبْدُ فِي الْعَقَلَاتِ عَنِ ذَا الشَّانِ

الشرح

- ٣٢٩٧- وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاللَّوَا
حِظِ كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ
«الرَّقِيبُ» من أسماء الله أيضًا، وفي القرآن: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾
[الأحزاب: ٥٢]، فهو عز وجل رقيبٌ يُراقِبُ الخواطرَ واللواحظَ والأفعالَ، ذَكَرَ ثلاثةَ
أشياءَ: الخواطرَ في القلب، واللواحظَ في العين، والأركانَ في بقية الأعضاء، ولهذا
قال: «كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ؟!».

فهو - سبحانه وتعالى - رقيبٌ على خواطرنَا، على ما في قلوبنَا؛ لقولِ الله
تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦]، وكذلك اللواحظ
لقولِ الله تعالى: ﴿يَعْلَمُ حَآيَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وهذه الآيةُ
فيها دليلٌ لهذا ولهذا، كيف بالأفعالِ؟ من باب أولى؛ يعني: حركاتنا الآن يراها الله
عز وجل ويراقبها - تبارك وتعالى -، فما من إنسانٍ يتحركُ في أيِّ مكانٍ ولا من

مَلِكٌ وَلَا مِنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَحَرَّكُ إِلَّا وَاللَّهُ - سبحانه وتعالى - يَعْلَمُهُ وَيَرِاقِبُهُ، وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى إِحَاطَتِهِ - سبحانه وتعالى - بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا.

٣٢٩٨ - وَهُوَ الْحَفِيزُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الْكَفِي - لِيَحْفَظَهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَانِي

كذلك هو «حفيظ» و«كفيل»، وهل في القرآن اسمُ الله «الحفيظ»؟ الجواب: نعم، موجودٌ في القرآن، قال اللهُ تعالى: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]، فهو حفيظٌ عليهم.

والحفيظُ له معنيان: حفيظٌ عليهم، وحفيظٌ لهم، حفيظٌ عليهم؛ يعني: يحفظُ أعمالهم ويُحَصِّصها عليهم، وسيخبرهم بها يومَ القيامة ويحاسبهم عليها، وحفيظٌ لهم؛ يعني: يحفظهم من كُلِّ الأمور، وهذا يكونُ بنفسه جَلًّا وعلا، أو برُسُلِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، كما قال اللهُ تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، فَكُلُّ وَاحِدٍ مِّنَّا لَهُ مَلَائِكَةٌ يَتَعَابِقُونَ لَيْلًا وَنَهَارًا وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ وَصَلَاةِ الْعَصْرِ ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾؛ أي: بأمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ، هذا حفظُ الكفالة.

كذلك مَلَائِكَةٌ يَحْفَظُونَ الْأَعْمَالَ، قال اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١١﴾ كِرَامًا كَنِينِينَ ﴿١٢﴾ يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ٩-١٢]، وهذا من حفظِ الإحصاءِ، أَنَّهُ يُحْصِي الْأَعْمَالَ وَيَحْفَظُهَا.

كذلك يحفظهم من الآفاتِ، من كُلِّ أَمْرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِمْ إِذَا هُمْ أَتَوْا بِأَسْبَابِ الْحَفِظِ، مِنْ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ «أَخْبَرَ أَنَّ الْأَذَانَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ»^(١)، وَفِي الْحَدِيثِ:

(١) كما في حديث: «إِنَّ الشَّيْطَانَ إِذَا سَمِعَ الْأَذَانَ أَدْبَرَ وَلَهُ ضُرَاطٌ». أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب فضل التأذين، رقم (٦٠٨)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه، رقم (٣٨٩).

«إِذَا تَغَوَّلَتِ الْغِيلَانَ فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ»^(١)، والغيلان هي أجسامٌ يتخيَّلها النَّاسُ في الأسفارِ ويخافون منها، ولكنها شياطينٌ تُخيفُ الإنسانَ، فإذا كَبَّرَ الإنسانُ هَرَبَتْ ولم يرها، وأقرَّ النبي ﷺ أَنَّ «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُهُ شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ»^(٢)، وحدثني مؤدِّنُ هذا المسجدِ جدُّ مؤدِّننا الموجود الآن، وهو صدوقٌ وعدلٌ، قال: إنَّه كان يحافظُ على قراءة آية الكرسِيِّ في كُلِّ ليلةٍ، وفي ليلةٍ من الليالي لدَعَتْهُ عقربٌ، يقولُ: ففكَّرتُ، وإذا أنا قد نسيْتُ آيةَ الكرسِيِّ تلكَ الليلةَ، سبحان الله! هذا شيءٌ واقعٌ، فدَلَّ هذا على أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحفظُ الإنسانَ، لكن هناك أسبابٌ كقراءة آية الكرسِيِّ.

٣٢٩٩- وَهُوَ اللَّطِيفُ بَعْبِدِهِ وَلِعْبِدِهِ وَاللَّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

٣٣٠٠- إِدْرَاكَ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ وَاللَّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ

من أسماءِ الله تعالى «اللَّطِيفُ»، و«اللَّطِيفُ» له معنيان بحسب ما يتعدَّى بالحرف؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، فهو لطيفٌ بعبده ولطيفٌ لعبده، أمَّا اللَّطِيفُ بعبده فمعناه أنَّه يُدْرِكُ أسرارَ أمورِ العبادِ بخبرةٍ تامَّةٍ؛ لأنَّه لطيفٌ بهم، عليهمٌ بخبايا أمورهم ودقائق أحوالهم، واللَّطِيفُ لعبده أنَّه يُيسِّرُ له ويُمهِّدُ له الأشياءَ التي يندفعُ بها الشرُّ ويحصلُ بها الخيرُ، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال ذلك يوسفٌ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- حينَ جَمَعَ به أهله، فصار «اللَّطِيفُ» الذي في أسماءِ الله له معنيان:

المعنى الأوَّل: اللَّطْفُ بالعبدِ، وهو إدراكُ أسرارِهِ وأحوالِهِ.

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٣٠٥، رقم ١٤٣١٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الوكالة، باب إذا وكل رجلا، رقم (٢٣١١).

المعنى الثاني: اللطف للعبد، وهو أنه - سبحانه وتعالى - يُقدِّر له ما به تيسر الأمور ويحصل المطلوب؛ إمَّا بجلب المحبوب أو بدفع المكروه.
وهنا مسألة، وهي: أن كثيرًا ما يقول الناس في الدعاء: «يا لطيفُ يا لطيفُ» فأَيُّ المعنيين يريدون؟ الجواب: الغالب أنهم يريدون باللام.

٣٣٠١ - فَيْرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبِدِي لُطْفَهُ وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنِ ذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «فَيْرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبِدِي لُطْفَهُ» الله أكبر، يُريك عِزَّتَهُ وغلبته وأنه لا غالب له، وَيُنزِلُ بك الأشياء، وإذا باللطف يأتي من الله، كم من إنسانٍ انهدم عليه الجدار، وهذه مصيبةٌ، وإذا بالله عزَّ وجلَّ يُيسِّرُ له ما ينقذه من سقوطِ هذا الجدار، كذلك في حوادثِ السَّيَّاراتِ، كم من إنسانٍ حصل عليه حادثٌ عظيمٌ عظيمٌ عظيمٌ وإذا بالله ينجِّيه، أحيانًا تجدُّ في الطُّرقاتِ حوادثَ سَيَّاراتٍ لا تُصَدِّقُ أَنَّ أَحَدًا ينجو منها، ثُمَّ مُحَدِّثٌ أَنَّ أَصْحَابَهَا قد نَجَّوْا.

أحيانًا يَرِدُ شيءٌ من أسبابِ النَّجاةِ لا يخطرُ بالبالِ، حَدَّثَنَا مَنْ نَثِقُ بِهِ، ولا بأسَ بالحديثِ في هذا، يقول: التقت سَيَّارَةٌ صَغِيرَةٌ وَسَيَّارَةٌ نَقْلٍ كَبِيرٍ «تريلا» وكانت الكارثةُ، طبعًا السَّيَّارَةُ الكَبِيرَةُ عَجنتِ الصَّغِيرَةَ، فَلَمَّا حَصَلتِ الصَّدْمَةُ انفتح البابُ الذي عند السَّائِقِ، والسَّائِقُ بدونِ اختيارٍ طار، وإذا هو بعيدٌ عن الخطِّ فَسَلِمَ، لا شكَّ أَنَّ هذا من لطفِ الله، أَنَّهُ إذا جاءتِ الأُمُورُ الصَّعْبَةُ لا تدري إِلَّا واللهُ قد لَطَفَ بك؛ ولهذا قال: «فَيْرِيكَ عِزَّتَهُ»، وَأَنَّ الأَمْرَ أمرُهُ عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنِ ذَا الشَّانِ» إي والله، في غفلةٍ، ما أكثر ما نجدُ من عِزَّةِ الله عزَّ وجلَّ، ثُمَّ نَجُو وَيَغفلُ الإنسانُ عن هذا، فلا يذكرُ هذه النعمةَ إِلَّا حينَ وجودِها قليلًا.

فصل

- ٣٣٠٢ - وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ
- ٣٣٠٣ - وَهُوَ الْقَرِيبُ وَقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بِالذِّدَاعِي وَعَابِدِهِ عَلَى الْإِيمَانِ
- ٣٣٠٤ - وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ لَهُ أَنَا الْمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
- ٣٣٠٥ - وَهُوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَّرِّ إِذَا يَدْعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
- ٣٣٠٦ - وَهُوَ الْجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الْوُجُودَ دَجْمِيْعَهُ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
- ٣٣٠٧ - وَهُوَ الْجَوَادُ فَلَا يُجِيبُ سَائِلًا وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ
- ٣٣٠٨ - وَهُوَ الْمُنِيبُ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ وَكَذَا يُجِيبُ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ

الشرح

- ٣٣٠٢ - وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ
- «الرَّفِيقُ»: اسمٌ من أسماءِ الله، لكن هل هذا الاسم مأخوذٌ من قول النبي ﷺ: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»؟^(١) الظاهر أن حديث: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، هكذا وَرَدَ أَيضًا يُرَادُ بِهِ النَّبِيُّونَ وَالصُّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّالِحُونَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، رقم (٤١٧٢)، ومسلم: كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، رقم (٢١٩١).

مَنْ النَّبِيِّنَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿ [النساء: ٦٩]؛
 لأنَّ قوله: «أَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى»^(١) لا يُسْتَعْمَلُ بمعنى: أَلْحِقْنِي بِاللَّهِ؛ يعني:
 لو قال: «اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى» إذا قلنا: الرَّفِيقُ الْأَعْلَى هو الله صار معنى
 الحديث: «اللَّهُمَّ أَلْحِقْنِي بِاللَّهِ»، وطلبُ الإلحاقِ للرُّسُلِ بِالصَّالِحِينَ كما قال
 يوسفُ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]،
 ويؤيِّدُ هذا الرِّوَايَةُ الأخرى: «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى»، و«فِي» لِلظَّرْفِيَّةِ، فَالصَّحِيحُ
 أَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ: أَلْحِقْنِي بِنَفْسِكَ يَا رَبِّ، بَلِ أَلْحِقْنِي بِالنَّبِيِّينَ
 وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ.

أَمَّا إِنْ اللهُ رَفِيقٌ فَهَذِهِ قَدْ يُقَالُ: إِنَّهَا اسْمٌ كَمَا قُلْنَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 عَفُورٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]: إِنَّ «الْغَفُورَ» اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّهَا صِفَةٌ بِمَعْنَى
 أَنَّهَا وَصْفٌ لَهُ بِالرَّفِيقِ وَلَيْسَتْ اسْمًا؛ لِأَنَّ الْغَفُورَ وَرَدَتْ نَكْرَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ
 عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وَوَرَدَتْ مَعْرِفَةً كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ
 الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْمُعَرَّفَ اسْمٌ، لَكِنْ الَّذِي يُشْكَلُ عَلَى بَعْضِ
 النَّاسِ إِذَا كَانَ مُتَكَرِّرًا مِثْلَ: «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ، إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ»، هَلْ نَقُولُ: إِنَّ هَذَا وَصْفٌ؛
 يَعْنِي: أَنَّهُ اسْمٌ فَاعِلٍ فَقَطْ، وَهُوَ كَقَوْلِنَا: «إِنَّ اللَّهَ مُتَكَلِّمٌ»؛ أَي: أَنَّهُ مُخَبَّرٌ عَنِ اللَّهِ بِأَنَّهُ
 رَفِيقٌ، أَوْ أَنَّ هَذَا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ؟

كَلَامُ الْعُلَمَاءِ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- فِي هَذَا مُحْتَمَلٌ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَرَى أَنَّ مَا لَمْ يُعَرَّفْ
 بِ«أَل» فَلَيْسَ مِنَ الْأَسْمَاءِ، وَمَا عُرِّفَ بِ«أَل» فَهُوَ اسْمٌ، وَهَذَا الْقَوْلُ فِي الْحَقِيقَةِ قَوِيٌّ،
 وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: مَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَصْفُ فَهُوَ اسْمٌ، وَمَا غَلَبَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ فَهُوَ صِفَةٌ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَعْدَ بَابِ مَا جَاءَ فِي عَقْدِ التَّسْبِيحِ بِالْيَدِ، رَقْمٌ (٣٤٩٦)، وَابْنُ
 مَاجَهَ: كِتَابُ الْجَنَائِزِ، بَابِ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ مَرَضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، رَقْمٌ (١٦١٩).

على كُلِّ حالٍ لا شكَّ أَنَّكَ تُخْبِرُ عن الله بَأَنِّهِ رَفِيقٌ، وَأَنَّ مِنْ وَصْفِهِ الرَّفْقَ، وقد جعله النَّوَوِيُّ - رحمه الله - اسماً وصفةً.

وهو - جَلٌّ وعلا - رَفِيقٌ بعبادِهِ، وَيُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ، بل يُحِبُّ الرَّفْقَ في الأَمْرِ كُلِّهِ، ويعطي الإنسانَ بالرَّفْقِ فوقَ أمانٍ؛ أي: فوق ما يتمنَّاهُ؛ يعني: يعطيه فوق أمانيه.

يظنُّ بعضُ النَّاسِ أَنَّ الرَّفْقَ المقصودَ، وَأَنَّهُ دليلٌ على عدمِ الغيرةِ، لكنَّ هذا ظنٌّ باطلٌ، بل إنَّ الرَّفْقَ يدلُّ على الحكمةِ والتَّروُّيِ وعدمِ السُّرْعَةِ؛ ولهذا ثبتَ عن النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ»^(١)، وهذا شيءٌ مُشَاهِدٌ، إِذَا عَامَلْتَ النَّاسَ بِالرَّفْقِ حصلَ لك الخَيْرُ الكثيرُ، وَإِذَا عَامَلْتَهُم بِالْعُنْفِ شردوا عنكَ وكرهوك وأبغضوك ولم تُحْصِلْ فائدةً.

والرَّفْقُ هو التَّائِي في الأُمُورِ، ومعالجتها باللِّينِ والرِّقَّةِ وما أشبه ذلك، وضدُّ الرَّفْقِ: العُنْفُ والشَّدَّةُ والصِّلْفُ.

وفي الحديثِ أَنَّ يَهُودِيًّا مَرَّ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - وعنده عائشةُ فقال: السَّامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ، قالها بسرعةٍ، وكان اليهودُ إِذَا سَلَّمُوا يَقُولُونَ: السَّامُ عَلَيْكَ؛ أي: الموت، عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ مَحَبَّتِهَا لِلرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَغَيْرَتِهَا عَلَيْهِ، قَالَتْ لِلْيَهُودِيِّ: عَلَيْكَ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَعْطَتْهُ الصَّاعَ بِصَاعَيْنِ، وَلَكِنَّ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مَنَّاها، وَقَالَ لَهَا: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم (٢٥٩٣).

نحن نقول: إِذَا قَالَ الْيَهُودِيُّ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، نقول: وَعَلَيْكُمْ، فنكون أحسنَ ردًّا منهم؛ لأنهم صرَّحوا بالسَّامِ بالاسم المكروه، أمَّا نحن فقلنا: «وَعَلَيْكُمْ» وهذا أحسن، لكن تؤدِّي معناها تمامًا؛ ولهذا أتينا بالواوِ العاطفةِ «وَعَلَيْكُمْ»، فيجبُ أن نقولَ في سلامِ أهلِ الكتابِ أو غيرهم من الكُفَّارِ: «وَعَلَيْكُمْ»، ولا نقول: «عَلَيْكُمْ»، والواوُ حرفٌ عطفٍ على ما سبق.

فأنت إذا كنتَ رفيقًا نلتَ بذلك فائدَتَيْنِ عظيمَتَيْنِ:

أولًا: محبةُ الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ اللهَ يحبُّ الرِّفْقَ وأهلَ الرِّفْقِ.

ثانيًا: أنك تنالُ برفقِكِ ما لا تنالُ بعنفِكِ، فلا تتعجَّلْ ولا تتسرَّعْ، لا تأخذك الغيرةُ والعاطفةُ على عدمِ الرِّفْقِ، تأنَّ وارفُقْ في كلِّ أمرٍ حتى في نفسك، ارفُقْ بنفسِكِ.

إذْنُ عليكِ بالرفقِ، وكم من إنسانٍ أدرك بالرفقِ خيرًا كثيرًا سِوَاءٍ في أهله، أو في نفسه، أو فيمن يدعوهم إلى الله، أو فيمن يأمرهم بالمعروفِ وينهاهم عن المنكرِ، حتى في نفسك، إذا رَفَقْتَ بنفسِكِ أَدْرَكَتَ خيرًا كثيرًا، لعلَّه مرَّ عليكِ، وفي حديثِ عبدِ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ أنَّه قال لمحَبَّتِه للخيرِ: «وَاللهُ لَأُصُومَنَّ النَّهَارَ مَا عِشْتُ وَلَا قُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ»، فدعاهُ الرَّسُولُ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ونهاه عن هذا، وآخر ما تنازل معه أنَّه قال: «صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»، عبدُ الله بنُ عمرو بنِ العاصِ كَبِرَ وتقدَّمت به السنُّ، وكان يتمنَّى أنَّه قَبْلَ رُحْصَةِ الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، والرَّسُولُ قَالَ لَهُ: «ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صِيَامُ الدَّهْرِ كُلِّهِ»، لكن لحامِسِه ورغبتِه، قال: لا، أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا، قال: لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُحْصَةَ النَّبِيِّ ﷺ^(١)، اجتهد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ماذا صنع في آخرِ حَيَاتِه صار

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، رقم (١٨٧٤)، ومسلم: كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم (١١٥٩).

يَصُومُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا تَبَاعًا، وَيُفْطِرُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَنَرْجُو اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُ، وَإِلَّا فَهُوَ فَارِقَ الرَّسُولِ عَلَى أَنْ يَصُومَ يَوْمًا وَيُفْطِرَ يَوْمًا، لَكِنْ شَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ، وَصَارَ يَصُومُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا تَبَاعًا، وَيُفْطِرُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا تَبَاعًا.

وَكَذَلِكَ الرَّفْقُ فِي أَهْلِكَ أَيْضًا، انظُرْ إِلَى رَفِقِ الرَّسُولِ ﷺ بِأَهْلِهِ، كَيْفَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمُ الشَّرُّورَ، يُسَاعِدُهُمْ فِي الْبَيْتِ، يُخْصِفُ النَّعْلَ وَيَجْلِبُ الشَّاةَ، وَيَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ فِي الْبَيْتِ حَتَّى يَأْتِيَ وَقْتُ الصَّلَاةِ^(١)، مَنْ مَنَّا يَفْعَلُ هَذَا؟!

انظُرْ لَمَّا جَاءَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالرَّسُولُ ﷺ سَاجِدًا فِي الْجَمَاعَةِ رَكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، جَعَلَهُ رَاحِلَةً لَهُ، فَتَرَكَه الرَّسُولُ ﷺ حَتَّى قَضَى نَهْمَتَهُ، وَلَمَّا نَزَلَ قَامَ^(٢)، مَنْ مَنَّا يَفْعَلُ هَذَا؟!

المهمُّ عليك يا أخي بالرفق في معاملة نفسك وأهلك وقومك، واعلم أنه لو لم يكن لك من الرفق إلا أن الله يحبُّه لكان كافيًا، فكيف وهو يُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، لَا تَحْمِلْكَ الْغَيْرَةُ عَلَى الْعُنْفِ وَالشَّدَّةِ، اضْبِطْ أَعْصَابَكَ، لَا تَتَوَتَّرْ، وَارْفُقْ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ يَكُونُ فِيهِ الرَّفْقُ.

٣٣٠٣- وَهُوَ الْقَرِيبُ وَقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بِالذِّدَاعِ عِي وَعَابِدِهِ عَلَى الْإِيمَانِ

من أسماء الله تعالى «القريب»، وهو موجودٌ في القرآن، و«القريب» في اللغة ضده «البعيد»، ونحن نؤمن بأن الله - سبحانه وتعالى - فوق كلِّ شيءٍ على عرشه،

(١) كما في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ يَكُونُ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ - تَعْنِي خِدْمَةَ أَهْلِهِ - فَإِذَا حَضَرَتْ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ». أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، رقم (٦٤٤).

(٢) أخرجه النسائي: كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة، رقم (١١٤١).

فكيف يمكن أن يكون قريباً بعيداً؟ والجوابُ على هذا سهلٌ، وهو قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فيمكن أن يكون قريباً وهو بعيدٌ كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله - في «العقيدة الواسطية»: «إنَّ اللهَ تعالى ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ في جميعِ نعوتِهِ - أي: جميعِ صفاتِهِ - وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ»^(١)، إذا كانت السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبْعُ في كَفِّهِ - جَلَّ وَعَلَا - كخردلةٍ في كفِّ أحدنا فهو قريبٌ بعيدٌ، فقرُّبه لا يُنافي علوُّه؛ لأنَّ اللهَ ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّ قَرْبَهُ يَنَافِي عُلُوُّهُ فَقَدْ شَبَّهَ اللهُ بِخَلْقِهِ؛ لأنَّ الذي قَرُّبه يَنَافِي عُلُوُّهُ هم الخلق، أمَّا الخالقُ فلا، فهو قريبٌ مع علوُّه عَزَّ وَجَلَّ.

ولكن هل القُربُ كالمعيَّةِ عامٌّ وخاصٌّ أم القُربُ أخصُّ من المعية؟ الجوابُ: الثاني، القُربُ أخصُّ من المعية؛ لأنَّ اللهَ تعالى لم يذكُرْ لنفسِهِ قُرباً عامّاً، بل ذكَّرَ قُربَهُ - سبحانه وتعالى - بالدَّاعِي والعابِدِ، فقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]؛ يعني: إذا سألك، إذا دعوني: هل أنا بعيدٌ أو قريبٌ؟ فأخبرهم أنَّي قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الدَّاعِي إذا دعانِ، هذا قُربُهُ من سائلِهِ وداعِيهِ، وهذا هو القُربُ الأوَّلُ.

القُربُ الثاني: قُربُهُ من عابِدِهِ، وعليه يدلُّ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»^(٢).

فالله قريبٌ من عابِدِهِ ومن داعِيهِ، قريبٌ من داعِيهِ يستجيبُ له، وقريبٌ من عابِدِهِ يقبلُ منه سبحانه وتعالى، قال النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - حين رفع

(١) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص: ٨٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٢).

أصحابه أصواتهم بالتكبير، وأزعجوا أنفسهم وشقوا عليها، قال: «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا؛ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ أَقْرَبُ إِلَيَّ أَحَدِكُمْ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ»^(١)، وعنق الرَّاحِلَةِ وأنت راكبٌ عليها مِنْ أَقْرَبِ شَيْءٍ لَكَ، لَكِنَّ اللَّهَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ هَذَا، وَلَكِنْ لَا تَظُنُّ أَنَّ هَذَا الْقَرَبَ الَّذِي بَيْنَهُ الرَّسُولُ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يُنَافِي عُلُوَّ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مُحِيطٌ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يُمِائِلُهُ أَحَدٌ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، صَحِيحٌ أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا كَانَ بَعِيدًا فِي السَّمَاءِ فَإِنَّهُ لَيْسَ قَرِيبًا لَكَ أَقْرَبَ مِنْ عُنُقِ الرَّاحِلَةِ، هَذَا بِاعْتِبَارِ الْمَخْلُوقِ، لَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُقَاسُ بِخَلْقِهِ، لَا تَظُنُّ أَنَّ كَوْنَهُ فَوْقَ عَرْشِهِ يُنَافِي كَوْنَهُ أَقْرَبَ إِلَى الْإِنْسَانِ مِنْ عُنُقِ رَاحِلَتِهِ، أَبَدًا لَا تَظُنُّ هَذَا، بَلْ قُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ بَعْلُوهُ وَبِقَرْبِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نَعْوَتِهِ، وَأَنْتَ إِذَا تَصَوَّرْتَ - وَيَجِبُ أَنْ تَتَصَوَّرَ - أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ فِي كَفِّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَالْخَرْدَلَةِ فِي كَفِّ أَحَدِنَا، إِذَنْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ؛ أَي: فِي قَبْضَتِهِ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ يَدْعُوهُ أَوْ إِذَا كَانَ يَعْْبُدُهُ.

أَمَّا قُرْبُهُ الْقُرْبُ الْعَامُّ بِأَنَّ نَقَوْلَ: قَرِيبٌ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ فَلَا، لَمْ يَرِدْ هَذَا فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ؛ لِأَنَّ الْقَرَبَ أَخْصَّ مِنَ الْمَعِيَّةِ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ قَرِيبٌ مِنَ الْكَافِرِ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، لَكِنْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْكَافِرِ بِالْمَعِيَّةِ الْعَامَّةِ.

وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ الْقُرَبَ كَالْمَعِيَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى قُرْبٍ عَامٍّ وَهُوَ قَرَبٌ الْإِحَاطَةِ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ، وَإِلَى قُرْبٍ خَاصٍّ وَهُوَ قَرَبُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِعَابِدِهِ

(١) أخرجه أحمد (٤/٤٠٢ رقم ١٩٦١٤) واللفظ له، البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من رفع الصوت في التكبير، رقم (٢٩٩٢)، ومسلم: كتاب الذكر، باب استحباب خفض الصوت بالذكر، رقم (٢٧٠٤).

وداعيه، واستدلوا لقولهم بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق:١٦]، ف﴿الْإِنْسَانَ﴾ عامٌّ، والضمير «نحن» يعودُ على الله، و﴿حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ هو العِرْقُ الغليظُ الذي في رقبَتنا، وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ [الواقعة: ٨٣-٨٥]، وهذا عامٌّ بدليلِ أَنه جاء بعدها التَّقْسِيمُ ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الصَّالِينَ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٢]، ولكنَّ شيخ الإسلام - رحمه الله - ردَّ هذا القولَ وقال في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، ﴿قَرِيبٌ﴾ متحملةٌ للضمير الذي يعودُ على الله عزَّ وجلَّ، «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ»، فقال: «مِنْ رَبِّهِ» ولم يقل: من علم رَبِّهِ.

ولكن يجبُ أن نعلمَ أَنَّ اللهَ لا يُقَاسُ بخلقه، فهو فوق كُلِّ شيءٍ، وهو قريبٌ مَن يعبدُه ويدعوه، ولا مُنافاة؛ لأنَّ اللهَ ليس كمثلِه شيءٍ، ولأنَّ اللهَ محيطٌ بكُلِّ شيءٍ، والذي في يده السَّمَاوَاتُ والأَرْضُونَ كخردلةٍ في يدِ الواحدِ مِنَّا معناه أَنه محيطٌ بكُلِّ شيءٍ.

وهذه القاعدةُ - أعني: أَنَّ اللهَ إِذَا أَضَافَ الفِعْلَ أو الوصفَ إلى نَفْسِهِ اختصَّ به نفسه - ذكرها ابنُ القيمِ - رحمه الله - في مختصر «الصَّواعقِ المرسلَةِ»، وهذا هو الواقعُ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ [الأعراف: ٥٤] فالخلقُ صادرٌ منه؛ لأنَّه أَضَافَهُ إلى نَفْسِهِ، فكلُّ شيءٍ أَضَافَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ فهو لِنَفْسِهِ حقيقةً، ولكنَّه لا ينافي كمالَ صفاتِهِ، واللهُ أعلمُ.

إِذَنْ ابْنُ الْقَيْمِ - رحمه الله - هنا قال: إِنَّ الْقَرَبَ خَاصٌّ وَلَيْسَ بَعَامٌ، فَاللَّهُ قَرِيبٌ مِنْ دَاعِيهِ، قَرِيبٌ مِنْ عَابِدِهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

٣٣٠٤ - وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ هُ أَنَا الْمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي

هو عز وجل مجيب الدعوات، فادعُ الله بإخلاصٍ وافتقارٍ وإيمانٍ بأنه عز وجل قادرٌ على أن يُعْطِيكَ فيجيبك، لكن الكلام على صدق الدعاء، لأن بعض الناس يدعو يريد أن يُجَرَّبَ هل يُجَابُ أو لا يُجَابُ؟ لكن ادعُ الله بإخلاصٍ وأنت موقنٌ بالإجابة، لكن الإجابة لها شروطٌ من أهمها اجتنابُ أكلِ الحرام، فإن أكل الحرام يحول بين المرء وبين إجابة الدعاء، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ «الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَا رَبَّ يَا رَبَّ وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»^(١)، استبعد النبي ﷺ أن يستجيب الله تعالى لهذا الرجل مع أنه فعل أسباب الإجابة؛ فهو مسافرٌ أشعثٌ أغبرٌ، رافعٌ يديه إلى الله عز وجل، يقول: يا رب يا رب، ومع ذلك لم يُجِبْ.

والآن لا تكاد تجد من لا يأكل الحرام إلا نادرًا، فإن جئت للموظف تجد أنه ربما لا يحضر إلا نصف الوقت أو ثلاثة أرباع الوقت، وهذا حرام، فما زاد على

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم (١٠١٥).

وقتِ الحضورِ فهو حرامٌ، إن جِئْتَ للموظَّفِ وإذا هو يأخذُ انتِداباتٍ ليس لها أصلٌ ولا يتعدَّى مكانه، ويُصْرَفُ له، وهذا حرامٌ، إن جِئْتَ للمعاملاتِ فإذا هي غشٌّ وربا وغير ذلك، ولذلك استبعد النبي ﷺ أن يُجَابَ؛ لأنَّه كان يأكلُ الحرامَ ويتغذَّى به.

«إِذَنْ مَنْ يَدْعُونِي أَجِبْهُ» لكن بشروطٍ كما سبق، المهمُّ أن هناك موانعَ أخرى أيضًا منها: ضعفُ الإيِّانِ واليقينِ، فقد يدعو النَّاسُ ربَّهم وهم في شكٍّ من إجابته فكيف يجيبهم؟! ثمَّ إنَّ الله عزَّ وجلَّ قد يمنعُ الإجابةَ المعينةَ التي طلبها السَّائلُ ويدَّخرُ له ما هو أفضلُ، أو تكونُ هناك عقوبةٌ انعقدت أسبابها فيدفعها اللهُ عنه بسببِ الدُّعاءِ.

قَوْلُهُ: «فَأَنَا الْمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي» ولا سيِّبًا في ثُلُثِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإِنَّهُ -جَلَّ وَعَلا- ينزلُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ويقول: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(١).

٣٣٠٥- وَهُوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَّرِّ إِذْ يَدْعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانٍ

المضطرُّ هو الذي أُلْجَأَتْهُ الضَّرورةُ إلى الدُّعاءِ، وهو في كُلِّ موضعٍ بحسبِهِ، ففي قوله تعالى في أكلِ الميتةِ: ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣]، «أَضْطَرَّ»؛ يعني: أُلْجَأَتْهُ الضَّرورةُ إلى أكلِ الميتةِ، وهنا أُلْجَأَتْهُ الضَّرورةُ إلى الدُّعاءِ، وظاهرُ التُّصوُّصِ أَنَّ اللهَ يُجِيبُ دعوةَ المضطرِّ ولو كان كافرًا؛ لأنَّه -سبحانه وتعالى-

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجيد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم (٧٥٨).

سَبَقَتْ رَحْمَتُهُ غَضَبَهُ، لَدَلِيلَيْنِ: الْأَوَّلُ: عَامٌّ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]؛ لِأَنَّ الْمُضْطَرَّ حِينَ الدَّعْوَةِ تَجِدُ قَلْبَهُ مَمْلُوءًا بِالِافتِقَارِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِقُدْرَتِهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْإِنْقَازِ فَقَدْ تَمَّ الشَّرْطَانِ: حَاجَةُ الْعَبْدِ، وَقُدْرَةُ الْخَالِقِ، فَيَجِيبُهُ عَزَّ وَجَلَّ.

وَالثَّانِي: خَاصٌّ، كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنِ الْمُشْرِكِينَ أَنَّهُ ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [لقمان: ٣٢] فَيُنَجِّيهِمْ، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٦٧]؛ يَعْنِي: كُلُّ الْآلِهَةِ الَّتِي تَدْعُونَهَا تَضِيْعُ إِلَّا اللَّهَ ﴿فَلَمَّا تَجَاكُرُوا إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٧]، يُنَجِّيهِمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّهُمْ مُضْطَرُونَ يَحِيْبُهُمْ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُمْ سِيرَجِعُونَ إِلَى الشَّرْكِ، فَيَجِيبُ عَزَّ وَجَلَّ دَعْوَةَ الْمُضْطَرِّ وَهَذَا أَطْلَقَ الْمُؤَلَّفُ فَقَالَ: «الْمَجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ إِذْ يَدْعُوهُ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانٍ».

٣٣٠٦- وَهُوَ الْجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الْوُجُودَ دَجْمِيْعُهُ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الْجَوَادُ» «الْجَوَادُ» مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ الطَّوِيلِ قَالَ: «ذَلِكَ بِأَنَّ جَوَادًا مَا جَدَّ عَطَائِي كَلَامٌ وَعَدَابِي كَلَامٌ»^(١)، فَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ جَوَادٌ؛ أَي: كَثِيرُ الْجُودِ وَالْكَرَمِ.

قَوْلُهُ: «فَجُودُهُ عَمَّ الْوُجُودَ جَمِيْعُهُ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ»، وَمِنْ جُودِهِ مَا نَرَاهُ مِنَ النِّعَمِ الْعَظِيْمَةِ الَّتِي لَا نُحْصِي لَهَا تَعْدَادًا.

أَيْضًا هُوَ جَوَادٌ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، كُلُّ مَنْ قَصَدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِإِخْلَاصٍ يَسْأَلُهُ فَإِنَّهُ يُجِيبُهُ لْجُودِهِ؛ وَهَذَا نَجْدُ جُودِ الْأَجْوَادِ مِنْ بَنِي آدَمَ - وَاللَّهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى - لَا يَنْحَصِرُ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ، بَعْدَ بَابِ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ، رَقْمٌ (٢٤٩٥)، وَابْنُ مَاجَهَ: كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، رَقْمٌ (٤٢٥٧).

على أقاربهم أو على معارفهم، وإنما يشمل كل أحد، تجدد الرجل الكريم الجواد يجود على كل من وجد، وجود الله تعالى أعظم.

٣٣٠٧- وَهُوَ الْجَوَادُ فَلَا يُحِبُّ سَائِلًا وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ

هو الجواد فلا يحب سائلاً، ولو كان كافراً، لكن هذا في حال الاضطرار، أو فيما إذا دعا الكافر وهو مظلوم فإن الله يحب دعوته، والدليل على ذلك عموم قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «وَأَتَقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»^(١)، هذا من جهة النص، أما من جهة المعنى: فالله عز وجل حكيم عدل، فيزيل ظلم الظالم ولو كان المظلوم كافراً؛ ولهذا لو تحاكم رجلان: مسلم وكافر عند القاضي، وكان الحق للكافر وجب عليه أن يقضي به على المسلم.

٣٣٠٨- وَهُوَ الْمَغِيثُ لِكُلِّ مَحْلُوقَاتِهِ وَكَذَا يُجِيبُ إِعَاثَةَ اللَّهْفَانِ

قوله: «المغيث»؛ يعني: المنقذ من الشدة.

«المغيث» الظاهر أنه وصف من أوصاف الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩]، فإذا كان الله تعالى هو المغيث فبأي أحد تستغيث عند الشدة؟ الجواب: بالله عز وجل؛ ولهذا صل من يستغيثون بالأولياء أو بالأنبياء أو بالأقارب الأموات؛ لأنهم لن يغيثوك، ولكن استغاثة الإنسان بالإنسان في أمر يقدر عليه هذه جائزة، قال الله تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَاسْتَغْنَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، أما ما لا يقدر عليه إلا الله أو كان

(١) أخرجه البخاري: كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم (١٤٢٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، رقم (١٩).

المُسْتَعَاثُ لَا يَقْدَرُ عَلَيْهِ فَهَذَا لَا يَجُوزُ إِلَّا لِلَّهِ وَحْدَهُ.

لكن ما الفرقُ بين الشَّطْرِ الأوَّلِ والشَّطْرِ الثَّانِي؟

الجوابُ: الفرقُ بين الشَّطْرِ الأوَّلِ والثَّانِي أَنَّهُ يُغِيثُ المَخْلُوقَاتِ وَإِنْ لَمْ تَدْعُ،
أَمَّا الثَّانِي فَإِنَّهُ «يُجِيبُ إِعَاثَةَ اللَّهْفَانِ» فهذا إذا دعا، فاللهُ تعالى يُغِيثُ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَى
الغوثِ سواءَ دعا أم لم يدعُ.

فصل

- ٣٣٠٩ - وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ
أَحْبَابُهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
- ٣٣١٠ - وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَجَازَاهُمْ بِحُبِّ ثَانِي
- ٣٣١١ - هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ حَقًّا لَا مَعَا
وَضَةً وَلَا لِتَوْفُقِ الشُّكْرَانِ
- ٣٣١٢ - لَكِنْ يُحِبُّ شُكُورَهُمْ وَشُكُورَهُمْ
لَا لِأَحْتِيَاجٍ مِنْهُ لِلشُّكْرَانِ
- ٣٣١٣ - وَهُوَ الشُّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ
لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِأَحْسَابَانِ
- ٣٣١٤ - مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ
هُوَ أَوْجَبَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الشَّانِ
- ٣٣١٥ - كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ
- ٣٣١٦ - إِنْ عَذَّبُوا فَبِعَذْلِهِ أَوْ نَعَّمُوا
فَبِفَضْلِهِ، وَالْحَمْدُ لِلْمَنَّانِ

الشرح

- ٣٣٠٩ - وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ
أَحْبَابُهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
- من أسمائه عزَّ وجلَّ «الودود»، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤]،
وكلمة «فَعُول» بمعنى «فاعل»، وبمعنى «مفعول»، بمعنى «فاعل» لقوله: «يُحِبُّهُمْ»،
فهو عزَّ وجلَّ وادُّ، وبمعنى «مفعول» لقوله: «يُحِبُّهُ أَحْبَابُهُ»، وهو -أيضاً- مودود،
والودُّ: خالصُ المحبَّة، والله عزَّ وجلَّ وادُّ؛ أي: يُحِبُّ، ومودودٌ؛ أي: محبوبٌ، فهو
عزَّ وجلَّ مُحِبٌّ لأحبابه، وأحبابه محبوبون له، قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿يَكْتُمُهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴿ [المائدة: ٥٤]، فهو -جلّ وعلا- الودودُ بالمعنيين؛ ولهذا قال «يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ أَحِبَّابُهُ»، ولمن الفضلُ؟ الجوابُ: لله عزّ وجلّ، فهو الذي جعل المحبّة في قلوبهم، ثُمَّ مَنْ عَلَيْهِمْ مَرَّةً أُخْرَى فَأَحِبَّهُمْ؛ ولهذا قال:

٣٣١٠- وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ وَجَارَاهُمْ بِحُبِّ ثَانِي

الحُبُّ الثَّانِي؛ أي: من الله عزّ وجلّ، فهم أحبُّوا الله فقاموا بطاعته وأتباع رسوله فأحبَّهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، نزلت في قوم ادَّعوا أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ تَعَالَى، فَأَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِيزَانًا: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وقال: ﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ولم يقل: «اتَّبِعُونِي تَصَدَّقُوا فِيهَا قُلْتُمْ» مع أَنَّ الْمُتَوَقَّعَ أَنْ يَكُونَ الْجَوَابُ هَكَذَا: «اتَّبِعُونِي تَصَدَّقُوا فِيهَا قُلْتُمْ»، لكنَّه ما قال ذلك، بل قال: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، وهذه هي الغاية.

إِذَنْ مَحَبَّةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا مِيزَانٌ، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ ﷺ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فِي الْعَقِيدَةِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

مَنْ ادَّعَى مَحَبَّةَ الرَّسُولِ وَابْتَدَعَ فِي دِينِ الرَّسُولِ فَهُوَ كَاذِبٌ، نَقُولُ: لَوْ كُنْتَ صَادِقًا فِي دَعْوَاكَ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ مَا أَتَيْتَ بِالْبِدْعَةِ فِي دِينِهِ؛ لِأَنَّ بَدْعَتَكَ فِي دِينِهِ؛ يَعْنِي: تَكْذِيبَ هَذِهِ الْقَضِيَّةِ الْعَامَّةِ: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؛ إِذْ أَنَّ هَذَا الَّذِي ابْتَدَعَهُ وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ دِينٌ وَليْسَ مَوْجُودًا فِي الشَّرِيعَةِ مِنْ لَازِمِهِ أَنَّ الشَّرِيعَةَ نَاقِصَةٌ لَمْ تَكْمُلْ، فَيَكُونُ مَضمُونُ هَذَا الْقَوْلِ وَلازِمُهُ -نَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ- تَكْذِيبَ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]؛ وَهَذَا أَهْلُ الْبِدْعِ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ حَتَّى قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: إِنَّ الْمُبْتَدِعَ لَا تُقْبَلُ لَهُ تَوْبَةٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَمْحَوْ

ما حَصَلَ مِنَ الأَثَرِ السَّيِّئِ فِي بَدْعَتِهِ، لَكِنْ عَلَى كُلِّ حَالٍ القَوْلُ الرَّاجِحُ أَنَّهَا تَصَحُّ تَوْبَتُهُ، وَأَنَّ البَدْعَةَ أَقْسَامٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا المَكْفَرَةُ وَمِنْهَا المَفْسَقَةُ، وَمِنْهَا التِّي يُعْذَرُ فِيهَا صَاحِبُهَا حَسَبَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ.

٣٣١١- هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ حَقًّا لَمْعَا وَضَةً وَلَا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ حَقًّا» إِي وَاللَّهُ هَذَا هُوَ الإِحْسَانُ، أَنْ يُحْسِنَ أَوَّلًا، ثُمَّ يُحْسِنَ ثَانِيًا، يُحْسِنُ أَوَّلًا بِوَضْعِ المَحَبَّةِ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، ثُمَّ ثَانِيًا بِمَحَبَّتِهِ لَهُمْ.

قَوْلُهُ: «لَا مَعَاوِضَةَ وَلَا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ»؛ أَي: لَا يَرْجُو بِذَلِكَ أَنْ يُعَاوِضُوهُ وَلَا يَتَوَقَّعُ مِنْهُمْ أَنْ يَشْكُرُوهُ، بِمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَنْتَظِرُ أَنْ يَشْكُرُوهُ، فَهُوَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى يُحِبُّهُمْ وَيُلْقِي فِي قُلُوبِهِم المَحَبَّةَ تَفْضُلًا.

٣٣١٢- لَكِنْ يُحِبُّ شُكُورَهُمْ وَشُكُورَهُمْ لَا لِإِحْتِيَاجٍ مِنْهُ لِشُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ يُحِبُّ شُكُورَهُمْ وَشُكُورَهُمْ»؛ أَوْ «شُكُورَهُمْ وَشُكُورَهُمْ» أَيُّهُمَا؟ الجَوَابُ: لَا يَخْتَلِفُ المَعْنَى، يَعْنِي: سِوَاءَ قَلْتِ: «شُكُورَهُمْ» وَهُوَ الفَاعِلُ؛ أَي: العَبْدُ الشَّاكِرُ، «وَشُكُورَهُمْ» وَهُوَ الفِعْلُ؛ أَي: الشُّكْرُ، أَوْ قَدَّمْتَ الثَّانِي، فَهُوَ يُحِبُّ مِنْهُمْ الشُّكْرَ وَيُحِبُّ مَنْ شَكَرَ.

قَوْلُهُ: «لَا لِإِحْتِيَاجٍ مِنْهُ لِشُّكْرَانِ»؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ كُلِّ مَنْ سِوَاهِ.

٣٣١٣- وَهُوَ الشُّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ لَكِنْ يُضَاعِفُهُ بِإِحْسَانِ

هَذَا أَيْضًا مِنْ شُكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّهُ لَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَ العِبَادِ، بَلْ يُضَاعِفُ الحَسَنَةَ بَعِشْرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةٍ ضَعْفٍ، وَإِذَا كَانَتْ الحَسَنَةُ تَعْلِيمَ الخَلْقِ فَمَا أَكْثَرَ مَا يُضَاعِفُ كُلُّ مَنْ انْتَفَعَ بِعِلْمِكَ فَلَكَ مِثْلُ أَجْرِهِ، وَمَنْ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالعِلْمِ؟

الجواب: أمم؛ ولهذا ما تفعله أُمَّة النَّبِيِّ - عليه الصَّلَاة والسَّلَام - من خيرٍ إِلَّا وله - صلواتُ الله وسلامُه عليه - أجره، وكذلك العلماء الذين نَفَعَنَا اللهُ بهم، كُلُّ ما انتفعوا به فلهم مثلُ أجرهم، وهذا من شكرِ الله، وإِلَّا لكان الإنسانُ يُؤَجَّرُ على سعيه الخاصِّ فقط لا على آثارِ سعيه، ولكن من شكرِ الله عزَّ وجلَّ للعاملِ أَنَّهُ يُشِيبُهُ حَتَّى فيما تَرْتَبَ على فعله.

٣٣١٤ - مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ هُوَ أَوْجَبَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الشَّانِ

هذه مسألة مهمة، هل للعبادِ عليه حقٌّ واجبٌ؟

الجواب: لا، ليس للعبادِ على الله حقٌّ واجبٌ؛ لأنَّ العبدَ مخلوقٌ مَرْبُوبٌ، فليس له حقٌّ على ربِّه، لكنَّ الله تعالى لكرمه أَوْجَبَ لعبده حقًّا عليه، قال الله - تبارك وتعالى -: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، هذا في المذنبين أنَّ الإنسانَ إذا تَابَ وَأَصْلَحَ فقد كَتَبَ اللهُ على نفسه الرَّحْمَةَ، وقال تعالى: ﴿ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْتَمَةِ ﴾ [الأنعام: ١٢]، فاللهُ تعالى هو الذي أَوْجَبَ الحقَّ على نفسه، وفي حديثِ مُعَاذِ المشهور أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهَ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^(١)، فاللهُ هو الذي أَوْجَبَ الحقَّ على نفسه؛ ولهذا قال: «هُوَ أَوْجَبَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ الشَّانِ»؛ أي: أَوْجَبَ الْأَجْرَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٧٠١)، ومسلم: كتاب الأيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٣٠).

العظيم الشان لمن أطاع أو لمن تاب إليه من المعاصي، إذن لا ننفي أن يكون على الله حق واجب ولا نثبت، بل نُفصل كما سبق.

٣٣١٥- كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ إِنْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ» «لَدَيْهِ»؛ أي: من أجله؛ أي: ليس هناك عمل يضيع عند الله عز وجل أبداً، كُلُّ عملِ الإنسانِ وإن دَقَّ فَإِنَّهُ لَا يَضِيعُ عند الله، بينما أعمال العباد للعباد قد تضيع، فربما تجتهد في العمل لشخص بمساعدة أو معاونة أو تحضير غائب، أو ما أشبه ذلك، فيضيع عملك.

ولكن المؤلف -رحمه الله- اشترط شرطين فقال: «إِنْ كَانَ بِالْإِخْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ» الإخلاص لله، والإحسان: المتابعة لرسول الله ﷺ، فكل عمل مبني على الإخلاص والمتابعة فلن يضيع، فإن فقد الإخلاص فلا قبول، وإن فقدت المتابعة فلا قبول، فإن كان بغيرهما فإن فاتا أو أحدهما فهو ضائع.

والدليل من القرآن آيات كثيرة، ومنها قوله تعالى: ﴿لِعِبَادُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ حُفَاءَ﴾ [البينة: ٥]، ومن السنة قول الله تعالى في الحديث القدسي الذي رواه عنه نبيه محمد ﷺ: «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرْكُهُ»^(١)، فهذا العمل فقد الإخلاص، وقال النبي ﷺ فيما رواه عنه أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(٢)؛ أي: مردود، هذا فقدت منه المتابعة، إذن لا بُدَّ من إخلاص وإحسان.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله، رقم (٢٩٨٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب البيوع، باب إذا اصطلحوا على صلح جور، رقم (٢٦٩٧)، مسلم:

كتاب الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة، رقم (١٧١٨).

٣٣١٦- إِنْ عُدُّبُوا فَبِعَدْلِهِ أَوْ نَعْمُوا فَبِفَضْلِهِ، وَالْحَمْدُ لِلْمَنَّانِ

قَوْلُهُ: «إِنْ عُدُّبُوا فَبِعَدْلِهِ» فلم يظلمهم؛ لأنه - سبحانه وتعالى - رَكَّبَ فِيهِم الْعُقُولَ وَالْفِطْرَةَ السَّلِيمَةَ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِمُ الرُّسُلَ، وَهَدَاهُمْ، وَلَمْ يَحْضُلْ أَيُّ قَاصِرٍ، فَإِذَا كَذَّبُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَعَذَّبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ فَهَذَا عَدْلٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحَزَنًا وَسَيِّئَةً سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠] لم يقل: «سَيِّئَةٌ» فقط؛ لثَلَا يَظُنُّ ظَانٌّ أَنَّهَا سَيِّئَةٌ تَكُونُ أَكْبَرَ مِنَ السَّيِّئَةِ الْعَامِلَةِ، بَلْ قَالَ: ﴿سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ لا تَزِيدُ عَلَيْهَا، وَمَنْ عَمَلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يُجْزَى الْحَسَنَةَ بَعَشَرَ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِئَةِ ضِعْفٍ لِأَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ.

نَقَوْلُ: هُنَا بِمَقْتَضَى التَّقْسِيمِ الْعَقْلِيِّ حَالٌ ثَالِثَةٌ وَهِيَ الظُّلْمُ، وَهَذِهِ مَمْتَنَعَةٌ عَلَى اللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، وَهَذَا الِاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ؛ يَعْنِي: قَدْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا.

الآن لو سألتكم ما الدنيا التي سبقتكم؟

الجوابُ: لا تُحْصَى، كُلُّ مَا مَضَى قَبْلَ وِلَادَتِنَا لَيْسَ بِشَيْءٍ بِالنِّسْبَةِ لَنَا، لَسْنَا شَيْئًا مَّذْكُورًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، أَدَاةُ الْإِبْتِلَاءِ وَالِاخْتِبَارِ مَوْجُودَةٌ وَهِيَ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ [الإنسان: ٣]؛ أَي: بَيْنَا لَهُ الطَّرِيقَ ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]؛ يَعْنِي: سِوَاءَ كَانِ شَاكِرًا أَمْ كَفُورًا فَقَدْ بَيَّنَّتِ السَّبِيلُ، لَكِنْ مِنَ النَّاسِ مَنْ آمَنَ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ، إِذْنًا إِذَا حَصَلَ الْعَذَابُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَإِنَّ ذَلِكَ بَعْدَهُ، لَمْ يَظْلَمْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَحَدًا، كُلُّ شَيْءٍ مُّبَيَّنٌّ حَتَّى إِنَّ اللَّهَ - سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى -

أرسل الرُّسُلَ ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾
[النساء: ١٦٥].

قَوْلُهُ: «أَوْ نَعْمُوا فَبِفَضْلِهِ» تَفَضَّلَ عَلَى مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ أَوَّلًا وَثَانِيًا، أَوَّلًا
بِتَوْفِيقِهِمْ، وَكَمْ مِنْ أَنَاسٍ ضَلُّوا، وَالَّذِي يَضِلُّ مِنْ بَنِي آدَمَ تَسْعُمَةُ وَتَسْعَةُ
وَتَسْعُونَ، كُلُّهُمْ ضَالُّونَ فِي النَّارِ، وَمَا أَكْثَرَ الضُّلَّالَ، فَإِذَا نَعِمَ الْإِنْسَانُ بِفَضْلِ اللَّهِ،
النَّعِيمُ الْأَوَّلُ: هِدَايَتُهُ لِلإِسْلَامِ، وَالنَّعِيمُ الثَّانِي: الْجَزَاءُ عَلَى عَمَلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

قَوْلُهُ: «وَالْحَمْدُ لِلْمَنَانِ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «الْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ»، وَ«الْحَمْدُ»؛ يَعْنِي:
الْوَصْفَ بِالْكَمَالِ وَالْجَمِيلِ مَعَ التَّعْظِيمِ وَالْمَحَبَّةِ لِلْمَنَانِ الَّذِي مَنْ عَلَى عِبْدِهِ بِالتَّوْفِيقِ
أَوَّلًا، ثُمَّ بِالْإِثَابَةِ ثَانِيًا.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ الثَّلَاثَةُ الْأَخِيرَةُ أَخَذَهَا الْمُؤَلَّفُ مِنْ بَيْتَيْنِ قَالَهُمَا مَنْ سَبَقَهُ، وَهُمَا:

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلَّا وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ عُدُّبُوا فَبِعَدْلِهِ، أَوْ نَعْمُوا فَبِفَضْلِهِ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ^(١)

لَكِنْ كَلَامُ ابْنِ الْقَيْمِ أَحْسَنُ بِلَا شَكٍّ؛ لِأَنَّ ابْنَ الْقَيْمِ لَمَّا قَالَ: «مَا لِلْعِبَادِ
عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ» قَيَّدَ فَقَالَ: «مَا لَهُمْ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ هُمْ الَّذِينَ أَوْجِبُوهُ، أَمَّا حَقٌّ
وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَوْجَبَهُ هُوَ فَهُوَ ثَابِتٌ».

أَيْضًا صَاحِبُ الْبَيْتَيْنِ أَطْلَقَ، وَهَذَا قَيَّدَ فَقَالَ: «إِنْ كَانَ بِالْإِحْلَاصِ وَالْإِحْسَانِ».

(١) البیتان وردا في كثير من كتب العقيدة بلا نسبة.

فصل

- ٣٣١٧- وَهُوَ الْغُفُورُ فَلَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
 ٣٣١٨- لِأَنَّهُ بِالْغُفْرَانِ مِْلَاءٌ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 ٣٣١٩- وَكَذَلِكَ التَّوَابُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالتَّوْبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
 ٣٣٢٠- إِذَنْ بَتَوْبَةٍ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا بَعْدَ الْمَتَابِ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ

الشرح

- ٣٣١٧- وَهُوَ الْغُفُورُ فَلَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
 ٣٣١٨- لِأَنَّهُ بِالْغُفْرَانِ مِْلَاءٌ قُرَابِهَا سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 قَوْلُهُ: «الْغُفُورُ»: هذا اسمٌ من أسماءِ الله، وهو السَّاتِرُ لِلذَّنْبِ المتجاوزُ عنه؛
 لِأَنَّ «الْغُفُورَ» مشتقٌّ من الْمِغْفَرِ، وَالْمِغْفَرُ ما يُوضَعُ على الرَّأْسِ اتِّقَاءَ السَّهَامِ، وإذا
 وُضِعَ على الرَّأْسِ حَصَلَ فيه فائدتان:

الأولى: السِّتْرُ، الثَّانِيَةُ: الوَقَايَةُ مِنَ السَّهَامِ.

فهو عَزَّ وَجَلَّ غُفُورٌ يَغْفِرُ الذَّنْبَ سِتْرًا وَعَفْوًا.

- قَوْلُهُ: «لَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا»: أي: قُرَابِ الْأَرْضِ؛ أي: ما يُقَارِبُ مِْلَاءُهَا مِنَ
 الْعِصْيَانِ لَكِنْ بَدُونَ شَرِكٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ:
 «يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ

بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»^(١)، وهذا الاسم العظيم المتضمن لهذا المعنى الجليل ينبغي للإنسان أن يُعَلِّقَ بِهِ قَلْبَهُ، وَأَنْ يُكَثِّرَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ لَهُ مَا دَلَّ عَلَيْهِ هَذَا الِاسْمُ الْكَرِيمُ.

٣٣١٩- وَكَذَلِكَ التَّوَابُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالتَّوْبُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

٣٣٢٠- إِذْ نُتَوِّبَةُ عَبْدِهِ وَقَبُولُهَا بَعْدَ الْمَتَابِ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ

وكذلك من أسماؤه «التَّوَابُ»، وليت المؤلف قال: «مِنْ أَسْمَائِهِ»؛ لِأَنَّ «التَّوَابَ» مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ بِلا شَكٍّ، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّا لَتَوَّابُونَ الرَّحِيمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٠]، لَكِنَّهُ قَالَ: «وَكَذَلِكَ التَّوَابُ مِنْ أَوْصَافِهِ»؛ يَعْنِي: مِمَّا تَضَمَّنَ أَوْصَافَ التَّوْبَةِ، وَإِلَّا فَهُوَ اسْمٌ.

و«التَّوَابُ»؛ أَي: كَثِيرُ التَّوْبَةِ عَلَى مَنْ تَابَ مَعَهَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ، إِذَا تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، لَوْ فَعَلَ الذَّنْبَ ثُمَّ تَابَ تَوْبَةً حَقِيقَةً ثُمَّ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ فَفَعَلَهَا وَتَابَ يَتَوَّبُ اللَّهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ غَلَبَتْهُ نَفْسُهُ فَفَعَلَهَا وَتَابَ يَتَوَّبُ اللَّهُ عَلَيْهِ مَعَهَا تَكَرَّرَ، حَتَّى جَاءَ فِي الْحَدِيثِ فِي رَجُلٍ أَخْبَرَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ أَذْنَبَ وَتَابَ، وَأَذْنَبَ وَتَابَ، وَأَذْنَبَ وَتَابَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ»^(٢)، اللهُ أَكْبَرُ! نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، لَكِنْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ التَّوْبَةَ فِي أَوْصَافِ اللَّهِ؛ يَعْنِي: التَّوْبَ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهِ التَّوَابُ، وَهُوَ وَصْفٌ عَنِ التَّوْبِ، فَالتَّوَابُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَالصِّفَةُ التَّوْبُ، وَهِيَ نَوْعَانِ: الْأَوَّلُ: تَوْبَةٌ سَابِقَةٌ عَلَى تَوْبَةِ الْعَبْدِ، وَالثَّانِي: تَوْبَةٌ لَاحِقَةٌ لِتَوْبَةِ الْعَبْدِ.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، رقم (٣٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿رُبِّيذُونَ أَنْ يَكْفُرُوا بِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، رقم (٧٠٦٨)، ومسلم: كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب، رقم (٢٧٥٨).

توبة العبد مخوفة بتوبتين: سابقة ولاحقة، السابقة يقول: «إِذْنُ تَوْبَةِ عَبْدِهِ»؛ يعني: أن الله يأذن قدرًا بتوبة العبد فيؤفقه للتوبة، إِذْنُ الإِذْنُ في كلام المؤلف هنا المراد به الإِذْنُ القَدْرِيُّ.

الثاني: قبول التوبة، ولهذا نقول: «قبولها» بالرفع؛ لأنه هو النوع الثاني، فتكون توبة العبد إلى الله مخوفة بتوبتين: توبة سابقة وهي أن الله يؤفقه للتوبة؛ لأنَّ الإنسان قد لا يُوفِّق للتوبة، فقد يعمى قلبه ويصُرُّ على المعصية وقد يُوفِّق للتوبة، وتوبة لاحقة وهي أن الله تعالى يقبل منه التوبة.

فإن قال قائل: ما الدليل على هذا التقسيم؟ قلنا: الدليل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، فقوله: ﴿تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ هل تاب عليهم توبة سابقة أو لاحقة؟ الجواب: توبة سابقة؛ لأنه قال: ﴿يَتُوبُوا﴾، إِذْنُ قوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾؛ يعني: أذن لهم قدرًا بالتوبة فوفقهم لها ليتوبوا إليه، فيقبل منهم التوبة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى: ٢٥]، وقوله أيضًا: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا﴾ [التوبة: ١١٨] معطوفٌ على قول الله: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [التوبة: ١١٧]؛ يعني: وتاب على الثلاثة الذين خلفوا؛ أي: خلفهم النبي ﷺ ولم يبت في أمرهم، وهم الذين تخلفوا عن غزوة تبوك، وهم ثلاثة: هلال بن أمية، وكعب بن مالك، ومرارة بن الربيع، تخلفوا عن غزوة تبوك بلا عذر، ولما قدم النبي ﷺ المدينة جلس للناس، فجاءه المعذرون الذين يعتذرون وهم مُنافقون، وبعضهم له الحق، هؤلاء الثلاثة صدقوا الله وصدقوا رسوله، وكان كعب بن مالك أشبَّ القوم وأجلدهم وأبينهم وأجدلهم، وقد أوتي جدلاً يستطيع أن يتخلص، فجلس إلى النبي -عليه الصلاة والسلام- قائلاً: إِنَّهُ أُوتِيَ جَدَلًا، وَلَوْ جَلَسَ عِنْدَ غَيْرِ الرَّسُولِ

لتخلص، لكنه لو تخلص عند الرسول الآن بالجدل فرب الرسول عز وجل لن يهمله، يعلم بحاله، وقال: إني لا يمكن أن أجادل بشيء؛ يعني: تقبله مني يا رسول الله، ثم يفضحني الله بعد ذلك، وأخبر بالصدق، وقال: عندي راحلتين، وقوي وقادر، ولا عذري، قال النبي ﷺ: «أما هذا فقد صدق»، ثم أمره أن ينصرف حتى يقضي الله فيه ما شاء، وبقوا على هذا خمسين ليلة منها عشر ليالٍ أمرت نساؤهم اللاتي هنَّ أخص الناس بهم فاعتزلوهم إلا هلال بن أمية ومرارة بن الربيع، فكانا شيخين كبيرين، استأذنا أن تبقى زوجاتهما عندهما للخدمة، ولما مضت خمسون ليلة أنزل الله التوبة عليهم، فكانت هذه أبلغ من الماء للعطشان الذي يخاف الدرك؛ ولهذا يقول: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨]، يعني: على رَحْبَتِهَا وَسَعَتِهَا ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٨] حتى أنفسهم ضاقت عليهم، وصاروا يرون الناس وكأهم ليسوا هم الناس الذين يعرفونهم، وليست المدينة هي المدينة، ﴿وَطَنُوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾ [التوبة: ١١٨]؛ أي: أيقنوا أنه لا ملجأ من الله إلا إليه ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ [التوبة: ١١٨]، فقوله: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٨] هذه بمعنى وَفَّقَهُمَ لِلتَّوْبَةِ لِيَتُوبُوا فيقبل الله توبتهم.

فالخاص: أن توبة الله على العبد نوعان: توبة سابقة لتوبته، وتوبة لاحقة.

وشروط التوبة لا حاجة إلى تكرارها؛ لأنها معروفة للجميع، وهي بعدد أصابع اليد؛ أي: خمسة، وهي: الإخلاص، والندم على المعصية، والإقلاع عنها، والعزم على ألا يعود، وأن تكون التوبة في وقت تقبل فيه.

فصل

صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالِإِذْعَانِ
 وَ كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانٍ
 فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
 مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانِ
 وَالْجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
 ذَا كَسْرَةٍ فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانِي
 لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
 وَ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ
 عُلْيَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانِ

٣٣٢١- وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي
 ٣٣٢٢- الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُو
 ٣٣٢٣- وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 ٣٣٢٤- لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا
 ٣٣٢٥- وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 ٣٣٢٦- جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا
 ٣٣٢٧- وَالثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي
 ٣٣٢٨- وَلَهُ مُسَمَّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُو
 ٣٣٢٩- مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الـ

الشرح

صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالِإِذْعَانِ
 وَ كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانٍ

٣٣٢١- وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي
 ٣٣٢٢- الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُو

من أسماء الله تعالى: «الإله» و«السَّيِّدُ» و«الصَّمَدُ»، فهو «الإله»؛ أي: المألوه
 المعبودُ محبةً وتعظيمًا، قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ إِلَهُ وَحْدٌ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وأمَّا «السَّيِّدُ»؛

أي: ذو السيادة المطلقة من كل الوجوه، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-:
«السيدُ الله»^(١).

ولذلك خاف الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن يجعلوا له السيادة المطلقة لما قالوا له: «أنت سيدنا»، فقال: «قولوا بقولكم أو بعرض قولكم ولا يستجربنكم الشيطان»^(٢)، وأما أنه ﷺ السيد على البشر فهذا لا شك فيه، ولذا فالأولى ألا يطلق «السيد» على النبي ﷺ، وإنما يُقيدُ فيقال: «سيد ولد آدم»^(٣) كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-.

فإن قال قائل: ما حكم قول البعض: السيد فلان، أو السادة والسيدات؟
الجواب: الظاهر أن هذه مسلوقة المعنى وأنها كلمة تبجيل فقط.

وأما «الصمد» ففسره المؤلف بمعنيين: المعنى الأول: قال: «الذي صمدت إليه الخلق بالإذعان»، فكل الخلق تصمد إلى الله في حوائجها، فهو صمد لا يحتاج إلى أحد ويحتاج إليه كل أحد حتى البهائم العجم والحشرات تصمد إلى الله سبحانه وتعالى، ويذكر أن سليمان بن داود -عليهما الصلاة والسلام- خرج ذات يوم يستسقي، فوجد نملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء تقول: اللهم إنا خلق من خلقك فلا تمنع عنا رزقك، فقال: «ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الأدب، باب في كراهية التمداح، رقم (٤٨٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود، وهو جزء من الحديث السابق.

(٣) كما في حديث: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة». أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق، رقم (٢٢٧٨).

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/٦٢، رقم ٢٩٤٨٧).

إِذَنْ لِمَنْ تَلَجَّ الْخَلَائِقُ حَتَّى الْحَشْرَاتُ؟ الْجَوَابُ: إِلَى اللَّهِ؛ وَهَذَا فُسِّرَ «الصَّمَدُ» بِمَعْنَى الْمَفْعُولِ؛ يَعْنِي: الْمَصْمُودَ إِلَيْهِ؛ أَي: الَّذِي تَصْمَدُ إِلَيْهِ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا فِي حَوَائِجِهَا، وَهَذَا يَقُولُ الْمُؤَلَّفُ: «الَّذِي صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالِإِذْعَانِ» هَلِ الْمِرَادُ بِالِإِذْعَانِ الْإِذْعَانُ الشَّرْعِيُّ أَوِ الْكُونِيُّ؟ أَمَّا الْكَافِرُ فَالْكُونِيُّ، فَالْكَافِرُ مَدْعِنٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَوْنًا، لَا يَسْتَطِيعُ أَبَدًا أَنْ يُعَارِضَ حَكَمَ اللَّهِ تَعَالَى فِيهِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مَدْعِنٌ لِلَّهِ كَوْنًا وَشَرْعًا.

المعنى الثاني: قال: «الكَامِلُ الْأَوْصَافِ»؛ يَعْنِي: الَّذِي كَمَلَتْ أَوْصَافُهُ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الْكَامِلُ فِي سُؤْدُودِهِ، الْعَلِيمُ الْكَامِلُ فِي عِلْمِهِ»^(١)، وَعَدَّدَ أَشْيَاءَ، فَهُوَ إِذَنْ الْكَامِلُ فِي أَوْصَافِهِ الَّذِي تَصْمَدُ إِلَيْهِ جَمِيعُ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَيَدْخُلُ فِي كِمَالِ الْأَوْصَافِ أَيْضًا تَفْسِيرُ «الصَّمَدِ» بِأَنَّهُ الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَكْلِ وَشَرْبٍ، فَهُوَ لِكِمَالِهِ لَيْسَ لَهُ أَوْعِيَّةُ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ؛ وَهَذَا لَوْ قَالَ قَائِلٌ: أَنَا أُثْبِتُ لِلَّهِ مَعَى لَكِنْ لَيْسَتْ كَأَمْعَائِنَا كَمَا أُثْبِتُ لَهُ يَدًا لَيْسَتْ كَأَيْدِينَا، قُلْنَا: هَذَا خَطَأٌ؛ لِأَنَّ مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأَمْعَاءِ إِنَّمَا هِيَ لِمَنْ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَأْكُلُ وَلَا يَشْرَبُ.

إِذَنْ يَدُورُ «الصَّمَدُ» عَلَى هَذَيْنِ الْمَعْنَيْنِ: الْكِمَالِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَافْتِقَارِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

٣٣٧٣- وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ

هُوَ «الْقَهَّارُ» أَيْضًا، وَقَوْلُهُ: «مِنْ أَوْصَافِهِ»؛ يَعْنِي: مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِفَةِ الْقَهْرِ،

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣٤٧٤).

وإِلَّا فَالْقَهَّارُ مِنْ أَسْمَائِهِ جَلٌّ وَعِلَاءٌ، وَمِنْ أَشْرَفِ أَسْمَائِهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ هُمْ
بَارِزُونَ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فَقَوْلُ
الْمَوْلُفِ: «مِنْ أَوْصَافِهِ»؛ يَعْنِي: أَنَّهُ دَلَّ عَلَى وَصْفِ الْقَهْرِ، وَإِلَّا - لَا شَكَّ - أَنَّهُ مِنْ
أَسْمَائِهِ.

قَوْلُهُ: «فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ»؛ أَي: كُلُّ الْخَلْقِ مَقْهُورُونَ، لَا يُمْكِنُ
أَنْ يَخْرُجُوا عَنْ قَهْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ يَتَحَدَّى الْجِنَّ وَالْإِنْسَ فَيَقُولُ: ﴿يَمَعَشَرَ
الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٣]،
وَهَذَا لَا يُمْكِنُ، ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٣٣]؛ يَعْنِي: وَلَا سُلْطَانَ لَكُمْ؛ لِأَنَّهُ
لَا أَحَدٌ يَفِرُّ مِنْ قَدْرِ اللَّهِ وَلَا مِنْ قَهْرِ اللَّهِ، فَكُلُّ الْخَلْقِ مَقْهُورُونَ بِسُلْطَانِ اللَّهِ
الْأَعْظَمِ الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ سُلْطَانٌ وَلَا يُدَانِيهِ سُلْطَانٌ، كُلُّ الْخَلَائِقِ مَقْهُورَةٌ بِاللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ مَهْمَا عَظُمَتْ قُوَّتُهَا، إِذَا شَاءَ شَيْئًا قَالَ: «كُنْ فَيَكُونُ»، عَصَا مِنْ شَجَرٍ ضُرِبَ
بِهِ الْبَحْرُ فَانْفَلَقَ فِي لِحْظَةٍ، ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشُّعْرَاءُ: ٦٣]، وَيَغْزَوُ
الْكَعْبَةَ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَبِيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ حُسِفَ بِهِمْ^(١)؛ أَي: هَلَكُوا عَنْ
آخِرِهِمْ، فَتَجَارَهُمْ وَصَاغَتْهُمْ وَالْمَعْتَدُونَ مِنْهُمْ كُلُّهُمْ يَذْهَبُونَ فِي لِحْظَةٍ، فَكُلُّ الْخَلْقِ
مَقْهُورُونَ بِسُلْطَانِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا فِي الدُّنْيَا وَالنَّاسُ يُشَاهِدُونَ، فَكَيْفَ
بِالْآخِرَةِ؟! يَكُونُ الْأَمْرُ أَشَدَّ وَأَشَدَّ وَأَظْهَرَ.

٣٣٢٤ - لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَمِنْ سُلْطَانٍ

يعني: أَنَّ الْقَهَّارَ يَشْمَلُ عِدَّةَ مَعَانٍ: الْحَيَاةَ، وَالْعِزَّةَ، وَالْقُدْرَةَ، وَلَوْلَا هَذِهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْبَيْعِ، بَابُ مَا ذَكَرَ فِي الْأَسْوَاقِ، رَقْمٌ (٢٠١٢)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْفَتَنِ
وَأَشْرَاطُ السَّاعَةِ، بَابُ الْحُسْفِ بِالْجَيْشِ الَّذِي يَوْمُ الْبَيْتِ، رَقْمٌ (٢٨٨٤).

المعاني الثلاثة ما صار قَهَّارًا ولا صار له سُلطانٌ، فهو حيٌّ عزيزٌ قادرٌ قاهرٌ.

٣٣٢٥- وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ

٣٣٢٦- جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ غَدَا ذَا كَسْرَةٍ فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانِي

٣٣٢٧- وَالثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ

٣٣٢٨- وَلَهُ مُسَمَّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ وَفَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ»، وَلَيْتَهُ قَالَ: «مِنْ أَسْمَائِهِ»؛ لِأَنَّ مَنْ

أَسَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجَبَّارَ، وَوَصَفَهُ الْجَبْرُ، وَلَهُ ثَلَاثَةٌ مَعَانٍ:

المعنى الأول: أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجْبُرُ الْكَسِيرَ وَيَجْبُرُ الضَّعِيفَ؛ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يُزِيلُ

الْعَيْبَ وَالنَّقْصَ بِالْجَبْرِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «فَإِنَّمَا تُرْزُقُونَ وَتُنصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ»^(١).

لكن قولُ الدَّاعي: «سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ» من أيِّهما؟ الجواب: من

الثَّانِي الَّذِي هُوَ جَبْرُ الْقَهْرِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَوَّلِ الَّذِي هُوَ جَبْرُ الضَّعِيفِ،

فِيَكُونُ قَدْ وَصَفَ اللَّهُ بِالْعِزَّةِ الَّتِي هِيَ الْقَهْرُ وَالْجَبْرُ الَّذِي هُوَ بِالنِّسْبَةِ لَنَا اللَّيْنُ

وَاللُّطْفُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

المعنى الثَّانِي: أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ جَبَّارٌ بِقَهْرِهِ؛ أَي: قَوِيٌّ قَاهِرٌ جَبَّارٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ

تَعَالَى: ﴿نَتَجَّ عِبَادِي أَتَىٰ أَنَا الْعَفْوَورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾

[الحجر: ٤٩]، وَقَوْلُهُ: ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

[المائدة: ٩٨]، فَهَذَا جَبْرُ الْقَهْرِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَى كِمَالِ السُّلْطَانِ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مِنْ اسْتِعَانَ بِالضَّعْفَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الْحَرْبِ، رَقْمُ

فهو سبحانه يقهرُ الخلائقَ؛ لأنَّ عنده جبروتًا وملكوتًا، فهو يجبرُ كُلَّ أحدٍ مهما بلغ جبروتُه، فهذا فرعونُ أعتى عبادِ الله فيما نعلمُ كان جبارًا مُتكبرًا عنيدًا، وجبرَه اللهُ عزَّ وجلَّ؛ أي: فَهَرَه بأخفِّ الأشياءِ وهو الماء حتى أغرقه.

المعنى الثالث: جبرُ العلوِّ، ف«الجبارُ»؛ يعني: العليُّ، وهو أنَّه سبحانه فوق كُلِّ شيءٍ، ولمَّا كان هذا المعنى خفيًّا ذكر ابنُ القيم -رحمه الله- وجهَ اشتقاقه فقال:

٣٣٢٩- مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الـ عُلْيَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ

قَوْلُهُ: «فَاتَتْ»، وفي نسخة: «فَاقَتْ»؛ أي: عَلَتْ.

قَوْلُهُ: «مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الْعُلْيَا»، وما زال النَّاسُ يقولون هذا، الفلاحون الآن يقولون: هذه النَّخْلَةُ جَبَّارَةٌ؛ يعني: طويلة عالية.

وأشار المؤلفُ بقوله: «مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَّارَةٌ» إلى الاشتقاقِ، والاشتقاقُ فنٌّ مهمٌّ جدًّا لطالِبِ العلمِ، يعرفُ به طالبُ العلمِ كيف يُرجِعُ الفروعَ إلى أصولِها؟ وإرجاعُ الفروعِ إلى الأصولِ يُعينُ على فَهْمِ المعنى؛ ولذلك كثيرًا ما يُشكِلُ المعنى، فإذا قيل للطَّالِبِ: هذا «فَعْلٌ» من «فَعَلَّ» زال عنه الإشكالُ، فَعِلْمُ الاشتقاقِ مهمٌّ جدًّا حتَّى إنَّ بعضَ العلماءِ يقولُ: حتَّى الأسماءُ الجامدة التي لا تدلُّ على معنى هي في الحقيقة مُشْتَقَّةٌ، وَزَعَمَ أَنَّ كُلَّ لَفْظٍ يدلُّ على معناه، حتَّى زَعَمَ أَنَّ الأسماءَ الجامدة دالَّةٌ على المعنى، فقال: «حَجَرٌ» غيرُ مُشْتَقٍّ، لكن تتصوَّرُ أنت إذا قيل: «حَجَرٌ» تتصوَّرُ منه القسوة والشَّدة، ولكنَّ هذا خلافُ ما كان عليه الجمهورُ؛ لأنَّه ليس مُشْتَقًّا من معنى، وكونُ الإنسانِ يتخيَّلُ أَنَّ الحجرَ فيه قوَّةٌ وشدَّةٌ بناءً على أنَّه قد فَهَمَهُ وعرف أنَّ الحجرَ صَلْبٌ ﴿فَهِىَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤].

فصار الجبرُ له ثلاثةُ معانٍ: جبرُ القوَّةِ، وجبرُ الرَّحمةِ، وجبرُ العلوِّ، جبرُ القوَّةِ؛ يعني: يجبرُ كُلَّ إنسانٍ مُستكبرٍ، وجبرُ الرَّحمةِ؛ أي: يجبرُ الضَّعيفَ والمنكسرَ، والثَّالثُ: جبرُ العلوِّ، وهو أنَّه - سبحانه وتعالى - فوق كُلِّ شيءٍ.

فصل

- ٣٣٣٠- وَهُوَ الْحَسِيبُ حِمَايَةً وَكِفَايَةً وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوَانٍ
 ٣٣٣١- وَهُوَ الرَّشِيدُ فَقَوْلُهُ وَفِعَالُهُ رُشِدٌ وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الْحَيْرَانِ
 ٣٣٣٢- وَكِلَاهُمَا حَقٌّ فَهَذَا وَضْفُهُ وَالْفِعْلُ لِلإِزْشَادِ ذَلِكَ الثَّانِي
 ٣٣٣٣- وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ وَالْحُكْمُ فِي الْمِيزَانِ
 ٣٣٣٤- فَعَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَهُنَا قَوْلًا وَفِعْلًا ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

الشرح

- ٣٣٣٠- وَهُوَ الْحَسِيبُ حِمَايَةً وَكِفَايَةً وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوَانٍ
 الحسيبُ فسره بقوله: «حِمَايَةً وَكِفَايَةً»، و«الحسيبُ»؛ أي: ذو الحسبِ، و«الحسبُ»؛ يعني: الكفاية، فهو الكافي الذي يحمي عبده، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، وإذا كان هو الحسيب فإلى أيِّ أحدٍ يرجع الإنسان عند مهمَّاته وملمَّاته؟ الجواب: إلى الله عزَّ وجلَّ؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣]، و«الحسيبُ» من أوصافه، فإنه تعالى حَسْبُ كُلِّ مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ.

- ٣٣٣١- وَهُوَ الرَّشِيدُ فَقَوْلُهُ وَفِعَالُهُ رُشِدٌ وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الْحَيْرَانِ
 هو أيضًا «الرَّشِيدُ»، و«الرَّشِيدُ» لا أعلمه من أسماء الله، لكنه لا شكَّ أنه من

أوصافه؛ لأنَّ الرُّشْدَ إِحْسَانُ التَّصَرُّفِ، وضدُّه السَّفَهُ، ودليلُ ذلك قوله تعالى: ﴿وَابْتَلُوا الَّذِينَ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ [النساء: ٦]، و﴿رُشْدًا﴾؛ يعني: سدادًا في بيعهم وشرائهم وتصرفهم، فلا شكَّ أنَّ الله تعالى رشيدٌ، وأنَّ الرُّشْدَ له معنيان:

الأوَّل: أنَّ قوله وأفعاله وأحكامه كُلُّها رشْدٌ، ف«رشيد» هنا بمعنى «راشد».

الثَّاني: أَنَّهُ مُرْشِدُ الحَيْرَانِ، فتكون «فعليل» بمعنى «مُفْعِل»؛ يعني: يُرْشِدُ غيره، فيكون له معنيان: الأوَّل: متعلِّقٌ بوصفه، والثَّاني: متعلِّقٌ بخلقه، فإذا قال قائلٌ: وهل «فعليل» تأتي بمعنى مُفْعِل؟

فالجواب: نعم، والشَّاهدُ من كلامِ العربِ في قولِ الشَّاعرِ:

أَمِنْ رَيْحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُورِّقُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ؟^(١)

قوله: «وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الحَيْرَانِ» هذا هو المعنى الثَّاني أَنَّهُ «مُرْشِدُ الحَيْرَانِ»، فكم من إنسانٍ حيرانٍ يرشده اللهُ عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الإنسانَ إذا تَحَيَّرَ يكونُ كالمضطرِّ يسألُ اللهَ الهدايةَ، والحيرةُ قد تكونُ حيرةً في العلمِ، وقد تكونُ في أمرٍ محسوسٍ؛ ففي العلمِ إذا رأيتَ نفسك متحيرًا فالزم الاستغفارَ، فإنَّ الاستغفارَ ممَّا يفتحُ اللهُ به على العبدِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِبِينَ خَصِيمًا﴾ (١٠٥) وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا [النساء: ١٠٦].

(١) البيتُ لعمر بن معديكرب، كما في الأصمعيات (ص: ١٧٢).

إذا تحيّرت في مسألة من العلم فقل: «اللَّهُمَّ يَا مُفَهِّمَ سَلِيمَانَ فَهِّمْنِي، وَيَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي»^(١)، والجا إلى الله عزَّ وجلَّ يرشدك، كذلك إرشادُ الحيرانِ في الأمورِ الحسِّيَّةِ هذه أيضًا يحتاجُها الإنسانُ إلى ربِّه عزَّ وجلَّ، أحيانًا تكونُ في البرِّ وتشتبهُ عليك الطُّرُقُ، ولاسيَّما الطُّرُقُ الموجودةُ في الفلَاةِ يتحيرُ فيها الإنسانُ، يلجأُ إلى الله عزَّ وجلَّ، واستمع إلى موسى -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- لَمَّا توجَّهَ لتلقاءِ مَدْيَنَ قال: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، وكنا مع شيخنا في سنةٍ من السَّنواتِ حُجَّاجًا، وكان ذلك الوقت ليس فيه خطوطٌ، فتُهنا بعضُ الشَّيءِ فجعل يقولُ: «عسى أن يهديني ربِّي سواءَ السَّبِيلِ»، فهُدِينَا إلى الطَّرِيقِ، فأنت إذا تحيّرتَ عليك بهذه الآية: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص: ٢٢]، فإذا قلتها مخلصًا لله مفتقرًا إليه هداك اللهُ عزَّ وجلَّ.

٣٣٣٢- وَكِلَاهُمَا حَقٌّ فَهَذَا وَصْفُهُ وَالْفِعْلُ لِلْإِرْشَادِ ذَلِكَ الثَّانِي

قَوْلُهُ: «كِلَاهُمَا حَقٌّ»؛ يعني: كونهُ راشدًا بمقاله وفعاله، وكونه مُرشدًا، فكلاهما حَقٌّ.

قَوْلُهُ: «فَهَذَا وَصْفُهُ»؛ يعني: الرُّشْدَ.

أي: إنَّ أقواله وأفعاله وأحكامه كُلُّها رُشْدٌ، فالأوَّلُ -وهو كونهُ راشدًا- وصفه، فالرُّشْدُ وصفٌ.

قَوْلُهُ: «الْفِعْلُ لِلْإِرْشَادِ»؛ أي: إرشادهُ الخلقَ هذا من فعله؛ لأنَّه خَلَقَ.

(١) هذا دعاء مأثور عن شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-، انظر: العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لابن عبد الهادي (ص: ٤٢).

٣٣٣٣- وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ وَالْحُكْمُ فِي الْمِيزَانِ
 مِنْ أَوْصَافِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَدْلُ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ نَفَى الظُّلْمَ عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ:
 ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]،
 وَذَلِكَ لِكَمَالِ عَدْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا الْعَدْلُ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُتَمَاهِلَيْنِ بَلْ
 بِالْمِيزَانِ، وَلَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْمُتَفَرِّقَيْنِ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمْ يَكُنْ عَدْلًا.

إِذَنْ مِنْ أَوْصَافِ اللَّهِ تَعَالَى الْعَدْلُ، وَعَدَّهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَسْمَائِهِ، وَلَكِنْ
 لَا شَكَّ أَنَّ الْعَدْلَ وَصَفَهُ فِي فِعْلِهِ وَقَوْلِهِ وَحُكْمِهِ، ففَعَلَهُ كُلُّهُ عَدْلٌ، وَقَوْلُهُ كُلُّهُ عَدْلٌ،
 وَحُكْمُهُ كُلُّهُ عَدْلٌ، وَمَا خَالَفَ حُكْمَهُ فَهُوَ جَوْرٌ وَظَلْمٌ وَإِنْ سَاءَ مُشَرَّعُوهُ مَا
 يَسْمُونَهُ بِهِ مِنْ دِيمُقْرَاطِيَّةٍ وَغَيْرِهَا، فَإِنَّهُ لَا أَعْدَلَ مِنْ حُكْمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَحُكْمُ اللَّهِ
 أَعْدَلُ الْأَحْكَامِ، فَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَظْلِمُ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، أَوْ يُفْضِلُ أَحَدًا عَلَى
 أَحَدٍ بغير مُوجِبٍ بِهَذَا التَّفْضِيلِ فَإِنَّهُ إِمَّا جَاهِلٌ بِالْإِسْلَامِ، وَإِمَّا مُلَبَّسٌ عَلَى النَّاسِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُتَأَخِّرِينَ ابْتَلَوْا بِكَلِمَةٍ يَقُولُونَهَا بَدَلَ الْعَدْلِ يَقُولُونَ: «الَّذِينَ
 الْإِسْلَامِيُّ دِينُ الْمَسَاوَةِ»، وَهَذَا عَلَى إِطْلَاقِهِ غَيْرُ صَحِيحٍ، الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ دِينُ
 الْعَدْلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾
 [النحل: ٩٠]؛ وَهَذَا يَجِبُ أَنْ نَقُولَ: الدِّينُ الْإِسْلَامِيُّ دِينُ الْعَدْلِ لَا دِينُ الْمَسَاوَةِ؛ إِذْ
 إِنَّ الدِّينَ الْإِسْلَامِيَّ يَسَاوِي بَيْنَ النَّاسِ إِذَا اتَّفَقُوا فِي الْأَسْتِحْقَاقِ، وَإِلَّا فَاللَّهُ يَقُولُ:
 ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١١]، وَيَقُولُ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ
 رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، وَأَكْثَرُ مَا فِي الْقُرْآنِ
 نَفْيُ الْمَسَاوَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا﴾ [الحديد: ١٠]،
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد: ١٦]،

والآيات في هذا كثيرة، فكيف نقول: الدين الإسلامي دين المساواة، ونصوصه في أكثر الأحيان في القرآن على نفي المساواة؟! وكيف نقول هذا، ولدينا آية في كتاب الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [النحل: ٩٠]، فقال: ﴿بِالْعَدْلِ﴾؟! لو أن فقيرًا سرق وأمرنا بقطع يده، وغنيًا سرق ورفعنا عنه الحد هل نقول: الدين الإسلامي يقتضي قطع يد الغني؛ لأنه دين المساواة، أو نقول: الدين الإسلامي يقتضي قطع يد الغني؛ لأنه دين العدل؟ الجواب: الثاني لا شك، لكن الناس ولاسيما الكتّاب الذين غالب كتبهم أدبية لا يتبهون لهذا الشيء.

مسألة: بعض الناس يقول: قال الحق -تبارك وتعالى-، فهل هذا جائز؟

الجواب: لا شك أن الله هو الحق، قال الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، لكن التعبير بما لم يعبر به السلف هو الذي ينبغي ألا يفعله الإنسان، والسلف كانوا يقولون: «قال الله تعالى»، «قال الرب جل وعلا»، وما أشبه ذلك، مثل قول المتأخرين إذا أرادوا أن يقولوا: «قال رسول الله»، قالوا: «قال المصطفى»، أو «قال محمد بن عبد الله»، نعم هو المصطفى وهو محمد بن عبد الله، لكن قولوا كما قال الصحابة، والمصطفى لا تختص بالرسول وغيرهم، وأيضًا قولهم: «محمد بن عبد الله» إشكال أيضًا؛ لأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لما أراد أن يُصالح قريشًا، قال: «اكتب، هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فرفض مندوب قريش: وقال: «ولكن اكتب: محمد بن عبد الله»^(١)، فلماذا نعدّل

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٥٨١).

عن الألفاظ التي كان الصحابة يستعملونها وهم أشدُّ منَّا تعظيمًا للرَّسولِ عليه الصلاة والسلام، وأشدُّ منَّا تعظيمًا للرَّبِّ عزَّ وجلَّ، ونأتي بألفاظٍ خارجةٍ عمَّا يتكلَّمُ به السَّابقون؟! لكن المتأخرون يحصلُ فيهم التَّنطُّعُ والتَّعمُّقُ.

٣٣٣٤- فَعَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَهْنَا قَوْلًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

وهذا في القرآن في قوله تعالى: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦]، فاللهُ عزَّ وجلَّ في فعَّاله وأقواله وحُكْمِه على صراطٍ مستقيمٍ، ليس بزائغٍ ولا مُنْحَرِفٍ.

فصل

تَنْزِيهِهِ بِالتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ
 مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نَقْصَانِ
 هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 فَالْبِرُّ حَيْثُ إِذْ لَهُ نَوْعَانِ
 مُوَلِي الْجَمِيلِ وَدَائِمُ الْإِحْسَانِ
 فَانظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَرْمَانِ
 تِلْكَ الْمَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ
 وَالْفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
 وَالْفَتْحُ بِالْأَقْدَارِ فَتَحُ ثَانِي
 عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ
 وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ
 نَوْعَانِ أَيضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ
 رِزْقُ الْمَعْدِّ لِهَذِهِ الْأَبْدَانِ
 رِزْقُهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

٣٣٣٥- هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقُدُّوسُ ذُو التَّوْحِيدِ
 ٣٣٣٦- وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَالِمٌ
 ٣٣٣٧- وَالْبِرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانُهُ
 ٣٣٣٨- صَدَرَتْ عَنِ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ
 ٣٣٣٩- وَصَفٌ وَفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ
 ٣٣٤٠- وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 ٣٣٤١- أَهْلُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ عَنِ
 ٣٣٤٢- وَكَذَلِكَ الْفَتْاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 ٣٣٤٣- فَتَحٌ بِحُكْمٍ وَهُوَ شَرَعٌ إِلَهِنَا
 ٣٣٤٤- وَالرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كَلَيْهِمَا
 ٣٣٤٥- وَكَذَلِكَ الرَّزَّاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 ٣٣٤٦- رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
 ٣٣٤٧- رِزْقُ الْقُلُوبِ الْعِلْمُ وَالْإِيْمَانُ وَالرِّزْقُ
 ٣٣٤٨- هَذَا هُوَ الرَّزْقُ الْحَلَالُ وَرَبَّنَا

- ٣٣٤٩- وَالثَّانِي سَوْقُ الْقُوْتِ لِلْأَعْضَاءِ فِي تِلْكَ الْمَجَارِي سَوْقُهُ بِوِزَانِ
 ٣٣٥٠- هَذَا يَكُونُ مِنَ الْحَلَالِ كَمَا يَكُونُ مِنْ الْحَرَامِ كِلَاهُمَا رِزْقَانِ
 ٣٣٥١- وَاللَّهُ رَازِقُهُ بِهَذَا الْإِغْتِبَا رِ وَلَيْسَ بِالْإِطْلَاقِ دُونَ بَيَانِ

الشرح

- ٣٣٣٥- هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقُدُّوسُ ذُو التَّنْزِيهِ بِالتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ
 «الْقُدُّوسُ» مِنْ أَوْصَافِهِ؛ يَعْنِي: مِمَّا دَلَّ عَلَى وَصْفِهِ بِالْقُدُّوسِيَّةِ، وَإِلَّا
 فِي «الْقُدُّوسِ» لَا شَكَّ مِنْ أَسْمَائِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الْحَشْرِ: ﴿أَلَمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾
 [الحشر: ٢٣]، فَمَا مَعْنَى الْقُدُّوسِ؟ يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ هُوَ: «ذُو التَّنْزِيهِ بِالتَّعْظِيمِ»؛ يَعْنِي:
 هُوَ الْمُنَزَّهُ عَنْ كُلِّ نَقْصٍ الْمُعْظَمُ بِأَكْمَلِ التَّعْظِيمِ.
 ٣٣٣٦- وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ تَمَثِيلٍ وَمِنْ نَقْصَانِ
 «السَّلَامُ» أَيْضًا مِنْ أَسْمَائِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمَلِكُ الْقُدُّوسُ أَسْلَمٌ﴾
 [الحشر: ٢٣]، فَسَمَّى اللَّهُ نَفْسَهُ قُدُّوسًا، وَسَمَّى نَفْسَهُ سَلَامًا، وَبَدَأَ بِالْقُدُّوسِ؛ لِأَنَّهُ
 تَطْهِيرٌ، وَبِالسَّلَامِ؛ لِأَنَّهُ مَنَعٌ مِنَ النَّقْصِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ، فَالْقُدُّوسُ مَحْوٌ لِلنَّقْصِ فِي
 الْمَاضِي إِنْ قُدِّرَ، وَالسَّلَامُ مَنَعٌ لِلنَّقْصِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.

وَكَانَ الصَّحَابَةُ يَقُولُونَ: «السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ»؛ لِأَنَّ السَّلَامَ بَيْنَ النَّاسِ
 تَحِيَّةٌ، فَكَانُوا يَقُولُونَ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ، السَّلَامُ عَلَى جِبْرِيلَ، السَّلَامُ عَلَى
 مِيكَائِيلَ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ:
 «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ»؛ لِأَنَّ السَّلَامَ إِنَّمَا يُدْعَى بِهِ لِمَنْ يَحْتَمِلُ أَنْ

يُنَالُ بِسَوْءٍ وَنَقْصٍ، فَقَالَ: «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ»، وَكَانَ قَدْ عَلِمَهُمْ مَاذَا يَجِيئُونَ اللَّهَ بِهِ فِي قَوْلِهِ: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ»^(١)، إِذْ هُوَ السَّلَامُ مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَنَقْصٍ، فَهُوَ لَا يَمِثِّلُ الْمَخْلُوقِينَ، وَلَا تَنْقُصُ صِفَاتُهُ الْكَامِلَةَ أَبَدًا.

٣٣٣٧- وَالْبِرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ

٣٣٣٨- صَدَرَتْ عَنِ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ وَصْفُهُ فَالْبِرُّ حَيْثُ ذَلَّ لَهُ نَوْعَانِ

٣٣٣٩- وَصَفٌ وَفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ مُوَلِّي الْجَمِيلِ وَدَائِمُ الْإِحْسَانِ

«الْبِرُّ» مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، وَانظُرْ إِلَى قَوْلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ: ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطُّور: ٢٨]، وَالْبِرُّ هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَسَعَتُهَا، وَمِنْهُ «الْبِرُّ» لَمَّا خَرَجَ عَنِ الْقَرْيَةِ وَالْمَدِينِ؛ لِأَنَّهُ وَاسِعٌ مُتَشَرٌّ، فَالْبِرُّ نَوْعَانِ:

الْأَوَّلُ: وَصَفٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ ذُو الْبِرِّ الْعَظِيمِ وَالْإِحْسَانِ الْعَمِيمِ.

الثَّانِي: فِعْلٌ لَهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ أَي: مُوَصِّلٌ لِلْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ لِمَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، إِذْ هُوَ بَرٌّ بِاعْتِبَارِ الْوَصْفِ، وَمَحْسَنٌ بِاعْتِبَارِ فِعْلِهِ؛ لِأَنَّ الْإِحْسَانَ مِنَ الْبِرِّ، إِذْ هُنَاكَ بَرٌّ وَهُوَ الْإِحْسَانُ، وَمِنْهُ: بَرٌّ الْوَالِدَيْنِ، وَهُنَاكَ «بَرٌّ» عَلَى وَزْنِ: «فَعَّلٌ» وَهُوَ اسْمُهُ وَوَصْفُهُ، فَهُوَ وَصَفٌ وَفِعْلٌ.

٣٣٤٠- وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَانظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَرْزَامِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ» «الْوَهَّابُ»؛ أَي: كَثِيرُ الْهَبَاتِ، فَهُوَ صَيْغَةُ مَبَالِغَةٍ مِنْ وَجْهِهِ، وَكَذَلِكَ اسْمٌ نَسَبِيٌّ مِنْ وَجْهِ آخَرَ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ التَّشْهَدِ فِي الْآخِرَةِ، رَقْمٌ (٨٣١)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ التَّشْهَدِ فِي الصَّلَاةِ، رَقْمٌ (٤٠٢).

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨]؛ أي: كثير الهبات.

قَوْلُهُ: «فَانظُرْ مَوَاهِبُهُ مَدَى الْأَزْمَانِ» لو نظرنا إلى مواهبه مدى الأزمان لوجدنا أنها لا تُحصى، واسمُ «الوَهَّابِ» موجودٌ في القرآن بهذا اللَّفْظِ، وموجودٌ كذلك بالفعلِ في قوله تعالى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِشَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾ [الشورى: ٤٩].

٣٣٤١- أَهْلُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ
لا ينفكُّ أهلُ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عن مواهبِ الله عزَّ وجلَّ ونعمه لحظةً، ولو انفكَّ أحدٌ عن هباتِ الله لحظةً هلك.

٣٣٤٢- وَكَذَلِكَ الْفَتْاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالْفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ

٣٣٤٣- فَتَحٌ بِحُكْمٍ وَهُوَ شَرْعٌ إِلَهِنَا وَالْفَتْحُ بِالْأَقْدَارِ فَتَحٌ ثَانِي

٣٣٤٤- وَالرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ

«الْفَتْاحُ» من أسماءِ الله عزَّ وجلَّ، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]، وذكر أنَّ الفَتْحَ نوعان: فَتْحٌ بِالشَّرْعِ، وَفَتْحٌ بِالْقَدَرِ، الْفَتْحُ بِالشَّرْعِ ما يفتحه اللهُ تعالى على عباده من العلمِ النَّافِعِ الَّذِي لا مُنْتَهَى له حيث يبلغه العبدُ، أو هو الحكمُ بين عباده بِالشَّرْعِ؛ ولهذا قال: «فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهُوَ شَرْعٌ إِلَهِنَا»، ومنه قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ٨٩]، فهذا شرعيٌّ؛ يعني: احكم بيننا بالحقِّ، مع أنَّه يصحُّ أن يكون كونياً أيضاً، ومنه أيضاً: ما يُقَالُ في الدُّعَاءِ المعروفِ بين النَّاسِ: «فَتَحَ اللهُ على قلبك» فهذا من الفَتْحِ الشَّرْعِيِّ، والفَتْحُ

ضد الإغلاق؛ يعني: هداه وشرحه للإسلام، وما أشبه ذلك.

الثاني: الفتح القَدْرِيُّ وهو ما قَدَّرَهُ كَوْنًا، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، هذا فتح قَدَرٍ، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، هذا كونيُّ أيضًا.

إِذْنُ فَاللَّهُ تَعَالَى فَتَّاحٌ بِهَذَا وَهَذَا، فَاسْأَلْ رَبَّكَ الْفَتْحَ، قُلْ: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي» إِذَا دَخَلَ الْإِنْسَانُ الْمَسْجِدَ قَالَ: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ»، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ»^(١).

٣٣٤٥ - وَكَذَلِكَ الرَّزَاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالرَّزْقُ مِنْ أَعْمَالِهِ نَوْعَانِ
 ٣٣٤٦ - رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَوْعَانِ أَيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ
 ٣٣٤٧ - رِزْقُ الْقُلُوبِ الْعِلْمُ وَالْإِيْمَانُ وَالرِّزْقُ الْمَعْدُ لِهُذِهِ الْأَبْدَانِ
 ٣٣٤٨ - هَذَا هُوَ الرَّزْقُ الْحَلَالُ وَرَبُّنَا رِزْقُهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
 ٣٣٤٩ - وَالثَّانِي سَوْقُ الْقُوْتِ لِلْأَعْضَاءِ فِي تِلْكَ الْمَجَارِي سَوْقُهُ بِوِزَانِ
 ٣٣٥٠ - هَذَا يَكُونُ مِنَ الْحَلَالِ كَمَا يَكُونُ مِنْ الْحَرَامِ كِلَاهُمَا رِزْقَانِ

«الرَّزَاقُ» مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ٥٦ مَّا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَاقُ ﴿الذريات: ٥٦-٥٨﴾، وَأَتَتْ «الرَّزَاقُ» بِصِيغَةِ الْمَبَالِغَةِ لِكثْرَةِ رِزْقِهِ وَكثْرَةِ مَنْ يَرْزُقُهُ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، فَمَا

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما يقول عند دخوله المسجد، رقم (٣١٤)، وابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب الدعاء عند دخول المسجد، رقم (٧٧١).

أكثر الذين يرزقهم الله، ثم المرزوق من عباد الله رزقه كثيرًا أيضًا، لو أحصيت ما يرزقك الله عز وجل ما استطعت أن تحصي له عددًا.

والرزق نوعان: رزق معنوي، وهو ما به غذاء الروح وهو رزق القلوب العلم والإيمان، وهذا هو الرزق الذي جعله الله على يد رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فما بنا من علم فهو من عند الرسول - عليه الصلاة والسلام - على يده، وما بنا من إيمان فهو على يد الرسول عليه الصلاة والسلام، هذا الرزق معنوي، فالعلم والإيمان رزق معنوي، علم يحل في القلب بعده إيمان وهو تصديق وقبول وإذعان فهذا رزق، وهذا ما تحيا به الروح والقلوب.

الثاني: «المعدُّ لهذه الأبدان» الرزق الحسي الذي يقوم به البدن، هذا الرزق ينقسم إلى قسمين: الرزق الأول: الحصول على هذا القوت رزق، كم من إنسانٍ يتمنى كسرة خبزة ولا يحصل عليها!

الرزق الثاني: سوق القوت للأعضاء في تلك المجاري؛ أي: تفريق هذا القوت في مجاري البدن، لو أراد الله عز وجل لأكلت الطعام ولكن لم يتوزع ولم ينتشر القوت في البدن ولبقي كالحصاة في معدتك.

إذن الرزق الحسي نوعان:

الأول: الحصول عليه، كم من إنسانٍ لم يحصل عليه.

الثاني: تفريقه وسوقه في مجاري البدن، هذا رزق عظيم أيضًا.

بالمعنى الأول ربنا عز وجل رزاق كل شيء، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ [هود: ٦]، كل شيء في الأرض يدب على الأرض رزقه على الله حتى ولو كان من أصغر الحشرات، أحيانًا تفتح

الكتاب تجد فيه مخلوقاً صغيراً لا تكادُ تدركه بعينك، ومع ذلك من الذي رَزَقَهُ في هذا المكان؟ الجواب: اللهُ عزَّ وجلَّ، وجعل قوته يجري في أعضائه، إِنَّكَ لترى الذَّرَّةَ كيف تُرَزَقُ، وكيف يُيسِّرُ اللهُ لها الرِّزْقَ.

وذكر ابنُ القيم -رحمه الله- في كتابه: «مفتاح دار السَّعادة» أنَّه هو حَكَى لشيخه أنَّ ذرَّةً كانت تلتمسُ الرِّزْقَ، فَوَضَعَ رجلٌ أمامها طُعماً وقفت عليه، ولكنها لا تستطيعُ أن تحملَه، فذهبت إلى أخواتها في جُحرِها ودعتهنَّ، فأقبلن سراعاً إلى هذا الطُّعم، فلَمَّا أَقْبَلْنَ إليه نزعهُ الرَّجُلُ، فجاءت المسكينةُ الأولى تطلبُ وتبحث ولم تجد شيئاً، ثُمَّ رجع أخواتها إلى الجُحرِ؛ لِأَنَّهنَّ لم يجدن شيئاً، أمَّا الأولى فبقيت ولم تياس، فَوَضَعَ الطُّعمَ، فلَمَّا أَدْرَكَتُهُ يقيناً، ذهبت، وقالت: تَعَالَيْنَ، فجئن إليه سراعاً، فلَمَّا أَقْبَلْنَ عليه رفعه، فجعلت تطلبُ وتبحث فلم تجد شيئاً، فرجعت أخواتها إلى الجُحرِ، وبقيت هي لم تياس، فوضع الطُّعمَ للمرةِ الثالثةِ، فأدْرَكَتُهُ تماماً وذهبت إلى صاحباتها، وقالت: تَعَالَيْنَ، فجئن للمرةِ الثالثةِ، فلَمَّا أَقْبَلْنَ رفعه، إِذْ ن هذه تلعبُ بعقولهنَّ، ما وَجَدْنَ شيئاً، يقول: فاجْتَمَعْنَ عليها فقطعَ عنها إِرْباً إِرْباً، سبحان الله! يقول: حَكَيْتُ هذا لشيخي شيخ الإسلام ابن تيمية، قال: سبحان الله! كُلُّ أَحَدٍ لا يُقِرُّ الكذبَ ولا الظُّلمَ، وهذه كذبت عليهنَّ باعتبارِ أَنَّهنَّ لم يجدن شيئاً، وظلمتُهنَّ؛ لِأَنَّها أخرجتُهنَّ من جحرهنَّ وهُنَّ مستتراتٌ فيه، وربَّما يكون ذلك في البردِ، فالمهمُّ أنَّ الله تعالى رَزَّاقُ كُلِّ شيءٍ.

وُحَكَى لنا حكاياتٌ عجيبةٌ من هذه النَّاحيةِ، حتَّى حكى لي شخصٌ أنَّه كان في سفرٍ وكان حول بئرٍ تغطَّت فخرج منها ثعبانٌ أعمى يتصبُّ هكذا كالعودِ، فَيَقِيدُ اللهُ له طيراً يقعُ عليه يحسبُ أنَّه عودٌ فيأكله الثُّعبانُ ثُمَّ يرجعُ، يقول: أَدْرَكَتُ هذا عدَّةَ أَيَّامٍ، سبحان الله! اللهُ أكبر.

وكذلك الطيور كما قال الرسول -عليه الصلاة والسلام-: «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا»؛ أي: في أوّل النهار، ليس في بطونها شيءٌ «وَتَرُوحُ» -أي: في آخر النهار- بِطَانًا^(١)؛ يعني: مملوءة البطون.

فالمهم أن الله تعالى هو الرزاق، فإذا قال قائل: الرزق الحسي هل هو الرزق الحلال أو يشمل الحلال والحرام؟ الجواب: الثاني حتى رزق قطع الطريق من رزق الله عز وجل، رزق أهل الربا من رزق الله، رزق الكفار من رزق الله.

لو أن رجلاً غصب مال رجل هل نقول: أخذ رزقه أو أخذ رزق غيره؟ نقول: أخذ رزقه، ولكن ذلك سيرزقه الله، ولكن ما نقول في هرة أخذت دجاجة هل لك أن تنقذها من الهرة أو إن أنقذتها فانت قطعت رزقها؟ بقول: تنقذها منها؛ لأن حرمة الأدمي أعظم من حرمة الحيوان، وهذا مال آدمي محترم، سواء أن ما أخذته لي أم لغيري.

إذن الرزق المادي البدني يكون حلالاً ويكون حراماً، فما لا تبعه فيه فهو حلال، وما فيه تبعه فهو حرام، والذي فيه التبعه -أحياناً- يكون محرماً لعينه، وأحياناً يكون محرماً لكسبه، فالدراهم المكتسبة عن طريق الربا محرمة للكسب، والخمر والخنزير والميتة لعينه، ومع ذلك يسمى رزقاً؛ لأنه يكون به القوت الذي يصل إلى المجاري ويحيا به البدن، وهل رزق الكافر حرام أو حلال؟

الجواب: حرام لا يحل له، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب في التوكل على الله، رقم (٢٣٤٤)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب التوكل واليقين، رقم (٤١٦٤).

أَصْلِحَتْ جُنَاحُ فِيمَا طَعَمُوا ﴿ [المائدة: ٩٣]؛ يعني: وضدّهم عليهم جُنَاحُ فِيمَا طَعَمُوا، وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]، أَمَا مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ فَهِيَ وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا فَلَيْسَتْ خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ولهذا نقول: إِنَّ الكَافِرَ لَنْ يَرْفَعَ لِقْمَةً إِلَى فَمِهِ وَلَا جُرْعَةً مِنْ مَاءٍ إِلَّا حُوسِبَ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعُوقِبَ عَلَيْهَا لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ كَافِرٌ، كَيْفَ يَتَمَتَّعُ بِنِعْمِ اللَّهِ وَيُبَارِزُهُ بِالْكَفْرِ بِهِ؟! وَيَكُونُ هَذَا أَيْضًا بِاعْتِبَارِ الْبَشَرِ وَاعْتِبَارِ الْبِهَائِمِ، حَتَّى الْبِهَائِمُ لَهَا رِزْقٌ مَادِيٌّ يَحْيَا بِهِ جَسْمُهَا وَبِدْنُهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [هود: ٦].

مسألة: هل يجوز أخذ مال الكافر؟ أَمَا المعاهدُ فلا يجوز؛ لِأَنَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ عَهْدٌ، أَمَا الْحَرْبِيُّ فَيَجُوزُ.

٣٣٥١ - وَاللَّهُ رَازِقُهُ بِهَذَا الْإِعْتِبَارِ رِوَايَاتٌ بِالْإِطْلَاقِ دُونَ بَيَانِ

يعني: رازقه باعتبار أنه آتاه قوتًا يتغذى به بدنه لا باعتبار أن هذا القوت ليس به تبعه.

إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ «الرِّزَاقَ»، فَإِنَّا لَا نَرِيدُ أَنْ نَعْلَمَ عِلْمًا نَظْرِيًّا فَقَطْ، وَنَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ وَإِنَّ الرِّزْقَ أَنْوَاعٌ، بَلْ إِنَّا نَرِيدُ إِذَا عَلِمْنَا أَنَّ مِنْ أَسْمَاءِ الرِّزَاقِ أَلَّا نَطْلُبَ الرِّزْقَ إِلَّا مِنْهُ وَأَنْ نَلْجَأَ إِلَيْهِ دَائِمًا فِي طَلْبِ الرِّزْقِ الْمَادِيِّ وَالْمَعْنَوِيِّ، «اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عِلْمًا نَافِعًا وَعَمَلًا صَالِحًا وَرِزْقًا طَيِّبًا وَاسِعًا».

إِذْ نَقُولُ: كُلُّ أَسْمَاءِ اللَّهِ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَسْتَخْلَصَ مِنْهَا طَرِيقًا لِلْوَصُولِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَنْ نَفْهَمَ أَنَّ مَعْنَاهَا كَذَا وَمَعْنَاهَا كَذَا، وَتَنْقَسِمُ إِلَى كَذَا وَإِلَى كَذَا، لَا؛ لِأَنَّ هَذَا مَجْرَدُ عِلْمٍ نَظْرِيٍّ، لَكِنَّا نَرِيدُ عِلْمًا تَرْبَوِيًّا يَتَأَثَّرُ بِهِ الْإِنْسَانُ.

إِذَنْ فَالْفَائِدَةُ أَلَّا نَطْلُبَ الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ اللَّهِ، وَأَلَّا نَعْتَمِدَ فِي رِزْقِنَا إِلَّا عَلَى اللَّهِ.
 كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْآنَ - نَسَأُ اللَّهَ أَنْ يُرْزُقَنَا وَإِيَّاهُمْ التَّوَكَّلَ الْحَقِيقِيَّ - يَقُولُ
 إِذَا جَاءَ رَأْسُ الشَّهْرِ أَوْ آخِرُ الشَّهْرِ: «هَلْ فُتِحَتِ الْمَالِيَّةُ؟»، فَيَكُونُ اعْتِمَادُهُ اعْتِمَادًا
 كُفِّيًّا عَلَى هَذَا الْمَرْتَبِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَهُ الْحَقُّ أَنْ يَطْلُبَ حَقَّهُ، لَا نَقُولُ:
 لَا تَطْلُبْهُ، لَكِنْ كَوْنُكَ تَعْتَمِدُ عَلَى هَذَا اعْتِمَادًا كُفِّيًّا وَتَنْسَى الْمُسَبَّبَ وَهُوَ اللَّهُ
 عَزَّ وَجَلَّ، لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ يَسِّرَ لَكَ هَذَا الرِّزْقَ مَا حَصَلَ لَكَ، فَاعْتَمِدْ عَلَى اللَّهِ أَوَّلًا،
 وَهَذَا الرِّزْقُ يَكُونُ سَبَبًا.

فصل

قِيَوْمٌ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ

وَالكَّوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الْأَمْرَانِ

وَالفَقْرُ مِنْ كُلِّ إِلَيْهِ الثَّانِي

مَوْصُوفُهُ أَيضًا عَظِيمُ الشَّانِ

لِ هُمَا لِأَفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ

أَوْصَافُ أَضْلًا عَنْهُمَا بَيَّانِ

هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

عِزُّ حَقِيقِيٌّ بِإِبْلَاطِ بَطْلَانِ

دَارَيْنِ ذُلٌّ شَقَا وَذُلٌّ هَوَانِ

وَالْمَنْعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَّانِ

بِحِكْمَةٍ وَاللَّهُ ذُو سُلْطَانِ

٣٣٥٢ - هَذَا وَمَنْ أَوْصَافِهِ الْقِيَوْمُ وَالْ

٣٣٥٣ - إِحْدَاهُمَا الْقِيَوْمُ قَامَ بِنَفْسِهِ

٣٣٥٤ - فَالْأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ

٣٣٥٥ - وَالْوَصْفُ بِالْقِيَوْمِ ذُو شَأْنٍ كَذَا

٣٣٥٦ - وَالْحَيُّ يَتَلَوُّهُ فَأَوْصَافُ الْكَمَا

٣٣٥٧ - فَالْحَيُّ وَالْقِيَوْمُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الـ

٣٣٥٨ - هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ

٣٣٥٩ - وَهُوَ الْمُعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا

٣٣٦٠ - وَهُوَ الْمُدُّلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَّةِ الدُّ

٣٣٦١ - هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ

٣٣٦٢ - يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَا

الشرح

قِيَوْمٌ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ

٣٣٥٢ - هَذَا وَمَنْ أَوْصَافِهِ الْقِيَوْمُ وَالْ

٢٣٥٣- إِحْدَاهُمَا الْقِيَوْمُ قَامَ بِنَفْسِهِ وَالْكَوْنُ قَامَ بِهِ هُمَا الْأَمْرَانِ
 قَوْلُهُ: «مِنْ أَوْصَافِهِ الْقِيَوْمُ»؛ أي: ممَّا يدلُّ على وصفِ القِيَوْمِيَّةِ اسْمُهُ
 «الْقِيَوْمُ»؛ لأنَّ «الْقِيَوْمَ» لا شكَّ أَنَّهُ من أسماءِ الله، قال اللهُ تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قَوْلُهُ: «إِحْدَاهُمَا الْقِيَوْمُ» هنا عَبَّرَ الْمُؤَلِّفُ -رحمه الله تعالى- بـ«إِحْدَاهُمَا» عن
 «أَحَدِهِمَا» من أجل ضيقِ الوزنِ، وإِلَّا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ المَعْدُودُ مُذَكَّرًا فَلَا يُقَالُ:
 «إِحْدَاهُمَا»، وَإِنَّمَا يُقَالُ: «أَحَدُهُمَا».
 والقِيَوْمُ له معنيان:

الأوَّلُ: القَائِمُ بِنَفْسِهِ، وهذا يستلزمُ غناه عَزَّ وَجَلَّ عن كُلِّ أَحَدٍ، فهو يُطْعَمُ
 وَلَا يُطْعَمُ، وهو يُعِزُّ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ يُعِزُّهُ، فهو قَائِمٌ بِنَفْسِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.
 الثَّانِي: «الْكَوْنُ قَامَ بِهِ»؛ أي: كُلُّ الكَوْنِ قَامَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قال اللهُ تعالى:
 ﴿وَمَنْ أَيْنَ بِهِ أَنْ نَقُومَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بِأَمْرِهِ﴾ [الروم: ٢٥]؛ أي: فهو القَائِمُ بِنَفْسِهِ
 القَائِمُ بِهِ غَيْرُهُ، وَإِنْ شِئْتَ فَقُلْ: «القَائِمُ بِنَفْسِهِ، القَائِمُ عَلَى غَيْرِهِ» كما قال تعالى:
 ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ يعني: وهو اللهُ، كمن لا يقومُ
 على أَحَدٍ.

٢٣٥٤- فَالْأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ غَيْرِهِ وَالْفَقْرُ مِنْ كُلِّ إِلَيْهِ الثَّانِي
 فالأوَّلُ: قِيَامُهُ بِنَفْسِهِ، اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ غَيْرِهِ، أَمَّا نحنُ فَلَا نَقُومُ بِأَنْفُسِنَا؛ لِأَنَّنا
 مفتقرون إلى الأكلِ والشُّرْبِ واللبَّاسِ والسَّكَنِ وغيرِ ذلك، أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَقَدْ
 قام بِنَفْسِهِ.

والثاني: «الْفَقْرُ مِنْ كُلِّ»؛ أي: الفقرُ من كُلِّ الخلقِ إلى الله هو الثاني، وهو الذي قامَ به غيره.

٣٣٥٥- وَالْوَصْفُ بِالْقِيَوْمِ ذُو شَأْنٍ كَذَا مَوْصُوفُهُ أَيْضًا عَظِيمُ الشَّانِ
قَوْلُهُ: «وَالْوَصْفُ بِالْقِيَوْمِ ذُو شَأْنٍ» ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ الْوَصْفَ
بِالْقِيَوْمِ لَهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ تَبَطَّلُ بِهِ جَمِيعُ الْأَلْهَةِ؛ لِأَنَّ الْأَلْهَةَ لَا يَقُومُ بِهَا أَحَدٌ، وَهِيَ أَيْضًا
لَا تَقُومُ بِنَفْسِهَا، بَلْ هِيَ قَائِمَةٌ بِاللَّهِ، فَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ مَفْتَقَرَةٌ إِلَيْهِ.

قَوْلُهُ: «كَذَا مَوْصُوفُهُ أَيْضًا عَظِيمُ الشَّانِ» مَوْصُوفُهُ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ
عَظِيمُ الشَّانِ؛ لِأَنَّهُ يَتَبَيَّنُّ بِهِ أَنَّهُ مُسْتَعْنٍ عَنْ غَيْرِهِ.

فالوصفُ ذو شأنٍ عظيم، والموصوفُ أشدُّ وأشدُّ.

٣٣٥٦- وَالْحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الْكَمَا لِ هُمَا لِأَفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ

قَوْلُهُ: «الْحَيُّ يَتْلُوهُ»؛ يعني: يتلوه ليس ترتيباً في القرآن، بل يتلوه ذِكْرًا في هذا
النَّظْمِ؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أَمَّا فِي الْقُرْآنِ
فإنَّ «الْقِيَوْمَ» هُوَ الَّذِي يَتْلُو الْحَيُّ؛ لِأَنَّ الْحَيَّ وَصَفٌ لَازِمٌ، وَأَمَّا الْقَيُّومُ فَهُوَ وَصْفٌ
لَازِمٌ مُتَعَدِّ، فَباعْتِبَارِ أَنَّ مَعْنَاهَا أَنَّ اللَّهَ قَامَ بِنَفْسِهِ لَازِمٌ، وَباعتبارِ أَنَّهُ قَامَ بِهِ غَيْرُهُ
مُتَعَدِّ.

والحيُّ والقِيَوْمُ اسمان من أسماء الله عزَّ وجلَّ، وقد ذُكِرَا في الْقُرْآنِ في ثلاثة
مواضع: في سورة «البقرة»، و«آل عمران»، و«طه».

قَوْلُهُ: «لِأَفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ»؛ أي: سماء الكمال، فيصحُّ «لِأَفْقِ سَمَائِهِ»، وفي
نسخة: «سَمَائِهَا»؛ أي: سماء الأوصاف، فكلاهما صحيح.

قَوْلُهُ: «فَأَوْصَافُ الْكَمَالِ هُمَا لِأَفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ»؛ يعني: كُلُّ أَوْصَافِ الْكَمَالِ تَدَوَّرُ عَلَى هَذَيْنِ الْقُطْبَيْنِ كَمَا أَنَّ نَجُومَ الْأَفْقِ تَدَوَّرُ عَلَى قُطْبَيْنِ: قُطْبِ شِمَالِيٍّ وَقُطْبِ جَنُوبِيٍّ، أَوْصَافُ الْكَمَالِ كُلُّهَا تَدَوَّرُ عَلَى هَذَيْنِ الْقُطْبَيْنِ: «الْحَيِّ» و«الْقَيُّومِ»؛ ولهذا قال:

٣٣٥٧- فَالْحَيُّ وَالْقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَا أَوْصَافُ أَصْلًا عَنْهُمَا بَيَّان

ولهذا كان هذان الاسمان هما اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطَى؛ كما ورد بذلك الحديث^(١)، نسأل الله يا حيُّ يا قيُّومُ أنْ تهديَنَا صراطَكَ المستقيمَ.

٣٣٥٨- هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ» هذا أيضًا من أوصافه وهي من أسمائه؛ لأنه جاء في حديثِ التَّسْعِيرِ، قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ»^(٢)، والقَبْضُ ضِدُّ البَسِطِ، والبَسِطُ: التَّوَسُّعُ، قال اللهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرَّعد: ٢٦]، ﴿وَيَقْدِرُ﴾؛ أي: يُصَيِّقُ، وبهذا نعرفُ خطأَ التَّعبيرِ الذي يَقُولُ في الشَّيْءِ الِيسِيرِ يَقُولُ: «إِنَّهُ بَسِيطٌ»، هذا غيرُ صحيحٍ، بَسِيطٌ، أي: واسعٌ، فإذا أردتَ أنْ تُقَلِّلَ الشَّيْءَ قل: يسيرٌ، أو قليلٌ، أو ما أشبه ذلك.

(١) يعني حديث: «اسمُ اللهِ الأعظمُ في هاتينِ الآيتينِ ﴿وَاللَّهُ أَكْبَرُ﴾ وَ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وَقَاتِحَةَ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]. أخرجه أبو داود: كتاب الوتر، باب الدعاء، رقم (١٤٩٦)، والترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم (٣٤٧٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٥٦/٣)، وأبو داود: كتاب الإجارة، باب في التسعير، رقم (٣٤٥١)، والترمذي: كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير، رقم (١٣١٤).

مسألة: بعض المدرسين يقوم بتمثيل صفات الله تعالى بصفات المخلوقين، فيمثل قبض السماوات والأرض بيديه، فما الحكم؟

الجواب: هذا خطأ؛ لأن الله تعالى أخبرنا أنه يقبض، ولم يخبرنا كيف يقبض، فنحن لا نعلم كيفية قبض الله تعالى، لكن إن أراد أن يبين حقيقة القبض دون أن ينسبها إلى الله تعالى بأن يقول: حقيقة القبض هكذا، دون أن يقول: إن الله يقبض هكذا فلا حرج، كما أن النبي ﷺ بين حقيقة الرؤية، وقال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ»^(١)، وهذا إنما يجوز أمام التلاميذ لأجل التعليم؛ لأنهم ربما لا يفهمون إلا بهذه الطريقة، أما أمام العامة فلا يفعل؛ لأنهم ربما تنطلق أفكارهم إلى التشبيه مباشرة، وهذا محذور.

قوله: «هُوَ خَافِضٌ هُوَ رَافِعٌ» هو أيضًا خافض رافع، خافض بيده عز وجل، القسط يخفضه ويرفعه؛ يعني: العدل، وكم من أناس خفضهم! وكم من أناس رفعهم! ومن يرفعهم الله: أهل العلم والإيمان، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

أراد المؤلف -رحمه الله- بهذه الأوصاف المتقابلة: «قابض» يقابله «باسط»، و«خافض» يقابله «رافع»، أراد أنها: «بالعدل والميزان»، فلا يمكن أن يرفع أحدًا إلا وهو يستحق، ولا يخفض أحدًا إلا وهو يستحق.

٣٣٥٩- وَهُوَ الْمَعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا عِزِّ حَقِيقِيٍّ بِإِبْطُلَانِ
وقد بين الله من هم أهل العز فقال: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، باب (٥٥٤)، مسلم: كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

[المنافقون: ٨]، هؤلاء هم الذين يستحقون العزة، أمّا الله عزّ وجلّ فعزّه ذاتي لازمٌ لحياته، وأمّا الرسولُ والمؤمنون فعزّهم ليس ذاتياً؛ لأنّه من الله متعلّق بمشيئته وحكمته.

٣٣٦٠- وَهُوَ الْمُدَّلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذَلَّةِ الدُّ دَارَيْنِ ذَلَّ شَقَاً وَذَلَّ هَوَانِ
الذُّلُّ ضِدُّ الْعِزِّ، فَهُوَ مُعَزُّ مُدَّلٌّ، وَالذُّلُّ لِمَنْ لَيْسَ بِمُؤْمِنٍ، وَلَكِنْ قَدْ يُعَزُّ
الذُّلُّ أَوْ مَنْ يَسْتَحِقُّ الذُّلَّ لِحِكْمَةٍ، وَهُوَ عَزَّ وَجَلَّ الْمُعَزُّ الْمُدَّلُّ، وَهَذَا مِنَ الصِّفَاتِ
الْمُتَقَابِلَةِ.

٣٣٦١- هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ وَالْمَنْعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَانِ
قَوْلُهُ: «هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ»، وَنَحْنُ نَقُولُ فِي أَدْبَارِ الصَّلَوَاتِ: «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا
أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»^(١)، فَاللَّهُ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ؛ يَعْنِي: الْعَطَاءَ.

قَوْلُهُ: «وَالْمَنْعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَانِ» فَهُوَ لَا يَمْنَعُ أَحَدًا حَقًّا لَهُ، وَإِنَّمَا يَمْنَعُ
فَضْلَهُ، وَاللَّهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ؛ وَلِهَذَا لِمَا احتجَّ بعضُ المعتزلةِ على رجلٍ من
أهلِ السُّنَّةِ قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ مَنَعَنِي الْهُدَى وَقَضَى عَلَيَّ بِالرَّدَى أَحْسَنَ إِلَيَّ أَمْ أَسَاءَ؟
يُرِيدُ أَنْ يُلْزِمَ السُّنِّيَّ بِالْقَوْلِ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَقْدَرُ الْمَعْصِيَةَ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: إِنْ قَدَّرَ
عَلَيْكَ الْمَعْصِيَةَ فَقَدْ أَسَاءَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ السُّنِّيُّ: «إِنْ مَنَعَنِي مَا هُوَ لِي فَقَدْ أَسَاءَ، وَإِنْ
مَنَعَنِي مَا هُوَ فَضْلُهُ فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»، اللَّهُ أَكْبَرُ! وَالْجَوَابُ: مَنَعَهُ
فَضْلَهُ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ذُو سُلْطَانٍ يُعْطِي مَنْ يَشَاءُ وَيَتَفَضَّلُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، وَمَعَ
ذَلِكَ فَهُوَ لَا يَمْنَعُ إِلَّا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْمَنْعَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤)، ومسلم: كتاب المساجد
ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفة، رقم (٥٩٣).

[الصَّفَّ: ٥]، فلم يمنعهم الهدى إلا حين زاغوا والعياذُ بالله، وقدّموا ضلالهم على هداهم، أضلّهم الله وإلا لو علّم الله فيهم خيرا لأسمّعهم، كلُّ إنسانٍ يعلمُ الله فيه خيرا يُسمِعُه كما جاء في الحديثِ الصّحيحِ أيضا ممّا يفسّرُ الآية: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»^(١).

٣٣٦٢- يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ وَاللَّهُ ذُو سُلْطَانٍ
قَوْلُهُ: «يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ»، فإذا أعطاك فهو من رحمته، عليك أن تشكر له سبحانه وتعالى.

قَوْلُهُ: «وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ»؛ يعني: لا يمنع ظلما، بل بحكمة.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧).

فصل

- ٣٣٦٣- وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ
 ٣٣٦٤- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَلِمًا قَدْ حَكَأَ
 ٣٣٦٥- مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ وَلَا نَهَاءَ
 ٣٣٦٦- نُورُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى مِنْ نُورِهِ
 ٣٣٦٧- مِنْ نُورِ وَجهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 ٣٣٦٨- فِيهِ اسْتَنَارَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مَعَهُ
 ٣٣٦٩- وَكِتَابُهُ نُورٌ كَذَلِكَ شَرَعُهُ
 ٣٣٧٠- وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى
 ٣٣٧١- وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَفَ الْحِجَابَ
 ٣٣٧٢- وَإِذَا أَتَى لِلْفَضْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ
 ٣٣٧٣- وَكَذَلِكَ دَارُ الرَّبِّ جَنَّاتُ الْعُلَى
 ٣٣٧٤- وَالنُّورُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَضْعٌ
 ٣٣٧٥- وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْ
 ٣٣٧٦- أَحْذَرُ تَزَلُّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ
 أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ
 هُ الدَّارِمِيُّ عَنْهُ بِلَانُكِرَانِ
 رُ قُلْتُ تَحْتَ الْفَلَكِ يُوجَدُ ذَانِ
 وَالْأَرْضِ كَيْفَ النَّجْمِ وَالْقَمَرَانِ
 وَكَذَا حَكَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِي
 سَبْعِ الطَّبَاقِ وَسَائِرِ الْأَكْوَانِ
 نُورٌ كَذَا الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ
 نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ الْقُرْآنِ
 بَ لِأَحْرَقَ الشُّبْحَاتِ لِلْأَكْوَانِ
 فِي الْأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 نُورٌ تَلَالُأَ لَيْسَ ذَا بُطْلَانِ
 فُ مَا هُمَا وَاللَّهُ مُتَّحِدَانِ
 سُوْسُ وَمَعْقُولُ هُمَا شَيْئَانِ
 كَمْ قَدْ هَوَى فِيهَا عَلَى الْأَرْمَانِ

- ٣٣٧٧- مِنْ عَابِدٍ بِالْجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ فَهَوَىٰ إِلَىٰ قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِي
- ٣٣٧٨- لَاحَتْ لَهُ أَنْوَارُ أَثَارِ الْعِبَا دَةَ ظَنَّهُهَا الْأَنْوَارَ لِلرَّحْمَنِ
- ٣٣٧٩- فَآتَىٰ بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَبَلِيَّةٍ مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ وَمِنْ هَدْيَانِ
- ٣٣٨٠- وَكَذَا الْحُلُولِيُّ الَّذِي هُوَ خِدْنُهُ مِنْ هَاهُنَا حَقًّا هُمَا أَحْوَانِ
- ٣٣٨١- وَيُقَابِلُ الرَّجُلَيْنِ ذُو التَّعْطِيلِ وَالْحُجْبِ الْكَثِيفَةِ مَا هُمَا سَيَّانِ
- ٣٣٨٢- ذَا فِي كَثَافَةِ طَبَعِهِ وَظَلَامِهِ وَبِظُلْمَةِ التَّعْطِيلِ هَذَا الثَّانِي
- ٣٣٨٣- وَالنُّورُ مَحْجُوبٌ فَلَا هَذَا وَلَا هَذَا لَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ يَرِيَانِ

الشرح

٣٣٦٣- وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ قَوْلُهُ: «وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ أَوْصَافِهِ»، لكن لم أرَ حَتَّى الْآنَ أَنَّ النُّورَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَإِنَّمَا الَّذِي بَلَّغْنَا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥]، أَي: مُنَوَّرُهُمَا، أَوْ هُوَ اللَّهُ نَفْسُهُ فِيهِمَا نُورٌ؛ لِأَنَّهُ فِي السَّمَاءِ، وَلَا يَمْنَعُ أَنْ يُقَالَ: نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ فِي السَّمَوَاتِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقَمَرِ: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦] وَهُوَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَيْسَ فِي السَّمَوَاتِ الْأُخْرَى.

المهم أن لها معنيين: الأول: أنه هو نفسه النور فيها، والثاني: أنه منورهما. فهو نورٌ ومن أوصافه النور، لكن لا تُطلق «الله نورٌ» على أنه اسم، بل الله نورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وذلك بالإضافة، وفرقٌ بين هذا وهذا، لكنه جاء في

حديث أبي موسى لَمَّا سُئِلَ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ فَقَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(١)، وفي لفظٍ: «رَأَيْتُ نُورًا»^(٢)، فيكون الله عز وجل نورًا، وأمَّا أنه من أسماؤه على الإطلاق بدون إضافة فلا نعلمه.

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ!» «سُبْحَانَ»؛ أي: تنزيهاً له عز وجل.

قَوْلُهُ: «ذِي الْبُرْهَانِ»؛ أي: ذي الدليل القاطع الجلي الواضح الذي تعرّف لعباده بآياته حتى أصبح الإنسان وكأنه يُشاهدُ الله، ولهذا قال النبي ﷺ في الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(٣).

٣٣٦٤- قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكَاهُ الدَّارِمِيُّ عَنْهُ بِإِلْتِقَانِ

٣٣٦٥- مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ وَلَا يَمَّا رُقِلْتُ تَحْتَ الْفَلَكَ يُوجَدُ ذَانِ

قَوْلُهُ: «قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا»؛ يعني: أَنَّ ابْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكُمْ تَعَالَى لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ، نُورَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ نُورٍ وَجْهِهِ»^(٤).

قَوْلُهُ: «الْفَلَكَ» الظاهر أَنَّ الصَّوَابَ «الْفَلَكَ»؛ لِأَنَّهَا مَأْخُودَةٌ مِنَ الْفَلَكَ لَا مِنَ الْفَلَكَ الَّذِي هُوَ السَّفِينَةُ.

وَيَبِّنَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَجَهَ ذَلِكَ فَقَالَ: «قُلْتُ»؛ يعني: نَفْسَهُ «تَحْتَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، وعلم الساعة، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩).

(٤) أخرجه الطبراني (٩/١٧٩)، رقم (٨٨٨٦).

الْفُلْكِ يُوجَدُ ذَانٍ؛ يعني: تَحْتَ فَلَكِ الشَّمْسِ والقَمَرِ يوجَدُ ذَانِ؛ يعني: اللَّيْلَ والنَّهَارَ؛ لأنَّه من المعروفِ -الآن- أَنَّ اللَّيْلَ والنَّهَارَ يَكُونُ بتعاقبِ الشَّمْسِ على سطحِ الأرضِ، إذا غَابَتْ جاء اللَّيْلُ وإذا ظَهَرَتْ جاء النَّهَارُ.

فوق السَّمَاوَاتِ لا يوجَدُ شمسٌ ولا قمرٌ، لكن يوجَدُ النُّورُ العَظِيمُ الذي لا يَمَكُنُ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَتصَوَّرَه؛ لأنَّ اللهَ -سبحانه وتعالى- نورُ السَّمَاوَاتِ والأرضِ، فَاللَّيْلُ والنَّهَارُ مُكَوَّرَانِ على الأرضِ، قال اللهُ تعالى: ﴿يَكْوَرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ونحن نعلمُ جميعاً أَنَّ النَّهَارَ من ضوئِ الشَّمْسِ، وَأَنَّ اللَّيْلَ من قَدْرِ هذا الضَّوئِ، والشَّمْسُ تحتِ السَّمَاءِ وليست في السَّمَاءِ.

٣٣٦٦- نُورُ السَّمَاوَاتِ العُلَى مِنْ نُورِهِ وَالْأَرْضِ كَيْفَ النُّجُومِ وَالْقَمَرَانِ قَوْلُهُ: «وَالْأَرْضِ»؛ أي: ونورُ الأرضِ.

قَوْلُهُ: «كَيْفَ النُّجُومِ وَالْقَمَرَانِ؟»؛ يعني: هما من بابِ أُولَى.

يعني: هو الذي خَلَقَ فِيهَا هذا النُّورَ، فَنُورُ السَّمَاوَاتِ والأرضِ من نورِ اللهِ، نُورُ الشَّمْسِ والقَمَرِ من نورِ اللهِ، ومن المعلومِ أَنَّ نورَ القَمَرِ مُستفادٌ من نورِ الشَّمْسِ كما لو كان هناك مِرَاةٌ تُقَابِلُهَا السَّرَاحُ أو الشَّمْسُ صار فيها نورٌ؛ ولذلك كَلَّمَا قَرَّبَ القَمَرُ مِنَ الشَّمْسِ ضَعُفَ نُورُهُ لِمَاذَا؟ لَضَعْفِ المِقَابِلَةِ؛ لأنَّ نورَهُ من نورِ الشَّمْسِ، فإذا تَمَّتِ المِقَابِلَةُ صَارَتْ هذه في المَشْرِقِ وهذا في المَغْرِبِ، أو بالعكس امتلأ القَمَرُ نورًا؛ لأنَّ السَّمَاوَاتِ مِثْلُ القُبَّةِ، فالذي في طرفِها من الجِهَةِ الغَرْبِيَّةِ يُقَابِلُ الذي في طرفِها من الجِهَةِ الشَّرْقِيَّةِ، لكن عندما يَقْرُبُ القَمَرُ مِنَ الشَّمْسِ يَضَعُفُ نُورُهُ حَتَّى إِنَّهُ فِي لَيْلَةِ المِحَاقِ -كما يُسَمُّونها- لا يوجَدُ فِيهِ نُورٌ أصلاً، ومع

ذلك نقول: هذا النور الذي أودعه الله عز وجل في الشمس والقمر من نور الله عز وجل، لكنه ليس من نوره الذي هو وصفه، بل هو من نوره الذي هو خلقه عز وجل، فالله هو الذي خلق نور السماوات والأرض، وليس نور السماوات والأرض نور الله الذي هو وصفه.

٢٢٦٧- مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَذَا حَكَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ

قَوْلُهُ: «مِنْ نُورِ وَجْهِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ» هذا كلام ابن مسعود رضي الله عنه.

قَوْلُهُ: «وَكَذَا حَكَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ»؛ يعني: حكاها مع الدارمي، كلاهما رواه عن ابن مسعود، ولكن لاحظوا أن هذا النور المنفصل عن ذاته نور مخلوق، ليس هو نور الله الذي هو نور ذاته، بل نوره الذي خلقه عز وجل، لكن لما كان نوراً ووصفه النور خلق النور.

٢٢٦٨- فِيهِ اسْتِنَارَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مَعَ سَبْعِ الطَّبَاقِ وَسَائِرِ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَسَائِرِ الْأَكْوَانِ»، ويجوز «وَسَائِرِ الْأَكْوَانِ»؛ يعني: ومع سائر الأكوان.

العرش والكرسي شيان متباينان، العرش هو الذي استوى عليه الرب جل وعلا، وهو أعظم من الكرسي، والكرسي موضع قدمي الله سبحانه وتعالى، فهو بين يدي العرش، والرب عز وجل قد وضع قدميه عليه، ولكن لا حاجة إلى هذا الكرسي، واستوى على العرش لكن لا حاجة إلى هذا العرش، لكن لبيان عظمته -جل وعلا- وتمام ملكه.

٢٢٦٩- وَكِتَابُهُ نُورٌ كَذَلِكَ شَرَعُهُ نُورٌ كَذَا الْمُبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَكِتَابُهُ نُورٌ» كتاب الله نور، لكن من يستنير به؟ يستنير به من يعلم

كيف يشعله، وأمّا مَنْ لا يعلمُ فلن يستفيدَ منه؛ والدليلُ على أن القرآنَ نورٌ قولُ الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]؛ يعني: بيّنًا واضحًا، ومُبيّنًا لغيره أيضًا، ولكنه ليس نورًا حسيًّا، بل هو نورٌ معنويٌّ، مَنْ ملأَ اللهُ قلبه بهذا القرآنِ استنارَ وصارَ كما قال اللهُ تعالى: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وهذا أعلى ما يكونُ مثلًا لضربِ النورِ «كَمِشْكَاةٍ»، والمشكاةُ هي الكوّةُ.

قَوْلُهُ: «كَذَلِكَ شَرَعُهُ»؛ أي: نورٌ يهتدي به الإنسانُ كالعلمِ عليه نارٌ يستدلُّ النَّاسُ بها، فالشَّرْعُ نورٌ يمشي به الإنسانُ، والعِلْمُ بالشَّرْعِ نورٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

قَوْلُهُ: «كَذَا الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ» المبعوثُ بالفرقانِ وهو الرَّسُولُ ﷺ يُسَمَّى نورًا؛ لأنَّ اللهُ تعالى أَنَارَ به الطَّرِيقَ الْمَوْصِلَ إِلَيْهِ، فَالنَّاسُ يَسْتَضِيئُونَ بِهِ، وَقَدْ قَالَ كَعْبُ بْنُ زَهْرٍ:

إِنَّ الرَّسُولَ لِنُورٍ يُسْتَضَاءُ بِهِ وَصَارُمٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُورٌ^(١)

ولا شكَّ أن النَّبِيَّ ﷺ نورٌ، والعلماءُ الوارثون للرَّسُولِ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هم أيضًا أنوارٌ يُضِيئُونَ لِلنَّاسِ كَأَنَّ فِي أَيْدِيهِمْ شُعَلًا يمشون أمامَ النَّاسِ والنَّاسُ من ورائهم، قال اللهُ تعالى في العلماءِ: ﴿أَوْمَنَ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦٧٠، رقم ٦٤٧٧)، والطبراني (١٩/ ١٧٧)، والبيهقي (١٠/ ٤١٢)،

ونورُ النَّبِيِّ ﷺ نورٌ معنويٌّ وليس نورًا حسيًّا، وما رُوِيَ من أَنَّهُ ﷺ يُضيءُ ما حوله وأَنَّهُ يمشي في الشَّمْسِ وليس له ظلٌّ؛ لأنَّ نورَه يطمسُ الظلَّ الذي حَصَلَ^(١)، فإنَّ هذا كَذِبٌ لا صحَّةَ له، فالنَّبِيُّ ﷺ نورٌ معنويٌّ.

وَقَوْلُهُ: «المَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ» الفرقانُ هو القرآنُ، سُمِّيَ فرقانًا لأنَّ اللهَ تعالى فَرَّقَ فيه بين الحقِّ والباطلِ، بين أولياءِ الله وأعداءِ الله، بين الحلالِ والحرامِ، بين الواجبِ وغيرِ الواجبِ، فهو فرقانٌ في كُلِّ شيءٍ.

فالنَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- نورٌ، وكتابُ الله نورٌ، وشريعته نورٌ، ولكنَّ هذا النُّورَ من النُّورِ المعنويِّ؛ لأنَّ النُّورَ ينقسمُ إلى قسمين: نورٍ حسيٍّ، ونورٍ معنويٍّ، فالنُّورُ الحسيُّ كنورِ الشَّمْسِ والقمرِ وما أشبهها، والنُّورُ المعنويُّ نورُ القرآنِ والشريعةِ والنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم.

٣٣٧٠- وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ الْقُرْآنِ
أيضًا من النُّورِ ما يجعله اللهُ في قلبِ العبدِ وهو نورٌ معنويٌّ مخلوقٌ يجعله اللهُ تعالى في قلبِ الإنسانِ، فإذا انضاف إلى ذلك نورُ القرآنِ صار نورًا على نورٍ، وهذا النُّورُ القلبيُّ يكشفُ للإنسانِ من العلومِ والمكاشفاتِ ما لا يحصلُ لغيره، حتَّى إِنَّهُ لَيَسْتَنْبِطُ مِنَ الدَّلِيلِ الْوَاحِدِ عِدَّةَ مَسَائِلَ وَأَحْكَامٍ لا يستنبطها غيره من عدَّةِ

(١) مثل حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: استعرت من حفصة بنت رواحة إبرة كنت أخطب بها ثوب رسول الله ﷺ فسقطت الإبرة فطلبتها فلم أقدر عليها فدخل رسول الله ﷺ فتبينت الإبرة بشعاع نور وجهه فضحكت فقال: «يا حميراء لم ضحكت». قلت: كان كيت وكيت. فنأدى بأعلى صوته: «يا عائشة الويل ثم الويل لمن حُرِمَ النظر إلى هذا الوجه ما من مؤمن ولا كافر إلا ويشتهى أن ينظر إلى وجهي». عزاه السيوطي في جامع الأحاديث (٥٥/٤٠، رقم ٤٣١٢٢) للدليمي وابن عساكر.

أدلة، وهذا بما يُلقيه الله في قلبه من النور، ومن ذلك ما جرى لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه في موافقته النبي ﷺ في عدة مسائل، بل في موافقته لله، وكذلك ما جرى لأبي بكر رضي الله عنه في أحلك المواطن التي جرت للرَسُول ﷺ وذلك في صلح الحديبية، فإن صلح الحديبية كما هو معروف حصل فيه شيء من الضغط على المسلمين، ولم يتحمل بعضهم هذا، حتى إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع أن الإيمان راسخ في قلبه قام يجادل النبي عليه الصلاة والسلام، ولكن النبي ﷺ أجابه بجواب كان جواب أبي بكر مثله تمامًا؛ لأن عمر لما رأى نفسه لم يقنع الرسول ﷺ ذهب إلى أبي بكر لعله يساعده على إقناع الرسول ﷺ، فكان جواب أبي بكر كجواب النبي ﷺ تمامًا^(١)، فهذا من النور الذي يضعه الله في قلب المؤمن؛ ولهذا كان من دعاء الرسول ﷺ حين يخرج إلى الصلاة أن يقول: «واجعلني نورًا»^(٢)، اجعلني أنا نورًا؛ يعني: نورًا يهتدي به الناس.

٣٣٧١- وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَفَ الْحِجَابَ بَ لَأَحْرَقَ السُّبْحَاتِ لِلْأَكْوَانِ

قوله: «وَحِجَابُهُ نُورٌ» حجاب الرب عز وجل الذي احتجب به نور عظيم يحول بين الإنسان وبين رؤية الله؛ ولهذا لما سئل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - هَلْ رَأَيْتَ اللهُ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٣)؛ أي: نور حجبي عنه، وفي رواية: «رَأَيْتُ نُورًا»^(٤)؛ يعني: ولم أر الله؛ لأن الله تعالى من وراء هذا النور.

(١) هو حديث صلح الحديبية الطويل، وقد أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في

الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٥٨١).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٦٣).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نور أنى أراه»، رقم (١٧٨).

لكن لا تظنوا أنّ النور المذكور كالنور الذي يكون في الشمس، هو أعظم، ولا يمكن أن يدرك الإنسان كيفية هذا النور.

قوله: «فلو كشف الحجاب»؛ يعني: لو كشف الرب عز وجل الحجاب بهذا النور.

قوله: «لأحرق السُّبْحَاتُ لِلأَكْوَانِ» قوله: «لأحرق» أصله: «لأحرقت» بالتاء، لكن كل مجموع سوى جمع المؤنث والمذكر السالم يجوز فيه التذكير والتأنيث، قال ابن مالك:

وَالتَّاءُ مَعَ جَمْعٍ - سِوَى السَّالِمِ مِنْ مُذَكَّرٍ - كَالتَّاءِ مَعَ إِحْدَى اللَّيْنِ^(١)

فـ«لبيّة» مؤنثها مجازيٌّ يجوزُ فيها التذكير والتأنيث، كذلك سائر الجموع إلا جمع المذكر السالم، والصحيح وإلا جمع المؤنث السالم، فإن جمع المذكر السالم يجب فيه التذكير وجمع المؤنث السالم يجب فيه التأنيث، وما عدا ذلك يجوز فيه الوجهان.

و«السُّبْحَاتُ» هي البهاء والعظمة والنور؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «حجابه النور، لو كشفه لأحرقَت سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢)، وابن القيم يقول: «لِلأَكْوَانِ»؛ أي: كلها، والحديث: «لأحرقَت سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، ومعلوم أن بصره ينتهي لكل المخلوقات، لكن هذا من باب المبالغة، إذن لأحرقَت سُبْحَاتُ وَجْهِهِ جَمِيعَ خَلْقِهِ سبحانه وتعالى.

(١) شرح ابن عقيل (٢/٩٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام»، وفي قوله: «حجابه النور لو كشفه لأحرق سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»، رقم (١٧٩).

٣٣٧٢- وَإِذَا أَتَى لِلْفَضْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

قال الله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، ولكن لا تظنوا أن هذا النور كنورنا هذا، بل هو نورٌ عظيمٌ لا يمكن أن يقدر قدره أحدٌ، تُشرقُ بنورِ الله عزَّ وجلَّ، ويؤتى بالنبیین والشهداء من أهل العلم فيشهدون بالحقِّ بأنَّ الرُّسلَ أتوا بالحقِّ وأنَّ الأممُ أُبلغوا بالحقِّ كما جاء في الحديث^(١).

٣٣٧٣- وَكَذَلِكَ دَارُ الرَّبِّ جَنَّاتُ الْعُلَى نُورٌ تَلَأَلَا لَيْسَ ذَا بَطْلَانِ

قوله: «وَكَذَلِكَ دَارُ الرَّبِّ جَنَّاتُ الْعُلَى نُورٌ تَلَأَلَا» الجنَّاتُ - جعلني الله وإياكم من أهلها - نورٌ تَلَأَلَا، ليس فيها ظلمةٌ إطلاقاً، ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣]، ليس فيها شمسٌ، لكنها نورٌ يتلألأ، هذا النورُ من النورِ الذي يخلقه الله عزَّ وجلَّ.

وليس لها نظيرٌ؛ لقولِ الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وما بين الإنسانِ وهذه الجنَّاتِ - اللّهُمَّ اجعلنا من أهلها - إلا أن تنقضي الدنيا وتقوم القيامة، وهذه المدَّةُ وإن طالَّت تمرُّ سريعاً ولو كانت آلاف الملايين كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وإذا شئتَ أن تُدرِكَ هذا فانظر إلى الإنسانِ حالِ النَّومِ، ينامُ أربع

(١) كما في حديث: «يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فيقولُ اللهُ تَعَالَى، هَلْ بَلَغْتَ؟ فيقولُ نَعَمْ أَيُّ رَبِّ، فيقولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَغْتُمْ؟ فيقولونَ لَا مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيِّ، فيقولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فيقولُ: مُحَمَّدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَأُمَّتُهُ، فنشهدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ». أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، رقم (٣١٦١).

ساعاتٍ، خمسَ ساعاتٍ، ستَّ ساعاتٍ أو أكثرَ وكأَنَّها لحظةٌ، النَّاسُ في قبورهم مُتَّعُونَ بما يُمتَّعهم اللهُ به إن كانوا من أهلِ الخَيْرِ، أو مُعَذَّبُونَ بما يعذِّبهم اللهُ به، لكن تَمُرُّ وكأَنَّها لحظاتٌ قليلةٌ.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ ذَا بَطْلَانٍ»؛ أي: ليس هذا الخبرُ بباطلٍ، بل هو حقٌّ.

٣٣٧٤- وَالنُّورُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَصْفٌ مَا هُمَا وَاللَّهُ مُتَّحِدَانِ

صحيحٌ، فالنور نوعان: نوعٌ مخلوقٌ بائنٌ عن الله منفصلٌ، ونوعٌ وصفٌ لله عزَّ وجلَّ، وليسا سواءً، خِلافًا لما يدَّعيه أهلُ التَّصَوُّفِ حين يظنُّون أنَّ الأنوارَ التي تحدُّثُ لهم في قلوبهم أو يُشاهدونها في الكونِ يظنُّون أنَّها هي نورُ الله عزَّ وجلَّ الذي هو وَصْفُهُ، فَإِنَّ هَذَا كَذِبٌ، فهذا النورُ المخلوقُ ليس هو النورَ الذي وصفه، فالنورُ الذي هو وَصْفُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ؛ لأنَّ كُلَّ صفاتِ اللهِ غيرُ مخلوقةٍ، لكن ما يشاهده النَّاسُ فهذا مخلوقٌ؛ ولهذا أَقْسَمَ المؤلِّفُ -رحمه اللهُ- أنَّها غيرُ مُتَّحِدَيْنِ.

٣٣٧٥- وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَحْسُوسٌ وَمَعْقُولٌ هُمَا شَيْئَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَحْسُوسٌ وَمَعْقُولٌ»، فما يكونُ في القلبِ من العلمِ والإيمانِ والطَّمَأِينَةِ هذا معقولٌ فهو أمرٌ معنويٌّ، وما نُشاهده من الإصباحِ في أوَّلِ النَّهارِ فهذا محسوسٌ.

فصار النورُ أوَّلاً ينقسمُ إلى قسمين: وصفٍ له ومخلوقٍ له، والمخلوقُ ينقسمُ إلى نوعين: حسيٍّ، وعقليٍّ.

٣٣٧٦- اخْذَرْ تَزَلَّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هَوَّةً كَمْ قَدْ هَوَى فِيهَا عَلَى الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «اخْذَرْ تَزَلَّ»؛ يعني: احذر أن تَزَلَّ.

قَوْلُهُ: «فَتَحَتَ رِجْلَكَ هُوَّةً»، الهُوَّةُ: المكان المنخفضُ.

والإنسان إذا زَلَّتْ رِجْلُهُ وتحتَه هُوَّةٌ سَقَطَ وَهَلَكَ، لكن ما هذه؟ يقول:

٣٣٧٧- مِنْ عَابِدٍ بِالْجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «الْحَضِيضِ»؛ أي: العميق.

٣٣٧٨- لَاحَتْ لَهُ أَنْوَارُ آثَارِ الْعِبَادَةِ ظَنَّهُهَا الْأَنْوَارَ لِلرَّحْمَنِ

٣٣٧٩- فَآتَى بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَبَلِيَّةٍ مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ وَمِنْ هَدْيَانِ

هذا يعودُ إلى الصُّوفِيَّةِ، الصُّوفِيَّةُ عندهم نوعُ عِبَادَةٍ، لكن عندهم ضلالٌ عظيمٌ تلوحُ لهم أنوارٌ أحياناً نورٌ في القلبِ فيظنونَ ذلك نورَ الرَّبِّ، ويدَّعون أنَّ الرَّبَّ حَلَّ فيهم والعبادُ بالله، أو تلوحُ لهم الأنوارُ من خارجٍ وتنشُرُ الصُّدُورُ فيظنونَ ذلك نورَ الرَّبِّ، ويدَّعون أنَّه حَلَّ في هذا المكان؛ لأنَّه كما هو معلومٌ أنَّ الإنسانَ إذا صَاقَ صدره صارَ النُّورُ عنده ظلمةً، وإذا اتَّسعَ صدره انشَرَّ صدره ورأى كُلَّ شَيْءٍ نوراً.

هؤلاء المتصوِّفَةُ -والعبادُ بالله- زَيْنَ لَهُم الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ، فكان يَرِدُ على قلوبهم من الأنوارِ الشَّيْطَانِيَّةِ لا الرَّحْمَانِيَّةِ ما يجعلهم يظنونَ أنَّ هذا هو نورُ الرَّبِّ، فيحوِّلونَ النُّورَ المخلوقَ إلى نورِ الوصفِ «نور الخالق» عزَّ وجلَّ، فيظنونَه هو نور الله.

وهذا يُحْمَلُ على صوفيِّ جاهلٍ، وأمَّا الصوفيُّ العالمُ فإنه مهما عمِلَ من العملِ المخالفِ للسُّنَّةِ فليس بعبادة، لكن الجاهلُ رُبَّمَا يتعبَّدُ بالشَّيْءِ المبتدعِ يظنُّه شرعاً وحقاً فيثابُّ على نيَّته، أمَّا المعاندُ فلا، هؤلاء هم الصُّوفِيَّةُ.

والعجيبُ أن هؤلاء الصُوفيةَ لهم فناءٌ صوفيٌّ بدعيٌّ، فناءٌ يَفنونَ به عن شهودِ ما سوى الله عزَّ وجلَّ، حتَّى إِنَّ الإنسانَ يَفنى في الله - كما يزعمُ - عن ذكرِ الله، يقولُ: «لا إلهَ إِلاَّ اللهُ» وهو لا يدري؛ لأنَّ قلبه منشغلٌ بمشاهدةِ المذكور، يعبدُ اللهَ ولكنه ساءَ كالتائمِ يعبدُ اللهَ وهو كنائمٌ يعبدُ اللهَ؛ لأنه غَابَ قلبه بالمعبودِ، هذا يسمونه «الفناء الصوفي»، وهو فناءٌ مُبتدعٌ ضلالٌ، ولم يكن عليه الصَّحابةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ولا التابعون لهم بإحسانٍ، وليس من شريعةِ النَّبِيِّ ﷺ، لكنه من إيراداتِ تَرْدٍ على قلوبهم فيظنونها حقًا، ويغيبُ الواحدُ كالسكرانِ حتَّى إِنَّ بعضهم يبدأُ يخبطُ بيديه ورجليه كأنه مجنونٌ، ويأخذون عصيًا أو أسواطًا يُخبطون بها الأرضَ، وأعظمهم وأقربهم مَنْ يتطايرُ الغبارُ من صَربِهِ، ولهذا يسمون هذا النوعَ من الذِّكرِ يسمونه «الغبراء»؛ لأنَّها تُغبرُّ، والإنسانُ إذا انفعل يضربُ بقوة، فهم لشدة انفعالهم يضربون بقوة، إذا قال: «لا إلهَ إِلاَّ اللهُ» مدَّ «الله» خبطوا بهذه العصيِّ على الأرضِ كأنهم مجانين، وبعضهم رُبَّما يُصعقُ وبعضهم رُبَّما يموتُ، وهذا لم يردْ عن النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - ولا عن الصَّحابةِ وهم أكملُ منهم إيمانًا، لكنَّ الشَّياطينَ تزَيَّنَ ذلك لهم.

من جملةِ هذا أنَّهم يظنون أن النُّورَ الذي يكونُ في قلوبهم هو نورُ الله، أو الذي يكونُ في الكونِ هو نورُ الله، فيجعلون الصِّفةَ الإلهيةَ الدَّاتيةَ حالةً في المخلوقاتِ.

٣٣٨٠ - وَكَذَا الْحُلُولِيُّ الَّذِي هُوَ حِذْنُهُ مِنْ هَاهُنَا حَقًّا هُمَا أَخَوَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الْحُلُولِيُّ» الحلوليُّ هو الذي يقولُ: إِنَّ اللهَ حَالٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ؛

يعني: أهل وحدة الوجود.

قَوْلُهُ: «هُوَ خِدْنُهُ» الخِدْنُ: هو الصَّاحِبُ الخاصُّ؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُتَّخَذِىْ أَخْدَانِ﴾ [المائدة: ٥٠]، فالصَّاحِبُ الخاصُّ خِدْنٌ لهذا الصَّوْفِيِّ؛ لأنَّ حقيقةَ أمرهم أنَّ اللهَ حالٌ في الكونِ.

٣٣٨١- وَيُقَابِلُ الرَّجُلَيْنِ ذُو التَّعْطِيلِ وَالـ حُجْبِ الكَثِيفَةِ مَا هُمَا سَيَّانِ

يُقَابِلُ الرَّجُلَيْنِ أَصْحَابُ التَّعْطِيلِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ أَنَّ يَكُونَ اللهُ -سبحانه وتعالى- صفةً، فهم محبوبون عن هذه الصِّفَاتِ العظيمةِ لله بحجبِ التَّعْطِيلِ والبِدَعِ، فالمُعْطَلُ لم يَسْتَنْزِ قلبه بالعبادة والإيمان والعيادُ بالله؛ لأنَّ المُعْطَلَّ يُعْطَلُ مَنْ لا صفات له، بل ولا وجودَ له في الحقيقة؛ لأنَّه لا يَصِفُ اللهُ بأيِّ صِفَةٍ من الصِّفَاتِ، ويقولُ: إِنَّ اللهَ تعالى ليس فوقَ ولا تحتَ ولا يمينُ ولا يسارُ، ولا هو مُباينٌ ولا مُتَّصِلٌ، فهو في الحقيقة قد فَقَدَ النُّورَ من أصلِهِ، وهو كما نعلمُ يعبدُ عدماً.

٣٣٨٢- ذَا فِي كَثَافَةِ طَبَعِهِ وَظَلَامِهِ وَيُظْلِمَةُ التَّعْطِيلِ هَذَا الثَّانِي

يعني: كلاهما في ظلمة، الأوَّلُ الذي هو الصَّوْفِيُّ والحلويُّ عنده كثافة طَبَعِ، وهذا عنده ظلمة تعطيلِ الخالقِ عزَّ وجلَّ من أوصافِهِ.

٣٣٨٣- وَالنُّورُ مُحْجُوبٌ فَلَا هَذَا وَلَا هَذَا لَهُ مِنْ ظُلْمَةِ يَرِيَانِ

النُّورُ مُحْجُوبٌ عن الصِّنْفَيْنِ جميعاً، فلا هذا ولا هذا من الظلمة يَرِي؛ لأنَّ الأوَّلَ أَظْلَمَ قلبه بالحلولِ، وهذا أَظْلَمَ قلبه بالتَّعْطِيلِ.

وَقَوْلُهُ: «مِنْ ظُلْمَةٍ» «مِنْ» هذه للتَّعْلِيلِ؛ يعني: فلا هذا ولا هذا يَرِي من أجلِ الظلمةِ التي أَحَاطَتْ بهما.

وهنا نُنبِّه على أنَّ مسائل الغيب لا يمكنُ أن نقولَ فيها: كيف؟ ليس فيها إلاَّ التَّصديقُ والتَّسليمُ، أمَّا «كيف» فهذا ليس إلينا، امنع لسانك عن شَيْئَيْن: عن «كيف»، و«لِمَ»، أمَّا «بِمَ» فهذا لا بأس به، إذا قلتُ: اعمل: فقل: بِمَ أعملُ؟ ولا تقل: لِمَ أعملُ؟ ولا تقل: كيف أعملُ؟ لأنَّ هذا هو حقيقةُ التَّسليم، فكذلك أيضًا الأمورُ الخبريَّةُ، هذا النُّورُ العظيمُ الذي خَلَقَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ واحتجب به عن العبادِ لا نعلمُ كيفيَّته، فإذا كانت الجنةُ وهي منازلنا لا نعلمُ عن كيفيَّتها كما قال اللهُ تعالى: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا حَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، وهو معدٌّ لنا إن شاء اللهُ، فكيف نقولُ في نورِ خلقه اللهُ عزَّ وجلَّ يحتجبُ به عن عباده؟! فلا ندري، فهذا شيءٌ فوق تصوُّرنا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

فصل

- ٣٣٨٤ - وَهُوَ الْمُقَدَّمُ وَالْمُوَخَّرُ ذَانِكَ الضُّ - صِفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ
- ٣٣٨٥ - وَهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضًا إِذْهُمَا - بِالذَّاتِ لَا بِالغَيْرِ قَائِمَتَانِ
- ٣٣٨٦ - وَلِذَلِكَ قَدْ غَلِطَ الْمُقَسِّمُ حِينَ ظَنَّ - نَ صِفَاتِهِ نَوْعَانِ مُحْتَلَفَانِ
- ٣٣٨٧ - إِنْ لَمْ يُرَدِّ هَذَا وَلَكِنْ قَدْ أَرَا - دَقِيَامَهَا بِالْفِعْلِ ذِي الْإِمْكَانِ
- ٣٣٨٨ - وَالْفِعْلُ وَالْمَفْعُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ - عِنْدَ الْمُقَسِّمِ مَا هُمَا شَيْئَانِ
- ٣٣٨٩ - فَلِذَلِكَ وَصَفُ الْفِعْلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِذْ - لَا نِسْبَةَ عَدَمِيَّةً بَيِّنَانِ
- ٣٣٩٠ - فَجَمِيعُ أَسْمَاءِ الْفِعَالِ لَدَيْهِ لَيْدٌ - سَتٌ قَطُّ ثَابِتَةٌ ذَوَاتٍ مَعَانِي
- ٣٣٩١ - مَوْجُودَةٌ لَكِنْ أُمُورٌ كُلُّهَا - نَسَبٌ تُرَى عَدَمِيَّةَ الْوُجُدَانِ
- ٣٣٩٢ - هَذَا هُوَ التَّعْطِيلُ لِلْأَفْعَالِ كَالثَّ - تَعْطِيلٌ لِلأَوْصَافِ بِالْمِيزَانِ

الشرح

- ٣٣٨٤ - وَهُوَ الْمُقَدَّمُ وَالْمُوَخَّرُ ذَانِكَ الضُّ - صِفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ
- يقول المؤلف رحمه الله: من أسماء الله: «المقدم» و«المؤخر»، أو من أوصافه: «المقدم» و«المؤخر»، فهو قد سماه النبي - عليه الصلاة والسلام - فقال: «أنت

المُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ»^(١)، والتَّقْدِيمُ والتَّأخِيرُ صفتان ثابتان لله عزَّ وجلَّ، متعلقتان بأفعاله، كالمحيي والمميت، فالمحيي والمميت صفتان من صفات الله، والإحياء والإماتة متعلقتان بأفعاله، فهما من صفات الأفعال، وهما من صفات الذات من وجه، فَمِنْ وَجِهٍ قِيَامُهُمَا بِاللَّهِ هُمَا مِنْ صِفَاتِ الذَّاتِ، وَمِنْ وَجِهٍ تَعَلُّقُهُمَا بِالْمَخْلُوقِ الْحَادِثِ هُمَا مِنْ صِفَاتِ الْأَفْعَالِ؛ ولهذا قال:

٣٣٨٥- وَهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضًا إِذْ هُمَا بِالذَّاتِ لَا بِالْغَيْرِ قَائِمَتَانِ
فهما صفتان ذاتٍ وصفاتُ أفعالٍ.

واعلم أن التَّقْدِيمَ والتَّأخِيرَ نوعان: حَسِيَّانَ ومعنويَّانَ، أمَّا الحَسِيَّانَ بَأَنَّ يُقَدَّمَ اللهُ ولادةً هذا قبلَ هذا، وموتَ هذا قبلَ هذا، ومرَضَ هذا قبلَ هذا، ويُقَدَّمُ مجيءَ المطرِ ويؤخَّرُ مجيءَ المطرِ، يُقَدَّمُ النَّصْرَ ويؤخَّرُ النَّصْرَ، وهذا كثيرٌ جدًّا، فكلُّ أفعالِ الله فيها تقديمٌ وتأخيرٌ، وأمَّا المعنى فمِثْلُ قولِ الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- حينَ رَأَى رِجَالًا مُتَأخِّرِينَ في المسجدِ: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللهُ»^(٢)، وَرَبَّ شَخْصٍ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ فِي الصَّلَاةِ وهو عندَ الله مُؤَخَّرٌ، فهو مُتَقَدِّمٌ حَسًّا لكن مُتَأخَّرٌ معنَى، فَالتَّقْدِيمُ والتَّأخِيرُ نوعان: حَسِّيٌّ ومعنويٌّ، وهما من صفاتِ الأفعالِ باعتبارِ تَعَلُّقِهِمَا بِالْمَخْلُوقِ، ومن صفاتِ الذَّاتِ باعتبارِ تَعَلُّقِهِمَا بِالْخَالِقِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب التهجد بالليل وقوله عز وجل: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]، رقم (١٠٦٩)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٦٩).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الاستهام على الأذان، رقم (٦١٥)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها وفضل الأول، رقم (٤٣٧).

٣٣٨٦- وَلِذَاكَ قَدْ غَلِطَ الْمُقَسِّمُ حِينَ ظَنَّ أَنَّ صِفَاتِهِ نَوْعَانِ مُخْتَلَفَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُقَسِّمُ» يَرِيدُ بِذَلِكَ الْأَشَاعِرَةَ حَيْثُ قَسَّمُوا الصِّفَاتِ إِلَى نَوْعَيْنِ:

النَّوعِ الْأَوَّلِ: صِفَاتُ ذَاتٍ، وَتُسَمَّى عِنْدَهُمْ صِفَاتِ الْمَعَانِي، وَهِيَ السَّبْعُ الَّتِي أَثْبَتَهَا، وَزَعَمُوا أَنَّ الْعَقْلَ دَلَّ عَلَيْهَا وَهِيَ: الْحَيَاةُ، وَالسَّمْعُ، وَالْبَصَرُ، وَالْكَلَامُ، وَالْعِلْمُ، وَالْإِرَادَةُ، وَالْقُدْرَةُ، هَذِهِ الصِّفَاتُ الْمَعْنَوِيَّةُ عِنْدَهُمْ صِفَاتٌ قَائِمَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

النَّوعِ الثَّانِي: صِفَاتُ الْأَفْعَالِ، فَيَقُولُونَ: إِنَّهَا غَيْرُ قَائِمَةٍ بِاللَّهِ سِوَاءً كَانَتْ مُتَعَدِّيَّةً أَمْ لَا زِمَةً، لِمَاذَا؟ قَالُوا: لِأَنَّ الْأَفْعَالَ حَادِثَةٌ، وَالْحَوَادِثُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، فَوَجَبَ نَفْيُهَا عَنْهُ؛ وَهَذَا أَنْكَرُوا نُزُولَ اللَّهِ لِلسَّمَاءِ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا فِعْلٌ، وَالْفِعْلُ عِنْدَهُمْ حَادِثٌ، وَالْحَادِثُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، فَأَنْكَرُوهُ، كَذَلِكَ أَيْضًا الْأَفْعَالُ الْمُتَعَدِّيَّةُ لِلغَيْرِ أَنْكَرُوهَا: خَلَقَهُ وَرَزَقَهُ وَإِحْيَاؤُهُ وَإِمَاتَتُهُ، كُلُّ هَذِهِ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ مُنْكَرَةٌ؛ يَعْنِي: يُنْكَرُونَ أَنْ تَقُومَ بِاللَّهِ، فَالْإِحْيَاءُ عِنْدَهُمْ لَيْسَتْ صِفَةً مُتَعَلِّقَةً بِالذَّاتِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُتَعَلِّقَةً بِالذَّاتِ؛ لِأَنَّهَا حَادِثَةٌ، هَذَا يُحْيِي الْيَوْمَ مِثْلًا، وَالثَّانِي يُبَاتُ الْيَوْمَ، فَهِيَ صِفَاتٌ حَادِثَةٌ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُتَعَلِّقَةً بِذَاتِ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذْ لَوْ كَانَتْ مُتَعَلِّقَةً بِهِ لَكَانَ - عَلَى زَعْمِهِمْ - حَادِثًا، وَهَذَا مُحَالٌ.

إِذْنُ عِنْدَ الْأَشَاعِرَةِ الصِّفَاتُ مَعْنَوِيَّةٌ وَفِعْلِيَّةٌ؛ الْمَعْنَوِيَّةُ يُثْبِتُونَهَا، وَالْفِعْلِيَّةُ يُنْكَرُونَهَا لِأَنَّهَا حَادِثَةٌ، وَالْحَادِثُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، إِذْنُ لَا تُنْسَبُ إِلَى اللَّهِ نِسْبَةَ ذَاتٍ.

قَالُوا لَهُمْ: هُنَاكَ صِفَاتٌ أَفْعَالٍ مُتَعَلِّقَةٌ بِذَاتِ اللَّهِ مِثْلُ: التَّزْوِيلِ وَالِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ وَالْمَجِيءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ مُتَرْتَّبًا، قَالُوا: هَذِهِ لَا تُثْبِتُهَا، فَلَا تُثْبِتُ الْإِسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا التَّزْوِيلَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا الْإِتْيَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

فَرَدَّ الْمُؤَلَّفُ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: «وَلِذَاكَ قَدْ غَلِطَ الْمُقَسِّمُ حِينَ ظَنَّ صِفَاتِهِ نَوْعَانَ مُخْتَلِفَانِ».

قَوْلُهُ: «نَوْعَانَ مُخْتَلِفَانِ» هذا على لغة مَنْ يُلْزِمُ الْمُثْنَى الْأَلْفَ مُطْلَقًا، لغة للعرب، يقولون: إِنَّ الْمُثْنَى بِالْأَلْفِ دَائِمًا، فما أولى الذين يلحنون بهذه اللُّغَةِ! فَكُلَّمَا لَحَنَتْ وَنَصَبَتْ، وَجَعَلَتْ الْمُثْنَى بِالْأَلْفِ وَهُوَ مَنْصُوبٌ فَاعْتَذَرَ بِأَنَّ هَذِهِ لُغَةٌ.

ونقولُ للمؤلَّفِ رحمه الله: ليس لك حقٌّ أن تذهبَ إلى لغةٍ غيرِ مشهورةٍ أو غيرِ لغةٍ قريشٍ، لكن ألزمتَه قافيةُ القصيدةِ أن يأتيَ بالألفِ فقال: «نَوْعَانَ مُخْتَلِفَانِ».

٣٣٨٧- إِنْ لَمْ يُرِدْ هَذَا وَلَكِنْ قَدْ أَرَا دَقِيَامَهَا بِالْفِعْلِ ذِي الْإِمْكَانِ

٣٣٨٨- وَالْفِعْلُ وَالْمَفْعُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ عِنْدَ الْمُقَسِّمِ مَا هُمَا شَيْئَانِ

يعني: أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ الصِّفَاتِ نَوْعَانَ: مَعْنَوِيَّةٌ وَفَعْلِيَّةٌ، وَمَعَ هَذَا لَمْ يَصِفِ اللَّهُ حَقًّا بِالصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ، بَلْ قَالَ: إِنَّ الْفِعْلَ وَالْمَفْعُولَ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَفَعَلَ اللَّهُ هُوَ مَفْعُولُهُ، وَإِحْيَاؤُهُ نُسِبَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْمُحْيَا، وَرَزَقُهُ نُسِبَ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ الْمَرْزُوقُ، وَهَلَمْ جَرًّا.

٣٣٨٩- فَلِذَاكَ وَصَفُ الْفِعْلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِذْ لَا نِسْبَةَ عَدَمِيَّةٌ بَيِّنَانِ

يعني: أَنَّهُ أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ عَلَى سَبِيلِ النِّسْبَةِ وَالْإِضَافَةِ، لَا عَلَى سَبِيلِ الْحَقِيقَةِ، وَإِلَّا فَالْفِعْلُ وَالْمَفْعُولُ شَيْءٌ وَاحِدٌ، فَ«خَلَقَ السَّمَاوَاتِ» هَلْ اتَّصَفَ اللَّهُ بِصِفَةٍ هِيَ الْخَلْقُ عِنْدَهُمْ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَلَكِنَّهُ فَعَلَ مَفْعُولًا هُوَ السَّمَاوَاتِ، وَالْفِعْلُ عِنْدَهُمْ هُوَ عَيْنُ الْمَفْعُولِ.

٣٣٩٠- فَجَمِيعُ أَسْمَاءِ الْفِعَالِ لَدَيْهِ لَيْبٌ سَتَتْ قَطُّ ثَابِتَةً ذَوَاتِ مَعَانِي

٣٣٩١- مَوْجُودَةٌ لَكِنْ أُمُورٌ كُلُّهَا نَسَبٌ تُرَى عَدَمِيَّةَ الْوَجْدَانِ

سبحان الله! إذا قيل لهم: هذا غيرُ ممكنٍ، المفعولاتُ موجودةٌ، قالوا: إنَّها أُضِيفَتْ إِلَى اللَّهِ عَلَى سَبِيلِ التَّسْبِةِ وَالْإِضَافَةِ، وَلَيْسَتْ حَقِيقَةً هِيَ فَعَلَ اللَّهُ، بَلْ هِيَ مَفْعُولُهُ، وَحِينَئِذٍ يَلْزِمُهُمْ أَنْ يَقُولُوا بِوُجُودِ مَفْعُولٍ بِدُونِ فَعَلٍ، وَهَذَا مَكَابِرَةٌ، هَلْ يُوجَدُ فَاعِلٌ بِلا فَعَلٍ؟ الْجَوَابُ: لَا يُوجَدُ، وَلَا فَعَلٌ بِلا فَاعِلٍ، وَلَا مَفْعُولٌ بِلا فَاعِلٍ أَبَدًا، لَكِنْ هُمْ يَكَابِرُونَ.

٣٣٩٢- هَذَا هُوَ التَّعْطِيلُ لِلْأَفْعَالِ كَالْتِ تَعْطِيلٍ لِلْأَوْصَافِ بِالْمِيزَانِ

تعطيلُ الأشاعرةِ لصفاتِ الأفعالِ كتعطيلِ المعتزلةِ للأوصافِ مطلقًا، هُوَ لَاءِ مُعْطَلَةٌ الْأَفْعَالِ، وَالْمُعْتَزَلَةُ مُعْطَلَةُ الْأَوْصَافِ، فَإِنَّ مَذْهَبَ الْمُعْتَزَلَةِ إِثْبَاتُ الْأَسْمَاءِ دُونَ الصِّفَاتِ، وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ بَاطِلٌ أَيْضًا، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ وَلَا سَمْعٌ، بَصِيرٌ وَلَا بَصَرٌ، عَلِيمٌ وَلَا عِلْمٌ، حَيٌّ وَلَا حَيَاةٌ، وَهَلَمْ جَرًّا، يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ صِفَةٌ إِمَّا؛ لِأَنَّ الصِّفَةَ لَا تَقُومُ إِلَّا بِجِسْمٍ وَالْأَجْسَامُ مُتَمَاثِلَةٌ، وَإِمَّا؛ لِأَنَّنا لَوْ أَنْبَتْنَا صِفَةً قَدِيمَةً لَزِمَ تَعَدُّدُ الْقَدَمَاءِ، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ عَلَى زَعْمِهِمْ.

قَوْلُهُ: «كَالتَّعْطِيلِ لِلْأَوْصَافِ بِالْمِيزَانِ»؛ يَعْنِي: سَوَاءً بِسَوَاءٍ.

٣٣٩٣- فَالْحَقُّ أَنَّ الْوَصْفَ لَيْسَ بِمُورِدِ التَّ تَقْسِيمِ هَذَا مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ

٣٣٩٤- بَلْ مُورِدُ التَّقْسِيمِ مَا قَدْ قَامَ بِالذِّ ذَاتِ الَّتِي لِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ

٣٣٩٥- فَهِيَ إِذَنْ نَوْعَانِ أَوْصَافٍ وَأَفْ عَالٍ فَهَذِي قِسْمَةُ التَّبْيَانِ

- ٣٣٩٦- فَالْوَصْفُ بِالْأَفْعَالِ يَسْتَدْعِي قِيَا
مَ الْفِعْلِ بِالْوُصُوفِ بِالْبُرْهَانِ
- ٣٣٩٧- كَالْوَصْفِ بِالْمَعْنَى سِوَى الْأَفْعَالِ مَا
إِنَّ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانِ
- ٣٣٩٨- وَمِنْ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى
مَنْ أَثْبَتَ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَعَانِي
- ٣٣٩٩- قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ هَذَا مُحَا
لٌ غَيْرٌ مَعْقُولٍ لِيَذِي الْأَذْهَانَ
- ٣٤٠٠- وَأَتَوْنَا إِلَى الْأَوْصَافِ بِاسْمِ الْفِعْلِ قَا
لُوا لَمْ تَقُمْ بِالْوَاحِدِ الدِّيَانِ
- ٣٤٠١- فَانظُرْ إِلَيْهِمْ أَبْطَلُوا الْأَصْلَ الَّذِي
رَدُّوا بِهِ أَقْوَالَ هُمْ بِوِزَانِ
- ٣٤٠٢- إِنْ كَانَ هَذَا مُمَكِّنًا فَكَذَلِكَ قَوْ
لُ خُصُومِكُمْ أَيْضًا فَذُو إِمْكَانِ
- ٣٤٠٣- وَالْوَصْفُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ كَوُ
نِيٌّ وَدِينِيٌّ هُمَّا نَوْعَانِ
- ٣٤٠٤- وَكِلَاهُمَا أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ وَنَسْبٌ
بِيٌّ وَلَا يَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانَ
- ٣٤٠٥- وَاللَّهُ قَدَّرَ ذَلِكَ أَجْمَعَهُ بِإِحْ
كَامٍ وَإِنْتِقَانٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ٣٣٩٣- فَالْحَقُّ أَنَّ الْوَصْفَ لَيْسَ بِمُورِدِ التَّنْ
تَقْسِيمِ هَذَا مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
- ٣٣٩٤- بَلْ مُورِدُ التَّقْسِيمِ مَا قَدْ قَامَ بِالذِّ
ذَاتِ التِّي لِلْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
- ٣٣٩٥- فَهُمَا إِذْنُ نَوْعَانِ أَوْصَافٌ وَأَفْ
عَالٌ فَهَذَا قِسْمَةُ التَّبْيَانِ

يقول: ليس مورد التقسيم ما ذهب إليه هذا المعطل للأفعال حيث يقول:
إِنَّ اللَّهَ مَوْصُوفٌ بِأَفْعَالٍ لَكِنَّهَا لَا تَتَعَلَّقُ بِذَاتِهِ، وموصوفٌ بصفاتٍ معنويةٍ تتعلَّقُ

بذاته، هذا ليس بصحيح، بل موردُ التَّقْسِيمِ ما قاله المؤلِّفُ رحمه الله: إِنَّ الْأَفْعَالَ نوعان: قَائِمٌ بذاتِ الله، وقَائِمٌ بغيرِها؛ يعني: مُتَعَدِّيًا إلى الغير، ولازمًا، فالاستواءُ على العرشِ لا يتعدَّى إلى الغير، النزولُ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا لا يتعدَّى إلى الغير، الخَلْقُ يتعدَّى للغير، فَخَلَقَ لا بُدَّ فيه من مخلوقٍ، والنزولُ لا بُدَّ فيه من نازلٍ فقط.

فهم أنكروا ذلك وحرّفوه، ولكنهم لم يفتنّوا لكلامِ الشَّيخِ - رحمه الله - أن هناك فرقًا بين قيامِ هذه الأشياءِ بالمخلوقِ، وقيامِها بالخالقِ، فقيامُها بالخالقِ نوعٌ من أنواعِ فعلِهِ، فاستواءُ الله على العرشِ نوعٌ من أنواعِ فعلِهِ، لكن المخلوقُ الذي قامَتْ به هو الحادثُ، فهناك فرقٌ بين إضافتها إلى الله وإضافتها إلى المخلوقِ.

إِذَنْ يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: ليس موردُ التَّقْسِيمِ أن هذا وصفٌ وهذا فعلٌ، والوصفُ ثابتٌ، والفعلُ غيرُ ثابتٍ، بل موردُ التَّقْسِيمِ أن الأفعالَ نوعان هما: لازمٌ وهو ما لا يتجاوزُ الذاتَ، ومتعدّدٌ وهو ما يتجاوزُها إلى غيرها.

٣٣٩٦- فالوصفُ بالأفعالِ يستدعي قِيَامَ مَ الْفِعْلِ بِالْمَوْصُوفِ بِالْبُرْهَانِ قَوْلُهُ: «فَالْوَصْفُ بِالْأَفْعَالِ يَسْتَدْعِي قِيَامَ الْفِعْلِ بِالْمَوْصُوفِ» مَنْ هُوَ الْمَوْصُوفُ؟ الْفَاعِلُ، فـ«الْوَصْفُ بِالْأَفْعَالِ»؛ يعني: إِذَا وُصِفَ مَوْصُوفٌ بِفِعْلِ فَإِنَّهُ يَسْتَدْعِي قِيَامَ الْفِعْلِ بِهِ؛ أَي: بِالْمَوْصُوفِ.

وهذا صحيحٌ، إذا قيل: فلانُ فاعلٌ، ولنمثّلُ بـ«ضاربٍ»، «زَيْدٌ ضَارِبٌ عَمْرًا» هنا «ضَارِبٌ» مشتقٌّ من الضَّرْبِ، وهذا يستدعي أن زَيْدًا مَوْصُوفٌ بِالضَّرْبِ بِاعْتِبَارِ صَدُورِهِ مِنْهُ، و«عَمْرًا» مَوْصُوفٌ بِهِ بِاعْتِبَارِ وَقُوعِهِ عَلَيْهِ، هُم يُنْكِرُونَ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ، يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَقُومُ بِهِ وَصْفٌ بِاعْتِبَارِهِ صَادِرًا مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَقُومُ بِهِ الْوَصْفُ بِاعْتِبَارِهِ وَاقِعًا عَلَى غَيْرِهِ؛ وَلِهَذَا قَالُوا: فَعَلَّ اللَّهُ هُوَ عَيْنُ مَفْعُولِهِ، وَلَيْسَ

هناك فعلٌ صادرٌ من الله، بل هناك مفعولٌ صادرٌ منه، فابنُ القيمِ يردُّ عليهم فيقول: كيف يمكنُ أن يكونَ فعلٌ بدونِ فاعلٍ؟!

٣٣٩٧- كَالْوَصْفِ بِالْمَعْنَى سِوَى الْأَفْعَالِ مَا إِنَّ بَيْنَ ذَيْنِكَ قَطُّ مِنْ فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «كَالْوَصْفِ بِالْمَعْنَى سِوَى الْأَفْعَالِ»؛ يعني: كالوصف بالمعنى الذي ليس بفعلٍ، مثل: الحياة والعلم والقدرة.

٣٣٩٨- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ رَدُّوا عَلَى مَنْ أَثَبَّتَ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَعَانِي

قَوْلُهُ: «وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُمْ» يعني: الذين عَطَّلُوا صفاتِ الأفعالِ، وقالوا: إِنَّ الفَعْلَ هو عَيْنُ المَفْعُولِ، وإضافتهُ إلى الله عزَّ وجلَّ نَسْبِيَّةٌ وليست حَقِيقِيَّةً، هؤلاء رَدُّوا على مَنْ أَثَبَّتَ الْأَسْمَاءَ دُونَ مَعَانِي وهم المعتزلة الذين أثبتوا لله الأسماءَ دُونَ المَعَانِي، فقالوا: إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ بِلَا سَمْعٍ، وَبَصِيرٌ بِلَا بَصَرٍ، وقالوا: إِنَّ هَذِهِ الْأَسْمَاءَ أَسْمَاءٌ جَامِدَةٌ كـ«حَجَرٍ، وَبَقْرٍ، وَجَمَلٍ، وَشَاةٍ»، وما أشبهها، لا تدلُّ على معنى، فيقول المؤلفُ رحمه الله:

٣٣٩٩- قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ هَذَا مُحَا لٌ غَيْرٌ مَعْقُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ»؛ يعني: دُونَ مَعَانِي قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ، فقوله: «قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ» الجملةُ صفةٌ لقوله: «مَعَانِي»؛ أي: دُونَ مَعَانِي قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ.

قَوْلُهُ: «هَذَا مُحَا لٌ غَيْرٌ مَعْقُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ» مَنْ الذين يقولون: هذا مُحَا لٌ؟ الجواب: الأشاعرةُ، يقولون: مُحَا لٌ أن تكونَ الْأَسْمَاءُ دُونَ مَعَانِي قَامَتْ بِمَنْ هِيَ وَصَفُهُ، هذا مُحَا لٌ غَيْرٌ مَعْقُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ.

٣٤٠٠- وَأَتَوَا إِلَى الْأَوْصَافِ بِاسْمِ الْفِعْلِ قَا لُوَالَمْ تَقُمْ بِالْوَاحِدِ الدِّيَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَوَا إِلَى الْأَوْصَافِ» من هؤلاء؟ هؤلاء الأشاعرة قالوا: إِنَّ صِفَاتِ الْفِعْلِ لَمْ تَقُمْ بِاللَّهِ، فَهُوَ خَالِقٌ لَكِنْ بَدُونَ خَلْقٍ، وَالْمَرَادُ بِالْخَلْقِ نَفْسُ الْمَخْلُوقِ كَمَا سَبَقَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ الْفِعْلَ عَيْنُ الْمَفْعُولِ.

قَوْلُهُ: «وَأَتَوَا إِلَى الْأَوْصَافِ بِاسْمِ الْفِعْلِ» يريد بذلك الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةَ.

قَوْلُهُ: «قَالُوا» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْأَشَاعِرَةِ.

٣٤٠١- فَانظُرْ إِلَيْهِمْ أَبْطَلُوا الْأَصْلَ الَّذِي رَدُّوا بِهِ أَقْوَالَ هُمْ بِوِزَانِ

هم قالوا للمعتزلة: لا يمكن أن توجد أسماء بدون معانٍ قامت بمن هي وصفه، ثم قالوا: يمكن أن توجد أفعال لم تقم بمن هي وصفه فيكون الفعل عين المفعول.

٣٤٠٢- إِنْ كَانَ هَذَا مُمَكِّنًا فَكَذَلِكَ قَوْلُ خُصُومِكُمْ أَيْضًا فَذُو إِمْكَانٍ

يعني: إِنْ كَانَ مَا قَلْتُمْ مِنْ أَنَّهُ مَوْصُوفٌ بِصِفَاتِ أَعْمَالٍ غَيْرِ قَائِمَةٍ بِهِ فَقَوْلُ خُصُومِكُمْ أَنَّهُ مُتَّصِفٌ بِأَوْصَافٍ لَمْ تَقُمْ بِهِ هُوَ أَيْضًا ذُو إِمْكَانٍ.

إِذَنْ الْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - قَالَ لَهُمْ: كَيْفَ تُنْكِرُونَ عَلَى هَؤُلَاءِ وَتَقُولُونَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ تَقُومَ الصِّفَةُ إِلَّا بِمَوْصُوفٍ، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ الْفِعْلَ لَا يَقُومُ بِاللَّهِ، فَأَنْتُمْ - الْآنَ - رَدَدْتُمْ عَلَيْهِمْ عَلَى أَصْلِهِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ رَدٌّ عَلَيْهِمْ، فَلَا فَرْقَ؛ وَلِهَذَا أَطَالَ الْمَوْلُفُ فِي هَذَا؛ لِأَنَّهُ جَدِيرٌ بِالْإِطَالَةِ؛ إِذْ أَنَّ إِنْكَارَ قِيَامِ الْأَعْمَالِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَعْطِيلٌ مُحَضَّرٌ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ إِنْكَارِ قِيَامِ الصِّفَاتِ بِهِ؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ وَاحِدٌ، فَإِمَّا أَنْ يُثَبَّتَ الْجَمِيعُ، وَإِمَّا أَنْ يُنْكَرَ الْجَمِيعُ.

انتهى المؤلف -رحمه الله- من الكلام على مناقشة مذهب المعتزلة ومذهب الأشاعرة، ثم رجع إلى معنى المقدم والمؤخر، فقال:

٣٤٠٣- وَالْوَصْفُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ كَوْنِيٌّ وَدِينِيٌّ هُمَا نَوْعَانِ

التقديم يكون كونياً مثل: سبق الليل النهار، وسبق الحوادث بعضها لبعض، ويكون دينياً «شرعياً» مثل: تقديم العلماء وأهل الإيمان على من سواهم، تقديم المهاجرين على الأنصار، وهكذا.

فإذن المقدم والمؤخر متعلق بالأمر الكونية وبالأمور الشرعية الدينية.

٣٤٠٤- وَكِلَاهُمَا أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ وَنَسْبِيٌّ وَلَا يَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانَ

٣٤٠٥- وَاللَّهُ قَدَرٌ ذَاكَ أَجْمَعَهُ بِإِحْسَانٍ وَإِتْقَانٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

قوله: «كِلَاهُمَا أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ»؛ يعني: أن بعض الشيء مقدم على بعض.

قوله: «وَنَسْبِيٌّ» بمعنى: أن المؤخر عن شيء قد يكون سابقاً على غيره مثل: واحد، اثنين، ثلاثة؛ فائنان مؤخر عن الواحد، ولكنه مقدم على الثلاثة، هذا معنى قوله: «حَقِيقِيٌّ وَنَسْبِيٌّ»، وحقوقي ونسبي؛ وذلك؛ لأن الأحداث تتوالى وتترى، فكل شيء يحدث يكون قبله شيء وبعده شيء.

وختاماً لهذا الفصل: الكلام على المقدم والمؤخر، وأتمها اسمان متقابلان.

فصل

- ٣٤٠٦ - هَذَا وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا لَيْسَ يُف - رَدُّ بَلِّ يُقَالُ إِذَا أَتَى بِقِرَانِ
- ٣٤٠٧ - وَهِيَ الَّتِي تُدْعَى بِمُزْدَوِجَاتِهَا - إِفْرَادُهَا حَظْرٌ عَلَى الْإِنْسَانِ
- ٣٤٠٨ - إِذْ ذَاكَ مُوهِمٌ نَوْعٍ نَقْصٍ جَلَّ رَبُّ - بُ الْعَرْشِ عَنِ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ
- ٣٤٠٩ - كَالْمَانِعِ الْمُعْطِيِّ وَكَالضَّارِّ الَّذِي - هُوَ نَافِعٌ وَكَمَالُهُ الْأَمْرَانِ
- ٣٤١٠ - وَنَظِيرُهُ هَذَا الْقَابِضُ الْمَقْرُونُ بِاسْمِ - سِمِ الْبَاسِطِ اللَّفْظَانِ مُقْتَرِنَانِ
- ٣٤١١ - وَكَذَا الْمُعْزُومُ مَعَ الْمُدْلِ وَخَافِضِ - مَعَ رَافِعِ لَفْظَانِ مُزْدَوِجَانِ
- ٣٤١٢ - وَحَدِيثُ إِفْرَادِ اسْمٍ مُنْتَقِمٍ فَمَوْ - قُوفٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو الْعِرْفَانِ
- ٣٤١٣ - مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ مُقَيَّدِ - بِالْمُجْرِمِينَ وَجَابَ «ذُو» نَوْعَانِ

الشرح

هذه من الأسماء المزدوجة التي يقترن بعضها ببعض كما قال ابن القيم رحمه الله: هناك أسماء لا بُدَّ أن تقولها جميعاً، فإن أفردتها أو همت معنى ناقصاً.

٣٤٠٦ - هَذَا وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا لَيْسَ يُف - رَدُّ بَلِّ يُقَالُ إِذَا أَتَى بِقِرَانِ

أي: بمقارنة للاسم الآخر.

٣٤٠٧ - وَهِيَ الَّتِي تُدْعَى بِمُزْدَوَجَاتِهَا إِفْرَادُهَا حَظَرٌ عَلَى الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَهِيَ الَّتِي تُدْعَى بِمُزْدَوَجَاتِهَا» مُزْدَوِجَةٌ؛ يعني: أن بعضها مع بعض.

قَوْلُهُ: «إِفْرَادُهَا حَظَرٌ عَلَى الْإِنْسَانِ»، والسبب في ذلك ما قاله:

٣٤٠٨ - إِذْ ذَاكَ مُوهِمٌ نَوْعٍ نَقَصٍ جَلَّ رَبُّ بُ الْعَرْشِ عَنِ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ ذَاكَ مُوهِمٌ نَوْعٍ نَقَصٍ» لو أفردتها لكان يوهم النقص في الله

عز وجل.

٣٤٠٩ - كَالْمَانِعِ الْمُعْطِي وَكَالضَّارِ الَّذِي هُوَ نَافِعٌ وَكَمَا لَهُ الْأَمْرَانِ

قَوْلُهُ: «كَالْمَانِعِ الْمُعْطِي» فلو قلت: إن الله مانع ولم تقيده، فلم تقل: إن الله

مانع كذا، فهذا يوهم النقص أن من أسماه المانع؛ يعني: وليس يُعْطِي بل يمنع

دائماً؛ لأنَّ المنع بخلٌ وشحٌّ، والله عز وجل مُنَزَّهُ عن ذلك، فإذا قرنت المانع

بالمُعْطِي حَصَلَ من الجمع بينهما معنى غير الحاصل بإفراد كل منهما، وهو تمام

التصريف، أنه لكمال تصرفه وسلطانه كان مانعاً معطياً.

لكن قول المؤلف رحمه الله فيما سبق: «إِفْرَادُهَا حَظَرٌ» ليس على إطلاقه،

مراده: إفراد ما يقتضي النقص منها، فمثلاً «المُعْطِي» لو أفردناه يجوز؛ لأنَّ

«المُعْطِي» وحده لا يوهم نقصاً، الذي يوهم هو أن تُفْرَدَ المانع، قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا

أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطٍ»^(١)، فإفراد ما يقتضي النقص فقط خطرٌ، وحينئذ نقول: هذه

إِذَا أَنْ تُقَالَ جَمِيعًا، وَإِنَّمَا أَنْ يُفْرَدَ مِنْهَا مَا يَدُلُّ عَلَى الْكَمَالِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، رقم (٧١)، ومسلم:

كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم (١٠٣٧).

قَوْلُهُ: «وَالضَّارُّ الَّذِي هُوَ نَافِعٌ»؛ يعني: لا بُدَّ أن تقولَ: «الضَّارُّ النَّافِعُ»، إذا قلتَ: «الضَّارُّ» فقل: «النَّافِعُ»؛ لأنَّك لو قلتَ: «اللهُ هو الضَّارُّ» فهذا فيه نقصٌ أنَّه لا يتَّصفُ عزَّ وجلَّ بالنَّافعِ، وهو أنَّ الرَّبَّ عزَّ وجلَّ موصوفٌ بالضرِّ على الإطلاقِ، ولكن إذا قلتَ: «الضَّارُّ النَّافِعُ» صار معنى ذلك أنَّه الكاملُ التَّصَرُّفِ والسُّلْطَانِ، فهو يضرُّ وينفعُ، فلا بُدَّ أن تقولَ: «الضَّارُّ النَّافِعُ»، قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسَّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

قَوْلُهُ: «وَكَمَالُهُ الْأَمْرَانِ»؛ أي: كمالُ اللهُ عزَّ وجلَّ بالأمرين جميعاً، وكذلك بأحدهما وهو ما دلَّ على الكمالِ وهو «النَّافِعُ»؛ لأنَّ العِلَّةَ متنفيةً.

٣٤١٠ - وَنَظِيرُهُ هَذَا الْقَابِضُ الْمَقْرُونُ بِبَاسٍ — مِ الْبَاسِطِ اللَّفْظَانِ مُقْتَرِنَانِ
قَوْلُهُ: «الْقَابِضُ الْبَاسِطُ»، لا تقل: إنَّ اللهُ قابِضٌ؛ لأنَّ القَبْضَ نقصٌ، بل قل: «الْقَابِضُ الْبَاسِطُ»؛ حتَّى يكونَ اجتماعُهما دالًّا على كمالِ تصرُّفه عزَّ وجلَّ، لكن لو قلتَ: «الْبَاسِطُ» وحده فالظَّاهِرُ الجوازُ، وذلك؛ لأنَّه كمالٌ.

٣٤١١ - وَكَذَا الْمُعِزُّ مَعَ الْمُدِّلِّ وَخَافِضٍ مَعَ رَافِعٍ لَفْظَانِ مُزْدَوِجَانِ
قَوْلُهُ: «وَكَذَا الْمُعِزُّ مَعَ الْمُدِّلِّ»؛ يعني: لا تقل: «الْمُدِّلُّ» وحده، بل قل: «الْمُعِزُّ الْمُدِّلُّ» حتَّى يُفيدَا كمالَ سلطانِ اللهُ تعالى وتصرُّفه في عبادِهِ إِلَّا إذا قَيَّدْتَهُ بشيءٍ مثل أن تقولَ: «الْمُدِّلُّ لِأَعْدَائِهِ»، لكن لو قلتَ: «الْمُعِزُّ» فالظَّاهِرُ أنَّه لا مانع؛ لأنَّه لا يُوهِمُ نقصًا.

قَوْلُهُ: «وَوَخَافِضٌ مَعَ رَافِعٍ» «الْخَافِضُ الرَّافِعُ»، لا تقل: «الْخَافِضُ» فقط؛ لأنَّ

هذا يُوهِمُ نقصًا، بل اجمع بينها وبين «الرَّافِع»، أو أَطْلِقِ «الرَّافِع» وحده، لأنَّ هذا كمالٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

٣٤١٢- وَحَدِيثُ إِفْرَادِ اسْمِ مُنْتَقِمٍ فَمَوْ قُوفٌ كَمَا قَدْ قَالَ ذُو الْعِرْفَانِ
مَنْ عَدَّوْا أَسْمَاءَ اللَّهِ عَدَّوْا «الْمُنْتَقِمِ»، لكن لا يصحُّ، و«الْمُنْتَقِمُ» لم تأتِ مفردةً
إِلَّا فِي حَدِيثٍ مَوْقُوفٍ عَلَى الصَّحَابِيِّ^(١)، والموقوفُ ليس بحجَّةٍ، لكن لو قلتَ:
«العَفْوُ الْمُنْتَقِمُ» صار من الأسماءِ الْمُرْدُوجَةِ؛ لأنَّ العَفْوَ يُقَابَلُ الانتقامَ.
لكن ما الذي جاء في القرآن؟ قال المؤلف رحمه الله:

٣٤١٣- مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِالْمُجْرِمِينَ وَجَابِ «ذُو» نَوْعَانِ
قَوْلُهُ: «مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ غَيْرَ مُقَيَّدٍ بِالْمُجْرِمِينَ»؛ يعني: جاء في القرآن مُقَيَّدًا
بالمجرمين، قال اللهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ [السَّجْدَةُ: ٢٢]
فَقَيَّدَ، والمُقَيَّدُ ليس كالمطلَق؛ لأنَّ المطلَقَ يفيدُ اتِّصافَ اللهِ بالصِّفَةِ على الإطلاقِ
بخلافِ المُقَيَّدِ.

قَوْلُهُ: «وَجَابِ «ذُو» نَوْعَانِ»؛ يعني: أنَّها نوعان: نوعٌ مُقَيَّدٌ بالمجرمين، ونوعٌ
جاء بـ«ذُو» في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب ما جاء في عقد التسييح باليد، رقم (٣٥٠٧)، وقال: هذا حديث غريب حدثنا به غير واحد عن صفوان بن صالح، ولا نعرفه إلا من حديث صفوان بن صالح، وهو ثقة عند أهل الحديث وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ولا نعلم في كبير شيء من الروايات ذكر الأسماء إلا في هذا الحديث، وقد روى آدم بن أبي إياس، هذا الحديث بإسناد غير هذا عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وذكر فيه الأسماء، وليس له إسناد صحيح.

وَقَوْلُهُ: «وَجَا بِ«ذُو» نَوْعَانِ» كَيْفَ رَفَعَ «نَوْعَانِ» وَ «ذُو» مُضَافَةٌ إِلَيْهَا؟
 نَقُولُ: مَا أُضِيفَتْ؛ وَ «نَوْعَانِ»: خَبْرٌ لِمَبْتَدَأٍ مَحذُوفٍ، وَالتَّقْدِيرُ: «هُمَا نَوْعَانِ» إِمَّا
 مُقَيَّدٌ وَإِمَّا بِ«ذُو»؛ لِأَنَّ مَعْنَى كَلَامِهِ: «وَجَاءَ بِذُو»؛ يَعْنِي: هَذَا الْوَصْفُ جَاءَ
 بِ«ذُو»؛ أَي: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤].

فصل

- ٣٤١٤ - وَدَلَالَةُ الْأَسْمَاءِ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ بَيِّنَاتٌ
 وَكَذَا التَّزَامُ وَأَصِحَّ الْبُرْهَانِ
 ٣٤١٥ - دَلَّتْ مُطَابَقَةٌ كَذَلِكَ تَضَمُّنًا
 ٣٤١٦ - أَمَّا مُطَابَقَةُ الدَّلَالَةِ فَهِيَ أَنْ
 ٣٤١٧ - ذَاتُ الْإِلَهِ وَذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي
 ٣٤١٨ - لَكِنْ دَلَالَتُهُ عَلَى إِحْدَاهُمَا
 ٣٤١٩ - وَكَذَا دَلَالَتُهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي
 ٣٤٢٠ - وَإِذَا أَرَدْتَ لِذَا مِثَالًا بَيِّنًا
 ٣٤٢١ - ذَاتُ الْإِلَهِ وَرَحْمَةٌ مَذْلُولُهَا
 ٣٤٢٢ - إِحْدَاهُمَا بَعْضٌ لِذَا الْمَوْضُوعِ فَهِيَ
 ٣٤٢٣ - لَكِنَّ وَصْفَ الْحَيِّ لَا زِمَ ذَلِكَ الـ
 ٣٤٢٤ - فَلِذَا دَلَالَتُهُ عَلَيْهِ بِالتَّزَامِ

الشرح

- ٣٤١٤ - وَدَلَالَةُ الْأَسْمَاءِ أَنْوَاعٌ ثَلَاثَةٌ كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ بَيِّنَاتٌ
 قَوْلُهُ: «دَلَالَةُ الْأَسْمَاءِ» يريدُ بذلك أسماء الله، ولكنَّ هذا الحُكْمَ ثابتٌ في جميع

دلالاتِ الكلماتِ والألفاظِ، أنواعها ثلاثةٌ.

٣٤١٥- دَلَّتْ مُطَابَقَةً كَذَلِكَ تَضْمُنًا وَكَذَا التِّرَامًا وَاضِحَ الْبُرْهَانِ

يعني: أنَّ الدَّلالاتِ ثلاثةٌ: دلالةٌ مُطابَقَةٍ، ودلالةٌ تَضْمُنُ، ودلالةٌ التِّرَامِ.

فدلالةُ المُطابَقَةِ: هي دلالةُ الاسمِ على جميعِ معناه، فتدلُّ على الذَّاتِ والوصفِ الذي اشتقَّ منه هذا الاسمُ.

والتَّضْمُنُ: دلالةُ الاسمِ على بعضِ معناه؛ بأنَّ يدلُّ على الذَّاتِ وحدها أو على الصِّفَةِ وحدها.

والالتِّرامُ: دلالتُه على أمرٍ خارجٍ لازمٍ لا يدلُّ عليه اللَّفْظُ من حيثِ الاشتقاقِ، لكنَّه لازمٌ للمعنى.

٣٤١٦- أَمَّا مُطَابَقَةُ الدَّلَالَةِ فَهِيَ أَنْ نَ الْإِسْمَ يُفْهَمُ مِنْهُ مَفْهُومَانِ

٣٤١٧- ذَاتُ الْإِلَهِ وَذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي يُشْتَقُّ مِنْهُ الْإِسْمُ بِالْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «الْإِسْمُ»؛ أَي: الْاسْمُ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ.

أفاد المؤلفُ -رحمه الله تعالى- أنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ مُشْتَقَّةٌ لِقَوْلِهِ: «الَّذِي يُشْتَقُّ مِنْهُ الْإِسْمُ بِالْمِيزَانِ» وهو كذلك، فإنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تعالى مُشْتَقَّةٌ مِنْ مَعَانٍ يَتَضَمَّنُهَا الْاسْمُ، وَلَا يُسْتَنْبَى مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ، خِلَافًا لِمَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: إِنَّ لَفْظَ «اللَّهُ» غَيْرُ مُشْتَقٍّ، بَلْ هُوَ مُشْتَقٌّ وَأُمُّ الْمُسْتَقَاتِ فِي الْحَقِيقَةِ، مُشْتَقٌّ مِنَ الْأُلُوْهِيَّةِ.

إِذْ ذُنَّ دِلَالَةُ الْاسْمِ عَلَى الذَّاتِ وَالْوَصْفِ جَمِيعًا يُسَمَّى دِلَالَةً مُطَابَقَةً.

٣٤١٨ - لَكِنْ دَلَّاهُ عَلَى إِحْدَاهُمَا بِتَضْمُنٍ فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بَيَانِ

قَوْلُهُ: «عَلَى إِحْدَاهُمَا»؛ أَي: الذَّاتِ أَوْ الوَصْفِ؛ يَعْنِي: دَلَالَةَ عَلَى الذَّاتِ وَحَدَّاهَا بِقَطْعِ النَّظَرِ عَنِ الوَصْفِ، أَوْ عَلَى الوَصْفِ وَحَدَّه بِقَطْعِ النَّظَرِ عَلَى الذَّاتِ، هَذَا يُسَمَّى دَلَالَةً تَضْمُنٌ.

وَجْهٌ التَّسْمِيَةُ «مُطَابَقَةٌ» هُوَ أَنَّ اللَّفْظَ طَابَقَ مَعْنَاهُ تَمَامًا، وَوَجْهٌ الثَّانِي: «تَضْمُنًا» أَنَّ اللَّفْظَ مُتَضَمِّنٌ لِهَذَا المَعْنَى وَزَائِدٌ عَلَيْهِ.

٣٤١٩ - وَكَذَلِكَ دَلَّاهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي مَا اشْتَقَّ مِنْهَا فَالْتِزَامُ دَانِي

دَلَّاهُ عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي لَمْ يُشْتَقَّ مِنْهَا هَذَا دَلَالَةُ التِّزَامِ.

وَقَوْلُهُ: «دَانِي»؛ يَعْنِي: أَنَّ الِلتِزَامَ يَكُونُ قَرِيبًا، وَيَكُونُ بَعِيدًا، وَيَكُونُ وَسْطًا، وَالْمَوْلُفُ يَرَى أَنَّ الدَّلَالََةَ الْمُؤَكَّدَةَ الْمُتَيَقَّنَةَ هِيَ الِلتِزَامُ الدَّانِي القَرِيبُ، أَمَّا البَعِيدُ الَّذِي لَا يُفْهَمُ مِنَ اللَّفْظِ إِلَّا بِكَلْفَةٍ فَهَذَا قَدْ يُنَازَعُ فِي دَلَالَةِ اللَّفْظِ عَلَيْهِ.

المهمُّ: أَنَّ دَلَالََةَ الِلتِزَامِ هِيَ أَنْ يَدُلَّ اللَّفْظُ عَلَى صِفَةٍ لَمْ يُشْتَقَّ مِنْهَا، وَلَكِنَّهَا لِازِمَةٌ لِلْمَعْنَى المُشْتَقَّ مِنْهُ، وَهَذَا سَمَّيْنَاهَا دَلَالَةَ التِّزَامِ.

٣٤٢٠ - وَإِذَا أَرَدْتَ لِذَا مِثَالًا بَيْنًا فَمِثَالُ ذَلِكَ لَفْظَةُ الرَّحْمَنِ

يَعْنِي: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُضْرِبَ مِثْلًا فَمِثَالُ ذَلِكَ لَفْظَةُ: «الرَّحْمَنِ».

٣٤٢١ - ذَاتُ الإِلَهِ وَرَحْمَةٌ مَدْلُولُهَا فَهِيَ هَذَا اللَّفْظُ مَدْلُولَانِ

لَفْظَةُ «الرَّحْمَنِ» دَلَّتْ عَلَى ذَاتِ وَهُوَ «الله»، وَعَلَى صِفَةٍ وَهِيَ «الرَّحْمَةُ»، دَلَّاهُا عَلَيْهِمَا جَمِيعًا مُطَابَقَةً، وَعَلَى «الرَّحْمَةِ» وَحَدَّاهَا تَضْمُنٌ، وَعَلَى الذَّاتِ وَحَدَّاهَا وَهُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ تَضْمُنٌ.

٣٤٢٢- إِحْدَاهُمَا بَعْضٌ لِدَا الْمَوْضُوعِ فَهِيَ - يَتَضَمَّنُ ذَا وَاضِحِ التَّبْيَانِ

إحدى الدالتين بعض هذا المدلول، ودلالة البعض تُسمى دلالة تَضَمُّنٍ.

٣٤٢٣- لَكِنَّ وَصْفَ الْحَيِّ لِأَزْمِ ذَلِكَ الْ - مَعْنَى لُزُومِ الْعِلْمِ لِلرَّحْمَنِ

٣٤٢٤- فَلِذَا دَلَّاهُ عَلَيْهِ بِالتَّزَا - مِ بَيِّنٍ وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ

«الرَّحْمَنُ» لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ حَيًّا، فَكَوْنُهُ رَحِمَانًا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ حَيًّا؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ لا يَرْحَمُ، فَلا تَوْجُدُ صِفَةُ رَحْمَةٍ، إِذَنْ إِذَا قُلْتَ: «الرَّحْمَنُ» دَلَّتْ عَلَى ذَاتٍ مَوْصُوفَةٍ بِالرَّحْمَةِ، وَعَلَى رَحْمَةٍ اتَّصَفَتْ بِهَا تِلْكَ الذَّاتُ، وَعَلَى حَيَاةِ تِلْكَ الذَّاتِ.

دلالتها على الذات وحدها تَضَمُّنٌ، وعلى الرحمة وحدها تَضَمُّنٌ، وعليهما مطابقتة، وعلى الحياة بالالتزام، فمن لازم الرحيم أن يكون حياً.

أَيْضًا «الْعِلْمُ» مِنْ لَازِمِ الرَّحْمَةِ، فَلا يُمْكِنُ رَحْمَةٌ بِلا عِلْمٍ؛ إِذْ إِنَّ الرَّحْمَةَ إِيْصَالُ الرَّحْمَةِ إِلَى الْمَرْحُومِ، وَهَذَا لا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَنْ عِلْمٍ، وَدَلَالَةُ «الرَّحْمَنِ» عَلَى الْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ دَلَالَةُ التَّزَامِ.

وَأَيْضًا «الْخَلْقُ» دَالٌّ عَلَى ذَاتِ اللَّهِ وَعَلَى الْخَلْقِ بِالمطابقتة، وَعَلَى أَحَدِهِمَا تَضَمُّنًا، وَعَلَى الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ دَلَالَةُ التَّزَامِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطَّلَاق: ١٢]؛ يَعْنِي: أَعْلَمْنَاكُمْ بِأَنَّا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا؛ لِأَنَّهُ لَوْ لا الْعِلْمُ مَا خَلَقَ، وَلَوْ لا الْقُدْرَةُ مَا خَلَقَ، إِذَنْ دَلَالَةُ الْخَلْقِ عَلَى الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ دَلَالَةُ التَّزَامِ؛ لِأَنَّ «عِلْمَ» «وَقَدَرَ» لَمْ تُشْتَقَّ مِنَ الْخَلْقِ؛ وَهَذَا دَلَالَةُ الْالتِّزَامِ بَعِيدَةٌ عَنْ اشْتِقَاقِ اللَّفْظِ الَّذِي دَلَّ عَلَيْهَا.

إذا قلنا: «هذه دار»، كلمة «دار» تدلُّ على البيت وما فيه دلالة مطابقة؛ يعني: تشمل ما يسمونه بالحوش والغرف والحجر والصالة والمجلس، فتدلُّ على الجميع دلالة مطابقة، وتدُلُّ على المجلس وحده بالتضمين، وتدُلُّ على بان لها بالالتزام؛ لأنه لا بُدَّ لهذا البيت من بان.

أما دلالة المطابقة ودلالة التضمين فلا أحد يعجزُ عنها، فكلُّ إنسانٍ يدركُ أنك إذا قلت: الله هو السميع، فالسميعُ تدلُّ على ذاتٍ مُتَّصِفَةٍ بالسَّمْعِ، لكن دلالة الالتزام هي التي يختلفُ فيها العلماءُ كثيرًا؛ لأنَّها مَبْنِيَّةٌ على الفهمِ الصَّحيحِ، والنَّاسُ في الأفهامِ يختلفون ويتفاوتون، قد يعرفُ الإنسانُ من هذا الدليلِ عدَّةَ مسائلٍ من لازمِ الدليلِ، ويأتي إنسانٌ آخرٌ بليدٌ لا يفهمُ منها هذه اللوازمَ، فاللوازمُ يختلفُ النَّاسُ فيها كثيرًا؛ ولهذا ربَّما نجدُ شخصًا يستنبطُ من دليلٍ واحدٍ مسائلَ متعدِّدةً كثيرةً، وآخر لا يستطيعُ أن يستنبطَ إلا مسألةً واحدةً أو مسألتين، كلُّ هذا بسببِ الفهمِ والالتزامِ الذي يلزمُ من النَّصِّ والذي يتفرَّعُ عليها.

إذن أسماءُ الله كُلُّها دالَّةٌ على أمرين ولا بُدَّ، وهما: الذاتُ والصفةُ التي اشتقَّتْ منها الاسمُ، أمَّا الالتزامُ فقد يكونُ الالتزامُ متعدِّدًا كـ«الرَّحْمَنُ» - كما قال المؤلِّفُ - دلُّ على الحياةِ والعلمِ، وقد يكونُ واحدًا، وقد لا يفهمُ منه أحدٌ شيئًا، فالالتزامُ ليس واضحًا لكلِّ أحدٍ، بل يختلفُ النَّاسُ فيه اختلافًا كثيرًا.

وعند المعتزلةِ الأسماءُ لا تدلُّ إلا على الذاتِ فقط، فلا تدلُّ على الصفاتِ؛ لأنَّهم لا يُقَرُّون بأنَّ الله تعالى موصوفٌ بأيِّ صفةٍ، وعلى هذا فقد منعوا أو كسروا أحدَ جناحي الدلالةِ وهي دلالة التضمين وهي الصفة، ولا شكَّ أنَّ المشتقَّ يدلُّ على ذاتٍ وعلى صفةٍ اتَّصفت بها هذه الذاتُ واشتقَّتْ منها هذا الاسمُ.

ومن هنا نعرف أنه ليس في أسماء الله ما هو جامدٌ، وهذا مأخوذٌ من قوله: «ذاتُ الإله»، «وَذَلِكَ الْوَصْفُ الَّذِي يُشْتَقُّ مِنْهُ الْإِسْمُ»، كُلُّ اسْمٍ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ فَهُوَ مُتَضَمِّنٌ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الذَّاتِ وَعَلَى الصِّفَةِ وَلَا بُدَّ، وَلَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ يَكُونُ جَامِدًا أَبَدًا.

وهل دلالة الالتزام تكون في كلام المخلوقين؟

الجواب: نعم، تكون في كلام المخلوقين، ولكن هل يلتزم القائل بهذا اللازم ويُجَعَلُ قولاً له؟ الصَّحِيحُ أَنَّهُ لَا يَكُونُ قَوْلًا لَهُ، وَإِنْ كَانَ لَازِمًا كَلَامِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَمْرِ:

الأوّل: أن هذا القائل الذي لزم من قوله كذا وكذا قد لا يلتزم بهذا اللازم.

الثاني: وقد يكون حين الكلام غائباً عنه، وقد يلتزم بهذا اللازم ثم يرجع عن قوله؛ ولهذا لا يلتزم به الجهميّة وغيرهم من المعاني الفاسدة المترتبة على أقوالهم إذا لم يلتزموها، فإننا نقول: هي لازم لكم، لكن قد يلتزمون بها، ثم يرجعون عن قولهم، وقد لا يلتزمون بها وينكرون أن تكون لازم قولهم، ويقولون: نحن نقول بكذا ولكن لا نقول بهذا اللازم.

الثالث: أن يكون قد ذهب عن هذا اللازم وغفل عنه حين قال هذا القول، ولو أنه ذكّر بهذا اللازم الفاسد لرجع، وهذا قد سبق، وهو هل لازم القول قولاً أو لا؟ فنقول: أمّا لازم قول الله ورسوله فهو قولٌ وحقٌّ؛ ولهذا ما زال العلماء يستنبطون من كلام الله ورسوله أحكاماً كثيرة، كلّها تكون باللائم، وأمّا لازم قولٍ غيرهما فليس بقول.

فهو إذا لم يلتزم فلا نلزمه، لكن إذا لم يلتزم واللزوم واضح فإنه يكون مكابراً، فاللائم قد يكون واضحاً، فمثلاً هؤلاء الذين يقولون: إن الله تعالى ليس

له صفات، من لازم ذلك أن يكون موصوفاً بأعظم النقص، الذات التي ليس لها صفات ماذا تكون؟! هم قد لا يلتزمون بها، قد يروون أن نفي الصفات كمال، لكن هل يطاعون في هذا؟ الجواب: لا يطاعون.

إذن مراد المؤلف - رحمه الله - بهذا الفصل أنك إذا أثبتت اسماً من أسماء الله فأثبتت كل ما يدل عليه من صفة سواء كان بالتضمن بأن يكون الاسم دالاً على الصفة التي اشتق منها، أو بالالتزام؛ لأن دلالة الاسم على الصفة وحدها دلالة تضمن، فعليه يتبين خطأ من قالوا: إن الله تعالى يُسمى بالاسم ولكن بدون صفة، ألم تعلموا أن بعض الناس قال: إن الله سميع بلا سمع، وبصير بلا بصير، وعليم بلا علم، وهلم جرا، إذن هل نقصوا من دلالة اللفظ أو لا؟ الجواب: نعم نقصوا ما دل عليه بالتضمن وهو الصفة، ومعلوم أنهم إذا أنكروا ما دل عليه الاسم بالتضمن فسينكرون ما يدل عليه بالالتزام من باب أولى.

فصل

فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَذِكْرِ انْقِسَامِ الْمُلْحِدِينَ

- ٣٤٢٥- أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافٌ مَدْحٍ كُلُّهَا مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِّلَتْ لِمَعَانِي
- ٣٤٢٦- إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ فِيهَا إِنَّهُ كُفْرٌ مَعَآذَ اللَّهِ مِنْ كُفْرَانِ
- ٣٤٢٧- وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ فِيهَا الْمَيْلُ بِالْإِشْرَاكِ وَالتَّعْطِيلِ وَالتَّنْكَرَانِ
- ٣٤٢٨- فَالْمُلْحِدُونَ إِذَنْ ثَلَاثُ طَوَائِفٍ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٣٤٢٩- الْمُشْرِكُونَ لِأَنَّهُمْ سُمُّوا بِهَا أَوْثَانُهُمْ قَالُوا إِلَهٌ ثَانِي
- ٣٤٣٠- هُمْ شَبَّهُوا الْمَخْلُوقَ بِالْخَلَّاقِ عَكَسَ سَ مُشَبِّهِ الْخَلَّاقِ بِالْإِنْسَانِ
- ٣٤٣١- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْإِلْحَادِ فَإِنَّهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَقْرَبِ الْإِخْوَانِ
- ٣٤٣٢- أَعْطُوا الْوُجُودَ جَمِيعَهُ أَسْمَاءَهُ إِذْ كَانَ عَيْنَ اللَّهِ ذِي السُّلْطَانِ
- ٣٤٣٣- وَالْمُشْرِكُونَ أَقَلُّ شُرَكَاءِ مِنْهُمْ هُمْ خَصَّصُوا ذَا الْإِسْمِ بِالْأَوْثَانِ
- ٣٤٣٤- وَلِذَلِكَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكَ عِنْدَهُمْ لَوْ عَمَّمُوا مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ

الشرح

الإلحادُ ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَفِي آيَاتِ اللَّهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]،

وقال - سبحانه وتعالى -: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا ﴾ [فصلت: ٤٠]،
وسيلقون في النار، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾
[فصلت: ٤٠].

٣٤٢٥- أَسْمَاؤُهُ أَوْصَافٌ مَدْحٍ كُلُّهَا مُشْتَقَّةٌ قَدْ حُمِلَتْ لِمَعَانِي
أَسْمَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّهَا أَوْصَافٌ مَدْحٍ، وَأَنَّ اللَّهَ - سبحانه وتعالى - تَوَعَّدَ
الْمُلْحِدِينَ فِيهَا فَقَالَ: ﴿ وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي
أَسْمَائِهِ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهذا أمرٌ للتهديد كقوله: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾
[المدثر: ١١]، يعني: فَسَافَتِكَ بِهِ، وكذلك: ﴿ وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ ﴾
[الأعراف: ١٨٠]؛ يعني: اتركوهم لي فأنا أعاقبهم؛ ولهذا قال: ﴿ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

٣٤٢٦- إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ فِيهَا إِنَّهُ كُفْرٌ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ كُفْرَانِ
قَوْلُهُ: «إِيَّاكَ وَالْإِلْحَادَ» يُسَمِّيهَا النَّحْوِيُّونَ مَفْعُولًا لِفِعْلِ مَحذُوفٍ
عَلَى سَبِيلِ التَّحْذِيرِ، وَأَصْلُهُ: «أُحْذِرُكَ» وَلَكِنْ حُذِفَ الْفِعْلُ، وَلَمَّا حُذِفَ الْفِعْلُ
لَزِمَ انْفِصَالُ الضَّمِيرِ؛ لِأَنَّ الضَّمِيرَ الْمُتَّصِلَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَبْقَى مُتَّصِلًا بِدُونِ عَامِلٍ،
فَلَمَّا انْفَصَلَ الضَّمِيرُ بَعْدَ حَذْفِ الْفِعْلِ صَارَ بِهَذَا اللَّفْظِ «إِيَّاكَ».

وَأَمَّا «الواو» فهي العاطفة، لكنّها تفيّد معنى المعية؛ يعني: إِيَّاكَ أَنْ تُجَامِعَ
الْإِلْحَادَ.

المؤلّف - رحمه الله - أراد أن يُبيّن الإلحاد في الأسماء وبين أنّه كفرٌ، لكن هل هو
كفرٌ مخرجٌ عن الملة أو هو كفرٌ دون كفرٍ؟ هذا على حسب نوع الإلحاد؛ فقد يكون
كفرًا مخرجًا عن الملة، وقد يكون غير مخرج، ثمّ استعاذ المؤلّف ربّه عزّ وجلّ من

الكفران؛ ولذا قال: «مَعَادَ اللَّهِ مِنْ كُفْرَانٍ»، ثُمَّ بَيَّنَّ حَقِيقَةَ الْإِلْحَادِ فِي الْأَسْمَاءِ فَقَالَ:

٣٤٢٧- وَحَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ فِيهَا الْمَيْلُ بِالْإِشْرَاكِ وَالتَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «الْإِلْحَادِ» الْإِلْحَادُ: مُصَدَّرُ أَلْحَدَ يُلْحِدُ، وَهُوَ مَا خُوذُ مِنَ الْمَيْلِ.

فحقيقة الإلحاد هو الميل عما يجب فيها، هذا الضابط، وهو مشتق من لحد القبر، واللحد كما نعرف جميعاً هو عبارة عن حفرة تكون في قبلة القبر يوضع فيها الميت، فهي إذن غير متوسطة، فهي مائلة إلى جانب القبر القبلي، هذا هو أصل الإلحاد، فمن قال: «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ» فهو مُلْحِدٌ، ومن قال: «إِنَّ اللَّهَ أَبٌ»، وَسَمَّى اللَّهَ الْأَبَ فَهُوَ مُلْحِدٌ، فَمَنْ سَمَّاهُ بغير ما سَمَّى بِهِ نَفْسَهُ فَهُوَ مُلْحِدٌ، وَمَنْ أَنْكَرَ اسْمًا مِنْ أَسْمَائِهِ فَهُوَ مُلْحِدٌ.

قَوْلُهُ: «الْمَيْلُ بِالْإِشْرَاكِ وَالتَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ» هذه ثلاثة أشياء: الإشراك والتعطيل والنكران، أما الإشراك فيها فيكون إما بالتمثيل، أو باستعارة أسمائه للأصنام، وما أشبه ذلك، والتعطيل؛ يعني: أن يُعْطَلَّ ما دَلَّتْ عَلَيْهِ مِنَ الصِّفَاتِ، وَالنُّكْرَانُ؛ يعني: يُنْكَرُهَا، وَيَقُولُ: لَيْسَ لِلَّهِ أَسْمَاءٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ غَلَاةِ الْغَلَاةِ مِنَ الْجَهْمِيَّةِ وَنَحْوِهِمْ.

٣٤٢٨- فَالْمُلْحِدُونَ إِذَنْ ثَلَاثُ طَوَائِفٍ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «طَوَائِفٍ» لِمَاذَا نَوَّنَاهَا وَصَرَفْنَاهَا وَهِيَ مِمَّا يَمْتَنِعُ مِنَ الصَّرْفِ؟

الجواب: لضرورة الشعر، قال ابن مالك:

وَلَا ضَطْرَارٍ أَوْ تَنَاسُبٍ صَرِفٍ ذُو الْمَنْعِ وَالْمَصْرُوفُ قَدْ لَا يَنْصَرِفُ^(١)

قَوْلُهُ: «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ الرَّحْمَنِ» عليهم غضبٌ؛ لأنَّهم عَلِمُوا الحَقَّ ولم يتَّبِعُوهُ، وكُلُّ مَنْ عَلِمَ الحَقَّ ولم يتَّبِعْهُ فَإِنَّهُ من أصحابِ الغضبِ، وكُلُّ مَنْ جَهِلَ الحَقَّ فهو من أصحابِ الضَّلالِ.

٣٤٢٩- المَشْرِكُونَ لِأَنَّهم سَمَّوْا بِهَا أَوْثَانَهُمْ قَالُوا إِلَهُ ثَانِي هؤُلاءِ مُلْحَدُونَ سَمَّوْا أَوْثَانَهُمْ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ، كاشتقاقِ اللَّاتِ من «الإله»، والعَزَّى من «العزیز»، ومناة من «المَنان»، فهذا الحَادُّ.

٣٤٣٠- هُمْ شَبَّهُوا المَخْلُوقَ بِالمَخْلُوقِ عَكَسَ مُشَبَّهِ المَخْلُوقِ بِالإِنْسَانِ شَبَّهُوا المَخْلُوقَ بِالمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّهم شَبَّهُوا هذِهِ الأَصْنَامَ بِاللهِ عَكسَ مَنْ يُشَبَّهُ المَخْلُوقَ بِالمَخْلُوقِ، فيقول مثلاً: اللهُ يَدٌ كيدي، ووجهٌ كوجهي، وعينٌ كعيني، وما أشبه ذلك.

إِذَنْ هؤُلاءِ مُشَبَّهَةٌ لَكِنْ اختلف وجهُ التَّشْبِيهِ، فالمشركون شَبَّهُوا المَخْلُوقَ بِالمَخْلُوقِ، وهؤُلاءِ شَبَّهُوا المَخْلُوقَ بِالمَخْلُوقِ.

٣٤٣١- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الإِثْمَادِ فَإِنَّهم إِخْوَانُهُمْ مِنْ أَقْرَبِ الإِخْوَانِ أَهْلُ الإِثْمَادِ الَّذِينَ يَقولون بوحدَةِ الوجودِ؛ أَي أَنَّ المَخْلُوقَ وَالمَخْلُوقَ شَيْءٌ واحِدٌ هُم إِخْوَانُ هؤُلاءِ المَشْرِكِينَ.

٣٤٣٢- أَعْطُوا الوُجُودَ جَمِيعَهُ أَسمَاءَهُ إِذْ كَانَ عَيْنَ اللهِ ذِي السُّلْطَانِ أَهْلُ الوحدَةِ -والعبادُ بِالله- جعلوا أَسمَاءَ اللهِ للوجودِ كُلِّهِ لماذا؟ لِأَنَّ الوُجُودَ عندهم هو عَيْنُ المَوْجِدِ، فالخَلْقُ عَيْنُ المَخْلُوقِ، فإذا كان الخَلْقُ عَيْنَ المَخْلُوقِ كانت أَسمَاءُ المَخْلُوقِ أَسمَاءً لِلخَلْقِ.

٣٤٣٣- وَالْمُشْرِكُونَ أَقَلُّ شِرْكَائِهِمْ هُمْ خَصَّصُوا ذَا الْإِسْمِ بِالْأَوْثَانِ
المشركون إِذْنَ مُلْحِدُونَ؛ لِأَنَّهُمْ سَمَّوْا بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ،
الْإِتِّحَادِيِّينَ أَشَدُّ شِرْكَاءَ؛ لِأَنَّهُمْ سَمَّوْا جَمِيعَ الْوُجُودِ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ؛ وَوَجْهٌ ذَلِكَ أَنَّهُمْ
جَعَلُوا الْمَخْلُوقَ عَيْنَ الْخَالِقِ، فَإِذَا كَانَ الْمَخْلُوقُ عَيْنَ الْخَالِقِ صَارَتْ أَسْمَاءُ الْخَالِقِ
أَسْمَاءً لِلْمَخْلُوقِ.

٣٤٣٤- وَلِذَلِكَ كَانُوا أَهْلَ شِرْكِ عِنْدَهُمْ لَوْ عَمَّمُوا مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
المشركون أهلُ شِرْكِ عِنْدَ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ، وَأَهْلُ الْإِتِّحَادِ أَهْلُ تَوْحِيدٍ لِمَاذَا؟ قَالَ:
إِنَّ الْمَشْرِكِينَ أَشْرَكُوا؛ لِأَنَّهُمْ خَصَّصُوا الْإِلَهَ بِالْوَثْنِ، فَفَرَعُونَ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ خَصَّصَ
فَقَالَ: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ [النازعات: ٢٤]، لَوْ قَالَ: «الْكُونُ كُلُّهُ رَبُّكُمْ» لَكَانَ مُوَحِّدًا، الْمَشْرِكُونَ
قَالُوا: «اللَّاتُ وَمَنَاةَ وَالْعُزَّىٰ آلِهَةٌ»، لَوْ قَالُوا: «كُلُّ الْمَوْجُودَاتِ آلِهَةٌ» صَارُوا
مُوَحِّدِينَ وَلَمْ يَكُونُوا مُشْرِكِينَ.

انظر - والعبادُ بالله - الذي يَخَصِّصُ الْأُلُوهِيَّةَ بِشَخْصٍ أَوْ بِطَائِفَةٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ هَذَا مُشْرِكٌ عِنْدَ أَهْلِ الْإِتِّحَادِ، وَالَّذِي يَقُولُ: «كُلُّ الْكُونِ إِلَهٌ» هَذَا مُوَحِّدٌ.
وهذه والله عقولٌ منكوسةٌ والعبادُ بالله، ولهذا ابنُ عربيٍّ وأمثاله يقولون: إِنَّمَا
كَفَرَ آلُ فِرْعَوْنَ بِتَخْصِيصِهِمُ الْإِلَهَ بِفِرْعَوْنَ، وَلَوْ كَانُوا عَمَّمُوا لَكَانُوا مُوَحِّدِينَ.
إِذْنَ إِلْحَادُ هَذِهِ الطَّائِفَةِ أَنَّهُمْ نَقَلُوا أَسْمَاءَ اللَّهِ إِلَى الْمَخْلُوقِ، فَسَمَّوْهُ إِهَاءً،
وَعَبَدُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

- ٣٤٣٥ - وَالْمُلْحِدُ الثَّانِي فَذُو التَّعْطِيلِ إِذْ
يَنْفِي حَقَائِقَهَا بِلَا بُرْهَانَ
- ٣٤٣٦ - مَا تَمَّ غَيْرُ الْإِسْمِ أَوَّلُهُ بِمَا
يَنْفِي الْحَقِيقَةَ نَفِي ذِي بَطْلَانِ
- ٣٤٣٧ - فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَعْنَى الْحَقِيقِ
قَةٍ فَاجْتِهَدْ فِيهِ بِلَفْظِ بَيَانِ
- ٣٤٣٨ - عَطَّلْ وَحَرَّفْ ثُمَّ أَوَّلْ وَانْفِهَا
وَاقْذِفْ بِتَجْسِيمِ وَبِالْكَفْرَانِ
- ٣٤٣٩ - لِلْمُشَبَّهِينَ حَقَائِقُ الْأَسْمَاءِ وَالِ
أَوْصَافِ بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
- ٣٤٤٠ - فَإِذَا هُمْ احْتَجُّوا عَلَيْكَ فَقُلْ لَهُمْ
هَذَا مَجَازٌ وَهُوَ وَضِعُ ثَانِي
- ٣٤٤١ - فَإِذَا غُلِبْتَ عَلَى الْمَجَازِ فَقُلْ لَهُمْ
لَا يُسْتَفَادُ حَقِيقَةُ الْإِيقَانِ
- ٣٤٤٢ - أَنْى وَتِلْكَ أَدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ
عَزَلْتَ عَنِ الْإِيقَانِ مُنْذُ زَمَانِ
- ٣٤٤٣ - فَإِذَا تَصَافَرْتَ الْأَدِلَّةَ كَثْرَةً
وَعُلِبْتَ عَنِ تَقْرِيرِ ذَا بَيَانِ
- ٣٤٤٤ - فَعَلَيْكَ حَيْثُ دَبِقَانُونَ وَضَعُ
سِنَاهُ لِدَفْعِ أَدِلَّةِ الْقُرْآنِ
- ٣٤٤٥ - وَلِكُلِّ نَصٍّ لَيْسَ يَقْبَلُ أَنْ يُؤْوَى
وَلِ الْمَجَازِ وَلَا بِمَعْنَى ثَانِي
- ٣٤٤٦ - قُلْ عَارِضُ الْمَنْقُولِ مَعْقُولٌ وَمَا الِ
أَمْرَانِ عِنْدَ الْعَقْلِ يَتَّفَقَانِ
- ٣٤٤٧ - مَا تَمَّ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعِ
مُتَقَابِلَاتِ كُلِّهَا بِوِزَانِ
- ٣٤٤٨ - إِعْمَالُ ذَيْنِ وَعَكْسُهُ أَوْ تَلْغِي الِ
مَعْقُولٌ مَا هَذَا بِذِي إِمْكَانِ
- ٣٤٤٩ - الْعَقْلُ أَصْلُ النَّقْلِ وَهُوَ أَبُوهُ إِنْ
تُبْطَلُهُ يَبْطُلُ فَرْعُهُ التَّحْتَانِي
- ٣٤٥٠ - فَتَعَيَّنَ الْإِعْمَالُ لِلْمَعْقُولِ وَالِ
إِلْغَاءِ لِلْمَنْقُولِ بِالْبُرْهَانِ

- ٣٤٥١- إِعْمَالُهُ يُفْضِي إِلَى الْغَائِبِ فَاهْجُرْهُ هَجَرَ التَّرْكِ وَالنَّسْيَانِ
 ٣٤٥٢- وَاللَّهُ لَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ إِنَّا وَهُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ مَحْتَصِمَانِ
 ٣٤٥٣- وَهُنَاكَ يُجْزَى الْمُلْحِدُونَ وَمَنْ نَفَى الـ
 ٣٤٥٤- فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ
 ٣٤٥٥- فَلَسَوْفَ نَجْنِي أَجْرَ صَبْرِكَ حِينَ يَجِيءُ
 ٣٤٥٦- فَاللَّهُ سَائِلُنَا وَسَائِلُهُمْ عَنِ الـ
 ٣٤٥٧- فَأَعِدَّ حِينَئِذٍ جَوَابًا كَافِيًا
 عِنْدَ السُّؤَالِ يَكُونُ ذَا تَبْيَانٍ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - في القسم الثاني من الملحدين:

٣٤٣٥- وَالْمُلْحِدُ الثَّانِي فَذُو التَّعْطِيلِ إِذْ يَنْفِي حَقَائِقَهَا بِلَا بُرْهَانَ
 الْمُعْطَلُّ مُلْحِدٌ؛ لِأَنَّهُ مَالَ بِالْأَلْفَاظِ عَمَّا يَجِبُ لَهَا عَنْ حَقَائِقِهَا؛ لِأَنَّهُ يَنْفِي
 الْحَقَائِقَ؛ فَمَثَلًا يَقُولُ: ﴿أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يعني: استولى، وهذا
 تعطيلٌ للاستواء الحقيقيِّ والحادٌ بدلالةِ النُّصوصِ «بِلا بُرْهَانٍ»؛ أي: بلا دليلٍ.

٣٤٣٦- مَا تَمَّ غَيْرُ الْإِسْمِ أَوْلَاهُ بِمَا يَنْفِي الْحَقِيقَةَ نَفْيَ ذِي بَطْلَانٍ

يعني: لا يوجد إلا الاسم فقط، فأوله بكل ما ينفي الحقيقة، واختار ما شئت من المعاني، المهم ألا تحمله على الحقيقة، وهذا من أظلم الظلم؛ إذ ينفون الحقيقة التي هي ظاهر اللفظ، ويقولون: أثبت ما شئت من المعاني الأخرى، وهذا لا شك أنه ظلم وجورٌ والحاد.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - مَرَاتِبَ الْأَدَلَّةِ عِنْدَهُمْ فَقَالَ:

٣٤٢٧- فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَعْنَى الْحَقِيدِ سَقَّةٌ فَاجْتَهَدُ فِيهِ بِلَفْظِ بَيَانٍ

قَوْلُهُ: «فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَعْنَى الْحَقِيقَةِ» وَبِنَسْ هَذَا الْقَصْدُ؛ يَعْنِي: أَنَّ مَقْصُودَهُمْ بِسُلُوكِ هَذِهِ الطَّرِيقِ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَعْنَاهِ الْحَقِيقِيِّ.

قَوْلُهُ: «فَاجْتَهَدُ فِيهِ بِلَفْظِ بَيَانٍ» «اجْتَهَدُ فِيهِ»؛ أَي: فِي دَفْعِ النَّصِّ عَنْ مَعْنَاهِ الْحَقِيقِيِّ بِكُلِّ لَفْظٍ يَكُونُ ذَا بَيَانٍ وَسِحْرٍ.

٣٤٣٨- عَطَّلُ وَحَرَّفُ ثُمَّ أَوَّلُ وَانْفَهَا وَأَقْدِفُ بِتَجْسِيمٍ وَبِالْكَفْرَانِ

قَوْلُهُ: «عَطَّلُ»؛ يَعْنِي: عَطَّلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ صِفَاتِهِ.

قَوْلُهُ: «وَحَرَّفُ»؛ أَي: حَرَّفَ النَّصَّ عَنْ مَعْنَاهِ الْحَقِيقِيِّ.

قَوْلُهُ: «وَأَوَّلُ»؛ أَي: آتَتْ لَهُ بِمَعْنَى مُؤَوَّلٍ خِلَافَ الظَّاهِرِ.

قَوْلُهُ: «وَانْفَهَا»؛ أَي: انْفِ الْحَقِيقَةَ، وَهَذِهِ النَّتِيجَةُ.

فَمَثَلًا قَوْلُ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يَقُولُ:

لَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ «الْيَدُ» الْحَقِيقِيَّةَ، فَيَعَطَّلُ «الْيَدَ» ثُمَّ يُحَرِّفُ النَّصَّ، وَيَقُولُ: «الْيَدُ» هِيَ الْقُدْرَةُ مَثَلًا، وَيؤَوَّلُهَا؛ يَعْنِي: يَصْرِفُ الْمَعْنَى الظَّاهِرَةَ إِلَى مَعْنَى آخَرَ بِخِلَافِهِ، وَانْفِ «الْيَدَ»، وَهَذِهِ النَّتِيجَةُ.

قَوْلُهُ: «أَقْدِفُ»؛ يَعْنِي: أَرَمُ بِالتَّجْسِيمِ وَالْكَفْرِ لِمَنْ؟

قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٤٣٩- لِلْمُشْبِتِينَ حَقَائِقُ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «لِلْمُثْبِتِينَ حَقَائِقَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ» أَثْبُتُوهَا بِإِذَا؟ بِالْأَخْبَارِ؛ أَي: بِالْأَحَادِيثِ.

وَقَوْلُهُ: «بِالْأَخْبَارِ»: مُتَعَلِّقٌ بِالْمُثْبِتِينَ؛ يَعْنِي: الَّذِينَ أَثْبُتُوهَا بِالْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ.

فَجَنَوْا عَلَى النُّصُوصِ وَجَنَوْا عَلَى مُثْبِتِي النُّصُوصِ، قَالُوا لِلْمُثْبِتِينَ: إِنَّهُمْ مُجَسَّمَةٌ، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ مُمَثَّلَةٌ، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ كُفَّارٌ، وَرَمَوْهُمْ بِكُلِّ سَبٍّ وَشْتَمٍّ؛ لِأَنَّهُمْ أَثْبَتُوا الْحَقَائِقَ بِالْقُرْآنِ وَالْأَخْبَارِ الثَّابِتَةِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٤٤٠ - فَإِذَا هُمْ أَحْتَجُّوا عَلَيْكَ فَقُلْ لَهُمْ هَذَا مَجَازٌ وَهُوَ وَضِعٌ ثَانِي

إِذَا احْتَجَّ عَلَيْكَ أَهْلُ السُّنَّةِ بظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَقَالُوا: ظَاهِرُ اللَّفْظِ فِي «أَسْتَوَى» [البقرة: ٢٩]؛ يَعْنِي: عَلَا الْعَرْشَ، قُلْ: هَذَا مَجَازٌ، وَيُدِّ اللَّهُ مَجَازٌ.

وَالْمَجَازُ كَمَا عَرَّفَهُ أَهْلُ الْبَلَاغَةِ: «اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ بِوَضْعٍ ثَانٍ»؛ أَي: اسْتِعْمَالُ اللَّفْظِ فِي غَيْرِ مَا وُضِعَ لَهُ أَوَّلًا؛ لِعِلَاقَةِ بَقْرِينَةٍ تَمْنَعُ مِنَ الْمَعْنَى الْحَقِيقِيَّةِ، إِذْ نَ هَلِ الْمَجَازُ وَضِعٌ ثَانٍ أَوْ أَوَّلٍ؟ الْجَوَابُ: ثَانٍ، فَ«أَسَدٌ» وَضِعَ أَوَّلًا لِلْحَيَوَانِ الْمَفْتَرَسِ، ثُمَّ وَضِعَ ثَانِيًا لِلرَّجُلِ الشُّجَاعِ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ فَهِيَ الْوَضْعُ الْأَوَّلُ.

٣٤٤١ - فَإِذَا غُلِبْتَ عَلَى الْمَجَازِ فَقُلْ لَهُمْ لَا يُسْتَفَادُ حَقِيقَةُ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا غُلِبْتَ عَلَى الْمَجَازِ»؛ يَعْنِي: إِذَا هُمْ رَدُّوْا عَلَيْكَ وَصَارَ الْمَجَازُ غَيْرَ مُنَاسِبٍ وَلَا مَقْبُولٍ، فَمَثَلًا لَوْ قَالَ لَكَ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ [ص: ٧٥] قَالَ: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ بِالْيَدِ الْقُدْرَةُ أَوْ النُّعْمَةُ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ هَكَذَا: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدِي﴾ [ص: ٧٥]، لَقَالَ إِبْلِيسُ: وَأَنَا يَا رَبُّ خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ؛ أَي: بِقُدْرَتِكَ، فَإِذَا هُمْ رَدُّوْا عَلَيْكَ وَغُلِبْتَ عَنِ الْمَجَازِ بَحَيْثُ تَعَدَّرْتَ الْقَرِينَةَ الدَّالَّةَ عَلَى الْمَجَازِ فَانْتَقَلَ إِلَى مَرْتَبَةِ

أخرى، وقل لهم: «لَا يُسْتَفَادُ حَقِيقَةُ الْإِيْقَانِ»؛ يعني: أن هذا اللَّفْظَ لَا يُفِيدُ الْحَقِيقَةَ الْيَقِينِيَّةَ، لماذا؟ قال:

٣٤٤٢- أُنَى وَتَلَكْ أَدِلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ عَزَلَتْ عَنِ الْإِيْقَانِ مُنْذُ زَمَانٍ قَوْلُهُ: «أُنَى»؛ يعني: أُنَى يُسْتَفَادُ؟!!

نسأل الله العافية، يقولون: إِنَّ الْأَدِلَّةَ اللَّفْظِيَّةَ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ؛ إِمَّا مِنْ حَيْثُ الثُّبُوتُ وَإِمَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ، وهذا قانونٌ فاسدٌ باطلٌ، إِمَّا مِنْ حَيْثُ الثُّبُوتُ؛ يعني: بأن يكونَ الذين نقلوها أفرادًا؛ ولهذا عندهم لَا يُقْبَلُ خَبْرُ الْآحَادِ فِي إِثْبَاتِ الْعُقَائِدِ؛ لِأَنَّ الْعُقَائِدَ يُطَلَّبُ فِيهَا الْيَقِينُ، وَخَبْرُ الْآحَادِ لَا يُفِيدُ الْيَقِينَ.

إِذَنْ خَبْرُ الْآحَادِ ظَنِّيٌّ عَلَى زَعْمِهِمْ فَلَا يُقْبَلُ، قل: والله، هذا خبرٌ آحادٍ لَا نَقْبَلُهُ؛ لِأَنَّهُ ظَنِّيٌّ مِنْ حَيْثُ الثُّبُوتُ وَمِنْ حَيْثُ الدَّلَالَةُ، وهذا إِذَا عَجَزَتْ عَنِ إِثْبَاتِ الْمَجَازِ.

لكن بأيها يُبْدَأُ بِالثُّبُوتِ أَوْ بِالدَّلَالَةِ؟ يُبْدَأُ بِالثُّبُوتِ أَوَّلًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَثْبُتْ كُفَيْتَ الْبَحْثَ، وَإِذَا ثَبَّتَ اِبْدَأُ بِالدَّلَالَةِ، إِذَنْ نَبْدَأُ أَوَّلًا بِالنُّصُوصِ بِثُبُوتِهَا ثُمَّ بِدَلَالَتِهَا، هم يقولون: إن لم يمكن الطعن في الثبوت فالطعن في الدلالة.

فإذا كان الخبرُ ثابتًا يقينًا كالقرآنِ الكريمِ والمتواترِ مِنَ السُّنَّةِ، فقل لهم: هو ظَنِّيٌّ الدَّلَالَةُ؛ يعني: أن دلالته على المعنى ليست يقينية؛ إذ ما من لفظٍ إِلَّا ويحتملُ معنى غير ظاهرٍ إِمَّا قَرِيبٌ وَإِمَّا بَعِيدٌ، أَنَا أَقُولُ هَذَا مُقَرَّرًا قَاعِدَتَهُمْ وَإِلَّا فَإِنَّا لَا نُسَلِّمُ لَهُمْ بِهَذَا كُلَّهُ.

فنقول: إِمَّا مَا ادَّعَيْتُمْ مِنْ أَنَّ الْأَدِلَّةَ اللَّفْظِيَّةَ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ إِمَّا فِي الثُّبُوتِ أَوْ فِي الدَّلَالَةِ فَهَذَا كَذِبٌ، بل هي تُفِيدُ الْيَقِينَ فِي الثُّبُوتِ وَتُفِيدُ الْيَقِينَ فِي الدَّلَالَةِ، فَإِنَّ

دلالة الألفاظ على معناها تكون قطعيةً في بعض الأحيان، ولا تحتل معنى آخر؛ ولهذا قال أهل الأصول: «إِنَّ النَّصَّ يَكُونُ صَرِيحًا وَيَكُونُ ظَاهِرًا»؛ يعني: يكون صريحًا لا يحتل إلا معنى واحدًا، وهذا دلالة يقينية، وله دلالة ظاهرة تحتل التأويل، فزعمكم أن الأدلة اللفظية لا تفيد اليقين؛ لأنها إما ظنية في ثبوتها وإما ظنية في دلالتها، هذا كذب، ويا سبحان الله العظيم! لو جاء أحد من أئمتكم وألف كتابًا وتكلم، أستم تقولون: إن دلالة اللفظ على هذا المعنى الذي أراده هذا الكاتب أو هذا المؤلف يقينية؟ سيقولون: بلى، يقينية، ويجادلون، وإن أحد حرف الكلام فقال: هذا خلاف ظاهر كلام سيدنا، لا يمكن، فكيف بكلام الله رب العالمين وكلام رسوله ﷺ الأمين؟! ولهذا يقولون: «أَنِّي وَتِلْكَ أَدَلَّةٌ لَفْظِيَّةٌ» أي: من حيث الثبوت ومن حيث الدلالة.

٣٤٤٣- فَإِذَا تَضَافَرَتِ الْأَدَلَّةُ كَثْرَةً وَعُغِبَتَ عَنْ تَقْرِيرِ ذَا بَيَانٍ

يعني: إذا كان لا يمكن دعوى الظنية لا في ثبوتها ولا في دلالتها فماذا نقول؟ قال:

٣٤٤٤- فَعَلَيْكَ حِينَئِذٍ بِقَانُونٍ وَضَعْنَاهُ لِدَفْعِ أَدَلَّةِ الْقُرْآنِ

يعني: إذا لم يمكنك الطعن في الدلالة أو الطعن في المدلول من حيث ثبوته، والطعن في الدلالة من حيث النصية، فعليك بالقانون الذي وضعناه، لماذا؟ قال: «لِدَفْعِ أَدَلَّةِ الْقُرْآنِ» نسأل الله العافية؛ يعني: ندفع به أدلة القرآن.

٣٤٤٥- وَلِكُلِّ نَصٍّ لَيْسَ يَقْبَلُ أَنْ يُؤْوَىٰ وَوَلِ بِالْمَجَازِ وَلَا بِمَعْنَىٰ ثَانِي

يعني: وندفع به أيضًا كل نص لا يقبل التأويل بالمجاز، «وَلَا بِمَعْنَىٰ ثَانِي» لكن ما هذا القانون؟

٣٤٤٦- قُلْ عَارِضَ الْمَنْقُولِ مَعْقُولٌ وَمَا الـ أَمْرَانِ عِنْدَ الْعَقْلِ يَتَّفِقَانِ
قَوْلُهُ: «قُلْ: عَارِضَ الْمَنْقُولِ مَعْقُولٌ» «الْمَنْقُولُ»: مفعولٌ مُقَدَّمٌ، و«مَعْقُولٌ»:
فاعلٌ مؤخَّرٌ.

قَوْلُهُ: «قُلْ: عَارِضَ الْمَنْقُولِ مَعْقُولٌ»؛ يعني: عَارِضَ الْأَدَلَّةِ النَّقْلِيَّةِ أَدَلَّةٌ عَقْلِيَّةٌ؛
يعني: إذا لم يمكن رَدُّ الْأَدَلَّةِ لكَثْرَتِهَا، ولا يمكن حَمْلُهَا عَلَى الْمَجَازِ فَعَلَيْكَ بِآخِرِ
الْمَرَاهِلِ، وَقُلْ: «هَذِهِ الْأَدَلَّةُ يَعَارِضُهَا الْمَنْقُولُ»، وَالْعَقْلُ يَمْنَعُ هَذَا.

قَوْلُهُ: «وَمَا الْأَمْرَانِ عِنْدَ الْعَقْلِ يَتَّفِقَانِ» ما الأمران يتفقان، بل بينهما الخلاف؛
يعني: لا يمكن أن يتفق العقل والنقل في قبول هذا، فالعقل يُنكِرُ والنقل يُثَبِّتُ،
ولا يمكن أن يجتمع مثبتٌ وناقٍ، إِذَنْ مَنْ نُقَدِّمُ؟ يَرُونَ تَقْدِيمَ الْعَقْلِ، ثُمَّ ذَكَرَ
الْمَوْلُفُ الْأَحْوَالَ الْأَرْبَعُ فَقَالَ:

٣٤٤٧- مَا تَمَّ إِلَّا وَاحِدٌ مِنْ أَرْبَعٍ مُتَقَابِلَاتٍ كُلُّهَا بِوِزَانٍ

٣٤٤٨- إِعْمَالٌ ذَيْنِ وَعَكْسُهُ أَوْ تُلْغِي الـ مَعْقُولٌ مَا هَذَا بِذِي إِمْكَانٍ

يعني: إِمَّا أَنْ نُعْمَلَ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا، وَهُمَا: الدَّلِيلُ الْعَقْلِيُّ وَالدَّلِيلُ النَّقْلِيُّ، أَوْ
«عَكْسُهُ» وَهُوَ إِهْمَالُهُمَا جَمِيعًا، فَلَا نَأْخُذُ بِدَلِيلٍ عَقْلِيٍّ وَلَا بِدَلِيلٍ نَقْلِيٍّ، أَوْ «تُلْغِي
الْمَعْقُولُ» وَنَأْخُذُ بِالْأَدَلَّةِ النَّقْلِيَّةِ وَنُلْغِي الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ، يَقُولُ: هَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ، «مَا
هَذَا بِذِي إِمْكَانٍ»؛ يعني: لا يمكن أن نُلْغِيَ الْمَعْقُولَ، إِذَنْ نُلْغِي الْمَنْقُولَ.

فَإِذَا لَمْ يَتَعَارَضَا أَعْمَلْنَاهُمَا جَمِيعًا، وَإِذَا تَعَارَضَا إِمَّا أَنْ نَعْمَلَهُمَا جَمِيعًا أَوْ
نُهْمَلَهُمَا جَمِيعًا، أَوْ نُعْمَلَ الْمَعْقُولَ وَنُدَعَ الْمَنْقُولَ، أَوْ نُعْمَلَ الْمَنْقُولَ وَنُدَعَ الْمَعْقُولَ،
فَهَذِهِ أَرْبَعُ حَالَاتٍ مِنْهَا: إِعْمَالُ الْمَنْقُولِ وَإِهْمَالُ الْمَعْقُولِ، يَقُولُ: وَهَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ،

لماذا؟ قال:

٣٤٤٩- العَقْلُ أَصْلُ النَّقْلِ وَهُوَ أَبُوهُ إِنَّ تَبْطُلُهُ يَبْطُلُ فَرَعُهُ التَّخْتَانِي
لأنه من المعلوم أنه إذا عُدِمَ الأبُ فلا يمكنُ أن يكونَ الابنُ، إذَنْ يكونُ
العقلُ هو الأصلُ، فإذا قلتَ: النَّقْلُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْعَقْلِ، قال: هذا لا يمكنُ؛ لأنَّ
العقلُ هو الأصلُ.

٣٤٥٠- فَتَعَيَّنَ الْإِعْمَالُ لِلْمَعْقُولِ وَالْإِلْغَاءُ لِلْمَنْقُولِ بِالْبُرْهَانِ
يقولُ: الْعِلَّةُ أَنَّنَا لَا نُنْغِي الْمَعْقُولَ بَلْ نُنْغِي الْمَنْقُولَ؛ لِأَنَّ الْعَقْلَ أَصْلُ النَّقْلِ
وهو أبوه إنْ أَبْطَلْتَهُ بَطَلَ الْفَرْعُ؛ أَي: إنْ أَبْطَلْتَ الْعَقْلَ الَّذِي هُوَ أَصْلُ النَّقْلِ بَطَلَ
الْفَرْعُ، هَكَذَا ادَّعَوْا، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَتَعَيَّنَ الْإِعْمَالُ لِلْمَعْقُولِ وَالْإِلْغَاءُ
لِلْمَنْقُولِ بِالْبُرْهَانِ.

ولكن نجيبُ على هذا بأمورٍ:

أَوَّلًا: إِعْمَالُ الْعَقْلِ فِي بَابِ السَّمْعِيَّاتِ مُخَالَفٌ لِلْعَقْلِ، وَجَهٌ ذَلِكَ: أَنَّ الْأُمُورَ
السَّمْعِيَّةَ تَعْتَمِدُ عَلَى مَجْرَدِ الْخَبْرِ، وَالْخَبْرُ فِي الْأُمُورِ الْغَيْبِيَّةِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ يَجِبُ
فِيهِ التَّلَقِّيُّ مِنَ الْخَبْرِ الْمَحْضِ، وَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ فِيهِ، فَإِذَا أَعْمَلْنَا الْعَقْلَ فِي مُخْبِرِ ذَلِكَ
الْخَبْرِ كَانَ ذَلِكَ مُخَالَفًا لِلْعَقْلِ؛ لِأَنَّ هَذَا خَبْرٌ مَحْضٌ لَا يَدْخُلُهُ الْقِيَاسُ حَتَّى نَقُولَ:
إِنَّا نُعْمِلُ الْعَقْلَ فِيهِ، فَالْعَقْلُ إِذَنْ فِي هَذَا هُوَ تَحْكِيمُ النَّقْلِ؛ لِأَنَّ هَذَا خَبْرٌ مَحْضٌ عَنْ
شَيْءٍ غَائِبٍ لَا نَظِيرَ لَهُ، فَمَقْتَضَى الْعَقْلِ الصَّرِيحِ أَنْ تُحْكَمَ النَّقْلَ فَقَطْ، هَذَا مَعَ أَنَّ
هَذَا الْكَلَامَ مُتَنَاقِضٌ؛ لِأَنَّ أَصْحَابَ الْعُقُولِ الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُحْكَمُونَ الْعَقْلَ
مُتَنَاقِضُونَ، قَالَ الْإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِأَيِّ شَيْءٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، أَفْكَلَمًا

جاءنا رجلٌ أجدلٌ من رجلٍ تركنا قولنا لقولِ هذا الجدليِّ؟!»^(١).

هم بأنفسهم متناقضون؛ أحياناً يقول بعضهم: هذا العقل يمنع هذه الصفة، والثاني يقول: العقل يُوجبها، والثالث يقول: العقل يُجوزها، ثلاثة أقوال، بل إن الواحد من هؤلاء المتكلمين يتناقض في نفسه، فتجدّه يُؤلف كتاباً يُثبت فيه ما يُثبت من الصفات، ويقول: إنَّ العقل دَلَّ عليها، ثمَّ يُؤلف كتاباً آخرَ ينقضه، إذن إلى أيِّ عقلٍ نرجع؟ هل إلى عقلٍ زيدٍ أو عقلٍ عمرو، أو عقلٍ زيدٍ في أوَّل عمره أو عقله في آخرِ عمره؟ لا ندري، ففيه تناقض.

ثانياً: الرجوعُ إلى العقلِ يستلزمُ القولَ على الله بلا علمٍ نفيًا وإثباتًا، فتجدُ الذي يُحكِّمُ عقله في بابِ الصفاتِ يقول: هذه الصفة ممنوعة؛ لأنَّ العقلَ يمنعها، فينفي عن الله ما أثبتهُ اللهُ لنفسه، ويكونُ هذا قولاً على الله بلا علمٍ، أو يُثبتُ صفةً لم يثبتها اللهُ لنفسه فيكون قائلاً على الله بلا علم.

ثالثاً: الرجوعُ إلى العقلِ في بابِ الصفاتِ مخالفٌ لما كان عليه النبيُّ ﷺ، فهو بدعةٌ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «كُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(٢)، فتبيَّن الآن أنَّهم مُحطون.

رابعاً: دعواهم أنَّ العقلَ أصلُ النُّقلِ في هذا البابِ خطأ، وليس بصحيح، بل الأصلُ في بابِ صفاتِ الله النُّقلُ، والعقلُ تابعٌ له.

خامساً: كذلك لو قلنا: «إنَّ العقلَ دليلٌ» فلا حاجةَ للرُّسلِ؛ لأنَّ إرسالَ الرُّسلِ حينئذٍ يكونُ لا فائدةَ منه؛ لأنَّ النُّقلَ يُلغى عند تعارضه مع العقلِ؛ لأنَّ

(١) انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، لمربي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي (ص: ٢٣٥).

(٢) أخرجه النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨).

هذا شيءٌ - كما سبق في أوّل ردّ - شيءٌ يعتمدُ على النّقلِ المحضِ أو الخيرِ المحضِ، ولا مجالٌ للعقلِ فيه، فهذه خمسةٌ وجوهٌ.

٣٤٥١ - إِعْمَالُهُ يُفْضِي إِلَى الْغَائِبِ فَاهْجُرْهُ هَجْرَ التَّرْكِ وَالنَّسْيَانِ

يعني: أنّ إعمال النّقلِ وتقديمه على العقلِ يُفْضِي إلى الْغَائِبِ فاهجره، وقوله: «إِلَى الْغَائِبِ» يحتملُ أنه يريدُ إلغاء العقلِ؛ يعني: لو أنّنا أَعْمَلْنَا النّقلَ عند التّعارضِ مع العقلِ لَزِمَ من إعمالِ النّقلِ إلغاء العقلِ؛ ولذا قال: «فَاهْجُرْهُ هَجْرَ التَّرْكِ وَالنَّسْيَانِ»؛ أي: اهجر النّقلَ هجرَ التَّرْكِ والنّسيانِ؛ أي: واتركه وتناسه كأنه لم يكن والعياذُ بالله.

وأنا أعجبُ لهؤلاء القومِ الذين يقولون: إنّنا نتبعُ العقلَ، هل يرضى أحدٌ منهم أن يصفه بصفاتٍ ليست فيه، أو يُنكرَ من صفاته ما هو فيه؟ الجوابُ: لا يرضى أبدًا، لو يأتي إنسانٌ يصفُ هذا العاقلَ الذي يدّعي أنه عاقلٌ بما ليس فيه أو يُنكرُ الصّفاتِ التي يتّصفُ بها لم يرَضَ بذلك، فإذا كان لا يرضى بذلك كيف يرضى بهذا لربِّ العالمين؟! يصفُ اللهَ بما لم يصفُ به نفسه أو يُنكرُ ما وصَفَ اللهُ به نفسه؟! هذه جراءةٌ عظيمةٌ، إذا كنتَ لا ترضاهَا لنفسِكَ كيف ترضاهَا لربِّكَ؟! ولكن - والعياذُ بالله - نحن نقولُ بصريحِ القولِ: إنّهم ليسوا عقلاءً، ولكنهم أهلُ أهواءٍ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]، هذه حقيقةٌ حالهم أنّهم ذوو أهواءٍ، فما موقفنا نحن وقد منَّ اللهُ علينا - والله الحمد - بعقيدةٍ سليمةٍ؟

موقفنا يدورُ على أمرين:

أولاً: الثبَاتُ على ما نحن عليه؛ لأننا على حقٍّ.

ثانياً: تفيده ما هم عليه؛ لأنهم على باطلٍ، وحيثُ لا بُدَّ أن نعرفَ من أدلتهم ما نستطيعُ أن نرْمِيَهُم به؛ لأنَّ رَمِيَ الإنسانِ بسهمه الذي صنعه بيده خيرٌ من رميه بسهمٍ آخرٍ جديدٍ، وأظنُّكم تعرفون أنَّ كُلَّ واحدٍ من هؤلاء المعطلَّة يُنكِرُ على الآخرِ ما يكونُ هذا القانونُ الذي أنكر به على الآخرِ قانوناً للردِّ عليه هو، ومَرَّ علينا في كلامِ ابنِ القيمِ قريباً مثل هذه المسألةِ في تعطيلِ الله تعالى عن وصفِ الأفعالِ من أهلِ الكلامِ، وتفيدهم على المعتزلةِ في إثباتِ الأسماءِ بدونِ أوصافٍ، وقلنا: إنَّ القانونَ الذي ردُّوا به على المعتزلةِ هو قانونٌ يرُدُّون به على أنفسهم.

٣٤٥٢- وَاللَّهِ لَمْ نَكْذِبْ عَلَيْهِمْ إِنَّا وَهُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ مُخْتَصِمَانِ

أَقْسَمَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّهُ مَا كَذَبَ عَلَى هَؤُلَاءِ فِي أَتَمِّهِمْ يَتَوَاصُونَ بِمَا ذَكَرْنَا، بَأَنَّ الْمَسْأَلَةَ مَجَازٌ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنُ الْمَجَازُ فَإِنَّ هَذِهِ أَدَلَّةٌ ظَنِّيَّةٌ لَا تَفِيدُ الْيَقِينَ، فَإِنْ لَمْ يُمْكِنْكَ ذَلِكَ فَهَاتِ الْقَانُونَ الَّذِي وَضَعْنَاهُ وَهُوَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ عَلَى النَّقْلِ، إِذْ نَفَرَاتُ ثَلَاثُ.

أَيُّ عَقْلٍ يَأْخُذُونَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْعُقُولَ مُخْتَلِفَةً، هَذَا يَقُولُ: هَذَا شَيْءٌ وَاجِبٌ، وَالثَّانِي يَقُولُ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ، وَانظُرْ كِتَابَهُمْ، بَلْ قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَتَنَاقَضُ فِي نَفْسِهِ، فَيَقُولُ فِي كِتَابٍ: هَذَا وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ، وَفِي كِتَابٍ آخَرَ يَقُولُ: هَذَا مُسْتَحِيلٌ، أَيْنَ الْعَقْلُ؟!»^(١).

٣٤٥٣- وَهُنَاكَ يُجْزَى الْمُلْحِدُونَ وَمَنْ نَفَى الِإِلْحَادَ يُجْزَى ثُمَّ بِالْغُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُنَاكَ يُجْزَى الْمُلْحِدُونَ»، وَفِي نَسْخَةِ: «يُجْزَى» وَهُوَ الصَّوَابُ.

- ٣٤٥٤ - فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ
يَا مُثِبتَ الْأَوْصَافِ لِلرَّحْمَنِ
٣٤٥٥ - فَلَسَوْفَ تَجْنِي أَجْرَ صَبْرِكَ حِينَ يَجْزِي
خِي الغَيْرِ وَزَرَ الإِثْمِ وَالْعُدْوَانَ
٣٤٥٦ - فَاللهُ سَائِلُنَا وَسَائِلُهُمْ عَنِ الـ
إِثْبَاتِ وَالتَّعْطِيلِ بَعْدَ زَمَانٍ
٣٤٥٧ - فَأَعِدَّ حَيْثُ نَزِدُ جَوَابًا كَافِيًا
عِنْدَ السُّؤَالِ يَكُونُ ذَا تَبَيُّانٍ

فتبيّن الآن أن مصدر القول فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته هو النقل، ولكن هل يمكن أن يأتي صحيح النقل بما يخالف صريح العقل؟ الجواب: لا، لا يمكن أن يأتي في صحيح النقل ما يخالف صريح العقل ويناقضه، وقرأ كتاب: «درء تعارض العقل والنقل»؛ لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، تجد العجب العجيب، حتى إن ابن القيم قال في الثناء عليه: «مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِي»؛ يعني: مِمَّا أَلَّفَ فِي بَابِهِ.

يقول: سوف يسألنا الله عز وجل ويحكم بيننا يوم القيامة، نحن المثبتين وأولئك المعطلين، فيجب أن نُعِدَّ جوابًا شافيًا كافيًا، ولا أَشْفَى ولا أَكْفَى من أن نقول: يَا رَبَّنَا قَرَأْنَا كِتَابَكَ فَآمَنَّا بِهِ وَصَدَّقْنَا، وَبَلَّغْنَا رَسُولَكَ فَآمَنَّا بِهِ وَصَدَّقْنَا، هَذَا الْجَوَابُ كَافٍ، وَهُوَ الْحُجَّةُ، قَالَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]، وَهَذَا سُؤَالٌ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، هَذَا سُؤَالٌ عَنِ الرَّسَالَةِ، فَأَعِدَّ لِهَذَا جَوَابًا، أَعِدَّ لِهَذَا جَوَابًا مَا دُمْتَ فِي زَمَنِ الإِمْكَانِ قَبْلَ أَلَّا تَسْتَطِيعَ الْجَوَابَ.

لكن ما جواب هؤلاء إذا قال الله لهم يوم القيامة: لقد قلت في كتابي: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [الرَّحْمَن: ٥]، وقلتم أنتم: لا استواء ولكن استيلاء، لقد

قلتُ في كلامي: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥]، وقلتم: لا يدان ولكن نعمتان أو قدرتان أو ما أشبه ذلك، وإذا قلتُ: لقد قلتُ في كتابي: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] وقلتم: لا عين، ما جوابهم على هذا؟ ليس هناك جوابٌ، هم وإن أوتوا جدلاً في الدنيا لكن لا يمكنُ أن يُعْطُوا جدلاً في الآخرة، ثمَّ جدُّهم في الدنيا أيضاً لا يفيدُ إنَّها يلتبسُ على العُميان، أمَّا ذوو البصائرِ فإنَّ جدُّهم هذا لا يفيدُهم، بل هو خزيُّ لهم - والعياذُ بالله - كما حصل - والله الحمد - من أئمة الهدى في الردِّ على هؤلاء المعطلَّة من الجهميَّة والمعتزلة وغيرهم.

فالحاصلُ أنَّ المؤلَّف - رحمه الله - أوصانا - جزاه الله خيراً - وصيةً نافعةً ليست في نصوصِ الصِّفاتِ فقط حتَّى في الأمورِ العمليَّةِ فقال: «فَاعِدِّ حِينَئِذٍ جَوَابًا كَافِيًا عِنْدَ السُّؤَالِ يَكُونُ ذَا تَبْيَانٍ».

قال اللهُ تعالى للرَّسولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]، أنت وقومك تُسألونَ عن هذا الكتابِ، هل قمتم بحقه؟ هل بلغتموه الأمم؟ هل جاهدتم به الكافرين؟ ... إلخ.

في الحقيقة أنَّ الأمرَ شديدٌ والمسئوليةُ شديدةٌ ولا تحتاجُ إلَّا إلى العزيمةِ الصادقةِ والاستعانةِ بالله عزَّ وجلَّ.

٣٤٥٨ - هَذَا وَثَالِثُهُمْ فَتَأْفِيهَا وَنَا فِي مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ

٣٤٥٩ - ذَا جَا حِدُ الرَّحْمَنِ رَأْسًا لَمْ يُقْرَ رِبْحًا لِقِ أَبَدًا وَلَا رَحْمَنٍ

٣٤٦٠ - هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ فَاحْذَرُهُ لَعَلَّ لَ اللهُ أَنْ يُنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ

- ٣٤٦١- وَتَفُوزُ بِالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَجَنَّةَ الـ
 ٣٤٦٢- لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةٌ بَيْنَ الْوَرَى
 ٣٤٦٣- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ الـ
 ٣٤٦٤- قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ
 ٣٤٦٥- مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ
 ٣٤٦٦- وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثٌ لَهُمْ وَمَا
 ٣٤٦٧- كَلَّا وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ
 ٣٤٦٨- مَتِّتَكَ وَاللَّهِ الْمَحَالَ النَّفْسُ فَاسِدٌ
 ٣٤٦٩- لَوْ كُنْتَ وَارِثُهُ لَأَذَاكَ الْأُلَى
- مَأْوَى مَعَ الْغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ
 فَالْنَّاسُ كَالْأَمْوَاتِ فِي الْحُسْبَانِ
 غُرْبَاءَ حَقًّا عِنْدَ كُلِّ زَمَانِ
 وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ
 وَمُحَارِبٍ بِالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ
 ذُقْتَ الْأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ
 فِي اللَّهِ لَا يَبِيدُ وَلَا بِلِسَانِ
 تَحَدِّثْ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
 وَرِثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ

الشرح

٣٤٥٨- هَذَا وَثَالِثُهُمْ فَنَافِيهَا وَنَا فِي مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ
 قَوْلُهُ: «وَوَثَالِثُهُمْ»؛ أي: الثالث من الملحدين الذين نَقَوْا الصِّفَاتِ وَأَيَاتِهَا وَمَا
 تَدُلُّ عَلَيْهِ.

٣٤٥٩- ذَا جَا حِدُ الرَّحْمَنِ رَأْسًا لَمْ يُقِرَّ رِبِّ خَالِقٍ أَبَدًا وَلَا رَحْمَنِ

هذا مُلْحِدٌ، وهذا هو الذي يُسَمَّى مُلْحِدًا فِي عَرَفِ النَّاسِ الْيَوْمَ، إِذَا قِيلَ:
 «فُلَانٌ مُلْحِدٌ» عِنْدَ النَّاسِ الْيَوْمَ فَالْمَفْهُومُ عِنْدَهُمْ أَنَّهُ مُنْكَرٌ لِلَّهِ، مَعَ أَنَّ الْمُلْحِدَ أَعْمٌ

من المُنْكَرِ لِه عَزَّ وَجَلَّ، فَالْمُنْكَرُ لِه وَاحِدٌ مِنَ الْمُلْحِدِينَ، نَوْعٌ مِنَ أَنْوَاعِ الْإِنْكَارِ لِه عَزَّ وَجَلَّ.

٣٤٦٠- هَذَا هُوَ الْإِلْحَادُ فَاحْذَرُهُ لَعَلَّ لَّ اللهُ أَنْ يُنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ

يعني: إذا حذرته وتجنبته -اللَّهُمَّ أَعِنَّا عَلَى الْحَذْرِ مِنْهُ- وَأَمَنْتَ بِاللَّهِ وَآيَاتِهِ عَلَى مَا أَرَادَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولُهُ فـ«لَعَلَّ اللهُ أَنْ يُنْجِيكَ مِنْ نِيرَانِ».

٣٤٦١- وَتَقْوَرُ بِالزُّلْفَى لَدَيْهِ وَجَنَّةِ الْ- حَمَاوَى مَعَ الْغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «مَعَ الْغُفْرَانِ وَالرِّضْوَانِ» الْغُفْرَانُ لِلذُّنُوبِ، وَالرِّضْوَانُ بِالطَّاعَاتِ؛ لِأَنَّكَ بِمَغْفَرَةِ الذُّنُوبِ تَنْجُو مِنَ النَّارِ، وَبِالرِّضَا بِالطَّاعَاتِ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ.

يعني: إِذَا سَلِمْتَ مِنَ الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ اللهِ وَآيَاتِهِ حَصَلَ لَكَ هَذَا، ثُمَّ قَالَ جَزَاهُ اللهُ خَيْرًا وَصِيَّةً مِنْ مُخْلِصٍ:

٣٤٦٢- لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةٌ بَيْنَ الْوَرَى فَالنَّاسُ كَالْأَمْوَاتِ فِي الْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةٌ بَيْنَ الْوَرَى»؛ يَعْنِي: لَا تَتَوَحَّشْ إِذَا كُنْتَ غَرِيبًا بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا كَانَ النَّاسُ فُسَّاقًا وَكُنْتَ مَطِيعًا فَأَنْتَ غَرِيبٌ، وَإِذَا كَانَ النَّاسُ مَعْطَلَةً وَأَنْتَ مُثَبِّتٌ كُنْتَ غَرِيبًا، لَا تَسْتَوْحِشْ مِنْ هَذَا؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ حَقِيقَةً إِذَا لَمْ يَرِ مَعَهُ أَحَدًا رَبًّا يَسْتَوْحِشْ أَوْ يَتَوَقَّفُ أَوْ يَرْجِعُ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْهُدَى؛ وَهَذَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ عَنْ أَيَّامِ الصَّبْرِ أَنَّ الْعَامِلَ فِيهِنَّ لَهُ أَجْرُ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ^(١)؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا

(١) أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ الْمَلَا حِمِّ، بَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، رَقْمُ (٤٣٤١)، وَالتِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ وَمِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ، رَقْمُ (٣٠٥٨)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، رَقْمُ (٤٠١٤).

رأى مَنْ حوله وهم كُلُّهم على طريقِ فلا يستوحش ولا يتعب ولا يزلُّ، لكن أيام الصبرِ كُلِّ النَّاسِ على خلافِهِ فتصعبُ عليه الطَّاعَةُ وتشقُّ لکنه صابراً راسخُ القدمين؛ ولذا قال: «لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةُ بَيْنِ الْوَرَى»، وهذا -والله- هو الحقُّ، فما دُمْتَ على نورٍ من الله فمن أين تأتيك الوحشة؟! لا وحشة، فأنت على دين، وأنت على حقٍّ، لا يهمنك أحدٌ، إِنَّكَ سَتُدْفَنُ وَحَدَّكَ وهم يُدْفَنون وحدهم، وَسَتُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بلا مالٍ ولا بنين؛ ولذا لا تستوحش من هذا؛ لأنَّ أَمَامَكَ أَنَسًا لا وحشة بعده، لكن إذا أنستَ مع النَّاسِ في مخالفةِ الشَّرْعِ فهذا أنسٌ بعده وحشةٌ طويلةٌ.

الوحشة الآن بين الغرباء تزولُ وما هي إِلَّا ساعةٌ كما قال المؤلف: «فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ» ثُمَّ تنقضي، لكنَّ الشَّانَ كُلَّ الشَّانِ في الأنسِ بعد هذه الوحشة.

قَوْلُهُ: «فَالنَّاسُ كَالْأَمْوَاتِ فِي الْحُسْبَانِ» وفي نسخة: «فِي الْحَيَانِ» أو «فِي الْأَحْيَاءِ» إمَّا أَنْ يَكُونَ مَعْنَى الْبَيْتِ: النَّاسُ أَمْوَاتٌ فِي أَثْوَابِ أَحْيَاءٍ، أَوْ النَّاسُ أَمْوَاتٌ، يَعْنِي: حَسَابُهُمْ حَسَابُ مَوْتَى الْقُلُوبِ لَا يَفْهَمُونَ وَلَا يَعُونَ. فالنَّاسُ كَالْأَمْوَاتِ وَصَاحِبُ الْحَقِّ حَيٌّ، بَلْ إِنَّ صَاحِبَ الْحَقِّ حَيٌّ بَعْدَ مَوْتِهِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِمَخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أهل العلم الآن أحياءٌ بيننا، ألسنا كُلِّ يومٍ نقرأ في كتب شيخ الإسلام مثلاً؟! الجواب: بلى، فهو يُعلِّمنا، هو شيخنا، أستاذنا، وهذه هي الحياة، ولهذا قال الشاعرُ:
ذَكَرُ الْفَتَى عُمُرُهُ الثَّانِي وَحَاجَّتُهُ مَا قَاتَهُ، وَفُضُولُ الْعَيْشِ أَشْغَالُ^(١)

(١) البيت للمنتبي، كما في زهر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحاق القيرواني (١/٣١٢).

فهذه هي الحياة حقيقةً، أمّا بقاءك في الدنيا فهي ساعاتٌ وأيامٌ تمشي وتمضي.

٣٤٦٣- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ الـ غُرَبَاءَ حَقًّا عِنْدَ كُلِّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ الْغُرَبَاءَ حَقًّا؟» الجواب: بلى، والله أهل السُّنَّةِ هم الغُرَبَاءُ حَقًّا فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْغُرَبَاءِ.

فأهل السُّنَّةِ هم الغُرَبَاءُ حَقِيقَةً، ولو تأملتَ التَّارِيخَ لوجدتَ أَنَّ الأَمْرَ كذلك، ففي الخِلافاَتِ والآراءِ والعقائدِ والمللِ تجدُ صاحبَ السُّنَّةِ كغَرَّةٍ وَجْهٍ الفرسِ غريبًا بين النَّاسِ، ثُمَّ يسألُ متحدِّيًا فيقولُ:

٣٤٦٤- قُلْ لِي مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ

٣٤٦٥- مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ وَمُحَارِبٍ بِالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ

يعني: متى سَلِمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ؟ يعني: هل سَلِمُوا؟ الجواب: ما سَلِمَ الرَّسُولُ وَلَا الصَّحَابَةُ مِنَ الْأَذَى، بل إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ خَلْفَائِهِ وَهُمْ عَمْرٌ وَعِثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ قُتِلُوا عَلَى أَيْدِي أَعْدَائِهِمْ، فَمَا سَلِمُوا مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ وَمُحَارِبٍ بِالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ، فَهَؤُلَاءِ أَرْبَعَةٌ أَصْنَافٍ كُلُّهُمْ مُسْتَعِدُّونَ لِأَذَى الرَّسُولِ ﷺ وَصَحْبِهِ وَأَتْبَاعِهِ:

الأوَّل: جاهلٌ لا يعلمُ، أمِّيٌّ يؤذي أهلَ الحقِّ ويُرُدُّ قَوْلَهُمْ.

الثَّاني: معاندٌ عنده شيءٌ من الحقِّ، عنده شيءٌ من العلمِ، لكن متعصِّبٌ معاندٌ.

الثَّالث: منافقٌ، يأخذُ بالتَّقِيَّةِ، والمنافقُ هو أشْرُهُمْ، والمنافقُ كما قال الشَّاعِرُ:

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلَاوَةً وَيَرُوغُ مِنْكَ كَمَا يَرُوغُ الثَّعْلَبُ

يَلْقَاكَ يَخْلِفُ أَنَّهُ بِكَ وَائْتُ وَإِذَا تَوَارَىٰ عَنكَ فَهُوَ الْعَقْرُبُ^(١)

المنافق هو البلاء، إذا كَلَّمْتَهُ قال: هذا هو الحق، الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، لكن إذا خَلَوْا إلى شياطينهم قالوا: إِنَّا معكم إِنَّمَا نحن مستهزئون، هؤلاء قلوبهم سليمةٌ ينطلي عليهم الحق، آمَنُوا إذا لقيتموهم، وإذا خلا بعضكم إلى بعض فاكفروا.

الرَّابِع: المحارب، هذا شديدٌ أيضاً، و«مُحَارِبٌ»؛ يعني: أَنَّهُ عَرَّضَ رِقْبَتَهُ لِلسَّيْفِ من أجلِ أن يقيمَ ما هو عليه من الباطل، ولم يبالِ، فهو معلنٌ بالعداوة.

هل سَلِمَ الرَّسُولُ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- من هذه الأصنافِ الأربعة؟
الجواب: لا.

٣٤٦٦- وَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثٌ لَهُمْ وَمَا ذُقْتَ الْأَذَىٰ فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ

يعني: هل تظنُّ أَنَّكَ وارثُ الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- ولم تذقِ الذي ذاق؟! إن كنتَ تظنُّ ذلك فقد خَابَ ظَنُّكَ؛ لأنَّ الإرثَ يقتضي تلقِّي ما تركه المورثُ من كُلِّ شيءٍ: في الدَّعوة، والعمل، والصَّبرِ على الأذى، وإرخاص الدنيا كُلِّها من أجلِ تحقيقِ هذه الدَّعوة.

والله هذا ظنُّ خاطئٌ خائبٌ؛ يعني: تَظُنُّ أَنَّكَ وارثُ الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- ولم يُصَبِّك ما أصابه؟! أين الإرثُ؟ إذا لم يُصَبِّك ما أصابه أو شيءٌ منه أو من نوعه، فإنَّكَ قاصرٌ في إرثِ الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ولا يمكنُ أن

(١) البيتان بلا نسبة في حياة الحيوان للدميري (١/ ٥١)، ونسبه في جواهر الأدب (٢/ ٤٢٩) لقيس

تُفَرِّشُ الْأَرْضَ زَهْرًا وَوَرُودًا لِإِنْسَانٍ مُتَمَسِّكٍ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْبَغِي أَبَدًا، فَمَنْ رَامَ ذَلِكَ فَقَدْ رَامَ الْمَحَالَ، وَفَتَّشَ فِي التَّارِيخِ، مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَامَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِحَقِّ إِلَّا وَجَدَ أذَى، لَكِنْ هَذَا الْأَذَى يَخْتَلِفُ، قَدْ يَكُونُ مَنْ يَرِيدُ الْأَذَى لَا يَتِمَكَّنُ لِقُوَّةِ السُّلْطَانِ مِثْلًا، أَوْ لَا يَتِمَكَّنُ لِشَرَفِ الرَّجُلِ وَجَاهِهِ عِنْدَ النَّاسِ أَوْ لِمَوَانِعَ أُخْرَى، لَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ يَجِدَ أذِيَّةً.

٣٤٦٧- كَلَّا وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ فِي اللَّهِ لَا بِيَدٍ وَلَا بِلِسَانٍ

يعني: لا جاهدت بيد، وجهادُ اليدِ يكونُ بالقلمِ ويكونُ بالسِّيفِ وبالرُّمَحِ والقوسِ، «وَلَا بِلِسَانٍ»، وجهادُ اللِّسَانِ يكونُ بالقولِ، وتريدُ أن تكونَ وارثًا للرَّسُولِ ﷺ! لا، إن كنت تريدُ هذا أو تظنُّ أنَّكَ وارثُهُ فقد خَابَ ظَنُّكَ.

٣٤٦٨- مَتَّكَ وَاللَّهُ الْمَحَالَ النَّفْسُ فَاسْ- تَتَحَدَّثُ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «مَتَّكَ وَاللَّهُ الْمَحَالَ النَّفْسُ» نعم، ف«الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(١)، فأنت إذا كنت تُمَنِّيكَ نَفْسَكَ أَنْ تَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ النَّبِيِّينَ وَوَارِثِ النَّبِيِّينَ، وَأَنْتَ لَمْ تَقْمِ بِمَا قَامَ بِهِ النَّبِيُّونَ مِنَ الدَّعْوَةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْأَذَى فِيهَا، فَإِنَّ نَفْسَكَ تُمَنِّيكَ الْمَحَالَ؛ يَعْنِي: هَذَا شَيْءٌ مُسْتَحِيلٌ، وَأَنْتَ إِذَا نَظَرْتَ إِلَى الَّذِينَ قَامُوا بِالدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَجَدْتَهُمْ أَشَدَّ النَّاسِ أذِيَّةً مِنْ غَيْرِهِمْ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَذِيَّةُ تَخْتَلِفُ، وَقَدْ يُوجَدُ لَهَا مَوَانِعُ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْهَا، فَهَذَا الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِمَامُ أَهْلِ السُّنَّةِ يُجَرُّ بِالْبَغْلَةِ فِي السُّوقِ، إِمَامٌ وَيُضْرَبُ بِالسِّيَاطِ حَتَّى يُغْمَى عَلَيْهِ وَهُوَ صَابِرٌ عَلَى كَلِمَتِهِ ثَابِتٌ.

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آية الحوض، رقم

وهذا شيخ الإسلام يُطَافُ به على العربِ في السُّوقِ وَيُرَجُّ في السِّجَنِ، وَيُمْنَعُ عنه الورقُ والمِدَادُ، وَيُمْنَعُ عنه حتى الكتابة في الجدران؛ لأنَّه - رحمه الله - لَمَّا مُنِعَ المِدادَ والورقَ جعل يكتبُ في الجدرانِ فمنعوا ذلك عنه، وبالتَّالي منعوا زُورَهِ، لا يأتِيهِ أحدٌ، ولم يحضره عند وفاته إِلَّا أخوه عبدُ الرَّحْمَنِ، ومثل هؤلاء الأئمَّةِ وغيرهم من أئمَّةِ أودوا في الله عزَّ وجلَّ، فإذا تَأَمَّلْتَ التَّاريخَ وجدتَ أن كُلَّ مَنْ كان أقومَ لله كان أشدَّ أذيةً من أعداءِ الله، وهذا شيءٌ مُسَلَّمٌ؛ لأنَّ الله قال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٣١]، فَيَلْزَمُ أن يَجْعَلَ لِكُلِّ تابعِ نبيِّ عدوًّا من المجرمين؛ لأنَّ أعداءَ الرُّسُلِ ليسوا يُعَادُونَ الرُّسُلَ لأشخاصِهِم، كان مُحَمَّدٌ ﷺ قبل الرِّسالةِ: الصَّادِقَ الأَمِينَ عند قريشٍ، فكان مُعَظَّمًا مُبَجَّلًا، ولَمَّا جاء بالرِّسالةِ صار الكاذبَ الخائنَ الشَّاعِرَ الكاهنَ السَّاحِرَ.

إذا كان المجرمون لا يُعَادُونَ الرُّسُلَ لأشخاصِهِم، وإنَّما لَمَّا جاؤوا به من الحقِّ، فهذا الحقُّ إذا بَقِيَ وقام به مَنْ يقومُ من النَّاسِ صار المجرمون أعداءً له إرثًا يارثُ، وإذا شِئَتْ الدَّلِيلُ فكم من بني آدمَ يضلُّ؟ الجوابُ: تسعمئةٌ وتسعةٌ وتسعون بالألفِ، أتظنُّ هؤلاء الضَّالِّينَ يَجُوبُ المهتدين؟! الجوابُ: لا يَجُوبُهم أبدًا، وإن أظهروا المحبَّةَ لهم فهو نفاقٌ، كيف تحبُّه وهو على غير طريقك؟! هذا مستحيلٌ.

قَوْلُهُ: «فَاسْتَحْدِثْ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ» «ذَا» هنا اسمُ إشارةٍ، وليست بمعنى «صَاحِبٍ»؛ يعني: ابحث رأياً غيرَ هذا.

٣٤٦٩- لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لَأَذَاكَ الأَلَى وَرِثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لَأَذَاكَ الأَلَى وَرِثُوا عِدَاهُ» وهذا صحيحٌ؛ يعني:

لو كنت وارث الرسول ﷺ حقيقة وقائماً بما قام به لآذاك أعداؤه الذين كانوا يؤذونه، والمراد هنا جنسهم، وليس المراد أشخاصهم؛ لأنهم ماتوا.
قوله: «بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ» «بِسَائِرِ» مُتَعَلِّقٌ بـ«أَذَاكَ»؛ يعني: بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ مِنَ الْأَذَى.

المهم: أن الإلحاد في أسماء الله هو الميل بها عما يجب لها، ويكون بتحريفها وتعطيلها، والإلحاد في آيات الله أيضاً الميل عما يجب لها، ويكون إما باعتقاد شريك مع الله فيها كخلق السماوات، أو باعتقاد مُنْفَرِدٍ خَلَقَ بَعْضَ الْمَخْلُوقَاتِ، أو يكون باعتقاد مُعِينٍ لَهِ عَزَّ وَجَلَّ فِيهَا، وهذا يجمعُه قولُ الله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ يعني: لا يملكون استقلالاً، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ أي: مشاركة، والثالث: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]، كُلُّ هَذِهِ مُتَنَفِيَةٌ عَنِ الْآلِهَةِ، بَقِيَتِ الشَّفَاعَةُ هَلْ تَشْفَعُ هَذِهِ الْآلِهَةُ أَوْ لَا؟ قَالَ: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣].

فصل

فِي النَّوعِ الثَّانِي مِنْ نَوْعِي تَوْحِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْمُخَالَفِ لِتَوْحِيدِ الْمُعْطَلِينَ وَالْمُشْرِكِينَ

- ٣٤٧٠- هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ تَوْحِيدِ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ مِنْكَ لِلرَّحْمَنِ
 ٣٤٧١- أَلَا تَكُونُ لِغَيْرِهِ عَبْدًا وَلَا تَعْبُدُ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ الْإِيمَانِ
 ٣٤٧٢- فَتَقُومُ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانٍ
 ٣٤٧٣- وَالصَّدْقُ وَالْإِحْلَاصُ رُكْنَا ذَلِكَ التَّوْحِيدِ كَالرُّكْنَيْنِ لِلْبُنْيَانِ
 ٣٤٧٤- وَحَقِيقَةُ الْإِحْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمَرَاةِ دَفْلَا يُزَاجُهُ مُرَادُ ثَانِي
 ٣٤٧٥- لَكِنْ مُرَادُ الْعَبْدِ يَبْقَى وَاحِدًا مَا فِيهِ تَفْرِيقٌ لَدَى الْإِنْسَانِ
 ٣٤٧٦- إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا سُبْحَانَهُ فَاخْصُصْهُ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ إِحْسَانِ
 ٣٤٧٧- إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا أَنْشَاكَ لَمْ يُشْرِكْهُ إِذْ أَنْشَاكَ رَبُّ ثَانِي
 ٣٤٧٨- فَكَذَلِكَ أَيْضًا وَاحِدُهُ فَاعْبُدْهُ لَا تَعْبُدْ سِوَاهُ يَا أَخَا الْعِرْفَانَ

الشرح

- ٣٤٧٠- هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ تَوْحِيدِ تَوْحِيدِ الْعِبَادَةِ مِنْكَ لِلرَّحْمَنِ
 سَبَقَ لَنَا فِي الْفُصُولِ السَّابِقَةِ التَّوْحِيدِ الْعِلْمِيُّ الْخَبْرِيُّ، أَمَّا هَذَا النَّوعُ فَهُوَ

التَّوْحِيدُ الْحَكْمِيُّ الطَّلْبِيُّ، فَمَا سَبَقَ كُلُّهُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالرَّحْمَنِ -جَلَّ وَعَلَا- مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، أَمَّا الْآنَ فَهُوَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ الْإِنْسَانِ الَّذِي وُجِّهَ إِلَيْهِ الطَّلَبُ؛ فلهذا يقول:

٣٤٧١- أَلَا تَكُونُ لِغَيْرِهِ عَبْدًا وَلَا تَعْبُدُ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «أَلَا تَكُونُ لِغَيْرِهِ عَبْدًا»؛ يعني: أن تكونَ لله عبدًا، فلا تعبدُ غيره، فلا تعبدُ لا الملكَ ولا الرَّئيسَ ولا الأميرَ ولا الوزيرَ ولا الرَّسولَ ولا الملكَ، ولا الأبَ ولا العمَّ، بل ولا تعبدُ الدِّينارَ ولا الدرهمَ ولا الخميصةَ ولا الخميطةَ؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيطَةِ»^(١)، لا تكن عبدًا لغيرِ الله عزَّ وجلَّ، ألم تعلموا أنَّ من النَّاسِ مَنْ يعبدُ البقرَ؟ الجوابُ: بلى، فيهم مَنْ يعبدُ البقرَ، فيهم مَنْ يعبدُ الشَّمْسَ، فيهم مَنْ يعبدُ القمرَ، فيهم مَنْ يعبدُ الفَرْجَ، إلى هذا الحدِّ، والعياذُ بالله، لا تكن لغيرِ الله عبدًا، تعلقَ القلبِ بغيرِ الله تعلقًا يساوي تعلقَ القلبِ بالله يُعتبرُ شركًا، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قَوْلُهُ: «وَلَا تَعْبُدُ بِغَيْرِ شَرِيعَةِ الْإِيمَانِ» هذا إشارةٌ إلى المتابعة، مع أنَّ العبادةَ بغيرِ شريعةِ الإيمَانِ نوعٌ من الشُّركِ؛ فإنَّ الله يقول: ﴿أَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]؛ لأنَّهم يُشْرِعُونَ لَهُمْ فَيَتَّبِعُونَهُمْ.

لا تعبدُ أحدًا، بل اعبد الله وحده؛ فهو الذي له الذُّلُّ المُطلقُ والحُبُّ المُطلقُ، الحُبُّ المُطلقُ الذي لا يعتريه شيءٌ من الكراهةِ والبُغْضِ، والذُّلُّ المُطلقُ الذي

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو، رقم (٢٨٨٦).

لا يعتريه ترفعٌ، إنما هو لله وحده، اجعل الذلُّ له والمحبة له حتى تكونَ عبدًا حقيقةً؛ ولهذا قال: «أَلَا تَكُونُ لِغَيْرِهِ عَبْدًا»؛ أي: لا تكونَ لغيرِ الله عبدًا أبدًا، اعبد الله، واعلم أن الإنسان قد يعبدُ هواه، وما أكثرَ عبادةَ الهوى! ومن ذلك أن يكتَمَ الحقَّ إرضاءً للنَّاسِ، أو أن يقولَ الباطلَ إرضاءً للنَّاسِ، فهذا حقيقةٌ إنَّما عبدَ غيرَ الله ولم يعبدَ الله، فالذي يعبدُ الله يذلُّ لله مهما كان الغيرُ معاديًا له، يلتمسُ رضا الله قبلَ كُلِّ شيءٍ؛ ولهذا قال: «أَلَا تَكُونُ لِغَيْرِهِ عَبْدًا».

والشَّطْرُ الأوَّلُ من البيتِ فيه الإخلاصُ، والثاني فيه المتابعةُ.

٣٤٧٢- فَتَقُومُ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

قَوْلُهُ: «فَتَقُومُ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ» هذه الأمورُ الثلاثةُ هي الدِّينُ؛ لأنَّ جبريلَ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْهَا، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ»^(١)، الإسلامُ: الأعمالُ الظَّاهِرَةُ، والإيمانُ: الأعمالُ الباطِنَةُ، وأمَّا الإحسانُ فيشملُ هذا وهذا، يشملُ إحسانَ السَّرَائِرِ وإحسانَ الظَّوَاهِرِ.

قَوْلُهُ: «فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ»؛ يعني: سواء كان ذلك في الخفاءِ عن أعينِ النَّاسِ أم في الإعلَانِ.

٣٤٧٣- وَالصَّدْقُ وَالْإِحْلَاصُ رُكْنَا ذَلِكَ التَّوْحِيدِ كَالرُّكْنَيْنِ لِلْبُنْيَانِ

الصَّدْقُ سيأتي معناه في كلامِ المؤلِّفِ، وهو الجِدُّ في الطَّلَبِ؛ لأنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ صَادِقًا فِي الْقَصْدِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ جَادًّا فِي الطَّلَبِ، لَوْ قَلَّتْ مَثَلًا لِشَخْصٍ: «أَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسَافِرَ إِلَى مَكَّةَ»، إذا كنتَ صَادِقًا فِي إِرَادَةِ السَّفَرِ إِلَى مَكَّةَ، ماذا تعملُ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، رقم (٥٠)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة، رقم (٨).

الجواب: تسعى بقدر ما تستطيع إلى الوصول إلى مكة.

إِذْنُ الصِّدْقِ مَعْنَاهُ: الْجِدُّ فِي الطَّلَبِ لَوْصُولِ الْمَقْصُودِ، وَمَنْ قَالَ: «إِنِّي صَادِقٌ»، وَلَكِنْ لَيْسَ عِنْدَهُ جِدٌّ فَهُوَ كَاذِبٌ.

أَمَّا الْإِخْلَاصُ فَهُوَ التَّوْحِيدُ: أَنْ تُوَحِّدَ الْمَقْصُودَ وَلَا تَقْصِدَ سِوَاهُ.

٣٤٧٤- وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمَرَادِ دِفْلَا يُزَايِمُهُ مُرَادٌ ثَانِي

الِإِخْلَاصُ تَوْحِيدُ الْمَرَادِ، مَنِ الْمَرَادُ؟ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ تُوَحِّدُهُ، لَا يُزَايِمُهُ مُرَادٌ

ثَانٍ.

فَمَثَلًا: إِذَا صَلَّى الْإِنْسَانُ يَرِيدُ رِضَا اللَّهِ، هَذَا مُوَحِّدٌ، وَإِذَا صَلَّى يَرِيدُ أَنْ يَمْدَحَهُ النَّاسُ فَهَذَا مُشْرِكٌ غَيْرُ مُوَحِّدٍ.

وَحَدَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَصْدِكَ وَفِي عَمَلِكَ.

٣٤٧٥- لَكِنْ مُرَادُ الْعَبْدِ يَبْقَى وَاحِدًا مَا فِيهِ تَفْرِيْقٌ لَدَى الْإِنْسَانِ

لَمَّا قَالَ: «فَلَا يُزَايِمُهُ مُرَادٌ ثَانِي» اسْتَدْرَكَ فَقَالَ: «لَكِنْ»، وَهَذَا اسْتَدْرَاكٌ عَلَى

قَوْلِهِ: «فَلَا يُزَايِمُهُ» لَكِنْ مَنِ الْمَرَادُ بِالْوَاحِدِ فِي الْعِبَادَةِ؟ الْجَوَابُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛

وَلِهَذَا قَالَ:

٣٤٧٦- إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا سُبْحَانَهُ فَاخْصُصْهُ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ إِحْسَانٍ

قَوْلُهُ: «إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا»، وَفِي نَسْخَةٍ: «إِذْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا»، فَعَلَى

النُّسْخَةِ الْأُولَى يَكُونُ الْمَعْنَى: إِذَا كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّ رَبَّكَ وَاحِدًا فَالْوَاجِبُ أَنْ تَخْصُصَهُ

بِالتَّوْحِيدِ وَالْإِحْسَانِ، وَعَلَى نَسْخَةٍ: «إِذْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا» فَالْمَعْنَى أَنَّهُ كَالْتَعْلِيلِ.

وَالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ وَاحِدٌ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا بَعَضُهُمْ عَلَيَّ بَعْضٌ﴾ [المؤمنون: ٩١]، فَاللَّهُ تَعَالَى وَاحِدٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا»؛ يَعْنِي: إِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ هَذَا وَأَنْتَ صَادِقٌ «فَاخْصُصْهُ بِالتَّوْحِيدِ مَعَ إِحْسَانٍ»، وَاخْصُصْهُ بِالتَّوْحِيدِ؛ أَي: بِالْإِخْلَاصِ، وَ«مَعَ إِحْسَانٍ»؛ أَي: بِالْمِتَابَعَةِ.

٣٤٧٧- إِنْ كَانَ رَبُّكَ وَاحِدًا أَنْشَاكَ لَمْ يُشْرِكْهُ إِذْ أَنْشَاكَ رَبُّ نَبِيِّ

وَهَلْ هَذَا مُسَلَّمٌ أَوْ غَيْرُ مُسَلَّمٍ؟ فَالذي أنشأني واحدٌ وهو الله، ما خلقتني أمِّي ولا أبي ولا أحدٌ من النَّاسِ، الذي خلقتني هو الله عزَّ وجلَّ وحده، فإذا كان واحدًا فاخصمه بالعبادة؛ ولهذا قال:

٣٤٧٨- فَكَذَلِكَ أَيْضًا وَحْدَهُ فَاغْبُذْهُ لَا تَعْبُدْ سِوَاهُ يَا أَخَا الْعِرْفَانَ

المؤلف - رحمه الله - ذَكَرَ سَبَبَيْنِ لَوْجُوبِ الْإِخْلَاصِ:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: أَنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ.

السَّبَبُ الثَّانِي: أَنَّكَ تَعْتَقِدُ أَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكَ، فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَهَلْ يَحِقُّ لَكَ بَعْدَ هَذَا أَنْ تَجْعَلَ مَعَهُ شَرِيكًا فِي الْعِبَادَةِ؟ الْجَوَابُ: لَا.

٣٤٧٩- وَالصِّدْقُ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ وَهُوَ بَدَلُ الْجُهْدِ لَا كَسَلًا وَلَا مُتَوَانِي

٣٤٨٠- وَالسُّنَّةُ الْمُثَلَّى لِسَالِكِيهَا فَتَوْ حِيدُ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِي

٣٤٨١- فَلِوَأَحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

- ٣٤٨٢ - هَذِي ثَلَاثُ مُسْعِدَاتٍ لِلَّذِي قَدْ نَالَهَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
- ٣٤٨٣ - فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانِ
- ٣٤٨٤ - اللَّهُ قَلْبٌ شَامٌ هَاتِيكَ الْبُرُوقِ قِ مِنْ الْخِيَامِ فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ
- ٣٤٨٥ - لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالرَّجَاءِ تَصَدَّعَتْ أَعْشَارُهُ كَتَصَدُّعِ الْبُنْيَانِ
- ٣٤٨٦ - وَتَرَاهُ يَبْسُطُهُ الرَّجَاءُ فَيَنْشِي مُتَمَائِلًا كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ
- ٣٤٨٧ - وَيَعُودُ يَقْبِضُهُ الْإِيَّاسُ لِكُونِهِ مُتَخَلِّفًا عَنِ رُفْقَةِ الْإِحْسَانِ
- ٣٤٨٨ - فَتَرَاهُ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ اللَّذِي مِنْ هُمَا لِأَفْقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ
- ٣٤٨٩ - وَبَدَأَ لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ فَصَارَ مَسْرَاهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الدَّبْرَانِ
- ٣٤٩٠ - اللَّهُ ذِيكَ الْفَرِيقُ فَإِيَّتَهُمْ خُصُّوا بِخَالِصَةِ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٣٤٩١ - شُدَّتْ رَكَائِبُهُمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ وَرَسُولِهِ يَا خَيِّتَةَ الْكَسْلَانِ!

الشرح

٣٤٧٩ - وَالصَّدْقُ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ وَهُوَ بَدَلُ الْجُهْدِ لَا كَسْلًا وَلَا مُتَوَانِيًا

الصَّدْقُ أَنْ تَبْذُلَ الْجُهْدَ فِي الْوَصُولِ إِلَى الْمَرَادِ، وَأَنْ تَكُونَ جَادًّا فِي الْعَمَلِ؛ فَلَا تَكُنْ كَسْلَانًا وَلَا مُتَوَانِيًّا؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي»^(١)، وَقَالَ ﷺ:

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آتية الحوض، رقم (٢٤٥٩).

«الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلِّ خَيْرٍ، أَحْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزُ»^(١)؛ ولهذا حتى فيما بين الناس إذا قيل: «فلانٌ يريدُ كذا وكذا» وهو كسلانٌ لم يعمل، قيل: أبداً، لو كان صادقاً لَفَعَلَ، قال: «فلانٌ يحبُّك ويحبُّ أن يزورك دائماً» ولكنه لا يراه بالسنة إلا مرةً، ماذا يقول؟ يقول: لو كان صادقاً أنه يحبُّ الزيارة لَزَارَنَا.

٣٤٨٠- وَالسُّنَّةُ الْمُثَلَّى لِسَالِكِهَا فَتَوْ حَيْدُ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِي
الله أكبر، هذا توحيدُ الطَّرِيقِ؛ لأنَّ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ هو المقصودُ والمرادُ، فلا بُدَّ من الإخلاصِ له، ولا بُدَّ من الصِّدْقِ في طلبه، ولا بُدَّ أيضاً من سلوكِ الطَّرِيقِ الموصِلِ إليه.

لو قال إنسانٌ: أنا -والله- أحبُّ بكلِّ قلبي أن أصلَ إلى مكَّةَ، وهَيَّا الرَّاحِلَةَ، ثُمَّ ذهبَ إلى الشَّرْقِ، وقال: أنا ذاهبٌ إلى مكَّةَ؟

نقولُ: هذا غيرُ صحيحٍ؛ لأنَّه لم يسلكِ الطَّرِيقَ الموصِلَ إلى الله، فلا بُدَّ من سلوكِ الطَّرِيقِ الذي يُوصِلُكَ إلى الله، وما هو الطَّرِيقُ؟ ليس هناك إلا طريقٌ واحدٌ، وهو طريقُ رسولِ الله ﷺ، أسألُ اللهَ أن يوفِّقنا وإياكم لسلوكه، قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فالطَّرِيقُ سوى الطَّرِيقِ الأعظمِ كُلُّها ضلالاتٌ، ولهذا قال: «وَالسُّنَّةُ الْمُثَلَّى»؛ يعني: العُلَيَّا في المثلِ التي هي خيرٌ الهدى لسالكِها، فتوحيدُ الطَّرِيقِ الأعظمِ السُّلْطَانِي.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤).

٣٤٨١- فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «فَلِوَاحِدٍ» الواحدُ هو اللهُ عزَّ وجلَّ، وذلك بالإخلاص.

قَوْلُهُ: «كُنْ وَاحِدًا»؛ أي: في صدقك وجِدِّك واجتهادك.

قَوْلُهُ: «فِي وَاحِدٍ»؛ أي: وَحْدَ نَفْسِكَ اللهُ عزَّ وجلَّ في طريق واحدٍ وهو طريقُ

النَّبِيِّ ﷺ وذلك بالمتابعة.

٣٤٨٢- هَذِي ثَلَاثُ مُسْعِدَاتٍ لِلَّذِي قَدْنَا لَهَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

قَوْلُهُ: «هَذِي ثَلَاثُ مُسْعِدَاتٍ»، وهي: الأولى: الإخلاص، والثانية: الصدق،

والثالثة: المتابعة، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ يَنَاهَا.

٣٤٨٣- فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ

هذا بيتٌ لرجلٍ سبق ابنُ القيم وهو المتنبِّي حيث قال:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهْيِ الْمَحَلِّ الثَّانِي

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلِيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(١)

إِلَّا أَنْ الْمُؤَلَّفَ يَقُولُ: «فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ»، والمتنبِّي يقولُ: «فَإِذَا هُمَا

اجْتَمَعَا»؛ لأنَّ الضَّميرَ يعودُ على ما قبله في البيتين.

وهذان البيتان من حِكْمِ المتنبِّي، وكُلُّ ديوانِ المتنبِّي إِلَّا القليل منه كُله حِكْمٌ

عظيمةٌ جدًّا، ومَّا أنشدناه شيخُنَا رحمه اللهُ حيث قال:

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السِّيفِ بِالْعُلَى مُضِرٌّ كَوْضِعِ السِّيفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

(١) نهاية الأرب (٦ / ٧٧).

قَوْلُهُ: «النَّدَى»؛ أي: العطاء.

قَوْلُهُ: «فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعُلَى مُضْرٌّ»؛ أي: مُضْرٌّ بِالْعُلَى، والمعنى: أَنَّ مَوْضِعَ السَّيْفِ مُضْرٌّ بِالْعُلَى كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى، فليس بصحيح أن تضربَ عنقَ إنسانٍ جاءَ يستجديك ولم تأتِ منه خطيئةً.

المهمُّ أن هذه الثلاثة هي سببُ سعادةِ المرءِ، فإذا اجتمعتَ لنفسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ من العلياءِ كُلَّ مكانٍ.

٣٤٨٤- لَهِ قَلْبٌ شَامٌ هَاتِيكَ الْبُرُوقِ قَ مِنْ خِيَامِ فَهَمَّ بِالطَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «شَامٌ»؛ أي: نَظَرَ، ومنه قولُ الشَّاعِرِ:

أَقُولُ لِعَبْدِ اللَّهِ لَمَّا سَقَاؤُنَا وَنَحْنُ بِوَادِي عَبْدِ شَمْسٍ وَهَاشِمِ

وهذا فيه لغزٌ أيضًا، وهو قولُهُ: «وَهَاشِمٌ»؛ لأنَّ أصلَهَا «وَهَى»؛ يعني: ضَعُفَ.

والمعنى: لَمَّا وَهَى سَقَاؤُنَا وَضَعُفَ ولم يكن فيه ماءٌ، أقولُ له: شِمٌّ؛ يعني: انظر إلى البرقِ؛ لأنَّ البرقَ يكونُ فيه الرَّعْدُ والمَطَرُ.

هذا قلبُ إنسانٍ في الخيامِ فرأى البرقَ بعدَ مُدَّةٍ طويلةٍ لم يره تجد قلبه من شدَّةِ شوقه إلى البرقِ يَهْمُ بالطَّيْرَانِ.

٣٤٨٥- لَوْلَا التَّعَلُّلُ بِالرَّجَاءِ تَصَدَّعَتْ أَعْشَارُهُ كَتَصَدَّعَ الْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَعْشَارُهُ» الظَّاهِرُ لي -واللهُ أعلم- أَنَّ أَعْشَارَ الْبَيْتِ (الخيمة) أَنَّهَا جَوَانِبُهَا.

وَقَوْلُهُ: «أَعْشَارُهُ»، وفي نسخة: «أَحْشَاؤُهُ».

فلو أن الإنسان - ونحن قاصرون - يرجو العفو من الله عز وجل عن التفريط في الطاعات والغفران للسيئات لولاه لتصدعت الأحشاء وهلك الإنسان، وهذا صحيح.

٣٤٨٦ - وَتَرَاهُ يَبْسُطُهُ الرَّجَاءُ فَيَنْتَبِي مُتَمَائِلًا كَتَمَائِلِ النَّشْوَانِ
٣٤٨٧ - وَيَعُودُ يَقْبِضُهُ الْيَأْسُ لِكَوْنِهِ مُتَخَلِّفًا عَنِ رُقْفَةِ الْإِحْسَانِ

يعني: قلبه أحياناً ينفتح له الرجاء فيفرح ويطرب سواء تمايلت حساً أو معنى، ويقول: وصلت إلى الغاية، وأحياناً يقبضه اليأس، وهذا ليس من قبل الله عز وجل، فإن الله أهل الكرم لكن من قبل العبد؛ لأنه متخلف عن رفقته الإحسان، يجد نفسه يقول: أين أنا من قوم لا ينامون الليل، يُحيونه رُكعاً وسُجداً وقياماً لله عز وجل، فمتى أصل إلى منازل هؤلاء؟ وأحياناً يبسطه الرجاء فيقول: إن عفو الله أوسع من عقوبته، ويحمله الرجاء على أن ينشرح صدره ويفرح ويطرب، ولهذا قال المؤلف رحمه الله:

٣٤٨٨ - فَتَرَاهُ بَيْنَ الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ اللَّذِي - مِنْ هُمَا لِأَفَقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ

يعني: قلبه بين القبض والبسط، يبسط عند الرجاء، وينقبض عند اليأس والخوف، ولهذا اختلف أهل العلم - رحمهم الله - في السائر إلى الله عز وجل هل يُغلب الرجاء أو يُغلب الخوف؛ لأنه إن غلب الرجاء وقع في محذور وهو الأمن من مكر الله، وإن غلب الخوف وقع في محذور وهو اليأس من رحمة الله، فهو بين محذورين؟

قال الإمام أحمد - رحمه الله -: ينبغي أن يكون خوفه ورجاؤه واحداً، فأيهما غلب هلك صاحبه، وشبهه بعض العلماء بالطائر يطير بين جناحين: جناح الرجاء

وجناح الخوف، إن مال أحدهما هوى وسَقَطَ.

وفَصَّلَ بعضُ أهلِ العلمِ فقال: ينبغي إذا حَدَّثَتْهُ نَفْسُهُ بِالْمَعْصِيَةِ أَنْ يُغَلِّبَ جَانِبَ الْخَوْفِ لِئَلَّا يَقَعَ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ تَحَمَّلَهُ نَفْسُهُ عَلَى الرَّجَاءِ، فَيَقُولُ: أَفْعَلُ الْمَعْصِيَةَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وَإِذَا فَعَلَ الطَّاعَةَ فَلْيُغَلِّبْ جَانِبَ الرَّجَاءِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا فَعَلَ الطَّاعَةَ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَقُولَ: «لَا تُقْبَلُ مِنِّي»، بَلْ يُرْجِّحُ جَانِبَ الْقَبُولِ وَهُوَ جَانِبُ الرَّجَاءِ حَتَّى يَكُونَ مُحْسِنًا لِلظَّنِّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هَذَا قَوْلَانِ.

القول الثالث: يقول: ينبغي أن يكون الرجاء والخوف مَبِينًا على اختلاف الجهة، فإذا نَظَرْتَ إِلَى أفعالِكَ فَغَلِّبْ جَانِبَ الْخَوْفِ سِوَاهُ كَانَتْ طَاعَةً أَمْ مَعْصِيَةً، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ فَغَلِّبْ جَانِبَ الرَّجَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى «كَتَبَ كِتَابًا عِنْدَهُ أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ»^(١)، أَمَّا أَنْتَ فَأَنْتَ مَحَلُّ التُّهْمَةِ، مَتَى نَظَرْتَ إِلَى نَفْسِكَ فَغَلِّبْ جَانِبَ الْخَوْفِ لِيَحْمَلَكَ هَذَا الْجَانِبُ عَلَى تَرْكِ الْمَحْرَمَاتِ وَفِعْلِ الطَّاعَاتِ.

القول الرابع: في حال الصَّحَّةِ وَالنَّشَاطِ يُغَلِّبُ جَانِبَ الْخَوْفِ، وَفِي حَالِ الْمَرَضِ -وَلَا سِيَّامَا الْمَرَضُ الْمَزْمَنُ الَّذِي يَظُنُّ الْمَرءُ أَنَّهُ قَرِيبُ الْأَجْلِ- يُغَلِّبُ جَانِبَ الرَّجَاءِ حَتَّى يَمُوتَ وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاللَّهُ تَعَالَى عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ. وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي لَهُ -فِي مَا نَرَى- أَنْ يَنْظَرَ حَالَهُ، إِذَا رَأَى نَفْسَهُ تَمِيلُ إِلَى الرَّجَاءِ فَتَحْمَلُهُ عَلَى التَّهَاقُوتِ بِالطَّاعَاتِ وَعَلَى فِعْلِ الْمَحْرَمَاتِ فَيَجِبُ أَنْ يَكْبَحَ جِمَاحَهَا فَيَرُدَّهَا إِلَى جَانِبِ الْخَوْفِ، وَإِذَا غَلَبَ عَلَى نَفْسِهِ الْخَوْفُ حَتَّى يَكَادَ يَبْأَسُ مِنْ أَنَّ اللَّهَ قَبْلَ مِنْهُ طَاعَةً، أَوْ أَنَّهُ أَتَى بِطَاعَةٍ تُرْضِي رَبَّهُ فَهِنَا يُغَلِّبُ جَانِبَ الرَّجَاءِ، وَالْإِنْسَانُ الَّذِي يُوفِّقُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَكُونُ طَيِّبَ نَفْسِهِ، يَعْرِفُ نَفْسَهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب: ﴿وَكَلَّمَ عَزَّوَجَلَّ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، رقم (٦٩٨٦).

٣٤٨٩- وَبَدَأَ لَهُ سَعْدُ السُّعُودِ فَصَارَ مَسْدٌ - رَأَاهُ عَلَيْهِ لَا عَلَى الدَّبْرَانِ
«الدَّبْرَانِ»: نجمٌ أحمرٌ من النُّجُومِ الفصليَّةِ يسيرُ دُبُرَ الثُّرَيَّا، والثُّرَيَّا معروفةٌ،
وبمجيءِ الدَّبْرَانِ يكونُ ابتداءُ الحرِّ في الغالبِ، أمَّا «سَعْدُ السُّعُودِ» فهو السَّعْدُ
الثَّالِثُ من السُّعْدَاءِ الثَّلَاثَةِ، وهي ما يُسَمَّى عندَ العامَّةِ في لغتنا «العقرب»، أتعرفون
العقاربَ التي تقومُ في آخرِ الشِّتَاءِ؟ سعدُ الذَّابِحِ، وسعدُ بُلْعِ، وسعدُ السُّعُودِ،
آخرُها سعدُ السُّعُودِ وبه ينتهي فصلُ الشِّتَاءِ ويدخلُ فصلُ الرَّبِيعِ؛ ولهذا يكونُ
طالعُه جيِّدًا بمعنى أَنَّهُ إذا دخلَ هذا النُّجْمُ عندَ العامَّةِ قالوا: الآنَ أقبلَ الخيرُ، ليس
لأنَّ النُّجْمَ يأتي بالخيرِ أو بالشرِّ، فهو لا يُفِيدُ سعادةً ولا شقاءً، ولا علاقةً لتغيُّرِ
الأفلاكِ السَّمَاوِيَةِ بالحوادثِ الأَرْضِيَّةِ، لكنَّهُ علامةٌ على حُسْنِ الفصلِ أو الطَّقْسِ كما
يقولون باللُّغَةِ الحاضرةِ، فهذا سعدُ السُّعُودِ.

٣٤٩٠- اللَّهُ ذِيكَ الْفَرِيقُ فَايْتَهُمْ خُصُّوا بِخَالِصَةٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

قال اللهُ تعالى: ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ
الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ [ص: ٤٦-٤٧]، وما أسعدَ الذي يُخْلِصُهُ اللهُ بِخَالِصَةٍ، وهذا الفريقُ
خُصَّ بِخَالِصَةٍ، لكن عندنا إشكالٌ في قوله: «لِلَّهِ ذِيكَ الْفَرِيقُ»، «ذِيكَ» تصغيرٌ مع
أَنَّ رُتْبَتَهُمْ عَالِيَةٌ لكن التَّصْغِيرُ قد يُرَادُ بِهِ التَّمْلِيحُ، وعندنا حتَّى في اللُّغَةِ العامِّيَّةِ
يقول: «يا حَلِيلُهُ»، ومنه قولُ الرَّسُولِ لابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «يَا عَلِيُّمُ»^(١) تمليحًا.

وقد ذكر ابنُ القَيِّمِ -رحمه اللهُ- في التَّوْنِيَّةِ لَمَّا ذَكَرَ السَّمَاعَ في الجَنَّةِ قال:

وَاهَا لِذِيكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقْلُ
ذِيكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانِي

(١) أخرجه أحمد (٣٠٧/١)، رقم (٢٨٠٤).

فهنا لم يقل تصغيراً لهذا الفريق، وهذا الفريق هم أفضل الفرق.

٣٤٩١- شُدَّتْ رَكَائِبُهُمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ وَرَسُولِهِ يَا حَيِّةَ الْكَسْلَانِ!

قَوْلُهُ: «شُدَّتْ رَكَائِبُهُمْ إِلَى مَعْبُودِهِمْ»؛ أي: بالإخلاص، وإلى «رَسُولِهِ»؛

أي: بالمتابعة.

قَوْلُهُ: «يَا حَيِّةَ الْكَسْلَانِ!» كيف ناداها؟ هل هي تعقل حتى تُنَادَى؟ أَنْزَلَهَا

منزلة العاقل؛ أي: يا خيبة الكسلان احْضِرِي، فَإِنَّ الْكَسْلَانَ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الْخَيْبَةُ
وَالنَّدَمُ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْعَمَلِ لَا مِنْ أَهْلِ الْكَسْلِ.

فصل

- ٣٤٩٢ - وَالشُّرْكَ فَاحْذَرُهُ فَشِرْكُ ظَاهِرٌ
ذَا الْقِسْمُ لَيْسَ بِقَابِلِ الْغُفْرَانِ
- ٣٤٩٣ - وَهُوَ اتِّخَاذُ النَّدِّ لِلرَّحْمَنِ أَيُّ
يَا كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانٍ
- ٣٤٩٤ - يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ
وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدِّيَانِ
- ٣٤٩٥ - وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي
خَلْقِي وَلَا رِزْقِي وَلَا إِحْسَانِ
- ٣٤٩٦ - فَاللَّهُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْخَلَّاقُ وَالرُّزُقُ
رِزَاقُ مُوَلِّيِ الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
- ٣٤٩٧ - لَكِنَّهُمْ سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي
حُبِّ وَتَعْظِيمِ وَفِي إِيمَانِ
- ٣٤٩٨ - جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ مَعَ الرَّحْمَنِ مَا
جَعَلُوا الْمَحَبَّةَ قَطُّ لِلرَّحْمَنِ
- ٣٤٩٩ - لَوْ كَانَ حُبُّهُمْ لِأَجْلِ اللَّهِ مَا
عَادُوا أَحَبَّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ
- ٣٥٠٠ - وَلَمَّا أَحَبُّوا سُخْطَهُ وَتَجَنَّبُوا
مَحْبُوبَهُ وَمَوَاقِعَ الرِّضْوَانِ
- ٣٥٠١ - شَرَطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ
بُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِإِعْضَائِهِ
- ٣٥٠٢ - فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلَافِ
فِيكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو مُهْتَانِ
- ٣٥٠٣ - أَتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدَّعِي
حُبَّالَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
- ٣٥٠٤ - وَكَذَا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ
أَيْنَ الْمَحَبَّةِ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله - التَّوْحِيدَ ذَكَرَ الشَّرْكَ المِضَادَّ لتوحيد العبادة الذي نُسِّمِيهِ بتوحيد الطَّلَبِ؛ لأنَّ توحيدَ الخَيْرِ سبق الكلامُ عليه وانتهى، يقولُ:

٣٤٩٢- وَالشَّرْكَ فَاحْذَرُهُ فَشِرْكَ ظَاهِرٌ ذَا الْقِسْمِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْغُفْرَانِ

نَصَحَ - رحمه الله - وأخلص في نُصِحِهِ حيث حَذَرَ من الشَّرْكِ كُلِّهِ الظَّاهِرِ والْخَفِيِّ؛ لأنَّ الشَّرْكَ هو البلاءُ، وَقَسَّمَهُ إلى قسمين: شَرِكٍ ظَاهِرٍ وشَرِكٍ خَفِيِّ، فالشَّرْكَ الظَّاهِرُ هو الشَّرْكَ الأكبرُ، وهذا القِسْمُ لا يقبلُ الغفرانَ لقولِ الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، واختلف العلماءُ - رحمهم الله - في الشَّرِكِ الأصغرِ كالحلفِ بغيرِ الله ويسيرِ الرِّياءِ وما أشبه ذلك، هل يغفره الله أو لا؟ فمنهم مَنْ قال: إِنَّهُ لَا يُغْفَرُ؛ لعمومِ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، وهو ظاهرُ لفظِ القرآنِ الكريمِ؛ لأنَّ قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾، «أَنَّ» وما دخلت عليه في تأويلِ مصدرٍ تقديرُهُ: «إِشْرَاكَ بِهِ»، وهذا عامٌّ؛ لأنَّه نكرةٌ في سياقِ النَّفْيِ، وإن كانت ليست نكرةً صريحةً بل بالتأويلِ، وَمَنْ نَظَرَ إلى المعنى وَأَنَّ اللَّهَ تعالى قال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢]، وهذا بالاتِّفَاقِ المرادُ به الشَّرْكَ الأكبرُ، قال: إِنَّ الآيَةَ التي في النَّسَاءِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ هذا في الشَّرِكِ الأكبرِ، ولكن على كُلِّ حالٍ فالإنسانُ على خطرٍ ويَجِبُ عليه أن يتوبَ من الشَّرِكِ الأصغرِ إذ يُحْشَى إن مات بدون توبةٍ منه أن يُعَذَّبَ به.

ومنهم مَنْ قال: بل يُغْفَرُ؛ لأنَّ الشَّرْكَ الذي لا يُغْفَرُ هو الذي قال الله عنه:

﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وهذا الثاني هو ظاهرُ كلامِ ابنِ القيمِ رحمه الله؛ ولهذا قال: «فَشِرْكُ ظَاهِرٍ ذَا الْقِسْمِ»؛ يعني: الشِّرْكُ الظَّاهِرُ «لَيْسَ بِقَابِلِ الْغُفْرَانِ». ثُمَّ ذَكَرَ مِنْهُ أَمْثَلَةً فَقَالَ:

٣٤٩٣- وَهُوَ اتِّخَاذُ النَّدِّ لِلرَّحْمَنِ أَيُّ يَأْ كَانِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ إِنْسَانٍ
اتِّخَاذُ النَّدِّ أَيُّ: النَّظِيرِ وَالْمَثِيلِ وَالشَّبِيهِ لِهَيْئَةِ اللَّهِ سِوَاهُ كَانَ مِنْ حَجَرٍ أَمْ إِنْسَانٍ أَمْ مَلِكٍ مَهْمَا كَانَ.

أَمَّا الْحَجَرُ فَيُوجَدُ مَنْ يَتَّخِذُ نِدًّا مِنَ الْأَحْجَارِ، يُعَظِّمُ الْحَجَرَ أَكْثَرَ مِمَّا يُعَظِّمُ اللَّهَ أَوْ مِثْلَ تَعْظِيمِ اللَّهِ، «اللَّاتُ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةٌ وهُبَلٌ»، وَثَلَاثَةٌ وَسِتِينَ صِنًا كَسَّرَهَا النَّبِيُّ ﷺ بِيَدِهِ فِي الْكَعْبَةِ^(١).

أَمَّا الْإِنْسَانُ فَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ يَعْبُدُونَ الْإِنْسَانَ، وَلَكِنْ لَيْسَتْ الْعِبَادَةُ أَنْ تَرْكَعَ وَتَسْجُدَ لَهُ، إِذَا جَعَلْتَ مَحَبَّتَهُ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ وَتَعْظِيمَهُ كَتَعْظِيمِ اللَّهِ فَهَذَا شِرْكٌ، وَيَدُلُّ لِهَذَا عَلَامَاتٌ: أَنْ تُقَدِّمَ مَا يَجِبُهُ هَذَا عَلَى مَا يَجِبُهُ اللَّهُ، فَإِذَا قَالَ: «لَا تُصَلِّ» لَمْ تُصَلِّ، وَإِذَا أَمَرَكَ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ أَطَعْتَهُ، وَإِذَا نَهَاكَ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا يَجِبُهُ اللَّهُ تَرَكْتَهُ، فَهَذَا شِرْكٌ.

٣٤٩٤- يَدْعُوهُ أَوْ يَرْجُوهُ ثُمَّ يَخَافُهُ وَيُحِبُّهُ كَمَحَبَّةِ الدِّيَّانِ
قَوْلُهُ: «يَدْعُوهُ»؛ يَعْنِي: دَعَاءَ مَسْأَلَةٍ أَوْ دَعَاءَ عِبَادَةٍ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المظالم والغصب، باب هل تكسر الدنان التي فيها الخمر، أو تحرق الزقاق، رقم (٢٣٤٦)، ومسلم: كتاب الجهاد والسير، باب إزالة الأصنام من حول الكعبة، رقم (١٧٨١).

قَوْلُهُ: «يَرْجُوهُ» كَرَجَاءِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «يَخَافُهُ» كَمَخَافَةِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «يُحِبُّهُ» كَمَحَبَّةِ اللَّهِ، وَهَذَا يُوجَدُ مِنْ أَنَاْسٍ يُحِبُّونَ الْمَخْلُوقَ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ أَشَدُّ.

وَكُلُّ هَذَا شِرْكٌ.

٣٤٩٥- وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي خَلْقٍ وَلَا رِزْقٍ وَلَا إِحْسَانٍ

يعني: بذلك: المشركين، يقول: إِيَّاهُمْ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ؛ يعني: ما ساووا أصنامهم بالله في هذه الأمور: في الخلق والرِّزْقِ والإِحْسَانِ، فهؤلاء المشركون لا يقولون: إِنَّ هَذِهِ الْأَصْنَامَ تَخْلُقُ كَمَا يَخْلُقُ اللَّهُ أَوْ تَرْزُقُ كَمَا يَرْزُقُ اللَّهُ؛ وَهَذَا لَوْ سَأَلْتَهُمْ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ؟ لَقَالُوا: اللَّهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وَكَمَا قَالَ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَيُخْرِجُ الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ﴾ [يونس: ٣١]، فَهَم مَقْرُونُونَ بِأَنَّ الْخَلْقَ وَالرِّزْقَ كُلَّهُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَمْ يَسَاوُوا أَصْنَامَهُمْ بِاللَّهِ فِي ذَلِكَ.

٣٤٩٦- فَاللَّهُ عِنْدَهُمْ هُوَ الْخَلَّاقُ وَالرِّزَّاقُ مُوَلِي الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

٣٤٩٧- لَكِنَّهُمْ سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ فِي حُبِّ وَتَعْظِيمٍ وَفِي إِيمَانٍ

ففي مسألة الرُّبُوبِيَّةِ لَمْ يَسَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ، وَفِي مَسْأَلَةِ الْعِبَادَةِ وَالتَّأَلُّهِ سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ، وَفِي الْحُبِّ وَالتَّعْظِيمِ وَالإِيمَانِ جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ كَمَحَبَّةِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، كَذَلِكَ فِي

التَّعْظِيمِ تَجْدُ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَقُومُ يُصَلِّي بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، وَلَهُ حَرَكَاتٌ قَلْبِيَّةٌ وَحَرَكَاتٌ بَصْرِيَّةٌ وَحَرَكَاتٌ سَمْعِيَّةٌ وَحَرَكَاتٌ جَوَارِحَ، فَلَهُ حَرَكَاتٌ قَلْبِيَّةٌ فَتَجِدُهُ فِي كُلِّ وادٍ، وَلَهُ حَرَكَاتٌ بَصْرِيَّةٌ، فَكُلُّ مَنْ مَرَّ أَتْبَعَ بَصْرَهُ إِيَّاهُ، حَرَكَاتٌ سَمْعِيَّةٌ تَجِدُهُ إِذَا سَمِعَ كَلَامًا قَامَ يُنصِتُ وَيَسْمَعُ مَاذَا يَقُولُونَ؟ حَتَّى إِنَّهُ إِذَا سَمِعَ أَغْنِيَةً أَنْصَتَ لَهَا وَهُوَ يُصَلِّي، وَهَذَا مَوْجُودٌ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٣٤٩٨- جَعَلُوا مَحَبَّتَهُمْ مَعَ الرَّحْمَنِ مَآ جَعَلُوا الْمَحَبَّةَ قَطُّ لِلرَّحْمَنِ

يعني: أَنَّ مَحَبَّةَ هَؤُلَاءِ مَسَاوِيَةً عِنْدَهُمْ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ، فَهَم لَمْ يَجْعَلُوا الْمَحَبَّةَ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلَمْ يُخْلِصُوا اللَّهَ وَحْدَهُ، وَهَذِهِ هِيَ الْمَحَبَّةُ الشَّرِكِيَّةُ، أَمَّا الْمَحَبَّةُ فِي الرَّحْمَنِ فَهِيَ مَحَبَّةٌ إِبْرَانِيَّةٌ؛ وَهَذَا يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحُبِّ فِي اللَّهِ وَالْحُبِّ مَعَ اللَّهِ، الْحُبُّ مَعَ اللَّهِ شَرِكٌ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ أَوْ اللَّهُ هَذَا إِبْرَانٌ، فَمَنْ تَمَامَ الْإِبْرَانَ أَنْ تُحِبَّ الشَّخْصَ لَا تُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ.

٣٤٩٩- لَوْ كَانَ حُبُّهُمْ لِأَجْلِ اللَّهِ مَآ عَادُوا أَحِبَّتَهُ عَلَى الْإِيمَانِ

وهذا صحيح، فلو كانوا يحبون الله حقاً ما عادوا أحبة الله، ما عادوا الرسل ولا عادوا أتباع الرسل؛ لأنهم مؤمنون، وقوله: «على الإيمان»؛ يعني: لكونهم مؤمنين.

٣٥٠٠- وَلَمَّا أَحْبَبُوا سُخْطَهُ وَتَجَنَّبُوا مَحْبُوبَهُ وَمَوَاقِعَ الرِّضْوَانِ

وهذا صحيح أيضاً، فمن لازم محبتهم لله أن يتبعوا ما يرضيه، أما أن يتبعوا ما يسخط الله فإنهم وإن ادعوا المحبة فهم كاذبون في ذلك، ثم قال المؤلف رحمه الله:

٣٥٠١- شَرَطُ الْمَحَبَّةِ أَنْ تُوَافِقَ مَنْ تُحِبُّ بَعْضُ عَلَى مَحَبَّتِهِ بِإِعْضَائِهِ

وهذا صحيح، فشرطُ المحبةِ الدَّالُّ على صدقِها أن تُوافقَ مَنْ تُحِبُّ على محبته؛ يعني: على ما يُحِبُّه بلا عصيانٍ.

وأنت لو جرَّبتَ هذا فيما بينك وبين النَّاسِ وقلتَ لشخصٍ: «والله إنِّي أُحِبُّكَ حُبًّا شديدًا»، وفي يومٍ من الأيامِ جاء إليك وقال: «افعل كذا وكذا، اذهب إلى فلان كَلِّمهُ»، فقال: «والله لا أذهب»، هل هذا يدلُّ على محبته لك؟ الجوابُ: لا؛ لأنَّك لو كنتَ صادقًا لَدَهَبْتَ، والإنسانُ الذي يُحِبُّ الشَّخْصَ يتشرفُ ويفرحُ إذا أمره ولا يخالفه، بل إنَّه يقتدي به في أفعاله وأخلاقه حتَّى وإن لم يأمره بذلك لموافقةِ الطَّبَاعِ.

٣٥٠٢- فَإِذَا ادَّعَيْتَ لَهُ الْمَحَبَّةَ مَعَ خِلا فِكَ مَا يُحِبُّ فَأَنْتَ ذُو بُهْتَانِ
أي: ذو كذبٍ، إذ كيف تعصي الإلهَ وتدعي أنَّك تُحِبُّه؟!

٣٥٠٣- أَلْتُحِبُّ أَعْدَاءَ الْحَبِيبِ وَتَدْعِي حُبَّالَهُ مَا ذَاكَ فِي إِمْكَانِ
وهذا صحيح، إنسانٌ يدعي أنَّه يُحِبُّ شخصًا وهو يُحِبُّ أعداءه، هل هذا صحيح؟ الجوابُ: غيرُ صحيح؛ لأنَّه لو كان يُحِبُّه حقًّا ما أحبَّ أعداءه، بل لكان عدوًّا لأعدائه، حتَّى الصَّبيان في الأسواقِ الآن إذا أراد أن يختبرك هل أنت تحبُّه أو لا، وكان له عدوٌّ من الصَّبيان الآخريين يأتي إليك ويقول: هل أنت معي أو معه؟ يعني: هل أنت من أوليائي أو من أوليائه؟ إذا قال: لا، أنا معك، ولكنه في آخرِ النَّهارِ وَجَدَه مع الثَّاني فإنَّه يعتبُّ عليه ويقول له: أنت كذَّابٌ، كيف تقول بأنَّك معي وأنك تحبُّني وتذهب تحبُّ عدوِّي؟ فهذا شيءٌ في الفِطْرِ، فنحن ما تعلَّمنا هذا، لكنَّه شيءٌ في الفِطْرِ، لا يمكنُ أن تُحِبَّ أعداءَ شخصٍ وأنت صادقٌ في محبته أبدًا.

٣٥٠٤ - وَكَذًا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ أَيَّنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذًا تُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ»؛ يعني: تُحِبُّ أَعْدَاءَهُ وَتُعَادِي جَاهِدًا أَحْبَابَهُ بِقَدْرِ مَا تَسْتَطِيعُ.

قَوْلُهُ: «أَيَّنَ الْمَحَبَّةُ يَا أَخَا الشَّيْطَانِ؟» ليست موجودة؛ ولهذا من علامة محبة الإنسان لله أن يُحِبَّ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ، فَإِذَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ كِرَاهَةً لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُصَحِّحَ إِيْمَانَكَ وَمَحَبَّتَكَ لِلَّهِ.

لكن لاحظوا أن بعض الناس قد يكره بعض المستقيمين لشخصه وليس لأجل استقامته، وهذا يقع كثيرا، كثيرا ما ينقم على بعض المستقيمين فعل شيء لو فعله غيرهم لقبلة لكن يكرهه من هذا الشخص، هذا ما يُحَكِّمُ عَلَيْهِ بَأَنَّهُ كَرِهَ السُّنَّةَ أَوْ قَدَحَ فِي السُّنَّةِ، وهذه مسألة يجب التنبه لها، فلو فرضنا أن شخصا استهزأ بشخص؛ لأنه أعفى لحيته، فلا يعني ذلك أن هذا الرجل يكره إعفاء اللحي مطلقا؛ ولهذا تجده يقبل الإعفاء ولو طال من شخص آخر دون الثاني، ولو أن إنسانا استهزأ بتقصير الثوب إلى نصف الساق من شخص لكن لو فعله آخر لقبلة منه كما هو موجود فعلا، لا نقول: إن هذا الرجل استهزأ بالسنة، لكنه استهزأ بمن تلبس بالسنة لعينه، فهذا فرق يجب التنبه له؛ ولهذا لو كره السنة وإن لم يعمل بها أحد كان على خطر، فلو فرضنا أن كل من حوله يخلقون لحاهم ولكنه يستهزئ بمن يرخي لحيته لكان هذا مستهزئا بإرخاء اللحية، فهذا قد نقول: إنه خرج من الإسلام؛ ولهذا نرى أن أبعاد الناس عن محبة الله ممن يُبَغِضُونَ صَحَابَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّ الَّذِي يُبَغِضُ الصَّحَابَةَ لَأَشَكَّ أَنَّهُ لَا يُحِبُّ اللَّهَ؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ وَهُمْ خَيْرُ الْقُرُونِ (١) نَصًّا مِنْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٤٥١)،

الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَإِذَا أَبْغَضَهُمْ شَخْصٌ فَكَيْفَ يَقُولُ: أَنَا أَحِبُّ اللَّهَ؟! إِذَا أَبْغَضَهُمْ شَخْصٌ وَسَبَّهُمْ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ قَدْ طَعَنَ فِيهِمْ، وَطَعَنَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَعَنَ بِشَرِيعَةِ اللَّهِ، وَطَعَنَ بِاللَّهِ.

طَعَنَ فِيهِمْ وَذَلِكَ بِسَبِّهِمْ، وَهَذَا وَاضِحٌ، طَعَنَ بِالشَّرِيعَةِ؛ لِأَنَّ الشَّرِيعَةَ مُتَلَقَّاءٌ مِنْ عِنْدِهِ، مَنْ الَّذِي أَوْصَلَ الشَّرِيعَةَ إِلَى الْأُمَّةِ إِلَّا الصَّحَابَةُ، فَإِذَا طَعَنَ فِيهِمْ وَجُعِلُوا غَيْرَ عَدُولٍ فَكَيْفَ نَثَقُ بِشَرِيعَةٍ تَأْتِي مِنْ طَرِيقٍ لَيْسَ أَهْلُهُ بِعَدُولٍ!؟

طَعَنَ بِالرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَصْحَابُهُ، وَالْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَيُسْتَدَلُّ عَلَى الْمَرْءِ بِقَرِينِهِ، وَهَذَا قَالَ الْحَكِيمُ الشَّاعِرُ:

عَنْ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي^(١)

طَعَنَ بِاللَّهِ: وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ اخْتَارَ هَؤُلَاءِ الْفَسَقَةَ - عَلَى زَعْمِهِمْ وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - لَصَحْبَةٍ خَيْرِ الْخَلْقِ عِنْدَ اللَّهِ، وَهَلِ الْحِكْمَةُ تَأْبَى ذَلِكَ أَوْ تُوَيْدُ ذَلِكَ؟ الْجَوَابُ: تَأْبَى ذَلِكَ غَايَةَ الْإِبَاءِ، فَالْمُهْمُ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَدَّعِي مَحَبَّةَ اللَّهِ ثُمَّ يُحِبُّ أَعْدَاءَ اللَّهِ وَيُبْغِضُ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِيمَا يَقُولُ.

٣٥٠٥ - لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ الْمَحْبَبِ - بِيَّةٌ مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ
٣٥٠٦ - وَالْحُبُّ نَفْسٌ وَفَاقِهِ فِيمَا يُحِبُّ - بٌ وَبُغْضٌ مَا لَا يَبْرَتُضِي - بِجِنَانِ
٣٥٠٧ - وَوَفَاقُهُ نَفْسٌ اتِّبَاعِكَ أَمْرَهُ - وَالْقَصْدُ وَجْهُ اللَّهِ ذِي الْإِحْسَانِ

= ومسلم: كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

(١) البيت لعدي بن زيد، كما في العقد الفريد (٢/ ٢٣٠).

- ٣٥٠٨ - هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ شَرْطٌ فِي قَبُولِهِ لِي السَّعْيِ فَافْهَمَهُ مِنَ الْقُرْآنِ
 ٣٥٠٩ - وَالْإِتِّبَاعُ بِدُونِ شَرْعِ رَسُولِهِ عَيْنُ الْمَحَالِ وَأَبْطَلُ الْبُطْلَانِ
 ٣٥١٠ - فَإِذَا نَبَذْتَ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَتَبِعْتَ أَمْرَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
 ٣٥١١ - وَتَمَحَذْتَ أُنْدَادًا تُحِبُّهُمْ كَحُبِّهِ بِاللهِ كُنْتَ مُجَانِبَ الْإِيمَانِ

الشرح

تقدم أنه - رحمه الله تعالى - قال: إن العبادة لها ركنان أساسان هما: الصدق والإخلاص مع متابعة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وهذا أيضا مبني على المحبة والتعظيم، فلا يمكن عبادة بدون محبة أبداً، ولا يمكن استقامة بدون تعظيم.

٣٥٠٥ - لَيْسَ الْعِبَادَةُ غَيْرَ تَوْحِيدِ الْمَحَبِّ بِي مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ
 معنى توحيد المحبة: ألا تُحِبَّ أحداً كمحبة الله، وكلما كانت محبتك تابعة لمحبة الله كان ذلك أصدق في عبادتك، أن تحب في الله وتبغض في الله، وتوالي في الله وتعادى في الله، هذا هو العبادة، لكن يقول: «مَعَ خُضُوعِ الْقَلْبِ وَالْأَرْكَانِ» يعني: الجوارح.

٣٥٠٦ - وَالْحُبُّ نَفْسٌ وَفَاقِهِ فِيمَا يُحِبُّ بٌ وَبُغْضٌ مَا لَا يَرْضَى - بِجَنَانِ
 قَوْلُهُ: «بِجَنَانٍ» الْجَنَانُ: الْقَلْبُ.

الحب الصادق أن توافق الله عز وجل فيما يُحِبُّ، وتبغض ما لا يرضى، فمن قال: أنا أحب الله لكن لا أحب الصلاة، قلنا له: كذبت، ومن قال: أنا أحب الله

ولكن لا أكره الزنا، قلنا: كذبت، فالذي يحبُّ الله لا بُدَّ أن يُحبَّ ما يحبه الله، ولا بُدَّ أن يكره ما يكرهه الله.

٣٥٠٧ - وَوِفَاقُهُ نَفْسُ اتِّبَاعِكَ أَمْرَهُ وَالْقَصْدُ وَجْهُ اللَّهِ ذِي الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْقَصْدُ وَجْهُ اللَّهِ» وهو الإخلاص، إذا قيل: ما هو الوفاق؟ نقول: أن تتبَع أوامره قاصداً وجهه، فاتِّباعُ الأمر هو اتِّباعُ الشَّرع، هذا هو الموافقة لله عزَّ وجلَّ.

٣٥٠٨ - هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ شَرْطٌ فِي قَبُولِ السَّعْيِ فَافْهَمُهُ مِنَ الْقُرْآنِ

لا يقبل الله - سبحانه وتعالى - شيئاً بدون إحسان، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ إِيَّائِهِمْ سِوَا مَا لَهُمْ مِنْ شَرِكٍ لَهُمْ عَشِيرَتَانِ أُولِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الملك: ٢]، فعملٌ ليس فيه إحسانٌ غيرٌ مقبولٌ عند الله، ودليله قوله تعالى أيضاً: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ﴾ [البقرة: ١١٢]، فقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ هذا الإخلاص، وقوله: ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾، هذا الاتِّباع.

٣٥٠٩ - وَالْإِتِّبَاعُ بِدُونِ شَرْعِ رَسُولِهِ عَيْنُ الْمَحَالِ وَأَبْطَلُ الْبُطْلَانِ

لو قال: أنا مُتَّبِعٌ، وابتدع في دين الله ما ليس منه، قلنا: هذا محالٌ، كيف تقول: إنك مُتَّبِعٌ وأنت مبتدعٌ، ولهذا نقول: كُلُّ مَنْ جَاءَ بِبِدْعَةٍ فِي دِينِ اللَّهِ فَقَدْ نَقَصَ مِنْ اتِّبَاعِهِ دِينَ اللَّهِ بِقَدْرِ مَا أَتَى بِهِ مِنْ الْبِدْعَةِ سِوَا فِي الْعَقِيدَةِ أَمْ فِي الْقَوْلِ أَمْ فِي الْفِعْلِ، فمثلاً: مَنْ حَرَّفَ النُّصُوصَ فِي الْعَقَائِدِ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، وفاته من الاتِّباع بقدر ما حَرَّفَ، مَنْ أَتَى بِأَقْوَالٍ، بِأَذْكَارٍ، بِصَلَوَاتٍ عَلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، بِأَدْعِيَةٍ مُخَالَفَةٍ لِمَا جَاءَتْ بِهِ الشَّرِيعَةُ فَهُوَ مُبْتَدِعٌ، ولو قال: إِنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَيُحِبُّ

الوصول إليه ونقص من إتباعه بقدر ما جاء به من البدعة، وكذلك لو فعل أفعالاً خلاف ما جاءت به الشريعة فإنه مُبتدِعٌ.

٣٥١٠ - فَإِذَا نَبَذْتَ كِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَتَبِعْتَ أَمْرَ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

٣٥١١ - وَتَخَذْتَ أُنْدَادًا تُحِبُّهُمْ كَحُبِّ

بِ اللَّهِ كُنْتَ مُجَانِبَ الْإِيمَانِ
وهذا واضح؛ لأنه ليس هناك أتباع مع هذه الأحوال التي ذكّر المؤلفُ.

٣٥١٢ - وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ يَدَّعِي ال-

٣٥١٣ - جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَالْوَهُمْ وَسَوْ

٣٥١٤ - وَاللَّهُ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ بَلْ

٣٥١٥ - وَاللَّهُ مَا غَضِبُوا إِذَا انْتَهَكْتَ مَحَا

٣٥١٦ - حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ فِي الْوَتَنِ الَّذِي

٣٥١٧ - فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ

٣٥١٨ - وَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ ضَرْبٍ وَتَعَف

٣٥١٩ - وَاللَّهُ لَوْ عَطَّلْتَ كُلَّ صِفَاتِهِ

٣٥٢٠ - وَاللَّهُ لَوْ خَالَفْتَ نَصَّ رَسُولِهِ

٣٥٢١ - وَتَبِعْتَ قَوْلَ شَيْوَجِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ

٣٥٢٢ - حَتَّى إِذَا خَالَفْتَ آرَاءَ الرَّجَا

إِسْلَامَ شُرَكَاءِ ظَاهِرِ التَّبْيَانِ

وَوَهُمْ بِهِ فِي الْحَبِّ لَا السُّلْطَانَ

زَادُوا لَهُمْ حُبًّا بِلا كِتْمَانِ

رِمُّ رَبِّهِمْ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ

حَرْبٍ وَمِنْ شَتْمٍ وَمِنْ عُدْوَانِ

زَيْرٍ وَمِنْ سَبِّ وَمِنْ تَسْجَانِ

مَا قَابِلُوكَ بِبَعْضِ ذَا الْعُدْوَانِ

نَصًّا صَرِيحًا وَاضِحَ التَّبْيَانِ

كُنْتَ الْمُحَقِّقَ صَاحِبَ الْعِرْفَانِ

لِلسُنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

- ٣٥٢٣- نَادُوا عَلَيْكَ بِيَدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ قَالُوا وَفِي تَكْفِيرِهِ قَوْلَانِ
 ٣٥٢٤- قَالُوا تَنْقَضَتِ الْكِبَارَ وَسَائِرِ الـ عُلَمَاءِ بَلْ جَاهَرْتَ بِالْبُهْتَانِ
 ٣٥٢٥- هَذَا وَلَمْ نَسْلُبْهُمْ حَقًّا لَهُمْ لِيَكُونَ ذَا كَذِبٍ وَذَا عُذْوَانِ

الشرح

٣٥١٢- وَلَقَدْ رَأَيْنَا مِنْ فَرِيقٍ يَدَّعِي الـ إِسْلَامَ شِرْكًَا ظَاهِرَ التَّبْيَانِ
 قَوْلُهُ: «شِرْكًَا»: مفعولٌ «رَأَيْنَا».

رَأَيْنَا من فريقٍ يدَّعي أنه مسلمٌ، وهو مشركٌ شِرْكًَا ظاهراً، لكنه مشركٌ ليس في العبادة، ولكن في الاتِّباع كما سيبيِّنُ رحمه الله.

٣٥١٣- جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَالْوَهُمَ وَسَوَّ وَوَهُمَ بِهِ فِي الْحَبِّ لَا السُّلْطَانَ

أحبُّوهم كما أحبُّوا الله، ولكنهم لم يجعلوا لهم سلطاناً كسلطانِ الله، لو سَأَلْتَهُمْ: مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؟ قالوا: الله، لكن تجدُّ قلوبهم مملوءةً بمحبَّةِ أوليائهم ومتبوعيهم كمحبَّةِ الله أو أشدَّ، وسيبيِّنُ - فيما بعد - أنهم يحبُّون متبوعيهم أشدَّ من محبَّةِ الله.

٣٥١٤- وَاللَّهِ مَا سَاوَوْهُمْ بِاللَّهِ بَلْ زَادُوا لَهُمْ حُبًّا بِإِلَّا كِتْمَانَ

يعني: ما أحبُّوهم كما أحبُّوا الله، بل جعلوهم أشدَّ حبًّا لله، قال الله - سبحانه وتعالى -: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُجْبُونُهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقوله: ﴿أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾؛ أي: من هؤلاء لله أو من هؤلاء لأندادهم؟ فيها قولان: فمنهم مَنْ قال: أشدَّ حبًّا لله من هؤلاء

لأنّادِهِم، ومنهم مَنْ قَالَ: أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ مِنْ هَوْلَاءِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ حُبَّه هَوْلَاءِ اللَّهِ حُبَّةٌ مُشْرُوكَةٌ وَحُبَّه الْمُؤْمِنِينَ حُبَّةٌ خَالِصَةٌ.

٣٥١٥ - وَاللَّهُ مَا غَضِبُوا إِذَا انْتَهَكْتَ مَحَا رِمُّ رَبِّهِمْ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٣٥١٦ - حَتَّى إِذَا مَا قِيلَ فِي الْوَثْنِ الَّذِي يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ

قَوْلُهُ: «مَا» بِمَعْنَى الَّذِي، وَلَيْسَتْ النَّافِيَةُ؛ يَعْنِي: حَتَّى إِذَا قِيلَ فِي الْوَثْنِ الَّذِي يَدْعُونَهُ الَّذِي فِيهِ مِنَ النُّقْصَانِ فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ.

وَقَوْلُهُ: «إِذَا مَا قِيلَ» تَنْطَبِقُ عَلَيْهَا قَاعِدَةٌ:

يَا طَالِبًا خُذْ فَائِدَهُ بَعْدَ إِذَا «مَا» زَائِدَةٌ

يكون تقدير الكلام: «حَتَّى إِذَا قِيلَ».

٣٥١٧ - فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَضَبٍ وَمِنْ حَرْبٍ وَمِنْ شَتْمٍ وَمِنْ عُدْوَانٍ

٣٥١٨ - وَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ ضَرْبٍ وَتَعَزُّرٍ وَمِنْ سَبِّ وَمِنْ تَسْجَانٍ

إِذَا قُلْتَ فِي الْوَثْنِ الَّذِي يَدْعُونَهُ مَا فِيهِ مِنَ النُّقْصَانِ وَبَيَّنْتَ نَقْصَهُ وَعَيْبَهُ فَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ غَضَبٍ؛ يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَغْضَبُونَ عَلَيْكَ، «وَمِنْ حَرْبٍ» يَحَارِبُونَكَ، «وَمِنْ شَتْمٍ» يَشْتَمُونَكَ، «وَمِنْ عُدْوَانٍ» عَلَيْكَ بِالضَّرْبِ أَوْ بِأَخْذِ الْمَالِ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، «وَأَجَارَكَ الرَّحْمَنُ مِنْ ضَرْبٍ» يَضْرِبُونَكَ، وَ«مِنْ تَعَزُّرٍ» يُعْزِّرُونَكَ إِمَّا بِالضَّرْبِ أَوْ بغيره، «وَمِنْ سَبِّ» يَسُبُّونَكَ، فَيُطْلِقُونَ أَلْسِنَتَهُمْ فِيكَ، «وَمِنْ تَسْجَانٍ» أَي: سَجَنَ يَسْجُنُونَكَ فِيهِ؛ لِأَنَّكَ عِبْتَ آلَهُمْ.

٣٥١٩ - وَاللَّهُ لَوْ عَطَّلْتَ كُلَّ صِفَاتِهِ مَا قَابَلُوكَ بِبَعْضِ ذَا الْعُدْوَانِ

لو عَطَّلْتَ كُلَّ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا قَابَلُوكَ بِبَعْضِ ذَا الْعُدْوَانِ.

٣٥٢٠ - وَاللَّهِ لَوْ خَالَفْتَ نَصَّ رَسُولِهِ نَصًّا صَرِيحًا وَاضِحَ التَّبْيَانِ

٣٥٢١ - وَتَبِعْتَ قَوْلَ شُيُوخِهِمْ أَوْ غَيْرِهِمْ كُنْتَ الْمُحَقَّقَ صَاحِبَ الْعِرْفَانِ

نعوذُ بالله، إذا خالفتَ النصَّ الصَّريحَ تبعًا لقولِ شيوخهم قالوا: هذا العارفُ، هذا الذي عنده العلمُ، أنت المُحقِّقُ، أنت صاحبُ المعرفة، لكن لو خالفتَ قولَ شيوخهم بكتابِ الله وسُنَّةِ رسوله قالوا: هذا جاهلٌ.

٣٥٢٢ - حَتَّى إِذَا خَالَفْتَ آرَاءَ الرَّجَالِ لِلسُّنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

٣٥٢٣ - نَادَوْا عَلَيْكَ بِبِدْعَةٍ وَضَلَالَةٍ قَالُوا وَفِي تَكْفِيرِهِ قَوْلَانِ

وهذا عجبٌ، إذا خالفتَ آراءَ الرِّجالِ وقولَ شيوخهم لكتابِ الله وسُنَّةِ رسوله قالوا: هذا مُبتدِعٌ ضالٌّ، ثمَّ قالوا: وفي تكفيره عندنا قولان: مِنَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ كَافِرٌ، وَمِنَّا مَنْ قَالَ: إِنَّهُ مُبْتَدِعٌ ضَالٌّ، وَنَبْرًا إِلَى اللَّهِ أَنْ نُطَلِّقَ عَلَيْهِ الْكُفْرَ، وَهَؤُلَاءِ وَرِعُونَ، فَهَمُ تَوَرَّعُوا مِنَ الْكُفْرِ، أَمَّا الْآخَرُونَ فَهَمُ أَشْجَعُ مِنْهُمْ؛ كَفَرُوا هَذَا الَّذِي خَالَفَ آرَاءَ الشُّيُوخِ لِكَلَامِ اللَّهِ وَكَلَامِ رَسُولِهِ.

٣٥٢٤ - قَالُوا تَنْقَضَتِ الْكِبَارَ وَسَائِرِ الْعُلَمَاءِ بَلْ جَاهَرْتَ بِالْبُهْتَانِ

وهذا لا شكَّ أنه واقعٌ، لكن نحن في بلادنا -والحمد لله- لا نُحِسُّ به؛ لأنَّه لا يُوجَدُ، لكن اخرج إلى البلاد الأخرى في البلاد الإسلامية، أو اقرأ ما جرى في التاريخ تجد أن هذا أمرٌ محقَّقٌ، إذا خالفتَ أمرَ الشُّيوخِ يُنادون عليك بالصِّياحِ والعويلِ: أنت مُبتدِعٌ ضالٌّ، أنت مُتَنَقِّصٌ للعلماء، أنت فاعلٌ كذا... إلخ.

٣٥٢٥ - هَذَا وَلَمْ نَسْلُبْهُمْ حَقَّالَهُمْ لِيَكُونَ ذَا كَذِبٍ وَذَا عُذْوَانٍ
أَنَّهُ قَالَ:

هَذَا وَلَمْ تَسْلُبْهُمْ حَقَّالَهُمْ لَتَكُونَ ذَا كَذِبٍ وَذَا عُذْوَانٍ
لو أَنَّهُ قَالَ ذَلِكَ لَكَانَ أَحْسَنَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «بَلْ جَاهَرْتَ بِالْبُهْتَانِ»؛ يَعْنِي: هَذَا
مَعَ أَنَّكَ لَمْ تَسْلُبْهُمْ حَقَّهُمْ وَلَمْ تَكُنْ كَاذِبًا فِيمَا قُلْتَ فِيهِمْ.

٣٥٢٦ - وَإِذَا سَأَلْتِ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ جَهْرًا بِإِلَاحْتِمَانٍ
٣٥٢٧ - لَمْ يَغْضَبُوا بَلْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَيْنَ الصَّوَابِ وَمُقْتَضَى الْإِحْسَانِ
٣٥٢٨ - وَالْأَمْرُ وَاللَّهُ الْعَظِيمِ يَزِيدُ فَوْقَ الْوَصْفِ لَا يَخْفَى عَلَى الْعُمَيَّانِ
٣٥٢٩ - وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَوْحِيدًا رَأَيْتَ تَ وَجُوهَهُمْ مَكْسُوفَةَ الْأَلْوَانِ
٣٥٣٠ - بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ شَرًّا مِثْلَ مَا نَظَرَ التُّيُوسُ إِلَى عَصَا الْجُوبَانِ
٣٥٣١ - وَإِذَا ذَكَرْتَ بِمِدْحَةٍ شُرَكَاءَهُمْ يَتَبَاشَرُونَ تَبَاشَرَ الْفَرَحَانِ
٣٥٣٢ - وَاللَّهُ مَا شَمُّوا رَوَائِحَ دِينِهِ يَارَ كَمَّةً أَعْيَتْ طَيْبَ زَمَانِ

الشرح

٣٥٢٦ - وَإِذَا سَأَلْتِ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ جَهْرًا بِإِلَاحْتِمَانٍ
٣٥٢٧ - لَمْ يَغْضَبُوا بَلْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَيْنَ الصَّوَابِ وَمُقْتَضَى الْإِحْسَانِ

إِذَا جَحَدَتْ صِفَاتِ اللَّهِ وَكَلَامَهُ وَعَلَوَهُ لَمْ يَغْضَبُوا، بَلْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ عَيْنَ الصَّوَابِ وَمَقْتَضَى الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ الصِّفَاتِ، يُنْكِرُونَ الْكَلَامَ، يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ، فَمَنْ أَثْبَتَهُ فَهُوَ ضَالٌّ مُبْتَدِعٌ، وَمَنْ نَفَاهُ فَهُوَ الَّذِي قَالَ الصَّوَابَ.

٣٥٢٨- وَالْأَمْرُ وَاللَّهُ الْعَظِيمِ يَزِيدُ فَوْقَ الْوَصْفِ لَا يَخْفَى عَلَى الْعُمَيَّانِ أَمْرُهُ هَوْلًا يَزِيدُ عَلَى الْوَصْفِ حَتَّى عَلَى مَا قَالَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ.

٣٥٢٩- وَإِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ تَوْحِيدًا رَأَيْتَ وَجُوهَهُمْ مَكْسُوفَةً الْأَلْوَانَ نَعُودُ بِاللَّهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

٣٥٣٠- بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ شِزْرًا مِثْلَ مَا نَظَرَ التِّيُّوسُ إِلَى عَصَا الْجُوبَانَ وَهَذَا تَشْبِيهٌُ جَيِّدٌ، يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ وَحْدَهُ نَظَرَ التِّيْسِ إِلَى عَصَا الرَّاعِي الَّذِي يَضْرِبُهُ بِهَا؛ أَيْ: نَظَرَ كَرَاهَةً؛ لِأَنَّ التِّيْسَ يَكْرَهُ الْعَصَا مَعَ الْجُوبَانَ يَخْشَى أَنْ يَضْرِبَهُ بِهَا.

٣٥٣١- وَإِذَا ذَكَرْتَ بِمِدْحَةٍ شُرَكَاءَهُمْ يَتَبَاشَرُونَ تَبَاشَرَ الْفَرَحَانَ ٣٥٣٢- وَاللَّهُ مَا شَمُّوا رَوَائِحَ دِينِهِ يَا زَكَمَةً أَغْيَتْ طَيْبَ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «يَتَبَاشَرُونَ»، وَفِي نَسْخَةِ: «يَسْتَبْشِرُونَ» وَهَذَا أَقْرَبُ لِلْقُرْآنِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، هَلْ هُوَ لَاءَ مُوَحِّدُونَ؟ هَلْ هُوَ لَاءَ عَابِدُونَ اللَّهَ حَقًّا؟ أَبَدًا، لَوْ عَبَدُوا اللَّهَ حَقًّا لِأَحْبَبُوا اللَّهَ، وَلَوْ أَحْبَبُوا اللَّهَ لَاتَزَمُوا شَرْعَهُ.

فصل

فِي صَفِّ الْعَسْكَرَيْنِ، وَتَقَابُلِ الصَّفَيْنِ وَاسْتِدَارَةِ رَحَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ، وَتَصَاوُلِ الْأَقْرَانِ

- ٣٥٣٣- يَا مَنْ يَشُبُّ الْحَرْبَ جَهْلًا مَا لَكُمْ بِقِتَالِ حِزْبِ اللَّهِ قَطُّ يَدَانِ
- ٣٥٣٤- أَنَّى تَقُومُ جُنُودُكُمْ لِجُنُودِهِمْ وَهُمْ الْهُدَاةُ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ
- ٣٥٣٥- وَجُنُودُكُمْ مَا بَيْنَ كَذَابٍ وَدَجٍّ جَالٍ وَمُحْتَمَالٍ وَذِي بُهْتَانِ
- ٣٥٣٦- مِنْ كُلِّ أَرَعَنَ يَدَّعِي الْمَعْقُولَ وَهُوَ وَوَجَانِبٌ لِلْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ
- ٣٥٣٧- أَوْ كُلِّ مُبْتَدِعٍ وَجَهْمِيٍّ عَدَا فِي قَلْبِهِ حَرْجٌ مِنَ الْقُرْآنِ
- ٣٥٣٨- أَوْ كُلِّ مَنْ دَانَ دِينَ سُيُوحِ أَهْلِ لِ الْإِغْتِرَالِ الْبَيْنِ الْبُطْلَانِ
- ٣٥٣٩- أَوْ قَائِلٍ بِالْإِتِّحَادِ وَأَنَّهُ عَيْنُ الْإِلَهِ وَمَاهُنَا شَيْئَانِ
- ٣٥٤٠- أَوْ مَنْ عَدَا فِي دِينِهِ مُتَحَيِّرًا أَتْبَاعَ كُلِّ مُلَدِّ حَيْرَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلِّ فِي صَفِّ الْعَسْكَرَيْنِ، وَتَقَابُلِ الصَّفَيْنِ، وَاسْتِدَارَةِ رَحَى الْحَرْبِ الْعَوَانِ وَتَصَاوُلِ الْأَقْرَانِ» عناوين المؤلف - رحمه الله - كلها عناوين شجاعة وتحمس، وكأنك بين الصَّفَيْنِ إِذَا سَمِعْتَ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ، وَالْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَقَدَ هَذَا الْفَصْلَ لِیُبَيِّنَ الْجُنُودَ وَالْأَحْزَابَ، وَالْجُنُودُ وَالْأَحْزَابُ نَوْعَانِ: جُنْدُ اللَّهِ وَحِزْبُهُ، وَجُنْدُ الشَّيْطَانِ وَحِزْبُهُ.

٣٥٣٣- يَا مَنْ يَشُبُّ الْحَرْبَ جَهْلًا مَا لَكُمْ بِقِتَالِ حِزْبِ اللَّهِ قَطُّ يَدَانِ

ويعني بذلك: أهل البدع والضلال والإشراك، ليس لهم بقتال حزب الله «أهل السنة والجماعة، أهل التوحيد» «قَطُّ يَدَانِ» «يَدَانِ»؛ أي: قوة.

٣٥٣٤- أَنَّى تَقُومُ جُنُودُكُمْ لِجُنُودِهِمْ وَهُمْ الْهُدَاةُ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ»، وفي نسخة: «وَنَاصِرُ الرَّحْمَنِ».

وهذا الاستفهام للإنكار؛ يعني: لا يمكن أن تقوم جنودكم لجنودهم في هذه الحال حيث يكونون هداةً وعسكراً للقرآن الكريم.

٣٥٣٥- وَجُنُودُكُمْ مَا بَيْنَ كَذَابٍ وَدَجٍّ جَالٍ وَمُحْتَالٍ وَذِي بُهْتَانٍ قَوْلُهُ: «كَذَابٍ»: صيغة مبالغة من الكذب، وهو الإخبار بخلاف الواقع.

قَوْلُهُ: «دَجَّالٍ»: صيغة مبالغة من الدجل، وهو التَّمويهُ والخداعُ، إذ يدعي أنه على حق ويأتي بالشبهات.

قَوْلُهُ: «وَمُحْتَالٍ»: المحتال هو صاحب الحيلة الذي يحتال ليصطاد الناس بحيلته بعد أن يموة عليهم، فهو يتحين الفرص حتى إذا حانت له الفرصة تكلم، وإذا لم يجد مقالاً سكت وداهن.

قَوْلُهُ: «ذِي بُهْتَانٍ»؛ أي: ذي كذب.

والظاهر أن هذا من باب عطف المترادفين كقول الشاعر:

فَقَدَدَتِ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ فَالْفَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا^(١)

(١) البيت لعدي بن زيد، كما في لسان العرب، مادة: «مين».

والمين هو الكذب.

ذكر - رحمه الله - أن جنود الشيطان وأحزاب الشيطان ما بين كذابٍ ودجالٍ ومحتالٍ وذئبٍ بهتانٍ، ومن اتصف بهذه الصفات فهو إلى الخذلان أقرب منه إلى النصر.

٣٥٣٦- مِنْ كُلِّ أَرْعَنَ يَدَّعِيِ الْمَعْقُولِ وَهُوَ — وَمُجَانِبٌ لِلْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ أَرْعَنَ يَدَّعِيِ الْمَعْقُولِ» «الْأَرْعَنُ» هُوَ الْجَبَانُ شَدِيدُ الْجُبْنِ،
«يَدَّعِيِ الْمَعْقُولِ»؛ يَعْنِي: يَدَّعِيِ أَنَّهُ صَاحِبُ الْعَقْلِ.

ولنضرب لهذا مثلاً بأهل التعطيل، أهل التعطيل من أشعريّة ومعتزلة وجهميّة وأشباههم يدعون أنهم هم أصحاب العقول، وأن العقل دال على أن الله ليس متصفاً بهذه الصفات.

فهم يرجعون في باب أسماء الله وصفاته إلى العقل، وبيننا أن رجوعهم إلى العقل مخالف للعقل؛ لأن العقل يقتضي أن الأمور الغيبية يجب الاستسلام فيها للنقل، ولا يتعرض لها الإنسان؛ لأنها أمور غائبة، كيف تحكّم العقل؟ هذه واحدة.

ثانياً: إلى أي عقل نرجع؟ وأصحاب العقل الذين يدعون العقل كلهم متنازعون، يضلّل بعضهم بعضاً، ويقول أحدهم: إن هذا الحكم يوجب العقل، والثاني يقول: إن هذا الحكم يمنع العقل، بل إن الواحد منهم يتناقض في مؤلفاته فتجده يؤلف مؤلفاً يقول: العقل يوجب أن يكون الله كذا، وفي مؤلف آخر يقول: العقل يمنع أن يكون الله كذا وكذا، وإذا أردت أن تطلع على هذا راجع كتب المناقشات في هذا الباب ككتب شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - يتبين لك،

والإمام مالك - رحمه الله - يقول: «بأيِّ عقلٍ يُوزَنُ الكتابُ والسُّنَّةُ؟ أفكلِّها جاءنا رجلٌ أجدلٌ من رجلٍ تركنا قوله وتركنا الكتابَ والسُّنَّةَ من أجلِّ قوله؟»^(١)، هذا لا يمكنُ.

٢٥٢٧- أَوْ كُلُّ مُبْتَدِعٍ وَجَهْمِيٍّ غَدَا فِي قَلْبِهِ حَرْجٌ مِنَ الْقُرْآنِ

نسأل الله العافية، قوله: «مبتدع» هذا عامٌ، قوله: «جهميٌّ» من بابِ عطفِ الخاصِّ على العامِّ؛ لأنَّ الجهميَّةَ - لا شكَّ - مبتدعةٌ، وهم أتباعُ الجهم بن صفوان، والجهم بن صفوان ليس هو رأسُ الجهميَّةِ، رأسُ الجهميَّةِ هو الجعد بن درهم، لكنَّ الجعد بن درهم لم يكن لقوله انتشارٌ، ولكنه أسَّس القاعدةَ وقال: (إنَّ الله لم يتَّخذ إبراهيمَ خليلاً، ولم يُكَلِّم موسى تكليماً)، فبدأ بنفي هاتين الصِّفتين: المحبَّة والكلام، ومعلومٌ أنَّه إذا انتفت هاتان الصِّفتان بطل الشَّرْعُ، إذا كان الله لم يتكلَّم بالقرآن ولم يُكلِّم الرُّسُلَ بطل القرآن، ثُمَّ إِنَّ الجهم بن صفوان تتلمذَ عليه، وبسَّ التِّلْمِيذُ والأستاذُ، تتلمذَ عليه ونشر المذهبَ، ونُسِبَ المذهبُ إلى الجهم؛ لأنَّه ناشره لا لأنَّه مُنشئه؛ إذ أنَّ المُنشِئَ له هو الجعد بن درهم.

المهمُّ: أنَّ هؤلاء غداً في قلوبهم ضيقٌ من القرآنِ لاسيَّما في أسماءِ الله وصفاته حتَّى إنَّهم في وقتٍ من الأوقاتِ كتبوا على كسوةِ الكعبةِ (ليس كمثلِه شيءٌ وهو العزيزُ الحكيمُ) لماذا؟ لأنَّ السَّمِيعَ البصيرَ لا يريدونها؛ لأنَّها تُثبِتُ السَّمْعَ وتُثبِتُ البصرَ، وهم ينكرون ذلك، وأهمُّ شيءٍ أنَّهم حَرَّفُوا القرآنَ، فهم في قلوبهم حَرَجٌ من القرآنِ حتَّى قال بعضهم: أتمنَّى أن تكونَ لي قدرةٌ حتَّى أحكَّ من القرآنِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥] والعياذُ بالله؛ لأنَّه يُنكِرُ الاستواءَ.

(١) انظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات (ص: ٢٣٥).

٣٥٣٨- أَوْ كُلِّ مَنْ دَانَ دِينَ شَيْوِخِ أَهْلِ - لِإِعْتِرَازِ الْبَيِّنِ الْبُطْلَانِ

المعتزلة أصحابُ عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء، سُمُّوا بذلك لأنهم اعتزلوا مسجدَ الحسنِ البصريِّ رحمه الله، وكان أصلُه أن النَّاسَ في ذلك الوقتِ اختلفوا في فاعلِ الكبيرة، فاعلُ الكبيرة هل هو كافرٌ أو غيرُ كافرٍ؟ الخوارجُ يقولون: إِنَّهُ كَافِرٌ مُحَلَّدٌ فِي النَّارِ كَمَنْ يَعْبُدُ الصَّنَمَ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ: هُوَ مُؤْمِنٌ إِلَّا أَنَّهُ نَاقِصُ الْإِيْمَانِ، وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يُقَرِّرُ هَذَا فِي مَجْلِسِهِ، فَنَازَعَهُ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَقَالَ: لَا يُمْكِنُ، الْإِيْمَانُ لَا يَنْقُصُ وَلَا يَزِيدُ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّهُ مُؤْمِنٌ نَاقِصُ الْإِيْمَانِ، لَكِنْ نَقُولُ: إِنَّهُ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ، لَيْسَ مُؤْمِنًا وَلَا كَافِرًا، فَحَصَلَ جِدَالٌ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى جِهَةِ الْمَسْجِدِ الْآخَرَى فَاعْتَزَلَهُ، وَجَعَلَ يُقَرِّرُ هَذَا الْمَذْهَبَ أَنَّهُ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ، فَأَثَبَتْ قِسْمًا ثَالِثًا لَمْ يُثَبِّتْهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، وَلَمْ يَذْكَرْ قِسْمًا ثَالِثًا، فَمِنْ ثُمَّ سُمِّيَ مَعْتَزِلِيًّا، وَتَسَمَّوْا بِأَتَمِّهِمْ أَهْلُ الْعَدْلِ وَأَهْلُ التَّوْحِيدِ تَزْيِينًا عَلَى النَّاسِ وَإِضْلَالًا لَهُمْ، وَقَالُوا: إِنَّهُمْ هُمُ أَصْحَابُ الْعَقْلِ، أَصْحَابُ الذِّكَاةِ، لَكِنَّهُمْ كَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ: «أَوْتُوا ذِكَاةً وَلَمْ يُؤْتُوا ذِكَاةً»^(١)، مَا زَكَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَلَا اتَّبَعُوا مِنْهَجَ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَأَصْحَابِهِ، هُمُ أَذْكَيَاءُ لَا شَكَّ، لَكِنَّهُمْ ضَلُّوا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

والمعتزلة يشاركون الجهمية في بعض الأشياء ويُخالفونهم في بعض الأشياء، ففي الصفات أقوالهم متقاربة، كُلُّهُمْ بَنَوْا مَذْهَبَهُمْ عَلَى التَّعْطِيلِ، لَكِنْ فِي بَابِ الْقَدْرِ عَلَى طَرَفَيْ نَقِيضٍ، الْمَعْتَزَلَةُ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ لِتَقْدِيرِ اللَّهِ عِلَاقَةٌ فِي فِعْلِ الْإِنْسَانِ، وَالْجَهْمِيَّةُ بِالْعَكْسِ يَرَوْنَ أَنَّ الْعَبْدَ مُجْبَرٌ وَأَنَّهُ يَسِيرُ جَبْرًا لَيْسَ لَهُ إِرَادَةٌ،

كذلك في باب أسماء الإيمان والدين، الجبرية يقولون: إِنَّ فاعل الكبيرة مؤمنٌ كامل الإيمان، والمعتزلة يقولون: ليس بمؤمنٍ وليس بكافرٍ أيضًا، فأتوا بقسم ثالث ما أنزل الله به من سلطان، قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ [التغابن: ٢]، ولم يذكر قسمًا ثالثًا، هم قالوا: هناك قسمٌ ثالثٌ: لا مؤمنٌ ولا كافرٌ، وفي الأحكام يقول الجهمية: إِنَّ فاعل الكبيرة لا يدخل النار؛ لأنه لم يفعل ما يستحق دخول النار، والمعتزلة يقولون: فاعل الكبيرة مُخَلَّدٌ في النار، فافتروا في ثلاثة أبواب، واتفقوا في باب الصفات ليس بينهم اختلافٌ إلا يسيرٌ.

٣٥٣٩- أَوْ قَائِلٍ بِالِاتِّحَادِ وَأَنَّهُ عَيْنُ الْإِلَهِ وَمَا هُنَا شَيْئَانِ
والقائل بهذا هو أحبُّهم، أهل الاتحاد سبق أنَّهم يقولون: إِنَّ الكونَ والمُكوِّنَ شيءٌ واحدٌ، فالرَّبُّ هو العبدُ، والعبدُ هو الرَّبُّ، وليس هناك شيان.

٣٥٤٠- أَوْ مَنْ غَدَا فِي دِينِهِ مُتَحَيِّرًا أَتْبَاعَ كُلِّ مُلَدِّ حَيْرَانِ
قال العلماء: «أكثر الناس شكًا عند الموت هم أهل الكلام»؛ لأنَّهم لم يهتدوا للمنقول ولا للمعقول الصريح، بل المعقول المشوب بالشبهات والشكوك؛ ولهذا كان بعضهم في آخر وقته يقول: «إِنِّي خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ وَفَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، وَهِيَ أَنَا الْآنَ أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي»^(١)، أمُّه العجوزُ الجاهلةُ! وهذا إقرارٌ منهم بأنَّهم لم يستفيدوا من الخوض في علم الكلام شيئًا.

ويقول الآخر:

لَعَمْرِي لَقَدْ طُفْتُ الْمَعَاهِدَ كُلَّهَا وَسَيَّرْتُ طَرْفِي بَيْنَ تِلْكَ الْمَعَالِمِ

(١) هذا قول أبي المعالي الجويني، كما في شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٨).

فَلَمْ أَرِ إِلَّا وَاضِعًا كَفَّ حَائِرٍ عَلَى ذَقْنٍ أَوْ قَارِعًا سِنَّ نَادِمٍ^(١)

وأقروا على أنفسهم بأنهم أخطؤوا خطأ عظيمًا، وضلُّوا ضلالًا بعيدًا، وعلى رأسهم الشيخ الكبير الرازي الذي أقرَّ بأنه لم يستفد من بحثه طول عمره سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا.

هؤلاء أصحابُ الشكِّ المتحيرون الذين لا يدرون أهم على حق أم على ضلالٍ؟ والعياذُ بالله، ويرفضون أن يدينوا بأيِّ دينٍ؛ لأنه ليس عندهم عقيدة، وهذا ربُّما يردُّ على قلب المؤمن الخالص من الشيطان الرجيم ما يجعله في شكٍّ وحيرة، ولكنَّ دواء ذلك أن تستعيد بالله من الشيطان الرجيم، وأن تنتهي عن هذه التقديرات؛ كما أرشد إلى ذلك النبي ﷺ حين شكَا إليه الصحابة ما يجدون في نفوسهم من هذه الأنواع من الوسوس، فأمرهم بالانتهاء والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم^(٢).

٣٥٤١ - وَجُنُودُهُمْ جِرِيْلٌ مَعَ مِيكَالَ مَعَ بَاقِي الْمَلَائِكِ نَاصِرِي الْقُرْآنِ

٣٥٤٢ - وَجَمِيعُ رُسُلِ اللَّهِ مِنْ نُوحٍ إِلَى خَيْرِ الْوَرَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانِ

٣٥٤٣ - فَالْقَلْبُ خَمْسَتُهُمْ أُولُو الْعُزْمِ الْأُلَى فِي سُورَةِ الشُّورَى أَتَوْا بَيَّانِ

(١) هذا قول أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، كما في شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٨).

(٢) كما في حديث: «يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ كَذَا، مَنْ خَلَقَ كَذَا، حَتَّى يَقُولَ: مَنْ خَلَقَ رَبِّكَ؟ فِإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَّه». أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم (٣١٠٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، رقم (١٣٤).

- ٣٥٤٤ - فِي أَوَّلِ الْأَحْزَابِ أَيْضًا ذَكَرَهُمْ هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ
- ٣٥٤٥ - وَلَوْ أَوْهُمْ بِيَدِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ وَالْكُلُّ تَحْتَ لِوَاءِ ذِي الْفُرْقَانِ
- ٣٥٤٦ - وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ عِصَابَةَ الْإِسْلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
- ٣٥٤٧ - وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
- ٣٥٤٨ - أَهْلُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ وَأَيْمَّةُ الْفِتْوَى وَأَهْلُ حَقَائِقِ الْعِرْفَانِ
- ٣٥٤٩ - الْعَارِفُونَ بِرَبِّهِمْ وَنَبِيِّهِمْ وَمَرَاتِبِ الْأَعْمَالِ فِي الرَّجْحَانِ
- ٣٥٥٠ - صُوفِيَّةٌ سُنِّيَّةٌ نَبَوِيَّةٌ لَيْسُوا أَوْلِي شَطْحٍ وَلَا هَدْيَانِ

الشرح

- ٣٥٤١ - وَجُنُودُهُمْ جِبْرِيلُ مَعَ مِيكَالَ مَعَ بَاقِي الْمَلَائِكَةِ نَاصِرِي الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «وَجُنُودُهُمْ»؛ أَي: جُنُودُ أَهْلِ الْحَقِّ.

فالملائكة هم جنود أصحاب السنة والجماعة يؤيدونهم؛ ولهذا قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو يدافع عن الإسلام قال: «اللَّهُمَّ أَيَّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ»^(١)؛ أَي: جبريل عليه السلام، والملائكة قاتلت مع النبي ﷺ إثباتاً للحق.

وهل يمكن أن تقاوم جنود الشياطين لجنود الله عز وجل وملائكته؟ الجواب: أبداً، فمن معه الملائكة أقوى ممن معه الشياطين لاشك في هذا، وهالك

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، رقم (٣٠٤٠)، ومسلم في فضائل الصحابة، باب فضائل حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رقم (٢٤٨٥).

مثالاً واقعاً لما قال سليمان: ﴿أَيْتُكُمْ يَأْتِينِي بَعْرِشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُوَنِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]، مع أن عرش بلقيس في اليمن وسليمان في الشام، ﴿قَالَ عَفْرَيْتُ مَنْ الْجِنِّ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩] هذا جِنِّي؛ يعني: يريد أن يأتي بالعرش من اليمن إلى الشام قبل أن يقوم من مقامه، وكان سليمان له عادة يقوم من مقامه في وقت معين معروف، ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَأَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]؛ أي: مُدَّ طَرْفَكَ هكذا وردّه فإذا هو عندك؛ ولهذا قال: ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ [النمل: ٤٠]، قال النحويون: كيف يكون مستقراً والقاعدة أن متعلّق الظرف والجار والمجرور لا يُذكر؟! ولذا يقول ابن مالك - رحمه الله - في ألفيته:

وَأَخْبَرُوا بِظَرْفٍ أَوْ بِحَرْفٍ جَرٍّ نَاوِينَ مَعْنَى كَائِنٍ أَوْ اسْتَقَرٍّ

الشاهد قوله: «ناوين معنى كائين أو استقرّ»، لا يذكرون «كائين» ولا «استقرّ» ولا «مستقرّ»، فهنا قال: لما رآه مستقراً؟ أجابوا عن هذا بأن هذا الاستقرار ليس الاستقرار المطلق، وإنما يُراد به استقرارٌ خاصٌّ، فإذا قلت: «زيدٌ في البيت» فهو مُستقرٌّ في البيت، لكن رُبّما يكون في قلبي، ويصحُّ أن يقول: «زيدٌ في البيت»، لكن إذا قلت: «زيدٌ مستقرٌّ في البيت» هذا معنى جديد خاصٌّ، ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ [النمل: ٤٠]، لو قال: «فَلَمَّا رَأَاهُ عِنْدَهُ» رُبّما يكون عنده لكنه ليس مستقراً؛ هذا جاء به ووضعه كأنه وضعه قبل عشرين يوماً.

ف«مستقرٌّ»؛ أي: منضبطٌ تماماً، أنت الآن إذا أتيت بكربيّ وكان بعض أرجله قصيراً ووضعت رُبّما يحتاج إلى تعديلٍ كأن تضع حصاةً تحت رِجله القصيرة، لكن هذا وجده مستقراً، فهذا الاستقرارُ إنّما ذُكرَ لأنّه استقرارٌ خاصٌّ،

ليس الاستقرار العام، على كُـلِّ حالٍ تَبَيَّنَ الآنَ أَنَّ الملائكةَ أقوى من الجنِّ؛ لأنَّ الجنِّيَّ وَعَدَّ أن يأتيَ به قبل أن يقومَ من مقامه لكن هذا قبل أن يرتدَّ إليه طرفه، وفعلاً حَصَلَ.

فهؤلاء الذين جنودهم جبريلُ وميكائيلُ وباقي الملائكة هل يمكنُ أن يُقاومهم عساكرُ الشياطين؟ الجوابُ: أبدًا، لكن إننا يُحذَلُ أهلُ الحقِّ بتقصيرهم إمَّا في التوكُّلِ والاعتمادِ على الله، وإما بتخلُّفِ بعضِ الأسبابِ، فلهذا قد يُغلبون.

٣٥٤٢- وَجَمِيعُ رُسُلِ اللَّهِ مِنْ نُوحٍ إِلَى خَيْرِ الْوَرَى الْمَبْعُوثِ مِنْ عَدْنَانَ

أي: وجنودهم أيضًا جميعُ رسلِ الله من نوحٍ إلى خَيْرِ الْوَرَى -أي: خَيْرِ الْخَلْقِ- المبعوثِ من عدنان، وهو مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فهو أحرهم، أسألُ الله أن يجعلني وإياكم من أتباعه، وأن يحشرنا تحت لوائه.

ونعمَ الرِّجالُ، نعمَ الجنودُ، رسلُ الله من نوحٍ إلى مُحَمَّدٍ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، إذنَّ جميعُ الرُّسلِ جنودُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وأهلُ السُّنَّةِ جنودهم أيضًا، فالكلُّ ناصرٌ للآخر.

وأفادنا المؤلفُ -رحمه الله- في قوله: «مِنْ نُوحٍ إِلَى...» أنَّ آدمَ ليس برسولٍ وأنَّ ما يُذكَّرُ من أنَّ إدريسَ جدُّ نوحٍ كَذِبٌ، فإدريسُ ليس قبلَ نوحٍ، بل إدريسُ بعده، والظاهرُ -والله أعلم- أنَّه من بني إسرائيلَ، فمَنْ زَعَمَ أنَّ إدريسَ جدُّ نوحٍ وأنَّه قبله، أو أنَّ شيئًا -أو ما أشبه ذلك من الأقوالِ- قبل نوحٍ فقد ضلَّ وكذبَ وخالفَ القرآنَ والسُّنَّةَ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، فلو كان قبل نوحٍ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- أحدٌ لقال: «إلى فلانٍ والنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ»، لكن ليس قبله أحدٌ.

وانتهوا إلى شجرة الأنبياء المكتوبة والتي تَبَاعُ أحياناً، مكتوبٌ فيها إدريسٌ قبل نوحٍ، هذا كَذِبٌ، ويجبُ على مَنْ شاهدها أن يُمَرِّقَهَا؛ لَأَنَّهُ سَيُحَوَّلُ عَقِيدَةَ المسلمين إلى خطأ، سَيُحَوَّلُ العَقِيدَةَ إلى أن نعتقد أن نوحاً مسبوqُ برسولٍ، وهذا كَذِبٌ، ففي القرآن: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [النساء: ١٦٣]، وفي القرآن أيضاً: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦]، إِذَنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ نُبُوَّةٌ وَكِتَابٌ قَبْلَ نُوحٍ، والمرادُ بالنُّبُوَّةِ هُنَا نُبُوَّةُ الرَّسَالَةِ، وفي السُّنَّةِ الصَّحِيحَةِ: «أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ»^(١)، وهذا صريحٌ، فحينئذٍ نقولُ: إِنَّ مَا نُشِرَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ بَاطِلٌ.

إِذَنْ مِنَ العَقِيدَةِ الواجِبَةِ على كُلِّ مسلمٍ أَنْ يَعتَقِدَ أَنَّ نُوحًا هُوَ أَوَّلُ الرَّسُولِ، وَأَنَّهُ لَا رَسُولَ قَبْلَهُ، أَمَّا النُّبُوَّةُ فَنَعَمُ ثَبَّتْ لِآدَمَ؛ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ الَّذِي صَحَّحَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ العُلَمَاءِ أَنَّ آدَمَ «نَبِيُّ مُكَلَّمٌ»^(٢)، لَكِنَّهُ لَمْ يُرْسَلْ؛ لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا قَلِيلِينَ وَلَا يَفْتَنُهُمْ شَيْءٌ، وَلَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ، فَبمَجْرَدِ مَا يَشَاهِدُونَ آدَمَ يَتَعَبَّدُ لِلَّهِ بِعِبَادَةٍ يَتَعَبَّدُونَ لِلَّهِ بِهَا؛ وَهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وَقَدْ قَرَأَ بَعْضُ السَّلَفِ: «كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا»، وَهَذِهِ القِرَاءَةُ يَدُلُّ عَلَيْهَا قَوْلُهُ: ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا أَخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [نوح: ١]، رقم (٣١٦٢)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم (١٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٨/٥)، رقم (٢١٥٨٦).

٣٥٤٣- فالقَلْبُ حَمَسَتْهُمْ أَوْلُو الْعُزْمِ الْأَلَى فِي سُورَةِ الشُّورَى أَتَوْا بَيَانَ

٣٥٤٤- فِي أَوَّلِ الْأَحْزَابِ أَيْضًا ذَكَرَهُمْ هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانِ

«الْقَلْبُ»؛ أي: قَلْبُ الْجَيْشِ خَمْسَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَهُمْ عَلَى التَّرْتِيبِ بِالْأَفْضَلِيَّةِ: مُحَمَّدٌ، إِبْرَاهِيمُ، مُوسَى، ثُمَّ عَيْسَى وَنُوحٌ فِي مَرْتَبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ فَضَّلَ نُوحًا، وَمِنْهُمْ مَنْ فَضَّلَ عَيْسَى، فَمَنْ فَضَّلَ «نُوحًا» قَالَ: لِأَنَّهُ أُوذِيَ وَبَقِيَ فِي قَوْمِهِ أَلْفَ سَنَةٍ وَتَعَبَ مَعَ قَوْمِهِ، وَالَّذِينَ قَدَّمُوا «عَيْسَى» قَدَّمُوهُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، فَهَذَا لَهُ مَقَامٌ صَبِيرٍ، وَهَذَا لَهُ مَقَامٌ شَكْرٍ، وَالْأَوْلَى التَّوَقُّفُ، إِنَّمَا الثَّلَاثَةُ الْأَوَّلُونَ: مُحَمَّدٌ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَمُوسَى، هَذِهِ رُتَبَتُهُمْ.

قَوْلُهُ: «فِي سُورَةِ الشُّورَى» هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

قَوْلُهُ: «فِي أَوَّلِ الْأَحْزَابِ أَيْضًا ذَكَرَهُمْ» وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، فِي هَذِهِ الْمَوْضِعِينَ ذُكِرَ أَوْلُو الْعُزْمِ الْخَمْسَةِ، وَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ.

٣٥٤٥- وَلِوَأْوَهُمْ بِيَدِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ وَالْكُلُّ تَحْتَ لِيَوَاءِ ذِي الْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْكُلُّ تَحْتَ لِيَوَاءِ ذِي الْفُرْقَانِ»؛ يَعْنِي: مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ أَلْوِيَةَ الْحَقِّ أَلْوِيَةَ التَّوْحِيدِ وَمَعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَلْ يُمْكِنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَقَاوِمَهُمْ؟ الْجَوَابُ: لَا - وَاللَّهُ - لَا يُمْكِنُ أَبَدًا.

٣٥٤٦- وَجَمِيعُ أَصْحَابِ الرَّسُولِ عِصَابَةُ الْإِسْلَامِ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 جميعُ أصحابِ الرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كُلُّهُمْ جنودٌ لعساكرِ القرآنِ،
 كُلُّهُمْ جنودٌ لأهلِ السُّنَّةِ، وهم أهلُ العلمِ والإيمانِ، لا شكَّ والله هم أهلُ العلمِ
 والإيمانِ، وليس في الأُمَّةِ مَنْ يساويهم في علمهم وإيمانهم.

٣٥٤٧- وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى طَبَقَاتِهِمْ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 قَوْلُهُ: «التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ» ينبغي إذا ذَكَرْتَ التَّابِعِينَ أَنْ تُقَيِّدَ
 «بِإِحْسَانٍ»؛ لِأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ تَابِعٌ وَلَيْسَ بِتَابِعٍ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ تَابِعًا عَلَى
 الْإِحْسَانِ فَلَيْسَ بِتَابِعٍ، وَاقْرَأْ قَوْلَ اللَّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ
 السَّابِقِينَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِهِمْ لَبَدَّةٌ أُولَئِكَ يُتَّبَعُونَ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، لَمْ يَقُلْ: «الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ»
 فَقَطْ، بَلْ قَالَ: ﴿اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾، وَالْإِحْسَانُ هُنَا الْإِخْلَاصُ وَالْمَتَابَعَةُ، وَعَلَى
 هَذَا فَجَمِيعُ أَهْلِ الْبِدْعِ لَمْ يَتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، فَقَدْ يُحْسِنُونَ فِي شَيْءٍ وَلَا يُحْسِنُونَ فِي
 شَيْءٍ آخَرَ، لَكِنْ لَمْ يَتَّبِعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلِذَلِكَ إِذَا قُلْتَ: «اللَّهُمَّ صَلِّ
 وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ»، قَيِّدْ فَقُلْ: «والتَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ» حَتَّى تُوَافِقَ
 الْقُرْآنَ، وَالْقُرْآنُ - لا شكَّ - أَنَّ عِبَارَاتِهِ خَيْرُ الْعِبَارَاتِ.

٣٥٤٨- أَهْلُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ وَأُمَّةُ الْفِتْوَى وَأَهْلُ حَقَائِقِ الْعِرْفَانِ
 كُلُّ هَؤُلَاءِ جنودٌ، هل يُقَابِلُونَ جنودَ أولئك الكفرةِ أو المبتدعةِ؟ هل
 تقاومهم تلك الجنودُ؟ الجوابُ: لا.

قَوْلُهُ: «وَأُمَّةُ الْفِتْوَى» لا يعني ذلك أَنَّ فتواهم مقبولةٌ أخطؤوا أم أصابوا،
 وَلَكِنَّهُمْ هم أُمَّةُ الْفِتْوَى؛ وَلِذَلِكَ تَجِدُ أَنَّ الْعُلَمَاءَ مِنْ بَعْدِ هَؤُلَاءِ الْأُمَّةِ يَقُولُونَ:

قال الإمام أحمد، قال الإمام الشافعي، قال الإمام أبو حنيفة، قال الإمام مالك، قال الإمام سفيان... وهكذا، فهم الأئمة المرجع، لكن مع ذلك فإن أهل السنة لا يعتقدون العصمة في أئمتهم بخلاف الرافضة، فالرافضة يدعون أن أئمتهم معصومون، حتى إن زعيمهم يقول: إن من أصول عقيدتنا أن لأئمتنا منزلة لا ينالها ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأئهم معصومون من كل خطأ، أين هذا؟ إذا كان أئمة المسلمين المشهود لهم بالصلاح والعلم والإيمان لا يعصمون من الخطأ فمن دونهم بمراتب لا يعصم من الخطأ، كل يخطئ إلا من عصمه الله كالرسل فيما يبلغون به عن الله.

٣٥٤٩- العارفون برّبهم ونبيّهم ومراتب الأعمال في الرجحان

يعرفون الرجحان من المرجوح؛ لأننا نعلم أن الأعمال تتفاضل، قال النبي ﷺ: «أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها»^(١)، والنصوص في هذا كثيرة من القرآن والسنة تدل على تفاضل الأعمال وتفاضل العامل أيضا.

٣٥٥٠- صوفيّة سنيّة نبويّة ليسوا أولي شطح ولا هذيان

قوله: «سنيّة»؛ أي: لتمسكهم بها.

قوله: «صوفيّة سنيّة» هل يمكن أن تكون الصوفيّة سنيّة؟ الجواب: نعم؛ لأن الصوفيّة مبناها على الزهد في الدنيا وترك ما لا ينفع في الآخرة، وهذا هو السبب أنهم سُموا صوفيّة؛ لأنهم لا يلبسون إلا الصوف، وليست من الصفاء كما يدعي بعضهم، لو كانت من الصفاء لكانت النسبة صفيّة، ولكنها من الصوف،

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملا، رقم (٧٠٩٦)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم (٨٥).

وكان أولهم لزهدهم لا يلبس الكتان ولا الألبسة الجميلة لكن يقتصر على الصوف، فقول ابن القيم: «صوفيّة» يريد بذلك الزهادة في الدنيا لا طريقة الشطح والهديان.

وكان ابن القيم -رحمه الله- في أول أمره كان من الصوفيّة حتى قيّص الله له هذا الإمام العظيم أحمد ابن تيمية -رحمه الله- فلازمه، فهداه الله على يده، وقد ذكر ذلك -رحمه الله- في هذه القصيدة نفسها أن الله تعالى منّ عليه بشيخ أتى من أرض حرّان، فهداه الله به وإلا لهلك مع الصوفيّة.

قوله: «نبويّة»؛ لأنّ طريقتهم طريقة النبي ﷺ، وليست كصوفيّة ذي الشطح والهديان، فالصوفيّة الذين عندهم من الشطح والهديان هؤلاء بعيدون عن السنّة.

- ٣٥٥١ - هَذَا كَلَامُهُمْ لَدَيْنَا حَاضِرٌ
مِنْ غَيْرِ مَا كَذِبٍ وَلَا كِتْمَانٍ
- ٣٥٥٢ - فَاقْبَلْ حِوَالَةَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمْ
هُمُ أَمْلِيَاءُ وَهُمْ أَوْلُو إِمْكَانٍ
- ٣٥٥٣ - فَإِذَا بَعَثْنَا غَارَةً مِنْ أُخْرِيَا
تِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِالْقُرْآنِ
- ٣٥٥٤ - طَحَّتْكُمْ طَحْنَ الرَّحَى لِلْحَبِّ حَتَّى
صِرْتُمْ كَالْبَعْرِ فِي الْقِيَعَانِ
- ٣٥٥٥ - أَنَّى يُقَاوِمُ ذِي الْعَسَاكِرِ طَمْطَمٌ
أَوْ تَنْكَلُوشَا أَوْ أَخُو الْيُونَانِ
- ٣٥٥٦ - أَغْنِي أَرْسُطُو عَابِدِ الْأَوْثَانِ أَوْ
ذَاكَ الْمَعْلَمِ أَوْ لَا لِلْحَرْفِ وَالْثَمَانِ
- ٣٥٥٧ - ذَاكَ الْمَعْلَمِ أَوْ لَا لِلْحَرْفِ وَالْثَمَانِ
ثَانِي لَصَوْتِ بِنْتِ الْعِلْمَانِ
- ٣٥٥٨ - هَذَا أَسَاسُ الْفِسْقِ وَالْحَرْفِ الَّذِي
وَضَعُوا أَسَاسَ الْكُفْرِ وَالْهَدْيَانِ

- ٣٥٥٩- أَوْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعُ حَامِلُ رَايَةِ الْ
 ٣٥٦٠- أَعْنِي ابْنَ سَيْنَا ذَلِكَ الْمَحْلُولَ مِنْ
 ٣٥٦١- وَكَذَا نَصِيرُ الشُّرْكِ فِي أَتْبَاعِهِ
 ٣٥٦٢- نَصَرُوا الضَّلَالَةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ
 ٣٥٦٣- فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ مِحْنَةٌ
 ٣٥٦٤- أَوْ جَعْدٌ أَوْ جَهْمٌ وَأَتْبَاعٌ لَهُ
 ٣٥٦٥- أَوْ حَفْصٌ أَوْ بَشْرٌ أَوْ النَّظَامُ ذَا
 ٣٥٦٦- وَالْجَعْفَرَانِ كَذَاكَ شَيْطَانٌ وَيُدُّ
 ٣٥٦٧- وَكَذَلِكَ الشَّحَامُ وَالْعَلَّافُ وَالنُّ
 ٣٥٦٨- وَاللَّهُ مَا فِي الْقَوْمِ شَخْصٌ رَافِعٌ
 ٣٥٦٩- وَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَذَلِكَ الْأَشْعَرِيُّ
 ٣٥٧٠- لَكِنَّكُمْ وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ عَلَى
- إِلْحَادِ ذَلِكَ خَلِيفَةُ الشَّيْطَانِ
 أَدْيَانَ أَهْلِ الْأَرْضِ ذَا الْكُفْرَانِ
 أَعْدَاءِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ
 وَعَزَوْا جُيُوشَ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ
 لَمْ تَجْرِ قَطُّ بِسَالِفِ الْأَزْمَانِ
 هُمْ أُمَّةُ التَّعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ
 كَمْ مَقْدَمُ الْفُسَّاقِ وَالْمَجَّانِ
 عَى الطَّاقَ لَا حِيَّتَ مِنْ شَيْطَانِ
 نَجَّارِ أَهْلِ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ
 بِالْوَحْيِ رَأْسًا بَلْ بِرَأْيِ فُلَانِ
 يُّ الْقِرْمُ ذَاكَ مَقْدَمُ الْفُرْسَانِ
 إِثْبَاتِهِ وَالْحَقُّ ذُو بُرْهَانَ

الشرح

- ٣٥٥١- هَذَا كَلَامُهُمْ لَدَيْنَا حَاضِرٌ
 ٣٥٥٢- فَاقْبَلْ حِوَالَةَ مَنْ أَحَالَ عَلَيْهِمْ
 كَلَامُ السَّلْفِ حَاضِرٌ، فَاقْبَلْ حِوَالَةَ مَنْ حَوَّلَكَ عَلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ حَوَّلَكَ عَلَى مَلِيٍّ،
- مِنْ غَيْرِ مَا كَذِبٍ وَلَا كِثْمَانِ
 هُمْ أَمْلِيَاؤُهُمْ أَوْ لَوْ إِمْكَانِ

ولقد قال النبي ﷺ: «وَإِذَا أُتْبِعَ -يعني: إذا أُحِيلَ بِدَيْنٍ- أَحَدُكُمْ عَلَى مَلِيٍّ فَلْيَتَّبِعْ»^(١)، إذا أَحَالَنا على كَلامِ هؤلاء الأئمَّةِ فقد أَحَالَنا على مَلِيٍّ وَفِيَّ.

٣٥٥٣- فَإِذَا بَعَثْنَا غَارَةً مِنْ أُخْرِيَا تِ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ بِالْقُرْآنِ

٣٥٥٤- طَحْتَكُمْ طَحْنَ الرَّحَى لِلْحَبِّ حَتَّى صِرْتُمْ كَالْبَعْرِ فِي الْقِيَعَانِ

والله عجيبٌ تصوُّره هذا؛ يقول: إذا بعثنا غارةً وليست من مقدّمات الجيش بل من أخريات الجيش، وعادةً أنَّ المُقدِّم من الجيوش أقوى وأشجع، لكن ما نعطيكم من مُقدِّمات الجيش، بل نبعثُ غارةً من أخريات الجيش على هؤلاء المبتدعة والملاحدين وما أشبههم، وهذا هو تمامُ الشَّجاعةِ، طَحْتَكُمْ طَحْنَ الرَّحَى، ومعلومٌ ماذا فعله الرَّحَى في الحَبِّ؟ وإذا فعلت ذلك فإنَّهم يصيرون دقيقًا، وهو -رحمه الله- مثلُ أبلغ من الدَّقِيقِ فقال: «حَتَّى صِرْتُمْ كَالْبَعْرِ فِي الْقِيَعَانِ» «البعر»؛ أي: روث الإبل في القيعان؛ يعني: ليس له قيمةٌ، فالبعرُ في القيعانِ يتفتَّتُ، ولا يمكنُ أن يقابل شيئًا، حتَّى الهواء يمكنُ أن يفرِّقه.

٣٥٥٥- أَنَّى يُقَاوِمُ ذِي الْعَسَاكِرِ طَمَطَمٌ أَوْ تَنْكَلُوشَا أَوْ أَخُو الْيُونَانِ

نعم، لا يُمكنُ أن يُقاوِمَ، لكن من هو أخو اليونان؟ قال رحمه الله:

٣٥٥٦- أَعْنِي أَرِسْطُو عَبِدَ الْأَوْثَانَ أَوْ ذَاكَ الْكُفُورَ مُعَلِّمَ الْأَلْحَانَ

٣٥٥٧- ذَاكَ الْمُعَلِّمُ أَوْلَا لِلْحَرْفِ وَالثَّانِي لِصَوْتِ بُسْتِ الْعُلَمَانَ

قَوْلُهُ: «أَرِسْطُو» مُعَلِّمُ الْحَرْفِ، وَالثَّانِي: مُعَلِّمُ لِلصَّوْتِ «التَّلْحِينِ».

(١) أخرجه النسائي: كتاب البيوع، باب مطل الغني، رقم (٤٦٨٨).

- ٣٥٥٨- هَذَا أَسَاسُ الْفِسْقِ وَالْحَرْفِ الَّذِي وَضَعُوا أَسَاسَ الْكُفْرِ وَالْهَدْيَانِ
 ٣٥٥٩- أَوْ ذَلِكَ الْمَخْدُوعُ حَامِلُ رَايَةِ الْ- إِلْحَادِ ذَاكَ خَلِيفَةُ الشَّيْطَانِ
 ٣٥٦٠- أَعْنِي ابْنَ سَيْنَا ذَلِكَ الْمَحْلُولَ مِنْ أَدْيَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ ذَا الْكُفْرَانِ

هذا ابنُ سينا، وهو الآن مُعَظَّمٌ عند كثيرٍ من النَّاسِ، ورُبَّمَا يُسَمُّونَ المدارسَ باسمِه؛ لأنَّه طيبٌ، ولم يراعوا أَنَّهُ كافرٌ، وابنُ القِيَمِ وكذا شيخُه -رحمهما اللهُ- يُصَرِّحَانِ بِأَنَّهُ كافرٌ، بل قائدُ الكفرِ أَيضاً؛ ولذلك لا يجوزُ أن نرفعَ من شأنِ هؤلاء، نحنُ أُمَّةٌ مسلمةٌ نرفعُ شأنَ مَنْ كانَ إماماً في الدِّينِ، أمَّا مَنْ كانَ إماماً في الكفرِ فإنَّه تحتَ أقدامنا ولو كانَ عنده من علمِ الطِّبِّ أو الصَّنَاعَةِ ما عنده، هذا هو الواجبُ؛ ولهذا يقولُ: «أَعْنِي: ابْنَ سَيْنَا ذَلِكَ الْمَحْلُولَ مِنْ أَدْيَانِ أَهْلِ الْأَرْضِ ذَا الْكُفْرَانِ»، تَنبَّهُوا يا إِخْوَانِ، تَنبَّهُوا، لا يغرِّبْكُمْ مَنْ يُقَدِّسُ أمثالَ هؤلاءِ وهم أئمَّةُ الكفرِ الذين قادوا الأُمَّةَ الإسلاميَّةَ إلى الهاوية، وماذا يُعْنِي طَبُّ الأبدانِ إِذَا ماتت القلوبُ؟! الجوابُ: لا يُعْنِي شيئاً، واللهُ إِنَّ طَبَّ الأبدانِ وصلاحَ المجتمعِ في صلاحِ القلبِ وفي حياةِ القلبِ، أمَّا إِذَا مَاتَ القلبُ أو مَرِضَ فماذا تنفعُ صحَّةُ الجسمِ؟!

- ٣٥٦١- وَكَذَا نَصِيرُ الشُّرْكِ فِي أَتْبَاعِهِ أَعْدَاءِ رُسُلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ
 ٣٥٦٢- نَصَرُوا الضَّلَالََةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِمْ وَعَزَّوْا جُيُوشَ الدِّينِ وَالْقُرْآنِ
 ٣٥٦٣- فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ مِحْنَةٌ لَمْ تَجْرِ قَطُّ بِسَالِفِ الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «فَجَرَى عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُمْ مِحْنَةٌ»، وفي نسخةٍ: «أَعْظَمُ مِحْنَةٍ»، والنسخةُ التي بأيدينا أحسنُ؛ لأنَّ قَوْلَهُ: «لَمْ تَجْرِ قَطُّ» تدلُّ على أَنَّها أَعْظَمُ مِحْنَةٍ.

نصيرُ الشُّركِ يريدُ بذلكَ مَنْ يُسَمَّى نصيرَ الدِّينِ الطوسيِّ، هذا الخبيثُ الذي جَرَى على الإسلامِ منه أعظمُ محنةٍ، وسيُصَوِّرُ المؤلَّفُ -رحمه الله- بعضًا منها أيضًا، وسقطت الخِلافةُ العباسيَّةُ على يده، وأوغل التَّارُ في القتلِ في المسلمينِ وهتكِ الأعراسِ، وما أشبه ذلك.

٣٥٦٤- أَوْ جَعَدُوا جَهَنَّمَ وَاتَّبَعُوا لَهُ هُمْ أُمَّةٌ التَّعْطِيلِ وَالْبُهْتَانِ

الجوابُ: كُلُّ هَذَا بـ«لا»؛ يعني: هؤلاء لا يُقَاوِمُونَ جنودَ الرَّحْمَنِ.

٣٥٦٥- أَوْ حَفِصٌ أَوْ بَشْرٌ أَوْ النَّظَامُ ذَا كَ مُقَدِّمُ الْفُسَّاقِ وَالْمَجَانِ

٣٥٦٦- وَالْجَعْفَرَانِ كَذَاكَ شَيْطَانٌ وَيُذِ عَى الطَّاقِ لَا حِيَّتَ مِنْ شَيْطَانِ

٣٥٦٧- وَكَذَلِكَ الشَّحَامُ وَالْعَلَّافُ وَالنَّبَّارُ أَهْلُ الْجَهْلِ بِالْقُرْآنِ

٣٥٦٨- وَاللَّهُ مَا فِي الْقَوْمِ شَخْصٌ رَافِعٌ بِالْوَحْيِ رَأْسًا بَلْ بِرَأْيِ فُلَانِ

٣٥٦٩- وَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَذَاكَ الْأَشْعَرِيُّ فِي الْقِرْمِ ذَاكَ مُقَدِّمُ الْفُرْسَانِ

٣٥٧٠- لَكِنَّكُمْ وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيْتَابَتِهِ وَالْحَقُّ ذُو بُرْهَانَ

كُلُّ هَذِهِ أَسْمَاءٌ لِشَيْوخِ الْمُعْتَزَلَةِ، وَالْأَشْعَرِيُّ -رحمه الله- هو خيرُ القومِ، كان في أوَّلِ أمرِهِ مُعْتَزَلِيًّا، مَضَى عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَهُوَ مُعْتَزَلِيٌّ، ثُمَّ مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالْهُدَايَةِ، فَرَجَعَ عَنِ مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ وَأَعْلَنَ بَطْلَانَهُ، وَرَدَّ عَلَيْهِ عَلَنًا بَعْدَ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ، ثُمَّ كَانَ عَلَى مَذْهَبِ وَسْطٍ بَيْنَ مَذْهَبِ الْمُعْتَزَلَةِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ، ثُمَّ تَبَيَّنَ لَهُ بَعْدَ هَذَا أَنَّ الْحَقَّ فِي مَذْهَبِ السَّلَفِ وَتَبَعَ الْإِمَامَ الْمُبَجَّلِ أَحْمَدَ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَكِنَّ قَوْمَهُ الَّذِينَ انْتَسَبُوا إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي هُوَ دُونَ الْإِعْتِزَالِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

- ٣٥٧١ - هُوَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَاسِدٌ
تَوَلَّى مَقَالَةً كُلُّ ذِي بُهْتَانٍ
- ٣٥٧٢ - فِي كُتُبِهِ طُرًّا وَقَرَّرَ قَوْلَ ذِي الْ-
إِثْبَاتِ تَقْرِيرًا عَظِيمَ الشَّانِ
- ٣٥٧٣ - لَكِنَّكُمْ أَكْفَرْتُمْ هُوَهُ وَقُلْتُمْ
مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ ذُو كُفْرَانٍ
- ٣٥٧٤ - فَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَأَنْتُمْ مِنْهُمْ
بُرَاءٌ إِذْ قَرَّبْتُمْ مِنَ الْإِيمَانِ
- ٣٥٧٥ - هَذِي الْعَسَاكِرُ قَدْ تَلَاقَتْ جَهْرَةً
وَدَنَا الْقِتَالُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ
- ٣٥٧٦ - صُفُّوا الْجِيُوشَ وَعَبَّوْهَا وَابْرُزُوا
لِلْحَرْبِ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْفُرْسَانِ
- ٣٥٧٧ - فَهُمْ إِلَى لُقْيَاكُمْ بِالشُّوقِ كَيْ
يُوفُوا بِنَذْرِهِمْ مِنَ الْقُرْبَانِ
- ٣٥٧٨ - وَلَهُمْ إِلَيْكُمْ شَوْقٌ ذِي قِرْمٍ فَمَا
يَشْفِيهِ غَيْرُ مَوَائِدِ اللَّحْمَانِ
- ٣٥٧٩ - تَبَّالْكُمْ لَوْ تَعْقِلُونَ لَكُنْتُمْ
خَلْفَ الْخُدُورِ كَأَضْعَفِ النِّسْوَانِ
- ٣٥٨٠ - مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ وَالْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ
وَالْوَحْيُ وَالْمَعْقُولُ بِالْبُرْهَانِ
- ٣٥٨١ - مَا عِنْدَكُمْ إِلَّا الدَّعَاوَى وَالشَّكَا
وَيَ أَوْ شَهَادَاتٍ عَلَى الْبُهْتَانِ
- ٣٥٨٢ - هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ نَلْنَا مِنْكُمْ
فِي الْحَرْبِ إِذْ يَتَقَابَلُ الصِّفَانِ
- ٣٥٨٣ - وَاللَّهِ مَا جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ
قَالَ الرَّسُولُ وَنَحْنُ فِي الْمِيدَانِ
- ٣٥٨٤ - إِلَّا بِجَعَجَعَةٍ وَفَرَقَعَةٍ وَعَمَمٍ
غَمَةٍ وَقَعَقَعَةٍ بِكُلِّ لِسَانِ
- ٣٥٨٥ - وَيَحِقُّ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ
أَنْتُمْ بِحَاصِلِكُمْ أَوْلُو عِرْفَانِ
- ٣٥٨٦ - وَبِحَقِّكُمْ تَحْمُوا مَنَاصِبَكُمْ وَأَنْ
تَحْمُوا مَا كَلِكُمْ بِكُلِّ سِنَانِ

- ٣٥٨٧- وَبِحَقِّقْنَا نَحْمِي الْهُدَى وَنَذُبُ عَنْ
سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ
- ٣٥٨٨- قَبِحَ إِلَاهُهُ مَنَاصِبًا وَمَا كِلَا
قَامَتْ عَلَى الْعُدْوَانِ وَالطُّغْيَانِ
- ٣٥٨٩- وَاللَّهُ لَوْ جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهُ أَوْ
قَالَ الرَّسُولُ كَفَعَلَ ذِي الْإِيمَانِ
- ٣٥٩٠- كُنَّا لَكُمْ شَاوِيشَ تَعْظِيمٍ وَإِجْـ
لَالٍ كَشَاوِيشَ لِذِي سُلْطَانِ
- ٣٥٩١- لَكِنْ هَجَرْتُمْ ذَا وَجِئْتُمْ بِدَعَاةٍ
وَأَرَدْتُمْ التَّعْظِيمَ بِالْبُهْتَانِ

الشرح

٣٥٧١- هُوَ قَالَ إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَاسْمُهُ تَوَلَّى مَقَالَةَ كُلِّ ذِي بُهْتَانِ

الأشاعرة الآن لا يقولون: إنَّ الله استوى على العرش، والإمام الذي ينتسبون إليه يقول: «إنَّ الله استوى على العرش»، ويقول: «استولى» مَقَالَةَ كُلِّ ذِي بُهْتَانِ»، وهذا من العجب أن ينتسبوا إلى إمام تُمُّ يخالفوا قوله، فيقال: إذا كنتم صادقين فهذه كتبه، ف«الإبانة عن أصول الديانة» صرَّح فيه بمذهب أهل السنة والجماعة على وجه التفصيل.

٣٥٧٢- فِي كُتُبِهِ طُرًّا وَقَرَّرَ قَوْلَ ذِي الْإِيمَانِ
إِثْبَاتِ تَقْرِيرًا عَظِيمَ الشَّانِ

٣٥٧٣- لَكِنَّكُمْ أَكْفَرْتُمُوهُ وَقُلْتُمْ
مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ ذُو كُفْرَانِ

أتباعه الآن لا يكفرونه، فلا يقولون: إنَّه كافر، وهم يدعون أنَّهم متبعوه، لكن يقولون: «مَنْ قَالَ هَذَا فَهُوَ كافر».

ولهذا ففي الأشاعرة مذهب يُنكرون ما يُنسبُ لأبي الحسن الأشعري من كتاب: «الإبانة»، و«مقالات الإسلاميين»، وما أشبه ذلك، يقولون: هذه منسوبة إليه،

وليست بصحيحة؛ لأنها مُخَالِفٌ ما كانوا عليه، ولذا فينكرونها كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤]، والسبب أنهم أخذوا بمذهبه الوسط الذي بين الاعتزال وبين مذهب السلف، أخذوه وقرروه، وبقوا عليه.

٣٥٧٤- فَخِيَارُ عَسْكَرِكُمْ فَأَنْتُمْ مِنْهُمْ بُرَاءٌ إِذْ قَرَّبُوا مِنَ الْإِيمَانِ
يعني: أن المعتزلة فيهم بعض الأئمة منهم قد قربوا من الحق، ولكن مع ذلك لا يقبلونه، يذكرون أقوالهم على أنها أقوال مهجورة.

٣٥٧٥- هَذِي الْعَسَاكِرُ قَدْ تَلَاقَتْ جَهْرَةً وَدَنَا الْقِتَالُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ
يُصَوِّرُ الْمَسْأَلَةَ كَأَنَّ الْمَلَاقَةَ حَصَلَتْ وَدَنَا الْقِتَالُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ، وَالْأَقْرَانُ هُمُ الَّذِينَ يَتَكَافَأُونَ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ.

٣٥٧٦- صُفُّوا الْجِيُوشَ وَعَبَّئُوهَا وَأَبْرَزُوا لِلْحَرْبِ وَاقْتَرَبُوا مِنَ الْفُرْسَانِ
٣٥٧٧- فَهُمْ إِلَى لُقْيَاكُمْ بِالشُّوقِ كَيُوفُوا بِنَذْرِهِمْ مِنَ الْقُرْبَانِ
فهم مشتاقون إلى لقياكم من أجل أن يتقربوا إلى الله بقتلكم.

٣٥٧٨- وَلَهُمْ إِلَيْكُمْ شَوْقٌ ذِي قَرَمٍ فَمَا يَشْفِيهِ غَيْرُ مَوَائِدِ اللَّحْمَانِ
قَوْلُهُ: «وَلَهُمْ إِلَيْكُمْ شَوْقٌ ذِي قَرَمٍ» الْقَرَمُ، يُقَالُ: «قَرِمْتُ نَفْسِي لِأَكْلِ اللَّحْمِ أَوْ لِكَذَا وَكَذَا»؛ يَعْنِي: اشْتَاقْتُ بِشِدَّةٍ.

٣٥٧٩- تَبَّا لَكُمْ لَوْ تَعْقِلُونَ لَكُنْتُمْ خَلْفَ الْخُدُورِ كَأَضْعَفِ النِّسْوَانِ
يعني: لو تعقلون ما أنتم عليه وأنه لا يمكن أن تقاوموا لكتتم خلف الخدور مثل النساء، بل مثل أضعف النساء.

٣٥٨٠- مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ وَالْحَدِيثُ وَأَهْلُهُ وَالْوَحْيُ وَالْمَعْقُولُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: لستم بشيء مع أهل الحديث وأهل الوحي وأهل المعقول بالبرهان.

٣٥٨١- مَا عِنْدَكُمْ إِلَّا الدَّعَاوَى وَالشَّكَاوَى وَآيَ أَوْ شَهَادَاتٍ عَلَى الْبُهْتَانِ

٣٥٨٢- هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ نَلْنَا مِنْكُمْ فِي الْحَرْبِ إِذْ يَتَقَابَلُ الصَّفَانِ

ومعلوم أن الدعَاوى والشكاوى والشهادات بالكذب لا تُحَقُّ حقاً ولا تُبطل باطلاً، لكن هذا ديدنهم، يرفعون الأمر إلى السلطان ويكذبون على أهل السنة حتى إن السلاطين تحبس أهل السنة وتضربهم كما هو معروف فيما صنعوا بالإمام أحمد، وبشيخ الإسلام، وبابن القيم، وبغيرهم رحمهم الله.

٣٥٨٣- وَاللَّهِ مَا جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهِ أَوْ قَالَ الرَّسُولِ وَنَحْنُ فِي الْمَيْدَانِ

وهذا صحيح، فإذا قرأت كتبهم ثقلب الصفحات العديدة لا تجد قال الله ولا قال رسول الله.

٣٥٨٤- إِلَّا بِجَعَجَعَةٍ وَفَرْقَعَةٍ وَغَمٍّ غَمَةٍ وَقَعَقَعَةٍ بِكُلِّ لِسَانٍ

قوله: «إِلَّا بِجَعَجَعَةٍ»؛ يعني: ما أتيتم إلا بجعجعة.

وقوله: «بِجَعَجَعَةٍ وَفَرْقَعَةٍ وَغَمَمَةٍ وَقَعَقَعَةٍ» كل هذه معناها أنها لا تُعني

شيئاً.

قوله: «وَقَعَقَعَةٍ بِكُلِّ لِسَانٍ»، وفي نسخة: «بِكُلِّ شِنَانٍ» جمع «سنة»، ولا بأس،

والمعنى أنهم يُقَعِّقُونَ بِالشَّنَانِ البالية التي لا تنفع.

فكل هذه الصيحات لا تفيد؛ فالجعجعة، والفرقعة مثل: التصفيق، والغممة

كل هذه لا تفيد.

٣٥٨٥- وَيَحِقُّ ذَاكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ أَنْتُمْ بِحَاصِلِكُمْ أَوْلُو عِرْفَانٍ

قَوْلُهُ: «وَيَحِقُّ ذَاكَ»؛ يعني: الجعجعة والفرقة والغممة والقعقة.

قَوْلُهُ: «وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ»؛ أي: وأنتم أهل له.

قَوْلُهُ: «أَنْتُمْ بِحَاصِلِكُمْ أَوْلُو عِرْفَانٍ»؛ يعني: أنتم بحسب ما تعتقدون وتظنون أنكم أصحاب عرفان، ومع ذلك ليس عندكم إلا الجعجعة.

٣٥٨٦- وَبِحَقِّكُمْ تَحْمُوا مَنَاصِبَكُمْ وَأَنْ تَحْمُوا مَا كِلَكُمْ بِكُلِّ سِنَانٍ

هذا الذي هم يدافعون عنه، يدافعون عن المناصب والمآكل؛ يعني: أنهم لا يريدون إلا أن يكونوا عند ذوي السُلطان وأصحاب الجاه والمآكل، أمّا نحن فنقول:

٣٥٨٧- وَيَحَقُّنَا نَحْمِي الْهَدَى وَنَدْبُ عَنْ سُنَنِ الرَّسُولِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

وفرق بين هذا وهذا، فرق بين مَنْ يَصُولُ وَيَجُولُ من أجل القرآن ونصرة الحق، ومَنْ يَصُولُ وَيَجُولُ من أجل المنصب والأكل.

٣٥٨٨- قَبَحَ الْإِلَهَ مَنَاصِبًا وَمَا كِلًا قَامَتْ عَلَى الْعُدْوَانِ وَالطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «قَبَحَ» بمعنى قَبَحَ.

٣٥٨٩- وَاللَّهُ لَوْ جِئْتُمْ بِقَالَ اللَّهِ أَوْ قَالَ الرَّسُولِ كَفَعَلَ ذِي الْإِيمَانِ

٣٥٩٠- كُنَّا لَكُمْ شَاوِشَ تَعْظِيمٍ وَإِجْ- لَالٍ كَشَاوِشِ لِذِي سُلْطَانِ

قَوْلُهُ: «كُنَّا لَكُمْ شَاوِشَ تَعْظِيمٍ» «الشَّاوِشُ»؛ يعني: الرِّجَالُ وَالْأَتْبَاعُ.

يعني: لو أنكم تقولون: قال الله وقال الرسول لكننا أتباعًا وجنودًا لكم.

٣٥٩١ - لَكِنْ هَجَرْتُمْ ذَا وَجِئْتُمْ بِدَعَاةٍ وَأَرَدْتُمْ التَّعْظِيمَ بِالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «هَجَرْتُمْ ذَا»؛ يعني: قال الله وقال رسوله.

يقول: لكنكم هجرتم «قال الله وقال رسوله»، وأتيتم بدعة وأردتم التعظيم أن يُعظَّمَكُم النَّاسُ بِالْبُهْتَانِ وَالكَذِبِ، إذا كانت هذه حال هؤلاء وتلك حال أولئك فمن المعلوم أنه لا يمكن هؤلاء المبتدعة والملحدين وجنود الشياطين أن يُقاومُوا أَهْلَ السُّنَّةِ وَأَهْلَ الْحَقِّ بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

فصل

- ٣٥٩٢- الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
 ٣٥٩٣- مَا الْعِلْمُ نَضْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةٌ
 ٣٥٩٤- كَلَّا وَلَا جَحْدُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا
 ٣٥٩٥- كَلَّا وَلَا نَفْيُ الْعُلُوِّ لِفَاطِرِ الْ-
 ٣٥٩٦- كَلَّا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ وَأَنَّهَا
 ٣٥٩٧- إِذْ لَا تُفِيدُكُمْ يَقِينًا لَا وَلَا
 ٣٥٩٨- وَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ يُنَالُ بِغَيْرِهَا
 ٣٥٩٩- سَمِيئُوه قَوَاطِعًا عَقْلِيَّةً
 ٣٦٠٠- كَلَّا وَلَا إِحْصَاءَ آرَاءِ الرَّجَا
 ٣٦٠١- كَلَّا وَلَا التَّأْوِيلُ وَالتَّبْدِيلُ وَالتَّن-
 ٣٦٠٢- كَلَّا وَلَا الْإِشْكَالُ وَالتَّشْكِيكُ وَال-
 ٣٦٠٣- هَذِي عُلُومُكُمْ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا
- قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
 بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانٍ
 فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالسُّبْحَانَ
 أَكْوَانٍ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 لَيْسَتْ تُفِيدُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ
 عِلْمًا فَقَدْ عُرِزَتْ عَنِ الْإِيقَانِ
 بِزِبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ
 تَنْفِي الظَّوَاهِرِ حَامِلَاتِ مَعَانِي
 لِي وَضَبْطُهَا بِالْحَضْرِ وَالْحُسْبَانِ
 تَحْرِيفٌ لِلْوَحْيَيْنِ بِالْبُهْتَانِ
 سَوَقُ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ عِرْفَانِ
 عَادِيْتُمْونَا يَا أُولِي الْعِرْفَانِ

الشرح

سبق أن المؤلف - رحمه الله - ذكر وصف المعسكرين واستدارة رحي الحرب العوان بين الصّفين، ثم انتهى إلى الفصل الذي قال فيه: «فصل».

٣٥٩٢- الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

العلمُ النَّافِعُ الشَّرْعِيُّ هُوَ الْمَبْنِيُّ عَلَى هَذِهِ الْمَصَادِرِ الثَّلَاثَةِ:

الأوَّل: قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ مَا جَاءَ فِي كِتَابِهِ.

الثَّانِي: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مَا صَحَّ عَنْهُ مِنْ سُنَّتِهِ.

الثَّالِث: قَوْلُ الصَّحَابَةِ؛ أَي: إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ لَا شَكَّ فِيهِ.

فلنسأل: هل أجمع الصحابة على إجراء نصوص الصفات على ظاهرها؟ نعم،

أجمعوا على ذلك، ما منهم أحدٌ فسَّر ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] بـ«استولى

عليه»، ولا أحدٌ منهم فسَّر ﴿يُدُّ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] بقدرته، ولا أحدٌ فسَّر ﴿وَجَّهُ اللَّهُ﴾

[البقرة: ١١٥] بثوابه أبداً، وعلى هذا فهم مجمعون على ظاهر الكتاب والسنة؛ إذ لو كان

عندهم خلاف الظاهر لتكلموا به، من يمنعهم؟! ولهذا إذا أردت أن تقرّر إجماع

الصحابة على هذه المسألة المهمة فقل: إني أقرّر إجماعهم بأنه لم يرد عنهم قولٌ

بخلافها وهم يقرؤونها صباحاً ومساءً، ولو كانوا يعتقدون خلافها لبيّنوه.

فهذه الثلاثة أدلة المسلمين: كلامُ الله، وكلامُ رسوله، وكلامُ الصحابة

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، أعني: الإجماع، أمّا إذا جاء عن واحدٍ من الصحابة فقد اختلف العلماء

في حجّيته؛ فقال أكثر أهل العلم: إنّه ليس حجّةً، وقال آخرون: بل هو حجّةٌ لكن

بشرط ألا يخالف نصّاً وألاً يخالف صحابياً آخر، فإن خالف نصّاً فالمعول على

النصّ، وإن خالف صحابياً آخر طلب الترجيح، فكان القول الراجح هو الحقّ،

وهذا أقرب إلى الصواب؛ لأنّ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أفقه الناس في دين الله؛ وذلك

لقربهم من رسول الله ﷺ وبُعْدِهِمْ مِنَ الْاِخْتِلَافِ، وَسَلَامَةِ عَقِيدَتِهِمْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ

مِنَ الْمُرْجَحَاتِ، وَهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ: «هُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ»؛ أَي: أَصْحَابُ الْمَعْرِفَةِ.

٣٥٩٣- مَا الْعِلْمُ نَضْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةً بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانٍ
قَوْلُهُ: «مَا الْعِلْمُ نَضْبُكَ» «نَضْبُكَ» بِالْفَتْحِ بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ «مَا» حِجَازِيَّةٌ، وَلِغَةُ
الْحِجَازِ هِيَ اللَّغَةُ الْمَشْهُورَةُ الْمَعْتَمَدَةُ.

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَلَيْسَ الْعِلْمُ أَنْ تَنْصِبَ الْخِلَافَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَتَكُونَ جَدليًّا مُجَادِلًا بِالْبَاطِلِ لِإِدْحَاصِ الْحَقِّ، فَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْتُونَ بِالْقُرْآنِ أَوْ
بِالسُّنَّةِ ثُمَّ يَنْصُبُونَ الْخِلَافَ بَيْنَ قَوْلِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَوْلِ أُمَّتِهِمْ وَيَقُولُونَ: قَالَ
الْإِمَامُ كَذَا مَخَالِفًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهَذَا لَيْسَ بِعِلْمٍ، بَلْ هَذَا - وَاللَّهِ - هُوَ الْجَهْلُ.

٣٥٩٤- كَلَّا وَلَا جَحْدُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالسُّبْحَانِ
يعني: وَلَيْسَ الْعِلْمُ أَنْ تَجْحَدَ صِفَاتِ اللَّهِ تَدَّعِي أَنَّكَ تُنَزِّهُهُ اللَّهُ، فَهَؤُلَاءِ الْمَعْطَلَّةُ
الَّذِينَ عَطَّلُوا النُّصُوصَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ مُنَزَّهُونَ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ مِثَابَةِ الْحَوَادِثِ؛
وَلِهَذَا كَانَ مِنْ عَقَائِدِهِمُ الَّتِي يَرْتَكِزُونَ عَلَيْهَا أَنَّ اللَّهَ مَخَالَفٌ لِلْحَوَادِثِ، مِنْ أَيْنَ
أَتَوْا بِهَذَا الْكَلَامِ «مَخَالَفٌ لِلْحَوَادِثِ»؟ وَهَلْ هُوَ مَخَالَفٌ لِلْحَوَادِثِ بِصِفَةِ جَيِّدَةٍ أَوْ
بِصِفَةِ رَدِيئَةٍ؟ الْجَوَابُ: لَا نَدْرِي، «مَخَالَفٌ لِلْحَوَادِثِ» هَذِهِ لَا تُعْطِي أَيَّ شَيْءٍ، وَلَوْ
أَتَّهَمُوا أَحْلَوْا مَحَلَّهَا قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] لِأَصَابُوا.

هؤلاء الذين جحدوا الصفات لله عز وجل، لماذا جحدوها؟

الجواب: لِاعْتِقَادِهِمْ أَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّشْبِيهَ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهُ
عَنِ الشَّبِيهِ، وَإِذَا كَانَ مُنَزَّهًُا عَنِ الشَّبِيهِ لَزِمَ إِنْكَارُ الصِّفَاتِ؛ وَهَذَا نَقَوْلُ: كُلُّ
مَعْطَلٍّ فَهُوَ مُمَثَّلٌ جَامِعٌ بَيْنَ التَّمَثِيلِ وَالتَّعْطِيلِ لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ إِنَّمَا عَطَّلَ لظَنِّهِ أَنَّ الْإِثْبَاتَ
يَسْتَلْزِمُ التَّمَثِيلَ فَمَثَلٌ أَوْلَا وَعَطَّلَ ثَانِيًا، فَهَمَّ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ،

كيف يستوي على العرش؟ لا ينزل إلى السماء الدنيا، لا يأتي للفصل بين عباده، ليس له وجهٌ ولا عينٌ ولا يدٌ؛ لأنَّ هذه لو أثبتناها لزم أن يكون الله مائلاً للمخلوق، إذن إذا كان هذا اللازم باطلاً بطل المزموم ولا نُثبتُه، فيقال لهم: سبحان الله! أليس لك وجهٌ أيها الرجل؟

فيقول: بلى، أليس للجمل وجهٌ؟ سيقول: بلى، هل وجهك مماثل لوجه الجمل؟ يلزمه أن يقول: إنَّ وجهه مماثل لوجه الجمل، أو لأخْبثِ دابةٍ على وجه الأرض، وإلا تناقض، فلا يلزم إذا قلنا: «الله وجهٌ» أن يكون وجهه كوجهنا، أو «الله يدٌ» نقول: «ألك يدٌ؟» يقول: نعم، هل لله يدٌ؟ سيقول: نعم، هل يدك مثل يد الهرة؟ يقول: لا، قطعاً، نقول: إذن أثبت لله يداً، وقل: ليست كأيدي المخلوقين؛ لأنه إذا كانت أيدي المخلوقات تتفاوت تفاوتاً عظيماً، فكيف بين الخالق والمخلوق؟! لكن مع ذلك يلعبون بعقول الناس، ويقولون: نحن ننكر هذا تنزيهاً لله عزَّ وجلَّ عن التمثيل، ولهذا قال: «فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ وَالسُّبْحَانِ».

المهم أن هؤلاء الذين يجادلون في صفات الله فيجحدونها بزعمهم تنزيهاً لله عزَّ وجلَّ عن مشابهة الحوادث لا شكَّ أنه لا علمَ عندهم، وهم في الحقيقة وقعوا فيما فرَّوا منه؛ لأنهم إذا نفَّوا الصفات شبهوا الله عزَّ وجلَّ بالخالي منها، ومعلومٌ أنَّ الصفات التي أثبتتها الله لنفسه صفات كمالٍ، فإذا سلبوا صفات الكمال عنه لزم أن يكون متصفاً بالتقصير، فمثلاً إذا قالوا: إنَّ الله - سبحانه وتعالى - ليس فوق العرش، لزم أن يكون إما أنه ليس في مكانٍ إطلاقاً أو أنه في كلِّ مكانٍ، وكلاهما نقصٌ كما مرَّ هذا علينا كثيراً، فهؤلاء الذين يجادلون ويدَّعون أنَّهم أهل الكلام وأهل المعرفة، نقول: ليس عندكم إلا الكلام كما سمَّيت أنفسكم.

٣٥٩٥- كَلَّا وَلَا نَفِي الْعُلُوِّ لِفَاطِرِ الْ
 أَكْوَانِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 قَوْلُهُ: «كَلَّا»؛ يعني: وليس لهم أيضاً.

هذا أيضاً ما ذهب إليه أهل التَّعْطِيلِ الذين ينكرون علوَّ الله بذاته على كُلِّ شيءٍ.
 وسبق لنا أنَّهم انقسموا قسمين:

القسم الأوَّل قال: إِنَّ اللَّهَ نَفْسَهُ بِكُلِّ مَكَانٍ، كُلُّ مَكَانٍ فَاللَّهُ فِيهِ، سبحانه الله!
 كيف هذا؟ قال: نعم، إن كنت في المسجدِ فاللهُ في المسجدِ، في السُّوقِ فاللهُ في
 السُّوقِ، في الجوّ، في الطَّائِرَةِ فاللهُ في الطَّائِرَةِ، في كُلِّ مَكَانٍ، في الحِمَّامِ، يَلْزَمُهُمْ أَنْ
 يقولوا: إِنَّ اللَّهَ فِي الْحِمَّامِ عَلَى قَاعَتِهِمْ فِي كُلِّ مَكَانٍ، تعالى اللهُ عن قولهم علواً كبيراً،
 وإذا قلنا بهذا لَزِمَ أَحَدُ أَمْرَيْنِ وَلَا بُدَّ، إمَّا أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُتَعَدِّدًا بِتَعَدُّدِ الْأَمْكَانَةِ، وَإِذَا
 كَانَتِ النَّصَارَى كَفَرُوا بِقَوْلِهِمْ: إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ، فَمَا ظَنُّكَ بِالَّذِي يَقُولُ: إِنَّهُ لَا
 يُحْصَى، فِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَهٌ، أَوْ يَلْزَمُ أَنْ يَتَجَزَّأَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، بَعْضُهُ هُنَا وَبَعْضُهُ هُنَا
 وَبَعْضُهُ هُنَاكَ، تعالى اللهُ عن قولهم علواً كبيراً، ونسألُ اللهَ لهم الهدايةَ، وهذا واضحٌ.

القسم الثَّانِي قالوا: لَا يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ السَّمَاءِ وَلَا فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فِي أَيِّ مَكَانٍ، بَلْ يَجِبُ أَنْ نَعْتَقِدَ أَنَّهُ لَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ
 وَلَا مَتَّصِلٌ بِالْعَالَمِ وَلَا مُفَصَّلٌ بِالْعَالَمِ، إِذَنْ يَكُونُ عَدَمًا، وَهَذَا أَنْكَرَ ابْنُ
 سَبِكْتَكِينَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ فُورَكَ، وَقَالَ لَهُ: «أَنْتَ إِذَا قُلْتَ: هَذَا وَصْفُ
 رَبِّكَ فَهُوَ عَدَمٌ»، وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، هَذَا هُوَ الْعَدَمُ تَمَامًا.

أَهْلُ السُّنَّةِ - جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ - أَثْبَتُوا لِلَّهِ أَنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ وَأَنَّهُ - سَبْحَانَهُ
 وَتَعَالَى - وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَقَالُوا: هَذَا الْحَقُّ، هَذَا السُّلْطَانُ، هَذَا
 الْقَهْرُ، هَذِهِ الْعِظْمَةُ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ لِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ.

٣٥٩٦- كَلَّا وَلَا عَزْلُ النُّصُوصِ وَأَمَّا لَيْسَتْ تُفِيدُ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ

هذا أيضًا من مذهب المتكلمين أَنَّ أدلَّةَ النُّصُوصِ أدلَّةٌ لفظيَّةٌ، هم يقولون مثلًا: «العرش» له عشرة معانٍ في اللُّغة العربيَّة، و«الاستواء» له كذا وكذا من المعاني في اللُّغة العربيَّة، ويشكِّكون فيقولون: الأدلَّةُ اللفظيَّةُ لا تفيدُ اليقينَ، ما هي الأدلَّةُ القطعيَّةُ عندهم؟ العقلُ، هو الذي يفيدُ الأدلَّةَ القطعيَّةَ، أمَّا هذه النُّصُوصُ فكلُّها ظواهرٌ لا تفيدُ إلَّا الظَّنَّ، والظَّنُّ لا يُعني من الحقِّ شيئًا.

إذَنْ هؤلاء يقولون: إنَّ النُّصُوصَ لا تفيدُ اليقينَ ولا تفيدُ الحقيقةَ، بل هي مجازٌ، فيقولون: قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، هذا مجازٌ عن القدرة والنِّعمة وما أشبه ذلك، ولا تفيدُ الحقيقةَ.

٣٥٩٧- إِذْ لَا تُفِيدُكُمْ يَقِينًا وَلَا عَلِمًا فَقَدْ عَزَلْتِ عَنِ الْإِيقَانِ

يقولون: هذه دلالتها ظنيَّةٌ ولا تفيدُ اليقينَ.

٣٥٩٨- وَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ يُنَالُ بِغَيْرِهَا بِزِبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «الْعِلْمُ عِنْدَكُمْ يُنَالُ بِغَيْرِهَا» يُحَاطِبُ أَهْلَ التَّعْطِيلِ جَمِيعًا، يَقُولُ: الْعِلْمُ -عِنْدَكُمْ- يُنَالُ بِغَيْرِ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ: الْكِتَابُ، وَالسُّنَّةُ، وَأَقْوَالُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

قَوْلُهُ: «بِزِبَالَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ» الزُّبَالَةُ هِيَ مُلْقَى الْأَوْسَاحِ وَالْأَذَى وَالْقَدْرِ.

٣٥٩٩- سَمِّئُمُوهُ قَوَاطِعًا عَقْلِيَّةً تَنْفِي الظَّوَاهِرَ حَامِلَاتٍ مَعَانِي

قَوْلُهُ: «سَمِّئُمُوهُ قَوَاطِعًا عَقْلِيَّةً»؛ يَعْنِي: سَمِّئِمَ الدَّلِيلَ الَّذِي يَفِيدُ الْعِلْمَ وَالْيَقِينَ قَوَاطِعَ عَقْلِيَّةً.

وَقَوْلُهُ: «قَوَاطِعًا» مَنْصَرَفَةٌ لِأَجْلِ الصَّرُورَةِ كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلِإِضْطِرَارٍ أَوْ تَنَاسُبٍ صُرِفَ

ذُو الْمَنْعِ، وَالْمَصْرُوفُ قَدْ لَا يَنْصَرِفُ^(١)

قَوْلُهُ: «تَنْفِي الظَّوَاهِرِ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «وَهِيَ الظَّوَاهِرُ»؛ يَعْنِي: هَذِهِ الزُّبَالَةُ زُبَالَةُ الْأَفْكَارِ سَمَّوْهَا قَوَاطِعَ عَقْلِيَّةً.

قَوْلُهُ: «تَنْفِي الظَّوَاهِرِ حَامِلَاتٍ مَعَانِي»؛ يَعْنِي: تَنْفِي الظَّاهِرِ؛ وَلِهَذَا يَقُولُونَ: إِنَّ ظَاهِرَ النُّصُوصِ فِي الصِّفَاتِ غَيْرٌ مُرَادٍ.

فَهُمْ يَقُولُونَ: كُلُّ نَصٍّ فِي الصِّفَاتِ فَإِنَّ ظَاهِرَهُ غَيْرٌ مُرَادٍ، وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةَ خَطَأً عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَوَجْهٌ ذَلِكَ أَنْ نَقُولَ لَهُمْ: مَاذَا تُرِيدُونَ بِالظَّاهِرِ؟ هَلْ تُرِيدُونَ بِالظَّاهِرِ مَا يَظْهَرُ مِنَ النُّصُوصِ مِنَ الْمَعَانِي اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ؟ إِنْ قَالُوا: نَعَمْ، فَمَاذَا نَقُولُ؟ نَعَمْ، لَكِنْ أَخْطَأْتُمْ فِي قَوْلِكُمْ: «غَيْرٌ مُرَادٍ»، فَالآنَ يَقُولُونَ: «ظَاهِرُ نُّصُوصِ الصِّفَاتِ غَيْرٌ مُرَادٍ» هَذِهِ الْجُمْلَةُ، الْجُمْلَةُ لَهَا صَدْرٌ وَلَهَا عَجْزٌ، صَدْرُهَا: «ظَاهِرُ النُّصُوصِ»، وَعَجْزُهَا «غَيْرٌ مُرَادٍ»، نَسَأَلُهُمْ أَوَّلًا: مَاذَا تُرِيدُونَ بِالظَّاهِرِ الَّذِي هُوَ صَدْرُ الْجُمْلَةِ؟ إِنْ قَالُوا: نُرِيدُ بِالظَّاهِرِ التَّمثِيلَ؛ يَعْنِي: نُرِيدُ أَنْ التَّمثِيلَ لَيْسَ مُرَادًا، نَقُولُ: أَصَبْتُمْ فِي قَوْلِكُمْ: «غَيْرٌ مُرَادٍ»، لَكِنْ أَخْطَأْتُمْ فِي قَوْلِكُمْ: إِنَّ هَذَا هُوَ ظَاهِرُ النُّصُوصِ.

فَإِنْ أَرَادُوا بِالظَّاهِرِ مَا يَظْهَرُ مِنَ النُّصُوصِ مِنَ الْمَعَانِي اللَّائِقَةِ بِاللَّهِ، إِذَا قَالُوا: هَذَا هُوَ ظَاهِرُ النُّصُوصِ؛ يَعْنِي: ظَاهِرُ النُّصُوصِ أَنَّ لِلَّهِ يَدًا لَا تُمَاتِلُ أَيْدِيَ الْمَخْلُوقِينَ،

(١) شرح ابن عقيل (٣/٣٣٨).

ماذا نقول لهم؟ نقول: أصبتم في قولكم: إنَّ هذا هو الظاهر لكن أخطأتم في قولكم: «غير مراد».

فصارت هذه الجملة خطأ على كل تقدير، ويظهر ذلك بالمثال، إذا قالوا: ظاهر قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] إثبات يدين اثنتين لله، وهذا غير مراد، بماذا أخطؤوا؟ بقولهم: غير مراد، وإلا فنحن معهم بأن ظاهر الآية إثبات يدين لله عز وجل، وإذا قالوا: ظاهر قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] إثبات يدين ثمائل أيدي المخلوقين، وهذا غير مراد، نقول: قولكم: «إنَّ هذا ظاهر النصوص» خطأ، ليس هذا ظاهر النصوص؛ لأنَّ الله أضاف اليد إلى نفسه، وإضافة اليد إلى نفسه عز وجل كسائر صفاته، كإضافة العلم إلى نفسه، فكما أنَّ علمه ليس كعلم المخلوق، فيده ليست كيد المخلوق.

فدعواكم أنَّ ظاهر قوله: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥] إثبات يدين ثمائل أيدي المخلوقين، هذه دعوى كاذبة، وقولكم: «غير مراد»، يعني: هذا المعنى غير مراد نوافق عليه فنقول: هذا الذي زعمتم أنَّه ظاهر النصوص نحن معكم في أنَّه غير مراد، لكن أخطأتم في أنَّ هذا هو ظاهر النص.

فصارت هذه الجملة التي يتناقلها المتكلمون من أنَّ ظاهر نصوص الصفات غير مراد خطأ على كل تقدير؛ لأنَّهم إن فسروا الظاهر بمعنى يليق بالله فقد أخطؤوا بقولهم: «غير مراد»، وإن فسروه بما يقتضي التمثيل فقد أخطؤوا في هذا التفسير؛ إذ ليس ظاهر النصوص تمثيل الله عز وجل بالخلق.

٣٦٠٠- كَلَّا وَلَا إِخْصَاءَ آرَاءِ الرَّجَا لٍ وَضَبُّهَا بِالْحَضْرِ وَالْحُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «كَلَّا»؛ يعني: وليس العلم أيضًا.

يعني: أن العلم ليس تجميع آراء الرجال، تقول: هذه المسألة فيها مئة قول، نقول: ما الفائدة من مئة قول؟ أهل الكلام عندهم طريقة يقولون مثلاً: «استوى على العرش» اختلف الناس في الاستواء على خمسة أقوال، واختلفوا في العرش على عشرين قولاً، يوقعونك في الشك والحيرة، هذا ليس هو العلم، العلم أن تحصر الحق في قول واحد فقط، أمّا جمع الآراء: قال فلان كذا، وقال فلان كذا، بدون أن يكون هناك برهان فهذا ليس بعلم.

٣٦٠١- كَلَّا وَلَا التَّأْوِيلُ وَالتَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ لِلْوَحْيَيْنِ بِالْبُهْتَانِ

قوله: «التَّأْوِيلُ وَالتَّبْدِيلُ وَالتَّحْرِيفُ» وهذا موجود عند الذين لا يثبتون ما أثبتته أهل السنة في أسماء الله وصفاته.

«التَّأْوِيلُ» للمعنى تحريف المعنى، و«التَّبْدِيلُ» للكلمة رأساً، و«التَّحْرِيفُ» للفظ في الشكّل.

وإنما فسّرنا هذا التفسير؛ لأن المؤلف - رحمه الله - جمع بين هذه الثلاثة وإلا فواحد منها يكفي عن الباقي، فالتأويل إذا كان بدليل فهو حق، وبغير دليل يُسمّى تحريفاً، والتبديل؛ يعني: إبدال الكلمة مكان كلمة، هذا أيضاً لا يمكن، هؤلاء قالوا: «استوى» بمعنى: «استولى»، فبعضهم قد يقرأها بهذا اللفظ «استولى على العرش».

والتحريف؛ أي: باللفظ، ولا أقول: بالمعنى؛ لأن المؤلف قال بالأول: «التَّأْوِيلُ».

٣٦٠٢- كَلَّا وَلَا الإِشْكَالُ وَالتَّشْكِكُ وَالْوَاقِفُ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ عِرْفَانٍ

صحيح، العلم ليس إشكالاً، الإنسان الذي يقول: «أشكلت عليّ هذه المسألة»

هل هو عالم؟ لا، إذَنْ ليس الإشكالُ علمًا، فإذا قال قائلٌ: «أشكَلْتُ عليَّ هذه المسألة»، وهذا أيضًا من ديدنِ أهلِ التَّعطيلِ يقولون: هذه مشكلةٌ.

كذلك «التَّشكيكُ» بأن يُشكَّكَ المُخاطَبَ، يقول: يحتملُ كذا، ويحتملُ كذا، بدون ترجيحٍ.

الثَّالثُ: «الوقفُ» يقول: أنا مُتوقِّفٌ، ومعلومٌ أنَّ الوقفَ لا يدلُّ على العلم؛ لأنَّ المتوقِّفَ، إمَّا أن يكونَ جاهلًا بالأدلةِ وإمَّا أن تكونَ الأدلةُ عنده متكافئةً، فيتوقَّفُ في التَّرجيحِ.

إذَنْ «الإشكالُ» بالنسبة للإنسانِ، و«التَّشكيكُ» بالنسبة لغيره، و«الوقفُ» حيرانٌ، وهذا الذي يتوقَّفُ أهونٌ من الذي عنده إشكالٌ أو تشكيكٌ.

٣٦٠٣ - هَدِي عُلُومُكُمْ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا عَادَيْتُمُونَا يَا أُولِي العِرْفَانِ

يعني: هذه علومكم: التَّشكيكُ، والإشكالُ، والوقفُ، وحصرُ آراءِ الرِّجالِ، وهذه المسألة فيها كذا وكذا من الأقوالِ، ثُمَّ سَخَرَ بهم فقال: «يَا أُولِي العِرْفَانِ» هل مَنْ كانت هذه طريقه يُعْتَبَرُ عارفاً؟ الجوابُ: أبداً، بل هو من أجهلِ عبادِ الله؛ ولذا تَهَكَّم بهم فقال: «يَا أُولِي العِرْفَانِ»، وَحَقَّ له أن يَتَهَكَّمَ بهم؛ لأنَّهم أهلٌ للتَّهَكُّمِ، نسألُ اللهَ لنا ولهم الهدايةَ.

فصل

فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ وَالْأَمَانِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْمُعَطَّلَةِ وَأَهْلِ الْإِلْحَادِ حِزْبِ جِنكيزِ خَانَ

- ٣٦٠٤- يَا قَوْمُ صَلِّحْتُمْ نَفَاةَ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ صَلِّحًا مُوجِبًا لِأَمَانِ قَعَقَعْتُمْ فِيهَا لَهُمْ بِشَنَانِ
 ٣٦٠٥- وَأَغْرْتُمْ وَهَنَّا عَلَيْهِمْ غَارَةً
 ٣٦٠٦- مَا كَانَ فِيهَا مِنْ قَتِيلٍ مِنْهُمْ
 ٣٦٠٧- وَلَطَفْتُمْ فِي الْقَوْلِ أَوْ صَانَعْتُمْ
 ٣٦٠٨- وَجَلَسْتُمْ مَعَهُمْ مَجَالِسَكُمْ مَعَ الْإِسْتِزْجَاعِ
 ٣٦٠٩- وَصَرَعْتُمْ لِلْقَوْمِ كُلَّ صَرَاعَةٍ
 ٣٦١٠- فَغَزَوْتُمْ بِسِلَاحِهِمْ لِعَسَاكِرِ الْإِذْعَانِ
 ٣٦١١- وَلَا أَجَلَ ذَا صَانَعْتُمُوهُمْ عِنْدَ حَرْزِ الْإِذْعَانِ
 ٣٦١٢- وَلَا أَجَلَ ذَا كُنْتُمْ مَخَانِيثًا لَهُمْ
 ٣٦١٣- حَذْرًا مِنْ اسْتِرْجَاعِهِمْ لِسِلَاحِهِمْ

الشرح

أراد المؤلف - رحمه الله - في هذا الفصل أن يبين أهل الإلحاد والنفاة تشابهًا، فأهل الإلحاد نفوا ذات الإله ووصفوه، ولم يقرؤا بالله عز وجل، والنفاة

أقرُّوا بالذَّاتِ ولكن سلبوها الأوصافَ، فصار الطَّرْفانِ كلاهما مُتَّفِقٌ على نفي الحقائقِ، لكن في الصِّفَاتِ وذاك في الذَّاتِ، فإِذَنْ هذه هدنةٌ، اجتمع الطَّرْفانِ على أهل الإثباتِ وكفروهم، وقالوا: مُجَسِّمَةٌ مُشَبَّهَةٌ إِلَى آخِرِ الْأَلْقَابِ التي لَقَّبُوا بها أهلَ الحقِّ كما لَقَّبَتِ أعداءُ الرُّسُلِ الرُّسُلَ بِمثلِ ذلكِ، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ [الدَّارِيَاتِ: ٥٢]، هكذا أعداءُ الرُّسُلِ هم أعداءُ لأتباعِ الرُّسُلِ لا شك.

إِذَنْ صار بين أهلِ التَّعْطِيلِ وبين أهلِ الإثباتِ حربٌ، وبينهم وبين أهلِ الإلحادِ سَلْمٌ وهدنةٌ؛ ولذا يقولُ رحمه اللهُ:

٣٦٠٤- يَا قَوْمُ صَالِحْتُمْ نِفَاةَ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ صُلْحًا مُوجِبًا لِأَمَانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمُ» الْخِطَابُ لِلْمَعْطَلَةِ.

قَوْلُهُ: «صَالِحْتُمْ نِفَاةَ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ» وهم المُلْحِدُونَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ وجودَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ووجودَ صفاتِهِ، صالحتموهم صلحًا مُوجِبًا لِأَمَانِ، أي: بين المعطَّلةِ وبين أهلِ الإلحادِ.

٣٦٠٥- وَأَغْرْتُمْ وَهَنَا عَلَيْهِمْ غَارَةٌ فَعَقَعْتُمْ فِيهَا لَهُمْ بِشَانِ

يعني: أغرتم على أهلِ الإلحادِ لَكِنَّهَا غَارَةٌ ضَعْفٍ لا غَارَةٌ قُوَّةٍ؛ لِأَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ دَفَعُوا الْمُعْتَزِلَةَ وَدَفَعُوا أَهْلَ الإلْحَادِ وَهُمُ الَّذِينَ أَقَامُوا عَلَيْهِمُ الْحُجَّةَ، وَلَكِنْ سَيِّئُ الْمُؤَلَّفُ - رحمه اللهُ - أَنَّ هَذِهِ دَعْوَى لا أَصْلَ لَهَا ولا دَلِيلَ عَلَيْهَا.

٣٦٠٦- مَا كَانَ فِيهَا مِنْ قَتِيلٍ مِنْهُمْ كَلَّا وَلَا فِيهَا أَسِيرٌ عَانِي

يعني: أن حربكم عليهم لم تُفد شيئا، فلم تقتل أحدا من أهل الإلحاد ولا فيها أسير عانٍ؛ يعني: ولم تأسر، إذن ما هي إلا قعقة كالذي يُجَبُّ بالسنن البالي من أجل أن يهرب عدوه وليس عنده شيء.

٣٦٠٧- وَلَطَفْتُمْ فِي الْقَوْلِ أَوْ صَانَعْتُمْ وَأَتَيْتُمْ فِي بَحْثِكُمْ بِدِهَانٍ

يعني: أنكم معهم تُلطفون القول وأحيانا تُصنعونهم، والمصانعة: الموافقة والمداهنة؛ ولهذا قال: «وَأَتَيْتُمْ فِي بَحْثِكُمْ بِدِهَانٍ»؛ أي: مداهنون لهم، بينما يقولون في أهل السنّة: إِنَّهُمْ حَشَوِيَّةٌ مُجَسِّمَةٌ سُدَّجٌ نَوَابِتٌ، ويصفونهم بصفات العيب التي لا نهاية لها.

٣٦٠٨- وَجَلَسْتُمْ مَعَهُمْ مَجَالِسَكُمْ مَعَ الْ- أَسْتَاذٍ بِالْآدَابِ وَالْمِيزَانِ

الله المستعان؛ يعني: أنكم جلستم معهم مجلس التلميذ المتعلم من شيخه.

٣٦٠٩- وَضَرَعْتُمْ لِلْقَوْمِ كُلِّ ضَرَاعَةٍ حَتَّى أَعَارَوْكُمْ سِلَاحَ الْجَانِي

أي: تقرّبتم إليهم وتودّدتهم إليهم وصرتم طرْحَى بين أيديهم حتى أعاروكم سلاح الجاني لمن؟ قال:

٣٦١٠- فَغَزَوْتُمْ بِسِلَاحِهِمْ لِعَسَاكِرِ الْ- إِيْتَابِ وَالْآثَارِ وَالْقِرَانِ

يعني: أعطوكم سلاحا غرتم به على أهل السنّة والجماعة وأهل الحق، إذن هؤلاء لا يصح أن نقول إنهم حاربوا أهل الإلحاد، بل يصح أن نقول: إنهم تلاميذ أهل الإلحاد، أخذوا سلاحهم وغزوا به أهل السنّة والجماعة.

٣٦١١- وَلَا أَجَلَ ذَا صَانَعْتُمُوهُمْ عِنْدَ حَزْرٍ بِكُمْ لَهُمْ بِاللُّطْفِ وَالْإِدْعَانِ

يعني: أن أهل التعطيل إذا بحثوا مع أهل الإلحاد يبحثون بحث المصانع كأثمهم يرون أنفسهم غير قادرين على إقامة الحجّة عليهم، ويأخذون أيضًا منهم ومن قواعدهم؛ ولهذا كان انتشار بدعة التعطيل بسبب تعريب كتب اليونان كما قال ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى الحموية»، قال: «لَمَّا عُرِّبَتِ الْكُتُبُ الْيُونَانِيَّةُ وَالرُّومِيَّةُ فِي عَهْدِ الْمَأْمُونِ انْتَشَرَتِ الْبِدْعُ»^(١)؛ لأنهم أخذوا من مبادئهم ومن نظرياتهم.

٣٦١٢- وَلَا أَجَلَ ذَا كُنْتُمْ مَخَانِيثًا لَهُمْ لَمْ تَنْفَتِحْ مِنْكُمْ لَهُمْ عَيْنَانِ

قوله: «كُنْتُمْ مَخَانِيثًا لَهُمْ» لماذا؟ الجواب: من شدة الحياء، والغالب أن المخنث يستحي أن يفتح عينيه على من كان مخنثًا له؛ فلهذا يقول: «لَمْ تَنْفَتِحْ مِنْكُمْ لَهُمْ عَيْنَانِ».

ثم ذكر أن هؤلاء الثغاة المعطلة مخنثون لأهل الإلحاد، والمخانيث ليس معناها الذين تفعل بهم الفاحشة، لكن الذين صاروا بمنزلة الإناث عند هؤلاء، ومعلوم أن النساء بالنسبة للرجال ما هن إلا من أضعف الحيوان كما هو مُشَاهَدٌ ومَعْرُوفٌ.

فإن قال صاحب الإثبات: إني أُثبت الصفات لله عز وجل على الوجه اللائق، به، قالوا له: أنت كافر؛ لأنك جعلت الله جسمًا، نسأل الله العافية.

ومن المعلوم أن لفظ الجسم لم يرد في القرآن ولا السنة نفيه ولا إثباته، فالواجب علينا في هذا اللفظ أن نتوقف وألا نثبتته ولا ننفيه، أمّا بالنسبة لمعناه

فنسأل هذا الذي قال: «إنه ليس بجسم» ماذا تريد؟ أتريد أنه ليس قائماً بنفسه يفعل ما يريد ويتكلم ويستوي على العرش، ويأتي يوم القيامة للفصل بين عباده أم تريد أنه ليس بجسم مماثل للأجسام؟ إن أراد الثاني فحق، وإن أراد الأول فباطل؛ لأننا نعلم أن الله عز وجل له ذات متصفة بالصفات اللائقة به عز وجل.

٣٦١٣- حَذَرًا مِنْ اسْتِرْجَاعِهِمْ لِسِلَاحِهِمْ فَتَرُونَ بَعْدَ السَّلْبِ كَالنِّسْوَانِ

وهذا غريب! ابن القيم يشدد عليهم فيقول: إنكم تُصانعونهم في هذا حذرًا من استرجاعهم لسلاحهم فترون بعد السلب كالنِّسوان، إذا سلَبوا السِّلَاحَ منكم لم يكن معكم سلاح، فتكونوا بعد أخذ السِّلَاحِ منكم مثل النِّسَاءِ.

٣٦١٤- وَبَحَثْتُمْ مَعَ صَاحِبِ الْإِبْتِاطِ بِالْتِ تَكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْعُدْوَانِ

٣٦١٥- وَقَلَبْتُمْ ظَهَرَ الْمَجْنِّ لَهُ وَأَجْ لَبْتُمْ عَلَيْهِ بِعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ

٣٦١٦- وَاللَّهُ هَذِي رِيْبَةٌ لَا يَخْتَفِي مَضْمُونُهَا إِلَّا عَلَى الثُّيْرَانِ

٣٦١٧- هَذَا وَبَيْنَهُمَا أَشَدُّ تَفَاوُتٍ فِتْنَانٍ فِي الرَّحْمَنِ يَخْتَصِمَانِ

٣٦١٨- هَذَا نَفْسِي ذَاتَ الْإِلَهِ وَوَصْفُهُ نَفِيًّا صَرِيحًا لَيْسَ بِالْكِتْمَانِ

٣٦١٩- لَكِنَّ ذَا وَصَفَ الْإِلَهِ بِكُلِّ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ الْمُطْلَقِ الرَّبَّانِي

٣٦٢٠- وَنَفْسِي النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ كَنَفِيهِ التَّ تَشْبِيهِ لِلرَّحْمَنِ بِالْإِنْسَانِ

٣٦٢١- فَلَايِي شَيْءٍ كَانَ حَرْبُكُمْ لَهُ بِالْحَدِّ دُونَ مُعْطَلِ الرَّحْمَنِ

٣٦٢٢- قُلْنَا نَعَمْ هَذَا الْمَجْسَمُ كَافِرٌ أَفَكَانَ ذَلِكَ كَامِلَ الْإِيمَانِ

- ٣٦٢٣- لَا تَنْظِفِي نِيرَانَ غَيْظِكُمْ عَلَى هَذَا الْمَجْسَمِ يَا أُولِي النِّيرَانِ
 ٣٦٢٤- فَاللَّهُ يُوقِدُهَا وَيُضِلِّي حَرَّهَا يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَرَّفَ الْقُرْآنِ

الشرح

٣٦١٤- وَبَحَثْتُمْ مَعَ صَاحِبِ الْإِثْبَاتِ بِالتُّ تَكْفِيرِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْعُدْوَانِ
 هم يُكْفِرُونَ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ، يقولون: إِنَّكَ إِذَا أَثَبَّتَ اللَّهُ الْيَدَ أَوْ الْعَيْنَ فَقَدْ شَبَّهْتَهُ بِالْمَخْلُوقَاتِ، وهذا كفرٌ، وَيُصَرِّحُونَ بِذَلِكَ، بينما هم مع الفلاسفة يُداهنون ويأخذون منهم حثالة أفكارهم.

٣٦١٥- وَقَلَبْتُمْ ظَهَرَ الْمِجَنِّ لَهُ وَأَجْرًا لَبْتُمْ عَلَيْهِ بِعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
 قَوْلُهُ: «وَقَلَبْتُمْ ظَهَرَ الْمِجَنِّ لَهُ»؛ يعني: أَنْتُمْ بَعْدَ أَنْ كَتَمْتُمْ تُسَالِمُونَ لَهُ قَلْبَتُمْ ظَهَرَ الْمِجَنِّ فَكَتَمْتُمْ أَعْدَاءَ لَصَاحِبِ الْإِثْبَاتِ.

قَوْلُهُ: «وَأَجَلَبْتُمْ عَلَيْهِ بِعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ»؛ يعني: ضَمَمْتُمْ إِلَيْكُمْ فِي مُحَارَبَتِهِ عَسْكَرَ الشَّيْطَانِ.

٣٦١٦- وَاللَّهُ هَدَى رِييَّةً لَا يَخْتَفِي مَضْمُونَهَا إِلَّا عَلَى الثَّيْرَانِ
 يعني: هذا الذي صَنَعْتُمْ مُوجِبٌ لِلرِّييَّةِ؛ بِأَنَّكُمْ عَلَى مِنْهَاجِ هَؤُلَاءِ الْفَلَّاسِفَةِ وَإِنْ أَظْهَرْتُمْ أَنَّكُمْ أَعْدَاءٌ لَهُمْ.

٣٦١٧- هَذَا وَبَيْنَهُمَا أَشَدُّ تَفَاوُتٍ فَتَّانٍ فِي الرَّحْمَنِ يَخْتَصِمَانِ
 هذا وَبَيْنَهُمَا أَشَدُّ تَفَاوُتٍ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، أَشَدُّ تَفَاوُتٍ، يعني: أَعْظَمُ تَفَاوُتٍ يَكُونُ بَيْنَ مُفْتَرِقَيْنِ وَمَا بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَأَهْلِ الْبَاطِلِ،

ثُمَّ ذَكَرَ الْفَرْقَ فَقَالَ:

٣٦١٨- هَذَا نَفَى ذَاتِ الْإِلَهِ وَوَصَفَهُ نَفِيًّا صَرِيحًا لَيْسَ بِالْكِتْمَانِ

٣٦١٩- لَكِنَّ ذَا وَصَفَ الْإِلَهِ بِكُلِّ أَوْ صَافِ الْكَمَالِ الْمَطْلُوقِ الرَّبَّانِيِّ

وهذا تفاوتٌ عظيمٌ، ففرقٌ بين مَنْ يُثْبِتُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بأوصافِهِ الكاملةِ وهم السَّلَفُ التَّابِعُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ، وبين مَنْ يُنْكِرُ الرَّحْمَنَ وَأوصافَهُ، وهم الفلاسفةُ وأهلُ الإلحادِ، ومعلومٌ أَنَّ نَفْيَ الذَّاتِ يَسْتَلْزِمُ نَفْيَ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ تَكُنْ ذَاتٌ لَمْ تَكُنْ صِفَاتٌ، فبينهما كما بين المشرقِ والمغربِ، ومع ذلك تُدَاهِنُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْكُرُونَ ذَاتَ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَتُعَادُونَ بِصِرَاحَةٍ وَوَقَاحَةٍ مَنْ يَثْبُتُونَ اللهُ الْأَوْصَافَ وَالْأَسْمَاءَ.

٣٦٢٠- وَنَفَى النَّقَائِصَ وَالْعُيُوبَ كَنَفِيهِ التُّ — تَشْبِيهِهُ لِلرَّحْمَنِ بِالْإِنْسَانِ

فلهم نفيان؛ أي: لأهلِ السُّنَّةِ نفيان: النَّفْيُ الْأَوَّلُ: نَفْيُ النَّقَائِصِ وَالْعُيُوبِ، وَالنَّفْيُ الثَّانِي: نَفْيُ التَّمَاثُلِ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ.

٣٦٢١- فَلَايُّ شَيْءٍ كَانَ حَرْبُكُمْ لَهُ بِالْحَدِّ دُونَ مُعْطَلِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «بِالْحَدِّ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «بِالْحَدِّ»، وَنَسْخَةٌ «بِالْحَدِّ» أَحْسَنُ.

يعني: لأَيِّ شَيْءٍ تَحَارِبُونَ يَا أَهْلَ التَّعْطِيلِ تَحَارِبُونَ صَاحِبَ السُّنَّةِ وَالْآثَارِ دُونَ مُعْطَلِ الرَّحْمَنِ مِنْ أَهْلِ الْفَلَسَفَةِ وَالْإِلْحَادِ؟

٣٦٢٢- قُلْنَا نَعَمْ هَذَا الْمَجْسَمُ كَافِرٌ أَفَكَانَ ذَلِكَ كَامِلَ الْإِيمَانِ

يعني: أَنَّنَا نَجِيبُ عَنْكُمْ فَنَقُولُ: نَعَمْ، كُنْتُمْ حَرْبًا لِلْمُثَبِّتِ؛ لِأَنَّهُ عَلَى زَعْمِكُمْ مَجْسَمٌ كَافِرٌ، فَهَمَّ يَقُولُونَ: كُلُّ مُثَبِّتٍ لِلصِّفَاتِ مَجْسَمٌ، وَكُلُّ مَجْسَمٍ كَافِرٌ، فَالْمُثَبِّتُ

كافرٌ، لكن كُلُّ هذه المقدماتِ والنتيجة كَذِبٌ، فليس كُلُّ مثبتٍ للصفاتِ مُجَسِّمًا؛ لأنَّ إثباتِ الصفاتِ لا يستلزمُ التَّجسيمَ عقلاً.

فها نحن نقولُ: يومٌ شديدٌ، حرٌّ شديدٌ، بردٌ شديدٌ، ظلمةٌ شديدةٌ، وكُلُّ هذه غيرُ أجسامٍ، فهذه أوقاتٌ وأزمانٌ، ثُمَّ نقولُ بالنسبة للخالقِ عزَّ وجلَّ: إذا وصفناه بالصفاتِ فإنَّ لَزَمَ من هذه الصفاتِ أن يكونَ جسمًا فاللَّازمُ للحقِّ حقٌّ، وإن لم يَلْزَمْ فإنَّه لا يسوغُ لكم أن تلزمونا بشيءٍ لم نلتزم به وليس لازمًا لصفاته.

ثُمَّ نقولُ: ثالثًا: الجسم الذي نفيتم عن الله وأجلبتم عليه بالخيَلِ والرَّجْلِ ماذا تريدون به؟ أتريدون به جسمًا مركَّبًا كما تُركَّبُ الأجسامُ المخلوقةُ فهذا منتفٍ عن الله أم تريدون به ذاتًا منفصلةً عن الخلقِ بآئنةً عن الخلقِ مُتَّصِفَةٌ بالصفاتِ اللَّائِقَةِ بها فهذا حقٌّ، فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - ذاتٌ بلا شكٍّ، قائِمةٌ بنفسِها بآئنةً من الخلقِ، مُتَّصِفَةٌ بالصفاتِ اللَّائِقَةِ بها، ومع هذا انظر كيف هذا الدَّجَلُ والتَّمويه: كُلُّ مثبتٍ مُجَسِّمٌ، وكُلُّ مُجَسِّمٌ كافرٌ، كيف هذا؟ من قال هذه القاعدة؟!!

٣٦٢٣- لا تَنْطَفِي نِيرَانُ غَيْظِكُمْ عَلَى هَذَا الْمُجَسِّمِ يَا أُولِي النِّيْرَانِ

نعم؛ أنتم دائماً في غيظٍ عظيمٍ وحنقٍ شديدٍ على هذا المُجَسِّمِ؛ ولهذا إذا أثبتَ أحدٌ من صفاتِ الله ما أثبتَهُ اللهُ لنفسِهِ شَبَّتَ نيرانُ الغيظِ عندهم والبغضاء لهذا المُثَبِّتِ المُجَسِّمِ على زعمهم.

٣٦٢٤- فَاللهُ يُوقِدُهَا وَيُضَلِّي حَرَّهَا يَوْمَ الْحِسَابِ مُحَرِّفَ الْقُرْآنِ

ومن هو مُحَرِّفُ القرآنِ؟ هم أهلُ التَّعْطِيلِ، فأهلُ التَّعْطِيلِ -والله- حَرَّفُوا القرآنَ، أثبتَ اللهُ لنفسِهِ الصِّفَةَ، وقالوا: لا نُثَبِّتُهَا، حَرَّفُوا القرآنَ عن مواضعِهِ،

وقالوا: المرادُ بكذا كذا وكذا ممَّا لا يُريدهُ اللهُ، فمن هم أولى صليًّا بالنَّارِ؟ الجوابُ: هم أهلُ التَّحْرِيفِ.

- ٣٦٢٥ - يَا قَوْمَنَا لَقَدْ ارْتَكَبْتُمْ خُطَّةً لَمْ يَزْتَكِيهَا قَطُّ ذُو عِرْفَانَ
 ٣٦٢٦ - وَأَعَنْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ بِوَفَاقِكُمْ لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبُطْلَانِ
 ٣٦٢٧ - أَخَذُوا نَوَاصِيكُمْ بِهَا وَلِحَاكُمُ فَعَدَّتْ نُجْرٌ بِذَلَّةٍ وَهَوَانِ
 ٣٦٢٨ - قُلْتُمْ بِقَوْلِهِمْ وَرُمْتُمْ كَسْرَهُمْ أَنَّى وَقَدْ عَلَّقُوا لَكُمْ بَرَهَانَ
 ٣٦٢٩ - وَكَسَرْتُمْ الْبَابَ الَّذِي مِنْ خَلْفِهِ أَعْدَاءُ رُسُلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ
 ٣٦٣٠ - فَآتَى عَدُوَّ مَا لَكُمْ بِقِتَالِهِمْ وَبِحَرْبِهِمْ أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ
 ٣٦٣١ - فَعَدَوْتُمْ أَسْرَى لَهُمْ بِحِبَالِهِمْ أَيْدِيكُمْ شُدَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ
 ٣٦٣٢ - حَمَلُوا عَلَيْكُمْ كَالسَّبَاعِ اسْتَقْبَلْتِ مُحَرًّا مَعْقَرَةً ذَوِي أَرْسَانِ
 ٣٦٣٣ - صَالُوا عَلَيْكُمْ بِالَّذِي صَلُّتُمْ بِهِ أَنْتُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةَ الْفُرْسَانِ
 ٣٦٣٤ - لَوْلَا تَحْيِيزُكُمْ إِلَيْنَا كُنْتُمْ وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ
 ٣٦٣٥ - لَكِنْ بِنَا اسْتَنْصَرْتُمْ وَيَقُولُنَا صَلُّتُمْ عَلَيْهِمْ صَوْلَةَ الشُّجْعَانِ
 ٣٦٣٦ - وَالْيَتِيمَ الْإِنْبَاتِ إِذْ صَلُّتُمْ بِهِ وَعَزَلْتُمْ التَّعْطِيلَ عَزَلَ مُهَانَ
 ٣٦٣٧ - وَأَنْتُمْ تَغْزُونَنَا بِسَرِيَّةٍ مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
 ٣٦٣٨ - مَنْ ذَا بِحَقِّ اللَّهِ أَجْهَلُ مِنْكُمْ وَأَحَقُّنَا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ

٣٦٢٩- تَالله مَا يَدْرِى الْفَتَى بِمُصَابِهِ وَالْقَلْبُ تَحْتَ الْخَتْمِ وَالْحِذْلَانِ

الشرح

٣٦٢٥- يَا قَوْمَنَا لَقَدْ اِزْتَكَبْتُمْ خُطَّةً لَمْ يَرْتَكِبْهَا قَطُّ ذُو عِرْفَانَ

٣٦٢٦- وَأَعَنْتُمْ أَعْدَاءَكُمْ بِوِفَاقِكُمْ لَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِّنَ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمَنَا» يريدُ بذلك أهلَ التَّعْطِيلِ، وهم قومُه وإن كانوا على غير المِلَّةِ التي نحن عليها؛ أي: على غيرِ المنهجِ الذي نحن عليه وهم على الإسلامِ لا شَكَّ إِلَّا مَنْ خَرَجَ بَدْعَتِهِ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَكِنَّ وَصْفَ الْقَوْمِيَّةِ لَا يَسْتَلْزِمُ الْوِفَاقَ فِي الدِّينِ، فَهَاهُمْ الْأَنْبِيَاءُ يَقُولُونَ لِأَقْوَامِهِمْ: «يَا قَوْم» مع أَنَّهُمْ كُفَّارٌ، لَكِنْ ينادونهم بِالْقَوْمِيَّةِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ مَعَهُمْ فِي الْقَبِيلَةِ وَالْقَرَابَةِ.

٣٦٢٧- أَخَذُوا نَوَاصِيكُمْ بِهَا وَلِحَاكُمُ فَعَدَّتْ تَجْرُبِدْلَةً وَهَوَانَ

قَوْلُهُ: «لِحَاكُمُ» «اللَّحَى» جمعُ «لِحِيَّةٍ».

يعني: أمسكوا الواحدَ من ناصيته ولحيته وجروه يقودونه لِمَا يُرِيدُونَ فأوقعوهم في الهلاكِ والعياذُ بالله.

٣٦٢٨- قُلْتُمْ بِقَوْلِهِمْ وَرُمْتُمْ كَسْرَهُمْ أَنَّى وَقَدْ عَلَّقُوا لَكُمْ بَرَهَانَ

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ بِقَوْلِهِمْ وَرُمْتُمْ كَسْرَهُمْ»؛ يعني: أنكم قلتُم بقولهم ثُمَّ ادَّعَوْتُمْ أَنَّكُمْ تَرِيدُونَ بِهَذَا كَسْرَهُمْ.

وَقَوْلُهُ: «رُمْتُمْ كَسْرَهُمْ»؛ يعني: قصدتم كسرهم؛ ولهذا يدَّعي أهلُ التَّعْطِيلِ أَنَّهُمْ حَرَبٌ لِلْفَلَّاسِفَةِ وَهَمَّ فِي الْحَقِيقَةِ مُوَافِقُونَ لَهُمْ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَأَهْلُ

التَّعْطِيلِ عَطَّلُوا الذَّاتَ وَالصِّفَاتِ، وَهُمْ عَطَّلُوا الصِّفَاتِ إِمَّا كَلِيَّةً وَإِمَّا جَزِئِيَّةً،
وَالسَّلْفُ الصَّالِحُ أَثْبَتُوا الذَّاتَ وَأَثْبَتُوا الصِّفَاتِ.

قَوْلُهُ: «أَنِّي وَقَدْ غَلَقْتُ لَكُمْ بَرَهَانٍ»؛ يَعْنِي: أَنِّي تَكْسَرُوهُمْ وَقَدْ غَلَقُوا لَكُمْ
بَرَهَانٍ، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَغْلُقُ الرَّهْنُ مِنْ صَاحِبِهِ»^(١)، لَكِنْ هُمْ ارْتَهَنُواكُمْ
رَهْنًا أَغْلَقُواكُمْ بِهِ، وَصَرْتُمْ لَا تَتِمَكَّنُونَ مِنَ التَّصَرُّفِ كَمَا تَشَاؤُونَ.

٣٦٢٩- وَكَسَرْتُمْ الْبَابَ الَّذِي مِنْ خَلْفِهِ أَعْدَاءُ رُسُلِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ

٣٦٣٠- فَآتَى عَدُوَّ مَا لَكُمْ بِقِتَالِهِمْ وَبِحَرْبِهِمْ أَبَدَ الزَّمَانِ يَدَانِ

هَمْ فَتَحُوا الْبَابَ لِأَهْلِ التَّعْطِيلِ الْمُحْضِ، فَمَثَلًا: أَهْلُ التَّعْطِيلِ أَنْكَرُوا وَجُودَ اللَّهِ
عَزَّ وَجَلَّ، وَوَجُودَ صِفَاتِهِ، وَأَعْنِي بِذَلِكَ: الْفَلَاسِفَةُ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ التَّخْيِيلِ،
قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ مَوْجُودًا، وَلَيْسَ هُنَاكَ صِفَاتٌ، وَلَيْسَ هُنَاكَ جَنَّةٌ وَلَا نَارٌ، كُلُّ مَا
ذَكَرَهُ الرَّسُولُ مِنْ ذَلِكَ فَهُوَ تَخْيِيلٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، أَرَادُوا بِذَلِكَ إِصْلَاحَ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ
النَّاسَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ: إِنَّ لَكُمْ رَبًّا عَظِيمًا يَتَّقَمُّ مِنَ الْمَجْرَمِ وَيُثِيبُ الطَّاعَةَ، وَإِنَّ لَكُمْ
ثَوَابًا جَزِيلًا إِذَا أَطَعْتُمْ وَهُوَ الْجَنَّةُ الَّتِي لَا تَفْنَى وَلَا تَبِيدُ، وَإِنَّ لَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا إِذَا
عَصَيْتُمْ وَهُوَ النَّارُ، فَإِنَّ النَّاسَ سَوْفَ يَسْتَجِيبُونَ؛ فَلِهَذَا كَانَ الرَّسُولُ عَلَى زَعْمِهِمْ
عَبَاقِرَةً، وَضَعُوا خَطَطًا وَمَنْهَجًا، وَأَرَادُوا مِنَ النَّاسِ أَنْ يَسْلُكُوا هَذَا الْمَنْهَجَ،
وَقَالُوا: إِنَّ هُنَاكَ رَبًّا وَجَزَاءً وَيَوْمًا آخَرَ... إلخ.

فَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ سَلَكُوا هَذَا الْمَسْلَكَ؛ قَالُوا لِأَهْلِ التَّعْطِيلِ: أَنْتُمْ حَرَّفْتُمْ
نُصُوصَ الصِّفَاتِ، وَقَلْتُمْ: لَيْسَ لِلَّهِ وَجْهٌ، وَلَا يَدٌ وَلَا عَيْنٌ وَلَا قَدَمٌ، وَلَيْسَ لَهُ
اسْتَوَاءٌ، وَلَا نَزُولٌ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا إِتْيَانٌ... إلخ، فَأَنْتُمْ أَوْلْتُمْ فِي هَذَا، وَنَحْنُ

(١) أخرجه البيهقي (٦/٦٥، رقم ١١٢١٠).

أولنا في هذا، أي فرق بيننا؟ فقال لهم أهل التّعطيل الذين يقولون باليوم الآخر قالوا: نحن عَلِمْنَا بِأَنَّ الرُّسْلَ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ، انظر الجواب المفحّم، «عَلِمْنَا بِأَنَّ الرُّسْلَ جَاءُوا بِإِثْبَاتِ الْيَوْمِ الْآخِرِ»، وَأَنَّ الشُّبُهَةَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ فَاسِدَةٌ، أَيُّ شَيْءٍ يَمْنَعُ مِنَ الْبَعْثِ؟ الْجَوَابُ: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعَظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، شُبُهَةٌ فَاسِدَةٌ أَفْسَدَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا جَاءَتِ الرُّسُلُ بِهِ وَالشُّبُهَةُ الْمَانِعَةُ مِنْهُ فَاسِدَةٌ لَزِمَ الْقَوْلُ بِمَوْجِبِهِ.

وهذا جوابٌ صحيحٌ؛ ولهذا كان قولُ أهلِ التّعطيلِ في هذا البابِ قولاً صحيحاً، فقال أهلُ السُّنَّةِ: إِنَّ إِبْطَابِكُمْ لِلْفَلَاسِفَةِ أَهْلُ التَّخْيِيلِ إِبْطَابٌ صَحِيحَةٌ، وَلَكِنَّا نَحْنُ نُلْزِمُكُمْ بِهَا أَنْ تَقُولُوا بِالصِّفَاتِ؛ لِأَنَّنا نَعْلَمُ أَنَّ الرُّسْلَ جَاءَتِ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَذَا وَزَانَ قَوْلِهِمْ: «إِنَّ الرُّسْلَ جَاءَتِ بِإِثْبَاتِ الْمَعْنَى»، وَقَدْ عَلِمْنَا فِسَادَ الشُّبُهَةِ الْمَانِعَةِ مِنْهُ، مَا هِيَ الشُّبُهَةُ الْمَانِعَةُ مِنْهُ عَلَى زَعْمِ أَهْلِ التّعطيلِ؟ التَّمثِيلُ وَالتَّجْسِيمُ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَهَذِهِ الشُّبُهَةُ فَاسِدَةٌ، فَوَجَبَ الْقَوْلُ بِمَوْجِبِهِ.

فصار دليلُ أهلِ السُّنَّةِ عَلَى أَهْلِ التّعطيلِ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ كَدَلِيلِ أَهْلِ التّعطيلِ عَلَى أَهْلِ الْفَلَاسِفَةِ وَالتَّخْيِيلِ فِي إِثْبَاتِ الْمَعَادِ.

هَمَّ لَمَّا أَنْكَرُوا الصِّفَاتِ وَهِيَ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرُ، فَذَكَرُ الصِّفَاتِ فِي الْقُرْآنِ أَكْثَرُ وَتَقْرِيرُهَا أَثْبَتُ، لَمَّا أَنْكَرَهَا أَهْلُ التّعطيلِ، قَالَ الْفَلَاسِفَةُ وَأَهْلُ التَّخْيِيلِ: أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمَعْطَلَةُ أَبْحْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ تَأْوِيلَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَإِنْكَارَ مَدْلُوهَا فَلِمَاذَا تُنْكَرُونَ عَلَيْنَا تَأْوِيلَ نِصُوصِ الْمَعَادِ، فَنَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ؛ لِأَنَّ الْبَابَ وَاحِدٌ، فَكِلَاهُمَا أَمْرٌ غَيْبِيٌّ، فَإِذَا كَانَتْ عَقُولُكُمْ لَا تَحْتَمِلُ إِثْبَاتَ هَذِهِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ عَقُولَنَا لَا تَحْتَمِلُ إِثْبَاتَ الْمَعَادِ، فَإِمَّا أَنْ تَوَافَقُونَا، وَإِمَّا أَنْ تَوَافَقُوا السَّلْفَ، اطَّرَدُوا الْبَابَ، أَمَّا أَنْ تَتَنَاقَضُوا فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْعُلَمَاءِ.

فانظر كيف فَتَحَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ الْبَابَ لِأَهْلِ الْفَلَسَفَةِ وَالتَّعْطِيلِ الْمَحْضِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِرَبِّ وَلَا جَزَاءٍ، إِذْنُ الَّذِي فَتَحَ الْبَابَ أَهْلُ التَّعْطِيلِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ التَّخْيِيلِ أَلْزَمُوهُمْ بِأَنْ يَقُولُوا بِإِنْكَارِ الْمَعَادِ كَمَا قَالُوا بِإِنْكَارِ الصِّفَاتِ؛ وَهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦٣١- فَعَدَوْتُمْ أَسْرَى لَهُمْ بِجِبَالِهِمْ أَيَدِيكُمْ شُدَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ

وكيف تكون اليد إذا شُدَّتْ إلى الأذقان؟ الجواب: لا يستطيع الإنسان أن يتحرَّك، فأنتم الآن لهم أسرى، أيديكم شُدَّتْ إلى الأذقان.

٣٦٣٢- حَمَلُوا عَلَيْكُمْ كَالسَّبَاعِ اسْتَقْبَلْتُمْ حُمْرًا مُعَقَّرَةً ذَوِي أَرْسَانِ

وهذا تشبيهٌ بليغٌ؛ يعني: أن الفلاسفة والملاحدة حملوا عليكم كحمل السباع على حُمُرٍ مُعَقَّرَةٍ مُرْسِنَةٍ، فالحمارُ المُعَقَّرُ المُرْسِنُ إذا حَمَلَ عَلَيْهِ السَّبْعُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا، يَأْكُلُهُ السَّبْعُ أَكْلَةً وَاحِدَةً، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدَافِعَ عَنِ نَفْسِهِ؛ وَهَذَا حَمَلَ أَهْلُ التَّخْيِيلِ «الْفَلَسَفَةَ» عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ حَمَلَةً لَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا؛ لِأَنَّهم يَقُولُونَ لَهُمْ: يَلْزَمُكُمْ أَنْ تَقُولُوا بِتَأْوِيلِ آيَاتِ الْمَعَادِ وَتَحْرِيفِهَا كَمَا حَرَّفْتُمْ آيَاتِ الصِّفَاتِ.

٣٦٣٣- صَالُوا عَلَيْكُمْ بِالَّذِي صُلِّتُمْ بِهِ أَنْتُمْ عَلَيْنَا صَوْلَةَ الْفَرَسَانِ

صَالَ فَلَسَفَةُ التَّخْيِيلِ عَلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ بِمِثْلِ الَّذِي صَالَ بِهِ عَلَيْنَا أَهْلُ التَّعْطِيلِ؛ لِأَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ صَالُوا عَلَيْنَا فَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ تُنْبِتَ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ إِثْبَاتَهَا يَسْتَلْزِمُ التَّمْثِيلَ، هَذِهِ شَبَهَتْهُمْ، وَأَوْلَيْكَ صَالُوا عَلَيْهِمْ فَقَالُوا: إِذَا كُنْتُمْ أَبْحَثُمْ لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ تَوْوَلُوا أَوْ تُحَرِّفُوا آيَاتِ الصِّفَاتِ فَأَيِّحُوا لِأَنْفُسِكُمْ أَنْ تَوْوَلُوا آيَاتِ الْمَعَادِ وَتُحَرِّفُوهَا وَإِلَّا فَأَنْتُمْ مُتَنَاقِضُونَ.

٣٦٣٤- لَوْلَا نَحْيُزُكُمُ إِلَيْنَا كُنْتُمْ وَسَطَ الْعَرِينِ مُمَزَّقِي اللَّحْمَانِ

٣٦٣٥- لَكِنْ بِنَا اسْتَنْصَرْتُمْ وَبِقَوْلِنَا صَلُّتُمْ عَلَيْهِمْ صَوْلَةَ الشُّجْعَانِ

بأي شيء صالوا عليهم؟ الجواب: بما نقوله نحن، قال أهل التعطيل لأهل التَّخْيِيلِ «الفلاسفة»: نحن قد عَلِمْنَا أَنَّ الرُّسْلَ جَاءتْ بِإِثْبَاتِ الْمَعَادِ وَأَنَّ الشُّبْهَةَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ فَاسِدَةٌ فَلَزِمَ الْقَوْلُ بِمَوْجِبِهِ، نحن -أيضاً- قلنا لأهل التَّعْطِيلِ كما قالوا هم لأهل التَّخْيِيلِ، قلنا: قد عَلِمْنَا أَنَّ الرُّسْلَ جَاءتْ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ الشُّبْهَةَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ فَاسِدَةٌ فَلَزِمَ الْقَوْلُ بِمَوْجِبِهِ.

قَوْلُهُ: «لَكِنْ بِنَا اسْتَنْصَرْتُمْ وَبِقَوْلِنَا صَلُّتُمْ عَلَيْهِمْ» ما الذي قلناه؟ نحن قلنا لهم: قد عَلِمْنَا أَنَّ الرُّسْلَ جَاءتْ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، وَأَنَّ الشُّبْهَةَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ فَاسِدَةٌ فَلَزِمَ الْقَوْلُ بِمَوْجِبِهِ، هم قالوا نفس هذا القولِ لأهلِ الْإِحَادِ «للفلاسفة» الْمُنْكَرِينَ لِلْمَعَادِ قَالُوا: قد عَلِمْنَا أَنَّ الرُّسْلَ جَاءتْ بِإِثْبَاتِ الْمَعَادِ، وَأَنَّ الشُّبْهَةَ الْمَانِعَةَ مِنْهُ فَاسِدَةٌ فَلَزِمَ الْقَوْلُ بِمَوْجِبِهِ، فصالوا عليهم بما صلنا به عليهم، إِذْ نُ اسْتَنْصَرُوا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِنَا وَسَلَّحْنَا، فَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ قَيَّضَنَا لَهُمْ مَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَرُدُّوا قَوْلَ هَؤُلَاءِ.

٣٦٣٦- وَالْيَتُّمُ الْإِثْبَاتِ إِذْ صَلُّتُمْ بِهِ وَعَزَلْتُمْ التَّعْطِيلَ عَزَلَ مُهَانَ

يعني: أتهم أخذوا بالإثباتِ إِذَا كَانَتِ الْحُجَّةُ لَهُمْ، وَعَزَلُوا التَّعْطِيلَ؛ يعني: أَخَذُوا الْإِثْبَاتَ وَعَزَلُوا التَّعْطِيلَ عَزَلَ مُهَانَ، وَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْمَعَادِ، فَإِنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمَعَادِ تَوَلَّوْا الْإِثْبَاتَ وَعَزَلُوا النَّفْيَ وَالتَّعْطِيلَ، فَقَالُوا: نحن نؤمنُ أَنَّ نصوصَ الْمَعَادِ حَقٌّ عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَنُثِّبُهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا، وَنَقُولُ: فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَفِي الْجَنَّةِ نَخْلٌ وَرُمَّانٌ وَفَاكِهِةٌ وَأَنْهَارٌ، وَفِي النَّارِ عَذَابٌ إِلَى آخِرِ

ما جاء به الكتاب والسنة، فهم ولّوا الإثبات إذ صالوا به وعزلوا التعطيل حين صولهم بالإثبات، وهذا بالنسبة لنصوص المعاد.

٣٦٣٧- وَأَتَيْتُمْ تَغْزُونََنَا بِسَرِيَّةٍ مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَتَيْتُمْ تَغْزُونََنَا بِسَرِيَّةٍ»؛ أي: أتيتم تغزوننا بسريّة دون الجيش.

قَوْلُهُ: «مِنْ عَسْكَرِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ»؛ يعني: بذلك أن قول أهل التعطيل في الصفات جزء من قول أهل الإلحاد؛ لأن أهل الإلحاد أنكروا الله وأنكروا الصفات وأنكروا المعاد، وأهل التعطيل أثبتوا المعاد وأثبتوا وجود الله وأنكروا الصفات، فأتوا بسريّة إذ أنهم أنكروا جزءاً واحداً من ثلاثة أجزاء؛ ولهذا قال:

٣٦٣٨- مَنْ ذَا بِحَقِّ اللَّهِ أَجْهَلُ مِنْكُمْ وَأَحَقُّنَا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ

الجواب: هم أجهل؛ لأنهم متناقضون؛ يعني: انظر إلى الطرد، فأهل التخيل والملاحظة قولهم مُطْرَدٌ؛ لأنهم أنكروا الحقائق هنا وهناك، أنكروا الحقائق بالنسبة لله عز وجل وصفاته وبالنسبة للمعاد، وهؤلاء أنكروا الحقائق بالنسبة لصفات الله وأثبتوها بالنسبة للمعاد، فكانوا متناقضين، والسلف الصالح أثبتوا الحقائق لله وصفاته وللمعاد.

إِذْ نَ الْإِثْبَاتِ فِي الْإِنْكَارِ عِنْدَ السَّلْفِ فِي الْإِنْكَارِ عِنْدَ الْفَلَسَفَةِ وَأَهْلِ التَّخْيِيلِ، وَالتَّنَاقُضُ عِنْدَ أَهْلِ التَّعْطِيلِ لِلصِّفَاتِ.

٣٦٣٩- تَاللَّهِ مَا يَدْرِي الْفَتَى بِمُصَابِهِ وَالْقَلْبُ تَحْتَ الْخْتَمِ وَالْخِذْلَانِ

صدق رحمه الله، الفتى لا يعرف المصيبة إذا كان قلبه محتوماً عليه مخذولاً والعياذ بالله؛ لأن الذين طبع الله على قلوبهم لا يدرون ماذا يصيبهم من المصائب؟

الذي يدري بالمصيبة مَنْ قلبه حيٌّ، أمَّا الميت فكما قال المتنبِّي:

مَنْ يَمُنُّ يَسْهُلِ الْهَوَانُ عَلَيْهِ مَا لَجُرْحِ بِمَيِّتِ إِيْلَامٍ^(١)

ولهذا تجدد الإنسان كلّما قسا قلبه لا يتأثر بالمعصية، لكن إذا كان قلبه حيًّا وفعل المعصية تجده يحزن ويندم ويخجل ويحدث توبة، فإذا وجدت من نفسك أن قلبك لا يتأثر بمعصية الله فاعلم أنه مختوم عليه - والعياد بالله - وإذا رأيته يتأثر كلّما عصى أحس بالذنب، ورجع إلى الله، وأتاب إليه، واستغفر ربّه، فاعلم أن قلبك حيٌّ؛ لأنّ الميت لو أتيت بشواظٍ من نارٍ وأصبت به جسده هل يتأثر؟ أبدًا، ولا يحس، والحيُّ يحس، فهكذا القلوب متى أحست بالمعصية وترك الطاعة فاعلم أنّ فيها حياة، ومتى لم تحس فاعلم أنّها ميتة وأنّها قد ختمت عليها، وانظر إلى كلام الله عزّ وجلّ أشرف الكلام وأعظم الكلام وأشدّه تأثيرًا، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالُوا سَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥] لا يتأثر بها، بل يقول: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [القلم: ١٥]، والأسطورة هي الكلمات التي تُحكى وليس لها أصلٌ وتسمّى عندنا «سواليف» أو «سباحيل»؛ لأنّها تُبدأ بالتسبيح، وعند الإخوان في غير البلاد السعودية تسمّى «حدوتة».

على كلّ حال هو لكونه لا يتأثر بالقرآن - والعياد بالله - يقول: هذه أساطير الأولين، قصصٌ وحكايات، ماذا قال الله عزّ وجلّ؟ كلا، ليست أساطير الأولين، ولكن البلاء به هو، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، فلم يعرفوا الحقّ ولم يتأثروا به، وهذا ميزانٌ ينبغي لنا أن نتعاهده دائميًّا، أن ننظر هل قلوبنا تتأثر عند فعل المعصية وترك الطاعة أو لا؟ إن كانت تتأثر ففيها حياة

(١) الوساطة بين المتنبّي وخصومه، للقاضي الجرجاني (ص: ١٦٥).

نحافظُ على هذه الحياة، وإن لم تتأثرُ فهي ميّنةٌ قد رَانَ عليها ما كَسَبَتْ من المعاصي،
نسألُ الله أن يعاملنا وإياكم بعفوه.

الخلاصةُ من هذا كُلِّه هو أَنَّ أَهْلَ الإلْحَادِ والتَّعْطِيلِ كلاهما حربٌ على أَهْلِ
الإثباتِ، لكنّه - رحمه الله - عنده تحيُّلٌ كبيرٌ وتصورٌ عجيبٌ.

فصل

فِي مَصَارِعِ النَّفَاةِ وَالْمُعْطَلِينَ بِأَسِنَّةِ أَمْرَاءِ الْإِثْبَاتِ الْمُوحِدِينَ

- ٣٦٤٠ - وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى مَصَارِعَ مَنْ خَلَا
 مِنْ أُمَّةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
- ٣٦٤١ - وَتَرَاهُمْ أَسْرَى حَقِيرًا شَأْنُهُمْ
 أَيَدِيهِمْ غُلَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ
- ٣٦٤٢ - وَتَرَاهُمْ تَحْتَ الرَّمَاحِ دَرِيئَةً
 مَا فِيهِمْ مِنْ فَارِسِ طَعَّانِ
- ٣٦٤٣ - وَتَرَاهُمْ تَحْتَ السُّيُوفِ تَنُوشُهُمْ
 مِنْ عَن شَمَائِلِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِ
- ٣٦٤٤ - وَتَرَاهُمْ أَنْسَلُخُوا مِنَ الْوَحْيَيْنِ وَالْ
 عَقْلِ الصَّحِيحِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ
- ٣٦٤٥ - وَتَرَاهُمْ وَاللَّهِ ضِحْكَةً سَاخِرٍ
 وَلَطَالَمَا سَخِرُوا مِنَ الْإِيمَانِ
- ٣٦٤٦ - قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رُبُوعُ زَادَهَا الـ
 جَبَّارُ إِجْحَاشًا مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٣٦٤٧ - وَخَلَّتْ دِيَارُهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلُهُمْ
 مَا فِيهِمْ رَجُلَانِ مُجْتَمِعَانِ
- ٣٦٤٨ - قَدْ عَطَّلَ الرَّحْمَنُ أَفِيدَةَ لَهُمْ
 مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
- ٣٦٤٩ - إِذْ عَطَّلُوا الرَّحْمَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ
 وَالْعَرْشَ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٣٦٥٠ - بَلْ عَطَّلُوهُ عَنِ الْكَلَامِ وَعَنْ صِفَا
 تِ كَمَالِهِ بِالْجَهْلِ وَالْبُهْتَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «النَّفَاةُ» جمع «نَافٍ».

قَوْلُهُ: «المُعْطَلِينَ» جمع «مُعْطَلٌ».

قَوْلُهُ: «أَسِنَّةٌ» جمع «سِنَانٌ»، وهو الرُّمْحُ الذي في طرفه زُجٌّ؛ يعني: حديدة مُدَبَّبة أعلاها دقيقٌ ينفذ.

قَوْلُهُ: «بِأَسِنَّةِ أَمْرَاءِ الْإِثْبَاتِ الْمُوَحِّدِينَ» فجعل أهل الإثبات أمراء؛ لأنَّ المقام مقامُ حرب، والأميرُ في الحربِ غيرُ العالمِ في السُّلْمِ، فأمرأءُ الحروبِ هم الذين يأمرُون ويُنَفِّذُون.

بَيْنَ الْمُؤَلَّفِ - رحمه الله - في هذا الفصل ما كان أهل السُّنَّةِ وَالْإِثْبَاتِ يُصَنَّفُونَهُ وَيُؤَلَّفُونَهُ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي تَدْفَعُ حُجَجَ هَؤُلَاءِ الْمَعْطَلَةِ، فَقَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦٤٠ - وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى مَصْرَاعَ مَنْ خَلَا مِنْ أُمَّةِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى» التَّقْدِيرُ: «إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَرَى»، وهذا التَّرْكِيبُ جَائِزٌ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَيْنِهٖ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ [الرُّوم: ٢٤]؛ أَي: أَنْ يُرِيكُمْ الْبَرْقَ.

٣٦٤١ - وَتَرَاهُمْ أَسْرَى حَقِيرًا شَأْنُهُمْ أَيْدِيَهُمْ غَلَّتْ إِلَى الْأَذْقَانِ

قَوْلُهُ: «أَسْرَى» جمع «أسير».

قَوْلُهُ: «حَقِيرًا شَأْنُهُمْ»؛ أَي: لَيْسُوا مُكْرَمِينَ وَلَا مُعْظَمِينَ.

٣٦٤٢ - وَتَرَاهُمْ تَحْتَ الرَّمَاحِ دَرِيئَةً مَا فِيهِمْ مِنْ فَارِسٍ طَعَّانِ

قَوْلُهُ: «دَرِيئَةً» «فَعِيلَةٌ» بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، مِنَ الدَّرَاءِ وَهُوَ الدَّفْعُ؛ أَي: مَدْفُوعِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْمَقَاوِمَةَ.

أَي: تَرَاهُمْ تَحْتَ رِمَاحِ جُنُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَدْفُوعِينَ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْمَقَاوِمَةَ.

٣٦٤٣- وَتَرَاهُمْ تَحْتَ السُّيُوفِ تَنُوشُهُمْ مِنْ عَنِّ شَمَائِلِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِ

أي: تأتيهم السُّيُوفُ من كُلِّ جانبٍ تُمزِّقُهُم.

٣٦٤٤- وَتَرَاهُمْ انْسَلَخُوا مِنَ الْوَحْيَيْنِ وَالْ عَقْلِ الصَّحِيحِ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «الْوَحْيَيْنِ»؛ أي: الكتابِ والسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «العقلِ الصَّحِيحِ»، وفي نسخة: «العقلِ الصَّريحِ» وهو الصَّوابُ؛ لأنَّ الصَّحَّةَ يُوصَفُ بها النُّقلُ، فنقول: النُّقلُ الصَّحِيحُ، والصَّرَاحَةُ يُوصَفُ بها العقلُ.

قَوْلُهُ: «وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ»؛ أي: ما يقتضيه القرآنُ.

٣٦٤٥- وَتَرَاهُمْ وَاللَّهِ ضِحْكَةً سَاخِرٍ وَلَطَالَمَا سَخِرُوا مِنَ الْإِيمَانِ

أي: تراهم محلاً لِضِحْكٍ مَنْ يَسْخَرُ بِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ سَقَطُوا تَحْتَ جِهَادِ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٣٦٤٦- قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ رُبُوعٌ زَادَهَا الـ جَبَّارُ إِجَاشًا مَدَى الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «رُبُوعٌ» جمع: «ربع» وهو ما يكونُ بِمعنى الحيِّ أو القومِ.

يعني: قَدْ أَوْحَشَتْ مِنْهُمْ الدِّيَارُ، زَادَهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِجَاشًا؛ لِأَنَّهُمْ فَقَرَاءٌ مِنَ الْوَحْيِ وَالْعَقْلِ الصَّريحِ.

٣٦٤٧- وَخَلَّتْ دِيَارُهُمْ وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ مَا فِيهِمْ رَجُلَانِ مُجْتَمِعَانِ

قَوْلُهُ: «خَلَّتْ دِيَارُهُمْ» خلت ديارُهُم منهم؛ لِأَنَّهُمْ فَرَّوْا مِنْ جُنُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «وَشَتَّتْ شَمْلَهُمْ» تفرَّقوا وتمزَّقوا.

٣٦٤٨- قَدْ عَطَّلَ الرَّحْمَنُ أَفْتِدَةً لَهُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

أَعُوذُ بِاللَّهِ، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ عَطَّلَ قُلُوبَهُمْ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالْإِيْمَانِ بِهِ، فَصَارُوا فِي وَحْشَةٍ عَظِيمَةٍ وَتَشْتَّتِ.

٣٦٤٩- إِذْ عَطَّلُوا الرَّحْمَنَ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْعَرْشَ أَخْلَوْهُ مِنَ الرَّحْمَنِ

وَذَلِكَ بِإِنكَارِهِمْ لِاسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ.

٣٦٥٠- بَلْ عَطَّلُوهُ عَنِ الْكَلَامِ وَعَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ بِالْجَهْلِ وَالْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ عَطَّلُوهُ عَنِ الْكَلَامِ وَعَنْ صِفَاتِ كَمَالِهِ»؛ أَي: عَطَّلُوهُ عَنِ الْكَلَامِ وَالْكَمَالِ، قَالُوا: لَا يَتَكَلَّمُ، وَقَالُوا: لَيْسَ لَهُ صِفَاتُ كَمَالٍ، كَمَا مَرَّ عَلَيْنَا كَثِيرًا.

قَوْلُهُ: «بِالْجَهْلِ وَالْبُهْتَانِ» الْجَهْلُ: عَدَمُ الْعِلْمِ، وَالْبُهْتَانُ: عَدَمُ الصِّدْقِ، فَكَلَامُهُمْ خَالٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَخَالٍ مِنَ الصِّدْقِ، فَكُلُّهُ جَهْلٌ وَكُلُّهُ بُهْتَانٌ، نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ.

٣٦٥١- فَاقْرَأْ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ

٣٦٥٢- أَغْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ الْبَحْرَ الْمُحِيطَ بِسَائِرِ الْخُلُجَانِ

٣٦٥٣- وَاقْرَأْ كِتَابَ «الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ» الَّذِي مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِي

٣٦٥٤- وَكَذَلِكَ «مِنْهَاجٌ» لَهُ فِي رَدِّهِ قَوْلَ الرَّوَافِضِ شَيْعَةِ الشَّيْطَانِ

٣٦٥٥- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْإِعْتِزَالِ فَإِنَّهُ أَرْدَاهُمْ فِي حُفْرَةِ الْجَبَّانِ

٣٦٥٦- وَكَذَلِكَ «التَّاسِيسُ» أَصْبَحَ «نَقْضُهُ» أُعْجُوبَةً لِلْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ

- ٣٦٥٧- وَكَذَلِكَ «أَجُوبَةٌ» لَهُ مِضْرِيَّةٌ فِي سِتِّ أَسْفَارٍ كَتَبَنِي سِمَانِ
- ٣٦٥٨- وَكَذَا «جَوَابٌ لِلنَّصَارَى» فِيهِ مَا يَشْفِي الصُّدُورَ وَإِنَّهُ سِفْرَانِ
- ٣٦٥٩- وَكَذَلِكَ «شَرْحُ عَقِيدَةِ لِلْأَضْبَهَا نِي» شَارِحِ «الْمَحْضُولِ» شَرْحَ بَيَانِ
- ٣٦٦٠- فِيهَا «النُّبُوتَاتُ» الَّتِي إِبْتَاتَهَا فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ وَالتَّبْيَانِ
- ٣٦٦١- وَاللَّهُ مَا لِأُولِي الْكَلَامِ نَظِيرُهُ أَبَدًا وَكُنْتُهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
- ٣٦٦٢- وَكَذَا حُدُوثُ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسَّمِ سُفْلِيٍّ فِيهِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ
- ٣٦٦٣- وَكَذَا قَوَاعِدُ «الاسْتِقَامَةِ» إِنَّهَا سِفْرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا وَضَخْمَانِ
- ٣٦٦٤- وَقَرَأْتُ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِ فَرَادِنِي وَاللَّهُ فِي عِلْمِهِ وَفِي إِيمَانِ
- ٣٦٦٥- هَذَا وَلَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ قَبْلِي يَمُوتُ لَكَانَ غَيْرَ الشَّانِ

الشرح

- ٣٦٥١- فَأَقْرَأُ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً شَيْخِ الْوُجُودِ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
- أَقْرَأُ تَصَانِيفَ الْإِمَامِ حَقِيقَةً، وَهَذَا وَصَفَ شَيْخَهُ ابْنَ تَيْمِيَّةَ بِأَنَّهُ إِمَامٌ، وَأَنَّ
- إِمَامَتَهُ حَقِيقَةٌ، وَصَدَقَ رَحْمَةُ اللَّهِ، فَإِنَّهُ كَانَ إِمَامًا مُدَافِعًا عَنِ عَقِيدَةِ السَّلَفِ بِمَا أَلْفَهُ
- مِنَ الْكُتُبِ وَالرَّسَائِلِ الْكُبْرَى وَالصَّغِيرَةِ، إِذَا قَرَأَتْ تَصَانِيفَهُ عَرَفَتْ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ
- عَلَيْهِ مِنَ النُّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ فِي الْحِفْظِ وَالْوَعْيِ وَالْفَهْمِ وَقُوَّةِ الْجِدْلِ، حَتَّى إِنَّهُ يَأْتِي
- لِلْقَوْمِ بِأَدَلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ لَا يَأْتُونَ بِهَا هُمْ ثُمَّ يُفَنِّدُهَا وَيُرُدُّ عَلَيْهَا.

٣٦٥٢- أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ ذَلِكَ الـ بَحْرَ الْمُحِيطِ بِسَائِرِ الْخُلَجَانِ

قَوْلُهُ: «أَعْنِي أَبَا الْعَبَّاسِ» «أَبُو الْعَبَّاسِ» كُنْيَةٌ لَشَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ.

قَوْلُهُ: «ذَلِكَ الْبَحْرُ الْمُحِيطُ بِسَائِرِ الْخُلَجَانِ» بَحْرٌ مُحِيطٌ بِسَائِرِ الْخُلَجَانِ؛ يَعْنِي: عُلُومُ النَّاسِ عِنْدَهُ كَنَسْبَةِ الْخُلَجَانِ إِلَى الْبَحَارِ.

وهو - رحمه الله - ليس له ولدٌ، وليس له زوجةٌ، فقيل: لعله ليس فيه ما في الرجال من شهوة للنساء، وقيل: لأنه كان مشتغلاً بالدعوة إلى الله عز وجل والجهاد باللسان والبنان والسنان، وهذا هو الأقرب، بل هو المتعين؛ لأن الرجل - وأعني به ابن تيمية رحمه الله - إذا تكلم عن الجماع تعرف أنه يتكلم عن علم ودراية، ومثل هذا لا يقع ممن ليس له شهوة في النساء، لكنه مشغول، ولعله كما قال القائل:

نَأَلَّقَ الْبَرْقُ نَجْدِيًّا فَقُلْتُ لَهُ يَا أَيُّهَا الْبَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُولٌ^(١)

وهو - رحمه الله تعالى - له قبرٌ معروفٌ، حدَّثني أخونا محمد بن منصور الزامل وزميلنا عند شيخنا عبد الرحمن السعدي رحمه الله، وهو أكبر منا، حدَّثنا أنه زار دمشق ذات يوم، وصلى في الجامع الأموي، وجاءه المزورون، وقالوا: أتريد أن تسلم على شيخ الإسلام ابن تيمية؟ قال: نعم، قالوا: هذا قبره، وهذا قبر ولده، والرجل ليس له زوجة أصلاً، لكن هكذا المزورون، المهم أن أبا العباس - رحمه الله - وصفه ابن القيم بأنه بحرٌ محيطٌ ومن سواه خلجانٌ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

(١) البيت في لباب الآداب لأبي المظفر الكناني (ص: ١٩٨) بلا نسبة.

٣٦٥٣- وَاقْرَأْ كِتَابَ «العقل والنقل» الَّذِي مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانِي

كتاب «العقل والنقل» له اسم مشهور به وهو: «العقل والنقل»، وله اسم مكتوب على هذا المؤلف اسمه: «موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» وهو معروف، يقول ابن القيم عنه: «مَا فِي الْوُجُودِ لَهُ نَظِيرٌ ثَانٍ»؛ يعني: مِمَّا كُتِبَ وَالْفَ، وَإِلَّا فَمَعْلُومٌ أَنَّ كِتَابَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَظِيرَ لَهُ وَهُوَ فِي الْوُجُودِ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ مَا صَحَّ مِنْ سُنَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمُ مِنْهُ، لَكِنْ فِيهَا كُتِبَ وَالْفَ فِي بَابِهِ لَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ.

٣٦٥٤- وَكَذَلِكَ «مِنَهَاجٌ» لَهُ فِي رَدِّهِ قَوْلَ الرَّوَافِضِ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ «مِنَهَاجٌ» لَهُ»، أَي: «مِنَهَاجُ السُّنَّةِ» فِي الرَّدِّ عَلَى الشَّيْعَةِ عَلَى الْكِتَابِ الْمُعْظَمِ عِنْدَهُمْ كِتَابَ «مِنَهَاجِ الْكِرَامَةِ فِي إِثْبَاتِ الْإِمَامَةِ»، وَشَيْخُ الْإِسْلَامِ يَقُولُ: يَسْتَحِقُّ أَنْ يُسَمَّى هَذَا الْكِتَابُ «مِنَهَاجَ النَّدَامَةِ»، وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، هَذَا الْكِتَابُ لَا يُوجَدُ لَهُ نَظِيرٌ فِيهَا نَعْلَمُ فِي الرَّدِّ عَلَى الرَّوَافِضِ، كُلُّ مَا يَسْتَدُلُّونَ بِهِ الْيَوْمَ مَوْجُودٌ فِي كِتَابِ «الْمِنَهَاجِ» مَرْدُودٌ عَلَيْهِ.

وَفِي هَذَا الْعَامِ التَّقَى بَنَى رَجُلٌ يَقُولُ: إِنَّهُ كَانَ مُتَذَبِّبًا بَيْنَ مَنَهَجِ السُّنَّةِ وَمَنَهَجِ الشَّيْعَةِ، وَإِنَّهُ مَرْتَدُّ وَيُرِيدُ الْحَقَّ، فَأَتَى بِأَحَادِيثَ فِي فَضْلِ آلِ الْبَيْتِ فَوَجَدْنَا هَذِهِ الْأَحَادِيثَ مَوْجُودَةً فِي «الْمِنَهَاجِ»، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهَا شَيْخُ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَكَانَ يُرَكِّزُ فِي أَوَّلِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ يَقُولُ: «نَقُولُ فِي الرَّدِّ أَوْ فِي الْجَوَابِ: أَوَّلًا: الْمَطَالِبَةُ بِصِحَّةِ النَّقْلِ، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا لَمْ يَصَحَّ النَّقْلُ فَقَدْ كُنِينَا، وَلَا نَحْتَاجُ أَنْ نَتَعَبَ فِي تَوْجِيهِهِ أَوْ حَمْلِهِ عَلَى كَذَا وَكَذَا»، وَهَذَا هُوَ الْحَقِيقَةُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا سَقَطَ الْأَصْلُ سَقَطَ الْفَرْعُ.

قَوْلُهُ: «فِي رَدِّهِ قَوْلَ الرَّوَافِضِ» الرَّوَافِضُ جمع «رافضٍ» أو «رافضية»، وسُمُّوا بذلك لِأَنَّهم رَفَضُوا زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ بنِ الْحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ بنِ أَبِي طَالِبٍ، حَيْثُ جَاءُوا وَيَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ، يَرِيدُونَ مِنْهُ أَنْ يَسْبِغَهَا وَيَذُمَّهَا فَقَالَ فِيهَا خَيْرًا، وَقَالَ: «هُمَا وَزَيْرًا جَدِّي»^(١)؛ يَعْنِي: الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، كَانَ الرَّسُولُ يَقُولُ دَائِمًا: خَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ، جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعَمْرٌ؛ وَهَذَا دُفْنًا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا إِلَى جَنْبِهِ، يَقُومُونَ جَمِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ هَذَا الْمَكَانِ، وَهَذِهِ مَنْقَبَةٌ لَا يَنَالُهَا أَحَدٌ، فَأَثْنَى عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا أَثْنَى عَلَيْهِمَا رَفَضُوهُ وَعَادُوهُ وَقَلَبُوا لَهُ ظَهَرَ الْمَجَنِّ، وَمِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ سُمُّوا رَافِضَةً.

قَوْلُهُ: «شِيعَةَ الشَّيْطَانِ»؛ أَي: هُمْ مُسَاعِدُوهُ وَنَاصِرُوهُ؛ يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَيْسُوا شِيعَةَ آلِ الْبَيْتِ؛ لِأَنَّ آلَ الْبَيْتِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُقَرَّوْا مَا صَنَعَ هَؤُلَاءِ الشَّيْعَةُ فِيهِمْ مِنَ الْغُلُوِّ وَدَعْوَى الْأَلُوْهِيَّةِ، وَتَفْضِيلِ بَعْضِهِمْ حَتَّى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ لَهُمْ أُمَّةً مِنْ آلِ الْبَيْتِ يَدْعُونَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَحَرَّكَ ذَرَّةٌ فِي الْكُونِ إِلَّا مِنْ تَحْتِ إِرَادَتِهِمْ، فَجَعَلُوهُمْ شُرَكَاءَ مَعَ اللَّهِ فِي الرُّبُوبِيَّةِ الَّتِي نَفَاهَا الْمُشْرِكُونَ؛ أَي: نَفَوْا الشُّرْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ وَهَؤُلَاءِ أَثْبَتُوهَا؛ وَهَذَا وَصَفَهُمْ -رَحِمَهُ اللَّهُ- بِأَنَّهم شِيعَةُ الشَّيْطَانِ، وَصَدَّقَ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي وَصْفِهِمْ، هَؤُلَاءِ الشَّيْعَةُ لَا يَزَالُونَ يَسْتَدْلُونَ بِقَوْلِ أَشْيَاحِهِمْ وَمَا يَرُودُ مِنْ الْأَحَادِيثِ الَّتِي بَعْضُهَا صَحِيحٌ وَبَعْضُهَا غَيْرُ صَحِيحٍ.

وَالْعَجَبُ أَنَّ مُتَأَخِّرِيهِمْ يَسْتَدْلُونَ بِالْأَدَلَّةِ الَّتِي اسْتَدَلَّ بِهَا الْمُتَقَدِّمُونَ، وَرَدُّهَا مَوْجُودٌ فِي هَذَا الْكِتَابِ «مِنْهَاجِ أَهْلِ السُّنَّةِ»، فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَتَشَبَّعَ بِالرَّدِّ عَلَيْهِمْ فَعَلِيهِ بِهَذَا الْكِتَابِ، فَإِنَّهُ يَجِدُ كُلَّ مَا يَحْتَجُّونَ بِهِ مِنَ الْأَدَلَّةِ النَّقْلِيَّةِ أَوْ الْعَقْلِيَّةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ، وَيَجِدُ الرَّدَّ عَلَيْهِمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ الْبَحْرِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية، لشمس الدين السفاريني (١/ ٨٥).

٣٦٥٥- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الْإِعْتِرَالِ فَإِنَّهُ أَرْدَاهُمْ فِي حُفْرَةِ الْجَبَّانِ

المعتزلة أرداهم شيخ الإسلام - رحمه الله - في حُفْرَةِ الْجَبَّانِ، وحفرة الجبَّان؛ أي: القبر، فالجبَّانُ صاحبُ الجبَّانة التي هي المقبرة، وحفرته قبور؛ يعني: قَبْرَهُمْ.

٣٦٥٦- وَكَذَلِكَ «التَّاسِيسُ» أَصْبَحَ «نَقْضُهُ» أَعْجُوبَةً لِلْعَالِمِ الرَّبَّانِيِّ

كتاب «التَّاسِيسُ» للرزائي كتابٌ مُقَدَّسٌ عند أهل الكلام، وشيخ الإسلام - رحمه الله - نَقَضَ هذا «التَّاسِيسُ»، وصار يأتي به جملةً وينقضه نقضًا تامًّا بالنقل وبالعقل.

٣٦٥٧- وَكَذَلِكَ «أَجُوبَةٌ» لَهُ مِصْرِيَّةٌ فِي سِتِّ أَسْفَارٍ كَتَبَنِ سِمَانَ

قَوْلُهُ: «سِمَانَ»؛ يعني: ضخمته، من السَّمَنِ.

الأجوبة المصرية هذه لا نعرفها ولم نطلع عليها إلى الآن، وهذه غيرُ «الفتاوى المصرية»، هذه أجوبةٌ في العقيدة، وليست بالفتاوى المصرية، وأمَّا قولُ الشَّيْخِ الهَرَّاسِ رحمه الله بأنَّها الفتاوى المصرية^(١) فهذه على أبوابِ الفقه؛ أي: «الفتاوى المصرية»، ولعلَّ الشَّيْخَ هَرَّاسَ اطَّلَعَ على هذه الفتاوى، أمَّا الأجوبةُ فهي في بابِ العقيدة لا شك؛ لأنَّ ابنَ القَيِّمِ الآن يتكلَّم عن العقيدة.

٣٦٥٨- وَكَذَا «جَوَابٌ لِلنَّصَارَى» فِيهِ مَا يَشْفِي الصُّدُورَ وَإِنَّهُ سِفْرَانِ

قَوْلُهُ: «سِفْرَانِ»؛ أي: في مجلدين، ولعلَّه يشيرُ إلى: «الجواب الصحيح فيمن بدَّل دينَ المسيح».

(١) شرح القصيدة التونية للشيخ محمد خليل هراس رحمه الله تعالى (١٧٥/٢) ط: دار المنهاج بالقاهرة.

٣٦٥٩- وَكَذَاكَ «شَرْحُ عَقِيدَةِ لِلْأَصْبَهَا نِي» شَارِحِ «الْمَحْصُولِ» شَرْحَ بَيَانِ

هذ موجودٌ أيضًا في الفتاوى القديمة، وهو في الحقيقة شرحٌ مختصرٌ لكن مفيدٌ جدًا، وكُلُّ الكلامِ فيه مَبْنِيٌّ على العقلِ الصَّحِيحِ، وليس على عقلِ أهلِ الكلامِ، وقد قرأناه على شيخنا عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله؛ لأنه كتابٌ مُخْتَصَرٌ وليس بطويل.

٣٦٦٠- فِيهَا «النُّبَوَاتُ» الَّتِي إِثْبَاتُهَا فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ وَالتَّبَيَانِ

قَوْلُهُ: «فِيهَا»؛ أَي: فِي شَرْحِ الإِصْبَهَانِيَّةِ.

قَوْلُهُ: «النُّبَوَاتُ»؛ يَعْنِي: إِثْبَاتُهَا.

٣٦٦١- وَاللَّهُ مَا لِأُولِي الْكَلَامِ نَظِيرُهُ أَبَدًا وَكُتُبُهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ

يعني: لم يُؤلَّفوا نظيرَ هذا الكتابِ، وكُتُبُهُم موجودةٌ في كُلِّ مكانٍ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهَا حَتَّى يَعْرِفَ الْفَرْقَ بَيْنَ مَا كَتَبَهُ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ وَمَا كَتَبَهُ أَهْلُ الْكَلَامِ فَلْيَنْظُرْ.

٣٦٦٢- وَكَذَا حَدُوثِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ فِيهِ فِي أَتَمِّ بَيَانِ

يعني: فِي شَرْحِ عَقِيدَةِ الإِصْبَهَانِيَّةِ إِثْبَاتِ حَدُوثِ الْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ فِي أَتَمِّ بَيَانِ.

٣٦٦٣- وَكَذَا قَوَاعِدُ «الاسْتِقَامَةِ» إِنَّهَا سِفْرَانِ فِيمَا بَيْنَنَا وَضَخْمَانِ

كتابُ «الاستقامة» مطبوعٌ معروفٌ، وهو سِفْرَانِ كما قال المؤلفُ رحمه الله؛ أَي: مجلدان، وهو كتابٌ جيّدٌ في موضوعه.

٣٦٦٤- وَقَرَأْتُ أَكْثَرَهَا عَلَيْهِ فَزَادَنِي وَاللَّهُ فِي عِلْمِي وَفِي إِيْمَانِي

رحمه الله، وَرَحِمَ شَيْخَهُ، يَقُولُ: إِنَّهُ قَرَأَ أَكْثَرَ هَذِهِ الْكُتُبِ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- زَادَهُ عِلْمًا وَزَادَهُ إِيْمَانًا، وَهَذَا فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَهَكَذَا فَائِدَةُ الْعَالِمِ أَلَّا يَحْقِنَ طَلَابَهُ عِلْمًا فَقَطْ، بَلْ يَنْبَغِي أَنْ يُضَيَّفَ إِلَى ذَلِكَ الْإِيْمَانَ، فَيَأْتِي بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تُقَوِّي إِيْمَانَهُمْ مَا اسْتَطَاعَ.

٣٦٦٥- هَذَا وَلَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ قَبْلِي يَمُوتُ لَكَانَ غَيْرَ الشَّانِ

يَقُولُ: لَوْ حَدَّثْتُ نَفْسِي أَنَّهُ يَمُوتُ قَبْلِي لَكَانَ غَيْرَ الشَّانِ؛ يَعْنِي: غَيْرَ عَمَلِي مَعَهُ؛ يَعْنِي: لَكُنْتُ أَلْزَمُهُ لَيْلًا وَنَهَارًا وَأَخُذُ مِنْهُ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ الْكُتُبَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ، وَلَا جِتْهَدْتُ فِي قِرَاءَةِ كُتُبِهِ كُلِّهَا عَلَيْهِ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- كَانَ يَرَى أَنَّ قِرَاءَتَهُ عَلَى شَيْخِهِ فُرْصَةٌ الْعُمُرِ، لَكِنَّهُ ظَنَّ أَنَّ الْأَمَدَ طَوِيلٌ، فَأَضَاعَ بَعْضَ الْوَقْتِ.

٣٦٦٦- وَكَذَلِكَ تَوْحِيدُ الْفَلَاسِفَةِ الْأَلَى تَوْحِيدُهُمْ هُوَ غَايَةُ الْكُفْرَانِ

٣٦٦٧- سَفَرٌ لَطِيفٌ فِيهِ نَقْضُ أَصُولِهِمْ بِحَقِيقَةِ الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

٣٦٦٨- وَكَذَلِكَ «تَسْعِينِيَّةٌ» فِيهَا لَهُ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ بِالنَّفْسَانِي

٣٦٦٩- تِسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنَّتْ بَطْلَانَهُ أَغْنِي كَلَامَ النَّفْسِ ذَا الْوَحْدَانِ

٣٦٧٠- وَكَذَا «قَوَاعِدُهُ» الْكِبَارُ وَإِنَّهَا أَوْفَى مِنَ الْمِثْمَتَيْنِ فِي الْحُسْبَانِ

٣٦٧١- لَمْ يَتَّسِعْ نَظْمِي لَهَا فَاسُوقَهَا فَأَشْرْتُ بَعْضَ إِشَارَةِ لَبِيَانِ

- ٣٦٧٢- وَكَذَا رَسَائِلُهُ إِلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَطْرَافِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ
 ٣٦٧٣- هِيَ فِي الْوَرَى مَبْنُوثةٌ مَعْلُومَةٌ
 ٣٦٧٤- وَكَذَا فَتَاوَاهُ فَأَخْبَرَنِي الَّذِي
 ٣٦٧٥- بَلَغَ الَّذِي أَلْفَاهُ مِنْهَا عِدَّةَ الْ
 ٣٦٧٦- سَفَرٍ يُقَابِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي
 ٣٦٧٧- هَذَا وَلَيْسَ يُقَصِّرُ «التَّفْسِيرُ» عَنْ
 ٣٦٧٨- وَكَذَا الْمَفَارِيدُ الَّتِي فِي كُلِّ مَسْ
 ٣٦٧٩- مَا بَيْنَ عَشْرٍ أَوْ تَزِيدُ بَضْعِهَا

الشرح

٣٦٦٦- وَكَذَاكَ تَوْحِيدُ الْفَلَّاسِفَةِ الْأُلَى تَوْحِيدُهُمْ هُوَ غَايَةُ الْكُفْرَانِ

هذا أيضاً ردُّ على توحيد الفلاسفة، لكنه يقول:

٣٦٦٧- سَفَرٌ لَطِيفٌ فِيهِ نَقْضُ أَصُولِهِمْ بِحَقِيقَةِ الْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

ولعله يشير إلى «نقد المنطق»، وهذا غير «الردِّ على المنطقيين»، و«نقد المنطق» كتابٌ لطيفٌ كما قال ابن القيم، لكن فيه قواعدٌ عظيمةٌ في إبطالِ كلامِ أهلِ المنطقِ وقواعدِهِم، وهو أيضاً مطبوعٌ.

٣٦٦٨- وَكَذَاكَ «تَسْعِينِيَّةٌ» فِيهَا لَهُ رَدٌّ عَلَى مَنْ قَالَ بِالنَّفْسَانِي

٣٦٦٩- تَسْعُونَ وَجَهًا بَيَّنْتَ بَطْلَانَهُ أَعْنِي كَلَامَ النَّفْسِ ذَا الْوَحْدَانِ

له كتاب اسمه «التسعينية» ردّ فيه على الأشاعرة الذين يقولون: إنّ كلام الله ليس بحرف ولا صوت مسموع لكنّه المعنى القائم بنفسه، ردّ هذا القول من تسعين وجهًا، ونحن لو أردنا أن نتبّع الأوجه ما نحصل عشر ما قال، لكن على كلّ حال شيخ الإسلام كما قال ابن القيم عنه: بحرٌّ، وعلومٌ من دونه خلجانٌ.

٣٦٧٠- وَكَذَا «قَوَاعِدُهُ» الْكِبَارُ وَإِنِّهَا أَوْفَى مِنَ الْمَمْتَنِينَ فِي الْحُسْبَانِ

«قَوَاعِدُهُ الْكِبَارُ» لا أعرفها، لكن هي قواعد، يقول: إنّها زادت على المتين في الحُساب، وسماها قواعد كبارًا، وهي بلا شك في العقيدة؛ لأنّ كلّ كلام المؤلف فيما ألفه شيخه في العقائد.

٣٦٧١- لَمْ يَتَّسِعْ نَظْمِي لَهَا فَأَسْوَقَهَا فَأَشْرْتُ بَعْضَ إِشَارَةِ لَبِيَانِ

٣٦٧٢- وَكَذَا رَسَائِلُهُ إِلَى الْبُلْدَانِ وَالْأَطْرَافِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ

٣٦٧٣- هِيَ فِي الْوَرَى مَبْثُوثَةٌ مَعْلُومَةٌ تُبْتِغُ بِالْغَالِي مِنَ الْأَثْمَانِ

يعني: لم يقتصر على التأليف العام، بل له رسائل خاصة إلى إخوانه وإلى الأمراء وإلى الزعماء، وهذا معلومٌ في بعض المجموعات التي جمعت لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكذلك أيضًا في الكتب التي كتبت في حياته، وهذه الرسائل موجودة.

٣٦٧٤- وَكَذَا فَتَاوَاهُ فَأَخْبَرَنِي الَّذِي أَضْحَى عَلَيْهَا دَائِمَ الطَّوْفَانِ

٣٦٧٥- بَلَغَ الَّذِي أَلْفَاهُ مِنْهَا عِدَّةَ الْأَيَّامِ مِنْ شَهْرِ بِلَا نُقْصَانِ

٣٦٧٦- سِفْرٌ يُقَابِلُ كُلَّ يَوْمٍ وَالَّذِي قَدْ فَاتَنِي مِنْهَا بِإِلا حُسْبَانِ

فتاواه كثيرةٌ أيضًا، والفتاوى الكثيرةُ ليست بمؤلَّفاتٍ، بل فتوى يكتبها في ورقةٍ يُمليها على شخصٍ، يقول: «أخبرني الذي أضحى عليها دائم الطَّوْفَانِ».

قَوْلُهُ: «سِفْرٌ يُقَابِلُ كُلَّ يَوْمٍ»، إذَنْ تكونُ هذه الفتاوى في ثلاثين مجلَّدًا.

٣٦٧٧- هَذَا وَلَيْسَ يُقَصِّرُ «التَّفْسِيرُ» عَنْ عَشْرِ كِبَارٍ لَيْسَ ذَا نُقْصَانِ

أيضًا له تفسيرٌ يبلغُ عشرَ مجلِّداتٍ، ولكن لا أدري: هل هذا التفسيرُ شاملٌ لكلِّ القرآنِ أو لبعضِ الآياتِ والسُّورِ، وقد طُبِعَ منه -على ما أظنُّ- ستَّةُ مجلِّداتٍ.

٣٦٧٨- وَكَذَا الْمَفَارِيدُ الَّتِي فِي كُلِّ مَسَدٍ أَلَّةٌ فَسِفْرٌ وَاضِحٌ التَّبْيَانِ

٣٦٧٩- مَا بَيْنَ عَشْرِ أَوْ تَزِيدُ بِضِعْفِهَا هِيَ كَالنُّجُومِ لِسَالِكِ حَيْرَانَ

قَوْلُهُ: «أَوْ تَزِيدُ بِضِعْفِهَا»؛ أي: عشرين.

كُلُّ هَذِهِ مَوْلَّاتٌ لِشَيْخِهِ^(١) رَحِمَهُ اللهُ، وَهِيَ عَظِيمَةٌ مَفِيدَةٌ غَايَةَ الْفَائِدَةِ.

٣٦٨٠- وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى قَدْ قَامَهَا اللهُ غَيْرَ جَبَانِ

٣٦٨١- نَصَرَ الْإِلَاهَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ وَالْبُرْهَانِ

٣٦٨٢- أَبَدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَّ جَهْلَهُمْ وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانِ

(١) لابن القيم - رحمه الله - مصنفٌ لطيفٌ جَمَعَ فِيهِ أَسْمَاءَ مَوْلَّاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ، تَحْقِيقَ د. صَلاَحِ الدِّينِ الْمَنْجَدِ، ط: دَارُ الْكِتَابِ الْعَرَبِيِّ الْجَدِيدِ، بِيْرُوتَ، لُبْنَانِ.

- ٣٦٨٣- وَأَصَارَهُمْ وَاللَّهِ تَحْتَ نِعَالِ أَهْلِ الْحَقِّ بَعْدَ مَلَابِسِ التَّيْبَانِ
 ٣٦٨٤- وَأَصَارَهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ وَطَالَمَا كَانُوا هُمْ الْأَعْلَامَ لِلْبُلْدَانِ
 ٣٦٨٥- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ أَرْدَاهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي
 ٣٦٨٦- كَانَتْ نَوَاصِينَا بِأَيْدِيهِمْ فَمَا مَنَّا لَهُمْ إِلَّا أَسِيرٌ عَانِي
 ٣٦٨٧- فَغَدَتْ نَوَاصِيهِمْ بِأَيْدِينَا فَلَا يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلِ أَمَانِ
 ٣٦٨٨- وَغَدَتْ مُلُوكُهُمْ مَمَالِكًا لِأَنَّ صَارَ الرَّسُولِ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
 ٣٦٨٩- وَأَتَتْ جُنُودُهُمُ الَّتِي صَالُوا بِهَا مُنْقَادَةً لِعَسَاكِرِ الْإِيمَانِ
 ٣٦٩٠- يَدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ حُزْبٌ بِمَا قَدْ قَالَهُ فِي رَبِّهِ الْفِتْنَانِ
 ٣٦٩١- وَالْفَدْمُ يُوحِشُنَا وَلَيْسَ هُنَاكُمْ فَحْضُورُهُ وَمَغْيِبُهُ سَيَّانِ

الشرح

في هذه الأبيات انتقل المؤلفُ إلى مواقفٍ أخرى للشيخ غير المؤلفاتِ والرِّسائلِ فقال:

٣٦٨٠- وَلَهُ الْمَقَامَاتُ الشَّهِيرَةُ فِي الْوَرَى قَدْ قَامَهَا اللَّهُ غَيْرَ جَبَانِ

له مقاماتٌ يُحَاطَبُ بها الملوكَ والرُّؤساءَ والزُّعماءَ، ويُقَاتِلُ التَّارَ وغيرَهُم، مقاماتٌ عظيمةٌ شهيرةٌ وهي أَنَّهُ رَجُلٌ شَجَاعٌ مُقَدِّمٌ فِي الْحَرْبِ، يَقُودُ النَّاسَ، وَيُحَوِّضُ غَمَارَ صَفُوفِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَمَّا حَاصَرَ التَّارَ أَهْلَ الشَّامِ فِي رَمَضَانَ، وَرَأَى مِنَ الْمَصْلُحَةِ أَنْ يُفِطِرَ الْجُنُودَ لِيَتَقَوَّوْا عَلَى الْجِهَادِ أَفْتَاهُمْ - رَحِمَهُ اللَّهُ - بِأَنَّهُ

يجوزُ لهم الفطرُ ليتقوؤا على القتالِ؛ لأنَّ الإنسانَ سوف يتعبُ مع الصَّومِ، لكن العلماء قالوا: لا يجوزُ الفطرُ؛ لأنَّه لا يوجدُ سفرٌ ولا مرضٌ، والفِطرُ إنما يكونُ في السَّفَرِ أو المرضِ، فاستدلَّ عليهم -رحمه الله- بقولِ النَّبِيِّ ﷺ في غزوةِ الفتحِ بأنَّه كان يأمرهم أن يفطروا أثناء السَّفَرِ، ولَمَّا قربوا من مكَّة قال: «أفطروا فإنَّ الفِطرَ أقوى لكم»^(١)، ولم يقل: «أفطروا فإنَّكم مسافرون»، بل قال: «الفِطرُ أقوى لكم»، فدلَّ هذا على أنَّه إذا كان الفِطرُ أقوى على العدوِّ فإنَّه جائزٌ، ثُمَّ أخذ معه كسرًا من الخبزِ وجعل يأكلها بين صفوفِ المقاتلين من أجل أن يطمئنوا إلى الاقتداء والتَّأسي به، رحمهم اللهُ وجزاهم عن الإسلامِ خيرًا، ونسألُ اللهُ أن يجعلنا وإياكم معهم في جنَّاتِ النَّعيمِ.

٣٦٨١- نَصَرَ الْإِلَهَ وَدِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ بِالسَّيْفِ وَالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «بِالسَّيْفِ»؛ أَي: فِي قِتَالِ الْكُفَّارِ.

قَوْلُهُ: «وَالْبُرْهَانِ»؛ أَي: فِي مَجَادَلَةِ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُؤَلَّفَاتِ الَّتِي أَلْفَهَا.

٣٦٨٢- أَبَدَى فَضَائِحَهُمْ وَبَيَّنَّ جَهْلَهُمْ وَأَرَى تَنَاقُضَهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ

٣٦٨٣- وَأَصَارَهُمْ وَاللَّهِ تَحْتَ نِعَالِ أَهْلِ الْحَقِّ بَعْدَ مَلَابِسِ التَّيْجَانِ

وهذا الفخرُ، فقد كانوا في أوَّل الأمرِ لهم السَّيطرةُ على كثيرٍ من العلماءِ في شُبُهاتهم وحُجَجِهِم الباطلة، وكانوا يلبسون التَّيْجَانَ كالمملوكِ، فلَمَّا جاء شيخُ الإسلامِ -رحمه اللهُ- وَبَيَّنَّ ما هم عليه من الباطلِ، وَبَيَّنَّ فضائِحَهُم وجهلَهُم وتناقُضَهُم صاروا تحت نِعَالِ أَهْلِ الْحَقِّ، وناهيك بهذا الذُّلِّ والعياذُ بالله، وهذا من

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصيام، باب أجز المِطْر في السفر إذا تولى العمل، رقم (١١٢٠).

نعمة الله - سبحانه وتعالى - على المسلمين عموماً، وإلا لتطاول هؤلاء الأشرارُ على دين الله وعلى عباد الله.

٣٦٨٤- وَأَصَارُهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ وَطَالَ مَا كَانُوا هُمُ الْأَعْلَامَ لِلْبُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَعْلَامَ» جمع «عَلَمٍ»؛ أي: الجبال الشاخمة.

فبعد أن كانوا في علوٍ نزلوا إلى السفلى والحضيض.

٣٦٨٥- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ بِسِلَاحِهِمْ أَرَدَاهُمْ تَحْتَ الْحَضِيضِ الدَّانِي

صحيح، هذا - والله - من العجائب، أخذ سلاحهم من أيديهم وجعل يقاتلهم به، فمن العجائب أنه جعل أدلتهم أدلة عليهم؛ لأن كل الأشياء التي يُعللون بها صارت حجة عليهم، حتى إنه قال في أول كتاب: «العقل والنقل»: «أنا مستعدٌ وملتمزٌ أنه ما من شخصٍ يستدلُّ بآيةٍ أو حديثٍ صحيحٍ على باطله إلا جعلته دليلاً عليه»^(١)، وهذا قلبٌ للدليل، يجعل الدليل الذي يُستدلُّ به على الباطل يجعله دليلاً عليه؛ لأن القرآن وصحيح السنة لا يمكن أن يدلّا على باطل أبداً؛ ولهذا قال:

٣٦٨٦- كَانَتْ نَوَاصِينَا بِأَيْدِيهِمْ فَمَا مَنَّا لَهُمْ إِلَّا أَسِيرٌ عَانِي

٣٦٨٧- فَغَدَتْ نَوَاصِيهِمْ بِأَيْدِينَا فَلَا يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلِ أَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَلَا يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلِ أَمَانٍ»؛ يعني: يقولون: أمنا، كالأسير يطلب بمن

أسره أن يؤمته.

انقلبت الأمور، كانوا بالأول هم القادة، وهم الذين لهم الكلمة، وهم الغلبة ونواصي الناس بأيديهم، فصاروا بعد أن أظهر الله هذا الرجلَ الحبر، ومن به على

(١) انظر: مقدمة درء تعارض العقل والنقل.

الأُمَّةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَنَصَرَ بِهِ الْحَقَّ فَصَارَتْ نَوَاصِيهِمْ بِأَيْدِينَا، فَلَا يَلْقَوْنَنَا إِلَّا بِحَبْلِ
أَمَانٍ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا يَقُومُونَ لَنَا إِلَّا إِذَا أُعْطِينَاهُمُ الْأَمَانَ وَذَلِكَ لِذُلَّتْ أَرْعَابُهُمْ.

٣٦٨٨- وَغَدَّتْ مُلُوكُهُمْ مَمَالِكًا لِأَنَّ صَارَ الرَّسُولَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ انْقَلَبَتِ الْأُمُورُ، مُلُوكُهُمْ صَارُوا مَمَالِكًا، فَالْمَلِكُ صَارَ مَمْلُوكًا.

٣٦٨٩- وَأَنْتَ جُنُودُهُمُ الَّتِي صَالُوا بِهَا مُنْقَادَةً لِعَسَاكِرِ الْإِيمَانِ

أَي: بَعْدَ أَنْ كَانَتْ تُهَاجِمُ جَاءَتْ مُنْقَادَةً.

٣٦٩٠- يَدْرِي بِهَذَا مَنْ لَهُ خُبْرٌ بِمَا قَدْ قَالَهُ فِي رَبِّهِ الْفِتْنَانِ

٣٦٩١- وَالْفَدْمُ يُوحِشُنَا وَلَيْسَ هُنَاكُمُ فَحْضُورُهُ وَمَغْيِبُهُ سَيَّانِ

قَوْلُهُ: «الْفَدْمُ»؛ يَعْنِي: الْعَيُّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْبَرَ، أَوْ: الْغَلِيظُ الْجَاهِلُ.

المهم: أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- قَيَّضَ لِلْإِسْلَامِ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ

وَمَنْ عَلَى شَاكِلَتِهِ، فَنَصَرَ اللَّهُ بِهِمْ دِينَهُ وَأَذَلَّ أَعْدَاءَهُ، وَهَذَا مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ أَنْ اللَّهَ

-سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يُقَيِّضُ عِنْدَ كُلِّ بَدْعَةٍ وَفِتْنَةٍ مَنْ يُبَيِّنُ هَذِهِ الْبَدْعَةَ وَيُظْهِرُهَا.

فصل

فِي بَيَانِ أَنَّ الْمُصِيبَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِأَهْلِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
مِنْ جِهَةِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ

- ٣٦٩٢- يَا قَوْمُ أَصْلُ بِلَائِكُمْ أَسْمَاءٌ لَمْ
٣٦٩٣- هِيَ عَكَّسَتْكُمْ غَايَةَ التَّعْكِيسِ وَأَفْ
٣٦٩٤- فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْقُصُورُ وَأَوْحَشَتْ
٣٦٩٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُكُمْ قَبْلَتْكُمْ لَفْظَهَا
٣٦٩٦- وَهِيَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى أَمْرَيْنِ مِنْ
٣٦٩٧- سَمَّيْتُمْ عَرْشَ الْمُهَيِّمِينَ حَيْرًا
٣٦٩٨- وَجَعَلْتُمْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
٣٦٩٩- وَجَعَلْتُمْ الْإِبْرَاتِ تَشْبِيهَا وَتَجْ
٣٧٠٠- وَجَعَلْتُمْ الْمَوْصُوفَ جِسْمًا قَابِلَ الِ
٣٧٠١- وَجَعَلْتُمْ أَوْصَافَهُ عَرْضًا وَهَـ
٣٧٠٢- وَكَذَلِكَ سَمَّيْتُمْ حُلُولَ حَوَادِثِ
٣٧٠٣- إِذْ تَنْفِرُ الْأَسْمَاعُ مِنْ ذَا اللَّفْظِ نَفْـ
- يُنزِلُ بِهَا الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانٍ
تَلَعَتْ دِيَارَكُمْ مِنَ الْأَرْكَانِ
مِنْكُمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ وَلَا فَرْقَانِ
حَقٌّ وَأَمْرٍ وَاضِحِ الْبُطْلَانِ
وَالِإِسْتِوَاءِ تَحْيِيرًا بِمَكَانِ
جِهَةً وَسُقْتُمْ نَفْيَ ذَا بُورَانِ
سِيًّا وَهَذَا غَايَةُ الْبُهْتَانِ
أَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ وَالْأَلْوَانِ
ذَا كُلُّهُ جِسْرٌ إِلَى النُّكْرَانِ
أَفْعَالُهُ تَلْقِيْبَ ذِي عُذْوَانِ
رَتَمَهَا مِنَ التَّشْبِيهِ وَالنُّقْصَانِ

- ٣٧٠٤ - فَكَسَوْتُمْ أَفْعَالَهُ لَفْظَ الْحَوَا دِثِ ثُمَّ قُلْتُمْ قَوْلَ ذِي بَطْلَانِ
- ٣٧٠٥ - لَيْسَتْ تَقَوْمٌ بِهِ الْحَوَادِثُ وَالْمُرَا دُ النَّفْيِ لِلْأَفْعَالِ لِلدِّيَانِ
- ٣٧٠٦ - فَإِذَا انْتَفَتْ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ وَكَلَامُهُ وَعُلُوُّ ذِي السُّلْطَانِ
- ٣٧٠٧ - فَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَبًّا عِنْدَكُمْ يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
- ٣٧٠٨ - وَالْقَصْدُ نَفْيُ فِعَالِهِ عَنْهُ بِدَا التَّ تَلْقِيبِ فِعْلِ الشَّاعِرِ الْفَتَّانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصُلِّ فِي بَيَانِ أَنَّ الْمِصِيبَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِأَهْلِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ مِنْ جِهَةِ الْأَسْمَاءِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ»؛ يعني: أَنَّ هَذِهِ الْمِصِيبَةُ الَّتِي حَلَّتْ بِهِمْ أَنَّهُمْ أَحَدَثُوا أَسْمَاءً مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ، فَصَارَ هَذَا الْإِحْدَاثُ مُوجِبًا لِلتَّشْكِكِ وَالتَّشْكِيكِ وَالتَّلْبِيسِ، فَالْمَوْلُفُ الْآنَ يَرِيدُ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَلَى أَسْمَاءٍ يُشَبَّهُ بِهَا أَهْلُ التَّعْطِيلِ، يَقُولُونَ: لَوْ كَانَ كَذَا لَكَانَ كَذَا، لَوْ ثَبَّتَ لَهُ الصِّفَاتُ لَكَانَ مَحَلًّا لِلْحَوَادِثِ، وَالصِّفَاتُ عَرَضٌ، وَلَوْ قَامَتْ بِهِ الصِّفَاتُ لَكَانَ جَسْمًا، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: هِيَ اشْتَمَلَتْ عَلَى أَمْرَيْنِ: الْأَوَّلُ: حَقٌّ، وَالثَّانِي: أَمْرٌ وَاضِحٌ الْبَطْلَانِ، وَأَنْتُمْ أَطْلَقْتُمُوهَا بَدُونَ تَفْصِيلٍ، وَهَذَا أَصْلُ الْبَلَاءِ، فَلَوْ أَنَّكُمْ فَصَلْتُمْ لَزَالَ الْإِشْكَالُ؛ وَلِذَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٣٦٩٢ - يَا قَوْمُ أَصْلُ بَلَائِكُمْ أَسْمَاءٌ لَمْ يُنْزَلْ بِهَا الرَّحْمَنُ مِنْ سُلْطَانِ

قَوْلُهُ: «أَسْمَاءٌ» بِلَا تَنْوِينٍ مِنْ أَجْلِ اسْتِقَامَةِ الْوِزْنِ، أَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضَرُورَةٌ فَإِنَّ الْوَاجِبَ التَّنْوِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمِيَتْهُمَا﴾ [النجم: ٢٣]،

لكن تأتي «أسماء» غير منوَّنة إذا كانت الألفُ فيها للتأنيثِ مثل: «أسماء» اسم امرأة؛ ولهذا يغلطُ بعضُ الناسِ فيقولُ: «إِنَّ هَؤُلَاءِ أَسْمَاءٌ حَسَنَةٌ»، إذا قال ذلك صار المعنى يختلفُ اختلافاً عظيماً، تكونُ «أسماء» هنا بمعنى امرأة.

فالحاصلُ أنَّ «أسماء» جمعُ «اسم»، منوَّنةٌ مصروفةٌ، لكن في كلامِ المؤلفِ هنا لا تُنَوَّنُ لإقامةِ الوزنِ.

٣٦٩٣- هِيَ عَكَّسَتْكُمْ غَايَةَ التَّعْكِيسِ وَاقْدِ تَلَعَتْ دِيَارَكُمْ مِنَ الْأَرْكَانِ

قوله: «عَكَّسَتْكُمْ»؛ يعني: جَعَلَتْ أُمُورَكُمْ تَرْجِعُ إِلَى الْوَرَاءِ؛ لِأَنَّ عَكْسَ الشَّيْءِ مَا يَكُونُ مَقَابِلًا لَهُ عَلَى وَجْهِ الضَّدِّ.

٣٦٩٤- فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ الْقُصُورُ وَأَوْحَشَتْ مِنْكُمْ رُبُوعَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

٣٦٩٥- وَالذَّنْبُ ذَنْبُكُمْ قَبْلْتُمْ لَفْظَهَا مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ وَلَا فَرْقَانِ

يعني: سبب إنعكاسكم وتهدمُ بنايكم أنتم بأنفسكم؛ لأنكم قبلتم لفظها بدون تفصيل.

٣٦٩٦- وَهِيَ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَى أَمْرَيْنِ مِنْ حَقٍّ وَأَمْرٍ وَاضِحِ الْبُطْلَانِ

يعني: أنَّ هذه الألفاظُ التي أحدثتموها اشتمَلَتْ على أمرين: حَقٌّ وباطلٍ، فأنتم قبلتموها على سبيلِ الإِطْلَاقِ فدخل عليكم الباطلُ، أو نفيتموها على سبيلِ الإِطْلَاقِ فنفيتم الحقَّ، واللفظُ إذا كان يحتملُ معنى حقًّا ومعنى باطلاً فالواجبُ التَّفْصِيلُ.

٣٦٩٧- سَمَّيْتُمْ عَرْشَ الْمُهَيَّمِينَ حَيِّزًا وَالْإِسْتِوَاءَ تَحْيِيزًا بِمَكَانِ

هذا مثالٌ، يقولون: لو أَنَا أَتَيْتْنَا أَنَّ اللَّهَ -سبحانه وتعالى- على العرشِ لكان

العرش حيزًا، يحوزُ الشَّيءَ كما يحوزُ الإناءُ الماءَ، وجعلتم الله عزَّ وجلَّ إذا كان مستندًا عليه جعلتموه مُتَحَيِّزًا، وقلتم: إِنَّ الحَيِّزَ والتَّحَيِّزَ ممتنعٌ؛ لأنَّه على زعمهم يقتضي التَّجسيمَ والتَّشبيهَ؛ ولهذا نَفَوْا الحَيِّزَ والتَّحَيِّزَ، وهذا نفيٌّ لللفظِ يحتملُ معنى حقًّا ومعنى باطلاً، فإذا أطلقوا نفيه دَخَلَ فيه نفيُّ الحقِّ.

والجوابُ أن نقولَ: أوَّلاً: كلمة «حيز» نفيًّا أو إثباتًا لم تَرِدْ في الكتابِ ولا في السُّنَّةِ، وموقفنا منها أن نتوقَّفَ، أمَّا من حيثُ المعنى فإن أردتم بالحيزِ أن الله تحوزُه المخلوقاتُ فهذا باطلٌ، ونحن معكم على نفيِّ هذا المعنى، وإن أردتم أن الله منحاوٌّ عن المخلوقاتِ فوق كُلِّ شيءٍ فإننا لا نوافقكم على نفيه، بل نقولُ: إنَّ الله -جلَّ وعلا- منحاوٌّ عن مخلوقاته؛ لم يحلَّ فيها ولم يحلَّ فيه.

٣٦٩٨- وَجَعَلْتُمْ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ العُلَى جِهَةً وَسَقْتُمْ نَفْيَ ذَا بِيَوَانَ

قلتم: إذا قلنا: إنَّ الله فوقَ السَّمَاوَاتِ لَزِمَ أن يكونَ في جهةٍ، وإذا كان في جهةٍ فقد أحاطتْ به الجهةُ، وهذا يستلزمُ أن يكونَ الله عزَّ وجلَّ محاطًا به، إذنُ فنفي أن يكونَ فوقَ السَّمَاءِ؛ لأنَّ ذلك يستلزمُ الجهةَ.

وسبحان الله! هؤلاء الذين يقولون ذلك إمَّا أن يقولوا: إنَّ الله تعالى ليس فوقَ العالمِ ولا تحته ولا يمينه ولا يساره ولا مُتَّصلاً ولا مُنْفَصلاً، فنقولُ: أنتم الآن نفيتم وجودَ الله، وإمَّا أن يقولوا: إنَّ الله بذاته في كُلِّ مكانٍ، وحينئذٍ جعلوا الله تعالى محوِّزًا بالمخلوقاتِ، إذا كان في الحجرةِ صارت جدرانُ الحجرةِ محيطَةً به، فأنتم فررتم من شيءٍ ووقعتم في أشدَّ منه.

والجوابُ عن هذا أن نقولَ: إن أردتم جهةً محيطَةً بالله، فهذا ممنوعٌ بلا شكٍّ، ونوافقكم على نفيه، وإن أردتم جهةً؛ أي: ما فوق العالمِ، فهذا لا نوافقكم على

نفيه، ونقول: إِنَّ أَفْصَحَ الْخَلْقِ وَأَعْلَمَهُمْ بِاللَّهِ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلجارية: «أَيْنَ اللَّهُ؟»، و«أَيْنَ» يُسْتَفْهَمُ بِهَا عَنِ الْمَكَانِ وَالْجِهَةِ، وَأَقْرَبُهَا حِينَ قَالَتْ: «فِي السَّمَاءِ»^(١).

٣٦٩٩- وَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا وَتَجْزِئًا — سِيمًا وَهَذَا غَايَةُ الْبُهْتَانِ

قلت: مَنْ أَثَبَّتَ فَقَدْ شَبَّهَ؛ لِأَنَّ الْإِثْبَاتَ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ، كَيْفَ؟ قَالُوا: الصِّفَاتُ عَرَضٌ، وَالْعَرَضُ لَا يَقُومُ إِلَّا بِالْجِسْمِ، وَالْأَجْسَامُ مَتَمَاثِلَةٌ، فَإِذَا أَثَبَّنَا صِفَةً لَزِمَ إِثْبَاتُ جِسْمٍ، وَإِذَا أَثَبَّنَا جِسْمًا لَزِمَ التَّشْبِيهُ، فَفَقَوْا الصِّفَاتِ مِنْ هَذِهِ الْحَيْثِيَّةِ.

إِذَنْ الَّذِي عَرَّهْمَ هُنَا إِطْلَاقُ نَفْيِ الْجِسْمِ، وَلَوْ أَنَّهُمْ فَصَّلُوا لِاسْتِقَامَتِ أُمُورِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَطْلَقُوا النَّفْيَ فَأَنْكَرُوا مِنْ أَجْلِ هَذَا الْإِطْلَاقِ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٣٧٠٠- وَجَعَلْتُمْ الْمَوْصُوفَ جِسْمًا قَابِلًا لِأَعْرَاضٍ وَالْأَكْوَانِ وَالْأَلْوَانِ

فَهُمْ جَعَلُوا الْمَوْصُوفَ - وَهُوَ اللَّهُ، عَزَّ وَجَلَّ - جِسْمًا قَابِلًا لِأَعْرَاضِ وَالْأَكْوَانِ وَالْأَلْوَانِ.

٣٧٠١- وَجَعَلْتُمْ أَوْصَافَهُ عَرَضًا وَهَذَا كُلُّهُ جِسْرٌ إِلَى النُّكْرَانِ

قَالُوا: الصِّفَاتُ أَعْرَاضٌ، وَالْأَعْرَاضُ حَوَادِثُ؛ لِأَنَّ الْعَرَضَ مَا يَعْرِضُ ثُمَّ يَزُولُ، وَالْحَوَادِثُ لَا تَقُومُ بِالْأَزَلِيِّ الْأَبَدِيِّ، فَالْحَوَادِثُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ زَيْفِ هَذِهِ الْحُجَّةِ، وَأَنَّهَا بَاطِلَةٌ، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ هَذَا، وَلِهَذَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَدْكَارِهِمُ الشَّرِيفَةِ: «سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ»

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

«الأعراض»: الصفات، و«الأغراض»: الحكمة، و«الأبعاث»: اليد والوجه والعين وما أشبهها، كُلُّ هذا من أجل أن ينفوا ما وَصَفَ اللهُ به نفسه من الصفات الكاملة.

٣٧٠٢- وَكَذَلِكَ سَمَّيْتُمْ حُلُولَ حَوَادِثٍ أَفْعَالَهُ تَلْقَيْبَ ذِي عُذْوَانٍ

يعني: جعلتم أفعال الله حلول حوادث بالله، وقلتم: لا نُحِلُّ الحوادثُ إِلَّا بحادثٍ تمنع الأفعال.

٣٧٠٣- إِذْ تَنْفِرُ الْأَسْمَاعُ مِنْ ذَا اللَّفْظِ نَفْسًا رَمَتْهَا مِنَ التَّشْبِيهِ وَالتَّقْصَانِ

٣٧٠٤- فَكَسَوْتُمْ أَفْعَالَهُ لَفْظَ الْحَوَا دِثٍ ثُمَّ قُلْتُمْ قَوْلَ ذِي بَطْلَانٍ

٣٧٠٥- لَيْسَتْ تَقُومُ بِهِ الْحَوَادِثُ وَالْمُرَا دُ النَّفْيِ لِلْأَفْعَالِ لِلدِّيَانِ

إِذْ نَفَّوْا أَفْعَالَ اللهِ بِحُجَّةٍ أَنَّ الْأَفْعَالَ حَادِثَةٌ، وَمِنْ أَفْعَالِ اللهِ: الْإِسْتَوَاءُ، التَّزْوُلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، الضَّحْكُ، الْفَرْحُ، الْعَجَبُ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، قَالُوا: هَذِهِ حَوَادِثٌ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَرْبِيٌّ أَبَدِيٌّ لَيْسَ بِحَادِثٍ، وَلَا يَفْنَى، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْعَامِّيَّ إِذَا سَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ فَإِنَّهُ يَظُنُّ أَنَّ هَذَا حَقٌّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا: هَذِهِ أَفْعَالٌ، وَمِنْ كِمَالِ الذَّاتِ أَنْ تَقُومَ بِهَا الْأَفْعَالُ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ، هِيَ أَفْعَالٌ وَلَيْسَتْ حَوَادِثٌ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٣٧٠٦- فَإِذَا انْتَفَتْ أَفْعَالُهُ وَصِفَاتُهُ وَكَلَامُهُ وَعُلُوُّ ذِي السُّلْطَانِ

٣٧٠٧- فَبِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ رَبًّا عِنْدَكُمْ يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «يَا فِرْقَةَ التَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ» هَلْ هَذَا عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ؟ الْجَوَابُ: عَلَى وَجْهِ السُّخْرِيَّةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ، وَهُمْ أَهْلٌ لِأَنْ يُسَخَّرَ بِهِمْ وَيُسْتَهْزَأَ بِهِمْ.

نَفَوُا الْأَفْعَالَ بِحُجَّةِ أَتْمَا حَوَادِثُ، وَالْحَوَادِثُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِحَادِثٍ، نَفَوُا
 الصِّفَاتِ بِحُجَّةِ أَتْمَا أَعْرَاضٍ، وَالْأَعْرَاضُ لَا تَقُومُ إِلَّا بِأَجْسَامٍ، وَالْأَجْسَامُ مَتَمَاثِلَةٌ،
 نَفَوُا الْفَوْقِيَّةَ فَقَالُوا: لِأَنَّ هَذَا يَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ فِي جِهَةٍ، وَالْجِهَةُ تَحِيْطُ بِمَا فِيهَا،
 فَيَجِبُ نَفْيُ الْعُلُوِّ، نَفَوُا الْإِسْتَوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ، قَالُوا: لِأَنَّ الْعَرْشَ حَيْزٌ؛ أَي: مَكَانٌ
 يَحُوزُ مَنْ فِيهِ، فَإِذَا أُثْبِتْنَا اسْتَوَاءَهُ عَلَى الْعَرْشِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ مُتَحَيِّزًا فَيَجِبُ نَفْيُ
 اسْتَوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ.

وسبق أتهم نفوا الكلام، فإذا نفوا أفعاله وصفاته وكلامه وعلوه فماذا

يبقى!؟

٣٧٠٨ - وَالْقَصْدُ نَفْيُ فِعَالِهِ عَنْهُ بِذَا التَّ - تَلْقِيْبِ فِعْلِ الشَّاعِرِ الْفَتَّانِ

هذا القصد، القصد أنكم تنفون أفعاله بهذا التلقيب، وهو أن الحوادث
 لا تقوم إلا بحادث، ومعلوم أننا إذا نفينا أن يكون عز وجل فاعلاً لزم أن يكون
 أشل لا يفعل، والشل نقص، فهم قرؤوا بزعمهم عن إثبات النقص ووقعوا في
 نقص أشد، كما أتهم إذا نفوا الكلام لزم أن يكون أخرس، والخرس نقص،
 والذين أثبتوا الكلام لكنهم جعلوه كلاماً نفسياً لا كلاماً حقيقة بحرف وصوت
 قد سبق أن ابن القيم - رحمه الله - ذكر أن شيخ الإسلام رد عليهم من تسعين
 وجهاً في كتاب سماه: «التسعينية».

- ٣٧٠٩ - وَكَذَلِكَ حِكْمَةٌ رَبَّنَا سَمَّيْتُمْ
عَلَاءَ وَأَعْرَاضًا وَذَانِ اسْمَانِ
٣٧١٠ - لَا يُشْعِرَانِ بِمِدْحَةٍ بَلْ ضِدَّهَا
فِيهِوْنَ حَيْثُ يَدِ عَلَى الْأَذْهَانِ
٣٧١١ - نَفْيُ الصِّفَاتِ وَحِكْمَةُ الْخَلَاقِ وَالـ
أَفْعَالِ إِنكَارًا لِهَذَا الشَّانِ
٣٧١٢ - وَكَذَا اسْتِوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ قَدْ
ثُمَّ إِنَّهُ التَّرْكِيبُ ذُو بَطْلَانِ
٣٧١٣ - وَكَذَلِكَ وَجْهُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَلَفْظُ يَدٍ وَلَفْظُ يَدَانِ
٣٧١٤ - سَمَّيْتُمْ ذَا كَلِّهِ الْأَعْضَاءَ بَلْ
سَمَّيْتُمْ ذَا كَلِّهِ الْأَعْضَاءَ بَلْ
٣٧١٥ - وَسَطَوْتُمْ بِالنَّفْيِ حَيْثُ يَدِ عَلَيْـ
وَسَطَوْتُمْ بِالنَّفْيِ حَيْثُ يَدِ عَلَيْـ
٣٧١٦ - قُلْتُمْ نُنزَّهُهُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالـ
قُلْتُمْ نُنزَّهُهُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالـ
٣٧١٧ - وَعَنِ الْحَوَادِثِ أَنْ تَحَلَّ بِذَاتِهِ
وَعَنِ الْحَوَادِثِ أَنْ تَحَلَّ بِذَاتِهِ
٣٧١٨ - وَالْقَصْدُ نَفْيُ صِفَاتِهِ وَفِعَالِهِ
وَالْقَصْدُ نَفْيُ صِفَاتِهِ وَفِعَالِهِ
٣٧١٩ - وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسَجْنِ اللَّفْظِ مَحـ
وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسَجْنِ اللَّفْظِ مَحـ
٣٧٢٠ - وَالْكُلُّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا
وَالْكُلُّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا
٣٧٢١ - وَالْقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأَوْصَافَ وَالـ
وَالْقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأَوْصَافَ وَالـ
٣٧٢٢ - سَمَّوْهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّانُ فِي الـ
سَمَّوْهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّانُ فِي الـ
٣٧٢٣ - كَمْ ذَا تَوَسَّلْتُمْ بِلَفْظِ الْجِسْمِ وَالتـ
كَمْ ذَا تَوَسَّلْتُمْ بِلَفْظِ الْجِسْمِ وَالتـ
٣٧٢٤ - وَجَعَلْتُمْهُ الشَّرْسَ إِنْ قُلْنَا لَكُمْ
وَجَعَلْتُمْهُ الشَّرْسَ إِنْ قُلْنَا لَكُمْ

٣٧٢٥- قُلْتُمْ لَنَا جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ نَعَا لِي اللَّهُ عَنِ جِسْمٍ وَعَنْ جُسْمَانِ

الشرح

٣٧٠٩- وَكَذَلِكَ حِكْمَةَ رَبَّنَا سَمَّيْتُمْ عَلَاً وَأَغْرَاضًا وَذَانِ اسْمَانِ

٣٧١٠- لَا يُشْعِرَانِ بِمِدْحَةٍ بَلْ ضِدَّهَا فِيَهُونَ حِينَئِذٍ عَلَى الْأَذْهَانِ

٣٧١١- نَفْيُ الصِّفَاتِ وَحِكْمَةُ الْخَلْقِ وَالْأَفْعَالِ إِنَّكَارًا لِهَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «لَا يُشْعِرَانِ» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْعَلْلِ وَالْأَغْرَاضِ.

قَوْلُهُ: «نَفْيُ الصِّفَاتِ وَحِكْمَةُ الْخَلْقِ وَالْأَفْعَالِ»؛ أَي: وَنَفْيُ الْأَفْعَالِ.

قَوْلُهُ: «إِنَّكَارًا لِهَذَا الشَّانِ»؛ أَي: هَذَا اللَّفْظِ الَّذِي أَحْدَثُوهُ يُتَقَرَّرُونَ النَّاسَ

عَنْ إِثْبَاتِ هَذَا الْمَعْنَى لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

سبحان الله! أيضًا نفوا الحكمة، وإذا انتفت حكمة الرب عز وجل لزم أن تكون أفعاله كلها لعباً وسُدَى؛ لأنَّ مَنْ لا حكمة له لو أصاب الحكمة فقد أصابها عن غير قصد، وإلا فالأصل أن أفعاله كلها سفه، لكن لماذا نفوا الحكمة؟ قالوا: لو أثبتنا الحكمة لزم أن تكون إرادة الله متعلقة بالأغراض؛ يعني: أن له غرضاً، والله عز وجل ليس له غرض، وليس يفعل لعلّة، إذن أفعاله لا حكمة لها، فهو ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣] لغير حكمة، ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣] لغير حكمة، يوجبُ أشياءَ لغير حكمة، يُجَرِّمُ أشياءَ لغير حكمة، فليس له حكمة إطلاقاً؛ لأنَّ الحكمة غرض، أنت عندما تفعل شيئاً لشيءٍ معناه أنك فعلت هذا لهذا، والله تعالى مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَغْرَاضِ، ولذا فمن سجعهم في الشئ على الله: «سُبْحَانَ مَنْ تَنَزَّهَ

عن الأعراضِ والأغراضِ والأبعاضِ»، وهذا سجعٌ له رنينٌ في الأذن، لكنه يخرقُ الأذنَ فيفسدُ الدِّماغَ، فقولهم: «مَنْ تَنَزَّهَ عَنِ الْأَعْرَاضِ»؛ يعني به: نفيَ الحكمةِ، و«الأغراضِ»: الصِّفاتِ، و«الأبعاضِ»: اليدِ، والوجهِ، والعينِ، وما أشبه ذلك.

فَيَقَالُ لَهُمْ إِنْ كَانُوا مَمَّنْ يَثْبُتُونَ الْإِرَادَةَ: وَالْإِرَادَةُ أَيْضًا إِنَّمَا تَكُونُ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنَالَ بِهَا الْمُرِيدُ مَا يَقْصُدُهُ، فَالْحِكْمَةُ الَّتِي لَا يَكُونُ فِعْلٌ مِنْ أفعالِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا مَقْرُونًا بِهَا لَيْسَتْ غَرَضًا يَعُودُ نَفْعُهُ إِلَى اللَّهِ، بَلْ هِيَ حِكْمَةٌ يَعُودُ نَفْعُهَا إِلَى الْمَخْلُوقِ، أَمَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهَا، لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، لَكِنِ الْحِكْمَةُ الَّتِي تَقْتَضِي أفعالَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِيَ حِكْمَةٌ تَتَعَلَّقُ بِمَصَالِحِ الْمَخْلُوقِ وَدَفْعِ الضَّرَرِ عَنْهُ، وَلَيْسَتْ غَرَضًا يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَاعِلُ وَهُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، إِذَنْ إِنْ أَرَدْتُمْ بِالْأَعْرَاضِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي يَحْتَاجُهَا فَهَذَا بَاطِلٌ وَلَيْسَ مُرَادًا، وَإِنْ أَرَدْتُمْ بِالْأَعْرَاضِ مَصْلَحَةَ الْعِبَادِ فَهَذَا حَقٌّ، وَسَمُّوهُ مَا شِئْتُمْ.

إِذَنْ هُمْ سَمَّوْا الْحِكْمَةَ عِلَّةً وَغَرَضًا مِنْ أَجْلِ تَنْفِيرِ النَّاسِ عَنِ إِثْبَاتِ الْحِكْمَةِ، وَسَبَّحَانَ اللَّهِ أَنْ يُسَمَّوْا الْحِكْمَةَ اللَّذِيذَةَ عَلَى السَّمْعِ السَّلْسَةِ عَلَى اللِّسَانِ يُسَمُّونَهَا عِلَّةً وَيُسَمُّونَهَا غَرَضًا؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُنْفِرُوا النَّاسَ عَنْ قَبُولِهَا، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَهَمْ جَنَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَجَنَوْا عَلَى غَيْرِهِمْ.

٣٧١٢ - وَكَذَا اسْتَوَاءُ الرَّبِّ فَوْقَ الْعَرْشِ قُلْدٌ - ثُمَّ إِنَّهُ التَّرْكِيبُ ذُو بَطْلَانِ

استواءُ الله على العرشِ قالوا: إِنَّهُ مِنَ التَّرْكِيبِ «تركيب جوار» على زعمهم كما سبق في أقسامِ التَّرْكِيبِ، وليس تركيبَ اختلاطٍ، ونحن نقول: أين التَّرْكِيبُ؟ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ مُسْتَعْنٍ عَنِ الْعَرْشِ وَعَنْ غَيْرِهِ، وَالْعَرْشُ قَائِمٌ بِاللَّهِ، فَلَوْلَا اللَّهُ مَا قَامَ

العرش، فأين التَّركيبُ الذي يفتقرُ فيه الجارُّ إلى جاره؟ اللهُ عزَّ وجلَّ غنيٌّ عن العرشِ وعن غيره، لكنَّهم يقولون: هذا أيضًا من العللِ التي نفَّوا بها الاستواءَ أنَّه يلزمُ منه التَّركيبُ، وهذا لا شكَّ أنَّه معنَى باطلٌ؛ لأنَّ التَّركيبَ هنا غيرُ واردٍ إطلاقًا.

٣٧١٣- وَكَذَلِكَ وَجْهَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَذَلِكَ لَفْظُ يَدٍ وَلَفْظُ يَدَانِ

٣٧١٤- سَمَّيْتُمْ ذَا كُلِّهِ الْأَعْضَاءَ بَلْ سَمَّيْتُمُوهُ جَوَارِحَ الْإِنْسَانِ

قالوا: إذا قلنا: إنَّ لله وجهًا، وإنَّ له يداً أو يديْنِ، لَزِمَ أن تُثبِتَ له أعضاءً وأعضاءً، واللهُ مُنَزَّهٌ عن ذلك، أو يُسَمُّونه جوارِحَ، فيقولون: «اليدُ جارحةٌ كجارحةِ الإنسانِ»، واليدُ جارحةٌ للإنسانِ؛ أي: كاسبةٌ كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ أي: من الكواسِبِ، فجعلتم يدَ الله كيدِ المخلوقِ، ولو أنَّهم سَلِمُوا من التَّشْبِيهِ لعلموا أنَّ لله يداً ليست كأيدي المخلوقِ.

إذا قالوا: إنَّ اليدَ عضوٌ، أو إنَّ اليدَ بعضُ الكلِّ، وما أشبه ذلك، فماذا نقولُ؟ نقولُ: نحنُ نثبتُ لله ما أثبتَّهُ اللهُ لنفسِهِ من اليدِ، ولا نقولُ: إنَّها بعضُ الله، ولا عضوُ الله وإن كان نظيرُ مسماها بالنسبةِ إلينا بعضًا وعضوًا، لكن بالنسبةِ لله لا نقولُ: بعضٌ، ولا نقولُ: عضوٌ، بل نقولُ: يدُ الله، وهي حقٌّ على حقيقتها، ونحن إذا لَزِمْنَا الأدبَ مع الله ومع رسوله ﷺ وأثبتنا ما أثبتَّهُ اللهُ بدون أن نزيدَ سَلِمْنَا من هذه التَّقديراتِ.

ولعلَّ سائلًا يسألُ فيقولُ: جاء في القرآنِ الكريمِ لفظُ «يد»، و«يدان»، و«أيد»، فلفظُ: «يد» كما في قوله تعالى: ﴿بَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [الملك: ١]، ولفظُ «يدان» كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، ولفظُ «أيد» كما في قوله تعالى: ﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيَدِينَ أَنْعَمَّا﴾ [يس: ٧١]، وليس من ذلك قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ

بَيَّنَّهَا بِأَيْدِيٍّ ﴿الدَّارِيَات: ٤٧﴾، فَإِنَّهُ يُحْرَمُ أَنْ نُفَسِّرَهَا بِأَيْدِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُضِفْهَا لِنَفْسِهِ، فَلَمْ يَقُلْ: «بِأَيْدِينَا»، وَأَنْتِ إِذَا أَضَفْتَهَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ أَفْتَرَيْتِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، إِذَنْ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ: ﴿بَيَّنَّهَا بِأَيْدِيٍّ﴾؛ أَي: بِقُوَّةٍ، فَهِيَ مُصَدَّرٌ مِنْ «أَدَّ يَأْدِي» كَقَوْلِهِمْ: «بَاعَ يَبِيعُ»، وَ«نَالَ يَنَالُ نَيْلًا»، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَادِرِ، فَهِيَ مُصَدَّرٌ، وَلَيْسَتْ تُعَبَّرُ عَنِ يَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ الْمُثْنِيِّ وَالْجَمْعِ وَالْمُفْرَدِ؟

نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ، لَيْسَ هُنَاكَ تَنَاقُضٌ، فَالْجَمْعُ لِلتَّعْظِيمِ، وَالْمُفْرَدُ الْمُضَافُ لِلْعَمُومِ، وَالْمُثْنِيُّ هُوَ الْوَاقِعُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ يَدَانِ اثْنَتَانِ لَا تُشْبِهَانِ أَيْدِيَ الْمَخْلُوقِينَ.

٣٧١٥- وَسَطَوْتُمْ بِالنَّفْيِ حِينَئِذٍ عَلَيْ - كُنْفَيْنَا لِلْعَيْبِ مَعَ نُقْصَانِ
معناه: أَنْتُمْ نَفَيْتُمْ نَفِيًّا قَاطِعًا لِهَذِهِ الصِّفَاتِ كَمَا نَفَيْتُمُ الْعَيْبَ وَالنُّقْصَانَ.

٣٧١٦- قُلْتُمْ نُزَّهْتُمْ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ وَالْجُثْمَانِ
٣٧١٧- وَعَنِ الْحَوَادِثِ أَنْ تَحُلَّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ

يَقُولُونَ: «نُزَّهْتُمْ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ وَالْجُثْمَانِ»؛ يَعْنِي: الْجِسْمَ، «وَعَنِ الْحَوَادِثِ أَنْ تَحُلَّ بِذَاتِهِ» يَرِيدُونَ بِذَلِكَ نَفْيَ الْأَفْعَالِ.

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَهُ»؛ يَعْنِي: تَنْزِيهَا لَهُ «مِنْ طَارِقِ الْحَدَثَانِ»؛ يَعْنِي: سُبْحَانَهُ أَنْ يَطْرُقَهُ شَيْءٌ حَادِثٌ!

وَكُلُّ هَذَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - يُقْصَدُ بِهِ نَفْيُ مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ:

٣٧١٨- وَالْقَصْدُ نَفْيُ صِفَاتِهِ وَفِعَالِهِ وَالْإِسْتِوَاءُ وَحِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

والذي يسمع قولهم هذا: «نُنزَّهُه عن الأَعْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ»
يغترُّ بهذا، ويظنُّ أنه حقٌّ، وابنُ القِيَمِ يقول: قصدكم بهذا نفيُّ أربعة أشياء: نفيُّ
الصِّفَاتِ، والأَفْعَالِ، والاستواءِ، وحكمة الرَّحْمَنِ، ثمَّ قال قولاً ينبغي لنا أن نفهمه
جيداً قال:

٣٧١٩- وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسَجْنِ اللَّفْظِ مَحْمُودُونَ خَوْفَ مَعْرَةِ السَّجَّانِ

وهذا صحيحٌ، فبعضُ النَّاسِ بل أكثرهم يعتمدُ على اللَّفْظِ فيغترُّ به إثباتاً
أو نفيّاً، فتجدُه محبوساً بسجنِ اللَّفْظِ، لا ينظرُ للمعنى، ولا ينظرُ للهدفِ،
ولا ينظرُ للمقصودِ، بل ينظرُ لظاهرِ اللَّفْظِ، وذلك خَوْفَ مَعْرَةِ السَّجَّانِ؛ أي:
خوفاً من أن يُخَالِفَ فَيُسْجَنَ سَجْنًا جَسَدِيًّا، لكنَّه في الحقيقةِ مسجونٌ سَجْنًا ذَهْنِيًّا
وعقليًّا.

٣٧٢٠- وَالْكُلُّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا فِي قَالِبٍ وَيَرُدُّهُ فِي ثَانِي

الله أكبر؛ صحيحٌ، الذين يعتمدون على مجردِ اللَّفْظِ إذا أُنْتَبَهَ بالمعنى في لفظٍ
ثمَّ أُتِيَتْ به في لفظٍ ثانٍ قَبْلَهُ في اللَّفْظِ الأوَّلِ وَرَدَّهُ في اللَّفْظِ الثَّانِي، مع أنَّ المعنى
واحدٌ لكن؛ لأنَّه لفظيٌّ لا يعرفُ المعنى ولا يُدْرِكُه يعتمدُ على مجردِ اللَّفْظِ، فإذا
قلتَ مثلاً: «إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَبْعَاضِ» يقول: سُبْحَانَهُ! وَيُسَبِّحُ اللَّهَ، وَيُقَدِّسُ اللَّهَ،
ويقول: سبحانَ مَنْ لا بعضُ له! لكن لو قلت: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَتْ لَهُ يَدٌ» قال: أعودُ
بالله، تُنَكِّرُ يَدَ اللَّهِ وقد أُثْبِتَها لله لنفسِه، مع أنَّ المعنى واحدٌ، لكنَّ اللَّفْظَ مختلفٌ،
لكن في القَالِبِ الأوَّلِ قَبْلَهَا.

وإذا قيل له: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لا يحتاجُ إلى أحدٍ، فهو مُنَزَّهٌ عَنِ الْأَعْرَاضِ،
يقول: هذا صحيحٌ، وإذا قيل له: إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ الشَّيْءَ لا لحكمةٍ بل يفعله سَفَهًا وَعَبَثًا،

فيقول: هذا غير صحيح، مع أن المعنى واحد، لكنه لا يُقدَّس إلا اللَّفْظَ فقط.

وهذا يقع كثيراً، وما أكثره عند أهل الحِيلِ! أهل الحِيلِ - وما أدراك ما الحِيلِ - تجد الإنسان يصوغ الشيء في قالب هو معنى الشيء المنوع، مثل: حيل الناس على الربا وغيره، إذا نظرت إلى ظاهر الفعل قلت: صحيح ولا شيء فيه، لكن معناه والمراد منه فاسد، كُلهُ سوء، هكذا الألفاظ أيضاً يتلاعب بها بعض الناس حتى يُغري الآخرين.

٣٧٢١- وَالْقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأَوْصَافَ وَالْأَفْعَالَ لَا تُنْفَى بِذَا الْهَدْيَانِ

وصدق رحمه الله؛ يعني: ذات الله وصفاته وأفعاله لا تُنْفَى بمثل هذا الهديان، ولا يمكن أن ينطلي هذا الهديان إلا على شخص ليس له عقل وتفكير.

٣٧٢٢- سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّانُ فِيهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ بَلْ فِي مَقْصِدٍ وَمَعَانِي

الأسماء لا تُغَيِّرُ الحقائق؛ ولهذا أخبر النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يَأْتِي أَنَاسٌ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا^(١)، فأكثر الناس محبسون على اللَّفْظِ، فالآن عند الكفارِ والفُسَّاقِ والفُجَّارِ يسمون الخمرَ الشَّرَابَ الرَّوحِيَّ، ولكنه الشَّرَابُ الجُنُونِيُّ في الواقع؛ لأنه يجعل الإنسان في جنون، بل أخبث.

٣٧٢٣- كَمْ ذَا تَوَسَّلْتُمْ بِلَفْظِ الْجِسْمِ وَالنَّفْسِ لِتَجْسِيمِ اللَّتَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

يعني: جعلتم لفظ الجسم إثباتاً أو نفياً، ولفظ التَّجْسِيمِ إثباتاً أو نفياً جعلتموه وسيلةً للتَّعْطِيلِ والكفران، والفرق بين «الجسم» و«التَّجْسِيمِ» الفرق بينهما ظاهرٌ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الجهاد، باب في الداذي، رقم (٣٦٨٩)، والنسائي: كتاب الأشربة، باب منزلة الخمر، رقم (٥٦٥٨)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب العقوبات، رقم (٤٠٢٠). والإمام أحمد (٤/٢٣٧، رقم ١٨٠٩٨).

فالجسم منفصل عن المتكلم، والتجسيم قول المتكلم بأن يقول بلسانه و يعتقد بقلبه الجسم.

٣٧٢٤- وَجَعَلْتُمُوهُ التُّرْسَ إِنْ قُلْنَا لَكُمْ اللهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمُوهُ»؛ يعني: الجسم والتجسيم.

قَوْلُهُ: «التُّرْس»؛ يعني: الوقاية التي يتوقى بها الإنسان عند القتال، وهو شيء من جلد قوي يُضَعُّ على مثل صاج الخبز يُمَسِّكُهُ الفارسُ أو المقاتل بيده اليسرى ويجعل السيف والرَّمح في يده اليمنى، فإذا رأى أحداً قد كَرَّ عليه قال بيده هكذا، يتقي به السَّهَامَ.

هم جعلوا الترس مثل هذه الألفاظ، إذا قلنا: «إنَّ الله فوق العرش»، قالوا: هذا جسم، لا يجوز.

٣٧٢٥- قُلْتُمْ لَنَا جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ تَعَا لِي اللهُ عَن جِسْمٍ وَعَن جُثْمَانِ

قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ»: القائل هم المعطلة المنكرون للاستواء.

قَوْلُهُ: «جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ تَعَالَى اللهُ عَنِ جِسْمٍ وَعَن جُثْمَانِ» ما أعظم هذه الكلمة! لاسيما إذا صرَّح بها عند العامة، فهذا رجلٌ من أهل السنة جاء يُقرِّرُ قائلاً: «إنَّ الله استوى على العرش استواءً يليقُ بجلاله»، وعنده رجلٌ معطلٌ قال: أعودُ بالله، تقول: إنَّ الله مستويٌ على العرش، قال: نعم، قال: أعودُ بالله! «جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ» تعالى اللهُ، يرفعُ صوته جذاً، ماذا يقول العامة؟ العامة يصيحون مثلما صاح، ويضربون بأيديهم على رؤوسهم، يقولون: كيف يقول: «إنَّ الله جسمٌ على جسمٍ؟»، مع أن «جِسْمٌ عَلَى جِسْمٍ» يقابلها في المعنى الصحيح: «أَسْتَوَى عَلَى

الْعَرْشِ ﴿ [الأعراف: ٥٤]، لكن هو قال: «جسمٌ على جسمٍ» من أجل تنفيرِ العامَّةِ، أمَّا لو قال: «إنَّ اللهَ استوى على العرشِ» لقال العامَّةُ كُلُّهُمْ: صَدَقْتَ.

يعني: إذا قلنا: «إنَّ اللهَ فوقَ العرشِ» قالوا: جسمٌ على جسمٍ! وقولهم: «على جسمٍ» هذا صحيحٌ؛ لأنَّ العرشَ جسمٌ بلا شكٍّ، جسمٌ هو اللهُ، نحن قلنا: إننا لا نقولُ: إنَّ اللهَ جسمٌ، ولا إنَّه ليس بجسمٍ حتَّى نستفصلَ عن المعنى، ماذا تريدُ بأنَّ اللهَ جسمٌ؟ إذا قال: أريدُ أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - جسمٌ كالأجسامِ، نقولُ: هو بهذا المعنى باطلٌ، لا نقولُ بأنَّ اللهَ جسمٌ، وإذا قال: أريدُ أنَّ اللهَ جسمٌ؛ أي: له ذاتٌ متميِّزةٌ عن غيرها، بآئنةٌ متَّصفةٌ بالصفاتِ اللَّائقةِ بها، قلنا: هذا حقٌّ.

- ٣٧٢٦ - وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا الْقُرْآنَ كَلَامُهُ مِنْهُ بَدَلًا لَمْ يَبْدُ مِنْ إِنْسَانٍ
- ٣٧٢٧ - كَلَّا وَلَا مَلَكٌ وَلَا لَوْحٌ وَلَا
- ٣٧٢٨ - قُلْتُمْ لَنَا إِنْ الْكَلَامَ قِيَامُهُ بِالْجِسْمِ أَيْضًا وَهُوَ ذُو حَدَثَانِ
- ٣٧٢٩ - عَرَضَ يَقُومُ بِغَيْرِ جِسْمٍ لَمْ يَكُنْ هَذَا بِمَعْقُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ
- ٣٧٣٠ - وَكَذَلِكَ حِينَ نَقُولُ يَنْزِلُ رَبُّنَا فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي
- ٣٧٣١ - قُلْتُمْ لَنَا إِنْ النُّزُولَ لِغَيْرِ أَجْ سَامٍ مُحَالٍ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ
- ٣٧٣٢ - وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يُرَى سُبْحَانَهُ قُلْتُمْ أَجْسَمٌ كَمَا يُرَى بِعِيَانٍ
- ٣٧٣٣ - أَمْ كَانَ ذَا جِهَةٍ تَعَالَى رَبُّنَا عَنْ ذَا فَلَيْسَ يَرَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ

الشرح

٣٧٢٦- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا الْقُرْآنَ كَلَامَهُ مِنْهُ بَدَأَ لَمْ يَبْدُ مِنْ إِنْسَانٍ

٣٧٢٧- كَلَّا وَلَا مَلَكٌ وَلَا لَوْحٌ وَلَا كِنْ قَالَهُ الرَّحْمَنُ قَوْلَ بَيَانَ

إذا قلنا: إنَّ القرآنَ كلامُهُ، منه بدأ لم يَبْدُ من إنسانٍ، خِلافًا لِمَنْ قال: ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ [المذثر: ٢٥]، فقولُه: «لَمْ يَبْدُ مِنْ إِنْسَانٍ» كالنَّبِيِّ ﷺ، وكما قالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣]، «وَلَمْ يَبْدُ مِنْ مَلَكٍ» خِلافًا لِمَنْ قال: إنَّ جبريلَ هو الذي تكلمَ به ولم يتكلمَ به اللهُ، «وَلَا لَوْحٌ» خِلافًا لِمَنْ قال: إنَّ اللهُ خلقَ حروفًا في اللّوحِ المحفوظِ، فأخذها جبريلُ من اللّوحِ.

نحن نقولُ: القرآنُ تكلمَ اللهُ به حقيقةً، وسَمِعَهُ جبريلُ، ونزَلَ به على قلبِ النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- فوعاه، وقد التزم اللهُ -سبحانه وتعالى- أن يُبَيِّنَ ما قرأه جبريلُ على النَّبِيِّ ﷺ فقال: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، وكان النَّبِيُّ ﷺ إذا قرأَ عليه جبريلُ القرآنَ يتعجَّلُ لئلا يَنسَى (١)، فقال اللهُ له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ (١٦) ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾؛ يعني: لن يتفرَّق عليك ولن تنساه، ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ [القيامة: ١٨]؛ يعني: قرأه جبريلُ عليه السَّلامُ ﴿فَاتَّبَعَ قُرْآنَهُ﴾ [القيامة: ١٨]؛ يعني: بعد ما ينتهي، ثُمَّ تَكْفَلَ اللهُ به فقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٩]، لكنَّهم يقولون: اللهُ لا يتكلمُ.

فإن قال قائلُ: أليس اللهُ تعالى يقولُ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠] في مَوْضِعَيْنِ من كتابه؟ فالجوابُ: بلى، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ (٤٠) وَمَا هُوَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، رقم (٥)، ومسلم: كتاب الصلاة، باب الاستماع للقراءة، رقم (٤٤٨).

بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، فالرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مُحَمَّدٌ ﷺ،
 وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]
 وَهَذَا جَبْرِيْلُ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنَّ كَلَامًا وَاحِدًا يُنْسَبُ لِمَتَكَلِّمَيْنِ؟! الْجَوَابُ: لَا؛ إِذْ
 لَيْسَ كَلَامًا هَذَا، وَلَا كَلَامًا هَذَا، وَلَكِنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّمَا أُضِيفَ إِلَى
 الرَّسُولَيْنِ؛ لِأَنَّهَا بَلَّغَاهُ، وَإِلَّا فَإِنَّ الْكَلَامَ يُضَافُ إِلَى مَنْ قَالَهُ أَوَّلًا.

٣٧٢٨- قُلْتُمْ لَنَا إِنْ الْكَلَامَ قِيَامُهُ بِالْجِسْمِ أَيْضًا وَهُوَ ذُو حَدَثَانِ
 قَوْلُهُ: «قُلْتُمْ لَنَا إِنْ الْكَلَامَ قِيَامُهُ بِالْجِسْمِ أَيْضًا»، فَإِذَا أُثْبِتَ أَنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ فَقَدْ
 أُثْبِتَ أَنَّهُ جِسْمٌ، وَالْجِسْمُ عِنْدَهُمْ مَمْنُوعٌ، فَيَمْنَعُ عَلَى هَذَا الْكَلَامِ، ثُمَّ يَقُولُونَ أَيْضًا:
 وَالْكَلامُ «ذُو حَدَثَانِ»، وَهَذَا لَا يَقُولُهُ الْأَشَاعِرَةُ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ عِنْدَهُمْ أَنَّ الْكَلَامَ
 هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ أَرْزِيٌّ أَبَدِيٌّ، لَكِنْ يَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَمَنْ شَابَهُمْ،
 يَقُولُونَ: إِنَّ الْقُرْآنَ حَادِثٌ، فَيَقُولُونَ: إِذْ ذُنَّ وَصَفْتُمْ اللَّهَ تَعَالَى بِأَنَّهُ تَقَوْمٌ بِهِ الْحَوَادِثُ
 - إِذَا أُثْبِتَ الْكَلَامَ - وَنَحْنُ لَا نَقُولُ بِهِ.

٣٧٢٩- عَرَضُ يَقُومُ بِغَيْرِ جِسْمٍ لَمْ يَكُنْ هَذَا بِمَعْقُولٍ لِذِي الْأَذْهَانِ
 يَعْنِي: هُمْ يَقُولُونَ: إِنْ الْكَلَامَ عَرَضٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُومَ عَرَضٌ بِغَيْرِ جِسْمٍ،
 مِنْ أَجْلِ أَنْ يَنْكَرُوا أَنَّ الْكَلَامَ جِسْمًا حَتَّى يَتَوَصَّلُوا بِهِ بِذَلِكَ إِلَى إِنْكَارِ الصِّفَاتِ.
 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُؤَصِّلُونَ قَوَاعِدَ يَرَوْنَهَا عَقْلِيَّةً وَهِيَ وَهْمِيَّةٌ،
 كَيْفَ أَدَّى بِهِمْ هَذَا إِلَى إِنْكَارِ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ؟! نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الثَّبَاتَ.

٣٧٣٠- وَكَذَلِكَ حِينَ نَقُولُ يَنْزِلُ رَبَّنَا فِي ثُلْثِ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِي
 أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ نَفْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فِي ثُلْثِ

اللَّيْلِ الْآخِرِ أَوْ ثُلُثِ اللَّيْلِ الْأَوْسَطِ؛ ولهذا قال: «ثُلُثُ لَيْلٍ آخِرٍ أَوْ ثَانِيٍّ»، وقوله: «فِي ثُلُثِ لَيْلٍ آخِرٍ»؛ يعني: الثُّلُثُ الْآخِرُ، «أَوْ ثَانِيٍّ»؛ يعني: الثُّلُثُ الْأَوْسَطُ؛ لَأَنَّهُ فِي بَعْضِ الْأَحَادِيثِ أَنَّهُ يَنْزِلُ حِينَ يَبْقَى نِصْفُ اللَّيْلِ^(١).

٣٧٣١- قُلْتُمْ لَنَا إِنْ النُّزُولَ لِغَيْرِ أَجْ - سَامٍ مُحَالٌ لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ
يعني: فإذا أثبتتم النُّزُولَ أَثْبَتْتُمْ أَنَّهُ جِسْمٌ، والجِسْمُ عندهم ممنوعٌ؛ لأنَّ
الأجسامَ متماثلةٌ.

ذكر المؤلفُ عدَّةَ صفاتٍ منها: النُّزُولُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا وهذا ثَبَتَ فِي
الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَغَيْرِهِ أَنَّهُ يَنْزِلُ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ نَفْسُهُ إِلَى
السَّمَاءِ الدُّنْيَا^(٢).

واعلم أن القاعدةَ المستقرَّةَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ يَعْنِي: نَفْسَهُ، هَذَا
الْأَصْلُ، كَمَا قَرَّرَ ذَلِكَ ابْنُ الْقَيْمِ فِي: «مَخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ» وَهُوَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ، فَمَا
أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ لِنَفْسِهِ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ إِلَّا أَنْ يَمْنَعَ مَانِعٌ، فَإِذَا جَاءَ فِي
الْحَدِيثِ «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ
الْآخِرِ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي
فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(٣)، كَانَ الْمُرَادُ بِالنُّزُولِ نَزْوَلَ اللَّهِ نَفْسِهِ، لَكِنَّ أَهْلَ التَّحْرِيفِ أَبَوْا إِلَّا أَنْ
يَقُولُوا: «يَنْزِلُ رَبُّنَا»؛ يَعْنِي: يَنْزِلُ أَمْرُهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم:

كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

(٢) هو جزء من الحديث السابق.

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم:

كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم

(٧٥٨).

والرَّدُّ عليهم أن نقول: أمر الله ينزل إلى الأرض وإلى السماوات في كلِّ وقتٍ، قال الله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السَّجْدَة: ٥] قالوا: إنَّ الذي ينزلُ رحمته، قلنا: هذا كالأوَّل، الرَّحْمَةُ تنزلُ كلَّ وقتٍ، ولا تنتهي بالسَّماءِ، تنتهي بالأرضِ، ونزولُ رحمةٍ إلى السَّماءِ الدُّنيا لا فائدة لنا منه، قالوا: ينزلُ مَلَكٌ من ملائكتِهِ، قلنا: المَلَكُ لا يمكنُ أن يقولَ: «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ»؛ لأنَّ المَلَكُ لو قال هذا الكلامَ لكان كفراً، حيث جعل المَلَكُ نفسه إليها مُجيباً، إذنُ يَتَعَيَّنُ أنَّ الذي ينزلُ هو اللهُ، ولكن هل نقولُ بكيفيةٍ معيَّنة لنزوله؟ الجوابُ: لا، هذا حرامٌ، هل نقولُ: إذا نزل صارت السَّماءُ الدُّنيا فوقه؟ الجوابُ: لا؛ لأنَّ الله له العلوُّ المطلقُ، فهو ينزلُ وإن كان في العلوِّ.

فإذا قال قائلٌ: هذا غيرُ معقولٍ؟ قلنا: هو غيرُ معقولٍ بالنسبة للمخلوق، أمَّا بالنسبة للخالقِ فإنَّه لا يُحاطُ بصفاته، والواجبُ علينا أن نقولَ: ينزلُ وهو فوق كلِّ شيءٍ.

فإن قال قائلٌ: هل يخلو منه العرشُ إذا نزل؟ قلنا: هذا السؤالُ سؤالٌ بدعةٍ كما قال مالكٌ فيمن قال: كيف استوى؟ ولهذا كان القولُ الرَّاجِحُ في هذه المسألة هو ألا نسأل: هل يخلو منه العرشُ أو لا؟

٣٧٣٢- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يُرَى سُبْحَانَهُ قُلْتُمْ أَجِسْمٌ كَمَا يُرَى بَعِيَانٍ

قَوْلُهُ: «أَجِسْمٌ كَمَا يُرَى بَعِيَانٍ» هذا الاستفهامُ للإِنْكَارِ؛ يعني: هل هو جسمٌ حتَّى يُرَى؟! وإذا كان كذلك فقد نَقَوْا الرُّؤْيَةَ.

ويُنكرون القرآنَ والسُّنَّةَ وإجماعَ الصَّحابةِ في ثبوتِ الرُّؤْيَةِ، وليتَّهم يحضرون ونقولُ لهم: لندعوا الله عزَّ وجلَّ: «اللَّهُمَّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَتَكَ فِي الْآخِرَةِ فَاحْرِمْهُ مِنْهَا»

ولا أظنُّ أن تثبت أقدامهم على هذا أبدًا؛ لأنهم يعرفون أن المسألة ليست هيئَةً، لكن من أجل زعمائهم وأئمتهم الذين ينكرون هذا صاروا ينكرون رؤية الله عزَّ وجلَّ.

هذه رؤية الله عزَّ وجلَّ؛ فالله تعالى يرى في الآخرة، أمَّا في الدنيا فلا يرى، لم نعلم أن أحدًا رآه إلا النبي ﷺ في المنام، أمَّا في اليقظة فلم يره أحد؛ ولهذا لما قال موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِيْ أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِنِيْ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِيْ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فإذا كان الجبل - وهو الأصمُّ الحجريُّ - لم يستقم لرؤية الله فما بالك بالبشر؟! ولهذا ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعَقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] من هول ما رأى، ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، أمَّا في الآخرة فيرى، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية صريحة في ذلك؛ ولهذا حكّم بعض السلف بكفر من أنكر رؤية الله في الآخرة؛ لأنه أنكر شيئًا صريحًا، ففي القرآن يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] «ناضرة» بالضاد؛ يعني: حسنة، من النضارة وهي الحسن، ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ من النظر؛ ولهذا تجدون الأولى مكتوبة بالضاد، والثانية مكتوبة بالطاء؛ لأنّها من النظر، وقال تعالى في أصحاب الجحيم: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمِئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فلما حجب هؤلاء في حال الغضب دلَّ على أن الآخرين غير محجوبين.

أمَّا السنة فإنَّ الرسول - عليه الصلاة والسلام - قال: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا»^(١)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، رقم (٧٤٣٥).

الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم-: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» قالوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟» قالوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ...»^(١)، وهذا لا يمكن أن يُرَادَ به المجاز؛ لأنه صريحٌ واضحٌ «عِيَانًا» بالعين، وكذا «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ»؛ أي: كما تَرَوْنَ القمرَ وكما تَرَوْنَ الشَّمْسَ، والتَّشْبِيهُ هنا ليس تشبيهًا للمرئي بالمرئي، ولكن للرؤية بالرؤية كما تقولون مثلًا: «رَأَيْتُ الجملَ كَرَوَيْتِي لهذا البابِ»، أو «رَأَيْتُ سَيَّارَةَ فلانٍ كما أرى سَيَّارَتَكَ»، فلا يلزم من هذا تساوي المرئي.

٣٧٣٣- أَمْ كَانَ ذَا جِهَةٍ تَعَالَى رَبَّنَا عَنْ ذَا فَلَيْسَ يَرَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ

أَيْضًا هُمْ قَالُوا: إِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى لَزِمَ أَنْ يَكُونَ فِي جِهَةٍ، وَإِذَا لَزِمَ هَلْ يَمْنَعُ؟ نَحْنُ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ فِي جِهَةٍ؛ أَي: فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ، لَكِنْ هَذِهِ الْجِهَةُ لَا تُحِيطُ بِهِ، فَهُوَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَالْفَوْقِيَّةُ الْمَطْلُوقَةُ عَدَمٌ، وَهَذَا مَعْنَاهُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ شَيْءٌ يُجَادِي اللَّهَ وَلَا فَوْقَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٣٧٣٤- أَمَا إِذَا قُلْنَا لَهُ وَجْهٌ كَمَا فِي النَّصِّ أَوْ قُلْنَا كَذَلِكَ يَدَانِ

٣٧٣٥- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا كَمَا فِي النَّصِّ إِنْ نَ الْقَلْبَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

٣٧٣٦- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا الْأَصَابِعُ فَوْقَهَا كُلُّ الْعَوَالِمِ وَهِيَ ذُو رَجَفَانِ

٣٧٣٧- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يَدَاهُ لِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ فِي الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

- ٣٧٣٨- وَكَذَٰكَ إِن قُلْنَا سَيَكشِفُ سَاقَهُ فَيَخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلأَذْقَانِ
- ٣٧٣٩- وَكَذَٰكَ إِن قُلْنَا يَجِيءُ لِفَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ بَعْدَ ذِي سُلْطَانِ
- ٣٧٤٠- قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ كَذَٰكَ قِيَامَةُ الـ آتِي بِهِذَا الْقَوْلِ فِي الرَّحْمَنِ
- ٣٧٤١- وَاللَّهِ لَوْ قُلْنَا الَّذِي قَالَ الصَّحَا بَةً وَالْأَلَى مِنْ بَعْدِهِمْ بِلِسَانِ
- ٣٧٤٢- لَرَجَمْتُمُونَا بِالْحِجَارَةِ إِن قَدَرَ تُمْ بَعْدَ رَجْمِ الشَّتْمِ وَالْعُدْوَانِ
- ٣٧٤٣- وَاللَّهِ قَدْ كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ بَعْدَ ضَمِّ مَقَالِهِمْ يَا أُمَّةَ الْعُدْوَانِ

الشرح

٣٧٣٤- أَمَّا إِذَا قُلْنَا لَهُ وَجْهٌ كَمَا فِي النَّصِّ أَوْ قُلْنَا كَذَٰكَ يَدَانِ

يعني: فكذلك تنكرون، فهم ينكرون أن يكون لله وجه، ويقولون: المراد بـ«الوجه» الثواب، فقولته تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، يقولون: أي: ثواب ربك، وهذا صريح بأن الذي يبقى وجه الله عز وجل؛ ولهذا قال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، وقال: ﴿نَبِّزَكَ أَسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٨] ففَرَّقَ، فالاسم لا يُوصَفُ بالجلال، الذي يُوصَفُ بالجلال هو الرَّبُّ، الوجه يُوصَفُ بالجلال، وإذا كان اسمُ الله لا يُوصَفُ بالجلال فما بألك بالثواب؟ الثواب لا يُمكن أن يُوصَفَ بالجلال، والسُّنَّةُ واردةٌ في ذلك أيضًا: «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(١).

كذلك أيضًا اليدان صريحة في القرآن: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤].

(١) أخرجه الطبراني (٧٣/١٣).

٣٧٣٥- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا كَمَا فِي النَّصِّ إِنَّ نَ الْقَلْبَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ

أَيْضًا أَنْكَرْتُمْ ذَلِكَ، فَإِذَا قُلْنَا: إِنَّ الْقَلْبَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، قُلْتُمْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! الرَّحْمَنُ لَهُ أَصَابِعُ؟! نَقُولُ: هَكَذَا قَالَ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ وَهُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، الْقَلْبُ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْجَبْرُوتِ! كُلُّ قُلُوبِ بَنِي آدَمَ الَّذِينَ لَا يُحْصِيهِمْ إِلَّا خَالِقُهُمْ كُلُّهَا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، وَهَذَا حَقٌّ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ^(١)، وَلَا نَشْكُ فِي هَذَا، لَكِنْ ضَلَّ فِي هَذَا طَائِفَتَانِ:

الطَّائِفَةُ الْأُولَى: أَنْكَرَتْ هَذَا الشَّيْءَ، وَقَالَتْ: لَا يُمْكِنُ هَذَا، فَإِنَّا لَا نَحْسُ بِأَنَّ أَصَابِعَ الرَّحْمَنِ فِي صَدُورِنَا، وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ فَمَقْتَضَى ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ فِي أَجْوِافِنَا؟ فَالْجَوَابُ: أَنَّ هَذَا لَيْسَ بِإِلْزَامٍ؛ لِأَنَّ الْبَيِّنَةَ لَا تَقْتَضِي الْمَلَامَسَةَ أَوْ الْمَامَسَةَ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ السَّحَابَ لَا يَمَسُّ الْأَرْضَ وَلَا يَمَسُّ السَّمَاءَ، وَجَعَلَهُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا، وَتَقُولُ مَثَلًا: «بَدْرٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ»، وَهَلْ هِيَ مَامَسَةٌ لِلْمَدِينَةِ أَوْ لِمَكَّةَ؟ الْجَوَابُ: لَا؛ إِذْ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، فَلَا يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ الْمَامَسَةَ، فَإِذَا كَانَ لَا يَلْزَمُ وَجَبَ أَنْ نَوْمَنَ بِهِ، إِذْ بَيْنَ الْقُلُوبِ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ لَكِنْ عَلَى كَيْفِيَّةٍ لَا نَعْلَمُهَا.

وَقَدْ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «بِنَقْضِ الْعِزَائِمِ وَصَرْفِ الْهَمِّ»^(٢)، نَقْضِ الْعِزَائِمِ بِأَنْ يَعِزَّمَ الْإِنْسَانُ عَلَى الشَّيْءِ، يَقُولُ مَثَلًا: سَأَسَافِرُ غَدًا، وَإِذَا بَعِزِمَتِهِ تَتَنَقَّضُ بَدُونُ أَنْ يَقُولَ لَهُ أَحَدٌ شَيْئًا، مَنْ الَّذِي نَقَّضَ هَذِهِ الْعِزِيمَةَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم (٢٦٥٤).

(٢) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن، ويُسمى إعجاز القرآن ومعترك الأقران، للسيوطي

إِلَّا اللَّهُ، وَأَمَّا «صِرْف الهمم» فمثاله: أن يكون إنسان له همّة قويّة على شراء شيءٍ أو على دراسة كتابٍ مُعيّن، وإذا به تتقصّض هذه الهمّة فينصرف عنها، لولا أن القلوب بيد الله عزّ وجلّ، بل إنَّ الله تعالى قال: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤] أيُّ شيءٍ أبلغ من هذا؟! اللَّهُمَّ ثَبِّتْ قلوبَنَا.

الطائفةُ الثانيةُ: مثَلتْ كذبًا وزورًا، فجعلوا يقولون: بين أصابع الرّحمن، ويمسكون بأصابعهم هكذا، نسأل الله العافية؛ لأنَّ هذا قولٌ على الله بلا علم، من الذي أعلمهم أنَّ الله - سبحانه وتعالى - جعل الأصابع هكذا تقبُّض القلوب؟! الجوابُ: لا أحد، لكنَّهم قالوا: الرّسولُ لمّا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] جعل إبهامه وسبّابتيه على أذنيه وعينيّه؟^(١) قلنا: الرّسولُ - عليه الصّلاة والسّلام - قال ذلك؛ لإثبات البصر والرؤية وإثبات السّمع، لا أنَّ له أذنًا، ولولا أنَّ الله أثبت أنَّ له عينًا لم يلزم من رؤيته أن يكون له عينٌ.

فالمهم: أنِّي سمعتُ عن بعض النّاس المثبّته أنّهم يمثّلون، ويقولون: القلبُ بين أصابع الرّحمن هكذا، فنقول: سُبْحَانَهُ وتعالى! أعندك علمٌ من هذا؟ هل قال الرّسولُ - عليه الصّلاة والسّلام - هكذا؟! إنَّك قد افتريت على الله كذبًا إذا مثّلتَه على هذا الوجه، فعليك بما جاء به النّص، فهل الرّسولُ فعَل هذا وهو أحرصُ منك على إفهام النّاس وتعليمهم!؟

(١) كما في حديث أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة، قال: سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨] قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالْيَمِينِ تَلِيهَا عَلَىٰ عَيْنَيْهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرُؤُهَا وَيَضَعُ إِصْبَعَيْهِ»، قَالَ ابْنُ يُونُسَ: قَالَ الْقُرَيْشِيُّ: يَعْنِي: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ، يَعْنِي أَنَّ اللَّهَ سَمِعًا وَبَصِيرًا، قَالَ أَبُو دَاوُدَ: وَهَذَا رَدٌّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ السُّنَنِ، بَابُ فِي الْجَهْمِيَّةِ، رَقْمٌ (٤٧٢٨).

٣٧٣٦- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا الْأَصَابِعُ فَوْقَهَا كُلُّ الْعَوَالِمِ وَهِيَ ذُو رَجَفَانٍ
كما جاء في الحديث في يوم القيامة «أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ
وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ...»^(١).

٣٧٣٧- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يَدَاهُ لِأَرْضِهِ وَسَمَائِهِ فِي الْحَشْرِ قَابِضَتَانِ
قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي
السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

٣٧٣٨- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا سَيَكْشِفُ سَاقَهُ فَيَخِرُّ ذَاكَ الْجَمْعُ لِلْأَذْقَانِ
الذي يكشف ساقه هو الله عز وجل، وهذا له دليل صريح من السنة في
حديث أبي سعيد الخدري: «يُكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ»^(٢)؛ لأنَّ حجاب الله النور،
لا يرى عز وجل من الأنوار التي حوله، ولكنه إذا شاء كشف هذا النور فبان ما
يريدُه عز وجل، أمَّا في القرآن فقد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى
السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]، وهذه الآية استدلال بها من أثبت لله الساق، ولكن
إذا تأملت لم تجد فيها دليلاً على ثبوت الساق لله؛ لأنَّ الله قال: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ
سَاقٍ﴾ ولم يضيفها إلى نفسه، وإذا لم يضيفها الله إلى نفسه فإنه لا يحل لنا أن نضيفها
إلى نفسه، فقال: ﴿سَاقٍ﴾ ولم يبين ساق من؟ ولهذا فسرها ابن عباس بأنه الشدة كما

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، رقم (٤٥٣٣)، ومسلم: كتاب صفة القيامة والجنة والنار، رقم (٢٧٨٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَبُجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ [٢٢] إلى ربيها ناظرة ﴿القيامة: ٢٣﴾، رقم (٧٠٠١)، ومسلم: كتاب الإبان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

يُقَالُ: «كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَن سَاقِهَا»^(١).

لكن هناك قولٌ آخرٌ يقولُ: المرادُ بِالسَّاقِ سَاقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ولا يستدلُّ بلفظِ الآية، بل يقولُ: إنَّ سياقَ الآيةِ يُطابِقُ تمامًا حديثَ أبي سعيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والسُّنَّةُ تُفسِّرُ القرآنَ، فإذا تَأَمَّلْتَ الآيةَ والحديثَ وجدتَ سياقَهما يدلُّ على معنى واحدٍ، وحينئذٍ نُثِبَتِ السَّاقُ لِلَّهِ بِهذه الآيةِ لكن بإضافتها إلى الحديثِ، ويتمُّ الاستدلالُ حينئذٍ، فيكونُ الحديثُ دالًّا على أنَّ المرادَ بذلكِ سَاقُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، ولولا الحديثُ لقلنا: يَحْرُمُ أن تقولَ: إنَّ هذا سَاقُ اللَّهِ، لكن مادام الحديثُ قد جاء عن النَّبِيِّ ﷺ بما يدلُّ على أنَّ المرادَ سَاقُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فالواجبُ علينا أن نؤمنَ بهذا ولكنها كسائرِ الصِّفَاتِ، فهي سَاقٌ لا يباثلها سَاقٌ، فهي تليقُ بالله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يمكنُ للإنسانِ أن يتصوَّرها ولا أن يُحيطَ بها.

٣٧٣٩- وَكَذَلِكَ إِنْ قُلْنَا يَجِيءُ لِفَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ بَعْدَ ذِي سُلْطَانِ

كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] لنزولِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَنَزَلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا﴾ [٢٥] الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿ [الفرقان: ٢٥-٢٦].

٣٧٤٠- قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ كَذَلِكَ قِيَامَةُ الْ- آتِي بِهِذَا الْقَوْلِ فِي الرَّحْمَنِ

إذا قلنا هذا وما سبق قَامَتْ قِيَامَتُكُمْ؛ يعني: أنكرتم علينا غاية الإنكارِ، وقيامَةُ الآتِي بهذا القولِ فِي الرَّحْمَنِ تقوُّمٌ أيضًا، فيحصل بذلكِ من النَّزاعِ والخصومةِ ما لا يعلمُهُ إِلَّا اللهُ.

(١) حكاه الطبري في تفسيره (١٨٧/٢٣) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال: «هُوَ يَوْمُ حَرْبٍ وَشِدَّةٍ».

٣٧٤١ - وَاللَّهُ لَوْ قُلْنَا الَّذِي قَالَ الصَّحَا بَةً وَالْأَلَى مِنْ بَعْدِهِمْ بِلِسَانِ

٣٧٤٢ - لَرَجَّمْتُمُونَا بِالْحِجَارَةِ إِنْ قَدَرْتُمْ بَعْدَ رَجْمِ الشَّتْمِ وَالْعُدْوَانِ

سبحان الله! يقول: لو قلنا ما قاله الصحابة في هذا وغيره لرجتمونا بالقول وبالفعل، بالقول بالسب والشتم، والفعل بالحجارة.

٣٧٤٣ - وَاللَّهُ قَدْ كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ بَعْضَ مَقَالِهِمْ يَا أُمَّةَ الْعُدْوَانِ

قوله: «كفرتُم من قال بعض مقالهم»؛ يعني: بعض مقال أهل الإثبات لصفات الله عز وجل، فكيف بمن قال كل القول؟! ولهذا من شأن أهل البدع أن بعضهم يكفّر من سواهم من أهل البدع الآخرين، ويكفّر أهل السنة، ولا يباليون في هذا، فالتكفير عندهم كالتهليل والتسييح، فهو من أسهل ما يكون، بخلاف أهل السنة، فأهل السنة لا يكفّرون إلا بدليل صريح ولا يضلّون إلا بدليل صريح، وإذا احتمل الكفر أو التّضليل حملوه على التّضليل؛ لأنه متيقن، والكفر شيء زائد كما ذكره شارح الطحاوية وغيره على أن مذهب أهل السنة والجماعة هو التّائي والتّثبت والتّوقف في التكفير.

٣٧٤٤ - وَجَعَلْتُمْ الْجِسْمَ الَّذِي قَدَرْتُمْ بُطْلَانَهُ طَاعُوتَ ذَا الْبُطْلَانِ

٣٧٤٥ - وَوَضَعْتُمْ لِلْجِسْمِ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى رُوفٍ بِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ

٣٧٤٦ - وَبَنَيْتُمْ نَفِي الصِّفَاتِ عَلَيْهِ فَاجْرَمْتُمْ لَكُمْ إِذْ ذَاكَ مَحْدُورَانِ

٣٧٤٧ - كَذَبٌ عَلَى لُغَةِ الرَّسُولِ وَنَفْيٌ إِذْ بَاتِ الْعُلُوُّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

- ٣٧٤٨ - وَرَكِبْتُمْ إِذْ ذَاكَ تَحْرِيفَيْنِ تَحْرِيْفَ الْحَدِيثِ وَتَحْرِيْفَ الْقُرْآنِ
 ٣٧٤٩ - وَكَسَبْتُمْ وَزَرَيْنِ وَزَرَ النَّفْسِ وَالتَّ
 ٣٧٥٠ - وَعَدَاكُمْ أَجْرَانَ أَجْرُ الصَّدَقِ وَالِ
 ٣٧٥١ - وَكَسَبْتُمْ مَقْتَيْنِ مَقْتِ الْهَيْكُمِ
 ٣٧٥٢ - وَلَبَسْتُمْ ثَوْبَيْنِ ثَوْبَ الْجَهْلِ وَالظَّنِّ
 ٣٧٥٣ - وَتَخَذْتُمْ طِرْزَيْنِ طِرْزَ الْكِبْرِ، وَالتَّ
 ٣٧٥٤ - وَمَدَدْتُمْ نَحْوَ الْعُلَى بَاعَيْنِ لِ
 ٣٧٥٥ - وَأَتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا
 ٣٧٥٦ - وَغَلَقْتُمْ بَابَيْنِ لَوْ فُتِحَا لَكُمْ
 ٣٧٥٧ - بَابَ الْحَدِيثِ وَبَابَ هَذَا الْوَحْيِ مَنْ
- رِيْفَ الْحَدِيثِ وَتَحْرِيْفَ الْقُرْآنِ
 تَحْرِيْفَ فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلَانِ
 إِيمَانٍ حَتَّى فَاتَكُمْ حَظَّانِ
 وَالْمُؤْمِنِينَ فَتَالَكُمْ مَقْتَانِ
 ظَلَمِ الْقَبِيْحِ فَبِئْسَتْ الثَّوْبَانِ
 تِيهِ الْعَظِيمِ فَبِئْسَتْ الطَّرْزَانِ
 كِنْ لَمْ تَطُلْ مِنْكُمْ لَهَا الْبَاعَانِ
 لَكِنْ تَسَوَّرْتُمْ مِنَ الْحَيْطَانِ
 فُرْتُمْ بِكُلِّ بَشَارَةٍ وَتَهَانِي
 يَفْتَحُهُمَا فَلْيَهْنِهِ الْبَابَانِ

الشرح

- ٣٧٤٤ - وَجَعَلْتُمْ الْجِسْمَ الَّذِي قَدَّرْتُمْ
 قَوْلُهُ: «وَجَعَلْتُمْ الْجِسْمَ»؛ يعني: قولهم: «لو كان الله فوق لكان جسماً»، ولو
 كان متصفاً بالصفات لكان جسماً، وهكذا.
 يعني: أن الجسم جعلوه هو المعول الذي يهدمون به جميع نصوص الصفات،
 فجعلتموه طاغوت الهدم؛ أي: هدم ما جاء به القرآن والسنة من الصفات؛ ولهذا قال:
 ٣٧٤٥ - وَوَضَعْتُمْ لِلْجِسْمِ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى
 رُوفٍ بِهِ فِي وَضْعِ كُلِّ لِسَانٍ

لَأَتَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الْجِسْمَ هُوَ مَا قَامَ بغيرِهِ بِمعنى: أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، ثُمَّ شَرَعُوا
يَنْفُونَ كُلَّ هَذَا.

٣٧٤٦- وَبَنَيْتُمْ نَفِي الصِّفَاتِ عَلَيْهِ فَاجْرَ تَمَعَتْ لَكُمْ إِذْ ذَاكَ مَحْدُورَانَ

٣٧٤٧- كَذِبٌ عَلَى لُغَةِ الرَّسُولِ وَنَفِي إِثْبَاتِ الْعُلُوِّ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

إِذَنْ رَكَبُوا مَفْسَدَتَيْنِ:

المفسدة الأولى: الكذب على اللُّغة، حيث وضعوا للجسم معنى لا يُعْرَفُ
في اللُّغة العربيَّة، وهذا كَذِبٌ عَلَيْهَا، والكذب على اللُّغة العربيَّة يقتضي إِبْطَالَ
دلالة الكتاب والسُّنَّة؛ لأنَّ الكتاب والسُّنَّة إِنَّمَا كَانَا بِاللُّغَةِ العربيَّة.

والمفسدة الثانية: نفي ما جاء به القرآن والسُّنَّة من إثبات العلوِّ لفاطر الأكوان؛
لَأَتَّهُمْ قَالُوا: إِذَا كَانَ فِي الْعُلُوِّ وَهُوَ عَلَى الْعَرْشِ صَارَ جِسْمًا عَلَى جِسْمٍ، وَالْجِسْمُ
مَحْدُودٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْهَدْيَانِ.

٣٧٤٨- وَرَكِبْتُمْ إِذْ ذَاكَ تَحْرِيفَيْنِ تَحْرِيْفَ الْحَدِيثِ وَتَحْرِيْفَ الْقُرْآنِ

إِذَنْ حَرَّفُوا الْقُرْآنَ، وَحَرَّفُوا السُّنَّةَ، فَهَذَا تَحْرِيفَانِ.

٣٧٤٩- وَكَسَبْتُمْ وَزْرَيْنِ وَزَرَ النَّفْيِ وَالتَّحْرِيفِ فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَسَبْتُمْ وَزْرَيْنِ وَزَرَ النَّفْيِ وَالتَّحْرِيفِ» الْوَزْرُ الْأَوَّلُ: وَزَرَ النَّفْيِ،
وَالْوَزْرُ الثَّانِي: وَزَرَ التَّحْرِيفِ.

قَوْلُهُ: «فَاجْتَمَعَتْ لَكُمْ كِفْلَانِ»؛ يَعْنِي: مِنَ الْإِثْمِ وَالْوَزْرِ، وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ،
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً
سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النِّسَاء: ٨٥].

٣٧٥٠- وَعَدَاكُمْ أَجْرَانِ أَجْرُ الصَّادِقِ وَالْإِيمَانِ حَتَّى فَاتَكُمْ حَظَّانِ
سبحان الله! كُلُّهَا اثْنَانِ اثْنَانِ.

قَوْلُهُ: «وَعَدَاكُمْ أَجْرَانِ أَجْرُ الصَّادِقِ وَالْإِيمَانِ»؛ أي: أَجْرُ الصَّادِقِ فِيهَا تَقُولُونَ، وَالثَّانِي: أَجْرُ الْإِيمَانِ، حَتَّى فَاتَكُمْ حَظَّانِ.

٣٧٥١- وَكَسَبْتُمْ مَقْتَيْنِ مَقْتِ الْهَكْمِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَتَالَكُمْ مَقْتَانِ
المَقْتُ أَشَدُّ الْبُغْضِ، فَهَمْ نَالُوا بِتَعْطِيلِهِمْ وَتَحْرِيفِهِمْ مَقْتَيْنِ: مَقْتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالثَّانِي: مَقْتِ الْمُؤْمِنِينَ.

٣٧٥٢- وَلَبِستُمْ ثَوْبَيْنِ ثَوْبَ الْجَهْلِ وَالظُّمِّ ظَلَمَ الْقَبِيحِ فَبِستِ الثَّوْبَانِ
الثَّوْبُ الْأَوَّلُ: الْجَهْلُ؛ لِأَنَّهُمْ جَهِلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ، فَوَصَفُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بِمَا لَمْ يَصِفْ بِهِ نَفْسَهُ فَضَلُّوا.

وَالثَّانِي: ثَوْبُ الظُّمِّ وَالْعُدْوَانِ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَسْبُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ، وَيَرْمُونَهِمْ بِالْقَابِ السُّوءِ، فَيَقُولُونَ: هُمْ حَشَوِيَّةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوَابِتُ غِثَاءٍ عَامَّةٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَهَذَا ظَلَمٌ قَبِيحٌ.

٣٧٥٣- وَتَخَذْتُمْ طِرْزَيْنِ طِرْزَ الْكِبْرِ، وَالْتِيبِ الْعَظِيمِ فَبِستِ الطَّرْزَانِ
هَذَا أَيْضًا فَعَلُوهُ، الْكِبْرُ، وَهُوَ عَدَمُ قَبُولِ الْحَقِّ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١)، وَالتَّيْبُ التَّرْفَعُ عَلَى النَّاسِ، وَالْإِعْجَابُ بِالنَّفْسِ حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمُ الْمُعْصِمُونَ، وَأَنَّ غَيْرَهُمْ هُمُ الضَّالُّونَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (٩١).

٣٧٥٤- وَمَدَدْتُمْ نَحْوَ الْعُلَىٰ بِأَعْيُنٍ لَّـ كِنٍ لَّمْ تَطُلْ مِنْكُمْ لَهَا الْبَاعَانَ

قَوْلُهُ: «وَمَدَدْتُمْ نَحْوَ الْعُلَىٰ بِأَعْيُنٍ» «الْعُلَىٰ»: معالي الرتب، وهم يظنون أنهم هم أهل الحق وأهل العدل.

يعني: أنهم مدّوا بأعينٍ لينالوا العُلَى، ولكن عجزوا عن نيل العُلَى؛ لأنهم ما صدقوا، لو صدقوا لنالوا العُلَى؛ لأنَّ الله يقول: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، لكنهم لم يصدقوا في هذا، إنما أرادوا انتصار قولهم فقط.

٣٧٥٥- وَأَتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَىٰ أَبْوَابِهَا لَكِنَّ تَسَوَّرْتُمْ مِنَ الْحَيْطَانِ

قَوْلُهُ: «أَتَيْتُمُوهَا مِنْ سِوَىٰ أَبْوَابِهَا»؛ أي: أتيتم المسألة من سوى أبوابها، وإذا أتى الإنسان الشيء من سوى أبوابه فلا بُدَّ أن يتسوّر الجدران تسوّرًا، والدّاخِلُ على هذه الصّفة ليس بدّاخِلٍ دخولًا مشروعًا مستقرًّا، ومعلومٌ أنّ الله تعالى أرشدنا أن نأتي البيوت من أبوابها.

٣٧٥٦- وَعَلَقْتُمْ بَابَيْنِ لَوْ فُتِحَا لَكُمْ فُرْتُمْ بِكُلِّ بَشَارَةٍ وَتَهَانِي

٣٧٥٧- بَابَ الْحَدِيثِ وَبَابَ هَذَا الْوَحْيِيِّ مَنْ يَفْتَحُهَا فَلْيَهْنَهُ الْبَابَانِ

يعني: أنّكم غلّقتُم على أنفسكم بابين: باب السنّة وباب القرآن؛ لأنهم رجعوا -فيا يُثبتون وَيَنفون عن الله- إلى العقل، وتركوا الكتاب والسنّة، ضربوا عنها صفحاتًا، نسأل الله العافية.

٣٧٥٨- وَفَتَحْتُمْ بَابَيْنِ مَنْ يَفْتَحُهَا تُفْتَحُ عَلَيْهِ مَوَاهِبُ الشَّيْطَانِ

٣٧٥٩- بَابَ الْكَلَامِ وَقَدْ نُهَيْتُمْ عَنْهُ وَالْبَابُ الْحَرِيقُ فَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

- ٣٧٦٠- فَدَخَلْتُمْ دَارَيْنِ دَارَ الْجَهْلِ فِي الدُّ
 ٣٧٦١- وَطَعِمْتُمْ لَوْنَيْنِ لَوْنَ الشُّكِّ وَالتَّ
 ٣٧٦٢- وَرَكِبْتُمْ أَمْرَيْنِ كَمْ قَدْ أَهْلَكَا
 ٣٧٦٣- تَقْدِيمُ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى الَّذِي
 ٣٧٦٤- وَالثَّانِي نَسَبْتُهُمْ إِلَى الْإِلْغَاذِ وَالتَّ
 ٣٧٦٥- وَمَكْرَتُمْ مَكْرَيْنِ لَوْ تَمَّا لَكُمْ
 ٣٧٦٦- أَطْفَأْتُمْ نُورَ الْكِتَابِ وَسُنَّةَ الـ
 ٣٧٦٧- لَكِنَّكُمْ أَوْقَدْتُمُوهُمُ لِلْحَرْبِ نَا
 ٣٧٦٨- وَاللَّهُ مُطْفِئُهَا بِالسَّنَةِ الْأَلَى
 ٣٧٦٩- وَاللَّهُ لَوْ غَرِقَ الْمُجَسِّمُ فِي دَمِ التَّ
 ٣٧٧٠- فَالْتَّصُّ أَعْظَمُ عِنْدَهُ وَأَجَلُّ قَدْ
- دُنْيَا وَدَارَ الْخِزْيِ فِي النَّيْرَانِ
 تَشْكِيكَ بَعْدُ فَبُشِّتِ اللَّوْنَانِ
 مِنْ أُمَّةٍ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 قَالَ الرَّسُولُ وَمُحَكَّمِ الْقُرْآنِ
 تَلْبِيسِ وَالتَّذْلِيسِ وَالكِثْمَانِ
 لَتَفَصَّصَتْ فِينَا عُرَى الْإِيمَانِ
 هَادِي بَذَا التَّخْرِيفِ وَالْهَدْيَانِ
 رَابِعَيْنِ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلَفَانِ
 قَدْ خَصَّصَهُمُ بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 تَجَسِّيمٍ مِنْ قَدَمٍ إِلَى الْأَذَانِ
 رَأَى أَنْ يُعَارِضَهُ بِقَوْلِ فُلَانِ

الشرح

٣٧٥٨- وَفَتَحْتُمْ بَابَيْنِ مَنْ يَفْتَحُهُمَا تُفْتَحُ عَلَيْهِ مَوَاهِبُ الشَّيْطَانِ

وَبُشِّتِ الْمَوَاهِبُ، لَكِنْ مَا هُمَا الْبَابَانِ؟ قَالَ:

٣٧٥٩- بَابُ الْكَلَامِ وَقَدْ مُهِيتُمْ عَنْهُ وَالْحَرِيقُ فَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

هَذَانِ الْبَابَانِ، فَتَحُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بَابَ الْكَلَامِ، وَالْكَلَامُ كَمَا سَبَقَ هُوَ إِثْبَاتُ

العقائد بالعقول المبنية على المجادلات والمناظرات؛ ولهذا سُموا أهل الكلام؛ لكثرة كلامهم وثرثرتهم وخوضهم في أمور لا تعنيهم، في أمور يصدّق عليها قول النبي ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(١)، ولو أنّهم أخذوا العقيدة من أبوابها بسهولة ويسرٍها وعدم التنطّع فيها لكان أسلم لهم.

الباب الثاني: باب المنطق والفلسفة المتلقاة من اليونان، والذي صار سبباً لردّ نصوص الكتاب والسنة.

فهم فتحوا علينا البابين: باب الكلام وباب المنطق، وأغلقوا بابين: باب الكتاب وباب السنة.

وقول المؤلف: «وَقَدْ نُهَيْتُمْ عَنْهُ» مَنْ الَّذِي نَهَاكُمْ؟ إِنْ شِئْنَا قُلْنَا: نَهَى عَنْهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - حَيْثُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»^(٢)، وَإِنْ شِئْنَا قُلْنَا: نَهَى عَنْهُ السَّلْفُ وَحَذَرُوا مِنْهُ، حَتَّى إِنَّ الشَّافِعِيَّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - قَالَ: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ وَالْأَسْوَاقِ، وَيَقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ»^(٣)، هَذَا حُكْمُ الشَّافِعِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي أَهْلِ الْكَلَامِ، وَهَذَا حُكْمٌ صَارَ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ نَهْيِهِمْ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ وَرَضِيَ عَنْهُمْ - عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ، ثُمَّ إِنَّهُ يَدْخُلُ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ، هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(٤)، فَمَثَلًا لِلصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لَمَّا قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧٣/٢٨)، رقم (١٧١٤٤). وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٩).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ»^(١)، سَلِّمُوا وَاسْتَسَلِمُوا وَآمَنُوا، أَمَّا أَهْلُ الْكَلَامِ فَقَالُوا: كيف ينزل وهو على العرش؟ كيف ينزل والسَّمَاوَاتُ ليست بشيءٍ بالنسبة له، هي كالخردلة في يدِ أحدنا؟ كيف يكون هذا؟ فأوردوا وشكَّكوا وسدُّوا على أنفسهم بابَ اليقين، ولو أتهم سَلِّمُوا كما سَلَّمَ الصَّحَابَةُ لَسَلِّمُوا، لكنهم -والعياذُ بالله- تنطَّعوا فَهَلَكُوا.

٣٧٦٠- فَدَخَلْتُمْ دَارَيْنِ دَارَ الْجَهْلِ فِي الدُّنْيَا وَدَارَ الْخِزْيِ فِي النَّيْرَانِ

لَمَّا فَتَحُوا بَابَيْنِ: بابَ الكلامِ والمنطقِ دخلوا دَارَيْنِ:

الدَّارِ الْأُولَى: دار الجهل في الدنيا؛ لأنَّ أَهْلَ الْكَلَامِ وَأَهْلَ الْمُنْطِقِ أَجْهَلُ النَّاسِ بِاللَّهِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، وَأَعْلَمُ النَّاسِ بِاللَّهِ مَنْ اتَّبَعَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ.

الدَّارِ الثَّانِيَةِ: «دَارَ الْخِزْيِ فِي النَّيْرَانِ» وهي جهنم، فهي دارُ الخزيِّ والذُّلِّ.

٣٧٦١- وَطَعِمْتُمْ لَوْنَيْنِ لَوْنِ الشَّكِّ وَالنَّوَانِ تَشْكِيكَ بَعْدُ فَبَسَّتِ اللَّوْنَانِ

طَعِمُوا لَوْنَ الشَّكِّ وَالتَّشْكِيكَ، الشَّكُّ فِي أَنْفُسِهِمْ وَالتَّشْكِيكَ لِغَيْرِهِمْ؛ وَهَذَا تَجْدُّ كِتَابِهِمْ كُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالتَّشْكِيكَ النَّاتِجِ عَنْ شَكِّهِمْ، فَأَكْثَرُ النَّاسِ شَكَّاءُ هُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ وَلَا سِيَّامًا عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا، فَتَجْدُّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ -نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْحِمَايَةَ- عِنْدَ فِرَاقِ الدُّنْيَا يَشْكُ، بَلْ رُبَّمَا يَصُلُّ بِهِ الشَّكُّ إِلَى الْخَالِقِ جَلَّ وَعَلَا، تَجْدُّ كِتَابَ أَهْلِ السُّنَّةِ كَكِتَابِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَابْنِ الْقَيِّمِ كُلُّهَا مَمْلُوءَةٌ بِالْيَقِينِ وَالِاسْتِدْلَالِ وَالِإِيمَانِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُبَيِّنَنَا وَإِيَّاكُمْ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم (٧٥٨).

٣٧٦٢- وَرَكِبْتُمْ أَمْرَيْنِ كَمَا قَدْ أَهْلَكَا مِنْ أُمَّةٍ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

٣٧٦٣- تَقْدِيمُ آرَاءِ الرَّجَالِ عَلَى الَّذِي قَالَ الرَّسُولُ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

يُحَاطَبُ هَؤُلَاءِ الْمُعْطَلَةَ بِأَنَّهُمْ رَكَبُوا أَمْرَيْنِ أَهْلَكَا الْأُمَّةَ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ وَهُمَا:

الأمر الأوّل: تقديم آراء الرجال على الكتاب والسنة لقوله: «تقديم آراء الرجال على الذي قال الرسول ومحكم القرآن»؛ يعني: «وعلى محكم القرآن»، فإذا أتيتهم بدليل من الكتاب والسنة، قالوا: قال فلان كذا وكذا، فعارضوا قول الله ورسوله بقول فلان، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر»^(١).

فهذا أبو بكر وعمر رضي الله عنهما إذا عارض أحد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقولها فإنه يوشك أن تنزل عليه حجارة من السماء، فكيف بمن يعارض قول الله ورسوله بقول من هو أدنى منها بكثير؟! يكون هذا أقرب إلى العقوبة ممن عارض قول الله ورسوله بقول أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

الأمر الثاني: يقول:

٣٧٦٤- وَالثَّانِي نِسْبَتُهُمْ إِلَى الْإِلْعَازِ وَالتَّوَلَّيْسِ وَالتَّوَلَّيْسِ وَالتَّوَلَّيْسِ وَالتَّوَلَّيْسِ

لأنهم إذا عطّلوا النصوص عن المراد بها صارت النصوص في ظواهرها تلبيساً والغازاة، وليست دالة على الهدى في ظاهرها، وإنما تدل على الضلال على

(١) أخرج الإمام أحمد نحوه بلفظ: «أراهم سيهلكون أقول: قال النبي صلى الله عليه وسلم ويقول: يمشى أبو بكر وعمر». أخرجه أحمد (١/٣٣٧)، رقم (٣١٢١).

زعمهم؛ لأنهم إنما أولوها ظناً منهم أنّها تستلزم التشبيه فأولوها لهذا السبب؛ لأنه إذا كان قول الله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: «جاء أمر ربك» فهذا لغز لا يفهمه أحد؛ لأن المفهوم منه أن الله جاء بنفسه.

وإذا قالوا: المراد باليد: «القدرة» أو «القوة» أو «النعمة» أو ما أشبه ذلك، فقد جعلوا هذا القرآن ألغازاً؛ لأن من يفهم أن المراد بها القدرة أو النعمة أو القوة، وظهرها أنّها اليد الحقيقية.

فهم ركبوا شيئين: أولاً: تقديم آراء الرجال على الوحي: «الكتاب والسنة»، والثاني: نسبة الكتاب والسنة إلى الإلغاز والتليس والتدليس والكتمان؛ لأنه إذا كان الحق في مثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]: إذا كان حقاً أنه «جاء أمر ربك» فهذا يُعتبر ألغازاً وتليساً وتدليساً وكتماً للحق؛ لأنه لم تأت آية أخرى تدل على أن المراد: «جاء أمر ربك».

وأما قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، فليس من هذا الباب، بل المراد أمر الله تعالى الكوني الذي سيكون يوم القيامة والذي كانوا يقولون: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟

٣٧٦٥- وَمَكَرْتُمْ مَكْرِينَ لَوْ تَمَّ لَكُمْ لَتَفَصَّصْتُمْ فِينَا عَرَى الْإِيمَانِ

٣٧٦٦- أَطْفَأْتُمْ نُورَ الْكِتَابِ وَسُنَّةِ الْهَادِي بِذَا التَّحْرِيفِ وَالْهَدْيَانِ

٣٧٦٧- لَكِنَّكُمْ أَوْقَدْتُمُوهَا لِلْحَرْبِ نَا رَابِعِينَ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلِفَانِ

قوله: «بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلِفَانِ» هذا غريب من المؤلف، لكنه -رحمه الله- يأتي مرة بالكلام على لغة، ومرة على لغة، فهنا مثلاً: «بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ» أعرب المثني على

الإعراب المشهور أنه يُجْرُ بالياء، ثُمَّ قَالَ: «مُخْتَلِفَانِ»: صِفَةٌ لـ «طَائِفَتَيْنِ»، لَكِنَّهَا بِالْأَلْفِ بِنَاءً عَلَى لُغَةٍ مَنْ يُلْزِمُ الْمَثْنَى الْأَلْفَ مَطْلَقًا، فَبَعْضُ الْعَرَبِ يُلْزِمُ الْمَثْنَى الْأَلْفَ مَطْلَقًا، وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَأَهْلَ لِرْيَاثَمٍّ وَأَهَا وَأَهَا
يَا لَيْتَ عَيْنَاهَا لَنَا وَفَاهَا^(١)

ولو مشى على المشهور لقال: «عَيْنَيْهَا»، وقد يكون أراد أن يقول: «مُخْتَلِفَتَيْنِ» لكن لضيق النظم قال: «مُخْتَلِفَانِ».

هم مكروا مكرين: أطفؤوا نور الكتاب والسنة، وأوقدوا نار الحرب بين الطوائف.

قَوْلُهُ: «بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مُخْتَلِفَانِ» الطائفتان المختلفتان هما أهل التعطيل وأهل التمثيل، أهل التعطيل غلّوا في التنزيه، وأهل التمثيل غلّوا في الإثبات.

فهم أطفؤوا نور الكتاب والسنة؛ لأنه إذا صرّفت نصوص الكتاب والسنة عن ظاهرها زال رونقها وزال نورها، وصارت كلمات مزوجة لا تفيد اليقين.

٣٧٦٨- وَاللَّهُ مُطْفِئُهَا بِاللِّسْنَةِ الْأَلْيِ قَدْ خَصَّصَهُم بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

ولا شك أن الذين أوقدوا الحرب بين الأمة بهذه التحريفات وهذا التعطيل أتهم أوقدوها، ولكن الله أطفأها باللسنة الألي؛ يعني: «الذين» قد خصصهم بالعلم والإيمان.

٣٧٦٩- وَاللَّهُ لَوْ عَرِقَ الْمُجَسِّمُ فِي دَمِ التَّجْسِيمِ مِنْ قَدَمٍ إِلَى الْأَدَانِ

(١) البيت لأبي النجم، كما في صحاح الجوهري (٦/٢٢٥٧).

٣٧٧٠- فَالنَّصُّ أَعْظَمُ عِنْدَهُ وَأَجَلٌ قَدْ رَأَى أَنْ يُعَارِضَهُ بِقَوْلِ فُلَانٍ

الله أكبر، المُجَسِّمُ - على زعمهم - يقول: لو غرِق في دم التَّجْسِيمِ من قدمه إلى أُذُنِهِ بتمويهكم وتمثيلكم عنه لكان النَّصُّ عنده أعظم وأجلَّ قدرًا من أن يُعَارِضَهُ بقولِ فُلَانٍ؛ يعني: فقولوا ما شئتم، لا يهْمُنَا أن ترمونا بالتَّجْسِيمِ وأن تجعلوننا من القدمِ إلى الأذانِ مُجَسِّمَةً، لا يهْمُنَا هذا، فلن نُقدِّمَ قولَ أحدٍ على قولِ الله ورسوله.

وهذا ثناءٌ من المؤلِّف - رحمه الله تعالى - على أهلِ الإثباتِ بالثَّباتِ، وعدمِ معارضةِ النُّصوصِ بالآراءِ.

فصل

فِي كَسْرِ الطَّاعُوتِ الَّذِي نَفَوْا بِهِ صِفَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالْجَبْرُوتِ

- ٣٧٧١- أَهْوَنُ بَدَا الطَّاعُوتِ لَا عَزَّ اسْمُهُ
 ٣٧٧٢- كَمْ مِنْ أَسِيرٍ بَلَّ جَرِيحٍ بَلَّ قَتِيٍّ
 ٣٧٧٣- وَتَرَى الْجَبَانَ يَكَادُ يُخْلَعُ قَلْبُهُ
 ٣٧٧٤- وَتَرَى الْمُحَنَّتَ حِينَ يُقْرَعُ سَمْعُهُ
 ٣٧٧٥- وَيَظَلُّ مَنْكُوحًا لِكُلِّ مُعْطَلٍ
 ٣٧٧٦- وَتَرَى صَبِيَّ الْعَقْلِ يُفْرِغُهُ اسْمُهُ
 ٣٧٧٧- كُفْرَانَ هَذَا الْإِسْمِ لَا سُبْحَانَهُ
 ٣٧٧٨- كَمْ ذَا التَّرْسُ بِالْمَحَالِ أَمَا تَرَى
 ٣٧٧٩- جِسْمٌ وَتَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهُ أَمَا
 ٣٧٨٠- أَنْتُمْ وَصَعْتُمْ ذَلِكَ الطَّاعُوتَ ثُمَّ
 ٣٧٨١- وَجَعَلْتُمُوهُ شَاهِدًا بَلَّ حَاكِمًا
 ٣٧٨٢- أَعَلَى كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ
 ٣٧٨٣- فَقَضَاؤُهُ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ مِثْلُ
- طَاعُوتُ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ
 لِي تَحْتَ ذَا الطَّاعُوتِ فِي الْأَزْمَانِ
 مِنْ لَفْظِهِ تَبَّأ لِكُلِّ جَبَانٍ
 تَبْدُو عَلَيْهِ شَمَائِلُ النَّسْوَانِ
 وَلِكُلِّ زَنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانِ
 كَالْغُولِ حِينَ يُقَالُ لِلصَّبِيَّانِ
 أَبَدًا وَسُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 قَدْ مَرَّقْتَهُ كَثْرَةَ السَّهْمَانِ
 تَعْيُونَ مِنْ فَشْرِ وَمِنْ هَدْيَانِ
 مَ بِهِ نَفَيْتُمْ مُوجِبَ الْقُرْآنِ
 هَذَا عَلَى مَنْ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
 بِاللَّهِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ
 لِقِيَامِهِ بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ

٣٧٨٤- وَقِيَامُهُ بِالزُّورِ مِثْلُ قَضَائِهِ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «الطَّاغُوتِ» أصلُ الطَّاغُوتِ مِنَ الطُّغْيَانِ، وهو مجاوزةُ الحدِّ، ومعلومٌ أنَّ الطَّاغُوتَ فيه تاءٌ زائدةٌ؛ لأنَّه إذا كان مِنَ الطُّغْيَانِ فأصولُ الحروفِ: طاءٌ، وغينٌ، وياءٌ، والتَّاءُ زائدةٌ، وتُزَادُ التَّاءُ في آخِرِ الكَلِمَةِ للمبالغةِ أحيانًا كما في قولِهِم: «فَلانٌ عَلامةٌ»؛ أي: كثيرُ العلمِ، قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل: ١٢٠]؛ أي: إمامًا، لكنَّه أهلٌ للإمامةِ، فما هو الطَّاغُوتُ؟ قال رحمه اللهُ:

٣٧٧١- أَهْوَنُ بِذَا الطَّاغُوتِ لَا عَزَّ اسْمُهُ طَاغُوتُ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

قَوْلُهُ: «أَهْوَنُ بِذَا» صيغةٌ تعجُّبٍ؛ يعني: ما أهونُهُ! ومثُلُ هذه الصِّيغَةِ قولُهُ تعالى: ﴿أَسْبَغَ بِهِمْ وَأَبْصَرَ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ [مريم: ٣٨]؛ يعني: ما أسمعَهُم وما أبصرَهُم يَوْمَ يَأْتُونَنَا!

قَوْلُهُ: «لَا عَزَّ اسْمُهُ»؛ أي: لا ارتفعَ وغَلَبَ.

٣٧٧٢- كَمْ مِنْ أَسِيرٍ بَلَّ جَرِيحٍ بَلَّ قَتِيلٍ لِي تَحْتَ ذَا الطَّاغُوتِ فِي الْأَزْمَانِ

يعني: أن هذا الطَّاغُوتَ كان منه الأسرى، وكان منه الجُرْحَى، وكان منه القَتْلَى، فَتَرَقَّى المَوْلُفُ - رحمه اللهُ - مِنَ الأَهْوَنِ إِلَى الأَعْظَمِ.

٣٧٧٣- وَتَرَى الْجَبَانَ يَكَادُ يُخْلَعُ قَلْبُهُ مِنْ لَفْظِهِ تَبًّا لِكُلِّ جَبَانٍ

تَرَى الجَبَانَ يَكَادُ يُخْلَعُ قَلْبُهُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ، ثُمَّ قَالَ: «تَبًّا»؛ أي: خَسَارًا لِكُلِّ

جَبَانٍ.

٣٧٧٤- وَتَرَى الْمُخَنَّثَ حِينَ يُقْرَعُ سَمْعُهُ تَبْدُو عَلَيْهِ شَمَائِلَ النِّسْوَانِ

المُخَنَّثُ؛ يعني: الذي سَلَبَ الذُّكُورِيَّةَ عن نَفْسِهِ وَجَعَلَ نَفْسَهُ بِمَنْزِلَةِ النِّسْوَانِ، إِذَا سَمِعَ هَذَا الطَّاغُوتَ تَبْدُو عَلَيْهِ شَمَائِلَ النِّسْوَانِ؛ أَي: صِفَاتُ النِّسْوَانِ.

٣٧٧٥- وَيَظَلُّ مَنْكُوحًا لِكُلِّ مُعْطَلٍ وَلِكُلِّ زَنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانَ

يعني: أَتَمُّ يَجْعَلُونَهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَرَأَةِ، يُهَيِّنُونَهُ بِالنِّكَاحِ.

٣٧٧٦- وَتَرَى صَبِيَّ الْعَقْلِ يُفْرِعُهُ اسْمُهُ كَالْغُولِ حِينَ يُقَالُ لِلصَّبِيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَتَرَى صَبِيَّ الْعَقْلِ يُفْرِعُهُ اسْمُهُ» «صَبِيَّ الْعَقْلِ»؛ يَعْنِي: الَّذِي عَقْلُهُ صَغِيرٌ لَمْ يَشْتَدَّ يَفْرِعُهُ اسْمُهُ.

قَوْلُهُ: «كَالْغُولِ حِينَ يُقَالُ لِلصَّبِيَّانِ» الْغُولُ يُخَوِّفُ بِهِ الصَّبِيَّانَ، يُقَالُ لِلصَّبِيِّ: اسْكُتْ حَتَّى لَا يَأْتِيكَ الْغُولُ، وَالْغُولُ هَذَا لَيْسَ لَهُ أَصْلٌ.

٣٧٧٧- كُفْرَانَ هَذَا الْإِسْمِ لَا سُبْحَانَهُ أَبَدًا وَسُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ

الْمُؤَلَّفِ فِي الْأَوَّلِ قَالَ: «لَا عَزَّ اسْمُهُ»، وَقَالَ: «أَهْوَنُ بَدَأًا»، وَهَذَا صَرَّحَ بِأَنَّهُ كَافِرٌ بِهَذَا الطَّاغُوتِ، وَأَنَّهُ لَا يُنَزَّهُهُ وَلَا يُعَظَّمُهُ وَلَا يَرَاهُ شَيْئًا، وَسُبْحَانَ الْعَظِيمِ الشَّانِ!

٣٧٧٨- كَمْ ذَا التَّرْسُ بِالْمَحَالِ أَمَا تَرَى قَدْ مَزَّقْتَهُ كَثْرَةَ السَّهْمَانِ

يعني: كَمْ تَتَرَسَّوْا بِهَذَا الْمَحَالِ! وَلَكِنْ سُهْمَانُ أَهْلِ الْحَقِّ تُحَرِّقُهُ وَتُحَرِّقُهُ لَكِنْ مَا هَذَا الَّذِي يَتَكَلَّمُ عَنْهُ الْمُؤَلَّفُ حَتَّى جَعَلْنَا نَشْتَأِقُ وَنَتَطَلَّعُ، مَا هَذَا الطَّاغُوتُ؟ يَقُولُ:

٣٧٧٩- جِسْمٌ وَتَجْسِيمٌ وَتَشْبِيهٌُ أَمَا تَعْيُونَ مِنْ فَشْرِ وَمِنْ هَدْيَانِ

هذا هو الطَّاغُوتُ، إذا قلتَ: «إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» وضع يديه على رأسه متعجبًا مستنكرًا، قال: أعودُ بالله، جسمٌ على جسمٍ! إذا قلتَ: «يَأْتِي» قال: أعودُ بالله، جسمٌ، اتَّقِ اللَّهَ! خَفِ اللَّهَ! لا تصفِ اللَّهَ بالتَّجْسِيمِ، صَبِيَّ الْعَقْلِ يتوحَّشُ من هذا، والجبَانُ يهربُ منه، يقول: إِذْنُ أَعُوذُ بِاللَّهِ، أنا لا أَجَسِّمُ، هل إذا قلتُ: «استوى على العرشِ» أَكُونُ مُجَسِّمًا؟ قال: نعم، قال: إِذْنُ أَعُوذُ بِاللَّهِ من ذلك، إِذْنُ أَبْلِغْنِي -جزاك اللهُ خيرًا- ما معنى استوى على العرشِ؟ قال: معناه «استولى»، قال ذلك حتَّى لا يُجَسِّمُ، لِأَنَّهُ لَعِبَ بِهِ، قال: أنت إذا أَثَبْتَ هذا صِرْتَ مُجَسِّمًا، وَصِرْتَ من أَهْلِ التَّجْسِيمِ وَالتَّشْبِيهِ، وَالإِنْسَانُ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ إِدْرَاكٌ صَغِيرُ الْعَقْلِ يظنُّ أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ حَقِيقَةٌ فَيَتَوَقَّفُ، وَيَقُولُ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ التَّجْسِيمِ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمِ، ثُمَّ يُنْكِرُ الصِّفَاتِ الَّتِي أَثَبَّتَهَا اللَّهُ لِنَفْسِهِ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ الْبَاطِلَةِ.

إِذْنُ ابْنُ الْقَيْمِ بَيَّنَّ لَنَا بَعْدَ أَنْ جَعَلْنَا نَشْتَأِقُ إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا الطَّاغُوتِ بِأَنَّ الطَّاغُوتَ هُوَ التَّجْسِيمُ، الْغَارَةُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ بِالتَّجْسِيمِ.

وَتَقَدَّمَ أَنَّ الْمُؤَلَّفَ -رحمه الله- ذَكَرَ أَنَّ أَهْلَ التَّعْطِيلِ ارْتَكَبُوا طَاغُوتًا اعْتَدُوا بِهِ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَاسْتَطَالُوا بِهِ عَلَى النُّصُوصِ، هَذَا الطَّاغُوتُ هُوَ الْجَسْمُ وَالتَّجْسِيمُ، فَجَعَلُوهُ كَالْغُولِ عِنْدَ الصَّيَّانِ أَمَامَ الْعَامَّةِ، وَقَالُوا: مِنْ بَابِ التَّشْوِيهِ لِلْمَثْبُتَةِ قَالُوا: إِنَّهُمْ مُجَسِّمَةٌ، يَقُولُونَهُ أَمَامَ الْعَالَمِ، وَالْعَامَّةُ يظنُّونَ أَنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَعْنِي أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِمَّا ثَلَّ لِلْخَلْقِ، فَالْمُؤَلَّفُ بَيَّنَّ أَنَّ هَذَا خَطَأٌ فَقَالَ:

٣٧٨٠- أَنْتُمْ وَضَعْتُمْ ذَلِكَ الطَّاغُوتَ ثُمَّ م بِهِ نَفَيْتُمْ مُوجِبَ الْقُرْآنِ

٣٧٨١- وَجَعَلْتُمُوهُ شَاهِدًا بَلْ حَاكِمًا هَذَا عَلَى مَنْ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

جعلوه حاكماً وشاهداً على الله سبحانه وتعالى، فقالوا مثلاً: إِنَّ اللَّهَ إِذَا قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، ولو أَثَبَّتْنَا المعنى على ظاهره لَزِمَ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جَسَماً، وعلى هذا فننفي الاستواء، فجعلوا هذا الطَّاغُوتَ حاكماً على كتابِ الله وسُنَّةِ رسوله ﷺ، وجعلوه حَكَمًا يَرِجِعُونَ إليه في هذا الباب؛ ولهذا قال: «عَلَىٰ مَنْ يَا أُوْلِي الْعُدْوَانِ».

٣٧٨٢- أَعْلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِاللَّهِ فَاسْتَحْيُوا مِنَ الرَّحْمَنِ

يعني: أجمعلونه حَكَمًا على كتابِ الله وعلى رسولِ الله ﷺ؟! استحيوا من الله عزَّ وجلَّ، ولكن مَنْ كَانَ قَدْرُ اللَّهِ عنده موزونًا بعقله فَإِنَّهُ لم يستحي من الله، لأنَّ قَدْرَ اللَّهِ موزونٌ بالوحي «بالكتابِ والسُّنَّةِ».

٣٧٨٣- فَقَضَاؤُهُ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ مِنْ لُ قِيَامِهِ بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ

٣٧٨٤- وَقِيَامُهُ بِالزُّورِ مِنْ قَضَائِهِ بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

معنى كلام المؤلف: أَنَّ هَؤُلَاءِ قَضَوْا بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ كَمَا أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ، فَقَضَوْا بِالْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ حَيْثُ جَعَلُوا عَقُولَهُمْ حَكَمًا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، ثُمَّ قَضَوْا بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ حَيْثُ نَفَّوْا مَا أَثَبَّتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَأَثَبَتْهُ رَسُولُهُ ﷺ، وَقَالُوا: إِنَّ هَذَا يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ، فَجَمَعُوا بَيْنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ فِي الْقَوْلِ وَبَيْنَ الْجَوْرِ وَالْعُدْوَانِ فِي الْحُكْمِ.

- ٣٧٨٥- كَمْ ذِي الْجَعَاجِعِ لَيْسَ شَيْءٌ مَحْتَهَا إِلَّا الصَّدى كَالْبُومِ فِي الْخِرْبَانِ
- ٣٧٨٦- وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلٌ مُلْحِدِكُمْ وَقَدْ جَحَدَ الصِّفَاتِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ
- ٣٧٨٧- لَوْ كَانَ مَوْصُوفًا لَكَانَ مُرَكَّبًا فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ
- ٣٧٨٨- ذَا الْمَنْجِنِيقُ وَذَلِكَ الطَّاغُوتُ قَدْ هَدَمَا دِيَارَكُمُ إِلَى الْأَرْكَانِ
- ٣٧٨٩- وَاللَّهُ رَبِّي قَدْ أَعَانَ بِكُسْرٍ ذَا وَبِقَطْعٍ ذَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ
- ٣٧٩٠- فَلَيْنُ زَعَمْتُمْ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ لِمَقَالِكُمْ حَقًّا لَزُومَ بَيَانِ
- ٣٧٩١- فَلَنَا جَوَابَاتٌ ثَلَاثٌ كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ الْإِيضَاحِ وَالتَّبْيَانِ
- ٣٧٩٢- مَنَعُ اللُّزُومِ وَمَا بِأَيْدِيكُمْ سِوَى دَعْوَى مُجَرَّدَةٍ عَنِ الْبُرْهَانِ
- ٣٧٩٣- لَا يَرْتَضِيهَا عَالِمٌ أَوْ عَاقِلٌ بَلْ تَلْكَ حِيلَةٌ مُفْلِسٍ فَتَانَ

الشرح

- ٣٧٨٥- كَمْ ذِي الْجَعَاجِعِ لَيْسَ شَيْءٌ مَحْتَهَا إِلَّا الصَّدى كَالْبُومِ فِي الْخِرْبَانِ
- قَوْلُهُ: «الْجَعَاجِعُ» تَقَدَّمَ مَعْنَاهَا وَهِيَ الْأَصْوَاتُ الَّتِي لَا تَفِيدُ شَيْئًا، وَمِنْهُ الْمَثَلُ الْمَعْرُوفُ: «أَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا»؛ يَعْنِي: أَسْمَعُ أَصْوَاتًا مُزَعِجَةً مِنْ هَذَا الرَّحَى وَلَكِنْ لَا أَرَى طِحْنًا؛ يَعْنِي: لَا أَرَى طَحِينًا، وَهَذَا يَقُولُ: «إِلَّا الصَّدى كَالْبُومِ فِي الْخِرْبَانِ»؛ يَعْنِي: الْبُومُ فِي الْمَوَاضِعِ الْخَرِبَةِ تُصَوِّتُ وَتُدَوِّي وَلَكِنْ لَا تَفِيدُ شَيْئًا، فَهَذِهِ أَصْوَاتِكُمْ كَأَصْوَاتِ الْبُومِ فِي الْمَوَاضِعِ الْخَرِبَةِ لَا تَفِيدُ شَيْئًا.

- ٣٧٨٦- وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلٌ مُلْحِدِكُمْ وَقَدْ جَحَدَ الصِّفَاتِ لِفَاطِرِ الْأَكْوَانِ

٣٧٨٧- لَوْ كَانَ مَوْضُوعًا لَكَانَ مُرَكَّبًا فَالْوَصْفُ وَالتَّرْكِيبُ مُتَّحِدَانِ

هذا طاغوت آخر أيضًا، وهو أنه لو كان مُتَّصِفًا بِالصِّفَاتِ لَكَانَ مُرَكَّبًا مِنْ الصِّفَةِ وَالذَّاتِ، وَالتَّرْكِيبُ مَمْتَنَعٌ عَلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ التَّرْكِيبَ يَسْتَلْزِمُ الْحُدُوثَ وَافْتِقَارَ الْمُرَكَّبِينَ بَعْضُهُمَا إِلَى بَعْضٍ، وَحِينَئِذٍ يَجِبُ إِنْكَارُ الصِّفَاتِ.

٣٧٨٨- ذَا الْمَنْجِنِيقُ وَذَلِكَ الطَّاغُوتُ قَدْ هَدَمَا دِيَارَكُمُ إِلَى الْأَرْكَانِ

المؤلف - رحمه الله - جعل التَّجْسِيمَ طَاغُوتًا، وَجَعَلَ الْقَوْلَ بِأَنَّ الْوَصْفَ يَلْزِمُ مِنْهُ التَّرْكِيبُ جَعَلَهُ مَنْجِنِيقًا، وَالْمَعْنَى أَوْ الْمَوْدَى وَاحِدٌ؛ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِالتَّجْسِيمِ وَالتَّرْكِيبِ هُوَ رَدُّ مَا جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٣٧٨٩- وَاللَّهُ رَبِّي قَدْ أَعَانَ بِكُسْرٍ ذَا وَبِقَطْعِ ذَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

أَعَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ عَلَى كُسْرِ الطَّاغُوتِ وَعَلَى قَطْعِ الْمَنْجِنِيقِ فَتَهَدَّمَ - وَاللَّهُ الْحَمْدُ - بِنِيَاهِمُ، وَصَارُوا يُحْرِبُونَ بِيَوْتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ، ثُمَّ بَدَأَ الْمُؤَلَّفُ يُبَيِّنُ الْكُسْرَ وَالْقَطْعَ فَقَالَ:

٣٧٩٠- فَلَمَّا زَعَمْتُمْ أَنَّ هَذَا لَارِمٌ لِمَقَالِكُمْ حَقَّ الزُّومُ بَيَانِ

٣٧٩١- فَلَمَّا جَوَابَاتُ ثَلَاثُ كُلِّهَا

ثُمَّ ذَكَرَ الْجَوَابَ الْأَوَّلَ فَقَالَ:

٣٧٩٢- مَنَعَ الزُّومِ وَمَا بِأَيْدِيكُمْ سِوَى دَعْوَى مُجَرَّدَةٍ عَنِ الْبُرْهَانِ

٣٧٩٣- لَا يَرْتَضِيهَا عَالِمٌ أَوْ عَاقِلٌ بَلْ تِلْكَ حِيلَةٌ مُفْلِسٍ فَتَانَ

يعني: إِذَا قَالُوا: إِنَّهُ يَلْزِمُ مِنْ ثُبُوتِ الصِّفَةِ أَنْ يَكُونَ جِسْمًا، نَقُولُ: لَا يَلْزِمُ؛

لأنه ليس عندهم إلا دعوى فقط، والدَّعْوَى لنا أن نمنعها كما أنه لو ادَّعى شخصٌ على آخرَ بمئةِ ريالٍ فللمدَّعى عليه أن يمنع ويقول: «هاتِ البيِّنة»، فالأوَّل يقول: «مَنعُ اللُّزومِ».

إِذْ الجوابُ الأوَّلُ: هو منعُ اللُّزومِ، ونقول: لا تلازَمَ بين ثبوتِ الصِّفَةِ والجسمِ؛ إذ قد تثبَّت الصِّفَاتُ لغيرِ الأجسامِ، ألسنا نقول: هذا يومٌ طويلٌ؟ وهذا فصلٌ حارٌّ؟ الجوابُ: بلى، هل اليومُ جسمٌ؟ لا، بل هو زمنٌ ووقتٌ، فإذا قلتُم: يلزمُ من ثبوتِ الصِّفَةِ أن يكونَ جسمًا، قلنا: هذا ليس بلازمٍ، وهذه دعوى مجردةٌ منكم لا يقبلُها عالمٌ ولا عاقلٌ.

- ٣٧٩٤- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ مَنَعَ لُزُومِهِ
مِنْكُمْ مَكَابِرَةٌ عَلَى الْبُطْلَانِ
- ٣٧٩٥- فَجَوَابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعُ النَّفْيِ فِيهِ
مَا تَدَّعُونَ لُزُومَهُ بَيَّانِ
- ٣٧٩٦- إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَازِمًا لِلنَّصِّ وَالِ
مَلْزُومٌ حَقٌّ وَهُوَ ذُو بُرْهَانِ
- ٣٧٩٧- وَالْحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقُّ مِثْلُهُ
أَنَّى يَكُونُ الشَّيْءُ ذَا بُطْلَانِ
- ٣٧٩٨- وَيَكُونُ مَلْزُومًا بِهِ حَقًّا فَذَا
عَيْنُ الْمَحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٣٧٩٩- فَتَعَيَّنَ الْإِلْزَامُ حَيْثُ دِ عَلَى
قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
- ٣٨٠٠- وَجَعَلْتُمْ أَتْبَاعَهُ مَا نَسْتُرَا
خَوْفًا مِنَ التَّصْرِيحِ بِالْكَفْرَانِ
- ٣٨٠١- وَاللَّهُ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ
هَذِي مَقَالَتَنَا بِبَلَاكِتْهَانِ
- ٣٨٠٢- فَجَعَلْتُمُونَا جُنَّةً وَالْقَصْدُ مِنْهُ
وَمُومٌ فَنَحْنُ وَقَايَةُ الْقُرْآنِ

الشرح

٣٧٩٤- فَلَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ مَنَعَ لُزُومِهِ مِنْكُمْ مُكَابَرَةً عَلَى الْبُطْلَانِ

يعني: لو قلت: إن هذه مكابرة، ما هي المكابرة؟ منع اللزوم؛ يعني: منع التلازم؛ يعني: لو قالوا لنا: بل هذا لازم بلا شك، وكونكم تقولون: إنه ليس بلازم مكابرة، وقد تقدم أن قولنا بمنع التلازم ليس بمكابرة، ووجهه أنه قد يوصف الشيء بالصفة وليس بجسم، فمنعنا هذا صحيح وليس مكابرة؛ لأننا نقول: يوم طويل، وحر شديد، وما أشبه ذلك، وهذه ليست أجساماً، فمنعنا للتلازم ليس بمكابرة؛ لأننا وجدنا أنه يصح، فلا يكون مكابرة، ولكن مع ذلك على التنزيل:

٣٧٩٥- فَجَوَابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعِ النَّفْيِ فِيهِ — هَا تَدْعُونَ لُزُومَهُ بَيِّنَانِ

٣٧٩٦- إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَازِمًا لِلنَّصِّ وَالْمَلْزُومِ حَقٌّ وَهُوَ دُورُهُانِ

٣٧٩٧ وَالْحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقُّ مِثْلُهُ أَنْيَ يَكُونُ الشَّيْءُ ذَا بُطْلَانِ

٣٧٩٨- وَيَكُونُ مَلْزُومًا بِهِ حَقًّا فَذَا عَيْنُ الْمَحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ

الجواب الثاني أن نقول: إذا قلت: إننا مكابرون وأنه لا بُدَّ أن يكون الموصوف جسمًا، فإننا نقول: إذا كان كذلك فإننا لا نمنع الجسم؛ لأنه إذا كان ثبوت الجسم لازمًا لقول الله وقول رسوله؛ فإن قول الله وقول رسوله حق، ولازم الحق حق، ولا يمكن أن يكون لازم الحق باطلاً أبداً، كما أنه لا يمكن أن يكون لازم الباطل حقًا، فأنتم الآن إذا قلت: يلزم من ثبوت الصفة التي أثبتها الله لنفسه أن يكون الله جسمًا، قلنا من الذي أثبتته؟ الجواب: الله، وكلام الله حق، وحيث لا يكون الجسم حقًا؛ لأن لازم الحق حق، ولا يمكن أن يكون لازم الباطل باطلاً.

إِذْ نَلَقْمُهُمْ حَجْرًا، نقول: إذا كان إثباتُ الصِّفَاتِ التي أَثْبَتَهَا اللهُ لِنَفْسِهِ يستلزمُ التَّجْسِيمَ، والتَّجْسِيمُ حَقٌّ ونفيكم إِيَّاهُ خطأ، لماذا كان حَقًّا؟ لَأَنَّهُ لَازِمٌ لِلْحَقِّ، ولازمُ الحَقِّ حَقٌّ، لا يمكنُ أن يكونَ اللَّازِمُ باطلاً والملزومُ حَقًّا أبداً، ولا يمكنُ العكسُ، وهذا في الحقيقة حُجَّةٌ تُلقمُهُمْ حَجْرًا؛ ولهذا قال: «فَجَوَابُنَا الثَّانِي امْتِنَاعُ النَّفْيِ فِيمَا تَدْعُونَ لَزُومَهُ بِيَّانٍ»، ما هو الذي يدعون لزومه التَّجْسِيمِ أو الجسمية؟ نقول: نحن لا ننفيه، ونقول: هو ثابتٌ؛ لَأَنَّهُ لَازِمٌ الْحَقِّ على زعمكم، ولازمُ الحَقِّ حَقٌّ؛ ولهذا قال: «إِنْ كَانَ ذَلِكَ لَازِمًا لِلنَّصِّ وَالْمَلْزُومِ حَقًّا»، وَالْحَقُّ لَازِمُهُ فَحَقُّ مَا هُوَ الْمَلْزُومُ؟ النَّصُّ، وَاللَّازِمُ على قولهم: «الجسم».

قَوْلُهُ: «أَنِّي يَكُونُ الشَّيْءُ ذَا بَطْلَانٍ؟!» الشَّيْءُ الذي يَكُونُ ذَا بَطْلَانٍ على كلامهم التَّجْسِيمُ، فلازمُ الحَقِّ حَقٌّ، ولا يمكنُ أن يكونَ لازمُ الحَقِّ باطلاً، فإذا كان «الجسم» لازماً مما أَثْبَتَهُ اللهُ لِنَفْسِهِ فهو حَقٌّ، وإن لم يكن لازماً فإنه لا يصحُّ أن تلزمونا به.

٣٧٩٩- فَتَعَيَّنَ الْإِلْزَامُ حِينَئِذٍ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

على كُلِّ حَالٍ الْآنَ تَبَيَّنَ أَنَّ قَوْلَهُمْ هَذَا باطلٌ، الجوابُ الأوَّلُ: أن نمنع اللزومَ، ونقول: هذا مجردُ دعوى، فعليكم بالدليل.

الثَّانِي: سَلَّمْنَا جَدًّا أَنَّهُ لَازِمٌ، فإذا كان لازماً على قولِ اللهِ وقولِ رسوله فهو حَقٌّ؛ لأنَّ لازمَ الحَقِّ حَقٌّ، وحينئذٍ يلزمكم أن تقولوا به، ونحن إذا قلنا به فليس علينا حَرَجٌ، وهذا من أهمِّ ما يكونُ، وهو مُفيدٌ للإنسانِ في بابِ المناظرةِ، فإذا ناظرتَ كافرًا أو مُبتدعًا انتفع بهذا التَّقْرِيرِ، بقي الجوابُ الثالثُ وسيأتي - إن شاء اللهُ - بعد ذلك.

٣٨٠٠ - وَجَعَلْتُمْ أَتْبَاعَهُ مَا نَسْتُرًا حَوْفًا مِنَ التَّصْرِيحِ بِالْكَفْرَانِ
قَوْلُهُ: «بِالْكَفْرَانِ»، وفي نسخة: «وَالْكَفْرَانِ»، والأوَّلُ أَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ إِذَا
جَعَلْنَا «مَا نَسْتُرًا» هَذَا اسْمَ رَجُلٍ.

قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمْ أَتْبَاعَهُ»؛ أَي: أَتْبَاعَ الرَّسُولِ، وَالْخَطَابُ الْآنَ لِلْمُعْطَلَةِ.
عَلَى كُلِّ حَالٍ هُمْ جَعَلُوا أَتْبَاعَ الرَّسُولِ كَفْرَةً؛ لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ أَنَّ التَّجْسِيمَ كَفْرٌ
وَأَنَّ إِثْبَاتَ الصِّفَاتِ كَفْرٌ، يَلْزَمُ مِنْ هَذَا أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ فَهُوَ كَافِرٌ.

٣٨٠١ - وَاللَّهُ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ هَذِي مَقَالَتَنَا بِلا كِتْمَانِ
قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ مَا قُلْنَا سِوَى مَا قَالَهُ» «مَا قُلْنَا»؛ أَي: نَحْنُ الْمُثْبِتِينَ لِلصِّفَاتِ
«سِوَى مَا قَالَهُ هَذِي مَقَالَتَنَا بِلا كِتْمَانٍ».

٣٨٠٢ - فَجَعَلْتُمُونَا جُنَّةً وَالْقَصْدُ مَفْهُومٌ فَنَحْنُ وَقَايَةُ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمُونَا جُنَّةً»؛ يَعْنِي: صَبَّيْتُمُ اللَّوْمَ عَلَيْنَا، وَقَلْتُمْ: أَنْتُمْ كَفْرَةٌ، وَالْحَقِيقَةُ
أَنَّكُمْ تَسْبُونَ الرَّسُولَ وَالْقُرْآنَ؛ لِأَنَّنا مُتَّبِعُونَ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَجَعَلْتُمُ اللَّوْمَ عَلَيْنَا،
وَالْمَقْصُودُ الرَّسُولُ وَالْقُرْآنُ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «فَجَعَلْتُمُونَا جُنَّةً» تَتَّقُونَ بِهَا.

٣٨٠٣ - هَذَا وَثَالِثٌ مَا نُجِيبُ بِهِ هُوَ اسْمٌ تَيْفَسَارُكُمْ يَا فِرْقَةَ الْعِرْقَانِ
٣٨٠٤ - مَاذَا الَّذِي تَعْنُونَ بِالْجِسْمِ الَّذِي أَلْزَمْتُمُونَا أَوْضِحُوا بَيَانَ
٣٨٠٥ - تَعْنُونَ مَا هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ أَوْ عَالٍ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
٣٨٠٦ - أَوْ ذَا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَوْصَافُ أَوْ صَافٍ الْكَمَالِ عَدِيمَةَ النُّقْصَانِ

- ٣٨٠٧- أَوْ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوَاهِرِ فَرْدَةٍ
أَوْ صُورَةٍ حَلَّتْ هِيُولِي ثَانِي
٣٨٠٨- أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الْعُرْفِ أَوْ
فِي الْوَضْعِ عِنْدَ تَخَاطُبِ بِلِسَانِ
٣٨٠٩- أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الذَّهْنِ ذَا
كَ يُقَالُ تَعَلِّمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ
٣٨١٠- مَاذَا الَّذِي فِي ذَاكَ يَلْزَمُ مِنْ بُبُو
تِ عُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ
٣٨١١- فَآتَوْا بِتَعْيِينِ الَّذِي هُوَ لَازِمٌ
فَإِذَا تَعَيَّنَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ
٣٨١٢- فَآتَوْا بِبُرْهَانَيْنِ بُرْهَانِ اللَّزْوِ
مِ وَنَقْيِ لَازِمِهِ فَذَانِ اثْنَانِ
٣٨١٣- وَاللَّهُ لَوْ نَشَرْتَ لَكُمْ أَشْيَاخُكُمْ
عَجَزُوا وَلَوْ وَاطَاهُمُ الثَّقَلَانِ

الشرح

- ٣٨٠٣- هَذَا وَثَالِثٌ مَا نُجِيبُ بِهِ هُوَ اسْمٌ — تَفْسَارُكُمْ يَا فِرْقَةَ الْعِرْفَانِ
وهذا تهكمٌ بهم وسخريةٌ؛ يعني: أنتم أصحابُ معرفةٍ وأصحابُ علمٍ، وإذا
لم تقتنعوا بالجوابِ الأوَّلِ والثَّانِي فَإِنَّا نَسْتَفْسِرُكُمْ؛ يعني: نطلبُ منكم التَّفْسِيرَ،
وأنتم أهلٌ للتَّفْسِيرِ؛ لأنكم ذوو عرفانٍ، ولا تهكُّمَ أبلغُ من هذا.
- ٣٨٠٤- مَاذَا الَّذِي تَعْنُونَ بِالْجِسْمِ الَّذِي
الزَّمْتُمُونَا أَوْ ضَحُوا بَيَّانِ
٣٨٠٥- تَعْنُونَ مَا هُوَ قَائِمٌ بِالنَّفْسِ أَوْ
عَالٍ عَلَى الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
نسألهم: ماذا تريدون بالجسم؟ هل تريدون ما هو قائمٌ بالنفسِ أَوْ عَالٍ عَلَى
العَرْشِ؟ إن أرادوا ذلك فالجسمُ حقٌّ؛ لأنَّ اللهَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ عَالٍ عَلَى عَرْشِهِ، وهل
يلزمُ من هذا فسادٌ أَوْ نَقْصٌ؟ أبدأ، أَوْ تَعْنُونَ:

٣٨٠٦- أَوْ ذَا الَّذِي قَامَتْ بِهِ الْأَوْصَافُ أَوْ صَافُ الْكَمَالِ عَدِيمَةَ التَّقْصَانِ

إذا قالوا: نعم، نريدُ بالجسم ما قامت به الأوصافُ، نقولُ: هو اللهُ، اللهُ تعالى قَامَتْ به الأوصافُ، وما الذي يضرُّ إذا أثبتنا جسمًا بهذا المعنى، هذا ليس فيه نقصٌ بوجهٍ من الوجوه.

٣٨٠٧- أَوْ مَا تَرَكَّبَ مِنْ جَوَاهِرِ فَرْدَةٍ أَوْ صُورَةٍ حَلَّتْ هِيُولِي ثَانِي

إن أرادوا ذلك فإننا نمنعهم؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يكن جسمًا بهذا المعنى؛ يعني: جسمًا مركَّبًا من جواهر فردةٍ أو صورة حَلَّتْ هِيُولِي ثَانِي، والهيُولَى: مثل: الشَّكْلِ والهيئة.

٣٨٠٨- أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الْعُرْفِ أَوْ فِي الْوَضْعِ عِنْدَ تَخَاطُبِ بِلْسَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ؟»؛ يعني: أو تعنون: «مَا هُوَ الْجِسْمُ؟».

قَوْلُهُ: «الْوَضْعِ» يعني: اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ، إِذَا أُطْلِقَ الْوَضْعُ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ فِي أَصُولِ الْفِقْهِ أَوْ غَيْرِهَا فَالْمَرَادُ بِالْوَضْعِ، يَعْنِي: اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ.

قَوْلُهُ: «فِي الْعُرْفِ»؛ يعني: لغة أهل العرف.

يعني: تعنون الجسم الذي في العرف أو في الوضع عند تخاطب بلسان، الجسم عند النَّاسِ جسدُ الْإِنْسَانِ، وَالْجِسْمُ بِالْوَضْعِ قَدْ يَكُونُ أَعْمً، كُلُّ مَا لَهُ ثِقْلٌ.

٣٨٠٩- أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ الَّذِي فِي الذَّهْنِ ذَا كَ يُقَالُ تَعْلِيمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا هُوَ الْجِسْمُ؟»؛ يعني: أو تعنون الجسم الذي في الذَّهْنِ؟

قَوْلُهُ: «ذَا كَ يُقَالُ تَعْلِيمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ»؛ يعني: يريدون الجسم «الْكُلِّيَّة» أو

الكُلِّيَّاتِ الذَّهْنِيَّةِ، وهذا كما سبق مرارًا ليس له وجودٌ، الكُلِّيَّةُ الذَّهْنِيَّةُ ليس لها وجودٌ، مثالها: «الحيوان»، الحيوان كلمةٌ تشملُ كُلَّ ذي حياةٍ من إِبِلٍ وبقيرٍ وغنمٍ وحميرٍ، وغيرها، وقد يتخيَّلُ الذَّهْنُ أَنَّ هناكَ حيوانِيَّةً عامَّةً تجمعُ هذه الأجناسَ، هذا الذي يتصوَّرُه الذَّهْنُ ليس له حقيقةٌ في الخارجِ، ولكنه شيءٌ يفرضُه الذَّهْنُ، يتخيَّلُ أَنَّ الحيوانِيَّةَ شملت هذه الأنواعَ.

«البشريَّة» أيضًا معنى كُفِّيٌّ يفرضُه الذَّهْنُ، وإلَّا فبشريَّتِي أنا غيرُ بشريَّتِكَ أنت، لكن الذَّهْنُ يتخيَّلُ أَنَّ هناكَ معنى كُفِّيًّا فيه يشترك فيه كُلُّ بشرٍ.

يقولُ: هل تعنون بالجسم الذَّهْنِيَّ الذي يتصوَّرُه الذَّهْنُ ولا حقيقة له في الخارجِ؟ هذا معنى قوله: «يُقَالُ تَعْلِيمٌ لِذِي الْأَذْهَانِ».

٣٨١٠- مَاذَا الَّذِي فِي ذَاكَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُو تِ عُلُوِّهِ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

انعطف الآن المؤلِّفُ على المعنى الأوَّلِ، ما هو الجسمُ؟ أَنَّهُ الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ الْعَالِي عَلَى عَرْشِهِ، مَا الَّذِي يَلْزَمُ؟ هَلْ يَلْزَمُ نَقْصٌ؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، أَوْ هَلْ يَلْزَمُ مِمَّا نَلُّهُ لِلْمَخْلُوقِينَ؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا.

٣٨١١- فَاتُّوا بِتَعْيِينِ الَّذِي هُوَ لَا زِمٌ فَإِذَا تَعَيَّنَ ظَاهِرُ التَّبْيَانِ

٣٨١٢- فَاتُّوا بِبُرْهَانَيْنِ بُرْهَانِ اللَّزْمِ مِ وَنَفْسِي لِأَزْمِهِ فَذَانِ اثْنَانِ

معناه: إِذَا ادَّعَيْتُمْ أَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ عُلُوِّ اللَّهِ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ يَلْزَمُ مِنْ ذَلِكَ النَّقْصُ فَاتُّوا بِهَذَا، عَيْنُوه، فَإِذَا تَعَيَّنَ وَبَيَّنْتُمُوهُ فَإِنَّا نَطْلُبُ مِنْكُمْ بُرْهَانَيْنِ: أَوَّلًا: بُرْهَانَ اللَّزْمِ، وَالثَّانِي: نَفْيِ لِأَزْمِهِ، فَإِذَا أُتِيْتُمْ بِبُرْهَانِ اللَّزْمِ وَنَفْيِ اللَّزْمِ حِينَئِذٍ نَقْبَلُ كَلَامَكُمْ، وَمَعْنَى «بُرْهَانِ اللَّزْمِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ تَأْتُوا بِأَنَّ هَذَا لِأَزْمٍ لِهَذَا، هَذَا

واحد، ثُمَّ تقولون: وهذا اللازم منفي، فلا بُدَّ من أمرين إِذَنْ:

الأوَّل: إثبات أن هذا لازم لهذا، والثاني: نفي هذا اللازم، فمثلاً إذا قالوا يلزم من هذا النقص، قلنا: أثبتوا هذا اللازم، ثُمَّ أثبتوا أن هذا النوع من اللوازم منتفٍ، فإن لم تُثبتوا هذا ولا هذا فقد عجزتم عن الجوابِ.

إِذَنْ هذا الذي يدعي اللازم مُطالَبٌ بإثبات أن هذا لازم، فإذا أثبت أن هذا لازم يُطالبُ بطلبٍ آخر وهو أن هذا اللازم يلزم نفيه، هذا معنى كلام المؤلفِ.

٣٨١٣- وَالله لَوْ نَشَرْتَ لَكُمْ أَشْيَاخَكُمْ عَجَزُوا وَلَوْ وَاطَاهُمُ الثَّقَلَانِ
لَوْ أَنَّ أَشْيَاخَكُمْ الَّذِينَ تُقَلِّدُونَهُم الْآنَ وَتَتَّبِعُونَهُمْ نُشِرُوا وَأَحْيَاهُمْ اللهُ
عَجَزُوا عَنْ إِثْبَاتِ ذَلِكَ.

٣٨١٤- إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ فُحُولًا فَابْرُزُوا
٣٨١٥- وَإِذَا اسْتَكَيْتُمْ فَاجْعَلُوا الشُّكُوى إِلَى الِ
٣٨١٦- فَنجِبُ بِالترَكيبِ حِينَئِذٍ جَوَا
٣٨١٧- الحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُهَا
٣٨١٨- فَالجِسْمُ إِمَّا لَازِمٌ لِثُبُوتِهَا
٣٨١٩- أَوْ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ
٣٨٢٠- فَالْمَنْعُ فِي إِحْدَى الْمُقَدَّمَتَيْنِ مَعْدُ
وَدَعُوا الشُّكَاوى حِيَلَةَ النَّسْوَانِ
وَحَيْنِ لَا القَاضِي وَلَا السُّلْطَانِ
بِأَشَافِيَا فِيهِ هُدَى الحَيْرَانِ
عَيْنُ المَحَالِ وَلَيْسَ فِي الإِمْكَانِ
فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانِ
فَشَنَاعَةُ الإِلْزَامِ بِالبُهْتَانِ
لُومُ البَيَانِ إِذَنْ بِلا نُكْرَانِ

٣٨٢١- المَنعُ إمَّا فِي اللُّزُومِ أَوْ انْتِفَا ءِ اللّٰزِمِ الْمَنسُوبِ لِلْبُطْلَانِ
٣٨٢٢- هَذَا هُوَ الطَّاعُوتُ قَدْ أَضْحَى كَمَا أَبْصَرْتُ مَوْهُ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

٣٨١٤- إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ فُحُولًا فَابْرُزُوا وَدَعُوا الشَّكَوَى حِيَلَةَ النَّسْوَانِ

وهذا تحدُّ، هكذا ينبغي أن يكون الإنسان قويا أمام الباطل، يقول: «إِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ فُحُولًا فَابْرُزُوا وَدَعُوا الشَّكَوَى حِيَلَةَ النَّسْوَانِ»؛ لأنَّ أعداء أهلِ السُّنَّةِ والجماعة أكثر ما يعتمدون على الشَّكاوى إلى السُّلاطين والخلفاء، يشكون هذا إلى الخليفة، يقولون: هذا أضلَّ النَّاسَ، هذا فعَل، هذا فعَل، ثُمَّ الخليفة جاهلٌ يأمرُ بحبسِه، أو يأمرُ بجرِّه في الأسواقِ في ذبولِ الخيولِ أو البغالِ، أو ما أشبه ذلك، كما فعل المأمونُ في الإمام أحمد رحمه الله.

٣٨١٥- وَإِذَا اسْتَكَيْتُمْ فَاجْعَلُوا الشَّكْوَى إِلَى الْإِ سْلَامِ وَلَا الْقَاضِي وَلَا السُّلْطَانَ

وهذا صحيحٌ، هل الإنسانُ المحقُّ يذهبُ إذا عجز عن مناظرتي وعن مُقاومتي يذهبُ إلى القاضي أو إلى الحاكمِ «السُّلطان»؟! هذا يدلُّ على ضَعْفِه، إذا كان صادقًا فليفضَّل، فهذا القرآنُ وهذه السُّنَّةُ، فالشَّكوى إلى القرآنِ والسُّنَّةِ لا إلى القاضي والسُّلطانِ.

٣٨١٦- فَتُجِيبُ بِالْتَّرْكِيبِ حَيْثُ جَوَا بِأَشَافِيَا فِيهِ هُدَى الْحَيْرَانِ

قَوْلُهُ: «فَتُجِيبُ بِالْتَّرْكِيبِ»، يعني: بجوابٍ مُركَّبٍ من إثباتٍ ونفيٍ كما

٣٨١٧- الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ وَنَفْيُهَا عَيْنُ الْمَحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ قَوْلُهُ: «الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ» هَذَا وَاحِدٌ.

قَوْلُهُ: «وَنَفْيُهَا عَيْنُ الْمَحَالِ وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ» هَذِهِ الْقَاعِدَةُ.

الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَنَفْيُ الصِّفَاتِ عَنْهُ عَيْنُ الْمَحَالِ؛ أَي: مُسْتَحِيلٌ أَنْ تَتَّفِيَ صِفَاتُ الْكَمَالِ عَنْهُ.

٣٨١٨- فَالْجِسْمُ إِمَّا لَا زِمَ لِثُبُوتِهَا فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانٍ وَهَذَا صَحِيحٌ، إِنْ كَانَ الْجِسْمُ لِزِمًا لِثُبُوتِ الصِّفَاتِ فَهُوَ حَقٌّ وَصَوَابٌ، وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانٍ.

٣٨١٩- أَوْ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ فَشَنْاعَةُ الْإِلْزَامِ بِالْبُهْتَانِ إِنْ كَانَ لَا يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ الْجِسْمُ فَتَشْنِيعُكُمْ عَلَيْنَا بِهِ بَهْتَانٌ وَكَذِبٌ.

٣٨٢٠- فَالْمَنْعُ فِي إِحْدَى الْمُقَدِّمَتَيْنِ مَعْدُ لُومُ الْبَيَانِ إِذَنْ بِلَا نُكْرَانٍ وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، إِحْدَى الْمُقَدِّمَتَيْنِ، نَقُولُ: إِنْ كَانَ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ يَسْتَلْزِمُ التَّجْسِيمَ فَهُوَ صَوَابٌ وَحَقٌّ، وَإِنْ كَانَ لَا يَسْتَلْزِمُهُ فَتَشْنِيعُكُمْ عَلَيْنَا كَذِبٌ وَبَهْتَانٌ، لَا بُدَّ إِمَّا هَذَا وَإِمَّا هَذَا.

٣٨٢١- الْمَنْعُ إِمَّا فِي اللَّزُومِ أَوْ انْتِفَاءِ الْعَلَلِ الْمَنْسُوبِ لِلْبَطْلَانِ قَوْلُهُ: «الْمَنْعُ إِمَّا فِي اللَّزُومِ»؛ يَعْنِي بِأَنْ نَقُولَ: هَذَا لَيْسَ بِلَازِمٍ، لَوْ أَلْزَمْتُمُونَا بِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ.

قَوْلُهُ: «أَوْ انْتِفَاءِ الْعَلَلِ الْمَنْسُوبِ لِلْبَطْلَانِ»؛ يَعْنِي: أَوْ نَقُولَ: هُوَ لِزِمٌ لَكِنْ

ليس باطلاً، نفي اللازم المنسوب للبطلان.

٣٨٢٢- هَذَا هُوَ الطَّاعُوتُ قَدْ أَضْحَى كَمَا أَبْصَرْتُمُوهُ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «أَضْحَى»؛ أي: أَضْحَى صَرِيحًا؛ تقول: «أَضْحَى صَرِيحًا لِلْيَدَيْنِ وَاللِّفْمِ»؛ أي: طَاحَ عَلَى وَجْهِهِ وَيَدَيْهِ، فَمَا بَقِيَتْ لَهُ حَرَكَةٌ.

الخلاصة: أن هذا الطَّاعُوتُ هو الجسمُ أو التَّجْسِيمُ، وتَبَيَّنَ الآنَ في الجواب عنه ثلاثة أوجهٍ:

أولاً: منع اللزوم، وهل يحقُّ لنا أن نمنعه؟ الجواب: نعم؛ لأنَّ مُدَّعِي اللزوم يحتاجُ إلى إثباتٍ، فهو مُدَّعٍ، «والبينةُ على المدعي»^(١).

ثانياً: على فرضِ أنه لازمٌ فإنه حقٌّ؛ لأنَّ قولَ الله ورسوله حقٌّ، ولازمُ الحقِّ حقٌّ، ولا يمكنُ أن يكونَ الملزومُ حقًّا، واللازمُ باطلاً، أو بالعكسِ لا يمكنُ.

ثالثاً: التَّفْصِيلُ، نقولُ: ماذا تعنون بالجسم؟ إن أردتم بالجسمِ: القائمِ بنفسه، العالِي على خَلْقِهِ، الكاملِ في صفاته، فنحن نُقرُّه وليس فيه شيءٌ، ما الذي يلزمُ؟ وإن أردتم بالجسمِ المُركَّبِ من الهَيُوتِ والصُّورَةِ وما أشبه ذلك، أو من الجواهرِ الفردَةِ فإننا نمنعُ ذلك، ونقولُ: هذه حُجَّةٌ لا نلتزمُ بها.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الأحكام، باب ما جاء في أن البينة على المدعي واليمين على المدعي عليه، رقم (١٣١٤).

فصل

فِي مَبْدَأِ الْعَدَاوَةِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ الْمُثَبِّتِينَ الْمُوْحِدِينَ وَبَيْنَ النُّفَاةِ الْمُعْطَلِّينَ

- ٣٨٢٣- يَا قَوْمُ تَدْرُونَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا
مِنْ أَجْلِ مَاذَا فِي قَدِيمِ زَمَانٍ
- ٣٨٢٤- إِنَّا نَحْيِزُنَا إِلَى الْقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ
نَقْلِ الصَّحِيحِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ
- ٣٨٢٥- وَكَذَا إِلَى الْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الرُّسُلِ
رَجْمَنِ قَبْلَ تَغْيِيرِ الْإِنْسَانِ
- ٣٨٢٦- هِيَ أَرْبَعٌ مُتَلَازِمَاتٌ بَعْضُهَا
قَدْ صَدَقَتْ بَعْضًا عَلَى مِيزَانِ
- ٣٨٢٧- وَاللَّهُ مَا اجْتَمَعَتْ لَدَيْكُمْ هَذِهِ
أَبَدًا كَمَا أَقْرَرْتُمْ بِلِسَانِ
- ٣٨٢٨- إِذْ قُلْتُمْ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ يُعَارِضُ الْوَحْيَ
مَنْقُولٍ مِنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٣٨٢٩- فَتَقَدَّمُ الْمَعْقُولُ ثُمَّ نَصَرَفُ إِلَى
مَنْقُولِ التَّأْوِيلِ ذِي الْأَلْوَانِ
- ٣٨٣٠- فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْهُ أَلْفَيْنَاهُ لَمْ
نَعْبَأْ بِهِ فَضْدًا إِلَى الْإِحْسَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «الْمُثَبِّتِينَ»؛ أَي: الَّذِينَ يُثَبِّتُونَ الصِّفَاتِ.

قَوْلُهُ: «الْمُعْطَلِينَ»؛ أَي: الَّذِينَ يَنْفُونَ الصِّفَاتِ.

٣٨٢٣- يَا قَوْمُ تَدْرُونَ الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا
مِنْ أَجْلِ مَاذَا فِي قَدِيمِ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «يَا قَوْمُ»، أَوْ «يَا قَوْمُ» يَجُوزُ الْوَجْهَانِ، يَجُوزُ أَنْ تُرَاعِيَ الْمَحذُوفَ

فتقول: «يَا قَوْم»، وأن تنوي القطع عن الإضافة فتقول: «يَا قَوْم»، لكن الذي في القرآن مراعاة المحذوف كما قال تعالى: ﴿يَقَوْمٍ لِمَ تُوذُونَنِي﴾ [الصَّف: ٥].

يعني: هل تعلمون ما سبب العداوة التي كانت بيننا من قديم الزمان؛ أي: التي كانت بين المثبتين والمعطلين؟ لأنَّ كُلَّ عداوة لا بُدَّ لها من سبب، والأسباب متعدّدة، بيّنها رحمه الله في قوله:

٣٨٢٤- إِنَّا تَحَيَّزْنَا إِلَى الْقُرْآنِ وَالنَّبِيِّ
نَقْلَ الصَّحِيحِ مُفَسِّرِ الْقُرْآنِ

٣٨٢٥- وَكَذَا إِلَى الْعَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الرِّسَالَةِ
رَحْمَنٍ قَبْلَ تَغْيِيرِ الْإِنْسَانِ

هذه أربعة أدلّة تحيّننا إلى القرآن وهو كلام الله، والنقل الصحيح عن رسول الله ﷺ، والثالث: العقل الصريح؛ أي: السالم من الشبهات والشهوات، الشبهات: التباس الحق على الإنسان والعياذ بالله، بحيث لا ينجلي له الحق، وهذا يقع كثيراً، لا ينجلي للإنسان الحق وسببه الذنوب، انظر إلى الذي قال: ﴿إِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ إِيْتِنَانًا قَالَ أَسْطِطِرَ الْأَوَّلِينَ﴾ [المطففين: ١٣]، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾، أي: ليست أساطير الأولين ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]، فمنعتهم أن يروا الحق حقاً، نسأل الله العافية.

وأما الشهوات فمعناها الميل والإرادة، وليس المراد بها شهوة الجنس «شهوة الجماع»، بل المراد بالشهوات الميل والإرادة، يكون الإنسان عنده علم لكن عنده سوء قصد لا يريد الحق، بل يتبع هوى نفسه.

إذن العقل الصريح، يعني: السالم من الشبهات والشهوات، سالم من الشبهات؛ يعني: عنده علم، والشهوات؛ يعني: عنده إرادة حسنة، والخلل يأتي إمّا من الأوّل، وإمّا من الثاني؛ ولذلك لا تجد أحداً خالف الحق إلا لقصور في

فهمه، أو نقص في علمه، أو تقصير في طلبه، أو سوء في قصده، هذه أسباب قصور الإنسان أو أسباب عدم العلم.

الرابع: «وَفِطْرَةَ الرَّحْمَنِ قَبْلَ تَغْيِيرِ الْإِنْسَانِ» وهي الفطرة التي ركبها الله تعالى في قلوب العباد قبل تغيير الإنسان؛ لأن هؤلاء المبتدعة تغيرت فطرهم والعياد بالله، وإلا فالفطرة السليمة توجب إثبات ما أثبتته الله لنفسه ونفى ما نفى عن نفسه والسكوت عما لم يرد إثباته ولا نفيه، فهذه هي القاعدة، فالفطرة السليمة تؤيد العقل الصريح والنقل الصحيح والقرآن.

وقوله: «قَبْلَ تَغْيِيرِ الْإِنْسَانِ» أشار رحمه الله إلى الحديث الثابت عن النبي عليه الصلاة والسلام: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»^(١).

٣٨٢٦- هِيَ أَرْبَعٌ مُتَلَازِمَاتٌ بَعْضُهَا قَدْ صَدَّقَتْ بَعْضًا عَلَى مِيزَانِ قَوْلُهُ: «هِيَ أَرْبَعٌ مُتَلَازِمَاتٌ» الأربعة هي: الكتاب، والسنة، والعقل الصريح، والفطرة، هذه أربعة متلازمات يصدق بعضها بعضا، ويشهد بعضها لبعض؛ ولهذا قال: «بَعْضُهَا قَدْ صَدَّقَتْ بَعْضًا عَلَى مِيزَانٍ».

٣٨٢٧- وَاللَّهُ مَا اجْتَمَعَتْ لَدَيْكُمْ هَذِهِ أَبَدًا كَمَا أَقْرَرْتُمْ بِلِسَانِ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْأَرْبَعِ الَّتِي اعْتَمَدْنَا عَلَيْهَا فِي إِثْبَاتِنَا لَا تَوْجَدُ لَدَيْكُمْ، فَإِنَّهُمْ أَقْرَأُوا بِأَنَّهُ لَا رُجُوعَ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ أَوْ نَفْيِهَا، وَإِنَّا الرَّجُوعُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام، رقم (١٣٥٨). ومسلم: كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين، رقم (٢٦٥٨).

إلى العقل، فإذا تعارض العقل والنقل قُدِّمَ العقل على كلامهم؛ ولهذا قال المؤلف:
 ٣٨٢٨- إِذْ قُلْتُمْ الْعَقْلُ الصَّحِيحُ يُعَارِضُ الـ مَنْقُولَ مَنْ أَثَرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
 ٣٨٢٩- فَتَقْدِّمُ الْمَعْقُولَ ثُمَّ نَصَرِّفُ الـ مَنْقُولَ بِالتَّأْوِيلِ ذِي الْأَلْوَانِ
 قَوْلُهُ: «فَتَقْدِّمُ الْمَعْقُولَ»؛ يعني: المعلوم بالعقل.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ نَصَرِّفُ الْمَنْقُولَ بِالتَّأْوِيلِ ذِي الْأَلْوَانِ» نَصَرَّفُهُ بِالتَّأْوِيلِ بِالْوَانِ
 شَتَّى؛ تارة يُقَالُ: إِنَّهُ مُجَازٌ، أَوْ اسْتِعَارَةٌ، أَوْ تَمَثِيلٌ، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا يَقُولُونَ.

وقول المؤلف: «بِالتَّأْوِيلِ» حقيقة هذا التأويل الذي سلكه المعطلون حقيقة
 التَّحْرِيفُ؛ لِأَنَّهُمْ حَرَّفُوا الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ؛ وَهَذَا لَمَّا حَصَلَتِ الْمُنَازَعَةُ بَيْنَ شَيْخِ
 الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- وَخَصُومِهِ عَلَى الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ بَيَّنَّ أَنَّهُ عَبَّرَ بِالتَّحْرِيفِ
 فَقَالَ: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ»، فقال: لِأَنَّ التَّأْوِيلَ لَا يُمْكِنُ، مَعَ صَرْفِ
 الْكَلِمِ عَمَّا أَرَادَ اللَّهُ، بَلْ يُسَمَّى هَذَا تَحْرِيفًا.

وابن القيم الآن لا يدلُّ سياق كلامه على أنه وافقهم على أنه تأويل؛ لأنه
 يحكي كلامهم، فقوله: «فَتَقْدِّمُ الْمَعْقُولَ ثُمَّ نَصَرِّفُ الْمَنْقُولَ بِالتَّأْوِيلِ» هذا قول
 المعطلة.

٣٨٣٠- فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْهُ أَلْفَيْنَاهُ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ قَصْدًا إِلَى الْإِحْسَانِ
 قَوْلُهُ: «فَإِذَا عَجَزْنَا عَنْهُ أَلْفَيْنَاهُ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ»؛ يعني: وجدناه شيئًا لا نعبأ به
 ولا نهتمُّ به، هذا على نسخة: «أَلْفَيْنَاهُ»، وعلى نسخة: «أَلْفَيْنَاهُ» بالقاف؛ يعني:
 تركناه ورَمِينَا بِهِ.

قَوْلُهُ: «قَصْدًا إِلَى الْإِحْسَانِ»؛ يعني: مرادين بذلك الإحسان بالتوفيق بين

المعقول والمنقول، فقالوا: نُثِبْتُ ما دَلَّ عليه المعقول، وما خَالَفَهُ من المنقولِ نُحَرِّفُهُ - أو على عبارتهم - نُؤَوِّلُهُ لِيُوَافِقَ المعقولَ، فنكون بذلك أَحْسَنًا صُنْعًا ووَافِقًا بين الأدلَّةِ العَقْلِيَّةِ والنَّقْلِيَّةِ.

- ٣٨٣١- وَلَكُمْ بِذَا سَلَفٍ لَهُمْ تَابِعْتُمْ لَمَّا دُعُوا لِلأَخْذِ بِالقُرْآنِ
 ٣٨٣٢- صَدُّوا فَلَمَّا أَنْ أُصِيبُوا أَقْسَمُوا لِمُرَادِنَا تَوْفِيقَ ذِي الإِحْسَانِ
 ٣٨٣٣- وَلَقَدْ أُصِيبُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي تِلْكَ العُقُولِ بِغَايَةِ النُّقْصَانِ
 ٣٨٣٤- فَآتَوْا بِأَقْوَالٍ إِذَا حَصَلَتْهَا أَسْمَعْتَ ضِحْكَةً هَازِلٍ مَجَّانِ
 ٣٨٣٥- هَذَا جَزَاءُ المُعْرِضِينَ عَنِ الهُدَى مُتَعَوِّضِينَ زَخَارِفَ الهَدْيَانِ

الشرح

- ٣٨٣١- وَلَكُمْ بِذَا سَلَفٍ لَهُمْ تَابِعْتُمْ لَمَّا دُعُوا لِلأَخْذِ بِالقُرْآنِ
 ٣٨٣٢- صَدُّوا فَلَمَّا أَنْ أُصِيبُوا أَقْسَمُوا لِمُرَادِنَا تَوْفِيقَ ذِي الإِحْسَانِ
 قَوْلُهُ: «وَلَكُمْ بِذَا سَلَفٍ لَهُمْ تَابِعْتُمْ» «لَكُمْ» الخُطَابُ لِلْمَعْطَلَةِ بِهَذَا العَمَلِ
 أو بِهَذَا الصَّنِيعِ.

يُشِيرُ - رحمه الله - إلى قولهِ تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ، وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ يُصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿١١﴾ فَكَيْفَ

إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
 إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿ [النساء: ٦٠-٦٢]، وهؤلاء المعطلة كذلك يقولون: نحن آمننا بالله
 ورسوله ﴿رِيدُونَ أَنْ يُتَّحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾، وهؤلاء المعطلة تحاكموا إلى
 الطَّاغُوتِ «إلى العقل» الذي أبطلوا به السَّمْعَ، ﴿وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾؛
 يعني: أمر هؤلاء أن يكفروا بالطَّاغُوتِ وأن يتحاكموا إلى الله ورسوله، وهؤلاء
 المعطلة أمروا أن يرجعوا في إثبات الصِّفَاتِ وَفِيهَا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ
 أَبَوْا ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾؛ أي: عن الحق بما ارتكبه من
 المخالفات، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ
 يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ تراهم يصدون: يُبْعِدُونَ، فلو قلت: تَعَالَوْا أَثْبِتُوا مَا
 أَثْبَتَهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ صَدُّوا وَأَعْرَضُوا، ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا
 قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ واطَّلَع عَلَيْهِمْ وَعُثِرَ عَلَيْهِمْ ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا
 إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾، ﴿إِنْ أَرَدْنَا﴾؛ يعني: ما أردنا إلا إحسانًا وتوفيقًا بين
 الطَّاغُوتِ وَبَيْنَ حُكْمِ اللَّهِ فَيَمْنُ تَحَدَّثَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وهؤلاء يقولون: ما أردنا إلا
 الإحسانَ وَالتَّوْفِيقَ بَيْنَ الْأَدَلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ، لَأَنَّا إِذَا أَوْلْنَا الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ
 لِيُطَابَقَ الْمَعْقُولُ عِنْدَنَا تَوَافَقَتِ الْأَدَلَّةُ الْعَقْلِيَّةُ وَالنَّقْلِيَّةُ.

٣٨٣٣- وَلَقَدْ أَصِيبُوا فِي قُلُوبِهِمْ وَفِي تِلْكَ الْعُقُولِ بِغَايَةِ النُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ أَصِيبُوا»؛ يعني: هؤلاء المعطلة في قلوبهم وفي عقولهم، «في
 قلوبهم»؛ لأنهم لم يريدوا الرجوع إلى الكتاب والسنة، و«في عقولهم»؛ لأنهم ظنوا
 أن ما قالوه عقليات وهي في الحقيقة وهميات ليس لها حقيقة؛ ولهذا قال:

٣٨٣٤- فَأَتَوْا بِأَقْوَالٍ إِذَا حَصَّلَتْهَا أَسْمَعَتْ ضِحْكَةً هَازِلٍ مَجَّانٍ

٣٨٣٥- هَذَا جَزَاءُ الْمُعْرِضِينَ عَنِ الْهُدَى مُتَعَوِّضِينَ زَخَارِفَ الْهَدْيَانِ
 جزاء مَنْ أَعْرَضَ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ أَنْ تَكُونَ أَقْوَالُهُ ضُحْكَةً وَهَزَاءً لِلنَّاسِ
 يَسْخَرُونَ بِهَا وَلَا يَعْرِفُونَ لَهَا قَدْرًا.

٣٨٣٦- وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِشَيْخِ الْقَوْمِ إِذْ
 يَأْبَى السُّجُودَ بِكَبِيرِ ذِي طُعْيَانَ
 ٣٨٣٧- ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ صَارَ قَوَادًا لِأَزْرَ
 بَابِ الْفُسُوقِ وَكُلِّ ذِي عِضْيَانَ
 ٣٨٣٨- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الشِّرْكِ قَالُوا كَيْفَ ذَا
 بَشَرٌ آتَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 ٣٨٣٩- ثُمَّ ارْتَضَوْا أَنْ يُجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ
 مِنْ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ
 ٣٨٤٠- وَكَذَلِكَ عَبَادُ الصَّلِيبِ حَمَّوْا بَنَاتَا
 رِكْهُمُ مِنَ النَّسْوَانِ وَالْوَالِدَانَ
 ٣٨٤١- وَأَتَوْا إِلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
 جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا مِنَ الذُّكْرَانِ
 ٣٨٤٢- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ نَزَّهَ رَبَّهُ
 عَنْ عَرْشِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ
 ٣٨٤٣- حَذْرًا مِنَ الْحَضْرِ الَّذِي فِي ظَنِّهِ
 أَوْ أَنْ يُرَى مُتَحَيِّرًا بِمَكَانِ
 ٣٨٤٤- فَأَصَارُهُ عَدَمًا وَلَيْسَ وَجُودُهُ
 مُتَحَقِّقًا فِي خَارِجِ الْأَذْهَانِ

الشرح

٣٨٣٦- وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِشَيْخِ الْقَوْمِ إِذْ يَأْبَى السُّجُودَ بِكَبِيرِ ذِي طُعْيَانَ
 قَوْلُهُ: «وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِشَيْخِ الْقَوْمِ» شَيْخُ الْقَوْمِ هُوَ إِبْلِيسُ.

قَوْلُهُ: «إِذِ يَأْبَى السُّجُودَ بِكِبْرِ ذِي طُعْيَانٍ»؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ» [الأعراف: ١٢]، وَهَذَا كِبْرٌ.

٣٨٣٧- ثُمَّ ارْتَضَى أَنْ صَارَ قَوَادًا لِأَزْ بَابِ الْفُسُوقِ وَكُلُّ ذِي عِصْيَانٍ لَمْ يَذَلَّ لِلَّهِ، لَكِنَّهُ صَارَ قَوَادًا لِأَهْلِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ.

٣٨٣٨- وَكَذَلِكَ أَهْلُ الشِّرْكِ قَالُوا كَيْفَ ذَا بَشَرٌ أَتَى بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ أَنْكُرُوا رِسَالَةَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٣٨٣٩- ثُمَّ ارْتَضُوا أَنْ يَجْعَلُوا مَعْبُودَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأَحْجَارِ وَالْأَوْثَانِ أَعُوذُ بِاللَّهِ؛ يَعْنِي: كُلُّ إِنْسَانٍ يَخَالِفُ الْحَقَّ لَا بُدَّ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا يُضْحِكُ الْعُقَلَاءَ، هَؤُلَاءِ لَمْ يَنْقَادُوا إِلَى الْبَشَرِ، قَالُوا: كَيْفَ يَكُونُ رَسُولًا وَهُوَ بَشَرٌ؟! لَكِنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا: «كَيْفَ يَكُونُ مَعْبُودًا وَهُوَ حَجَرٌ?!»، رَضُوا بِأَنْ يَكُونَ مَعْبُودَهُمْ حَجَرًا، وَلَمْ يَرْضُوا أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ بَشَرًا.

٣٨٤٠- وَكَذَلِكَ عَبَادُ الصَّلِيبِ حَمَوْا بَنَاتَهُنَّ مِنَ النَّسْوَانِ وَالْوَالِدَانِ الْبَطْرِيْقُ عِنْدَهُمْ أَظْنُهُ لَا يَتَزَوَّجُ؛ لِأَنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَكِنْ رَبُّ الْعَالَمِينَ لَا بِأَسَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ؛ وَهَذَا قَالَ:

٣٨٤١- وَأَتَوْا إِلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى جَعَلُوا لَهُ وَلَدًا مِنَ الذُّكْرَانِ مَعَ أَنَّ الْبَطْرِيْقَ لَا يَتَزَوَّجُ، وَلَا يُوَلِّدُ لَهُ، مُنَزَّهٌ عَنِ الزَّوْجَةِ وَالْوَالِدِ، وَرَبُّ الْعَالَمِينَ لَيْسَ مُنَزَّهًا، نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ.

٣٨٤٢- وَكَذَلِكَ الْجَهْمِيُّ نَزَّهَ رَبَّهُ عَنْ عَرْشِهِ مِنْ فَوْقِ ذِي الْأَكْوَانِ

٣٨٤٣- حَدَرًا مِنَ الْحَضْرِ الَّذِي فِي ظَنِّهِ أَوْ أَنْ يُرَى مُتَحَيِّرًا بِمَكَانٍ

قال الجهمي: إِنَّ اللَّهَ مُنَزَّهٌ عَنْ أَنْ يَكُونَ فَوْقَ الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ فَوْقَ الْعَرْشِ صَارَ مَحْدُودًا عَلَى مَحْدُودٍ، فَهُوَ إِذَنْ مَحْصُورٌ، أَوْ صَارَ مُتَحَيِّرًا فِي مَكَانٍ، وَهَذَا أَيْضًا عِنْدَهُمْ مَمْتَنَعٌ. وَهَذَا قَالَ: «أَوْ أَنْ يُرَى مُتَحَيِّرًا بِمَكَانٍ».

٣٨٤٤- فَأَصَارُهُ عَدَمًا وَلَيْسَ وَجُودُهُ مُتَحَقِّقًا فِي خَارِجِ الْأَذْهَانِ

فَأَصَارُهُ عَدَمًا، فَقَالَ: هُوَ لَا فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا تَحْتَهُ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مَتَّصِلٌ وَلَا مَنْفَعِلٌ، وَلَا مَبَايِنٌ وَلَا مَحَايِثٌ، إِذَنْ صَارَ عَدَمًا.

٣٨٤٥- لَكِنَّمَا قَدَمَاؤُهُمْ قَالُوا بِأَنَّ نَ الذَّاتِ قَدْ وُجِدَتْ بِكُلِّ مَكَانٍ

٣٨٤٦- جَعَلُوهُ فِي الْأَبَارِ وَالْأَنْجَاسِ وَالْحَانَاتِ وَالْخَرِبَاتِ وَالْقِيَعَانِ

٣٨٤٧- وَالْقَصْدُ أَنْكُمْ تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْآرَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْهَدْيَانِ

٣٨٤٨- فَتَلَوْنَتْ بِكُمْ فَحِجَّتُمْ أَنْتُمْ مُتَلَوْنِينَ عَجَائِبَ الْأَكْوَانِ

٣٨٤٩- وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي قَدْ قَالَهُ الْأَشْيَاحُ عَرَضَ وَرَانَ

٣٨٥٠- وَجَعَلْتُمْ أَقْوَالَهُمْ مِيزَانَ مَا قَدْ قَالَهُ وَالْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ

٣٨٥١- وَوَرَدْتُمْ سَفَلَ الْمِيَاهِ وَلَمْ نَكُنْ نَرْضَى بِذَلِكَ الْوِرْدَ لِلظُّمَّانِ

٣٨٥٢- وَأَخَذْتُمْ أَنْتُمْ بِنَبَاتِ الطَّرِيقِ وَنَحْنُ مِنْ سِرْنَا فِي الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِ

٣٨٥٣- وَجَعَلْتُمْ تُرْسَ الْكَلَامِ مِجَنِّكُمْ تَبَّالِذَكَ التُّرْسِ عِنْدَ طِعَانِ

الشرح

٣٨٤٥- لَكِنَّمَا قَدَمَاؤُهُمْ قَالُوا بِأَنَّ نَ الذَّاتِ قَدْ وُجِدَتْ بِكُلِّ مَكَانٍ

أعوذُ بالله، الجهمية الأوائل قالوا: إِنَّ اللهَ بذاته في كُلِّ مكانٍ، والأواخرُ الذين يُقالُ لهم: «محققون» جعلوه عَدَمًا محضًا لا وجودَ له.

٣٨٤٦- جَعَلُوهُ فِي الْأَبَارِ وَالْأَنْجَاسِ وَالْحَانَاتِ وَالْخَرِبَاتِ وَالْقِيَعَانِ

٣٨٤٧- وَالْقَضْدُ أَنْكُمْ تَحْيِزْتُمْ إِلَى الْآرَاءِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَدْيَانِ

٣٨٤٨- فَتَلَوْنَتْ بِكُمْ فَجِئْتُمْ أَنْتُمْ مُتَلَوْنِينَ عَجَائِبَ الْأَكْوَانِ

وصدقَ رحمه الله، فهم تحيَّزوا إلى الآراءِ فتلَوْنُوا، قدماؤهم أثبتوه في كُلِّ مكانٍ، ومُتأخروهم نَفَوْه عن كُلِّ مكانٍ، وهذا تلونٌ عجيبٌ؛ لأنَّهم يتبعون ما يدعونُه عقليَّاتٍ وهي وهميَّاتٌ.

٣٨٤٩- وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي قَدْ قَالَهُ الْأَشْيَاحُ عَرَضَ وَرَانَ

يعني: عرضتم قولَ الرَّسُولِ على أقوالِ الشُّيوخِ عرضَ موازنةٍ لا عرضَ مفاضلةٍ، لو عرضوه عَرَضَ مفاضلةٍ وقالوا: «الفضلُ لقولِ الرَّسُولِ» لكان هذا صحيحًا، لو عرضوا قولَ الرَّسُولِ على قولِ أشياخهم عرضَ مفاضلةٍ على أنَّ الفضلَ لقولِ الرَّسُولِ، لكان هذا حقًّا، لكن عرضوه عرضَ موازنةٍ، ثُمَّ فَضَّلُوا أقوالَ شيوخهم، وهذه مشكلةٌ أيضًا.

٣٨٥٠- وَجَعَلْتُمْ أَقْوَالَهُمْ مِيزَانَ مَا قَدْ قَالَهُ وَالْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْقَوْلُ فِي الْمِيزَانِ»، وفي نسخةٍ: «وَالْعَدْلُ فِي الْمِيزَانِ»، أو «وَالْعَدْلُ فِي

الميزان»؛ يعني: جعلتموه العدل؛ أي: المعادل، ونسخة «العدل» أحسن.

٣٨٥١- وَوَرَدْتُمْ سَفَلَ الْمِيَاهِ وَلَمْ نَكُنْ نَرْضَى بِذَلِكَ الْوِرْدَ لِلظَّمَانِ

يعني: أنهم وَرَدُوا سَفَلَ الْمِيَاهِ لا أعلاها النَّقْيَ، ولم نكن نرضى بذاك الوِرْدِ لِلظَّمَانِ، يعني: وأما نحن فلا نَرْضَى بِذَلِكَ الْوِرْدِ الذي وردتم، بل نشربُ من فوق.

٣٨٥٢- وَأَخَذْتُمْ أَنْتُمْ بِنِيَّاتِ الطَّرِيقِ وَنَحْنُ سِرْنَا فِي الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِ الظَّاهِرِ أَنْ صَوَابَ الْبَيْتِ:

وَأَخَذْتُمْ أَنْتُمْ بِنِيَّاتِ الطَّرِيقِ قِ وَنَحْنُ سِرْنَا الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِ

«بِنِيَّاتِ الطَّرِيقِ»؛ يعني: الطَّرِيقِ الصَّغِيرَةِ التي لا تُسَلِّكُ، وَالطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ هو الطَّرِيقِ الرَّئِيسُ الذي يسلكه السُّلْطَانُ، أو أَنَّهُ الْأَعْظَمُ السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّهَا تَتَفَرَّعُ مِنَ الطَّرِيقِ.

٣٨٥٣- وَجَعَلْتُمْ تُرْسَ الْكَلَامِ مِجَنَّتَكُمْ تَبَّا لِذَلِكَ التُّرْسِ عِنْدَ طِعَانِ قَوْلُهُ: «جَعَلْتُمْ تُرْسَ الْكَلَامِ مِجَنَّةً»؛ يعني: تَرَسْتُمْ بَعْلِمِ الْكَلَامِ فِيهَا ذَهَبْتُمْ إِلَيْهِ.

٣٨٥٤- وَرَمَيْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ بِأَسْهُمِ عَنْ قَوْسِ مَوْتُورِ الْفُؤَادِ جَبَانِ

٣٨٥٥- فَتَرَسُوا بِالْوَحْيِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَلُوهُ نِعَمَ التُّرْسِ لِلشُّجْعَانِ

٣٨٥٦- هُوَ تُرْسُهُمْ وَاللَّهُ مِنْ عُدْوَانِكُمْ وَالتُّرْسُ يَوْمَ الْبَعْثِ مِنْ نِيرَانِ

- ٣٨٥٧- أَفْتَارِكُوهُ لِفَشْرِكُمْ وَمُحَالِكُمْ لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ
- ٣٨٥٨- وَدَعَوْمُونَنَا لِلَّذِي قُلْتُمْ بِهِ قُلْنَا مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خِذْلَانٍ
- ٣٨٥٩- فَاشْتَدَّ ذَاكَ الْحَرْبُ بَيْنَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرَانِ
- ٣٨٦٠- وَتَأَصَّلَتْ تِلْكَ الْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا مِنْ يَوْمِ أَمْرِ اللَّهِ لِلشَّيْطَانِ
- ٣٨٦١- بِسُجُودِهِ فَعَصَى وَعَارَضَ أَمْرَهُ بِقِيَاسِهِ وَبِعَقْلِهِ الْخَوَّانِ
- ٣٨٦٢- فَآتَى التَّلَامِيذُ الْوَقَاحُ فَعَارَضُوا أَخْبَارَهُ بِالْفَشْرِ وَالْهَدْيَانِ
- ٣٨٦٣- وَمُعَارِضٌ لِلْأَمْرِ مِثْلَ مُعَارِضِ الْ- أَخْبَارِهِمْ فِي كُفْرِهِمْ صِنُونِ

الشرح

٣٨٥٤- وَرَمَيْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ بِأَسْهُمٍ عَنْ قَوْسِ مَوْتُورِ الْفُؤَادِ جَبَانَ

لَأَنَّهُمْ رَمَوْهُمْ بِأَسْهُمٍ تَدُلُّ عَلَى جَبَنِهِمْ؛ لِأَنَّهَا أَسْهُمٌ غَيْرُ مَبْنِيَّةٍ عَلَى دَلِيلٍ، وَإِنَّهَا هِيَ شَتْمٌ وَسَبٌّ وَعَيْبٌ كَقَوْلِهِمْ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ: إِنَّهُمْ حَشَوِيَّةٌ، مُجَسِّمَةٌ مُمَثَّلَةٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

إِذْنَهُمْ رَمَوْا أَهْلَ الْحَدِيثِ بِأَسْهُمٍ، لَكِنَّهَا صَادِرَةٌ عَنْ قَوْسِ رَجُلٍ مَوْتُورٍ الْفُؤَادِ جَبَانَ، وَإِذَا كَانَ هَكَذَا فَإِنَّ هَذِهِ السَّهَامَ لَا تُجَدِّي شَيْئًا، وَمِنَ الْأَسْهُمِ الَّتِي رَمَوْا بِهَا أَهْلَ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ قَالُوا: إِنَّهُمْ مُجَسِّمَةٌ وَإِنَّهُمْ حَشَوِيَّةٌ، وَإِنَّهُمْ نَوَابِتٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، لَكِنْ هَلْ هَذَا الْوَصْفُ بِالسُّوءِ يَقْلِبُ الْحَقَّ بَاطِلًا؟ الْجَوَابُ: لَا؛ وَهَذَا حَاوِلَ أَعْدَاءِ الرُّسُلِ أَنْ يَصِفُوا دَعْوَتَهُمْ بِكُلِّ سُوءٍ، بِالسُّعْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجَنُونِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّ ذَلِكَ لَمْ يُوَثِّرْ شَيْئًا، فَكُوْنُهُمْ يَقُولُونَ: نَحْنُ مُجَسِّمَةٌ، نَقُولُ:

والله إذا كان إثبات صفات ربنا عز وجل تجسيماً فنحن مجسمة وأهل للتجسيم.
٣٨٥٥- فَتَرَسُوا بِالْوَحْيِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَتْلُوهُ نِعَمَ التُّرْسِ لِلشُّجْعَانِ

أهل السنة وأهل الحديث ترسوا بالوحي: «كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»،
يقول المؤلف: «نعم الترس للشجعان»، فالترس قوي والحامل شجاع.

٣٨٥٦- هُوَ تَرْسُهُمْ وَاللَّهُ مِنْ عُدْوَانِكُمْ وَالتُّرْسُ يَوْمَ البَعْثِ مِنْ نِيرَانِ
ذكر أن الترس بالكتاب والسنة ترس في موضعين:

الموضع الأول: في الدنيا؛ أي: من عدوان هؤلاء الذين يُحاولون أن يردوا
قول أهل السنة والجماعة، ولن يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً؛ لأن قول أهل السنة
والجماعة مبني على الكتاب والسنة، فهؤلاء إذا احتجوا علينا بما يروونه معقولاً
احتججنا عليهم بما هو منقول، وهذه العلوم لا تُدرك إلا بالنقل.

الموضع الثاني: الترس يوم البعث من النيران؛ يعني: أنه هو الذي يقيهم من
النيران يوم القيامة؛ لأن من أثبت الله ما وصف به نفسه فقد أنجى نفسه من
التعطيل.

وضد ذلك هؤلاء الذين ترسوا بعلم الكلام وغيره لن ينفعهم لا في الدنيا
ولا في الآخرة.

٣٨٥٧- أَفْتَارِكُوهُ لِفَشْرِكُمْ وَمَحَالِكُمْ لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

يعني: أفتركه من أجل فشركم وهو الكلام الذي لا فائدة فيه، ومحالكم
الذي تأتون به، «لا كان ذلك بمننة الرحمن»، وهذه الجملة دعائية؛ يعني: أسأل الله
تعالى ألا يكون ذلك.

٣٨٥٨- وَدَعَوْتُمُونَا لِلَّذِي قُلْتُمْ بِهِ قُلْنَا مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ خِذْلَانِ

يعني: أنكم تدعوننا أن نقول ما قلتم في التعطيل، ونحن نعوذ بالله من الخذلان؛ لأنَّ نزول الإنسان إلى ما كان عليه هؤلاء المعطلَّة لا شكَّ أنَّه من أكبر الخذلان، نسأل الله العافية.

٣٨٥٩- فَاشْتَدَّ ذَاكَ الْحَرْبُ بَيْنَ فَرِيقِنَا وَفَرِيقِكُمْ وَتَفَاقَمَ الْأَمْرَانِ

٣٨٦٠- وَتَأَصَّلَتْ تِلْكَ الْعَدَاوَةُ بَيْنَنَا مِنْ يَوْمِ أَمْرِ اللَّهِ لِلشَّيْطَانِ

٣٨٦١- بِسُجُودِهِ فَعَصَى وَعَارَضَ أَمْرَهُ بِقِيَاسِهِ وَبِعَقْلِهِ الْخَوَّانِ

هذا تشبيهٌ جيّدٌ؛ يعني: أنَّ العداوة بيننا وبينكم من ذلك الوقت من حين عصى الشيطانُ ربَّه حين أمره بالسُّجود، والأمرُ بالسُّجود اعتمادٌ على وحيٍ ونقلٍ، عورِضٌ هذا الأمرُ بقياسٍ باطلٍ ومعقولٍ موهومٍ، قال الشيطانُ لَمَّا أمره أن يسجدَ لآدمَ قال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، وقال هؤلاء لَمَّا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥] قالوا: ليس لله يدٌ، هذا محالٌ، والمرادُ باليدِ القدرةُ، و﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] قالوا: محالٌ أن يستويَ على العرشِ، ولكن المراد بـ«استوى» استولى، فعارضوا المنقولَ بالمعقول كما عارض إبليسُ المنقولَ بالمعقولِ عنده، وليس بعقلٍ.

٣٨٦٢- فَآتَى التَّلَامِيذُ الْوَقَاحُ فَعَارَضُوا أَخْبَارَهُ بِالْفُشْرِ وَالْهَدْيَانِ

تلاميذُ الشيطانِ إبليسَ عارضوا أخبارَ الله التي أخبرَ بها عن نفسه وأخبرَ بها عنه رسوله بالفشرِ والهدْيَانِ.

٣٨٦٣- وَمُعَارِضٌ لِلأَمْرِ مِثْلَ مُعَارِضِ الـ أَحْبَارِ هُمْ فِي كُفْرِهِمْ صِنَوَانِ
 قَوْلُهُ: «وَمُعَارِضٌ لِلأَمْرِ» الَّذِي عَارِضَ الأَمْرَ هُوَ الشَّيْطَانُ، حَيْثُ أَمَرَ أَنْ
 يَسْجُدَ، فَقَالَ: لَا، ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، وَقَاسَ بِقَوْلِهِ: ﴿خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾،
 وَهَؤُلَاءِ التَّلَامِيذُ عَارِضُوا الأَخْبَارَ بِعُقُولِهِمْ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَوِيَ اللهُ عَلَى
 العَرْشِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ مَسْمُوعٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَالِيًا فَوْقَ
 خَلْقِهِ، وَهَكَذَا، فَصَارَ إِبْلِيسُ مُعَارِضًا لِلأَمْرِ، وَهَؤُلَاءِ مُعَارِضُونَ لِلخَيْرِ، أَمَّا فِي
 بَابِ الأَوَامِرِ فَإِنَّهُمْ لَمْ يِعَارِضُوا، بَلْ يَصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَزُكُّونَ وَيَحْجُّونَ،
 وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لَكِنْ فِي الأَخْبَارِ عَارِضُوا الأَخْبَارَ الْمُنْقُولَةَ
 بِالْأَوْهَامِ الْمَعْقُولَةَ.

٣٨٦٤- مَنْ عَارِضَ النَّصُوصَ بِالْمَعْقُولِ قَدْ مَا أَخْبَرُونَا يَا أُولِي العِرْفَانِ
 ٣٨٦٥- أَوْ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ القَدْرِيُّ وَالـ جَبْرِيُّ أَيُّضًا ذَاكَ فِي القُرْآنِ
 ٣٨٦٦- إِذْ قَالَ قَدْ أَغْوَيْتَنِي وَفَتَنْتَنِي لِأَزَيِّنَنَّ لَهُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
 ٣٨٦٧- فَاحْتَجَّ بِالْمَقْدُورِ ثُمَّ أَبَانَ أَنْ نَ الفِعْلَ مِنْهُ بُغْيَةً وَزِيَانِ
 ٣٨٦٨- فَانظُرْ إِلَى مِيرَائِهِمْ ذَا الشَّيْخِ بِالثِّ تَعَصِيبِ وَالمِيرَاثِ بِالسَّهْمَانِ
 ٣٨٦٩- فَسَأَلْتُكُمْ بِاللهِ مَنْ وُرائَهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ
 ٣٨٧٠- هَذَا الَّذِي ألقى العَدَاوَةَ بَيْنَنَا إِذْ ذَاكَ وَاتَّصَلْتَ إِلَى ذَا الآنِ
 ٣٨٧١- أَصَلْتُمْ أَصْلًا وَأَصَلَ خَضْمُكُمْ أَصْلًا فَحِينَ تَقَابَلَ الأَصْلَانِ

٢٨٧٢- ظَهَرَ التَّبَايُنُ فَانْتَشَتْ مَا بَيْنَنَا الـ حَرْبُ الْعَوَانُ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ

الشرح

٢٨٦٤- مَنْ عَارَضَ الْمَنْصُوصَ بِالْمَعْقُولِ قَدْ مَا أَخْبَرُونَا يَا أُولِي الْعِرْفَانِ
قَوْلُهُ: «قَدِمًا»؛ يعني: مِنْ سَلَفِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

هل أحدٌ من سلفِ هذه الأمة عارضَ المنقولَ بالمعقولِ، وقال: عقولنا لا تُصدِّقُ بهذا؟ أبدًا، هاتوا عن أبي بكرٍ، عن عمرَ، عن عثمانَ، عن عليٍّ، عن ابن مسعودٍ، عن ابن عباسٍ، عن غيرهم، رضي الله عن الجميع، ما منهم أحدٌ عارضَ المنقولَ بالمعقولِ أبدًا.

٢٨٦٥- أَوْ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ الْقَدْرِيُّ وَالـ جَبْرِيُّ أَيْضًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا عَرَفْتُمْ أَنَّهُ الْقَدْرِيُّ وَالْجَبْرِيُّ أَيْضًا» مَنْ؟ الجوابُ: إبليسُ قَدْرِيُّ جَبْرِيُّ، فكان جبريًا حين احتجَّ على الله بأنَّ الله أغواه، وكان قَدْرِيًّا حين قال: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ﴾ [ص: ٨٢]، وكانَّ الله - سبحانه وتعالى - ليس قادرًا على منعه، فصار الشيطانُ إبليسُ جامعًا بين كونه قَدْرِيًّا وكونه جبريًا.

٢٨٦٦- إِذْ قَالَ قَدْ أَغْوَيْتَنِي وَفَتَّنْتَنِي لِأَزِيَنَّ لَهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ قَالَ قَدْ أَغْوَيْتَنِي» هذا جَبْرٌ.

قَوْلُهُ: «وَفَتَّنْتَنِي لِأَزِيَنَّ لَهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ» هذا قَدْرِيٌّ؛ لأنَّ الْقَدْرِيَّ معناه هو الذي يجعلُ فعله لا علاقةَ لله به، والجَبْرِيُّ هو الذي يجعلُ فعله لا علاقةَ له بنفسه، وإنَّما هو مجبورٌ عليه.

٣٨٦٧- فَاحْتَجَّ بِالْمَقْدُورِ ثُمَّ أَبَانَ أَنْ نَ الْفِعْلَ مِنْهُ بُغْيَةً وَزِيَانِ

قَوْلُهُ: «زِيَانٍ» لعلها من الزين الذي هو ضد الشين، و«الغِي» ضد الرشد.

٣٨٦٨- فَانظُرْ إِلَى مِيرَانِهِمْ ذَا الشَّيْخِ بِالتَّ - تَعْصِبِ وَالْمِيرَاثِ بِالسُّهْمَانِ

قَوْلُهُ: «ذَا الشَّيْخِ» المراد به الشيطان.

قَوْلُهُ: «بِالتَّعْصِبِ» وهو ما ليس له سهمٌ مُقَدَّرٌ.

قَوْلُهُ: «الْمِيرَاثِ بِالسُّهْمَانِ»: أي: بالفرض.

يعني: أتهم ورثوه فرضاً وتعصيباً؛ أي: ورثوه بكل جهات الإرث.

٣٨٦٩- فَسَأَلْتُكُمْ بِاللَّهِ مَنْ وُرَّأْتُهُ مِنَّا وَمِنْكُمْ بَعْدَ ذَا التَّبْيَانِ

لأننا نحن نُقَدِّمُ المنقول ونقول: إِنَّ الْوَحْيَ حَاكِمٌ عَلَى عَقُولِنَا وَليست
عقولنا حاكمة على الوحي، ونقول فيما أَخْبَرَنَا اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ: آمَنَّا وَصَدَّقْنَا، وَلَا
نُعَارِضُ هذا بعقولنا.

٣٨٧٠- هَذَا الَّذِي أَلْقَى الْعَدَاوَةَ بَيْنَنَا إِذْ ذَاكَ وَاتَّصَلْتُ إِلَى ذَا الْآنِ

٣٨٧١- أَصَلْتُمْ أَصْلًا وَأَصَلَ خَضْمُكُمْ أَصْلًا فَحِينَ تَقَابَلَ الْأَصْلَانِ

٣٨٧٢- ظَهَرَ التَّبَايُنُ فَانْتَشَتْ مَا بَيْنَنَا الْ - حَرْبُ الْعَوَانِ وَصِيحَ بِالْأَقْرَانِ

وهذا معلوم؛ لأنه إذا اختلف الأصلان فإنه لا يمكن أن يتفق هؤلاء
وهؤلاء، بل لا بُدَّ أن تكون رَحَى الحربِ بينهم دائرة إلى أن يصطلحوا بالرجوع
إلى الكتابِ والسُّنَّةِ.

- ٣٨٧٣- أَصَلْتُمْ آرَا الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُلْطَانٍ
- ٣٨٧٤- هَذَا وَكَمْ رَأَيْ لِهْمَ فَبِرَأْيِي مَنْ نَزَنُ النَّصُوصَ فَأَوْضَحُوا بِيَّانٍ
- ٣٨٧٥- كُئِلَ لَهُ رَأْيِي وَمَعْقُولٌ لَهُ يَدْعُو وَيَمْنَعُ أَخَذَ رَأْيِي فُلَانٍ
- ٣٨٧٦- وَالْخِصْمُ أَصْلَ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
- ٣٨٧٧- وَبَنَى عَلَيْهِ فَاعْتَلَى بُنْيَانَهُ نَحْوَ السَّيِّءِ أَعْظَمُ بَدَأَ الْبُنْيَانَ
- ٣٨٧٨- وَعَلَى شَفَا جُرْفٍ بَنَيْتُمْ أَنْتُمْ فَآتَتْ سُيُورُ الْوَحْيِ وَالْإِيمَانَ
- ٣٨٧٩- قَلَعْتَ أَسَاسَ بِنَائِكُمْ فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ السُّقُوفُ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ
- ٣٨٨٠- اللَّهُ أَكْبَرُ لَوْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ الْبُنْيَانَ حِينَ عَلَا كَمَثَلِ دُخَانَ
- ٣٨٨١- تَسْمُو إِلَيْهِ نَوَاطِرٌ مِنْ مَحْتِهِ وَهُوَ الْوَضِيعُ وَلَوْ يُرَى بِعِيَانٍ
- ٣٨٨٢- فَاصْبِرْ لَهُ وَهَنَا وَرَدَّ الطَّرْفَ تَلَقَّاهُ قَرِيبًا فِي الْحَضِيضِ الدَّنَائِي

الشرح

٣٨٧٣- أَصَلْتُمْ آرَا الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُلْطَانٍ
قوله: «آرا»، وفي نسخة: «رأى»، والمعنى واحد.

يعني: أنكم جعلتم الأصل آراء الرجال التي يدعون أنها عقل، وهذه الآراء كلها خرس وذن وتخمين، ليس لها حقيقة؛ ولهذا قال: «مِنْ غَيْرِ بُرْهَانٍ وَلَا سُلْطَانٍ».

٣٨٧٤- هَذَا وَكَمْ رَأَيْ لِهَمْ فَبرَأْيِ مَنْ نَزِنُ النَّصُوصَ فَأَوْضَحُوا بَيَانَ
قَوْلُهُ: «كَمْ رَأَيْ لِهَمْ»؛ يعني: ما أَكْثَرَ آراءَهُمْ!

يعني: أن أصحاب المعقول لهم آراء كثيرة، فبأي رأي نزن القرآن والسنة؟ هل برأي الأول أو الثاني أو الثالث أو الخامس، برأي من؟ وهذا معنى قول بعضهم: «يَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ شَيْءٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ بِرَأْيِ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ أَوْ فُلَانٍ؟ ما دمتم أنتم متنازعين في آرائكم فإلي من نرجع؟».

٣٨٧٥- كُـلُّ لَهْ رَأْيٍ وَمَعْقُولٌ لَهْ يَدْعُو وَيَمْنَعُ أَخَذَ رَأْيِ فُلَانٍ
سبحان الله! صارت العقول كثيرة، كُلُّ لَهْ رَأْيٍ، كُلُّ لَهْ مَعْقُولٌ، كُلُّ يَدْعُو إلى رأيه، ويقول: انبذوا رأيي فلان، بل إن بعضهم يتناقض في نفسه فتجده يُؤَلِّفُ كتابًا اليومَ ثُمَّ يُؤَلِّفُ كتابًا ينقض ما كتبه بالأمس، وهذا مشهور؛ وذلك لأنهم لم يبنوا على أصل، إِنَّمَا بَنَوْا عَلَى جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارَ بِهِمْ.

٣٨٧٦- وَالْخَصْمُ أَصْلَ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
٣٨٧٧- وَبَنَى عَلَيْهِ فَاغْتَلَى بُنْيَانَهُ نَحْوَ السَّمَا أَعْظَمَ بِذَا الْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «الْخَصْمُ»؛ يعني: خصم أهل التعطيل الذي حَكَمَ الْوَحْيِ.

قَوْلُهُ: «أَصْلَ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ مَعَ قَوْلِ الرَّسُولِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ» ثلاثة أشياء، بل والعقل أيضًا؛ لأنَّ العقل يدلُّ على وجوب الرجوع إلى الوحي في هذا الباب؛ إذ أن هذا الباب يعتمد على الخبر المحض؛ لأنه خبر عن أمر غيبي لا نظير له حتى يُقَاسَ عليه، فكان مقتضى العقل أن يُرْجَعَ في هذا الباب إلى الكتاب والسنة، فصار أَصْلُ هَؤُلَاءِ - أعني: المثبتة - الكتاب والسنة والفطرة والعقل، وأولئك ليس

عندهم إلا أوهامٌ يظنونها عقلياتٍ وهي وهمياتٌ.

٣٨٧٨- وَعَلَى شَفَا جُرْفٍ بَنَيْتُمْ أَنْتُمْ فَأَتَتْ سُيُولُ الْوَحْيِ وَالْإِيمَانِ

٣٨٧٩- قَلَعَتْ أَسَاسَ بِنَائِكُمْ فَتَهَدَّمَتْ تِلْكَ السَّقُوفُ وَخَرَّ لِلْأَرْكَانِ

٣٨٨٠- اللَّهُ أَكْبَرُ لَوْ رَأَيْتُمْ ذَلِكَ الْبُنْيَانَ حِينَ عَلا كَمِثْلِ دُحَانِ

٣٨٨١- تَسْمُو إِلَيْهِ نَوَاطِرٌ مِنْ تَحْتِهِ وَهُوَ الْوَضِيعُ وَلَوْ يُرَى بَعِيَانِ

٣٨٨٢- فَاصْبِرْ لَهُ وَهَنَا وَرَدَّ الطَّرْفَ تَلْقَاهُ قَرِيبًا فِي الْحَضِيضِ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «وَهَنَا» الظَّاهِرُ أَنَّ «وَهَنَا» مِنْ جِنْسِ «هُنَيْهَةَ» كَقَوْلِكَ: «سَكَتَ هُنَيْهَةً».

المهمُّ أَنَّ بِنَاءَ هَوْلَاءِ عَلَى جُرْفٍ هَارٍ مِثْلَ الدُّحَانِ تَلْقَاهُ عَالِيًا ثُمَّ يَتَضَاءُ وَتَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ الْيَسِيرَةُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَمَّا بِنَاءُ أَهْلِ السُّنَّةِ فَهُوَ كَالْجِبَالِ لَا تَهْزُهُ الْعَوَاصِفُ، وَهُوَ ثَابِتٌ بَاقٍ؛ لِأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلِ وَهُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

فصل

فِي بَيَانِ أَنَّ التَّعْطِيلَ أَسَاسُ الزُّنْدَقَةِ وَالْكَفْرَانِ وَالْإِثْبَاتَ أَسَاسُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

- ٣٨٨٣- مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ فِعْلًا يَقُومُ بِهِ قِيَامَ مَعَانِي
 ٣٨٨٤- كَلَّا وَلَيْسَ الْأَمْرُ أَيْضًا قَاتِمًا بِالرَّبِّ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
 ٣٨٨٥- كَلَّا وَلَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ بَلْ عَرْشُهُ خَلُوعٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
 ٣٨٨٦- فَثَلَاثَةٌ وَاللَّهُ لَا تَبْقَى مِنْهَا
 ٣٨٨٧- وَقَدْ اسْتَرَاحَ مُعْطَلٌ هَذَا الثَّلَاثِ
 ٣٨٨٨- وَمِنَ الرُّسُولِ وَدِينِهِ وَشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَدْيَانِ
 ٣٨٨٩- وَمَتَّامُ ذَلِكَ جُحُودُهُ لِصِفَاتِهِ
 ٣٨٩٠- وَمَتَّامُ ذَلِكَ الْإِيمَانُ إِقْرَارُ الْفَتَى
 ٣٨٩١- فَإِذَا أَقْرَبَهُ وَعَطَّلَ كُلَّ مَفْرُوضٍ وَلَمْ يَتَوَقَّعْ مِنْ عِضْيَانِ
 ٣٨٩٢- لَمْ يَنْقُصِ الْإِيمَانُ حَبَّةَ خَرْدَلٍ
 وَالذَّاتِ دُونَ الْوَصْفِ ذُو بُطْلَانٍ
 بِاللَّهِ فَاطِرٍ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
 أَنِّي وَلَيْسَ بِقَابِلِ النُّقْصَانِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - مبيِّنًا ما عليه أهل التعطيل من المذاهب أو من الأقوال المخالفة لقول السلف:

- ٣٨٨٣- مَنْ قَالَ إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
فِعْلًا يَقُومُ بِهِ قِيَامَ مَعَانِي
٣٨٨٤- كَلَّا وَلَيْسَ الْأَمْرُ أَيْضًا قَائِمًا
بِالرَّبِّ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
٣٨٨٥- كَلَّا وَلَيْسَ اللَّهُ فَوْقَ عِبَادِهِ
بَلْ عَرْشُهُ خَلُوعٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
٣٨٨٦- فَثَلَاثَةٌ وَاللَّهُ لَا تُبْقِي مِنَ الْ-

هذه ثلاثة أشياء:

أولاً: مَنْ نَفَى أَنْ تَقُومَ الْأَفْعَالُ الْاِخْتِيَارِيَّةُ بِاللَّهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يَفْعَلُ، وَلَا يَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ، وَلَا يَنْزِلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا يَأْتِي لِلْفَصْلِ بَيْنَ عِبَادِهِ، وَلَا يَضْحَكُ إِلَى رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُمَا الْآخَرَ كِلَاهِمَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَلَا يَفْرَحُ بِتُوبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، وَنَفَى جَمِيعَ الْأَفْعَالِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ، إِذَنْ بَقِيَ اللَّهُ مُعْطَلًا بِمَنْزِلَةِ الصَّخْرَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، إِذَنْ إِذَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مُعْطَلًا عَنِ الْفِعْلِ، فَأَيْنَ الرَّبُوبِيَّةُ؟! أَيْنَ الرَّبُوبِيَّةُ مِنْ رَبِّ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْفِعْلِ؟! إِذَنْ أَنْكَرَ الْقَضَاءَ وَالْقَدَرَ وَالشَّرَّ وَالرَّبَّ.

كذلك أيضًا مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ أَمْرٌ وَإِنَّ أَمْرَهُ - وَهُوَ وَحِيَهُ - خَلَقَ مِنَ الْأَكْوَانِ، وَيَقُولُ أَيْضًا عَنِ الْقُرْآنِ الْمَشْتَمِلِ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ يَقُولُ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ كَمَا أَنَّ الْأَرْضَ مَخْلُوقَةٌ وَالسَّمَاءَ مَخْلُوقَةٌ، إِذَنْ بطل الْوَحْيِ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ صَارَ مِنْ جَمَلَةِ الْمَخْلُوقَاتِ.

إذا قالوا أيضًا: ليس الله فوق عرشه بل العرش خالٍ منه، أين يكون؟ ليس فوق العالم ولا تحته، ولا يمينه ولا يساره، ولا متصلاً ولا منفصلاً، أين يكون؟ يكون عدماً، أو يكون بذاته في كل مكان، أيضًا لا يصحُّ أن يكون رباً ولا واحداً.

٣٨٨٧- وَقَدْ اسْتَرَّاحَ مُعْطَلٌ هَدْيِ الثَّلَاثِ مِنْ الْإِلَهِ وَجُمْلَةِ الْقُرْآنِ
استراح من الله؛ لآفته نفى وجوده بالكليّة.

٣٨٨٨- وَمِنَ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ بَلْ مِنْ جُمْلَةِ الْأَدْيَانِ
نعوذ بالله، إِذْ نَ التَّعْطِيلُ يُؤَدِّي إِلَى هَذَا الْأَمْرِ، لَكِنَّهُ يَحْتَاجُ إِلَى نَظَرَةٍ فَاحِصَةٍ
مَتَأَمَّلَةٍ؛ يَعْنِي: قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: هَذَا ابْنُ الْقِيَمِ خَصْمٌ، وَالْخَصْمُ لَا يُقْبَلُ كَلَامُهُ عَلَى
خَصْمِهِ، فَكَيْفَ ذَلِكَ؟ نَقُولُ: إِذَا قَالُوا: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَ أَبَدًا» فَهَذَا
مَعْنَاهُ التَّعْطِيلُ، مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ صَارَ إِمَّا أَشَلَّ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - وَإِمَّا حَجْرًا كَالْتَّمَائِلِ
الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

إِذَا قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ أَمْرٌ وَإِنَّ الْأَمْرَ هُوَ الْخَلْقُ» هَذَا أَيْضًا مَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ لَا
يَأْمُرُ وَلَا يَنْهَى، يَخْلُقُ كَلِمَاتٍ وَلَا تُنْسَبُ إِلَيْهِ قَوْلًا وَلَا كَلَامًا، مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي
كِتَابِهِ: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فَفَرَّقَ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْأَمْرِ.

كَذَلِكَ أَيْضًا إِذَا قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ عِبَادِهِ، نَقُولُ: أَيْنَ هُوَ؟ إِنْ قَالَ: بِذَاتِهِ
فِي كُلِّ مَكَانٍ، نَقُولُ: لَمْ تُنَزَّهُ اللَّهُ عَنْ أَحْسَسِ الْأَمَاكِنِ، وَإِنْ قَالَ: لَيْسَ فِي شَيْءٍ، قُلْنَا:
هَذَا هُوَ الْعَدَمُ الْمَحْضُ.

فَابْنُ الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - يَقُولُ: إِنَّهُ إِذَا وَصَفَ اللَّهُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ اسْتَرَّاحَ
مِنَ اللَّهِ، وَاسْتَرَّاحَ مِنَ الرَّسُولِ، وَاسْتَرَّاحَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَاسْتَرَّاحَ مِنَ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا،
وَاسْتَرَّاحَ مِنَ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، وَصَارَ زَنْدِيقًا مَلْحَدًا.

٣٨٨٩- وَتَمَامُ ذَلِكَ جُحُودُهُ لِصِفَاتِهِ وَالذَّاتِ دُونَ الْوَصْفِ ذُو بُطْلَانٍ
قَوْلُهُ: «وَتَمَامُ ذَلِكَ جُحُودُهُ لِصِفَاتِهِ» يَتَكَلَّمُ عَنِ الْمَعْتَزَلَةِ، الْمَعْتَزَلَةُ يُشْبِثُونَ الذَّاتَ،

وينكرون الصِّفَاتِ، فبالله عليكم هل يُمكن أن توجدَ ذاتٌ بلا صفاتٍ؟ الجوابُ: لا يُوجدُ، فلا بُدَّ لكلِّ ذاتٍ من صفةٍ، على أدنى تقديرٍ أن نقولَ: «صفةُ الوجودِ» لا بُدَّ أن تكونَ، فما دامت ذاتٌ ثابتةٌ ففيها صفةٌ ولو صفة الوجودِ، مع أنَّه لا بُدَّ أن تكونَ ذاتٌ طولٍ وعرضٍ وثقلٍ وحجمٍ، وما أشبه ذلك، فلا يمكنُ أن تُعقلَ ذاتٌ بلا وصفٍ؟!!

والعجيبُ أنَّ هؤلاء الذين يدَّعون أنَّهم عُقلاء يقولون: إنَّ الله موجودٌ لكن بلا وصفٍ، فهل هذا معقولٌ؟ الجوابُ: غيرُ معقولٍ، وأوَّل ما يردُّ عليهم أنَّهم وَصَفُوا اللهَ بالوصفِ «الوجود»، فإن قالوا: لا نَصِفُه بالوجودِ، قلنا: إذنْ قد وصفتموه بالعدمِ.

والحقيقةُ أنَّ الإنسانَ كُلَّما تأمَّلَ أقوالهم عَلِمَ أنَّها باطلَةٌ عقلاً كما هي باطلَةٌ شرعاً، وأنَّ الإنسانَ يخشى على قلبه، وأنَّه يجبُ أن يسألَ اللهَ دائماً الثباتَ؛ لأنَّه أضلُّ قوماً أذكياً كبارَ العقولِ التي ليست عقولَ الرُّشدِ، بل عقولَ الإدراكِ، فليسألَ اللهَ الثباتَ، ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨].

قوله: «وَالذَّاتُ دُونَ الْوَصْفِ ذُو بُطْلَانٍ» هذه جملةٌ مُستأنفةٌ لبيانِ الرَّدِّ عليهم، وليست معطوفةً على ما سبق، يعني: أنَّ القولَ بوجودِ ذاتٍ دون وصفٍ باطلٌ.

٢٨٩٠- وَتَمَامُ ذَا الْإِيْمَانِ إِقْرَارُ الْفَتَى بِاللَّهِ فَاطِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

هذا أيضاً من تمامه، «وَتَمَامُ ذَا الْإِيْمَانِ» برفع «الْإِيْمَانِ»؛ أي: «وَتَمَامُ ذَا» - أي: التَّعْطِيلِ - الْإِيْمَانِ إِقْرَارُ الْفَتَى بِاللَّهِ؛ يعني: أنَّ الإيْمَانِ إِقْرَارُ الْفَتَى بِاللَّهِ فَاطِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ.

٣٨٩١- فَإِذَا أَقْرَبَهُ وَعَطَّلَ كُلَّ مَنْفٍ رُوضٍ وَلَمْ يَتَوَقَّ مِنْ عِصْيَانِ

٣٨٩٢- لَمْ يَنْقُصِ الْإِيمَانَ حَبَّةَ خَرْدَلٍ أَنَّى وَلَيْسَ بِقَابِلِ النُّقْصَانِ

هذا مذهبُ مُرجئةِ الجهميَّةِ، الذين يقولون: الإيمانُ هو مجردُ الإقرارِ باللهِ، فإذا أَقْرَرْتَ باللهِ فاتركَ جميعَ الواجباتِ وافعلَ جميعَ المحرَّماتِ من كبائرٍ وصغائرٍ وأنت مؤمنٌ كاملُ الإيمانِ، فإيمانُك كإيمانِ جبريلَ ومحمدٍ، فيقولون: إنَّ أقومَ النَّاسِ بدينِ اللهِ وأقواهم طاعةً له مثلُ مَنْ لا يقومُ بالطَّاعةِ، فرجلٌ يقومُ آناءَ اللَّيْلِ والنَّهارِ ويتجنَّبُ المعاصيَ، وآخرُ بالعكسِ يقومُ بالمعاصيِ آناءَ اللَّيْلِ والنَّهارِ ويتجنَّبُ الطَّاعاتِ، ولكنها مُقَرَّانَ بأنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - موجودٌ، يقولون: إنَّ إيمانَها سِوَاءٌ، فإيمانُ أفسقِ النَّاسِ كإيمانِ أعدلِ النَّاسِ.

وهذا - لا شكَّ - أَنَّهُ يُبْطِلُهُ الْعَقْلُ كَمَا يُبْطِلُهُ النَّقْلُ، أَعُوذُ بِاللَّهِ، هَلْ هَذَا لائِقٌ؟! هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَهُ عَاقِلٌ؟! هَلْ يُمْكِنُ لِشَخْصٍ يَوْمُنُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ هُوَ يَفْعَلُ كُلَّ مَا مُهِمِّيَ عَنْهُ وَيَتْرُكُ كُلَّ مَا أَمْرَبَهُ؟! لَا يُمْكِنُ، لَكِنْ هُمْ يَرُونَ وَيَقُولُونَ أَيْضًا: إِنَّ الْإِيمَانَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْقُصَ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ هُوَ الْاعْتِرَافُ، وَالْاعْتِرَافُ لَا يَخْتَلِفُ، فَإِذَا أَقْرَبَ بِاللَّهِ وَعَطَّلَ جَمِيعَ الْمَفْرُوضَاتِ مِنْ صَلَاةٍ وَزَكَاةٍ وَصِيَامٍ وَحَجٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَهُوَ لَيْسَ بِنَاقِصِ الْإِيمَانِ، بَلْ هُوَ كَامِلُ الْإِيمَانِ.

٣٨٩٣- وَمَتَامُ هَذَا قَوْلُهُ إِنَّ النَّبُوَّ

٣٨٩٤- لَكِنْ تَعَلَّقُوا ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيدَ

٣٨٩٥- هَذَا وَمَا ذَاكَ التَّعَلُّقُ ثَابِتًا

وَوَ لَا يَسَّ وَصَفًا قَامَ بِالْإِنْسَانِ

مِمَّا بَوَّاحِدٍ مِنْ جُمْلَةِ الْإِنْسَانِ

فِي خَارِجِ بَلِّ ذَاكَ فِي الْأَذْهَانِ

- ٣٨٩٦- فَتَعَلَّقُ الْأَقْوَالِ لَا يُعْطِي الَّذِي
وَقَفَتْ عَلَيْهِ الْكَوْنُ فِي الْأَعْيَانِ
- ٣٨٩٧- هَذَا إِذَا مَا حُصِّلَ الْمَعْنَى الَّذِي
قُلْتُمْ هُوَ النَّفْسِيُّ فِي الْبُرْهَانِ
- ٣٨٩٨- لَكِنَّ جُمْهُورَ الطَّوَائِفِ لَمْ يَرَوْا
ذَا مُكْنَبَلِ ذَلِكَ ذُو بَطْلَانِ
- ٣٨٩٩- مَا قَالَ هَذَا غَيْرُكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّبِيِّينَ
نُظَارِ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَزْمَانِ
- ٣٩٠٠- تَسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنْتَ بَطْلَانَهُ
لَوْلَا الْقَرِيضُ لَسُقْتَهَا بِوِزَانِ

الشرح

- ٣٨٩٣- وَتَمَامُ هَذَا قَوْلُهُ إِنَّ النَّبِيَّ
وَهُوَ لَيْسَ وَصْفًا قَامَ بِالْإِنْسَانِ
- ٣٨٩٤- لَكِنَّ تَعَلَّقَ ذَلِكَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ
بِمِ بَوَاحِدٍ مِنْ جُمْلَةِ الْإِنْسَانِ
- ٣٨٩٥- هَذَا وَمَا ذَاكَ التَّعَلَّقُ ثَابِتًا
فِي خَارِجِ بَلْ ذَلِكَ فِي الْأَذْهَانِ
- وأيضًا من أقوالهم السيئة الباطلة قولهم: إِنَّ النَّبِيَّ لَيْسَ وَصْفًا قَائِمًا
بِالْإِنْسَانِ، وَإِنَّمَا هِيَ تَعَلَّقَ الْمَعْنَى الْقَدِيمِ بِوَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ، وَالْمَعْنَى الْقَدِيمُ هُوَ
كَلَامُ اللَّهِ؛ يَعْنِي: أَنَّ النَّبِيَّ مَنْ تَعَلَّقَ بِهِ كَلَامُ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ، وَهَم
لَا يُثْبِتُونَ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ بِحُرُوفٍ يَنْزِلُ بِهَا جَبْرِيْلُ عَلَى هَذَا النَّبِيِّ وَيَكُونُ نَبِيًّا، لَا،
يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي تَعَلَّقَ بِهِ الْمَعْنَى النَّفْسِيُّ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُونَ: هَذَا
التَّعَلَّقُ لَيْسَ ثَابِتًا فِي الْخَارِجِ، بَلْ هُوَ فِي الذَّهْنِ فَقَطْ، وَلَيْسَ مَوْجُودًا حَقِيقَةً فِي
الْخَارِجِ، إِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ يَفْرُضُهُ الذَّهْنُ.

فهم يقولون: النَّبِيُّ أَيْضًا لَيْسَ وَصْفًا قَامَ بِالْإِنْسَانِ، لَكِنَّهَا أَمْرٌ خَارِجٌ، وَهَذَا

أيضاً غير معقولٍ، فهم يقولون مثلاً: الطُّولُ والقصرُ، والحمرةُ والسُّمرَةُ، وما أشبه ذلك، هذه من أوصافِ الإنسانِ، أمَّا النُّبُوَّةُ فلا.

فَيُقَالُ: بل هي من أوصافِ الإنسانِ، مَنْ اللهُ بها عليهم كالحلْقِ الحَسَنِ، فهو مكتسبٌ وهو غريزيٌّ، ومع ذلك نقولُ: من صفته أَنَّهُ حَسَنُ الخَلْقِ كما قال اللهُ عن نبيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

٣٨٩٦- فَتَعَلَّقُ الْأَقْوَالِ لَا يُعْطِي الَّذِي وَقَفَتْ عَلَيْهِ الْكَوْنُ فِي الْأَعْيَانِ

يعني: أَنَّ المعنى القَائِمَ بالنَّفْسِ - وهو كلامُ اللهُ على زَعْمِهِم - لا يكونُ مُتَعَلِّقًا تَعَلُّقًا خَارِجِيًّا بِمَنْ صَارَ نَبِيًّا بل هو تَعَلَّقٌ ذَهْنِيٌّ فقط.

وأنا لا أَتَصَوَّرُ هذا القَوْلَ في الحَقِيقَةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا إِلَّا بَوْحِي يَنْزِلُ عَلَيْهِ؛ وَلِهَذَا رَدَّهُ الْمُؤَلِّفُ فَقَالَ:

٣٨٩٧- هَذَا إِذَا مَا حُصِّلَ الْمَعْنَى الَّذِي قُلْتُمْ هُوَ النَّفْسِيُّ فِي الْبُرْهَانِ

يقولون: إِنَّ الكَلَامَ هو المعنى القَائِمُ بالنَّفْسِ، وليس الشَّيْءَ الَّذِي يُسْمَعُ، فهو ليس بصوتٍ وليس بحرفٍ.

٣٨٩٨- لَكِنَّ جُمْهُورَ الطَّوَائِفِ لَمْ يَرَوْا ذَا مُمَكِّنًا بَلْ ذَاكَ ذُو بُطْلَانٍ

يقولُ الْمُؤَلِّفُ: كَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُ كَلَامٌ وهو معنى قَائِمٌ بالنَّفْسِ؟! وَكَيْفَ يُقَالُ: إِنَّهُ وَحِيٌّ إِلَى رَسُولٍ وهو معنى قَائِمٌ بالنَّفْسِ؟! هَذَا شَيْءٌ لَا يُمْكِنُ، لَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذَا شَيْءٌ يَفْرُضُهُ الذَّهْنُ وليس موجودًا في الْأَعْيَانِ، إِذَنْ مَا الْفَائِدَةُ إِذَا كَانَ مَفْرُوضًا فَرَضًا ذَهْنِيًّا لَا وَجُودَ لَهُ فِي الْخَارِجِ، فَأَيْنَ الْفَائِدَةُ؟!!

٣٨٩٩- مَا قَالَ هَذَا غَيْرُكُمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ نُنْظَرُ فِي الْأَفَاقِ وَالْأَزْمَانِ

يُخَاطَبُ الْأَشَاعِرَةَ فِي هَذَا الْكَلَامِ؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ يَقُولُونَ: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِالنَّفْسِ، أَمَا مَا يُسْمَعُ وَيُكْتَبُ وَيُقْرَأُ فَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْأَكْوَانِ؛ أَي: مَخْلُوقٌ.

٣٩٠٠- تِسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنْتَ بَطْلَانَهُ لَوْلَا الْفَرِيضُ لَسُقْتَهَا بِوِزَانِ

قَوْلُهُ: «تِسْعُونَ وَجْهًا بَيَّنْتَ بَطْلَانَهُ»، وَقَدْ أَشَارَ إِلَى هَذَا فِيهَا سَبَقَ فِي التَّوْنِيَّةِ نَفْسِهَا، وَقَالَ: إِنَّ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ أَلْفَ كِتَابِهِ: «التَّسْعِينِيَّةَ» فِي بَيَانِ بَطْلَانِ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ مِنْ تِسْعِينَ وَجْهًا.

٣٩٠١- يَا قَوْمُ أَيَّنَ الرَّبُّ أَيَّنَ كَلَامُهُ أَيَّنَ الرَّسُولُ فَأَوْضَحُوا بَيَانَ

٣٩٠٢- مَا فَوْقَ عَرْشِ الرَّبِّ مَنْ هُوَ قَائِلٌ ﴿طه﴾ وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ

٣٩٠٣- وَلَقَدْ شَهِدْتُمْ أَنَّ هَذَا قَوْلُكُمْ وَاللَّهُ يُشْهَدُ مَعَ أَوْلِي الْإِيمَانِ

٣٩٠٤- وَارْحَمْتَاهُ لَكُمْ غَبْنْتُمْ حَظَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ

٣٩٠٥- بِاللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ وَنَسَبْتُمْ لِلْكَفْرِ أَوْلَى مِنْكُمْ

٣٩٠٦- هَذِي بِضَاعَتِكُمْ فَمَنْ يَسْتَأْمَهَا فَقَدْ ازْتَضَى بِالْجَهْلِ وَالْحُسْرَانِ

الشرح

٣٩٠١- يَا قَوْمُ أَيَّنَ الرَّبُّ أَيَّنَ كَلَامُهُ أَيَّنَ الرَّسُولُ فَأَوْضَحُوا بَيَانَ

يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ -: إِذَا قُلْتُمْ بِالْمَعْنَى النَّفْسِيِّ، فَأَيْنَ اللَّهُ؟ أَيَّنَ كَلَامُهُ؟

أين الرسول؟ لأن هذا الوحي معني قائم بالنفس، فكيف يُنقل إلى الرسول؟! إذن لا رسول في الحقيقة، كذلك أيضًا يقول -رحمه الله-: أين الرب؟ لأنهم يُنكرون علو الذات، فيقول: أين يكون الله إذا أنكرتم أنه عال؟ أين كلامه؟! لأنهم يقولون: إن الكلام هو المعنى القائم بالنفس لا يُسمع ولا يُكتب، وإنما المكتوب والمسموع عبارة عنه.

٣٩٠٢ - مَا فَوْقَ عَرْشِ الرَّبِّ مَنْ هُوَ قَائِلٌ ﴿طه﴾ وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ
لأنهم ينكرون العلو، يُنكرون أن يكون الله تكلم بالقرآن الذي نقرؤه، ويقولون: هذا عبارة عن كلام الله.

٣٩٠٣ - وَلَقَدْ شَهِدْتُمْ أَنَّ هَذَا قَوْلُكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ مَعِ أُولِي الْإِيمَانِ
قوله: «شهدتم أن هذا قولكم»؛ يعني: اعترفتم بأن هذا قولكم، واعتراف الإنسان على نفسه يُسمى شهادة، قال الله تعالى: ﴿يَتَّيَبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كَوْنًا قَوْمِينَ بِالْأَقْسَطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥].

٣٩٠٤ - وَارْحَمْتَاهُ لَكُمْ غَبْنْتُمْ حَظَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانِ
قوله: «وإرحمته لكم غبنتم حظكم من كل معرفة ومن إيمان» زاغوا عن الصراط المستقيم، وهما:

النَّظْرُ الْأَوَّلُ: نَظْرٌ بَعِيْنِ الْقَدْرِ، فِي هَذِهِ الْحَالِ نَرَحْمُهُمْ وَنَرِيقُ لَهُمْ، كَمَا نَرَحْمُ وَنَرِيقُ لِلْمَرِيضِ مَرَضًا جَسْمَانِيًّا؛ لِأَنَّ هَؤُلَاءِ حَرَمُوا الْخَيْرَ وَحَرَمُوا الطَّهْرَ فَنَرِيقُ لَهُمْ.

النَّظْرُ الثَّانِي: نَظْرُ الشَّرْعِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَجِبُ أَنْ نُجْرِيَ عَلَيْهِمْ مَا يَقْتَضِيهِ الشَّرْعُ؛ وَلِهَذَا قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ

والتَّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْأَسْوَاقِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَأَقْبَلَ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ»^(١).

وكذلك في بقیة المعاصي ننظر إلى الزاني بعینین: عين القدر، وعین الشرع، فبعین القدر نرق له، نقول: هذا مسكين، ابتلي بهذه المصيبة، ابتلي بهذه المعصية، فنرق له ونرحمه كما لو ابتلي بمرض جسمي، والثاني: نظر شرعي فنقيم عليه الحد، ونكون كما أمرنا الله عز وجل: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَدَايَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]، فقول المؤلف: «وَأَرْحَمَتَاهُ لَكُمْ» ندب الرحمة أن تكون لهم، وهذا بالنظر إلى عين القدر.

قوله: «غَبْتُمْ حَظَّكُمْ مِنْ كُلِّ مَعْرِفَةٍ وَمِنْ إِيْمَانٍ»، صدق رحمه الله؛ فإن هذا القول الذي قالوه جهلٌ وبعيدٌ عن الإيْمَانِ؛ لأنَّ الإيْمَانِ أَنْ نُوْمِنَ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ مَّسْمُوعٍ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَأَنَّ هَذَا الْكَلَامَ الْمَسْمُوعَ نَزَلَ بِهِ جَبْرِيْلُ عَلَى قَلْبِ النَّبِيِّ ﷺ، هَذَا هُوَ إِيْمَانُنَا، كُلُّ هَذَا قَدْ غُبِنُوهُ وَلَمْ يَقُولُوا بِهِ.

٣٩٠٥ - وَنَسَبْتُمْ لِلْكَفْرِ أَوْلَىٰ مِنْكُمْ بِاللَّهِ وَالْإِيْمَانِ وَالْقُرْآنِ

يعني: نَسَبْتُمْ لِلْكَفْرِ مَنْ هُوَ أَوْلَىٰ مِنْكُمْ بِاللَّهِ وَبِالْإِيْمَانِ وَبِالْقُرْآنِ، لِأَنَّهُمْ يُكْفِرُونَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ.

٣٩٠٦ - هَذِي بِضَاعَتُكُمْ فَمَنْ يَسْتَأْمَهَا فَقَدْ ارْتَضَىٰ بِالْجَهْلِ وَالْحُسْرَانِ

الذي يسوم هذه البضاعة جاهلٌ خاسرٌ.

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٩).

- ٣٩٠٧ - وَتَمَامُ هَذَا قَوْلِكُمْ فِي مَبْدَأٍ وَمَعَادِنَا أَعْنِي الْمَعَادَ الثَّانِي
- ٣٩٠٨ - وَتَمَامُ هَذَا قَوْلِكُمْ بِفَنَاءِ دَا رِ الْخُلْدِ فَالِدَارَانِ فَاثْنَيْنِ
- ٣٩٠٩ - يَا قَوْمَنَا بَلَّغِ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ الدُّ دُنْيَا مَعَ الْأُخْرَى مَعَ الْإِيمَانِ
- ٣٩١٠ - وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ الْمُنَزَّلُ وَالْجَزَا وَمَنَازِلُ الْجَنَّاتِ وَالنَّيْرَانِ
- ٣٩١١ - وَالنَّاسُ قَدْ وَرِثُوهُ بَعْدُ فَمِنْهُمْ ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسَّهْمَانِ
- ٣٩١٢ - بِئْسَ الْمُورَثُ وَالْمُورَثُ وَالرَّثَا ثُ ثَلَاثَةٌ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانِ

الشرح

- ٣٩٠٧ - وَتَمَامُ هَذَا قَوْلِكُمْ فِي مَبْدَأٍ وَمَعَادِنَا أَعْنِي الْمَعَادَ الثَّانِي
- ٣٩٠٨ - وَتَمَامُ هَذَا قَوْلِكُمْ بِفَنَاءِ دَا رِ الْخُلْدِ فَالِدَارَانِ فَاثْنَيْنِ

يعني: أنهم قالوا قولاً منكراً في المبدأ والمعاد، ففي المبدأ قالوا بمنع تسلسل الحوادث في الماضي، فالله تعالى كان فاعلاً بعد أن كان غير فاعل، وفي المعاد قالوا بفناء دار الخلد، فالداران فانيتان؛ يعني بذلك: فناء الجنة وفناء النار، فإن المعتزلة يقولون بفنائها وأن النار والجنة تفيان، وقد سبق أن بعضهم وهو العلاف قال: إن الذي تفتى هي الحركات، وأما الذوات فتبقى.

وأهل السنة والجماعة يقولون: إن النار والجنة لا تفيان، وكم من آية صرح الله تعالى فيها بالخلود الأبدي في الجنة وفي النار، ففي النار صرح الله تعالى في ثلاثة مواضع من كتابه بأن أهلها خالدون فيها أبداً، في سورة «النساء» قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُعْزِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [النساء: ١٦٨-١٦٩]، وفي سورة «الأحزاب» قال - سبحانه وتعالى -: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [الأحزاب: ٦٤-٦٥]، وفي سورة «الجن» قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارًا جَهَنَّمَ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [الجن: ٢٣]، وما بعد هذه الآياتِ الثلاثة قولٌ لقائلٍ؛ لأنه إذا تَأَبَّدَ خلودُ الخالدِ لَزِمَ خلودُ المكانِ الذي هو خالدٌ فيه، أمَّا الجنةُ فالآياتُ في التَّأبِيدِ فيها كثيرةٌ.

ويظهر أن له في المسألة قَوْلَيْنِ: قولًا يدلُّ على أَنَّهَا تَفْنَى وليس يدلُّ دلالةً صريحةً، لكنه ساق أدلَّةً كثيرةً ممَّا يدلُّ على أَنَّهُ يَمِيلُ إلى القولِ بذلك، ولكن كُلُّ يُؤَخِّدُ من قوله ويُتْرَكُ؛ لأنه إذا وَرَدَ في القرآنِ صريحًا قوله تعالى: ﴿ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴾ لا نأخذُ بقولِ أحدٍ بعده.

ولقد رأيتُ كتابةً بقلمِ شيخنا على كتاب: «شفاء العليل»؛ لابن القيم رحمه الله؛ لأنه ذَكَرَ هذه المسألة وأطال فيها، قال فيها شيخنا: «إِنَّ هَذَا غَلَطٌ مُحَضٌّ» أو كلمةً نحوها، ثُمَّ استغرب أن يقع من ابنِ القيمِ مثلُ هذا، وقال: «لِكُلِّ جَوَادٍ كَبُوءٌ، وَلِكُلِّ صَارِمٍ نَبُوءَةٌ»، وصدق - رحمه الله - فكلُّ المؤيِّداتِ التي ذَكَرَهَا لا يمكنُ أن تنقُصَ آيةً واحدةً من القرآنِ: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ﴿ [الأحزاب: ٦٤-٦٥] يقولون: إِنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَنُورِ النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿ [هود: ١٠٦-١٠٧]، وفي أهل الجنة قال: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَنُورِ الْجَنَّةِ خٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمٰوٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴿ [هود: ١٠٨]، فَيَقَالُ: لا فَرْقَ، إِنَّمَا قَالَ: ﴿ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ ﴾؛ لِأَنَّهَا مِنَّةٌ وَرَحْمَةٌ وَفَضْلٌ، فَأَرَادَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُبَيِّنَ فَضْلَهُ، وَأَمَّا قَوْلُهُ: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾؛ فَلِأَنَّهَا عِقَابَةٌ

وانتقام، فبيّن أنه - سبحانه وتعالى - له الحكم وأنه يفعل ما يريد، ولو أبقى هؤلاء في النار أبداً الأبدين؛ لأنه يفعل ما يريد، هذا وجه الفرق بين الآيتين.

وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ فهذا مذكور في أهل الجنة وفي أهل النار، وهذا إما أن يقال على سبيل المثال؛ لأنّ الناس يقولون في كلامهم: «لا أضحكك ما دامت السماوات والأرض»؛ يعني: أبداً الأبدين، أو يقال: «ما دامت السماوات والأرض إلا ما شاء ربك»؛ أي: فوق ذلك، فوق دوام السماوات والأرض، وعلى كل حال إذا تنزلنا مع هؤلاء قلنا: هذه الآية من المتشابهة فتحمل على المحكم الذي لا شك فيه.

٣٩٠٩ - يَا قَوْمَنَا بَلَّغِ الْوَجُودَ بِأَسْرِهِ الذُّدُّ دُنْيَا مَعَ الْآخِرَى مَعَ الْإِيمَانِ
معناه: أن صنيعهم بلغ الدنيا والآخرة، ففي قولهم فساد الدنيا وفساد الآخرة.

٣٩١٠ - وَالْخَلْقُ وَالْأَمْرُ الْمُنَزَّلُ وَالْجَزَا وَمَنَازِلُ الْجَنَّاتِ وَالنَّيْرَانِ
كل هذا يُعرفُ مُفصَّلاً من مذاهب هؤلاء المعطلة حتى إنهم قالوا: إنّ الموازين يوم القيامة ليست حسبيّة، والصراط ليس حسبيّاً، والحوض ليس حسبيّاً، أمّا الفلاسفة الأولون فمعلوم قولهم في الجزاء وأنه ليس هناك جنة ولا نار، وإنّما هي أمورٌ تخيليةٌ.

٣٩١١ - وَالنَّاسُ قَدْ وَرِثُوهُ بَعْدُ فَمِنْهُمْ ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسَّهْمَانِ
قوله: «وَالنَّاسُ قَدْ وَرِثُوهُ بَعْدُ»؛ يعني: قد ورثوا هذا التعطيل وهذا الضلال.

قَوْلُهُ: «فَمِنْهُمْ ذُو السَّهْمِ وَالسَّهْمَيْنِ وَالسَّهْمَانِ»؛ فوَاحِدٌ أَخَذَ سَهْمًا، وَالثَّانِي أَخَذَ سَهْمَيْنِ، وَالثَّلَاثُ أَخَذَ سَهَامًا.

٣٩١٢- بِئْسَ الْمُورَثُ وَالْمُورَثُ وَالتَّرَا ثُ ثَلَاثَةٌ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانٍ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللهُ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَرِثُوا الْفَلَاسِفَةَ وَالْمَنَاطِقَةَ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ وَغَيْرِهِمْ يُقَالُ فِي إِرْثِهِمْ وَفِيَا وَرِثُوهُ مَا قَالَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى -: «بِئْسَ الْمُورَثُ وَالْمُورَثُ وَالتَّرَاثُ»، «الْمُورَثُ»: الْأَوَّلُ، «الْمُورَثُ»: الثَّانِي، وَ«التَّرَاثُ»: الشَّيْءُ الْمُورِثُ، فَمِثْلًا إِذَا مَاتَ إِنْسَانٌ وَخَلَّفَ مَالًا وَوَرِثَتْهُ، الْأَوَّلُ: الْمَيِّتُ وَهُوَ الْمُورَثُ، وَالْوَارِثُ «مُورَثٌ»، وَالْمَالُ «تَرَاثٌ»، كُلُّ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ أَهْلٌ لِكُلِّ هَوَانٍ.

٣٩١٣- يَا وَارِثِينَ نَبِيَّهُمْ بِشِرَاكُمُ مَا إِرْثُكُمْ مَعَ إِرْثِهِمْ سِيَّانٍ

٣٩١٤- شَتَّانَ بَيْنَ الْوَارِثِينَ وَبَيْنَ مَوْرُوثِيهِمَا وَسِيَّاهُمَا ذِي سَهْمَانٍ

٣٩١٥- يَا قَوْمُ مَا صَاحَ الْأَيْمَةُ جُهْدَهُمْ بِالْجَهْمِ مِنْ أَقْطَارِهَا بِأَذَانٍ

٣٩١٦- إِلَّا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ أَقْوَالِهِ وَمَالِهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

٣٩١٧- قَوْلُ الرَّسُولِ وَقَوْلُ جَهْمٍ عِنْدَنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

٣٩١٨- نَصْحُكُمْ وَاللهُ جُهْدَ نَصِيحَةِ مَا فِيهِمْ وَاللهُ مِنْ خَوَانٍ

٣٩١٩- فَخُذُوا بِهَدْيِهِمْ فَرَبِّي ضَامِنٌ وَرَسُولُهُ إِنْ تَفَعَّلُوا بِجَنَانٍ

٣٩٢٠- فَإِذَا أَبَيْتُمْ فَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ أَنْتَبَعَ الْهُدَى وَانْقَادَ لِلْقُرْآنِ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ هَؤُلَاءِ المَعَطَّلَةَ مِنَ المتكَلِّمِينَ وَغَيْرِهِم أَنَّهُمْ وَرِثُوا الفلاسفةَ وَالمَنَاطِقَةَ
قال - رحمه الله -:

٣٩١٣ - يَا وَارِثِينَ نَبِيِّهِمْ بُشْرَاكُمْ مَا إِرْثُكُمْ مَعَ إِرْثِهِمْ سَيَّانِ
قَوْلُهُ: «بُشْرَاكُمْ»؛ يعني: البُشْرَى لكم.

والوارثون للرَّسُولِ ﷺ هم الذين وَرِثُوهُ عِلْمًا وَعَمَلًا وَدَعْوَةً، وليس
الوارثون للرَّسُولِ ﷺ هم الذين وَرِثُوا العِلْمَ فقط؛ لأنَّ العِلْمَ إِذَا لم يكن معه عَمَلٌ
وَدَعْوَةٌ فَإِنَّهُ قد يكونُ وَبِالْأَعْلَى صاحِبِهِ.

٣٩١٤ - شَتَّانَ بَيْنَ الوَارِثِينَ وَبَيْنَ مَوْرُوثِيهِمَا وَسِيَّاهُمَا ذِي سَهْمَانِ
قَوْلُهُ: «شَتَّانَ» بمعنى: بَعْدَ.

يعني: بَعْدَ مَا بَيْنَ الوَارِثِينَ لِهَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ وَبَيْنَ المَوْرُوثِينَ أَيضًا.

٣٩١٥ - يَا قَوْمُ مَا صَاحَ الأَيْمَةُ جُهْدَهُمْ بِالْجَهْمِ مِنْ أَقْطَارِهَا بِأَذَانِ

٣٩١٦ - إِلا لِمَا عَرَفُوهُ مِنْ أَقْوَالِهِ وَمَالِهَا بِحَقِيقَةِ العِرْفَانِ

العِلْمَاءُ فِي أَقْطَارِ الدُّنْيَا كُلِّهَا صَاحَتْ بِالجَهْمِ وَشَنَعَتْ عَلَيْهِ وَبَيَّنَّتْ بطلَانَ
مذهِبِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ مَا لِهَذَا المذْهَبِ مِنَ الأَثَارِ السَّيِّئَةِ عَلَى الأُمَّةِ الإِسْلامِيَّةِ؛
فَلذَلِكَ صاحِبُوا بِهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ.

٣٩١٧ - قَوْلَ الرَّسُولِ وَقَوْلَ جَهْمٍ عِنْدَنَا فِي قَلْبِ عَبْدِ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

لماذا؟ لِأَنَّ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ قَوْلٌ حَقٌّ، وَقَوْلَ جَهْمٍ قَوْلٌ باطلٌ، فلا يَجْتَمِعُ

حَقٌّ مَعَ بَاطِلٍ بَحِيثٌ يَكُونُ كُلُّ مَنُهَا صَاحِبًا مُعْتَقِدًا، بَلْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢].

٣٩١٨ - نَصَحُواكُمْ وَاللهُ جُهْدَ نَصِيحَةٍ مَا فِيهِمْ وَاللهُ مِنْ خَوَانٍ
نَصَحَكُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ نَصِيحَةً بِالْغَةِ مَا فِيهِمْ وَاللهُ مِنْ خَوَانٍ.

٣٩١٩ - فَخُذُوا بِهَدْيِهِمْ قَرِيبِي ضَامِنٌ وَرَسُولُهُ إِنْ تَفَعَّلُوا بِجِنَانٍ
يعني: إذا أخذتم بهدي أهل السنة والجماعة المبني على قول الرسول عليه الصلاة والسلام، بل على قول الله وقول رسوله فإن الله ورسوله قد ضمنا لكم الجنان إن فعلتم ذلك؛ لأنكم على صراط مستقيم.

وصريح كلام المؤلف - رحمه الله - أن المبتدع تصح توبته؛ لأنه قال: «فخذوا بهديهم قريبي ضامن ورسوله إن تفعلوا - ضامن - بجنان»؛ يعني: أن تدخلوا الجنة وهو يخاطب الجهمية، فدل ذلك على أن ابن القيم - رحمه الله - يرى أن المبتدع له توبة، ولا شك أن هذا هو الصواب، ومن يحول بين الإنسان وبين توبته إلى ربه؟! ليس الله - سبحانه وتعالى - يقول: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، بلى، والله يقول هكذا، فمن يحول بين الإنسان وبين التوبة؟! أو ليس أئمة الكفر ودعاة الضلال الذين يسبون الله ورسوله ودين الإسلام آمنوا فقبل إيمانهم، وتابوا إلى الله فقبل الله توبتهم، لكن على المبتدع أن يبين ضلاله السابق لا سيما إذا انتشر بين الناس، عليه أن يبين أنه على ضلالة فيما سبق، وأن السنة والصواب خلاف ما قاله أولاً، وقد فعل ذلك الأئمة - رحمهم الله - الذين كانوا على البدعة في أول الأمر كابي الحسن الأشعري، فإن أبا الحسن الأشعري - رحمه الله - كان على مذهب

المعتزلة أربعين سنة وهو يُدافع عن المذهبِ ويؤيِّده، فَمَنَّ اللهُ عليه واهتدى؛ يعني: بقولٍ وسطٍ، فصَاحَ بعد صلاةِ الجمعةِ مُعلنًا بطلانَ مذهبِ المعتزلةِ، وقام يردُّ عليهم، ثُمَّ اهتدى في النهايةِ حتَّى صار على مذهبِ إمامِ أهلِ السُّنَّةِ أحمدَ ابنِ حنبلٍ -رحمه الله-، ومثُلُ هذا الرَّجلِ هل يمكنُ أن نقولَ: لا تُقبَلُ توبتهُ؟ لا يمكنُ، خصوصًا وأَنَّهُ أعلنَ بطلانَ ما كان عليه في المذهبِ الأوَّلِ.

٣٩٢٠- فَإِذَا أَبَيْتُمْ فَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى وَانْقَادَ لِلْقُرْآنِ
يعني: فأنتم ضلَّالٌ، والسَّلَامُ على مَنْ اتَّبَعَ الهدى وانقادَ للقرآنِ.

٣٩٢١- سِيرُوا عَلَى نُجْبِ الْعَزَائِمِ وَاجْعَلُوا بِظُهُورِهَا الْمَسْرَى إِلَى الرَّحْمَنِ
٣٩٢٢- سَبَقَ الْمُفْرَدُ وَهُوَ ذَا كَرُرٍ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا نَسِيَانٍ
٣٩٢٣- لَكِنَّ أَخُو الْغَفَلَاتِ مُنْقَطِعٌ بِهِ بَيْنَ الْمَفَاوِزِ تَحْتَ ذِي الْغِيْلَانِ
٣٩٢٤- صَيْدُ السَّبَاعِ وَكُلُّ وَحْشٍ كَاسِرٍ بِئْسَ الْمُضِيفُ لِأَعْجَزِ الضُّيْفَانِ
٣٩٢٥- وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَضْطَادُ الَّذِي لَا يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ كُلَّ أَوَانٍ
٣٩٢٦- وَالذُّكْرُ أَنْوَاعٌ فَأَعْلَى نَوْعِهِ ذِكْرُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الْمَنَّانِ
٣٩٢٧- وَتُبُوتُهَا أَصْلٌ لِهَذَا الذُّكْرِ وَالنِّدْبِ سَنَافِي لَهَا دَاعٍ إِلَى النَّسِيَانِ
٣٩٢٨- فَلِذَلِكَ كَانَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ ذَا لَمْ يَرْحَبْ بِخَلِيفَةِ الشَّيْطَانِ
٣٩٢٩- وَالذَّاكِرُونَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فَأَعْدَ لَاهُمْ أَوْلُو الْإِيْمَانِ وَالْعِرْفَانِ

٣٩٢٠- بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا إِذَا قَامُوا بِحَمِّهِ - بِدِ اللَّهِ فِي سِرِّهِ وَفِي إِعْلَانِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - في بيان أهل الذكر وأهل الغفلة، يقول:

٣٩٢١- سِيرُوا عَلَى نُجْبِ الْعَزَائِمِ وَاجْعَلُوا بِظُهُورِهَا الْمَسْرَى إِلَى الرَّحْمَنِ

الخطاب لأهل السنة؛ يعني: لا يهتمكم هؤلاء، بل «سِيرُوا عَلَى نُجْبِ الْعَزَائِمِ»، و«نُجْب» جمع نَجِيَّة، وهي الناقة المختارة التي تفوق غيرها.

٣٩٢٢- سَبَقَ الْمَفْرَدُ وَهُوَ ذَاكِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ حَالٍ لَيْسَ ذَا نِسْيَانٍ

قَوْلُهُ: «سَبَقَ الْمَفْرَدُ وَهُوَ ذَاكِرُ رَبِّهِ»؛ وذلك كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «سَبَقَ الْمَفْرَدُونَ»، قالوا: وَمَا الْمَفْرَدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(١).

قَوْلُهُ: «فِي كُلِّ حَالٍ» أَخَذَهُ الْمُؤَلَّفُ مِنْ قَوْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»^(٢)، وفي القرآن الكريم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

٣٩٢٣- لَكِنَّ أَخَوَ الْغَفَلَاتِ مُنْقَطِعٌ بِهِ بَيْنَ الْمَفَاوِزِ تَحْتَ ذِي الْغِيْلَانِ

قَوْلُهُ: «الْغَفَلَاتِ»؛ يعني: عن ذكر الله عز وجل.

وَكُلَّمَا غَفَلَ الْإِنْسَانُ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ انْقَطَعَتْ بِهِ السَّبِيلُ، وَكُلَّمَا عَمَرَ قَلْبُهُ بِذِكْرِ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم (٢٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ها هنا وها هنا وهل يلتفت في الأذان،

ومسلم: كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، رقم (٣٧٣).

رَبُّهُ وَصَلَ إِلَى الْغَايَةِ، فَالذِّكْرُ بِمَنْزِلَةِ النُّورِ يَهْتَدِي بِهِ الْإِنْسَانُ فِي ظُلُمَاتِ الطُّرُقِ حَتَّى يَصَلَ إِلَى غَايَتِهِ.

٣٩٢٤- صَيْدُ السَّبَاعِ وَكُلُّ وَحْشٍ كَاسِرٍ بِئْسَ الْمُضِيفُ لِأَعْجَزِ الضَّيْفَانِ

قَوْلُهُ: «صَيْدُ السَّبَاعِ»؛ يَعْنِي: هُمُ صَيْدُ السَّبَاعِ.

قَوْلُهُ: «وَكُلُّ وَحْشٍ كَاسِرٍ»؛ يَعْنِي: كُلُّ وَحْشٍ شَدِيدِ الْوَحْشِيَّةِ.

قَوْلُهُ: «بِئْسَ الْمُضِيفُ لِأَعْجَزِ الضَّيْفَانِ»، وَهَذَا كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ضَعُفَكَ

الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ١٧٣].

٣٩٢٥- وَكَذَلِكَ الشَّيْطَانُ يَصْطَادُ الَّذِي لَا يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ كُلَّ أَوَانٍ

الشَّيْطَانُ يَصْطَادُ الْغَافِلِينَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ؛ وَهَذَا سُمِّيَ الْخَنَاسَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:

﴿مِنَ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَاسِ﴾ [النَّاس: ٤]، قَالَ الْعُلَمَاءُ: هُوَ الَّذِي يَخْنَسُ إِذَا ذَكَرَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

ولهذا كان الغافل عن ذكر الله يتبع هواه ويضيع عليه أمره كما قال جلَّ

وعلا: ﴿وَلَا تُطْعَمَنَ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؛

أي: ضياعاً لا بركة فيه، لكن ذاكراً لله عزَّ وجلَّ يُنْزِلُ اللَّهُ لَهُ الْبُرْكَةَ فِي قَوْلِهِ وَفَعَلِهِ

وسعيه وجميع أحواله.

٣٩٢٦- وَالذِّكْرُ أَنْوَاعٌ فَأَعْلَى نَوْعِهِ ذِكْرُ الصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الْمَنَّانِ

الذِّكْرُ أَنْوَاعٌ؛ يَكُونُ بِالْقَلْبِ، وَيَكُونُ بِاللِّسَانِ، وَيَكُونُ بِالْجَوَارِحِ، أَمَّا بِالْقَلْبِ

كَأَن يَكُونَ قَلْبُ الْإِنْسَانِ دَائِمًا مُتَعَلِّقًا بِرَبِّهِ، يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كُلَّمَا شَاهَدَ آيَةً مِنْ

آيَاتِ اللَّهِ.

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ^(١)

فهو كلما نظر في الكون ذكر الله عز وجل.

والذكر باللسان هو قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، وما أشبه ذلك، ونصفه بصفة العموم فنقول: كل قول يقرب إلى الله فهو من ذكر الله، فيشمل قراءة القرآن، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ودراسة العلم، وغير ذلك.

وأما الذكر بالجوارح فهو التعبُّد لله تعالى بالجوارح، فالصلاة مثلاً تجمع أنواع الذكر؛ لأنها ذكر بالقلب؛ إذ أن الإنسان حين صلواته متعلق قلبه بربه عز وجل، وهي ذكر باللسان؛ لأنها تشتمل على تكبير وقرآن وتسيح ودعاء، وهي ذكر أيضاً بالجوارح؛ لأن فيها قياماً وقعوداً وركوعاً وسجوداً، فهي في الحقيقة روضة من رياض الذكر لا نظير لها في العبادات، ولهذا كانت أفضل العبادات بعد الشهادتين.

٣٩٢٧- وَبُوتُهَا أَصْلٌ لِهَذَا الذِّكْرِ وَالنِّدْبِ نِنَافِي لَهَا دَاعٍ إِلَى النَّسْيَانِ

قوله: «وَبُوتُهَا أَصْلٌ لِهَذَا الذِّكْرِ»؛ يعني: ثبوت صفات الله عز وجل أصل لهذا الذكر؛ لأنه لا يمكن أن يذكر الإنسان ربه بصفاته إلا بعد إثباتها؛ إذ كيف يذكره بصفات لا يُثبتها؛ ولهذا نجد المعطلة محرومين غاية الحرمان من لذة الذكر؛ لأنهم لا يعتقدون لله وجهاً ولا يداً ولا رحمةً ولا فرحاً ولا ضحكاً ولا عجباً، فهم -والعياذ بالله- محرومون من لذة الذكر؛ إذ أنهم في الحقيقة كما قال ابن القيم في مقدمة النونية: «المعطل يعبد عدماً والممثل يعبد صنماً»، وصدق رحمه الله.

(١) البيت عزاه في معارج القبول (١/١١١) لأبي العتاهية.

قَوْلُهُ: «وَالنَّافِي لَهَا دَاعٍ إِلَى النَّسْيَانِ»: الذي ينفىها يدعو النَّاسَ إلى نسيانِ ذكرِ الله، وحينئذٍ يضيعُ أمرُهُ في الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّهم إذا لم يُثبتوا الصِّفَاتِ لم يذكرُوا الله.

٣٩٢٨- فَلِذَاكَ كَانَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ ذَا لَا مَرَحَبًا بِخَلِيفَةِ الشَّيْطَانِ

قَوْلُهُ: «فَلِذَاكَ كَانَ خَلِيفَةَ الشَّيْطَانِ ذَا»: أي: هذا الذي يَنْفِي الصِّفَاتِ كَانَ خَلِيفَةَ للشَّيْطَانِ؛ لأنَّ الشَّيْطَانَ يَصُدُّ النَّاسَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ، وهذا يَصُدُّ النَّاسَ عَنْ إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ، وبالتالي عن ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «لَا مَرَحَبًا بِخَلِيفَةِ الشَّيْطَانِ» ولا بالشَّيْطَانِ، لا مَرَحَبًا بِالْخَلِيفَةِ وَلَا بِالْمَخْلُوفِ.

٣٩٢٩- وَالذَّاكِرُونَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ فَأَعْلَاهُمْ أُولُو الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ

بماذا؟ قال:

٣٩٣٠- بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا إِذَا قَامُوا بِحَمْدِ اللهِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

قَوْلُهُ: «إِذَا قَامُوا بِحَمْدِ اللهِ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ»، وفي نسخة: «إِذَا»، ونسخة «إِذَا» هي التي يَتَمُّ بها البيتُ.

الذَّاكِرُونَ عَلَى مَرَاتِبَ بِحَسَبِ مَا قَامَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّعَلُّقِ بِهِ؛ فَأَعْلَاهُمْ أُولُو الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ بِصِفَاتِهِ الْعُلْيَا؛ يعني: أَعْلَاهُمْ مَنْ آمَنَ بِصِفَاتِ اللهِ وَعَرَفَ صِفَاتِ اللهِ، فَهَؤُلَاءِ أَعْلَى أَهْلِ الذِّكْرِ مَنْزِلَةً.

- ٣٩٣١ - وَأَخْصُ أَهْلَ الذِّكْرِ بِالرَّحْمَنِ أَعْدَ لِمَهُمْ بِهَا هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ
- ٣٩٣٢ - وَكَذَلِكَ كَانَ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ وَالْمَوْلُودُ مِنْ عِمْرَانَ
- ٣٩٣٣ - وَكَذَلِكَ نُوحٌ وَإِبْنُ مَرْيَمَ عِنْدَنَا هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ
- ٣٩٣٤ - لِمَعَارِفٍ حَصَلَتْ لَهُمْ بِصِفَاتِهِ لَمْ يُؤْتَهَا أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ
- ٣٩٣٥ - وَهُمْ أَوْلُو الْعَزْمِ الَّذِينَ بِسُورَةِ الْأَحْزَابِ وَالشُّورَى أَتَوْا بَيِّنَاتٍ
- ٣٩٣٦ - وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْأَوْصَافِ وَهِيَ الْقَصْدُ بِالْقُرْآنِ
- ٣٩٣٧ - لِيَصِيرَ مَعْرُوفًا لَنَا بِصِفَاتِهِ وَيَصِيرَ مَذْكُورًا لَنَا بِجَنَانِ
- ٣٩٣٨ - وَلِسَانٍ أَيْضًا مَعَ مَحَبَّتِنَا لَهُ فَلِأَجْلِ ذَا الْإِبْتِاتِ فِي الْإِيمَانِ
- ٣٩٣٩ - مِثْلُ الْأَسَاسِ مِنَ الْبِنَاءِ فَمَنْ يَرُمُ هَدَمَ الْأَسَاسِ فَكَيْفَ بِالْبُنْيَانِ
- ٣٩٤٠ - وَاللَّهُ مَا قَامَ الْبِنَاءُ لِذَيْنِ رُسُلِهِ لِي اللَّهِ بِالتَّعْطِيلِ لِلذِّيَانِ
- ٣٩٤١ - مَا قَامَ إِلَّا بِالصِّفَاتِ مُفْصَلًا إِبْتِاتَهَا تَفْصِيلَ ذِي عِرْفَانِ
- ٣٩٤٢ - فَهِيَ الْأَسَاسُ لِدِينِنَا وَلِكُلِّ دِينٍ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ

الشرح

٣٩٣١ - وَأَخْصُ أَهْلَ الذِّكْرِ بِالرَّحْمَنِ أَعْدَ لِمَهُمْ بِهَا هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ

قوله: «أَخْصُ»: مبتدأ، و«أَعْلَمُهُمْ»: خبرُ المبتدأ، أو بالعكس.

يعني: أَخْصُ أَهْلَ الذِّكْرِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُهُمْ بِصِفَاتِ اللَّهِ.

٣٩٣٢- وَكَذَلِكَ كَانَ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ وَالْمَوْلُودُ مِنْ عِمْرَانَ

٣٩٣٣- وَكَذَلِكَ نُوحٌ وَابْنُ مَرْيَمَ عِنْدَنَا هُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ كَانَ مُحَمَّدٌ وَأَبُوهُ إِبْرَاهِيمُ» من أولي العزم: مُحَمَّدٌ ﷺ، وأبوه إبراهيم، قال الله تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال له إبراهيم لَمَّا عُرِجَ بِهِ: «مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ»^(١)، فأبوه إبراهيم عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

قَوْلُهُ: «وَالْمَوْلُودُ مِنْ عِمْرَانَ» هو موسى عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

يقول ابن القيم - رحمه الله -: إِنَّ أُولَى الْعِزْمِ خَمْسَةٌ مِنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ رَتَّبَهُمْ عَلَى الْأَفْضَلِيَّةِ، فَأَفْضَلُهُمْ مُحَمَّدٌ، ثُمَّ إِبْرَاهِيمُ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ نُوحٌ، ثُمَّ ابْنُ مَرْيَمَ، وَهُمْ خَيْرُ خَلْقِ اللَّهِ مِنْ إِنْسَانٍ؛ لِأَنَّهُمْ أَفْضَلُ الرُّسُلِ، وَالرُّسُلُ أَفْضَلُ الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا كَانَ هَؤُلَاءِ أُولَى الْعِزْمِ لَمَا سَيَذْكُرُهُ.

٣٩٣٤- لِمَعَارِفٍ حَصَلَتْ لَهُمْ بِصِفَاتِهِ لَمْ يُؤْتَمَّا أَحَدٌ مِنَ الْإِنْسَانِ

وَلَا شَكَّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الرُّسُلَ الْخَمْسَةَ نَالَهُمْ أَوْ أَتَاهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ مَا لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهِمْ، ثُمَّ النَّبِيُّونَ وَالرُّسُلُ عَلَى طَبَقَاتٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وَلِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، فَالرُّسُلُ قَدْ فَضِّلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَالنَّبِيُّونَ أَيْضًا قَدْ فَضِّلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، وَفُضِّلَ اللَّهُ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء، رقم (٣٤٢)، ومسلم:

كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ، رقم (١٦٣).

٣٩٣٥- وَهُمْ أُولُو الْعَزْمِ الَّذِينَ بَسُورَةَ الْ- أَحْزَابِ وَالشُّورَى أَتَوْا بَيَانَ

قال الله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلِذَٰلِكَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب:٧] هذا في «الأحزاب»، وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى:١٣] هذا في سورة «الشورى».

٣٩٣٦- وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْ- أَوْصَافِ وَهِيَ الْقَصْدُ بِالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ مِنَ الْأَوْصَافِ»؛ أي: من أوصافِ الله عزَّ وجلَّ، فلا تكادُ تجد آيةً إلَّا وفيها وصفٌ لله، بل إننا نقول: كُلُّ آيةٍ فهي وصفٌ لله، كيف ذلك؟ لأنَّها كلامُ الله، فهي وصفه، بل كُلُّ حرفٍ صفةٌ؛ لأنَّ كُلَّ حرفٍ كلامُ الله عزَّ وجلَّ، تكلمَّ اللهُ به بكُلِّ حرفٍ، وعلى هذا فكلُّ حرفٍ من القرآن إثباتٌ صفةٍ لله عزَّ وجلَّ، وهي صفةُ الكلامِ الذي به الكمال، فللهِ دَرُّ ابنِ القيمِّ.

قَوْلُهُ: «وَهِيَ الْقَصْدُ بِالْقُرْآنِ»؛ يعني: أوصافُ الله عزَّ وجلَّ والإخبارُ بها هي القصدُ من القرآن؛ لأنَّ القرآنَ كُلَّهُ أخبارٌ عن الله، وأخبارٌ عن أحكامِ الله، وأخبارٌ عن عبادِ الله.

٣٩٣٧- لِيَصِيرَ مَعْرُوفًا لَنَا بِصِفَاتِهِ وَيَصِيرَ مَذْكُورًا لَنَا بِجَنَانِ

قَوْلُهُ: «لِيَصِيرَ مَعْرُوفًا لَنَا بِصِفَاتِهِ»؛ أي: ليصيرَ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ معروفًا لنا بصفاته.

قَوْلُهُ: «لِيَصِيرَ مَعْرُوفًا»؛ يعني: على التَّفصِيلِ، أمَّا على الإجمالِ فَإِنَّ معرفةَ الخالقِ فطريَّةٌ، قد أخذ اللهُ علينا الميثاقَ بما ركَّزَ في فِطْرِنَا من معرفته عزَّ وجلَّ،

لكنك لا تعرفُ اللهَ على سبيلِ التَّفصيلِ إلَّا عن طريقِ الوحي.

قَوْلُهُ: «وَيَصِيرَ مَذْكَورًا لَنَا بِجَنَانٍ»، والجَنَانُ؛ أي: القلبُ، وَسُمِّيَ جَنَانًا؛ لأنَّه مستترٌ، وأصلُ المادة: الجِيمُ والنُّونُ تدلُّ على الاستتار.

٣٩٣٨- وَلِسَانٍ أَيْضًا مَعَ مَحَبَّتِنَا لَهُ

قَوْلُهُ: «وَلِسَانٍ أَيْضًا» بتنوينٍ وإحفاءِ الهمزة؛ يعني: وكذلك يصيرُ مذكورًا لنا باللسانِ، نذكره عزَّ وجلَّ بأسمائه وصفاته بألستنا.

قَوْلُهُ: «مَعَ مَحَبَّتِنَا لَهُ»، وهذا هو الرَّابِعُ: أن نحبَّه سبحانه وتعالى؛ لأنَّنا كُلَّمَا ذكرنا هذه الأوصافَ أحببناه لتمامِ فضله وكمالِ عدله، كُلُّ هذا يُعَلِّمُ من صفاته سبحانه وتعالى، وهذه فوائدُ ذكرِ صفاتِ الله عزَّ وجلَّ.

٣٩٣٨- فَلَأَجَلٍ ذَا الْإِثْبَاتِ فِي الْإِيمَانِ

٣٩٣٩- مِثْلَ الْأَسَاسِ مِنَ الْبِنَاءِ فَمَنْ يَرُمُ هَدْمَ الْأَسَاسِ فَكَيْفَ بِالْبُنْيَانِ

يعني: صار الإثباتُ في الإيمانِ كالأساسِ للبناءِ، فهو أساسُ الإيمانِ.

قَوْلُهُ: «فَمَنْ يَرُمُ هَدْمَ الْأَسَاسِ فَكَيْفَ بِالْبُنْيَانِ؟!» الذي يهدمُ الأساسَ، هل يبقى البنيانُ أولًا؟ الجوابُ: لا يبقى، فالذي يرومُ هدمَ الأساسِ معناه أنه لن يُبْقِيَ للبناءِ شيئًا.

٣٩٤٠- وَاللَّهُ مَا قَامَ الْبِنَاءُ لِذَيْنِ رُسْ - لِي اللَّهِ بِالتَّعْطِيلِ لِلدِّيَانِ

٣٩٤١- مَا قَامَ إِلَّا بِالصِّفَاتِ مُفْصَّلًا - إِثْبَاتَهَا تَفْصِيلَ ذِي عِرْفَانِ

وَصَدَقَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فَهَذِهِ يَمِينٌ بَارَةٌ، فَمَا قَامَ الْإِيمَانُ بِالتَّعْطِيلِ أَبَدًا.

٣٩٤٢- فَهِيَ الْأَسَاسُ لِدِينِنَا وَلِكُلِّ دِينٍ - مِنْ قَبْلَهُ مِنْ سَائِرِ الْأَدْيَانِ
 أَمَّا كَوْنُهَا أَسَاسًا لِدِينِنَا فَهَذَا أَمْرٌ مَعْرُوفٌ مَشْهُودٌ، وَأَمَّا كَوْنُهَا أَسَاسًا لِلأَدْيَانِ
 السَّابِقَةِ فَلِمَا يَنْقُلُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - عَنِ الْكُتُبِ السَّابِقَةِ مِنْ أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

٣٩٤٣- وَكَذَلِكَ زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ أَسَاسُهَا التَّعْطِيلُ يَشْهَدُ ذَا أَوْلُو الْعِرْفَانِ
 ٣٩٤٤- وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ بَدَتْ
 ٣٩٤٥- وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ بَدَتْ
 ٣٩٤٦- هَذِي زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ
 ٣٩٤٧- مَا فِيهِمْ أَحَدٌ يَقُولُ اللَّهُ قَوْلُ
 ٣٩٤٨- وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ جَلٌّ جَلَّالُهُ
 ٣٩٤٩- وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ
 ٣٩٥٠- وَيَقُولُ إِنَّ النُّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ
 ٣٩٥١- وَالنُّقْلُ جَاءَ بِمَا يَحَارُّ الْعَقْلُ فِيهِ
 ٣٩٥٢- فَانظُرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ كَيْفَ أَتَى إِلَى
 ٣٩٥٣- بِمَعَاوِلِ التَّعْطِيلِ يَقْطَعُهَا فَمَا
 ٣٩٥٤- يَدْرِي بِهَذَا عَارِفٌ بِمَا خِذِ الْ
 ٣٩٥٥- وَاللَّهُ لَوْ حَادَقْتُمْ لَرَأَيْتُمْ

تَعْطِيلُ يَشْهَدُ ذَا أَوْلُو الْعِرْفَانِ
 إِلَّا مِنَ التَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ
 مِنْ جَانِبِ الْإِثْبَاتِ وَالْقُرْآنِ
 وَمُصَنَّفَاتِهِمْ بِكُلِّ مَكَانِ
 قِ الْعَرْشِ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَكْوَانِ
 مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 مُوسَى فَاسْمَعَهُ بِذِي الْأَذَانِ
 لِلْعَقْلِ بَلْ أَمْرَانِ مُتَّفَقَانِ
 لَا الْمَحَالِ الْبَيْنِ الْبُطْلَانِ
 أَسُّ الْهُدَى وَمَعَاقِلِ الْإِيمَانِ
 يُبْقِي عَلَى التَّعْطِيلِ مِنْ إِيْمَانِ
 أَقْوَالِ مُضْطَلِعٍ بِهَذَا الشَّانِ
 هَذَا وَأَعْظَمُ مِنْهُ رَأْيُ عِيَانِ

٣٩٥٦- لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ مَا حِيلَةَ الْكَحَّالِ فِي الْعُمَيَانَ

الشرح

٣٩٤٣- وَكَذَلِكَ زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ أَسَاسُهَا التُّ- تَعَطِيلُ يَشْهَدُ ذَا أَوْلُو الْعِرْفَانَ

قَوْلُهُ: «زَنْدَقَةُ» الزَّندَقَةُ: المروق من الإسلام.

قَوْلُهُ: «أَسَاسُهَا التَّعَطِيلُ»؛ أي: تعطيل الله عزَّ وجلَّ من أوصافه وأفعاله،

فهذا هو أساسُ الزَّندقة؛ ولهذا قال:

٣٩٤٤- وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ بَدَتْ إِلَّا مِنَ التَّعَطِيلِ وَالنُّكْرَانِ

٣٩٤٥- وَاللَّهُ مَا فِي الْأَرْضِ زَنْدَقَةٌ بَدَتْ مِنْ جَانِبِ الْإِثْبَاتِ وَالْقُرْآنِ

فهذا القَسْمُ تَضَمَّنَ إِبْثَاتًا وَنَفْيًا، إِبْثَاتٌ أَنَّ الزَّندَقَةَ بَدَتْ مِنَ التَّعَطِيلِ، وَنَفْيٌ

أَنَّ تَكُونَ الزَّندَقَةَ بَدَتْ مِنَ الْإِثْبَاتِ.

٣٩٤٦- هَذِي زَنْدَقَةُ الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ وَمُصَنَّفَاتِهِمْ بِكُلِّ مَكَانٍ

يعني: فارجع إلى أقوال هؤلاء الزنادقة وإلى مُصَنَّفَاتِهِمْ تجد أنهم بنوا

زندقتهم على التعطيل.

٣٩٤٧- مَا فِيهِمْ أَحَدٌ يَقُولُ اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَكْوَانِ

ما فيهم أحدٌ يقول: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ الْعَرْشِ وَمُسْتَوٍ عَلَى الْأَكْوَانِ، الطَّيِّبُ مِنْهُمْ

يقول: إِنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ كَمَا هُوَ مُسْتَوٍ عَلَى الْأَرْضِ وَعَلَى السَّمَاءِ وَعَلَى

الْبَشْرِ وَعَلَى الْبِهَائِمِ.

وَسَبَقَ لَنَا أَنْ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَيِّ مَكَانٍ، فَلَا يُقَالُ: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ وَلَا تَحْتَ وَلَا يَمِينُ وَلَا شِمَالُ، فَالْأَوَّلُ حَلُولِيَّةٌ، وَالثَّانِي: مَعْطَلَةٌ غَايَةَ التَّعْطِيلِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

٣٩٤٨- وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ مُتَكَلِّمٌ بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ

يعني: وما فيهم أحدٌ يقول: إنَّه متكلِّمٌ بالوحي والقرآن، منهم مَنْ يقول: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ بآئِنٌ من الله، ومنهم مَنْ يقول: إنَّ القرآنَ كلامُ الله ولكنَّه كلامٌ نفسيٌّ، وهذه الحروفُ خُلِقَتْ تعبيراً عنه.

٣٩٤٩- وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ كَلَّمَ عَبْدَهُ مُوسَى فَأَسْمَعَهُ بِذِي الْأَذَانِ

يعني: ما فيهم أحدٌ يقول: إنَّ اللهَ كَلَّمَ موسى -عليه الصلاة والسلام- فأسمعه كلامه بأذنيه.

٣٩٥٠- وَيَقُولُ إِنَّ النَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ لِلْعَقْلِ بَلْ أَمْرَانِ مُتَّفِقَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَقُولُ: إِنَّ النَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ لِلْعَقْلِ»؛ يعني: ما فيهم أحدٌ يقول: إنَّ النَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ لِلْعَقْلِ، بل فيهم مَنْ يقول: إنَّ النَّقْلَ مُعَارِضٌ لِلْعَقْلِ، وَإِذَا تَعَارَضَ الْعَقْلُ وَالنَّقْلُ وَجَبَ تَقْدِيمُ الْعَقْلِ.

قَوْلُهُ: «بَلْ أَمْرَانِ مُتَّفِقَانِ»؛ يعني: بل هما أمران متفقان.

مَنْ الَّذِي يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ هَلْ أَهْلُ الْإِثْبَاتِ أَوْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ؟ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ لِلْعَقْلِ، وَأَمَّهَا أَمْرَانِ مُتَّفِقَانِ هُمُ أَهْلُ الْإِثْبَاتِ، وَلَيْسَ هُنَاكَ مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ مَنْ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ.

٣٩٥١- وَالنَّقْلُ جَاءَ بِمَا يَحَارُّ الْعَقْلُ فِيهِ — لَا الْمَحَالِ الْبَيِّنِ الْبُطْلَانِ

يعني: أن النّقل جاء بما تحارّ فيه العقول لا بما تجعله محالاً، النّقل لم يأت بشيء محالٍ، لكن جاء بما يُحَيِّرُ العقولَ، وهذا هو الواقعُ، لكنّ تحييرَ العقولِ لما جاء به النّقل لا يدلُّ على فسادِ النّقلِ، بل يدلُّ على قصورِ العقولِ حيث حارّت بهذا.

مثلاً: النّقل جاء بأن الله عزَّ وجلَّ على عرشه، وأنّه ينزلُ إلى السَّماءِ الدُّنيا، يحارُّ العقلُ، يقولُ: كيف يَنْزِلُ وهو على عرشه؟! كيف نُثِبْتُ أنّه نَزَلَ وله العلوُّ المطلقُ؟!!

نقولُ: هذا يُحَيِّرُ العقلَ، لكنّ العقلَ لا يَرى هذا محالاً بالنّسبةِ إلى الله عزَّ وجلَّ، هو محالٌ بالنّسبةِ لنا، لكن بالنّسبةِ لله ليس محالاً، في يومِ القيامةِ النَّاسُ في مكانٍ واحدٍ، في صعيدٍ واحدٍ، يُسْمِعُهُم الدَّاعِي وينفذهم البصرُ، منهم مَنْ يعرفُ حتّى يبلغُ العرقُ كعبيه، ومنهم مَنْ يصلُ إلى ركبتيه، ومنهم مَنْ يصلُ إلى حَقْوَيْهِ، ومنهم مَنْ يُلْجِمُهُ وهم في صعيدٍ واحدٍ ومكانٍ واحدٍ، العقلُ هنا يحارُّ، كيف يكونُ هذا وهم في صعيدٍ واحدٍ؟! فنقولُ: هذا غيرُ محالٍ؛ لأنَّ اليومَ الآخِرَ لا يُقَاسُ بالدُّنيا، فهو محالٌ في الدُّنيا لكن في الآخرةِ غيرُ محالٍ، على أنّه في الدُّنيا يمكنُ؛ لأنّه لو وُجِدَ ماءٌ في أرضٍ غيرِ مستويةٍ صار الماءُ في أعلاها مثلاً إلى الكعبِ، وفي عمقها يُلْجِمُ، لكن على كُلِّ حالٍ الأساسُ أنّنا لا نقيسُ أمورَ الآخرةِ بأُمورِ الدُّنيا، والقاعدةُ هنا: النّقلُ أتى بما تحارُّ فيه العقولُ لا بما تُحِيلُهُ العقولُ، وهذه قاعدةٌ صحيحةٌ.

إِذْنُ الْعُقُولِ لَا تُدْرِكُ الْحِكْمَ وَالْأَسْرَارَ فِي الشَّرَائِعِ أَحْيَانًا، فَهِيَ أَحْيَانًا تَقْفُ مَتَحَيِّرَةً، وَإِذَا جَاءَهَا الْحُكْمُ غَيْرَ مَعْلُومِ الْعِلَّةِ سَمَّاهُ الْفَقْهَاءُ تَعَبُدِيًّا، لَكِنْ هَلْ جَاءَ الشَّرْعُ بِمَا يَحِيلُهُ الْعَقْلُ؟ الْجَوَابُ: لَا، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ، فَالنَّقْلُ جَاءَ بِمَا تَحَارُّ فِيهِ الْعُقُولُ

لا بما تُحِيلُهُ العقولُ، وقولنا: «بِمَا تَحَارُّ» ليس معناه أن كُلَّ ما جاء به الشَّرْعُ فهو مُحْيِرٌ، لا، لكن أحياناً يعجزُ الإنسانُ عن إدراكِ الحكمةِ والسِّرِّ في أحكامِ الله عزَّ وجلَّ، فيقفُ حائرًا، ولكنَّه مع وقوفه حائرًا هل يُنكِرُ أو يُسَلِّمُ؟ المؤمنُ يُسَلِّمُ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وعائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لَمَّا سئِلَتْ مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟! - وهذا قد يبدو مُحْيِرًا - فقالت رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَتُؤَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا تُؤَمَّرُ بِقَضَاءِ الصَّلَاةِ»^(١)، وهذا كافٍ؛ لأننا نعلمُ علمَ اليقينِ - والله - أن الشَّرْعَ لا يمكنُ أن يُفَرِّقَ بين شَيْئَيْنِ فِي الْحُكْمِ إِلَّا وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ فِي الْحِكْمَةِ، نعلمُ هذا علمَ اليقينِ بلا شكٍّ، لكن من الحُكْمِ ما ندرُكُه ومنها ما لا ندرُكُه، ولكننا نستسلمُ ونرى أن كُلَّ شيءٍ فَرَّقَ اللهُ وَرَسُولُهُ بَيْنَهُمَا فَإِنَّهُ لِحِكْمَةٍ بِلَا شَكٍّ.

٣٩٥٢- فَانظُرْ إِلَى الْجَهْمِيِّ كَيْفَ أَتَى إِلَى أَسِّ الْهُدَى وَمَعَاقِلِ الْإِيمَانِ

لكن أتى إليهما بماذا؟ قال:

٣٩٥٣- بِمَعَاوِلِ التَّعْطِيلِ يَقْطَعُهَا فَمَا يُبْقِي عَلَى التَّعْطِيلِ مِنْ إِيْمَانِ

الجهميُّ نسبةٌ إلى الجهمِ بن صفوان الذي كان تلميذًا للجعدِ بن درهمٍ، والجعدُ بن درهمٍ هو أوَّلُ مَنْ قَالَ بِالتَّعْطِيلِ؛ لأنَّ الجعدَ بن درهمٍ قال كلمتين: قال: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا»، فأخَذَهَا عَنْهُ الْجَهْمِيُّ ابْنُ صَفْوَانَ وَنَشَرَهَا فَنُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَيُقَالُ: إِنَّ خَالِدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ أَحَدَ أَمْرَاءِ بَنِي أُمَيَّةَ خَرَجَ بِالْجَعْدِ مَوْثِقًا مَوْثِقًا بُوْثَاقٍ إِلَى مُصَلَّى الْعِيدِ وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ ضَحُّوا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيض، باب لا تقضي الحائض الصلاة، رقم (٣٢١)، مسلم: كتاب الحيض، باب وجوب قضاء الحائض الصوم، رقم (٣٣٥).

تَقَبَّلَ اللهُ ضَحَايَاكُمْ فَإِنِّي مُضَحِّحٌ بِالْجَعْدِ بْنِ دَرَهْمٍ، إِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَّخِذْ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا وَلَمْ يُكَلِّمْ مُوسَى تَكْلِيمًا»، ثُمَّ نَزَلَ فذَبَحَهُ، وَكَانُوا فِيهَا سَبَقَ مِنْ عَهْدِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَخْرُجُونَ بِضَحَايَاهُمْ إِلَى مُصَلَّى الْعِيدِ يَذْبَحُونَهَا هُنَاكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَذْبَحُ فِي بَيْتِهِ مِنْ أَجْلِ إِظْهَارِ شَعِيرَةِ الذَّبْحِ لِلَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، وَمَنْ أَجَلَ أَنْ يُطْعَمَ مِنْهَا الْفُقَرَاءُ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ فِي التُّونِيَّةِ:

وَلَأَجَلَ ذَا ضَحَى بِجَعْدِ خَالِدِ الْ - قَسْرِيٍّ يَوْمَ ذَبَائِحِ الْقُرْبَانِ
 إِذْ قَالَ: إِبْرَاهِيمُ لَيْسَ خَلِيلَهُ كَلًّا وَلَا مُوسَى الْكَلِيمَ الدَّانِي
 شَكَرَ الضَّحِيَّةَ كُلَّ صَاحِبِ سُنَّةٍ اللَّهُ دَرُكٌ مِنْ أَخِي قُرْبَانِ^(١)

٣٩٥٤ - يَدْرِي بِهَذَا عَارِفٌ بِمَا خَذِ الْ - أَقْوَالِ مُضْطَلِعٍ بِهَذَا الشَّانِ

يعني: يدري العارف بما خذ الأقوال أن التعطيل سبب هدم الإيمان، وإن كان الرجل السطحي لا يرى هذا الشيء، ولكن الرجل المتعمق يعرف أن التعطيل هدم للإيمان، صحيح أن مثل هذه المسائل العظيمة لا يعرفها طالب العلم المبتدئ، ولا يعرف ماذا تستلزمه من الباطل، وماذا يترتب عليها من الكفر، والعامي من باب أولى، ولهذا تجد كثيرًا من العوام تحصل لهم المزالق العظيمة حيث يظنون أنه لا فرق بين هذا وهذا.

وَأَخْسُ مِنْ ذَلِكَ وَأَخْبَثُهُ مَا بَدَأَ يَتَكَلَّمُ بِهِ أَذْنَابُ الْغُرَبِ مِنْ مَحَاوِلَةِ التَّوْفِيقِ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ، أَعُوذُ بِاللَّهِ، هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يُجَاوَلَ هَذَا مَوْءُنٌ بِاللَّهِ

(١) انظر: التُّونِيَّةُ لابن القيم الأبيات (٥٠، ٥١، ٥٢).

واليوم الآخر؟ هل يمكن لأحد أن يجمع بين الماء والنار؟ الجواب: لا يمكن، فيحاولون أن يجمعوا، وهذا هو الإدهان الذي قال الله تعالى فيه: ﴿رَدُّوْا لَوْ تَدَّهْنُ فَيَدَّهْنُوْنَ﴾ [القلم: ٩]، وهم والكفار يعلمون أنه لو سرى هذا الفكر - لا أقامه الله - ما بقي للجهاد موضع، ولا بقي لمعاداتهم موضع، ولأصبح الكافر ولياً للمؤمن، والمؤمن ولياً للكافر؛ لأن الاختلاف على حد زعمهم كالاختلاف بين الحنابلة والشافعية والمالكية فقط، وهذا مبدأ خطير للغاية؛ ولهذا يجب على طلبة أهل العلم إنكاره بكل وسيلة، والتأمل والتفكير في المفاسد التي يفضي إليها هذا الفكر الخبيث.

فيجب أن نعلم أن الإنسان العارف بماخذ أهل التعطيل يدري ماذا يترتب على هذا التعطيل من المفاسد العظيمة دون الإنسان الذي لا يعرف المأخذ فإنه قد يغتر بزخارف القول.

٣٩٥٥- وَاللَّهُ لَوْ حَدَّثْتُمْ لَرَأَيْتُمْ هَذَا وَأَعْظَمَ مِنْهُ رَأْيُ عِيَانِ

٣٩٥٦- لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ مَا حِيلَةَ الْكَحَّالِ فِي الْعُمَيَّانِ

قوله: «مَا حِيلَةُ الْكَحَّالِ فِي الْعُمَيَّانِ؟» الجواب: لا حيلة له، وهذا صحيح، فهذا كحال بيع الكحل، وجاءه عميان، ماذا يصنع؟ لو ملأ عيونهم من الكحل ما انتفعوا به، وهذا حقيقة، فالقلب إذا طبع عليه لا يمكن أن يهتدي، واقرأ قول الله عز وجل: ﴿إِذَا نُتِيَ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٣-١٤]، فرأوا كلام الله ورسوله أساطير الأولين، نسأل الله أن ينير قلوبنا وقلوبهم

فصل

فِي بَهْتِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ بِتَنْقِيسِ الرَّسُولِ

- ٣٩٥٧- قَالُوا تَنْقَضَتْكُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَ
عَجَبًا لِهَذَا الْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ
٣٩٥٨- عَزَلُوهُ أَنْ يَحْتَجَّ قَطُّ بِقَوْلِهِ
فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
٣٩٥٩- عَزَلُوا كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولَهُ
عَنْ ذَلِكَ عَزَلًا لَيْسَ ذَا كِتْمَانٍ
٣٩٦٠- جَعَلُوا حَقِيقَتَهُ وَظَاهِرَهُ هُوَ الْـ
كُفْرَ الصَّرِيحِ الْبَيِّنِ الْبُطْلَانِ
٣٩٦١- قَالُوا وَظَاهِرُهُ هُوَ التَّشْبِيهُ وَالتَّـ
تَجْسِيمُ حَاشَا ظَاهِرِ الْقُرْآنِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فِي بَهْتِ أَهْلِ الشِّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ بِتَنْقِيسِ الرَّسُولِ» يَقُولُ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّ أَهْلَ الشِّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ رَمَوْا أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ بِتَنْقِيسِ الرَّسُولِ ﷺ؛ يَعْنِي: قَالُوا: إِنَّكُمْ تَنْقَضْتُمْ الرَّسُولَ ﷺ بِإِثْبَاتِكُمْ مَا يَقْتَضِي التَّجْسِيمَ، وَهَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ يَقُولُهُ كُلُّ ذِي بَدْعَةٍ وَكُلُّ ذِي بَاطِلٍ.

وَالْيَوْمُ يَوْمُ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ، وَعَامَّةُ الْمُسْلِمِينَ يُقِيمُونَ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ احْتِفَالًا بِمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ هَذَا عِنَاؤُنْ مُحَبَّتِهِ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يُقِمْهُ فَإِنَّهُ لَا يُحِبُّ الرَّسُولَ ﷺ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَحْتَفِلُ بِهِ.

وفي الحقيقة أن هذا ينطبق عليه قول القائل: «رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ»^(١)، فأيهما أشدُّ حُبًّا وتعظيمًا للرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: رجلٌ يقولُ: أنا أخذو حذوه وأتبع أثره ولا أخرج عن سنته ولا أبتدع في شرعه ما ليس منه، ورجلٌ آخرٌ يقولُ: لا، لا بُدَّ أن أفرض إرادتي وأحدث في دينه ما ليس منه، أيهما أشدُّ حُبًّا؟ الجواب: الأوَّل، فهذا رسولُ الله ﷺ، وهذا أبو بكرٍ، وهذا عمرٌ، وعثمانٌ، وعليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وسائرُ الصَّحَابَةِ والتَّابِعِينَ والأئمَّةِ الأربعةِ وَمَنْ عَلَى شاكلتهم، كُلُّهُمْ لم يُقيموا احتفالاً لمولِدِ الرَّسُولِ ﷺ مع أنَّ الأمرَ مُتيسِّرٌ وسهلٌ والنُّفوسُ تدعو إليه والسَّببُ موجودٌ، فما المانعُ؟

ما الذي يمنعهم ما دام كُلُّ شيءٍ مُتيسِّرًا، والنُّفوسُ تدعو إلى تعظيمِ الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ولا مانعَ من ذلك، والسَّببُ موجودٌ وهو مرورُ هذه اللَّيْلَةِ عليهم، فما الذي يمنعهم؟

لو كان ذلك من مُقتضيات حُبِّه لكانوا هم أوَّلَ النَّاسِ بذلك وأشدَّ النَّاسِ تطبيقًا له، لكنَّهم لم يفعلوا، فدَلَّ هذا على أنَّه ليس من الشَّرْعِ، ثُمَّ لو كان من شريعةِ الله لكان يجبُ على الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- أن يُبلِّغَ النَّاسَ ذلك إِمَّا بفعله وإِمَّا بقوله.

والمنتقصُ للرَّسُولِ ﷺ هو الذي يقولُ قولًا أو يفعلُ فعلًا مضمونُه عدمُ تبليغِ الرَّسُولِ ﷺ شريعةَ الله؛ لأنَّا إذا جعلنا هذا من الشَّرعيةِ والرَّسُولُ لم يفعله ولم يأمر به فمضمونُ ذلك أنَّه كَتَمَ شريعةَ الله أو أنَّه لم يعلم بها، وصار هؤلاء أعلمَ بها منه، أو صاروا أنصحَ للخلقِ منه، وهذا مُنكَرٌ، نقولُه: ليس في هذه البدعة

(١) هذا من أمثال العرب، انظر: مجمع الأمثال للميداني (١/٢٨٦).

فقط، بل في كُلِّ بدعةٍ، ولهذا نقول: أنتم إذا رَمَيْتُمْ مَنْ لَمْ يُقَمْ الاحتفالَ بمولدِ النَّبِيِّ ﷺ بأنه يُبَغِّضُهُ أو يَتَنَقَّضُهُ فقد رميتموه بدائِكُمْ؛ لأنَّ حقيقةَ الأمرِ أنكم أنتم الذين تَنَقَّصْتُمُوهُ ولم تُحِبُّوهُ ولم تُعَظِّمُوهُ، عنوانُ حُبِّهِ الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- اتِّبَاعُ أثرِهِ وعدمُ إحداثِ شيءٍ في شرعِهِ، وهو يُعَلِّنُ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- في كُلِّ خطبةٍ جمعةٍ أو أكثرِ خطبِ الجمعةِ: «فإنَّ خَيْرَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١)، فأنتم الآن إمَّا أن تفعلوها عادةً أو عبادةً، ولكن الذي يظهرُ أنَّها عبادةٌ، وهي عبادةٌ شائِوا أو أبوا؛ لأنَّ مضمونها تعظيمُ الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وتعظيمُ الرَّسُولِ من العبادةِ، فهل جاء هذا النوعُ من التَّعْظِيمِ في شريعةِ الرَّسُولِ؟ الجوابُ: لا، إذنَّ هو بدعةٌ، ثُمَّ إِنَّهُ يتبعُهُ من الأشياءِ التي تُتَنافَى العقلَ فضلًا عن الدِّينِ، بعضهم يجلسُ ويذكرُ الرَّسُولَ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- بقصائدَ تبلغُ في الغلوِّ أن يكونَ الرَّسُولُ شريكًا لله أو أعظمَ من الله، يرددون قولَ البوصيري^(٢):

يَا أَكْرَمَ الخَلْقِ مَا لِي مَنْ أَلُوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَ حُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ
إِنْ لَمْ تَكُنْ آخِذًا يَوْمَ المَعَادِ يَدِي فَضْلًا وَإِلَّا فَقُلْ: يَا زَلَّةَ القَدَمِ
فَإِنَّ مِنْ جُودِكَ الدُّنْيَا وَضَرَّتْهَا وَمِنْ عُلُومِكَ عِلْمَ اللُّوحِ وَالقَلَمِ

يقول بعضُ العلماء: إنَّه بهذا البيتِ لم يُبَيَّنْ لله شيئًا؛ لأنَّه جعل الدُّنْيَا والآخِرَةَ من جُودِ الرَّسُولِ، فقال: «وَمِنْ عُلُومِهِ»، ولم يقل: «كُلُّ عُلُومِهِ» أيضًا، بل قال:

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧)، والنسائي: كتاب العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٨٧)، واللفظ له.

(٢) انظر: البردة شرحًا وإعرابًا وبلاغةً، لمحمد يحيى حلو (ص: ٢٠٧).

«وَمِنْ عُلُومِهِ عِلْمَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ» يردّدون هذا عن عقيدة، نسأل الله العافية، فهذه بدعة قد تصل إلى الكفر، وليتهم أيضًا يقتصرون على هذا مع أن هذا من أعظم شيء إن لم يكن أعظم شيء، بينما هم في هزّ الرؤوس والحركات إذا بهم يقومون ويقولون: «وعليك السّلام»، من الذي دخل؟ دخل النبي عليه الصّلاة والسّلام.

سبحان الله! يعني: تُسَلَّبُ العقول في هذه المناسبات، نسأل الله العافية، لكن لو أنّهم كلّفوا بهذا من قبل الشّرع هل يقومون به على هذا الوجه؟ الظاهر أنّهم لا يقومون به والعلم عند الله، لكن كيف يُكلّفون أنفسهم في أشياء لا تزيدهم من الله إلا بُعدًا؟! ولكن الجهل والشيطان هو الذي يُحدث مثل هذه الأمور؛ لأنّهم إذا عظّموا الرّسول - كما يقولون - في هذه اللّيلة نسوه في بقيّة الأيام، مرّة في السنّة وتنتهي، مع أنّ الرّسول - عليه الصّلاة والسّلام - قد رفع الله ذكره بغير هذا، ففي الأذان فرض كفاية على المسلمين أن يعلنوا على أعلى مكان: «أشهد أنّ محمّدًا رسول الله» خمس مرّات في اليوم واللّيلة، وفي الصّلاة فرض على كلّ مُصلٍّ أن يقول: «السّلام عليك أيّها النبيّ»، وأن يقول: «أشهد أنّ لا إله إلا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله»، هل يريدون أعظم من هذه الذّكري؟! لا أعظم من هذه الذّكري.

والإشكال أنّ مثل هؤلاء - نسأل الله لنا ولهم الهداية - يدعون أنّ من لم يفعل ذلك فهو يبغيض الرّسول، سبحان الله! فما أشبه اللّيلة بالبارحة، ما أشبه كلام ابن القيم - رحمه الله - بكلام هؤلاء.

وهم قد يثابون على ما في قلوبهم من حبّ الرّسول، لكنّهم يعاقبون على ما أحدثوا من البدعة؛ يعني: قد يثابون من وجه، لكنّهم لا يثابون إذا بين لهم أنّ هذه بدعة وأصرّوا عليها.

٣٩٥٧- قَالُوا تَنْقُصْتُمْ رَسُولَ اللَّهِ وَاعْجَبْنَا لِهَذَا الْبَغْيِ وَالْبُهْتَانِ

وصدق رحمه الله، هذا عجب أن أهل السنة والجماعة المتبعين للوحين: «الكتاب والسنة»، هم الذين يُقال عنهم: إنهم تنقصوا الرسول، وهذه حجةٌ محتج بها أناسٌ يقولون: مَنْ لم يغلُ بالرسولِ فهو مُبغضٌ له، من لم يبتدع البدعة في دينه التي تدعو إلى الغلو فيه فهو مُتنقِّصٌ له؛ ولهذا يقول: «فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِثْبَاتِ بِتَنْقِصِ الرَّسُولِ ﷺ»، وهو كما قال الأوَّل: «رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ»^(١).

٣٩٥٨- عَزَلُوهُ أَنْ يُحْتَجَّ قَطُّ بِقَوْلِهِ فِي الْعِلْمِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ الشَّانِ

أهل التعطيل عزلوا الرسول أن يُحتجَّ بقوله في العلم بالله العظيم الشان؛ لأنهم لا يحتجُّون بأحاديث الصفات، إن جاءت عن طريق التواتر ولم يكن لهم بُدٌّ من دفعها حرِّفوها، وإن جاءت عن طريق الأحاد قالوا: هذه عقيدة ولا تثبت بخير الواحد، فمزقوا السنة بهذه الطريقة.

٣٩٥٩- عَزَلُوا كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولَهُ عَنِ ذَاكَ عَزْلًا لَيْسَ ذَا كِتْمَانٍ

قَوْلُهُ: «عَنِ ذَاكَ»؛ أي: عن الاحتجاج بالكتاب والسنة.

٣٩٦٠- جَعَلُوا حَقِيقَتَهُ وَظَاهِرَهُ هُوَ الْكُفْرَ الصَّرِيحَ الْبَيِّنَ الْبُطْلَانَ

ما هو؟ قال:

٣٩٦١- قَالُوا وَظَاهِرُهُ هُوَ التَّشْبِيهُ وَالتَّجْسِيمُ حَاشَا ظَاهِرَ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «وَالْتَّمِثِيلُ» زيادةٌ في بعض النسخ، وبها يطول البيت، وغالب المتكلمين يعبرون بالتشبيه، لكن التعبير بالتمثيل أحسن.

(١) انظر: مجمع الأمثال للميداني (١/٢٨٦).

قوله: «حاشا» هذا من كلام ابن القيم.

يقولون: إن ظاهر آيات الصفات التمثيل، إذن المفر من ذلك أن تعطّل، فظاهر قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرّحم: ٢٧] أن له وجهًا مماثلاً لوجه المخلوق، إذن ماذا أفعل أمام هذا الظاهر؟ قالوا: عطّل، فقل: ليس له وجه.

الذي يجعل ظاهر كلام الله ورسوله في الله هو التمثيل معناه أنه جعل ظاهر القرآن والسنة الكفر؛ لأن من مثل الله بخلقه فقد كفر.

إذن على كلامهم يكون ظاهر القرآن والسنة هو الكفر والشرك؛ لأنهم يقولون: إن ظاهرهما التمثيل والتشبيه والتجسيم، وإذا كان جسمًا كان وثنًا والعباد بالله، فيرمون أهل التوحيد وأهل الإثبات بأنهم مجسمه مُمثّلة يعبدون الأصنام، وما أشبه ذلك، كما قال نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري رحمه الله، قال: «من أنكر ما وصف الله به نفسه فقد كفر، ومن شبه الله بخلقه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه تشبيها»^(١).

- | | |
|--|---|
| ٣٩٦٢- مَنْ قَالَ فِي الرَّحْمَنِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ | هِ حَقِيقَةُ الْأَخْبَارِ وَالْفُرْقَانِ |
| ٣٩٦٣- فَهُوَ الْمَشْبَهُ وَالْمُمَثَّلُ وَالْمُجَسَّمُ | سِمُ عَابِدِ الْأَوْثَانِ لَا الرَّحْمَنِ |
| ٣٩٦٤- تَاللَّهِ قَدْ مَسَحَتْ عُقُولُكُمْ فَلَيْدِ | سَ وَرَاءَ هَذَا قَطُّ مِنْ نُقْصَانِ |
| ٣٩٦٥- وَرَمَيْتُمْ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجُنْدَهُ | بِمُصَابِكُمْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ |
| ٣٩٦٦- وَجَعَلْتُمْ التَّنْقِيسَ عَيْنَ وِفَاقِهِ | إِذْ لَمْ يُوَافِقْ ذَاكَ رَأْيَ فُلَانِ |

(١) أورده الذهبي في العلو (ص: ١٧٢).

- ٣٩٦٧- أَنْتُمْ تَنْقُصْتُمْ إِلَهَ الْعَرْشِ وَاللَّهُ
قُرْآنَ وَالْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ
٣٩٦٨- نَزَّهْتُمُوهُ عَنِ صِفَاتِ كَمَالِهِ
وَعَنِ الْكَلَامِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ
٣٩٦٩- وَجَعَلْتُمْ ذَا كَلْمِهِ التَّشْبِيهَ وَالتَّ
تَمَثِيلَ وَالتَّجْسِيمَ ذَا الْبُطْلَانِ
٣٩٧٠- وَكَلَامِكُمْ فِيهِ الشَّفَاءُ وَغَايَةُ التَّ
تَحْقِيقِ يَا عَجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ
٣٩٧١- جَعَلُوا عُقُولَهُمْ أَحَقَّ بِأَخْذِ مَا
فِيهَا مِنْ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
٣٩٧٢- وَكَلَامُهُ لَا يُسْتَفَادُ بِهِ الْيَقِينُ
نُ لِأَجْلِ ذَا لَا يَقْبَلُ الْخَصْمَانِ
٣٩٧٣- تَحْكِيمَهُ عِنْدَ اخْتِلَافِهَا بَلِ الْ
مَعْقُولُ ثُمَّ الْمَنْطِقُ الْيُونَانِي
٣٩٧٤- أَيُّ التَّنْقِصِ بَعْدَ ذَا لَوْلَا الْوَقَا
حَةُ وَالْجَرَاءَةُ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
٣٩٧٥- يَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَنُورٌ قَدْ عَدَا
يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كُلِّ زَمَانٍ

الشرح

بَيْنَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - في بهت أهل الشرك والتعطيل حيث رموا أهل الإثبات والتوحيد بتنقيص الرسول، وقلنا: إن هذا شيءٌ مُطَّرِدٌ في أهل الباطل، يرمون أهل الحق بما هم مُتَّصِفُونَ بِهِ، وهم به أولى، أرايتم قول المنافقين في الرسول ﷺ وأصحابه: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هَؤُلَاءِ أَرْغَبَ بُطُونًا، وَلَا أَكْذَبَ أَلْسِنَةً، وَلَا أَجْبَنَ عِنْدَ اللَّقَاءِ»^(١)؛ يعنون: الرسول ﷺ وأصحابه، فبالله عليكم مَنْ أَحَقُّ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ؟ الْجَوَابُ: هُمْ، فَالْمُنَافِقُونَ هُمْ أَكْذَبُ النَّاسِ أَلْسِنًا، وَهُمْ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (١٨٢٩/٦)، رقم (١٠٠٤٤)، والطبري (٣٣٣/١٤).

أرغبُ النَّاسِ بطونًا، وهم أجبنُ النَّاسِ عند اللِّقَاءِ، أهلُ التَّعْطِيلِ أيضًا قالوا لأهلِ السُّنَّةِ: أنتم تنقَّصتم اللهَ فجعلتموه جسمًا، وشبَّهتموه بخلقه، وفعلتم وفعلتم.

فنقول: أيُّنا أحقُّ نحن أم أنتم؟ لا شكَّ أن مَنْ تدبَّرَ طريقهم عَلِمَ أنَّهم هم الذين تنقَّصوا اللهَ وكتابه ورسوله، يقول المؤلفُ -رحمه الله-:

٣٩٦٢- مَنْ قَالَ فِي الرَّحْمَنِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ هِ حَقِيقَةُ الْأَخْبَارِ وَالْفُرْقَانِ

٣٩٦٣- فَهُوَ الْمُشَبَّهُ وَالْمُمَثَّلُ وَالْمُجَسَّمُ سِمَ عَابِدِ الْأَوْثَانِ لَا الرَّحْمَنِ

مَنْ يَقُولُ هَذَا؟ أَهْلُ التَّعْطِيلِ، أَهْلُ التَّعْطِيلِ يَقُولُونَ: الَّذِي يَقُولُ فِي الرَّحْمَنِ مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ حَقِيقَةُ الْأَخْبَارِ وَالْفُرْقَانِ فَهُوَ الْمُشَبَّهُ وَالْمُمَثَّلُ وَالْمُجَسَّمُ عَابِدِ الْأَوْثَانِ لَا الرَّحْمَنِ، يَقُولُونَ: أَنْتَ مُجَسَّمٌ، أَنْتَ تَعْبُدُ جِسْمًا، أَنْتَ مُشَبَّهٌ، أَنْتَ لَسْتَ تَعْبُدُ اللَّهَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بَعْلُوًّا وَلَا يُوصَفُ بِصِفَةٍ، فَأَيُّ إِنْسَانٍ يُثْبِتُ لَهُ عُلُوًّا أَوْ صِفَةً فَهُوَ عَابِدٌ وَثَنٍ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

يقول ابن القيم:

٣٩٦٤- تَاللهَ قَدْ مُسِخَتْ عُقُولُكُمْ فَلَيْسَ وَرَاءَ هَذَا قَطُّ مِنْ نُقْصَانِ

صَدَقَ رَحِمَهُ اللهُ، الَّذِي يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ لَا شَكَّ أَنَّ عَقْلَهُ مَمْسُوحٌ، وَلَا أَرْدَأُ مِنْ هَذَا النَّقْصِ الَّذِي اتَّصَفَ بِهِ.

٣٩٦٥- وَرَمَيْتُمْ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجُنْدَهُ بِمُصَابِكُمْ يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «وَرَمَيْتُمْ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجُنْدَهُ بِمُصَابِكُمْ» مَا هُوَ مُصَابِكُمْ؟ التَّنْقِصُ بِاللَّهِ، فَرَمَيْتُمْ بِهِ حِزْبَ الرَّسُولِ وَجُنْدَهُ، وَقَلْتُمْ: أَنْتُمْ الَّذِينَ تَنْقُصْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «يَا فِرْقَةَ الْبُهْتَانِ» «الْبُهْتَانُ»: الْكُذْبُ.

٣٩٦٦- وَجَعَلْتُمْ التَّنْقِيسَ عَيْنَ وَفَاقِهِ إِذْ لَمْ يُوَافِقْ ذَاكَ رَأْيَ فُلَانٍ

يعني: جعلتم التنقيص هو النقص حقيقة إذا لم يوافق رأي فلان، فإن وافقه فليس بنقص على زعمهم؛ ولهذا يزعجون إلى رأي فلان وفلان دون الكتاب والسنة.

٣٩٦٧- أَنْتُمْ تَنْقَضْتُمْ إِلَهَ الْعَرْشِ وَالْقُرْآنَ وَالْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَنْتُمْ تَنْقَضْتُمْ إِلَهَ الْعَرْشِ»؛ يعني: الله عز وجل.

قَوْلُهُ: «وَالْمَبْعُوثَ بِالْقُرْآنِ» وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

٣٩٦٨- نَزَّهْتُمُوهُ عَنِ صِفَاتِ كَمَالِهِ وَعَنِ الْكَلَامِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ

قَوْلُهُ: «نَزَّهْتُمُوهُ عَنِ صِفَاتِ كَمَالِهِ»؛ أي: نزهتم الله عن صفات كماله، نزهوه عن صفات كماله؛ ولهذا كان المعطلة يُنكرون الصفات، وأما الأشاعرة فيثبتون منها سبعا فقط.

قَوْلُهُ: «... وَعَنِ الْكَلَامِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ» نزهتموه على زعمكم عن الكلام، فقلتم: إنه لا يتكلم، ونزهتموه عن الفوقية، عن فوق كل مكان؛ لأنهم يقولون: إن الله ليس فوق، وينقسمون كما سبق، فأول الجهمية كانوا حلولية، يقولون: إن الله بذاته في كل مكان، وآخرهم معطلة، يقولون: ليس فوق ولا تحت، ولا يمين ولا يسار، ولا متصلا ولا منفصلا، ولا مباينا ولا محايثا كما سبق.

٣٩٦٩- وَجَعَلْتُمْ ذَا كُلِّهِ التَّشْبِيهَ وَالتَّمْثِيلَ وَالتَّجْسِيمَ ذَا الْبُطْلَانِ

جعلتم هذا كله تجسيدا وتشبيها وتمثيلا، وقلتم: هذا شيء باطل فيلزم عليه بطلان هذه الصفات؛ لأنما تستلزمه، وقد سبق الجواب عليهم من ثلاثة أوجه في كلام المؤلف رحمه الله.

٣٩٧٠- وَكَلَامُكُمْ فِيهِ الشِّفَاءُ وَغَايَةُ التَّحْقِيقِ يَا عَجَبًا لَذَا الْخِذْلَانِ

يعني: وجعلتم كلامكم فيه الشفاء، والله هذا هو الخذلان، أن يرى الإنسان كلامه الباطل حقًا، هذا هو المخدول حقيقة؛ لأن من رأى البطلان في كلامه أوشك أن يهتدي، لكن من رأى أنه على حق فهذا هو الخذلان إذا كان على باطل، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ مَنْ هُوَ لَاءِ؟ قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤].

٣٩٧١- جَعَلُوا عُقُولَهُمْ أَحَقَّ بِأَخْذِ مَا فِيهَا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «مِنَ الْأَخْبَارِ» متعلّقة بـ«أَحَقَّ».

جعلوا عقولهم أحق بأخذ ما فيها، لكن «أحق» من أي شيء؟ الجواب: من الأخبار والقرآن.

٣٩٧٢- وَكَلَامُهُ لَا يُسْتَفَادُ بِهِ الْيَقِينُ مِنْ لِأَجْلِ ذَا لَا يَقْبَلُ الْخَصْمَانِ

٣٩٧٣- تَحْكِيمَهُ عِنْدَ اخْتِلَافِهِمَا بَلِ الْمَعْقُولِ ثُمَّ الْمَنْطِقِ الْيُونَانِيِّ

جعلوا كلام الله لا يُفيد اليقين، لماذا؟ قالوا: لأن دلالة الألفاظ ظنيّة حتى لو قلت: «قَامَ زَيْدٌ» فدلالته على قيامه ظنيّة لاحتمال أن يكون «قَامَ» بمعنى «استقام»، ولاحتمال أن يكون «زَيْدٌ» الشخص المُشَبَّه بـ«زيد»، فاستعير له اسم «زيد»؛ ولهذا عندهم قاعدة وهي: «كُلُّ الدَّلَالَاتِ اللَّفْظِيَّةِ ظَنِّيَّةٌ»، وسبحان الله! الدلالات العقلية التي هي أوهام تكون عندهم قطعية؛ ولهذا يقول: «وَكَلَامُهُ لَا يُسْتَفَادُ بِهِ الْيَقِينُ لِأَجْلِ ذَا»؛ أي: لأجل كونه لا يُستفاد به اليقين لا يقبل الخصمان تحكيمه عند اختلافهما.

إذا دُعوا إلى القرآن، قالوا: والله القرآن دلالة لفظية، والدلالة اللفظية لا تفيدُ اليقين، أمّا إذا جاؤوا في الحديث فيمزقونه أولاً قبل أن يتكلّموا فيه، ماذا يقولون؟ يقولون: خبرٌ آحادٍ، وأخبارُ الآحادِ لا تُفِيدُ إِلَّا الظنَّ، فاهدموها من الأوّل، ولا تتعبوا في تأويلها.

٣٩٧٤- أَيُّ التَّنْقِصِ بَعْدَ ذَا لَوْلَا الْوَقَا حَةَ وَالْجَرَاءُ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

٣٩٧٥- يَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ وَنُورٌ قَدْ غَدَا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كُلِّ زَمَانٍ

يُحَاطَبُ مَنْ لَهُ عَقْلٌ، فيقول: أين التَّنْقِصُ إذا نحن حَكَمْنَا كِتَابَ اللَّهِ وَأَنْتُمْ لَمْ تَحْكُمُوهُ، هل التَّنْقِصُ فِينَا أَوْ فِيكُمْ؟ هل نحن الذين تَنَقَّصْنَا كَلَامَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَسُولِهِ أَمْ هُمْ يَا مَنْ لَهُ عَقْلٌ؟ فَكَأَنَّهُ يَقُولُ: احكم بيننا: هل نحن أهل التَّنْقِصِ أَمْ هُمْ؟ لَكِنْ يَقُولُ: الْوَقَا حَةُ الَّتِي تَأْتِي مِنْكُمْ وَالْعُدْوَانُ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ تَقُولُونَ هَذَا الْقَوْلَ مَعَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ بِأَنَّكُمْ أَنْتُمْ أَهْلُ التَّنْقِصِ.

٣٩٧٦- لَكِنَّا قُلْنَا مَقَالَةً صَارِحٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ

٣٩٧٧- الرَّبُّ رَبُّ وَالرَّسُولُ فَعْبُدْهُ حَقًّا وَلَيْسَ لَنَا إِلَهٌ ثَانِي

٣٩٧٨- فَلِذَلِكَ لَمْ نَعْبُدْهُ مِثْلَ عِبَادَةِ الرَّبِّ رَحْمَنِ فَعَلَّ الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِي

٣٩٧٩- كَلَّا وَلَمْ نَعْلُ الْغُلُوَّ كَمَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الْكُفْرَانِ

٣٩٨٠- اللَّهُ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ وَلِعْبُدِهِ حَقٌّ هُمْمَا حَقَّانِ

٣٩٨١- لَا تَجْعَلُوا الْحَقِّينَ حَقًّا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانِ

- ٣٩٨٢- فَالْحَجِّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ وَكَذَا الصَّلَاةُ وَذَبْحُ ذَا الْقُرْبَانِ
- ٣٩٨٣- وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا وَيَمِينُنَا
- ٣٩٨٤- وَكَذَا التَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالتَّقَى
- ٣٩٨٥- وَكَذَا الْعِبَادَةُ وَاسْتِعَانَتُنَا بِهِ
- ٣٩٨٦- وَعَلَيْهِمَا قَامَ الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ
- ٣٩٨٧- وَكَذَلِكَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ حَقٌّ إِلَيْنَا الدِّيَانِ
- ٣٩٨٨- لَكِنَّمَا التَّعْزِيرُ وَالتَّوْقِيرُ حَقٌّ
- ٣٩٨٩- وَالْحُبُّ وَالْإِيمَانُ وَالتَّصَدِيقُ لَا
- ٣٩٩٠- هَذِي تَفَاصِيلُ الْحُقُوقِ ثَلَاثَةٌ لَا تَجْهَلُوهَا يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

الشرح

- ٣٩٧٦- لَكِنَّمَا قُلْنَا مَقَالَةً صَارِحٍ فِي كُلِّ وَقْتٍ بَيْنَكُمْ بِأَذَانٍ
- يعني: أننا لا نبالي، نقول الحق ونصرخُ به بينكم؛ كما قال الله تعالى لنبئيه: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ، دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ [الزمر: ١٥]، فالمؤمنُ يصرخُ بالحقِّ ولا يُبالي، ويتحدَّى أهلَ الباطلِ.
- ٣٩٧٧- الرَّبُّ رَبُّ وَالرَّسُولُ فَعْبُدْهُ حَقًّا وَكَذِبًا لَنَا إِلَهُ تَانِي

الرَّبُّ رَبُّ وَالرَّسُولُ عَبْدٌ، «وَلَيْسَ لَنَا إِلَهٌ تَانِي»، بل الله واحدٌ.

٣٩٧٨- فَلِذَلِكَ لَمْ نَعْبُدْهُ مِثْلَ عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ فِعْلَ الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِيِّ

قَوْلُهُ: «فَلِذَلِكَ لَمْ نَعْبُدْهُ»؛ أي: لم نعبد الرسول صلى الله عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «مِثْلَ عِبَادَةِ الرَّحْمَنِ فِعْلَ الْمُشْرِكِ النَّصْرَانِيِّ»، فالنصراني عبد رسول الله، أرسل الله عيسى إلى النصارى فأل بهم الأمر حتى غلوا فيه فجعلوه إلهًا ثانيًا.

٣٩٧٩- كَلَّا وَلَمْ نَغْلُ الْغُلُوَّ كَمَا نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ مَخَافَةَ الْكُفْرَانِ

الرَّسُولُ ﷺ حَذَرَ مَنْ أَنْ نَغْلُوَ فِيهِ لئَلَّا يُؤَدِّيَ ذَلِكَ إِلَى الشَّرِكِ وَالْكَفْرِ؛ ولهذا قال: «مَخَافَةَ الْكُفْرَانِ»؛ لأنَّ الغلوَّ في الشَّخْصِ يُلْحِقُهُ بِالْإِلَهِ، وَيُلْحِقُ الْغَالِيَّ بِالْمُشْرِكِ.

إِذَنْ نَحْنُ نُنَزِّلُ الرَّسُولَ ﷺ مِنْزَلَتَهُ، وَنَجْعَلُ حَقَّ اللَّهِ لَهُ وَحْدَهُ لَا يَشْرِكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ؛ ولهذا قال المؤلف:

٣٩٨٠- اللَّهُ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ هُمَا حَقَّانِ

قَوْلُهُ: «لِلَّهِ حَقٌّ لَا يَكُونُ لِغَيْرِهِ وَلِعَبْدِهِ حَقٌّ»؛ أي: لا يكون لله، إذَنْ هُمَا حَقَّانِ. وهناك حقٌّ ثالثٌ مشتركٌ سيذكره المؤلف، فالحقوقُ ثلاثةٌ: حقٌّ خاصٌّ بالله، وحقٌّ خاصٌّ بالرسول، وحقٌّ مشتركٌ.

٣٩٨١- لَا تَجْعَلُوا الْحَقَّيْنِ حَقًّا وَاحِدًا مِنْ غَيْرِ تَمْيِيزٍ وَلَا فُرْقَانٍ

بل اعرفوا لله حقه، وصِفوه بصفاته، وفرِّقوا بين صفاته وصفات رسوله.

٣٩٨٢- فَالْحَجُّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ وَكَذَا الصَّلَاةُ وَذَبْحُ ذَا الْقُرْبَانِ

قَوْلُهُ: «فَالْحَجُّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ» الحجُّ لله، فلو أراد الإنسان أن يحجَّ

للرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - في المَدِينَةِ لكان مُشْرِكًا مُرْتَدًّا عن الإسلام؛ لأنَّ الحَجَّ لَهِ وَحْدَهُ، فلا نَحَجُّ إِلَّا لِبَيْتِ اللَّهِ، أمَّا المُشْرِكُونَ فيحجُّونَ لِلقُبُورِ، يَشُدُّونَ الرِّحْلَ وَيَطُوفُونَ على القُبُورِ أَشَدَّ من طوافِهِم حول الكعْبَةِ، يجد هذا المُشْرِكُ ارتباطَهُ بِصاحبِ القَبْرِ عند طوافِهِ به أَشَدَّ من ارتباطِهِ بِاللَّهِ عند طوافِهِ بِالْبَيْتِ، وهذا مُشَاهِدٌ، هل هؤلاء الذين يَحجُّونَ إلى القُبُورِ هل هم مُخْلِصُونَ عابِدُونَ لِلَّهِ؟ الجوابُ: لا، بالعكس.

وَقَوْلُهُ: «فَالْحَجُّ لِلرَّحْمَنِ دُونَ رَسُولِهِ»، وغيرُ الرَّسُولِ من بابِ أَوْلَى.

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الصَّلَاةُ وَذَبْحُ ذَا الْقُرْبَانِ»؛ أي: اللَّهُ، الصَّلَاةُ لِلَّهِ، فلو أراد أحدٌ أن يُصَلِّيَ لِلرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - أو لغيرِهِ لكان مُشْرِكًا، كذلك «ذَبْحُ ذَا الْقُرْبَانِ» تَقَرُّبًا وتَعْظِيمًا لا يَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، فلو أن إنسانًا ذَبَحَ أَمَامَ مَلِكٍ أو رَئِيسٍ أو وزيرٍ ذَبَحَ أَمَامَهُ تَعْظِيمًا له وتَقَرُّبًا إِلَيْهِ لكان هذا شِرْكًا أَكْبَرَ، والذَّبَائِحُ حَرَامٌ؛ لِأَنَّهَا أَهْلٌ لِغَيْرِ اللَّهِ بها أو مِمَّا ذُبِحَ على النُّصْبِ، وأمَّا الذَّبْحُ لِلضَّيْفِ إِكْرَامًا فهذا ليس من الشِّرْكِ؛ مع أنَّ العَمَلَ واحِدٌ لكن اِخْتَلَفَ بِالنِّيَّةِ؛ لِأَنَّ الذَّبَائِحَ لِلضَّيْفِ يَذْبَحُ له على أَنَّهُ مَفْتَقِرٌ إلى هذه الذَّبِيحَةِ لِأَكْلِ مَنها لا لِجَرْدِ التَّعْظِيمِ، أمَّا الذي يَذْبَحُ لِلَّهِ فهو يَذْبَحُ ذَلِكَ تَعْظِيمًا له مَعْتَقِدًا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنها؛ ولهذا لو جاء ضَيْفٌ كَبِيرٌ فَذَبَحْنَا له الغنمَ إِكْرَامًا وَقَدَّمْنَاها لِأَكْلِها فهذا ليس بِشِرْكِ، والصَّعْبُ بِنُجْثَامَةٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَهَبَ وَصَادَ لِلرَّسُولِ ﷺ حِمَارًا وَحَشِيًّا، وَجَاءَ بِهِ إِلَيْهِ لِئُكْرِمَهُ بِهِ، وَلَمْ يَقُلِ الرَّسُولُ: «هذا شِرْكٌ»، بل رَدَّهُ؛ لِأَنَّهُ كان مُحْرَمًا^(١).

(١) أخرجه البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب إذا أهدى للمحرم حمارا وحشيا حيا لم يقبل، رقم (١٧٢٩)، ومسلم: كتاب الحج، باب تحريم الصيد للمحرم، رقم (١١٩٣).

٣٩٨٣- وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا وَيَمِينُنَا وَكَذَا مَتَابُ الْعَبْدِ مِنْ عِصْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا السُّجُودُ وَنَذْرُنَا وَيَمِينُنَا» السُّجُودُ لِلَّهِ، فَلَوْ سَجَدَ أَحَدٌ لغيرِ اللَّهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً لكانَ كَافِرًا مُشْرِكًا، وَالنَّذْرُ لِلَّهِ، فَلَا يَجُوزُ لِلإنسانِ أَنْ يَقُولَ لِلنَّبِيِّ: «عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ أَصُومَ أَوْ أَنْ أَصَلِّيَّ»، أَوْ «عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ أذْبَحَ لِلوَلِيِّ»، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

وَكَذا اليمينُ، فَلَا يَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»^(١).

قَوْلُهُ: «وَكَذَا مَتَابُ الْعَبْدِ مِنْ عِصْيَانِ»؛ أَي: إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى غَيْرِهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَاذَا تُجِيبُونَ عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ حِينَ جَاءَ الرَّسُولُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فوجدَ فِي البَيْتِ نُمْرُقَةً فِيهَا صُورٌ، فَوَقَفَ، وَعُرِفَتِ الكَراهِيةُ فِي وَجْهِه، فَقَالَتِ عَائِشَةُ: «أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟»^(٢)، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: إِنَّ التَّوْبَةَ خَاصَّةٌ لِلَّهِ؟ فَنَقُولُ: إِنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَاشَاها أَنْ تُشْرِكَ بِاللَّهِ مَعَهُ غَيْرَهُ، لَكِنَّها تَقُولُ: «أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ» عِبَادَةً، وَإِلَى رَسُولِهِ اتِّبَاعًا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ ﷺ هُوَ المُشْرِعُ المُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ، فَهِيَ تَتُوبُ إِلَى الرَّسُولِ اتِّبَاعًا لَهُ لَا تَقْرُبًا إِلَيْهِ كَمَا تَقْرُبُ إِلَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا، كَأَنَّها تَقُولُ: أَنَا لَا أَقْصِدُ أَنْ أَخَالَفَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، إِنَّمَا أَقْصِدُ شَيْئًا لَا يَكْرَهُهُ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، أَوْ يُقَالُ: بِأَنَّها جَاءَتْ بِلَفْظٍ مُشْتَرِكٍ بَيْنَ تَوْبَةِ العِبَادَةِ وَتَوْبَةِ اللُّغَةِ، فَتَوْبَتُها إِلَى اللَّهِ تَوْبَةُ عِبَادَةٍ، وَتَوْبَتُها إِلَى الرَّسُولِ تَوْبَةُ لُغَةٍ؛ لِأَنَّ «تَابَ» بِمَعْنَى «رَجَعَ»، هَذَا إِذَا كَانَتْ لَفْظَةً «وَإِلَى رَسُولِهِ»

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٤٩/١٠)، رَقْمُ (٦٠٧٢)، وَالتِّرْمِذِيُّ أَبْوابَ النَّدْوَرِ وَالإِيمَانِ، بَابَ مَا جَاءَ فِي كِراهِةِ الحَلْفِ بِغَيْرِ اللَّهِ، رَقْمُ (١٥٣٥).

(٢) أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ: كِتابَ البَيْعِ، بَابَ التِّجَارَةِ فِيما يَكْرَهُ لِبِسِهِ لِلرِّجالِ وَالنِّساءِ، رَقْمُ (٢١٠٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتابَ اللِّباسِ وَالزَّيْنَةِ، بَابَ لَا تَدْخُلُ الملائكةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ، رَقْمُ (٢١٠٧).

محفوظة، أمّا إن لم تكن محفوظة فلا إشكال.

٣٩٨٤- وَكَذَا التَّوَكُّلُ وَالْإِنَابَةُ وَالتَّقَى وَكَذَا الرَّجَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا التَّوَكُّلُ»؛ أي: التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بِأَنْ تَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطَّلَاق: ٣]، وَهَذَا بِخِلَافِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْعَبْدِ فِيمَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ كِتْوَكِيلِ الْعَبْدِ فِي بَيْعٍ أَوْ شِرَاءٍ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يِعْتَمِدُ عَلَيْهِ لَكِنَّهُ لَيْسَ كِتْوَكِيلِهِ عَلَى اللَّهِ، الْإِنْسَانُ يَتَوَكَّلُ عَلَى وَكِيلِهِ وَهُوَ يَرَى أَنَّ فَوْقَهُ وَأَنَّ وَكِيلَهُ يَأْتُرُّ بِأَمْرِهِ، لَكِنْ يَتَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ حَسْبَهُ وَأَنَّ مُفْتَقِرٌ إِلَى رَبِّهِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَوْقَهُ، فَمُفْرَقٌ بَيْنَ التَّوَكُّلَيْنِ؛ فَتَوَكُّلُ الْمَوْكَلِ عَلَى وَكِيلِهِ لَيْسَ كِتْوَكُلِ الْإِنْسَانِ عَلَى رَبِّهِ؛ لِأَنَّ تَوَكُّلَهُ عَلَى وَكِيلِهِ تَوَكُّلٌ اسْتِغْنَاءً، وَتَوَكُّلَهُ عَلَى رَبِّهِ تَوَكُّلٌ اِفْتِقَارٍ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَحْتَاجٌ إِلَيْهِ وَمُضْطَرٌّ إِلَيْهِ، لَكِنْ يِعْتَمِدُ عَلَيْهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَهَذَا يِعْتَمِدُ عَلَى رَبِّهِ وَيَفْعَلُ الْأَسْبَابَ الَّتِي يَتَحَقَّقُ بِهَا مَطْلُوبُهُ.

قَوْلُهُ: «الْإِنَابَةُ»؛ أي: إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَهِيَ الرُّجُوعُ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ، فَلَا تُنَبِّ لِعَيْرِ اللَّهِ أَبَدًا.

قَوْلُهُ: «وَالْتَّقَى» مَنْ نَتَّقِي؟ الْجَوَابُ: اللَّهُ، لَكِنْ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَذْكُرُ التَّقْوَى مِضَافَةً إِلَيْهِ أحيانًا، وَمِضَافَةً إِلَى الْعَذَابِ أحيانًا، وَمِضَافَةً إِلَى دَارِ الْعَذَابِ أحيانًا، وَمِضَافَةً إِلَى زَمَنِ الْعَذَابِ أحيانًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٣١] هَذَا مَكَانُ الْعَذَابِ، وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنْقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] هَذَا زَمَنُ الْعَذَابِ، وَيَذْكُرُ اللَّهُ تَقْوَاهُ كَثِيرًا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْقُونَ يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، فَإِذَا كَانَتِ التَّقْوَى لِلَّهِ فَكَيْفَ صَحَّ أَنْ تُضَافَ إِلَى الْمَذْكُورَاتِ السَّابِقَةِ؟ نَقُولُ: لِأَنَّ هَذِهِ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ وَخَلْقِ اللَّهِ، وَهِيَ مَحَلُّ عَذَابِهِ أَوْ زَمَانِهِ، فَتَقَاتُهَا

تُعْتَبَرُ تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ .

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الرَّجَاءُ» الرَّجَاءُ أَيْضًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَرْجُو غَيْرَ اللَّهِ، لَكِنْ رَجَاؤُهُ لَغَيْرِ اللَّهِ لَيْسَ كَرَجَائِهِ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ رَجَاءَهُ لِلَّهِ رَجَاءُ عِبَادَةٍ وَثِقَةٍ بِخِلَافِ رَجَائِهِ لِغَيْرِهِ فَإِنَّهُ دُونَ ذَلِكَ بكَثِيرٍ .

قَوْلُهُ: «وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ» وَكَذَلِكَ أَيْضًا الْخَشْيَةُ، فَقَدْ يَخْشَى الْإِنْسَانُ غَيْرَ اللَّهِ، لَكِنْ الْخَشْيَةُ فِي الْعِبَادَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣]، لَكِنْ لَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّ نَخْشَى هَذَا الْيَوْمَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَالَ اللَّهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لِنَبِيِّهِ: ﴿وَمَخَشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وَقَالَ: ﴿إِنَّمَا ذَلِكَ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وَقَالَ: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ [المائدة: ٤٤]، لَكِنْ الْإِنْسَانُ يَجِدُ فَرْقًا عَظِيمًا بَيْنَ خَشْيَتِهِ لِلَّهِ وَخَشْيَتِهِ لِعِبَادِ اللَّهِ، خَشْيَتُهُ لِلَّهِ خَشْيَةُ إِجْلَالٍ وَتَعْظِيمٍ وَتَقَرُّبٍ، وَخَشْيَتُهُ لِغَيْرِ اللَّهِ خَشْيَةُ خَوْفٍ وَرَهْبَةٍ، وَإِلَّا فَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةٌ وَلَا تَعْظِيمٌ لِهَذَا الْمَخُوفِ، بَلْ ذَعْرٌ وَرَهْبٌ .

ثُمَّ قَالَ الْمَوْلُفُ فِي بَيَانِ الْحَقُوقِ الَّتِي لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَالَّتِي لِلرَّسُولِ ﷺ وَحْدَهُ، وَالَّتِي لِلَّهِ وَالرَّسُولِ، قَالَ:

٣٩٨٥- وَكَذَا الْعِبَادَةُ وَاسْتِعَانَتُنَا بِهِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ذَانَ تَوْحِيدَانَ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الْعِبَادَةُ وَاسْتِعَانَتُنَا بِهِ»؛ أَي: بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَالْعِبَادَةُ خَاصَّةٌ بِاللَّهِ فَلَا نَعْبُدُ غَيْرَهُ، وَالِاسْتِعَانَةُ خَاصَّةٌ بِاللَّهِ فَلَا نَسْتَعِينُ بِغَيْرِهِ، لَكِنَّ الْمَرَادَ الْإِسْتِعَانَةَ الْمَطْلُوقَةَ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى الْإِعْتِمَادِ الْمَطْلُوقِ، فَهَذِهِ لَا تَكُونُ إِلَّا بِاللَّهِ، أَمَّا الْإِسْتِعَانَةُ بِمَا يَسْتَطِيعُهُ الْمُسْتَعَانُ فِي الدُّنْيَا فَهَذِهِ جَائِزَةٌ، فَإِنَّ النَّبِيَّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَالَ: «تُعِينُ

الرَّجُلِ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ»^(١)، ولا يزال الناس يستعين بعضهم بعضًا، قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالنَّفْوَى﴾ [المائدة: ٢]، لكن هناك فرق بين الاستعانة بالله التي تكون عبادة واعتمادًا كليًا على الله وبين الاستعانة بالمخلوق الذي ترى أنه بإعانتك مشارك لك فقط في هذا العمل، فقول المؤلف: «العِبَادَةُ وَاسْتِعَانَتُنَا بِهِ» أضافها إلى استعانتنا بالله، وهي استعانة خاصة غير استعانتنا بالمخلوق.

قَوْلُهُ: «إِيَّاكَ نَعْبُدُ ذَانِ تَوْحِيدَانِ» ف﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] في القرآن، ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] في القرآن، ونوحّد الله بالعبادة ونوحّده بالاستعانة، أمّا العبادة فمطلقًا، وأمّا الاستعانة فإننا نستعين بالمخلوق فيما يقدر عليه، لكن استعانتنا بالمخلوق ليست كاستعانتنا بالخالق.

٣٩٨٦- وَعَلَيْهِمَا قَامَ الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ دُنْيَا وَأُخْرَى حَبَّذَا الرُّكْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَعَلَيْهِمَا قَامَ الْوُجُودُ بِأَسْرِهِ»؛ أي: على العبادة والاستعانة قام الوجود بأسره؛ لأنّ الوجود قام بالحق، ولا أحقّ من عبادتنا لله واستعانتنا به؛ ولهذا قال الله عزّ وجلّ فيما لو اتّبع الحقّ أهواءهم قال: ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون: ٧١]، فبالحقّ صلحت السماوات والأرض، وبالباطل تفسد السماوات والأرض.

٣٩٨٧- وَكَذَلِكَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ حَقٌّ إِلَيْنَا الدِّيَانِ

لا نُسَبِّحُ إِلَّا اللَّهَ فنقول: «سبحان الله!»، ولا نقول: «سبحان الرسول»،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الكسوف، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم (١٠٠٩).

ونقول: «الله أكبر»، ولا نقول: «الرسول أكبر»، نقول: «لا إله إلا الله»، ولا نقول: «لا إله إلا رسول الله»، فهذا حق الديان.

٣٩٨٨- لِكِنَّمَا التَّعْزِيرُ وَالتَّوْقِيرُ حَقٌّ قُلِّ لِلرَّسُولِ بِمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٩]، فقولهُ: ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ﴾ الهاء تعودُ على الرسول، ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ على الرسول، ﴿وَسُبِّحُوهُ﴾ على الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ الحَقَّيْنِ الأوَّلَيْنِ من حقوق الرسول، والثالث من حق الله عزَّ وجلَّ.

٣٩٨٩- وَالْحُبُّ وَالْإِيمَانُ وَالتَّصَدِيقُ لَا يَخْتَصُّ بَلَّ حَقَّانِ مُشْتَرِكَانِ

الحُبُّ والإيمانُ والتَّصَدِيقُ لا يختصُّ لا بالرسول ولا بالله، بل هو مشترك، فالحُبُّ والإيمانُ والتَّصَدِيقُ لله وللرسول، كُلُّ منهما فرضٌ علينا محبته والإيمانُ به وتصديقه، ولكن لاحظوا أنَّ محبَّتنا للرسول - عليه الصلاة والسلام - فرعٌ عن محبَّتنا لله، لولا أنَّه رسولُ الله لم يجب علينا محبته ولا الإيمانُ به ولا تصديقه، فمحبَّتنا له وإيماننا به وتصديقنا إياه فرعٌ عن محبة الله، خلافاً للغلاة بالرسول الذين يرون أنَّ محبة الله والإيمانُ به والتَّصَدِيقُ فرعٌ عن محبة الرسول، حتى إنَّنا سمعنا من بعضهم من يقول: إنَّ زيارة المدينة أفضل من الحجِّ إلى مكة؛ لأنَّهم يرون أنَّ الرسولَ أعظمُ حقاً من الله، والعبادُ بالله.

٣٩٩٠- هَذِي تَفَاصِيلُ الْحُقُوقِ ثَلَاثَةٌ لَا تَجْهَلُوهَا يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

إِذْ نَ الْحُقُوقُ ثَلَاثَةٌ: حَقُّ لِه خَالِصٌ، وَحَقُّ لِلرَّسُولِ خَالِصٌ، وَحَقُّ مُشْتَرِكٌ، الْحَقُّ الْخَالِصُ بِاللَّهِ هُوَ الْعِبَادَةُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِهَا، فَلَا تَكُونُ إِلَّا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْحَقُّ

الخاصُّ بالرَّسُولِ هو التَّعْزِيزُ وَالتَّوْقِيرُ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَتَعَزَّزُوهُ وَتُوقِّرُوهُ﴾،
والْحَقُّ الْمَشْرُوكُ هو الْحُبُّ وَالْإِيْمَانُ وَالتَّصَدِيقُ، لَكِنْ لَيْسَ حُبُّنَا لِلرَّسُولِ كَحُبِّنَا لِلَّهِ،
بَلْ حُبُّنَا لِلرَّسُولِ مِنْ حُبِّنَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

- ٣٩٩١ - حَقُّ الْإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالْأَمْرِ لَا
بِهَوَى النَّفْسِ فَذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ
- ٣٩٩٢ - مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ بِهِ شَيْئًا هُمَا
سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّذَا السَّبَبَانَ
- ٣٩٩٣ - وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَقَوْلُهُ الْ-
مَقْبُولُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ
- ٣٩٩٤ - وَالْأَمْرُ مِنْهُ الْحَتْمُ لَا تَخْيِيرَ فِيهِ
عِنْدَ ذِي عَقْلِ وَذِي إِيمَانٍ
- ٣٩٩٥ - مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُمْنَا عَلَى
أَقْوَالِهِ بِالسَّبْرِ وَالْمِيزَانِ
- ٣٩٩٦ - إِنْ وَافَقَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ
فَعَلَى الرَّؤُوسِ تُشَالُ كَالْتِجَانِ
- ٣٩٩٧ - أَوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَى
مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ
- ٣٩٩٨ - أَوْ أَشْكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ
نَجْزِمْ بِلَا عِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ
- ٣٩٩٩ - هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا
وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوَانٍ

الشرح

- ٣٩٩١ - حَقُّ الْإِلَهِ عِبَادَةٌ بِالْأَمْرِ لَا
بِهَوَى النَّفْسِ فَذَلِكَ لِلشَّيْطَانِ
- يعني: أَنَّنَا نَعْبُدُ اللَّهَ، وَالْعِبَادَةُ حَقُّهُ، لَكِنْ نَعْبُدُهُ بِأَمْرِهِ لَا بِهَوَانَا، لَوْ كَانَتْ
الْعِبَادَةُ بِأَهْوَى لَأَصْبَحَ النَّاسُ فَوْضَى؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَهْوَى عِبَادَةً دُونَ الْآخَرِ،

الآن عبادة الله تعالى يختلفُ النَّاسُ فيها، تَجِدُ الإمامَ يُصَلِّي بالجماعةِ، واحِدٌ يَقولُ: أَطَلْتُ، والثَّانِي يَقولُ: خَفَّفْتُ، والثَّالِثُ يَقولُ: تَقَدَّمْتُ فِي الإِقَامَةِ، والرَّابِعُ يَقولُ: تَأَخَّرْتُ، والخَامِسُ يَقولُ: أَسْرَعْتُ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَالسَّادِسُ يَقولُ: أَبْطَأْتُ، وَهِيَ عِبَادَةٌ مُحَدَّدَةٌ مُضْبُوطَةٌ مِنْ قِبَلِ الشَّرْعِ، كَيْفَ لَوْ كَانَتِ الْعِبَادَاتُ مَوْكُولَةً إِلَى أَهْوَاءِ النَّاسِ؟! لَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَّفَقَ النَّاسُ، إِذَنْ نَعْبُدُ اللَّهَ بِأَمْرِ اللَّهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)؛ وَهَذَا قَالَ:

٣٩٩٢ - مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ بِهِ شَيْئًا هُمَا سَبَبَا النَّجَاةِ فَحَبَّذَا السَّبَبَانِ

يعني: نعبده إخلاصًا له وامتثالًا لأمره دون إشراكٍ ولا بدعةٍ، هذان هما السَّبَبَانِ الْمُنْجِيَانِ.

٣٩٩٣ - وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْمَطَاعُ وَقَوْلُهُ الـ مَقْبُولُ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ»؛ أَي: صَاحِبُ الدَّلِيلِ.

يَقولُ: قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ مَطَاعٌ وَأَمْرُهُ مَطَاعٌ.

٣٩٩٤ - وَالْأَمْرُ مِنْهُ الْحَتْمُ لَا تَخْيِيرَ فِيهِ - هِ عِنْدَ ذِي عَقْلِ وَذِي إِيمَانٍ

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ مِنْهُ الْحَتْمُ» الْأَمْرُ مِنَ الرَّسُولِ حَتْمٌ يَلْزَمُنَا قَبُولَهُ، إِمَّا أَنْ يَلْزَمَنَا الْعَمَلُ بِهِ إِنْ كَانَ وَاجِبًا، أَوْ يُسْتَحَبُّ لَنَا الْعَمَلُ بِهِ إِنْ كَانَ تَطَوُّعًا، لَكِنْ قَبُولُهُ أَنَّهُ مَشْرُوعٌ وَاجِبٌ.

قَوْلُهُ: «لَا تَخْيِيرَ فِيهِ»؛ لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْبَيْعِ، بَابُ إِذَا اصْطَلَحُوا عَلَى صَلَاحِ جُورٍ، رَقْمُ (٢٦٩٧)، مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْأَقْضِيَّةِ، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ، رَقْمُ (١٧١٨).

وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴿ [الأحزاب: ٣٦]، فلا خيارَ للمؤمن في أمر الله ورسوله.

فالأمر من الرسول - عليه الصلاة والسلام - حتمٌ لا تخيير فيه؛ يعني: ليس لنا الخيارُ أن نأخذ به أو ندعه، وليس المرادُ ما يكونُ على سبيلِ الاستحبابِ؛ يعني مثلاً: لو أمر الرسولُ بأمرٍ على سبيلِ الاستحبابِ فليس لنا الخيارُ بين أن نفعله أو نقول: هذا لا نعبأ به، بل يجبُ أن نعبأ به، ولكننا نقول: إنَّه على سبيلِ الاستحبابِ بحيث لا يأثمُ الإنسانُ بتركه، وقد قرَّرنا كثيرًا أنَّه لا يليقُ بالمسلمِ إذا جاءه الأمرُ من الله ورسوله أن يقول: هل هذا واجبٌ أو مستحبٌ؟ وإذا جاءه النهيُّ لا ينبغي أن يقول: هل هذا حرامٌ أو مكروهٌ؟ لأنَّ الصحابةَ ما كانوا يقولون هذا، ولكن إذا تورَّطَ الإنسانُ ووقع في المخالفةَ حينئذٍ ينظرُ هل هو واجبٌ أو مستحبٌ؟ هل هو محرَّمٌ أو مكروهٌ؟ حتَّى يُحدِّثَ توبةً، أو يتداركَ ما فاتَه.

٣٩٩٥- مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُمْنَا عَلَى أَقْوَالِهِ بِالسَّبْرِ وَالْمِيزَانِ
مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَ الرَّسُولِ فَإِنَّا نَسْبُرُ قَوْلَهُ وَنَزِنُهُ، ننظرُ هل يوافقُ أو يُخالفُ؟
إِذْنُ الْمِيزَانِ أَنْ نَعْرَضَ أَقْوَالَ كُلِّ إِنْسَانٍ كَأَنَّا مَنْ كَانَ نَعْرَضُهَا وَنَرُدُّهَا إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٣٩٩٦- إِنْ وَافَقَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فَعَلَى الرَّؤُوسِ تُشَالُ كَالْتِيْجَانِ
إذا وافقتُ أقوالَ غيرِ الرسولِ أقوالِ الرسولِ وحُكْمِ الرسولِ «فَعَلَى الرَّؤُوسِ تُشَالُ كَالْتِيْجَانِ»؛ يعني: تُحمَلُ وتُرفعُ كالتيجانِ؛ يعني: تُشَالُ مُعْظَمَةٌ مُحْتَرَمَةٌ، لا؛ لأنَّها قولُ فلانٍ ولكن لأنَّها وافقتُ قولَ الرسولِ ﷺ، والتيجانُ هي التي يضعُها الملوكُ على رؤوسِهِم.

إِذْنِ رَفَعْنَا قَوْلَ هَذَا الْعَالِمِ؛ لِأَنَّهُ وَافَقَ قَوْلَ الرَّسُولِ، وَوَضَعْنَاهُ عَلَى رُؤُوسِنَا كَالْتِيْجَانِ.

٣٩٩٧- أَوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَاهَا عَلَى مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «أَوْ خَالَفَتْ هَذَا»؛ أَي: خَالَفَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ.

يعني: إذا خَالَفَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ رَدَدْنَاهَا عَلَى مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانٍ، حَتَّىٰ وَلَوْ كَانَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَكَيْفَ بِمَنْ دُونَهُمَا؟

٣٩٩٨- أَوْ أَشْكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ نَجْزِمْ بِإِلْمٍ وَلَا بُرْهَانٍ

قَوْلُهُ: «أَوْ أَشْكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا»؛ يَعْنِي: أَشْكَلَتْ عَلَيْنَا تَوَقَّفْنَا.

هذا -والله- الإنصافُ، أن نعرض أقوال غير الرسولِ على قول الرسولِ، وهذا لا يخلو من ثلاثِ حالات:

الأولى: أن يوافق قول الرسولِ، فماذا نعمل؟ الجوابُ: نحمله على الرؤوسِ.

الثانية: أن يخالفَ، نرده على قائله.

الثالثة: أن يُشكِلَ، نتوقف ولم نجزم بإلْمٍ ولا برهانٍ.

٣٩٩٩- هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوَانٍ

وَنِعْمَ مَا سَلَكَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ، هَذَا هُوَ الْإِنصَافُ.

لكن لو أن قول إمامنا الذي ننتمي إليه خَالَفَ قول الرسولِ، وقول غير إمامنا الذي ننتمي إليه وَافَقَ الرسولَ ماذا نفعل؟

الجوابُ: نأخذ بالثاني، ولا يُقال: حَنْبَلِيٌّ أَخَذَ بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ، وَلَا شَافِعِيٌّ

أَخَذَ بِمَذْهَبِ الْحَنْبَلِيِّ، بَلْ يُقَالُ: مَسَلَّمَ أَخَذَ بِقَوْلِ الرَّسُولِ، وَهَذَا الْوَاجِبُ.
 نَعَمْ أَقْوَالُ الْعُلَمَاءِ لَا شَكَّ أَنَّهَا يُسْتَأْنَسُ بِهَا، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَوَهَّمَ حَكْمًا دَلَّ
 عَلَيْهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْجُمْهُورُ عَلَى خِلَافِهِ فَإِنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَأَنَّى وَأَلَّا يُقَدِّمَ
 عَلَى الْفَتْوَى بِهِ أَوْ الْعَمَلِ بِهِ؛ لِأَنَّ مَخَالَفَةَ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ لَهَا قِيمَتُهَا وَوِزْنُهَا، كَيْفَ
 يَكُونُ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ عَلَى هَذَا وَأَنْتَ تَفْهَمُ شَيْئًا آخَرَ؟! تَأَنَّ فِي الْمَوْضُوعِ، وَلِهَذَا نَجِدُ
 الَّذِينَ يَتَسَّرَعُونَ الْآنَ إِلَى الْأَقْوَالِ الشَّاذَّةِ يَكْثُرُ مِنْهُمْ الْخَطَأُ، فَإِذَا رَأَيْتَ أَوْ تَوَهَّمْتَ
 مِنَ الْأَدَلَّةِ مَا يَخَالَفُ رَأْيَ الْجُمْهُورِ فَإِيَّاكَ وَالتَّسْرِعَ؛ لِأَنَّ الْجُمْهُورَ لَهُمْ وَزْنُهُمْ، وَهُمْ
 كَأَنْتَ لَهُمْ فَهَمُّهُمْ، وَقَدْ يَكُونُ فَهْمُهُمْ أَقْوَى مِنْ فَهْمِكَ وَعِلْمُهُمْ أَكْثَرَ مِنْ عِلْمِكَ،
 فَتَأَنَّ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ، يَجِبُ عَلَيْكُمْ - يَا طَلِبَةَ الْعِلْمِ - أَنْ تَعْتَنُوا بِهَا، وَأَلَّا تَتَسَّرَعُوا
 بِالْأَقْوَالِ الشَّاذَّةِ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ.

ثَانِيًا: مَا جَرَى عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْبَلَدِ لَا تَتَسَّرَعُ فِي نَقْلِ النَّاسِ مِنْهُ إِلَى مَا تَرَاهُ
 صَوَابًا؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ اقْتَدَوْا بِعُلَمَاءٍ، قَدْ يَكُونُ الصَّوَابُ فِي رَأْيِ الْعُلَمَاءِ الْآخَرِينَ؛ وَلِهَذَا
 يُخْطِئُ كَثِيرًا مَنْ يَرِيدُ أَنْ يَنْقَلَ النَّاسَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ وَعَمَّا عَلَيْهِ عِلْمًا وَهُمْ إِلَى قَوْلِ يَرَاهُ
 رَاجِحًا، بَلْ يَجِبُ أَنْ يَتَأَنَّى وَيَنْظُرَ لِمَاذَا خَالَفَ النَّاسُ مَا أَرَاهُ صَحِيحًا؟ فَإِذَا تَبَيَّنَ أَنَّهُ
 صَحِيحٌ فَلَا مَنَاصَ مِنْهُ، لَكِنْ قَبْلَ ذَلِكَ لَا تَتَسَّرَعُ، فَمَخَالَفَةُ النَّاسِ لَيْسَتْ بِالْأَمْرِ
 الْهَيِّنِ، رَبِّمَا تَحَاوَلُ أَنْ تَنْقَلَهُمْ إِلَى مَا تَرَاهُ صَحِيحًا فَتَحْصُلُ بِذَلِكَ مَفْسَدَةٌ، إِمَّا بِالنِّسْبَةِ
 لَكَ بَحِيثٌ يُلْقَوْنَ بِأَفْوَاهِهِمْ سَبًّا وَشْتَمًا وَغِيبَةً، وَإِمَّا بِالنِّسْبَةِ لِتَفْرِيقِهِمْ، بَعْضُهُمْ
 يَرَى أَنْ يَتَّبِعُوا مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مَشَائِجُهُمْ، وَبَعْضُهُمْ يَرَى أَنْ نَأْخُذَ بِهَذَا الْقَوْلِ
 الْجَدِيدِ، فَيَحْصُلُ التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْأُمَّةِ بَدُونَ بَرَهَانٍ بَيِّنٍ، أَمَّا مَعَ الْبَرَهَانِ الْبَيِّنِ فَلَا تَعْبَأُ
 بِأَحَدٍ، لَكِنْ أَقُولُ: تَأَنَّ.

ولقد كان النبي ﷺ يُراعي مثل هذه الأمور وهو أعلم منا وأحكم، لما فتح مكة كان بإمكانه أن يهدم الكعبة وأن يعيد بناءها على ما كانت عليه في عهد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لكنه ترك ذلك؛ خوفاً من الفتنة، وقال لعائشة: «لَوْلَا حَدِيثَانُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَفَعَلْتُ»^(١)؛ أي: لَهَدَمْتُ الكَعْبَةَ وَبَنَيْتُهَا عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ، فانظر لقد ترك أمراً مشروفاً خوفاً من الفتنة مع أن بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يبنّي وَيُقْنِعَ النَّاسَ؛ لَأَنَّهُ رَسُولٌ، لَكِنَّهُ رَاعَى أَحْوَالَ النَّاسِ.

وكان معاذ بن جبل رديفه على حماره، فَقَالَ لَهُ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ، وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»، كلمتان، قال: أَفَلَا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَكَلَّبُوا»^(٢)، فنهاه عن نشر العلم مع أن نشر العلم واجبٌ لاسيما في هذا الأمر المهم «عبادة وشرك»، نهاه فقال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ»؛ خوفاً من مفسدة وهي الاتكال، يتكلمون على الإخلاص دون العمل، فأمره أن يكتفم العلم خوفاً من المفسدة، فلماذا لا يكون لنا أسوة في الرسول عليه الصلاة والسلام، وأن نحذر ما يكون تشويشاً على الناس أو إفساداً لعباداتهم حتى يأتي الأوان للقول والعمل.

لكن هذا الحديث قد يُشكّل على كثير من الناس، يقول: كيف أخبر معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالنَّبِيُّ ﷺ نَهَى عَنْ ذَلِكَ؟ نقول: لأن معاذ بن جبل من فقهاء الصحابة،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب فضل الكعبة وبنائها، رقم (١٥٨٣)، ومسلم: كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم (١٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب اسم الفرس والحمار، رقم (٢٧٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، رقم (٣٠).

يعلمُ أن الرّسولَ ﷺ لم يخبره ليكون مجهولاً عند الأمة، لو كان الرّسولُ -عليه الصّلاة والسّلام- يُريد ألاّ تعلمه الأمة هل يُحدّثُ معاذًا به؟ الجوابُ: لا يُحدّثه، ولا يعلمُ النّاسُ ما في قلبه، لكنّه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلِمَ أَنَّ الرّسولَ ﷺ لم يُحدّث به معاذًا إلاّ لتعلمه الأمة ولا بد، ثُمَّ إِنَّ الخوفَ الذي خافه النّبِيُّ -عليه الصّلاة والسّلام- فَهَمَّ مُعَاذُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنْ قَوْلَ الرّسولِ ﷺ: «لَا تُبَشِّرُهُمْ فَيَتَكَلَّمُوا»؛ يعني: تحذيرِ الأمة من أن يتكلّموا عليه، وكُلُّ إنسانٍ يعلمُ أَنَّ الرّسولَ يخشى أن يتكلّم عليه لا يتكلّم على هذا، فكان هذا من فقهِه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإلّا فقد يقولُ الجاهلُ الغرُّ: كيف عَصَى معاذُ رسولَ الله ﷺ؟ يقولُ: «لَا تُخْبِرُهُمْ» وهو يُخْبِرُهُمْ؟! فتقولُ: هذا هو السّببُ، ثُمَّ إِنَّهُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ اقتصر على الصّرورة في إخبارهم؛ ولذا فإنّه أَخْبَرَ عند موته، حيث كان في ساعاتٍ من الزّمنِ لم يخبرهم، لكن عند موته رأى أنّه لا بد أن يُخبرهم.

فالقصدُ من هذا هو أن أقوالَ العلماءِ تُعَرِّضُ على الكتابِ والسّنّةِ؛ فإمّا أن تُوافقَ، أو تخالفَ، أو تُشكّلَ، في الموافقةِ نأخذُ بها، وفي المخالفةِ لا نأخذُ بها بل نردّها، وفي الإشكالِ نتوقّفُ حتّى يتبيّنَ الأمرُ، لكن في الغالبِ أنّه لا يمكنُ أن يكونَ توقّفًا؛ لأنّه لا بد أن يكونَ هناك أصولٌ يُبنى عليها، والذي يُعْطِيهِ اللهُ تعالى فقهاً يتبيّنُ له الأمرُ، ثُمَّ عَرَّجْنَا إلى ما يفعله بعضُ النّاسِ من التّسرّعِ في مخالفةِ الجمهورِ، ولا تتسرّعُ في مخالفةِ ما النّاسُ فيه تابعونَ لعلمائهم حتّى يتبيّنَ، وضرَبنا مثليّنِ من هدي النّبِيِّ -عليه الصّلاة والسّلام- أحدهما: في بناء الكعبة، والثّاني: في حديثِ معاذٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

- ٤٠٠٠ - فَهُوَ الْمُطَاعُ وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى
أَمْرِ الْوَرَى وَأَمْرِ السُّلْطَانِ
- ٤٠٠١ - وَهُوَ الْمُقَدَّمُ فِي مَحَبَّتِنَا عَلَى الْ
أَهْلِينَ وَالْأَزْوَاجِ وَالْوَلَدَانِ
- ٤٠٠٢ - وَعَلَى الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ حَتَّى عَلَى الذِّ
نَفْسِ الَّتِي قَدْ ضَمَّهَا الْجَبْنَانِ
- ٤٠٠٣ - وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُ أَعْدَاءِ الْمَسِيحِ
حِجِّ مِنَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ
- ٤٠٠٤ - إِنَّا تَنَقَّضْنَا الْمَسِيحَ بِقَوْلِنَا
عَبْدٌ وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْضَانِ
- ٤٠٠٥ - لَوْ قُلْتُمْ وَلَدُ إِلَهٍ خَالِقُ
وَفَيْتُمْ سِوَهُ حَقَّاهُ بِوِزَانِ
- ٤٠٠٦ - وَكَذَلِكَ أَشْبَاهُ النَّصَارَى مُدْغَلُوا
فِي دِينِهِمْ بِالْجَهْلِ وَالطُّغْيَانِ
- ٤٠٠٧ - صَارُوا مُعَادِينَ الرَّسُولِ وَدِينِنَا
فِي صُورَةِ الْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ
- ٤٠٠٨ - فَانظُرْ إِلَى تَبْدِيلِهِمْ تَوْحِيدَهُ
بِالشُّرْكِ وَالْإِيمَانِ بِالْكَفْرَانِ
- ٤٠٠٩ - وَانظُرْ إِلَى تَجْرِيدِهِ التَّوْحِيدَ مِنْ
أَسْبَابِ كُلِّ الشُّرْكِ بِالرَّحْمَنِ
- ٤٠١٠ - وَاجْمَعْ مَقَالَتَهُمْ وَمَا قَدْ قَالَهُ
وَاسْتَدْعِ بِالنُّقْضِ وَالْوُزَانِ
- ٤٠١١ - عَقْلٍ وَفَطَرَتِكَ السَّلِيمَةَ ثُمَّ زِنْ
هَذَا وَذَا لَا تَطْغَى فِي الْمِيزَانِ
- ٤٠١٢ - فَهَذَاكَ تَعَلَّمَ أَيُّ حِزْبِنَا هُوَ الْ
مُنْتَقِضُ الْمُنْقُوضِ دُو الْعُدْوَانِ
- ٤٠١٣ - رَامِي السَّرِيءِ بِدَائِهِ وَمُصَابِهِ
فِعْلُ الْمُبَاهِتِ أَوْقَحِ الْحَيَوَانَ
- ٤٠١٤ - كَمُعِيرٍ لِلنَّاسِ بِالزَّغْلِ الَّذِي
هُوَ ضَرْبُهُ فَأَعْجَبَ لَذَا الْبُهْتَانَ
- ٤٠١٥ - يَا فِرْقَةَ التَّنْقِيسِ بَلْ يَا أُمَّةَ الذِّ
دَعْوَى بِلَا عِلْمٍ وَلَا عِرْفَانِ

- ٤٠١٦- وَاللّٰهُ مَا قَدَّمْتُمْ يَوْمًا مَّعَا لَهُ عَلَى التَّقْلِيدِ لِلْإِنْسَانِ
 ٤٠١٧- وَاللّٰهُ مَا قَالَ الشُّيُوخُ وَقَالَ إِلٍ لَا كُنْتُمْ مَعَهُمْ بِإِلَاحْتِمَانِ
 ٤٠١٨- وَاللّٰهُ أَغْلَاطُ الشُّيُوخِ لَدَيْكُمْ أَوْلَىٰ مِنَ الْمَعْصُومِ بِالْبُرْهَانِ

الشرح

- ٤٠٠٠- فَهُوَ الْمُطَاعُ وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى أَمْرِ الْوَرَىٰ وَأَوَامِرِ السُّلْطَانِ
 قَوْلُهُ: «فَهُوَ الْمُطَاعُ»؛ يعني: النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
 قَوْلُهُ: «أَمْرِ الْوَرَىٰ» يقصدُ كُلَّ الْخَلْقِ.

وَقَوْلُهُ: «وَأَوَامِرِ السُّلْطَانِ» هذا تخصيصٌ بعد تعميمٍ؛ لأنَّ السُّلْطَانَ مِنَ الْوَرَىٰ، لكن لما كانت أوامر السُّلْطَانِ غالبًا تكون مطاعةً وغالبًا يطيعهم الإنسان في معصية الله نصَّ عليها وإلا فهم داخلون في «أمر الوری».

قَوْلُهُ: «وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى أَمْرِ الْوَرَىٰ» أمر الرسول ﷺ عالٍ على أمر الوری؛ أي: على كُلِّ الْخَلْقِ حَتَّىٰ عَلَى أُمَّكَ وَأَبِيكَ، فإذا أمرك الرسولُ بشيءٍ وأمرك أبوك بخلافه مَنْ تَقْبَلُ؟ الجوابُ: تَقْبَلُ أَمْرَ الرَّسُولِ، لو قال أبوك: لا تصلُّ تحية المسجد إذا دخلت المسجد فإأخذك زبانية السُّلْطَانِ، ماذا تفعلُ؟ الجوابُ: أصلي، والوهم من أخذ زبانية السُّلْطَانِ وهم، قد يفعلون وقد لا يفعلون، وبه نعرف الميزان الذي يكونُ به بُرُّ الوالدين، فإذا قالوا: «لا تطلب العلم»، لا تطعها، اطلب العلم إلا في حال الضرورة التي لا يدفعها عنهم إلا أنت، فحينئذٍ يجبُ أن تُقدِّمَ خدمتهم على ذلك، وأما مع غير هذا فلا؛ ولهذا قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ رَحْمَةً مِّنَ رَبِّكَ﴾

رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿ [الإسراء: ٢٨]؛ يعني: قولاً يحصلُ به التوفيقُ بين ما تريدُ وبين ما يريدُ ذوو الأرحامِ.

قَوْلُهُ: «وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى ... وَأَمْرِ السُّلْطَانِ»؛ يعني: هذا الواجبُ علينا، أن نجعلَ أمره عاليًا على أوامرِ السُّلْطَانِ، والسُّلْطَانِ أو أمره مُطَاعَةٌ بنصِّ القرآنِ كما قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، لكنَّ أمرَ النَّبِيِّ ﷺ مُقَدَّمٌ على أمرِ السُّلْطَانِ، فإذا تَعَارَضَ أمرُ الرَّسُولِ ﷺ وأوامرُ السُّلْطَانِ قُدِّمَ أمرُ الرَّسُولِ.

وتأمَّلِ الحكمةَ في التَّعبيرِ القرآنيِّ، قال اللهُ تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، ما قال: «أَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ»؛ لأنَّ طاعةَ ولاةِ الأمرِ ليست مستقلةً، فلا يُطَاعُونَ إِلَّا في طاعةِ اللهِ ورسوله، وقد أمرنا اللهُ ورسوله بطاعتهم في غيرِ المعصية.

فأوامرُ السُّلْطَانِ ثلاثةٌ أقسامٍ:

القسمُ الأوَّلُ: قسمٌ أمرَ اللهُ به ورسوله مثل أن يأمرَ بإقامةِ الصَّلَاةِ جماعةً، فهذا واجبٌ، لكن هل بأمرِ السُّلْطَانِ أو بأمرِ اللهِ ورسوله؟ الجوابُ: بهما جميعًا، لكن الأصلُ أمرُ اللهِ ورسوله، فنكون مثنابين على طاعةِ اللهِ ورسوله وعلى طاعةِ السُّلْطَانِ التي أمرنا بها.

القسمُ الثاني: أن يأمرنا السُّلْطَانُ بمعصيةِ اللهِ ورسوله فحينئذٍ ننظر، اللهُ يقولُ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فجعل طاعتهم تابعةً لطاعةِ اللهِ ورسوله، فإذا أمرنا السُّلْطَانُ بمعصيةٍ قلنا: لا، لا نوافقك، لكن كيف نقولُ: لا؟ هل معنى ذلك أن نصادمه مصادمةً، فإذا قال:

افعل معصية كذا، قلنا: لا سمع ولا طاعة؟! الجواب: لا، هذا غلط، هذا منابذة، ولكننا نمتنع ثم نتلقاه بالجواب السليم الهين اللين؛ لأن الله تعالى بعث رسولا من أولي العزم إلى أعتى عباد الله وهو فرعون، وقال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا﴾ [طه: ٤٤]، وهو كافر عنيد، فلا ننازعه ونقول: لا سمع ولا طاعة، وما ورد عن بعض السلف من منابذة الحاكم على هذا الوجه فهو لأحوال معينة مخصوصة تخالف القاعدة العامة من مخاطبة ولاة الأمور بما يليق بمنزلتهم، بمعنى: أنه ربنا في ذلك الوقت لا يغضب السلطان لو أنه قال: لا سمع ولا طاعة، بل يرى ذلك من منقبته إذا وافق لهذا الذي قال: «لا سمع ولا طاعة»، ولا نتهم أحدا؛ إذ ربنا يقول السلطان لأحد الناس: إني سأمر بكذا مما يكون معصية، ولكن قم، وقل لي: لا سمع ولا طاعة، ثم سأقول: ما الدليل؟ فإذا قلت: الدليل كذا وكذا، فسوف انسحب؛ ليكون ذلك منقبة له ورفعته له، فتلك أحوال فيما ورد عن بعض السلف من منابذة الحكام، تلك أحوال لها خصوصيتها، وهي التي يسميها العلماء بقضية العين، وقضايا الأعيان لا تصلح لخرق القواعد العامة من النهي عن منابذة الحكام، بل نعاملهم بما تقتضيه المصلحة.

واعلم أنك إذا عاملت السلطان بما تقتضيه المصلحة من كون ذلك سرا بينك وبينه فإن ذلك أقرب إلى القبول والإجابة؛ لأن السلطان يرى نفسه له السلطة، وهو له السلطة حقا، فمنابذته ليست بالهينة، ثم إذا بذلت أيها الإنسان ما بينك وبين ربك سقط عنك الإثم وبرئت الذمة، أليس الإمام أحمد وغيره من العلماء يخاطبون السلطان ويكاتبونه في الرجوع إلى الكتاب والسنة وإلى مذهب أهل السنة ومع ذلك فالولاية في عهدهم يخالفونهم، هل نقول: إن ذمة الإمام أحمد ومن معه من علماء السلف لم تبرأ أو برئت؟ الجواب: برئت، ومع ذلك لم ينازده

الإمام أحمدٌ ولا غيره من السلف الحكام ولم يجعلوا أنفسهم هم السلطان على السلطة، هذا غلطٌ وسفهٌ ممن يفعلهُ، والإنسان إنما يريد أن تكون كلمة الله هي العليا، ولن تكون بطريق العنف والمنازعة أبدًا.

إذن الرسول -عليه الصلاة والسلام- هو المطاع، وأمره العالي على أمر الورى وأوامر السلطانِ مهما كان السلطان، لكن كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

القسم الثالث: أن يأمر ولاة الأمور بما ليس من أوامر الله ورسوله عينًا وليس من مناهي الله ورسوله؛ يعني: ممَّا يَرَوْنَ أَنَّ فِيهِ مصلحةً للنَّاسِ، لكنَّ القرآنَ والسُّنَّةَ لم ينصَّا عليه، فهل تجبُّ طاعتهم أو لا؟ الجواب: تجبُّ طاعتهم فيه، وطاعتهم هذه طاعةُ الله ورسوله؛ لأنَّ الله أمرنا بذلك، فهي طاعةُ الله ورسوله لكنَّها تقصُرُ عن القسمِ الأوَّلِ الذي أمر الله به ورسوله عينًا، هذا تجبُّ طاعتهم، ومَنْ قال: إنَّ طاعةَ السلطانِ لا تجبُّ إلَّا فيما أمر الله به ورسوله فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا وهو نفسه لم يُطبِّقْ ما أمر الله به ورسوله؛ لأنَّ الله أمر بطاعةَ السلطانِ، ولم ينه عن طاعةِ السلطانِ إلَّا في حالٍ واحدةٍ وهي أن يأمر بمعصية الله.

وهل نقول: من شرط امتثالنا لأمر السلطانِ ألا يكون السلطانُ عاصيًا لله؟ الجواب: لا، ليس من شرطه، يجب أن نطيعه ولو كان عاصيًا، والسلف الصالح كانوا يطيعون السلاطين مع أنَّ عندهم المغنَّيات، وعندهم السكر، وعندهم الضرب على فعل العبادات، راجعوا التاريخ، راجعوا سير أعلام النبلاء تجدون عن بعض الولاة على بعض البلدان الإسلامية الآن شيئًا عجيبًا؛ يعني: يقصون رقبة مَنْ يُصَلِّي ومع ذلك يطيعونهم في حدود أمر الله، فليس من شرط وجوب طاعة السلطانِ ألا يعصي السلطانُ.

وأقول لكم: لو طبّقنا هذه القاعدة، وقلنا: لا تجب علينا طاعة من تجب علينا طاعته إلا إذا كان هو لا يعصي الله لكان أولادنا يعصوننا؛ لأننا لم نسلّم من معصية الله، ولقال لك ولذك إذا قلت له: «اخرج للصلاة» لقال: لست بخارج، أنتظر الضيوف في البيت، قال: لا، لماذا؟ قال: لأنك تعصي الله، يقول لأبيه: لأنك تخلق لحيتك، كيف أطيعك وأنت تعصي الله؟! ولهذا لا شك في ضلال من قال: إن السلطان لا يطاع إلا إذا كان لا يعصي الله، نقول: يا رجل أنت برئء نفسك من معصية الله.

إذن الأقسام ثلاثة: فما أمر به السلطان ممّا لا يكون معصية لله بعينه فطاعته فيه واجبة، سواء رأينا نحن أن المصلحة فيه أو لم نر؛ لأننا لو قسنا المصلحة التي يراها السلطان بما نراه مصلحة لم يبق للسلطان فائدة، وكان كل واحد سلطاناً على نفسه، أنت ترى أن هذا مصلحة، والثاني يراه ليس بمصلحة، والثالث يقول: فيه نظر، وذاك يقول: فيه قولان، وذاك يقول: فيه ثلاثة أقوال، وآخر يقول: إن كان كذا فهو مصلحة، وإن كان كذا فهو مفسدة، وإن لم يكن لا هذا ولا لهذا ففيه نظر، ثم النظر يتولّد منه النظرات، فلو قلنا في الأمور التي لم يأمر بها الله ورسوله ولم ينه الله عنها ورسوله، لو قلنا: إنك ترجع إلى أذواق كل واحد منا فأبي فائدة للسلطان؟! ليس له فائدة، فقد يرى السلطان أن هذا مصلحة ويأمر به ويلزم به، وأنا أرى أنه ليس مصلحة؛ إذ لا يوجد حكم في كتاب الله وسنة رسوله يعين هذه المسألة، فالواجب عليّ أن أخضع للسلطان وإن كنت لا أرى المصلحة فيه؛ لأن هذا ليس فيه أمر ولا نهي من الله ورسوله، وإننا هو مجرد اجتهاد يرى السلطان أن هذا مصلحة وأرى أنه ليس بمصلحة، فالواجب عليّ طاعة السلطان، وموافقة الجماعة.

انتبهوا لهذه القواعد المهمة، لا تضلُّوا كما ضلَّ بعضُ العاطفيين الذين عواطفهم عواصفٌ عليهم وعلى غيرهم من أهل الخير وعلى الأمة كلها، لنا سلفٌ مأمورون باتِّباعهم؛ قال اللهُ -تبارك وتعالى-: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ننظرُ طريقَ السلفِ، ولا ننظرُ طريقَ مَنْ نأبذُ الولايةَ وعاكسوهم؛ لأنَّه معصيةٌ، أو بعضهم يقولُ: أنا لا أطيعُ السُّلطانَ إلَّا في أمرٍ أمرَ اللهُ به ورسولُه، إذنٌ ما الفائدةُ من السُّلطانِ؟! الجوابُ: لا فائدةٌ منه.

فهذه قواعدٌ عامَّةٌ أرجو أن تبنوا منهجكم عليها، وهي أمانةٌ عليَّ أتركها بينكم، نحن لا نراعي أحدًا في دين الله أبدًا مهما كان، لكن يجبُ علينا أن نُوجِّهَ الأمةَ إلى صوابِ المنهجِ والمسلكِ، ماذا فعلتِ الأمةُ الآن في الوقتِ الحاضرِ حيث خرجَ مَنْ خرجَ عن جادةِ السلفِ ماذا حصلَ؟ إراقةُ دماءٍ، وانتهاكُ أعراضٍ، وتعطلُ مصالحٍ، كلُّه بسببِ فهمِ النُصوصِ على غيرِ مرادِ الله ورسولِه، وبسببِ الغفلةِ عن طريقِ السلفِ الصالحِ.

٤٠١- وَهُوَ الْمُقَدَّمُ فِي مَحَبَّتِنَا عَلَى الْـ أَهْلِينَ وَالْأَزْوَاجِ وَالْوَالِدَانَ

نعم؛ يجبُ أن نُقدِّمَ محبةَ الرَّسولِ ﷺ على محبةِ أهلينا وأزواجنا وأولادنا، بل «وَعَلَى الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ»؛ ولذا قال:

٤٠٢- وَعَلَى الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ حَتَّى عَلَى النَّفْسِ الَّتِي قَدْ ضَمَّهَا الْجَنَانُ

نُقدِّمُ محبَّته على أنفسنا، وعلامةُ ذلك أنَّك تتصوَّرُ لو تعارضَ قوله وقولُ زوجتك تُقدِّمُ قوله، ولو تعارضَ قوله وقولُ أبيك تُقدِّمُ قولَ الرَّسولِ، ولو تعارضَ قوله وما تهواه نفسك؟ تُقدِّمُ قوله، إذنٌ تقديمُ قوله ﷺ من علامةِ المحبةِ.

المهمُّ أنه يجبُ علينا أمور:

أولاً: أن نُقدِّمَ محبةَ الله على محبةِ كلِّ أحدٍ.

ثانياً: أن نُقدِّمَ محبةَ الرَّسولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- على محبةِ كلِّ مخلوقٍ حتَّى على أنفسِنا، ولا يتمُّ الإيَّانُ إلَّا بهذا كما قال النَّبِيُّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(١)، نَسَّأَلُ اللهَ أَنْ يَرْزُقَنَا وَإِيَّاكُمْ محبةَ الله وَرَسُولِهِ.

٤٠٣- وَنَظِيرُ هَذَا قَوْلُ أَعْدَاءِ الْمَسِيحِ -حِجِّ مِنَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ

قَوْلُهُ: «وَنَظِيرُ هَذَا»؛ يعني: نظيرُ قولِ أهلِ التَّعْطِيلِ لنا أنكم مُتَنَقِّصُونَ لله نظيرُهُ: «قَوْلُ أَعْدَاءِ الْمَسِيحِ مِنَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ».

قَوْلُهُ: «قَوْلُ أَعْدَاءِ الْمَسِيحِ» كيفُ أَعْدَاؤُهُ؟ أَعْدَاؤُهُ يُقَدِّسُونَهُ، يَقُولُونَ: إِنَّهُ إِلَهٌ، إِنَّهُ ابْنُ اللهِ، فَتلكُ هي العداوةُ، إِذَنْ أَوْلِيَاءُ الْمَسِيحِ همُ المسلمون، فهمُ أَوْلِيَاؤُهُ الَّذِينَ نَزَّلُوهُ مِنْزَلَتَهُ الَّتِي يَرْضَاهَا هُوَ بِنَفْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، أَمَّا النَّصَارَى فَهمُ أَعْدَاءُ الْمَسِيحِ، لَوْ أَنَّ الْمَسِيحَ خَرَجَ لِقَاتِلَهُمْ؛ وَهَذَا إِذَا نَزَلَ فِي آخِرِ الزَّمَانِ فَإِنَّهُ «يَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ»^(٢)، وَلَا يَقْبَلُ إِلَّا الْإِسْلَامَ فَقَطْ؛ لِأَنَّ النَّصَارَى أَعْدَاءُ لَهُ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْإِيْيَانِ، بَابُ حُبِّ الرَّسُولِ ﷺ مِنَ الْإِيْيَانِ، رَقْمُ (١٥)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيْيَانِ، بَابُ وَجوبِ محبةِ رسولِ الله ﷺ أَكْثَرَ مِنَ الْأَهْلِ وَالْوَالِدِ وَالْوَالِدَةِ، رَقْمُ (٤٤).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْبِيوعِ، بَابُ قَتْلِ الْخِنْزِيرِ، رَقْمُ (٢١٠٩)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيْيَانِ، بَابُ نَزُولِ عَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ حَاكِمًا بِشْرِيعةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، رَقْمُ (١٥٥).

٤٠٠٤- إِنَّا تَنَقَّضْنَا الْمَسِيحَ بِقَوْلِنَا عَبْدٌ وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّا تَنَقَّضْنَا الْمَسِيحَ بِقَوْلِنَا عَبْدٌ» هم يقولون: أنتم أيها المسلمون تنقصتم المسيح، قلتُم: إنه عبدٌ ورسولٌ، وهو حقيقة إلهٌ وربٌّ، فأنتُم تنقصتموه.

قَوْلُهُ: «وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ» الظاهرُ أَنَّهُ من تَمَّةِ كَلَامِ النَّصَارَى؛ يعني: حيث جعلتموه عبداً، فهذا نقصانٌ له.

يقول المسيحيون الذين هم أعداء المسيح حقيقةً، إِنَّا تَنَقَّضْنَا الْمَسِيحَ؛ لأننا قلنا: إنه عبدٌ، وهذا نقصانٌ عظيمٌ عندهم، وَوَصَفَهُمْ بِأَعْدَاءِ الْمَسِيحِ ونحن نشهدُ بالله أَنَّهُمُ أَعْدَاءُ الْمَسِيحِ، وَأَنَّ الْمَسِيحَ بَرِيءٌ مِنْهُمْ بَرَاءَةَ الذُّبِّ من دم يوسفَ عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَأَنَّهُ مَتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ سُبْحٰنَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ﴿[المائدة: ١١٦-١١٧]﴾، فهم أعداؤه، وهم الذين كَذَّبُوا الْمَسِيحَ، فَقَدْ قَالَ لَهُمُ الْمَسِيحُ: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴿[الصَّف: ٦]﴾، وهذا تصديقٌ لرسولٍ سابقٍ وهو موسى عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ﴿[الصَّف: ٦]﴾، وهذا تبشيرٌ برسولِ الله، وَلَكِنَّهُمْ كَذَّبُوهُ، قَالُوا: أَبَدًا، مُحَمَّدٌ هَذَا رَسُولٌ لِّلْعَرَبِ، وَلَيْسَ رَسُولًا إِلَى النَّاسِ، وَاسْمُهُ عِنْدَنَا أَحْمَدُ، وَعِنْدَ الْعَرَبِ مُحَمَّدٌ.

ولكن نقولُ لهم: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ [الصَّف: ٦]، فَأَنْتُمْ إِنْ صَدَّقْتُمْ أَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ لَوْرُودِهِ فِي الْقُرْآنِ فَصَدَّقُوا أَنَّهُ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ لَوْرُودِ ذَلِكَ

في القرآن، فالقرآن صريح ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ [الصَّف:٦]؛ أي: هذا الرسول الذي بشر به عيسى، وسمّاه أحمد، لما جاءهم بالبينات ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾، فهم مكذبون إمّا باحتمال هذا أو باحتمال هذا، إن قالوا: «المبعوث محمد» قلنا: من أين جعلتموه كاذبًا، قالوا: إنّه عندنا أحمد، قلنا: إذا صدقتم أن اسمه أحمد وأقررتم به فأقروا بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصَّف:٦]؛ ولهذا نحن نشهد ونشهد الله وملائكته أن الذين يُسمّون أنفسهم المسيحيين الآن هم أبعد الناس عن المسيح ومن أكفر الناس به، ردّوا بشارته وكذبوه، وقتلوا من يصدّق به ويؤمن به وهم المسلمون، وكان اسمهم قبل الثورة الصناعيّة في أوروبا كان اسمهم النصارى، فكانوا معروفين باسم النصارى في القرآن وفي السنّة وفي كلام السلف، لكن لما استعمروا المسلمين قالوا: نريد أن تكون نسبتنا إلى نبيّ وهو المسيح فتسمّوا بالمسيحيين؛ ولذلك ينبغي أن نسمّيهم بالاسم الحقيقيّ لهم وهو النصارى؛ لأنّ تسميتنا إياهم بالمسيحيين إقرار لهم بأنهم على دين المسيح، ومعاذ الله أن يكون المسيح -عليه الصّلاة والسّلام- يدعوهم إلى أن الله ثالث ثلاثة، أو إلى أنه ابن الله، أو ما أشبه ذلك.

فيقول رحمه الله: إنّ هؤلاء الذين يُنكرون علينا ألا نغلّوا في الرسول -عليه الصّلاة والسّلام- يُشبهون المسيحيين، بل يُشبهون النصارى؛ لأنّه قال: «النصارى» الذين قالوا: إنّنا -نحن المسلمين- نبغض المسيح عيسى ابن مريم؛ لأننا وصفناه بأنّه عبدٌ.

٤٠٠٥- لَوْ قُلْتُمْ وَلَدِ الْخَالِقِ وَفَقَيْتُمُوهُ حَقَّهُ بِوِرَانِ

يعني: قالوا لنا: لو قلت: إنّ عيسى -عليه الصّلاة والسّلام- ولد لله، وهو في الوقت نفسه إله خالق لو فقيتموه حقه بوران.

وهم كذبوا، والله ما صدقوا، لو قلنا: إنه عبدٌ ورسولٌ حينئذٍ وفينا حقه،
 أمّا لو قلنا: إنه إلهٌ وولدٌ وخالقٌ فإننا لم نُوفّه حقه، بل أعطينا ما لا يستحقُّ،
 ولكننا نعلم علمَ اليقين أن عيسى -عليه السلام- لا يقول أبدًا: هذا حقِّي؛ ولهذا
 يقولُ الله يومَ القيامة: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّكَ﴾ [المائدة: ١١٦]،
 وصدق عليه الصلاة والسلام، فلا أحدٌ من الخلقِ يستحقُّ أن يُعبَدَ من دونِ الله.

٤٠٠٦- وَكَذَلِكَ أَشْبَاهُ النَّصَارَى مُذْغَلَوْا فِي دِينِهِمْ بِالْجَهْلِ وَالطُّغْيَانِ
 قَوْلُهُ: «مُذْغَلَوْا»، وفي نسخة: «قَدْ غَلَوْا».

٤٠٠٧- صَارُوا مُعَادِينَ الرَّسُولِ وَدِينَنَا فِي صُورَةِ الْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ

يعني: أن هؤلاء الذين يعادوننا يعادون الرسولَ ويعادون دينه يدعون أنهم
 أحبابُ الرسولِ وأتباعُ إخوانِ الرسولِ وأتباعُ منزلته، وهم يدعون الرسولَ
 ﷺ، ويقولون: إنه يعلمُ الغيبَ، ويُجيبُ الدعوةَ، وما أشبه ذلك ممّا قالوه في
 الرسولِ، وأخبتُ من ذلك الرافضةُ الذين يدعون عليَّ بن أبي طالبٍ عند الشدائدِ،
 وعند الرِّخاءِ يدعون الله عزَّ وجلَّ، فيعدُّون عليًّا للشدائدِ وربَّ عليٍّ للرِّخاءِ، ثمَّ
 إذا أنكرنا عليهم وقلنا: إنَّ عليَّ بن أبي طالبٍ بشرٌ كغيره من البشرِ ولو كان ربًّا
 يُدعى لمنع نفسه من الخارجيّ الذي قتله، قالوا: أنتم تُبغضون عليًّا ولا تحبُّونه.

فسبحان الله! الذي يسيرُ خلفَ عليِّ بن أبي طالبٍ امتثالًا لأمرِ الرسولِ ﷺ:
 «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»^(١) هو المُبغضُ له، والذي يأتي بما يُنكره

(١) أخرجه أحمد (١٢٦/٤)، وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧)،
 والترمذي: كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، رقم (٢٦٧٦)، وابن
 ماجه: المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، رقم (٤٢).

عليٌّ يكونُ هو المحبُّ له.

فابنُ القيم - رحمه الله - يقول: «صَارُوا مُعَادِينَ الرَّسُولِ وَدِينَنَا فِي صُورَةِ الْأَحْبَابِ وَالْإِخْوَانِ» الأحبابُ لمن؟ للرَّسُولِ وَمَنْ يُغْلُونَ فِيهِمْ، نقولُ: نحنُ الذين نحبُّه أَمَا أَنْتُمْ فَلَا تَحْبُونَهُ.

٤٠٠٨- فَانظُرْ إِلَى تَبْدِيلِهِمْ تَوْحِيدَهُ بِالشُّرْكِ وَالْإِيمَانِ بِالْكَفْرَانِ
انظر أيها العاقلُ إلى تَبْدِيلِ هَؤُلَاءِ الْمُشْبِهِينَ لِلنَّصَارَى تَوْحِيدَ اللَّهِ بِالشُّرْكِ وَتَبْدِيلِهِمُ الْإِيمَانَ بِالْكَفْرَانِ.

٤٠٠٩- وَانظُرْ إِلَى تَجْرِيدِهِ التَّوْحِيدَ مِنْ أَسْبَابِ كُلِّ الشُّرْكِ بِالرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «وَانظُرْ إِلَى تَجْرِيدِهِ التَّوْحِيدَ»؛ أَي: تَجْرِيدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

يعني: جَرَّدَ التَّوْحِيدَ مِنْ أَسْبَابِ كُلِّ الشُّرْكِ بِالرَّحْمَنِ، حَتَّى إِنْ رَجَلًا قَالَ لَهُ: مَا شَاءَ اللَّهُ وَشِئْتُ، فَقَالَ: «أَجَعَلْتَنِي اللَّهُ نِدًّا»^(١)، وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلًا جَاءَهُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ وَبِكَ عَلَى اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ! سُبْحَانَ اللَّهِ!» فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «نَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ»، فَجَعَلَ اللَّهُ شَفِيعًا إِلَى الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَكَ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ»^(٢)، بَلْ يُسْتَشْفَعُ بِالْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/٢٧٤، رقم ٧٨٣)، والطبراني (١٢/٢٤٤، رقم ١٣٠٠٥).

(٢) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في الجهمية، رقم (٤٧٢٦).

٤٠١٠- وَاجْمَعْ مَقَالَتَهُمْ وَمَا قَدْ قَالَهُ وَاسْتَدْعِ بِالنُّقَادِ وَالْوُزَانِ

قَوْلُهُ: «وَاجْمَعْ مَقَالَتَهُمْ»؛ أي: مقالة أشباه النصارى.

قَوْلُهُ: «وَمَا قَدْ قَالَهُ»؛ يعني: الرسول.

قَوْلُهُ: «وَاسْتَدْعِ بِالنُّقَادِ وَالْوُزَانِ» صيغة مبالغة للمفرد الواحد، أو «بالنُّقَادِ

وَالْوُزَانِ» جمع «ناقد» و «وازن».

فهو يرُدُّ على الذين يغلون في الرسول عليه الصلاة والسلام، يقول: اجمعها

جميعًا.

٤٠١١- عَقْلٍ وَفِطْرَتِكَ السَّلِيمَةِ ثُمَّ زِنْ هَذَا وَذَا لَا تَطْعُ فِي الْمِيزَانِ

قَوْلُهُ: «عَقْلٍ وَفِطْرَتِكَ السَّلِيمَةِ» اعرض قول هؤلاء وقول الرسول على

العقل والفترة السليمة، وانظر ماذا يحكم به العقل والفترة.

قَوْلُهُ: «ثُمَّ زِنْ هَذَا وَذَا»؛ يعني: زن أقوالهم وأقوال الرسول صلى الله عليه

وعلى آله وسلم.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَطْعُ فِي الْمِيزَانِ»؛ يعني: زن زنة عدل.

٤٠١٢- فَهَنَّاكَ تَعْلَمُ أَيُّ حَرْبَيْنَا هُوَ الْوَالِ مُتَنَقِّصُ الْمُنْقُوصِ ذُو الْعُدْوَانِ

وما الذي يؤدِّيه علمنا إليه؟ أنهم هم أصحاب التنقص وهم المنقوصون،

أمَّا نحن الذين عرفنا لربنا حقه، ولنبينا حقه، فنحن الذين أعطينا ما يستحقُّ،

وأعطينا الربَّ عزَّ وجلَّ ما يستحقُّ، ولم نكن بنعمة الله منقوصين، بل نحن الذين

على أتمَّ الطرق.

٤٠١٣- رَامِيَ الرِّيِّ بِدَائِهِ وَمُصَابِهِ فِعْلُ الْمُبَاهِتِ أَوْحِ الْحَيَوَانَ

يعني: أن هؤلاء رموا البراء بدائهم ومصابهم، رمونا بأننا نتنقص الرسول عليه الصلاة والسلام أو نتنقص الله، والحقيقة أنهم هم الذين سلكوا هذا المسلك، فرمونا بالداء والمصاب على حد قول المثل: «رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلْتُ»^(١).

٤٠١٤- كَمَعَيْرٍ لِلنَّاسِ بِالزَّغَلِ الَّذِي هُوَ صَرْبُهُ فَأَعَجَبَ لَذَا الْبُهْتَانِ

قوله: «كَمَعَيْرٍ النَّاسِ بِالزَّغَلِ الَّذِي هُوَ صَرْبُهُ»؛ يعني: يُعَيِّرُ النَّاسَ بِالزَّغَلِ وهو الذي صَرْبُهُ، والزَّغَلُ هو الغش في الذهب أو في الفضة، يُعَيِّرُ النَّاسَ، يقول: فلان -والله- لا يخاف الله؛ يتعامل بالزَّغَلِ، وهذا غريب؛ إذ هو الذي يضرب السُّكَّةَ ويجعل فيها الغش، ثُمَّ يَعَيَّبُ الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ بِهِ.

قوله: «فَأَعَجَبَ لَذَا الْبُهْتَانِ» صحيح، هذا من أعجب ما يكون.

ثُمَّ اتَّجَهَ -الآن- لهؤلاء الذين رموا أهل الحق بالتنقيص والتنقيص فقال:

٤٠١٥- يَا فِرْقَةَ التَّنْقِيسِ بَلْ يَا أُمَّةَ الذِّ دَعْوَى بِلَا عِلْمٍ وَلَا عِرْفَانٍ

قوله: «يَا فِرْقَةَ التَّنْقِيسِ»؛ أي: حَسَبَ مَسَلِكِهِمْ وَمَنْهَجِهِمْ.

قوله: «أُمَّةَ الدَّعْوَى» حسب ما رمونا به من أننا متنقصون لله ولرسوله.

وقوله: «يَا فِرْقَةَ التَّنْقِيسِ بَلْ يَا أُمَّةَ الدَّعْوَى» «بل» هنا للإضراب، ولكنها

ليست لإضراب الإبطال، بل لإضراب الانتقال ليصح الوصف الأول والثاني لهم، فهم متنقصون للرسول عليه الصلاة والسلام، وهم أُمَّةُ الدَّعْوَى الباطلة التي ليس فيها علم ولا عرفان.

(١) انظر: مجمع الأمثال للميداني (١/٢٨٦).

٤٠١٦- وَاللّٰهُ مَا قَدَّمْتُمْ يَوْمًا مَّقَا لَتُهُ عَلَى التَّقْلِيدِ لِلإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «مَقَالَتُهُ»؛ أي: مقالة الرَّسُولِ، بل مقالة الله ورسوله.

ما قَدَّمْتُمُوهَا عَلَى التَّقْلِيدِ، إِذَا قَالَ شَيْوُخُكُمْ قَوْلًا وَقَالَ الرَّسُولُ قَوْلًا قَدَّمْتُمْ قَوْلَ الشُّيُوخِ؛ وَهَذَا قَالَ:

٤٠١٧- وَاللّٰهُ مَا قَالَ الشُّيُوخُ وَقَالَ إِلِ لَا كُنْتُمْ مَعَهُمْ بِلَا كِتْمَانِ

يعني: والله ما قال الشُّيُوخُ قَوْلًا وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ قَوْلًا إِلَّا كُنْتُمْ مَعَهُمْ؛ أَي: مع الشُّيُوخِ، تُقَدِّمُونَ قَوْلَهُمْ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ -عليه الصلاة والسلام-

٤٠١٨- وَاللّٰهُ أَغْلَاطُ الشُّيُوخِ لَدَيْكُمْ أَوْلَى مِنَ الْمَعْصُومِ بِالْبُرْهَانَ

وهذا نقولُه نحن؛ يعني: أَنَّ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ -وإن كانت غلطًا- أَوْلَى عِنْدَكُمْ مِنْ أَقْوَالِ الْمَعْصُومِ بِالْقُرْآنِ وَهُوَ النَّبِيُّ ﷺ، هَذَا عَلَى نَسْخَةٍ، وَالنَّسْخَةُ الثَّانِيَّةُ:

وَاللّٰهُ أَغْلَاطُ الشُّيُوخِ لَدَيْكُمْ عَيْنُ الصَّوَابِ وَمُقْتَضَى الْبُرْهَانَ

يعني: أَنْتُمْ تَرَوْنَ أَنَّ أَغْلَاطَ الشُّيُوخِ صَوَابٌ، وَأَيُّهَا أَشَدُّ: أَنْ يُجْعَلُوا أَغْلَاطَ الشُّيُوخِ أَوْلَى مِنْ قَوْلِ الْمَعْصُومِ أَوْ أَنْ يُجْعَلُوا أَغْلَاطَ الشُّيُوخِ صَوَابًا؟ الْجَوَابُ: الْأَوَّلُ أَشَدُّ، وَهَذَا -وَالْعِيَاذُ بِاللّٰهِ- مِنْ تَلْبِيسِ الْحَقِّ، وَقَوْلُهُ: «مُقْتَضَى الْبُرْهَانَ»؛ أَي: مُقْتَضَى الدَّلِيلِ.

وهذا في الْحَقِيقَةِ مِنْ عَمَى الْبَصِيرَةِ وَالْعِيَاذُ بِاللّٰهِ، الَّذِي يَظُنُّ الْغَلْطَ صَوَابًا؛ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤]، وَكُلُّ إِنْسَانٍ لَا يَرِيدُ الْحَقَّ فَالْغَالِبُ أَنْ يُعْمَى عَنْهُ وَالْأَوْفَقُ لَهُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللّٰهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

فعليك يا عبد الله بقصد الحق حتى توفق له، لا يكن همك أن تنصر ما قلت، اجعل همك أن تنصر الحق، إن كنت قلته تظن أنه الحق فتبين لك أنه غير الحق فاعدل عنه، وإن كنت قلته تظن أنه الحق ولا يزال عندك هو الحق فاستمسك به، ولا تخالفه لقول أحد، واعلم أنك إذا قصدت الحق ووقفت له، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧].

- ٤٠١٩ - وَكَذًا قَضَيْتُمْ بِالذِّي حَكَمْتُمْ بِهِ جَهْلًا عَلَى الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
- ٤٠٢٠ - وَاللَّهُ إِنَّهُمْ لَدَيْكُمْ مِثْلُ مَعْمُ صُومٍ وَهَذَا غَايَةُ الطُّغْيَانِ
- ٤٠٢١ - تَبَّ لَكُمْ مَاذَا التَّنْقُصُ بَعْدَ ذَا لَوْ تَعْرِفُونَ الْعَدْلَ مِنْ نُقْصَانِ
- ٤٠٢٢ - وَاللَّهُ مَا يُرْضِيهِ جَعَلَكُمْ لَهُ تُرْسًا لِشُرُكِكُمْ وَلِلْعُدْوَانِ
- ٤٠٢٣ - وَكَذَلِكَ جَعَلَكُمْ الْمَشَايخَ جُنَّةً بِخِلَافِهِ وَالْقَصْدُ ذُو تَبْيَانِ
- ٤٠٢٤ - وَاللَّهُ يَشْهَدُ ذَا بَجْدَرٍ قُلُوبِكُمْ وَكَذَلِكَ يَشْهَدُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ
- ٤٠٢٥ - وَاللَّهُ مَا عَظَّمْتُمْ وَهُوَ طَاعَةٌ وَمُحَبَّةٌ يَا فِرْقَةَ الْعِضْيَانِ
- ٤٠٢٦ - أَنَّى وَجْهَلِكُمْ بِهِ وَبِدِينِهِ وَخِلَافِكُمْ لِلْوَحْيِ مَعْلُومَانِ
- ٤٠٢٧ - أَوْصَاكُمْ أَشْيَاخَكُمْ بِخِلَافِهِمْ لِيُفَاقِهِ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
- ٤٠٢٨ - خَالَفْتُمْ قَوْلَ الشُّيُوخِ وَقَوْلَهُ فَنَدَا لَكُمْ خُلَفَانِ مُتَّفِقَانِ
- ٤٠٢٩ - وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ عَجِيبٌ مُعْجَبٌ ضِدَانِ فِيكُمْ لَيْسَ يَتَّفِقَانِ

٤٠٣٠- تَقْدِيمُ آرَاءِ الرَّجَالِ عَلَيْهِ مَعَ هَذَا الْغُلُوِّ فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

الشرح

٤٠١٩- وَكَذَا قَضَيْتُمْ بِالَّذِي حَكَمْتُمْ بِهِ جَهْلًا عَلَى الْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «وَكَذَا»، وفي نسخة: «ولذا».

قَوْلُهُ: «وَكَذَا قَضَيْتُمْ بِالَّذِي حَكَمْتُمْ بِهِ» الفاعلُ الأشياخُ.

يعني: قَضَيْتُمْ بما حَكَمَ به الأشياخُ على الأخبارِ والقرآنِ، فما حَكَمْتُمْ به الأشياخُ على الأخبارِ والقرآنِ قضيتُمْ به وإن كان ذلك جهلاً إمَّا منكم أو من الشيوخ؛ لأنَّ كُلَّ إنسانٍ يحكمُ على القرآنِ بما يخالفُ القرآنَ فهو جاهلٌ، فصار المخصوصُ عندهم الأخبارَ والقرآنَ، والخاصُّ هم الشيوخُ.

٤٠٢٠- وَاللَّهِ إِنَّهُمْ لَدَيْكُمْ مِثْلُ مَعٍّ صُومٍ وَهَذَا غَايَةُ الطُّغْيَانِ
قَوْلُهُ: «إِنَّهُمْ» الضَّميرُ يعودُ على الأشياخِ.

قَوْلُهُ: «مِثْلُ مَعْصُومٍ»؛ أي: مثل الرسولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، بل هو على كلامِ المؤلِّفِ، هم أعلى من المعصومِ، يُقَدِّمُونَ أقوالهم على قوله.

٤٠٢١- تَبَّ لَكُمْ مَاذَا التَّنْقِصُ بَعْدَ ذَا لَوْ تَعْرِفُونَ الْعَدْلَ مِنْ نُقْصَانِ
قَوْلُهُ: «تَبَّ»؛ أي: خسارة لكم.

قَوْلُهُ: «مَاذَا التَّنْقِصُ بَعْدَ ذَا»؛ أي: هل يمكنُ أن يُوجَدَ تَنْقِصٌ وراء ذلك أن تُقَدِّموا قولَ أشياخكم على قولِ الرسولِ؟ الجوابُ: أبدًا، هذا غايةُ التَّنْقِصِ للرسولِ صلى الله عليه وسلم.

٤٠٢٢- وَاللّٰهُ مَا يُرْضِيهِ جَعَلَكُمْ لَهُ تُرْسًا لِشُرَكَكُمْ وَلِلْعُدْوَانِ

ما يُرْضِي الرّسولَ أن تجعلوه تُرْسًا لكم، فتقولوا: نحن أحبّاه، وهو حبيبتنا، وهو قدوتنا، وهو إمامنا، وأنتم تشركون به بالغلوّ ودعائه والاستغاثة به، فهؤلاء جمعوا بين الشّركِ بالرّسولِ وبين تنقُصِ أقواله.

٤٠٢٣- وَكَذَٰكَ جَعَلَكُمْ الْمَشَايخَ جُنَّةً بِخِلَافِهِ وَالْقَصْدُ ذُو تَبْيَانٍ

قَوْلُهُ: «وَكَذَٰكَ جَعَلَكُمْ الْمَشَايخَ جُنَّةً بِخِلَافِهِ» يجعلون المشايخ جُنَّةً؛ أي: وقايةً أمام النَّاسِ، إذا قيل لهم: القرآنُ والسُّنَّةُ يقولان: كذا وكذا، قالوا: لكنَّ هذا قاله الشَّيْخُ الفلانيُّ، يجعلونهم جُنَّةً.

قَوْلُهُ: «بِخِلَافِهِ»؛ أي: بمخالفة الرّسولِ، وفي نسخة: «لِخِلَافِهِ»؛ أي: لاختلافٍ معه أو بخلافه، والظَّاهِرُ أَنَّهُ يَصِحُّ الوجهان.

قَوْلُهُ: «وَالْقَصْدُ ذُو تَبْيَانٍ» القصدُ: تقديمُ آراءِ الشُّيوخِ على قولِ الرّسولِ.

٤٠٢٤- وَاللّٰهُ يَشْهَدُ ذَا بَجْدَرٍ قُلُوبِكُمْ وَكَذَٰكَ يَشْهَدُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «بِجْدَرٍ قُلُوبِكُمْ»؛ أي: بأصلها.

يعني: أن الله يشهدُ بقصدكم ويعلمه، يشهدُ بما في قلوبكم بما في أصلها.

٤٠٢٥- وَاللّٰهُ مَا عَظَّمْتُمُوهُ طَاعَةً وَمَحَبَّةً يَا فِرْقَةَ الْعِضْيَانِ

وإنّا عَظَّمُوهُ مُدَاهِنَةً وَتَرَسًا بِهَذَا التَّعْظِيمِ أَمَامَ الْعَامَّةِ، فهم يُعَظِّمُونَهُ مِنْ وَجْهِ لَكِنَّهُ تَعْظِيمٌ لَا يَرْضَاهُ وَذَلِكَ بِالْغَلْوِّ، وَيَتَنَقَّصُونَهُ مِنْ وَجْهِ ذَلِكَ بِتَقْدِيمِ كَلَامِ الشُّيُوخِ عَلَى كَلَامِهِ.

٤٠٢٦- أَنَّى وَجَهْلُكُمْ بِهِ وَبِدِينِهِ وَخِلَافُكُمْ لِلْوَحْيِ مَعْلُومَانِ

يعني: كيف تكونون مُعْظَمِينَ له وأنتم تجهلون به وبدينه وتخالفون الوحي؟!

٤٠٢٧- أَوْصَاكُمْ أَشْيَاخُكُمْ بِخِلَافِهِمْ لِيُؤَافِقَهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

المرادُ «بأشياخهم» هنا الأئمةُ، أَوْصَوْهُم بِخِلَافِهِمْ لِيُؤَافِقَهُ أَي: بمخالفتهم لوافق الرسول صلى الله عليه وسلم.

يعني: إذا خالفنا الرسول فخذوا بما يُوافق الرسول، وهو يعني بذلك أئمة الهدى، فالشافعي - رحمه الله - يقول: «إِذَا رَأَيْتُمْ قَوْلِي يَخَالِفُ قَوْلَ الرَّسُولِ فَخُذُوا بِقَوْلِ الرَّسُولِ وَاضْرِبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ»^(١)، ومالكٌ يقول: «كُلُّ يُوْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ»^(٢)؛ يعني: الرسول ﷺ، والإمامُ أحمدُ كذلك له في هذا كلامٌ كثيرٌ حتَّى إِنَّهُ يُحَدِّثُ عَنْ تَقْلِيدِ الرَّجَالِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ كَذَلِكَ.

٤٠٢٨- خَالَفْتُمْ قَوْلَ الشُّيُوخِ وَقَوْلَهُ فَعَدَا لَكُمْ خُلَفَاؤُا مُتَّفِقَانِ

قَوْلُهُ: «خَالَفْتُمْ قَوْلَ الشُّيُوخِ وَقَوْلَهُ»؛ يعني: لم تأخذوا بوصيته، فقدمتم قول الشيوخ على قوله وخالفتم قوله.

قَوْلُهُ: «فَعَدَا لَكُمْ خُلَفَاؤُا مُتَّفِقَانِ» ما هما؟ مخالفةُ الأشياخ الذين أوصوا باتباع الرسول وطرح أقوالهم، ومخالفة الرسول حيث خالفوا قوله لقول أشياخهم.

(١) انظر: معارج القبول (٣/ ١٢٣٩).

(٢) انظر: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للألوسي (ص: ٩٣).

٤٠٢٩- وَاللَّهُ أَمْرُكُمْ عَجِيبٌ مُعْجَبٌ ضِدَانٍ فِيكُمْ لَيْسَ يَتَّفَقَانِ

صَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَأَمْرُهُمْ عَجِيبٌ، يُقَدِّمُونَ قَوْلَ الشُّيُوخِ وَهُمْ يَنْهَوْنَهُمْ عَنِ تَقْدِيمِ قَوْلِهِمْ، هَذَا عَجِيبٌ «مُعْجَبٌ»؛ يَعْنِي: أَنَّهُ يُعْجَبُ الْإِنْسَانُ، فَهُوَ بِنَفْسِهِ عَجِيبٌ وَهُوَ أَيْضًا مُعْجَبٌ، كُلُّ مَنْ عَلِمَ بِهِ يَتَعَجَّبُ مِنْهُ.

٤٠٣٠- تَقْدِيمُ آرَاءِ الرَّجَالِ عَلَيْهِ مَعَ هَذَا الْغُلُوِّ فَكَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

يَقُولُ: تُقَدِّمُونَ آرَاءَ الرَّجَالِ عَلَى قَوْلِهِ، وَتَغْلُونَ فِيهِ غُلُوبًا جَائِرًا خَارِجًا عَنِ الْعَدْلِ، كَيْفَ يَتَّفَقَانِ؟! كَيْفَ تَغْلُونَ فِيهِ هَذَا الْغُلُوَّ حَتَّى تَجْعَلُوهُ إِلَهًا تَدْعُونَهُ إِلَى أَنْ تَعْبُدُوهُ وَرَبًّا تَدْعُونَهُ يُغِيثُكُمْ عِنْدَ الشَّدَائِدِ وَيُنْقِذُكُمْ مِنَ الْمَهَالِكِ؟! وَكَيْفَ تُقَدِّمُونَ قَوْلَ غَيْرِهِ عَلَى قَوْلِهِ؟! هَذَا عَجِيبٌ؛ إِذْ لَوْ كَانَتْ مَحَبَّتُهُمْ صَادِقَةً وَغُلُوبُهُمْ صَحِيحًا لَمْ يُقَدِّمُوا عَلَى قَوْلِهِ قَوْلَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.

٤٠٣١- كَفَرْتُمْ مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ جَهًا لَا مِنْكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

٤٠٣٢- لَكِنْ تَجَرَّدْتُمْ لِنَصْرِ الشِّرْكِ وَالْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

٤٠٣٣- وَاللَّهُ لَمْ نَقْصِدْ سِوَى التَّجْرِيدِ لِلتَّوْحِيدِ ذَاكَ وَصِيَّةَ الرَّحْمَنِ

٤٠٣٤- وَرِضَا رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَادِ الْغُلُوِّ وَالشِّرْكِ أَضَلَّ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ

٤٠٣٥- وَاللَّهُ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ دُعَاءَنَا إِيَّاهُ بَادَرْنَا إِلَى الْإِذْعَانِ

٤٠٣٦- وَاللَّهُ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولُ سُجُودَنَا كُنَّا نَخْرُلُهُ عَلَى الْأَذْقَانِ

٤٠٣٧- وَاللَّهُ مَا يُرْضِيهِ مِنْ غَيْرِ إِخْلَاصٍ وَتَحْكِيمٍ لَذَا الْقُرْآنِ

- ٤٠٣٨ - وَلَقَدْ نَهَىٰ ذَا الْخَلْقِ عَنِ إِطْرَائِهِ
فَعَلَ النَّصَارَىٰ عَابِدِي الصُّلْبَانِ
- ٤٠٣٩ - وَلَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَصِيرَ قَبْرَهُ
عِيدًا حَذَارِ الشُّرْكَ بِالرَّحْمَنِ
- ٤٠٤٠ - وَدَعَا بِأَلَا يُجْعَلَ الْقَبْرُ الَّذِي
قَدْ ضَمَّهُ وَتَنَّا مِنَ الْأَوْثَانِ
- ٤٠٤١ - فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ
وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدْرَانِ
- ٤٠٤٢ - حَتَّىٰ اغْتَدَتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ
فِي عِزَّةٍ وَحَمَايَةٍ وَصِيَانِ
- ٤٠٤٣ - وَلَقَدْ غَدَا عِنْدَ الْوَفَاةِ مُصْرِحًا
بِاللَّعْنِ يَصْرُخُ فِيهِمْ بِأَذَانِ
- ٤٠٤٤ - وَعَنَى الْأَلَىٰ جَعَلُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدًا
وَهُمُ الْيَهُودُ وَعَابِدُوا الصُّلْبَانَ
- ٤٠٤٥ - وَاللَّهُ لَوْلَا ذَاكَ أَبْرَزَ قَبْرَهُ
لَكِنَّهُمْ حَجَبُوهُ بِالْحَيْطَانِ
- ٤٠٤٦ - قَصَدُوا إِلَىٰ تَسْنِيمِ حُجْرَتِهِ لِيَمَّ
تَتَعَ السُّجُودُ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ
- ٤٠٤٧ - قَصَدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ وَقَصَدُهُ التُّ
تَجْرِيدُ لِلتَّوْحِيدِ لِلرَّحْمَنِ
- ٤٠٤٨ - يَا فِرْقَةَ جَهْلَتِ نُصُوصَ نَبِيِّهِمْ
وَقُصُودَهُ وَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
- ٤٠٤٩ - فَسَطَوْا عَلَىٰ أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ
بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ
- ٤٠٥٠ - لَا تَعْجَلُوا وَتَبَيَّنُوا وَتَثَبَّتُوا
فَمَصَابِكُمْ مَا فِيهِ مِنْ جُبْرَانِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله - في هؤلاء الذين قَدَّموا آراءَ الرِّجالِ على قولِ
الرَّسُولِ ﷺ مع غلوِّهم فيه:

٤٠٣١- كَفَرْتُمْ مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ جَهًّا — لَا مِنْكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

يعني: أُنْتُمْ كَفَرُوا مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ لَللَّهِ، وَقَالُوا: إِنَّكُمْ إِذَا لَمْ تَفْعَلُوا مِثْلَ فِعْلِنَا فِي الرَّسُولِ فَأَنْتُمْ كُفَّارٌ تُبْغِضُونَ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٠٣٢- لَكِنْ تَجَرَّدْتُمْ لِنَصْرِ الشِّرْكِ وَالْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ فِي رِضَا الشَّيْطَانِ

كَفَرُوا مَنْ جَرَّدَ التَّوْحِيدَ وَتَجَرَّدُوا هُمْ لِنَصْرِ الشِّرْكِ وَصَارُوا دَعَاةً لَهُ، يَدْعُونَ الْعَامَّةَ إِلَى دَعَاءِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - وَالْإِسْتِغَاثَةَ بِهِ، وَالْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ.

٤٠٣٣- وَاللَّهُ لَمْ نَقْصِدْ سِوَى التَّجْرِيدِ لِلتَّوْحِيدِ — تَوْحِيدِ ذَاكَ وَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ لَمْ نَقْصِدْ سِوَى التَّجْرِيدِ لِلتَّوْحِيدِ» يُجْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ وَهُوَ صَادِقٌ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّهُ مَا قَصَدَ إِلَّا التَّجْرِيدَ لِلتَّوْحِيدِ.

قَوْلُهُ: «ذَاكَ وَصِيَّةِ الرَّحْمَنِ» حَيْثُ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، فَإِنَّ مَعْنَى «قَضَىٰ»: «وَصَّىٰ» كَمَا قَالَ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ.

٤٠٣٤- وَرِضَا رَسُولِ اللَّهِ مِنْ أَوْلَادِ الْغُلُوِّ وَالشِّرْكِ أَصْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

قَوْلُهُ: «وَرِضَا رَسُولِ اللَّهِ»؛ يَعْنِي: لَمْ نَقْصِدْ سِوَى رِضَا رَسُولِ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «لَا غُلُوَّ الشِّرْكِ»؛ يَعْنِي: لَمْ نَقْصِدْ غُلُوَّ الشِّرْكِ.

قَوْلُهُ: «أَصْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ» الظَّاهِرُ أَنَّ «أَصْلَ» بِالْفَتْحِ أَصْحَحُ؛ لِأَنَّ الْغُلُوَّ هُوَ

أَصْلُ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْوَهَّابِ رَحِمَهُ اللهُ: «بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْغُلُوَّ فِي قُبُورِ الصَّالِحِينَ يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»^(١)، فَالْغُلُوُّ هُوَ أَصْلُ

(١) التوحيد لابن عبد الوهاب (ص: ٦٤).

الشُّرْكِ؛ ولهذا قال: «لَا غُلُوَّ الشُّرْكِ أَصْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ»، فالغلُوُّ هو أصلُ العبادة، إِذْنُ الغلُوُّ في الصَّالِحِينَ جعلهم أوثانًا يُعْبَدُونَ من دونِ الله؛ ولهذا نهى الرَّسُولُ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - عن الغلُوِّ.

٤٠٣٥- وَاللَّهُ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولَ دُعَاءَنَا إِيَّاهُ بَادَرْنَا إِلَى الْإِدْعَانِ وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَوْ قَالَ لَنَا الرَّسُولُ: «ادْعُونِي» - وحاشاه أن يقول ذلك - لدَعُونَاهُ.

٤٠٣٦- وَاللَّهُ لَوْ يَرْضَى الرَّسُولَ سُجُودَنَا كُنَّا نَخِرُّ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ نَعْم؛ لَوْ قَالَ: «اسجدوا لي» سَجَدْنَا عَلَى الْأَذْقَانِ، لَكِنَّهُ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - نَهَى عَنِ ذَلِكَ أَشَدَّ النَّهْيِ، نَهَى عَنِ أَنْ يُدْعَى أَوْ يُسْجَدَ لَهُ.

٤٠٣٧- وَاللَّهُ مَا يَرْضِيهِ مِنَّا غَيْرُ إِخْلَاصٍ وَتَحْكِيمٍ لِمَا لَدَا الْقُرْآنِ وَهَذَا مَعْلُومٌ مِنْ هَدْيِهِ وَسُنَّتِهِ أَنَّهُ لَا يَرْضَى مِنَّا إِلَّا الْإِخْلَاصَ لِلَّهِ وَتَحْكِيمَ شَرِيعَتِهِ.

٤٠٣٨- وَلَقَدْ نَهَى ذَا الْخَلْقِ عَنِ إِطْرَائِهِ فَعَلَ النَّصَارَى عَابِدِي الصُّلْبَانِ قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ نَهَى ذَا الْخَلْقِ عَنِ إِطْرَائِهِ» يعني: نهى أن نُطْرِيَهُ، فقال: «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ»^(١)؛ يعني: لَا تَعْلُوا فِيَّ كَمَا عَلَتِ النَّصَارَى.

قَوْلُهُ: «عَابِدِي الصُّلْبَانِ»؛ يعني: أن النَّصَارَى يعبدون الصُّلْبَ، وهذا مِنْ سَفَهِهِمْ وَجَهْلِهِمْ، فَالصُّلْبُ مَصْلُوبٌ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ بِزَعْمِهِمْ، وَكَانَ مَقْتَضَى الْعَقْلِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، رقم (٣٤٤٥).

أَتَمُّهُمْ إِذَا رَأَوْا الصَّلِيبَ كَسَّرُوهُ؛ لِأَنَّهُ صُلبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ، فَكَانَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يَسْخَطُوا هَذَا الَّذِي صُلبَ عَلَيْهِ نَبِيُّهُمْ وَأَنْ يَكْسُرُوهُ لَكِنْ لَجْهَلِهِمْ وَضَلَالِهِمْ وَسَفْهِهِمْ صَارُوا يُقَدِّسُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، وَصَدَقَ اللَّهُ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧].

٤٠٣٩- وَلَقَدْ نَهَانَا أَنْ نَصَيِّرَ قَبْرَهُ عِيدًا حَذَارِ الشِّرْكِ بِالرَّحْمَنِ

فَقَالَ ﷺ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا»^(١)، لِمَاذَا؟ لِأَنَّا إِذَا اتَّخَذْنَاهُ عِيدًا تَكَرَّرَ عَوْدُنَا إِلَيْهِ وَصَارَ ذَلِكَ سَبَبًا لِلشِّرْكِ بِهِ؛ فَلهَذَا قَالَ: «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا».

٤٠٤٠- وَدَعَا بِالْأَجْعَلِ الْقَبْرِ الَّذِي قَدْ ضَمَّهُ وَنَمِنَ الْأَوْثَانَ

أَي: دَعَا اللَّهَ فَقَالَ ﷺ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنَا يُعْبَدُ».

٤٠٤١- فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دُعَاءَهُ وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ

٤٠٤٢- حَتَّى اغْتَدَّتْ أَرْجَاؤُهُ بِدُعَائِهِ فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصَيَانَ

يَقُولُ ابْنُ الْقَيْمِ: إِنَّ اللَّهَ أَجَابَ دُعَاءَهُ وَأَحَاطَ الْقَبْرَ بِثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ، فَلَا أَحَدٌ يَصِلُ إِلَيْهِ حَتَّى يَجْعَلَهُ وَثْنًا، حَتَّى لَوْ عُبدَ الْقَبْرُ فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ وَثْنًا، لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مُحَاطٌ بِثَلَاثَةِ جُدْرَانٍ، الْحِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ «حِجْرَةُ الرَّسُولِ» - وَلَا أُرِيدُ الْحِجْرَةَ الْمَبْنِيَّةَ هَذِهِ - أَصْلًا جُعِلَتْ ثَلَاثَةُ جُدْرَانٍ، وَجُعِلَتْ مُثَلَّثَةً، زَاوِيَتُهَا الْقَائِمَةُ مِنْ خَلْفِ الْقِبْلَةِ مِنْ أَجْلِ أَلَّا يُتَّجَعَ إِلَى الْقَبْرِ اتِّجَاهٌ مُسْتَقِيمٌ، فَالْحِجْرَةُ جُعِلَتْ مُثَلَّثَةً لِأَنَّ مَرْبَعَةً، فَالَّذِي يَسْتَقْبَلُهُ يَسْتَدْبِرُ الْقِبْلَةَ، لَكِنْ الَّذِي يَسْتَقْبَلُ الْقَبْرَ الْآنَ مَاذَا يَسْتَقْبَلُ؟ يَسْتَقْبَلُ زَاوِيَةَ «رَأْسِ سَهْمٍ»، لَا يَسْتَقْبَلُ جِدَارًا مُرَبَّعًا أَوْ مُسْتَقِيمًا.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب المناسك، باب زيارة القبور، رقم (٢٠٤٢).

وهذا من حماية الله عزَّ وجلَّ لقبرِ الرَّسولِ ﷺ، كما أنه أيضًا لا يمكنُ الوصولُ إليه الآن؛ لأنه قد فقدَ أَحْكَمَ.

وفي التَّاريخ أن رَجُلَيْنِ جاءَا من المَشْرِقِ بصفةِ غَرِيبَيْنِ إلى المَدِينَةِ يُريدان أن يَنْبُشَا قبرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَجِيءَ إلى المَلِكِ في ذلكِ الوَقْتِ، وأُري في المنام أن رَجُلَيْنِ جاءَا إلى المَدِينَةِ من أجل أن يَنْبُشَا قبرَ النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ويأخذَا جسدَه الشَّرِيفَ؛ لأنَّ جسدَه الشَّرِيفَ لم تَأْكُلْهُ الأَرْضُ، فَفَزِعَ وقام بِسرعةٍ، وكما هو معلومٌ في ذاكِ الوَقْتِ لا تُوجَدُ مواصِلاتٌ، بل على ظَهورِ الإبلِ وظهورِ السُّفُنِ، المهمُّ أنه جاءَ بِها معه من الجنودِ ونزلَ المَدِينَةَ وصنَعَ موائدَ كثيرةً، وقال لأمرائه: «اجمعوا لي أهلَ المَدِينَةِ كُلَّهُم»، فبدؤوا يجمعونهم، يأتون بأناسٍ ويأتون بأناسٍ وهو واقفٌ ينظر؛ لأنه قد أُري في المنام وَجْهَي الرَّجُلَيْنِ، كُلِّمَا جاءت طائفةٌ نظرَ فيها، ولكنه لم يرِ الرَّجُلَيْنِ، حتَّى قالوا له: إنَّ أهلَ المَدِينَةِ انتهوا، كُلُّ مَنْ في المَدِينَةِ جِئنا بهم، فقال: لا، قالوا: لا يُوجَدُ إلَّا رَجُلانِ غريبانِ في بيتٍ حولَ المسجدِ، فقال: في قرارةِ نفسِهِ واللهُ أعلمُ: ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ﴾ [الكهف: ٦٤]، فَجِيءَ بهما، فإذا هما على الوصفِ الذي رآه في المنامِ، فسألها وحققَ معها، فإذا هما قد حفرا خندقًا في الأرضِ من البيتِ الذي هما فيه إلى قبرِ النَّبِيِّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، لكنَّهما لم يَصلاه بعدُ، على كُلِّ حالٍ أجرى اللَّازِمَ عليهما، ثُمَّ أَمَرَ بأن يُذابَ رصاصٌ عظيمٌ وصلَّ إلى الجبلِ أحاطه بقبرِ النَّبِيِّ ﷺ حمايةً لهذا الجسدِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ بنى عليه هذه الجدرانَ الثلاثةَ.

قَوْلُهُ: «حتَّى اغتَدتْ أَرْجَاؤُهُ بِدَعَائِهِ»؛ أي: بسببِهِ في عِزَّةٍ وحمايةٍ وصيانٍ؛ لأنَّ اللهَ تعالى أحاطَه بثلاثةِ جدرانٍ مَبْنِيَّةٍ على الحِجْرَةِ، وهذه الثلاثةُ مُثَلَّثَةٌ، وزاويةُ المثلثِ يَتَجَّهُ إليها مَنْ يريدُ أن يُصَلِّيَ إلى القبرِ، فلا يستطيعُ أن يُصَلِّيَ إلى القبرِ على وجهِ الاستواءِ؛ فلو أرادَ أحدٌ أن يُصَلِّيَ إليه تكونُ الزَّاوِيَةُ الثَّلَاثِيَّةُ قِبَلَ وجهِهِ،

وحينئذ لا يمكن أن يكون القبر وثناً، فإن قال قائل: ألسنا نجد الآن من يُصلي إلى القبر للرّسول عليه الصّلاة والسّلام؟

قلنا: إن صحّ هذا فإنّه لم يكن القبر وثناً، وإن اعتقد هذا المصليّ له أنّ ذلك وثنٌ فإنّه ليس وثناً، لماذا؟ لتعذّر الوصول إلى القبر، وقد ذكرنا سابقاً أنّ بعض أهل العلم يقول: إنّ زيارة النّساء لقبر الرّسول ﷺ ليست زيارةً لقبر؛ لأنّه لا يُمكن الوصول إلى القبر؛ ولهذا لا نجزم بأنّ من زارت قبر الرّسول ﷺ من النّساء أنّها داخلة في لعن زائرات القبور؛ إذ في الحقيقة بينها جدران لم تصل إلى القبر؛ ولهذا قال أهل العلم رحمهم الله: تُسنُّ زيارة قبر النّبي ﷺ حتّى للنّساء، هكذا صرّح فقهاء الحنابلة رحمهم الله، وذكر شيخنا عبد الرّحمن ابن سعدي -رحمه الله- أنّ العلة في ذلك أنّ زيارة النّساء للقبر ليست زيارةً حقيقةً للقبر؛ للحيلولة بينهن وبين الوصول إلى القبر، لكننا مع ذلك نقول: الاحتياط ألاّ تزور القبر؛ لأنّ ذلك زيارة عرفاً وليس زيارةً حقيقةً شرعيّةً، فهي زيارة عرفيّة، تعارف النّاس أنّ من وقّف عند القبر الشّريف ولو مع حيلولة هذه الجدران فهو زائرٌ.

فالمهم أنّ ابن القيم -رحمه الله- يقول: إنّ الله أجاب دعاء الرّسول عليه الصّلاة والسّلام حين قال: «اللّهم لا تجعل قبري وثناً يعبد»^(١).

ولو قال قائل: إنّهُ يوجد من يعبده قلنا: لكن القبر لم يكن وثناً، فالقبر مستورٌ، وكوننا نقول: إنّ الله أجاب دعوتَهُ خيرٌ من كوننا نقول: إنّ الله لم يُجب دعوتَهُ في أمرٍ محتملٍ، وعدمُ إجابة دعوة الله للرّسول لحكمة فوق حكمة الرّسول ﷺ؛ ولهذا سأل الرّسول ربّه ثلاثاً، فهل أجاب الثّلاث كلّها؟ الجواب: لا، ما أجاب الله الثّلاث كلّها، والله عزّ وجلّ هو الذي له الملك، يُعطي ويمنع،

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١٥٠، رقم ٧٥٤٤)، وعبد الرزاق (١/٤٠٦، رقم ١٥٨٧).

وَيُجِيبُ وَلَا يُجِيبُ، وَلَا شَكَّ أَنَّ قَوْلَنَا بِأَنَّ اللَّهَ أَجَابَ دَعَاءَهُ حِينَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا يُعْبَدُ» هُوَ الْمُتَعَيِّنُ؛ لِأَنَّ غَيْرَهُ مُحْتَمَلٌ، وَالْأَصْلُ أَنَّ اللَّهَ أَجَابَ دَعَاءَهُ، وَإِنْ عُبِدَ الْقَبْرُ فَلَيْسَ الْقَبْرُ نَفْسُهُ وَثَنًا؛ لِلْحِيلُولَةِ بِهَذِهِ الْجَدْرَانِ الثَّلَاثَةِ.

فَإِنْ قِيلَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ يَقُولُ: إِنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ فِي الْمَسْجِدِ فَمَا الْجَوَابُ؟

نَقُولُ: وَهَلِ الَّذِي يَقُولُ: إِنَّ مَسْجِدَ الرَّسُولِ ﷺ هُوَ قِبَاءٌ، هَلِ تُطِيعُهُ؟ الْجَوَابُ: لَا، كَذَلِكَ إِذَا قَالَ: قَبْرُهُ فِي الْمَسْجِدِ هَلِ تُطِيعُهُ، أَوْ أَنَّ الْمَعْنَى أَنَّ الْمَسْجِدَ يَشْمَلُهُ؟ فَهَلِ مَعْنَاهُ إِذَا قُلْتَ بِالْأَوَّلِ: أَنَّ الْقَبْرَ فِي الْمَسْجِدِ؛ يَعْنِي: فِي الرَّوْضَةِ، وَلَيْسَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي فِيهِ الْآنَ، مَا مَعْنَى فِي الْمَسْجِدِ؟ مَعْنَى فِي الْمَسْجِدِ هَلِ مَعْنَاهُ: أَنَّ قَبْرَ الرَّسُولِ لَيْسَ فِي مَكَانِهِ الْآنَ وَلَكِنَّهُ فِي الرَّوْضَةِ؟ الْجَوَابُ: فِي مَكَانِهِ، وَالْمَسْجِدُ شَامِلٌ لَهُ، نَقُولُ: لَا حُجَّةَ لَكُمْ فِي هَذَا؛ لِأَنَّ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- دُفِنَ وَبَيْتُهُ مُسْتَقِلٌّ عَنِ الْمَسْجِدِ، وَلَكِنْ لَمَّا وَسَّعُوا الْمَسْجِدَ كَانَتْهُمْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مَا رَأَوْا مِثْلًا فَسُحَّةً إِلَّا مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ، فَدَخَلَتْ الْحَجْرَةُ فِي الْمَسْجِدِ، فَهِيَ حَجْرَةٌ فِي مَسْجِدٍ، وَلَيْسَتْ قَبْرًا فِي مَسْجِدٍ.

٤٠٤٣- وَلَقَدْ غَدَا عِنْدَ الْوَفَاةِ مُصْرَحًا بِاللَّعْنِ يَصْرُخُ فِيهِمْ بِأَذَانِ

٤٠٤٤- وَعَنَى الْأَلَى جَعَلُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدًا وَهُمْ الْيَهُودُ وَعَابِدُوا الصُّلْبَانَ

فِي مَرَضِ مَوْتِهِ كَانَ يَقُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدًا»، يَقُولُ ذَلِكَ تَحْذِيرًا لِأُمَّتِهِ مِمَّا صَنَعُوا^(١)؛

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم (٤٣٥)، مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم (٥٢٩).

ولهذا قال:

٤٠٤٥- وَاللَّهِ لَوْلَا ذَاكَ أُبْرِزَ قَبْرُهُ لَكِنَّهُمْ حَجَبُوهُ بِالْحَيْطَانِ

فهو قال ذلك يُحَدِّثُ أُمَّتَهُ أَنْ يَصْنَعُوا مِثْلَهَا صَنَعُوا، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأُبْرِزَ قَبْرُهُ غَيْرَ أَنَّهُ حُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا»^(١).

مَنْ الَّذِينَ حَجَبُوهُ؟ الْجَوَابُ: الصَّحَابَةُ، فَهَمُ دَفَنُوهُ فِي الْبَيْتِ نَفْسِهِ، عَلَى أَنَّهُ أَيْضًا قَدْ وَرَدَتْ آثَارٌ أَنَّ النَّبِيَّ يُدْفَنُ حَيْثُ قُبِضَ^(٢).

٤٠٤٦- قَصِدُوا إِلَى تَسْنِيمِ حُجْرَتِهِ لِيَمَّ تَمَتَّعَ السُّجُودُ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ

قَصِدُوا إِلَى تَسْنِيمِ الْحَجْرَةِ وَلَيْسَ تَسْنِيمَ الْقَبْرِ، فَالْقَبْرُ مُسَنَّمٌ لَا شَكَّ، لَكِنْ أَيْضًا الْحَجْرَةُ مُسَنَّمَةٌ؛ يَعْنِي: مِثْلُهَا لِمَاذَا؟ لِأَجْلِ أَنْ يَمْتَنِعَ السُّجُودُ لَهُ عَلَى الْأَذْقَانِ.

٤٠٤٧- قَصِدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ وَقَصْدُهُ التَّجْرِيدُ لِلتَّوْحِيدِ لِلرَّحْمَنِ

يعني: أَنَّهُمْ قَصِدُوا مُوَافَقَةَ الرَّسُولِ فِي الْأَجْلِ لِتَجْعَلَ قَبْرَهُ وَثَنًا يُعْبَدُ.

٤٠٤٨- يَا فِرْقَةً جَهَلْتَ نُصُوصَ نَبِيِّهِمْ وَقُصُودَهُ وَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ

٤٠٤٩- فَسَطُوا عَلَى أَتْبَاعِهِ وَجُنُودِهِ بِالْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ وَالْبُهْتَانِ

٤٠٥٠- لَا تَعَجَّلُوا وَتَبَيَّنُوا وَتَثَبَّتُوا فَمُصَابِكُمْ مَا فِيهِ مِنْ جُبْرَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة في البيعة، رقم (٤٣٥)، مسلم: كتاب المساجد، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها والنهي عن اتخاذ القبور مساجد، رقم (٥٢٩).

(٢) كما في حديث: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض». أخرجه ابن ماجه: كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه ﷺ، رقم (١٦٢٨).

يعني: بذلك الذين يُشنعون على مَنْ جَرَدُوا التَّوْحِيدَ ويقولون: أنتم تنقصتم الرسول، أنتم لا تعبدونه، أنتم لا تدعونهم، أنتم لا تغلون فيه، أنتم لا تحبونه، وأمثال ذلك، فهم سَطَوْا على أتباع الرسول وجنّده بالبغي والعدوان والعياذ بالله، ولكن ما موقف أتباع الرسول وجنّده من هذا؟

موقفهم: **الأوّل: الصَّبْرُ، الثَّانِي: الثَّبَاتُ، الثَّالِثُ: المدافعةُ** كما قال تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا﴾ [الأنفال: ٤٥]، أثبت، لا تتغيّر بكثرة الهجوم عليك أو التشنيع على قولك، ما دُمت على حقّ فاثبت، فالحق لا يمكن أن يُزحزح، اصبر، ثم بعد ذلك دافع، هذا إذا كُنت في مقام الضّعف، فلا أدنى من المدافعة، أمّا إذا كُنت في مقام القوّة فعليك بالهجوم، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئَةً وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣].

ولا شكّ أنّ النَّاسَ منذ كانت الدنيا يداول الله الأيام بينهم، فتارة يكونون في مقام القوّة، وتارة يكونون في مقام الضّعف، ولكلّ مقام ما يناسبه، لكن أهمّ شيء أنّك في مقام الضّعف يجب أن تثبت، لا تترحزح عن الحقّ، لا تقل: الناس كلّهم على خلاف ذلك، بل اثبت، فلك أتباع، قال رحمه الله:

وَاللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ

- ٤٠٥١- قُلْنَا الَّذِي قَالَ الْأَيْمَّةُ قَبْلَنَا وَبِهِ النُّصُوصُ أَتَتْ عَلَى التَّبَيَّانِ
- ٤٠٥٢- الْقَصْدُ حَجُّ الْبَيْتِ وَهُوَ فَرِيضَةُ الرُّ رَحْمَنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ
- ٤٠٥٣- وَرِحَالُنَا شُدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بَقَا عِ الْأَرْضِ قَاصِيهَا كَذَاكَ الدَّانِي

- ٤٠٥٤- مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الْإِلَهِ فَمَا لَهُ
 ٤٠٥٥- وَكَذًا نَشُدُّ رِحَالَنَا لِلْمَسْجِدِ النَّبِيِّ
 ٤٠٥٦- مِنْ بَعْدِ مَكَّةَ أَوْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِيهِ
 ٤٠٥٧- وَنَرَاهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرَضًا لَكِنَّ النَّبِيَّ
 ٤٠٥٨- أَصْلٌ هُوَ النَّافِي الْوُجُوبَ فَإِنَّهُ
 ٤٠٥٩- وَلَنَا بَرَاهِينٌ تَدُلُّ بِأَنَّهُ
 ٤٠٦٠- أَمْرُ الرَّسُولِ لِكُلِّ نَازِرٍ طَاعَةٌ
 ٤٠٦١- وَصَلَاتُنَا فِيهِ بِأَلْفٍ مِنْ سِوَا
 ٤٠٦٢- وَكَذًا صَلَاةٌ فِي قِبَا فَكَعْمَرَةَ
 ٤٠٦٣- فَإِذَا أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ صَلُّوا
 ٤٠٦٤- بِتِمَامِ أَرْكَانِ لَهَا وَخُشُوعِهَا
 ٤٠٦٥- ثُمَّ انْتَنِينَا لِلزِّيَارَةِ نَقْصِدُ الْبَيْتَ
 ٤٠٦٦- فَتَقُومُ دُونَ الْقَبْرِ وَتَقِفُ خَاصِعَةً
 ٤٠٦٧- فَكَأَنَّهُ فِي الْقَبْرِ حَيٌّ نَاطِقٌ
 ٤٠٦٨- مَلَكَتْهُمْ تِلْكَ الْمَهَابَةُ فَاعْتَرَتْ
 ٤٠٦٩- وَتَفَجَّرَتْ تِلْكَ الْعُيُونُ بِبَائِئِهَا
 مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ
 نَبَوِيٍّ خَيْرِ مَسَاجِدِ الْبُلْدَانِ
 هِ الْخُلْفُ عِنْدَ النَّاسِ مُنْذُ زَمَانِ
 نَعْمَانُ يَا أَبَى دَا وَلِلنَّعْمَانِ
 مَا جِنْسُهُ فَرَضًا عَلَى الْإِنْسَانِ
 بِالنَّذْرِ مُفْتَرَضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ
 بِوَفَائِهِ بِالنَّذْرِ بِالْإِحْسَانِ
 هُ مَا خَلَا ذَا الْحَجْرِ وَالْأَرْكَانِ
 فِي أَجْرِهَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ
 لَيْنَا التَّحِيَّةَ أَوْ لَا تُثْنَانِ
 وَحُضُورِ قَلْبٍ فِعْلَ ذِي الْإِحْسَانِ
 قَبْرِ الشَّرِيفِ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ
 مُتَذَلِّلٍ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ
 فَالْوَاقِفُونَ نَوَاكِبِ الْأَذْقَانِ
 تِلْكَ الْقَوَائِمَ كَثْرَةُ الرَّجْفَانِ
 وَلَطَالَمَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ

- ٤٠٧٠- وَأَتَى الْمُسْلِمَ بِالسَّلَامِ بِهَيْبَةٍ
وَوَقَّارِ ذِي عِلْمٍ وَذِي إِيمَانٍ
- ٤٠٧١- لَمْ يَرْفَعْ الْأَصْوَاتِ حَوْلَ ضَرْيَجِهِ
كَلًّا وَلَمْ يَسْجُدْ عَلَى الْأَذْقَانِ
- ٤٠٧٢- كَلًّا وَلَمْ يَرَ طَائِفًا بِالْقَبْرِ أَسْفُلًا
بُوعًا كَأَنَّ الْقَبْرَ بَيْتٌ ثَانِي
- ٤٠٧٣- ثُمَّ انشأ بدعائه متوجهًا
لِلَّهِ نَحْوَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
- ٤٠٧٤- هَذِي زِيَارَةٌ مِنْ عَدَا مُتَمَسِّكًا
بِشَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ
- ٤٠٧٥- مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ هَاتِيكَ الزِّيَارَةَ
وَهِيَ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٠٧٦- لَا تَلِيسُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ
سُنَنُ الرَّسُولِ بِأَعْظَمِ الْبُرْهَانِ
- ٤٠٧٧- هَذِي زِيَارَتُنَا وَلَمْ نُنْكَرْ سِوَى الْبِدْعِ
الْمُضِلَّةِ يَا أُولِي الْعُدُوانِ
- ٤٠٧٨- وَحَدِيثُ شَدِّ الرَّحْلِ نَصٌّ ثَابِتٌ
يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ

الشرح

لَمَّا بَيَّنَّ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنَّ غَلْوَهُ هُوَ لِإِثْبَاتِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -
مَعَ مَخَالَفَتِهِمْ قَوْلَهُ فِيهَا وَصَفَ بِهِ رَبَّهُ مُنْكَرًا مِنْ وَجْهَيْنِ هُمَا:

الوجه الأول: الغلو.

الوجه الثاني: التحريف لكلامه عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

لَمَّا بَيَّنَّ ذَلِكَ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠٥١- قُلْنَا الَّذِي قَالَ الْأَيْمَّةُ قَبْلَنَا
وَبِهِ النُّصُوصُ أَتَتْ عَلَى التَّبْيَانِ

يعني: أننا نحن نقول ما قاله الأئمة قبلنا وجاءت به النصوص، ثم ذكر الزيارة الشرعية فبدأ بالحج فقال:

٤٠٥٢- الْقَصْدُ حَجُّ الْبَيْتِ وَهُوَ فَرِيضَةُ الرَّحْمَنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ

قوله: «الْقَصْدُ حَجُّ الْبَيْتِ»؛ يعني: أننا نُسافرُ إلى البيت للحج بخلاف هؤلاء الذين يغفلون فيمن يزعمونهم أولياء؛ فإنهم يحجون إليهم، ويرون أن الحج إلى قبورهم أفضل من الحج إلى بيت الله عز وجل، فجعلوا قصد قبور الأموات أفضل من قصد بيت رب السماوات والعياد بالله.

قوله: «وَهُوَ فَرِيضَةُ الرَّحْمَنِ وَاجِبَةٌ عَلَى الْأَعْيَانِ»، وهذا معروف، فالحج أحد أركان الإسلام.

٤٠٥٣- وَرَحَالُنَا شَدَّتْ إِلَيْهِ مِنْ بَقَا عِ الْأَرْضِ قَاصِيهَا كَذَلِكَ الدَّانِي

قال الله تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧]، فالناس يأتون إلى هذا البيت من أقاصي الأرض ودانيتها.

٤٠٥٤- مَنْ لَمْ يَزُرْ بَيْتَ الْإِلَهِ فَمَا لَهُ مِنْ حَجِّهِ سَهْمٌ وَلَا سَهْمَانِ

يعني: أن من لم يطف بالبيت فليس له حج؛ لأن الطواف بالبيت وهو طواف الزيارة ركن من أركان الحج، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٢٩]، فمن حج ولم يزُر البيت ولم يطف به فلا حج له حتى لو وقف بعرفة وبمزدلفة ورَمَى الجمار، وبات بمنى، فإنه لا حج له.

٤٠٥٥- وَكَذَا نَشُدُّ رِحَالَنَا لِلْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ خَيْرٌ مَسَاجِدِ الْبُلْدَانِ

٤٠٥٦- مِنْ بَعْدِ مَكَّةَ أَوْ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِيهِ - هِ الْخُلْفُ عِنْدَ النَّاسِ مُنْذُ زَمَانٍ

نشدُّ الرَّحَلَ إِلَى مَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَدِنَ فِيهِ، بَلِ رَغَبَ فِيهِ فَقَالَ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١).

لكن هل هو أفضل من مكة أو مكة أفضل؟ لا شك أن مكة أفضل، أما الصلاة في البيت فإنه بالنص عن النبي -عليه الصلاة والسلام- حيث قال: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ»^(٢)، هكذا في صحيح مسلم، وكذلك في الصحيحين من حديث أبي هريرة أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ»^(٣)، لكن هل مكة أفضل أو المدينة؟ هذا محل الخلاف، والصواب بلا شك أن مكة أفضل من المدينة.

المسجد النبوي لا شك أنه خير مساجد البلدان من بعد مكة أو على الإطلاق، لكن القول بأنه «على الإطلاق» ضعيف، والصواب أنه خير المساجد من بعد مسجد مكة، والحديث في هذا صريح صحيح كما سبق.

لكن لعل الذين قالوا بخلاف ذلك يريدون نفس المسجد دون الصلاة فيه،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٨٩).

ومسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، رقم (١٣٧٩).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٦).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٣٣)،

ومسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٤).

والصَّوَابُ أَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَأَنَّ الصَّلَاةَ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَأَمَّا مَا زَعَمَهُ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَنَّ الْحِجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَأَفْضَلُ مِنَ الْكَعْبَةِ فَهَذَا قَوْلٌ بَاطِلٌ، قَالَ ابْنُ عَقِيلٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَهُوَ مِنْ عُلَمَاءِ الْحَنَابِلَةِ: «الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَرِّدِ الْحِجْرَةِ، فَأَمَّا وَالنَّبِيِّ ﷺ فِيهَا فَلَا وَاللَّهِ وَلَا الْعَرْشُ وَحَمَلَتْهُ وَلَا الْجَنَّةُ»^(١)، وَهَذَا غَلَطٌ مِنْ رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ لِسْنَا نُرِيدُ التَّفْضِيلَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبَيْنَ الْكَعْبَةِ، إِنَّمَا نُرِيدُ التَّفْضِيلَ بَيْنَ هَذَا الْمَسْجِدِ وَهَذَا الْمَسْجِدِ، وَأَمَّا كَوْنُ النَّبِيِّ ﷺ فِيهَا فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يُوجِبُ أَنْ يَزِيدَ فَضْلُهَا عَلَى فَضْلِ الْكَعْبَةِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ.

٤٠٥٧- وَنَرَاهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرَضًا لَكِنَّ النَّدْرَ نَعْمَانُ يَا بِي ذَا.....

قَوْلُهُ: «وَنَرَاهُ عِنْدَ النَّذْرِ فَرَضًا» الْمَعْنَى: شَدَّ الرَّحْلَ إِلَى الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ نَرَاهُ فَرَضًا عِنْدَ النَّذْرِ، إِذْ ذَنْ الْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ بِالِاتِّفَاقِ أَنَّ شَدَّ الرَّحْلَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَرَضٌ مِنْ أَصْلِ الْإِسْلَامِ، وَفَرَضٌ بِالنَّذْرِ إِذَا نَذَرَ الصَّلَاةَ فِيهِ.

قَوْلُهُ: «لَكِنَّ النَّعْمَانَ يَا بِي ذَا» النَّعْمَانُ هُوَ: أَبُو حَنِيفَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ، يَرَى أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا نَذَرَ شَدَّ الرَّحْلَ إِلَى مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ فَإِنَّهُ لَا يَلْزِمُهُ الْوَفَاءُ بِهِ لِمَاذَا؟ بِنَاءً عَلَى أَصْلِ، مَا هُوَ الْأَصْلُ؟ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٠٥٧- وَاللَّعْنَةُ.....

٤٠٥٨- أَصْلُ هُوَ النَّافِي الْوُجُوبِ فَإِنَّهُ مَا جِنْسُهُ فَرَضًا عَلَى الْإِنْسَانِ

يَقُولُ النَّعْمَانُ رَحِمَهُ اللَّهُ: إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِنَذْرِ الطَّاعَةِ إِلَّا إِذَا كَانَ جِنْسُهُ

(١) انظر: الفروع لابن مفلح (٦/٢٨).

فرضًا، فنذرُ الصَّلَاةِ يجبُ الوفاءُ به؛ لأنَّ جنسه فرضٌ، ونذرُ الصَّدَقَةِ يجبُ الوفاءُ به لأنَّ جنسه فرضٌ وهو الزَّكَاةُ، ونذرُ الحَجِّ يجبُ الوفاءُ به؛ لأنَّ جنسه فرضٌ، ونذرُ الصَّوْمِ يجبُ الوفاءُ به؛ لأنَّ جنسه فرضٌ، ونذرُ شَدِّ الرَّحْلِ إلى المسجدِ النبويِّ ليس بفرضٍ عند أبي حنيفة؛ لأنَّه ليس له جنسٌ مفروضٌ، فليس هناك فرضٌ بشَدِّ الرَّحْلِ إلى المسجدِ النَّبَوِيِّ، وعند الجمهورِ يجبُ الوفاءُ به، وهو الصَّوَابُ، فإذا نَذَرَ أن يُصَلِّيَ في المسجدِ النَّبَوِيِّ فيجبُ الوفاءُ به؛ ولذا قال:

٤٠٥٩- وَلَنَا بَرَاهِينٌ تَدُلُّ بِأَنَّهُ
بِالنَّذْرِ مُفْتَرَضٌ عَلَى الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «لَنَا بَرَاهِينٌ»؛ يعني: أدلَّة.

يقول: لنا أدلَّةٌ تدلُّ على أنَّ شَدَّ الرَّحْلِ لزيارة المسجدِ النَّبَوِيِّ يكونُ فرضًا على الإنسانِ إذا نذره، ما هذه البراهين؟ منها:

٤٠٦٠- أَمْرُ الرَّسُولِ لِكُلِّ نَاذِرٍ طَاعَةٌ
بِوَفَائِهِ بِالنَّذْرِ بِالْإِحْسَانِ
قال النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ»^(١)، وهذا أمرٌ، ولا شكَّ أنَّ شَدَّ الرَّحْلِ إلى المسجدِ النَّبَوِيِّ طاعةٌ، وإذا كان طاعةً دَخَلَ في عمومِ قولِهِ: «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ»، ثُمَّ قال:

٤٠٦١- وَصَلَاتُنَا فِيهِ بِأَلْفٍ مِنْ سِوَا
هُ مَا خَلَاذَا الْحِجْرِ وَالْأَرْكَانِ
قَوْلُهُ: «صَلَاتُنَا فِيهِ بِأَلْفٍ مِنْ سِوَاهُ»، ولكن الأولى أن نقول: «خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ» كما قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وهناك فرقٌ بين أن نقول: صلاةٌ بألفٍ، وصلاةٌ خيرٌ من ألفٍ، والحديثُ الثَّابِتُ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأيمان والنذور، باب النذر في الطاعة، رقم (٦٦٩٦).

«أَلْفٍ»^(١)، وفي لفظٍ لمسلمٍ: «أَفْضَلُ مِنْ أَلْفٍ»^(٢)، وبينهما فرقٌ، لكن ما ذكره المؤلفُ هو روايةٌ في مسندِ الإمامِ أحمدَ^(٣) رحمه الله.

قَوْلُهُ: «مَا خَلَا ذَا الْحِجْرِ وَالْأَرْكَانِ»؛ يعني: مسجدَ الكعبةِ.

قَوْلُهُ: «مَا خَلَا ذَا الْحِجْرِ وَالْأَرْكَانِ» فيه إشارةٌ إلى أن التَّفْضِيلَ بِمِئَةِ أَلْفٍ صَلَاةٍ أَوْ خَيْرٍ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ صَلَاةٍ إِنَّمَا هُوَ فِي مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ فَقَطْ لَا فِي جَمِيعِ مَكَّةَ، ويدلُّ على هذا ما ثبت في صحيح مسلمٍ من قول النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام-: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيهَا سِوَاهُ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ»^(٤)، وهذا نصٌّ صريحٌ.

نعم؛ مَكَّةُ الصَّلَاةُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْحِلِّ، والدَّلِيلُ على هذا كونُ النَّبِيِّ ﷺ يُصَلِّي بِالْحَرَمِ وَهُوَ نَازِلٌ فِي الْحِلِّ فِي عَامِ الْحَدِيثِ^(٥)، مِمَّا يدلُّ على أن الصَّلَاةَ فِي الْحَرَمِ أَفْضَلُ، وَأَمَّا التَّفْضِيلُ الْخَاصُّ فَهُوَ خَاصٌّ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي فِيهِ الْكَعْبَةُ، وَحَتَّى لَوْ اتَّسَعَ فَإِنَّ مَا زِيدَ فِي الْمَسْجِدِ لَهُ حَكْمُ الزَّيْدِ كَمَا نَصَّ عَلَى ذَلِكَ الْعُلَمَاءُ وَمِنْهُمْ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رحمه الله.

فَإِذَا كَانَ الرَّسُولُ ﷺ أَمَرَ مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، فَالصَّلَاةُ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ مَقْصُودَةٌ، وَفِيهَا ثَوَابٌ، فَهِيَ طَاعَةٌ، فَإِذَا نَذَرَ الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ

-
- (١) أخرجه البخاري: كتاب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٣٣)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٤).
- (٢) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٦).
- (٣) أخرجه أحمد (٣/٣٤٣، رقم ١٤٧٣٥).
- (٤) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة، رقم (١٣٩٦).
- (٥) أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٥٨١).

لَزِمَهُ أَنْ يُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ، وَلَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يُصَلِّيَ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْهُ.

وَقَوْلُهُ: «الْحِجْرُ» الْحِجْرُ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ الْقِطْعَةُ أَوْ الطَّائِفَةُ مِنَ الْكَعْبَةِ الَّتِي مُحَجَّرٌ عَلَيْهَا الْآنَ، وَهِيَ مِنَ الْكَعْبَةِ، وَلَكِنْ لَيْسَ كُلُّ الْحِجْرِ مِنَ الْكَعْبَةِ، فَمِنْ الْكَعْبَةِ بِمِقْدَارِ سِتَّةِ أَذْرَعٍ وَشَيْءٍ، يَعْنِي: ثَلَاثَةَ أَمْتَارٍ وَرَبْعًا تَقْرِيبًا، وَحَدَّهُ بَعْضُهُمْ فَقَالَ: مَنْ مَنَعْتَ الْحِجْرَ هَذَا مِنَ الْكَعْبَةِ، وَمَا بَعْدَهُ لَيْسَ مِنَ الْكَعْبَةِ، وَسُمِّيَ حِجْرًا؛ لِأَنَّ قَرِيبًا لَمَّا بَنَوْا الْكَعْبَةَ نَقَصَتِ النَّفْقَةُ عَلَيْهِمْ، وَكَانُوا قَدْ عَزَمُوا عَلَى الْأَلَايِينُوهِ إِلَّا بِهَالٍ حَلَالٍ فَنَقَصَتِ النَّفْقَةُ، فَقَالُوا: نَبْنِي بَعْضَهُ فَبَنَوْا مَا هُوَ قَائِمٌ الْآنَ، وَجَعَلُوا هَذَا مَحْوَطًا عَلَيْهِ بِهَذَا الْجِدَارِ خَارِجِ الْمُسْتَقْفِ، فَسُمِّيَ حِجْرًا؛ لِأَنَّهُ مُحَجَّرٌ، وَسُمِّيَ حِطِيمًا؛ لِأَنَّهُ حُطِيمٌ، وَحِطِيمٌ بِمَعْنَى مَحْطُومٍ مِنَ الْكَعْبَةِ وَأُخْرِجَ مِنْهَا، وَأَمَّا مَا اشْتَهَرَ عِنْدَ الْعَامَّةِ الْجُهَالِ مِنْ أَنَّ فِيهِ قَبْرَ إِسْمَاعِيلَ فَإِنَّ هَذَا كَذِبٌ لَا أَصْلَ لَهُ، وَيُسَمِّيهِ بَعْضُ الْعَامَّةِ الْآنَ حِجْرَ إِسْمَاعِيلَ، لَكِنْ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا فِي عَهْدِ إِسْمَاعِيلَ، وَلَمْ يَكُنْ مَدْفُونًا فِيهِ، وَكَانَتِ الْكَعْبَةُ قَبْلَ ذَلِكَ أَوْسَعَ مِنْ هَذَا، فَقَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَهُوَ يُحَدِّثُ عَائِشَةَ: «يَا عَائِشَةُ، لَوْ لَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهَدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِي الْبَيْتِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَالزَّفْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا وَبَابًا غَرْبِيًّا»^(١)، وَفِي رِوَايَةٍ: «يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا وَيَخْرُجُونَ مِنْ هَذَا»^(٢)، فَتَوَفَى الرَّسُولُ ﷺ وَهِيَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب فضل الكعبة وبنائها، رقم (١٥٨٣)، ومسلم: كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم (١٣٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه، رقم (١٢٦)، ومسلم: كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم (١٣٣٣).

ولمَّا تَوَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى الْحِجَازِ هَدَمَهَا وَبَنَاهَا^(١) عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ عَلَى حَسَبِ مَا أَرَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَلَمَّا قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَاسْتَوَلَى الْحِجَازُ عَلَى مَكَّةَ وَهُوَ أَمِيرٌ مِنْ أَمْراءِ بَنِي أُمَيَّةَ، أَرْسَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِأَنْ يُعِيدَ الْكَعْبَةَ عَلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ فِي زَمَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ فَأَعَادَهَا^(٢)، ثُمَّ لَمَّا بَلَغَهُ -أَي: عَبْدُ الْمَلِكِ- الْخَبْرُ عَنْ عَائِشَةَ تَمَنَّى أَنَّهُ عَلِمَ بِهِ أَوْلًا، وَلَمَّا تَوَلَّى هَارُونَ الرَّشِيدُ أَرَادَ أَنْ يُعَيِّرَ الْكَعْبَةَ مِنْ بِنَاءِ الْحِجَازِ إِلَى بِنَاءِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، فَاسْتَشَارَ مَالِكًا فِي ذَلِكَ فَقَالَ: «لَا تَجْعَلْ بَيْتَ اللَّهِ مَلْعَبَةً لِلْمُلُوكِ، كُلَّمَا جَاءَ مَلِكٌ هَدَمَهُ وَغَيْرَهُ»^(٣)، فَأَبْقَى عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ.

وهذا في الحقيقة من رحمة الله عزَّ وجلَّ وحكمته، لو أنه كان على ما أَرَادَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَكَانَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَوْقَاتِ سَبَبًا لِلْهَلَاكِ وَالْمَوْتِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا كَانُوا يَقْتُلُونَ عَلَى رَمِي الْجَمْرَاتِ وَيُقْتَلُ بَعْضُهُمْ فَمَا بِالْكَ إِذَا كَانُوا يَقْتُلُونَ عَلَى الدُّخُولِ فِي الْكَعْبَةِ مِنْ بَابِ ضَيْقٍ وَالْكَعْبَةُ مُسَقَّفَةٌ وَضَيْقَةٌ! وَلَكِنْ -وَالْحَمْدُ لِلَّهِ- مَا أَرَادَهُ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- قَضَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، صَارَ الْحِجْرُ الْآنَ مَفْتُوحًا وَلَهُ بَابَانِ بَابٌ يَدْخُلُ مِنْهُ النَّاسُ وَبَابٌ يَخْرُجُونَ مِنْهُ، وَالَّذِي يَدْخُلُ مَعَ الْبَابِ الشَّرْقِيِّ مِنَ الْحِجْرِ وَيَخْرُجُ مِنَ الْغَرْبِيِّ كَأَنَّهَا دَخَلَ الْكَعْبَةَ وَخَرَجَ مِنْهَا، فَحَصَلَ -وَاللَّهُ الْحَمْدُ- مَا أَرَادَهُ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَعَ انْتِفَاءِ الضَّرْرِ، وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَبِهِ تَتَذَكَّرُ دَائِمًا قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَعَسَىٰ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب نقض الكعبة وبنائها، رقم (١٣٣٣).

(٢) هو جزء من الحديث السابق.

(٣) انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، لأبي الطيب الفاسي (١/١٣٦)، و تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، لابن الضياء (ص: ١١٢).

أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٢١٦﴾.

فصارت -والحمد لله- الخيرة فيما وقع فيه هذا الحجر، وأما قوله: «والأركان» يعني: الأركان الأربعة، فالكعبة -شرفها الله- لها أركان أربعة، منها ركنان على بناء إبراهيم، وهما اللذان فيها الاستلام: الركن اليماني والحجر الأسود، وركنان على غير قواعد إبراهيم؛ ولهذا لا يستلمان، ولما طاف معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذات سنة من السنوات التي حجَّ فيها جعل يستلم الأركان الأربعة: الحجر، والحجر، والركن الشامي، والعراقي، فقال له ابن عباس: إن النبي ﷺ لم يكن يستلم إلا الحجر الأسود والركن اليماني، فقال معاوية: ليس شيء من البيت مهجورًا -يعني: كل الأركان ليست مهجورة- فقال له ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فرجع معاوية^(١)، أراد معاوية أن يعارض النص بالقياس، ولكن بين له ابن عباس أن معارضة النص بالقياس باطلة فاسدة، فإذا كان النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يستلم إلا الركنين اليمانيين فإنه لا يشرع لنا أن نستلم بقية الأركان.

٤٠٦٢- وَكَذَا صَلَاةٍ فِي قِيَا فَكَعْمَرَةٍ فِي أَجْرَهَا وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

وهذا الأجر مُقَيَّدٌ بما إذا تطهر الإنسان في بيته، ثم خرج قاصدًا قباء وصلَّى فيه صلاة فإنه كمن أدى عمرة^(٢)، وكان النبي ﷺ يُصَلِّي الجمعة في المسجد

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب من لم يستلم إلا الركنين اليمانيين، رقم (١٥٣٠).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، رقم (٣٢٤)،

والنسائي: كتاب المساجد، باب مسجد قباء والصلاة فيه، رقم (٦٩٩)، وابن ماجه: كتاب إقامة

الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء، رقم (١٤١١).

النَّبَوِيِّ، وفي يوم السَّبْت يخرجُ إلى مسجدِ قُبَاءِ^(١)؛ لَأَنَّهُ أَوَّلُ مَسْجِدِ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى، وَمَسْجِدُ قُبَاءٍ مَعْرُوفٌ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَسْجِدُ قُبَاءِ الْمَوْجُودِ أَكْبَرُ مِنْ مَسْجِدِ قُبَاءٍ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ؟ قُلْنَا: مَا زَيْدٌ فِي الْمَسْجِدِ فَلَهُ حُكْمُهُ؛ وَهَذَا انظُرْ إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ هَلْ هُوَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ؟ الْجَوَابُ: أَبَدًا، مَا كَانَ عَلَيْهِ عَلَى عَهْدِ الرَّسُولِ ﷺ قَرِيبٌ جَدًّا مِنْ حَوَالِي بئرِ زَمْزَمَ، كَذَلِكَ أَيْضًا الْمَسْجِدُ النَّبَوِيُّ هَلْ هُوَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ؟ الْجَوَابُ: لَا، زَادَ فِيهِ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَوَّلًا، ثُمَّ زَادَ فِيهِ عِثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالصَّحَابَةُ أَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الزِّيَادَةَ لَهَا حُكْمٌ الْمَزِيدِ، وَالذَّلِيلُ عَلَى إِجْمَاعِهِمْ أَنَّ عِثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا زَادَ فِي الْمَسْجِدِ النَّبَوِيِّ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ كَانَ يُصَلِّي فِي مِحْرَابِ الزِّيَادَةِ الَّتِي زَادَهَا^(٢)، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَسَابِقُونَ إِلَيْهَا وَيَصَلُّونَ فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَهَا حُكْمُ الْمَسْجِدِ لَكَانُوا يَتَأَخَّرُونَ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَوَّلِ الَّذِي كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٠٦٢- فَإِذَا أَتَيْنَا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ صَلِّ لَيْنَا التَّحِيَّةَ أَوَّلًا ثَلَاثِينَ

إِذَا دَخَلْتَ الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ فَأَوَّلُ مَا تَفْعَلُ أَنْ تَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسُ حَتَّى يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ»^(٣).

٤٠٦٤- بِتَمَامِ أَرْكَانِ لَهَا وَخُشُوعِهَا وَحُضُورِ قَلْبٍ فِعْلٌ ذِي الْإِحْسَانِ

يعني: أَنْ يُصَلِّيَهَا تَامَّةً بِأَرْكَانِهَا وَوَجِبَاتِهَا وَشُرُوطِهَا مَعَ خُشُوعِ الْقَلْبِ،

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب مسجد قباء، رقم (١١٣٤)، ومسلم: كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء وفضل الصلاة فيه وزيارته، رقم (١٣٩٩).

(٢) انظر: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام (٢/٤٣٤).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم (٤٣٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تحية المسجد برَكَعَتَيْنِ، رقم (٧١٤).

وأراد بذلك الإشارة إلى ما يفعله بعض الجهلة، تجده يُحِبُّ أن يبدأ أولاً بزيارة القبر، فإذا قيل له: «صَلِّ رَكَعَتَيْنِ» يُصَلِّيهِمَا بِسُرْعَةٍ نَقْرًا وَبِقَلْبٍ مُتَعَلِّقٍ بِالقَبْرِ، ليس بخاشع، فأراد ابنُ القَيِّمِ -رحمه الله- بهذا أن يُلْفِتَ النَّظَرَ إِلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ تَسْرَعَ فِي هَاتِنِ الرَّكَعَتَيْنِ، بل بطمأنينةٍ وخشوعٍ.

٤٠٦٥- ثُمَّ انْتَهَيْنَا لِلزِّيَارَةِ نَقْصِدُ الـ قَبْرَ الشَّرِيفِ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ

يعني: ولو كُنَّا نَمْشِي عَلَى أَجْفَانِ عُيُونِنَا، لَا عَلَى أَقْدَامِ سُوقِنَا؛ يعني: نَمْشِي تَعْظِيمًا لِلرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وَلَوْ عَلَى الْأَذْقَانِ، لَكَنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا يَمْشُونَ عَلَى الْأَقْدَامِ لَا شَكَّ.

٤٠٦٦- فَنَقُومُ دُونَ القَبْرِ وَقَفَّةً حَاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ

٤٠٦٧- فَكَأَنَّهُ فِي القَبْرِ حَيٌّ نَاطِقٌ فَالْوَاقِفُونَ نَوَاصِ الْأَذْقَانِ

هذا من ابن القَيِّمِ -رحمه الله- لَا شَكَّ أَنَّهُ مُبَالِغَةٌ؛ وَلِذَا يَجِبُ أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ هَذَا الخُضُوعَ لَيْسَ كخُضُوعِنَا الْأَوَّلِ فِي صَلَاةِ الرَّكَعَتَيْنِ، فَالْخُضُوعُ الْأَوَّلُ خُضُوعٌ عِبَادَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْخُضُوعُ الثَّانِي خُضُوعٌ إِحْتِرَامٌ وَإِكْرَامٌ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]، وَعَلَى هَذَا فَلَا نَقْفُ وَاضْعِي أَيْدِينَا عَلَى صَدُورِنَا هَكَذَا كَالصَّلَاةِ، لَا يَجُوزُ ذَلِكَ، إِنَّمَا نَقْفُ كَأَنَّهُ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بَيْنَنَا بِاحْتِرَامٍ وَخُضُوعٍ، وَمَا كَانَ الصَّحَابَةُ يَقْفُونَ عَلَى قَبْرِ الرَّسُولِ كَهَذَا الْوَقُوفِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ، وَهَذَا الْخُشُوعُ خُشُوعٌ لَا يَنْبَغِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ عَزَّ وَجَلَّ، حَتَّى الصَّحَابَةُ وَالرَّسُولُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ حَيٌّ، هَلْ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مِنَ التَّعْظِيمِ؟!!

ولذا فإنَّ قوله: «فَالْوَاقِفُونَ نَوَاقِسُ الْأَذْقَانِ» هذا لا يصحُّ إلاَّ الله.

وهذا في الحقيقة من الزَّلَّةِ التي نرجو الله عزَّ وجلَّ أن يعفو عن ابنِ القِيَمِ منها، لأنَّها ليست هيئَةً، فنحن نقول لابنِ القِيَمِ: هل كان ابنُ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا وهو يُسَلِّمُ على رسولِ الله ﷺ وعلى أبي بكرٍ وعلى أبيه، هل كان يقفُ هذا الوقوفَ؟ هل كان يقفُ نواكسَ الأذقانِ؟! هل كان يقفُ خاضعًا كأنَّها هو بين يدي الله عزَّ وجلَّ؟! الجوابُ: لا، ونحن نعلمُ أنَّ ابنَ القِيَمِ وغيره ممَّن دون الصَّحابةِ لا يمكنُ أن يكونوا في توقيرهم للرَّسولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- كتوقيرِ الصَّحابةِ للرَّسولِ أبدًا، فنسألُ الله أن يعفو عنه.

٤٠٦٨- مَلَكْتَهُمْ تِلْكَ الْمَهَابَةُ فَاعْتَرَتْ تِلْكَ الْقَوَائِمَ كَثْرَةُ الرَّجْفَانِ
يقول: إِنَّ مَهَابَةَ الرَّسُولِ ﷺ مَلَكْتُهُ حَتَّى صَارَتْ قَوَائِمُهُمْ تَرْجُفُ مِنْ شِدَّةِ
المهابة.

وهذا لا ينبغي؛ يعني: لا ينبغي أن يكونَ وقوفُ الإنسانِ أمامَ قبرِ الرَّسولِ إلى هذا الحدِّ، صحيحٌ أنَّ الإنسانَ إذا وقفَ يشعرُ أنَّ الرَّسولَ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- أُرْسِلَ إلى النَّاسِ كافَّةً، وأنه بَلَّغَ الرَّسَالَهَ، وأدَّى الأمانةَ، وأنه نَصَحَ الأُمَّةَ، وجَاهَدَ في الله، أمَّا أن يقفَ هذا الوقوفَ الذي وصفه ابنُ القِيَمِ، فكلاً والله.

٤٠٦٩- وَتَفَجَّرَتْ تِلْكَ الْعُيُونُ بِمَائِهَا وَطَالَ مَا غَاضَتْ عَلَى الْأَزْمَانِ
هذا لا بأسَ به، لا بأسَ أن يذكرَ الإنسانُ حالَ النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- ثُمَّ يبكي، وهذا الإنسانُ لو ذَكَرَ ابنه أو أباه أو أخاه الذي مات قد نفيضُ عيناه من الدَّمعِ، فكيف بالرَّسولِ ﷺ؟! يكونُ من بابِ أولى.

٤٠٧٠- وَأَتَى الْمُسْلِمُ بِالسَّلَامِ هَيْبَةً وَوَقَارِ ذِي عِلْمٍ وَذِي إِيمَانٍ
هذا أهون من الذي قبله؛ يعني: أن الإنسان يُسَلِّمُ سلامًا بوقارٍ مبنيا على
علم وإيمان.

٤٠٧١- لَمْ يَرْفَعِ الْأَصْوَاتِ حَوْلَ ضَرِيحِهِ كَلًّا وَلَمْ يَسْجُدْ عَلَى الْأَذْقَانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ يَرْفَعِ الْأَصْوَاتِ حَوْلَ ضَرِيحِهِ»؛ أي: لم يرفع الأصوات حول
ضريح النبي عليه الصلاة والسلام؛ أي: حول قبره، بل يتكلمم بهدوء، فمن الأدب
ألا ترفع الصوت عند قبر النبي عليه الصلاة والسلام، وقد ثبت في البخاري أن
عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَمِعَ رَجُلَيْنِ يَرْفَعَانِ أَصْوَاتَهُمَا فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ،
فَنَادَاهُمَا وَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالَا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: «لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ
لَأَوْجَعْتُكُمَا؛ تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(١)، ولا شك أنه من
الأدب ألا ترفع الصوت في المسجد النبوي، بل ولا في المساجد الأخرى أيضًا،
حتى إن الرسول جعل رفع الأصوات في المساجد من علامات الساعة^(٢).

قَوْلُهُ: «كَلًّا وَلَمْ يَسْجُدْ عَلَى الْأَذْقَانِ» هذا هو الصحيح، فلا سجود إلا لله
عز وجل.

٤٠٧٢- كَلًّا وَلَمْ يَرَ طَائِفًا بِالْقَبْرِ أَسْدًا بُوعَا كَأَنَّ الْقَبْرَ بَيْتٌ ثَانِي

وهذا صحيح، ومن العامة الجهال لاسيما من عندهم قبور في بلادهم

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصلاة، باب رفع الصوت في المساجد، رقم (٤٥٨).

(٢) كما جاء عن عطاء بن يسار قال: «مِنْ أَسْرَاطِ السَّاعَةِ عَلُوُّ صَوْتِ الْفَاسِقِ فِي الْمَسَاجِدِ، وَمَطَرٌ
وَلَا نِبَاتٌ، وَأَنْ تُتَّخَذَ الْمَسَاجِدُ طُرُقًا، وَأَنْ تَظْهَرَ أَوْلَادُ الزَّنَاةِ». أخرجه عبد الرزاق (٣/ ١٥٥)،
رقم (٥١٣٨).

يطوفون عليها، تجدهم يطوفون على قبر النبي ﷺ، ولكن بفضل الله أنهم في هذه السنوات الأخيرة جعلوا حاجزاً يمنع من تمام الطواف، لكنني أخشى أن يأتي عامي يخرج من الباب ويدخل مع الباب الثاني حتى يكمل الطواف، فالعامة عندهم اعتقاداتهم الزائفة يرخص عندهم كل غالٍ.

٤٠٧٣- ثُمَّ انْتَشَى بِدُعَائِهِ مُتَوَجِّهًا اللَّهُ نَحْوَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

يعني: بعد أن يسلم على الرسول ﷺ ينثني؛ يعني: يتقدم ويتجه إلى الكعبة فيدعو الله عز وجل.

أفادنا المؤلف -رحمه الله- أن الزيارة النبوية على الوصف الذي ذكر، يسلم على النبي ﷺ، ولم يذكر -رحمه الله- السلام على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما؛ لأنه بصدد الرد على هؤلاء الغلاة الذين يغلون في رسول الله ﷺ، فلم يتكلم على السلام على أبي بكر وعمر، وإلا فمن المشروع أن تسلم على أبي بكر وعمر كما كان ابن عمر رضي الله عنهما يفعل^(١)، فلاي بكر وعمر من التوقير ما يليق بحالهما، فهما خليفتا رسول الله ﷺ، وهما وزيرا، وهما اللذان يكونان معه دائماً، إذا ذهب وإذا رجع، ودائماً يقول هو نفسه عليه الصلاة والسلام: «خَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، «رَجَعْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» وهكذا يطريهما دائماً معه؛ ولهذا اختار الله عز وجل بعلمه وقدرته أن يكونا إلى جنبه في قبره حتى إذا كان يوم القيامة خرج الثلاثة جميعاً من مكان واحد، فكما كانوا جميعاً يذهبون ويحيئون فإنهم في الآخرة كذلك، اللهم احشرنا معهم يا رب العالمين.

(١) كما في حديث عبد الله بن دينار، أنه قال: «رَأَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ يَقِفُ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَدْعُو، ثُمَّ يَدْعُو لِأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا». أخرجه البيهقي (٤٠٣/٥)، رقم (١٠٢٧٢).

ثُمَّ بعد الزيارة أُنْجِه إلى القِبْلَةِ وادْعُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بها شئت، فليس هناك دعاءً مُعَيَّنٌ، هكذا قال المؤلِّفُ رحمه الله، لكنَّ بعضَ أهلِ العلمِ عَارَضَ في هذا، وقال: إِنَّهُ لم يَبْتَأْ أَنْ هذا المكانَ مكانُ دعاءٍ، وأنَّ الإنسانَ إذا سَلَّمَ ينصرفُ كما كان عبدُ الله بنُ عمرَ يفعلُ، ولا يقومُ يدعو اللهَ، وإذا أراد أن يدعو اللهَ يدعوهُ في صلاتِهِ، أو بعدها، أو بين الأذان والإقامة، على حسب ما جاءت به السُّنَّةُ، أمَّا أن يُجَعَلَ ما حول قبرِ الرِّسُولِ مكانًا للدُّعاءِ فهذا فيه نظرٌ، وأنا إلى هذا القولِ أُميلُ مِنِّي إلى قولِ ابنِ القَيِّمِ -رحمه الله- وغيره من أهلِ العلمِ، أنَّ الإنسانَ لا يقفُ هنا للدُّعاءِ، بل يُسَلِّمُ ثُمَّ ينصرفُ، وللدُّعاءِ مكانٌ آخرٌ.

إِذْ الصَّوَابُ خلاف ذلك، وأنَّ هذا ليس بمشروعٍ؛ لأنَّ هذا يحتاجُ إلى دليلٍ، ولا دليلَ على هذا، فالخلفاءُ الرَّاشِدونَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ ما كانوا يفعلون هذا عند قبرِهِ؛ يعني: أَنَّهُمْ إذا سَلَّموا عليه اتَّجَّهوا إلى القِبْلَةِ فدَعَوْا، لكن بعضَ أهلِ العلمِ -رحمهم الله- قال: «إذا سَلَّمَ اتَّجَّه إلى القِبْلَةِ فدعا» ردًّا لقولِ مَنْ يدعو وهو واقفٌ على القبرِ، فتجده يُسَلِّمُ على القبرِ ثُمَّ يرفعُ يديه ويدعو اللهَ، وهذا غلطٌ، فالسَّلْفُ الذين قالوا هذا أو فعلوه للردِّ على مَنْ قالوا: إِنَّهُ يقفُ متَّجِّهًا إلى القبرِ فيدعو.

٤٠٧٤- هَدِي زِيَارَةٌ مَنْ غَدَا مُتَمَسِّكًا بِشَرِيعةِ الإِسْلَامِ وَالإِيْمَانِ

قَوْلُهُ: «هَدِي زِيَارَةٌ مَنْ غَدَا مُتَمَسِّكًا بِشَرِيعةِ الإِسْلَامِ» الإِشارةُ إلى كُلِّ الصِّفةِ السَّابِقَةِ أَنَّها زيارةٌ مَنْ غَدَا مُتَمَسِّكًا، ولكننا نقولُ لابنِ القَيِّمِ: رحمك اللهُ وجزاك عن أُمَّةِ الإِسْلَامِ خيرًا، هذه الزِّيارةُ في نظرك، أمَّا ما ذكرتَ من بعض ما يكونُ غلوًّا فلا شكَّ أَنَّها ليست زيارةً شرعيَّةً، ولكن يشفعُ له أَنَّهُ -رحمه الله- كان مجتهدًا، والمجتهدُ قد يُصِيبُ وقد يُخطئُ.

٤٠٧٥- مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ هَاتِيكَ الزِّيَا رَةً وَهِيَ يَوْمَ الْحَشْرِ فِي الْمِيزَانِ
الزِّيَارَةُ الشَّرْعِيَّةُ - لَا شَكَّ - أَنَّهَا فِي مِيزَانِ الْحَسَنَاتِ، أَمَّا الزِّيَارَةُ الْبِدْعِيَّةُ فَهِيَ
فِي مِيزَانِ السَّيِّئَاتِ.

وهنا أُنبِئُهُ عَلَى مَسْأَلَةٍ دَائِمًا يُطَلِّقُهَا بَعْضُ النَّاسِ آخِرًا، وَهِيَ أَنْ يَقُولَ:
«جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ أَعْمَالِكَ»، وَالْأَحْسَنُ أَنْ يَقُولَ: «جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ فِي مِيزَانِ
حَسَنَاتِكَ»؛ لِأَنَّ مِيزَانَ الْأَعْمَالِ يَشْمَلُ السَّيِّئَاتِ وَالْحَسَنَاتِ، فَإِذَا قَالَ: «فِي مِيزَانِ
أَعْمَالِكَ» مَا أَدْرِي! لَكِنْ هُوَ عَلَى كُلِّ حَالٍ يَقْصُدُ «مِيزَانَ الْحَسَنَاتِ» بِلَا شَكِّ، لَكِنْ
اللَّفْظُ صَالِحٌ، فَالْأَحْسَنُ أَنْ نَعْدِلَ عَنْ هَذَا اللَّفْظِ إِلَى لَفْظٍ لَا يَحْتَمِلُ.

٤٠٧٦- لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ سُنَنُ الرَّسُولِ بِأَعْظَمِ الْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ»؛ يَعْنِي: لَا تَلْبِسُوهُ بِالْبَاطِلِ وَتَخْلَطُوهُ بِهِ، وَتَقُولُوا:
هَذِهِ زِيَارَةٌ شَرْعِيَّةٌ، وَهِيَ زِيَارَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْغَلْوِ الَّذِي نَهَى عَنْهُ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ -.

قَوْلُهُ: «بِأَعْظَمِ الْبُرْهَانِ»، وَفِي نَسْخَةِ «بِأَعْظَمِ الْبُطْلَانِ»، فَعَلَى نَسْخَةِ «بِأَعْظَمِ
الْبُرْهَانِ» قَوْلُهُ: «بِأَعْظَمِ» مُتَعَلِّقَةٌ بِ«جَاءَتْ»؛ يَعْنِي: جَاءَتْ بِهِ بِأَعْظَمِ دَلِيلٍ، أَمَّا
«بِأَعْظَمِ الْبُطْلَانِ» فَهِيَ مُتَعَلِّقَةٌ بِ«تَلْبِسُوا»؛ يَعْنِي: لَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِأَعْظَمِ الْبُطْلَانِ
كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢].

٤٠٧٧- هَذِي زِيَارَتُنَا وَلَمْ نُنْكَرْ سِوَى الْبِدْعِ الْمُضِلَّةِ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
وهذا صحيحٌ، ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - لَمَّا أَنْكَرَ عَلَى هَؤُلَاءِ مَا أَنْكَرَ لَمْ يُنْكَرْ
عَلَيْهِمْ إِلَّا الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ.

٤٠٧٨- وَحَدِيثُ شَدِّ الرَّحْلِ نَصٌّ ثَابِتٌ يَجِبُ الْمَصِيرُ إِلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ

حديثُ شَدِّ الرَّحْلِ هو: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^(١)، فلا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، وَقَوْلُهُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: «إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ» هَذَا اسْتِثْنَاءٌ مِنْ أَعْمِّ الْأَحْوَالِ وَالْأَزْمَانِ وَالْأَمَاكِنِ، إِذَا قُلْنَا بِهَذَا أورد علينا الذين يشدون الرحال إلى القبور، وقالوا: أَلَسْتُمْ تُحْجِزُونَ شَدَّ الرَّحْلِ إِلَى أَيِّ بَلَدٍ لَطَبِ التَّجَارَةِ؟ قُلْنَا: بَلَى، قَالُوا: أَلَسْتُمْ تُحْجِزُونَ شَدَّ الرَّحَالِ لَطَبِ الْعِلْمِ وَهُوَ عِبَادَةٌ؟ قُلْنَا: بَلَى.

يقولون: إِنَّ تَقْدِيرَ الْحَدِيثِ: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَى مَسْجِدٍ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ»؛ لِأَنَّ الْمُسْتَثْنَى يَكُونُ مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، وَمَا دَامَ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ لَيْسَ عَامًّا كَمَا تُقَرَّرُونَ بِهِ فَلَيْكُنْ مَنَاسِبًا لِلْمُسْتَثْنَى؛ أَي: «لَا تُشَدُّوْهَا إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»، وَهَذَا الْقَوْلُ ذَهَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ، وَقَالُوا: إِنَّ شَدَّ الرَّحْلِ إِلَى الْقُبُورِ لَا يُسْتَفَادُ تَحْرِيمُهُ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ، بَلْ مِنْ أَدَلَّةٍ أُخْرَى؛ لِأَنَّ هَذَا الْحَدِيثَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْعَمُومُ، وَإِذَا لَمْ يُمْكِنْ فَلَيْكُنْ الْمُقَدَّرُ مِنْ جِنْسِ الْمَذْكُورِ؛ يَعْنِي: الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ مِنْ جِنْسِ الْمُسْتَثْنَى، فَأَيُّ إِنْسَانٍ يَشُدُّ الرَّحْلَ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ أَيِّ مَسَاجِدِ الدُّنْيَا نَقُولُ: هَذَا حَرَامٌ إِلَّا الْمَسَاجِدَ الثَّلَاثَةَ، أَمَّا زِيَارَةُ الْقُبُورِ فَإِنَّ التَّحْرِيمَ لَا يَأْتِي مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا دَاخِلَةٌ فِي الْحَدِيثِ، لَكِنْ مِنْ أَجْلِ الْغَلْوِ فِيهَا؛ لِأَنَّ مَنْ شَدَّ الرَّحْلَ إِلَى الْقَبْرِ إِنَّمَا يَرِيدُ الْغَلْوَ فِيهِ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ، يَرَوْنَ أَنَّ دَعَاءَ اللَّهِ عِنْدَ هَذَا الْقَبْرِ أَقْرَبُ إِلَى الْإِجَابَةِ مِنْ غَيْرِهِ، وَرُبَّمَا

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، رقم (١١٨٩).

ومسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد، رقم (١٣٧٩).

يَرُونَ أَنَّ شَدَّ الرَّحْلِ إِلَى قَبْرِ الْوَيِّْ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ لِأَجْلِ دَعَاءِ هَذَا الْوَيِّْ، فَيَكُونُ شَدًّا إِلَى الشَّرِكِ أَوْ إِلَى وَسَائِلِ الشَّرِكِ، فَلذَلِكَ حَرَّمَ مِنْ أَجْلِ هَذَا؛ أَي: مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ شَدُّ لِلشَّرِكِ بِهَذَا الْوَيِّْ الْمَقْبُورِ، أَوْ وَسِيلَةً إِلَى الشَّرِكِ كَمَا هُوَ الْوَاقِعُ الْآنَ.

بَعْضُ النَّاسِ رَأَى شَخْصًا يُسَافِرُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِيَسْتَمَعَ إِلَى خُطْبَةِ إِمَامِ الْمَسْجِدِ، فَصَاحَ عَلَيْهِ قَائِلًا: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، وَنَبْرَأُ إِلَى اللَّهِ مِنْ فَعْلِكَ فَقَالَ: مَاذَا فَعَلْتُ؟ قَالَ: شَدَدْتَ الرَّحْلَ إِلَى غَيْرِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ؟ نَقُولُ: مَا شَدَّ الرَّحْلَ لِلْمَسْجِدِ، بَلْ شَدَّ الرَّحْلَ لِلْعِلْمِ لِيَسْتَفِيدَ مِنْ خُطْبَةِ هَذَا الرَّجُلِ؛ وَهَذَا لَوْ كَانَ الرَّجُلُ عِنْدَهُ فِي بَلَدِهِ مَا شَدَّ الرَّحْلَ، فَفَرَّقُ بَيْنَ مَنْ يَشُدُّ الرَّحْلَ لِيَسْتَمَعَ إِلَى خُطْبَةِ الْإِمَامِ أَوْ لِيُصَلِّيَ خَلْفَ الْإِمَامِ كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ النَّاسِ فِي أَيَّامِ رَمَضَانَ؛ يَكُونُ فِي الْبَلَدِ قُرَاءً يُتَلَذَّذُونَ بِقِرَاءَتِهِمْ، فَيَشُدُّونَ الرَّحْلَ إِلَيْهِمْ، هَذَا نَقُولُ: لَا بَأْسَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَشُدَّ الرَّحْلَ إِلَى الْمَكَانِ، إِنَّمَا شَدَّ الرَّحْلَ إِلَى الْعِلْمِ إِذَا كَانَتْ خُطْبَةً، أَوْ إِلَى التَّلَذُّذِ بِقِرَاءَتِهِ وَاسْتِمَاعِ قِرَاءَتِهِ، وَهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ.

فصل

فِي تَعْيِينِ أَنْ اتَّبَعَ السُّنَّةَ وَالْقُرْآنَ طَرِيقَةَ النِّجَاةِ مِنَ النَّيِّرَانِ

- ٤٠٧٩- يَا مَنْ يُرِيدُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الْحِسَا
بِ مِنَ الْجَحِيمِ وَمَوْقِدِ النَّيِّرَانِ
- ٤٠٨٠- اتَّبِعْ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ لَا تَخْرُجْ عَنِ الْقُرْآنِ
- ٤٠٨١- وَخُذِ «الصَّحِيحَيْنِ» اللَّذَيْنِ هُمَا لِعَقْدِ
- ٤٠٨٢- وَافْرَاهُمَا بَعْدَ التَّجَرُّدِ مِنْ هَوَى
- ٤٠٨٣- وَاجْعَلْهُمَا حَكْمًا وَلَا تَحْكُمْ عَلَى
- ٤٠٨٤- وَاجْعَلْ مَقَالَتهُ كَبَعْضِ مَقَالَةِ الْ
- ٤٠٨٥- وَأَنْصُرْ مَقَالَتهُ كَنْصُرِكَ لِلَّذِي
- ٤٠٨٦- قَدَّرَ رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَكَ وَوَحَدَهُ
- ٤٠٨٧- مَاذَا تَرَى فَرَضًا عَلَيْكَ مُعَيَّنًا
- ٤٠٨٨- عَرَضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ
- ٤٠٨٩- هِيَ مَفْرُقُ الطَّرِيقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا
- ٤٠٩٠- قَدَّرَ مَقَالَاتِ الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ
- ٤٠٩١- وَاجْعَلْ جُلُوسَكَ بَيْنَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ
- بِ مِنَ الْجَحِيمِ وَمَوْقِدِ النَّيِّرَانِ
- أَعْمَالِ لَا تَخْرُجْ عَنِ الْقُرْآنِ
- دِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَاسِطَتَانِ
- وَتَعْصَبِ وَحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ
- مَا فِيهِمَا أَضْلًا بِقَوْلِ فُلَانِ
- أَشْيَاخِ تَنْصُرُهَا بِكُلِّ أَوَانِ
- قَلَدْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا بُرْهَانَ
- وَالْقَوْلِ مِنْهُ إِلَيْكَ ذُو تَبْيَانِ
- إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ وَذَا إِيْمَانِ
- أَوْ عَكْسُ ذَاكَ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ
- وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْبِ وَالْعُدْوَانِ
- عَدَمًا وَرَاجِعَ مَطْلَعِ الْإِيْمَانِ
- وَتَلَقَّ مَعَهُمْ عَنْهُ بِالْإِحْسَانِ

- ٤٠٩٢- وَتَلَقَّ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوهُ هُمْ عَنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ
 ٤٠٩٣- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا بَلَاغٌ مُسَافِرٍ يَبْغِي الْإِلَهَ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ
 ٤٠٩٤- لَوْلَا التَّائُوشُ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ مَا كَانَ التَّفَرُّقُ قَطُّ فِي الْحُسْبَانِ

الشرح

كُلُّ مَنْ - نحن المؤمنين - يريدُ النَّجَاةَ مِنَ النَّارِ ويريدُ دخولَ الْجَنَّةِ، فما الطَّرِيقُ؟
 بَيْنَ الْمُؤَلَّفِ - رحمه الله - في هذا الفصلِ هذا الطَّرِيقُ فقال:

٤٠٧٩- يَا مَنْ يُرِيدُ نَجَاتَهُ يَوْمَ الْحِسَابِ مِنْ الْجَحِيمِ وَمَوْقِدِ النَّيرانِ
 هذا النداءُ مُوجَّهٌ لِكُلِّ مَنْ يريدُ النَّجَاةَ مِنَ الْجَحِيمِ وَمَوْقِدِ النَّيرانِ.

٤٠٨٠- اتَّبِعْ رَسُولَ اللَّهِ فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ لَا تَخْرُجْ عَنِ الْقُرْآنِ
 قَوْلُهُ: «اتَّبِعْ رَسُولَ اللَّهِ»؛ أي: حتَّى تنجو.

قَوْلُهُ: «فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ»، وهل يدخلُ في ذلك أيضًا الاعتقادُ؟ الجوابُ:
 نعم يدخلُ؛ لأنَّ الْأَقْوَالَ تشملُ أقوالَ البدنِ وأقوالَ القلوبِ، والأعمالُ تشملُ
 أعمالَ البدنِ وأعمالَ القلوبِ، أقوالَ القلوبِ هي إقرارُها واعترافُها وإيائها
 بالشيءِ، أمَّا أعمالُها فهي حركاتُها من المحبَّةِ والتَّوَكُّلِ والخشيةِ والخوفِ وما أشبه
 ذلك، أمَّا أقوالُ الجوارحِ فهي قولُ اللسانِ، وأعمالُ الجوارحِ عملُ الأركانِ، فقولُ
 اللسانِ كالقراءةِ والذِّكْرِ والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ وحفظُ الأحاديثِ
 وغيرها، وأعمالُ الجوارحِ كالصَّلَاةِ في قيامِها وركوعِها وسجودِها والذهابُ إليها
 وغير ذلك.

وَقَوْلُهُ: «لَا تَخْرُجَ عَنِ الْقُرْآنِ» إشارة إلى أن ما جاء عن الرَّسُولِ ﷺ فهو من القرآن حُكْمًا يَجِبُ أن نعمل به كما نعمل بالقرآن، وعملنا به عمل بالقرآن حقيقةً.

٤٠٨١- وَخُذِ الصَّحِيحَيْنِ اللَّذَيْنِ هُمَا لِعَقْدِ سِدِّ الدِّينِ وَالِإِيمَانِ وَاسِطَتَانِ

قَوْلُهُ: «وَخُذِ الصَّحِيحَيْنِ»؛ يعني: بعد القرآن.

وهذا حثُّ واضحٌ من المؤلفِ - رحمه الله - على قراءة الصَّحِيحَيْنِ، ويعني بهما: صحيح البخاريِّ وصحيح مسلمٍ؛ لأنَّهما أصحُّ الكتبِ فيما أُلفَ في الحديثِ، والبخاريُّ أصحُّ من مسلمٍ وإن كان ترتيبُ مسلمٍ - رحمه الله - أجودَ لكن من حيث الصَّحَّةُ، فالبخاريُّ أصحُّ.

٤٠٨٢- وَاقْرَأَهُمَا بَعْدَ التَّجَرُّدِ مِنْ هَوَى وَتَعَصُّبٍ وَحَمِيَّةِ الشَّيْطَانِ

اقرأ الصَّحِيحَيْنِ متجرِّدًا عن الهوى والحمية والتعصب، وهذا واجبٌ على كُلِّ مَنْ قرأ دليلًا أن يتجرَّدَ من الهوى والتعصب ليحكم بما دَلَّ عليه الدليلُ؛ ولهذا يُقَالُ: «استدلَّ ثُمَّ اعتقد ثُمَّ اعمل» ولا تعتقد ثُمَّ تستدلُّ؛ لأنَّك إن اعتقدت ثُمَّ استدلتَّ فربَّما تميلُ إلى اعتقادك وتصرفُ نصوصِ الكتابِ والسُّنةِ إليه، لكن إذا قرأتَ الدليلَ أولًا، ثُمَّ بنيتَ العقيدةَ والعملَ عليه فحينئذٍ يكونُ طريقك صوابًا.

٤٠٨٣- وَاجْعَلْهُمَا حَكْمًا وَلَا تَحْكُمْ عَلَى مَا فِيهِمَا أَصْلًا بِقَوْلِ فُلَانٍ

وصدق رحمه الله، اجعل ما في الصَّحِيحَيْنِ هو الأصل، ولا تحكم عليهما بقولِ فلانٍ وفلانٍ فتجعلهما تابعين لا متبوعين.

٤٠٨٤- وَاجْعَلْ مَقَالَتهُ كَبَعْضِ مَقَالَةِ ال- أَشْيَاخِ تَنْصُرُهَا بِكُلِّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَاجْعَلْ مَقَالَتهُ»؛ أي: مقالة الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم.

اجعلْ مقالةَ الرَّسُولِ كِبْعُضَ مقالةِ الأَشْيَاحِ، وهذا تَنْزُلٌ من ابنِ القِيَمِ،
والواجِبُ أنْ أجعلَها فوقَ مقالةِ كُلِّ الأَشْيَاحِ، لكنَّهُ يقولُ: نريدُ منكم من بابِ
التَّنْزِيلِ أنْ تنصروا قولَ الرَّسُولِ ﷺ كما تنصرون قولَ أشْيَاحِكُمْ، لكن هذا من
بابِ التَّنْزِيلِ، يقولُ: على الأقلِّ أعطِه ولو بعضَ الشَّيْءِ، وهو يُحَاطَبُ مَنْ يُقَدِّمُونَ
مقالةَ الأَشْيَاحِ على مقالةِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وسلم.

٤٠٨٥- وَأَنْصُرْ مَقَالَتَهُ كَنْصَرِكَ لِلَّذِي قَلَّدْتَهُ مِنْ غَيْرِ مَا بُرَّهَانِ
يعني: انصر مقالةَ الرَّسُولِ كنصر الذي قلدته وأنت تقلده بلا برهان، لكن
لو اتبعتَ الرَّسُولَ اتبعتَه ببرهانٍ.

٤٠٨٦- قَدَّرَ رَسُولُ اللَّهِ عِنْدَكَ وَحْدَهُ وَالْقَوْلُ مِنْهُ إِلَيْكَ ذُو تَبْيَانٍ
يعني: اجعلْ قَدْرَ الرَّسُولِ وحده عندك، واجعلْ كلامه ذا تبيانٍ؛ أي: كلامًا
فصيحًا واضحًا حتى تأخذَ بمدلوله.

٤٠٨٧- مَاذَا تَرَى فَرَضًا عَلَيْكَ مُعَيَّنًا إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ وَذَا إِيمَانٍ
٤٠٨٨- عَرَضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ أَوْ عَكْسُ ذَلِكَ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ

يعني: هل ترى من الفرض عليك أن تعرض ما قالوه على أقوالِ الرَّسُولِ أو
أن تعرض أقوالِ الرَّسُولِ على الذي قالوه؟ الجواب: الأول، فالفرض أن تعرض
أقوالهم على أقوالِ الرَّسُولِ، فإن وافقت قبلت وإلا ردت.

٤٠٨٩- هِيَ مَفْرُقُ الطَّرِيقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْعُدْوَانِ
نحن نعرض مقالةَ غيرِ الرَّسُولِ على مقالةِ الرَّسُولِ، وهم يعرضون مقالةَ

الرَّسُولِ عَلَى مَقَالَةِ غَيْرِ الرَّسُولِ، هَذَا هُوَ مَفْتَرِقِ الطَّرِيقِ، وَالْحَقُّ مَعَ مَنْ عَرَضَ مَقَالَةَ النَّاسِ عَلَى مَقَالَةِ الرَّسُولِ.

فَإِنْ وَافَقَتْ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ أَقْوَالَ الرَّسُولِ ﷺ فَعَلَى الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ، وَإِنْ خَالَفَتْ أَقْوَالَ الرَّسُولِ فَلَيْسَ لَهَا حِظٌّ مِنَ النَّظَرِ عِنْدَنَا، هُمْ بِالْعَكْسِ؛ وَلِهَذَا إِذَا خَالَفَتْ أَقْوَالَ الرَّسُولِ أَقْوَالَ أَشْيَاخِهِمْ لَجَأُوا إِلَى أَحَدِ أَمْرَيْنِ: إِمَّا التَّحْرِيفِ، وَهَذَا فِيهَا ثَبَتٌ وَمَا لَمْ يَثْبِتْ، وَإِمَّا الرَّدَّ إِذَا أَمَكْنَهُمُ الرَّدُّ، فَمَثَلًا إِذَا جَاءَتْ الْمَخَالَفَةُ فِي أَقْوَالِ الرَّسُولِ فِي الْمَتَوَاتِرِ مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ يَحْرَفُونَ، وَإِذَا جَاءَتْ بِأَخْبَارِ الْآحَادِ قَالُوا: مَرْدُودَةٌ، هَذَا الْحَدِيثُ مَرْدُودٌ؛ لِأَنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا يَثْبِتُ بِهَا الْيَقِينَ، فَهِيَ تَفِيدُ الظَّنَّ، وَدَلَالَةُ الْعَقْلِ عِنْدَهُمْ يَقِينِيَّةٌ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذَا -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- زَيْغٌ عَظِيمٌ، فَالْوَاجِبُ أَنْ كُلَّ مَا صَحَّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَنْ طَرِيقِ الْآحَادِ أَوْ التَّوَاتُرِ فَالْوَاجِبُ تَقْدِيمُهُ عَلَى كُلِّ قَوْلٍ.

٤٠٩٠- قَدَّرَ مَقَالَاتِ الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ عَدَمًا وَرَاجِعَ مَطَّلَعِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «قَدَّرَ مَقَالَاتِ الْعِبَادِ جَمِيعِهِمْ عَدَمًا» كَأَنَّهُمْ لَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، إِذْنًا إِلَى أَيِّ شَيْءٍ أَرْجَعُ؟ قَالَ: «وَرَاجِعَ مَطَّلَعِ الْإِيمَانِ»؛ يَعْنِي: مَنِعَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ كَلَامُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٠٩١- وَاجْعَلْ جُلُوسَكَ بَيْنَ صَحْبِ مُحَمَّدٍ وَتَلَقَّ مَعَهُمْ عَنْهُ بِالْإِحْسَانِ

يَعْنِي: اجْعَلْ كَأَنَّكَ مَعَ الصَّحَابَةِ تَسْمَعُ كَلَامَ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَرَى أَفْعَالَهُ، لِتَكُونَ مِثْلَهُمْ فِي الْإِتِّبَاعِ، وَهَذِهِ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ، اجْعَلْ جُلُوسَكَ مَعَ أَصْحَابِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَعَلَى هَذَا فَلَا تَسْأَلُ عَمَّا لَمْ يَسْأَلُوا عَنْهُ وَلَا تُحَدِّثُ مَا لَمْ يَقُولُوهُ؛ وَلِهَذَا نَحْنُ نَنْتَقِدُ عَلَى بَعْضِ إِخْوَانِنَا الْمُثْبِتِينَ لِلصِّفَاتِ أَنْ يَتَعَمَّقُوا فِي

إثباتها، فمثلاً قالوا: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»^(١)، فهل نُثِبْتُ لَهِ الْمَلَلِ أَوْ لَا؟ نقول: الصَّحَابَةُ مَا ذَهَبُوا يَرِاجِعُونَ الرَّسُولَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي هَذَا، عَرَفُوا الْمَرَادَ وَالْمَقْصُودَ وَسَكَتُوا عَمَّا سِوَى ذَلِكَ، عَرَفُوا أَنَّ مَرَادَ الرَّسُولِ ﷺ أَنَّهُ مِمَّا أَكْثَرْتُمْ مِنَ الْعَمَلِ فَاللَّهُ تَعَالَى يُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَسْأَلُوا: هَلِ اللَّهُ يُوصَفُ بِالْمَلَلِ أَوْ لَا يُوصَفُ؟ وَأَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مِنْ هَذَا النَّوْعِ يَتَعَمَّقُ فِيهَا الْمُتَعَمِّقُونَ، وَالصَّحَابَةُ الَّذِينَ هُمْ -وَاللَّهُ- أَفْضَلُ مِنَّا وَأَحْرَصُ مِنَّا عَلَى الْخَيْرِ، وَعِنْدَهُمْ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ وَهُوَ الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يَسْأَلُوا، إِذَنْ يَسْعُكَ مَا وَسِعَهُمْ.

٤٠٩٢- وَتَلَقَّ عَنْهُمْ مَا تَلَقَّوهُ هُمْ عَنْهُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ
فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: كَيْفَ أَتَلَقَّى عَنْهُمْ؟ نَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ بِالسَّنَدِ، هَذِهِ الْأُمَّةُ حَفِظَ اللَّهُ دِينَهَا بِالسَّنَدِ، اقْرَأْ: «حَدَّثَنَا فَلَانٌ عَنْ فَلَانٍ عَنْ فَلَانٍ» حَتَّى تَصِلَ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٠٩٣- أَفَلَيْسَ فِي هَذَا بِلَاغٌ مُسَافِرٍ يَبْغِي الْإِلَهَ وَجَنَّةَ الْحَيَوَانِ
الْجَوَابُ: بَلَى، وَبِلَاغُ الْمَسَافِرِ الزَّادُ الَّذِي يُبْلِغُهُ مَقْصِدَهُ؛ يَعْنِي: فَأَنْتَ الْآنَ إِذَا أَخَذْتَ بِمَا قَلْتَهُ لَكَ فَقَدْ أَخَذْتَ بِلَاغِ الْمَسَافِرِ الَّذِي يُوصِلُهُ إِلَى مَتْنِهِ سَفَرِهِ.

٤٠٩٤- لَوْلَا التَّنَاوُشُ بَيْنَ هَذَا الْخَلْقِ مَا كَانَ التَّفَرُّقُ قَطُّ فِي الْحُسْبَانِ
قَوْلُهُ: «لَوْلَا التَّنَاوُشُ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «لَوْلَا التَّنَافُسُ».

لَوْلَا هَذَا مَا كَانَ التَّفَرُّقُ قَطُّ فِي الْحُسْبَانِ، فَلَوْلَا هَذَا لَكَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنَّهُمْ تَنَاوَشُوا فَتَفَرَّقُوا، أَوْ تَنَافَسُوا فَاخْتَلَفُوا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيمان، باب أحب الدين إلى الله عز وجل أدومته، رقم (٤٣)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب أمر من نعى في صلاته أو استعجم عليه القرآن، رقم (٧٨٥).

- ٤٠٩٥- فَالرَّبُّ رَبٌّ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُ حَقٌّ وَفَهْمُ الْحَقِّ مِنْهُ دَانِي
 ٤٠٩٦- وَرَسُولُهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ الْمُبِينِ - مِنْ بَغَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ
 ٤٠٩٧- مَا تَمَّ أَوْضَحُ مِنْ عِبَارَتِهِ فَلَا يَحْتَاجُ سَامِعُهَا إِلَى تَبَيَّانِ
 ٤٠٩٨- وَالنُّصْحُ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ وَالْعِلْمُ مَا أَخُوذُ عَنِ الرَّحْمَنِ

الشرح

ذكر - رحمه الله - في هذه الآيات أن الربَّ عزَّ وجلَّ واحدٌ، وكتابه حقٌّ ورسوله حقٌّ، والكتاب فهمه دانٍ؛ ولذا قال رحمه الله:

٤٠٩٥- فَالرَّبُّ رَبٌّ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُ حَقٌّ وَفَهْمُ الْحَقِّ مِنْهُ دَانِي
 الرَّبُّ واحدٌ، ويريدُ يريدُ بذلك أن يمنع التناقض في كلام الله؛ لأنَّه واحدٌ، وأيضاً كتابه حقٌّ، ولو لم يكن حقاً لكان متناقضاً، والفهم من القرآن دانٍ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، أمَّا الرَّسُولُ فيقول:

٤٠٩٦- وَرَسُولُهُ قَدْ أَوْضَحَ الْحَقَّ الْمُبِينِ - مِنْ بَغَايَةِ الْإِيضَاحِ وَالتَّبَيَّانِ
 ٤٠٩٧- مَا تَمَّ أَوْضَحُ مِنْ عِبَارَتِهِ فَلَا يَحْتَاجُ سَامِعُهَا إِلَى تَبَيَّانِ
 ٤٠٩٨- وَالنُّصْحُ مِنْهُ فَوْقَ كُلِّ نَصِيحَةٍ وَالْعِلْمُ مَا أَخُوذُ عَنِ الرَّحْمَنِ

اجتمع في كلام الرسول - عليه الصلاة والسلام - ثلاثة أمور:

الأول: الفصاحة، فلا شيء أوضح من عبارته، ولا أفصح ولا أبين.

الثاني: النصح، فهو ﷺ فوق كل ناصح، فلا أحد أنصح للخلق منه.

الثالث: العلم، فإنَّ كلامَ الرَّسُولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- مأخوذٌ من الرَّحْمَنِ، لا من قولِ فلانٍ ولا من قولِ فلانٍ.

فإذا اجتمع في الكلام تمام العلم وتمام النصح وتمام الفصاحة والبيان، فإنه يكونُ بذلك كاملاً ولا يحتاجُ إلى ما يُكَمِّله؛ لأنَّ أكثرَ ما يعيبُ الكلامَ أن يكونَ الكلامُ ركيكاً، لا يُفهمُ المرادُ منه، أو أن يكونَ القائلُ به جاهلاً لا يُوثقُ به، أو أن يكونَ القائلُ به غيرَ ناصحٍ لا يُوثقُ به.

وهناك وصفٌ رابعٌ لم يذكره المؤلفُ، وهو الصِّدْقُ، أن يكونَ صادقاً، فكلامُ الرَّسُولِ ﷺ اجتمع فيه أربعةٌ أوصافٍ وهي: العلمُ وهذا أخذه من الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ، وكمالُ النصح، وكمالُ الفصاحة، وكمالُ الصِّدْقِ، أفبعدَ هذه الأوصافِ الأربعة نحتاجُ إلى أن نطلبَ الحقَّ من غيرِ كلامه؟! الجوابُ: أبداً.

- ٤٠٩٩- فَلَايِي شَيْءٍ يَعْدِلُ الْبَاغِي الْهُدَى عَنْ قَوْلِهِ لَوْلَا عَمَى الْخِذْلَانِ
- ٤١٠٠- فَالْنَقْلُ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ ذِي عِصْمَةٍ مَا عِنْدَنَا قَوْلَانِ
- ٤١٠١- وَالْعَكْسُ عِنْدَ سِوَاهُ فِي الْأَمْرَيْنِ يَا مَنْ يَهْتَدِي هَلْ يَسْتَوِي النَّقْلَانِ
- ٤١٠٢- تَاللَّهِ قَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ نَحْوَ الْفَجْرِ نَاطِرَتَانِ
- ٤١٠٣- وَأَخُو الْعَمَايَةِ فِي عَمَائِهِ يَقْوُ لُ اللَّيْلِ بَعْدُ أَيَسْتَوِي الرَّجُلَانِ
- ٤١٠٤- تَاللَّهِ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ الْأَعْلَامُ إِنْ كُنْتَ الْمُشْمَرَّ نِلْتَ دَارَ أَمَانِ
- ٤١٠٥- وَإِذَا جَبَنْتَ وَكُنْتَ كَسَلَانًا فَمَا حَرِمَ الْوُصُولَ إِلَيْهِ غَيْرُ جَبَانِ

- ٤١٠٦- فَأَقْدِمُ وَعِدُّ بِالْوَصْلِ نَفْسِكَ وَاهْجُرِ الْإِنْسَانَ
مَقْطُوعٌ مِنْهُ قَاطِعَ الْإِنْسَانِ
٤١٠٧- عَنْ نَيْلٍ مَقْصِدِهِ فَذَلِكَ عَدُوُّهُ
وَلَوْ أَنَّهُ مِنْهُ الْقَرِيبُ الدَّانِي

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى-: إذا اتضحت هذه الأمور الثلاثة في كلام الرسول ﷺ، ونحن زدنا أمراً رابعاً وهو الصدق، يقول:

٤٠٩٩- فَلَايُّ شَيْءٍ يَعْدِلُ الْبَاغِي الْهُدَى
عَنْ قَوْلِهِ لَوْلَا عَمَى الْخِذْلَانِ

قوله: «فَلَايُّ شَيْءٍ يَعْدِلُ الْبَاغِي الْهُدَى عَنْ قَوْلِهِ» «الْبَاغِي الْهُدَى»؛ يعني: الطالب الهدى، لأي شيء يعدل عن قوله وقد اجتمع في قوله الكلمات الأربعة.

قوله: «لَوْلَا عَمَى الْخِذْلَانِ» نعوذ بالله؛ يعني: لولا أن هذا مصاب بالعمى الذي خذله لكان لا يعدل عن قوله أبداً.

٤١٠٠- فَالْتَقُلْ عَنْهُ مُصَدِّقٌ وَالْقَوْلُ مِنْ
ذِي عِصْمَةٍ مَا عِنْدَنَا قَوْلَانِ

النقل عن الرسول -عليه الصلاة والسلام- مُصَدِّقٌ، وقوله معصوم ما عندنا في هذا قولان، أمّا غير الرسول فبالعكس.

٤١٠١- وَالْعَكْسُ عِنْدَ سِوَاهُ فِي الْأَمْرَيْنِ يَا
مَنْ يَهْتَدِي هَلْ يَسْتَوِي النَّقْلَانِ

قوله: «وَالْعَكْسُ عِنْدَ سِوَاهُ فِي الْأَمْرَيْنِ» فالنقل عنه ليس بمصدق، والخطأ ليس معصوماً منه، فما سوى الرسول -عليه الصلاة والسلام- ليس بمعصوم عن الكذب ولا عن الخطأ ولا عن الجهل، وأمّا النبي ﷺ فمعصومٌ من ذلك.

قوله: «هَلْ يَسْتَوِي النَّقْلَانِ؟» الجواب: لا يستويان.

٤١٠٢- تَاللهُ قَدْ لَاحَ الصَّبَاحُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ نَحَوَ الفَجْرِ نَاطِرَتَانِ

أَقْسَمَ بِأَنَّهُ لَاحَ الصَّبَاحُ، وَهُوَ انشِقَاقُ النُّورِ لِمَنْ يَنْظُرُ إِلَى الفَجْرِ، أَمَّا مَنْ نَكَّسَ رَأْسَهُ فَلَمْ يُطَالِعْ فِي الأفُقِ فَإِنَّهُ لَا يَرَى الصَّبَاحَ.

٤١٠٣- وَأَخُو العَمَائِيَّةِ فِي عَمَائِيَّتِهِ يَقُو لُ اللَّيْلِ بَعْدُ أَيَسْتَوِي الرَّجُلَانِ

قَوْلُهُ: «أَيَسْتَوِي الرَّجُلَانِ؟» الجواب: لا.

٤١٠٤- تَاللهُ قَدْ رُفِعَتْ لَكَ الأَعْلَامُ إِنْ كُنْتَ المُشَمَّرِ نِلْتَ دَارَ أَمَانِ

قَوْلُهُ: «الأَعْلَامُ» جَمْعُ «عَلَمٍ»، وَهُوَ مَا يُرْفَعُ فِي القِتَالِ وَغَيْرِ القِتَالِ لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى المَقْصُودِ.

٤١٠٥- وَإِذَا جَبَنْتَ وَكُنْتَ كَسَلَانًا فَهِيَ حُرْمَ الوُصُولِ إِلَيْهِ غَيْرُ جَبَانِ

٤١٠٦- فَاقْدِمْ وَعِدْ بِالْوَصْلِ نَفْسَكَ وَاهْجُرِ الـ

قَوْلُهُ: «فَاقْدِمْ»؛ أَي: تَقَدَّمْ.

يَعْنِي: أَقْدِمْ وَلَا تَتَأَخَّرْ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَقْطَعُكَ عَنِ الإِقْدَامِ فَاهْجُرْهُ.

٤١٠٧- عَنِ نَيْلِ مَقْصِدِهِ فَذَلِكَ عَدُوُّهُ وَلَوْ أَنَّهُ مِنْهُ القَرِيبُ الدَّانِي

كُلُّ إِنْسَانٍ يَعْوُظُكَ عَنِ مَقْصِدِكَ وَعَنِ اتِّبَاعِ الرَّسُولِ ﷺ فَإِنَّهُ عَدُوُّكَ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَقْرَبِ النَّاسِ إِلَيْكَ.

فصل

فِي تَيْسِيرِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ عَلَى الْمُثَبِّتِينَ الْمُوَحِّدِينَ، وَامْتِنَاعِهِ عَلَى الْمُعْطَلِينَ وَالْمُشْرِكِينَ

- ٤١٠٨ - يَا قَاعِدًا سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ
سَيْرَ الرِّيدِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
- ٤١٠٩ - حَتَّى مَتَى هَذَا الرَّقَادُ وَقَدْ سَرَى
وَفَدُ الْمَحَبَّةِ مَعَ أُوْلِي الإِحْسَانِ
- ٤١١٠ - وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتِهِمْ نَحْوَ الْعُلَى
لَا حَادِي الرُّكْبَانِ وَالْأَظْعَانَ
- ٤١١١ - رَكِبُوا الْعَزَائِمَ وَاعْتَلَوْا بِظُهُورِهَا
وَسَرَوْا فَمَا حَنُّوا إِلَى نُعْمَانَ
- ٤١١٢ - سَارُوا رُؤَيْدًا ثُمَّ جَاؤُوا أَوْلَا
سَيْرَ الدَّلِيلِ يَوْمُمُ بِالرُّكْبَانِ
- ٤١١٣ - سَارُوا بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا التُّد
سَاعِطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتُّكْرَانِ
- ٤١١٤ - عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فَاُمْتَلَأَتْ قُلُوبُ
بِهِمْ لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
- ٤١١٥ - فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالْـ
أَشْوَاقِ إِذْ مِلَّتْ مِنَ الْعِرْفَانِ
- ٤١١٦ - وَأَشَدَّهُمْ حُبًّا لَهُ أَذْرَاهُمْ
بِصِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ
- ٤١١٧ - فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِحَسْبِهِ
يَقْوَى وَيَضْعُفُ ذَاكَ ذُو تَبَيَانِ
- ٤١١٨ - وَلِذَاكَ كَانَ الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ
أَحْبَابَهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ
- ٤١١٩ - وَلِذَاكَ كَانَ الْعَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ
أَحْبَابَهُ وَبِشِرْعَةِ الإِيمَانِ
- ٤١٢٠ - وَلِذَاكَ كَانَ الْمُنْكَرُونَ لَهَا هُمْ الـ
أَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّانِ

- ٤١٢١- وَلِذَلِكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بَدَاً وَذَا
بُغْضَاءَهُ حَقًّا ذَوِي شَنَاَنِ
- ٤١٢٢- وَحَيَاةُ قَلْبِ الْعَبْدِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ
يُرْزَقُهُمَا يَحْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٤١٢٣- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى يَكُونُ
نُ الْحَيِّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ
- ٤١٢٤- ذِكْرُ الْإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْ
رَاكِ بِهِ وَهَمَّا فَمُمْتَنِعَانِ
- ٤١٢٥- مَنْ صَاحَبَ التَّعْطِيلَ حَقًّا كَامِتِنَا
عِ الطَّائِرِ الْمُقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ
- ٤١٢٦- أَيْحِبُّهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصَفَّهُ
وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ بِقِرَانِ
- ٤١٢٧- لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانِ
- ٤١٢٨- اللَّهُ أَكْبَرُ ذَلِكَ فَضَّلُ اللَّهُ يُؤُ
تِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِلَا حُسْبَانِ
- ٤١٢٩- وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا
إِحْدَى الْأَثْنَانِ فِي حُصِّ بِالْحِرْمَانِ
- ٤١٣٠- اللَّهُ أَكْبَرُ ذَلِكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقُ
ضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانِ
- ٤١٣١- وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي الـ
أُولَى وَفِي الْأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ
- ٤١٣٢- حَمْدُ لِدَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَكَذَلِكَ حَمْدُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

الشرح

- ٤١٠٨- يَا قَاعِدًا سَارَتْ بِهِ أَنْفَاسُهُ سَيْرَ الْبَرِيدِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
قَوْلُهُ: «يَا قَاعِدًا» يَا أَيَّ قَاعِدٍ، إِنَّمَا نَصَبَهَا؛ لِأَنَّهَا نَكْرَةٌ غَيْرُ مَقْصُودَةٍ، وَالنَّدَاءُ إِذَا وُجِّهَ لِنَكْرَةٍ غَيْرِ مَقْصُودَةٍ صَارَ الْمَنَادَى مَنْصُوبًا.

قَوْلُهُ: «سَيْرَ الْبَرِيدِ» كانوا فيما سبق يقيمون شخصًا يركبُ على الخيلِ إلى مسافةٍ بريدٍ، ثُمَّ تَقْفُ هذه الخيلُ في مكانٍ ما، وإذا بخيلٍ أخرى مجهزةٌ تحملُ الرسائلَ والأخبارَ من الخيلِ الأولى إلى بريدٍ آخرَ فيأخذ ما معه من الرسائلِ، ثُمَّ يعدو بها إلى بريدٍ آخرَ، وهكذا، والبريدُ أربعةُ فراسخٍ، والفرسخُ ثلاثةُ أميالٍ، والميلُ اثنا عشر ألفَ ذراعٍ، فهذا يُسَمَّى بريدًا؛ لأنه أسرعُ ممَّا لو كان السَّيرُ من خيَالٍ واحدٍ.

وَقَوْلُهُ: «سَيْرَ الْبَرِيدِ»؛ لأنه يُسْرَعُ.

قَوْلُهُ: «وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ»؛ أي: السَّير، و«الذَّمْلَانِ»: نوعٌ من المشي الضَّعيفِ^(١).

٤١٠٩- حَتَّى مَتَى هَذَا الرَّقَادُ وَقَدْ سَرَى وَفَدُ الْمَحَبَّةِ مَعَ أُولِي الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «حَتَّى مَتَى هَذَا الرَّقَادُ؟»؛ يعني: إلى أين تبقى راقداً؟

قَوْلُهُ: «وَقَدْ سَرَى وَفَدُ الْمَحَبَّةِ» سَرَوْا؛ أي: مَشَوْا ليلاً، ويقولُ الشَّاعرُ:

عِنْدَ الصَّبَاحِ: يَحْمَدُ الْقَوْمَ السَّرَى^(٢)

٤١١٠- وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتِهِمْ نَحْوَ الْعُلَى لِحَادِي الرُّكْبَانِ وَالْأَظْعَانِ

قَوْلُهُ: «وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتِهِمْ نَحْوَ الْعُلَى»؛ يعني: أنَّ عزماتهم حَدَّتْ بهم نحو

الْعُلَى، و«الْعُلَى»؛ يعني: الأخلاقَ العالِيَةَ.

(١) الذَّمِيلُ: صَرَبٌ من سَيْرِ الإِبِلِ، وقيل: هو السَّيرُ اللينُ ما كان. انظر: لسان العرب، مادة: «ذمل».

(٢) هذا من أمثال العرب، انظر: مجمع الأمثال (٣/٢).

قَوْلُهُ: «لَا حَادِيَ الرَّكْبَانَ وَالْأَظْعَانَ» «الْأَظْعَانَ» جمع «ظعينة» وهنَّ النساءُ، وقد جرت العادةُ فيما سبق أن أهلَ الأسفارِ يَحْدُونُ بالإبلِ التي عليها النساءُ؛ لأنَّ الإبلَ إذا حدا الحادي صارت تمشي بسهولة وسرعة، فتُسْرِعُ مع سهولة المشي، وحذاءُ الإبلِ معروفٌ.

٤١١١- رَكِبُوا الْعَزَائِمَ وَاعْتَلَوْا بِظُهُورِهَا وَسَرَوْا فَمَا حَنُوا إِلَى نُعْمَانَ

قَوْلُهُ: «رَكِبُوا الْعَزَائِمَ»؛ يعني: أنهم لم يهتموا بما وراءهم، وإنما ينظرون إلى ما أمامهم، فهم رَكِبُوا الْعَزَائِمَ، و«الْعَزَائِمُ» جمع: «عزيمة».

قَوْلُهُ: «وَاعْتَلَوْا بِظُهُورِهَا»؛ أي: على ظهورها.

قَوْلُهُ: «وَسَرَوْا فَمَا حَنُوا إِلَى نُعْمَانَ»؛ أي: إلى بلدهم.

٤١١٢- سَارُوا رُؤَيْدًا ثُمَّ جَاؤُوا أَوْلًا سَيْرَ الدَّلِيلِ يَوْمَ بِالرَّكْبَانَ

ساروا رُؤَيْدًا، ولكنهم لاستمرارهم في السَّيرِ جاؤوا أَوْلًا كما يجيء الدليلُ الذي يَوْمَ بِالرَّكْبَانَ ويقودهم.

٤١١٣- سَارُوا بِإِبْتِاطِ الصِّفَاتِ إِلَيْهِ لَا التَّعْطِيلِ وَالتَّحْرِيفِ وَالنُّكْرَانَ

من هنا عرفنا أنه يريدُ -بمن سبق- أهلَ السُّنَّةِ والجماعةِ الذين يُثبتون لله تعالى الصِّفَاتِ، لا أهلَ التَّعْطِيلِ والتَّحْرِيفِ والنُّكْرَانَ، فأهلُ التَّعْطِيلِ هم الذين يُعْطَلُونَ اللهُ عَمَّا له من الصِّفَاتِ، ويُعْطَلُونَ النُّصُوصَ عن معناها، وأهلُ التَّحْرِيفِ هم الذين يُحَرِّفُونَهَا إلى معنىٍ آخرَ، والنُّكْرَانَ الذين يُكذِّبُونَهَا، وهذا وصفُ أهلِ التَّعْطِيلِ، فهم يعطَلُونَ اللهُ عَمَّا يجبُ له من الصِّفَاتِ، وَيَعْدُونَ على النُّصُوصِ فيُحَرِّفُونَهَا، وَيَعْدُونَ على بعضِ النُّصُوصِ فينكرونها، ما هي النُّصُوصُ التي ينكرونها؟ هي

أخبارُ الأحادِ مثلاً في السُّنَّةِ، وأمَّا ما لا يمكنُ إنكارُه فيسْطون عليه بالتَّحْرِيفِ.

٤١١٤- عَرَفُوهُ بِالْأَوْصَافِ فَاَمْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ لَهُ بِالْحُبِّ وَالْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «عَرَفُوهُ» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

فهم عرفوه بأوصافه الكاملة، فامتلات قلوبهم له محبةً وإيماناً به.

٤١١٥- فَتَطَايَرَتْ تِلْكَ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ بِالْأَشْوَاقِ إِذْ مُلِئَتْ مِنَ الْعِرْفَانِ
لأنه من المعلوم أنك كلما عرفت صفات الشخص وكانت هذه الصفات حميدة فإنك سوف تسعى إلى الوصول إليه بكل ما تستطيع، هم عرفوا الله عز وجل بأوصافه فطارت قلوبهم شوقاً إليه.

٤١١٦- وَأَشَدَّهُمْ حُبًّا لَهُ أَذْرَاهُمْ بِصِفَاتِهِ وَحَقَائِقِ الْقُرْآنِ
هؤلاء هم أشد الناس حُباً لله عز وجل العالمون بصفاته؛ لأنه كلما علم الإنسان بصفة ازداد محبةً للموصوف.

٤١١٧- فَالْحُبُّ يَتَّبِعُ لِلشُّعُورِ بِحَسْبِهِ يَتَّقُوا وَيَضَعُفُ ذَاكَ ذُو تَبْيَانِ
وهذا صحيح؛ فالحبُّ مداره على شعور الإنسان بمن يُحِبُّ، فإذا شعر الإنسان بصفات كاملة في المحبوب فإنه لا بد أن يميل إليه بالحب، حتى الأمور المعتادة كالطعام والشراب واللباس والمسكن، كلما شعر الإنسان بكمال هذا الشيء ازداد حُباً له.

٤١١٨- وَلِذَلِكَ كَانَ الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ أَحْبَابَهُ هُمْ أَهْلُ هَذَا الشَّانِ
قَوْلُهُ: «الْعَارِفُونَ صِفَاتِهِ» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى اللَّهِ.

٤١١٩- وَلِذَاكَ كَانَ الْعَالِمُونَ بِرَبِّهِمْ أَحْبَابَهُ وَبِشُرْعَةِ الْإِيمَانِ

٤١٢٠- وَلِذَاكَ كَانَ الْمُنْكَرُونَ لَهَا هُمُ الْاَعْدَاءُ حَقًّا هُمْ أَوْلُو الشَّنَانِ

قَوْلُهُ: «الشَّنَانِ»؛ يعني: البغض، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢٢].

المنكرون بل الجاهلون بهذه الأوصاف هم أبعد الناس عن محبة الله؛ لأن من كان بالله أجهل كان عنه أبعد؛ إذ كيف يُحِبُّ مَنْ لا يعرف؟! هذا شيءٌ مستحيلٌ.

٤١٢١- وَلِذَاكَ كَانَ الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا بُغْضَاءَهُ حَقًّا ذَوِي شَنَّانِ

قَوْلُهُ: «الْجَاهِلُونَ بِذَا وَذَا»؛ أي: الجاهلون بصفاته والجاهلون به عزَّ وجلَّ وبأحكامه هم البُغْضَاءُ حَقًّا ذَوِي شَنَّانِ.

٤١٢٢- وَحَيَاةُ قَلْبِ الْعَبْدِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ يُرْزَقُفَهُمَا يَحْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ

٤١٢٣- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى يَكُونُ الْحَيُّ ذَا الرِّضْوَانِ وَالْإِحْسَانِ

ما هما؟ يقول:

٤١٢٤- ذَكَرُ الْإِلَهِ وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْرَاقٍ بِرَاكِ بِهِ وَهَمَّا فَمُمْتَنَعَانِ

٤١٢٥- مَنْ صَاحَبَ التَّعْطِيلَ حَقًّا كَأَمْتِنَا عِ الطَّائِرِ الْمُتَّصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ

يقول: إذا رُزِقَ الإنسان هذين الأمرين: الأوَّل: ذَكَرُ الْإِلَهِ، والثاني: حُبُّهُ، صار حيًّا في الدنيا وفي الآخرة؛ أمَّا في الدنيا فحياته طيبةٌ، وأمَّا في الآخرة فأطيبٌ؛ لقوله - سبحانه وتعالى -: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]؛ يعني: في الدنيا، ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ

مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ [النحل: ٩٧]؛ يعني: في الآخرة، فكلما أدامَ الإنسانُ ذكرَ ربِّه ازداد قلبه حياةً، وكلما أحبَّ اللهَ ازداد قلبه حياةً لكن «مِنْ غَيْرِ إِشْرَاكِ بِهِ»، و«هُمَا»؛ أي: الذِّكْرُ والمحَبَّةُ فممتنعان «مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَامِتِنَاعِ الطَّائِرِ الْمُقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانٍ»، لو أَنَّكَ قَصَصْتَ جَنَاحِي الطَّائِرِ هل يطيرُ؟ لا يمكنُ، إِذَنْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ لا يمكنُ أَنْ تَمْتَلِئَ قَلُوبُهُمْ حُبًّا لِلَّهِ، ولا يمكنُ أَنْ تَلْهَجَ أَلْسِنَتُهُمْ ذِكْرًا بِهِ ما داموا معطلين؛ لِأَنَّهُ يَقْرَأُ النُّصُوصَ الَّتِي فِيهَا الْإِثْبَاتُ وَهُوَ لَا يُثْبِتُهَا، إِذَنْ تَكُونُ حُرُوفًا عَلَى وَرْقٍ.

٤١٢٦- أَيْحِبُّهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصْفَهُ وَعُلُوَّهُ وَكَلَامَهُ بِقُرْآنِ

٤١٢٧- لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ وَالْفُرْقَانَ

قَوْلُهُ: «أَيْحِبُّهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ وَصْفَهُ...؟» هل يُحِبُّ اللهُ مَنْ كَانَ يُنْكِرُ أَنْ يَكُونَ موصوفًا بالكمالِ؟ الجوابُ: أبدًا، وكيف يُحِبُّ مَنْ لَا يَتَّصِفُ بِالْكَمَالِ؟
قَوْلُهُ: «لَا وَالَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» يريدُ أَنْ يُكَايِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْعُلُوَّ.

قَوْلُهُ: «مُتَكَلِّمًا بِالْوَحْيِ» يريدُ أَنْ يُكَايِدَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ كَلَامَهُ.

٤١٢٨- اللهُ أَكْبَرُ ذَاكَ فَضَّلَ اللهُ يُؤُوتِيهِ لِمَنْ يَرْضَى بِلا حُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «ذَاكَ» المشارُ إليه: الذِّكْرُ والمحَبَّةُ أو الإقْرَارُ بِالصِّفَاتِ.

فَمَنْ أُعْطِيَ الْفَضْلَ بِإِثْبَاتِ الصِّفَاتِ وَالْأَسْمَاءِ وَالْمَحَبَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَثْرَةِ الذِّكْرِ فَهَذَا فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

٤١٢٩- وَتَرَى الْمُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ تَقُولُ ذَا إِحْدَى الْأَثْنِي خُصَّ بِالْحِرْمَانِ

قَوْلُهُ: «المُخَلَّفَ فِي الدِّيَارِ» يُرِيدُ بِذَلِكَ الَّذِي لَمْ يُسَافِرْ إِلَى اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «تَقُولُ ذَا إِحْدَى الْأَثْنِي» «الْأَثْنِي» هِيَ الَّتِي يُنْصَبُ عَلَيْهَا الْقِدْرُ، وَالَّتِي يُنْصَبُ عَلَيْهَا الْقِدْرُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَزُولَ عَنْ مَكَانِهَا؛ لِأَنَّ مَكَانَ الطَّبِيخِ وَاحِدٌ، فَهَمُّ مِثْلُ الْأَثْنِي خُصَّ بِالْحِرْمَانِ.

٤١٣٠- اللَّهُ أَكْبَرُ ذَاكَ عَدْلُ اللَّهِ يَقُـ ضِيهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «ذَاكَ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ: مَا حُرِّمُوا مِنَ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ؛ لِأَنَّهُمْ عَدَلُوا عَنْ الْحَقِّ فَقَابَلَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِالْعَدْلِ، فَمَنْ خُذِلَ فَذَلِكَ عَدْلُ اللَّهِ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف: ٥]، وَكَمَا قَالَ: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ [المائدة: ١٣].

٤١٣١- وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ فِي الِ أُولَى وَفِي الْأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَلَهُ عَلَى هَذَا وَهَذَا الْحَمْدُ» «عَلَى هَذَا»؛ يَعْنِي: عَلَى الْفَضْلِ، «وَهَذَا»؛ يَعْنِي: الْعَدْلَ، وَالْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَفِي الْأُخْرَى هُمَا حَمْدَانِ.

٤١٣٢- حَمْدُ لِدَاتِ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَذَلِكَ حَمْدُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ

إِذْنُ اللَّهِ يُحْمَدُ عَلَى كَمَالِهِ الذَّاتِيِّ وَعَلَى كَمَالِهِ الْمُتَعَدِّيِّ، كَمَالُهُ الذَّاتِيُّ هُوَ كَمَالُ صِفَاتِهِ، وَالْمُتَعَدِّيُّ هُوَ الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ.

- ٤١٣٣- يَأْمَنُ تَعَزُّ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ وَيَرُونَ غُبْنًا بَيْنَهَا بِهَوَانٍ
 ٤١٣٤- وَيَرُونَ خُسْرَانًا مُبِينًا بَيْنَهَا فِي إِثْرِ كُلِّ فَيْحَةٍ وَمُهَانٍ
 ٤١٣٥- وَيَرُونَ مَيْدَانَ التَّسَابِقِ بَارِزًا فَيَّارِكُونَ تَفَحُّمَ الْمَيْدَانِ
 ٤١٣٦- وَيَرُونَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ قَدْ أُحْصِيَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
 ٤١٣٧- وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللِّقَاءِ
 ٤١٣٨- مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبَ تُمْ مَنَ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
 ٤١٣٩- هَاتُوا جَوَابًا لِلسُّؤَالِ وَهَيُّوْا أَيْضًا صَوَابًا لِلْجَوَابِ يَدَانِ
 ٤١٤٠- وَتَيَقَّنُوا أَنَّ لَيْسَ يُنْحِيكُمْ سِوَى تَجْرِيدِكُمْ لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
 ٤١٤١- تَجْرِيدِكُمْ تَوْحِيدَهُ سُبْحَانَهُ عَنِ شِرْكَةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ
 ٤١٤٢- وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ عَنِ هَذِهِ الْأَرَءِ وَالْهَذْيَانِ
 ٤١٤٣- وَاللَّهُ مَا يُنْجِي الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ شَيْءٌ سِوَى هَذَا بِلَا رَوْعَانِ

الشرح

في هذه الآياتِ وَجَّهَ المؤلِّفُ - رحمه الله - هذا الخطابَ إلى مَنْ أَنْفُسُهُمْ عزيزةٌ عليهم فقال:

- ٤١٣٣- يَأْمَنُ تَعَزُّ عَلَيْهِمْ أَرْوَاحُهُمْ وَيَرُونَ غُبْنًا بَيْنَهَا بِهَوَانٍ
 وهؤلاء هم أحياءُ القلوبِ الذين يعزُّ عليهم أن تهونَ أرواحُهُم، وَيَرُونَ من الغَبْنِ أن يبيعوها بالهوانِ.

٤١٣٤- وَيَرُونَ خُسْرَانًا مُبِينًا يَبْعَهَا فِي إِثْرِ كُلِّ قَبِيحَةٍ وَمُهَانَ
يَرُونَ أَيضًا مِنَ الْخُسْرَانِ الْمُبِينِ أَنْ يَبْعُوَهَا فِي إِثْرِ كُلِّ قَوْلَةٍ قَبِيحَةٍ صَادِرَةٍ مِنْ
مُهَانٍ.

٤١٣٥- وَيَرُونَ مَيْدَانَ التَّسَابِقِ بَارِزًا فَيَتَارِكُونَ تَقْحَمَ الْمَيْدَانِ
يَرُونَ أَنَّ مَيْدَانَ التَّسَابِقِ بَارِزًا فَيَتَارِكُونَ تَقْحَمَ الْمَيْدَانِ، وَلَكِنَّهُمْ يَدْخُلُونَهُ مِنْ
غَيْرِ تَقْحَمٍ، وَيَدْخُلُونَهُ بَهْوٍ حَتَّى يَصِلُوا إِلَى مُرَادِهِمْ.

٤١٣٦- وَيَرُونَ أَنْفَاسَ الْعِبَادِ عَلَيْهِمْ قَدْ أُحْصِيَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
الإنسان - في الحقيقة - تُعَدُّ عَلَيْهِ أَنْفَاسُهُ، وَمَنْ يُحْصِي نَفْسَهُ؟! بَلْ يُعَدُّ عَلَيْهِ مَا
دُونَ النَّفْسِ، فَكُلُّ لِحْظَةٍ تَمُرُّ بِهِ فَإِنَّهَا إِمَّا لَهُ وَإِمَّا عَلَيْهِ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ.

٤١٣٧- وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللَّقَا لَللَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
فِي هَذَا الْبَيْتِ أَخَذَ الْمُؤَلِّفُ بُلْغَةً مِنْ يُلْزِمُ الْمُتَنَبِّئِ الْأَلْفَ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: «أَنَّ
أَمَامَهُمْ» «أَمَامَ»: مُصَدَّرٌ، خَبْرٌ مُقَدَّمٌ، وَ«مَسْأَلَتَانِ»: اسْمٌ «أَنَّ» مُؤَخَّرٌ، وَ«شَامِلَتَانِ»
صِفَةٌ لَهُ، وَيَصِحُّ أَنْ نَجْعَلَ «أَمَامَ» هُوَ الْاسْمُ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ بِظَرْفٍ، وَلَكِنَّهُ اسْمٌ لَمَّا
كَانَ قُدَّامَ الْإِنْسَانِ؛ لِأَنَّ هَذَا الْأَمَامَ وَالْفَوْقَ وَالتَّحْتَ قَدْ يُرَادُ بِهَا الْمَعْنَى نَفْسَهُ لَا أَنَّهَا
ظَرْفٌ لَشَيْءٍ آخَرَ، فَيَكُونُ الْمُؤَلِّفُ جَارِيًا عَلَى اللُّغَةِ الْفَصْحِيَّةِ، عَلَى كُلِّ حَالٍ يَقُولُ:
يَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ لِقَاءِ اللَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْمَسْأَلَتَيْنِ فَقَالَ:

٤١٣٨- مَاذَا عَبَدْتُمْ ثُمَّ مَاذَا قَدْ أَجَبَ ثُمَّ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ
المسألة الأولى: ماذا عبدتُمْ؟؛ يعني: يُسأل الإنسان يوم القيامة: مَنْ عَبَدْتَ؟

وهذا في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٧٤]، فيسألهم.

المسألة الثانية: ثم ماذا قد أجبتُم من أتى بالحق والبرهان؟ وهم الرُّسل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، فأنت مسؤولٌ يوم القيامة عن هذين السؤالين، فكلُّ إنسانٍ يُسأل عن هذا: ماذا عبدت؟ هل عبد الله أو أشرك؟ وماذا أجاب المرسلين؟ هل اتبعهم أو ابتدع؟

٤١٣٩- هَاتُوا جَوَابًا لِلسُّؤَالِ وَهَيُّوا أَيضًا صَوَابًا لِلجَوَابِ يَدَانِ يُطَلَّبُ مِنْهُم شَيْئَانِ:

الشَّيْءُ الأوَّلُ: الجوابُ، والشَّيْءُ الثَّانِي: أن يكونَ صَوَابًا، أنت الآن إذا سَأَلْتَ التَّلْمِيذَ عن مسألة تطلبُ منه شيئين وهما: الإجابة، وأن تكونَ الإجابةُ صَوَابًا؛ ولهذا إذا سَكَتَ تقولُ له: أَجِبْ، وإذا أَجَابَ خطأً، قلت: خطأً، هاتِ الصَّوَابَ، نسألُ الله أن يجعلنا وإياكم ممنَ يَجِيبُ بالصَّوَابِ.

٤١٤٠- وَتَيَقَّنُوا أَنْ لَيْسَ يُنْجِيكُمْ سِوَى تَجْرِيدِكُمْ لِحَقَائِقِ الإِيمَانِ

٤١٤١- تَجْرِيدِكُمْ تَوْحِيدَهُ سُبْحَانَهُ عَنِ شِرْكََةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ

٤١٤٢- وَكَذَلِكَ تَجْرِيدُ اتِّبَاعِ رَسُولِهِ عَنِ هَذِهِ الآرَاءِ وَالْهَدْيَانِ

يعني: لا يُنْجِي الإنسانَ إِلَّا هذانِ التَّجْرِيدانِ: التَّجْرِيدُ الأوَّلُ: تجريدُ العبادةِ بِاللَّا يَعْبُدُ إِلَّا اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، وَالتَّجْرِيدُ الثَّانِي: تجريدُ المتابعةِ بِاللَّا يُتَابَعُ إِلَّا الرَّسُولَ، وَلا يَدْعَ قَوْلَهُ لِقَوْلِ فَلانٍ وَفَلانٍ، بل لا يَتَّبِعُ إِلَّا رَسُولَ الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -.

٤١٤٣- وَاللَّهُ مَا يُنَجِّي الْفَتَى مِنْ رَبِّهِ شَيْءٌ سِوَى هَذَا بِلَا رَوْعَانَ
وَصَدَقَ رَحْمَهُ اللَّهُ، لَا يُنَجِّي الْإِنْسَانَ إِلَّا الْإِحْلَاصُ وَالْمَتَابَعَةُ.

- ٤١٤٤- يَا رَبِّ جَرِّدْ عَبْدَكَ الْمُسْكِينَ رَا جِي الْفَضْلِ مِنْكَ أَضْعَفَ الْعَبْدَانِ
٤١٤٥- لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلْهُ لَا يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ
٤١٤٦- وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بِالْجَمِيمِ لِي وَبِالْثَنَاءِ مِنَ الْجَهُولِ الْجَانِي
٤١٤٧- فَالْعَبْدُ لَيْسَ يُضِيعُ بَيْنَ فَوَاحِيحِ وَخَوَاتِمِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْغُفْرَانِ
٤١٤٨- أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتُهُ مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أَضْعَفُ الْأَرْكَانِ
٤١٤٩- كُلُّ عَلَيْهَا قَدْ عَلَا وَهَوَتْ إِلَى تَحْتَ الْجَمِيعِ بِذِلَّةٍ وَهَوَانَ
٤١٥٠- وَعَلَتْ عَلَيْهَا النَّارُ حَتَّى ظَنَّ أَنْ يَعْلُو عَلَيْهَا الْخَلْقُ مِنْ نِيرَانِ
٤١٥١- وَأَتَى إِلَى الْأَبْوِينَ ظَنًّا أَنَّهُ سَيَصِيرُ الْأَبْوِينَ تَحْتَ دُخَانِ
٤١٥٢- فَسَعَتْ إِلَى الْأَبْوِينَ رَحْمَتُكَ الَّتِي وَسِعَتْهَا فَعَلَا بِكَ الْأَبْوَانِ
٤١٥٣- هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمَْا وَحُلُومُنَا فِي جَنْبِ حِلْمِهِمَا لَدَى الْمِيزَانِ
٤١٥٤- جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ لَّهُمَا وَأَعْدَاؤُنَا بِلَا حُسْبَانِ
٤١٥٥- وَالضَّعْفُ مُسْتَوَلٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيمِ عِجْهَاتِنَا سِيَمَا مِنَ الْإِيمَانِ
٤١٥٦- يَا رَبُّ مَعْدِرَةٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ قَصْدُ الْعِبَادِ رُكُوبَ ذَا الْعِضْيَانِ
٤١٥٧- لَكِنْ نَفُوسٌ سَوَّلَتْهُ وَعَرَّهَا هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانِ

- ٤١٥٨- فَتَيَقَّنْتُ يَا رَبُّ أَنَّكَ وَاسِعُ الْ-
 غُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانٍ
 ٤١٥٩- وَمَقَالْنَا مَا قَالَهُ الْأَبْوَانِ قَبْ-
 لُ مَقَالَةُ الْعَبْدِ الظُّلْمِ الْجَانِي
 ٤١٦٠- نَحْنُ الْأَلَى ظَلَمُوا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذُّ-
 ذَنْبَ الْعَظِيمِ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانِ
 ٤١٦١- يَا رَبُّ فَاَنْصُرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لَيْ-
 سَ لَنَا بِهِ لَوْلَا حِمَاكَ يَدَانِ

الشرح

قال المؤلف - رحمه الله - مبتهلاً إلى ربه عز وجل:

- ٤١٤٤- يَا رَبِّ جَرِّدْ عَبْدَكَ الْمُسْكِينَ رَا
 جِي الْفَضْلِ مِنْكَ أضعفَ العبدانِ
 قَوْلُهُ: «عَبْدَكَ الْمُسْكِينَ»؛ يعني: نفسه.

يسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يُنجيه، ويصف نفسه بأنه عبدُ الله، والعبوديةُ أشرفُ وصفٍ يتصفُ به الإنسان؛ ولهذا يذكرها الله عز وجل في مقام التأييد والتَّحْدِي وبيان الفضلِ على الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، فيقول متحدِّياً: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ [البقرة: ٢٣]، ويقول: مؤيِّداً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ﴾ [الفرقان: ١]، ويقول مبيِّناً فضله: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

كذلك أيضًا وصف نفسه بأنه مسكينٌ بالنسبة لله، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، ويصف نفسه بأنه أضعفُ العبدانِ، وهذا من بابِ التَّنَزُّلِ والتَّوَاضُعِ وإلا فإنه ليس أضعفَ العبدانِ؛ إذ أنه لم يتجول في عبادِ الله حتى يعرف أنه أضعفُهم.

٤١٤٥- لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ فَاجْعَلُهُ لَا يَنْسَاكَ أَنْتَ بَدَأْتَ بِالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ» هذا كلامٌ عجيبٌ، لم تَنْسَهُ وَذَكَرْتَهُ، نعم، اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لم ينسَ الإنسانَ، لم ينسَ العبدَ المؤمنَ، وَذَكَرَهُ بِمَاذَا؟ أَمَدَّهُ بِالنَّعْمِ وَهَدَاهُ لِلْإِسْلَامِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الذِّكْرِ.

قَوْلُهُ: «فَاجْعَلُهُ لَا يَنْسَاكَ»؛ يعني: كما أَنَّكَ لَمْ تَنْسَهُ فَاجْعَلْهُ لَا يَنْسَاكَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بِأَفْعَالِهِ، وَالتَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَفْعَالِهِ جَائِزٌ، فَنَحْنُ نَقُولُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ»^(١) فَتَوَسَّلْنَا بِصَلَاتِهِ عَلَى إِبْرَاهِيمَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ.

٤١٤٦- وَبِهِ خَتَمْتَ فَكُنْتَ أَوْلَى بِالْجَمِيمِ لِوَالثَّنَاءِ مِنَ الْجَهُولِ الْجَانِي

قَوْلُهُ: «وَبِهِ خَتَمْتَ»؛ يعني: وَبِالْإِحْسَانِ خَتَمْتَ، فَاللَّهُ بَدَأَ الْإِنْسَانَ بِالْإِحْسَانِ وَخَتَمَهُ بِالْإِحْسَانِ، وَقَالَ فِي جَزَائِهِ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٠]، اللَّهُ أَكْبَرُ؛ كَأَنَّا نَحْنُ الْمُحْسِنُونَ مِنْ أَنْفُسِنَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي ابْتَدَأَ بِالْإِحْسَانِ وَخَتَمَ بِهِ.

٤١٤٧- فَالْعَبْدُ لَيْسَ يُضَيِّعُ بَيْنَ فَوَاتِحِ وَخَوَاتِمِ مِنْ فَضْلِ ذِي الْغُفْرَانِ

الإنسانُ لا يضيِّعُ بَيْنَ الْفَضْلِ الْأَوَّلِ وَالْفَضْلِ الْآخِرِ، بَيْنَ الْإِحْسَانِ الْأَوَّلِ وَالْإِحْسَانِ الْآخِرِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب، رقم (٣٣٧٠)، مسلم: كتاب الصلاة، باب الصلاة على النبي ﷺ بعد التشهد، رقم (٤٠٥).

٤١٤٨- أَنْتَ الْعَلِيمُ بِهِ وَقَدْ أَنْشَأْتَهُ مِنْ تُرْبَةٍ هِيَ أَوْعَفُّ الْأَرْكَانِ

قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]، فأصلنا من التراب ومرجعنا إلى التراب، قال الله تعالى: ﴿مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ [طه: ٥٥]، فالمرجع النهائي - إن شاء الله تعالى - إلى السماوات العلى في جنات النعيم.

٤١٤٩- كُلُّ عَلَيْهَا قَدْ عَلَا وَهَوَتْ إِلَى تَحْتِ الْجَمِيعِ بِذِلَّةٍ وَهَوَانَ

أي: كل على الأرض التي منها التراب قد علا وهوت إلى تحت الجميع بذلة وهوان.

٤١٥٠- وَعَلَتْ عَلَيْهَا النَّارُ حَتَّى ظَنَّ أَنْ يَعْلوَ عَلَيْهَا الْخَلْقُ مِنْ نِيرَانٍ

قوله: «وَعَلَتْ عَلَيْهَا النَّارُ» النار - كما هو معروف - جوهر يطير يرتفع كما تشهدون، فاللهب يصعد والدخان يرتفع.

قوله: «حَتَّى ظَنَّ أَنْ يَعْلوَ عَلَيْهَا الْخَلْقُ مِنْ نِيرَانٍ» الخلق بمعنى المخلوق؛

يعني: ظن أن يعلو المخلوق من النار على المخلوق من تراب؛ لأن التراب موضوع مَهَانٌ يُدَاسُ بالأقدام، والنار بالعكس مرتفعة تطلب العلو، والمخلوق من نيران هو إبليس؛ ولهذا ارتفع واعتز بأصله فقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ﴾ [الأعراف: ١٢].

٤١٥١- وَآتَى إِلَى الْأَبْوِينَ ظَنًّا أَنَّهُ سَيَصِيرُ الْأَبْوِينَ تَحْتِ دُخَانٍ

أتى إلى الأبوين؛ أي: آدم وحواء، وقصته معها مشهورة، ظن أنه سيصيرهما تحت دخان.

٤١٥٢- فَسَعَتْ إِلَى الْأَبْوَيْنِ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْهُمَا فَعَلَا بِكَ الْأَبْوَانِ

الحمد لله، رحمة الله أدركت الأبوين، فعلا الأبوان برحمته وصار ما يريده إبليس منها ممتنعا برحمة الله.

٤١٥٣- هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمَا وَحُلُومُنَا فِي جَنْبِ حِلْمِهَا لَدَى الْمِيزَانِ

٤١٥٤- جُزْءٌ يَسِيرٌ وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ لَّهُمَا وَأَعْدَانَا بِلا حُسْبَانِ

قوله: «هَذَا وَنَحْنُ بَنُوهُمَا»؛ يعني: نحن أبناؤهما.

قوله: «وَحُلُومُنَا فِي جَنْبِ حِلْمِهَا لَدَى الْمِيزَانِ جُزْءٌ يَسِيرٌ» يعني: عقولنا

بالنسبة إلى عقل الأبوين جزء يسير.

قوله: «وَالْعَدُوُّ فَوَاحِدٌ لَّهُمَا وَأَعْدَانَا بِلا حُسْبَانِ»؛ يعني: إذا كان أبوانا آدم

وحواء غرهما الشيطان وأغواهما فحصلت منهما المخالفة مع أمهما خير منّا، فحلومهما أقوى منّا وعدوهما واحد، أمّا نحن فدونهما، فحلومنا ضعيفة، وأعداؤنا كثيرون بلا عدد.

٤١٥٥- وَالضَّعْفُ مُسْتَوٍ عَلَيْنَا مِنْ جَمِيعِ عِجْهَاتِنَا سِيَّامِنَ الْإِيمَانِ

الضعف مستوٍ علينا من كل جهة لا سيما ضعف الإيمان، وإبليس متوعّد

لنا من كل جهة، قال الله عز وجل: ﴿قَالَ فِيمَا آغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦] يجلس على الصراط، إذا أردنا أن ندخل صرّفنا، وإن دخلنا حاول

إخراجنا؛ ولهذا لم يقل: «لأقعدنّ لهم على صراطك»، بل قال: ﴿صِرَاطَكَ﴾ ليشمل

العود على باب الصراط والعود من داخل الصراط ﴿ثُمَّ لآتيتهم من بين أيديهم

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ ﴿ [الأعراف: ١٧]، ولكن لا يأتينا من فوق؛ لأنَّ فوق ربِّ العالمين عزٌّ وجلٌّ، بل يأتي من هذه الجهات الأربع، فإذا كان إبليسُ يأتينا من جميع الجهات يقول المؤلفُ:

٤١٥٦- يَا رَبُّ مَعْدِرَةٌ إِلَيْكَ فَلَمْ يَكُنْ قَصْدُ الْعِبَادِ رُكُوبَ ذَا الْعِصْيَانِ
يعني: يعتذرُ إلى الله عزَّ وجلَّ ممَّا جَرَى مِنَّا من المعاصي التي قد لا تكون مقصودةً.

٤١٥٧- لَكِنْ نُفُوسٌ سَوَّلَتْهُ وَعَرَّهَا هَذَا الْعَدُوُّ لَهَا غُرُورَ أَمَانٍ
يعني: أنَّ نفوسنا سَوَّلَتْ لنا وزَيَّنَتْ لنا معاصي الله، وزادها ذلك هذا العدوُّ إبليسُ، فإبليسُ قَاسَمَ الأبوين؛ أي: بالغ في الإقسام لهما، قال الله تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ [١١] فَذَلَّلَهُمَا بِغُرُورٍ ﴿ [الأعراف: ٢١-٢٢] «ذَلَّلَهُمَا»؛ أي: نزلها من مرتبتهما العُلْيَا إلى المرتبة الدنيا بغرورٍ بالغٍ، فهو عدوٌّ قويُّ يُقْسِمُ بآنِهِ ناصحٌ فذلَّاهما بغرورٍ.

٤١٥٨- فَتَيَقَّنْتُ يَا رَبُّ أَنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ ذُو فَضْلٍ وَذُو إِحْسَانٍ
يعني: بعد أن حصل ما حصل من المعصية يرجع الإنسان إلى نفسه وإلى ربِّه فيتيقَّن أنَّ الله تعالى واسعُ الغفرانِ ذو فضلٍ وذو إحسانٍ.

٤١٥٩- وَمَقَالْنَا مَا قَالَهُ الْأَبْوَانِ قَبْ- لُ مَقَالَةُ الْعَبْدِ الظَّلُومِ الْجَانِي
ما هي؟ قال:

٤١٦٠- نَحْنُ الْأُلَى ظَلَمْنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرِ الذُّنُوبَ الْعَظِيمَةَ فَنَحْنُ ذُو خُسْرَانٍ

أتى المؤلفُ بالآيةِ بالمعنى، قال اللهُ - سبحانه وتعالى - عن آدمَ وحواءَ:
﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّارْتَدَّ بِرَبِّنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]،
ثمَّ قال رحمه اللهُ:

٤٦١- يَا رَبُّ فَاَنْصُرْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ لِيَسْ لَنَا بِهِ لَوْلَا حِمَاكَ يَدَانِ
أمين.

فصل

فِي ظُهُورِ الْفِرْقِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ وَعَدَمِ التَّبَاسِهِ إِلَّا عَلَى مَنْ لَيْسَ بِذِي عَيْنَيْنِ

- ٤١٦٢- وَالْفِرْقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خُصُومِكُمْ
 ٤١٦٣- مَا أَنْتَ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمْ
 ٤١٦٤- فَإِذَا دَعَوْنَا لِلْقُرْآنِ دَعَوْتُمْ
 ٤١٦٥- وَإِذَا دَعَوْنَا لِلْحَدِيثِ دَعَوْتُمْ
 ٤١٦٦- وَكَذَا تَلَقَّيْنَا نُصُوصَ نَبِيِّنَا
 ٤١٦٧- مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا جَحْدٍ وَلَا
 ٤١٦٨- لَكِنْ بِإِعْرَاضٍ وَتَجْهِيلٍ وَتَأْ
 ٤١٦٩- أَنْكُرْتُمُوهَا جُهْدَكُمْ فَإِذَا أَتَى
 ٤١٧٠- أَعْرَضْتُمْ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَنْبِطُوا
 ٤١٧١- فَإِذَا ابْتُلَيْتُمْ مُكْرَهِينَ بِسَمْعِهَا
 ٤١٧٢- لَكِنْ بِجَهْلٍ لِلَّذِي سَيَقَتْ لَهُ
 ٤١٧٣- فَإِذَا ابْتُلَيْتُمْ بِأَحْتِجَاجِ خُصُومِكُمْ
 ٤١٧٤- فَالْجَحْدُ وَالْإِعْرَاضُ وَالتَّأْوِيلُ وَالتَّ
- مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٍ بَيِّنٍ
 شَتَانٍ بَيْنَ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ
 لِلرَّأْيِ أَيْنَ الرَّأْيِ مِنْ قُرْآنِ
 أَنْتُمْ إِلَى تَقْلِيدِ قَوْلِ فُلَانٍ
 بِقَبُولِهَا بِالْحَقِّ وَالْإِذْعَانِ
 تَفْوِيضِ ذِي جَهْلٍ بِبَلَا عِرْفَانِ
 وَيَلِ تَلَقَّيْتُمْ مَعَ التُّكْرَانِ
 مَا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى نُكْرَانِ
 مِنْهُ هُدَى لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
 فَوَضُّمُوهَا لَا عَلَى الْعِرْفَانِ
 تَفْوِيضِ إِعْرَاضٍ وَجَهْلٍ مَعَانِي
 أَوْلَيْتُمُوهَا دَفْعَ ذِي صَوْلَانِ
 تَجْهِيلُ حَظِّ النَّصِّ عِنْدَ الْجَانِي

٤١٧٥- لَكِنْ لَدَيْنَا حَظُّهُ التَّسْلِيمُ مَعَ حُسْنِ الْقَبُولِ وَفَهْمِ ذِي الْإِحْسَانِ

الشرح

هذا الفصلُ بَيَّنَّ فِيهِ الْمُؤَلَّفُ طَرِيقَةَ الْمُنْحَرِفِينَ عَنِ طَرِيقِ السَّلَفِ وَأَنَّ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّلَفِ فَرْقًا عَظِيمًا شَاسِعًا فَقَالَ:

٤١٦٢- وَالْفَرْقُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خُصُومِكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ بَيِّنٌ

قَوْلُهُ: «ثَابِتٌ»: خَبْرُ الْمَبْتَدَأِ «الْفَرْقُ»، فَالْفَرْقُ ثَابِتٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

٤١٦٣- مَا أَنْتَ مِنْهُمْ وَلَا هُمْ مِنْكُمْ شَتَّانَ بَيْنَ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ

قَوْلُهُ: «شَتَّانَ»؛ أَي: بَعْدَ.

قَوْلُهُ: «بَيْنَ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ» السَّعْدُ وَاحِدُ «السُّعُودِ»، وَهِيَ ثَلَاثَةٌ: سَعْدُ الذَّابِحِ، وَسَعْدُ بَلْعِ، وَسَعْدُ السُّعُودِ، هَذِهِ ثَلَاثَةٌ نَجُومٌ تَكُونُ فِي آخِرِ فَصْلِ الشِّتَاءِ، قُبَيْلَ فَصْلِ الرَّبِيعِ، وَتُسَمَّى عِنْدَ عَامَّتِنَا فِي الْبَلَدِ تُسَمَّى «العقارب»، فَ«سَعْدُ الذَّابِحِ» يَسْمُونَهُ الْعَقْرَبُ الْأُولَى، وَ«سَعْدُ بَلْعِ» الْعَقْرَبُ الثَّانِيَّةُ، وَ«سَعْدُ السُّعُودِ» الْعَقْرَبُ الثَّلَاثَةُ، وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَرَبِ: «إِذَا طَلَعَ سَعْدُ السُّعُودِ كُرِّهَ فِي الشَّمْسِ الْقَعُودُ»؛ لِأَنَّ الْحَرَّ بَدَأَ يَأْتِي، أَمَّا الذَّبْرَانِ فَنَجْمٌ أَحْمَرٌ يَكُونُ خَلْفَ الثُّرَيَّا؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَ الذَّبْرَانِ؛ لِأَنَّهُ مَدَابِرٌ لَهَا، وَالثُّرَيَّا أَنْجَمٌ مَجْتَمِعَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ مَعْرُوفَةٌ، يَخْلُفُهَا وَيَتَلُوهَا نَجْمٌ أَحْمَرٌ لَيْسَ بِالْكَبِيرِ لَكِنْ لَوْنُهُ أَحْمَرٌ يُسَمَّى الذَّبْرَانِ يَسِيرُ عَلَى آثَارِهَا دَبْرَانِهَا فَلَا هُوَ مَسْبُوقٌ وَلَا هُوَ لَاحِقٌ يَخَاطَبُ الثُّرَيَّا يَقُولُ:

يَسِيرُ عَلَى آثَارِهَا دَبْرَانِهَا فَلَا هُوَ مَسْبُوقٌ وَلَا هُوَ لَاحِقٌ^(١)

(١) البيت لذي الرُّمَّة، كما في لسان العرب، مادة: «دفع».

إِذْنِ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ؛ لِأَنَّ الذَّبْرَانَ مِنْ نَجُومِ الصَّيْفِ، وَالسَّعْدَ مِنْ نَجُومِ الشُّتَاءِ، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ، فَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ.
ثُمَّ ذَكَرَ وَجْهَ الْفَرْقِ فَقَالَ:

٤١٦٤- فَإِذَا دَعَوْنَا لِلْقُرْآنِ دَعْوَتُكُمْ لِلرَّأْيِ أَيْنَ الرَّأْيِ مِنْ قُرْآنِ قَوْلِهِ: «فَإِذَا دَعَوْنَا لِلْقُرْآنِ دَعْوَتُكُمْ لِلرَّأْيِ» وَهَذَا فَرْقٌ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «أَيْنَ الرَّأْيِ مِنْ قُرْآنٍ؟!»، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ.

٤١٦٥- وَإِذَا دَعَوْنَا لِلْحَدِيثِ دَعْوَتُكُمْ أَنْتُمْ إِلَى تَقْلِيدِ قَوْلِ فُلَانٍ

نحن نقول: تعالوا إلى حديث الرسول ﷺ نقلده، وهم يقولون: لا، تعالوا إلى قول الشيخ فلان نقلده، وهذا فرق أيضا، إذن يجب على الإنسان أن يستغني بالكتاب والسنة عن تقليد الرجال والآراء؛ لأننا سنسأل يوم القيامة: ﴿مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، لكن إذا كان الإنسان لا يستطيع هذا بنفسه ففرضه التقليد؛ لقول الله تعالى: ﴿فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وما أحسن ما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إِنَّ التَّقْلِيدَ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ»^(١)، وَأَكْلُ الْمَيْتَةِ لِلضَّرُورَةِ جَائِزٌ، وَأَمَّا مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يُدْرِكَ الْحَقَّ بِنَفْسِهِ مِنْ أَصُولِهِ «الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ» فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ التَّقْلِيدُ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَحْتَجَّ بِقَوْلِ مَنْ يُقَلِّدُهُ النَّاسُ.

٤١٦٦- وَكَذَا تَلَقَّيْنَا نُصُوصَ نَبِيِّنَا بِقَبُولِهَا بِالْحَقِّ وَالْإِذْعَانَ

يعني: تلقينا النصوص بالقبول بدون رفض، وبالإذعان؛ أي: بالانقياد التام لها تصديقا بأخبارها وعملا بأحكامها.

(١) انظر: رفع الملام عن الأئمة الأعلام (ص: ٦).

٤١٦٧- مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا جَحْدٍ وَلَا تَفْوِيضٍ ذِي جَهْلٍ بِلا عِرْفَانٍ
قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا جَحْدٍ لَا تَفْوِيضٍ» هذه ثلاثُ طرقٍ يسلكُها أهلُ
البدع.

وقَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ» فهم يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه، مثاله: يقولون
معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢] «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»، وهذا
تحريفٌ، ويقولون معنى قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: «بل نعمتاه
مبسوطتان»، وهذا تحريفٌ.

قَوْلُهُ: «وَلَا جَحْدٍ»؛ أي: إنكارٍ، والمَحْرَفُ مُنْكَرٌ للمعنى المراد مُدَّعٍ لغيره،
فقد جمع بين أمرين: بين جحدِ المرادِ ودعوى غير المراد، فمثلاً يقولُ في قوله تعالى:
﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] ليس المرادُ بهما اليدين الحقيقيَّتين، بل: التَّعْمَتَانِ،
فهو جَحَدَ المعنى الأوَّلِ، وادَّعَى معنى آخَرَ، فجمع بين أمرين كلاهما غيرُ مقبولٍ.

قَوْلُهُ: «وَلَا تَفْوِيضٍ» وما أدراك ما التَّفْوِيضُ؟ التَّفْوِيضُ الذي زَعَمَ الْجُهَّالُ أَنَّهُ
مذهبُ السَّلَفِ، قالوا: أهلُ السُّنَّةِ انقَسَمُوا إلى قِسْمين: مؤوَّلَةٌ ومفوضَةٌ، المؤوَّلَةُ؛
يعني: المَحْرَفَةُ، والمفوضَةٌ؛ يعني: الذين إذا قيل لهم: ما معنى قولِ الله: ﴿أَسْتَوَى عَلَى
الْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]؟ قالوا: اللهُ أَعْلَمُ، ما معنى ﴿لَمَّا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]؟ قالوا: اللهُ
أَعْلَمُ، ما معنى ﴿وَبَعَثْنَا وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧]؟ قالوا: اللهُ أَعْلَمُ، ما معنى قولِ الرَّسُولِ
ﷺ: «يُنزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١)؟ قالوا: اللهُ أَعْلَمُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم:
كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه، رقم
(٧٥٨).

ف عند أهل التّفويضِ الأنبياءُ يتكلّمون بالكلامِ من صِفاتِ الله لا يعلمون معناه، سبحانه الله! هل أحدٌ عاقلٌ يتكلّمُ بكلامٍ لا يعرفُ معناه؟! الجوابُ: أبدًا، هم يَرَوْنَ الأنبياءَ فيما يتعلّقُ بالصّفاتِ يتكلّمون بكلامٍ لا يدرون ما معناه، يقولون: حتّى الرّسول لا يدري معنى ما يقول، فهؤلاء المفوّضةُ ادّعى الجهالُ بمذهبِ السّلفِ أنّ هذا هو مذهبُ السّلفِ.

والإشكالُ أنّ هذا الكلامَ يُنقلُ حتّى في كُتبِ العلماءِ المشهورين مثل: «شرح مسلم للنوّوي»، وغيره، يقولون: إنّ مذهبَ أهلِ السّنةِ والجماعةِ هو تفويضُ المعنى، مع الأسفِ! ولهذا جاؤوا بالعبارةِ الكاذبةِ المتناقضةِ، وهي قولهم: «طريقةُ السّلفِ أسلمٌ، وطريقةُ الخلفِ أعلمٌ وأحكمٌ»، قالوا: «أسلمٌ»؛ لأنّهم يقولون: نفوّضُ المعنى ولا نتكلّمُ فيه، وهل هذا سلامةٌ؟! الجوابُ: لا، بل هذا هو العطبُ، ولا شكَّ أنّ هذا كذبٌ على السّلفِ أو جهلٌ بحقيقةِ مذهبهم، فالسّلفُ لا يُفوّضون المعنى أبدًا، بل يثبتونه ويقرّرونه ويفصّلون فيه، نعم هم يجهلون الكيفيّةِ والحقيقةِ، وقد قال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميّةٍ -رحمه الله- في كتابه: «درءُ تعارضِ العقْلِ والنقلِ» قال: «إنّ قولَ أهلِ التّفويضِ من شرِّ أقوالِ أهلِ البدعِ والإلحادِ»^(١)؛ إذ كيف يدّعي مُدّعٍ أنّ هذا مذهبُ السّلفِ، وقال: «إنّ هذا المذهبُ هو الذي فتح الأبوابَ للفلاسفةِ والملاحدةِ»^(٢)؛ لأنّ الفلاسفةَ والملاحدةَ يثبتون للنصوصِ معانيَ لكن على أهوائهم، ومن يثبتُ المعنى خيرٌ من الأمّيِّ الذي لا يدري عن المعنى، فالذي يثبتُ المعنى يكونُ عنده علمٌ أكثرُ من الذي لا يثبتُ المعنى، وإن كان علمه مبنياً على باطلٍ، لكن الكلامَ الذي يجعلُ للألفاظِ رُوحاً خيرٌ ممّن لا يدري ما هي.

(١) درء تعارض العقول والنقل (١/ ٢٠٥).

(٢) المصدر السابق.

المهمُّ: أنَّ هؤلاء المخالفين لمذهبِ السلفِ يتولَّون النُّصوصَ على وجهِ التحريفِ والجدِّ والتفويضِ؛ ولهذا قال: «تفويضِ ذي جهلٍ بلا عرفانٍ»، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٌّ﴾ [البقرة: ٧٨]، لكن ينبغي أن يُعلِّمَ أنَّ بعضَ هؤلاء الذين يحرفون الصِّفاتِ يظنون أن هذا هو الحقُّ ونحن نعرفُ أنَّ لهم نيةً طيبةً، وأثمَّ من خلَّص المؤمنين، فلا نكفرهم هل يستطيعُ أحدٌ أن يكفِّرَ مثل النُّويِّ أو ابن حجرٍ في بعضِ كلامه؟ لا يمكنُ هذا.

٤١٦٨- لَكِنْ بِإِعْرَاضٍ وَتَجْهِيلٍ وَتَأْوِيلٍ وَتَلَقُّيْتُمْ مَعَ النُّكْرَانِ

يعني: نحن تلقينا النُّصوصَ بالقبولِ والإذعانِ، وأنتم تلقيتموها بالإعراضِ والتجھيلِ والتأويلِ، تلقيتُم ذلك مع النُّكرانِ.

٤١٦٩- أَنْكَرْتُمُوهَا جُهْدَكُمْ فَإِذَا أَتَى مَا لَا سَبِيلَ لَهُ إِلَى نُكْرَانِ

٤١٧٠- أَعْرَضْتُمْ عَنْهُ وَلَمْ تَسْتَنْبِطُوا مِنْهُ هُدًى لِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

يعني: إذا أتاهم ما لا طاقة لهم برده أعرضوا عنه، وقالوا: لا نتكلَّم بهذا، دعنا من هذا الكلام.

٤١٧١- فَإِذَا ابْتُلِيْتُمْ مُكْرَهِينَ بِسَمْعِهَا فَوَضَّعْتُمُوهَا لَا عَلَى الْعِرْفَانِ

يعني: إذا ابتليتم وألزمتم بالقولِ بها قلتُم إذنُ نقولُ بها، ولكن نفوضُ المعنى، فلا نتكلَّم في المعنى إطلاقاً، بل نقولُ: الله أعلمُ.

٤١٧٢- لَكِنْ بِجَهْلٍ لِلَّذِي سَيَقَتْ لَهُ تَفْوِيضِ إِعْرَاضٍ وَجَهْلٍ مَعَانِي

يعني: هم لو تأملوها لوجدوا لها معنى، لكن هم يُعْرِضُونَ، ويقولون:

الله أعلم، كما لو سألك سائل وأنت تكره الإجابة فإنك تقول: «دعني، الله أعلم»، هم هكذا يقولون، إذا أحد أكرههم على الإجابة لجؤوا إلى هذا.

٤١٧٣- فَإِذَا ابْتُلِيتُمْ بِاِحْتِجَاجِ خُصُومِكُمْ أَوْلَيْتُمُوهَا دَفْعَ ذِي صَوْلَانٍ
بماذا؟ بالصُّراخ والشُّكَاية والتَّشْوِيهِ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ، يَصُولُونَ صَوْلًا،
وَلَا يَرُدُّونَ بِحَقٍّ.

٤١٧٤- فَالْجَحْدُ وَالْإِعْرَاضُ وَالتَّأْوِيلُ وَالتَّجْهِيلُ حَظُّ النَّصِّ عِنْدَ الْجَانِي

٤١٧٥- لَكِنْ لَدَيْنَا حَظُّهُ التَّسْلِيمُ مَعَ حُسْنِ الْقَبُولِ وَفَهْمِ ذِي الْإِحْسَانِ

هذه طريقتهم؛ إمَّا الإِعْرَاضُ، وَإِمَّا التَّأْوِيلُ الَّذِي هُوَ التَّحْرِيفُ، وَإِمَّا التَّجْهِيلُ، حَتَّى إِتْمَمَ يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَقُولُ كَلَامًا وَهُوَ لَا يَعْرِفُ مَعْنَاهُ، يَقُولُونَ: إِنَّ الرَّسُولَ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا»^(١) وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا مَعْنَى النُّزُولِ؟ -نَسَأَلَ اللَّهُ الْعَافِيَةَ- وَهَلْ أَشَدُّ قَدْحًا مِنْ هَذَا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلَامِ وَلَا يَدْرِي مَا مَعْنَاهُ؟! وَأَيْضًا لَا يَدْرِي مَا مَعْنَاهُ فِي أَعْظَمِ الْأُمُورِ وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ!؟

إِذْ ظَهَرَ الْفَرْقُ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ، وَأَنَّ بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّعْدِ وَالذَّبْرَانِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١١٤٥)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب التَّغْيِيبِ فِي الدَّعَاءِ وَالتَّذَكُّرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةُ فِيهِ، رَقْم (٧٥٨).

فصل

فِي التَّفَاوُتِ بَيْنَ حَظِّ الْمُتَّبِعِينَ وَالْمُعْطِينَ مِنْ وَحْيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

- ٤١٧٦- وَلَنَا الْحَقِيقَةُ مِنْ كَلَامِ إِلَهِنَا
وَنَصِييُكُمْ مِنْهُ الْمَجَازُ الثَّانِي
٤١٧٧- وَقَوَاعِدُ الْوَحْيَيْنِ شَاهِدَةٌ لَنَا
وَعَلَيْكُمْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَمْرَانِ
٤١٧٨- وَأَدَلَّةُ الْمَعْقُولِ شَاهِدَةٌ لَنَا
أَيْضًا فَقَاضُونَا إِلَى الْبُرْهَانِ
٤١٧٩- وَكَذَلِكَ فِطْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ شَا
هِدَةٌ لَنَا أَيْضًا شُهُودَ بَيَانِ
٤١٨٠- وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالْأَلْي
تَبِعُوهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ
٤١٨١- وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الْأُمَّةِ بَعْدَهُمْ
هَذَا كَلَامُهُمْ بِكُلِّ مَكَانِ
٤١٨٢- هَذِي الشُّهُودُ فَهَلْ لَدَيْكُمْ أَنْتُمْ
مَنْ شَاهِدِ بِالنَّفْيِ وَالنُّكْرَانِ
٤١٨٣- وَجُنُودُنَا مَنْ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ
وَجُنُودُكُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ
٤١٨٤- وَخِيَامُنَا مَضْرُوبَةٌ بِمَشَاعِرِ ال
وَحْيَيْنِ مِنْ خَبْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
٤١٨٥- وَخِيَامُكُمْ مَضْرُوبَةٌ بِالنِّيهِ فَالْس
سُكَّانِ كُلِّ مُلَدِّ حَيْرَانِ
٤١٨٦- هَذِي شَهَادَتُهُمْ عَلَى مَحْضُولِهِمْ
عِنْدَ الْمَمَاتِ وَقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ
٤١٨٧- وَاللَّهُ يُشْهَدُ أَنَّهُمْ أَيْضًا كَذَا
تَكْفِي شَهَادَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِي التَّفَاوُتِ بَيْنَ حَظِّ الْمَثْبُتِينَ وَالْمُعْطَلِينَ مِنْ وَحْيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ»؛
يعني: أينا أحظُّهم أو نحن؟ ننظر، قال رحمه الله:

٤١٧٦- وَلَنَا الْحَقِيقَةُ مِنْ كَلَامِ إِلَهِنَا وَنَصِييُكُمْ مِنْهُ الْمَجَازُ الثَّانِي
نحن نحملُ كلامَ الله على الحقيقة، وهم يحملونه على المجاز، مثال ذلك قولُ
الله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، فهذا نحمله على الحقيقة وأَنَّهُ مجيءٌ حقيقيٌّ،
وهم يحملونه على أَنَّهُ مجازٌ عن مجيءِ أمره.

ومثله أيضًا قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، فنحن نحملُ ذلك
على الحقيقة، فهو له يدٌ حقيقة، وهم يقولون: لا، ليس له يدٌ حقيقة، ولكنها مجازٌ
عن النعمة، إذْ نحنُ حظنا من القرآنِ الحقيقةَ وحظُّهم المجازُ، هذا واحدٌ.

٤١٧٧- وَقَوَاعِصُ الْوَحْيَيْنِ شَاهِدَةٌ لَنَا وَعَلَيْكُمْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَمْرَانِ
قَوْلُهُ: «وَقَوَاعِصُ الْوَحْيَيْنِ شَاهِدَةٌ لَنَا وَعَلَيْكُمْ» وهذا فرقٌ، فقواعصُ
الْوَحْيَيْنِ «الكتاب والسنة» أدلُّتها قاطعةٌ شاهدةٌ لنا، أمَّا بالنسبةِ لكم فهي شاهدةٌ
عليكم.

قَوْلُهُ: «هَلْ يَسْتَوِي الْأَمْرَانِ؟» الجوابُ: لا يستويان.

٤١٧٨- وَأَدْلَةُ الْمَعْقُولِ شَاهِدَةٌ لَنَا أَيْضًا فَقَاضُونَا إِلَى الْبُرْهَانِ
أيضًا الأدلةُ العقليةُ تحكُّمُ لنا وتشهدُ لنا، وإذا كنتم صادقين فقاضونا، تعالوا
نتقاضى نحن وإياكم إلى الأدلةِ العقليةِ.

٤١٧٩- وَكَذَلِكَ فِطْرَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ شَا هِدَّةٌ لَنَا أَيُّضًا شُهُودَ بَيَانَ

الفطرة تشهد بما نقول، ولا تشهد لكم، ونظير لهذا علو الله عز وجل هم ينكرونه، فمتقدمو الجهمية يقولون: إن الله في كل مكان؛ في المسجد، في السوق، في المطعم، ولو كانوا يشربون الدخان وكل شيء، فالله في كل مكان، بل في أقدر من ذلك والعياذ بالله، فالله فيه هو نفسه، أما المتأخرون منهم فقالوا: هذا غير معقول، هذا مُنْكَرٌ، ولكن الصواب أن الله ليس فوق العالم ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله، ولا متصلًا ولا منفصلًا، ولا داخل العالم ولا خارج العالم، إذن هو عَدَمٌ مُحَضٌّ كما قال محمود بن سبكتكين رحمه الله لما قال: «صِفْ لَنَا رَبَّنَا»، قال: هو لا داخل العالم ولا خارجه... إلى آخره من هذا النفي، فقال: والله ما تصفُ العدمَ بأحسن من هذا الوصف، هذا هو العدم.

لكن نحن نقول: الله عز وجل فوق كل شيء، لو أن الإنسان لم يقرأ أي كتاب في العلو أين يطلبُ ربّه؟ الجواب: في العلو، بمقتضى الفطرة السليمة يطلبه في العلو، وإذا قال: «يا رب» لا يمكن إلا إلى السماء، وإذا جودُوا وقيل لهم: أنتم ترفعون أيديكم عند دعاء الله، قالوا: نعم، نرفع أيدينا؛ لأن السماء جهة قبلة الداعي، وليس لأن الله في السماء، أعوذ بالله، لكن كيف قبلة الداعي والمدعو تحت؟ كيف هذا؟ لكن نسأل الله العافية، إنه الجهل، إذن الشهود هي: الكتاب والسنة والعقل والفطرة.

٤١٨٠- وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ وَالْأَلِيِّ تَبِعُوهُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِحْسَانِ

الخامس والسادس: إجماع الصحابة والذين أتبعوهم بالعلم والإحسان.

٤١٨١- وَكَذَلِكَ إِجْمَاعُ الْأَئِمَّةِ بَعْدَهُمْ هَذَا كَلَامُهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ

قَوْلُهُ: «بَعْدَهُمْ»؛ أي: بعد التابعين، إِذْ ذَنْ السَّابِعُ: إِجْمَاعُ الْأَئِمَّةِ بَعْدَ التَّابِعِينَ، فصارت الآن الأدلة سبعة.

٤١٨٢- هَذِي الشُّهُودُ فَهَلْ لَدَيْكُمْ أَنْتُمْ مِنْ شَاهِدٍ بِالنَّفْيِ وَالنُّكْرَانِ

إِذْ ذَنْ كُلُّ هَذِهِ شَاهِدَةٌ لَنَا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وليس عندهم واحدٌ منها.

هل أحدٌ يشهد لكم بالطريقة التي أنتم عليها النفي والنكران؟

الجواب: لا.

٤١٨٣- وَجُنُودُنَا مَنْ قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ وَجُنُودُكُمْ فَعَسَاكِرُ الشَّيْطَانِ

وفرق، فجنودنا الأنبياء والصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان والأئمة،

أما جنودكم فعساكر الشيطان من فلاسفة اليونان والمناطق وغيرهم.

٤١٨٤- وَخِيَامُنَا مَضْرُوبَةٌ بِمَشَاعِرِ الْوَحْيَيْنِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ

خيامنا مضروبة بالمشاعر المقدسة، وهي مشاعر الوحيين من الخير ومن

القرآن، والخبر عن الرسول، والقرآن كلام الله، وقدم الخبر على القرآن في الذكر

من أجل القافية.

٤١٨٥- وَخِيَامُكُمْ مَضْرُوبَةٌ بِالتِّيهِ فَالْسُّ سُكَّانٍ كُلُّ مُلَدِّ حَيْرَانَ

قَوْلُهُ: «وَخِيَامُكُمْ مَضْرُوبَةٌ بِالتِّيهِ» التيه مكان معلوم.

فهي مضروبة بمكان لا يُدرى عنه ولا تُقصد ولا يُتفَعُّ بها، والعياذُ بالله.

٤١٨٦- هَذِي شَهَادَتُهُمْ عَلَى مَحْضُولِهِمْ عِنْدَ الْمَمَاتِ وَقَوْلِهِمْ بِلِسَانِ

يقولون: علماء الكلام هم أشدُّ النَّاسِ شَكًّا عند المماتِ، والعياذُ بالله! لأنهم ما بَنَوْا على عقيدة، وعند المماتِ مَنْ وَفَّقَ مِنْهُمْ رَجَعَ، وقال: «أموتُ على عقيدةِ أُمِّي»؛ أي: على عقيدةِ أُمِّه التي ما تعلَّمت، ويقولُ بعضهم: «أموتُ على عقائدِ عجائزِ نيسابور»؛ لأنَّ كُلَّ حَيَاتِهِ التي أمضاها لم يَسْتَفِدْ شيئاً إلا كما قال كبارهم: لَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمُرِنَا سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قِبَلَ وَقَالُوا^(١)

٤١٨٧- وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ أَيْضًا كَذَّابًا تَكْفِي شَهَادَةُ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [١٢٤] قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا [١٢٥] قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْسِيكَ [طه: ١٢٤-١٢٦]، وَأظُنُّ أَنَّ الْفَرْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّلَفِ وَاضِحٌ جَدًّا، فَأَدْلَةٌ هَؤُلَاءِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَمِنْ سُنَّةِ رَسُولِهِ وَإِجْمَاعِ أَهْلِ الْخَيْرِ، وَأَمَّا هَؤُلَاءِ فَبِالْعَكْسِ.

٤١٨٨- وَلَنَا الْمَسَانِدُ وَالصَّحَاحُ وَهَذِهِ السُّنَنُ الَّتِي نَابَتْ عَنِ الْقُرْآنِ

٤١٨٩- وَلَكُمْ تَصَانِيفُ الْكَلَامِ وَهَذِهِ الْآرَاءُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْهَدْيَانِ

٤١٩٠- شُبَّةٌ يُكْسَرُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَبِيرٌ مِنْ زُجَاجٍ خَرَّ لِلأَرْكَانِ

٤١٩١- هَلْ لَمْ شَيْءٌ غَيْرُ رَأْيِي أَوْ كَلَامِي بَاطِلٌ أَوْ مَنْطِقُ الْيُونَانِ

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (ص: ١٧٧).

- ٤١٩٢- وَنَقُولُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ فِي كُلِّ تَضْيِيفٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
 ٤١٩٣- لَكِنْ تَقُولُوا قَالَ أَرِسْطُو وَقَالَ ابْنُ الْحَطِيبِ وَقَالَ ذُو الْعِرْفَانِ
 ٤١٩٤- شَيْخٌ لَكُمْ يُدْعَى ابْنُ سِينَا لَمْ يَكُنْ مُتَقَيِّدًا بِاللَّدِينِ وَالْإِيمَانِ
 ٤١٩٥- وَخِيَارٌ مَا تَأْتُونَ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ يُوتَى وَتَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ
 ٤١٩٦- فَالْأَشْعَرِيُّ مُقَرَّرٌ لِعُلُوِّ رَبِّهِ بِ الْعَرْشِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 ٤١٩٧- فِي غَايَةِ التَّقْرِيرِ بِالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ ثُمَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
 ٤١٩٨- هَذَا وَنَحْنُ فَتَارِكُو الْأَرَءِ لِلذُّنُوقِ الصَّحِيحِ وَمُحْكَمِ الْفُرْقَانِ
 ٤١٩٩- لَكِنَّكُمْ بِالْعَكْسِ قَدْ صَرَّحْتُمْ وَوَضَعْتُمُ الْقَانُونَ ذَا الْبُهْتَانِ
 ٤٢٠٠- وَالنَّفْيُ عِنْدَكُمْ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْإِثْبَاتِ إِجْمَالًا بِلَا نُكْرَانَ
 ٤٢٠١- وَالْمُثْبِتُونَ طَرِيقَهُمْ نَفْيٌ عَلَى الْإِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ بِالتَّبْيَانِ
 ٤٢٠٢- فَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ مَعَ مَنْ مِنْكُمْ وَشَهَادَةَ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

الشرح

- ٤١٨٨- وَلَنَا الْمَسَانِدُ وَالصَّحَاحُ وَهَذِهِ السُّنَنُ وَسُنَنُ النَّبِيِّ نَابَتْ عَنِ الْقُرْآنِ
 قَوْلُهُ: «وَلَنَا الْمَسَانِدُ وَالصَّحَاحُ وَهَذِهِ السُّنَنُ»؛ يعني: لنا أدلة، و«المساند» جمع
 «مسند» مثل مسند الإمام أحمد، و«الصَّحَاحُ» جمع «صحيح» كالبخاري، و«السُّنَنُ»
 جمع سُنَّة، والمرادُ بها سننُ النَّسَائِيِّ وأبي داود، وما أشبه ذلك.

يعني: أدلّتنا من سنن الرسول -عليه الصلاة والسلام- الموجودة في المسانيد والصّحاح والسّنن.

قوله: «نابت عن القرآن»؛ يعني: أنّها تأتي بالتفصيل فيما يجيء به القرآن إجمالاً، وربّما تأتي بحكم مُستقل لا يوجد في القرآن، لكن هذا الحكم المستقل الذي لم يوجد في القرآن قد أرشد القرآن إلى قبوله في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله: ﴿وَمَا ءَانَكُمْ الرَّسُولُ فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ [الحشر: ٧]، وهذه الآية وإن كانت واردة في الفية فإنه إذا كان يجب قبول ما آتاه من الفية، وما نهى عنه من الفية يجب الانتهاء عنه، فما جاء منه تشريعاً فهو من باب أولى.

على كلّ حال السنة تنوب عن القرآن فيما يحتاج إلى تفصيل أو ما أشبه ذلك.

٤١٨٩- وَلَكُمْ تَصَانِيفُ الْكَلَامِ وَهَذِهِ الـ آراءٌ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الـهَدْيَانِ
ففرق بين هذا وهذا بلا شك.

٤١٩٠- شُبَّةٌ يَكْسُرُ بَعْضُهَا بَعْضًا كَبَيِّتٍ مِنْ زُجَاجٍ خَرَّ لِلْأَرْكَانِ

يعني: الذي عندكم شبة يكسر بعضها بعضاً؛ ولهذا تجدهم متناقضين، بل تجد الواحد منهم يؤلف كتباً يتناقض فيها، وهذا البيت أخذه المؤلف من بيت سابق ذكره الخطابي يقول:

حُجَجٌ تَهَافَّتْ كَالزُّجَاجِ تَخَالَفَهَا حَقًّا وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ^(١)

(١) انظر: غاية الأمان في الرد على النبهاني (٢/٢٢٨).

يعني: حُجِّجَ أهل الكلام كهذا البيت، فحججهم تتهافتُ مثل الزجاجِ
تظنُّها حقًا، وكُلُّ يكسرُ الآخر.

٤١٩١- هَلْ تَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ رَأْيٍ أَوْ كَلَامٍ بَاطِلٍ أَوْ مَنْطِقِ الْيُونَانِ
الجواب: لا، أمَّا نحن فنقول:

٤١٩٢- وَنَقُولُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ فِي كُلِّ تَصْنِيفٍ وَكُلِّ مَكَانٍ
يعني: نبي أقالنا على قول الله ورسوله.

٤١٩٣- لَكِنْ تَقُولُوا قَالَ أَرِسْطُو وَقَالَ ابْنُ الْخَطِيبِ وَقَالَ ذُو الْعِرْفَانِ

٤١٩٤- شَيْخٌ لَكُمْ يُدْعَى ابْنَ سِينَا لَمْ يَكُنْ مُتَقَيِّدًا بِالدِّينِ وَالْإِيمَانِ

هذه أشياخهم، فلاسفةٌ ملاحدةٌ لا يتقيّدون بإيمانٍ ولا يتقيّدون بدين، وهذا
بيتٌ من عدّة أبياتٍ يُصرّحُ ابنُ القيمِ وكذلك شيخه بأنَّ ابنَ سينا كافرٌ خارجٌ من
الدِّينِ، وإن كان عند بعضِ المثقّفين يُرى أنّه مؤمنٌ، ولكننا نقول: إنّه طيبٌ جيّدٌ
في الطّبِّ، ولكنه فيما يتعلّق بالأديانِ نرى أنّ النّاقلين عنه الكفرَ كشيخ الإسلامِ
وتلميذه وغيرهما نرى أنّهم ثقّاتٌ، وأنّ شهادتهم عليه مقبولةٌ، وكذلك الأصلُ
عدمُ رُجوعه إلى الإسلامِ، أمّا أبو الحسن الأشعريُّ فكان على مذهبِ المعتزلةِ، ثمَّ
كان وسطًا بين المعتزلةِ وأهلِ السُّنّةِ، ثمَّ كان من أهلِ السُّنّةِ، فهذا رجوعٌ وصرّح
بُرجوعه، فهل هؤلاء القومُ كابن سينا وغيره صرّحوا بـُرجوعهم؟ الأصلُ عدمُ
الرُّجوعِ، وأمّا ما روي عنه من نظمٍ أو كلامٍ له بأنّه رجوعٌ، فإنّه يُنظرُ في صحّةِ
إثباتِ هذا النّظمِ له، وأين من رواها؟ حدّثنا فلانٌ عن فلانٍ عن فلانٍ حتّى يصلَ
إليه؛ لأنّه ربّما يقولُ هذه القصيدةَ من يدّعي أنّه رجوعٌ.

٤١٩٥- وَخِيَارُ مَا تَأْتُونَ قَالَ الْأَشْعَرِيُّ يُّ وَتَشْهَدُونَ عَلَيْهِ بِالْبُهْتَانِ

هذا خيار ما تأتون به أن تضيفوا أقوالكم إلى الأشعري، ومع ذلك تقولون عليه بالبهتان، تكذبون عليه؛ لأن أبا الحسن الأشعري كان في أوّل عمره على مذهب المعتزلة، بقي على هذا أربعين سنة يُعطلّ الصّفات، وله أيضًا آراء في الإيمان والقدر وما أشبهها، ثمّ اتّصل بعبد الله بن سعيد بن كلاب، فعرف منه بعض الشّيء المخالف لمذهب المعتزلة، فاعتنقه وخالفه في بعض الأمور، وخرَجَ ذات يومٍ في يوم الجمعة، وكان له كرسيٌّ يتكلّم منه بعد صلاة الجمعة، فوضَعَ عمامته فقال: «مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي، وَمَنْ لَمْ يَعْرِفَنِي فَأَنَا أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ».

انظر إلى العلماء الأوّلين يصدعون بالحقّ، ثمّ قال: إنّه كان على مذهب المعتزلة، وأنا الآن أفرُّ ببطلانه وأنّه مذهب باطل، وجعل رحمه الله يُفنّده، ثمّ بعد مُدّة طالع كتب السلف وكتب أهل السنّة، وأعجبه مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - إمام أهل السنّة، وصنّف كتابه: «الإبانة عن أصول الديانة»، وصرّح بأنّه تابع للإمام أحمد ابن حنبل، وساق الأدلّة على إثبات الصّفات، وردّ على المعتزلة ردًّا بليغًا، وكتابه - والحمد لله - مشهور الآن ومعروف ومطبوع.

أصحابه الذين ينتمون إليه الآن تعلّقوا بأيّ زمنٍ من حاله؟ الجواب: بالأوسط، فصاروا بين مذهب المعتزلة ومذهب أهل السنّة، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

٤١٩٦- فَالْأَشْعَرِيُّ مُقَرَّرٌ لِعُلْوَرَبِّ بِ الْعَرْشِ فَوْقَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ

وأنتم أيّها المنتسبون إليه تقولون: لا، إن الله ليس عاليًا فوق كلّ شيء، بل علوه علو معنى وصفية، لا علو ذات.

٤١٩٧- في غَايَةِ التَّعْرِيرِ بِالْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ ثُمَّ بِفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ
 هذه أدلة العلو: المنقول وهو كتابٌ وسنةٌ، والمعقول، والفطرة، بقي دليل
 خامس هو الإجماع، فالقرآن مملوءٌ بذكرِ علوِّ الله عزَّ وجلَّ، فكثيرٌ من آياتِ القرآنِ
 فيها ذكرُ العلوِّ.

والسُّنَّةُ كذلك؛ فقد قرَّرَ النَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- علوَّ الله قولاً وفعلاً
 وإقراراً، فأقوالُ الرَّسُولِ كثيرةٌ جدًّا في إثباتِ علوِّ الله، ففي كُلِّ صلاةٍ يقولُ:
 «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»^(١)، وهذا تقريرٌ لعلوِّ الله، وبالفعلِ فَلَمَّا خَطَبَ الْأُمَّةَ يَوْمَ عَرَفَةَ
 وقرَّرهم بتبليغِهِ وقالوا: نشهدُ بأنَّكَ قد بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ قَالَ: «اللَّهُمَّ
 اشْهَدْ» يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ^(٢)، هذا تقريرٌ للعلوِّ بالفعلِ، وكان
 ﷺ ينتظرُ الوحيَ دائماً ويرفَعُ وجهَهُ إلى السَّمَاءِ، قال اللهُ تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ
 وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٤٤] ينتظرُ الوحيَ نازلاً من ربِّ السَّمَاءِ عزَّ وجلَّ.

أمَّا إقرارُهُ غيرَهُ فجاريةٌ معاوية بن الحكمِ دعاها النَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ
 وَالسَّلَامُ- وقال لها: «أَيَّنَ اللهُ؟» قَالَتْ: فِي السَّمَاءِ، جاريةٌ ما دَرَسَتْ ولا تَعَلَّمَتْ،
 لكن اهتدت لذلك بالفطرة، قالت: فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «أَعْتَقَهَا فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»^(٣).

هؤلاء يقولون: الذي يقول: إنَّ اللهَ فِي السَّمَاءِ كافرٌ؛ لأنَّ اللهَ فِي كُلِّ مكانٍ أو
 لأنَّ اللهَ لا فِي السَّمَاءِ ولا فِي الأرضِ ولا يمينٍ ولا يسارٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل، رقم (٧٧٢).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب الخطبة في منى، رقم (١٧٤١)، مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

وَيُذَكِّرُ أَنَّهُ قَالَ لِحَصِينِ أَبِي عَمْرَانَ بْنِ الْحَصِينِ: «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟» قَالَ: أَعْبُدُ سَبْعَةَ؛ سِتَّةً فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ، قَالَ: «فَأَيُّهُمْ تُعَدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ^(١)، وَهُوَ كَافِرٌ مُشْرِكٌ يَعْبُدُ سِتَّةَ آلِهَةٍ مَعَ اللَّهِ.

أَمَّا الْفِطْرَةُ فَلَا تَسْأَلُ، فَكُلُّ إِنْسَانٍ مَفْطُورٌ عَلَى عِلْوِ اللَّهِ، حَتَّىٰ إِنَّ أَبَا الْمَعَالِي الْجَوِينِيَّ -رَحِمَهُ اللَّهُ- كَانَ يُقَرِّرُ ذَاتَ يَوْمٍ -وَالْمَشَائِخُ الْكِبَارُ فِي عَهْدِهِمْ يُجْعَلُ لَهُمْ كِرَاسٍ يُدْرَسُونَ النَّاسَ عَمُومًا- كَانَ يُقَرِّرُ فَيَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- كَانَ، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَعَهُ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ»، وَهَذِهِ كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ فِي ظَاهِرِهَا، لَكِنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ يَنْكَرَ اسْتِوَاءَ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ، فَ«كَانَ»؛ أَيُّ: كَانَ وَلَا عَرْشٍ، وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ، إِذْ نُوِيَ لَا اسْتِوَاءَ عَلَى الْعَرْشِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمْدَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا شَيْخَ دَعْنَا مِنْ ذِكْرِ الْعَرْشِ، أَخْبِرْنَا عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ، مَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا اللَّهُ إِلَّا وَجَدَ مِنْ قَلْبِهِ ضَرُورَةً بِطَلَبِ الْعُلُوِّ»، فَقَامَ يَضْرِبُ عَلَى رَأْسِهِ يَصْرُخُ يَقُولُ: حَيْرَنِي الْهَمْدَانِيُّ حَيْرَنِي^(٢)؛ لِأَنَّ الْفِطْرَةَ لَا يُمْكِنُ أَنْكَارُهَا أَبَدًا.

وَيُذَكِّرُ أَنَّ سُلَيْمَانَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا مَنَعَ الْمَطْرَ عَنْهُمْ خَرَجَ ذَاتَ يَوْمٍ يَسْتَسْقِي بِالنَّاسِ فَمَرَّ بِالطَّرِيقِ عَلَى نَمْلَةٍ مُسْتَلْقِيَةٍ عَلَى ظَهْرِهَا رَافِعَةٌ قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ تَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنَّا خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِكَ لَيْسَ بِنَا غِنَى عَنْ سُقْيَاكَ وَرِزْقِكَ» -وهي نملة- فَقَالَ: «ارْجِعُوا فَقَدْ سُقَيْتُمْ بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ»^(٣)، اللَّهُ أَكْبَرُ! حَشْرَةٌ تَدْرِي أَيْنَ رَبُّهَا؛ وَهَذَا رَفَعَتْ قَوَائِمَهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَالْمُهْمُ أَنَّ هَذِهِ فِطْرَةٌ، حَتَّىٰ الْحَيَوَانَ مَفْطُورٌ عَلَيْهَا أَنَّ اللَّهَ فِي السَّمَاءِ.

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢٧٧/١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٢١/٤، رقم ١١٨٤).

(٢) انظر: العرش للذهبي (١٥٣/١)، والعلو له (٢٥٩/١)، وغاية الأمان (٥٧١/١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الصديق الناجي (٢٨٥٨/٩، رقم ١٦٢٠٣).

أما الإجماع، فيقول شيخ الإسلام: إن الصحابة والسلف مجمعون على أن الله في العلو، يقول: والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما وجدت أحدا منهم قال: إن الله ليس في السماء، ولا إن الله ليس على العرش، ولا إنه لا داخل العالم ولا خارجه، وشيخ الإسلام كما هو معلوم في سعة العلم والاطلاع والأمانة، يقول: «ما وجدت أحدا صرح بنفي ذلك».

فصارت الأدلة على علو الله: الكتاب، والسنة، والإجماع، والعقل، والفطرة.

لكن كيف دلّ العقل على علو الله؟

نقول: من المعلوم أن العلوّ صفة كمال، كل يعرف ذلك، وإذا كان العلوّ صفة كمال لزم أن يكون الله متصفاً به هذا أولاً، ثانياً: ولأن السُلطة التامة لا تكون إلا بالعلو؛ ولهذا إذا كان عدوك يأتيك من فوق لا تستطيع أن تقابله، فهو إذن من تمام سلطان الله عز وجل ومن كمال صفاته.

٤١٩٨- هَذَا وَنَحْنُ فَتَارِكُو الْأَرَءِ لِلنَّبِيِّ - نَقْلُ الصَّحِيحِ وَمُحْكَمِ الْفُرْقَانِ

قوله: «لِلنَّقْلِ الصَّحِيحِ»؛ أي: عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إذن مذهبنا تقديم النقل على العقل، ونرى أن النقل هو مصدر التلقي لا سيما فيما يتعلق بأساء الله وصفاته.

٤١٩٩- لَكِنَّا بِالْعَكْسِ قَدْ صَرَّحْتُمْ وَوَضَعْتُمُ الْقَانُونَ ذَا الْبُهْتَانِ

قوله: «بِالْعَكْسِ»؛ يعني: قدّمتم العقل على النقل، ولا حظوا أن العقل الذي قدّموه ليس عقلاً صريحاً؛ لأنه عقل مبني على الشبهات، أما العقل الصريح فلا يمكن أن يُخالف النقل الصحيح، ولا يمكن أن يُعارضه.

٤٢٠٠- وَالنَّفْيُ عِنْدَكُمْ عَلَى التَّفْصِيلِ وَالْ- إِثْبَاتِ إِجْمَالًا بِلَا نُكْرَانِ
 طريقة أهل التَّعْطِيلِ فِي الصِّفَاتِ النَّفْيِ؛ لئَلَّا يُشَبَّهُوا اللَّهَ بِالْمَوْجُودَاتِ إِنْ
 أَثْبَتُوا، يَقُولُونَ: اللَّهُ تَعَالَى لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ وَلَا سَمِيعٌ وَلَا بَصِيرٌ وَلَا
 أَعْمَى إِلَى آخِرِهِ، فَالْنَّفْيُ دَائِمًا، فَهَمْ لَا يُثْبِتُونَ، لِمَاذَا؟ قَالُوا: لِأَنَّ إِذَا أَثْبَتْنَا شَبَّهْنَاهُ
 بِالْمَوْجُودَاتِ فَنَنفِي، قَلْنَا لَهُمْ: إِذَا نَفَيْتُمْ شَبَّهْتُمُوهُ بِالْمَعْدُومَاتِ، فَوَقَعْتُمْ فِي شَرٍّ مِمَّا
 فَرَرْتُمْ مِنْهُ، فَجَاءَتْ طَائِفَةٌ ثَالِثَةٌ قَالَتْ: إِذَنْ نَسَلَّمُ مِنَ الْإِعْتِرَاضِ فَلَا نَصِفُهُ بِإِثْبَاتٍ
 وَلَا نَفْيٍ، فَلَا نَقُولُ: سَمِيعٌ، وَلَا نَقُولُ: غَيْرُ سَمِيعٍ، قَالُوا ذَلِكَ حَتَّى يَتَخَلَّصُوا مِنَ
 السَّلْفِ وَمِنَ الْمُعْطَلَةِ، قَلْنَا لَهُمْ: إِذَا قَلْتُمْ هَكَذَا شَبَّهْتُمُوهُ بِالْمَمْتَنَعَاتِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَوْجَدُ
 شَيْءٌ لَا مَوْجُودٌ وَلَا مَعْدُومٌ، وَلَا سَمِيعٌ وَلَا أَصْمٌ، وَلَا بَصِيرٌ وَلَا أَعْمَى، فَأَهْلُ
 التَّعْطِيلِ - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ - كُلُّهَا فَرُّوا مِنْ شَيْءٍ وَقَعُوا فِي شَرٍّ مِنْهُ.

٤٢٠١- وَالْمُثْبِتُونَ طَرِيقَهُمْ نَفْيٌ عَلَى الْ- إِجْمَالِ وَالتَّفْصِيلِ بِالتَّبْيَانِ
 المُثْبِتُونَ وَهَمُ السَّلْفُ وَأَتْبَاعُهُمْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، يُجْمَلُونَ فِي
 النَّفْيِ وَيُفْصَلُونَ فِي الْإِثْبَاتِ، وَذَلِكَ لِسَبَبَيْنِ:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: لِأَنَّ هَذَا طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ، فَكَمْ آيَةٌ ذَكَرَ اللَّهُ فِيهَا صِفَاتِ الْكَمَالِ
 عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ؟ الْجَوَابُ: كَثِيرٌ، تَكَادُ تَقُولُ: كُلُّ الْآيَاتِ أَوْ أَكْثَرُهَا كُلُّهَا تَفْصِيلٌ
 لَصِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهَمْ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ، عَلِيمٌ، عَزِيزٌ، حَكِيمٌ، سَلَامٌ،
 قُدُّوسٌ، ... إِلَى آخِرِهِ، وَكَمْ آيَةٌ ذَكَرَ فِيهَا النَّفْيَ إِجْمَالًا؟ الْجَوَابُ: قَلِيلٌ، تَعَدُّهَا
 بِالْأَصَابِعِ، مَا تَتَجَاوَزُ عَشْرَ آيَاتٍ إِلَّا فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَلُوْهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ فِيهَا كَثِيرَةٌ.

السَّبَبُ الثَّانِي: أَنَّ التَّفْصِيلَ فِي الْإِثْبَاتِ ثَنَاءٌ وَتَعْظِيمٌ عَلَى الْمُوصُوفِ، وَالتَّفْصِيلُ
 فِي النَّفْيِ قَدْحٌ وَعَيْبٌ وَاسْتِهْزَاءٌ بِالْمَوْصُوفِ، وَلنَضْرِبَ لَذَلِكَ مِثَالًا: هَذَا إِنْسَانٌ قَامَ

يمدح مَلِكًا أَمَامَهُ فقال: أنت الملك، الشجاع، المقدم، الكريم، الحليم، وصار يذكر من صفات الكمال ما يملأ الأوراق، وكلما ذَكَرَ صفة كمال انتفخ الملك وزاد حتى صار كالجبل العظيم من كثرة صفات الإثبات في المدح، فجاء مسكين يريد أن يُقَلِّدَ صاحب الإثبات ووقف أمام الملك فقال له: أيها الملك لست بكسّاح، ولا زبّال، ولا دمّال، ولا وحش، ولا حمار، ولا كلب، فإذا قال ذلك فإنَّ الملك يأمر به إلى السّجن؛ لأنَّ هذا ليس مدحًا له، بل هو ذمُّ له.

إِذْنُ التَّفْصِيلِ فِي النَّفْيِ حَكْمُهُ ذَمٌّ لِلْمَوْصُوفِ فِي الْحَقِيقَةِ، فَنَفْيُ الْمُجْمَلُونَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وكقوله: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]؛ ولهذا لم يذكر الله التّفصيل في النّفْيِ إِلَّا فِي مَسَائِلٍ قَلِيلَةٍ، إِمَّا لِإِبْطَالِ قَوْلِ مَنْ وَصَفَهُ بِهَذَا الْمُنْفِيِّ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلِّدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، وكقوله تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يَنْخِذْ وَلَدًا﴾ [الفرقان: ٢]، وإمَّا لِتَوْهْمِ نَقْصٍ فِي كِمَالِهِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ يَتَصَوَّرُ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ هَذِهِ السَّمَاوَاتِ الْعَظِيمَةَ وَالْأَرْضَ الْعَظِيمَةَ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لَا بُدَّ أَنْ يَتَعَبَّ فَقَالَ: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، وَرُبَّمَا يَتَجَرَّأُ الْعَاصِي عَلَى الْمَعْصِيَةِ وَيَقُولُ: لَعَلَّهُ يَعْصِي اللَّهَ فِي غَفْلَةٍ اللَّهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤]، وَرُبَّمَا يَقُولُ قَائِلٌ: السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ كُلُّهَا لَعْبٌ، حَيَاةٌ وَمَوْتٌ فَقَطْ، فَقَالَ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨]، فَالْحَاصِلُ أَنَّكَ لَا تَجِدُ نَفِيًّا فِي صِفَاتِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى سَبِيلِ التَّفْصِيلِ إِلَّا لِسَبَبٍ.

إِذْنُ طَرِيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ التَّفْصِيلِ فِي الْإِثْبَاتِ وَالْإِجْمَالِ فِي النَّفْيِ.

أما هؤلاء المعطلة فهم على العكس، فيقولون: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ليس داخل العالم ولا خارجَه، ولا متَّصلاً ولا منفصلاً، ولا مبيناً ولا محايثاً، إلى آخر ما يقولون من الكلام الطويل الذي هو تفصيلٌ في نفي ما يدَّعون أنه لا يصحُّ إلا لله عزَّ وجلَّ.

إِذَنْ طَرِيقُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ التَّفْصِيلُ فِي الْإِثْبَاتِ، وَالْإِجْمَالُ فِي النَّفْيِ، لَكِنْ هَلِ التَّفْصِيلُ فِي الْإِثْبَاتِ يَكُونُ أَمَامَ الْعَامَّةِ؟

نقول: هناك أشياء تُفَصَّلُ فيها؛ فمثلاً إذا قلت: «إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ»؛ أي أَنَّهُ - سبحانه وتعالى - يسمعُ كُلَّ شَيْءٍ، فَتُفَصَّلُ لَهُمْ، فَهَذَا طَيِّبٌ، لَكِنْ هُنَاكَ أَشْيَاءٌ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْأَحْسَنِ الْأَمْحَدِّتِ بِهَا، مِثْلَ لَوْ فَصَّلْتَ فِي يَدِ اللَّهِ أَوْ أَصَابِعِ اللَّهِ مِثْلًا، أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْعَامِّيَّ قَدْ لَا يَعْرِفُ هَذَا الشَّيْءَ، فَإِذَا خَفَتْ أَنْ يَفْهَمَ التَّمثِيلَ مِثْلًا فَهَذَا لَا يَحْسُنُ كَمَا قَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ...»^(١).

٤٢٠٢- فَتَدَبَّرُوا الْقُرْآنَ مَعَ مَنْ مِنْكُمْ وَشَهَادَةَ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

يعني: تَدَبَّرُوا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ ﷺ مَعَ مَنْ هُمَا؟ هَلِ هُمَا مَعَكُمْ أَيْهَا النَّفَاةُ أَوْ مَعَ الْمُثْبِتِينَ؟ إِذَا تَدَبَّرْنَا ذَلِكَ وَجَدْنَا أَنَّهَا مَعَ الْمُثْبِتِينَ، وَأَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ يُفَصَّلَانِ فِي الْإِثْبَاتِ وَيُجْمَلَانِ فِي النَّفْيِ، وَطَرِيقَةُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ التَّفْصِيلُ فِي النَّفْيِ وَالْإِجْمَالُ فِي الْإِثْبَاتِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، رقم (١٢٧).

- ٤٢٠٣- وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي
قَالَ الشُّيُوخُ وَمُحَكَّمِ الْفُرْقَانِ
- ٤٢٠٤- فَالْمُحَكَّمُ النَّصَّ الْمُوَافِقُ قَوْلَهُمْ
لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي الْأَذْهَانِ
- ٤٢٠٥- لَكِنَّمَا النَّصُّ الْمُخَالَفُ قَوْلَهُمْ
مُشَابِهٌ مُتَأَوَّلٌ بِمَعَانِي
- ٤٢٠٦- وَإِذَا تَأَدَّبْتُمْ تَقُولُوا مِشْكِلٌ
أَفْوَاضِحٌ يَا قَوْمُ رَأَيْ فُلَانِ
- ٤٢٠٧- وَاللَّهُ لَوْ كَانَ الْمُوَافِقَ لَمْ يَكُنْ
مُتَشَابِهًا مُتَأَوَّلًا بِلِسَانِ
- ٤٢٠٨- لَكِنْ عَرَضْنَا نَحْنُ أَقْوَالَ الشُّيُ
خِ عَلَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ
- ٤٢٠٩- مَا خَالَفَ النَّصِّينَ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ
شَيْئًا وَقُلْنَا حَسْبُنَا النَّصَّانِ
- ٤٢١٠- وَالْمِشْكِلُ الْقَوْلُ الْمُخَالَفُ عِنْدَنَا
فِي غَايَةِ الْإِشْكَالِ لَا التَّبْيَانِ

الشرح

- ٤٢٠٣- وَعَرَضْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ عَلَى الَّذِي
قَالَ الشُّيُوخُ وَمُحَكَّمِ الْفُرْقَانِ
- قَوْلُهُ: «وَمُحَكَّمِ الْفُرْقَانِ»؛ أَي: وعرضتم محكم القرآن أيضًا.
- والمعنى: تعرضون قول الله ورسوله على قول الشيوخ، فإن وافق قول
الشيوخ قبلتموه، وإن خالف قول الشيوخ رددتموه؛ ولهذا قال:
- ٤٢٠٤- فَالْمُحَكَّمُ النَّصَّ الْمُوَافِقُ قَوْلَهُمْ
لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ فِي الْأَذْهَانِ
- يعني: تجعلون النص الموافق لقولهم هو المحكم الذي لا يقبل التأويل، وهو
الواضح الذي لا يقبل الاشتباه.

٤٢٠٥- لَكَيْتَمَا النَّصَّ الْمُخَالِفُ قَوْلَهُمْ مُشَابَهُ مُتَأَوَّلٌ بِمَعَانِي

فطريقة هؤلاء أنهم يعرضون القرآن والسنة على ما قال الشيوخ، فإن وافق ما قال الشيوخ فهو محكم واضح لا يحتمل التأويل، وإن خالف فهو المتشابه القابل للتأويل، وتأويل هؤلاء المعطلة عندهم تأويل وعندنا تحريف؛ لأنه لا دليل عليه.

٤٢٠٦- وَإِذَا تَأَدَّبْتُمْ تَقُولُوا مُشْكِلٌ أَفَوَاضِحٌ يَا قَوْمُ رَأَيْ فُلَانٍ

يعني: إذا تأدبتم وأردتم أن تتكلموا بلباقة لا تقولوا: هذا متشابه، بل تقولوا: هذا مشكل، يقولون: المشكل: القرآن والسنة إذا خالفا آراء الرجال، والواضح آراء الرجال، فإذا تأدبوا قالوا: مشكل، أما إذا لم يتأدبوا قالوا: هذا متشابه، فأولوه حرفوه.

٤٢٠٧- وَاللَّهُ لَوْ كَانَ الْمُوَافِقَ لَمْ يَكُنْ مُتَشَابِهًا مُتَأَوَّلًا بِلِسَانِ

يعني: والله لو كان النص هو الموافق لقول الشيوخ لم يكن متشابهًا، بل كان محكمًا واضحًا.

٤٢٠٨- لَكِنْ عَرَضْنَا نَحْنُ أَقْوَالَ الشُّيُوخِ خِ عَلَى الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

وهذا طريق أهل السنة المثبتين، يعرضون أقوال الشيوخ على ما جاء به الوحيان.

٤٢٠٩- مَا خَالَفَ النَّصِّينَ لَمْ نَعْبَأْ بِهِ شَيْئًا وَقُلْنَا حَسْبُنَا النَّصَانِ

فما خالف النصين: الكتاب والسنة «لم نعبأ به شيئًا»؛ يعني: لم نبال به شيئًا، و«قلنا: حسبنا النصان»، ونعم الحسيب، و«حسبنا»؛ يعني: يكفيننا النصان عن آراء الرجال، هذا إذا خالفت آراء الرجال النصين.

٤٢١٠- وَالْمُشْكِلُ الْقَوْلُ الْمُخَالِفُ عِنْدَنَا فِي غَايَةِ الْإِشْكَالِ لَا التَّبْيَانِ
«المُشْكِلُ» أقوالُ الشيوخِ المخالفةُ للكتابِ والسُّنَّةِ، أمَّا الواضحُ عندنا فهو
دلالةُ الكتابِ والسُّنَّةِ.

٤٢١١- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى الـ آراءٍ عِنْدَكُمْ بِلا كِتْمَانٍ
٤٢١٢- لَكِن لَدَيْنَا ذَاكَ مَرْجِعُهُ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
٤٢١٣- وَالْكُفْرُ وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ خِلَافِهِ وَوَفَاقِهِ لَا غَيْرَ بِالْبُرْهَانِ
٤٢١٤- وَالْكُفْرُ عِنْدَكُمْ خِلَافُ شُيُوخِكُمْ وَوَفَاقُهُمْ فَحَقِيقَةُ الْإِيمَانِ
٤٢١٥- هَذِي سَبِيلُكُمْ وَتِلْكَ سَبِيلُنَا وَالْمَوْعِدُ الرَّحْمَنُ بَعْدَ زَمَانٍ
٤٢١٦- وَهُنَاكَ يُعْلَمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الـ حَقِّ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الدِّيَانِ
٤٢١٧- فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّهَا هِيَ سَاعَةٌ فَإِذَا أُصِيبَتْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
٤٢١٨- فَالْقَوْمُ مِثْلَكَ يَا لِمُونَ وَيَصْبِرُوا نَ وَصَبْرُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ

الشرح

٤٢١١- وَالْعَزْلُ وَالْإِبْقَاءُ مَرْجِعُهُ إِلَى الـ آراءٍ عِنْدَكُمْ بِلا كِتْمَانٍ
قَوْلُهُ: «العَزْلُ» هو الرَّدُّ.

قَوْلُهُ: «الإِبْقَاءُ»؛ يعني: القَبُولُ في كلامِ المؤلِّفِ.

فَالرَّدُّ وَالقَبُولُ مَرَجِعُهُ عِنْدَكُمْ إِلَى الآرَاءِ، فَمَا وَافَقَ آرَاءَ الشُّيُوخِ فَهُوَ مَقْبُولٌ، وَمَا خَالَفَهَا فَهُوَ مَرْدُودٌ، فَهُوَ يُبَيِّنُ أَنَّ المَرَجِعَ عِنْدَهُمْ آرَاءُ الرِّجَالِ، فَهِيَ الَّتِي تَعزَلُ أَوْ تُبْقِي.

٤٢١٢- لَكِن لَدَيْنَا ذَاكَ مَرَجِعُهُ إِلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ وَفَرَّقَ بَيْنَ هَذَا وَهَذَا، فَرَّقَ بَيْنَ مَنْ يَرْجِعُ فِي أُمُورِهِ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَبَيْنَ مَنْ يَرْجِعُ إِلَى آرَاءِ الرِّجَالِ.

٤٢١٣- وَالْكَفْرُ وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ خِلَافِهِ وَوِاقِعِهِ لَا غَيْرَ بِالْبُرْهَانِ قَوْلُهُ: «الْكَفْرُ وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ خِلَافِهِ وَوِاقِعِهِ» هَذَا لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرْتَّبٌ، فَالْكَفْرُ عَيْنُ خِلَافِهِ، وَالْإِسْلَامُ عَيْنُ وَاقِعِهِ، فَفِي الْبَيْتِ لَفٌّ وَنَشْرٌ مُرْتَّبٌ، ف: «عَيْنُ خِلَافِهِ» يَعُودُ إِلَى الْكَفْرِ، وَ«وَاقِعِهِ» يَعُودُ إِلَى الْإِسْلَامِ.

يعني: أَنَّ الْكَفْرَ عِنْدَنَا مَخَالَفَةُ النَّصِيِّينَ: الْقُرْآنِ وَقَوْلِ الرَّسُولِ، وَالْإِسْلَامَ مُوَافَقَتَهُمَا لَا غَيْرَ، فَمَنْ وَافَقَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ فَهُوَ مُسْلِمٌ، وَمَنْ خَالَفَهُمَا فَهُوَ كَافِرٌ، لَكِن الْكَفْرُ أَنْوَاعٌ.

٤٢١٤- وَالْكَفْرُ عِنْدَكُمْ خِلَافُ شُيُوخِكُمْ وَوِاقِعُهُمْ فَحَقِيقَةُ الْإِيمَانِ قَوْلُهُ: «وَالْكَفْرُ عِنْدَكُمْ خِلَافُ شُيُوخِكُمْ» هَذَا الْكَفْرُ عِنْدَهُمْ، فَمَنْ خَالَفَ الشَّيْخَ فَهُوَ كَافِرٌ.

قَوْلُهُ: «وَوِاقِعُهُمْ فَحَقِيقَةُ الْإِيمَانِ» وَمَنْ وَافَقَهُمْ فَهُوَ مُؤْمِنٌ.

إِذْ فَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، نَحْنُ نَقُولُ: الْإِيمَانُ مُوَافَقَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَالْكَفْرُ مَخَالَفَةُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ مُوَافَقَةُ الشُّيُوخِ وَالْكَفْرُ مَخَالَفَةُ الشُّيُوخِ.

٤٢١٥- هَذِي سَبِيلُكُمْ وَتِلْكَ سَبِيلُنَا وَالْمَوْعِدُ الرَّحْمَنُ بَعْدَ زَمَانٍ
٤٢١٦- وَهُنَاكَ يُعَلِّمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْ- حَقِّ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الدِّيَانِ

يعني: هذه طريقنا وهذه طريقكم، والذي يحكم بيننا هو الله بعد زمانٍ، فالله يوم القيامة يحكم بين العباد فيما كانوا فيه يختلفون، فكما يحكم بينهم في الحقوق الخاصة كأخذ المال وقتل النفس والعرض فهو يحكم بينهم أيضًا فيما اختلفوا فيه من الحق يوم القيامة، يقول الله عز وجل في سورة «النساء»: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، وهذه بشرى سارة، حيث نخبرنا بأننا سنتحاكم، والحق لنا، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا، فبالله عليكم لو أن خصمَيْنِ ذهبا إلى القاضي، فقال القاضي لأحدهما: «لن يكون لفلان عليك سبيلًا»، فإنه سيذهب مستبشرًا مُتَّصِرًا، فالله بيّن أنه سيحكم بين الكافرين والمؤمنين، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلًا.

٤٢١٧- فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ فَإِذَا أُصِيبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فَاصْبِرْ قَلِيلًا إِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ» نعم، اصبر قليلًا لو خالفك النَّاسُ، لو رَأَيْتَ النَّاسَ عَلَى بَاطِلٍ، اصْبِرْ فَإِنَّمَا هِيَ سَاعَةٌ مِنْ زَمَانٍ مَهْمَا طَالَ بِكَ الْوَقْتُ لَوْ تَبْلُغُ مِائَاتِ السَّنِينَ فَكَأَنَّمَا بَقِيَتْ سَاعَةٌ مِنْ زَمَانٍ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَنْفَدُ، كُلُّ شَيْءٍ يَذْهَبُ.

قَوْلُهُ: «فَإِذَنْ أُصِيبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ»؛ يعني: فإذا أُصِيبْتَ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُعْتَدِينَ بِأَنْ اعْتَدُوا عَلَيْكَ بِضَرْبٍ أَوْ قَتْلِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَهَذَا الْعِدْوَانُ فِي رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، تُثَابُ عَلَيْهِ وَتُوجَرُ عَلَيْهِ.

٤٢١٨- فَالْقَوْمُ مِثْلَكَ يَا لِمُونَ وَيَصْبِرُونَ وَصَبْرُهُمْ فِي طَاعَةِ الشَّيْطَانِ
قَوْلُهُ: «فَالْقَوْمُ مِثْلَكَ»، ويجوزُ: «مِثْلَكَ».

وأما أنت فتتألم وتصبر، وصبرك في طاعة الله، قال الله تعالى ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ [النساء: ١٠٤]، «تهنوا»؛ يعني: تضعفوا، و﴿فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾؛ أي: في طلب الكفار الذين يقاتلونكم على الإسلام، لا تهنوا في ابتغائهم، اطلبوهم، اقفوا آثارهم، و﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]؛ لأنهم بشرٌ وأنتم بشرٌ، لكن الفرق كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، فأنتم تُقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يُقاتلون في سبيل الطَّاغوتِ، وفرق بين الأمرين؛ ولذا لا تقولوا: إِنَّ القتالَ تعبٌ، وإزهاقُ نفسٍ، وإتلافُ مالٍ، فهؤلاء القومُ مثلكم يتعبون ويألمون، ولكنكم أنتم ترجون من الله ما لا يرجون.

وهذه مسألةٌ مهمَّةٌ ينبغي للإنسان أن يجعلها على باله في مخاصمة الأعداء وجدالهم أن ما يصيبه من الأذى والتَّحْمُلِ والهَمِّ والغَمِّ ففي سبيلِ الله، وما يصيبُ خصمه ففي سبيلِ الطَّاغوتِ والشَّيْطَانِ، فهو على خيرٍ، وهم على شرٍّ.

وفي هذا تسليةٌ للمؤمن إذا أصابه من الكافر ما يُصيبه أن يتسلَّى بكلام الله عزَّ وجلَّ.

فصل

فِي بَيَانِ الاسْتِغْنَاءِ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مِنَ السَّمَاءِ عَنِ تَقْلِيدِ الرِّجَالِ وَالْآرَاءِ

- ٤٢١٩- يَا طَالِبَ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَمُؤَثِّرًا
عِلْمَ الْيَقِينِ وَصِحَّةَ الْإِيمَانِ
- ٤٢٢٠- اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحِ خَبَرِ الَّذِي
عِنْدَ الْوَرَى مُذْ شَبَّ حَتَّى الْآنِ
- ٤٢٢١- مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ
قَدْ شَدَّ مِيْزْرَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
- ٤٢٢٢- وَتَخَلَّلَ الْفَتْرَاتِ لِلْعَزَمَاتِ أُمَّ
رٌّ لَازِمٌ لَطِيعَةَ الْإِنْسَانِ
- ٤٢٢٣- وَتَوَلَّدَ التَّقْصَانُ مِنْ فِتْرَاتِهِ
أَوْلَيْسَ سَائِرُنَا بِنِي التَّقْصَانِ
- ٤٢٢٤- طَافَ الْمَذَاهِبَ يَبْتَغِي نُورًا لِيَهْـ
بِدِيهِ وَيُنْجِيهِ مِنَ النَّيْرَانِ
- ٤٢٢٥- وَكَأَنَّهُ قَدْ طَافَ يَبْتَغِي ظُلْمَةَ الْـ
لَيْلِ الْبَهِيمِ وَمَذْهَبَ الْحَيْرَانِ
- ٤٢٢٦- وَاللَّيْلُ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُوَّةً
وَالصُّبْحُ مَقْهُورٌ بِذِي السُّلْطَانِ
- ٤٢٢٧- حَتَّى بَدَتْ فِي سَيْرِهِ نَارٌ عَلَى
طُورِ الْمَدِينَةِ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
- ٤٢٢٨- فَآتَى لِيَقْبِسَهَا فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مَعِ
تِلْكَ الْقِيُودِ مَنَالُهَا بِأَمَانِ
- ٤٢٢٩- لَوْ لَا تَدَارَكَهُ الْإِلَهُ بِلُطْفِهِ
وَلَّى عَلَى الْعَقَبَيْنِ ذَا نُكْصَانِ
- ٤٢٣٠- لَكِنْ تَوَقَّفَ خَاضِعًا مُتَذَلِّلًا
مُسْتَشْعِرَ الْإِفْلَاسِ مِنْ أَثْمَانِ
- ٤٢٣١- فَآتَاهُ جُنْدٌ حَلَّ عَنْهُ قِيُودُهُ
فَأَمْتَدَّ حِينَئِذٍ لَهُ الْبَاعَانَ

- ٤٢٣٢- وَاللَّهِ لَوْلَا أَنْ تُحَلَّ قِيُودُهُ
 وَتَزُولَ عَنْهُ رِبْقَةُ الشَّيْطَانِ
 ٤٢٣٣- كَانَ الرَّقِيُّ إِلَى الثَّرِيَاءِ مُضْعِدًا
 مِنْ دُونِ تِلْكَ النَّارِ فِي الْإِمْكَانِ
 ٤٢٣٤- فَرَأَى بِتِلْكَ النَّارِ آطَامَ الْمَدِيدِ
 سِنَّةَ كَالْخِيَامِ تَشُوفُهَا الْعَيْنَانِ
 ٤٢٣٥- وَرَأَى عَلَى طُرُقَائِهَا الْأَعْلَامَ قَدْ
 نُصِبَتْ لِأَجْلِ السَّالِكِ الْحَيْرَانِ
 ٤٢٣٦- وَرَأَى هُنَالِكَ كُلَّ هَادٍ مُهْتَدٍ
 يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ
 ٤٢٣٧- فَهَنَّاكَ هَنَّا نَفْسَهُ مُتَذَكِّرًا
 مَا قَالَهُ الْمُشْتَاقُ مِنْذُ زَمَانِ
 ٤٢٣٨- وَالْمُسْتَهَامُ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَمْ يَزَلْ
 حَاشًا لِذِكْرَاكُمْ مِنَ النَّسِيَانِ
 ٤٢٣٩- لَوْ قِيلَ مَا تَهَوَى لَقَالَ مُبَادِرًا
 أَهْوَى زِيَارَتَكُمْ عَلَى الْأَجْفَانِ
 ٤٢٤٠- تَاللَّهِ إِنْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ
 وَحَلَلْتُ مِنْكُمْ بِالْمَحَلِّ الدَّانِي
 ٤٢٤١- لِأَعْفَرَنَّ الْحَدَّ شُكْرًا فِي الثَّرَى
 وَلَا أُكْحِلَنَّ بِتُرْبِكُمْ أَجْفَانِي

الشرح

- ٤٢١٩- يَا طَالِبَ الْحَقِّ الْمُبِينِ وَمُؤَثِّرًا
 عِلْمَ الْيَقِينِ وَصِحَّةَ الْإِيمَانِ
 يعني: يا مَنْ يطلبُ الحقَّ المبينَ، ويؤثِّرُ علمَ اليقينِ على الشُّكوكِ والظُّنونِ
 التي يقولُها هؤلاء الشُّيوخُ، وصِحَّةَ الإيِّمانِ على سقمِ الإيِّمانِ.
 ٤٢٢٠- اسْمَعْ مَقَالََةَ نَاصِحٍ خَبَرَ الَّذِي
 عِنْدَ الْوَرَى مُذْ شَبَّ حَتَّى الْآنِ
 ويعني بذلك نفسه، فَإِنَّه خَبَرَ الْوَرَى؛ يعني: عرفهم عن خبرةٍ مُذْ شَبَّ؛
 يعني: منذ كان صغيرًا حَتَّى الْآنِ.

٤٢٢١- مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ قَدْ شَدَّ مِيزَرَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «مَا زَالَ مُذْ عَقَدَتْ يَدَاهُ إِزَارَهُ» وهذا يكون من سبع سنين، أو ما أشبه ذلك؛ لأنَّ الصَّغِيرَ لا يستطيع أن يربطَ إِزَارَهُ، والذي يعقدُ إِزَارَهُ له أُمُّهُ أو الخادم أو ما أشبه ذلك، فإذا كبر تمكَّن من أن يعقدَ إِزَارَهُ بنفسِهِ.

وهو يقولُ هذا مُتَحَدِّثًا بنعمة الله لا فاحِرًا به على عبادِ الله، ولا يُقَالُ: إِنَّ هذا من بابِ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ؛ لأنَّ المقصودَ بذلك إغراء النَّاسِ على أن يأخذوا من الكتابِ والسُّنَّةِ، وها هو عبدُ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ: «لَوْ أَعْلَمْتُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الإِبِلَ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»^(١)، هل أراد عبدُ الله ابنُ مسعودٍ أن يُزَكِّيَ نفسَهُ؟ الجوابُ: لا، بل أراد حَثَّ النَّاسِ على طلبِ العلمِ مهها بعدت أقطارُهُ، وهكذا ابنُ القَيِّمِ -رحمه الله- لا نعتقدُ ولا نظنُّ أَنَّهُ أراد بذلك أن يمدحَ نفسَهُ أمام النَّاسِ، أو يزيكِّيها عند الله عزَّ وجلَّ.

٤٢٢٢- وَتَحَلَّلَ الْفَتَرَاتِ لِلْعَزَمَاتِ أَمْ - رُّ لَازِمٌ لَطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ

لَمَّا أَخْبَرَ أَنَّهُ مِنْذُ كَانَ صَغِيرًا وَهُوَ لَا زَالَ يَشُدُّ مِيزَرَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ اسْتَشْنَى فَقَالَ: هُنَاكَ فِتْرَاتٌ تَعْتَرِي الْإِنْسَانَ وَتَصُدُّهُ عَنِ عَزَمِهِ، وَهَذَا لَازِمٌ لَطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَكُونُ نَشِيطًا فِي وَقْتٍ، وَيَكُونُ كَسْلَانًا فِي وَقْتٍ آخَرَ، ففِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ تَكُونُ عِنْدَهُ عَزِيمَةٌ قَوِيَّةٌ وَإِيمَانٌ قَوِيٌّ كَأَنَّمَا يُشَاهِدُ الْعَرْشَ وَالْكَرْسِيَّ وَالْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ثُمَّ تَحْصُلُ فِتْرَةٌ لَا يَصِلُ إِلَى هَذَا الْحَدِّ، وَهَذَا شَيْءٌ كُلُّ إِنْسَانٍ مُبْتَلَى بِهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ، رقم (٤٧١٦)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عبد الله بن مسعود وأمه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، رقم (٢٤٦٣).

٤٢٢٣- وَتَوَلَّدَ النَّقْصَانُ مِنْ فِتْرَاتِهِ أَوْلَيْسَ سَائِرُنَا بَنِي النَّقْصَانِ

يعني: أنَّ الإنسانَ إذا فتر لا بُدَّ أن ينقصَ علمه، ولا بُدَّ أن ينقصَ فهمه، ولا بُدَّ أن ينقصَ دينه إذا فتر عن طاعةِ الله، وهذا لا شكَّ أنَّه نقصٌ، ولكن كلُّنا بنو النقصِ.

٤٢٢٤- طَافَ الْمَذَاهِبَ يَبْتَغِي نُورًا لِيَهَّـ بِدِيهِ وَيُنْجِيهِ مِنَ النَّيْرَانِ

يعني بذلك نفسه، فإنه -رحمه الله- له اطلاعٌ واسعٌ على مذاهبِ العلماءِ، وكان أوَّلَ أمره صوفيًّا، لولا أن منَّ اللهُ عليه بشيخ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ كاد أن يهلكَ في طريقِ الصُّوفيَّةِ، ولكنَّ اللهُ منَّ عليه بشيخ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ، فلازمه وانتفع بعلمه، وهداه اللهُ على يده.

٤٢٢٥- وَكَأَنَّهُ قَدْ طَافَ يَبْغِي ظِلْمَةَ الْـ لَيْلِ الْبَهِيمِ وَمَذْهَبَ الْحَيْرَانِ

يعني: ومع هذا الطَّوافِ يريدُ ما يُنجيه كأنه طَافَ اللَّيْلَ، فهو حتَّى الآن لم يهتدِ إلى النُّورِ.

٤٢٢٦- وَاللَّيْلُ لَا يَزْدَادُ إِلَّا قُوَّةً وَالصُّبْحُ مَقْهُورٌ بِدِي السُّلْطَانِ

٤٢٢٧- حَتَّى بَدَتْ فِي سَيْرِهِ نَارٌ عَلَى طَوْرِ الْمَدِينَةِ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «طَوْرِ الْمَدِينَةِ» بالرَّاءِ؛ أي: السُّورِ، وفي نسخةٍ: «طَوْدِ الْمَدِينَةِ»؛ أي: الجبلِ، ومعلومٌ أنَّ النَّارَ إذا بَدَتْ بعد التَّعبِ الشَّدِيدِ في طلبها يكونُ الإنسانُ بها أشدَّ فرحًا، وأشدَّ شوقًا إليها.

٤٢٢٨- فَأَتَى لِيَقْبِسَهَا فَلَمْ يُمَكِّنْهُ مَعِ تِلْكَ الْقِيُودِ مَنَالُهَا بِأَمَانِ

جاء يقبَسُ من هذه النَّارِ، لكن عليه ذنوبٌ قيَّدته فلم يستطع أن يقبَسَ منها.

٤٢٢٩- لَوْلَا تَدَارَكَهُ الْإِلَهَ بِلُطْفِهِ وَوَلَّى عَلَى الْعَقَبَيْنِ ذَا نُكْصَانٍ

يعني: لولا أن الله تداركه بلطفه لكان حين عجز عن الاقتباس يرجع ويترك كما يوجد من بعض الناس إذا عجز عن إدراك الشيء لأول مرة نكص على عقبيه وتركه.

٤٢٣٠- لَكِنْ تَوَقَّفَ خَاضِعًا مُمْتَدِّلًا مُسْتَشْعِرَ الْإِفْلَاسِ مِنْ أَثْمَانِ

يعني: أنه لم ينكص، ولكن وقف، وقال: لعل الله يفتح عليّ.

٤٢٣١- فَاتَّاهُ جُنْدٌ حَلَّ عَنْهُ قَيْودُهُ فَامْتَدَّ حِينِيذٍ لَهُ الْبَاعَانَ

ومعلوم أنه إذا حلت القيود يستطيع أن يخطو خطوة واسعة ويمتد باعه.

٤٢٣٢- وَاللَّهُ لَوْلَا أَنْ تُحَلَّ قَيْودُهُ وَتَزُولَ عَنْهُ رِبْقَةُ الشَّيْطَانِ

٤٢٣٣- كَانَ الرَّقِيئِيُّ إِلَى الثَّرِيَّاءِ مُضْعِدًا مِنْ دُونِ تِلْكَ النَّارِ فِي الْإِمْكَانِ

لولا أن الله يسر له من حل له القيود حتى مشى لكان الرقيئى إلى الثريا وهي في السماء أيسر من الوصول إلى هذه النار التي يريد أن يقتبس منها.

٤٢٣٤- فَرَأَى بِتِلْكَ النَّارِ آطَامَ الْمَدِيدِ نَهْ كَالْخِيَامِ تَشُوفُهَا الْعَيْنَانِ

قوله: «الآطام» جمع «أطم»، وهي الأماكن المرتفعة.

٤٢٣٥- وَرَأَى عَلَى طُرُقَاتِهَا الْأَعْلَامَ قَدْ نُصِبَتْ لِأَجْلِ السَّالِكِ الْحَيْرَانِ

الأعلام وهي إرشادات الطرق نصبت لترشد الإنسان المتحير، فهنا آطام وهنا أعلام.

٤٢٣٦- وَرَأَى هُنَالِكَ كُلَّ هَادٍ مُهْتَدٍ يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ

إِذْنُ هُنَاكَ عِلَامَاتٌ أَرْضِيَّةٌ وَعِلَامَاتٌ بَشَرِيَّةٌ، الْعِلَامَاتُ الْبَشَرِيَّةُ هُمْ هَؤُلَاءِ الْهُدَاةُ الْمُهْتَدُونَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٢٣٧- فَهَنَّاكَ هَنَّا نَفْسَهُ مُتَذَكِّرًا مَا قَالَهُ الْمُشْتَأِقُ مِنْذُ زَمَانٍ

هُنَاكَ حِينَ رَأَى الْآطَامَ وَأَعْلَامَ الْهُدَى مِنَ الْهُدَاةِ الْمُهْتَدِينَ هَنَّا نَفْسَهُ مُتَذَكِّرًا مَا قَالَهُ الْمُشْتَأِقُ مِنْذُ زَمَانٍ، لَكِنْ مَا الَّذِي قَالَ؟

٤٢٣٨- وَالْمُسْتَهَامُ عَلَى الْمَحَبَّةِ لَمْ يَزَلْ حَاشَا لِدِكْرَاكُمْ مِنَ النَّسْيَانِ

قَوْلُهُ: «الْمُسْتَهَامُ»: الَّذِي أَصَابَهُ الْهَيْامُ مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ.

قَوْلُهُ: «لَمْ يَزَلْ»: يَعْنِي: لَمْ يَزَلْ عَلَى الْمَحَبَّةِ.

قَوْلُهُ: «حَاشَا لِدِكْرَاكُمْ مِنَ النَّسْيَانِ» «حَاشَا» بِمَعْنَى: تَنْزِيهًا؛ يَعْنِي: تَنْزِيهًا أَنْ

أَنْسَى ذِكْرَكُمْ، فَأَنَا لَنْ أَنْسَى ذِكْرَكُمْ.

٤٢٣٩- لَوْ قِيلَ مَا تَهْوَى لَقَالَ مُبَادِرًا أَهْوَى زِيَارَتِكُمْ عَلَى الْأَجْفَانِ

إِذْنُ مُنِيئُهُ أَنْ يَزُورَهُمْ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ بَدَلًا عَنِ الْأَقْدَامِ، وَهَذَا مِنَ الْمَبَالِغَةِ فِي مَحَبَّتِهِ لَزِيَارَتِهِمْ.

٤٢٤٠- تَاللَّهِ إِنْ سَمَحَ الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ وَحَلَلْتُ مِنْكُمْ بِالْمَحَلِّ الدَّانِي

٤٢٤١- لِأَعْفَرَنَّ الْحَدَّ شُكْرًا فِي الشَّرَى وَلَا أُكْحِلَنَّ بِتُرْبِكُمْ أَجْفَانِي

وَهَذِهِ مَبَالِغَةٌ شَدِيدَةٌ، لَكِنْ لَعَلَّهُ يَنْقُلُ قَوْلَ غَيْرِهِ، يَقُولُ: «تَاللَّهِ إِنْ سَمَحَ

الزَّمَانُ بِقُرْبِكُمْ»؛ يَعْنِي: إِنْ تيسَّرَ لِي أَنْ أَقْرَبَ مِنْكُمْ، «وَحَلَلْتُ مِنْكُمْ بِالْمَحَلِّ

الدَّانِي» وهو ديارُهم.

قَوْلُهُ: «لَأَعْفِرَنَّ الْخَدَّ شُكْرًا فِي الثَّرَى» «فِي الثَّرَى» متعلِّقٌ بـ«أَعْفَرٌ»؛ يعني: أَعْفَرُ خَدِّي بِالثَّرَابِ شُكْرًا لِلْوَصُولِ إِلَى مَحَلَّاتِكُمْ.

قَوْلُهُ: «وَلَا تُكْحِلَنَّ بِتُرْبِكُمْ أَجْفَانِي» بدل أن يكحلَ بالإثمِ يكحلُ بالثُّرابِ، وهذه مبالغةٌ لا شكَّ، وهذا يقوله العُشَّاقُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ، فالعشْقُ يقتلُ الإنسانَ، فإذا عشقَ محبوبَةً مثلاً، ثُمَّ لو قالت له: «اسجد» لسجد لها، ويبالغون في بيان ما في نفوسِهِم من محبَّة اللقَاءِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهَا.

لكن يقول شيخنا ابنُ سعدي رحمه الله: إِنَّ عَشَقَ الصُّورِ وَوَلِي، لكن جاء عَشَقُ الدُّنْيَا، عَشَقُ الْمَالِ، فما ظنُّكم لو أَنَّهُ بَقِيَ إِلَى هَذَا الْوَقْتِ لَكَانَ أَشَدَّ وَأَشَدَّ، فَالنَّاسُ الْآنَ -نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ- آثَرُوا الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ؛ وَهَذَا لَا يَبَالُونَ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ وَالرِّبَا وَالغَشِّ وَالْكَذِبِ، نَسَأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ.

وَالظَّاهِرُ لِي -وَاللَّهُ أَعْلَمُ- أَنَّ هَذِهِ آيَاتٌ قِيلَتْ مِنْ قَبْلِهِ، فَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي قَالَهَا فَنَسَأَلُ اللَّهَ لَهُ الْعَفْوَ؛ لِأَنَّ هَذَا مِبَالِغَةٌ، وَليْسَ مِنَ الْمَشْرُوعِ، لَكِنْ هَذِهِ مِنَ الْمِبَالِغَاتِ الَّتِي يَقُولُهَا الشُّعْرَاءُ، وَالشُّعْرُ إِذَا كَانَ فِيهِ مِبَالِغَةٌ يَرُونَ أَنَّ هَذَا مِنْ مُلْحِحِهِ وَطَرَاوَتِهِ، لَكِنَّهُ لَا يَوْمِي إِلَى مَسْأَلَةِ الْقُبُورِيِّينَ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى الْقُبُورِ وَيُعَفِّرُونَ الْخُدُودَ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْفِرَنَّ الْخَدَّ شُكْرًا»، وَالْقُبُورِيُّونَ يُعَفِّرُونَهَا تَعْظِيمًا وَعِبَادَةً.

٤٢٤٢- إِنْ رُمْتَ تُبْصِرُ مَا ذَكَرْتُ فَعُضُّ طَرْ

فَاعَنْ سِوَى الْأَنَارِ وَالْقُرْآنِ

٤٢٤٣- وَاتْرُكْ رُسُومَ الْخَلْقِ لَا تَعْبَأْ بِهَا

فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانِ

- ٤٢٤٤- حَدِّقْ لِقَلْبِكَ فِي النَّصُوصِ كَمِثْلِ مَا قَدْ حَدَّقُوا فِي الرَّأْيِ طُولَ زَمَانٍ
- ٤٢٤٥- وَاحْكُلْ جُفُونَ الْقَلْبِ بِالْوَحْيَيْنِ وَاحِدًا
- ٤٢٤٦- فَاللَّهُ بَيِّنٌ فِيهِمَا طَرِيقَ الْهُدَى لِعِبَادِهِ فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ
- ٤٢٤٧- لَمْ يُجْوجِ اللَّهُ الْخَلَائِقَ مَعَهَا لِخَيَالِ فُلْتَانٍ وَرَأْيِ فُلَانٍ
- ٤٢٤٨- فَالْوَحْيِيُّ كَافٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ شَافٍ لِدَاءِ جَهَالَةِ الْإِنْسَانِ
- ٤٢٤٩- وَتَفَاوُتِ الْعُلَمَاءِ فِي أَفْهَامِهِمْ لِلْوَحْيِ فَوْقَ تَفَاوُتِ الْأَبْدَانِ

الشرح

- ٤٢٤٢- إِنْ رُمْتَ تُبْصِرُ مَا ذَكَرْتُ فَعُضَّ طَرْفَ فَا عَنِ سِوَى الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ
- قَوْلُهُ: «تُبْصِرُ»؛ يعني: بعين قلبك.
- قَوْلُهُ: «مَا ذَكَرْتُ»؛ أي: ما ذَكَرْتُ لك من أن الوحيَ بقسميه «الكتاب والسُّنَّة» كافٍ.
- قَوْلُهُ: «فَعُضَّ الطَّرْفَ عَنِ سِوَى الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ»، أي: اترك هذه الكتب التي ليس فيها إلا الهديان والكلام الباطل.
- ٤٢٤٣- وَاتْرُكْ رُسُومَ الْخَلْقِ لَا تَعْبَأْ بِهَا فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنِ دَبْرَانِ
- قَوْلُهُ: «وَاتْرُكْ رُسُومَ الْخَلْقِ لَا تَعْبَأْ بِهَا»؛ يعني: اترك ما رسموه من كُلِّ كلامٍ مخالفٍ لما في الكتابِ والسُّنَّةِ، وأما الكلامُ الموافقُ لما في الكتابِ والسُّنَّةِ فهو من الكتابِ والسُّنَّةِ.

قَوْلُهُ: «فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانٍ» سبق أن السُّعُودَ ثَلَاثَةٌ: سعد الذَّابِحِ، وسعد بلع، وسعد السُّعُودِ، و«الدَّبْرَانِ» نجمٌ صغيرٌ أحمرٌ يكونُ خلفَ الثُّرَيَّا.

وَقَوْلُهُ: «فِي السَّعْدِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ دَبْرَانٍ» وكأنَّ ابنَ القَيِّمِ - رحمه الله - أنا أظنُّ من كلامه أنَّ العربَ كانوا يتشاءمون بالدَّبْرَانِ، والسَّعد يتفاءلون به؛ لأنَّ السَّعدَ من السَّعادة، والدَّبْرَانِ من الدُّبورِ، ففي السَّعدِ ما يغنيك عن دَبْرَانِ.

٤٢٤٤- حَدِّقْ لِقَلْبِكَ فِي النُّصُوصِ كَمِثْلِ مَا قَدْ حَدَّقُوا فِي الرَّأْيِ طُولَ زَمَانٍ

يعني: اجعل قلبك حاذقاً في النُّصُوصِ كما حَدَّقُوا هم للآراءِ طُولَ زَمَانٍ، والقلبُ إذا كان مهتماً بالوحيين؛ الكتابِ والسُّنَّةِ، نال بهما سعادة الدنيا والآخرة.

٤٢٤٥- وَاکْحُلْ جُفُونََ الْقَلْبِ بِالْوَحِيِّينِ وَاحِدٌ لَذَرَّ كُحْلَهُمْ يَا كَثْرَةَ الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «وَاکْحُلْ جُفُونََ الْقَلْبِ بِالْوَحِيِّينِ وَاحِدٌ لَذَرَّ كُحْلَهُمْ»؛ لأنَّهم يكتحلون بالآراءِ والهديانِ، ولهذا كَثُرَ فيهم العمى.

قَوْلُهُ: «يَا كَثْرَةَ الْعُمَيَّانِ»، فيا كثرة العُمَيَّانِ الذين اكتحلوا بالآراءِ والهديانِ، أَمَا مَنْ اكْتَحَلَ بِالْوَحِيِّ فسيكون بصيراً قوياً البصرِ.

٤٢٤٦- فَاللَّهُ بَيِّنٌ فِيهِمَا طَرِقَ الْهُدَى لِعِبَادِهِ فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ

الحمدُ لله؛ بَيِّنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ طَرِقَ الْهُدَى فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ بِأَتَمِّ التَّبْيَانِ.

٤٢٤٧- لَمْ يُجِجِ اللهُ الْخَلَائِقَ مَعَهُمَا لِخِيَالِ فَلْتَانٍ وَرَأْيِ فُلَانٍ

عندنا مثلاً يقول: «فُلَيْتَانِ وَرُقَيْعَانِ»، و«فَلْتَانِ» مكبَّرَ «فُلَيْتَانِ»؛ لأنَّ «فُلَيْتَانِ» مصغَّرٌ، و«الفَلْتَانِ» معناه الذي لا يُعْبَأُ بكلامه؛ لأنَّ كلامه لا يبني على شيءٍ، و«رَأْيِ فُلَانٍ» فُلَانٌ يُكْنَى به عن الرَّجُلِ، يُقَالُ: فُلَانٌ، وَيُقَالُ: فُلَانَةٌ.

٤٢٤٨- فَالْوَحْيُ كَافٍ لِلَّذِي يُعْنَى بِهِ شَافٍ لِدَاءِ جَهَالَةِ الْإِنْسَانِ

صدق والله، إن الوحي كافٍ لمن اعتنى به، فهو شافٍ من كل داء كما قال تعالى: ﴿ وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ [الإسراء: ٨٢].

٤٢٤٩- وَتَفَاوُتُ الْعُلَمَاءِ فِي أَفْهَامِهِمْ لِلْوَحْيِ فَوْقَ تَفَاوُتِ الْأَبْدَانِ

نحن نرى الناس يتفاوتون في الأبدان، هذا قصيرٌ وهذا طويلٌ، وهذا عريضٌ وهذا دقيقٌ، وهذا نحيفٌ وهذا سمينٌ، وهذا أبيضٌ وهذا أسودٌ، وهكذا، وهذا شيءٌ مُشاهدٌ.

والأفهامُ كذلك؛ لأنَّ الأفهامَ قوى باطنةٌ، وتفاوتُ العلماءِ في الأفهامِ أشدُّ من تفاوتهم في الأبدان؛ ولهذا تجدُ بعضهم لا يعرفُ شيئاً، وبعضهم لا يفهمُ ولا يحفظُ، وبعضهم يحفظُ ويفهمُ، فهم أربعة أقسام، حافظٌ فاهمٌ، وحافظٌ غيرُ فاهمٍ، وفاهمٌ غيرُ حافظٍ، وليس بحافظٍ ولا بفاهمٍ، وسرُّ الأقسامِ: الأخيرُ، وخيرُ الأقسامِ الأوَّلُ: الحافظُ الفاهمُ.

فالناسُ يختلفون في الأفهامِ بلا شكٍّ، تردُّ آيةٌ من كتابِ الله يستنبطُ منها بعضُ الناسِ مسائلَ عديدةً، وبعضُ الناسِ لا يعرفُ شيئاً، ولقد حدَّثناكم عن حمارِ الفروعِ، وحمارِ الفروعِ رجلٌ قد حفظ كتابَ «الفروعِ»، و«الفروعِ» كتابُ فقهِ ألفه محمدُ بنُ مفلحٍ أحدُ تلاميذِ شيخِ الإسلامِ ابنِ تيميَّةَ الذي قال له ابنُ تيميَّةَ: «ما أنت ابنُ مفلحٍ، بل أنت مفلحٌ»، وهذا الكتابُ حوى جُلَّ ما قاله الفقهاءُ، ليس فقهاءُ الحنابلةِ فقط حتَّى غيرِ الحنابلةِ؛ لأنَّ له اطلاعاً واسعاً، تجده مثلاً يذكرُ المسألةَ، ثمَّ يقولُ: وفاقاً للشافعيِّ، وفاقاً للمالكِ، وفاقاً لأبي حنيفةَ، خلافاً للمالكِ،

خلافًا للشافعي، خلافًا لأبي حنيفة، وهو كتاب يُعتَبَرُ جامعًا حتَّى إنَّ بعضهم يسمِّيه مِكنَسَةَ المَذْهَبِ؛ يعني: يَكْنُسُ كُلَّ شَيْءٍ، وهو رجلٌ حافظٌ عن ظهر قلبٍ لهذا الكتابِ، وهو ثلاثة مجلِّداتٍ مع تصحيحِ الفروعِ، وجعله القَطْرِيُّونَ ستَّةَ مجلِّداتٍ.

المهمُّ: أنَّ هذا الرَّجُلَ حافظٌ للكتابِ عن ظهرِ قلبٍ، لكنَّه لا يفهمُ إطلاقًا، فكان أصحابُه يخرجون به معهم كأنَّه كتابٌ، إذا أشكل عليهم شيءٌ، قالوا: اقرأ علينا الفصلَ الفلانيَّ في البابِ الفلانيِّ، ثُمَّ يقرؤه عليهم، لا يقولون له: ماذا قال صاحبُ الفروعِ فيه؟ لأنَّه لا يدري، فكان يُلقَّبُ بحمارِ الفروعِ، وهذا اللَّقْبُ لا شكَّ أنَّه ليس بطيِّبٍ، لكن يقولون: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ ضَرَبَ مَثَلًا لِلَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا، فالحمارُ إذا حَمَلَتْه كتبًا لا يستفيدُ منها، فهو نفسه بليدٌ.

على كُلِّ حالٍ تفاوتُ العلماءِ في أفهامِهِم للوحي فوق تفاوتِ الأبدانِ، وصدقَ رحمه اللهُ، فالتفاوتُ بينهم عظيمٌ جدًّا.

- ٤٢٥٠- وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ
- ٤٢٥١- نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ وَطَيْبٌ ذَاكَ الْعَالَمِ الرَّبَّانِي
- ٤٢٥٢- وَالْعِلْمُ أَفْسَامٌ ثَلَاثٌ مَالِهَا مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذُو تَيَّيَانِ
- ٤٢٥٣- عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ
- ٤٢٥٤- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

- ٤٢٥٥- وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي
جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ
- ٤٢٥٦- وَاللَّهُ مَا قَالَ امْرُؤٌ مَّتَحَذِّقُ
بِسَوَاهُمَا إِلَّا مِنْ الِهْدْيَانِ
- ٤٢٥٧- إِنْ قُلْتُمْ تَقْرِيرَهُ فَمُقَرَّرٌ
بِأَتَمِّ تَقْرِيرِ مَنْ الرَّحْمَنِ
- ٤٢٥٨- أَوْ قُلْتُمْ إِيْضَاحُهُ فَمُبَيَّنٌّ
بِأَتَمِّ إِيْضَاحٍ وَخَيْرِ بَيَانِ
- ٤٢٥٩- أَوْ قُلْتُمْ إِجْيَازُهُ فَهُوَ الَّذِي
فِي غَايَةِ الْإِجْيَازِ وَالتَّبْيَانِ
- ٤٢٦٠- أَوْ قُلْتُمْ مَعْنَاهُ هَذَا فَاقْصِدُوا
مَعْنَى الْخِطَابِ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
- ٤٢٦١- أَوْ قُلْتُمْ نَحْنُ التَّرَاجِمُ فَاقْصِدُوا الِ
مَعْنَى بِلَا شَطَطٍ وَلَا نُقْصَانِ
- ٤٢٦٢- أَوْ قُلْتُمْ بِخِلَافِهِ فَكَلَامُكُمْ
فِي غَايَةِ الْإِنْكَارِ وَالبُطْلَانِ

الشرح

- ٤٢٥٠- وَالْجَهْلُ دَاءٌ قَاتِلٌ وَشِفَاؤُهُ
أَمْرَانِ فِي التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ
- ٤٢٥١- نَصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ
وَطَيْبُ ذَلِكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي
- وهذا لا يُنكره أحدٌ أنَّ الجهلَ داءٌ قاتلٌ؛ لأنَّه لا يبلغُ الأعداءُ من جاهلٍ ما يبلغُ الجاهلُ من نفسه، فالجهلُ مرضٌ قتالٌ، لكن ما شفاؤه؟ يقولُ: «أمرانِ في التَّرْكِيبِ مُتَّفَقَانِ»، ثُمَّ ذكرهما فقال: «نصٌّ مِنَ الْقُرْآنِ أَوْ مِنْ سُنَّةِ»، فالشِّفاءُ نصٌّ من الْقُرْآنِ أَوْ من السُّنَّةِ، وهذا دواءٌ، والدَّوَاءُ يحتاجُ إلى طيبٍ يصفه للمريضِ، فَمَنْ هذا الطَّيِّبُ؟ قال: «وَطَيْبُ ذَلِكَ الْعَالِمِ الرَّبَّانِي» فالعلماءُ أطباءٌ، والدَّوَاءُ: الكتابُ والسُّنَّةُ.

والتَّطِيبُ الَّذِي يُوصِلُنَا إِلَى أَنْ نَنْتَفِعَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ هُوَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِيُّ،
وَلَيْسَ كُلُّ عَالَمٍ يَنْفَعُ، بَلْ هُوَ الْعَالَمُ الرَّبَّانِيُّ، وَالْعَالَمُ الرَّبَّانِيُّ قِيلَ: إِنَّهُ الْحَكِيمُ فِي
التَّعْلِيمِ، الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، وَقِيلَ: إِنَّ الْعَالَمَ الرَّبَّانِيَّ مَنْ
لَا يَرِيدُ بَعْلِمِهِ إِلَّا الْوَصُولَ إِلَى الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، فَهُوَ مُهْتَدٍ هَادٍ لِلخَلْقِ، لَا يَرِيدُ رِيَاءً
وَلَا سَمْعَةً وَلَا كِبْرِيَاءً وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ، إِنَّمَا يَرِيدُ وَصُولَ الْعِبَادِ إِلَى رَبِّ الْعِبَادِ،
وَلَا مَانِعَ مِنْ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ الْعَالَمَ الرَّبَّانِيَّ مَنْ اتَّصَفَ بِهَذَا وَهَذَا؛ لِأَنَّ الْوَصْفَيْنِ
لَا يَخْتَلِفَانِ، يُمْكِنُ أَنْ يَجْتَمِعَا فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنَ الْقِرَآنِ وَالسُّنَّةِ،
لَا بُدَّ مِنْ عَالِمٍ، فَهُوَ كَالطَّيِّبِ بِالنَّسْبَةِ لِلأَدْوِيَةِ الْحَسِّيَّةِ.

٤٢٥٢- وَالْعِلْمُ أَقْسَامٌ ثَلَاثٌ مَالَهَا مِنْ رَابِعٍ وَالْحَقُّ ذُو تَبَيَّانٍ
لَمَّا ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ الْجَهْلَ دَاءٌ قَاتِلٌ وَأَنَّ شِفَاءَهُ فِي أَمْرَيْنِ، وَأَنَّ
العَالِمَ هُوَ طَيِّبٌ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ ذَكَرَ أَنَّ الْعِلْمَ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ فَقَالَ:

٤٢٥٣- عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ
٤٢٥٤- وَالْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ وَجَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

قَوْلُهُ: «عِلْمٌ بِأَوْصَافِ الْإِلَهِ وَفِعْلِهِ» هَذَا الْأَوَّلُ، أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ عَالِمًا
بِأَوْصَافِ اللهِ وَعَالِمًا بِأَفْعَالِ اللهِ، وَأَفْعَالُ اللهِ مِنْ صِفَاتِهِ وَلَكِنَّهَا مِنَ الصِّفَاتِ
الْفِعْلِيَّةِ، فَ«الْحَيَاةُ» مِثْلًا صِفَةً، وَ«الْخَلْقُ» صِفَةٌ وَفِعْلٌ، فَالْعِلْمُ بِالْأَوْصَافِ الَّتِي
لَا تَتَعَدَّى الْمَوْصُوفَ أَوْ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ صِفَاتٌ مُتَعَدِّيَةٌ لِغَيْرِ الْمَوْصُوفِ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ»، كَذَلِكَ الْأَسْمَاءُ لِلرَّحْمَنِ.

إِذْنُ الْأَوَّلِ: الْعِلْمُ بِأَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ.

قَوْلُهُ: «الْأَمْرُ وَالنَّهْيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ» هذا الثاني.

قَوْلُهُ: «جَزَاؤُهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي» هذا الثالث.

إِذَنْ أَقْسَامُ الْعُلُومِ ثَلَاثَةٌ:

الأوَّلُ: عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَهُوَ أَشْرَفُهَا

وَأَعْظَمُهَا.

الثَّانِي: عِلْمٌ يَتَعَلَّقُ بِأَحْكَامِهِ وَشَرَائِعِهِ الَّتِي تَعْبَدُنَا اللَّهُ بِهَا، وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْأَمْرِ

وَالنَّهْيِ، افْعَلُوا وَلَا تَفْعَلُوا، وَهَذَا يَتَعَلَّقُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ.

الثَّالِثُ: عِلْمٌ بِجَزَائِهِ وَهُوَ الْعِلْمُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ فَيَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ

مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إِنَّ «قُلَّ هُوَ اللَّهُ

أَحَدٌ» ﴿تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ﴾^(١)؛ لِأَنَّهَا خَبْرٌ عَنِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَيَبْقَى

أَحْكَامُهُ وَجَزَاؤُهُ، فَهَذِهِ أَقْسَامُ الْعِلْمِ لَيْسَ لَهَا رَابِعٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى انْحِصَارِ الْعِلْمِ فِي

هَذِهِ الثَّلَاثَةِ هُوَ التَّسْبُعُ، فَلَا تَجِدُ أَنَّ هُنَاكَ عِلْمًا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ.

فَالْعِلْمُ الْحَقِيقِيُّ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٍ؛ وَلِهَذَا جَزَمَ الْمُؤَلِّفُ بِأَنَّهُ لَيْسَ لَهَا مِنْ رَابِعٍ.

٤٢٥٥- وَالْكُلُّ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْفُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «الْكُلُّ»؛ يَعْنِي: مِنْ الْأَقْسَامِ الثَّلَاثَةِ.

يَعْنِي: كُلُّ هَذِهِ الْأَقْسَامِ مَوْجُودَةٌ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب فضائل القرآن، باب فضل ﴿قُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم (٥٠١٣)،

ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة ﴿قُلَّ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾، رقم (٨١١).

٤٢٥٦- وَاللَّهِ مَا قَالَ امْرُؤٌ مُتَحَدِّقٌ بِسِوَاهُمَا إِلَّا مِنْ هَدْيَانِ
قَوْلُهُ: «الْمُتَحَدِّقُ»؛ أَي: الطَّالِبُ لِلْحَدِيقِ وَهُوَ الْإِجَادَةُ، وَزِيدَتْ اللَّامُ مِنْ
أَجْلِ النَّسْبَةِ.

والمعنى: أَنَّ الْإِنْسَانَ الْمُتَحَدِّقَ الَّذِي يَنْسَبُ نَفْسَهُ لِلْحَدِيقِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ
لَا يَقُولُ بِسِوَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِلَّا قَوْلَ هَدْيَانِ، فَلَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا فَائِدَةَ.

٤٢٥٧- إِنْ قُلْتُمْ تَقْرِيرُهُ فَمُقَرَّرٌ بِأَتَمِّ تَقْرِيرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «تَقْرِيرُهُ»؛ أَي: تَقْرِيرُ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ مُقَرَّرٌ لِمَا يَقُولُ بِأَتَمِّ تَقْرِيرٍ.

٤٢٥٨- أَوْ قُلْتُمْ إِضْاحَهُ فَمُبَيَّنٌ بِأَتَمِّ إِضْاحٍ وَخَيْرِ بَيَانٍ
وَلَا شَكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَفْصَحُ الْخَلْقِ، وَأَنَّ كَلَامَهُ أَوْضَحُ الْكَلَامِ.

٤٢٥٩- أَوْ قُلْتُمْ إِجْازَهُ فَهُوَ الَّذِي فِي غَايَةِ الْإِجْازِ وَالتَّبْيَانِ
يعني: لَيْسَ عِنْدَهُ هَدْيَانٌ وَتَطْوِيلٌ وَلَفٌّ وَدُورَانٌ، بَلْ كَلَامُهُ مُوجِزٌ فَصِيحٌ
وَاضِحٌ، وَهُوَ مَعَ كَوْنِهِ مُوجِزًا فَهُوَ فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ، فَقَدْ أُعْطِيَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ- مَفَاتِيحَ الْكَلِمِ^(١)، وَاخْتَصَرَ لَهُ الْكَلَامُ؛ وَلِهَذَا تَجَدُّ الْجُمْلَةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ
كَلَامِهِ يُكْتَبُ عَلَيْهَا مَجَلَّدَاتٌ.

٤٢٦٠- أَوْ قُلْتُمْ مَعْنَاهُ هَذَا فَاقْصِدُوا مَعْنَى الْخِطَابِ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
يعني: أَوْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْيَبُوا فِي الْمَعْنَى أَوْ تَطْلُبُوا الْمَعْنَى فَأَنْتُمْ اقْصِدُوا مَعْنَى
الْخِطَابِ، لَا تَقُولُوا: هَذَا مُجَازٌ عَنْ كَذَا، هَذَا مُجَازٌ عَنْ كَذَا فَتَضَلُّوا، اقْصِدُوا الْمَعْنَى بِعَيْنِهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب التعبير، باب رؤيا الليل، رقم (٦٥٩٧).

٤٢٦١- أَوْ قُلْتُمْ نَحْنُ التَّرَاجِمُ فَاقْصِدُوا الـ مَعْنَى بِلَا شَطَطٍ وَلَا نُقْصَانٍ
الظَّاهِرُ أَنَّ مَعْنَى قَوْلِهِ: «أَوْ قُلْتُمْ نَحْنُ التَّرَاجِمُ»؛ يَعْنِي: نَشْرُحُ كَلَامَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ، فَإِذَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ هَذَا فَاقْصِدُوا الْمَعْنَى بِلَا شَطَطٍ، أَي: زِيَادَةٍ، وَلَا
نُقْصَانٍ.

٤٢٦٢- أَوْ قُلْتُمْ بِخِلَافِهِ فَكَلَامُكُمْ فِي غَايَةِ الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ
قَوْلُهُ: «أَوْ قُلْتُمْ بِخِلَافِهِ»؛ أَي: بِخِلَافِ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
قَوْلُهُ: «فَكَلَامُكُمْ فِي غَايَةِ الْإِنْكَارِ وَالْبُطْلَانِ»؛ يَعْنِي: كَلَامُكُمْ بَاطِلٌ مُنْكَرٌ؛
لَأَنَّ كُلَّ مَنْ خَالَفَ قَوْلَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَكَلَامُهُ مَرْفُوضٌ مَرْدُودٌ، وَهُوَ بَاطِلٌ مُنْكَرٌ.

٤٢٦٣- أَوْ قُلْتُمْ قَسْنَا عَلَيْهِ نَظِيرَهُ فِقِيَاسُكُمْ نَوْعَانِ مُخْتَلَفَانِ
٤٢٦٤- نَوْعٌ يُخَالَفُ نَصَّهُ فَهُوَ الْمُحَا
٤٢٦٥- وَكَلَامُنَا فِيهِ وَلَيْسَ كَلَامُنَا
٤٢٦٦- مَا لَا يُخَالَفُ نَصَّهُ فَالِنَّاسُ قَدْ
٤٢٦٧- لَكِنَّهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ لَا يُصَا
٤٢٦٨- هَذَا جَوَابُ الشَّافِعِيِّ لِأَحْمَدِ
٤٢٦٩- وَاللَّهُ مَا اضْطَرَّ الْعِبَادُ إِلَيْهِ فِي
٤٢٧٠- فَإِذَا رَأَيْتَ النَّصَّ عَنْهُ سَاكِتًا
فِقِيَاسُكُمْ نَوْعَانِ مُخْتَلَفَانِ
لُ وَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ذُو بُطْلَانِ
فِي غَيْرِهِ أَغْنَى الْقِيَاسِ الثَّانِي
عَمِلُوا بِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
رُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ ذَلِكَ الْفُقْدَانِ
لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانِ
مَا بَيْنَهُمْ مِنْ حَادِثٍ بِزَمَانِ
فَسُكُوتُهُ عَفْوٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

- ٤٢٧١- وَهُوَ الْمُبَاحُ إِبَاحَةَ الْعَفْوِ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ حَرَجٍ وَلَا نَكْرَانَ
 ٤٢٧٢- فَأَصِفْ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَحُسْنَ الْفَهْمِ فِي الْقُرْآنِ
 ٤٢٧٣- فَهَنَّاكَ تُصْبِحُ فِي غِنَى وَكِفَايَةٍ عَنِ كُلِّ ذِي رَأْيٍ وَذِي حُسْبَانٍ

الشرح

- ٤٢٦٣- أَوْ قُلْتُمْ قَسْنَا عَلَيْهِ نَظِيرَهُ فَقِيَاسُكُمْ نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
 يعني قلتُم: إننا نقيسُ هذا على هذا، يعني: نُثَبِّتُ الْحُكْمَ بِالْقِيَاسِ، فنقول:
 القياسُ نوعان، ثُمَّ ذَكَرَهُمَا فَقَالَ:

- ٤٢٦٤- نَوْعٌ يُخَالِفُ نَصَّهُ فَهُوَ الْمُخَالَفُ لَوْ وَذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ ذُو بَطْلَانِ
 نوعٌ يخالفُ النَّصَّ، فهذا مُحَالٌ أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا، بل هو باطلٌ، وَيُسَمَّى عِنْدَ
 الْأَصُولِيِّينَ فَاسِدَ الْإِعْتِبَارِ، فَكُلُّ قِيَاسٍ يَخَالِفُ النَّصَّ فَإِنَّهُ نَصٌّ بَاطِلٌ مُرَدُّودٌ فَاسِدٌ
 الْإِعْتِبَارِ.

- ٤٢٦٥- وَكَلَامُنَا فِيهِ وَلَيْسَ كَلَامُنَا فِي غَيْرِهِ أَغْنِي الْقِيَاسَ الثَّانِي
 ٤٢٦٦- مَا لَا يُخَالِفُ نَصَّهُ فَالنَّاسُ قَدْ عَمَلُوا بِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 قَوْلُهُ: «وَكَلَامُنَا فِيهِ»؛ أَي: فِي الْقِيَاسِ الْمَخَالَفِ لِلنَّصِّ.

يعني: نحنُ نُبْطِلُ الْقِيَاسَ الْمَخَالَفَ لِلنَّصِّ، أَمَّا الْقِيَاسُ الثَّانِي الَّذِي لَا يَخَالِفُ
 النَّصَّ فَإِنَّا لَا نَنْكُرُهُ، «فَالنَّاسُ قَدْ عَمَلُوا بِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ»؛ يعني: أَجْمَعَ النَّاسُ
 عَلَى الْعَمَلِ بِهِ مَا عَدَا الظَّاهِرِيَّةَ، فَإِنَّهُمْ مُتَنَاقِضُونَ؛ أحيانًا يعملون به، وأحيانًا
 لَا يعملون به، وَلَكِنَّهُمْ إِذَا لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ أَتَوْا بِمَا يُضْحِكُ، أَتَوْا بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تُضْحِكُ

العاقل، مثلاً قالوا: إنَّ الإنسانَ لو ضَحَّى بشاةٍ ثنيَّةٍ لم تُقبَل الأضحيةُ، ولو ضَحَّى بجذعٍ من الضَّانِ أجزاءً، وهذا كلامٌ غيرٌ معقولٍ، والدليلُ قولُ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً إِلَّا أَنْ تَعْسَرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّانِ»^(١)، فقالوا: «إِلَّا مُسِنَّةً» يعني: من غير الضَّانِ، وجَذَعَةٌ من الضَّانِ في الضَّانِ، فيُقَالُ: تَبَّأَ لهذه العقولِ، كيف لا تجزئُ الثَّنيَّةُ، والجذعةُ تجزئُ، أيُّها أولى بالإجزاء؟ الجوابُ: الثَّنيَّةُ.

كذلك أيضًا ممَّا يُضحكُ منه أئمَّهم قالوا: لو أنَّ رجلاً قال لبنته البكر: فلانٌ خطبك، قالت: فلانٌ؟ قال: نعم، قالت: الرَّجُلُ طالبُ العلمِ المستقيمِ، قال: نعم، قالت: لا أريدُ سوى هذا، هذا هو الذي أتمنى، قالوا: لا يجوز أن يُزوَّجها بهذا؛ لأنَّها ما أذنت؛ لأنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سُئِلَ عن إِذْنِ البَكْرِ قال: «إِذْنُهَا صَمَاتُهَا»^(٢)؛ أي: «أَنْ تَسْكُتَ»، وهذه تكلمت، وعلى رأيهم يجبُ على الأمِّ أن توصيَ هذه البنتَ تقولُ: اسكتي إذا قال أبوك: أزوجك، لا تتكلمي ولا بكلمةٍ، حتَّى يزوَّجها، وإذا قالت: هذا الرَّجُلُ الذي أريدُه ولا أريدُ سواه، يقولُ: لا يزوَّجها.

ومنهم مَنْ قال: إذا بَالَ الرَّجُلُ في المَاءِ الرَّاكَدِ فهو حرامٌ، وإن بَالَ في إناءٍ وصبَّه في المَاءِ الرَّاكَدِ فهو جائزٌ، سبحان الله! ما الفرقُ؟ قال: هذا الرَّسُولُ يقولُ: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ في المَاءِ»^(٣)، وهذا لم يَبُلْ في المَاءِ، بل في إناءٍ، ثُمَّ صُبَّ في المَاءِ، هذه قالها بعضُهم، لكن مثل ابن حزم -رحمه الله- لا يقولُ هذا القولَ الأخيرَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الأضاحي، باب سن الأضحية، رقم (١٦٦٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب لا ينكح الأب وغيره البكر والثيب إلا برضاها، رقم (٥١٣٦). ومسلم: كتاب النكاح، باب استئذان الثيب في النكاح بالنطق والبكر بالسكوت، رقم (١٤١٩).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم، رقم (٢٣٦)، ومسلم: كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الدائم، رقم (٢٨٢).

فالمهمُّ أن القياسَ أنكره أهل الظاهرِ في الجملة لا في كُلِّ مسألة؛ لأنَّهم أحياناً يتناقضون ويقيسون.

٤٢٦٧- لَكِنَّهُ عِنْدَ الضَّرُورَةِ لَا يُصَا رُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ ذَا الْفُقْدَانِ

يعني: أننا لا نصيرُ إلى القياسِ إلا إذا عَدِمْنَا النَّصَّ، أمَّا إذا وَجَدْنَا النَّصَّ فَإِنَّا فِي غَنَى عَنِ الْقِيَّاسِ، إِذَا عَدِمْنَاهُ فَإِنَّا نَقِيسُ، فَيَكُونُ الْقِيَّاسُ بِالنِّسْبَةِ لِلنُّصُوصِ كَالْمِيتَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُدْكَاةِ؛ أَي: عِنْدَ الضَّرُورَةِ، وَيَكُونُ الْقِيَّاسُ كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِلنُّصُوصِ بِمَنْزِلَةِ التُّرَابِ عِنْدَ الْمَاءِ، لَا نَسْتَعْمَلُهُ إِلَّا إِذَا تَعَدَّرَ اسْتِعْمَالُ الْمَاءِ، فَالْقِيَّاسُ لَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ؛ لِأَنَّكَ لَوْ أَدْخَلْتَ الْقِيَّاسَ فِي أَمْرٍ فِيهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ فَتَحَتَ بَابَ الْمَعْقُولِ لِيُعَارِضَ بِهِ الْمَنْقُولَ، فَإِذَا اضْطُرَّرْنَا إِلَيْهِ وَلَمْ نَجِدْ نَصًّا وَلَا إِجْمَاعًا نَعْتَمِدُ عَلَيْهِ حَيْثُ نَلْجَأُ إِلَى الْقِيَّاسِ.

٤٢٦٨- هَذَا جَوَابُ الشَّافِعِيِّ لِأَحْمَدَ اللَّهُ دَرُكٌ مِنْ إِمَامِ زَمَانَ

الشَّافِعِيُّ أَجَابَ الْإِمَامَ أَحْمَدَ لَمَّا سَأَلَهُ عَنِ الْقِيَّاسِ بِهَذَا الْجَوَابِ بِأَنَّ الْقِيَّاسَ لَا يُصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا عِنْدَ الضَّرُورَةِ.

وَالشَّافِعِيُّ شَيْخُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ، وَجَوَابُهُ هَذَا حَقٌّ؛ لِأَنَّهُ مَتَى أَمَكْنَ إِثْبَاتُ الْحُكْمِ بِالنِّصِّ فَهُوَ أَوْلَى، وَإِنْ لَمْ يَمَكُنْ فَالْقِيَّاسُ، لَكِنْ أحياناً نَضْطَرُّ إِلَى الْقِيَّاسِ فِي مَقَابِلَةٍ مَنْ لَا يَعْتَرِفُ بِالنِّصِّ؛ لِأَنَّ بَعْضَ النَّاسِ لَا يُقَرُّ إِلَّا الدَّلِيلَ الْعَقْلِيَّ الْقِيَّاسِيَّ، فَحَيْثُ نَسْتَعْمَلُ الْقِيَّاسَ مِنْ أَجْلِ إِرْغَامِ هَذَا الْمُنْكَرِ لِلْحُكْمِ عَلَى أَنْ يُقَرَّ.

٤٢٦٩- وَاللَّهُ مَا اضْطَرَّ الْعِبَادُ إِلَيْهِ فِي مَا بَيْنَهُمْ مِنْ حَادِثٍ بِزَمَانٍ

يعني: أَنَّ النُّصُوصَ كَافِيَةٌ، وَلَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ هَذَا لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، فَإِنَّ

الحوادث لا مُتتهى لها، وهي - أعني: الحوادث - أحياناً قد تكون داخلة في العموم، ولكن لا يفهم بعض الناس دخولها فيذهب إلى القياس، ودعوى أن كل مسألة بعينها يوجد حكمها في الكتاب والسنة في النفس منه شيء، لكن يوجد الإحالة على القياس في الكتاب والسنة، وحينئذ يكون لها أصل في الكتاب والسنة من حيث أن الكتاب والسنة يُحيلان على القياس الصحيح.

٤٢٧٠- فَإِذَا رَأَيْتَ النَّصَّ عَنْهُ سَاكِتًا فَسُكُوتُهُ عَفْوٌ مِنَ الرَّحْمَنِ

٤٢٧١- وَهُوَ الْمُبَاحُ إِبَاحَةَ الْعَفْوِ الَّذِي مَا فِيهِ مِنْ حَرَجٍ وَلَا نُكْرَانٍ

وهذا جاء به الحديث عن النبي - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: «وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ»^(١)، وقال: «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَنَهَى عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رُحْصَةً لَكُمْ لَيْسَ بِنِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا»^(٢)، فإذا لم تجد في النص إثباتاً ولا نفيًا ولا تحريمًا ولا إباحتًا فعليك بالإباحتة إلا ما تُعبد به لله فالأصل التحريم؛ ولذلك من منع عبادة أو وصفاً في عبادة أو قدراً في عبادة فإنه لا يُطالب بالدليل؛ لأن الأصل معه، وإنما يُطالب بالدليل من أثبت ما لم يقم عليه الدليل، إذن إذا تُعبد بعبادة لا يعلم لها أصلٌ ومهيئت المتعبد بها وقال لك: ما دليلك؟ ماذا تقول؟ تقول: أنت ما دليلك؟ هذه عبادة، وقد قال الله تعالى مُنْكَرًا على هؤلاء: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَوًا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنُ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]، وقال النبي ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا

(١) أخرجه الترمذي: كتاب اللباس، باب لبس الفراء، رقم (١٧٢٦)، وابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب أكل الجبن والسمن، رقم (٣٣٦٧).

(٢) أخرجه الطبراني (٢٢/٢٢١، رقم ٥٨٩)، وأبو نعيم في الحلية (٩/١٧)، والبيهقي موقوفاً (١٠/١٢، رقم ١٩٥٠٩)، والدارقطني (٤/١٨٤) والحاكم موقوفاً (٤/١٢٩، رقم ٧١١٤).

لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»^(١)، أَمَّا غَيْرُ الْعِبَادَاتِ فَالْأَصْلُ الْحَلُّ؛ لِأَنَّهُ مَسْكُوتٌ عَنْهَا، وَمَا سَكَتَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ.

فَمَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ مِنَ الْإِنْتِفَاعَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ الْأَصْلُ فِيهِ الْحَلُّ، فَالْمَعَامَلَاتُ الْأَصْلُ فِيهَا الْإِبَاحَةُ، وَالْإِنْتِفَاعَاتُ الْأَصْلُ فِيهَا أَيْضًا الْإِبَاحَةُ، فَكُلُّ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ فَلَنَا أَنْ نَنْتَفِعَ بِهِ إِلَّا بِنَصِّ، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩]، فَإِذَا سَكَتَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ مِمَّا أَبَاحَهُ، فَمَا سَكَتَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ وَهُوَ الْمَبَاحُ.

وكَذَلِكَ أَيُّ إِنْسَانٍ يَدَّعِي أَنَّ هَذَا حَرَامٌ مِنْ نَبَاتٍ أَوْ حَيَوَانٍ، نَقُولُ: مَا الدَّلِيلُ؟ كُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مَخْلُوقٌ لَنَا، وَلَوْ كَانَ حَرَامًا عَلَيْنَا مَا انْتَفَعْنَا بِهِ، وَلَا صَارَ مَخْلُوقًا لَنَا، فَإِذَا قَالَ لَكَ قَائِلٌ: هَذِهِ الشَّجَرَةُ حَرَامٌ أَكْلُهَا، هَذَا الطَّيْرُ حَرَامٌ أَكْلُهُ، هَذَا الزَّاحِفُ حَرَامٌ أَكْلُهُ، قُلْ: مَا الدَّلِيلُ؟ فَإِنْ أَتَى بِدَلِيلٍ فَعَلَى الْعَيْنِ وَالرَّأْسِ، وَإِلَّا فَالْأَصْلُ الْحَلُّ.

٤٢٧٢- فَأَضِيفَ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى وَحُسْنَ الْفَهْمِ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «فَأَضِيفَ إِلَى هَذَا عُمُومَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى»؛ يَعْنِي: أَضِيفَ إِلَى هَذَا الْأَصْلِ وَهُوَ أَنَّ مَا سَكَتَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ أَضِيفَ إِلَيْهِ عُمُومَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، فَإِنَّكَ رَبَّنَا تَجِدُ حُكْمَ هَذِهِ الْحَادِثَةِ دَاخِلًا فِي عُمُومِ لَفْظٍ أَوْ فِي عُمُومِ مَعْنَى، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ عُمُومَ اللَّفْظِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ اللَّفْظُ بِإِدَّتِهِ، وَعُمُومَ الْمَعْنَى مَا دَلَّ عَلَيْهِ بِمَعْنَاهُ وَهُوَ الْقِيَاسُ الْجَلِيُّ، فَإِنَّ الْقِيَاسَ الْجَلِيَّ يَكُونُ فِيهِ الْمَقْيَسُ مُوَافِقًا لِلْمَقْيَسِ عَلَيْهِ فِي الْعِلَّةِ،

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْأَقْضِيَّةِ، بَابُ نَقْضِ الْأَحْكَامِ الْبَاطِلَةِ وَرَدِّ مَحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، رَقْمُ

والعلة هي المعنى الموجب للحكم؛ ولهذا نقول: العمومات إمّا لفظية وهي ما دلّ عليه اللفظ بإدته، وإمّا معنوية وهي ما دلّ عليه اللفظ بمعناه وهذا هو القياس الجلي؛ وذلك لأنّ القياس الجلي يتساوى فيه الفرع - وهو المقيس - والأصل وهو المقيس عليه، يتساويان في العلة وهي المعنى العام الموجب للحكم.

قوله: «وَحُسْنُ الْفَهْمِ» وهذا مهمٌّ أيضًا، فكم من إنسان يفهم الشيء على خلاف ما أراد الله ورسوله، فإذا وفق الإنسان لحسن الفهم مع قوة الملاحظة والذكاء فلا تسأل عن حاله في إصابة الصواب.

٤٢٧٣- فَهَنَّاكَ تُصْبِحُ فِي غِنَى وَكِفَايَةٍ عَنْ كُلِّ ذِي رَأْيٍ وَذِي حُسْبَانٍ
يعني: إذا أخذت بالأصل وهو أن الأصل الإباحة، وكذلك أيضًا أضفت إلى هذا عموم اللفظ والمعنى تستغني بهذا عن كل ذي رأي وذي حُسابان.

٤٢٧٤- وَمُقَدَّرَاتُ الذُّهْنِ لَمْ يَضْمَنْ لَنَا تَبَيَّاتَهَا بِالنِّصِّ وَالْقُرْآنِ
٤٢٧٥- وَهِيَ الَّتِي فِيهَا اغْتَرَكَ الرَّأْيُ مِنْ تَحْتِ الْعَبَاجِ وَجَوْلَةِ الْأَذْهَانِ
٤٢٧٦- لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّ لَمَّا أَحَدًا تَجَنَّا إِلَيْهِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانِ
٤٢٧٧- بَجْمَعِ النُّصُوصِ وَفَهْمِ مَعْنَاهَا الْمَرَا دِ بِلَفْظِهَا وَالْفَهْمُ مَرْتَبَتَانِ
٤٢٧٨- إِحْدَاهُمَا مَدْلُولُ ذَاكَ اللَّفْظِ وَضَمًّا عَا أَوْ لُزُومًا هَذَا الثَّانِي
٤٢٧٩- فِيهِ تَفَاوُتِ الْفُهُومِ تَفَاوُتًا لَمْ يَنْضَبِطْ أَبَدًا لَهُ طَرْفَانِ
٤٢٨٠- فَالْشَّيْءُ يَلْزُمُهُ لَوَازِمُ جَمَّةٌ عِنْدَ الْخَيْرِ بِهِ وَذِي الْعِرْفَانِ

٤٢٨١- فَبَقْدَرِ ذَاكَ الْخُبْرِ يُحْصِي مَنْ لَوَا زِمِهِ وَهَذَا وَاضِحُ التَّبَيَّنِ

الشرح

٤٢٧٤- وَمُقَدَّرَاتُ الذَّهْنِ لَمْ يَضْمَنْ لَنَا تَبَيَّنَاتِهَا بِالنَّصِّ وَالْقُرْآنِ

٤٢٧٥- وَهِيَ الَّتِي فِيهَا اعْتَرَاكَ الرَّأْيُ مِنْ تَحْتِ الْعَبَاجِ وَجَوْلَةِ الْأَذْهَانِ

قَوْلُهُ: «مُقَدَّرَاتُ الذَّهْنِ»؛ يعني: ما تُقَدَّرُهَا الْأَذْهَانُ، وهي الاحتمالات التي يفرضها الذهن في نصوص القرآن أو السنة، فالأذهان تُقَدِّرُ أشياءً طويلةً عريضةً عويصةً، هل هذا مضمون لنا تبيائها بالقرآن؟ الجواب: لا؛ لأن من الأمور المقدرات في العقل ما يكون الشرع ساكتاً عنه، فتدخل في العمومات؛ ولهذا قال ابن حجر في فتح الباري وغيره من العلماء: «الِاحْتِمَالَاتِ الْعَقْلِيَّةِ لَا مَدْخَلَ لَهَا فِي الْأُمُورِ النَّقْلِيَّةِ»^(١)؛ لأنك لو أردت الاحتمالات العقلية ما استقام لك دليل قط، فكل دليل يمكن أن تورده عليه احتمالاً عقلياً، وحينئذ تضيع فوائد الأدلة اللفظية.

ولا شك أننا لو ذهبنا نقدر كما يوجد من بعض الناس الآن -نسأل الله لنا ولهم الهداية- إذا جئت بالدليل قال: يحتمل كذا، نقول: خذ بظاهره، أما أن تقول: يحتمل كذا، فإن الثاني يقول لك: يحتمل كذا، وإذا قلنا: يحتمل كذا ويحتمل كذا، فإن الدلالة تبطل، لا لي ولا لك، لأنك إذا قلت: يحتمل كذا، وأنا قلت: يحتمل كذا، والثالث يقول: يحتمل كذا، فبأي شيء نستدل؟!

خِذِ اللَّفْظَ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا أَخَذَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْنَوْا عَنِ التَّكْلِيفِ وَالتَّنَطُّعِ؛ ولهذا قال النبي ﷺ كلمة تشهد بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام

(١) فتح الباري (١/١٩٣).

حقيقة، كما له من الآيات الكثيرة الدالة على صدقه قال: «هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»^(١)، فالمتنطع هالك لن يصل إلى حياة، والآخذ للأمور على ظاهرها ويتقبلها كما يتقبلها الصحابة هذا هو الذي على حق؛ ولهذا أقول: إن أهل التنطع لا تجد نور الإيمان في قلوبهم إلا أن يشاء الله؛ لأن قلوبهم تكون دائماً قلقة تُوردُ الإيرادات والشبهات ولا تبقى منقادة، لو أنك أمعنت النظر لكنت تحكم على أن قلوب العامة أصفى من قلوب كثير من طلبة العلم؛ لأنهم يأخذون الأمور على ظاهرها قبولاً وتسليماً تاماً بدون إيراد احتمالات؛ ولهذا أهدر نفسي وإياكم من طريق الاحتمالات، فهذه اتركوها، خذ بما ظهر كما أخذ به من قبلك من الصحابة والتابعين والأئمة؛ ولهذا أنا أكره أن يقول الإنسان: «لو قال قائل...»، فإذا جاءت «لو قال قائل» انفتح باب الجدال، بل سلم للنصوص على ما هي عليه، ولا تفرض احتمالات ذهنية فتضل، وتبقى في كل أعمالك شاكاً، ولست أقول: إنك تكون شاكاً في العلم، بل حتى في العمل؛ لأنك ستقول: لعل الله أراد كذا، لعل الرسول أراد كذا، وتبقى في فهم الكتاب والسنة كالموسوس في العبادة.

فاترك الاحتمالات العقلية؛ لأنها واسعة، فيمكن أن يفرض الذهن عشرة احتمالات في نص واحد مثلما فرض المعطلة في الاستواء على العرش، فقالوا: الاستواء له معانٍ، والعرش له عشرة معانٍ، فأيهما تريد؟

إذن خذوا الأمور على ظاهرها، والحمد لله أنتم لم تُخاطبوا إلا بالظواهر، والاحتمالات التي توجب التشكك والتشكيك ابعدها عن أنفسكم حتى تسلموا.

(١) أخرجه مسلم: كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، رقم (٢٦٧٠).

٤٢٧٦- لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّ لَمَّا أَحَدٌ — تَجَنَّا إِلَيْهِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانَ

٤٢٧٧- جَمْعُ النَّصُوصِ وَفَهْمُ مَعْنَاهَا الْمَرَا دِ بِلْفُظِهَا

قَوْلُهُ: «لَكِنْ هُنَا أَمْرَانِ لَوْ تَمَّ لَمَّا أَحْتَجْنَا إِلَيْهِ»؛ أَي: إِلَى الْقِيَاسِ، «فَحَبَّذَا الْأَمْرَانَ»: الْأَوَّلُ: جَمْعُ النَّصُوصِ، وَالثَّانِي: فَهْمُ مَعْنَاهَا الْمَرَادِ بِلْفُظِهَا، وَهَذَانِ الْأَمْرَانِ لَا بُدَّ مِنْهُمَا، وَلَا يُمْكِنُ الْإِسْتِدْلَالُ إِلَّا بِهَذَا.

الْأَمْرُ الْأَوَّلُ: جَمْعُ النَّصُوصِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّكَ قَدْ تَسْمَعُ نَصًّا عَامًّا لَهُ مُخَصَّصَاتٌ فَتَحْكُمُ بِالْعَمُومِ وَحِينَئِذٍ تَكُونُ مَخْطِئًا، وَعَدَمُ جَمْعِ النَّصُوصِ ابْتِئَابِي بِهِ بَعْضُ الطَّلَبَةِ الْمُبْتَدِئِينَ، فَصَارَ إِذَا وَصَلَ إِلَى نَصٍّ أَخَذَ بِهِ، وَلَمْ يَبَالِ بِخِلَافِ الْعُلَمَاءِ وَلَا بِخِلَافِ عَمَلِ أَهْلِ الْبِلَادِ، وَيَقُولُ: أَنَا مَعِيَ الْعَمُومُ، مَعَ أَنَّ هَذَا الْعَمُومَ لَعَلَّهُ قَدْ خُصَّ بِمَا هُوَ أَقْوَى مِنْهُ رَتَبَةً فِي الثُّبُوتِ وَهُوَ لَا يَدْرِي.

مِثَالُ ذَلِكَ قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: «فِيَمَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ»^(١)، وَهَذَا الْحَدِيثُ عَمُومُهُ يَقْتَضِي وَجُوبَ الزَّكَاةِ فِي الْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَأَخَذْنَا الْعَمُومَ مِنْ قَوْلِهِ: «فِيَمَا سَقَتِ» مَا قَالَ: «فِيَمَا سَقَتِ إِذَا بَلَغَ كَذَا»، فَإِذَا لَمْ تَجْمَعْ النَّصُوصَ حَكَمْتَ عَلَى شَخْصٍ يَمْلِكُ نِصْفَ النَّصَابِ بِوَجُوبِ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ وَهِيَ الْعُشْرُ؛ لِأَنَّكَ أَخَذْتَ بِالْعَمُومِ، الْآنَ لَمَّا حَكَمْتَ بِوَجُوبِ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ وَزَرَعَهُ دُونَ النَّصَابِ أَخْطَأْتَ، وَالَّذِي فَاتَكَ هُنَا جَمْعُ النَّصُوصِ، لَوْ جَمَعْتَ هَذَا الْعَمُومَ إِلَى قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ»^(٢)، تَبَيَّنَ لَكَ أَنَّ مَا دُونَ النَّصَابِ لَيْسَ فِيهِ زَكَاةٌ.

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الْعُشْرِ فِيمَا يَسْقِي مِنْ مَاءِ السَّمَاءِ وَبِالْمَاءِ الْجَارِي، رَقْمُ (١٤١٢).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَا أَدَى زَكَاتَهُ فَلَيْسَ بِكَتْرٍ، رَقْمُ (١٣٤٠)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الزَّكَاةِ، رَقْمُ (٩٧٩).

الأمر الثاني: فَهْمُ المرادِ بها، وهذا هو الذي صارت فيه المِعارِكُ بين النَّاسِ؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ يفهمُ فهمًا غيرَ فَهْمِ الثَّانِي، وَصَحَّةُ الفَهِمِ لها أسبابٌ، سواء من جهةِ الفَهِمِ الذي يليقُه اللهُ في قلبِ الإنسانِ، أو من جهةِ الاعتقادِ السَّابِقِ؛ لأنَّ بعضَ النَّاسِ إذا كان عنده اعتقادٌ سابقٌ حملة اعتقاده على فَهْمِ التُّصَوِّصِ بمقتضى هذا الاعتقادِ، ولذلك كان من طرقِ العلمِ السَّليمةِ أن تستدلَّ أو لا تُنمَّ تعتقدَ أو تحكَمَ ثانيًا.

لكن فَهْمُ المرادِ هو الذي يختلفُ فيه النَّاسُ كثيرًا، هل أراد اللهُ كذا أو أراد كذا؟ مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]؛ يعني: إذا طُلِّقَتِ المرأةُ فلا بُدَّ أن تعتدَّ بثلاثة قُرُوءٍ، لكن ما هي القُرُوءُ؟ قال بعضُ العلماء: القُرُوءُ هي الحِيضُ، وقال آخرون: القُرُوءُ هي الأطهارُ، اختلفوا، فَمَنْ قال: هي الحِيضُ، قال: تعتدُّ بثلاثة حِيضٍ، وَمَنْ قال: هي الأطهارُ، قال: تعتدُّ بثلاثة أطهارٍ كاملةٍ.

وقال النَّبِيُّ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «ذَكَاءُ الجَينِ ذَكَاءُ أُمِّهِ»^(١)، والجَينُ هو الحَمْلُ في البطنِ، سُمِّيَ جَينًا لأنَّه مستترٌ، لكن ما معنى الحديث؟ قال بعضُ العلماء: يعني: إذا ذُكِّيتِ الشَّاةُ الحَامِلُ فذَكَاتُها ذَكَاءُ لَجَينِها، فإذا سلخناها وشققنا بطنها وأخرجنا الولدَ فهو مُدَكِّي حلالٌ، وقال بعضُ العلماء: ذَكَاءُ الجَينِ كذَكَاءِ أُمِّهِ؛ يعني: أنك إذا أردت أن تُدَكِّيَه فاقطع رأسه، وبناءً على هذا القولِ لو ذُكِّيتِ الشَّاةُ وأُخْرِجَتِ الجَينَ لم يحلَّ؛ لأنَّك لم تُدَكِّيَه.

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الضحايا، باب ما جاء في ذكاة الجنين، رقم (٢٨٢٨)، والترمذي: كتاب الأضحية، باب ما جاء في ذكاة الجنين، رقم (١٤٧٦)، وابن ماجه: كتاب الذبائح، باب ذكاة الجنين، ذكاة أمه، رقم (٣١٩٩).

فانظر إلى اختلاف الفهم، والصحيح أن معنى الحديث أن الأم إذا ذكيت فذكاؤها ذكاة للجنين، ولا يحتاج إلى أن يدكى؛ لأن الروح تخرج مع روح الأم أو تبقى قليلاً، فالمهم أنه لا بد من جمع النصوص، والثاني: فهم المراد، ثم إن الفهم يختلف فيه الناس اختلافاً عظيماً، ويذكر أن الشافعي - رحمه الله تعالى - نزل ضيفاً على الإمام أحمد، وكان الإمام أحمد يُثني عليه عند أهله - أي: أهل الإمام أحمد - يُثني على الإمام الشافعي كثيراً، وهو أهل للثناء، فنزل عليه ضيفاً، فقدم إليه العشاء فأكل العشاء كله، وهو كثير؛ يعني: ملاً بطنه، ثم تفرق كل منهما إلى منامه ولم يقم الشافعي لصلاة الليل، ولما أذن الفجر خرج إلى الصلاة بدون أن يطلب ماءً يتوضأ به، فقال أهل الإمام أحمد للإمام أحمد: هذا الشافعي الذي تُثني عليه دائماً أكل العشاء كله، وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُّ لِبَطْنِهِ وَثُلُّ لِشَرَابِهِ، وَثُلُّ لِنَفْسِهِ»^(١)، ثم إنه بقي على فراشه ولم يقم الليل، ثم إنه قام إلى صلاة الفجر ولم يتوضأ، وهذه أدهى في رأيهم، يُصلي بلا وضوء! فقال: ننظر في الأمر، فسأل الشافعي - رحمه الله - عن هذا، فقال: أمّا كوني أكل العشاء كله فلائي لا أعلم في هذا البلد طعاماً أحل من طعام الإمام أحمد فأردت أن أملاً بطني منه؛ يعني: وكأنه يقول: ولا ملامة علي في ذلك، وأبو هريرة ملاً بطنه من اللبن حتى إن الرسول قال له: «اشرب» قال: لا أجد له مساعاً^(٢)؛ لأن البطن امتلاء، وأمّا كوني لم أقم الليل فلائني أتأمل العلم، والعلم أفضل من قيام الليل، كنت أتأمل في قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «يَا أَبَا عَمِيرٍ مَا فَعَلَ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم (٢٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه وتخليهم من الدنيا،

النُّغَيْرُ؟»^(١)، وهذا حديثٌ يقوله الرسولُ لِصَبِيِّ صَغِيرٍ كان معه نُغَيْرٌ، والنُّغَيْرُ: الطَّيْرُ يلعبُ به، فلَمَّا مات الطَّيْرُ حزن الصَّبِيُّ عليه كالعادةِ، فالصَّبِيُّ إن كان له هَرَّةٌ يلعبُ بها ثُمَّ تَموتُ كأنَّها ماتت أمُّه أو أختُه، فكان الرسولُ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- من حُسْنِ خَلْقِهِ إذا مرَّ به بعد أن مات الطَّيْرُ يقولُ مازحًا له: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟»، وهذا الحديثُ اختلفت فيه الرواياتُ، استنبط من هذا الحديثِ مِثِّي فائدةٌ، مَنْ يستنبطُ مِنَّا مِثِّي فائدةٌ من هذا الحديثِ؟ ولا خمس فوائد، لكن هو -رحمه الله- إذا استنبط فائدةً يطلبُ لها دليلًا آخرَ، ثُمَّ يتولَّدُ من هذا الدَّلِيلِ فوائدٌ أخرى، فيكونُ هذا الحديثُ سببًا لموسوعةٍ علميَّةٍ في الحديثِ، وليس لأجلِ هذا الحديثِ فقط، وإلَّا فهذا الحديثُ -والعلمُ عند الله- لا يصلُ إلى هذا مهما كان، لكن كُلَّمَا استدلَّ به على مسألةٍ فَرَّعَ عليها، كُلَّ اللَّيْلِ وهو يستنبطُ هذه الفوائدَ، وهذا لا شكَّ أَنَّهُ أَفضَلُ من قيام اللَّيْلِ، فالعلمُ أَفضلُ من قيام اللَّيْلِ، قال الإمامُ أحمدُ: «العلمُ لا يعدُّه شيءٌ»^(٢).

الثالثة: خروجه إلى المسجد ولم يتوضأ؛ لأنَّه لم ينم، فلم يحتج إلى وضوءٍ، فرجع الإمامُ أحمدُ إلى أهلِهِ وأخبرهم بذلك، اللَّهُمَّ اجعلنا منهم، اللَّهُمَّ ألحقنا بالصالحين.

٤٢٧٧- وَالْفَهْمُ مَرْتَبَتَانِ

٤٢٧٨- إِحْدَاهُمَا مَدْلُولٌ ذَاكَ اللَّفْظِ وَضَمًّا - عَا أَوْ لُزُومًا ثُمَّ هَذَا الثَّانِي

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، رقم (٥٧٧٨)، ومسلم: كتاب

الآداب، باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته، رقم (٢١٥٠).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/٤٥).

٤٢٧٩- فِيهِ تَفَاوُتِ الْفُهُومِ تَفَاوُتًا لَمْ يَنْضَبِطْ أَبَدًا لَهُ طَرْفَانِ
يقول المؤلف رحمه الله: إِنَّ الْفَهْمَ مَرْتَبَتَانِ:

المرتبة الأولى: فَهْمٌ مَدْلُولِ اللَّفْظِ وَضَعًا، بَأَن تَفْهَمَ مَدْلُولَ هَذَا اللَّفْظِ وَضَعًا؛
أي: بحسب الوضع؛ أي: باعتبار الوضع الشرعي إن كان شرعيًا أو اللغوي إن
كان لغويًا، وهذا رُبَّمَا يَكُونُ سَهْلًا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَفْهَمَ مَعْنَى اللَّفْظِ
بِحَسَبِ اللَّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ؛ يَعْنِي: افْهَمَ مَا تَدُلُّ عَلَيْهِ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، فَمَثَلًا: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ
صَلَاةً بِغَيْرِ وُضُوءٍ»^(١)، الْوُضُوءُ فِي اللَّغَةِ أَعْمٌ مِنَ الْوُضُوءِ فِي الشَّرْعِ، فَالَّذِي غَسَلَ
وَنَظَّفَ يَدَيْهِ يُسَمَّى مَتَوَضِّئًا، فَلَا بُدَّ أَنْ تَفْهَمَ مَعْنَى الْوُضُوءِ فِي الشَّرْعِ؛ لِأَنَّ قَوْلَ
ابن القيم رحمه الله: «وَضَعًا» يَقْصِدُ بِذَلِكَ الْوَضْعَ الشَّرْعِيَّ وَالْوَضْعَ اللَّغَوِيَّ.

المرتبة الثانية: فَهْمٌ لَوَازِمِ الْخَطَابِ؛ يَعْنِي: دَلَالَةَ الْلُزُومِ، وَهَذِهِ يَتَفَاوَتُ فِيهَا
النَّاسُ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، رُبَّمَا يَفْهَمُ هَذَا الرَّجُلُ مِنْ دَلِيلٍ وَاحِدٍ لَوَازِمَ كَثِيرَةً لَا يَفْهَمُهَا
الآخَرُونَ فَيَسْتَفِيدُ فَوَائِدَ كَثِيرَةً لَا يَسْتَفِيدُهَا الْآخَرُونَ، فَتَجِدُ مَثَلًا رَجُلًا يَقُولُ:
«يَدُلُّ هَذَا الْحَدِيثُ بِمَنْطُوقِهِ عَلَى كَذَا، وَبِمَفْهُومِهِ عَلَى كَذَا، وَبِفَحْوَاهِ عَلَى كَذَا،
وَبِإِشَارَتِهِ عَلَى كَذَا، وَبِلَازِمِهِ عَلَى كَذَا»، ثُمَّ يَسْتَخْرِجُ فَوَائِدَ كَثِيرَةً لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا
إِنْسَانٌ آخَرٌ؛ فَلِذَلِكَ يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «ثُمَّ هَذَا الثَّانِي» مَا هُوَ هَذَا الثَّانِي؟ هُوَ مَدْلُولُ
الْلَفْظِ لَزُومًا، يَقُولُ: «هَذَا الثَّانِي فِيهِ تَفَاوُتِ الْفُهُومِ تَفَاوُتًا لَمْ يَنْضَبِطْ أَبَدًا لَهُ
طَرْفَانِ»، وَهَذَا صَحِيحٌ، فَالْفُهُومُ تَفَاوُتَتْ تَفَاوُتًا عَظِيمًا، وَمِنْ أَدَقِّ مَا رَأَيْتُ فِي فَهْمِ
النُّصُوصِ الْبِخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، فَإِنَّ تَرَاجُمَهُ عَلَى الْأَحَادِيثِ قَدْ يَعْجُزُ الْإِنْسَانُ عَنْ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحيل، باب في الصلاة، رقم (٦٩٥٤). ومسلم: كتاب الطهارة، باب
وجوب الطهارة للصلاة، رقم (٢٢٥).

معرفة وجه استشهاده بالحديث، هذا إذا لم يكن في الباب حديثٌ على غير شرطه؛ لأنه أحياناً يذكر الترجمة إشارة إلى حديثٍ ليس على شرطه، ثم يأتي بحديثٍ مُقاربٍ، والناس يتفاوتون تفاوتاً عظيماً.

٤٢٨٠- فَالْشَّيْءُ يَلْزِمُهُ لَوَازِمُ جَمَّةٍ عِنْدَ الْخَيْرِ بِهِ وَذِي الْعِرْفَانِ
٤٢٨١- فَبَقْدَرِ ذَاكَ الْخَيْرِ يُجْصِي مِنْ لَوَا
قَوْلُهُ: «الشَّيْءُ» يريدُ به اللَّفْظَ.

قَوْلُهُ: «ذَاكَ الْخَيْرِ»؛ أَي: الْمَعْرِفَةُ.

والمعنى: أَنَّ اللَّفْظَ يَلْزِمُهُ لَوَازِمُ كَثِيرَةٌ، لَكِنْ مَنْ يَعْرِفُ هَذِهِ اللَّوَاظِمَ؟
الجوابُ: يَعْرِفُهَا الْخَيْرُ بِدَلَالَاتِ اللَّزُومِ، فَمَثَلًا: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعد:١٦]، نَفَهُمْ مِنْ هَذَا أَنَّ اللَّهَ خَالِقٌ، نَفَهُمْ صِفَةَ الْخَلْقِ، وَنَفَهُمْ غَيْرَهَا
بِاللُّزُومِ، فَالْخَلْقُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ قَدْرَةٍ، إِذَنْ فَالْأَيَّةُ دَالَّةٌ عَلَى قَدْرَةِ اللَّهِ.

وِثَانِيًا: نَفَهُمُ الْعِلْمَ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ بِلا عِلْمٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

ثَالِثًا: نَفَهُمُ الْإِرَادَةَ، لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُقَ بِلا إِرَادَةٍ.

رَابِعًا: نَفَهُمُ الْحَيَاةَ؛ لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَا يَخْلُقُ.

خَامِسًا: نَفَهُمُ افْتِقَارَ الْخَلْقِ إِلَى اللَّهِ، وَغْنَى اللَّهِ عَنْهُمْ.

وَرُبَّمَا إِذَا تَأَمَّلْتَ أَيْضًا تَجِدُ فَوَائِدَ كَثِيرَةً، وَهَذِهِ الْمَدْلُولَاتُ هَلْ أَخَذْنَاهَا مِنْ دَلَالَةِ اللَّفْظِ وَضَعًا أَوْ لُزُومًا؟ الْجَوَابُ: لُزُومًا، فَلَمْ نَأْخُذْ مِنْ دَلَالَةِ اللَّفْظِ وَضَعًا إِلَّا صِفَةً وَاحِدَةً وَهِيَ الْخَلْقُ فَقَطْ، وَالْبَاقِي كُلُّهُ مِنَ اللَّزُومِ، هَذَا اللَّزُومُ يَتَفَاوَتُ

النَّاسُ فِيهِ تَفَاوُتًا عَظِيمًا كَمَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يُمْكِنُ أَنْ يَنْضَبَطَ لَهُ طَرَفَانُ». والأمثلة كثيرةٌ لا تُحْصَى، ومنها أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَمَرَ بِالْوَضُوءِ عِنْدَ إِرَادَةِ الصَّلَاةِ^(١)، فَلَوْ أَنَّ إِنْسَانًا لَيْسَ عِنْدَهُ مَاءٌ، لَكِنِ الْمَاءُ فِي السُّوقِ يُبَاعُ وَمَعَهُ دِرَاهِمٌ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَشْتَرِيَ، فَإِنَّا نَقُولُ لَهُ: يَلْزُمُكَ شِرَاءُ الْمَاءِ، فَاللَّهُ أَوْجَبَ عَلَيْكَ أَنْ تَشْتَرِيَ الْمَاءَ الْآنَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَتِمُّ امْتِثَالُ الْأَمْرِ بِالْوَضُوءِ إِلَّا بِالشَّرَاءِ، وَمَا أَكْثَرَ اللُّوْازِمَ الَّتِي تَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ وَهِيَ عِنْدَ آخِرِينَ مِثْلَ الشَّمْسِ!

- ٤٢٨٢- وَلِذَلِكَ مَنْ عَرَفَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً عَرَفَ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ بَيَّانًا
- ٤٢٨٣- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مُجْمَلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ
- ٤٢٨٤- عِلْمًا بِتَفْصِيلٍ وَعِلْمًا مُجْمَلًا تَفْصِيلُهُ أَيْضًا بِوَحْيٍ ثَانِي
- ٤٢٨٥- وَكِلَاهُمَا وَحْيَانٍ قَدْ ضَمِنَا لَنَا أَعْلَى الْعُلُومِ بِغَايَةِ التَّبَيُّانِ
- ٤٢٨٦- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَنْ صَفَاتِ اللَّهِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ ذِي الْإِحْسَانِ
- ٤٢٨٧- مَا لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ كِتَابٍ غَيْرِهِ أَبَدًا وَلَا مَا قَالَتِ الثَّقَلَانِ
- ٤٢٨٨- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَنْ صِفَاتِ الْبَعْثِ بِالْتَّفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ فِي الْقُرْآنِ
- ٤٢٨٩- مَا يَجْعَلُ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ مُشَاهِدًا بِالْقَلْبِ كَمَا لَمْشُهُودِ رَأْيِ عِيَانِ
- ٤٢٩٠- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَنْ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ وَصِفَاتِهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْذَّبَابُ عَامِنًا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْلَبُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٥].

- ٤٢٩١- يَعْرِفُ لَوَازِمَهَا وَيَعْرِفُ كَوْنَهَا مَخْلُوقَةً مَرْبُوبَةً بَيِّنَانِ
- ٤٢٩٢- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنْ الـ حَاجَاتِ وَالْإِعْدَامِ وَالنُّقْصَانِ
- ٤٢٩٣- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَصِفَاتِهِ أَيْضًا بِمَا مِثْلٍ وَلَا نُقْصَانِ
- ٤٢٩٤- وَهُنَا ثَلَاثَةٌ أَوْجُهُ فَاظُنْ لَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانِ
- ٤٢٩٥- بِالضُّدِّ وَالْأُولَى كَذَا بِالْإِمْتِنَانِ عِ لِعِلْمِنَا بِالنَّفْسِ وَالرَّحْمَنِ
- ٤٢٩٦- فَالضُّدُّ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِضِدِّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
- ٤٢٩٧- وَحَقِيقَةُ الْأُولَى بُبُوثُ كَمَالِهِ إِذْ كَانَ مُعْطِيهِ عَلَى الْإِحْسَانِ

الشرح

لما ذكر المؤلف -رحمه الله- أن نصوص الوحيين «الكتاب والسنة» فيها الكفاية، وفيها الغنى عما عداهما، قال رحمه الله:

٤٢٨٢- وَلِذَلِكَ مَنْ عَرَفَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً عَرَفَ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ بَيِّنَانِ مَنْ عَرَفَ الْقُرْآنَ مَعْرِفَةً حَقِيقَةً مُطَابِقَةً لِمَرَادِ اللَّهِ بِهِ فَإِنَّهُ يَعْرِفُ حَقِيقَةَ الْوُجُودِ مَعْرِفَةً كَوْنِيَّةً قَدْرِيَّةً، وَلِمَاذَا خُلِقَ؟ وَمَا غَايَتُهُ؟ وَمَا نَهَايَتُهُ؟ وَمَا ثَمَرَةُ الْحَيَاةِ؟ لِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ قَدْ بَيَّنَّ هَذَا إِمَّا جَمَلَةً وَإِمَّا تَفْصِيلًا.

٤٢٨٣- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ جُمْلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ إِذَا عَرَفَ الْقُرْآنَ حَقِيقَةً عَرَفَ كُلَّ مَا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ شَرِيعَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]،

والتَّيْبَانُ؛ أي: الذي يُبَيِّنُ كُلَّ شَيْءٍ، ولكن القصورُ منَّا، إمَّا قُصُورٌ وإمَّا تَقْصِيرٌ.
 إِذْ مَنْ عَرَفَ الْكِتَابَ حَقِيقَةً يَعْرِفُ أَيْضًا جَمَلَةَ الشَّرْعِ الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ
 كُلُّ زَمَانٍ؛ أي: من عهدِ الرَّسُولِ ﷺ إلى يومِ الْقِيَامَةِ، و«أَل» في «الْإِنْسَان» هنا
 لِلْجِنْسِ، لَكِنْ مَتَى يَوْجَدُ إِنْسَانٌ يَعْرِفُ الْكِتَابَ حَقِيقَةً؟ وَهُوَ نَادِرٌ، لَكِنْ مِنْ
 وَفَّقَ اللَّهُ - وَجَعَلَنِي اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ - لِهَذَا عَرَفَ الْوُجُودَ.

٤٢٨٤- عِلْمًا بِتَفْصِيلٍ وَعِلْمًا مُجْمَلًا تَفْصِيلُهُ أَيْضًا بِوَحْيٍ ثَانِي
 يَعْنِي: أحيانًا يَكُونُ الْقُرْآنُ مُفْصَلًا، وَأحيانًا يَكُونُ مُجْمَلًا وَتُفْصَلُهُ السُّنَّةُ،
 فَمَثَلًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣] هَذَا مُجْمَلٌ؛ إِذْ مَا الصَّلَاةُ الَّتِي
 نُقِيمُهَا؟ وَكَيْفَ نُقِيمُهَا؟ وَهَذَا الْإِجْمَالُ قَدْ بَيَّنَّتْهُ السُّنَّةُ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ﴾
 [البقرة: ٤٣]، هَذَا مُجْمَلٌ، لَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا الَّذِي يُؤْتَى هَلْ هُوَ قَلِيلٌ أَوْ كَثِيرٌ؟
 لَكِنْ بَيَّنَّتْهُ السُّنَّةُ، وَلَمْ يُبَيِّنِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا الَّذِي تَجِبُ الزَّكَاةُ فِيهِ مِنَ الْأَنْصِبَةِ، وَمَا
 الْمَالُ الْمَرْكَبِيُّ، وَمَنْ نَعِطِيهَا؟ وَلَكِنْ بَيَّنَّتْهُ السُّنَّةُ.

فَأَنْتَ تَرَى أَنَّ النُّصُوصَ تَأْتِي مُجْمَلَةً أحيانًا وَمُفْصَلَةً أحيانًا، وَمَا جَاءَ فِي
 الْكِتَابِ مُجْمَلًا وَفَصَّلَتْهُ السُّنَّةُ فَإِنَّ تَفْصِيلَهُ جَاءَ بِوَحْيٍ.

فَالْحَاصِلُ أَنَّ الْوَحْيَ - وَاللَّهُ الْحَمْدُ - تَأْمُّ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى غَيْرِهِ.

٤٢٨٥- وَكِلَاهُمَا وَحْيَانٍ قَدْ ضَمِنَا لَنَا أَعْلَى الْعُلُومِ بِغَايَةِ التَّيْبَانِ
 قَوْلُهُ: «وَكَِلَاهُمَا» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

فَهِيَ وَحْيَانٌ قَدْ ضَمِنَا لَنَا أَعْلَى الْعُلُومِ بِغَايَةِ التَّيْبَانِ، فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: أَمَا كُونُ
 الْقُرْآنِ وَحْيًا فَلَا شَكَّ فِيهِ، وَلَكِنْ كُونُ السُّنَّةِ وَحْيًا نَجِدُ بَعْضَ الْأَحَادِيثِ تَدُلُّ عَلَى

أَنَّ السُّنَّةَ لَيْسَتْ بِوَحْيٍ مِثْلَ قَوْلِهِ ﷺ: «لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»^(١)، و«...مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ»^(٢)، فهذا يدلُّ على أنَّها ليست وحيًا؛ لأنَّها لو كانت وحيًا لكان الأمرُ إلى الله، وقال في صلاة العشاء: «إِنَّهُ لَوْ قَتَّهَا لَوْ لَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي»^(٣)، وسأله رجلٌ عن الشهادة: هَلْ تُكْفِّرُ الذُّنُوبَ؟ فأجابه بأنَّها تُكْفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ، فَلَمَّا أَذْبَرَ الرَّجُلُ نَادَاهُ أَوْ أَمَرَهُ بِهِ فَنُودِيَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ ﷺ: «كَيْفَ قُلْتَ؟» فَأَعَادَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «نَعَمْ إِلَّا الدِّينَ كَذَلِكَ قَالَ لِي جِبْرِيلُ»^(٤)، وهذا أيضًا يدلُّ على أنَّها ليست بوحْيٍ؛ لأنَّ الوحيَ يكون متكاملاً.

المهمُّ هناك أحاديثٌ تدلُّ على أنَّ السُّنَّةَ لَيْسَتْ بِوَحْيٍ مِنْ اللَّهِ، فَمَا الْجَوَابُ؟
نقول: إِنَّ الْعُلَمَاءَ قَالُوا: إِنَّ إِقْرَارَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الشَّيْءِ مِنْ سُنَّتِهِ، فَإِقْرَارُ اللَّهِ نَبِيَّهُ عَلَى الشَّيْءِ كَالْوَحْيِ، فَإِذَا وَقَعَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ شَيْءٌ وَلَمْ يَقْرَهُ اللَّهُ بَيْنَهُ لَهُ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمَ الْكٰذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، وكقوله تَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَغَّى مَرَضَاتٍ أَرْوٰجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١].

المهمُّ أَنَّ الْجَوَابَ عَنْ هَذَا الْإِشْكَالِ أَنْ نَقُولَ: مَا وَقَعَ مِنَ الْأَحَادِيثِ مِمَّا ظَاهِرُهُ أَنَّهُ لَيْسَ بِوَحْيٍ فَإِنَّهُ وَحْيٌ بِاعْتِبَارِ آخَرَ وَهُوَ إِقْرَارُ اللَّهِ لَهُ، كَمَا قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ إِقْرَارَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى الشَّيْءِ يُعْتَبَرُ مِنْ سُنَّةِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، رقم (٨٨٧). ومسلم: كتاب الطهارة، باب السواك، رقم (٢٥٢).

(٢) أخرجه البخاري تعليقا: كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها، رقم (٦٣٨).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب الإمارة، باب من قتل في سبيل الله كفرت خطاياها إِلَّا الدَّيْنَ، رقم (١٨٨٥).

٤٢٨٦- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ ذِي الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَفْعَالِ»؛ أَي: أفعالِ الله.

قَوْلُهُ: «الْأَسْمَاءِ»؛ أَي: أسماءِ الله.

قَوْلُهُ: «ذِي الْإِحْسَانِ» «ذِي» بالجرِّ صفةٌ لـ«الله».

٤٢٨٧- مَا لَيْسَ يَعْرِفُ مِنْ كِتَابِ غَيْرِهِ أَبَدًا وَلَا مَا قَالَتِ الثَّقَلَانِ

قَوْلُهُ: «مَا لَيْسَ يَعْرِفُ» «يَعْرِفُ» بفتح الياء، وبضمِّها «يُعْرِفُ»، أَي: يَعْرِفُ

من صفاتِ الله ما لا يُعْرِفُ.

وهذا صحيحٌ، تَعْرِفُ من كتابِ الله ما لا تعرفه من غيره، بل تَعْرِفُ منه ما لا

تَعْرِفُه مِمَّا قاله الثَّقَلَانِ.

٤٢٨٨- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ صِفَاتِ الْبَعْثِ بِالْتَفْصِيلِ وَالْإِجْمَالِ فِي الْقُرْآنِ

صفاتُ البعثِ بَيْنَهَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيَانًا إِجْمَالِيًّا أحيانًا، وَبَيَانًا تَفْصِيلِيًّا أحيانًا.

٤٢٨٩- مَا يَجْعَلُ الْيَوْمَ الْعَظِيمَ مُشَاهِدًا بِالْقَلْبِ كَالْمَشْهُودِ رَأْيَ عِيَانٍ

الله أكبر، قال اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]،

و«الْأَجْدَاثُ»؛ أَي: القبورُ، تُشَاهِدُ هذا كَأَنَّكَ تُشَاهِدُ أَرْضًا مُنْبَسِطَةً يمشي عليها

جرادٌ مُنتَشِرٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ

الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ [الفارعة: ٤-٥]، كَأَنَّكَ تُشَاهِدُ، وقال تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا

تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمَلٍ حَمْلَهَا ﴿٢﴾ [الحج: ٢]،

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، والآيات في هذا كثيرة، كُلُّهَا تُصَوِّرُ الْقِيَامَةَ كَأَنَّهَا رَأْيُ عَيْنٍ.

٤٢٩٠- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَنْ حَقِيقَةَ نَفْسِهِ وَصِفَاتِهَا بِحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

وهذه هي المهمة، أن يعرف الإنسان نفسه، ويعرف حقيقتها، ويعرف أمَّها غادرةٌ خائنةٌ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ؛ ولهذا يقول:

٤٢٩١- يَعْرِفُ لَوَازِمَهَا وَيَعْرِفُ كَوْنَهَا مَخْلُوقَةً مَرْبُوبَةً بِبَيَانِ

قَوْلُهُ: «يَعْرِفُ لَوَازِمَهَا» «يَعْرِفُ» بالسُّكُونِ؛ لِأَجْلِ الْوِزْنِ.

فإذا عرف الإنسان نفسه عرف ربَّه، فيعرف أنه مخلوقٌ ضعيفٌ ومحتاجٌ إلى الله، وبذلك يعرف أن الله خالقٌ قويٌّ غنيٌّ.

٤٢٩٢- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ مَا الَّذِي فِيهَا مِنْ الْحَاجَاتِ وَالْإِعْدَامِ وَالنَّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «يَعْرِفُ مَا فِيهَا»؛ أَي: مَا فِي نَفْسِهِ.

والمعنى: يعرف ما في نفسه من الحاجات، وأنه بحاجةٌ إلى الله، وأنه لا غنى له عن الله طرفةً عينٍ، ويعرف كذلك ما فيها من الإعدامِ أمَّها مُعْدَمَةٌ لولا إيجادُ الله، يقول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

ويعرف ما فيها من النَّقْصِ، فالإنسانُ ناقصٌ إذا لم يَمُنَّ اللهُ عليه بالكمالِ، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، إِذْ نُ الْأَصْلُ فِي الْإِنْسَانِ الْعَدْمُ، عَدْمُ الْقُدْرَةِ، عَدْمُ الْغِنَى، عَدْمُ الْقُوَّةِ، وَأَنَّا بِحَاجَةٍ إِلَى غِذَاءٍ وَهَوَاءٍ وَلِبَاسٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، إِذْ نُ الْأَصْلُ فِيهِ النَّقْصُ، فَيَعْرِفُ بِنَقْصَانِهِ كَمَا لَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٢٩٣- وَكَذَلِكَ يَعْرِفُ رَبَّهُ وَصِفَاتِهِ أَيْضًا بِلَا مِثْلٍ وَلَا نُقْصَانٍ

هذا ليس تكرارًا مع البيت السابق، ولكنه قيّد هنا بأنه يَعْرِفُهُ بِصِفَاتِهِ بِلَا مِثْلٍ وَلَا نُقْصَانٍ، «بِلا مِثْلٍ»؛ يعني: لا يماثلهُ المخلوق وهو لا يماثل المخلوق، و«لَا نُقْصَانٍ»، بينها النقصانُ لازمٌ للإنسان، أمّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهُ مُنَزَّهٌ عَنْهُ.

٤٢٩٤- وَهَنَا ثَلَاثَةٌ أَوْجِهٍ فَاظُنُّ لَهَا إِنْ كُنْتَ ذَا عِلْمٍ وَذَا عِرْفَانٍ

٤٢٩٥- بِالضُّدِّ وَالْأُولَى كَذَا بِالِامْتِنَانِ عِلْمِنَا بِالنَّفْسِ وَالرَّحْمَنِ

يعني: هناك ثلاثة أوجهٍ بين الخالقِ والمخلوقِ اظنُّ لها إن كنت ذا علمٍ وذا عرفانٍ: بِالضُّدِّ، وَالْأُولَى، كَذَا بِالِامْتِنَانِ عِلْمِنَا بِالنَّفْسِ وَالرَّحْمَنِ.

فَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ:

٤٢٩٦- فَالضُّدُّ مَعْرِفَةُ الْإِلَهِ بِضِدِّ مَا فِي النَّفْسِ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانٍ

هذا الضُّدُّ؛ يعني: أَنَّكَ إِذَا عَرَفْتَ نَفْسَكَ بِأَنَّكَ مَخْلُوقٌ مِنْ عَدَمٍ وَأَيْلٌ إِلَى الْعَدَمِ، وَأَنَّكَ مَحْتَاجٌ وَنَاقِصٌ، اعْرِفْ أَنَّ ضِدَّ ذَلِكَ ثَابِتٌ لِلخَالِقِ، وَوَجْهُهُ أَنَّ الخَالِقَ مُوجِدٌ وَالْمَخْلُوقَ مُوجِدٌ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَتَسَاوَى المُوْجِدُ وَالْمُوْجَدُ، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الْإِيجَادِ وَالْوُجُودِ، فَالْإِنْسَانُ مُوجِدٌ؛ إِذَنْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى ضِدِّ صِفَاتِ المُوْجِدِ وَهُوَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

فَإِذَا كُنَّا ذَا نَقْصٍ فَالرَّبُّ ذُو كَمَالٍ، وَعَلَى هَذَا فِقْصٌ، كَذَلِكَ إِذَا كُنَّا ذَا عَيْبٍ فَالرَّبُّ مُنَزَّهٌ عَنِ الْعَيْبِ، وَوُجُودُنَا هَلْ هُوَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَوْ مِنَ الْوَاجِبِ أَوْ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ؟

الجوابُ: لَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ: مِنَ الْمُسْتَحِيلِ؛ لِأَنَّنا مُوجِدُونَ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ

نقول: من الواجب؛ لأننا من عَدَمٍ، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنِى عَلَى الْإِنْسَنِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكَورًا﴾ [الإنسان: ١].

٤٢٩٧- وَحَقِيقَةُ الْأَوْلَى ثُبُوتُ كَمَالِهِ إِذْ كَانَ مُعْطِيهِ عَلَى الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «الْأَوْلَى» معناه: كُلُّ صِفَةِ كَمَالٍ فِي الْمَخْلُوقِ فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهَا؛ وَهَذَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِذْ كَانَ مُعْطِيهِ عَلَى الْإِحْسَانِ».

حَقِيقَةُ الْأَوْلَى ثُبُوتُ كَمَالِهِ، فَمَتَى ثَبَّتَ فِي الْمَخْلُوقِ كَمَالَ فَإِنَّ الْخَالِقَ أَوْلَىٰ بِهِ لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُ مُعْطِيَ الْكَمَالِ، وَمُعْطِي الْكَمَالِ أَوْلَىٰ بِالْكَمَالِ.

بقينا في الوجه الثالث: الامتناع؛ أي: امتناع العيب والنقصان، فإن الله تعالى تمتنع عليه العيب والنقصان، لكن لو قال قائل: النوم في الإنسان هل هو كمال أو نقص؟ نسأل أولًا: أيها أكمل: حياتنا هنا أو في الجنة؟ الجواب: في الجنة، هل في الجنة نوم؟ إذن صار نقصًا، لكن هذا النقص إنما كان لضعف البدن عن مكابدة الحياة ومقاومتها، فمن أجل ذلك من الله علينا بالنوم لنستريح من شيء من تعب الماضي، ونستجد نشاطًا للمستقبل، لكنه باعتبار البشرية المبنية على النقص يُعتبر كمالًا؛ لأن من ينام ويستيقظ أكمل من الذي لا ينام، ولهذا فإن الإنسان إذا كان لا ينام تنهدم صحته.

والأكل والشرب هل هما كمال أو نقص؟ هما نقص في الأصل؛ لأن البدن يحتاج إليهما للبقاء والنماء، فإذا هما نقص، لكنهما كمال من جهة أخرى وهي أن بهما قيام البدن ونماءه؛ ولهذا من لا يأكل لا بُدَّ أن يكون لمرضٍ وإلا بمقتضى الطبيعة لا يمكن أن يدع الأكل.

فإن قال قائل: إِذَنْ أَهْلُ الْجَنَّةِ حَيَاتُهُمْ نَاقِصَةٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ؟

نقول: يأكلون ويشربون لكمالِ نعيمهم تَلَذُّذًا، ولا نقول: لأنهم لو لم يأكلوا الماتوا؛ لأنَّه ليس فيها موتٌ لكن للتَلَذُّذِ؛ ولهذا عندهم نساءٌ يتلذذون بهنَّ، وهم ليسوا بحاجةٍ إلى الأولادِ، ولا يأتهم أولادٌ أيضًا.

فالحاصلُ أننا نقول: الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ كَامِلٌ لا تأخذه سِنَّةٌ ولا نومٌ، وهو يُطْعِمُ ولا يُطْعَمُ، لا يحتاجُ إلى أَكْلِ ولا شُرْبِ، ولا إلى غيرِ ذلك، فهو سبحانه وتعالى كاملُ الغنى، وكُلُّ ما سواه فهو مفتقرٌ إليه؛ ولهذا يلجأُ الخلقُ إلى ربِّهم عَزَّ وَجَلَّ يسألونه حاجاتهم من تفريجِ الكرباتِ وتحصيلِ الخيراتِ.

بفضل الله تعالى وتوفيقه تمَّ المجلد الثالث

ويليه بمشيئة الله تعالى المجلد الرابع

وأوله: فصلٌ في بيانِ شُرُوطِ كِفَايَةِ النَّصِيِّنِ، البيت رقم (٤٢٩٨)

فهرس الآيات

الصفحة	الآية
١٠	﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرِيهَا﴾
٢٠	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾
٢٠	﴿وَقَدِّلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَدِّلُونَكُمْ كَافَّةً﴾
٢٤	﴿الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾
٢٧	﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾
٣٣	﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾
٣٤	﴿وَلِينَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾
٣٥	﴿أَجْعَلِ الْأَلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾
٣٥	﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ﴾
٣٦	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾
٣٦	﴿اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾
٣٦	﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾
٣٨	﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾
٣٨	﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾
٣٩	﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾
٣٩	﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ صَاحِبَةً﴾
٣٩	﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾

- ﴿وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدًّا رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَنِجَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ٣٩
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ ٤٩، ٣٩
- ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ ٣٩
- ﴿مَا لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ ٣٩
- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدُّنْيَا﴾ ٤٠
- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَىٰ آلِهِي الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ٤٠
- ﴿أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزُبْ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ٤٠
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لَّغْوٍ﴾ ٤١
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ ٥٤، ٤١
- ٢٠٤، ٨٢، ٧٠
- ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمٰوٰتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ ٤١
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ﴾ ٤١
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ ٤١
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ١٤٠، ٤١
- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ١٤٠، ٤٢
- ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ٤٢
- ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ٤٣
- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ ٤٣
- ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾ ٤٣

- ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ ٤٣
- ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيتَكُمْ﴾ ٤٣
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ ٤٣
- ﴿وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ ٤٣
- ﴿لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ ٤٩
- ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٥٢
- ﴿وَاللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ٥٢
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ ٥٥
- ﴿أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ٥٥
- ﴿أَسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ ٦١، ٥٥
- ٥٨٦، ٤٤٢، ٤١٥، ٣٨٦، ٣٢٨، ٢٥٣، ٦٨، ٦٥
- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ٥٦
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ٥٦
- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ ٣٩١، ٥٧
- ﴿فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَكَ﴾ ٦١
- ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَكَ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ ٦١
- ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ ٢٦٣، ٦١

- ﴿فَمَنْ رُحِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ ٦٤
- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ ٦٧
- ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ٦٧
- ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ ٦٨
- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾ ٦٨
- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ﴾ ٦٨
- ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ ٦٩ ، ١٧٤
- ﴿كُلٌّ مِّنْ عِلِّيَّاتٍ فَإِنَّ ﴿٦٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ٧٠
- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ ٧٠
- ﴿الْعَمَّ ﴿١﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ٧٠
- ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ ٧٠
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ٧١
- ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ٧١
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ ٧١
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ٧١
- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ وَلَكِنِ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ٧٢
- ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ ٧٢
- ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ ٧٢
- ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٧٢

- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ٧٢
- ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٧٢
- ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ ٧٣
- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ٧٣
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ٧٣
- ﴿لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ ٧٣
- ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ٧٤
- ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ٧٤
- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۗ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٧٤
- ﴿وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ ٧٤
- ﴿وَإِذَا النُّونُ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ ٧٥
- ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ٧٥
- ﴿وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ ٧٥
- ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ ٧٦
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ ٧٦
- ﴿وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا﴾ ١٠٩، ٧٦
- ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ ٧٧
- ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ٧٩
- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ ٧٩

- ٨٢ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾
- ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ
الْأَلِيمُ﴾ ٨٣
- ٨٣ ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
- ٨٣ ﴿وَجِئْنَاكَ مِنْ سِمْيَٰئٍ بَنِيٍّ يَتَقَيْنُ﴾
- ٨٣ ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾
- ٨٣ ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾
- ٨٤ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
- ٨٤ ﴿نَبِّرْكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾
- ٨٥ ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾
- ٨٥ ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَانِبِينَ﴾
- ٨٦ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾
- ٨٧ ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾
- ٨٧ ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ﴾
- ٨٨ ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾
- ٨٨ ﴿ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ﴾
- ٨٩ ﴿وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾
- ﴿يَوْمَ هُمْ بَدْرُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ
الْقَهَّارِ﴾ ٨٩
- ٩١ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾

- ٩١ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾
- ٩١ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾
- ٩٢ ﴿لَا تَخَافُ إِنِّي مَعَكُمْ آسَمِعُ وَأَرَى﴾
- ٩٢ ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾
- ٩٢ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾
- ٩٢ ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾
- ٩٣ ﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾
- ٩٤ ﴿رَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَرَنَّهُ قَرِيبًا﴾
- ٩٤ ﴿الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾
- ٩٤ ﴿إِنِّي مَعَكُمْ آسَمِعُ وَأَرَى﴾
- ٩٤ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ فَنَسَاهُ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾
- ٩٩ ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾
- ١٠٠ ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾
- ١٠٠ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
- ١٠٠ ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾
- ١٠١ ﴿وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾
- ١٠١ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾
- ١٠٢ ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾

- ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٠٤
- ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٠٤
- ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ ١٠٤
- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ ١٠٥
- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ لِدَا وَرَ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِيلِ وَكَبِيرَةٌ تَكْبِيرًا﴾ ١٠٦
- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ١٠٩
- ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ١٠٩
- ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ﴾ ١١٠
- ﴿وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ ١١٠
- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١١٢
- ﴿وَمَا كَانَتْ لِلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ١١٢
- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ١١٢
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ ١١٢
- ﴿وَلَوْ مَشَاءَ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لَبِلُوا بَعْضَكُمْ﴾ ١١٤
- ﴿يَقُولُونَ لِنِ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضُ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ ١١٦
- ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١١٦، ٢٠٧

- ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمَ الْحَاكِمِينَ ﴾ ١١٨
- ﴿ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ ٦٤٣، ١١٩
- ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾ ١١٩
- ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ ١٢٢
- ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ ١٢٣
- ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴾ ١٢٣
- ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ ﴾ ١٢٣
- ﴿ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ ١٢٣
- ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ ﴾ ١٢٨
- ﴿ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾ ١٣٠
- ﴿ مَنْ يَشَأْ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ١٣١
- ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ ١٣١
- ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ ١٣٦
- ﴿ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ١٣٧
- ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا ﴾ ١٣٨
- ﴿ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالَ وَهُوَ كَرِهٌ لَكُمْ ﴾ ١٣٨
- ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ١٣٩
- ﴿ فَانقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ١٣٩
- ﴿ لَا يَكْفِيُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ١٣٩

- ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ، وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ ١٣٩ .
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ ١٣٩، ٥٧٠
- ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ١٣٩
- ﴿مَنْ أَجَلَ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ ١٤٠
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ١٤٠
- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَعِينِينَ﴾ ١٤٠
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ ١٤٣
- ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي ۚ مِنْكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي ۚ مِنْ الْحَقِّ﴾ ١٤٣
- ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۗ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ٤٧، ١٤٣
- ١٦١، ٣٢٩، ٦٠٣
- ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ ١٤٥
- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۗ إِنَّمَا نُمَلِّ لَهُمْ لِيُذَادُوا إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ١٤٥
- ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ١٤٥
- ﴿وَأُمَلِّ لَهُمْ إِيَّاكَ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ ١٤٥
- ﴿وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ ١٤٦

- ﴿إِنْ تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ... ١٤٦
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ ١٤٦
- ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَعْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ ١٤٧
- ﴿مَنْ يُعِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ١٤٨
- ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ١٤٨
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ ١٤٨
- ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ ١٤٩
- ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ١٤٩
- ﴿فَأَمَّا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ ١٥٠
- ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَصُرُوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ ١٥١
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ
- عَذَابًا مُهِينًا﴾ ١٥١
- ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ ١٥٢
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تَوَسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ ١٥٢
- ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ١٥٢
- ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ١٥٣
- ﴿لَهُ مَعْقَبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ١٥٣
- ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينٍ ﴿١١﴾
- يَعْمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ ١٥٣
- ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ ١٥٤

- ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ ١٥٦
- ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ ١٥٧
- ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ ١٥٧
- ﴿وَهُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ١٥٧
- ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۗ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ .. ١٦١
- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسَّوَسُ بِهِ نَفْسَهُ ۗ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ١٦٣
- ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ ١٦٣
- ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَكِيدِينَ الصَّالِينَ﴾ ١٦٣
- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ ١٦٣
- ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ... ١٦٤
- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ ١٦٤
- ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ﴾ ١٦٥
- ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ ١٦٦
- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظَّلَلِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ ١٦٦

- ١٦٦ ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهُ﴾
- ١٦٦ ﴿فَلَمَّا تَخَنَّكَزْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾
- ١٦٧ ﴿وَيُنزِلُ الْغَيْثَ﴾
- ١٦٧ ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾
- ١٦٧ ﴿فَاسْتَعِذْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾
- ١٦٩ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْرَّحِيمُ﴾
- ١٦٩ ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَرِّئَتٍ مِنْكُمْ عَنِ دِينِهِمْ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾
- ١٧٠ ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾
- ١٧٠ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
- ١٧٢ ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
- ١٧٢ ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾
- ١٧٣ ﴿لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ خُنَفَاءَ﴾
- ١٧٤ ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾
- ١٧٤ ، ١٩٠ ﴿وَلَا يظلمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾
- ١٧٤ ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيمًا بَصِيرًا﴾
- ١٧٤ ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾
- ١٧٤ ﴿إِنَّمَا شَاكِرًا وَإِنَّمَا كَفُورًا﴾
- ١٧٥ ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾

- ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾ ١٧٥
- ﴿ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ١٧٧
- ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ ١٧٨
- ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ ﴾ ١٧٨
- ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا ﴾ ١٧٨
- ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ ١٧٨
- ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاعَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ﴾ .. ١٧٩
- ﴿ وَضَاعَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ ١٧٩
- ﴿ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ﴾ ١٧٩
- ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ﴾ ١٧٩
- ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ ١٨٠
- ﴿ يَوْمَ هُمْ بَدْرُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ
الْقَهَّارِ ﴾ ١٨٣
- ﴿ يَمَعَشَرَ الْجَنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِن أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
فَأَنفُذُوا ﴾ ١٨٣
- ﴿ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَنِ ﴾ ١٨٣
- ﴿ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ١٨٣
- ﴿ نَبِيٌّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ
الْأَلِيمُ ﴾ ١٨٤
- ﴿ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ ١٨٤

- ١٨٥ ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾
- ١٨٧ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
- ١٨٧ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾
- ١٨٧ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾
- ﴿وَأْتَلُوا أَلِنَمَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ
 ١٨٨ ﴿أَمْوَالَهُمْ﴾
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ
 ١٨٨ لِلخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾
- ١٨٩ ﴿عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾
- ١٩٠ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾
- ١٩٠ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾
- ١٩٠ ﴿لِلذِّكْرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾
- ﴿وَأَسْتَهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِّن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ
 ١٩٠ وَأَمْرًا تَكَانِ﴾
- ١٩٠ ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ﴾
- ١٩٠ ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَةُ وَالنُّورُ﴾
- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ
 ١٩١ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾
- ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾
- ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي
 ١٩٢ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

- ﴿أَمَلِكُ الْقُدُوسُ السَّلَامُ﴾ ١٩٤
- ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ ١٩٥
- ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ .. ١٩٦
- ﴿يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْتِهَا وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورُ﴾ ١٩٦
- ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ ١٩٦
- ﴿رَبَّنَا أَفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾ ١٩٦
- ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ ١٩٧
- ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ ١٩٧
- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ ١٩٧
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ١٩٧
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ .. ١٩٨
- ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ ٢٠٠
- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٢٠١
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ ٢٠١
- ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ ٢٠٤
- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ ٢٠٤
- ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ٢٠٦
- ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ ٢٠٧، ٢٣٨، ٤٠٣

- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ٥٢١، ٢٠٨
- ٥٧٠
- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٢١١
- ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ ٢١١
- ﴿يُكْوِرُ أَيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِرُ النَّهَارَ عَلَى أَيْلِ﴾ ٢١٣
- ﴿يُعْشَى أَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُهَا﴾ ٢١٣
- ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ ٢١٥
- ﴿كَمْشَكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ ٢١٥
- ﴿أَوْ مِنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ٢٦٧، ٢١٥
- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ ٢١٩
- ﴿لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ ٢١٩
- ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢١٩
- ﴿كَأَنَّهُمْ لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ ٢١٩
- ﴿وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ ٢٢٣
- ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٣٧
- ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ ٢٣٨
- ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ٢٣٨

- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٢٤٣
- ﴿وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤٧
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ ٢٤٨
- ﴿أَفَنَ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ٢٤٨
- ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ ٢٤٨
- ﴿ذَرْنِي وَمَن خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ ٢٤٨
- ﴿سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٢٤٨
- ﴿أَنَا رَبُّكُمْ﴾ ٢٥١
- ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ٣٨٢، ٢٥٤
- ٥٩١، ٥٨٦، ٣٩٤
- ﴿لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾ ٢٦٤، ٢٥٥
- ٥٨٦، ٤٤٢، ٣٣٢
- ﴿وَمَن أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٢٦١
- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ٥٧٥، ٢٦٣
- ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ ٥٧٥، ٢٦٣
- ﴿تَجْرَىٰ بِأَعْيُنِنَا﴾ ٢٦٤
- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ٢٦٤
- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ ٢٧١

- ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي
 ٢٧٢ السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾
- ﴿ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ ﴾ ٢٧٢
- ﴿ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ ٢٧٢
- ﴿ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ ﴾ ٢٧٢
- ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
 ٢٧٤ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾
- ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ٢٧٤
- ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءِلهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ ٢٧٧
- ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ
 ٢٧٧ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾
- ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَفَتَرَكُمْ عَنْ
 ٢٧٩ سَبِيلِهِ ﴾
- ﴿ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ
 ٢٨٤ الْأَخْيَارِ ﴾
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ
 ٢٨٧ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَعْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ ٢٨٧
- ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ ﴾ ٢٨٧
- ﴿ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ ٢٨٩

- ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ
 الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴾ .. ٢٨٩
- ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ ٢٨٩
- ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ ٢٩٥
- ﴿ لِيَسْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ٢٩٥
- ﴿ بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ ﴾ ٢٩٥
- ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا
 ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ ٣٠١
- ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ ٣٠٦
- ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ٣١٠
- ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ﴾ ٣١١
- ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ﴾ ... ٣١٢
- ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ
 الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ٣١٢
- ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا
 بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ ٣١٣
- ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
 ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا ﴾ ٣١٣
- ﴿ وَالسَّيْقُوتِ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
 بِإِحْسَانٍ ﴾ ٣١٤

- ﴿وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَقِنْتَهَا أَنْفُسَهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ ٣٢٣
- ﴿يُدُّ اللَّهُ﴾ ٣٢٨
- ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ ٣٢٨
- ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَلْحُوا أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ٣٣٨
- ﴿مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ٣٤٨
- ﴿إِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا قَالِ كَسَطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٤٣٠، ٣٥٢
- ٤٨٠
- ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٤٣٠، ٣٥٢
- ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ﴾ ٣٥٥
- ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ ٣٧٣
- ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ ٣٧٧
- ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ٣٨٠
- ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ ٣٨١
- ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ٣٨١
- ﴿وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ ٣٨٢
- ﴿بِبَرَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ ٣٨٢
- ﴿وَمَا عَمِلْتَ أَيَّدِنَا أَنْعَمًا﴾ ٣٨٢
- ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾ ٣٨٢
- ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ٣٨٨
- ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ﴾ ٣٨٨

- ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجَاجَلَ بِهِ ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿ ٣٨٨ ٣٨٨
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (١٧) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿ ٣٨٨ ٣٨٨
- ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (١٨) ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿ ٣٨٩ ٣٨٩
- ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ ﴾ قَالَ لَنْ تَرِنِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴿ ٣٩٢ ... ٣٩٢
- ﴿ وَجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴾ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿ ٣٩٢ ٣٩٢
- ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴾ ٣٩٢
- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ٣٩٤
- ﴿ نَبْرَكَ اسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ ﴾ ٣٩٤
- ﴿ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾ ٣٩٥
- ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾ ٣٩٦
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ٣٩٦
- ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ ٣٩٧
- ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ ٣٩٧
- ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ ٣٩٧
- ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ ٣٩٨، ٦٤
- ٥٩١، ٤٠٨
- ﴿ وَيَوْمَ تَشَقُّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ ﴾ ٣٩٨

- ﴿وَنَزَّلَ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴿٦٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى
 ٣٩٨ ﴿الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾
- ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَعَةً سَيِّئَةً
 ٤٠١ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾
- ﴿أَفَآمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ ٤٠٨
- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ ٤١٢
- ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ ٤١٢
- ﴿يَقُومُوا لِمَ تُوذُّوَنِي﴾ ٤٣٠
- ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ
 ٤٣٣ ﴿قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾
- ﴿أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ٥٧٩، ٤٤٢
- ﴿لَا غُورَ لَهُمْ﴾ ٤٤٤
- ﴿إِلَّا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ٤٥١
- ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ ٤٥٢
- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ٤٥٥
- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُوفُورًا قَوْمِينَ بِالْإِقْصَاطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ ٤٥٧
- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ٤٥٨
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا
 ٤٥٩ ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ٤٦٠

﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا﴾ ٤٦٠

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ٤٦٠

﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ ٤٦٤

﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٤٦٤

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ ٤٦٦

﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ ٤٦٧

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ ٤٦٧

﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ٤٦٧

﴿مَلَّةَ أَيْكُمُ الْإِبْرَاهِيمَ﴾ ٤٧١

﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ٤٧١

﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ ٤٧١

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ﴾ ٤٧٢

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾ ٤٧٢

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ ٤٧٨، ٥٠١

﴿وَدُوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ﴾ ٤٨٠

- ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ ٥٨٦، ٤٨٦
- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ ٥٢١، ٤٩٠
- ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ ٤٩٢
- ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ ٤٩٦
- ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ ٤٩٦
- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ ٤٩٦
- ﴿وَاتَّقُوا يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ ٤٩٦
- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ ٤٩٧
- ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ٤٩٧
- ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ﴾ ٤٩٧
- ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ وَأَخْشَوْنَ﴾ ٤٩٧
- ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ ٤٩٨
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ٤٩٨
- ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ ٤٩٨
- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِيُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
- وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٤٩٩
- ﴿وَأَمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ آيَاتِنَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا﴾ ٥٠٨
- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ٥٠٩
- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ ٥١٠

- ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ ٥١١
- ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ ٥١٣
- ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِيَعْقِيبَ ابْنَ مَرْيَمَ إِنَّكَ عَلَى النَّاسِ عِظْمًا نُزِقًا فَاقْنَبْ وَكُن مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ٥١٥
- ﴿ يَبْقَى إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ ﴾ ٥١٥
- ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ٥٦١، ٥٢٢
- ﴿ وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ٥٢٨
- ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ ٥٣٠
- ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبِغُ ﴾ ٥٣١
- ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا ﴾ ٥٣٥
- ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ ﴾ ٥٣٥
- ﴿ وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ ٥٣٨
- ﴿ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدُورَهُمْ وَلِيَطَوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ٥٣٨
- ﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ٥٤٤
- ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ ٥٤٥
- ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ ٥٤٧

- ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾ ٥٥٢
- ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا ﴾ ٥٧٠
- ﴿ فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِّثْقَلُهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَٰةَ عَن مَّوَٰضِعِهَا وَتَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ ٥٧٢
- ﴿ وَإِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ ٥٧٧
- ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ﴾ ٥٧٧
- ﴿ سُبْحٰنَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ﴾ ٥٧٧
- ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِنَهُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْعَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ٥٧٧
- ﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسٰنِ إِلَّا الْإِحْسٰنُ ﴾ ٥٧٨
- ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ﴾ ٥٧٩
- ﴿ مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرٰى ﴾ ٥٧٩
- ﴿ قَالَ فِيمَا أَعُوذُ بِكَ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ ٥٨٠
- ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّصِيحِينَ ﴿١١﴾ فَدَلَّهُمَا بِقُرْءٍ ﴾ ٥٨١
- ﴿ قَالَا رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴾ ... ٥٨٢
- ﴿ فَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴾ ٥٨٥
- ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي ﴾ ٥٨٨
- ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمٰى ﴿١٢﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمٰى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٣﴾ قَالَ كَذٰلِكَ أَتٰكَ

- ٥٩٤ ﴿أَيُّدُنَا فَنَسِينَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنسِي﴾
- ٥٩٦ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾
- ٥٩٦ ﴿وَمَا ءَانِكُمْ الرَّسُولُ فَحُذُّهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾
- ٥٩٩ ﴿قَدْ رَأَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾
- ٦٠٣ ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾
- ٦٠٣ ﴿لَمْ يَكِلِدْ وَلَمْ يُؤَلِّدْ﴾
- ٦٠٣ ﴿وَلَمْ يَنْجِدْ وَلَدًا﴾
- ٦٠٣ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾
- ٦٠٣ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾
- ٦٠٣ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِلْعَيْبِ﴾
- ٦٠٩ ﴿قَالَ اللَّهُ يَخُفِّكُمْ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾
- ٦٠٩ ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾
- ٦٠٩ ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾
- ٦٠٩ ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾
- ٦٢٠ ﴿وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾
- ٦٣٠ ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾
- ٦٣١ ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾

- ٦٣٦ ﴿وَالْمُطَلَقَاتُ يَرْبَصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾
- ٦٤٠ ﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾
- ٦٤٠ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾
- ٦٤٢ ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾
- ٦٤٣ ﴿وَمَا آتَاؤُا الزَّكَاةَ﴾
- ٦٤٤ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَتَعْلَمَ الْكٰذِبِينَ﴾
- ٦٤٤ ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبٰئِغِي مَرْضَاتِ أَرْوَاجِكَ وَاللَّهُ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾
- ٦٤٥ ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾
- ٦٤٥ ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ
كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾
- ٦٤٥ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾
- ٦٤٦ ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾
- ٦٤٦ ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾
- ٦٤٦ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾
- ٦٤٨ ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
٥٧	«رَبُّنَا اللهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ تَقَدَّسَ اسْمُهُ»
٥٧	«سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى»
٥٩٩، ٥٧	«أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»
٣٧٦، ٥٧	«أَعْتَقَهَا؛ فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ»
٥٩٩	
	أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ بِالنَّسْبَةِ لِلْكَرْسِيِّ كَحَلْقَةِ
٦٠	أُلْقِيَتْ فِي فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ
٤٠٥، ٦٠	«هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ»
٦٣٤	
	«الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقولٍ، والإيمانُ به
٦٢	واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ»
٦٥	«اللهم عَلِّمهُ التَّأْوِيلَ»
٧٤	«وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»
٧٥	«كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِنِسِيِّهِ: «.....
	«لَا يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللهِ - وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ -
	إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَتَعَبُ دَمًا، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ
٧٨	رِيحٌ مِنْكَ»

- ٧٩ «مَنَّان»
- ٨١ «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ»
- ٨٥ «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ»
- «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ٨٦، ٢٢٤
- «... فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
- حَمَدَنِي عَبْدِي...» ٨٩
- ٩١ «كَانَ ﷺ يُكْرِّرُ فِي كُلِّ صَلَاةٍ قَوْلَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ»
- ٩٢ «مَا أَرَى زَوْجَكَ إِلَّا قَدْ طَلَّقَكَ»
- ٩٣ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ»
- «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ» ٩٨
- ١٠٥ «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ»
- «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ [حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ] مِلءَ السَّمَاءِ وَمِلءَ الْأَرْضِ» ١٠٦
- ١٠٦ «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا أَتَاهُ الْأَمْرُ يَسْرُهُ قَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي»
- «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَيْتَكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيَنَادِي بِصَوْتٍ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ» ١٠٩

- «إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيْرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا» ١١١، ٦٣٠
- «فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ أَحَدٌ دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَكُنْ لِي بُدٌّ مِنَ الْقِيَامِ حِينَ دَعَانِي، فَقَالَ: يَا حُذَيْفَةُ فَادْهَبْ فَادْخُلْ فِي الْقَوْمِ فَانظُرْ مَاذَا يَفْعَلُونَ...» ١١٣
- «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى، لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِيضْ مَا فِي يَدِهِ» ١١٤
- «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الْخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا - حَتَّى يُوَافِيَ رَبَّهُ وَمَا عَلَيْهِ ذَنْبٌ - وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ١٢٣
- «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الْحُدُودَ، وَشَقَّ الْجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» ١٢٥
- «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى» ١٢٥
- «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» ١٢٨
- «يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا» ١٢٨
- «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ» ١٣٠
- «سُبْحَانَ مَنْ لَا يَكُونُ فِي مَلِكِهِ إِلَّا مَا يَشَاءُ!» ١٣١

- «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ
فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ» ١٣٤
- «يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أَعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً،
قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: إِنَّهُ قَدْ سَبَقَ مِنِّي أَمْرُهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ» ١٣٨
- «لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الْآخِرِ حَتَّى تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ مِنْ أَجْلِ أَنْ
ذَلِكَ يُجْزِئُهُ» ١٤٠
- «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مَنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ
يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا» ١٤٣
- «إِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَإِنِّي أَعْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ» ١٤٤
- «اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفْوٌ مُحِبُّ الْعَفْوِ فَاعْفُ عَنِّي» ١٤٦
- «لَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَى أَذَى سَمِعَهُ مِنَ اللَّهِ» ١٤٧
- «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّوَنِي» ١٥١
- «يُؤْذِنِي ابْنُ آدَمَ، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَأَنَا الدَّهْرُ» ١٥١
- «أَخْبَرَ أَنَّ الْأَذَانَ يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ» ١٥٣
- «إِذَا تَعَوَّلَتِ الْغِيلَانُ فَبَادِرُوا بِالْأَذَانِ» ١٥٤
- «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ لَنْ يَزَالَ عَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ وَلَا يَقْرُبُهُ
شَيْطَانٌ حَتَّى يُصْبِحَ» ١٥٤
- «اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى، اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى» ١٥٦
- «أَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الْأَعْلَى» ١٥٧

- «إِنَّ اللَّهَ يُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ» ١٥٨
- «صُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا» ١٥٩
- «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي جَمِيعِ نَعْوَتِهِ - أَي: جَمِيعِ صِفَاتِهِ - وَهُوَ عَلِيٌّ فِي دُنُوِّهِ، قَرِيبٌ فِي عُلُوِّهِ» ١٦١
- «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ» ١٦١
- «أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا» ١٦٢
- «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا» ١٦٤
- «مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ» ١٦٥، ٣٩٠
- «ذَلِكَ بِأَنِّي جَوَادٌ مَا جَدُّ عَطَائِي كَلَامٌ وَعَدَائِي كَلَامٌ» ١٦٦
- «وَأَتَى دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ» ١٦٧
- «يَا مُعَاذُ تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» ١٧٢، ٥٠٥
- «أَنَا أَعْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشُرَكَهُ» ١٧٣
- «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» ١٧٣، ٥٠١
- ٦٣٠
- «يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا» ١٧٦
- «عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ» ١٧٧
- «أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ» ١٧٩

- «السَّيِّدُ اللَّهُ» ١٨١
- «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضَ قَوْلِكُمْ وَلَا يَسْتَجْرِبَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ» ... ١٨١
- «سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ» ١٨١
- «ارْجِعُوا فَقَدْ سُقِيتُمْ بِدَعْوَةِ غَيْرِكُمْ» ١٨١، ٦٠٠
- «الصَّمَدُ: السَّيِّدُ الْكَامِلُ فِي سُؤْدُدِهِ، الْعَلِيمُ الْكَامِلُ فِي عِلْمِهِ» .. ١٨٢
- «فَإِنَّمَا تُرْزَقُونَ وَتُنْصَرُونَ بِضَعْفَائِكُمْ» ١٨٤
- «اللَّهُمَّ يَا مُفَهِّمَ سُلَيْمَانَ فَهِّمْنِي، وَيَا مُعَلِّمَ إِبْرَاهِيمَ عَلِّمْنِي» ١٨٩
- «لَا تَقُولُوا: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ» ١٩٤
- «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ» ١٩٥
- «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» ١٩٧
- «لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ
تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا» ٢٠٠
- اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب وإذا سُئِلَ به أعطى؛
كما ورد بذلك الحديث ٢٠٦، ٧٩
- «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمُسَعِّرُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ» ٢٠٦
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ» ٢٠٧
- «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ» ٢٠٨
- «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» ٢٠٩
- «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» ٢١٢، ٢١٧

- رَأَيْتُ نُورًا» ٢١٧، ٢١٢
- «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» ٢١٢
- «إِنَّ رَبَّكُمْ تَعَالَى لَيْسَ عِنْدَهُ لَيْلٌ وَلَا نَهَارٌ» ٢١٢
- «وَأَجْعَلْنِي نُورًا» ٢١٧
- «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ
بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ» ٢١٨
- «أَنْتَ الْمُقَدَّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ» ٢٢٥
- «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخَّرَهُمُ اللَّهُ» ٢٢٦
- «إِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ مُعْطٍ» ٢٣٦
- «بِأَيِّ عَقْلِ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، أَفَكَلِمًا جَاءَنَا رَجُلٌ أَجْدَلُ مِنْ
رَجُلٍ تَرَكَنَا قَوْلَنَا لِقَوْلِ هَذَا الْجَدِيِّ؟!» ٣٠٥، ٢٥٩
- ٤٤٧
- «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» ٤٨٣، ٢٦٠
- «إِنَّ الْوَاحِدَ مِنْهُمْ يَتَنَاقَضُ فِي نَفْسِهِ» ٣٠٤، ٢٦٢
- أَخْبَرَ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - عَنْ أَيَّامِ الصَّبْرِ أَنَّ الْعَامِلَ
فِيهِنَّ لَهُ أَجْرٌ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ ٢٦٦
- «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ
أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي» ٢٧٨، ٢٧٠
- «تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ، تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهَمِ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ،
تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيلَةِ» ٢٧٤

- «هَذَا جَبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ» ٢٧٥
- «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ» .. ٢٧٩
- «يَا غُلَيْمٌ» ٢٨٤
- «اللَّاتُ وَالْعُزَّى وَمَنَاةَ وَهَبْلَ»، وثلاثمائة وستين صنماً كَسَّرَهَا
النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ فِي الْكَعْبَةِ ٢٨٨
- «أُوتُوا ذِكَاةً وَلَمْ يُؤْتُوا زَكَاةً» ٣٠٦، ٦٤
- «إِنِّي خُضْتُ الْبَحْرَ الْخِضَمَّ وَفَعَلْتُ وَفَعَلْتُ، وَهَا أَنَا الْآنَ
أَمُوتُ عَلَى عَقِيدَةِ أُمِّي» ٣٠٧
- «اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ» ٣٠٩
- «أَنَّ النَّاسَ يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى نُوحٍ فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ
رَسُولٍ أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ» ٣١٢
- «نَبِيِّ مُكَلَّمٍ» ٣١٢
- «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا» ٣١٥
- «لَا يَغْلُقُ الرَّهْنُ مِنْ صَاحِبِهِ» ٣٤٧
- «هُمَا وَزِيرَا جَدِّي» ٥٥٠، ٣٦١
- «أَفْطِرُوا فَإِنَّ الْفِطْرَ أَقْوَى لَكُمْ» ٣٦٩
- «أَنَا مُسْتَعِدٌّ وَمُلْتَزِمٌ أَنَّهُ مَا مِنْ شَخْصٍ يَسْتَدِلُّ بِآيَةٍ أَوْ حَدِيثٍ
صَحِيحٍ عَلَى بَاطِلِهِ إِلَّا جَعَلْتُهُ دَلِيلًا عَلَيْهِ» ٣٧٠
- «يَنْزِلُ رَبُّنَا - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى

- ثُلْتُ اللَّيْلَ الْآخِرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ
يَسْأَلُنِي فَأَعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟» ٣٩٠، ٤٠٥
٥٨٩، ٥٨٦
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ عَيْنًا» ٣٩٢
- «هَلْ تُضَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟» ٣٩٣
- «أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» ٣٩٤
- «أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ السَّمَوَاتِ عَلَى إِصْبَعٍ وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ...» ٣٩٥، ٣٩٧
- «يَكْشِفُ رَبُّنَا عَنْ سَاقِهِ» ٣٩٧
- «كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا» ٣٩٨
- «الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَعَمَطُ النَّاسِ» ٤٠٢
- «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ» ٤٠٥، ٥١٧
- «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنُّعَالِ» ٤٠٥، ٤٥٧
- «يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ
اللَّهِ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» ٤٠٧
- «وَالْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي» ٤٠٨
- «كُلُّ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ
يُمَجَّسَانِهِ» ٤٣١
- «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللَّهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ» ٤٦٦

- «مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالْأَبْنِ الصَّالِحِ» ٤٧١
- «كَانَ يُصِيبُنَا ذَلِكَ فَنُؤْمِرُ بِقَضَاءِ الصَّوْمِ وَلَا نُؤْمِرُ بِقَضَاءِ
الصَّلَاةِ» ٤٧٨
- «رَمْتَنِي بِدَائِهَا وَأَنْسَلَّتْ» ٤٨٢، ٥٢٠
- «مَنْ أَنْكَرَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ شَبَّهَ اللَّهُ بِخَلْقِهِ
فَقَدْ كَفَرَ، وَليْسَ مَا وَصَفَ اللَّهُ بِهِ نَفْسَهُ تَشْبِيهًا» ٤٨٦
- «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ قُرَائِنَا هُوَ لِأَنَّ أَرْغَبَ بَطُونًا» ٤٨٧
- «مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ أَشْرَكَ» ٤٩٥
- «أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِهِ، مَاذَا أَذْنَبْتُ؟» ٤٩٥
- «تُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا» ٤٩٧
- «لَوْلَا حَدِيثَانُ قَوْمِكَ بِالْكَفْرِ لَفَعَلْتُ» ٥٠٥
- «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ
وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» ٥١٤
- «يَكْسِرُ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلُ الْخَنزِيرَ وَيَضَعُ الْجِزْيَةَ» ٥١٤
- «أَجْعَلْتَنِي لِلَّهِ نِدًّا» ٥١٨
- «وَيُحْكَمُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ
ذَلِكَ» ٥١٨
- «إِذَا رَأَيْتُمْ قَوْلِي يَخَالِفُ قَوْلَ الرَّسُولِ فَخُذُوا بِقَوْلِ الرَّسُولِ
وَاضْرَبُوا بِقَوْلِي عُرْضَ الْحَائِطِ» ٥٢٥
- «كُلُّ يُوْخَدُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا صَاحِبَ هَذَا الْقَبْرِ» ٤٦٠، ٥٢٥

- «لَا تُظَرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ» ٥٢٩
- «لَا تَتَّخِذُوا قَبْرِي عِيدًا» ٥٣٠
- «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنَا يُعْبَدُ» ٥٣٢، ٥٣٠
- «لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» ٥٣٣
- «وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَأَبْرَزَ قَبْرَهُ غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يَتَّخَذَ مَسْجِدًا» ٥٣٤
- «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ:» ٥٥٣، ٥٣٩
- «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنْ
الْمَسَاجِدِ إِلَّا مَسْجِدَ الْكَعْبَةِ» ٥٤٢، ٥٣٩
- «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا
الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ» ٥٤١، ٥٣٩
- «الْكَعْبَةُ أَفْضَلُ مِنْ مُجَرَّدِ الْحَجْرَةِ» ٥٤٠
- «مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِيعْهُ» ٥٤١
- «يَا عَائِشَةُ، لَوْ لَا أَنَّ قَوْمَكَ حَدِيثُوا عَهْدِ بَجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ
فَهُدِمَ فَأَدْخَلْتُ فِي الْبَيْتِ مَا أَخْرَجَ مِنْهُ» ٥٤٣
- «يَدْخُلُونَ مِنْ هَذَا وَيَخْرُجُونَ مِنْ هَذَا» ٥٤٣
- «لَا تَجْعَلْ بَيْتَ اللَّهِ مَلْعَبَةً لِلْمَلُوكِ، كُلَّمَا جَاءَ مَلِكٌ هَدَمَهُ وَغَيْرَهُ» ٥٤٤
- «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلَا يَجْلِسْ حَتَّى يُصَلِّيَ رُكْعَتَيْنِ» ... ٥٤٦
- «لَوْ كُنْتُمْ مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمْ؛ تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمْ فِي
مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» ٥٤٩

- «خَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»، «رَجَعْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» ٣٦١، ٥٥٠
- «إِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا» ٥٦٠
- «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ» ٥٧٨
- «إِنَّ التَّقْلِيدَ بِمَنْزِلَةِ أَكْلِ الْمَيْتَةِ» ٥٨٥
- «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ الَّذِي فِي السَّمَاءِ» ٦٠٠
- «حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ...» ٦٠٤
- «لَوْ أَعْلَمَ أَحَدًا أَعْلَمَ مِنِّي بِكِتَابِ اللَّهِ، تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ» ٦١٣
- «﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ تَعَدَّلْ ثُلُثَ الْقُرْآنِ» ٦٢٤
- «لَا تَذْبَحُوا إِلَّا مُسِنَّةً إِلَّا أَنْ تَعْسَرَ عَلَيْكُمْ فَتَذْبَحُوا جَذَعَةً مِنَ الضَّأْنِ» ٦٢٨
- «إِذْنُهَا صِبَاتُهَا» ٦٢٨
- «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي السَّمَاءِ» ٦٢٨
- «وَمَا سَكَتَ عَنْهُ فَهُوَ عَفْوٌ» ٦٣٠
- «فِيهَا سَقَتِ السَّمَاءُ الْعُشْرُ» ٦٣٥
- «لَيْسَ فِيهَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ صَدَقَةٌ» ٦٣٥
- «ذَكَاتُ الْعَجِينِ ذَكَاتُ أُمَّهِ» ٦٣٦
- «إِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَتُلُثْ لِطَعَامِهِ وَتُلُثْ لِشَرَابِهِ، وَتُلُثْ لِنَفْسِهِ» .. ٦٣٧
- «لَا أَجِدُ لَهُ مَسَاغًا» ٦٣
- «يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ التُّعْيِيرُ» ٦٣٧

- ٦٣٨ «العلمُ لا يعدُّه شيءٌ»
- ٦٣٩ «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ صَلَاةَ بَغَيْرِ وُضُوءٍ»
- ٦٤٤ «لَوْلَا أَنْ أُشِقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرِهِمْ بِالسَّوَالِكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»
- ٦٤٤ «...مَعَ كُلِّ وُضُوءٍ»
- ٦٤٤ قال في صلاة العشاء: «إِنَّهُ لَوَقَّتْهَا لَوْلَا أَنْ أُشِقَّ عَلَى أُمَّتِي»
- ٦٤٤ سأله رجلٌ عن الشهادة: هَلْ تُكْفَرُ الذُّنُوبَ؟

رَفَع

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

فهرس الموضوعات والفوائد

الموضوع	الصفحة
فَصْلٌ: فِي أَقْسَامِ التَّوْحِيدِ وَالْفَرْقِ بَيْنَ تَوْحِيدِ الْمُرْسَلِينَ وَتَوْحِيدِ النَّفَاةِ الْمُعْطَلِينَ	٥
أنواع التَّوْحِيدِ	٦
تفريق أهل الكلام بين الأنواع والأقسام	٧
معنى قولهم الوجودُ مطلقاً	٧
قوله: «سَوَى نَفْسِ الْوُجُودِ»، وهل الوجودُ ذاتٌ أو معنى؟	٨
هذه الأكوَانُ الموجودةُ هل وُجِدَتْ بمشيئةِ الله وإرادته؟	٨
قولهم: إِنَّ الْأَفْلَاكَ لَا يُمْكِنُ أَنْ تَتَغَيَّرَ؛ لِأَنَّهَا عَظِيمَةٌ؟	٩
توحيد الفلاسفة	١١
الكلام عن ابنِ سينا	١١
نصيرَ الدين الطُّوسِيَّ	١١
قولهم بنفي الصِّفَاتِ المعنويَّةِ	١٢
لو قال لنا قائلٌ: هل اللهُ محدودٌ؟	١٢
إذا أثبتنا ذاتاً وصفاتٍ صارا اثنين	١٣
الرد على كلامهم	١٤
خلاصة قولهم: إِنَّ التَّوْحِيدَ هُوَ إِثْبَاتُ الْوُجُودِ الْمَطْلُوقِ	١٤

- فَصْلٌ: فِي النَّوعِ الثَّانِي مِنْ أَنْوَاعِ التَّوْحِيدِ لِأَهْلِ الْإِلْحَادِ ١٥
- توحيدُ أهلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ ١٦
- قولهم: لَا تَسْتَعْمِلِ الْحَسَّ فِي الْمَوْجُودَاتِ ١٦
- الفصلُ بين توحيدهم وتوحيد الفلاسفة ١٧
- قولهم: إِنَّ الْإِنْسَانَ يَتَوَهَّمُ التَّعَدُّدَ ١٨
- الحسُّ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُنْكَرَ، وَالْعَقْلُ كَذَلِكَ ١٩
- كيف يَكُونُ الْحَسُّ؟ ١٩
- الْقُرْآنُ يُفَرِّقُ بَيْنَ الْخَالِقِ وَالْمَخْلُوقِ ٢٠
- فَالْقُرْآنُ يَدْعُو إِلَى التَّوْحِيدِ، وَيَأْمُرُ بِقِتَالِ الْمُشْرِكِينَ ٢٠
- فَصْلٌ: فِي النَّوعِ الثَّلَاثِ مِنَ التَّوْحِيدِ لِأَهْلِ الْإِلْحَادِ ٢٢
- توحيدُ الْجَهْمِيَّةِ ٢٢
- إنكارُ الجهمية علوَّ الله، وصفاته، وكلامه ٢٣
- قولهم: أَسْفَلُ الْأَرْضِ وَالْعَرْشُ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ ٢٤
- قولهم: الشُّرْكُ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ ٢٤
- فَصْلٌ: فِي النَّوعِ الرَّابِعِ مِنْ أَنْوَاعِهِ ٢٥
- قولهم: «الْعَبْدُ مَيْتٌ» ٢٦
- التَّوْحِيدُ عِنْدَ الْجَبْرِيَّةِ ٢٦
- قول الغلاة منهم ٢٧
- قولهم: إِنَّ الذَّنْبَ يُضَافُ لِلْإِنْسَانِ تَأْدِيبًا مَعَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ٢٨
- مقتضى قولهم أَنْ كُلَّ مَا نَفَعْلُهُ مِنْ ذَنْبٍ أَوْ حَسَنَةٍ هُوَ طَاعَةٌ ٢٩

- ٢٩ إقرار الكفار بأنَّ الله تعالى هو الخالقُ
- ٣٠ المجوسُ يقولون: إنَّ العالمَ له صانعان: نورٌ وظلمةٌ
- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ تَوْحِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَمُخَالَفَتِهِ لِتَوْحِيدِ الْمَلَاحِدَةِ
وَالْمُعْطَلِينَ ٣١
- ٣٣ توحيدُ الأنبياءِ والمرسلين
- ٣٣ التوحيدُ ثلاثةُ أقسامٍ
- ٣٣ بطلانُ القولِ بتوحيدِ الحاكميةِ
- ٣٤ بطلانُ توحيدِ المتابعةِ للرَّسولِ ﷺ
- ٣٤ توحيدُ الألوهيةِ
- ٣٥ توحيدُ الأسماءِ والصفاتِ
- ٣٥ توحيدُ الربوبيةِ
- ٣٥ قصة الإمامِ أحمدَ - رحمه الله - في محنته
- ٣٦ زِنِ الْأَشْيَاءِ بِمَا يُقَابِلُهَا
- ٣٧ التَّوْحِيدَ نَوْعَانِ: قَوْلِيٌّ وَفِعْلِيٌّ
- ٣٧ التوحيدُ القوليُّ
- ٣٧ التَّوْحِيدُ الْفِعْلِيُّ
- ٣٧ التَّوْحِيدُ الْقَوْلِيُّ نَوْعَانِ: أَحَدُهُمَا: سَلْبٌ، وَإِحْبَابٌ
- ٣٨ السَّلْبُ نَوْعَانِ: مَتَّصِلٌ وَمَنْفَصِلٌ
- ٣٨ السَّلْبُ الْمَنْفَصِلُ
- ٤٠ سلبُ النَّقْصِ الْمَتَّصِلِ

- ٤٠ الموت ممتنع عن الله
- ٤١ نفي النوم والسنة عن الله تعالى
- ٤٢ لا يمكن أن يترك الخلق سُدى
- ٤٣ الغفلة نفاها الله تعالى عن نفسه
- ٤٣ من السلب المتصل حاجته إلى طعامٍ ورزقٍ
- قاعدة في صفات النفي، وهي: أن ما نفاه الله عن نفسه يُراد به
- ٤٤ شيان: الأول: نفي هذا، والثاني: إثبات ضده على الكمال
- ٤٤ الدليل على أن نفي الظلم ليس للعجز عن الظلم
- ٤٥ نفي الظلم لا بُدَّ أن يتضمَّن كمالاً
- ٤٦ أوصاف كمال الله عزَّ وجلَّ
- أكثر ما تجده في كتب الكلام وغيرها نفي التشبيه، والتعبير
- ٤٧ بالتمثيل أولى
- ٤٨ حياة الله عزَّ وجلَّ تشترك مع حياة المخلوق في أصل الحياة
- ٤٨ نفي التمثيل أولى لوجوه:
- ٤٨ التعطيل
- ٤٩ كلُّ ممثِّلٍ معطلٍ، وكلُّ معطلٍ ممثِّلٌ
- ٤٩ المُمثِّلُ عطَّل جميع النصوص التي تنفي المماثلة
- إذا مثل الله بخلقه صار وثناً؛ فالممثل يعبد الصنم، والمعطل يعبد
- ٤٩ عدماً
- ٥١ فصل: في النوع الثاني من النوع الأول وهو الثبوت

- ٥٢ نفِي التَّمثِيلِ يَرْجِعُ إِلَى نَفْيِ النَّقْصِ
- ٥٢ كُلُّ أَوْصَافِ الْكِمَالِ ثَابِتَةٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٥٣ من توحيد الرُّسُلِ: إثباتُ أوصافِ الكمالِ التي تتضمَّنُ أسماؤه ..
- ٥٣ القاعدةُ في الأسماءِ إذا كان الاسمُ لازماً
- ٥٣ القاعدةُ في الأسماءِ إن كان الاسمُ متعدِّياً
- ٥٣ (السَّمِيعُ)
- ٥٤ من توحيد الرُّسُلِ إثباتُ علوِّ الله
- ٥٤ اسمُ (العليِّ) و(الأعلى)
- ٥٤ لماذا قال: «العليُّ بذاته»
- ٥٥ انقسام الذين أنكروا علوَّ الذاتِ لله سبحانه وتعالى
- ٥٦ الصحيح في مسألة العلوِّ بالذات
- ٥٦ أدلةُ علوِّ الله عزَّ وجلَّ بذاته
- ٥٨ قصة الجُونِيِّ والهُمْدَانِيِّ
- ٥٩ أهلُ البدعِ يَرَوْنَ أَنَّ المِيزَانَ هُوَ العَقْلُ
- ٥٩ العلوُّ ينقسم إلى قسمين ..
- ٦٠ العرشُ مخلوقٌ عظيمٌ
- ٦٠ هل لنا أن نسأل عن مادةِ العرشِ؟
- ٦١ هو علو الله على كل شيء؟
- ٦١ حكم السؤال: كيف استوى؟
- ٦٢ السؤال عن كيفية استواء الله عزَّ وجلَّ بدعةٌ لوجهين

- ٦٣ هل يجوزُ أن تأخذَ العلمَ عن رجلٍ مبتدعٍ؟
- ٦٤ لو قال قائلٌ: إنَّ اللهَ استوى على عرشه استواءً يليقُ بجلاله
- ٦٥ أهلُ التَّأويلِ يُسمُّونَ أهلَ السُّنَّةِ أهلَ التَّفويضِ
- قوله سبحانه وتعالى في سورة فُصِّلَتْ: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١] ٦٨
- هل يلزمُ من استواءِ الله تعالى على العرشِ أنَّه لو زال العرشُ يُعَدُّمُ علوَّ الله عزَّ وجلَّ؟ ٦٨
- اسم: «الحيِّ» ٦٩
- حياةُ المخلوقينِ مَسْبُوقَةٌ بَعْدَمٍ وملحوقَةٌ بزوالِ ٧٠
- ذكر الله تعالى (الحيِّ القيومِ) في ثلاثة مواضع ٧٠
- الإرادةُ ٧١
- الإرادةُ نوعان: إرادةٌ كونيَّةٌ، وإرادةٌ شرعيَّةٌ ٧١
- الإرادةُ الكونيَّةُ لا بُدَّ فيها من وقوعِ المرادِ ٧٢
- هل (المريدُ) من أسماءِ الله؟ ٧٣
- القدرةُ ٧٣
- وهل في القرآنِ ما يدلُّ على أنَّ اللهَ قادرٌ على كُلِّ شيءٍ؟ ٧٤
- قصةُ الرَّجُلِ الذي قال اللهُ تعالى له: «وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ» ... ٧٤
- حديث: «كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ ٧٥
- الكلامُ ٧٦
- الدَّلِيلُ على أنَّ اللهَ عزوجل متكلِّمٌ؟ ٧٦

- النَّاسُ اختلفوا في كلامِ الله تعالى على سبعةِ أقوالٍ أو ثمانيةٍ ٧٧
- إنَّ اللهَ تعالى كَلَّمَ موسى، وكَلَّمَ مُحَمَّدًا ﷺ، وكَلَّمَ آدمَ عليه السلام ٧٩
- هل الكلامُ يتعلَّقُ بمشيئته؟ ٧٩
- الرحمة ٧٩
- الحَنَانُ والمنان ٧٩
- الأوَّلُ، والآخِرُ، والظَّاهِرُ، والبَاطِنُ ٨٠
- كُلُّ أَنْواعِ العُلُوِّ لَهُ ثَابِتَةٌ ٨٣
- العَظِيمُ ٨٣
- الجَلِيلُ ٨٤
- ذو الإكرام ٨٥
- الجَمِيلُ ٨٥
- كلامِ قِيمٍ للشَّيخِ عبدِ الرحمنِ السَّعْدِيِّ رحمه اللهُ ٨٧
- جَمِيلٌ بذاتِهِ ٨٧
- جَمِيلٌ بالأَوْصَافِ ٨٧
- جَمِيلُ الأَفْعَالِ ٨٧
- جَمِيلُ الأَسْمَاءِ ٨٨
- المَجِيدُ ٨٩
- السَّمِيعُ ٩١
- أقسامِ سَمِعِ اللهُ عزَّ وجلَّ ٩١
- الرُّؤْيَةُ ٩٣

- قوله: «وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ» ٩٤
- البَصِيرُ ٩٦
- ما الذي يُوجِبُهُ الإِيْمَانُ بأن الله بصير ٩٦
- العليمُ، وَعَلَامُ الغيوبِ، وَالْعَالِمُ ٩٩
- الله عليمٌ بالأشياءِ على وجهِ التَّفْصِيلِ ١٠٠
- مفاتيحُ الغيبِ ١٠١
- المُحِيطُ ١٠٢
- عدم النسيان ١٠٢
- أقسامَ الزَّمانِ الثلاثةِ ١٠٢
- فَصْلٌ ١٠٤
- الحميدُ ١٠٤
- الحامد ١٠٥
- المحمود ١٠٥
- قول بعض الناس: الحمدُ لله الذي لا يُحْمَدُ على مَكْرُوهِ سِوَاهُ ١٠٦
- فَصْلٌ ١٠٨
- الكلامُ ١٠٩
- تَكْلِيمُ الخِطَابِ ١٠٩
- كلماتُ الله غيرُ محصورةٍ ١١٠
- هل الكلامُ يتعلَّقُ بمشيئتهِ إن شاء تكلَّم وإن شاء لم يتكلَّم؟ ١١١
- القَدِيرُ ١١٢

- ١١٢ ذُو سُلْطَانٍ
- ١١٢ القَوِيُّ
- ١١٣ جميعُ القُوى في المخلوقاتِ من آثارِ قُوَّةِ الله عزَّ وجلَّ
- ١١٣ قصة غزوة الأحزاب
- ١١٤ الفرق بين القدرة والقوة
- ١١٤ الغَنِيُّ
- ١١٥ العزيزُ
- ١١٨ الحكيمُ
- ١١٨ اشتقاق اسمه «الحكيم»
- ١١٩ الحكمُ نوعان، والإحكامُ نوعان
- ١٢١ هل الكُفَّارُ فيهم أحكامُ الله الكونِيَّةُ أو الشَّرْعِيَّةُ؟
- الإشكال فيما جاء من الأحاديثِ عن رفع العلم والقرآن في آخرِ
- ١٢٢ الزَّمانِ
- ١٢٣ القضاء والقدر والإيمان بهما
- ١٢٤ هل يجبُ علينا أن نرضى بكلِّ مَقْضِيٍّ؟
- ١٢٥ إذا أُصِيبَ الإنسانُ بمصيبةٍ يكون له أربعُ مراتبٍ:
- ١٢٥ الأولى: الجَزَعُ
- ١٢٦ الثانية: الصَّبْرُ
- ١٢٦ الثالثة: الرِّضا
- ١٢٦ الرابعة: الشُّكرُ

- ١٢٧ هل نرضى بأفعالِ النَّاسِ ؟
- ١٢٨ الخلاصة في الحكم والأحكام
- ١٣١ قولهم: المعاصي غيرُ مخلوقةٍ لله، وغيرُ مرادةٍ لله
- ١٣٢ كيف يكونُ المكروه بمشيئةِ الله ؟
- ١٣٣ مَنْ وَافَقَ الْقَضَاءَ الْكُونِيَّ
- ١٣٥ فَضْلٌ
- ١٣٥ أحكام الخلق
- ١٣٦ الحكمةُ في الخلقِ من وجهين:
- ١٣٧ الشَّرْعُ له حكمتان:
- ١٣٧ تنويع العباداتِ
- ١٣٨ الحكمة الغائية
- ١٣٩ نفسُ الشَّرَائِعِ كُلُّهَا حكمةٌ عظيمةٌ مُتَقَنَةٌ على أَكْمَلِ وَجْهِه
- ١٤٠ أنكر قومٌ من المبتدعةِ الحكمةَ في غايته
- ١٤١ الصُّدْقَةُ في فعلِ الله ليس لها حقيقةٌ
- ١٤٢ فَضْلٌ
- ١٤٢ الْحَيِّيُّ
- ١٤٣ من قال: الحياءُ انكسارٌ وتطامنٌ وتهاونٌ، فكيف يَلِيْقُ باللهِ ؟
- ١٤٤ السُّتَيْرِ
- ١٤٥ الحلِيمِ، والغفورِ
- ١٤٥ الْعَفْوُ

- ١٤٦ الصَّبُورُ
- ١٤٨ ذَكَرَ اللهُ سَبْعَةَ أَدَلَّةٍ عَقْلِيَّةٍ حِسِّيَّةٍ تَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِ إِعَادَةِ الْخَلْقِ
- ١٥٢ فَضْلٌ
- ١٥٢ الرَّقِيبُ
- ١٥٣ الحَفِيزُ، وَالْكَفِيلُ
- ١٥٤ اللَّطِيفُ
- ١٥٦ فَضْلٌ
- ١٥٦ الرَّفِيقُ
- ١٥٧ عَوْدَةُ لِاسْمِهِ الْغُفُورِ
- ١٥٩ فَوَائِدُ الرَّفَقِ
- ١٦٠ الْقَرِيبُ
- ١٦١ هَلِ الْقُرْبُ كَالْمَعِيَّةِ عَامٌّ وَخَاصٌّ؟
- ١٦٢ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْقُرْبَ كَالْمَعِيَّةِ يَنْقَسِمُ إِلَى عَامٍّ وَخَاصٍّ
- ١٦٤ الْمَجِيبُ
- ١٦٦ الْجَوَادُ
- ١٦٧ الْمُغِيثُ
- ١٦٩ فَضْلٌ
- ١٦٩ الْوَدُودُ
- ١٧٠ مَنْ ادَّعَى حُبَّ الرَّسُولِ وَابْتَدَعَ فِي دِينِ الرَّسُولِ فَهُوَ كَاذِبٌ
- ١٧٢ هَلِ لِلْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ حَقٌّ وَاجِبٌ؟

- أدلة وجوب الإخلاص ١٧٣
- ما الدنيا التي سَبَقْتُمْ؟ ١٧٤
- فَصُلِّ ١٧٦
- العَفْوُ ١٧٦
- التَّوَابُ ١٧٦
- توبة العبد محفوفة بتوبتين: سابقة ولاحقة ١٧٨
- ما الدليل على هذا التقسيم؟ ١٧٨
- فَصُلِّ ١٨٠
- الإله، والسَّيِّدُ، والصَّمْدُ ١٨٠
- الكامل الأوصاف ١٨٢
- القَهَّارُ ١٨٢
- الجَبَّارُ ١٨٤
- الجبر له ثلاثة معانٍ: ١٨٤
- فَصُلِّ ١٨٧
- الحسيبُ ١٨٧
- الرَّشِيدُ ١٨٧
- العدلُ ١٩٠
- استبدال المتأخرين كلمة العدل بالمساواة ١٩٠
- قولهم: قال الحقُّ تبارك وتعالى، فهل هذا جائزٌ؟ ١٩١
- فَصُلِّ ١٩٣

- ١٩٤ القُدُوسُ
- ١٩٤ السَّلَامُ
- ١٩٥ البَرُّ
- ١٩٥ الوَهَّابُ
- ١٩٦ الفَتَّاحُ
- ١٩٧ الرِّزَّاقُ
- ١٩٨ الرِّزْقُ نوعان
- ١٩٩ كلام قيم لابن القيم - رحمه الله - في كتابه: «مفتاح دار السَّعادة» ..
- ٢٠٠ هل رزق الكافر حرامٌ أو حلالٌ؟
- ٢٠١ هل يجوزُ أخذُ مالِ الكافرِ؟
- ٢٠١ فائدةُ الإيِّمانِ بأنه عزَّ وجلَّ هو الرزاق
- ٢٠٣ فَصْلٌ
- ٢٠٤ القيَّومُ
- ٢٠٤ القيَّومُ له معنيان:
- ٢٠٥ اقتران اسميه القيوم والحَيِّ
- ٢٠٦ القَابِضُ، والبَاسِطُ
- حكم تمثيلِ صفاتِ الله تعالى بصفاتِ المخلوقين، فيُمثَّلُ قبضُ
- ٢٠٧ السَّاواتِ والأرضِ بيديه؟
- ٢٠٧ الحَافِضُ، والرَّافِعُ
- ٢٠٨ المَانِعُ، والمُعْطِي

- فَصْلٌ ٢١٠
- النُّورُ ٢١١
- كلام ابن مسعودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٢١٢
- العَرْشُ وَالكَرْسِيُّ شَيْئَانِ مُتَبَايِنَانِ ٢١٤
- كِتَابُ اللهِ نُورٌ، لَكِنْ مَنْ يَسْتَنِيرُ بِهِ؟ ٢١٤
- النَّبِيُّ ﷺ نُورٌ ٢١٥
- حِجَابُهُ نُورٌ ٢١٧
- النُّورُ نَوْعَانِ ٢٢٠
- مِنْ بَدْعِ الْمُتَصَوِّفَةِ وَالْمَعْطَلَةِ ٢٢١
- النُّورُ مَحْجُوبٌ عَنِ الصَّنْفَيْنِ: الصُّوفِيَّةِ وَالْمَعْطَلَةِ ٢٢٣
- مَسَائِلُ الْغَيْبِ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَقُولَ فِيهَا: كَيْفَ؟ ٢٢٤
- فَصْلٌ ٢٢٥
- الْمُقَدِّمُ، وَالْمُؤَخَّرُ ٢٢٥
- التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ نَوْعَانِ ٢٢٦
- الْأَشَاعِرَةُ قَسَمُوا الصِّفَاتِ إِلَى نَوْعَيْنِ: ٢٢٧
- تَعْطِيلُ الْأَشَاعِرَةِ لِصِفَاتِ الْأَفْعَالِ كَتَعْطِيلِ الْمُعْتَزَلَةِ لِلْأَوْصَافِ
مُطْلَقًا ٢٢٩
- فَصْلٌ ٢٣٥
- الْأَسْمَاءُ الْمَزْدُوجَةُ ٢٣٥
- كَالْمَانِعِ الْمُعْطِيِّ ٢٣٦

- ٢٣٧ وَكَالضَّارِ الَّذِي هُوَ نَافِعٌ
- ٢٣٧ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ
- ٢٣٧ الْمُعْزُ الْمُدِلُّ
- ٢٣٧ الْخَافِضُ الرَّافِعُ
- ٢٣٨ هل من أسمائه «المنتقم»
- ٢٤٠ فَضْلٌ
- ٢٤٠ دَلَالَةُ الْأَسْمَاءِ
- ٢٤١ دَلَالَةُ الْمُطَابَقَةِ
- ٢٤١ دَلَالَةُ التَّضْمَنِ
- ٢٤١ دَلَالَةُ الْإِلْتِزَامِ
- ٢٤١ أَسْمَاءُ اللَّهِ مُشْتَقَّةٌ
- ٢٤١ دَلَالَةُ الْإِسْمِ عَلَى الصِّفَةِ
- ٢٤٢ الرَّحْمَنُ، وَالرَّحْمَةُ
- ٢٤٣ الْعِلْمُ
- ٢٤٣ الْخَلْقُ
- ٢٤٤ وَضُوحُ دَلَالَةِ الْمُطَابَقَةِ وَدَلَالَةِ التَّضْمَنِ
- ٢٤٤ أَسْمَاءُ اللَّهِ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى أَمْرَيْنِ: الذَّاتُ وَالصِّفَةُ
- ٢٤٤ عِنْدَ الْمُعْتَزِلَةِ الْأَسْمَاءُ لَا تَدُلُّ إِلَّا عَلَى الذَّاتِ فَقَطْ
- ٢٤٥ هل دلالة الالتزام تكون في كلام المخلوقين؟
- ٢٤٥ هل يُلْزَمُ الْقَائِلُ بِهَذَا الْإِلْتِزَامِ وَيُجْعَلُ قَوْلًا لَهُ؟

- فَصْلٌ: فِي بَيَانِ حَقِيقَةِ الْإِلْحَادِ فِي أَسْمَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَذِكْرِ انْقِسَامِ
 الْمُلْحِدِينَ ٢٤٧
- الإلحادُ ٢٤٧
- أَسْمَاءُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كُلُّهَا أَوْصَافٌ مَدْحٍ ٢٤٨
- الكلام عن «إِيَّاكَ» نحوياً ٢٤٨
- هل الإلحاد في الأسماء كفرٌ مخرجٌ عن الملة أو هو كفرٌ دون كفرٍ؟ .. ٢٤٨
- حَقِيقَةُ الْإِلْحَادِ ٢٤٩
- شَبَّهُوا الْمَخْلُوقَ بِالْخَلَّاقِ ٢٥٠
- موقف أهل الإلحاد من الأسماء والصفات ٢٥٠
- المشركون أهل شركٍ عند أهل الإلحاد، وأهل الإلحاد أهل توحيدٍ؟ ... ٢٥١
- المُعْطَلُ مُلْحِدٌ ٢٥٣
- قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ ٢٥٤
- المجازُ ٢٥٥
- قولهم: إِنَّ الْأَدْلَةَ اللَّفْظِيَّةَ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ ٢٥٦
- مَعَارِضَةُ الْأَدْلَةِ النَّقْلِيَّةِ وَالْأَدْلَةِ الْعَقْلِيَّةِ ٢٥٨
- قولهم أَنَّ الْعَقْلَ أَصْلُ النَّقْلِ، وَالرَّدُّ عَلَيْهِ بِخَمْسَةِ وَجُوهِ ٢٥٩
- هل يمكنُ أن يأتيَ صَحِيحُ النَّقْلِ بِمَا يُخَالِفُ صَرِيحَ الْعَقْلِ؟ ٢٦٣
- غرابة أهل الحق ٢٦٦
- أهل العلم الآن أحياءٌ بيننا ٢٦٧
- أهل السنَّة هم الغُرباءُ حَقِيقَةٌ ٢٦٨

- ٢٦٩ المنافقُ هو البلاءُ
- ٢٧١ محنة شيخ الإسلام
- ٢٧٢ الإلحادُ في أسماءِ الله هو الميلُ بها عمَّا يجبُ
- فصلٌ: في النوعِ الثانيِ مِنْ نَوْعِي تَوْحِيدِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الْمُخَالِفِ
 ٢٧٣ لِتَوْحِيدِ الْمُعْطَلِينَ وَالْمُشْرِكِينَ
- ٢٧٤ الإخلاصُ، والمتابعةُ
- ٢٧٦ مَنْ المرادُ بالواحدِ في العبادةِ؟
- ٢٧٧ سَبَبَانِ لوجوبِ الإخلاصِ:
- ٢٧٨ الإخلاصُ والصدقُ والمتابعةُ هي سببُ سعادةِ المرءِ
- ٢٨٢ القلبُ بين القبضِ والبسطِ
- ٢٨٤ النجومُ الفصليَّةُ
- ٢٨٦ فصلٌ
- ٢٨٧ توحيدِ الطَّلَبِ
- ٢٨٧ الشركُ قسمان: ظاهرٌ وخفي
- ٢٨٨ ما أكثرَ الذينَ يعبدونَ الإنسانَ
- ٢٨٩ المشركونَ لم يساؤوا أصنامهم بالله في أمور
- ٢٩٠ المشركونَ لم يجعلوا المحبةَ لله وحده
- ٢٩١ شرطُ المحبةِ الدَّالُّ على صدقِها
- إنسانٌ يدَّعي أَنه يُحِبُّ شخصًا وهو يُحِبُّ أعداءه، هل هذا
 ٢٩١ صحيحٌ؟

- ٢٩٢ مَنْ قَدِ يَكْرَهُ الْمُسْتَقِيمَ لِشَخِصِهِ وَلَيْسَ لِأَجْلِ اسْتِقَامَتِهِ
- ٢٩٣ الطعن في أهل الإيَّان
- ٢٩٤ توحيد المحبَّة
- ٢٩٤ الحُبُّ الصَّادِقُ
- ٢٩٥ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - شَيْئًا بَدُونَ إِحْسَانٍ
- ٢٩٥ مَنْ قَالَ: أَنَا مُتَّبِعٌ، وَابْتَدَعَ فِي دِينِ اللَّهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ
- ٢٩٨ غَيْرَتِهِمْ عَلَى شُرَكَائِهِمْ
- ٢٩٨ رِضَاهُمْ بِمُخَالَفَةِ النَّصِّ الصَّرِيحِ، وَغَضَبُهُمْ لِمُخَالَفَةِ شَيْوِخِهِمْ
- ٣٠١ جُحُودُهُمْ لِصِفَاتِ اللَّهِ وَكَلَامِهِ
- فَصْلٌ: فِي صِفِّ الْعَسْكَرَيْنِ، وَتَقَابُلِ الصَّفَيْنِ وَاسْتِدَارَةِ رَحَى الْحَرْبِ
- ٣٠٢ الْعَوَانِ، وَتَصَاوُلِ الْأَقْرَانِ
- ٣٠٢ جُنُودُ الشَّيْطَانِ وَأَحْزَابُهُ مَا بَيْنَ كَذَابٍ وَدَجَالٍ وَمِحْتَالٍ وَذِي بَهْتَانٍ
- ٣٠٥ رَأْسُ الْجُمُهِيَّةِ الْجَعْدُ بْنُ دَرْهَمٍ
- ٣٠٦ الْمُعْتَزَلَةُ أَصْحَابُ عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ وَوَأَصْلُ بْنُ عَطَاءٍ
- ٣٠٦ نِزَاعُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَعَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ
- ٣٠٨ أَصْحَابُ الشُّكِّ
- ٣٠٩ الْمَلَائِكَةُ هُمْ جُنُودُ أَصْحَابِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ
- ٣١١ وَمَنْ جُنُودَهُ جَمِيعُ رَسَلِ اللَّهِ
- ٣١١ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ
- ٣١٢ تَحْذِيرٌ مِنْ شَجَرَةِ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي تُبَاعُ الْآنَ

- ٣١٣ قَلْبُ الْجَيْشِ خَمْسَةُ الرُّسُلِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
 جميعُ أصحابِ الرِّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كُلُّهُمْ جُنُودٌ
- ٣١٤ لعساكرِ القرآنِ
- ٣١٤ التَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ
- ٣١٤ أئِمَّةُ الْفِتْوَى
- ٣١٥ هل يمكنُ أن تكونَ الصُّوفِيَّةُ سُنِّيَّةً؟
- ٣١٧ كلامُ السَّلَفِ حَاضِرٌ
- ٣١٨ كلامُ عن ابنِ سينا
- ٣٢٠ من شيوخِ المعتزلةِ
- الأشاعرةُ يُنكرون ما يُنسبُ لأبي الحسنِ الأشعريِّ من كتاب:
 «الإبانة»، و«مقالات الإسلاميين» ٣٢٢
- الدَّعَاوَى وَالشُّكَاوَى وَالشَّهَادَاتِ بِالْكَذِبِ لَا تُحِقُّ حَقًّا وَلَا تُبْطِلُ
 باطلاً ٣٢٤
- ٣٢٧ فَضْلٌ
- ٣٢٨ العلمُ النَّافِعُ الشَّرْعِيُّ
- ٣٢٨ أدلَّةُ المسلمينِ
- ٣٢٩ لماذا جحدوا صفات الله عز وجل؟
- ٣٣١ أقسام أهل التعطيل
- ٣٣٣ قولهم: كُلُّ نَصٍّ فِي الصِّفَاتِ فَإِنَّ ظَاهِرَهُ غَيْرُ مَرَادٍ
- ٣٣٥ العلمُ ليس تجميعَ آراءِ الرِّجالِ

فَصْلٌ: فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ وَالْأَمَانِ الْوَاقِعِ بَيْنَ الْمُعْطَلَةِ وَأَهْلِ الْإِلْحَادِ حِزْبِ

جَنْكِيزِ خَانَ ٣٣٧

تَشَابُهُ أَهْلِ الْإِلْحَادِ وَالنُّفَاةِ ٣٣٧

لَفْظُ الْجَسْمِ لَمْ يَرِدْ فِي الْقُرْآنِ وَلَا السُّنَّةِ نَفِيَهُ وَلَا إِثْبَاتَهُ ٣٤٠

أَهْلُ التَّعْطِيلِ الْمُحْضِرِ ٣٤٧

الْفَلَاسِفَةُ وَالْمَلَا حِدَةُ ٣٤٩

الْإِنْسَانُ كُلَّمَا قَسَا قَلْبُهُ لَا يَتَأَثَّرُ بِالْمَعْصِيَةِ ٣٥٢

فَصْلٌ: فِي مَصَارِعِ النُّفَاةِ وَالْمُعْطَلِينَ بِأَسِنَّةِ أُمَرَاءِ الْإِثْبَاتِ الْمُوَحِّدِينَ ٣٥٤

ذَمُّهُمْ لَابْنِ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ٣٥٨

مُتَأَخَّرُو الشَّيْعَةِ يَسْتَدْلُونَ بِالْأَدْلَةِ الَّتِي اسْتَدَلَّ بِهَا الْمُتَقَدِّمُونَ مِنْهُمْ ٣٦١

مَنْ كَتَبَ ابْنَ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ٣٦٢

مَنْ مَوَاقَفَ ابْنَ تَيْمِيَةَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - ٣٦٨

فَصْلٌ: فِي بَيَانِ أَنَّ الْمُصِيبَةَ الَّتِي حَلَّتْ بِأَهْلِ التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ مِنْ جِهَةِ

الْأَسْمَاءِ الَّتِي مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ٣٧٢

قَوْلُهُمْ: الصِّفَاتُ أَعْرَاضٌ، وَالْأَعْرَاضُ حَوَادِثُ ٣٧٦

اسْتِوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ ٣٨١

قَوْلُهُمْ: إِنَّ الْيَدَ عَضْوٌ، أَوْ إِنَّ الْيَدَ بَعْضُ الْكُلِّ ٣٨٢

كَيْفَ نَجْمَعُ بَيْنَ الْمُشْتَى وَالْجَمْعِ وَالْمَفْرَدِ؟ ٣٨٢

قَوْلُهُمْ: نُزِّهَهُ عَنِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَغْرَاضِ وَالْأَبْعَاضِ ٣٨٣

الْأَسْمَاءُ لَا تُغَيِّرُ الْحَقَائِقَ ٣٨٥

- ٣٨٨ القرآنُ كلامُهُ
- ٣٨٩ قولهم: إِنَّ الكَلامَ عَرَضٌ
- ٣٩٠ كُلُّ شَيْءٍ يُضَافُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ يَعْنِي: نَفْسَهُ
- ٣٩٢ رُؤْيَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- ٣٩٥ قِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ: بِمَ عَرَفْتَ رَبَّكَ؟
- ٣٩٧ سَأَقُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
- ٤٠٥ المنطقِ والفلسفة
- فَصْلٌ: فِي كَسْرِ الطَّاعُوتِ الَّذِي نَفَّوْا بِهِ صِفَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ
- ٤١١ وَالْجَبْرُوتِ
- ٤١٤ الجِسمُ والتَّجْسِيمُ
- ٤١٧ مَنعُ اللُّزومِ
- ٤٢٢ ماذا يريدون بالجِسمِ؟
- ٤٢٣ ما هو الجِسمُ؟
- ٤٢٧ الحَقُّ إثباتُ الصِّفاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
- فَصْلٌ: فِي مَبْدَأِ العَدَاوَةِ الوَاقِعَةِ بَيْنَ المُشْتَبِهينَ المُوَحِّدينَ وَبَيْنَ النُّفَاقَةِ
- ٤٢٩ المُعْطَلينَ
- ٤٣٦ كُلُّ إنسانٍ يخالِفُ الحَقَّ لا بُدَّ أن يَأْتِيَ بِما يُضْحِكُ العُقلاءَ
- ٤٤٠ أهْلُ السُّنَّةِ وأهْلُ الحديثِ تترسَّوا بالوحي
- ٤٤٤ هل أَحَدٌ مِن سَلَفِ هذه الأُمَّةِ عَارَضَ المنقولَ بالمعقولِ؟

فَصْلٌ: فِي بَيَانِ أَنَّ التَّعْطِيلَ أَسَاسُ الزَّنْدَقَةِ وَالْكَفْرَانِ وَالْإِبْطَاتِ أَسَاسُ

الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ٤٤٩

مَنْ نَفَى أَنْ تَقُومَ الْأَفْعَالُ الْاِخْتِيَارِيَّةُ بِاللَّهِ ٤٥٠

قَوْلُهُمْ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ عِبَادِهِ..... ٤٥١

هَلْ يُمَكِّنُ أَنْ تَوْجَدَ ذَاتٌ بِلَا صِفَاتٍ؟ ٤٥٢

مَذْهَبُ مُرْجئةِ الْجَهْمِيَّةِ..... ٤٥٣

قَوْلُهُمْ: إِنَّ النُّبُوَّةَ لَيْسَتْ وَصْفًا قَائِمًا بِالْإِنْسَانِ..... ٤٥٤

لَنَا نَظَرَانِ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ الَّذِينَ زَاغُوا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ٤٥٧

أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَقُولُونَ: إِنَّ النَّارَ وَالْجَنَّةَ لَا تَفْنِيَانِ..... ٤٥٩

كَلَامٌ لِلشَّيْخِ ابْنِ سَعْدِي عَلَى كِتَابِ: «شِفَاءِ الْعَلِيلِ»..... ٤٦٠

الْمُبْتَدِعُ تَصِحُّ تَوْبَتُهُ ٤٦٤

قَوْلُهُ: «سَبَقَ الْمُفْرَدُ وَهُوَ ذَاكِرُ رَبِّهِ»..... ٤٦٦

الشَّيْطَانُ يَصْطَادُ الْغَافِلِينَ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ ٤٦٧

الذِّكْرُ أَنْوَاعٌ..... ٤٦٧

يَعْنِي: أَحْصَى أَهْلَ الذِّكْرِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَعْلَمُهُمْ بِصِفَاتِ اللَّهِ..... ٤٧٠

إِنَّ أَوْلَى الْعِزْمِ خَمْسَةٌ مِنَ الرُّسُلِ..... ٤٧١

قَوْلُهُمْ: إِنَّ النَّقْلَ غَيْرُ مُعَارِضٍ لِلْعَقْلِ..... ٤٧٦

مَحَاوِلَةُ أَذْنَابِ الْغُرَبِ التَّوْفِيقَ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ... ٤٧٩

فَصْلٌ: فِي بَهْتِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالتَّعْطِيلِ فِي رَمِيهِمْ أَهْلَ التَّوْحِيدِ وَالْإِبْطَاتِ

بِتَنْقِيصِ الرُّسُولِ..... ٤٨١

- ٤٨١ مولد النَّبِيِّ ﷺ
- المتنقِّصُ للرَّسولِ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - هو الذي يقولُ قولاً
 أو يفعلُ فعلاً مضمونهُ عدمُ تبليغِ الرَّسولِ ﷺ شريعةَ الله ٤٨٢
- الكلام عن بردة البوصيري ٤٨٣
- بيان بهتانِ أهلِ الشُّركِ والتَّعطيلِ ٤٨٥
- لماذا جعلوا كلامَ الله لا يُفيدُ اليقينَ؟ ٤٩٠
- التحذير من الغلوِّ في الرسول ٤٩٢
- تقوى الله عز وجل ٤٩٦
- الرجاء والخشية ٤٩٧
- الاستعانة بالله عز وجل ٤٩٧
- الحُبُّ والإيمانُ والتَّصديقُ لا يختصُّ لا بالرَّسولِ ولا بالله ٤٩٩
- الحقوقُ ثلاثة: حقُّ لله خالصٌ، وحقُّ للرَّسولِ خالصٌ، وحقٌّ مشتركٌ .. ٤٩٩
- مَنْ قال قولاً غيرَ الرَّسولِ فَإِنَّا نَسْبُرُ قولَهُ وَنَزِنُهُ ٥٠٢
- أقوال غيرِ الرَّسولِ مع قولِ الرَّسولِ لا تخلو من ثلاثِ حالات ... ٥٠٣
- ما جرى عليه النَّاسُ في البلدِ لا تتسرَّعُ في نقلِ النَّاسِ منه إلى ما
 تراه صواباً ٥٠٤
- كان النَّبِيُّ ﷺ يُراعي مثلَ هذه الأمورِ ٥٠٥
- حديث عن معاذ بنِ جبلٍ ٥٠٥
- الحكمةُ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي
 الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ ٥٠٩

- أوامرُ السُّلْطَانِ ثَلَاثَةٌ أَقْسَامٌ: ٥٠٩
- هل من شرطِ امْتِثَالِنَا لِأَمْرِ السُّلْطَانِ أَلَّا يَكُونَ السُّلْطَانُ عَاصِيًا لِلَّهِ؟ ... ٥١١
- لَا تَضِلُّوا كَمَا ضَلَّ بَعْضُ الْعَاطِفِيْنَ ٥١٣
- المسيحيُّون هم أعداءُ المسيحِ حَقِيقَةً ٥١٤
- لَا يُوجَدُ تَنْقُصٌ أَكْثَرَ مِنْ تَقْدِيمِ قَوْلِ الرِّجَالِ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ... ٥١٩
- التحذير من المغالاة في الرسول وفي قبره ٥٢٥
- قصة الرَّجُلَيْنِ الذَّيْنِ نَبِشَا قَبْرَ الرَّسُولِ ﷺ ٥٣١
- قولهم: إِنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ فِي الْمَسْجِدِ؟ ٥٣٣
- حديث: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ» ٥٣٨
- قول النُّعْمَانِ رَحِمَهُ اللَّهُ: فِي الْوَفَاءِ بِنَذْرِ الطَّاعَةِ ٥٤٠
- الصَّلَاةُ فِي مَكَّةَ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْحِلِّ ٥٤٢
- أجر الصلاة في قباء ٥٤٥
- فضل المسجد النبوي ٥٤٦
- من حقوق النبي ﷺ ٥٤٨
- آداب زيارة المسجد النبوي وقبر الرسول ﷺ ٥٤٩
- العودة للكلام عن حديث «لا تشد الرحال إلى على ثلاثة مساجد» ... ٥٥٣
- فَصْلٌ: فِي تَعْيِينِ أَنَّ اتِّبَاعَ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ طَرِيقَةُ النَّجَاةِ مِنَ النَّيْرَانِ ٥٥٥
- اجعل كأنك مع الصحابة تسمع كلام النبي ﷺ، وترى أفعاله ... ٥٥٨
- التلقي عن الصحابة ٥٦٠
- اجتمع في كلام الرسول ﷺ ثلاثة أمور: ٥٦١

- فَصَلِّ: فِي تَيْسِيرِ السَّيْرِ إِلَى اللَّهِ عَلَى الْمُشْبِتِينَ الْمُوَحِّدِينَ، وَامْتِنَاعِهِ عَلَى
 ٥٦٥ الْمُعْطَلِينَ وَالْمُشْرِكِينَ
- ٥٧١ وَكَيْفَ يُحِبُّ مَنْ لَا يَتَّصِفُ بِالْكَمَالِ؟
- ٥٧٤ لُغَةٌ مِنْ يُلْزَمُ الْمُشَى الْأَلْفَ مُطْلَقًا
- ٥٧٤ الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى: مَاذَا عَبَدْتُمْ؟
- ٥٧٥ الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَّةُ: مَاذَا قَدْ أَجَبْتُمْ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبِرْهَانِ؟
- ٥٨٠ الضَّعْفُ مُسْتَوَلٍ عَلَيْنَا مِنْ كُلِّ جِهَةٍ لَا سِيَّمَا ضَعْفُ الْإِيْمَانِ
- فَصَلِّ: فِي ظُهُورِ الْفَرْقِ بَيْنَ الطَّائِفَتَيْنِ وَعَدَمِ التَّبَاسُهِ إِلَّا عَلَى مَنْ لَيْسَ بِذِي
 ٥٨٣ عَيْنَيْنِ
- ٥٨٦ التَّفْوِيضُ
- ٥٨٧ الْأَنْبِيَاءُ عِنْدَ أَهْلِ التَّفْوِيضِ
- المخالفون لمذهب السلف يتولون النصوص على وجه التحريف
 ٥٨٧ والجحد والتفويض
- فَصَلِّ: فِي التَّفَاوُتِ بَيْنَ حَظِّ الْمُشْبِتِينَ وَالْمُعْطَلِينَ مِنْ وَحْيِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٥٩٠
- ٥٩٥ قَوْلُهُ: «وَلَكِنَّا الْمَسَانِدُ وَالصَّحَاحُ وَهَذِهِ السُّنَنُ»
- ٥٩٧ التَّحْذِيرُ مِنَ الْأَخْذِ عَنِ الْفَلَّاسِفَةِ
- ٥٩٩ أَنْوَاعُ الْأَدْلَةِ عِنْدَ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ
- ٦٠٢ طَرِيقَةُ أَهْلِ التَّعْطِيلِ فِي الصِّفَاتِ النَّفِيَّةِ
- السلف وأتباعهم يُجْمَلُونَ فِي النَّفْيِ وَيُفْصَلُونَ فِي الْإِثْبَاتِ، وَذَلِكَ
 ٦٠٢ لِسَبَبَيْنِ:

فَصُلِّ: فِي بَيَانِ الْاِسْتِغْنَاءِ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ مِنَ السَّمَاءِ عَنِ تَقْلِيدِ الرَّجَالِ

وَالْآرَاءِ ٦١١

كلام قيم لشيخنا ابن سعدي رحمه الله ٦١٧

النَّاسُ يَخْتَلِفُونَ فِي الْأَفْهَامِ بِلَا شَكِّ ٦٢٠

أقسام العلوم ثلاثة: ٦٢٣

قصة بين الإمامين الشافعي وأحمد - رحمهما الله - ٦٢٩

أَيُّ إِنْسَانٍ يَدَّعِي أَنَّ هَذَا حَرَامٌ مِنْ نَبَاتٍ أَوْ حَيْوَانٍ، نَقُولُ: مَا

الدَّلِيلُ؟ ٦٣١

خُذِ اللَّفْظَ عَلَى ظَاهِرِهِ كَمَا أَخَذَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ٦٣٣

حكم زكاة الزروع ٦٣٥

ذكاة الجنين ٦٣٦

إِنَّ الْفَهْمَ مَرْتَبَتَانِ: ٦٣٩

المرتبة الأولى: فَهْمٌ مَدْلُولِ اللَّفْظِ وَضَعًا ٦٣٩

المرتبة الثانية: فَهْمٌ لَوَازِمِ الْخَطَابِ ٦٣٩

قولهم: يوجد أحاديثٌ تدلُّ على أَنَّ السُّنَّةَ لَيْسَتْ بِوَحْيٍ مِنْ اللَّهِ، فَمَا

الجوابُ؟ ٦٤٣

الأكلُ والشُّربُ هل هما كمالٌ أو نقصٌ؟ ٦٤٨

فهرس الآيات ٦٥١

فهرس الأحاديث والآثار ٦٨١

فهرس الموضوعات والفوائد ٦٩٥

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعٌ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع

عبد الرحمن العجمي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

للمحافظة الحق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قتيبة الجوزية
نفته الله بواسع رحمته ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

شرح فضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

عمر الله له ولوالديه والمسلمين

المجلد الرابع

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شَرَحُ

الكافية الشافية

في الانتصار للفرقة الناجية

٤

ح مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية، ١٤٣٤ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العثيمين، محمد بن صالح
شرح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية./
محمد بن صالح العثيمين - الرياض، ١٤٣٤ هـ
٤ مج؛ (سلسلة مؤلفات الشيخ ابن عثيمين؛ ١٢٣)
ردمك: ٤ - ٦٢ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٢ - ٦٦ - ٨٠٣٦ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج ٤)
١ - العقيدة الإسلامية ٢ - التوحيد ٣ - أهل السنة
أ. العنوان ب. السلسلة
ديوي ٢٤٠
١٤٣٤/١٠٢٢٧

حقوق الطبع محفوظة

لمؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية
إلا لمن أراد طبع الكتاب لتوزيعه خيراً بعد مراجعة المؤسسة

الطبعة الأولى

محرم ١٤٣٥ هـ

يُطلب الكتاب من:

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

المملكة العربية السعودية

القصيم - عنيزة - ٥١٩١١ ص. ب: ١٩٢٩

هاتف: ٠١٦/٣٦٤٢١٠٧ - فاكس: ٠١٦/٣٦٤٢٠٠٩

جوال: ٥٥٣٦٤٢١٠٧

www.ibnothaimeen.com

info@binothaimeen.com

سلسلة مؤلفات فضيلة الشيخ (١٢٣)

شرح

الكافي للشافعية في الانتصار للفرقة الناجية

للعالم المحقق

شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قسيم الجوزية
تقره أبو بوسع رحمه ورضوانه وأسكنه فسيح جناته

لفضيلة الشيخ العلامة

محمد بن صالح العثيمين

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

المجلد الرابع

من إصدارات

مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

فصل

في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

- ٤٢٩٨- وَكِفَايَةُ النَّصِّينِ مَشْرُوطٌ بِتَجَرُّدِ
رِيدِ التَّلَقِّي عَنِهَا لِمَعَانِي
- ٤٢٩٩- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِحُلُوعِ قِيُودِهِمْ
فَقِيُودُهُمْ غِلٌّ إِلَى الْأَذْقَانِ
- ٤٣٠٠- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِهَذَا قَوَاعِدِ
مَا أَنْزَلَتْ بِنَائِهَا الْوَحْيَانَ
- ٤٣٠١- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِإِقْدَامِ عَلَى الْ
آرَاءِ إِنْ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ
- ٤٣٠٢- بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ لَا تَعْبَأُ بِهَا
شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَّانِ
- ٤٣٠٣- لَوْلَا الْقَوَاعِدُ وَالْقِيُودُ وَهَذِهِ الْ
آرَاءُ لَأَتَّسَعَتْ عُرَى الْإِيمَانِ
- ٤٣٠٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ ضَيْقَةُ الْعُرَى
فَاخْتَجَتِ الْأَيْدِي لِذَلِكَ تَوَانِي
- ٤٣٠٥- وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أَجْلِهَا وَاللَّهِ أَعْمَلُ
سَادَاتُ مِنَ النَّصِّينِ ذَاتُ بَيَانِ
- ٤٣٠٦- وَتَضَمَّنَتْ تَقْيِيدَ مُطْلَقِهَا وَإِطْرَاقَ
سَلْقِ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ ذُو مِيزَانِ
- ٤٣٠٧- وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِيصَ مَا عَمَّتْهُ وَالْتِصَادِقَ
تَعْمِيمِ لِلْمَخْصُوصِ بِالْأَعْيَانِ
- ٤٣٠٨- وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمْعَ
عَمَّا لِلَّذِي وَسَمَّتْهُ بِالْفُرْقَانِ
- ٤٣٠٩- وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدَّ وَسَعَتْ
عَهُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ الْأَمْرَانَ
- ٤٣١٠- وَتَضَمَّنَتْ تَحْلِيلَ مَا قَدَّ حَرَمْتُمْ
عَهُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ النَّوْعَانَ

- ٤٣١١- سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ تَعْفُ الْقَوَاعِدُ بِاتِّسَاعِ بَطَانِ
 ٤٣١٢- وَتَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرَتْ كَذَا بِالْعَكْسِ وَالْأَمْرَانَ مَحْدُورَانَ
 ٤٣١٣- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوطَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ
 ٤٣١٤- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا مَوَانِعَ لَمْ تَكُنْ مَمْنُوعَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ
 ٤٣١٥- إِلَّا بِأَقْيَسَةِ وَآرَاءِ وَتَقَى لِيَدِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «النَّصِيْنِ» النَّصَانُ هُمَا نَصُّ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَ«الْوَحْيَانِ» هُمَا الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

٤٢٩٨- وَكَفَايَةُ النَّصِيْنِ مَشْرُوطٌ بِتَجْزِئِهِ رِيْدُ التَّلَقِّي عِنْدَهَا لِمَعَانِي

يعني: يُشْتَرَطُ لِكِفَايَةِ النَّصِيْنِ -أَي: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ- لِمَنْ اسْتَدَلَّ بِهَا أَنْ يَكُونَ مُجَرِّدًا لِلتَّلَقِّي عِنْدَهَا لِمَعَانِيهَا، وَمَعْنَى «مُجَرِّدًا» أَنَّهُ لَا يَنْظُرُ إِلَى غَيْرِهَا؛ فَيَجْعَلُ اسْتِدْلَالَهَ وَأَخْذَهَ لِلْمَعَانِي مِنَ النَّصِيْنِ لَا غَيْرَ، فَيَكُونُ دِينُهُ عَقِيدَةً وَقَوْلًا وَعَمَلًا مُتَلَقِّيًا مِنَ النَّصِيْنِ: الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَذَا هُوَ الشَّرْطُ الْأَوَّلُ مِنْ شُرُوطِ الْاِكْتِفَاءِ بِالنَّصِيْنِ.

٤٢٩٩- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِخَلْعِ قِيُودِهِمْ فَقِيُودُهُمْ غِلٌّ إِلَى الْأَذْقَانِ

الشَّرْطُ الثَّانِي: يُشْتَرَطُ أَيْضًا أَنَّ الْقِيُودَ الَّتِي اشْتَرَطَهَا تُحْدَفُ وَتُخْلَعُ؛ مِثْلَ قَوْلِهِمْ: يُشْتَرَطُ لِقَبُولِ أَخْبَارِ الصِّفَاتِ أَنْ تَكُونَ مُتَوَاتِرَةً، فَمِنْ أَيْنَ هَذَا؟! وَمِثْلَ قَوْلِهِمْ: يُشْتَرَطُ لِلْعَمَلِ بِظَوَاهِرِ النُّصُوصِ إِلَّا تَكُونَ مُخَالَفَةً لِلْعَقْلِ، مِنْ أَيْنَ هَذَا؟!

بينما العقل هو الذي يُحكّم بالنصوص لا بالعكس، ثم ما هو العقل الذي يحكّم على النصوص؛ وعقل مَنْ؟ إذَنْ لا بُدَّ أن نخلع جميع القيود التي قيّدوها.

٤٣٠٠- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِهِمْ قَوَاعِدٍ مَا أَنْزَلَتْ بَيْنَائِهَا الْوَحْيَانَ

ومن القواعد - ما أشرتُ إليه آنفاً- إذا تعارضَ العقل والنقل في بابِ الصِّفاتِ قُدِّمَ العقلُ عندهم، هذه قاعدة المتكلِّمين من الأشاعرة وغيرهم، ولا شكَّ أن هذه القاعدة باطلة؛ لأنَّ تقديمَ العقلِ عند معارضةِ النقلِ إبطالٌ ومخالفةٌ للعقلِ، فبابُ الصِّفاتِ من بابِ الخبرِ الذي لا مدخلَ للعقلِ فيه، فإذا قَدَّمنا فيه العقلَ على النقلِ فقد خالفنا العقلَ نفسه؛ إذ إنَّ العقلَ يقولُ: «الأمورُ الغيبيةُ نستندُ فيها إلى النقلِ المحضِ»، هذا مقتضى العقل.

فأنت الآن لو أردت أن تتحدّثَ عن حياةِ شخصٍ فإنه لا يمكنُ أن تُحكِّمَ عقلك، بل تتلقّى الخبرَ أو العِلْمَ عن حياته من طريقِ الخبرِ، الذي هو «النقل».

هم قعدوا هذه القاعدة الباطلة، أنه إذا تعارضَ العقل والنقل فإنه يُقدِّمُ العقلَ، والذي يقولُ هذا لا يمكنُ أن يكتفي بالوحيين عمّا سواهما، بل هذا هادمٌ للوحيين في الواقع.

بل إنَّ هؤلاء يُقعدون قواعدَ ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، فمثلاً ونحن الآن نتكلّمُ عن العقيدة، يقولُ هؤلاء المعطلّة: لا يمكنُ أن يستوي اللهُ على العرشِ، ولا أن يأتيَ للقضاءِ بين عباده، ولا أن ينزلَ إلى السَّماءِ الدُّنيا، ولا أن ينزلَ إلى السَّماءِ الدُّنيا يومَ عرفةَ يُباهي بأهلِ عرفةِ الملائكةَ، فقالوا أن هذا لا يمكنُ، قالوا: لأنَّ هذه الأفعالَ حوادثُ، والحوادثُ لا تقومُ إلّا بحادثٍ، والله عزَّ وجلَّ أزليٌّ أبديٌّ سبحانه وتعالى، فمن أين أتوا بهذه القاعدة؟ ما أنزل اللهُ بها من سلطانٍ، ولا تُقبلُ،

ولو كُنَّا نحكمُ على الوحيين بعقولنا لم يكن القرآنُ ولا السُّنَّةُ بيانا للناسِ وهدي.

إذْنُ الشُّرُوطِ ثَلَاثَةٌ:

الأوَّلُ: تجريدُ التَّلَقِّي.

الثَّانِي: خلعُ القيودِ.

الثَّالِثُ: هدمُ القواعدِ التي ما أنزل اللهُ بها من سُلْطَانِ.

٤٣٠١- وَكَذَلِكَ مَشْرُوطٌ بِإِقْدَامِ عَلَى الْآرَاءِ إِنْ عَرِيَتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

٤٣٠٢- بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ لَا تَعْبَأُ بِهَا شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَانِ

يُشْتَرَطُ أَيْضًا لِلْاِكْتِفَاءِ بِالْوَحِيِّ أَنْ تُقَدِّمَ عَلَى الْآرَاءِ الْمَخَالَفَةِ بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ؛
يعني: لا يكفي أن تتلقى عن الوحيين فقط، بل ما خالف الوحيين فلا بُدَّ أن تقابله
بالرَّدِّ والإبطال، أمّا إن كانت هذه الآراء بدليلٍ فاحترمها لاحترام الدليل، لكن إن
عريت فلا تهتمك.

قَوْلُهُ: «لَا تَعْبَأُ بِهَا»؛ أي: بالآراء، «شَيْئًا إِذَا مَا فَاتَهَا النَّصَانِ»، وهذا صحيح،
فكلُّ رأيٍ يفوته النصُّ فلا تعبأ به، ولا تلتفت إليه، ولا تتهيب منه، فإنه زبدٌ
يذهبُ جُفَاءً، فما دام هذا الرَّأيُ مجردًا عن القرآنِ والسُّنَّةِ فإنه لا يُعْبَأُ به، بل
ولا يُساوي فلسًا.

٤٣٠٣- لَوْلَا الْقَوَاعِدُ وَالْقِيُودُ وَهَذِهِ الْآرَاءُ لَا تَسَعَتْ عُرَى الْإِيمَانِ

وهذا صحيح، فهذه القيودُ والقواعدُ التي أصلوها صيقت البطان، وصار
الإيمانُ لا يتسعُ! وأضربُ لكم مثلًا: فالذي يُثبتُه الأشاعرةُ من صفاتِ الله سبعُ
صفاتٍ فقط، مع أن صفاتِ الله عزَّ وجلَّ لا تُحصَرُ ولا تُحصَى؛ إذن هم ضيقوا على

أنفسهم بحذف صفاتٍ لا تُحصَى من صفاتِ الله؛ بناءً على قواعدهم الباطلة، وأننا نرجعُ إلى العقلِ فيما نحكمُ به على ربِّنا من الصِّفاتِ.

فلولا قيودُ يضعُها هؤلاء من أهلِ العقائدِ بل وأهلِ الفقه، لانتسعت العُرَى وتوسَّع النَّاسُ، فالفقهاء -رحمهم الله- ذكروا شروطاً للمسحِ على الخُفِّين، شروطاً ما أنزل اللهُ بها من سُلطانٍ، ولا يصح أن نأخذَ بهذه الشُّروطِ بلا دليلٍ؛ لأننا لو أخذنا بهذه الشُّروطِ بلا دليلٍ ضيَّقنا على عبادِ الله بدون دليلٍ.

ذكروا مثلاً أنَّ الإنسانَ إذا خلع الخُفِّين بعد مسحها بطلَ الوضوءُ، أين الدليلُ على هذا؟ فهذا رجلٌ تَوَضَّأَ وَصَحَّ وضوءه بمقتضى الدليلِ الشرعيِّ، فلا يمكنُ أن ننقضَ هذا الوضوءَ إلاً بدليلٍ شرعيِّ، أمَّا مجردُ قياسٍ فهذا غلطٌ، وتطهيرُ الخُفِّ هل هو تطهيرٌ للخُفِّ أم أنَّه تطهيرٌ للرجلِ التي تحتها؟ بل هو للرجلِ التي تحتها، أمَّا الخُفُّ فهو طاهرٌ لا نجاسةَ فيه، وأيضاً ليس المسحُ بمطهِّرٍ له لو كان به نجاسةٌ.

وعلى هذا فنقولُ: أيُّ إنسانٍ يأتي بشرطٍ في كُلِّ الأحكامِ فعليه الدليلُ، وإلاَّ فقد تجرَّ واسعاً.

٤٣٠٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ ضَيْقَةُ الْعُرَى فَاحْتَاجَتِ الْأَيْدِي لِذَلِكَ تَوَانِي

يعني: أنَّها ضَيْقَةُ الْعُرَى «فاحتاجتِ الأيدي لِذَلِكَ تَوَانِي»، فالعُرَى إذا ضاقت تحتاجُ الأيدي في حلِّها إلى تَوَانٍ، فلا يسهلُ حلُّها إذا ضاقت.

على كُلِّ حالٍ معروفٌ أنَّ العُرَى إذا ضاقت فإنَّها تحتاجُ إلى تَوَانٍ في حلِّها، بخلاف ما إذا كانت مَتَّسَعَةً، وأنت إذا عقدتَ أيَّ عقدةٍ فإذا كانت مَتَّسَعَةً يسهلُ عليك الحلُّ، لكن إذا ضَيَّقْتَهَا صَعِبَ حلُّها؛ فإنها تحتاجُ إلى تَوَانٍ وتُوَدَّةٍ في حلِّها.

٤٣٠٥- وَتَعَطَّلَتْ مِنْ أَجْلِهَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ — دَادَ مِنْ النَّصِّينِ ذَاتُ بَيَانَ

لأنهم يقولون: كلُّ هذه النُّصوصِ المُثَبِّتَةِ لِلصِّفَاتِ كُلِّهَا مجازٌ، فعطلُّوا دلالتها، مع أنَّها بيِّنةٌ واضحةٌ، لكنهم أهذروها.

وفي القُرُونِ الوسطى لو رَجَعْتَ إلى مؤلِّفاتِ الفقهاءِ خاصَّةً لوجدت الصِّفَحَاتِ العديدةَ ليس فيها ذكرٌ لآيةٍ أو حديثٍ، فكلُّها: (قال فلان، وقال فلان، والعلةُ كذا)، وما أشبه ذلك، تعطلَّ الكتابُ والسُّنَّةُ؛ ولهذا إذا خرج عالمٌ يبيِّنُ أحكامه على الكتابِ والسُّنَّةِ عادوه، وقالوا: هذا خَرَجَ عَمَّا قال الشُّيوخُ، ولكنَّ الحقَّ منصورٌ ومُمتَحَنٌ، كما قال ابنُ القيمِ في هذه القصيدة:

الحقُّ مَنْصُورٌ ومُمتَحَنٌ، فلا تَعَجَّبْ فَهَذي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ^(١)

ثم قال:

٤٣٠٦- وَتَضَمَّنَتْ تَقْيِيدَ مُطْلَقِهَا وَإِطْ — لاقِ المُقَيَّدِ وَهُوَ ذُو مِيزَانِ

٤٣٠٧- وَتَضَمَّنَتْ تَخْصِصَ مَا عَمَّتْهُ وَالتَّ — تَعْمِيمِ لِلْمَخْصُوصِ بِالْأَعْيَانِ

تضمَّنت هذه القيودُ وهذه القواعدُ تقييدَ المُطلقِ وإطلاقَ المُقيَّدِ؛ يعني: عكسَ ما جاء في القرآنِ والسُّنَّةِ، وتضمَّنت أيضًا «تخصيصَ ما عمَّته والتَّعميمَ للمخصوصِ بالأعيان».

لكن بماذا يكونُ تقييدُ المُطلقِ؟

الجوابُ: يكونُ تقييدُ المُطلقِ بكلِّ شرطٍ يُوضَعُ لحكمٍ بلا دليلٍ، فكلُّ شرطٍ يُوضَعُ لحكمٍ بلا دليلٍ فهذا تقييدٌ للمطلقِ وتضييقٌ للموسَّعِ، أمَّا مُطلقُ المُقيَّدِ فربَّما

يكون بحيث يحمل هذا التقييد على أنه قضية عين، أو في حال معينة، أو ما أشبه ذلك.

إذن هناك فرق بين المطلق والعام، وبين المخصص والمقيد، فالتقييد يرد على المطلق ولا يرد على العام، والتخصيص يرد على العام ولا يرد على المطلق، فإذا قلت: «أعتق رقبة مؤمنة» فهنا تقييد ورد على مطلق، وهو «رقبة»، والقيد: «مؤمنة»، وإذا قلت: «أكرم الطلبة المجتهد منهم» فهذا تخصيص ورد على عموم. والمؤلف - رحمه الله - يقول: هذه القواعد أوجبت أن يُعمم الخاص، وأن يُخصص العام؛ على عكس ما أراد الله به ورسوله.

٤٣٠٨- وَتَضَمَّنَتْ تَفْرِيقَ مَا جَمَعَتْ وَجَمْعَ مَا لَلَّذِي وَسَمَّتُهُ بِالْفُرْقَانِ

يعني: أن هذه القواعد والآراء تضمنت أيضا جمع ما دلّ الدليل على التفريق فيه، أو تفريق ما دلّ الدليل على جمعه.

٤٣٠٩- وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدَّ وَسَعَتْهُ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ الْأَمْرَانَ

قوله: «وَتَضَمَّنَتْ تَضْيِيقَ مَا قَدَّ وَسَعَتْهُ وَعَكْسَهُ»، وعكسه هو توسيع ما ضيقته.

قوله: «فَلْتَنْظُرِ الْأَمْرَانَ»؛ أي: «فلتنظر الأمرين»، لكن إما أنه على لغة من يلزم المثني الألف مطلقا، أو لضيق النظم، ومشهور عند العلماء أن النظم لا يبيح إلا صرف ما لا ينصرف، لكن بعض علماء النحو يقول: ضيق النظم يبيح حتى رفع المنصوب أو نصب المرفوع؛ يعني: يُجيز كل ما يخالف الإعراب، وابن القيم - رحمه الله - يمشي على هذا الرأي ولا يبالي.

٤٣١٠- وَتَضَمَّنَتْ تَحْلِيلَ مَا قَدْ حَرَمْتَ هُوَ وَعَكْسَهُ فَلْتَنْظُرِ النَّوْعَانَ

إِذْ صَارَتْ هَذِهِ الْأَرْأُ وَالْقَوَاعِدُ مُضَادَّةً لِمَا أَرَادَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ بِالْوَحْيَيْنِ.

٤٣١١- سَكَتَتْ وَكَانَ سُكُوتُهَا عَفْوًا فَلَمْ تَعْفُ الْقَوَاعِدُ بِاتِّسَاعِ بَطَانِ

يعني: أَنَّ النُّصُوصَ سَكَتَتْ عَمَّا سَكَتَتْ عَنْهُ، وَكَانَ مَا سَكَتَتْ عَنْهُ عَفْوًا، أَمَّا قَوَاعِدُهُمْ فَإِنَّهَا لَمْ تَكُنْ مَتَّسِعَةً، وَلَمْ يَكُنْ سُكُوتُهَا عَفْوًا.

٤٣١٢- وَتَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرْتَ كَذَا بِالْعَكْسِ وَالْأَمْرَانَ مَحْذُورَانَ

قَوْلُهُ: «تَضَمَّنَتْ إِهْدَارَ مَا اعْتَبَرْتَهُ» كَذَا بِالْعَكْسِ؛ أَي: وَاعْتِبَارَ مَا أَهْدَرْتَهُ.

٤٣١٣- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ مَشْرُوطَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ

إِذْ وَضَعْتَ شُرُوطًا لَمْ تَكُنْ شَرْطًا، وَهَذِهِ زِيَادَةٌ عَلَى النُّصُوصِ.

٤٣١٤- وَتَضَمَّنَتْ أَيْضًا مَوَانِعَ لَمْ تَكُنْ مَمْنُوعَةً شَرْعًا بِإِبْرَاهَانَ

كَأَنَّ الْمُؤَلِّفَ يَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ خَالَفَتْ النُّصُوصَ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَهَذَا هُوَ حَاصِلُ كَلَامِ الْمُؤَلِّفِ.

٤٣١٥- إِلَّا بِأَقْيَسَةِ وَأَرْأٍ وَتَقَى لِيْلِدِ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانِ

يعني: أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا مَخَالَفَةٌ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَيْسَتْ مَبْنِيَّةً عَلَى شَيْءٍ، إِلَّا عَلَى أَقْيَسَةِ وَأَرْأٍ بَاطِلَةٍ، وَتَقْلِيدِ لِعَامَّتِهِمْ بِلَا عِلْمٍ أَوْ اسْتِحْسَانٍ.

- ٤٣١٦- عَمَّنْ أَتَتْ هَذِي الْقَوَاعِدُ مِنْ جَمِيحِ
عِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ
- ٤٣١٧- مَا أَسْسُوا إِلَّا أَتْبَاعَ نَبِيِّهِمْ
- ٤٣١٨- بَلْ أَنْكُرُوا الْأَرْءَاءَ نُصْحًا مِنْهُمْ
- ٤٣١٩- أَوْلَيْسَ فِي حُلْفِ بِهَا وَتَنَاقُضِ
- ٤٣٢٠- وَاللَّهِ لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ مَا أَحَدُ
- ٤٣٢١- شُبَّةٌ يَهَافُتُ كَالزُّجَاجِ نَخَالُهَا
- ٤٣٢٢- وَاللَّهِ لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ
- ٤٣٢٣- فَمِثَالُهَا وَاللَّهِ فِي قَلْبِ الْفَتَى
- ٤٣٢٤- كَالزَّرْعِ يَنْبُتُ حَوْلَهُ دَغْلٌ فَيَمُوتُ
- ٤٣٢٥- وَكَذَلِكَ الْإِيْمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى
- ٤٣٢٦- وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّدَّ
- ٤٣٢٧- فَيَعُودُ ذَلِكَ الْغَرْسُ يَبْسًا ذَاوِيًا
- ٤٣٢٨- فَتَرَاهُ يَخْرُتُ دَائِبًا وَمَغْلُوهُ
- ٤٣٢٩- وَاللَّهِ لَوْ نَكَشَ النَّبَاتَ وَكَانَ ذَا
- ٤٣٣٠- لَأَتَى كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ مَغْلُوهُ
- عِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ
لَا عَقْلَ فَلَئِنِ وَرَأَى فُلَانٍ
لِلَّهِ وَاللِّدَّاعِي وَلِلْقُرْآنِ
مَا دَلَّ ذَا لُبٍّ وَذَا عِرْفَانٍ
تَلَفَّتْ وَلَا انْتَهَضَتْ مَدَى الْأَرْمَانِ
حَقًّا وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانِ
عَلِيَاءَ طَالِبَةِ لِهَذَا الشَّانِ
وَنَبَاتِهَا فِي مَنِبَتِ الْإِيْمَانِ
نَعْمَةُ النَّسَمِ فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانِ
غَرْسٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْإِنْسَانِ
شُبُهَاتٍ وَهِيَ كَثِيرَةُ الْأَفْنَانِ
أَوْ نَاقِصِ الثَّمَرَاتِ كُلِّ أَوَانِ
نَزَرَ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ
بَصِيرٍ لِدَاكِ الشُّوكِ وَالسَّعْدَانِ
وَلَكَانَ أَضْعَافًا بِلا حُسْبَانِ

الشرح

٤٣١٦- عَمَّنْ أَتَتْ هَذِي الْقَوَاعِدُ مِنْ جَمِيْدٍ عِصَابِ الصَّحْبِ وَالْأَتْبَاعِ بِالْإِحْسَانِ

يعني: هذه القواعد التي أسسوها عمَّنْ أتت؟ هل جاءت عن الصحابة؟ هل جاءت عن التابعين لهم بإحسان؟

فقوله: «عَمَّنْ» «مَنْ» هنا استفهامية؛ يعني: عن أيِّ أحدٍ أتت هذه، هل جاءت عن الصحابة أو الأتباع بالإحسان؟ والجواب: لا.

٤٣١٧- مَا أَسَّسُوا إِلَّا أَتْبَاعَ نَبِيِّهِمْ لَا عَقْلَ فَلَتَانٍ وَرَأَى فُلَانٍ

يعني: أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان ما أسسوا إلا أتباع النبي صلى الله عليه وسلم.

٤٣١٨- بَلْ أَنْكَرُوا الْآرَاءَ نَصْحًا مِنْهُمْ اللَّهُ وَاللَّذَاعِي وَلِلْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «أَنْكَرُوا» الضمير يعود على الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

فهم أنكروا الآراء، وأنكروا معارضة النص بالآراء؛ لما حدث عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» قال ابنه بلال: «وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ» والرَسُولُ يَقُولُ: «لَا تَمْنَعُوا»، لكن بلال ابنه رأى ما عليه الناس من فسادٍ فقال: «وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ»، فأقبل عليه أبوه عبد الله يسبُّه سبًّا شديدًا ما سبَّه مثله قطُّ، وقال: أَقُولُ لَكَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» وتقول: «وَاللَّهِ لَنَمْنَعُهُنَّ»، ثُمَّ هَجَرَهُ حَتَّى مَاتَ (١)، مع أَنَّهُ عَارِضُ النَّصِّ بِاجْتِهَادٍ، لَكِنْ لَا يَجُوزُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الصلاة، باب خروج النساء إلى المساجد إذا لم يترتب عليه فتنَةٌ وأنها لا تخرج مطيئة، رقم (٤٤٢).

أن نعارض النصّ، والله ورسوله أعلم، بل أتبع النصّ وفيه الخير، وإذا حدث شيءٌ معينٌ فعالجه، أمّا أن تعارض النصّ قائلاً: «وَاللّٰهُ لَنَمْنَعَنَّ» والرّسولُ يقول: «لَا تَمْنَعُوا»، فهذا خطأ، لكن لو حدثت فتنةٌ من امرأةٍ معينةٍ امنعها، فمقابلة النصّ بالمعارضة خطيرةٌ.

٤٣١٩- أَوْلَيْسَ فِي حُلْفِ بِهَا وَتَنَاقُضٍ مَادَلَّ ذَا لُبٍّ وَذَا عِرْفَانِ
الجواب: بلى، هذا الاختلاف بين أهل الآراء وهذا التناقض يدلُّ على فسادها؛ لأنّها لو كانت سليمةً ما اختلف أهلها ولا تناقضوا.

٤٣٢٠- وَاللّٰهُ لَوْ كَانَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ مَا اخْتَلَفَتْ وَلَا انْتَقَضَتْ مَدَى الْأَرْمَانِ
قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٤٣٢١- شُبّهَ تَهَافُتُ كَالزُّجَاجِ نَحَالِهَا حَقًّا وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانِ
هذا بيتٌ مشهورٌ لكنّ آخره: «وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ» كما قال الشّاعر:
حُجَجٌ تَهَافُتُ كَالزُّجَاجِ نَحَالِهَا حَقًّا، وَكُلُّ كَاسِرٍ مَكْسُورٌ^(١)

أمّا ابنُ القيمِ فأتّمه بغيرِ هذا من أجلِ النّظم، فقال: «وَقَدْ سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانِ»، وإذا سَقَطَتْ عَلَى صَفْوَانٍ؛ يعني: على صفا، لا يبقى لها باقيةٌ.

٤٣٢٢- وَاللّٰهُ لَا يَرْضَى بِهَا ذُو هِمَّةٍ عَلِيَاءَ طَالِبَةِ لِهَذَا الشَّانِ
يعني: لا يرضى بهذه الآراءِ ذُو هِمَّةٍ عاليةٍ تطلبُ هذا الشّانَ، وهو الحقُّ في

(١) البيت لابن الرومي، في ديوانه (١٦٦/٢).

باب أسماء الله وصفاته وغيرها.

٤٣٢٣- فَمِثَالُهَا وَاللَّهُ فِي قَلْبِ الْفَتَى وَنَبَاتُهَا فِي مَنْبِتِ الْإِيمَانِ

٤٣٢٤- كَالزَّرْعِ يَنْبُتُ حَوْلَهُ دَعْلٌ فِيمَا نَعَهُ النَّامَا فَتَرَاهُ ذَا نُقْصَانٍ

هذا مثالٌ عجيبٌ منضبطٌ، فهذا إنسانٌ عنده زرعٌ نبت حوله دَعْلٌ، والدَعْلُ: زروعٌ تُفْسِدُ الزَّرْعَ، وتقضي عليه من فوق ومن تحت؛ يعني: هذه الزروعُ تُفسدُ الزَّرْعَ من تحت بالعروق، تحوّل بين عروقه وبين أخذ الطعم الذي في الأرض، وتفسده أيضًا من فوق، تغمره عن الشمس والهواء، فهاذا يكونُ حالُ الزَّرْعِ؟ الجواب: يفسدُ، يذبلُ، يموتُ، أو يكونُ ناقصًا.

٤٣٢٥- وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى غَرْسٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فِي الْإِنْسَانِ

نسأل الله أن يغرَسَ في قلوبنا وقلوبكم الإيمانَ وينميَه.

٤٣٢٦- وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَفْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّفْسُ تُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ»؛ أي: تنبتُ حولَ القلبِ الشَّهَوَاتِ.

قَوْلُهُ: «وَهِيَ كَثِيرَةٌ الْأَفْنَانِ»؛ أي: كثيرةُ الأغصانِ، كثيرةُ الفروعِ.

فالإيمانُ يغرَسُه اللهُ في قلبِ الإنسانِ، ثُمَّ تأتي النفسُ الأمارَةُ بالسُّوءِ فَتُنْبِتُ حَوْلَهُ الشَّهَوَاتِ وَالشُّبُهَاتِ وَتُؤَثِّرُ عَلَيْهِ.

٤٣٢٧- فَيَعُودُ ذَلِكَ الْغَرْسُ يَنْسَا ذَاوِيًا أَوْ نَاقِصَ الثَّمَرَاتِ كُلِّ أَوَانٍ

صحيحٌ؛ إذا نبتت حول الإيمان الشُّبُهَاتُ وَالشَّهَوَاتُ -والعيادُ بالله- فَإِنَّ

الإيمانَ يذوي، وربّما يزولُ بالكُلِّيَّةِ؛ ولهذا قال العلماءُ: «إِنَّ المعاصيَ بريدُ الكفرِ».

٤٣٢٨- فَتَرَاهُ يَحْرُثُ دَائِبًا وَمَغْلُهُ نَزْرٌ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْخُسْرَانِ

ترى الزارع يحرث دائبًا، ولكن المغل قليل لما ينبت حوله من هذه النوابت التي تؤثر عليه في الأرض وفي الجو.

٤٣٢٩- وَاللَّهُ لَوْنَكَشَ النَّبَاتِ وَكَانَ ذَا بَصِيرٍ لِدَاكَ الشُّوكِ وَالسَّعْدَانِ

٤٣٣٠- لَأَتَى كَأَمْثَالِ الْجِبَالِ مَغْلُهُ وَلَكَانَ أضعافًا بلا حُسبانِ

قوله: «لَوْنَكَشَ النَّبَاتِ»؛ يعني: أزاله ونبشه.

فلو زال هذا النبات المضر لأتاك أمثال الجبال مغله وكان أضعافًا بلا حُسبانِ.

والمؤلف - رحمه الله - يريد بهذا المثال أن يحرض الإنسان فينظر ماذا نبت

حول قلبه، بل حول غرس الرحمن «الإيمان في قلبه» حتى يُزيله ويُطهره منه.

فصل

- ٤٣٣١- هَذَا وَلَيْسَ الطَّعْنُ بِالِإِطْلَاقِ فِيهِ
 ٤٣٣٢- بَلْ فِي النَّبِيِّ قَدْ خَالَفَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ
 ٤٣٣٣- أَوْ فِي النَّبِيِّ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِيهِ
 ٤٣٣٤- فَهِيَ النَّبِيِّ كَمْ عَطَلَتْ مِنْ سُنَّةِ
 ٤٣٣٥- هَذَا وَتَرْجُو أَنْ وَاضِعَهَا فَلَا
 ٤٣٣٦- إِذْ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِيْ
 ٤٣٣٧- بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلَامِهِ
 ٤٣٣٨- وَكَذَلِكَ أَوْصَانًا بِتَقْدِيمِ النَّصُوحِ
 ٤٣٣٩- نَصَحَ الْعِبَادَ بِذَا وَخَلَصَ نَفْسَهُ
 ٤٣٤٠- وَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ فَهَوَ عَلَى الَّذِي
 ٤٣٤١- فَإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَاهَا بِمَا
 ٤٣٤٢- لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ مُنَادِيًا
 هَا كُلُّهَا فِعْلَ الْجَهُولِ الْجَانِي
 لِ وَمُحَكَّمِ الْإِيمَانِ وَالْمُرْقَانِ
 تَقْرِيرَهَا يَا قَوْمُ مِنْ سُلْطَانِ
 بَلْ عَطَلَتْ مِنْ مُحَكَّمِ الْقُرْآنِ
 يَعْدُوهُ أَجْرٌ، أَوْ لَهُ أَجْرَانِ
 جَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانِ
 نَصًّا بِتَقْلِيدِ بِلَابُرْهَانَ
 صِ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
 عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ
 تَرَكَ النَّصُوحَ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانِ
 لَوْ قَالَهُ خَضَمَ لَهُ ذُو شَانِ
 بِفَسَادِ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانِ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الطَّعْنَ فِي أَقْوَالِ مَنْ خَالَفَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ قَالَ:

٤٣٣١- هَذَا وَلَيْسَ الطَّعْنُ بِالِإِطْلَاقِ فِيهَا كُلُّهَا فِعْلُ الْجَهْوَلِ الْجَانِي

يعني: نحن إذا طعنا في أقوال هؤلاء فلا نطعن فيها على الإطلاق كما يفعل الجهول الجاني الذي يطعن في أقوالنا على الإطلاق.

٤٣٣٢- بَلْ فِي النَّبِيِّ قَدْ خَالَفتُ قَوْلَ الرَّسُولِ لِوُجُوهِ الْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ

وهذا من العدل إلا نطعن إلا فيما خالف القرآن والسنة، وهذا هو الواجب على الإنسان، أن يكون عدلاً يقبل الحق ممن جاء به ويرد الباطل ممن جاء به، فيكون مراده الحق.

٤٣٣٣- أَوْ فِي النَّبِيِّ مَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَقْرِيرِهَا يَا قَوْمٌ مِنْ سُلْطَانِ

يعني: نطعن فيما خالف أو في شيء لم ينزل به سلطان من الله يقرره، فأقوال الناس ثلاثة أقسام:

الأول: قول وافق الدليل فهو مقبول من أي شخص.

الثاني: قول خالف الدليل فهو مردود.

الثالث: قول لم ينزل الله به من سلطان، ويطلب فيه الدليل، ولكن لا دليل،

فهذا مردود أيضاً.

ولهذا قال: نرد شيئين: ما خالف قول الرسول، والذي لم ينزل الله في تقريره

من سلطان، أمّا ما وافق قول الرسول فإننا نقبله وإن كان من أقوال هؤلاء الفلاسفة أو المناطق.

٤٣٣٤- فَهِيَ النَّبِيِّ كَمْ عَطَلْتِ مِنْ سُنَّةٍ بَلْ عَطَلْتِ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ

قوله: «فهي النبي كم عطلت من سنة» أي: هذان النوعان من الأقوال، «كم عطلت من سنة»

بَلْ عَطَلْتَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ»، وهذا واضح.

٤٣٣٥- هَذَا وَنَزَجُوا أَنْ وَاضِعَهَا فَلَا يَعْدُوهُ أَجْرٌ، أَوْ لَهُ أَجْرَانِ

يعني: نرى أَنَّ مَنْ قَالَهَا عَنْ اجْتِهَادٍ فَلَا يَخْلُو مِنْ أَجْرٍ أَوْ أَجْرَيْنِ، فَهُوَ يَأْخُذُ الْأَجْرَيْنِ إِذَا أَصَابَ، وَوَاحِدًا إِذَا أَخْطَأَ.

٤٣٣٦- إِذْ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ مِنْ غَيْرِ إِيَابِ جَبَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «إِذْ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ»؛ يعني: وَجْهٌ أَنَّهُ مَا جَوْرٌ أَنَّهُ قَالَ (مَبْلَغَ عِلْمِهِ)، وَكُلُّ إِنْسَانٍ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ فَإِنَّهُ لَا يُلَامُ.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ إِيَابِ الْقَبُولِ لَهُ عَلَى إِنْسَانٍ» اللهُ أَكْبَرُ، وَهَذَا هُوَ الْعَدْلُ؛ إِذْ أَنَّهُ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَلَمْ يَقُلْ: يَجِبُ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتَّبِعُوهُ، وَهَذَا هُوَ الْعَالِمُ الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُبَيِّنُ الْحَقَّ فِي نَظَرِهِ، وَلَا يَقُولُ لِلنَّاسِ: يَلْزَمُكُمْ أَنْ تَتَّبِعُوا قَوْلِي.

إِذْ هُوَ قَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ؛ لِأَنَّهُ بَحَثَ وَنَظَرَ فِي الْأَدَلَّةِ فِي أَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى هَذَا الرَّأْيِ، فَهَذَا مَبْلَغُ عِلْمِهِ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وَمَعَ ذَلِكَ لَمَّا قَالَ هَذَا الرَّأْيِ لَمْ يُوْجِبْهُ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُوجِبَ الْقَوْلَ بِمَا قَالَ عَلَى أَيِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ أَبَدًا، إِلَّا أَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ رَسُولٌ.

فَأَنْتَ إِذَا رَأَيْتَ رَأْيًا فَإِنَّهُ لَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُلْزِمَ النَّاسَ بِهِ؛ لِأَنَّ غَيْرَكَ قَدْ يَرَى خِلَافَكَ، أَمَّا إِذَا كَانَ لَكَ سُلْطَةٌ وَكَانَ قَوْلُكَ هُوَ الْحَقُّ فَهَذَا تُلْزِمُهُمْ بِالْمُوَافَقَةِ بِالظَّاهِرِ.

مِثَالُ ذَلِكَ: رَجُلٌ لَهُ سُلْطَةٌ يَرَى أَنَّ شَرَبَ الدُّخَانِ حَرَامٌ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَى أَنَّهُ حَلَالٌ، هُنَا يُلْزِمُ النَّاسَ فِي ظَاهِرِ حَالِهِمْ بِمَا يَرَى أَنَّهُ حَرَامٌ إِذَا كَانَ لَهُ سُلْطَةٌ؛

لأننا لو لم نقل بهذا لأصبح النَّاسُ فوضى؛ ولهذا ألزم عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ النَّاسَ ألا يرجعوا إلى نسائهم إذا طلقوهنَّ ثلاثاً؛ لئلا يحصل اللَّعِبُ بآياتِ الله عزَّ وجلَّ^(١)، وهذا في المسائل الاجتهاديَّة القابلة للأخذ والردِّ.

وأما إذا كان الاستدلال صحيحاً والدليل صحيحاً، لزمهم الأخذ بقوله، لا لأنه قولُ فلانٍ، ولكن لأنه مقتضى الدليل، وهذا متفقٌ عليه بين العلماء، فليس للإنسان أن يُجبر النَّاسَ على الأخذ بقوله، لكن عليه أن يُجبرهم على الأخذ بالدليل؛ لأنَّ هذا كلامُ الله أو كلامُ رسوله، لا لأنه قاله، مثلاً لو قال: «الميتة حرام» هنا يلزمهم أن يأخذوا بأن الميتة حرام؛ لأنَّ الله قاله، لا لأنَّ فلاناً قاله.

٤٣٣٧- بَلْ قَدْ نَهَانَا عَنْ قَبُولِ كَلَامِهِ نَصًّا بِتَقْلِيدِ بِلَابِرْهَانَ

من الذي نهانا؟ الجواب: الذي قال برأيه مجتهداً قال: لا تُقلِّدوني إلا برهانٍ، انظر كلامَ الأئمة، ولاسيما الأئمة المتبوعون الأربعة: أبو حنيفة، ومالكُ والشافعي، وأحمد، رحمهم اللهُ جميعاً، تجدُ كُلَّ كلامهم يَنْهَوْنَ عن تقليدِ آراءِ الرِّجالِ، ويقولون بلسانِ المقالِ أو بلسانِ الحالِ: «إِذَا خَالَفْتَ أَقْوَالَ قَوْلِ الرَّسُولِ فَاصْرَبُوا بِهَا عُرْضَ الْحَائِطِ»، كُلُّهم يقولُ هذا إمَّا بهذا اللَّفْظِ أو بمعناه، وهذا هو الحقُّ والله، ليس الحقُّ أن يقولَ الإنسانُ بلسانِ حالِهِ أو بمقالِهِ: يا جماعة لا تخرجوا عن قولي، ثُمَّ يغضبُ إذا رأى النَّاسَ خرجوا عن قوله.

أقول: إنَّ كُلَّ شخصٍ يريدُ من النَّاسِ أن يتبعوا قوله ويرى أنَّ ذلك واجبٌ، فإنَّه قد جعل نفسه شريكاً للرَّسولِ ﷺ؛ لأنه لا أحدَ يجبُ اتِّباعُ قوله إلا الرَّسولُ صلى اللهُ عليه وسلم.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطلاق، باب طلاق الثلاث، رقم (١٤٧٢).

٤٣٣٨- وَكَذَلِكَ أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النُّصُوصِ صِ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ أَوْصَانَا»؛ يعني: المجتهد مِنَّا معشرَ أهلِ السُّنَّةِ «أَوْصَانَا بِتَقْدِيمِ النُّصُوصِ عَلَيْهِ»؛ يعني: على قوله «مِنْ خَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنٍ»، هذا يقوله المؤلف.

٤٣٣٩- نَصَحَ الْعِبَادَ بِذَا وَخَلَّصَ نَفْسَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ أَيْ: نَصَحَ الْعِبَادَ بِأَلَّا يَتَّبِعُوا قَوْلَهُ بِلا حُجَّةٍ، وَنَصَحَهُمْ حَيْثُ اجْتَهَدَ وَبَالَغَ فِي الاجْتِهَادِ وَقَالَ مَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَاجْتَهَدَ فَبَيَّنَ لِلْعِبَادِ، فَقَالَ: أَنَا أَرَى هَذَا حَلَالًا، أَرَى هَذَا حَرَامًا، أَرَى هَذَا وَاجِبًا، هَذَا هُوَ النَّصْحُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا ظَهَرَ لَهُ مِنَ نِصُوصٍ، ثُمَّ خَلَّصَ نَفْسَهُ عِنْدَ السُّؤَالِ لَهَا مِنَ الدِّيَانِ، خَلَّصَ نَفْسَهُ لَمَّا قَالَ: أَنَا لَسْتُ نَبِيًّا، لَسْتُ وَاجِبَ الْإِتِّبَاعِ، أَنَا أَقُولُ لَكُمْ: «هَذَا مَبْلَغُ عِلْمِي، هَذَا مَحْطُّ اجْتِهَادِي، وَلَسْتُ نَبِيًّا أَلْزَمُكُمْ بِقَوْلِي»، فَهُوَ خَلَّصَ نَفْسَهُ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا سَأَلَهُ اللَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ مَا أَلْزَمْتُ عِبَادَكَ بِمَا أَقُولُ لَكِنِّي اجْتَهَدْتُ لَهُمْ وَقَلْتُ مَبْلَغَ عِلْمِي، وَهَذَا غَايَةُ جِهْدِي، فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ حُسْنَيْنَيْنِ:

الأولى: بيان الحقِّ حسب رأيه.

والثانية: نهي النَّاسِ عَنِ أَنْ يَأْخُذُوا بِقَوْلِهِ بِلا بَرَهَانٍ.

٤٣٤٠- وَالْخَوْفُ كُلُّ الْخَوْفِ فَهُوَ عَلَى الَّذِي تَرَكَ النُّصُوصَ لِأَجْلِ قَوْلِ فَلَانٍ

نَعَمْ، وَاللَّهُ هَذَا هُوَ الْخَوْفُ؛ أَنْ يَتَرَكَ الْإِنْسَانُ النَّصْرَ، وَيَقُولُ: قَالَ فَلَانٌ، تَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَيَقُولُ: قَالَ فَلَانٌ، لَوْ قُلْتُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ: هَلْ يَخَافُ عَلَيْهِ أَمْ لَا؟ أَلَيْسَ الرَّسُولُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ

الرَّاشِدِينَ»^(١)، فبدأ بسنته، فهي مقدّمةٌ على كُلِّ سُنَّةٍ؛ ولهذا يُروى عن ابن عباسٍ أنّه قال: «يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا نَزَلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(٢)، هذا وهما أبو بكرٍ وعمر اللذان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال فيهما رسولُ الله ﷺ: «اقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكرٍ وعُمَرُ»^(٣)، وقال: «إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا»^(٤)، ومع ذلك لو عَارَضَتْ قولَ الرسولِ بقولَيْهِمَا لأوشك أن تنزلَ عليك حجارةٌ من السماء.

وهل التَّعَصُّبُ إلى الأئمّةِ وتقديمِ أقوالهم على قولِ الرسولِ ﷺ هل يصلُ إلى الكفرِ؟

الجوابُ: لا، لا يصلُ إلى الكفرِ؛ لأنَّ غالبَ الذين يتعصّبون للأئمّةِ جُهَالٌ عامّةٌ؛ لأنّك تجده يتعصّب لهذا الإمام، لا لأنّه يقدّمه على الرسولِ، لكن يقولُ: لأنَّ الإمامَ أعلمُ منك أنت، فقد تخفى عليك أحاديثُ لم تخفَ على الإمامِ، فأكثرُ ما يُحاجّون به هذا، يقولُ: هل أنت أعلمُ من أحمدَ بنِ حنبلٍ؟ فإن قلت: نعم، يا ويلك منه، وإن قلت: لا، قال: إذن أفرزتَ على نفسك بأنك أقصرُ منه، فهو أعلمُ منك.

٤٣٤١- فإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَاهَا بِمَا لَوْ قَالَهُ خَصْمٌ لَهُ ذُو شَانِ

(١) أخرجه أحمد (٣٧٣/٢٨)، رقم (١٧١٤٤). وأبو داود: كتاب السنة، باب في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٧).

(٢) أوردّه شيخُ الإسلامِ في الفتاوى (٢٠/٢١٥، ٢٦/٥٠، ٢٨١)، والإمامُ ابنُ القيمِ في إعلامِ الموقعين (٢/٢٣٨)، والزاد (٢/١٩٥)، والصواعقُ المرسلّة (٣/١٠٦٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٣٤)، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب أبي بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كليهما، رقم (٣٦٦٢)، وابن ماجه في المقدمة، باب فضل أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٩٧).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، رقم (٦٨١).

٤٣٤٢- لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ مُنَادِيًّا بِفَسَادِ مَا قَدْ قَالَهُ بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «وَإِذَا بَغَى الْإِحْسَانَ أَوْلَاهَا» إذا بغى الإحسان فأراد أن يُوَفَّقَ بين قولِ فلانٍ وبين النُّصوصِ فإنه يُؤَوَّلُها تأويلَ تحريفٍ، لا تأويلَ تفسيرٍ، فالمرادُ أَوْلَاهَا تأويلَ تحريفٍ لأجل أن تُوافقَ قولَ فلانٍ؛ مثل ما أوَّلَ دعاةَ الاشتراكيةِ، فدعاةُ الاشتراكيةِ قالوا: الاشتراكيةُ من الإسلام، كما قال الشاعر:

(الِشْتَرَاكِيُّونَ أَنْتَ إِمَامُهُمْ)^(١)

واقراً قولَ الله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ [الروم: ٢٨]، ﴿فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ هذه الاشتراكيةُ، وهل غيرُ كلامِ الله شيءٌ؟ إذن هذا من التَّأويلِ، فهم تَبِعُوا إِمَامَ الْإِشْتِرَاكِيَّةِ، وقالوا: هذا القرآنُ يدلُّ عليها، أوَّلوا تأويلَ تحريفٍ؛ لأنَّ المعنى أن الله يُنكِرُ على هؤلاء، هل عبيدُكم يشاركونكم في الرِّزقِ ويكونون معكم سواء؟ هذا إنكارٌ ونفيٌّ، فإذا كان عبيدُكم لا يُشاركونكم فيما رزقناكم فكيف تجعلون عبيدي يشاركونني في العبادة؟! وهذا خلافُ العدلِ.

قَوْلُهُ: «لَوْ قَالَ خَصْمٌ لَهُ ذُو شَانٍ لَرَمَاهُ بِالذَّاءِ الْعُضَالِ... إلخ» وصدق رحمه الله؛ يعني: لو أن غيره أَوْلَاهَا هذا التَّأويلَ لرماه بالذَّاءِ الْعُضَالِ، وقال: أنت مُحَرِّفٌ، أنت مرتدٌّ، أنت ضالٌّ، وما أشبه ذلك.

وختلاصةُ هذا الفصلِ: أن الواجبَ على الإنسان أن يقولَ العدلَ، وإذا جاء الحقُّ من عدوِّ فاقبله، وإذا جاء الباطلُ من صديقٍ فرُدِّه.

(١) جزء من بيت أحمد شوقي، في ديوانه (٣٧/١)، وتمامه:

لَوْلَا دَعَاوَى الْقَوْمِ وَالْعُلُوَاءِ

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب أم لا؟

- ٤٣٤٣- وَلَوْازِمُ الْمَعْنَى تُرَادُ بِذِكْرِهِ
مِنْ عَارِفٍ بِلُزُومِهَا الْحَقَّانِي
- ٤٣٤٤- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ
قَضْدُ اللَّوَازِمِ وَهِيَ دُوْتِيَانِ
- ٤٣٤٥- إِذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا الْمَجْهُولَ، أَوْ
قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلَا نِكْرَانِ
- ٤٣٤٦- لَكِنْ عَرْتُهُ غَفْلَةً بِلُزُومِهَا
إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَانِ سَيَانِ
- ٤٣٤٧- وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُ لَازِمًا لِمَذَاهِبِ الْأَ
عُلَمَاءِ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٣٤٨- فَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَاكَ مَذْ
هَبُهُمْ أَوْلُو جَهْلٍ مَعَ الْعُدْوَانِ
- ٤٣٤٩- لَا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ
قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللُّزُومِ الدَّانِي
- ٤٣٥٠- سَيِّئًا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ
لَكِنْ يَظُنُّ لُزُومَهُ بِجَنَانِ
- ٤٣٥١- لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيَحْكُمُ عَلَى
مَا تَلْزَمُونَ شَهَادَةَ الْبُهْتَانِ
- ٤٣٥٢- بِخِلَافِ لَازِمٍ مَا يَقُولُ إِلَهْنَا
وَبَيِّنَا الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ
- ٤٣٥٣- فَلِذَا دَلَالَاتُ التُّصُوصِ جَلِيَّةٌ
وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ
- ٤٣٥٤- وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الْفَهْمَ فِي
آيَاتِهِ رِزْقًا بِلا حُسْبَانِ
- ٤٣٥٥- وَاحْذَرُ حِكَايَاتِ الْأَرْبَابِ الْكَلَا
مِ عَنِ الْخُصُومِ كَثِيرَةَ الْهَدْيَانِ

- ٤٣٥٦- فَحَكَّوْا بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزَمُهُمْ فَقَا
 ٤٣٥٧- كَذَبُوا عَلَيْهِمْ بَاهِتِينَ لَهُمْ بِمَا
 ٤٣٥٨- فَحَكَى الْمُعْطَلُّ عَنْ أُولِي الْإِثْبَاتِ قَوْ
 ٤٣٥٩- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ
 ٤٣٦٠- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَجُودُ
 ٤٣٦١- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بِتَحْ
 ٤٣٦٢- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ الْ
 ٤٣٦٣- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ التَّ
 ٤٣٦٤- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَقُو
- لُوا ذَاكَ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانَ
 ظَنُّوهُ يَلْزَمُهُمْ مِنَ الْبُهْتَانِ
 لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ ذُو جُؤْمَانٍ
 نَ اللَّهُ لَيْسَ يُرَى لَنَا بَعِيَانٍ
 رُ كَلَامُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعَانِي
 بِيَزِ الْإِلَهِ، وَحَضْرِهِ بِمَكَانٍ
 أَعْضَاءٌ جَلَّ اللَّهُ عَنْ بُهْتَانِ
 تَشْبِيهِ لِلْخَلْقِ بِالْإِنْسَانِ
 لُوهُ وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ

الشرح

هذا الفصل مهم جداً: هل لازم المذهب مذهب؟

والجواب: إذا كان القائل عارفاً بلوازم كلامه فإثباتها حق، وتعتبر من قوله.

لكن من الذي يعرف بلوازم كلامه؟

الجواب: هو الله ورسوله.

ولهذا نقول: لوازم الكتاب والسنة من الكتاب والسنة؛ إلا أنه يشكّل على هذا أن الرجل قد يظنّ هذا لازماً وليس بلازم، فالمعطلة الآن يرون أن إثبات الصفات يلزم منه التمثيل، فيقولون لأهل الإثبات: لازم إثباتكم للصفات أن الله

مماثل للعباد، وهذا منهم إمّا أن يكون ظناً، وإمّا أن يكون عدواناً.
 إذن إذا قال نافي الصفات للمثبت لها: يلزمك من إثبات هذه الصفة أن
 يكون الله مماثلاً للخلق، وهي موجودة في القرآن، هل نلتزم بهذا؟
 فالجواب: لا، بل نقول: هذا لازم عند فهمك.

لكن إذا قال قائل: إن الله تعالى خالق كل شيء، فهل يلزم أن يكون عالماً
 بأحوال العباد؟

فالجواب: نعم، لأنه لا خلق إلا بعلم، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ
 خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: ١٤].

أمّا غير الكتاب والسنة من أقوال العلماء، فهل لازم المذهب مذهب؟
 والجواب: لا، إلا لعارفي، لكن لنا أن نلزم هذا المتمذهب بالرجوع عن
 مذهبه بذكر لازمه، ولا نقول: يقول بكذا.

٤٣٤٣- وَلَوْازِمُ الْمَعْنَى تُرَادُ بِذِكْرِهِ مِنْ عَارِفٍ بِلُزُومِهَا الْحَقَّانِي

أولاً: هل لازم الكلام ملزوم للقائل أو لا؟ يقول ابن القيم رحمه الله: إنه
 لا يلزم القائل بلازم كلامه إلا إذا كان عارفاً باللازم، فيحتاج إلى مسألتين: أن يُقرَّ
 بأنه من اللازم، وأن يعرف أنه من اللازم، فإذا أُقرَّ به وقد عرفه صار هذا اللازم
 قولاً له، بشرط أن يعترف بأنه لازم، أمّا إذا منع فسيأتي - إن شاء الله تعالى -
 الكلام عليه.

٤٣٤٤- وَسِوَاهُ لَيْسَ بِلَازِمٍ فِي حَقِّهِ قَصْدُ اللَّوَازِمِ وَهِيَ ذُو تَبَيَانٍ

فسوى الله ورسوله وسوى العارفي بكلامه، «ليس بلازم في حقه قصد

اللَّوَاظِمِ، وَهِيَ ذُو تَبْيَانٍ»، وفي نسخة: «ذَاتُ بَيَانٍ»؛ يعني: سوى مَنْ لا يعرفُ لازمَ كلامه لا يكونُ لازماً له، أما لماذا؟ فقال:

٤٣٤٥- إِذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا الْمَجْهُوْلَ، أَوْ قَدْ كَانَ يَعْلَمُهُ بِلَا نُكْرَانَ

٤٣٤٦- لَكِنْ عَرَّتْهُ غَفْلَةٌ بِلُزُومِهَا إِذْ كَانَ ذَا سَهْوٍ وَذَا نِسْيَانٍ

يقول: ليس بلازم قَصْدُ اللَّوَاظِمِ، وَبَيِّنَ السَّبَبَ فَقَالَ: «إِذْ قَدْ يَكُونُ لُزُومُهَا الْمَجْهُوْلَ»؛ يعني: مجهولاً له، إذ قد يكونُ اللَّازِمُ مجهولاً للمتكلِّم؛ يعني: لم يظنَّ أنَّه يلزمُ من كلامه هذا المعنى، ولو ظنَّ لرجع عن قوله، مثلاً لو قال: إِنَّ اللَّهَ -سبحانه وتعالى- بذاته في كُلِّ مكانٍ، يلزمُ على هذا القولِ أن يكونَ اللهُ في المواضعِ القدرة، وأن يكونَ متجزئاً، وأن يكونَ متعدِّداً، ولا شكَّ أنَّ هذا اللَّازِمَ باطلٌ، فهل هذا يُعْتَبَرُ قولاً لِمَنْ قال: إِنَّ اللَّهَ بذاته في كُلِّ مكانٍ؟

يُنظَرُ؛ فإذا كان قد عرف أنَّ هذا لازمُ قوله والتزمه صار قولاً له وإن لم ينطق به، وإن كان لا يعلمُ أنَّه لازمُ قوله؛ بأن يكونَ قد غفل أو جهل أو نسي أو امتنع من أن يكونَ لازماً، قال: أبداً، هذا لا يلزمُ أن يكونَ في القاذوراتِ وغيرها، فإنَّه لا يكونُ قولاً له؛ ولهذا إذا تكلم العلماءُ على أحدٍ قال قولاً خاطئاً يلزمُ على قوله شيءٌ باطلٌ، لم يجعلوا هذا اللَّازِمَ قولاً له؛ ولهذا يقولون: يلزمُ من هذا القولِ، ولا يقولون: هذا اللَّازِمُ قولٌ للقائل؛ لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: لأنَّه قد يكونُ جاهلاً بهذا اللَّازِمِ، وإذا كان جاهلاً به كيف يُقال: إِنَّه من أقواله!؟

الوجه الثاني: قد تكونُ اعترته غفلةٌ ونسيانٌ؛ يعني: يعلمُ أنَّه يلزمُ لكن نسي، فكيف نقول: إِنَّ الرَّجُلَ النَّاسِيَ لهذا اللَّازِمِ يُجْعَلُ اللَّازِمُ قولاً له؟! وأنتم أحياناً قد

تمرُّ بكم نصوصٌ فتستحضرُون لها معاني، وتستفيدون منها فوائد، فإذا مرَّت بكم أخرى وجدتم أنفسكم قد نسيتم أو غفلتم.

الوجه الثالث: قد يمنعُ هذا اللّازم، ويقول: لا يلزمُ على قولي كذا وكذا، وحينئذٍ لا يكونُ قولاً له.

فما دامت الاحتمالاتُ الثلاثةُ واردةً على اللّازم؛ فإنّه لا يُجَعَلُ لازمُ القولِ قولاً لقائله كما سيأتي.

٤٣٤٧- وَلِذَاكَ لَمْ يَكْ لَازِمًا لِمَذَاهِبِ الْعُلَمَاءِ مَذَاهِبُهُمْ بِإِبْرَاهَانَ

يعني: ما كان لازماً من أقوال العلماءِ في من مذاهبهم، فإذا كان يلزمُ على قولِ هذا العالمِ كذا، فليس قولاً له، وإذا كان يلزمُ على هذا المذهبِ كذا، فليس مذهباً، حتّى يُورَدَ هذا اللّازمُ على القائلِ، ثمَّ يقول: نعم، هذا يلزمُ على قولي وأنا مُلتزمٌ به، فحينئذٍ يكونُ اللّازمُ قولاً.

فصار لازمُ القولِ ليس بقولٍ إلّا إذا عرفه القائلُ والتزم به؛ فإن لم يعرفه فليس له بقولٍ، وإن عرفه ورَدَّه، فقال: «لا يلزمُ من قولي كذا وكذا» فليس بقولٍ له.

فإذا قال قائلٌ: إذا كنّا نجهلُ: هل الرّجلُ الذي قال هذا القولَ يعلمُ أنّ قوله يستلزمُ هذا القولَ أو لا يعلمُ؟ فالأصلُ أنّه لا يعلمُ؛ لأنّ الأصلُ عدمُ العلمِ، والأصلُ عدمُ التزامه.

٤٣٤٨- فَالْمُقَدِّمُونَ عَلَى حِكَايَةِ ذَلِكَ مَذَاهِبُهُمْ أَوْلُو جَهْلِ مَعَ الْعُدْوَانِ

يعني: المُقدِّمون على أن يحكوا لازمَ القولِ قولاً هؤلاءُ جهالٌ وذوو عدوانٍ؛

لأنَّ القائلَ إذا أوردَ عليه اللَّازِمُ فإنَّ قِبَلَهُ والتزمه فهو قولٌ له، وإن رَدَّه وأنكره وقال: «هذا لا يلزم» فليس قولاً له.

فإن قال قائلٌ: هذه الأقوالُ المُنكَرَةُ في بابِ الصِّفَاتِ وغيرها إذا كان يلزمُ عليها لوازمٌ باطلةٌ لماذا لم يرجع عنها أصحابُها؟

نقولُ: هل عندك علمٌ أنَّها بَلَّغَتْهم؟ لا، ما ندري، ربَّما كانوا لا يُلْزَمُونَ بها، وكانوا قد جهلوا هذا اللَّازِمَ أو نسوه، وكثيراً ما يُقالُ للقائلِ: إنَّه يلزمُ من كلامِكَ كذا وكذا، ثمَّ يرجعُ إذا عَلِمَ أنَّ اللَّازِمَ باطلٌ فإنَّ الملزومَ باطلٌ عند العقلاءِ كُلِّهم.

٤٣٤٩- لا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللَّزُومِ الدَّانِي

يعني: أنَّ الذين يُقَدِّمُونَ على حكاية اللَّازِمِ أنَّه مذهبٌ للقائلِ لا يُفَرِّقُونَ بين اللَّازِمِ الظَّاهِرِ واللَّازِمِ الخَفِيِّ؛ لأنَّ اللَّوْازِمَ - كما تعلمون - قد تكونُ ظاهرةً، فلو قلت: «صَنَعَ فلانُ البابَ»، فاللَّازِمُ مِمَّنْ صنعه أن يكونَ قادراً، وأن يكونَ عالماً، وأن يكونَ عنده موادُّ.

إذْنُ نَقُولُ: هذا الذي صَنَعَ البابَ عنده قدرةٌ بدنيَّةٌ، وقدرةٌ فكريَّةٌ، وقدرةٌ ماليَّةٌ، من أين عرفنا ذلك؟ الجوابُ: من أنَّه لا يمكنُ صنْعُ البابِ إلا بهذا، وهذا ظاهرٌ، وقد يكونُ اللُّزومُ خَفِيًّا لا يُدْرِكُهُ كُلُّ أَحَدٍ، فكوننا لا نفرِّقُ بين الخَفِيِّ والظَّاهِرِ لا شكَّ أنَّه زورٌ؛ ولهذا قال: «لا فَرْقَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَخَفَائِهِ» حيث يجعلون لازمَ المذهبِ مذهباً، «قَدْ يَذْهَلُونَ عَنِ اللَّزُومِ الدَّانِي»، و«الدَّانِي»؛ يعني: القريب.

٤٣٥٠- سِيِّمًا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ لَكِنْ يَظُنُّ لُزُومَهُ بِجَنَانٍ

قَوْلُهُ: «سِيِّمًا» بمعنى: لا سِيِّمًا.

قَوْلُهُ: «إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ» «مَا» هنا زائدة، ويقول القائل:

يَا طَالِبًا خُذْ فَائِدَهُ بَعْدَ (إِذَا) (مَا) زَائِدَهُ^(١)

فإذا جاءت «مَا» بعد «إِذَا» فهي زائدة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٧]؛ أي: إذا غضبوا، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ﴾ [فصلت: ٢٠]؛ يعني: حتى إذا جاؤوها، وهنا يقول المؤلف رحمه الله: «سِيَمَا إِذَا مَا كَانَ لَيْسَ بِلَازِمٍ»؛ يعني: سيما إذا كان ليس بلازم. قَوْلُهُ: «بِجَنَانٍ الْجَنَانُ» أي: القلب.

٤٣٥١- لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ وَيَحْكُمُ عَلَىٰ مَا تَلْزَمُونَ شَهَادَةَ الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «لَا تَشْهَدُوا بِالزُّورِ» الخطابُ لمن أَلْزَمَ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةَ لَوَازِمَ غَيْرِ لَازِمَةٍ لَهُمْ، مثاله: قالوا: إنكم لو أثبتتم أن الله مُستَوٍ عَلَى الْعَرْشِ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ مَحْدُودًا؛ لِأَنَّ الْمُسْتَوِيَ عَلَى الْمَحْدُودِ مَحْدُودٌ، نقول: لا يلزمنا هذا.

إذا قالوا: إنكم إذا أثبتتم الوجه واليدين لزمكم أن تثبتوا أن الله جسمٌ مُرَكَّبٌ من أعضاء، نقول: لا يلزم؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وإذا كان يُقَالُ: وَجْهَ الثَّوْرِ لِمُسْتَقْبَلِهِ، وَنَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ كَقَوْلِنَا: وَجْهَ الْإِنْسَانِ، وإذا كان الله يقول عن بعض بني إسرائيل: ﴿ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَآكُفِرُوا ءَاخِرَهُ﴾ [آل عمران: ٧٢] فقال: ﴿وَجْهَ النَّهَارِ﴾، فجعل للنَّهَارِ وَجْهًا، ومعلومٌ أَنَّ وَجْهَ النَّهَارِ؛ يعني: مُسْتَقْبَلَهُ.

٤٣٥٢- بِخِلَافِ لَازِمٍ مَا يَقُولُ إِلَيْهَا وَنَبِيَّنَا الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: فَإِنَّهُ مُعْتَبَرٌ وَلَا زِمٌ.

(١) ذكره في فتح رب البرية في شرح نظم الأجرومية (ص: ١٧٢) بدون قائل.

٤٣٥٣- فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ وَخَفِيَّةٌ تَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ

يعني: أن دلالة النصوص على اللازم تجعل اللازم حكماً ثابتاً، فإذا كان يلزم من هذا النص كذا وكذا فهو لازم، وهو حق ولا يمكن إنكاره، لكن الذي يجب هنا هو التوقف: هل هذا لازم أو ليس بلازم؛ لأن الناس يختلفون في فهم اللازم اختلافاً كثيراً، فقد يقول قائل: هذا لازم، لهذا وليس بلازم، وقد يكون هذا لازماً للكلام، ولكن لم يُذكره أحدٌ إلا واحدٌ من اثنين مثلاً؛ ولهذا يقول المؤلف رحمه الله: «فَلِذَا دَلَالَاتُ النُّصُوصِ جَلِيَّةٌ وَخَفِيَّةٌ»؛ يعني: دلالات النصوص جلية واضحة، وهناك دلالات خفية تخفى على بعض الناس.

ونحن نضرب مثلاً لدلالة اللزوم، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ [الطلاق: ١٢] فيلزم من الخلق القدرة؛ لأن غير القادر لا يخلق، ويلزم أيضاً العلم؛ لأن غير العالم لا يخلق، ويلزم منه الحياة؛ لأن غير الحي لا يخلق، ويلزم له الإرادة؛ لأنه لا فعل إلا بإرادة.

واللوازم يختلف فيها الناس اختلافاً كثيراً، وبعضها قريب وبعضها بعيد.

٤٣٥٤- وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ الْفَهْمَ فِي آيَاتِهِ رِزْقًا بِإِلْحْسَابٍ

وَصَدَقَ رَحْمَةُ اللَّهِ، فقد يرزق الله الإنسان فهماً في كلامه فهماً لا نظير له، وقد يكون الأمر بالعكس.

٤٣٥٥- وَاحْتَذِرْ حِكَايَاتِ الْأَرْبَابِ الْكَلَامِ مِ عَنِ الْخُصُومِ كَثِيرَةَ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «احْتَذِرْ حِكَايَاتِ الْأَرْبَابِ الْكَلَامِ»؛ يعني: المتكلمين.

قَوْلُهُ: «عَنِ الْخُصُومِ»؛ يعني بهم: أهل السنة.

٤٣٥٦- فَحَكَّوْا بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزِمُهُمْ فَقَا لَوْ ذَاكَ مَذْهَبُهُمْ بِلَا بُرْهَانٍ

حَكَّوْا عَنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَا يَظُنُّونَهُ لَازِمًا لِمَذْهَبِهِمْ، فَقَالُوا: هَذَا مَذْهَبُهُمْ، كَمَا قَالُوا: (يَقُولُ أَهْلُ السُّنَّةِ: إِنَّ اللَّهَ لَهُ أَعْضَاءٌ، وَلَهُ أَجْزَاءٌ، وَأَنَّهُ يَتَحَرَّكُ، وَأَنَّهُ يُبْصَرُ شَيْئًا وَلَا يُبْصَرُ آخَرَ... إلخ)، فَيُوهَمُونَ عَلَى الْعَامَّةِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ هَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ.

٤٣٥٧- كَذَبُوا عَلَيْهِمْ بِأَهْتَيْنَ لَهُمْ بِمَا ظَنُّوهُ يَلْزِمُهُمْ مِنَ الْبُهْتَانِ

فهل يلزمنا نحن إذا أثبتنا لله وجهًا وعينًا ويدًا وقدمًا أن نكون قد مثلنا؟

الجواب: أبدًا، لا يلزم.

وهم يقولون: أنتم ممثلة، وهل يلزمنا أن نقول بالتجسيم؟

الجواب: لا يلزمنا، لكن هم يقولون: أنتم مجسمة.

وهل يلزمنا أن نقول: إن الله له أعضاء؟

الجواب: لا، لا يلزمنا، وهم يقولون: إنكم ممثلة تقولون بهذا.

٤٣٥٨- فَحَكَّى الْمُعْطَلُّ عَنْ أُولِي الْإِثْبَاتِ قَوْلَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ ذُو جُثْمَانٍ

وهذا من الكذب، وقوله: «الجُثْمَان»؛ يعني: الجسم، يقول: إنكم تقولون أنتم المثبتة: إن الله تعالى له سمع، وبصر، ويد، ووجه، إلى آخره، وهذا يلزم أن يكون جسمًا؛ فأنتم مجسمة ومجثمة.

٤٣٥٩- وَحَكَّى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ يُرَى لَنَا بَعِيَانٍ

يقول المعطلة: إن أهل السنة يقولون: «إن الله لا يرى بعيان»، وهذا كذب

عليهم، هم يقولون: إِنَّ اللَّهَ يُرَى بِالْعِيَانِ، وَمَنْ أَنْكَرَ الرَّؤْيِيَةَ فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ، وَرُبَّمَا أَطْلَقَ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ الْكَفْرَ.

٤٣٦٠- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا يَجُوزُ زُكْلَامُهُ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعَانِي

معناه: يجوزُ أن يتكلمَ اللهُ عزَّ وجلَّ من غيرِ أن يقصدَ المعنى؛ ولهذا فصلوا اللَّفْظَ عن المعنى؛ فمنهم مَنْ قَالَ: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْمَعَانِي فَقَطْ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ الْكَلَامَ هُوَ الْأَلْفَاظُ فَقَطْ، وَلَكِنَّ الْكَلَامَ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ هُوَ اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا.

٤٣٦١- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا بَتَحَ سِيْرِ الْإِلَهِ، وَحَضْرِهِ بِمَكَانِ

ولم نقل بذلك، لكن هو يزعمُ أنك إذا قلت: «إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» لَزِمَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ مَحْدُودًا مَحْصُورًا.

٤٣٦٢- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّهُمْ قَالُوا لَهُ أَلْ أَعْضَاءُ جَلَّ اللَّهُ عَنْ بُهْتَانِ

قالوا ذلك لأنهم أثبتوا لله اليدَ، والوجهَ، والعينَ، والسَّاقَ، فقالوا: إِذَنْ أَنْتُمْ مَثَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَنْتُمْ مَمَثَلَةٌ.

٤٣٦٣- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ أَنَّ مَذْهَبَهُمْ هُوَ التَّشْبِيهُ لِلْخَلْقِ بِالْإِنْسَانِ

على زعمهم أَنَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ.

٤٣٦٤- وَحَكَى الْمُعْطَلُّ عَنْهُمْ مَا لَمْ يَقُو لُؤُهُ وَلَا أَشْيَاخُهُمْ بِلِسَانِ

ولكنه كذبٌ، يحكي عنهم أشياء ما قالوها، وليس لها أصلٌ عندهم، ومع ذلك يقولون بهذا اللازم الباطل على زعمه أنه لازمٌ.

- ٤٣٦٥- ظَنَّ الْمُعْطَلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ فَلَمَّا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ
 ٤٣٦٦- فَعَلَيْهِ فِي هَذَا مَحَازِيرٌ ثَلَاثٌ، كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ الْبُطْلَانِ
 ٤٣٦٧- ظَنَّ اللَّزُومَ وَقَدَّفُهُمْ بِلِزُومِهِ
 ٤٣٦٨- يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيَلِكَ لَمْ تَخْفَ
 ٤٣٦٩- يَا قَائِلَ الْبُهْتَانِ غَطَّ لَوَازِمًا
 ٤٣٧٠- وَاللَّهِ لَازِمُهَا انْتِفَاءُ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ
 ٤٣٧١- وَاللَّهِ لَازِمُهَا انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ
 ٤٣٧٢- وَلِزُومٌ ذَلِكَ بَيِّنٌ جِدًّا لِمَنْ
 ٤٣٧٣- وَاللَّهِ لَوْ لَا ضِيقُ هَذَا النَّظْمِ بَيْنَ
 ٤٣٧٤- وَلَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لِمَنْ
 ٤٣٧٥- إِنَّ الذِّكْرَ بِبَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي وَأَخُو الْبِلَادَةِ سَاكِنُ الْجَبَانِ

الشرح

- ٤٣٦٥- ظَنَّ الْمُعْطَلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ فَلَمَّا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ
 قَوْلُهُ: «ظَنَّ الْمُعْطَلُ أَنَّ هَذَا لَازِمٌ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ: مَا رَمَاهُمْ بِهِ مِنَ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِهِ.
 قَوْلُهُ: «فَلَمَّا أَتَى بِالزُّورِ وَالْعُدْوَانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ الْمُعْطَلَّ قَدْ يَكُونُ لِمُزِهِ لِأَهْلِ
 السُّنَّةِ بِأَتَمِّهِمْ مُشَبَّهٌ قَدْ يَكُونُ ذَلِكَ حَقِيقَةً، وَقَدْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْعُدْوَانِ؛ فَلِهَذَا

يقول رحمه الله:

٤٣٦٦- فَعَلَيْهِ فِي هَذَا مَحَاذِيرٌ ثَلَاثٌ، كُلُّهَا مُتَحَقِّقُ الْبُطْلَانِ

٤٣٦٧- ظَنُّ اللَّزُومِ وَقَدْفُهُمْ بِلُزُومِهِ وَتَمَامُ ذَلِكَ شَهَادَةُ الْكُفْرَانِ

الأول: «ظنُّ اللُّزومِ».

الثاني: «قدفهم بلزومه»، حيث قالوا: إنه يلزم على قولكم كذا وكذا، ويلزم على قولكم تشبيه، فأنتم وقعتم في الحرام، فهذا رميهم بهذا اللازم على زعمهم، وهم منه براء.

الثالث: «شهادة الكفران»؛ يعني: شهادتهم بأنهم كفروا؛ لأنهم يدعون أن إثبات الصفات يستلزم التشبيه والتجسيم، وأن التشبيه والتجسيم كفر.

فقالوا لأهل السنة: أنتم كفار؛ لأنكم تمثلون الله بخلقه، فتجعلون الخلق يعبدون صنما، فأنتم كفار، سبحانه هذا بهتان عظيم! يعني: هم الذين كذبوا الله ورسوله؛ لكن ليس تكديبا صريحا، وإلا لضربنا أعناقهم، ثم يكفرون أهل السنة.

٤٣٦٨- يَا شَاهِدًا بِالزُّورِ وَيَلِكَ لَمْ تَخَفْ يَوْمَ الشَّهَادَةِ سَطْوَةَ الدِّيَانِ

قوله: «الدِّيَانِ» هو الله عز وجل.

٤٣٦٩- يَا قَائِلَ الْبُهْتَانِ غَطَّ لَوَازِمًا قَرَّرْتَ مَلْزُومَاتِهِ بِيَانِ

يعني: غطت أنت اللوازم التي تفضحك، فإنتها أشد من اللوازم التي نسبتنا لنا.

٤٣٧٠- وَاللَّهُ لَزِمَهَا انْتِفَاءَ الدَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ

قوله: «والله...» أقسم رحمه الله على هذه اللوازم.

قَوْلُهُ: «لَا زِمَهَا انْتِفَاءُ الذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ لِلرَّحْمَنِ»؛ يعني: أن ما قلته من النَّفي والتَّعْطِيلِ من لازمه انتفاء ذات الله، وانتفاء أوصافه، وانتفاء أفعاله.

إذا قالوا: إنَّه -سبحانه وتعالى- ليس تحت العالم، وليس فوق العالم، ولا يمينه، ولا شماله، ولا متصلاً بالعالم، ولا منفصلاً عن العالم، فلو قالوا بذاك لكن معناه العدم، وهذا انتفاء الذات، وهم لم يُقِرُّوا بذلك.

وانتفاء الأوصاف واضح، فهم يصرِّحون بأنَّ الله تعالى لا صفة له.

الثالث: انتفاء الأفعال، فهم يُنكرون أنَّ الله يستوي على العرش، أو ينزل إلى السماء الدنيا، أو يأتي للقضاء بين عباده، أو يفرح، أو يضحك، أو يعجب، فكلُّ هذا مُنتَفٍ عن الله عزَّ وجلَّ عندهم، فنَقَوْا الأفعال.

٤٣٧١- وَاللَّهُ لَا زِمَهَا انْتِفَاءُ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ

إِذَنْ قَوْلٌ هُوَ لَا يَلِزُ مِنْهُ هَذِهِ اللَّوَاظِمُ الْبَاطِلَةُ الَّتِي فِيهَا انْتِفَاءُ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَكَلَامِهِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ، كُلُّ شَيْءٍ يَنْتَفِي؛ لِأَنَّ تَعْطِيلَهُمْ يُوَدِّي إِلَى أَنَّهُ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ إِلَهٌ يُعْبَدُ وَلَا يُرْكَعُ لَهُ وَيُسْجَدُ، وَهَذَا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ مِنَ التَّعْطِيلِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

٤٣٧٢- وَلِزُومُ ذَلِكَ بَيْنَ جِدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ وَعَيْنَانِ

٤٣٧٣- وَاللَّهُ لَوْ لَا ضَيْقُ هَذَا النِّظْمِ بَيْنَ سَيْنَتِ اللَّزُومِ بِأَوْضَحِ التَّبْيَانِ

ولكن أحوالنا -رحمه الله- على أن ننظر نحن بأنفسنا، وننظر هذه اللوازم.

فإذا قال قائل: إنَّ الله -سبحانه وتعالى- لا يُوصَفُ بوجودٍ ولا عدم، ولا سمعٍ ولا بصير، ولا صممٍ ولا عمى، ولا أنَّه فوق العالم ولا تحته، فماذا يكون

هذا غيرَ العدم المحض، بل هو المستحيل؛ لأنه لا يمكن أن يوجد شيءٌ لا يُوصَفُ بوجودٍ ولا عَدَمٍ، فكلُّ شيءٍ فهو إمَّا موجودٌ وإمَّا معدومٌ، دعونا من الحياة والموت؛ فقد يقولُ قائلٌ: الحياةُ والموتُ لا يُوصَفُ بهما إلا الحيوانُ بخلافِ غيره كالجمادِ والحجرِ، فالحجرُ لا يُوصَفُ بحياةٍ ولا موتٍ.

ولذا نقولُ: الوجودُ والعدمُ لا مفرَّ منهما، لا يمكنُ أن يُوصَفُ شيءٌ بأنَّه لا موجودٌ ولا معدومٌ، إذا نَفَيْتَ وجوده لَزِمَ أن يكونَ معدومًا، وإذا نَفَيْتَ عَدَمَهُ لَزِمَ أن يكونَ موجودًا.

٤٣٧٤- وَلَقَدْ تَقَدَّمَ مِنْهُ مَا يَكْفِي لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

قَوْلُهُ: «تَقَدَّمَ»؛ يعني: في كلامِ المؤلِّفِ في هذه القصيدة.

قَوْلُهُ: «مَا يَكْفِي»؛ أي: ما يكفي في الرَّدِّ على هؤلاء وبيانِ لوازمهم الباطلة.

٤٣٧٥- إِنَّ الذِّكْيَ بِبَعْضِ ذَلِكَ يَكْتَفِي وَأَخُو الْبِلَادَةِ سَاكِنُ الْجَبَّانِ

الذِّكْيُ هو الذي يفهمُ بسرعةٍ ويعرفُ، والبليدُ هو الذي لا يفهمُ كالحمارِ،

سَاكِنُ الْجَبَّانِ؛ أي: ساكنُ المقابرِ، فهو ميِّتٌ، فأخو البلادةِ ميِّتٌ لا ينفعُه شيءٌ.

٤٣٧٦- يَا قَوْمَنَا اغْتَبِرُوا بِجَهْلِ شَيْوِخِكُمْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ

٤٣٧٧- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَفْضَلِ وَقْتِهِ فَيْكُمْ مَقَالَةَ جَاهِلٍ فَتَّانِ

٤٣٧٨- إِنَّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضَ قَبْ- لَ الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ مَخْلُوقَانِ

٤٣٧٩- وَاللَّهِ مَا هَدَى مَقَالَةَ عَالِمٍ فَضْلًا عَنِ الْإِجْمَاعِ كُلِّ زَمَانِ

- ٤٣٨٠- مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالْ
 حَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهِرَ الْقُرْآنِ
 ٤٣٨١- فَانظُرْ إِلَى مَا جَرَّهُ تَأْوِيلُ لَفْظِ
 «الِإِسْتِوَاءِ» بِظَاهِرِ الْبُطْلَانِ
 ٤٣٨٢- زَعَمَ الْمُعْطَلُ أَنَّ تَأْوِيلَ ﴿أَسْتَوَى﴾
 بِالسَّخْلِ وَالْإِقْبَالِ وَضَعُ لِسَانِ
 ٤٣٨٣- كَذَبَ الْمُعْطَلُ لَيْسَ ذَا لَفْظَةِ الْأَلَى
 قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 ٤٣٨٤- فَأَصَارُهُ هَذَا إِلَى أَنْ قَالَ: خَلُ
 قُ الْعَرْشِ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ
 ٤٣٨٥- يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ وَإِجْمَاعِ
 الْهُدَاةِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

الشرح

- ٤٣٧٦- يَا قَوْمَنَا اغْتَبِرُوا بِجَهْلِ شَيْوَحِكُمْ
 بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 قَوْلُهُ: «يَا قَوْمَنَا» يُحَاطَبُ الْمُعْطَلَةَ، وَلَا بَأْسَ أَنْ يُحَاطَبَ الْإِنْسَانُ بِالْقَوْمِ؛ لِأَنَّ
 الْقَوْمَ لَفْظٌ عَامٌّ يَشْمَلُ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ.
 ثُمَّ ذَكَرَ قَوْلًا غَرِيبًا مِنْ أَعْرَبٍ مَا يَكُونُ فَقَالَ:
 ٤٣٧٧- أَوْ مَا سَمِعْتُمْ قَوْلَ أَفْضَلٍ وَقْتِهِ
 فِيكُمْ مَقَالَةَ جَاهِلٍ فَتَّانٍ
 مَا هَذِهِ الْمَقَالَةُ؟ قَالَ:

- ٤٣٧٨- إِنَّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ قَبْلَ
 الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ مَخْلُوقَاتَانِ
 يَقُولُ: السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مَخْلُوقَاتَانِ قَبْلَ الْعَرْشِ بِالْإِجْمَاعِ، وَهَذَا مَقَالٌ
 جَاهِلٌ، بَلْ مَقَالٌ أَجْهَلُ مِنْ حِمَارِهِ، لَكِنْ لِمَاذَا قَالَ هَذَا الْكَلَامَ؟ لِأَنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِذَا قُلْتَ:
 إِنَّ «أَسْتَوَى» بِمَعْنَى مَلَكٍ وَاسْتَوَى، لَزِمَ أَنْ يَكُونَ الْعَرْشُ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

والأرض مملوكًا لغير الله؛ لأن الله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤]، إذن ما دام هذا هو اللازم قال: إن العرش خلق بعد خلق السماوات والأرض، فيكون معنى الآية -على رأيه- أنه -سبحانه وتعالى- خلق السماوات والأرض، ثم خلق العرش فاستولى عليه، ومع هذا يقول: هذا بالإجماع، وهو أفضل أهل وقته في زمانه^(١).

قال ابن القيم رحمه الله:

٤٣٧٩- وَاللَّهِ مَا هَذِي مَقَالَةٌ عَالِمٍ فَضْلًا عَنِ الْإِجْمَاعِ كُلِّ زَمَانٍ

وهذا صحيح، فوالله ما يقول هذا الكلام عالم، فضلًا عن أن يقول: هذا أجمع الناس عليه من عهد الرسول إلى يومه، فهو يدعي أن الناس منذ عهد الرسول إلى يومه مجمعون على أن خلق السماوات والأرض قبل خلق العرش.

٤٣٨٠- مَنْ قَالَ ذَا قَدْ خَالَفَ الْإِجْمَاعَ وَالْخَبَرَ الصَّحِيحَ وَظَاهِرَ الْقُرْآنِ

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]؛ أي: عند خلق السماوات والأرض، إذن ظاهر القرآن أن العرش سابق؛ ولهذا قال: «في ظاهر القرآن» ولم يقل: «صريح»، أمّا السنة فصريحة في هذا أن العرش مخلوق قبل السماوات.

٤٣٨١- فَاَنْظُرْ إِلَى مَا جَرَّهُ تَأْوِيلُ لَفْظِ «الِاسْتِوَاءِ» بِظَاهِرِ الْبُطْلَانِ

حيث قال: الاستواء بمعنى الاستيلاء.

(١) وهذا الذي هو أفضل أهل وقته: «فخر الدين أبو عبد الله الرازي».

٤٣٨٢- زَعَمَ الْمُعْطَلُ أَنَّ تَأْوِيلَ ﴿أَسْتَوَى﴾ بِالْخَلْقِ وَالْإِقْبَالِ وَضَعُ لِسَانِ

زعم أن تأويل «استوى» «بالخلق والإقبال وضع لسان»؛ يعني: أنه وضع لغوي؛ أي: إن اللغة يأتي فيها «استوى» بمعنى «خلق» و«أقبل»، وهذا كذب ابن القيم رحمه الله، فلا يأتي في اللغة «استوى» بمعنى «أقبل»، ولكن ورد عن بعض علماء السنة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ٢٩] قال: إن الاستواء هنا بمعنى القصد والإقبال، فإن صحَّ هذا المعنى فإن هناك فرقاً بين أن يتعدى «استوى» بـ«على»، أو يتعدى بـ«إلى»، والمقصود ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، لا يمكن أن يأتي في اللغة العربية «استوى» المعدى بـ«على» بمعنى «قصد» أو «أقبل»، لا يمكن هذا.

٤٣٨٣- كَذَبَ الْمُعْطَلُ لَيْسَ ذَا لُغَةٍ الْأَلَى قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «الْأَلَى»؛ يعني: الذين.

قَوْلُهُ: «قَدْ خُوِطِبُوا بِالْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ» وَهُمْ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤٣٨٤- فَأَصَارُهُ هَذَا إِلَى أَنْ قَالَ: خَلَقَ الْعَرْشَ بَعْدَ جَمِيعِ ذِي الْأَكْوَانِ قَوْلُهُ: «أَصَارُهُ هَذَا» أَصَارَهُ بِمَعْنَى صَيَّرَهُ.

قَوْلُهُ: «هَذَا» الْمُشَارُ إِلَيْهِ؛ أَي: تَأْوِيلُ «أَسْتَوَى» بـ«أَسْتَوَى».

المعنى: أصاره إلى أن يجعل خلق العرش بعد خلق السماوات والأرض؛ للعلّة التي أشرنا إليها أولاً، وهي أنه قيل له: إذا قلت «استوى» بمعنى «استوى» فلمن يكون الاستيلاء قبل خلق السماوات والأرض على العرش؟ قال: إذن أعرض عن هذا، وأقول: إن العرش خلق بعد السماوات والأرض، ولم أسمع

بهذه المقالة إلا الليلة أن أحدا من العلماء الذين يُقال: إنهم علماء، يقولون: إن خلق العرش كان متأخرا عن خلق السماوات والأرض، ما علمنا بهذا، لكن نعوذ بالله، فالقول الباطل يجرُّ إلى باطل.

٤٣٨٥- يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ وَإِجْمَاعُ الْهُدَاةِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
يعني أن قوله: إن العرش مخلوق بعد السماوات والأرض قد كذبه الرسول، وكذبه إجماع الهداة، وكذبه محكم القرآن.

قوله: «يَهْنِيهِ تَكْذِيبُ الرَّسُولِ لَهُ...»، وليس هذا تهنة، بل هذا هو التشقية والعياذ بالله، لكنه قال ذلك على سبيل التهكم به، والتهكم بالإنسان وراذ حتى في القرآن؛ مثل قوله تعالى في صاحب الجحيم: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]، فهذا تهكم به، فأين العزة وأين الكرم وهو يُقال له: ذُقْ هذا العذاب؟ إذن هو ليس عزيزا ولا كريما، وإن كان بعض العلماء يقول: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩]؛ يعني: في الدنيا؛ أي: فيما سبق، لكن الأصل أن الوصف يكون مطابقا للموصوف حين خطابه به، وهنا قال: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

فصل

فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي تَكْفِيرِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
وَذِكْرِ انْقِسَامِهِمْ إِلَى أَهْلِ الْجَهْلِ وَالتَّفْرِيطِ وَالبِدْعَةِ وَالكُفْرَانِ

- ٤٣٨٦- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ
أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشِيعَةَ الْقُرْآنِ
- ٤٣٨٧- إِذْ خَالَفُوا رَأْيَالَهُ رَأْيَ يَنَا
قِضُهُ؛ لِأَجْلِ النَّصِّ وَالْبُرْهَانِ
- ٤٣٨٨- وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ
وَوَفَاقَكُمْ فَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
- ٤٣٨٩- فَوَافِقُكُمْ وَخِلَافُكُمْ مِيزَانُ دِينِ
مِنِ اللَّهِ، لَا مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٤٣٩٠- مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغٍ جَاهِلٍ
وَالْعَوْلُ كُلُّ الْعَوْلِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٣٩١- أَهْوُونَ بِهِ مِيزَانَ جَوْرِ عَائِلٍ
بِيَدِ الْمُطْطَفِّ، وَيَلْ ذَا الْوَزَانِ
- ٤٣٩٢- لَوْ كَانَ نَمَّ حَيًّا وَأَذْنَى مُسْكَةً
مِنْ دِينٍ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيمَانٍ
- ٤٣٩٣- لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْرٍ
رِ النَّاسِ بِالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ
- ٤٣٩٤- هَبِكُمْ تَأَوَّلْتُمْ وَسَاغَ لَكُمْ أَيُّكُمْ
فُرٌّ مَنْ يُخَالَفُكُمْ بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٣٩٥- هَذِي الْوَقَاحَةُ وَالْجَرَاءَةُ وَالْجَهَا
لَهُ، وَيُحْكُمُ يَا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ
- ٤٣٩٦- اللَّهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةٍ تَارِكِ الْـ
وَحَيْنٍ لِالْآرَاءِ وَالْهَدْيَانِ
- ٤٣٩٧- لَكِنَّا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ
فِيكُمْ؛ لِأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

هذا الفصل في الردّ عليهم في تكفيرهم أهل العلم؛ لأنّ أهل البدع والضلال ليس لهم سيرٌ ولا سلاحٌ إلاّ التّكفيرُ والتّشهيرُ؛ كما حصّل من الخوارج وغيرهم، حين خرجوا على الأُمّة الإسلاميّة بدعوى أنّهم كُفّارٌ، وأنّ أقسام هؤلاء: إمّا أهل جهلٍ وتفريطٍ، وإمّا أهل بدعٍ وكفرانٍ.

٤٣٨٦- وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّكُمْ كَفَرْتُمْ أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشِيعَةَ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «الْعَجَائِبُ» جمعُ: «عجيب».

يعني: من الأمور التي تدعو إلى العجب أنّكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن.

٤٣٨٧- إِذْ خَالَفُوا رَأْيَالَهُ رَأْيِي نِنَا قِضُهُ؛ لِأَجْلِ النَّصِّ وَالْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «إِذْ خَالَفُوا رَأْيَالَهُ»؛ أي: خالفوا رأي المعطّلة.

قَوْلُهُ: «لَهُ رَأْيِي نِنَا قِضُهُ»؛ يعني: أنتم تتناقضون فيما بينكم.

وقد خالفوه لأجل النصّ والبرهان؛ يعني: هم خالفوا هذا الرأْي المتناقض لأجل النصّ والبرهان.

٤٣٨٨- وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ وَوَفَاقَكُمْ فَحَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «وَجَعَلْتُمْ التَّكْفِيرَ عَيْنَ خِلَافِكُمْ»؛ يعني: جعلتم التّكفير أن يخالفكم الناس.

قَوْلُهُ: «وَوَفَاقَكُمْ»؛ يعني: وجعلتم وفاقكم.

يعني: جعلتم وفاقكم هو الإيمان وخلافكم هو الكفر، وعلى هذا فمن خالفكم فهو كافرٌ، ومن وافقكم فهو مؤمنٌ.

٤٣٨٩- فَوَافِقُكُمْ وَخِلَافُكُمْ مِيزَانُ دِينِ اللَّهِ، لَا مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

يعني أن ميزان الدين عندكم هو الموافقة والمخالفة، فمن وافقكم فهو مؤمنٌ، ومن خالفكم فهو كافرٌ، ولم تجعلوا الميزان من جاء بالبرهان والفرقان وهو الرسول عليه الصلاة والسلام؛ يعني: لم تردوا الأمر إلى الله ورسوله، ولكن جعلتموه الموافقة والمخالفة لكم.

٤٣٩٠- مِيزَانُكُمْ مِيزَانُ بَاغٍ جَاهِلٍ وَالْعَوْلُ كُلُّ الْعَوْلِ فِي الْمِيزَانِ

قوله: «مِيزَانُ بَاغٍ» أي: معتدٍ، «جَاهِلٍ» أي: غير عالمٍ، ومع ذلك فهو ميزانٌ عائلٌ؛ أي: مائلٌ عن الاستقامة.

٤٣٩١- أَهْوَنُ بِهِ مِيزَانُ جَوْرِ عَائِلٍ بِيَدِ الْمُطَفِّفِ، وَيَلْ ذَا الْوَزَانِ

إذا كان الميزان ميزان جورٍ، والوازن مطففاً فمعناه أنه ليس فيه عدالة إطلاقاً، فالميزان ميزان جورٍ وعولٍ، والوازن مطفّفٌ، فلا يمكن أن يكون هناك عدلٌ.

٤٣٩٢- لَوْ كَانَ تَمَّ حَيَاً وَأَدْنَى مُسْكَةً مِنْ دِينٍ أَوْ عِلْمٍ وَمِنْ إِيْمَانٍ

٤٣٩٣- لَمْ تَجْعَلُوا آرَاءَكُمْ مِيزَانَ كُفْرِ النَّاسِ بِالْبُهْتَانِ وَالْعُدْوَانِ

صحيحٌ، لو كان عندهم حياءٌ أو أدنى مسكّة من دينٍ أو علمٍ أو إيمانٍ، لم يجعلوا الآراء ميزان كفر الناس وإيمانهم، فيقولوا: من وافق آراءنا فهو مؤمنٌ، ومن خالفها فهو كافرٌ.

٤٣٩٤- هَبِكُمْ تَأَوَّلْتُمْ وَسَاغَ لَكُمْ أَيُّكُمْ فُرُّ مَنْ يُخَالَفُكُمْ بِلَا بُرْهَانَ

يعني: قدروا أنكم تأوَّلتم، والمتأوَّل مجتهدٌ، وسَاغَ لكم ما تأوَّلتموه وصار هو الحقُّ، وليس يكفر مَنْ يخالفكم بلا برهانٍ؛ إذَنْ هذا عدوانٌ منكم، بل من أكبرِ العدوان؛ لأننا لو كفرنا مَنْ خالفنا في الاجتهادِ لَزِمَ أن يكفِّرنا هو أيضًا باجتهادنا؛ لأنَّ اجتهادنا ليس أَوْلَى بالصَّوابِ من اجتهاده.

٤٣٩٥- هَذِي الْوَقَاحَةُ وَالْجِرَاءَةُ وَالْجَهَا لَةٌ، وَيُحْكُمُ يَا فِرْقَةَ الطُّغْيَانِ

الوقاحةُ ضدُّ حسنِ الخلقِ، والجِراءَةُ ضدُّ التَّأَنِّي والطَّمَأْنِينَةِ، والجهالةُ ضدُّها العلمُ.

قَوْلُهُ: «وَيُحْكُمُ»؛ أي: ويحْكُمُ لكم يا فرقة الطُّغْيَانِ.

٤٣٩٦- اللهُ أَكْبَرُ ذَا عُقُوبَةٍ تَارِكِ الْـ وَوَحِيْنٍ لِالْآرَاءِ وَالْهَدْيَانِ

يعني: أن هذا الذي جَرَى منهم -وهو تكفيرُهم المؤمنين إذا خالفوهم- سببه تركُ الوحيين «الكتاب والسُّنَّة» للآراء؛ أي: من أجلِ الآراءِ والهذيانِ، فإذا ترك الإنسانُ القرآنَ والسُّنَّةَ فإنه يُبْتَلَى بمثل هذه البليَّةِ العظيمةِ، وهي تكفيرُ أهلِ الحقِّ والإيمانِ.

٤٣٩٧- لَكِنَّا نَأْتِي بِحُكْمٍ عَادِلٍ فِيكُمْ؛ لِأَجْلِ مَخَافَةِ الرَّحْمَنِ

هذا كقولِ عبد الله بن رواحة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في مُقَاسِمَةِ أَهْلِ خَيْرٍ، لَمَّا جَمَعَهُمْ قال لهم: «وَالله لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْقِرْدَةِ وَالْخَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَلَّا أَعْدَلَ

بَيْنَكُمْ»^(١)، وهكذا يجبُ على الإنسانِ ألاَّ يحملَه البُغْضُ الشَّخْصِيَّ على الجورِ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓيْكُمْ ءَلَّا تَعْدِلُوْا﴾ [المائدة: ٨]، وهذا هو العدل؛ أن يحكم الإنسان بالعدل له ولغيره؛ خوفاً من الله عزَّ وجلَّ.

- ٤٣٩٨- فَاسْمَعْ إِذْنَ يَأْمُرُكُمْ بِأَعْمَالٍ كُفِّرُوا عَنْهَا
وَأَنْظُرْ إِذْنَ: هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ
٤٣٩٩- هُمْ عِنْدَنَا قِسْمَانِ: أَهْلُ جَهَالَةٍ
وَذَوُو الْعِنَادِ، وَذَانِكَ الْقِسْمَانِ
٤٤٠٠- جَمْعٌ وَفَرَقٌ بَيْنَ نَوْعَيْهِمْ، هُمَا
فِي بَدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ
٤٤٠١- وَذَوُو الْعِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ
وَالجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ
٤٤٠٢- مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِالْ
أَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ
٤٤٠٣- لَكِنَّ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا
وَاسْتَسْهَلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعُمَيَّانِ
٤٤٠٤- لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ
لِلْحَقِّ تَهْوِينًا لِهَذَا الشَّانِ
٤٤٠٥- فَهُمْ الْأُلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيْقِهِمْ
وَالكُفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ
٤٤٠٦- وَالْوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمْ لَسْتُ الَّذِي
بِالْكُفْرِ أَنْعَيْتُهُمْ وَلَا الْإِيمَانَ
٤٤٠٧- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْبِطَانَةِ مِنْهُمْ
وَلَنَا ظَهَارَةٌ حُلَّةِ الْإِعْلَانِ
٤٤٠٨- لَكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ
قَطْعًا لِأَجْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٣٨/٩)، رقم (١٨١٦٨).

الشرح

٤٣٩٨- فَاسْمَعْ إِذَنْ يَا مُنْصِفًا حُكْمَيْهِمَا وَأَنْظُرْ إِذَنْ: هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ قَوْلُهُ: «حُكْمَيْهِمَا»؛ يعني: حكم الكتاب والسنة.

يقول رحمه الله: انظر هل يستوي حكم الكتاب والسنة مع حكم هؤلاء؟

٤٣٩٩- هُمْ عِنْدَنَا قِسْمَانِ: أَهْلُ جَهَالَةٍ وَذَوُو الْعِنَادِ،
الذين كفروا أهل السنة والجماعة قسمان: أهل جهالة وذوو العناد.
فالقسم الأول: هم أناس جهلة يكفرون تقليدًا لمتبعيهم.

والقسم الثاني: أهل عناد واستكبار يكفرون، وهم يعلمون أنهم ليسوا على حق.

وهذا تقسيم جيد لأهل البدع.

٤٣٩٩- وَذَانِكَ الْقِسْمَانِ

٤٤٠٠- جَمْعٌ وَفَرَقٌ بَيْنَ نَوْعَيْهِمْ، هُمَا فِي بَدْعَةٍ لَا شَكَّ يَجْتَمِعَانِ

ذانك القسمان يجتمعان ويفترقان؛ فهما يجتمعان في أنهما ذوو بدعة سواء الجاهل أو المعاند، كل منهما مبتدع؛ فإن تكفير أهل الحق بدون أصل يرجع إليه هذا من فعل أهل البدع كالخوارج مثلاً، ولكن هناك فرقاً بكفر هؤلاء المكفرين لأهل الحق، إذن هم في جمع وفرق، أما الجمع فأنهم جميعاً أهل بدعة، وأما الفرق فيقول:

٤٤٠١- وَذَوُو الْعِنَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ

قَوْلُهُ: «وَذُوو الْعِيَادِ فَأَهْلُ كُفْرٍ ظَاهِرٍ» أي: المعاندون لا شكَّ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ؛
لأنَّهم تَبَيَّنَ لهم الحَقُّ، ولكن خالفوه وكفروا مَنْ قَالَ به، فهم كُفَّارٌ من وجهين:
الوجه الأول: مخالفة الحَقِّ.

الوجه الثاني: تكفير مَنْ قَالَ بالحَقِّ.

وهذا عدوانٌ وظلمٌ بلا شكَّ.

قَوْلُهُ: «وَالْجَاهِلُونَ فَإِنَّهُمْ نَوْعَانِ» ذَكَرَ النَّوْعَ الْأَوَّلَ فَقَالَ:

٤٤٠٢- مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ بِالْأَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَمَكِّنُونَ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ» يَقُولُ: الْجَاهِلُونَ نَوْعَانِ:

النَّوْعَ الْأَوَّلَ: مَنْ تَمَكَّنُوا مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ؛ أَي: أَنَا سَ يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَطْلُبُوا
الْعِلْمَ وَأَنْ يَبْحَثُوا وَيَسْأَلُوا، وَلَكِنَّهُمْ تَهَاوَنُوا.

قَوْلُهُ: «بِالْأَسْبَابِ ذَاتِ الْيُسْرِ وَالْإِمْكَانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ أَسْبَابَ الْوَصُولِ إِلَى
الْعِلْمِ مُيَسَّرَةٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]،
فَلَا تَوْجُدُ صَعُوبَةً لَوْ أَرَادُوا الْحَقَّ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَرِيدُوهُ.

٤٤٠٣- لَكِنْ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا وَاسْتَسَهَّلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعُمِّيَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنْ إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ أَخْلَدُوا»؛ أَي: مَالُوا إِلَى أَرْضِ الْجَهَالَةِ.

قَوْلُهُ: «وَاسْتَسَهَّلُوا التَّقْلِيدَ كَالْعُمِّيَانِ»، قَالُوا: مَا لَنَا وَلِلنَّاسِ؟ نُقَلِّدُ مَشَائِخَنَا،
وَلَا نَسْأَلُ وَلَا نَبْحَثُ، إِذَنْ عِنْدَهُمْ تَفْرِيطٌ؛ لِأَنَّهم يَتَمَكَّنُونَ مِنْ طَلْبِ الْعِلْمِ
وَالْأَسْبَابِ مُيَسَّرَةً، لَكِنْ أَخْلَدُوا إِلَى الْجَهْلِ وَاسْتَسَهَّلُوا التَّقْلِيدَ، قَالُوا: نُقَلِّدُ فَلَانَا
وَنَحْنُ فِي ذِمَّتِهِ.

٤٤٠٤- لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ لِلْحَقِّ تَهْوِينًا لِهَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «لَمْ يَبْذُلُوا الْمَقْدُورَ فِي إِدْرَاكِهِمْ لِلْحَقِّ»؛ يعني: ما بذلوا الذي يقدرون عليه ليدركوا الحقَّ «تهوينًا بهذا الشَّانِ»، فهؤلاء يقولُ المؤلفُ -رحمه الله تعالى- عنهم:

٤٤٠٥- فَهُمْ الْأُلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيْقِهِمْ وَالْكَفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ

قَوْلُهُ: «فَهُمُ الْأُلَى لَا شَكَّ فِي تَفْسِيْقِهِمْ»؛ يعني: لا شكَّ أنَّ هؤلاء فسقةٌ.

إِذْ العوالمُ الذين في بلد البدع الآن أو في بلدٍ فيه شركٌ وهم مسلمون، هؤلاء العوالمُ -على كلامِ ابنِ القيمِ- فسقةٌ؛ لأنَّهم يمكنهم طلبُ العلمِ، ولكنهم أدخلوا إلى الجهلِ واستسهلوا التقليدَ، وقالوا: ما لنا وللبحثِ؟ الشَّيْخُ الفلانيُّ يقولُ: هذا جائزٌ، والشَّيْخُ الفلانيُّ على هذا الطَّرِيقِ، والشَّيْخُ الفلانيُّ يرانا ولم ينهنا! لسنا بملزومين، فعذا ذكروا أهل السنة قالوا: اترك هؤلاء! هؤلاء متشدِّدون! هؤلاء متزمتون! هؤلاء فيهم كذا! وهؤلاء فيهم كذا! لسنا ملزومين بهم! يقولُ ابنُ القيمِ: لا شكَّ في أنَّ هؤلاء فسقةٌ.

قَوْلُهُ: «وَالْكَفْرُ فِيهِ عِنْدَنَا قَوْلَانِ»؛ أي: في تفكيرهم قولان: هل يكفرون أو

لا؟

فَمَنْ قَالَ: إِنَّ هَؤُلاءِ كَالَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزُّحْرَف: ٢٢] يرى أنَّهم كُفَّارٌ.

والذي يقولُ: هؤلاءُ جُهَّالٌ يظنُّون أنَّ علماءهم أعلمُ من الآخرين، يقولُ: هؤلاءُ عندهم عذرٌ، فهم فسقةٌ.

وعلى هذا نأخذ الاتفاق على أن هؤلاء لا يُوصفون بالعدالة؛ لأنَّ حالهم دائرة بين الفسق والكفر، أمَّا أن يكونوا عدوًّا فلا.

٤٤٠٦- وَالْوَقْفُ عِنْدِي فِيهِمْ لَسْتُ الَّذِي بِالْكَفْرِ أَنْعَتَهُمْ وَلَا الْإِيمَانَ

يعني: يرى الوقف، فهو يتوقف هل هم فساق أم هم كفار؟ إن قلنا: «إثمهم فساق» كانوا من المؤمنين الفسقة، وإن قلنا: «كفار» خرجوا من دائرة الإسلام، وهو - رحمه الله تعالى - يرى التوقف؛ ولذا قال: «لست الذي بالكفر أنعتهم ولا الإيمان»؛ يعني: لا أقول: كفار، ولا أقول: مؤمنون.

وهل الوقف قول أو يُعتبر جهلاً؟

فيه خلاف، بعض العلماء يقول: إنَّ التوقف ليس بقول، ولكنه جهل، وبعض العلماء يقول: هو قول؛ يعني: أنه قال بما تعارضت فيه الأدلة، وفرق بين الذي يقول: (لا أدري) وهو عامي، وبين الذي بحث ولكن لم يتبين له أحد الأمرين من الأدلة، فيقول: (أنا متوقف)؛ ولهذا ينقل أصحاب الإمام أحمد - رحمه الله - عن الإمام أحمد في المسألة قولاً بالوقف، فيقولون: (وعنه)؛ يعني: عن الإمام أحمد (التوقف)، وهذا يدل على أنه قول، وهو عند التأمل كذلك؛ لأنَّ المجتهد إذا توقف فيعني ذلك أنه قد تعارضت عنده الأدلة، لأنه عنده علم، بخلاف العامي الذي تسأله فتقول: هل هذا حرام؟ فيقول: (والله لا أدري)، فهذا متوقف للجهل، أما العالم المجتهد فمتوقف للعلم.

فابن القيم - رحمه الله - يكون متوقفاً عن علم لا عن جهل؛ لأنَّ فيهم من الأوصاف ما يقتضي كفرهم، وفيهم من الأوصاف ما يقتضي أنهم فسقة وليسوا كفاراً.

٤٤٠٧- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالْبِطَانَةِ مِنْهُمْ وَلَنَا ظَهْرَةٌ حُلَّةُ الْإِعْلَانِ

الله أعلم بالبطانة، هل هم معذرون أم لا؟ أمّا نحن فليس لنا إلا الظاهر، وظاهر حالهم الكفر من وجه، والعدو من وجه آخر؛ ومن ثم حصل التوقف.

٤٤٠٨- لَكِنَّهُمْ مُسْتَوْجِبُونَ عِقَابَهُ قَطْعًا لِأَجْلِ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ

يعني: هؤلاء مستحقون للعقوبة لبغيهم وعدوانهم على أهل السنة؛ حيث نعتوهم بالكفر تقليدًا لعلمائهم وذوي الأمر منهم.

٤٤٠٩- هَبُّكُمْ عُنْدَ رَبِّكُمْ بِالْجَهَالَةِ، إِنَّكُمْ لَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ

٤٤١٠- وَالطُّغْيَانِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَهَادَةِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

٤٤١١- وَكَذَلِكَ اسْتِحْلَالُ قَتْلِ مُحَالِفِيكُمْ قَتْلَ ذِي الْإِشْرَاكِ وَالْكَفْرَانِ

٤٤١٢- إِنَّ الْخَوَارِجَ مَا أَحَلُّوا قَتْلَهُمْ إِلَّا لِمَا أَرْتَكِبُوا مِنَ الْعِصْيَانِ

٤٤١٣- وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فِيهِمْ، وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبْيَانِ

٤٤١٤- لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَبْحَثْتُمْ قَتْلَهُمْ بِوِفَاقِ سُنتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ

٤٤١٥- وَاللَّهُ مَا زَادُوا النَّقِيرَ عَلَيْهِمَا لَكِنْ بِتَقْرِيرٍ مَعَ الْإِيمَانِ

٤٤١٦- فَبِحَقِّ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعِلْمِ وَالتَّحْقِيقِ وَالْإِنْصَافِ وَالْعِرْفَانِ

٤٤١٧- أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمِ الْخَوَارِجِ بِالذِّي قَالَ الرَّسُولُ فَأَوْضَحُوا بَيَانَ

٤٤١٨- هُمْ يَقْتُلُونَ الْعَابِدِي الرَّحْمَنِ، بَلْ يُدْعُونَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

٤٤١٩- هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ، وَلَا عَزْلِ النَّصُوصِ الْحَقِّ بِالْبُرْهَانِ

الشرح

٤٤٠٩- هَبْكُمْ عُدْرَتُمْ بِالْجَهَالَةِ، إِنَّكُمْ لَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ
قَوْلُهُ: «هَبْ» بمعنى: قَدَّرَ أَنْ الْأَمْرَ كَذَا.

يعني: قَدَّرُوا أَنَّكُمْ عُدْرَتُمْ بِالْجَهَالَةِ فَلَنْ تُعْذَرُوا بِالظُّلْمِ وَالطُّغْيَانِ.

٤٤١٠- وَالطُّغْنِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ وَدِينِهِ وَشَهَادَةِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ

لَا تُعْذَرُونَ بِهَذَا؛ يعني: لو عذرناكم بالجهالة، وقلنا: لا حساب عليكم فيما بينكم وبين الله، لن نعذرکم بالعدوانِ علينا وَوَصَفْنَا بِالْكَفْرِ وَالْعُدْوَانِ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ وَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٤١١- وَكَذَلِكَ اسْتِحْلَالُ قَتْلِ مُخَالِفِيهِ كُمْ قَتْلَ ذِي الْإِشْرَاكِ وَالْكَفْرَانِ

يعني: أَنْكُمْ لَا تُعْذَرُونَ بِقَتْلِ مُخَالِفِيكُمْ؛ لِأَنَّ بَعْضَ أَهْلِ الْبِدْعِ يَقْتُلُونَ مَنْ يَخَالِفُهُمْ، وَيَرَوْنَ أَنَّهُمْ كُفَّارٌ مَبَاحِو الدِّمِّ وَالْمَالِ فَيَقْتُلُونَهُمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ لَا يُعْذَرُونَ بِهَذَا؛ حَتَّىٰ وَلَوْ كَانُوا جُهَّالًا.

٤٤١٢- إِنَّ الْخَوَارِجَ مَا أَحَلُّوا قَتْلَهُمْ إِلَّا لِمَا أَزْتَكَبُوا مِنَ الْعِصْيَانِ

فَالآنَ يَرِيدُ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنْ يُقَارِنَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْخَوَارِجِ، فَالْخَوَارِجُ كَفَرُوا الْعِصَاةَ «أَهْلَ الْكِبَائِرِ»، وَيَقُولُونَ: فَاعِلُ الْكَبِيرَةِ مُخَلَّدٌ فِي النَّارِ، فَالَّذِي يَسْرِقُ دَرَهْمًا كَالَّذِي يَعْبُدُ صِنًا عِنْدَ الْخَوَارِجِ؛ لِأَنَّهُمْ يُكْفَرُونَ بِالْكِبَائِرِ، وَكُلُّ كَبِيرَةٍ فَهِيَ عِنْدَهُمْ مُكْفَرَةٌ، فَالْخَوَارِجُ مَا اسْتَحْلَلُوا قَتْلَ الْعِصَاةِ إِلَّا لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُمْ

كُفَّارًا خَارِجِينَ عَنِ دِينِ اللَّهِ.

٤٤١٣- وَسَمِعْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ فِيهِمْ، وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبْيَانِ

فماذا قال النبي ﷺ في الخوارج؟ إنه أمر بقتلهم، وقال: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١)، أعوذُ بالله، السَّهْمُ إِذَا ضَرَبَ الرَّمِيَّةَ يَضْرِبُهَا بِسُرْعَةٍ وَيَخْرُجُ، فَالْخَوَارِجُ يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ لِأَنَّ إِيْمَانَهُمْ لَا يَجَاوِزُ حَنَا جَرَهُمْ، وَقَالَ: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَجَاوِزُ حَنَا جَرَهُمْ»^(٢)، وَقَالَ: «فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ فَإِنَّ قَتْلَهُمْ أَجْرٌ لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)، وَشَدَّدَ فِيهِمْ.

فهؤلاء الخوارج كفروا العَصَاةَ، وأباحوا قتلهم، واستحلوا دماء المسلمين لكونهم عَصَوْا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أمَّا هؤلاء المعتدون المبتدعة الذين أحلوا قتل أهل السنة والجماعة أحلوا قتلهم على طاعة الله.

٤٤١٤- لَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَبْحْتُمْ قَتْلَهُمْ بِوِفَاقِ سُنَّتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بِوِفَاقِ سُنَّتِهِ مَعَ الْقُرْآنِ» أَي: سُنَّةَ الرَّسُولِ ﷺ مَعَ الْقُرْآنِ. أَي: أَنْتُمْ أَبْحْتُمْ قَتْلَ مَنْ يَقُولُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

٤٤١٥- وَاللَّهُ مَا زَادُوا النَّقِيرَ عَلَيَّهَا لَكِنْ بِتَقْرِيرٍ مَعَ الْإِيْمَانِ

قَوْلُهُ: «عَلَيْهَا»؛ أَي: عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم:

كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

(٢) هذا جزء من الحديث السابق.

(٣) هذا جزء من الحديث السابق.

أي: ما زاد هؤلاء الذين حكمتهم بكفرهم وجواز قتلهم ما زادوا النقييرَ عليها؛ أي: على الكتابِ والسنةِ، ولم يتجاوزوهما، والنقييرُ يُضربُ مثلاً للقلّةِ والتحقيرِ، وفي القرآن: «قَطْمِيرٍ، وَنَقِيرٍ، وَفَتِيلٍ»، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٤]، وقال: ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٧٧]، والنواةُ فيها ثلاثة أشياء: النقيير والفيتيل والقطمير، كلها في النواة:

١ - فالفتيلُ: العرقُ الذي يكون كالخيطِ في وسطِ النواة.

٢ - والنقييرُ: نقرةٌ في ظهرها، منها يُخرجُ العرقُ إذا دُفنت في الأرض لينغرس في الطين وتخرج بإذن الله.

٣ - والقطميرُ: وهو الثوبُ الملفوفُ على النواة؛ أي: القشرة أو الغشاء، فيقول رحمه الله: إنهم ما زادوا نقيراً على الكتابِ والسنةِ.

وهنا أقسمَ ابنُ القيمِ - رحمه الله - أن أهلَ الإثباتِ ما زادوا على الكتابِ والسنةِ نقيراً، ولكن بتقريرٍ مع الإيمان، فهم قرّروا ما جاء بالكتابِ والسنةِ، وآمنوا به، ووضّحوه للناسِ، ولم يزيدوا عليه.

٤٤١٦- فَبِحَقِّ مَنْ قَدْ خَصَّكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْتَّحْقِيقِ وَالْإِنْصَافِ وَالْعِرْفَانِ

معناه: من الذي خصّكم بالعلم والتّحقيق والإنصاف والعرفانِ وحرّم

هؤلاء؟

الجوابُ: لا أحد، بل بالعكس، هم الذين خصّهم الله بالعلم والتّحقيق

والإنصافِ والعرفانِ.

٤٤١٧- أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمِ الْخَوَارِجِ بِالَّذِي قَالَ الرَّسُولُ فَأَوْضِحُوا بَيَانَ

قَوْلُهُ: «أَنْتُمْ أَحَقُّ أَمِ الْخَوَارِجِ بِالَّذِي قَالَ الرَّسُولُ» ما الذي قال الرسول في الخوارج؟ قال: إِنَّهُمْ «يَمُرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمُرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(١)، فهل هم أحقُّ أم أنتم؟ هو يقول: أنتم أحقُّ منهم؛ لأنَّ الخوارجَ إِنَّمَا يُكْفِرُونَ بِالْمَعَاصِي وَيَسْتَبِيحُونَ الدَّمَ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ، أَمَّا أَنْتُمْ فَتَكْفِرُونَ بِاتِّبَاعِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَبَيْنَكُمْ فَرْقٌ عَظِيمٌ.

قَوْلُهُ: «فَأَوْضِحُوا بَيَانَ» إن كان عندكم بيانٌ فأوضحوه، هل أنتم أحقُّ بما قال الرسول أم الخوارج؟

٤٤١٨- هُمْ يَقْتُلُونَ الْعَابِدِي الرَّحْمَنِ، بَلْ يُدْعُونَ أَهْلَ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

يعني: أن الخوارج يقتلون عباد الله، فهم يقتلون المسلمين الذين يعبدون الله بناءً على أنهم عندهم كعبدة الأوثان، فقوله: «يُدْعُونَ»؛ يعني: باعتقاد الخوارج.

٤٤١٩- هَذَا وَلَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ، وَلَا عَزَلِ النَّصُوصِ الْحَقِّ بِالْبُرْهَانِ

يعني: أن الخوارج ليسوا أهل تعطيل، بل يُثْبِتُونَ لله ما أثبتته لنفسه، ولا يعزلون النصوص عن الحق، بل يُيقونها على ما هي عليه.

ولكن لا شك أن الخوارج عزلوا نصوص الرجاء عمَّا أراد الله بها ورسوله، وغلبوا نصوص الوعيد على نصوص الرجاء، فهم - بلا شك - متأولون ومخطئون في تأويلهم، ومحرفون لنصوص الرجاء.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم: كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

لكن هل نقول: إن تحريفهم لنصوص الرجاء كتحريف هؤلاء لنصوص الصفات أو أشد؟

هذا هو محل النظر؛ فابن القيم -رحمه الله- يرى أن تحريف نصوص الصفات أشد وأعظم من تحريف نصوص الرجاء؛ لأن تحريف نصوص الرجاء غاية ما فيه أنه تحريف لثواب الله وجزائه فقط، بخلاف تحريف نصوص الصفات؛ فإنه تعطيل الله عز وجل من كماله.

وهنا مسألة: هل الخوارج كفار؟

فالخوارج سُئِلَ عنهم عليُّ بن أبي طالبٍ فقال: «إِنَّهُمْ مِنَ الْكُفْرِ قُرُوءًا»^(١)، وَتَوَقَّفَ فِيهِمْ.

ومن العلماء مَنْ قال: إِنَّ الدَّاعِيَةَ لِبُدْعَتِهِ مِنْهُمْ يَكُونُ كَافِرًا.

ومنهم مَنْ كَفَّرَهُمْ مُطْلَقًا.

فالعلماء مختلفون فيهم، ولا شك أن قتلهم واجبٌ لدفع شرهم، سواء قلنا بكفرهم أم لم نقل، ولا يقال: إِنَّ قَوْلَ الرَّسُولِ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»^(٢) دليلٌ على كفرهم؛ لأنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ»؛ قد يعني أنهم يمرقون في شيءٍ من أحكامه.

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٥٠/١٠)، رقم (١٨٦٥٦)، وابن أبي شيبة (٥٤٨/٧)، رقم (٣٧٨٤٨).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم:

كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦).

فصل

- ٤٤٢٠- وَالْآخَرُونَ فَأَهْلُ عَجَزٍ عَنْ بُلُو
 غِ الْحَقِّ مَعَ قَصْدٍ وَمَعَ إِيمَانٍ
 ٤٤٢١- بِاللهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَلِقَائِهِ
 وَهُمْ إِذَا مَيَّزْتَهُمْ صَرَبَانِ
 ٤٤٢٢- قَوْمٌ دَهَاهُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِمَا
 قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذُووِ أَسْنَانِ
 ٤٤٢٣- وَدِيَانَةٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى
 أَقْوَالِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانِ
 ٤٤٢٤- لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَرْتَضُوا
 بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ
 ٤٤٢٥- فَأَوْلَاءِ مَعْدُورُونَ إِذْ لَمْ يَظْلِمُوا
 وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ
 ٤٤٢٦- وَالْآخَرُونَ فَطَالِبُونَ الْحَقِّ لَمْ
 كُنْ صَدَّهُمْ عَنْ عِلْمِهِ شَيْئَانِ
 ٤٤٢٧- مَعَ بَخْتِهِمْ وَمُصَنَّفَاتٍ، قَصَدَهُمْ
 مِنْهَا وَصُورَهُمْ إِلَى الْعِرْفَانِ
 ٤٤٢٨- إِخْدَاهُمَا طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى
 أَبْوَابِهَا مُتَسَوِّرِي الْجُدْرَانِ
 ٤٤٢٩- وَسُلُوكُ طُرُقٍ غَيْرِ مُوصِلَةٍ إِلَى
 دَرْكِ الْيَقِينِ وَمَطْلَعِ الْإِيمَانِ
 ٤٤٣٠- فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ
 مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ
 ٤٤٣١- فَتَرَى أَفْضِلَهُمْ حَيَارَى كُلَّهُمْ
 فِي التِّيهِ يَقْرَعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ
 ٤٤٣٢- وَيَقُولُ: قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرُقُ، لَا
 أَدْرِي الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِ
 ٤٤٣٣- بَلْ كُلُّهَا طُرُقٌ مَخُوفَاتٌ، بِهَا أَلْ
 آفَاتٌ حَاصِلَةٌ بِلا حُسْبَانِ

- ٤٤٣٤- فَالْوَقْفُ غَايَتُهُ وَآخِرُ أَمْرِهِ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ
 ٤٤٣٥- أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَقِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 ٤٤٣٦- فَأَوْلَاءِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ

الشرح

المؤلف - رحمه الله - سبق أنه قال: إِنَّ الْجُهَّالَ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ، وَتَكَلَّمَ
 عَنِ الْقَسْمِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ بَدَأَ يَتَكَلَّمُ هُنَا عَنِ الْقَسْمِ الثَّانِي، فَقَالَ:

- ٤٤٢٠- وَالْآخَرُونَ فَأَهْلُ عَجْزٍ عَنِ بُلُوغِ الْحَقِّ مَعَ قَصْدٍ وَمَعَ إِيْمَانٍ
 الْقَسْمُ الثَّانِي مِنَ الْجُهَّالِ: نَوْعٌ عَجَزُوا عَنِ بُلُوغِ الْحَقِّ مَعَ أَنْ قَصَدَهُمْ حَسَنٌ
 وَإِيْمَانُهُمْ قَوِيٌّ، لَكِنْ عَجَزُوا عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ.

- ٤٤٢١- بِاللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ وَلِقَائِهِ وَهُمْ إِذَا مَيَّزْتَهُمْ ضَرْبَانِ
 يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عِنْدَهُمْ جَهْلٌ وَلَكِنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ الْوَصُولِ إِلَى الْحَقِّ
 هُمْ أَيْضًا «ضَرْبَانِ»؛ أَي: نَوْعَانِ.

- ٤٤٢٢- قَوْمٌ دَهَأَهُمْ حُسْنُ ظَنِّهِمْ بِمَا قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذَوُو أَسْنَانٍ
 قَوْلُهُ: «أَسْنَانٍ» جَمْعُ «سِنَّ»، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ الْعِظْمَ، بَلِ الْمُرَادُ بِهِ السَّنَوَاتُ؛
 أَي: أَشْيَاخُ كِبَارٍ.

يعني: أَنَّ هَذَا الضَّرْبَ لَمَّا قَرَأُوا مَا قَالَتْهُ أَشْيَاخُ ذَوُو أَسْنَانٍ وَكَذَلِكَ:

- ٤٤٢٣- وَدِيَانَةٍ فِي النَّاسِ لَمْ يَجِدُوا سِوَى أَقْوَالِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانٍ

قَوْلُهُ: «وَدِيَانَةٌ فِي النَّاسِ» أَيضًا الْأَشْيَاخُ ذُوو دِينٍ، فَعِنْدَهُمْ كِبَرٌ وَمَشِيخَةٌ وَدِينٌ.

قَوْلُهُ: «لَمْ يَجِدُوا سِوَى أَقْوَالِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا بِأَمَانٍ»؛ يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مِنْ كَلَامِ أَشْيَاخِهِمْ، وَلَا يَعْلَمُونَ أَحَدًا أَقْدَرَ عَلَى بَيَانِ الْحَقِّ مِنْ أَشْيَاخِهِمْ، فَرَضُوا بِهَا عِنْدَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْكُتُبِ بِأَمَانٍ؛ يَعْنِي: أَنَّهُمْ رَضُوا بِهَا وَهُمْ آمِنُونَ عَلَى أَنَّهَا حَقٌّ، لَا يَخَافُونَ مِنْ أَنَّهَا بَاطِلٌ.

٤٤٢٤- لَوْ يَقْدِرُونَ عَلَى الْهُدَى لَمْ يَرْتَضُوا بَدَلًا بِهِ مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ
يعني: لو أَنَّهُمْ عَلِمُوا بِالْحَقِّ مَا رَضُوا بِهِ بَدَلًا، «مِنْ قَائِلِ الْبُهْتَانِ»؛ يَعْنِي: مَا رَضُوا بِقَوْلِ صَاحِبِ الْبُهْتَانِ بَدَلًا عَنِ الْحَقِّ.

٤٤٢٥- فَأَوْلَاءِ مَعْدُورُونَ إِذْ لَمْ يَظْلَمُوا وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ
قَوْلُهُ: «إِذْ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «إِنْ»، لَكِنْ مَا الْفَرْقُ بَيْنَ «إِذْ» وَ«إِنْ»؟

الجواب: «إِذْ» تَكُونُ الْجُمْلَةُ مَعَهَا تَعْلِيلِيَّةً؛ يَعْنِي: فَهَؤُلَاءِ مَعْدُورُونَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَظْلَمُوا وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَمَّا عَلَى نَسْخَةِ «إِنْ» فَتَكُونُ شَرْطِيَّةً؛ يَعْنِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ مَعْدُورُونَ بِشَرِّ الْأَيُّمِ يَظْلَمُوا وَيُكْفَرُوا بِالْجَهْلِ وَالْعُدْوَانِ، وَمُؤَدَّى النُّسَخَتَيْنِ وَاحِدٌ، سِوَاءَ جَعَلْتَهُ شَرْطًا أَمْ جَعَلْتَهُ تَعْلِيلًا.

٤٤٢٦- وَالْآخَرُونَ فَطَالِبُونَ الْحَقِّ لَكِنْ صَدَّهُمْ عَنِ عِلْمِهِ شَيْئَانِ

٤٤٢٧- مَعَ بَحْثِهِمْ وَمُصَنَّفَاتٍ، قَضَدَهُمْ مِنْهَا وَصُولُهُمْ إِلَى الْعِرْفَانِ

٤٤٢٨- إِحْدَاهُمَا طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى آبَائِهِمَا مُتَسَوِّرِي الْجُدْرَانِ

٤٤٢٩- وَسُلُوكُ طُرُقٍ غَيْرِ مُوَصَّلَةٍ إِلَى دَرْكِ الْيَقِينِ وَمَطْلَعِ الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «الْآخَرُونَ»؛ أَي: الضَّرْبُ الثَّانِي، فَطَالِبُونَ الْحَقِّ.

هؤلاء طالبون للحق، لكن لم يصلوا إلى علمه، صدَّهم عن علمه شيئان:
الشيء الأول: «طَلَبُ الْحَقَائِقِ مِنْ سِوَى أَبْوَابِهَا» بدلاً من أن يرجعوا إلى الكتاب
والسنة في طلب الحقائق، رجَّعوا إلى طُرُقٍ أُخْرَى غير مُوَصَّلَةٍ إِلَى الْحَقِّ، فتشابهت
عليهم؛ ولهذا قال:

٤٤٣٠- فَتَشَابَهَتْ تِلْكَ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ اشْتِبَاهِ الطُّرُقِ بِالْحَيْرَانِ
لأنَّ الطُّرُقَ تَشْتَبَهَتْ بِهِمْ، وَإِلَّا فَهَمَّ حَسَنُ النَّيَّةِ، قَاصِدُونَ لِلْعِلْمِ الشَّرْعِيِّ،
لكن أتوا البيوت من غير أبوابها.

٤٤٣١- فَتَرَى أَفَاضِلَهُمْ حَيَارَى كُلُّهُمْ فِي التَّيِّهِ يَقْرَعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ
يعني: الأفاضل من هؤلاء تجدهم متحيرين؛ لأنه حيل بينهم وبين الوصول
إلى الحق؛ حيث لم يطرقوا طُرُقَ الْحَقِّ، ولم يأتوا البيوت من أبوابها، فتشابهت
عليهم، فصاروا حَيَارَى يَقْرَعُونَ «نَاجِدَ النَّدْمَانِ»، والنَّاجِدُ هو أَقْصَى الْأَضْرَاسِ،
والعادة أن الإنسان إذا ندم يقرع سنه ندماً، وقد قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ
عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أُتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٧]، فالندمان إمَّا أن يَبْقَى
يقرع سنه، وإمَّا أن يعض يديه.

٤٤٣٢- وَيَقُولُ: قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الطُّرُقُ، لَا أَدْرِي الطَّرِيقَ الْأَعْظَمَ السُّلْطَانِي
الطَّرِيقُ الْأَعْظَمُ السُّلْطَانِي هُوَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، طَرِيقُ الْأَثَمَةِ وَأَهْلِ الْهُدَى.

٤٤٣٣- بَلْ كُلُّهَا طُرُقٌ مَخُوفَاتٌ، بِهَا أَلْ
أَفَاتٌ حَاصِلَةٌ بِأَلْحُسْبَانِ

٤٤٣٤- فَالْوَقْفُ غَايَتُهُ وَآخِرُ أَمْرِهِ
مَنْ غَيْرُ شَكِّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ

٤٤٣٥- أَوْ دِينِهِ وَكِتَابِهِ وَرَسُولِهِ
وَلِقَائِهِ وَفِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

قَوْلُهُ: «الْوَقْفُ غَايَتُهُ» مثل أهل الكلام، يقولون: إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ هُمُ أَهْلُ الْكَلَامِ، فَهَمُ حَيَارَى حَتَّى أُنْتَمَّتْهُمْ يُصَرِّحُونَ بِالْحَيْرَةِ، يَقُولُ بَعْضُهُمْ:

نَهَايَةُ إِقْدَامِ الْعُقُولِ عِقَالٌ
وَأَكْثَرُ سَعْيِ الْعَالَمِينَ ضَلَالٌ

وَأَزْوَاحُنَا فِي وَخْشَةٍ مِنْ جُسُومِنَا
وَعَايَةُ دُنْيَانَا أَدَى وَوَبَالٌ

وَلَمْ نَسْتَفِدْ مِنْ بَحْثِنَا طَوْلَ عُمَرَانَا
سِوَى أَنْ جَمَعْنَا فِيهِ قَيْلَ وَقَالُوا^(١)

وقال: «لَقَدْ تَأَمَّلْتُ الطُّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ وَالْمَنَاهَجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، فَمَا رَأَيْتُهَا تَشْفِي عَالِيًّا وَلَا تَرْوِي غَلِيًّا، وَوَجَدْتُ أَقْرَبَ الطُّرُقِ طَرِيقَةَ الْقُرْآنِ، أَقْرَأُ فِي الْإِثْبَاتِ: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]، و﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر:١٠]، وَأَقْرَأُ فِي النَّفْيِ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه:١١٠]، وَمَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»^(٢)، هَذَا يَقُولُهُ إِمَامٌ مِنْ أُنْمَتِهِمْ وَهُوَ فخرُ الدِّينِ^(٣) الرَّازِيُّ، وَهَذَا إِقْرَارٌ

(١) الأبيات لأبي عبد الله محمد بن عمر الرازي، وهي في طبقات الشافعية للسبكي (٨/٩٦)، وعيون الأنباء (٢/٢٨).

(٢) شرح القصيدة النونية (٢/٢٣٥)، وانظر: شرح الطحاوية (ص:٢٢٧).

(٣) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، البكري، فخر الدين، ولد في الرِّي سنة (٥٤٤هـ)، وكان بارعًا في العلوم، مجيدًا للغة الفارسية والعربية، وتوفي في هراة سنة (٦٠٦هـ)، وانظر: الأعلام للزركلي (٦/٣١٣).

بأنَّ جميعَ البحثِ في علمِ الكلامِ كُلِّه هدرٌ لا يفيدُ.

وقال بعضهم: «لقد خُضْتُ البحرَ الخِضَمَّ - يعني: فلم أجد شيئاً يشفيني -
وها أنا أموتُ على عقيدةِ أُمِّي»^(١)، وعقيدةُ أمِّه أنَّها لم تبحث في علمِ الكلامِ، فُهي
على الفِطْرَةِ.

فهؤلاءُ أهلُ شكٍّ وحيْرةٍ؛ لأنَّهم لم يأتوا البيوتَ من أبوابِها.

قَوْلُهُ: «مِنْ غَيْرِ شَكٍّ مِنْهُ فِي الرَّحْمَنِ أَوْ دِينِهِ...»؛ يعني: ليسَ عنده شكٌّ في الله،
أو في الكتابِ، أو في الرَّسولِ، أو في القيامةِ، لكنَّهُ مُتَحَيِّرٌ، نَسَأَلَ اللهَ العَافِيَةَ.

٤٤٣٦- فَأَوْلَاءِ بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ أَوْ إِحْدَاهُمَا أَوْ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ

لهم أربعُ حالاتٍ، يقولُ: «بَيْنَ الذَّنْبِ وَالْأَجْرَيْنِ»؛ أي: إذا أصَابَ، «أَوْ
إِحْدَاهُمَا»؛ أي: الأجر الواحد إذا أخطأ، «أَوْ وَاسِعِ الْغُفْرَانِ»؛ أي: يغفرُ اللهُ لهم؛
لأنَّ هؤلاءِ قَصَدُوا وبحثوا، لكن لَمَّا لم يأتوا البيوتَ من أبوابِها، ولم يَسْلُكُوا
الطَّرِيقَ التي تُوصِلُ إلى الحقِّ بقوِّ جاهِلين، لا يَعْرِفون شيئاً عن الحقِّ، فهؤلاءُ
تُرْجَى لهم المغفرةُ؛ لأنَّ معهم عَجْزاً وتردُّدًا، فهؤلاءُ لَمَّا صاروا يُطالعون ويَبْحَثون
صار عندهم شكٌّ وتردُّدٌ.

٤٤٣٧- فَاَنْظُرْ إِلَى أَحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ جَحَدُوا النَّصُوصَ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

٤٤٣٨- وَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا لِأَجْلِ خِلَافِهِمْ، إِذْ قَادَهُ الْوَحْيَانِ

(١) قاله الإمام الجويني، وذكره ابن تيمية، انظر: الحموية لابن تيمية (ص: ٧)، وانظر: ابن أبي العز
الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، ط (٨).

- ٤٤٣٩- هَلْ يَسْتَوِي الْحُكَّامَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ
عِنْدَ الرَّسُولِ وَعِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ
- ٤٤٤٠- الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ
بِالنَّصِّ يَثْبُتُ، لَا يَقُولُ فُلَانٍ
- ٤٤٤١- مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَاكَ ذُو الْكُفْرَانِ
- ٤٤٤٢- فَهَلُمْ وَيُحْكَمُ نَحَاكِمِكُمْ إِلَى الْ-
وَحْيَيْنِ مِنْ حَيْرٍ وَمِنْ قُرْآنِ
- ٤٤٤٣- وَهُنَاكَ يُعْلَمُ أَيُّ حَزْبَيْنَا عَلَى الْ-
كُفْرَانِ حَقًّا، أَوْ عَلَى الْإِيمَانِ
- ٤٤٤٤- فَلِيَهْنِكُمْ تَكْفِيرٌ مَنْ حَكَمْتَ بِإِسْمِ
سَلَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ
- ٤٤٤٥- لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةَ مَنْ سِوَى الْ-
مَعْصُومِ، غَايَةُ نَوْعِ ذَا الْإِحْسَانِ
- ٤٤٤٦- خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ أَجْرًا وَاحِدًا
إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجْلِهِ الْكُفْلَانِ
- ٤٤٤٧- إِنْ كَانَ ذَاكَ مُكْفِّرًا يَا أُمَّةَ الْ-
عُدْوَانِ مَنْ هَذَا عَلَى الْإِيمَانِ
- ٤٤٤٨- قَدْ دَارَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالنَّ-
تَكْفِيرِ بِالِدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٤٤٩- كَفَّرْتُمْ وَاللَّهُ مَنْ شَهِدَ الرَّسُولَ
لُ بَأَنَّهُ حَقًّا عَلَى الْإِيمَانِ
- ٤٤٥٠- ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَخَصْلَةٌ
مِنْ عِنْدِكُمْ، أَفَأَنْتُمَا عَدْلَانِ

الشرح

٤٤٣٧- فَانظُرْ إِلَى أَحْكَامِنَا فِيهِمْ وَقَدْ
جَعَدُوا النَّصُوصَ وَمُقْتَضَى الْقُرْآنِ

ومع ذلك نعدرُ جاهلهم الحريص على طلب الحق، الذي لم يوفق لطلبه من الطرق الصحيحة.

٤٤٣٨- وَأَنْظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا لِأَجْب - لِي خِلَافِهِمْ، إِذْ قَادَهُ الْوَحْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَنْظُرْ إِلَى أَحْكَامِهِمْ فِينَا» والذي حكموا فينا هو حكمهم علينا بالكفر.

قَوْلُهُ: «لِأَجْلِ خِلَافِهِمْ»؛ يعني: لأجل أننا خالفناهم صرنا كُفَّارًا في زعمهم.

قَوْلُهُ: «إِذْ قَادَهُ الْوَحْيَانِ»؛ أي: قاد خالفنا معهم الوحيان. يعني: نحن لم نخالفهم بأهوائنا، ولكن بقيادة الكتاب والسنة.

٤٤٣٩- هَلْ يَسْتَوِي الْحُكْمَانِ عِنْدَ اللَّهِ أَوْ عِنْدَ الرَّسُولِ وَعِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ

الجواب: لا؛ لأننا نحن حكمنا فيهم بالعدل، وهم حكموا فينا بالجور والطغيان، ثم ذكر المؤلف - رحمه الله - قاعدة مفيدة مهمة، ما أحوج الناس إليها في هذا الزمان! إذ يقول:

٤٤٤٠- الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ بِالنَّصِّ يَثْبُتُ، لَا بِقَوْلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ» نعم، هذه قاعدة عظيمة، أن الكفر حق لله، وحق للرسول، والذي يحكم بأن الشيء كفر أو غير كفر هو الله ورسوله، كما أن الذي يحكم بأن هذا حلالٌ وهذا حرامٌ هو الله ورسوله، فإذا كان الله يقول في القرآن: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ [النحل: ١١٦]، فكذلك نقول: لا تقولوا: هذا مؤمنٌ وهذا كافرٌ، لتفتروا على الله الكذب.

وَقَوْلُهُ: «بِالنَّصِّ»؛ أي: بنص على الكفر واضح، وأي نص تجد به الكفر غير صريح فلا تحكم بالكفر، بل لا بد أن يكون نصًا صريحًا، حتى لو قاله من قاله لا تتبعه.

٤٤٤١- مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ

قَوْلُهُ: «مَنْ كَانَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ» أي: الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، «قَدْ كَفَّرَاهُ فَذَلِكَ ذُو الْكُفْرَانِ»، وَمَنْ لَمْ يُكْفِّرَاهُ فَلَيْسَ بِكَافِرٍ.

٤٤٤٢- فَهَلُمَّ وَيُحْكَمْ نُحَاكِمِكُمْ إِلَى الْوَحْيَيْنِ مِنْ خَيْرٍ وَمَنْ قُرَّانِ

٤٤٤٣- وَهُنَاكَ يُعَلِّمُ أَيُّ حِزْبَيْنَا عَلَى الْكُفْرَانِ حَقًّا، أَوْ عَلَى الْإِيمَانِ

٤٤٤٤- فَلْيَهْنِكُمْ تَكْفِيرٌ مِنْ حَكَمْتِ بِإِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ

قَوْلُهُ: «فَلْيَهْنِكُمْ»؛ يَعْنِي: لَكُمْ الْهِنَاءُ، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّهْكُمِ بِهِمْ.

قَوْلُهُ: «تَكْفِيرٌ مِنْ حَكَمْتِ بِإِسْلَامٍ وَإِيمَانٍ لَهُ النَّصَّانِ» «النَّصَّانِ»: فاعِلُ «حَكَمْتِ»؛ يَعْنِي: مَنْ حَكَمْتَ لَهُ النَّصَّانِ بِالْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ، وَأَنْتُمْ تُكْفِرُونَهُ.

٤٤٤٥- لَكِنَّ غَايَتَهُ كَغَايَةَ مَنْ سِوَى الْوَحْيَيْنِ غَايَةُ نَوْعِ ذَا الْإِحْسَانِ

يَعْنِي: غَايَةُ هَذَا الَّذِي حَكَمْتُمْ عَلَيْهِ بِالْكَفْرِ «كَغَايَةَ مَنْ سِوَى الْمَعْصُومِ، غَايَةُ نَوْعِ ذَا الْإِحْسَانِ».

٤٤٤٦- خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ أَجْرًا وَاحِدًا إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجَلِهِ الْكِفْلَانِ

قَوْلُهُ: «خَطَأً يَصِيرُ الْأَجْرُ أَجْرًا وَاحِدًا»، وَفِي نَسْخَةٍ أُخْرَى: «فَيَصِيرُ الْأَجْرَيْنِ أَجْرًا وَاحِدًا»، وَالْمَعْنَى عَلَى النَّسْخَتَيْنِ وَاحِدٌ؛ يَعْنِي: أَنَّ الْخَطَأَ إِذَا كَانَ مِنْ مَجْتَهِدٍ يَجْعَلُ لَهُ بَدَلَ الْأَجْرَيْنِ أَجْرًا وَاحِدًا.

قَوْلُهُ: «إِنْ فَاتَهُ مِنْ أَجَلِهِ الْكِفْلَانِ» وَإِنَّمَا يَفُوتُ مِنْ أَجَلِهِ الْكِفْلَانِ إِذَا أَخْطَأَ، فَالْمَجْتَهِدُ إِذَا مَصِيبٌ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِنَّمَا مُحْطِيٌّ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ.

٤٤٤٧- إِنْ كَانَ ذَلِكَ مُكْفَرًا يَا أُمَّةَ الْـ عُدْوَانٍ مَنْ هَذَا عَلَى الْإِيمَانِ

يعني: إن كان الاجتهاد الذي يبذله الإنسان ثم يُخطئ فيه على أي تقدير كفرًا، فمن الذي على الإيمان؟ والاستفهام هنا للإنكار والتوبيخ.

٤٤٤٨- قَدْ دَارَ بَيْنَ الْأَجْرِ وَالْأَجْرَيْنِ وَالتَّـ تَكْفِيرٍ بِالِدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «بَيْنَ الْأَجْرِ» وَذَلِكَ إِنْ أَخْطَأَ.

قَوْلُهُ: «الْأَجْرَيْنِ»؛ أَي: إِنْ أَصَابَ.

قَوْلُهُ: «والتَّكْفِيرِ» هذا ليس بصحيح، ليس هناك تكفير؛ ولهذا قال: «بِالدَّعْوَى بِلَا بُرْهَانَ».

٤٤٤٩- كَفَرْتُمْ وَاللَّهِ مَنْ شَهِدَ الرَّسُولَ لُ بِأَنَّهُ حَقًّا عَلَى الْإِيمَانِ

وقد جاءت شهادة الرسول بأنه «حقًا على الإيمان» من أن إثبات الأجر له يدل على أنه مؤمن؛ إذ إن الكافر ليس له أجر ولو أصاب.

٤٤٥٠- ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ وَخَصْلَةٌ مِنْ عِنْدِكُمْ، أَفَأَنْتُمْ عَدْلَانِ

قَوْلُهُ: «ثِنْتَانِ مِنْ قِبَلِ الرَّسُولِ» وهما: الأجر أو الأجران.

قَوْلُهُ: «وَخَصْلَةٌ مِنْ عِنْدِكُمْ» وهي التَّكْفِيرُ.

قَوْلُهُ: «أَفَأَنْتُمْ عَدْلَانِ؟»؛ يعني: أنتم مع الرسول «عدلان»؛ يعني: بعضكم يعدل بعضًا فتحكمون كما يحكم الرسول، والاستفهام هنا للنفي والإنكار.

فصل

فِي تَلَاْعِبِ الْمُكْفِرِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِيمَانِ بِالَّذِينَ كَتَلَعَبِ الصَّبِيَّانِ

- ٤٤٥١- كَمْ ذَا التَّلَاعِبُ مِنْكُمْ بِالَّذِينَ وَالْ
إِيمَانٍ مِثْلَ تَلَاعِبِ الصَّبِيَّانِ؟
- ٤٤٥٢- خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا خُسِفَتْ عُقُوبُ
لَكُمْ، فَلَا تَزْكُوا عَلَى الْقُرْآنِ
- ٤٤٥٣- كَمْ ذَا تَقُولُوا: مُجْمَلٌ وَمُفْصَلٌ
وظواهرٌ عَزَلْتُ عَنِ الْإِيقَانِ
- ٤٤٥٤- حَتَّى إِذَا رَأَى الرَّجَالَ أَتَاكُمْ
فَأَسْمَعُ لِمَا يُوحَى بِلَا بُرْهَانِ
- ٤٤٥٥- مِثْلُ الْخَفَافِيشِ الَّتِي إِذَا جَاءَهَا
ضَوْءُ النَّهَارِ فِيهِ كُوى الْحِيطَانِ
- ٤٤٥٦- عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ لَا تُطِيبُ
قِي هِدَايَةً فِيهَا إِلَى الطَّيْرَانِ
- ٤٤٥٧- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ
جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانِ
- ٤٤٥٨- فَتَرَى الْمَوْحِدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ
وَيَرَاهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَهَوَانِ
- ٤٤٥٩- وَارْحَمْتَاهُ لِعَيْنِهِ وَلَاذُنِهِ
يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
- ٤٤٦٠- إِنْ قَالَ حَقًّا كَفَرُوهُ، وَإِنْ يَقُولُ
لُوا بَاطِلًا نَسَبُوهُ لِلْإِيمَانِ
- ٤٤٦١- حَتَّى إِذَا مَا رَدَّهُ عَادُوهُ مِنْ
لَ عَدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
- ٤٤٦٢- قَالُوا لَهُ: (خَالَفْتَ أَقْوَالَ الشُّيُوءِ
خ) وَلَمْ يُبَالُوا الْخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ
- ٤٤٦٣- خَالَفْتَ أَقْوَالَ الشُّيُوءِ فَآتَيْتُمْ
خَالَفْتُمْ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

٤٤٦٤- خَالَفْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ، وَإِنَّمَا خَالَفْتُمْ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلَ فُلَانٍ
٤٤٦٥- يَا حَبَدًا ذَاكَ الْخِلَافُ، فَإِنَّهُ عَيْنُ الْوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - في هذا الفصل أن هؤلاء الذين يكفرون أهل السنة يتلاعبون بالدين كتلاعب الصبيان؛ ولذا قال:

٤٤٥١- كَمْ ذَا التَّلَاعِبُ مِنْكُمْ بِالَّذِينَ وَالْإِيمَانَ مِثْلَ تَلَاعِبِ الصَّبِيَانِ؟

يعني: كما يتلاعب الصبيان بالكرة وغيرها فأنتم تتلاعبون بالدين، تقولون: هذا حق وهذا باطل، وهذا كفر، وهذا إيمان، بدون برهان.

٤٤٥٢- خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ كَمَا خُسِفَتْ عُقُوبُكُمْ، فَلَا تَزْكُوا عَلَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «خُسِفَتْ قُلُوبُكُمْ»؛ يعني: ذهب نورها وانطمس؛ كما يُخَسَفُ الْقَمَرُ.

٤٤٥٣- كَمْ ذَا تَقُولُوا: مُجْمَلٌ وَمُفْصَلٌ وَظَوَاهِرٌ عَزَلْتُمْ عَنِ الْإِيقَانِ

يعني: أنكم تردون الكتاب والسنة بمثل هذه الأقوال، تقولون: هذا مجمل، وهذا مفصل، وهذه ظواهر لا تدل على اليقين، وما أشبه ذلك، وهذا هو ما يذهبون إليه الآن، إذا رأوا دليلاً خالف عقولهم قالوا: هذا ظاهر، والظاهر لا يدل على اليقين، نقول: وإذا كان الظاهر لا يدل على اليقين فما الذي يدل على اليقين؟!!

٤٤٥٤- حَتَّى إِذَا رَأَى الرَّجَالِ أَتَاكُمْ فَاسْمَعْ لِمَا يُوحَى بِلَا بُرْهَانَ

يعني: إذا جاءتكم الآراء فإنكم تسمعون لها بدون أي دليل، الأدلة من الكتاب والسنة ترد، وآراء الرجال التي لا دليل لها تقبل!

٤٤٥٥- مِثْلُ الْخَفَافِيشِ الَّتِي إِذَا جَاءَهَا ضَوْءُ النَّهَارِ فِيهِ كَوَى الْحَيْطَانِ

الخفافيش نوعٌ من الطيور، لكنّه طيرٌ بلا ريشٍ، جناحه عبارةٌ عن لحمٍ متّصلٍ بعضه ببعضٍ، ولا يأتي إلّا في الظلام، فلا يأتي في النهار أبداً، ولا يأتي في الليل المدلّهم، بل يأتي في أوّل الليل وفي آخره، وهو غيرٌ موجودٍ في المُدُن الآن؛ لأنّ الأنوارَ بها في الليل كالأنوارِ في النهار، وهو يصيرُ في محلٍّ لا نورَ فيه؛ لأنّ النورَ يُعميه، إذا جاء «ضوءُ النهارِ ففي كوى الحيطان»، و(الكوى) جمع «كوة»؛ يعني: تكون في الفُرج، تتعلّق بالسُقوف وهكذا.

٤٤٥٦- عَمِيَتْ عَنِ الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ لَا تُطِيبُ سُقُ هِدَايَةَ فِيهَا إِلَى الطَّيْرَانِ

فهو يقول: إنهم إذا عرّضت عليهم الأدلّة من الكتاب والسنة عمّوا عنها، كما تعمى الخفافيش في ضوء الشمس، وإذا عرّضت عليهم أقوال البشر قبلوها وفرحوا بها.

٤٤٥٧- حَتَّى إِذَا مَا اللَّيْلُ جَاءَ ظَلَامُهُ جَالَتْ بِظُلْمَتِهِ بِكُلِّ مَكَانٍ

هذا التشبيه المراد به التّقيح؛ يعني: أراد بتشبيهِهم بهذه الخفافيش تقيح حالهم.

٤٤٥٨- فَتَرَى الْمَوْحِدَ حِينَ يَسْمَعُ قَوْلَهُمْ وَيَرَاهُمْ فِي مِحْنَةٍ وَهَوَانٍ

إذا رآهم الموحدُ وسمع قولهم صار في محنة وهوانٍ، كما قال المتنبّي:

وَمِنْ نَكَدِ الدُّنْيَا عَلَى الْحُرِّ أَنْ يَرَى عَدُوَّ لَهُ مَا مِنْ صِدَاقَتِهِ بُدٌّ^(١)

هذا من نكد الدنيا على الحرِّ، فهؤلاء القوم الذين يأتون إلى مجالس أهل السنة ويتكلمون معهم ويجادلونهم يؤذون أهل السنة؛ يؤذونهم برويتهم، ويؤذونهم بأقوالهم.

٤٤٥٩- وَارْحَمَتَاهُ لِعَيْنَيْهِ وَلَاذُنَيْهِ يَا مِحْنَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأذُنَانِ
قَوْلُهُ: «وَارْحَمَتَاهُ لِعَيْنَيْهِ وَلَاذُنَيْهِ» لعينه إذا رآهم، ولاذنه إذا سمعهم.

٤٤٦٠- إِنْ قَالَ حَقًّا كَفَرُوهُ، وَإِنْ يَقُو لُوبًا طَلًّا نَسَبُوهُ لِلْإِيمَانِ
إن قال هذا السنِّيُّ حقًّا قالوا: (هذا كافرٌ)، وإن قالوا هم باطلاً قالوا: (هذا هو الإيمان)، فباطلهم إيمانٌ، وحقُّ المُنْبِتِ كفرٌ.

٤٤٦١- حَتَّى إِذَا مَارَدَهُ عَادُوهُ مِنْ لَعْنَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ
حَتَّى إِذَا رَدَّ الْبَاطِلُ الَّذِي نَسَبُوهُ لِلْإِيمَانِ عَادُوهُ «مِثْلَ عِدَاوَةِ الشَّيْطَانِ لِلْإِنْسَانِ»، فَالشَّيْطَانُ قَالَ لِلْإِنْسَانِ: ﴿ أَكْفَرُ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنَّ بَرِيءٌ مِنْكَ ﴾ [الحشر: ١٦]؛ أي: تبرأ منه وصار من أعدائه.

٤٤٦٢- قَالُوا لَهُ: (خَالَفْتَ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ) وَلَمْ يُبَالُوا الْخُلْفَ لِلْفُرْقَانِ
يعني: أنكروا عليه أنه خالف أقوال الشيوخ، ولم يُبَالُوا أَنَّهُمْ خَالَفُوا الْفُرْقَانَ الَّذِي هُوَ الْقُرْآنُ.

٤٤٦٣- خَالَفْتُ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ فَأَنْتُمْ خَالَفْتُمْ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
ولا شك أن الثاني أعظم، لأنه يقول: أنا (خَالَفْتُ أَقْوَالَ الشُّيُوعِ)، أمَّا أنتم فَ(خَالَفْتُمْ مَنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ)، وهو الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٤٦٤- خَالَفْتُمْ قَوْلَ الرَّسُولِ، وَإِنَّمَا خَالَفْتُمْ مِنْ جَرَّاهُ قَوْلَ فُلَانٍ

يعني: خالفتم أنتم قول الرسول، أما أنا فخالفت «مِنْ جَرَّاهُ»؛ أي: من أجله ﷺ قول فلان.

٤٤٦٥- يَا حَبَّذَا ذَاكَ الْخِلَافُ، فَإِنَّهُ عَيْنُ الْوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «يَا حَبَّذَا» هذه كلمة يُرَادُ بِهَا الثَّنَاءُ.

يعني: ما أحسنَ هذا الخِلافَ الذي سَلَكَتَهُ! لَأنَّهُ (عَيْنُ الْوِفَاقِ لِطَاعَةِ الرَّحْمَنِ)، فَأَنَا مُخَالَفٌ بِزَعْمِكُمْ، وَلَكِنِّي مُوَافِقٌ لِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٤٦٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَعْدَاءَ الرَّسُولِ لِعَلَيْهِ عَابُوا الْخُلْفَ بِالْبُهْتَانِ

٤٤٦٧- لِشُيُوخِهِمْ، وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى أَسْلَافُهُمْ فِي سَالِفِ الْأَرْمَانِ

٤٤٦٨- مَا الْعَيْبُ إِلَّا فِي خِلَافِ النَّصِّ، لَا رَأْيَ الرَّجَالِ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانِ

٤٤٦٩- أَنْتُمْ تَعْيِبُونَا بِهَذَا، وَهُوَ مِنْ تَوْفِيقِنَا، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

٤٤٧٠- فَلِيَهْنِكُمْ خُلْفُ النَّصُوصِ، وَيَهِنُنَا خُلْفُ الشُّيُوخِ، أَيَسْتَوِي الْخُلَفَانِ؟

٤٤٧١- وَاللَّهُ مَا تَسْوَى عُقُولَ جَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ نَصًّا صَحَّحَ ذَا تَبْيَانِ

٤٤٧٢- حَتَّى نَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ مُعَرَّضِينَ مِنْ مُؤَوَّلِينَ مُحَرِّفِي الْقُرْآنِ

٤٤٧٣- وَاللَّهُ إِنَّ النَّصَّ فِيمَا بَيْنَنَا لِأَجَلٍ مِنْ آرَاءِ كُلِّ فُلَانٍ

الشرح

٤٤٦٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَعْدَاءَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ عَابُوا الْخُلُفَاءَ بِالْبُهْتَانِ

٤٤٦٧- لِشُيُوخِهِمْ، وَلِمَا عَلَيْهِ قَدْ مَضَى أَسْلَافُهُمْ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

يعني: أن أعداء الرسول عابوا على النبي ﷺ الخلفاء لشيوخهم، لكن هذا العيب صدق أو بهتان؟ الجواب: بهتان، فالنبي ﷺ لا يُعَابُ بمخالفة شيوخهم لتوحيد الله عز وجل، هم يقولون: هذا خالف آباءنا، سفة عقولهم، أغوى شبابنا، وما أشبه ذلك، وهم أهل العيب، يقول المؤلف رحمه الله:

٤٤٦٨- مَا الْعَيْبُ إِلَّا فِي خِلَافِ النَّصِّ، لَا رَأْيَ الرَّجَالِ وَفِكْرَةَ الْأَذْهَانِ

العيب هو ما كان فيه خلاف النص؛ أي: إن العيب حقيقة مخالفة النص لا مخالفة الآراء.

٤٤٦٩- أَنْتُمْ تَعْيِبُونَا بِهَذَا، وَهُوَ مِنْ تَوْفِيقِنَا، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ

وَصَدَقَ رَحْمَةُ اللَّهِ، فِي كَوْنِهِمْ يَعْيِبُونَ عَلَيْنَا أَنْ نَأْخِذَ بِالنَّصِّ، أَمَا نَحْنُ فَنَرَى أَنَّ هَذَا مِنَ التَّوْفِيقِ، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ.

٤٤٧٠- فَلْيَهْنِكُمْ خُلْفُ النُّصُوصِ، وَيَهْنِنَا خُلْفُ الشُّيُوخِ، أَيَسْتَوِي الْخُلَفَاءُ؟

قَوْلُهُ: «أَيَسْتَوِي الْخُلَفَاءُ؟» الْجَوَابُ: لَا.

نحن نهنا بمخالفة الشيوخ إذا كانوا على باطل، وأنتم ليهنكم خلف النصوص، وهذا لا شك أنه من التهنيم بهم؛ إذ لا يستوي الخلفاء: فخلف الشيوخ مع مخالفة النص واجب، وخلف النصوص محرم.

٤٤٧١- وَاللّٰهُ مَا تَسْوَىٰ عُقُولَ جَمِيعِ أَهْلِ
لِ الْأَرْضِ نَصَّاحًا ذَاتِيَّانِ

٤٤٧٢- حَتَّىٰ نَقَدَّمَهَا عَلَيْهِ مُعَرِّضِينَ
مِنْ مُؤَوَّلِينَ مُحَرِّفِي الْقُرْآنِ

وهذا صحيح؛ يعني: لو أننا وزنا عقول جميع أهل الأرض بنص صَحَّ عن النبي -عليه الصلاة والسلام- ما ساوته هذه العقول حتى نقدّمها؛ يعني: لا يمكن أن نقدّمها؛ لأنها لا تسوى.

٤٤٧٣- وَاللّٰهُ إِنَّ النَّصَّ فِيْمَا بَيْنَنَا
لَأَجَلٌ مِنْ آرَاءِ كُلِّ فُلَانٍ

وصدق في يمينه، وبرّ فيها، فالنصّ فيما بيننا أجل من آراء كل أحد.

٤٤٧٤- وَاللّٰهُ لَمْ يَنْقَمْ عَلَيْنَا مِنْكُمْ
أَبَدًا خِلَافَ النَّصِّ مِنْ إِنْسَانٍ

٤٤٧٥- إِلَّا خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ بِزَعْمِكُمْ
وَكَاذِبْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ

٤٤٧٦- كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ
فِي كُتُبِهِ حَقًّا بِلَا كِثْمَانِ

٤٤٧٧- هَذَا وَخَالَفَنَاهُ فِي الْقُرْآنِ مِثْلَ
سَلِّ خِلَافِكُمْ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ

٤٤٧٨- فَالْأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِالِاسْتِوَاءِ
ءِ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ

٤٤٧٩- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْيَدِي
مِنْ وَوَجْهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ

٤٤٨٠- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِأَنَّ لِرَبِّنَا
سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

٤٤٨١- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ النَّزْوِ
لِ رَبِّنَا نَحْوَ الرَّفِيعِ الدَّانِي

٤٤٨٢- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْأَصَا
بِعِ مِثْلُ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانِ

- ٤٤٨٣- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ يَوْمَ
مَ الْحَشْرِ يُبْصِرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ
٤٤٨٤- جَهْرًا يَرَوْنَ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ
رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ
٤٤٨٥- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْمَجِي
ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِأَنْتُكَرَانِ
٤٤٨٦- وَمُصْرِحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُوَوِّلٍ
لِلْإِسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي السُّلْطَانِ
٤٤٨٧- وَمُصْرِحٌ أَنَّ الْأَلَى قَالُوا بِذَا التَّ
تَأْوِيلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيَّانِ
٤٤٨٨- وَمُصْرِحٌ أَنَّ الَّذِي قَدْ قَالَهُ
أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكَرَ الْقُرْآنِ
٤٤٨٩- هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ
وَبِهِ يَدِينُ اللَّهُ كُلَّ أَوَانِ

الشرح

- ٤٤٧٤- وَاللَّهِ لَمْ يَنْقَمْ عَلَيْنَا مِنْكُمْ
أَبَدًا خِلَافَ النَّصِّ مِنْ إِنْسَانِ
٤٤٧٥- إِلَّا خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ بِزَعْمِكُمْ
وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «إِلَّا خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ»، وفي نسخة: «لَكِنْ خِلَافَ الْأَشْعَرِيِّ»،
والأولى أوضح.

يعني: أنكم لم تنقموا علينا منّا خلاف النَّصِّ أبدًا، وإنّا تنقمون خلاف
الأشعريِّ بزعمكم؛ يعني: أنتم تقولون: إنكم خالفتم الأشعريِّ ولم تنقموا علينا
يومًا من الأيام أننا خالفنا النَّصَّ.

قَوْلُهُ: «وَكَذَبْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى الْإِنْسَانِ» يريدُ «بِالْإِنْسَانِ» الأشعريِّ، كذبتم عليه
بأنه يوافقكم ويخالفنا.

٤٤٧٦- كَفَرْتُمْ مَنْ قَالَ مَا قَدْ قَالَهُ فِي كُتُبِهِ حَقًّا بِإِلَهِتَانِ

يعني: أتهم كفروا مَنْ قَالَ مَا قَالَ الأشعريُّ فِي كُتُبِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يُنْكِرُونَ أَنْ يَكُونَ
الأشعريُّ تَابِعَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي آخِرِ الْأَمْرِ.

ثُمَّ قَالَ الْمُؤَلَّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- مُبَيِّنًا أَنَّنَا نَحْنُ نُوَافِقُ الْحَقَّ أَيُّمَا كَانَ سِوَاهُ
كَانَ مِنَ الْأَشْعَرِيِّ أَمْ مِنْ غَيْرِهِ، يَقُولُ:

٤٤٧٧- هَذَا وَخَالَفَنَاهُ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُ - لَخِلَافِكُمْ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ -

يعني: مثلما خالفتموه أنتم في الفوق للرحمن نحن خالفناه في القرآن؛ لأنه -
رحمه الله- يرى أن كلام الله هو المعنى القائم بنفسه؛ أي: الكلام النفسي، الذي
سبق أن ابن القيم -رحمه الله- ذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية ردَّ عليه من تسعين
وجهًا.

قَوْلُهُ: «مِثْلَ خِلَافِكُمْ لَهُ فِي الْفَوْقِ لِلرَّحْمَنِ» فَهُوَ يُؤْمِنُ بِفَوْقِيَّةِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ
تُنْكِرُونَهَا؛ لِأَنَّ الْأَشَاعِرَةَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فَوْقَ الْعَالَمِ وَلَا تَحْتَ الْعَالَمِ،
وَلَا يَمِينِ الْعَالَمِ وَلَا شِمَالِ الْعَالَمِ، وَلَا مَتَّصِلًا وَلَا مُنْفَصِلًا، وَلَا مَبَايِنًا وَلَا مُحَايِثًا،
إِذَنْ يَكُونُ لَا شَيْءَ، أَمَّا الْأَشْعَرِيُّ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فَقَالَ وَصَّرَحَ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ
سَمَاوَاتِهِ.

٤٤٧٨- فَالْأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِالِاسْتِوَاءِ ءِ وَبِالْعُلُوِّ بِغَايَةِ التَّبْيَانِ

وَالْأَشَاعِرَةُ لَا يَقُولُونَ لَا بِهَذَا وَلَا بِهَذَا، لَا يُؤْمِنُونَ بِالِاسْتِوَاءِ عَلَى مَعْنَاهُ
الْحَقِيقِيِّ، وَلَا يُؤْمِنُونَ بِعُلُوِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَالْأَشْعَرِيُّ الَّذِي يَدْعُونَ أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لَهُ
مُؤْمِنٌ بِالِاسْتِوَاءِ وَالْعُلُوِّ.

٤٤٧٩- وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ - مِنْ وَجْهِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ» الْأَشْعَرِيُّ مُصَرِّحٌ بِإِثْبَاتِ الْيَدَيْنِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلِلَّهِ يَدَانِ اثْنَتَانِ، كِلْتَاهُمَا يَمِينٌ مِنْ حَيْثُ الْبَرَكَةِ، وَمِنْ حَيْثُ الْقُوَّةِ، وَمِنْ حَيْثُ الْبَسْطِ، وَلَكِنْ إِحْدَاهُمَا يَمِينٌ وَإِحْدَاهُمَا شِمَالٌ مِنْ حَيْثُ ذَاتِ الْيَدِ، وَبِهَذَا نَجْمُ بَيْنِ الْأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ بِإِثْبَاتِ الشِّمَالِ لِلَّهِ (١) عَزَّ وَجَلَّ وَالْأَحَادِيثِ الَّتِي وَرَدَ فِيهَا أَنَّ «كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ» (٢).

وَقَدْ وَرَدَتْ الْيَدَانِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَذَلِكَ فِي السُّنَّةِ عَلَى أَوْجِهِ ثَلَاثَةٌ: الْجَمْعُ، وَالتَّشْنِيَةُ، وَالْإِفْرَادُ، أَمَّا الْجَمْعُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١]، وَأَمَّا الْإِفْرَادُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ﴾ [الملك: ١]، وَأَمَّا التَّشْنِيَةُ فَكَقَوْلِهِ تَعَالَى يَخَاطَبُ إِبْلِيسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَالْجَمْعُ بَيْنَ هَذِهِ الْأَوْجِهِ الثَّلَاثَةِ سَهْلٌ بَأَنْ نَقُولَ: أَمَّا الْجَمْعُ فَإِنَّمَا جُمِعَتْ لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّنَاسُبِ بَيْنَ الْمُضَافِ وَالْمُضَافِ إِلَيْهِ، الْمُضَافُ إِلَيْهِ «نَا» الدَّالَّةُ عَلَى الْعِظَمَةِ، فَجُمِعَتْ «الْيَدُ» لِتَكُونَ مُنَاسِبَةً لـ«نَا» الَّتِي لِلْعِظَمَةِ.

وَأَمَّا التَّشْنِيَةُ فَلَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الْحَقِيقَةُ أَنَّ لِلَّهِ يَدَيْنِ اثْنَتَيْنِ، وَأَمَّا الْإِفْرَادُ فَإِنَّ الْمَفْرَدَ الْمُضَافَ لَا يَمْنَعُ التَّعَدُّدَ؛ لِأَنَّهُ يَعْمُ، وَبِهَذَا يَصِحُّ التَّعْبِيرُ بِالتَّشْنِيَةِ وَالْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ.

(١) كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «يَطْوِي اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيُمْنَى، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ. ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ أَيُّنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيُّنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟». أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رَقْمُ (٢٧٨٨).

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعَقُوبَةُ الْجَائِرِ، وَالْحَثُّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، رَقْمُ (١٨٢٧).

قَوْلُهُ: «وَوَجْهَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي السُّلْطَانِ» الأشعريُّ - رحمه الله - أيضًا يؤمنُ بأنَّ اللهَ له وجهٌ، قال اللهُ - سبحانه وتعالى -: ﴿وَبَقِيَ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٧]، وأمَّا أتباعُ الأشعريِّ الذين هم الأشاعرةُ فلا يؤمنون بوجهِ الله، بل يُحَرِّفُونَهُ.

٤٤٨٠- وَمُصْرِحٌ أَيْضًا بِأَنَّ لِرَبَّنَا سُبْحَانَهُ عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ

المُصْرِحُ هو الأشعريُّ يُصْرِحُ «أَنَّ لِرَبَّنَا عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ»، وهنا قال: «بِأَنَّ لِرَبَّنَا... عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ»، ابنُ القيمِ - رحمه الله تعالى - في هذه النُويَّةِ يرفعُ المثنيَّ - أحيانًا - في موضعِ النَّصْبِ، وفي موضعِ الجَرِّ، ويرفعُه؛ يعني: يجعلُه بالألفِ؛ إمَّا لضرورةِ الشُّعْرِ، وإمَّا على لغةٍ مَنْ يُلْزَمُ المثنيَّ الألفَ مطلقًا.

والذي يظهرُ لي - واللهُ أعلمُ - أنَّه لأجلِ الصُّرورةِ؛ لأنَّه مرَّ علينا قبل ذلك أنَّه عطفَ مثنيَّ بالألفِ على مثنيَّ بالياءِ، وهذا يدلُّ على أنَّه إنَّما يفعلُ ذلكَ للضرورةِ، وقد ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّ ضرورةَ الشُّعْرِ كما تُوجِبُ أحيانًا صرفَ ما لا ينصرفُ، كذلك تُوجِبُ تغييرَ الحرفِ؛ أي: تغييرَ ما يُعْرَبُ بالحروفِ.

قَوْلُهُ: «عَيْنَانِ نَاطِرَتَانِ» وهذا الذي أجمع عليه أهلُ السُّنَّةِ أنَّ اللهَ عَيْنَيْنِ ناظِرَتَيْنِ ينظرُ بهما عزَّ وجلَّ، وقد وَرَدَتِ العينانِ بصفةِ الجمعِ، وبصفةِ الإفرادِ، وبصفةِ الجمعِ كقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٤]، وبصفةِ الإفرادِ كقوله تعالى يخاطبُ موسى: ﴿وَلِئَصْنَعِ عَلَيَّ عَيْتٍ﴾ [طه: ٣٩]، فنقولُ في الجمعِ بينهما كما قلنا في الجمعِ بين اليدينِ؛ أنَّ الجمعَ للتَّعْظِيمِ والمناسبةِ، والتَّعْظِيمُ واضحٌ، والمناسبةُ؛ لأنَّها أُضِيفَتْ إلى ما يفيدُ العظمةَ، أمَّا الإفرادُ فلأنَّه مفردٌ مضافٌ فلا ينافي التَّعدُّدُ؛ إذ إنَّ المفردَ المضافَ يكونُ للعمومِ.

وهل وَرَدَت العِينان بصفة التَّثْنِيَّة؟ نقول: جاءت في السُّنَّة، لكن جاءت على

وجهين:

الوجه الأوَّل: أتمَّها وردت بلفظٍ صريحٍ وهو قوله: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنَيِ الرَّحْمَنِ»^(١)، ولكنَّ في صحَّته نظرًا إِلَّا أَنَّهُ يَقْوِيهِ مَا ثَبَّتَ فِي الصَّحِيحِينَ وَغَيْرِهِمَا فِي وَصْفِ الدَّجَالِ: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»^(٢)؛ أي: أعور العين لا أعور البدن، من العَوْر وهو العيب؛ لأنَّه جاء مُصَرَّحًا به، وهذا يدلُّ قطعًا على أَنَّ الله عينين فقط؛ لأنَّه لو كان له أكثر من عينين لكانت الزيادةُ على العينين كما لا، وإذا كانت كما لا فلا بُدَّ أن تُذكَرَ، وإذا ذُكِرَت حَصَلَ الفرقُ أو التَّمييزُ بين هذا الأَعْوَرِ الدَّجَالِ وبين رَبِّ العالمين عَزَّ وَجَلَّ، فيظهُرُ الفرقُ بالزيادة، أمَّا كونُ الرَّسُولِ ﷺ يجعلُ الفرقَ أَنَّهُ أَعْوَرٌ فهذا يدلُّ قطعًا على أَنَّ الله عينين اثنتين لا زيادة، ووجهُ ذلك أَنَّهُ لو كان له أكثر من ثنتين لكان الرَّائِدُ كما لا، وإذا كان كما لا فَإِنَّهُ لا يمكنُ أن يُهْمَلَهُ الرَّسُولُ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- ويغفله، ولقال: «إِنَّ رَبَّكُمْ لَهُ ثَلَاثٌ أَوْ أَرْبَعٌ أَوْ عَشْرٌ»، فَلَمَّا لم يذكره عَلِمَ أَنَّهُ لا يزيدُ على عينين، لكن التَّمييزُ؛ لأنَّ عَيْنَيِ الدَّجَالِ عَوْرَاوَيْنِ بخلاف عَيْنَيِ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

وهذا أيضًا أمرٌ قد أجمع عليه سلفُ الأُمَّةِ، فكلُّ مَنْ تكلَّم من أصحابِ كتبِ العقائد يذكرونها بالتَّثْنِيَّةِ، وقد ذكر الأشعريُّ -رحمه الله- في كتاب «الإبانة»

(١) أخرجه العقيلي (٧٠/١) ترجمة ٧٢ إبراهيم بن يزيد الخوزي، والبخاري كما في كشف الأستار (٢٦٨/١)، رقم (٥٥٣). قال الهيثمي (٨٠/٢): فيه إبراهيم بن يزيد الخوزي، وهو ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، رقم (٣٤٣٩)، مسلم: كتاب الإيمان، باب ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، رقم (١٦٩).

أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ أَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ، وَذَكَرَهُ -أَيْضًا- غَيْرُهُ، وَهَذَا نَعَرَفُ أَنَّ مَا حَصَلَ مِنْ بَعْضِ الطَّلَبَةِ الصَّغَارِ مِنَ الذَّبْذِبَةِ حَوْلَ الْعَيْنِينَ لَا أَصَلَ لَهُ، وَهَمْ لَمْ يَفْهَمُوا مَعْنَى: «إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»، لَوْ فَطِنُوا لَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكَانَ الْأَمْرُ جَلِيًّا وَاضِحًا.

٤٤٨١- وَمَصْرَحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ النَّزْوِ لِـ لِرَبِّنَا نَحْوِ الرَّفِيعِ الدَّانِي

مَنْ الْمَصْرَحُ؟ الْجَوَابُ: الْأَشْعَرِيُّ، فَالْأَشْعَرِيُّ مُصْرَحٌ بِإِثْبَاتِ نَزْوِ رَبِّنَا نَحْوِ الرَّفِيعِ الدَّانِي، وَالرَّفِيعُ الدَّانِي؛ يَعْنِي: السَّمَاءُ الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهُ بِالنِّسْبَةِ لِأَهْلِ الْأَرْضِ رَفِيعٌ، وَبِالنِّسْبَةِ لِلسَّمَاوَاتِ دَانٍ.

٤٤٨٢- وَمَصْرَحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْأَصَا بَعِ مِثْلِ مَا قَدْ قَالَ ذُو الْبُرْهَانَ

قَوْلُهُ: «ذُو الْبُرْهَانَ»؛ أَي: الرَّسُولُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

فَالْأَشْعَرِيُّ مُصْرَحٌ بِأَنَّ اللَّهَ أَصَابِعٌ كَمَا أَخْبَرَ بِذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ قَالَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^(١).

الْأَشَاعِرَةُ الَّذِينَ يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ أَتْبَاعُ الْأَشْعَرِيِّ أَنْكَرُوا الْأَصَابِعَ، وَقَالُوا: لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ أَصَابِعٌ، نَقُولُ: مَنْ الَّذِي قَالَ هَذَا؟ الْجَوَابُ: أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِاللَّهِ مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، قَالُوا: هَذَا يَمْنَعُهُ اللَّفْظُ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»، وَهَذَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ فِي أَجْوَانِنَا؛ لِأَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: «هَذَا بَيْنَ أَصَابِعِي» مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَصَابِعَ مَسَّتْهُ، وَإِذَا مَسَّتِ الْقَلْبَ لَزِمَ أَنْ تَكُونَ أَصَابِعُ اللَّهِ فِي صَدُورِنَا، وَهَذَا مُسْتَحِيلٌ، إِذَنْ فَلَا يُرَادُ بِالْحَدِيثِ ظَاهِرُهُ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى القلوب كيف يشاء، رقم (٢٦٥٤).

فنعول لهم: إِنَّ النَّبِيَّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - يَخَاطَبُ الْأُمَّةَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مَبِينٍ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَخَاطَبَهُمْ بِمِثْلِ هَذِهِ الصَّرَاحَةِ وَهُوَ يَرِيدُ غَيْرَهَا إِلَّا يُبَيِّنُهَا وَلَمْ يُبَيِّنْ، وَقَوْلُكُمْ: إِنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هُنَاكَ مِمَّاسَةً، هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، فَالْبَيِّنَةُ لَا تَسْتَلْزِمُ الْمِمَّاسَةَ، أَلَمْ تَسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]، وَمَعَ ذَلِكَ هَلْ هُوَ مِمَّاسٌ لِلسَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟ الْجَوَابُ: لَا، غَيْرُ مِمَّاسٍ، فَالسَّمَاءُ بَعِيدَةٌ مِنْهُ وَالْأَرْضُ بَعِيدَةٌ مِنْهُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا النَّاسَ يَقُولُونَ: «الْمَدِينَةُ بَيْنَ دِمَشْقَ وَمَكَّةَ»، وَهَلْ هِيَ مُحَادَّةٌ لَهَا؟ الْجَوَابُ: لَا، إِذْ بَيْنَ الْمَدِينَةِ فِي الْمَكَانِ لَا تَسْتَلْزِمُ الْمِمَّاسَةَ أَبَدًا، وَبِهَذَا نَعْرِفُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْحَدِيثِ حَقِيقَتَهُ، وَأَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعِينَ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، وَلَيْسَ الْمَرَادُ كَمَا قَالُوا: إِنَّهَا كِنَايَةٌ عَنِ التَّدْبِيرِ وَالسُّلْطَانِ التَّامِّ.

٤٤٨٣ - وَمُصَرِّحٌ أَيْضًا بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى مَ الْحَشْرِ يُبْصِرُهُ أَوْلُو الْإِيمَانِ

٤٤٨٤ - جَهْرًا يَرُونَ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانِ

يعني: أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَى يَوْمَ الْحَشْرِ؛ يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَقَائِلُ هَذَا هُوَ الرَّسُولُ ﷺ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ»^(١)، وَقَالَ: «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرُونَهُ كَذَلِكَ»^(٢)، وَهَلْ أَبْلَغُ مِنْ هَذَا التَّحْقِيقِ «كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟!» هَذِهِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

الرُّؤْيَةُ يُخَاطَبُ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ قَوْمًا يَفْهَمُونَ اللِّسَانَ الْعَرَبِيَّ وَأَنَّهَا رُؤْيَةٌ حَقِيقَةٌ، وَلَكِنْ أَنْكَرَ الْأَشَاعِرَةُ رُؤْيَةَ اللَّهِ، وَقَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا يُرَى، كَيْفَ يُرَى هَلْ هُوَ جِسْمٌ حَتَّى يُرَى؟! لَا يُمْكِنُ أَنْ يُرَى، وَيَقُولُونَ: دَلِيلُنَا مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] هَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى لِمُوسَى: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، و«لَنْ»: نَافِيَةٌ لِلتَّأْيِيدِ؛ يَعْنِي: لَنْ تَرَانِي لَا فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، كَيْفَ تَقُولُونَ أَنْتُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُرَى!؟

نَقُولُ لَهُمْ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَا اسْتَدَلَّتُمْ بِهِ عَلَيْكُمْ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يُرَى؛ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَر لِقَالَ: «لَا تَرَاهُ»، فَلَمَّا نَفَى الْأَخْصَّ ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ دَلَّ عَلَى وُجُودِ الْأَعْمِّ وَهُوَ الرُّؤْيَةُ، وَأَنَّ هُنَاكَ رُؤْيَةً لَكِنْ بَدُونَ إِدْرَاكِ، قَالُوا: سَبْحَانَ اللَّهِ! هَلْ يُمْكِنُ رُؤْيَةٌ بَدُونَ إِدْرَاكِ؟ نَقُولُ: يُمْكِنُ، أَنْتُمْ الْآنَ تَرُونَ الشَّمْسَ وَلَا تُدْرِكُونَهَا، مَعَ أَنَّ نَقُولُ: لَوْ سَلَّمْنَا جَدًّا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ رُؤْيَةٌ بَدُونَ إِدْرَاكِ فِي الْمَخْلُوقِ فَإِنَّ هَذَا فِي الْخَالِقِ مُمْكِنٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَإِذَا كُنَّا لَا نَحِيطُ عِلْمًا بِاللَّهِ وَنَحْنُ نَحِيطُ عِلْمًا بِالْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي نَدْرِكُهَا فَإِنَّ هَذَا كَذَلِكَ.

أَمَّا قَوْلُهُ: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ فَالْآيَةُ دَلِيلٌ عَلَيْكُمْ أَيْضًا؛ لِأَنَّنا لَوْ جَعَلْنَا الرُّؤْيَةَ مُسْتَحِيلَةً فِي حَقِّ اللَّهِ وَهِيَ عِنْدَكُمْ مُسْتَحِيلَةٌ؛ لِأَنَّ رُؤْيَةَ اللَّهِ نَقْصٌ عَلَى زَعْمِكُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِذَا رُئِيَ اللَّهُ فَهُوَ جِسْمٌ، وَالْجِسْمُ نَقْصٌ.

نَقُولُ: لَوْ كَانَتِ الرُّؤْيَةُ مُسْتَحِيلَةً لَكُونَتْ نَقْصًا فِي حَقِّ اللَّهِ هَلْ يُمْكِنُ أَنْ يَسْأَلَهَا رَسُولٌ مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَقُولَ رَسُولٌ مِنْ أَوْلِي الْعِزْمِ: «يَا رَبِّ أَرْنِي عَجْزَكَ، أَوْ أَرْنِي ظَلَمَكَ»، فَإِذَا كَانَ مُوسَى سَأَلَ دَلَّ هَذَا عَلَى إِمْكَانِ الرُّؤْيَةِ، لَكِنَّهَا فِي الدُّنْيَا لَا تُمْكِنُ؛ لِعَدَمِ قُدْرَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى تَحْمُلِهَا؛

ولهذا قال الله له: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾؛ يعني: في الدنيا؛ لأنه لا يمكن أن يتحمّل الرؤية، ولكن انظر إلى الجبل، وهذا قياس، ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فلما نظر إلى الجبل ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، اندك وصار ترابًا، ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فموسى عليه السلام انبهر من عظمة الرب عز وجل ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، إذن الآية فيها ما يدل على إمكان الرؤية بسؤال موسى له.

وأما قوهم: «إنَّ لَنْ» تقتضي التأييد» فقول يرده القرآن؛ لأن الله قال: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٥]، ومع ذلك أخبر الله عن أهل النار أنهم يقولون: ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَيْكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] يتمنون الموت، وهو يقول: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، فأتى بـ«أبدًا».

إذن «لَنْ» في قوله: ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ ذلك في الدنيا، أمّا الآخرة فلها شأن آخر، فالذي ندين الله به أن الله عز وجل يرى يوم القيامة بالبصر، ولكننا لا نحيط به؛ لأن الله أعظم وأجل من أن تدركه الأبصار.

والرب عز وجل يراه أهل الإيمان رؤية رضا في عرصات القيامة وبعد دخول الجنة، ويراه كذلك المنافقون في عرصات القيامة، ولكنهم بعد ذلك يُحْجَبُونَ، والحكمة من هذا زيادة الحسرة عليهم والعياذ بالله؛ ولأنهم آمنوا ثم كفروا، ويراه كذلك الكفار على قول بعض أهل العلم، ولكنه يحتاج عنهم، وظاهر النصوص أن الكفار الحُلَصَّ لا يرونه؛ لقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

٤٤٨٥- وَمُصْرَحٌ أَيْضًا بِإِثْبَاتِ الْمَحْيِ ءِ وَأَنَّهُ يَأْتِي بِلَا نُكْرَانَ

مَنِ الْمُصْرَحُ؟ الجواب: أبو الحسن الأشعري - رحمه الله - صرَّحَ بأنَّ الله تعالى يأتي يومَ القيامةِ كما قال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وهذا الإتيانُ هو إتيانُ الله تعالى حقيقةً، فهو يأتي بنفسه، ولكن هل يأتي على كَيْفِيَّةٍ معلومةٍ لنا؟ الجواب: لا؛ لأنَّ هذا أمرٌ غيبيٌّ، وقد أخبرنا الله أنَّه يأتي، ولم يقل: إنَّه يأتي على كَيْفِيَّةٍ معيَّنةٍ، وهل لإتيانه كَيْفِيَّةٌ؟ الجواب: نعم، لا بُدَّ أن يكونَ على كَيْفِيَّةٍ، فما من موجودٍ إلَّا وله كَيْفِيَّةٌ، ولكن هي غيرُ معلومةٍ لنا؛ ولهذا قال الإمامُ مالكٌ في الاستواءِ: «الكَيْفُ غَيْرُ مَعْقُولٍ»، أمَّا الاستواءُ فهو «غَيْرُ مَجْهُولٍ»؛ لأنَّه معلومٌ المعنى.

٤٤٨٦- وَمُصْرَحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوَّلٍ لِلِاسْتِوَاءِ بِقَهْرِ ذِي السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «مُصْرَحٌ بِفَسَادِ قَوْلِ مُؤَوَّلٍ لِلِاسْتِوَاءِ بِالْقَهْرِ» مَنْ هُوَ هَؤُلاءِ؟ هم الأشاعرةُ والمعتزلةُ ونحوهم ممن عطَّلوا الأفعالَ الاختياريةَ، وقالوا: لا يمكنُ أن يستويَ اللهُ على العرشِ استواءً استقرارٍ أو علوًّا؛ لأنَّ هذا يستلزمُ أن يكونَ جسمًا، وقال بعضهم: يستلزمُ أن يكونَ محدودًا؛ لأنَّ العرشَ محدودٌ له قوائمٌ؛ أي: محدَّدٌ، فإذا قلت: «إنَّه استوى على العرشِ» جَعَلْتَ اللهُ محدودًا، إذنَّ علَّلوا هذا بوجهين: الوجه الأوَّل: إذا جَعَلْتَ الاستواءَ حقيقةً لَزِمَ أن يكونَ اللهُ جسمًا، والأجسامُ متماثلةٌ على زعمهم.

الوجه الثاني: إذا جَعَلْتَ الاستواءَ حقيقةً صارَ محدودًا على محدودٍ؛ يعني: يلزمُ من هذا أن يكونَ اللهُ محدودًا، والله عزَّ وجلَّ لا يحدهُ شيءٌ.

إِذَنْ مَا الْمَعْنَى عَلَى رَأْيِهِمْ؟ يَقُولُونَ: ﴿أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ يَعْنِي: «أَسْتَوَى وَمَلَكَ وَقَهَرَ»، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ بَعْضَهُمْ مِنْ أَجْلِ هَذَا التَّأْوِيلِ ادَّعَى أَنَّ خَلَقَ الْعَرْشَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ مِنْ أَجْلِ أَلَّا يَقُولَ قَائِلٌ: إِذَا كَانَ اللَّهُ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى الْعَرْشِ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ فَمَنْ الَّذِي لَهُ الْعَرْشُ قَبْلَ ذَلِكَ؟ وَمَعْلُومٌ أَنَّ تَفْسِيرَ الْإِسْتَوَاءِ بِالْقَهْرِ وَالْغَلْبَةِ بَاطِلٌ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ: أَنَّهُ خِلَافٌ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ، وَأَنَّهُ خِلَافٌ مَا تَقْتَضِيهِ اللَّغَةُ، وَأَنَّهُ يَتَضَمَّنُ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَلِكٌ لغيرِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى الْأَرْضِ؛ لِأَنَّهُ مُسْتَوٍ عَلَيْهَا وَغَالِبٌ لَهَا وَقَاهِرٌ لَهَا وَمَالِكٌ لَهَا، بَلْ نَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى أَحَبِّتَ مِنْ هَذَا عَلَى زَعْمِهِمْ، فَهُوَ يَسْتَلْزِمُ لَوَازِمَ بَاطِلَةٍ، فَهُوَ بَاطِلٌ؛ لِأَنَّ مَا لَزِمَ مِنْهُ الْبَاطِلُ فَهُوَ بَاطِلٌ.

٤٤٨٧- وَمُصَرِّحٌ أَنَّ الْأَكْلَى قَالُوا بِإِذَا التَّ - تَأْوِيلِ أَهْلِ ضَلَالَةٍ بَيَّانٍ

وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ ضَالُّونَ، وَأَيُّ ضَلَالٍ أْبْلَغُ مِنْ ضَلَالِ شَخْصٍ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْتَوِ عَلَى عَرْشِهِ»؛ أَي: لَمْ يَعْلُ عَلَيْهِ؟! وَنَحْنُ نَوْمُنُ بِأَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى الْعَرْشِ؛ أَي: عَالٍ عَلَيْهِ، وَلَكِنْ هَلْ هَذَا الْعَلُوُّ هُوَ الْعَلُوُّ الْعَامُّ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ؟ الْجَوَابُ: لَا، هَذَا عَلُوٌّ خَاصٌّ.

وَنَحْنُ نَضْرِبُ مَثَلًا لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى: لَوْ أَنَّ شَخْصًا نَصَبَ كُرْسِيًّا عَلَى السَّطْحِ وَجَلَسَ عَلَيْهِ يَكُونُ مُسْتَوِيًّا عَلَى الْكُرْسِيِّ، وَهُوَ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ عَالٍ عَلَى الْكُرْسِيِّ وَعَلَى السَّطْحِ، فَاسْتَوَاءُ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ لَيْسَ هُوَ الْعَلُوُّ الشَّامِلُ لِكُلِّ الْمَخْلُوقَاتِ، بَلْ هُوَ عَلُوٌّ خَاصٌّ يَخْتَصُّ بِالْعَرْشِ؛ وَلِهَذَا لَا يَصْلُحُ أَنْ تَقُولَ: إِنَّ اللَّهَ اسْتَوَى عَلَى السَّمَاءِ أَوْ عَلَى الْأَرْضِ مَعَ أَنَّهُ عَالٍ عَلَيْهَا.

- ٤٤٨٨- وَمُصَرِّحٌ أَنَّ الَّذِي قَدَّ قَالَهُ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكُرُ الْقُرْآنِ
 ٤٤٨٩- هُوَ قَوْلُهُ يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ وَبِهِ يَدِينُ اللَّهُ كُلَّ أَوَانٍ
 أبو الحسن الأشعريُّ يُصَرِّحُ أَنَّ قَوْلَهُ مَا قَالَ أَهْلُ الْحَدِيثِ وَعَسَكُرُ الْقُرْآنِ
 يَلْقَى عَلَيْهِ رَبَّهُ، وَبِهِ يَدِينُ اللَّهُ كُلَّ أَوَانٍ.

- ٤٤٩٠- لَكِنَّهُ قَدَّ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ مَعْنَى يَقُومُ بِرَبَّنَا الرَّحْمَنِ
 ٤٤٩١- فِي الْقَوْلِ خَالَفَنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي الْفَوْقِ وَالْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ
 ٤٤٩٢- لِمَ كَانَ نَفْسٌ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَأَنَّ خِلَافُكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْإِبْتِغَانِ
 ٤٤٩٣- هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصِّ حِينَ خَالَفْنَا لِرَأْيِ الْجَهْمِ ذِي الْبُهْتَانِ
 ٤٤٩٤- وَاللَّهُ مَا لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرَ تَكْفِيرٍ بِإِلْمٍ وَلَا إِيْقَانِ
 ٤٤٩٥- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرَ ذَا الشُّكُوى إِلَى السُّلْطَانِ
 ٤٤٩٦- فَهُوَ الْجَوَابُ لَدَيْكُمْ وَلِنَحْنُ مِنْكُمْ يَا أُولِي الْبُرْهَانِ
 ٤٤٩٧- وَاللَّهُ لَا لِلْأَشْعَرِيِّ تَبِعْتُمْ كَلَّا وَلَا لِلنَّصِّ بِالْإِحْسَانِ
 ٤٤٩٨- يَا قَوْمٌ فَانْتَبِهُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَخَلُّوا لُؤَا الْجَهْلَ وَالِدَعْوَى بِإِلْمِ الْبُرْهَانِ
 ٤٤٩٩- مَا فِي الرِّيَاسَةِ بِالْجَهَالَةِ غَيْرُ ضَحْكَةٍ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الْأَرْمَانِ
 ٤٥٠٠- لَا تَرْتَضُوا بِرِّيَاسَةِ الْبَقَرِ الَّتِي رُؤَسَاؤُهَا مِنْ جُمَّلَةِ الثَّيْرَانِ

الشرح

ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - مخالفة أبي الحسن لأهل الحديث في مسألة الكلام

فقال:

٤٤٩٠- لَكِنَّهُ قَدْ قَالَ إِنَّ كَلَامَهُ مَعْنَى يَقُومُ بِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ

يقول أبو الحسن الأشعري: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ مَسْمُوعٍ، بَلْ مَا يُسْمَعُ مِنْ كَلَامِهِ عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِهِ، وَلَيْسَ كَلَامُهُ، كَلَامُهُ هُوَ الْمَعْنَى الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ، فَمَثَلًا الْآنَ: افْرِضْ أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَقُولَ خُطْبَةً، تَقْدِرُ الْكَلَامَ فِي قَلْبِكَ قَبْلَ أَنْ تَتَكَلَّمَ، ثُمَّ إِذَا تَكَلَّمْتَ عَبَّرْتَ عَمَّا فِي نَفْسِكَ.

فهو يقول رحمه الله وعفا عنه: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِكَلَامٍ يُسْمَعُ أَوْ بِصَوْتٍ، وَإِنَّمَا كَلَامُهُ الْمَعْنَى الَّذِي فِي نَفْسِهِ، ثُمَّ يَخْلُقُ أَصْوَاتًا وَحُرُوفًا يَسْمَعُهَا مَنْ يَخَاطَبُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ؛ وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي بِأَيْدِينَا لَيْسَ كَلَامَ اللَّهِ عَلَى زَعْمِهِمْ، بَلْ هُوَ عِبَارَةٌ عَنْهُ.

وهذا القول لا شك في بطلانه، وإذا تأملت حقيقته وجدت أنه يُفسر الكلام بالإرادة، وهذا لا يستقيم.

وأما المعتزلة فيقولون: إِنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَكِنَّهُ خَلَقَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَيُنْكِرُونَ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ، بَلْ يَقُولُونَ: هَذَا كَلَامُ اللَّهِ لَكِنَّهُ مَخْلُوقٌ، أَمَّا هُمْ فَيَقُولُونَ: هَذَا عِبَارَةٌ عَنْ كَلَامِ اللَّهِ وَهُوَ مَخْلُوقٌ أَيْضًا؛ وَلِهَذَا كَانَ الْمَعْتَزَلَةُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ خَيْرًا مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ يُصَرِّحُونَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَيَتَّفِقُ الْمَعْتَزَلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ عَلَى أَنَّ مَا نَقَرُوهُ مَخْلُوقٌ.

٤٤٩١- فِي الْقَوْلِ خَالَفْنَاهُ نَحْنُ وَأَنْتُمْ فِي الْفَوْقِ وَالْأَوْصَافِ لِلدِّيَانِ

يعني: نحن خالفناه في مسألة واحدة وهي القول، أما أنتم خالفتموه في الفوقية، وفي جميع الأوصاف، فكلُّ صفاتِ الله التي أقرها خالفتموها أنتم، أما نحن لم نخالفه إلا في مسألة واحدة.

٤٤٩٢- لِمَ كَانَ نَفْسٌ خِلَافِنَا كُفْرًا وَكَأَنَّ خِلَافَكُمْ هُوَ مُقْتَضَى الْإِيمَانِ

وهذا صحيح، فهذا إنكار؛ يعني: نحن الآن خالفنا أبا الحسن في مسألة واحدة وهي مسألة الكلام، وفي الباقي وافقناه، وأنتم خالفتموه في كلِّ شيءٍ إلا الكلام، فلماذا كان خلافنا نحن كفرًا وخلافكم أنتم إيمانًا وهو مقتضى الإيمان، مع أنكم خالفتموه فيما هو مقتضى الإيمان؟!

٤٤٩٣- هَذَا وَخَالَفْتُمْ لِنَصِّ حِينَ خَالَفْنَا لِرَأْيِ الْجَهْمِ ذِي الْبُهْتَانِ

يعني: ونحن لم نخالف النَّصَّ، أنتم خالفتم النَّصَّ ونحن خالفنا رأيَ الجهم، فأينما أحقُّ بالكفر: مَنْ خَالَفَ النَّصَّ أَوْ مَنْ خَالَفَ الرَّأْيَ الْبَاطِلَ؟ الْجَوَابُ: مَنْ خَالَفَ النَّصَّ.

٤٤٩٤- وَاللَّهُ مَا لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرَ تَكْفِيرٍ بِإِعْلَامِ وَلَا إِيقَانِ

صحيح، ليس لهم جوابٌ إلا أن يرفعوا أصواتهم: أنتم كُفَرَاءُ، أنتم مُجَسِّمَةٌ، أنتم مشبهة، إلى آخر ما يقولون من القدح.

٤٤٩٥- أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ لَكُمْ جَوَابًا غَيْرَ ذَا الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ

قوله: «الشُّكْوَى» إمَّا عطفُ بيانٍ لـ «جَوَابًا»، وإمَّا خبرٌ لمبتدأٍ محذوفٍ، والتقدير: «هُوَ الشُّكْوَى»، وليست «ذَا» مضافةً إلى «الشُّكْوَى»؛ لأنَّ «ذَا» اسمٌ

إشارة، واسم الإشارة لا يُضَافُ.

لَمَّا قَالَ: «لَيْسَ لَكُمْ جَوَابٌ غَيْرُ هَذَا» استدرك فقال: «أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قُلْتُ لَكُمْ، فَلَكُمْ جَوَابٌ آخَرُ غَيْرُ هَذَا الْجَوَابِ وَهُوَ الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ»؛ أي: تشكوننا إلى السُّلْطَانِ، وتُوشون بنا، وهذا يقعُ كثيرًا، يأتي به الإنسان للاستدراك، يقول: «فَلَانٌ فِيهِ كَذَا مِنَ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، بَلْ فِيهِ غَيْرُ هَذَا، فِيهِ كَذَا وَكَذَا»، إِذَنْ هَذَا الْكَلَامُ يُعْتَبَرُ توكِيدًا لما سبق وإضافة أمرٍ يُذَمُّونَ عليه.

والمعنى: لكم جوابٌ آخرُ غيرُ التَّكْفِيرِ وهو الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ، ولذلك تجدُّ الذين تسبَّبوا في تعذيبِ الإمامِ أحمدَ وغيره من أهلِ السُّنَّةِ إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ بِسَبَبِ الوِشَاةِ.

٤٤٩٦- فَهُوَ الْجَوَابُ لَدَيْكُمْ وَلَنَحْنُ مِنْ تَطَرُّوهُ مِنْكُمْ يَا أُولِي الْبُرْهَانِ

وهل الذي ليس له جوابٌ إلا الشُّكْوَى إِلَى السُّلْطَانِ هل عنده علمٌ؟ الجوابُ: لا، يقولُ لخصمه: اسكت وإلا لأرفعنَّ أمرك إلى السُّلْطَانِ؟ هل هذا عنده علمٌ؟ أبدًا، ليس عنده علمٌ.

٤٤٩٧- وَاللَّهُ لَا لِلأَشْعَرِيِّ تَبِعْتُمْ كَلًّا وَلَا لِلنَّصِّ بِالْإِحْسَانِ

إِذَنْ هُمْ أَخْطَؤُوا تَقْلِيدًا وَأَخْطَؤُوا اجْتِهَادًا، أَخْطَؤُوا تَقْلِيدًا حَيْثُ لَمْ يَتَّبِعُوا الأَشْعَرِيَّ، وَأَخْطَؤُوا اجْتِهَادًا حَيْثُ لَمْ يَتَّبِعُوا النَّصَّ.

٤٤٩٨- يَا قَوْمُ فَانْتَبَهُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَخَلُّوا الْجَهْلَ وَالْدَّعْوَى بِبُرْهَانِ

جزاه اللهُ خيرًا، فهو ينصحهم قائلًا: انتبهوا لأنفسكم ودعوا الجهل والدَّعْوَى

بلا برهان.

٤٤٩٩- مَا فِي الرَّيَاسَةِ بِالْجَهَالَةِ غَيْرُ ضَحٍّ كَةِ عَاقِلٍ مِنْكُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

ولا شك أن الرئاسة بالجهل ضحكة إلى يوم الدين؛ لأن الرئاسة إنما تنال بالشرف والعلم، أما الجهل فإنه لا خير في الرئاسة فيه، ومآله إلى الفشل.

٤٥٠٠- لَا تَرْتَضُوا بِرِّيَاسَةِ الْبَقْرِ الَّتِي رُؤَسَاؤُهَا مِنْ جُمَّلَةِ الثِّيَرَانِ

يعني: لا ترتضوا لأنفسكم هذا الحظ أن تكونوا رؤساء لبقير، إذن إن رضيتم برئاسة البقر فأنتم ثيران. إذن الجهمية والمعتزلة ثيران، وأقول: الثيران خير منهم.

فصل

فِي أَنْ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَخَاصَّتُهُ،
وَلَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ

- ٤٥٠١- يَا مُبْغِضًا أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشَاتِمًا أَبْشَرَ بِعَقْدِ وَايَةِ الشَّيْطَانِ
- ٤٥٠٢- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
- ٤٥٠٣- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُولِ لِي هُمْ بِلا شَكِّ وَلَا نُكْرَانِ
- ٤٥٠٤- هَلْ يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَوْ مُدْرِكٌ لِرَوَائِحِ الْإِيمَانِ
- ٤٥٠٥- شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَهِيَ شَهَادَةٌ مِنْ أَصْدِقِ الثَّقَلَيْنِ بِالْبُرْهَانِ
- ٤٥٠٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ خَزْرَجَ دِينِهِ وَالْأَوْسَ هُمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ
- ٤٥٠٧- مَا ذَنَبُهُمْ إِذْ خَالَفُوكَ لِقَوْلِهِ مَا خَالَفُوهُ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ
- ٤٥٠٨- لَوْ وَافَقُوكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْتَرِي لَوْ وَافَقُوكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْتَرِي
- ٤٥٠٩- لَمَّا تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْأَشْيَاخِ وَأَنْتُمْ حَازُوا إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٥١٠- نَسَبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ
- ٤٥١١- هَذَا انْتِسَابُ أُولِي التَّفَرُّقِ نِسْبَةً مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّنِ
- ٤٥١٢- فَلِذَا غَضِبْتُمْ حَيْثُمَا انْتَسَبُوا إِلَيَّ خَيْرَ الرَّسُولِ بِنِسْبَةِ الْإِحْسَانِ

- ٤٥١٣- فَوَضَعْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنْ الْعُدْوَانِ
 ٤٥١٤- هُمْ يُشْهِدُونَكُمْ عَلَى بَطْلَانِنَا أَفْتَشُهُدُونَهُمْ عَلَى الْبُطْلَانِ
 ٤٥١٥- مَا ضَرَّهَمْ وَاللَّهِ بَغْضُكُمْ لَهُمْ إِذْ وَافَقُوا حَقًّا رِضَا الرَّحْمَنِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِي أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»، وهذا لا شك فيه؛ لأنهم آخذون به، متبعون له، ذابون عنه.

قَوْلُهُ: «وَلَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» هكذا جاء عن النَّبِيِّ -عليه الصلاة والسلام- أنه قال: «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ»^(١)، ثُمَّ قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٠١- يَا مُبْغِضًا أَهْلَ الْحَدِيثِ وَشَاتِمًا أَبْشِرْ بِعَقْدِ وَايَةِ الشَّيْطَانِ
 يعني: إن من يشتم أهل الحديث ويبغضهم فقد عقد الولاية مع الشيطان.

٤٥٠٢- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُمْ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
 وهذا للتقرير يعني: أنه قد علم أن أهل الحديث هم أنصار دين الله والإيمان والقرآن.

٤٥٠٣- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَنْصَارَ الرَّسُولِ لِي هُمْ بِإِلَّا شَكًّا وَلَا نَكْرَانِ
 وهذا أيضًا للتقرير؛ فإن أهل السنة هم الذين نصرُوا رسولَ الله ﷺ؛

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رسول الله ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، رقم (٧٦).

لأخذهم بها وذبيهم عنها.

٤٥٠٤- هَلْ يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ أَوْ مُدْرِكٌ لِرَوَائِحِ الْإِيمَانِ

الجواب: لا، فالاستفهام هنا بمعنى النفي، فالإنسان المؤمن لا يمكن أن يُبغض أنصار الرسول ﷺ سواء أنصاره في حياته أم بعد مماته.

٤٥٠٥- شَهِدَ الرَّسُولُ بِذَلِكَ وَهِيَ شَهَادَةٌ مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ بِالْبُرْهَانِ

شَهِدَ الرَّسُولُ بِأَنَّهُ لَا يُبْغِضُهُمْ مُؤْمِنٌ، وَهِيَ شَهَادَةٌ صَدَرَتْ مِنْ أَصْدَقِ الثَّقَلَيْنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٠٦- أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ خَزْرَجَ دِينِهِ وَالْأَوْسَ هُمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

الأنصار قبيلتان: الأوس والخزرج، لكن هل هذا يختص بتلك القبيلتين؟
الجواب: لا، أنصار الدين الأوس والخزرج في كل زمان وفي كل مكان، كل من نصر دين الله فإنه مثل الأنصار من الأوس والخزرج.

٤٥٠٧- مَا ذَنْبُهُمْ إِذْ خَالَفُوا لِقَوْلِهِ مَا خَالَفُوهُ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ

يعني: ما ذنب أهل الحديث حين خالفوا لقوله؟ أي: لقول الرسول ﷺ، هم ما خالفوا الرسول لأجل قول فلان، وأنت خالفت الرسول لأجل قول فلان، فهل الذنب ذنب أهل الحديث أو ذنب من أبغضهم؟ الجواب: ذنب من أبغضهم وعاداهم بلا شك.

٤٥٠٨- لَوْ وَافَقُوكَ وَخَالَفُوهُ كُنْتَ تَشْهَدُ أَنَّهُمْ حَقًّا أَوْلُوا الْإِيمَانَ

يعني: لو وافقوا الرسول ﷺ ووافقوك لشهدت بأنهم أهل الإيمان.

٤٥٠٩- لَمَّا تَحَيَّرْتُمْ إِلَى الْأَشْيَاحِ وَأَنْتُمْ حَازُوا إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

٤٥١٠- نُسِبُوا إِلَيْهِ دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ أَوْ حَالَةٍ أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ

يعني: أن هؤلاء المعطلة أخذوا بأقوال الشيوخ وتركوا ما قاله النبي ﷺ، أما المثبتة فأخذوا بما قال النبي ﷺ، وتركوا ما قال الشيوخ مما يخالف قول النبي ﷺ صلى الله عليه وسلم.

٤٥١١- هَذَا انْتِسَابُ أُولِي التَّفَرُّقِ نِسْبَةً مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّنِ

هذا انتساب أولي التفريق؛ يعني: الذين تفرقوا في دين الله، «نِسْبَةً مِنْ أَرْبَعِ مَعْلُومَةِ التَّبَيَّنِ»، ما هذه النسبة من أربع؟

الظاهر -والله أعلم- أن النسب الأربع: موافقة الكتاب ومخالفته، وموافقة السنة ومخالفتها، فأهل الإثبات قد وافقوا في الكتاب والسنة، وأما أهل التعطيل فخالفوا في الكتاب والسنة؛ ولهذا قال: «دُونَ كُلِّ مَقَالَةٍ، أَوْ حَالَةٍ، أَوْ قَائِلٍ وَمَكَانٍ»، لا شك أن الأربع الذي ذكر الآن: المقالة، والحالة، والقائل، والمكان، لكن الذي يظهر ما دامت المسألة موافقة ومخالفة أتمها موافقة الكتاب والسنة، ومخالفتها.

٤٥١٢- فَلِذَا غَضِبْتُمْ حَيْثُمَا انْتَسَبُوا إِلَى خَيْرِ الرَّسُولِ بِنِسْبَةِ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «حَيْثُمَا انْتَسَبُوا إِلَى خَيْرِ الرَّسُولِ»، وفي نسخة: «حَيْثُمَا».

والخطاب هنا لأهل التعطيل؛ يعني: أنكم غضبتم حيث انتسبوا إلى خير الرسول بنسبة الإحسان، ونسبة الإحسان في الخبر هي التصديق من غير زيادة ولا نقص.

٤٥١٣- فَوَضَعْتُمْ لَهُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا تَسْتَقْبِحُونَ وَذَا مِنْ الْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَضَعْتُمْ مِنَ الْأَلْقَابِ» اللَّقْبُ: قال أهل النَّحْوِ: كُلُّ مَا أَشْعَرَ بِمَدْحٍ أَوْ ذَمٍّ، وَمَثَلُوا لِذَلِكَ بِ«قُفَّةٍ»، و«زِينِ الْعَابِدِينَ»، ف«قُفَّةٌ» مَشْعَرٌ بِالذَّمِّ، «وَزِينِ الْعَابِدِينَ» بِالْمَدْحِ^(١).

فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ وَضَعُوا لِأَهْلِ الْإِثْبَاتِ مِنَ الْأَلْقَابِ مَا يَسْتَقْبِحُونَ، كُلَّمَا اسْتَقْبَحُوا لِقَبًا وَضَعُوهُ عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِثْبَاتِ، فَقَالُوا: إِنَّهُمْ حَسَوِيَّةٌ، نَوَابِتٌ، غَثَاءٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٤٥١٤- هُمْ يُشْهِدُونَكُمْ عَلَى بَطْلَانِهَا أَفْتُشْهِدُونَهُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ

يعني: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ يُشْهِدُونَ أَهْلَ التَّعْطِيلِ عَلَى بَطْلَانِ مَا لَقَّبُوهُمْ بِهِ، فَهَلِ أَنْتُمْ تُشْهِدُونَهُمْ عَلَى الْبَطْلَانِ كَمَا شَهِدُوا هُمْ عَلَى بَطْلَانِ مَا لَقَّبْتُمُوهُمْ بِهِ؟ الْجَوَابُ: لَا، هُمْ يَرَوْنَ أَنَّ هُمْ عَلَى أَكْمَلِ شَيْءٍ، وَأَنَّ هُمْ أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَهْلُ الْعَدْلِ وَأَهْلُ التَّوْحِيدِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٤٥١٥- مَا ضَرَّهَمْ وَاللَّهُ بِغُضُّكُمْ لَهُمْ إِذْ وَافَقُوا حَقًّا رِضَا الرَّحْمَنِ

صَحِيحٌ، الْإِنْسَانُ إِذَا وَافَقَ رِضَا الرَّحْمَنِ فَلَا يَهْمُهُ أَنْ يَغْضَبَ عَلَيْهِ النَّاسُ، الْمَهْمُ أَنْ تَلْتَمَسَ رِضَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَوْ غَضِبَ النَّاسُ.

(١) انظر: شرح الكافية الشافية (١/٢٤٩).

- ٤٥١٦- يَا مَنْ يُعَادِيهِمْ لِأَجْلِ مَأْكِلٍ وَمَنَاصِبٍ وَرِيَّاسَةِ الْإِخْوَانِ
 ٤٥١٧- تَهْنِيكَ هَاتِيكَ الْعَدَاوَةُ كَمْ بِهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ
 ٤٥١٨- وَلَسَوْفَ نَجْنِي غِبَّهَا وَاللَّهِ عَنْ قُرْبٍ وَتَذَكَّرُ صِدْقَ ذِي الْإِيمَانِ
 ٤٥١٩- فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلُ وَأَنْتَهَتْ تِلْكَ الْمَأْكِلُ فِي سَرِيعِ زَمَانٍ
 ٤٥٢٠- فَهُنَاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانٍ عَلَى النَّوْءِ تَفْرِيطٍ وَقَتِ السَّيْرِ وَالْإِمْكَانِ
 ٤٥٢١- وَهُنَاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتِكَ الَّتِي حَصَلَتْهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 ٤٥٢٢- إِلَّا الْوَبَالَ عَلَيْكَ وَالْحَسْرَاتِ وَالْأَحْسِرَانِ عِنْدَ الْوَضْعِ فِي الْمِيزَانِ
 ٤٥٢٣- قِيلٌ وَقَالَ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ إِلَّا الْعِنَاءُ وَكَلُّ ذِي الْأَذْهَانِ
 ٤٥٢٤- وَاللَّهُ مَا يُجِدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إِلَّا لَإِذَا الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ
 ٤٥٢٥- وَاللَّهُ مَا يُنْجِيكَ مِنْ سَجْنِ الْجَحِيمِ حِمِّ سِوَى الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 ٤٥٢٦- وَاللَّهُ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلُهُ وَسِوَاهُمْ مِنْ جُمَلَةِ الْحَيَوَانِ

الشرح

- ٤٥١٦- يَا مَنْ يُعَادِيهِمْ لِأَجْلِ مَأْكِلٍ وَمَنَاصِبٍ وَرِيَّاسَةِ الْإِخْوَانِ
 يعني: أن هؤلاء الذين عادوا أهل الإثبات لهم مآرب؛ إمّا المآكل، أو المناصب عند ذوي السُّلطان، أو رئاسة الإخوان بأن يكون رئيساً مُبَجَّلاً في قومه فيخشى إن تحوّل إلى الإثبات أن يعاديه قومه.

٤٥١٧- تَهْنِيكَ هَاتِيكَ الْعَدَاوَةَ كَمَا بِهَا مِنْ حَسْرَةٍ وَمَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

لكن متى؟ قال:

٤٥١٨- وَلَسَوْفَ تَجْنِي غِبَّهَا وَاللَّهُ عَن قُرْبٍ وَتَذْكُرُ صِدْقَ ذِي الْإِبْتِهَانِ

وهذا يكون إذا مات ورأى أنه ليس على شيء، حينئذ يكون قد جنى غيباً ما ذهب إليه من تعطيل الله عز وجل عن أوصافه.

٤٥١٩- فَإِذَا تَقَطَّعَتِ الْوَسَائِلُ وَانْتَهَتْ تِلْكَ الْمَاكِلُ فِي سَرِيحِ زَمَانٍ

٤٥٢٠- فَهَنَّاكَ تَقْرَعُ سِنَّ نَدْمَانٍ عَلَى التَّتَفْرِيطِ وَقَتِ السَّيْرِ وَالْإِمْكَانِ

يعني: أنه إذا تقطعت الوسائل وانتهت الحياة فهناك تفرع سن الندم، ولكن بعد فوات الأوان.

٤٥٢١- وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ مَا بِضَاعَتِكَ الَّتِي حَصَلَتْهَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ

٤٥٢٢- إِلَّا الْوَبَالَ عَلَيْكَ وَالْحَسْرَاتِ وَالْحُسْرَانَ عِنْدَ الْوَضْعِ فِي الْمِيزَانِ

٤٥٢٣- قِيلَ وَقَالَ مَا لَهُ مِنْ حَاصِلٍ إِلَّا الْعَنَاءُ وَكُلُّ ذِي الْأَذْهَانِ

قوله: «وكلُّ ذي الأذهان»؛ أي: تعب الأذهان، هذا الذي يحصلون، وقد مرر علينا مثل هذا كثيراً فلا حاجة للإطالة في شرحه.

٤٥٢٤- وَاللَّهُ مَا يُجِدِي عَلَيْكَ هُنَاكَ إِلَّا مَا جَاءَتْ بِهِ الْوَحْيَانِ

أقسم المؤلف بأنه لا يجدي عليه هناك إلا ما جاءت به الوحيان؛ يعني: الكتاب والسنة.

- ٤٥٢٥- وَاللَّهِ مَا يُنْجِيكَ مِنْ سِجْنِ الْجَحِيمِ
 مِ سِوَى الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
 ٤٥٢٦- وَاللَّهِ لَيْسَ النَّاسُ إِلَّا أَهْلُهُ
 قَوْلُهُ: «أَهْلُهُ»؛ أَي: أَهْلُ الْحَدِيثِ.

فالنَّاسُ حَقِيقَةُ الَّذِينَ رَبِحُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ هُمُ أَهْلُ الْحَدِيثِ، أَمَّا سِوَاهُمْ فَهُوَ مِنْ جَمَلَةِ الْحَيَوَانَ.

- ٤٥٢٧- وَلَسَوْفَ تَذَكَّرُ بِرِّ ذِي الْإِيمَانِ عَنْ
 قُرْبٍ وَتَقَرَّعُ نَاجِدَ النَّدْمَانِ
 ٤٥٢٨- رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ
 أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ
 ٤٥٢٩- فَهُمْ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُثَلًّا
 بِالْمَاءِ مَهْبِطُهُ عَلَى الْقِيَعَانِ
 ٤٥٣٠- لَا الْمَاءُ تُمْسِكُهُ وَلَا كَلْبُهَا
 يَرْعَاهُ دُو كَبِدٍ مِنَ الْحَيَوَانِ
 ٤٥٣١- هَذَا إِذَا لَمْ يُحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي
 بِجُورِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ
 ٤٥٣٢- وَالْجَاهِلُونَ بَدَأُوا هَذَا هُمْ زُؤَا
 نُ الزَّرْعِ إِي وَاللَّهِ شَرُّ زُؤَانِ
 ٤٥٣٣- وَهُمْ لَدَى غَرْسِ الْإِلَهِ كَمِثْلِ غَرْ
 سِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَعَارِسِ الرُّمَّانِ
 ٤٥٣٤- يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ
 أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ
 ٤٥٣٥- ذَا حَالِهِمْ مَعَ حَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ
 صَارَ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الْإِيمَانِ
 ٤٥٣٦- فَعَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ الْإِلَهِ تَحِيَّةٌ
 وَاللَّهِ يُبْقِيهِ مَدَى الْأَزْمَانِ

الشرح

٤٥٢٧- وَلَسَوْفَ تَذَكَّرُ بِرِّ ذِي الْإِيمَانِ عَنْ قُرْبٍ وَتَقَرَّعُ نَاجِذَ النَّدْمَانِ وَكُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ.

٤٥٢٨- رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ قَوْلُهُ: «رَفَعُوا بِهِ رَأْسًا» مَنْ؟ أَهْلُ الْإِثْبَاتِ أَهْلُ السُّنَّةِ، وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ أَهْلُ الْكَلَامِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ؛ يَعْنِي: لَمْ يَرْفَعُوا بِهِ رَأْسًا، بَلْ حَطُّوه وَأَعْرَضُوا عَنْهُ.

٤٥٢٩- فَهُمْ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ مُثَلًّا بِأَمَاءٍ مَهْبَطُهُ عَلَى الْقِيَعَانِ

٤٥٣٠- لَا الْمَاءَ تُمْسِكُهُ وَلَا كَلَأُهَا يَرْعَاهُ ذُو كَبِدٍ مِنَ الْحَيَوَانِ قَوْلُهُ: «لَا الْمَاءَ تُمْسِكُهُ»، وَيَجُوزُ «لَا الْمَاءَ».

وقد مثل الرسول -عليه الصلاة والسلام- ما بعث به كمثل غيث أصاب أرضاً^(١)، ومن هذه الأراضي التي أصابها أرض قيعان لا تمسك ماءً ولا تبتئ كلاً؛ يعني: أنها تشرب الماء ولكنها لا تبتئ، فهذه لا نفع الناس بنباتها ولا نفع الناس بحفظ الماء، الأرض الثانية: كانت صفاء أمسكت الماء وانتفع الناس بشربه، الأرض الثالثة: شربت الماء وأبتئت الكلاً فنفعت الناس.

٤٥٣١- هَذَا إِذَا لَمْ يُحْرِقِ الزَّرْعَ الَّذِي بِجَوَارِهَا بِالنَّارِ أَوْ بِدُخَانِ فَإِذَا أُحْرِقَ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ فَائِدَةٌ إِطْلَاقًا؛ لِأَنَّ الزَّرْعَ رَبَّمَا يَخْرُجُ، وَيَرَى صَاحِبُهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَيْهِ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ يَأْتِيهِ مَا يَحْرِقُهُ مِنْ نَارٍ أَوْ دُخَانٍ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي ﷺ من الهدى والعلم (٢٢٨٢).

٤٥٣٢- وَالْجَاهِلُونَ بَدَا وَهَذَا هُمْ زُؤَا نُ الزَّرْعِ إِي وَاللَّهُ شَرُّ زُؤَانِ
قَوْلُهُ: «زُؤَانُ الزَّرْعِ» هُوَ بَدْرٌ يَخَالِطُ الزَّرْعَ فَيُضَيِّقُ عَلَيْهِ وَيُفْسِدُهُ، وَسَيَاتِنَا
أَيْضًا الدُّلْبُ.

٤٥٣٣- وَهُمْ لَدَى غَرْسِ الْإِلَهِ كَمِثْلِ غَرْسِ الدُّلْبِ بَيْنَ مَغَارِسِ الرُّمَّانِ
٤٥٣٤- يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مَعَ تَضْيِيقِهِ أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانِ

يعني: هؤلاء المعطلَّة بين غرسِ الرَّحْمَنِ وهم المثبته مثل غرسِ الدُّلْبِ بين
الرُّمَّانِ، والدُّلْبُ -حسب ما وَصَفَهُ ابْنُ الْقَيْمِ- شَجَرٌ كَبِيرٌ الْحَجْمِ، وَأَنَّهُ لَا خَيْرَ
فِيهِ، وَهُوَ يَمْتَصُّ مَاءَ الزَّرْعِ مِنْ بَاطِنِ الْأَرْضِ، فَلَا يَأْتِي الزَّرْعَ مِنَ الْمَاءِ إِلَّا الشَّيْءُ
الْقَلِيلُ، وَأَمَّا مَا فَوْقَ فَيَقُولُ: «مَعَ تَضْيِيقِهِ أَبَدًا عَلَيْهِ وَلَيْسَ ذَا قِنْوَانٍ»؛ يَعْنِي: يُضَيِّقُ
مِنْ خَارِجِ الْأَرْضِ وَيَمْتَصُّ الْمَاءَ مِنْ دَاخِلِ الْأَرْضِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَيْسَ لَهُ قِنْوَانٌ؛ أَي:
لَيْسَ لَهُ ثَمَرٌ.

٤٥٣٥- ذَا حَالَهُمْ مَعَ حَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ صَارَ الرَّسُولُ فَوَارِسَ الْإِيمَانِ
إِذَنْ حَالَهُمْ مَعَ حَالِ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يُضَيِّقُونَ الْمَكَانَ وَيَأْكُلُونَ مَا كَانَ، يَأْكُلُونَ
مَا كَانَ بِالْعُرُوقِ الَّتِي فِي الْأَسْفَلِ، وَيُضَيِّقُونَ الْمَكَانَ فَوْقَ ظَاهِرِ الْأَرْضِ.

٤٥٣٦- فَعَلَيْهِ مِنْ قِبَلِ الْإِلَهِ حَيَّةٌ وَاللَّهُ يُبْقِيهِ مَدَى الْأَزْمَانِ
قَوْلُهُ: «فَعَلَيْهِ» يَحْتَمِلُ أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى «أَنْصَارٍ» وَهِيَ جَمْعٌ بِاعْتِبَارِ
الْجِنْسِ؛ أَي: فَعَلَى أَنْصَارِ الرَّسُولِ فَوَارِسِ الْإِيمَانِ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ تَحِيَّةً، وَاللَّهُ مُبْقِيهِ
مَدَى الْأَزْمَانِ.

وكأنَّ الهَرَّاسَ - رحمه الله - كأنه يريدُ أن يقولَ: الضَّميرُ في «فَعَلَيْهِ» عائِدٌ على شيخِ الإسلامِ^(١)، لكن لَمَّا لم نجد له ذِكْرًا ينبغي أن نقولَ: «فَعَلَيْهِ»؛ أي: على هذا الأنصارِ، ويكون هذا الجمعُ باعتبارِ الجنسِ.

- ٤٥٣٧- لَوْلَاهُ مَا سُقِيَ الْغِرَّاسُ فَسَوْقُ ذَا
كَ الْمَاءِ لِلدُّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
- ٤٥٣٨- فَالْغَرَسُ دُلبٌ كُلُّهُ وَهُوَ الَّذِي
يُسْقَى وَيُحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ
- ٤٥٣٩- فَالْغَرَسُ فِي تِلْكَ الْحَضَارَةِ شَارِبٌ
فَضَلَ الْمِيَاهُ مَصَارُهُ الْبُسْتَانِ
- ٤٥٤٠- لَكِنَّمَا الْبَلْوَى مِنَ الْحَطَّابِ قُطْ
طَاعِ الْغِرَّاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ
- ٤٥٤١- بِالْفُؤْسِ يَضْرِبُ فِي أَصُولِ الْغَرَسِ كَي
يَجْتَنِّهَا وَيَظُنُّ ذَا إِحْسَانِ
- ٤٥٤٢- وَيَظَلُّ يَخْلِفُ كَاذِبًا لَمْ أَعْتَمِدْ
فِي ذَا سِوَى التَّشْيِيتِ لِلْعِيدَانِ
- ٤٥٤٣- يَا خَيَّيَّةَ الْبُسْتَانِ مِنْ حُطَّابِهِ
مَا بَعَدَ ذَا الْحَطَّابِ مِنْ بُسْتَانِ
- ٤٥٤٤- فِي قَلْبِهِ غِلٌّ عَلَى الْبُسْتَانِ فَهِيَ
وَمَوْكَلٌ بِالْقَطْعِ كُلِّ أَوَانِ
- ٤٥٤٥- فَالْجَاهِلُونَ شَرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْأُ
عُلَمَاءُ سَادَتِهِمْ أُوْلُو الْإِحْسَانِ
- ٤٥٤٦- وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَا
لِ وَشَيْعَةِ الْكُفْرَانِ وَالشَّيْطَانِ
- ٤٥٤٧- وَشَرَارُهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ هُمْ شَرُّ خَلْ
قِ اللَّهِ آفَةٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

(١) انظر: شرح القصيدة النونية للهَرَّاسِ رحمه الله (٢/ ٣٠٠).

الشرح

٤٥٣٧- لَوْلَاهُ مَا سُقِيَ الْغِرَاسُ فَسَوْقُ ذَا كَ الْمَاءِ لِلدُّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

يعني: لولا أنصار الرسول -عليه الصلاة والسلام- فوارس الإيوان ما سُقِيَ الغراس.

٤٥٣٨- فَالْغَرْسُ دُلبُّ كُلهُ وَهُوَ الَّذِي يُسْقَى وَيُحْفَظُ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِ

يقول: إن الأوضاع انقلبت، فصار الدُّبُّ هذا الشَّجَرُ الكبيرُ الذي يمتصُّ الماءَ والذي لا خيرَ فيه صار هو غراس وقتهم.

٤٥٣٩- فَالْغَرْسُ فِي تِلْكَ الْحَضَارَةِ شَارِبٌ فَضَلَ الْمِيَاهِ مَصَارُهُ الْبُسْتَانَ

قَوْلُهُ: «مَصَارُهُ الْبُسْتَانَ»، وفي نسخة: «مَصَاوُهُ الْبُسْتَانَ».

٤٥٤٠- لَكِنَّمَا الْبَلْوَى مِنَ الْحَطَّابِ قُطْ طَاعِ الْغِرَاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ

قَوْلُهُ: «لَكِنَّمَا الْبَلْوَى مِنَ الْحَطَّابِ...» يقول: إنَّ هناك بلوى أخرى غير مسألة الدُّبِّ، وهي هذا الذي يقطع الشَّجَرَ ويهدم الجدار.

قَوْلُهُ: «الْحَطَّابِ قَطَّاعِ الْغِرَاسِ وَعَاقِرِ الْحَيْطَانِ» ويعني بذلك: هؤلاء المعطلة الذين قَصَّوْا على هذه النُّصُوصِ بالقطعِ وهدم الحيطانِ حتَّى لم يكن بستانٌ محوطٌ ولا ذو أشجار.

٤٥٤١- بِالْفَوْسِ يَضْرِبُ فِي أَصُولِ الْغَرْسِ كَيَّيَجْتَنُّهَا وَيَظُنُّ ذَا إِحْسَانِ

يعني: هذا الحَطَّابُ يضربُ بالفوسِ، والفوسُ جمعُ «فأسٍ»، فهو يضربُ أصولَها حتَّى يجتنُّها ولا يبقى فيها أصلٌ ولا فرعٌ.

٤٥٤٢- وَيَظَلُّ يَخْلِفُ كَاذِبًا لَمْ أَعْتَمِدْ فِي ذَا سِوَى التَّيْبِتِ لِلْعِيدَانِ

يعني: يظلُّ هذا الذي يقطعها من أصلها وعرقها يخلفُ أنه ما أراد إلا أن يُثبَّت العيدان؛ يعني: يحفر لها حتى تثبت وترسخ، وهو في الحقيقة يحفر لها من أجل أن يقطعها.

٤٥٤٣- يَا خَيْبَةَ الْبُسْتَانِ مِنْ حُطَّابِهِ مَا بَعْدَ ذَا الْحَطَّابِ مِنْ بُسْتَانِ

وهذا صحيح، هذا الحطَّابُ هل بعده بستانٌ وهو يجتثُ الغرسَ من أصله؟
الجواب: أبدًا.

٤٥٤٤- فِي قَلْبِهِ غُلٌّ عَلَى الْبُسْتَانِ فَهْوَ — وَمَوْكَلٌ بِالْقَطْعِ كُلِّ أَوَانِ

وهكذا أهل البدع في قلوبهم غُلٌّ على السُّنَّةِ ذاتِ الثَّمارِ والأشجارِ الليانعةِ، ففي قلوبهم غُلٌّ، يريدون أن يجتثوها من أصلها وهم يدعون أنهم إنما يريدون الإصلاح.

٤٥٤٥- فَالْجَاهِلُونَ شِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْـ عَلَمَاءُ سَادَتُهُمْ أَوْلُو الْإِحْسَانِ

الجاهلون شرارُ أهلِ الحقِّ، لماذا؟

لأنَّ الجاهلَ عَامِيٌّ وإن كان يريدُ الحقَّ لكن لا يعرفه، وسادتهم العلماء هم أولو الإحسان؛ أي: إنهم يدعون أن هؤلاء الجهلة هم أهلُ الحقِّ، وأنَّ العلماء الذين يلقنونهم هذه البدع هم السَّادةُ أهلُ الإحسانِ ويقولون: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٢].

٤٥٤٦- وَالْجَاهِلُونَ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَالِ لِشَيْعَةِ الْكُفْرَانِ وَالشَّيْطَانِ

٤٥٤٧- وَشِرَارُهُمْ عُلَمَاءُ هُمْ هُمْ شَرُّ خَلْقِ اللَّهِ آفَةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

يعني: إِنَّ الْحَقِيقَةَ أَنَّ الْجَاهِلِينَ هُمْ خِيَارُ أَحْزَابِ الضَّلَالَةِ وَشِرَارُ أَهْلِ الْحَقِّ، وَأَمَّا عُلَمَاءُهُمْ فَهَمَّ شِرَارُ خَلْقِ اللَّهِ آفَةُ هَذِهِ الْأَكْوَانِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ.

والمؤلف - رحمه الله - أتى بهذا الفصل، وهو كُله تصويرٌ وتخيُّلٌ لشيءٍ محسوسٍ ليُمَثَّلَ به لشيءٍ معقولٍ، ولا شكَّ أَنَّ عُلَمَاءَ الضَّلَالِ بَيْنَ عُلَمَاءِ الْهُدَايَةِ كَالزَّرْعِ النَّابِتِ بَيْنَ زَرْعِ الْحِنْطَةِ، وَهُوَ مِنَ الزُّرُوعِ الْحَبِيثَةِ الَّتِي تُفْسِدُ الْأَرْضَ وَتُضَيِّقُ عَلَى سَيْقَانِ الزُّرُوعِ الْمَفِيدَةِ.

فصل

في تعيين الهجرة من الآراء والبدع إلى سنته كما كانت فرضاً من الأمصار إلى بلده
عليه الصلاة والسلام

- ٤٥٤٨- يَا قَوْمُ فَرَضُ الْهَجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ
وَاللَّهِ لَمَنْ يُنْسَخْ إِلَى ذَا الْآنِ
٤٥٤٩- فَالْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْ
إِخْلَاصِ فِي سِرٍّ وَفِي إِعْلَانِ
٤٥٥٠- حَتَّى يَكُونَ الْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِالْ
أَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ
٤٥٥١- وَيَكُونَ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا
لِسِوَاهُ شَيْءٌ فِيهِ مِنْ إِنْسَانِ
٤٥٥٢- وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ اللَّذَانِ هُمَا لِكُلِّ
لِ وِلَايَةٍ وَعَدَاوَةٌ أَضْلَانِ
٤٥٥٣- اللَّهُ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالْ
مَنْعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ
٤٥٥٤- وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالتَّ
تَحْيِكُمْ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِ
٤٥٥٥- وَكِلَاهُمَا الْإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الرِّ
رَحْمَنٌ مِنْ سَعْيِ بِلَا إِحْسَانِ
٤٥٥٦- وَالْهَجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْ
إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
٤٥٥٧- أَتَرُونَ هَذِي هَجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا
وَاللَّهُ بَلْ هِيَ هَجْرَةُ الْإِيمَانِ
٤٥٥٨- قَطْعُ الْمَسَافَةِ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي
دَرْكِ الْأُصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانِ
٤٥٥٩- أَبَدًا إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرِهِ
فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَانِ

الشرح

قوله: «فَصَلُّ فِي تَعْيْنِ الْهَجْرَةِ مِنَ الْأَرَاءِ وَالْبِدَعِ إِلَى سُنَّتِهِ»؛ يعني: سُنَّةَ النَّبِيِّ ﷺ، وهذا العنوان جيد، وأمَّا قوله: «كَمَا كَانَتْ فَرَضًا مِنَ الْأَمْصَارِ إِلَى بَلَدَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ» فهذا ليس على إطلاقه؛ لأنَّ الهجرة إلى المدينة إنَّما كانت على أهل مكة قبل الفتح، وأمَّا بعد الفتح فقال النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ»؛ يعني: من مكة، وكذلك لم يُفرض على أهل الطائف بعد فتحها أن يهاجروا منها إلى المدينة، فهذا الإطلاق فيه نظر.

٤٥٤٨- يَا قَوْمُ فَرَضُ الْهَجْرَتَيْنِ بِحَالِهِ وَاللَّهُ لَمَّا يُنْسَخَ إِلَى ذَا الْآنِ

أَقْسَمَ - رحمه الله تعالى - أنَّ الهجرة لم تُنسخ؛ أي: لم يُنسخ وجوبها، بل يجب على الإنسان أن يهاجر، وأمَّا قول النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ»^(١)، فالمراد لا هجرة من مكة؛ لأنَّ السائل كان يسأله وهو بمكة وإلا فالهجرة باقية - باتفاق المسلمين - إلى يوم القيامة لاسيما من البدعة إلى السنة، فها هما الهجرتان المذكورتان في قوله: «فَرَضُ الْهَجْرَتَيْنِ»؟ الجواب: الهجرة الأولى: إلى الرحمن، والهجرة الثانية: إلى الرسول؛ ولذا قال:

٤٥٤٩- فَالْهَجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِأَلْ- إِنْخِلَاصٍ فِي سِرِّ وَفِي إِعْلَانِ

ثُمَّ فَسَّرَ هَذَا الْإِنْخِلَاصَ بِقَوْلِهِ:

٤٥٥٠- حَتَّى يَكُونَ الْقَصْدُ وَجْهَ اللَّهِ بِأَلْ- أَقْوَالِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِيمَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإحصار وجزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، رقم (١٧٣٧)، ومسلم: كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاتها وشجرها ولقطنها إلا لمنشد على الدوام، رقم (١٣٥٣).

والنَّاسُ يتفاوتون في هذه الهجرة تفاوتًا كبيرًا؛ منهم مَنْ هجرته خالصةٌ، ومنهم مَنْ هجرته مَشُوبَةٌ؛ فَمَنْ قال قولًا يُرَائِي فيه فهجرته مَشُوبَةٌ، وَمَنْ قال قولًا لا يريدُ به إلا الدُّنْيَا فقط فهجرته مُحَطَّمَةٌ، فالنَّاسُ يختلفون في هذه الهجرة إلى الله بالإخلاصِ.

وَقَوْلُهُ: «بِالْأَقْوَالِ» كَالذِّكْرِ، وَ«بِالْأَفْعَالِ» كَالصَّلَاةِ، وَ«بِالْإِيمَانِ» كَاعْتِقَادِ الْقَلْبِ، فَالنَّاسُ يختلفون في هذا اختلافًا كبيرًا.

٤٥٥١- وَيَكُونُ كُلُّ الدِّينِ لِلرَّحْمَنِ مَا لِسِوَاهُ شَيْءٌ فِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ «كُلُّ الدِّينِ»؛ أَي: كُلُّ مَا يَتَعَبَّدُ بِهِ الْإِنْسَانُ يَكُونُ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا لِسِوَاهُ فِيهِ شَيْءٌ.

٤٥٥٢- وَالْحُبُّ وَالْبُغْضُ اللَّذَانِ هُمَا لِكُلِّ لِي وَلايَةٍ وَعَدَاوَةٍ أَصْلَانِ
يعني: ويكونُ الحبُّ والبغضُ أيضًا، خالصًا لله، والحبُّ والبغضُ هما أصلانِ للولاية والعداوة، فبالحُبِّ تكونُ الولايةُ، وبالْبغضِ تكونُ العداوةُ، لا يمكنُ أن تكونَ العداوةُ مع الحُبِّ أبدًا، ولا أن تكونَ الولايةُ مع البغضِ، فالحُبُّ أصلُ والولايةُ فرعٌ؛ يعني: مَنْ أَحَبَّ شَيْئًا تَوَلَّاهُ، وَالبغضُ أصلُ والعداوةُ فرعٌ، يعني: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا عَادَاهُ، فَأَنْتِ إِذَا أَحْبَبْتِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَحِينَئِذٍ تَكُونُ وَلايَةً لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَكَ، وَوِلايَتِكَ أَنْتِ لِلَّهِ، وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ بِالْعَكْسِ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فَحِينَئِذٍ تَكُونُ عَدَاوَةً لِلَّهِ لَكَ وَعَدَاوَتُكَ أَنْتِ لِلَّهِ؛ وَهَذَا كَانَ الْكُفَّارُ حَلَّ بِغَضِ اللَّهِ وَمَقْتِهِ، وَهُمْ أَهْلُ عَدَاوَتِهِ.

إِذْنُ الْأَصْلِ لِلْوِلايَةِ هُوَ الْحُبُّ، وَالْأَصْلُ لِلْعَدَاوَةِ هُوَ الْبُغْضُ، وَالْحُبُّ وَالبغضُ فِي الْقَلْبِ، وَالْوِلايَةُ وَالْعَدَاوَةُ فِي الظَّاهِرِ.

٤٥٥٣- اللَّهُ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالْ— مَنَعُ اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِمَا يَقْفَانِ» «عَلَيْهِمَا»؛ أي: على العطاء والمنع، «يَقْفَانِ»؛ أي: الحب والبغض والعداوة والولاية، يقول: «لِلَّهِ أَيْضًا هَكَذَا الْإِعْطَاءُ وَالْمَنَعُ» الإِعْطَاءُ مِنَ اللَّهِ؛ وَالْمَنَعُ مِنَ اللَّهِ، يَعْنِي: هُوَ الَّذِي يَهَبُ الْحُبَّ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْوِلَايَةُ، وَالْبَغْضُ الَّذِي يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ الْعِدَاوَةُ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الْحُبَّ وَالْوِلَايَةَ فَقَدْ أَعْطَاهُ، وَمَنْ مَنَعَهُ حُرْمَ مِنَ الْحُبِّ وَالْوِلَايَةِ، «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ»^(١).

٤٥٥٤- وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ وَالنَّ— تَحْكِيمُ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ هَذَا شَطْرُ دِينِ اللَّهِ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: «هَذَا» الْإِخْلَاصُ؛ فَإِنَّهُ شَطْرُ الدِّينِ، وَالنَّصْفُ الثَّانِي: أَتْبَاعُ الرَّسُولِ؛ وَهَذَا قَالَ: «وَالتَّحْكِيمُ لِلْمُخْتَارِ شَطْرُ ثَانِي»، فَالتَّحْكِيمُ لِلْمُخْتَارِ؛ أَي: لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ يَعْنِي: نَجْعَلُهُ هُوَ الْحَكَمَ بَيْنَنَا كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَنزَعْنَهُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]، فَالْإِخْلَاصُ لِلَّهِ، وَالتَّحْكِيمُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٥٥- وَكِلَاهُمَا الْإِحْسَانُ لَنْ يَتَقَبَّلَ الرُّ— رَحْمَنٌ مِنْ سَعْيٍ بِإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «كِلَاهُمَا»؛ أَي: الْإِخْلَاصُ وَالتَّابِعَةُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب الذكر بعد الصلاة، رقم (٨٤٤). ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته، رقم (٥٩٣).

الإخلاص والمتابعة هما الإحسان؛ قال الله تعالى: ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] مَنْ هُوَ الْأَحْسَنُ عَمَلًا؟

الجواب: هو مَنْ كَانَ أَخْلَصَ لِلَّهِ وَأَتَبَعَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٥٦- وَالْهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِأَلِ إِسْلَامٍ وَالْإِيمَانِ وَالْإِحْسَانِ
الهجرة الثانية: هجرة إلى المبعوث محمد ﷺ بالإسلام والإيمان والإحسان، لكن كيف تهاجر إليه؟ تهاجر إليه باتباعه، تسلك طريقه الذي مشى إليه، لا تتجاوزة، ولا تقصر عنه؛ ولهذا ينبغي للإنسان حين فعل العبادة أن يستحضر هذين الأمرين: الإخلاص لله، والمتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٤٥٥٧- أَتَرُونَ هَذِي هِجْرَةَ الْأَبْدَانِ لَا وَاللَّهِ بَلْ هِيَ هِجْرَةُ الْإِيمَانِ

يعني: هذه ليست هجرة أبدان، ولكنها هجرة إيمان وهجرة قلوب، يهاجر القلب إلى الله فيكون دائماً واقفاً بين يديه وفي رحابه، بأن يلتفت إلى الله دائماً، يجعل دائماً ذكر الله في قلبه قائماً وقاعداً فاعلاً وتاركاً، فالإنسان الموفق يكون دائماً في يقظة، والمخدول - نسأل الله العافية - يكون دائماً في غفلة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا نُطْعَ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]؛ ولهذا إذا رأيت من نفسك أنك لا تعمل، تمضي عليك الأيام وأنت ما عملت شيئاً فاتهم نفسك، فإن قلبك يكون غافلاً عن ذكر الله؛ لأن من أقبل على الله بآرك له في وقته وفي عمله، وكانت ساعاته كلها معمورة بما فيه الخير.

ولا شك أن ذكر الله باللسان يُعِينُ عَلَى ذِكْرِهِ بِالْقَلْبِ، وكثرة قراءة القرآن وكثرة العبادة يجرُّ بعضها بعضاً، ومصاحبة الأخيار، وأشياء كثيرة، كل ذلك يُعِينُ عَلَى ذِكْرِهِ تَعَالَى بِالْقَلْبِ.

يهاجرُ إلى الرَّسُولِ فيكونُ دائماً متبَعاً له وكأنَّه أمامه ينظرُ إليه فيسلك ما يسلكه، هذه الهجرةُ الحقيقيَّةُ، وهجرةُ الأبدانِ فرغٌ عن هذه الهجرة؛ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ»^(١)، اللَّهُمَّ وَفَقْنَا لذلك.

٤٥٥٨- قَطَعَ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ فِي دَرَكِ الْأُصُولِ مَعَ الْفُرُوعِ وَذَانَ
٤٥٥٩- أَبَدًا إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرِهِ فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَّانِ

قَوْلُهُ: «قَطَعَ الْمَسَافَةَ بِالْقُلُوبِ إِلَيْهِ...» هل يمكنُ أن تقطَعَ المسافةَ بالقلوبِ إلى الله؟ الجوابُ: نعم، يكونُ قلبُك يحومُ حولَ العرشِ دائماً، ولا يجولُ حولَ الفَرْشِ؛ والفَرْشِ: أي: الأرض؛ لأنَّ كونك تجولُ حولَ الأرضِ معناه أنَّك أَهْبَطْتَ نَفْسَكَ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحِمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦].

فالحاصلُ أنَّ المؤلفَ يقولُ: قطعُ المسافةِ بالقلوبِ إليه في دَرَكِ الْأُصُولِ، وأما قطعُ المسافةِ بالقلوبِ إلى الرَّسُولِ فذلك بأن تحومَ حولَ سُنَّتِهِ وتنبذَ كُلَّ ما خَالَفَ سُنَّتَهُ، تجعله ورائك وتجعلُ أمامك محمّداً صلى اللهُ عليه وسلم.

قَوْلُهُ: «إِلَيْهِ حُكْمَهَا لَا غَيْرِهِ»؛ أي: لا إلى غيره؛ لأنَّ الحكمَ لله ورسوله.
قَوْلُهُ: «فَالْحُكْمُ مَا حَكَمْتَ بِهِ النَّصَّانِ»، والنَّصَّانِ هما الكتابُ والسُّنَّةُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، رقم (١)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية»، رقم (١٩٠٧).

- ٤٥٦٠- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى مَنْ حُصَّ بِالْحِرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ
 ٤٥٦١- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى كَسْلَانٍ مَنْحُوبٍ الْفُؤَادِ جَبَانَ
 ٤٥٦٢- يَا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ سَبَقَ الشُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرُّضْوَانِ
 ٤٥٦٣- سَارُوا أَحَثَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسِيرُهُ سَيْرُ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ
 ٤٥٦٤- هَذَا وَتَنْظُرُهُ أَمَامَ الرَّكْبِ كَالْعَلَمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ
 ٤٥٦٥- رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النُّصُوصِ صِرَ رُؤُوسُهَا شَابَتْ مِنَ النَّيْرَانِ
 ٤٥٦٦- نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 ٤٥٦٧- مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا بِمَرَاوِدِ الْآرَاءِ وَالْهَدْيَانِ
 ٤٥٦٨- فَلِذَلِكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ لَا عَنُ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيَّامَانِ

الشرح

٤٥٦٠- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى مَنْ حُصَّ بِالْحِرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ
 يعني: أنه يتأسف على هذه الهجرة؛ أي: الهجرة إلى الله ورسوله، فإنه طالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى مَنْ حُصَّ بِالْحِرْمَانِ وَالْخِذْلَانِ، وَأَمَّا مَنْ مَنَّْ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ وَالنَّصْرِ وَالْعِزِّ فَلَيْسَتْ عَلَيْهِ طَوِيلَةً.

٤٥٦١- يَا هِجْرَةَ طَالَتْ مَسَافَتُهَا عَلَى كَسْلَانٍ مَنْحُوبٍ الْفُؤَادِ جَبَانَ
 قَوْلُهُ: «مَنْحُوبٍ»؛ أي: ضعيف القلب.

فضعيفُ القلبِ، الجبانُ، الكسلانُ، هذا تطوُّلٌ عليه الهجرةُ، ويعجزُ عن الوصولِ إلى مكانِ هذه الهجرةِ.

٤٥٦٢- يَا هِجْرَةَ وَالْعَبْدُ فَوْقَ فِرَاشِهِ سَبَقَ السُّعَاةَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ

الظَّاهِرُ أَنَّ «سَبَقَ السُّعَاةَ» يَعْنِي: أَنَّهُ عَلَى فِرَاشِهِ لَكِنَّهُ يَذْكُرُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَيُحْكِمُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، فَيَسْبِقُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَسْعَوْنَ لِمَنْزِلِ الرِّضْوَانِ، فَهُوَ عَلَى فِرَاشِهِ يَسْبِقُ الْعَامِلَ الْجَادَّ فِي عَمَلِهِ.

٤٥٦٣- سَارُوا أَحْتَّ السَّيْرِ وَهُوَ فَسَيْرُهُ سَيْرُ الدَّلَالِ وَلَيْسَ بِالذَّمْلَانِ

سَيْرُ الدَّلَالِ سَيْرٌ بَطِيءٌ، وَالدَّمْلَانُ سَيْرٌ سَرِيعٌ، وَهَذَا يَسِيرُ سَيْرَ الدَّلَالِ فَكَيْفَ يُعَانِقُ مَنْ يَسِيرُ سَيْرَ الدَّمْلَانِ السَّرِيعِ؟! وَمَعَ هَذَا قَالَ رَحِمَهُ اللَّهُ:

٤٥٦٤- هَذَا وَتَنْظَرُهُ أَمَامَ الرَّكْبِ كَالْعَلَمِ الْعَظِيمِ يُشَافُ فِي الْقِيَعَانِ

يَعْنِي: أَنَّ هَذَا الَّذِي سَارَ سَيْرَ الدَّلَالِ تَنْظَرُهُ مِثْلَ الْعَلَمِ فِي الْقِيَعَانِ، وَالْقِيَعَانُ جَمْعُ «قَاعٍ»، وَهُوَ الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمَسْتَوِيَّةُ.

٤٥٦٥- رُفِعَتْ لَهُ أَعْلَامُ هَاتِيكَ النَّصْوِ صِرَ رُؤُوسَهَا شَابَتْ مِنَ النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «رُفِعَتْ لَهُ» «لَهُ»؛ أَي: إِلَى هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَسِيرُ سَيْرَ الدَّلَالِ يَرِيدُ الْهِجْرَةَ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ.

قَوْلُهُ: «شَابَتْ مِنَ النَّيْرَانِ» «شَابَتْ»؛ أَي: مِنَ الشَّيْبِ، وَالنَّيْرَانُ جَمْعُ «نَارٍ».

الْمَعْنَى: أَنَّ هَذِهِ الْأَعْلَامَ وَاضِحَةٌ لِكثْرَةِ النَّيْرَانِ عَلَى رُؤُوسِهَا.

٤٥٦٦- نَارٌ هِيَ النَّوْرُ الْمُبِينُ وَلَمْ يَكُنْ لِيَرَاهُ إِلَّا مَنْ لَهْ عَيْنَانِ

٤٥٦٧- مَكْحُولَتَانِ بِمِرْوَدِ الْوَحْيَيْنِ لَا بِمِرَاوِدِ الْأَرَءِ وَالْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «نَارٌ هِيَ النُّورُ الْمُبِينُ»؛ يعني: هي نَارٌ، ولكنها في الحقيقة نورٌ مبينٌ.

يقول رحمه الله: إن أعلام السنّة لا يراها إلا مَنْ له عينان مكحولتان بمراود السنّة لا بمراود الهديان والقول اللغو، وهو يشير إلى ما عليه السلف الصالح رحمهم الله، وما عليه هؤلاء المعطلّة.

٤٥٦٨- فَلِذَاكَ شَمَّرَ نَحْوَهَا لَمْ يَلْتَفِتْ لَا عَنَ شَمَائِلِهِ وَلَا أَيَّامَانِ

وهذا هو التوفيق من الله عزّ وجلّ أن يفتح الله على الإنسان نور العلم والإيمان حتى يسير خلفه، ومن الخذلان أن يُغلق عليه هذا حتى لا يفهم ولا يعلم.

٤٥٦٩- يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَغْلَامَ طَيِّبَةَ رُؤْيَا بَعِيَانِ

٤٥٧٠- وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامِ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ

٤٥٧١- أَصْحَابُ بَدْرِ وَالْأُلَى قَدْ بَايَعُوا أَزْكَى الرِّبَا بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ

٤٥٧٢- وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُلَى سَبَقُوا كَذَا الْآنَصَارُ أَهْلُ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ

٤٥٧٣- وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا لِكُنْ رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِي وَابْتِلِي

٤٥٧٤- بَلْ غَرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانِ

٤٥٧٥- وَقَنَعْتُمْ بِقَطَارَةِ الْأَذْهَانِ وَنَبَذْتُمْ عَسَلَ النُّصُوصِ وَرَاءَكُمْ

٤٥٧٦- وَنَبَذْتُمْ عَسَلَ النُّصُوصِ وَرَاءَكُمْ

٤٥٧٧- وَتَرَكْتُمْ الْوَحِيَّيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ
٤٥٧٨- وَعَزَلْتُمْ النَّصَّيْنِ عَمَّا وُلِّيَا لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ

الشرح

٤٥٦٩- يَا قَوْمُ لَوْ هَاجَرْتُمْ لَرَأَيْتُمْ أَعْلَامَ طَيِّبَةَ رُؤْيَا بَعْيَانِ
قَوْلُهُ: «يَا قَوْمُ»، مثل هذه العبارة يجوز فيها: «يَا قَوْمُ»، ويجوز فيها «يَا قَوْمُ» بكسر الميم مراعاة للياء المحذوفة، وبضمها على سبيل القطع عن الإضافة.

قَوْلُهُ: «طَيِّبَةَ»، أي: المدينة، ولا ينبغي أن تُسَمَّى «يَثْرَبَ» كما يفعلها بعض الكتّاب المعاصرين تبعاً للنصاري المنصرين، بل إنها هي طَيِّبَةُ كما قال النبي عليه والصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّاهَا طَيِّبَةَ»^(١)، وصدق النبي عليه الصلاة والسلام، وأما قوله تعالى: ﴿يَتَأَهَّلَ يَثْرَبَ لَا مَقَامَ لَكَرْمٍ﴾ [الأحزاب: ١٣] فهذا حكاية قول المنافقين، وليس إقراراً له.

٤٥٧٠- وَرَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامُ وَعَسْكَرُ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «رَأَيْتُمْ ذَاكَ اللَّوَاءِ» اللّواء هو ما يُرْفَعُ علماً عند قيادة الجيوش ليكون مُتَّبَعًا.

قَوْلُهُ: «وَتَحْتَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامُ» فيه إشكال؛ لأنه ليس في المدينة إلا رسول واحد وهو محمد ﷺ، والجواب عنه أن يُقَال: إِنَّ مُحَمَّدًا ﷺ جاء بها جاءت به الرُّسُلُ قبله، فهو كالرُّسُلِ جميعاً في المعنى، يقول الشاعر:

(١) أخرجه أحمد (٨٩/٥، رقم ٢١١٠٧).

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمَرْتُ عَنِّي^(١)

قَوْلُهُ: «وَعَسَكَرُ الْقُرْآنِ» مَنْ هُمْ عَسَكَرُ الْقُرْآنِ؟ قَالَ:

٤٥٧١- أَصْحَابُ بَدْرٍ وَالْأَلَى قَدْ بَايَعُوا أَزْكَى الرِّيَّةِ بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «أَصْحَابُ بَدْرٍ» أَصْحَابُ بَدْرٍ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي بَدْرٍ، وَكَانُوا ثَلَاثِمِئَةً وَبِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَخَصَّهِمُ اللَّهُ بِخُصِيصَةٍ حَيْثُ أُطِّلِعَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(٢).

قَوْلُهُ: «الْأَلَى قَدْ بَايَعُوا» «الْأَلَى» بِمَعْنَى الَّذِينَ، قَالَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: (جَمْعُ «الَّذِي» «الَّذِينَ...»)^(٣).

فَجَمْعُ «الَّذِي»: «الَّذِينَ» وَالَّذِينَ.

قَوْلُهُ: «أَزْكَى الرِّيَّةِ»؛ يَعْنِي: مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «بَيْعَةَ الرِّضْوَانِ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي هَذِهِ الْمُبَايَعَةِ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨]، أَحَلَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ رِضَاهُ، وَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ»^(٤)؛ يَعْنِي: الَّذِينَ بَايَعُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ

(١) البيت لابن ذريرد، كما في شرح ديوان المتنبى للعكبري (١/ ٣٨٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم (٢٨٤٥)، ومسلم: كتاب فضائل

الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٤٩٤).

(٣) شرح ابن عقيل (١/ ١٤١).

(٤) أخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أصحاب الشجرة أهل بيعة الرضوان

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٤٩٦).

لا يدخلون لا دخولًا مؤقتًا ولا مؤبدًا، فهم بايعوا النبي ﷺ على ألا يفروا حين شاع في الناس أن عثمان قد قُتل، وكان عثمان قد ندبه النبي ﷺ إلى أهل مكة للمفاوضة، فبايع الناس، وعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لم يحضر، ولكن النبي ﷺ بايع عنه بنفسه فقال: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ»، فبايع يده بيده الأخرى عن عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

هؤلاء الذين بايعوا عددهم ألف وأربعمائة رجل، كلهم بايعوا تحت الشجرة، وبقيت هذه الشجرة حتى ذُكرَ لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الموحد المخلص أن أناسًا يذهبون إليها فأمر بقطعها^(٢)، فاجتثت من أصلها، والحمد لله الذي وفق هذا الخليفة لهذا العمل، والله لو بقيت لكانت مثل اللات والعزى لاسيما في هذا الوقت، لكن الحمد لله الذي وفق هذا الخليفة الرائد لهذا، وانظر إلى إخلاص هذا الرجل في توحيدِه لِمَا قَبَلَ الحجر الأسود وخاف أن يكون فتنة قال: «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْ لَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُقْبَلُكَ مَا قَبَلْتُكَ»^(٣)، كُلُّ هَذَا إِبْعَادٌ لِلنَّاسِ عَنِ التَّعَلُّقِ بِالْأَحْجَارِ وَالْأَشْجَارِ، فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنِ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ خَيْرًا.

وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعل هذا وهو وليُّ الأمر، فيجب على ولاية الأمور من المسلمين أن يقطعوا كُلَّ وسائلِ الشرك، أمَّا عامَّةُ الناسِ فقد يكونُ في هذا من الضرر ما يربو على قطعه، ربما يقطعون مثلًا شجرةً أو يهدمون صنمًا، فيَعَادُ الصَّنَمُ أو الشجرة على أحسن مما سبق، وهؤلاء يُقْضَى عليهم وعلى دعوتهم.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٣٤٩٥).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٢/١٥٠)، رقم (٧٥٤٥).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب ما ذكر في الحجر الأسود، رقم (١٥٩٧).

٤٥٧٢- وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُلَى سَبَقُوا كَذَا الْ أَنْصَارُ أَهْلُ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَا الْمُهَاجِرَةُ الْأُلَى سَبَقُوا» قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَدَّمُونَ يُغْفِرُوا لِمَن سَبَقَ إِلَى اللَّهِ فَاَسْبَغَ لَهُمْ أَعْيُنُهُمْ فِي صِدْقِهِمْ وَأَعْلَى الْأَعْلَى﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ أي: الذين هاجروا من مكة أفضل بلاد الله وأحب البلاد إليهم، هاجروا إلى الله ورسوله تاركين أموالهم وديارهم وعيالهم، هاجروا إلى الله ورسوله فكان لهم سبق الهجرة.

قَوْلُهُ: «كَذَا الْأَنْصَارُ أَهْلُ الدَّارِ وَالْإِيمَانِ» الأنصار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الَّذِينَ ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]؛ أي: من قبل المهاجرين ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩]؛ يعني: لا يجدون في صدورهم شيئاً من البغضاء أو الضغينة ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ الضمير يعود على المهاجرين؛ يعني: لا يجدون في صدورهم شيئاً على المهاجرين حين فضلهم الله - سبحانه وتعالى - بما فضلهم به مع أنهم هم الذين قدموا إليهم.

٤٥٧٣- وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ وَسَا لِكَ هَدِيهِمْ أَبَدًا بِكُلِّ زَمَانٍ

يعني: لو أن الإنسان هاجر لوجد هذه الأعلام الطيبة النيرة.

٤٥٧٤- لَكِن رَضِيْتُمْ بِالْأَمَانِي وَابْتَلِيْتُمْ سُمُّ بِالْحُظُوظِ وَنُضْرَةِ الْإِخْوَانِ

وهذه محنة - والعياذ بالله - من الله عز وجل أن يعرض الإنسان عن الكتاب والسنة، وأن يأخذ برأي فلان وفلان، قال الله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿٢٧﴾ يَوَلَّتْ لِيَتْنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٧-٢٩]، وهذا مثل ينطبق تماماً على المقلدين الذين يقدمون أقوال الشيوخ على قول الرسول عليه الصلاة والسلام.

٤٥٧٥- بَلْ عَرَّكُمْ ذَاكَ الْغُرُورُ وَسَوَّلَتْ لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ قَوْلُهُ: «ذَاكَ الْغُرُورُ» الْغُرُورُ هُوَ الشَّيْطَانُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَعَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ [الحديد: ١٤].

قَوْلُهُ: «وَسَوَّلَتْ لَكُمْ النُّفُوسُ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ»؛ يَعْنِي: زَيَّنَتْ لَكُمْ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانُ فَتَبِعْتُمُوهُ.

٤٥٧٦- وَنَبَذْتُمْ عَسَلَ النَّصُوصِ وَرَاءَكُمْ وَقَنَّعْتُمْ بِقُطَارَةِ الْأَذْهَانِ ذَلِكَ الْعَسَلُ الصَّافِي الْكَثِيرُ نَبَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ، وَأَخَذْتُمْ بِالْقُطَارَةِ الضَّعِيفَةِ الْمَلَوَّةِ بِالْأَوْسَاخِ، وَهِيَ قُطَارَةُ الْأَذْهَانِ.

٤٥٧٧- وَتَرَكْتُمُ الْوَحِيَيْنِ زُهْدًا فِيهِمَا وَرَغِبْتُمْ فِي رَأْيِ كُلِّ فُلَانٍ سَبَّحَانَ اللَّهِ! تَرَكَوْا شَيْئَيْنِ وَأَخَذُوا أَشْيَاءَ، كُلُّ مَا ذَكَرَ لَهُمْ مِنْ رَأْيٍ تَبِعُوهُ، وَتَرَكَوْا الْوَحِيَيْنِ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٥٧٨- وَعَزَلْتُمُ النَّصِيْنِ عَمَّا وُلِّيَا لِلْحُكْمِ فِيهِ عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ يَقُولُ: يَجِبُ الرُّجُوعُ فِي التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، فَكَمَا أَنَّهُ إِذَا تَنَازَعَ الرَّجُلَانِ فِي أَمْرٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا يَذْهَبَانِ إِلَى الْحَاكِمِ، فَكَذَلِكَ إِذَا تَنَازَعْنَا فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ نَرُدُّهُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، هَؤُلَاءِ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- عَزَلُوا النَّصِيْنِ عَمَّا وُلِّيَا لِلْحُكْمِ فِيهِ، وَقَدْ وُلَّى اللَّهُ النَّصِيْنِ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاسِ، وَلَكِنْ هَؤُلَاءِ عَزَلُوهُمَا عَزَلَ ذِي عُدْوَانٍ.

- ٤٥٧٩- وَرَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ بِحُكْمٍ بَيْنَنَا
إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ
- ٤٥٨٠- فَهَمَّا بِحُكْمِ الْحَقِّ أَوْلَىٰ مِنْهُمَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ
- ٤٥٨١- حَتَّىٰ إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ
أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٥٨٢- وَإِذَا انْجَلَىٰ هَذَا الْغُبَارُ وَصَارَ مِيزَانُ
سِدَانِ السَّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ
- ٤٥٨٣- وَبَدَتْ عَلَىٰ تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا
وَسَمَ الْمَلِكِ الْقَادِرِ الدِّيَانِ
- ٤٥٨٤- مُبِيضَةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةِ
وَالسُّودُ مِثْلَ الْفَحْمِ لِلنَّيْرَانِ
- ٤٥٨٥- فَهَنَّاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ
وَهُنَّاكَ يُقْرَعُ نَاجِدُ النَّدْمَانِ
- ٤٥٨٦- وَهَنَّاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا الَّذِي
مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ
- ٤٥٨٧- وَهَنَّاكَ يَعْلَمُ مُؤَثِّرُ الْأَرْءِ وَالشُّبْهِ
سَطْحَاتِ وَالْهَدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ
- ٤٥٨٨- أَيُّ الْبَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا الَّذِي
مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي

الشرح

٤٥٧٩- وَرَعَمْتُمْ أَنْ لَيْسَ بِحُكْمٍ بَيْنَنَا
إِلَّا الْعُقُولُ وَمَنْطِقُ الْيُونَانِ

يخاطب أهل التعطيل؛ لأنَّ أهل التعطيل يُحْكَمُونَ الْعَقْلَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ،
ويقولون: ما خَالَفَ الْعَقْلَ فَإِنَّهُ يَجِبُ تَأْوِيلُهُ، فيرجعون إلى الْعَقْلِ مع أَنَّ الصِّفَاتِ
تُتَلَقَّى مِنَ السَّمْعِ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، لا من الْعُقُولِ.

٤٥٨٠- فَهَمَّا بِحُكْمِ الْحَقِّ أَوْلَىٰ مِنْهُمَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ

قَوْلُهُ: «فَهَمَّا»؛ أَي: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ أَوْ الْوَحْيَانِ.

قَوْلُهُ: «بِحُكْمِ الْحَقِّ» وهو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «أَوْلَى مِنْهُمَا»؛ أي: من العقولِ ومنطقِ اليونانِ.

قَوْلُهُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّبْحَانِ»؛ أي: تنزيهاً لك يا ذَا السُّبْحَانِ، يا ذَا

التَّنْزِيهِ.

المعنى: أن هؤلاء المعطلة يقولون: لا يحكم بين الناس في باب الصفات إلا العقولُ ومنطقُ اليونانِ، ولكن ابن القيم يقول: الحقُّ أن الأولى بالحكم النِّصَانُ: «الكتابُ والسنةُ»، والذي جعلها أولى بالحق هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٥٨١- حَتَّى إِذَا انْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَحُصِّلَتْ أَعْمَالُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْمِيزَانِ

وذلك يكون يوم القيامة.

٤٥٨٢- وَإِذَا انْجَلَى هَذَا الْغَبَارُ وَصَارَ مِثْلَ دَانِ السَّبَاقِ تَنَالَهُ الْعَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «مِثْلَ دَانِ السَّبَاقِ»؛ أي: منتهى السباق.

يعني مثلاً: لو أردنا أن نتسابق إلى أمدٍ إلى غاية، إذا كان هناك غباراً فإننا لا نُشَاهِدُ الغاية؛ لأنها بعيدةٌ ومحجوبةٌ بالغبارِ، فإذا انجلى الغبارُ صرنا نرى هذه الغاية؛ ولهذا يقول:

٤٥٨٣- وَبَدَتْ عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ سِمَاتُهَا وَوَسَمَ الْمَلِيكَ الْقَادِرِ الدِّيَانَ

قَوْلُهُ: «عَلَى تِلْكَ الْوُجُوهِ»؛ أي: على وجوه الخلق.

قَوْلُهُ: «سِمَاتُهَا»؛ أي: علاماتها.

قَوْلُهُ: «وَسَمَ الْمَلِيكَ»؛ أي: تعليم المليك، فالذي يضع العلامة هو اللهُ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الدِّيَانِ» الذي يجزي عباده بما يعملون، فكما تدينُ تُدَانُ.

٤٥٨٤- مُبَيِّضَةٌ مِثْلَ الرِّيَاضِ بِجَنَّةٍ وَالسُّودُ مِثْلَ الفُحْمِ لِلنِّيرَانِ

الوجهُ يومَ القيامةِ تكونُ هكذا؛ قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، ووجهُ المؤمنين -اللَّهُمَّ اجعلنا جميعاً منهم- تكونُ بيضاءً، ووجهُ الكافرين تكونُ سوداءً -والعياذُ بالله- مِثْلَ الفُحْمِ لِلنِّيرَانِ.

٤٥٨٥- فَهَنَّاكَ يَعْلَمُ رَاكِبٌ مَا تَحْتَهُ وَهُنَّاكَ يُقْرَعُ نَاجِدُ النَّدْمَانِ

هناك يَعْلَمُ الرَّاكِبُ ما الذي تحته؟ هل هو مركوبٌ أو هل هو راحلةٌ تؤدِّي إلى الغرضِ أو ليس كذلك؟

٤٥٨٦- وَهُنَّاكَ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا اللَّذِي مَعَهَا مِنَ الْأَرْبَاحِ وَالْخُسْرَانِ

قال اللهُ تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُثْمَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠].

٤٥٨٧- وَهُنَّاكَ يَعْلَمُ مُؤَثِّرُ الْأَرْاءِ وَالشُّبَّ شَطْحَاتِ وَالْهَدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ

٤٥٨٨- أَيُّ البَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ وَمَا اللَّذِي مِنْهَا تَعَوَّضَ فِي الزَّمَانِ الْفَاني

وهذا صحيحٌ، يعلمُ مَنْ يُؤَثِّرُ الْأَرْاءِ وَالشُّبَّاحَاتِ وَالْهَدْيَانِ وَالْبُطْلَانِ على كتابِ اللهِ وَسُنَّةِ رَسولِهِ يعلمُ: أَيُّ البَضَائِعِ قَدْ أَضَاعَ؟ أَضَاعَ مِنَ البَضَائِعِ ما فيه الرِّبْحُ واختار ما فيه الخسارة؛ ولهذا قال: «وَمَا اللَّذِي مِنْهَا تَعَوَّضَ» ولم يتعوض إلا ما فيه الخسارة والنَّدَمُ فِي الزَّمَانِ الْفَاني؛ يعني: زمان الدنيا، فَإِنَّهُ أَضَاعَ ما فيه الرِّبْحُ إلى ما فيه الخسرانُ.

- ٤٥٨٩- سُبْحَانَ رَبِّ الْخَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمِيزَانِ
- ٤٥٩٠- لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهِ حَيْرَانِ
- ٤٥٩١- لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْغَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ
- ٤٥٩٢- وَسَوَاهُمْ لَا يُضْلِحُونَ لِصَالِحِ كَالشُّوكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النَّيْرَانِ
- ٤٥٩٣- وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
- ٤٥٩٤- فَسَلِ الْهِدَايَةَ مِنْ أَرْمَةِ أَمْرِنَا بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ الْعَائِي
- ٤٥٩٥- وَسَلِ الْعِيَادَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَا نِ بَهْلِكِ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ
- ٤٥٩٦- شَرُّ النَّفُوسِ وَسَيِّئُ الْأَعْمَالِ مَا وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
- ٤٥٩٧- وَلَقَدْ أَتَى هَذَا التَّعَوُّذُ مِنْهُمَا فِي خُطْبَةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٥٩٨- لَوْ كَانَ يَذْرِي الْعَبْدَ أَنْ مُصَابَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الشَّرَّانِ
- ٤٥٩٩- جَعَلَ التَّعَوُّذُ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الْأَكْفَانِ
- ٤٦٠٠- وَسَلِ الْعِيَادَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالْهَوَى فُهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ
- ٤٦٠١- وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طُرُقِ الْخَيْرِ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأَانِ
- ٤٦٠٢- فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً وَالكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِ كَانِ
- ٤٦٠٣- وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَذَيْنِ فَاسْأَلْ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
- ٤٦٠٤- وَاللَّهُ لَوْ جَرَّدَتْ نَفْسَكَ مِنْهُمَا لَأَتَتْ إِلَيْكَ وَفُودُ كُلِّ تَهَانِ

الشرح

٤٥٨٩- سُبْحَانَ رَبِّ الْحَلْقِ قَاسِمِ فَضْلِهِ وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْمِيزَانِ

يعني: يُسَبِّحُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الذي يقسمُ الفضلَ بين النَّاسِ، ويعدُلُ بينهم في الميزانِ، فهذا فضلُه، وهذا عدلُه، مَنْ هداه فبفضلِه، وَمَنْ أضلَّه فبعدلِه، قال اللهُ تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصَّف:٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ الظَّالِمِينَ﴾ [الرُّحْرَف:٧٦]، ولكن مَنْ تَفَضَّلَ عليه فهدها فهذا فضلُه يؤتِيه مَنْ يشاءُ، نسألُ اللهُ أَنْ يُوْتِيَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ.

٤٥٩٠- لَوْ شَاءَ كَانَ النَّاسُ شَيْئًا وَاحِدًا مَا فِيهِمْ مِنْ تَائِهٍ حَيْرَانِ

وذلك كما قال تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأَنْعَام:١٤٩]، وكما قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السَّجْدَة:١٣]، ولكنَّه عَزَّ وَجَلَّ حَكِيمٌ، له الحكمةُ في أَنه يهدي مَنْ يشاءُ، وَيُضِلُّ مَنْ يشاءُ.

٤٥٩١- لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ يَخْتَصُّ بِالْ— فَضْلِ الْعَظِيمِ خُلَاصَةَ الْإِنْسَانِ

يختصُّ الخلاصةَ من الإنسانِ، فإذا كان اللهُ تعالى يقولُ: ﴿اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأَنْعَام:١٢٤]، فهو كذلك أعلمُ حيثُ يجعلُ أثرَ هذه الرِّسالةِ، هل هذا أهلٌ لأن يكونَ من أتباعِ الرُّسْلِ أو ليس أهلاً؟ اللهُ أعلمُ، فَمَنْ آتاه اللهُ عَزَّ وَجَلَّ من آثارِ هذه الرِّسالةِ من العلمِ والإيمانِ والهدى فليشِرْ بالخيرِ، فإنَّ اللهُ لم يضعه فيه إلا وهو يعلمُ أَنه أهلٌ، وَمَنْ حُرِّمَ فلا يبيسُ، وليلجأُ إلى اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، وليسأله الخيرَ والثباتَ.

٤٥٩٢- وَسَوَاهُمْ لَا يُضْلِحُونَ لِصَالِحٍ كَالشُّوكِ فَهُوَ عِمَارَةُ النَّيرَانِ
الشُّوكُ لَا يُتَنَفَّعُ بِهِ، وَلَكِنْ تُوقَدُ بِهِ النَّارُ، هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَيْسُوا خِلَاصَةَ
الْإِنْسَانِ هُمْ كَالشُّوكِ.

٤٥٩٣- وَعِمَارَةُ الْجَنَّاتِ هُمْ أَهْلُ الْهُدَى اللَّهُ أَكْبَرُ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
سَاكِنُو الْجَنَّاتِ وَعَامُرُوهَا هُمْ أَهْلُ الْهُدَى، أَمَّا الشُّوكُ فَهُوَ لِلنَّيرَانِ.

٤٥٩٤- فَسَلِ الْهِدَايَةَ مِنْ أَرْمَةِ أَمْرِنَا بِيَدَيْهِ مَسْأَلَةُ الدَّلِيلِ الْعَانِي
هَذَا تَوْجِيهُهُ مِنَ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَنَصِيحَةٌ أَنْ تَسْأَلَ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ «مَنْ
أَرْمَةٌ أَمْرِنَا بِيَدَيْهِ»، وَأَرْمَةٌ جَمْعُ «زِمَامٍ»؛ فَأَمُورُنَا زِمَامُهَا بِيَدِ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ [هود: ٥٦]، فَإِذَنْ إِلَى مَنْ نَلْجَأُ؟ الْجَوَابُ: إِلَى اللَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ، فَاسْأَلْ مَنْ أَرْمَةٌ الْأُمُورِ بِيَدَيْهِ، اسْأَلْهُ الْهِدَايَةَ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ الْعَانِي، لَا مَسْأَلَةَ
الْمُتَكَبِّرِ الْمُدَلِّ عَلَى رَبِّهِ بِعَمَلِهِ، بَلْ مَسْأَلَةَ الدَّلِيلِ الْعَانِي؛ يَعْنِي: الْأَسِيرَ.

٤٥٩٥- وَسَلِ الْعِيَاذَ مِنْ اثْنَتَيْنِ هُمَا اللَّتَانِ نِ بَهْلِكَ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ
يَعْنِي: اسْأَلِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ اسْأَلْهُ الْعِيَاذَ؛ يَعْنِي: أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ اثْنَتَيْنِ «هُمَا
بِهْلِكَ هَذَا الْخَلْقِ كَافِلَتَانِ»، فَأَرْشَدَنَا - رَحِمَهُ اللَّهُ - إِلَى سُؤْلِ الْهِدَايَةَ مِنَ اللَّهِ وَالتَّعَوُّذِ
بِهِ مِنْ هَاتَيْنِ الْخِصْلَتَيْنِ وَهُمَا:

٤٥٩٦- شَرُّ النَّفُوسِ وَسَيِّئُ الْأَعْمَالِ مَا وَاللَّهُ أَعْظَمُ مِنْهُمَا شَرَّانِ
يَعْنِي: اسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّ النَّفُوسِ وَسَيِّئِ الْأَعْمَالِ؛ لِأَنَّهُمَا هُمَا الْكَفِيلَتَانِ
بِهَلَاكِ النَّاسِ.

٤٥٩٧- وَلَقَدْ آتَىٰ هَذَا التَّعَوُّدُ مِنْهُمَا فِي خُطْبَةِ المَبْعُوثِ بِالقُرْآنِ

وذلك في قوله ﷺ في خطبة الحاجة: «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا»^(١)؛ لأنَّ النَّفْسَ الأَمَّارَةَ بالسُّوءِ تقوِّدُك إلى كُلِّ هلاكٍ، والأعمالُ السَّيِّئَةُ تمنعُك من كُلِّ خيرٍ، فإذا كانت الأعمالُ السَّيِّئَةُ تمنعُك من الخيرِ والنَّفْسُ تقوِّدُك إلى الشَّرِّ هلك الإنسانُ.

٤٥٩٨- لَوْ كَانَ يَدْرِي العَبْدُ أَنَّ مُصَابَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الشَّرَّانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ الشَّرَّانِ»، وفي نسخةٍ أخرى: «هُمَا الشَّرَّانِ»، والوجهان جائزان من النَّاحِيَةِ النَّحْوِيَّةِ، لكن ما هما؟ الجوابُ: شرُّ نَفْسِهِ وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِ.

يقولُ: لو كان يعلمُ ذلك لـ «جَعَلَ التَّعَوُّدَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ»؛ ولذا قال:

٤٥٩٩- جَعَلَ التَّعَوُّدَ مِنْهُمَا دَيْدَانَهُ حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الأَكْفَانِ

قَوْلُهُ: «جَعَلَ التَّعَوُّدَ...» هذا جوابُ «لَوْ».

قَوْلُهُ: «دَيْدَانَهُ»؛ يعني: الشَّيْءَ المُلَازِمَ لَهُ.

قَوْلُهُ: «حَتَّى تَرَاهُ دَاخِلَ الأَكْفَانِ»؛ أي: حَتَّى يَمُوتَ.

٤٦٠٠- وَسَلِ العِيَادَ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالهَوَىٰ فَهُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ

نعوذُ باللَّهِ مِنَ التَّكْبِيرِ وَالهَوَىٰ، سل العِيَادَ مِنَ التَّكْبِيرِ، وَالكِبْرِ كما حدَّه النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هو: «بَطَرُ الحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»^(٢)؛ أي: رَدُّ الحَقِّ وَاحتقارُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٨).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، رقم (٩١).

النَّاسِ، فَإِذَا أُبْتَلِيَ الْإِنْسَانُ بِهَذَا مَعَ الْهَوَى فَابْنُ الْقِيَمِ يَقُولُ: «هُمَا لِكُلِّ الشَّرِّ جَامِعَتَانِ»، قُلْ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكِبْرِ وَالْهَوَى».

٤٦٠١- وَهُمَا يَصُدَّانِ الْفَتَى عَنْ كُلِّ طَرُقٍ خَيْرٍ إِذْ فِي قَلْبِهِ يَلْجَأُ

يعني: إِذَا وَلَجَ الْكِبْرُ وَالْهَوَى فِي قَلْبِ الْإِنْسَانِ صَدَّاهُ عَنْ كُلِّ طَرُقِ الْخَيْرِ، نَسَأَلَ اللَّهَ الْعِيَاذَ مِنَ التَّكْبُرِ وَالْهَوَى.

٤٦٠٢- فَتَرَاهُ يَمْنَعُهُ هَوَاهُ تَارَةً وَالْكِبْرُ أُخْرَى ثُمَّ يَشْتَرِكَانِ

يعني: أَحْيَانًا يَمْنَعُهُ الْهَوَى، وَأَحْيَانًا يَمْنَعُهُ الْكِبْرُ، وَأَحْيَانًا يَمْنَعُهُ الْهَوَى وَالْكِبْرُ جَمِيعًا.

٤٦٠٣- وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَذَيْنِ فَاسْأَلِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ مَا فِي النَّارِ إِلَّا تَابِعٌ هَذَيْنِ» وَهُمَا: الْكِبْرُ وَالْهَوَى، «فَاسْأَلِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ»، نَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يَعِيذَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ التَّكْبُرِ وَالْهَوَى.

٤٦٠٤- وَاللَّهُ لَوْ جَرَّدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمَا لَأَثَمْتُ إِلَيْكَ وَفُودُ كُلِّ تَهَانٍ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَهُوَ كَمَا رَأَيْتُمْ يُكْتَبُ الْقَسَمَ فِي هَذَا الْفَصْلِ؛ لِأَنَّ الْمَقَامَ يَقْتَضِيهِ؛ إِذْ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمَعَانِدِينَ مَتَمَرِّدُونَ وَسَائِرُونَ فِي عِنَادِهِمْ، فَرُبَّمَا يَغْتَرُّ بِهِمْ مَنْ يَغْتَرُّ مِنَ النَّاسِ، فَكَانَ يُقْسِمُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لِإِثْبَاتِ أَنَّ هَؤُلَاءِ عَلَى ضَلَالٍ، وَأَنَّ مَا لَهُمْ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- نَارُ جَهَنَّمَ، فَكَانَ قَسَمُهُ وَإِنْ لَمْ يُسْأَلِ إِيَّاهُ فِي مَحَلِّهِ؛ لِأَنَّ الشَّيْءَ الْعَظِيمَ يَنْبَغِي أَنْ يُقْسَمَ عَلَيْهِ وَإِنْ لَمْ يُسْتَقْسَمِ الْإِنْسَانُ.

فصل

في ظهور الفرق المبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين

- ٤٦٠٥- وَالْفَرْقُ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَظَاهِرٌ جِدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ
- ٤٦٠٦- فَرْقٌ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يَخْتَفِي إِيْضًا حُهُ إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ٤٦٠٧- فَالرُّسُلُ جَاءُوا نَا بِإِبْتَاتِ الْعُلُوِّ وَلِرَبِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
- ٤٦٠٨- وَكَذَا أَتُونَا بِالصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الرِّحْمَنِ تَفْصِيلًا بِكُلِّ بَيَانِ
- ٤٦٠٩- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
- ٤٦١٠- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلَمْ مَرَّتِي يَوْمَ لِقَائِهِ بَعِيَانِ
- ٤٦١١- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْفَعَّالُ حَقًّا قَا كَلَّ يَوْمَ رَبَّنَا فِي شَانِ

الشرح

قوله: «الفرق المبين»؛ يعني: البين، أو المبين؛ يعني: المظهر؛ وذلك لأن «أبان» تجوز أن تكون لازمة وتجاوز أن تكون متعدية، يقال: «أبان الحق»؛ يعني: أظهره، وهي في هذه الحال متعدية، ويقال: «أبان الصبح»؛ أي: ظهر، وهي في هذه الحال لازمة، فالفرق بين مبين بين دعوة الرسل ودعوة المعطلين؛ ولهذا قال:

٤٦٠٥- وَالْفَرْقُ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ فَظَاهِرٌ جِدًّا لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ

قَوْلُهُ: «جِدًّا»: مصدرٌ عاملُه محذوفٌ؛ أي: أُجِدُّ الأمرَ جِدًّا، والجِدُّ ضدُّ الهزل.
قَوْلُهُ: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ» قال: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ»؛ لَأَنَّهُ -رحمه الله-
سَيُلْقِي الفرقَ، وكان المتوقعُ أن يقولَ: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ»، لكن لما كان
سَيُلْقِي الفرقَ طلبَ منا أن نستمعَ فقال: «لِمَنْ كَانَتْ لَهُ أُذُنَانِ».

٤٦٠٦- فَرَّقُ مُبِينٌ ظَاهِرٌ لَا يُخْتَفَى إِيْضًا حُهُ إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ
ثُمَّ بَيَّنَّ وَجَهَ الْفَرَقِ فَقَالَ:

٤٦٠٧- فَالرُّسُلُ جَاؤُونَا بِإِبْتِاطِ الْعُلُوِّ وَلِرَبِّنَا مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ
قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]، الرُّسُلُ كُلُّهُمْ مجتمعون
على أن الله تعالى فوق كلِّ شيءٍ، والمعطلون يقولون: لا، وانقسموا في ذلك في ضدِّ
ما جاءت به الرُّسُلُ انقسموا إلى قسمين:

قسم قال: إِنَّهُ بَدَأَتْهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ في المساجدِ، في البيوتِ، في الحشوشِ، في
كُلِّ مَكَانٍ والعياذُ بالله.

قسم قال: إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ مَكَانٌ، لا فوقَ العالمِ ولا تحته، ولا يمينه ولا شماله،
ولا أمامه ولا خلفه، ولا داخلَ العالمِ ولا خارجَه، ولا متَّصِلٌ ولا منفصلٌ،
ولا مباينٌ ولا محايثٌ، وأتوا من هذا بالعجبِ العجَابِ.

أَمَّا الرُّسُلُ فَقَالُوا: إِنَّهُ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ؛ ولهذا قال: «مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ».

٤٦٠٨- وَكَذًا أَتَوْنَا بِالصِّفَاتِ لِرَبِّنَا الرُّحْمَنِ تَفْصِيلاً بِكُلِّ بَيَانٍ

نعم أتوا بالصِّفَاتِ مُفَصَّلَةً، وأحياناً مُجْمَلَةً، ففي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ
الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠] هذا مُجْمَلٌ، وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ... ﴿[الحشر: ٢٢]، مُفَصَّلٌ.

٤٦٠٩- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ

كُلُّهُمْ يَقُولُ: إِنَّهُ مُتَكَلِّمٌ، وَكَلَّمُوا رَبَّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهَ، كَلَّمَهُ مُوسَى، كَلَّمَهُ آدَمُ، كَلَّمَهُ مُحَمَّدٌ، عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٤٦١٠- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ سُبْحَانَهُ الْ— مَرَّيِّي يَوْمَ لِقَائِهِ بَعِيَانِ

يعني: أَنَّهُ يُرَى بِالْعَيْنِ، يَوْمَ نَلِقَاهُ عَزَّ وَجَلَّ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ نَلْقَاهُ وَهُوَ رَاضٍ عَنَّا، فَهُوَ يُرَى بَعِيَانِ، يَرَاهُ النَّاسُ بِأَعْيُنِهِمْ، وَقَدْ بَيَّنَّ أَفْصَحُ الْخَلْقِ وَأَنْصَحُ الْخَلْقِ وَأَهْدَى الْخَلْقِ بَيَّنَّ أَنَّهُ يُرَى كَمَا يُرَى الْقَمَرُ، وَيُرَى كَمَا تُرَى الشَّمْسُ صَحْوًا لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ، وَالتَّشْبِيهُ لِلرُّؤْيَةِ بِالرُّؤْيَةِ لَا لِلْمَرْتِي بِالْمَرْتِي، وَهَلْ أَيْبُنُ مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ حِينَهَا نَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً؛ يَعْنِي: الْبَدْرَ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا»^(١).

٤٦١١- وَكَذَلِكَ قَالُوا إِنَّهُ الْفَعَّالُ حَقًّا — قَا كُلَّ يَوْمٍ رَبَّنَا فِي شَانِ

اللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٢٩]، فَهُوَ يُعْنِي وَيُفْقِرُ، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُنشِئُ وَيُعْدِمُ، كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ، وَمَا أَكْثَرَ الْيَوْمِ، مَنْ يُحْصِيهَا؟ الْجَوَابُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا أَكْثَرَ الْحَوَادِثَ فِي الْيَوْمِ، كُلُّ هَذِهِ الْحَوَادِثِ بِأَمْرِ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ، يُحْدِثُهَا كَمَا يَشَاءُ حَيْثُ تَقْتَضِيهَا حِكْمَتُهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

- ٤٦١٢- وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ وَالتَّ
تَعْطِيلِ بَلِّ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ
- ٤٦١٣- لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
وَنِدَاءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ
- ٤٦١٤- شَهِدُوا بِإِيْمَانِ الْمُقَرَّرِ بِأَنَّهُ
فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ
- ٤٦١٥- وَشَهِدْتُمْ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي
قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ
- ٤٦١٦- وَأَتَى بِ«أَيْنَ اللَّهُ» إِقْرَارًا وَنُطْبُ
قًا قُلْتُمْ هَذَا مِنْ الْبُهْتَانِ
- ٤٦١٧- فَسُؤَالِنَا بِ«الْأَيْنَ» مِثْلُ سُؤَالِنَا
مَا الْكَوْنُ عِنْدَكُمْ هُمَا شَيْئَانِ
- ٤٦١٨- وَكَذَا اتُّوْنَا بِالْبَيَانِ فَقُلْتُمْ
بِاللُّغْزِ أَيْنَ اللُّغْزُ مِنْ نَبِيَانِ
- ٤٦١٩- إِذْ كَانَ مَدْلُولُ الْكَلَامِ وَوَضْعُهُ
لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ
- ٤٦٢٠- وَالْقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ
مَا اللُّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا ذَانِ
- ٤٦٢١- يَا قَوْمُ رُسُلُ اللَّهِ أَعْرَفُ مِنْكُمْ
وَأَتَمُّ نُصْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ

الشرح

- ٤٦١٢- وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ وَالتَّ
تَعْطِيلِ بَلِّ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ
- ٤٦١٣- لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
وَنِدَاءَهُ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانٍ
- قَوْلُهُ: «بَلِّ بِشَهَادَةِ الْكُفْرَانِ لِلْمُثْبِتِينَ صِفَاتِهِ» «لِلْمُثْبِتِينَ» متعلقة بقوله: «شَهَادَةٌ».

أتت الرُّسُلُ بإثباتِ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ وَالْكَلامِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَاتَيْتُمُونَا بِالنَّفْيِ؛ وَلِذَا قَالَ: «وَأَتَيْتُمُونَا أَنْتُمْ بِالنَّفْيِ» فَقُلْتُمْ: لَا يَتَكَلَّمُ، وَليْسَ

فوق العرش، وليس له صفة، ففرق بين هذا وهذا، فهم -والعياذ بالله- جنوا في حق الله، وحق كلامه، وحق رسوله، وحق أتباعه، ليتهم عطلوا وسكتوا.

فهم لم يقتصروا على النفي والتعطيل، بل اعتدوا على المثبتين بأنهم كفار، فصار منهم عدوان عظيم ويلزم من قولهم أن الرسل كفار؛ لأنهم مثبتون، وهم يقولون: من أثبت فقد جسّم، ومن جسّم فقد كفر، هذا اللازم قد ينكرونه مكابرة، ويقولون: نحن لا نكفر الرسل، معاذ الله، نقول: إذا كنتم تقولون: «من قال: إن لله وجهًا فهو كافر» فما معنى هذا؟! هل هذا إلاً تكفير الرسل؟!

٤٦١٤- شَهِدُوا بِإِيْمَانِ الْمُقَرَّرِ بِأَنَّهُ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنَ الْأَكْوَانِ

يعني: أن الرسل شهدوا بإيمان المقرّر بأنه فوق السماء مبين الأكوان.

٤٦١٥- وَشَهِدْتُمْ أَنْتُمْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي قَدْ قَالَ ذَلِكَ يَا أُولِي الْعُدْوَانِ

وهذا فرق، فالرسل يشهدون بأن من أقرّ بعلو الله فهو مؤمن، وأنتم تشهدون بأن من أقرّ بعلو الله فهو كافر، إذن ناقضتم الرسل تمامًا.

٤٦١٦- وَآتَى بِ«أَيْنَ اللَّهُ» إِفْرَارًا وَنُطْ - قَا قُلْتُمْ هَذَا مِنَ الْبُهْتَانِ

من الذي قال: «أين الله؟» الجواب: الرسول ﷺ قال للجارية التي أعتقها معاوية بن الحكم قال لها: «أين الله؟» قالت: في السماء قال: «من أنا؟» قالت: أنت رسول الله، قال: «أعتقها فإنها مؤمنة»^(١)، فشهد لها بالإيمان حين أقرت بأن ربها هو الذي في السماء، ويذكر أنه قال لحصين أبي عمران بن حصين: «كم إليها تعبد؟» قال: سبعة: ستة في الأرض وواحدًا في السماء، قال: «من تعدد لرغبتك

(١) أخرجه مسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة، رقم (٥٣٧).

وَرَهْبَتِكَ؟» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ^(١)، فَأَقْرَهُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

٤٦١٧- فَسُؤَالِنَا بِ«الْأَيْنَ» مِثْلُ سُؤَالِنَا مَا الْكَوْنُ عِنْدَكُمْ هُمَا شَيْئَانِ

يعني: أن السؤال بـ«الأيْن» إنما يكون عن الكون؛ يعني: أين هو كائن؟ أين هو موجود؟ فهو سؤال عن المكان، فإذا قيل: أين فلان؟ فما الجواب؟ الجواب: في بيته، في المسجد، في السوق، لكن لو قيل: «أين فلان؟» قال: غداً، فهذا لا يصح، وكذلك لو أجبت السائل الذي سألك «أين فلان؟» فقلت: فلان لحم وعصب وعظام، لقال عنك إنك مجنون، أسألك أين هو؟ تُجيبني عن حقيقته وماهيته، فـ«الأيْن» إنما يُسأل بها عن المكان بلا شك، والنبي عليه الصلاة والسلام - أفصح الخلق وأعلمهم بمدلولات اللغة العربية لما قال: أين؟ لم يسأل: ما الله؟ ولم يسأل: ما سلطانه أين هو؟ بل يسأل عن الله نفسه أين هو؟ والجارية أجابت: «في السماء»، وهذا واضح جداً.

٤٦١٨- وَكَذَا اتَّوْنَا بِالْبَيَانِ فَقُلْتُمْ بِاللُّغْزِ أَيْنَ اللَّغْزُ مِنْ تَبْيَانِ

قَوْلُهُ: «اللُّغْزُ»؛ أَي: التَّعْمِيَةُ وَالْإِخْفَاءُ.

والرُّسُلُ اتَّوْنَا بِالْبَيَانِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ، أَمَّا اللَّغْزُ فَلَمْ يَأْتُوا بِهِ؛ وَلِهَذَا فَلَوْ قَالَ لَكُمْ قَائِلٌ: رَجُلٌ صَلَّى صَلَاةً فَرِيضَةً وَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَشَهَّدَ فِيهَا سِتَّ مَرَّاتٍ مَا هَذِهِ الصَّلَاةُ؟ صَلَاةٌ وَاحِدَةٌ فِيهَا سِتَّةُ تَشَهُدَاتٍ! هَذَا لَغْزٌ؛ لِأَنَّهُ يُعَمِّي عَلَيْنَا.

والجوابُ على هذا اللُّغْزِ أَنَّ هَذَا الْمُصَلِّيَ دَخَلَ مَعَ الْإِمَامِ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَغْرِبِ، فَجَلَسَ لِلتَّشَهُدِ الْأَوَّلِ لِلْإِمَامِ وَلَا يُحْسَبُ لَهُ هُوَ، وَتَشَهَّدَ مَعَ الْإِمَامِ

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ، رقم (٣٤٨٣)، وقال: هذا حديث غريب وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حصين من غير هذا الوجه.

التَّشَهُدَ الثَّانِي، وكان الإمامُ ساهياً سهواً يكونُ سجودُهُ بعدَ السَّلَامِ، والمشهورُ من المذهبِ أنَّ المأمومَ يتابعُ الإمامَ في السُّجودِ بعدَ السَّلَامِ وأنَّ السُّجودَ بعدَ السَّلَامِ يجبُ فيه التَّشَهُدُ، فهذا تابعُ الإمامِ وتَشَهُدٌ، فهذه ثلاثةٌ، ثُمَّ قَامَ إلى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ فجلسَ للتَّشَهُدِ الأوَّلِ في حقِّه، ولكنه سَلَّمَ قبلَ تمامِ الصَّلَاةِ، ثُمَّ ذكرَ فقامَ فأتى بالرَّكْعَةِ الثَّالِثَةِ وتَشَهُدٌ، وكان محلُّ السُّجودِ عنده بعدَ السَّلَامِ؛ لأنَّه سَلَّمَ قبلَ إتمامِها، فسجدَ بعدَ السَّلَامِ وتَشَهُدٌ، فهذه ستَّةُ تشَهُداتٍ.

المهمُّ أنَّ اللُّغزَ معناه التَّعميةُ بأن يأتِيَ الإنسانُ بشيءٍ يُعمِّي على غيره؛ ولهذا يقولون: إنَّه لا يجوزُ أن تُؤكَلَ الأترجةُ بعدَ العصرِ، وهذا لغزٌ أيضاً.

٤٦١٩- إِذْ كَانَ مَدْلُولُ الْكَلَامِ وَوَضَعُهُ لَمْ يَقْصِدُوهُ بِنُطْقِهِمْ بِلِسَانِ

يعني: أنَّ العِلَّةَ في أنَّ الرُّسُلَ أتوا باللُّغزِ أنَّ مدلولَ الكلامِ لم يُقصدَ وَوَضَعَ الكلامِ -؛ أي: الألفاظِ - لم تُقصدَ أيضاً فإذا قيل: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢]، فقول: المرادُ «جاءَ أمرُ ربِّك» صارَ اللَّفْظُ لم يُقصدَ؛ لأنَّ اللَّفْظَ الذي أماننا «جاءَ رَبُّكَ»، هم يقولون: هذا غيرُ مقصودٍ، إذنَّ ما المقصودُ؟ قالوا: «جاءَ أمرُ ربِّك»، فالمعنى الذي يظهرُ من قولِهِ: «جاءَ رَبُّكَ» غيرُ مقصودٍ عندهم.

إذنَّ فاللَّفْظُ بحسبِ وضعِهِ غيرُ مقصودٍ، ومدلولُ اللَّفْظِ عندهم غيرُ مقصودٍ أيضاً، مقصودُ اللَّفْظِ في قولِهِ: «جاءَ رَبُّكَ» أنَّ الجائِيَ الرَّبُّ عزَّ وجلَّ، وهذا أيضاً مدلولُ الخطابِ وَوَضَعًا؛ أي: لغةً، وهم نفوا هذا وهذا.

٤٦٢٠- وَالْقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ مَا اللَّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا دَانَ

قَوْلُهُ: «وَالْقَصْدُ مِنْهُ غَيْرُ مَفْهُومٍ بِهِ» ماذا قصدوا بقولِهِ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ على

زعم هؤلاء المؤولة؟ قصدوا به: «جاء أمر ربك»، نقول: بل الذي يفهم من ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] أنه هو الذي جاء بنفسه.

قوله: «مَا اللَّغْزُ عِنْدَ النَّاسِ إِلَّا ذَانِ» «إِلَّا ذَانِ» المشار إليه مخالفة الوضع باللسان العربي، وقصد غير المفهوم منه، هذا هو اللغز.

٤٦٢١- يَا قَوْمِ رُسُلُ اللَّهِ أَعْرَفُ مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ نُصْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ

ذكر ثلاثة أشياء من مقومات اللفظ: «أَعْرَفُ مِنْكُمْ» و«أَعْرَفُ» بمعنى «أَعْلَمُ» وأعرف بمدلول الخطاب، الثانية والثالثة: «وَأَنْتُمْ نُصْحًا فِي كَمَالِ بَيَانِ» «بَيَانِ»؛ يعني: فصاحة، فهذه ثلاثة أشياء من مقومات الكلام: العلم، والنصح، والبيان، وكلها اجتمعت في كلام الرسل، وهناك أمر رابع أيضًا وهو الصدق، فهم أصدق الناس خبرًا، فإذا اجتمعت هذه المقومات صار الكلام على أتم وجه.

٤٦٢٢- أَتَرَوْهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا التَّوْحِيدَ إِذْ بَيَّنَّمُوهُ يَا أُولِي الْعُرْفَانِ

٤٦٢٣- أَتَرَوْهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهُوَ وَلَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

٤٦٢٤- وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَدْ قُلْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

٤٦٢٥- وَلَايَ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخِلَافِهِ تَصْرِيحَ تَفْصِيلِ بِلَا كِثْمَانِ

٤٦٢٦- وَلَايَ شَيْءٍ بِالْغَوَا فِي الْوَصْفِ بِالْإِثْبَاتِ دُونَ النَّفْيِ كُلِّ زَمَانِ

٤٦٢٧- وَلَايَ شَيْءٍ أَنْتُمْ بِالْغَنَمِ فِي النَّفْيِ وَالْتَّعْطِيلِ بِالْقَفْزَانِ

٤٦٢٨- فَجَعَلْتُمْ نَفْيَ الصِّفَاتِ مُفْصَلًا تَفْصِيلَ نَفْيِ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ

- ٤٦٢٩- وَجَعَلْتُمْ الْإِنْبَاتَ أَمْرًا مُجْمَلًا
 ٤٦٣٠- أَتْرَاهُمْ عَجَزُوا عَنِ التَّبْيَانِ وَاسْمِ
 ٤٦٣١- أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ النَّ
 ٤٦٣٢- وَوَقَّاحَ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الْ
 ٤٦٣٣- مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ
 ٤٦٣٤- بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالنَّبِ
 ٤٦٣٥- فَسَلُّوهُمْ بِسُؤَالِ كُتُبِهِمُ الَّتِي
 ٤٦٣٦- وَسَلُّوهُمْ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ
 ٤٦٣٧- أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ فَلَا
 ٤٦٣٨- فَالْعِلْمُ وَالتَّبْيَانُ وَالتَّنْضُحُ الَّذِي
 ٤٦٣٩- لَكِنَّمَا الْإِلْغَاؤُ وَالتَّلْبِيسُ وَالْ
- عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالْبُرْهَانِ
 تَوَلَّيْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى التَّبْيَانِ
 تَعْطِيلِ وَالْعَبَّادِ لِلنَّيِّرَانِ
 مَذْمُومٍ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيْمَانِ
 وَالْأَهْمَامِ مِنْ حِزْبِ جَنْكِزْ خَانَ
 تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
 جَاؤُوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ
 أَوْ فِي السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانِ
 هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجٌ الْأَكْوَانِ
 فِيهِمْ يُبَيِّنُ الْحَقَّ كُلَّ بَيَانِ
 كِتْمَانٍ فِعْلٌ مُعَلَّمُ الشَّيْطَانِ

الشرح

- ٤٦٢٢- أَتَرَوْنَهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا التَّوْحِيدَ إِذِ
 وَهَذَا سَخْرِيَّةٌ عَظِيمَةٌ بِهَوْلَاءِ؛ يَعْنِي: أَتَظُنُّونَ أَنَّ الرُّسُلَ وَأَتَبَاعَهُمْ قَدْ أَلْغَزُوا
 فِي التَّوْحِيدِ، وَأَنْتُمْ بَيَّنْتُمُوهُ يَا أَوْلِيَ الْعِرْفَانِ؛ يَعْنِي: يَا أَصْحَابَ الْمَعْرِفَةِ؟! وَهَذَا
 تَهْكُّمٌ بِهِمْ وَاسْتَهْزَاءٌ.

٤٦٢٣- أْتَرُونَهُمْ قَدْ أَظْهَرُوا التَّشْبِيهَ وَهَـ وَ لَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ

أظهروا التشبيه بماذا؟

الجواب: بإثبات الصفات؛ لأن هؤلاء المعطلة يقولون: كُلُّ مَنْ أَثَبَّتْ صِفَةً لِلَّهِ فَهُوَ مُشَبَّهٌ وَهُوَ عَابِدٌ وَثَنٍ؛ لِأَنَّهُ يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ جِسْمًا كَالْأَوْثَانِ؛ وَهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ: «وَهُوَ لَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ»؛ يَعْنِي: وَالْإِثْبَاتُ لَدَيْكُمْ كَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ؛ لِأَنَّكُمْ تَقُولُونَ: مَنْ أَثَبَّتْ صِفَةً فَهُوَ مُجَسَّمٌ؛ أَي: جَاعِلٌ لِلَّهِ جِسْمًا كَالْوَثَنِ الَّذِي يُعْبَدُ.

٤٦٢٤- وَلَايَ شَيْءٍ لَمْ يَقُولُوا مِثْلَ مَا قَدْ قُلْتُمْ فِي رَبِّنَا الرَّحْمَنِ

يعني: ما الذي منعهم أن يقولوا كما تقولون مع أنهم ملزمون بالبلاغ، ولو كان الحق كما قلتم لكانوا هم الذين يبينونه لا أنتم.

٤٦٢٥- وَلَايَ شَيْءٍ صَرَّحُوا بِخِلَافِهِ تَصْرِيحَ تَفْصِيلٍ بِلَا كِتْمَانٍ

يعني: ما الذي حملهم على أن يصرحوا بخلاف ما تزعمون أنه الحق؟

٤٦٢٦- وَلَايَ شَيْءٍ بِالْعُوقَا فِي الْوَصْفِ بِالْإِثْبَاتِ دُونَ النَّفْيِ كُلِّ زَمَانٍ

قوله: «بِالْعُوقَا فِي الْوَصْفِ بِالْإِثْبَاتِ»؛ يَعْنِي: أَتَوْا فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى وَجْهِ الْأَكْثَرِيَّةِ؛ وَهَذَا لَوْ تَأَمَّلْتَ النُّصُوصَ وَجَدْتَ أَكْثَرَ مَا فِيهَا فِي الْإِثْبَاتِ التَّفْصِيلِ وَفِي النَّفْيِ الْإِجْمَالَ عَكْسَ طَرِيقَةٍ هَؤُلَاءِ.

٤٦٢٧- وَلَايَ شَيْءٍ أَنْتُمْ بِالْغَنَمِ فِي النَّفْيِ وَالتَّعْطِيلِ بِالْقُفْزَانِ

هذا عكس ما جاءت به الرسل، الرسل أتوا بإثبات المفصل غالباً، ونفي

المُجْمَلِ، وهؤلاء بالعكس؛ ولهذا لا تكادُ تجد نفيًا مُفَصَّلًا في صفاتِ الله إِلَّا لسببٍ، إمَّا أن تكونَ صفةً عيبٍ ادَّعَاها المُفْتَرِي مثل: دعوى اليهود والنَّصَارَى والمُشْرِكِينَ بأنَّ له ولدًا فقال: ﴿لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُوَلَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]، أو نفيَ صفةٍ يتوهمها واهمُّ من فعلٍ شيءٍ كبيرٍ عظيمٍ مثل: خلقِ السَّمَاوَاتِ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]؛ لِأَنَّهُ رَبًّا يَقُولُ قَائِلٌ: خَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ تُلْحِقُ الْفَاعِلَ تَعَبًا، فقال تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، وفي الوقتِ نفسِه قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ رَدُّ لما قاله المُفْتَرُونَ وهم اليهودُ -لعنةُ الله عليهم- حيث قالوا: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ آخِرُهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ تَعَبَ فَاسْتَرَحَ يَوْمَ السَّبْتِ، ولم يكن خلقٌ في يومِ السَّبْتِ، هذا على زعمِ اليهودِ.

قَوْلُهُ: «الْقُفْرَانِ» الظَّاهِرُ أَنَّهَا جَمْعُ «قَفِيزٍ»، والقَفِيزُ أكبرُ من الصَّاعِ بكثيرٍ، يعني: أنتم كأتكم كلتم بالميال الأوفى بالنسبة للنفي.

٤٦٢٨- فَجَعَلْتُمْ نَفِيَّ الصِّفَاتِ مُفَصَّلًا تَفْصِيلَ نَفْيِ الْعَيْبِ وَالنَّقْصَانِ

٤٦٢٩- وَجَعَلْتُمْ الْإِثْبَاتَ أَمْرًا مُجْمَلًا عَكْسَ الَّذِي قَالُوهُ بِالْبُرْهَانِ

يعني: أن أهل التَّعْطِيلِ سلكوا طريقًا مخالفًا لطريقِ القرآنِ والسُّنَّةِ ففَصَّلُوا في النَّفْيِ وأَجْمَلُوا في الْإِثْبَاتِ، ولهذا تجدُ في كتبهم أن الله ليس بجوهرٍ، ولا عَرَضٍ، ولا كذا، ولا كذا، ولا فوقٌ ولا تحتٌ، ولا يمينٌ ولا شمالٌ، ولا أصمٌّ، ولا أعمى، ولا أحرَسَ، وما أشبه ذلك، لا تكادُ تجدُ فيهم صفةً ثبوتيةً، وأمَّا طريقُ الكتابِ والسُّنَّةِ فهو التَّفْصِيلُ في الْإِثْبَاتِ والإجمالُ في النَّفْيِ.

٤٦٣٠- أَتْرَاهُمْ عَجَزُوا عَنِ التَّبْيَانِ وَاسْمٌ - تَوَلَّيْتُمْ أَنْتُمْ عَلَى التَّبْيَانِ
هذا الاستفهام للنفي والإنكار؛ يعني: لا تظنهم أنهم عجزوا عن التبيان
وأنكم أنتم استوليتم عليه.

٤٦٣١- أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ التَّعْطِيلِ وَالْعُبَادِ لِلنَّيِّرَانِ
قَوْلُهُ: «أَتَرُونَ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ» الفرحُ صغارُ الطَّيْرِ، ومعلومٌ لنا جميعاً أنَّ الفرحَ
مَهِينٌ ضَعِيفٌ لا يَقْوَى أَنْ يُحْلَصَ نَفْسَهُ، فيقول: «أَفْرَاحَ الْيَهُودِ»؛ يعني بذلك: أَهْلَ
التَّعْطِيلِ؛ لأنَّ الجعدَ بنَ درهمٍ يُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَ مَقَالَتَهُ عَنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ الَّذِي
ثَبَّتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ أَنَّهُ سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ^(١)، ومن هنا أُخِذَتِ مَقَالَةُ أَهْلِ
التَّعْطِيلِ مِنَ الْيَهُودِ، وَلا شَكَّ أَنَّ الْيَهُودَ مَعْرُوفُونَ بِسَبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالُوا:
﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وَقَالُوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فوصفوه
بِالْفَقْرِ وَالْإِعْدَامِ وَبِالْبُخْلِ، وَقَالُوا: إِنَّهُ عَجَزَ وَاسْتَرَحَ يَوْمَ السَّبِّ، فوصفوه
بِالْعِجْزِ، فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ كَانُوا أَفْرَاحًا لِلْيَهُودِ؛ لِأَنَّ الْجَعْدَ بْنَ دَرَاهِمٍ -عَلَى مَا يُقَالُ-
أَخَذَ مَقَالَتَهُ مِنْ لَبِيدِ بْنِ الْأَعْصَمِ.

قَوْلُهُ: «وَالْعُبَادِ لِلنَّيِّرَانِ»؛ أَي: الْمَجُوسِ.

وَالظَّاهِرُ أَنَّ أَفْرَاحَ الْيَهُودِ وَأُمَّةَ التَّعْطِيلِ «وَالْعُبَادِ»؛ يَعْنِي: وَأَفْرَاحَ الْعُبَادِ
لِلنَّيِّرَانِ؛ يَعْنِي: الْمَجُوسِ، كَيْفَ كَانَ أَخَذَ هَذِهِ الْمَقَالََةَ مِنَ الْمَجُوسِ؟ يُقَالُ: إِنَّ الْجَعْدَ
ابْنَ دَرَاهِمٍ كَانَ فِي حَرَّانَ، وَكَانَ فِيهَا كَثِيرٌ مِنَ الصَّابِئَةِ وَالْمَجُوسِ فَأَخَذَ مِنْهُمْ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب هل يستخرج السحر، رقم (٥٤٣٢)، ومسلم: كتاب
السلام، باب السحر، رقم (٢١٨٩).

٤٦٣٢- وَقَاحَ أَرْبَابِ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ الـ مَذْمُومٍ عِنْدَ أُمَّةِ الْإِيمَانِ

يعني: وكذلك الوقاح من أرباب الكلام الباطل؛ أي: أصحاب الكلام المذموم عند أئمة الإيمان.

فَعِلْمُ الْكَلَامِ عِنْدَ الْأُمَّةِ مَذْمُومٌ حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَالَ: «مَنْ تَعَلَّمَ الْكَلَامَ فَقَدْ تَزَنَّدَقَ»^(١)، وَقَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنَّعَالِ، وَيَطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جِرَاءٌ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ عِلْمِ الْكَلَامِ»^(٢).

ثُمَّ بَيَّنَّ هَؤُلَاءِ فَقَالَ:

٤٦٣٣- مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ وَمُعْتَزِلٍ وَمَنْ وَالِاهُمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِرْخَانَ

قَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ» نِسْبَةٌ إِلَى الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ.

قَوْلُهُ: «مُعْتَزِلٍ» نِسْبَةٌ إِلَى عَمْرٍو بْنِ عُبَيْدٍ وَوَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، فَإِنَّ وَاصِلَ ابْنَ عَطَاءٍ اعْتَزَلَ مَجْلِسَ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَجَعَلَ يَقَرُّرُ مَذْهَبَ الْمُعْتَزِلَةِ، وَيَقُولُ: إِنَّ فَاعِلَ الْكَبِيرَةِ فِي مَنْزِلَةٍ بَيْنَ مَنْزِلَتَيْنِ لَا مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ وَالِاهُمَا مِنْ حِزْبِ جَنْكِرْخَانَ»؛ يَعْنِي: التَّتَارَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ عَطَّلُوا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عَنْ صِفَاتِهِ.

٤٦٣٤- بِاللَّهِ أَعْلَمُ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ وَالتَّـ تَوْرَةَ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «بِاللَّهِ أَعْلَمُ» هَذَا مُتَعَلِّقٌ بِقَوْلِهِ: «أَتْرُونَ»؛ يَعْنِي: «أَتْرُونَ هَؤُلَاءِ بِاللَّهِ

(١) أخرجه أبو إسحاق الهروي، في ذم الكلام وأهله (٥/٧١، رقم ٨٥٩).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١٧/١).

أَعْلَمَ مِنْ جَمِيعِ الرُّسُلِ... إلخ»، وهذا الاستفهام للإنكار؛ يعني: لا تظنُّوهم أعلمَ من هؤلاء..

٤٦٣٥- فَسَلُّوهُمْ بِسُؤَالِ كُتُبِهِمُ الَّتِي جَاءُوا بِهَا عَنْ عِلْمِ هَذَا الشَّانِ قَوْلُهُ: «سَلُّوهُمْ» كيف نسألهم وقد ماتوا؟ يقول: «بِسُؤَالِ كُتُبِهِمْ»؛ لأنَّ الكتابَ يُعَبِّرُ عَمَّا فِي نَفْسِ الكَاتِبِ.

والمرادُ بالرُّسُلِ باعتبارِ الجنسِ؛ أي: من جميع الرُّسُلِ الذين من جملتهم موسى الذي أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَةُ، وعيسى الذي أُنْزِلَ عَلَيْهِ الإنجيلُ، ومحمدٌ الذي أُنْزِلَ عَلَيْهِ القرآنُ.

٤٦٣٦- وَسَلُّوهُمْ هَلْ رَبُّكُمْ فِي أَرْضِهِ أَوْ فِي السَّمَاءِ وَفَوْقَ كُلِّ مَكَانٍ ٤٦٣٧- أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ فَلَا هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجُ الْأَكْوَانِ

هم ينقسمون في هذا إلى قسمين: منهم مَنْ يَجِيبُ بِالْأَوَّلِ، ومنهم مَنْ يَجِيبُ بِالثَّانِي:

الجوابُ الأوَّلُ: أَنَّ اللَّهَ فِي أَرْضِهِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ، وهؤلاء هم الحلوليَّةُ الذين قالوا: إِنَّ اللَّهَ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

الجوابُ الثَّانِي: قَوْلُهُمْ: «أَمْ لَيْسَ مِنْ ذَا كُلِّهِ شَيْءٌ»، فَلَا هُوَ دَاخِلٌ أَوْ خَارِجُ الْأَكْوَانِ» هؤلاء المعطلَّةُ النَّفَاةُ الذين قالوا: إِنَّ اللَّهَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مَتَّصِلٌ وَلَا مَنْفَصِلٌ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مَبَايِنٌ وَلَا مَحَايِثٌ.

ونحن نقول: إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي الْأَرْضِ كَمَا هُوَ فِي السَّمَاءِ؛ أي: فيها جميعًا، أَوْ فِي السَّمَاءِ وَحْدَهَا، أَوْ فِي الْأَرْضِ وَحْدَهَا، أَوْ لَيْسَ فِي الْأَرْضِ

ولا في السَّمَاءِ؛ يعني: ليس في واحدةٍ منهما، فالأقسامُ أربعةٌ: في الأرضِ وحدَها وهذا ما عَلِمْنَا أَحَدًا قال به، وفي السَّمَاءِ وحدَها قال بذلك أهلُ السُّنَّةِ، وفي السَّمَاءِ والأرضِ قال بذلك الحلولِيُّ، لا في السَّمَاءِ ولا في الأرضِ قاله المعطلَّةُ النُّفَاةُ.

وقولُ الاتِّحَادِيَّةِ أَقْبَحُ؛ لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: الرَّبُّ وَالْخَلْقُ شَيْءٌ وَاحِدٌ.

٤٦٣٨- فَالْعِلْمُ وَالتَّبَيُّانُ وَالتَّنْصِيحُ الَّذِي فِيهِمْ يُبَيِّنُ الْحَقَّ كُلَّ بَيِّنٍ

٤٦٣٩- لَكِنَّمَا الْإِلْغَاظُ وَالتَّلْبِيسُ وَالْكِتْمَانُ فِعْلٌ مُعَلِّمٌ الشَّيْطَانَ

العلمُ والتَّبَيُّانُ والتَّنْصِيحُ هذا كُلُّهُ لِلرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُمْ بَيَّنُّوا لِلنَّاسِ غَايَةَ الْبَيِّنِ، أَمَّا هَؤُلَاءِ فَعِنْدَهُمُ الْإِلْغَاظُ وَالتَّلْبِيسُ وَالكِتْمَانُ؛ لِأَنَّهُمْ يَتَلَقَّوْنَ عِلْمَهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ، فَيَأْتُونَ بِهَا كَالْإِلْغَاظِ لَا تُفْهَمُ، فَأَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتُّكْرَانِ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ نَصَبُوا أَنْفُسَهُمْ أَوْلِيَاءَ لِلشَّيْطَانِ.

فصل

في شكوى أهل السنة والقرآن أهل التعطيل والآراء المخالفة لهما إلى الرحمن

- ٤٦٤٠- يَا رَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَدًا بِيْنَفٍ
 ٤٦٤١- وَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ
 ٤٦٤٢- فَيَرَوْنَهُ الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ فِي قَوَا
 ٤٦٤٣- وَيَرَوْنَهُ الْإِبْتَاتَ لِلْأَوْصَافِ فِي
 ٤٦٤٤- فَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسِينَ لَوْ
 ٤٦٤٥- يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لَا حِيَّتُمْ
 ٤٦٤٦- لَكِنَّا نَشْكُوهُمْ وَصَنِعِهِمْ
 ٤٦٤٧- فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وَأَشْكِ مُحِقَّنَا
 ٤٦٤٨- رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَالْطُّفْ بِهِ
 ٤٦٤٩- وَارْحَمْهُ وَارْحَمْ سَعِيَهُ الْمَسْكِينِ قَدْ
 هُمْ وَظَلَمِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ
 لِيُظَنُّهُمْ هُمْ نَاصِرِي الْإِيْمَانِ
 لِبِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ وَقُرْآنِ
 أَمْرِ شَنِيعِ ظَاهِرِ التُّكْرَانِ
 كُشِفَالَهُ بَادَاهُمْ بِطَعَانِ
 أَبَدًا وَحِيَّتُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
 أَبَدًا إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
 وَالْمُبْطَلِ ارْزُدْهُ عَنِ الْبُطْلَانِ
 حَتَّى تُرِيَهُ الْحَقَّ ذَا تَبْيَانِ
 ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاهَ فِي الْقِيَعَانِ

الشرح

بَيَّنَّ الْمَوْلُفُ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي هَذَا الْفَصْلِ أَنَّ الشُّكَايَةَ تَقَعُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَمِنْ أَهْلِ التَّعْطِيلِ، لَكِنْ مَنِ الْمُسْتَكِي إِلَيْهِ؟ هُنَا يَخْتَلَفُ، يَقُولُ:

٤٦٤٠- يَا رَبِّ هُمْ يَشْكُونَنَا أَبَدًا بِنِعْغِ يِيهِمْ وَظَلَمِهِمْ إِلَى السُّلْطَانِ
يعني: إذا رأوا منّا أحدًا شكّوه إلى السُّلْطَانِ، فحبسه وضربه كما جرى ذلك
للأئمة وأتباعهم.

٤٦٤١- وَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ حَتَّى إِنَّهُ لِيُظَنُّهُمْ هُمْ نَاصِرِي الْإِيمَانِ

٤٦٤٢- فَيَرُونَهُ الْبِدْعَ الْمُضِلَّةَ فِي قَوَا لِبِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ وَقُرْآنِ

٤٦٤٣- وَيَرُونَهُ الْإِثْبَاتَ لِلْأَوْصَافِ فِي أَمْرِ شَنِيعٍ ظَاهِرِ النُّكْرَانِ

٤٦٤٤- فَيَلْبَسُونَ عَلَيْهِ تَلْبِيسِينَ لَوْ كُشِفَ لَهُ بَادَاهُمْ بِطَعَانِ

هؤلاء يشكون أهل السنة والجماعة إلى السُّلْطَانِ مثلما صنَعَ ابن أبي دؤاد
في شكايته الإمام أحمد إلى المأمونِ ومن بعده، ومن تلبس هؤلاء أنّهم «يُروونه
البدع في قوالبِ سنّة» هذا تلبس، فالذي يُظهر لك البدعة في قالبِ السنّة
مُلبس، ويروونه الإثبات أمرًا عظيمًا منكرًا، وهذا تلبس آخر، فصاروا يلبسون
من وجهين هما:

الوجه الأول: تحسينُ البدع حيث يجعلونها في قوالبِ سنن.

الوجه الثاني: تشويه السنن والإثبات حتى يجعلونه في قالب الكفران.

لو كُشِفَ للسُّلْطَانِ وبَيَّنَّا له لباداهم بالطعان؛ أي: بالقتل؛ لأنه يعلم أنّهم
لبسوا عليه؛ ولذا قال: «لَوْ كُشِفَ لَهُ بَادَاهُمْ بِطَعَانِ».

٤٦٤٥- يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ لَا حِيَّتُمْ أَبَدًا وَحِيَّتُمْ بِكُلِّ هَوَانِ

كيف يقول: «لَا حِيَّتُمْ»، ويقول: «وَحِيَّتُمْ؟»؛ يعني: لا حِيَّتُمْ تحية إكرام،

وحيتهم تحية هوان، وهو كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكَرِهَ اللَّهُ رَمْيَ﴾
[الأنفال: ١٧].

٤٦٤٦- لَكِنَّا نَشْكُوهُمْ وَصَنِعِهِمْ أَبَدًا إِلَيْكَ فَأَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
وَصَدَقَ رَحْمَهُ اللَّهُ؛ فذو السُّلْطَانِ الأعظم القدير هو الله، فنحن نشكوهم
إليه، ولكن انظر للفرق بين شكائيتنا وشكائيتهم.

٤٦٤٧- فَاسْمَعْ شِكَايَتَنَا وَأَشْكُ مُحِقْنَا وَالْمُبْطِلَ ارْزُدَّهُ عَنِ الْبُطْلَانِ
قَوْلُهُ: «الْمُبْطِلُ» نقول: «الْمُبْطِلُ» أو الْمُبْطِلُ؟ هذا من بابِ الاشتغالِ،
والقاعدةُ أنه إذا كان الاسمُ المَقْدَّمُ مَتَلَوًّا بِأَمْرٍ فَالْأَرْجَحُ النَّصْبُ، تقول: «زَيْدًا
أَضْرِبْهُ» وتقول: «زَيْدٌ أَضْرِبْهُ» والأحسن: «زَيْدًا» لقوَّة طلبِ العاملِ؛ لأنَّه فعْلٌ
طلب.

أهل السنَّة يدعون لأهل البدع بالهداية إلى السنَّة، وأنَّ الله يرحمهم، وأهل
البدع بالعكس يدعون بأن يهلك الله أهل السنَّة ويقضي عليهم ويدحرهم، وهذا
هو الظلم والعدوان، فهم يشكوننا إلى السُّلْطَانِ لِيَتَّقَمَ مِنَّا، ونحن لم نقل: اللَّهُمَّ
عَذِّبْهُمْ، اللَّهُمَّ انتقم منهم، بل نقول: اللَّهُمَّ اهْدِهِمْ، وكان الإمامُ أحمدٌ يعذِّبه
المأمونُ تعذيبًا بليغًا وهو يدعو له، ويقول: «لو أعلمُ أنِّي دعوةٌ مستجابةٌ لصرفتها
للسُّلْطَانِ»^(١)، خلافاً لما يفعله بعضُ النَّاسِ اليوم الذين يدعون أنَّهم أهلُ غيرَةٍ،
يدعون على وليِّ الأمر وهو ما أساء إليهم، وتجدهم يدعون عليه وهم مخطئون على
أنفسهم وعلى وليِّ الأمر وعلى المسلمين عموماً، إذا كانوا صادقين في نصيح الله

(١) أخرجه البرهاري في شرح السنة عن الفضيل بن عياض (ص: ١١٣)، وعزاه شيخ الإسلام ابن
تيمية في مجموع الفتاوى (٢٨ / ٣٩١) إلى الفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما.

ورسوله فليدعوا له؛ لأنه إذا صلح صلحت الرعيّة؛ لأنّ الأمر مشكّل، هذا بيده القوة وبيده السّلطة، فإذا دعوت عليه زاد في شرّه، وإذا دعوت له فالله على كلّ شيء قدير، فقد يفتح الله عليه.

نحن ندعو لأهل البدع، وهم يشكون إلى السّلطان ليكون علينا؛ ولهذا يقول: «والمبطل ازدده عن البطلان».

وقوله: «والمبطل ازدده عن البطلان» يعني: ما دعا على المبطلين أن يهلكهم الله وما أشبه ذلك، بل قال: «ازدده عن البطلان»، وهذا هو الخير؛ لأنّ الله تعالى إذا ردّ أهل الباطل إلى الحقّ قويّ بهم أهل الحقّ، وازداد عدد المحقّين، وحصل الخير للجميع، هؤلاء انكفوا عن باطلهم، وهؤلاء ازدادوا بهم عددًا وقوّة، وما أحسن أن يرجع أهل الباطل إلى الحقّ، ثمّ يبيّنوا الباطل، فتجد أنّ الله يهدي على هذا الذي رجع من الباطل إلى الحقّ ويبيّن بطلان ما كان عليه تجد الله ينصر به أقوامًا كثيرين من باطلهم.

ونبشركم بخير أن بعض إخواننا الذين في بعض المراكز الإسلامية في البلاد الكافرة يذكرون أنّه يرجع إلى الحقّ من الشباب الذين عندهم شهادات عالية من الدكتوراه أو غيرها؛ لأنّهم وجدوا أنّ ما هم عليه من الباطل يخالف الفطر السليمة ويخالف ما تطلبه طبيعة الإنسان، فيسلمون ويبيّنون للناس أنّ ما كانوا عليه فهو باطل، حدّثنا بذلك الذين يأتون من المراكز، أحدهم كان نصرانيًا وأبوه قسّ كبير وهو معه شهادات عالية، رجّع إلى الحقّ وبيّن الباطل، وهو نصراني، والثاني: يهودي متوغّل في اليهوديّة، فعرف الحقّ ورجع إلى الحقّ وبيّن بطلان مذهبه.

المهمُّ أَنَّهُ ينبغي لنا أن ندعوَ لأهلِ الباطلِ أن يردَّهم اللهُ عن باطلِهِم إلى الحقِّ؛ ليستفيدوا هم بأنفسِهِم ويفيدوا غيرَهُم، هذا هو العدلُ الذي مَشَى عليه المؤلِّفُ، عكس ما يفعله بعضُ الجُهَّالِ إذا رأوا مَنْ تَمَادَى في الباطلِ قاموا يدعون عليه، فإذا قِيلَ لهم: ادعوا اللهُ لهم بالهدايةِ، قالوا: نسألُ اللهُ ألا يهديه، كأنَّهم يستبعدون قدرةَ اللهُ على هدايته، واللهُ تعالى قادرٌ على أن يهديه، أرايتم أن من زعماءِ المسلمين في صدرِ الإسلامِ مَنْ كان من زعماءِ الكفرِ و الشُّركِ؟!!

٤٦٤٨- رَاجِعْ بِهِ سُبُلَ الْهُدَى وَالطُّفِّ بِهِ حَتَّى تُرِيَهُ الْحَقَّ ذَا تَبْيَانِ

٤٦٤٩- وَارْحَمَهُ وَارْحَمِ سَعِيَهُ الْمُسْكِينِ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ وَتَاهَ فِي الْقِيَعَانِ

أعوذُ بالله، إذا تاه الإنسانُ في القيعانِ متى يأتي؟ القيعانُ ليس فيها جوادٌ ولا فيها خطوطٌ، يرجعُ إلى أقصى الطريقِ، ثمَّ يرجعُ إلى أوَّلِهِ؛ لأنَّه يتيههُ، فهؤلاء مثل الذين تاهوا في القيعانِ.

٤٦٥٠- يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ الْمَصَابُ بِهَذِهِ الْآرَاءِ وَالشُّطْحَاتِ وَالْبُهْتَانِ

٤٦٥١- هَجَرُوا لَهَا الْوَحْيَيْنِ وَالْفِطْرَاتِ وَالْأَنْارِ لَمْ يَعْبُوا بِذَا الْهَجْرَانِ

٤٦٥٢- قَالُوا وَتَلَّكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُعْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْبُرْهَانِ

٤٦٥٣- فَالْعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِي الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ

٤٦٥٤- ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ بَأْنِ الْعَقْلِ مَا قَدْ قُلْتُهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي

٤٦٥٥- يَا رَبِّ قَدْ حَارَ الْعِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ يَزِنُونَ وَحَيْكَ فَأَتِ بِالْمِيزَانِ

- ٤٦٥٦- وَبِعْتَلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالمَعْقُولِ وَالبُرْهَانِ
 ٤٦٥٧- يَا رَبِّ أَرْشِدْنَا إِلَى مَعْقُولٍ مَنْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنا خَصَمَانِ
 ٤٦٥٨- جَاؤُوا بِبُشْبَهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا مَعْقُولَةٌ بَدَائِئِهِ الأَذْهَانِ
 ٤٦٥٩- كُلُّ يُنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا وَمَا فِي الحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ
 ٤٦٦٠- وَقَضُوا بِهَا كَذِبًا عَلَيْكَ وَجُرْأَةً مِنْهُمْ وَمَا التَّفْتُّوا إِلَى القُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله - شاكيًا إلى الربِّ العظيم جلَّ وعلا:

٤٦٥٠- يَا رَبِّ قَدْ عَمَّ المَصَابُ بِهَذِهِ الأَرَاءِ وَالشَّطْحَاتِ وَالبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ عَمَّ المَصَابُ»؛ يعني: اتسع وصار مصيبًا لكلِّ أحدٍ.

قَوْلُهُ: «بِهَذِهِ الأَرَاءِ»؛ يعني: الآراء المخالفة للشريعة وهي آراء أهل التعطيل.

قَوْلُهُ: «وَالشَّطْحَاتِ وَالبُهْتَانِ» الشَّطْحَاتِ: البعد عن الحق، «والبُهْتَانِ»:

الكذب.

٤٦٥١- هَجَرُوا لَهَا الوَحِيَّينَ وَالفِطْرَاتِ وَالأَثَارِ لَمْ يَعْبُوا بِذَا الهِجْرَانِ

هجروا بهذه الآراء الوحيين؛ يعني: الكتاب والسنة، و«الفِطْرَاتِ» معروفة،

وهي ما فطر الله الخلق عليه، و«الأَثَارِ»؛ أي: آثار السلف كالصحابة والتابعين،

«لَمْ يَعْبُوا بِذَا الهِجْرَانِ»؛ أي: ما همهم أن يهجروا هذه الأربعة: الوحيين:

«الكتاب والسنة»، والثالث: الفطرة، والرابع: الآثار.

٤٦٥٢- قَالُوا وَتِلْكَ ظَوَاهِرٌ لَفْظِيَّةٌ لَمْ تُغْنِ شَيْئًا طَالِبَ الْبُرْهَانِ
قَوْلُهُ: «تِلْكَ» الْمَشَارُ إِلَيْهِ: الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ وَالْآثَارُ.

فهذه ظواهر لفظية لا تغني شيئاً لمن طلب البرهان والدليل.

٤٦٥٣- فَالْعَقْلُ أَوْلَى أَنْ يُصَارَ إِلَيْهِ مِنْ هَذِي الظَّوَاهِرِ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ
لَمَّا كَانَتْ هَذِهِ ظَوَاهِرَ لَفْظِيَّةٍ لَا تُغْنِي شَيْئًا وَجَبَ أَنْ نَرْجِعَ إِلَى الْعَقْلِ عَلَى
زَعْمِهِمْ.

٤٦٥٤- ثُمَّ ادَّعَى كُلُّ بَأْنِ الْعَقْلِ مَا قَدْ قُلْتَهُ دُونَ الْفَرِيقِ الثَّانِي
لَمَّا قَالُوا: نَرْجِعُ إِلَى الْعَقْلِ، وَكَانُوا عَشْرَةَ، فَقَالَ: الْأَوَّلُ: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ،
وَقَالَ الثَّانِي: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ، وَقَالَ الثَّلَاثُ: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ، وَقَالَ الرَّابِعُ: الْعَقْلُ مَا
قُلْتَهُ، إِلَى الْعَاشِرِ، كُلُّ وَاحِدٍ يَقُولُ: الْعَقْلُ مَا قُلْتَهُ، كَمْ صَارَتِ الْعُقُولُ؟ الْجَوَابُ:
صَارَتِ عَشْرَةَ، كُلُّهَا مُتَبَايِنَةٌ؛ وَهَذَا تَجِدُهُمْ أَكْثَرَ النَّاسِ نِزَاعًا وَاخْتِلَافًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ
يَقُولُ: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

٤٦٥٥- يَا رَبِّ قَدْ حَارَ الْعِبَادُ بِعَقْلِ مَنْ يَزِينُونَ وَحَيْكَ فَاتٍ بِالْمِيزَانِ
هَذَا يُرَدُّ بِهِ عَلَى مَنْ حَكَّمَ الْعُقُولَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ، يَقُولُ: لَوْ رَجَعْنَا إِلَى
الْعَقْلِ فَبَأَيِّ عَقْلٍ نَزَنُ مَا يَجِبُ لِلَّهِ وَمَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ؟ هَلْ بِعَقْلِ زَيْدٍ، أَمْ بِعَقْلِ عُبَيْدٍ،
أَمْ بِعَقْلِ خَالِدٍ، أَمْ بِعَقْلِ بَكْرِ، بِعَقْلِ مَنْ؟ إِنْ قُلْنَا: بِعَقْلِ الْأَوَّلِ، قَالَ الثَّانِي: لَا، وَإِنْ
قُلْنَا: بِعَقْلِ الثَّانِي، قَالَ الْأَوَّلُ وَالثَّلَاثُ: لَا، وَإِنْ قُلْنَا بِعَقْلِ الرَّابِعِ، قَالَ الْأَوَّلُ
وَالثَّانِي وَالثَّلَاثُ: لَا، وَهَكَذَا، إِذَنْ لَا رَجُوعَ لِلْعُقُولِ، الرَّجُوعُ لَمَّا جَاءَ فِي الْوَحْيَيْنِ
مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَهَذَا قَالَ الْمُؤَلِّفُ:

٤٦٥٦- وَبِعْقَلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِعْقَلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ»؛ يعني: بعقلٍ مَنْ يَقْضِي عَلَيْكَ بما تستحقُّه من صفاتٍ وأفعالٍ، فَمَنْ هو صاحبُ العقلِ الذي يقضي عليك؟

قَوْلُهُ: «فَكُلُّهُمْ قَدْ جَاءَ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ بِالْمَعْقُولِ؛ أي: على حسبِ قولهم، «وَالْبُرْهَانِ»: الْحُجَّةُ، ولكنه ليس لهم حُجَّةٌ، فكلُّ حُجَجِهِمْ شَبَهَاتٌ وليست بِحُجَجٍ.

٤٦٥٧- يَا رَبِّ أَرْشِدْنَا إِلَى مَعْقُولٍ مَنْ يَقَعُ التَّحَاكُمُ إِنَّنَا خَصَمَانِ

يسألُ المولِّفُ رَبَّهُ أن يرشده إلى عقلٍ مَنْ يكونُ التَّحَاكُمُ عنده، وهذا على سبيلِ التَّنْزِيلِ من المولِّفِ رحمه الله، وإلَّا فقد أَرشَدَنَا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أن نأخذَ بما قال اللهُ وقال الرَّسُولُ، فهذا هو الحاكمُ بين الخلقِ، لكن هذا على سبيلِ التَّنْزِيلِ، يُشْبِهُ المباهلةَ بأن يتقابلَ الخصمانِ، ويدعو كُلُّ واحدٍ منهما على المُبْطِلِ منهما.

٤٦٥٨- جَاؤُوا بِشُبُهَاتٍ وَقَالُوا إِنَّهَا مَعْقُولَةٌ بِنْدَائِهِ الْأَذْهَانِ

جَاؤُوا بِشُبُهَاتٍ يَدَّعُونَ أَنَّهَا حُجَجٌ وَبَيِّنَاتٌ، وَأَنَّهَا مَعْقُولَةٌ، وَأَنَّ البديهةَ تدلُّ عليها، فلا تحتاجُ إلى نظري وتعبٍ.

٤٦٥٩- كُلُّ يُنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا وَمَا فِي الْحَقِّ مَعْقُولَانِ مُحْتَلِفَانِ

قَوْلُهُ: «كُلُّ يُنَاقِضُ بَعْضَهُ بَعْضًا»؛ يعني أن هؤلاء الذين قالوا: «إِنَّ المرجعَ إلى العقلِ في بابِ الصِّفَاتِ» كُلُّ يُنَاقِضُ الْآخَرَ، يقولُ أحدهم: هذه الصِّفَةُ واجبةٌ لله، ويقولُ الثاني: هذه مستحيلةٌ على الله، ويقولُ الثالثُ: هذه جائزةٌ على الله، بل إنَّ الإنسانَ الواحدَ منهم يتناقضُ؛ فتجده في بعضٍ كتبه يُقِرُّ هذه الصِّفَةَ ويرى أَنَّهَا

واجبةً لله، وفي بعض كتبه ينكر هذه الصِّفة، ويقول: هذه ممتنعةٌ على الله، ومستحيلةٌ عليه؛ لأنَّهم إنَّما يعتمدون على شُبُهاتٍ لا على حقائق.

قَوْلُهُ: «وَمَا فِي الْحَقِّ مَعْقُولَانِ مُخْتَلِفَانِ»؛ يعني: أنَّ الحقَّ لا تختلفُ فيه العقولُ لأنَّها تتفقُ عليه؛ فإذا اختلفت العقولُ في شيءٍ دَلَّ على أنَّه باطلٌ؛ لأنَّ العقولَ السَّليمةَ لا تختلفُ في الحقِّ.

٤٦٦٠- وَقَضُوا بِهَا كَذِبًا عَلَيْكَ وَجُرْأَةً مِنْهُمْ وَمَا التَّفَتُّوا إِلَى الْقُرْآنِ قَوْلُهُ: «وَقَضُوا بِهَا»؛ أي: بالعقول.

يقولون: كُلُّ ما جاء في القرآنِ ممَّا يخالفُ العقولَ فإنَّه يجبُ فيه أحدُ أمرين: إمَّا التَّأويلُ وإمَّا التَّفويضُ، وهذه قاعدةٌ خبيثةٌ، التَّأويلُ معناه التَّحريفُ، أو التَّفويضُ بأن تقول: لا أدري، فصارت قاعدتهم مَبْنِيَّةً إمَّا على العدوَانِ وإمَّا على الجهلِ، أمَّا العدوَانُ فإذا أوَّلوا الصِّفةَ عن معناها الحقيقيِّ، وأمَّا والجهلِ إذا قالوا: والله لا ندري بل فَوْضُ.

وقد قال شيخُ الإسلام - رحمه الله - عن قولِ أهلِ التَّفويضِ: «إنَّه من شرِّ أقوالِ أهلِ البدعِ والإلحادِ»^(١)، مع أنَّك تجدُ كثيرًا في كتبِ المتأخِّرين مَنْ يقولُ: إنَّ التَّفويضَ مذهبُ أهلِ السُّنَّةِ، وهذا قولٌ خطأ؛ لأنَّ التَّفويضَ تفويضان: تفويضُ المعنى، وتفويضُ الحقيقةِ والكيفيَّةِ، فالأوَّلُ لا يقولُ به السَّلفُ ولا أهلُ السُّنَّةِ، أعني به: تفويضُ المعنى؛ لأنَّهم يقولون: المعنى معلومٌ، والثَّاني يقولون به، فمَنْ أطلقَ التَّفويضَ على أهلِ السُّنَّةِ فقد أخطأ عليهم، ولم يفهم مذهبهم حقيقةً.

(١) انظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢٠٥).

- ٤٦٦١- يَا رَبِّ قَدْ أَوْهَى النَّفَاةُ حَبَائِلَ الْـ قُرْآنِ وَالْآثَارِ وَالْإِيمَانَ
 ٤٦٦٢- يَا رَبِّ قَدْ قَلَبَ النَّفَاةُ الدِّينَ وَالْـ إِيْمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بَطَانِ
 ٤٦٦٣- يَا رَبِّ قَدْ بَغَتِ النَّفَاةُ وَأَجْلَبُوا بِالْحَيْلِ وَالرَّجْلِ الْحَقِيرِ الشَّانِ
 ٤٦٦٤- نَصَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْغَوَائِلَ لِلْأَلَى أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانِ
 ٤٦٦٥- وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ يَعْصِيهِمْ سَامُوهُ شَرَّ هَوَانِ
 ٤٦٦٦- وَقَضُوا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلَالِهِمْ بِاللَّعْنِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْكَفْرَانِ
 ٤٦٦٧- وَقَضُوا عَلَى أَتْبَاعِ وَحْيِكَ بِالَّذِي هُمْ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرَ الْفُرْقَانِ
 ٤٦٦٨- وَقَضُوا بِعَزْلِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَحَبْ سِهِمْ وَنَفْيِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ
 ٤٦٦٩- وَتَلَاعَبُوا بِالدِّينِ مِثْلَ تَلَاعِبِ الْـ حُمْرِ اللَّيْلِ نَفَرَتْ بِلا أَرْسَانِ
 ٤٦٧٠- حَتَّى كَانَتْهُمْ تَوَاصُوا بَيْنَهُمْ يُوصِي بِذَلِكَ أَوَّلُ لِلثَّانِي

الشرح

- ٤٦٦١- يَا رَبِّ قَدْ أَوْهَى النَّفَاةُ حَبَائِلَ الْـ قُرْآنِ وَالْآثَارِ وَالْإِيمَانَ
 قَوْلُهُ: «أَوْهَى»؛ أَي: أضعَفَ.

فهم أضعفوا حبائل القرآن والآثار والإيمان بما فعلوه من التحريف في آيات الله وفي أحاديث رسول ﷺ حتى أوهنوا الإيمان في قلوب الناس، فهؤلاء النفاة لا يؤمنون بأن الله استوى على العرش حقيقة، إذن نقص الإيمان، لأن الله أخبر عن نفسه أنه استوى على العرش حقيقة، فإذا لم تؤمن به وقلت: معنى

«استوى»: «استولى» ضعف إيمانك؛ لأنك أخلكت بعقيدة، فهؤلاء النفاة أوهوا حبال القرآن والآثار والإيمان.

٤٦٦٢- يَا رَبِّ قَدْ قَلَبَ النَّفَاةُ الدِّينَ وَالْإِيمَانَ ظَهْرًا مِنْهُ فَوْقَ بَطْنِ

يعني: قلبوا الدين ظهرًا على بطن، وهذا واضح، لكن كيف ذلك؟ لأنهم صرفوا ظواهر النصوص عن معناها الظاهر، وجعلوا لها معنى باطنًا، فمثلاً قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، معناها الظاهر: أن الله يدين حقيقتين مبسوطتين، هم قالوا: لا، هناك معنى آخر غير الظاهر، المعنى الباطن المراد عندهم وهو: القدرة أو القوة، فهم قلبوا ظهور النصوص إلى بواطن لا يريدونها ولا رسوله.

٤٦٦٣- يَا رَبِّ قَدْ بَغَتِ النَّفَاةُ وَأَجْلَبُوا بِالْخَيْلِ وَالرَّجْلِ الْحَقِيرِ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «بَغَتِ»؛ أي: تعدت.

قَوْلُهُ: «وَأَجْلَبُوا بِالْخَيْلِ» هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَأَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

٤٦٦٤- نَصَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْغَوَائِلَ لِلْأُلَى أَخَذُوا بِوَحْيِكَ دُونَ قَوْلِ فُلَانٍ

قَوْلُهُ: «نَصَبُوا الْحَبَائِلَ وَالْغَوَائِلَ» «الغوائل» جمع: غائلة، وذلك بشكايتهم إلى السلاطين والأمراء، ولا يخفى علينا جميعًا ما حدث لإمام أهل السنة الإمام أحمد - رحمه الله - أيام المحنة حيث جعلوا يجرؤونه على البغلة ويضربونه بالسياط حتى يُغمى عليه في الأسواق، ولا يخفى أيضًا ما جرى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله؛ حيث كانوا يركبونه على عربة مكشوفة ويطوفون به ويُشهرّون به، وفي

النهاية سجنوه حتى مات في السجن، ولما سجنوه صار أصحابه يأتون إليه ليأخذوا من علمه، فمنعوا أصحابه عنه، ثم صار يكتب وينشر، فمنعوا الكتابة عنه، ثم صار يكتب على جدران الحبس؛ لأجل أن ينشر علمه الذي في قلبه، وآخر الأمر مات مسجوناً رحمه الله.

فالمهم أن هؤلاء النفاة -والعياذ بالله- ما تركوا الناس بلا شر ولا عدوان، بل فعلوا بهم كل الأفعال التي يستطيعون بالوشاية فيها.

٤٦٦٥- وَدَعَوْا عِبَادَكَ أَنْ يُطِيعُوهُمْ فَمَنْ يَعْصِيهِمْ سَاءَ مَوْهُ شَرٌّ هَوَانٍ

يعني: هؤلاء النفاة دعوا الناس إلى طاعتهم، وقالوا: اسلكوا مسلكنا، فمن عصاهم ساموه شر هوان؛ إماً بأيديهم، وإماً بألسنتهم، وإماً بتسليط الولاة عليهم انتقاماً منهم، نسأل الله العافية.

٤٦٦٦- وَقَضَوْا عَلَى مَنْ لَمْ يَقُلْ بِضَلَالِهِمْ بِاللَّعْنِ وَالتَّضْلِيلِ وَالكُفْرَانِ

يقولون مثلاً: لعنة الله على فلان؛ لأنه يقول: إن الله يدين حقيقتين، ما تقولون في هذا الضال الذي يُنبتُ لله جارحة؟ ما تقولون في هذا الكافر الذي جعل الله جسماً؟ وما أشبه ذلك، العامي إذا سمع مثل هذا الكلام لا سيماً من شيخ مُعمَّمٍ واسع الكُمِّ، ماذا يقول؟ يقول: صحيح، هؤلاء ضلال، هؤلاء كفار، هؤلاء مستحقون للعن، ولهذا وصفهم المؤلفُ وصفاً تاماً وقال:

٤٦٦٧- وَقَضَوْا عَلَى أَتْبَاعِ وَحِيكَ بِالَّذِي هُمْ أَهْلُهُ لَا عَسْكَرَ الْفُرْقَانِ

ماذا قضوا على أتباع الوحي؟ الجواب: بالتضليل والكفران، وهم أحقُّ بالكفر والضلال، هذا معنى كلام المؤلف، هم أحقُّ، وليس عسكر القرآن أحقُّ.

٤٦٦٨- وَقَضُوا بِعَزْلِهِمْ وَقَتْلِهِمْ وَحَبَسِهِمْ وَنَفْيِهِمْ عَنِ الْأَوْطَانِ

كُلُّ هَذَا يُصَدَّرُ مِنْهُ أَحْكَامًا إِلَى الْوَلَاةِ، يَقُولُ: هَذَا مُفْسِدٌ أَحْبَسَهُ، هَذَا سَاعٍ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا اقْتَلَهُ، هَذَا لَا يُمْكِنُ بَقَاؤُهُ فِي هَذَا الْبَلَدِ أَنْفَهُ، وَهَكَذَا، وَنَحْنُ -وَلِلَّهِ الْحَمْدُ- فِي عَافِيَةٍ مِنْ هَذَا، وَلَكِنَّهُ فِي زَمَانِ الْمُؤَلَّفِ وَمَا قَبْلَهُ مَوْجُودٌ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْمُبَالَغَةِ.

٤٦٦٩- وَتَلَاعَبُوا بِالذِّينِ مِثْلَ تَلَاعَبِ الْحُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلَا أَرْسَانٍ

هَلْ رَأَيْتُمْ الْحُمُرَ وَهِيَ نَافِرَةٌ بِلَا أَرْسَانٍ؟ نَعَمْ، رَأَيْنَاهَا تَرْقِصُ وَتَتَسَابَقُ لَكِنْ عَلَى غَيْرِ هَدًى، وَلَا سِيَّمَا الصَّغَارُ مِنْهَا، وَهَذِهِ الصَّغَارُ إِذَا رَأَيْتَ لِعَبَّهَا تَعَجَّبْتَ مِنْهَا. فَهُوَ يَقُولُ: إِنَّهُمْ مِثْلُ هَؤُلَاءِ الْحُمُرِ الَّتِي نَفَرَتْ بِلَا أَرْسَانٍ، لَا يُمْسِكُهَا أَحَدٌ.

٤٦٧٠- حَتَّى كَانَتْهُمْ تَوَاصَوْا بَيْنَهُمْ يُوصِي بِذَلِكَ أَوَّلَ لِلثَّانِي

هَذَا الْبَيْتُ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ مَا آتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ ۗ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذريات: ٥٢-٥٣]، كُلُّ الْأُمَّمِ الَّتِي سَبَقَتْ تَقُولُ لِرَسُولِهِمْ: سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ، وَهَلْ قِيلَ لِلرَّسُولِ هَكَذَا؟ الْجَوَابُ: نَعَمْ، قِيلَ لَهُ هَكَذَا، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۗ﴾؛ يَعْنِي: هَلْ أَوْصَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا؟ الْجَوَابُ: لَا، ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾، فَهَمُ تَوَافَقَتْ أَقْوَامُهُمْ لِتَوَافُقِ إِرَادَاتِهِمْ، وَالْجَامِعُ بَيْنَهُمْ هُوَ الطُّغْيَانُ.

٤٦٧١- هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجْرَ مُبْتَدِعٍ لِمَنْ قَدَّانَ بِالْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

٤٦٧٢- فَكَانَهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقِ أَحْيَى كُفْرَانَ

- ٤٦٧٣- أَوْ مَسْجِدٍ بِجِوَارِ قَوْمٍ هُمُّهُمْ
 فِي الْفِسْقِ لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
 ٤٦٧٤- وَخَوَاصُّهُمْ لَمْ يَقْرُؤُوهُ تَدْبِيرًا
 بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لَا لِفَهْمِ مَعَانِ
 ٤٦٧٥- وَعَوَامُّهُمْ فِي الشُّبُعِ أَوْ فِي خْتَمَةِ
 أَوْ تُرْبَةٍ عِوَضًا لِذِي الْأَيْمَانِ
 ٤٦٧٦- هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ أَوْ
 صَوْنِيَّةُ الْأَنْغَامِ وَالْأَلْحَانِ
 ٤٦٧٧- يَا رَبِّ قَدْ قَالُوا بِأَنَّ مَصَاحِفَ الْ
 إِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ
 ٤٦٧٨- إِلَّا الْمِدَادَ وَهَذِهِ الْأُورَاقَ وَالْ
 جِلْدَ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانِ
 ٤٦٧٩- وَالْكُلُّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتُ بِقَائِلٍ
 أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ
 ٤٦٨٠- هُوَ جَبْرَيْلُ أَوْ الرَّسُولُ فَذَانِ
 أَشْيَاخُهُمْ يَا مِحْنَةَ الْقُرْآنِ
 ٤٦٨١- قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالَتْهُمَا
 إِلَّا الْمِدَادَ وَكَاغِدَ الْإِنْسَانِ
 ٤٦٨٢- لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ
 تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُرْمَةُ الْإِيمَانِ
 ٤٦٨٣- يَا رَبِّ زَالَتْ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ
 مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنِ
 ٤٦٨٤- وَجَرَى عَلَى الْأَفْوَاهِ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ
 تَعْبِيرُ ذَلِكَ عِبَارَةٌ بِلِسَانِ
 ٤٦٨٥- مَا بَيْنَنَا إِلَّا الْحِكَايَةُ عَنْهُ وَالتَّ

الشرح

- ٤٦٧١- هَجَرُوا كَلَامَكَ هَجْرٌ مُبْتَدِعٌ لِمَنْ
 قَدْ دَانَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
 يعني: هجروا كلام الله كهجر المبتدع لمن دان بالآثار والقرآن، وهجر

المبتدع لِمَنْ قَالَ بِالْآثَارِ وَالْقُرْآنِ هَجْرًا لَا يُمْكِنُ أَنْ يَزُولَ؛ لِأَنَّهُ يَهْجُرُهُ عَنِ دِينِ،
فَالْمُبْتَدِعُ يَهْجُرُ مَنْ دَانَ بِالْآثَارِ، وَرَبِّهَا يَرَى أَنَّهُ أَشَدُّ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنَ الْيَهُودِ
وَالنَّصَارَى، هُمْ هَجَرُوا كَلَامَ اللَّهِ وَذَهَبُوا فِي الْبَدْعِ، فَهَجَرُوهُ كَهَجْرِ الْمُبْتَدِعِ
لصاحبِ السُّنَّةِ.

٤٦٧٢- فَكَأَنَّهُ فِيمَا لَدَيْهِمْ مُصْحَفٌ فِي بَيْتِ زَنْدِيقٍ أَخِي كُفْرَانَ
نعوذُ بالله، المصحفُ في بيت الزنديق الكافر هل يُنتفعُ به؟ الجوابُ: أبدًا،
لَا يُتَّفَعُ بِهِ، هُوَ لَا يَنْتَفَعُونَ بِالْوَحْيِ.

٤٦٧٣- أَوْ مَسْجِدٌ بِجَوَارِ قَوْمٍ هُمُّهُمْ فِي الْفِسْقِ لَا فِي طَاعَةِ الرَّحْمَنِ
مسجدٌ بجوار قوم فسقة ليس لهم همٌّ إلا شربَ الخمرِ وعزفَ القيانِ
والزَّنا، وغير ذلك من المحرَّماتِ، هل ينتفعون بهذا المسجدِ؟ الجوابُ: لا.

٤٦٧٤- وَخَوَاصُّهُمْ لَمْ يَقْرَؤُوهُ تَدْبِيرًا بَلْ لِلتَّبَرُّكِ لَا لِفَهْمِ مَعَانِ
انتبه هذه النقطة التي وقع فيها كثيرٌ من النَّاسِ اليوم، كثيرٌ من النَّاسِ اليوم
لا يقرؤون القرآنَ قراءةً تدبُّرٍ ولكن قراءةً تبرُّكٍ وانتظارٍ للأجرِ، وهذا وإن كان
طيِّبًا، لكنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يقولُ: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ
أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [ص: ٢٩]، هذه الفائدةُ من إنزالِ القرآنِ، وهذه الحكمةُ من إنزالِهِ،
هُوَ لَا يَقْرَؤُونَهُ تَبَرُّكًا.

٤٦٧٥- وَعَوَامُّهُمْ فِي الشُّبُعِ أَوْ فِي خَتْمَةٍ أَوْ تُرْبَةٍ عِوَضًا لِذِي الْأَثْمَانِ
قوله: «في الشُّبُعِ»، وفي نسخةٍ: «الشُّبُعِ».

على كُـلِّ حَالِ الظَّاهِرُ ما ذهب إليه الهَرَّاسُ ^(١) رحمه الله تعالى، وأنَّ الصَّوَابَ: «وَعَوَامُهُمْ فِي الشَّبَعِ»؛ يعني في: الشَّبَعِ؛ يعني: لا يقرؤونه إِلَّا من أَجْلِ أن يُشَبِعُوا بطَوْنِهِمْ، وهذا يوجد كثيرًا، لو فرضنا أن شخصًا رَبَّ غَدَاءً وَعِشَاءً لمن يقرأ القرآنَ، تجدُ العوامَّ يقرؤون القرآنَ كثيرًا، كُـلِّ يوم يأتون لهذا البيتِ يقرؤون القرآنَ من أَجْلِ الغَدَاءِ أو العِشَاءِ، كذلك يقرؤون ختمَةً، وهذه معروفةٌ في بعضِ البلادِ الإسلاميَّةِ، الإنسانُ يقرأ ختمَةً للميتِ ما قرأها لله، بل قرأها للعِوَضِ الذي يأخذه على هذه الختمَةِ، «أَوْ فِي تَرْبَةِ»؛ أي: عند القبورِ، يُؤَجَّرُ القارئُ للقراءةِ عند القبرِ، هؤلاء هم العوامُّ.

٤٦٧٦- هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ أَوْ صَوْتِيَّةُ الْأَنْغَامِ وَالْأَلْحَانِ

هذا إشارةٌ إلى هؤلاء الذين يعتنُّون بألفاظِ القرآنِ وتجويده ونغماته الصَّوْتِيَّةِ، لكن ليس عندهم معنى، تجدهم في المعنى لا يلتفتون إليه، فتجدهم يُقيمون حروفه ولا يُقيمون معناه، لكن في التَّجْوِيدِ يشتدُّون به حتى إنَّ الواحدَ منهم إذا أراد أن يقرأ يتكَلَّفُ ويحمرُّ وجهه من شدَّةِ ما يُعَالِجُ من أَجْلِ أن يُطَبِّقَ قواعدَ التَّجْوِيدِ، مع أن تطبيقَ قواعدِ التَّجْوِيدِ ليس بواجبٍ؛ إذ إنَّ التَّجْوِيدَ غاية ما فيه أَنَّهُ من بابِ تحسِينِ اللَّفْظِ فقط، وقد مَضَى أكثرُ من أربعةِ عَشَرَ قرنًا، وكُلُّ أناسٍ يأتون يُدخلون تحسِينًا آخرَ غيرِ الأوَّلِينَ، حتَّى وصلت الحالُ إلى ما وصلت، والعجبُ مَنْ يقولُ: «كُلُّ مَنْ لم يقرأ بالتَّجْوِيدِ فهو آثمٌ».

ولو أخذنا بهذا القولِ لكان عامَّةُ المسلمين تسعون بالمئةٍ منهم آثمين، إذا كان القرآنُ نزلَ على سبعةِ أحرفٍ؛ أي: سبع لغاتٍ في الأوَّلِ، ثُمَّ جاء على حرفٍ

(١) انظر: شرح التَّوْبِيَّةِ لهَرَّاسٍ رحمه الله (٣١٩/٢).

واحد، كُلُّ ذلك تيسيراً على العباد، فكيف نُؤثِّمُ تسعين بالمئة من المسلمين؛ لأنَّهم لم يُطبَّقوا التَّجويدَ؟!.

إذا أراد الإنسان أن يقول قولاً يجب أن ينظرَ ماذا يلزمُ على هذا القولِ قبل أن يتكلَّم به، فالصَّحيحُ أنَّ التَّجويدَ إذا لم يصل إلى حدِّ العنتِ والمشقة فهو من الأمورِ المستحبة فقط؛ لأنَّه من بابِ تزيين القرآن، أمَّا أن يُقال: إنَّه واجبٌ وإنَّ مَنْ لم يقرأ به آثمٌ، فلا.

هنا يقول ابنُ القيم - رحمه الله -: «هَذَا وَهُمْ حَرْفِيَّةُ التَّجْوِيدِ»؛ يعني: يُجيدون القرآن وأحرفه، «أَوْ صَوْتِيَّةُ الْأَنْعَامِ وَالْأَلْحَانِ»؛ يعني: يأتون بالقرآن بالصَّوتِ والنَّغَمَاتِ الجميلة لكنَّهم لا يفهمون، تجدُّ الواحدَ منهم يقرأ القرآن وكأنَّه تلحينٌ غناء؛ لا لأنَّه كلامُ ربِّ العالمين، بل لأجل أن يطربوا به مَنْ حولهم.

٤٦٧٧- يَا رَبِّ قَدْ قَالُوا بِأَنَّ مَصَاحِفَ الْإِسْلَامِ مَا فِيهَا مِنَ الْقُرْآنِ

٤٦٧٨- إِلَّا الْمِدَادَ وَهَذِهِ الْأُورَاقَ وَالْجِلْدَ الَّذِي قَدْ سُئِلَ مِنْ حَيَوَانَ

٤٦٧٩- وَالْكُلَّ مَخْلُوقٌ وَلَسْتُ بِقَائِلٍ أَصْلًا وَلَا حَرْفًا مِنَ الْقُرْآنِ

يعني: أن هؤلاء المعطلَّة يقولون: إنَّ المصاحفَ ما فيها من القرآنِ إلا المدادُ وهذه الأوراقُ والجلدُ الذي قد سُئِلَ من حيوانٍ، والكلُّ مخلوقٌ، فيقولون: إنَّ ما بين دفتي المصحفِ مخلوقٌ، لماذا؟ لأنَّه مدادٌ؛ أي: حبرٌ، مكتوبٌ بقلمٍ على أوراقٍ، والقلمُ والمدادُ والأوراقُ والجلدُ الذي هو من الحيوانِ مخلوقٌ فيقولون: هذا الذي بيننا من القرآن هو هذا المدادُ.

ويقولون: إنَّ اللهَ لم يقل القرآنَ، لم يتكلَّم به، وإنَّما هو شيءٌ مخلوقٌ، أو عبارةٌ

عن كلام الله، أو حكاية عن كلام الله، وليس هو كلام الله، ويترتب على هذا القول -والعياذ بالله- ما سيذكره المؤلف رحمه الله.

٤٦٨٠- إِنْ ذَاكَ إِلا قَوْلٌ مَخْلُوقٍ وَهَلْ هُوَ جَبْرِيٌّ أَوْ الرَّسُولُ فَذَانِ

٤٦٨١- قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ قَدْ قَالَتْهُمَا أَشْيَاخُهُمْ يَا مَحْنَةَ الْقُرْآنِ

يقولون: إن القرآن مخلوق وهو قول جبريل على رأي، أو قول محمد على رأي.

ومن المعلوم أن الله في القرآن الكريم أضاف القرآن مرة إلى قول الرسول ﷺ، ومرة إلى قول جبريل؛ مما يدل على أنه ليس قول محمد ولا قول جبريل على وجه الحقيقة، وإنما هو قول غيرهما؛ وذلك لأن القول الواحد لا يمكن أن يكون مقولاً لقائليين أبداً، فقال الله تعالى في سورة «الحاقة»: ﴿فَلَا أُقِيمُ بِمَا بُصِّرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا بُصِّرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا نُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الحاقة: ٣٨-٤١]، فالمراد بالرسول هنا محمد ﷺ؛ لأنه قال: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾، وقال الله تعالى في سورة «التكوير»: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التكوير: ١٩-٢٠] والمراد بالرسول جبريل، فأضاف القرآن إلى هذا وهذا، إذن ليس قول هذا ولا هذا؛ لأن المقول الواحد لا يكون لقائليين، فمن القائل؟ الله سبحانه وتعالى، لكن أضيف إلى جبريل باعتباره مُبَلِّغاً له لرسول الله ﷺ، وإلى رسول الله باعتباره مُبَلِّغاً له إلى الأمة.

هؤلاء المعطلّة الذين أنكروا كلام الله يقولون: إنه يُصَافُ إلى جبريل على أنه هو الذي ابتدأه أو إلى الرسول على أنه هو الذي ابتدأه، وإذا أُضيفَ إلى هذا أو هذا صار مخلوقاً؛ لأنّ كلام المخلوق مخلوق.

٤٦٨٢- لَوْ دَاسَهُ رَجُلٌ لَقَالُوا لَمْ يَطَأْ إِلَّا الْمِدَادَ وَكَاغِدَ الْإِنْسَانَ

يعني: لو أن أحداً أتى بالمصحف وداسه بقدّمه لقالوا: لا يكفر؛ لأنه ما داس كلام الله، وإنما داس المداد والورق، ودوس المداد والورق لا شيء فيه، فانظر كيف يؤدي هذا القول الباطل إلى هذا اللّازم الباطل! أنا أعتقد لو أن أحداً داس المصحف أمام العوام لمزقوه قبل أن يرفع قدمه من المصحف، ولا يمكن أن يقولوا: إن هذا الرجل لم يدس إلا الكاغد والمداد، أبداً، لكن هذا اللّازم باطل، وإذا بطل اللّازم بطل الملزوم.

٤٦٨٣- يَا رَبِّ زَالَتْ حُرْمَةُ الْقُرْآنِ مِنْ تِلْكَ الْقُلُوبِ وَحُرْمَةُ الْإِيمَانِ

يعني: أن هؤلاء لزم على قلوبهم زوال حُرمة القرآن وحُرمة الإيمان، وهو واضح.

٤٦٨٤- وَجَرَى عَلَى الْأَفْوَاهِ مِنْهُمْ قَوْلُهُمْ مَا بَيْنَنَا اللَّهُ مِنْ قُرْآنٍ

وهذا شيء عجيب فظيغ، إلى حد أنهم يقولون بأفواههم: «ما بيننا قرآن لله عز وجل».

٤٦٨٥- مَا بَيْنَنَا إِلَّا الْحِكَايَةُ عَنْهُ وَالتَّ

المعطلة الذين ينكرون كلام الله انقسموا ثلاثة أقسام هي:

قسم قال: إنه مخلوق.

قسم آخر قال: إنه غير مخلوق، لكن ما في المصحف عبارة عنه.

قسم ثالث قال: ليس بمخلوق، وما في المصحف حكاية عنه.

فالعبارَةُ للأشاعرة، والحكايةُ للكَلَابِيَّةِ، والقولُ الأوَّلُ قولُ المعتزلةِ الذين يقولون: إنَّ القرآنَ مخلوقٌ لا يُنسَبُ إلى الله على أَنَّهُ صفةٌ من صفاته، بل يُنسَبُ إليه على أَنَّهُ خَلَقَ من مخلوقاته كما نُسِبَتِ النَّاقَةُ والبيتُ إلى الله.

وهذا القرآنُ عند المعتزلةِ مخلوقٌ لكنَّه كلامُ الله، وعند الأشاعرةِ مخلوقٌ وليس كلامُ الله، بل هو عبارةٌ عنه، وعند الكَلَابِيَّةِ مخلوقٌ وليس كلامُ الله بل هو حكايةٌ عنه، وبهذا نعرفُ أنَّ المعتزلةَ من هذه النَّاحِيَةِ خَيْرٌ من الأشاعرةِ ومن الكَلَابِيَّةِ.

والفرقُ بين العبارةِ والحكايةِ أنَّ العبارةَ معناها أنَّ الله خَلَقَ هذا لَتُعَبَّرَ عَمَّا في نفسه، والحكايةُ؛ يعني: كأنَّه شيءٌ ما وَصَلَ إلى ما في نفسِ الله عزَّ وجلَّ، ولكنَّه حُكِّيَ كما يُقَالُ: «فلانٌ يحكي فلاناً»؛ يعني: يُضاهيه، كأنَّ هذا المسموعَ يحكي ما في نفسِ الله عزَّ وجلَّ، والفرقُ بينها دَقِيقٌ جدًّا، لكن القولُ بالعبارةِ؛ أبعَدُ عن كونه كلامَ الله من القولِ بأنَّه حكايةٌ، الحكايةُ أقربُ، لكن كُلُّها أقوالٌ باطلةٌ.

- ٤٦٨٦- هَذَا وَمَا التَّالُونَ عَمَّا لَابِهِ إِذْ هُمْ قَدِ اسْتَغْنَوْا بِقَوْلِ فُلَانٍ
- ٤٦٨٧- إِنْ كَانَ قَدْ جَازَ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ فَبَقَدْرٍ مَا عَقَلُوا مِنَ الْقُرْآنِ
- ٤٦٨٨- وَالْبَاحِثُونَ فَقَدَّمُوا رَأْيَ الرَّجَا لٍ عَلَيْهِ تَضَرِيحًا بِلا كِتْمَانٍ
- ٤٦٨٩- عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَا كَ الْعَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الْخِذْلَانِ
- ٤٦٩٠- قَالُوا وَلَمْ يَحْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِيْنٌ سِنَّ فَهَوَ مَعْرُوزٌ عَنِ الْإِيْقَانِ
- ٤٦٩١- إِنْ الْيَقِيْنِ قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ مِيْزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ

- ٤٦٩٢- هَذَا دَلِيلُ الرَّفْعِ مِنْهُ وَهَذِهِ
 ٤٦٩٣- يَا رَبِّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ يَرَى
 ٤٦٩٤- أَهْلُوهُ مَنْ لَا يَرْضَى مِنْهُ بِدَيْ
 ٤٦٩٥- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْ
 ٤٦٩٦- هُوَ مُوصِلٌ لَهُمْ إِلَى دَرَكِ اليَقِينِ
 ٤٦٩٧- يَا رَبِّ نَحْنُ العَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ
 أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الْأَزْمَانِ
 أَقْدَامُهُمْ مِّنَّا عَلَى الْأَذْقَانِ
 لَا فَهْوَ كَافِيهِمْ بِلا نُقْصَانِ
 إِيْمَانٍ وَالِإِيْقَانِ وَالْعِرْفَانِ
 مِنْ حَقِيْقَةً وَقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
 يَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ

الشرح

- ٤٦٨٦- هَذَا وَمَا التَّالُونَ عَمَّا لَابِهِ إِذْ هُمْ قَدْ اسْتَعْنَوْا بِقَوْلِ فُلَانٍ
 يعني: هؤلاء الذين يتلون الكتاب ويصفونه بأنه مخلوق لِيَتَّهَمُوا قَوْلَهُمْ اقتصروا على
 هذا، بل إنهم لا يعملون به، وإنما يعملون بقولِ فلانٍ وفلانٍ، فَجَنَوْا عَلَيْهِ جَنَائِتَيْنِ:
 الأولى: في أصله، والثانية: في تطبيقه.

- ٤٦٨٧- إِنْ كَانَ قَدْ جَاوَزَ الْحَنَاجِرَ مِنْهُمْ فَبِقَدْرِ مَا عَقَلُوا مِنَ الْقُرْآنِ
 يعني: إن كان القرآن قد جاوزَ حناجرهم فإنما يجاوزُ حناجرهم من القرآن
 ما عقلوا منه فقط؛ لأنَّ الحكمَ يدورُ مع عِلَّتِهِ، أمَّا العملُ فلا، فإنه لا يصحُّ، فهم
 يُشْبِهُونَ الخَوَارِجَ مِنْ بَعْضِ الوجوه، بل تقدَّم في كلامِ ابنِ القِيِّمِ -رحمه الله- أنَّهم
 أشدُّ من الخوارج؛ لأنَّ الخوارجَ إنَّما يُكْفَرُونَ بالمعاصي، وأهلُ التَّعْطِيلِ يكفِّرون
 بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، يقولون: إنَّ المثبِّتةَ كُلَّهم كُفَّارٌ، وتقدَّم أيضًا في هذا الفصلِ أنَّهم

يستحلُّون دماءهم وقتلهم، فيقول ابن القيم: الخوارج أهنُّ منهم؛ لأنَّ الخوارج لا يكفرون إلاَّ أهل المعاصي، وأنتم تكفرون أهل التَّوحيد والإيمان، وثانيًا: الخوارج إنَّما قد خرجوا على مَنْ عَصَى اللهَ، فهم خارجون على المعاصي نفسها، يريدون أن تزول من الأرض، أمَّا أنتم فقد خرجتم على السُّنة، تريدون أن تمحوا السُّنة من الأرض، نسأل الله العافية.

٤٦٨٨- وَالْبَاحِثُونَ فَقَدَّمُوا رَأْيَ الرَّجَا لٍ عَلَيْهِ تَصْرِيحًا بِلَا كِتْمَانٍ
أهل البحث منهم صرَّحوا بأن آراء الرجال مُقدَّمة على القرآن.

٤٦٨٩- عَزَلُوهُ إِذْ وَلَّوْا سِوَاهُ وَكَانَ ذَا كَ الْعَزْلُ قَائِدَهُمْ إِلَى الْخِذْلَانِ
عزلوا القرآن لَمَّا وَلَّوْا غيرَه، فما هو الذي وَلَّوْا؟ الجواب: وَلَّوْا آراء الرجال والعقول؛ لأنَّ أهل التعطيل يرجعون في إثبات الصفات ونفيها إلى العقل، فيقولون: ما أثبتَّه العقل أثبتناه، وما لا فلا، ولو كان في الكتاب والسُّنة، وما لم يقتضِ العقل إثباته ولا نفيه فمنهم مَنْ تَوَقَّفَ فيه، وأكثرهم نَفَوْهُ، فالذين توقَّفوا فيه قالوا: لأنَّه لا دليل هناك، والواجب الوقفُ، والذين نَفَوْهُ قالوا: لا بُدَّ من دليل إيجابٍ من العقل يُثبِتُ هذا الشَّيء؛ إذن ابن القيم وشيخ الإسلام قبله ما كذبا عليهم، هذا هو الواقع، فهذه عقيدتهم، فالمسألة خطيرةٌ جدًّا.

٤٦٩٠- قَالُوا وَلَمْ يَحْضُلْ لَنَا مِنْهُ يَقِيْنٌ — مَنْ فَهُوَ مَعْرُزُولٌ عَنِ الْإِيْقَانِ
يقولون: القرآن دلالتُه ظنيَّةٌ ليست قطعيَّةً، والعقائد لا تَبْتُّ بالظنِّ، ودلالةُ العقول التي يدَّعون أنَّها عقولٌ عندهم قطعيَّةٌ، والعجبُ أنَّهم يقولون: إنَّ دلالةُ العقولِ قطعيَّةٌ مع أنَّهم يختلفون فيها اختلافًا كثيرًا، فهل اليقينُ يمكننا فيه

الاختلاف؟ الجواب: اليقين ليس فيه اختلاف، إذا قيل: هذه شمعة فهي شمعة، ولا اختلاف في ذلك، فدلالة القرآن عندهم ظنية، ودلالة العقول التي هم فيها مضطربون اضطراباً عظيماً هي قطعية، سبحان الله! كذب وافتراء والعياذ بالله ولكن: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف: ٥].

٤٦٩١- إِنْ الْيَقِينَ قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ

قوله: «إِنَّ الْيَقِينَ قَوَاطِعُ عَقْلِيَّةٌ» هذا اليقين، فاليقين هو القواطع العقلية.

قوله: «مِيزَانُهَا هُوَ مَنْطِقُ الْيُونَانِ» الميزان عندهم منطق اليونان الذي هو علم المنطق، يقول شيخ الإسلام رحمه الله في كتابه: «الرَّدُّ عَلَى الْمُنْطِقِيِّينَ»: «كُنْتُ أَظُنُّ دَائِمًا أَنَّ الْمُنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الذَّكِيُّ»^(١)، إذَنْ لَا فَائِدَةَ مِنْهُ، فَالذَّكِيُّ يَسْتَعْنِي بِذَكَائِهِ عَنْهُ، وَالْبَلِيدُ لَوْ يَرُدُّهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مَا اسْتَفَادَ مِنْهُ، إِذَنْ فَهُوَ مُضِيعَةٌ وَقْتٍ.

٤٦٩٢- هَذَا دَلِيلُ الرَّفْعِ مِنْهُ وَهَذِهِ أَعْلَامُهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ

يقول: إِنَّ إِعْرَاضَ النَّاسِ عَنِ الْقُرْآنِ مِنْ عِلَامَاتِ رَفْعِهِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ؛ لِأَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُرْفَعُ هَذَا الْقُرْآنُ - نَسَأَلَ اللَّهُ أَلَا يَدْرِكُنَا هَذَا الزَّمَانُ - يُرْفَعُ مِنَ الْمُصَاحِفِ وَمِنَ الصُّدُورِ احْتِرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا لَهُ؛ حَيْثُ يُعْرِضُ النَّاسُ عَنْهُ إِعْرَاضًا كَلْبِيًّا، وَهَذَا فِي عَهْدِ ابْنِ الْقَيْمِ وَهُوَ فِي الْقَرْنِ الثَّامِنِ، فَكَيْفَ بَعْدُنَا نَحْنُ الْآنَ؟! فَأَيَّاتُ رَفْعِ الْقُرْآنِ الْآنَ كَثِيرَةٌ جَدًّا، وَهَذَا كَمَا أَنَّهُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يُسَلَّطُ عَلَى الْكَعْبَةِ رَجُلٌ مِنَ الْحَبَشَةِ، رَجُلٌ لَيْسَ فِيهِ خَيْرٌ وَهُوَ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ، أَفْحَجٌ قَصِيرٌ يُسَلَّطُ عَلَيْهَا، فَيَقُومُ عَلَيْهَا

(١) انظر: الرد على المنطقيين (ص: ٣).

ينقضها حجراً حجراً حتى يُلقِيها في البحر ولا يأتيه شيء^(١)، مع أن الله حماها من أصحاب الفيء مع قوتهم، بل دُمُّوا عن آخرهم، وحماها الله منهم؛ لأنه سبحانه وتعالى يعلم أنه سيأتي الزمن الذي يُعظَّم فيه هذا البيت، لكن في آخر الزمان تُنتهك الكعبة ويكون تعظيمها تعظيماً ظاهرياً، أما باطناً فحدث ولا حرج، وآيات هدم الكعبة الآن قد تكون ظاهرة، كُلِّما كثر الفسق والفجور في مكة فهذا من علامات قرب هدمها، نسأل الله السلامة؛ لأن الله عز وجل يعاثر لبيته أن يكون عنده من لا يحترمه ولا يعظمه إلا بالظاهر، والظاهر ليس فيه فائدة، فعمارة المسجد الحرام تكون بطاعة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨].

فالحاصل أن ابن القيم - رحمه الله - يقول: إن علامات رفع القرآن هو إعراض الناس عنه.

٤٦٩٣- يَا رَبِّ مَنْ أَهْلُوهُ حَقًّا كَيْ يَرَى أَقْدَامَهُمْ مِّنَّا عَلَى الْأَذْقَانِ

يسأل الله فيقول: من أهل القرآن حقاً حتى يرى أقدامهم منّا على الأذقان؛ يعني: إذا كنا أهلهم فستكون أقدامنا على أذقانهم، والأذقان جمع «ذقن» وهي جمع اللحية؛ أي: إننا سنعلوا عليهم ونغلبهم إذا كنا أهلهم.

٤٦٩٤- أَهْلُوهُ مَنْ لَا يَرْتَضِي مِنْهُ بَدِيدٌ - لَأَفْهُوَ كَافِيهِمْ بِلا نَقْصَانِ

هؤلاء أهل القرآن الذين لا يَرْضُونَ به بديلاً لا في الأمور العقديّة ولا في

(١) أخرجه البخاري: كتاب الحج، باب قول الله تعالى: ﴿جَمَلَ اللَّهُ الْكُفْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا لِّلنَّاسِ﴾ [التوبة: ٩٧]، رقم (١٥١٤)، ومسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، رقم (٢٩٠٩).

الأمر التعبدية ولا في الأمور العملية، فالذين يُحْكَمُونَ القوانينَ الوضعيةً، قانون فرنسا أو إنجلترا أو أمريكا أو غيرها، هؤلاء رضوا بديلاً عن القرآن، ما هو البديل؟ الجواب: هذه القوانين؛ لأنَّ القرآنَ كتابٌ هادٍ في العقيدة وفي السلوك وفي العبادة وفي المعاملات، في كُلِّ شيءٍ، فَمَنْ خرج عنه ورَضِيَ عنه بديلاً فقد أخذ بحظٍّ وافٍ بحسب إعراضه عن القرآن.

٤٦٩٥- وَهُوَ الدَّلِيلُ لَهُمْ وَهَادِيهِمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْإِيقَانِ وَالْعِرْفَانِ
اللَّهُمَّ اهْدِنَا بِهِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

٤٦٩٦- هُوَ مُوصِلٌ لَهُمْ إِلَى دَرَكِ الْيَقِينِ - مِنْ حَقِيقَةٍ وَقَوَاطِعِ الْبُرْهَانِ
ولذلك كُلَّمَا قَوِيَ إِيمَانُ الْإِنْسَانِ بِالْقُرْآنِ فَتَحَ اللَّهُ لَهُ مِنْ أَدَلَّتِهِ مِنَ الْيَقِينِ مَا لَا يَجِدُهُ فِي أَيِّ كِتَابٍ آخَرَ؛ ولهذا أَنَا أَحْتُكِمُ وَنَفْسِي عَلَى الْحِرْصِ التَّامِّ عَلَى الْقُرْآنِ تِلَاوَةً وَتَدَبُّرًا وَعَمَلًا بِهِ، وَجَرَّبْتُ نَفْسَكَ، ارْجِعْ لِلْقُرْآنِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ، وَانظُرْ مَاذَا يَحْصُلُ لِقَلْبِكَ مِنَ الْإِيمَانِ وَانْشِرَاحِ الصَّدْرِ وَنُورِ الْقَلْبِ وَنُورِ الْوَجْهِ، هَذَا شَيْءٌ مُجَرَّبٌ، وَبِقَدْرِ إِعْرَاضِكَ عَنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ سَتَتَخَلَّفُ عَنْكَ هَذِهِ الثَّمَرَةُ الْعَظِيمَةُ الْجَلِيلَةُ.

٤٦٩٧- يَا رَبِّ نَحْنُ الْعَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ يَا قَلَّةَ الْأَنْصَارِ وَالْأَعْوَانِ
قَوْلُهُ: «يَا رَبِّ نَحْنُ الْعَاجِزُونَ بِحُبِّهِمْ»؛ يعني: إِنَّا عَاجِزُونَ مَعَ أَنَّنَا نَحْبُكَ، فَهِيَ مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَى فَاعِلِهِ؛ يعني: نَحْنُ الْعَاجِزُونَ مَعَ مَحَبَّتِنَا لَكَ، وَليْسَ الضَّمِيرُ فِي قَوْلِهِ: «بِحُبِّهِمْ» يَعُودُ إِلَى أَهْلِ التَّعْطِيلِ، لَا؛ إِذْ أَنَّنَا لَا نَحْبُ أَهْلَ التَّعْطِيلِ، لَكِنْ يَقُولُ: نَحْنُ الْعَاجِزُونَ مَعَ مَحَبَّتِهِمْ لَكَ يَا رَبُّ.

فصل

في أذان أهل السنة الأعلام بصريحتها جهراً على رؤوس منابر الإسلام

- ٤٦٩٨- يَا قَوْمٌ قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَاذَّنْ
تَبَهُوا فَإِنِّي مُعَلِّنٌ بِأَذَانِ
- ٤٦٩٩- لَا بِالْمُلْحَنِ وَالْمُبَدَّلِ ذَاكَ بَلْ
تَأْذِينَ حَقٌّ وَاضِحِ التَّبْيَانِ
- ٤٧٠٠- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا إِجَابْتُهُ عَلَى
كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضُ عَلَى الْأَعْيَانِ
- ٤٧٠١- اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ أَلْ
عَرَبِيٌّ مَخْلُوقًا مِنَ الْأَكْوَانِ
- ٤٧٠٢- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ
مَلَكِيٌّ أَنْشَأَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ
- ٤٧٠٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ
بَشَرِيٌّ أَنْشَأَهُ لَنَا بِلِسَانِ
- ٤٧٠٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ
تَشْبِيهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيْمَانِ
- ٤٧٠٥- شَبَّهْتُمْ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي
عَدَمِ الْكَلَامِ وَذَاكَ لِلْأَوْثَانِ
- ٤٧٠٦- مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَ
لِهَةِ وَذَا الْبُرْهَانُ فِي الْفُرْقَانِ
- ٤٧٠٧- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَعَ طَهَ وَنَا
لِيَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْقُرْآنِ

الشرح

قوله: «فَصَلِّ فِي أَذَانِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْأَعْلَامِ بِصَرِيحِهَا»؛ أي: بصريح السُّنَّةِ،
«جَهْرًا عَلَى رُؤُوسِ مَنَابِرِ الْإِسْلَامِ»، وهذا واجبٌ على أهلِ السُّنَّةِ أَنْ يُعْلِنُوا السُّنَّةَ

صريحة في كل مكان ولا سيما في الأماكن التي تحفى فيها السنة.

٤٦٩٨- يَا قَوْمٌ قَدْ حَانَتْ صَلَاةُ الْفَجْرِ فَإِنَّ تَبَهُوا فَإِنِّي مُعْلِنٌ بِأَذَانٍ

وخصَّ صلاةَ الفجرِ لسببَيْنِ:

السَّببُ الأوَّلُ: أنَّهَا تَأْتِي بَعْدَ النَّوْمِ.

السَّببُ الثَّانِي: أَنَّهَا يَلُوحُ النَّهَارُ وَيَتَبَيَّنُ الْإِسْفَارُ.

قَوْلُهُ: «مُعْلِنٌ بِأَذَانٍ»؛ أَي: مُوَافِقٌ لِلشَّرِيعَةِ.

٤٦٩٩- لَا بِالْمُلْحَنِ وَالْمُبَدَّلِ ذَلِكَ بَلْ تَأْذِينَ حَقٍّ وَاضِحٍ التَّبَيَّانِ

قَوْلُهُ: «لَا بِالْمُلْحَنِ»؛ يَعْنِي: الْمُطْرَبُ بِهِ، «وَلَا الْمُبَدَّلِ» الْمُعَيَّرُ، «بَلْ تَأْذِينَ حَقٍّ

وَاضِحٍ التَّبَيَّانِ»، فَهُوَ مُعْلِنٌ بِأَذَانٍ مُوَافِقٌ لِلشَّرِيعَةِ.

٤٧٠٠- وَهُوَ الَّذِي حَقًّا إِجَابَتُهُ عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَ عَلَى الْأَعْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَهُوَ» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى هَذَا الْأَذَانِ الَّذِي يُؤَدِّنُ بِهِ الْمُؤَلِّفُ وَهُوَ

الْأَذَانُ بِالسُّنَّةِ وَالْإِعْلَانُ بِهَا، إِجَابَتُهُ فَرَضَ عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ، ثُمَّ بَدَأَ بِالْأَذَانِ فَقَالَ:

٤٧٠١- اللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُهُ أَلْ- عَرَبِيٌّ مَخْلُوقًا مِنَ الْأَكْوَانِ

كَمَا قَالَ الْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ وَالْأَشَاعِرَةُ وَالْكَلَّابِيَّةُ، فَالْجَهْمِيَّةُ وَالْمَعْتَزَلَةُ

يَقُولُونَ: إِنَّ كَلَامَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ كَمَا خَلَقَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالشُّرَيَّا وَغَيْرَهَا، وَعَلَى هَذَا

فَهُوَ مَخْلُوقٌ عَلَى صُورَةٍ مُعَيَّنَةٍ، نَقُوشٌ لَيْسَ فِيهَا أَمْرٌ وَلَا فِيهَا نَهْيٌ.

انْتَبَهُوا لِحَظَرِ هَذَا الْقَوْلِ، فَالكَثِيرُ مِنَ الطَّلَبَةِ لَا يَدْرُونَ مَاذَا يَتَرْتَّبُ عَلَى هَذَا؟

يَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ أَنَّهُ إِنْ كُتِبَ فَهُوَ نَقْشٌ مَنْقُوشٌ، عَلَامَةٌ السُّكُونِ دَائِرَةٌ، وَعَلَامَةُ الضَّمَّةِ

دائرةً من على اليمين، وهلمَّ جرًّا، إن سُمِعَ فهو مجردُ أصواتٍ مخلوقةٍ كما يُسْمَعُ الرَّعْدُ، زجرةً، إذَنْ لا يوجد أمرٌ ولا نهيٌ؛ فـ«أَقِم» مثل: «يستفتح» كُلُّهَا نقوشٌ فقط، هذا يترتَّبُ على القولِ بأنَّ القرآنَ مخلوقٌ، فما كان مسموعًا فهو كأصواتِ الرَّعْدِ، ليس له معانٍ، وما كان مكتوبًا فهو كالنقوشِ على الأبوابِ والجدرانِ، تحذلق الأشعريةُ وأتوا بالعجبِ العُجابِ، قالوا: كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ لكنَّه المعنى القائمُ بنفسه، وما سمَّعه جبريلُ فهي أصواتٌ خَلَقَهَا اللهُ لتعبِّرَ عمَّا في نفسه.

إذَنْ اتَّفَقَ المعتزلةُ والأشعريةُ على أنَّ ما نقرؤه في هذا المصحفِ مخلوقٌ، لكن الأشعريةُ قالوا: هو عبارةٌ عن كلامِ الله، والمعتزلةُ قالوا: هو كلامُ الله، فصاروا أشجعَ من الأشعريةُ، قالوا: نقولُ: كلامُ الله ولا نبالي، أمَّا «عبارةٌ عن كلامِ الله» فهذا لا يستقيم؛ ولهذا قال بعضُ حُدَّاقِ الأشعريةِ: ليس بيننا وبين المعتزلةِ فرقٌ، فإنَّنا متَّفَقون على أنَّ ما بين دفتي المصحفِ مخلوقٌ.

والحمدُ لله الذي عافانا ممَّا ابتلاهم به ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]، الأشعريةُ يقولون: الأمرُ والنَّهيُّ والخبرُ والاستخبارُ والنداءُ والزَّجرُ كُلُّهَا معنى واحد، لا تختلفُ إلَّا في الصُّورةِ، وهذا كلامٌ غيرُ معقولٍ، لكن هكذا مَنْ أضلَّهُ اللهُ -والعياذُ بالله- يقولُ أقوالًا لا يُصدِّقها العقلُ فضلًا عن النَّقلِ والشَّرعِ.

٤٧٠٢- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ- مَلَكِيٌّ أَنْشَأَهُ عَنِ الرَّحْمَنِ

٤٧٠٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ أَلْ- بَشَرِيٌّ أَنْشَأَهُ لَنَا بِلِسَانِ

هو لاء يقولون: إنَّ الصَّوتَ صوتُ جبريلَ، واللهُ عزَّ وجلَّ ليس له صوتٌ، ويقولُ آخرون: بل هو صوتُ محمَّدٍ، والرَّسولُ المَلَكِيُّ هو جبريلُ عليه السَّلَامُ،

وقد أضافه الله إليه في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٩-٢٠]، وأمَّا الرَّسُولُ البشريُّ فهو مُحَمَّدٌ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، وقد أضافه الله إليه في قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤١]، فاللهُ أَكْبَرُ أَنْ يَكُونَ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ كَلَامُ جَبْرِيلَ أَوْ كَلَامُ اللَّهِ هُوَ كَلَامُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٤٧٠٤- هَذِي مَقَالَاتٌ لَكُمْ يَا أُمَّةَ التَّ - تَشْبِيهِ مَا أَنْتُمْ عَلَى إِيمَانٍ
قَوْلُهُ: «يَا أُمَّةَ التَّشْبِيهِ»؛ يعني: الذين فُرُوا - على زعمهم - من التشبيه
فَعَطَّلُوا صِفَاتِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٧٠٥- شَبَّهْتُمُ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي عَدَمِ الْكَلَامِ وَذَلِكَ لِلأَوْثَانِ
قَوْلُهُ: «شَبَّهْتُمُ الرَّحْمَنَ بِالْأَوْثَانِ فِي عَدَمِ الْكَلَامِ» فقلتم: إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَكَلَّمُ.
قَوْلُهُ: «وَذَلِكَ لِلأَوْثَانِ» الأوثانُ هي جُماداتٌ لَا تَتَكَلَّمُ، أَمَّا الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ
فإنَّهُ مُرِيدٌ مُتَكَلِّمٌ.

٤٧٠٦- مِمَّا يَدُلُّ بِأَنَّهَا لَيْسَتْ بِأَ - لِهَةِ وَذَا الْبُرْهَانِ فِي الْفُرْقَانِ
يعني: كونها لا تتكلم دليل على أنها ليست بألهة؛ لأنها لو كانت آلهة لنطقت،
وذلك في ثلاثة مواضع من القرآن، ذَكَرَهَا فَقَالَ:

٤٧٠٧- فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ مَعَ طَهَ وَثَا لِيْهَا فَلَا تَعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ
الموضع الأول: في سورة «الأعراف» في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكُمْ مِمَّنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَاسْتَغْلِبُوا بِهِم مَّا رَكِبُوا مِن بَغْيِهِمْ عَجَلًا جَدًّا لَّهُ خَوَارٌ أَلَّا يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾
[الأعراف: ١٤٨]، فَاسْتَدَلَّ بِعَدَمِ تَكْلِيمِهِ عَلَى عَدَمِ صِلَاحِيَّتِهِ لِلأَلُوْهِيَّةِ.

الموضع الثاني: في سورة «طه» في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورًا فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه: ٨٨-٨٩].

الموضع الثالث: في سورة «الأنبياء»، في قوله تعالى على لسان إبراهيم: قال إبراهيم: ﴿فَسْتَلَوْهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، فاستدلّ بعدم نطقهم على أنّهم لا يصلحون أن يكونوا آلهة، فهذه ثلاثة مواضع.

إذن استدلل الله عزّ وجلّ على أنّ الأصنام لا تصلح أن تكون آلهة بعدم الكلام، وهم يقولون: إنّ الله لا ينطق ولا يمكن أن ينطق، بل كلامه مخلوق، فشبهوه بالأصنام.

- | | | |
|-------|---|---|
| ٤٧٠٨- | أَفْصَحَّ أَنَّ الْجَاهِدِينَ لِكَوْنِهِ | مُتَّكِلًا بِحَقِيقَةٍ وَبَيَانِ |
| ٤٧٠٩- | هُمُ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعَا | بِالْجَاهِدَاتِ عَظِيمَةِ النُّقْصَانِ |
| ٤٧١٠- | لَا تَقْدِفُوا بِالذَّاءِ مِنْكُمْ شِيعَةَ الرُّ | رَحْمَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ |
| ٤٧١١- | إِنَّ الَّذِي نَزَلَ الْأَمِينَ بِهِ عَلَى | قَلْبِ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانِ |
| ٤٧١٢- | هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيدٌ | عَمَّا إِذْ هُمَا أَخْوَانِ مُصْطَحِبَانِ |
| ٤٧١٣- | لَا تَقْطَعُوا رَجْمًا تَوَلَّى وَضَلَّهَا الرُّ | رَحْمَنٌ تَنْسَلِحُوا مِنَ الْإِيمَانِ |
| ٤٧١٤- | وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي | قَالَ الصَّوَابَ وَجَاءَ بِالْإِحْسَانِ |
| ٤٧١٥- | (إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ | بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاخِ وَالشُّبَّانِ |

٤٧١٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَحُرُوفُهُ وَمَدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ

الشرح

٤٧٠٨- أَفْصَحَ أَنَّ الْجَاهِدِينَ لِكَوْنِهِ مُتَكَلِّمًا بِحَقِيقَةٍ وَبَيَانٍ

٤٧٠٩- هُمْ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ مَعًا بِالْجَاهِدَاتِ عَظِيمَةِ النُّقْصَانِ

قَوْلُهُ: «أَفْصَحَ أَنَّ الْجَاهِدِينَ...»؛ أي: أَفْصَحَ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ؟ وَفِي نَسْخَةٍ: «أَفْصَحَ» وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ.

قَوْلُهُ: «بِحَقِيقَةٍ وَبَيَانٍ»: مُتَعَلِّقٌ بِ«صَحَّ»؛ يَعْنِي: صَحَّ عَلَى وَجْهِ الْحَقِيقَةِ وَالبَيَانِ أَنَّهُمْ أَهْلُ تَعْطِيلٍ وَتَشْبِيهِ، فَهَمَّ فِي الْحَقِيقَةِ قَالُوا: لَا نَقُولُ: يَتَكَلَّمُ لئَلَّا نَشْبِهُهُ بِالْحَوَادِثِ، فَنَقُولُ: أَنْتُمْ الْآنَ شَبَّهْتُمُوهُ بِالْجَاهِدَاتِ، بِالْأَصْنَامِ، بِالْأَوْثَانِ، وَعَطَّلْتُمُوهُ عَن كَمَالِهِ بِالْكَلَامِ.

يَقُولُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَفْصَحَ بَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ الْوَاضِحِ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُنْكَرِينَ لِلْكَلَامِ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ؟ وَجَوَابُ الْاسْتِفْهَامِ: نَعَمْ، صَحَّ أَنَّهُمْ هُمْ أَهْلُ التَّعْطِيلِ وَهُمْ أَهْلُ التَّشْبِيهِ، شَبَّهُوهُ بِمَاذَا؟ الْجَوَابُ: «بِالْجَاهِدَاتِ عَظِيمَةِ النُّقْصَانِ»، وَالجَاهِدَاتُ هِيَ الَّتِي لَا تَتَكَلَّمُ، فَهَمَّ عَطَّلُوا اللَّهَ عَنِ الْكَلَامِ، وَشَبَّهُوا اللَّهَ بِالْجَاهِدَاتِ، وَجَمَعُوا بَيْنَ التَّعْطِيلِ وَالتَّشْبِيهِ.

٤٧١٠- لَا تَقْذِفُوا بِالِدَّاءِ مِنْكُمْ شَيْعَةَ الرُّوحِ رَحْمَنِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

هَمَّ الْآنَ يَقْذِفُونَ أَهْلَ السُّنَّةِ بِالتَّشْبِيهِ، يَقُولُونَ: إِنَّهُمْ مُشَبَّهَةٌ، فَيَقُولُ: لَا تَقْذِفُوا أَهْلَ السُّنَّةِ بِدَائِكُمْ، أَنْتُمْ الْمَشْبَهَةُ؛ لِأَنَّكُمْ شَبَّهْتُمُوهُ بِالْجَاهِدَاتِ.

٤٧١١- إِنَّ الَّذِي نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ عَلَيَّ قَلْبَ الرَّسُولِ الْوَاضِحِ الْبُرْهَانَ

٤٧١٢- هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا - عَمَّا إِذْ هُمَا أَخْوَانٍ مُصْطَحِبَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ الْأَمِينُ...» والذي نَزَلَ به الأمينُ على قلبِ محمدٍ ﷺ هو القرآنُ.

قَوْلُهُ: «...هُوَ قَوْلُ رَبِّي اللَّفْظُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا» أراد بذلك الرَّدَّ على الأشاعرة الذين قالوا: إِنَّ القرآنَ هو المعنى، وأمَّا اللَّفْظُ فليس كلامَ الله، وإنَّما هو عبارةٌ عن كلامِ الله عزَّ وجلَّ، فكلامُ الله هو المعنى، أمَّا نحن فنؤمنُ بأنَّ كلامَ الله هو اللَّفْظُ والمعنى.

٤٧١٣- لَا تَقْطَعُوا رَحِمًا تَوَلَّى وَضَلَّهَا الرَّحْمَنُ تَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ

الرَّحِمُ هو الارتباطُ بين اللَّفْظِ والمعنى، أنتم فرقتم بينهما، فقلتم: اللَّفْظُ لفظُ المَلِكِ أو لفظُ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ، والمعنى: قولُ الله، وهذا لا يصحُّ.

٤٧١٤- وَلَقَدْ شَفَانَا قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي قَالَ الصَّوَابَ وَجَاءَ بِالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «شَفَانَا»؛ أي: أزالَ عِلَّتَنَا وأبرأنا من المرضِ.

قَوْلُهُ: «قَوْلُ شَاعِرِنَا الَّذِي قَالَ الصَّوَابَ» وهو القحطانيُّ^(١) -رحمه الله- في «النُّونِيَّةِ الْقحْطَانِيَّةِ»، وهي معروفةٌ مشهورةٌ، يقولُ رحمه الله:

٤٧١٥- (إِنَّ الَّذِي هُوَ فِي الْمَصَاحِفِ مُثَبَّتٌ بِأَنَامِلِ الْأَشْيَاحِ وَالشُّبَّانِ

(١) هو محمد بن صالح بن محمد بن سعد بن نزار بن عمرو بن ثعلبة أبو عبد الله القحطاني المعافري الأندلسي الفقيه المالكي، توفي سنة (٥٣٨٣هـ)، انظر ترجمته في: تاريخ الإسلام للذهبي (٥٤٨/٨).

٤٧١٦- هُوَ قَوْلُ رَبِّي آيَهُ وَحُرُوفُهُ وَمِدَادُنَا وَالرَّقُّ مَخْلُوقَانِ^(١)

وهذا التفصيل هو مذهب أهل السنة والجماعة، فالذي في المصاحف مثبت بأنامل الأشياخ والشُّبَّانِ، وكانت المصاحف سابقاً تُكْتَبُ بأنامل الأشياخ الكبار والشُّبَّانِ الصَّغار.

وهنا إذا قال قائل: هل القرآن المكتوب في هذا الكتاب مخلوق أو لا؟ نُفَصِّلُ فنقول: أمَّا المكتوبُ فليس بمخلوق، وأمَّا المِدَادُ «الحرير» والرَّقُّ وهو ما يُكْتَبُ عليه من جلدٍ أو ورقٍ أو غيرهما فهما مخلوقان، وكذلك اليدُ التي كَتَبَتْ مخلوقةٌ، كذلك مثلاً لو قرأ قارئ فقال: ما تقول في هذه القراءة: مخلوقةٌ أو غيرُ مخلوقة؟ أقول: أمَّا المقروءُ فغيرُ مخلوق، وأمَّا القارئُ وصوته وآلةُ الصَّوتِ من اللسانِ والشَّفَتَيْنِ فهذا مخلوق، وبهذا التفصيل تزولُ به الشُّبهاتُ.

إذْنا عندنا مكتوبٌ، ومقروءٌ، ومكتوبٌ به، ومكتوبٌ فيه، وقارئٌ، كُلُّ هذه يجبُ أن تُفَرَّقَ بينها، المكتوبُ والمقروءُ غيرُ مخلوق، فهو قولُ الله عزَّ وجلَّ، والمكتوبُ به -وهو القلمُ والمِدَادُ- مخلوق، والمكتوبُ فيه -وهو الرَّقُّ والورقُ- مخلوق، والكاتبُ والقارئُ مخلوق، والصَّوتُ صوتُ القارئِ مخلوق، واللفظُ لفظُ القارئِ مخلوق، والمفوظُ به غيرُ مخلوق، والمسموعُ غيرُ مخلوق.

فإن قال قائل: إنَّ الإمامَ أحمدَ -رحمه الله تعالى- يقول: «مَنْ قال: لفظي بالقرآنِ مخلوقٌ فهو جهميٌّ، وَمَنْ قال: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ»^(٢)، فأنكر القولين جميعاً؟

(١) انظر: النونية (ص: ٥٣).

(٢) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، لأبي الحسين الشافعي (٢/ ٥٧٠).

نقول: إِنَّ الإِمَامَ أَحْمَدَ -رحمه الله- بَيَّنَّ أَنَّ قَوْلَ مَنْ قَالَ: «لفظي بالقرآن مخلوق» يعني به القرآن، كما جاء في رواية أخرى عنه، قال: «مَنْ قَالَ: لفظي بالقرآن مخلوق -يعني به القرآن- فهو جهميٌّ»، هذا مذهبُ الجهميَّةِ، وأمَّا مَنْ قَالَ: غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ؛ لأنَّ السَّلَفَ لم يقولوا هكذا، وكان الإِمَامُ أَحْمَدُ -رحمه الله- حريصًا على ما جاء عن السَّلَفِ لا يتعداه ولا يتجاوزُه.

إِذَنْ مَنْ قَالَ: «لفظي بالقرآن مخلوق» نقول: أخطأ، وَمَنْ قَالَ: «غيرُ مخلوقٍ» أخطأ، بل يُفْصَلُ، فَإِنْ أَرَادَ بِاللَّفْظِ الْمَفْظُوهَ بِهِ فَهُوَ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَإِنْ قَالَ: مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَإِنْ أَرَادَ بِاللَّفْظِ التَّلْفُظَ الَّذِي هُوَ فِعْلُ اللَّافِظِ فَهُوَ مَخْلُوقٌ.

- | | | |
|-------|--|--|
| ٤٧١٧- | وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى | لَكِنَّهُ اسْتَوَى عَلَى الْأَكْوَانِ |
| ٤٧١٨- | وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَعَارِجِ مَنْ إِلَيْ- | هِ تَعْرُجُ الْأَمْلاكُ كُلُّ أَوَانٍ |
| ٤٧١٩- | وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ | أَمْلاكُهُ مِنْ فَوْقَهُمْ بَيَّانٍ |
| ٤٧٢٠- | وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ غَدَا لِسَرِيرِهِ | أَطُّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ |
| ٤٧٢١- | وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَنَا قَوْلُهُ | مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ |
| ٤٧٢٢- | نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ | رَبِّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى الرَّحْمَنُ |
| ٤٧٢٣- | وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ الْعِبَا | دِ فَلَا تَضَعُ فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ |
| ٤٧٢٤- | مِنْ كُلِّ وَجْهِ تِلْكَ نَائِبَةٌ لَهُ | لَا تَهْضُمُوهَا يَا أُولِي الْبُهْتَانِ |
| ٤٧٢٥- | قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْ | قِ الْعَرْشِ بِالْبُرْهَانِ وَالْقُرْآنِ |

- ٤٧٢٦- فَبَدَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ثُمَّ اسْتَوَىٰ بِالذَّاتِ فَأَفْهَمَ ذَانِ
 ٤٧٢٧- فَضَمِيرٌ فِعْلٍ الْإِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذَّ ذَاتِ الَّتِي ذَكَرْتَ بِلا فُرْقَانِ
 ٤٧٢٨- هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقُ هُوَ مُسْتَوٍ بِالذَّاتِ هَذِي كُلُّهَا بِوِزَانِ

الشرح

- ٤٧١٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لِكِنَّهُ اسْتَوَىٰ عَلَى الْأَكْوَانِ
 قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ» هذا من الأذان الذي أعلاه.

يُقَالُ: «استولى على كُـلِّ الْأَكْوَانِ»، و«استوى على العرشِ خَاصَّةً»، ثُمَّ نَقُولُ
 أَيضًا: «استولى على الْأَكْوَانِ أَزْلًا وَأَبَدًا» وليس بعد أن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ،
 إِذْ هُوَ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ خَاصَّةً، وَاسْتَوَىٰ عَلَى الْأَكْوَانِ كُلِّهَا، فَكُلُّ مَنْ سَوَىٰ
 اللَّهُ فَاللَّهُ تَعَالَىٰ مُسْتَوٍ عَلَيْهِ مَالِكٌ لَهُ، قَاهِرٌ لَهُ، مُدَبِّرٌ لَهُ كَيْفَ يَشَاءُ، فَهَوْلَاءِ الْقَوْمِ
 الَّذِينَ فَسَّرُوا «استوى» بـ«استولى» لم يُفَرِّقُوا بَيْنَ الْعَرْشِ وَالْفَرْشِ، فَاسْفَلُ الدُّنْيَا
 وَأَعْلَى الْكُونِ عِنْدَهُمْ عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ، كُـلُّهُ اسْتَوَىٰ عَلَيْهِ اللَّهُ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

- ٤٧١٨- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْمَعَارِجِ مَنْ إِلَيْهِ هِ تَعْرُجُ الْأَمْلاَكُ كُلُّ أَوَانِ

وذلك كما قال تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾
 مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿المعارج: ١-٣﴾، وقولُهُ: ﴿ذِي﴾: صِفَةٌ لِلَّهِ، ثُمَّ بَيَّنَّ كَوْنَهُ ذَا
 الْمَعَارِجِ فَقَالَ: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ ﴿المعارج: ٤﴾.

- ٤٧١٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ يَخَافُ جَلَالَهُ أَمْلاَكُهُ مِنْ فَوْقَهُمْ بَيَّانِ

كما قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ﴿النحل: ٥٠﴾، وهذا فيه إثبات العلوِّ.

٤٧٢٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ عَدَا لِسَرِيرِهِ أَطُّ بِهِ كَالرَّحْلِ لِلرُّكْبَانِ

قَوْلُهُ: «سَرِيرُهُ»؛ أَي: عَرَشِهِ، فَإِنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ لَهُ أَطِيطًا كَأَطِيطِ الرَّحْلِ^(١)، وَالْأَطِيطُ هُوَ مَا يُسْمَعُ مِنْ صَرِيرِ الرَّحْلِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَمَلٌ، فَالْبَعِيرُ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ حَمَلٌ ثَقِيلٌ تَجِدُ أَنَّ رَحْلَهُ يَكُونُ لَهُ صَرِيرٌ، وَالرَّحْلُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ عَلَى ظَهْرِ الْبَعِيرِ، يُرَكَّبُ عَلَيْهِ وَيُشَدُّ عَلَيْهِ الْمَتَاعُ، فَتَسْمَعُ لَهُ أَطِيطًا، وَنَحْنُ نُوْمِنُ بِهَذَا، وَلَكِنَّا لَا نُشَبِّهُهُ.

٤٧٢١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَتَانَا قَوْلُهُ مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ

قَوْلُهُ: «مَنْ أَتَانَا قَوْلُهُ»؛ يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

قَوْلُهُ: «مِنْ عِنْدِهِ مِنْ فَوْقِ سِتِّ ثَمَانٍ» كَيْفَ قَالَ: «سِتِّ ثَمَانٍ» مَعَ أَنَّ السَّمَاوَاتِ سَبْعٌ وَليست سِتًّا؟ الْجَوَابُ: قَالَ: «ثَمَانٍ» بِاعْتِبَارِ أَنَّ الْعَرْشَ هُوَ الثَّمَانُ، أَمَّا قَوْلُهُ: «سِتِّ» فَهَذَا إِذَا أَرَادَ أَنْ يُسْقِطَ السَّمَاءَ الدُّنْيَا^(٢)، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

٤٧٢٢- نَزَلَ الْأَمِينُ بِهِ بِأَمْرِ اللَّهِ مِنْ رَبِّ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَا الرَّحْمَنُ

الْأَمِينُ هُوَ جَبْرِيْلُ، وَصَفَهُ اللَّهُ بِأَنَّهُ أَمِينٌ وَبِأَنَّهُ قَوِيٌّ فَقَالَ: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾﴾ [التَّكْوِيْر: ١٩-٢٠]، وَقَالَ: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩﴾﴾ [الشُّعْرَاء: ١٩٣]، وَبِالْقُوَّةِ وَالْأَمَانَةِ يَحْصُلُ الْكَمَالُ، قَالَ -سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿لَيْسَ خَيْرَ مَنْ أَسْتَجَرْتَ الْقَوِيَّ الْأَمِينُ﴾ [الْقَصَص: ٢٦].

٤٧٢٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ قَاهِرٌ فَوْقَ الْعِبَا دِفْلَا تَضَعُ فَوْقِيَّةَ الرَّحْمَنِ

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ»، رَقْمٌ (٢٣١٢).

(٢) انظُر: شَرْحُ الْبَيْتَيْنِ (٤١٢، ٥٢٣) مِنَ الْمَجْلَدِ الْأَوَّلِ.

٤٧٢٤- مِنْ كُلِّ وَجْهِ تِلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ لَا تَهْضُمُوهَا يَا أُولِي الْبُهْتَانِ

قَوْلُهُ: «يَا أُولِي الْبُهْتَانِ»، وفي نسخة: «يَا أُولِي الْعُدْوَانِ».

قَوْلُهُ: «فَلَا تُضْعُ» يجوزُ أن تكونَ «فَلَا تُضْعُ»، فيصحُّ هذا وهذا.

قَوْلُهُ: «مِنْ كُلِّ وَجْهِ تِلْكَ ثَابِتَةٌ لَهُ»؛ يعني: العلوُّ وال فوقية؛ لأنَّ هؤلاء هضموا الفوقية، وقالوا: إنَّها ليست فوقية الذاتِ وإنَّها هي فوقية الصِّفةِ.

٤٧٢٥- قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ فَوْقَ الْعَرْشِ بِالْبُرْهَانِ وَالْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «قَهْرًا وَقَدْرًا وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ»؛ يعني أنَّ علوَّ الله علوُّ قهْرٍ وعلوُّ قدرٍ وعلوُّ ذاتٍ؛ ولهذا قال: «وَاسْتِوَاءَ الذَّاتِ» هذا علوُّ الذاتِ فوق العرشِ بالبرهانِ والقرآنِ.

فالله تعالى ثبَّتَ له الفوقيةُ بجميع المعاني، فوقيةُ الذاتِ بمعنى أنَّه فوق كُلِّ شيءٍ، وفوقيةُ القدرِ بمعنى أنَّه أشرفُ من كُلِّ شيءٍ، وفوقيةُ القهْرِ بمعنى أنَّه غالبُ كُلِّ شيءٍ.

٤٧٢٦- فَبَدَائِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ثُمَّ اسْتَوَى بِالذَّاتِ فَافْهَمَ ذَانَ

هذا إشارةٌ إلى قاعدةٍ مفيدةٍ وهي: كُلُّ ما أضافه اللهُ لنفسه فالمرادُ لذاته، فهنا قال اللهُ تعالى: ﴿إِنَّكَ رَبُّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فهو تعالى خَلَقَ بذاته، واستوى بذاته، كُلُّ الأفعالِ تعودُ على الذاتِ، فإذا كانت تعودُ على الذاتِ فلماذا نُفَرِّقُ ونقول: إنَّه لم يستوِ بذاته بل علا بقدره؛ ونقول: خَلَقَ بذاته؟!!

قَوْلُهُ: «فَافْهَمَ ذَانَ» بناءً على مَنْ يُلْزَمُ المثنى الألفَ ولو كان منصوبًا أو مجرورًا.

٤٧٢٧- فَضْمِيرُ فِعْلِ الْإِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذُّ ذَاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ بِهَا فُرْقَانِ

قَوْلُهُ: «فَضْمِيرُ فِعْلِ الْإِسْتِوَاءِ يَعُودُ لِلذَّاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ» ضَمِيرُ فِعْلِ الْإِسْتِوَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] يَعُودُ لِلذَّاتِ الَّتِي ذُكِرَتْ بِهَا فُرْقَانِ، لَكِنْ أَيْنَ الذَّاتُ الَّتِي ذُكِرَتْ؟ الْجَوَابُ: قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الأعراف: ٥٤] هُوَ نَفْسُهُ الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ أَي: الرَّبُّ الَّذِي خَلَقَ.

قَوْلُهُ: «بِهَا فُرْقَانِ»؛ أَي: بِهَا فُرْقَانِ بَيْنَ الْخَلْقِ وَالْإِسْتِوَاءِ، فَكَمَا أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يَقُولُ: خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ بِذَاتِهِ، هُوَ الَّذِي خَلَقَهَا، لَا أَخَذَهَا، وَاسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ أَيْضًا بِذَاتِهِ.

فَالْقَاعِدَةُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ لِنَفْسِهِ حَقِيقَةٌ، لَكِنْ لَا تَتَوَهَّمُ مِنْهُ مَعْنَى بَاطِلًا، فَإِنْ خَفَتْ إِنْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنَّ يَتَوَهَّمُ الْمَخَاطَبُ وَهَمًّا بَاطِلًا فَدَعِهِ، فَلَا تَشْوِشْ عَلَى غَيْرِكَ، وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ ذَكَرَهَا ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي «مَخْتَصَرِ الصَّوَاعِقِ الْمُرْسَلَةِ»، وَأَكْثَرَ مِنَ الْأَمْثَلَةِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ إِذَا أُضِيفَ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ لَهُ حَقِيقَةٌ بِذَاتِهِ.

٤٧٢٨- هُوَ رَبُّنَا هُوَ خَالِقُ هُوَ مُسْتَوٍ بِالذَّاتِ هَذِي كُلُّهَا بِوِرَانِ

هُوَ رَبُّنَا ذَاتُهُ، وَهُوَ الْخَالِقُ ذَاتُهُ، وَهُوَ الْمُسْتَوِي ذَاتُهُ، كُلُّهَا بِوِرَانِ، فَكُلُّ الصَّوَائِرِ الثَّلَاثَةِ تَعُودُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤].

- ٤٧٢٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الْـ
 مَعْلُومٍ بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ
 ٤٧٣٠- فَعَلُوهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ
 قَالَهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ
 ٤٧٣١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطَّبَا
 قِ رَسُولُهُ فَدَنَا مِنَ الدِّيَانِ
 ٤٧٣٢- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعَدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً
 لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ
 ٤٧٣٣- وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ
 وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ
 ٤٧٣٤- وَاللَّهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ
 فِي ذَلِكَ الْمِعْرَاجِ بِالْمِيزَانِ
 ٤٧٣٥- قُلْتُمْ خَيْالًا أَوْ أَكَاذِيبًا أَوْ الْـ
 مِعْرَاجَ لَمْ يَخْضَلْ إِلَى الرَّحْمَنِ
 ٤٧٣٦- إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى
 رَبُّ إِلَيْهِ مُتْتَهَى الْإِنْسَانِ
 ٤٧٣٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَشَارَ رَسُولُهُ
 حَقًّا إِلَيْهِ بِإِصْبَعٍ وَبِنَانِ
 ٤٧٣٨- فِي مَجْمَعِ الْحَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ
 دُونَ الْمُعَرَّفِ مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ
 ٤٧٣٩- مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِإِصْبَعِ
 قُطِعَتْ فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله- في أذانه وإعلانه للسنة:

- ٤٧٢٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ذُو الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ الْـ
 مَعْلُومٍ بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ
 ٤٧٣٠- فَعَلُوهُ مِنْ كُلِّ وَجْهِ ثَابِتٌ
 قَالَهُ أَكْبَرُ جَلَّ ذُو السُّلْطَانِ

قوله: «بِالْفِطْرَاتِ لِلْإِنْسَانِ»، وفي نسخة: «بِالْفِطْرَاتِ وَالْإِيمَانِ».

قَوْلُهُ: «ذُو الْعُلُوِّ الْمُطْلَقِ»؛ أي: الكامل من كُلِّ وجهٍ، فله علوُّ الذَّاتِ، وعلوُّ الصِّفَةِ، وعلوُّ القدرِ والقهرِ.

٤٧٣١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ رَقَا فَوْقَ الطُّبَا قِ رَسُولُهُ فَدَنَا مِنَ الدِّيَانِ

٤٧٣٢- وَإِلَيْهِ قَدْ صَعَدَ الرَّسُولُ حَقِيقَةً لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ

٤٧٣٣- وَدَنَا مِنَ الْجَبَّارِ جَلَّ جَلَالُهُ وَدَنَا إِلَيْهِ الرَّبُّ ذُو الْإِحْسَانِ

هذا فيه دليلٌ على علوِّ الله أيضًا، فرسولنا -صلواتُ الله وسلامه عليه- أُسْرِيَ به إلى بيتِ المقدسِ، قال اللهُ تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، وعُرِجَ به إلى السَّمَاوَاتِ الْعُلَى؛ لِأَنَّ الْمِعْرَاجَ هُوَ مَا يُعْرَجُ بِهِ، وَدَنَا مِنْ اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا وَخَاطَبَهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ «النَّجْمِ»: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرْقٍ ﴿٦﴾ [النَّجْم: ٥-٦]؛ أَي: هَيْئَةً حَسَنَةً، ﴿فَأَسْتَوَى﴾ [النَّجْم: ٦]؛ أَي: عَلَا، ﴿وَهُوَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ﴿٧﴾﴾ [النَّجْم: ٧-٨]؛ يَعْنِي: جَبْرِيلَ ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ [النَّجْم: ٩]، ﴿فَأَوْحَى﴾ [النَّجْم: ١٠]؛ أَي: جَبْرِيلَ ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ [النَّجْم: ١٠]؛ أَي: عَبْدِ اللَّهِ ﴿مَا أَوْحَى﴾.

إِذْنُ الصَّوَابِ فِي الْآيَةِ أَنْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى﴾ يَعُودُ إِلَى جَبْرِيلَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَتَدَلَّى، بَلْ جَبْرِيلُ كَانَ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى ثُمَّ دَنَا مِنَ الرَّسُولِ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فِي وَقْتِ الْوَحْيِ حَتَّى كَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِ اللَّهِ مَا أَوْحَى، لَكِنْ لَا شَكَّ أَنَّ الرَّسُولَ قَرَّبَ مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ صَعَدَ إِلَى مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَوَصَلَ إِلَى مَكَانٍ سَمِعَ فِيهِ صَرِيفَ أَقْلَامِ الْقَضَاءِ تَكْتَبُ، وَهَذَا الْمَكَانُ لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْبَشَرِ فِيمَا نَعْلَمُ.

هذه كُلُّهَا آياتُ المعراجِ، وليس هذا موضعَ قصديها وإلا ففيها عبرٌ، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ فيها: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾ [النجم: ١٧]، ويقولُ: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾ [النجم: ١١].

سبحان الله! الإنسان لو يرى أدنى أدنى شيءٍ من هذه الآياتِ زَاغَ بصره، وقام يلتفتُ يميناً وشمالاً: ما هذا؟ لكنَّ مُحَمَّدًا ﷺ ما زَاغَ بصره وما طَغَى، ما تجاوز لكمالِ أدبه وحسنِ خلقه عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، وثباتِ جَأْشِهِ، كذلكِ الفؤاد ما قال: هذه خيالاتٌ، هذه أوهامٌ، هذه أحلامٌ، أبداً، ما كذب ما رأى، بل ما رآه فهو حقيقةٌ اطمأنَّ إليه القلبُ وبصر به وعرف به، هؤلاء يُنكرون المعراجِ يقولون: اللهُ عزَّ وجلَّ ليس في السماءِ، أين المعراجُ؟ لا شيءٌ، ولهذا يقولُ إليهم: «لَا تُنْكِرُوا الْمِعْرَاجَ بِالْبُهْتَانِ».

٤٧٢٤- وَاللَّهُ قَدْ أَحْصَى الَّذِي قَدْ قُلْتُمْ فِي ذَلِكَ الْمِعْرَاجِ بِالْمِيزَانِ

يشيرُ إلى أن هؤلاء القومَ أنكروا عروجَ الرسولِ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- إلى الله؛ لأنَّهم يُنكرون علوَّ الله، فإذا أنكروا علوَّ الله لَزِمَ من ذلك إنكارُ مَنْ يعلو إلى الله، أو إنكارُ علوِّ مَنْ يعلو إلى الله.

٤٧٢٥- قُلْتُمْ خَيَالًا أَوْ أَكَاذِيبًا أَوْ أَلْمِعْرَاجِ لَمْ يَحْضُلْ إِلَى الرَّحْمَنِ

هذه ثلاثة أقوالٍ:

الأوَّلُ: «قُلْتُمْ خَيَالًا»، ومن ذلك قولُ مَنْ قال: «إِنَّ الرَّسُولَ لَمْ يُعْرَجْ بِهِ حَقِيقَةً، وَإِنَّمَا رَأَى فِي الْمَنَامِ».

الثَّانِي: «قُلْتُمْ أَكَاذِيبًا» وذلك؛ لأنَّ من قاعدتهم أنَّ العقيدة لا تثبتُ بأخبارِ الآحادِ مع أنَّ المعراجَ متواترٌ والقرآنُ قد دَلَّ عليه في سورة «النَّجم».

الثالث: قلت: إِنَّ الرَّسُولَ لم يعرج إلى الرَّحْمَنِ، وَإِنَّمَا عَرَجَ إلى السَّمَاوَاتِ، وَأَمَّا الرَّحْمَنُ فليس فوق السَّمَاوَاتِ، فالعروجُ ليس إلى الله، بل عروجٌ إلى ما فوق السَّمَاوَاتِ، لكن ليس إلى الله.

فهذه ثلاثة أقوالٍ قالوها من أجل إنكارِ علوِّ الله عزَّ وجلَّ، نسأل الله العافية.

٤٧٣٦- إِذْ كَانَ مَا فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى رَبِّ إِلَيْهِ مُتَّهَى الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ»؛ يعني: إِذْ كَانَ الْأَمْرُ.

وإذا لم يكن فوق السَّمَاوَاتِ رَبٌّ فعروجُ الرَّسُولِ إلى غيرِ الله، ويكونُ قد طلع يتفرَّجُ على السَّمَاوَاتِ وعلى ما فيها، ثُمَّ رجع.

٤٧٣٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ أَشَارَ رَسُولُهُ
حَقًّا إِلَيْهِ بِإِصْبَعٍ وَبَنَانٍ
هذا أيضًا من الأدلَّةِ أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ أشار إلى الله بالإصْبَعِ وَبَنَانٍ^(١).

قَوْلُهُ: «إِصْبَعٍ» يقولون: فيها عشرُ لغاتٍ، و«أَنْمَلَةٌ» فيها تسعُ لغاتٍ، وَضَبَطَتْ هذه اللُّغَاتُ في بَيْتٍ وَاحِدٍ، يعني: تسعُ عشرةَ لُغَةً في بَيْتٍ وَاحِدٍ، قال فيه النَّاطِمُ:

وَهَمَزَ أَنْمَلَةٌ ثَلَاثٌ وَتَالِثَةُ الثُّ- تِسْعُ فِي إِصْبَعٍ وَاخْتِمٍ بِأَصْبُوعٍ^(٢)

(١) كما في حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في الحج، وفيه: نَشَهُدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ: بِإِصْبَعِهِ السَّبَابِيَّةَ، يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ، اللَّهُمَّ، اشْهَدْ». أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

(٢) البيت في تاج العروس، مادة: نمل، وعزاه للعز القسطلاني.

وعندنا في لغة السِّيَّاراتِ «إصْبَاع» للبطاريَّة، لكن الظَّاهر أنَّها ليست لغةً، فهذه عشرُ لغاتٍ في إِصْبَع، وتسعُ لغاتٍ في أَنْمَلَةٌ.

قَوْلُهُ: «هَمْزَ أَنْمَلَةٍ ثَلَاثٌ»؛ أي: بالحركاتِ الثَّلَاثِ؛ الفتحِ والكسرِ والضمِّ، الثَّلَاثُ من «أَنْمَلَةٌ» وهي الميمُ أيضًا فيها حركاتُ ثلاثٌ، وثلاثةٌ في ثلاثَةٍ بتسعٍ، «وَاخْتِمَ بِأُصْبُوعٍ» تكونُ عشرةً، تقولُ: إِصْبَعُ إِصْبَعُ أُصْبَعُ، وهكذا، فلا يغلطُ الإنسانُ في أيِّ وجهٍ يقرؤها به.

٤٧٣٨- في مَجْمَعِ الْحَجِّ الْعَظِيمِ بِمَوْقِفِ دُونَ الْمُعَرَّفِ مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ
وهذا لما نزل الرَّسُولُ ﷺ وادي عُرْنَةَ، خطب النَّاسَ في وادي عُرْنَةَ، ووادي عُرْنَةَ ليس هو الْمُعَرَّفُ، الْمُعَرَّفُ هو عرفةٌ لكنَّه قريبٌ منه؛ ولهذا قال: «بِمَوْقِفِ دُونَ الْمُعَرَّفِ»، وقوله: «مَوْقِفِ الْغُفْرَانِ» هذا نعتٌ لـ«الْمُعَرَّفِ» لا للموقِفِ الذي خطب فيه الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم.

المهمُّ أنَّه نزل هناك وخطب في النَّاسِ خطبةً عظيمةً بليغةً قبل الصَّلَاةِ، وقال للنَّاسِ: «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»، يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكُتُهَا لِلنَّاسِ^(١)، «اللَّهُمَّ اشْهَدْ»؛ يعني: عليهم، قالها -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ثلاثَ مرَّاتٍ.

٤٧٣٩- مَنْ قَالَ مِنْكُمْ مَنْ أَشَارَ بِإِصْبَعِهِ قُطِعَتْ فِعْنَدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ
هؤلاء المنكرون للعلوِّ يقولون: مَنْ رَفَعَ إِصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مَشِيرًا إِلَى عَلْوِ اللَّهِ وَجَبَ قَطْعُهَا، وعلى هذا فيجبُ قَطْعُ إِصْبَعِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ، رقم (١٢١٨).

رَفَعَهَا مَشِيرًا إِلَى عُلُوِّ اللَّهِ؛ وَهَذَا أَنَا أَرَى شَخْصِيًّا أَنَّ الَّذِي يُنْكِرُ عُلُوَّ اللَّهِ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ مَكْذُوبٌ لِلْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَإِجْمَاعِ السَّلَفِ وَالْعَقْلِ وَالْفِطْرَةِ تَكْذِيبًا صَرِيحًا، فَإِنْ لَمْ يَكْفُرْ هَذَا فَمَنْ الَّذِي يَكْفُرُ؟! سُبْحَانَ اللَّهِ! أَدَلَّةٌ عَظِيمَةٌ كُلُّهَا قَاطِعَةٌ أَشَدُّ مِنَ الشَّمْسِ ظَهورًا، ثُمَّ تُنْكِرُ، نَعَمْ؛ إِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ جَاهِلًا تَابِعًا لِأَنَّمَةِ الضَّلَالِ وَلَا يَدْرِي عَنِ الْحَقِّ فَهَذَا يُعْذَرُ كَمَا دَلَّتْ عَلَى ذَلِكَ آيَاتٌ كَثِيرَةٌ وَأَحَادِيثٌ، لَكِنْ إِذَا تَبَيَّنَ الْحَقُّ فَلَا عِذْرَ لِأَحَدٍ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «فَعِنْدَ اللَّهِ يَجْتَمِعَانِ»؛ أَي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْتَصِمَانِ إِلَى اللَّهِ، فَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ الَّذِي أَشَارَ إِلَى السَّمَاءِ، وَمَنْ قَالَ: «مَنْ رَفَعَ إصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ قُطِعَتْ إصْبَعُهُ» يَجْتَمِعَانِ، وَمَا ظَنَنْكَ بِأَحَدٍ يَكُونُ خَصْمَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ إِنَّهُ لَمَهْزُومٌ وَإِنَّهُ لِمَخْصُومٌ.

انْتَبِهُوا لِلخِلَافِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ أَهْلِ الْبِدْعِ، فَلَا يَكُونُ فِي الدُّنْيَا فَقَطْ، بَلْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ نَخَاصِمُهُمْ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣٠-٣١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾ [المتحنة: ٣]؛ أَي: نَحَاكُمُهُمْ، وَمَنْ الْمَعْلُومُ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَجْعَلَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ سَبِيلًا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، كَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ الْكَافِرِينَ مِمَّنْ هُمْ عَلَى بَاطِلٍ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ حَقًّا عَلَى أَهْلِ الْحَقِّ.

- ٤٧٤٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ وَشَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنٍ
 ٤٧٤١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيُّ ذَا الْأَرْكَانِ
 ٤٧٤٢- وَكَذَلِكَ الْكَرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطُّبَا قِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ بِالْبُرْهَانِ

- ٤٧٤٣- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْإِنْسَانِ
- ٤٧٤٤- لَا تَحْضُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقُو
- ٤٧٤٥- نَزَّهْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ
- ٤٧٤٦- لَا تُعْدِمُوهُ بِقَوْلِكُمْ لَا دَاخِلٌ
- ٤٧٤٧- اللَّهُ أَكْبَرُ هَتَكْتَ أَسْتَارِكُمْ
- ٤٧٤٨- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ وَعَنْ
- ٤٧٤٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْ
- لُورُبُّنَا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ
- وَحَصْرُ نَمُوهُ فِي مَكَانٍ ثَانٍ
- فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ
- وَبَدَتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
- مِثْلٍ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانِ
- أَوْصَافُ كَامِلَةٌ بِلَا نُقْصَانِ

الشرح

- ٤٧٤٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ ظَاهِرٌ مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ وَشَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ شَأْنٍ
- وهذا تفسيرُ أعلم الخلقِ بكتابِ الله، قال عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١)، والظَّاهِرُ؛ أي: العَالِي، فإذا كان هذا تفسيرَ مُحَمَّدٍ ﷺ فكيف يُنكِرُ؟! ولكن قال الكافرون للرَّسولِ ﷺ: ﴿هَذَا سَجْرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ مُجَابٌ﴾ [ص: ٤-٥]، فوصفوا الرَّسولَ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- بالسَّحْرِ والكذِبِ، ووصفوا التَّوْحِيدَ بالشَّيْءِ الْعُجَابِ، والعُجَابُ أبلغ من العَجَبِ، وأبلغ من العَجِيبِ، فهم قالوا: كيف يجعلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا؟!

(١) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم (٢٧١٣).

٤٧٤١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَرْشُهُ وَسِعَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَالْكَرْسِيُّ ذَا الْأَرْكَانِ
إِذَنْ فَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْكَرْسِيِّ.

٤٧٤٢- وَكَذَلِكَ الْكَرْسِيُّ قَدْ وَسِعَ الطَّبَأَ قِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِينَ بِالْبُرْهَانِ
البرهان هو قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، إِذَنْ
عندنا ثلاثة أشياء: السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَسِعَهَا الْكَرْسِيُّ، وَالْكَرْسِيُّ وَسِعَهُ الْعَرْشُ،
إِذَنْ الْعَرْشُ أَكْبَرُ الثَّلَاثَةِ، وَلَا يَقْدَرُ قَدْرَهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

والمؤلف - رحمه الله - ذكر ما دلت عليه الآثار؛ إذ إنَّ العرش أكبر من
الكرسي، والكرسي أكبر من السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أَمَا كَوْنُ الْكَرْسِيِّ أَكْبَرَ مِنَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَهَذَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وَأَمَا كَوْنُ الْعَرْشِ أَوْسَعَ مِنَ الْكَرْسِيِّ فَهَذَا قَدْ جَاءَتْ بِهِ
الآثَارُ، ف«السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُونَ» كحلقَةِ الدَّرْعِ، فَهِيَ سِيرَةٌ مِثْلُ الْأَنْمَلَةِ بَلْ أَقْلُ،
نَسْبَةٌ هَذِهِ الْحَلْقَةُ إِلَى فَلَاحٍ مِنَ الْأَرْضِ لَيْسَ بِشَيْءٍ، «وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكَرْسِيِّ
كَفَضْلِ الْفَلَاحِ عَلَى الْحَلْقَةِ»^(١)، سُبْحَانَ اللَّهِ! مَخْلُوقَاتٌ عَظِيمَةٌ، هَذَا وَهُوَ مَخْلُوقٌ،
فَكَيْفَ بِالْخَالِقِ!؟

الآن لا يمكن أن يتصور الإنسان عظم الكرسى ولا عظم العرش، فكيف
بالخالق جلَّ وعلا؟! والله تعالى فوق ذلك كله ليس محصوراً بمكان، هو فوق كل
شيء، فما فوق المخلوقات عدم فضاء، لا يوجد شيء، ليس ثمَّ إلاَّ الله عزَّ جلَّ،
فلا يحيطُ به شيء من مخلوقاته، ولا هو حالٌّ في شيء من مخلوقاته.

(١) أخرجه ابن حبان (٧٧/٢)، رقم (٣٦١).

٤٧٤٣- وَاللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ وَالْكَرْسِيِّ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ خَوَاطِرُ الْإِنْسَانِ قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ»، وفي نسخة: «وَالرَّبُّ».

إذا كانت خواطِرنا لا تخفى على ربنا فما بالك بأقوالنا وأفعالنا؟ الجواب: تكون أولى بالعلم.

٤٧٤٤- لَا تَحْضُرُوهُ فِي مَكَانٍ إِذْ تَقُو لُوَارِبَتًا حَقًّا بِكُلِّ مَكَانٍ وهذا أحد أقوال أهل التَّعْطِيلِ الذين يقولون: إِنَّ اللَّهَ بَدَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ؛ فِي الْمَسْجِدِ، فِي الْحِجْرَةِ، فِي الْبَيْتِ، فِي السُّوقِ، فِي الْحُشِّ، فِي الْأَقْدَارِ، فِي الْأَتْنَانِ، فِي الْأَوْسَاحِ، فِي كُلِّ مَكَانٍ، قَاتِلَهُمُ اللَّهُ!

ولا ريبَ أن مَنْ اعتقد في ربه هذا أنه كافرٌ كُفْرًا يَجْرُجُ به من المِلَّةِ؛ لِأَنَّهُ مُكَذِّبٌ لِلنُّصُوصِ الصَّرِيحَةِ الْوَاضِحَةِ فِي عِلْوِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ إِنَّهُ قَدْ تَنَقَّصَ اللَّهَ غَايَةَ التَّنْقِصِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ، أَنْ جَعَلَهُ فِي مَكَانِ الْحَشُوشِ، لَوْ خَاطَبَ مَلَكًا مِنَ الْمَلُوكِ فِي الدُّنْيَا قَالَ: أَنْتَ فِي الْحُشِّ، مَاذَا يَقُولُ؟ الْجَوَابُ: يُعَدِّمُهُ.

٤٧٤٥- نَزَّهْتُمُوهُ بِجَهْلِكُمْ عَنْ عَرْشِهِ وَحَصَرْتُمُوهُ فِي مَكَانٍ ثَانٍ قالوا: ليس على العرش، لكنَّه في الحُشِّ، ليس فوق العرش، لكنَّه داخل الحُشِّ، أَعُوذُ بِاللَّهِ! فَهَمَّ نَزَّهَهُ عَنِ الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَخْلُوقَاتِ وَأَعْظَمُهَا، لَكِنَّهُمْ تَنَقَّصُوهُ بِقَوْلِهِمْ: «فِي كُلِّ مَكَانٍ».

٤٧٤٦- لَا تُعَدِّمُوهُ بِقَوْلِكُمْ لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ قَوْلُهُ: «لَا تُعَدِّمُوهُ»؛ يَعْنِي: لَا تَجْعَلُوهُ مَعْدُومًا بِقَوْلِكُمْ: «لَا دَاخِلٌ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجُ الْأَكْوَانِ».

وهذا رأيي آخر لأهل التَّعْطِيلِ، يقولون: ليس اللهُ داخلَ العالمِ ولا خارجَه، وقصَّةُ ابنِ فوركٍ معِ محمودِ بنِ سبكتكين -رحمه اللهُ تعالى- مشهورةٌ، فقد ناظره وقال: إذا كنت تقولُ في ربِّك هذا فأين اللهُ؟! فقد وصفتَ ربَّك بالعدمِ المحضِ والعياذُ بالله، والطائفةُ الأولى تقولُ: «في كُلِّ مكانٍ»، وكلاهما ضالَّةٌ، ونحن نقولُ: ربُّنا فوقَ السَّمَاوَاتِ، ولا يخفى عليه شيءٌ من أعمالِنَا، وليس داخلَ العالمِ، بل هو فوقَ العالمِ.

٤٧٤٧- اللهُ أَكْبَرُ هُتَّكَتْ أَسْتَارُكُمْ وَبَدَتْ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ عَيْنَانِ
قَوْلُهُ: «هُتَّكَتْ»؛ يعني: مُزَّقَتْ.

الأستارُ التي تتسَرَّون بها وتقولون: نحن أهلُ التَّنْزِيهِ اللهُ، هُتَّكَتْ -وَاللهُ الحَمْدُ- بما أبانه أهلُ السُّنَّةِ من الحقِّ.

٤٧٤٨- وَاللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ وَعَنْ مِثْلٍ وَعَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانِ
ذكر أيضاً طائفتين متضادتين ضالَّتَيْنِ مبتدعتين «اللهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِهِ وَعَنْ مِثْلٍ» خلافاً لِمَنْ قال بالتمثيلِ، «وَجَلَّ عَنْ تَعْطِيلِ ذِي كُفْرَانِ» خلافاً لِمَنْ نفى الصِّفَاتِ.

فالمشبهَةُ والممثلةُ قالوا: إِنَّ اللهُ -سبحانه وتعالى- مماثلٌ لخلقِه، فوجهُ اللهُ كوجوه الخلقِ، عينُه كذلك، يدهُ كذلك، مثْلوه بالخلقِ، والمعطلةُ عطَّلوه فقالوا: ليس له يدٌ ولا رجلٌ ولا وجهٌ ولا شيءٌ.

واعلم أن كُلَّ ممثِّلٍ معطلٌّ وكُلَّ معطلٍِّ ممثِّلٌ، شأؤوا أم أبوا؛ فكلُّ ممثِّلٍ معطلٌّ

من ثلاثة وجوه:

أَوَّلًا: لِأَنَّ الْمَثْلَ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ أَثْبَتَ بِهِ الصِّفَةَ؛ إِذْ إِنَّ النَّصَّ الَّذِي ثَبَّتَ بِهِ الصِّفَةَ لَا يَدُلُّ عَلَى التَّمثِيلِ أَبَدًا.

ثَانِيًا: أَنَّهُ عَطَّلَ اللَّهُ مِنْ كَمَالِهِ الْوَاجِبَ.

ثَالِثًا: أَنَّهُ عَطَّلَ كُلَّ نَصٍّ يَدُلُّ عَلَى نَفْيِ الْمِثَالَةِ لِلخَلْقِ.

وَالْمَعْطَلُّ مِثْلٌ أَيْضًا؛ لِأَنَّهُ إِذَا عَطَّلَ اللَّهُ، وَقَالَ: اللَّهُ لَيْسَ لَهُ وَجْهٌ، وَلَا يَنْزَلُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَلَا يَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ، فَإِنَّمَا بَنَى هَذَا التَّعْطِيلَ عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَفْعَلْ لَمَثَلٌ، فَيَكُونُ مِثْلٌ أَوَّلًا، ثُمَّ عَطَّلَ ثَانِيًا، ثُمَّ إِذَا نَفَى جَمِيعَ الصِّفَاتِ فَقَدْ مَثَلَ أَيْضًا، مِثْلٌ بِالشَّيْءِ الْمَعْدُومِ؛ لِأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ قَائِمٍ بِنَفْسِهِ إِلَّا وَلَهُ صِفَةٌ، فَإِذَا نَفَى عَنْهُ الصِّفَةَ، فَلَيْسَ قَائِمًا بِنَفْسِهِ، اللَّهُمَّ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، اللَّهُمَّ عَافِنَا.

فَالنَّاسُ طَرَفَانِ وَوَسْطٌ، أَهْلُ التَّمثِيلِ أَثْبَتُوا مَعَ التَّمثِيلِ، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ نَفَوْا، وَأَهْلُ السُّنَّةِ أَثْبَتُوا بَدُونَ تَمثِيلٍ.

٤٧٤٩- وَاللَّهُ أَكْبَرُ مَنْ لَهُ الْأَسْمَاءُ وَالْأَوْصَافُ كَامِلَةٌ بِإِلَّا نُقْصَانِ

لَمَّا ذَكَرَ أَنَّ اللَّهَ انْتَفَى عَنْهُ الشُّبُهَةُ وَالْمِثْلُ بَيَّنَّ أَنَّهُ إِذَا انْتَفَى عَنْهُ الشُّبُهَةُ وَالْمِثْلُ لِكَمَالِ أَوْصَافِهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَلْحَقُهُ أَحَدٌ فِي كَمَالِ أَوْصَافِهِ وَتَمَامِهَا.

٤٧٥٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ وَلَدٍ وَصَا جِبَةَ وَعَنْ كُفٍّ وَعَنْ أَخْدَانِ

٤٧٥١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَا دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٤٧٥٢- هُمْ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانِ

- ٤٧٥٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْعِبَا
دِ فَذَانِ تَشْبِيهَانِ مُمْتَنِعَانِ
- ٤٧٥٤- وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاحِدٌ صَمَدٌ وَكُلُّ
لِ الشَّانِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمَنِ
- ٤٧٥٥- نَفَتِ الْوِلَادَةَ وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ وَالْ
كُفَاءَ الَّذِي هُوَ لِأَزْمِ الْإِنْسَانِ
- ٤٧٥٦- وَكَذَلِكَ أَثْبَتَتِ الصِّفَاتِ جَمِيعَهَا
لِلَّهِ سَالِمَةً مِنَ التَّقْصَانِ
- ٤٧٥٧- وَإِلَيْهِ يَضُمُّ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا
صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
- ٤٧٥٨- لَا شَيْءٌ يُشْبِهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يُشْ
بُهُ خَلَقَهُ مَا ذَاكَ فِي الْإِمْكَانِ
- ٤٧٥٩- لَكِنْ بُبُوتُ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ
وَعُلُوُّهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانِ
- ٤٧٦٠- لَا تَجْعَلُوا الْإِبْطَاتِ تَشْبِيهًا لَهُ
يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ وَالطُّغْيَانِ
- ٤٧٦١- كَمْ تَرْتَقُونَ بِسُلْمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّ
تَعْطِيلِ تَرْوِيحًا عَلَى الْعُمَيَّانِ
- ٤٧٦٢- فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ
كَصِفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
- ٤٧٦٣- هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ لَا إِبْطَاتٌ أَوْ
صَافِ الْكَمَالِ فَمَا هُمَا سَيَّانِ

الشرح

- ٤٧٥٠- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ وَلَدٍ وَصَا
جِبَةٍ وَعَنْ كُفَاءٍ وَعَنْ أَخْدَانِ
- قَوْلُهُ: «جَلَّ عَنْ وَلَدٍ»؛ أي: تنزهه وعظمه عن ولد، لا ذكر ولا أنثى، وقد
قالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، وقال المشركون:
الملائكة بنات الله، والله عز وجل منزّه عن هذا كله.

قَوْلُهُ: «وَعَنْ كُفَاءٍ»؛ أي: مكافئ له في أسمائه وصفاته وأفعاله.

قَوْلُهُ: «وَعَنْ أَخْدَانَ»؛ أَي: مُصَاحِبٍ.

٤٧٥١- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَا دِ كَقَوْلِ ذِي التَّعْطِيلِ وَالْكَفْرَانِ

٤٧٥٢- هُمْ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَادِ» اللهُ أَكْبَرُ! أَيضًا جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْجَمَادِ، وَأَهْلُ التَّعْطِيلِ شَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ، فَقَالُوا: لَيْسَ لَهُ سَمْعٌ، وَلَا بَصَرٌ، وَلَا كَلَامٌ، وَلَا فِعْلٌ، وَلَا اسْتِوَاءٌ، وَلَا نَزْوَلٌ، فَشَبَّهُوهُ بِالْجَمَادِ.

قَوْلُهُ: «وَلَيْتَهُمْ قَدْ شَبَّهُوهُ بِكَامِلِ ذِي شَانٍ»؛ يَعْنِي: لَيْتَهُمْ شَبَّهُوهُ بِمَنْ يَتَكَلَّمُ كَالْإِنْسَانِ مِثْلًا الَّذِي فَضَّلَهُ اللهُ عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ خَلْقٍ تَفْضِيلًا.

وَتَمَنَّى الْمُؤَلَّفِ هُنَا لَيْسَ يَرِيدُ بِهِ تَمَنِّي الْكَمَالِ، بَلْ هَذَا الَّذِي تَمَنَّا خَيْرٌ مِنَ الْأَوَّلِ فَقَطْ؛ يَعْنِي: لَيْتَهُمْ اقْتَصَرُوا عَلَى أَنْ قَالُوا: إِنَّهُ مِثْلُ الْإِنْسَانِ فَقَطْ، بَلْ قَالُوا: إِنَّهُ مِثْلُ الْجَمَادِ.

٤٧٥٣- وَاللَّهُ أَكْبَرُ جَلَّ عَنْ شِبْهِ الْعِبَادِ دِفْدَانٍ تَشْبِيهَانِ مُمْنَعَانِ

مَا هُمَا؟ تَشْبِيهُهُ بِالْجَمَادِ، وَتَشْبِيهُهُ بِالْعِبَادِ الْأَحْيَاءِ، وَهُوَ مُنَزَّهٌ عَنْ هَذَا وَعَنْ هَذَا.

٤٧٥٤- وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَاحِدٌ صَمَدٌ وَكُلُّ لُ الشَّانِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمَنِ

اللهُ أَكْبَرُ، وَاحِدٌ صَمَدٌ، وَفِي الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ① اللهُ الصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ١-٢]، وَفِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَمِنَ الْمَلِكِ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَحْدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، فَهُوَ وَاحِدٌ أَحَدٌ صَمَدٌ، وَكُلُّ الشَّانِ فِي صَمَدِيَّةِ الرَّحْمَنِ؛ لِأَنَّ الصَّمَدِيَّةَ تَعْنِي: كَمَا لَ غِنَاهُ عَنْ خَلْقِهِ، وَافْتِقَارَ خَلْقِهِ إِلَيْهِ؛ وَهَذَا كَانَ كُلُّ الشَّانِ فِيهَا.

٤٧٥٥- نَفَتِ الْوِلَادَةَ وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ وَالْ كُفَاءَ الَّذِي هُوَ لَازِمُ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «نَفَتِ الْوِلَادَةَ»؛ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنْهَا.

قَوْلُهُ: «وَالْأَبُوَّةَ عَنْهُ»؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ لَهُ أَبٌ لَكَانَ مَحْتَاجًا إِلَيْهِ، وَاللَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ.

قَوْلُهُ: «وَالْكَفَاءَ»؛ لِأَنَّهُ لَا أَحَدَ يَكُونُ مِثْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «الَّذِي هُوَ لَازِمُ الْإِنْسَانِ» الْإِنْسَانُ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ وِلَادَةٍ أَوْ أَبُوَّةٍ أَوْ أُمُوَّةٍ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ كَفَاءٍ، كُلُّ النَّاسِ لَهُمْ أَكْفَاءٌ.

٤٧٥٦- وَكَذَلِكَ أَثْبَتَ الصِّفَاتِ بِجَمِيعِهَا اللَّهُ سَالِمَةً مِنَ النُّقْصَانِ
هَذَا غِنَاهُ، وَأَمَّا افْتِقَارُ غَيْرِهِ إِلَيْهِ فَقَالَ:

٤٧٥٧- وَإِلَيْهِ يَضُمُّ كُلُّ مَخْلُوقٍ فَلَا صَمَدٌ سِوَاهُ عَزَّ ذُو السُّلْطَانِ
إِذَنْ الصَّمَدِيَّةُ هِيَ كَمَا لُغْنَى اللَّهِ وَافْتِقَارُ جَمِيعِ الْخَلْقِ إِلَيْهِ.

٤٧٥٨- لَا شَيْءٌ يُشَبِّهُهُ تَعَالَى كَيْفَ يُشْبِهُ خَلْقَهُ مَا ذَاكَ فِي الْإِمْكَانِ
يَعْنِي: أَنَّ مِشَابَهَةَ اللَّهِ لَخَلْقِهِ أَمْرٌ مُسْتَحِيلٌ لَا يُمْكِنُ.

٤٧٥٩- لَكِنْ ثُبُوتُ صِفَاتِهِ وَكَلَامِهِ وَعُلُوُّهُ حَقًّا بِلَا نُكْرَانَ
قَوْلُهُ: «وَعُلُوُّهُ حَقًّا»، وَيَجُوزُ: «وَعُلُوُّهُ» عَطْفًا عَلَى «ثُبُوتِ».

الْمَعْنَى: أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُشَبِّهُهُ أَحَدٌ مَعَ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ وَعُلُوُّهُ عَلَى خَلْقِهِ

وَكَلَامِهِ.

٤٧٦٠- لَا تَجْعَلُوا الْإِثْبَاتَ تَشْبِيهًا لَهُ يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ وَالطُّغْيَانِ

قَوْلُهُ: «يَا فِرْقَةَ التَّلْبِيسِ»، وفي نسخة: «يَا فِرْقَةَ التَّشْبِيهِ»، وَالْأَوَّلُ أَصَحُّ.

هؤلاء الذين عطلوا الله زعموا أن كل من أثبت لله صفة فهو مُشَبَّهٌ، ثم قالوا: وبناءً على ذلك لا يجوز أن نثبت لله صفة؛ لأننا لو أثبتنا لله صفة لوقعنا في التشبيه، فيلبسون على العامة، ويقولون مثلاً إذا سمعوا رجلاً يقول: إن الله يدين، صرخوا وقالوا: أعود بالله شَبَّهْتَ، أَلْحَدْتَ، كَفَرْتَ، عَبَدْتَ صنماً، يصرخ في وجهه، وإذا سمع العوام ذلك يقولون: صدق سيّدنا، ويصفقون وراءهم، ولذلك يلبسون على العوام بهذا.

إذّن هم يُسمّون أهل الإثبات بالمشبهة والمجسمة والحشوية، وما أشبه ذلك من ألقاب السوء، وقد سبقهم آباؤهم في هذا حيث شبّهوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- بأنه ساحر مجنون شاعر كاهن.

٤٧٦١- كَمْ تَرْتَقُونَ بِسَلْمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّعْطِيلِ تَعْطِيلِ تَرْوِيحًا عَلَى الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «كَمْ تَرْتَقُونَ بِسَلْمِ التَّنْزِيهِ لِلتَّعْطِيلِ» «اللام» بمعنى «إلى».

يعني: كم ترتقون بسلم التنزيه إلى التعطيل، تعطلون الله تدعون أنكم تنزهونه ترويحاً على العميان.

٤٧٦٢- فَاللَّهُ أَكْبَرُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ كَصِفَاتِنَا جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

نعم، هو عز وجل أكبر من أن تكون صفاته كصفاتنا.

٤٧٦٣- هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ لَا إِثْبَاتٌ أَوْ صَافِ الكَمَالِ فَمَا هُمَا سَيِّانٍ

قَوْلُهُ: «هَذَا هُوَ التَّشْبِيهُ»؛ يعني: أن نجعل صفاتِ الله كصفاتنا.

قَوْلُهُ: «لَا إِثْبَاتٌ أَوْ صَافِ الكَمَالِ فَمَا هُمَا سَيِّانٍ» صدق رحمه الله، لا يستوي

مَنْ أَثَبَّتَ لله صفاتِ الكَمَالِ وَمَنْ أَثَبَّتَ لله صفاتٍ تماثلُ صفاتِ المخلوقين.

إِذْ هَذَا الفِصْلُ كُلُّهُ أَذَانٌ؛ ولهذا كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ عَنْ مَسْأَلَةٍ قَالَ: «اللهُ

أَكْبَرُ».

فصل

في تلازم التعطيل والشرك

- ٤٧٦٤- وَاعْلَمَ بِأَنَّ الشَّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُدًّا
 ٤٧٦٥- أَبَدًا فَكُلُّ مُعْطَلٍ هُوَ مُشْرِكٌ
 ٤٧٦٦- فَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْا
 ٤٧٦٧- وَإِلَيْهِ يَضُمُّدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا
 ٤٧٦٨- فَإِذَا انْتَفَتِ أَوْصَافُهُ وَفِعَالُهُ
 ٤٧٦٩- فَزِعَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا
 ٤٧٧٠- فَمُعْطَلٌ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْطَلٌ التُّ
 ٤٧٧١- قَدْ عَطَّلَا بِلِسَانِ كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ
 ٤٧٧٢- وَالنَّاسِ فِي هَذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ
 ٤٧٧٣- إِحْدَى الطَّوَائِفِ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ
 ٤٧٧٤- هَذَا وَثَانِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ ذَا
 ٤٧٧٥- هُوَ جَاحِدٌ لِلرَّبِّ يَدْعُو غَيْرَهُ
 كَانَا هُمَا لَا شَكَّ مُضْطَحِبَانِ
 حَتْمًا وَهَذَا وَاضِحُ التَّبَيَّانِ
 بَلْوَى وَيُغْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ
 وَإِلَيْهِ يُفْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ
 وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانِ
 مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالنُّكْرَانِ
 تَوْحِيدِ حَقًّا ذَانِ تَعْطِيلَانِ
 نُوحٍ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 مَارَابِعَ أَبَدًا بِذِي إِمْكَانِ
 فَإِذَا دَعَا دَعَا إِلَيْهَا ثَانِ
 لَكَ جَاحِدٌ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمَنِ
 شَرِّكََا وَتَعْطِيلًا لَهُ قَدَمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصُلِّ فِي تَلَازِمِ التَّعْطِيلِ وَالشُّرْكِ» التَّلَازِمُ؛ أَي: جَعَلَ الشَّيْءَ لَازِمًا لِلشَّيْءِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الدَّلَالَاتِ إِمَّا تَضْمَنُ أَوْ مَطَابِقَةٌ أَوْ التَّزَامُ، وَالشَّيْءُ إِمَّا مُسْتَقِلٌّ وَإِمَّا لَازِمٌ، وَاللَّازِمُ تَابِعٌ لِلْمَلْزُومِ، يَقُولُ رَحِمَهُ اللهُ:

٤٧٦٤- وَاعْلَمْ بِأَنَّ الشُّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُذْ كَانَا هُمَا لَا شَكَّ مُصْطَحِبَانِ
يعني: اعلم بأنَّ الشُّرْكَ وَالتَّعْطِيلَ مُصْطَحِبَانِ؛ يعني: يصحبُ أحدهما الآخرَ.

٤٧٦٥- أَبَدًا فَكُلُّ مُعْطَلٍ هُوَ مُشْرِكٌ حَتْمًا وَهَذَا وَاضِحُ التَّبْيَانِ
فالمعطلُّ مشرِكٌ، وَيَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: «حَتْمًا وَأَنَّ هَذَا وَاضِحُ التَّبْيَانِ»، ثُمَّ شرعَ بَيِّنُهُ فَقَالَ:

٤٧٦٦- فَالْعَبْدُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْبَلْوَى وَيُعْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ
قَوْلُهُ: «إِلَى مَنْ يَكْشِفُ الْبَلْوَى»؛ يعني: يزيلُ الضَّرَّ.
قَوْلُهُ: «وَيُعْنِي فَاقَةَ الْإِنْسَانِ»؛ يعني: يجلبُ النِّفْعَ.
فكُلُّ إِنْسَانٍ مُضْطَرٌّ إِلَى مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُ الشَّرَّ وَيَجْلِبُ لَهُ الْخَيْرَ.

٤٧٦٧- وَإِلَيْهِ يَضْمُدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا وَإِلَيْهِ يُفْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ
قَوْلُهُ: «يَضْمُدُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا»؛ يعني: يَمِيلُ وَيُنِيبُ فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا.
قَوْلُهُ: «وَإِلَيْهِ يُفْرَعُ طَالِبًا لِأَمَانِ» طَالِبًا لِأَمَانٍ عِنْدَ الْخَوْفِ، فَكُلُّ الْعِبَادِ يَفْرَعُونَ إِلَى اللهِ فِي طَلْبِ الْغِنَى، وَفِي إِزَالَةِ الْفَقْرِ، فِي الْحَوَائِجِ كُلِّهَا.

٤٧٦٨- فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ وَفِعَالُهُ وَعُلُوُّهُ مِنْ فَوْقِ كُلِّ مَكَانٍ

٤٧٦٩- فَرَزَعَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ وَكَانَ ذَا مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالتُّكْرَانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا انْتَفَتْ أَوْصَافُهُ... فَرَزَعَ الْعِبَادُ إِلَى سِوَاهُ» هذا وجه التلازم، إذا انتفت أوصاف الله ولم يكن سميعًا ولا بصيرًا ولا غنيًا ولا حميدًا ولا غير ذلك من الصفات، فيلزم من يفزعون؟ الجواب: إلى غير الله، يفزعون إلى من يحقق لهم المطالب، ويكشف عنهم السوء ويجلب لهم الخير، فيذهبون إلى غير الله ويعلقون آمالهم بغيره، وحينئذ يكونون مشركين، فمن لازم اعتقاد انتفاء الصفات عن الله فزع الخلق إلى غير الله، وحينئذ يكونون مشركين.

قَوْلُهُ: «وَكَانَ ذَا مِنْ جَانِبِ التَّعْطِيلِ وَالتُّكْرَانِ»؛ يعني: بسبب التعطيل والتكران.

٤٧٧٠- فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْطَلُ التَّوْحِيدِ حَقًّا ذَانِ تَعْطِيلَانِ

قَوْلُهُ: «فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذَاكَ مُعْطَلُ التَّوْحِيدِ» معطل الأوصاف لا شك أنه معطل التوحيد، وممثل الأوصاف معطل للتوحيد، فالذي يقول: «إِنَّ عَيْسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - كَالرَّبِّ» مشرك، والذي يقول: «إِنَّ صِفَاتِ اللَّهِ كَصِفَاتِ غَيْرِهِ» مشرك، المعطل هو مشرك أيضًا.

قَوْلُهُ: «ذَانِ تَعْطِيلَانِ» ما هما؟ الجواب: تعطيل الأوصاف وتعطيل التوحيد.

٤٧٧١- قَدْ عَطَّلَا بِلِسَانِ كُلِّ الرُّسُلِ مِنْ نُوحٍ إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

يعني: هذا التعطيل كان من عهد نوح إلى عهد محمد ﷺ، ونوح أول الرسل، ومحمد خاتمهم.

٤٧٧٢- وَالنَّاسُ فِي هَذَا ثَلَاثُ طَوَائِفٍ مَا رَابِعٌ أَبَدًا بِذِي إِمْكَانٍ

٤٧٧٣- إِحْدَى الطَّوَائِفِ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ فَإِذَا دَعَاهُ دَعَا إِلَهًا ثَانٍ

يدعون اللات والعزى ومناة وهبل، ولكل قوم صنم يدعوونه، ولا يدعون الله.

٤٧٧٤- هَذَا وَثَانِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ ذَا لَكَ جَا حِدٌ يَدْعُو سِوَى الرَّحْمَنِ

هذا قد جحد الله رب العالمين وصار يدعو غيره، توجد الآن أمم لا تعرف الله، وإنما تعرف زعماءها فتدعو زعماءها، البوذيون يعبدون «بوذا»، ولا يعرفون الله إطلاقاً، هؤلاء جاحدون يعبدون غير الله، وهي ثاني الأقسام.

٤٧٧٥- هُوَ جَا حِدٌ لِلرَّبِّ يَدْعُو غَيْرَهُ شُرْكَاءُ وَتَعْطِيلًا لَهُ قَدَمَانِ

يعني: أن الشرك والتعطيل له بمنزلة القدمين يسير عليها والعباد بالله، وبثست القدمان، فهذا الثاني، فالأول: مشرك يدعو إلهين، والثاني: جاحد يدعو إلهًا واحدًا، فهو يدعو غير الله.

٤٧٧٦- هَذَا وَثَالِثُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حَيْثُ رُ الْخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ

٤٧٧٧- يَدْعُو إِلَهَ الْحَقِّ لَا يَدْعُو سِوَا هُ قَطُّ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَكْوَانِ

٤٧٧٨- يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ وَالرَّهَبَاتِ وَالْحَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

٤٧٧٩- تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ عِلْمِيٌّ وَقَضِيٌّ سِدِّيٌّ كَمَا قَدْ جُرِّدَ النَّوْعَانِ

٤٧٨٠- فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ تَالٍ لِنَصِّهِ رِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيَّانِ

- ٤٧٨١- وَلِذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِسُنَّةِ فَجَرِنَا وَكَذَاكَ سُنَّةٌ مَغْرِبٍ طَرْفَانِ
 ٤٧٨٢- لِيَكُونَ مُفْتَتِحَ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ تَجْرِيدَكَ التَّوْحِيدَ لِلدِّيَانِ
 ٤٧٨٣- وَكَذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِخَاتَمِ وَثَرِنَا حَتْمًا لِسَعْيِ اللَّيْلِ بِالْأَذَانِ
 ٤٧٨٤- وَكَذَاكَ قَدْ شُرِعَا بِرُكْعَتَيْ الطَّوَا فِي وَدَاكَ تَحْقِيقُ لِهَذَا الشَّانِ
 ٤٧٨٥- فَهَمَّا إِذْنُ أَخْوَانِ مُصْطَحِبَانِ لَا يَتَفَارَقَانِ وَلَيْسَ يَنْفَصِلَانِ
 ٤٧٨٦- فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ ذُو شِرْكَ كَذَا ذُو الشَّرْكِ فَهُوَ مُعْطَلُ الرَّحْمَنِ
 ٤٧٨٧- أَوْ بَعْضِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ فَحَقُّ قُتْ ذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى التُّكْرَانِ

الشرح

- ٤٧٧٦- هَذَا وَثَالِثُ هَذِهِ الْأَقْسَامِ حَيْبُ رُ الْخَلْقِ ذَاكَ خُلَاصَةُ الْإِنْسَانِ
 ٤٧٧٧- يَدْعُو الْإِلَهَ الْحَقَّ لَا يَدْعُو سِوَا هُ قَطُّ فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَكْوَانِ
 قَوْلُهُ: «فِي الْأَزْمَانِ وَالْأَكْوَانِ»، وفي نسخة: «فِي الْأَشْيَاءِ وَالْأَكْوَانِ».
 ٤٧٧٨- يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ وَالرَّهَبَاتِ وَالْحَالَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
 قَوْلُهُ: «يَدْعُوهُ فِي الرَّغَبَاتِ»؛ يعني: يدعوه فيها يرغبه من الخير.
 قَوْلُهُ: «وَفِي الرَّهَبَاتِ»؛ أي: فيما يرهب منه من الشرِّ.
 قَوْلُهُ: «وَالْحَالَاتِ»؛ يعني: في جميع الأحوالِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ، هذا
 الثَّالِثُ.

فصار النَّاسُ ثلاثةَ أقسامٍ أو ثلاثَ طوائفَ: مَنْ يشركُ بالله، ومَنْ يوحدُ غيره، ومَنْ يوحدُ اللهَ، وهناك قسمٌ رابعٌ لكنَّه لا عبادةَ له أصلاً، وهو الملحدُ الذي لا يعبدُ أحداً، لكنْ مرادُ المؤلِّفُ مَنْ يعبدُ شيئاً، فالذين لهم معبودٌ لا يخرجون عن هذه الطوائفِ الثلاثة: مَنْ يوحدُ اللهَ، مَنْ يوحدُ غيره، مَنْ يشركُ به، ثُمَّ انتقل المؤلِّفُ استطراداً إلى التَّوْحِيدِ فقال:

٤٧٧٩- تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ عِلْمِيٌّ وَقَضِيٌّ دِيٌّ كَمَا قَدْ جُرِدَ النَّوْعَانِ

٤٧٨٠- فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ مَعَ تَالٍ لِنَصْرِ رِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيَّانِ

قَوْلُهُ: «تَوْحِيدُهُ نَوْعَانِ»؛ يعني: توحيدُ الله عزَّ وجلَّ نوعان.

يعني: توحيدُ الله عزَّ وجلَّ عِلْمِيٌّ؛ وهو توحيدُه بأوصافِه وأفعاليه، وَقَضِيٌّ؛ وهو توحيدُه بالإرادة؛ يعني: بالعبادة فلا تقصدُ غيره، فما وَصَفَ اللهُ به نفسه هذا يُسَمَّى توحيداً علمياً اعتقادياً، وما أمر اللهُ به من العبادة وقصدناه به فهو قصديٌّ.

قَوْلُهُ: «فِي سُورَةِ الْإِخْلَاصِ» وهي: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] وسميت بذلك؛ لأنَّهَا تُخَلِّصُ قَارِئَهَا مِنَ الشَّرِكِ، ولأنَّ اللهَ أَخْلَصَهَا لِنَفْسِهِ، فليس فيها سوى ما يتعلَّقُ بأسمائه وصفاته.

قَوْلُهُ: «مَعَ تَالٍ لِنَصْرِ اللَّهِ قُلْ يَا أَيُّهَا بَيَّانِ»؛ يعني: مع السُّورَةِ التي تتلو ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وهي سورة: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢]؛ ولذا فالصَّحِيحُ: «مَعَ مَتَلَّوْا لِنَصْرِ اللَّهِ».

المهمُّ أنَّ المؤلِّفَ بيَّنَهَا بقوله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا﴾ [الكافرون: ١]؛ لأنَّ التَّالِيَّ: لِلنَّصْرِ سورة: ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١]، وليست ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا﴾ [الكافرون: ١]، لكنَّه -رحمه الله- بيَّن

أَنَّ التَّالِيَّ بِالْعَكْسِ، حِينَئِذٍ يَكُونُ قَدْ بَدَأَ الْقُرْآنَ مِنْ آخِرِهِ، فَإِذَا بَدَأَ الْقُرْآنَ مِنْ آخِرِهِ صَارَ الَّذِي يَتْلُو سُورَةَ «النَّصْرِ»: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١].

وسورة: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] فيها التَّوْحِيدُ الْقَصْدِيُّ الْعَمَلِيُّ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١-٢]، فهذا توحيدُ القصد؛ أي: لا أعبُدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فلا أقصدُ بعبادتي إِلَّا اللَّهَ، ففي هَاتَيْنِ السُّورَتَيْنِ نوعا التَّوْحِيدِ.

٤٧٨١- وَلِذٰلِكَ قَدْ شَرَعَا بِسُنَّةِ فَجْرِنَا وَكَذٰلِكَ سُنَّةٌ مَّغْرِبٍ طَرْفَانِ

قَوْلُهُ: «قَدْ شَرَعَا بِسُنَّةِ فَجْرِنَا» شَرَعَا؛ أَي: ﴿قُلْ يَتَّيِّهَا الْكٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]؛ يعني: شَرَعَتْ قِرَاءَتُهُمَا فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ^(١)، وَهَلْ يُسَنُّ قِرَاءَةَ غَيْرِهِمَا؟ نَعَمْ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦] التي في سورة «البقرة» في الركعة الأولى، و﴿قُلْ يَتَّهَلَّ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] في سورة «آل عمران» في الثَّانِيَةِ^(٢)، إِذْ ذُنَّ سُنَّتَانِ.

قَوْلُهُ: «وَكَذٰلِكَ سُنَّةٌ مَّغْرِبٍ»؛ يعني: يُشْرَعُ أَيْضًا فِي سُنَّةِ الْمَغْرِبِ أَنْ تَقْرَأَ فِي

(١) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، رقم (٧٢٦).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، رقم (٧٢٧).

الرَّكْعَةُ الْأُولَى: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ [الكافرون: ١]، وفي الثانية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(١) [الإخلاص: ١].

وَقَوْلُهُ: «طَرَفَانِ» الْأُولَى فِي طَرَفِ النَّهَارِ، وَالثَّانِيَةُ فِي طَرَفِ النَّهَارِ أَيْضًا؛ أَي: آخِرُهُ.

٤٧٨٢- لِيَكُونَ مُفْتَتِحُ النَّهَارِ وَخَتْمُهُ تَجْرِيدُكَ التَّوْحِيدَ لِلدِّيَانِ

٤٧٨٣- وَكَذَلِكَ قَدْ شَرِعًا بِخَاتَمٍ وَثَرْنَا خَتْمًا لِسَعْيِ اللَّيْلِ بِالْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «خَتْمًا لِسَعْيِ اللَّيْلِ»؛ يَعْنِي: لِعَمَلِ اللَّيْلِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وَثَرًا»^(٢)، إِذْ نَ حُتِمَتِ صَلَاةُ النَّهَارِ وَهُوَ سُنَّةُ الْمَغْرِبِ بِيهَا، وَأَوَّلُ النَّهَارِ سُنَّةُ الْفَجْرِ بِيهَا، وَآخِرُ اللَّيْلِ الْوَتْرُ، يُقْرَأُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ [الكافرون: ١]، وَفِي الثَّلَاثَةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٣) [الإخلاص: ١].

٤٧٨٤- وَكَذَلِكَ قَدْ شَرِعًا بِرَكَعَتِي الطَّوَا فِ وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «وَكَذَلِكَ قَدْ شَرِعًا بِرَكَعَتِي الطَّوَا»؛ يَعْنِي: رَكَعَتَا الطَّوَا فِ يُقْرَأُ فِيهِمَا ب: ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُوتُ﴾ [الكافرون: ١] و: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].

قَوْلُهُ: «وَذَلِكَ تَحْقِيقٌ لِهَذَا الشَّانِ»؛ أَي: لِلتَّوْحِيدِ.

(١) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَالْقِرَاءَةَ فِيهِمَا، رَقْمٌ (٤٣١)، وَالنَّسَائِيُّ: كِتَابُ الْإِفْتِتَاحِ، بَابُ الْقِرَاءَةِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، رَقْمٌ (٩٩٢)، وَابْنُ مَاجَةَ: كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، بَابُ الْقِرَاءَةِ فِي صَلَاةِ الْمَغْرِبِ، رَقْمٌ (٨٣٣).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْوَتْرِ، بَابُ لِيَجْعَلَ آخِرَ صَلَاتِهِ وَتَرًا، رَقْمٌ (٩٩٨)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرَهَا، بَابُ صَلَاةِ اللَّيْلِ مَثْنِي مَثْنِي، رَقْمٌ (٧٥١).

(٣) أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْوَتْرِ، بَابُ مَا جَاءَ مَا يُقْرَأُ فِي الْوَتْرِ، رَقْمٌ (٤٦٢)، وَالنَّسَائِيُّ: كِتَابُ قِيَامِ اللَّيْلِ، بَابُ ذِكْرِ اخْتِلَافِ أَلْفَاظِ النَّاقِلِينَ لِخَبْرِ أَبِي بِنِ كَعْبٍ فِي الْوَتْرِ، رَقْمٌ (١٧٠٠).

إِذَنْ فَسُورَةٌ: ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ أَهْلُهَا﴾ [الكافرون: ١] وسورة: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] تُسَنُّ فِي أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ السُّنَنِ: سُنَّةُ الْفَجْرِ، وَسُنَّةُ الْمَغْرِبِ، وَسُنَّةُ الْوَتْرِ، وَسُنَّةُ الطَّوَافِ، وَفِي رَكَعَتِي الطَّوَافِ الْإِحْلَاصُ وَاضِحٌ؛ لِأَنَّكَ تَعْبُدُ رَبًّا وَاحِدًا ذَا بَيْتٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي أَعْلَنَ فِيهِ النَّبِيُّ ﷺ التَّوْحِيدَ.

٤٧٨٥- فَهَمَّا إِذَنْ أَخْوَانِ مُصْطَحِبَانِ لَا يَتَفَارَقَانِ وَلَيْسَ يَنْفَصِلَانِ

سورتا الإخلاص دائماً مصطحبتان؛ لأنَّ الأولى فيها التَّوْحِيدُ الْقَصْدِيُّ، وَالثَّانِيَةُ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] فِيهَا التَّوْحِيدُ الْعِلْمِيُّ الْخَبْرِيُّ.

٤٧٨٦- فَمُعْطَلٌ الْأَوْصَافِ ذُو شِرْكَ كَذَا ذُو الشُّرْكِ فَهُوَ مُعْطَلُ الرَّحْمَنِ

المشرك في العبادة الذي تَضَمَّنَتْهُ إِحْلَاصُ الْعِبَادَةِ ﴿قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ أَهْلُهَا﴾ [الكافرون: ١] مشرِكٌ، وَالْمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ الرَّحْمَنِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا سُورَةُ الْإِحْلَاصِ هُوَ أَيْضًا مُشْرِكٌ، فَمُعْطَلُ الْأَوْصَافِ مُشْرِكٌ بِالتَّوْحِيدِ الْعِلْمِيِّ، وَالْعَابِدُ لِغَيْرِ اللَّهِ مُشْرِكٌ بِالتَّوْحِيدِ الْقَصْدِيِّ.

٤٧٨٧- أَوْ بَعْضِ الْأَوْصَافِ الْكَمَالِ لَهُ فَحَقٌّ قِيٌّ ذَا وَلَا تُسْرِعْ إِلَى النُّكْرَانِ

أي: لَا تَسْتَعْجَلْ فِي رَدِّ الشَّيْءِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ فِي أَوَّلِ مَرَّةٍ، لَا تَسْتَعْجَلْ فِي رَدِّهِ، بَلْ تَأَنَّ، وَانظُرْ مَا وَجْهَهُ هَذَا الْقَوْلِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ قَائِلٌ مَثَلًا: كَيْفَ يَكُونُ تَعْطِيلُ وَشِرْكَ؟! لَكِنْ إِذَا تَأَمَّلَ وَجَدَ أَتَمَّهُمَا قَرِينَانِ.

إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ يُحِطْ عَلَيْهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِزْمَانِ

خِلاصَةُ الْفَصْلِ ظَاهِرَةٌ أَنَّ التَّعْطِيلَ يَلْزِمُ مِنْهُ الْإِشْرَاقَ، فَالتَّعْطِيلُ وَالْإِشْرَاقُ مُتَلَازِمَانِ؛ فَمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ فَهُوَ مُعْطَلٌ لِتَوْحِيدِهِ، وَمَنْ عَطَّلَ أَوْصَافَهُ فَهُوَ مُشْرِكٌ.

فصل

في بيان أن المعطل شر من المشرك

- ٤٧٨٨- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أَحِي الْأ
٤٧٨٩- إِنَّ الْمُعْطَلَّ جَا حِدًّا لِلذَّاتِ أَوْ
٤٧٩٠- مُتَضَمَّنَانِ القَدْحِ فِي نَفْسِ الْأُو
٤٧٩١- وَالشَّرْكَ فَهُوَ تَوَسَّلَ مَقْصُودُهُ الزُّ
٤٧٩٢- بِعِبَادَةِ المَخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ
٤٧٩٣- فَالشَّرْكَ تَعْظِيمٌ بِجَهْلٍ مِنْ قِيَا
٤٧٩٤- ظَنُّوا بِأَنَّ البَابَ لَا يُغْشَى بِدُو
٤٧٩٥- وَدَهَا هُمْ ذَاكَ القِيَّاسُ المُسْتَبِي
٤٧٩٦- الفَرْقُ بَيْنَ اللهِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ
٤٧٩٧- إِنَّ المُلُوكَ لَعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ
٤٧٩٨- كَلًّا وَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى الَّذِي
٤٧٩٩- كَلًّا وَمَا تِلْكَ الإِرَادَةُ فِيهِمْ
٤٨٠٠- كَلًّا وَلَا وَسِعُوا الخَلِيقَةَ رَحْمَةً
- إِشْرَاكٍ بِالمَعْقُولِ وَالبُرْهَانِ
لِكَمَا لَهَا هَذَا تَعْطِيلَانِ
هَهُ كَمِ بِذَاكَ القَدْحِ مِنْ نُقْصَانِ
زُلْفَى مِنَ الرَّبِّ العَظِيمِ الشَّانِ
بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرِ وَمِنْ أَوْثَانِ
سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ
نِ تَوَسُّطِ الشُّفَعَاءِ وَالأَعْوَانِ
نُ فَسَادُهُ بِبَيْدِيَةِ الإِنْسَانِ
كُلُّ الوُجُوهِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
عِلْمٌ بِأَحْوَالِ الدُّعَا بِأَذَانِ
يَحْتَاجُهُ الإِنْسَانُ كُلُّ زَمَانِ
لِقَضَا حَوَائِجِ كُلِّ مَا إِنْسَانِ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ هُمْ أُولُو النُّقْصَانِ

٤٨٠١- فَلِذَلِكَ اِحْتَاَجُوا إِلَى تِلْكَ الْوَسَا ئِطِ حَاجَةً مِنْهُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصُلِّ فِي بَيَانِ أَنْ الْمُعْطَلَّ شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ» «الْمُعْطَلُّ»؛ أَي: لِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ: «شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ»؛ أَي: أَشْرُّ مِنْهُ.

٤٧٨٨- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ شَرٌّ مِنْ أَخِي الْإِشْرَاكِ بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْمَعْقُولِ وَالْبُرْهَانِ»؛ يَعْنِي: بِدَلَالَةِ الْعَقْلِ وَدَلَالَةِ السَّمْعِ. يُقَرِّرُ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنَّ الْمُعْطَلَّ شَرٌّ مِنَ الْمُشْرِكِ، ثُمَّ شَرَحَ وَجَهَ ذَلِكَ فَقَالَ:

٤٧٨٩- إِنْ الْمُعْطَلُّ جَا حِدٌ لِلذَّاتِ أَوْ لِكَمَالِهَا هَذَا تَعْطِيلَانِ

الْمُعْطَلُّ جَا حِدٌ لِذَاتِ اللَّهِ أَوْ جَا حِدٌ لِلصِّفَاتِ الَّتِي بِهَا كَمَالُ الذَّاتِ؛ لِأَنَّ مِنَ الْمُعْطَلَّةِ مَنْ يَنْكُرُ ذَاتَ اللَّهِ مِثْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ لَا يُوصَفُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ وَلَا أَنَّهُ مَعْدُومٌ، أَوْ جَا حِدٌ لِكَمَالِهَا؛ كَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَكِنْ لَا يُؤْمِنُونَ بِصِفَاتِهِ، هَذَا تَعْطِيلَانِ.

٤٧٩٠- مُتَضَمَّنَانِ الْقَدْحَ فِي نَفْسِ الْأَلْوِ هَهُ كَمِ بِذَاكَ الْقَدْحِ مِنْ نُقْصَانِ

إِذْنِ التَّعْطِيلِ قَدْحٌ فِي الْأُلُوْهِيَّةِ نَفْسِهَا، قَدْحٌ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نَفْسِهِ، فَالَّذِينَ يُنْكِرُونَ اللَّهَ وَيَقُولُونَ: إِنَّهُ لَيْسَ دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مُتَّصِلًا وَلَا مُنْفَصِلًا، وَلَا مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَالَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ فِعْلٌ وَلَيْسَ لَهُ نَزْوُلٌ، وَلَيْسَ لَهُ اسْتِوَاءٌ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، كُلُّهُمْ مُتَنَقِّصٌ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٧٩١- وَالشُّرْكَ فَهُوَ تَوَسَّلَ مَقْصُودُهُ الزُّ
زُلْفَى مِنَ الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ

٤٧٩٢- بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ مِنْ حَجَرٍ وَمِنْ
بَشَرٍ وَمِنْ قَبْرِ وَمِنْ أَوْثَانٍ

وأما المشرك فهو مُثَبِّتٌ لِلذَّاتِ وَالصِّفَاتِ، لَكِنَّهُ عَبْدٌ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ لِيَتَقَرَّبَ
بِعِبَادَةِ هَذَا الْغَيْرِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا قَالَ اللَّهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَنْهُمْ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ:
﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ [الزمر: ٢٣]، وَهَذَا صَرِيحٌ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ
الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ مَتَّصِفٌ بِصِفَاتِ الْكِمَالِ، وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا أَوْلِيَاءَ يَتَقَرَّبُونَ بِهِمْ
إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِذَنْ هُمْ يُقَرِّونَ بِالرُّبُوبِيَّةِ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ الرَّازِقُ، فَهُوَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ، وَهُوَ الَّذِي يَرْزُقُهُمْ، يُقَرِّونَ بِهَذَا، وَيَقُولُونَ: إِنَّهُمْ لَمْ يَشْرِكُوا إِلَّا مِنْ
أَجْلِ أَنْ تُقَرَّبَهُمْ هَذِهِ الْأَوْثَانُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَوْلُهُ: «بِعِبَادَةِ الْمَخْلُوقِ»؛ يَعْنِي: يَعْبُدُونَ الْمَخْلُوقَ لِيُقَرَّبَهُمْ إِلَى اللَّهِ كَمَا يُكْرِمُ
الْإِنْسَانَ خَادِمَ الْمَلِكِ لِيُقَرَّبَهُ مِنَ الْمَلِكِ، فَيُعْطِيهِ الْبَوَابَ دَرَاهِمَ أَوْ كَسُوءَةً أَوْ مَا أَشْبَهَ
ذَلِكَ؛ لِيَدْخُلَهُ عَلَى الْمَلِكِ.

٤٧٩٣- فَالشُّرْكَ تَعْظِيمٌ بِجَهْلٍ مِنْ قِيَا
سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ

الشُّرْكَ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ، لَكِنَّهُ تَعْظِيمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْجَهْلِ، كَيْفَ هَذَا الْجَهْلُ؟ قَالَ:
«مِنْ قِيَا سِ الرَّبِّ بِالْأَمْرَاءِ وَالسُّلْطَانِ»، قَاسُوا اللَّهَ عَلَى الْخَلْقِ فَقَالُوا: كَمَا أَنَّ مَلُوكَ
الدُّنْيَا لَا نَصْلَ إِلَيْهِمْ إِلَّا بِوَسَائِطَ فَكَذَلِكَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَصْلَ إِلَيْهِ إِلَّا
بِوَسَائِطَ.

٤٧٩٤- ظَنُّوا بِأَنَّ الْبَابَ لَا يُغْشَى بِدُونِ
نِ تَوَسُّطِ الشُّفَعَاءِ وَالْأَعْوَانِ

هذا ظنُّهم.

٤٧٩٥- وَدَهَاہُمْ ذَاكَ الْقِيَاسَ الْمُسْتَبَيِّبَ — مِنْ فَسَادِهِ بِيَدِيَةِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَدَهَاہُمْ ذَاكَ الْقِيَاسَ» دَهَاہُمْ؛ يعني: أصابهم بدهاية.

والمعنى: أن هذا القياس قياس مع الفارق العظيم، وفساده واضح بين بالبدية، لا يحتاج إلى تفكير ولا إلى عمق؛ وذلك لظهور الفرق بين الرب عز وجل وبين السلطان من أمير أو خليفة، أو ما أشبه ذلك، ووجه ذلك قال:

٤٧٩٦- الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَالسُّلْطَانِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ

وَصَدَقَ رَحْمَهُ اللَّهُ؛ فالفرق بين الله وبين ملوك الدنيا من كل وجه، لو أراد الإنسان أن يعدّها لعدّها أو جهّا كثيرةً بين الله وبين ملوك الدنيا، يقول الشاعر:

لَا تَسْأَلَنَّ بَنِيَّ آدَمَ حَاجَةً وَسَلِ الَّذِي أَبْوَابُهُ لَا تُحَجَّبُ

اللَّهُ يَغْضَبُ إِنْ تَرَكْتَ سُؤَالَهٖ وَبَنِيَّ آدَمَ حِينَ يُسْأَلُ يَغْضَبُ^(١)

فرق عظيم، فبنو آدم إذا سألتهم ولو شيئاً يسيراً غضبوا وملّوا، فهذا يمكن في أول مرة أن يلاقيك بوجه لا بأس به، والثانية يسود وجهه، والثالثة يصيح بك، والرابعة ربّما يضربك إذا أمكن، لكنّ الله عز وجل يحبّ الملحنين في الدعاء، كلّما ألححت عليه أحبّك، فالفرق من كلّ الوجوه.

٤٧٩٧- إِنَّ الْمُلُوكَ لِعَاجِزُونَ وَمَا لَهُمْ عِلْمٌ بِأَحْوَالِ الدُّعَا بِأَذَانِ

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمُلُوكَ» بكسر همزة «إِنَّ»، وعلى قراءة الفتح: «أَنَّ الْمُلُوكَ»؛ أي: «الفرق أنّ الملوك»، وهذا صحيح لولا اللام، واللام إذا جاءت في خبر «إِنَّ» يجب

(١) البيت في المستطرف (ص: ٣٣٠) بلا نسبة.

أَنْ تُكْسَرَ، قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لِرَسُولِهِ﴾ [المنافقون: ١]، لَوْلَا اللَّامُ لَوَجِبَ الْفَتْحُ فَكَانَتْ: «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكَ».

قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمَلُوكَ لِعَاجِزُونَ...» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَالْمَلِكُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَعْلَمَ الَّذِي وَرَاءَ الْبَابِ إِلَّا بِوَسْطَةِ الْحَاجِبِ، فَالْمَلُوكُ لَا يُحِيطُونَ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَهَمَّ عَاجِزُونَ عَنِ الْإِحَاطَةِ، وَلَا يَعْلَمُونَ عَنِ أَحْوَالِ النَّاسِ؛ وَلِذَا فَإِنَّ الشَّفِيعَ يَأْتِي إِلَى الْمَلِكِ وَيَقُولُ: «إِنَّ فُلَانًا بَنَ فُلَانٍ فِيهِ كَذَا وَكَذَا مِنَ الْأَحْوَالِ الَّتِي تُوجِبُ الْعَطْفَ عَلَيْهِ»، وَالرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا سَيَذْكَرُ الْمُؤَلَّفُ: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ هَذَا؛ إِذَنْ لَا حَاجَةَ لِلشَّفِيعِ، هَذَا وَجْهٌ، الْوَجْهَ الثَّانِي ذَكَرَهُ فَقَالَ:

٤٧٩٨- كَلَّا وَلَا هُمْ قَادِرُونَ عَلَى الَّذِي يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ

وَهَذَا صَحِيحٌ، لَيْسُوا قَادِرِينَ عَلَى مَا يَحْتَاجُهُ الْإِنْسَانُ كُلَّ زَمَانٍ.

إِذَنْ لَا بُدَّ مِنْ شَفْعَاءَ وَلَا بُدَّ مِنْ خَدَمٍ يُعِينُونَهُمْ عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ، فَمَثَلًا: يَأْتِي إِنْسَانٌ يَشْفَعُ عِنْدَ الْمَلِكِ يَقُولُ: فُلَانٌ فِيهِ كَذَا وَكَذَا، فُلَانٌ فِيهِ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصِلَ إِلَيْهِ، فَيَقُولُ: أَنَا أَكْفِيكَ، إِذَنْ هُمْ مُحْتَاجُونَ إِلَى مَنْ يُعِينُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ عَاجِزُونَ عَنِ إِیْصَالِ الْحَوَائِجِ إِلَى أَهْلِهَا، أَمَّا اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فَلَيْسَ بِعَاجِزٍ.

٤٧٩٩- كَلَّا وَمَا تِلْكَ الْإِرَادَةُ فِيهِمْ لِقَضَا حَوَائِجِ كُلِّ مَا إِنْسَانٍ

قَوْلُهُ: «كُلُّ مَا إِنْسَانٍ» «مَا» هُنَا زَائِدَةٌ؛ لِأَنَّكَ لَوْ حَذَفْتَهَا لَأَسْتَقَامَ الْكَلَامُ.

يَعْنِي: حَتَّى لَوْ فُرِضَ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَى قَضَاءِ الْحَوَائِجِ فَإِنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُمْ إِرَادَةٌ، فَقَدْ لَا يُرِيدُونَ، قَدْ يَكُونُ الْمَلِكُ ذُو السُّلْطَانِ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُعْطِيَكَ حَاجَتَكَ وَلَكِنَّهُ

لا يريد، فقد يكون له هوى فيقضي حاجة هذا ولا يقضي حاجة هذا، أمّا الربُّ عزَّ وجلَّ فإنه منزّه عن هذا؛ لأنَّ أفعاله كلّها عدلٌ وحكمةٌ، وهذا أيضًا فرقٌ ثالثٌ.

٤٨٠٠- كَلَّا وَلَا وَسِعُوا الْخَلِيقَةَ رَحْمَةً
 مِنْ كُلِّ وَجْهِ هُمْ أَوْلُو النَّقْصَانِ
 هذا من الفروق أيضًا؛ الربُّ عزَّ وجلَّ رحيمٌ، رحمته وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، هؤلاء وإن قُدِّرَ فيهم رحمةٌ فإنَّ رحمتهم لا تَسَعُ الخلائقَ؛ فهذا يحتاجون إلى مَنْ يُدَكِّرُهُمْ ويصوِّرُ الشَّيْءَ أمامهم بصورةٍ تقتضي العطفَ والرَّحمةَ والحنانَ.

٤٨٠١- فَلِذَلِكَ احتاجوا إِلَى تِلْكَ الوَسَا
 نِطِ حَاجَةً مِنْهُمْ مَدَى الأَزْمَانِ
 وهذا فرقٌ ظاهرٌ، هذا فرقٌ واضحٌ جدًّا، فدووا السُّلْطَانِ فِي الدُّنْيَا كُلَّهُمْ نقصٌ يحتاجون إلى ما يكملهم، والربُّ عزَّ وجلَّ كاملٌ من كُلِّ وَجْهِ لا يحتاج إلى مَنْ يكمِّله.

٤٨٠٢- أَمَّا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ لِلْغَيْبِ مُقَدَّرٌ عَلَى مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ
 ٤٨٠٣- وَتَخَافُهُ الشُّفَعَاءُ لَيْسَ يُرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ٤٨٠٤- بَلْ كُلُّ حَاجَاتٍ لَهُمْ فِإِلَيْهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ
 ٤٨٠٥- وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ الَّذِي فِي ذَلِكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي
 ٤٨٠٦- لِمَنْ ارْتَضَى مِنْ يُوَحِّدُهُ وَلَمْ يُشْرِكْ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ
 ٤٨٠٧- سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهُوَ مَشْفُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانِ

- ٤٨٠٨- فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كَرَامَةً لَهُمْ وَرَحْمَةً صَاحِبِ الْعِصْيَانِ
 ٤٨٠٩- فَالْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَرَجَعُهُ إِلَيْهِ هِ وَحَدَهُ مَا مِنْ إِلَهٍ ثَانِ
 ٤٨١٠- غَلِطَ الْأَلَى جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوَا هِ إِلَيْهِ دُونَ الْإِذْنِ مِنْ رَحْمَنِ
 ٤٨١١- هَذِي شَفَاعَةٌ كُلُّ ذِي شِرْكٍَ فَلَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الْإِيمَانِ
 ٤٨١٢- وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْأَثَارِ وَالْقُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله- في بيان توحيد الألوهية والفرق بين ما ادّعاه المشركون من كونهم يقولون: إننا نعبد هؤلاء ليكونوا شفعاء كالسلطان له شفعاء يشفعون للناس، يتوسطون لهم عند الملك، يقول: الفرق ظاهر؛ لأن أولئك الملوك والسلاطين قاصرون، يحتاجون إلى من يبيّهم وإلى من يعينهم، وإلى من يعلمهم بأحوال الناس، وأما الله عز وجل فيقول:

- ٤٨٠٢- أَمَّا الَّذِي هُوَ عَالِمٌ لِلْغَيْبِ مُقْتَدِرٌ عَلَى مَا شَاءَ ذُو إِحْسَانٍ
 ٤٨٠٣- وَتَخَافُهُ الشُّفَعَاءُ لَيْسَ يُرِيدُ مِنْهُمْ حَاجَةً جَلَّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

يعني: فإنه لا يحتاج إلى الشفعاء والوسطاء، بل حاجات العباد منهم إلى الله مباشرة بلا وسطاء، وهذا من كمال رحمته - سبحانه وتعالى - بعباده أن تكون حاجة العباد من العباد إليه مباشرة بدون واسطة، لو كان ثمّة واسطة فمن يأتي بهذه الواسطة؟ ومتى ندرك هذه الواسطة؟ ومتى ترضى هذه الواسطة أن ترفع الدعاء؟ ولكنها من العبد إلى ربه مباشرة، بينما الشفعاء في ملوك الدنيا قد لا يخافون

الملوك، رَبِّيًا يَكُونُ شَفِيعٌ وَهُوَ لَا يَبَالِي بِهَذَا الْمَلِكِ أَوْ هَذَا السُّلْطَانِ، أَمَّا الشُّفَعَاءُ عِنْدَ اللَّهِ فَكُلُّهُمْ مَحْتَاجٌ إِلَى اللَّهِ، وَكُلُّهُمْ يَخَافُونَهُ.

٤٨٠٤- بَلْ كُلُّ حَاجَاتٍ لَهُمْ فَالْيَئِيسُ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ

كُلُّ الْحَاجَاتِ لَهُمْ إِلَى اللَّهِ لَا لِسِوَاهُ، فَهُمْ مَحْتَاجُونَ إِلَى اللَّهِ، وَأَمَّا الْوُزَرَاءُ وَالشُّفَعَاءُ لِلْمَلِكِ الدُّنْيَا فَهَؤُلَاءِ -أَعْنِي: مَلُوكَ الدُّنْيَا- مَحْتَاجُونَ إِلَيْهِمْ.

٤٨٠٥- وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا وَهُوَ الَّذِي فِي ذَاكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «وَلَهُ الشَّفَاعَةُ كُلُّهَا»؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَرُ: ٤٤].

قَوْلُهُ: «وَهُوَ الَّذِي فِي ذَاكَ يَأْذَنُ لِلشَّفِيعِ الدَّانِي» هَذَا وَجْهُ كَوْنِ كُلِّ الشَّفَاعَاتِ لَهُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُوجَدَ الشَّفَاعَةُ إِلَّا بِإِذْنِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حَتَّى أَعْلَى الْخَلْقِ مَقَامًا وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ لَا يَشْفَعُ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ.

٤٨٠٦- لِمَنْ ارْتَضَى مِمَّنْ يُوحِّدُهُ وَلَمْ يُشْرِكْ كَمَا قَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ فَالشَّفَاعَةُ لَا بُدَّ فِيهَا مِنْ شَرْطَيْنِ:

الشَّرْطُ الْأَوَّلُ: رِضَا اللَّهِ عَنِ الشَّافِعِ وَالْمَشْفُوعِ لَهُ، وَعَلَى هَذَا فَلِأَصْنَامٍ لَا تَشْفَعُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْهَا وَلَا يَرْضَاهَا، فَالشَّافِعُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَيْضًا مَرْضِيًّا عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْذَنَ لِكَافِرٍ أَنْ يَشْفَعَ لِأَحَدٍ؛ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الْكُفْرُ مَانِعًا فِي الْمَشْفُوعِ لَهُ فَفِي الشَّافِعِ مِنْ بَابِ أَوْلَى، وَالْمَشْرُوكُونَ لَا تَصَحُّ لَهُمُ الشَّفَاعَةُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنْهُمْ.

فلا نعلمُ أحدًا من المشركين أنه شُفِعَ له وقُبِلَت شفاعتهُ إلا واحدًا وهو أبو طالب، فإنَّ الله - سبحانه وتعالى - قَبِلَ شفاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ فيه، لا لأنَّه عمُّه ولكن لأنَّه أَسَدِي خَيْرًا إلى الرَّسُولِ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ، ونَصَرَه ودافع عنه، فجزاه اللهُ عزَّ وجلَّ أن أذنَ لرسوله - صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وسلَّم - أن يشفعَ له، ولكنَّ هذه الشَّفاعةَ لم تنقِذْه من النَّارِ، بل خُفِّفَ عنه حتَّى كان في ضَحْضَاحٍ مِنْ نارٍ عَلَيْهِ نَعْلَانٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ^(١)، والعياذُ بالله، وإلا فمن المعلوم أن المشركين لا يمكنُ أن يأذنَ اللهُ بالشَّفاعةِ فيهم؛ كما قال اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

الشَّرْطُ الثَّانِي: أن يأذنَ في الشَّفاعةِ، فإن لم يأذن فلا شفاعَةَ، ودليلُ هذا قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ أَدْنَى لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]، فلا بُدَّ من رضا الله عن الشَّافعِ والمشفوعِ له، ولا بُدَّ من إذنه، ثُمَّ قَالَ:

٤٨٠٧- سَبَقَتْ شَفَاعَتُهُ إِلَيْهِ فَهُوَ مَشَى - فُوعٌ إِلَيْهِ وَشَافِعٌ ذُو شَانِ

يعني: أن الشَّافعَ سبقت شفاعتهُ إلى الله عزَّ وجلَّ، فاللهُ مشفوعٌ إليه؛ يعني: وشافعٌ؛ أي: آذنٌ في الشَّفاعةِ؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وهذا الذي يظهرُ لي من البيتِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب، رقم (٣٨٨٣)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب شفاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ لأبي طالب، رقم (٢٠٩).

٤٨٠٨- فَلِذَا أَقَامَ الشَّافِعِينَ كَرَامَةً لَهُمْ وَرَحْمَةً صَاحِبِ الْعِضْيَانِ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - أذن في الشفاعة لسببين هما:

السَّبَبُ الْأَوَّلُ: إكرام الشافع حيث قبل شفاعته، ولا شك أن قبول شفاعته الشافع إكرام له، أنت لو أتيت إلى ملك من ملوك الدنيا وشفعت إليه لشخص ثم قبل شفاعتك أليس هذا إكرامًا لك؟ الجواب: بلى، إذن أذن الله بالشفاعة لمن أذن له إكرام له؛ ولهذا سمى الله عز وجل شفاعَةَ الرَّسُولِ - عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - المقام المحمود^(١)، وهذا إكرام من الله له.

السَّبَبُ الثَّانِي: رحمة العاصي، أن الله تعالى يرحم العاصي بسبب شفاعته الشافع.

فللشفاعة إذن فائدتان:

الفائدة الأولى: إكرام الشافع.

والفائدة الثانية: الرحمة بالمشفوع له.

٤٨٠٩- فَالْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَرْجِعُهُ إِلَيْهِ وَوَحْدَهُ مَا مِنْ إِلَهٍ ثَانٍ

قَوْلُهُ: «الْكُلُّ مِنْهُ بَدَا وَمَرْجِعُهُ إِلَيْهِ»؛ أي: الشفاعة والإذن فيها وقبولها كله

من الله وإليه.

فشفاعة الشافع بإذن الله، ونفع شفاعته بإذن الله، وقبولها بإذن الله.

(١) كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُنًّا، كُلُّ أُمَّةٍ تَتَّبِعُ نَبِيَّهَا يَقُولُونَ: يَا فُلَانُ اشْفَعْ، يَا فُلَانُ اشْفَعْ، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَذَلِكَ يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ». أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قَوْلِهِ: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، رقم (٤٤٤١).

٤٨١٠- عَظِطَ الْأُكْيَ جَعَلُوا الشَّفَاعَةَ مِنْ سِوَا هُ إِلَيْهِ دُونَ الْإِذْنِ مِنْ رَحْمَنِ
قَوْلُهُ: «الْأُكْيَ»؛ يعني: الذين.

وهؤلاء هم المشركون الذين جعلوا الشفاعة من سواه دون إذنه، فقالوا: إن آلهتهم تشفع لهم من دون الله، ومعلوم أن آلهتهم لا يمكن أن تُقبل شفاعتها؛ لأن الله لا يرضاها ولا يرضى عابديها، فقد انتفى فيها الشرط الأول وهو رضا الله عن الشافع والمشفوع له، هم ظنوا أن هذه الأصنام والأوثان تنفعهم وتشفع لهم عند الله بدون إذنه فغلطوا.

٤٨١١- هَذِي شَفَاعَةٌ كُلِّ ذِي شِرْكِ فَلَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا يَا أَخَا الْإِيمَانِ
قَوْلُهُ: «لَا تَعْقِدْ عَلَيْهَا»؛ أي: لا تعتمد عليها؛ فإنها باطلة.

٤٨١٢- وَاللَّهُ فِي الْقُرْآنِ أَبْطَلَهَا فَلَا تَعْدِلْ عَنِ الْآثَارِ وَالْقُرْآنِ
أَبْطَلَهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّفِيعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، فإذا كان الله
أبطلها فلا تعقد عليها ولا تؤمّل عليها ولا تعدل عن الآثار والقرآن.

٤٨١٣- وَكَذَا الْوَلَايَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ

٤٨١٤- وَاللَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أَوْلُو الْإِشْرَاكِ ذَا وَرَأَهُ تَنْقِصًا أَوْ لَوْ النُّقْصَانِ

٤٨١٥- إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزَلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ

٤٨١٦- بَلْ كُلُّ مَدْعُوِّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنْ عَرْشِ الْإِلَهِ إِلَى الْحَضِيضِ الدَّنِيِّ

٤٨١٧- هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدَعَاءُ عَا بَدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ

- ٤٨١٨- فَلَهُ الْوَلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ وَالِ مِنْ الْأَكْوَانِ
 ٤٨١٩- فَإِذَا تَوَلَّاهُ امْرُؤٌ دُونَ الْوَرَى طُرًّا تَوَلَّاهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
 ٤٨٢٠- وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرُهُ مِنْ دُونِهِ وَلَاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ
 ٤٨٢١- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَكَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
 ٤٨٢٢- حَقًّا يُنَادِيهِمْ نِدَا سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ

الشرح

- ٤٨١٣- وَكَذَا الْوَلَايَةُ كُلُّهَا لِلَّهِ لَا لِسِوَاهُ مِنْ مَلِكٍ وَلَا إِنْسَانٍ
 الْوَلَايَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ﴾ [الكهف: ٤٤]،
 فَلَا أَحَدٌ يَتَوَلَّى الْعِبَادَةَ إِلَّا رَبُّهُمْ عَزَّ وَجَلَّ، لَا يَتَوَلَّاهُمْ مَلِكٌ وَلَا نَبِيٌّ، وَلَا شَجَرٌ
 وَلَا حَجَرٌ، وَلَا أَيُّ أَحَدٍ، فَالْوَلَايَةُ لِلَّهِ وَحْدَهُ.
 ٤٨١٤- وَاللَّهُ لَمْ يَفْهَمْ أَوْلُو الْإِشْرَاكِ ذَا وَرَأَهُ تَنْقِصًا أَوْلُو النَّقْصَانِ

يعني: لم يفهم أصحاب الشرك أن الولاية لله وحده، ورآه تنقيصاً أولو
 النقصان؛ أي: تنقيصاً للأولياء إذا لم نتخذهم شفعاء، قالوا: هذا تنقص، كيف
 تقول: إن هذا الولي لا يستطيع أن يشفع، لا يملك شيئاً، هذا تنقص له.

- ٤٨١٥- إِذْ قَدْ تَضَمَّنَ عَزَلَ مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ رَحْمَنٍ بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ

يعني: قولك هذا - إن الولاية لله وحده، وإنه لا ولاية لأحد - تضمَّنَ عَزَلَ
 مَنْ يُدْعَى سِوَى الرَّحْمَنِ، «بَلْ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ»، و«بَلْ» هنا بمعنى «الواو»؛ يعني:
 وتضمَّنَ أَحَدِيَّةَ الرَّحْمَنِ؛ أي: انفرادَه في هذا، هذا معنى البيت فيما يظهر.

٤٨١٦- بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ مِنْ لَدُنِّ عَرْشِ الْإِلَهِ إِلَى الْحَضِيضِ الدَّانِي

٤٨١٧- هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ وَدُعَاءُ عَا بِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ كُلُّ مَدْعُوٍّ سِوَاهُ... هُوَ بَاطِلٌ فِي نَفْسِهِ»؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، وهذا القول من كلام ابن القيم مُستأنفٌ.

قَوْلُهُ: «وَدُعَاءُ عَابِدِهِ لَهُ مِنْ أَبْطَلِ الْبُطْلَانِ»؛ لأنه إذا بطل بنفسه لزم أن يبطل دعاؤه؛ إذ إنَّ دعاءَ الباطلِ باطلٌ.

٤٨١٨- فَلَهُ الْوِلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ مَا لَنَا مِنْ دُونِهِ وَالِ مِنْ الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «فَلَهُ الْوِلَايَةُ وَالْوَلَايَةُ» الْوَلَايَةُ؛ يعني: تولى الأمور، والولاية منَّا له نتولاه.

يعني: هو الذي يتولى أمورنا، ونحن الذين نتولاه وحده دون غيره.

٤٨١٩- فَإِذَا تَوَلَّاهُ أَمْرٌ دُونَ الْوَرَى طُرًّا تَوَلَّاهُ الْعَظِيمُ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «إِذَا تَوَلَّاهُ أَمْرٌ»؛ أي: تولى الله دون الورى فلم يتولهم، وخصَّ الولاية بالله، تولاه العظيم الشان.

فهنا ولايتان: ولاية منَّا لله، وولاية من الله لنا، فَمَنْ تَوَلَّى اللَّهَ تَوَلَّاهُ اللَّه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، فَمَنْ تَوَلَّى اللَّهَ تَوَلَّاهُ اللَّه، وَمَنْ لَمْ يَتَوَلَّ اللَّهَ تَحَلَّى عَنْهُ اللَّه؛ ولهذا قال:

٤٨٢٠- وَإِذَا تَوَلَّى غَيْرَهُ مِنْ دُونِهِ وَلَاهُ مَا يَرْضَى بِهِ لِهَوَانِ

٤٨٢١- فِي هَذِهِ الدُّنْيَا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ وَكَذَلِكَ عِنْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

إذا تولى الإنسان غير الله ولأه الله إياه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وعلى هذا فتكون الولاية من الله تابعة لولاية الله، إن تولى الله تولاك، وإن تولى غير الله تخلى عنك ووكلك إلى من تولىته، في ثلاثة مواضع، أو ثلاثة دُورٍ: في الدنيا، وبعد الممات، وعند قيامة الأبدان، نسأل الله أن يتولانا جميعاً في هذه المواضع كلها.

٤٨٢٢- حَقَّ يُنَادِيهِمْ نِدَا سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ فَيَسْمَعُ الثَّقَلَانِ

يعني: أن الله - سبحانه وتعالى - يُناديهم يوم القيامة أن مَنْ كان يعبدُ أحداً فليتبعه، فيقوم مَنْ يعبدُ الشمسَ يتبعُ الشمسَ، ومَنْ يعبدُ القمرَ يتبعُ القمرَ وهكذا، ويبقى مَنْ يعبدُ اللهَ وحده فيتولاهم اللهُ - سبحانه وتعالى - بعنايته^(١).

مسألة: وهل تولى غير الله عزَّ وجلَّ يُعذَّرُ فيه الإنسانُ بالجهلِ؟ الصَّحِيحُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يُعذَّرُ فِيهِ الْإِنْسَانُ بِالْجَهْلِ، وَلَكِنْ قَدْ لَا يُعذَّرُ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى وَهِيَ التَّفْرِيطُ وَعَدَمُ السُّؤَالِ؛ يَعْنِي: قَدْ يَبْلُغُ هَذَا الْمُتَوَلَّى أَنَّ هَذَا لَا يَجُوزُ وَأَنَّهُ شَرِكٌ، فَيَقُولُ: نَحْنُ وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، مَشَائِخُنَا لَا يَنْهَوْنَنَا عَنْهُ، حِينَئِذٍ نَعْرِفُ أَنَّهُ مَفْرُطٌ فَلَا يُعذَّرُ، لَكِنْ لَوْ لَمْ يُنَبَّهْ عَلَى هَذَا وَكَانَ يَنْتَمِي إِلَى الْإِسْلَامِ وَيَصَلِّي وَيَزُكِّي وَيَصُومُ وَيُحْجُّ لَكِنْ فِيهِ هَذَا الْبَلَاءُ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ بِشَيْءٍ فَهَذَا لَا يُحْكَمُ بِكُفْرِهِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

- ٤٨٢٣- يَا مَنْ يُرِيدُ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ دُونَ
 ٤٨٢٤- فَارِقِ جَمِيعِ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ
 ٤٨٢٥- يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً
 ٤٨٢٦- يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَخُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ
 ٤٨٢٧- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ
 ٤٨٢٨- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ
 ٤٨٢٩- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ
 ٤٨٣٠- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ
- نَ وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ وَالْأَوْثَانِ
 حَتَّى تَنَالَ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ
 وَكِفَايَةَ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
 فِي طَرْفَةٍ بِتَقَلُّبِ الْأَجْفَانِ
 تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
 وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالْعِصْيَانِ
 وَوَقَايَةَ مِنْهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
 مُتَقَلِّبًا فِي السُّرْرِ وَالْإِعْلَانِ

الشرح

يقول المؤلف -رحمه الله تعالى- في باب ذكر الولاية وأن من تولى غير الله ولأه الله ما تولى، يقول:

- ٤٨٢٣- يَا مَنْ يُرِيدُ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ دُونَ
 ٤٨٢٤- فَارِقِ جَمِيعِ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ
 مَنْ أَرَادَ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ دُونَ وِلَايَةِ الشَّيْطَانِ فَلْيَفَارِقِ جَمِيعَ النَّاسِ فِي إِشْرَاكِهِمْ
 حَتَّى يَنَالَ وِلَايَةَ الرَّحْمَنِ.

- ٤٨٢٥- يَكْفِيكَ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً
 أَي: يَكْفِيكَ عَنْ غَيْرِهِ مَنْ وَسِعَ الْخَلَائِقَ رَحْمَةً وَكِفَايَةَ ذُو الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ.

٤٨٢٦- يَكْفِيكَ مَنْ لَمْ تَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ فِي طَرْفَةِ بَتَقَلُّبِ الْأَجْفَانِ

يعني: أنه يكفيك أيضًا مَنْ لَمْ تَحُلْ مِنْ إِحْسَانِهِ طرفة عين.

٤٨٢٧- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ أَلْطَافُهُ تَأْتِي إِلَيْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ

قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨].

٤٨٢٨- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي سِتْرِهِ وَيَرَاكَ حِينَ تَجِيءُ بِالْعِصْيَانِ

يكفيك الربُّ الذي يسترُ عليك معصيتك وهو يراك، ولو أطلع الخلق على عيوبك لجفاك كلُّ النَّاسِ، ولكنه عزَّ وجلَّ يعلمُ بعيوبك ويسترها - سبحانه وتعالى - لطفًا وإحسانًا.

٤٨٢٩- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي حِفْظِهِ وَوَقَايَةٍ مِنْهُ مَدَى الْأَزْمَانِ

الله حفيظٌ على عباده، وقد وكلَّ ملائكةً كرامًا يحفظونهم، قال الله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١].

٤٨٣٠- يَكْفِيكَ رَبُّ لَمْ تَزَلْ فِي فَضْلِهِ مُتَقَلِّبًا فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ

الإنسان - ولاسيما المؤمن - متقلِّبٌ في فضلِ الله في السِّرِّ والإعلانِ، إن أصابته ضرًا صبرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته سرًّا شكرَ فكان خيرًا له.

٤٨٣١- يَدْعُوهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ ءِ فَكُلَّ يَوْمٍ رَبَّنَا فِي شَانِ

٤٨٣٢- وَهُوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نَقْصَانِ

٤٨٣٣- فَتَوَسَّطُ الشُّفَعَاءِ وَالشَّرَكَاءِ وَالظُّ ظُهْرَاءِ أَمْرٍ بَيْنَ الْبُطْلَانِ

- ٤٨٣٤- مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضُ تَشْبِيهِ لَهُمْ بِاللهِ وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ
 ٤٨٣٥- مَعَ قُضْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ
 ٤٨٣٦- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا لَا النَّفْيُ أَيْنَ النَّفْيِ مِنْ إِسْمَانِ
 ٤٨٣٧- وَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا بِالتَّعَبِ بُدِّ فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ
 ٤٨٣٨- فَتَرَى الْمُعْطَلَّ دَائِمًا فِي حَيْرَةٍ مُتَنَقِّلًا فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ
 ٤٨٣٩- يَدْعُو إِلَيْهَا ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ دَا شَأْنُهُ أَبَدًا مَدَى الْأَزْمَانِ
 ٤٨٤٠- وَتَرَى الْمُوَحَّدَ دَائِمًا مُتَنَقِّلًا بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 ٤٨٤١- مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الْوَفَاءِ مَنَازِلًا وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ
 ٤٨٤٢- لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَوَاحِدٌ مَا عِنْدَهُ رَبَّانٍ مَعْبُودَانِ

الشرح

- ٤٨٣١- يَدْعُوهُ أَهْلُ الْأَرْضِ مَعَ أَهْلِ السَّمَاءِ ۚ فَكُلَّ يَوْمٍ رَبُّنَا فِي شَأْنِ
 سبحانه وتعالى كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ! يُقَلِّبُ الْقُلُوبَ وَالْأَفئِدَةَ وَالْأَبْصَارَ
 حَسَبَ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ؛ يُعْنِي فَقِيرًا، وَيُفْقِرُ غَنِيًّا، وَيُعَلِّمُ جَاهِلًا، وَيُوسِّعُ لِهَذَا،
 وَيَضِيقُ عَلَى هَذَا، وَيُحْيِي وَيُمِيتُ، كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ.
 ٤٨٣٢- وَهُوَ الْكَفِيلُ بِكُلِّ مَا يَدْعُونَهُ لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ مِنْ نُقْصَانِ

الْكَفِيلُ مِنْ أَسْمَاءِ اللهُ؛ يَعْنِي: الضَّامِنُ لِكُلِّ مَا يَدْعُوهُ، لَوْ دَعَاهُ أَهْلُ الْأَرْضِ
 وَأَهْلُ السَّمَاءِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ وَأَعْطَى كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدَهُ

إلا كما ينقص المحيط إذا غمس في البحر^(١)، لو غمست مخطأ في البحر ثم نزعته هل ينقص البحر شيئاً؟ أبداً لا ينقص البحر شيئاً؛ ولهذا يقول: «لَا يَعْتَرِي جَدْوَاهُ»؛ أي: عطاياه «مِنْ نَقْصَانٍ».

٤٨٣٣- فَتَوَسَّطَ الشُّفَعَاءَ وَالشَّرَكَاءِ وَالظُّهَرَاءِ أَمْرٌ بَيْنَ الْبُطْلَانِ

يعني: إذن لا حاجة لوسيط بين الله وبين العباد، لا شافع، ولا شريك، ولا ظهير، والظهير هو المعين، ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقد بين الله هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها المؤلف في قوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكِ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وَلَا نَنْفَعُ الشُّفَعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أذِنَ لَهُ، ﴿سبأ: ٢٣﴾، فنفي كل ما يتعلق به المشركون.

٤٨٣٤- مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضٌ تَشْبِيهِ لَهُمْ بِاللَّهِ وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ

قوله: «مَا فِيهِ إِلَّا مَحْضٌ تَشْبِيهِ لَهُمْ بِاللَّهِ»؛ يعني: هؤلاء الذين اتخذوا الشُّفَعَاءَ وَالْوَسَطَاءَ شَبْهُوهُمْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، «وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ».

قوله: «وَهُوَ فَأَقْبَحُ الْبُهْتَانِ»، يعني: تشبيه الخالق بالمخلوق أقبح البهتان.

٤٨٣٥- مَعَ قَصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ

قوله: «مَعَ قَصْدِهِمْ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ»؛ يعني: الذين اتخذوا هذه الأصنام شُفَعَاءَ قَصَدُوا بِذَلِكَ تَعْظِيمَ اللَّهِ، وَلَمْ يُعْطَلُوا أَوْصَافَهُ.

قوله: «مَا عَطَّلُوا الْأَوْصَافَ لِلرَّحْمَنِ» هذا تنديد بالمعطلة؛ ولهذا قال:

(١) أخرجه مسلم: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم، رقم (٢٥٧٧).

٤٨٣٦- لَكِنْ أَخُو التَّعْطِيلِ لَيْسَ لَدَيْهِ إِلَّا لَا النَّفْيُ أَيَّنَ النَّفْيُ مِنْ إِيْمَانِ

المعطلُّ لا يصفُ اللهُ إِلَّا بالنَّفي، لا يصفُه بالإثباتِ، فأين النَّفي من إيمانٍ؟! لا إيمانَ لمن ينفي؛ لأنَّ النَّفيَ عَدَمٌ، والعَدَمُ ليس بشيءٍ، إذا قال: إِنَّ اللهُ لا يسمعُ ولا يبصرُ وليس له وجهٌ ولا عينٌ، وأخذ ينفي الصِّفاتِ، يؤوُلُ به الأمرُ إلى العَدَمِ.

٤٨٣٧- وَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا بِالتَّعَبِ - بُدِّ فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ

القلبُ لا بُدَّ له من معبودٍ، فَمَنْ الذي يعبدُ؟ إمَّا أن يعبدَ اللهُ وإمَّا أن يعبدَ غيرَ اللهُ؛ ولهذا قال: «فَهُوَ يَدْعُوهُ إِلَى الْأَكْوَانِ»؛ يعني: أن قلبَ المعطلِّ رُبَّما يصلُ به الحالُ إلى أن يعبدَ الأكوانَ كما هو مذهبُ أهلِ وحدةِ الوجودِ الذين يقولون: إِنَّ الكونَ كُلَّهُ هو اللهُ.

٤٨٣٨- فَتَرَى الْمُعْطَلَّ دَائِمًا فِي حَيْرَةٍ مُتَنَقِّلًا فِي هَذِهِ الْأَعْيَانِ

٤٨٣٩- يَدْعُو إِلَيْهَا ثُمَّ يَدْعُو غَيْرَهُ ذَا شَأْنَهُ أَبَدًا مَدَى الْأَزْمَانِ

نسألُ اللهُ العافيةَ، المعطلُّ أحيانًا يعبدُ هذا، وأحيانًا يعبدُ هذا، وأحيانًا يعبدُ هذا؛ لأنَّه ليس له ما يُعيَّنُ معبودَه بصفاته، فهو حائرٌ.

٤٨٤٠- وَتَرَى الْمُؤَحَّدَ دَائِمًا مُتَنَقِّلًا بِمَنَازِلِ الطَّاعَاتِ وَالْإِحْسَانِ

٤٨٤١- مَا زَالَ يَنْزِلُ فِي الْوَفَاءِ مَنَازِلًا وَهِيَ الطَّرِيقُ لَهُ إِلَى الرَّحْمَنِ

٤٨٤٢- لَكِنَّمَا مَعْبُودُهُ هُوَ وَاحِدٌ مَا عِنْدَهُ رَبَّانٍ مَعْبُودَانِ

الموحَّدُ متنقِّلٌ في منازلِ الطَّاعاتِ من صلاةٍ وذكرٍ وقرآنٍ وصدقةٍ وصيامٍ وعِلْمٍ وأمرٍ بالمعروفِ ونهيٍ عن المنكرِ، والمعبودُ عنده واحدٌ لا يتنقَّلُ فيه.

فصل

في مثل المشرك والمعطل

- ٤٨٤٣- أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيمٍ
 ٤٨٤٤- مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَلِكِ شَيْءٍ
 ٤٨٤٥- فَهَلِ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ أَوْ
 ٤٨٤٦- أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا تُنْفِذُهُ الرَّعَا
 ٤٨٤٧- أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَك
 ٤٨٤٨- أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا
 ٤٨٤٩- أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلَّمًا مُتَكَلِّمًا
 ٤٨٥٠- أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةً أَل
 ٤٨٥١- أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ
 ٤٨٥٢- فِعْلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِهِ مُحَا
 ٤٨٥٣- بَلْ حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلَ وَمَعِ وَبَعْدَ
 ٤٨٥٤- وَاللَّهِ لَسْتُ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا
 ٤٨٥٥- لَا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتُ بِخَارِجٍ
- مِ لَسْتُ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانِ
 ءَ كُلُّهَا مَسْئُوبَةٌ الْوِجْدَانِ
 دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
 يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنِ
 لِيمٍ لِمَنْ وَاقِيَ مِنَ الْبُلْدَانِ
 عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانِ
 مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلِّ زَمَانِ
 فِعْلِ الَّذِي قَدْ قَامَ بِالْأَذْهَانِ
 وَبِقُدْرَةِ أَفْعَالِ ذِي السُّلْطَانِ
 لُ غَيْرُ مَعْقُولٍ لِذِي الْإِنْسَانِ
 دُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلَا فُرْقَانِ
 مَا كَانَ شَأْنُكَ مِثْلَ هَذَا الشَّانِ
 عَنَّا خِيَالًا دُرَّتْ فِي الْأَذْهَانِ

- ٤٨٥٦- فَبِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانَ
 ٤٨٥٧- إِسْمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ شَأْنُ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ

الشرح

قد تقدّم نحو هذا البحث، وأن ابن القيم -رحمه الله- يرى أن فتنة التعطيل أشد من فتنة الشرك، وقد قرّر ذلك في هذا الفصل، وهذه الآيات في الذين لا يصفون الله تعالى بالثبوت أبدًا، وإنما يصفونه بالسُّلُوبِ «النفي»، وهؤلاء هم غلاة الجهميّة، يقولون: لا يمكن أن نصف الله تعالى بشيء ثبوتيّ أبدًا؛ بحجّة أننا لو وصفناه بالشّيء الثُّبُوتِيّ شَبَّهناه بالموجودات، فقيل لهم: وإذا وصفتموه بشيءٍ عَدَمِيّ شَبَّهتموه بالمعدومات، فتكأيس بعضهم وقالوا: لا نَصِفُه بالوجود ولا بالعدم، فنقول لهم: إذن شَبَّهتموه بالمستحيلات الممتنعات.

وكلام ابن القيم كُله في الذين لا يصفون الله بالثبوت أبدًا، قال رحمه الله:

- ٤٨٤٣- أَيْنَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِي مَلِكٍ عَظِيمٍ -مِ لَسْتِ فِينَا قَطُّ ذَا سُلْطَانِ
 ٤٨٤٤- مَا فِي صِفَاتِكَ مِنْ صِفَاتِ الْمَلِكِ شَيْءٍ ءَ كُلُّهَا مَسْلُوبَةٌ الْوِجْدَانِ

قوله: «مَسْلُوبَةٌ الْوِجْدَانِ»؛ أي: مسلوبه الوجود، لكن من هذا؟ هذا هو المعطل.

- ٤٨٤٥- فَهَلِ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمُلْكِ أَوْ دَبَّرْتَ أَمْرَ الْمُلْكِ وَالسُّلْطَانَ

هذا الاستفهام للنفي؛ يعني: أنك لم تستو على العرش؛ لأن المعطلة ينكرون

استواء الله على عرشه.

٤٨٤٦- أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا تُنْفِذُهُ الرَّعَا يَا أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْ قُلْتَ مَرْسُومًا» هذا معطوفٌ على الاستفهام الذي بمعنى النفي؛
يعني: ما قُلْتَ مَرْسُومًا ويعني بهذا المرسوم القرآن.

قَوْلُهُ: «أَوْ نَطَقْتَ بِلَفْظَةٍ بَيِّنَانِ» هذا عمومُ الكلام.

٤٨٤٧- أَوْ كُنْتَ ذَا أَمْرٍ وَذَا نَهْيٍ وَتَكَّ لِيْمٍ لِمَنْ وَآفَى مِنَ الْبُلْدَانِ

هذا أيضًا تابعُ النَّفْيِ؛ يعني: أنك لم تأمر ولم تنه ولم تكلم؛ لأنَّ الأمر والنهي من خصائص القول، وهم يقولون: إنَّ الله لا يقول ولا يتكلم، إذن فهو لا يأمر ولا ينهى.

٤٨٤٨- أَوْ كُنْتَ ذَا سَمْعٍ وَذَا بَصَرٍ وَذَا عِلْمٍ وَذَا سُخْطٍ وَذَا رِضْوَانٍ

هذا أيضًا داخلٌ في النَّفْيِ.

٤٨٤٩- أَوْ كُنْتَ قَطُّ مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا مُتَصَرِّفًا بِالْفِعْلِ كُلِّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «مُكَلِّمًا مُتَكَلِّمًا» «مُكَلِّمًا» أي: الكلام المتعدي، و«مُتَكَلِّمًا» أي:
الوصف اللازم.

هذا أيضًا داخلٌ في النَّفْيِ.

٤٨٥٠- أَوْ كُنْتَ تَفْعَلُ مَا تَشَاءُ حَقِيقَةً أَلْ فِعْلٍ الَّذِي قَدْ قَامَ بِالْأَذْهَانِ

هذا أيضًا داخلٌ في النَّفْيِ؛ لأنَّهم يُنكرون أنَّ الله يفعل، ويقولون: إنَّ فعله مفعوله، وليس له فعلٌ قائمٌ بذاته.

٤٨٥١- أَوْ كُنْتَ حَيًّا فَاعِلًا بِمَشِيئَةٍ وَبِقُدْرَةِ أفعالِ ذِي السُّلْطَانِ

لأنهم لا يرون لله أفعالاً تتعلق بالمشيئة، يقولون: إنه لو قامت به أفعالٌ تتعلق بمشيئته لقامت به الحوادثُ، وما قامت به الحوادثُ فهو حادثٌ، وكلُّ هذا سبق.

٤٨٥٢- فَعَلٌ يَقُومُ بِغَيْرِ فَاعِلِهِ مُحَا لٌ غَيْرٌ مَعْقُولٍ لِذِي الْإِنْسَانِ

قوله: «لِذِي الْإِنْسَانِ» إن جعلنا «لِذِي» اسمَ إشارةٍ كُتِبَتْ «لِذَا الْإِنْسَانِ»، وإن جعلناها بمعنى «صاحب» فإنَّ المعنى لا يستقيم، لكن لعلها «لَدَى الْإِنْسَانِ». معناه: أنهم يقولون: إنَّ فعلَ الله مفعولُه، فيقولُ ابنُ القيمِ: هذا محالٌ أن يكونَ فعلٌ يقومُ بغيرِ الفاعلِ.

٤٨٥٣- بَلْ حَالَةُ الْفَعَالِ قَبْلَ وَمَعَ وَبَعْدَ دُ هِيَ الَّتِي كَانَتْ بِلا فُرْقَانِ

حالةُ الفَعَالِ قبل أن يفعلَ ومع فعله وبعد أن يفعلَ، كُلُّهَا إِنَّمَا يَتَّصِفُ بِهَا الْفَاعِلُ دُونَ الْمَفْعُولِ.

٤٨٥٤- وَاللَّهُ لَسْتَ بِفَاعِلٍ شَيْئًا إِذَا مَا كَانَ شَأْنُكَ مِثْلَ هَذَا الشَّانِ

يعني أن ابنَ القيمِ يقولُ: لا يمكنُ أن يكونَ فاعلاً شيئاً إذا كان شأنه هذا الشَّانِ.

٤٨٥٥- لا دَاخِلًا فِينَا وَلَسْتَ بِخَارِجٍ عَنَّا خِيَالًا دُرَّتْ فِي الْأَذْهَانِ

يعني: أنهم يقولون: إنَّ اللهَ ليسَ داخلاً فِينَا ولا خارجاً عَنَّا، إذَنْ يكونُ عَدَمًا وخيالاً في الأذهانِ فقط.

- ٤٨٥٦- فَبِأَيِّ شَيْءٍ كُنْتَ فِينَا مَالِكًا مُلْكًا مُطَاعًا قَاهِرَ السُّلْطَانِ
 ٤٨٥٧- إِسْمًا وَرَسْمًا لَا حَقِيقَةَ تَحْتَهُ شَأْنُ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ
 شَأْنُ الْمُلُوكِ -يعني: في الدنيا- أَجَلٌ مِنْ ذَا الشَّانِ، أَوْ شَأْنُ الْمُلُوكِ عَمُومًا
 أَجَلٌ مِنْ مَلِكٍ لَيْسَ لَنَا مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ وَرَسْمُهُ فَقَطْ.

* * *

- ٤٨٥٨- هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِيكُنَا وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ
 ٤٨٥٩- إِذْ حُزَّتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ جَمِيعَهَا وَلِأَجْلِ ذَا دَانَتْ لَكَ الثَّقَلَانِ
 ٤٨٦٠- وَقَدْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ وَاسِدٍ تَوَلَّيْتَ مَعَهُ هَذَا عَلَى الْبُلْدَانِ
 ٤٨٦١- لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ إِنْ لَمْ يَجِيءْ بِالشَّافِعِ الْمِعْوَانِ
 ٤٨٦٢- وَيَذُلُّ لِلْبَوَابِ وَالْحُجَابِ وَالشُّبَّانِ شُفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ
 ٤٨٦٣- أَفَيْسَتْوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَا لَدَى إِنْسَانِ
 ٤٨٦٤- وَالْمُشْرِكُونَ أَحَفُّ فِي كُفْرَانِهِمْ وَكِلَاهُمَا مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
 ٤٨٦٥- إِنَّ الْمَعْطُوبَ بِالْعَدَاوَةِ قَائِمٌ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ

الشرح

- ٤٨٥٨- هَذَا وَثَانٍ قَالَ أَنْتَ مَلِيكُنَا وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ
 يعني بالثاني: المشرك «قَالَ: أَنْتَ مَلِيكُنَا وَسِوَاكَ لَا نَرْضَاهُ مِنْ سُلْطَانِ»؛ لِأَنَّ
 الْمُشْرِكِينَ يُقَرُّونَ بِأَنَّ اللَّهَ وَحْدَهُ هُوَ الْخَالِقُ الرَّازِقُ وَأَنَّ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

٤٨٥٩- إِذْ حُزَّتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ جَمِيعَهَا وَلَا أَجَلَ ذَا دَانَتْ لَكَ الثَّقَلَانِ
 ٤٨٦٠- وَقَدْ اسْتَوَيْتَ عَلَى سَرِيرِ الْمَلِكِ وَأَسَدَ كُلِّ هَذَا يُقَرُّ بِهِ الْمَشْرُكُونَ.

٤٨٦١- لَكِنَّ بَابَكَ لَيْسَ يَغْشَاهُ امْرُؤٌ إِنَّ لَمْ يَجِيءْ بِالشَّافِعِ الْمِعْوَانَ
 هنا حَصَلَ الخَلَلُ مِنَ الْمَشْرُكِينَ، قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ شَفَعَاءُ؛ لِأَنَّ بَابَهُ عَظِيمٌ لَا يَلْجُئُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِشَافِعٍ مِعْوَانٍ.

٤٨٦٢- وَيَذَلُّ لِلْبَوَابِ وَالْحُجَّابِ وَالشُّ- شُفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ
 يعني: أَنَّ بَابَكَ لَا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ إِلَّا بِشَفِيعٍ يَذَلُّ لَهُ الطَّالِبُ الَّذِي يَطْلُبُ الْقُرْبَ مِنْكَ، فَقَوْلُهُ: «وَيَذَلُّ» مَعْطُوفَةٌ عَلَى «يَجِيءُ»؛ يَعْنِي: إِنَّ لَمْ يَجِيءْ وَإِنْ لَمْ يَذَلِّ لِلْبَوَابِ وَالْحُجَّابِ وَالشُّفَعَاءِ أَهْلِ الْقُرْبِ وَالْإِحْسَانِ.

٤٨٦٣- أَفَيْسَتْوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَآ لَدَى إِنْسَانٍ
 قَوْلُهُ: «أَفَيْسَتْوِي هَذَا وَهَذَا عِنْدَكُمْ» الْإِشَارَةُ إِلَى مَنْ؟ الْجَوَابُ: إِلَى الْمَعْطَلِّ وَالْمَشْرُكِ، وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَآ لَدَى إِنْسَانٍ.

فَانظُرْ أَيُّهُمَا أَشَدُّ: الْمَشْرُكُ أَوْ الْمَعْطَلُّ الَّذِي لَا يَصِفُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ إِطْلَاقًا، وَيَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُوصَفُ إِلَّا بِالسُّلُوبِ؛ أَي: بِالنَّفْيِ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ لَمْ يُثَبِّتْ رَبًّا؟ الْجَوَابُ: الْمَشْرُكُونَ أَخَفُّ؛ وَلِذَا قَالَ:

٤٨٦٤- وَالْمُشْرِكُونَ أَخَفُّ فِي كُفْرَانِهِمْ وَكِلَاهُمَا مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ
 قَوْلُهُ: «وَالْمُشْرِكُونَ أَخَفُّ»، وَهَذَا هُوَ الْفَرْقُ.

قَوْلُهُ: «وَكِلَاهُمَا»؛ أَي: المَشْرِكُ وَالْمُعْطَلُ.

٤٨٦٥- إِنَّ الْمُعْطَلَّ بِالْعَدَاوَةِ قَائِمٌ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ

الْمُعْطَلُّ مُلَبَّسٌ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: أَنَا أَقُولُ هَكَذَا تَنْزِيهًا لِلَّهِ أَنْ يُشَابَهَ الْمَخْلُوقِينَ،
فَيَدَّعِي بِإِنْكَارِهِ وَتَعْطِيلِهِ أَنَّهُ مُنَزَّهُ لِلَّهِ، وَيَدَّعِي أَنَّ الَّذِينَ يُثْبِتُونَ الصِّفَاتِ مُجَسِّمَةٌ
مِثْلَةُ حَشَوِيَّةٍ لَيْسَ عِنْدَهُمْ عُقُولٌ وَلَمْ يَقْدِرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

فصل

فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِحْسَانِ لِلْمَتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ
عِنْدَ فَسَادِ الزَّمَانِ

- ٤٨٦٦- هَذَا وَلِلْمَتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْ-
مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَزْمَانِ
- ٤٨٦٧- أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ
إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ
- ٤٨٦٨- فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ
وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
- ٤٨٦٩- أَثَرًا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأَةً
مَنْ صَحِبَ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
- ٤٨٧٠- إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمُضَدَّقٌ لَهُ
فِي «مُسْلِمٍ» فَافْهَمَهُ فَهَمَّ بَيَانِ
- ٤٨٧١- أَنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتَ هَرْجِ هِجْرَةَ
حَقًّا إِلَيَّ وَذَلِكَ دُوْبُرَهُانِ
- ٤٨٧٢- هَذَا فَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَكَ أَيُّهَا السُّ-
سُنِيُّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِي
- ٤٨٧٣- هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا
قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ
- ٤٨٧٤- وَلَقَدْ أَتَى مُضَدَّقُهُ فِي «التِّرْمِذِيِّ
ي» لِمَنْ لَهُ أذنانِ وَعَيْنَانِ
- ٤٨٧٥- فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا
كَمَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِحَنَانِ
- ٤٨٧٦- هَذَا وَمُضَدَّقٌ لَهُ أَيْضًا أَتَى
فِي «التِّرْمِذِيِّ» لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
- ٤٨٧٧- تَشْبِيهُ أُمَّتِهِ بِغَيْثِ أَوَّلِ
مِنْهُ وَأَخِرُهُ فَمُشْتَبِهَانِ

٤٨٧٨- فَلِذَاكَ لَا يَدْرِي الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا قَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِيهَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْإِحْسَانِ لِلْمُتَمَسِّكِينَ بِكِتَابِهِ وَسُنَّتِهِ رَسُولِهِ» متى؟ الجواب: عند فساد الزمان؛ لأنه إذا كان الزمان صالحًا وكان الناس فيه على الاستقامة سهل على الإنسان أن يستقيم، لكن إذا كان الزمان فاسدًا وكان الناس فيه على غير الاستقامة فإن الاستقامة تكون صعبة؛ لأن الإنسان إذا استقام في مثل هذا الزمان وجد نفسه غريبًا بين الناس، وطوبى للغرباء، وهذا أمر واضح، انظر إلى رجل صالح في بيت أهله غير صالحين ماذا يجد هذا الابن الصالح من التعب والمشقة والمعاناة؟! وانظر إلى رجل صالح في بيت أهله صالحون، فهذا الثاني سهل عليه الصلاح، بل لو فسد يرى غريبًا؛ لأنه بين قوم صالحين، فإذا صلح الإنسان عند فساد الزمان كان عند الله أعظم أجرًا كما سببته المؤلف رحمه الله.

٤٨٦٦- هَذَا وَلِلْمُتَمَسِّكِينَ بِسُنَّةِ الْـ مُخْتَارِ عِنْدَ فَسَادِ ذِي الْأَرْزَامِ

٤٨٦٧- أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «ذِي»؛ بمعنى: هذي، فهو اسم إشارة، وليس من الأسماء الخمسة.

لِلْمُتَمَسِّكِينَ بِهذه السُّنَّةِ أَجْرٌ عَظِيمٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ -يعني: ليس يعلم قدره- إِلَّا الَّذِي أَعْطَاهُ لِلْإِنْسَانِ، والذي أعطاه للإنسان هو الله عز وجل.

٤٨٦٨- فَرَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي سُنَنِ لَهُ وَرَوَاهُ أَيْضًا أَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ

٤٨٦٩- أُنْثَرَا تَضَمَّنَ أَجْرَ خَمْسِينَ امْرَأَةً مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
 يقول: روى أبو داود والإمام أحمد - رحمهما الله - أنهما - أُنْثَرَا يتضمَّنُ أنَّ المتمسِّكَ
 بالسُّنَّةِ عند فسادِ الزَّمانِ له أجرُ خمسين من أصحابِ النَّبِيِّ ﷺ^(١)، وهذا أجرٌ
 عظيمٌ؛ يعني: إذا كنت متمسِّكًا بالسُّنَّةِ مُتَّبِعًا لها عند فسادِ الزَّمانِ ومخالفةِ النَّاسِ لها
 فَلَكَ أجرُ خمسين امرأةً من أصحابِ رسولِ الله - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ-، ويقول
 المؤلِّفُ:

٤٨٧٠- إِسْنَادُهُ حَسَنٌ وَمِصْدَاقٌ لَهُ فِي «مُسْلِمٍ» فَأَفْهَمَهُ فَهَمَّ بَيَّانِ
 الرَّسُولِ ﷺ أَخْبَرَ فِيهَا صَحَّ عَنْهُ كَمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» أَنَّ الْعِبَادَةَ فِي زَمَنِ
 الْهَرَجِ - يعني: الاختلاطُ والقتلُ - كَهَجْرَةِ إِلَى الرَّسُولِ ﷺ^(٢)، وَهَذَا يُؤَيِّدُ مَا رَوَاهُ
 أَبُو دَاوُدَ وَالْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي أَنَّ لِلْمَتَمَسِّكِ بِالسُّنَّةِ أَجْرَ خَمْسِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
 - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

٤٨٧١- أَنَّ الْعِبَادَةَ وَقْتَ هَرَجِ هَجْرَةَ حَقًّا إِلَيَّ وَذَلِكَ ذُو بُرْهَانَ

٤٨٧٢- هَذَا فَكُمْ مِنْ هَجْرَةِ لَكَ أَيُّهَا السُّنِّيُّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِي

قَوْلُهُ: «لَا بِأَمَانِي»؛ يعني: فهي من الأمانى وليست من الأمن؛ أي: لا بالأمانى
 الكاذبة التي يتمناها الإنسان ولا تحصل له كما قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ
 وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء: ١٢٣].

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤١)، والترمذي: كتاب تفسير
 القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٥٨)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب قوله تعالى:
 ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، رقم (٤٠١٤).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب فضل العباداة في الهرج، رقم (٢٨٤٨).

يعني: إذا كانت العبادة في زمن الهُجْر كهِجْرَةِ إِلَى الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ - فَمَا أَكْثَرَ الْهَجْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ لَكَ أَيُّهَا السُّنِّيُّ بِالتَّحْقِيقِ لَا بِأَمَانِي.

فهي هجرة حقيقة كما قال النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَمَرَادُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ
هَذَا سِوَا مَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ أَوْ مَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ، مَرَادُهُ الْحُثُّ
عَلَى التَّمَسُّكِ بِالسُّنَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَيْهَا وَإِنْ أُوْذِيَ الْإِنْسَانُ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَى إِذَا
كَانَ الزَّمَانُ فَاسِدًا، لَا بُدَّ أَنْ يُسْحَرَ مِنْهُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَتَعَامَرَ بِهِ مَنْ مَرَّ بِهِ مِنْ
الْمُجْرِمِينَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا
مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠]، أحيانًا يسخرون منه في لباسه، وأحيانًا في
لحيته، وأحيانًا في هيئته، وأحيانًا في ورعه وتجنبه المشتبهات، وغير ذلك، المهمُّ أَنَّ
الْمَتَمَسِّكَ بِالسُّنَّةِ لَا بُدَّ أَنْ يُؤْذَى عِنْدَ فِسَادِ الزَّمَانِ.

٤٨٧٣- هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ وَجَاءَ فِي الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «هَذَا وَكَمْ مِنْ هِجْرَةٍ لَهُمْ بِمَا» «لَهُمْ» الضَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى الصَّحَابَةِ،
فَالصَّحَابَةُ لَهُمْ هِجْرٌ كَثِيرٌ، وَهِجْرَةٌ بِمَا قَالَ الرَّسُولُ، وَأَنْتَ لَكَ هِجْرٌ كَثِيرٌ أَيْضًا،
كُلُّ مَسْأَلَةٍ شَرْعِيَّةٍ تَفْعَلُهَا عِنْدَ فِسَادِ الزَّمَانِ فَإِنَّهَا كهِجْرَةٍ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، فَمَا أَكْثَرَ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ!
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤٨٧٤- وَلَقَدْ أَتَى مِصْدَاقُهُ فِي «التِّرْمِذِيِّ» يِ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ وَاعِيَتَانِ

٤٨٧٥- فِي أَجْرِ مُحْيِي سُنَّةٍ مَاتَتْ فَذَا كَمَعَ الرَّسُولِ رَفِيقُهُ بِجِنَانِ

معناه: أَنَّ الَّذِي يُحْيِي سُنَّةً مِنْ سِنَنِ الرَّسُولِ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - الَّتِي
مَاتَ فَإِنَّهُ رَفِيقُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْجَنَّةِ.

- ٤٨٧٦- هَذَا وَمِصْدَاقٌ لَهُ أَيْضًا أَتَى فِي «الْتَّرْمِذِيِّ» لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
 ٤٨٧٧- تَشْبِيهُ أُمَّتِهِ بِغَيْثٍ أَوَّلٍ مِنْهُ وَآخِرُهُ فَمُشْتَبِهَاتِيهَا
 ٤٨٧٨- فَلِذَاكَ لَا يُدْرَى الَّذِي هُوَ مِنْهُمَا قَدْ خُصَّ بِالتَّفْضِيلِ وَالرُّجْحَانِ
 شَبَّهَ النَّبِيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أُمَّتَهُ بِالْغَيْثِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ مِنْ آخِرِهِ^(١)؛
 يعني: أئمتهم متشابهون، أوَّلُ الأُمَّةِ وَآخِرُهَا؛ لِأَنَّ أَوَّلَ الأُمَّةِ لَهُمُ السَّبْقُ وَالفَضْلُ
 وَنَقْلُ الشَّرِيعَةِ، وَآخِرُ الأُمَّةِ لَهُمُ حَمَايَتُهَا عِنْدَ فِسَادِ الزَّمَانِ، فَكُلُّ مَنْهُمْ قَدْ أَخَذَ مِنْ
 حَمَايَةِ هَذِهِ الشَّرِيعَةِ بِنصيبٍ؛ فَلِهَذَا لَا يُدْرَى أَوَّلُهُمْ مِنْ آخِرِهِمْ.

- ٤٨٧٩- وَلَقَدْ أَتَى أَثَرٌ بِأَنَّ الفَضْلَ فِي الطُّ
 ٤٨٨٠- وَالْوَسْطُ ذُو نَيْبٍ فَأَعْوَجَ هَكَذَا جَاءَ الحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
 ٤٨٨١- وَلَقَدْ أَتَى فِي الوَحْيِ مِصْدَاقٌ لَهُ فِي الثَّلَاثِينَ وَذَلِكَ فِي القُرْآنِ
 ٤٨٨٢- أَهْلُ اليَمِينِ فُتِلَّةٌ مَعَ مِثْلِهَا وَالسَّابِقُونَ أَقْلٌ فِي الحُسْبَانِ
 ٤٨٨٣- مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرَبَةً الأَوْطَانِ
 ٤٨٨٤- لَكِنَّهَا وَاللهِ غُرَبَةٌ قَائِمٍ بِالذِّينِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
 ٤٨٨٥- فَلِذَاكَ شَبَّهَهُمْ بِهِمْ مِتْبَعُهُمْ فِي الغُرَبَتَيْنِ وَذَلِكَ ذُو تَبَيَّانِ

(١) كما في حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِثْلُ أُمَّتِي مِثْلُ المَطَرِ لَا يُدْرَى أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ». أخرج الترمذي: كتاب الأمثال، بعد باب مثل الصلوات الخمس، رقم (٢٨٦٩).

- ٤٨٨٦- لَمْ يُشَبِّهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ
 ٤٨٨٧- فَانظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرَبَاءِ بِالْـ
 ٤٨٨٨- طُوبَى لَهُمْ وَالشُّوقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى
 ٤٨٨٩- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُؤُوا بِنُحَاتِهِ الْـ
 ٤٨٩٠- طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَزَا
 ٤٨٩١- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْبُؤُوا شَيْئًا بِذِي الْـ
 ٤٨٩٢- طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى
 ٤٨٩٣- وَاللَّهِ مَا اتَّمَمُوا بِشَخْصٍ دُونَهُ

الشرح

- ٤٨٧٩- وَلَقَدْ آتَى أَثْرٌ بِأَنَّ الْفَضْلَ فِي الطُّ
 قَوْلُهُ: «الطَّرْفَيْنِ»؛ يَعْنِي: طَرَفِي الْأُمَّةِ.

أتى أثرٌ بأنَّ الفضلَ في أوَّلِ الْأُمَّةِ وفي آخِرِهَا^(١)، أمَّا الفضلُ في أوَّلِهَا فواضحٌ
 للسَّبْقِ وَالْجِهَادِ وَتَبْيِينِ الشَّرِيعَةِ وَنَقْلِهَا لِلْأُمَّةِ، وَأَمَّا فِي آخِرِهَا فَمَنْ أَجَلَ مَا يَحْصُلُ
 فِي آخِرِهَا مِنَ الْفِتَنِ وَالضَّلَالِ، وَيَكُونُ الصَّابِرُ عَلَى هَذِهِ الْفِتَنِ وَهَذَا الضَّلَالِ يَكُونُ
 مَأْجُورًا، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ لَهُ أَجْرَ خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ.

(١) يَعْنِي حَدِيثَ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَثَلُ أُمَّتِي مَثَلُ الْمَطَرِ لَا يُدْرِي أَوَّلُهُ خَيْرٌ أَمْ آخِرُهُ». أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ: كِتَابُ الْأَمْثَالِ، بَعْدَ بَابِ مَثَلِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، رَقْمٌ (٢٨٦٩).

٤٨٨٠- وَالْوَسْطُ ذُو نَبَجٍ فَأَعْوَجَ هَكَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ وَلَيْسَ ذَا نُكْرَانٍ
قَوْلُهُ: «نَبَجٌ» الشَّبَجُ: الوَسْطُ.

٤٨٨١- وَلَقَدْ أَتَى فِي الْوَحْيِ مُصَدِّقٌ لَهُ فِي الثَّلَاثِينَ وَذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ «الْوَاقِعَةِ»: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٠-١٤]، وَأَصْحَحُ التَّفْسِيرَيْنِ فِيهَا أَنَّ الْمُرَادَ بِذَلِكَ هَذِهِ الْأُمَّةُ، فَالسَّابِقُونَ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى كَثِيرُونَ وَمِنَ الْآخِرِينَ قَلِيلٌ، وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ؛ يَعْنِي: أَنَّهُمْ كَثِيرُونَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ، وَمُرْتَبَةُ أَصْحَابِ الْيَمِينِ أَقْلٌ مِنْ مُرْتَبَةِ السَّابِقِينَ، لَا شَكَّ فِي هَذَا؛ وَلِذَلِكَ كَانَ ثَوَابُهُمُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَقْلَ مِنْ ثَوَابِ السَّابِقِينَ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنَ السَّابِقِينَ.

٤٨٨٢- أَهْلُ الْيَمِينِ فِثْلَةٌ مَعَ مِثْلِهَا وَالسَّابِقُونَ أَقْلٌ فِي الْحُسْبَانِ

أَهْلُ الْيَمِينِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيهِمْ: ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٣٧﴾ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴿٣٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴿٣٩﴾ وَظِلِّ مَمْدُودٍ ﴿٤٠﴾ وَمَاءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٤١﴾ وَفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٤٢﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٤٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٤٥﴾ فَجَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٤٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٤٧﴾ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿٤٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٥٠﴾ [الواقعة: ٢٧-٤٠]، وَأَمَّا السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ فَقَالَ اللَّهُ فِيهِمْ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤]، وَإِذَا جَمَعْنَا هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ تَبَيَّنَ أَنَّ أَوَّلَ الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنْ آخِرِهَا، وَأَنَّ آخِرَهَا أَفْضَلُ مِنْ وَسْطِهَا؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٤٠]، وَقَالَ فِي السَّابِقِينَ: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأُولَى ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ١٣-١٤].

٤٨٨٣- مَا ذَاكَ إِلَّا أَنْ تَابِعَهُمْ هُمْ أَلْ - غُرَبَاءُ لَيْسَتْ غُرَبَةً الْأَوْطَانِ

فالغربة ليست غربة الوطن، ولكنها غربة الدين، وهذه أشد من غربة الوطن؛ إذ إن غريب الوطن ربما تزول غربته بما يحصل له من الفرح والسُرور وتجدد الإخوان والأصحاب، لكن غربة الدين هي البلاء، وهي التي تحتاج إلى صبر.

٤٨٨٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهِ غُرَبَةٌ قَائِمٌ بِالدِّينِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

فهذه غربة الدين؛ بأن يكون الإنسان في وسط مجتمع بعيد عن الدين، فيكون بينهم كأنه غريب، وقد جاء في الحديث أن الغبراء هم: «الَّذِينَ يُصَلِّحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ»^(١).

٤٨٨٥- فَلِذَاكَ شَبَّهُهُمْ بِهِمْ مَتَّبِعُهُمْ فِي الْغُرَبَاتِ وَذَاكَ ذُو تَبَيَّانٍ

قَوْلُهُ: «مَتَّبِعُهُمْ»؛ يعني به: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

يعني: أنهم غرباء بين عساكر الشيطان كما شبَّههم النبي -عليه الصلاة والسلام- فقال: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ»^(٢)؛ إذن الغربة في أول الإسلام، والغربة في آخر الإسلام، فأهل الإسلام غرباء في الأول وغرباء في الثاني.

٤٨٨٦- لَمْ يُشَبَّهُوهُمْ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِنْ كُلِّ وَجْهِ لَيْسَ يَسْتَوِيَانِ

يعني: أن الغبراء في الثاني لا يُشَبَّهُونَ الغبراء في الأول من كل وجه.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الإيثار، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، رقم (٢٦٣٠)، وقال: هذا حديث حسن.

(٢) تقدم تحريجه، وهو الجزء الأول من الحديث السابق.

٤٨٨٧- فَأَنْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ الْغُرَبَاءَ بِالْـ مُحِبِّينَ سُنَّتَهُ بِكُلِّ زَمَانٍ

يعني: أن الرسول ﷺ فسّر الغرباء بالذين يُحِبُّونَ سُنَّتَهُ بين أهل البدع، أو يقومون بطاعته بين أهل الفسق، والغريب معروف مأخوذ من «الغربة»، وهي ألا يكون للإنسان من يشابهه في مجتمعه.

٤٨٨٨- طُوبَى لَهُمْ وَالشَّوْقُ يَحْدُوهُمْ إِلَى أَخَذِ الْحَدِيثِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

اختلف المفسرون في قوله تعالى: ﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحَسُنَ مَا فِي [الرعد: ٢٩]، فقال بعضهم: إنها شجرة بالجنة، يسير الرّكّاب في ظلّها مائتي عام لا يقطعها، وقال بعضهم: بل إن طوبى «فعلى» مأخوذة من الطيب، والمراد بها الجنة، فالجنة كلّها تُسمّى «طوبى» باعتبار أنّها طيبة، وهذا الأخير أعم من الأوّل، ويكون إطلاق «طوبى» على الشجرة من باب إطلاق العام على الخاص.

٤٨٨٩- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْْبُؤُوا بِنَحَاتِهِ أَلْـ أَفْكَارٍ أَوْ بِزِيَالَةِ الْأَذْهَانِ

كما فعل من خالفوا الحديث والقرآن في أسماء الله وصفاته وغيرها.

٤٨٩٠- طُوبَى لَهُمْ رَكِبُوا عَلَى مَتْنِ الْعَزَا ئِمَ قَاصِدِينَ لِمَطْلَعِ الْإِيمَانِ

ركبوا مطايا العزائم، ولم يتوانوا ولم يتأخروا.

٤٨٩١- طُوبَى لَهُمْ لَمْ يَعْْبُؤُوا شَيْئًا بِذِي أَلْـ آرَاءٍ إِذْ أَغْنَاهُمْ الْوَحْيَانِ

٤٨٩٢- طُوبَى لَهُمْ وَإِمَامُهُمْ دُونَ الْوَرَى مَنْ جَاءَ بِالْإِيمَانِ وَالْفُرْقَانِ

٤٨٩٣- وَاللَّهُ مَا اتَّمَمُوا بِشَخْصٍ دُونَهُ إِلَّا إِذَا مَا دَلَّاهُمْ بَيِّنَاتٍ

يعني: أن هؤلاء المتمسكين بالحديث ومحكم القرآن إمامهم دون الناس

محمَّد ﷺ، لم يأتُموا بأحدٍ سواه، بل كان هو الإمام المقتدى به في العقائد والأخلاق والأعمالِ فعلاً وتركاً.

- ٤٨٩٤- في البابِ أثارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا
 ٤٨٩٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ الْ
 ٤٨٩٦- ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ بَيْنَ
 ٤٨٩٧- فَلِذَلِكَ ذِي الْأَثَارِ أَعْضَلَ أَمْرَهَا
 ٤٨٩٨- فَاسْمَعْ إِذَنْ تَأْوِيلَهَا وَافْهَمْهُ لَا
 ٤٨٩٩- إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ تُحِطْ
 ٤٩٠٠- الْفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ
 ٤٩٠١- وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ
 ٤٩٠٢- لَا يُوجِبُ التَّقْيِيدُ أَنْ يُقْضَى لَهُ
 ٤٩٠٣- إِذْ كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضَا
 ٤٩٠٤- فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نَوْ
 ٤٩٠٥- لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِصُ مِنْ فَضْلِ عَلَيْهِ
 ٤٩٠٦- مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبٍ
 ٤٩٠٧- وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ آتَى مِنْ بَعْدِهِ
 أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ
 مُخْتَارِ خَيْرِ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
 نَ اثْنَيْنِ مَا حُكِيَتْ بِهِ قَوْلَانِ
 وَبَغَوَا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ
 تَعَجَّلَ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانَ
 عِلْمًا بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِرْمَانِ
 وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ
 فَضْلًا عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانِ
 بِالْإِسْتِوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ
 ئِلَ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالْإِحْسَانِ
 عَالِمٌ يُحْزِرُهُ فَاضِلُ الْإِنْسَانِ
 هِ وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نُقْصَانِ
 فَضْلًا عَلَى الْمُبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ

- ٤٩٠٨- فَمَحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا حَكَمَتْ لَهُمْ بِمَزِيَّةِ الرَّجْحَانِ
 ٤٩٠٩- فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَحْزُ هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
 ٤٩١٠- هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرِ أَوْ أَحَدٍ أَوْ أَلْ فَتَحِ الْمُبِينِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 ٤٩١١- بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِيدِ نَ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أُولِي أَعْوَانِ

الشرح

٤٨٩٤- فِي الْبَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ
 قَوْلُهُ: «فِي الْبَابِ»؛ أي: في هذا البحث، والباب يُطْلَقُ عند العلماء إذا قالوا:
 لم يَصِحَّ في هذا البابِ شيءٌ؛ يعني: في هذه المسألة، أو في هذا البحث، أو في هذا
 الموضوع.

يقول: «فِي الْبَابِ آثَارٌ عَظِيمٌ شَأْنُهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ فِي الْأَزْمَانِ» «أَعْيَتْ»؛
 يعني: أَعْجَزَتْهُمْ، وَصَعُبَ عَلَيْهِمُ التَّوْفِيقُ بَيْنَهَا؛ لِأَنَّهَا آثَارٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَتَأَخِّرِينَ
 مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَفْضَلُ مِنَ السَّابِقِينَ، وَآثَارٌ بِالْعَكْسِ، فَلَا بُدَّ مِنْ جَمْعٍ.

ابن القيم - رحمه الله - يقول: إِنَّهَا أَعْيَتْ عَلَى الْعُلَمَاءِ؛ يَعْنِي: أَعْجَزَتْهُمْ، كَيْفَ
 يَجْمَعُونَ بَيْنَهَا؟ وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهَذَا أَمْرٌ يُشْكَلُ عَلَى الْإِنْسَانِ حَقِيقَةً، الْعَامِلُ لَهُ أَجْرُ
 خَمْسِينَ مِنَ الصَّحَابَةِ^(١)، وَالرَّسُولُ ﷺ يَقُولُ: «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا

(١) أخرجه أبو داود: كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، رقم (٤٣٤١)، والترمذي: كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة المائدة، رقم (٣٠٥٨)، وابن ماجه: كتاب الفتن، باب قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، رقم (٤٠١٤).

- بَلَّغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ»^(١)، فكيف الجمع؟ تَعَرَّضَ - رحمه الله - للجمع فقال:
- ٤٨٩٥- إِذْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ أَنَّ صَحَابَةَ آلِ - مُخْتَارِ خَيْرِ طَوَائِفِ الْإِنْسَانِ
- ٤٨٩٦- ذَا بِالضَّرُورَةِ لَيْسَ فِيهِ الْخُلْفُ يَبْ - مِنْ اثْنَيْنِ مَا حُكِّيتُ بِهِ قَوْلَانِ
- وهذا مُجْمَعٌ عليه، أَنَّ صَحَابَةَ النَّبِيِّ ﷺ هُمْ خَيْرُ الْأُمَّةِ، بَلْ خَيْرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ
كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ النَّصُّ الثَّابِتُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قَوْلِهِ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ»^(٢)، وهذا لا إشكال فيه.
- ٤٨٩٧- فَلِدَاكَ ذِي الْآثَارِ أَعْضَلَ أَمْرُهَا وَبَغَوَا لَهَا التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ
- فهذه الآثَارُ «أَعْضَلَ أَمْرُهَا»؛ يعني: امتنع أمرها، وشقَّ على الناس، وبغوا
لها التَّفْسِيرَ بِالْإِحْسَانِ.
- ٤٨٩٨- فَاسْمَعْ إِذَنْ تَأْوِيلَهَا وَأَفْهَمَهُ لَا تَعْجَلْ بِرَدِّ مِنْكَ أَوْ نُكْرَانِ
- أَرَادَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله - أَنْ يُنَبِّهَنَا إِلَى تَأْوِيلِ هَذِهِ النَّصُوصِ وَالْجَمْعِ بَيْنَهَا
فَقَالَ: «لَا تَعْجَلْ بِرَدِّ»، ثُمَّ ذَكَرَ بَيْتًا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ نِبْرَاسًا يَسِيرُ عَلَيْهِ الْمَرْءُ فَقَالَ:
- ٤٨٩٩- إِنَّ الْبِدَارَ بِرَدِّ شَيْءٍ لَمْ يُحْطَ عَلَيْهِ بِهِ سَبَبٌ إِلَى الْحِرْمَانِ
- قَوْلُهُ: «الْبِدَارُ»؛ يعني: المبادرة، من «بَادَرَ»، كَقَاتَلِ يُقَاتِلُ مُقَاتَلَةً.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٤٧٠)،

ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٥٤٠).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، رقم (٣٤٥١)،

ومسلم: كتاب فضائل الصحابة - رضي الله تعالى عنهم -، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم

ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣).

وهذا بيتٌ مهمٌّ، بيتٌ عظيمٌ، المبادرةُ بردُّ الشَّيءِ الذي لم تُحِطْ به علمًا سببٌ إلى الحرمانِ وعدمِ الوصولِ إلى الحقِّ، فكلُّ شيءٍ لا تحيطُ به علمًا لا تُبادِرُ برده، ولا تعجلُ في الردِّ حتَّى يتبيَّنَ أنه يستحقُّ أن يُردَّ، وما أكثرَ ما نرُدُّ الشَّيءَ ثُمَّ نندمُ إذا تعجَّلنا! أحيانًا مثلًا تجد حتَّى في كتبِ العلمِ تجد أن المؤلفَ أطلقَ العبارةَ، فتقولُ: لماذا أطلقَهَا؟ ثُمَّ تحاولُ أن تُحسِّيَ على الكتابِ وتقولُ: «هذا الإطلاقُ فيه نظرٌ»، فإذا بالمؤلفِ يُقيِّدُ في آخرِ الكلامِ، أيضًا يتكلَّمُ معك أحدٌ من النَّاسِ فتبدرُ منه كلمةٌ تظنُّ أنَّها خطأ، فترُدُّ عليه، فيقولُ: «اصبر لم يتمَّ الكلامُ».

فكونُ الإنسانِ يتأنَّى ولا يُردُّ الشَّيءَ إلَّا بعد أن يتبيَّنَ فيه الخطأ، لا شكَّ أن هذا من العقلِ ومن الشَّرْعِ؛ إذنُ ماذا أعملُ؟ أنتظرُ، وأتأنَّى حتَّى إذا استكملت الأُمورَ وصار هناك مجالٌ للردِّ رددتُ.

٤٩٠٠- الفضلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ وَهُمَا لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَرْتَبَتَانِ
قَوْلُهُ: «الْفَضْلُ مِنْهُ مُطْلَقٌ وَمُقَيَّدٌ»؛ يعني: الفضلُ الذي يُوصَفُ به الإنسانُ مُطْلَقٌ ومُقَيَّدٌ، «مُطْلَقٌ»؛ يعني: على كُلِّ حالٍ، و«مُقَيَّدٌ»؛ يعني: في حالٍ مُعَيَّنَةٍ، فمثلًا نقولُ: «هذا الرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ»؛ أي: على سبيلِ الإِطْلَاقِ، ثُمَّ نقولُ: «وَالرَّجُلُ الْمَفْضُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ فِي كَذَا»، فمثلًا: لو وجدنا رجلاً عالمًا كريماً شجاعاً كان فاضلاً فضلاً مُطْلَقاً على مَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ، لكن قد يفضله الثَّانِي بِحُسْنِ الْخَلْقِ وَدِمَائَةِ الْأَخْلَاقِ، فيكونُ الْفَضْلُ الْمُطْلَقُ لِلأَوَّلِ، والثَّانِي له فَضْلٌ مُقَيَّدٌ.

إذنُ ينقسمُ إلى قسمين: مُطْلَقٌ ومُقَيَّدٌ، وسيذكرُ المؤلفُ مثالاً واضحاً، يقولُ:

٤٩٠١- وَالْفَضْلُ ذُو التَّقْيِيدِ لَيْسَ بِمُوجِبٍ فَضْلاً عَلَى الْإِطْلَاقِ مِنْ إِنْسَانٍ

يعني: أن الفضل المقيّد لا يُوجِبُ أن يكونَ الفاضلُ أفضلَ من ذي الفضلِ المُطلَقِ؛ إذنَ الفضلُ نوعان: فضلٌ مُطلَقٌ؛ بأن يكونَ هذا الإنسانُ أفضلَ من غيره على الإطلاقِ، وفضلٌ مُقيّدٌ؛ بأن يُفضَّلَ غيره في شيءٍ مُعيَّنٍ، فهل إذا فضل الإنسانُ غيره في شيءٍ مُعيَّنٍ هل يستلزمُ أن يكونَ أفضلَ منه على الإطلاقِ؟ الجوابُ: لا؛ فصاحبُ الفضلِ المُقيّدِ ليس بموجِبٍ فضلاً على مَنْ فضله مُطلَقٌ.

٤٩٠٢- لا يُوجِبُ التَّقْيِيدُ أَنْ يُقْضَى لَهُ بِالِاسْتِثْوَاءِ فَكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ

صحيحٌ؛ يعني: أن الفضلَ المقيّدَ لا يُوجِبُ أن يكونَ مُساوياً لذي الفضلِ المُطلَقِ، فضلاً عن أن يكونَ أرجحَ منه وأعلى منه، ولقد صدَقَ، الآن مثلاً نحن نقولُ: التّابعون أفضلُ من تابعي التّابعين على الإطلاقِ، لكن قد يُوجَدُ من تابعي التّابعين مَنْ هو أفضلُ من كثيرٍ من التّابعين، لكنّه فردٌ مُعيَّنٌ، كذلك الفضائلُ في شخصٍ مُعيَّنٍ، قد يكونُ هذا الرّجلُ له فضائلٌ عديدةٌ فيكونَ أفضلَ من غيره على الإطلاقِ، ويكونُ غيره له خاصيّةٌ أفضلُ من الأوّلِ، وهذا لا يُوجِبُ أن يكونَ الثّاني أفضلَ على الإطلاقِ.

٤٩٠٣- إِذْ كَانَ ذُو الْإِطْلَاقِ حَازَ مِنَ الْفَضَا بِلِ فَوْقَ ذِي التَّقْيِيدِ بِالِإِحْسَانِ

هذا تعيّنٌ لقوله: «فكَيْفَ بِالرُّجْحَانِ؟!»، «إِذْ كَانَ»؛ يعني: لأنّ ذا الإطلاقِ حَازَ من الفضائلِ فوق ذي التّقْيِيدِ بالإحسانِ؛ فمثلاً: هذا له مئةٌ فضيلةٍ، وهذا له فضيلةٌ واحدةٌ لا تُوجَدُ في ذي المئةِ، الأوّلُ نسّمِيه: «فضلاً مُطلَقاً»، والثّاني: «مُقيّداً»، وهل هذا الذي اختصَّ بفضيلةٍ لا تُوجَدُ عند صاحبِ الفضائلِ الكثيرةِ هل يُوجِبُ أن يكونَ أفضلَ من الأوّلِ؟ الجوابُ: لا.

٤٩٠٤- فَإِذَا فَرَضْنَا وَاحِدًا قَدْ حَازَ نَوْ عَالَمٍ يَحْزُهُ فَاضِلُ الْإِنْسَانِ

٤٩٠٥- لَمْ يُوجِبِ التَّخْصِصُ مِنْ فَضْلِ عَلِيٍّ — وَلَا مُسَاوَاةٍ وَلَا نُقْصَانٍ

٤٩٠٦- مَا خَلَقَ آدَمَ بِالْيَدَيْنِ بِمُوجِبِ فَضْلًا عَلَى الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

وهذا من أوضح الأمثلة، آدم -عليه الصلاة والسلام- امتاز بفضيلة لم تكن لغيره، وهي: أن الله خلقه بيده الكريمة، وأمّا محمد ﷺ فخلقته كسائر الخلق بالكلمة، هل هذه الفضيلة تُوجِبُ أن يكون أفضل من محمد؟ الجواب: لا؛ لأن فضل محمد مطلق، وفضل آدم مقيد بشيء معين، فلا يُوجِبُ أن يكون هذا المقيد مساويًا أو راجحًا على ذي الفضل المطلق.

٤٩٠٧- وَكَذَا خَصَائِصُ مَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ كُلِّ رُسُلِ اللَّهِ بِالْبُرْهَانِ

٤٩٠٨- فَمُحَمَّدٌ أَعْلَاهُمْ فَوْقًا وَمَا حَكَمْتَ لَهُمْ بِمَزِيَّةِ الرَّجْحَانِ

الرُّسُلُ مَنْ بَعْدَ آدَمَ لَهُمْ خَصَائِصُ لَيْسَتْ لِمُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ فموسى يُلقِي العصا فتكون حيةً ومحمد لم يحصل له ذلك، إبراهيم أُلقيَ في النَّارِ وَخَرَجَ سَالِمًا ومحمد لم يحصل له ذلك، عيسى يَقِفُ على القبرِ فيَخْرُجُ صاحبُ القبرِ حياً ومحمد لم يحصل له ذلك، هل هذا يُوجِبُ أن يكون هؤلاء الرُّسُلُ الكرام الذين خُصُّوا بهذه الفضائل أفضل من محمد؟ الجواب: لا، لماذا؟ لأن هذا الفضل مُقَيَّدٌ بفضيلة واحدة، وليس كمن كان فضله على الإطلاق.

ثُمَّ انْتَقَلَ الْمُؤَلِّفُ بَعْدَ هَذَا التَّفْصِيلِ إِلَى قَوْلِهِ:

٤٩٠٩- فَالْحَائِزُ الْخَمْسِينَ أَجْرًا لَمْ يَحْزُ هَا فِي جَمِيعِ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ

الذي عمِلَ في آخرِ زمانِ الغربةِ له أجرُ خمسين واحدًا من الصحابةِ لم يحزها على الإطلاق، بل على التقييد في هذا الزمنِ زمنِ الغربةِ، ولكن هل هذا الفضل

المقيّد يستلزم أن يكون أفضل ممن حازوا الفضائل في بدرٍ وأحدٍ وحينٍ وفتحٍ
مكة؟ الجواب: لا؛ ولهذا قال:

٤٩١٠- هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ أَوْ أَحَدٍ أَوْ الْ- فَتَحِ الْمُبِينِ وَبَيْعَةِ الرِّضْوَانِ

قَوْلُهُ: «هَلْ حَازَهَا فِي بَدْرٍ أَوْ أَحَدٍ...؟» الجواب: لا، ما حازها قطعاً.

انتبه لوجه الجمع: الفضل نوعان: فضلٌ مُطلقٌ على الإطلاق، وفضلٌ مُقيّدٌ؛
أي: مُقيّدٌ بحالٍ دون حالٍ أو بزمنٍ دون زمنٍ، فلا يمكن أن يساوي أحدُ الصحابةِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في الفضل المُطلق، وأمّا الفضل المُقيّد فيمكن أن يكون واحداً أفضل من
الصحابة في هذه الحال، أو في هذا الزمن، أو ما أشبه ذلك.

الآن تُوجَدُ خصائصُ لبعضِ الصحابةِ يذكرها الرسولُ -عليه الصلاةُ
والسلامُ- لا تُذكرُ لأبي بكرٍ مثلاً، ولا شكَّ أنَّ أبا بكرٍ هو أفضلُ الصحابةِ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؛ فمثلاً: إذا جاءت منقبةٌ لعمرَ بأنَّ الشيطانَ يفرِّقُ منه، كما قال ﷺ: «إِنِّي
لَأَحْسِبُ الشَّيْطَانَ يَفْرُقُ مِنْكَ يَا عُمَرُ»^(١)، هل هذا يستلزم أن يكون عمرٌ أفضلُ
من أبي بكرٍ على الإطلاق؟ الجواب: لا.

إذا جاء في عثمانَ فضيلةٌ: مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ دَلْوُهُ فِيهَا مَعَ دِلَاءِ
المُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ، فاشتراها عثمانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢)، هل هذا يقتضي أن

(١) أخرجه أحمد (٣٥٣/٥)، رقم (٢٣٠٣٩)، والترمذي: كتاب المناقب، بعد باب في مناقب أبي
حفص عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، رقم (٣٦٩٠)، وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً: كتاب المساقاة، باب في الشرب، ومن رأى صدقة الماء وهبته ووصيته
جائزة، مقسوماً كان أو غير مقسوم، والترمذي: كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وله كنيتان، يقال: أبو عمرو، وأبو عبد الله، رقم (٣٧٠٣)، والنسائي: كتاب الجهاد،
باب فضل من جهز غازياً، رقم (٣١٨٢).

يكون أفضل من عمر؟ الجواب: لا.

إذا جاء في علي بن أبي طالب: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»^(١)، فأعطاها عليًا، هل هذا يستلزم أن يكون أفضل من عثمان؟ الجواب: لا.

إذْنُ الْفَضْلِ نَوْعَانِ: فَضْلٌ مُطْلَقٌ وَهَذَا لِلصَّحَابَةِ، وَفَضْلٌ مُقَيَّدٌ وَهَذَا لِإِمْنِ خَصَّةِ اللَّهِ تَعَالَى بِهِ.

٤٩١١- بَلْ حَازَهَا إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِينِ مَنْ وَهُمْ فَقَدْ كَانُوا أَوْلِيَّ أَعْوَانِ

قَوْلُهُ: «بَلْ حَازَهَا»؛ أَي: بَلْ حَازَ الْخَمْسِينَ أَجْرًا.

قَوْلُهُ: «إِذْ كَانَ قَدْ عَدِمَ الْمُعِينِ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «إِذْ كَانَ قَدْ فَقَدَ الْمُعِينِ».

يقول: السبب في أنه حاز هذا الأجر أنه ليس له معين يعينه على العبادة، وهؤلاء لهم أعوان يعينونهم، فتسهل عليهم العبادة، وأما في آخر الزمان فيقل الأعوان، ومع قلة الأعوان تشق العبادة والطاعة على الإنسان، فيكون ما قام في قلبه من الصبر والرضا والإخلاص يجعل الأجر مضاعفًا إلى خمسين مرة بالنسبة إلى الصحابة، فلا يحوزون فضل الغربة كما حازها هو، فصار هذا له أجر خمسين في هذه العبادة فقط، وليس له الأجر الكامل المطلق؛ لأن لهم فضائل عديدة ما شاركهم فيها.

وما قاله رحمه الله هو الحق، وبه يزول الإشكال، وأنت الآن قدر نفسك مع قوم فسقة ليس فيهم من يعينك، بل فيهم من يسخر بك ويستهزئ بك، ولا تؤدّي العبادة إلا وأنت محتف بها، وبين قوم صالحين يساعدونك ويفعلون كما تفعل من

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في لواء النبي ﷺ، رقم (٢٨١٢)، ومسلم:

كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رقم (٢٤٠٧).

الخير والبرِّ، أيُّهما تصعبُ عليه العبادة: الأوَّلُ أو الثاني؟ الجواب: الأوَّلُ بلا شكِّ، فلاجل هذا كان للعاملِ في أيَّامِ الصَّبرِ أجرٌ خمسين من الصَّحابةِ.

وهنا مسألة: ما حكمُ الاستهزاءِ والتَّعْييرِ بالسُّنَّةِ؟

نقول: هذا الذي يُعَيَّرُ، إن كان يُعَيِّرُ الشَّخْصَ بنفسِه فإنَّه لا يكفرُ، وإن كان يُعَيِّرُ بالسُّنَّةِ فهو كافرٌ، لكن غالب مَنْ يُعَيِّرُ لا يُعَيِّرُ بالسُّنَّةِ بل يُعَيِّرُ الشَّخْصَ نفسَه؛ ولهذا لو كانت لحيَّةُ هذا على رجلٍ آخرَ مُعْظَمَ عنده ما عَيَّرَهُ بها؛ ومثل ذلك أيضًا: تقصيرُ الثَّيابِ، تجذُّ مثلًا بعضُ النَّاسِ إذا رأى أحدًا قد رفع ثوبه إلى نصفِ السَّاقِ يسخرُ به ويستهزئُ، لكن لو رفعه أحدٌ مُعْظَمَ عنده لم يقل شيئًا، بل قال: «هذا هو السُّنَّةُ»، فهذه المسألةُ خطيرةٌ جدًّا جدًّا، إن كان عَيَّرَهُ كراهةً لهذه السُّنَّةِ فهو كافرٌ، وإن كان عَيَّرَهُ لشخصِه مثلًا فهذا لا يكفرُ، لكنَّه على خطرٍ عظيمٍ بلا شكِّ.

- ٤٩١٢- وَالرَّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْـ مُتَحَمِّلُونَ لِأَجْلِهِ مِنْ شَانِ
- ٤٩١٣- فَتَحَمَّلُ الْعَبْدُ الْوَحِيدُ رِضَاهُ مَعُ فَيُضِ الْعَدُوَّ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ
- ٤٩١٤- مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صَادِقٍ وَحُبَّةٍ وَحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ
- ٤٩١٥- يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاغْتِرَابًا قَلَّةُ الْـ أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ
- ٤٩١٦- فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَنْزُوهُ إِنْ تَرَجِعُ يُؤَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي
- ٤٩١٧- فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلَا حُسْبَانِ
- ٤٩١٨- هَذَا وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ الْـ عَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ

- ٤٩١٩- وَلِذَلِكَ كَانَ كَقَابِضٍ بَجْمَرًا فَسَلُّ أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النَّيِّرَانِ
 ٤٩٢٠- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ
 ٤٩٢١- فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ
 ٤٩٢٢- بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضًا وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ

الشرح

يقول المؤلف - رحمه الله تعالى - مبيِّناً فضيلة هؤلاء الغرباء حين عبدوا الله عزَّ وجلَّ على حين غربة، يقول:

٤٩١٢- وَالرَّبُّ لَيْسَ يُضِيعُ مَا يَتَحَمَّلُ الْ- مُتَحَمِّلُونَ لِأَجَلِهِ مِنْ شَانِ

الحمد لله، لا يُضِيعُ اللهُ عزَّ وجلَّ أجرَ المتحمِّلين من أجله، الذين صبروا وأوذوا وصاروا غرباء بين النَّاسِ وهم ثابتون على دينهم، فهؤلاء لهم أجرٌ عظيمٌ لا يُضِيعُهُ اللهُ.

٤٩١٣- فَتَحَمَّلُ الْعَبْدُ الْوَحِيدُ رِضَاهُ مَعَ فَيُضِ الْعَدُوَّ وَقَلَّةِ الْأَعْوَانِ

٤٩١٤- مِمَّا يَدُلُّ عَلَى يَقِينِ صَادِقٍ وَمُحَبَّةٍ وَحَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ

يقول: تحمَّلُ العبدِ الوحيدِ الذي ليس معه أحدٌ، بل هو غريبٌ بين النَّاسِ تحمُّله رضا الله مع فيضِ العدوِّ؛ أي: مع كثرته، وقلةِ الأعوانِ؛ ممَّا يدلُّ على يقينٍ صادقٍ، ولا شكٍّ، إذا التفتَ يميناً وشمالاً، وإذا كُتِل النَّاسِ على خلافه، فإنَّ ثبوته على ما هو عليه دليلٌ على يقينه الصادقِ ومُحَبَّةِ اللهُ عزَّ وجلَّ وحقِيقَةِ العِرْفَانِ باللهِ، وأنَّه عارفٌ باللهِ حقيقةً.

٤٩١٥- يَكْفِيهِ ذُلًّا وَاعْتِرَابًا قَلَّةُ الْـ أَنْصَارِ بَيْنَ عَسَاكِرِ الشَّيْطَانِ

فهو وإن كان غريبًا ذليلًا باعتبار الظاهر للناس، لكنّه -والله- عزيزٌ، عزيزٌ بما أَنْعَمَ اللهُ به عليه من العبادة، والتَّوَكُّلِ على الله واحتسابِ الأجرِ من الله.

٤٩١٦- فِي كُلِّ يَوْمٍ فِرْقَةٌ تَغْزُوهُ إِنَّ تَرْجِعَ يُوَافِيهِ الْفَرِيقُ الثَّانِي

يعني: النَّاسُ يغزونه من كُلِّ وجهٍ، تغزوه هذه الفرقة، ثُمَّ تَرْجِعُ فتغزوه أخرى، وهكذا، لكنّه متمسِّكٌ بالسُّنَّةِ، فظاهِرُهُ كظاهِرِ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فَاللَّحِيَّةُ مُؤَفَّرَةٌ، والثَّيَابُ مرفوعةٌ عن الكعبِ وذو هيبَةٍ ووقارٍ.

تغزوه طائفةٌ أخرى في العقيدة هذا مُمَثَّلٌ، هذا مُجَسَّمٌ، هذا حَشَوِيٌّ، وما أشبه ذلك، تغزوه فرقةٌ من جهةِ الأخلاقِ وتركِ اللغو والبُعدِ عن ضياعِ الوقتِ، فيقولون: هذا منعزلٌ، مُنطَوٍ على نفسه، لا خَيْرَ فيه، فالمهمُّ أنَّ فرقَ شياطينِ الإنسِ تغزوه من كُلِّ جانبٍ وهو مستعينٌ بالله ثابتٌ.

٤٩١٧- فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلَا حُسْبَانِ

قَوْلُهُ: «فَسَلِ الْغَرِيبَ الْمُسْتَضَامَ» «الْغَرِيبُ»؛ يعني: الذي ليس معه أحدٌ، و«الْمُسْتَضَامَ»: الْمُضَيَّقَ عليه.

قَوْلُهُ: «عَنِ الَّذِي يَلْقَاهُ بَيْنَ عِدَى بِلَا حُسْبَانِ» «عِدَى» جمع «عَدُوٌّ».

بعضُ النَّاسِ حينما يصادفُ شخصًا مستقيمًا من الشَّبَابِ يكرهه؛ ولذا أخشى أن يكونَ هذا نفاقًا في قلبه، ومثلُ هذا يجبُ أن يُعالَجَ قلبه قبلَ كُلِّ شيءٍ؛ لأنَّ المسألةَ خطيرةٌ، لكن بعضُ النَّاسِ قد يكرهُ بعضَ الشَّبَابِ لفعلِ بعضهم ممَّن يتزمتون ويحملون النَّاسَ على ما يُريدون هم دون ما جاء في الشَّرِيعَةِ، ويقولون:

«كُلُّ مَنْ خَالَفَنَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ أَوْ ضَالٌّ»، وتعرفُ أَنَّ النَّاسَ يَفْسُدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، لَكِنَّ الْوَاجِبُ أَنَّكَ كُلَّمَا رَأَيْتَ شَخْصًا مُسْتَقِيمًا أَنْ تَحِبَّهُ لِلَّهِ، وَإِذَا رَأَيْتَ مِنْهُ شَيْئًا يَخَالَفُ مِنْهَجَ السَّلَفِ فَانصَحْهُ.

٤٩١٨- هَذَا وَقَدْ بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ الْعَهْدُ الَّذِي هُوَ مُوجِبُ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «بَعُدَ الْمَدَى وَتَطَاوَلَ الْعَهْدُ»؛ أَي: الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا قَرَّبَ الْعَهْدُ مِنْ زَمَنِ الرَّسَالَةِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَقْوَى إِيمَانًا وَأَصَحَّ إِسْلَامًا، وَكُلَّمَا بَعُدَ النَّاسُ عَنِ عَهْدِ الرَّسَالَةِ فَبِالْعَكْسِ.

٤٩١٩- وَلِذَلِكَ كَانَ كَقَابِضٍ جَمْرًا فَسَلَّ أَحْشَاءَهُ عَنْ حَرِّ ذِي النَّيِّرَانِ

الرَّجُلُ الْقَابِضُ عَلَى الْجَمْرِ يَجِدُ حَرًّا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ.

٤٩٢٠- وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِي فِي قَلْبِهِ يَكْفِيهِ عِلْمُ الْوَاحِدِ الْمَنَّانِ

٤٩٢١- فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ لَيْسَ يَقْدِرُ قَدْرَهُ إِلَّا الَّذِي آتَاهُ لِلْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «فِي الْقَلْبِ أَمْرٌ» فَمَا هَذَا الْأَمْرُ؟ يَقُولُ:

٤٩٢٢- بِرٌّ وَتَوْحِيدٌ وَصَبْرٌ مَعَ رِضَا وَالشُّكْرُ وَالتَّحْكِيمُ لِلْقُرْآنِ

بِرٌّ، وَتَوْحِيدٌ، وَصَبْرٌ، وَرِضَا، وَشُكْرٌ، وَتَحْكِيمُ الْقُرْآنِ، سِتَّةُ أَشْيَاءَ، وَالْبِرُّ لَيْسَ بِرَّ الْوَالِدِينَ، بَلِ الْبِرُّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ كَمَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٩٢٣- سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَا دِ فَذَلِكَ مَوْلَى الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ

٤٩٢٤- فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلْ أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ

- ٤٩٢٥- وَتَفَاضُلُ الْأَعْمَالِ يَتَّبِعُ مَا يَقْوُ
مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ
٤٩٢٦- حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا
فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ
٤٩٢٧- هَذَا وَيَبْتَنِيهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ
٤٩٢٨- وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا
رُتْبٌ مُضَاعَفَةٌ بِإِحْسَابَانِ
٤٩٢٩- هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَبِذَلِكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ٤٩٢٣- سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ ذِ ذَٰكَ مَوْلَى الْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
قَوْلُهُ: «سُبْحَانَ قَاسِمِ فَضْلِهِ بَيْنَ الْعِبَادِ»؛ يعني: تنزيهاً له حيث قَسَمَ الفضل
بين عباده، لم يقسمه عن عبث، ولكن عن حكمة، قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ
يَعْمَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

- ٤٩٢٤- فَالْفَضْلُ عِنْدَ اللَّهِ لَيْسَ بِصُورَةٍ أَلِ
أَعْمَالٍ بَلْ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ
إي والله، الفضل بحقائق الإيمان لا بصورة الأعمال، فالصورة على اسمها
صورة؛ ولهذا انظر إلى الخوارج فهم كفرٌ وهم يُصَلُّونَ أَحْسَنَ مِمَّا نُصَلِّي،
ويصومون، ويتصدقون، ويذكرون الله كثيراً، وصورة أعمالهم أحسن من صورة
أعمالنا؛ كما قال النبي -عليه الصلاة والسلام-: «يَحْقُرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ عِنْدَ
صَلَاتِهِمْ»^(١)، ومع ذلك هم من أبعد الناس عن رب العالمين، نسأل الله العافية.

(١) أخرجه البخاري: كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٤)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤).

وأما المنافقُ فقد قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]؛
أي: من حسنه، وهم أبعد الناس عن الإيمان.

٤٩٢٥- وَتَفَاضَلُ الْأَعْمَالُ يَتَّبِعُ مَا يَقُو مُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْبُرْهَانِ
اللَّهُمَّ حَقِّقْ لَنَا هَذَا الْبُرْهَانَ.

٤٩٢٦- حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ كِلَاهُمَا فِي رُتْبَةٍ تَبْدُو لَنَا بَعِيَانِ
قَوْلُهُ: «حَتَّى يَكُونَ الْعَامِلَانِ...»؛ يعني: حتى تجدَّ الْعَامِلَيْنِ كِلَاهُمَا فِي رُتْبَةٍ
تبدو لنا بعيانٍ.

٤٩٢٧- هَذَا وَيَبْنِيهَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فِي فَضْلِ وَفِي رُجْحَانِ
تجد اثنين يُصَلِّيَانِ جَمِيعًا، بين كُلِّ واحدٍ وَالْآخِرِ فِي الْفَضْلِ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ
كما بين السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؛ وذلك لما يقومُ بِقَلْبِ صَاحِبِهَا مِنَ الْإِنَابَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْإِيمَانِ
به وَالصَّدَقِ وَالطَّمَأْنِينَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

٤٩٢٨- وَيَكُونُ بَيْنَ ثَوَابِ ذَا وَثَوَابِ ذَا رُتْبٌ مُضَاعَفَةٌ بِإِلْحُسْبَانِ
نعم، يعملُ الْعَامِلَانِ الْعَمَلَ الْوَاحِدَ وَبَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ وَالْثَوَابِ عِنْدَ اللَّهِ
رُتْبٌ عَظِيمَةٌ مُتَبَايِنَةٌ.

٤٩٢٩- هَذَا عَطَاءُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَبِذَلِكَ تُعْرَفُ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ
نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعْطِينَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَضْلِهِ؛ إِنَّهُ جَوَادٌ كَرِيمٌ.

فصل

فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

- ٤٩٣٠- يَا خَاطِبَ الْحُورِ الْحَسَانِ وَطَالِبَا
 ٤٩٣١- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبْتَ
 ٤٩٣٢- أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكَنُهَا جَعَلْتُ
 ٤٩٣٣- وَلَقَدْ وَصَفْتُ طَرِيقَ مَسْكَنِهَا فِإِنْ
 ٤٩٣٤- أَسْرِعْ وَحُثِّ السَّيْرَ جُهْدَكَ إِنَّمَا
 ٤٩٣٥- فَاعَشِقْ وَحَدِّثْ بِالْوِصَالِ النَّفْسَ وَوَلِّبْ
 ٤٩٣٦- وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْ
 ٤٩٣٧- وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرْ
 ٤٩٣٨- لَا يُلْهِئَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبَتْ بِهِ
 ٤٩٣٩- فَلَقَدْ تَرَحَّلُ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَّةٍ
 ٤٩٤٠- سِجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيمَانِ لَـ
 ٤٩٤١- سُكَّانِهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا
 ٤٩٤٢- وَالذُّهُمُ عَيْشًا فَأَجْهَلُهُمْ بِحَقِّ
- لِوَصَالِهِنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 تَبَدَّلَتْ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ
 تَتَّسَعَّى مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ
 رُمْتَ الْوِصَالَ فَلَا تُكُنْ بِالْوَانِي
 مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةً لِرِزْمَانِ
 نَذْلُ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 مِ الْوِصَالِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ
 تَلَقَّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانِ
 أَيْدِي الْبَلَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
 كِنْ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ
 لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ
 قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَضْلٌ فِيمَا أَعَدَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»
 أَفَادَنَا بِقَوْلِهِ: «فِيمَا أَعَدَّ» أَنَّ الْجَنَّةَ الْآنَ مَوْجُودَةٌ، وَهُوَ كَذَلِكَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿أَعَدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وَأَفَادَنَا بِقَوْلِهِ: «لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ» أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ
 هُمُ الْمُتَمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ الْمُتَّقُونَ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى:
 ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٣) الَّذِينَ ءَامَنُوا
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿ [يونس: ٦٢-٦٣]، ثُمَّ قَالَ:

٤٩٣٠- يَا خَاطِبَ الْحَوْرِ الْحَسَانَ وَطَالِبًا لِيُوصَالِيَهُنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «الْحَوْرِ الْحَسَانَ» يَقُولُونَ: لَا تَكُونُ الْمَرْأَةُ حَوْرًا إِلَّا إِذَا ابْيَضَّ وَجْهُهَا
 وَاسْوَدَّتْ عَيْنَاهَا، فَهُوَ سَوَادُ الْعَيْنَيْنِ فِي بَيَاضِ الْوَجْتَيْنِ، هَذَا هُوَ الْحَوْرُ^(١).

قَوْلُهُ: «وَطَالِبًا لِيُوصَالِيَهُنَّ بِجَنَّةِ الْحَيَوَانِ»؛ أَي: بِجَنَّةِ الْحَيَاةِ، فَالْحَيَوَانُ هُنَا
 بِمَعْنَى الْحَيَاةِ الْكَامِلَةِ؛ وَهَذَا جَاءَتْ فِيهَا الْأَلْفُ وَالنُّونُ إِشَارَةً إِلَى الْكثْرَةِ وَالسَّعَةِ
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْخَيْرُ مِنَ الدَّارِ الْأُولَى﴾ [العنكبوت: ٦٤].

قَوْلُهُ: «يَا خَاطِبَ الْحَوْرِ الْحَسَانَ...»، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الدَّعْوَةَ مِنَ الْمُؤَلِّفِ
 دَعْوَةٌ حَمِيدَةٌ، كُلُّ يَرِيدُهَا وَيُرِيدُ الْوَصُولَ إِلَيْهَا، لَكِنْ هُنَاكَ مَا هُوَ أَلْذُّ وَأَنْعَمُ مِنَ
 الْوَصَالِ إِلَى هَؤُلَاءِ الْحَوْرِ، وَهُوَ الْوَصَالُ إِلَى رِضَا اللَّهِ وَرُؤْيَا اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَلَعَلَّ
 الْمُؤَلِّفَ سَيَذْكُرُهُ فِيمَا بَعْدُ، لَكِنْ ذَكَرَ هَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - مِنْ بَابِ التَّشْوِيقِ وَالْمُقَدِّمَةِ.

(١) الْحَوْرُ - بِالتَّحْرِيكِ -: أَنْ يَشْتَدَّ بَيَاضُ بَيَاضِ الْعَيْنِ، وَسَوَادُ سَوَادِهَا، وَتَسْتَدِيرُ حَدَقَتُهَا، وَتَرْتَقِ
 جُفُوقُهَا وَيَبْيَضُّ مَا حَوْلَ إِلَيْهَا، أَوْ الْحَوْرُ: شِدَّةُ بَيَاضِهَا وَشِدَّةُ سَوَادِهَا فِي شِدَّةِ بَيَاضِ الْجَسَدِ. انظر:
 تاج العروس، مادة: حور.

٤٩٣١- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي مَنْ خَطَبْتَ وَمَنْ طَلَبْتَ سَتَ بَدَلْتَ مَا تَحْوِي مِنَ الْأَثْمَانِ

صحيحٌ والله؛ يعني: لو لم يكن لأهل الجنة -اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ- إِلَّا النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ لَكَفَى، وَالْإِنْسَانُ كُلَّمَا سَمِعَ مَا فِي النَّارِ -والعياذُ بالله- مِنَ الْعَذَابِ يَقُولُ: «لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي» خَوْفًا؛ لِأَنَّهُ لَا يَدْرِي مَاذَا يُحْتَمُّ لَهُ؟ وَلَا يَدْرِي أَيْنَ مَصِيرُهُ؟ فَلَوْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ أَهْلَهَا سَلِمُوا مِنَ الْعَذَابِ فَكَيْفَ وَفِيهَا مِنَ النَّعِيمِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ؟! اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ سَاكِنِيهَا.

فلو كُنَّا نَدْرِي لَبَدَلْنَا كُلَّ مَا نَحْوِيهِ مِنَ الْأَثْمَانِ وَمِنَ الْأَعْمَالِ، وَنَحْنُ فِي الْحَقِيقَةِ نَدْرِي، وَلَكِنَّا لَا نَدْرِي عَنِ حَقِيقَةِ هَؤُلَاءِ النِّسَاءِ، نَدْرِي أَنَّهُنَّ حَوْرٌ حَسَانٌ، خَيْرَاتُ الْأَخْلَاقِ، وَأَنَّهِنَّ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ، وَأَنَّهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ؛ وَهَذَا تَأَمَّلُوا الْآيَاتِ الَّتِي فِي آخِرِ سُورَةِ «الرَّحْمَنِ»، لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ الْمَأْكُولَاتِ وَالْمَشْرُوبَاتِ فَفَرَّقَ بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ فَقَالَ فِي الْأُولَى: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ ذَوَابِحٌ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٥٢]، وَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ: ﴿فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاجَتَانِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٦٦]، وَقَالَ: ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٦٨]، فَهِيَ دُونَ الْأُولَى، لَكِنْ فِي النِّسَاءِ قَالَ فِي كُلِّ الْأَرْبَعِ: ﴿فِيهِنَّ﴾، فَقَالَ فِي الْأُولَى: ﴿فِيهِنَّ قَصِيرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٥٦]، وَقَالَ فِي الثَّانِيَةِ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَانٌ﴾ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِي آيَاتُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حَوْرٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنِ: ٧٠-٧٢]، وَالْفَرْقُ بَيْنَ «الْخَيْرَاتِ» وَ«الْحَسَانِ» أَنَّهُنَّ خَيْرَاتٌ فِي أَخْلَاقِهِنَّ، وَحَسَانٌ فِي خَلْقَتِهِنَّ، فَالْخَلْقَةُ حَسَنَةٌ، وَالطَّبَعُ جَمِيلٌ خَيْرٌ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا.

فهو يقول: لو كنت تدري ما فعلت، نحن ندري لكننا لا ندري عن الحقيقة، حقيقة ما بالجنة لا يعلمه أحد؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمُ

مَنْ قُرِّبَ أَعْيُنُ ﴿ [السَّجدة: ١٧]، ثُمَّ إِنَّ عَمَلَنَا - نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ - عَمَلٌ مَنْ كَانَ جَاهِلًا حَتَّى فِي مَعْنَاهُ، عَمَلْنَا عَمَلُ الْجَاهِلِ؛ وَهَذَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾ [المؤمنون: ١٥]، فَأَكَّدَ الْمَوْتَ بِ«إِنَّ» وَ«اللَّامِ» مَعَ أَنَّهُ وَاضِحٌ، فَكُلُّهُ يُقَرَّبُ بِهِ؛ لِأَنَّ عَمَلَ النَّاسِ عَمَلٌ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِالْمَوْتِ وَمَنْ يَسْتَبَعِدُ هَذَا؛ لِذَلِكَ نَحْنُ نَعْلَمُ مَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ النَّعِيمِ، لَكِنْ كَأَنَّ جَاهِلُونَ لَمْ نَعْمَلْ لَهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعَامِلَنَا بِعَفْوِهِ وَإِحْسَانِهِ.

٤٩٣٢- أَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكِنُهَا جَعَلْتُ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ

السَّعْيُ لِلْمَحْبُوبِ الْمَطْلُوبِ عَلَى الْأَقْدَامِ، لَكِنْ لَوْ كُنْتَ تَدْرِي أَيْنَ مَسْكِنُهَا؟ مَسْكِنُهَا فِي جَنَاتِ عَدْنٍ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ، أَعْظَمُ مَسْكِنٍ وَأَعْلَى مَسْكِنٍ وَأَطْيَبُ مَسْكِنٍ، لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ هَذَا الْمَسْكِنَ لَجَعَلْتَ السَّعْيَ مِنْكَ لَهَا عَلَى الْأَجْفَانِ؛ أَي: أَجْفَانِ الْعَيُونِ الَّتِي هِيَ أَرْقُ شَيْءٍ فِي الْإِنْسَانِ لَا عَلَى الْأَقْدَامِ، وَلَكِنْ تَتَحَمَّلُ هَذِهِ الْمَشَقَّةَ بِالسَّعْيِ عَلَى الْأَجْفَانِ مِنْ أَجْلِ الْوَصُولِ إِلَى هَذَا الْمَسْكِنِ.

٤٩٣٣- وَلَقَدْ وَصَفْتَ طَرِيقَ مَسْكِنِهَا فَإِنْ رُمْتَ الْوِصَالَ فَلَا تَكُنْ بِالْوَانِي

قَوْلُهُ: «لَا تَكُنْ بِالْوَانِي»؛ أَي: بِالضَّعِيفِ فِي الطَّلَبِ، اسْعَ عَلَى وَجْهِ الْقُوَّةِ فِي الطَّلَبِ، وَلَكِنْ كَمَا قَالَ نَبِيُّنَا وَإِمَامُنَا - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ -: «أَحْرِضْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِزْ بِاللَّهِ»^(١)، لَا تَعْتَمِدْ عَلَى نَفْسِكَ فَتُخْذَلْ، اسْتَعِزْ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ مَطْلُوبِكَ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله، رقم (٢٦٦٤).

٤٩٣٤- أَسْرِعْ وَحُثَّ السَّيْرَ جُهْدَكَ إِنَّمَا مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةً لِيَزْمَانَ

الله أكبر، نعم، كُلُّ الدُّنْيَا سَاعَةٌ مِنْ زَمَانٍ، لَوْ جَعَلْتَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ كُلَّهُ عَمَلًا لِلوُصُولِ إِلَى هَذَا الْمَكَانِ لَانْقَضَى بِسُرْعَةٍ وَكَأَنَّهُ لِحِظَاتٍ، سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ: «إِنَّمَا مَسْرَاكَ هَذَا سَاعَةٌ لِيَزْمَانَ».

٤٩٣٥- فَأَعَشَقْتُ وَحَدَّثْتُ بِالْوِصَالِ النَّفْسَ وَلَبَّ سُدْلٌ مَهْرَهَا مَا دُمْتُ ذَا إِمْكَانٍ

قَوْلُهُ: «أَعَشَقْتُ»؛ يَعْنِي: كُنَ بِالنَّسْبَةِ لِهَذِهِ الْحَوْرِ مُحِبًّا شَدِيدَ الْمَحَبَّةِ، وَالْإِنْسَانَ بِلَا عِشْقٍ لَا يَتَحَرَّكُ، فَيَبْعُدُ عَلَى إِنْسَانٍ أَنْ يَتَزَوَّجَ امْرَأَةً وَهُوَ لَمْ يُحِبَّهَا وَلَمْ يَعِشِقْهَا، وَالْعِشْقُ مِنْ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ، وَأَعْلَى أَنْوَاعِ الْمَحَبَّةِ الْخُلَّةُ، وَهَذَا لَا نَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ خَلِيلًا مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا رَجُلَيْنِ اثْنَيْنِ؛ وَهُمَا: إِبْرَاهِيمُ، وَمُحَمَّدٌ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهَا وَسَلَامُهُ.

أَمَّا نَحْنُ فَنَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مَتَّخِذِينَ مُحَمَّدًا خَلِيلًا لَنَا، لَكِنْ كَوْنُ بَعْضِنَا يَجْعَلُ نَفْسَهُ خَلِيلًا، فَفِي هَذَا نَظْرٌ؛ لِأَنِّي أَخْشَى أَنْ تَتَطَوَّرَ هَذِهِ الْخُلَّةُ حَتَّى تَكُونَ مَحَبَّةً مَعَ اللَّهِ، وَإِذَا كَانَتْ مَحَبَّةً مَعَ اللَّهِ -أَعَاذَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ ذَلِكَ- صَارَتْ نَوْعًا مِنَ الشَّرْكِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، فَالْإِنْسَانُ يُحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يَضْبِطَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الْمَسَائِلِ، وَلَا يَتَّخِذَ خَلِيلًا مِنَ الْبَشَرِ إِلَّا مُحَمَّدًا ﷺ وَمَنْ اتَّخَذَهُ اللَّهُ خَلِيلًا؛ وَهَذَا يَقُولُ أَبُو هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا»^(١).

(١) كما في حديث: «أوصاني خليلي بثلاث: ركعتي الضحى، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وأن أوتر قبل أن أنام». أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب صلاة الضحى في الحضر، رقم (١١٧٨)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، رقم (٧٢١).

قَوْلُهُ: «وَحَدَّثَ بِالْوَصَالِ النَّفْسَ وَأَبْذَلَ مَهْرَهَا» أَيضًا حَدَّثَ بِالْوَصَالِ، أَمَا أَنْ تَعشَقَ وَلَا تُحَدِّثَ نَفْسَكَ بِالْوَصَالِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ لَمْ تَسْعَ لِلْوَصَالِ، فَلَوْ أَنَّ شَخْصًا عَشَقَ امْرَأَةً، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَوْ خَطَبَهَا مِنْ أَهْلِهَا مَا أَجَابُوهَا وَلَا أَجَابَتْ هِيَ، هَلْ يَعْمَلُ لِهَذَا أَوْ لَا يَعْمَلُ؟ الْجَوَابُ: لَا يَعْمَلُ؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ عَمَلَهُ ضَائِعٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَحَبَّةً وَتَحْدِيثُ النَّفْسِ بِأَنَّ هَذَا الْمَحْبُوبَ سَيَحْصُلُ فَإِنَّكَ لَنْ تَسْعَى وَلَنْ تَعْمَلَ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «وَأَبْذَلَ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانٍ»، لَكِنْ مَا هُوَ مَهْرُهَا؟ الْجَوَابُ: الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ، أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ عَلَيْهِ.

٤٩٣٦- وَاجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ لُقْيَاهَا وَيَوْمَ الْوَصْلِ يَوْمَ الْفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ

اللهُ أَكْبَرُ، اجْعَلْ صِيَامَكَ قَبْلَ أَنْ تَلْقَاهَا؛ لِأَنَّكَ إِنْ مَتَّ قَبْلَ أَنْ تَصُومَ عَنِ الْمَعَاصِي مَا وَصَلْتَ إِلَيْهَا، فَصُمْ عَنِ الْمَعَاصِي فِي هَذِهِ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَلْقَاهَا، وَيَكُونُ الْفِطْرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «يَوْمَ الْوَصْلِ».

٤٩٣٧- وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي وَسِرَّ تَلَقُّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ

قَوْلُهُ: «وَاجْعَلْ نُعُوتَ جَمَالِهَا الْحَادِي»، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ نَصَلَ إِلَى نُعُوتِ الْجَمَالِ إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الْوَحْيَيْنِ «الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ»، وَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- فِي كِتَابِهِ: «حَادِي الْأَرْوَاحِ إِلَى بِلَادِ الْأَفْرَاحِ» مِنْ أَوْصَافِ الْحَوْرِ مَا يَكْفِي لِمَنْ لَهُ هِمَّةٌ أَنْ يَعْمَلَ لِلْوَصَالِ إِلَيْهِنَّ.

قَوْلُهُ: «وَسِرَّ تَلَقُّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ»؛ يَعْنِي: تَلَقُّ الْمَخَافِ فِي سِيرِكَ؛ لِأَنَّ الْجَنَّةَ حُقِّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَالْإِنْسَانُ لَا تَطِيعُهُ نَفْسُهُ أَنْ يَفْعَلَ كُلَّ الطَّاعَةِ، لَكِنْ لِيَصْبِرَ وَيَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَمَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي وَيَذْهَبُ كُلُّ شَيْءٍ، لَكِنْ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- يَقُولُ: «تَلَقُّ الْمَخَافِ وَهِيَ ذَاتُ أَمَانٍ»، فَمَنْ

خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ ^(١) بَلَغَ الْمَنْزِلَةَ ^(٢).

٤٩٣٨- لَا يُلْهِئَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبْتَ بِهِ أَيِّدِي الْبَلَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ

قَوْلُهُ: «لَا يُلْهِئَنَّكَ مَنْزِلٌ لَعِبْتَ بِهِ»؛ يعني بهذا المنزل: الدنيا.

قَوْلُهُ: «الْبَلَى»؛ يعني: الفناء والتلف.

قَوْلُهُ: «لَعِبْتَ بِهِ مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ»؛ أي: مما مضى.

لا تلهيك الدنيا عن الآخرة، فإنما ترك الناس لك الدنيا بعد أن غادروها
وبعد أن أفسدوها أو أفسدتهم ولم يبق إلا الحثالة.

٤٩٣٩- فَلَقَدْ تَرَحَّلَ عَنْهُ كُلُّ مَسْرَةٍ وَتَبَدَّلَتْ بِالْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ

يعني: أن هذه الدنيا لا تدوم مسراتها، بل تتبدل بالأحزان، يقول الشاعر:

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُّ ^(٣)

ويقول الآخر:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْغَصَةً لِدَّائِهِ بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهَرَمِ ^(٤)

وَصَدَقَ الْأَوَّلُ وَالثَّانِي، فَلَا يَكَادُ يَمُرُّ بِكَ يَوْمَانِ وَأَنْتَ مَسْرُورٌ لَمْ يُنْغَصْكَ

(١) أَدْلَجَ -بالتخفيف-: إِذَا سَارَ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَأَدْلَجَ -بالتشديد- إِذَا سَارَ مِنْ آخِرِهِ، وَالاسْمُ مِنْهُمَا الدَّلْجَةُ وَالدَّلْجَةُ، بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ. انظر: البداية والنهاية، مادة: دلج.

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، بعد باب ما جاء في صفة أواني الحوض، رقم (٢٤٥٠).

(٣) البيت للنمر بن تولب، كما في زهر الأكم، لنور الدين اليوسي (٣/ ١٣٥).

(٤) البيت في توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، للمراذي بلا نسبة (٣/ ١٦٧٨).

شيء؛ إمّا من خاصّة نفسك أو من أهلك أو من أصحابك أو من المجتمع، كلُّ إنسانٍ قلبه حيٌّ لا بُدَّ أن ينال هذا.

ولو فُرِضَ أنَّ الإنسانَ في أطيبِ ما يكونُ من العيشِ وأبعدِ ما يكونُ عن المشاكلِ فهو إذا فكَّرَ ساعةً ما المآلُ؟

المآلُ أحدُ أمرين: إمّا موتٌ أو هَرَمٌ، إن ماتَ فقد فُتَّ، وإن هَرمتَ فقد تَعَبَتَ أنتِ وأتَعَبَتِ؛ ولهذا تجدُّ أنَّ الهرمَ الذي يصلُ إلى حدِّ الهذيانِ يَمَلُّ منه أهله، يضعونه في زاويةٍ من البيتِ يتكلَّمُ ويصيحُ ومع ذلك لا يحويه أحدٌ.

٤٩٤٠- سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيْمَانِ لَـ كِنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ
قَوْلُهُ: «سَجْنٌ يَضِيقُ بِصَاحِبِ الْإِيْمَانِ» وهذا صحيحٌ، فالمؤمنُ سجنه الدنيا لوجهين:

الوجهُ الأوَّلُ: أنَّه لا يرى فيها ما يسرُّه من حيثِ الإيْمَانِ والعملِ الصَّالِحِ إلَّا نادراً.

الوجهُ الثَّاني: أنَّه يرتقبُ داراً أنعمَ وأكملَ وأطيبَ من هذه الدنيا، يقولُ اللهُ تعالى: ﴿الَّذِينَ نُوَفِّقُهُمُ الْمَلَائِكَةَ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢]، في حالِ الموتِ يُتَوَفَّوْنَ طَيِّبِينَ، اللَّهُمَّ اجعلنا منهم، وتقولُ لهم الملائكةُ: «سلامٌ عليكم ادخلوا الجنة الآن»؛ ولهذا إذا وُضِعَ الإنسانُ في قبره وسُئِلَ، انفتحتْ له أبوابٌ إلى الجنة، فهذه الدنيا سجنُ المؤمنِ لا شكَّ.

قَوْلُهُ: «لَكِنِ جَنَّةِ الْمَأْوَى لِذِي الْكُفْرَانِ»؛ يعني: الدنيا جَنَّةٌ للكافرِ؛ لأنَّها بالنسبةِ لما يلقاه من العذابِ جَنَّةٌ، ولأنَّ الكافرَ لا يتقيَّدُ بشيءٍ، كلُّ شيءٍ حلالٌ؛

يزني، ويسرق، ويشرب الخمر، ويلبس الحرير، يفعل كل شيء، فهو مُنعم نفسه، فهي له جنة، وليس له جنة في الآخرة، ولكن للمؤمن سجن.

يُقال: إن قاضي القضاة - كما يصفونه - ابن حجر العسقلاني - رحمه الله - في مصر، وكان إذا أتى من بيته إلى العمل أو ذهب يميناً وشمالاً يركب العربة، والعربة في ذلك الوقت بمنزلة السيارة عندنا.

العربة تجرّها البغال أو الخيل ويحيط الناس به، فمر ذات يوم يهودي يبيع الزيت، وكل ثيابه مُدَنَسَةٌ بالزيت، فأوقفه اليهودي وقال: إن نبيكم يقول: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر»^(١)، وأنت الآن فيما أنت فيه من التعميم في الدنيا، وترى ما أنا فيه من البؤس؛ لأنه زيات، قال: نعم، صدق رسول الله، ما أنعم به من الدنيا هو بالنسبة لنعيم الآخرة سجن، وما أنت فيه من البؤس في الدنيا هو بالنسبة لعذاب الآخرة نعيم، قال: صحيح؟ قال: نعم، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وهذا هو الحق، الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

٤٩٤١- سُكَّانُهَا أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَا لَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ

قوله: «سكّانها»؛ أي: سُكَّانُ الدُّنْيَا «أَهْلُ الْجَهَالَةِ وَالْبَطَالَةِ وَالسَّفَاهَةِ أَنْجَسُ السُّكَّانِ»، نسأل الله العافية.

وابن القيم - رحمه الله - يأخذ بالعموم دائماً، سُكَّانُ الدُّنْيَا هم أهل الجهالة ليس عندهم علم، أهل البطالة ليس عندهم عمل، أهل السفاهة ليس عندهم حكمة، «أنجس السكّان» ليس فيهم طهارة، لكن لعله - رحمه الله - يريد سُكَّانَهَا الذين آثروها على الآخرة، يجب أن يكون هذا مراده؛ لأنه لا يريد سُكَّانَ الدُّنْيَا،

(١) أخرجه مسلم: كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٥٦).

فَسُكَّانُ الدُّنْيَا فِيهَا الْأَنْبِيَاءُ، فِيهَا الصَّادِقُونَ، فِيهَا الشُّهَدَاءُ، فِيهَا الصَّالِحُونَ، لَكِنْ يَرِيدُ سُكَّانَهَا الَّذِينَ آثَرُوهَا عَلَى الْآخِرَةِ بِلَا شَكٍّ.

٤٩٤٢- وَالَّذُهُمْ عَيْشًا فَأَجْهَلُهُمْ بِحَقِّهِ — قِ اللَّهِ ثُمَّ حَقَائِقِ الْقُرْآنِ

الجاهل بالله وبحقائق الإيمان هذا الذم عيشًا؛ لأنه ميئ القلب، لا يبحث في أسماء الله، ولا في صفات الله، ولا في أحكام الله، ولا في الإيمان، ولا في الأعمال، فهو بهيمة، بل هو أضل من البهيمة.

٤٩٤٣- عُمِرَتْ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ مِنْهُمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

٤٩٤٤- قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا أَلْ فَنَانِي عَلَى الْجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ

٤٩٤٥- صَحِبُوا الْأَمَانِي وَابْتَلُوا بِحُظُوظِهِمْ وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانِ

٤٩٤٦- كَذْحًا وَكَدًّا لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانِ

٤٩٤٧- وَاللَّهُ لَوْ شَاهَدَتْ هَاتِيكَ الصُّدُورُ رَرَأَيْتَهَا كَمَرَا جِلِّ النَّيْرَانِ

٤٩٤٨- وَوَقُودُهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسْرَاتُ وَالْآلَامُ لَا تَخْبُو مَدَى الْأَرْمَانِ

٤٩٤٩- أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النَّفُوسِ سِ اللِّاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ

٤٩٥٠- أَرْوَأِحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَذْحِيهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

٤٩٥١- هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبُلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

٤٩٥٢- لَا تَرْضَى مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنَفْسِهِمْ فَقَدِ ارْتَضُوا بِالذَّلِّ وَالْحِرْمَانِ

- ٤٩٥٣- لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ
لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الكُفْرَانِ
٤٩٥٤- لَكِنَّهَا وَاللهَ أَحَقُّرُ عِنْدَهُ
مِنْ ذَا الجَنَاحِ القَاصِرِ الطَّيْرَانِ
٤٩٥٥- وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَن أَصْحَابِهَا
فَالسَّعْدُ مِنْهَا حَلٌّ فِي الدَّبْرَانِ
٤٩٥٦- لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الوَفَاءُ لِصَبِّهَا
أَيُّنَ الوَفَاءِ مِنْ غَادِرِ خَوَّانِ
٤٩٥٧- طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ تَنَالُهَا
صَفْوًا أَهَذَا قَطُّ فِي الإِمْكَانِ
٤٩٥٨- يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأَهَّبْ لِلَّذِي
قَدْ نَالَهُ العُشَاقُ كُلَّ زَمَانِ
٤٩٥٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ الأُ
عُشَاقِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ

الشرح

- ٤٩٤٣- عُمِرَتْ بِهِمْ هَذِي الدِّيَارُ وَأَقْفَرَتْ
مِنْهُمْ رُبُوعُ العِلْمِ وَالإِيمَانِ
قوله: «عُمِرَتْ بِهِمْ»؛ أي: بسكان الدنيا الذين آثروها على الآخرة.
٤٩٤٤- قَدْ آثَرُوا الدُّنْيَا وَلَذَّةَ عَيْشِهَا أَلْ
فَنَانِي عَلَى الجَنَّاتِ وَالرِّضْوَانِ
ولذلك لا يهتمهم العمل الصالح ولا الإيمان، وإنما يهتمهم لذاتهم في هذه
الدُّنْيَا.

واعلم أنَّ الحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ لَا تَقْتَضِي كَثْرَةَ المَالِ وَلَا كَثْرَةَ الأَوْلَادِ وَلَا القُصُورَ
المَشِيدَةَ، بَلِ الطَّيِّبَةُ مَا طَابَ عَيْشُ صَاحِبِهَا وَلَوْ كَانَ أَفْقَرَ النَّاسِ؛ وَهَذَا لَمْ يَقُلِ اللهُ
عَزَّ وَجَلَّ: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُزِقْنَهُ بِكثْرَةِ أَوْلَادِهِ،
وَكَثْرَةِ مَالِهِ، وَبِتَحْسِينِ مَسْكِنِهِ، بَلْ قَالَ: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]؛

ولهذا أحياناً تجد المؤمن التقي ولو كان من أفقر عباد الله تجده من أطيب الناس قلباً.

٤٩٤٥- صَحِبُوا الْأَمَانِيَّ وَابْتُلُوا بِحُظُوظِهِمْ وَرَضُوا بِكُلِّ مَذَلَّةٍ وَهَوَانٍ

يعني: أنهم عاشوا على الأمانى، وليس عندهم إلا هذا، وقد قال النبي ﷺ: «العاجزُ من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى»^(١)، ومن ذلك أن منهم من إذا نصحته وقلت له: «أتق الله، أذ ما عليك»، قال: الله غفورٌ رحيمٌ، أو تلا عليك هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، وكأنه لم يفهم قوله: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ لأننا نقول له: ما الذي أعلمك أنت أنك ممن شاء الله أن يغفر له؟ إن الله لم يقل: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ فقط، لو قال ذلك لكننا نقول: نعم، افعل ما شئت إلا الشرك، لكنه قال: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ حسب ما تقتضيه حكمته، ولست أنت على جزمٍ بأنك ممن يغفر له، فأنت مطمئن على الله الأمانى.

٤٩٤٦- كَدْحًا وَكَدًّا لَا يُفْتَرُّ عَنْهُمْ مَا فِيهِ مِنْ غَمٍّ وَمِنْ أَحْزَانٍ

يعني: أنهم يكدحون ويعملون ويكدون ويتعبون أنفسهم، ومع ذلك قلوبهم مملوءة من الغم والحزن.

٤٩٤٧- وَاللَّهُ لَوْ شَاهَدَتْ هَاتِيكَ الصُّدُورُ رَأَيْتَهَا كَمَرَجِلِ النَّيْرَانِ

قوله: «كمرَجِلِ النَّيْرَانِ» المرَجَل: القدر على النار، مؤقَّد تسمع له أزيزاً وصوتاً.

(١) أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الحوض، رقم

فقلوبهم - والعيادُ بالله - مثل مراجلِ النيرانِ لما فيها من الحرِّ والغمِّ والهمِّ؛ ولذلك نحن نقولُ: هؤلاء الكفرةُ من الغربيين وغير الغربيين لا تظنُّوا أنَّهم في نعيمٍ، والله إنَّهم في جحيمٍ، قلوبهم الآن ملاءى من الجحيمِ، مهما زانتُ لهم الدنيا فهم في جحيمٍ، لكنَّهم يعزُّوننا بما يدَّعون أنَّهم فيه من النعيمِ، ونظنُّ أنَّ هذا حقيقةٌ.

لكن لو نظرتَ إلى قلوبهم لوجدتَ نيرانًا تتلظى من الهمِّ والغمِّ والتَّحسُّرِ، تجدُ الواحدَ منهم يُفكِّرُ: هل سيبقى ماله له؟ هل سيبقى هذا التَّمتعُ له أو سيزولُ؟ لأنَّه يرى النَّاسَ تحصدُهم المنايا عن يمينه وشماله، فتجده كُلمًا ازداد نعيمًا ازدادت حسرته؛ خوفًا من أن يزولَ هذا النعيمُ.

٤٩٤٨- وَقُوْدُهَا الشَّهَوَاتُ وَالْحَسَرَاتُ وَالْآلَامُ لَا تَنْجُبُو مَدَى الْأَزْمَانِ

يعني: الذي تُوقدُ به هذه الأنواعُ شهواتٍ وحسراتٍ على ما فاتهم من الدنيا، كُلُّ واحدٍ يريدُ أن يكونَ مثلَ الثَّاني، إذا فاته ما للثَّاني ازداد همًّا وغمًّا وحسرةً، والآلامُ القلبيةَّةُ والبدنيَّةُ لا تنجو مدى الأزمانِ.

٤٩٤٩- أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ هَاتِيكَ النُّفُوسِ سِ اللّاءِ قَدْ قُبِرَتْ مَعَ الْأَبْدَانِ قَوْلُهُ: «أَبْدَانُهُمْ أَجْدَاثُ»؛ أي: قبورٌ.

أبدانهم هي قبورُ هذه الأرواحِ الخبيثةِ التي ليس عندها إلاَّ الهمومُ والأحزانُ. ٤٩٥٠- أَرْوَاحُهُمْ فِي وَحْشَةٍ وَجُسُومُهُمْ فِي كَدْحِهَا لَا فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «فِي كَدْحِهَا»، وفي نسخةٍ: «فِي كَدِّهَا»، والوزنُ لا يختلفُ، وكذلك المعنى.

أرواحهم في وحشة؛ لأنهم لم تأنس بالله عز وجل، ولم تأنس بما ترجوه من رحمته، فهي في وحشة من الله وفي وحشة من عباد الله؛ ولهذا قس نفسك الآن إذا فعلت معصية تجد أنك تستوحش من الناس وكأن الناس يقرؤونها على صفحات وجهك، فتجد أنك خجلان حتى لو لم يعلم عنك الناس شيئاً، حتى لو كنت في بيت مظلم لا يعلم بك أحد، إذا فعلت المعصية فإنك تخجل من الناس، وكأنك إذا شاهدتهم كأنها تقول: إنهم يقرؤونها في جيبك.

٤٩٥١- هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ فَبَلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ

قوله: «هَرَبُوا مِنَ الرَّقِّ الَّذِي خُلِقُوا لَهُ» ما هو الرق الذي خلقنا له؟ الجواب: الرق لله عز وجل بأن نكون عبيداً له، ونسأل الله أن يجعلنا عبيداً له.

قوله: «فَبَلُّوا بِرِقِّ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ» صاروا عبيداً لنفوسهم وللشيطان، أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير؟! هربوا من الرق الذي يُعتبر حرية لهم وهو عبودية الله إلى رق الشيطان الذي هو الذل والخسارة في الدنيا والآخرة.

«وهذا البيت لو كتبت بهاء الذهب لكان رخيصاً».

٤٩٥٢- لَا تَرْضَ مَا اخْتَارُوهُ هُمْ لِنَفْسِهِمْ فَقَدِ ارْتَضَوْا بِالذُّلِّ وَالْحِرْمَانِ

نعم، العاقل لا يرضى بما رضى به هؤلاء لنفوسهم، وإنما يرضى بما رضى به الرسل وأتباعهم، جعلنا الله وإياكم منهم.

٤٩٥٣- لَوْ سَاوَتْ الدُّنْيَا جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمْ يَسْقِ مِنْهَا الرَّبُّ ذَا الكُفْرَانِ

وذلك كما جاء في الحديث: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا

سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ^(١)؛ إِذِ إِنَّ الْكَافِرَ لَيْسَ أَهْلًا مَعَ أَنَّ اللَّهَ يُنْعِمُ الْكَافِرَ فِي الدُّنْيَا؛ لِأَنَّهَا لَيْسَتْ شَيْئًا عِنْدَ اللَّهِ.

٤٩٥٤- لَكِنَّهَا وَاللَّهُ أَحَقُّرُ عِنْدَهُ مِنْ ذَا الْجَنَاحِ الْقَاصِرِ الطَّيْرَانِ

الدُّنْيَا أَحَقُّرُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جَنَاحِ الْبَعُوضَةِ؛ وَهَذَا إِذَا صَلَّى الْإِنْسَانُ رَكَعَتِي الْفَجْرِ صَارَ ذَلِكَ خَيْرًا مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا^(٢)، كُلُّ الدُّنْيَا مِنْذُ خُلِقَتْ إِلَى أَنْ تَفْنَى، هَاتَانِ الرَّكَعَتَانِ خَيْرٌ مِنْهَا، كَمْ تَسْتَوْعِبُ الرَّكَعَتَانِ مِنَ الزَّمَنِ؟ خَمْسُ دَقَائِقَ بِالْوُضُوءِ، خَمْسُ دَقَائِقَ تَسَاوِي الدُّنْيَا كُلَّهَا مِنْ أَوْلَاهَا إِلَى آخِرِهَا، إِذِنَّ الدُّنْيَا لَا تَسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ شَيْئًا.

٤٩٥٥- وَلَقَدْ تَوَلَّتْ بَعْدُ عَنْ أَصْحَابِهَا فَالَسَّعْدُ مِنْهَا حَلٌّ فِي الدَّبْرَانِ

تَوَلَّتْ عَنْ أَصْحَابِهَا حَقِيقَةً أَوْ حَكْمًا؛ حَقِيقَةً: إِذَا كَانَ صَاحِبُهَا فَقِيرًا، وَعِنْدَنَا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلْإِنْسَانِ الَّذِي لَيْسَ لَهُ حِظٌّ؛ قَالُوا: «هَذَا مَثَلُ فَقِيرِ النَّصَارَى لَا دُنْيَا وَلَا دِينَ»، فَهِيَ تَوَلَّتْ عَنْ أَصْحَابِهَا حَقِيقَةً إِذَا كَانُوا لَمْ يُنْعَمُوا فِيهَا، أَوْ حُكْمًا: إِذَا كَانُوا قَدْ نَعَّمُوا فِيهَا؛ لِأَنَّهُمْ سَيُفَارِقُونَ هَذَا النَّعِيمَ عَن قُرْبٍ.

٤٩٥٦- لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصَبِّهَا أَيْنَ الْوَفَاءِ مِنْ غَادِرٍ خَوَّانِ

قَوْلُهُ: «لَا يُرْتَجَى مِنْهَا الْوَفَاءُ لِصَبِّهَا» «صَبِّهَا»: أَي: مُجِبَّهَا.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل، رقم (٢٣٢٠)،

وابن ماجه: كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، رقم (٤١١٠).

(٢) دليله قوله ﷺ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين

وقصرها، باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليها وتخفيفها، والمحافظة عليها، رقم

(٧٢٥).

قَوْلُهُ: «أَيْنَ الْوَفَاءِ مِنْ غَادِرٍ خَوَّانٍ؟!» الجوابُ: لا يُوجَدُ، الغادرُ الخَوَّانُ لا يمكنُ أن يفِي لك.

فالدُّنيا لا يُرْتَجَى منها الوفاءُ لمن يُحْبُونَهَا ويقدمونها على الآخرة، بل بالعكس، أين الوفاءُ من غادرٍ خَوَّانٍ؟!

٤٩٥٧- طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ فَكَيْفَ تَنَالَهَا صَفْوًا أَهَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «فَكَيْفَ تَنَالَهَا صَفْوًا أَهَذَا قَطُّ فِي الْإِمْكَانِ؟!» الجوابُ: لا، مَا دَامَتْ طَبِيعَتُهَا الْكَدَرُ فَكَيْفَ تَصْفُو؟! وكان شيخُ الإسلام -رحمه الله- يتمثلُ كثيرًا بهذين البيتين:

طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا صَفْوًا مِنَ الْأَقْدَارِ وَالْأَكْدَارِ

وَمُكَلِّفُ الْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا مُتَطَلِّبُ فِي الْمَاءِ جَذْوَةَ نَارِ

وهذان بيتان عظيمان يُسَلِّي بهما الإنسانُ نفسه، الذي يتطلَّبُ في الماءِ جذوةَ نارٍ لا يمكنُ أن يجدَ شيئًا، حتَّى جذوةَ النَّارِ في الماءِ تنطفئُ لا تبقى أبدًا.

يقولُ صاحبُ «الفروع»^(١) رحمه الله: «وكان شيخنا يتمثلُ بهذين البيتين كثيرًا»، شيخه مَنْ؟ ابنُ تيميةَ رحمه الله، ولقد نالَ من الكَدَرِ ما لم ينله أحدٌ من النَّاسِ إِلَّا قليلًا، لكن هذا الكَدَرُ الذي ناله صارَ صَفْوًا، فقد صارَ إمامًا للنَّاسِ إلى اليومِ، فإلى اليومِ النَّاسُ يقتدون به، ويأخذون بأقواله، رحمه الله، وألْحَقْنَا وَإِيَّاكُمْ به وبالصَّالحين.

(١) انظر: الفروع لابن مفلح الحنبلي (٣/٤٠٠).

٤٩٥٨- يَا عَاشِقَ الدُّنْيَا تَأْهَبُ لِلَّذِي قَدْ نَالَهُ العُشَاقُ كُلَّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «تَأْهَبُ لِلَّذِي قَدْ نَالَهُ العُشَاقُ كُلَّ زَمَانٍ» ما هو؟ الجوابُ: الموتُ.

يقولُ: تَأْهَبُ لهذا، لو بَقِيَتْ ما بَقِيَتْ فِي الدُّنْيَا فَالرَّحِيلُ.

٤٩٥٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ الأَعْشَاقِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانٍ

قَوْلُهُ: «أَوْ مَا سَمِعْتَ بَلَى رَأَيْتَ مَصَارِعَ العُشَاقِ؟» الجوابُ: بَلَى، رَأَيْنَا الدُّنْيَا

يَمُوتُ فِيهَا الكَبِيرُ وَيَمُوتُ فِيهَا الشُّبَّانُ، وَيَمُوتُ فِيهَا الكَهُولُ، وَيَمُوتُ فِيهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيَمُوتُ فِيهَا الفُقَرَاءُ، وَليست شَيْئاً مَقَرَّراً أَنَّ النَّاسَ يَصِلُونَ إِلَى حَدِّ مَعْيِنٍ مِنَ العَمْرِ، بَلْ تَجِدُ الرَّجُلَ يَدْفِنُ أَوْلَادَهُ وَأَوْلَادَ أَوْلَادِهِ وَيَبْقَى حَيًّا، أَوْ بالعَكْسِ، وَهَذَا شَيْءٌ مُشَاهِدٌ؛ وَلهذا لَمَّا قَالَ: «أَوْ مَا سَمِعْتَ» قَالَ: «بَلَى رَأَيْتَ»، وَالرُّؤْيَا أبلغُ مِنَ السَّمْعِ، وَصَدَقَ، نَحْنُ نَرَى وَنَسْمَعُ مَصَارِعَ النَّاسِ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانٍ، وَأَتَمُّ لَنْ يَبْقُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا، فَاعتبر بها حَصَلَ، أَحْسَنَ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ الخاتمة.

فصل

في صفة الجنة التي أعدها الله - ذو الفضل والمنة -
لأوليائه المتمسكين بالكتاب والسنة

- ٤٩٦٠- فاسمع إذا أوصافها وصفات ها تيك المنازل ربة الإحسان
٤٩٦١- هي جنة طابت وطاب نعيمها فنعيمها باق وليس بفان
٤٩٦٢- دار السلام وجنة المأوى ومنه زل عسكر الإيمان والقرآن
٤٩٦٣- فالدار دار سلامة وخطابهم فيها سلام واسم ذي العفران

الشرح

وهذه الآيات واضحة المعنى.

فصل

في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين

- ٤٩٦٤- دَرَجَاتُهَا مِئَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْ
 ٤٩٦٥- مِثْلَ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ
 ٤٩٦٦- لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ مَنْسُ
 ٤٩٦٧- وَسَطَ الْجَنَانِ وَعُلُوَّهَا فَلِذَلِكَ كَا
 ٤٩٦٨- مِنْهُ تَفَجَّرُ سَائِرُ الْأَنْهَارِ فَالْ
- نِ فَذَاكَ فِي التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ
 لِي الْأَرْضِ قَوْلُ الصَّادِقِ الْبُرْهَانَ
 قُوفٌ بِعَرْشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
 نَتْ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ
 مَنبُوعٌ مِنْهُ نَازِلٌ بِجَنَانِ

الشرح

- ٤٩٦٤- دَرَجَاتُهَا مِئَةٌ وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْ
 ٤٩٦٥- مِثْلَ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هـ
 يَنَّ الْمُؤَلَّفُ -رحمه الله- أَنَّ دَرَجَاتِ الْجَنَّةِ مِئَةٌ، وَمَا بَيْنَ اثْنَتَيْنِ فَذَاكَ فِي
 التَّحْقِيقِ لِلْحُسْبَانِ مِثْلَ الَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ هَذِهِ الْأَرْضِ، وَالَّذِي بَيْنَ السَّمَاءِ
 وَالْأَرْضِ خَمْسُمِئَةٌ عَامٍ، فَإِذَا كَانَتْ مِئَةٌ، وَبَيْنَ كُلِّ وَاحِدَةٍ وَالْأُخْرَى خَمْسُمِئَةٌ، يَكُونُ
 الْجَمِيعُ خَمْسِينَ أَلْفًا.

٤٩٦٦- لَكِنَّ عَالِيَهَا هُوَ الْفِرْدَوْسُ مَسْدٌ - قُوفٌ بِعَرْشِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ

يعني: أَنَّ السَّقْفَ هُوَ عَرْشُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَعَرْشُهُ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- عَلَى سَمَاوَاتِهِ مِثْلُ الْقُبَّةِ؛ أَي: مِثْلُ الْحَيْمَةِ.

٤٩٦٧- وَسَطُ الْجَنَانِ وَعُلْوَهَا فَلِذَلِكَ كَمَا نَتُّ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ

قَوْلُهُ: «وَسَطُ الْجَنَانِ»؛ يَعْنِي: هُوَ وَسَطُ الْجَنَانِ.

قَوْلُهُ: «فَلِذَلِكَ كَانَتْ قُبَّةً مِنْ أَحْسَنِ الْبُنْيَانِ»؛ يَعْنِي: كَانَتْ الْفِرْدَوْسُ -جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِهَا- مِثْلَ الْقُبَّةِ الَّتِي فَوْقَهَا عَرْشُ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ.

٤٩٦٨- مِنْهُ تَفَجَّرُ سَائِرُ الْأَنْهَارِ قَالَ - مَمْبُوعٌ مِنْهُ نَازِلٌ بِجَنَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْهُ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «مِنْهَا».

فصل

في أبواب الجنة

- ٤٩٦٩- أبوابها حق ثمانية أتت في النص وهي لصاحب الإحسان
 ٤٩٧٠- باب الجهاد وذلك أعلاها وبأب
 ٤٩٧١- ولكل سعي صالح باب ورب
 ٤٩٧٢- ولسوف يدعى المرء من أبوابها
 ٤٩٧٣- منهم أبو بكر هو الصديق ذا
 في النص وهي لصاحب الإحسان
 ب الصوم يدعى الباب بالريان
 ب السعي منه داخل بأمان
 جمعاً إذا وفي حلى الإيمان
 ك خليفة المبعوث بالقرآن

الشرح

هذا الذي ذكره المؤلف - رحمه الله - صريح، وفيه أحاديث رواها البخاري

وغيره.

قوله: «أبوابها حق ثمانية أتت في النص»؛ والدليل على أن أبواب الجنة ثمانية: ما جاء في النص من الكتاب والسنة: أما في السنة فواضح؛ كقول النبي ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء، ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»^(١)، هذا في الحديث، أما في القرآن فقال بعض النحويين إن الواو في قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا

(١) أخرجه الترمذي: أبواب الطهارة، باب ما يقال بعد الوضوء، رقم (٥٥).

جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا ﴿ [الزمر: ٧٣] لِلثَّانِيَةِ، فَهِيَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةُ
وَتَامَنَّهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ [الكهف: ٢٢]، لَكِنَّ هَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ جَدًّا؛ فَالْوَاوُ لَا تَأْتِي لِلثَّانِيَةِ
وَلَا لِلسَّبْعَةِ، بَلْ مَعَانِيهَا مَعْرُوفَةٌ، فَالصَّوَابُ أَنَّهَا عَلِمَتْ بِالنَّصِّ النَّبَوِيِّ.

قَوْلُهُ: «مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ وَأَنَّ
لِكُلِّ بَابٍ دَاخِلَهُ، قَالَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا
رَسُولَ اللَّهِ، مَا عَلَيَّ مِنْ دُعَايٍ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ»؛ يَعْنِي: أَنْ يُدْعَى
الْإِنْسَانُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ فَهَذَا لَيْسَ فِيهِ إِشْكَالٌ، لَكِنْ «فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ
الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»^(١)، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ.

فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَزِيدُ عَلَى غَيْرِهِ مَن بَشَّرَ بِالْجَنَّةِ أَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُ بِأَنَّهُ يُدْعَى
مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ كُلِّهَا «أَقْبَلْ أَقْبَلْ»، وَلَكِنْ يُقَالُ: أَلَيْسَ الْمُسْلِمُ يُصَلِّي وَيَصُومُ وَيُحْجُّ
وَيُجَاهِدُ وَيَتَصَدَّقُ فَكَيْفَ يُقَالُ: «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ
الْجِهَادِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ...» إلخ؟

الْجَوَابُ أَنْ يُقَالَ: مَنْ كَانَ أَكْثَرَ عَمَلِهِ وَأَحْسَنُ عَمَلِهِ الصِّيَامِ مِثْلًا دُعَايٍ مِنْ
بَابِ الصِّيَامِ، وَإِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ آخَرَ لَهُ بَابٌ، وَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ عَمَلِهِ وَأَحْسَنُهُ
الصَّدَقَةَ دُعَايٍ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ وَإِنْ كَانَ لَهُ صِيَامٌ وَلَهُ صَلَاةٌ، وَمَنْ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ
صَلَاةً وَأَحْسَنَهُمْ صَلَاةً دُعَايٍ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَهَكَذَا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الصوم، باب الريان للصائمين، رقم (١٧٩٨)، ومسلم: كتاب الزكاة،
باب من جمع صدقة وأعمال البر، رقم (١٠٢٧).

فصل

في مقدار ما بين الباب والباب منها

- ٤٩٧٤- سَبْعُونَ عَامًا بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ مِنْهَا قُدِّرَتْ بِالْعَدِّ وَالْحُسْبَانِ
- ٤٩٧٥- هَذَا حَدِيثٌ لَقِيطٍ الْمَعْرُوفِ بِالْحَبْرِ الطَّوِيلِ وَذَا عَظِيمِ الشَّانِ
- ٤٩٧٦- وَعَلَيْهِ كُلُّ جَلَالَةٍ وَمَهَابَةٍ وَلَكُمْ حَوَاهُ بَعْدُ مِنْ عِرْفَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «هَذَا حَدِيثٌ لَقِيطٍ الْمَعْرُوفِ بِالْحَبْرِ الطَّوِيلِ»، هذا حديثٌ طويلٌ جداً، وفيه فوائدٌ كثيرةٌ، وقد ساقَهُ ابنُ القَيِّمِ -رحمه اللهُ- في كتابه: «زاد المعاد»^(١)، وتكلم على فوائده.

(١) انظر: زاد المعاد (٣/٥٨٨).

فصل

في مقدار ما بين مصراعي الباب الواحد منها

- ٤٩٧٧- لَكِنَّ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةٌ أَرْبَعِيَّةٌ — مَنْ رَوَاهُ حَبْرُ الْأُمَّةِ الشَّيْبَانِي
 ٤٩٧٨- فِي «مُسْنَدٍ» بِالرَّفْعِ وَهُوَ لِمُسْلِمٍ وَقَفَّ كَمَرْفُوعٍ بِوَجْهِ ثَانِي
 ٤٩٧٩- وَلَقَدْ رَوَى تَقْدِيرُهُ بِثَلَاثَةِ أَلْ — أَيَّامٍ لَكِنَّ عِنْدَ ذِي الْعَرَفَانِ
 ٤٩٨٠- أَعْنِي الْبُخَارِيُّ الرَّضَا هُوَ مُنْكَرٌ وَحَدِيثُ رَاوِيهِ فَذُو نُكْرَانَ

الشرح

في تقدير ما بين البابين حديث لقيط أن بينهما سبعين عاماً^(١)، وفي تقدير ما بين مصراعي الباب الواحد منها أثران:

الأول: بينها مسيرة أربعين^(٢)، والثاني: بينها مسيرة ثلاثة أيام^(٣)، وهذا الأخير مُنْكَرٌ، قال البخاري رحمه الله: إنه حديث مُنْكَرٌ، وصاحبه له مناكير، فهذا الحديث مُنْكَرٌ سَنَدًا وَمُنْكَرٌ مَتْنًا: أمَّا نكارتُه المتنيَّةُ فلأنه خالف الأحاديث التي

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/٢٨٦).

(٢) أخرجه أحمد (أحمد ٤/١٧٤، رقم ١٧٧١٧)، ومسلم: في أول كتاب الزهد والرقائق، رقم (٢٩٦٧).

(٣) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أبواب الجنة، رقم (٢٥٤٨)، وقال: حديث غريب.

رواها أهل الثقة، وراويه مُنكَّر لا يمكن أن يُنسَبَ إلى هؤلاء الجبال، ومن جهة السند ففيه راوٍ مُنكَّر، فإذا يسقط هذا لأنه لا يُقاوم ما رواه الإمام أحمد مرفوعاً، فالعمدة على ما رواه الإمام أحمد مرفوعاً وأخرجه مسلم موقوفاً، لكن ابن القيم يقول: «وقف كَمرفوع بوجه ثاني»، ما هو الوجه الثاني؟ الجواب: أنه مرفوعٌ حُكماً؛ لأنَّ مثل هذا لا يُقال بالرأي، فهو لا مجال للاجتهاد فيه؛ لأنه خبرٌ محضٌ، فإذا حدَّث به الصحابيُّ فهو في حكم المرفوع.

فصل

في مفتاح باب الجنة

- ٤٩٨١- هَذَا وَفَتْحُ الْبَابِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ إِلَّا بِمِفْتَاحٍ عَلَى أَسْنَانٍ
- ٤٩٨٢- مِفْتَاحُهُ بِشَهَادَةِ الْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْإِيمَانِ
- ٤٩٨٣- أَسْنَانُهُ الْأَعْمَالُ وَهِيَ شَرَائِعُ الْإِسْلَامِ وَالْمِفْتَاحُ بِالْأَسْنَانِ
- ٤٩٨٤- لَا تُلْنِينَ هَذَا الْمِثَالَ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلِّ إِشْكَالٍ لِذِي الْعِرْفَانِ

الشرح

لَمَّا ذَكَرَ -رحمه الله- أبواب الجنة ذَكَرَ مِفْتَاحَ هَذِهِ الْأَبْوَابِ؛ فَمِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَالَ الْمَرْجُئَةُ: مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا دَخَلَ لِلْأَعْمَالِ فِي ذَلِكَ، وَقَالَ السَّلْفُ: إِنَّ الْمِفْتَاحَ لَا يَفْتَحُ إِلَّا بِأَسْنَانٍ، وَأَسْنَانُهُ شَرَائِعُ الْإِيمَانِ، فَمَنْ جَاءَ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصَّيَامِ وَشَرَائِعِ الْإِسْلَامِ فُتِّحَ لَهُ، وَمَنْ لَا فَلَإِ؛ إِذَنْ لَا بُدَّ مِنَ الْأَعْمَالِ.

ولكن نقول: أسنان هذه المفاتيح هي الشرشرة؛ يعني: المؤشر فيها، وفيما سبق كانت الأسنان من خشب، تُحَرَّقُ وَيُوضَعُ فِيهَا عُوَيْدَاتٌ عَلَى قَدْرِ ثَقُوبٍ فِي الْيَدِ الَّتِي تُدْخَلُ فِي الْجِدَارِ، وَتُسَمَّى عِنْدَ النَّاسِ الْمَجْرَّةَ؛ إِذَا أَدْخَلْتَ الْمِفْتَاحَ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ أَسْنَانٌ فَلَا يَفْتَحُ أَبَدًا، لَكِنْ إِذَا أَدْخَلْتَهُ فِيهِ الْأَسْنَانُ فَتَحَتْ، إِذَا كَانَ فِيهِ

الأسنان كُلُّهَا إِلَّا واحِدًا، لا يفتحُ أيضًا، ولو كانت الأسنان قصيرة لا يفتحُ، فالمهمُّ
 أَنَّ مِفْتَاحَ الْجَنَّةِ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ، ولا بُدَّ لِلْمِفْتَاحِ من أسنانٍ؛ ولهذا يقولُ: «لا تُلغِينِ
 هَذَا المِثَالُ فَكَمْ بِهِ مِنْ حَلِّ إِشْكَالٍ لِذِي العِرْفَانِ».

وهل الأعمال شرطٌ لصحة الإيمان ودخول الجنة؟ نقولُ: نعم، بعضها شرطٌ
 كالصلاة مثلاً؛ فالصلاة شرطٌ لصحة الإيمان ودخول الجنة؛ لأنَّ تركها كفرٌ أكبرُ
 مخرجٌ عن الملة كما شهدت بذلك نصوصُ الكتابِ والسنة وما يُحكى من إجماعِ
 الصحابةِ أو قولِ جمهورهم، وكما هو مقتضى النظرِ الصحيح، أمَّا الإمامُ أحمدُ
 -رحمه الله- فعنه: أن تاركَ الزكاةِ والصَّيامِ والحجِّ كتاركِ الصلاةِ؛ لأنَّ الكُلَّ أركانُ
 للإسلامِ، ولا يقومُ البيتُ إِلَّا بأركانه، لكن الحقُّ أحقُّ أن يُتبعَ، والصَّحيحُ: أنَّه
 لا يَكْفُرُ بتركِ الأعمالِ إِلَّا بالصلاةِ.

فصل

في منشور الجنة الذي يوقع به لصاحبها

- ٤٩٨٥- هَذَا وَمَنْ يَدْخُلُ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٤٩٨٦- وَكَذَلِكَ يُكْتَبُ لِلْفَتَى لِدُخُولِهِ مِنْ قَبْلِ تَوْقِيعَانِ مَشْهُودَانِ
- ٤٩٨٧- إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرْضِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ بِهِ عَلَى الدِّيَّانِ
- ٤٩٨٨- فَيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ لِلْكَاتِبِينَ وَهُمْ أَوْلُو الدِّيَّوَانِ
- ٤٩٨٩- ذَا الْإِسْمِ فِي الدِّيَّوَانِ يُكْتَبُ ذَاكَ دِيْوَانِ الْجَنَّةِ مُجَاوِرِ الْمَمَّنَّانِ
- ٤٩٩٠- دِيْوَانِ عَلِيِّينَ أَصْحَابِ الْقُرْآنِ وَسُنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٤٩٩١- فَإِذَا انْتَهَى لِلْحِجْرِ يَوْمَ الْحَشْرِ يُعَدُّ طَى لِلدُّخُولِ إِذَا كَتَبْتُ نَائِي
- ٤٩٩٢- عَنْوَانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِيْزٍ زِيْرَاحِمٍ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ
- ٤٩٩٣- فَدَعُوهُ يَدْخُلُ جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي أَرْتَفَعْتُ وَلَكِنَّ الْقُطُوفَ دَوَانِي
- ٤٩٩٤- هَذَا وَقَدْ كَتَبْتُ اسْمَهُ مُذْ كَانَ فِي الْأَرْحَامِ قَبْلَ وِلَادَةِ الْإِنْسَانِ
- ٤٩٩٥- بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ وَقْتُ الْقَبْضَتَيْنِ مِنْ كِلَاهُمَا لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
- ٤٩٩٦- سُبْحَانَ ذِي الْجَبْرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْإِكْرَامِ وَالسُّبْحَانَ

- ٤٩٩٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ وَاللَّحْظَاتِ بِالْأَجْفَانِ
 ٤٩٩٨- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْأَصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
 ٤٩٩٩- وَهُوَ الْمُوَحَّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمُمَجَّدُ جَدُّ وَالْحَمِيدُ وَمُنَزَّلُ الْقُرْآنِ
 ٥٠٠٠- وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِهِ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

الشرح

- ٤٩٨٥- هَذَا وَمَنْ يَدْخُلُ فَلَيْسَ بِدَاخِلٍ إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
 التَّوْقِيعُ مَعْرُوفٌ بِأَنْ يُعْطَى الْإِنْسَانُ كِتَابًا وَيُوقَعُ عَلَيْهِ الْمَسْئُولُ، فَلَا يَدْخُلُ
 الْجَنَّةَ أَحَدٌ إِلَّا بِهَذَا التَّوْقِيعِ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الَّذِي ذَكَرَهُ الْمُؤَلِّفُ؛ وَلِذَا قَالَ:
 «إِلَّا بِتَوْقِيعٍ مِنَ الرَّحْمَنِ».

- ٤٩٨٦- وَكَذَلِكَ يُكْتَبُ لِلْفَتَى لِذُخُولِهِ مِنْ قَبْلِ تَوْقِيعَانِ مَشْهُودَانِ
 ٤٩٨٧- إِحْدَاهُمَا بَعْدَ الْمَمَاتِ وَعَرْضِ أَرْوَاحِ الْعِبَادِ بِهِ عَلَى الدِّيَّانِ
 ٤٩٨٨- فَيَقُولُ رَبُّ الْعَرْشِ جَلَّ جَلَالُهُ لِلْكَاتِبِينَ وَهُمْ أَوْلُو الدِّيَّانِ
 ٤٩٨٩- ذَا الْإِسْمِ فِي الدِّيَّانِ يُكْتَبُ ذَاكَ فِيهِ
 ٤٩٩٠- دِيَّانٌ عَلَيْهِنَ أَصْحَابُ الْقُرْآنِ وَسُنَّةِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ

هذا يُكْتَبُ أَوْ يُوقَعُ - كما قال المؤلف - إذا مات الإنسان، فإنَّ الملائكة تقبضُ روحه وتصعدُ بها إلى السماء حتى تكونَ بين يدي الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ يقولُ: «اكتبوا كتابَ عبدي في عليين»، فهذه كتابة، «وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها

خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»^(١)، وهذا مُفَسَّرٌ لقوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِرَارِ لَنِي عَلَيْنَ﴾ [المطففين: ١٨]، وأمَّا الكتابُ الثاني فيكون عند تجاوز الصِّراطِ، فيَكْتَبُ أَنَّهُ من أهلِ الجَنَّةِ لِيُفْتَحَ له ويدخلَ مع الدَّاخِلِينَ، ولذا قال:

٤٩٩١- فَإِذَا انْتَهَى لِلْجِسْرِ يَوْمَ الْحَشْرِ يُعْطَى لِلدُّخُولِ إِذَا كِتَابٌ ثَانِي

الجسرُ هو: جسرٌ ممدودٌ على جهنَّمَ، يعبرُ النَّاسُ عليه على قدرِ أعمالِهِم حسب قوتِهِم وأخذِهِم لشرِيعَةِ الله، فمنهم مَنْ يمرُّ كالمح البصرِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالبرقِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالريحِ، ومنهم مَنْ يمرُّ كالإبلِ^(٢)، المهمُّ أَنَّهُ يمرُّ النَّاسُ فيه على قدرِ أعمالِهِم، فيُعْطَى كتابًا يقولُ:

٤٩٩٢- عُنْوَانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِيْبٍ - زِيْرَاحِمٍ لِفُلَانٍ ابْنِ فُلَانٍ

٤٩٩٣- فَدَعَاؤُهُ يَدْخُلُ جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي ارْتَفَعَتْ وَلَكِنَّ الْقُطُوفَ دَوَانِي

قَوْلُهُ: «عُنْوَانُهُ هَذَا كِتَابٌ مِنْ عَزِيْبٍ رَاحِمٍ» يُعْطَى كتابًا عند الصُّعُودِ على الصِّراطِ؛ لَأَنَّهُ كتابٌ من عَزِيْبٍ رَاحِمٍ لِفُلَانِ ابْنِ فُلَانٍ، وَرُبَّمَا يَشْهَدُ لِهَذَا قَوْلُهُ تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ عَفْوَرٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]، فدَعَاؤُهُ يَدْخُلُ، وهذا وَرَدَ به أَثَرٌ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فالمسألةُ محفوظةٌ مُتَقَنَّةٌ، كُلُّ شَيْءٍ بكتابٍ، كُلُّ شَيْءٍ مُّقَدَّرٌ، وَاللهُ تعالى واسعٌ عَلِيمٌ.

قَوْلُهُ: «جَنَّةَ الْمَأْوَى الَّتِي ارْتَفَعَتْ وَلَكِنَّ الْقُطُوفَ دَوَانِي»، «الْقُطُوفُ» جمعٌ:

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧، رقم ١٨٧٣٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٥، رقم ١١٢١٦)، وأبو يعلى (٢/٤٤٥، رقم ١٢٥٣)، وابن حبان

(١٦/٣٨٤، رقم ٧٣٧٩)، والحاكم (٤/٦٢٧، رقم ٨٧٣٧) وقال: صحيح على شرط مسلم.

«قِطْفٍ»؛ وهو: الثَّمْرُ، فقطوفُها دَانِيَةٌ؛ يعني: هي مع علوِّها هي دَانِيَةٌ، فإذا اشتهى الإنسانُ ثَمْرَةً من هذه الثَّمَرَاتِ دَنَا الغِصْنُ له حَتَّى تَكُونَ الثَّمْرَةُ بَيْنَ يَدَيْهِ، لا يَحْتَاجُ إلى تَعَبٍ ولا إلى عِنَاءٍ؛ كما قال تعالى: ﴿ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ٢٣]، اللَّهُمَّ اجعلنا من أهلِها.

٤٩٩٤- هَذَا وَقَدْ كُتِبَ اسْمُهُ مُذْ كَانَ فِي الْأَرْحَامِ قَبْلَ وِلَادَةِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّهُ إِذَا تَمَّ لَهُ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ أُرْسِلَ إِلَيْهِ الْمَلَكُ «وَيُؤَمَّرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ»، والحديثُ في هذا مشهورٌ، وهو حديثُ عبد الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١).

٤٩٩٥- بَلْ قَبْلَ ذَلِكَ وَهُوَ وَقْتُ الْقَبْضَتَيْنِ مِنْ كِلَاهُمَا لِلْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ فَاللَّهُ -جَلَّ وَعَلَا- قَبَضَ قَبْضَتَيْنِ مِنْ بَنِي آدَمَ، وَقَالَ: «هُؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي وَهُؤُلَاءِ لِلنَّارِ وَلَا أُبَالِي»^(٢).

٤٩٩٦- سُبْحَانَ ذِي الْجَبَرُوتِ وَالْمَلَكُوتِ وَالْإِكْرَامِ وَالسُّبْحَانَ قَوْلُهُ: «سُبْحَانَ»؛ يعني: تنزيهاً لله عزَّ وجلَّ.

قَوْلُهُ: «ذِي الْجَبَرُوتِ»؛ أي: ذِي الْجَبْرِ، وَقَدْ مَرَّ عَلَيْنَا فِي هَذَا الْكِتَابِ أَنَّ الْجَبَارَ مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ، وَلَهُ ثَلَاثَةٌ مَعَانٍ: الْقُوَّةُ، وَجَبْرُ الضَّعِيفِ، وَالْعُلُوُّ؛ كَمَا قَالَ: وَلَهُ مُسَمًّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ وَفَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣٣٣٢). ومسلم: كتاب القدر، باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، رقم (٢٦٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٤/١٨٦)، رقم (١٧٦٩٦).

مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الـ عُلْيَا الَّتِي فَاقَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ^(١)

قَوْلُهُ: «الْمَلَكُوتِ» مِنَ الْمَلِكِ، وَأَتَتْ التَّاءُ فِيهِ لِلْمَبَالِغَةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

قَوْلُهُ: «وَالِإِجْلَالِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُجِلُّهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْظُمُهُ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ؛ إِمَّا تَعْظِيمًا قَدْرِيًّا، وَإِمَّا تَعْظِيمًا شَرْعِيًّا.

قَوْلُهُ: «الْإِكْرَامِ»؛ الْمَرَادُ: إِكْرَامُ الطَّائِعِينَ مِنْ عِبَادِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ﴾ [الرحمن: ٢٧].

قَوْلُهُ: «السُّبْحَانَ»؛ هُوَ: التَّنْزِيهُ؛ يَعْنِي: وَسُبْحَانَ ذِي التَّنْزِيهِ.

٤٩٩٧- وَاللَّهُ أَكْبَرُ عَالِمِ الْأَسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ وَاللَّحْظَاتِ بِالْأَجْفَانِ

٤٩٩٨- وَالْحَمْدُ لِلَّهِ السَّمِيعِ لِسَائِرِ الْأَصْوَاتِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

وهذا واضح.

٤٩٩٩- وَهُوَ الْمُوَحَّدُ وَالْمُسَبِّحُ وَالْمَمَجَّدُ جَدُّ وَالْحَمِيدُ وَمُنْزِلُ الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «الْحَمِيدُ»؛ بِمَعْنَى: الْحَامِدِ، وَبِمَعْنَى: الْمَحْمُودِ، فَهُوَ حَامِدٌ لِمَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ، وَهُوَ مَحْمُودٌ.

٥٠٠٠- وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَهُ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ ذَا السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ لَهُ»، وَهَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَمِنْ بَعْدِ﴾ [الرُّوم: ٤].

فصل

في صفوف أهل الجنة

- ٥٠٠١ - هَذَا وَإِنَّ صُفُوفَهُمْ عِشْرُونَ مَع مِئَةٍ وَهَذِي الْأُمَّةُ الثُّلَثَانِ
- ٥٠٠٢ - يَرُويهِ عَنْهُ بَرِيدَةُ إِسْنَادُهُ شَرَطُ الصَّحِيحِ بِ«مُسْنَدِ الشَّيْبَانِيِّ»
- ٥٠٠٣ - وَلَهُ شَوَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَحَبْرِ زَمَانِ
- ٥٠٠٤ - أَعْنِي ابْنَ عَبَّاسٍ وَفِي إِسْنَادِهِ رَجُلٌ ضَعِيفٌ غَيْرُ ذِي إِتْقَانِ
- ٥٠٠٥ - وَلَقَدْ أَتَانَا فِي «الصَّحِيحِ» بِأَتَمِّ شَطْرٍ وَمَا اللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَانِ
- ٥٠٠٦ - إِذْ قَالَ أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَهُمْ هَذَا رَجَاءٌ مِنْهُ لِلرَّحْمَنِ
- ٥٠٠٧ - أَعْطَاهُ رَبُّ الْعَرْشِ مَا يَرْجُو وَرَأَى دَمِنَ الْعَطَاءِ فِعَالٌ ذِي الْإِحْسَانِ

الشرح

هذا الفصل ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رحمه الله - فيه أَنَّ صُفُوفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةٌ، وَأَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ الثُّلَثَانِ، فَيَكُونُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ثَمَانُونَ صَفًّا وَمِنْ غَيْرِهَا أَرْبَعُونَ صَفًّا، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ قَلِيلُونَ بِالنِّسْبَةِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِلَا شَكٍّ؛ أَوْلَا: لِأَنَّ بَعْضَ الرُّسُلِ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، فَلَا يَتَّبِعُهُ وَلَا وَاحِدٌ^(١)، وَبَعْضُ الرُّسُلِ يَتَّبِعُهُ أَهْلُهُ

(١) كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ». أخرجه البخاري: كتاب الطب، باب بابٌ مَنْ لَمْ يَرِقْ، رقم (٥٤٢٠).

إِلَّا بَعْضَهُمْ، فَمِثْلًا: لوطٌ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - يتبعُهُ أهلهُ إِلَّا امرأتهُ، ونوحٌ - عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ - ما بَقِيَ من ذرِّيَتِهِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ، وهَلُمَّ جَرًّا.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه اللهُ - بعد أن صَحَّحَ هذا الحديثَ ذكرَ ما ظاهرُهُ المعارضة؛ وهو: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا حَدَّثَ أَصْحَابَهُ فَقَالَ: «يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَيُنَادِي بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْنًا إِلَى النَّارِ، قَالَ: يَا رَبُّ وَمَا بَعْتُ النَّارَ؟ قَالَ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا وَيَتَشِيبُ الْوَالِدُ»، ﴿وَرَى النَّاسَ سُكْرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكْرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢٢]، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ: «شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَكَبَّرْنَا^(١)، وَشَطْرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ أَي: نَصْفُهُمْ.

وفي الحديثِ ذَكَرَ لِيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَلَاشَكَّ أَنَّهُمْ موجودين على عهدِ ذي القَرْنَيْنِ، لكن متى يُبْعَثُونَ؟ هذا الذي يكونُ من أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، إِذَا بُعِثُوا وَسُلِّطُوا على العَالَمِ، وليس هناك في ذلك الوقتِ أَسْلِحَةٌ؛ من دَبَابَاتٍ، ولا طَائِرَاتٍ، ولا صَوَارِيخَ، ولا شَيْءٍ، فَيَأْتِي هذا الجَيْشُ العَرْمَرُمُ الذي يَقِفُ على بحيرة طبريةٍ ويشربها، فيمُرُّ آخِرُهُم فيقول: قد كان في هذه مرَّةً ماءً، فَيَسْلُطُونَ حَتَّى يَضْطَرَّ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كتاب التفسير، باب ﴿وَرَى النَّاسَ سُكْرَىٰ﴾ [الحج: ٢٢]، رقم (٤٧٤١)، ومسلم: كتاب الإيثار، باب قوله يقول اللهُ لآدم أخرج بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، رقم (٢٢٢٢).

عيسى - عليه السلام - ومن معه إلى أن يلتجئوا إلى الطور، فيهلكهم الله^(١)، إذن جنسهم موجود من بني آدم، لكن ذريتهم هي التي لم توجد بعد، والقول بأن أجوج وأجوج هم التتار هذا غلط، لكن إذا جعلنا التتار مثلاً بأجوج وأجوج من حيث الإفساد فصحيح، لكن هل هؤلاء حصروا المؤمنين في جبل الطور؟ وهل نزل عيسى؟ الجواب: لا؛ لأن أجوج وأجوج الذين هم من علامات الساعة بعد نزول عيسى عليه الصلاة والسلام.

المهم أن هذا الحديث يدل على أن هذه الأمة الشطر؛ أي: النصف، والحديث الأول الذي رواه الإمام أحمد يدل على أنهم الثلثان؛ لأن أهل الجنة مئة وعشرون صفًا، منهم ثمانون من هذه الأمة، فجمع المؤلف بينهما جمعًا حسنًا، وقال: إن الذي فيه الشطر هو رجاء من الرسول ﷺ، وإن الله أعطاه فوق ما رجاه؛ أي: زاده أكثر مما رجاه.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب ذكر الدجال وصفته وما معه، رقم (٢٩٣٧).

فصل

في صفة أول زمرة تدخل الجنة

- ٥٠٠٨- هَذَا وَأَوَّلُ زُمْرَةٍ فَوُجُوهُهُمْ كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
 ٥٠٠٩- السَّابِقُونَ هُمْ وَقَدْ كَانُوا هُنَا أَيْضًا أُولَى سَبْقِي إِلَى الْإِحْسَانِ

الشرح

- ٥٠٠٨- هَذَا وَأَوَّلُ زُمْرَةٍ فَوُجُوهُهُمْ كَالْبَدْرِ لَيْلِ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
 أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، متى؟ ليلة الرابع عشر؛ لأن هذا أكمل ما يكون القمر إبدارًا، وامتلاءً بالنور، وهذا لا يلزم أن يكونوا مثله، لكنهم على صورته في البهجة والسناء والإضاءة، وما أشبه ذلك، ولا يلزم أن يكونوا مماثلين له، وعلى هذا التقدير يزول الإشكال الذي حصل عند كثير من الناس في قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ»^(١)، حيث ظنوا أنه إذا كان على صورته كان مماثلاً له، ونحن نقول: «عَلَى صُورَتِهِ»، ولا يلزم أن يكون مماثلاً له كما في هذا الحديث.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الاستئذان، باب بدء السلام، رقم (٥٨٧٣)، ومسلم: كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن ضرب الوجه، رقم (٢٦١٢).

٥٠٠٩- السَّابِقُونَ هُمْ وَقَدْ كَانُوا هُنَا أَيضًا أُولِي سَبْقٍ إِلَى الْإِحْسَانِ

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]، والصَّواب: أنَّ «السَّابِقُونَ»

الثانية خبرٌ؛ يعني: السَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا هُم السَّابِقُونَ فِي الْآخِرَةِ.

فهؤلاء سبقوا في الدُّنْيَا إِلَى الْإِحْسَانِ، وعبدوا الله كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَهُ، فسبقوا في

الآخِرَةِ إِلَى جَزَاءِ هَذَا الْإِحْسَانِ، فكانوا أَوَّلَ زَمْرَةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ؛ لِأَنَّهُمْ يُحْشَرُونَ إِلَى

الْجَنَّةِ زُمْرًا كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر: ٧٣].

فصل

في صفة الزمرة الثانية

٥٠١٠- وَالزُّمْرَةُ الْأُخْرَى كَأَضْوَاءِ كَوْكَبٍ فِي الْأَفْقِ تَنْظُرُهُ بِهِ الْعَيْنَانِ

٥٠١١- أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ وَرَشْحُهُمْ فَمِسٌّ كُ خَالِصٌ يَا ذِلَّةَ الْحَرَمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ» اللهُ أَكْبَرُ، أَمْشَاطُهُمْ ذَهَبٌ؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لَهُمْ شَعْرًا.

قَوْلُهُ: «وَرَشْحُهُمْ فَمِسٌّ»؛ يَعْنِي: الْعَرَقُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُمْ مَسْكٌ أَطِيبٌ مَا يَكُونُ مِنَ الرَّائِحَةِ، بَيْنَمَا هُوَ فِي الدُّنْيَا رَائِحَتُهُ كَرِيهَةٌ مُتَبَتَّةٌ، لَكِنْ هُنَاكَ لَا، رَشْحُهُمْ مَسْكٌ خَالِصٌ.

قَوْلُهُ: «يَا ذِلَّةَ الْحَرَمَانِ»؛ يَعْنِي: مَا أَذَلَّ مَنْ حُرِمَ مِنْ هَذَا الْخَيْرِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا إِيَّاهُ.

فصل

في تفاضل أهل الجنة في الدرجات العلى

٥٠١٢- وَيَرَى الَّذِينَ بِدِيلِهَا مَنْ فَوْقَهُمْ مِثْلَ الْكَوَاكِبِ رُؤْيَةً بَعِيَانٍ

٥٠١٣- مَا ذَاكَ مُخْتَصًّا بِرُسُلِ اللَّهِ بَلْ لَهُمْ وَلِلصَّادِقِ ذِي الْإِيمَانِ

الشرح

لما حَدَّثَ النَّبِيُّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - أَصْحَابَهُ بِأَنَّهُمْ يَتَرَاءَوْنَ أَصْحَابَ الْغُرْفِ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الْأَفْقِ - مِنْ بُعْدِهِ وَصَفَائِهِ وَنُورِهِ - قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ، قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ»^(١)، آمَنَّا بِاللَّهِ وَصَدَّقْنَا بِرُسُلِهِ، هُوَ لَاءَ هُمْ أَصْحَابُ هَذِهِ الْغُرْفِ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ وَأَوْلَاهُمْ هُمُ الْأَنْبِيَاءُ لَا شَكَّ؛ لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ كُلَّهُمْ آمَنُوا بِرُسُلِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ءَا مَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ - وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَا مَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ - وَرُسُلِهِ -﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَالْأَنْبِيَاءُ وَالسَّابِقُونَ لِمَحَمَّدٍ ﷺ أُخِذَ عَلَيْهِمُ الْعَهْدُ أَنَّهُ إِنْ بُعِثَ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَأَنْ يَكُونُوا مِنْ جُنُودِهِ، فَوَافَقُوا عَلَى هَذَا، وَأَعْطَوْا اللَّهَ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ عَلَى أَنَّهُ إِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ فَهُمْ تَحْتَ لَوَائِهِ وَمِنْ جُنُودِهِ، فَكُلُّ الرُّسُلِ آمَنَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ وَصَدَّقَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، فَهُمْ أَعْلَى أَهْلِ هَذِهِ الْغُرْفِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٨٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب تراثي أهل الجنة أهل الغرف، رقم (٢٨٣١).

فصل

في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم

- ٥٠١٤- هَذَا وَأَعْلَاهُمْ فَنَاطِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتَهُ الطَّرْفَانِ
 ٥٠١٥- لَكِنَّ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي لَيْسَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانِ
 ٥٠١٦- فَهُوَ الَّذِي تُلْفَى مَسَافَةَ مُلْكِهِ بِسِنِينَا أَلَقَانِ كَامِلَتَانِ
 ٥٠١٧- فَيَرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤْيَيْهِ لِأَدْنَاهُ الْقَرِيبِ الدَّانِي
 ٥٠١٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا يُعْطِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْغُفْرَانِ
 ٥٠١٩- أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْثَالٍ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

الشرح

- ٥٠١٤- هَذَا وَأَعْلَاهُمْ فَنَاطِرُ رَبِّهِ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَقْتَهُ الطَّرْفَانِ
 أعلى أهل الجنة منزلة هو: الذي ينظر إلى الله تعالى كل يوم في الصباح والمساء^(١)، ولكن كيف هذا؟ قيل: إن هذا نور يسطع من العرش يتبين به دخول النهار من دخول الليل، فإذا صح هذا فالأمر واضح، وإن لم يصح فيكون حكمه

(١) أخرجه أحمد (١٣/٢، رقم ٤٦٢٣)، وأبو يعلى (٩٦/١٠، رقم ٥٧٢٩)، والطبراني كما في مجمع الزوائد (٤٠١/١٠) قال الهيثمي: في أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة وهو مجمع على ضعفه.

حكَمَ الأمورِ الغيبيةَ التي عَلِمَهَا عندَ الله؛ المهمُّ أَنَّهُ لا بُدَّ أن يكونَ هناكَ دليلٌ؛ لأنَّ الله يقولُ: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢].

٥٠١٥- لَكِنَّ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِيٌّ لَيْسَ فِي الْجَنَّاتِ مِنْ نُقْصَانٍ

٥٠١٦- فَهُوَ الَّذِي تُلْفَى مَسَافَةٌ مُلْكِهِ بِسِنِينَا أَلْفَانٍ كَامِلَتَانِ

٥٠١٧- فَيَرَى بِهَا أَقْصَاهُ حَقًّا مِثْلَ رُؤْيِيهِ لِأَدْنَاهُ الْقَرِيبِ الدَّانِي

وأهل الجنة ليس فيهم دنيٌّ؛ لأنَّ الجنَّاتِ كُلَّهَا ليس فيها نقصٌ؛ بل «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، «وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ» [الزُّخْرَف: ٧١]؛ يعني: مطعمًا ومنظرًا، فالنعيمُ من كُلِّ وجهٍ، إِذَنْ لا دَنِيٍّ فِيهَا، فَكُلُّ مَا فِيهَا عَالٍ.

وأدناهم منزلةٌ - وليس فيهم دنيٌّ - هو الذي تكونُ مسافةُ مُلْكِهِ أَلْفِي عامٍ، يرى أقصاه كما يرى أدناه^(٢)، وهذا دليلٌ على كمالِ حياتهم وقوتهم؛ إذ إنَّ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا لا تقوى أبصارهم على هذا النَّظَرِ، إِذَنْ البَصْرُ قَوِيٌّ، وَقُوَّةُ كُلِّ الْبَدَنِ كَامِلَةٌ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَالْمَكَانُ مَتَّسِعٌ، وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَكِنْ هُوَ لِكَمَالِ نَعِيمِهِ حَتَّى يَكُونَ مُحِيطًا بِمُلْكِهِ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ لا يَخْتَلِفُ.

وفي الحقيقة: أمورُ الآخرةِ يحارُّ فيها العقلُ، ولكنَّه لا يحيلُها؛ لأنَّ مَنْ قَدَرَ اللهُ حَقَّ قَدْرِهِ وَعَرَفَ قَدْرَةَ اللهِ وَعَظَمَتَهُ لا يحيلُ هذا الشَّيْءَ.

٥٠١٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ آخِرَ أَهْلِهَا يُعْطِيهِ رَبُّ الْعَرْشِ ذُو الْعُفْرَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

(٢) تقدم تحريجه، وهو جزء من الحديث قبل السابق.

٥٠١٩- أَضْعَافَ دُنْيَانَا جَمِيعًا عَشْرَ أَمْ - شَالِ لَهَا سُبْحَانَ ذِي الْإِحْسَانِ

آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولًا هَذَا الَّذِي يُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَالدُّنْيَا كُلُّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يُعْطِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَشْرَةَ أَمْثَالِهَا، وَأَيْضًا هَذَا النَّعِيمُ لَيْسَ كَنَعِيمِ الدُّنْيَا مُهَدَّدًا بِالْخَطَرِ وَالزَّوَالِ وَالنَّقْصِ، فَهُوَ نَعِيمٌ لَا يَنْفَدُ وَلَا يَزُولُ، فَتَجَدُّ الْفَرْقُ الْعَظِيمَ.

المهمُّ أَنَّنَا نَسْأَلُ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يُجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ نَعِيمَهَا نَعِيمٌ لَا يَعَادِلُهُ شَيْءٌ؛ وَهَذَا صَحَّ عَنِ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنَّهُ قَالَ: «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١)، فَسُنَّةُ الْفَجْرِ رَكَعَتَانِ خَفِيفَتَانِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، النَّاسُ الْآنَ يَذْهَبُونَ يَمِينًا وَشِمَالًا، وَفِي شِدَّةِ الْحَرِّ، وَفِي شِدَّةِ الْبَرْدِ لِيَنَالُوا شَيْئًا زَهِيدًا مِنَ الدُّنْيَا، وَهَاتَانِ الرَّكَعَتَانِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، نَسْأَلُ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- أَنْ يُعِينَنَا وَإِيَّاكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ.

خِلاصَةُ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّهُ ذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ:

الأوَّلُ: حُكْمُ أَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنَّهُ يَنْظَرُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ، جَعَلْنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

الثَّانِي: أَدْنَاهُمْ مَنْ يَرَى مُلْكَهُ مَسِيرَةَ الْفِي عَامٍ، يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ.

الثَّلَاثُ: أَنَّ آخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دَخُولًا مَنْ يُعْطِيهِ اللَّهُ تَعَالَى مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشْرَةَ أَمْثَالِهَا.

(١) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ: كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرُهَا، بَابِ اسْتِحْبَابِ رَكَعَتِي سَنَةِ الْفَجْرِ، وَالْحَثُّ عَلَيْهَا وَتَخْفِيفُهَا، وَالْمَحَافِظَةُ عَلَيْهَا، رَقْمٌ (٧٢٥).

فصل

في ذكر سن أهل الجنة

- ٥٠٢٠- هَذَا وَسِنَّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثِ
 ٥٠٢١- وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عَلَى
 ٥٠٢٢- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُمْ
 ٥٠٢٣- وَكِلَاهُمَا فِي «الْتَّرْمِذِيِّ» وَلَيْسَ ذَا
 ٥٠٢٤- حَدْفُ الثَّلَاثِ وَنَيْفِ بَعْدَ الْعُقُو
 ٥٠٢٥- عِنْدَ اتَّسَاعِ فِي الْكَلَامِ فَعِنْدَمَا
- ثَيْنَ الَّتِي هِيَ قُوَّةُ الشُّبَّانِ
 حَدٌّ سِوَاءِ مَا سِوَى الْوِلْدَانِ
 أَبْنَاءَ عَشْرِ بَعْدَهَا عَشْرَانَ
 بَتَّنَاقُضِ بَلْ هَاهُنَا أَمْرَانِ
 دُوذَكَرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَيَّانِ
 يَأْتُوا بِتَخْرِيرِ فَبِالْمِيزَانِ

الشرح

- ٥٠٢٠- هَذَا وَسِنَّهُمْ ثَلَاثٌ مَعَ ثَلَاثِ
 ٥٠٢١- وَصَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ فِي ذَا عَلَى
- ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ سِنَّهُمْ أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً، وَأَنَّ الصَّغِيرَ
 وَالْكَبِيرَ فِي هَذَا عَلَى حَدِّ سِوَاءٍ؛ يَعْنِي: حَتَّى مَنْ مَاتَ وَلَهُ عَشْرُونَ سَنَةً فَإِنَّهُ يَكُونُ
 ابْنَ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ مَاتَ وَلَهُ خَمْسُونَ سَنَةً يَكُونُ ابْنَ
 ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً عِنْدَ دُخُولِ الْجَنَّةِ وَهِيَ أَعْلَى مَا يَكُونُ مِنَ الشَّبَابِ، وَمَعَ ذَلِكَ
 لَا يَتَغَيَّرُونَ وَلَا يَهْرَمُونَ أَبَدًا وَلَا يَضْعَفُونَ، فَهَمُ دَائِمًا عَلَى هَذِهِ الْحَالِ إِلَى أَبَدٍ

الآبدين، وَيُسْتَنَى من ذلك: ولدان الجنة؛ ولذا قال: «مَا سَوَى الْوِلْدَانِ»؛ أي: ولدان الجنة الذين هم الخدم، فالولدان الذين هم خدام الجنة ليسوا من المكلفين الذين يدخلونها بأعمالهم، بل خُلِقُوا في الجنة للجنة، وهذا هو المتبادر من كلمة «الولدان» كما قال تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثورًا﴾ [الإنسان: ١٩].

٥٠٢٢- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ بَعْدَهَا عَشْرَانَ
٥٠٢٣- وَكِلَاهُمَا فِي «التِّرْمِذِيِّ» وَلَيْسَ ذَا بَتْنَاقُضٍ بَلْ هَاهُنَا أَمْرَانِ
٥٠٢٤- حَذَفُ الثَّلَاثِ وَنَيْفِ بَعْدَ الْعُقُودِ دِ وَذَكَرُ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ سَيَّانِ
٥٠٢٥- عِنْدَ اتِّسَاعِ فِي الْكَلَامِ فَعِنْدَمَا يَأْتُوا بِتَحْرِيرِ فَبِالْمِيزَانِ

ولقد روى أبو سعيد الخدري أن أهل الجنة يدخلونها أبناء عشر وعشرين^(١)؛ أي: أبناء ثلاثين، وهذا لا يناقض ما سبق من أنهم يدخلونها وهم أبناء ثلاث وثلاثين^(٢)؛ وذلك لأن العرب قد يسقطون ما زاد على العقود؛ يعني: ما زاد مثلاً على العشرة أو على العشرين أو على الثلاثين قد يحذفونه؛ مثل: «نَيْفٍ»؛ والنَيْفُ من ثلاثة إلى تسعة، وثلاثة أيضاً، مع أن المراد ما زاد، فيكون الذين اقتصروا في الرواية على الثلاثين حذفوا ما زاد عليها، ونحن نقول الآن: «فلان عمره بالثلاثين»؛

(١) يعني قوله ﷺ: «مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ يُرَدُّونَ بَنِي ثَلَاثِينَ فِي الْجَنَّةِ لَا يَزِيدُونَ عَلَيْهَا أَبَدًا، وَكَذَلِكَ أَهْلُ النَّارِ». أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، رقم (٢٥٦٢).

(٢) يعني حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ جُرْدًا مُرْدًا بِيضًا جَعَادًا مُكْحَلِينَ، أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ، عَلَى خَلْقِ آدَمَ، سِتُونَ ذِرَاعًا فِي عَرْضِ سَبْعِ أذْرُعٍ». أخرجه أحمد (٢٤٣/٥، رقم ٢٢١٥٩).

يعني: من واحدٍ وثلاثين إلى تسعةٍ وثلاثين، فكُلُّ هذا داخلٌ في قولنا: «بِالثَّلاثين»، لكنَّهم إذا أرادوا التَّحْرِيرَ ذكروا العَدَدَ الزَّائِدَ على العُقودِ؛ إذَنْ لا تناقُضَ بين الرِّوَايَتَيْنِ؛ أي: روايةِ الثَّلاثين، وروايةِ: ثلاثٍ وثلاثين.

ولله دُرُّ ابنِ القِيَمِ رحمه الله؛ لأنَّه جَمَعَ هذا الجَمْعَ، والعبْدُ إذا فَتَحَ اللهُ عليه يَسَّرَ له الجَمْعَ بينما ظاهرُه التَّنَاقُضُ.

لكننا نُنَبِّهُ إلى أنَّ كثيرًا من النَّاسِ يأتي بالتَّصوُّصِ المشكَّلةِ، يُحِبُّ أن يُغْرِبَ في المقالِ، فتجدُه يذكُرُ التَّعَارُضَ في أشياءٍ ليس بينها تعارضٌ؛ ليُغْرِبَ ويقال: ما شاء اللهُ، ما أَوْسَعَ علمَه! لكن مَنْ أراد الحقَّ وَعَلِمَ أنَّ الكُلَّ حقٌّ سَهَّلَ عليه الجَمْعُ بكُلِّ سهولةٍ، بينما الآخرُ يُعْطَى عنه الجَمْعُ والعياذُ بالله؛ لأنَّه يريدُ أن يأتيَ بالمتناقضاتِ، وإذا شِئتم هذا راجعوا مناظرةَ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا لِنَافِعِ بنِ الأَزْرَقِ في آياتِ من القرآنِ كثيرةً، ذكرها السُّيوطِيُّ في كتابه: «الإِتقان»^(١) تجدُ أنَّ الإنسانَ الذي يريدُ أن يجمعَ بين كلامِ الله وبين كلامِ رسوله يسهِّلُ عليه الجَمْعُ ولا يرى التَّنَاقُضَ، وأمَّا الإنسانُ الذي ليس له هَمٌّ إِلَّا أن يأتيَ بالأحاديثِ التي بينها تعارضٌ ويقولُ: ما الجَمْعُ بين كذا وكذا؟ فهذا لا يسهِّلُ عليه الجَمْعُ.

وفرقٌ بين مَنْ يأتي بالأحاديثِ لِيُثَبِّتَ التَّعَارُضَ بينها على زعمه، وشخصٍ يريدُ الجَمْعَ بين الأحاديثِ، تجدُ الثَّانِي يُوقِّقُ للجَمْعِ ولا يرى التَّعَارُضَ، فعليك بهذا، عليك بهذا، واعلم أنَّه إذا صَحَّ الحديثُ عن الرسولِ ﷺ فإنه لا يتناقضُ، وكذلك أيضًا لا يناقضُ كلامَ الله عزَّ وجلَّ، ولا تناقضُ في كلامِ الله أيضًا، عَوْدُ نَفْسِكَ هذا المسلكَ حتَّى تسلمَ من شُبُهَاتٍ كثيرةٍ تَرُدُّ على بعضِ النَّاسِ.

(١) انظر: الإِتقان في علوم القرآن، للسُّيوطي (٢/٦٧).

فصل

في طول قامات أهل الجنة وعرضهم

- ٥٠٢٦- وَالطُّوْلُ طُوْلُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لَدَ - كِنَ عَرَضُهُمْ سَبْعَ بِلَا نُقْصَانِ
 ٥٠٢٧- الطُّوْلُ صَحَّ بَغَيْرِ شَكٍّ فِي «الصَّحِيحِ - حَيْنِ» اللَّذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ
 ٥٠٢٨- وَالعَرَضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا لَكِنَ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي
 ٥٠٢٩- هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَ - لَذَا العَرَضِ وَالطُّوْلِ البَدِيْعِ الشَّانِ
 ٥٠٣٠- كُلٌّ عَلَى مَقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا - تَقْدِيرُ مُتَقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ

الشرح

- ٥٠٢٦- وَالطُّوْلُ طُوْلُ أَبِيهِمْ سِتُّونَ لَدَ - كِنَ عَرَضُهُمْ سَبْعَ بِلَا نُقْصَانِ
 ذكر المؤلف - رحمه الله - هنا طول أهل الجنة وعرضهم فقال: الطُّوْلُ: ستون ذراعاً في السماء، والعَرَضُ: سبعة أذرع، حتَّى مَنْ مَاتَ صَغِيرَ الْجِسْمِ فَإِنَّهُ يَبْلُغُ هَذَا، وَحَتَّى مَنْ مَاتَ كَبِيرَ الْجِسْمِ بِالنَّسْبَةِ لِمَا نَشَاهَدُ يَبْلُغُ هَذَا أَيْضًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُمْ نَشَاءً أُخْرَى تُنَاسِبُ الْأَحْوَالَ.
 ٥٠٢٧- الطُّوْلُ صَحَّ بَغَيْرِ شَكٍّ فِي «الصَّحِيحِ - حَيْنِ» اللَّذَيْنِ هُمَا لَنَا شَمْسَانِ
 ٥٠٢٨- وَالعَرَضُ لَمْ نَعْرِفْهُ فِي إِحْدَاهُمَا لَكِنَ رَوَاهُ أَحْمَدُ الشَّيْبَانِي

٥٠٢٩- هَذَا وَلَا يَخْفَى التَّنَاسُبُ بَيْنَ هَـ ذَا الْعَرَضِ وَالطُّوْلِ الْبَدِيعِ الشَّانِ

٥٠٣٠- كُلُّ عَلَى مِقْدَارِ صَاحِبِهِ وَذَا تَقْدِيرُ مُتَقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ

ذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ -رحمه الله- أَنَّ السِّتَيْنِ فِي الطُّوْلِ ثَابِتَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ (١)، وَأَمَّا الْعَرَضُ فَلَيْسَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَلَا فِي أَحَدِهِمَا، لَكِنْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَذَكَرَ الْمُؤَلَّفُ تَقْوِيَةً لِهَذَا الْحَدِيثِ أَنَّ السَّبْعَةَ فِي الْعَرَضِ تُنَاسِبُ الطُّوْلَ؛ لِأَنَّ الطُّوْلَ سِتِّينَ ذِرَاعًا لَوْ كَانَ عَلَى حَسَبِ الْعَرَضِ الَّذِي نَعْرِفُهُ الْآنَ لَمْ يَتَنَاسَبْ، لَكِنَّهُ يَتَنَاسَبُ مَعَ الْعَرَضِ «سَبْعَةَ أَذْرَعٍ».

لكن كم تكون نسبة السبعة إلى الستين؟

الجواب: تكون العشرَ وسُدُسَ العشرِ، وهذا متناسبٌ مع الطُّولِ، وهذه نعمةٌ عظيمةٌ.

فإذا قال قائلٌ: هل هذا التناسبُ محمودٌ أو لا؟

فالجواب: نعم، مألوفٌ ومحمودٌ، نحن الآن بهذه الأجسادِ، أرايتم لو جعلنا الله تعالى في طولِ الأرنبِ مثلاً هل نستنكرُ هذا أم لا؟ الجواب: لا نستنكرُ؛ لأنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى هَذَا الطُّوْلِ، وَلَوْ كَانَ الْوَاحِدُ مَنَّا طَوْلَ الْبَعِيرِ مَرَّتَيْنِ لَا نَسْتَنْكِرُ هَذَا أَيْضًا؛ لِأَنَّنا جميعًا على حدِّ سواءٍ، فَأَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَسْتَنْكِرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ؛ لِأَنَّهم جميعًا على حدِّ سواءٍ، بَيْنَمَا لَوْ وَجَدْنَا أَحَدًا طَوِيلًا وَلَوْ نَصَفَ هَذَا الطُّوْلَ لَأَسْتَغْرَبْنَا هَذَا كَثِيرًا.

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم (٣١٤٨)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب يدخل الجنة أقوام، رقم (٢٨٤١).
(٢) أخرجه أحمد (٢/٢٣١، رقم ٧١٦٥).

فإذا قال قائلٌ: ما الحكمةُ في أنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - يجعلُ أهلَ الجنةِ بهذا؟

قلنا: الحكمةُ من أجلِ أن يتنعموا أكثرَ بالمأكَلِ والمشاربِ؛ لأنَّه من المعروفِ في الدنيا أنَّ الصَّغارَ لا يأكلون أكَلَ الكبارِ، فإذا كبرَ الجسمُ امتلأ أكثرَ، وتعرفون أنَّ أهلَ الجنةِ يأكلون، وكُلُّ أكْلِهِمْ وشربِهِمْ يذهبُ رشحًا «عرقًا» كريحِ المسكِ، اللَّهُمَّ اجعلنا منهم.

فصل

في لحاهم وألوانهم

- ٥٠٣١- أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحَى جَعْدُ الشُّعُورِ مُكْحَلُو الْأَجْفَانِ
 ٥٠٣٢- هَذَا كَمَالُ الْحُسْنِ فِي أَبْشَارِهِمْ وَشُعُورُهُمْ وَكَذَلِكَ الْعَيْنَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِي لِحَاهُمْ وَأَلْوَانِهِمْ»، وفي نسخة: «فَصَلُّ فِي حُلَاهُمْ وَأَلْوَانِهِمْ»، والظاهرُ أَنَّ الصَّوَابَ النُّسخَةُ الأولى «لِحَاهُمْ»؛ لَأَنَّهُ لم يذكر الحُلَى، إِلَّا إن كان من ذَكَرَهُ الكحلَّ، وهذا اختلافٌ بسيطٌ.

قَوْلُهُ: «أَلْوَانُهُمْ بِيضٌ وَلَيْسَ لَهُمْ لِحَى»؛ يعني: ليس لهم شعرٌ في لحاهم.

قَوْلُهُ: «جَعْدُ الشُّعُورِ»؛ يعني: شعورَ الرَّأسِ، والجعدُ ضدُّه المسترسلُ.

والجعدُ محمودٌ عند الناسِ؛ لَأَنَّهُ يدلُّ على قوَّةِ الشَّعرِ، وأمَّا الأَجْفَانُ فهي

مكحولةٌ؛ يعني: من أحسنِ ما يكونُ.

فصل

في لسان أهل الجنة

- ٥٠٣٣- وَلَقَدْ أَتَى أَثْرَبَانٌ لِسَانَهُمْ بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ خَيْرَ لِسَانٍ
 ٥٠٣٤- لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظْرًا فَيَسِيءُ رَاوِيَانِ وَمَاهِمَا ثَبَتَانِ
 ٥٠٣٥- أَعْنِي الْعَلَاءَ هُوَ ابْنُ عَمْرِو ثَمَّ يَحْسَبُ الْأَشْعَرِيَّ وَذَانِ مَعْمُوزَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ أَتَى أَثْرَبَانٌ لِسَانَهُمْ بِالْمَنْطِقِ الْعَرَبِيِّ... لَكِنَّ فِي إِسْنَادِهِ نَظْرًا»
 ولا يبعدُ أن يكونَ الحديثُ من حيث النَّظَرُ صوابًا، وبذلك يكونُ لسانُهُم هو
 اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ؛ وذلك لأنَّ أَفْضَلَ الْكُتُبِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، ولأنَّ أَتْبَاعَ النَّبِيِّ ﷺ أَكْثَرُ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ، وإن كان في أَتْبَاعِ النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- مَنْ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ، لكن
 الْوَاجِبُ عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِيِّ مِنْ أَتْبَاعِ النَّبِيِّ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أَنْ يَعْرِفَ
 الْعَرَبِيَّةَ؛ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ مَعْنَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وهذا لا يَتَأْتَى إِلَّا بِمَعْرِفَةِ اللُّغَةِ
 الْعَرَبِيَّةِ.

وعلى كُلِّ حَالٍ: أُمُورُ الْغَيْبِ لَا يُمْكِنُ أَنْ تُقَالَ بِالنَّظَرِ وَالْقِيَاسِ.

قَوْلُهُ: «مَعْمُوزَانِ»؛ أَي: مَعْبِيَانِ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْحَدِيثِ.

فصل

في ریح أهل الجنة من مسيرة كم يوجد

- ٥٠٣٦- وَالرَّيْحُ تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعٍ - مَنْ وَإِنْ تَشَأْ مِئَةً فَمَرَوِيَّانِ
- ٥٠٣٧- وَكَذَا رَوَى سَبْعِينَ أَيْضًا صَحَّ هَ - نَذَا كُلُّهُ وَأَتَى بِهِ أَثَرَانِ
- ٥٠٣٨- مَا فِي رِجَالَهُمَا لَنَا مِنْ مَطْعَنِ - وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْكُلِّ ذُو إِمْكَانِ
- ٥٠٣٩- وَلَقَدْ أَتَى تَقْدِيرُهُ مِئَةً بِخَمِّ - سِ ضَرْبُهَا مِنْ غَيْرِ مَا نُقْصَانِ
- ٥٠٤٠- إِنْ صَحَّ هَذَا فَهُوَ أَيْضًا وَالَّذِي - مِنْ قَبْلِهِ فِي غَايَةِ الْإِمْكَانِ
- ٥٠٤١- إِمَّا بِحَسَبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا - قُرْبًا وَبُعْدًا مَا هُمَا سَيَّانِ
- ٥٠٤٢- أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا - أَيْضًا وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبْيَانِ
- ٥٠٤٣- أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ أَيْضًا فَهُوَ أَنْ - وَاعٌ بِقَدْرِ إِطَاقَةِ الْإِنْسَانِ
- ٥٠٤٤- مَا بَيْنَ أَلْفَاظِ الرَّسُولِ تَنَاقُضٌ - بَلْ ذَاكَ فِي الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ

الشرح

ذَكَرَ - رحمه الله - أن ریح الجنة يوجد من مسيرة أربعين^(١) عامًا، وفي أثر ثانٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدًا بغير جرم، رقم (٢٩٩٥).

من مسيرة سبعين^(١) عامًا، وفي أثرٍ ثالثٍ من مسيرة مئة^(٢) عامٍ، وفي أثرٍ رابعٍ من مسيرة خمسمئة^(٣) عامٍ، وإذا نظرتَ الفرقَ بين أربعين عامًا وخمسمئة عامٍ وجدتهُ شاسعًا، لكن الخمسمئة غمزه ابنُ القيمِ رحمه الله، فيبقى النظرُ بين الأربعين والسبعين والمئة، يقولُ رحمه الله: ليس فيها تناقضٌ، وحمل ذلك على أوجهٍ ثلاثة:

الأول: «إِذَا بِحَسَبِ الْمُدْرِكِينَ لِرِيحِهَا»؛ أي: باختلافِ المُدْرِكِينَ لريحِها؛ لأنَّ النَّاسَ يَخْتَلِفُونَ فِي إِدْرَاكِ الرِّيحِ، فَتَجِدُ بَعْضَ النَّاسِ يَمْشِي مِنْ عِنْدِ الْبَيْتِ، وَيَقُولُ: أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ يَطْبَخُونَ كَذَا وَكَذَا، وَهَذَا وَاقِعٌ، وَالثَّانِي: يَجْعَلُ أَنْفَهُ فِي كُوَّةِ الْبَابِ وَلَا يَشْمُ، وَهَذَا فَرْقٌ، فَيَكُونُ التَّقْدِيرُ الْأَكْثَرُ بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ شَمَّهُ ضَعِيفٌ، وَالتَّقْدِيرُ الْأَدْنَى بِالنِّسْبَةِ لِمَنْ شَمَّهُ قَوِيٌّ.

الثاني: «أَوْ بِاخْتِلَافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا أَيْضًا» باختلافِ قَرَارِهَا وَعُلُوِّهَا، وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْجَنَّةَ دَرَجَاتٌ، وَإِذَا كَانَتْ دَرَجَاتٍ فَلَا بُدَّ أَنْ تَخْتَلِفَ فِي الرَّائِحَةِ، وَكُلَّمَا كَانَتْ الرَّائِحَةُ أَطْيَبَ كَانَ شَمُّهَا مِنْ بَعِيدٍ أَقْرَبَ، فَهَذَا إِنْسَانٌ مَثَلًا مُتَطَيَّبٌ بِطَيِّبٍ بَارِدٍ، وَآخَرٌ مُتَطَيَّبٌ بِطَيِّبٍ حَارٍّ، الْمُتَطَيَّبُ بِطَيِّبٍ حَارٍّ يُشَمُّ مِنْ بَعِيدٍ، وَالثَّانِي لَا يُشَمُّ إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ.

الثالث: «أَوْ بِاخْتِلَافِ السَّيْرِ» السَّيْرُ يَخْتَلِفُ أَيْضًا، رُبَّ مَسِيرَةٍ مِئَةَ عَامٍ تَكُونُ لِشَخْصٍ آخَرَ سَبْعِينَ عَامًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا، فَالسَّيْرُ يَخْتَلِفُ. وَالْآنَ نَحْنُ نَشَاهِدُ هَذَا؛ فَالطَّائِرَةُ مِنَ الْقَصِيمِ إِلَى جِدَّةٍ تَبْلُغُهَا فِي سَاعَةٍ تَقْرِيبًا،

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الديات، باب ما جاء فيمن يقتل نفسًا معاهدة، رقم (١٤٠٣)، والنسائي: كتاب القسامة، باب تعظيم قتل المعاهد، رقم (٤٧٤٩)، وابن ماجه: كتاب الديات، باب من قتل معاهدًا، رقم (٢٦٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٧١، رقم ١١٦٩٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه: كتاب الحدود، باب من ادعى إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه، رقم (٢٦١١).

بينما هي على الرّواحلِ أكثر من عشرين يومًا، وإذا صرّبتَ عشرين يومًا في أربعة وعشرين ساعةً تبلغُ أربعمئةً وثمانين، فالآن ساعةٌ تقابلُ خمسَ ساعةٍ إلا عشرين، هذا اختلافُ السَّيرِ، وهذا على كُلِّ حالٍ أضعفُها.

وهذه الوجوهُ الثلاثةُ التي ذكرها ابنُ القيمِ كُلُّها محتملةٌ.

ومثلُ ذلك أيضًا: سفرُ المرأةِ بلا محرّمٍ حيث جاء مُقَيَّدًا بثلاثةِ أيّامٍ^(١)، ومُقَيَّدًا بيومٍ وليلَةٍ^(٢)، وجاء مطلقًا^(٣)، كيف الجمعُ؟ نقولُ: الجمعُ أنّه خاطَبَ مَنْ يقولُ: هل تسافرُ المرأةُ يومًا وليلَةً بلا محرّمٍ؟ فقال: لا تُسافرُ المرأةُ يومًا وليلَةً بلا محرّمٍ، وسأله آخرُ: هل تسافرُ ثلاثةَ أيّامٍ بلا محرّمٍ؟ فقال: لا تسافرُ ثلاثةَ أيّامٍ بلا محرّمٍ، ثمَّ جاء القولُ المطلقُ الذي ليس مبنياً على سؤالٍ حين خَطَبَ النَّاسَ يومَ الجمعةِ في المدينةِ قُبَيْلَ الحجِّ، فقال: «لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ»^(٤)، وأطلق.

وأهمُّ شيءٍ أن نعلمَ أنّه لا تناقضَ بين أقوالِ الرّسولِ ﷺ، وإنّا التّناقضُ الذي يُظنُّ يكونُ بحسبِ الأفهامِ؛ إذ يكونُ فهمُ بعضِ النَّاسِ ضعيفًا فيظنُّ التّناقضَ، وليس كذلك.

وإذا كان الإنسانُ يريدُ الوصولَ إلى الحقِّ يَسَّرَ اللهُ له الوصولَ إليه، أمّا الذي يريدُ أن يُوقَعَ التّعارضُ بين النُّصوصِ، أو يريدُ التّشكيكَ فيها سواء عن قصدٍ أم

(١) أخرجه البخاري: كتاب تقصير الصلاة، باب: في كم يقصر الصلاة، رقم (١٠٣٦)، ومسلم:

كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرّم إلى حج وغيره، رقم (١٣٣٨).

(٢) أخرجه الترمذي: كتاب الرضاع، باب ما جاء في كراهية أن تسافر المرأة وحدها، رقم (١١٧٠).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، رقم (١٧٦٣)، ومسلم: كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرّم إلى حج وغيره، رقم (١٣٤١).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، رقم (١٧٦٣)، ومسلم: كتاب الحج،

باب سفر المرأة مع محرّم إلى حج وغيره، رقم (١٣٤١).

عن غير قصدٍ، فهذا يصعبُ عليه أن يجمعَ.

المهمُّ أنَّه يجبُ أن نحاولَ الجمعَ بين النُّصوصِ الواردةِ بقدرِ الإمكانِ؛ لأنَّنا نعلمُ أنَّ الرِّسولَ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- لا ينطقُ عن الهوى.

فعليك بهذا الأصلِ، واعلم أنَّه لا تناقضَ، وحاولَ الجمعَ بقدرِ الإمكانِ حتَّى تَسَلَّمَ من الشُّبهاتِ والشُّكوكِ، وإيَّاكَ أن تُطَلِّعَ أحداً على شكِّكَ إذا لم تعرفَ الحُلَّ، وهذه مسألةٌ يفعلُها بعضُ النَّاسِ؛ يأتي إلى طالبٍ مثله لا يتخرَّجُ من الإشكالاتِ، فيعرضُ عليه الإشكالاتِ، معنى ذلك أنَّه زادَ الطَّينَ بِلَّةً؛ لأنَّه شكَّ وأوصلَ الشكَّ إلى غيره، ثمَّ الثاني يقولُ: والله فلانُ سألني يريدُ الجمعَ بين النُّصوصِ بين كذا وكذا، فيزيد، وهلمَّ جرَّاء، فإذا كنتَ لا تعرفُ كيف تتخلَّصُ من الغرقِ لا تُغرقِ غيرَكَ، بل اتركها في نفسك حتَّى يُقَيِّضَ اللهُ لك إمَّا فهماً تصلُ إلى المرادِ، وإمَّا أن تسألَ عالماً، وإمَّا أن تُطالعَ كتبَ أهلِ العلمِ، وهذه أيضاً افهموها، فهذه تنفعُ الطالبَ، فلا تُوقعِ إخوانَكَ في الشكِّ إذا شكَّكَتَ في الأمرِ؛ لأنَّكَ تُوصلُ الشكَّ إلى واحدٍ وثنانٍ وثالثٍ، وهذه المسألةُ ليست هيئَةً، بل هي مسألةٌ خطيرةٌ، وإذا وَقَعَ في القلبِ هذا المنهجُ فهو على خطرٍ عظيمٍ، ورُبَّما يصلُ إلى أن يُنكَرَ الأشياءَ الواضحةً.

وهذا الكلامُ ليس على الشُّبهاتِ التي توضيحُها مُبينٌ، وكذلك مثلاً: «تأويل الحديث»؛ لابن قتيبةٍ وغيره، فهذا مذكورٌ فيه الحُلُّ، بل كلامنا هذا على واحدٍ وَقَعَ الشكُّ في قلبه ولم يعرفِ الحُلَّ، إمَّا إذا وَقَعَ الشكُّ في قلبه وعرفَ حلَّهُ عن طريقِ العلماءِ أو عن طريقِ الكتبِ وهو يخشى أن كثيراً من النَّاسِ مثله، فهذا لا بأسَ أن يعرضه ويبيِّنَ الحُلَّ.

فصل

في أسبق الناس دخولاً إلى الجنة

- ٥٠٤٥ - وَنَظِيرُ هَذَا سَبَقُ أَهْلِ الْفَقْرِ لِلدُّخُولِ فِي الْجَنَّةِ فِي تَقْدِيرِهِ أَنْ رَانَ
 ٥٠٤٦ - مِئَةٌ بِخَمْسٍ ضَرْبُهَا أَوْ أَرْبَعِيْنَ - مِنْ كِلَاهُمَا فِي ذَلِكَ مَحْفُوظَانِ
 ٥٠٤٧ - فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَدْ رَوَى أَوْلَاهُمَا
 ٥٠٤٨ - هَذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ الْفُقَرَاءِ فِي اسْمِ
 ٥٠٤٩ - أَوْ ذَا بِحَسَبِ تَفَاوُتِ فِي الْأَغْنِيَا
 ٥٠٤٥ - جَنَّاتٍ فِي تَقْدِيرِهِ أَنْ رَانَ
 ٥٠٤٦ - مِنْ كِلَاهُمَا فِي ذَلِكَ مَحْفُوظَانِ
 ٥٠٤٧ - وَرَوَى لَنَا الثَّانِي صَحَابِيَّانِ
 ٥٠٤٨ - تَحْقَاقِ سَبَقِهِمْ إِلَى الْإِحْسَانِ
 ٥٠٤٩ - كِلَاهُمَا لَا شَكَّ مَوْجُودَانِ

الشرح

ذكر المؤلف - رحمه الله - أيضاً أن أول الناس دخولاً الجنة الفقراء قبل الأغنياء إمّا بخمسمئة عام^(١)، وإمّا بأربعين^(٢) عامًا، وهذا أيضاً من جنس خلاف ما سبق في راحة الجنة، والفرق كبير جداً، فكيف الجمع؟

ذَكَرَ - رحمه الله - الجمع من أحد وجهين: إمّا بحسب الفقراء وأن بعضهم أشد من الآخر، فيُنظَرُ إلى أشدهم فقراً بالنسبة إلى الأغنياء، ويكون ما بعد

(١) أخرجه الترمذي: كتاب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم، رقم (٢٣٥٣) وقال: حسن صحيح، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب منزلة الفقراء، رقم (٤١٢٢).

(٢) أخرجه النسائي في الكبرى: كتاب العلم، باب إجلال السائل المسئول، رقم (٥٨٤٥).

الخمسمئة حسب الفقر، أو بالعكس؛ يعني: أن الفقراء يسبقون الأغنياء، وأن الأغنياء يختلفون، فبعض الأغنياء قريب من الفقراء، فتكون المسافة قصيرة؛ أربعين، وبعضهم بعيد فتكون المسافة خمسمئة.

وهذا ليس فيه هضم لحقوق الأغنياء مثلما أنهم في الدرجات يختلفون اختلافا عظيما، ومع ذلك لا يرى أحدهم أن غيره أفضل منه، وهذا أيضا لا يقتضي أن الفقراء أفضل من الأغنياء؛ لأن سبقهم لدخول الجنة بسبب ما حرموا من التعميم في الدنيا، فإنهم ذاقوا البؤس والتعب والجوع والعطش، والغالب أن الفقراء أقرب إلى الإيمان من الأغنياء، وقد يكون أقل منزلة من الغني؛ فقد يكون الغني إذا دخل فوقه بمراحل.

المهم: أن هذا الاختلاف إما بحسب تفاوت الفقراء أو بحسب تفاوت الأغنياء، وهذا بعد أن يصح الحديثان وتكون مرتبتهما واحدة، وإلا فيقدم ما هو أرجح؛ لأن المعروف أنه إذا تعذر الجمع رجعنا إلى الترجيح، وإذا أمكن فلا حاجة.

- ٥٠٥٠ - هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلَدَ
قِ اللهُ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥١ - وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التَّ
تَفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَانِ
- ٥٠٥٢ - هَذَا وَأُمَّةٌ أَحْمَدُ سَبَّاقُ بَا
قِي الْخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ لِجَنَانِ
- ٥٠٥٣ - وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْ
إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥٤ - وَلِذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ أَسَدُ
بِقُتْلِهِمْ دُخُولًا قَوْلُ ذِي الْبُرْهَانِ

- ٥٠٥٥ - وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوْلَهُمْ يُصَا
فِيهِ إِلَهُ الْعَرْشِ ذُو الْإِحْسَانِ
- ٥٠٥٦ - وَيَكُونُ أَوْلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ الْ
فِرْدَوْسِ ذَلِكَ قَامِعُ الْكُفْرَانِ
- ٥٠٥٧ - فَارُوقُ دِينِ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ
وَرَسُولُهُ وَشَرَائِعِ الْإِيمَانِ
- ٥٠٥٨ - لَكِنَّهُ أُنْزِعَ فِيهِ بِجَنَّةِ
رُوحٍ يُسَمَّى خَالِدًا بَيَّانِ
- ٥٠٥٩ - لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ الْمَخْصُوصُ بِالصِّدِّيقِ
صَدِيقِ قَطْعًا غَيْرِ ذِي نُكْرَانِ

الشرح

- ٥٠٥٠ - هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلْدِ
قِ اللَّهِ مَنْ قَدْ خُصَّ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥١ - وَالْأَنْبِيَاءِ عَلَى مَرَاتِبِهِمْ مِنَ التَّ
تَفْضِيلِ تِلْكَ مَوَاهِبُ الْمَتَّانِ
- ٥٠٥٢ - هَذَا وَأُمَّةُ أَحْمَدٍ سَبَّاقُ بَا
قِي الْخَلْقِ عِنْدَ دُخُولِهِمْ لِحَنَانِ
- ٥٠٥٣ - وَأَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْ
إِسْلَامِ وَالْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٠٥٤ - وَلِذَا أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصِّدِّيقُ أَسْبَقَهُمْ
دُخُولًا قَوْلُ ذِي الْبُرْهَانِ

قَوْلُهُ: «أَوْلَهُمْ دُخُولًا خَيْرٌ خَلْقِ اللَّهِ»؛ أَي: مُحَمَّدٌ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: «أَحَقُّهُمْ بِالسَّبْقِ أَسْبَقُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ»، وهذا يحتاج إلى دليل، لو قال: «أَسْبَقُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ» فلا بأس؛ فمثلاً: عمرُ بنُ الخطابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أفضلُ هذه الأمةِ بعد أبي بكرٍ، ومع ذلك ليس أسبقَهُم إلى الإسلامِ، فإن وُجِدَ دليلٌ في هذه المسألةِ بخصوصِها فعلينا اتِّبَاعُ الدَّلِيلِ، وإلَّا فينبغي أن يُقَالَ: «أَسْبَقَهُمْ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَفْضَلُهُمْ».

قَوْلُهُ: «أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّدِيقُ أَسْبَقُهُمْ دُخُولًا»؛ يعني: أَنْ أَوَّلَ النَّاسِ دُخُولًا
من هذه الأُمَّةِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- ٥٠٥٥- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ أَنَّ أَوْلَهُمْ يُصَا فِحُهُ إِلَهُ الْعَرْشِ ذُو الْإِحْسَانِ
٥٠٥٦- وَيَكُونُ أَوْلَهُمْ دُخُولًا جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ ذَلِكَ قَامِعُ الْكُفْرَانِ
٥٠٥٧- فَارَوْقُ دِينِ اللَّهِ نَاصِرُ قَوْلِهِ وَرَسُولُهُ وَشَرَائِعُ الْإِيمَانِ
٥٠٥٨- لَكِنَّهُ أَكْرُ ضَعِيفٌ فِيهِ مَجْرُ رُوحٌ يُسَمَّى خَالِدًا بَيَّانِ
٥٠٥٩- لَوْ صَحَّ كَانَ عُمُومُهُ الْمَخْصُوصُ بِالصِّ صَدِيقٍ قَطْعًا غَيْرِ ذِي نُكْرَانِ

يعني: لو صحَّ أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْفِرْدَوْسَ عُمُرٌ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لو صحَّ هذا
لكنه ضعيفٌ، كما ذكر عن الرَّجُلِ الْمُسَمَّى خَالِدًا فهو ضعيفٌ، لكن لو صحَّ فهو
مخصوصٌ بأبي بكرٍ الصَّدِيقِ؛ لأنَّ أبا بكرٍ الصَّدِيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسبقُ إلى الإسلامِ
وأفضلُ من عمرَ بلا شكٍّ، وأصبرُ من عمرَ عند الشَّدائدِ، وأنتم تعرفون قصَّةَ
الحُدَيْبِيَّةِ وما فيها من شِدَّةٍ على المسلمين من الذي صَبَرَ عليها؟

الجوابُ: أبو بكرٍ أصبرُ من عمرَ، عمرُ كان يَنازِعُ الرَّسُولَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، يَقُولُ: أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: «بَلَى»، قُلْتُ: فَلِمَ
نُعْطِي الدِّينَةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: «إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي»،
قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ مُحَدِّثُنَا أَنَّا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: «بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا

(١) يعني حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَّلُ مَنْ يُصَافِحُهُ الْحَقُّ عُمَرُ بْنُ
الْحَطَّابِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِيَدِهِ فَيَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ». أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٥٨٠)،
رقم (١٢٤٥).

نَأْتِيهِ الْعَامَ؟» قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوَّفٌ بِهِ»^(١).

المهم: أنه لم يصبر، وأبو بكرٍ صَبَرَ، وكان جوابه جوابَ النَّبِيِّ ﷺ سواءً بسواءٍ، وعند موتِ الرَّسُولِ ﷺ مَنْ صَبَرَ؟ الجوابُ: أبو بكرٍ، أمَّا عمرٌ فقام خطيباً في النَّاسِ، وقال: «وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالِهِ وَأَرْجُلَهُمْ»^(٢)، وعند تنفيذِ جيشِ أسامةَ صَبَرَ أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَنَفَذَ الْجَيْشَ مع أنَّ أهلَ المدينة محتاجون له، وعند قتالِ أهلِ الرَّدَّةِ صَبَرَ أبو بكرٍ.

من هذه المقاماتِ الضَّنْكَةِ الشَّدِيدَةِ يَتَبَيَّنُ فَضْلُ أَبِي بَكْرٍ عَلَى عَمْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وكلاهما ذو فضلٍ.

المهم: أنه إذا صَحَّ الْحَدِيثُ فلا شكَّ أَنَّهُ مَخْصُوصٌ بِحَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ؛ يعني: أَوْلَهُمْ بعد أبي بكرٍ، وإذا كان عمرٌ أَوْلَهُمْ بعد أبي بكرٍ فالأمرُ واضحٌ؛ لأنَّ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةِ بعد أبي بكرٍ عمرٌ بنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

- ٥٠٦٠ - هَذَا وَأَوْلَهُمْ دُخُولًا فَهُوَ خَيْرٌ - هَادٍ عَلَى الْحَالَاتِ لِلرَّحْمَنِ
 ٥٠٦١ - إِنْ كَانَ فِي السَّرَّاءِ أَصْبَحَ حَامِدًا أَوْ كَانَ فِي الضَّرِّاءِ فَحَمْدُ ثَانِي
 ٥٠٦٢ - هَذَا الَّذِي هُوَ عَارِفٌ بِإِلَهِهِ وَصِفَاتِهِ وَكَمَالِهِ الرَّبَّانِي
 ٥٠٦٣ - وَكَذَا الشَّهِيدُ فَسَبْقُهُ مُتَيَقَّنٌ وَهُوَ الْجَدِيرُ بِذَلِكَ الْإِحْسَانِ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٥٨١).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»، رقم (٣٤٦٧).

- ٥٠٦٤- وَكَذَلِكَ الْمَمْلُوكُ حِينَ يَقُومُ بِأَلٍ حَقَّيْنِ سَبَّاقٍ بَغَيْرِ تَوَانٍ
٥٠٦٥- وَكَذَا فَقِيرٌ ذُو عِيَالٍ لَيْسَ بِأَلٍ مِلْحَاحٍ بَلْ ذُو عِفَّةٍ وَصِيَانٍ

الشرح

كُلُّ هذه الأشياء التي ذَكَرَهَا الْمُؤَلِّفُ -رحمه الله- هي أَوْلِيَّاتٌ نَسَبِيَّةٌ؛ لِأَنَّنا لولم نقل بذلك لكانت الأحاديث متعارضةً، فيقال: هو أَوْلٌ بالنسبة لهذا الصَّنِفِ، مثلاً: فقيرٌ ذو عيالٍ، نقول: هو أَوْلُ الفقراء^(١)، كذلك العبدُ المملوكُ الذي قام بحقِّ الله وحقِّ سيِّده هو أَوْلُ الممالِكِ^(٢)... وهكذا نجعلُ الأَوْلِيَّةَ نَسَبِيَّةً حَتَّى لا يحصلَ التَّعَارُضُ بين هذه الآثارِ.

(١) يعني حديث: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، وَأَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ، فَأَمَّا أَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَحْسَنَ عِبَادَةَ رَبِّهِ وَنَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ، وَأَمَّا أَوْلُ ثَلَاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: فَأَمِيرٌ مُسَلِّطٌ، وَذُو ثُرُوءٍ مِنْ مَالٍ لَا يُعْطِي حَقَّ مَالِهِ، وَفَقِيرٌ فَخُورٌ». أخرجه أحمد (٢/٤٢٥، رقم ٩٤٨٨)، وابن أبي شيبة (٧/٢٦٨، رقم ٣٥٩٦٩)، والحاكم (١/٥٤٤، رقم ١٤٢٩)، والبيهقي (٤/٨٢، رقم ٧٠١٩).

(٢) تقدم تخريجه، وهو الحديث السابق نفسه.

فصل

في عدد الجنات، وأجناسها

- ٥٠٦٦- وَالْجَنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
جِدًّا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
٥٠٦٧- ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتْهُ مِنْ
حُلِيِّ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
٥٠٦٨- وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
حُلِيِّ وَبُنْيَانِ وَكُلُّ أَوَانِي
٥٠٦٩- لَكِنَّ دَارَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدُّ
نِ وَالسَّلَامِ إِضَافَةٌ لِمَعَانِي
٥٠٧٠- أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهِ
هِيَ مَدْحَةٌ مَعَ غَايَةِ التَّبْيَانِ
٥٠٧١- لَكِنَّمَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْ
سَطُهَا مَسَاكِينُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ
٥٠٧٢- أَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مَنْ
زِلَّةٌ هُوَ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ
٥٠٧٣- وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ
خَلَصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ٥٠٦٦- وَالْجَنَّةُ اسْمُ الْجِنْسِ وَهِيَ كَثِيرَةٌ
جِدًّا وَلَكِنْ أَصْلُهَا نَوْعَانِ
٥٠٦٧- ذَهَبِيَّتَانِ بِكُلِّ مَا حَوَتْهُ مِنْ
حُلِيِّ وَأَنْبِيَةٍ وَمِنْ بُنْيَانِ
٥٠٦٨- وَكَذَلِكَ أَيْضًا فِضَّةٌ ثِنْتَانِ مِنْ
حُلِيِّ وَبُنْيَانِ وَكُلُّ أَوَانِي
أصل الجنة ثنتان وثنان كما في قوله تعالى في سورة «الرحمن»: ﴿وَلَمَنْ خَافَ

مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴿ [الرَّحْمَنُ: ٤٦]، ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٦٢]، جَنَّاتٍ مِنْ ذَهَبٍ آبِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، الْأَوَانِي وَالْبِنَاءُ وَكُلُّ شَيْءٍ ذَهَبٌ يَتَلَأَلُ، وَلَيْسَ كَذَهَبِ الدُّنْيَا، وَالثَّانِيَتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آبِيَّتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، هَذَا هُوَ الْأَصْلُ، الْأَوْلَيَانِ لِلْمُتَّقِينَ، وَالْآخِرِيَانِ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ.

٥٠٦٩- لَكِنَّ دَارَ الْخُلْدِ وَالْمَأْوَى وَعَدْنٌ وَالسَّلَامُ إِضَافَةٌ لِمَعَانِي

٥٠٧٠- أَوْصَافُهَا اسْتَدْعَتْ إِضَافَتَهَا إِلَيْهَا مِدْحَةٌ مَعَ غَايَةِ التَّبْيَانِ

جَنَّةُ الْخُلْدِ، وَجَنَّةُ الْمَأْوَى، وَعَدْنٌ، وَدَارُ السَّلَامِ، هَذِهِ أَوْصَافٌ لَا أَعْيَانٌ، فَلَا نَقُولُ: دَارُ الْخُلْدِ وَاحِدَةٌ، الْمَأْوَى وَاحِدَةٌ، عَدْنٌ وَاحِدَةٌ، السَّلَامُ وَاحِدَةٌ؛ بَلْ هِيَ أَوْصَافٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَوْصُوفُ وَاحِدًا وَأَوْصَافُهُ كَثِيرَةً، فَلَا تَظُنُّ أَنَّ هَذَا تَعَدُّدٌ أَعْيَانٍ، وَلَكِنَّهُ تَعَدُّدٌ أَوْصَافٍ.

إِذْنُ الْجَنَّةِ لَهَا أَسْمَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ، لَكِنْ أَصْلُهَا أَرْبَعٌ.

٥٠٧١- لَكِنَّهَا الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا مَسَاكِينُ صَفْوَةِ الرَّحْمَنِ

٥٠٧٢- أَعْلَاهُ مَنزِلَةٌ لِأَعْلَى الْخَلْقِ مِنْ مَنزِلَةٍ هِيَ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

٥٠٧٣- وَهِيَ الْوَسِيلَةُ وَهِيَ أَعْلَى رُتْبَةٍ خَلَصَتْ لَهُ فَضْلًا مِنَ الرَّحْمَنِ

أَعْلَى الْجِنَانِ الْفِرْدَوْسُ، فَالْفِرْدَوْسُ أَعْلَى الْجَنَاتِ وَأَوْسَطُ الْجَنَاتِ، وَإِذَا كَانَتْ أَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا دَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهَا عَلَى الْجَنَاتِ مِثْلُ الْقُبَّةِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكْمُلُ الْأَعْلَى الْأَوْسَطُ إِلَّا إِذَا كَانَ مُقَوَّسًا، فَهِيَ مِثْلُ الْقُبَّةِ عَلَى الْجَنَاتِ، مِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهَا عَرْشُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ أَعْلَى مَا يَكُونُ مَنزِلَةً، وَهِيَ مَنَازِلُ صَفْوَةِ عِبَادِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ثُمَّ الصُّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ عَلَى

حَسَبَ مَرَاتِبِهِمْ، وَفِي جَنَّةِ الْفَرْدُوسِ مَا يُسَمَّى بِالْوَسِيلَةِ، وَهَذِهِ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ، وَهَذِهِ الْوَسِيلَةُ «خَلَصْتُ لَهُ»؛ أَي: اخْتَصَّ بِهَا كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿خَالِصَةً
لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٠]؛ يَعْنِي: أَنْتَ مَخْتَصٌّ بِهَا؛ وَلِذَا قَالَ ﷺ فِي
مَتَابَعَةِ الْمُؤَدِّنِ وَالِدُّعَاءِ بَعْدَهُ: «ثُمَّ سَلُّوا اللَّهَ لِی الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي
-يعني: لا تصلح- إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ»^(١)، فَخُصَّ بِهَا
-صلواتُ الله وسلامه عليه- فضلاً من الله ومِنَّةً، واللهُ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ، وَكَمَا
اخْتَصَّ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِخَصَائِصٍ عَظِيمَةٍ، لَكِنْ هَذِهِ الْخَصَائِصُ لَا تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ
لَهُ شَيْءٌ وَلَوْ قَلِيلاً مِنَ الرَّبُوبِيَّةِ أَبَدًا، فَهُوَ نَفْسُهُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا، لَكِنْ لَهُ
فَضَائِلٌ مَيِّزَةٌ لِلَّهِ بِهَا، وَأَمَّا خَصَائِصُ الرَّبِّ فَلَا يَنَازِعُهُ فِيهَا أَحَدٌ.

- ٥٠٧٤- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْـ
ضِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَّلاً بَيَّانِ
٥٠٧٥- هِيَ أَرْبَعُ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ ثُمَّ
مَ يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ
٥٠٧٦- فَالْأُولَيَانِ الْفُضْلَيَانِ لِأَوْجُهِهِ
عَشْرٌ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِزَانِ
٥٠٧٧- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتُمَا
فِيهِ تَلُوحٌ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

الشرح

- ٥٠٧٤- وَلَقَدْ أَتَى فِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ تَفْـ
ضِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَّلاً بَيَّانِ
قَوْلُهُ: «تَفْضِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَّلاً»، وَيَجُوزُ «تَفْصِيلُ الْجِنَانِ مُفْصَّلاً»، لَكِنْ الْأَوَّلُ

(١) أخرجهُ مسلم: كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يسأل له الوسيلة، رقم (٣٨٤).

أحسن؛ لأجل أن نحصل على معينين:

أحدهما: التفضيل، والثاني: التفصيل.

٥٠٧٥- هِيَ أَرْبَعُ ثِنْتَانِ فَاضِلَتَانِ ثُمَّ مَ يَلِيهِمَا ثِنْتَانِ مَفْضُولَانِ

ودليل هذا واضح؛ وهو قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٤٦]،

ثُمَّ ذَكَرَ مَا فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٢].

٥٠٧٦- فَالْأُولَيَانِ الْفُضْلَيَانِ لِأَوْجِهِ عَشْرٍ وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِرَانِ

قَوْلُهُ: «وَيَعْسُرُ نَظْمُهَا بِوِرَانِ»، وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْسُرَ.

٥٠٧٧- وَإِذَا تَأَمَّلْتَ السِّيَاقَ وَجَدْتَهَا فِيهِ تَلْوُحٌ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ

ابن القيم - رحمه الله - ذَكَرَ أَنَّ الْمَفَاضِلَةَ بَيْنَ الْجَنَّتَيْنِ مِنْ عَشْرَةِ أَوْجِهٍ تَدُلُّ عَلَى

أَنَّ الْأُولَيَيْنِ أَفْضَلُ مِنَ الْأُخْرَيَيْنِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ يَعْسُرُ نَظْمُهَا، وَلَيْتَهُ لَمْ يَعْسُرَ، ثُمَّ قَالَ:

إِنَّهَا تَلْوُحٌ فِي سِيَاقِ الْكَلَامِ.

من ذلك أنه تعالى قال في اللَّتَيْنِ بعدهما: ﴿فِيهِمَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٨]

مقابل: ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَكِهَةٍ زَوْجَانِ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٢]، ومن ذلك أنه قال أيضًا:

﴿مُدَّهَامَتَانِ﴾ [الرَّحْمَن: ٦٤] مقابل: ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٤٨].

ومن ذلك أنه قال أيضًا: ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٢]، وهذا

مقابل: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتٌ طَّرْفٍ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٦]، و﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾؛ أي: قاصرات

أطرافهنَّ على أزواجهنَّ، هذا معنى، المعنى الثاني: أن أزواجهنَّ أيضًا لا ينظرون

إلى غيرهنَّ لكمالهنَّ وحُسنهنَّ، فهنَّ قاصراتُ أطرافِ الأزواجِ، فعلى الوجهِ

الأوَّلِ يَكُونُ الطَّرْفُ قَاصِرًا، فهو من بابِ إِضَافَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ إِلَى فَاعِلِهِ، وَعَلَى

الثاني من بابِ إضافته إلى مفعوله، والآية تحتمل هذا وهذا، والقاعدة أننا نحملها على المعنيين؛ فهنَّ قاصراتُ أطرافهنَّ على أزواجهنَّ لا ينظرنَّ إلى غيرهم، وهنَّ كذلك يقصرنَّ أطرافَ أزواجهنَّ عليهنَّ بحيث لا يريدُ الإنسانُ سوى هذه الزوجة، أمَّا الأخرى فقال: ﴿حُرٌّ مَّقْصُورَةٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢]، فهنَّ مقصوراتٌ.

فإن قال قائل: قوله تعالى: ﴿مَّقْصُورَةٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢] أفلا يُؤدِّي إلى التَّفضيلِ؟ أو يُقال: لا يُؤدِّي إلى التَّفضيلِ؛ لأنَّ الأولى لم يذكر فيها ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ فهنَّ سارحاتٌ في الخيامِ، وفي الرَّحَبَاتِ، وفي كُلِّ مكانٍ، ومع ذلك هنَّ قاصراتُ الطَّرْفِ؟

الظَّاهرُ أنَّ قوله: ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ لا يدلُّ على التَّفضيلِ.

فإن قال قائل: في الجنتين الأخرين قال: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٠] ولم يذكر ذلك في الأوليين، بل قال: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الطَّرْفُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦]؟

فالجوابُ أنَّ قوله: ﴿فِيهِنَّ﴾ مع قوله في بقية الآيات: ﴿فِيهِمَا﴾ يدلُّ على أنَّ أوصافَ الحورِ في الجنانِ الأربعِ كُلِّها؛ يعني: ﴿خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ تشملُ الجنتينِ الأوَّليينِ والجنتينِ الأخرينِ، وتمتازُ الأوَّليانِ بأنَّهما قاصراتُ الطَّرْفِ في مقابلِ: ﴿مَّقْصُورَةٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢]، أمَّا ﴿خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾؛ أي: خيراتُ الطَّبَاعِ والأخلاقِ حَسَنَاتٌ الوجوه فهذه شاملةٌ للجناتِ الأربعِ؛ ولهذا تجدون أنَّ الله تعالى يذكرُ ما في هذه الجنانِ الأربعِ بالتَّشنية، فكلُّ واحدةٍ لها ما اختصَّت به، لكن في الحورِ يذكرُها بلفظِ الجمعِ فيقول: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَتْ الطَّرْفُ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦]، ويقول: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٠].

وفي تفسير الجلالين^(١): أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهِنَّ﴾ لَا يَعُودُ -حَسَبَ تَفْسِيرِهِ- إِلَى الْجَنَّاتِ الْأَرْبَعِ، وَلَكِنْ ﴿فِيهِنَّ﴾؛ أَي: فِي قُصُورِهِنَّ وَعِلَالِيهِنَّ؛ أَي: مَسَاكِنِهِنَّ، وَلَكِنْ عِنْدِي أَنَّ ذَلِكَ غَلْطٌ، بَلِ الْحَوْرُ الْعَيْنُ ذُكِرَتْ أَوْصَافُهَا مَرَّتَيْنِ؛ مَرَّةً فِي الْجَنَّتَيْنِ الْعَالِيَتَيْنِ، وَمَرَّةً فِي الْجَنَّتَيْنِ الْمَفْضُولَتَيْنِ؛ وَذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَصْرَاتٌ أَلْطَرَفُ لَمْ يَطْمِئَنَنَّ إِسْسُ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانُّ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٦]، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٢]، لَكِنَّ قَوْلَهُ: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٠] هَلْ نَقُولُ: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ قَدْ حُرِّمُوا الْحَوْرَ مِنْ كَوْنِهِنَّ خَيْرَاتِ الْأَخْلَاقِ؟ الْجَوَابُ: لَا يُمْكِنُ؛ وَلِذَلِكَ أَرَى -وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ مِنْ كَلَامِهِ- أَنَّ الضَّمِيرَ يَعُودُ عَلَى الْجَنَّاتِ الْأَرْبَعِ فِي مَسْأَلَةِ الْحَوْرِ، فَالصَّحِيحُ مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ؛ وَهَذَا لَمْ يَذْكُرْ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- هَذِهِ الْجُمْلَةَ بِأَنَّهَا خَاصَّةٌ بِالْجَنَّتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ.

- | | |
|--|---|
| ٥٠٧٨- سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ الْ | فِرْدَوْسٍ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ |
| ٥٠٧٩- وَيَدَاهُ أَيْضًا أَتَقَنَّتْ لِبِنَائِهَا | فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمَ بَانَ |
| ٥٠٨٠- هِيَ فِي الْجِنَانِ كَادِمٍ وَكِلَاهُمَا | تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ |
| ٥٠٨١- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ | ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ ذُو نُكْرَانِ |
| ٥٠٨٢- وَلَدُ عَقُوقٍ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ | يُثْبِتْ بِذَا فَضْلًا عَلَى الشَّيْطَانِ |
| ٥٠٨٣- فَكِلَاهُمَا تَأْيِيرٌ قُدْرَتِهِ وَتَأْ | ثِيرُ الْمَشِيئَةِ لَيْسَ ثَمَّ يَدَانِ |
| ٥٠٨٤- آلاهُمَا أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ | كُلُّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ الْمَنَّانِ |

(١) انظر: تفسير الجلالين (ص: ٧١٢).

الشرح

٥٠٧٨- سُبْحَانَ مَنْ غَرَسَتْ يَدَاهُ جَنَّةَ آلِ فِرْدَوْسٍ عِنْدَ تَكَامُلِ الْبُنْيَانِ

٥٠٧٩- وَيَدَاهُ أَيْضًا اتَّقَنَتْ لِبِنَائِهَا فَتَبَارَكَ الرَّحْمَنُ أَعْظَمَ بَانَ

قَوْلُهُ: «أَعْظَمَ بَانِي»، وَيَجُوزُ «أَعْظَمَ» بِالْفَتْحِ، وَهُوَ أَحْسَنُ؛ لِأَنَّهَا نَكْرَةٌ، فَتَكُونُ حَالًا مِنْ «الرَّحْمَنُ».

٥٠٨٠- هِيَ فِي الْجِنَانِ كَادِمٍ وَكِلَاهُمَا تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «هِيَ فِي الْجِنَانِ كَادِمٍ» «هِيَ»؛ أَي: الْفِرْدَوْسُ.

الْفِرْدَوْسُ فِي الْجِنَانِ كَادِمٌ فِي الْبَشَرِ؛ أَي: إِنَّ الْفِرْدَوْسَ خَلَقَهَا اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَدَمَ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ.

قَوْلُهُ: «وَكَِلَاهُمَا تَفْضِيلُهُ مِنْ أَجْلِ هَذَا الشَّانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّهَا فَضِّلَتْ؛ لِأَنَّ اللَّهَ

تَعَالَى «خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ - لِمُوسَى - بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ»^(١)، وَكُلُّ مَا أَضَافَهُ اللَّهُ إِلَى نَفْسِهِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ بِلَا شَكٍّ.

٥٠٨١- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ فَهُوَ دُونَ نُكْرَانِ

الْجَهْمِيُّ لَا يُثْبِتُ لِلَّهِ يَدَيْنِ، وَلَا يُثْبِتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَلَا خَلَقَ جَنَّةَ الْفِرْدَوْسِ بِيَدِهِ، وَلَكِنْ يَرَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْيَدِ الْقُوَّةَ وَالْقَدْرَةَ؛ وَالْجَهْمِيُّ لَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ ذَا الْفَضْلِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: آدَمُ مَخْلُوقٌ بِالْقَدْرَةِ وَالشَّيْطَانُ مَخْلُوقٌ بِالْقَدْرَةِ، فَلَا فَضْلَ بَيْنَهُمَا.

(١) أخرجه الدارقطني في الصفات (١/٢٦، رقم ٢٨) والخرائطي في مساوي الأخلاق (ص: ١٦٢)، رقم (٤٢٦).

٥٠٨٢- وَلَدُ عَقُوقٍ عَقَّ وَالِدَهُ وَلَمْ يُثَبِّتْ بِذَا فَضْلاً عَلَى الشَّيْطَانِ

وصدق رحمه الله، فالجهميُّ عَقَّ والده، عَقَّ آدَمَ؛ حيث أنكر هذا الفضل الذي ميَّزه اللهُ به، وهو أنه خلقه بيده؛ حيث قال: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ بِقُوَّتِهِ، وَخَلَقَ الشَّيْطَانَ أَيْضًا بِقُوَّتِهِ؛ إِذْ لَا فَضْلَ لآدَمَ عَلَى الشَّيْطَانِ، فيجعلُ آدَمَ مِثْلَ الشَّيْطَانِ، كلاهما خُلِقَ بِالْكَلِمَةِ ﴿كُنْ﴾ فكان، فالجهميُّ ينكرُ اليدَ -والعياذُ بالله- ومثله الأشاعرةُ ومنْ نحا نحوهم.

وقد نصَّ ابنُ القيمِ على الجهميِّ لأنَّه هو أوَّلُ مَنْ سَنَّ هذه الطَّرِيقَةَ، فعليه وزرُّها ووزرٌ من تبعه فيها إلى يومِ القيامةِ، مع أن الله أشار إلى هذا الفضلِ بقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ١٧٥].

ثم يقول على رأي الجهم:

٥٠٨٣- فَكِلَاهُمَا تَأْتِيرُ قُدْرَتَهُ وَتَأْتِيرُ الْمَشِيئَةَ لَيْسَ تَمَّ يَدَانِ

هذا رأيُ الجهميِّ.

٥٠٨٤- آلاهُمَّ أَوْ نِعْمَتَاهُ وَخَلْقُهُ كُلُّ بِنِعْمَةِ رَبِّهِ الْمَنَّانِ

يعني: آلاءُ الله ونعمتهُ وخلقُهُ كُلُّ بنعمةِ ربِّه المنانِ.

- ٥٠٨٥- لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْغَرَسَ قَا
 ٥٠٨٦- قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ
 ٥٠٨٧- وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا
 ٥٠٨٨- يَهْتَرُ قَلْبُ الْعَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ
 ٥٠٨٩- مَا مِثْلُهُ أَبَدًا يُقَالُ بِرَأْيِهِ
 ٥٠٩٠- فِيهِ النُّزُولُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فِإِحْ
 ٥٠٩١- يَمْحُو وَيُنْبِتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ
 ٥٠٩٢- فَتَرَى الْفَتَى يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُضْ
 ٥٠٩٣- هُوَ نَائِمٌ وَأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ
 ٥٠٩٤- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى عَدَنِ مَسَا
 ٥٠٩٥- الرُّسُلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ وَمَعَهُمُ الضُّ
 ٥٠٩٦- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 ٥٠٩٧- كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ الْمِثْلَا
 ٥٠٩٨- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَآ
 ٥٠٩٩- أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ
 ٥١٠٠- حَتَّى يُصَلِّيَ الْفَجْرَ يَشْهَدُهَا مَعَ الْ
- لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِيَّانِ
 مَاذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ
 لَكَ عُوَيْمِرٌ أَنْرًا عَظِيمَ الشَّانِ
 طَرَبًا بِقَدْرِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ
 أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا الْعِرْفَانِ
 دَاهُنٌ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي
 وَبِعِزَّةِ وَبِرَحْمَةِ وَحَنَانِ
 سَبِحْ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ
 لَيْلًا وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ الشَّانِ
 كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ
 صَدِيقٌ حَسْبُ فَلَا تَكُنْ بِجَبَانِ
 كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ الْأُذُنَانِ
 لُ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
 ءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدْمَانِ
 أُعْطِيهِ إِنِّي وَاسِعُ الْإِحْسَانِ
 أَمْلاكِ تِلْكَ شَهَادَةُ الْقُرْآنِ

٥١٠١- هَذَا الْحَدِيثُ بِطَوِيلِهِ وَسِيَّاقِهِ وَتَمَامِهِ فِي «سُنَّةِ الطَّبْرَانِيِّ

الشرح

٥٠٨٥- لَمَّا قَضَى رَبُّ الْعِبَادِ الْغَرَسَ قَا لَ تَكَلَّمِي فَتَكَلَّمْتُ بِيَّانٍ

لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْغَرَسَ قَالَ لِلْجَنَّةِ: تَكَلَّمِي، فَتَكَلَّمْتُ^(١)، فَقَالَتْ:

٥٠٨٦- قَدْ أَفْلَحَ الْعَبْدُ الَّذِي هُوَ مُؤْمِنٌ مَآذَا ادَّخَرْتُ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ

الجنة تكلمت بهذا الكلام: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]؛ يعني: نجوا من مكروههم، وحصل لهم مطلوبهم، وقرأ الآيات إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [١٠] الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿[المؤمنون: ١٠-١١]، أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

فَإِذَا شِئْتَ أَنْ تَرِثَ هَذِهِ الْفِرْدَوْسَ فَعَلَيْكَ بِالصِّفَاتِ السَّعِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَاتِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ [٢] وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ [٣] وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ [٤] وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ [٥] إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ [٦] فَمَنْ آتَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ [٧] وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ [٨] وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿[المؤمنون: ١-٩]، فَعَلَيْكَ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ، ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [١٠] الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ﴿[المؤمنون: ١٠-١١]، ثُمَّ ذَكَرَ حَدِيثًا فَقَالَ:

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/١٨٤، رقم ١١٤٣٩)، (١٢/١٤٧، رقم ١٢٧٢٣)، والأوسط (١/٢٢٤، رقم ٧٣٨)، (٥/٣٤٩، رقم ٥٥١٨)، وتمام في الفوائد (١/١٠٩، رقم ٢٥٨) قال الهيثمي (١٠/٣٩٧): رواه الطبراني في الأوسط والكبير، وأحد إسناده الطبراني في الأوسط جيد.

- ٥٠٨٧- وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ ذَا
 ٥٠٨٨- يَهْتَزُّ قَلْبُ الْعَبْدِ عِنْدَ سَمَاعِهِ
 ٥٠٨٩- مَا مِثْلُهُ أَبَدًا يُقَالُ بِرَأْيِهِ
 ٥٠٩٠- فِيهِ النُّزُولُ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ فَإِذَا
 ٥٠٩١- يَمْحُو وَيُنْبِتُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَةٍ
 ٥٠٩٢- فَتَرَى الْفَتَى يُمَسِّي عَلَى حَالٍ وَيُضْ
 ٥٠٩٣- هُوَ نَائِمٌ وَأُمُورُهُ قَدْ دُبِّرَتْ
 ٥٠٩٤- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى عَدَنِ مَسَا
 ٥٠٩٥- الرُّسُلُ ثُمَّ الْأَنْبِيَاءُ وَمَعَهُمُ الضُّ
 ٥٠٩٦- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 ٥٠٩٧- كَلَّا وَلَا قَلْبٌ بِهِ خَطَرَ الْمِثَا
 ٥٠٩٨- وَالسَّاعَةُ الْأُخْرَى إِلَى هَذِي السَّمَآ
 ٥٠٩٩- أَوْ دَاعٍ أَوْ مُسْتَغْفِرٍ أَوْ سَائِلٍ
 ٥١٠٠- حَتَّى يُصَلِّيَ الْفَجْرَ يَشْهَدُهَا مَعَ الْ
 ٥١٠١- هَذَا الْحَدِيثُ بِطَوْلِهِ وَسِيَاقِهِ
 كَ عُوَيْمِرٌ أَثَرًا عَظِيمَ الشَّانِ
 طَرَبًا بِقَدْرِ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ
 أَوْ كَانَ يَا أَهْلًا بِذَا الْعِرْفَانِ
 سِدَاهُنَّ يَنْظُرُ فِي الْكِتَابِ الثَّانِي
 وَبِعِزَّةٍ وَبِرَحْمَةٍ وَحَنَانِ
 سُبْحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ
 لَيْلًا وَلَا يَدْرِي بِذَلِكَ الشَّانِ
 كِنِ أَهْلِهِ هُمْ صَفْوَةُ الرَّحْمَنِ
 صِدِّيقُ حَسْبُ فَلَا تُكُنْ بِجَبَانِ
 كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ الْأُذُنَانِ
 لُ لَهُ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
 ءِ يَقُولُ هَلْ مِنْ تَائِبٍ نَدْمَانِ
 أُعْطِيهِ إِنِّي وَاسِعُ الْإِحْسَانِ
 أَمْلَاكَ تِلْكَ شَهَادَةُ الْقُرْآنِ
 وَتَمَامِهِ فِي «سُنَّةِ» الطَّبْرَانِي
 قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ رَوَى حَقًّا أَبُو الدَّرْدَاءِ...» ولفظُ هذا الحديثِ: «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى

في آخر ثلاث ساعاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَنْظُرُ اللهُ فِي السَّاعَةِ الْأُولَى فِي الْكِتَابِ الَّذِي لَا يَنْظُرُ فِيهِ غَيْرُهُ، فَيَمْحُو مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ، ثُمَّ يَنْظُرُ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ وَهِيَ مَسْكَنُهُ الَّذِي يَسْكُنُ فِيهِ، لَا يَكُونُ مَعَهُ فِيهَا أَحَدٌ إِلَّا الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ وَالصَّادِقُونَ، وَفِيهَا مَا لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ آخِرَ سَاعَةٍ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَقُولُ: أَلَا مُسْتَغْفِرٍ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَعْفِرَ لَهُ؟ أَلَا سَائِلٌ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ أَلَا دَاعٍ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ»^(١)، وعلى كُلِّ حَالٍ إِذَا صَحَّ هَذَا عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَإِنَّ مِثْلَهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ، وَأَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ مِمَّنْ عُرِفَ بِالْأَخْذِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَيَكُونُ لَهُ حَكْمُ الرَّفْعِ.

قَوْلُهُ: «فَتَرَى الْفَتَى يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْبِحُ فِي سِوَاهَا»؛ يَعْنِي: يُمْسِي عَلَى حَالٍ وَيُصْبِحُ فِي سِوَاهَا، يُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا، أَوْ بِالْعَكْسِ؛ يُمْسِي كَافِرًا وَيُصْبِحُ مُؤْمِنًا؛ وَلِذَا قَالَ: «وَيُصْبِحُ فِي سِوَاهَا مَا هُمَا مِثْلَانِ»، اللَّهُمَّ ثَبِّتْنَا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

قَوْلُهُ: «تِلْكَ شَهَادَةُ الْكُفْرَانِ»؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨].

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٣٢٥، رقم ٤٧).

فصل

في بناء الجنة

- ٥١٠٢ - وَبِنَاؤُهَا اللَّبَنَاتُ مِنْ ذَهَبٍ وَأُخْرٍ رَرَى فِضَّةً نَوْعَانِ مُخْتَلِفَانِ
- ٥١٠٣ - وَقُصُورُهَا مِنْ لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ أَوْ فِضَّةٍ أَوْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ
- ٥١٠٤ - وَكَذَلِكَ مِنْ دُرٍّ وَيَاقُوتٍ بِهِ نَظِمَ الْبِنَاءُ بِغَايَةِ الْإِتْقَانِ
- ٥١٠٥ - وَالطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ نٌ جَابِذًا أَثْرَانِ مَقْبُولَانِ
- ٥١٠٦ - لَيْسَا بِمُخْتَلَفَيْنِ لَا تُنْكِرُهُمَا فَهُمَا الْمِلَاطُ لِذَلِكَ الْبُنْيَانِ

الشرح

قوله: «أَوْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ» الْعِقْيَانُ هُوَ الذَّهَبُ.

قوله: «الطِّينُ مِسْكٌ خَالِصٌ أَوْ زَعْفَرَانٌ» لَيْسَ بَيْنَهُمَا تَنَاقُضٌ؛ لِأَنَّهَا يَكُونَانِ مَخْلُوطَيْنِ وَيُملَطُ بِهِمَا الْبِنَاءُ، فَلَا تَنَافِي بَيْنَهُمَا، وَالْمِلَاطُ؛ أَي: الَّذِي يُملَطُ بِهِ الْجِدَارُ، وَيُسَمَّى عِنْدَنَا «التَّلِيسُ».

فصل

في أرضها وحصباؤها وتربها

- ٥١٠٧- وَالْأَرْضُ مَرْمَرَةٌ كَخَالِصِ فِضَّةٍ مِثْلَ الْمِرَاةِ تَنَالُهُ الْعَيْنَانِ
 ٥١٠٨- فِي «مُسْلِمٍ» تَشْبِيهًا بِالذَّرْمَكِ الصُّ صَافِي وَبِالْمِسْكِ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 ٥١٠٩- هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لَطِيْبِ بِرِيحٍ صَارَ هُنَاكَ تَشْبِيهًا
 ٥١١٠- حَصْبًا وَهِيَ دُرٌّ وَيَأْقُوتُ كَذَا كَاللَّيْلِ نُثِرَتْ كَثْرًا جَمَانِ
 ٥١١١- وَتُرَابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ أَلِ مِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غِزْلَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «بِالذَّرْمَكِ»، «الذَّرْمَكُ»؛ هو: الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة.

قَوْلُهُ: «هَذَا لِحُسْنِ اللَّوْنِ لَكِنْ ذَا لَطِيْبِ رِيحٍ»؛ يعني: الذَّرْمَكُ والمِسْكُ للطيب.

قَوْلُهُ: «وَتُرَابُهَا مِنْ زَعْفَرَانٍ أَوْ مِنْ الْمِسْكِ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غِزْلَانٍ»؛ وذلك لأنهم يقولون: إنَّ المسك دم نوع من الغزلان؛ كما قال المتنبي:

فَإِنَّ تَفْقِ الْأَنَامِ وَأَنْتَ مِنْهُمْ فَإِنَّ الْمِسْكَ بَعْضُ دَمِ الْغِزَالِ^(١)

(١) البيت للمتنبي، انظر: شرح ديوان المتنبي للعكبري (١/ ٣٨٠).

ومعلومٌ أنَّ المسكَّ ليس كالدمِّ مع أنَّ أصله دمٌّ، وأنَّ هذا النوعَ من الغزلان يُروِّضُ على صفةٍ معيَّنة، ثمَّ بعد ذلك يُطارِدُ حتَّى يتعبَ، فإذا تعبَ نَزَلَ منه دمٌّ عند سُرَّتِه، ثمَّ يأتي هؤلاء الذين يتولَّونه فيربطون هذا الدمَّ بخيطٍ ربطاً شديداً قوياً من أجلِ ألاَّ يعودَ الدمُّ إلى الجسمِ، ومن أجلِ ألاَّ يأتي هذا الجزءُ شيءٌ من الغذاءِ، وبعد مدَّةٍ ينقطعُ عنه الغذاءُ فيموتُ، ثمَّ ينزلُ مسكاً في وعاءٍ، وعاءُه هو هذا الجزءُ الذي انفصلَ، وهذا النوعُ من المسكِّ يقولون: هو أطيَّبُ أنواعِ المسكِّ.

وتجدون في كلامِ الفقهاءِ أنَّهم يُعبِّرون في البيعِ بالمسكِّ وفأرتِه؛ يعني: وعاءُه.

وَقَوْلُهُ: «المسكُّ الَّذِي مَا اسْتُلَّ مِنْ غَزْلَانٍ»؛ أي: بل خُلِقَ ابتداءً؛ يعني: هو مخلوقٌ على هذا أصلاً.

فصل

في صفة غرفاتها

- ٥١١٢- عُرفَاتُهَا فِي الْجَوْ يُنْظَرُ بَطْنُهَا مِنْ ظَهْرِهَا وَالظَّهْرُ مِنْ بَطْنَانِ
 ٥١١٣- سُكَّانُهَا أَهْلُ الْقِيَامِ مَعَ الصِّيَامِ مِ وَطِيبِ الْكَلِمَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 ٥١١٤- ثِتَانٍ خَالِصٍ حَقُّهُ سُبْحَانَهُ وَعَبِيدُهُ أَيْضًا لَهُمْ ثِتَانٌ

الشرح

مَنْ قَامَ بِهَذِهِ الْأَرْبَعِ فَإِنَّهُ مِنْ سُكَّانِ الْجَنَّةِ فِي هَذِهِ الْغُرْفِ؛ فَمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا، فَهُوَ مِنْ سُكَّانِ الْجَنَّةِ فِي هَذِهِ الْغُرْفِ، وَإِنَّهُ لَيْسَ يَرَى عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَقَدْ سُئِلَ الرَّسُولُ ﷺ عَنْ سَاكِنِيهَا فَقَالَ: «لِمَنْ أَطَابَ الْكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامًا»^(١)، فَالْقِيَامُ وَالصِّيَامُ حَقُّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَطِيبُ الْكَلَامِ وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ هَذَا لِلْعِبَادِ، عَلَى أَنَّ نَرَى أَنَّ طِيبَ الْكَلَامِ يَشْمَلُ الذِّكْرَ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ وَغَيْرَ ذَلِكَ، فَهُوَ أَعْمٌ مِنْ كَوْنِهِ حَقًّا خَاصًّا لِلْإِنْسَانِ.

فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا الصِّفَاءُ الْعَظِيمُ هَلْ يَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ مَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ سَرًّا؟ الْجَوَابُ: إِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ عَمَلُهُ سَرًّا فَهَنَّاكَ فِي وَسْطِ هَذِهِ الْخِيَامِ الْكِبَارِ مَا يَكُونُ كَالْأَخْبِيَّةِ لَمَّا يَرِيدُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَكُونَ سَرًّا.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قول المعروف، رقم (١٩٨٤).

فصل

في خيام أهل الجنة

- ٥١١٥ - لِلْعَبْدِ فِيهَا خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدْ جُوفَتْ هِيَ صَنْعَةُ الرَّحْمَنِ
- ٥١١٦ - سِتُونٌ مِثْلًا طَوْلُهَا فِي الْجَوْفِ كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسْوَانِ
- ٥١١٧ - يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَذَا لِاتِّسَاعِ مَكَانِ
- ٥١١٨ - فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ زَيْنَ بِالْمَرْجَانِ
- ٥١١٩ - وَخِيَامُهَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا وَشَوَاطِئُ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرَيَانِ
- ٥١٢٠ - مَا فِي الْخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلْتِ لِلنَّيِّرَيْنِ لَقُلْتِ مُنْكَسِفَانِ
- ٥١٢١ - اللَّهُ هَاتِيكَ الْخِيَامَ فَكَمْ بِهَا لِلْقَلْبِ مِنْ عَلَقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
- ٥١٢٢ - فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ خِيَرَاتُ حِسَانٍ هُنَّ خَيْرُ حِسَانِ
- ٥١٢٣ - خَيْرَاتُ أَخْلَاقٍ حِسَانٌ أَوْجُهًا فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفِقَانِ

الشرح

- ٥١١٥ - لِلْعَبْدِ فِيهَا خَيْمَةٌ مِنْ لَوْلُؤٍ قَدْ جُوفَتْ هِيَ صَنْعَةُ الرَّحْمَنِ
- بَيْنَ الْمُؤَلَّفِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْخِيَامِ، وَأَنَّ فِي الْجَنَّةِ خَيْمَةً مِنْ لَوْلُؤٍ مُجَوَّفَةٍ، وَالَّذِي صَنَعَهَا الرَّحْمَنُ عَزَّ وَجَلَّ، فَهِيَ مُقْتَضَى رَحْمَتِهِ.

٥١١٦- سِتُونٌ مِيلًا طُولُهَا فِي الْجَوِّ فِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسْوَانِ

قَوْلُهُ: «سِتُونٌ مِيلًا طُولُهَا فِي الْجَوِّ» سِتُونٌ مِيلًا^(١)، والميلُ كيلو ونصف تقريبًا، إِذْنٌ طُولُهَا فِي الْجَوِّ تَسْعُونَ كِيلُو.

قَوْلُهُ: «وَفِي كُلِّ الزَّوَايَا أَجْمَلُ النَّسْوَانِ» سِوَاءٌ كُنَّ مِنَ الْخَوَرِ أَوْ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٧٢].

٥١١٧- يَغْشَى الْجَمِيعَ فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَهَذَا لِاتِّسَاعِ مَكَانِ

الرَّجُلِ يَغْشَى الْجَمِيعَ؛ يَعْنِي: بِالْجَمَاعِ، فَلَا يُشَاهِدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا؛ وَهَذَا لِاتِّسَاعِ الْمَكَانِ وَبُعْدِهِ، وَلِمَا يَجْعَلُ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ- بَيْنَهُمْ مِنَ السَّتْرِ؛ وَلِأَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرَهُ، وَقَدْ سَبَقَ أَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةٌ مَنْ يَرَى فِي مُلْكِهِ أَلْفِي سَنَةٍ يَرَى أَقْصَاهُ كَمَا يَرَى أَدْنَاهُ، لَكِنْ فِيمَا إِذَا أَرَادُوا أَلَّا يَكُونَ كَذَلِكَ، هُمْ فِي خِيْمَةٍ وَاحِدَةٍ مَتْرَامِيَةِ الْأَطْرَافِ، لَا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ.

٥١١٨- فِيهَا مَقَاصِيرٌ بِهَا الْأَبْوَابُ مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٌّ زَيْنٌ بِالْمَرْجَانِ

قَوْلُهُ: «مَقَاصِيرٌ» جَمْعُ مَقْصُورَةٍ.

الْمَقَاصِيرُ فِيهَا أَبْوَابُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٌّ وَمَرْجَانٍ، وَالْإِنْسَانُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَخَيَّلَ مِثْلَ هَذَا الْحُسْنِ مَهْمَا بَلَغَ تَخَيُّلُهُ فِي الْقُوَّةِ.

٥١١٩- وَخِيَامُهُمَا مَنْصُوبَةٌ بِرِيَاضِهَا وَشَوَاطِئُ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ

يَعْنِي: أَنَّ الْخِيَامَ بِالرِّيَاضِ وَعَلَى شَوَاطِئِ الْأَنْهَارِ ذِي الْجَرِيَانِ.

(١) يَعْنِي حَدِيثُ: «الْمُتَحَابُّونَ فِي اللَّهِ عَلَى عَمُودٍ مِنْ يَاقُوتٍ، لَهُ الْخِيْمَةُ مِنْ يَاقُوتَةٍ مُجَوَّفَةٍ سِتِينَ مِيلًا فِي السَّمَاءِ». أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (٥/٢٦١، رَقْمُ ٥٢٦٠).

- ٥١٢٠- مَا فِي الْخِيَامِ سِوَى الَّتِي لَوْ قَابَلْتُ لِلنَّيِّرَيْنِ لَقُلْتُ مُنْكَسِفَانِ
الله أكبر! نساء! لو قَابَلْتِ الشَّمْسَ والقَمَرَ لَقُلْتُ: الشَّمْسُ والقَمَرُ مُنْكَسِفَانِ
من نورها وبهائها، أسأل الله أن يجعلني وإياكم من أهل الجنة.
- ٥١٢١- اللهُ هَاتِيكَ الْخِيَامَ فَكَمْ بِهَا لِلْقَلْبِ مِنْ عَلَقٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
٥١٢٢- فِيهِنَّ حُورٌ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ حَيْدٍ رَأَتْ حِسَانَ هُنَّ خَيْرٌ حِسَانِ
٥١٢٣- خَيْرَاتُ أَخْلَاقِ حِسَانٌ أَوْجُهًا فَالْحُسْنُ وَالْإِحْسَانُ مُتَّفِقَانِ
- أفادنا المؤلف - رحمه الله - أن قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن: ٧٠] أن
﴿خَيْرَاتٌ﴾ تعود إلى الأخلاق، و﴿حِسَانٌ﴾ تعود إلى الوجوه، فهنَّ خَيْرَاتُ الأخلاقِ
حِسَانُ الوجوه، إِذَنْ هُنَّ كَامِلَاتٌ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا.

فصل

في أرائكها وسررها

- ٥١٢٤- فِيهَا الْأَرَايِكُ وَهِيَ مِنْ سُرْرِ عَلَيَّ - هِنَّ الْحِجَالُ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ
 ٥١٢٥- لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْأَرَايِكِ دُونَ هَا - تَيْكَ الْحِجَالِ وَذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ
 ٥١٢٦- بِشَخَانَةٍ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَا - رِسَ وَهُوَ ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

الشرح

- ٥١٢٤- فِيهَا الْأَرَايِكُ وَهِيَ مِنْ سُرْرِ عَلَيَّ - هِنَّ الْحِجَالُ كَثِيرَةٌ الْأَلْوَانِ
 الأرائك هي: السُرر التي عليها الحِجَالُ، والحِجَالُ مثل الخيمة الصَّغيرة،
 ولكنها كما قال المؤلف رحمه الله: «كثيرة الألوان».
- ٥١٢٥- لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْأَرَايِكِ دُونَ هَا - تَيْكَ الْحِجَالِ وَذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ
 قَوْلُهُ: «لَا تَسْتَحِقُّ اسْمَ الْأَرَايِكِ دُونَ هَاتِيكَ الْحِجَالِ»؛ يعني: أَنَّ السَّرَّ
 لَا تَسْتَحِقُّ أَنْ تُسَمَّى أَرِيكَةً إِلَّا بِالْحِجَالِ.
- قَوْلُهُ: «وَذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ»؛ يعني: اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ.
- ٥١٢٦- بِشَخَانَةٍ يَدْعُونَهَا بِلِسَانِ فَا - رِسَ وَهُوَ ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
 قَوْلُهُ: «بِشَخَانَةٍ»، «الْبَشَخَانَةُ» فِي لُغَةِ فَارِسٍ هِيَ: ظَهْرُ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ.

ومعنى كلامه: أَنَّ البَشْحَانَةَ في لسانِ فارسِ هي في اللغةِ العربيَّةِ: «ظَهْرُ البَيْتِ ذِي الأَرْكَانِ»، فالأرائكُ تُسَمَّى «بَشْحَانَةً» في لغةِ فارسٍ؛ يعني: في لغةِ العجمِ، لكن الأريكةُ في اللغةِ العربيَّةِ لا بُدَّ أن يكونَ عليها حجابٌ؛ يعني: غطاءً، فالسَّريرُ عليه غطاءٌ يزيدُه جمالاً وراحةً.

فصل

في أشجارها وثمارها وظلالها

- ٥١٢٧- أشجارها نوعان منها ماله في هذه الدنيا مثال دان
- ٥١٢٨- كالسدر أصل التنبق مخضود مكا ن الشوك من ثمر ذوي ألوان
- ٥١٢٩- هذا وظل السدر من خير الظلا ل ونفعه الترويح للأبدان
- ٥١٣٠- وثماره أيضا ذوات منافع من بعضها تفريح ذي الأحران
- ٥١٣١- والطلح وهو الموز منضود كما نضدت يد بأصابع وبنان
- ٥١٣٢- أو أنه شجر البوادي موقرا جملا مكان الشوك في الأغصان
- ٥١٣٣- وكذلك الرمان والأغتاب والنخل التي منها القطوف دوان
- ٥١٣٤- هذا ونوع ماله في هذه الدنيا نظير كي يرى بعيان
- ٥١٣٥- يكفي من التعداد قول إلهنا من كل فاكهة بها زوجان
- ٥١٣٦- وأثوابه متشابهها في اللون مخ تلاف الطعوم فذاك ذو ألوان
- ٥١٣٧- أو أنه متشابهة في الإسم مخ تلاف الطعوم فذاك قول ثان
- ٥١٣٨- أو أنه وسط خيار كله فالفحل منه ليس ذاتيان
- ٥١٣٩- أو أنه لثمارنا ذي مشبيه في اسم ولون ليس يختلفان

- ٥١٤٠ - لَكِنْ لِبَهْجَتِهَا وَلَذَّةِ طَعْمِهَا أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ
٥١٤١ - فَيَلْذُّهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا وَتَلْذُّهَا مِنْ قَبْلِهِ الْعَيْنَانِ

الشرح

٥١٢٧ - أَشْجَارُهَا نَوْعَانِ مِنْهَا مَالَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا مِثَالُ دَانَ
ذكر المؤلف - رحمه الله - أن أشجارها نوعان؛ نوع له نظير في الدنيا، ونوع لا نظير له في الدنيا، ومثل لما له نظير بأمثلة، فقال:

٥١٢٨ - كَالسِّدْرِ أَضْلُ النَّبِقِ مَحْضُودٌ مَكَأ نُ الشَّوْكِ مِنْ ثَمَرِ ذَوِي أَلْوَانِ
السِّدْرُ الَّذِي هُوَ: شَجَرُ النَّبِقِ فِيهِ شَوْكٌ، لَكِنْ فِي الْجَنَّةِ لَا شَوْكَ فِيهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ [الواقعة: ٢٨]، و«مَحْضُودٌ»؛ يَعْنِي: لَيْسَ فِيهِ شَوْكٌ، وَإِنَّمَا فِيهِ مَكَانَ الشَّوْكِ ثَمَرٌ ذُو أَلْوَانٍ.

٥١٢٩ - هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ مِنْ خَيْرِ الظُّلَا لِ وَنَفْعُهُ التَّرْوِيحُ لِلْأَبْدَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَا وَظِلُّ السِّدْرِ»؛ يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا.

ظِلُّ السِّدْرِ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرِ الظُّلَالِ وَأَبْرَدِهِ، وَفِيهِ أَيْضًا تَرْوِيحٌ لِلْبَدَنِ، يَجِدُ الْإِنْسَانُ فِيظِلُّ السِّدْرِ نَشْوَةً وَلَذَّةً، وَمِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْجَنَّةَ لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ، فَإِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَمْسٌ وَلَيْسَ فِيهَا بَرُودَةٌ وَلَا حَرَارَةٌ، وَإِنَّمَا هِيَ مَعْتَدِلَةٌ، فَإِنَّهُ يَكُونُ فِيهِ التَّرْوِيحُ لِلْأَبْدَانِ وَالتَّنْعُمُ.

٥١٣٠ - وَثَمَارُهُ أَيْضًا ذَوَاتُ مَنَافِعٍ مِنْ بَعْضِهَا تَفْرِيحُ ذِي الْأَحْزَانِ
يعني: أن ثمر السِّدْرِ له منافع كثيرة، ومن جملتها أنه يُفْرِحُ الْحَزِينَ، وَيُخَفِّفُ

الحنن عليه، ويمكن الرجوع في هذا إلى كتب الطب.

٥١٣١- وَالطَّلْحُ وَهُوَ الْمَوْزُ مَنْضُودٌ كَمَا نُضِدَتْ يَدٌ بِأَصَابِعِ وَبَنَانٍ

«وَالطَّلْحُ» هل في الجنة طلح؟ الجواب: نعم، قال تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ﴾ [الواقعة: ٢٩] الطَّلْحُ يقول: هو الموز، وهو منضود، كما نُضِدَتْ يَدٌ بِأَصَابِعِ وَبَنَانٍ، فكما أن اليد منضودة بالأصابع هكذا مثلاً، أيضاً الموز هناك منضود، لكن لاحظوا أنه ليس كنضيد موز الدنيا، بل هو أعظم بكثير، وألذ للعين، وأشهى للنفس.

٥١٣٢- أَوْ أَنَّهُ شَجَرُ الْبَوَادِي مُوقَرًا جَمَلًا مَكَانَ الشُّوكِ فِي الْأَغْصَانِ

شجر البوادي معروف، تجدونه في الشعاب في البوادي، وهو ذو شوكة عظيم، وشوكه مثل الإبر؛ إذن في تفسير الطلح قولان: القول الأول: أن الطلح المنضود هو الموز، والقول الثاني: أنه شجر البوادي، لكن بدلاً من الشوك يكون موقراً من الثمار.

٥١٣٣- وَكَذَلِكَ الرُّمَّانُ وَالْأَعْنَابُ وَالنَّخْلُ الَّتِي مِنْهَا الْقُطُوفُ دَوَانٍ

يعني: مما له نظير في الدنيا: الرُّمَّانُ وَالْأَعْنَابُ وَالنَّخْلُ التي منها القُطُوفُ دَوَانٍ، فالرُّمَّانُ قال الله تعالى: ﴿فِيهَا فَكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن: ٦٨]، وأمَّا الأعنابُ فقال تعالى: ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: ٣٢]، فهذا عنب في الآخرة.

٥١٣٤- هَذَا وَنَوْعٌ مَالَهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا نَظِيرٌ كَمَا يُرَى بِعِيَانٍ

٥١٣٥- يَكْفِي مِنَ التَّعْدَادِ قَوْلُ إِلَهِنَا مِنْ كُلِّ فَكِيهَةٍ بِهَا زَوْجَانِ

كُلُّ مَا يَتَفَكَّهُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِمَّا يُوجَدُ فِي الدُّنْيَا وَمِمَّا لَا يُوجَدُ فِيهَا زَوْجَانِ، وَالزَّوْجَانِ هُمَا الصَّنْفَانِ؛ يَعْنِي: أَنَّهَا صِنْفَانِ مَتَنوعَانِ مِنْ كُلِّ فَكِيهَةٍ.

فإن قال قائلٌ: هل قول المؤلف: «قَوْلُ إِلَهِنَا: مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ بِهَا زَوْجَانٍ»، هل هذا يدلُّ على أن ابن القيم يرى جواز نقل القرآن بالمعنى؟

الجواب: لعله أراد الإشارة، وإلا فلفظ الآية هو لفظ الآية: ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٢]، لكن كلمة «بها» هي التي أوجبت الإشكال.

وعلى كُلِّ حالٍ لعله أراد أن زيادة «بها» من أجل الوزن، وأنه أراد لفظ الآية، أو أنه أراد الإشارة إلى الآية فقط، وهو الظاهر.

٥١٣٦- وَأَتَوَابِهِ مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مُحْتَلِفًا فِي الطَّعْمِ فَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ

قَوْلُهُ: «وَأَتَوَابِهِ مُتَشَابِهًا» قال الله تعالى في سورة «البقرة»: ﴿وَأَتَوَابِهِمُ مُتَشَابِهَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، لكن فيم يكون التشابه؟ يقول رحمه الله: فيها أقوال: «مُتَشَابِهًا فِي اللَّوْنِ مُحْتَلِفًا فِي الطَّعْمِ فَذَلِكَ ذُو أَلْوَانٍ»؛ يعني: يُؤْتَى بالفواكه متشابهة، إذا رَأَيْتَهَا ظَنَنْتَهَا شيئًا واحدًا، فإذا أَكَلْتَهَا وَجَدْتَهَا مُخْتَلِفًا فِي طَعْمِهَا، وهذا أَعْتَقَدُ أَنَّهُ يَكُونُ فِيهِ انْبِسَاطٌ لِلنَّفْسِ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ وَاحِدٌ نَظْرًا لَكِنَّهُ يَخْتَلِفُ طَعْمًا.

تخيّل الآن أن بين يديك طبقًا فيه فاكهة تظنّها شيئًا واحدًا، ثمّ إذا أَخَذْتَ كُلَّ وَاحِدَةٍ فَإِذَا هِيَ مُخْتَلِفَةٌ عَنِ الْأُخْرَى، يَكُونُ هَذَا أَلَذًّا لَوْ كَانَ الطَّبَقُ فِيهِ صِنْفٌ وَاحِدٌ؛ لِأَنَّكَ تَقُولُ مِثْلًا فِي نَفْسِكَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! هَذَانِ يُشْبِهَانِ بَعْضُهُمَا بَعْضًا، وَمَعَ ذَلِكَ يَخْتَلِفَانِ فِي الطَّعْمِ وَالْمَلْسِ «اللِّينِ» وَغِزَارَةِ الْمَاءِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ».

٥١٣٧- أَوْ أَنَّهُ مُتَشَابِهٌ فِي الْإِسْمِ مُحْتَلِفٌ فِي الطَّعْمِ فَذَلِكَ قَوْلُ ثَانٍ

قَوْلُهُ: «مُتَشَابِهٌ» بِالرَّفْعِ؛ لِأَنَّهُ خَبِرُ «أَنَّ»، وَفِي نَسْخَةِ: «مُتَشَابِهًا» بِالنَّصْبِ، فَيَكُونُ أَتَى بِهِ الْمُؤَلِّفُ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَةِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْقُرْآنِ مَنْصُوبٌ.

قَوْلُهُ: «فَذَلِكَ قَوْلٌ ثَانِي» الأَوَّلُ: متشابهٌ في اللَّوْنِ، وهذا متشابهٌ في الاسمِ لكنْ طعمُهُ يَخْتَلِفُ، الرُّمَّانُ مثلاً الاسمُ واحدٌ والطَّعْمُ يَخْتَلِفُ.

٥١٣٨- أَوْ أَنَّهُ وَسَطٌ خِيَارٌ كُلُّهُ فَالْفَحْلُ مِنْهُ لَيْسَ ذَا ثَنِيَانِ

المتشابهة بمعنى: الوسط، ولعلَّ المؤلفَ أَخَذَهُ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]؛ أي: يُشْبِهُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

٥١٣٩- أَوْ أَنَّهُ لِثَمَارِنَا ذِي مُشَبِّهِهِ فِي اسْمٍ وَلَوْنٍ لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

يعني: متشابهًا، يُشْبِهُ ما عندنا في الدنيا، ولكن لا شكَّ أَنَّهُ يَخَالَفُهُ؛ ولهذا قال

بعدها:

٥١٤٠- لَكِنْ لِبُهْجَتِهَا وَلَذَّةِ طَعْمِهَا أَمْرٌ سِوَى هَذَا الَّذِي تَجِدَانِ

٥١٤١- فَيَلِدُهَا فِي الْأَكْلِ عِنْدَ مَنَالِهَا وَتَلِدُهَا مِنْ قِبَلِ الْعَيْنَانِ

٥١٤٢- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ الْـ عُلْيَا سِوَى أَسْمَاءِ مَا تَرَيَانِ

٥١٤٣- يَعْنِي الْحَقَائِقُ لَا تُمَاتِلُ هَذِهِ وَكِلَاهُمَا فِي الْإِسْمِ مُتَّحِدَانِ

٥١٤٤- يَا طَيْبَ هَاتِيكَ الثَّمَارِ وَعَرَسَهَا فِي الْمِسْكِ ذَلِكَ التُّرْبُ لِلْبُسْتَانِ

٥١٤٥- وَكَذَلِكَ الْمَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ يَا طَيْبَ ذَلِكَ الْوَرْدِ لِلظَّمْآنِ

٥١٤٦- وَإِذَا تَنَاوَلَتِ الثَّمَارَ أَتَتْ نَظِيرَ رِيئِهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ

٥١٤٧- لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَرْقُبْ نُزُوءَ لَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلَى مِيزَانِ

- ٥١٤٨- وَكَذَلِكَ لَمْ تَمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجِ إِلَى
 ٥١٤٩- بَلْ ذُلَّلْتَ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَمَا
 ٥١٥٠- وَلَقَدْ آتَى أَثْرِبَانَ السَّاقِ مِنْ
 ٥١٥١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُو
 ٥١٥٢- وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكَرَمِ الَّذِي
 ٥١٥٣- وَثَمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجْمٍ كَأَمْ
 ٥١٥٤- وَظِلَالُهَا مَمْدُودَةٌ لَيْسَتْ تَقِي
 ٥١٥٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَصْلٍ وَاحِدٍ
 ٥١٥٦- مِئَةً سِنِينَ قُدِّرَتْ لَا تَنْقُضِي
 ٥١٥٧- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيضًا أَنَّ طُو
 ٥١٥٨- تَفْتَحُ الْأَكْمَامُ فِيهَا عَنْ لَبَا
- أَنْ تَرْتَقِي لِلْقِنُوفِ فِي الْعِيدَانِ
 شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ
 ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَيَّانِ
 عُ زُمُرْدٍ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
 فِيهَا وَمِنْ سَعَفٍ مِنَ الْعَقِيَانِ
 ثَالِ الْقِلَالِ فَجَلَّ ذُو الْإِحْسَانِ
 حَرًّا وَلَا شَمْسًا وَأَنْى ذَانِ
 فِيهِ يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْعَجْلَانِ
 هَذَا الْعُظْمُ الْأَصْلُ وَالْأَفْنَانِ
 بَى قَدْرُهَا مِئَةٌ بِلا نُقْصَانِ
 سِهْمٌ بِمَا شَاؤُوا مِنَ الْأَلْوَانِ

الشرح

- ٥١٤٢- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَا بِالْجَنَّةِ الْـ
 عَلِيًّا سِوَى أَسْمَاءِ مَا تَرِيَانِ
 يعني: ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الأسماء، فالرُّمَّانُ مثلًا ليس معناه أنَّ
 رُمَّانَ الْجَنَّةِ كَرُمَّانِنَا، بل اسمُ الرُّمَّانِ والحقيقةُ تختلفُ؛ لأنَّ اللهَ قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ
 نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجْدَةُ: ١٧]، وقال - سبحانه وتعالى - في الحديثِ
 القدسيِّ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ،

وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ^(١)، ولو كان ما هناك كالذي هنا لَكُنَّا نَعْلَمُ ما فيها من قُرَّةِ الأَعْيُنِ؛ ولهذا قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ يُشْبِهُهُ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الأَسْمَاءُ»^(٢).

٥١٤٣- يَعْني الحَقَائِقُ لا تُمَثِّلُ هَذِهِ وَكِلَاهُمَا فِي الإِسْمِ مُتَّحِدَانِ قَوْلُهُ: «مُتَّحِدَانِ»، وفي نسخة: «مُتَّفِقَانِ»، والمعنى واحد.

٥١٤٤- يَا طِيبَ هَاتِيكَ الثَّمَارِ وَغَرَسِهَا فِي المِسْكِ ذَاكَ التُّرْبِ لِلْبُسْتَانِ

٥١٤٥- وَكَذَلِكَ المَاءُ الَّذِي يُسْقَى بِهِ يَا طِيبَ ذَاكَ الوَرْدِ لِلظُّمآنِ

لأنَّ طِيبَ الثَّمَارِ يَكُونُ مِنْ طِيبِ الأَرْضِ وَمِنْ طِيبِ المَاءِ، أَرْضُهَا طِيبَةٌ لِأَنَّهَا مِسْكٌ، أمَّا المَاءُ فَهُوَ غَيْرُ آسَنِ.

٥١٤٦- وَإِذَا تَنَاوَلْتَ الثَّمَارَ أَتَتْ نَظِيْرَ رَثْمِهَا فَحَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ

سَبْحانِ الخَلَّاقِ العَلِيمِ! إِذَا تَنَاوَلْتَ الثَّمْرَةَ مِنَ الشَّجَرَةِ نَبَتْ فوراَ مَكانِها ثَمْرَةٌ بَدونِ تَعَبٍ وَبَدونِ انْتِظارٍ إِلى زَمَنِ؛ وَهَذا يَقولُ: «حَلَّتْ دُونَهَا بِمَكَانِ».

٥١٤٧- لَمْ تَنْقَطِعْ أَبَدًا وَلَمْ تَرْقُبْ نُزُوْ لَ الشَّمْسِ مِنْ حَمَلٍ إِلى مِيزانِ

الثَّمَارُ عَندنا لها أوقاتٌ معلومةٌ، في غيرِها لا تُوجَدُ، أمَّا هَناكَ -اللَّهُمَّ اجعَلنا مَمَّنْ يَجِئُها- فَإِنَّكَ إِذا أَخَذْتَ ثَمْرَةَ نَبَتْ بِدَها في مَكانِها، وَمَعَ هَذا يَقولُ:

(١) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم (٣٠٧٢)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٢٨٢٤).

(٢) أخرجه أبو نعيم في صفة الجنة (٢/٢١)، والضياء في المختارة (١٦/١٠)، رقم (٦) كلاهما عن ابن عباس موقوفًا.

٥١٤٨- وَكَذَلِكَ لَمْ تَمْنَعْ وَلَمْ تَحْتَجِ إِلَى أَنْ تَرْتَقِيَ لِلْقِنُوفِ فِي الْعِيدَانِ

يعني: لا يوجد أحد يمنعك يقول: انتظر، ولا تحتاج إلى أن تصعد إلى القنوف، والقنوف: ما نسميه نحن القنا، فلا يحتاج أن ترتقي مثلاً للنخلة أو للشجرة؛ لأن قنوفها دانية.

٥١٤٩- بَلْ ذُلَّتْ تِلْكَ الْقُطُوفُ فَكَيْفَمَا شِئْتَ انْتَزَعْتَ بِأَسْهَلِ الْإِمْكَانِ

الله أكبر، يقول العلماء: الإنسان إذا رأى ثمرة من ثمار الجنة واشتهاها تدلى الغصن إليه، وأخذ الثمرة، سواء كان جالساً أم مضطجعا أم على أي حال، قال الله تعالى: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢٣]، وقال: ﴿وَذُلَّتْ قُطُوفُهَا نَذِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤].

٥١٥٠- وَلَقَدْ آتَى أَثْرِبَانَ السَّاقَ مِنْ ذَهَبٍ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ بَيَّانٍ

ساق الشجرة من الذهب، أما الجدوع فقال:

٥١٥١- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَهَاتِيكَ الْجُدُوعُ غُزْمُرْدٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

لو تصوّرت الآن أن أمامك شجرة ساقها ذهب، وجذعها من الزمرد، تخيلت منظراً عجبياً يبهج النفس مع أن الذهب الذي هناك ليس كالذهب الذي هنا، ولا الزمرد كالزمرد، سبحان الله! كيف نميل إلى الدنيا، بل كيف نعيش بها ونحن نؤمن ونشهد الله أننا نؤمن بهذا الذي وعد الله للمتقين، ومع ذلك كأننا في سكرة، كأننا في غفلة، فنسأل الله أن يعاملنا بالعفو.

٥١٥٢- وَمُقَطَّعَاتُهُمْ مِنَ الْكِرْمِ الَّذِي فِيهَا وَمِنْ سَعْفٍ مِنَ الْعِقْيَانِ

قوله: «مقطعاتهم»؛ يعني: ما يلبسون من المقاطع.

قَوْلُهُ: «الكَرْمُ» هو: العنب، وله أوراقٌ معروفةٌ.

فهم يأخذون مُقَطَّعَاتِهِمْ من هذا الكَرْمِ، إِذْنُ الكَرْمُ فيه عنبٌ وفيه لباسٌ.

٥١٥٣- وَثَمَارُهَا مَا فِيهِ مِنْ عَجَمٍ كَأَمْ - ثَالِ القِلَالِ فَجَلَّ ذُو الإِحْسَانِ

فثمارها ما فيه من عَجَمٍ - أي: نوى - كَأَمْثَالِ القِلَالِ، والقِلَالُ هي جَرَّةٌ يُجَعَلُ فيها الماء، لكنَّها جَرَّةٌ كبيرةٌ، هذي ثمارها، أنتم الآن لو تصوَّرتُم هذه الثَّمارَ لقلَّتم: هذه كبيرةٌ، لا تلتذُّ لها النَّفْسُ، لكن إذا كان طولُ الإنسانِ سِتِّينَ ذراعًا وعرصُهُ سبعةَ أذرعٍ تكونُ هذه الثَّمرةُ مناسبةً ولا شكَّ، ثُمَّ لو فرضنا أنَّ أحدًا في الجنةِ لم يتلذذْ لرؤيةِ شيءٍ ما أو لطعمِهِ فسوف يتحوَّلُ إلى ما يتلذَّذه، قال تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ﴾ [الزُّخْرَف: ٧١].

٥١٥٤- وَظِلَالُهَا مَمْدُودَةٌ لَيْسَتْ تَقِي حَرًّا وَلَا شَمْسًا وَأَنْبَى ذَانَ

قَوْلُهُ: «وَأَنْبَى ذَانَ»؛ أي: الحرُّ والشمسُ، والاستفهامُ هنا للنفي.

يعني: ليس فيها شمسٌ ولا فيها حرٌّ، بل هو ظلٌّ ممدودٌ، قال أهلُ العلمِ: كما يكونُ الظلُّ فيما بين طلوعِ الفجرِ وطلوعِ الشمسِ؛ أي: نورٌ لكن لا ترى شمسًا.

٥١٥٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِظِلِّ أَصْلٍ وَاحِدٍ فِيهِ يَسِيرُ الرَّكِبُ العَجَلَانِ

٥١٥٦- مِئَةٌ سِنِينَ قُدِّرَتْ لَا تَنْقُضِي هَذَا العِظْمِ الأَصْلِ وَالْأَفْئَانِ

يعني: فيها شجرةٌ يسيرُ الرَّكِبُ العجلانُ فيها مئةَ سنةٍ لا يقطعُ ظلُّها^(١)،

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١٨٦)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمه وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، رقم

وهي شجرة من أشجار كثيرة في مكان صاحب الجنة.

٥١٥٧- وَلَقَدْ رَوَى الْخُدْرِيُّ أَيْضًا أَنَّ طُوبَى

٥١٥٨- تَتَفَتَّحُ الْأَكْمَامُ فِيهَا عَنْ لِبَاسٍ

الله أكبر، شجرة طوبى كبيرة واسعة طويلة فيها أكمام مثل: كُم طَلَعِ النَّخْلِ،
تفتح عن لباس متنوع في ألوانه يلبسه أهل الجنة.

اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِمَّنْ يَسْكُنُهَا بِمَنْكَ وَكَرَمِكَ.

فصل

في سماع أهل الجنة

- ٥١٥٩- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَيُرْسَلُ رَبُّنَا
 ٥١٦٠- فَتَشِيرُ أَصْوَاتًا تَلْدُ لِمَسْمَعِ الْ
 ٥١٦١- يَا لَذَّةِ الْأَسْمَاعِ لَا تَتَعَوَّضِي
 ٥١٦٢- أَوْ مَا سَمِعْتَ سَمَاعَهُمْ فِيهَا غَنَا
 ٥١٦٣- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ فَإِنَّهُ
 ٥١٦٤- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ وَطِيبِهِ
 ٥١٦٥- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ فَكَمْ بِهِ
 ٥١٦٦- وَهَذَا لِدَيْكَ السَّمَاعِ وَلَمْ أَقْلُ
 ٥١٦٧- مَا ظَنُّ سَامِعِهِ بِصَوْتِ أَطِيبِ الْ
 ٥١٦٨- نَحْنُ النَّوَاعِمُ وَالْحَوَالِدُ خَيْرًا
 ٥١٦٩- لَسْنَا نَمُوتُ وَلَا نَخَافُ وَمَا لَنَا
 ٥١٧٠- طُوبَى لِمَنْ كُنَّا لَهُ وَكَذَلِكَ طُوبَى
 ٥١٧١- فِي ذَلِكَ آثَارُ رُويْنِ وَذَكَرَهَا
- رِيحًا تَهْمَزُ ذَوَائِبَ الْأَغْصَانِ
 إِنْسَانٍ كَالنَّعْمَاتِ بِالْأَوْزَانِ
 بِلَذَّةِ الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
 عِ الْخُورِ بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَلْحَانِ
 مِلَيْتُ بِهِ الْأَذْنَانِ بِالْإِحْسَانِ
 مِنْ مِثْلِ أَقْمَارٍ عَلَى أَغْصَانِ
 لِلْقَلْبِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَشْجَانِ
 ذِيكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانِ
 أَصْوَاتٍ مِنْ حُورِ الْجِنَانِ حِسَانِ
 تْ كَامِلَاتُ الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 سَخَطٌ وَلَا ضِغْنٌ مِنَ الْأَضْغَانِ
 بَى لِلذِّي هُوَ حَظُّنَا الْحَقَّانِ
 فِي «التَّرْمِذِيِّ» وَ«مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ»

٥١٧٢- وَرَوَاهُ يَحْيَى شَيْخُ الْأَوْزَاعِيِّ تَفْ - سِيرًا لِلْفِظَةِ ﴿يُحْبَرُونَ﴾ أَغَانِ

الشرح

هذا الفصل في سماع أهل الجنة، وذكر - رحمه الله - أنه نوعان:

النوع الأول: من الأشجار؛ حيث يُرْسَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا تَهْرُ ذَوَائِبَهَا، فتثير أصواتًا لذيذة على مسمع الإنسان؛ كأنتها النغمات بالأوزان.

والدليل على هذا: أثر عن ابن عباس^(١) رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، وابن عباسٍ مَن عَرِفَ بالأخذ عن بني إسرائيل، ولكن نحن عندنا آية في كتاب الله وهي قوله تعالى: ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ﴾ [الزُحُف: ٧١]؛ فمثلًا: إذا اشتهى الإنسان شيئًا من هذا فلا مانع من أن يكون، ولكن قد يُقَالُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لا يشتهي إلا شيئًا جعله الله في هذه الجنات.

النوع الثاني: غناء الحور العين، نسأل الله أن يجعلني وإياكم ممن يسمعه.

قوله: «وَاهَا»؛ يعني: عجبًا لهذا.

قوله: «وَلَمْ أَقُلْ ذِيَاكَ تَصْغِيرًا لَهُ بِلِسَانٍ»؛ أي: لم يقل هذا تصغيرًا له

بلسان.

(١) يعني حديث: «فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَى سَاقٍ قَدَرًا مَا يَسِيرُ الرَّاِكِبُ فِي ظِلِّهَا مِائَةَ عَامٍ، فَيَتَحَدَّثُونَ فِي ظِلِّهَا، فَيَشْتَهِي بَعْضُهُمْ وَيَذْكُرُ لَهُوَ الدُّنْيَا فَيُرْسَلُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ رِيحًا مِنَ الْجَنَّةِ فَتُحْرَكُ تِلْكَ الشَّجَرَةُ بِكُلِّ لَهْوٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا». أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة (ص: ١٨٨) موقوفًا على ابن عباس.

- ٥١٧٣- نَزَّهَ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِيٍّ
 سِيَاكَ الْغِنَاءَ عَنْ هَذِهِ الْأَلْحَانِ
- ٥١٧٤- لَا تُؤْثِرِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحْ
 سِرْمَ ذَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْحِرْمَانِ
- ٥١٧٥- إِنْ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ الْ
 أَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ
- ٥١٧٦- وَاللَّهُ إِنْ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْ
 إِيْمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ
- ٥١٧٧- وَاللَّهُ مَا انْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ
 أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ
- ٥١٧٨- فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
 حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ
- ٥١٧٩- فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارُهُ
 عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانِ
- ٥١٨٠- حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ الْأَحَانِ الْغِنَاءِ
 فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ
- ٥١٨١- ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
 تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيْمَانِ
- ٥١٨٢- وَاللَّهُوَ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا
 مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ الْأَحَانِ
- ٥١٨٣- قُوْتُ النُّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوْ
 تُ الْقَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوْتَانِ
- ٥١٨٤- وَلِذَا تَرَاهُ حَظَّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْ
 جُهَّالِ وَالصَّبِيَّانِ وَالنُّسْوَانِ
- ٥١٨٥- وَأَلَذُّهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنْ الْ
 عَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلَّ أَخَا الْعِرْفَانِ
- ٥١٨٦- يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتُ كَلَذَّةَ الْ
 أَبْرَارِ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ

الشرح

- ٥١٧٣- نَزَّهَ سَمَاعَكَ إِنْ أَرَدْتَ سَمَاعَ ذِيٍّ
 سِيَاكَ الْغِنَاءَ عَنْ هَذِهِ الْأَلْحَانِ

٥١٧٤- لا تُؤثِّرِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى فَتُحْرَمَ ذَا وَذَا يَا ذَلَّةَ الْحَرَمَانِ

قَوْلُهُ: «فَتُحْرَمَ ذَا وَذَا»؛ يعني: الأعلى والأدنى؛ لأنَّ من أثر الحياة الدنيا حُرْمَ الدنيا والآخرة؛ لأنَّه لم يستفد من دنياه، ودنياه سوف تنقطع وتزول، وإذا أثر الآخرة على الدنيا ربح الدنيا والآخرة؛ ولهذا أَقْسَمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بالعصرِ فقال: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿العصر: ١-٣﴾.

٥١٧٥- إِنَّ اخْتِيَارَكَ لِلسَّمَاعِ النَّازِلِ الْأَذْنَى عَلَى الْأَعْلَى مِنَ النُّقْصَانِ قَوْلُهُ: «مِنَ النُّقْصَانِ»؛ أي: من نقصان العقل والدين.

الذي يختارُ سماعَ الأدنى النَّازلِ على الأعلى ناقصُ العقلِ وناقصُ الدينِ.

٥١٧٦- وَاللهِ إِنَّ سَمَاعَهُمْ فِي الْقَلْبِ وَالْإِيمَانِ مِثْلُ السُّمِّ فِي الْأَبْدَانِ يعني: يَسْرِي فِي الْقَلْبِ فيفسدُه كما يُفسدُ السُّمُّ البدنَ، السُّمُّ إذا سَرَى فِي البدنِ لا يستطيعُ الإنسانُ إمساكَه، بل يَسْرِي فِي البدنِ بِسرعةٍ وبقوَّةٍ، وانظر إلى اللَّديغِ إِذَا لُدَّغَ كَيْفَ يَسْرِي السُّمُّ فِي بدنِهِ ولا يستطيعُ أَحَدٌ أَنْ يُوقِفَهُ، سماعُ الأغاني -والعبادُ بالله- يَسْرِي فِي الْقَلْبِ فيفسدُه وفي الإيَّمانِ فيفسدُه كما يَسْرِي السُّمُّ فِي الْأَبْدَانِ.

وهو هنا -رحمه الله- يُحدِّدُ من سماعِ الأغاني المحرَّمةِ فِي هذه الدنيا، ويقولُ:

٥١٧٧- وَاللهِ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ

أَقْسَمَ -رحمه الله- أَنَّ الَّذِي يَكُونُ دَابُّهُ الْغِنَاءُ لَا يَنْفِكُ مِنَ الْإِشْرَاكِ بِالرَّحْمَنِ،

يَبَيِّنُ فَقَالَ:

٥١٧٨- فَالْقَلْبُ بَيْتُ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ حُبًّا وَإِخْلَاصًا مَعَ الْإِحْسَانِ

٥١٧٩- فَإِذَا تَعَلَّقَ بِالسَّمَاعِ أَصَارَهُ عَبْدًا لِكُلِّ فُلَانَةٍ وَفُلَانٍ

لأن القلب يتعلّق بهذا الغناء والعباد بالله، ويكون هو هاجسه ليلاً ونهاراً، قائماً وقاعداً؛ ولهذا تجد المفتونين بأهل الغناء لا يكون في قلوبهم إلا أولئك القوم الذي فتنوا بهم، فتكون محبتهم مزاحمة لمحبة الله، ويكونون مشركين مع الله في المحبة، نسأل الله العافية، ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٦٥]، والشرك في المحبة من أشد أنواع الشرك على القلب والعباد بالله، وهذا وجه قوله: «وَاللَّهُ مَا أَنْفَكَ الَّذِي هُوَ دَابُّهُ أَبَدًا مِنَ الْإِشْرَاقِ بِالرَّحْمَنِ».

٥١٨٠- حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ

قَوْلُهُ: «الْكِتَابِ»؛ يعني: القرآن.

يقول: «حُبُّ الْكِتَابِ وَحُبُّ أَلْحَانِ الْغِنَا فِي قَلْبِ عَبْدٍ لَيْسَ يَجْتَمِعَانِ»، فهما نقيضان أو ضدان؟ الجواب: ضدان؛ لأنه قد يوجد حُبُّ ثالث غير أَلْحَانِ الْغِنَا ولا القرآن، يُحِبُّ مثلاً القرآن وتطغى محبة المال على محبة الله، فالمهمُّ أنَّهما لا يجتمعان؛ لأنَّ حُبَّ الْقُرْآنِ يُوجِبُ لِلْإِنْسَانِ التَّعَلُّقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، بخلاف حُبِّ الْأَلْحَانِ.

٥١٨١- ثَقُلَ الْكِتَابُ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا تَقْيِيدَهُ بِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ

٥١٨٢- وَاللَّهُوَ خَفَّ عَلَيْهِمْ لَمَّا رَأَوْا مَا فِيهِ مِنْ طَرَبٍ وَمِنْ أَلْحَانِ

إِذَا سَمِعُوا الْأَلْحَانَ أَصْغَوْا وَاسْتَمَعُوا، وَإِذَا سَمِعُوا الْقُرْآنَ فَكَانَتْهَا يُصَبُّ فِي

آذانهم الأُنك؛ يعني: الرصاص المذاب، والعيادُ بالله.

٥١٨٣- قُوْتُ النَّفُوسِ وَإِنَّمَا الْقُرْآنُ قُوْتُ الْقَلْبِ أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوتَانِ

الطَّرْبُ وَالْأَلْحَانُ هُوَ قُوْتُ النَّفُوسِ، أَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ قُوْتُ الْقُلُوبِ؛ وَلِذَا قَالَ: «أَنَّى يَسْتَوِي الْقُوتَانِ؟».

٥١٨٤- وَلِذَا تَرَاهُ حَظَّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْـجُهَّالِ وَالصَّبِيَانِ وَالنَّسْوَانِ

تَرَى الطَّرْبَ وَالْأَلْحَانَ حَظَّ ذِي النُّقْصَانِ كَالْجُهَّالِ وَالصَّبِيَانِ وَالنَّسْوَانِ، أَمَّا الْعُقْلَاءُ فَإِنَّهُمْ يَتَرَفَّعُونَ عَنْهُ وَيَهْجُرُونَهُ.

٥١٨٥- وَأَلَذُّهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِّنَ الْـعَقْلِ الصَّحِيحِ فَسَلْ أَخَا الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «فَسَلْ أَخَا الْعِرْفَانِ» مَنَ أَخُو الْعِرْفَانِ؟ الْجَوَابُ: يَرِيدُ نَفْسَهُ.

يَقُولُ: اسأَلْ خَبِيرًا بَأَنَّ أَلَذَّهُمْ فِيهِ أَقْلُهُمْ مِنَ الْعَقْلِ الصَّحِيحِ.

٥١٨٦- يَا لَذَّةَ الْفُسَّاقِ لَسْتُ كَلَذَّةِ الْـأَبْرَارِ فِي عَقْلِ وَلَا قُرْآنِ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَذَّةٌ هُوَ لَاءُ لَذَّةِ جَسَدٍ تَزُولُ بِزَوَالِ هَذِهِ اللَّذَّةِ، وَيَعْقِبُهَا حَسْرَةٌ وَنَدَامَةٌ وَغُلٌّ فِي الْقَلْبِ لِمَا لِهَذَا الطَّرْبِ وَاللَّذَّةِ، لَكِنْ لَذَّةُ الْأَبْرَارِ بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ وَلِهَذَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمَلُوكُ وَأَبْنَاؤُ الْمَلُوكِ مَا نَحْنُ فِيهِ لَجَالِدُونَا عَلَيْهِ بِالسُّيُوفِ»^(١)، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ هَؤُلَاءِ.

(١) هذا قول إبراهيم بن أدهم، كما في حلية الأولياء، لأبي نعيم (٧/ ٣٧٠).

فصل

في أنهار الجنة

- ٥١٨٧- أَنهَارُهَا فِي غَيْرِ أَخْدُودٍ جَرَّتْ
سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيْضَانِ
- ٥١٨٨- مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاؤُوا مُفْجَأَ
جَرَّةٍ وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نَقْصَانِ
- ٥١٨٩- عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ حَمٌّ
رُئُومٌ ثُمَّ أَنهَارٌ مِنَ الْأَبْيَانِ
- ٥١٩٠- وَاللَّهُ مَا تَلِكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ
لَكِنْ هُمَا فِي اللَّفْظِ يَجْتَمِعَانِ
- ٥١٩١- هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ تَشَابُهُ
وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالْأَذْهَانِ

الشرح

- ٥١٨٧- أَنهَارُهَا فِي غَيْرِ أَخْدُودٍ جَرَّتْ
سُبْحَانَ مُمْسِكِهَا عَنِ الْفَيْضَانِ
- ٥١٨٨- مِنْ تَحْتِهِمْ تَجْرِي كَمَا شَاؤُوا مُفْجَأَ
جَرَّةٍ وَمَا لِلنَّهْرِ مِنْ نَقْصَانِ

سبحان الله! أنهار الجنة تجري بلا أخدود، والأخدود هو الشيء القائم الذي يمنع الماء من الانحراف يميناً أو يساراً، وكذلك أيضاً من غير أخاديد محفورة تُحْفَرُ فِي الْأَرْضِ، فليس لها أخدودٌ قَائِمَةٌ وَلَا محفورة، تجري كما يشاء صاحبها، يُصَرِّفُهَا حَيْثُ يَشَاءُ.

فإذا قال قائل: كيف تجري في غير أخدود؟

فالجواب: أولاً: أمور الآخرة لا تُقاسُ بأمور الدنيا.

ثانياً: نحن نَشَاهِدُ الْآنَ السَّحَابَ فِيهِ الْمِيَاهُ الْعَظِيمَةُ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَّابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [التور: ٤٣]، فها نحن نشاهدُ في الجوّ أبحراً تجري بإذنِ الله عزَّ وجلَّ بدونِ أحاديثٍ أو حفرٍ، كذلك أنهارُ الجنةِ تجري بغيرِ أخلودٍ؛ يعني: لا يضعون أشياء تَرُدُّ المَاءَ يَمِينًا أو شِمَالًا.

٥١٨٩- عَسَلٌ مُصَفًّى ثُمَّ مَاءٌ ثُمَّ خَمْرٌ ثُمَّ أَنْهَارٌ مِنَ الْأَلْبَانِ

قَوْلُهُ: «ثُمَّ» لِلتَّرْتِيبِ الذِّكْرِيِّ، وَإِلَّا فَالآيَةُ هِيَ: ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَنْغَيَّرْ طَعْمُهُ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وهذه الأنهارُ من عَسَلٍ مُصَفًّى، وماءٍ غيرِ آسِنٍ، وخمرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ، ولبنٍ لم يتغَيَّرْ طَعْمُهُ، فهي أنهارٌ بيدِ الله عزَّ وجلَّ، وليست بأوانٍ، وهذا شيءٌ عَجِيبٌ.

٥١٩٠- وَاللَّهُ مَا تِلْكَ الْمَوَادُّ كَهَذِهِ لَكِنَّ هُمَا فِي اللَّفْظِ يَجْتَمِعَانِ

موادُّ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْمَاءِ وَالخَمْرِ لَيْسَتْ كموادِّ الدُّنْيَا، لَكِنَّهَا مُشْتَرِكَةٌ فِي اللَّفْظِ فَقَطْ، أَمَّا الْحَقِيقَةُ فَتَخْتَلِفُ كَمَا تَخْتَلِفُ الدُّنْيَا عَنِ الْآخِرَةِ، لَكِنْ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا هَذَا الْاِشْتِرَاكُ فِي أَصْلِ الْمَعْنَى مَا فَهِمَ الْمَعْنَى، فَأَصْلُ اللَّبَنِ هُوَ هُوَ، لَكِنْ وَصْفُهُ وَمَادَّتُهُ لَيْسَتْ كوصفِ لَبَنِ الدُّنْيَا وَمَادَّتِهِ، كَذَلِكَ أَيْضًا نَقُولُ فِي الْمَاءِ وَالخَمْرِ وَالْعَسَلِ.

٥١٩١- هَذَا وَبَيْنَهُمَا يَسِيرٌ تَشَابُهُ وَهُوَ اشْتِرَاكٌ قَامَ بِالْأَذْهَانِ

يعني: أَنَّ هَذِهِ الْأَصْنَافَ الْأَرْبَعَةَ لَيْسَتْ كالتِي فِي الدُّنْيَا، بَلْ بَيْنَهُمَا فَرْقٌ عَظِيمٌ، اتَّفَقَا فِي اللَّفْظِ وَاخْتَلَفَا فِي الْحَقِيقَةِ وَالْكُنْهِ، لَكِنْ بَيْنَهُمَا اشْتِرَاكٌ يَسِيرٌ وَهُوَ

مُطَلَّقُ الحلاوةِ في العسلِ، وكذلك في اللَّبَنِ والبقيةِ، ولولا هذا القدرُ المشتركُ ما عرفنا ما هو العسل؟ وما هو الماء؟ وما هو الخمر؟ وما هو اللَّبَنُ؟ لكن هذا القدرُ المشتركُ لأبَدًا منه.

كما أَنَّ عِلْمَ الله عَزَّ وَجَلَّ أعظمُ من عِلْمِ المخلوقِ، لكن بينه وبين علمِ المخلوقِ قدرٌ مشتركٌ وهو الإحاطةُ بالشَّيْءِ، ولولا هذا القَدْرُ ما عرفنا معنى العلمِ، لكن يختلفُ علمُ الخالقِ عَزَّ وَجَلَّ عن علمِ المخلوقِ كما اختلف الخالقُ عن المخلوقِ.

فصل

في طعام أهل الجنة

- ٥١٩٢ - وَطَعَامُهُمْ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُمْ
وَلَحُومٌ طَيْرٍ نَاعِمٍ وَسِمَانٍ
- ٥١٩٣ - وَفَوَاكِهُ شَتَّى بِحَسَبِ مَنَاهُمْ
يَا شَبْعَةَ كَمَلْتِ لِيذِي الْإِيمَانِ
- ٥١٩٤ - لَحْمٌ وَخَمْرٌ وَالنِّسَاءُ وَفَوَاكِهُ
وَالطَّيْبُ مَعَ رُوحٍ وَمَعَ رِيحَانِ
- ٥١٩٥ - وَصِحَافُهُمْ ذَهَبٌ تَطُوفُ عَلَيْهِمْ
بِأَكْفٍ خُدَّامٍ مِنَ الْوِلْدَانِ
- ٥١٩٦ - وَانظُرْ إِلَى جَعْلِ اللَّذَاذَةِ لِلْعِيُو
نِ وَشَهْوَةِ النَّفْسِ فِي الْقُرْآنِ
- ٥١٩٧ - لِلْعَيْنِ مِنْهَا لَذَّةٌ تَدْعُو إِلَى
شَهْوَاتِهَا بِالنَّفْسِ وَالْأَمْرَانِ
- ٥١٩٨ - سَبَبُ التَّنَاوُلِ وَهُوَ يُوجِبُ لَذَّةً
أُخْرَى سِوَى مَا نَالَتِ الْعَيْنَانِ

الشرح

هذا معنى لطيف، قال الله تعالى: ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ [الرَّحْف: ٧١]، فالعين إذا نظرت تَلَذَّذَتْ به، فإذا تَلَذَّذَتْ اشْتَهَتْ النفس، فإذا اشْتَهَتْ النفسُ تَنَاولَ الإنسان؛ ولهذا أحياناً قد تُوجَدُ فاكهة لا يشتهيها الإنسان؛ لأنه لم يتلذذ برؤيتها مع أنه رُبَّمَا يكونُ طعمها طيباً، فلا بُدَّ أن تلتذَّ العين بالرؤية؛ لأجل أن تشتهي النفس، ثم يحصل التناول.

فصل

في شرابهم

- ٥١٩٩- يُسْقَوْنَ فِيهَا مِنْ رَحِيقِ خْتَمُهُ بِالْمِسْكِ أَوْلُهُ كَمِثْلِ الثَّانِي
- ٥٢٠٠- مِنْ خَمْرَةٍ لَدَتْ لِشَارِبِهَا بِلا غَوْلٍ وَلَا دَاءٍ وَلَا نُقْصَانٍ
- ٥٢٠١- وَالخَمْرُ فِي الدُّنْيَا فَهَذَا وَصَفُهَا تَغْتَالُ عَقْلَ الشَّارِبِ السَّكْرَانَ
- ٥٢٠٢- وَبِهَا مِنَ الْأَدْوَاءِ مَا هِيَ أَهْلُهُ وَيَخَافُ مِنْ عَدَمِ لِيذِي الْوِجْدَانِ
- ٥٢٠٣- فَتَفَى لَنَا الرَّحْمَنُ أَجْمَعَهَا عَنِ الْخَمْرِ الَّتِي فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ

الشرح

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللهُ- أَنَّ فِي خَمْرِ الدُّنْيَا أَدْوَاءً؛ يَعْنِي: أَمْرَاضًا كَثِيرَةً؛ وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْرَاضِ: الْخَوْفُ مِنْ زَوَالِ الْعَقْلِ؛ وَلِذَا قَالَ: «وَيَخَافُ مِنْ عَدَمِ لِيذِي الْوِجْدَانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّهَا قَدْ تَهْلِكُهُ، اللَّهُمَّ عَافِنَا.

- ٥٢٠٤- وَشَرَابُهُمْ مِنْ سَلْسَبِيلٍ مَرْجُهُ الْكَافُورُ ذَاكَ شَرَابُ ذِي الْإِحْسَانِ
- ٥٢٠٥- هَذَا شَرَابُ أُولِي الْيَمِينِ وَلَكِنْ الْاَبْرَارُ شَرِبُوهُمْ شَرَابٌ ثَانٍ
- ٥٢٠٦- يُدْعَى بِتَسْنِيمٍ سَنَامُ شَرَابِهِمْ شَرِبُ الْمُقَرَّبِ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ

- ٥٢٠٧- صَفَى الْمُقَرَّبُ سَعِيَهُ فَصَفَا لَهُ ذَاكَ الشَّرَابُ فَبَلَكَ تَصْفِيَانِ
- ٥٢٠٨- لَكِنَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ فَأَهْلُ مَزْجٍ بِالْمُبَاحِ وَلَيْسَ بِالْعِضْيَانِ
- ٥٢٠٩- مُزْجَ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمُ الْأَعْمَالُ ذَاكَ الْمَزْجَ بِالْمِيزَانِ
- ٥٢١٠- هَذَا وَذُو التَّخْلِيطِ مُزَجِي أَمْرُهُ وَالْحُكْمُ فِيهِ لِرَبِّهِ الدِّيَانِ

الشرح

الله أكبر، الجزاء من جنس العمل، الأبرار شرابهم كما قال تعالى: ﴿مِن تَسْنِيمٍ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧-٢٨]، والتسنيمة مأخوذة من السنام، وسنام البعير: أعلاه، فهو شراب أعلى الشراب، وليس فيه مزج، وأما الآخرين الذين دونهم فإن فيه مزجاً وهو الكافور، والكافور لاشك أنه ليس كالتسنيمة؛ فلهذا يقول رحمه الله: «مَزْجَ الشَّرَابِ لَهُمْ كَمَا مَزَجُوا هُمُ الْأَعْمَالُ ذَاكَ الْمَزْجَ بِالْمِيزَانِ»، والجزاء من جنس العمل.

فصل

في مصرف طعامهم وشرابهم، وهضمه

- ٥٢١١ - هَذَا وَتَضْرِيفُ الْمَأْكِلِ مِنْهُمْ عِرْقٌ يَفِيضُ لَهُمْ مِنَ الْأَبْدَانِ
- ٥٢١٢ - كَرَوَائِحِ الْمِسْكِ الَّذِي مَا فِيهِ خَلٌّ طُّ غَيْرُهُ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
- ٥٢١٣ - فَتَعُودُ هَاتِيكَ الْبُطُونُ ضَوَامِرًا تَبْغِي الطَّعَامَ عَلَى مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٥٢١٤ - لَا غَائِطٌ فِيهَا وَلَا بَوْلٌ وَلَا مَخْطٌ وَلَا بَصَقٌ مِنَ الْإِنْسَانِ
- ٥٢١٥ - وَلَهُمْ جُشَاءٌ رِيحُهُ مِسْكٌ يَكُونُ بِهِ تَمَامُ الْهَضْمِ بِالْإِحْسَانِ
- ٥٢١٦ - هَذَا وَهَذَا صَحَّ عَنْهُ فَوَاحِدٌ فِي «مُسْلِمٍ» وَلِأَحْمَدَ الْأَثْرَانِ

الشرح

هذا الفصل واضح المعنى أن أهل الجنة لا يبولون، ولا يتغوطون، ولا يتمخطون، ولا يبصقون، وطعامهم إذا أكلوه وشرابهم يكون عرقاً يفيض من الأبدان، وكذلك لهم جُشَاءٌ، والجُشَاءُ: خروج الهواء من المعدة عن طريق الفم، فرائحته مثل رائحة المسك، بينما الجُشَاءُ عندنا مُسْتَكْرَهٌُ ويحصل منه رائحة كريهة، ولكنها لأهل الجنة - جعلني الله وإياكم منهم - تكون رائحتها رائحة المسك يكون بها تمام الهضم، وكلما أكلوا وشربوا وشبعوا فإنه يفيض عرقاً وتبقى البطون ضوامر، فيأكلون دائماً، وإنما جعل الله لهم ذلك من أجل أن يتلذذوا

بالطَّعامِ والشَّرَابِ؛ لَأَنَّهُمْ إِذَا أَكَلُوا وَشَرَبُوا تَلَذَّذُوا، وَإِلَّا فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
لَجَعَلَهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَكْلِ وَلَا شَرِبٍ، وَلَكِنْ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُتِمَّ سُرُورَهُمْ وَتَتِمَّ
نِعْمَتُهُمْ صَارَ يَحْصُلُ لَهُمْ هَذَا.

فصل

في لباس أهل الجنة

- ٥٢١٧- وَهُمْ الْمُلُوكُ عَلَى الْأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا
تِيكَ الرَّؤُوسِ مُرَّصَعِ التَّيْجَانِ
- ٥٢١٨- وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُندُسٍ خُضِرٍ وَمِنْ
إِسْتَبْرَقٍ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ
- ٥٢١٩- مَا ذَاكَ مِنْ دُودِ بَنِي مَنْ فَوْقَهُ
تِلْكَ الْبَيْتِ وَعَادَاذَا طَيْرَانِ
- ٥٢٢٠- كَلَّا وَلَا تُسْجَتُ عَلَى الْمِنْوَالِ نَسْءٌ
جَ ثِيَابِنَا بِالْقُطْنِ وَالْكِتَّانِ
- ٥٢٢١- لَكِنَّهَا حُلٌّ تَشْتَقُّ ثَمَارَهَا
عَنْهَا رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ
- ٥٢٢٢- بِيضٌ وَخُضْرٌ- ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْرٌ
رُّ كَالرَّبَّاطِ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ
- ٥٢٢٣- لَا تَقْرَبِ الدَّنَسَ الْمُقْرَّبَ لِلْبَلِي
مَا لِلْبَلِي فِيهِنَّ مِنْ سُلْطَانِ
- ٥٢٢٤- وَنَصِيفٌ إِحْدَاهُنَّ وَهُوَ خِمَارُهَا
لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ
- ٥٢٢٥- سَبْعُونَ مِنْ حُلِّ عَلَيْهَا لَا تَعُو
قُ الطَّرْفَ عَنْ مُخِّ وَرَا السَّيْقَانِ
- ٥٢٢٦- لَكِنْ تَرَاهُ مِنْ وَرَاذَا كُلُّهُ
مِثْلَ الشَّرَابِ لَدَى زُجَاجِ أَوَانِ

الشرح

- ٥٢١٧- وَهُمْ الْمُلُوكُ عَلَى الْأَسِرَّةِ فَوْقَ هَا
تِيكَ الرَّؤُوسِ مُرَّصَعِ التَّيْجَانِ

٥٢١٨- وَلِبَاسُهُمْ مِنْ سُندُسٍ خُضِرٍ وَمِنْ إِسْتَبْرَقٍ نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ

هذا أيضاً لباس أهل الجنة كما قال الله عز وجل في القرآن الكريم من سندس وإستبرق، والسندس والإستبرق نوعان معروفان من أعلى أنواع الحرير، وإن كنا لا نعرفها تماماً، لكن لا شك أنهما من أفضل أنواع اللباس.

وهنا مسألة: هل في القرآن كلمات غير عربية؟

في القرآن الكريم كلمات دخلت على العرب، لكن لما نطقوا بها صارت عربية، وكل العرب الذين من بني إسماعيل كلهم أخذوا عربيتهم من غيرهم؛ ولهذا يُسمون «العرب المستعربة»، فقول بعض الناس: «إن القرآن فيه شيء من العجمة»، نقول: هذا خطأ؛ لأنه لما استعمله العرب في خطابهم صار عربياً.

٥٢١٩- مَا ذَاكَ مِنْ دَوْدِ بَنَى مِنْ فَوْقِهِ تِلْكَ الْيُتُوتُ وَعَادَاذَا طَيْرَانِ

يُشيرُ إلى أن حريَرَ الدُّنيا يكونُ من دودِ القَزِّ، ودودُ القَزِّ دودةٌ مثل التي تكونُ في التمرِ وغيره، يخرجُ منها هذا الحريرُ ينطوي عليها ينطوي عليها، وفي النهاية تموت، لكن حريراً أهل الجنة ليس هكذا، فليس من الديدان.

٥٢٢٠- كَلَّا وَلَا نُسَجِّتُ عَلَى الْمُنْوَالِ نَسًّا جَجَّ ثِيَابِنَا بِالْقَطْنِ وَالْكِتَانِ

لأن ثياب الحرير التي في الدنيا لا بد أن يكون فيها خلط من الكتان والقطن.

٥٢٢١- لَكِنَّهَا حُلٌّ تَشُقُّ ثَمَارَهَا عَنْهَا رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ

٥٢٢٢- بِيضٌ وَخُضْرٌ- ثُمَّ صُفْرٌ ثُمَّ حُمْرٌ كَالرِّبَاطِ بِأَحْسَنِ الْأَلْوَانِ

قوله: «لكنها حلل تشق ثمارها عنها»؛ يعني: أن هذه الحلل تأتي من أشجار الجنة.

قَوْلُهُ: «رَأَيْتَ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ؟» يعني: هل رأيتَ شقائق النُّعْمَانِ؟ وشقائق النُّعْمَانِ: نوعٌ من الزُّهورِ الطَّيِّبِ الذي يَرُوقُ للعينِ، فلباسُ أهلِ الجنَّةِ من الأشجارِ يكونُ من هذه الأزهارِ، ويكونُ من أفخمِ ما يكونُ أعلى ما يكونُ من الحريرِ والسُّنْدُسِ والإستبرقِ.

٥٢٢٣- لَا تَقْرَبِ الدَّنَسَ الْمُقْرَبَ لِلْبِلَى مَا لِلْبِلَى فِيهِنَّ مِنْ سُلْطَانِ ثِيَابُنَا هُنَا فِي الدُّنْيَا تَمَزَّقُ مَعَ طَوْلِ الزَّمَنِ وَتَتَوَسَّخُ أَيْضًا، أَمَّا ثِيَابُ الْجَنَّةِ فَإِنَّهَا لَا تَقْرَبُ ذَلِكَ، فَلَا تَقْرَبُ هِيَ الدَّنَسَ الْمُقْرَبَ لِلْبِلَى؛ لِأَنَّ الْوَسْخَ فِي الثِّيَابِ يُقْرَبُ لَتَمَزَّقَهَا سَرِيعًا.

ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى لِبَاسِ الْحَوْرِ؛ فَقَالَ:

٥٢٢٤- وَنَصِيفُ إِحْدَاهُنَّ وَهِيَ خِمَارُهَا لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ قَوْلُهُ: «وَنَصِيفُ إِحْدَاهُنَّ» نَصِيفُهَا؛ يَعْنِي: خِمَارُهَا. قَوْلُهُ: «وَهِيَ خِمَارُهَا لَيْسَتْ لَهُ الدُّنْيَا مِنَ الْأَثْمَانِ»؛ يَعْنِي: خِمَارُهَا أَفْضَلُ مِنَ الدُّنْيَا كُلِّهَا.

٥٢٢٥- سَبْعُونَ مِنْ حُلَلٍ عَلَيْهَا لَا تَعُو قُ الطَّرْفَ عَنْ مَخٍّ وَرَا السِّيقَانَ اللهُ أَكْبَرُ، الْوَاحِدَةُ مِنَ الْحَوْرِ عَلَيْهَا سَبْعُونَ حُلَّةً، وَهَذِهِ الْحُلَّةُ لَا تَمْنَعُ الطَّرْفَ عَنْ مَخٍّ وَرَاءَ السِّيقَانِ؛ يَعْنِي: يَرَى مَخَّ سِيقَانِهَا مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ، وَلَا تَنْظُرُوا أَنَّ هَذِهِ الرُّؤْيَا كَرُؤَيْتِنَا فِي الدُّنْيَا، نَحْنُ لَوْ رَأَيْنَا الْمَخَّ فِي السِّيقَانِ رَبِّمَا نَسْتَقْدِرُ ذَلِكَ وَنَمَجُّهُ، لَكِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ عَلَى خِلَافِ ذَلِكَ، يَرَاهُ الْإِنْسَانُ فَيَتَلَذَّذُ لِرُؤْيَا هَذَا الْمَخِّ فِي السَّاقِ؛

ولهذا قال:

٥٢٢٦- لَكِنْ تَرَاهُ مِنْ وَرَادَا كُنَّهِ مِثْلَ الشَّرَابِ لَدَى زُجَاجِ أَوَانٍ

لو وَضَعْتَ شَرَابًا فِي زُجَاجَةٍ لَرَأَيْتَ الْمَاءَ مِنْ وَرَائِهَا، وَلَكِنَّكَ تَرَاهُ فِي أَحْسَنِ

مَرِيٍّ.

فصل

في فرشهم وما يتبعها

- ٥٢٢٧- وَالْفَرْشُ مِنْ إِسْتَبْرَقٍ قَدْ بَطْنَتْ
مَا ظَنُّكُمْ بِظَهَارَةِ لِبَطَانِ
- ٥٢٢٨- مَرْفُوعَةٌ فَوْقَ الْأَسْرَةِ يَتَكِي
هُوَ وَالْحَبِيبُ بِخَلْوَةٍ وَأَمَانِ
- ٥٢٢٩- يَتَحَدَّثَانِ عَلَى الْأَرَائِكِ مَا تَرَى
حَبَّيْنِ فِي الْخَلَوَاتِ يَتَّحِيَانِ
- ٥٢٣٠- هَذَا وَكَمْ زُرِّيَّةٍ وَنَمَارِقِ
وَوَسَائِدِ صُفَّتْ بِأَحْسَبَانِ

الشرح

أهل الجنة في الآخرة متكئون على سرر مصفوفة، وأحوال الآخرة تختلف
عن أحوال الدنيا.

فصل

في حليّ أهل الجنة

- ٥٢٣١- وَالْحَلِيُّ أَضْفَى لَوْلُوٍ وَزَبْرَجِدٍ وَكَذَلِكَ أَسْوَرَةٌ مِنَ الْعَقِيَانِ
- ٥٢٣٢- مَا ذَاكَ يَخْتَصُّ الْإِنَاثُ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْإِنَاثِ كَذَلِكَ لِلذُّكْرَانِ
- ٥٢٣٣- التَّارِكِينَ لِبَاسَهُ فِي هَذِهِ الذُّ دُنْيَا لِأَجْلِ لِبَاسِهِ بِجَنَانِ
- ٥٢٣٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حَلِيَّتَهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتَهَاءَ وَضُوئِهِمْ بِوِزَانِ
- ٥٢٣٥- وَكَذَا وَضُوءٌ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ فَازَتْ بِهِ الْعَضْدَانِ وَالسَّاقَانِ
- ٥٢٣٦- وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلًا مَا ذَاكَ إِلَّا مَوْضِعَ الْكَعْبَيْنِ وَالزُّ
- ٥٢٣٧- وَلِذَلِكَ أَهْلُ الْفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي مَوْضِعَ الْأَقْوَى انْتِهَاءَ وَضُوءِنَا
- ٥٢٣٨- هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْفِقْهِ وَالرَّاجِحُ الْأَقْوَى انْتِهَاءَ وَضُوءِنَا
- ٥٢٣٩- وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْفِقْهِ
- ٥٢٤٠- وَانظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ وَانظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ
- ٥٢٤١- وَمَنْ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ عُرَّتَهُ فَمَوْ قُوفٌ عَلَى الرَّاوي هُوَ الْفُوقَانِي

- ٥٢٤٤- فَأَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كَيْسِهِ فَغَدَا يُمَيِّزُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانَ
 ٥٢٤٥- وَنُعَيْمُ الرَّاوي لَهُ قَدْ شَكَ فِي رَفَعِ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي
 ٥٢٤٦- وَإِطَالَةُ الْغُرَاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَبَدًا وَذَا فِي عَايَةِ التَّبَيَّانِ

الشرح

في هذا الفصل يتحدث المؤلف - رحمه الله - عن حلي أهل الجنة فقال:

- ٥٢٣١- وَالْحَلِيُّ أَصْفَى لَوْلُؤٍ وَزَبْرَجِدٍ وَكَذَلِكَ أُسُورَةٌ مِنَ الْعِقْيَانِ
 قَوْلُهُ: «الْعِقْيَانِ»؛ يعني: الذهب.

أسورة أهل الجنة ذكر الله أنها ثلاثة أصناف من: فضة، ولؤلؤ، وذهب، قال الله تعالى: ﴿يُحَلِّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلَوْلُؤًا وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحج: ٢٣]، وفي قراءة «ولؤلؤ»، وإذا تحيَّلت هذه الأصناف على الذراع وجذت لها منظرًا عجيبيًا، فهي لؤلؤ صافٍ، وذهب خالص، وفضة خالصة، يكون لها منظرٌ لا يمكن أن يبلغ تصوُّرك مدى هذا المنظر.

- ٥٢٣٢- مَا ذَاكَ يُخْتَصُّ الْإِنَاثُ وَإِنَّمَا هُوَ لِلْإِنَاثِ كَذَاكَ لِلذُّكْرَانِ
 ٥٢٣٣- التَّارِكِينَ لِبَاسِهِ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِأَجْلِ لِبَاسِهِ فِي الْبَعْدِ

يقول رحمه الله: إن هذا لا يختص بالإناث، بل يشمل الإناث والرجال، حتى الرجال يتحلون بالذهب وبالفضة وباللؤلؤ؛ لأنهم تركوا هذا في الدنيا، فألبسهم الله إياه في الآخرة.

٥٢٣٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ حَلِيَّتَهُمْ إِلَى حَيْثُ انْتِهَاءِ وَضُوئِهِمْ بِوِزَانِ

وَالْوُضُوءُ يَنْتَهِي إِلَى الْمِرْفَقِ فِي الْيَدِ، وَإِلَى الْكَعْبِ فِي الرَّجْلِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ
-عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ»^(١)، وَهَذَا
ثَابِتٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

٥٢٣٥- وَكَذَا وَضُوءُ أَبِي هُرَيْرَةَ كَانَ قَدْ فَازَتْ بِهِ الْعُضْدَانِ وَالسَّاقَانِ

الْعُضْدَانِ فِي الْيَدِ، وَالسَّاقَانِ فِي الرَّجْلِ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ إِذَا تَوَضَّأَ يُبَالِغُ حَتَّى
يَصِلَ إِلَى قَرِيبِ الْمَنْكَبِ، وَكَذَلِكَ فِي السَّاقِ يُبَالِغُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قَرِيبِ الرُّكْبَةِ،
وَأَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهَمَّ مِنَ الْحَدِيثِ أَنَّ كُلَّمَا زِدَتْ فِي الْوُضُوءِ زَادَتْ الْحَلِيَّةُ،
فَصَارَ يَغْسِلُ يَدَهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الْمَنْكَبِ، وَكَذَلِكَ يَغْسِلُ رِجْلَهُ وَيُدْخِلُ السَّاقَ
فِيهَا؛ ظَنًّا مِنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ إِذَا تَجَاوَزَ الْإِنْسَانُ الْمَحَلَّ الْمَحْدَدَ فَإِنَّ الْحَلِيَّةَ تَزِيدُ، لَكِنْ
يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ:

٥٢٣٦- وَسِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ قَائِلًا مَا السَّاقُ مَوْضِعَ حَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «سِوَاهُ أَنْكَرَ ذَا عَلَيْهِ» «سِوَاهُ»؛ يَعْنِي: سِوَى أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْكَرَ
هَذَا عَلَيْهِ، وَقَالَ: هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، هَذَا تَجَاوَزُ لِمَا حَدَّهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَجَاوَزُ لِمَا
جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ.

قَوْلُهُ: «مَا السَّاقُ مَوْضِعَ حَلِيَّةِ الْإِنْسَانِ» السَّاقُ لَيْسَ مَوْضِعَ الْحَلِيَّةِ فِي قَوْلِ
الرَّسُولِ ﷺ: «تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ»، الْحَلِيَّةُ تَكُونُ فِي الرَّجْلِ
فِي الْأَسْفَلِ، وَلَا تَكُونُ فِي السَّاقِ.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم (٢٥٠).

٥٢٢٧- مَا ذَاكَ إِلَّا مَوْضِعَ الْكَعْبَيْنِ وَالرُّزْ زَنْدَيْنِ لَا السَّاقَانِ وَالْعَضْدَانِ

يقول: إن الحلية تكون إلى الكعب وتكون أيضاً للزندان فقط، والزندان هما العظمان، فالذراع فيه عظامان، فلكل إنسان أربعة أزدان، في كل يد اثنان، والعضد فوق المرفق، والساق أيضاً فوق الكعب.

٥٢٢٨- وَلِذَلِكَ أَهْلُ الْفِقْهِ مُخْتَلِفُونَ فِي هَذَا وَفِيهِ عِنْدَهُمْ قَوْلَانِ

القولان عند أهل الفقه: هل يُسنُّ مجاوزة محلِّ الفرضِ أو لا يُسنُّ؟ يعني: هل ينبغي للإنسان إذا توضأ أن يغسل العُضدَ كما يغسل الذراع؟ وهل يغسل الساق كما يغسل الرجل؟ فيه خلاف، والمشهور عندنا في مذهب الحنابلة أنه تُسنُّ الزيادة على محلِّ الفرض، لكن ابن القيم يقول:

٥٢٢٩- وَالرَّاجِحُ الْأَقْوَى أَنْتِهَاءُ وَضُوءِنَا لِلْمَرْفَقَيْنِ كَذَلِكَ الْكَعْبَانِ

الراجح في النظر والأقوى في الدليل أنه إلى الكعب في الرجل، وإلى المرفق في اليد.

هذا الذي قال إنه الأرجح هو الصواب؛ لأن الله حدّد لنا، وينبغي لنا عندما نتوضأ أن نستشعر ونحن نغسل الذراع قول الله عز وجل: ﴿إِلَى الْمَرْفِقِ﴾ [المائدة: ٦]، وأن نستشعر أيضاً فعل النبي ﷺ حتى يكون في وضوئنا هذا تمام الإخلاص والمتابعة، وأكثر الناس إما بالنسبة للأحيان وإما بالنسبة للأشخاص يغفلون عن هذه النقطة، يتوضأ على أن الوضوء واجب وينتهي، لكن استشعر أمر الله عز وجل: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرْفِقِ﴾ [المائدة: ٦]، واستشعر مع ذلك فعل النبي ﷺ حيث كان يدير الماء على مرفقيه^(١) ولا يتجاوز إلى الكتف.

(١) أخرجه البيهقي (١/٩٣، رقم ٢٥٥).

أهمُّ شيءٍ عندي أن ننتبه لهذه النقطة؛ حتى يكون وضوؤنا من أوله إلى آخره امتثالاً لأمر الله واتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

٥٢٤٠- هَذَا الَّذِي قَدْ حَدَّهُ الرَّحْمَنُ فِي الْ— قُرْآنٍ لَا تَعْدِلُ عَنِ الْقُرْآنِ

وذلك لأن الله قال: ﴿وَأَيِّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦٠]، وقال: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦٠]، فالله حدّد ذلك، فلا تعدل عن القرآن.

٥٢٤١- وَاحْفَظْ حُدُودَ الرَّبِّ لَا تَتَعَدَّهَا وَكَذَلِكَ لَا تَجْنَحْ إِلَى النُّقْصَانِ

والنّاس في الحدود ينقسمون إلى قسمين: قسم يتعدى الحدود، وقسم يقصر عنها، فأنت لا تتعدّ ولا تقصر؛ لأنّ من تعدّاها فقد أفرط وغلّا، ومن نقص فقد فرط وأهمّل، فكن على حسب حدود الله عزّ وجلّ.

٥٢٤٢- وَأَنْظُرْ إِلَى فِعْلِ الرَّسُولِ تَجِدُهُ قَدْ أَبَدَى الْمُرَادَ وَجَاءَ بِالتَّبْيَانِ

قَوْلُهُ: «أَبَدَى الْمُرَادَ»؛ يعني: مراد الربّ عزّ وجلّ.

قَوْلُهُ: «وَجَاءَ بِالتَّبْيَانِ»؛ أي: لقد بيّن البيان الكافي.

فإنّ النّبِيَّ ﷺ في جميع الأحاديث التي وصفت وضوءه لم يُذكر أنّه كان يغسل العَضُدَ أو يغسل السَّاقَ، غاية ما هنالك ما أخرجه مسلمٌ من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ وفيه أنّه «غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ»^(١)؛ وذلك لأنّه لا يمكن أن يتحقّق بلوغ الماء إلى الكعبين إلّا إذا

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء، رقم (٢٤٦).

شَرَخَ فِي السَّاقِ، وَكَذَلِكَ بِالنُّسْبَةِ لِلْعَضُدِ.

٥٢٤٣- وَمَنْ اسْتَطَاعَ يُطِيلُ عُرَّتَهُ فَمَوْ قُوفٌ عَلَى الرَّاويِ هُوَ الْفَوْقَانِي

يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ: «فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ عُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ فَلْيَفْعَلْ»^(١)، يَقُولُ: هَذَا مَوْقُوفٌ عَلَى الرَّاويِ هُوَ الْفَوْقَانِي وَهُوَ أَبُو هَرِيرَةَ؛ لِأَنَّهُ هُوَ مِنْتَهَى السَّنَدِ.

فَيَكُونُ فِي عِلْمِ الْمَصْطَلِحِ مِنْ بَابِ الْمُدْرَجِ؛ لِأَنَّ لَمْ يَفْصِلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّصِّ النَّبَوِيِّ.

٥٢٤٤- فَأَبُو هَرِيرَةَ قَالَ ذَا مِنْ كَيْسِهِ فَعَدَا يُمَيِّزُهُ أَوْلُو الْعِرْفَانِ

يَعْنِي: جَاءَ بـ: «فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ...» مِنْ عِنْدِهِ، وَإِلَّا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَقُلْهُ.

٥٢٤٥- وَنُعَيْمُ الرَّاويِ لَهُ قَدْ شَكَّ فِي رَفَعِ الْحَدِيثِ كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي

قَوْلُهُ: «نُعَيْمُ الرَّاويِ» هُوَ: نُعَيْمُ الْمُجَمَّرِ الَّذِي رَوَى الْحَدِيثَ عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَوْلُهُ: «كَذَا رَوَى الشَّيْبَانِي» الشَّيْبَانِيُّ يَعْنِي بِهِ: الْإِمَامَ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ.

يَعْنِي: أَنَّ رِوَايَةَ الْإِمَامِ أَحْمَدَ شَكَّ نُعَيْمٌ هَلْ هَذَا مِنْ قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ أَمْ مِنْ قَوْلِ أَبِي هَرِيرَةَ؟

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْوُضُوءِ، بَابُ فَضْلِ الْوُضُوءِ وَالْغَرِّ الْمَحْجَلُونَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ، رَقْمٌ (١٣٦). وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ إِطَالَةِ الْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي الْوُضُوءِ، رَقْمٌ (٢٤٦).

٥٢٤٦- وَإِطَالَةُ الْغُرَّاتِ لَيْسَ بِمُمْكِنٍ أَبَدًا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبَيُّانِ

إطالة الغُرَّاتِ لا يمكن؛ لأنَّ الغُرَّةَ هي الوجهُ، وهل يمكنُ للإنسانِ أن يُطِيلَ وجهه؟ الجوابُ: لا يمكنُ، لو وَسَّعَهُ مثلاً فالمنتهى الأذنان، إذا وَصَلَ الغسلُ إلى الأذنِ لم تكن الأذنُ من الوجهِ، أو صعد به إلى النَّاصِيَةِ لم تكن النَّاصِيَةُ من الوجهِ، إِذْ نَ إطالةُ الغُرَّاتِ المذكورة في الحديثِ: «فَمَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ غُرَّتَهُ»^(١) غيرُ ممكنة؛ يعني: لو أمكن إطالة التَّحجِيلِ لم يمكن إطالة الغُرَّاتِ، والنَّبِيُّ -عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ- لا يمكنُ أن يتكلَّمَ بكلام غيرِ ممكن؛ لأنَّه معصومٌ من الخطأ بخلاف غيره، فكلامُ النَّبِيِّ ﷺ لا يمكنُ إلا أن يكونَ واقعاً موافقاً للحقيقة.

والخلاصةُ: أنَّ أهلَ الجَنَّةِ يُحَلَّوْنَ من أساورٍ من ذهبٍ ولؤلؤٍ ومن فضَّةٍ، وأنَّ الحَلِيَّةَ تبلغُ إلى حيث يبلغُ الوضوءُ، ففي اليدين إلى المِرْفَقَيْنِ، وفي الرِّجْلَيْنِ إلى الكعبين، نسألُ اللهَ أن يجعلنا وإياكم من هؤلاء.

(١) أخرجه مسلم: كتاب الطهارة، باب تبلغ الحلية حيث يبلغ الوضوء، رقم (٢٥٠).

فصل

في صفة عرائس الجنة، وحسنهن، وجمالهن، ولذة وصالهن، ومهورهن

- ٥٢٤٧- يَا مَنْ يَطُوفُ بِكَعْبَةِ الْحُسْنِ الَّتِي
حُفَّتْ بِذَاكَ الْحَجْرِ وَالْأَرْكَانِ
- ٥٢٤٨- وَيَظَلُّ يَسْعَى دَائِمًا حَوْلَ الصِّفَا
وَمُحَسَّرٌ مَسْعَاهُ لَا الْعَلَمَانَ
- ٥٢٤٩- وَيَرُومُ قُرْبَانَ الْوِصَالِ عَلَى مَنِي
وَالْخَيْفِ يَجْجِبُهُ عَنِ الْقُرْبَانِ
- ٥٢٥٠- فَلِذَا نَرَاهُ مُحْرِمًا أَبَدًا وَمَوْ
ضِعُ حِلِّهِ مِنْهُ فَلَيْسَ بِدَانَ
- ٥٢٥١- يَبْغِي التَّمَتُّعَ مُفْرِدًا عَنِ حُبِّهِ
مُتَجَرِّدًا يَبْغِي شَفِيعَ قِرَانِ
- ٥٢٥٢- فَيَظَلُّ بِالْجَمَرَاتِ يَرْمِي قَلْبَهُ
هَذَا مَنَاسِكُهُ بِكُلِّ زَمَانِ
- ٥٢٥٣- وَالنَّاسُ قَدْ قَضَوْا مَنَاسِكَهُمْ وَقَدْ
حَثُّوا رَكَائِبَهُمْ إِلَى الْأَوْطَانِ
- ٥٢٥٤- وَحَدَّثَ بِهِمْ هَمٌّ لَهُمْ وَعَزَائِمٌ
نَحْوَ الْمَنَازِلِ أَوَّلَ الْأَزْمَانِ
- ٥٢٥٥- رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ الْوِصَا
لِ فَشَمَّرُوا يَا خَيِّتَةَ الْكَسْلَانِ
- ٥٢٥٦- وَرَأَوْا عَلَى بُعْدِ حَيَاةٍ مُشْرِفًا
تِ مُشْرِقَاتِ النُّورِ وَالْبُرْهَانِ
- ٥٢٥٧- فَتَيَمَّمُوا تِلْكَ الْخِيَامَ فَانَسُوا
فِيهِنَّ أَقْمَارًا بِلَا نُقْصَانِ
- ٥٢٥٨- مِنْ قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَا تَبْغِي سِوَى
مُحْبُوبِيهَا مِنْ سَائِرِ الشُّبَّانِ
- ٥٢٥٩- قَصَرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهِ
وَالطَّرْفُ فِي ذَا الْوَجْهِ لِلنُّسْوَانِ

- ٥٢٦٠- أَوْ أَنَهَا قَصَّرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهُ مِنْ حُسْنِهَا فَالطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ
 ٥٢٦١- وَالْأَوَّلُ الْمَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الْخِطَا بِ فَلَاحِدٍ عَنِ ظَاهِرِ الْقُرْآنِ
 ٥٢٦٢- وَلَرُبَّمَا دَلَّتْ إِشَارَتُهُ عَلَى الثُّ ثَانِي فِتْلِكَ إِشَارَةٌ لِمَعَانِ
 ٥٢٦٣- هَذَا وَلَيْسَ الْقَاصِرَاتُ كَمَنْ غَدَتْ مَقْصُورَةً فَهَمَّا إِذَا صِنْفَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «قَاصِرَاتِ الطَّرْفِ» يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِنَّسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾ [الرَّحْمَنُ: ٥٦]، يَقُولُ: لَهَا مَعْنِيَانِ:

الْأَوَّلُ: قَصَّرَتْ عَلَيْهِ طَرْفَهَا مِنْ حُسْنِهَا، وَحِينَئِذٍ الطَّرْفُ لِلْمَرْأَةِ، قَصَّرَتْ طَرْفَهَا؛ يَعْنِي: نَظَرَهَا عَلَى زَوْجِهَا لَا تَرِيدُ سِوَاهُ.

وَالثَّانِي: «قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ»؛ أَي: تَقْصُرُ طَرْفَ زَوْجِهَا عَلَيْهَا، وَذَلِكَ مِنْ حُسْنِهَا، وَيَكُونُ الطَّرْفُ لِلذُّكْرَانِ.

وَالْمَعْنَى صَالِحٌ لِهَذَا وَهَذَا، فَهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَا تَنْظُرُ الْوَاحِدَةَ إِلَى غَيْرِ زَوْجِهَا، وَهِنَّ قَاصِرَاتُ طَرْفِ الْأَزْوَاجِ، فَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى سِوَاهُنَّ، وَهَذَا غَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَحَبَّةِ وَالْأَلْفَةِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَيْنِ مِنْ نَارٍ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا»^(١)، وَإِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ لَا يَبْغِي تَحْوِيلًا عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، رَقْمُ (٦١٩٣)، وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ أَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا، رَقْمُ (٢١٣).

حَتَّى يَتَمَّ لِلأَوَّلِ الشَّقَاءُ - والعياذُ بالله - والتَّحَسُّرُ، ولِلثَّانِي النِّعِيمُ كما قال تعالى: ﴿خَلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، أَيضًا الزَّوْجَانِ إِذَا كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قَدْ ابْتَهَجَ بِالآخِرِ وَلَا يَرَى لَهُ بَدِيلًا فَهَذَا مِنْ تَمَامِ السَّعَادَةِ.

قَوْلُهُ: «وَالأَوَّلُ المَعْهُودُ مِنْ وَضْعِ الخِطَابِ» لَا شَكَّ أَنَّ الأَوَّلَ أَظْهَرُ مِنْ حَيْثُ الوَضْعُ اللُّغَوِيُّ، لَكِنْ لَدِينَا قَاعِدَةٌ فِي نصوصِ القرآنِ والسُّنَّةِ؛ وَهِيَ أَنَّ اللَّفْظَ مَتَى كَانَ صَالِحًا لِلْمَعْنِيَيْنِ بَدُونَ مَنَاقِضَةٍ وَجَبَ أَنْ يُحْمَلَ عَلَيْهَا جَمِيعًا، وَهَذَا مِنْ سَعَةِ مَعَانِي القرآنِ الكَرِيمِ والسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

قَوْلُهُ: «لَيْسَ القَاصِرَاتُ كَمَنْ عَدَّتْ مَقْصُورَةً فَهِيَ إِذَا صِنْفَانِ» يُشِيرُ إِلَى الجَنَّتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ ﴿حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الخِيَامِ﴾ [الرَّحْمَن: ٧٢]، وَفِي الجَنَّتَيْنِ الأُولَيَيْنِ قَالَ: ﴿فِيهِنَّ قَصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ [الرَّحْمَن: ٥٦]، فَلَيْسَ القَاصِرَاتُ كالمَقْصُورَاتِ، وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهِيَ إِذَا صِنْفَانِ: صِنْفٌ مَقْصُورٌ، وَصِنْفٌ قَاصِرٌ.

- ٥٢٦٤- يَا مُطَلِّقَ الطَّرْفِ المُعَذِّبِ فِي الأُلَى جُرْدُنَ عَنِ حُسْنٍ وَعَنِ إِحْسَانِ
- ٥٢٦٥- لَا تَسْبِيكَ صُورَةً مِنْ تَحْتِهَا الدُّدَاءُ الدَّوِيُّ تَبُوءُ بِالْخُسْرَانِ
- ٥٢٦٦- قَبِحتْ خَلَاتِقُهَا وَقُبِحَ فِعْلُهَا شَيْطَانَةٌ فِي صُورَةِ الإِنْسَانِ
- ٥٢٦٧- تَنَقَّادُ لِلأَنْذَالِ وَالأَرْدَالِ هُمْ أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الإِحْسَانِ
- ٥٢٦٨- مَائِمٌ مِنْ دِينٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٢٦٩- وَجَمَالَهَا زُورٌ وَمَصْنُوعٌ فَإِنْ تَرَكَتْهُ لَمْ تَطْمَخْ لَهَا العَيْنَانِ

- ٥٢٧٠- طِبَعَتْ عَلَى تَرْكِ الحِفاظِ فَمَا لَهَا
 ٥٢٧١- إِنَّ قَصَرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً
 ٥٢٧٢- أَوْ رَامَ تَقْوِيًّا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ
 ٥٢٧٣- أَفْكَارُهَا فِي المَكْرِ وَالكَيْدِ الَّذِي
 ٥٢٧٤- فَجَمَلُهَا قِشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ
 ٥٢٧٥- نَقْدٌ رَدِيءٌ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ
 ٥٢٧٦- فَالنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ
 ٥٢٧٧- أَمَّا جَمِيلَاتُ الوُجُوهِ فَخَائِنَاتُ
 ٥٢٧٨- وَالْحَافِظَاتُ الغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي
- بِوَفَاءِ حَقِّ البَعْلِ قَطُّ يَدَانِ
 قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ
 تَقْبَلُ سِوَى التَّعْوِيجِ وَالنُّقْصَانِ
 قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرُهُ الإِنْسَانِي
 مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ
 شَيْءٌ يَظُنُّ بِهِ مِنَ الأَثْمَانِ
 وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ العُمِيَانِ
 تُبْعُولُهُنَّ وَهُنَّ لِلأَخْدَانِ
 قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النِّسْوَانِ

الشرح

- ٥٢٦٤- يَا مُطَلِّقَ الطَّرْفِ المَعْدَبِ فِي الأُلَى
 جُرْدُنَ عَنِ حُسْنٍ وَعَنِ إِحْسَانٍ
 قَوْلُهُ: «فِي الأُلَى»؛ يعني: اللآئِي، والمرادُ نساءُ الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ: «جُرْدُنَ عَنِ حُسْنٍ وَعَنِ إِحْسَانٍ» «عَنِ حُسْنٍ»؛ يعني: باعتبارِ نساءِ الجَنَّةِ؛ لأنَّ حُسْنَ نساءِ أَهْلِ الدُّنْيَا مَهْمَا كَانَ لَا يُنْسَبُ إِطْلَاقًا إِلَى حُسْنِ نساءِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَكَذَلِكَ الإِحْسَانُ، الإِحْسَانُ فِي النِّسَاءِ قَلِيلٌ، وَلَوْ أَحْسَنْتَ يَوْمًا أَسَاءْتَ دَهْرًا، هَذَا الغَالِبُ عَلَيْهِنَّ؛ وَلهَذَا أَمْرُ النَّبِيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بِأَنْ نَصْبَرَ عَلَى النِّسَاءِ، فَقَالَ: «فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضَلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضَّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنَّ

ذَهَبَتْ تَقِيْمُهُ كَسْرَتُهُ، وَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ»^(١).

ثُمَّ ائْتَجَهَ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللهُ - إِلَى عُشَّاقِ النِّسَاءِ فِي الدُّنْيَا فَقَالَ:

٥٢٦٥- لَا تَسْبِيْنَتِكَ صُوْرَةٌ مِنْ تَحْتِهَا الذُّدَّاءُ الدَّوِيُّ تَبُوءٌ بِالْخُسْرَانِ

٥٢٦٦- قَبِحَتْ خَلَاتِقُهَا وَقُبِحَ فِعْلُهَا شَيْطَانَةٌ فِي صُوْرَةِ الْإِنْسَانِ

٥٢٦٧- تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَزْدَالِ هُمْ أَكْفَاؤُهَا مِنْ دُونِ ذِي الْإِحْسَانِ

٥٢٦٨- مَا نَمَّ مِنْ دِيْنٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا خُلُقٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرَّحْمَنِ

٥٢٦٩- وَجَمَالُهَا زُوْرٌ وَمَصْنُوْعٌ فَإِنْ تَرَكَتُهُ لَمْ تَطْمَحْ لَهَا الْعَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «تَرَكَتُهُ» الظَّاهِرُ أَنَّهَا «تَتْرُكُهُ»، فَالظَّاهِرُ أَنَّ الْبَيْتَ لَا يَسْتَقِيْمُ إِلَّا بِهَذَا.

ذَكَرَ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّ جَمَالَهَا مَصْنُوْعٌ، فَهُوَ مَصْنُوْعٌ مِنَ الْمَكْيَاجِ وَشَبِيْهِه، لَكِنَّهَا

خِرَابٌ، فَهِيَ تَنْقَادُ لِلْأَنْذَالِ وَالْأَزْدَالِ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ.

٥٢٧٠- طُبِعَتْ عَلَى تَرْكِ الْهِفَاطِ فَمَا لَهَا بُوَفَاءٍ حَقَّ الْبَعْلِ قَطُّ يَدَانِ

٥٢٧١- إِنْ قَصَّرَ السَّاعِي عَلَيْهَا سَاعَةً قَالَتْ وَهَلْ أَوْلَيْتَ مِنْ إِحْسَانِ

٥٢٧٢- أَوْ رَامَ تَقْوِيْمًا لَهَا اسْتَعَصَتْ وَلَمْ تَقْبَلْ سِوَى التَّعْوِيْجِ وَالنَّقْصَانِ

٥٢٧٣- أَفْكَارُهَا فِي الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ الَّذِي قَدْ حَارَ فِيهِ فِكْرُهُ الْإِنْسَانِي

كُلُّ هَذَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ أَنَّكَ إِذَا قَصَّرْتَ عَلَيْهَا مَرَّةً قَالَتْ: «مَا رَأَيْتُ مِنْكَ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، رقم

(٣٣٣١). ومسلم: كتاب النكاح، باب الوصية بالنساء، رقم (١٤٦٨)

خَيْرًا قَطُّ»^(١)، و«إِنْ تُقَمِّمَهَا تَكْسِرُهَا، وَإِنْ تَتْرُكَهَا تَسْتَمْتِعُ بِهَا وَفِيهَا عَوَجٌ»^(٢).

٥٢٧٤- فَجَمَّالُهَا قَشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ مَا شِئْتَ مِنْ عَيْبٍ وَمِنْ نُقْصَانِ

٥٢٧٥- نَقْدٌ رَدِيٌّ فَوْقَهُ مِنْ فِضَّةٍ شَيْءٌ يَظُنُّ بِهِ مِنَ الْأَثْمَانِ

٥٢٧٦- فَالِنَّاقِدُونَ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ

٥٢٧٧- أُمَّا جَمِيلَاتُ الْوُجُوهِ فَخَائِنَا تٌ بُعُولِهِنَّ وَهِنَّ لِلْأَخْدَانِ

٥٢٧٨- وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ مِنْهُنَّ الَّتِي قَدْ أَصْبَحَتْ فَرْدًا مِنَ النَّسْوَانِ

فالظاهرُ فِضَّةٌ، والدَّاخلُ نُحَّاسٌ، وهذا الذي ذَكَرَهُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله- في وصفِ النِّسَاءِ لَعَلَّهُ يَرِيدُ بِهَذَا النِّسَاءِ الْبَاغِيَاتِ؛ أَي: اللَّاتِي يَحْنُ أَزْوَاجُهُنَّ بِالزَّنَا وَاتِّخَاذِ الْأَخْدَانِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وَلَا يَرِيدُ بِهَذَا جَمِيعَ النِّسَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي كِتَابِهِ: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَنِينَاتٌ حَفِظَتُ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٤]، وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ لَيْسَتْ عَلَى مَا وَصَفَ ابْنُ الْقَيِّمِ -رحمه الله- فِي هَذَا، لَكِنَّهُ يَرِيدُ بِذَلِكَ الْبَاغِيَا اللَّاتِي يَخْدَعْنَ بِجَمَالِهِنَّ الَّذِي هُوَ زَيْفٌ، تَجْمِيلٌ وَلَيْسَ جَمَالًا فِي الْحَقِيقَةِ، قَشْرٌ رَقِيقٌ تَحْتَهُ الْبَلَاءُ، وَالنَّاقِدُ مَعْنَاهُ الْبَصِيرُ بِالشَّيْءِ يَرَوْنَ مَاذَا تَحْتَهُ؟ وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ مِنَ الْعُمَيَّانِ؛ وَلِهَذَا قَالَ: «وَالْحَافِظَاتُ الْغَيْبِ...».

(١) أخرجه البخاري: كتاب الإيوان، باب كفران العشير، وكفر دون كفر، رقم (٢٩)، ومسلم: في أول كتاب العيدين، رقم (٨٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٢/٤٤٩، رقم ٩٧٩٤).

- ٥٢٧٩- فَأَنْظُرُ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
 ٥٢٨٠- وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيِ الـ
 ٥٢٨١- إِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَاكَ خَوْدٌ مِثْلَ مَا
 ٥٢٨٢- فَأَخْطُبُ مِنَ الرَّحْمَنِ خَوْدًا ثُمَّ قَدْ
 ٥٢٨٣- ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيَسَّرُ- إِنْ يَكُنْ
 ٥٢٨٤- وَاللَّهِ لَمْ تَخْرُجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلدُّ
 ٥٢٨٥- لَكِنْ خَرَجْتَ لِكَيْ تُعَدَّ الزَّادَ لِلدُّ
 ٥٢٨٦- أَهْمَلْتَ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ
 ٥٢٨٧- وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ
 ٥٢٨٨- لَكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ

الشرح

- ٥٢٧٩- فَأَنْظُرُ مَصَارِعَ مَنْ يَلِيكَ وَمَنْ خَلَا
 ٥٢٨٠- وَارْغَبْ بِعَقْلِكَ أَنْ تَبِيعَ الْعَالِيِ الـ
 ٥٢٨١- إِنْ كَانَ قَدْ أَغْيَاكَ خَوْدٌ مِثْلَ مَا
 ٥٢٨٢- فَأَخْطُبُ مِنَ الرَّحْمَنِ خَوْدًا ثُمَّ قَدْ
 ٥٢٨٣- ذَاكَ النِّكَاحُ عَلَيْكَ أَيَسَّرُ- إِنْ يَكُنْ
- مِنْ قَبْلُ مِنْ شَيْبٍ وَمِنْ شُبَّانِ
 بَاقِي بِذَا الْأَدْنَى الَّذِي هُوَ فَا نِي
 تَبْغِي وَلَمْ تَظْفَرِ إِلَى ذَا الْآنِ
 دِمَّ مَهْرَهَا مَا دُمْتَ ذَا إِمْكَانِ
 لَكَ نِسْبَةٌ لِلْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ

يقول: إِذَا أَعْيَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَوْدٌ؛ أَي: امرأةٌ مستورةٌ طَيِّبَةُ الخَلْقِ والخُلُقِ، فَاخْطَبُ إِلَى الرَّحْمَنِ؛ يعني: قَدَّمَ المَهْرَ إِلَى الله عَزَّ وَجَلَّ لِخِطْبَةِ الحُورِ العِينِ؛ وذلك بالإيمانِ والعملِ الصَّالِحِ، والإيمانُ والعملُ الصَّالِحُ هو مهرٌ أيسرُ من مهرِ نساءِ الدُّنْيَا، وهو أيضًا يَطِيبُ به القلبُ، وينسُخُ به الصَّدْرُ، وتنسُطُ به النَّفْسُ، ولا حياةُ ألدُّ من حياةِ أهلِ الإيمانِ والصَّلاحِ أبدًا، حتَّى قال بعضُ السَّلفِ: «لو يعلمُ الملوِكُ وأبناءُ الملوِكِ ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسُّيُوفِ»^(١) الملوِكُ وأبناءُ الملوِكِ سرورُهم ورفاهيتُهم سرورُ جسدٍ لا سرورُ قلبٍ، ورفاهيةُ جسدٍ لا رفاهيةُ نفسٍ، وإن كانوا منعمين ويُحَدِّمُونَ وتُقَدِّمُ لهم أطيبُ الفواكِه والفرُشِ والأسِرَّةِ، لكن نفوسُهم ليست مسرورةً، بل نفوسُهم في حبسٍ وضيقٍ، لكن ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]، لم يقل: «لنوسعنَّ عليه في الرِّزْقِ والقصورِ والمراكبِ»، بل قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾، تجدُّ قلبه مُنْشَرِحًا مُنْعَمًا مسرورًا دائِمًا لا يَنغلقُ، حتَّى إِنَّه إِذَا انغلق فَتَحَ اللهُ له بابَ الاستغفارِ كما قال النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّهٗ لَيَعَانُ^(٢) عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(٣)، فتجدُه دائِمًا مُنْشَرِحًا؛ لأنَّه يقولُ بلسانِ الحالِ: «إِن فَاتَنِي الدُّنْيَا أَدْرَكْتُ الآخِرَةَ، وَإِن لَمْ تَفُتْنِي جَمَعْتُ بَيْنَ الدُّنْيَا والآخِرَةَ»، فهو يترقَّبُ دارًا أكملَ بكثيرٍ من دارِهِ التي هو

(١) من كلام إبراهيم بن أدهم، وقد تقدم.

(٢) الغين: الغيم. وَغِيَّتِ السَّاءُ تُعَانُ: إِذَا أَطْبَقَ عَلَيْهَا الغَيْمُ. وقيل: العَيْنُ: شَجَرٌ مُلْتَفٌ، أَرَادَ مَا يَغْشَاهُ مِنَ السَّهْوِ الَّذِي لَا يَخْلُو مِنْهُ البَشَرُ، لِأَنَّ قَلْبَهُ أَبَدًا كَانَ مَشْغُولًا بِاللَّهِ تَعَالَى، فَإِن عَرَضَ لَهُ وَقْتًا مَا عَارَضَ بَشَرِي يَشْغَلُهُ مِنْ أُمُورِ الأُمَّةِ والمِلَّةِ ومِصَالِحِهَا عَدَدَ ذَلِكَ ذَنْبًا وَتَقْصِيرًا، فَيَفْزَعُ إِلَى الاستغفارِ. انظر: النهاية: غين.

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب الاستغفار والاستكثار منه، رقم (٢٧٠٢).

فيها؛ لأنه يؤمنُ بها ويطربُّها ويسعى للوصول إليها، ومع ذلك يجعلُ الله في قلبه من السُّرورِ والبهجةِ وطيبِ العيشِ ما لا يحصلُ لغيره.

٥٢٨٤- وَاللَّهُ لَمْ يُخْرِجْ إِلَى الدُّنْيَا لِلذِّ ذَةَ عَيْشِهَا أَوْ لِلْحُطَامِ الْفَانِي

٥٢٨٥- لَكِنْ خَرَجَتْ لِكَيْ تَعُدَّ الزَّادَ لِلذِّ أُخْرَى فَحِجَّتْ بِأَقْبَحِ الحُسْرَانِ

صحيحٌ، ما خَرَجْنَا لنعيش في الدُّنْيَا كما تعيشُ البهائمُ نأكلُ ونشربُ وننامُ فقط، ولكن خَرَجْنَا لكي نُعِدَّ الزَّادَ للأخرى؛ كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذَّارِيَات: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَدًا وَأَنْتُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴾ (١١٥) فَتَعَلَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]؛ أي: تَعَالَى وَتَعَاظَمَ أَنْ يَخْلُقَنَا عَبَدًا لَا نَرْجِعُ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدًّا فَمَلَأْتِيهِ ﴾ [الانشقاق: ٦]، سَوْفَ نَقْفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مَلَاقَاةً، وَيَحَاسِبُنَا، ثُمَّ نُؤْتَى الْكُتُبَ بِالْأَيْمَانِ أَوْ بِالشَّمَائِلِ، نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ كِتَابَنَا بِالْيَمِينِ.

٥٢٨٦- أَهْمَلْتِ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ بَلْ فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ

قَوْلُهُ: «أَهْمَلْتِ جَمْعَ الزَّادِ حَتَّى فَاتَ»، أَيَّ زَادٍ أَهْمَلْتِ؟ الْجَوَابُ: أَهْمَلْتِ جَمْعَ زَادِ الآخِرَةِ، حَتَّى فَاتَ، وَجَمْعُ زَادِ الآخِرَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

قَوْلُهُ: «حَتَّى فَاتَ، بَلْ فَاتَ الَّذِي أَلْهَاكَ عَنْ ذَا الشَّانِ» اللَّهُ أَكْبَرُ، إِذَنْ فَاتَهُ زَادَانِ: زَادُ الآخِرَةِ وَالزَّادُ الَّذِي أَلْهَاهُ عَنِ زَادِ الآخِرَةِ، مَا الَّذِي أَلْهَاهُ عَنِ هَذَا الزَّادِ؟ الْجَوَابُ: الدُّنْيَا وَمَتْعُهَا فَاتَتْ، الدُّنْيَا الْآنَ لَا يَمْضِي مِنْهَا دَقِيقَةٌ فَتَرْجِعُ، كُلُّهَا تَفُوتُ، فَدَقَائِقُ وَلِحْظَاتٌ وَإِذَا أَنْتِ عَلَى شَفَا البَيْرِ، انْتَهَيْتِ، لَكِنْ نَعِيمُ الآخِرَةِ يَزِدُّ

ويبقى، ولا يَفْنَى أَبَدًا كما قال تعالى: ﴿خَلْدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]؛ أي: لا ينقطع أبدًا، فكيف نُؤَثِّرُ الْفَانِي عَلَى الْبَاقِي؟! والله إِنَّهُ جَهْلٌ مَنَّا وَغَفْلَةٌ وَتَغَافُلٌ؛ إذ كيف نُفَضِّلُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، مع أَنَّنَا نَرَاهَا تَذْهَبُ وَلَا تَرْجِعُ، تَفَوَّتْ، فَإِذَا لَمْ نَسْتَدْرِكْ أَعْمَارَنَا بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ فَاتَتَنَا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُمِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

٥٢٨٧- وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ سَلِيمَةٌ لَتَقَطَّعَتْ أَسْفًا مِنَ الْحَرَمَانِ

أَقْسَمَ، وَصَدَقَ، وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ قُلُوبَنَا سَلِيمَةٌ لَتَقَطَّعَتْ أَسْفًا وَحُزْنَا مِنْ حَرَمَانِهَا؛ يَعْنِي: يُحْرَمُ الْإِنْسَانُ الْوَصُولَ إِلَى الْجَنَّةِ بِسُوءِ فِعْلِهِ، وَمَا أَكْثَرَ السَّاعَاتِ الَّتِي تَمُرُّ بِنَا وَنَحْنُ نُحْرَمُ مِنْهَا وَلَا نَسْتَفِيدُ مِنْهَا، وَالْعَمْرُ وَالزَّمَنُ أَعْلَى مِنَ الثَّمَنِ، أَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ وَأَعْلَى مِنَ الْفِضَّةِ، الذَّهَبُ وَالْفِضَّةُ لَوْ ذَهَبَا يُمْكِنُ أَنْ يَأْتِيَ بَدْلَهُمَا شَيْءٌ، لَكِنِ الْعَمْرُ وَالزَّمَنُ لَا يَأْتِي بَدْلَهُ شَيْءٌ، إِذَا ذَهَبَ ذَهَبٌ بِدُونِ رَدِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ١١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۗ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا ۗ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠]؛ يَعْنِي: لَا يُوجَدُ رَجُوعٌ، ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقْتُ وَأَكُنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠].

أنت الآن في مهلة، اغتتم الوقت، اجعل لنفسك حزبًا من كتاب الله عز وجل، اجعل لنفسك وقتًا للعمل الصالح، قم في آخر الليل ولو نصف ساعة قبل الفجر، ناج ربك، ادعُه، فإنه تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فيقول: «من يدعوني

فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيهِ؟ مَنْ يَسْتَعْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»^(١)، مَنْ الذي لا يقدرُ أن يقومَ قبل الفجرِ بنصفِ ساعةٍ؟! هذا أمرٌ بسيطٌ جدًّا، نحن نسألُ اللهَ أن يرحمنا برحمته، لا نقومُ ثلثَ اللَّيْلِ ولا نصفَ اللَّيْلِ، لكن أفلا يمكنُ أن نقومَ نصفَ ساعةٍ فقط، نتوضأُ، نذكرُ اللهَ فيها، نصليَ ما شاء الله، نُوترِّقُ؟! هذا أمرٌ أظنه بسيطًا جدًّا.

كذلك أيضًا نجعلُ حياتنا كُلَّها ذكرًا لله، فإنَّ المؤمنَ الكَيِّسَ هو الذي يجعلُ حياته كُلَّها ذكرًا لله؛ لأنَّ في كُلِّ شيءٍ أماننا آيةٌ من آياتِ الله، فإذا ذكَّرنا هذا الشَّيءَ الذي أماننا من آياتِ الله ذكرنا بذلك اللهَ عزَّ وجلَّ، فيكونُ الإنسانُ دائِمًا يذكرُ اللهَ عزَّ وجلَّ بما يُشاهدُ من آياتِ الله الكونيَّةِ، بل بما يُشاهدُ من نفسه وتقلُّباتها، فالقلوبُ ليست على وتيرةٍ واحدةٍ دائِمًا، بل في غفلةٍ أحيانًا، في إنابةٍ أحيانًا، في تذكُّرٍ أحيانًا، في حياةٍ بينةٍ أحيانًا، أحيانًا يحيا قلبك حياةً تتمتعُ بها مدَّةٌ من الزَّمنِ تتذكَّرها، ربَّما تتذكَّرها حالةً وَقَفْتَ فيها بين يدي الله عزَّ وجلَّ مُصَلِّيًا ساجدًا قبل ثلاثين سنةً أو أكثر حسب عُمرِ الإنسانِ؛ لأنَّها أَثَرَتْ في قلبه، فمثلُ هذه الأشياءِ ينبغي أن نستغلَّها، وألا نغفلَ، فالغفلةُ قسوةٌ للقلبِ وموتٌ للقلبِ.

٥٢٨٨- لِكِنَّهَا سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّ دُنْيَا وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانٍ

وَصَدَقَ رَحْمَهُ اللهُ، القلوبُ سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّنْيَا، فهي تسعى للدُّنْيَا أوْلا وآخِراءَ، ينامُ الإنسانُ وهو يفكِّرُ في الدُّنْيَا، يستيقظُ وهو يفكِّرُ في الدُّنْيَا، كأنَّها خُلِقَتْ للدُّنْيَا فتغفلُ عن الآخرةِ، ومتى تُفِيقُ؟ قال: «وَسَوْفَ تُفِيقُ بَعْدَ زَمَانٍ»

(١) أخرجه البخاري: كتاب التهجد، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل، رقم (١٠٩٤)، ومسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، رقم (٧٥٨).

متى؟ الجواب: عند الموت يُفِيقُ الإنسانُ، يقولُ: «لَيْتَنِي فَعَلْتُ، لَيْتَنِي فَعَلْتُ»، وأشدُّ من ذلك إفاقةً إذا كان يومُ القيامةِ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَنَّمَا كُنْتُ مِنَ السَّائِلِينَ ﴿٢٧﴾﴾ يَتَوَلَّى لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي ﴿[الفرقان: ٢٧-٢٨]﴾، قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿[الفرقان: ٢٩]﴾، أو يقولها القائل وهو نفس الذي عَضَّ يديه، وحين يقول القائل: ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿[الفجر: ٢٤]﴾، وهناك لا يَنْفَعُ النَّدَمُ.

فجزاه اللهُ خيرًا، فقد حَرَّكَ القلوبَ وأفاد، نَسَأَلُ اللهُ أن يجزيه عَنَّا خيرًا.

أَسَأَلُ اللهُ تعالى بِأَسْمَائِهِ وصفاته أن يجعلني وإياكم مِمَّنْ يَغْتَنِمُ الأوقاتِ بالأعمالِ الصَّالِحَاتِ، وأن يُثَبِّتَنَا عند المماتِ وبعد المماتِ وفي يومٍ يجعلُ الولدانَ شبيبا، إِنَّه جوادٌ كريمٌ.

فصل

- ٥٢٨٩- فَاسْمَعِ صِفَاتِ عَرَائِسِ الْجَنَّاتِ ثُمَّ
 ٥٢٩٠- حُورٌ حِسَانٌ قَدْ كَمُلْنَ خَلَائِقًا
 ٥٢٩١- حَتَّى يَحَارَ الطَّرْفُ فِي الْحُسْنِ الَّذِي
 ٥٢٩٢- وَيَقُولُ لَمَّا أَنْ يُشَاهِدَ حُسْنَهَا
 ٥٢٩٣- وَالطَّرْفُ يَشْرَبُ مِنْ كُؤُوسِ جَمَالِهَا
 ٥٢٩٤- كَمَلَتْ خَلَائِقُهَا وَأَكْمَلَ حُسْنَهَا
 ٥٢٩٥- وَالشَّمْسُ تَجْرِي فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهَا
 ٥٢٩٦- فَتَرَاهُ يَعْجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ
 ٥٢٩٧- وَيَقُولُ سُبْحَانَ الَّذِي ذَا صُنْعُهُ
 ٥٢٩٨- لَا اللَّيْلُ يُدْرِكُ شَمْسَهَا فَتَغِيبُ عِنْدَ
 ٥٢٩٩- وَالشَّمْسُ لَا تَأْتِي بِطَرْدِ اللَّيْلِ بَلْ
 ٥٣٠٠- وَكِلَاهُمَا مِرْآةٌ صَاحِبِهِ إِذَا
 ٥٣٠١- فَرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا
 ٥٣٠٢- حُمُرُ الْخُدُودِ تُغَوَّرُهُنَّ لِأَلْيِّ
- مَ اخْتَرَهُ لِنَفْسِكَ يَا أَخَا الْعِرْفَانِ
 وَمَحَاسِنًا مِنْ أَجْمَلِ النُّسُوانِ
 قَدْ أَلْبَسَتْ فَالطَّرْفُ كَالْحَيْرَانِ
 سُبْحَانَ مُعْطِي الْحُسْنِ وَالْإِحْسَانِ
 فَتَرَاهُ مِثْلَ الشَّارِبِ النُّسُوانِ
 كَالْبَدْرِ لَيْلَ السَّتِّ بَعْدَ ثَمَانِ
 وَاللَّيْلُ تَحْتَ ذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ
 لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
 سُبْحَانَ مُتَقِنِ صَنْعَةِ الْإِنْسَانِ
 سَدَّ مَجِيئِهِ حَتَّى الصَّبَاحِ الثَّانِي
 يَتَصَاحَبَانِ كِلَاهُمَا أَحْوَانِ
 مَا شَاءَ يُبْصِرُ وَجْهَهُ يَرِيَانِ
 وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعِيَانِ
 سُودُ الْعُيُونِ فَوَائِرُ الْأَجْفَانِ

- ٥٣٠٣ - وَالْبَرْقُ يَبْدُو حِينَ يَبْسِمُ نَعْرَهَا
فِيضِيءُ سَقْفُ الْقَصْرِ بِالْجُدْرَانِ
- ٥٣٠٤ - وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّ بَرْقًا سَاطِعًا
يَبْدُو فَيَسْأَلُ عَنْهُ مَنْ بِجَنَانِ
- ٥٣٠٥ - فَيُقَالُ هَذَا ضَوْءُ نَعْرِ ضَاحِكِ
فِي الْجَنَّةِ الْعُلْيَا كَمَا تَرِيَانِ
- ٥٣٠٦ - اللَّهُ لَا يُؤْمِمْ ذَلِكَ النَّعْرِ الَّذِي
فِي لَثْمِهِ إِدْرَاكُ كُلِّ أَمَانِ
- ٥٣٠٧ - رِيَانَةُ الْأَعْطَافِ مِنْ مَاءِ الشَّبَا
بِ فَغْضِنِهَا بِالْمَاءِ ذُو جَرِيَانِ
- ٥٣٠٨ - لَمَّا جَرَى مَاءُ النَّعِيمِ بِغُضْنِهَا
حَمَلَ الشَّمَارَ كَثِيرَةَ الْأَلْوَانِ
- ٥٣٠٩ - فَالْوَرْدُ وَالتَّقَّاحُ وَالرُّمَّانُ فِي
عُضْنِ تَعَالَى عَارِسُ البُسْتَانِ
- ٥٣١٠ - وَالقَدُّ مِنْهَا كَالْقَضِيبِ اللَّدْنِ فِي
حُسْنِ القَوَامِ كَأَوْسَطِ القُضْبَانِ
- ٥٣١١ - فِي مَغْرَسِ كَالعَاجِ تَحْسَبُ أَنَّهُ
عَالِي النَّقَا أَوْ وَاحِدُ الكُثْبَانِ
- ٥٣١٢ - لَا الظَّهْرُ يَلْحَقُهَا وَلَيْسَ تُدِيهَا
بِلَوْاحِقِ لِلْبَطْنِ أَوْ بِدَوَائِي
- ٥٣١٣ - لَكِنَّهُنَّ كَوَاعِبٌ وَنَوَاهِدُ
فَتُدِيهُنَّ كَأَلْطَفِ الرَّمَّانِ
- ٥٣١٤ - وَالْحِيدُ ذُو طُولٍ وَحُسْنٍ فِي بِيَا
ضٍ وَاعْتِدَالٍ لَيْسَ ذَا نُكْرَانِ
- ٥٣١٥ - يَشْكُو الحَلِيُّ بِعَادَةِ فَلَهُ مَدَى الْ
أَيَّامِ وَسَوَاسٍ مِنَ الهِجْرَانِ
- ٥٣١٦ - وَالْمِعْصَمَانِ فَإِنْ تَشَأْ شَبَّهُهُمَا
بِسَبِيكَتَيْنِ عَلَيَّهِمَا كَفَّانِ
- ٥٣١٧ - كَالزُّبْدِ لِيَنَّا فِي نُعُومَةٍ مَلْمَسِ
أَصْدَافُ دُرٍّ دَوَّرَتْ بِوِرَانِ
- ٥٣١٨ - وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ عَلَى بَطْنِ لَهَا
حُفَّتْ بِهِ خَصْرَانِ ذَاتِ ثَمَانِ

- ٥٣١٩ - وَعَلَيْهِ أَحْسَنُ سُرَّةٍ هِيَ مَجْمَعُ الْ
 حَضْرَيْنِ قَدْ غَارَتْ مِنَ الْأَعْكَانِ
 ٥٣٢٠ - حُقُّ مِنَ الْعَاجِ اسْتَدَارَ وَحَوْلُهُ
 حَبَاتُ مِسْكِ جَلَّ ذُو الْإِثْقَانِ
 ٥٣٢١ - وَإِذَا انْحَدَرْتَ رَأَيْتَ أَمْرًا هَائِلًا
 مَا لِلصِّفَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 ٥٣٢٢ - لَا الْحَيْضُ يَغْشَاهُ وَلَا بَوْلٌ وَلَا
 شَيْءٌ مِنْ الْآفَاتِ فِي النَّسْوَانِ
 ٥٣٢٣ - فَخِذَانِ قَدْ حُفَّابِهِ حَرَسَالَهُ
 فَجَنَابُهُ فِي عِزَّةٍ وَصِيَانِ
 ٥٣٢٤ - قَامَا بِخِدْمَتِهِ هُوَ السُّلْطَانُ بَيْنَ
 نَهْمَا وَحَقُّ طَاعَةِ السُّلْطَانِ
 ٥٣٢٥ - وَهُوَ الْمُطَاعُ أَمِيرُهُ لَا يَنْشِي
 عَنْهُ وَلَا هُوَ عِنْدَهُ بِجَبَانِ
 ٥٣٢٦ - وَجَمَاعُهَا فَهُوَ الشِّفَاءُ لِصَبِّهَا
 فَالصَّبُّ مِنْهُ لَيْسَ بِالضَّجْرَانِ
 ٥٣٢٧ - وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا أَتَتْ
 بِكِرًّا بَغَيْرِ دَمٍ وَلَا نُقْصَانِ
 ٥٣٢٨ - فَهُوَ الشَّهِيُّ وَعُضُوهُ لَا يَنْشِي
 جَاءَ الْحَدِيثُ بِذَا بِلَانُكْرَانِ
 ٥٣٢٩ - وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي
 قَدْ جَاءَ فِي ﴿يَس﴾ دُونَ بَيَانِ
 شُغْلُ الْعُرُوسِ بِعَرْسِهِ مِنْ بَعْدِ مَا
 عَيْتَتْ بِهِ الْأَشْوَاقُ طَوَّلَ زَمَانِ
 ٥٣٣٠ - بِاللَّهِ لَا تَسْأَلُهُ عَنْ أَشْغَالِهِ
 تِلْكَ اللَّيَالِي شَأْنُهُ ذُو شَانِ
 ٥٣٣١ - وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ
 مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ
 ٥٣٣٢ - وَالشَّوْقُ يُزْعِجُهُ إِلَيْهِ وَمَالَهُ
 بِلِقَائِهِ سَبَبٌ مِنَ الْإِمْكَانِ
 ٥٣٣٣ - وَاقِيَ إِلَيْهِ بَعْدَ طَوْلِ مَغِيْبِهِ
 عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانِ

٥٣٣٥- أَتَلَوْمُهُ أَنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ لَا وَالَّذِي أَعْطَى بِلا حُسْبَانٍ
٥٣٣٦- يَا رَبِّ غَفْرًا قَدْ طَغَتْ أَقْلَامُنَا يَا رَبِّ مَعْذِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَتَرَاهُ يَعَجَبُ وَهُوَ مَوْضِعُ ذَاكَ مِنْ لَيْلٍ وَشَمْسٍ كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ؟»
الشمس: الوجه، والليل: ذوائب الرأس، فهو يتعجب كيف يجتمع الليل والنهار؟
لكن الله على كل شيء قدير، وهذا كله كالتمثيل والمبالغة في الاستعارة.

قَوْلُهُ: «فَيْرَى مَحَاسِنَ وَجْهِهِ فِي وَجْهِهَا وَتَرَى مَحَاسِنَهَا بِهِ بَعِيَانٍ؛» يعني أن
الرجل مع أهله من الحور في الجنة يستطيع أن يرى وجهه في وجهها، وترى
وجهها في وجهه، فكل منهما مرآة صاحبه، لكن هذا يحتاج إلى دليل.

قَوْلُهُ: «وَإِذَا يُجَامِعُهَا تَعُودُ كَمَا أَتَتْ بِكِرًا بغيرِ دَمٍ وَلَا نُقْصَانٍ؛» لقوله تعالى:
﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَّنَهُنَّ أَتْكَارًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦]؛ يعني: دائماً.

قَوْلُهُ: «وَلَقَدْ رَوَيْنَا أَنَّ شُغْلَهُمُ الَّذِي قَدْ جَاءَ فِي ﴿يس﴾ دُونَ بَيَانِ شُغْلِ
العروسِ بِعُرْسِهِ» وهذا هو ظاهر الآية كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي
شُغْلٍ فَلَكَهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِفُونَ﴾ [يس: ٥٥-٥٦]،
فتفسيرها بهذا مطابق تماماً لظاهر السياق.

قَوْلُهُ: «وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا بِصَبِّ غَابٍ عَنْ مَحْبُوبِهِ فِي شَاسِعِ الْبُلْدَانِ»
«الصَّبُّ»؛ أي: الحبيب، فالصباغة درجة من درجات المحبة؛ لأن المحبة عشر
درجات ذكرها ابن القيم في «روضة المحبين»، وأعلىها الخلة.

وهذا المثل واضح؛ فهذا رجل غاب عن زوجته طويلاً، وهو يحبها وتحبه.

قَوْلُهُ: «الشَّوْقُ يُزَعِجُهُ»؛ أي: إليها، وكذلك هي، ثُمَّ «وَافَى إِلَيْهِ بَعْدَ طُولِ مَغْيِبِهِ عَنْهُ وَصَارَ الْوَصْلُ ذَا إِمْكَانٍ أَتَلُوْمُهُ إِنْ صَارَ ذَا شُغْلٍ بِهِ؟» الجواب: «لَا، وَالَّذِي أَعْطَى بِلَا حُسْبَانٍ».

قَوْلُهُ: «يَا رَبِّ غَفْرًا قَدْ طَعَتِ أَقْلَامُنَا يَا رَبِّ مَعْدِرَةً مِنَ الطُّغْيَانِ»، وهذا صحيحٌ أَنَّهُ طَعَتِ أَقْلَامُهُ، وَالطُّغْيَانُ: الزِّيَادَةُ، لَكِنْ هَذِهِ زِيَادَةٌ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لَا يَأْتُمُّ بِهَا؛ لِأَنَّ قَصْدَهُ بِهَذَا التَّشْوِيقِ إِلَى مَا فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحَوْرِ الْعَيْنِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مَا فِي الْجَنَّةِ كَمَا فِي الدُّنْيَا، هُنَّ أَزْوَاجٌ لَكِنَّهُنَّ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ، وَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مِمَّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ فَقَطْ، وَالْحَوْرُ نِسَاءٌ خُلِقْنَ فِي الْجَنَّةِ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ، خُلِقْنَ بِكَلِمَةِ «كُنَّ»، لَكِنْ نِسَاءُ الدُّنْيَا يَكُنَّ أَحْسَنَ مِنَ الْحَوْرِ فِي الْجَنَّةِ، وَيَكُنَّ أَفْضَلَ مِنْهُنَّ أَيْضًا؛ لِأَنَّ الْحَوْرَ الْعَيْنَ لَمْ يَلْحَقْهُنَّ تَكْلِيفٌ وَلَا ابْتِلَاءٌ وَامْتِحَانٌ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِخِلَافِ نِسَاءِ الدُّنْيَا، وَكُلُّ مَا يَكُونُ فِي الْحَوْرِ الْعَيْنِ مِنَ الصِّفَاتِ فَهُوَ مَوْجُودٌ فِي نِسَاءِ الدُّنْيَا.

المهمُّ أَنَّ الْمُؤَلِّفَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَرَادَ بِهَذَا الْوَصْفِ الْعَجِيبِ الْغَرِيبِ أَنْ يُشَوِّقَ الْإِنْسَانَ إِلَى هَؤُلَاءِ الْأَزْوَاجِ حَتَّى يَعْمَلَ لَهُنَّ، نَسَأُ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ أَزْوَاجِهِنَّ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا الْعِلْمَ النَّافِعَ وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ.

فصل

- ٥٣٣٧- أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِبَتْ
مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَقَانِ
- ٥٣٣٨- وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يَرَى
مُخَّ الْعِظَامِ وَرَاءَهُ بَعِيَانِ
- ٥٣٣٩- وَالرَّيْحُ مِسْكٌ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمٌ
وَاللُّونُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
- ٥٣٤٠- وَكَلَامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنِعْمَةٍ
زَادَتْ عَلَى الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
- ٥٣٤١- وَهِيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبَدَلَهَا
وَتَحَبُّبِ لِلزَّوْجِ كُلِّ أَوَانِ
- ٥٣٤٢- وَهِيَ النَّبِيَّ عِنْدَ الْجَمَاعِ تَزِيدُ فِي
حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ وَالْأُذُنَانِ
- ٥٣٤٣- لُطْفًا وَحُسْنَ تَبَعُلٍ وَتَغَنُّجٍ
وَتَحَبُّبِ تَفْسِيرِ ذِي الْعِرْفَانِ
- ٥٣٤٤- بِلِكَ الْحَلَاوَةِ وَالْمَلَاحَةِ أَوْجَبًا
إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضَعَ لِسَانِ
- ٥٣٤٥- فَمَلَاحَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا
هِيَ أَوَّلٌ وَهُوَ الْمَجْلُ الثَّانِي
- ٥٣٤٦- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لَصَبٌّ وَامِقٌ
بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانِ

الشرح

- ٥٣٣٧- أَقْدَامُهَا مِنْ فِضَّةٍ قَدْ رُكِبَتْ
مِنْ فَوْقِهَا سَاقَانِ مُلْتَقَانِ
- ٥٣٣٨- وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يَرَى
مُخَّ الْعِظَامِ وَرَاءَهُ بَعِيَانِ
- قَوْلُهُ: «وَالسَّاقُ مِثْلُ الْعَاجِ مَلْمُومٌ يَرَى مُخَّ الْعِظَامِ وَرَاءَهُ بَعِيَانِ» وَلَا تَقْسِمُوا

هذا بالدُّنيا، فلو أنَّ امرأةً صار يُرى مُخُّ ساقها فلا يشتهيها الإنسان، لكن في الآخرة الأمرُ يختلفُ، فيوجدُ الآنَ تمرُّ صافٍ جدًّا يردُّ من الجزائر، ترى النَّواةَ من ورائه، فهذا تشتاقُ إلى أكله قبل أن تأكله؛ لأنَّ هذا طبيعته.

- ٥٣٣٩- وَالرَّيْحُ مِسْكٌ وَالْجُسُومُ نَوَاعِمٌ وَاللَّوْنُ كَالْيَاقُوتِ وَالْمَرْجَانِ
 ٥٣٤٠- وَكَلَامُهَا يَسْبِي الْعُقُولَ بِنِعْمَةٍ زَادَتْ عَلَى الْأَوْتَارِ وَالْعِيدَانِ
 ٥٣٤١- وَهِيَ الْعَرُوبُ بِشَكْلِهَا وَبِدَلِّهَا وَتَحْبُّبٍ لِلزَّوْجِ كُلِّ أَوَانِ
 ٥٣٤٢- وَهِيَ الَّتِي عِنْدَ الْجَمَاعِ تَزِيدُ فِي حَرَكَاتِهَا لِلْعَيْنِ وَالْأذُنَانِ
 ٥٣٤٣- لُطْفًا وَحُسْنَ تَبْعُلٍ وَتَغْنُجٍ وَتَحْبُّبٍ تَفْسِيرُ ذِي الْعِرْفَانِ

يعني: هذا تفسيرُ أصحابِ المعرفة، وعلى رأسهم عبدُ الله بنُ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ الْعَرُوبَ هِيَ مَا وُصِفَتْ بِالشَّكْلِ وَالذَّلِّ وَالتَّحْبُّبِ وَالتَّغْنُجِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُوجِبُ الْمَحَبَّةَ التَّامَّةَ لزوجِهَا.

- ٥٣٤٤- تِلْكَ الْحَلَاوَةُ وَالْمَلَاخَةُ أَوْجَبَا إِطْلَاقَ هَذَا اللَّفْظِ وَضَعَ لِسَانَ
 ٥٣٤٥- فَمَلَاخَةُ التَّصْوِيرِ قَبْلَ غِنَاجِهَا هِيَ أَوَّلٌ وَهُوَ الْمَحِلُّ الثَّانِي
 ٥٣٤٦- فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لَصَبٌ وَامِقٌ بَلَغَتْ بِهِ اللَّذَاتُ كُلَّ مَكَانِ
 قَوْلُهُ: «لِصَبِّ» الصَّبُّ: شَدِيدُ الْحُبِّ.

قَوْلُهُ: «وَامِقٍ»؛ أَي: ذُو مِقَّةٍ؛ وَالْمِقَّةُ: رَتْبَةٌ مِنْ رَتْبَةِ الْمَحَبَّةِ أَيْضًا.

فصل

- ٥٣٤٧- أْتَرَابٌ سِنٌّ وَاحِدٌ مُتَمَاثِلٍ سِنُّ الشَّبَابِ لِأَجْمَلِ الشَّبَّانِ
- ٥٣٤٨- بَكَرٌ فَلَمْ يَأْخُذْ بِكَارَتِهَا سِوَى الْ- مَحْبُوبٍ مِنْ إِنْسٍ وَلَا مِنْ جَانِ
- ٥٣٤٩- حِصْنٌ عَلَيْهِ حَارِسٌ مِنْ أَعْظَمِ الْ- حُرَّاسٍ بِأَسَا شَأْنُهُ ذُو شَانِ
- ٥٣٥٠- فَإِذَا أَحَسَّ بِدَاخِلٍ لِلْحِصْنِ وَلِ- لَى هَارِبًا فَتَرَاهُ ذَا إِمْعَانِ
- ٥٣٥١- وَيَعُودُ وَهَنَا حِينَ رَبُّ الْحِصْنِ يَنْحُ- رُجٌ مِنْهُ فَهُوَ كَذَا مَدَى الْأَزْمَانِ
- ٥٣٥٢- وَكَذَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّهَا تَنْصَاعُ بِكَرًا لِلْجَمَاعِ الثَّانِي
- ٥٣٥٣- لَكِنَّ دَرَجَاتِ أَبَا السَّمْحِ الَّذِي فِيهِ يُضَعَّفُهُ أَوْلُو الْإِتْقَانِ
- ٥٣٥٤- هَذَا وَبَعْضُهُمْ يُصَحِّحُ عَنْهُ فِي التَّ- تَفْسِيرِ كَالْمَوْلُودِ مِنْ حَبَّانِ
- ٥٣٥٥- فَحَدِيثُهُ دُونَ الصَّحِيحِ وَإِنَّهُ فَوْقَ الضَّعِيفِ وَلَيْسَ ذَا إِتْقَانِ

الشرح

هذا وإن كان الحديث ضعيفاً في هذه المسألة، لكنه ظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً ۝٣٥ جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرْيًا أْتَرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٧]، فقال: ﴿جَعَلْنَهُنَّ أَبْكَارًا﴾؛ يعني: عند كل جماع، ولو كانت بكرًا في أول مرة لم يكن لها هذا الإنشاء الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنِشَاءً﴾؛ يعني: إنشاءً يُعَايِرُ إِنِشَاءَ النِّسَاءِ فِي

الدُّنْيَا، فَالصَّحِيحُ حَتَّىٰ لَوْ كَانَ الْحَدِيثُ ضَعِيفًا^(١) أَتَمَّهِنَّ يُنْشَأَنَّ أَبْكَارًا، فَكُلَّمَا جَامَعَهَا وَنَزَعَ مِنْهَا عَادَتْ بِكَرًّا، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

- ٥٣٥٦- يُعْطَى الْمُجَامِعُ قُوَّةَ الْمِئَةِ النَّبِيِّ اجْ
 تَمَعَتْ لِأَقْوَى وَاحِدِ الْإِنْسَانِ
 ٥٣٥٧- لَا أَنْ قُوَّتَهُ تُضَاعَفُ هَكَذَا
 إِذْ قَدْ يَكُونُ لِأَضْعَفِ الْأَرْكَانِ
 ٥٣٥٨- وَيَكُونُ أَقْوَى مِنْهُ ذَا نَقْصٍ مِنَ الْ
 إِيْمَانِ وَالْأَعْمَالِ وَالْإِحْسَانِ
 ٥٣٥٩- وَلَقَدْ رُوِينَا أَنَّهُ يَغْشَى بِيَوْمِ
 مِ وَاحِدٍ مِئَةً مِنَ النَّسْوَانِ
 ٥٣٦٠- وَرِجَالُهُ شَرَطُ الصَّحِيحِ رَوَوْا لَهُمْ
 فِيهِ وَذَا فِي «مُعْجَمِ الطَّبْرَانِيِّ»
 ٥٣٦١- هَذَا دَلِيلٌ أَنَّ قَدْرَ نِسَائِهِمْ
 مُتَقَاوِتٌ بِتَفَاوُتِ الْإِيْمَانِ
 ٥٣٦٢- وَبِهِ يَزُولُ تَوْهُمُ الْإِشْكَالِ عَنْ
 تِلْكَ النَّصُوصِ بِمِئَةِ الرَّحْمَنِ
 ٥٣٦٣- وَبِقُوَّةِ الْمِئَةِ الَّتِي حَصَلَتْ لَهُ
 أَفْضَى إِلَى مِئَةِ بِلَا خَوْرَانِ
 ٥٣٦٤- وَأَعْقَبُهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا هُوَ الْ
 أَقْوَى هُنَاكَ لِزُهْدِهِ فِي الْفَانِي
 ٥٣٦٥- فَاجْمَعْ قُورَاكَ لِمَا هُنَاكَ وَغَمِّضِ الْ
 عَيْنَيْنِ وَاصْبِرْ سَاعَةً لِرِزْمَانِ
 ٥٣٦٦- مَا هَاهُنَا وَاللَّهُ مَا يَسْوَى قُلَا
 مَةَ ظُفْرٍ وَاحِدَةٍ تُرَى بِجِنَانِ
 ٥٣٦٧- مَا هَاهُنَا إِلَّا النَّفَارُ وَسَيِّئُ الْ
 أَخْلَاقِ مَعَ عَيْبٍ وَمَعَ نَقْصَانِ

(١) يعني حديث أبي هريرة رَوَاهُ اللَّهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: أَنْطَأَ فِي الْجَنَّةِ قَالَ: «نَعَمْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ دَحْمًا دَحْمًا فَإِذَا قَامَ عَنْهَا رَجَعَتْ مُطَهَّرَةً بِكَرًا». أخرجه ابن حبان (١٦/٤١٥)، رقم (٧٤٠٢).

- ٥٣٦٨- هَمٌّ وَعَمٌّ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي حَتَّى الطَّلَاقِ أَوْ الفِرَاقِ الثَّانِي
- ٥٣٦٩- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا شَرَعًا فَأَضْحَى البَعْلُ وَهُوَ العَانِي
- ٥٣٧٠- لَا تُؤَثِّرِ الأَذْنَى عَلَى الأَعْلَى فَإِنْ تَفَعَّلَ رَجَعْتَ بِذِلَّةٍ وَهَوَانٍ

الشرح

قَوْلُهُ: «مَا هَاهُنَا إِلَّا النِّقَارُ»؛ أي: المشاجرة.

قَوْلُهُ: «هَمٌّ وَعَمٌّ دَائِمٌ»؛ أي: هَمٌّ لما مَضَى، وَعَمٌّ لما يَأْتِي.

قَوْلُهُ: «لَا يَنْتَهِي حَتَّى الطَّلَاقِ أَوْ الفِرَاقِ الثَّانِي» «الفِرَاقُ الثَّانِي»؛ أي: الموت.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ النِّسَاءَ عَوَانِيًا» قد جَعَلَ اللهُ النِّسَاءَ عَوَانِيًا؛ يعني: مثل

الأسرى عند الرِّجَالِ.

قَوْلُهُ: «فَأَضْحَى البَعْلُ وَهُوَ العَانِي»؛ يعني: انعكست القضية، صار البعلُّ

هو الأسير؛ يعني أُنْهَا أَسْرَتْهُ، فصار الرَّجُلُ يمشي على ما تريدُ المرأةُ.

وكانَ ابنُ القَيْمِ يُشَاهِدُ حَالَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ اليَوْمِ، اليَوْمِ أَصْبَحَ الزَّوْجُ هو

الأسيرَ عندَ الزَّوْجَةِ، ماذا تريد؟ فيفعل، حَتَّى إِنَّهُ ليَحْمِلُ ابنَهُ وِمتاعَهُ الذي يشتريه

من السُّوقِ، ابنُهُ يَحْمِلُهُ على عَرَبِيَّةٍ يُحْرِكُهَا، وِمتاعُهُ بيدهِ والزَّوْجَةُ تَمْشِي، ولا تَحْمِلُ

شيئًا أَبَدًا، هذا عكسُ الحَقِيقَةِ، وقد كانت زَوْجَةُ الزُّبَيْرِ بنِ العَوَّامِ تَحْمِلُ النَّوَى من

المَدِينَةِ إلى بستانِهِ خارجَ المَدِينَةِ^(١)، هذا هو الحَقِيقَةُ هُنَّ عَوَانٌ، لكن علينا أن

نَتَّقِيَ اللهُ فِيهِنَّ وَنُعْطِيهِنَّ مِثْلَ مَا نُحِبُّ أَنْ يُعْطِينَ إِيَّاهُ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب النكاح، باب الغيرة، رقم (٤٩٢٦)، ومسلم: كتاب السلام، باب

إرداف المرأة الأجنبية إذا أعيت في الطريق، رقم (٢١٨٢).

فصل

- ٥٣٧١- وَإِذَا بَدَتِ فِي حُلَّةٍ مِنْ لُبْسِهَا
 ٥٣٧٢- تَهْتَزُّ كَالْغُصْنِ الرَّطِيبِ وَحَمْلُهُ
 ٥٣٧٣- وَتَبَخَّرَتْ فِي مَشِيهَا وَيَحْتَقُ ذَا
 ٥٣٧٤- وَوَصَائِفٌ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا
 ٥٣٧٥- كَالْبَدْرِ لَيْلَةٌ تَمُّهُ قَدْ حُفَّ فِي
 ٥٣٧٦- فَلِسَانُهُ وَفُؤَادُهُ وَالطَّرْفُ فِي
 ٥٣٧٧- فَالْقَلْبُ قَبْلَ زِفَافِهَا فِي عُرْسِهِ
 ٥٣٧٨- حَتَّى إِذَا مَا وَاجَهْتُهُ تَقَابَلَا
 ٥٣٧٩- فَسَلِ الْمُتَمِيمَ هَلْ يَحِلُّ الصَّبْرُ عَنْ
 ٥٣٨٠- وَسَلِ الْمُتَمِيمَ أَيْنَ خَلَّفَ صَبْرَهُ
 ٥٣٨١- وَسَلِ الْمُتَمِيمَ كَيْفَ حَالَتُهُ وَقَدْ
 ٥٣٨٢- مِنْ مَنْطِقِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَوَجَّ
 ٥٣٨٣- وَسَلِ الْمُتَمِيمَ كَيْفَ عَيْشَتُهُ إِذَا
 ٥٣٨٤- يَتَسَاقَطَانِ لِأَلَّا مَنُشُورَةً
- وَمَمَائِلَتْ كَتَائِبِلِ النَّشْوَانِ
 وَرَدُّ وَنَفَاحٌ عَلَى رُمَّانِ
 كَلِمِثْلِهَا فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 وَعَلَى سَائِلِهَا وَعَنْ أَيْمَانِ
 غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ
 دَهَشٍ وَإِعْجَابٍ وَفِي سُبْحَانِ
 وَالْعُرْسُ إِثْرَ الْعُرْسِ مُتَّصِلَانِ
 أَرَأَيْتَ إِذْ يَتَقَابَلُ الْقَمَرَانِ
 ضَمٌّ وَتَقْبِيلٌ وَعَنْ فَلَئَانِ
 فِي أَيِّ وَادٍ أُمِّ بِأَيِّ مَكَانِ
 مُلِئَتْ لَهُ الْأُذُنَانِ وَالْعَيْنَانِ
 بِهِ كَمِ بِهِ لِلشَّمْسِ مِنْ جَرِيَانِ
 وَهَمَّا عَلَى فَرَشَيْهِمَا خِلْوَانِ
 مِنْ بَيْنِ مَنْظُومٍ كَنْظُمِ جُمَانِ

- ٥٣٨٥- وَسَلِ الْمُتَيْمَ كَيْفَ مَجْلِسُهُ مَعَ الـ
مَحْبُوبِ فِي رُوحٍ وَفِي رَيْحَانِ
- ٥٣٨٦- وَتَدْوُرُ كَأَسَاتِ الرَّحِيقِ عَلَيَّهَا
بِأَكْفٍ أَقْمَارٍ مِنَ الْوَلْدَانِ
- ٥٣٨٧- يَتَنَارَعَانِ الْكَأْسَ هَذَا مَرَّةً
وَالْحَوْذُ أُخْرَى ثُمَّ يَتَكَيَّانِ
- ٥٣٨٨- فَيُضْمُّهَا وَتَضْمُهُ أَرَأَيْتَ مَعَا
شُوقَيْنِ بَعْدَ الْبُعْدِ يَلْتَقِيَانِ
- ٥٣٨٩- غَابَ الرَّقِيبُ وَغَابَ كُلُّ مُنْكَدٍ
وَهُمَا بِشُوبِ الْوَصْلِ مُشْتَمِلَانِ
- ٥٣٩٠- أَتْرَاهُمَا ضَحْرَيْنِ مِنْ ذَا الْعَيْشِ لَا
وَحَيَاةَ رَبِّكَ مَا هُمَا ضَحْرَانِ
- ٥٣٩١- وَيَزِيدُ كُلُّ مِنْهُمَا حُبًّا لِيَصَا
حِبِّهِ جَدِيدًا سَائِرَ الْأَزْمَانِ
- ٥٣٩٢- وَوَصَالُهُ يَكْسُوهُ حُبًّا بَعْدَهُ
مُتَسَلِّسًا لَا يَنْتَهِي بِزَمَانِ
- ٥٣٩٣- فَالْوَصْلُ مُحْفُوفٌ بِحُبِّ سَابِقِ
وَبِلَاحِقِ وَكِلَاهُمَا صِنَوَانِ
- ٥٣٩٤- فَرَّقْ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ ذَا
يُدْرِيهِ ذُو شُغْلِ بِهِذَا الشَّانِ
- ٥٣٩٥- وَمَزِيدُهُمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ حَاصِلٌ
سُبْحَانَ ذِي الْمَلَكُوتِ وَالسُّلْطَانِ
- ٥٣٩٦- يَا غَافِلًا عَمَّا خُلِقْتَ لَهُ انْتَبِهْ
جَدَّ الرَّحِيلِ فَلَسْتَ بِالْيَقْظَانِ
- ٥٣٩٧- سَارَ الرَّفَاقُ وَخَلَّفُوكَ مَعَ الْأَلَى
قَنَعُوا بِذَا الْحِظِّ الْخَسِيسِ الْفَانِي
- ٥٣٩٨- وَرَأَيْتَ أَكْثَرَ مَنْ تَرَى مُتَخَلِّفًا
فَتَبِعْتَهُمْ وَرَضِيَتْ بِالْحِرْمَانِ
- ٥٣٩٩- لَكِنْ أَتَيْتَ بِحُطَّتِي عَجِزٍ وَجَهْـ
لِي بَعْدَ ذَا وَصَحِبْتَ كُلَّ أَمَانِ
- ٥٤٠٠- مَتَّكَ نَفْسُكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقُعُو
دِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ

٥٤٠١- وَلَسَوْفَ تَعْلَمُ حِينَ يَنْكَشِفُ الْغِطَاءُ مَاذَا صَنَعْتَ وَكُنْتَ ذَا إِمْكَانٍ

الشرح

قَوْلُهُ: «وَتَبَخَّرْتِ فِي مَشِيهَا» أَمَا فِي الدُّنْيَا فَالْتَبَخَّرْتُ لَا يَجُوزُ إِلَّا فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، فِي حَالِ الْحَرْبِ مَعَ الْأَعْدَاءِ فَإِنَّهُ يَجُوزُ لَنَا أَنْ نَتَبَخَّرَ وَأَنْ نَمشِيَ الْخِيَلَاءَ، وَأَنْ نَلْبَسَ الْحَرِيرَ أَيْضًا وَنَحْنُ رَجَالٌ لِقَصْدِ إِذْلَالِ الْعَدُوِّ وَإِهَانَتِهِ.

قَوْلُهُ: «وَوَصَائِفُ مِنْ خَلْفِهَا وَأَمَامِهَا...» الْوَصَائِفُ؛ يَعْنِي: الْخُدَمَ، فَالْحُورِيَّةُ لَهَا خُدَمٌ، شَبَّهَهُمْ ابْنُ الْقَيْمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- كَالْبَدْرِ لَيْلَةً تَمَّةً؛ يَعْنِي: تَمَامَهُ «قَدْ حُفَّ فِي غَسَقِ الدُّجَى بِكَوَاكِبِ الْمِيزَانِ» إِذَا صَارَ الْبَدْرُ تَامًا وَحَوْلَهُ كَوَاكِبُ الْمِيزَانِ النَّيِّرَةِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ لَهُ مَنْظَرٌ عَجِيبٌ لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا مَنْ شَاهَدَ ذَلِكَ.

قَوْلُهُ: «وَفِي سُبْحَانِ» «سُبْحَانَ»؛ يَعْنِي: تَسْبِيحًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، يُسَبِّحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيَنْزُهُهُ عَنِ كُلِّ نَقْصٍ.

قَوْلُهُ: «فَرَّقُ لَطِيفٌ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ ذَا يَدْرِيهِ ذُو سُغْلِ بِهَذَا الشَّانِ» وَهَذَا صَحِيحٌ، فَهَنَّاكَ فَرَّقُ بَيْنَ حُبِّ التَّلَاقِي السَّابِقِ وَاللَّاحِقِ، لَكِنْ مَا يَدْرِيهِ إِلَّا ذُو سُغْلِ بِهَذَا الشَّانِ.

قَوْلُهُ: «مَنْتَكَ نَفْسِكَ بِاللَّحَاقِ مَعَ الْقُعُودِ عَنِ الْمَسِيرِ وَرَاحَةِ الْأَبْدَانِ»؛ وَذَلِكَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّي لَهُمُ التَّنَاوُسُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢].

فصل

في ذكر الخلاف بين الناس: هل تحبل نساء أهل الجنة أم لا؟

- ٥٤٠٢- وَالنَّاسُ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ هَلْ بِهَا حَبْلٌ وَفِي هَذَا لَهُمْ قَوْلَانِ
- ٥٤٠٣- فَتَفَاهُ طَاوُسٌ وَإِبْرَاهِيمُ ثُمَّ مَجَاهِدٌ وَهُمْ أَوْلُو الْعِرْفَانِ
- ٥٤٠٤- وَرَوَى الْعُقَيْلِيُّ الصَّدُوقُ أَبُو رَزِيٍّ مِنْ صَاحِبِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٤٠٥- أَلَّا تَوَالِدَ فِي الْجَنَّةِ رَوَاهُ تَعَمُّرٌ لِيَقًا مُحَمَّدُ الْعَظِيمُ الشَّانِ
- ٥٤٠٦- وَحَكَاهُ عَنْهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ ذُو الْإِثْقَانِ
- ٥٤٠٧- لَا يَشْتَهِي وَلَدًا بِهَا وَلَوْ اشْتَهَاهَا هُ لَكَانَ ذَلِكَ مُحَقَّقَ الْإِمْكَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «رَوَاهُ تَعَلِيْقًا مُحَمَّدُ الْعَظِيمُ الشَّانِ»؛ أَي: مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ.

قَوْلُهُ: «وَقَالَ إِسْحَاقُ... لَا يَشْتَهِي وَلَدًا بِهَا وَلَوْ اشْتَهَاهَا لَكَانَ ذَلِكَ مُحَقَّقَ الْإِمْكَانِ» وهذا هو المناسبُ أَلَّا تَوَالِدَ فِي الْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ التَّوَالِدَ فِي الدُّنْيَا لِحِفْظِ بَقَاءِ النَّسْلِ؛ لِأَنَّ النَّاسَ يَمُوتُونَ، لَكِنْ فِي الْآخِرَةِ لَا مَوْتَ، فَتَجِدُهُمْ لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى أَوْلَادٍ، وَلَا يَشْتَهُونَ الْوَلَدَ، وَلَا يَتَفَاخَرُونَ بِهِ، إِذْ نَ لَا فَائِدَةَ، فَالرَّاجِحُ أَنَّهُ لَا تَوَالِدَ فِي الْجَنَّةِ، لَكِنْ لَوْ قَرَضْنَا أَنْ أَحَدًا اشْتَهَاهَا فَعَمُومُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الزُّخْرَفُ: ٧١]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهِيهِ أَنْفُسُكُمْ﴾ [فَصَّلَتْ: ٣١] يَقْتَضِي أَنْ يَحْصَلَ لَهُ الْوَلَدُ.

- ٥٤٠٨ - وَرَوَى هِشَامٌ لِابْنِهِ عَنْ عَامِرٍ
عَنْ نَاجِيٍّ عَنْ سَعْدِ بْنِ سِنَانٍ
٥٤٠٩ - أَنَّ الْمُنْعَمَ بِالْجَنَانِ إِذَا اشْتَهَى الـ
وَلَدَ الَّذِي هُوَ نُسخَةُ الْإِنْسَانِ
٥٤١٠ - فَالْحَمْلُ ثُمَّ الْوَضْعُ ثُمَّ السَّنُّ فِي
فَرْدٍ مِنَ السَّاعَاتِ فِي الْأَزْمَانِ
٥٤١١ - إِسْنَادُهُ عِنْدِي صَحِيحٌ قَدْ رَوَا
هُ التِّرْمِذِيُّ وَأَحْمَدُ الشَّيْبَانِيُّ
٥٤١٢ - وَرَجَالَ ذَا الْإِسْنَادِ مُحْتَجٌّ بِهِمْ
فِي «مُسْلِمٍ» وَهُمْ أَوْلُو إِتْقَانٍ
٥٤١٣ - لَكِنْ غَرِيبٌ مَا لَهُ مِنْ شَاهِدٍ
فَرْدٍ بِذَا الْإِسْنَادِ لَيْسَ بِشَانٍ
٥٤١٤ - لَوْلَا حَدِيثُ أَبِي رَزِينٍ كَانَ ذَا
كَالْتَصِّ يَقْرُبُ مِنْهُ فِي التَّبَيَّانِ
٥٤١٥ - وَلِذَلِكَ أَوْلَهُ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ بِالشُّـ
شَرْطِ الَّذِي هُوَ مُنْتَفِي الْوَجْدَانِ
٥٤١٦ - وَبِذَاكَ رَامَ الْجَمْعَ بَيْنَ حَدِيثِهِ
وَأَبِي رَزِينٍ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ
٥٤١٧ - هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ فَإِنْ
نَ «إِذَا» لِتَحْقِيقِ وَذِي إِيْقَانٍ
٥٤١٨ - وَلَرُبَّمَا جَاءَتْ لِعَيرِ تَحْقِيقِ
وَالْعَكْسُ فِي «إِنْ» ذَاكَ وَضَعُ لِسَانِ

الشرح

إِذَنْ فَهَمْنَا الْآنَ أَنَّ نَفِي حَبْلِ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي حَالٍ لَا يَشْتَهِي فِيهَا الْوَلَدَ
كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي رَزِينِ الْعُقَيْلِيِّ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْإِثْبَاتَ فِيهَا إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ، وَهَذَا
الْجَمْعُ لَا شَكَّ أَنَّهُ يُوَافِقُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِيَ الْأَنْفُسُ وَتَلَدُّ الْأَعْيُنُ﴾
[الزُّخْرَفُ: ٧١] فَمَا الْمَانِعُ إِذَا اشْتَهَى الْإِنْسَانُ وَلَدًا فِي الْجَنَّةِ أَنْ يُوَلَدَ لَهُ فِي مَدَّةٍ وَجِيزَةٍ،

(١) أخرجه البيهقي في البعث والنشور، رقم (٣٩٧).

في ساعاتٍ، ولكن هل الإنسان هناك يكون في نفسه شوقاً إلى الأولاد؟ الله أعلم، لكن قد لا يجعل الله له شوقاً إلى الأولاد، ويكون نعيمه فيما عنده من الحور والولدان وغير ذلك، وكذلك الذرية التي تبعته؛ لأن الله قال: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور: ٢١]، ونجد الإنسان في الدنيا قد تطيب نفسه عن الأولاد إذا كثروا، ولا يكون له همٌّ للأولاد، فكيف بالجنة التي فيها من النعيم ما يسلي الإنسان عن كل شيء؛ لهذا نجمع بين الأحاديث الدالة على الولد والأحاديث النافية بأن نقول: إنه إذا اشتهاه فلا مانع أن يكون، ولكن من يقول: إنه يشتهي؟ وحينئذٍ يحمل النفي على أنهم لا يشتهون الولد، وإذا لم يشتهوه لا يولد لهم؛ لكن المؤلف تعقب هذا الجمع أيضاً؛ ولذا قال: «هَذَا وَفِي تَأْوِيلِهِ نَظَرٌ»؛ ووجه ذلك أن الحديث جاء بكلمة «إِذَا»، قال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي»^(١)، وهناك فرق بين «إِنْ» الشرطية، و«إِذَا» الشرطية.

يقولون: «إِذَا» لتوقيت المحقق، و«إِنْ» لتعليق غير المحقق؛ فمثلاً: إذا قلت: «إِذَا قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» هذا يشعر بأن زيدا سيقوم، وأن قيامك مرتبط بقيامه، فهي للتوقيت؛ ومثل ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَطْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ [البقرة: ٢٠]، فهي تدل على تحقق الشرط، وإذا قلت: «إِنْ قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» فهذه شرطية؛ لأنه قد يقوم وقد لا يقوم، وكل إنسان يجد الفرق بين «إِذَا قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» وبين «إِنْ قَامَ زَيْدٌ فَقُمْ» هذا هو الأصل في اللغة العربية، ولكن مع ذلك قد تأتي «إِذَا» لما يتحقق و«إِنْ» لما تحقق، إذن هما يتبادلان.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة، رقم (٢٥٦٣)، وابن ماجه: كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم (٤٣٣٨).

- ٥٤١٩- وَاحْتَجَّ مَنْ نَصَرَ الْوِلَادَةَ أَنَّ فِي الْـ
جَنَّاتٍ سَائِرَ شَهْوَةِ الْإِنْسَانِ
٥٤٢٠- وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْبَيْنَ مَعَ النِّسَاءِ
مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي الْقُرْآنِ
٥٤٢١- فَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ لَا يَشْتَهِي
وَلَدًا وَلَا حَبْلًا مِنَ النِّسْوَانِ
٥٤٢٢- وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الْوِلَادَةَ أَنَّهَا
مَلْزُومَةٌ أَمْرَانِ مُمْتَنِعَانِ
٥٤٢٣- حَيْضٌ وَإِنْزَالُ الْمَنِيِّ وَذَانِكَ الْـ
أَمْرَانِ فِي الْجَنَّاتِ مَفْقُودَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ قَدْ جَعَلَ الْبَيْنَ مَعَ النِّسَاءِ مِنْ أَعْظَمِ الشَّهَوَاتِ فِي الْقُرْآنِ»،
وهذا صحيح كما قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [آل
عمران: ١٤].

قَوْلُهُ: «وَاحْتَجَّ مَنْ مَنَعَ الْوِلَادَةَ... وَذَانِكَ الْأَمْرَانِ فِي الْجَنَّاتِ مَفْقُودَانِ» مَنْ
مَنَعَ الْوِلَادَةَ؛ قَالُوا: لِأَنَّ الْوِلَادَةَ تَسْتَلْزِمُ حَيْضَ الْمَرْأَةِ وَإِنْزَالَ الرَّجُلِ الْمَنِيِّ، وَهَذَا
فِي الْجَنَّةِ مَفْقُودٌ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]؛ يَعْنِي:
لَا يَحِضْنَ؛ لِأَنَّ الْحَيْضَ قَدْرٌ وَأَذَى كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ
أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

- ٥٤٢٤- وَرَوَى صَدَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ أَنْ
نَ مَنِئِهِمْ إِذْ ذَاكَ ذُو فُقْدَانِ
٥٤٢٥- بَلْ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ هَكَذَا
يَرُوي سُلَيْمَانُ هُوَ الطَّبْرَانِي
٥٤٢٦- وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ نَوْعٌ سِوَى الْـ
مَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّسْوَانِ

٥٤٢٧- فَالْتَفِي لِلْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا مِنْ ال- إِيْلَادِ وَالْإِبْتَاتِ نَوْعٌ ثَانِ

الشرح

العلماء -رحمهم الله- في مناقشاتٍ عجيبةٍ، قالوا: يمكنُ ولدُ بمنِّي غيرِ منِّي الدُّنيا، فَلَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَنِيٌّ وَلَا مَنِيَّةٌ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «...وَلَكِنْ لَا مَنِيَّ وَلَا مَنِيَّةَ»^(١)؛ يعني: لا مني ولا موت، والمنيُّ به الحياة، والموتُ به الفقدانُ، فالجنةُ ليس فيها منيٌّ ينشأ به الولدانُ، ولا مَنِيَّةٌ يُفقدُ بها الموجودُ، يقولُ: أجاب القائلون بالإمكانِ بأنَّ قولَه: «لَا مَنِيَّ»؛ يعني: المنِّي المعهود الذي في الدُّنيا، فَالْتَفِي لِلْمَعْهُودِ فِي الدُّنْيَا، لكن هذا ضعيفٌ.

٥٤٢٨- وَاللَّهُ خَالِقُ نَوْعَانِ مِنْ أَرْبَعٍ مُتَقَابِلَاتٍ كُلُّهَا بِوِزَانٍ
٥٤٢٩- ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَالَّذِي هُوَ ضِدُّهُ وَكَذَلِكَ مِنْ أُنْثَى بِلا ذَكَرٍ
٥٤٣٠- وَالْعَكْسُ أَيْضًا مِثْلُ حَوَا أُمَّنَا هِيَ أَرْبَعٌ مَعْلُومَةٌ التَّبْيَانُ

الشرح

خَلَقَ اللَّهُ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ مِنْ أَصْنَافٍ أَرْبَعَةٍ:

الأول: من ذكرٍ وأنثى.

الثاني: من أنثى بلا ذكرٍ.

الثالث: من ذكرٍ بلا أنثى.

(١) أخرجه الطبراني (٨/٩٦، رقم ٧٤٧٩).

الرَّابِع: لا من ذكرٍ ولا من أنثي.

فأدُمُ لا من ذكرٍ ولا من أنثي، وحواء من ذكرٍ بلا أنثي، وعيسى من أنثي بلا ذكرٍ، وسائرُ النَّاسِ من ذكرٍ وأنثي.

٥٤٣١- وَكَذَلِكَ مَوْلُودُ الْجَنَانِ يَجُوزُ أَنْ يَأْتِيَ بِبِلا حَيْضٍ وَلَا فَيْضَانِ

٥٤٣٢- وَالْأُمُّرُ فِي ذَا مُمْكِنٍ فِي نَفْسِهِ وَالْقَطْعُ مُتَمَتِّعٌ بِبِلا بَرَهَانِ

الشرح

جزاه الله خيراً، هذا هو العَجَبُ، يقول: يمكنُ أن يأتي بلا حيضٍ وبلا إنزالٍ، لكننا لا نقطعُ بهذا، وهذا آخرُ ما عنده، فهو يقول: ما نقطعُ بشيءٍ، والقطعُ ممتنعٌ بلا برهانٍ.

والذي يظهرُ -والعلمُ عند الله- أنَّهم لا يشتهون الأولادَ، وأنهم لو اشتهاوا لَحَصَلْ بدونِ فضلاتٍ؛ من: مَنِيٍّ، أو حيضٍ؛ لأنَّ الحيضَ أذى، ونساءُ الجنةِ مُطَهَّراتٌ، كما قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ [البقرة: ٢٥]، والله على كُلِّ شيءٍ قديرٌ، لكن الذي يظهرُ -والله أعلم- أنَّ أهلَ الجنةِ في غنى عن الأولادِ، لا يحتاجون إلى بقاءِ النَّسْلِ كما نحتاجُه نحن في الدنيا، والإنسانُ إذا مات بلا أولادٍ لا يجري له ذِكْرٌ، فالأولادُ هم بقاءُ الإنسانِ في الحقيقة، وأيضاً الذُّرِّيَةُ الصَّغَارُ يكونون مع أهلِهم في منازلهم كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَابْتَغَاهُمْ ذُرِّيَّتَهُمْ يَئِيمِينَ أَلْقَيْنَاهُمُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور: ٢١]، فإذا كان معهم ذُرِّيَّتَهُمُ الصَّغَارُ وعندهم هؤلاء الحورُ والنَّعِيمُ الذي لا يخطرُ على بالِ

أحد، فهم في غنى عن الأولاد، ولكن مع ذلك الذي نجزمُ به من دلالة الآية: ﴿وَفِيهَا مَا شَتَّهِهِ الْأَنْفُسُ﴾ [الزُخْرَف: ٧١] أنه لو اشتهى الإنسان الولدَ لحصل، وأنه ليس بالضروري أن يكون هناك حيضٌ أو منيٌّ؛ لأنَّ الله خلق الجنسَ البشريَّ كما قال ابنُ القيم من أصنافٍ أربعة، وهم كُلُّهم بشرٌ، كُلُّهم في الدُّنيا، فكيف بالآخرة؟! قد يكون الولدُ من دون إنزالٍ ومن دون حيضٍ، وأيضاً الحملُ المعروفُ في بني آدمَ أنه يبقى مدَّةً، وما جاء به الحديثُ من حملِ نساءِ أهلِ الجنَّةِ لا يبقى مدَّةً، والله أعلم.

فالظاهرُ - والله أعلم - أنَّ أهلَ الجنَّةِ لا يرغبون بالأولاد، وإن رغبوا فالأمرُ يسيرٌ، والله على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

انتهت الآن البحوثُ، وشيخنا عبدُ الرحمن بن سعديٍّ - رحمه الله - لما وصل إلى كرامةِ الله لهؤلاءِ قال: «انتهى الكلامُ على النُّونيَّة، ومن أراد الاطلاعَ على ما أعدَّ اللهُ لأهلِ الجنَّةِ فليقرأ «حادي الأرواح» للمؤلِّف.

وعلى هذا تُعتبرُ قراءتنا هذه نافلةً بالنسبةِ لما سلكه شيخنا رحمه الله.

فصل

في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى، ونظرهم إلى وجهه الكريم

- ٥٤٣٣ - وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ
نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانِ
- ٥٤٣٤ - هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ
يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ
- ٥٤٣٥ - وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَضْرِيحًا وَتَعَفًى
رَبِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ
- ٥٤٣٦ - وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ
تَفْسِيرٌ مَنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
- ٥٤٣٧ - وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِ«صَحِيحِهِ»
يَرْوِي صُهِيبٌ ذَا بِلَا كِتْمَانِ
- ٥٤٣٨ - وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو
بَكْرٍ هُوَ الصَّادِقُ ذُو الْإِيقَانِ
- ٥٤٣٩ - وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسُولِ وَتَابِعُو
هُمُ بَعْدَهُمْ تَبَعِيَّةَ الْإِحْسَانِ
- ٥٤٤٠ - وَلَقَدْ أَتَى ذِكْرُ اللَّقَاءِ لِرَبِّنَا الرُّ
رَحْمَنِ فِي سُورِ مِنَ الْفُرْقَانِ
- ٥٤٤١ - وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتْهُ حَكَى الـ
إِجْمَاعُ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيَّانِ
- ٥٤٤٢ - وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ
لُغَةٌ وَعُرْفٌ أَلَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

الشرح

هذا الفصل مهم جداً، وهو في إثبات رؤية أهل الجنة لله رب العالمين، وهذه الرؤية رؤية حق بالعين، ورؤية حق بالقلب؛ لأن القلب يعلم، والعين ترى،

وبذلك يحصل علم اليقين وعين اليقين، وقد تواتر عن رسول الله ﷺ رؤية المؤمنين إلى ربهم تواتراً قطعياً، وجاء في القرآن في عدة آيات؛ ولهذا حكّم بعض السلف على كفر من أنكر رؤية الله عز وجل، وقال: «من أنكر رؤية الله في الآخرة فهو كافر؛ لأنه خالف صريح القرآن وصريح السنة»، والنبي -عليه الصلاة والسلام- قرّر هذه الرؤية، وأنها رؤية بالعين، قال: «إنكم ترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر»^(١)، وقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «فإنكم ترونه كذلك»^(٢)، وهل بعد هذا التوكيد تحريفٌ لمحرّفٍ؟! أبداً؛ ولهذا نقول: إن الكتاب ومتواتر السنة قد دلّا على إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل.

بقي غير المؤمنين هل يرون الله؟ أمّا الكفار فلا يرون الله؛ لقول الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ متى؟ ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]؛ أي: يوم القيامة، أمّا المنافقون فيرون الله في عرصات القيامة، ثمّ يُحجَبُ بينهم وبينه كما جاء في حديث أبي سعيد في قصة كشف الله عز وجل عن ساقه «فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة، فيبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياءً وسُمعةً، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً»^(٣)، إذن يعجز عن السجود،

(١) أخرجه البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، رقم (٥٢٩)، ومسلم: كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، رقم (٦٣٣).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم، رقم (٦٢٠٤)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٢).

(٣) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَجِئُوا يَوْمَئِذٍ نَاضِرًا﴾ (٢٢) إلى ربها ناظرة ﴿[القيامة: ٢٣]، رقم (٧٠٠١)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، رقم (١٨٣).

كُلُّ مَنْ سَجَدَ لِلَّهِ رِيَاءً وَسَمْعَةً وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ، وَفِي هَذَا زِيَادَةُ الْحَسْرَةِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَرَوْهُ أَصْلًا أَهْوَنُ مَصِيبَةً مِنَ الَّذِينَ رَأَوْهُ ثُمَّ حُجِبُوا عَنْهُ؛ وَهَذَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ (٦٣) ءَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الَّذِينَ نَزْرَعُونَ﴾ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا﴾ [الواقعة: ٦٥]، ولم يقل: «لو نشاء لم ننبئه»، بل قال: «لجعلناه حطامًا بعد نباته»؛ لِأَنَّ تَعَلُّقَ النَّفْسِ بِهِ بَعْدَ نَبَاتِهِ أَشَدُّ مِنْ تَعَلُّقِهَا بِهِ بَعْدَ بَدْرِهِ، فَإِذَا حُرِمْتُهُ بَعْدَ النَّبَاتِ صَارَ أَشَدَّ وَقَعًا، وَقَالَ أَيضًا: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ (٦٨) ءَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ﴾ (٦٩) لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٠]، ولم يقل جلَّ ذكْرُه: «لو نشاء لم ننزله»؛ لِأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ ثُمَّ فَسَدَ صَارَ أَشَدَّ وَقَعًا عَلَى النَّفْسِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ بَعْدَ نَزْوِلِهِ تَعَلَّقَتْ بِهِ، فَإِذَا حُرِمْتُهُ صَارَ أَشَدَّ عَلَيْهَا مِمَّا لَوْ لَمْ تَرَهُ، فَالْمُنَافِقُونَ يَرَوْنَ اللَّهَ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يُحْجَبُونَ عَنْهُ، نَسَأَلُ اللَّهَ لَنَا وَلَكُمْ الْعَافِيَةَ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يَرَاهُ بَبَصَرِهِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

٥٤٣٣- وَيَرَوْنَهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَوْقِهِمْ نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يَرَى الْقَمَرَانِ

قَوْلُهُ: «كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ»؛ يَعْنِي: الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَهَذَا مِنْ بَابِ التَّغْلِيْبِ.

٥٤٣٤- هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاسِدُ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ»؛ أَي: تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَمَا فِي

الْبَيْتَيْنِ الْمَعْرُوفَيْنِ:

مِمَّا تَوَاتَرَ حَدِيثٌ مِنْ كَذَبٍ وَمَنْ بَنَى لِلَّهِ بَيْتًا وَاحْتَسَبَ

وَرُؤْيَاهُ شَفَاعَةٌ وَالْحَوْضُ وَمَسْحُ حُفَيْنٍ وَهَدْيٍ بَعْضُ (١)

(١) انظر: شرح العقيدة السفارينية للشارح (ص: ٥١٦).

والمتواتر عند أهل العلم يفيد القطع واليقين؛ ولذلك هو عندنا من الأمور المقطوع بها المتيقنة أننا سنرى ربنا عز وجل كما نرى القمر ليلة البدر، نسأل الله تعالى أن يحقق ذلك.

قوله: «لَمْ يُنْكِرْهُ إِلَّا فَاَسَدُ الْإِيمَانِ»؛ أي: لا ينكر رؤية الله إلا من فسد إيمانه، ولو كان مؤمناً بالله حقاً ما أنكر، وقد ذكرت لكم أن بعض السلف أطلق الكفر على من أنكر رؤية الله، وقال: إنه كافر خارج عن الإسلام؛ لأنه مكذب لله عز وجل ورسوله.

٥٤٣٥- وَأَتَى بِهِ الْقُرْآنُ تَصْرِيحًا وَتَعَدُّ رِيضًا هُمَا بِسِيَاقِهِ نَوْعَانِ

يعني: أن إثبات الرؤية في القرآن الكريم نوعان: صريح وتعريض، الصريح في قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، الحسنَى: الجنة، والزيادة: النظر إلى وجه الله، من فسّر هذا؟ يقول المؤلف:

٥٤٣٦- وَهِيَ الزِّيَادَةُ قَدْ أَتَتْ فِي يُونُسٍ تَفْسِيرٌ مِّنْ قَدْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ

٥٤٣٧- وَرَوَاهُ عَنْهُ مُسْلِمٌ بِ«صَحِيحِهِ» يَرْوِي صُهِبٌ ذَا بِلَاكِتَانَ

إذ ثبت في صحيح مسلم أن المراد بالزيادة في قوله تعالى: ﴿لَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: النظر إلى وجه الله^(١)، والذي فسرها أعلم الناس بكلام الله، وتفسيره نصّ كنص القرآن، كما أن تفسير الصحابي كنص الرسول عند بعض العلماء كالحاكم رحمه الله، فإنه يرى أن تفسير الصحابي للقرآن في حكم

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في رؤية الرب -تبارك وتعالى-، رقم (٢٥٥٢)، وابن ماجه: كتاب افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فيما أنكرت الجهمية، رقم (١٨٧).

المرفوع^(١)، لكنَّ جمهورَ العلماءِ على خلافه، وهو الصَّحيحُ، أمَّا تفسيرُ الرَّسولِ
للآيةِ فهو كنصُّ القرآنِ.

٥٤٣٨- وَهُوَ الْمَزِيدُ كَذَاكَ فَسَّرَهُ أَبُو بَكْرٍ هُوَ الصَّديقُ ذُو الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «هُوَ الصَّديقُ» الصَّديقُ في مقالِهِ وحالِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الصَّادِقُ في قولِهِ
المُصَدِّقُ لِمَنْ قَامَتِ الْبَيِّنَةُ عَلَى صَدَقِهِ.

قَوْلُهُ: «ذُو الْإِيقَانِ» الْإِيقَانُ ضِدُّ الشَّكِّ، فإِبانُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَقْوَى النَّاسِ
بَعْدَ الرَّسْلِ.

المزيد في قوله تعالى في سورة «ق»: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق:٣٥]
﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾؛ يعني: زيادةً، فسرها أبو بكرٍ بآئِمَّتِهَا النَّظْرُ إِلَى وَجهِهِ اللهُ (٢)، وما قيمةُ
تفسيرٍ جاء من أبي بكرٍ؟ الجوابُ: أقومُ التَّفاسيرِ؛ لأنَّ أبا بكرٍ أعلمُ النَّاسِ بِالقرآنِ
بَعْدَ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٥٤٣٩- وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الرَّسولِ وَتَابِعُوا هُمْ بَعْدَهُمْ تَبِيعَةَ الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «عَلَيْهِ»؛ أي: على تفسيرِ أبي بكرٍ بأنَّ المرادَ بالمزيدِ: الرَّؤْيُ لوجهِ اللهِ.
كُلُّ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ تَبِيعَةَ الْإِحْسَانِ أَجْمَعُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلَيْسَتْ التَّبِيعَةُ
الظَّاهِرِيَّةُ، بَلْ تَبِيعَةُ الْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّ التَّابِعِينَ لِمَنْ سَبَقَ قَسَمَانِ: قَسَمَ تَبِعَهُمْ عَلَى
الْإِحْسَانِ كَمَا قَيَّدَ اللهُ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ أَلَمَّجْرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]؛ ولهذا نسمعُ بعضَ الخطباءِ يقولُ: «وعلى
محمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ» وهذا نقصٌ في التَّعبيرِ، بل لا بُدَّ

(١) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٢/١٣).

(٢) انظر: فتح القدير، للشوكاني (٢/٥٠٢).

أَنْ يُقَيِّدَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ، كَمَا قَيَّدَهُ اللهُ، فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ تَابِعٌ يَكُونُ تَابِعًا حَقًّا، بَلْ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ تَابِعًا بِالْإِحْسَانِ يَتَّبِعُهُمْ خَطْوَةَ خَطْوَةٍ فِي الْعَقِيدَةِ، وَالْقَوْلِ، وَالْعَمَلِ، وَالْفِعْلِ، وَالتَّرِكِ.

٥٤٤٠- وَلَقَدْ آتَى ذِكْرُ اللِّقَاءِ لِرَبِّنَا الرُّحْمَانَ رَحْمَنٍ فِي سُورٍ مِنَ الْفُرْقَانِ

٥٤٤١- وَلِقَاؤُهُ إِذْ ذَاكَ رُؤْيَتْهُ حَكَى الْإِجْمَاعِ فِيهِ جَمَاعَةٌ بَيَّانِ

٥٤٤٢- وَعَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ جَمِيعُهُمْ لُغَةً وَعُرْفًا لَيْسَ يَخْتَلِفَانِ

آياتٌ كثيرةٌ فيها إثباتُ لقاءِ الله، قال اللهُ تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَوُوا رَبَّهُمْ﴾ [البقرة: ٤٦].

المهمُّ: آياتٌ كثيرةٌ فيها إثباتُ لقاءِ الله، وهل لقاءٌ بلا رؤيةٍ؟ يقولُ: أصحابُ الحديثِ كلُّهم أجمعوا بأنَّ المرادَ باللقاءِ: الرؤيةُ، وهذا قد يكونُ من أدلَّةِ التعريضِ؛ لأنَّه ليس فيه التَّصريحُ بالرؤية.

٥٤٤٣- هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ الْوُجُوهُ بِنَظَرَةٍ بِجَنَانِ

٥٤٤٤- وَأَعَادَ أَيُّضًا وَصَفَهَا نَظْرًا وَذَا لَا شَكَّ فِيهِمْ رُؤْيَةٌ بَعِيَانِ

٥٤٤٥- وَآتَتْ أَدَاةً «إِلَى» لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ فِكْرِ كَذَاكَ تَرَقُّبِ الْإِنْسَانِ

٥٤٤٦- وَأَصَافَهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ رِ الْوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ

- ٥٤٤٧- تَأْتِيهِمْ فِيهَا نِسَاءٌ مُّجَنَّبَاتٌ يَتَّقْنَ اللَّهَ وَنَسَيْنَ الْفَحْشَاءَ وَأُنْتَبِهُنَّ لِأَيْسَارِ عَلَمٍ فِي الْأَرْبَابِ يُعْتَبِرْنَ بِهِمْ أَنْ لَا يُؤْفَكْنَ بِهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَتْقَى الَّذِينَ إِذَا حَفَّتْ جَنَّاتُهُمْ فِيهَا خَالُوا
 ٥٤٤٨- مَا فِي الْجَنَّةِ مِنْ أَنْتَابٍ مُّؤَلَّمٍ
 ٥٤٤٩- لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ
 ٥٤٥٠- مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَّا الَّذِي
 ٥٤٥١- لَوْ قَالَ أَبَيْنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ

الشرح

٥٤٤٣- هَذَا وَيَكْفِي أَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَصَفَ الْوُجُوهُ بِنَظَرَةٍ بِجَنَانٍ

قَوْلُهُ: «بِنَظَرَةٍ بِجَنَانٍ» بِالنَّظَرَةِ بِالنَّظَرِ الْمُسَالَمَةِ، وَيُسَمَّوْنَهَا أَيْسَارَ الطَّاءِ، وَلَكِنِ الظَّاهِرُ أَنَّهَا بِالضَّادِ أَيْسَارُ الصَّادِ «بِنَظَرَةٍ»؛ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢].

هَذَا أَيْضًا مِنَ الْأَدَلَّةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: ﴿وُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿[القيامة: ٢٢-٢٣]، فَ«نَاصِرَةٌ»؛ يَعْنِي: حَسَنَةٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ النَّصْرَةَ وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١]؛ أَي: حُسْنًا فِي وَجُوهِهِمْ وَسُرُورًا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ الضَّمِيرُ فِي «رَبِّهَا» يَعُودُ عَلَى الْوُجُوهِ؛ يَعْنِي: هَذِهِ الْوُجُوهُ تَنْظُرُ إِلَى رَبِّهَا، فَ«نَاصِرَةٌ» بِمَعْنَى: رَائِيَّةٌ؛ أَي: نَظَرٌ عَيْنٍ، وَاسْتَدَلَّ الْمُؤَلِّفُ لِهَذَا بِأَدَلَّةٍ أَوْلَى: حَسَنُ الْوُجُوهِ، وَالْمُنْتَظَرُ هَلْ يَحْسُنُ وَجْهُهُ؟ الْمُنْتَظَرُ لِلشَّيْءِ الْمَحْبُوبِ إِلَيْهِ قَدْ يَحْسُنُ وَجْهُهُ وَقَدْ لَا يَحْسُنُ، إِنْسَانٌ وَعَدَنَاهُ شَيْئًا وَجَعَلَ يَنْتَظِرُ، أَحْيَانًا يُؤْمَلُ فَيَزِينُ وَجْهُهُ، وَأَحْيَانًا يَقْنَطُ وَيَأْسُ فَيَسُوءُ وَجْهُهُ وَيَسُودُ، فَلَوْ قَالَ لَهُ شَخْصٌ: «أُرِيدُ أَنْ أُعْطِيكَ مَلِيُونَ رِيَالٍ»

فإنَّ وجهه يتهلَّل، وهو ينتظر، فإذا أبطأ وتأخَّر عليه قال: الظَّاهِرُ أَنَّهُ تراجع، وحينئذٍ يكونُ وجهه كالحا، لكن هذه ناظرةٌ في حالِ نظرِها إلى ربِّها كيف تكونُ منتظرةً؟ ثمَّ إذا قالوا: «إلى ثوابِ ربِّها ناظرةٌ» قلنا: هذا خلافُ الظَّاهِرِ، ما الذي يمنعُ ربَّنَا عزَّ وجلَّ أن يقولَ: «إلى ثوابِ ربِّها؟!».

ويُذَكِّرُ أَنَّ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الوَهَّابِ -رحمه الله- حين سافر إلى مكَّة رأى عالماً من علمائها على كرسيٍّ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فأعجبه حديثه وأعجب به، فلما أراد أن يقومَ وهو شيخٌ كبيرٌ معتبرٌ عند أهلِ مكَّة، لما أراد أن يقومَ من الكرسيِّ قال: «يا كعبةَ الله»، فهذه مشكلةٌ؛ لأنَّه أشركَ وهو لا يدري، وكان الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الوَهَّابِ -رحمه الله- ذكياً، وكان الدَّرْسُ قد انتهى عند الأذان، ونزل هذا العالمُ من على الكرسيِّ وجلس ينتظرُ الإقامة، قال له الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ، بعد أن سلَّم عليه، وسأله من أين أنت؟ فقال: أنا من نجد، لكن أنا أعجبني كلامك، جزاك الله خيراً، هذا كلامٌ طيبٌ وعالم، وأنا أريد أن أقرأ عليك شيئاً من القرآن؛ لأنني مبتدئٌ، فقرأ من آخِرِ القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ [النَّاس: ١]، و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، و﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١]، و﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، و﴿الْكَافِرُونَ﴾ [الكَافِرُونَ: ١]، و﴿الْكَوْثَرُ﴾ [الكوثر: ١]، و﴿الْمَاعُونُ﴾ [الماعون: ٧]، و﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [قريش: ١]، فلما وصل إلى سورة «قريش» فقال: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [١] ﴿إِلَيْهِمْ رِحْلَةَ الْإِسْتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ [٢] ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [٣] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ١-٤] قال: «فليعبدوا البيت»، قال: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ قال: هكذا تعلَّمْتُ، قال: لا يمكن، لو عبدوا البيت لأشركوا، والله لم يأمر بالشرك، فقال: ما الصَّوابُ؟ قال: الصَّوابُ: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾، ثمَّ

قال له: وقال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ولم يقل: ادعوا الكعبة أو البيت؛ لأنه لا أحد يُدعى إلا الله، فقال له: أنا سمعتك يا شيخنا لما أردت أن تقوم من الكرسي قلت: «يا كعبة الله» فقال له: فتح الله عليك، وجزاك الله خيرًا.

فأقول: إن الذين يقولون: ﴿رُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]؛ أي: إلى ثواب ربها، نقول: لماذا لم يقل: «إلى ثواب ربها؟» ما الذي يمنعه؟ وهل هذا إلا تدليس، لو كان الله عز وجل يريد «إلى ثواب ربها ناظرة» ويقول: «إلى ربها» ماذا يكون؟ يكون في هذا أعظم تدليس للخلق، والله يقول: ﴿يَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضَلُّوا﴾ [النساء: ١٧٦]، ولكان في هذا أيضًا دلالة إلى الكفر؛ لأن الذين ينكرون رؤية الله يقولون: من قال: إن الله يرى فهو كافر؛ لأنه أثبت أن الله جسم، والقول بالتجسيم كفر، فهل يمكن أن الله تعالى يُعبرُ بعبارة تُوهم أن النظر إليه عز وجل وهو يريد أن يكون النظر إلى الثواب؟ الجواب: لا يمكن، ثم قال المؤلف رحمه الله:

٥٤٤٤- وَأَعَادَ أَيْضًا وَصَفَهَا نَظْرًا وَذَا لَا شَكَّ يُفْهَمُ رُؤْيَا بَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَعَادَ أَيْضًا وَصَفَهَا نَظْرًا» فقال: ﴿رُجُوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، ثُمَّ وَصَفَهَا وَصْفًا آخَرَ فَقَالَ: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

قَوْلُهُ: «وَذَا لَا شَكَّ يُفْهَمُ رُؤْيَا بَعِيَانِ» وهذا صحيح، فهي ناضرة إلى ربها ناظرة.

٥٤٤٥- وَأَتَتْ آدَاهُ «إِلَى» لِرَفْعِ الْوَهْمِ مِنْ فِكْرِ كَذَاكَ تَرَقُّبِ الْإِنْسَانِ

يعني: لو حذفت «إلى» لكان يحتمل أن المراد بالنظر نظر القلب وهو الفكر

كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [يونس: ١٠١]، وكقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الأعراف: ١٨٥]، فهذا نظر قلب لا نظر عين؛ لأنها لم تتعدَّ بـ«إلى»، ولما أراد نظر العين قال: ﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ [الغاشية: ١٧]، وقال: ﴿ أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا ﴾ [ق: ٦]، فنظر العين يُعدَّى بـ«إلى»، ونظر القلب يُعدَّى بنفسه بدون أداة.

٥٤٤٦- وَأَصَافُهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ الْوَجْهِ إِذْ قَامَتْ بِهِ الْعَيْنَانِ قَوْلُهُ: «وَأَصَافُهُ»، وفي نسخة: «وإِصَافُهُ»، والصَّحِيحُ: «وَأَصَافُهُ».

قَوْلُهُ: «وَأَصَافُهُ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ»؛ يعني: أَصَافَ النَّظَرَ لِمَحَلِّ رُؤْيَتِهِمْ بِذِكْرِ الْوَجْهِ.

أَصَافَ النَّظَرَ إِلَى الْوَجْهِ؛ لِأَنَّ الْوَجْهَ مَحَلُّ الْعَيْنَيْنِ، فَإِذَا كَانَ مَحَلَّ الْعَيْنَيْنِ فَمَا الَّذِي يَنْظُرُ؟ هَلِ الْوَجْهُ نَفْسُهُ يَنْظُرُ؟ أَوِ الْعَيْنُ الَّتِي فِي الْوَجْهِ؟ الْجَوَابُ: الْعَيْنُ الَّتِي فِي الْوَجْهِ هِيَ الَّتِي تَنْظُرُ.

٥٤٤٧- تَاللهَ مَا هَذَا بِفِكْرٍ وَانْتِظَا رِ مُعَيَّبٍ أَوْ رُؤْيَةٍ لِجَنَانِ

أَقْسَمُ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ نَظَرَ فِكْرٍ؛ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَيْهِ السِّيَاقُ؛ أَي: يَدُلُّ عَلَى مَنَعِ كَوْنِهِ نَظَرَ فِكْرٍ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى الْإِنْتِظَارَ؛ لِأَنَّ الْإِنْتِظَارَ أَشَدُّ مِنَ النَّارِ، وَالْجَنَّةُ لَيْسَ فِيهَا إِنْتِظَارٌ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ أَيْضًا أَنَّهُ رُؤْيَةُ الْقَلْبِ؛ لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَقُولُ: ﴿إِنِّي رَيْهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]؛ أَي: بِقَلْبِهَا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ! نَمْنَعُ رُؤْيَةَ الْعَيْنِ الَّتِي هِيَ فِي الْوَجْهِ، وَنُثَبِّتُ رُؤْيَةَ الْقَلْبِ وَهُوَ فِي الصَّدْرِ، هَذَا لَا شَكَّ أَنَّهُ تَحْرِيفٌ، فَكُلُّ هَذَا صَرَفٌ لِلْفِظِّ عَنِ ظَاهِرِهِ.

٥٤٤٨- مَا فِي الْجَنَانِ مِنْ أَنْظَارٍ مُؤَلَّمٍ وَاللَّفْظُ يَأْبَاهُ لِذِي الْعِرْفَانِ

٥٤٤٩- لَا تُفْسِدُوا لَفْظَ الْكِتَابِ فَلَيْسَ فِيهِ حِيلَةٌ يَا فِرْقَةَ الرَّوَغَانِ

إي والله، إنهم فرقة الروغان يروغون كما تروغ الثعالب؛ ويعني بذلك: الذين يحرفون الآيات، ويحرفون نصوص الرؤية وينكرونها.

يقول بعض العلماء: إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ حَرِيًّا بِأَنْ يُحَرِّمَهَا^(١)، نَعُوذُ بِاللَّهِ؛ لِأَنَّهُ -وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- أَنْكَرَ مَا أَثْبَتَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ.

٥٤٥٠- مَا فَوْقَ ذَا التَّصْرِيحِ شَيْءٌ مَا الَّذِي يَأْتِي بِهِ مِنْ بَعْدِ ذَا التَّبْيَانِ

يعني: أن هذا تصريح واضح ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، هذا صريح، ما الذي يأتي به من بعد ذا التبيان؟ الجواب: ليس بعد هذا التبيان شيء.

٥٤٥١- لَوْ قَالَ أَبَيَّنَ مَا يُقَالُ لَقُلْتُمْ هُوَ مُجْمَلٌ مَا فِيهِ مِنْ تَبْيَانِ

يعني: هذه طريقة أهل التحريف، يقول: هذه ألفاظ مجملة، هذه ألفاظ غير مرادة، هذه على تقدير محذوف، وما أشبه ذلك، اللهم اهدنا صراطك المستقيم.

نسأل الله ألا يطمس على قلوبنا، والإنسان إذا طمس على قلبه لو يأتي اللفظ أصلح من أي شيء صار مجملاً عنده.

- ٥٤٥٢- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنْ
 نَ الْقَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمَنِ
 ٥٤٥٣- فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ
 مِنْ يَرُونَهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 ٥٤٥٤- وَيَبْدَأُ اسْتَدْلَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
 وَسَوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الْأَزْمَانِ
 ٥٤٥٥- وَآتَى بِذَا الْمَفْهُومِ تَصْرِيحًا بآ
 خِرَهَا فَلَا تُنْجَدُ عَنِ الْقُرْآنِ
 ٥٤٥٦- وَآتَى بِذَاكَ مُكَذِّبًا لِلْكَافِرِينَ
 مِنْ السَّاحِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَنِ
 ٥٤٦٧- ضَحِكُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا
 ضَحِكُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ
 ٥٤٦٨- وَأَثَابَهُمْ نَظْرًا إِلَيْهِ ضِدَّ مَا
 قَدَّ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُوا الْكُفْرَانَ
 ٥٤٦٩- فَلِذَاكَ فَسَّرَهَا الْأَيْمَةُ أَنَّهُ
 نَظَرٌ إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ
 ٥٤٧٠- اللَّهُ ذَاكَ الْفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي
 هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ

الشرح

- ٥٤٥٢- وَلَقَدْ آتَى فِي سُورَةِ التَّطْفِيفِ أَنْ
 نَ الْقَوْمَ قَدْ حُجِبُوا عَنِ الرَّحْمَنِ
 ٥٤٥٣- فَيَدُلُّ بِالْمَفْهُومِ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ
 مِنْ يَرُونَهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 ٥٤٥٤- وَيَبْدَأُ اسْتَدْلَ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ
 وَسَوَاهُمَا مِنْ عَالِمِي الْأَزْمَانِ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - دَلِيلًا ثَالِثًا عَلَى الرَّؤْيِيَّةِ؛ وَهُوَ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي الْفُجَارِ:

- ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴾ [المطففين: ٧-١١] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ

لَمْحْجُوبُونَ ﴿ [المطففين: ١٥]، وهذا هو الشاهد، ومفهومه أن الأبرار الذين هم ضدُّهم لا يُحْجَبُونَ عن الله.

٥٤٥٥- وَأَتَىٰ بِذَا الْمَفْهُومِ تَصْرِيحًا بآ خِرَهَا فَلَا تُخَدَعُ عَنِ الْقُرْآنِ

وجاء ذلك في آخر سورة «المطففين»؛ في قوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٢٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٤-٣٥]؛ أي: ينظرون إلى الله، ولَمَّا قَالَ فِي أَوْلَئِكَ: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] صار قوله: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]؛ أي: ينظرون إلى الله، في مقابل هؤلاء المكذبين.

وعلى هذا يكون لدينا من القرآن ستة أدلة: الأولى: الزيادة، والثاني: المزيد، والثالث: اللقاء، والرابع: النظر ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، والخامس: حجب الكفار، والسادس: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٣٥]، هذه ستة أدلة من القرآن الكريم على ثبوت رؤية الله عز وجل، أسأل الله ألا يجرمني وإياكم منها.

والحقيقة أنها هي أكبر نعيم في الجنة؛ لأنَّ النَّاسَ يجدون في هذه النظرة من نعيم القلب وسرور الوجه والأنس ما لا يجدونه في أيِّ شيءٍ من النِّعيم الذي هم فيه.

٥٤٥٦- وَأَتَىٰ بِذَاكَ مُكَذِّبًا لِلْكَافِرِ— مِنَ السَّاحِرِينَ بِشِيعَةِ الرَّحْمَنِ

٥٤٥٧- ضَحِكُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ كَمَا ضَحِكُوا هُمْ مِنْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ

٥٤٥٨- وَأَنَابَهُمْ نَظَرًا إِلَيْهِ ضِدًّا مَا قَدَّ قَالَهُ فِيهِمْ أَوْلُو الْكُفْرَانِ

لكن فرق بين الضحك هذا وذاك؛ ضحك هؤلاء على المؤمنين ضحك لا يدوم، وضحك المؤمنين عليهم يوم القيامة ضحك يدوم، وليس بعده حزن،

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٠]، مَنْ الذي يَمُرُّ؟ الجواب: الطَّرْفَانِ، إِذَا مَرَّ المَجْرَمُونَ بهؤلاء ضَحِكُوا منهم، وَإِنْ مَرَّ هؤلاء بالمجرمين ضَحِكُوا منهم، قال: ﴿ فَالْيَوْمَ ﴾، فَأتى بالفاءِ الدَّالَّةُ على تفرُّيعِ ما بعدها على ما قبلها فقال: ﴿ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴾ [المطففين: ٣٤-٣٥].

٥٤٥٩- فَلِذَلِكَ فَسَّرَهَا الْأَيْمَّةُ أَنَّهُ نَظَرَ إِلَى الرَّبِّ الْعَظِيمِ الشَّانِ فَسَّرَهَا الْعُلَمَاءُ الْأَيْمَّةُ أَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنْ كَانَتْ تَشْمَلُ النَّظَرَ إِلَى مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ فِي الْجَنَّاتِ؛ لِأَنَّ مَعْنَى «الْأَرَائِكِ»: «السُّرُرِ»، وَالْأَرِيكَةُ مَعْرُوفَةٌ، فَهَمَّ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ مَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ مِنَ النَّعِيمِ، وَيَنْظُرُونَ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، يَنْظُرُونَ الرَّبَّ كَمَا فَسَّرَهُ بِذَلِكَ الْأَيْمَّةُ.

٥٤٦٠- اللَّهُ ذَاكَ الْفَهْمُ يُؤْتِيهِ الَّذِي هُوَ أَهْلُهُ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ أشار المؤلف - رحمه الله - بقوله: «هو أهله» أن للفهم في كتاب الله أهلاً، وليس كلُّ أحدٍ يفهمُ كلامَ الله على ما أراد الله، ما يفهمه إلا مَنْ هو أهلٌ للفهم، ومتى؟ «مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ» يحتمل أن المعنى أن الله تعالى يجودُ عليهم بالإحسانِ بما يعطيهم من الفهم، ويحتملُ أن المرادُ أن الفهمَ يُؤْتِيهِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ جَادَ بِالْإِحْسَانِ، وَأَحْسَنَ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَإِلَى عِبَادِ اللهِ فَإِنَّ اللهُ يُؤْتِيهِ مِنَ الْفَهْمِ بِقَدْرِ إِحْسَانِهِ، وَالْمَعْنِيَانِ كِلَاهُمَا صَحِيحٌ.

- ٥٤٦١- وَرَوَى ابْنُ مَاجَةَ مُسْنِدًا عَنْ جَابِرٍ
خَبْرًا وَشَاهِدُهُ فِي الْقُرْآنِ
٥٤٦٢- بَيْنَاهُمْ فِي عَيْشِهِمْ وَسُرُورِهِمْ
وَنَعِيمِهِمْ فِي لَذَّةٍ وَمَتَانٍ
٥٤٦٣- وَإِذَا بِنُورٍ سَاطِعٍ قَدْ أَشْرَقَتْ
مِنْهُ الْجَنَانُ قَصِيئُهَا وَالِدَانِ
٥٤٦٤- رَفَعُوا إِلَيْهِ رُؤُوسَهُمْ فَرَأَوْهُ نُورًا
رَ الرَّبِّ لَا يَخْفَى عَلَى إِنْسَانٍ
٥٤٦٥- وَإِذَا بِرَبِّهِمْ تَعَالَى فَوْقَهُمْ
قَدْ جَاءَ لِلتَّسْلِيمِ بِالْإِحْسَانِ
٥٤٦٦- قَالَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ فَيَرُونَهُ
جَهْرًا تَعَالَى الرَّبُّ ذُو السُّلْطَانِ
٥٤٦٧- مُضْدَاقٌ ذَا ﴿يَسْر﴾ قَدْ ضَمَّتْهُ عِنْدَ
سَدِّ الْقَوْلِ مِنْ رَبِّ بِهِمْ رَحْمَنٍ
٥٤٦٨- مَنْ رَدَّ ذَا فَعَلَى رَسُولِ اللَّهِ رَدٌّ
دَوْسَوْفَ عِنْدَ اللَّهِ يَلْتَقِيَانِ
٥٤٦٩- فِي ذَا الْحَدِيثِ عُلُوُّهُ وَجِئُّهُ
وَكَلامُهُ حَتَّى يُرَى بَعِيَانِ
٥٤٧٠- هَذِي أَصُولُ الدِّينِ فِي مَضْمُونِهِ
لَا قَوْلَ جَهْمٍ صَاحِبِ الْبُهْتَانِ
٥٤٧١- وَكَذَا حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ ذَلِكَ الـ
خَبْرُ الطَّوِيلُ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
٥٤٧٢- فِيهِ تَجَلَّى الرَّبُّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَجِئُّهُ وَكَلامُهُ بَيَّانِ
٥٤٧٣- وَكَذَلِكَ رُؤْيِيَّتُهُ وَتَكْلِيمُ لِمَنْ
يَخْتَارُهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
٥٤٧٤- فِيهِ أَصُولُ الدِّينِ أَجْمَعُهَا فَلَا
تَخْدَعُكَ عَنْهُ شَيْعَةُ الشَّيْطَانِ
٥٤٧٥- وَحَكَى رَسُولُ اللَّهِ فِيهِ تَجَدُّدَ الـ
غَضَبِ الَّذِي لِلرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
٥٤٧٦- إِجْمَاعُ أَهْلِ الْعَزْمِ مِنْ رُسُلِ الْإِلَهِ
هِ وَذَلِكَ إِجْمَاعٌ عَلَى الْبُرْهَانِ

٥٤٧٧- لَا تُخَدَعَنَّ عَنِ الْحَدِيثِ بِهَذِهِ الْآرَاءِ فَهِيَ كَثِيرَةُ الْهَذْيَانِ
 ٥٤٧٨- أَصْحَابُهَا أَهْلُ التَّخْرُصِ وَالتَّنَاقُضِ وَالْتِهَاتِرِ قَائِلُو الْبُهْتَانِ

الشرح

قوله: «أصحابها أهل التخرص والتناقض والتهاتير قائلو البهتان» صدق والله، هذا الوصف الذي لا ينطبق على سواهم.

٥٤٧٩- يَكْفِيكَ أَنْكَ لَوْ حَرَصْتَ فَلَنْ تَرَى فِتْنِينَ مِنْهُمْ قَطُّ تَتَفَقَّانِ
 ٥٤٨٠- إِلَّا إِذَا مَا قَلَدُوا لِلسَّوَاهِمَا فَتَرَاهُمْ جِيلاً مِنَ الْعُمَيَّانِ
 ٥٤٨١- وَيَقُودُهُمْ أَعْمَى يُظَنُّ كَمُبْصِرٍ يَا مِحْنَةَ الْعُمَيَّانِ خَلْفَ فُلَانِ
 ٥٤٨٢- هَلْ يَسْتَوِي هَذَا وَمُبْصِرٌ رُشْدِهِ اللَّهُ أَكْبَرُ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ

الشرح

يعني: لا يمكن أن يتفق اثنان إلا إذا كانا مُقلِّدين لواحد، لكن المُقلِّد يكون أعمى، وهذا هو الواقع، فالمجتهدون من أهل الكلام تجدهم متناقضين، بل تجد الواحد منهم يناقض نفسه؛ ففي كتاب يقول: هذا واجب، وفي آخر يقول: هذا ممتنع، وما أشبه ذلك، فهم عميان وراء أعمى.

- ٥٤٨٣- أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَ الْإِيمَانِ يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 ٥٤٨٤- يَا أَهْلَهَا لَكُمْ لَدَى الرَّحْمَنِ وَعْدٌ
 ٥٤٨٥- قَالُوا أَمَا بَيَّضْتَ أَوْجُهَنَا كَذَا
 ٥٤٨٦- وَكَذَلِكَ قَدْ أَدْخَلْتَنَا الْجَنَاتِ حَيْثُ
 ٥٤٨٧- فَيَقُولُ عِنْدِي مَوْعِدٌ قَدْ آتَى أَنْ
 ٥٤٨٨- فَيَرُونَهُ مِنْ بَعْدِ كَشْفِ حِجَابِهِ
 ٥٤٨٩- وَلَقَدْ آتَانَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» اللَّذِي
 ٥٤٩٠- بِرِوَايَةِ الثَّقَةِ الصَّدُوقِ جَرِيرِ الْ
 ٥٤٩١- أَنَّ الْعِبَادَ يَرُونَهُ سُبْحَانَهُ
 ٥٤٩٢- فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ كُلَّ وَقْتٍ فَاحْفَظُوا أَلْ
 ٥٤٩٣- وَلَقَدْ رَوَى بَعْضُ وَعِشْرُونَ امْرَأَةً
 ٥٤٩٤- أَخْبَارَ هَذَا الْبَابِ عَمَّنْ قَدْ آتَى
 ٥٤٩٥- وَالَّذِي لِقُلُوبٍ فَهَذِهِ الْ
- بِرُّ عَنْ مُنَادِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
 دٌ وَهُوَ مُنْحِرُهُ لَكُمْ بِضَمِّ
 أَعْمَانَا أَنْقَلْتِ فِي الْمِيزَانِ
 نَ أَجْرَتَنَا مِنْ مَدْخَلِ النَّيْرَانِ
 أُعْطِيكُمْ مَوْهُ بِرَحْمَتِي وَحَنَانِي
 جَهْرًا رَوَى ذَا مُسْلِمٍ بَيِّنَانِ
 نِ هُمَا أَصْحَحُ الْكُتُبِ بَعْدَ قُرْآنِ
 بِجَلِّي عَمَّنْ جَاءَ بِالْقُرْآنِ
 رُؤْيَا الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمْرَانِ
 بَرْدَيْنِ مَا عِشْتُمْ مَدَى الْأَزْمَانِ
 مِنْ صَحْبِ أَحْمَدَ خَيْرَةَ الرَّحْمَنِ
 بِالْوَحْيِ تَفْصِيلًا بِلَا كِثْمَانِ
 أَخْبَارُ أَيْضًا بِهَجَّةِ الْإِيمَانِ

الشرح

قوله: «البردَيْن»؛ يعني: الفجر والعصر.

- ٥٤٩٦- وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَةُ الرَّحْمَنِ فِي الْ-
جَنَّاتِ مَا طَابَتْ لِيَذِي الْعِرْفَانِ
- ٥٤٩٧- أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمٌ رُؤْيَا وَجْهِهِ
وَخِطَابُهُ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
- ٥٤٩٨- وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ
سُبْحَانَهُ عَنِ سَاكِنِي النَّيْرَانِ
- ٥٤٩٩- وَإِذَا رَأَاهُ الْمُؤْمِنُونَ نَسُوا الَّذِي
هُمُ فِيهِ مِمَّا نَالَتِ الْعَيْنَانِ
- ٥٥٠٠- فَإِذَا تَوَارَى عَنْهُمْ عَادُوا إِلَى
لَذَاتِهِمْ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ
- ٥٥٠١- فَلَهُمْ نَعِيمٌ عِنْدَ رُؤْيَا سِوَى
هَذَا النَّعِيمِ فَحَبَّذَا الْأَمْرَانِ
- ٥٥٠٢- أَوْ مَا سَمِعْتَ سُؤَالَ أَعْرَفٍ خَلَقَهُ
بِجَلَالِهِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
- ٥٥٠٣- شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي
بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ ذِي السُّلْطَانِ
- ٥٥٠٤- فَالشُّوقُ لَذَّةٌ رُوحِيَّةٌ فِي هَذِهِ الدُّ-
نْيَا وَيَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- ٥٥٠٥- تَلْتَذُّ بِالنَّظَرِ الَّذِي فَازَتْ بِهِ
دُونَ الْجَوَارِحِ هَذِهِ الْعَيْنَانِ
- ٥٥٠٦- وَاللَّهُ مَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا أَلْكُ-
ذُ مِنْ اشْتِيَاقِ الْعَبْدِ لِلرَّحْمَنِ
- ٥٥٠٧- وَكَذَلِكَ رُؤْيَا وَجْهِهِ سُبْحَانَهُ
هِيَ أَكْمَلُ اللَّذَاتِ لِلْإِنْسَانِ
- ٥٥٠٨- لَكِنَّمَا الْجَهْمِيُّ يُنْكِرُ ذَا وَذَا
وَالْوَجْهَ أَيْضًا خَشْيَةَ الْحَدَثَانِ
- ٥٥٠٩- تَبَّالَهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ
وَلِقَاءَهُ وَحُبَّابَةَ الدِّيَانِ
- ٥٥١٠- وَكَلَامَهُ وَصِفَاتِهِ وَعُلُوَّهُ
وَالْعَرْشَ عَطَّلَهُ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٥١١- فَتَرَاهُ فِي وَادٍ وَرُسُلُ اللَّهِ فِي
وَادٍ وَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْكُفْرَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «... شَوْقًا إِلَيْهِ وَلَذَّةَ النَّظَرِ الَّذِي بِجَلَالِ وَجْهِ الرَّبِّ»، وهذا في حديث: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»^(١).

قَوْلُهُ: «تَبَّ لَهُ الْمَخْدُوعُ أَنْكَرَ وَجْهَهُ وَلِقَاءَهُ وَمَحَبَّةَ الدِّيَانِ» «تَبَّ لَهُ» أي: خسر الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه النسائي: كتاب السهو، بعد باب الذكر بعد التشهد، رقم (١٣٠٥).

فصل

في كلامِ الربِّ - جلَّ جلالهٗ - مع أهلِ الجنةِ

- ٥٥١٢ - أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ حَقًّا يَكَلِّمُ حِزْبَهُ بِجَنَانِ
- ٥٥١٣ - فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ هَلْ أَنْتُمْ رَاضُونَ قَالُوا نَحْنُ ذُو رِضْوَانِ
- ٥٥١٤ - أَمْ كَيْفَ لَا نَرْضَى وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ يَنْلُكُ قَطُّ مِنْ إِنْسَانِ
- ٥٥١٥ - هَلْ نَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذَا فَيَكُونُ أَفْ ضَلَّ مِنْهُ نَسْأَلُهُ مِنَ الْمَتَّانِ
- ٥٥١٦ - فَيَقُولُ أَفْضَلُ مِنْهُ رِضْوَانِي فَلَا يَعْشَاكُمْ سَخَطٌ مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٥١٧ - وَيَذَكِّرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ بِمَا قَدْ كَانَ مِنْهُ سَالِفَ الْأَزْمَانِ
- ٥٥١٨ - مِنْهُ إِلَيْهِ لَيْسَ نَمَّ وَسَاطَةٌ مَا ذَاكَ تَوْبِيحًا مِنَ الرَّحْمَنِ
- ٥٥١٩ - لَكِنْ يُعَرِّفُهُ الَّذِي قَدْ نَالَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالْعَفْوِ وَالْإِحْسَانِ
- ٥٥٢٠ - وَيُسَلِّمُ الرَّحْمَنُ جَلَّ جَلَالُهُ حَقًّا عَلَيْهِمْ وَهُوَ فِي الْقُرْآنِ
- ٥٥٢١ - وَكَذَاكَ يُسْمِعُهُمْ لَدِيدَ خِطَابِهِ سُبْحَانَهُ بِتِلَاوَةِ الْفُرْقَانِ
- ٥٥٢٢ - فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهُ قَبْلَ ذَا هَذَا رَوَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِيُّ
- ٥٥٢٣ - هَذَا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ وَسَمَاعُنَا الـ قُرْآنَ فِي الدُّنْيَا فَنَوْعٌ ثَانِي
- ٥٥٢٤ - وَاللَّهُ يُسْمِعُ قَوْلَهُ بِوَسْاطَةٍ وَيَبْدُوْنَهَا نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ

٥٥٢٥- فَسَمِعَ مُوسَى لَمْ يَكُنْ بِوَسَاطَةٍ وَسَمَاعَنَا بِتَوْسُطِ الْإِنْسَانِ
٥٥٢٦- مِنْ صَيَّرَ النَّوْعَيْنِ نَوْعًا وَاحِدًا فَمُخَالَفٌ لِلْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ

الشرح

في هذا الفصلِ ذَكَرَ المَوْلَفُ - رحمه الله تعالى - أن الله يُكَلِّمُ أهلَ الجنةِ من وجوه:

الوجه الأول: بيان ما مَنَّ اللهُ به عليهم من النعيم، فيقول لهم عزَّ وجلَّ: «هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَالْنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»^(١).

الوجه الثاني: أَنَّهُ يُحَدِّثُ بَعْضَهُمْ بِمَا جَرَى مِنْهُ فِي سَالِفِ الزَّمَنِ فِي الدُّنْيَا «فَعَلْتَ كَذَا، وَفَعَلْتَ كَذَا، وَفَعَلْتَ كَذَا» لا توبيخًا، ولكن لإظهارِ فضلِهِ عزَّ وجلَّ عليه حتَّى يزدادَ حُبًّا لَللهِ، وتعظيمًا له، وشكرًا له سبحانه وتعالى، كما أَنَّهُ - جلَّ وعلا - يُسَلِّمُ على أهلِ الجنةِ، وهو في القرآنِ في قوله تعالى: ﴿سَلِّمُ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ [يس:٥٨].

الوجه الثالث: وهو على خِلافِ الأَوَّلِ أَنَّهُ - جلَّ وعلا - يُسَمِعُهُم القرآنَ، يقرأ القرآنَ وهم يسمعونَه، فيسمعون كلامَه عزَّ وجلَّ منه، وهذا سَمَاعٌ مُطْلَقٌ؛ يعني: أَنَّهُمْ يسمعونَه من الرَّبِّ - جلَّ وعلا - بدون واسطةٍ، فيسمعون الله يقرأ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦١٨٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة، رقم (٢٨٢٩).

القرآن، فأفضل كتاب أنزل، وأفضل الذكر يقرؤه من تكلم به أولاً، أما السماع في الدنيا فنوع ثانٍ غير هذا السماع، فالذي نسمع ممن يقرأ القرآن ليس صوت الرب عز وجل، بل هو صوت القارئ، فالصوت صوت القارئ، واللفظ لفظ القارئ، والمقروء كلام الباري عز وجل؛ لأن سماعنا لكلامه بواسطة محمد ﷺ، وكل منا يسمع غيره بواسطة، فالمعلم يُسمع المتعلم كلام الله بواسطة، وهكذا إلى أن يصل إلى الرسول -عليه الصلاة والسلام-، ومن سوى بين النوعين، وقال: «الكل مخلوق» فمخالف للقرآن.

والذين قالوا بهذا هم الأشاعرة وأشباههم، يجعلونه شيئاً واحداً؛ يقولون: إن سماع موسى -عليه الصلاة والسلام- ليس سماعاً لكلام الرب، لكن يسمع أصواتاً خلقت لتعبّر عما في نفس الله، هذا مذهبهم، يُصريحون به؛ لأن الكلام عندهم هو المعنى القائم بالنفس، ويسمونه الكلام النفسي، أما أن يسمع صوت من الله فهذا عندهم محال، فيقولون: إن الله خلق أصواتاً لتعبّر عما في نفسه، كما يُخلق صوت الرعد في السحاب، وسمعه جبريل فتلقاه ونزل به إلى محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ ولهذا هم والمعتزلة سواء في أن الذي في المصحف مخلوق، لكن المعتزلة أشجع من الأشاعرة، المعتزلة يقولون: هو مخلوق من جملة المخلوقات، وليس كلام الله، لكنهم يقولون: هو كلام الله، وأضيف إليه على سبيل التّشريف والتّعظيم، وأولئك يقولون: ليس كلام الله، هو عبارة عنه، والكلام هو: المعنى القائم بالنفس، فكأنهم يجعلون كلام الله علم الله القائم بنفسه.

ولا شك أن هذا خطأ عظيمٌ مُنافٍ للسمع والعقل، فيقال لهم: إما أن تُصريحوا بما صرّحت به المعتزلة وتقولوا: كلام الله مخلوق وهو المسموع بالآذان المُبصر بالعيان، قولوا: مخلوق كما قالت المعتزلة، أو أن تقولوا: الكلام غير مخلوق

وهو المعنى القائم بنفسه وما سمعه جبريلُ وما سمعه موسى كذلك، فهي أصواتٌ خُلِقَتْ لِتُعَبَّرَ عَنْهُ، فهذا تناقضٌ.

والفرقُ بين العبارة والحكاية: أنَّ الحكايةَ للكَلَابِيَّةِ، والعبارةَ للأشاعرةِ، الكَلَابِيَّةُ يقولون: إِنَّهُ حِكَايَةٌ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا تَكَلَّمَ فَإِنَّ الصَّدى يَحْكِي صَوْتَهُ، فَكَأَنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ وَجَعَلَ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ صدىً فَتَلَقَّاهُ جَبْرِيْلُ، فيقولون: حكايةٌ عن كلامِ الله، أمَّا أولئك فيقولون: لا، بل هو عبارةٌ عن كلامِ الله، خَلَقَ اللهُ صَوْتًا مُسْتَقْلًا، وَأَمَّا اللهُ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُخْرِجَ مِنْهُ صَوْتًا.

فصل

في يومِ المَزِيدِ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ فِيهِ مِنَ الْكَرَامَةِ

- ٥٥٢٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِشَأْنِهِمْ يَوْمَ الْمَزِيدِ - دِ وَأَنَّهُ شَأْنٌ عَظِيمٌ الشَّانِ
 ٥٥٢٨- هُوَ يَوْمٌ جُمِعَتْنَا وَيَوْمٌ زِيَارَةُ الرِّ - رَحْمَنٍ وَقَتَّ صَلَاتِنَا وَأَذَانِ
 ٥٥٢٩- وَالسَّابِقُونَ إِلَى الصَّلَاةِ هُمُ الْأَلَى - فَارْزُوا بِذَلِكَ السَّبْقِ بِالْإِحْسَانِ
 ٥٥٣٠- سَبَقُ بِسَبْقٍ وَالْمُؤَخَّرُ هَاهُنَا - مَتَّأَخَّرُ فِي ذَلِكَ الْمَيْدَانِ
 ٥٥٣١- وَالْأَقْرَبُونَ إِلَى الْإِمَامِ فَهُمْ أَوْلُو الرِّ - زُلْفَى هُنَاكَ فَهَاهُنَا قُرْبَانِ
 ٥٥٣٢- قُرْبٌ بِقُرْبٍ وَالْمُبَاعَدُ مِثْلُهُ - بُعْدٌ بِبُعْدٍ حِكْمَةُ الدِّيَانِ

الشرح

يَبَيَّنُ الْمُؤَلَّفُ - رَحِمَهُ اللهُ - أَنَّ يَوْمَ الْمَزِيدِ الَّذِي هُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ هُوَ يَوْمٌ زِيَارَةِ أَهْلِ الْجَنَّةِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ، وَتَكُونُ فِي وَقْتِ صَلَاةِ الْجُمُعَةِ. إِذْ نَ يَوْمُ الْمَزِيدِ بِإِزَاءِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَالزِّيَارَةُ بِإِزَاءِ وَقْتِ الْأَذَانِ وَالصَّلَاةِ؛ لِأَنَّ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ النَّاسُ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ فِي وَقْتِ الصَّلَاةِ، يَأْتُونَ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِالذِّكْرِ وَالْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ؛ وَهَذَا كَانَ أَصْحَحُ الْأَقْوَالِ أَنَّ سَاعَةَ الْإِجَابَةِ مَا بَيْنَ مَجِيءِ الْإِمَامِ إِلَى انْقِضَاءِ الصَّلَاةِ، هَذَا أَحْرَاهَا وَأَقْرَبُهَا، وَفِيهِ حَدِيثٌ رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

(١) يعني حديث أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، قال: قال لي عبد الله بن عمر: أسمعت أباك يحدث

- ٥٥٣٣- وَلَهُمْ مَنَابِرُ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرُ جَدٍ
 وَمَنَابِرُ الْيَاقُوتِ وَالْعَقِيَانِ
 ٥٥٣٤- هَذَا وَأَذْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي
 مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمِسْكِ كَالْكُثْبَانِ
 ٥٥٣٥- مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
 مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 ٥٥٣٦- فَيَرَوْنَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً
 نَظَرَ الْعِيَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانَ
 ٥٥٣٧- وَيَحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا
 ضَرَةً الْحَبِيبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلَانِ
 ٥٥٣٨- هَلْ تَذْكُرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ
 مِبَارِزًا بِالذَّنْبِ وَالْعِضْيَانِ
 ٥٥٣٩- فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِعَفْوَةٍ
 قَدِّمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْعُفْرَانَ
 ٥٥٤٠- فَيَجِيبُهُ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي
 قَدْ أَوْصَلْتَكِ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي

الشرح

- ٥٥٣٣- وَلَهُمْ مَنَابِرُ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرُ جَدٍ
 وَمَنَابِرُ الْيَاقُوتِ وَالْعَقِيَانِ
 ٥٥٣٤- هَذَا وَأَذْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ دَنِي
 مِنْ فَوْقِ ذَلِكَ الْمِسْكِ كَالْكُثْبَانِ
 ٥٥٣٥- مَا عِنْدَهُمْ أَهْلُ الْمَنَابِرِ فَوْقَهُمْ
 مِمَّا يَرَوْنَ بِهِمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 إِذَنْ يَنْقَسِمُونَ إِلَى قَسْمَيْنِ: قَسِمَ عَلَى مَنَابِرَ مِنَ اللَّؤْلُؤِ وَالزَّبَرُجِدِ وَمَنَابِرِ
 الْيَاقُوتِ وَالْعَقِيَانِ، وَقَسِمَ آخَرَ عَلَى الْأَرْضِ، لَكِنِ عَلَى أَرْضٍ تَرَاهُهَا الْمِسْكَ يَجْلِسُونَ

عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قال: قلت: نعم، سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هِيَ مَا بَيَّنَّ أَنْ يَجْلِسَ الْإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلَاةُ». أخرجه مسلم: كتاب الجمعة، باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم (٨٥٣).

عليه، ومع ذلك لا يَرُونَ أَنَّ الَّذِينَ عَلَى مَنَابِرَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَوْ رَأَوْا أَنَّهُمْ أَفْضَلُ مِنْهُمْ لَنَقَصَ الشُّرُورُ، لَكِنْ لَا يَرَوْنَهُمْ أَفْضَلَ.

٥٥٣٦- فَيَرُونَ رَبَّهُمْ تَعَالَى جَهْرَةً نَظَرَ الْعَيْنَانِ كَمَا يُرَى الْقَمَرَانِ

٥٥٣٧- وَيَحَاضِرُ الرَّحْمَنُ وَاحِدَهُمْ مُحَا ضَرَةً الْحَبِيبِ يَقُولُ يَا ابْنَ فُلَانِ

٥٥٣٨- هَلْ تَذْكُرُ الْيَوْمَ الَّذِي قَدْ كُنْتَ فِيهِ مِ مَبَارِزًا بِالذَّنْبِ وَالْعُضَيَانِ

٥٥٣٩- فَيَقُولُ رَبِّ أَمَا مَنَنْتَ بِغُفْرَةٍ قَدِمًا فَإِنَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

٥٥٤٠- فَيُحْيِيهِ الرَّحْمَنُ مَغْفِرَتِي الَّتِي قَدْ أَوْصَلْتَكِ إِلَى الْمَحَلِّ الدَّانِي

قَوْلُهُ: «الْمَحَلِّ الدَّانِي»؛ أَي: الْقَرِيبُ مِنِّي، وَلَيْسَ الْمَعْنَى مِنَ الدُّنُوِّ؛ يَعْنِي:

النَّازِلُ؛ بَلِ الْمَعْنَى: الْقَرِيبُ مِنِّي، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي وَإِيَّاكُمْ مِنْهُمْ.

فصل

في المطر الذي يصيبهم هناك

- ٥٥٤١- وَيُظِلُّهُمْ إِذْ ذَاكَ مِنْهُ سَحَابَةٌ تَأْتِي بِمِثْلِ الْوَابِلِ الْهَتَّانِ
- ٥٥٤٢- بَيْنَاهُمْ فِي النُّورِ إِذْ غَشِيَتْهُمْ سُبْحَانَ مُنْشِئِهَا مِنَ الرُّضْوَانِ
- ٥٥٤٣- فَتَظَلُّ مُطْرُهُمْ بِطَيِّبٍ مَا رَأَوْا شَبَّهَ لَهُ فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
- ٥٥٤٤- فَيَزِيدُهُمْ هَذَا جَمَالًا فَوْقَ مَا بِهِمْ وَتَلْكَ مَوَاهِبُ الْمَنَّانِ

الشرح

الأحسن الرجوع إلى كتاب «حادي الأرواح»؛ لأنَّ كُلَّ هذه المباحث

موجودة فيه.

فصل

في سوقِ الجَنَّةِ الَّذِي يَنْصَرِفُونَ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ

- ٥٥٤٥- فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَيَّ
 ٥٥٤٦- يَأْتُونَ سُوقًا لَا يُبَاعُ وَيُشْتَرَى
 ٥٥٤٧- قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَيِّبِ
 ٥٥٤٨- اللَّهُ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَا
 ٥٥٤٩- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ
 ٥٥٥٠- كَلَّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ
 ٥٥٥١- فَيَرَى امْرَأًا مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ
 ٥٥٥٢- فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلِدُ
 ٥٥٥٣- وَاهَا لَذَا السُّوقِ الَّذِي مِنْ حِلِّهِ
 ٥٥٥٤- يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ
 ٥٥٥٥- وَتِجَارُهُ مَنْ لَيْسَ تُنْهِيهِ تَجَا
 ٥٥٥٦- أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالتَّقَى
- مَا قَدْ ذَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 فِيهِ فَخْذٌ مِنْهُ بِلا أَثْمَانِ
 عِ بَعْقَدِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 نِكَّةُ الْكِرَامِ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
 كَلَّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
 فَيَكُونُ عَنْهُ مُعَبِّرًا بِلِسَانِ
 فَيُرْوَعُهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
 حَقُّ أَهْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ
 نَالَ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانِ
 صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيَّمَانِ
 رَاتٌ وَلَا يَبِيعُ عَنِ الرَّحْمَنِ
 وَالذِّكْرُ لِلرَّحْمَنِ كُلُّ أَوَانِ

- ٥٥٥٧- يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي رُكِّزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ
 ٥٥٥٨- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَاكَ السُّوقِ لَمْ تَرَكَنْ إِلَى سُوقِ الْكَسَادِ الْفَانِي

الشرح

- ٥٥٤٥- فَيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ قَوْمُوا إِلَيَّ مَا قَدْ دَخَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ
 ٥٥٤٦- يَأْتُونَ سُوقًا لَا يَبَاعُ وَيُشْتَرَى فِيهِ فَخُذْ مِنْهُ بِلا أَثْمَانِ
 ٥٥٤٧- قَدْ أَسْلَفَ التُّجَّارُ أَثْمَانَ الْمَبِيِّ مَعَ بَعْضِهِمْ فِي بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ
 الله أكبر! انظر إلى النعيم، في الدنيا ينصرفون إلى الأسواق، قال الله تعالى:
 ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِهَا﴾ [الجمعة: ١٠]، وفي
 الآخرة هكذا، ينصرفون من الله عز وجل بعد أن ألقى عليهم هذا الرضوان،
 وأمطر عليهم هذا المطر إلى سوق فيه ما يشاؤون من أنواع النعيم، ويأخذونه بلا
 ثمن، لماذا؟ لأن الثمن مُقَدَّمٌ، فهم قدّموه في الدنيا، فهو بمنزلة السلم، يُعْطَى
 الفلاح دراهم ويأخذ منه الثمر بعد سنة أو ستين.

- ٥٥٤٨- اللَّهُ سُوقٌ قَدْ أَقَامَتْهُ الْمَلَائِكَةُ الْكِرَامُ بِكُلِّ مَا إِحْسَانِ
 ٥٥٤٩- فِيهَا الَّذِي وَاللَّهِ لَا عَيْنٌ رَأَتْ كَلًّا وَلَا سَمِعَتْ بِهِ أُذُنَانِ
 ٥٥٥٠- كَلًّا وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ امْرِئٍ فَيَكُونُ عَنْهُ مُعَبِّرًا بِلِسَانِ
 ٥٥٥١- فَيَرَى امْرَأًا مِنْ فَوْقِهِ فِي هَيْئَةٍ فَيَرُوعُهُ مَا تَنْظُرُ الْعَيْنَانِ
 ٥٥٥٢- فَإِذَا عَلَيْهِ مِثْلُهَا إِذْ لَيْسَ يَلْمُ حَقُّ أَهْلِهَا شَيْءٌ مِنَ الْأَحْزَانِ

٥٥٥٣- وَاهَا لَذَا السُّوقِ الَّذِي مِنْ حِلِّهِ نَالَ التَّهَانِي كُلَّهَا بِأَمَانٍ

قَوْلُهُ: «وَاهَا»؛ يعني: عجبًا.

٥٥٥٤- يُدْعَى بِسُوقِ تَعَارُفٍ مَا فِيهِ مِنْ صَخَبٍ وَلَا غِشٍّ وَلَا أَيَّامٍ

الأسواق في الدنيا فيها صخبٌ، وفيها غشٌّ، وفيها كذبٌ، وفيها أيامٌ؛ أي: أحلافٌ، لكن سوق الجنة ليس به هذا.

٥٥٥٥- وَتِجَارُهُ مَنْ لَيْسَ تُلْهِمِهِ تِجَارًا رَاتٌ وَلَا يَبِيعُ عَنِ الرَّحْمَنِ

٥٥٥٦- أَهْلُ الْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ وَالتُّقَى وَالذِّكْرِ لِلرَّحْمَنِ كُلُّ أَوَانٍ

٥٥٥٧- يَا مَنْ تَعَوَّضَ عَنْهُ بِالسُّوقِ الَّذِي رُكِّزَتْ لَدَيْهِ رَايَةُ الشَّيْطَانِ

٥٥٥٨- لَوْ كُنْتَ تَدْرِي قَدْرَ ذَلِكَ السُّوقِ لَمْ تَرَكْنِي إِلَى سُوقِ الْكَسَادِ الْفَانِي

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فصل

في حالهم عند رجوعهم إلى أهليهم ومنازلهم

- ٥٥٥٩- فَإِذَا هُمْ رَجَعُوا إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ
بِمَوَاهِبٍ حَصَلَتْ مِنَ الرَّحْمَنِ
٥٥٦٠- قَالُوا لَهُمْ أَهْلًا وَرَحْبًا مَا الَّذِي
أُعْطَيْتُمْ مِنْ ذَا الْجَمَالِ الثَّانِي
٥٥٦١- وَاللَّهُ لَا زِدْتُمْ جَمَالًا فَوْقَ مَا
كُنْتُمْ عَلَيْهِ قَبْلَ هَذَا الْآنِ
٥٥٦٢- قَالُوا وَأَنْتُمْ وَالَّذِي أَنْشَأَكُمْ
قَدْ زِدْتُمْ حُسْنًا عَلَى الْإِحْسَانِ
٥٥٦٣- لَكِنْ يَحِقُّ لَنَا وَقَدْ كُنَّا إِذَا
جُلَسَاءَ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الرِّضْوَانِ
٥٥٦٤- فَهُمْ إِلَى يَوْمِ الْمَزِيدِ أَشَدُّ شَوْ
قًا مِنْ مُحِبِّ لِلْحَبِيبِ الدَّانِي

الشرح

الله أكبر! وهذا دائمٌ، كلما رجعوا من زيارة الله عز وجل في يوم المزيد، ثم إلى السوق الذي يتعارفون فيه، ثم إلى أهليهم، وجدوهم قد ازدادوا حسناً، إذن ازديادهم في الحسن لا نهاية له؛ لأن يوم المزيد ليس له نهاية، هم خالدون فيه أبداً.

فإن قيل: إذا كانوا يتلذذون بهذه الزيارة، فلماذا لا يطلبون استمرارها؟

نقول: لو استمرت لصارت معتادة ولم يكن لها هذا الشوق، ومعلوم أنهم

إذا كانوا يتشوقون إليه ويتطلعون إليه ثم يحصل لهم صار ألد، وجرب هذا في

شيءٌ تُوعَدُ به، وشيءٌ يكونُ عندك دَائِمٌ؛ ولهذا ذَكَرَ ابنُ القَيِّمِ في النَّظْمِ نَفْسَهُ أَنَّ اللَّهَ
هُوَ الَّذِي يَقُولُ لَهُمْ: «قُومُوا إِلَيَّ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ»^(١)، وهذا يدلُّ على أَنَّ
الأمرَ لو كان راجعاً إليهم لَبَقُوا ولم ينصرفوا.

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في سوق الجنة، رقم (٢٥٤٩)، وابن ماجه:
كتاب الزهد، باب صفة الجنة، رقم (٤٣٣٦).

فصل

في خلود أهل الجنة فيها، ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم،
واستحالة الموت والنوم عليهم

- ٥٥٦٥- هَذَا وَخَاتِمَةُ النَّعِيمِ خُلُودُهُمْ أَبَدًا بِدَارِ الْخُلْدِ وَالرِّضْوَانِ
 ٥٥٦٦- أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنَادِيَّ الْإِيمَانِ يُخْبِرُ عَنْ مُنَادِيهِمْ بِحُسْنِ بَيَانِ
 ٥٥٦٧- لَكُمْ حَيَاةٌ مَا بِهِمَا مَوْتُ وَعَا فِيهِ بِلَا سَقَمٍ وَلَا أَحْزَانِ
 ٥٥٦٨- وَلَكُمْ نَعِيمٌ مَا بِهِ بُؤْسٌ وَمَا لِشَبَابِكُمْ هَرَمٌ مَدَى الْأَزْمَانِ
 ٥٥٦٩- كَلَّا وَلَا نَوْمٌ هُنَاكَ يَكُونُ ذَا نَوْمٍ وَمَوْتٍ بَيْنَنَا أَخْوَانِ
 ٥٥٧٠- هَذَا عَلِمْنَا هُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَافْتَهُمْ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

الشرح

قوله: «هَذَا عَلِمْنَا هُ اضْطِرَارًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ» قال ذلك لأن القرآن فيه آيات كثيرة أنهم خالدون في الجنة أبداً، وهذا يقتضي أنهم لا ينامون وأنتهم لا يموتون، والنوم أخو الموت، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَقَّعُكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال عز وجل: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، فسَمِيَ النَّوْمُ وَفَاةً، فَالنَّوْمُ أَخُو الْمَوْتِ؛ ولهذا لما لم يكن موتٌ في الجنة لم يكن نومٌ؛ ولأنَّ النَّوْمَ فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا نُضْطَرُّ إِلَيْهِ؛ لِأَنَّهُ يَهْدِمُ التَّعَبَ السَّابِقَ وَيُجَدِّدُ

النَّشَاطَ لِلَّاحِقِ، فَهُوَ يُرِيحُ مِنْ عَمَلٍ سَابِقٍ وَيُجَدِّدُ النَّشَاطَ لِعَمَلٍ لَاحِقٍ، أَمَّا فِي
الْآخِرَةِ فَلَا مَرُ لَيْسَ كَذَلِكَ.

- ٥٥٧١- وَالْجَهْمُ أَفْنَاهَا وَأَفْنَى أَهْلِهَا تَبَّ لِدَاكِ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ
٥٥٧٢- طَرْدًا لِنَفْيِ دَوَامِ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْ- مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الْأَزْمَانِ
٥٥٧٣- وَأَبُو الْهَدْيِيلِ يَقُولُ يَفْنَى كَلَّمَا فِيهَا مِنَ الْحَرَكَاتِ لِلشُّكَّانِ
٥٥٧٤- وَتَصِيرُ دَارُ الْخُلْدِ مَعَ سُكَّانِهَا وَثَمَارَهَا كَحِجَارَةِ الْبُيَّانِ
٥٥٧٥- قَالُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا رَبُّ لَأَجَلٍ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ
٥٥٧٦- فَالْقَوْمُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَوْ مُنْكَرُونَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ

الشرح

- ٥٥٧١- وَالْجَهْمُ أَفْنَاهَا وَأَفْنَى أَهْلِهَا تَبَّ لِدَاكِ الْجَاهِلِ الْفَتَّانِ
٥٥٧٢- طَرْدًا لِنَفْيِ دَوَامِ فِعْلِ الرَّبِّ فِي الْ- مَاضِي وَفِي مُسْتَقْبَلِ الْأَزْمَانِ
قَوْلُهُ: «تَبًّا»؛ يَعْنِي: خُسْرَانًا.

أشار المؤلف -رحمه الله- إلى رأيين في دوام الجنة مقابلين لما دلَّ عليه الكتاب
والسنة وإجماع الأمة، وهما:

الرَّأْيُ الْأَوَّلُ: رَأْيُ جَهْمٍ، يَقُولُ: إِنَّ الْجَنَّةَ وَمَا فِيهَا تَفْنَى كَالنَّارِ، كُلُّ شَيْءٍ
يَفْنَى وَلَا يَبْقَى إِلَّا اللَّهُ، وَهَذَا بِنَاءٌ عَلَى أَنَّ التَّسْلُسُلَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَمْنُوعٌ كَالتَّسْلُسُلِ فِي

الماضي طردًا للقاعدة؛ يعني: تسلسل المخلوقات عندهم ممنوعٌ، فلا يمكن أن تبقى المخلوقات إلى ما لا نهاية له، هذا رأيُ الجهمية.

وهذا مُكذَّبٌ للقرآن؛ لأنَّ الله قال في أهل الجنة: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾، وإذا كان فعلاً لما يريدُ لزم أن يكون فعله قديماً أزلياً بخلاف المفعول، ويجب أن تُفَرَّقَ بين الفعلِ والمفعولِ، المفعولاتُ كُلُّها حادثةٌ بلا شكٍّ، وليس فيها شيءٌ قديمٌ لم يكن حادثاً من عدمٍ، بل كُلُّها حادثةٌ من عدمٍ، لكنَّ فعلَ الله عزَّ وجلَّ قديمٌ، متى شاءَ فعَلَ فأحدثَ المفعولَ، ومتى شاءَ أبقى المفعولَ، لو شاءَ اللهُ عزَّ وجلَّ لأفنى كُلَّ شيءٍ إِلَّا نَفْسَهُ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، لكن هل معنى ذلك أننا إذا قلنا بدوامِ فاعليةِ الرَّبِّ نقولُ: بأنَّ الله معه إلهٌ كما زعم الجهم؟ الجوابُ: لا، نقولُ: فعله من أوصافه، وأوصافه لازمةٌ له أزلاً وأبداً.

٥٥٧٣- وَأَبُو الْهَذِيلِ يَقُولُ يَفْنَى كُلَّمَا فِيهَا مِنَ الْحَرَكَاتِ لِلسَّكَّانِ

٥٥٧٤- وَتَصِيرُ دَارُ الْخُلْدِ مَعَ سُكَّانِهَا وَثَمَارِهَا كَحِجَارَةِ الْبُنْيَانِ

وأما أبو الهذيل العلاف فجاء بقولٍ عجيبٍ، يقولُ: تَفْنَى الحركاتُ ونموُّ الأشجارِ، وَيَبْقَى الشَّيْءُ كالأحجارِ؛ يعني: أهلُ الجنةِ تَبْقَى أجسامُهُم لكن بدون حركةٍ، تَبْقَى الأشجارُ لكن بدون ثمارٍ، تَبْقَى الجنةُ لكن بدون أحجارٍ، حتَّى الرَّجُلُ إذا كان قد رفع اللُّقْمَةَ إلى فَمِهِ أو الفاكهةَ ثُمَّ قَضَى اللهُ عليهم بتبطلِ العملِ بَقِيَ بفاكهتهِ رافعاً يَدَهُ إلى متى؟ إلى ما لا نهايةَ له، إذا كان على زوجتهِ بَقِيَ عليها أبداً الأبدِين؛ لأنَّه يرى أن الحركاتِ تَفْنَى والأعيانَ تَبْقَى، لماذا؟ «حَدَّرًا مِنَ التَّسْلُسِلِ»؛ ولذا قال:

٥٥٧٥- قَالُوا وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَثْبُتْ لَنَا رَبٌّ لِأَجْلِ تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ

يقولون: لو قلنا بتسلسل الأعيان لم يكن فرق بين الرب وبين المخلوق؛ لأن المخلوق يبقى والرب يبقى أبد الأبد، فلو قلنا بالتسلسل لزم أن يكون الخالق والمخلوق شيئاً واحداً.

٥٥٧٦- فَالْقَوْمُ إِمَّا جَاحِدُونَ لِرَبِّهِمْ أَوْ مُنْكَرُونَ حَقَائِقَ الْإِيمَانِ

وهؤلاء كما قال ابن القيم: إمَّا جاحدون لربهم، أو منكرون حقائق الإيمان؛ يعني: إن أقرُّوا بالله ولكن استمرُّوا على هذا القول فهم منكرون لحقائق الإيمان؛ لأنَّ هناك فرقاً بين التسلسل الذي هو من فعل الله عزَّ وجلَّ وبين دوام الرب عزَّ وجلَّ، فالربُّ باقٍ بنفسه واجب البقاء بنفسه، وهذه الأشياء متسلسلة بفعل الله عزَّ وجلَّ، لو شاء لأفناها، ثمَّ إنَّ تسلسلها أيضاً يخلُفُ بعضها بعضاً عينا، الثمرة إذا أخذت جاء بدلها ثمرة وإن كانت الأعيان مثل البشر والحوار وما أشبه ذلك باقية، لكنَّها باقية ببقاء الله بقاءً جازراً عقلاً وواجباً شرعاً، واجباً شرعاً؛ لأنَّه يجب أن نؤمن ببقائها، وأمَّا عقلاً فإنَّه يمكن أن الله يهلكها.

ونحن نقول: ماذا تقولون في الزمان: أمتسلسل هو أم لا؟ سيقولون: متسلسل بلا شك، من خلق الزمان؟ الله عزَّ وجلَّ، إذن يلزم من هذا أن التسلسل غير ممنوع، لكن نعلم أن الزمن ليس موجوداً فيما قبله، فالله أحدث الزمن وأبقى الزمن، ولكن الله لم يزل موجوداً، ولا يزال موجوداً، «هُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَالْآخِرُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ».

واعلم أن مثل هذه الأبحاث لا طائل تحتها، ولا فائدة منها، والجهل بها خير من العلم بها، لكن اضطرَّ شيخ الإسلام وابن القيم وغيرهما من أهل العلم

إلى البحث فيها؛ لأنهم دخلوا فيها بالقوة حيث إن الفلاسفة والمتكلمين وأهل المنطق أجزؤوهم إلى الدخول فيها، وكان دخولهم فيها واجباً؛ لئلا يكون المكان خالياً لهؤلاء الجهال من الفلاسفة والمناطقية، فلا بُدَّ أن ندخل معهم، وأن نخوض المعركة، وإلا لا يمكن أن تجد حرفاً واحداً عن الصحابة أنهم سألوا الرسول -عليه الصلاة والسلام- هذا السؤال: هل الحوادث متسلسلة أو لا؟ إنما يأخذون القرآن على حسب ظاهره وكما يليق بالمتكلم به سبحانه وتعالى.

فصل

فِي ذَبْحِ الْمَوْتِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَالرَّدِّ عَلَى مَنْ قَالَ: إِنَّ الذَّبْحَ لِمَلِكِ الْمَوْتِ،
أَوْ إِنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ لَا حَقِيقَةَ لَهُ

- ٥٥٧٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بَيْنَ
نَ الْمَنْزِلَيْنِ كَذَّبِحَ كَبْشِ الضَّانِ
٥٥٧٨- حَاشَا لِدَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا
هُوَ مَوْتُنَا الْمَحْتَمُومُ لِلْإِنْسَانِ
٥٥٧٩- وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبْشًا أَمْلَحًا
يَوْمَ الْمَعَادِ يَرَى لَنَا بَعِيَانِ
٥٥٨٠- يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا
بِالْعَكْسِ كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ
٥٥٨١- أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَا
دِ تُحَطُّ يَوْمَ الْعَرْضِ فِي الْمِيزَانِ
٥٥٨٢- وَلِذَاكَ تُثْقَلُ تَارَةً وَتَخَفُّ أُخْرَى
رَى ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبْيَانِ
٥٥٨٣- وَلَهُ لِسَانٌ كِفْتَاهُ تُقِيمُهُ
وَالْكِفْتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ
٥٥٨٤- مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ الْ
مَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ
٥٥٨٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعِبَا
دِ وَذِكْرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ
٥٥٨٦- يُنْشِئُهُ رَبُّ الْعَرْشِ فِي صُورِ تَجَا
دِلُّ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
٥٥٨٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ
شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوْرَانِ
٥٥٨٨- يَشْفَعْنَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ
وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ

- ٥٥٨٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ
 ٥٥٩٠- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ
 ٥٥٩١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي أَيَّامِ هَذَا الْعُمْرِ مِنْ قُرْآنِ
 ٥٥٩٢- يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلرُّحْمَنِ كَيْ يُنَجِّبَكَ مِنْ نِيرَانِ
 ٥٥٩٣- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاخِبٌ يَأْتِي بِذَلِكَ الشَّفِيعِ الدَّانِي

الشرح

في هذا الفصل بين المؤلف - رحمه الله - أنه «يُؤْتَى بِالسَّمَوَاتِ كَهَيْئَةِ كَبَشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا السَّمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ»^(١).

قولهم: «هَذَا الْمَوْتُ»؛ يعنون: هذا الذي جيء به على صورة كبشٍ أبيض، وليس هو مَلَكُ الْمَوْتِ، مَلَكُ الْمَوْتِ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْكَرَامِ، وَإِنَّمَا هُوَ الْمَوْتُ نَفْسُهُ، وَالْمَوْلُفُ - رحمه الله - يَقُولُ: وَالرَّدُّ عَلَى مَنْ قَالَ: «إِنَّ الذَّبْحَ لِمَلَكِ الْمَوْتِ وَأَنَّ ذَلِكَ مَجَازٌ»؛ أَي: إِنَّ إِطْلَاقَ الْمَوْتِ عَلَيْهِ مَجَازٌ عَنِ مَلَكِ الْمَوْتِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ [مریم: ٣٩]، رقم (٤٤٥٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون، رقم (٢٨٤٩).

٥٥٧٧- أَوْ مَا سَمِعَتْ بِذَبْحِهِ لِلْمَوْتِ بَيِّنَةً - مِنَ الْمَنْزِلَيْنِ كَذَبِحِ كَبُشِ الضَّانِ

قَوْلُهُ: «الْمَنْزِلَيْنِ»؛ أَي: مَنْزِلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمَنْزِلِ أَهْلِ النَّارِ.

٥٥٧٨- حَاشَا لِدَا الْمَلِكِ الْكَرِيمِ وَإِنَّمَا هُوَ مَوْتُنَا الْمَحْتَمُومُ لِلْإِنْسَانِ

يعني: أَنْزَرَهُ أَنْ يَكُونَ الذَّبْحُ لِلْمَلِكِ نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلْمَوْتِ الْمَحْتَمُومِ.

٥٥٧٩- وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبُشًا أَمْلَحًا يَوْمَ الْمَعَادِ يَرَى لَنَا بِعِيَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ يُنْشِئُ مِنْهُ كَبُشًا أَمْلَحًا» «أَمْلَحًا» بِالضَّرْفِ وَالتَّنْوِينِ مِنْ أَجْلِ ضَرُورَةِ الشُّعْرِ، وَإِلَّا لَوْلَمْ يَكُنْ ضَرُورَةً لَكَانَ الصَّوَابُ أَنْ يُقَالَ: «أَمْلَح»، وَقَدْ قَالَ ابْنُ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ:

وَلَا ضَرْطَ رَارٍ أَوْ تَنَاسُبٍ ضَرْفٍ ذُو الْمَنْعِ وَالْمَضْرُوفُ قَدْ لَا يَنْصَرِفُ^(١)

٥٥٨٠- يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالْعَكْسِ كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ

قَوْلُهُ: «يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالْعَكْسِ»؛ يَعْنِي: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُنْشِئُ مِنَ الْأَعْرَاضِ أَجْسَامًا كَذَا بِالْعَكْسِ؛ بِحَيْثُ يَجْعَلُ الْأَجْسَامَ أَعْرَاضًا.

قَوْلُهُ: «كُلُّ قَابِلٍ الْإِمْكَانِ»؛ يَعْنِي: أَنَّ قَلْبَ الْأَعْيَانِ إِلَى أَعْرَاضٍ، وَالْأَعْرَاضِ إِلَى أَعْيَانٍ أَمْرٌ مُمْكِنٌ قَابِلٌ الْإِمْكَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

ثُمَّ أَتَى بِشَوَاهِدَ فَقَالَ:

٥٥٨١- أَفَمَا تُصَدِّقُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ دِيحُطُّ يَوْمَ الْعَرْضِ فِي الْمِيزَانِ

(١) انظر: شرح ابن عقيل (٣/٣٣٨).

الجواب: بلى، نُصَدِّقُ، والأدلة على هذا كثيرة، وأمّا المعتزلة فأنكروا الميزانَ الحسِّيَّ يوم القيامة، وقالوا: لا يوجد ميزان، كيف تُوزَنُ الأعمال وهي أعمالٌ ومعانٍ انتهت في الدنيا؟! وقالوا: إنَّ المرادَ بالميزانِ هو العدلُ، فلا ميزان له كِفَتَانِ، ولكنَّ هذا من تحريفهم والعياذُ بالله؛ لأنَّ النُّصوصَ واضحةٌ جليَّةٌ في أنَّ الأعمالَ تُوزَنُ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُنَّا بِمَا حَسِبْتُمْ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقال النبي ﷺ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^(١).

٥٥٨٢- وَلِذَاكَ تَثْقُلُ نَارَةٌ وَتَخِفُّ أُخْرَى — رَى ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ ذُو تَبْيَانِ

وذلك كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٦) فهو في عيشته رَاضِيَةً (٧) وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ (٨) فَأَمَّهُ هَاوِيَةً﴾ [القارعة: ٦-٩].

٥٥٨٣- وَلَهُ لِسَانٌ كِفَتَاهُ تُقِيمُهُ وَالْكِفَّتَانِ إِلَيْهِ نَاطِرَتَانِ

الميزان الذي يكون يوم القيامة له كِفَتَانِ تقيمه، وله لسانٌ أيضاً، وهل للموازين ألسنة؟ الجواب: نعم، أرايتم الميزان سابقاً؟! الميزان سابقاً عبارة عن

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن، رقم (٧١٢٤)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، رقم (٢٦٩٤).

حديدية ممدودة، وفي وسطها حديدة مركوزة، هذه الحديدية المركوزة مثبتة بمسار كالقوس على هذه الحديدية المنصوبة القائمة، والكفتان عن يمين وشمال، إذا رجحت إحدهما مال اللسان؛ أي: ظهر اللسان إليها، وإذا خفت إحدهما خرج اللسان منها، هذا الميزان سابقاً، وهو الآن معروف.

٥٥٨٤- مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا بَلْ هُوَ الْـ مَحْسُوسُ حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ

هذا رد على المعتزلة الذين قالوا: إن الوزن يوم القيامة ليس محسوساً؛ ولكن المراد به: إقامة العدل، فهو عندهم أمر معنوي؛ ولذا قال: «مَا ذَاكَ أَمْرًا مَعْنَوِيًّا»؛ أي: «ما الوزن أمرًا معنويًّا، بل هو المحسوس حَقًّا عِنْدَ ذِي الْإِيمَانِ»؛ أي: إنه ميزان حسيّ تُوزَنُ به الأعمال، وإذا كانت تُوزَنُ به الأعمال وهو حسيّ لزم أن يكون الموزون كذلك حسيًّا عَيْنًا يرجح تارة ويخف أخرى.

٥٥٨٥- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ تَسْبِيحَ الْعِبَا دِ وَذَكَرَهُمْ وَقِرَاءَةَ الْقُرْآنِ

٥٥٨٦- يُنْشِئِهِ رَبُّ الْعَرْشِ فِي صُورِ نُجَا دِلْ عَنْهُ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ

الجواب: بلى.

٥٥٨٧- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ حَوْلَ عَرْ شِ الرَّبِّ ذُو صَوْتٍ وَذُو دَوْرَانِ

التسبيح يدور حول عرش الرحمن عز وجل، وله صوت.

٥٥٨٨- يَشْفَعْنَ عِنْدَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَيُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِ الْإِحْسَانِ

أي: يُذَكِّرُونَ أَنَّهُ فَلَانُ بِنُ فَلَانٍ، وَأَنَّ هَذَا الذِّكْرُ جَاءَ مِنْهُ.

٥٥٨٩- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ ذَلِكَ مُؤَنَسٌ فِي الْقَبْرِ لِلْمَلْفُوفِ فِي الْأَكْفَانِ

٥٥٩٠- في صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ

يعني: العملُ الصَّالِحُ يأتي إلى الرَّجُلِ إِذَا دُفِنَ يُؤَنِّسُهُ، وَيَكُونُ فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الْجَمِيلِ الْوَجْهِ فِي سِنِّ الشَّبَابِ كَأَجْمَلِ الشُّبَّانِ؛ لِأَجْلِ أَنْ يُؤَنِّسَهُ، وَيَقُولُ لَهُ: «مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ»^(١).

٥٥٩١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَا تَتْلُوهُ فِي أَيَّامِ هَذَا الْعُمُرِ مِنْ قُرْآنِ

٥٥٩٢- يَأْتِي يُجَادِلُ عَنْكَ يَوْمَ الْحَشْرِ لِلرَّحْمَنِ كَيْ يُنَجِّبَكَ مِنْ نِيرَانِ

٥٥٩٣- فِي صُورَةِ الرَّجُلِ الَّذِي هُوَ شَاخِبٌ يَأْتِي شَاخِبًا ذَلِكَ الشَّفِيعُ الدَّانِي

هَذَا أَيْضًا جَاءَتْ بِهِ السُّنَّةُ: أَنَّ الْقُرْآنَ «يَأْتِي شَاخِبًا لِأَصْحَابِهِ»^(٢).

٥٥٩٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ أَتَى فِي سُورَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ

٥٥٩٥- فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ وَمِنْهُ الضُّوْءُ ذُو تَبْيَانٍ

٥٥٩٦- شَبَّهَهُمَا بِعِمَامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَاءُ بِغَيَّابَتَيْنِ هُمَا لِدَا مِثْلَانِ

٥٥٩٧- هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ وَهُوَ فِعَالُنَا كَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ

٥٥٩٨- فَالْمَوْتُ يُنْشِئُهُ لَنَا فِي صُورَةِ خَلَاقَةٍ حَتَّى يُرَى بِعِيَانٍ

٥٥٩٩- وَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الْوَحْيِ وَالْمَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ

(١) أخرجه أبو داود: كتاب السنة، باب في المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم (٨٠٤).

٥٦٠٠- فِي نَفْسِهِ وَبِنَشْأَةِ أُخْرَى بِقُدْرَةِ قَالِبِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ

الشرح

٥٥٩٤- أَوْ مَا سَمِعْتَ حَدِيثَ صِدْقٍ قَدْ آتَى فِي سُورَتَيْنِ مِنْ أَوَّلِ الْقُرْآنِ وَهُمَا: البقرة، وآل عمران.

٥٥٩٥- فِرْقَانٍ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ بَيْنَهَا شَرْقٌ وَمِنْهُ الضَّوْءُ ذُو تَبْيَانٍ

٥٥٩٦- شَبَّهَهُمَا بِغَمَّامَتَيْنِ وَإِنْ تَشَأْ بِغَيَّائَتَيْنِ هُمَا لِذَا مِثْلَانِ

٥٥٩٧- هَذَا مِثَالُ الْأَجْرِ.....

فالمؤلف -رحمه الله- بيّن أن الذي يأتي يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيائتان إنّها هو أجرهما، وليست «البقرة» و«آل عمران»؛ لأنّ البقرة وآل عمران كلام الله عزّ وجلّ، وهو غير مخلوق، وإنّما المراد بذلك الأجر، يأتي يوم القيامة «كأنّهما غمامتان أو غيائتان»^(١) أو كأنّهما فرقان^(٢) من طير صواف^(٣) يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا^(٤).

٥٥٩٧- وَهُوَ فِعَالُنَا كَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ بِالْإِحْسَانِ

يعني: كما أنّ التلاوة فعلنا فما نراه يوم القيامة هو الأجر، واعلم أنّ القراءة

(١) الغيابة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها. انظر: النهاية: غيا.

(٢) أي قطعان. انظر: النهاية: فرق.

(٣) أي باسطات أجنحتها في الطيران، والصّواف: جمع صافّة. انظر: النهاية: صفف.

(٤) أخرجه مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، رقم

تشمّل على مقروءٍ وقراءةٍ؛ فأما المقروءُ -وأعني بذلك: القرآن- فهو غيرُ مخلوقٍ، وأما القراءةُ فهي مخلوقةٌ؛ لأنَّ القراءةَ صوتُ القارئِ وفعله، بالحركاتِ تظهرُ الأصواتُ، والصَّوتُ فعلُ الإنسانِ، فيجبُ أن نعرفَ الفرقَ بين اللَّفظِ والملفوظِ، وبين القولِ والمقولِ، وبين القراءةِ والمقروءِ، فما كان وصفًا لنا فهو مخلوقٌ، وما كان من كلامِ الله فهو غيرُ مخلوقٍ، وهذا واضحٌ، والحمدُ لله.

٥٥٩٨- فَالْمَوْتُ يُنْشِئُهُ لَنَا فِي صُورَةٍ خَلْقَةٍ حَتَّى يُرَى بِعَيَانٍ

٥٥٩٩- وَالْمَوْتُ مَخْلُوقٌ بِنَصِّ الْوَحْيِ وَالْمَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ

٥٦٠٠- فِي نَفْسِهِ وَبِنَشْأَةِ أُخْرَى بِقُدْرَةِ قَالِبِ الْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ

قَوْلُهُ: «وَالْمَخْلُوقُ يَقْبَلُ سَائِرَ الْأَلْوَانِ» «الْأَلْوَانِ»؛ يعني: الأصنافَ والأنواعَ؛

يعني: يقبلُ أن يكونَ كبشًا، وأن يكونَ جبلًا، وأن يكونَ أيَّ شيءٍ أَرَادَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، فالألوانُ هنا ليست اللَّونَ الأصفرَ أو الأحمرَ أو الأسودَ، لا، بل الألوانُ: الأصنافُ، ومنه قولُ الإمامِ أحمدَ -رحمه اللهُ- فيما رُوِيَ عن الصَّحَابَةِ من قيامِ اللَّيْلِ، قال: «رُوِيَ فِي ذَلِكَ أَلْوَانٌ»؛ يعني: أنواعًا.

٥٦٠١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَلْبِهِ سُبْحَانَهُ الـ أَعْيَانَ مِنْ لَوْنٍ إِلَى أَلْوَانٍ

٥٦٠٢- وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ يَقْبَلُ رَبِّهَا أَعْيَانَهَا وَالْكُلُّ ذُو إِمْكَانٍ

٥٦٠٣- لَمْ يَفْهَمِ الْجُهَّالُ هَذَا كَلَّهُ فَاتَّوَابَتْ أَوِيلاتِ ذِي الْبُطْلَانِ

٥٦٠٤- فَمُكَذَّبٌ وَمُؤَوَّلٌ وَمُحْيِرٌ مَا ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ

- ٥٦٠٥- لَمَّا فَسَّ الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ أَعْمَوْهُ دُونَ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ
 ٥٦٠٦- فَتَنَى لَنَا الْعِطْفَيْنِ مِنْهُ تَكْبَرًا وَتَبَخَّرًا فِي حُلَّةِ الْهَدْيَانِ
 ٥٦٠٧- إِنْ قُلْتَ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ فَيَقُولُ جَهْلًا أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ

الشرح

- ٥٦٠١- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِقَلْبِهِ سُبْحَانَهُ ال- أَعْيَانَ مِنْ لَوْنٍ إِلَى أَلْوَانِ
 ٥٦٠٢- وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ يَقْلِبُ رُبَّهَا أَعْيَانَهَا وَالْكَوْلُ ذُو إِمْكَانٍ

بَيِّنَ الْمُؤَلَّفُ - رحمه الله - أَنَّ الَّذِي يُذْبِحُ هُوَ الْمَوْتُ نَفْسُهُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِغَرِيبٍ عَلَى قَدْرَةِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْلِبُ الْأَعْمَالَ «الْمَعَانِي» أَجْسَامًا، كَمَا أَنَّهُ رَبُّهَا يُجْعَلُ الْأَعْمَالَ مَعَانِي فَقَطْ.

- ٥٦٠٣- لَمْ يَفْهَمِ الْجُهَّالُ هَذَا كُلَّهُ فَأَتَوْا بِتَأْوِيلَاتٍ ذِي الْبُطْلَانِ
 ٥٦٠٤- فَمَكَذَبَ وَمُؤَوَّلَ وَمُحَرِّفَ مَا ذَاقَ طَعْمَ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ

قَوْلُهُ: «مُؤَوَّلٌ» الْمُرَادُ بِالتَّأْوِيلِ: التَّحْرِيفُ؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ نَوْعَانِ: تَأْوِيلٌ حَقٌّ؛ وَهُوَ: أَنْ يُفَسِّرَ النَّصَّ بِمَا يَرِيدُهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَالثَّانِي: تَأْوِيلٌ بَاطِلٌ، وَهَذَا تَحْرِيفٌ؛ وَهَذَا سَمَّى أَهْلُ التَّحْرِيفِ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُؤَوَّلَةِ، تَلْطِيفًا لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّحْرِيفِ، وَإِلَّا فَحَقِيقَةُ الْأَمْرِ أَنَّهُمْ مُحَرِّفَةٌ، فَمَنْ قَالَ: ﴿أَسْتَوِي عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]؛ أَيْ: اسْتَوَى عَلَيْهِ، لَا نَقُولُ: مُؤَوَّلٌ، بَلْ نَقُولُ: هَذَا مُحَرِّفٌ، لِأَشْكُ فِي هَذَا، وَمَنْ قَالَ: ﴿أَنْتَ أَمْرٌ أَلَّهُ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]؛ أَيْ: سِيَأْتِي، نَقُولُ: هَذَا مُؤَوَّلٌ؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ يَدُلُّ عَلَى: أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَنْتَ﴾: سِيَأْتِي، وَكَذَلِكَ إِذَا قَالَ: ﴿فَإِذَا

قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَأَسْتَعِذُّ بِاللَّهِ ﴿ [النحل: ٩٨]؛ أي: إذا أردت أن تقرأ، نقول: هذا صحيح؛ لأنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ - إِنَّمَا كَانَ يَتَعَوَّذُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ^(١)، فَصَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ ظَاهِرِهِ إِنْ دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ فَهُوَ تَأْوِيلٌ، وَإِنْ لَمْ يَدُلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ فَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَإِنْ سَمَّاهُ أَهْلُهُ تَأْوِيلًا.

٥٦٠٥- لَمَّا فَسَا الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ أَعْمَوْهُ دُونَ تَدْبِيرِ الْقُرْآنِ

٥٦٠٦- فَثَنَى لَنَا الْعِظْفَيْنِ مِنْهُ تَكْبِيرًا وَتَبَخَّرْنَا فِي حُلَّةِ الْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «لَمَّا فَسَا الْجُهَّالُ فِي آذَانِهِ أَعْمَوْهُ»؛ يعني: أسمعوه، ولكنه جاء بهذه الصيغة تقييحاً لها، فأسمعوه خلاف الحقِّ فعَمِي، والعياذُ بالله.

٥٦٠٧- إِنْ قُلْتَ قَالَ اللهُ قَالَ رَسُولُهُ فَيَقُولُ جَهْلًا أَيْنَ قَوْلُ فُلَانٍ

أعوذُ بالله، يريد أن يقارن قول فلان بقول الله ورسوله.

(١) لعله يعني حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال له: «إذا افتتحت القراءة فقل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». ذكره السمعاني في تفسيره (٣/٢٠٠).

فصل

فِي أَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانُ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا الْكَلَامُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ

- ٥٦٠٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَاغْ
 ٥٦٠٩- وَغِرَاسَهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّ
 ٥٦١٠- تَبًّا لِتَارِكِ غَرَسِهِ مَاذَا الَّذِي
 ٥٦١١- يَا مَنْ يَقْرُبُ بَدَا وَلَا يَسْعَى لَهُ
 ٥٦١٢- أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا
 ٥٦١٣- وَكَذَلِكَ لَوْ عَطَلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا
 ٥٦١٤- مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ
 ٥٦١٥- وَتَأَمَّلِ «الْبَاءَ» الَّتِي قَدْ عَيَّنْتَ
 ٥٦١٦- وَأَظُنُّ «بَاءَ» النَّفْيِ قَدْ غَرَّنَكَ فِي
 ٥٦١٧- لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَاتِ أَصْلًا كَادِحٌ
 ٥٦١٨- وَاللَّهُ مَا بَيْنَ النُّصُوصِ تَعَارُضٌ
 ٥٦١٩- لَكِنَّ «بَا» الْإِثْبَاتِ لِلتَّسْبِيحِ وَ«الـ
 ٥٦٢٠- وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرْقٌ ظَاهِرٌ
- رِسٌ مَا تَشَاءُ بِدَا الزَّمَانِ الْفَانِي
 تَحْمِيدٌ وَالتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمَنِ
 قَدْ فَاتَهُ مِنْ مُدَّةِ الْإِمْكَانِ
 بِاللهِ قُلِّ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ
 سِ مَا الَّذِي تَحْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ
 تَرْجُو الْمُغَلَّ يَكُونُ كَالْكِيَانِ
 هَذَا فَرَاغِعُ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ
 سَبَبَ الْفَلَاحِ لِحِكْمَةِ الْفُرْقَانِ
 ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ
 بِالسَّعْيِ مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ
 وَالْكُلُّ مَضْرُوبٌ عَنْ الرَّحْمَنِ
 «بَاءَ» الَّتِي لِلنَّفْيِ بَا الْأَثْمَانِ
 يَدْرِيهِ دُو حَظٌّ مِنَ الْعِرْفَانِ

الشرح

٥٦٠٨- أَوْ مَا سَمِعْتَ بِأَنَّهَا الْقِيَعَانُ فَأَغْرِسْ مَا تَشَاءُ بِذَا الزَّمَانِ الْفَانِي

٥٦٠٩- وَغَرَّاسُهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّوْحِيدُ لِلرَّحْمَنِ

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - أَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ^(١)؛ يَعْنِي: خَالِيَةً مِنَ النَّبَاتِ، وَأَنَّ غَرَّاسَهَا التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّحْمِيدُ وَالتَّهْلِيلُ، وَالتَّسْبِيحُ قَوْلٌ: «سُبْحَانَ اللَّهِ»، وَالتَّكْبِيرُ قَوْلٌ: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، وَالتَّحْمِيدُ قَوْلٌ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ»، وَالتَّوْحِيدُ قَوْلٌ: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ»، وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الْأَرْبَعُ مَجْمُوعَةً فِي أَحَدِ أَنْوَاعِ الْأَذْكَارِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَإِنَّ مِنْ أَنْوَاعِهِ أَنْ يَقُولَ: (سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ).

٥٦١٠- تَبَّالْتَارِكِ غَرْسِهِ مَاذَا الَّذِي قَدْ فَاتَهُ مِنْ مُدَّةِ الْإِمْكَانِ

٥٦١١- يَا مَنْ يَقْرُبُ بَذَا وَلَا يَسْعَى لَهُ بِاللَّهِ قُلِّ لِي كَيْفَ يَجْتَمِعَانِ

يعني: كيف يجتمع أن تُقَرَّرَ بأنَّ الجنة قيعانٌ وأنَّ غراسها العمل الصالح، ثم لا تسعى لهذا؟! هل هذا ممكن؟

الجواب: لا؛ لأنَّ مَنْ أَقَرَّ بِهَذَا، وَأَنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانٌ، وَأَنَّهَا تَحْتَاجُ لِعَمَلٍ صَالِحٍ يُغْرَسُ فِيهَا، فَلَا بُدَّ أَنْ يَغْرَسَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، فَإِذَا كُنْتَ مُقَرِّراً بِهَذَا وَلَا تَسْعَى لَهُ، فَإِنَّ عَدَمَ سَعْيِكَ يُكْذِّبُ إِقْرَارَكَ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَقَرَّ بِهَذَا وَأَمَّنَ بِهِ فَلِمَاذَا لَا يَسْعَى؟!

(١) كما في حديث ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَفَرِيئُ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلَامَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةٌ التَّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيَعَانٌ، وَأَنَّ غَرَّاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ». أخرجه الترمذي: كتاب الدعوات، بعد باب ما جاء في فضل التسبيح والتكبير والتهليل والتحميد، رقم (٣٤٦٢).

ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلَيْنِ فَقَالَ:

٥٦١٢- أَرَأَيْتَ لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا سِ مَّا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ

٥٦١٣- وَكَذَلِكَ لَوْ عَطَلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا تَرْجُو الْمُغَلَّ يَكُونُ كَالْكِيَانِ

هذان مثلان؛ الأول: «لَوْ عَطَلْتَ أَرْضَكَ مِنْ غِرَا سِ مَّا الَّذِي تَجْنِي مِنَ الْبُسْتَانِ؟» الجواب: لا شيء.

الثاني: أو «عَطَلْتَهَا مِنْ بَذْرِهَا تَرْجُو الْمُغَلَّ يَكُونُ كَالْكِيَانِ؟» الجواب: لا يمكن، كيف ترجو أن يكون الزرع كالكيان؛ يعني: أكوامًا كثيرةً وأنت لم تبتذر؟!

٥٦١٤- مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ هَذَا فَرَا جِعَ مُقْتَضَى الْقُرْآنِ

قَوْلُهُ: «مَا قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَعَبْدُهُ هَذَا»؛ يعني: أَنْكَ تُعَطَّلُ، وتترك العمل وتفوز بالجنة، فراجع مقتضى الإيثار.

٥٦١٥- وَتَأَمَّلَ «الْبَاءَ» الَّتِي قَدْ عَيَّنْتَ سَبَبَ الْفَلَاخِ لِحِكْمَةِ الْفُرْقَانِ

٥٦١٦- وَأَظُنُّ «الْبَاءَ» النَّفْسِيَّ قَدْ غَرَّتَكَ فِي ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ

في القرآن الكريم آياتٌ متعددة؛ منها قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] وقوله تعالى: ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤]، وما أشبه ذلك من الآيات، فَأَثْبَتَتْ أَنَّ الْعَمَلَ يَدْخُلُ الْإِنْسَانَ بِهِ الْجَنَّةَ، ثُمَّ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - فِيهَا رَوَاهُ الشَّيْخَانُ أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، فَقِيلَ لَهُ: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ

مِنْهُ وَفَضْلٌ»^(١)، فالمهملُ قال: إِذَنْ لَا أَعْمَلُ مَا دَامَ الْعَمَلُ لَا يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ، وَإِنَّمَا الَّذِي يُدْخِلُنِي رَحْمَةُ اللَّهِ، إِذَنْ لَا أَعْمَلُ؛ ولهذا قال: «وَأَظَنَّ «بَاءً» النَّفْيِ قَدْ عَرَّثَكَ فِي ذَاكَ الْحَدِيثِ أَتَى بِهِ الشَّيْخَانِ»

ما هي «باءُ» النفي؟

الجوابُ: هي الموجودةُ في قوله: «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ»، فغرَّثُهُ، وقال: لا أعملُ، ما دام الأمرُ راجعاً إلى مغفرةِ الله ورحمته فلا حاجةُ إلى العمل، ثم قال مبيناً وموضحاً:

٥٦١٧- لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَاتِ أَصْلًا كَادِحٌ بِالسَّعْيِ مِنْهُ وَلَوْ عَلَى الْأَجْفَانِ
هذا النَّصُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ: أَنَّهُ «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ».

٥٦١٨- وَاللَّهُ مَا بَيْنَ النَّصُوصِ تَعَارُضٍ وَالْكُلِّ مَصْدَرُهَا عَنِ الرَّحْمَنِ
قَوْلُهُ: «وَالْكُلُّ مَصْدَرُهَا عَنِ الرَّحْمَنِ» هذه الجملةُ يحتملُ أن تكونَ حاليةً؛ يعني: ليس فيها تعارضٌ، والحالُ أنَّها صادرةٌ من الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ويحتملُ أنَّها استثنائيةٌ؛ يعني: وإذا كان مصدرُها من الرَّحْمَنِ فَإِنَّهَا لَنْ تَتَعَارَضُ.

٥٦١٩- لَكِنَّ «بَاءً» الْإِثْبَاتِ لِلتَّسْبِيبِ وَ«الـ» سَبَاءٌ «الَّتِي لِلنَّفْيِ بِأَلْفِ الْأَمَانِ

٥٦٢٠- وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا فَفَرْقٌ ظَاهِرٌ يَدْرِيه دُو حَظٍّ مِنَ الْعِرْفَانِ

«بَاءُ» الْإِثْبَاتِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧] لِلتَّسْبِيبِ؛

(١) أخرجه البخاري: كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل، رقم (٦٠٩٨)، ومسلم: كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، رقم (٢٨١٦).

يعني: أنها باء السببية، و«لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ أَحَدٌ بِعَمَلِهِ» للأئمان؛ يعني: لن يكون العمل ثمناً لدخول الجنة؛ ولهذا يسمونها «باء» العوض.

إذن الإثبات للسبب والتفني للعوض، وحيث لا تعارض، إذن الدخول ليس عوضاً عن العمل، ولكن دخول الجنة بسبب العمل، كما لو أن إنساناً قال: «أنا أعطيك جائزة قدرها مئة ألفٍ إذا كتبت لي هذه الورقة»، ومعلوم أن مئة الألف لا تقابل كتابة الورقة، لكن هو جعل ذلك سبباً؛ أي: إنك إذا كتبت هذه الورقة فقد امتثلت أمري ورجوت ثوابي، فأنا أعطيك هذا الثواب، وفرق بين المعنيين.

فصل

في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين

- ٥٦٢١- بِالله مَا عُدُّرُ امْرِئٍ هُوَ مُؤْمِنٌ حَقًّا بِهَذَا لَيْسَ بِالْيَقْظَانِ
٥٦٢٢- بَلْ قَلْبُهُ فِي رَقْدَةٍ فَإِذَا اسْتَفَا قَ قَلْبُسُهُ هُوَ حُلَّةُ الْكَسْلَانِ
٥٦٢٣- تَالله لَوْ شَاقَتَكَ جَنَاتُ النَّعِيمِ مِ طَلَبَتَهَا بِنَقَائِسِ الْأَثْمَانِ
٥٦٢٤- وَسَعَيْتَ جُهْدَكَ فِي وَصَالِ نَوَاعِمِ وَكَوَاعِبِ بِيضِ الْوُجُوهِ حَسَانِ
٥٦٢٥- جُلَيْتَ عَلَيْكَ عَرَائِيسُ وَالله لَوْ نُجَلَى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ
٥٦٢٦- رَقَّتْ حَوَاشِيهِ وَعَادَ لَوْقَتِهِ يَنْهَالُ مِثْلَ نَقْيِ مِنَ الْكُثْبَانِ
٥٦٢٧- لَكِنَّ قَلْبَكَ فِي الْقَسَاوَةِ جَاَزَ حَدِّ دَ الصَّخْرِ وَالْحَصْبَاءِ فِي أَشْجَانِ
٥٦٢٨- لَوْ هَزَّكَ الشَّوْقُ الْمُقِيمُ وَكُنْتَ ذَا حِسِّ لَمَا اسْتَبَدَلْتَ بِالْأَدْوَانِ
٥٦٢٩- أَوْ صَادَفَتْ مِنْكَ الصِّفَاتُ حَيَاةَ قَلْبِ بٍ كُنْتَ ذَا طَلَبٍ لِهَذَا الشَّانِ
٥٦٣٠- خَوْدٌ تُزَفُّ إِلَى صَرِيرٍ مُقْعَدِ يَا مِحْنَةَ الْحَسَنَاءِ بِالْعُمَيَّانِ
٥٦٣١- شَمْسٌ لِعَيْنَيْنِ تُزَفُّ إِلَيْهِ مَا ذَا حِيلَةَ الْعَيْنَيْنِ فِي الْغَشْيَانِ

الشرح

قوله: «فصل في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين» ليس معنى

ذلك أنه جائز أن يُقيّم الإنسان الماتَم عند الأحزان، لكن هذا بيانٌ للواقع أن النَّاسَ عند الأحزان يُقيّمون الماتَم، لكن شرعاً لا؛ لأنَّ الواجب الصَّبْرُ وعدمُ إظهارِ ما يدلُّ على التَّسَخُّطِ.

قَوْلُهُ: «وَاللَّهِ لَوْ تَجَلَّى عَلَى صَخْرٍ مِنَ الصَّوَّانِ رَقَّتْ حَوَاشِيهِ ..» هذا من المبالغة من الشَّيخِ رحمه الله، يقول: لو أنَّ هذه الحورَ زُفَّتْ إلى صخرٍ من الصَّوَّانِ «الحجرُ الصَّلْبُ»، لَرَقَّتْ حَوَاشِيهِ؛ يعني: صارت رقيقةً مثل الرَّمْلِ، ولكنَّ هذا من بابِ المبالغة في ضربِ الأمثالِ حتَّى يعرفَ الإنسانُ موضعَ قلبِهِ الذي زُفَّتْ إليه هذه العرائسُ، هل يلينُ قلبُهُ في الوصولِ إليها حتَّى يؤمنَ؟ جعلنا الله وإياكم من هؤلاء.

قَوْلُهُ: «شَمْسٌ لِعَيْنِي تَزْفُ إِلَيْهِ...» الشَّمْسُ من جمالها وحُسنها ونورها تُزْفُ إلى عَيْنِي؛ والعَيْنُ هو: الذي لا يستطيعُ الجماعُ؛ ولهذا قال: «مَا حِيلَةُ الْعَيْنِ فِي الْغُشْيَانِ؟»، الجوابُ: ليس له حيلةٌ.

- ٥٦٣٢- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتَ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ
- ٥٦٣٣- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا ائْتَانِ
- ٥٦٣٤- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَنْ ذَا كُفُوْهَا إِلَّا أَوْلُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيمَانِ
- ٥٦٣٥- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقُكَ كَاسِدٌ بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ
- ٥٦٣٦- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيْنَ الْمُشْتَرِي فَلَقَدْ عَرَضَتْ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ
- ٥٦٣٧- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانِ

- ٥٦٣٨- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصَبَّرُ الـ حُطَّابٍ عَنْكَ وَهُمْ ذُووِ إِيْمَانٍ
 ٥٦٣٩- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
 ٥٦٤٠- مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي
 ٥٦٤١- لَكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ لِيَصِدَّ عَنْهَا الْمُبْطِلَ الْمُتَوَانِي
 ٥٦٤٢- وَتَنَالَهَا الْهَمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى رُتَبِ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

٥٦٣٢- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَسْتِ رَخِيصَةً بَلْ أَنْتِ غَالِيَةٌ عَلَى الْكَسْلَانِ
 وهذا صحيح، والله غالية على الكسلان، وأما على ذي الهمة فرخيصة؛ لأن العمل إلى الجنة أرخص من العمل إلى الدنيا وأسهل؛ فمثلاً: سُبْحَانَ اللَّهِ، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، كم فيها من غراسٍ؟ الجواب: أربعة بدون تعب ولا مشقة، وفي مكان دائم، لكن في الدنيا اغرس أربع شجرات، تجد التعب في تحصيلها وغرسها وسقيها وملاحظتها.

فهي -والله- ليست رخيصة إلا على رجل كسلان، وربما نقول: إنها عند ذي الهمة فهي رخيصة؛ بمعنى أنها سهلة عليه، وليست رخيصة؛ يعني: لا قيمة لها عنده أبداً.

٥٦٣٣- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَيْسَ يَنَالُهَا فِي الْأَلْفِ إِلَّا وَاحِدٌ لَا ائْتِنَانِ

هذا جاء به الحديث: يقول الله عز وجل يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ، قَالَ: وَمَا بَعَثَ النَّارَ؟ قَالَ:

مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعِمِئَةٍ وَتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ»^(١)، فلا ينال الجنة من بني آدم إلا واحدٌ في الألف.

٥٦٣٤- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ مَنْ ذَا كَفُّوْهَا إِلَّا أَوْلُو التَّقْوَى مَعَ الْإِيْمَانِ
اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

٥٦٣٥- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ سُوقِكَ كَاسِدٌ بَيْنَ الْأَرَاذِلِ سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ

قَوْلُهُ: «سِفْلَةَ الْحَيَوَانِ» هذا صحيح؛ لأن الله تعالى وَصَفَ الْكَافِرِينَ بِأَتْمِهِمْ ﴿كَأَلَانْعَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]؛ أي: شرٌّ مِنْ بَرٍّ أَلَّهِ، فَالْكَفَّارُ لَا شَكَّ أَنَّهُمْ سِفْلَةُ الْحَيَوَانِ، وَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ فِي قِمَمِ الْمَعَالِي، فَهَمُ وَاللَّهُ تَحْتَ الْأَقْدَامِ، بَلْ إِنْ أَتْبَاعَهُمْ يَقُولُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]، اللَّهُمَّ اهْدِنَا يَا رَبُّ.

٥٦٣٦- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ أَيَّنَ الْمُشْتَرِي فَلَقَدْ عَرِضَتْ بِأَيْسَرِ الْأَثْمَانِ

٥٦٣٧- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ هَلْ مِنْ خَاطِبٍ فَالْمَهْرُ قَبْلَ الْمَوْتِ ذُو إِمْكَانٍ

ما هو المهر؟ الجواب: ما سبق؛ وهو: الإيْمَانُ وَالتَّقْوَى، وَمَعَ ذَلِكَ هَذَا الْمَهْرُ مَهْرٌ لِسِلْعَةِ الرَّحْمَنِ - اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْ مُشْتَرِيهَا - وَمَهْرٌ لِسِلْعَةِ الدُّنْيَا، حَتَّى الدُّنْيَا الْآنَ لَا تَجِدُ أَحَدًا أَطْيَبَ قَلْبًا، وَلَا أَحْسَنَ بَالًا مِنْ أَهْلِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى.

٥٦٣٨- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ كَيْفَ تَصَبَّرُ الْخُطَّابِ عَنْكَ وَهُمْ ذَوُو إِيْمَانٍ

(١) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قصة يأجوج ومأجوج، رقم (٣٣٤٨)، ومسلم: كتاب الإيْمَانِ، باب قوله: «يقول الله لأدم أخرج بعث النار»، رقم (٢٢٢).

٥٦٣٩- يَا سِلْعَةَ الرَّحْمَنِ لَوْلَا أَنَّهُمَا حُجِبَتْ بِكُلِّ مَكَارِهِ الْإِنْسَانِ
٥٦٤٠- مَا كَانَ عَنْهَا قَطُّ مِنْ مُتَخَلِّفٍ وَتَعَطَّلَتْ دَارُ الْجَزَاءِ الثَّانِي

أشار هنا إلى معنى جليل جدًا؛ وهو أن الجنة حُفَّتْ بالمكاره، لماذا؟ يقول:
لولا هذا ما كان للنار أهل؛ يعني: لو كانت الجنة محفوفةً بالشهوات كالنار ما بقي أحدٌ للنار، وقد أشار الله لهذا في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَرَالُونَ مَخْلَفِينَ﴾ (١١٨) إِلَّا مَنْ رَزَحَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿ [هود: ١١٨]، فَحَفَّتْ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ مِنْ أَجْلِ الْأَيَّامِ مَا يَنْهَاهَا إِلَّا مَنْ تَجَشَّمَ هَذِهِ الْمَكَارَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا أَقْنَمَ الْعَقَبَةَ﴾ [البلد: ١١] بلا أحد؛ ولهذا تجد المؤمن يكابدُ أشياء، وهذه الأشياء ليست سهلة، فهو يكابدُ نفسه، يصبرُ على الوضوء في المكاره، على الإتيان للمساجد، يصبرُ على ما يناله من أذى الناس، يصبرُ على ما يناله من تعب في العبادة أحيانًا، فتجده يُصابِرُ، يصبرُ على كبح نفسه عن شهواتها، ليست المسألة هيئة؛ ولذلك كانت الجنة محفوفةً بالمكاره، ولكنها كما قال ابن القيم عدة مرات: «مَا هِيَ إِلَّا سَاعَةٌ ثُمَّ تَنْقُضِي»، كُلُّ الْعَمْرِ الَّذِي مَضَى قَبْلَ سَاعَتِنَا هَذِهِ كَأَنَّهُ سَاعَةٌ، كَأَنَّا لَمْ نَعِشْ فِيهِ، فَهِيَ أَيَّامٌ يَسِيرَةٌ ثُمَّ ارْتِحَالٌ، وَيَنْقُضِي زَمَنُ الْعَمَلِ إِلَى زَمَنِ الْجَزَاءِ، وَلَكِنْ اصْبِرْ، وَصَابِرٌ حَتَّى تَنَالَ مَا يَنَالُهُ الصَّابِرُونَ ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]، وَهَذَا أَمْرٌ وَاضِحٌ، انظُرْ إِلَى آبَائِكَ، انظُرْ إِلَى إِخْوَانِكَ الَّذِينَ هُمْ أَكْبَرُ مِنْكَ، انظُرْ إِلَى أَقْرَانِكَ، انظُرْ إِلَى مَنْ هُوَ دُونَكَ، كُلُّهُمْ رَحَلُوا عَنِ الدُّنْيَا وَكَأَنَّهُمْ لَمْ يُخْلَقُوا فِيهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

بَيْنَا يَرَى الْإِنْسَانَ فِيهَا مُخْبِرًا حَتَّى يَرَى خَبْرًا مِنْ الْأَخْبَارِ (١)

(١) البيت لابن الحسن التهامي يرثي ولده، كما في نفع الأزهار في منتخبات الأشعار، لشاكر البتلوني (ص: ١٠٣).

وما هي إلا ساعةٌ ثم تنقضي، هذه المكارهُ اصبرِ عليها، اصبرِ على كبح نفسك عن شهواتها، اصبرِ على الواجبات التي أمرك الله بها، اصبرِ على البلايا التي تصيبك من نفسك، أو من الله عزَّ وجلَّ، أو من النَّاسِ، اصبرِ حتى تنالَ دَارَ الرَّاحَةِ، نسألُ اللهَ أن يكتبَ لنا ولكم هذه الدَّارَ.

٥٦٤١- لِكِنَّهَا حُجِبَتْ بِكُلِّ كَرِيهَةٍ لِيُصَدَّ عَنْهَا الْمُبْطَلُ الْمُتَوَانِي

٥٦٤٢- وَتَنَالُهَا الْهِمَمُ الَّتِي تَسْمُو إِلَى رُتَبِ الْعُلَى بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ

إذا قال: «تَسْمُو إِلَيْهَا الْهِمَمُ» قَيَّدَ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ، مَشِيئَةُ الرَّحْمَنِ لَيْسَتْ مَشِيئَةً مَجْرَدَةً، بَلْ هِيَ مَشِيئَةٌ مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْحِكْمَةِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٧-٢٨]، وَقَالَ تَعَالَى فِي آخِرِ سُورَةِ «الْإِنْسَانِ»: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠]، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣]، فَلهَذَا قَيَّدَ الْمُؤَلِّفُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ الرَّحْمَنِ، نَسَأَلُ اللَّهَ أَنْ يَشَاءَ لَنَا وَلَكُمْ مَا فِيهِ الْخَيْرُ وَالصَّلَاحُ.

٥٦٤٣- فَانْتَعَبَ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الْأَذْنَى تَجِدُ رَاحَتِهِ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي

٥٦٤٤- وَإِذَا أَبَتْ ذَا الشَّانِ نَفْسُكَ فَاتَّهِمِهَا ثُمَّ رَاجِعْ مَطْلَعَ الْإِيمَانِ

٥٦٤٥- فَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ بَعْدُ وَصَبْحَهُ مَا انْشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لِأَذَانِ

٥٦٤٦- وَالنَّاسُ قَدْ صَلَّوْا صَلَاةَ الصُّبْحِ وَإِنْ تَخَطَّرُوا طُلُوعَ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ

- ٥٦٤٧- فَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا
 شَدَّ رَبِّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ
 ٥٦٤٨- وَأَسْأَلُهُ إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبَكَ الْ-
 مَحْجُوبَ عَنْهُ لِتَنْظُرَ الْعَيْنَانِ
 ٥٦٤٩- وَأَسْأَلُهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي
 طُرُقِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ كُلِّ أَوَانٍ
 ٥٦٥٠- وَاللَّهُ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَاتِّمَّهَا
 لَعَلِّي طَرِيقَ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
 ٥٦٥١- لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ
 تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
 ٥٦٥٢- وَرِضًا بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرِصَهَا
 لَا كَانَ ذَاكَ بِإِمْنَةِ الرَّحْمَنِ

الشرح

- ٥٦٤٣- فَاتَّعَبَ لِيَوْمِ مَعَادِكَ الْأَذْنَى تَجِدُ
 رَاحَتَهُ يَوْمَ الْمَعَادِ الثَّانِي
 ٥٦٤٤- وَإِذَا أَبَتْ ذَا الشَّانِ نَفْسُكَ فَاتِّمَّهُمْ
 هَاهُنَّ رَاجِعَ مَطْلَعِ الْإِيْمَانِ
 ٥٦٤٥- فَإِذَا رَأَيْتَ اللَّيْلَ بَعْدَ وَصْبَحِهِ
 مَا انْشَقَّ عَنْهُ عَمُودُهُ لِأَذَانِ
 ٥٦٤٦- وَالنَّاسُ قَدْ صَلَّوْا صَلَاةَ الصُّبْحِ وَإِنْ
 تَطَرُّوْا طُلُوعِ الشَّمْسِ قُرْبَ زَمَانِ
 ٥٦٤٧- فَأَعْلَمَ بِأَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ فَنَا
 شَدَّ رَبِّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ
 ٥٦٤٨- وَأَسْأَلُهُ إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبَكَ الْ-
 مَحْجُوبَ عَنْهُ لِتَنْظُرَ الْعَيْنَانِ
 ٥٦٤٩- وَأَسْأَلُهُ نُورًا هَادِيًا يَهْدِيكَ فِي
 طُرُقِ الْمَسِيرِ إِلَيْهِ كُلِّ أَوَانٍ

قَوْلُهُ: «فَنَاشِدُ رَبِّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ»، «الْمَعْرُوفَ» صِفَةٌ لـ«رَبِّ»،

وَلَيْسَتْ مَفْعُولٌ «نَاشِدٌ».

والله هذه أبياتٌ عظيمةٌ، إذا رأيتَ من نفسك التَّخَلُّفَ وَأَبْتُ نَفْسِكَ أَنْ تُعَانِقَ مَنْ وَفَّقُوا لِلْخَيْرِ وَرَأَوْا أَنْوَارَ الصَّبَاحِ فَاعْلَمْ أَنَّ الْعَيْنَ قَدْ عَمِيَتْ، فَتَأَشِدُّ رَبَّكَ الْمَعْرُوفَ بِالْإِحْسَانِ؛ يعني: الذي عُرِفَ بِالْإِحْسَانِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاسْأَلْهُ إِيْمَانًا يُبَاشِرُ قَلْبَكَ الْمَحْجُوبَ عَنْهُ لِنَظَرِ الْعَيْنَانِ؛ أي: اسأله إيمانًا يباشِرُ القَلْبَ؛ لأنَّ هَذَا هُوَ النَّافِعُ، أَمَّا الْإِيْمَانُ الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُ الْحَنَاجِرَ فَلَيْسَ بِإِيْمَانٍ، الْإِيْمَانُ هُوَ الَّذِي يُبَاشِرُ الْقَلْبَ مُبَاشِرَةً، فَإِذَا رَأَيْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَنَّ الْإِيْمَانَ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَكَ فَعَلَيْكَ بِاللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، اسأله وَأَنْتَ سَاجِدٌ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، اسأله بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، اسأله فِي أَوْقَاتِ الْإِجَابَةِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْكَ بِإِيْمَانٍ يُبَاشِرُ قَلْبَكَ وَيُجِيبُ بِهِ قَلْبَكَ، هَذَا هُوَ الْمَقْصُودُ.

الْإِيْمَانُ الَّذِي لَا يَتَجَاوَزُ الْحَنَاجِرَ كُلُّ يَدْرُكُهُ حَتَّى الْمُنَافِقَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون: ٤]، وَلَكِنْ الْإِيْمَانُ الَّذِي يُبَاشِرُ الْقَلْبَ وَيَصِلُ إِلَى الْقَلْبِ حَتَّى يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ سَبَبٌ، هَذَا هُوَ الَّذِي يَنْفَعُ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ نَفْسَكَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَاتَّهَمُهَا، وَمَنْ الَّذِي يَهْدِيكَ مِنْ ضَلَالِكَ؟ الْجَوَابُ: اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ارْجِعْ إِلَى اللَّهِ، لَا تَيْأَسْ، لَا تَقُلْ: دَعَوْتُ، وَلَمْ أَجِدْ إِيْمَانًا، وَلَمْ أَجِدْ خَشُوعًا، وَلَمْ أَجِدْ يَقِينًا، لَا تَيْئَسْ، كَرَّرَ سَوْأَلَ اللَّهِ، كَرَّرَ، «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّعَاءِ»^(١)، رَبِّمَا يَكُونُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ مَنَعَكَ أَوَّلَ مَرَّةٍ لِمَصْلَحَتِكَ حَتَّى يَعْلَمَ عَزَّ وَجَلَّ صِدْقَكَ فِي الطَّلْبِ؛ لِأَنَّ الصَّادِقَ فِي الطَّلْبِ يُلْحَقُ، وَإِذَا تَأَخَّرَ أَلْحَقَ، وَإِذَا عَلِمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْكَ صِدْقَ النِّيَّةِ فَهُوَ وَاللَّهُ أَكْرَمُ مِنْكَ، أَنْتَ تَسْأَلُهُ لِتَلْجَأَ إِلَيْهِ وَتَعْتَرِفَ بِهِ رَبًّا، فَهُوَ أَكْرَمُ مِنْكَ، لَكِنْ لَا تُلْحِقْ نَفْسَكَ الْيَأْسَ أَبَدًا، لَا تَقُلْ: أَنَا وَاللَّهُ دَعَوْتُ لَكِنْ مَا وَجَدْتُ الْإِيْمَانَ، كَمَا يَشْكُو بِهَذَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ الْآنَ.

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٣٨، رقم ١١٠٨).

كثيرٌ من النَّاسِ يَتَّصِلُونَ بنا: ما وجدتُ الإيمانَ، ما بَاشَرَ الإيمانُ قلبي، ما وَجَدْتُ طَعْمَهُ، الجأ إلى الله، وأكثر من الذكرِ، أكثر من الصَّلَاةِ، أكثر من قراءة القرآن، أكثر من فعلِ الخيرِ والإحسانِ لإخوانك، تجد هذا، أمَّا كونُ الإنسانِ يريدُ أن يأتيه الشَّيْءُ بدونِ تعبٍ فهذا لا يمكنُ.

اسألوا الله عزَّ وجلَّ، ولا تياسوا من رحمةِ الله؛ فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَكْرَمُ مِنَّا، «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَاهُ يَمْشِي أَتَاهُ هَرْوَلَةً»^(١)، فهو أسرعُ إلى عبده من عبده إليه، ولكنَّ المسألةَ تحتاجُ إلى المصابرةِ، وإلى انتظارِ الفرجِ، وإلى عدمِ اليأسِ من رحمةِ الله عزَّ وجلَّ.

٥٦٥٠- وَاللهَ مَا خَوْفِي الذُّنُوبَ فَإِنَّهَا لَعَلَى طَرِيقِ العَفْوِ وَالغُفْرَانِ

نعم، الذُّنُوبُ سهلةٌ بالنسبةِ لما هو أعظمُ منها ممَّا يذكره المؤلفُ؛ لأنَّها على طريقِ العفوِ والغفرانِ من الله مِنَّةٌ وتفضُّلاً، فالذُّنُوبُ -والحمدُ لله- ما عدا الشُّرْكَ بين خوفٍ ورجاءٍ؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، قد يَمُنُّ اللهُ عزَّ وجلَّ على الإنسانِ بكلمةٍ واحدةٍ من رضاه يبلغُ بها رضاه، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ أَلْسِيَّاتِ﴾ [هود: ١١٤]، امرأةٌ دخلت الجنةَ وغُفِرَ لها حيث سَقَتْ كَلْبًا يلهثُ من العطشِ^(٢)، فعَلَّ يسيرُ، فالذُّنُوبُ في الحقيقةِ كما قال

(١) أخرجه البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمْ اللهُ نَفْسَهُ﴾ [آل عمران: ٢٨]، رقم (٧٤٠٥)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب الحث على ذكر الله تعالى رقم (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري: كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه، فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى شفاء، رقم (٣١٤٣)، ومسلم: كتاب السلام، باب فضل ساقى البهائم المحترمة وإطعامها، رقم (٢٢٤٥).

المؤلف: «عَلَى طَرِيقِ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ»، فهي بين عفوٍ في تركٍ واجبٍ، أو غفرانٍ في فعلٍ مُحَرَّمٍ، لكن الخوفُ الذي يُحْشَى منه هو ارتفاعُ الإيمانِ من القلبِ، هذا هو الذي يُحْشَى منه كثيرًا، ويجبُ أن يكونَ الإنسانُ منه على حذرٍ، أجازنا الله وإياكم من ذلك، هذا هو الذي يجبُ أن تحذره أن يرتفع الإيمانُ من قلبك، فهذا هو الذي نسأل الله أن يجعله عنا وعنكم، وأن يبعده عنا وعنكم.

٥٦٥١- لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ» يحتتملُ أن يكونَ عطفَ مرادفٍ على مرادفه؛ كقول
الشاعرِ:

فَأَلْقَى قَوْلَهَا كَذِبًا وَمِينًا^(١)

ويحتتملُ أن يريدَ بالوحيِ السُّنَّةَ؛ لأنَّها الوحيُّ الثاني، ويكونُ القرآنُ هو كلامَ الله عزَّ وجلَّ، وأُيِّها أولى إذا دار الأمرُ بين كَوْنِ الكلامِ مؤسَّسًا أو مؤكَّدًا؟ الجوابُ: الأوَّلُ؛ لأنَّنا إذا حملناه على التأسيسِ لم يكن هناك تكرارًا، وإذا حملناه على التوكيدِ صار هناك تكرارًا.

هذا أيضًا ممَّا يُحْشَى منه خشيةٌ عظيمةٌ؛ لأنَّ الذي لا يُحْكَمُ القرآنَ منسلخٌ خارجٌ من الإيمانِ، ولو صَلَّى وَصَامَ وَزَكَّى وَفَعَلَ كُلَّ الطَّاعَاتِ وهو لا يُحْكَمُ القرآنَ فإنه كافرٌ مرتدٌّ، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]؛ ولهذا قال: «لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ».

(١) هذا عجز بيت لعدي بن زيد العبادي، كما في المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم الزمخشري (١/٢٤٣)، وصدرة: فَقَدَّتْ الْأَدِيمَ لِرَاهِشِيهِ

٥٦٥٢- وَرِضًا بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَرِضًا بِآرَاءِ الرَّجَالِ وَخَرَصَهَا»؛ يعني: الآراء المبنية على الخرص والتخمين، لا على الحكمة واليقين.

قَوْلُهُ: «لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ» هذه الجملة دعائية، يقول: أسأل الله ألا يكون ذلك بمنته.

وَقَوْلُهُ: «لَا كَانَ ذَاكَ بِمِنَّةِ الرَّحْمَنِ» «لَا كَانَ ذَاكَ» بنفسه أو بنفسه هو وإخوانه؟ الجواب: العموم أولى، فهو يسأل الله تعالى ألا يكون هذا في قلبه ولا في قلب إخوانه، وهو الإعراض عن الكتاب والسنة وتحكيم آراء الرجال.

قد يقول قائل: إن الإنسان قد يُعرض عن تحكيم القرآن ولا يُحكّم آراء الرجال، فنقول: هذا محال، لا بُدَّ للإنسان من طريق، فإما طريق خير وإما طريق شر؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الْضَلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، وجاء في الحديث: «أَصْدَقُهَا -أي: الأسماء- حَارِثٌ وَهَمَامٌ»^(١)؛ لأنَّ كُلَّ إنسانٍ له همةٌ وله عملٌ، فإذا أَعْرَضَ عن تحكيم القرآن فلا بُدَّ أن يمشي على طريق، إلى أين يذهب إذا تَرَكَ القرآن؟ إلى هوى نفسه أو إلى آراء غيره.

وإذا نظرنا إلى بعض الحُكَّام اليوم في الدول الإسلامية وجدنا أن هذا الوصف ينطبق عليهم تمامًا، فقد أَعْرَضُوا عن تحكيم القرآن وحكموا بآراء الرجال، ومن الرجال الذين حكموا بآرائهم؟ الجواب: كُفَّارٌ، قد نقول: إنَّ هذا الذي حكموا به في زمانهم ومكانهم وأمتهم مناسبٌ، لكن هل يبقى مُنَاسِبًا للأُمم

(١) أخرجه أحمد (٣١/٣٧٧، رقم ١٩٠٣٢). وأبو داود: كتاب الأدب، باب في تغيير الأسماء، رقم

في كُلِّ زمانٍ وفي كُلِّ مكانٍ؟ الجواب: أبدًا، لا يمكن، إلا كلامَ الله عزَّ وجلَّ، وكلامَ رسوله، فهو صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ وأُمَّةٍ، لكن هذه القوانينُ المستوردةُ من الشَّرْقِ أو من الغربِ كُلُّها من وضعِ الرِّجالِ في وقتٍ قد يكونُ مناسبًا وقد يكونُ غيرَ مناسبٍ أيضًا، حتَّى وضعها في زمانهم ومكانهم وأُممهم قد يكونُ غيرَ مناسبٍ؛ لأنَّهم غيرُ معصومين ولا مُدْرِكِينَ لكلِّ الأمورِ والمشاكلِ، ومع ذلك يأتي هؤلاء الجُهَّالُ فيتلقَّفون هذه القوانينَ ويُطبِّقونها على شعبٍ مسلمٍ يتناقضُ غايةَ التَّنَاقُضِ مع الأُممِ التي سُنَّتْ فيها هذه القوانينُ، وهذا من جهلهم، نسألُ اللهَ أن يهديهم صراطَه المستقيمَ، وأن يوليَّ على المسلمين خيارَهم.

فالقلبُ إذا انسَلَخَ -والعياذُ بالله- من تحكيمِ القرآنِ والسُّنَّةِ صارَ القرآنُ في نظره أساطيرَ الأوَّلِينَ، وصارت السُّنَّةُ بنظره آراءَ الرِّجالِ والعياذُ بالله، وصارت الشَّرِيعَةُ في نظره شريعةَ عصرٍ مَضَى، كما هو موجودٌ الآن في كثيرٍ من الأُممِ الإسلاميَّةِ يَدْعُونَ القرآنَ والسُّنَّةَ ويحكمون بآراءِ الخلقِ، مع أن آراءَ الخلقِ قاصرةٌ؛ أوَّلاً: لأنَّ المخلوقَ لا يمكنُ أن يُحيطَ بكلِّ مصالحِ الخلقِ لا زمانًا ولا مكانًا.

ثانيًا: لو فُرِضَ أَنَّهُ أَحاطَ فَإِنَّهُ يَحيطُ بِمَحيطِهِ فقط، فيمَن حوله، لكن مَنْ كانوا بعيدين عنه أو إذا تغيَّرت الأحوالُ هل يُدْرِكُ ما يصلحُ النَّاسَ؟ أبدًا؛ ولذلك لا شكَّ في ضلالِ هؤلاء في دينهم الذين يُحْكَمُونَ قوانينَ وَضَعَهَا الفرنسيونُ أو الإنجليزُ أو الأمريكيانُ أو الأُممُ المتَّحدةُ، وَيَدْعُونَ كتابَ الله وسُنَّةَ رسوله ﷺ، من قوانينِ الأُممِ المتَّحدةِ -لا أقامَ اللهُ لها قانونَها- أنَّ الإنسانَ حُرٌّ في رأيه، حُرٌّ في عقيدته، حُرٌّ في خُلُقِهِ، حُرٌّ في عمله، يكفُرُ يكفُرُ، يقولُ ما شاء، يقولُ ما شاء، ولا أحدٌ يتعرَّضُ له، يفجُرُ ويكونُ عاهراً، ولا أحدٌ يتعرَّضُ له.

والعجائبُ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ يَحْفَظُونَ حَقُوقَ الْإِنْسَانِ، وَسَبَّحَانَ اللَّهِ هَذَا الَّذِي أَقُولُهُ الْآنَ سَمِعْتُهُ فِي صَبَاحِ هَذَا الْيَوْمِ مِنْ إِذَاعَةِ لَنْدُنْ، فَقَدْ ذَكَرْتُ مَعَاهِدَةَ الْأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ؛ مِنْهَا هَذَا الْبَنْدُ أَنَّ الْإِنْسَانَ حُرٌّ وَلَا أَحَدٌ يَتَعَرَّضُ لَهُ، يَكْفُرُ، يُشْرِكُ، يَزْنِي، يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَلَا أَحَدٌ يَتَعَرَّضُ لَهُ؛ لِأَنَّ هَذِهِ حُرِيَّةُ الْإِنْسَانِ، أَيُّ فَوْضَى وَأَيُّ فِسَادٍ أَشَدُّ مِنْ هَذَا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؟! فَيَقُولُ الْمَوْلُفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: «أَخْشَى أَنْسِلَاحَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ».

كَذَلِكَ أَيْضًا أَهْلُ الْكَلَامِ فِي الْعَقَائِدِ تَرَكَوا الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَقَالُوا: إِنَّ الْيَقِينَ لَا يَحْصُلُ بِالْقُرْآنِ وَلَا بِالسُّنَّةِ، وَلَكِنْ لَا بُدَّ لَنَا مِنْ عَقِيدَةٍ، مِنْ أَيْنَ نَأْخُذُهَا؟ قَالُوا: مِنَ الْفَلَسْفَةِ وَمَنْطِقِ الْيُونَانِ وَأَرَاءِ الرِّجَالِ، أَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ يَفِيدُ الْيَقِينَ فِي ثُبُوتِهِ فَإِنَّهُ لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ فِي دَلَالَتِهِ، يَقُولُونَ: الْقُرْآنُ لَيْسَ عِنْدَنَا إِشْكَالٌ فِي ثُبُوتِهِ وَهُوَ مَتَيِّقٌ مُتَوَاتِرٌ غَايَةَ التَّوَاتُرِ، لَكِنْ لَا يَفِيدُ الْيَقِينَ فِي دَلَالَتِهِ، وَأَمَّا السُّنَّةُ فَقَالُوا:

أَوَّلًا: نَنْظُرُ هَلْ تَفِيدُ الْيَقِينَ فِي ثُبُوتِهَا أَوْ لَا؟ يَقُولُونَ: الْمَتَوَاتِرُ يَفِيدُ الْيَقِينَ، وَأَمَّا الْآحَادُ أَضْرَبُوا بِهِ عَرَضَ الْحَائِطِ، لَا تَقْبَلُوهُ فِي الْعَقَائِدِ، ثُمَّ الْمَتَوَاتِرُ مَتَيِّقٌ الثُّبُوتِ لَكِنْ هَلْ هُوَ مَتَيِّقٌ الدَّلَالَةِ؟ يَقُولُونَ فِيهِ مِثْلَ الْقُرْآنِ، لَيْسَ مَتَيِّقٌ الدَّلَالَةِ، إِذَنْ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَفِيدَ الْقُرْآنُ وَلَا السُّنَّةُ الْيَقِينَ فِي جَانِبِ الْعَقَائِدِ، وَتَكُونُ كُلُّ الْعَقَائِدِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ مَبْنِيَّةً عَلَى ظَنْ، إِذَنْ إِلَى أَيْنَ نَرْجِعُ إِذَا لَمْ نَسْتَفِدِ الْيَقِينَ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؟ إِلَى الْعُقُولِ، الْعُقُولِ الْمُتَنَاحِرَةِ الْمُخْتَلِفَةِ؟! كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يُضَلُّ الْآخَرَ، بَلِ الْإِنْسَانُ نَفْسُهُ يَتَنَاقِضُ فِي مَوْلَفَاتِهِ فِي أَوَّلِ عَمْرِهِ وَفِي آخِرِ عَمْرِهِ، فَكَمَا قَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: «يَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ شَيْءٍ يُوزَنُ

الكتاب والسنة؟»^(١) بعقل زيد أو بعقل عبيد؟ وقال الإمام مالك: «أفكلما جاءنا رجلٌ أجدلٌ من رجلٍ تركنا الكتاب والسنة لقولِ هذا المجادلِ؟!»^(٢)، هل هذا لائقٌ؟! الجواب: لا.

إذن الذي يُحافُ عليه كما قال المؤلفُ: «لَكِنَّمَا أَخْشَى انْسِلَاخَ الْقَلْبِ مِنْ تَحْكِيمِ هَذَا الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ وَرِضَا بَارَاءِ الرِّجَالِ وَخَرَصِهَا».

- ٥٦٥٣- فَبِأَيِّ وَجْهِهِ أَلْتَقِيَ رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ
- ٥٦٥٤- وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لِأَجْلِهِ
عَزْلًا حَقِيقِيًّا بِبَلَا كِتْمَانٍ
- ٥٦٥٥- صَرَخْتُ أَنْ يَقِينَنَا لَا يُسْتَفَا
دُبِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إِنْقَانٍ
- ٥٦٥٦- أَوْلَيْتُهُ هَجْرًا وَتَأْوِيلًا وَتَحْمًا
رِيفًا وَتَفْوِيضًا بِبَلَا بُرْهَانٍ
- ٥٦٥٧- وَسَعَيْتُ جُهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُنْسِكٍ
بِعُرَاهُ لَا تَقْلِيدَ رَأْيِي فُلَانٍ

الشرح

- ٥٦٥٣- فَبِأَيِّ وَجْهِهِ أَلْتَقِيَ رَبِّي إِذَا
أَعْرَضْتُ عَنْ ذَا الْوَحْيِ طُولَ زَمَانٍ
- ٥٦٥٤- وَعَزَلْتُهُ عَمَّا أُرِيدُ لِأَجْلِهِ
عَزْلًا حَقِيقِيًّا بِبَلَا كِتْمَانٍ
- بأي شيء؟ بالإيمان أو بالكفر؟ الجواب: بالكفر.

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٥ / ٢٩).

(٢) انظر: المصدر السابق.

٥٦٥٥- صَرَّحْتُ أَنَّ يَقِينَنَا لَا يُسْتَفَا دُبِهِ وَلَيْسَ لَدَيْهِ مِنْ إِنْقَانِ
 ٥٦٥٦- أَوْلَيْتُهُ هَجْرًا وَتَأْوِيلًا وَتَحْ رِيْفًا وَتَفْوِيضًا بِلَا بُرْهَانَ
 قَوْلُهُ: «وَتَفْوِيضًا بِلَا بُرْهَانَ»؛ أي: بلا دليل.

وَقَوْلُهُ: «بِلَا بُرْهَانَ» لا يعني أن هناك تفويضًا ببرهان، لكن هذا كقولهِ
 تعالى: ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [الأعراف: ٣٣]، فهو بيان للواقع، وأنَّ
 كُلَّ تَفْوِيضٍ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

يشير - رحمه الله - إلى طريق أهل الكلام في آيات الصفات وأحاديثها، هذه
 طريق، منهم من يهجرها ولا يلتفت إليها، ويقول: اسكت، لا تتكلم، ولا
 بمعانيها، ومنهم من يؤولها، ولكنه تأويل تحريف، ومنهم من يقوِّض المعاني، فهذا
 لا يسكت، لكنه يقول: هذه الله أعلم بمرادها، ولا أعلم ماذا أراد.

واعلم أن بعض العلماء - رحمهم الله - من المحققين يظنون أن مذهب أهل
 السنة والجماعة هو التفويض في آيات الصفات وأحاديثها؛ أي: تفويض المعنى؛
 بمعنى: أنك إذا سألت الرجل من أهل السنة والجماعة: ما تقول في قول الله تعالى:
 ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؟ قال: الله أعلم بما أراد، ما تقول في قوله
 تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]؟ قال: الله أعلم بما أراد، يظنون أن هذا
 مذهب السلف، وهذا إما كذب وإما جهل، إن كان الإنسان يعلم أن مذهبهم
 خلاف ذلك فهو كاذب، وإن كان لا يدري فهو جاهل؛ ولهذا كان السلف مجمعين
 على أنها معلومة المعنى، أجمعوا على قولهم: «أمرؤها كما جاءت بلا كيف»^(١)؛

(١) أخرجه الأجرى في الشريعة (٣/١١٤٦، رقم ٧٢٠)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل
 السنة والجماعة (٣/٥٨٢، رقم ٩٣٠).

يعني: آيات الصفات وأحاديثها، إذا أمرزناها كما جاءت فهل هي ألفاظٌ جوفاءٌ ليس لها معنى؟ الجواب: لها معنى، إذن قولهم: «أمرؤها كما جاءت»؛ يعني: أثبتوا معناها، ولا تفوضوا.

أيضاً وجهٌ آخرٌ في هذه الجملة: «بلا كيف»؛ لأن نفي الكيف يدل على وجود الأصل، ولو لم يكن الأصل موجوداً لكان قولهم: «بلا كيف» لغواً لا فائدة منه، فأهل السنة مطبقون على أنهم لا يفوضون المعنى؛ بل يثبتونه، ولهم عليه شروحٌ وتقسيماتٌ، يُقسّمون العزّة إلى أقسامٍ، والعلو إلى أقسامٍ، والنظر إلى أقسامٍ، والكلام إلى أقسامٍ؛ كلام رضاء، وكلام غضبٍ، وما أشبه ذلك، لكنهم يفوضون شيئاً واحداً وهو الكيفية، فالكيفية لا يتعرّضون لها، ولا يسألون عنها، ولا يجيئون عنها، وينكرون على من سأل عنها، وسواء كانت الكيفية في الصفة أو في العدد، فمن قال مثلاً: كم أصابع الله؟ ننكرُ عليه، ونقول له: ليس لك حقٌّ أن تسأل هذا السؤال، أثبت ما جاء في الكتاب والسنة من العدد، ولكن لا تسأل عن غيره، ومن سأل عن كيفية وجهه أنكرنا عليه؛ لأن هذا ليس معلوماً لنا.

٥٦٥٧- وَسَعَيْتُ جُهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمَسِّكِ بِعُرَاهُ لَا تَقْلِيدَ رَأْيِي فُلَانٍ

قوله: «سَعَيْتُ جُهْدِي فِي عُقُوبَةِ مُمَسِّكِ» يريد بذلك الإشارة إلى الوشاة الذين وشوا إلى السلاطين والخلفاء في أهل السنة أن يعاقبوه، وألا يعاقبوا من قلّد فلاناً وفلاناً، فما حبس الإمام أحمد ولا شيخ الإسلام ابن تيمية ولا غيرهما إلا بوشاية إلى السلاطين، نسأل الله أن يهدينا وإياكم صراطه المستقيم، وأن يجعلنا وإياكم من الدعاة إلى الحق على بصيرة، إنه جواد كريم.

- ٥٦٥٨- يَا مُعْرِضًا عَمَّا يُرَادُ بِهِ وَقَدْ
 ٥٦٥٩- جَذْلَانِ يَضْحَكُ أَمِنَّا مُتَبَخِّرًا
 ٥٦٦٠- خَلَعَ الشُّرُورَ عَلَيْهِ أَوْفَى حُلَّةِ
 ٥٦٦١- يَخْتَالُ فِي حُلْلِ الْمَسْرَّةِ نَاسِيًا
 ٥٦٦٢- مَا سَعِيهِ إِلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّ
 ٥٦٦٣- قَدْ بَاعَ طِيبَ الْعَيْشِ فِي دَارِ النَّعِيمِ
 ٥٦٦٤- إِنِّي أَظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ
 ٥٦٦٥- بَلْ قَدْ سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةُ
 ٥٦٦٦- وَالْوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ
 ٥٦٦٧- أَمْ تُؤَثِّرُ الْأَدْنَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ النَّ
 ٥٦٦٨- أَتَبِيْعُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِيئَةٍ
 ٥٦٦٩- لَوْ أَنَّهُ بِنَسِيئَةِ الدُّنْيَا لَهَا
 ٥٦٧٠- دَعُ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَحُدْ
 ٥٦٧١- وَاللَّهِ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا
 ٥٦٧٢- لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا وَلَوْ
 ٥٦٧٣- هَذَا هُوَ السَّرُّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اخُ
- جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُتَّهَاهُ دَانِ
 فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانِ
 طَرَدَتْ بِجَمِيعِ الْهَمِّ وَالْأَحْزَانِ
 مَا بَعْدَهَا مِنْ حُلَّةِ الْأَكْفَانِ
 دُنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إِلَى النَّيْرَانِ
 مِمَّا بَدَا الْحُطَامِ الْمُضْمَحِلِّ الْفَانِ
 بِالْقُرْبِ بَلْ ظَنَّ بِبِلَا إِيقَانِ
 أَيُّضًا وَنَارًا بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ
 وَإِذَا انْتَهَى الْإِيمَانُ لِلرُّجْحَانِ
 نَفْسُ الَّتِي اسْتَعَلَّتْ عَلَى الشَّيْطَانِ
 بَعْدَ الْمَمَاتِ وَطَيِّ ذِي الْأَكْوَانِ
 نَ الْأَمْرُ لَكِنْ فِي مَعَادِ ثَانِ
 مَا قَدْ رَأَيْتَ مُشَاهِدًا بِعِيَانِ
 وَبَحْتَهَا بِحُثًّا بِلَارَوْعَانِ
 أَمَنْتَ لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ
 تَارَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلَ الْمُتَدَانِ

٥٦٧٤- نَقَدْ قَدِ اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْهَا وَلَمْ يَحْضُلْ لَهَا بِهِوَانِ

الشرح

٥٦٥٨- يَا مُعْرِضًا عَمَّا يُرَادُ بِهِ وَقَدْ جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُنْتَهَاهُ دَانِ

قَوْلُهُ: «يَا مُعْرِضًا» يخاطبُ أَيَّ مُعْرِضٍ، ولهذا صارت منصوبة؛ لأنها نكرة غير مقصودة.

قَوْلُهُ: «عَمَّا يُرَادُ بِهِ؟» وما الذي يُرَادُ بِهِ؟

الجواب: عبادة الله عز وجل التي غايتها الجزاء؛ إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًا فشرٌ، وما أكثر هؤلاء الذين لا يهتمهم إلا الدنيا، فتجدهم مُعْرِضِينَ عَمَّا يُرَادُ.

قَوْلُهُ: «وَقَدْ جَدَّ الْمَسِيرُ فَمُنْتَهَاهُ دَانِي» المسير الذي نسيره نحن إلى الآخرة جادٌ جدًّا ليلاً ونهارًا يقظةً ومنامًا، وكُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَّ، لاسيما راحلٌ لا يستريحُ في كُلِّ اللَّحْظَاتِ، في كُلِّ السَّاعَاتِ، في كُلِّ الْحَالَاتِ؛ ولهذا قال: «فَمُنْتَهَاهُ دَانِي».

٥٦٥٩- جَدَّلَانِ يَضْحَكُ آمِنًا مُتَبَخِّرًا فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانِ

قَوْلُهُ: «جَدَّلَانِ»، ويجوزُ «جَدَّلَانِ» على أَنَّهُ خبرٌ لمبتدأ محذوف، والأوَّلُ أحسنُ، والجَدَّلَانِ؛ أَي: الفرحُ فرحًا كثيرًا.

قَوْلُهُ: «يَضْحَكُ آمِنًا مُتَبَخِّرًا فَكَأَنَّهُ قَدْ نَالَ عَقْدَ أَمَانِ» كأنَّ الإنسانَ في هذه الدنيا لطولِ أَمَلِهِ قد نَالَ عَقْدَ أَمَانٍ أَنَّهُ لن يرتحلَ عنها مع أَنَّ المنتهى قريبٌ.

٥٦٦٠- خَلَعَ السُّرُورَ عَلَيْهِ أَوْفَى حُلَّةٍ طَرَدَتْ جَمِيعَ الهمِّ وَالْأَحْزَانِ
قَوْلُهُ: «أَوْفَى حُلَّةٍ»؛ أَي: أَطِيبَ حُلَّةٍ.

يعني: أَنَّهُ مَغْتَبِطٌ بِالدُّنْيَا مَسْرُورٌ بِهَا، طَرَدَتْ عَنْهُ جَمِيعَ الهمومِ وَالْأَحْزَانِ، لَكِنَّهَا فِي الْحَقِيقَةِ تَطْرُدُ الهمومَ وَالْأَحْزَانِ فِي لِحْظَةٍ، ثُمَّ تَعُودُ الْأَحْزَانُ، فَهَذِهِ الْمَسْرَاتُ هِيَ كَالدَّوَاءِ الْمَهْدِي إِذَا انْتَهَى مَفْعُولُهُ عَادَ الْأَلَمُ أَشَدَّ؛ وَلِهَذَا قَالَ الشَّاعِرُ وَهُوَ صَادِقٌ:

لَا طِيبَ لِلْعَيْشِ مَا دَامَتْ مُنْعَصَةً لَذَاتُهُ بِادِّكَارِ الْمَوْتِ وَالْهِرَمِ^(١)

الْمُنْتَهَى إِذَا مَاتَ عَاجِلٌ أَوْ هَرَمَ يَصِلُ الْإِنْسَانُ بِهِ إِلَى حَالَةِ الطُّفُولَةِ، وَيَمْلَأُهُ حَتَّى أَهْلُهُ، أَشْفَقُ النَّاسِ عَلَيْهِ يَمْلُونَهُ، الطُّفْلُ يُحْنُ عَلَيْهِ وَيُحْمَلُ بِالْيَدَيْنِ وَعَلَى الْأَكْتَاFِ، وَالْهِرَمُ يُلْقَى فِي الْأَرْضِ كَأَنَّهُ ثَوْبٌ خَلِقَ لَا يَهْتَمُونَ بِهِ، وَلَا يُؤْمَلُونَ لَهُ بِهِ شَيْئًا، وَلَا يَرْجُونَهُ.

٥٦٦١- يَخْتَالُ فِي حُلِّ الْمَسْرَةِ نَاسِيًا مَا بَعْدَهَا مِنْ حُلَّةِ الْأَكْفَانِ

يعني: أَنْتَ الْآنَ عَلَيْكَ ثِيَابٌ جَمِيلَةٌ وَنَظِيفَةٌ وَحَسَنَةٌ وَبِهِيَّةٌ، تَذَكَّرَ حُلَّ الْأَكْفَانِ، تَذَكَّرَ حِينَمَا تُدْرَدُجُ بَثَلَاثَ لِفَافَفَ، وَلَيْسَ فِيهَا مَا تُوَضَعُ فِيهِ النَّفْقَةُ، وَلَيْسَ فِيهَا حُلِيٌّ وَلَا شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا.

٥٦٦٢- مَا سَعِيهِ إِلَّا لِطِيبِ الْعَيْشِ فِي الدُّنْيَا وَلَوْ أَفْضَى إِلَى النَّيْرَانِ

يَقُولُ: أَنَا أَعِيشُ فِي الدُّنْيَا فِي سُرُورٍ، وَفِي الْآخِرَةِ وَلَوْ فِي النَّارِ، وَهَذِهِ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ؛ وَلِهَذَا نَعَى بَعْضَ أَصْحَابِنَا الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ دَائِمًا فِي الرَّفَاهِ وَالتَّرْفِيهِ، وَنَضَارَةِ الْعَيْشِ، وَنَعِيمِ الْحَيَاةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

(١) البيت في توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، بلا نسبة (٣/١٦٧٨).

والحقيقة أننا ينبغي أن نُذَكِّرَ النَّاسَ بهذا وبشيءٍ آخَرَ؛ وهو: نعيمُ الآخرة، نرفلُ بالعملِ الصَّالِحِ، والدَّعوة إلى الله، والأمرِ بالمعروفِ والنَّهي عن المنكرِ؛ لأنَّنا لم نُخلَقْ إلى الدُّنيا، ولو كان البشرُ مخلوقين للدُّنيا لكان أولاهم بالبقاء الأنبياء والرُّسل، وقد قال اللهُ تعالى لِنبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرِّ مَنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَايِنَ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]؟ الجواب: لا، لن يُخلدَ أحدٌ، فإذا كُنَّا لم نُخلَقْ للدُّنيا فلماذا نزاحمُ أهلها عليها؟ ولماذا ننسى الآخرة؟ لماذا لا يذكرُ الإنسانُ وهو يلبسُ الثوبَ الجديدَ أَنَّهُ رَبِّمَا يَلْبَسُ الكفنَ في آخِرِ النَّهَارِ، وإن كان في اللَّيْلِ رَبِّمَا يَلْبَسُهُ قَبْلَ الصَّبَاحِ؟ لكنَّ القلوبَ في غفلةٍ، نسألُ اللهُ أَنْ يَجِييَ قلوبَنَا بِالْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ.

٥٦٦٣- قَدْ بَاعَ طَيْبَ الْعَيْشِ فِي دَارِ النَّعِيمِ مِ بَذَا الْحُطَامِ الْمُضْمَحِلِّ الْفَانِي

وهل هذه البيعةُ خاسرةٌ أو رابحةٌ؟ الجواب: خاسرةٌ غاية الخسران، فهذا المسكينُ خَسِرَ الدُّنيا والآخرة، لم ينتفع ببقائه في الدُّنيا ولم ينتفع في الآخرة.

٥٦٦٤- إِنْ أظُنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ بِالْقُرْبِ بَلْ ظَنُّ بِلَا إِيقَانِ

كَأَنَّهُ يُحَاطِبُ نَفْسَهُ، يقولُ: أظنُّكَ لَا تُصَدِّقُ كَوْنَهُ بِالْقُرْبِ، بل ظنُّ بِلَا إِيقَانِ، فأنت تظنُّ ظنًّا، تشكُّ في اليومِ الآخِرِ، ليس عندك إيمانٌ ولا يقينٌ.

٥٦٦٥- بَلْ قَدْ سَمِعَتِ النَّاسَ قَالُوا جَنَّةً أَيُّضًا وَنَارًا بَلْ لَهُمْ قَوْلَانِ

هكذا تقولُ النَّاسُ لهم قولان في الجنَّةِ والنَّارِ؛ هل هي موجودةٌ أو غيرُ موجودةٍ؟ هل هناك جزاءٌ أم لا؟ والذي يخالفُ في ذلك الكُفَّارُ، قال اللهُ تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْتَبَرُوا﴾ [التَّغَابُنِ: ٧]، فالكُفَّارُ يقولون: لا يوجدُ بعثٌ ولا جنَّةٌ

ولا ناراً، والمؤمنون يقولون: تُوجَدُ جَنَّةٌ وناارٌ، فالناسُ الآن لهم قولان في المسألة، ومذهبك أنت الوقف؛ ولذا قال:

٥٦٦٦- وَالْوَقْفُ مَذْهَبُكَ الَّذِي تَخْتَارُهُ وَإِذَا انْتَهَى الْإِيمَانُ لِلرُّجْحَانِ

يعني: هذا مذهبك، إذا رأيت خلاف الناس توقفت حتى وإن انتهى الإيمان للرجحان، فابق متوقفاً، والشيطان لا شك أنه يأتي للإنسان بهذه الوسوس، وكذلك النفس الأمارة بالسوء، أعود بالله منها.

٥٦٦٧- أَمْ تُؤَثِّرُ الْأَذَنَى عَلَيْهِ وَقَالَتِ النَّفْسُ الَّتِي اسْتَعَلَّتْ عَلَى الشَّيْطَانِ

٥٦٦٨- أَتَبِيعُ نَقْدًا حَاصِلًا بِنَسِئَةٍ بَعْدَ الْمَمَاتِ وَطَيِّ ذِي الْأَكْوَانِ

أيها أولى؟ البيع بالنقد أو بالمؤجل؟ الجواب: بالنقد أولى، يقول كثير من الناس: أنت عندك نقد الآن، سرور في الدنيا، امرح، وافرح، واسرح؛ لأن الذي في الآخرة مؤجل «نسيئة»، وإذا كان في شك منه قد يوفى وقد لا يوفى على زعمهم، فهذا حال كثير من الناس إن لم يكن أكثر الناس، يقولون: النقد أولى من النسيئة، والشيء الحاضر أولى من الغائب، وما توعده به في الآخرة شيء غائب، وما نحن فيه شيء حاضر، فكيف نبيع الشيء الحاضر بشيء مؤجل؟ هكذا يقول أكثر الناس، ولكن العاقل كما قال النبي ﷺ: «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ»^(١).

٥٦٦٩- لَوْ أَنَّهُ بِنَسِئَةِ الدُّنْيَا لَهَا نَ الْأَمْرُ لَكِنْ فِي مَعَادِ ثَانِ

تقول له النفس: لو أنه نسيئة في الدنيا كانت المسألة هيئة؛ لأن النسيئة في

(١) أخرجه الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في صفة آنية الحوض، رقم

الدُّنْيَا تَجِيءُ، فَاَلْمَوْجَلُ يَجُلُّ وَتَأْخُذُهُ، لَكِنْ هَذِهِ النَّسِيئَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَتَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ هَكَذَا تَقُولُ النَّفْسُ.

٥٦٧٠- دَعُ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ وَخُذْ مَا قَدَرَأَيْتَ مُشَاهِدًا بَعِيَانِ

قَوْلُهُ: «دَعُ مَا سَمِعْتَ النَّاسَ قَالُوهُ» مَاذَا يَرِيدُ بِهِ؟ الْجَوَابُ: الْجِزَاءُ؛ وَهُوَ: النَّارُ أَوْ الْجَنَّةُ، وَخُذْ مَا شَاهَدْتَ الْآنَ.

٥٦٧١- وَاللَّهُ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا وَبَحَثْتَهَا بِحُثٍّ بِالرَّوْعَانِ

٥٦٧٢- لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا وَلَوْ أَمَنْتَ لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ

قَوْلُهُ: «وَاللَّهُ لَوْ جَالَسْتَ نَفْسَكَ خَالِيًا... لَرَأَيْتَ هَذَا كَامِنًا فِيهَا»؛ يَعْنِي: لَوْ أَنَّكَ خَلَوْتَ بِنَفْسِكَ وَتَجَرَّدْتَ عَنِ الشَّرْعِ وَعَنِ دَلِيلِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ لَرَأَيْتَ الْكَامِنَ فِي نَفْسِكَ هُوَ هَذَا، أَنْ تُؤَثِّرَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَأَنْ تَبْقَى فِي شَكٍّ مِنَ الْآخِرَةِ إِلَّا مَنْ هَدَى اللَّهُ، وَالْمُرَادُ بِالنَّفْسِ هُنَا: الْأَمَارَةُ بِالسُّوءِ، أَمَّا النَّفْسُ ذَاتُ الْعَقْلِ وَالْإِيمَانِ فَلَا تَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ.

قَوْلُهُ: «وَلَوْ أَمَنْتَ لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ»؛ يَعْنِي: لَوْ أَمَنْتَ النَّاسَ وَرَمَيْتَهُمْ إِلَيْهِ بِالْكَفْرِ، وَقَتْلَهُ إِنْ اسْتَطَاعُوا لِأَلْقَتَهُ إِلَى الْأَذَانِ؛ أَي: لَتَكَلَّمْتُ وَأَسْمَعْتُ.

٥٦٧٣- هَذَا هُوَ السِّرُّ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ اخْتَارَتْ عَلَيْهِ الْعَاجِلَ الْمُتَمَدِّنِي

٥٦٧٤- نَقَدُ قَدْ اشْتَدَّتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ مِنْهَا وَلَمْ يَحْضُلْ لَهَا بِهَوَانِ

يَعْنِي: لَمْ يَحْضُلْ لَهَا بِشَيْءٍ هَيِّنٍ، فَهِيَ قَدْ أَدْرَكَتْهُ بِمَشَقَّةٍ فَأَثَرَتْهُ عَلَى الْآخِرَةِ.

- ٥٦٧٥- أَتْبِعُهُ بِنَسِيئَةٍ فِي غَيْرِ هَـ
- ٥٦٧٦- هَذَا وَإِنْ جَزَمْتَ بِهَا قَطْعًا وَكَـ
- ٥٦٧٧- مَا ذَاكَ قَطْعِيًّا لَهَا وَالْحَاصِلُ الـ
- ٥٦٧٨- فَتَأَلَّفْتُ مِنْ بَيْنِ شَهْوَتَيْهَا وَشُبـ
- ٥٦٧٩- وَاسْتَنْجَدْتُ مِنْهَا رِضًا بِالْعَاجِلِ الـ
- ٥٦٨٠- وَأَتَى مِنَ التَّأْوِيلِ كُلُّ مُلَائِمِـ
- ٥٦٨١- وَصَعَتْ إِلَى شُبُهَاتِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَاللـ
- ٥٦٨٢- وَاسْتَنْقَصْتُ أَهْلَ الْهُدَى وَرَأَيْتُهُمْ
- ٥٦٨٣- وَرَأَتْ عُقُولَ النَّاسِ دَائِرَةً عَلَىـ
- ٥٦٨٤- وَعَلَى الْمَلِيحَةِ وَالْمَلِيحِ وَعِشْرَةَ الـ
- ٥٦٨٥- فَاسْتَوْعَرَتْ تَرَكَ الْجَمِيعِ وَلَمْ تَجِدْ
- ٥٦٨٦- فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقْرَأُ إِلَّا فِي إِنَا
- ٥٦٨٧- يَبْغِي لَهُ سَكْنَا بَلَدُ بَقْرِبِهِ
- ٥٦٨٨- فَيُحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ
- ٥٦٨٩- لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَرِيَاسَةٍ
- ٥٦٩٠- بَلْ لَوْ يَنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَا
- لِذِي الدَّارِ بَعْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- كِنْ حَظُّهَا فِي حَيِّزِ الْإِمْكَانِ
- مَوْجُودٌ مَشْهُودٌ بِرَأْيِ عِيَانِ
- هَتَّهَا قِيَاسَاتٌ مِنَ الْبُطْلَانِ
- أَدْنَى عَلَى الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانِ
- لِمُرَادِهَا يَارِقَّةُ الْإِيمَانِ
- تَعْطِيلٍ مَعَ نَقْصٍ مِنَ الْعِرْفَانِ
- فِي النَّاسِ كَالْغُرَبَاءِ فِي الْبُلْدَانِ
- جَمْعِ الْحُطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ
- أَحْبَابِ وَالْأَضْحَابِ وَالْإِخْوَانِ
- عَوْضًا تَلْدُ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ
- فَهُوَ دُونَ الْجِسْمِ دُونَ جَوْلَانِ
- فَرَاهُ شِبْهَ الْوَالِدِ الْحَيْرَانِ
- فَيَظَلُّ مُنْتَقِلًا مَدَى الْأَزْمَانِ
- لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوْرَانِ
- قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَ الْعَيْنَانِ

- ٥٦٩١- نَقَّلَ فُوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَىٰ
وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ
- ٥٦٩٢- فَالْقَلْبُ مُضْطَرٌّ إِلَىٰ مَحْبُوبِهِ الْـ
أَعْلَىٰ فَلَا يُغْنِيهِ حَبٌّ ثَانِ
- ٥٦٩٣- وَصَلَاحُهُ وَفَلَاحُهُ وَنَعِيمُهُ
تَجْرِيدُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ
- ٥٦٩٤- فَإِذَا تَخَلَّىٰ مِنْهُ أَصْبَحَ حَائِرًا
وَيَعُودُ فِي ذَا الْكَوْنِ ذَا هَيِّانِ

الشرح

- ٥٦٧٥- أَتَبِعُهُ بِسَيِّئَةٍ فِي غَيْرِ هـ
لِذِي الدَّارِ بَعْدَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
- ٥٦٧٦- هَذَا وَإِنْ جَزَمْتَ بِهَا قَطْعًا وَكـ
كِنْ حَظُّهَا فِي حَيْزِ الْإِمْكَانِ
- ٥٦٧٧- مَا ذَاكَ قَطْعِيًّا لَهَا وَالْحَاصِلُ الْـ
مَوْجُودُ مَشْهُودٌ بِرَأْيِ عِيَانِ

صحيح، فما قاله المؤلفُ فيمن تعلق قلبه بغير الله فإنه لن يستقرَّ أبدًا.

- ٥٦٧٨- فَتَأَلَّفَتْ مِنْ بَيْنِ شَهْوَتَيْهَا وَشُبـ
هَتَهَا قِيَاسَاتٌ مِنَ الْبُطْلَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ بَيْنِ شَهْوَتَيْهَا»؛ أي: هواها.

قَوْلُهُ: «وَشُبَّهَتَهَا»؛ أي: جهلها.

يعني: تولد من هوى النفس وجهلها قياسات من البطلان؛ أي: أقيسة باطلة في أن هذا هو الأولى وهذا هو الأولى، كما فصلت الدنيا على الآخرة.

- ٥٦٧٩- وَاسْتَنْجَدَتْ مِنْهَا رِضًا بِالْعَاجِلِ الْأـ
أَدْنَىٰ عَلَىٰ الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانِ

قَوْلُهُ: «بِالْعَاجِلِ الْأَدْنَىٰ»، «العاجل الأدنى» هو: الدنيا.

قَوْلُهُ: «الْمَوْعُودِ بَعْدَ زَمَانٍ»؛ أي: الآخرة.

٥٦٨٠- وَأَتَى مِنَ التَّأْوِيلِ كُلِّ مُلَائِمٍ لِمُرَادِهَا يَا رِقَّةَ الْإِيْمَانِ

يعني: أتتها تبعت كل ما يلائمها؛ بسبب: ما عندها من هذه التأويلات والأقيسة الفاسدة، ونسيبت الآخرة.

٥٦٨١- وَصَعَتْ إِلَى شُبُهَاتِ أَهْلِ الشُّرْكِ وَالذَّنِّ تَعْطِيلٍ مَعَ نَقْصٍ مِنَ الْعِرْفَانِ

٥٦٨٢- وَاسْتَنْقَصَتْ أَهْلَ الْهُدَى وَرَأَتْهُمْ فِي النَّاسِ كَالْغُرَبَاءِ فِي الْبُلْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَرَأَتْهُمْ»، وفي نسخة: «وَرَأَيْتُهُمْ».

هذا هو الواقع على كثير من الناس اليوم، يستنقصون أهل الخير وأهل الهدى وأهل الحق، ويقولون: هذا غريب لا يعرف الناس، ولا يعرف أحوالهم، هذا أبله، هذا درويش، وما أشبه ذلك.

٥٦٨٣- وَرَأَتْ عُقُولَ النَّاسِ دَائِرَةً عَلَى جَمْعِ الْحُطَامِ وَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ

قَوْلُهُ: «جَمْعِ الْحُطَامِ»؛ أي: الدنيا.

قَوْلُهُ: «وَوَخِدْمَةِ السُّلْطَانِ»؛ بأن يكونوا حول السلطان؛ لأنهم يزعمون أنهم إذا كانوا حوله فإنهم ينالون بذلك شرفاً وعلوًّا.

٥٦٨٤- وَعَلَى الْمَلِيحَةِ وَالْمَلِيحِ وَعِشْرَةَ الْ- أَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ

المليحة؛ يعني: الأنثى، والمليح؛ يعني: الذكر، ولا شك أن الإنسان إذا كان له أبناء وبنات أنه يميل إلى المليحة والمليح أكثر من غيره، هذا إذا حملنا هذا الكلام على الشيء المباح، أمّا إذا كانت المليحة؛ يعني: المرأة المليحة، والمليح؛ يعني: الأمرد المليح، فالمسألة موجودة، فلا نقول: إن كلام ابن القيم -رحمه الله- أمر

فَرَضِيٌّ، بل هو أمرٌ واقعٌ؛ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ابْتَلَوْا بِهَذَا الْأَمْرِ، نَسَأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ، فَتَجِدَهُ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِزَوْجَةٍ صَالِحَةٍ خَلْقَةً وَخُلُقًا، وَمَعَ ذَلِكَ قَدْ ابْتَلَى بِالنَّظَرِ إِلَى مَنْ سِوَاهَا.

فَالنِّسَاءُ لَيْسَ لَهُنَّ هَمٌّ إِلَّا بَطْلِبِ الْمَلِيحِ، وَالرِّجَالُ لَيْسَ لَهُمْ هَمٌّ إِلَّا بَطْلِبِ الْمَلِيحَةِ مِنَ النِّسَاءِ، وَعَشْرَةَ الْأَحْبَابِ وَالْأَصْحَابِ وَالْإِخْوَانِ.

٥٦٨٥- فَاسْتَوْعَرَتْ تَرَكَ الْجَمِيعَ وَلَمْ تَجِدْ عِوَضًا تَلَذُّ بِهِ مِنَ الْإِحْسَانِ
يعني: رأت أن هجر الجميع صعبًا؛ لأنها لم تجد بدله عوضًا، ولو وجدت بدله عوضًا؛ وهو الاقتصارُ على محبة الله عز وجل، واللجوءُ إليه ورجائه والخوفُ من عقابه ما همها كُلُّ هذا.

٥٦٨٦- فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقَرُّ إِلَّا فِي إِنَاءٍ ۚ فَهُوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانٍ
قَوْلُهُ: «فَالْقَلْبُ لَيْسَ يَقَرُّ إِلَّا فِي إِنَاءٍ» سبحان الله! هذه حكمة عظيمة
«الْقَلْبُ لَا يَقَرُّ إِلَّا فِي إِنَاءٍ»، لكن ما هذا الإناء الذي يَقَرُّ فيه؟ الجواب: قد يكون إناءً خيرٍ وقد يكون إناءً شرًّا.

قَوْلُهُ: «فَهُوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانٍ»، وهذا صحيحٌ مطابقٌ للواقع، نحن الآن جالسون هنا، وقلوبُ بعضنا في الشَّرْقِ وأخرى في الغربِ، فالقلبُ يتجوَّلُ والبدنُ في مكانٍ واحدٍ؛ ولهذا يقولُ: «فَهُوَ دُونَ الْجِسْمِ ذُو جَوْلَانٍ»، فالقلبُ يتجوَّلُ؛ ولهذا جاء في الحديثِ الصَّحِيحِ: «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ»^(١).

(١) أخرجه الترمذي: كتاب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، رقم (٢١٤٠).

٥٦٨٧- يَبْغِي لَهُ سَكَنًا يَلْذُّ بِقُرْبِهِ
فَتَرَاهُ شِبْهَ الْوَالِيهِ الْحَيْرَانَ

الْوَالِيَهُ هُوَ: الْمُتَحَيِّرُ، وَالْحَيْرَانُ تَوْكِيدٌ.

٥٦٨٨- فَيُحِبُّ هَذَا ثُمَّ يَهْوَى غَيْرَهُ
فَيُظَلُّ مُنْتَقِلًا مَدَى الْأَزْمَانِ

ثُمَّ ضَرَبَ مَثَلًا؛ فَقَالَ:

٥٦٨٩- لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَرِيَّاسَةٍ
لَمْ يَطْمَئِنَّ وَكَانَ ذَا دَوْرَانَ

لَوْ نَالَ كُلَّ مَلِيحَةٍ وَكُلَّ رِئَاسَةٍ تَمَنَّى أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ الْمَلِيحَةِ وَأَوْسَعَ مِنَ الرَّئِاسَةِ، قَالَ: أَنَا -مَثَلًا- أَمِيرٌ عَلَى هَذِهِ الْقِطْعَةِ مِنَ الْأَرْضِ، كَيْتَنِي مِثْلُ فَلَانٍ، فَإِنَّهُ أَمِيرٌ عَلَى مَنْطِقَةٍ كَبِيرَةٍ، وَقَالَ: كَيْتَ عِنْدِي امْرَأَةٌ أَجْمَلُ مِنْ هَذِهِ؛ لِأَنَّ التِّي عِنْدِي كَبِيرَةٌ فِي السِّنِّ، تَجْعَدُ شَعْرُهَا، وَأُرِيدُ شَابَّةً، مَعَ أَنَّ هَذِهِ كَانَتْ بِالْأَوَّلِ شَابَّةً قَدْ أَرْضَتْهُ، لَكِنْ تَغَيَّرَتِ الْحَالُ، فَهُوَ يَطْلُبُ أَحْسَنَ مِنْهَا.

٥٦٩٠- بَلْ لَوْ يَنَالُ بِأَسْرِهَا الدُّنْيَا لَمَّا
قَرَّتْ بِمَا قَدْ نَالَهُ الْعَيْنَانِ

صَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَوْ يُعْطَى الدُّنْيَا كُلُّهَا لَبَغَى دُنْيَا أَعْظَمَ مِنْهَا، فَلَا يَسْتَقِرُّ، لَكِنْ مَا الَّذِي يَسْتَقِرُّ فِيهِ الْقَلْبُ؟ قَالَ:

٥٦٩١- نَقَّلَ فَوَادَكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى
وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَاخْتَرْتَ لِنَفْسِكَ أَحْسَنَ الْإِنْسَانِ»؛ يَعْنِي: أَنْ تَكُونَ أَحْسَنَ بَنِي آدَمَ.

٥٦٩٢- فَالْقَلْبُ مُضْطَرٌّ إِلَى مَحْبُوبِهِ الـ
قَوْلُهُ: «مَحْبُوبِهِ الْأَعْلَى» مِنَ الْمَحْبُوبِ الْأَعْلَى؟ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، نَسَأَلَ اللَّهُ أَنْ

يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ مَلَأَ قَلْبَهُ مَحَبَّةَ اللَّهِ.

قَوْلُهُ: «حِبُّ ثَانٍ» «حِبُّ» بالكسر؛ يعني: محبوبه، ومنه قولهم: «أسامه ابنُ زيد بن حارثة حِبُّ رسولِ الله - صلى الله عليه وسلم - وابنُ حَبَّة»، فحِبُّ ثَانِي؛ أي: محبوبٌ آخَرُ.

٥٦٩٣- وَصَلَاحُهُ وَفَلَاحُهُ وَنَعِيمُهُ تَجْرِيدُ هَذَا الْحُبِّ لِلرَّحْمَنِ صَدَقَ رَحْمَهُ اللهُ؛ الذي يريدُ الفلاحَ والسَّعادةَ والهناءَ والرَّاحةَ فليُجَرِّدْ حُبَّهُ لِهَيْبَةِ اللهِ يَسْتَرِخُ وَيَطْمَئِنُّ؛ لِأَنَّهُ لَا يَهْمُهُ أَحَدٌ، وَيُحِبُّ الْغَيْرَ؛ يُحِبُّهُ اللهُ، وَفِي اللهِ، وَلَا يُحِبُّهُ مَعَ اللهِ؛ بَحِيثٌ تَرَاخُمُ مَحَبَّتُهُ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ مَحَبَّةَ اللهِ؛ لِأَنَّ هَذَا نَوْعٌ مِنَ الشَّرْكِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ﴾ [البقرة: ١٥٦].

وَيُوجَدُ بَعْضُ النِّسَاءِ - كَمَا نَسَمِعُ مِنَ الْأَسْئَلَةِ - تُحِبُّ زَوْجَهَا حُبًّا شَدِيدًا، أحيانًا تَبُوخُ بِهَا فِي قَلْبِهَا، تَقُولُ: أَنْتَ عِنْدِي أَحَبُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى مِنْ اللهِ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - إِذَا امْتَلَأَ بِحُبِّ الْمَخْلُوقِ نَسِيَ كُلَّ شَيْءٍ، لَكِنْ إِذَا امْتَلَأَ بِحُبِّ اللهِ ذَكَرَ كُلَّ شَيْءٍ، وَصَارَ يَسِيرُ عَلَى هُدًى مِنَ اللهِ وَنُورٍ، لَا يُحِبُّ إِلَّا اللهُ، وَلَا يَكْرَهُ إِلَّا اللهُ، وَلَا يُؤَالِي إِلَّا اللهُ، وَلَا يُعَادِي إِلَّا اللهُ، وَهَذَا أَنَا أَدْعُو نَفْسِي وَإِيَّاكُمْ إِلَى إِخْلَاصِ الْمَحَبَّةِ لِهَيْبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، اجْعَلُوا رَبَّكُمْ أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيْكُمْ حَتَّى تُحِبُّوا مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ، وَتَكْرَهُوا مَنْ يَكْرَهُهُ اللهُ وَتَسْتَرِيحُوا، أَمَّا الْمَحَبَّةُ الْمُبْنِيَّةُ عَلَى مَا فِي الدُّنْيَا فَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ مُتَعَبِّةٌ، وَكَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ: «عَذْبُ الْحُبِّ عَذَابٌ» إِلَّا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ مَحَبَّتَهُ رَاحَةٌ فِي الْقَلْبِ وَسُكُونٌ لِلْقَلْبِ.

وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّكَ لَا تُحِبُّ أَحَدًا إِذَا أَحْبَبْتَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، بِالضَّرُورَةِ إِذَا أَحْبَبْتَ اللهُ سَوْفَ تُحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ، وَهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «رَجُلَانِ تَحَابَّآ فِي اللهِ

اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ»^(١)، ضرورة أن تُحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ اللهُ، لكن محبتك لمن يُحِبُّهُ اللهُ تابعة لمحبة الله، وحينئذ لا يمكن أن تزاحمها، بل هي فرع عنها؛ ولهذا تجدد نُحْبُ هذا المرء ما دام أهلاً للحُبِّ في الله، فإذا انحرف - والعياذُ بالله - فإنك ستكرهه، لا تحبه، لا بدد أن تكرهه، إذن املأ قلبك بمحبة الله تسترخ، حتى تكون أقوالك وأفعالك ومشيتك ومجيئك وقعودك ونومك كله نافعا لك؛ لأنك تستحضر أنك تفعله لله عز وجل.

٥٦٩٤- فَإِذَا تَخَلَّى مِنْهُ أَصْبَحَ حَائِرًا وَيَعُودُ فِي ذَا الْكُونِ ذَا هَيْمَانَ
قَوْلُهُ: «فَإِذَا تَخَلَّى مِنْهُ»؛ أي: تَخَلَّى مِنْ حُبِّ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ.

صحيح، إذا خلا قلبه من محبة الله صار حائراً هائماً، مرةً هنا، ومرةً هنا، ومرةً هنا.

فعلیکم بتجريد المحبة لله، وأيضاً عظّموا الله عز وجل؛ فبالمحبة يكون فعل الطاعة، وبالتعظيم يكون ترك المعصية؛ لأنك إذا علمت عظمة الرب هبته وخفت من معصيته، وإذا أحببته رغبت فيه وطلبته؛ ولهذا لا يمكن أن تتم العبادة إلا على هذين الأساسين: المحبة والتعظيم، ولا تقبل ولا تصح إلا بشرطين أساسين أيضاً؛ وهما: الإخلاص لله، والمتابعة للرسول عليه الصلاة والسلام، فهناك مبنی أصل، وهناك مُصَحِّح، ما هو المبنى الأصل؟ الحب والتعظيم، الحب والتعظيم هو مبنی العبادة، بالحب تكون الطاعة وفعل الأوامر طلباً لهذا المحبوب، لو قال لك مَنْ نُحِبُّ مِنَ الْبَشَرِ: «افعل كذا، افعل كذا»، على قدر محبتك

(١) أخرجه البخاري: كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد، رقم (٦٦٠). ومسلم: كتاب الكسوف، باب فضل إخفاء الصدقة، رقم (١٠٣١).

يكونُ امتثالُك وطاعتُك، إذا كنت تحبُّه لو يدعوك بالليلِ الظلماءِ أجبْت، لو يقولُ: نَم فوق السَّطحِ في الليلةِ الثَّالِجَةِ نِمْت؛ لأنَّك تُحِبُّه وتطلبُ الوصولَ إليه وإلى رضاه، لكن إذا لم يكن في قلبك تعظيمٌ له لا يهْمُك أن تعصيه؛ لأنَّك آمِنٌ، أمَّا إذا كان محبَّةً وتعظيمٌ فإنَّك لن تعودَ عاصياً له؛ ولهذا لا تقومُ العبادةُ لله عزَّ وجلَّ إلاَّ على هذين الأساسين، ولا تصحُّ إلاَّ بشرطينِ أساسين أيضاً؛ هما: الإخلاصُ والمتابعةُ.

والحقيقةُ: لو استقبلتُ من أمري ما استدبرتُ لكتبتُ مثل هذه الأبياتِ من التُّونِيَّةِ؛ لأنَّ هذه في الحقيقةِ جواهرٌ قد تعدلُ كلَّ التُّونِيَّةِ، كلُّ ما سبقَ من خلافاتِ المعطلَّةِ والمعتزلةِ وغيرهم، هذه في الحقيقةِ في فصولِ ما أعدَّ اللهُ من الكرامةِ لأهلِ الجنَّةِ، فهو - رحمه اللهُ تعالى - ذَكَرَ أبياتاً عظيمةً تنفعُك في السَّيرِ إلى الله عزَّ وجلَّ، نسألُ اللهَ أن يلهمنا وإياكم الرِّشادَ والسَّدادَ.

فصل

في زهد أهل العلم والإيمان وإيثارهم الذهب الباقي على الخزف الفاني

- ٥٦٩٥- لَكِنَّ ذَا الْإِيمَانَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَالظَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَإِنْ
 ٥٦٩٦- كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَمَّتْ زِيَارَةٌ
 ٥٦٩٧- وَسَحَابَةٍ طَلَعَتْ يَوْمٍ صَائِفٍ
 ٥٦٩٨- وَكَزْهَرَةٍ وَافَى الرَّبِيعُ بِحُسْنِهَا
 ٥٦٩٩- أَوْ كَالسَّرَابِ يُلُوحُ لِلظَّمْآنِ فِي
 ٥٧٠٠- أَوْ كَالْأَمَانِيِّ طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا
 ٥٧٠١- وَهِيَ الْغُرُورُ رُؤُوسُ أَمْوَالِ الْمَفَا
 ٥٧٠٢- أَوْ كَالطَّعَامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ
 ٥٧٠٣- هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُولُ
- لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
 لِكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ
 لَيْسَ الْأَلَى اتَّجَرُوا بِإِلَّا أَنْهَانَ
 بِالسَّوَالِ وَاسْتَحْضَارُهَا بِحِنَانِ
 وَسَطِ الْهَجْرِ بِمُسْتَوَى الْقِيَعَانِ
 أَوْ لَامِعًا فَكِلَاهُمَا أَخْوَانِ
 إِلَّا وَصُحِّحَ رَحِيلُهُ بِأَذَانِ
 فَالظُّلُّ مَنْسُوحٌ بِقُرْبِ زَمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلِّ فِي زُهْدِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَإِيْثَارِهِمُ الذَّهَبَ الْبَاقِيَّ عَلَى الْخَزْفِ الْفَانِي» هَذَا زُهْدٌ وَوَرَعٌ مِنْهُمْ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الزُّهْدَ تَرَكُ مَا لَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوَرَعَ تَرَكُ مَا يَضُرُّ فِي الْآخِرَةِ، وَالْوَاسِطَةُ بَيْنَهُمَا: مَا لَا نَفْعَ فِيهِ وَلَا ضَرَرَ،

فالزاهدُ يتركه والورعُ لا يتركه، هذا هو الفرقُ بينهما.

وأما قوله: «الحزف، والذهب» فالفرقُ بينهما: أن الحزفَ من الطين المشوي، وأما الذهبُ فمعروفٌ.

٥٦٩٥- لَكِنَّ ذَا الْإِيمَانِ يَعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَالظَّلَالِ وَكُلُّ هَذَا فَإِنَّ

أصحابُ الإيمانِ يعلمون أنَّ ما ذكِرَ من وصفِ الدنيا أنَّ هذا كالظلالِ، ونحن نعلمُ جميعاً أنَّ الظلَّ يزولُ، كلما ارتفعت الشمسُ زالَ حتى ينمحي كالظلالِ، وكلُّ هذا فانٍ.

٥٦٩٦- كَخَيَالِ طَيْفٍ مَا اسْتَمَّتْ زِيَارَةَ إِلَّا وَصَبْحُ رَحِيلِهِ بِأَذَانِ

خيالُ الطَّيْفِ؛ يعني: أنَّ الإنسانَ تخيلَ طائفاً به، أو أنَّ طائفاً طافَ به، ثمَّ في مدَّةٍ يسيرةٍ صارَ صبحُ رحيله بأذانٍ؛ أي: بإعلانٍ، ف قيلَ له: ارحل، فما تمتَّ الزيارةُ إلا وقيلَ له: ارحل.

٥٦٩٧- وَسَحَابَةٌ طَلَعَتْ بِيَوْمٍ صَائِفٍ فَالظَّلُّ مَنْسُوحٌ بِقُرْبِ زَمَانِ

سحابةُ الصَّيْفِ المعروفُ أنَّها سريعةُ الجري، وأنَّ ظلَّها مع حرارةِ الشمسِ مفيدٌ جدًّا، لكن سحابةُ الشِّتَاءِ لا يُستفادُ من ظلَّها كثيراً؛ لأنَّ الصَّحْوَ قد يكونُ أفضلَ من ظلَّها، لكن سحابةُ الصَّيْفِ لذيدةٌ، وهي أيضاً سريعةٌ تزولُ سريعاً، هكذا الدنيا كذلك كما جاء وصفُها.

٥٦٩٨- وَكَزَهْرَةٍ وَافَى الرَّبِيعُ بِحُسْنِهَا أَوْ لَامِعًا فَكِلَاهُمَا أَخَوَانِ

الزَّهْرَةُ في الرَّبِيعِ تكونُ حسنةً متفتحةً رطبةً، لكن إذا جاء الصَّيْفُ زالت كُلُّها، كذلك تكونُ لامعةً، ثمَّ بعد ذلك تذبلُ وتزولُ.

٥٦٩٩- أَوْ كَالسَّرَابِ يَلُوحُ لِلظَّمَانِ فِي وَسْطِ الهَجِيرِ بِمُسْتَوَى القِيَعَانِ

قَوْلُهُ: «القِيَعَانِ» جمعُ «قَاع»؛ وهو: الأرضُ المستويةُ.

إذا كنت في قاع واسع تظنُّ أن هذا القاع ماءٌ ولكنه سرابٌ، قال اللهُ تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُوا كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ سَيْبًا﴾ [النور: ٣٩]، وإذا خرَّجت في أيام الصَّيفِ وجاء الهجيرُ -وهو: وسطُ النَّهارِ- ورأيت القيعانَ تظنُّ أنَّها ماءٌ، وليست كذلك، فإذا كان الإنسانُ في حرارةِ الشَّمسِ وفي يبس الكبدِ وفي العطشِ الشَّدِيدِ تجده يفرُّ من هنا ومن هنا هذه القيعانِ يظنُّ أنَّها ماءٌ، فإذا هي ليست بشيءٍ، هكذا الدنيا وغرورها.

٥٧٠٠- أَوْ كَالأَمَانِي طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا بِالْقَوْلِ وَاسْتِحْضَارُهَا بِجِنَانِ

قَوْلُهُ: «طَابَ مِنْهَا ذِكْرُهَا بِالْقَوْلِ»؛ أي: باللسانِ.

قَوْلُهُ: «وَاسْتِحْضَارُهَا» يجوزُ بالجرِّ، ويجوزُ بالرفعِ.

قَوْلُهُ: «بِجِنَانِ»؛ أي: بالقلبِ.

من التَّمَنِّي أن يُفَكِّرَ الإنسانُ أحياناً؛ فيقولُ: سأفعلُ، سأكونُ كذا، سأنجحُ، ثُمَّ أَخَذُ المرتبةَ العاشرةَ، ثُمَّ بعد ذلك أصيرُ مدرساً، وإن كان يَهْوَى القضاءَ يقولُ: أصيرُ قاضياً، أو أصيرُ وزيراً... إلى آخره، فالدُّنيا هكذا.

٥٧٠١- وَهِيَ الغُرُورُ رُؤُوسُ أَمْوَالِ المَفَا لَيْسِ الأَلَى التَّجْرُؤُا بِلا أَثْمَانِ

هذا المثلُ معروفٌ عندنا، لكن حتَّى في زمنِ المؤلِّفِ، عندنا مثلٌ يقولُ:

«التَّمَنِّي رَأْسُ مالِ المَفَالِيسِ»، والتَّجْرُؤُا بِلا أَثْمَانِ أين له الرِّيحُ؟!

٥٧٠٢- أَوْ كَالطَّعَامِ يَلْدُ عِنْدَ مَسَاغِهِ لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ
قَوْلُهُ: «لَكِنَّ عُقْبَاهُ كَمَا تَجِدَانِ»؛ يعني: عقباه وخيمته.

الإنسان يأكل طعامًا لذيذًا فتجده يملأ بطنه منه، ثم يعود هذا الطعام إلى تخمة وأدى، وإلى بولٍ وغائطٍ، وربما إلى ضررٍ، لكنه عند أكله كان يتلذذ به، فأول ما تأكله لذيذ الطعام، طيب الرائحة، وعلى خوانٍ، وآخر الأمر في المراحضِ منتن الرائحة.

٥٧٠٣- هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الَّذِي ضَرَبَ الرَّسُولُ لَهَا وَذَا فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
قَوْلُهُ: «هَذَا هُوَ الْمَثَلُ» يحتمل أن المراد به: آخر مثلٍ، فتكون الإشارة تعود إلى أقرب مذكورٍ كالضمير يعود إلى أقرب مذكورٍ، ويحتمل أن يكون المراد: هذا جنس الأمثال السابقة.

يعني: هذه الأمثال ضربها الرسول -عليه الصلاة والسلام- لهذه الدنيا.

- ٥٧٠٤- وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَحُذْ مِنْهُ مِثَالًا وَاحِدًا ذَا شَانِ
٥٧٠٥- أَدْخِلْ بِجُهِدِكَ إِصْبَعًا فِي الِيَمِّ وَأَنْظُرْ مَا تَعَلَّقَهُ إِذَا بَعِيَانِ
٥٧٠٦- هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُولُ لُ مِثْلًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ
٥٧٠٧- وَكَذَلِكَ مِثْلَهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ فِي وَقْتِ الْحَرِّ وَلِقَائِلِ الرُّكْبَانِ
٥٧٠٨- هَذَا وَلَوْ عَدَلْتَ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقُّ فِي الْمِيزَانِ
٥٧٠٩- لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِرًا مِنْ شَرْبَةٍ مَاءً وَكَانَ أَحَقُّ بِالْحِرْمَانِ

- ٥٧١٠- تَاللهَ مَا عَقَلَ امْرُؤٌ قَدْ بَاعَ مَا
يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَجِلٌ فَانِ
بِالْحَجَرِ مِنْ سَفِهِ لَذَا الْإِنْسَانِ
٥٧١١- هَذَا وَيُفْتِي ثُمَّ يَقْضِي حَاكِمًا
إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرُهُ فَوْقَ الَّذِي
٥٧١٢- فَمَنْ السَّفِيهِ حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا
عَقْلٍ وَأَيْنَ الْعَقْلَ لِلْسَّكْرَانِ
٥٧١٣- وَاللهَ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ شَهِدْنَ مِنْ
نَفْسٍ مِنَ الْأَنْفَاسِ هَذَا الْعَيْشِ إِنْ
٥٧١٤- يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الْوَفَا
عِ وَطُولِ جَفَوْتِهَا مِنَ الْهَجْرَانِ
٥٧١٥- هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ فَيَسْأَلُوا عَاشِقُ
بِمَصَارِعِ الْعُشَاقِ كُلِّ زَمَانِ
٥٧١٦- لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ
وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النِّسْيَانِ
٥٧١٧- لَكِنْ عَلَى تِلْكَ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ
٥٧١٨-

الشرح

هذه الأبيات يريدُ بها المؤلفُ -رحمه الله- بيانَ حقيقةِ الدنيا ونسبِها إلى الآخرة، يقولُ رحمه الله:

- ٥٧٠٤- وَإِذَا أَرَدْتَ تَرَى حَقِيقَتَهَا فَخُذْ مِنْهُ مِثَالًا وَاحِدًا ذَا شَانِ
٥٧٠٥- أَدْخِلْ بِجُهِدِكَ إِصْبَعًا فِي الْيَمِّ وَأَنْظُرْ مَا تَعَلَّقَهُ إِذَا بَعِيَانِ
٥٧٠٦- هَذَا هُوَ الدُّنْيَا كَذَا قَالَ الرَّسُولُ لُمُؤْمِنًا وَالْحَقُّ ذُو تَبْيَانِ

إذا أردتَ نسبةَ الدنيا إلى الآخرة فاعمسْ أصبعك في اليمِّ -يعني: في البحر- وانظر بِمَ يرجعُ؟ الجوابُ: لا يرجعُ بشيءٍ بالنسبةِ للبحرِ، فهكذا نسبةُ

الدُّنْيَا إِلَى الْأُخْرَى، وَقَدْ رَوَى الْإِمَامُ أَحْمَدُ -رَحِمَهُ اللَّهُ- مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَوْضِعْ سَوَاطِئُ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^(١).

٥٧٠٧- وَكَذَلِكَ مَثَلُهَا بِظِلِّ الدَّوْحِ فِي وَقْتِ الْحَرِّ وَلِقَائِلِ الرُّكْبَانِ

قَوْلُهُ: «مَثَلُهَا»؛ يَعْنِي: النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَوْلُهُ: «الدَّوْح» الدَّوْحَةُ: شَجَرَةٌ كَبِيرَةٌ اسْتِظَلَّ بِهَا الرَّكْبُ عَنِ الْحَرِّ فَقَطَّ، ثُمَّ قَامَ وَتَرَكَهَا.

قَوْلُهُ: «لِقَائِلِ»؛ أَي: الَّذِي نَامَ فِي الْقَائِلَةِ.

٥٧٠٨- هَذَا وَلَوْ عَدَلَتْ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ الْإِلَهِ الْحَقِّ فِي الْمِيزَانِ

٥٧٠٩- لَمْ يَسْقِ مِنْهَا كَافِرًا مِنْ شَرْبَةٍ مَاءً وَكَانَ أَحَقَّ بِالْحِرْمَانِ

وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ، لَوْ أَنَّ الدُّنْيَا تُسَاوِي جَنَاحَ بَعُوضَةٍ عِنْدَ اللَّهِ مَا سَقَى مِنْهَا أَعْدَاءَهُ شَرْبَةَ مَاءٍ.

٥٧١٠- تَاللهَ مَا عَقَلَ امْرُؤٌ قَدْ بَاعَ مَا يَبْقَى بِمَا هُوَ مُضْمَحِلٌّ فَإِنْ

أَقْسَمَ بِأَنَّ الْعَقْلَ مُتَّبَعٌ عَنِ شَخْصٍ بَاعَ الَّذِي يَبْقَى بِالَّذِي هُوَ فَإِنْ.

٥٧١١- هَذَا وَيُفْتَى ثُمَّ يَقْضَى حَاكِمًا بِالْحَجَرِ مِنْ سَفَهٍ لِدَا الْإِنْسَانِ

يَعْنِي: هَذَا الَّذِي بَاعَ مَا يَبْقَى بِمَا يَفْنَى تَجَدُّهُ يُفْتَى عَلَى السَّفَهِيِّ بِالْحَجَرِ وَالْمَنْعُ مِنَ التَّصَرُّفِ فِي مَالِهِ إِذَا كَانَ دَيْنُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَالِهِ، فَكَيْفَ لَا تَحْجَرُ عَلَى نَفْسِكَ وَتَمْنَعُهَا مِنَ الْإِنْمَاكِ فِي الدُّنْيَا؟! فَهَذَا هُوَ السَّفَهُ فِي الْوَأَقَعِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل رباط يوم في سبيل الله، رقم (٢٨٩٢).

ثُمَّ ذَكَرَ وَجَهَ الْقَضَاءِ بِالْحَجْرِ؛ فَقَالَ:

٥٧١٢- إِذْ بَاعَ شَيْئًا قَدْرَهُ فَوْقَ الَّذِي يَعْتَاضُهُ مِنْ هَذِهِ الْأَثْمَانِ

فيقول: هذا هو السّفِيه، قال ابن القيم:

٥٧١٣- فَمَنْ السّفِيه حَقِيقَةً إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلٍ وَأَيْنَ الْعَقْلُ لِلسّكْرَانِ

هل السّفِيه الذي بَاعَ الآخِرَةَ بالدُّنْيَا، أو الذي بَاعَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ؟ الجواب: الأوّل، الذي اعْتَاضَ الدُّنْيَا وَتَرَكَ الآخِرَةَ هو السّفِيه، والذي اعْتَاضَ الآخِرَةَ عَنِ الدُّنْيَا هو العَاقِلُ الرَّشِيدُ.

٥٧١٤- وَاللّٰهُ لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ شَهِدْنَ مِنْ نَا كَانَ شَأْنٌ غَيْرُ هَذَا الشَّانِ

يعني: لو حضرت القلوب وتأمّل الإنسان وتّفكّر لكان شأنٌ آخر غير هذا الشّان.

٥٧١٥- نَفْسٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ هَذَا الْعَيْشُ إِنْ قَسَنَاهُ بِالْعَيْشِ الطَّوِيلِ الثَّانِي

والنفس - كما نعلم - قليل جدًا بالنسبة لزمان الدنيا، فضلًا عن زمان الآخرة.

٥٧١٦- يَا خِسَّةَ الشُّرَكَاءِ مَعَ عَدَمِ الْوَفَا ءِ وَطُولِ جَفْوَتِهَا مِنَ الْهَجْرَانِ

يقول: ما أخسّ الشُّركاء إذا لم يكن وفاءً وطالت الجفوة مع الهجران! فإنّه إذا لم يكن وفاءً وطالت الجفوة مع الهجران للشُّركاء فإنّه لا شك أنّهم شركاء رغبوا بالأدنى عن الأعلى.

٥٧١٧- هَلْ فِيكَ مُعْتَبَرٌ فَيَسْأَلُو عَاشِقُ بِمَصَارِعِ الْعُشَّاقِ كُلِّ زَمَانٍ

قوله: «هل فيك مُعْتَبَرٌ؟» الاستفهام هنا: للتشويق.

يعني: هل أحد منكم يعتبر بعشاق الدنيا كيف صرعتهم ولم يستفيدوا منها شيئاً؟!

٥٧١٨- لَكِنْ عَلَى نَلِكِ الْعُيُونِ غِشَاوَةٌ وَعَلَى الْقُلُوبِ أَكِنَّةُ النَّسِيَانِ
يعني: التَّرك، فالعيون لا تُبصر، والقلوب لا تذكر، فعلى العيون غشاوة، وعلى القلوب أكِنَّةُ النَّسِيَانِ.

- ٥٧١٩- وَأَخُو الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ
٥٧٢٠- يَسْمُو إِلَى ذَاكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ الـ
٥٧٢١- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيْبَانٌ وَإِنْ
٥٧٢٢- وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوْ
٥٧٢٣- وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجِحَاحَ أَعَاضَهَا
٥٧٢٤- وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الـ
٥٧٢٥- وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ
٥٧٢٦- حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوُقُودُ فَإِنْ حَبَّتْ
٥٧٢٧- جَاؤُوا فِرَادَى مِثْلَ مَا خُلِقُوا بِلَا
٥٧٢٨- مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهـ
٥٧٢٩- تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الدُّ
- مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
أَعْلَى وَخَلَّى اللَّعْبَ لِلصَّبِيَّانِ
بَلَّغُوا سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ
عِدْكَ الْجِنَانَ وَجَدَّ فِي الْأَثْمَانِ
بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ
بِقَافِي بِهِ يَا ذَلَّةَ الْخُسْرَانِ
وَقُلُوبِهِمْ كَمَرَا جِلِ النَّيْرَانِ
زَادَتْ سَعِيرًا بِالْوُقُودِ الثَّانِي
مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانِ
سِي مَتَاجِرٍ لِلنَّارِ أَوْ لِجِنَانِ
دَارَيْنِ سَوْقَ الْخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ

- ٥٧٣٠- صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَأَوْا دَائِمًا
 يَأْخُذُونَ التَّوْفِيقَ لِلْإِنْسَانِ
 ٥٧٣١- مَحَدُّوا التَّقَى عِنْدَ الْمَوَاتِ كَذَا السُّرَى
 عِنْدَ الصَّبَاحِ فَحَبَّدَا الْحَمْدَانَ
 ٥٧٣٢- وَحَدَّثَتْ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى
 وَسَرُّوا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ
 ٥٧٣٣- بَاعُوا الَّذِي يَفْنَى مِنَ الْخَزْفِ الْحَسْبِ
 سِ بَدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعِيقَانِ
 ٥٧٣٤- رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا
 دَةِ وَالْهُدَى يَا ذِلَّةَ الْحَيْرَانَ
 ٥٧٣٥- فَتَسَابَقَ الْأَقْوَامُ وَابْتَدَرُوا لَهَا
 كَتَسَابَقِ الْفَرَسَانِ يَوْمَ رِهَانَ
 ٥٧٣٦- وَأَخُو الْهُوَيْنَى فِي الدِّيَارِ مَخْلَفٌ
 مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الْكَسْلَانَ

الشرح

- ٥٧١٩- وَأَخُو الْبَصَائِرِ حَاضِرٌ مُتَيَقِّظٌ
 مُتَفَرِّدٌ عَنْ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 قَوْلُهُ: «الْبَصَائِرِ» جمعُ بصيرة، والبصيرةُ بصرُ القلبِ، والبصرُ بصرُ العينِ.
 فذوو البصائرِ حاضرون متيقظون متفردون عن زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ.
 ٥٧٢٠- يَسْمُو إِلَى ذَلِكَ الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ الـ
 أَعْلَى وَخَلَّى اللَّعْبَ لِلصَّبِيَّانِ
 قَوْلُهُ: «الرَّفِيقِ الْأَرْفَعِ الْأَعْلَى»؛ الرَّفِيقُ الْأَعْلَى هو: الْجَنَّةُ، وَنَعِيمُ الْآخِرَةِ.
 قَوْلُهُ: «وَخَلَّى اللَّعْبَ» «اللُّعْبُ» هو الدُّنْيَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
 لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦].

قَوْلُهُ: «لِلصَّبِيَّانِ»؛ يَعْنِي بِهِمْ: صِبْيَانَ الْعُقُولِ لَا صِبْيَانَ الْأَعْمَارِ، فَهَمْ شَيْخٌ
 لَكِنَّ عَقُولَهُمْ عَقُولُ الصَّبِيَّانِ.

٥٧٢١- وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيَّانٌ وَإِنْ بَلَغُوا سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ

قَوْلُهُ: «وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ فَصِيَّانٌ وَإِنْ بَلَغُوا»؛ يعني: وإن كبروا.

قَوْلُهُ: «سِوَى الْأَفْرَادِ وَالْوَحْدَانِ»؛ يعني: إلا الأفراد والوحدان؛ يعني: إلا

القليلين.

إِذَنْ النَّاسُ كُلُّهُمْ صِيَّانٌ وَلَوْ بَلَغُوا، وَلَوْ وَصَلُوا عَشْرِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ إِلَّا الْأَفْرَادَ وَالْوَحْدَانَ، فَوَاحِدٌ مِنَ الْأَلْفِ هُوَ الْعَاقِلُ، وَتِسْعُمِئَةٌ وَتِسْعَةٌ وَتَسْعُونَ هُمُ السُّفَهَاءُ وَالصُّبِّيَّانُ، وَهَؤُلَاءِ الْقَلِيلُونَ.

٥٧٢٢- وَإِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ قَالَ مَوْ عِدْكَ الْجَنَانَ وَجِدَّ فِي الْأَثْمَانِ

إِذَا رَأَى مَا يَشْتَهِيهِ مِنَ الدُّنْيَا قَالَ: «مَوْ عِدْكَ الْجَنَانَ»، وَهَذَا مَا أَخُوذُ مِنْ كَوْنِ

النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَأَى مَا يَعْجَبُهُ مِنَ الدُّنْيَا يَقُولُ: «لَبَيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ»^(١)،

و«لَبَيْكَ»؛ أَي: إِجَابَةٌ لَكَ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ قَدْ تَطْمَحُ وَتَهْرَبُ، فَيَقُولُ: «لَبَيْكَ»؛ يَعْنِي:

أَجَبْتُكَ، «إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ»، أَمَّا عَيْشُ الدُّنْيَا مَهْمَا كَانَ فَإِنَّهُ عَيْشُ زَائِلٌ لَا

خَيْرَ فِيهِ، وَمَا أَعْظَمَ حَسْرَةَ الَّذِينَ أَضَاعُوا دِينَهُمْ بِدُنْيَاهُمْ، لَكِنْ مَتَى يَعْلَمُونَ

الحسرة؟

الجواب: عند الموت، ويوم القيامة؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَذَلِكَ

يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسْرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، نَسَأَلَ اللَّهُ

أَنْ يَحْمِيَنَا وَإِيَّاكُمْ، وَأَنْ يَجْزِيَ شَيْخَنَا ابْنَ الْقِيَمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - خَيْرَ الْجَزَاءِ.

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب التحريض على القتال، رقم (٢٦٧٩)، ومسلم:

كتاب الجهاد والسير، باب غزوة الأحزاب، رقم (١٨٠٥).

٥٧٢٣- وَإِذَا أَبَتْ إِلَّا الْجَمَاحَ أَعَاضَهَا بِالْعِلْمِ بَعْدَ حَقَائِقِ الْإِيمَانِ
يعني: إن أبت نفسه إلا أن تجمع ولا تذلل فإنه يعيضاها بالعلم بعد حقائق
الإيمان ويرجع إلى العلم الشرعي مع حقيقة الإيمان، وحينئذ يميل إلى المنزل أو
الرَّفِيقِ الأعلَى.

٥٧٢٤- وَيَرَى مِنَ الْخُسْرَانِ بَيْعَ الدَّائِمِ الـ بَاقِي بِهِ يَا ذَلَّةَ الْخُسْرَانِ
٥٧٢٥- وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا مِنْ حَوْلِهِ وَقُلُوبَهُمْ كَمَرَاجِلِ النَّيِّرَانِ
قَوْلُهُ: «وَيَرَى مَصَارِعَ أَهْلِهَا»؛ أي: الدنيا.

قَوْلُهُ: «وَقُلُوبَهُمْ كَمَرَاجِلِ النَّيِّرَانِ»؛ يعني: من الحرارة والقلق وعدم الثبات؛
لأن المِرْجَلَ هو القِدْرُ الذي يفورُ بها يُوقَدُ تحته.

وكلُّ هذا وصفٌ للدُّنيا، فقلوبهم ليس فيها فرحٌ ولا سُرورٌ، بل مهما
ازدانت لهم الحياةُ الدُّنيا فقلوبهم غيرُ مسرورةٍ كمرَاجِلِ النَّيِّرَانِ.

٥٧٢٦- حَسْرَاتُهَا هُنَّ الْوَقُودُ فَإِنْ خَبَتْ زَادَتْ سَعِيرًا بِالْوَقُودِ الثَّانِي
وكلُّ هذا وصفٌ للدُّنيا أيضًا؛ يعني: الحسرةُ إذا هانت جاءت حسرةً
أخرى، فتجدُ صاحبَ الدُّنيا دائماً في حسرةٍ لما فاته من الرِّيحِ، أو لما حَصَلَ عليه
من الخسرانِ.

٥٧٢٧- جَاؤُوا فُرَادَى مِثْلَ مَا خُلِقُوا بِلا مَالٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا إِخْوَانٍ
قَوْلُهُ: «جَاؤُوا فُرَادَى» الضَّمِيرُ يعودُ على أهلِ الدُّنيا، بل وعلى أهلِ الآخرةِ،
قال اللهُ تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُمُ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ
ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤].

٥٧٢٨- مَا مَعَهُمْ شَيْءٌ سِوَى الْأَعْمَالِ فَهِيَ مَتَاجِرٌ لِلنَّارِ أَوْ لِجَنَانٍ
 إن كانت صالحة فهي متاجرٌ للجنان، وإن كانت سيئةً فمتاجرٌ للنيران،
 نسأل الله العافية.

٥٧٢٩- تَسْعَى بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ سَوْقًا إِلَى الدُّنْيَا
 دَارَيْنِ سَوْقِ الْخَيْلِ بِالرُّكْبَانِ
 ٥٧٣٠- صَبَرُوا قَلِيلًا فَاسْتَرَأَحُوا دَائِمًا
 يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلْإِنْسَانِ
 قَوْلُهُ: «يَا عِزَّةَ التَّوْفِيقِ لِلْإِنْسَانِ»؛ يعني: ما أعزها وأقلها! فإنَّ الموفقين من
 النَّاسِ قَلِيلُونَ.

الذين صبروا قليلاً ثم استراحوا دائماً هم أهل الخير والسعادة، صبروا في
 هذه الدنيا على الطاعة، صبروا عن المعصية، صبروا على الأقدار المؤلمة، ثم
 استراحوا، فهؤلاء هم أهل الآخرة الذين عرفوا الدنيا ولم يأخذوا منها إلا بما
 ينفعهم في الآخرة.

٥٧٣١- حَمِدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ كَذَا السَّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ فَحَبَّذَا الْحَمْدَانِ
 قَوْلُهُ: «حَمِدُوا التَّقَى عِنْدَ الْمَمَاتِ» عند المماتِ حَمِدُوا التَّقَى؛ لِأَنَّهَا ﴿تَنْزَلُ
 عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾
 [فصلت: ٣٠]، وقد جاء في الحديث الصحيح قول النبي ﷺ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا
 كَانَ فِي انْقِطَاعِ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالِ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ
 الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهُهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ
 الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ،
 فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ أَخْرِجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ

تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السَّقَاءِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ
 طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفْنِ وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا
 كَأَطِيبٍ نَفْحَةٍ مِسْكِ وَوَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ... وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي
 انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ،
 مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ
 عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتَهَا النَّفْسُ الْحَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَعَظَبٍ، قَالَ:
 فَتَفَرَّقَ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا
 أَخَذَهَا لَمْ يَدْعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا
 كَأَنَّ رِيحَ جِيفَةٍ وَوَجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ ...»^(١).

إِذَنْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ إِذَا بُشِّرَتْ بِهَذَا خَرَجَتْ مِنَ الْبَدَنِ بِسَهُولَةٍ؛ لِأَنَّهَا سَتَفَارِقُ
 الْمَأْلُوفَ لَكِنْ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ فَيَسْهَلُ عَلَيْهَا أَنْ تَخْرُجَ، بِخِلَافِ رُوحِ الْكَافِرِ
 وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ؛ فَإِنَّهَا إِذَا بُشِّرَتْ بِالنَّارِ تَفَرَّقَتْ فِي الْبَدَنِ فَتُؤَخِّدُ مِنْهُ بِشِدَّةٍ، نَسَأَلُ اللَّهَ
 الْعَافِيَةَ، هَذَا حَمْدٌ عِنْدَ الْمَمَاتِ؛ وَهَذَا يُشَاهَدُ بَعْضُ الْأَمْوَاتِ حَسِيًّا اسْتِنَارَةً وَجْهَهُ.

وَحَدَّثَنِي شَخْصٌ وَهُوَ ثِقَةٌ لِاسِيًّا فِي هَذَا الْقَوْلِ، وَقَدْ حَضَرَ جَنَازَةَ رَجُلٍ
 مُحْتَضِرٍ أَعْرَفُهُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ وَمِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ، يَقُولُ: إِنَّهُ فِي غُرْفَةٍ
 بِالْمُسْتَشْفَى، فَإِذَا بَنُورٌ مَلَأَ الْغُرْفَةَ وَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَصْفَهُ؛ لِأَنَّهُ شَيْءٌ عَظِيمٌ، يَقُولُ:
 فَبَدَأَ الْمَوْتُ بِهَذَا الرَّجُلِ، سَبْحَانَ اللَّهِ! هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزَلَتْ بَنُورٍ لِهَذَا
 الْمَيِّتِ، وَهَذَا شَيْءٌ أَنَا أَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَنَا أَعْرَفُ حَالَ الْمَشْهُودِ لَهُ بِأَنَّهُ رَجُلٌ حَرِيٌّ
 بِذَلِكَ، غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ.

(١) أخرجه أحمد (٤/٢٨٧، رقم ١٨٥٥٧).

قَوْلُهُ: «كَذَّا السَّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ» عند الصَّبَاحِ متى؟ يوم القيامة تتلقَّاهم الملائكة: ﴿يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ [النحل: ٣٢]، وهذه لا شكَّ أنَّها بُسرى بخلافِ الذين يُدْعَوْنَ إلى نارِ جهنَّمَ دَعَاً، والعياذُ بالله، وَيُلْقَوْنَ فِيهَا إِقَاءً، ﴿وَإِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورٌ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ من شِدَّةِ غِيظِهَا تَكَادُ تَقْطَعُ، ﴿كَلِمًا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾، فَالتَّقْرِيعُ والتَّوْبِيخُ ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك: ٦-٩]، إِذَنْ هُوَءَاءِ يَحْمَدُونَ التَّقَى عند المَمَاتِ وكذلك السَّرَى عند الصَّبَاحِ يوم القيامة، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنْهُمْ.

إِذَنْ هُوَءَاءِ لَمَّا حَضَرَهُمُ الْمَوْتُ حَمِدُوا اللَّهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ عَلَيْهِمْ مِنَ التَّقْوَى وَالْإِيْمَانِ؛ لِأَنَّهُمْ أَدْرَكُوا أَنَّهُمْ رَابِحُونَ، بِخِلَافِ مَنْ حَضَرَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ هَذَا، فَإِنَّهُ لَنْ يَحْمَدَ نَفْسَهُ.

٥٧٣٢- وَحَدَّثَ بِهِمْ عَزَمَاتُهُمْ نَحْوَ الْعُلَى وَسَرَوْا فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ
يعني: أَنَّهُمْ جَدُّوا فِي السَّيْرِ، وَحَدَّثَ بِهِمُ الْعَزَمَاتُ مِنَ الْحُدَاءِ لِلْإِبْلِ؛ يعني: أَنَّهَا أَسْرَعَتْ بِهِمْ، وَسَرَوْا فِي اللَّيْلِ فَمَا نَزَلُوا إِلَى نُعْمَانَ؛ وَنُعْمَانُ وادٍ مَعْرُوفٌ فِيهِ الْأَرَاكُ الْكَثِيرَةُ، يَنْزَلُ بِهِ الْمَسَافِرُ لِلرَّاحَةِ، فَهَؤُلاءِ جَدُّوا فِي السَّيْرِ، وَلَمْ يَنْزَلُوا لِلْإِسْتِرَاحَةِ.

٥٧٣٣- بَاعُوا الَّذِي يَفْنَى مِنَ الْخَزْفِ الْحَسِيِّ سِيسِ بَدَائِمٍ مِنْ خَالِصِ الْعِقْيَانِ
قَوْلُهُ: «الْعِقْيَانُ»؛ أَي: الذَّهَبُ.

فَهُمْ بَاعُوا الْأَدْنَى مِنَ الْخَزْفِ بِالْأَعْلَى مِنَ الذَّهَبِ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الثَّمَنَيْنِ؛ خَزْفٌ حَسِيْسٌ يَفْنَى بَدَائِمٍ خَالِصٍ نَقِيٍّ، وَأَيُّهَا أَوْلَى؟ الْجَوَابُ: الثَّانِي بِلَا شَكِّ.

٥٧٣٤- رُفِعَتْ لَهُمْ فِي السَّيْرِ أَعْلَامُ السَّعَا دَةَ وَالْمُهْدَى يَا ذَلَّةَ الْحَيْرَانِ

يعني: فَاهْتَدَوْا بِهَا، لَمَّا رُفِعَتْ لَهُمْ أَعْلَامُ السَّعَادَةِ وَالْمُهْدَى اهْتَدَوْا بِهَا، وَبَقِيَ الْحَيْرَانُ فِي ذُلٍّ.

٥٧٣٥- فَتَسَابِقَ الْأَقْوَامِ وَابْتَدَرُوا لَهَا كَتَسَابِقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ

قَوْلُهُ: «كَتَسَابِقِ الْفُرْسَانِ يَوْمَ رِهَانِ»؛ يَعْنِي: الْمَسَابِقَةُ عَلَى الْفَرَسِ بِعَوَاضِ تُسَمَّى مَرَاهِنَةً، وَهِيَ جَائِزَةٌ شَرْعًا.

٥٧٣٦- وَأَخُو الْهُوَيْنِيِّ فِي الدِّيَارِ مُحَلَّفٌ مَعَ شَكْلِهِ يَا خَيْبَةَ الْكَسْلَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]؛ السَّابِقُونَ فِي الدُّنْيَا إِلَى الْأَعْمَالِ هُمُ السَّابِقُونَ لِلثَّوَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

وَحَاصِلُ الْأَبْيَاتِ هُوَ: ذَمُّ الدُّنْيَا وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا، وَذَمُّ أَهْلِهَا، وَمَدْحُ الْآخِرَةِ وَالنُّهُوضُ إِلَيْهَا وَالْمَسَارَعَةُ فِيهَا، وَمَدْحُ أَهْلِهَا، ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَكَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَكَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

فصل

فِي رَغْبَةٍ قَائِلَهَا إِلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْ يَتَجَرَّدَ لِلَّهِ ،
وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا بِمَا يُوْجِبُهُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ ؛ فَإِنْ رَأَى حَقًّا قَبْلَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَيْهِ ،
وَإِنْ رَأَى بَاطِلًا عَرَفَ بِهِ وَأَرشَدَ إِلَيْهِ

- ٥٧٣٧- يَا أَيُّهَا الْقَارِي لَهَا اجْلِسْ مَجْلِسَ الـ
حَكَمِ الْأَمِينِ أَتَى لَهُ الْخَصْمَانِ
٥٧٣٨- وَاحْكُمْ هَذَاكَ اللَّهُ حُكْمًا يَشْهَدُ الـ
عَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ
٥٧٣٩- وَاصْبِرْ وَلَا تَعْجَلْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي
قَدْ قَالَهَا جَهْلًا بِلَا بُرْهَانَ
٥٧٤٠- وَاحْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنْ كُفْرِهِ
حَتَّى تُعَارِضَهَا بِلَا عُذْوَانَ
٥٧٤١- فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا
فَنَزَالَ آخِرُ دَعْوَةِ الْفَرَسَانَ
٥٧٤٢- فَالْكُفْرُ لَيْسَ سِوَى الْعِنَادِ وَرَدَّ مَا
جَاءَ الرَّسُولِ بِهِ لِقَوْلِ فَلَانِ
٥٧٤٣- فَانظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي
قَدْ قَالَهَا فَتَقْضُوا بِالْخُسْرَانِ
٥٧٤٤- فَالْحَقُّ شَمْسٌ وَالْعُيُونُ نَوَاطِرٌ
لَا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَانَ
٥٧٤٥- وَالْقَلْبُ يُعْمَى عَنْ هُدَاهُ كَمِثْلِ مَا
تُعْمَى وَأَعْظَمَ هَذِهِ الْعَيْنَانَ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلُّ فِي رَغْبَةٍ قَائِلَهَا إِلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ أَنْ

يَتَجَرَّدَ لِلَّهِ؛ يعني: ويتعدّد عن الهوى.

قَوْلُهُ: «وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا بِمَا يُوجِبُهُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ؛ فَإِنْ رَأَى حَقًّا قَبْلَهُ وَحَمِدَ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَإِنْ رَأَى بَاطِلًا عَرَّفَ بِهِ وَأَرشَدَ إِلَيْهِ» وهذا هو الإنصافُ والحقُّ، فابنُ القَيِّمِ الآن يطلبُ مِنَّا أن ننظرَ في هذه القصيدة العظيمة، إن كانت حقًّا قبلناها وإلا رَدَدْنَاهَا، وَبَيَّنَّا الباطلَ منها؛ من أجلِ أن يُسْتَدْرَكَ وَيُرشَدَ إِلَيْهِ، فقال:

٥٧٣٧- يَا أَيُّهَا الْقَارِي لَهَا اجْلِسْ مَجْلِسَ الْحَكَمِ الْأَمِينِ أَتَى لَهُ الْخَصْمَانِ
الْحَكْمُ الْأَمِينُ، وَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ عِلْمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَى الْحُكْمِ إِلَّا بِعِلْمٍ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ وَأَمَانَةٌ فَهُوَ حَكَمٌ أَمِينٌ.

٥٧٣٨- وَاحْكُمْ هَذَاكَ اللَّهُ حُكْمًا يَشْهَدُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ
قَوْلُهُ: «وَاحْكُمْ... حُكْمًا يَشْهَدُ الْعَقْلُ الصَّرِيحُ بِهِ مَعَ الْقُرْآنِ»؛ يعني: يشهدُ به العقلُ والسَّمْعُ.

وَقَوْلُهُ: «الْعَقْلُ الصَّرِيحُ» هذه دائمًا نقرؤها في كلام ابن القَيِّمِ وشيخ الإسلامِ رحمهما اللهُ؛ والمرادُ بالعقلِ الصَّرِيحِ: السَّالِمُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَهُوَ مَاخُودٌ مِنَ الْمَاءِ الصَّرِيحِ أَوْ اللَّبَنِ الصَّرِيحِ الَّذِي لَمْ يُخَلِّطْ مَعَهُ شَيْءٌ، فَهُوَ السَّالِمُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وَالشَّهَوَاتِ، وَالشُّبُهَاتُ مَنْشُؤُهَا الْجَهْلُ، وَالشَّهَوَاتُ مَنْشُؤُهَا: الْهَوَى مَعَ الْعِلْمِ؛ لِأَنَّ آفَاتِ الْعُقُولِ إِمَّا جَهْلٌ بِالْحَقِّ، وَإِمَّا هَوَى يُرَدُّ بِهِ الْحَقُّ، لَوْ تَأَمَّلْتَ كُلَّ الصَّلَاتِ وَجَدْتَهَا لَا تَخْرُجُ عَنْ هَذَا، فَالْنَّصَارَى عِلَّتْهُمُ الشُّبُهَاتُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ عَلِمُوا الْحَقَّ، وَالْيَهُودُ عِلَّتْهُمُ الشَّهَوَاتُ.

٥٧٣٩- وَاصْبِرْ وَلَا تَعْجَلْ بِتَكْفِيرِ الَّذِي قَدْ قَالَهَا جَهْلًا بِلَا بُرْهَانَ

٥٧٤٠- وَاحْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنِ كُفْرِهِ حَتَّى تُعَارِضَهَا بِلا عُدْوَانٍ

قَوْلُهُ: «اِحْبِسْ لِسَانَكَ بُرْهَةً عَنِ كُفْرِهِ»؛ يعني: احبس لسانك، ولا تستعجل إذا رأيت فيها ما لا ترضاه فتكفر صاحبها كما هو شأن أهل البدع يكفرون من عاداهم.

قَوْلُهُ: «حَتَّى تُعَارِضَهَا»؛ يعني: حتى يتسنى لك أن تعارضها وتبطل ما فيها بلا عدوانٍ.

٥٧٤١- فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا فَزَالِ آخِرُ دَعْوَةِ الْفُرْسَانِ

٥٧٤٢- فَالْكَفْرُ لَيْسَ سِوَى الْعِنَادِ وَرَدَّ مَا جَاءَ الرَّسُولَ بِهِ لِقَوْلِ فُلَانٍ

٥٧٤٣- فَانظُرْ لَعَلَّكَ هَكَذَا دُونَ الَّذِي قَدْ قَالَهَا فَتَفُوزَ بِالْحُسْرَانِ

٥٧٤٤- فَالْحَقُّ شَمْسٌ وَالْعُيُونُ نَوَاطِرٌ لَا تَحْتَفِي إِلَّا عَلَى الْعُمَيَّانِ

قَوْلُهُ: «فَإِذَا فَعَلْتَ فَعِنْدَهُ أَمْثَالُهَا»؛ يعني: جلست هذا المجلس عند الحكم عليها فإنَّ عنده أمثالها، عند مَنْ؟ الظاهر: أنَّها عند مؤلفها؛ يعني أنَّ عندنا أمثالها ممَّا نبيِّنُ به الحقَّ.

قَوْلُهُ: «فَنَزَالِ آخِرُ دَعْوَةِ الْفُرْسَانِ» ما معنى نزالٍ؟ نزالٍ: اسمُ فعلٍ أمرٍ من النزولِ؛ وهي كلمةٌ يتداعى بها الفُرسانُ عند القتالِ، هذه آخرُ دعوةِ الفُرسانِ، إذا تقابلوا قال: انزل، فقد حلَّ القتالُ، وهذا يُشبهُ المبارزةَ، وكان ذلك مألوفًا في القتالِ، إذا تقابل الصَّفَّانِ طلب الأشدَّاءُ منهم والشُّجعانُ المبارزةَ، فيبرزُ واحدٌ من هؤلاء وواحدٌ من هؤلاء، ثمَّ يتقاتلان، ومعلومٌ أنَّ مَنْ يُقتلُ سوف يكونُ ذلك هزيمةً لقومه؛ إذ تنكسرُ قلوبُهم وينهزمون.

٥٧٤٥- وَالْقَلْبُ يُعْمَى عَنْ هُدَاهُ كَمِثْلِ مَا تُعْمَى وَأَعْظَمَ هَذِهِ الْعَيْنَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَعْظَمَ» بِالنَّصْبِ؛ يَعْنِي: يَعْمَى عَمَىٰ أَعْظَمَ.

قَوْلُهُ: «هَذِهِ الْعَيْنَانِ» فَاعِلٌ «تَعْمَى».

يعني: القلب يعمى عن رؤية الحق أشد من عمى العينين.

٥٧٤٦- هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُتَحَنِّبٌ بَارَ بَعَا وَكُلُّهُمْ ذُو أَوْضَغَانِ

٥٧٤٧- فَظٌّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ ضَحْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْذَانِ

٥٧٤٨- مُتَفَيِّهٌ مُتَضَلِّعٌ بِالْجَهْلِ ذُو ضَلَعٍ وَذُو جَلْحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ

٥٧٤٩- مُزَجِي الْبِضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ رَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَذْيَانِ

٥٧٥٠- يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْحُقُوقَ تَظَلُّمًا مِنْ جَهْلِهِ كَشَاكَاةِ الْأَبْدَانِ

٥٧٥١- مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَبَّبٍ يُفْتِي الْوَرَى وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمَنِ

٥٧٥٢- عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدِّيَانِ

٥٧٥٣- مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ وَالتَّبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالْبُهْتَانِ

٥٧٥٤- فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ عِنْدَ سَدِّ تَقَابُلِ الْفُرْسَانِ فِي الْمَيْدَانِ

٥٧٥٥- قَالَ: اشْتُكُوهُ إِلَى الْقَضَاةِ فَإِنَّهُمْ حَكَمُوا وَإِلَّا اشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ

٥٧٥٦- قُولُوا لَهُ هَذَا يُحِلُّ الْمُلْكَ بَلْ هَذَا يُزِيلُ الْمُلْكَ مِثْلَ فُلَانِ

- ٥٧٥٧- فَأَعِزَّهُ مِنْ قَبْلِ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْهُ
 ٥٧٥٨- وَإِذَا دَعَاكُمْ لِلرَّسُولِ وَحُكْمِهِ
 ٥٧٥٩- وَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي الْمَجَالِسِ فَأَلْعَطُوا
 ٥٧٦٠- وَاسْتَنْصَرُوا بِمَحَاضِرِ وَشَهَادَةِ
 ٥٧٦١- لَا تَسْأَلُوا الشُّهَدَاءَ كَيْفَ تَحْمَلُوا
 ٥٧٦٢- وَارْفُوا شَهَادَتَهُمْ وَمَشُوا حَالَهَا
 ٥٧٦٣- وَإِذَا هُمْ شَهِدُوا فَزَكَّوهُمْ وَلَا
 ٥٧٦٤- قُولُوا الْعَدَالََةَ مِنْهُمْ قَطْعِيَّةً
 ٥٧٦٥- ثَبَّتْ عَلَى الْحُكَّامِ بَلَّ حَكَمُوا بِهَا
 ٥٧٦٦- مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمْ فَلْيَتَّخِذْ
 ٥٧٦٧- وَإِذَا هُوَ اسْتَعْدَاهُمْ فَجَوَابِكُمْ
- هُ بِقُوَّةِ الْاِتِّبَاعِ وَالْأَعْوَانِ
 فَادْعُوهُ كُلُّكُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ
 وَالغَوَا إِذَا مَا احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ
 قَدْ أَضْلَحَتْ بِالرَّفْقِ وَالِإِثْقَانِ
 وَبِأَيِّ وَقْتٍ بَلَّ بِأَيِّ مَكَانٍ
 بَلَّ أَضْلِحُوهَا غَايَةَ الْإِمْكَانِ
 تَصْغُرُوا الْقَوْلِ الْجَارِحِ الطَّعَّانِ
 لَسْنَا نُعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلَانٍ
 فَالطَّعْنُ فِيهَا لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ
 ظَهَرًا كَمِثْلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ
 أَتَرُدُّهَا بِعِدَاوَةِ الْأَدْيَانِ

الشرح

- ٥٧٤٦- هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُتَّحِنٌ بِأَرْبَعَةٍ وَكُلُّهُمْ ذُوو أَضْغَانٍ
 قَوْلُهُ: «هَذَا وَإِنِّي بَعْدُ مُتَّحِنٌ بِأَرْبَعَةٍ» لَمَّا ذَكَرَ وَحَثَّ عَلَى الْحَكَمِ الْأَمِينِ ذَكَرَ
 أَنَّ هُنَا أَرْبَعَةَ أَشْخَاصٍ؛ وَالْمُرَادُ: أَنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ بِأَوْصَافِهِمْ يَخْشَى مِنْهُمْ، مُتَّحِنٌ بِهِمْ.
 قَوْلُهُ: «وَكُلُّهُمْ ذُوو أَضْغَانٍ»؛ أَي: أَحْقَادٍ.

٥٧٤٧- فَظُّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ ضَخْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْدَانِ

قَوْلُهُ: «فَظُّ غَلِيظٌ جَاهِلٌ مُتَمَعِّلٌ» «فَظُّ غَلِيظٌ»؛ يعني: ليس في قلبه لين، فهو فَظٌّ في قوله، غليظٌ في طبعه، «مُتَمَعِّلٌ»؛ يعني: يدعي العلم وليس بعالم.

قَوْلُهُ: «ضَخْمُ الْعِمَامَةِ وَاسِعُ الْأَرْدَانِ»؛ يعني: عمامته كبيرة، وأردانه واسعة؛ يعني: أكمامه، وكانوا يفعلون هذا في المشايخ الكبار، يكبرون عمائمهم ويوسعون أردانهم وأكمامهم حتى تكاد تقول: إن هذا الكم يصلح أن يكون قميصاً من سعته.

وهذا من وقت ابن القيم - رحمه الله - أن هؤلاء الذي يعتقدون أنهم الشيوخ وأئمة الأولياء يفعلون هذا.

٥٧٤٨- مُتَفَيِّهُقٌ مُتَضَلِّعٌ بِالْجَهْلِ ذُو ضَلَعٍ وَذُو جَلْحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «مُتَفَيِّهُقٌ»؛ معناه: أنه كأنما يمشي على قفاه من شدة إعجابه بنفسه والعياذ بالله.

قَوْلُهُ: «ضَلَعٌ» قال في «القاموس»: «ضَلَعٌ كَمَنْعَ: مَالٌ وَجَنَفَ وَجَارَ،... وَالضَّالْعُ: الْجَائِرُ»^(١).

قَوْلُهُ: «ذُو جَلْحٍ مِنَ الْعِرْفَانِ»؛ يعني: أنه خالٍ من العرفان، ليس عنده علم.

٥٧٤٩- مُزَجِي الْبِضَاعَةِ فِي الْعُلُومِ وَإِنَّهُ زَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «مُزَجِي الْبِضَاعَةِ»؛ يعني: قليل البضاعة؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْحَلَةٍ﴾ [يوسف: ٨٨]؛ أي: قليلة.

(١) انظر: القاموس المحيط، مادة: ضلع.

قَوْلُهُ: «وَإِنَّهُ زَاجٍ مِنَ الْإِيهَامِ وَالْهَدْيَانِ»؛ يعني: هو في العلوم قليل، لكن الهديان والإيهام والتشكيك هو مملوءٌ منها.

٥٧٥٠- يَشْكُو إِلَى اللَّهِ الْحُقُوقَ تَظَلُّمًا مِنْ جَهْلِهِ كَشِكَايَةِ الْأَبْدَانِ

يشكو إلى الله الحقوق من جهله؛ يعني: أنه دائماً يشكو الحقوق تظلمًا؛ لأنه جاهل، وهذه حال كثير من الناس، فهو يقول: أضاع الناس الحقوق، أو أضاعوا حقوقي، أو ما أشبه ذلك.

٥٧٥١- مِنْ جَاهِلٍ مُتَطَبَّبٍ يُفْتِي الْوَرَى وَيُحِيلُ ذَاكَ عَلَى قَضَا الرَّحْمَنِ

هذا من أوصافه أنه جاهل ومتطبب، وهل هو طبيب علم أو طبيب بدن؟ الظاهر أنه طبيب علم يفتي الورى، ويحيل ذلك على قضاء الرحمن، فيقول: «هذا حكم الله»، «هذا شرع الله».

وإن كان طبيب بدن جاهلاً فإنه يهلك الورى، يقول مثلاً: هذا فيه داء في القلب، ويشق القلب، فإذا شقّه ومات الرجل قال: والله هذا قضاء الله وقدره، وهو لا يعرف شيئاً من الطب؛ ولهذا قال شيخ الإلام ابن تيمية في آخر الفتوى الحموية: «وقد قال الناس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلم، ونصف متفقه، ونصف متطبب، ونصف نحوي»^(١)، فهؤلاء الأربعة أفسدوا الدنيا كلها، نصف الفقيه أفسد البلدان؛ لأنه يحكم لهذا على هذا وهو ليس عنده علم، فتفسد البلدان فتحصل الفوضى والعدوان، نصف المتكلم أفسد الأديان والعقائد، ونصف الطبيب أفسد الأبدان، ونصف النحوي أفسد اللسان، وهذا صحيح، تجده مثلاً عنده علم يسير بالنحو، فإذا أعرب فإذا به ينصب المرفوع ويرفع المنصوب.

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى (ص: ٥٥٤).

٥٧٥٢- عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ ثُمَّ دِمَاؤُهُمْ وَحُقُوقُهُمْ مِنْهُ إِلَى الدَّيَّانِ

قَوْلُهُ: «عَجَّتْ فُرُوجُ الْخَلْقِ»؛ يعني: أَنَّهُ يَحْكُمُ بِالْأَنْكِحَةِ وَالطَّلَاقِ فَيَقُولُ لِهَذَا: «بَانَتْ زَوْجَتُكَ مِنْكَ»، وَإِذَا بَانَتْ مِنْهُ حَلَّتْ لِلثَّانِي، فَيُحِلُّهَا لِمَنْ لَا تَحِلُّ لَهُ، أَوْ يَفْسَخُ نِكَاحَ مَنْ لَا يَسْتَحِقُّ الْفَسْخَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

٥٧٥٣- مَا عِنْدَهُ عِلْمٌ سِوَى التَّكْفِيرِ وَالتَّوْبَةِ وَالتَّبْدِيعِ وَالتَّضْلِيلِ وَالبُهْتَانِ

٥٧٥٤- فَإِذَا تَيَقَّنَ أَنَّهُ الْمَغْلُوبُ عِنْدَ تَقَابُلِ الْفُرْسَانِ فِي الْمَيْدَانِ

٥٧٥٥- قَالَ: اشْتَكُوهُ إِلَى الْقَضَاةِ فَإِنَّهُمْ حَكَمُوا وَإِلَّا اشْكُوهُ لِلسُّلْطَانِ

فِي الْأَوَّلِ يَصِيحُ فِي خَصْمِهِ: هَذَا كَفَرٌ، أَنْتَ كَافِرٌ، أَنْتَ مُبْتَدِعٌ، أَنْتَ ضَالٌّ، وَإِذَا عَرَفَ أَنَّهُ مَغْلُوبٌ مَاذَا يَصْنَعُ؟ يَقُولُ: نَذَهَبُ إِلَى الْمَحْكَمَةِ، إِلَى الْقَاضِي، إِنْ حَكَمُوا عَلَيْهِ أَنْتَهَى الْأَمْرَ، وَإِنْ لَمْ يَحْكَمُوا عَلَيْهِ قَالَ: «ارْفَعُوهُ لِلسُّلْطَانِ»، وَهَذَا وَاقِعٌ، فَمَثَلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ وَابْنِ تَيْمِيَّةَ وَغَيْرِهِمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَدْ حَبَسَهُمُ السُّلْطَانُ وَعَذَّبُوهُمْ بِسَبَبِ الْوَشَايَةِ.

٥٧٥٦- قُولُوا لَهُ هَذَا يَحِلُّ الْمُلْكُ بَلْ هَذَا يُزِيلُ الْمُلْكَ مِثْلَ فُلَانٍ

٥٧٥٧- فَأَعْقَرَهُ مِنْ قَبْلِ اسْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْهُ هُ بِقُوَّةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْوَانِ

إِذَا قَالُوا: هَذَا يَحِلُّ لِمُلْكِكَ وَيُزِيلُ لِمُلْكِكَ فَأَعْقَرَهُ حَتَّى لَا يَمْشِيَ قَبْلَ اسْتِدَادِ الْأَمْرِ مِنْهُ بِقُوَّةِ الْأَتْبَاعِ وَالْأَعْوَانِ؛ أَي: قَبْلَ أَنْ يَكْثَرَ أَتْبَاعُهُ وَيَلْتَفِ النَّاسُ حَوْلَهُ، ثُمَّ يُزِيلُونَكَ، وَالسُّلْطَانُ خَائِفٌ لِاسْمِهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ، أَمَّا مَنْ عِنْدَهُ خَوْفٌ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ تَعَالَى أَخَافَ اللَّهُ مِنْهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ اتَّقَاهُ كُلَّ شَيْءٍ، لَكِنْ كَثِيرٌ مِنَ السُّلْطَانِ لَيْسُوا عَلَى هَذَا الْوَصْفِ، فَتَجِدُهُ يَخَافُ، يَقُولُونَ

له: الشيخُ فلانٌ، شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميَّةَ له أتباعٌ كثيرون، احذَر منه، لكن ما العملُ؟ يقولون: السَّجْنُ، اعقره حتَّى لا يُزيِلَ الملكَ عنكَ.

٥٧٥٨- وَإِذَا دَعَاكُمْ لِلرَّسُولِ وَحُكْمِهِ فَادْعُوهُ كُلُّكُمْ لِرَأْيِ فُلَانٍ

٥٧٥٩- وَإِذَا اجْتَمَعْتُمْ فِي الْمَجَالِسِ فَالْغَطُوا وَالْغَوُوا إِذَا مَا احْتَجَّ بِالْقُرْآنِ

٥٧٦٠- وَاسْتَنْصَرُوا بِمَحَاضِرٍ وَشَهَادَةٍ قَدْ أَصْلَحَتْ بِالرَّفْقِ وَالْإِتْقَانِ

فهؤلاء قد أعدوا أنفسهم من قبل وكتبوا على تأنُّ، وأنقلوا حُجَجَهُم، لكنَّها كُلُّها حُجَجٌ باطلةٌ.

٥٧٦١- لَا تَسْأَلُوا الشَّهَدَاءَ كَيْفَ تَحْمَلُوا وَبِأَيِّ وَقْتٍ بَلَّ بِأَيِّ مَكَانٍ

٥٧٦٢- وَارْزُقُوا شَهَادَتِهِمْ وَمَشُوا حَالَهَا بَلَّ أَصْلِحُوهَا غَايَةَ الْإِمْكَانِ

٥٧٦٣- وَإِذَا هُمْ شَهِدُوا فَزَكُّوهُمْ وَلَا تَصْغُوا لِقَوْلِ الْجَارِحِ الطَّعَّانِ

٥٧٦٤- قُولُوا الْعَدَالََةَ مِنْهُمْ قَطْعِيَّةٌ لَسْنَا نُعَارِضُهَا بِقَوْلِ فُلَانٍ

٥٧٦٥- ثَبَّتْ عَلَى الْحُكَّامِ بَلَّ حَكَمُوا بِهَا فَالطَّعْنُ فِيهَا لَيْسَ ذَا إِمْكَانٍ

٥٧٦٦- مَنْ جَاءَ يَقْدَحُ فِيهِمْ فَلْيَتَّخِذْ ظَهْرًا كَمَثَلِ حِجَارَةِ الصَّوَّانِ

٥٧٦٧- وَإِذَا هُوَ اسْتَعْدَاهُمْ فَجَوِّبْكُمْ أَتْرُدُّهَا بِعِدَاوَةِ الْأَذْيَانِ

قوله: «وَمَشُوا حَالَهَا» هذه العبارة ما كنَّا نعلمُ أنَّها قديمةٌ.

فصل

في حال العدو الثاني

- ٥٧٦٨- أَوْ حَاسِدٌ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ
بِعَدَاوَتِي كَالْمِرْجَلِ الْمَلَانِ
- ٥٧٦٩- لَوْ قُلْتُ هَذَا الْبَحْرُ قَالَ مُكَذِّبًا
هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالْقِيَعَانِ
- ٥٧٧٠- أَوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتًا
الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إِلَى ذَا الْآنِ
- ٥٧٧١- أَوْ قُلْتُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ
غَضِبَ الْخَبِيثُ وَجَاءَ بِالْكِتْمَانِ
- ٥٧٧٢- أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضِعِهِ
تَحْرِيفَ كَذَابٍ عَلَى الْقُرْآنِ
- ٥٧٧٣- صَالَ النُّصُوصَ عَلَيْهِ فَهُوَ بِدَفْعِهَا
مُتَوَكِّلٌ بِالذَّابِ وَالذَّيْدَانِ
- ٥٧٧٤- فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ
مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَانِ
- ٥٧٧٥- فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ
كَيْلًا يَصُولُ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ

الشرح

هذا الثاني، الثاني ليس مُتَمَعِّلًا، ولا مُتَشَيِّخًا، وليس عليه أردانٌ واسعةٌ، ولا يدعي أنه العالمُ الفذُّ، لكنه حاسدٌ، لا يريد أن يكون لابنِ القيمِ فضلٌ، قال رحمه الله:

٥٧٦٨- أَوْ حَاسِدٌ قَدْ بَاتَ يَغْلِي صَدْرُهُ
بِعَدَاوَتِي كَالْمِرْجَلِ الْمَلَانِ

٥٧٦٩- لَوْ قُلْتُ هَذَا الْبَحْرُ قَالَ مُكَذِّبًا هَذَا السَّرَابُ يَكُونُ بِالْقِيَعَانِ

أعوذُ بالله، هذا الحاسدُ، هكذا يكونُ، يُخْفِي كُلَّ شَيْءٍ، بل تجده يمدحُ الإنسانَ، هذا رجلٌ فيه كذا، فيه كذا، فيه كذا، حتى إذا أَوْصَلَهُ الثُّرَيَّا رَمَى بِهِ، وقال: «لَكِنَّ»، وإذا جاءت «لَكِنَّ» تَوَقَّعَ ما بعدها، فَيَحُطُّ قَدْرَهُ، وهكذا يفعلُ الحَسَّادُ والعياذُ بالله، تقولُ: هذا البحرُ، قال: لا، هذا سرابٌ بالقاع، مع أن البحرَ أمامه.

٥٧٧٠- أَوْ قُلْتُ هَذِي الشَّمْسُ قَالَ مُبَاهِتًا الشَّمْسُ لَمْ تَطْلُعْ إِلَى ذَا الْآنِ

وإذا قلتُ له: «هذه الشمسُ»، قال: لم تطلع الشمسُ بعدُ إلى الآن.

٥٧٧١- أَوْ قُلْتُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ غَضِبَ الْخَبِيثُ وَجَاءَ بِالْكِتْمَانِ

٥٧٧٢- أَوْ حَرَّفَ الْقُرْآنَ عَنْ مَوْضُوعِهِ تَحْرِيفَ كَذَابِ عَلَى الْقُرْآنِ

وإذا قلتُ له: «هذا كلامُ الله ورسوله» حينئذٍ يغضبُ والعياذُ بالله، ويأتي بالكتمانِ، وإذا كان حديثًا قال: هذا خبرٌ آحادٍ لا يصحُّ، وإذا كان لا يمكنُ دفعه من حيث الثبوتُ ذهبَ يُحَرِّفُ؛ وتأمَّلْ لَمَّا جَاءَ إِلَى «قال الله وقال رسوله» وَصَفَهُ: بالخبيثِ، وإلا ففي الأوَّلِ لَمَّا جَحَدَ طُلُوعَ الشَّمْسِ أو وجودَ البحرِ لم يَصِفْهُ بهذا؛ لأنَّ غضبَ الخبيثِ أشدُّ من قوله: «لم تطلع الشمسُ، أو ليس هذا البحرُ».

٥٧٧٣- صَالَ النَّصُوصَ عَلَيْهِ فَهَوَّ بِدْفَعِهَا مُتَوَكِّلٌ بِالذِّبَابِ وَالذِّبْدَانِ

قَوْلُهُ: «صَالَ النَّصُوصُ» أصلها: «صَالَتِ النَّصُوصُ»، لكن جمعُ التَّكْسِيرِ يجوزُ فيه التَّذْكِيرُ والتَّأْنِيثُ لاسيما أنَّ ضرورةَ الشُّعْرِ تدعو إلى ذلك.

قَوْلُهُ: «فَهَوَّ بِدَفْعِهَا مُتَوَكِّلٌ بِالذَّأْبِ وَالذَّيْدَانِ»؛ أي: متوكِّلٌ بالعادة؛ يعني: هو يدفعُها كعادته، و«الذَّأْبُ»؛ بمعنى: العادة؛ كما قال تعالى: ﴿كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ﴾ [الأنفال: ٥٢]؛ أي: عادتهم، و«الذَّيْدَانِ»؛ أي: دَيْدَنُهُ أَنَّهُ يَدْفَعُ النُّصُوصَ، ودأبه أَنَّهُ يَدْفَعُهَا كَذَلِكَ.

٥٧٧٤- فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ مِنْ بَابِ دَفْعِ الصَّائِلِ الطَّعَانِ

قَوْلُهُ: «فَكَلَامُهُ فِي النَّصِّ عِنْدَ خِلَافِهِ»؛ يعني: إذا خالفه النَّصُّ من بابِ دفعِ الصَّائِلِ الطَّعَانِ؛ ولذا تجده يلتزم أحياناً أشياء لا يلتزمها عند السَّعة؛ يعني: في المناظراتِ بعضُ النَّاسِ إذا أُتِيَ إليه بالنُّصوصِ وقيل: «كلامك يلزم منه كذا وكذا» التَّزَمَهُ، مع أَنَّهُ عند السَّعة لا يلتزم هذا الشَّيءَ، لكن عند الضَّرورةِ والمناظرةِ رَبَّما يلتزم هذا الشَّيءَ فتجده يُقَابِلُ النُّصوصَ إِذَا خَالَفتُها فيدافعُها مدافعةَ الصَّائِلِ.

٥٧٧٥- فَالْقَصْدُ دَفْعُ النَّصِّ عَنْ مَدْلُولِهِ كَيْلَا يَصُولَ إِذَا التَّقَى الزَّحْفَانِ

تَجِدُ الحِصْمَ إِذَا أُورِدَتْ عَلَيْهِ النَّصَّ يَحْمِلُهُ عَلَى مَحْمَلٍ لَا يَقُولُ بِهِ أَحَدٌ، حَتَّى هُوَ لَوْ قِيلَ لَهُ: أَتَقُولُ بِهَذَا فِي حَالِ الطَّمَأِينَةِ وَالرَّاحَةِ؟ قَالَ: لَا أَقُولُ بِهَذَا، وَمَعَ ذَلِكَ يَحْمِلُ النَّصَّ عَلَيْهِ، لِمَاذَا؟ كَدْفَعِ الصَّائِلِ، وَالَّذِي يَدْفَعُ الصَّائِلَ يَدْفَعُهُ بِكُلِّ سِلَاحٍ حَتَّى وَلَوْ بِأَظْفَارِهِ.

خِلَاصَةُ هَذَا العَدُوِّ: أَنَّهُ رَجُلٌ حَاسِدٌ، لَوْ يُرَى الحَقَائِقَ الحَسِيَّةَ وَالسَّمْعِيَّةَ مَا قَبِلَ، إِذَا قِيلَ: هَذَا البَحْرُ، قَالَ: لَا، هَذَا سِرَابٌ، قِيلَ: هَذِهِ الشَّمْسُ، قَالَ: الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ بَعْدُ، هَذَا القُرْآنُ، ذَهَبَ يَحْرِفُهُ عَنِ مَوَاضِعِهِ، كُلُّ هَذَا مُضَادَّةٌ لِمَنْ؟ لِابْنِ القِيَمِ رَحِمَهُ اللهُ.

فصل

في حال العدو الثالث

- ٥٧٧٦- وَالثَّالِثُ الْأَعْمَى الْمُقَلَّدُ ذَيْنِكَ الرَّجُلَيْنِ قَائِدُ زُمْرَةِ الْعُمَيَّانِ
 ٥٧٧٧- فَاللَّعْنُ وَالتَّكْفِيرُ وَالتَّبْدِيعُ وَالتَّضَلِيلُ وَالتَّفْسِيقُ بِالْعُدْوَانِ
 ٥٧٧٨- فَإِذَا هُمْ سَأَلُوهُ مُسْتَنَدًا لَهُ قَالَ اسْمَعُوا مَا قَالَه الرَّجُلَانِ

الشرح

استَعَاذَ ابْنُ الْقَيْمِ - رحمه الله - من ثلاثة من الأعداء؛ الأول: مُتَفَيْقُهُ مُتَعِيلِمٌ يرى أنه لا أحد مثله ولا أحد أكبر منه، والثاني: حاسدٌ، والثالث: مُقَلَّدُ أَعْمَى، وهذا المقلدُ يَصِفُ ابْنَ الْقَيْمِ بأنه كافرٌ مُبْتَدِعٌ ضالٌّ، وما أشبه ذلك، فيقال له: ما مُسْتَنَدُكَ؟ قال: اسمعوا ما قاله الرَّجُلَانِ؛ أي: المُتَعِيلِمُ والحاسدُ، إذن ليس عنده شيءٌ؛ لأنه مُقَلَّدُ أَعْمَى.

فصل

في حال العدو الرابع

- ٥٧٧٩- هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكَلْبِهِمْ
حَاشَا الْكِلَابَ الْآكِلِي الْأَتْنَانِ
- ٥٧٨٠- خِنْزِيرُ طَبَعٍ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ
مُتَسَوِّفٍ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
- ٥٧٨١- كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُهُمْ يُمَشِّشُ أَعْظَمًا
يَرْمُونَهَا وَالْقَوْمُ لِلْحِجْمَانِ
- ٥٧٨٢- يَتَفَكَّهُونَ بِهَا رَخِصًا سِعْرُهَا
مَيْتًا بِلا عِوَضٍ وَلَا أُنْثَمَانِ
- ٥٧٨٣- هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْمٌ وَلَا
دِينَ وَلَا تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانِ
- ٥٧٨٤- فَإِذَا رَأَى شَرًّا تَحَرَّكَ يَبْتَغِي
ذِكْرًا كَمَثَلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ
- ٥٧٨٥- لِيَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ فَيُنْفِقَ الـ
كَلْبُ الْعُقُورَ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ
- ٥٧٨٦- فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ
مَنْ عَسَكَرٍ يُعْزَى إِلَى غَازَانِ
- ٥٧٨٧- هَدِي بِضَاعَةٌ ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبِي
سُغِي تَاجِرًا يَبْتَاعُ بِالْأَتْنَانِ
- ٥٧٨٨- وَجَدَ التَّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا
عَنْ هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ
- ٥٧٨٩- إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا
أَنْ يُتَجَرُّوا فَيَنَابِلَا أُنْثَمَانِ
- ٥٧٩٠- فَهُمْ الزَّبُونُ لَهَا فَبِاللَّهِ ارْحَمُوا
مَنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسٍ مَدْيَانِ
- ٥٧٩١- يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا
قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ

٥٧٩٢- مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٌ ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِصَ الْعِثْيَانِ
٥٧٩٣- وَكَذَا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي تَمْيِيزِهِ مَا إِنَّ هُمَا مِثْلَانِ

الشرح

٥٧٧٩- هَذَا وَرَابِعُهُمْ وَلَيْسَ بِكَلْبِهِمْ حَاشَا الْكِلَابِ الْآكِلِي الْأَتْنَانِ
يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، لكن يقول: هذا ليس بكلب، فالكلاب تُنَزَّه عنه، حَاشَا الْكِلَابِ الْآكِلِي الْأَتْنَانِ، فالكلابُ خيرٌ من هذا.

٥٧٨٠- خِنْزِيرٌ طَبَعِ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ مُتَسَوِّفٍ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ
قَوْلُهُ: «خِنْزِيرٌ طَبَعِ فِي خَلِيقَةِ نَاطِقٍ»؛ يعني: خَلِيقَتُهُ إِنْسَانٌ إِلَّا أَنَّ طَبِيعَتَهُ طَبِيعَةُ الْخِنَازِيرِ.

قَوْلُهُ: «مُتَسَوِّفٍ بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ» «مُتَسَوِّفٌ»؛ من التَّسْوِيفِ؛ يعني: أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا الْكَذِبُ وَالْبُهْتَانُ.

٥٧٨١- كَالْكَلْبِ يَتَّبِعُهُمْ يُمَشِّشُ أَعْظَمًا يَرْمُونَهَا وَالْقَوْمُ لِلْحِمَانِ

٥٧٨٢- يَتَفَكَّهُونَ بِهَا

هذا تابعٌ وليس كالمقلد، فهو يرى ما يقول الناس فيقولُه؛ مثل: الْكَلْبِ يَتَّبِعُ النَّاسَ يُمَشِّشُ أَعْظَمًا تُرْمَى، وَالْكِلَابُ الْآنَ تَجِدُونَهَا إِذَا رُمِيَتِ الْعِظَامُ تُمَشِّشُهَا؛ تَشْمُّهَا أَوَّلًا، ثُمَّ تَأْكُلُ مَا فِيهَا مِنَ اللَّحْمِ، وَالْقَوْمُ الْآخَرُونَ يَتَفَكَّهُونَ بِاللَّحْمِ.

٥٧٨٢- رَخِيصًا سَعْرُهَا مَيْتًا بِلا عَوْضٍ وَلَا أَثْمَانِ

هذا الرَّجُلُ هو الذي يَغْتَابُ، ليس له رصيدٌ من العلم ولا تقليدٌ ولا هدفٌ، فهو إنسانٌ يَغْتَابُ، إِذَا حَضَرَ مجلسًا يمدحُ ابنَ القِيَمِ مَدَحَ، وَإِذَا حَضَرَ مجلسًا يذمه ذَمًّا، ليس عنده قاعدةٌ يَبْنِي عليها عداوةً أو صداقةً، لكنّه كالكلبِ يَتَّبِعُ هؤلاء النَّاسَ الذي يأكلون اللَّحْمَ ويرمون العظامَ فَيَمَشُمِشُهَا.

٥٧٨٣- هُوَ فَضْلَةٌ فِي النَّاسِ لَا عِلْمٌ وَلَا دِينَ وَلَا تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانِ

وهؤلاء موجودون كثيرًا في عامّة النَّاسِ، فَضْلَةٌ يَتَّبِعُ كُلَّ نَاعِقٍ، وليس عنده عِلْمٌ وَلَا دِينَ وَلَا تَمَكِينَ ذِي سُلْطَانِ.

٥٧٨٤- فَإِذَا رَأَى شَرًّا تَحَرَّكَ يَتَّبِعِي ذِكْرًا كَمَثَلِ تَحَرُّكِ الثُّعْبَانِ

إِذَا سَمِعَ فِي الْمَجْلِسِ غَيْبَةً شَرَعَ يَتَكَلَّمُ وَيَأْتِي بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُقَالَ: مَا شَاءَ اللَّهُ، هَذَا رَجُلٌ بَلِيغٌ فِي الْمَجْلِسِ، هَذَا رَجُلٌ لَهُ كَلِمَةٌ، وَيَكُونُ لَهُ ذِكْرٌ فِي النَّاسِ، كِفَاكَ اللَّهُ لِسَانَهُ، وَهَكَذَا.

٥٧٨٥- لِيَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ فَيُنْفِقَ الْكَلْبُ الْعُقُورَ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ

قَوْلُهُ: «لِيَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ» يَقُولُ هَذَا وَهُوَ مَا فِيهِ خَيْرٌ؛ لِأَجْلِ أَنْ يَزُولَ عَنْهُ أَدَى الْكَسَادِ، كَيْفَ أَدَى الْكَسَادِ؟ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ فِي الْمَجْلِسِ لَا يَتَكَلَّمُ، قِيلَ: هَذَا خَشْبَةٌ، وَلَا يُرْفَعُ لَهُ رَأْسٌ، لَكِنْ لَوْ تَكَلَّمَ لَوْ بِالْبَاطِلِ انْتَفَتِ النَّاسُ إِلَيْهِ، مَاذَا يَقُولُ؟ فَيُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ عَمَلًا يُذَكِّرُ بِهِ وَيَكُونُ لَهُ بِهِ شَأْنٌ فِي الْمَجْلِسِ فَيَزُولُ كَسَادُهُ.

قَوْلُهُ: «فَيُنْفِقَ الْكَلْبُ الْعُقُورَ عَلَى ذُكُورِ الضَّانِ» الْكَلْبُ الْعُقُورُ إِذَا وَجَدَ ذُكُورَ

الضَّانِ - وَالضَّانُّ مَعْرُوفَةٌ بِالذُّلِّ وَالْجَبَنِ - فَإِذَا أَتَاهَا كَلْبٌ عَقُورٌ فَيَا وَيَلِهَا مِنْهُ .

٥٧٨٦- فَبَقَاؤُهُ فِي النَّاسِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنْ عَسْكَرٍ يُعْزَى إِلَى غَازَانَ
قوله : «غَازَانَ» أَحَدُ مَلُوكِ التَّتَارِ .

يعني: بقاء هذا الرَّجُلِ مِحْنَةٌ، وليس في كلامه - رحمه الله - اعتراضٌ على القَدْرِ، لكن محاولة لإصلاح أمثال هؤلاء في النَّاسِ .

٥٧٨٧- هَذِي بِضَاعَةٌ ضَارِبٌ فِي الْأَرْضِ يَبِيءُ - غِي تَاجِرًا يَبْتَاعُ بِالْأَثْمَانِ

٥٧٨٨- وَجَدَ التَّجَارَ جَمِيعَهُمْ قَدْ سَافَرُوا - عَنِ هَذِهِ الْبُلْدَانِ وَالْأَوْطَانِ

٥٧٨٩- إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا - أَنْ يُنْجِرُوا فِينَا بِلَا أَثْمَانِ

وَبُسَّتِ الْبِضَاعَةُ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ مَنْ يَغْتَابُ النَّاسَ لِيَقَعَ فِي أَعْرَاضِهِمْ، تَجِدُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي كُلِّ مَجْلِسٍ يَطْلُبُ مَنْ هَذَا دَأْبُهُ إِلَّا الصَّعَافِقَةَ؛ وَلِذَا قَالَ: «إِلَّا الصَّعَافِقَةَ الَّذِينَ تَكَلَّفُوا أَنْ يَنْجِرُوا فِينَا بِلَا أَثْمَانِ»؛ يَعْنِي: لَيْسَ لَدَيْهِمْ فِلُوسٌ .

٥٧٩٠- فَهُمْ الزَّبُونُ لَهَا فَبِاللَّهِ ارْحَمُوا - مِنْ بَيْعَةٍ مِنْ مُفْلِسٍ مِديَانِ

قَوْلُهُ: «مِنْ مُفْلِسٍ مِديَانِ»؛ يَعْنِي: كَثِيرِ الدُّيُونِ .

٥٧٩١- يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ تَاجِرًا - قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ

قوله : «يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا»؛ الظَّاهِرُ: أَنَّهُ يَرِيدُ الْمَنْظُومَةَ .

قَوْلُهُ: «بِحَقِّكَ» هُنَا تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ - سَبَّحَانَهُ وَتَعَالَى - بِحَقِّهِ، فَمَا هُوَ حَقُّهُ؟ حَقُّهُ أَنْ نَعْبُدَهُ، وَالْعِبَادَةُ مِنْ فِعْلِ الْعِبَادِ، وَالتَّوَسَّلُ بِأَفْعَالِ الْعِبَادِ لَيْسَ شَرْعِيًّا؛ لِأَنَّ

فَعَلَ الْعِبَادِ لَا يَنْفَعُ الْعِبَادَةَ، لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَنْ فَعَلَهُ، وَلَكِنْ يُقَالُ: «يَا رَبِّ فَارْزُقْهَا بِحَقِّكَ»؛ أَي: الَّذِي أَوْجَبَتْهُ عَلَى نَفْسِكَ؛ وَهُوَ مَا قَالَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، فَكَأَنَّ الْحَقَّ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ هُوَ: إِجَابَةُ الدُّعَاءِ، وَهَذَا كَقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ...»^(١)، وَحَقُّ السَّائِلِينَ عَلَيْهِ إِجَابَتُهُمْ، فَهُوَ تَوَسَّلَ إِلَى اللَّهِ بِفِعْلِهِ.

فَالْمَوْلُوفُ يَدْعُو اللَّهَ وَيَسْأَلُهُ بِحَقِّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَهُوَ: إِجَابَةُ الدَّاعِي - أَنْ يَرْزُقَهَا تَاجِرًا قَدْ طَافَ بِالْأَفَاقِ وَالْبُلْدَانِ، وَلَكِنَّهُ تَاجِرٌ ذُو خَبْرَةٍ.

٥٧٩٢- مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٌ ذَهَبًا يَرَاهُ خَالِصَ الْعَقِيَانِ
قَوْلُهُ: «مَا كُلُّ مَنْقُوشٍ لَدَيْهِ أَصْفَرٌ ذَهَبًا»؛ لِأَنَّهُ يَعْرِفُ الذَّهَبَ مِنْ غَيْرِهِ.

٥٧٩٣- وَكَذَا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي تَمْيِيزِهِ مَا إِنْ هُمَا مِثْلَانِ
قَوْلُهُ: «وَكَذَا الزُّجَاجُ وَدُرَّةُ الْغَوَاصِ فِي تَمْيِيزِهِ» أَيُّهَا أَحْسَنُ: الزُّجَاجُ الْمَصْنُوعُ مِنَ الْخَزْفِ أَوْ دُرَّةُ الْغَوَاصِ؟
الْجَوَابُ: الثَّانِي، فَيُمَيِّزُ بَيْنَ الزُّجَاجَةِ وَبَيْنَ الدُّرَّةِ.

قَوْلُهُ: «مَا إِنْ هُمَا مِثْلَانِ» «إِنْ» هُنَا زَائِدَةٌ؛ وَالتَّقْدِيرُ: «مَا هُمَا مِثْلَانِ»، وَابْنُ مَالِكٍ - رَحِمَهُ اللَّهُ - يَقُولُ:

إِعْمَالٌ لَيْسَ أُعْمِلَتْ «مَا» دُونَ «إِنْ» مَعَ بَقَا النَّفْسِ وَتَرْتِيبِ زُكْنِ^(٢)
هَنَا هَلْ تَعْمَلُ أَوْ لَا تَعْمَلُ؟

(١) أخرجه ابن ماجه: كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم (٧٧٨).

(٢) انظر: شرح ابن عقيل (١/ ٣٠١).

الجوابُ: لا تعملُ؛ لأنَّ فيها «إِنْ»، فهو كقولِ الشَّاعرِ:

بَنِي غُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبٌ وَلَا صَرِيفٌ وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْخَزَفُ^(١)

وهذه القصيدةُ جديرةٌ بأن يُغاليَ فيها الإنسانُ ويتفهَّمَهَا؛ لأنَّهَا عَذْبَةُ المنطقِ، مملوءةٌ المعاني، وفيها أشياءٌ لا تجدها في غيرها.

فصل

فِي تَوَجُّهِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ
وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ

- ٥٧٩٤- هَذَا وَنَصْرُ الدِّينِ فَرَضٌ لَزِمٌ
لِلْكَفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ
٥٧٩٥- بِيَدٍ وَإِمَّا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزُ
تَ فَبِالتَّوَجُّهِ وَالِدُّعَا بِخَنَانِ
٥٧٩٦- مَا بَعْدَ ذَا وَاللهِ لِلْإِيمَانِ حُبٌ
بَّةُ خَرَدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ
٥٧٩٧- بِحَيَاةٍ وَجِهَكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ
وَبُنُورِ وَجِهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ
٥٧٩٨- وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا
مِنْ غَيْرِ مَا عَوِضٍ وَلَا أَثْمَانِ
٥٧٩٩- وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسَعَتْ جَمِيعَ
عَ الْخَلْقِ مُحْسِنُهُمْ كَذَلِكَ الْجَانِ
نِيهَا نُعُوتِ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ
٥٨٠٠- وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى مَعَا
أَكْوَانِ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ
٥٨٠١- وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ الـ
بُودُ الْوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَنْ ثَانِ
٥٨٠٢- وَبِأَنَّكَ اللهُ الْإِلَهُ الْحَقُّ مَعَا
مِنْ دُونَ عَرْشِكَ لِلشَّرَى التَّحْتَانِ
٥٨٠٣- بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ
تَ غِيَاثُ كُلِّ مُلْدَدٍ لَهْفَانِ
٥٨٠٤- وَبِكَ الْمَعَادُ وَلَا مَلَادَ سِوَاكَ أَنْ
كَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِضْيَانِ
٥٨٠٥- مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَا

- ٥٨٠٦- إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ تُرْضِيكَ طَالِبَهَا أَحَقُّ مُعَانِ
- ٥٨٠٧- فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي سَبَعْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ
- ٥٨٠٨- أَنْصُرْ كِتَابَكَ وَالرَّسُولَ وَدِينَكَ الـ عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ
- ٥٨٠٩- وَاخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَاصْطَفَيْتَ مُمْتَقِمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ
- ٥٨١٠- وَرَضِيْتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الْوَرَى هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ
- ٥٨١١- وَأَقْرَبَ عَيْنَ رَسُولِكَ الْمَبْعُوثِ بِالْـ دِينِ الْحَنِيفِ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِي
- ٥٨١٢- وَأَنْصُرُهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمَا قَدْ كُنْتَ تَنْصُرُهُ بِكُلِّ زَمَانِ

الشرح

قَوْلُهُ: «فَصَلِّ فِي تَوَجُّهِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ وَعِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ» التَّوَجُّهُ: صرفُ الوجهِ إلى الشيءِ؛ والمعنى: أن أهلَ السُّنَّةِ يتوجَّهون إلى الله عزَّ وجلَّ بما تَضَمَّنَهُ هذا الفصلُ، قال المؤلفُ:

٥٧٩٤- هَذَا وَنَصْرُ الدِّينِ فَرَضٌ لَارِئٌ لَا لِلْكَفَايَةِ بَلْ عَلَى الْأَعْيَانِ

يعني: يجبُ على كُلِّ واحدٍ من المسلمين أن ينصرَ دينَ الله بالقولِ وبالفعلِ وبكُلِّ ما يستطيعُ، ينصرُ الدِّينَ في نفسه وفي أهله وفي قومه وفي سائرِ المسلمين، ونصرُ الدِّينِ بالدِّفاعِ عنه والدَّعوةِ إليه، والغَيْرَةُ عليه والجهادُ دونه بِقَدْرِ ما يستطيعُ الإنسانُ من قوَّةِ حسب ما وجَّهه اللهُ تعالى إليه من الحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ، والجدالِ بالتي هي أحسن، وإذا نَصَرْتَ دينَ الله نَصَرَكَ اللهُ عزَّ وجلَّ؛ كما قال اللهُ تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

٥٧٩٥- بِيَدٍ وَإِمَّا بِاللِّسَانِ فَإِنْ عَجَزَ تَ فَبِالتَّوَجُّهِ وَالدُّعَا بِحَنَانِ

يعني: تنصره بيديك أو بلسانك أو بالدعاء، وهذه المراتب الثلاث هي التي قال فيها رسول الله ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيَعَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»^(١)، والإنكار بالقلب لا يكفي أن يكون الإنسان كارهاً للمُنْكَرِ، بل لا بُدَّ مع ذلك من مفارقة أهلِ المُنْكَرِ، فَمَنْ جَلَسَ معهم وهو يقول: «إِنِّي مُنْكَرٌ بقلبي» فهو كاذب؛ لقول الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِذْ أَنْتُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠]، فعليك أن تقوم، أمَّا إنْ أكرهت على البقاء وهددت إذا خَرَجْتَ فهذا يكون الإنسان معذورًا فيه عند الله؛ لأنَّه مُكْرَهُ على هذا الشَّيءِ.

٥٧٩٦- مَا بَعْدَ ذَا وَاللَّهِ لِلْإِيمَانِ حَبٌ بَهُ حَرْدَلٍ يَا نَاصِرَ الْإِيمَانِ

يعني: الإنكار بالقلب والتوجه إلى الله بالدعاء ما بعده شيءٌ.

ثم بدأ المؤلف -رحمه الله- يتوسَّل إلى الله عزَّ وجلَّ بما ذَكَرَ لدعائه من

الصِّفَاتِ الْعَظِيمَةِ فقال:

٥٧٩٧- بِحَيَاةِ وَجْهِكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ وَبِنُورِ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ

قَوْلُهُ: «بِحَيَاةِ وَجْهِكَ خَيْرٌ مَسْئُولٍ بِهِ» حياةُ وجهِ الله عزَّ وجلَّ يجوزُ التَّوَسُّلُ

بها؛ لأنَّها من صفاته؛ كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَبَتَّيْنِ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾

[الرَّحْمَن: ٢٧]، والتَّوَسُّلُ إلى الله بصفاته جائزٌ، وفي الحديثِ الصَّحِيحِ: «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ

(١) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، رقم (٤٩).

الغَيْبَ وَقَدَّرْتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي»^(١)، فقال: «بِعِلْمِكَ الْغَيْبِ» و«وعلم» هنا: صفةٌ، فالمؤلفُ -رحمه الله- سأل الله بحياة الوجه؛ أي: ببقائه.

قَوْلُهُ: «وَبِنُورِ وَجْهِكَ يَا عَظِيمَ الشَّانِ» ونورٌ وجهه نورٌ عظيمٌ، قال النبي ﷺ: «حِجَابُهُ -أي: الرَّبِّ- النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ -أي: بهاؤه وعظمته ونوره- مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٢)، وبصره ينتهي إلى كُلِّ شيءٍ؛ يعني: لَأَحْرَقَتْ كُلَّ شَيْءٍ، ولكنه عزَّ وجلَّ احتجَبَ عن خَلْقِهِ بحجبٍ عظيمٍ من النُّورِ، ولهذا لَمَّا قِيلَ لِلرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»^(٣)؛ يعني: أَنَّهُ حَالٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ أَنْوَارٌ عَظِيمَةٌ.

٥٧٩٨- وَبِحَقِّ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَوْلَيْتَهَا مِنْ غَيْرِ مَا عَوَّضٍ وَلَا أَثْمَانٍ حَقُّ النُّعْمَةِ هُوَ الشُّكْرُ، وَالشُّكْرُ عَمَلٌ صَالِحٌ، وَالْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَتَوَسَّلَ بِهَا، وَقَدْ قَصَّ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ قِصَّةَ رَجَالٍ ثَلَاثَةٍ وَقَعُوا فِي هَلَكَةٍ وَتَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ بِصَالِحِ أَعْمَالِهِمْ، وَهُمْ الَّذِي انطَبَقَ عَلَيْهِمُ الْغَارُ، فَتَوَسَّلَ أَحَدُهُمْ إِلَى اللَّهِ بِالْبِرِّ الْعَظِيمِ التَّامِّ، وَالثَّانِي بِالْعَقَّةِ التَّامَّةِ، وَالثَّلَاثُ بِالْوَفَاءِ التَّامِّ، تَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ حَتَّى أَزَاكَ اللَّهُ عَنْهُمْ هَذِهِ الصَّخْرَةَ^(٤)، فَالتَّوَسُّلُ إِلَى اللَّهِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ جَائِزٌ.

(١) أخرجه أحمد (٣٠/٢٦٥، رقم ١٨٣٢٥). والنسائي: كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، رقم (١٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ»، وفي قوله: «حِجَابُهُ النُّورُ لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصْرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»، رقم (١٧٩).

(٣) أخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ»، رقم (١٧٨).

(٤) أخرجه البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم (٣٤٦٥). ومسلم: كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، رقم (٢٧٤٣).

والشُّكْرُ دينٌ وعبادةٌ أيضًا، والتَّوَسُّلُ بالدين والعبادة جَائِزٌ؛ كما قال تعالى في صفاتٍ مَنْ وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ ذُوو أَلْبَابٍ، قال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، إلى أن قال: ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا﴾ [آل عمران: ١٩٣].

٥٧٩٩- وَبِحَقِّ رَحْمَتِكَ الَّتِي وَسِعَتْ جَمِيعَ الْخَلْقِ مُحْسِنُهُمْ كَذَلِكَ الْجَانِي

يعني: رحمته وَسِعَتْ الْمُحْسِنَ من الخلقِ والجاني، وهذه الرَّحْمَةُ الْعَامَّةُ فَإِنَّهَا وَسِعَتْ كُلَّ الْخَلْقِ، حَتَّى الْكُفَّارَ مَرْحُومِينَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلَوْلَا رَحْمَةُ اللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيْهِمُ الْغَيْثُ، وَلَا نَبَعَ لَهُمُ الْمَاءُ، وَلَا أَثْمَرَتْ لَهُمُ الْأَشْجَارُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَحِيمُهُمْ رَحْمَةً بَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَعْبَتِهَا، فَقَالَ: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ءِتَ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، لَكِنَّ الرَّحْمَةَ الْخَاصَّةَ خَاصَّةً بِالَّذِينَ يَتَّقُونَ كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

٥٨٠٠- وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى مَعَا نِيهَا نَعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ

قَوْلُهُ: «وَبِحَقِّ أَسْمَاءِ لَكَ الْحُسْنَى» أَسْمَاءُ اللَّهِ الْحُسْنَى يُتَوَسَّلُ بِهَا إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي»^(١)، هَذَا تَوَسَّلُ إِلَى اللَّهِ بِأَسْمَائِهِ.

(١) أخرجه أحمد (١/٤٥٢، رقم ٤٣١٨).

وأَسَاءَ اللهُ تَعَالَى كَمَا وَصَفَهَا عَزَّ وَجَلَّ حُسْنَى؛ أَي: مُشْتَمَلَةٌ عَلَى أَحْسَنِ الْمَعَانِي وَالْأَوْصَافِ؛ فَمَثَلًا: «الْقَدِيرُ» مِنْ أَسْمَائِهِ، مُتَضَمِّنٌ لِقُدْرَةٍ هِيَ أَكْمَلُ قُدْرَةٍ، لَا يَعْتَرِيهَا الْعَجْزُ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجُوهِ.

وَكذَلِكَ أَيْضًا «الْعَلِيمُ» مِنْ أَسْمَائِهِ مُتَضَمِّنٌ لِلْعِلْمِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى أَنْوَاعِ الْعُلُومِ شَمُولًا وَعُمُقًا، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَقْتَضِيهِ الْعِلْمُ الْكَامِلُ.

قَوْلُهُ: «مَعَانِيهَا نُعُوتُ الْمَدْحِ لِلرَّحْمَنِ»؛ يَعْنِي: هَذِهِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيهَا نِعُوتٌ، وَهَذَا فِيهِ الرَّدُّ عَلَى الْمُعْتَزَلَةِ الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ مَجْرَدُ أَعْلَامٍ لَا تَحْمَلُ مَعَانِي، فَ«عَلِيمٌ، سَمِيعٌ، بَصِيرٌ» مَعْنَاهُ: الْمُسَمَّى بِهَذَا الْإِسْمِ فَقَطْ، لَا مُتَّصِفٌ بِصِفَةِ السَّمْعِ وَالْعِلْمِ وَالْبَصْرِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، فَيَقُولُونَ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ أَعْلَامٌ فَقَطْ، أَمَّا نَحْنُ فَنَقُولُ: إِنَّ أَسْمَاءَ اللهِ أَعْلَامٌ وَأَوْصَافٌ، وَهِيَ بِاعْتِبَارِ دَلَالَتِهَا عَلَى الذَّاتِ مُتْرَادِفَةٌ، وَبِاعْتِبَارِ دَلَالَةِ كُلِّ اسْمٍ مِنْهَا عَلَى مَعْنَاهُ مُتَبَايِنَةٌ، فَاللهُ، وَالرَّحْمَنُ، وَالرَّحِيمُ، وَالسَّمِيعُ، وَالْبَصِيرُ، تَدُلُّ عَلَى ذَاتٍ وَاحِدَةٍ، إِذَنْ هِيَ بِهَذَا الْمَعْنَى مُتْرَادِفَةٌ، لَكِنْ اسْمُ «اللهِ» يَدُلُّ عَلَى الْأَلُوْهِيَّةِ، وَ«الرَّحْمَنُ» عَلَى الرَّحْمَةِ، وَ«الرَّحِيمُ» عَلَى فِعْلِ، وَ«السَّمِيعُ» عَلَى السَّمْعِ، وَ«الْبَصِيرُ» عَلَى الْبَصْرِ، فَهِيَ مِنْ حَيْثُ هَذَا الْمَعْنَى تَكُونُ مُتَبَايِنَةً، كُلُّ اسْمٍ مِنْهَا لَهُ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى الْإِسْمِ الْآخَرِ.

٥٨٠١- وَبِحَقِّ حَمْدِكَ وَهُوَ حَمْدٌ وَاسِعٌ الـ أَكْوَانِ بَلْ أَضْعَافُ ذِي الْأَكْوَانِ

قَوْلُهُ: «بِحَقِّ حَمْدِكَ» إِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِحَمْدِهِ حَمْدَ النَّاسِ إِيَّاهُ فَإِنَّ حَمْدَهُمْ إِيَّاهُ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَيَكُونُ هَذَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّلِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَإِنْ كَانَ الْمُرَادُ بِالْحَمْدِ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْحَمْدَ فَهَذَا مِنْ بَابِ التَّوَسُّلِ بِصِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَ«حَمْدِكَ» الْآنَ مُصَدَّرٌ مُضَافٌ إِمَّا لِلْفَاعِلِ وَإِمَّا لِلْمَفْعُولِ، فَاللهُ -سُبْحَانَهُ- حَامِدٌ وَمُحَمَّدٌ.

وحمْدُ الله تعالى: «مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ الأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا شئتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»^(١).

٥٨٠٢- وَيَأْتِيكَ اللهُ الإِلَهَ الحَقُّ مَعَهُ - بُودُ الوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَن ثَانِ

هذا توَّسَّلُ إلى الله بصفاته، وهو تفرُّدُه بالألوهية؛ ولذا قال: «وَيَأْتِيكَ اللهُ»؛ يعني: وأسألك بأنك الله، فإنَّ الله تعالى متفرِّدٌ بالألوهية مَعْبُودُ الوَرَى مُتَقَدِّسٌ عَن ثَانٍ؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ كَرِيمٌ وَاللَّهُ وَحْدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

٥٨٠٣- بَلْ كُلُّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ فَبَاطِلٌ مِنْ دُونِ عَرْشِكَ لِلثَّرَى التَّحْتَانِي

كُلُّ مَعْبُودٍ مِنَ العَرْشِ إِلَى أَسْفَلِ الثَّرَى سِوَى اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ؛ لقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيكَ اللهُ هُوَ الحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ البَاطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

٥٨٠٤- وَبِكَ المَعَادُ وَلَا مَلَادَ سِوَاكَ أَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ مُلَدِّدٍ لَهْفَانِ

قَوْلُهُ: «وَبِكَ المَعَادُ»؛ يعني: لا نستعيدُ بغيرِكَ؛ والمرادُ: فيما لا يَقْدِرُ عليه إِلَّا اللهُ، وَأَمَّا مَا يَقْدِرُ عليه البَشَرُ فَإِنَّهُ يَصِحُّ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِالإنْسَانِ؛ أي: بالبشرِ منه، لكن ما لا يَقْدِرُ عليه إِلَّا اللهُ لا يمكنُ أَنْ يُسْتَعَاذَ بِأَحَدٍ سِوَاهُ؛ وعلى هذا فَمَنْ استعاذَ بِمِيَّتٍ فهو مشرِكٌ؛ لأنَّ الميِّتَ لا يَقْدِرُ أَنْ يُعِيدَ أَحَدًا؛ إذ كيف يعيده وهو بنفسِه ميِّتٌ؟!

وَقَوْلُهُ: «بِكَ المَعَادُ وَلَا مَلَادَ سِوَاكَ» قَدَّمَ الخَبَرَ لِإِفَادَةِ الحَصْرِ، وَالمَعَادُ؛ يعني: العيادَ، فهو مصدرٌ ميميٌّ؛ يعني أَنَّنَا لا نعوذُ إِلَّا بِكَ، ولا نلوذُ إِلَّا بِكَ، قال أهلُ

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم (٢٨٤٥)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٤٩٤).

العلم: والفرق بين العيادِ والليادِ: أنَّ العيادَ مَّا يُخَافُ، والليادَ مَّا يُرْجَى؛ يعني: إذا كنت ترجو شيئاً فقل: «لذتُ بفلانٍ حتى تحقَّق لي ما أرجوه»، وإذا كنت تخشى من شيءٍ فقل: «عذتُ به حتى يُنجيكَ مَّا نكره»؛ وعلى هذا قال أحدُ الشعراءِ يمدحُ مدوحاً له يقولُ:

يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ مِمَّا أَحَازِرُهُ

لَا يَجْبُرُ النَّاسَ عَظْمًا أَنْتَ كَاسِرُهُ وَلَا يَهَيِّضُونَ عَظْمًا أَنْتَ جَابِرُهُ^(١)

وهذا الوصفُ لا يستحقُّه إلا اللهُ عزَّ وجلَّ.

المهمُّ أنَّه قال: «يَا مَنْ أَلُوذُ بِهِ فِيمَا أُوْمَلُّهُ، وَمَنْ أَعُوذُ بِهِ فِيمَا أَحَازِرُهُ».

قَوْلُهُ: «أَنْتَ عِيَاثٌ»؛ يعني: أنت الذي تُغيثُ، والغوثُ: إزالةُ الشدَّةِ؛ ومنه

دعاؤنا: «اللَّهُمَّ اغْنِنَا»؛ أي: أزل شدتنا.

٥٨٠٥- مَنْ ذَاكَ لِلْمُضْطَرِّ يَسْمَعُهُ سِوَاكَ يُجِيبُ دَعْوَتَهُ مَعَ الْعِضْيَانِ

قَوْلُهُ: «لِلْمُضْطَرِّ» المضطرُّ؛ يعني: الذي أُلجأته الضرورةُ إلى دعاءِ الله.

فإنَّ الله تعالى يجيبُ دعاءه ولو كان عاصياً، قال اللهُ تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ

الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]، وهذا عامٌّ، حتَّى العاصي يُجيبُ اللهُ دعوته؛ لأنَّ

ضرورته جعلته يصدِّقُ في اللُّجوءِ إلى الله فأجاب اللهُ دعوته، وانظر إلى المشركين

إذا غشيهم موجٌ كالظُّلِّ دَعَوْا اللهَ مخلصينَ له الدينَ فلما نجاهم إلى البرِّ أشركوا،

وهو - سبحانه وتعالى - يعلمُ أنَّهم سيُشركون، يُجيبُهُم وهو عالمٌ أنَّهم سيُشركون،

(١) البيتان للمتنبي، كما في محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني

لكن لماذا؟ لضرورتهم وصدق لجوئهم في تلك الحال، يُجيبهم عز وجل لأنه أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فيجيبهم مع علمه بعصيانهم، ومع علمه أنهم سيرجعون إلى شركهم إذا نجوا.

٥٨٠٦- إِنَّا تَوَجَّهْنَا إِلَيْكَ لِحَاجَةٍ تَرْضِيكَ طَالِبَهَا أَحَقُّ مُعَانِ

يعني: أننا توجَّهنا إليك بهذه الأشياء التي توسَّلنا بها لحاجة ترضيك ولا تُغضبك، وطالب هذه الحاجة أحق من يُعان، ثم بدأ المؤلف بما يدعو به فقال:

٥٨٠٧- فَاجْعَلْ قَضَاهَا بَعْضَ أَنْعَمِكَ الَّتِي سَبَعْتَ عَلَيْنَا مِنْكَ كُلَّ زَمَانِ

يعني: اجعل قضاء هذه الحاجة بعض أنعمك التي سبعت علينا؛ أي: تمت وشملت، وإنما قال: «بعض أنعمك»؛ لأنَّ نعمة الله لا تُحصى، لكن ما هذه الحاجة؟ قال:

٥٨٠٨- انْصُرْ كِتَابَكَ وَالرَّسُولَ وَدِينَكَ الـ عَالِي الَّذِي أَنْزَلْتَ بِالْبُرْهَانِ

قوله: «انصر كتابك»، فإن قال قائل: هل يصح أن يقول: «انصر نفسك يا رب»؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلْيَنْصُرْكَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ [الحج: ٤٠]؟ فالجواب: لا، بهذا اللفظ لا؛ لأنَّ المراد بنصر الله نصر الدين الذي ارتضاه والكتاب الذي أنزله؛ ولهذا عدل ابن القيم عن قوله: «انصر نفسك».

قوله: «ودينك العالی»؛ لأنَّ الله يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ لماذا؟ قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [الصَّف: ٩].

قوله: «أنزلت بالبرهان» «البرهان»؛ أي: الدليل، فإن آيات النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلّم- كلها تدلُّ على أنَّ القرآن حقُّ، وأنَّ الدين حقُّ.

هذه الحاجة التي لنا، وهذه يجب أن تكون حاجة لكل مسلم أن ينصر الله تعالى، وأن ينصر كتابه ورسوله ودينه الذي أنزلت بالبرهان.

٥٨٠٩- وَأَخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ وَأَصْطَفَيْتَ مَنِ مَقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَخْتَرْتَهُ دِينًا لِنَفْسِكَ»؛ يعني: وَأَخْتَرْتَ الْإِسْلَامَ دِينًا لِنَفْسِكَ يَدِينُ بِهِ عِبَادُكَ لَكَ؛ وذلك كما في قوله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قَوْلُهُ: «وَأَصْطَفَيْتَ مَقِيمَهُ مِنْ أُمَّةِ الْإِنْسَانِ»، «أَصْطَفَيْتَ مَقِيمَهُ»؛ يعني: مقيم هذا الدين، فمقيم الدين مُصْطَفَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْإِنْسَانِ، وَأَقْوَمُهُمْ بَدِينِ اللَّهِ هُوَ أَعْظَمُهُمْ اصْطِفَاءً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُذِنُ اللَّهُ﴾ [فاطر: ٣٢]، فمقيم هذا الدين هو الرسول -عليه الصلاة والسلام- وأُمَّتُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اصْطَفَاهُمْ عَلَى كُلِّ الْخَلْقِ، وَهَذِهِ الْأُمَّةُ هِيَ الْوَسْطُ مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أَي: عُدُولًا خَيْرًا مِنْ جَمِيعِ الْأُمَمِ.

٥٨١٠- وَرَضِيتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الْوَرَى هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ

قَوْلُهُ: «رَضِيتَهُ دِينًا لِمَنْ تَرْضَاهُ مِنْ هَذَا الْوَرَى»، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وَكُلُّ إِنْسَانٍ وَفَّقَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ قَدْ اخْتَارَهُ.

قَوْلُهُ: «هُوَ قِيَمُ الْأَدْيَانِ» وَلَا شَكَّ أَنَّ أَقْوَمَ الْأَدْيَانِ بِمِصَالِحِ الْعِبَادِ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ وَهَذَا اخْتَارَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَكُونَ دِينًا لِلْعِبَادِ مِنْذُ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى

قيام السّاعة، فلولا أنّه صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ لكان اللهُ -تبارك وتعالى- يُحدِثُ بعد محمّدٍ رسولاً؛ لأنَّ الأزمانَ تتغيَّرُ والأماكنَ تتغيَّرُ، والأُمَمَ تتغيَّرُ، ولكن يجب أن نعلمَ أنّ معنى قولنا: «صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ» أنّ تطبيقه صالحٌ للزمانِ والمكانِ، وليس المعنى أنّه خاضعٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ كما يريدُ بعضُ النَّاسِ، فبعضُ النَّاسِ يقولُ: «صالحٌ لكلِّ زمانٍ ومكانٍ»؛ يعني مثلاً: يتبعُ حاجةَ النَّاسِ، وهذا غلطٌ؛ بل المعنى: أنّ إقامتهِ صالحَةٌ في كُلِّ زمانٍ ومكانٍ، وبين المعنيين فرقٌ؛ لأنّه على القولِ الأوَّلِ يكونُ الدِّينُ ليس له ضوابطُ، بل ربّما يكونُ ديناً في بقعةٍ، وسواه ديناً في بقعةٍ أخرى، أو في زمانٍ دون زمانٍ.

٥٨١١- وَأَقْرَعَ عَيْنَ رَسُولِكَ الْمَبْعُوثِ بِالْأُذُنِ الْحَنِيفِ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِي

قَوْلُهُ: «الْمُتَدَانِي»؛ أَي: الْقَرِيبُ.

قَوْلُهُ: «أَقْرَعَ عَيْنَ رَسُولِكَ» كيف قال: «أَقْرَعَ عَيْنَ رَسُولِكَ بِنَصْرِهِ الْمُتَدَانِي» مع أنّ الرّسولَ ﷺ ميّتٌ؟ الجوابُ عن هذا أن نقول: إنّ الرّسولَ -عليه الصّلاة والسّلام- تُعرَضُ عليه أعمالُ أمّته، فإذا عُرِضَ عليه النّصرُ فلا شكَّ أنّ عينه -صلواتُ الله وسلامه عليه- ستقرُّ بذلك؛ لأنّه يَرْضَى بما يرضاه اللهُ، ولا يَرْضَى بما لا يرضاه اللهُ، هذا توجيهُ كلامِ ابنِ القيمِ رحمه اللهُ.

٥٨١٢- وَأَنْصَرُهُ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ كَمِثْلِ مَا قَدْ كُنْتَ تَنْصَرُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ

أَي: أَنْصَرُ الدِّينَ الْحَنِيفَ بِالنَّصْرِ الْعَزِيزِ «كَمِثْلِ مَا قَدْ كُنْتَ تَنْصَرُهُ بِكُلِّ زَمَانٍ».

إِذْ انتصارُ الفرقةِ الإسلاميّةِ في أيِّ مكانٍ أو زمانٍ هو نصرٌ للرّسولِ ﷺ؛ لأنَّ النّصرَ لا تباعه شهادةٌ بأنَّ دينه حقٌّ، ومن ثمَّ قال العلماءُ رحمهم اللهُ: «إنَّ كراماتِ الأولياءِ آياتٌ لمبوعيهم»، فإذا حصَلَت كراماتٌ لهذه الأُمَّةِ فهي في الحقيقةِ

آيَاتٍ لِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّهَا شَهَادَةٌ مِنْ اللهُ عَلَى أَنْ مَا
حَصَلَتْ لَهُ هَذِهِ الْكِرَامَةُ عَلَى حَقٍّ.

- ٥٨١٣- يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ- خَيْرِ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ
- ٥٨١٤- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدَى لِحِيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ
- ٥٨١٥- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْلَ سَلِّ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ
- ٥٨١٦- يَا رَبِّ وَاحْمِهِمْ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانٍ
- ٥٨١٧- يَا رَبِّ جَنِّبْهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النَّيْرَانِ
- ٥٨١٨- يَا رَبِّ وَاهْدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانٍ
- ٥٨١٩- يَا رَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَانِ
- ٥٨٢٠- وَأَنْصُرْهُمْ يَا رَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ يَا مُنْزِلَ الْقُرْآنِ
- ٥٨٢١- يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ
- ٥٨٢٢- يَا رَبِّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلِّ هَذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الْإِيمَانِ
- ٥٨٢٣- قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
- ٥٨٢٤- وَرَضُوا وَإِلَيْكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانٍ
- ٥٨٢٥- وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَدْيَانِ
- ٥٨٢٦- يَا رَبِّ بَثِّبْتَهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجْعَلْهُمْ هُدَاةَ النَّاسِ الْخَيْرَانِ

- ٥٨٢٧- وَأَنْصُرْ عَلَى حِزْبِ النُّفَاةِ عَسَاكِرِ الْإِثْبَاتِ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ
- ٥٨٢٨- وَأَقِمْ لِأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْأَنْصَارِ وَأَنْصُرْهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ
- ٥٨٢٩- وَاجْعَلْهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أُمَّةً وَأَرْزُقْهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ
- ٥٨٣٠- تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا وَدَعَاوِ الْإِلَهِ النَّاسِ بِالْعُدْوَانِ
- ٥٨٣١- وَأَعِزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنْصُرْهُمْ بِهِ نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ
- ٥٨٣٢- وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ
- ٥٨٣٣- وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ
- ٥٨٣٤- مِلءَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْمَوْجُودِ بَعْدُ وَمُنْتَهَى الْإِمْكَانِ
- ٥٨٣٥- مِمَّا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَمْدًا بِغَيْرِ نِهَايَةٍ بِزَمَانِ
- ٥٨٣٦- وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالنَّسَلِ تَسْلِيمٍ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ
- ٥٨٣٧- وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأَلِيِّ تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدِ الْإِحْسَانِ

الشرح

٥٨١٣- يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ- خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ

وهذا من عدل الناظم رحمه الله؛ حيث قال: «أَنْصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ»، ولم يقل: «أَنْصُرْنَا، أَوْ أَنْصُرْ حِزْبَنَا»، ومن المعلوم أن الله تعالى يعلم من هو خير من الحزبين فينصره على الحزب الآخر الذي هو حزب الضلال، وهذا كقول زعيم قريش حينما تقابل الصفان قال: «اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا الرَّحِمَ، وَأَنَا بَمَا

لَا نَعْرِفُهُ، فَأَخْبِهَ الْغَدَاةَ»^(١)؛ يعني: أَهْلِكَهُ، ومعلومٌ أَنَّ الرَّسُولَ -عليه الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- هو أَوْصَلُهُم لِلرَّحِمِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى الْحَقِّ، فابْنُ الْقِيَمِ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى وَقَالَ: «يَا رَبِّ وَأَنْصُرْ خَيْرَ حِزْبَيْنَا عَلَى حِزْبِ الضَّلَالِ وَعَسْكَرِ الشَّيْطَانِ»، وهذا مِنْ بَابِ مُرَاعَاةِ الْحِصْمِ، وَمِنْ بَابِ الْعَدْلِ.

٥٨١٤- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ شَرَّ حِزْبَيْنَا فِدَى لِيخِيَارِهِمْ وَلِعَسْكَرِ الْقُرْآنِ

وهذا عكسُ الأوَّلِ؛ بَأَن يَنْصُرَ خَيْرَ الْحِزْبَيْنِ، وَيَجْعَلُ شَرَّهُمَا فِدَى لِلْآخِرِ، وَلِذَا نَحْنُ نَقُولُ: آمِينَ، ثُمَّ آمِينَ.

٥٨١٥- يَا رَبِّ وَاجْعَلْ حِزْبَكَ الْمَنْصُورَ أَهْلَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ

لَمَّا سَأَلَ اللَّهُ لَهُمُ النَّصْرَ سَأَلَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مَا بَيْنَهُمْ عَلَى وَجْهِ الْإِسْتِقَامَةِ؛ وَذَلِكَ بَأَن يَكُونُوا أَهْلَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ؛ أَي: تَقَارِبٍ؛ لِأَنَّهُ أحيانًا يَحْصُلُ بَيْنَ الْحِزْبِ الْمَنْصُورِ الَّذِي عَلَى الْحَقِّ يَحْصُلُ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ وَفِرْقَةٌ، فَدَعَا ابْنَ الْقِيَمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- أَنْ يَجْعَلَ هَذَا الْحِزْبَ الْمُبَارَكَ أَهْلَ تَرَاحِمٍ وَتَوَاصُلٍ وَتَدَانٍ.

٥٨١٦- يَا رَبِّ وَاجْمِهِمْ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي قَدْ أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ كُلِّ زَمَانٍ

قَوْلُهُ: «أُحْدِثَتْ فِي الدِّينِ»، أَمَّا الْبِدْعُ الَّتِي أُحْدِثَتْ فِي الدُّنْيَا فَقَدْ تَكُونُ خَيْرًا، لَكِنِ الْبِدْعُ الَّتِي هِيَ شَرٌّ مُحْضٌ هِيَ الْبِدْعُ فِي الدِّينِ، وَيَدُلُّ لِهَذَا أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لَمَّا حَثَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِسُنَّتِهِ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»^(٢).

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٥/٤٣١)، رَقْمُ (٢٤٠٦٠).

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٢٨/٣٧٣)، رَقْمُ (١٧١٤٤). وَأَبُو دَاوُدَ: كِتَابُ السُّنَّةِ، بَابُ فِي لَزُومِ السُّنَّةِ، رَقْمُ

(٤٦٠٧).

٥٨١٧- يَارَبِّ جَنَّبَهُمْ طَرَائِقَهَا الَّتِي تُفْضِي بِسَالِكِهَا إِلَى النَّيْرَانِ

قَوْلُهُ: «جَنَّبَهُمْ طَرَائِقَهَا»؛ أي: طرائق البدع.

وهذا أخذَه من قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «كُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ»^(١)، ولا شكَّ أنَّ صاحبَ البدعِ على خطرٍ؛ لأنَّه يكونُ -والعياذُ بالله- إمامًا في الشرِّ والمخالفةِ في الدِّينِ والابتداعِ فيه.

٥٨١٨- يَارَبِّ وَاهِدِهِمْ بِنُورِ الْوَحْيِ كَيْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَيُظْفَرُوا بِجَنَانِ

٥٨١٩- يَارَبِّ كُنْ لَهُمْ وَلِيًّا نَاصِرًا وَاحْفَظْهُمْ مِنْ فِتْنَةِ الْفِتَانِ

٥٨٢٠- وَأَنْصُرْهُمْ يَارَبِّ بِالْحَقِّ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ يَوْمَ نُزِلَ الْقُرْآنِ

٥٨٢١- يَارَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «يَا رَبِّ إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ» هذا من بابِ التَّوَسُّلِ بالحالِ، أن يتوسَّلَ الإنسانُ إلى الله بحالِهِ، والتَّوَسُّلُ إلى الله بالحالِ جائزٌ، ومنه قولُ موسى عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، فإذا تَوَسَّلَ الإنسانُ بحالِهِ إلى الله فإنَّ هذه الحالُ سببٌ لعطفِ الله عزَّ وجلَّ عليه وعنايته به.

قَوْلُهُ: «هُمُ الْغُرَبَاءُ»؛ يعني: بين أهلِ البدعِ، ولا شكَّ أنَّ أهلَ السُّنَّةِ -جعلنا اللهُ وإياكم منهم- لا شكَّ أنَّهم غرباءُ بين أهلِ البدعِ، وأنَّ أهلَ البدعِ يرمونهم بكُلِّ لقبٍ سيِّئٍ، فابنُ القيمِ -رحمه اللهُ- يقولُ: «إِنَّهُمْ هُمُ الْغُرَبَاءُ قَدْ لَجَّوْا إِلَيْكَ وَأَنْتَ ذُو الْإِحْسَانِ»؛ يعني: فَأَحْسِنُ إِلَيْهِمْ، واحمِهِمْ من أعدائِهِمْ.

(١) أخرجه النسائي: كتاب صلاة العيدين، باب كيف الخطبة، رقم (١٥٧٨).

٥٨٢٢- يَا رَبِّ قَدْ عَادُوا لِأَجْلِكَ كُلِّ هَـ ذَا الْخَلْقِ إِلَّا صَادِقَ الْإِيمَانِ

وهذا هو الواجب؛ أن أهل السنة يُعَادُونَ جميع البشرِ إِلَّا صادقَ الإيمانِ، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تَلْقَوْنَ إِلَيْهِمْ بِأَلْمُودَةِ﴾؛ أي: تجعلونها بين أيديهم ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾ [المتحنة: ١]، فكيف تحبُّون هؤلاء أو تؤادونهم وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق؟!

٥٨٢٣- قَدْ فَارَقُوهُمْ فِيكَ أَحْوَجَ مَا هُمْ دُنْيَا إِلَيْهِمْ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ

يعني: أتهم فارقوا أعداء الله مع أتهم محتاجون إليهم في أمور الدنيا، لكن من أجل رضا الله عادوهم وفارقوهم.

٥٨٢٤- وَرَضُوا وَإِلَيْكَ الَّتِي مَنْ نَالَهَا نَالَ الْأَمَانَ وَنَالَ كُلَّ أَمَانٍ

قَوْلُهُ: «نَالَ الْأَمَانَ»، «الْأَمَانُ» ضِدُّ الْخَوْفِ.

وقَوْلُهُ: «وَنَالَ كُلَّ أَمَانٍ»؛ أي: كُلُّ أَمْنِيَّةٍ؛ أي: كُلُّ ما يَتَمَنَّى، وليس قَوْلُهُ: «كُلُّ أَمَانٍ» الأمان الذي هو ضِدُّ الْخَوْفِ؛ لِئَلَّا يَكُونَ الْبَيْتُ مُكْرَّرًا.

٥٨٢٥- وَرَضُوا بِوَحْيِكَ مِنْ سِوَاهُ وَمَا ارْتَضُوا بِسِوَاهُ مِنْ آرَاءِ ذِي الْهَدْيَانِ

يعني: صاروا يتحاكمون إلى الوحي لا إلى آراء الرجال.

٥٨٢٦- يَا رَبِّ ثَبَّتْهُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَاجِبِ عَلَهُمْ هُدَاةَ التَّائِبِ الْحَيْرَانِ

٥٨٢٧- وَأَنْصُرْ عَلَى حِزْبِ النُّفَاةِ عَسَاكِرَ الْإِثْبَاتِ أَهْلَ الْحَقِّ وَالْعِرْفَانِ

قَوْلُهُ: «حِزْبِ النُّفَاةِ» يُرِيدُ بِهَذَا: نِفَاةَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، سِوَاءَ نَفَوَا ذَلِكَ جِحُودًا وَإِنْكَارًا أَمْ نَفَوَا ذَلِكَ تَحْرِيفًا؛ لِأَنَّ نِفَاةَ الصِّفَاتِ بَعْضُهُمْ يَنْفِيهَا إِِنْكَارًا

وجحدًا؛ كالذين يقولون: «إِنَّ أَخْبَارَ الْآحَادِ لَا تُثَبِّتُ بِهَا الصِّفَاتُ» هذا إنكارٌ، أو تحريفًا؛ إذا عَجَزُوا عن إنكارها حَرَّفُوهَا وَصَرَّفُوهَا عن مرادها، فكلامه -رحمه الله- يشمل النوعين؛ أي: مَنْ نفاها إنكارًا وجحودًا، وَمَنْ نفاها تحريفًا وتأويلًا كما يدَّعي.

٥٨٢٨- وَأَقِمَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ الْـ أَنْصَارِ وَأَنْصَرَهُمْ بِكُلِّ زَمَانٍ

سأل الله أن يُقِيمَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ الْأَنْصَارَ؛ ومنهم السُّلَاطِينُ وَالْأَمْرَاءُ، فَإِنَّهُمْ إِذَا كَانُوا أَنْصَارًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ نَفَعُوا أَهْلَ السُّنَّةِ، وَلَا يَخْفَى عَلَى كَثِيرٍ مِنْكُمْ مَا حَصَلَ لِلْإِمَامِ أَحْمَدَ فِي آخِرِ الْأَمْرِ، لَمَّا تَوَلَّاهُ السُّلْطَانُ، وَصَارَ نَاصِرًا لَهُ انْتَصَرَ الْحَقُّ، وَلَا يَخْفَى أَيْضًا مَا حَصَلَ مِنْ تَوَلَّى الْإِمَامَ مُحَمَّدَ بْنَ سَعُودٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- لِلْإِمَامِ مُحَمَّدِ ابْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ، فَإِنَّ اللَّهَ نَصَرَهُ حَيْثُ نَصَرَهُ الْإِمَامُ.

٥٨٢٩- وَأَجْعَلُهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أَئِمَّةً وَأَرْزُقُهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ

قَوْلُهُ: «وَأَجْعَلُهُمْ لِلْمُتَّقِينَ أَئِمَّةً»، إِمَامَةٌ الْمُتَّقِينَ لَيْسَتْ بِالسَّهْلَةِ، إِمَامَةُ الْمُتَّقِينَ تَحْتَاجُ إِلَى عِبَادَةٍ وَعِلْمٍ وَبَصِيرَةٍ؛ حَتَّى يَكُونَ إِمَامًا بِقَوْلِهِ وَإِمَامًا بِفِعْلِهِ.

قَوْلُهُ: «وَأَرْزُقُهُمْ صَبْرًا مَعَ الْإِيقَانِ»؛ هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ وَكَانُوا بِبَايَعَتِنَا يُوقِنُونَ ﴿[السَّجْدَةُ: ٢٤]﴾، وَمِنْ كَلِمَاتِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ رَحِمَهُ اللَّهُ: «بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ»^(١).

٥٨٣٠- تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا وَدَعَاؤِ إِلَيْهِ النَّاسِ بِالْعُدْوَانِ

قَوْلُهُ: «تَهْدِي بِأَمْرِكَ لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا»؛ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا

(١) انظر: قاعدة في الصبر (ص: ٩٤).

مِنْهُمْ أَيْمَةٌ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴿٥٨٣١﴾؛ يعني: ويهدون النَّاسَ بِأَمْرِنَا؛ أي: بشرعنا، وبأمرنا الكونيِّ أَيضًا ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ وَكَانُوا بِثَابِتِنَا يُوقِنُونَ ﴿[السَّجْدَة: ٢٤]﴾، لَا بِمَا قَدْ أَحَدْتُوا، وَالصَّمِيرُ يَعُودُ عَلَى النَّاسِ؛ أي: أَحَدَثَ النَّاسُ، وليس المرادُ أَحَدَثَ الْأَيْمَةَ؛ لِأَنَّ الْأَيْمَةَ فِي الدِّينِ لَا يُحَدِّثُونَ شَيْئًا فِي دِينِ اللَّهِ.

٥٨٣١- وَأَعَزَّهُمْ بِالْحَقِّ وَانصُرَهُمْ بِهِ نَصْرًا عَزِيزًا أَنْتَ ذُو السُّلْطَانِ قَوْلُهُ: «أَعَزَّهُمْ بِالْحَقِّ»؛ يعني: اجعل لهم الغلبة بالحق.

قَوْلُهُ: «وَانصُرَهُمْ بِهِ»؛ أي: وانصُرْهم بالحق نصرًا عزيزًا؛ وهذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [الفتح: ٣].

٥٨٣٢- وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ فَلَأَنْتَ أَهْلُ الْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ قَوْلُهُ: «وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ...»؛ هذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧١-٧٢].

وَقَوْلُهُ: «وَاعْفِرْ ذُنُوبَهُمْ وَأَصْلِحْ شَأْنَهُمْ»؛ وذلك بالتقوى، والقول السديد.

٥٨٣٣- وَلَكَ الْمَحَامِدُ كُلُّهَا حَمْدًا كَمَا يُرْضِيكَ لَا يَفْنَى عَلَى الْأَزْمَانِ

٥٨٣٤- مِلءَ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ وَالْمَوْجُودِ بَعْدُ وَمُنْتَهَى الْإِمْكَانِ

٥٨٣٥- بِمَا تَشَاءُ وَرَاءَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَمْدًا بِغَيْرِ نِهَائِيَةٍ بِزَمَانِ

نعم، له المحامدُ كُلُّهَا، لَا يَفْنَى أَبَدًا؛ وذلك مأخوذٌ من قولِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «مِلءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلءَ الْأَرْضِ، وَمِلءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلءَ مَا

شَتَّتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ»^(١)، فهو يعلمُ الزَّمانَ والمكانَ.

٥٨٣٦- وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالْتِ تَسْلِيمٍ مِنْكَ وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ

٥٨٣٧- وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا وَالْأَلَى تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدُ بِالْإِحْسَانِ

قَوْلُهُ: «وَعَلَى رَسُولِكَ أَفْضَلُ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمِ» هذا مأخوذٌ من قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

قَوْلُهُ: «وَأَكْمَلُ الرِّضْوَانِ وَعَلَى صَحَابَتِهِ جَمِيعًا» الرِّضْوَانُ عليه وعلى صحابته؛ مأخوذٌ من قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالسَّيِّقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، ولا شكَّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُهَاجِرٌ؛ إِذْ نَ يَدْخُلُ فِي الرِّضْوَانِ.

قَوْلُهُ: «وَالْأَلَى تَبِعُوهُمْ مِنْ بَعْدُ بِالْإِحْسَانِ»؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾.

نسمعُ كثيرًا من بعض المتكلمين بالوعظِ والإرشادِ يقولُ: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَالتَّابِعِينَ»، وهذا لا ينبغي؛ لأنَّه إطلاقٌ لما قيَّده اللهُ، لكن ماذا نقولُ؟

نقولُ: «والتَّابِعِينَ لَهُم بِإِحْسَانٍ» كما قيَّده اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ولكن يُقالُ في العُدْرِ عن هؤلاء: إِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَهُمْ: هل تريدُ التَّابِعِينَ زَمَنًا أَوْ التَّابِعِينَ عَمَلًا بِإِحْسَانٍ؟

(١) أخرجه البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، رقم (٢٨٤٥)، ومسلم: كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، رقم (٢٤٩٤).

لقال: أريدُ الثاني، إلاَّ أنه ينبغي التَّصريحُ بالمرادِ، حتَّى لا ينالَ الإنسانَ شيءٌ من النَّقصِ.

والحقيقةُ: أنَّ هذه القصيدةَ قصيدةٌ رائعةٌ، ولا يُعابُ عليها إلاَّ أنَّ أفهامنا قاصرةٌ دونها، كما أنَّه يكونُ فيها تَكَرُّراً أحياناً من أجلِ تثبيتِ المعاني، والتَّكرارُ من أجلِ التَّثبيتِ، ولأهميَّةِ الموضوعِ أمرٌ مألوفٌ حتَّى في القرآنِ الكريمِ من الأشياءِ المكرَّرةِ معانيها ما هو معلومٌ؛ بل في بعضِ الآياتِ تجدُ التَّكرارَ، بل تجدُ الآيةَ برُمَّتها مكرَّرةً؛ مثل قوله تعالى: ﴿بَتَّأْتِيهَا النَّبِيُّ جَهْدِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظُ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، وكلُّ هذا من أجلِ تثبيتِ الأمورِ المهمَّةِ في أذهانِ النَّاسِ.

وبذلك انتهت القصيدةُ النُّويَّةُ، وعَلَّقْنَا عليها بما فَتَحَ اللهُ به علينا، ونسألُ اللهَ أن ينفَعَ به، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

تَمَّ بِحَمْدِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ الْمُجَلَّدِ الرَّابِعِ وَهُوَ الْأَخِيرُ
مِنْ شَرَحِ الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ فِي الْإِنْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالِحَاتُ
وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ
والتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ

أبياتٌ مختاراتٌ من النونية
بقلم فضيلة الشيخ الشَّارح رحمه الله تعالى

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد سرور العالميه ابتدأنا قراءة التوثيق بقلم الصوريين في الاسبوع من ٢٠ ذي الحجة ١٤١٩
 زان الله أن ينفعنا بذلك، وهذه أبيات مختارات مما يمر بنا جعلناها فصولاً

فصل في مذهب جهم في الصفات

جهم بن صفوان وشيعته الأول	جهم وأصحابه القائلون بالريان
قالوا وليس لربنا سمع ولا	بضر ولا وجه فكيف يدان
كلامه لا وصف يعقوبه سوى	ذات بجمرة بغير معان
وعياته هي نفسه وكلامه	هو غير ما يحب للأبيات
وكلامه مذلان غيراً لأن محض	لوقاله من جملة الزكوان

فصل في مذهب جهم في أفعال العبد

والعبد عندهم فليس يفعل	بل فعله كتحريك الريحان
والجبر مذهب الذي قرئ به	عبد العصاة وشيعة الشيطان
فلذا قال بأن طاعت الذي	وكذلك ما فعل من عسيان
هي عبيد فعل الرب لأفعالهم	فيصعب عندهم عبادة القيان
ففي لقد رتبهم عليها أنكر لا	وصدرها عنهم بنفثان
فيقال ما صعدوا ولا صعدوا ولا	زكوا ولا ذبحوا ولا قربان
الأعلى وجه الميزان لأنها	تقامت بهم كالطعم والأوان

فصل في مذهب جهم في الإيمان

قالوا وأقرب العباد رآه	فلا تهم هو منزه الإيمان
والناس في الإيمان شيء واحد	كالشط عند قمار مثل الاستان

فصل في مذهب جهم في فعل الله

وقضى بأن الله كان معطلا	والفعل مستع بلا إمكان
-------------------------	-----------------------

- وحياة قلب المرد في مشيئتين من
 - ذكر الاله وحيه من غير ذكر
 - من صاعب التعطيل حقا كانتنا
 - يا من تعز عليهم أمروا هم
 - ويرون أن أمامهم يوم القا
 - ما ذا عمدتم ثم ما ذا أقدم
 - ها توأجوا بالسؤال هينوا
 يوزقها يحي مدى الأزمان
 رآك به وهما تمتنعان
 ع الطائر المقصود من طيران
 ويرون غيبا بعد كيهوان
 بترمسأ لتان شاملتان
 تم مع أن بالحق والبرهان
 أيضا صوابا بالحب يدان

٦٠٢
الحص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبيات مختارات من النونية

بقلم فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى

الحمد لله رب العالمين، ابتدأنا قراءة النونية بعد العصر، يومين في الأسبوع، من ٢٠ ذي الحجة ١٣٩١ هـ، نسأل الله أن ينفعنا بها، وهذه أبيات مختارات مما يمر بنا، جعلناها فصولاً.

فصل في مذهب جهم في الصفات

جَهْمُ بْنُ صَفْوَانَ وَشِيعَتُهُ الْأُولَى جَحَدُوا صِفَاتِ الْخَالِقِ الدِّيَانِ
قَالُوا وَلَيْسَ لِرَبِّنَا سَمْعٌ وَلَا بَصَرٌ وَلَا وَجْهٌ، فَكَيْفَ يَدَانِ
كَلًّا، وَلَا وَصْفٌ يَقُومُ بِهِ سِوَى ذَاتِ مُجَرَّدَةٍ بَغَيْرِ مَعَانِ
وَحَيَاتِهِ هِيَ نَفْسُهُ، وَكَلَامُهُ هُوَ غَيْرُهُ فَأَعْجَبَ لِهَذَا الْبُهْتَانِ
وكلامه مذ كان غيراً كان مخد لوقاله من جملة الأكوان

فصل: في مذهب جهم في أفعال العبد

وَالْعَبْدُ عِنْدَهُمْ فَلَيْسَ بِفَاعِلٍ بَلْ فِعْلُهُ كَتَحَرُّكِ الرَّجْفَانِ
وَالجَبْرُ مَذْهَبُهُ الَّذِي قَرَّتْ بِهِ عَيْنُ الْعَصَاةِ، وَشِيعَةُ الشَّيْطَانِ

فَلِذَلِكَ قَالَ بِأَنَّ طَاعَاتِ الْوَرَى هِيَ عَيْنُ فِعْلِ الرَّبِّ لَا أفعالُهُمْ
 وَكَذَلِكَ مَا فَعَلُوهُ مِنْ عَصِيانِ نَفْسِي لِقُدْرَتِهِمْ عَلَيْهَا أَوْلًا
 فَيَصِحُّ عَنْهُمْ عِنْدَ ذَا نَفِيانِ وَيُقَالُ مَا صَامُوا وَلَا صَلَّوْا وَلَا
 وَصُدُّوْهَا عَنْهُمْ بِنَفْسِي نَّانِ زَكَّوْا وَلَا ذَبَحُوا مِنْ الْقُرْبَانِ
 قَامَتْ بِهِمْ كَالطَّعْمِ وَالْأَلْوَانِ إِلَّا عَلَى وَجْهِ الْمَجَازِ؛ لِأَنَّهَا

فصل: في مذهب جهنم في الإيمان

قَالُوا: وَإِقْرَارُ الْعِبَادِ بِأَنَّهُ خَلَقَهُمْ هُوَ مُتْتَهَى الْإِيمَانِ
 وَالنَّاسُ فِي الْإِيمَانِ شَيْءٌ وَاحِدٌ كَالْمُشْطِ عِنْدَ تَمَائِلِ الْأَسْنَانِ

فصل: في مذهب جهنم في فعل الله

وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ كَانَ مُعْطًى ثُمَّ اسْتَحَالَ وَصَارَ مَقْدُورًا لَهُ
 وَالْفِعْلُ مُتْتَبِعٌ بِإِلَّا امْكَانِ بَلْ حَالُهُ سُبْحَانَهُ فِي ذَاتِهِ
 مِنْ غَيْرِ أَمْرٍ قَامَ بِالذِّيَانِ وَقَضَى بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِفَاعِلٍ
 قَبْلَ الْحُدُوثِ وَبَعْدَهُ سَيِّانِ بَلْ فِعْلُهُ الْمَفْعُولُ خَارِجَ ذَاتِهِ
 فِعْلًا يَقُومُ بِهِ بِإِلَّا بُرْهَانِ وَقَضَى بِأَنَّ النَّارَ لَمْ تُخْلَقْ وَلَا
 كَالْوَصْفِ غَيْرِ الذَّاتِ فِي الْحُسْبَانِ جَنَاتٌ عَذِنِ بَلْ هُمَا عَدَمَانِ

فَإِذَا هُمَا خُلِقَا لِيَوْمِ مَعَادِنَا
 وَلَا جَلِ ذَلِكَ لَمْ يُقَرَّ الْجَهْمُ بِالْ
 لَكِنَّهَا مِنْ بَعْضِ أَعْرَاضِ بِهَا
 وَقَضَى عَلَى أَسْمَائِهِ بِخُدُوثِهَا
 فَانظُرْ إِلَى تَعْطِيلِهِ الْأَوْصَافِ وَالْ
 وَلِذَا تَقَسَّمَتِ الطَّوَائِفُ قَوْلَهُ
 لَمْ يَنْجُ مِنْ أَقْوَالِهِ طُرًّا سِوَى

فَهَمَا عَلَى الْأَوْقَاتِ فَايْتَيَانِ
 أَرْوَاحٍ خَارِجَةً عَنِ الْأَبْدَانِ
 قَامَتْ، وَذَا فِي عَايَةِ الْبُطْلَانِ
 وَبِخَلْقِهَا مِنْ جُمَّلَةِ الْأَكْوَانِ
 أَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ لِلرَّحْمَنِ
 وَتَوَارُثُوهُ إِزْثَ ذِي الشُّهُمَانِ
 أَهْلُ الْحَدِيثِ وَشِيعَةِ الْقُرْآنِ

فصل: في مقدمة قبل التحكيم

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُرِيدُ نَجَاتَهُ
 كُنْ فِي أُمُورِكَ كُلِّهَا مُتَمَسِّكًا
 وَأَنْصُرْ كِتَابَ اللَّهِ وَالسُّنَنَ الَّتِي
 وَائْتَبْتُ بِصَبْرِكَ تَحْتَ أَلْوِيَةِ الْهُدَى
 وَتَعَرَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ مَنْ يَلْبَسُهُمَا
 ثَوْبٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ فَوْقَهُ
 وَتَحَلَّ بِالْإِنْصَافِ أَفْخَرِ حُلَّةٍ
 وَالْحَقُّ مَنْصُورٌ وَمُمتَحَنٌ، فَلَا

اسْمَعْ مَقَالَةَ نَاصِحٍ مِعْوَانِ
 بِالْوَحْيِ لَا بِزَخَارِفِ الْهَدْيَانِ
 جَاءَتْ عَنِ الْمَبْعُوثِ بِالْقُرْآنِ
 فَإِذَا أَصَبْتَ فِي رِضَا الرَّحْمَنِ
 يَلْقَ الرَّدَى بِمَدْمَمَةٍ وَهَوَانِ
 ثَوْبُ التَّعْصَبِ، بِشَسْتِ الثُّوبَانِ
 زِينَتِ بِهَا الْأَعْطَافُ وَالْكَتِفَانِ
 تَعَجَّبْ؛ فَهَذِي سُنَّةُ الرَّحْمَنِ

وَيَذَاكَ يَظْهَرُ حِزْبُهُ مِنْ حَرْبِهِ
 لَكِنَّمَا الْعُقْبَى لِأَهْلِ الْحَقِّ إِنَّ
 وَاجَعَلْ لِقَلْبِكَ هِجْرَتَيْنِ، وَلَا تَنْمِ
 فَالْهِجْرَةُ الْأُولَى إِلَى الرَّحْمَنِ بِالْ
 وَالْهِجْرَةُ الْأُخْرَى إِلَى الْمَبْعُوثِ بِالْ
 وَشَجَاعَةِ الْفُرْسَانِ نَفْسُ الزُّهْدِ فِي
 وَشَجَاعَةِ الْحُكَّامِ وَالْعُلَمَاءِ زُهْدِ
 وَاجَعَلْ لِقَلْبِكَ مُقَلَّتَيْنِ، كِلَاهُمَا
 فَانظُرْ بَعَيْنِ الْحُكْمِ وَازْجَمُهُمْ بِهَا
 وَانظُرْ بَعَيْنِ الْأَمْرِ وَاحْمِلُهُمْ عَلَى
 وَاحْذَرُ كَمَا إِنَّ نَفْسِكَ اللَّائِي مَتَى
 وَإِذَا انْتَصَرْتَ لَهَا فَأَنْتَ كَمَنْ بَغَى

وَلَا أَجَلَ ذَاكَ النَّاسُ طَائِفَتَانِ
 فَاتَتْ هُنَا كَانَتْ لَدَى الدِّيَانِ
 فَهَمَّا عَلَى كُلِّ امْرِيٍّ فَرَضَانِ
 إِخْلَاصِ فِي سِرٍّ، وَفِي إِعْلَانِ
 حَقِّ الْمُبِينِ وَوَأَضِحَ الْبُرْهَانِ
 نَفْسِ، وَذَا مَحْدُورٌ كُلُّ جَبَانِ
 دُّ فِي الثَّمَانِ مِنْ كُلِّ ذِي بَطْلَانِ
 بِالْحَقِّ فِي ذَا الْخَلْقِ نَاطِرَتَانِ
 إِذْ لَا تُرَدُّ مَشِيئَةُ الدِّيَانِ
 أَحْكَامِهِ، فَهَمَّا إِذَنْ نَظَرَانِ
 خَرَجَتْ عَلَيْكَ كُسْرَتَ كَسْرٍ- مُهَانِ
 طَفِي الدُّخَانِ بِمَوْقِدِ النَّيرَانِ

فصل: في عقد مجلس التعكيم

فَاجْلِسْ إِذَنْ فِي مَجْلِسِ الْحَكَمَيْنِ لِلرِّ
 الْأَوَّلِ النَّقْلِ الصَّحِيحِ، وَبَعْدَهُ الْ
 رَحْمَنِ، لَا لِلنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ
 عَقْلِ الصَّرِيحِ وَفِطْرَةِ الرَّحْمَنِ

وَاحْكُمُ إِذْنَ فِي رُفْقَةٍ قَدْ سَافَرُوا يَبْعُونَ فَاطِرَ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
فَتَرَفَّقُوا فِي سَبِيلِهِمْ، وَتَفَارَقُوا عِنْدَ افْتِرَاقِ الطَّرِيقِ بِالْحَيْرَانِ

فَصْلٌ: فِي قُدُومِ الرِّكْبِ الْأَوَّلِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ

فَأَتَى فَرِيقٌ ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ هَذَا الْوُجُودَ بِعَيْنِهِ وَعِيَانِ
فَهُوَ السَّمَاءُ بِعَيْنِهَا وَنُجُومُهَا وَكَذَلِكَ الْأَفْلاكُ وَالْقَمَرَانِ
وَالْكُفْرُ عِنْدَهُمْ هُدًى، وَلَوْ أَنَّهُ دِينَ الْمَجُوسِ وَعَابِدِي الْأَوْثَانِ
قَالُوا: وَمَا عَبَدُوا سِوَاهُ، وَإِنَّمَا ضَلُّوا بِمَا خَصُّوا مِنَ الْأَعْيَانِ
لَوْ أَنَّهُمْ عَمُوا وَقَالُوا: كُلُّهَا مَعْبُودَةٌ مَا كَانَ مِنْ كُفْرَانِ
فَالْكُلُّ عَيْنُ اللَّهِ عِنْدَ مُحَقِّقِ وَالْكُلُّ مَعْبُودٌ لِذِي الْعِرْفَانِ
يَا أُمَّةً مَعْبُودَهَا مَوْطُؤُوهَا أَيَّنَ الْإِلَهِ، وَتُغْرَةُ الطَّعَّانِ؟

فَصْلٌ: فِي قُدُومِ رَكْبِ آخِرٍ، وَهُمْ حُلُولِيَّةُ الْجَهْمِيَّةِ

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَالَ: وَجَدْتُهُ بِالذَّاتِ مَوْجُودًا بِكُلِّ مَكَانِ
هُوَ كَالهَوَاءِ بِعَيْنِهِ لَا عَيْنُهُ مَلَأَ الْحَلَاءَ، وَلَا يُرَى بِعِيَانِ
وَلَهُمْ مَقَالَاتٌ ذَكَرْتُ أَصُولَهَا لَمَّا ذَكَرْتُ الْجَهْمَ فِي الْأَوْزَانِ

فصل: في قدوم ركب آخر، وهم معطلة الجهمية

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَارَبَ وَضَعُهُ هَذَا، وَلَكِنْ جَدَّ فِي الْكُفْرَانِ
فَأَسْرَّ قَوْلَ مُعْطَلٍ وَمُكْذِبٍ فِي قَالِبِ التَّنْزِيهِ لِلرَّحْمَنِ
إِذْ قَالَ: لَيْسَ بِدَاخِلٍ فِينَا وَلَا هُوَ خَارِجٌ عَنِ جُمْلَةِ الْأَكْوَانِ
بَلْ قَالَ: لَيْسَ بِبَائِنٍ عَنْهَا وَلَا فِيهَا، وَلَا هُوَ عَيْنُهَا بَيِّنَانِ
وَاللَّهُ مَا يَرْضَى بِهَذَا خَائِفٌ مِنْ رَبِّهِ أَمْسَى عَلَى الْإِيمَانِ
وَاللَّهُ مَا بُلِيَ الْمُجَسِّمُ قَطُّ ذِي الْ بَلْوَى وَلَا أَمْسَى بِذِي الْخُدْلَانِ

فصل: في قدوم ركب آخر، وهم الدهرية

وَأَتَى فَرِيقٌ، ثُمَّ قَارَبَ وَضَعُهُ هَذَا، وَزَادَ عَلَيْهِ فِي الْمِيمِزَانِ
قَالَ: اسْمَعُوا يَا قَوْمُ لَا تُنْهِيَكُمُوا هَذِي الْأَمَانِي هُنَّ شَرُّ أَمَانِ
فَتَشْتُ فَوْقَ وَتَحْتَ، ثُمَّ أَمَانَنَا وَوَرَاءَ، ثُمَّ يَسَارَ مَعَ أَيَّمَانِ
مَا دَلَّنِي أَحَدٌ عَلَيْهِ هُنَاكُمُوا كَلًّا، وَلَا بَشَرٌ إِلَيْهِ هَدَانِي
إِلَّا طَوَائِفُ بِالْحَدِيثِ تَمَسَّكَتْ تَعْزِي مَذَاهِبَهَا إِلَى الْقُرْآنِ
فَسَأَلْتُ عَنْهُمْ رُفْقَتِي وَأَجْبَتِي أَصْحَابَ جَهَمٍ حِزْبَ جِنَكِرْ خَانِ
مَنْ هُوَ لَاءٍ وَمَنْ يُقَالُ لَهُمْ؟ فَقَدْ جَاؤُوا بِأَمْرِ مَالِي الْأَذَانِ

جَاؤُوكُمْوَا بِالْوَحْيِ لَكِنْ جِئْتُمْوَا
 قَالُوا: مُشَبَّهَةٌ مُجَسَّمَةٌ، فَلَا
 فَإِذَا ابْتُلِيَتْ بِهِمْ فَعَالِطُهُمْ عَلَى الْا
 وَكَذَلِكَ غَالِطُهُمْ عَلَى التَّكْذِيبِ لِلد
 وَإِذَا اجْتَمَعْتَ وَهُمْ بِمَجْلِسٍ مُشْهَدٍ
 هَذَا الَّذِي وَاللَّهِ أَوْصَانَا بِهِ
 فَرَجَعْتُ مِنْ سَفَرِي، وَقُلْتُ لِصَاحِبِي
 عَطَّلْ رِكَابَكَ وَاسْتَرِحْ مِنْ سَيْرِهَا
 مَا نَمَّ فَوْقَ الْعَرْشِ مِنْ رَبِّ وَلَمْ
 فَدَعَ الْحَلَالَ مَعَ الْحَرَامِ لِأَهْلِيهِ
 وَاقْطَعْ عِلَاقَتَكَ الَّتِي قَدْ قَيَّدَتْ
 لِتَصِيرَ حُرًّا لَسْتَ تَحْتَ أَوْامِرٍ
 فَذَرُوا الْمِرَاءَ، وَصَرَّحُوا بِمَذَاهِبِ الْا
 أَوْ قَاتِلُوا مَعَ أُمَّةِ التَّجْسِيمِ وَالْتَشْ
 أَوْ لَا فَالَا تَتَلَاَعَبُوا بِعُقُولِكُمْ
 فَجَمِيعُهَا قَدْ صَرَّحَتْ بِصِفَاتِهِ

بُنْحَاتَةِ الْأَفْكَارِ وَالْأَذْهَانِ
 تَسْمَعُ مَقَالَ مُجَسِّمِ حَيَوَانِ
 تَأْوِيلِ لِلْأَخْبَارِ وَالْقُرْآنِ
 أَخْبَارِ، ذَانِ لِصَاحِبِنَا أَصْلَانِ
 فَأَبْدُرُ بِإِيرَادِ وَشَغْلِ زَمَانِ
 أَشْيَاخُنَا فِي سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 وَمَطِيَّتِي قَدْ آذَنْتُ بِحِرَانِ
 مَا نَمَّ شَيْءٌ غَيْرُ ذِي الْأَكْوَانِ
 يَتَكَلَّمُ الرَّحْمَنُ بِالْقُرْآنِ
 فَهِيَ السِّيَاحُ لَهُمْ عَلَى الْبُسْتَانِ
 هَذَا الْوَرَى مِنْ سَالِفِ الْأَزْمَانِ
 كَلًّا، وَلَا نَهْيِي، وَلَا فُرْقَانِ
 قُدَمَاءِ، وَأَنْسَلِخُوا مِنَ الْإِيمَانِ
 بِهِ تَحْتَ لِيَوَاءِ ذِي الْقُرْآنِ
 وَكِتَابِكُمْ، وَسَائِرِ الْأَدْيَانِ
 وَكَلَامِهِ، وَعُلُوِّهِ بَيَانِ

وَالنَّاسُ بَيْنَ مُصَدِّقٍ أَوْ جَاحِدٍ
يَا وَيْحَ جَهْمٍ وَابْنِ دِرْهَمٍ وَالْأُولَى
بَقِيَّتْ مِنَ التَّشْبِيهِ فِيهِ بَقِيَّةٌ
يَنْفِي الصِّفَاتِ مَخَافَةَ التَّجْسِيمِ لَا
وَيَقُولُ إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى
وَبِنْفِيهِ التَّجْسِيمِ يَضْرُخُ فِي الْوَرَى
لَكِنَّا قُلْنَا: مُحَالٌ كُلُّ ذَا
أَوْ بَيْنَ ذَلِكَ أَوْ شَبِيهُهُ أَتَانِ
قَالُوا بِقَوْلِهِمَا مِنَ الْخُورَانِ
نَقَضَتْ قَوَاعِدَهُ مِنَ الْأَرْكَانِ
يَلْوِي عَلَى خَيْرٍ وَلَا قُرْآنِ
وَكَذَاكَ يَعْلَمُ سِرَّ كُلِّ جَنَانِ
وَاللَّهُ مَا هَذَا مِنْ مُتَّفَقَانِ
حَذَرًا مِنَ التَّجْسِيمِ وَالْإِمْكَانِ

فصل: في قدوم ركب أهل العلم والإيمان

وَأَتَى فَرِيْقُو، ثُمَّ قَالَ: أَلَا اسْمَعُوا
مِنْ أَرْضِ طَيْبَةَ مِنْ مُهَاجِرِ أَحْمَدِ
سَافَرْتُ فِي طَلَبِ الْإِلَهِ فَدَلَّنِي أَلِ
مَعَ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ
شَهِدُوا بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ
وَهُوَ الْإِلَهِ الْحَقُّ لَا مَعْبُودَ إِلَّا
وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ
قَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ مَطْلَعِ الْإِيمَانِ
بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ وَالتَّبَيَّانِ
سَهَادِي عَلَيْهِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ
وَصَرِيحِ عَقْلِي، فَاعْتَلَى بَيَّانِ
مُتَّفَرِّدًا بِالْمُلْكِ وَالسُّلْطَانِ
لَا وَجْهَهُ الْأَعْلَى الْعَظِيمُ الشَّانِ
مَعَ ذَلِكَ عَابِدِهِ، هُمَا قُطْبَانِ

وَالنَّاسُ بَعْدُ فَمُشْرِكٌ بِاللَّهِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ يَرَى وَيَسْمَعُ خَلْقَهُ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ بِمَا يَكُونُ غَدًا وَمَا
 وَهُوَ الْقَدِيرُ، فَكُلُّ شَيْءٍ فَهُوَ مُقَدَّرٌ
 وَلَهُ الْحَيَاةُ كَمَا لَهَا فَلِأَجْلِ ذَلِكَ
 وَكَذَلِكَ الْقِيُومُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 وَلَهُ الْإِرَادَةُ وَالْكَرَاهَةُ وَالرِّضَا
 وَلَهُ الْكَمَالُ الْمَطْلُوقُ الْعَارِي عَنِ النَّاسِ
 وَكَمَالٌ مَنْ أُعْطِيَ الْكَمَالَ لِنَفْسِهِ
 وَاللَّهُ رَبِّي لَمْ يَزَلْ مُتَكَلِّمًا
 صِدْقًا وَعَدْلًا أَحْكَمَتْ كَلِمَاتُهُ
 وَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ عَيْنُ كَلَامِهِ الَّتِي
 لَكِنَّ أَصْوَاتَ الْعِبَادِ وَفِعْلَهُمْ
 هَدَى مَقَالَةً أَحْمَدٍ وَمُحَمَّدٍ
 إِحْدَاهُمَا زَعَمَتْ بِأَنَّ كَلَامَهُ
 وَالْآخَرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا شَطْرُهُ
 أَوْ ذُو ابْتِدَاعٍ، أَوْ لَهُ الْوَصْفَانِ
 مِنْ فَوْقِ عَرْشِهِ، فَوْقَ سِتِّ ثَمَانِ
 قَدْ كَانَ وَالْمَعْلُومِ فِي ذَا الْآنِ
 دُورٌ لَهُ طَوَّعًا بِإِلَّا عِضْيَانِ
 مَا لِلْمَمَاتِ عَلَيْهِ مِنْ سُلْطَانِ
 مَا لِلْمَنَامِ لَدَيْهِ مِنْ غِشْيَانِ
 وَلَهُ الْمَحَبَّةُ، وَهُوَ ذُو الْإِحْسَانِ
 تَشْبِيهِهِ وَالتَّمثِيلِ بِالْإِنْسَانِ
 أَوْلَى وَأَقْدَمُ، وَهُوَ أَعْظَمُ شَأْنِ
 وَكَلَامُهُ الْمَسْمُوعُ بِالْأَذَانِ
 طَلَبًا وَإِخْبَارًا بِإِلَّا نَقْصَانِ
 مَسْمُوعٍ مِنْهُ حَقِيقَةٌ بَيِّنَانِ
 كَمَا دَادِهِمْ وَالرَّقِّ مَخْلُوقَانِ
 وَخُصُومُهُمْ مِنْ بَعْدِ طَائِفَتَانِ
 خَلَقَ لَهُ الْفَاطَةُ وَمَعَانِي
 خَلْقٍ، وَشَطْرٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ

زَعَمُوا الْقُرْآنَ عِبَارَةً وَحِكَايَةً
 هَذَا الَّذِي تَتْلُوهُ مَخْلُوقٌ كَمَا
 وَالْآخِرُ الْمَعْنَى الْقَدِيمُ فَقَائِمٌ
 وَدَلِيلُهُمْ فِي ذَلِكَ قَوْلٌ قَالَهُ
 وَالْخُلْفُ بَيْنَهُمْ فَقِيلَ مُحَمَّدٌ
 وَالْآخِرُونَ أَبَوْا وَقَالُوا: إِنَّمَا
 وَتَكَايَسَتْ أُخْرَى، وَقَالَتْ: إِنَّهُ
 قُلْنَا كَمَا زَعَمُوهُ قُرْآنَانِ
 قَالَ الْوَلِيدُ وَبَعْدَهُ الْفِتْنَانِ
 بِالنَّفْسِ لَمْ يَسْمَعْ مِنَ الدِّيَانِ
 فِيهَا يُقَالُ الْأَخْطَلُ النَّصْرَانِي
 أَنْشَأَهُ تَعْبِيرًا عَنِ الْقُرْآنِ
 جِرِيْلُ أَنْشَأَهُ عَنِ الْمَنَانِ
 نَقَلَ مِنَ اللَّوْحِ الرَّفِيعِ الشَّانِ

فصل: في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن

وَإِذَا أَرَدْتَ مَجْمَعَ الطُّرُقِ الَّتِي
 فَمَدَارُهَا أَضْلَانٍ قَامَ عَلَيْهِمَا
 هَلْ قَوْلُهُ بِمَشِيئَةٍ أَمْ لَا؟ وَهَلْ
 أَضْلًا اخْتِلَافٍ بِجَمِيعِ أَهْلِ الْأَرْضِ فِي الْأُ
 ثُمَّ الْأُلَى قَالُوا بِغَيْرِ مَشِيئَةٍ
 إِحْدَاهُمَا جَعَلْتَهُ مَعْنَى قَائِمًا
 وَاللَّهُ أَحَدٌ هَذِهِ الْأَلْفَاظُ كُنِي
 فِيهَا افْتِرَاقُ النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ
 هَذَا الْخِلَافُ هُمَا لَهُ رُكْنَانِ
 فِي ذَاتِهِ أَمْ خَارِجٌ؟ هَذَانِ
 قُرْآنٍ، فَاطْلُبْ مُقْتَضَى الْبُرْهَانِ
 وَإِرَادَةَ مِنْهُ، فَطَائِفَتَانِ
 بِالنَّفْسِ، أَوْ قَالُوا بِخَمْسِ مَعَانِ
 تُبْدِيهِ مَعْقُولًا إِلَى الْأَذْهَانِ

وَكَذَلِكَ اخْتَلَفُوا فَقِيلَ حِكَايَةٌ
وَالْآخَرُونَ يَرَوْنَ هَذَا الْبَحْثَ لَفًّا
وَالْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَقَالَتْ: إِنَّهُ
وَاللَّفْظُ كَالْمَعْنَى، قَدِيمٌ قَائِمٌ
فَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَا مَسْبُوقَةٌ
وَالْقَائِلُونَ بِذَا فَقَالُوا إِنَّهَا
وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ
إِحْدَاهُمَا جَعَلْتُهُ خَارِجَ ذَاتِهِ
فَالْقَوْلُ مَفْعُولٌ لَدَيْهِمْ قَائِمٌ
قَالُوا: وَصَارَ كَلَامُهُ بِإِضَافَةِ التَّو
هَدِي مَقَالَةٌ كُلُّ جَهْمِيٍّ وَهُمْ
لَكِنَّ أَهْلَ الْإِعْتِزَالِ قَدِيمَهُمْ
لَكِنَّمَا مُتَأَخَّرُوا وَهُمْ بَعْدَ ذَا
وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّهُ بِمَشِيئَةٍ
إِحْدَاهُمَا جَعَلْتُهُ مَبْدُوءًا بِهِ
هَدِي مَقَالَاتُ ابْنِ كَرَّامٍ وَمَا

عَنْهُ، وَقِيلَ عِبَارَةٌ لِيَبَّانِ
ظِيًّا، وَمَا فِيهِ كَبِيرٌ مَعَانِ
لَفْظٌ وَمَعْنَى، لَيْسَ يَنْفَصِلَانِ
بِالنَّفْسِ لَيْسَ بِقَابِلِ الْجِدْثَانِ
لَكِنَّ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ
تَرْتِيبُهُمَا بِالسَّمْعِ وَالْأَذَانِ
وَإِرَادَةٌ أَيْضًا، فَهُمْ صِنْفَانِ
كَمَشِيئَةٍ لِلْخَلْقِ وَالْأَكْوَانِ
بِالْغَيْرِ كَالْأَعْرَاضِ وَالْأَلْوَانِ
تَشْرِيفٌ مِثْلَ الْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ
فِيهَا الشُّيُوخُ مُعَلَّمُو الصَّبِيَّانِ
لَمْ يَذْهَبُوا ذَا الْمَذْهَبِ الشَّيْطَانِي
قَدْ وَافَقُوا جَهْمًا عَلَى الْكُفْرَانِ
فِي ذَاتِهِ أَيْضًا فَهُمْ نَوْعَانِ
نَوْعًا حِدَارًا تَسْلُسُلِ الْأَعْيَانِ
رَدُّوا عَلَيْهِ قَطُّ بِالْبُرْهَانِ

وَالْآخَرُونَ أَوْلُو الْحَدِيثِ كَأَحْمَدٍ
 قَالُوا بِأَنَّ اللَّهَ حَقًّا لَمْ يَزَلْ
 وَاللَّهُ قَالَ وَقَائِلٌ، وَكَذَا يَقُو
 وَمُحَمَّدٍ وَأَيْمَّةَ الْإِيمَانِ
 مُتَكَلِّمًا بِمَشِيئَةٍ وَيَبَيِّنُ
 لُ الْحَقِّ، لَيْسَ كَلَامُهُ بِالْفَانِي

فصل

وَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَلَامِ كَذَلِكَ الْ
 فَرِسَالَةُ الْمَبْعُوثِ تَبْلِيغُ كَلَا
 وَحَقِيقَةُ الْإِرْسَالِ نَفْسُ خِطَابِهِ
 نَوْعٌ بَغَيْرِ وَسَاطَةِ كَلَامِهِ
 وَالْآخِرُ التَّكْلِيمُ مِنْهُ بِالْوَسَا
 وَحِيٍّ وَإِرْسَالٍ إِلَيْهِ، وَذَلِكَ فِي الشُّ
 وَإِذَا انْتَفَتِ صِفَةُ الْكَلَامِ فَضِدُّهَا
 فَلَعَيْنَ زَعَمْتُمْ أَنَّ ذَلِكَ فِي الَّذِي
 وَالرَّبُّ لَيْسَ بِقَابِلٍ صِفَةَ الْكَلَا
 فَيَقَالُ: سَلْبُ كَلَامِهِ وَقَبُولُهُ
 إِذْ أَخْرَسُ الْإِنْسَانَ أَكْمَلُ حَالَةً
 إِرْسَالٍ مَنْفِيٍّ بِلَا فُرْقَانٍ
 مَ الْمُرْسِلِ الدَّاعِي بِلَا نُقْصَانٍ
 لِلْمُرْسَلِينَ وَإِنَّهُ نَوْعَانِ
 مُوسَى وَجِبْرِيلَ الْقَرِيبَ الدَّانِي
 طَةً، وَهُوَ أَيْضًا عِنْدَهُ ضَرْبَانِ
 شُورَى آتَى فِي أَحْسَنِ التَّبْيَانِ
 خَرَسٌ، وَذَلِكَ غَايَةُ النُّقْصَانِ
 هُوَ قَابِلٌ مِنْ أُمَّةِ الْحَيَوَانِ
 مِ فَنَفِيَّهَا مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
 صِفَةَ الْكَلَامِ أَتَمُّ لِلنُّقْصَانِ
 مِنْ ذَا الْجَمَادِ بِأَوْضَحِ الْبُرْهَانِ

فَجَحَدَتْ أَوْصَافَ الْكَمَالِ مَخَافَةَ التَّوْبِ
وَوَقَعَتْ فِي تَشْبِيهِهِ بِالنَّاقِصَا
تَجَسِّمِ وَالتَّشْبِيهِ بِالْإِنْسَانِ
تِ الْجَامِدَاتِ، وَذَا مِنْ الْخِذْلَانِ

فُصِّلْ

وَاللَّهُ أَخْبَرَ فِي الْكِتَابِ بِأَنَّهُ
عَيْنٌ وَوَصَفُ قَائِمٌ بِالْعَيْنِ فَالْ
وَالْوَصْفُ بِالْمَجْرُورِ قَامَ لِأَنَّهُ
وَنَظِيرُ ذَا أَيْضًا سِوَاءَ مَا يُضَا
فَانظُرْ إِلَى بَيْتِ الْإِلَهِ وَعِلْمِهِ
وَتِلَاوَةُ الْقُرْآنِ أَفْعَالٌ لَنَا
لِكِنَّمَا الْمَمْتَلُوءُ وَالْمَكْتُوبُ وَالْ
هَذَا الَّذِي نَصَّتْ عَلَيْهِ أُمَّةُ الْ
مِنْهُ وَجَمْرُورٌ بِـ (مِنْ) نَوْعَانِ
أَعْيَانُ خَلْقِ الْخَالِقِ الرَّحْمَنِ
أُولَى بِهِ فِي عُرْفِ كُلِّ لِسَانِ
فُ إِلَيْهِ مِنْ صِفَةِ وَمِنْ أَعْيَانِ
لَمَّا أُضِيفَا كَيْفَ يَفْتَرِقَانِ
وَكَذَا الْكِتَابَةُ، فَهِيَ خَطُّ بَنَانِ
مَحْفُوظٌ قَوْلُ الْوَاحِدِ الرَّحْمَنِ
إِسْلَامِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْعِرْفَانِ

فُصِّلْ

وَأَتَى ابْنُ سِينَا الْقُرْمِطِيُّ مُصَانِعًا
فَرَأَهُ فَيَضًا فَاصٌّ مِنْ عَقْلِ هُوَ الْ
حَتَّى تَلَقَّاهُ زَكِيٌّ فَاصِلٌ
لِلْمُسْلِمِينَ بِإِفْكِ ذِي بُهْتَانِ
فَعَالٌ عَلَّةٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
حَسَنُ التَّخْيِيلِ جَيِّدُ التَّبْيَانِ

فَأَتَى بِهِ لِلْعَالَمِينَ خَطَابَةً وَمَوَاعِظًا عَرِيَّتْ عَنِ الْبُرْهَانِ

فصل

وَأَنْتَ طَوَائِفُ الْإِتِّحَادِ بِمِلَّةٍ
قَالَتْ: كَلَامُ اللَّهِ كُلُّ كَلَامٍ هَـ
هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ أَضْلُهُمْ
إِذْ أَضْلَهُمْ أَنَّ الْإِلَهَ حَقِيقَةٌ
فَاعْطَفُ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ الْمُغْلِ الْأَلَى
أَفْسَدْتُمْ الْمَعْقُولَ وَالْمَنْقُولَ وَالْأَيُّ
أَيُّ صَحَّ وَصَفُ الشَّيْءِ بِالْمُشْتَقِّ لِلْأَيُّ
أَيُّ صَحَّ صَبَّارٌ وَلَا صَبْرٌ لَهُ
وَمُخَالَفُ الْمَعْقُولِ وَالْمَنْقُولِ وَالْأَيُّ
مَنْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ
وَالسَّيْنُ عِنْدَ الْبَاءِ لَيْسَتْ بَعْدَهَا
أَوْ قَالَ: إِنَّ كَلَامَهُ سُبْحَانَهُ
وَكَلَامَهُ كَحَيَاتِهِ مَا ذَاكَ مَقْدُ

طَمَّتْ عَلَى مَا قَالَ كُلُّ لِسَانٍ
ذَا الْخَلْقِ مِنْ جِنٍّ وَمِنْ إِنْسَانٍ
وَعَلَيْهِ قَامَ مُكَسِّحُ الْبُنْيَانِ
عَيْنُ الْوُجُودِ وَعَيْنُ ذِي الْأَكْوَانِ
خَرَقُوا سِيَاحَ الْعَقْلِ وَالْقُرْآنِ
مَسْمُوعٍ مِنْ لُغَةٍ بِكُلِّ لِسَانٍ
مَسْلُوبٍ مَعْنَاهُ لِذِي الْأَذْهَانِ
وَيَصِحُّ شَكَارٌ بِلَا شُكْرَانِ
فِطْرَاتٍ وَالْمَسْمُوعِ لِلْإِنْسَانِ
وَصَفٌ قَدِيمٌ، أَحْرَفٌ وَمَعَانٍ
لَكِنْ هُمَا حَرْفَانِ مُقْتَرَنَانِ
مَعْنَى قَدِيمٌ قَامَ بِالرَّحْمَنِ
دُورًا لَهُ، بَلْ لَازِمُ الرَّحْمَنِ

لَا تَنْصُرَنَّ سِوَى الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ
وَتَحْيَى زَنِّ إِلَيْهِمْ لَا غَيْرِهِمْ
هَذَا وَقَدْ فَطَرَ إِلَاهُ عِبَادَهُ
أَوْلَسْتَ تَسْمَعُ قَوْلِ كُلِّ مُوَحِّدٍ
مِنْ غَيْرِ انْكَارٍ عَلَيْهِمْ فِطْرَةٌ
وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي الْقَلَمِ الَّذِي
هَلْ كَانَ قَبْلَ الْعَرْشِ أَوْ هُوَ بَعْدَهُ
وَالْحَقُّ أَنَّ الْعَرْشَ قَبْلُ؛ لِأَنَّهُ
وَكِتَابَةُ الْقَلَمِ الشَّرِيفِ تَعَقَّبَتْ
لَمَّا بَرَأَهُ اللَّهُ قَالَ: (اَكْتُبْ كَذَا)
فَجَرَى بِمَا هُوَ كَائِنٌ أَبَدًا إِلَى
فَاعْلَمْ بِأَنَّ الْقَوْمَ لَمَّا أَسْسُوا
وَعَنِ الْحَدِيثِ وَمُقْتَضَى الْمَعْقُولِ، بَلْ
وَبَنَوْا قَوَاعِدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَادَهُمْ
يَا مِحْنَةَ الْإِسْلَامِ وَالْقُرْآنِ مِنْ
وَاللَّهُ لَوْلَا اللَّهُ نَاصِرُ دِينِهِ

هُم عَسْكَرُ الْإِيمَانِ وَالْقُرْآنِ
لِتَكُونَ مَنْصُورًا لَدَى الرَّحْمَنِ
أَنَّ الْمُهَيِّمِينَ دَائِمُ الْإِحْسَانِ
يَا دَائِمَ الْمَعْرُوفِ وَالسُّلْطَانِ
فَطَرُوا عَلَيْهَا لَا تَوَاصِي ثَانِ
كُتِبَ الْقَضَاءُ بِهِ مِنَ الدِّيَانِ
قَوْلَانِ عِنْدَ أَبِي الْعَلَا الْهَمْدَانِيِّ
قَبْلَ الْكِتَابَةِ كَانَ ذَا أَرْكَانِ
إِيَّادُهُ مِنْ غَيْرِ فَضْلِ زَمَانِ
فَعَدَا بِأَمْرِ اللَّهِ ذَا جَرِيَّانِ
يَوْمِ الْمَعَادِ بِقُدْرَةِ الرَّحْمَنِ
عِلْمَ الْكَلَامِ عَمُوا عَنِ الْقُرْآنِ
عَنْ فِطْرَةِ الرَّحْمَنِ وَالْبُرْهَانِ
قَسْرًا إِلَى التَّعْطِيلِ وَالْبُطْلَانِ
جَهْلِ الصَّديقِ وَبَغْيِ ذِي طُغْيَانِ
وَكِتَابِهِ بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ

لَتَحْطَفَتْ أَعْدَاؤُنَا أَرْوَاحَنَا
وَاللَّهُ ثُمَّ رَسُولُهُ قَدْ بَيَّنَّا
وَأَصْبَحَ لِفَائِدَةٍ جَلِيلٍ قَدْرُهَا
إِنَّ الْكَلَامَ إِذَا أَتَى بِسِيَاقَةٍ
أَضْحَى كَنْصَ قَاطِعٍ لَا يَقْبَلُ التَّ
فَتَأَمَّلِ الْأَلْفَاظَ وَانظُرْ مَا الَّذِي
فَالرُّسُلُ مُتَّفِقُونَ قَطْعًا فِي أَصْو
كُلُّ لَهُ شَرْعٌ وَمِنْهَا جُ وَذَا
فَالدِّينُ فِي التَّوْحِيدِ دِينٌ وَاحِدٌ
عَقْلَانِ عَقْلٌ بِالنُّصُوصِ مُؤَيَّدٌ
وَاللَّهُ مَا اسْتَوِيَا، وَلَنْ يَتَلَاقِيَا
يَا قَوْمَنَا وَاللَّهُ إِنَّ لِقَوْلِنَا
عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ الـ
كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ
وَالْعِلْمُ مَعْرِفَةُ الْهُدَى بِدَلِيلِهِ
أَفَمَنْ حَوَالَتُهُ عَلَى التَّنْزِيلِ وَالـ

وَلَقَطَعَتْ مِّنَّا عُرَى الْإِيمَانِ
طُرُقَ الْهُدَى فِي غَايَةِ التَّبْيَانِ
تَهْدِيكَ لِلتَّحْقِيقِ وَالْعِرْفَانِ
يُؤَدِّي الْمُرَادَ لِمَنْ لَهُ أُذُنَانِ
تَأْوِيلَ يَعْرِفُ ذَا أَوْلُو الْأَذْهَانِ
سَيَقَتْ لَهُ إِنْ كُنْتَ ذَا عِرْفَانِ
لِ الدِّينِ دُونَ شَرَائِعِ الْإِيمَانِ
فِي الْأَمْرِ لَا التَّوْحِيدِ، فَانْهَمُ ذَانِ
لَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ اثْنَانِ
وَمُؤَيَّدٌ بِالْمَنْطِقِ الْيُونَانِي
حَتَّى تَشِيْبَ مَفَارِقُ الْغَرْبَانِ
أَلْفَاتِدُلُّ عَلَيْهِ، بَلْ أَلْفَانِ
أُولَى وَذَوْقِ حَالَاوَةِ الْقُرْآنِ
فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
مَا ذَاكَ وَالتَّقْلِيدُ مُسْتَوِيَانِ
وَوَحْيِ الْمُبِينِ وَمُحْكَمِ الْقُرْآنِ

كَمُحَيِّرٍ أَضَحَّتْ حَوَالَتُهُ عَلَى
 أَمْ كَيْفَ يَشْعُرُ تَائِبُهُ بِمُصَابِهِ
 قُفْلٌ مِنَ الْجَهْلِ الْمُرَكَّبِ، فَوْقَهُ
 وَمَفَاتِيحُ الْأَقْفَالِ فِي يَدِ مَنْ لَهُ التُّه
 فَاسْأَلْهُ فَتَحَ الْقُفْلِ مُجْتَهِدًا عَلَى الْا
 وَاللَّهُ نَاصِرٌ دِينِهِ وَكِتَابِهِ
 لَكِنْ بِمِخْنَةِ حَزْبِهِ مِنْ حَزْبِهِ
 أَمْثَالِهِ، أَمْ كَيْفَ يَسْتَوِيَانِ؟!
 وَالْقَلْبُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ قُفْلَانِ
 قُفْلُ التَّعَصُّبِ، كَيْفَ يَنْفَتِحَانِ؟!
 تَصْرِيْفِ سُبْحَانَهُ عَظِيمِ الشَّانِ
 أَسْنَانِ إِنَّ الْفَتْحَ بِالْأَسْنَانِ
 وَرُسُولِهِ فِي سَائِرِ الْأَزْمَانِ
 ذَا حِكْمَةٍ مُذْ كَانَتْ الْفِتْنَانِ

فصل

هَذَا وَأَصْلُ بَلِيَّةِ الْإِسْلَامِ مِنْ
 وَجْمِعُ مَا فِي الْكَوْنِ مِنْ بَدْعٍ وَأَحْ
 فَاسَّاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو الْبُطْلَانِ لَا
 وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرَّجُوعُ
 تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ
 فَجَعَلْتُمْ لِلْفِظِ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى
 تَأْوِيلِ ذِي التَّحْرِيفِ وَالْبُطْلَانِ^(١)
 سَدَاتٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ الْقُرْآنِ
 تَأْوِيلُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ
 عِ إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبُطْلَانِ
 سَدَاتِ أُمَّةِ الْعِرْفَانِ وَالْإِيمَانِ
 نَاهُ لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانِ

(١) قد ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - أمثلة كثيرة من البليات من أجل تأويل التحريف.

وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى
 كَذَبْتُمْ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعَ كَذِبِ عَلَيَّ
 تَى جَاءَكُمْ مِنْ ذَلِكَ مُحْذِرَانِ
 وَكِلَاهُمَا أَمْرَانِ أَفْبَحُ مِنْهُمَا
 مَنْ قَالَهَا، كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ
 إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنَّ مُرَادَهُ
 جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ
 غَيْرُ الْحَقِيقَةِ، وَهِيَ ذُو بَطْلَانِ

فصل

وَعَلَيْكُمْ فِي ذَا وَظَائِفُ أَرْبَعٌ
 مِنْهَا دَلِيلٌ صَارِفٌ لِلْفِظِّ عَنْ
 وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِهِ يَدَانِ
 مَوْضُوعِهِ الْأَصْلِيِّ بِالْبُرْهَانِ
 هَيْهَاتَ! طَوَّلْتُمْ بِأَمْرِ ثَانِ
 قُلْتُمْ: هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ
 رِثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِي
 ذَا دَلَلِكُمْ؟ أَتَحْرُصُ الْكُهَّانِ؟!
 كِنْ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِ
 فَإِذَا اسْتَقَامَ لَكُمْ دَلِيلُ الصَّرْفِ يَا
 وَهُوَ اِحْتِمَالُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّذِي
 فَإِذَا أَتَيْتُمْ ذَلِكَ طَوَّلْتُمْ بِأَمْرِ
 إِذْ قُلْتُمْ: إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا، فَمَا
 هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَـ

فصل

وَكَذَا نَطَّالِبِكُمْ بِأَمْرِ رَابِعٍ
 وَهُوَ الْجَوَابُ عَنِ الْمُعَارِضِ إِذْ بِهِ الدُّ
 وَاللَّهِ لَيْسَ لَكُمْ بِذَا إِمْكَانِ
 سَدَعُوِي تَتِمُّ سَلِيمَةَ الْأَرْكَانِ

فصل

قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْإِلَٰهَ لِحِفْظِ هَـ	ذَا الدِّينِ مِنْ ذِي بِدْعَةِ شَيْطَانِ
وَأَقَامَهُمْ حَرَسًا مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّ	تَحْرِيفِ وَالتَّتَمِيمِ وَالتَّقْصَانِ
بَزَلٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَلْ حِصْنٌ لَهُ	يَأْوِي إِلَيْهِ عَسَاكِرُ الْفِرْقَانِ
فَإِذَا تَعَارَضَ نَصٌّ لَفْظٍ وَارِدٍ	وَالْعَقْلُ حَتَّى لَيْسَ يُلْتَقِيَانِ
فَالْعَقْلُ إِمَّا فَاسِدٌ وَيَظُنُّهُ الرَّأ	ئِي صَاحِحًا وَهُوَ ذُو بُطْلَانِ
أَوْ أَنَّ ذَاكَ النَّصَّ لَيْسَ بِثَابِتٍ	مَا قَالَهُ الْمَعْصُومُ بِالْبُرْهَانِ
وَنُصُوصُهُ لَيْسَتْ يُعَارِضُ بَعْضُهَا	بَعْضًا، فَسَلْ عَنْهَا عَلِيمَ زَمَانِ
وَإِذَا ظَنَنْتَ تَعَارُضًا فِيهَا فَذَا	مِنْ آفَةِ الْأَفْهَامِ وَالْأَذْهَانِ
أَوْ أَنْ يَكُونَ الْبَعْضُ لَيْسَ بِثَابِتٍ	مَا قَالَهُ الْمَبْعُوثُ بِالْقُرْآنِ

فصل

وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ حَمَلُوا النُّصُ	صَ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا الْمَجَازِ الثَّانِي
إِلَّا إِذَا مَا اضْطَرَّ لَهُمْ لِمَجَازِهَا أَل	مُضْطَرٌّ مِنْ حِسِّ وَمِنْ بُرْهَانِ
فَهَنَّاكَ عِضْمَتُهَا أَبَاحَتْهُ	بِغَيْرِ تَجَانُفٍ لِلِإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
وَاشْهَدْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُكْفِرُوا	نَكْمٌ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْكُفْرَانِ

إِذْ أَنْتُمْ أَهْلُ الْجَهَالَةِ عِنْدَهُمْ
لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْكُفْرَانِ بَلْ
إِلَّا إِذَا عَانَدْتُمْ وَرَدَدْتُمْ
فَهُنَاكَ أَنْتُمْ أَكْفَرُ الثَّقَلَيْنِ مِنْ
لَسْتُمْ أَوْلِي كُفْرٍ وَلَا إِيمَانٍ
لَا تَعْرِفُونَ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ
قَوْلَ الرَّسُولِ لِأَجْلِ قَوْلِ فُلَانٍ
إِنْسٍ وَجِنٍّ سَاكِنِي النَّيْرَانِ

فصل

هَذَا وَمَنْ تَوْحِيدِهِمْ إِبْتِثَاتٌ أَوْ
وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ
هُوَ أَوَّلٌ، هُوَ آخِرٌ؛ هُوَ ظَاهِرٌ،
مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ، كَذَا مَا بَعْدَهُ
مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ، كَذَا مَا دُونَهُ
وَهُوَ الْعَلِيُّ، فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْـ
وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ التَّـ
وَهُوَ الْجَلِيلُ، فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَا
وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، كَيْفَ لَا
صَافِ الْكَمَالِ لِرَبِّنَا الرَّحْمَنِ
قَدْ قَامَ بِالتَّذْيِيرِ لِلْأَكْوَانِ
ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَخَنَانٍ
هُوَ بَاطِنٌ، هِيَ أَرْبَعُ بَوْرَانٍ
شَيْءٌ، تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
شَيْءٌ، وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ
مَعْلُومٌ لَهُ فَنَابِتَةٌ بِلَا نُكْرَانِ
تَعْظِيمٍ لَا يُخَصِّصُهُ مِنْ إِنْسَانٍ
لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بَطْلَانِ
وَجَمَالَ سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ

مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ؟! فَرُبُّهَا
 فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْـ
 وَهُوَ الْمَجِيدُ، صِفَاتُهُ أَوْصَافُ نَعْمَ
 وَهُوَ السَّمِيعُ، يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا
 وَهُوَ الْبَصِيرُ، يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّـ
 وَهُوَ الْعَلِيمُ، أَحَاطَ عِلْمًا بِالَّذِي
 أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ
 أَعْمَالِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْبُرْهَانِ
 عَظِيمٍ، فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنِ
 فِي الْكَوْنِ، مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ
 سَوْدَاءِ تَحْتَ الصَّخْرَةِ الصَّوَّانِ
 فِي الْكَوْنِ، مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانِ

فَصْلٌ

وَهُوَ الْحَمِيدُ، فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٍ
 هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَيَحْمَدُهُ
 وَهُوَ الْمُكَلَّمُ عَبْدُهُ مُوسَى بِتَكْ
 وَهُوَ الْقَدِيرُ، وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا
 وَهُوَ الْقَوِيُّ، لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَا
 وَهُوَ الْعَزِيزُ بِذَاتِهِ، فَعِنَاهُ ذَا
 وَهُوَ الْعَزِيزُ، فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ
 وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ، لَمْ
 أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الْأَرْمَانِ
 كُلُّ الْمَحَامِدِ وَصَفُ ذِي الْإِحْسَانِ
 لِيَمِ الْخِطَابِ وَقَبْلَهُ الْأَبْوَانِ
 مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانِ
 لِي اللَّهِ ذُو الْأَكْوَانِ وَالسُّلْطَانِ
 تِيٌّ لَهُ كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ
 أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
 يَغْلِبُهُ شَيْءٌ، هَذِهِ صِفَتَانِ

فَالْعِزُّ حَيْثُ نَزَلَتْ ثَلَاثٌ مَعَانٍ
نَوْعَانِ أَيْضًا، مَا هُمَا عَدَمَانِ
نَوْعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبُرْهَانِ
يَتَلَاوَمَانِ، وَمَا هُمَا سَيَّانِ
وَالْعَكْسُ أَيْضًا ثُمَّ يَجْتَمِعَانِ
عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعَصِيَانِ
بِعُقُوبَةٍ؛ لِيَتَّوَبَ مِنْ عِصْيَانِ
لَوْلَاهُ غَارَ الْأَرْضُ بِالسُّكَّانِ
شَتْمُوهُ، بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
حِظٌ، كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ
كَفَيْلٌ بِحِفْظِهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرِ عَانِ
وَاللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ
وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنِ ذَا الشَّانِ
يُعْطِيهِمْ بِالرَّفْقِ فَوْقَ أَمَانِ
دَاعِي وَعَابِدُهُ عَلَى الْإِيمَانِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةِ هِيَ وَضْفُهُ
وَهُوَ الْحَكِيمُ، وَذَلِكَ مِنْ أَوْصَافِهِ
حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ، فَكُلٌّ مِنْهُمَا
وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ، وَلَا
بَلْ ذَلِكَ يُوجَدُ دُونَ هَذَا مُفْرَدًا
وَهُوَ الْحَيُّ، فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ
وَهُوَ الْحَلِيمُ، فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدَهُ
وَهُوَ الْعَفْوُ، فَعَفْوُهُ وَسِعَ الْوَرَى
وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ
وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاللَّوَا
وَهُوَ الْحَفِيزُ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ الْـ
وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ
إِدْرَاكُ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ
فَقِيرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ
وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفْقِ، بَلْ
وَهُوَ الْقَرِيبُ، وَقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بِالذِّ

وَهُوَ الْمُحِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ
 وَهُوَ الْجَوَادُ، فَلَا يُحِيبُ سَائِلًا
 وَهُوَ الْمُغِيثُ لِكُلِّ مَخْلُوقَاتِهِ
 وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ
 وَهُوَ الشَّكُورُ، فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ
 وَهُوَ الْغَفُورُ، فَلَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا
 لَأَقَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِثْلَ قُرَابِهَا
 وَكَذَلِكَ التَّوَابُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 إِذْ بَتَوَابَةٍ عَبْدِهِ وَقَبُولِهَا
 وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمْدُ الَّذِي
 الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ
 وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ
 جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ عَدَا
 وَالثَّانِ جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي
 وَلَهُ مُسَمَّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ
 هُ، أَنَا الْمُحِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
 وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ
 وَكَذَا يُحِيبُ إِغَاثَةَ اللَّهْمَانِ
 أَحْبَابُهُ، وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
 لِكِنْ يُضَاعِفُهُ بِأَلَا حُسْبَانَ
 مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
 سُبْحَانَهُ، هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ
 وَالتَّوَابُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
 بَعْدَ الْمَتَابِ بِمِنَّةِ الْمَنَّانِ
 صَمَدٌ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالْإِذْعَانِ
 هُ، كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانِ
 فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ
 وَالْجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
 ذَا كَسْرَةٍ، فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانِي
 لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانِ
 فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانِ

عُليَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ
 وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوَانٍ
 رُشْدٌ، وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الْحَيْرَانِ
 وَالْفِعْلُ لِلْإِزْشَادِ، ذَاكَ الثَّانِي
 وَمَقَالِهِ، وَالْحُكْمُ فِي الْمِيزَانِ
 قَوْلًا وَفِعْلًا، ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ
 تَنْزِيهِهِ بِالْتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ
 مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نَقْصَانِ
 هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ
 فَاَنْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
 وَالْفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
 وَالْفَتْحُ بِالْأَقْدَارِ، فَتَحُّ ثَانِ
 وَالرِّزْقُ مِنْ أَفْعَالِهِ نَوْعَانِ
 نَوْعَانِ أَيْضًا، ذَانِ مَعْرُوفَانِ
 رِزْقُ الْمُعَدِّ لِهَدَاهِ الْأَبْدَانِ
 تِلْكَ الْمَجَارِي سَوْقُهُ بِوِزَانِ

مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الْ
 وَهُوَ الْحَسِيبُ حِمَايَةٌ وَكِفَايَةٌ
 وَهُوَ الرَّشِيدُ، فَقَوْلُهُ وَفِعَالُهُ
 وَكِلَاهُمَا حَقٌّ، فَهَذَا وَصَفُهُ
 وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ
 فَعَلَى الصَّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِلَهْنَا
 هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقُدُوسُ ذُو النُّ
 وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَالِمٌ
 وَالْبِرُّ مِنْ أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ
 وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 وَكَذَلِكَ الْفَتْاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 فَتَحٌ بِحُكْمٍ، وَهُوَ شَرْعٌ إِلَهِنَا
 وَكَذَلِكَ الرَّزَاقُ مِنْ أَسْمَائِهِ
 رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ
 رِزْقُ الْقُلُوبِ الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ وَالرِّ
 وَالثَّانِي سَوْقُ الْقُوتِ لِلْأَعْضَاءِ فِي

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقِيَوْمُ وَالْـ
 إِحْدَاهُمَا الْقِيَوْمُ قَامَ بِنَفْسِهِ
 وَالْحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الْكَمَا
 فَالْحَيُّ وَالْقِيَوْمُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الْـ
 هُوَ قَابِضٌ، هُوَ بَاسِطٌ، هُوَ خَافِضٌ،
 وَهُوَ الْمُعِزُّ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا
 وَهُوَ الْمُذِلُّ لِمَنْ يَشَاءُ بِذَلِكَ الدُّ
 هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ
 وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا، وَمِنْ
 نُورِ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى مِنْ نُورِهِ
 وَكِتَابُهُ نُورٌ كَذَلِكَ شَرُّعُهُ
 وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى
 وَالنُّورُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَضُـ
 وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْـ
 أَحْذَرُ تَزَلُّ؛ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ
 مِنْ عَابِدٍ بِالْجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ

قِيَوْمٌ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
 وَالْكَوْنُ قَامَ بِهِ، هُمَا الْأَمْرَانِ
 لِي هُمَا لِأَفُقِ سَمَائِهِ قُطْبَانِ
 أَوْصَافُ أَصْلًا عَنْهُمَا بَيَّانِ
 هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ
 عِزٌّ حَقِيقِيٌّ بِإِلَابُطْلَانِ
 دَارَيْنِ ذَلَّ شَقًّا وَذَلَّ هَوَانِ
 وَالْمَنْعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَانِ
 أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ
 وَالْأَرْضُ، كَيْفَ النَّجْمُ وَالْقَمَرَانِ؟
 نُورٌ كَذَا الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ
 نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ الْقُرْآنِ
 فَمَا هُمَا وَاللَّهُ مُتَّحِدَانِ
 سُوسٌ وَمَعْقُولٌ هُمَا شَيْئَانِ
 كَمْ قَدْ هَوَى فِيهَا عَلَى الْأَزْمَانِ
 فَهَوَى إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّنَائِي

صِفَتَانِ لِلْأَفْعَالِ تَابِعَتَانِ
 بِالذَّاتِ لَا بِالغَيْرِ قَائِمَتَانِ
 نَبِيٌّ وَدِينِيٌّ، هُمَا نَوْعَانِ
 سَبِيٌّ، وَلَا يَحْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ
 رَدُّ بَلٍ يُقَالُ إِذَا أَتَى بِقِرَانِ
 إِفْرَادَهَا خَطَرَ عَلَى الْإِنْسَانِ
 بُ الْعَرْشِ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ
 هُوَ نَافِعٌ وَكَمَالُهُ الْأَمْرَانِ
 ثٌ، كُلُّهَا مَعْلُومَةٌ بَيِّنَانِ
 وَكَذَا التِّرَامُّ وَاضِحَ الْبُرْهَانِ
 فَمِثَالُ ذَلِكَ لَفْظَةُ الرَّحْمَنِ
 فَهِيَ لِهَذَا اللَّفْظِ مَذْلُولَانِ
 سِي تَضَمُّنٌ، ذَا وَاضِحَ التَّبْيَانِ
 مَعْنَى لُزُومِ الْعِلْمِ لِلرَّحْمَنِ

وَهُوَ الْمُقَدَّمُ وَالْمُؤَخَّرُ، ذَانِكَ الضُّ
 وَهُمَا صِفَاتُ الذَّاتِ أَيْضًا، إِذْهُمَا
 وَالْوَصْفُ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ كَوُ
 وَكِلَاهُمَا أَمْرٌ حَقِيقِيٌّ وَنَسْبٌ
 هَذَا وَمِنْ أَسْمَائِهِ مَا لَيْسَ يُفَى
 وَهِيَ الَّتِي تُدْعَى بِمُزْدَوَجَاتِهَا
 إِذْ ذَاكَ مُوْهَمٌ نَوْعِ نَقْصٍ جَلَّ رَبُّ
 كَالْمَانِعِ الْمُعْطِيِّ وَكَالضَّارِّ الَّذِي
 وَدِلَالَةُ الْأَسْمَاءِ أَنْوَاعٌ ثَلَا
 دَلَّتْ مُطَابَقَةً كَذَلِكَ تَضَمُّنًا
 وَإِذَا أَرَدْتَ لِذَا مِثَالًا بَيْنَنَا
 ذَاتُ الْإِلَهِ وَرَحْمَةٌ مَذْلُولُهَا
 إِحْدَاهُمَا مَعْنَى لِذَا الْمَوْضُوعِ فَهِيَ
 لَكِنَّ وَصْفَ الْحَيِّ لَا زِمَ ذَلِكَ الْ

فصل

لَا تُوحِشَنَّكَ غُرْبَةٌ بَيْنَ الْوَرَى فَالْنَّاسُ كَالْأَمْوَاتِ فِي الْحُسْبَانِ
أَوْ مَا عَلِمْتَ بِأَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ أَلْ غُرْبَاءُ حَقًّا عِنْدَ كُلِّ زَمَانِ
قُلْ لِي: مَتَى سَلِمَ الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ وَالتَّابِعُونَ لَهُمْ عَلَى الْإِحْسَانِ
مِنْ جَاهِلٍ وَمُعَانِدٍ وَمُنَافِقٍ وَمُحَارِبٍ بِالْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ
أَتَظُنُّ أَنَّكَ وَارِثٌ لَهُمْ وَمَا ذُقْتَ الْأَذَى فِي نُصْرَةِ الرَّحْمَنِ
كَأَنَّكَ، وَلَا جَاهَدْتَ حَقَّ جِهَادِهِ فِي اللَّهِ لَا يَبِيدُ وَلَا بِلِسَانِ
مَتَّكَ وَاللَّهُ الْمُحَالُ النَّفْسُ فَاسِدٌ تَحْدِثُ سِوَى ذَا الرَّأْيِ وَالْحُسْبَانِ
لَوْ كُنْتَ وَارِثَهُ لَأَذَاكَ الْأُلَى وَرِثُوا عِدَاهُ بِسَائِرِ الْأَلْوَانِ

فصل

هَذَا وَثَانِي نَوْعِي التَّوْحِيدِ تَوْ حَيْدُ الْعِبَادَةِ مِنْكَ لِلرَّحْمَنِ
وَالصَّدْقُ وَالْإِخْلَاصُ رُكْنَا ذَلِكَ التَّ تَوْحِيدِ كَالرُّكْنَيْنِ لِلْبُنْيَانِ
وَحَقِيقَةُ الْإِخْلَاصِ تَوْحِيدُ الْمُرَا دِ، فَلَا يُزَاجُهُ مُرَادُ ثَانِ
وَالصَّدْقُ تَوْحِيدُ الْإِرَادَةِ وَهُوَ بَدُ لُ الْجَهْدِ لَا كَسَلًا وَلَا مُتَوَانِ
وَالسُّنَّةُ الْمُثَلَّى لِسَالِكِيهَا فَتَوْ حَيْدُ الطَّرِيقِ الْأَعْظَمِ السُّلْطَانِ

فَلَوْ أَحَدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَعْنِي سَبِيلَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
فَإِذَا هِيَ اجْتَمَعَتْ لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ كُلِّ مَكَانِ

فَصْلٌ

الْعِلْمُ قَالَ اللَّهُ قَالَ رَسُولُهُ قَالَ الصَّحَابَةُ، هُمْ أَوْلُو الْعِرْقَانِ
مَا الْعِلْمُ نَضْبُكَ لِلْخِلَافِ سَفَاهَةٌ بَيْنَ الرَّسُولِ وَبَيْنَ رَأْيِ فُلَانِ

فَصْلٌ

وَالنَّاسُ أَكْثَرُهُمْ بِسِجْنِ اللَّفْظِ مَسْ جُونُونَ خَوْفَ مَعَرَّةِ السَّجَّانِ
وَالْكُلُّ إِلَّا الْفَرْدَ يَقْبَلُ مَذْهَبًا فِي قَالِبٍ وَيَرُدُّهُ فِي ثَانِ
وَالْقَصْدُ أَنَّ الذَّاتَ وَالْأَوْصَافَ وَالْ أَفْعَالَ لَا تُنْفَى بِذَا الْهَدْيَانِ
سَمُوهُ مَا شِئْتُمْ فَلَيْسَ الشَّأْنُ فِي الِ أَسْمَاءِ، بَلْ فِي مَقْصَدٍ وَمَعَانِ
الْحَقُّ إِثْبَاتُ الصِّفَاتِ، وَنَقْيُهَا عَيْنُ الْمُحَالِ، وَلَيْسَ فِي الْإِمْكَانِ
فَالْجِسْمُ إِمَّا لَازِمٌ لِثُبُوتِهَا فَهُوَ الصَّوَابُ وَلَيْسَ ذَا بَطْلَانِ
أَوْ لَيْسَ يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ صِفَاتِهِ فَشِنَاعَةُ الْإِلْزَامِ بِالْبُهْتَانِ

فصل

وَرَسُولُهُ فَهُوَ الْمُطَاعُ وَقَوْلُهُ الْـ
 مَنْ قَالَ قَوْلًا غَيْرَهُ قُتْنَا عَلَى
 إِنْ وَافَقَتْ قَوْلَ الرَّسُولِ وَحُكْمَهُ
 أَوْ خَالَفَتْ هَذَا رَدَدْنَا هَا عَلَى
 أَوْ أَشَكَلَتْ عَنَّا تَوَقَّفْنَا وَلَمْ
 هَذَا الَّذِي أَدَّى إِلَيْهِ عِلْمُنَا
 فَهُوَ الْمُطَاعُ وَأَمْرُهُ الْعَالِي عَلَى
 مَقْبُولٌ إِذْ هُوَ صَاحِبُ الْبُرْهَانِ
 أَقْوَالِهِ بِالسَّيْرِ وَالْمِيمِزَانِ
 فَعَلَى الرَّؤُوسِ تُشَالُ كَالْتِيْجَانِ
 مَنْ قَالَهَا مَنْ كَانَ مِنْ إِنْسَانِ
 نَجْزِمُ بِهَا عِلْمٌ وَلَا بُرْهَانِ
 وَبِهِ نَدِينُ اللَّهَ كُلَّ أَوَانِ
 أَمْرِ الْوَرَى وَأَوَامِرِ السُّلْطَانِ

فصل

مَاذَا تَرَى فَرَضًا عَلَيْكَ مُعَيَّنًا
 عَرَضَ الَّذِي قَالُوا عَلَى أَقْوَالِهِ
 هِيَ مَفْرُقُ الطَّرِيقَاتِ بَيْنَ طَرِيقِنَا
 وَحَيَاةِ قَلْبِ الْمَرءِ فِي شَيْئَيْنِ مَنْ
 ذَكَرُ الْإِلَهِ، وَحُبُّهُ مِنْ غَيْرِ إِشْـ
 مِنْ صَاحِبِ التَّعْطِيلِ حَقًّا كَأَمْتِنَا
 إِنْ كُنْتَ ذَا عَقْلِ وَذَا إِيْمَانِ
 أَوْ عَكْسَ ذَلِكَ؟ فَذَانِكَ الْأَمْرَانِ
 وَطَرِيقِ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْعُدْوَانِ
 يُرْزَقُهُمَا يَحْيَا مَدَى الْأَزْمَانِ
 رَاكِ بِهِ، وَهَمَّا فَمُمْتِنَعَانِ
 عِ الطَّائِرِ الْمَقْصُوصِ مِنْ طَيْرَانِ

يَا مَنْ تَعَزُّ عَلَيْهِمْ أَزْوَاجُهُمْ
وَيَرُونَ أَنَّ أَمَامَهُمْ يَوْمَ اللَّقَا
وَيَرُونَ عِيًّا بَيْنَهَا بِهَوَانِ
لِلَّهِ مَسْأَلَتَانِ شَامِلَتَانِ
تُمْ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ وَالْبُرْهَانِ؟
هَاتُوا جَوَابًا لِلسُّؤَالِ وَهَيُّوا
أَيْضًا صَوَابًا لِلجَوَابِ يَدَانِ

فهرس الآيات

الآية	الصفحة
﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ .. ١٥، ١٤٨	
﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ .. ٢٠	
﴿ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ ﴾ .. ٢٤	
﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ .. ٢٧	
﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ .. ٣١	
﴿ حَقَّ إِذَا مَا جَاءَ وَهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ ﴾ .. ٣١	
﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ وَكُفُّوا ءَاخِرَهُ ﴾ .. ٣١	
﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ ﴾ .. ٣٢	
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .. ٤٠	
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ .. ٤٠	
﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ ﴾ .. ٤١	
﴿ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ .. ٤١، ٨٥	
٤٤٨	
﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾ .. ٤٢	
﴿ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ	

- سَنَتَانُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعَدَّلُوا ﴿ ٤٧
- ﴿ وَلَقَدْ بَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴾ ٤٩
- ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ ٥٠
- ﴿ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴾ ٥٥
- ﴿ وَلَا يُظَلِّمُونَ تَفِيرًا ﴾ ٥٥
- ﴿ وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتِيلًا ﴾ ٥٥
- ﴿ وَيَوْمَ يَعْزُضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَيْلًا ﴾ ١١٧، ٦١
- ٣٨٢
- ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ ٤٦٩، ٦٢
- ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ﴾ ٦٢
- ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴾ ٦٢
- ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ ﴾ ٦٥
- ﴿ أَكْفَرُوا فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكَ ﴾ ٧١
- ﴿ أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا ﴾ ٧٧
- ﴿ تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ ﴾ ٧٧
- ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾ ٧٧
- ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ ١٥٢، ٧٧
- ٤٦٩
- ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ ٧٨

- ٧٨ ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾
- ٧٨ ﴿وَلِنُصَنِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾
- ٨١ ﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِينَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾
- ٨٢ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ﴾
- ٨٢ ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾
- ٨٣ ﴿وَلَن يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾
- ٨٣ ﴿يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْكَ رِيكَ﴾
- ٨٣ ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُورُونَ﴾
- ١٣٣، ٨٤ ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾
- ٨٤ ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ ... ٨٤
- ١٠٣ ﴿إِن أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾
- ١٠٨ ﴿فَإِن نَّزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ... ١٠٨
- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾
- ١٠٨ ﴿رَبِّلَوْ كُمْ أَتَّكْرُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
- ١٠٩ ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ، عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾
- ١٠٩ ﴿وَأْتَلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ فَشَهِدَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ﴾
- ١١٠ ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾
- ١١٤ ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾

- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ
 ١١٥ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾
- ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ ١١٧
- ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
 ١١٧ حَاجَةً مِمَّا أَوْتُوا﴾
- ﴿وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورِ﴾ ١١٨
- ﴿فَإِنْ نَنْزَعْنَاهُ مِنْ شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ ١١٨
- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ ١٢١
- ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مِمَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمِمَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ
 ١٢١ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾
- ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ١٢٣
- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ ١٢٣
- ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ١٢٣
- ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ ١٢٣
- ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ١٢٣
- ﴿مَنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ ١٢٤
- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ ١٢٨
- ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ ١٢٨
- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ الْغَيْبُ وَالشَّهَادَةُ﴾ ١٢٨
- ﴿يَسْتَلْهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ١٢٩

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ .. ١٣٧، ١٩٢

٤١٠، ٢٠١

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا

مِن لَّعُوبٍ ﴿٤﴾ .. ١٣٧

﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ ﴿٥﴾ .. ١٣٨

﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ﴿٦﴾ .. ١٣٨

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَيْكَ بِاللَّهِ رَمْحِي ﴿٧﴾ .. ١٤٤

﴿وَأَجَلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ ﴿٨﴾ .. ١٥٢

﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ﴿٩﴾ أَتَوَصَّوْا بِهِ بَلْ

هُم قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿١٠﴾ .. ١٥٤

﴿كُنْتُ أَنزَلْتُهُ إِلَيْكَ مَبْرُكًا لِّدَبَّرُوا ءآيَاتِهِ وَلِسْتَذَكْرًا لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١﴾ .. ١٥٦

﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٣﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٤﴾ وَمَا هُوَ يَقُولُ

شَاعِرٌ قَلِيلًا مَّا تُوْمَنُونَ ﴿١٥﴾ .. ١٥٩، ١٧٠

﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٦﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿١٧﴾ .. ١٥٩، ١٧٠

١٧٧

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١٨﴾ .. ١٦٤

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ

وَأَتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴿١٩﴾ .. ١٦٥

﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴿٢٠﴾ .. ١٦٩

﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا

يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ﴿٢١﴾ .. ١٧٠

- ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ۗ ۝١٧١﴾
- ﴿ فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ۗ ۝١٧١﴾
- ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ۗ ۝١٧٦﴾
- ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ۗ ۝١٧٦﴾
- ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۗ ۝١٧٧﴾
- ﴿ إِنَّكَ حَيْرٌ مَنِ اسْتَجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ ۗ ۝١٧٧﴾
- ﴿ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ ۝١٧٨﴾
- ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا ۗ ۝١٨١﴾
- ﴿ عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۗ ۝١٨١﴾
- ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَمِيَّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۗ ۝١٨٥﴾
- ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ ۗ ۝١٨٥﴾
- ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ۗ ۝١٨٥﴾
- ﴿ هَذَا سَجَرٌ كَذَابٌ ﴿٤﴾ أَجْعَلُ الْإِلَهَةَ إِلَهًا وَحِدًا إِنْ هَذَا الشَّقِيُّ عَجَابٌ ۗ ۝١٨٦﴾
- ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ۗ ۝١٨٧﴾
- ﴿ لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۗ ۝١٩٢﴾
- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۗ ۝٢٠١﴾
- ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۗ ۝٢٠١﴾

- ﴿ تَبَّتْ ﴾ ٤١٠، ٢٠١
- ﴿ قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ ٢٠٢
- ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا
نُشْرِكَ بِهِ. شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا
أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ ٢٠٢
- ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ ٢٠٧
- ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ ﴾ ٢٠٩
- ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ ٢٠٩
- ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ ٢١٢
- ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ ٢١٢
- ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى ﴾ ٢١٣
- ﴿ يَوْمَئِذٍ لَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴾ ٢١٣
- ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ﴾ ٢١٣
- ﴿ فَمَا نَنْفَعُهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ ٢١٣
- ﴿ هُنَالِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقِّ ﴾ ٢١٦
- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ ٢١٧
- ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُغْلِبُونَ ﴾ ٢١٧
- ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

- نُؤَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٢١٨﴾ ٢١٨
- ﴿وَأَنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ ٢٢٠
- ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ ٢٢٠
- ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ ٢٢٢
- ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا نَنْفَعُ الشَّفِيعَةَ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ ٢٢٢
- ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ ٢٣٣
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٣٤﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ﴾ ٢٣٤
- ﴿وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴿٢٣٥﴾ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٣٦﴾ فِي جَنَّةٍ النَّعِيمِ ﴿٢٣٧﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ
- الْأُولَئِينَ ﴿٢٣٨﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ٢٩٠، ٢٣٧
- ٤٩٩
- ﴿طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ ٢٣٩
- ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ ٢٥٢
- ﴿وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ ٢٥٣
- ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ ٢٥٥
- ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٥٦﴾ الَّذِينَ
- ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ٢٥٥
- ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ ٢٥٥

- ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾
- ٣٣٨، ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَنَكِهِمُ زَوْجَانِ﴾
- ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾
- ٣١٧، ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا فَنَكِهِمُ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ﴾
- ٣٣٧
- ٣٧٢، ٢٥٦ ﴿فِيهِنَّ فَصْرَتٌ أَلْطَرَفِ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ إِسْ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ﴾
- ﴿فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَيَأْتِيءَ آءِآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾
- ٣١٧، ٢٥٦ ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾
- ٣٣١
- ٢٥٦ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾
- ٢٥٧ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾
- ٢٥٨ ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾
- ٢٦١ ﴿الَّذِينَ لِنُوفِهِمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾
- ٢٦٤ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾
- ٢٦٥ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾
- ٢٧٤ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾
- ٢٧٥ ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾
- ٢٨٣ ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾
- ٢٨٣ ﴿تُرْآءُ مِنْ عَفْوَهِمْ رَحِيمٌ﴾
- ٣٤٢، ٢٨٤ ﴿فَطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾

- ﴿ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ٢٨٥
- ﴿ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ ﴾ ٢٨٥
- ﴿ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ﴾ ٢٨٥
- ﴿ وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ ٢٨٧
- ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾ ٢٩٠
- ﴿ ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ ٢٩٢
- ﴿ وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ٢٩٤
- ﴿ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ﴾ ٢٩٤، ٣٤٣
- ٣٩٦، ٣٥٤
- ﴿ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنُورًا ﴾ ٢٩٧
- ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ٣١٤
- ﴿ وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتٍ ﴾ ٣١٥
- ﴿ خَالِصَةٌ لِّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٣١٦
- ﴿ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيَّ ﴾ ٣٢١
- ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ٣٢٣
- ﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ ٣٢٣
- ﴿ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ ٣٢٥
- ﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾ ٣٣٦
- ﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾ ٣٣٧

- ٣٣٧ ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾
- ٣٣٨ ﴿وَأَنْوَأَ بِهِءٍ مُّتَشَبِهَهَا﴾
- ٣٣٩ ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِهَهَا﴾
- ٣٤٠ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾
- ٣٤٢ ﴿وَذَلَّلَتْ فَطْرُفُهَا نَذِيلًا﴾
- ﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ ٣٤٨
- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ ٣٤٩، ٤٨٢
- ﴿وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِزَابًا فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ﴾ ٣٥٢ ..
- ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ حَمْرٍ لَّدُوٍّ لِّلشَّرِبِ بَيْنَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ ٣٥٢
- ﴿مِن تَسْنِينٍ ﴿١٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ ٣٥٦
- ﴿يُحْكَمُونَ فِيهَا مِنْ آسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ ... ٣٦٥
- ﴿وَأَيَّدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ ٣٦٧
- ٣٧٣ ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾
- ٣٧٦ ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾
- ٣٧٨ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ ٣٧٨
- ٣٧٩ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلَىٰ اللَّهُ
- ٣٧٩ ﴿الْمَلِكِ الْحَقِّ﴾

- ﴿يَتَأْتِيهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلْقِيهِ﴾ ٣٧٩، ٤٠٨
- ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُورٍ﴾ ٣٨٠
- ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ ٣٨٠
- ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٣٨٠
- ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا﴾ ٣٨٠
- ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ٣٨٠
- ﴿لَوْلَا أَعْرَضْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ ٣٨٠
- ﴿يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ ٣٨٢
- ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ﴿٣٥﴾ فَعَلَّنَاهُنَّ آتِكَارًا﴾ ٣٨٦، ٣٩٠
- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمِ فِي شُغْلٍ فَكَهْمُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِفُونَ﴾ ٣٨٦
- ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاطُوشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ ٣٩٥
- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ﴾ ٣٩٦
- ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقَّانِ بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ٣٩٨
- ﴿كَلَّمَآ أَضَاءَ لَهُمْ مَشْرَآ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ ٣٩٨
- ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ ٣٩٩
- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ ٣٩٩
- ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ ٣٩٩

- ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِذْنِ الْحَقِّنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلْتَنَّهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴾ ٤٠١
- ﴿ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوْنُونَ ﴾ ٤١٤ ، ٤٠٤
- ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِيْنَ ﴾ ٤٠٤
- ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ۚ أَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ ۖ أَتُمْ نَحْنُ الزَّرْعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَمًا ﴾ ٤٠٥
- ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي فَشَرْتُمْ ﴿٦٨﴾ ۖ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴾ ٤٠٥
- ﴿ لِلَّذِيْنَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ ٤٠٦
- ﴿ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴾ ٤٠٧
- ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١﴾ مِنَ الْمُهَجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ ﴾ ٥٣٧ ، ٤٠٧
- ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ٤٠٨
- ﴿ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَاتٍ ﴾ ٤٠٨
- ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ ﴾ ٤٠٨
- ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ ٤١١ ، ٤٠٩
- ﴿ وَلَقَدْهُمْ نَصْرَةٌ وَسُرُورًا ﴾ ٤٠٩
- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ٤١٠
- ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ ٤١٠
- ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴾ ٤١٠
- ﴿ الْكَوْثَرِ ﴾ ٤١٠

- ﴿الْمَاعُونَ﴾ ٤١٠
- ﴿لَا يَلْفُ قَرْشٍ ①﴾ إِيْلَفِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴿ ٤١٠
- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ ٥١٧، ٤١١
- ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾ ٤١١
- ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤١٢
- ﴿أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٤١٢
- ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ٤١٢
- ﴿أَفَأَمَرَ يُنظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ٤١٢
- ﴿كَلَّا إِنْ كُنَّ الْفُجَارِ لَعَىٰ سِجِّينَ ⑦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينَ ⑧ ﴿كُنْتُ مَرْقُومٌ ⑨﴾ وَيَلُّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ⑩﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ يَوْمَ الدِّينِ ﴿ ٤١٤
- ﴿قَالِیَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ⑲﴾ عَلَى الْأَرَآئِكِ يَنْظُرُونَ ﴿ ٤١٥
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ⑳﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ ﴿ ٤١٦
- ﴿سَلَّمَ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَجِيمٍ﴾ ٤٢٣
- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ﴾ ٤٣١
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾ ٤٣٥
- ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ ٤٣٥
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ ٤٤٣

- ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَاحِسِينَ ﴾ ٤٤٣
- ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَكَايَةٌ ﴾ ٤٤٣
- ﴿ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ ٤٤٨
- ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ٤٤٨
- ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٤٥٢
- ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٤٥٢
- ﴿ وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ٤٥٣
- ﴿ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٤٥٣
- ﴿ كَأَلَّا نَعْمٌ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ ٤٥٨
- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَٰئِكَ هُمْ
شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾ ٤٥٨
- ﴿ رَبَّنَا آرِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ
الْأَسْفَلِينَ ﴾ ٤٥٨
- ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَرَاؤُنَّ مَخْتَلِفِينَ ﴿١٣٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ
رَبُّكَ ۗ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ
أَجْمَعِينَ ﴾ ٤٥٩
- ﴿ فَلَا أَفْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ﴾ ٤٥٩
- ﴿ إِنَّمَا يُوفَى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ٤٥٩

- ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦٠﴾ ٤٦٠
- ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤٦٠﴾ ٤٦٠
- ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٦٠﴾ ٤٦٠
- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ﴿٤٦٢﴾ ٤٦٢
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٤٦٣﴾ ٤٦٣
- ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ﴿٤٦٣﴾ ٤٦٣
- ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٦٤﴾ ٤٦٤
- ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴿٤٦٥﴾ ٤٦٥
- ﴿وَأَنْ تَشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا ﴿٤٦٩﴾ ٤٦٩
- ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِلشِّرْكِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنَّ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٤٧٤﴾ ٤٧٤
- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعَذَّبُوا ﴿٤٧٤﴾ ٤٧٤
- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَهُمْ كَسْرَابٍ بِقَيْعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَلَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ﴿٤٨٧﴾ ٤٨٧
- ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ﴿٤٩٣﴾ ٤٩٣
- ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿٤٩٤﴾ ٤٩٤
- ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْتُمْكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴿٤٩٥﴾ ٤٩٥
- ﴿تَنْزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٤٩٦﴾ ٤٩٦
- ﴿يَقُولُونَ سَلِّمْ عَلَيْنَا أَدْخِلْنَا الْجَنَّةَ ﴿٤٩٨﴾ ٤٩٨
- ﴿إِذَا الْقُرْآنُ يُقْرَأُ سَمِعُوهَا مِنْ شَيْبًا وَهِيَ تَنْفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ ﴿٤٩٨﴾ ٤٩٨

- ﴿سَأَلْتُمْ خَزَائِنَهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ ٤٩٨
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٠﴾ ٤٩٩
- ﴿وَجِئْنَا بِضُرَّةٍ مُّزْجَلَةٍ ﴿١١﴾ ٥٠٥
- ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴿١٢﴾ ٥١١
- ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴿١٣﴾ ٥١٤
- ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ ٥٢٠
- ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ؕ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ ﴿١٥﴾ ٥٢١
- ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿١٦﴾ ٥٢١
- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيَنَّمَا وَقَعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطِيْلًا سُبْحٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٧﴾ ٥٢٣
- ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمٰنِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا ﴿١٨﴾ ٥٢٣
- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَأُمَلِي لَهُمْ إِيَّاتٍ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٢٠﴾ ٥٢٣
- ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُمِبَهَا لِلَّذِينَ يُنْفِقُونَ ﴿٢١﴾ ٥٢٣
- ﴿وَاللَّهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمٰنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ٥٢٥
- ﴿ذٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبٰطِلُ ﴿٢٣﴾ ... ٥٢٥
- ﴿أَمِّنٌ يُّجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴿٢٤﴾ ٥٢٦
- ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ﴿٢٥﴾ ٥٢٧

- ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ٥٢٧
- ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ﴾ ٥٢٨
- ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ٥٢٨
- ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ ٥٢٨
- ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ٥٣٣
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَهَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ ﴾ ٥٣٤
- ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ .. ٥٣٥
- ﴿ وَنَصْرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَظِيمًا ﴾ ٥٣٦
- ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ ٥٣٦
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ ٥٣٧
- ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ؤ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ ٥٣٨

فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	الحديث
١٤	«لَا تَمْتَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ»
٢٢	«عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ»
٢٣	«يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ كَمَا نَزَلَتْ عَلَى قَوْمِ لُوطٍ؛ أَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، وَتَقُولُونَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ» ...
٢٣	«اقتدوا باللذنين من بعدي: أبي بكرٍ وعمر»
٢٣	«إِنْ يُطِيعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ يَرْشُدُوا»
٤٦	«وَاللَّهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَلَأَنْتُمْ أَنْغَضُ إِلَيَّ مِنْ عِدَّتِكُمْ مِنَ الْفِرْدَةِ وَالْحَنَازِيرِ، وَلَا يَحْمِلُنِي بُغْضِي إِيَّاكُمْ وَحُبِّي إِيَّاهُ عَلَى أَلَّا أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ»
٥٦، ٥٤	«يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»
٥٧	«إِنَّهُمْ مِنَ الْكُفْرِ قَرُّوا»
٦٢	«مَنْ جَرَّبَ مِثْلَ تَجْرِبَتِي عَرَفَ مِثْلَ مَعْرِفَتِي»
٦٣	«ها أنا أموت على عقيدة أمي»
٧٧	«كِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ»
٧٩	«إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا قَامَ فِي الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ بَيْنَ عَيْنِي الرَّحْمَنِ»
٨٠، ٧٩	«إِنَّهُ أَعْوَرٌ وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ»

- «مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ» ٨٠
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ» ١٢٩، ٨١
- ٤٠٤
- «هَلْ تُضَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دَوْمَهَا سَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ» ١٢٩، ٤٠٤
- «لَا يُبْغِضُ الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» ٩٢
- «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» ١٠٦
- «اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ» ١٠٨
- «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ» ١١٠
- «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَمَّهَا طَيِّبَةً» ١١٤
- «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ» ١١٥
- «لَا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِمَّنْ بَايَعَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ» ١١٥
- «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» ١١٦
- «إِنِّي أَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تُضَرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْبَلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ» ١١٦
- «نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا» ١٢٥
- «بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ» ١٢٥
- «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ إِلَّا تَغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةٍ قَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا» ١٢٩

- ١٣١ «أَعْتَقَهَا فَإِنَّمَا مُؤْمِنَةٌ»
- «كَمْ إِلَهًا تَعْبُدُ؟ قَالَ: سَبْعَةٌ: سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ وَوَاحِدًا فِي السَّمَاءِ،
 ١٣١ قَالَ: مَنْ تُعَدُّ لِرَغَبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ»
- ١٣٨ سَحَرَ النَّبِيُّ ﷺ
- ١٣٩ «مَنْ تَعَلَّمَ الْكَلَامَ فَقَدْ تَزَنَدَقَ»
- «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلَامِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَالنُّعَالِ، وَيَطَافَ
 بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ، وَيُقَالُ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ،
 ١٣٩ وَأَقْبَلَ عَلَى عِلْمِ الْكَلَامِ»
- ١٤٤ «لَوْ أَعْلَمُ أَنْ لِي دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ لَصَرَفْتُهَا لِلسُّلْطَانِ»
- ١٥٠ «إِنَّهُ مِنْ شَرِّ أَقْوَالِ أَهْلِ الْبَدْعِ وَالْإِلْحَادِ»
- «كُنْتُ أَظُنُّ دَائِمًا أَنَّ الْمَنْطِقَ الْيُونَانِيَّ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ الْبَلِيدُ وَلَا يَحْتَاجُ
 ١٦٤ إِلَيْهِ الذِّكْرِيَّ»
- «مَنْ قَالَ: لَفْظِي بِالْقُرْآنِ مَخْلُوقٌ فَهُوَ جَهْمِيٌّ، وَمَنْ قَالَ: غَيْرُ
 ١٧٤ مَخْلُوقٍ فَهُوَ مُبْتَدَعٌ»
- «أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، يَرْفَعُ إِصْبَعَهُ إِلَى
 ١٨٤ السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا لِلنَّاسِ»
- «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ
 شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ
 ١٨٦ دُونَكَ شَيْءٌ»
- ١٨٧ «فَضَّلَ الْعَرْشَ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضَّلَ الْفَلَاحَةَ عَلَى الْحَلَقَةِ»

- ٢٠٢ قراءته ﷺ في سنة الفجر
- ٢١٣ في ضحضاح من نار عليه نعلان يغلي منهما دماغه
- لو دعاه أهل الأرض وأهل السماء الإنس والجن وأعطى كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عنده إلا كما ينقص المخيط إذا غمس في البحر ٢٢١
- إن المتمسك بالسنة عند فساد الزمان له أجر خمسين من أصحاب النبي ﷺ ٢٤١، ٢٣٣
- ٢٤٨
- ٢٣٣ إن العبادة في زمن الهرج كهجرة إلى الرسول ﷺ
- ٢٣٥ شبه النبي - عليه الصلاة والسلام - أمته بالغيث
- الغرباء هم: «الذين يصلحون إذا فسد الناس» ٢٣٨
- «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء» .. ٢٣٨
- «لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» ٢٤١
- «خير الناس قرني ثم الذين يلونهم» ٢٤٢
- «إني لأحسب الشيطان يفرق منك يا عمر» ٢٤٦
- «من يشتري بئر رومة فيكون دلوه فيها مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة» ٢٤٦
- «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» ٢٤٧
- «يحقر أحدكم صلاته عند صلاتهم» ٢٥٢

- «أَحْرَضَ عَلَيَّ مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِينِ بِاللَّهِ» ٢٥٧
- «سَمِعْتُ خَلِيلِي ﷺ يَقُولُ: كَذَا وَكَذَا» ٢٥٨
- «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَةَ» ٢٦٠
- «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ» ٢٦٢
- «العَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي» ٢٦٥
- «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدُلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ» ٢٦٧، ٤٩٠
- ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها ٢٩٥
- «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيَسْبِغُ الوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلَّا فَتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» ٢٧٤
- «مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ، مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ... إلخ؟» ٢٧٥
- «اكتبوا كتابَ عبيدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى» ٢٨٢
- منهم من يمرُّ على الصراطِ كلمحِ البصرِ، ومنهم من يمرُّ كالبرقِ، ومنهم من يمرُّ كالريحِ، ومنهم من يمرُّ كالإبلِ ٢٨٣
- «ويؤمُّرُ بأربعِ كَلِمَاتٍ: بِكُتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ» ٢٨٤
- «هُوَ لَاءٌ لِلْجَنَّةِ وَلَا أَبَالِي وَهُوَ لَاءٌ لِلنَّارِ وَلَا أَبَالِي» ٢٨٤

- «يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا آدَمُ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ
وَسَعْدَيْكَ» ٢٨٧، ٤٥٧
- «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ» ٢٨٩
- «بَلَىٰ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ رَجَالٌ آمَنُوا بِاللَّهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» ... ٢٩٢
- ينظرُ إلى الله تعالى كُلَّ يَوْمٍ فِي الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ ٢٩٣
- «فِيهَا مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» .. ٢٩٤، ٣٤٠
- «أَدْنَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزَلَةٌ هُوَ الَّذِي تَكُونُ مَسَافَةٌ مُلْكِهِ أَلْفِي عَامٍ،
يَرَىٰ أَقْصَاهُ كَمَا يَرَىٰ أَدْنَاهُ» ٢٩٣
- «رَكَعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٢٩٥
- «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُونَهَا أَبْنَاءَ عَشْرِ وَعِشْرِينَ ٢٩٧
- «إِنَّهُمْ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ ٢٩٧
- «إِنَّ السُّتَيْنِ فِي الطُّوْلِ ثَابِتَةٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ ٣٠٠
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ ٣٠٤
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا ٣٠٤
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ ٣٠٥
- «رِيحُ الْجَنَّةِ يُوْجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ ٣٠٥
- «سَفَرُ الْمَرْأَةِ بِلا مَحْرَمٍ جَاءَ مُقَيَّدًا بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ٣٠٦
- «سَفَرُ الْمَرْأَةِ بِلا مَحْرَمٍ جَاءَ مُقَيَّدًا بِيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ٣٠٦
- «سَفَرُ الْمَرْأَةِ بِلا مَحْرَمٍ جَاءَ مُطْلَقًا ٣٠٦

- «لَا تُسَافِرُ امْرَأَةٌ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ» ٣٠٦
- إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ الْفُقَرَاءُ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِخَمْسِمِئَةِ عَامٍ ٣٠٨
- إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ الْفُقَرَاءُ قَبْلَ الْأَغْنِيَاءِ بِأَرْبَعِينَ عَامًا ٣٠٨
- أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْفِرْدَوْسَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ٣١١
- «أَلَسْنَا عَلَى الْحَقِّ وَعَدُّونَا عَلَى الْبَاطِلِ؟ قَالَ: بَلَى، قُلْتُ: فَلِمَ نُعْطِي الدِّينِيَّةَ فِي دِينِنَا إِذَا؟ قَالَ: إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ وَلَسْتُ أَعْصِيهِ وَهُوَ نَاصِرِي، قُلْتُ: أَوْلَيْسَ كُنْتَ تُحَدِّثُنَا أَنَا سَنَأْتِي الْبَيْتَ فَنَطُوفُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى، فَأَخْبَرْتُكَ أَنَا نَأْتِيهِ الْعَامَ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: فَإِنَّكَ آتِيهِ وَمُطَوِّفٌ بِهِ» ٣١١
- «وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ... وَلَيَبْعَثُنَّهُ اللَّهُ فَلْيَقْطَعَنَّ أَيْدِي رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ» ٣١٢
- أول الفقراء فقيرٌ ذو عيالٍ ٣١٣
- العبدُ المملوكُ الذي قام بحقِّ الله وحقِّ سيِّده هو أوَّلُ المماليك ٣١٣
- «ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ» ٣١٦
- «خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَكَتَبَ التَّوْرَةَ - لِمُوسَى - بِيَدِهِ، وَغَرَسَ الْفِرْدَوْسَ بِيَدِهِ» ٣٢٠
- لَمَّا قَضَى اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْغُرْسَ قَالَ لِلْجَنَّةِ: تَكَلَّمِي، فَتَكَلَّمَتْ ... ٣٢٣
- «يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى فِي آخِرِ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ يَبْقَيْنَ مِنَ اللَّيْلِ، ... ٣٢٤، ٣٨١
- «لَمِنْ أَطَابِ الْكَلَامِ، وَأَطْعَمِ الطَّعَامَ، وَأَدَامِ الصِّيَامَ، وَصَلَّى

- بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» ٣٢٩
- «لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ شَيْءٌ يُشْبَهُ مَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ» ٣٨٧، ٣٤١
- في الجنة شجرة يسير الراكب العجلان فيها مئة سنة لا يقطع ظلها ٣٤٣
- «لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيف» ٣٧٨، ٣٥٠
- «تَبْلُغُ الْحَلِيَّةُ مِنَ الْمُؤْمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الْوُضُوءُ» ٣٦٦
- كان ﷺ يدير الماء على مرفقيه ٣٦٧
- «غَسَلَ يَدَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ يَدَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي الْعَضُدِ، ثُمَّ مَسَحَ رَأْسَهُ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُمْنَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى حَتَّى أَشْرَعَ فِي السَّاقِ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ» ٣٦٨
- «فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يُطِيلَ عُرَّتَهُ وَتَحْجِيلَهُ فَلْيَفْعَلْ» ٣٧٠، ٣٦٩
- «إِنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا مَنْ لَهُ نَعْلَانِ وَشِرَاكَانِ مِنْ نَارِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ كَمَا يَغْلِي الْمَرْجُلُ مَا يَرَى أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لَأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا» ٣٧٢
- «فَإِنَّهُمْ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبَتْ تَقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ» ٣٧٤
- «مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ» ٣٧٥
- «إِنْ تَقَمَّهَا تَكْسِرُهَا، وَإِنْ تَتْرَكْتَهَا تَسْتَمْتِعُ بِهَا وَفِيهَا عِوَجٌ» ٣٧٦

- «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي، وَإِنِّي أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ» ٣٧٨
 كانت زوجة الزبير بن العوام تحمل النوى من المدينة إلى بستانه
 خارج المدينة ٣٩٢
 «الْمُؤْمِنُ إِذَا اشْتَهَى الْوَلَدَ فِي الْجَنَّةِ كَانَ حَمْلُهُ وَوَضْعُهُ وَسِنُّهُ فِي
 سَاعَةٍ كَمَا يَشْتَهِي» ٣٩٨
 «...وَلَكِنْ لَا مَنِيٍّ وَلَا مَنِيَّةٍ» ٤٠٠
 «مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ فَهُوَ كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ خَالَفَ صَرِيحَ
 الْقُرْآنِ وَصَرِيحَ السُّنَّةِ» ٤٠٤
 «فَيَسْجُدُ لَهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، فَيَبْقَى كُلُّ مَنْ كَانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيَا
 رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَيَذْهَبُ لِيَسْجُدَ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا وَاحِدًا» ٤٠٤
 «إِنَّ مَنْ أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ حَرِيًّا بِأَنْ يُحْرِمَهَا» ٤١٣
 «وَأَسْأَلُكَ لَدَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ» ٤٢١
 «هَلْ رَضِيْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَالْنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ نُعْطِ
 أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا
 : يَا رَبِّ، وَآيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ
 رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا» ٤٢٣
 «قُومُوا إِلَيَّ مَا أَعَدَدْتُ لَكُمْ مِنَ الْكِرَامَةِ» ٤٣٤
 «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ،
 فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ،
 هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، ثُمَّ يُنَادِي: يَا أَهْلَ النَّارِ،

- فَيَسْرَبُونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ: هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ، وَكُلُّهُمْ قَدْ رَأَاهُ، فَيَذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ» ٤٤١
- «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ» ٤٤٣
- «مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهَكَ الْوَجْهَةُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ» ٤٤٥
- «الْقُرْآنُ يَأْتِي شَافِعًا لِأَصْحَابِهِ» ٤٤٥
- «تَأْتِي سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ كَأَنَّهَا غَمَامَتَانِ أَوْ غَيَائَتَانِ أَوْ كَأَنَّهَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ يُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبَيْهِمَا» ٤٤٦
- «كَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ» ٤٤٩
- «إِنَّ الْجَنَّةَ قِيَعَانُ» ٤٥١
- «لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُكُمْ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ» ٤٥٢
- «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُلْحِينَ فِي الدُّعَاءِ» ٤٦٢
- «مَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ شَبْرًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيْهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيْهِ بَاعًا، وَمَنْ أَتَاهُ يَمْسِي أَتَاهُ هَرَوَلَةً» ٤٦٣
- «دَخَلَتْ امْرَأَةٌ الْجَنَّةَ وَغُفِرَ لَهَا حَيْثُ سَقَتْ كَلْبًا يَلْهَثُ مِنَ الْعَطَشِ» ٤٦٣
- «أَصْدُقُهَا - أَي: الْأَسْمَاءُ - حَارِثٌ وَهَمَامٌ» ٤٦٥
- «يَا لَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ شَيْءٍ يُوزَنُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ؟» ٤٦٧

- «أفكلّمنا جاءنا رجلٌ أجدلٌ من رجلٍ تركنا الكتابَ والسُّنَّةَ
 لقولِ هذا المجادلِ؟!» ٤٦٨
- «أمرُّوها كما جاءتِ بلا كيفٍ» ٤٦٩
- «مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» ٤٧٥
- «يَا مُقَلَّبَ الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ» ٤٨٠
- «رَجُلَانِ نَحَابَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ» ٤٨٢
- «لَمَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» ٤٩٠
- «لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الْآخِرَةِ» ٤٩٤
- «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ
 الْآخِرَةِ ٤٩٦
- «وقد قال النَّاسُ: أكثرُ ما يُفْسِدُ الدُّنْيَا: نصفُ متكلمٍ، ونصفُ
 متفكِّهٍ، ونصفُ مطبَّبٍ، ونصفُ نحوِيٍّ» ٥٠٦
- «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ ...» ٥١٧
- «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ
 لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ» ٥٢١
- «اللَّهُمَّ بَعْلِمِكَ الْغَيْبِ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ
 الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي» ٥٢١
- «حِجَابُهُ - أَي: الرَّبِّ - النُّورُ» ٥٢٢
- «هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَالَ: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ» ٥٢٢

«أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا
مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ
عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي» ٥٢٣

«مِلْءَ السَّمَاوَاتِ، وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا
شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ» ٥٣٧، ٥٢٥

«اللَّهُمَّ أَقْطَعْنَا الرَّحِمَ، وَآتَانَا بِمَا لَا نَعْرِفُهُ، فَأَخِنِهِ الْغَدَاةَ» ٥٣١

«إِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» ٥٣٢

«كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ» ٥٣٣

«بِالصَّبْرِ وَالْيَقِينِ تُنَالُ الْإِمَامَةُ فِي الدِّينِ» ٥٣٥

فهرس الموضوعات والفوائد

الصفحة	الموضوع
٥	فَصْلٌ: فِي بَيَانِ شُرُوطِ كِفَايَةِ النَّصِّينِ وَالِاسْتِغْنَاءِ بِالْوَحْيَيْنِ
٦	شروطِ الاكتفاءِ بالنَّصِّينِ
٦	الأوَّلُ: تجريدُ التَّلَقِّي
٦	الثَّاني: خلعُ القيودِ
٧	إذا تعارَضَ العقلُ والنَّقْلُ فِي بَابِ الصِّفَاتِ
٧	هؤلاءِ يُقَعِّدُونَ قواعدَ ما أنزل اللهُ بها من سُلْطَانٍ
٧	الثَّالثُ: هدمُ القواعدِ التي ما أنزل اللهُ بها من سُلْطَانٍ
٨	الرَّابعُ: أن تُقَدِّمَ على الآراءِ المخالفةِ بالرَّدِّ والإبطالِ
٨	القيودُ والقواعدُ التي أصْلَوْهَا ضَيَّقَتْ البِطَانَ
٩	قولهم أن الإنسانَ إذا خلعَ الحَقَّينِ بعد مسحِهما بطلَ الوضوءُ
١٠	قولهم: كُلُّ النُّصُوصِ المَثْبُتَةِ لِلصِّفَاتِ مجازٌ
١٠	بماذا يكونُ تقييدُ المطلقِ؟
١١	فرقٌ بين المطلقِ والعامِّ، وبين المخصِّصِ والمقيِّدِ
١٤	الصحابَةُ أنكروا معارضةَ النَّصِّ بالآراءِ
١٥	الاختلافُ بين أهلِ الآراءِ
١٦	مثالٌ عجيبٌ منضبطٌ ضربه ابن القيم رحمه الله

- الإيمان يُغرسه اللهُ تعالى في قلبِ الإنسانِ ١٦
- فَصْلٌ ١٨
- منهج السلف في الطعن في الأقوال ١٩
- أقوال النَّاسِ ثلاثةٌ أقسام: ١٩
- إذا رَأَيْتَ رَأْيًا فإنه لا يحلُّ لك أن تُنْزِمَ النَّاسَ به ٢٠
- كُلُّ شخصٍ يريدُ من النَّاسِ أن يتَّبِعُوا قولَه ٢١
- التحذير من أن يترك الإنسانُ النَّصَّ ٢٢
- الكلام عن الاشتراكية ٢٤
- فَصْلٌ: في لَازِمِ المَذْهَبِ هلْ هُوَ مَذْهَبٌ أَمْ لَا؟ ٢٥
- مَنْ الذي يعرفُ بلوازمِ كلامه؟ ٢٦
- إنَّ اللهَ تعالى خالقُ كُلِّ شيءٍ، فهل يلزمُ أن يكونَ عالمًا بأحوالِ
العبادِ؟ ٢٧
- أولًا: هل لازمُ الكلامِ ملزومٌ للقائلِ أو لا؟ ٢٧
- الأقوالُ المنكِّرةُ في بابِ الصِّفَاتِ وغيرها إذا كان يلزمُ عليها لوازمُ
باطلةٌ لماذا لم يرجع عنها أصحابُها؟ ٣٠
- إذا جاءت «مَا» بعد «إِذَا» فهي زائدةٌ ٣١
- دلالةُ النَّصوصِ على اللّازِمِ تجعلُ اللّازِمَ حُكْمًا ثابتًا ٣٢
- قولهم: أنتم ممثلةٌ، وهل يلزمنا أن نقولَ بالتَّجسيمِ؟ ٣٣
- أقوال المعطلة في أهل السنة، وإلزامهم بما لا يلزم ٣٣

- ٣٦ قولهم لأهل السنّة: أنتم كُفّارٌ؛ لأنكم تمثّلون الله بخلقه.....
- من قال: إنَّ الله - سبحانه وتعالى - لا يُوصَفُ بوجودٍ ولا عَدَمٍ،
ولا سمعٍ ولا بصيرٍ، .. إلخ ٣٧
- من قال: السَّمَاوَاتُ والأَرْضُ مخلوقان قبل العرشِ بالإجماع ٣٩
- تأويل المعطلة لآيات الاستواء ٤٠
- التَّهَكُّمُ بالإنسانِ وراذُ حتّى في القرآن ٤٢
- فَصْلٌ: فِي الرَّدِّ عَلَيْهِمْ فِي تَكْفِيرِهِمْ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ وَذِكْرِ انْقِسَامِهِمْ إِلَى
أَهْلِ الْجَهْلِ وَالتَّفْرِيطِ وَالبِدْعَةِ وَالكُفْرَانِ ٤٣
- أهل البدع والضلال ليس لهم سيرٌ ولا سلاحٌ إلاّ التَّكْفِيرُ
والتَّشْهِيرُ ٤٤
- مِيزَانُ الدِّينِ عندهم هو الموافقةُ والمخالفةُ ٤٥
- سببُ تكفيرهم لأهل السنة تركُ الوحيين «الكتاب والسنّة» للآراء... ٤٥
- الذين كَفَرُوا أَهْلَ السُّنَّةِ والجماعةِ قسماً: أهلُ جهالةٍ وذوو العنادِ ٤٨
- المعاندون كُفّارٌ من وجهين: ٤٩
- الجاهلون نوعان: ٤٩
- القسم الأول من الجهال ٤٩
- تفسيق ابن القيم للعوام في بلد البدع أو بلد الشرك ٥٠
- هل التوقف قولٌ أو جهلٌ؟ ٥١
- ماذا قال النبي ﷺ في الخوارج؟ ٥٣

- ٥٥ النَّوَاةُ فِيهَا ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءُ: النَّقِيرُ وَالْفَتِيلُ وَالْقَطْمِيرُ
- أَقْسَمَ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - أَنْ أَهْلَ الْإِثْبَاتِ مَا زَادُوا عَلَى الْكِتَابِ
وَالسُّنَّةِ نَقِيرًا ٥٥
- الخَوَارِجُ لَيْسُوا أَهْلَ تَعْطِيلٍ، لَكِنَّهُمْ عَزَلُوا نصوصَ الرَّجَاءِ عَمَّا
أَرَادَ اللَّهُ بِهَا وَرَسُولُهُ ٥٦
- هل الخوارج كُفَّارٌ؟ واختلاف العلماء في ذلك ٥٧
- ٥٨ **فصلٌ**
- القسم الثاني من الجهال ٥٩
- الفرق بين «إِذْ» و«إِنْ»؟ ٦٠
- إِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ شَكًّا عِنْدَ الْمَوْتِ هُمُ أَهْلُ الْكَلَامِ ٦٢
- هؤلاء لهم أربع حالات ٦٣
- نعذرُ جاهلهم الحريصَ على طلبِ الحقِّ ٦٤
- قاعدة مفيدة مهمّة «الْكُفْرُ حَقُّ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولُهُ» ٦٥
- إثباتُ الأجرِ يَدُلُّ على أَنَّ المَاجورَ مؤمنٌ ٦٧
- فصلٌ:** فِي تَلَاَعِبِ الْمُكْفَرِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْإِيْمَانِ بِالْدينِ كَتَلَاَعِبِ الصَّبِيَانِ ... ٦٨
- ردُّهم الكتابِ والسُّنَّةِ ٦٩
- الخفافيش ٧٠
- معاداة أهل البدع لأهل السنة في كل حال ٧١
- أعداءُ الرَّسولِ عابوا على النَّبِيِّ ﷺ الخُلْفَ لشيوخهم ٧٣

- ٧٣ جواز مخالفة الشيوخ إذا كانوا على باطل
- لو وزنًا عقول جميع أهل الأرض بنص صح عن النبي - عليه
 الصلاة والسلام - ما ساوته ٧٤
- ٧٦ خلاف أهل ابلدع في فوقية الله عز وجل
- ٧٧ القول في إثبات اليدين
- ٧٧ نصوص إثبات اليدين في القرآن الكريم والسنة على أوجه ثلاثة ..
- ٧٨ إلزام المثني بالألف بين الضرورة الشعرية، ولغة الإثبات مطلقًا ..
- ٧٩ وردت العينان بصفة التثنية في السنة على وجهين ..
- ٨٠ الأشعريُّ مُصرِّحٌ بأنَّ الله أصابع، والأشاعرة ينكرونها ..
- ٨١ إنكار أهل البدع للرؤية ..
- ٨٢ هل الرؤية مستحيلة لكونها نقصًا في حق الله تعالى ..
- ٨٤ الأشعري صرح بثبوت الرؤية يوم القيامة والأشاعرة ينكرونها ..
- ٨٤ إنكار الأشاعرة والمعتزلة للاستواء ..
- ٨٥ مثل لبيان صفة ثبوت الرؤية ..
- يقول أبو الحسن الأشعريُّ: إِنَّ اللهَ لَا يَتَكَلَّمُ بِحَرْفٍ وَصَوْتٍ
 مسموع ٨٧
- ٨٧ المعتزلة يقولون: إِنَّ القرآنَ كلامُ الله، لكنَّه خَلَقَ من مخلوقاته
 فَصْلٌ: فِي أَنَّ أَهْلَ الْحَدِيثِ هُمْ أَنْصَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَخَاصَّتُهُ، وَلَا يُبْغِضُ
 الْأَنْصَارَ رَجُلٌ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ٩١

- أهل الحديث هم أنصارُ دينِ الله والإيمانِ والقرآنِ ٩٢
- شَهِدَ الرَّسُولُ بَأَنَّهُ لَا يُبْغِضُهُمْ مُؤْمِنٌ ٩٣
- الأنصارُ قبيلتان: الأوسُ والخزرجُ، فهل هذا يختصُّ بتلك القبيلتين؟ ٩٣
- المعطلَّة أخذوا بأقوالِ الشيوخ وتركوا ما قاله النبي ﷺ ٩٤
- انتسابُ أولي التفرُّقِ: موافقةُ الكتابِ ومخالفتهُ، وموافقةُ السُّنَّةِ ... ٩٤
- «اللَّقب» عند أهل النَّحوِ ٩٥
- أهل الحديث ربحوا الدنيا والآخرة ٩٧
- مَثَلُ مَا بُعِثَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ ٩٩
- أهل البدعِ في قلوبهم غُلٌّ على السُّنَّةِ ١٠٢
- الجاهلون شرارُ أهلِ الحقِّ ١٠٣
- فَصْلٌ: فِي تَعْيِينِ الْهَجْرَةِ مِنَ الْأَرَءِ وَالْبِدْعِ إِلَى سُنَّتِهِ كَمَا كَانَتْ فَرَضًا مِنَ الْأَمْصَارِ إِلَى بَلَدْتِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ١٠٥
- معنى قولِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الْفَتْحِ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ» ١٠٦
- الحبُّ والبغضُ أصْلانِ للولايةِ والعداوةِ ١٠٧
- الإخلاصُ والمتابعةُ هما الإحسانُ ١٠٨
- كيف تهاجرُ إلى النبي ﷺ؟ ١٠٩
- ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى بِاللُّسَانِ يُعِينُ عَلَى ذِكْرِهِ بِالْقَلْبِ ١٠٩
- سِيرُ الدَّلَالِ سِيرٌ بَطِيءٌ، وَالدَّمْلَانُ سِيرٌ سَرِيعٌ ١١٢

- ١١٢ إِنَّ أَعْلَامَ السُّنَّةِ لَا يَرَاهَا إِلَّا مَنْ لَهُ عَيْنَانِ مَكْحُولَتَانِ بِمَرَاوِدِ السُّنَّةِ
- ١١٥ أَصْحَابُ بَدْرِ
- ١١٥ يَبْعَةُ الرُّضْوَانِ
- ١١٦ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ
- ١١٧ أَنْ يُعْرِضَ الْإِنْسَانُ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ مَحْنَةً
- ١١٨ يَجِبُ الرَّجُوعُ فِي التَّحَاكُمِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ
- ١١٩ أَهْلُ التَّعْطِيلِ يُحْكَمُونَ الْعَقْلَ فِي بَابِ الصِّفَاتِ
- ١٢٣ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقْسِمُ الْفَضْلَ بَيْنَ النَّاسِ
- ١٢٤ سَاكِنُو الْجَنَّاتِ وَعَامُرُوهَا هُمْ أَهْلُ الْهُدَى
- ١٢٥ «هُوَ الشَّرَّانِ»، وَفِي نَسْخَةٍ: «هُمَا الشَّرَّانِ»
- ١٢٥ التَّكْبُرُ وَالهُوَى
- ١٢٧ فَصْلٌ: فِي ظُهُورِ الْفَرْقِ الْمُبِينِ بَيْنَ دَعْوَةِ الرَّسْلِ وَدَعْوَةِ الْمُعْطَلِينَ
- ١٢٧ وَجْهُ الْفَرْقِ بَيْنَ الدَّعْوَتَيْنِ
- ١٢٨ انْقِسَامُ النَّاسِ فِيمَا جَاءَتْ بِهِ الرَّسْلُ إِلَى قَسْمَيْنِ:
- ١٣٠ أَتَى الرَّسْلُ بِإِبْثَابِ الصِّفَاتِ وَالْعُلُوِّ وَالْكَلامِ لِلرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ
- ١٣١ مِنَ الَّذِي قَالَ: «أَيْنَ اللَّهُ؟»
- ١٣٢ الرَّسْلُ أَتَوْا بِالْتَّبْيَانِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ
- ١٣٤ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ مِنْ مَقَوِّمَاتِ اللَّفْظِ:
- ١٣٥ سَخْرِيَّةُ الْمُصْنَفِ مِنَ الْمُعْطَلَةِ

- الرُّسُلُ أَتَوْا بِإِبْطَاتِ الْمَفْصَلِ غَالِبًا، وَنَفِي الْمَجْمَلِ ١٣٦
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ سَلَكَوا طَرِيقًا مَخَالَفًا لَطَرِيقِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ ١٣٧
- أَهْلُ التَّعْطِيلِ أَفْرَاحٌ لِلْيَهُودِ ١٣٨
- الْجَعْدُ بْنُ دَرَهْمٍ وَلِيبِدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الَّذِي سَحَرَ النَّبِيَّ ﷺ ١٣٨
- عِلْمُ الْكَلَامِ عِنْدَ الْأَثَمَةِ مَذْمُومٌ ١٣٩
- قَوْلُ الْمَعْطَلَةِ: إِنَّ اللَّهَ لَا دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَهُ، وَلَا مَتَّصِلٌ وَلَا
مَنْفَصِلٌ، وَلَا فَوْقَ وَلَا تَحْتَ، وَلَا يَمِينٌ وَلَا شِمَالٌ، وَلَا مَبَايِنٌ وَلَا
مَحَايِثُ ١٤٠
- فَصْلٌ: فِي شَكْوَى أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ أَهْلَ التَّعْطِيلِ وَالْآرَاءِ الْمُخَالَفَةِ لَهُمَا
إِلَى الرَّحْمَنِ ١٤٢
- المَعْطَلَةُ يَشْكُونُ أَهْلَ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ إِلَى السُّلْطَانِ ١٤٢
- تَلْبِيسُهُمْ عَلَى أَهْلِ السَّنَةِ مِنْ وَجْهَيْنِ ١٤٣
- يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَدْعُوَ لِأَهْلِ الْبَاطِلِ أَنْ يَرُدَّهُمُ اللَّهُ عَنْ بَاطِلِهِمْ إِلَى الْحَقِّ
هَجْرَانِهِمُ الْوَحِيِّينَ إِلَى الْآرَاءِ وَالْعَقْلِ ١٤٤
- قَوْلُهُمْ: فِي الْقُرْآنِ مَا يَخَالَفُ الْعُقُولَ، وَيَجِبُ فِيهِ أَحَدُ امْرَيْنِ: ١٤٨
- قَوْلُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ -رَحِمَهُ اللَّهُ- عَنْ قَوْلِ أَهْلِ التَّفْوِيزِ ١٥٠
- النُّفَاةُ مَا تَرَكَوا النَّاسَ بِلَا شَرٍّ وَلَا عَدْوَانٍ ١٥١
- عَوَامِهِمْ لَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ إِلَّا مِنْ أَجْلِ أَنْ يُشْبِعُوا بَطُونَهُمْ ١٥٦
- الَّذِينَ يَعْتَنُونَ بِالْفَاطِظِ الْقُرْآنِ وَتَجْوِيدِهِ وَنَغْمَاتِهِ الصَّوْتِيَّةِ ١٥٧

- قول المعطلة: إنَّ المصاحفَ ما فيها من القرآنِ إلاَّ المدادُ وهذه
الأوراقُ ١٥٨
- المعطلةُ الذين ينكرون كلامَ الله انقسموا ثلاثة أقسامٍ ١٦٠
- القرآنُ عند المعتزلة، وعند الأشاعرة ١٦١
- الفرقُ بين العبارة والحكاية ١٦١
- قولهم: القرآنُ دلالتُهُ ظنيَّةٌ ليست قطعِيَّةً ١٦٣
- إنَّ إعراضَ النَّاسِ عن القرآنِ من علاماتِ رفعِهِ في آخِرِ الزَّمانِ .. ١٦٤
- فَصَلِّ: فِي أَذَانِ أَهْلِ السُّنَّةِ الْأَعْلَامِ بِصَرِّ-يَحْهَا جَهْرًا عَلَى رُؤُوسِ مَنْابِرِ
الإِسْلَامِ ١٦٧
- اتِّفَاقُ الْمُعْتَزِلَةِ وَالْأَشْعَرِيَّةِ عَلَى أَنَّ مَا نَقَرُوهُ فِي هَذَا الْمُصْحَفِ مَخْلُوقٌ
الْأَصْنَامُ لَا تَصْلُحُ أَنْ تَكُونَ آلِهَةً ١٦٧
- الارتباطُ بين اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ١٧٣
- هل القرآنُ المكتوبُ في هذا الكتابِ مخلوقٌ أو لا؟ ١٧٤
- كلامُ الإمامِ أحمد - رحمه الله تعالى - في مسألة خلق القرآن ١٧٤
- ثبوتُ الفوقِيَّةِ بِجَمِيعِ الْمَعَانِي ١٧٧
- قاعدةٌ مفيدةٌ: «كُلُّ مَا أَضَافَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ فَالْمُرَادُ لِدَاتِهِ» ١٧٨
- الأدلة على علوِّ الله عزَّ وجلَّ ١٨١
- آياتُ المعراجِ ١٨١
- كلمة «إِصْبَحَ» فِيهَا عَشْرُ لُغَاتٍ ١٨٣

- المنكرون للعلو يقولون: مَنْ رَفَعَ إصْبَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ مَشِيرًا إِلَى
 ١٨٤ عَلُوِّ اللَّهِ وَجَبَ قَطْعُهَا.
- لا يمكنُ أَنْ يَتَصَوَّرَ الْإِنْسَانُ عِظَمَ الْكُرْسِيِّ وَلَا عِظَمَ الْعَرْشِ ١٨٧
- ١٨٨ قَوْلِ أَهْلِ التَّعْطِيلِ: إِنَّ اللَّهَ بَدَاتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.
- ١٨٩ الْمَشْبَهَةُ وَالْمُمَثَّلَةُ قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ - سَبْحَانَهُ تَعَالَى - مِمَّا تُثَلِّخُ لِحْلِقِهِ.
- ١٨٩ كُلُّ مِمَثِّلٍ مَعْطَلٌ مِنْ ثَلَاثَةِ وُجُوهِ:
- ١٩٠ الْمَعْطَلُ مِمَثِّلٌ.
- ١٩٢ الْمَعْطَلَةُ زَعَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ أَثْبَتَ لِلَّهِ صِفَةً فَهُوَ مُشَبَّهٌ.
- ١٩٦ **فَصْلٌ: فِي تَلَازِمِ التَّعْطِيلِ وَالشَّرْكِ**
- ١٩٧ الْمَعْطَلُ مُشْرِكٌ.
- ١٩٨ تَعْطِيلُ الْأَوْصَافِ وَتَعْطِيلُ التَّوْحِيدِ.
- ٢٠١ سُورَةُ الْأَخْلَاصِ تُسَنُّ فِي أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ مِنَ السُّنَنِ.
- ٢٠٤ الْمَشْرِكُ فِي الْعِبَادَةِ الَّذِي تَضَمَّتْهُ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ.
- ٢٠٤ التَّعْطِيلُ يَلْزِمُ مِنْهُ الْإِشْرَاقُ.
- ٢٠٥ **فَصْلٌ: فِي بَيَانِ أَنَّ الْمَعْطَلَّ شَرٌّ مِنَ الْمَشْرِكِ.**
- ٢٠٦ الْمَعْطَلُّ جَا حِدٌ لِدَاتِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ لِلصِّفَاتِ الَّتِي بِهَا كَمَالُ الدَّاتِ ..
- ٢٠٧ الْمَشْرِكُ مُثَبَّتٌ لِلدَّاتِ وَالصِّفَاتِ، لَكِنَّهُ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ ..
- ٢٠٧ الشَّرْكَ تَعْظِيمٌ لِلَّهِ، لَكِنَّهُ تَعْظِيمٌ مَبْنِيٌّ عَلَى الْجَهْلِ.
- ٢٠٨ الْفَرْقُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ مَلُوكِ الدُّنْيَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ.

- ٢١١ في بيانِ توحيدِ الألوهية
- ٢١٢ الشفاعةُ لا بُدَّ فيها من شرطين:
- ٢١٤ إنَّ اللهَ - سبحانه وتعالى - أذنَ في الشفاعةِ لسببَيْنِ
- ٢١٤ للشفاعةِ فائدتان:
- ٢١٦ إذا تولَّى الإنسانُ غيرَ اللهِ ولأه اللهُ إيَّاه
- ٢١٨ مسألة: هل تولَّى غيرَ الله عزَّ وجلَّ يُعذَّرُ فيه الإنسانُ بالجهلِ؟
- ٢٢١ الكفيلُ من أسماءِ الله
- ٢٢٢ لا حاجةَ لوسيطٍ بينَ الله وبينَ العبادِ
- ٢٢٣ المعطلُّ لا يصفُ اللهُ إلا بالنفي
- ٢٢٣ القلبُ لا بُدَّ له من معبودٍ
- ٢٢٤ فصلٌ: في مثلِ المشركِ والمعطلِّ
- ٢٢٩ من الأشدَّ جرماً المشركُ أو المعطلُّ
- فصلٌ: فيما أعدَّ اللهُ تعالى من الإحسانِ للمتمسكينَ بكتابهِ وسُنَّةِ رَسولِهِ
- ٢٣١ عندَ فَسادِ الزَّمانِ
- ٢٣٢ فضلُ العبادةِ في زمنِ الهرجِ
- ٢٣٥ الفضلُ في أوَّلِ الأُمَّةِ وفي آخِرِها
- ٢٣٨ الغربةُ ليست غربةَ الوطنِ، ولكنَّها غربةُ الدِّينِ
- ٢٣٩ فضلُ التمسكِ بالدِّينِ وقتِ الغربةِ
- ٢٤١ فضلُ الصحابةِ على من دونهم

- المبادرة بردّ الشيء الذي لم تُحط به علمًا سبب إلى الحرمان وعدم الوصول إلى الحق ٢٤٢
- الفضل المُقيّد لا يُوجب أن يكونَ الفاضلُ أفضلَ من ذي الفضلِ المُطلقِ ٢٤٣
- الرُّسلُ مَنْ بعد آدمَ لهم خصائصُ ليست لمحمّدٍ عليه الصَّلَاةُ والسَّلَامُ ٢٤٥
- الفضلُ نوعان: فضلٌ مُطلقٌ، وفضلٌ مُقيّدٌ ٢٤٦
- فضلُ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٢٤٦
- فضلُ عليّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ٢٤٧
- ما حكمُ الاستهزاءِ والتّعيرِ بالسُّنّةِ؟ ٢٤٨
- المشاق التي يتعرض لها المتمسك بدينه ٢٤٩
- الرَّجلُ القابضُ على الجمرِ يجدُ حرًّا لا يعلمُه إلا اللهُ ٢٥١
- الفضلُ بحقائقِ الإيِّانِ لا بصورةِ الأعمالِ ٢٥٢
- فَضْلٌ: فِيمَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَى فِي الْجَنَّةِ لِأَوْلِيَائِهِ الْمُتَمَسِّكِينَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ ... ٢٥٤
- كُلُّ الدُّنيا ساعةٌ من زمانٍ ٢٥٨
- لو فَرِضَ أَنَّ الإنسانَ في أَطيبِ عيشةٍ فإذا فَكَّرَ ساعةً ما المَالُ؟ ٢٦١
- المؤمنُ سجنهُ الدُّنيا لوجهين: ٢٦١
- قصة ابن حجر - رحمه الله تعالى - واليهودي ٢٦٢
- الحياة الطَّيِّبَةُ لا تقتضي كثرةَ المَالِ ولا كثرةَ الأَوْلَادِ ٢٦٤

- ٢٦٦ أرواح الكفار في وحشة
- ٢٦٧ الدنيا أحقر عند الله من جناح البعوضة
- ٢٦٨ الدنيا لا يُرَجَى منها الوفاء لمن يحبونها ويقدمونها على الآخرة
- فصل: في صفة الجنة التي أعدها الله - ذو الفضل والمنة - لأولياؤه
- ٢٧١ المتمسكين بالكتاب والسنة
- ٢٧٢ فصل: في عدد درجات الجنة وما بين كل درجتين
- ٢٧٤ فصل: في أبواب الجنة
- ٢٧٦ فصل: في مقدار ما بين الباب والباب منها
- ٢٧٧ فصل: في مقدار ما بين مضراعي الباب الواحد منها
- ٢٧٧ تقدير ما بين البابين
- ٢٧٩ فصل: في مفتاح باب الجنة
- ٢٧٩ أسنان هذه المفاتيح هي الشرشرة
- ٢٨٠ هل الأعمال شرط لصحة الإيمان ودخول الجنة؟
- ٢٨١ فصل: في منشور الجنة الذي يُوقَع به لصاحبها
- ٢٨٣ الجسر هو: جسر ممدود على جهنم
- ٢٨٤ ما يكتبه الملك على ابن آدم وهو في بطن أمه
- ٢٨٦ فصل: في صفوف أهل الجنة
- ٢٨٧ ذكُرُ يأجوج ومأجوج
- ٢٨٩ فصل: في صفة أول زمرة تدخل الجنة

- ٢٩١ فَضْلٌ: فِي صِفَةِ الزُّمَرَةِ الثَّانِيَةِ
- ٢٩٢ فَضْلٌ: فِي تَفَاضُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى
- ٢٩٣ فَضْلٌ: فِي ذِكْرِ أَعْلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنزَلَةً وَأَدْنَاهُمْ
- ٢٩٥ آخِرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولاً
- ٢٩٥ خِلَاصَةٌ هَذَا الْفَصْلِ أَنَّهُ ذَكَرَ ثَلَاثَةَ أَحْكَامٍ:
- ٢٩٦ فَضْلٌ: فِي ذِكْرِ سِنِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٢٩٨ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يَأْتِي بِالنُّصُوصِ الْمَشْكُوكَةِ لِيُغْرِبَ فِي الْمَقَالِ
- فَرَقٌ بَيْنَ مَنْ يَأْتِي بِالْأَحَادِيثِ لِيُثَبِّتَ التَّعَارُضَ، وَشَخْصٍ يَرِيدُ
- ٢٩٨ الْجَمْعَ بَيْنَهَا
- ٢٩٩ فَضْلٌ: فِي طُولِ قَامَاتِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَعَرْضِهِمْ
- مَا الْحِكْمَةُ فِي أَنَّ اللَّهَ -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يَجْعَلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَلَى
- ٣٠١ صِفَاتِهِمْ؟
- ٣٠٢ فَضْلٌ: فِي لِحَاهِمُ وَأَلْوَانِهِمْ
- ٣٠٣ فَضْلٌ: فِي لِسَانِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٠٤ فَضْلٌ: فِي رِيحِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ مَسِيرَةِ كَمْ يُوجَدُ
- ٣٠٤ الْاِخْتِلَافِ فِي هَذَا
- ٣٠٦ لَا تَنَاقُضَ بَيْنَ الْآثَارِ الْمَخْتَلِفَةِ فِي هَذِهِ الْمَسَافَةِ
- ٣٠٨ فَضْلٌ: فِي أَسْبَقِ النَّاسِ دُخُولاً إِلَى الْجَنَّةِ
- ٣١٠ ضَعْفٌ مَا رَوَى أَنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ الْفِرْدَوْسَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

- ٣١٤ فَضْلٌ: فِي عَدَدِ الْجَنَّاتِ، وَأَجْنَاسِهَا
- ٣١٤ أَصْلُ الْجَنَّةِ ثِنْتَانِ وَثِنْتَانِ
- ٣١٥ الْجَنَّةُ لَهَا أَسْمَاءٌ مُتَعَدِّدَةٌ، لَكِنْ أَصْلُهَا أَرْبَعٌ
- ٣١٧ الْفَرْقُ بَيْنَ الْحُورِ الْقَاصِرَاتِ، وَالْمَقْصُورَاتِ
- ٣٢٠ الْفَرْدُوسُ فِي الْجَنَّةِ كَأَدَمَ فِي الْبَشَرِ
- ٣٢٣ هَلِ الْجَنَّةُ تَتَكَلَّمُ؟
- ٣٢٦ فَضْلٌ: فِي بِنَاءِ الْجَنَّةِ
- ٣٢٧ فَضْلٌ: فِي أَرْضِهَا وَحَضْبَائِهَا وَتُرْبِهَا
- ٣٢٩ فَضْلٌ: فِي صِفَةِ غُرْفَاتِهَا
- فَإِذَا قَالَ قَائِلٌ: هَذَا شَفَافِيَةُ الْغُرْفِ تَمْنَعُ مِنْ رُؤْيَةِ مَا يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ
- ٣٢٩ الْإِنْسَانُ سَرًّا؟
- ٣٣٠ فَضْلٌ: فِي خِيَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٣١ الْمَقَاصِيرُ فِيهَا أَبْوَابُهَا مِنْ ذَهَبٍ وَدُرٍّ وَمُرْجَانٍ
- ٣٣٣ فَضْلٌ: فِي أَرَائِكِهَا وَسُرُرِهَا
- ٣٣٣ مَعْنَى «الْبَشْخَانَةُ» فِي لُغَةِ فَارَسٍ
- ٣٣٥ فَضْلٌ: فِي أَشْجَارِهَا وَتِبَارِهَا وَظِلَالِهَا
- ٣٣٦ السِّدْرُ
- ٣٣٧ هَلِ فِي الْجَنَّةِ طَلْحٌ؟
- ٣٤٠ لَيْسَ فِي الْجَنَّةِ مَمًّا فِي الدُّنْيَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ

- ٣٤٥ فَضْلٌ: فِي سَمَاعِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٤٦ سَمَاعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ نَوْعَانِ:
- ٣٤٨ الْقَلْبُ يَتَعَلَّقُ بِالْغِنَاءِ
- ٣٥١ فَضْلٌ: فِي أَنْهَارِ الْجَنَّةِ
- ٣٥١ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ تَجْرِي بِلا أَحْدُوْدٍ
- ٣٥٢ مَوَادُّ اللَّبَنِ وَالْعَسَلِ وَالْمَاءِ وَالْخَمْرِ لَيْسَتْ كَمَوَادِّ الدُّنْيَا
- ٣٥٤ فَضْلٌ: فِي طَعَامِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٥٥ فَضْلٌ: فِي شَرَابِهِمْ
- ٣٥٧ فَضْلٌ: فِي مَصْرِفِ طَعَامِهِمْ وَشَرَابِهِمْ، وَهَضْمِهِ
- ٣٥٧ أَهْلُ الْجَنَّةِ لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتَمَخَّطُونَ، وَلَا يَبْصُقُونَ ...
- ٣٥٩ فَضْلٌ: فِي لِبَاسِ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٦٠ هَلْ فِي الْقُرْآنِ كَلِمَاتٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ؟
- ٣٦٣ فَضْلٌ: فِي قُرْبِهِمْ وَمَا يَتَّبِعُهَا
- ٣٦٤ فَضْلٌ: فِي حُلِيِّ أَهْلِ الْجَنَّةِ
- ٣٦٥ أَسْوَرَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ أَصْنَافٍ
- ٣٦٧ قَوْلَانِ عِنْدَ أَهْلِ الْفِقْهِ: هَلْ يُسَنُّ مَجَاوِزَةَ مَحَلِّ الْفَرْضِ أَوْ لَا يُسَنُّ؟
- فَضْلٌ: فِي صِفَةِ عَرَائِسِ الْجَنَّةِ، وَحُسْنِهِنَّ، وَجَمَالِهِنَّ، وَلَذَّةِ وَصَالِهِنَّ،
وَمُثُورِهِنَّ
- ٣٧١ وَمُثُورِهِنَّ
- ٣٧٨ إِذَا أَعْيَاكَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا خَوْدٌ

- ٣٧٩ القلوبُ سَكْرَى بِحُبِّ حَيَاتِهَا الدُّنْيَا
- ٣٨٣ فَصْلٌ
- ٣٨٨ فَصْلٌ
- ٣٨٩ صفة ساق الحور.....
- ٣٩٠ فَصْلٌ
- ٣٩٠ أعمار عرائس الجنة.....
- ٣٩١ قوة الجماع.....
- ٣٩٣ فَصْلٌ
- ٣٩٥ تَبَخَّرُ عَرَائِسُ الْجَنَّةِ.....
- ٣٩٥ صفة الوصائف.....
- ٣٩٦ فَصْلٌ: فِي ذِكْرِ الْخِلَافِ بَيْنَ النَّاسِ: هَلْ تَحْبِلُ نِسَاءُ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَمْ لَا؟.....
- ٣٩٦ لا توالد في الجنة.....
- ٣٩٧ نفي حبلى نساء أهل الجنة.....
- ٤٠٠ لا مني ولا موت.....
- ٤٠٠ خَلَقَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْجِنْسَ الْبَشَرِيَّ مِنْ أَصْنَافٍ أَرْبَعَةٍ:.....
- ٤٠١ الذي يظهر أنهم لا يشتهون الأولاد.....
- ٤٠٣ فَصْلٌ: فِي رُؤْيَا أَهْلِ الْجَنَّةِ رَبِّهِمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَنَظَرِهِمْ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ.....
- ٤٠٤ غير المؤمنين هل يرون الله؟.....
- ٤٠٦ إثبات الرؤية في القرآن الكريم نوعان: صريحٌ وتعريضٌ.....

- ٤١٠ قصة جرت مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -
- ٤٢٢ **فصل: في كلام الرب - جلّ جلاله - مع أهل الجنة**
- ٤٢٣ الله سبحانه وتعالى يُكلّم أهل الجنة
- ٤٢٥ الفرق بين العبارة والحكاية
- ٤٢٦ **فصل: في يوم المزيد، وما أعدّ الله لهم فيه من الكرامة**
- ٤٢٩ **فصل: في المطر الذي يُصيبهم هناك**
- ٤٣٠ **فصل: في سوق الجنة الذي ينصرفون إليه من ذلك المجلس**
- ٤٣٣ **فصل: في حالهم عند رجوعهم إلى أهلهم ومنازلهم**
- **فصل: في خلود أهل الجنة فيها، ودوام صحتهم ونعيمهم وشبابهم، واستحالة الموت والنوم عليهم**
- ٤٣٥ رأيان في دوام الجنة مُقابلان لما دلّ عليه الكتاب والسنة وإجماع الأمة
- ٤٣٦ **فصل: في ذبح الموت بين الجنة والنار، والردّ على من قال: إن الذبح للملك الموت، أو إن ذلك مجاز لا حقيقة له**
- ٤٤٠ العمل الصالح يأتي إلى الرجل إذا دُفن يؤنسه
- ٤٤٥ فضل حفظ سورتي البقرة وآل عمران وقراءتهما
- ٤٤٦ **فصل: في أن الجنة قيعان، وأن غراسها الكلام الطيب والعمل الصالح**
- ٤٥٠ «باء» الإثبات، و«باء» العوض
- ٤٥٢ **فصل: في إقامة المآتم على المتخلفين عن رفقة السابقين**
- ٤٥٥

- لماذا حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمكاره؟ ٤٥٩
- إذا رَأَيْتَ من نَفْسِكَ التَّخَلُّفَ فاعلم بأنَّ العَيْنَ قد عَمِيَتْ ٤٦٢
- سؤال الكثير عن أسباب ضعف نفوسهم، والبعد عن الهداية ٤٦٣
- القلبُ إذا انْسَلَخَ من تحكيم القرآنِ والسُّنَّةِ صار القرآنُ في نظره
أساطيرِ الأوَّلِينَ ٤٦٦
- بعضُ العلماءِ - رحمهم اللهُ - من المحقِّقين يظنُّون أنَّ مذهبَ أهلِ
السُّنَّةِ والجماعةِ هو التَّفويضُ في آياتِ الصِّفَاتِ وأحاديثها ٤٦٩
- ينبغي أن نُذَكِّرَ النَّاسَ بنعيم الآخرة ٤٧٣
- بيع الدنيا بالآخرة ٤٧٤
- من يقول لحبيبه: أنت عندي أحبُّ من كُلِّ شيءٍ حتَّى من اللهُ ٤٨٢
- وجوب تجريد المحبَّةِ لله تعالى ٤٨٣
- فصلٌ: في زُهدِ أهلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ وَإِثَارِهِمُ الذَّهَبَ الباقِي عَلَى الخَرْفِ
الفاني ٤٨٥
- من التَّمَنِّي ٤٨٧
- فصلٌ: في رَغْبَةِ قَائِلِهَا إِلَى مَنْ يَقِفُ عَلَيْهَا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ وَالإِيمَانِ أَنْ
يَتَجَرَّدَ لله، وَيَحْكُمَ عَلَيْهَا بِمَا يُوجِبُهُ الدَّلِيلُ وَالْبُرْهَانُ؛ فَإِنْ رَأَى حَقًّا
قَبْلَهُ وَحَمَدَ اللهَ عَلَيْهِ، وَإِنْ رَأَى بَاطِلًا عَرَّفَ بِهِ وَأرْشَدَ إِلَيْهِ ٥٠٠
- فصلٌ: في حَالِ العَدُوِّ الثَّانِي ٥٠٩
- فصلٌ: في حَالِ العَدُوِّ الثَّالِثِ ٥١٢

- ٥١٣ فَصْلٌ: فِي حَالِ الْعَدُوِّ الرَّابِعِ
- فَصْلٌ: فِي تَوَجُّهِ أَهْلِ السُّنَّةِ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَهُ وَكِتَابَهُ وَرَسُولَهُ
- ٥١٩ وَعِبَادَةُ الْمُؤْمِنِينَ
- يَجِبُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَنْصُرَ دِينَ اللَّهِ بِالْقَوْلِ وَبِالْفِعْلِ
- ٥٢٠ حَقُّ النَّعْمَةِ هُوَ الشُّكْرُ، وَالشُّكْرُ عَمَلٌ صَالِحٌ

- ٥٣٩ آيَاتِ مَخْتَارَاتٍ مِنَ النَّوْنِيَةِ
- ٥٤١ الصَّفْحَةُ الْأُولَى مِنَ الْمَخْطُوطِ بِقَلَمِ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الشَّارِحِ
- ٥٤٢ الصَّفْحَةُ الْأَخِيرَةُ مِنَ الْمَخْطُوطِ بِقَلَمِ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الشَّارِحِ
- آيَاتِ مَخْتَارَاتٍ مِنَ النَّوْنِيَةِ بِقَلَمِ فَضِيلَةَ الشَّيْخِ الْعَلَّامَةِ مُحَمَّدِ بْنِ
- ٥٤٣ صَالِحِ الْعَثِيمِينَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
- ٥٤٣ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي الصِّفَاتِ
- ٥٤٣ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي أَعْمَالِ الْعَبْدِ
- ٥٤٤ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي الْإِيمَانِ
- ٥٤٤ فَصْلٌ فِي مَذْهَبِ جَهْمٍ فِي فِعْلِ اللَّهِ
- ٥٤٥ فَصْلٌ فِي مَقْدَمَةِ قَبْلِ التَّحْكِيمِ
- ٥٤٦ فَصْلٌ فِي عَقْدِ مَجْلِسِ التَّحْكِيمِ
- ٥٤٧ فَصْلٌ فِي قَدُومِ الرِّكْبِ الْأَوَّلِ أَهْلِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ
- ٥٤٧ فَصْلٌ فِي قَدُومِ رِكْبِ آخِرِهِمْ وَهُمْ حُلُولِيَةُ الْجَهْمِيَةِ

- ٥٤٨ فصل في قدوم ركب آخر وهم معطلة الجهمية
- ٥٤٨ فصل في قدوم ركب آخر وهم الدهرية
- ٥٥٠ فصل في قدوم ركب أهل العلم والإيمان
- ٥٥٢ فصل في مجامع طرق أهل الأرض واختلافهم في القرآن
- ٥٥٤ فصل
- ٥٥٥ فصل
- ٥٥٥ فصل
- ٥٥٦ فصل
- ٥٥٩ فصل
- ٥٦٠ فصل
- ٥٦٠ فصل
- ٥٦١ فصل
- ٥٦١ فصل
- ٥٦٢ فصل
- ٥٦٣ فصل
- ٥٦٩ فصل
- ٥٦٩ فصل
- ٥٧٠ فصل
- ٥٧٠ فصل

٥٧١	فصل
٥٧١	فصل
٥٧٣	فهرس الآيات
٥٩١	فهرس الأحاديث والآثار
٦٠٣	فهرس الموضوعات والفوائد

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعٌ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com